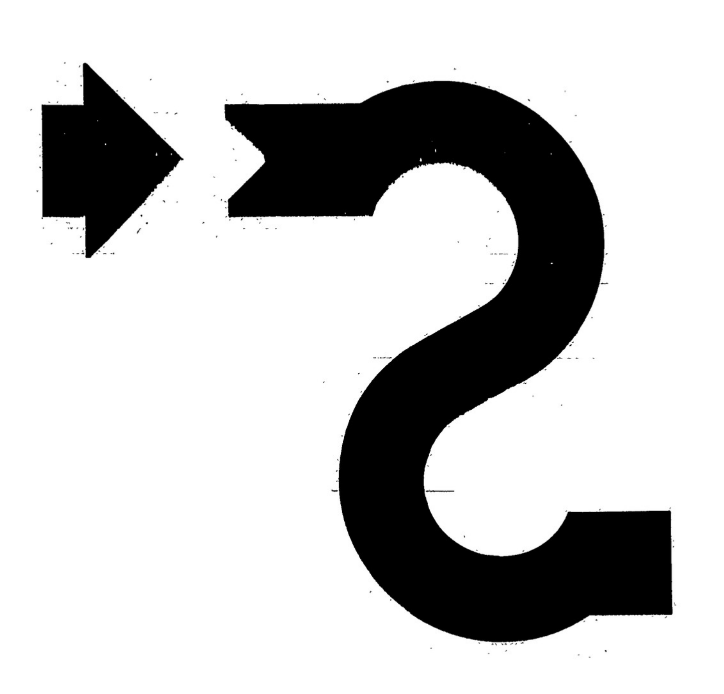
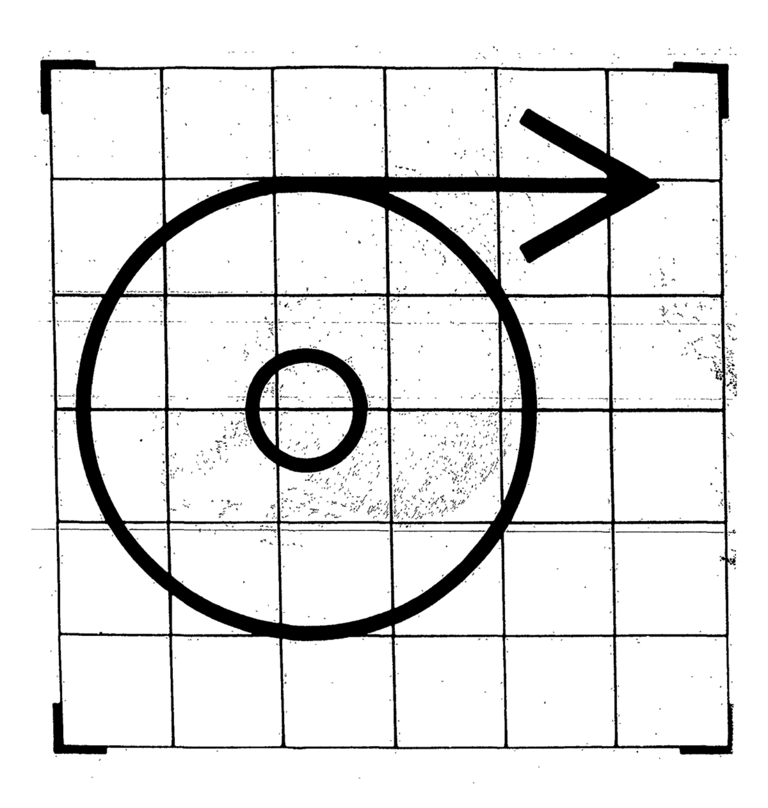


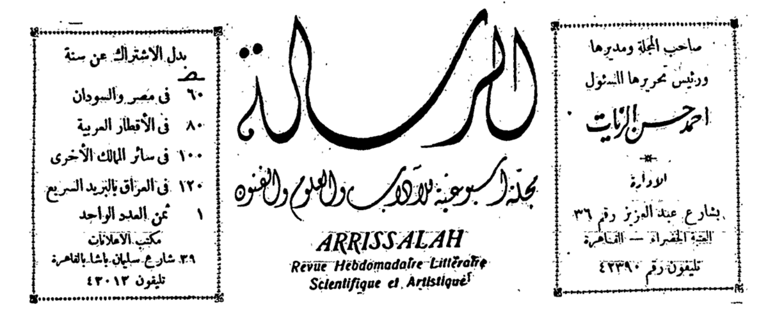
Suite d'une autre bobine

NF Z 43-120-7



Début de bobine

NF Z 43-120 1



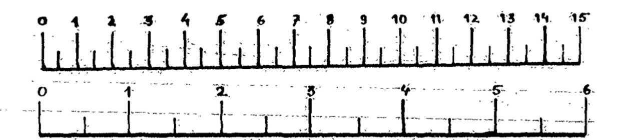
1934

Janvier - 25 juin

(n° 26 - 51)

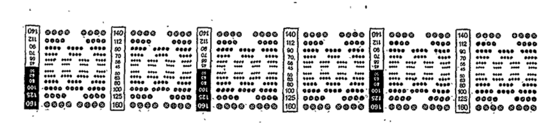
PROVENANCE DE LA COLLECTION

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx11

A.C.R.P.P

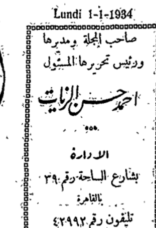




JANVIER

2 Me Année, No. 26

Lundi 1-1-1934



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الاقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الاخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العدد السادس والعشرون — القاهرة في يوم الاثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٥٢ — أول يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العدد

صفحة

الرسالة

في عامها الثاني

في مثل هذا الاسبوع من عامنا المنصرم اتخذت الرسالة طريقها الصامت الى المطبعة . ثم خرجت منها الى الناس تخطو خطى الوقار في عطاف الحشمة لا يجذب الطرف ظاهرها المتبرج ، ولا يخلب اللب باطنها الفكه . وكانت منذ انطلاقها من عقال التردد تتظنن في عواقب الجرأة على لقاء الجمهور بهذا المزاج في هذا الزى ، فلا تدرى أيصدق ظنها ام يكذبه ، ويحقق أملها أم يخيبه .

فلما يش لها بشاشة الزهر ، وأقبل عليها اقبال الدهر ، تبدلت لهذا الشعب الكريم صورة مكان صورة ، ونشأت عنه فكرة بدل فكرة ، وأيقن الذين رموا عقليته بالاعتلال ، وثقافته بالهزال ، وأدبه بالعبث ، ان وراء هذا المظهر المزور عقلا قويما يلذه التفكير ، وذوقا سليما يروقه الجد

والواقع ان الرسالة كانت صرخة الحق في ضجة الباطل ، دلت على العمق الصحيح لثقافة الكتاب ، والاتجاه الصادق لهوى القراء ، والمستوى الحق لرقى الامة ، وكان لها ان تزعم ـ اذا استجازت الفخر ـ بأن مجموعتها سجل مضبوط لالوان الادب العربي في هذا العصر

***



لم تلبث الرسالة على قرب عهدها بالوجود ان عقدت أسباب المودة بينها وبين القلوب العربية فى اقطار الارض ، فظلوا يخالصونها الولاء ، ويصادقونها النصح ، ويواضعونها الرأى ، ويربأون بها أن تسف أو تخف أو تشغل مكانا منها باعلان؛ وظلت هى على العهد الذى قطعته تتحرى وجوه الرشد وتتوخى سبيل القصد ، وتحدو أهواء النفوس الى الغاية التى يتوافى عليها الاخوة، وتلتئم عندها الوحدة ، والله يعلم مالقيت الرسالة فى طريقها من عنت الشهوات ، ورهق الحوادث . فما خنست لها همة ، ولا انقبضت لها عزيمة ، لان المؤمن الصادق لا يُفتن عما يعتقد ، ولا يُخدع عما يرى ، ولا يُؤفك عما يقصد

* * *

لم تكن الرسالة متجنية على الحق يوم أخذت على نفسها الموثق بأداء هذا الواجب، فأن القائمين بها كانوا يعلمون من دلائل الحال ان الأدب الصحيح الناضج انما يتجلجل داويا فى اعماق اهله ، ثم لا يجد السبيل الى الخارج لتسلط الوساوس التى ذكرناها فى صدر العدد الاول من الرسالة . فكان كل أديب موهوب يقصر الحان قلبه على سمعه ، كأنه الينبوع الشادى فى خلوة الوادى ، لا يقع شدوه فى أذن ، ولا يتصل نشيده بنشيد.

فكان سبيل الرسالة اذن ان تضم الاشتات الى الاشتات، وتوفق بين الاصوات والاصوات ، ثم تؤلف من هذه الآلات المفردة جوقة موسيقية متحدة تسكب فى مسامع الوجود ، أناشيد الخلود !

ولانت للرسالة بحمد الله أعطاف الامور فنجحت فى هذا التوفيق ، وكانت كما ترى فى فهارس سنتها الاولى صدى حاكيا لتلك الأصوات الصوادح بالمجد العربى والأدب العربى فى العراق وسورية ولبنان وفلسطين ومصر والسودان والمغرب .

نضّر الله بالحمد وجوه أولئك الادباء البررة الذين استجابوا دعوة الوطن الاكبر فساهموا فى تبليغ الرسالة، وأعانوا على تأدية الامانة ، وأضافوا خيرهم الغمر الى تراث آبائنا الخالد !

* * *

فى السنة الاولى للرسالة هنات يصيبها المتعقب ويُخطئها الكريم ، ولم يكن فى مقدور المبتدئ ولا تقديره أن يتسلف النظر الى كل الطوارئ ، وقد اكتسبنا بفضيلة الصبر خبرة فى العمل وقدرة على صعابه ، نرجو أن يظهر أثرهما فى هذه السنة ، فيحسن الطبع ، ويجود الورق ، ويدق التصحيح ، وتتسع الأبواب ، ويكبر الحجم ، ويكمل النقص ، وتزداد فى كل ذلك العناية

وقد استقبل القراء صدور الرسالة أسبوعيا بأريحية السرور وهزة الأمل ، واستهال الأمر بعض الاصدقاء فاشفقوا على الرسالة أن تقوض العجلة ما بنته الروية من هيكلها المتين وسمكها العالى

وانا لنشكر للمتفائلين الفرح ، ونحمد للمتشائمين الخوف ، ونؤكد لهؤلاء أن الرسالة تمضى بعون الله قدُماً الى الغاية، فلا يمكن أن تهبط عن مستواها ، ولا أن تقصر عن مداها. وانا لنجدد للقراء عهد الرسالة ونحن أقوى ما نكون اعتماداً على فضل الله ، واطمئنانا الى عطف الامة ، واتكاء على عون الشباب ، واعتداداً بأخلاص العمل

وإذا كنا قد قطعنا موفقين أول العهد ، والرسالة رسالة فرد ، والمجهود مجهود نفر ، فكيف يتلكأ الحظ ويتعثر الأمل، وقد أصبحت الرسالة رسالة أمة ، والمجهود مجهود شعب ؟ !

احمد حسن الزيات

النفس والرقص

للكاتب الشاعر الفرنسي العظيم پول فاليرى

ترجمة الدكتور طه حسين

اركسيماك — هى المدهشة، هى البالغة غاية الإبداع فى الرقص (اتكتيه)

فيدر — ما أعرفك بهن!

اركسيماك — لكل هؤلاء الحسان أسماء كثيرة اخرى بعضها يأتيهن من الاسرة، وبعضها يأتى من الاخصاء.

فيدر — انت أخص هؤلاء الأخصاء!.. تعرفهن اكثر مما ينبغي!

أركسيماك — انا اعرفهن أكثر جدا من المعرفة الحسنة (١)، ومن بعض الانحاء أحسن مما يعرفن انفسهن. اى فيدر ألست انا الطبيب؟ عندى وبى تستحيل اسرار الطب كلها؛ اسرارا تشترى بها كل أسرار الراقصة! (٢) هن يدعوننى لكل شىء، يدعوننى لالتواء القدم، وللدمل، وللذهول، ولما يمس القلب من حزن، وللاحداث المختلفة التى تصيبهن من الصناعة (وهذه الاحداث الجوهرية التى تنتج فى سهولة من مهنة شديدة الحركة) وضيقهن الخفى، حتى الغيرة سواء أكان مصدرها الفن او الغرام، وحتى الحلم.. اتعلم انه يكفى ان يسررن الى ببعض ما يقلقهن من الاحلام لاستنبط من ذلك ان فى بعض اسنانهن فسادا؟

سقراط — يالك من رجل خليق بالاعجاب يعرف الاسنان بالاحلام! اتظن ان اسنان الفلاسفة كلها فاسدة؟

اركسيماك — لتحمنى الآلهة من عض سقراط؟ (٣)

فيدر — دع هذا وانظر الى هذه الاذرع والسوق التى لا تحصى! عدد ضئيل من النساء يظهر الف شىء. (٤)، الف مشعل، الف رواق معمد قليل البقاء، عروشا، عمدا.. الصور تذوب تمحى. انما هى جماعة من الشجر حسان الغصون يهزها نسيم الموسيقى! أترى يا اركسيماك ان هناك حلما يصور من الألم واضطراب العقل اكثر مما يصور هذا الذى نراه الآن؟

«١» يريد أن عله تشونهن أوضح واعمق من المألوف

«٢» يريد ان حرفته بالعلل وعلاجها تمكنه من أن يظهر على اسرارهن وتمنعهن ان يخفين عليه شيئا

«٣» اى من هذه اللاذع

«٤» يريد ان ما يأتين من الحركات المتصلة السريعة يظهر اشكالا كثيرة جدا اكثر من عددهن

سقراط — ولكن هذا الذى نراه اذا حققت ابعد الاشياء عن الحلم اى فيدر العزيز

فيدر — ولكنى انا حالم.. حالم بالعذوبة تضاعف نفسها بنفسها الى غير حد، بما يكون بين هؤلاء العذارى من التلاقى ومن تبادل الصور. حالم بهذا التماس الذى لا يوصف والذى يحدث فى النفس بين الازمنة، بين بياض الاذرع واشتباكها بمقدار، واصوات هذه الانغام المؤتلفة الخافتة والتى يظهر عليها كل شىء كانه مصور محول. يعيش اختلاط هؤلاء الفتيات الساجات كأنه شذى مسكى مركب، ويهيم بصرى فى هذا الظرف المختلط حيث تضل كل واحدة منهن مع رفيقة ثم تظهر مع رفيقة أخرى.

سقراط — ان نفسك المفتونة باللذة، انما تراه نقيض الحلم لا أثر للمصادفة فيه.. ولكن نقيض الحلم ماهو يافيدر؟ اما هو حلم آخر! حلم تنبه ويقظة يحلمه العقل نفسه! — وماذا يمكن ان يحلم العقل؟ لو حلم العقل صلبا قائما (١) مثلج العين مطبق الفم كانه سيد شفتيه — فالحلم الذى يراه هل يكون الا شيئا كالذى نراه الآن — هذا العالم من القوة الدقيقة والتخيل المتعمد فى عناية واتقان! حلم، حلم، ولكنه حلم يملؤه التناسق كله نظام؛ كله فعل وغناء (٢).. من يدرى اى القوانين المقدسة «٣» تحلم هنا الآن وقد اتخذت وجوها نضرة «٤» واتفقت على ان تظهر للناس كيف تستطيع الاشياء الواقعة وغير الواقعة والمعقولة ان تمتزج وتأتلف حسب ما للآلهة الفن من مقدرة؟

اركسيماك — من الحق يا سقراط ان كنز هذه الصور لا يقدر... الا تظن ان فكرة الآلهة (٥) هى بالضبط ما نرى وان هذا التشابه الفخم الى غير حد. هذا التداور والتقابل والتقاطع (٦) التى لا تنتهى والتى تظهر لاعيننا ينقلنا الى عالم المعرفة الالهية؟

فيدر — ما أجمله ما اطرفه هذا المعبد الصغير الوردى المستدير الذى يؤلفه الآن، والذى يدور فى بطء كأنه الليل!. انه ليتفرق فتيات «٧» ان الاردية لتطاير وكأن الآلهة قد غيروا من تفكيرهم

١ — يريد متهيأ للنظر والتفكير فى جد وحزم

٢ — يريد كله حقائق واقعة ونظام بديع

٣ — يريد القوانين العليا التى تدبر أمور الكون

٤ — هى وجوه الراقصات. يريد انهن يمثلن القوانين العليا مما يلبس من اشكال الفن

٥ — يريد ان هذه الاشكال الفنية العليا تمثل ما فى القوانين الالهية من نظام وجمال.

٦ — يشير الى حركات الراقصات فيما بينهن

٧ — يريد انهن قد الفن فيما بينهن شكلا يصور معبدا يدور ثم تفرقن فعادت كل واحدة منهن فتاة كما كانت.

أركسياك ـ إن الفكرة الالهية الآن هى هذه الجماعات الكثيرة المختلفة الألوان من الوجود الباسمة. أنها تبدىء المعاد من هذه الحركات الحدة وهذه العواصف اللذيذة التى تيألف من جسمين أو ثلا ثة أجسام (١) ثم لاتستطيع أن تفترق . . . لقد وقعت احداهن فيما يشبه الاسر (٢) فلن تخرج من سلاسلهن السحرية !

سقراط ـــ ولكن ماذا يصنعن فجأة ؟ . . . انهن ليختلطن ، ثم يمضين مسرعات ! . . .

فيدر ـ هن يطرن الى الأبواب ؛ ينحنين ليستقبلن

أركسياك ـــ اى أتكتيه ! اى اتكتيه ! . . . يااللالهة ! . . . أتكتيه الخافقة !

سقراط ـــ ليست شيئاً .

فيدر ـ هى طائر صغير

سقراط ـ شىء لا جسم له !

اركسياك ـــ شىء لا ثمن له !

فيدر ـــ أى سقراط ! كأنها تطيع اشكالا لاترى !

سقراط ـ أو تذعن لقضاء جليل !

اركسياك ـــ أنظر ! أنظر ! أترى أنها تبتدىء بمشى الاهى : مشى يسير مستدير . . تبتدىء بأرق ما عندها من الفن ، تمشى فى يسر على ما انتهت اليه من القمة (٣) ! طبيعتها الثانية هذه أبعد ما تكون عن طبيعتها الأولى ، ولكن يجب أن تشبهها (٤) ، حتى تخدعنا عنها .

سقراط ـ انى لاستمتع الى أقصى حد بهذه الحرية . أن صاحباتها الآن لمستقرات كأنهن مسحورات (٥) . وأن الموسيقيات ليسمعن لأنفسهن دون أن يحولن أبصارهن عنها . . . يمتزجن بها كأنما ياحجن فى كمال التوقيع .

فيدر ـ احداهن كأنها المرجانة الوردية قد انعطفت على نفسها وهى تنفخ فى قوقعة عظيمة .

اركسياك ـــ صاحبة المزمار هذه العـــالية فى الطول ذات الفخذين النحيفتين كأنهما المغزلان ، قد لفت احداهما على الآخرى ،

«١» يشير الى بعض ما تأتى الراقصات من الحركات وما يؤلفن من الاشكال .

«٢» احطن بها فهى لا تستطيع ان تفلت منهن .

«٣» يريد انها تبلغ اقصى غايات الاجادة فى غير مشقة ولا تكلف

«٤» يريد ان طبيعتها الفنية مهما تختلف فهي متشابهة ومهما تأتلف فهي مختلفة أي ان فنها مشتمل فى وقت واحد على الوحدة والتنوع .

«٥» ـــ يريد انهن مسحورات بالرقص الذى يرينه منها والموسيقى التى يسمعنها من أنفسهن .

ومدت قدمها الظريفة الى تخفق أبهامها بوزن الموسيقى . . . أى سقراط ما ترى فى هذه الراقصة ؟

سقراط ـــ أى اركسياك هذه المخلوقة الصغيرة تدعو الى التفكير . . أنها تجمع على نفسها انها تحتمل جلالا كان مفرقا فينا جميعا (١) وكان يحل غير مشعور به كل الذين يشتركون فى هذا اللهو . مشى يسير ، واذا هى الاهة ، واذا نحن جميعا كأننا الآلهة ! . . .

مشى يســـير ايسر التساسل كأنها تأجر الفضاء بأعمال جميلة متساوية وتضرب بعقبها حركات كالدنانير ذات الرنين . كأنما تعد وتحصى فى قطع من الذهب الخالص ما تنفقه نحن غافلين نقدا عاديا من الخطوات حين نسعى لأى غاية من الغايات

أركسياك ـ أيها العزيز سقراط . انها تعلمنا ما نعمل ، مظهرة لنفوسنا فى جلاء ما تأتى أجسامنا من الحركات ، تظهر لنا ساقاها حركاتنا كأنها المعجزات ، ثم هى تدهشنا بمقدار ما ينبغى أن ندهش (٢)

فيدر ـ فى أى شىء تمتاز هذه الراقصة عندك بشىء سقراطى ، فتعلمنا من المشى كيف نعرف أنفسنا بانفسنا خيراً مما كنا نعرفها ،

أركسياك ـ فى هذا بالضبط وهو أن خطواتنا تبلغ من اليسر والالف جدا لا نشرفها معه بملاحظتها فى أنفسها ومن حيث هى أعمال غريبة الا أن يكون أحدنا مقعداً أو مريضاً فيضطره العجز الى الاعجاب بها ـــ واذن فهن يحملننا كما يعرفن ، ونحن نجهلهن ، وهن يختلفن باختلاف الأرض والغاية والاخلاق والاحوال (٣) بل وضوح الطريق ، ونحن ننفقهن فى غير تفكير .

ولكن انظر الى هذا المشى التوقيعى الكامل . تمشيه اتكتيه على ارض لا عيب فيها ، وهى خرة صريحة تكاد تكون مرنة (٤) ، تضع فى تناسق على مرآة قوتها قدميها متابعتين ، عقبها يصب جسمها نحو مقدمة رجلها ، ثم تمر رجلها الاخرى فتلقى الجسم وتصبه الى امام ، وهكذا

«١» ـــ يريد انها تصور بفنها كل الخطوط المتفرقة فى أفراد الحاضرين من حب الجمال والطموح الى المثل الاعلى فيه .

«٢» ـــ يشير الى ان المعرفة استكشاف يثير الدهش لاول العهد به .

«٣» ـــ يريد ان خطواتنا تختلف فيما بينها وتتفاوت باختلاف هذه الاشياء جميعا فهى على الارض المستقيمة غيرها على الارض المعوجة وخطوات الرجل ذي المزاج المعتدل والخلق الحسن غير خطوات الرجل ذى المزاج الحاد والخلق السيء . وخطوات الرجل الذى يسعى الى غاية يحبها غير خطوات الرجل الذى يسعى الى غاية يكرهها .

«٤» ـــ يريد انها متئدة مقتصدة فى الحركة . تميل الى الوقر اكثر مما تميل الى الخفة .

(البقية على صفحة ٤٢)

كلمات في الحياة

من الادب العربي والادب الغربي

للاستاذ احمد امين

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو (قرآن كريم)

خط رسول الله (ص) خطا وقال هذا الإنسان، وخط الى جانبه خطا وقال هذا أجله، وخط آخر بعيداً عنه وقال هذا الأمل، فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب. (حديث)

لما رجع رسول الله (ص) من غزوة غزاها قال: «رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الأكبر»

الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام. (الحسن البصري)

الدنيا شوك، فانظر أين تضع قدمك (حكيم)

الدنيا بيت له بابان، دخلت من أحدها وخرجت من الآخر (حكيم)

أدرها علينا مزة بابلية
تخيرها الجاني على عهد قيصرا
فما العيش إلا أن تراني صاحياً
وما العيش إلا أن ألذ فأسكرا
(أبو نواس)

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا
وتغدو صريع الكاس والأعين النجل
(صريع الغواني)

أصاح هي الدنيا تشابه ميتة
ونحن حواليها الكلاب النوابح
(أبو العلاء المعري)

وما العيش إلا علة برؤها الردى
فخل سبيلي أنصرف لطياتي
(أبو العلاء)

وما الأرض إلا مثلنا الرزق تبتغي
فتأكل من هذا الانام وتشرب
(أبو العلاء)

عاقر الخمر فانها ملك محمود (١)، واسمع القيثارة فانها لحن داود، ولا تذكر إلا الحاضر فذلك هو المنشود. (عمر الخيام)

خذ كأساً وابريقاً وتجول في الرياض الناضرة على شاطىء الأنهار، فان هذا الفلك طالما جعل من قدود الغانيات كؤوساً، وجعل منها أباريق (عمر الخيام)

ليست الحياة أن تتنفس، ولكن أن تعمل (ليكرغوس)

أن الحياة طويلة لمن عرف كيف يستخدمها (سينكا)

اذا أردت أن تعيش سعيداً فعش ليومك (بلوتوس)

انما يسيطر على الحياة الحظ لا الحكمة (يوليوس سيروس)

الحياة نسيج آراء (ماركوس أوريليوس)

الحياة دمعة منسكبة تبتلعها الارض (البارودي)

كثير من الناس لا يتمتعون بالحياة لأنهم لا يجدون نقطة توازنها (تارشي)

حياة الانسان كاليوم، فجره ميلاده وصباحه طفولته. وظهره ايفاعه، وغروبه موته (بوب كليمان)

الحياة سباق الى الموت (دانتي)

حياة الانسان تكيفها عواطفه (بلزاك)

الحياة أغنية وكل نفس لحن (لامارتين)

الحياة أن تستخدم كل أعضائك ومشاعرك وملكاتك وكل قوة فيك حتى تشعر أقصى شعور بوجودك (روسو)

أكثر الناس يستخدمون شطر حياتهم لتنغيص الشطر الآخر (لابرويير)

الحياة بين أن تحارب وأن تستعبد لان تحارب (أري شفر)

الحياة حروف تعجب واستغاثة وندبة، ومجموعة من آه وأف وأخ ويخ (١) (بيرون)

---

(١) لعله يريد السلطان ناصر الدين محمود السلجوقي. وقد عاش عمر الخيام في دولة السلاجقة

(١) أخ كلمة تقال للتوجع والتأوه من غيظ أو حزن أو استقذار ويخ كلمة تقال تقال عند الاستحسان

الى سيدى الاستاذ العبادى

وقفة اخرى على جسر اسماعيل

... أما أنا فقد وقفت أيضا بالجسر ولكنى أشهد أنه لم يثر فى نفسى إلا الأسى وحده ، ولقد قطعته غير مرة ذهابا وجيئة ، وارسلت الطرف في كل طريق ، واسترسلت فى التفكير العميق ، لعلى أجد شيئا يرفع عن نفسى الحزن ، أو يدفع إلى حسى قليلا من السرور ، فارتد الى البصر دامعا وهو حسير

لست أنكر ان الجسر كان يوما مهبط الفخر ومسقط السحر ولكن متى ؟ ذلك يوم كانت أسده طليقة من إسار الذل ، أما اليوم وهى غريقة فى بحاره فليس يستطيع السائر هناك أن يمسك دمعه أن يهلك لوعة

سيدي : اسمح لى أن أقول إن وقفتى بجسر اسماعيل أعقبتنى ندما وألما ، وأنها ردتنى إلى شيء من الحسرة والحيرة لا حد له ، فلقد كنت أسمع في همس موجه ، وجرس لجه ، طنين تلك الأرواح الهاتفة من الماضى الزاخر بالمجد ، وأنين هاتيك الأشباح الطائفة من الشهداء تبكي أسى على استقلال زال ، واحتلال ما حال . . .

سيدى ، لقد كان لى فيما رأيت من منظر النهر ما أغرقنى فى فيض من الهم ، فأغرقت فى تفكير مرير ولم أفق الا على صوت البورى — فرفعت رأسى الى المعسكر الاحمر وتحاملت على نفسى ومضيت دامع العين دامى القلب

واليوم قرأت مقالك فانسابت الذكريات سراعا تباعا فنكأت الجرح بعد أن كاد يندمل ، وطاب لى أن أمسح حول هذا الجرح فوجدت فى ذلك شيئا من اللذة مصدرها الثقة فى الله والأمل فى المستقبل ، وأنا الآن أكتب اليك هذا فى الثالثة صباحا بينما تقرع أذنى طرقات متواليات من طبلة (السحور) فتشيع فى نفسي ألوانا من الايمان ، وتجعلني أرفع يدى الى السماء فى ضراعة وأهتف :

« اللهم لا تمتنى قبل أن أشهد مصر حرة »

البكرى القلوصناوى

الجامعة المصرية . كلية الحقوق

وسئل فيلسوف ما رأيك فى الحياة فهز كتفيه وانصرف لوجهه

الحياة عمليات حسابية مختلفة الارقام نتيجتها صفر دائما ؟

أحمد أمين

الحبس = الاعدام

للاستاذ حسن جلال

من أنباء الصحف اليومية :

« أن المدعو محمد فضل الله الحرى دخل ذات ليلة بيته فوجد أحد أصدقائه ويسمى محمد خليفة الكاجاوى مع زوجته فأخرج مديته وأغمدها فى صدره فقضى عليه لساعته ، فقبض عليه رجال البوليس وحقق معه ، ثم أحيل الى المحاكمة الجنائية وشكلت له محكمة وطنية برياسة المستر بمفرى المفتش بمديرية غرب كردفان وعضوية الشيخ بانقا مهيدى والشيخ الشرقاوى حماد عبد الكريم ، ولما سئل الجانى اعترف بجريمته وقال أنه ارتكبها عامدا بسبب ما أثار حفيظته من تلك الفعلة الشنيعة التى ارتكبها المجنى عليه ؛ فاصدرت المحكمة أخيرا حكمها وهو يقضى بأعدام القاتل محمد فضل الله الحرى .. »

**

والذى يلفت النظر الى هذا الخبر أن مثل هذه الفعلة الشنيعة إذا قابلها الزوج فى مصر بمثل ما قابلها به (المدعو) محمد فضل الله الحرى لا تصدر المحكمة — اخيرا — حكمها عليه بالاعدام بأى حال من الاحوال ، لأن المادة ٢٠١ من قانون العقوبات المصرى تنص على ما يأتي :

« من فاجأ زوجته حال تلبسها بالزنا وقتلها فى الحال هى ومن يزنى بها يعاقب بالحبس بدلا من العقوبات المقررة فى المادتين ١٩٨ و ٢٠٠ »

أما المادة ١٩٨ المشار اليها فهذا نصها .

« من قتل نفسا عمدا من غير سبق اصرار ولا ترصد يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة ... » والمادة ٢٠٠ نصها كالآتى :

« كل من جرح أو ضرب أحدا عمدا أو أعطاه مواد ضارة ولم يقصد من ذلك قتلا ولكنه أفضى الى الموت يعاقب بالاشغال الشاقة أو السجن من ثلاث سنوات الى سبع . . . »

والمفهوم من مقارنة هذه المواد ان الأصل فيمن قتل نفسا عمدا ولكن من غير ان يكون قد بيت النية على قتله بل يكون القتل قد جاء مثلا نتيجة مشادة أو مشاجرة أو نحوهما — الاصل فيمن فعل ذلك ان يكون جزاؤه الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة . كما ان الأصل فيمن ضرب انسانا ولم يكن يريد قتله ولكن الضرب

يفضي الى موته ا يكون جزاؤه الأشغال الشاقة أو السجن..

بيد أنه روعي بعد ذلك ان الشخص الذي يفاجيء زوجته بين أحضان رجل آخر فيعتدي على غريمه بالقتل او بالضرب الذي يفضي إلى موته لا يمكن ان تعتبر جريمته مثل جريمة غيره . ولوحظ ان الظروف الخاصة بهذه الجريمة تبرر وقوعها نوعا ما ، ولذلك خفف الشارع على مرتكبها في العقاب وجعل جزاءه الحبس بدل الاشغال الشاقة أو السجن ..

*

على ان هناك نصا آخر في قانون العقوبات المصرى تصح الإشارة اليه في مثل هذا المقام وذلك هو نص المادة ٥٧ :

« لا عقاب على من يكون فاقد الشعور أو الاختيار في عمله وقت ارتكاب الفعل إما لجنون أو عاهة في العقل وإما لغيبوبة ناشئة عن عقاقير مخدرة أيا كان نوعها إذا أخذها قهرا عنه أو على غير علم منه »

وأول ما يتبادر الى الذهن أن الرجل الذي يفاجيء زوجته وشريكها في حالة تلبسهما بالجريمة المنكرة فيقتلهما لابد ان يكون قد فقد شعوره نوعا ما ، فلماذا لا تطبق عليه المادة ٥٧ ويعفى من العقاب بتاتا ؟

والجواب على ذلك ان المادة ٥٧ قيدت فقدان الشعور المنصوص عنه بقيدين . فما لم يكن فقدان الشعور بسبب (الجنون) أو بسبب (العقاقير المخدرة) فلا يقبل كظرف مانع من العقاب وعذر الشارع في هذا التقييد واضح وهو ان الاعفاء من العقوبة لو جعل نتيجة مطلقة لفقدان الشعور لوجد الدفاع عن المتهمين مايقوله دائما في كل جريمة قتل لاثبات ان المتهم ما أقدم على فعلته إلا بعد ان افقده الشر شعوره إما لاحتدام الخصومة بينه وبين غرمائه وإما لأن المتهم حصل له من الاستفزاز مالم يعد يدرك معه مايفعله ، وإما لغير ذلك من الاسباب

ولسنا الآن بصدد البحث في المادة ٥٧ ولكننا ألممنا بها لما لها من المساس بموضوعنا من قريب أو من بعيد .

ولنعد الى المقارنة بين مركز الزوج في حكم القانون المصرى وفي حكم القضاء السوداني فقد رأينا ان الفعلة الواحدة لا تذهب بصاحبها في مصر الى ابعد من الحبس بينما هي في السودان قد ساقت صاحبها فعلا الى المشنقة ، هذا هو الذي أردنا ان نوجه نظر القارىء إليه ليتمعن فيه ويستخلص لنفسه منه ماشاء .

أما الأسئلة التي تهاوت على رأس كاتب هذه السطور عند مطالعة الخبر في الصحف فهذا بعضها :

١ — ماذا كان يجب على الزوج أن يفعل بدلا من أن يغمد مديته في صدر (صديق الطرفين) ؟!

٢ — ان كان لا بد من ارتكاب جريمة قتل (حتى يسلم الشرف الرفيع من الأذى) فمن هو أحق الثلاثة بالمدية تغمد في صدره ؟

أهي الزوجة الخائنة ، أم هو الصديق الغادر ، أم هو الزوج الخائب ؟

٣ — هل يمكن أن يكون الزوج (غير فاقد الشعور) وفي حالة (جنون) فعلية إذا ماوقعت عينه على هذا المشهد ؟

٤ — هل يكون من المستحسن اعادة النظر في أمر العقوبة التي يجب توقيعها على الزوج القاتل في مثل هذه الأحوال ؟

٥ — هل يفهم من حكم المحكمة السودانية الوطنية أن الزوجة في السودان هينة على زوجها وعلى المجتمع الى حد يجعل غيرة الرجل عليها أمرا غير معقول . وذياده عن نكبة شرفه فيها أمرا غير مقبول ؟

الخ .. الخ .....

حسن جلال

المقامة الهرمية

بين الهرم الاكبر و ناطح السحاب

للدكتور محمد عوض محمد

أصبح عيسى بن هشام شيخاً فانياً خرفا، لم يبق منه الدهر سوى جلد ذابل، على عظم ناتىء. غير ان مر السنين لم يزده إلا ولعا بسرد القصص ورواية الاخبار:

لكن حديثه أصبح كحديث كل شيخ يفن كبير، قد اشتمل على شيء كثير من الخرافات والخيال. مما يجهد العقل، ويعيا به اللب. ويكاد حبل الفهم أن ينبت دون ادراكه.

أنصت اليه اليوم إذ يتحدث الى جلاسه عن الهرم الاكبر وناطح السحاب فيقول:

كان الهرم الاكبر راقداً، غارقا فى رقاده، نائما يغط فى نومه.. وقد وسد رأسه ترابا لينا ورملا ناعما. وقد وطىء له الفراش. ومهد له الثرى. فمضجعه سهل وثير ويغشاه لحاف غليظ ترب، قد أكل عليه الزمان وشرب. لكنه كان يجد تحت هذا الغطاء الكثيف الراحة والدعة، وهما أجل ماتمناه.

ولهذا بقى راقدا غارقا فى رقاده، نائما يغط فى نومه

عصفت به العواصف، وأهابت به الاحداث. وثارت من حوله الاعاصير، وأهاجت الرياح رمال الصحراء حتى امتلأت بها طباق الهواء. واحتجبت النجوم عن العيون، ولمع البرق وقصف الرعد، وملئت السماء حرسا شديداً وشهبا... ثم زلزلت الارض زلزالا عنيفا مخيفا. فمالت الى اليمين، ثم مالت الى اليسار، وأخذت ترتجف وترتعد، وتعلو وتهبط.

فهل حرك الهرم الجاثم؟ هل فتح جفنا أو حرك طرفا؟ هل أيقظته هذه القوارع الملمة والكوارث المحدقة من كل جانب؟

انه بقي راقداً، غارقا فى رقاده، نائما يغط فى نومه

***

وفى يوم من أيام البلاء أتى اليه رجل فرنسى قصير القامة، دميم الصورة. مقشر الوجه. قد ملأ الغرور قلبه، وأعمى الوهم عينيه.. جاء هذا الفرنسى فنصب مدافعه أمام الهرم وصوبها الى رأسه، يريد أن يوقظه من رقاده الطويل. فجعل يلقى بقذائفه: قنبلة خلف قنبلة، وقذيفة إثر قذيفة.

فهل تحرك الراقد أو التفت؟

إنه - والله! - لم يزد على أن رفع الرأس قليلا، وبصق فى وجه ذلك المغرور. ثم عاد الى سباته العميق.

وظل راقداً، غارقا فى رقاده، نائما يغط فى نومه.

***

ولهذا الغطيط الدائم ضوضاء هادئة حينا، عنيفة أحيانا وقد ألفتها الاسماع فهى قلما تزعج أحداً أو تقلق كائنا.. غير أن أبا الهول قد أصبح ذا مزاج عصبي حساس. وقد استيقظ مرة فخيل اليه أنه لم يعد يطيق تلك الضوضاء. فالتفت مرة الى الهرم فى ليلة حالكة الظلام، وخاطبه بصوت أجش، فيه حدة وفيه عنف وشدة. وقال: أما كفاك رقاداً أيها الشيخ الهرم، الذى طال نومه وأظلم يومه، وخمد فهمه، وطاش سهمه؟ ألم يأن لك أن تفيق، وتكف عن الغطيط؟ لقد فضحتنى فى الملأ الادنى وفى الملأ الاعلى بنخيرك هذا الذى ليس له غاية، ورقادك الذى ليس منه إفاقة. حتى أصبحت مضرب الامثال فى الكسل والجمود وغدوت لى سبة وعارا... فوا الذى نفس خوفو بيده، لولا بقية حلم ووقار للكزتك لكزاً، أو سفعتك سفعا ولأطرت النوم عن عينيك وأنهضتك من هذا الرقاد الشائن...

قال عيسى بن هشام: هكذا أهاب أبو الهول بالهرم، هكذا صاح المسكين، وأمعن فى الصياح، حتى انتفخت أوداجه، وجاشت مناخره، واحمرت عيناه وجف ريقه.. فلا والله ماتحرك الهرم ولا تحول. وما زاد على أن تثاءب، ثم عاد الى سباته العميق.

وهكذا ظل راقداً ، غارقا في رقاده ، نائما يغط في نومه

* * *

حتى اذا كان الشتاء الماضي شهد العـــالم مشهداً غريباً ، وحادثا عجيبا : ذلك أن الهرم تحرك .. أجل وأبيكم - بل وأ ، أنا أيضا - لقد تحرك الهرم ، ومدّ يده إلى عينيه فدلكهما دلكا عنيفا ، ومسحهما مسحا شديداً .. ثم رفع رأسه قليلا ، وأخذ يحرك شفتيه بالكلام .. فالى من كان يتحدث ؟ . .

ذلك هو السر الخطير ، والخطب الكبير . إنه كان يتحدث الى بعض نواطح السحاب ..

ولا تعجبوا أن وُفق هذا الناطح إلى ايقاظ الهرم ، حين أعيت فيه سائر الجيل . ذلك أن النظير أبداً يجذب النظير ، والحجر العظيم يلين للحجر العظيم ، ولا يفل الحديد الا الحديد ، وسيد أبنية الغرب جاء قاصداً سيد ابنية الشرق ؛ لا زائراً أو حاجا ، بل سائحا ومطلعا . فأبى السخاء الشرقي والكرم الشرقي الا أن يتحرك له الهرم الاكبر بعض الشيء ، ويكرم وفادته بعض الشيء ..

ولو تبين الهرم حقيقة أمر هذا الزائر وما امتلأ به قلبه من غرور ؛ لأشاح عنه بوجهه ، وأعرض عنه كل الاعراض . واعمركم ولعمري ! متى جاء من الغرب شيء يسر القلب ؟

* * *

سعى هذا الناطح الى الهرم سعيا حثيثا . فلم يزل يسبح فوق البحار ، ويجتاز القفار حتى أسلمه طول المسير الى رحاب الهرم الكبير . وربما سـألـتموني لماذا جشم الناطح نفسه كل هذا العناء ، وسط هذه الصحارى المحرقة المُنصبة . وهو ربيب النعمة ، حليف النعومة ، ولقد تحسبون أنه ما جاء الا ليلتمس الحكمة من منبع الحكمة ، أو يطلب النور من حيث يطلع النور . او يبغي ايقاظ الهرم الراقد ، اذ عز عليه ان يطول رقاده .. ولكن الحق انه ما جاء لشيء من هذا كله . بل ساقه الى الهرم الاكبر ذلك الفضول ، ذلك الشغف بالاطلاع والاستطلاع ، والذى هو من غرائز العجماوات . ثم لكي يستطيع ان يقول للنواطح الأخر إنه طاف بالهرم الاكبر وحظي بالمثول بين يديه ، بل قد يزعم أنه غالبه فغلبه ، وسابقه فسبقه

* * *

لم يكد يستقر المقام بناطح السحاب حتى انفتح منه الطابق الاعلى ، وأخذ يخاطب الهرم وفى صوته تلك الغنّة التى امتاز بها أهل امريكا ، كأنما يسدون أنوفهم اذ يتكلمون :

وقال له : عم صباحا ياعزيزى أبا الاهرام . إن الهواء هنا جاف حار ، وقد طال سيرى فى البيد ، وبلغ منى الظمأ ، ولا أجد فى هوائكم سحابا يحلل ظمئى ، ويبرد أوامى .

قال الهرم : عم صباحا ناطح السحب ! هل لك فى الجلوس لتستريح قليلا من قطعك البحار وسيرك فى القفار ؟

قال : هيهات لمثلى الجلوس ! انى لا أقضى حياتى جاثما فوق أديم الثرى ، بل ناهضا قائما ، أحمل هذه الطباق السبعين بين جدرانى .

قال الهرم : أجل وفى طيها هذه الكائنات الغريبة من كل ماهب ودب !

قال : إن فى باطنى ، وبين جوانحى احياء ملؤها الحركة والنشاط ، أما أنت فلم تشتمل إلا على أجساد هامدة .

قال الهرم : تأدب ياناطح ! ان جسد خوفو الذى اضم بين جوانحى لأعز على الدهر من كل هذه الاحياء التى انطوت عليها طباقك السبعون .

قال : ان بلادك تحيا حياة جمود .

قال الهرم : ليست حياة الجمود بشر من جمود الحياة

قال الناطح : أرجوك ألا تكلمنى بلغة الكهان القدماء واذكر أننا فى عصر البخار والكهرباء ، وفى القرن العشرين بعد الميلاد . لا قبل الميلاد منذ اربعة آلاف من السنين ، كان فرعونكم يسأل كاهنه عن الامر العويص . فلا يحير الكاهن جوابا . فيُلجئه العجز إلى هذه العبارات المبهمة والأسجاع الغامضة . اما أنت فا أحراك ان تخاطبنى بلغة العصر ، وان تحدثنى فى صراحة ووضوح .

قل لى : انك لست إلا قبرا . ومع ذلك فانت رمز لهذه

الأمة القديمة . فكيف ترضى أمة حية ان يكون رمزها الذى يدل عليها قبراً من القبور .

قال الهرم : أنا رمز الخلود، رمز البقاء : رمز السرمدية التى تنتظم الوجود . ما هذه الآلاف السنين التى تذكرها غير حباب يطفو على موج الأثير الازلى .. وما أنت والنواطح أمثالك، وما بخارك وكهرباؤك سوى ذرات فى هباء تذروها رياح الأبد . وما كيانكم وأقداركم وحظوظكم سوى اهتزازات فى أطراف جناح الدهر الخفاق ..

لقد شغلتكم الحياة عن التفكير فى الحياة . وأعماكم النور عن رؤية ماوراء النور ، وألهاكم الوجد عن حكمة الوجود . .

ولعمرك ماذا تستطيع فى الدهر ، وماذا تنال من الأزل شرارة لا تكاد تذكو حتى تخبو ، ولا تكاد تبدو حتى تختفى ؟

فأطرق الناطح مليا ثم قال : ان الحياة أعز لدى من سر الحياة ، والوجود أحب الى من حكمة الوجود . فدعنى من أزليتك وأبديتك ! ان ساعة واحدة من حياتنا الأمريكية الممتلئة حركة وجدا ونشاطا أشهى إلىّ من آلاف السنين أقضيها مثلك رابضا فوق التراب فى همود وخمود ، وسبات ورقاد . انى ضحيت بالدهر من أجل الساعة ، وأعرضت عن الأزل من أجل اللحظة .

*
* *

قال عيسى بن هشام : ولم يكن الهرم يوما ممن يطيلون الجدل ، فحينما أبصر فى محدثه كل هذا التمادي والغرور أعرض عنه لحظة . ثم حدجه بنظرات حداد . فاذا المغرور يرتعد وينتفض ، ولم يكن الا مقدار مايسقط الشهاب ، أو يلمع البرق ، فاذا الناطح تندك أركانه ، ويتداعى بنيانه ، وتتساقط طباقه السبعون بعضها فوق بعض ، فأضحى هشيما منثورا . وأثراً من بعد عين.

أما الهرم الاكبر فلم يلبث أن عاوده السكون وغشيه الهدوء . وكأنى سمعته حين أغمض عينيه ينشد شعرا غريبا ، بل أكاد أجزم أنى سمعته يتمتم ، فى صوت غامض مبهم ، بهذه الابيات الغامضة المبهمة :

العيش مستعذب عذاب ... والعمر تلهو به سراب .
والناس تبنى .. وما بناء ... ان كان فى أسه الخراب ؟
فى إثر فوج يروح فوج ... فهل لذى روحة إياب ؟
مهدٌ يضم الورى ولحد ... فهل هما البدء والمآب ؟
الناس تجرى على سفين ... فى بحر وهم له حباب
فلا سرور ولا صفاء ... ولا انتحاب ولا اكتئاب
ولا شقاء ولا نعيم ... ولا ابتعاد ولا اقتراب
للمرء من دهره سؤالٌ ... ما باله راعه الجواب ؟

ثم عاوده سباته العميق . وظل راقدا غافيا فى رقاده ، نائما يغط فى نومه .

***

لم يكد عيسى بن هشام أن يبلغ هذا الموضع من حديثه ، حتى هاج سامعوه وماجوا . وأخذوا يتصايحون ويتصارخون ، وقال قائل منهم : إشهد يا ابن هشام لقد أدركك الخرف ولم تعد تحسن الحديث . فما أحراك أن تمتنع عن التحدث الى الناس ! أو تكف عن الادلاء بمثل هذه الترهات . أو قل إنك رأيت هذا فى المنام ، وإنه أضغاث احلام ..

ثم انصرفوا . ولبث عيسى بن هشام فى مكانه ، حزينا كئيبا ، يندب جده العاثر ، ويأسف على مجده القديم ، حين كان يتحدث ، فترهف لحديثه الآذان ، وتميل نحوه الأعناق . ولا يكاد الناس يملكون أنفسهم من الاعجاب .

علم النفس والتربية والاخلاق

عند اخوان الصفا

فلسفة اللذة والالم ـ كيف نحس وكيف تتجمع التذكارات فى الدماغ ـ غاية التربية ـ الطفل صحيفة بيضاء ـ واجبات المتعلم والمعلم ـ فعل البيئة ـ الوظيفه بحسب الاستعداد .... منشأ الاخلاق ـ التشاؤم ـ اسباب التعصب ـ فوائد التعصب ـ لدين العملي ـ اختيار الاصدقاء ....

في رأى الأخوان ان الحيوانات فى اكثر الاحيان تحس باللذة والألم ، لأن ابدانها مركبة من الأمهات الأربعة ذات الطباع المتضادة : وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وهى دائمة التغير والاستحالة والزيادة والنقصان . فهى تخرج المزاج تارة من الاعتدال الى الزيادة فى أحد الأخلاط والطباع ، او الى النقصان فى واحد منها . واللذة هى رجوع المزاج الى الاعتدال بعد ان يكون خارجا عنه . فمن أجل هذا لايحس الحيوان باللذة الا بعد ان يتقدمها الم . وكل محسوس يخرج المزاج عن الاعتدال فأن الحاسة تكرهه . وكل محسوس يرد المزاج الى الاعتدال فأن الحاسة تحبه ،

تأمل هذه الأفكار فأن لها ـ على سذاجتها ـ حظاً كبيراً من الصدق والاصابة .

اما كيف تصل المحسوسات الى الدماغ فهو انه ينتشر فى مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة ، وتتصل بأصول الحواس وتتفرق هناك وتنسج فى اجزاء جرم الدماغ كتنسيج العنكبوت . فاذا باشرت كيفية المحسوسات من اجزاء الحواس ، وتغير مزاج الحواس عندها وغيرتها عن كيفياتها ، وصل ذلك التغير فى تلك الاعصاب التى فى مقدم الدماغ فتجتمع كلها عند المخيلة كما تتجمع رسائل اصحاب الاخبار عند صاحب الخريطة الذى يوصل تلك الرسائل كلها الى حضرة الملك . ثم ان الملك يقرأها ويفهم معناها ثم يؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار . .

هذا رأى الأخوان فى تفسير الاحساس واختزان التذكارات فى الدماغ . وللقارىء ان يتناول كتابا فى علم النفس الحديث ليرى كيف يفسرون هذه الظواهر النفسية كالأدراك والاحساس والتذكر ، ثم ليقابل ذلك بما يبثه اخوان الصفا من رأى صائب فى هذه القطعة الطريفة الساذجة . بيد اننى لا احب ان يستقر فى روع القارىء ان رسائل الأخوان كلها أو جلها على هذا النحو ، وفى هذا الحد من الابتكار والأصابة . فان فيها من السخف والضحولة الشىء الكثير .

ولهذا كان حتما على المطالع لهذه الرسائل ان يوطن النفس على مافيها من تجاور بين الفكرة الملهمة العميقة والفكرة الغثة المضحكة إذا شاء ان يمضى فى هذه المطالعة ويواصل المجهود الى النهاية ،

*
* *

اما التربية فغايتها ومثلها الأعلى ، فى رأى الأخوان ، هما الغاية والمثل الأعلى اللذان كانا لها فى القرون الوسطى حينما كانت الأديرة والكنائس وما اليها هى معاهد التثقيف الوحيدة فى اوربا . ولعلك تعلم ان نظرية القرون الوسطى هذه هى ان هذه الحياة دار فناء ، والآخرة دار بقاء ، فالسعيد السعيد هو الذى كانت حياته عدة وسلماً يرقى عليها مبرأ من كل وزر الى دار البقاء . واليك مايقوله الاخوان فى هذا الشأن ، وان لم يكن صريحاً فى الدلالة على قصدهم كل الصراحة ، قالوا : ـــ

« واما رتبة الانسانية التى تلى رتبة الملائكة ، فهى ان يجتهد الانسان ويترك كل عمل أو خلق مذموم ويكتسب اضدادها من الاخلاق الجميلة حتى يكون انسانا خيراً فاضلا . فاذا فارقت روحه جسده عند الموت صارت ملكا بالفعل ، وعرج بها الى ملكوت السماء »

ويرى اخوان الصفا ـ كما رأى غيرهم ـ ان الطفل صحيفة بيضاء قابلة لكل مايطبع عليها من تأثيرات . ومتى لوثت هذه الصحيفة مرة أو سودت كان من الصعب جلاؤها واماطة السواد عنها ، لانه اذا كتب فيها شىء حقاً كان ام باطلا فقد شغل المكان ومنع ان يكتب فيه شىء آخر ويصعب حكه ومحوه ،

لهذا فالاخوان لايطمعون فى اصلاح المشايخ الهرمين « الذين اعتقدوا من الصبي آراء فاسدة وعادات رديئة واخلاقا وحشية . فأنهم يتعبونك ولا ينصلحون ، وان صلحوا قليلا فلا يتعلمون . ولكن عليك بالشباب السالمى الصدور الراغبين فى الآداب المبتدئين بالنظر فى العلوم

وهم يحددون واجبات المتعلم والمعلم تحديداً صريحاً اذ يقولون: « ان مايحتاج اليه المتعلم من الاخلاق الجميلة والخصال الحميدة هو فصاحة اللسان والتواضع للمعلم والتعظيم له ومعرفة حقه . اما المعلم فواجب عليه الشفقة على تلاميذه وعدم الضجر من ابطاء فهمهم ، وقلة الطمع فى اخذ العوض وقلة المنة عليهم »

ويدرك اخوان الصفا ما لفعل الوسط والقدوة من أثر فى تربية الطفل فيقولون : ـ

« واعلم أن كثيراً من الصبيان اذا نشأوا مع الشجعان والفرسان يتخلقون باخلاقهم ويصيرون مثلهم ، وهكذا أيضا كثير من

الصبيان اذا نشأوا مع الصبيان والخانيث فانهم يكتسبون أخلاقهم. وعلى هذا القياس يجرى حكم سائر الاخلاق التى ينطبع عليها الصبيان منذ الصغر».

واخوان الصفا يوصون بأن يدأب المعلم (ولفظهم صاحب الشريعة) فى دراسة تلاميذه والتفطن الى احوالهم، والانتباه الى اخلاقهم وسجاياهم واحداً واحداً، حتى يعرف كل واحد منهم، ما اسمه وما نسبه وما صناعته وما هو سبيله فى أمر معاشه وما هو الغالب عليه من الطبع الجيد والردى، وحتى يثق بهم علما ويتبين منازلهم، ويستعين بكل واحد منهم فى العمل المشاكل له، ويستخدمه فى الامر اللائق به».

تقرأ هذا فيخيل اليك أن اخوان الصفا مطلعون على فلسفة التربية الحديثة التى تصر على وجوب دراسة الطلاب دراسة دقيقة منظمة تقضي الى فهم كفايات كل طالب ليعطى من الدروس والاعمال ما يتلاءم وأعظم هذه الكفايات بروزاً وأكثرها خيراً مأمولا.

*
* *

والاخلاق عند اخوان الصفا خاضعة لفعل الوراثة ولفعل الوسط الطبيعي والوسط الاجتماعي ولشيء آخر هو فعل الكواكب فهم يقولون:-

«اعلم يا أخى ان اخلاق الناس وطبائعهم تختلف من أربع جهات: أحدها من جهة اخلاط أجسادهم ومزاج أخلاطها، والثانى من جهة ترب بلدانهم واختلاف أهويتها، والثالث من جهة نشوئهم على ديانات آبائهم وعادات معلميهم وأساتيذهم ومن يربيهم ويؤدبهم، والرابع من جهة موجبات أحكام النجوم فى أصول مواليدهم».

وقد تكلم اخوان الصفا فى الاخلاق كثيراً ولا نستطيع أن نعطيك رأيهم الا فى النذر القليل.

يعجبك حقا من اخوان الصفا اقتناعهم اقتناعا عميقا بفائدة التساهل، وفلسفتهم الانتخابية(١) قد بنوها على هذا المبدأ. فالاديان والشرائع كلها عندهم سواء. وليس لدين فضل على دين الا بمقدار ما فيه من صدق وأصابة. ولذا فهم ينصحونك بان تخضع دائما للحق وتحترمه أنى كان مصدره. واليك ما يوصون به:-

«لا تتمسك بما أنت عليه من دين ومذهب واطلب خيراً منه، فأن وجدت فلا يسعك الوقوف على الأدون، ولكن واجب عليك الأخذ بالأخير. ولا تشغلن بذكر عيوب مذاهب الناس، ولكن انظر هل لك مذهب بلا عيب؟

وهم يعتقدون أن للتصلب فى الرأى والتعصب للعقيدة أسبابا جمة منها: «شدة تعصب المرء فيما يعتقده بقلبه من غير بصيرة، وأخرى إعجابه بنفسه فى اعتقاده، وأخرى اعتقاده أصولاً خفى فيها خطأه بين ظاهر الشناعة فى فروعها. ولهذا فهو يلزم هذه الشناعات فى الفروع مخافة أن تنتقض عليه الأصول، فيطلب لها وجوه المزاوغة عن الزام الحجة عليه: تارة بالشغب، وتارة يموه وتارة يروغ فى الجواب والاقرار بالحق ويأنف أن يقول: (لا أدرى)

على أن اخوان الصفا لا يمقتون التصلب فى الرأى كل المقت لأنهم يرون فيه فوائد تغطى على بعض مضاره. يرون أن اختلاف العلماء فى آرائهم وتعصبهم لها يدعوان الى شحذ الافكار، لان كل فريق يحاول أن ينصر مذهبه على مذهب غيره مما يدعو الى الغوص على المعانى الدقيقة، والنظر الى الاسرار الخفية، فيكون ذلك سبباً فى يقظة النفوس.

كذلك هم يرون أن اختلاف العلماء يدعو الى نشر معائبهم، إذ يكون هم كل واحد تبيان مساوىء الآخر وإظهار رذائله، فيكون ذلك حاثاً للجميع على ترك الرذائل.

ويرون أيضاً أن هذا الاختلاف فى الآراء والمذاهب يوجد مضطرباً أوسع فى أمور الدين وممارسة شعائره.

وقد قادهم تساهلهم الى هذا الدين العملى: وهو اعتبارهم «أن العبادة ليست كلها صلاة وصوماً، بل عمارة الدين والدنيا معاً، لان الله يريد أن يكونا عامرين».

وللاخوان رأى جميل فى اختيار الاصدقاء والوفاء للصداقة الصادقة فيقولون:

«ينبغى لك اذا أردت أن تتخذ صديقاً أو أخاً أن تنتقده كما تنتقد الدراهم. واعلم بأن اخوان الصدق هم نصرة على دفع الاعداء، وسلم للصعود الى المعالى، فان غبت حفظوك، وإن تضعضعت عضدوك. والواحد منهم كالشجرة المباركة تدلت أغصانها بثمرها اليك، وأظلتك أوراقها بطيب رائحتها، وسترتك بجميل فيئها. فاذا أسعدك الله يا أخى بمن هذه صفته فابذل له نفسك ومالك وق عرضه بعرضك، وافرش له جناحك، وأودعه سرك، وإن هفا هفوة فاغفرها له، وإن زل زلة فصغرها فى عينيه».

هذا بعض ما فى رسائل الاخوان من طرافة فى التفكير، وهدى فى البحث، وجدة فى التعليل والتفسير. وعسى أن يتاح لهذه الرسائل من يكشف كشفاً أعم وأشمل عما استسر فيها من لؤلؤ وغاب من در.

شرق الأردن — أديب عباسي

(١) لعلنا نعود الى اخوان الصفا مرة أخرى فنكتب فصلا فى فلسفتهم الكونية.

ايوان كسرى

بين التاريخ والشعر

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

المدائن أو مدائن كسرى اسم لطائفة من المدن قامت على جانبي دجلة فى عهد الدولة الساسانية . أعظمها على الشاطىء الشرقى طيسفون ، وتخص باسم المدائن فى التاريخ الإسلامى . وهى محلتان . المدينة العتيقة الى الشمال وهى مدينـــة قديمة قامت قبل عهد الساسانيين وكان بها القصر الأبيض الذى بناه بعض المتأخرين من الأشكانيين أو الاوائل من الساسانيين ، والمحلة الجنوبية تسمى أسفانبر وكان بها القصر الذى عرف عند العرب باسم « ايوان كسرى » ويظن أن بانيه سابور الأول (٢٤١ — ٢٧٢ م)

وقد اضمحلت المدائن على مر الزمان حتى لم يبق منها فى القرن السابع الهجرى إلا قرية صغيرة حملت هذا الاسم العظيم ، يقول ياقوت : « فأما فى وقتنا هذا فالمسمى بهـذا الاسم بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغـــداد ستة فراسخ . وأهلها فلاحون يزرعون ويحصدون والغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية » وليس فى موضع المدائن الشرقية اليوم إلا قرية صغيرة جداً فيها مسجد سلمان الفارسى رضى الله عنه على نحو ٣٠ كيلو الى الجنوب الشرقى من بغداد . وعلى مقربة من هـذه القرية التى تسمى « سلمان پاك » أى سلمان المطهر ، يرى اليوم « طاق كسرى » وهو الذى سماه العرب والفرس فى العهد الاسلامى ايوان كسرى أو ايوان المدائن . وهو بقية من بنيـة عظيمة بناها سابور الأول وعمرها كسرى أنوشروان وتدل الخرائب حول هذا الطاق أن البناء كان ٤٠٠ متر فى عرض ٣٠٠ ، ويظن أن البناء كله بقى الى عهد العباسيين ، وأن المنصور أو الرشيد حاول أن يهدمه ثم كف عنه . ثم تعاورته غير الزمان حتى لم يبق منه فى القرن السابع الهجرى إلا الايوان . يقول ياقوت فى الكلام عن الايوان : « رأيته وقد بقى منه طاق الايوان حسب » وقد بقى هذا الطاق وجناحان من البناء على جانبيه يمتدان زهاء مائة متر الى زمن قريب . ثم انقض الجناح الشمالى (٥ ابريل سنة ١٨٨٨ م) وبقى الايوان وجناحه الايسر . وظاهر من بقيـة هذا الجدار أن علوه كان نحو ٢٥ مترا وأن القصر كان ذا ثلاث طبقات . وقد سقط بعض سقف الطاق وجداره الخلفى وبقى معظم العقد والجداران الجانبيان فى علو وجلال يرتاع لهما كل زائر . وقد زرت بقية الاحداث من هذا الايوان يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٤٩ فى بعثة كلية الآداب من الجامعة المصرية فشهدت جلاد الزمان والإنسان ، وتخيلت الطاق نسرا قشعما ألحت عليه الخطوب فحصت ريشـــه وذهبت بجناح ، وهاضت الآخر ولكنه بقى متجلدا مستكبرا يقلب عينيه فى لوح الجو محاولا أن يسمو الى مالكه الواسع فى عنان السماء . وصدقت قول البحترى :

فهو يبدى تجلدا وعليه ... كلكل من كلاكل الدهر مرسى

وأما القصر الأبيض أو أبيض المدائن فقد هدم فى عهد المكتفى بالله العباسى سنة ٢٩٠ وبنى بانقاضه قصر التاج ، ولكن كثيرا من المؤرخين يخلط بين الايوان والقصر الأبيض كما يتبين من معجم البلدان وغيره

رويت فى ايوان كسرى أشعار ذكر بعضها ياقوت فى معجم البلدان . ومنها بيتان خطهما على الايوان الملك العزيز جلال الدولة البويهى :

يأيها المغرور بالدنيا اعتبر ... بديار كسرى فهى معتبر الورى
غنيت زمانا بالملوك وأصبحت ... من بعد حادثة الزمان كما ترى

وأعظم مانظم فى الايوان قصيدتان : قصيدة البحترى وقصيدة فارسية نظمها الخاقانى الشاعر الفارسى المتوفى سنة ٥٩٥ . والبحترى يذكر فى قصيدته ثلاثة أسماء : أبيض المدائن ، والايوان ، والجرماز . والظاهر ان ابيض المدائن فى شعره غير الايوان ؛ وإن خلط المؤرخون بينهما ، وكأن هذا الخلط كان بعد عصر البحترى وبعد أن هدم الخليفة المكتفى القصر الأبيض سنة ٢٩٠ . فالبحترى يصف فى قصيدته أبنية عدة لا بناء واحدا .

وقراء العربية يعرفون سينية البحترى الخالدة ، فلا حاجة الى اثبات بعضها هنا . وحسبى أن أترجم قصيدة الخاقانى . ويرى القارىء أن الشاعر اقتصر منها على الرثاء والبكاء ولم يصف وصف البحترى وقد حذفت منها بضع أبيات بنيت على جناسات ، ورموز مألوفة فى الفارسية ولا يمكن نقلها الى العربية نقلا معجبا :

*
* *

هيا أيها القلب المعتبر أنعم النظر ، فايوان المدائن الامرآة العبر . عرج عن طريق دجلة الى المدائن للذكرى ، وأسبل على تراب المدائن دجلة أخرى . إن دجلة لتبكى حتى تحسبها مائة دجلة (١) من الدمع القانى — وانه لدمع تقطر به الاهداب نارا . هذه دجلة تضرم قلبها الحسرات ، فهل سمعت بماء تحرقه الجمرات ؟ أسعد دجلة

(١) دجلة تطلق فى الفارسية احيانا على النهر الكبير .

بالبكاء كل حين ، واجعل لها زكاة من دمعك وان يكن البحر يأخذ الزكاة منها (١) . لو مزجت دجلة آهاتها بحرقة قلبها لانقلب نصفها جمدا ، ونصفها النار موقدا (٢) هلم فناد الايوان بلسان الدمع حينا بعد حين فلعل قلبك يستمع جواب الايوان الحزين . ان هذه الشرفات لاتفتأ ترسل اليك العظات فأصغ واحسن الاستماع اليها : انها تقول : انت من التراب ، ونحن هنا من ترابك ، فامنحنا بعض خطواتك ، ولا تبخل علينا بعبراتك . ان بر وسنا صداعا من نعيب البوم فهات من دمعك الجلاب ، وخفف عنا هذه الهموم . (٣) قد كنا مجالس للعدل وقد أصابنا من جور الزمان ماترى ، فكيف بقصور الجائرين ماذا أعد لها من النوائب ؟ ماالذى نكس هذا الايوان الذى يحاكى الفلك ؟ أحكم الفلك الدائر ، أم قضاء مدير الفلك القادر ؟

أيها الضاحك من عينى الباكية اتقول مايبكيه هاهنا . ان العين التى لاتبكى هنا جديرة أن يبكى عليها . هل فتمثل الايوان والكوفة معا ، ثم تفجر من القلب تنورا وأفض من العين طوفانا (٤) . . . .

ذلك هو الايوان الذى نقشت خدود الرجال على تراب عتبته جدارا من الدمى والصور . وتلك هى السدة التى كان يقف بها ملوك الديلم وبابل ، والهند والتركستان . تصور ذلك العهد ، وانظر بعين الفكر تر الصفوف مترادفة ، والمواكب متزاحمة .

لا تعجب فليس عجيبا أن ترى فى بستان هذه الدنيا أسراب البوم بعد البلابل ، وزفرات البكاء بعد ألحان الغناء . . . . سكرى هذه الأرض ، فقد شربت مكان الخمر دم قلب أنوشروان فى كأس من رأس هرمز . تقول أين ذهب أصحاب التيجان واحدا إثر واحد ؟ فانظر فهذه الأرض حبلى بهم الى الأبد . . . ان دم قلب شيرين (٥) هذه الخمر التى تشربها ، وهذا الدن الذى يضعه الدهقان ماء برويز وطينته . كم ابتلع هذا التراب من أجساد الجبابرة ثم لا يزال نهما لا يشبع . . . !!

ان القادمين من السفر يأتون بالهدايا لاخوانهم . وهذه القصة هدية الى قلوب الاخوان . ياخاقانى استجد العبرة على هذه الابواب ليقف الخاقان مستجديا على بابك . اهـ

عبد الوهاب عزام

---

(١) يريد انها تصب فى البحر

(٢) يقال فى اللغة الفارسية (آه سرد) اى الآهة الباردة كناية عن الزفرة الشديدة

(٣) يعنى أن الجلاب أو ماء الورد يداوى به الصداع

(٤) لعله يشير الى الاسطورة التى تقول أن التنور فار فى موضع مسجد الكوفة

(٥) شيرين حبيبة كسرى برويز ـ لهما قصة يعرفونها فى الادب الفارسى

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

١ ـ كيف نشأت بعد الحرب

للاستاذ محمد عبدالله عنان

شهدت اوربا فى العصر الأخير طائفة من الحركات والثورات القوية ، السياسية والاجتماعية ، التى قلبت نظم الحكم والمجتمع ، وغيرت مناحى التفكير والعواطف ، وأثرت فى سير السياسة الدولية اعظم تأثير .

ولاريب أن الثورة الفاشستية الايطالية ، والثورة الوطنية الاشتراكية الالمانية أو الحركة الهتلرية او النازية ، هما اعظم هذه الحركات والثورات البعيدة المدى والآثار فى مصاير اوربا القديمة والمجتمع الاوربى القديم . والثانية وليدة الأولى فى مغنى من المعانى ، وشبيهتها فى بعض الغايات وفى كثير من الوسائل والاجراءات . ولكنها تختلف عنها فى البواعث والظروف التى نشأت فيها ، وفى الغايات الجوهرية التى تعمل لها ، ثم تختلف عنها فى طوالعها ، وفى الآثار التى احدثتها ومازالت تحدثها فى سير السياسة الدولية وفى الرأى العالمى .

ولعل اعظم ماتتفق فيه الحركتان الايطالية والالمانية انهما عملتا معا لسحق الشيوعية ، ولتحطيم النظم الدستورية والديمقراطية كلها ، والقضاء على الحريات العامة وكثير من الحريات الفردية بوسائل متماثلة ولغايات متماثلة . وقد كان تفاقم الفوضى الاشتراكية والشيوعية فى ايطاليا عقب الحرب الكبرى اكبر عامل فى وثوب الفاشستية الايطالية . ولكن اكبر عامل فى وثوب الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية هو معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) وما فرضته على المانيا من صنوف التمزيق والذلة والمغارم ، وما بثته شروطها وفروضها الفادحة فى الشعب الالمانى من يأس وتفكك وانحلال . ويكفى ان نذكر ان معاهدة فرساى قضت باقتطاع الألزاس واللورين ، ووادى السار ، وسيليزيا العليا ، ودانتزج ، وقسما من شلزفيج من المانيا ؛ وقضت بانشاء الممر البولونى داخل ارضها ليمزق بروسيا الشرقية الى شطرين ؛ وقضت بتجريد المانيا من سلاحها وسحق عسكريتها التاريخية ، وتحطيم اسطولها الضخم وجعلها من حيث الدفاع القومى كأصغر دولة ثانوية ؛ وقضت على المانيا بتحمل مسئولية الحرب الكبرى ومن ثم بالزامها بتعويضات مالية فادحة استنزفت مواردها وقوى شعبها ، واحتل الحلفاء من

اجل ذلك بعض مناطق الرين الالمانية مدى اعوام ، وجردت المانيا من جميع مستعمراتها . واستمر الحلفاء بعد الحرب مدى اعوام يعاملون المانيا بمنتهى العسف والشدة والكبرياء ؛ ولم يكن لالمانيا في تلك الاعوام العصيبة سلاح تشهره للمقاومة او الاحتجاج المجدي ولم يكن في وسعها الا التسليم والاذعان في معظم الاحوال

لبثت المانيا مدى اعوام وهي تتخبط في غمر من الصعاب والازمات الفادحة . ثم كانت نكبة هبوط المارك سنة ١٩٢٣ ، وجاء التضخم النقدي كالسيل فقضى على معظم الثروات ، وقضى على الطبقات الوسطى بنوع خاص ، ودفعها الى حضيض البؤس والفاقة ، وبث الى التعامل فوضى لم يسمع بها ؛ وهبت على الشعب الالماني ريح قوية من الدمار واليأس كادت تذهب بما بقى له من أمل وقوى معنوية . وكانت الدعوات الثورية التي تثب دائما في غمر اليأس والانحلال تعمل من جهة أخرى عملها ، فاشتد ساعد الشيوعية ، واخذ شبح البلشفية يساور المانيا ويهدد مصايرها ، وكان الشعب الالماني في تلك الايام السود يعيش في نوع من الاستسلام لا يكاد يرى طريقا للخلاص من هذه المصائب المتعاقبة والظلمات الكثيفة

ولكن المانيا استطاعت منذ سنة ١٩٢٤ ان تشعر بشيء من الامل والثقة ، ذلك ان الحلفاء انفسهم ادركوا ان العمل على ارهاق المانيا وخرابها لا يعاون المانيا على الوفاء بشروط الصلح بل يدفعها الى براثن البلشفية المتحفزة . والبلشفية خطر داهم على الدول الغربية . والمانيا هي حاجزه من الشرق . ثم ان فرنسا اقتنعت مذ أقدمت على احتلال وادي الروهر في خريف سنة ١٩٢٣ لكي ترغم المانيا على اداء أقساط التعويضات ، أنها ارتكبت خطأ فادحا ولم تفعل سوى أن أثارت في المانيا التي جنحت عندئذ الى المقاومة السلبية روحا جديدا من النضال والتضامن ، وان باقي الحلفاء ولاسيما انكلترا لا يؤيدونها في هذه السياسة العنيفة ، وانها ستتحمل وحدها تبعات سياسة خطرة ، وهنا تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المانيا المعاصر ، وتنحسر الظلمات من حولها نوعا ، وتجد في تلك الآونة العصيبة رجلها المنقذ في شخص الدكتور جوستاف شتريزمان الذي تولى رآسة الحكومة عندئذ (اغسطس سنة ١٩٢٣) ثم غادر الرآسة بعد قليل ليتولى وزارة الخارجية في الحكومات المتعاقبة مدى اعوام . وكان شتريزمان سياسيا وافر البراعة ، استطاع ان يقود المانيا خلال هذه الغمر الكثيفة بذكاء وجلد ، وان يحررها من كثير من فروض معاهدة الصلح ، وكانت مسألة مسئولية الحرب التي سجلت على المانيا في معاهدة فرساي واتخذت اساسا لفرض التعويضات والمغارم الفادحة عليها موضع الجدل المستفيض ، وكانت الوثائق والمذكرات والبحوث المختلفة في المانيا وانكلترا وأمريكا تلقي عليها الضياء تباعا ، ويبدو للرأي العالمي شيئا فشيئا ان القول بمسئولية المانيا وحدها عن اثارة الحرب ، نظرية خاطئة مغرضة ، فكان الاساس الذي بنى عليه الزام المانيا بتعويضات الحرب ينهار شيئا فشيئا ، وبدا اعيد النظر في مسألة التعويضات وسويت لاول مرة بمشروع داوز ثم بمشروع يونج ، وكانت المانيا تظفر في كل خطوة بتخفيضات وتسهيلات جديدة ، ولكن المغارم التي بقي على المانيا ان تؤديها لبثت مع ذلك فادحة تحطم موارد اغنى الشعوب . وفي سنة ١٩٢٥ ، انتهت جهود شتريزمان الجلدة الى عقد ميثاق لوكارنو بين المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وبلجيكا وبه ضمنت سلامة فرنسا وحدود المانيا الغربية كما قررتها معاهدة الصلح ضمانا متبادلا تشترك في تأييده كل الدول الموقعة ؛ وأكدت المانيا بذلك انها تركت التفكير نهائيا في مسألة الالزاس واللورين وصفا الافق الدولي بذلك نوعا ، ودخلت المانيا عصبة الامم في سبتمبر سنة ١٩٢٦ - وجلست في كرسيها الدائم الى جانب اعدائها بالامس ، وبدأ عهد جديد من التفاهم والتقرب من بين فرنسا والمانيا ؛ وكان شتريزمان رجل المانيا في تلك المراحل ؛ كما كان ارستيد بريان رجل فرنسا . وكان كلا السياسيين العظيمين يؤمن بقضية السلام وعقد الوفاق والتفاهم بين الامتين . واستمرت هذه السياسة حتى توجت بظفر جديد لشتريزمان: هو حمل فرنسا على الجلاء عن مناطق الرين المحتلة في خريف سنة ١٩٢٩ قبل الموعد الذي حددته المعاهدة . وكان ذلك آخر ظفر للسياسي العظيم ، اذ توفي بعده بقليل في اكتوبر سنة ١٩٢٩

وكانت وفاة شتريزمان خسارة فادحة لالمانيا اذ فقدت بذهابه اعظم سياسي اخرجته بعد الحرب وضربة جديدة لسياسة الوفاق والتفاهم التي جرت المانيا عليها مدى اعوام وجنت ثمارها كما تقدم . وقد حاول الساسة الذين خلفوا شتريزمان في تولي مصاير المانيا مثل فون ميلر زعيم الحزب الاشتراكي الديموقراطي ثم برينتج ، ان يتابعوا سياسته ولكن دون نجاح . أولا لان حالة الاستقرار النسبي الذي تمتعت به المانيا بضعة اعوام اخذ يضطرب نظرا لاشتداد ساعد الحركات والاحزاب المعارضة لهذه السياسة ؛ وتفكك الاحزاب التي تناصرها ، ونهوض الحركة الوطنية الاشتراكية بالاخص ، وثانيا لان نفوذ بريان في فرنسا اخذ في الضعف ؛ واخذت الجبهة التي كانت تناصره تشعر بعقم سياسته واخذت الجبهة العسكرية القوية من جهة اخرى تقاوم كل تساهل جديد مع

ألمانيا، وتندد بخطر هذه السياسة على سلامة فرنسا. وتوفي بريان بعد ذلك بعامين (أوائل سنة ١٩٣٢) وكان اضطراب افق السياسة الاوربية يزداد شيئاً فشيئاً. وظهرت ميول ألمانيا قوية في التحرر من أغلال معاهدة الصلح في مسألة التعويضات. ونزع السلاح، ومسائل الحدود التي تعتبرها ألمانيا جوهرية، لسلامتها، واصرت فرنسا على التمسك بنصوص المعاهدة بحجة المحافظة على سلامتها، وبدأ عهد من النضال الواضح بين الدولتين هو الذي نشهده اليوم في ذروة عنفه واهميته.

* * *

هذه خلاصة موجزة لتاريخ ألمانيا بعد الحرب، وهذه هي نفس الحوادث والظروف التي نشأت في مهادها الحركة الوطنية الاشتراكية. فمنذ نوفمبر سنة ١٩١٨، أعني مذ نشبت الثورة التي انتهت باعلان الجمهورية واختفاء الامبراطورية من الميدان. وقيام الحكومة الشعبية الأولى برآسة ايبرت لتقبل شروط الهدنة: ومذ عقدت الجمعية الوطنية في فيمار (٦ فبراير سنة ١٩١٩) لتضع دستوراً ديموقراطيا لالمانيا: ظهرت في الميدان أقلية تصم بالخيانة العظمى تلك الكتلة الاشتراكية الديمقراطية التي أيدت الثورة واستولت على مقاليد الحكم؛ وقبلت الهدنة ثم معاهدة الصلح. وكان قوام هذه الاقلية بالاخص جمع من القادة والضباط القدماء أنصار الامبراطورية. وكانت أثناء تلك الازمات العصيبة التي غدت ألمانيا فيها فريسة الحرب الاهلية بين الديمقراطيين والشيوعيين بينما كان العدو الظافر يملي عليها شروطه ويثقل كاهلها بفروضه وأغلاله، ترقب مصاير ألمانيا في غمر من الحسرات واليأس: ولم تكن يومئذ قوية ولا منظمة، ولكنها كانت منذ الساعة الاولى تلتمس السبل لانقاذ ألمانيا مما اعتقدت أنه منحدر الخطر والانحلال. وكان مركزها بالاخص في بافاريا، في مدينة ميونيخ التي لم يجرفها تيار الدعوة الاشتراكية كما جرف العاصمة البروسية (برلين). وكان التمزق الذي يسود جبهة اليسار (الديموقراطية والشيوعية) يفسح بعض الامل لهذه الجبهة «الوطنية» الناشئة. ففي مارس سنة ١٩٢٠ بدأت أول محاولاتها على يد الجنرال فون لتفتز والدكتور فون كاب واستولت على مقاليد الحكم، ولكنها لم تثبت سوى أيام قلائل: وفشلت هذه الوثبة الاولى (Putsch)، ولكنها كانت بداية ذلك الصراع الذي شهرته الجبهة الوطنية المحافظة على الجمهورية الفتية؛ وكانت بالاخص دليلا على أن الجمهورية ليست من المناعة بحيث يستحيل غزوها وتحطيمها.

وكان بين الجماعات الوطنية المحافظة التي اتخذت ميونيخ مركزاً لها، حفنة من الرجال المغمورين عرفت باسم «حزب العمال الالماني» وزعيمها صف ضابط فتي يدعى «ادولف هتلر». وكانت تضم ستة رجال فقط في سنة ١٩١٩ حين انضم اليها هتلر. ويقول لنا هتلر في كتابه «جهادي» (١)، أنه حين هبط ميونيخ في ذلك الحين لم يكن ينوي أن ينظم الى أي حزب قائم، بل كان يريد أن يؤسس لنفسه حزبا جديداً؛ ولكنه انضم الى هذه الجماعة المتواضعة، وغدا منظمها وزعيمها ومن ذلك الحين يظهر اسم هتلر على مسرح التاريخ الالماني المعاصر، كزعيم وداعية وطني متطرف؛ وتسير عصبته المغمورة الى ميدان الحوادث والظهور، وتزداد في العدد والنفوذ بسرعة، وتشق طريقها بعزم وجلد

ويجب قبل أن نتقدم في تتبع هذه الحركة الوطنية المحافظة أن نعرف القارئ بادولف هتلر، ذلك الفتى المغمور الذي شاء القدر أن يغدو اليوم زعيم ألمانيا، وسيدها المسيطر على مصايرها

ولد أودلف هتلر سنة ١٨٨٩ في بلدة براوناو من أعمال النمسا العليا على مقربة من الحدود البافارية في أسرة نمسوية متواضعة، فهو اذن نمسوي الجنس والنشأة. وكان أبوه موظفا صغيراً في الجمارك؛ فتلقى تربية عادية. وتوفي والداه قبل أن يجاوز الحداثة. وفي السابعة عشرة ألقت به يد القدر الى العاصمة النمسوية فنزبها وحيداً بائسا لا عائل له، أو على قوله: «لا يحمل سوى حقيبة من الملابس، ولكن يحمل في قلبه عزما لا يقهر» (١). وأراد هتلر أن يدرس التصوير فلم يوفق لفقره، ورمت به المقادير الى صناعة البناء يدرسها ويكسب منها قوته: فاشتغل مدى حين صبي بناء، يعيش في ضعة ومسغبة؛ فلما لم يبسم له الحظ في العاصمة النمسوية، نزح الى ميونيخ يبحث وراء طالعه: ولما نشبت الحرب الكبرى التحق بفرقة بافارية باذن خاص من حكومته. وقاتل مع الجيش الالماني في الميدان الغربي، وظهر باقدامه وشجاعته وكوفئ بوسام «الصليب الحديدي». وأصيب في أواخر الحرب من الغازات الخانقة فحمل عليلا الى ألمانيا: ولزم فراشه حتى انتهت الحرب وعقدت الهدنة. ويقول لنا هتلر انه بكى حزنا وتأثراً حينما سمع بخبر الهدنة. كما أنه شكر الله حين نشبت الحرب، وما كاد يبرأ من علته حتى عاد الى ميونيخ وانضم الى اولئك الستة الذين اطلقوا على انفسهم «حزب العمال الالماني»، فلم يلبث ان غدا قائدهم وزعيمهم، واتخذت الجماعة اسما آخر هو «حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني»

محمد عبد الله عنان

(١) Mein Kamlpf (Münch 1930)

فى طريق المنفى

للأديب حسين شوقى

هى ذكرى مؤلمة من ذكريات الصبى حدثت فى بداية الحرب العالمية.

عند مغادرتنا محطة القاهرة فى طريق المنفى ، جاء اقاربنا يودعوننا وكانوا يعتقدون ان الحرب سوف تنتهى قريبا لأن الفيالق الألمانية المظفرة كانت وقتئذ على أبواب باريس ؛ فكان من المفروض ان فرنسا سوف تضطر الى التسليم ، وعلى هذا نرجع من المنفى بعد أشهر قليلة ، ولكن اخطأ مع الأسف هذا الحساب لأننا بقينا فى الخارج خمس سنوات ؛ كما ان بعض هؤلاء الأقارب الاعزاء أدركتهم المنية قبل عودتنا الى الوطن .. قصدنا بعد ذلك السويس حيث ركبنا سفينة اسبانية قادمة من جزر الفلبين ، وتقصد برشلونة (اسبانيا) ، ولم تكن السفينة متينة ولا كبيرة ؛ ولكن لم يكن لنا وقتئذ الخيار فى ركوب سفينة أخرى ، وقديما قالوا ان المضطر يركب الصعب من الامور وهو عالم بركوبه ؛ وفوق هذا لم تشفق أمواج المحيطات الهندية على هذه السفينة فى طريقها الى السويس ، فخلفتها فى حالة سيئة ..

انقضت الأيام الاولى من الرحلة فى هدوء تام ، وقد تعرفت اسرتى بمعظم المسافرين واغلبهم اسر ألمانية ونمساوية اعتقل رجالها فى مصر .. وكم كان محزناً حال هذه الاسر وهى مدفوعة الى مصير مبهم مجهول بلا مال ولا نصير ! ولولا أمل هؤلاء القوم فى النصر لما استطاعوا ان يصبروا على ما كانوا فيه من بؤس وشقاء ..

أما انا فقد تعرفت على الفور (قبل اقاربى) بالركاب الذين هم من سنى ، لأن الديموقراطية الحق هى التى تسود علاقات الاطفال وكنا - هؤلاء الاطفال وانا - بطبيعة الحال غير شاعرين بالمأساة الكبيرة التى تمثل على مسرح العالم ، بل بالعكس كانت فرصة لنا لنمثل معارك كالتى كانت ناشبة بين الألمان وخصومهم ولكننا كنا نجد بصعوبة من يرضى منا ان يقوم بدور العدو لأن هذه الوقائع كانت دائما تنتهى بفوز ألمانيا ، وبضرب الجنود المفروض أنهم أعداء ضربا مبرحا .. وكان معنا على ظهر السفينة قسيس ألمانى منفى من مصر ، وكان يلومنا على عملنا ويدعونا الى المحبة والوئام ، ولكن لعمرى هل كان الكبار وقتئذ ينصتون الى مثل هذا القول حتى ينصت اليه الصغار ؟

وكان على ظهر السفينة - غير هذه الاسر الالمانية - عشيقان اسبانيان قادمان من الفلبين ، وكانت حالهما أشبه بحالنا - معشر الاطفال - فى عدم الاكتراث بما يقع فى الدنيا من حوادث جسام ، اذ كانا يقضيان الأيام فى غزل متواصل . كان لهما على ظهر السفينة كرسيان طويلان (chaise longue) متلاصقان ، فكنت اذا مررت أمامهما قطعا الغزل ؛ فاذا انصرفت استأنفاه ، فأغضبنى هذا التصرف منهما . وأقسمت أن أفاجئهما متلبسين بالجريمة ؛ من اجل هذا وضعت كرسيى بالقرب منهما ثم اضطجعت عليه ، وغطيت وجهى بشال من الصوف متظاهراً بالنوم ، فلما استأنف العشيقان الغزل فزعت من مقعدى فجأة وضحكت ضحكة عالية لأنى كنت أرقبهما من ثقب صغير أحدثته بأسنانى فى الشال !

ثم كان هناك راكب اختل عقله من طول السفر ، اذ مضى عليه اربعون يوما وهو فى السفينة ؛ وكانوا يسمحون له بالنزهة على ظهر المركب فى حراسة بحار حتى لا يلقى بنفسه فى اليم ، ولكن جنون هـذا المجنون كان من حسن حظنا هادئا .. وكان بعضهم يزعم ان مثل هذا الجنون وقتى يذهب لدى نزول صاحبه على الارض. ثم كانت معنا فى السفينة شحنة من الثيران مرسلة الى اسبانيا ليمثل بها - المسكينة - (فى الكوريداس)(١) ، ولكن قبل وصولنا الى برشلونة بيوم ، هبت عاصفة شديدة لم أذكر انى شاهدت فى حياتى مثلها ، فكانت أمواجها الصاخبة تهاجمنا ، وكأنها فى بأسها قبائل الهون المتوحشة ، وكانت تصيح أثناء الهجوم صياحا شديدا ، فاذا كان غرضها اذ ذاك ان ترعبنا فانها أدركت حقا بغيتها ، اذ كانت حالتنا جميعاً سيئة جداً كما ان اضلاع سفينتنا كانت تئن من جراء هذه الصدمات أنين الشيخ الهرم عند أزمة (لومباجو) حادة . . . وقد أمر القبطان بالقاء الثيران فى البحر حتى يخف عبء المركب ، ولا زلت أذكر ذلك المنظر البشع برغم عهده البعيد ! كان يلقى بالثيران الواحد تلو الآخر وهى تصرخ كأنها تشهد السماء على جبروت الانسان !

وقد اخرتنا هذه الزوبعة - التى مازالت الى اليوم أعجب من نجاتنا منها - يوماً كاملا عن ميعاد الوصول . .

ولما بلغنا فى النهاية برشلونة ، وتراءت لنا المدينة عن بعد ، لم يكن فرحنا اذ ذاك يقل عن فرح (كرستوف كولومب) حين

---

(١) ميادين سباق الثيران .

الشافعى واضع علم أصول الفقه

للاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٤ —

ا — الدراسات الفقهيه الى عهد الشافعى . ب — أهل الرأي وأهل الحديث

ج — الشافعى بين أهل الرأي وأهل الحديث وآثاره وكتبه

د — وضع الشافعى علم أصول الفقه

ا — الدراسات الفقهية الى عهد الشافعى

١ — كان التشريع فى عهد النبى عليه السلام يقوم على الوحى من : الكتاب ، والسنة . وعلى الرأى من النبى ومن أهل النظر والاجتهاد من أصحابه بدون تدقيق فى تحديد معنى الرأى وتفصيل وجوهه وبدون تنازع ولا شقاق بينهم

ومضى عهد النبى عليه السلام وجاء بعده عهد الخلفاء الراشدين من سنة ١١ﻫ م ٥ ﻫ - ٦٣٢ الى سنة ٤٠ ﻫ - ٦٦٠ وقد اتفق الصحابة فى هذا العهد على استعمال القياس فى الوقائع التى لا نص فيها من غير نكير من أحد منهم ، وفى هذا العهد أخذت تبدو الصورة الأولى من صور الاجماع بما كان يركن اليه الائمة من مشاورة أهل الفتوى من الصحابة ، وكان أهل الفتوى من الصحابة يومئذ وهم المعتبرون فى الاجماع قلة لا يتعذر تعرف الاتفاق بينهم فى حكم من الاحكام

ولم يكن يفتى من الصحابة الا حملة القرآن الذين كتبوه وقرأوه وفهموا وجوه دلالته وناسخه ومنسوخه ، وكانوا يسمون « القراء » لذلك ، وتمييزا لهم عن سائر الصحابة بهذا الوصف الغريب فى أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب .

ثم كان عصر بنى أمية من سنة ٤٠ ﻫ — ٦٦٠ م إلى سنة ١٣٢ ﻫ — ٧٤٩ م وتكاثر الممارسون للقراءة والكتابة من العرب ، ودخلت فى دين الله أمم ليست أمية فلم يعد لفظ القراء نعتا غريبا يصلح لتمييز أهل الفتوى ومن يؤخذ عنهم الدين ، هنالك استعمل لفظ العلم للدلالة على حفظ القرآن ورواية السنن والآثار وسمى أهل هذا الشأن « العلماء » واستعمل لفظ « الفقه » للدلالة على استنباط الاحكام الشرعية بالنظر العقلى فيما لم يرد فيه نص كتاب ولا سنة

وسمى أهل هذا الشأن « الفقهاء » فاذا جمع امرؤ بين الصفتين جمع له اللفظان أو ما يراد فهما

وفى طبقات ابن سعد : « كان ابن عمر جيد الحديث غير جيد الفقه ، وكان زيد بن ثابت فقيها فى الدين عالما بالسنن »

وقد كان كثير من الصحابة والتابعين يكره كتاب العلم وتخليده فى الصحف كابن عباس ، والشعبى ، والنخعى ، وقتادة ، ومن ذهب مذهبهم ، وهؤلاء كلهم عرب طبعوا على الحفظ جبلة العرب

قال ابن عبد البر : من كره كتاب العلم انما كرهه لوجهين :

أحدهما — ألا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهى به ، ولئلا يتكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الحفظ . (مختصر جامع بيان العلم ص ٣٤)

ولما انقرض عهد الصحابة ما بين تسعين ومائة من الهجرة وجاء عهد التابعين ، انتقل أمر الفتيا والعلم بالأحكام الى الموالى إلا قليلا (عن عطاء قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فقال : هل لك علم بعلماء الامصار ؟ قلت : بلى قال : فمن فقيه المدينة ؟ قلت : « نافع » مولى ابن عمر ، وفقيه مكة « عطاء بن رباح » المولى ، وفقيه اليمن « طاوس » بن كيسان المولى ، وفقيه الشام « مكحول » المولى ، وفقيه الجزيرة « ميمون » بن مهران المولى ، وفقيها البصرة « الحسن » وابن سيرين الموليان ، وفقيه الكوفة « ابراهيم » النخعى العربى ، قال هشام : لولا قولك عربى لكادت نفسى تخرج) مناقب الامام الأعظم للبزاز ج ١ - ص ٥٧

عندئذ تضاءلت النزعة العربية الى خطر التدوين وصارت كتابة العلم أمراً لازما (عن سعد بن ابراهيم قال : أمرنا عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١ ﻫ - ٧٢٠ م بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل بلد له عليها سلطان دفترا) مختصر جامع بيان العلم ص ٣٣

وقد بدت مخايل نهضته فى التشريع الاسلامى منذ ذلك العهد

شاهد (سان سلفادور) . . وقبل أن ينزل الى البر ، اقترب منى أحد أصدقائى الصغار ، وهمس فى اذنى قائلا : أتعلم لماذا نجونا من العاصفة ؟ ان القسيس كان يصلى من أجلنا طول الليل . فلما نقلت هذا الحديث الى والدى ابتسم وقال : بل هى دعوات جدتك (١) يابنى ! . . أما أنا فأرى ان العناية لم تشأ ان يموت هذا الشاعر قبل أن يتم رسالته ، ويغنى على قيثارته حضارة العرب الفخمة بالاندلس !

(١) أم والدى وكانت تقيم فى حلوان

كرمة بن هانئ — حسين شوقى

فحصل تدوين بعض السنن وبعض المسائل ولم يصل الينا من تلك المدونات إلا صدى (١).

ويقول «جولد زيهر» في مقاله عن كلمة (فقه) في دائرة المعارف الإسلامية : (وينبغي ألا يعطي كبير ثقة لما نسب لهشام بن عروة من أنه في يوم الحرة حرقت لأبيه كتب فقه، ولا يمكن أن يتصور بحال أنه في ذلك العهد البعيد كانت توجد كتب بالمعنى الصحيح وانما هي صحائف متفرقة، وتوفي عروة سنة ٩٤هـ — ٧١٢م التي كانت تسمى (سنة الفقهاء) لكثرة من مات فيها من الفقهاء).

وبالجملة : فانه اذا كان دون شيء لضبط معاقد القرآن والحديث ومعانيهما في عهد بني أمية ؛ فان التدوين في الفقه بالمعنى المحدث لم يكن الا في عهد العباسيين.

هذا هو الرأي الذي كان مقررا بين الباحثين لكن (جولد زيهر) يذكر في المقال الذي أشرنا اليه آنفا ما يأتي : (وقد اكتشف (جرفيني) بين المخطوطات القيمة في المكتبة (الامبروزية) بميلانو الخاصة ببلاد العرب الجنوبية مختصرا في (الفقه) اسمه (مجموعة زيد بن علي) المتوفى سنة ١٢٢ هـ — ٧٤٠ م. وهو منسوب الى مؤسس فرقة (الزيدية) من الشيعة، وعلى ذلك تكون هذه المجموعة أقدم مجموعة في الفقه الاسلامي ، وعلى كل حال ينبغي أن يوضع هذا الكتاب موضع الاعتبار فيما يتعلق بتاريخ التأليف في الفقه الاسلامي. واذا صح : أنه وصل الينا من بطانة (زيد بن علي) وجب أن نعترف بأن أقدم ما وصل الينا من المصنفات الفقهية هو من مؤلفات الشيعة الزيدية

على أن البحث الذي أثير لتعيين مركز هـــذا الكتاب بين المؤلفات الفقهية لم يكمل

ومن أسف ان هذا البحث لم يثره مسلمون ولا أثير في بلاد أســلامية

وقد ذكر صاحب « الفهرست » عند الكلام على « الزيدية » ما نصه : الزيدية الذين قالوا بأمامة زيد بن علي عليه السلام ، ثم قالوا بعده بالأمامة في ولد (فاطمة) كائنا من كان بعد أن يكون عنده شروط الأمامة ، وأكثر المحدثين على هذا المذهب مثل : « سفيان ابن عيينة » و « وسفيان الثوري » ... ص ١٨٧

وعلاقة هذين الامامين بنهضة الفقه عند أهل السنة تجعل للبحث الذي يشير اليه « جولدزيهر » شأنا خطيرا

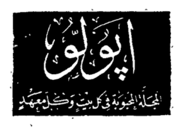
وجاء عهد العباسيين منذ سنة ١٣٢ هـ و ٧٤٩ — ٧٥٠ م وشجع الخلفاء الحركة العلمية وأمدوها بسلطانهم، فكان طبيعيا ان تنتعش العلوم الدينية في ظلهم، بل كانت حركة النهوض أسرع الى العلوم الشرعية لأنها كانت في دور نمو طبيعي وتكامل

وهناك سبب آخر يذكره « جولدزيهر » في كتابه « عقيدة الاسلام وشرعه » هو : « أن حكومة الأمويين كانت متهمة بأنها دنيوية خلت محلها دولة دينية سياستها سياسة ملية

كان العباسيون يجعلون حقهم في الأمامة قائما على : أنهم سلالة البيت النبوي ، وكانوا يقولون : انهم سيشيدون على أطلال الحكومة الموسومة عند أهل التقى بالزندقة نظاما منطبقا على سنة النبي وأحكام الدين الالهي.

ويلاحظ أن المثل الا على للسياسة الفارسية ، وهو الاتصال الوثيق بين الدين والحكومة ، كان برنامج الحكم العباسي

وقد اقتضى ضبط أمور الدولة على منهاج شرعي ، جمع الاحكام الشرعية ، وتدوينها ،



---

(١) على أن تلك المدونات لم تكن الا صحائف أو مذكرات أما أول تدوين للسنن بالمعني الحقيقي فيقع نحو ما بين سنتي ١٢٠ و ١٥٠هـ
ويقول ابن قتيبة : أن ابن شهاب الزهري المتوفي سنة ١٢٤هـ هو أول من كتب الحديث

وفي كتاب « كشف الظنون » : (واعلم أنه اختلف في اول من صنف فقيل : الامام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصرى المتوفى سنة ١٥٥ هـ — ٧٧١ — ٧٧٢م وقيل أبو النصر سعيد بن ابي عروبة المتوفي سنة ١٥٦هـ — ٧٧٢ — ٧٧٣م ذكرهما الخطيب البغدادى وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٦ هـ — ٧٨٢ — ٧٨٣ م « قاله الرامهرمزي »
وكان مطمح نظرهم بالتدوين ضبط معاقد القرآن والحديث ومعانيهما)
ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦.

من طرائف الشعر

نشيد النيل

للأستاذ محمود الخفيف

طالما سرت وقد طاب النسيم في بهاء الصبح أو صفو الأصيل
أجتني اللذات من روض النعيم
حيث يجري النيل في الوادي الظليل
وأرى الشاطىء رفاف الأديم
يسحر الأعين مرآه الوسيم
سندس طلق وماء سلسبيل

مسرح للعين والقلب معاً رائق الآصال وضاح البكر
قامت الأطيار فيه سجعا وزكت فيه أفانين الزهر
وبساط الروض يبدو ساطعا
يمرح الشاعر فيه راتعا
بين دوح ونخيل ونهر

يتجلى النيل لديه رائقا رائع الأقبال موفور الجلال
كجبين الصبح يبدو مشرقا في معاني الحسن مفقود المثال
ساقه الله فراتا دافقا
طافح البشر نميرا مونقا
آية في الكون من آي الجمال

يا وريد القلب في الوادي الخصيب
أنت يامن وهب الوادي ثراه
سر . تدفق أيها النهر الحبيب يا عبابا يبهر الفكر مداه
ياجديدا وهو للدهر ضريب
يتجلى فيك لي معنى عجيب
فطن القلب اليه فوعاه

أنت كالمصري في نزعته زاخر بالخير فياض المعين
خالد تحكيه في فطرته وادع تنساب في خفض ولين
حالم كأبنك في رقبته
ولقد تحكيه في غضبته
باعتكار ثم تصفو بعد حين

أنت في الوادي تراث الأزل لم تنل منك تصاريف الزمن
وستبقى مستدام الأجل ليس يعروك فناء أو وهن
ذاكراً للناس عهد الاول
باعثا في مصر روح الامل
حافزا للجد أشبال الوطن

إيه يا رمز المعالي والخلود قد شهدت المجد والدهر غلام
وصحبت العز في كل العهود في هجير الحرب أو ظل السلام
قر عينا أيها النهر الودود
قد صحونا بعد أن طال الهجود
وجمعنا بين رأي واعتزام

أيها النيل سلام عاطر ما أضاء الصبح أو أمسى المساء
لك يا نيل وفاء ظاهر وصفاء لم يكدره الجفاء
قد دعانا منك عزم صابر
لا روانا بعد فيض غامر
ان صدقنا اليوم عن هذا الدعاء

تحية الرسالة

في مستهل عامها الثاني

للاديب فخري ابو السعود

حيّ الرسالة في أولى مراحلها وودّع العام عنها خير توديع
أوفت على عامها الثاني فلا برحت
تسير للنجح سيراً غير مقطوع
تحية الشعر يهديها لأروع ذي
ماض مكين وفضل غير مدفوع
صافي النسيج اذا ما راح يحكمه
ورصّع اللفظ فيه خير ترصيع

عف المقالة لم تهمم يراعته
يوما بهجو ولم تعمد لتقريع

ضمت جهابذة الفصحى رسالته
فى حسن سمط نضيد النظم مجموع

ومهدت لحصيف النقد مخلصه
ونوهت برصين الشعر مطبوع

فجال فيها جياد النثر واستبقت
ورجع الشعر فيها اى ترجيع

وصال فيها أساطين أولو همم
من كل ذى قلم للعلم مشروع

يبسطون بها للدرس منهجه
على طراز عزيز الند ممنوع

أئمة الضاد من عشرين تعرفهم
فى منتدى للحجى والفضل مرفوع

قد أترعوها بنبع من قرائحهم
ومن معين اللغى الأخرى بينبوع

ترضى صحافة مصر عن رسالتهم
وعن جهاد لها بالنجح مشفوع

قد احتوت فى قليل من صحائفها
كل الفنون وجابت كل موضوع

وأشرقت كل شهر مرتين لنا
واليوم تشرق فينا كل أسبوع

حلم

للشاعر الدمشقى أنور العطار

ذوبت لى روعة الامساء أتراحى
وصغتها نغمات ذات أفراح

أعيد أشعارى الضحاك مبسمها
من كل مسترسل الأعوال نواح

ماقيمة العيش نمضيه مروعة
أحلامنا بخيالات وأشباح

يسمو بك الكون إما زدته مرحا
والكون ملك لعوب الحلم مراح

▫▫▫

إغفاءة تعدل الدنيا بما نهلت
أفياؤها من نعيم غير منجاح

فغط فى حلمك الفضى مطرحا
إسار عيش طويل الهم ملحاح

ففى غيابته تغفو مواجعنا
كأنما قد محا آثارها ماح

▫▫▫

ياغيب! مهد لروحى فيك معتكفا
رحب الاعاليل خصبا جد مناح

مجنح الحلم مبثوث الأطار رؤى
كالفجر ما بين تعتيم وإصباح

يعله النور أو تعرى مجفته
كأنها زهرة فى كف سباح

تغيم بالزبد الواهى غلالتها
فتنجلى عن جبين مشرق ضاح

▫▫▫

.. وإن تضع فى مطاف جاهد عسر
تظفر بفىء وأمواه وأرواح

هذى سماؤك فانظم فى روائعها
شعر الخلود بتبيان وإفصاح

يعيرك الشفق الرجراج قافية
من كل مؤتلق الألوان لماح

ففى الغيوم أناشيد وأخيلة
صبيغة بسنا كالفجر وضاح

▫▫▫

يازورق الشعر مجز يم الدنى فرحا
لأنت فى غنية عن كل ملاح

ربانك الحب، لا تثنيه غاشية
عن السرى فى سماء ذات ألواح

الخلود

للاستاذ خليل هنداوى

وسـاقية راعها قائل   «نجيء ، ونذهب كالسافيه»
فقالت ... وآلمها قوله   متى أدركت روحه شانيه ؟
خرجت من الارض دفاقة   وودعت أرض الحمى باكيه
ما كان معنى خريرى سوى   بكائى على نفسى الفانيـه
هويتُ الى البحر مضطرة   لى الله من قطرة هاويه !
فما غمرتني - سوى برهة -   من البحر أمواجه الطاغيـه
فحُمّلت فوق متون السحاب   وعدت الى وطني ثانيـه
فأدركتُ أنى هنا للخلود !   وآمنت أنى هنا باقيـه
احدثكم بخلود الوجود   فتسمعنى أذن واعيـه
وقد ادرك الروض هذا الحديث   فلم يبك أزهاره الذاويه
وقد فهمتهُ طيور المروج   فما أسلمت روحها شاكيه
وان تبك لاتبك الا على   مظاهر قد بُدّلت ثانيه
مظاهر تسمو بقدر الطموح   وتسفل فى الأنفس الدانيه
فمن وردة رجعت شوكة   ومن شوكة .. وردة ساميه
ومقياس ذلك فى رغبـة   تقود الى المثل العاليه

***

رويداً ! فأنت هنا خالد   تروح وترجع كالساقية ..

دير الزور

احب السماء

أحبُّ السماء اذا ازّينت   بأنجمها وأطبـل القمرْ
وماجت بموكبها فى الظلام   كبحرٍ تَلاعَبُ فيه الدُّرَرْ

.....

أحِبُّ السماء اذا أبرقتْ   بليلٍ وجلجلَ فيها السحابْ
وغارت بها الانجم الزاهراتُ   كما غيَّبَ الهامدينَ الترابْ

.....

وعمَّ الدُّجى واكفهرَّ الغمامُ   كوجهٍ تلبَّدَ فيه الأسى
وهبّتْ تعربد ريح الشتاء   وضلَّ شريدُ القضاء الحجى

.....

أحبُّ السماء اذا ما الربيعُ   كساها من الورد أبهى وشاح
وأضحت مجالا لأنفاسه   ومهداً عليه الأصيلُ استراح

حمص   رفيق فاخورى

الوردة الذابلة

قالت وقد ألقت على وجهها   لمحة سقم لم تكد تنجلى
إن تذبل الوردة ظلّت لها   بقيةٌ من عطرها الأول
قلنا وطئ النفس ماطيها   لوشاءت الوردة لم تذبل
لوشاءت الوردة كنا لها -   نَدًى اذا الأنداء لم تنزل
لو شاءت الوردة كنا لها   شوكا يقيها عبثَ الأنمل
لوشاءت الوردة كنا لها   أرضا مُوَطّاة على جدول
لوشاءت الوردة كنا لها   شمسا تريقُ الضوء فى معزل
فظلّ للوردة ما أعطيت   من ناضر الحسن وغالى الحلى
لكنها اختارت لها مغرسا   بمثلها فى الورد لم يحمل
حيث الثرى سمٌّ وحيث الندى   هم وحيث الضوء لم يُرسل
فكان حقا أن ترى حسنها   يذوى وأن لا تعجب المجتلى
وإن تعزت ببقايا الشذى   فهو بمزاء الكحل للأحول

محمود عماد

استدراك

كتب الينا الاديب محمد حسنين احمد يلاحظ على عبارة وردت فى مقال «فلسطين» المنشور فى العدد الماضى بقلم مستر كنيث وليامس؛ يستفاد منها أن مستر لويد جورج كان رئيسا للوزارة البريطانية قبل الحرب ؛ ويقول ان الحقيقة ليست كذلك ، والواقع ان هذه العبارة وردت بنصها فى مقال الكاتب الانكليزى ونقلتها الرسالة مترجمة كما وردت . وهى سهو من الكاتب بلاريب ، لان لويد جورج كان قبيل الحرب وزيرا للمالية فى وزارة مستر اسكويث ، ثم كان فى بداية الحرب وزيرا للذخائر فى هذه الوزارة أيضا ولم يتول الرياسة الا فى ديسمبر سنة ١٩١٦ . والمرجح ان كاتب المقال يقصد «أثناء الحرب» لا قبل الحرب .

العلوم

فى النبات ، وحشية وأنيسة

للدكتور احمد زكى

كلما كثر السكان وضاقت المناطق العامرة بالناس ، نزحوا عن أوطانهم طلب الوسعة فى الأرض وما يستتبعها من الوسعة فى العيش ، والاستعمار دأب الانسان من قديم . الا أن صفات العصر وأساليب الوقت فى مرافق الحياة كانت تؤثر فيه فيتئد حينا ويسرع حينا . فلما كانت الدواب وسيلة التقلب فى جنبات اليابسة ، والشراع حامل الانسان على ظهر المائعة ، ودفاع الانسان لما يأتى من وحش جائع وناب كاشر سيفاً ورمحاً ، واداته فى تذليل الارض معولا وفأسا ، وسقايته لها رهينة بما يجد عفوا من نبع يتفجر او نهر يزخر ، أو مطر يهطل حينا ويمتنع حينا ، وعلمه بزراعتها علما يسيرا اعلمته اياه التجربة المبتدهة والاخطاء المتكررة ، كان استعماره للارض بطيئا ، وانتشار الجنس الانسانى على هذه الكرة محدودا . وكان يزيد فى بطء استعماره وقلة انتشاره ما فى طبيعته من حب ارتباط بأرض ألفها ومهابط اعتادها ، وذكرى لماضيه أوثقها بحاضره ، وعادة يسرت حاضره فأمل اضطرادها فى تيسير مستقبله . أما وقد تغيرت صفات العصر ، وتبدلت أساليب العيش . فاصبح البخار دابته على اليابسة والمائعة ، والبنزين مطيته يشق به الارض ويفلق الهواء ، واصبح دفاعه الحديد الصارخ والجمر الطائر ، واداته فى تذليل الارض المكنات الكثيرة تديرها الاكف القليلة ، وسقايته لها ترتبط بارادة أكثر من ارادة الماء ، وترتهن بهندسته أكثر من ارتهانها بالأمطار والانواء ، وصار علمه بزراعتها علما غزيرا علمته اياه التجربة المقصودة والابحاث المنتظمة ، فقد أسرع الاستعمار اسراعا لم يعهده التاريخ ، حتى ليُنذر بأن لا تبقى رقعة من الارض لا تطؤها قدم مستعمر . حتى الروابط التى كانت تربط الانسان بأرضه الاولى ، فتمنعه أن ينزح النزحة الاولى ، قد هانت بسهولة المواصلات وسرعتها لانه اذا هو استبدل جديداً بقديم يستطيع الآن الى حد كبير ان يجمع بين موطن عتيق وموطن مستحدث ، ويمد خيوطه طويلة ميسورة الى سلف وراءه وخلف أمامه ، ويؤالف فى سهولة بين ما استدبر من أمسه واستقبل من غده

جميلٌ أن يرى الانسان الحضارة تعم الارض ، ومعجبٌ مزهٍ أن تلف العمارة المعمورة لف الهواء لها ، ولكنها خسارة كبرى كذلك أن تذهب هذه الحضارة والعمارة بكل حيوان يستأنس ، وبكل نبات لا يخضع لترويض الانسان . لقد ضاع من أمثال هذا الحيوان ما ضاع ، أو قل حتى آذن بالضياع ، وانقرض من النبات ما انقرض ، أو آذن بالانقراض وارتفعت أصوات فى العصور القريبة تنبه الى ذلك وتطلب حماية المستوحش من الحيوان ، والنبات على السواء ، وانعقدت اخيراً بلندن جمعية غرضها حماية الاصقاع الافريقية الوسطى من التعمير وحفظها من عبث المدنية ، وصيانتها صيانة الاثر الحى الخالد ، وهى صيانة بالسلب ، وحفظ بالترك ، فلا تكلف دينارا ولا درهما . وفى الحق كيف تجوز علينا صيانة المعابد ورعاية الهياكل والاعتزاز بصحاف من خزف ودوارق من صلصال وهى جميعا من صنع الانسان المتحضر ، فلا تزيد أعمارها عن قليل من آلاف السنين ، ثم لا نصون آثاراً أذهب من هذه فى القدم وأبعد فى العراقة من الانسان . تلك يستعاض عنها اذا افتقدت ، ويقام على انقاضها اذا تهدمت ، أما هذه فما ذهب منها فلغير رجعة ، وما فنى فلغير ايجاد . تلك تعيدها الصناعة ، وهذه لا يعيدها الا الخلق ، والخلق ليس من عمل الانسان .

وفوق هذا فالحيوان المستوحش والنبات البرى ، ان رثت صلتهما بالانسان في نظام الخليقة العام، وتباعدت منابتها عن منبته في جدول الأجناس ، فان بينهما صلات قرية وبين ما استأنس الانسان منهما فكل حيوان مستأنس كان مستوحشا يوما ما ونحن الذين أنسناه، وكل نبات كان مستوحشا كذلك يوما ما ونحن الذين ألفناه؛ ولا يزال يوجد في الوحشى من الحيوان والنبات أشباه ونظائر لتلك التى تعيش بيننا فى رخاوة ودعة ، ولكن هذه النظائر كانت قليلة فزادت قلة ، وهذه الاشباه كانت نادرة فزادت ندرة ، فاذا نحن أذنا للعمارة ان تمتد بلا حد فقد قطعنا آخر الخيوط الواهنة التى تربط حاضر الأحياء بماضيهم ، وطمسنا فى رقعة الاحياء الخانات القليلة الباقية التى فاتها الطمس، وجئنا على آخر الأدلة الحية على أصل الانسان والحيوان والأواصر التى بينهما

متى كان تأنيس النبات وأين كان؛ ومن أول من قام به ـ كلها أسئلة لا يستطيع أحد اجابتها الا بالحدس والظن وإعمال الخيال . والخيال اذا أصاب مرة أخطأ مرارا . ولكن مما لا شك فيه ان هذا كان والانسان فى حداثته الأولى ، قبل التاريخ المعروف . وقبل العصور التى سجل أحداثها الحجر . ففى مقابر المصريين فيما قبل عصر الأسر وفى العراق فى منازل عريقة فى القدم . وكذلك فى الحفائر عن بقايا سكان مناطق البحيرات السويسرية والايطالية كشفوا عن حبوب من القمح فى درجة عالية من التقدم النباتى ما كان يبلغها لولا تدريب سبق ، طال حتى ضاع أصله فى الأحقاب القديمة وامتد الى الوراء حتى اختفى فى حلوكة العصور الأولى . ان مكتشفات الانسان كثيرة واختراعاته الخطيرة عديدة ، وكلها كان لها نصيب فى تقدم الانسان ، وقد تختلف فى المفاضلة بين هذا المخترع وذلك المبتدع . ولكن قليل من يمارى فى أن أكبر اكتشاف وأخطر ابتداع ساق قدم الانسان الى أول الدرجات من سلم الرقى الذى نراه اليوم ، ذلك الاكتشاف الذى امحى أصله بامحاء الحياة الأولى ، وضاع سره مع سر الانسان القديم ، ذلك امكان تأنيس النبات ـ تلك الحقيقة التى فطن اليها آباؤنا الأولون من ان بعض النباتات يمكن ترويضها وتمريضها وتنشئتها وهدهدتها فتعطى ثمرات كثيرة وغلات وفيرة تكون غذاء مأمونا مضمونا يسكن الانسان اليه فى المكان الواحد العام بعد العام ؛ لا يقلقه الترحل ولا تتلاقفه السهول والجبال . تلك الحقيقة التى خلقت اولى الصناعات واكبرها تأصلا وعراقة ، تلك الزراعة التى كانت وما زالت أس المدنيات جميعا .



ان النباتات القابلة للتأنيس قليلة ، وقليل من هذه ما يعطى حبا أو ثمرا يصح أن يتخذ غذاء أساسيا كافيا للانسان ؛ وهذه متفرقة على سطح البسيطة ، وهى كالحيوان لها مواطن خاصة من سطح الارض ، فمنهـا الأفريقى والاسيوى والامريكى ، وفى هذه المواطن دون سواها نشأت المدنيات البائدة ، حتى ليكاد الفكر والبحث يرد كل مدنية قديمة الى حب أساسى ، وكل حضارة بائدة الى ثمر أصلى . فالمدنيات الامريكية قبل كولومبس تركزت فى الأصقاع الاستوائية وامتاز كل منها بغلة كانت أساسا لمدنية ، فغلة المكسيك الذرة ، وغلة بوليفيا واكوادور وبيرو البطاطس ، فحضارة المكسيك العتيقة التى كشفت عنها الحفائر الحديثة حضارة ذرويه ، وحضارة أمريكا الجنوبية حضارة بطاطسية (شكل ٢)

وليس معنى هذا أن تلك البلاد لم تنتج من النباتات غير الذرة والبطاطس ، فقد أنتجت أنواعا من الخضر والفواكه لكنها ثانوية فى تغذية الانسان . وفى الدنيـا القديمة ، أو

التى لا نزال نسميها الدنيا القديمة على الاعتبار الخاطىء ، ان



« شكل ٢ »

أمريكا لم يكن لها حياة مسرفة كذلك فى القدم قبل أن « اكتشفها » كولومبس، تركزت فيها المدنيات حول المناطق التى تنتج أغذية أساسية لحياة الانسان . وهى القمح والشعير والقرطم والشيلم وتنبت فيما حول البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى والجانب الجنوبى الغربى لآسيا ، والارز فى الهند والصين . ولا نزال الى اليوم نجد نوعا من الارز البرى ينبت « شيطانيا » فى الهند وفى جنوب الصين ؛ وهو لاشك جد لأنواع الارز الحديثة . كذلك نجد فى آسيا الصغرى وفى الجنوب الغربى لآسيا أنواعا من النبات تمت الى القمح والشعير والقرطم بوشائج من الرحم على بعدها بينة واضحة

ومن المدهش أن نباتات أمريكا فيما قبل « كولومبس » أى عام ١٥٠٠ ميلادية تختلف كل الاختلاف عن نباتات الدنيا القديمة . فلم يكن بينهما نبات مشترك واحد . كان فى أمريكا الذرة والبطاطس والبطاطا وأنواع من الفول والطماطم والفلفل والفول السودانى والأناناس والجوافة والكاكاو وغير هذه من أجناس أخرى غير مشهورة لدى الناس . ولم يكن فى أمريكا فى تلك العهود من حيوانات الدنيا القديمة غير الكلب . وكان فى الدنيا القديمة من النباتات المستأنسة القمح والشيلم والشعير والقرطم والدخن ، والارز وكلها حبوب أساسية فى تغذية الانسان . واللفت والبصل والسبانخ والخس والحمص والعدس والسمسم وغيرها

قال العمدة النباتى « ألفونس دى كندول » فى كتابه الأثرى « أصل النباتات المزروعة » عام ١٨٨٢ : « وفى تتبع تاريخ هذه النباتات لم أجد أثرا لصلة كانت بين سكان الدنيا القديمة وسكان الدنيا الجديدة فيما قبل العصر الكولومبسى » وقال العالم الأحدث فافيلوف (١٩٣١) : « ان الزراعة فى امريكا قبل العهد الكولومبسى نشأت نشوءا مستقلا عن الزراعة فى الدنيا القديمة . فاذا نحن قلنا مع أغلب البحاث ان سكان امريكا القديمة أتوا من آسيا وجب ان نقول أيضا أنهم أتوا فارغة أوطابهم من كل نبات أسيوى . ومعنى هذا ان النبات فى الدنيا الجديدة استأنست عن أجناس وحشية نبتت فى تلك الاصقاع ذاتها » ولكن لما فتح كولومبس امريكا للعالم القديم ، وضح عند الناس ان بلداً كبيراً واسع الغنى خبيئ الثروة قد انكشف ، ركبوا اليه افواجا بأهلهم ومتاعهم وحملوا معهم ما عرفوا من الحيوان وما ألفوا من النبات وبذوره ، وبذلك نقلوا المستأنس من الحيوان والنبات الى ذلك البلد الجديد ،



« شكل ٣ »

ورجعوا الى بلدهم القديم بنبات تلك القارة الجديدة الواسعة

البلجاء

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

ظلت العراق شوكة فى حلق الدولة الاموية الى ان جاءها منه ما قوض اركانها وهدم سلطانها . وظلت العراق موطنا لكل خارج على الدولة الاموية تأوى كل من يرى فسادا فيما آلت اليه الحال وكل من يحس سخطا على القائمين بالامور . آوت العراق اهم فرقتين كانتا ساخطتين على خلفاء بنى امية وسياستهم وهم الشيعة والخوارج .

كان هم كل وال جديد على العراق او احد مصريه الكوفة والبصرة ان يحارب هاتين الفرقتين حربا تختلف قوة وضعفا باختلاف شدة معارضتهم ايام ولايته وباختلاف طبيعته الشخصية وما تحتمل تلك الطبيعة من منظر سفك الدماء وازهاق الارواح .

ما كاد العراق يتنفس فى شيء يسير من الراحة بعد موت زياد حتى ابتلاه معاوية بمن هو الى الشر اسبق ولو فى تهور ، والى سفك الدماء أسرع ولو فى ظلم وعدوان ـ ابتلاه بعبيد الله بن زياد

اما الشيعة فكانت تصطنع الاستكانة شيئا ما ، وما زال عهدها بزياد قريبا ومازال مقتل حجر بن عدى وصحبه يتمثل لها فترتجف لهوله القلوب ويثور من اجله فى النفوس شيء من السخط . ولكنه سخط مستسلم او قل هو سخط يستعد ويدبر للثورة والانتقام .

واما الخوارج فمازالت دعوتهم قوية لاتعرف تسترا ولا رفقا كانت شعلة تحرق مايقف فى طريقها كانت نارا مقدسه من الايمان الجارف القوى تلهبه القلوب وتلهبه الضحايا البريئة الطاهرة التى كانت تقدم فى كثير من التنكيل والاسراف قربانا على مذبحه .

اصبحت البصرة منذ مقدم ابن زياد مرجلا يغلى بما فيه من خوف وقلق واضطراب ، كل يتستر بعقيدته ، يجتمع وصحبه ولكن فى حذر كل الحذر . كل يبث دعوته ولكن فى حيطة دونها كل حيطة . عرف اهل البصرة فى واليهم الجديد نوعا من البطش قلل فى نظرهم شيئا من بطش زياد على قرب عهدهم به . هذا البطش الجديد لم يكن يقف عند حد ، لم يكن يعرف شيئا من الاناة فى تنفيذ اشد العقوبات وانكاها ، لم يكن يعرف هوادة ولا تريثا وانما كان قوة تكتسح امامها كل شيء ، لاتعرف الا انها قوة والا انها يجب ان تندفع .

نال الخوارج من هذا البطش ومن هذا النكال النصيب الاوفر فقد قتل منهم عدد غير قليل ولم تكن قتلا عاديا وانما كان قتلا يقصد به الردع والارهاب كاشد ما يمكن ان يكون الردع والارهاب كان صلبا ، كان تقطيعا للايدى والارجل فى الساحات العامة ، كان قتلا لا ككل القتل ، كان القتل صبرا ولم تكن الضحايا فرادى وانما كانت جماعات .

عرف الخوارج منذ اول ظهورهم بشجاعة نسائهم وجهادهن معهم . ويذكر الخوارج فى تاريخهم عددا غير قليل ممن استشهدن وحاربن بل ممن قاتلن وتبارزن فى سبيل نصرة المذهب الجديد .

ولقد غاظ زيادا امر هؤلاء النسوة ماذا يفعل بهن لقد نهى الرسول عن قتل نساء المشركين اثناء حروبه معهم فكيف بنساء المسلمين . ولكن أمر هؤلاء النسوة لم يكن يسيرا . لقد كن ينشرن الدعوة فتسير كالنار فى الهشيم لا بد لهن من عقاب رادع ، لا بد لهن من شيء فوق طاقتهن حتى يعدن الى ما خلقن له حتى يدعن الجهاد لمن هم به اولى وعليه أقدر . وتذكر فعل الوالى قبله . لقد قتل زياد خارجية وعراها فى الميدان العام فلم تظهر خارجية بعدها امرها ايام زياد . لقد خفن العار وان لم يخفن الموت . احسن انه لن يقدر على هذا ،

وبحيوانها ، ودارت الافلاك بالسنوات والاحقاب . والانسان دائب فى مزج احياء المشرق باحياء المغرب غير متعمد ذلك ولا قاصد اليه ، حتى ضاعت المواطن الأولى لتلك النباتات وامحت قوميتها ، وتأقلمت فاستترت سيماء الاجنبية منها ، واستعربت فاختفت مظلة العجمة فيها ، أو استعجمت فذهبت العروبة عنها ، فالمصرى يزرع الذرة والبطاطس (شكل ٣) ويحسب أنها مصرية وهى امريكية ، والامريكى يزرع الارز والموز وجوز الهند ويحسب أنها امريكية وهى أسيوية . وما جرى بين أمريكا والدنيا القديمة جرى لاشك بين تلك القارات فيما بينها وبين أصقاع القارة الواحدة

اختلطت نباتات الارض فاستبهمت أصولها ، وانتشرت حيواناتها فى البلاد فأصبحت كل ارض بلدها . فهل يكون للانسان ، وهو جنس واحد من الحيوان ، مثل هذا المآل ؟

احمد زكى

كلا فواقه لو ظفر باحداهن يجعلنها عبرة لمن بعدها .

وسط هذه القلاقل كان ابو بلال مرداس زعيم الخوارج اذ ذاك يجتمع بصحبه كل مساء يتدارسون مذهبهم ودينهم ويتدبرون حالتهم وما يستطيعون امام هذا السلطان العاتي . يفكرون في امور الدولة واعمال الوالي الجديد ويدبرون خططا جديدة لبث الدعوة وتيسير السلطان لمذهبهم .

كان بين هؤلاء الصحب امرأة تعرف بالبلجاء فاذا جلس ابو بلال جلست الى جواره تستمع الى حديثه في شغف وتلتقط الكلام من فم هذا الذي كادت تؤلهه الجماعة كانما كلامه قطرات ماء وكانما اذنها قد اعياها طول العطش . وكان ابو بلال سمح الطبع قوي الايمان فاستراح لقرب تلك السامعة ، وحفظ لها في قلبه مكانة عظيمة . لقد اعجبه منها ايمانها وتعلقها بالمذهب . تسأل عما اشكل عليها فيه فلا تمل سؤالا . ولم يكن هو ليدخر جهدا حتى يوفق في اجابتها الى الجواب المقنع الشافي .

ظلت البلجاء هكذا زمنا الى ان آمنت بالمذهب الجديد ايمانا لا يرتضي سكوتها وهدوءها . فبدأ الايمان يملي عليها العمل والتضحية في سبيله شأن كل ايمان يتم نضوجه ويعم القلب نوره . قامت البلجاء بدورها تبث الدعوة بين اهل البصرة فيلبي دعوتها الكثير . ولكنها مازالت تختلف الى مجلس ابي بلال بعض الليالي تأنس بالشيخ وبصحبه فينمو ايمانها في هذا الجو المشبع ايمانا ويقوي جلدها على احتمال اتعاب النهار واخطاره

جلس أبو بلال ذات ليلة وانضم حوله الصحاب متشوقين الى سماعه ؛ فما عرفوا ان لديه الا الصواب ؛ متلهفين الى حججه وآيات ايمانه ، فقد كانت لقلوبهم وعقولهم خير غذاء في هذا الجو المكفهر المضطرب . ولكنه ما كاد يلتئم جمعه ويبدأ حديثه حتى قام اليه احدهم وهو غيلان بن خرشة الضبي وقال : « يا ابا بلال اني سمعت الامير البارحة عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء واحسبها ستؤخذ .. »

وجم المجلس وفكر الشيخ طويلا . فالبلجاء كانت من خير أعوانه ، وكان الذين دخلوا على يديها في المذهب الجديد غير قليلين . فلا بد اذن ان ابن زياد عرف هذا ، ولا بد انه بعد ان عرف قدر وفكر ، ولا بد انه من بعد ان قدر قرر ، ويا اعظم ما قرر ! وتنازعت نفسه عوامل عدة ولكن أقواها كان الخوف على البلجاء ، خوف العار لا خوف القتل ..

ولم يستمع القوم لابي بلال هذا المساء فقد كان فكره مشغولا وعقله مضطربا . ينتظر البلجاء فلا تأتي ، ويطول الانتظار . وما كاد المجلس يخلو حتى عدا اليها مسرعا . وفي الطريق هدأ روعه اسراعه وفكر . ماذا يقول لها ؟ ثم ينصحها ؟ قد كان يذكي ايمانها كل يوم فيسره هذا الاذكاء : ايطفئ اليوم هذا النور النور بيده أو يداريه فيحجب شعاعه ؟ ولكن بطش زياد عظيم وانه لجبار عنيد .

وصل الى بيت البلجاء فوجدها قد آوت الى فرشها من تعب النهار ولكنها ما كادت تسمع صوت ابي بلال في الفناء حتى قامت اليه مسرعة وقلبها يكاد يحطم صدرها من اضطرابه . ما سر هذه الزيارة المتأخرة ؟ ومجيء عند ابي بلال وقد آوى الناس الى فراشهم الا القليل ؛ ولكن ابا بلال لم يطل عليها الاضطراب فقد قر رأيه ولم يعد لديه الا قولا واحدا يقوله لها

— ان الله قد وسع على المؤمنين بالتقية فاستتري فان هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك .

وكان موقف البلجاء جليا لها واضحا فلم يكن ذكر ابن زياد لها امرا مستبعدا ولم يكن خوف ابي بلال عليها شيئا غير منتظر ولكن الام يدعوها الى التقية وهل عرف التقية ذوو الايمان القوي ؟ . ورنت في اذنها الآية (إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان) اي رحمة ، اي شفقة ؛ اي تقدير للانسان اي فهم لضعفه ولنوازعه ولكن الايمان النار القوية الملتهبة ما هذه الحشرات التي تدنو منها ألخوف ؟ أخوف الموت ؟ اعار التعرية ؟ والنار القوية تحرق كل حشرة تدنو منها فتزداد بهذا الاحراق قوة ولهبا وهؤلاء الذين دعتهم فلبوا أيشهدون خبو هذه النار التي مسهم شررها فآنسوا اليه ؟ كلا كلا وايم الله!

— ان يأخذني فهو اشقى بي اما انا فما احب ان يعنت انسان بسببي .

السوق هائجة مائجة والناس تروح فيها وتغدو وعلى وجوههم غبرة قاتمة حاسرة . كل وجه عليه مزيج من علائم الحزن والاضطراب والاشمئزاز والسخط ماذا في السوق ما الذي يثير كل هذه العوامل في نفوس الناس فتغير من ملامحهم تغييرا أليما منكرا :

جاء ابو بلال الى السوق والفى القوم على تلك الحال ولكنه لم يتساءل فقد وجد ابصارهم عالقة بشيء منصوب عن بعد فما لبث ان رفع هو بصره اليه ؛ ماذا ؟ أجسد امرأة قطعت يداها ورجلاها ؟ ومن تكون تلك التي أثارت حفيظة الامير فنكل بها هذا التنكيل البشع ؟ الجواب يضطرب في صدره ولكنه لا يقوى على تصديقه والمرء أزاء المصائب اعزل لا سلاح له الا محاولة انكار الواقع

العالم المسرحى والسينمائى

أزمة المسرح فى مصر

لناقد «الرسالة» الفنى

أصيب المسرح المصرى فى السنوات الاخيرة بضربات شديدة قضت عليه أو كادت.. وانه ليحتضر الآن.. ولا مفر من أن نشيعه عاجلا أو آجلا الى مثواه الاخير لنعيد خلقه من جديد. اذا وسعتنا الحيلة، وتوفرت الوسيلة، وتهيأت الاسباب التى تؤدى بنا الى هذه الغاية.

وانظر كيف أصبح اليوم، وماذا كان بالامس، وها نحن اولاء فى أواخر ديسمبر والموسم المسرحى لم يبدأ الا منذ أيام، ويالها من بداءة فاترة لا تبشر بخير ولا تسفر عن عظيم. ولا نرى من الفرق القديمة إلا فرقة رمسيس، ثم ان هناك فرقة دار التمثيل العربى التى ألفت هذا الموسم وما نظن ان العمر سيمتد بها كثيرا لفقرها المادى والمعنوى وان كنا نرجو مخلصين للاستاذ عزيز عيد كل توفيق ونجاح، فقد خدم المسرح فى السنوات الاخيرة خدمات كثيرة لاشك فى قيمتها ونفعها، ولقد كان وما يزال من أهم العوامل البارزة فى المسرح.

وهذا الفشل الذريع الذى أصيب به المسرح يرجع الى عوامل عدة، يتصل بعضها برجال المسرح أنفسهم، وبعضها بالحكومة والبعض الآخر بظروف لم يكن فى الوسع التغلب عليها الا بتضافر القوى والجهود وهو مالم يحدث مع الاسف.

وأعتقد مخلصا ان رجال المسرح هم الذين يحملون العبء الأكبر من المسئولية فى هذا الانحطاط الذى وصلت اليه حالة المسرح اليوم. وأذ أقول رجال المسرح انما أعنى فى المقدمة مديرى الفرق لأنهم الرءوس المفكرة والايدى العاملة، ثم هم الممولون الذين يتحكمون فى كل شىء بحكم سيطرتهم المالية فعليهم تقع التبعة الكبرى، ولا مناص لهم من مواجهة الحقائق والاعتراف بخطئهم.

قام نزاع شديد بين النقاد وبين مديرى الفرق حول تقدير ذوق الجمهور الفنى وتذوقه لبعض الانواع من الروايات واقباله عليها. فمديرو الفرق يقولون ان الميلودراما هو النوع المفضل عند الجمهور وان الروايات الفنية التى يطلب النقاد تمثيلها، لا يتذوقها المتفرجون ولا يقبلون على مشاهدتها الاقبال الذى يضمن لمدير الفرقة نفقاته التى تكبدها فضلا عن الربح الذى ينتظره كغيره من أصحاب رءوس الاموال. وطال النزاع بين الفريقين وكل يصر على رأيه، على أن مديرى الفرق اندفعوا يخرجون على مسارحهم الروايات الميلودرام المليئة بالمشاهد المفزعة، المثيرة للأعصاب، وحذرهم النقاد من مغبة الامر ولكنهم مضوا فى طريقهم غير آبهين لشىء.

والآن... ها هو الزمن يقول كلمته الحاسمة فى الحكم على الفريقين أيهما كان أهدى سبيلا وأبعد نظرا، وهذا الفشل الذى منى به المسرح أخيرا دليل صادق وحجة قاطعة على ان مديرى الفرق كانوا على ضلال، وان النقاد كانوا على حق فى تحذيرهم.. فلو ان الجمهور كان يتذوق حقا الميلودراما لكان مديرو الفرق اليوم من أثرياء العالم المعدودين، فقد ظلوا سنوات لا يخرجون الا هذا النوع من الروايات، ولكان حال المسرح اليوم غير هذه الحال، ولكن

أيكون حلما؟ أأكون مخدوعا؟ والمصائب ثابتة فى عالم الحقيقة تهزأ بهذا الانكار.

دنا ابو بلال من احدهم وفى نفسه أمل ضعيف خائر وهمس فى اذنه من تكون؟

— البلجاء

واقترب ابو بلال من الجسد المنصوب وعيناه عالقة به ونفسه كليمة حسرى. ما أعجب الحياة وما امرهزء الحقيقة اذا ما انتصرت على كل اشفاق من حقيقتها.

واملت البلجاء على ابى بلال درسا عوض كل ما القاه عليها من دروس.. ماهو؟ ماقيمته؟ وما قيمة تعظيم الجماعة اياه امام هذه فى عليائها؟ ما أعظمها! ما اجلها! وما احلى رضائها عن نفسها! وعض الشيخ على لحيته وقال لنفسه:

لهذه اطيب نفسا عن بقية الدنيا منك يامرداس ؟

« سهير القلماوى »

هذا الفشل الذى أصيب به المسرح ، وصيحات الاستغاثة التى يصم بها مديرو الفرق آذاننا ، دليل قاطع على انهم لم يجدوا فى الميلودراما كنز قارون الذى كانوا يتوهمون .

على إن جريرة مديرى الفرق لم تقف عند هذا الحد فقد أبعدوا عن المسرح خير الكتاب والأدباء الذين خدموا هذ الفن الجليل منذ نشأته باقلامهم ورواياتهم فرفعوا من شأنه ، ووجهوا انظار الشعب اليه ، وجعلوا له مكانة محترمة ومنزلة سامية فى النفوس ، وانفض هؤلاء الكتاب عن المسرح ومازال مكانهم شاغرا الى اليوم ، وخسر المسرح بابتعادهم خسارة لاتعوض .

*

ومن الحق ان نذكر ان الحكومة ينالها من المسئولية فيما يصل اليه حال المسرح الشىء الكثير ، فسياستها حياله كانت دائما سياسة ملؤها التردد والحيرة ، وطابعها البارز الاضطراب والفوضى . فقد بدأت بأن اقامت مباراة للممثلين ، ثم اوفدت احد المبرزين فيها فى بعثة فنية الى اوربا ، وكان المظنون انها ستتبع هذه الخطة الحميدة فى السنين التالية ، ولكنها عدلت عنها حتى اليوم وبقى الاستاذ زكى طليمات عضو البعثة الوحيد . على ان الوزارة عدلت عن طريقة المباراة السنوية وألفت لجنة تمر على دور التمثيل طوال السنة وفى نهايتها توزع مبالغ متفاوتة من المال على مديرى الفرق وعلى الممثلين فى حدود المبلغ المخصص لذلك .

وقامت الوزارة بأنشاء معهد لفن التمثيل ، ثم مالبثت أن الغته واستعاضت عنه بما سمته قاعة المحاضرات ، ووضعت فى السنة الماضية شروطا دقيقة لتوزيع اعانتها السنوية على مديرى الفرق ولكنها لم تتقيد هى نفسها بالشروط التى وضعتها .

ولا تنس قبل كل شىء ان ننوه بالمبلغ الضئيل المخصص لاعانة المسرح المصرى اذ لايتجاوز عشر المبالغ التى تصرف على دار الأوبرا وتقدم للفرق الاجنبية التى تفد للتمثيل على مسرحها فى موسم الشتاء .

من هذا ، ودون أن ندخل فى تفصيلات دقيقة أخرى ، نرى مبلغ التردد وعدم الاكتراث فى سياسة الوزارة حيال فن التمثيل حتى هذه المبالغ الضئيلة التى تقدمها للممثلين كل سنة على سبيل الاعانة ، لم يكن لها أى أثر ، لضآلتها أولا ، ولان الوزارة لم تشرف على انفاقها ثانيا ، ومن يدرينا لعلها صرفت فى اغراض شخصية لا تتصل بالفن فى كثير ولا قليل ؟

ومن العبث على ما أرى أن نطيل الحديث مع الوزارة فأنها الى اليوم لم تنظر الى المسرح والى فن التمثيل نظرة جدية ، وأغلب الظن انها اذ تقدم هذه المبالغ الزهيدة لرجال المسرح فى نهاية العام تقول : (انما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وما دام هذا هو يقين الوزارة فكل حديث معها عبث محض وضياع للوقت فيما لا طائل تحته .

* * *

بقيت بعد ذلك بعض الظروف الطارئة التى كانت عاملا من العوامل التى ساعدت على اشتداد أزمة المسرح ، منها هذه الأزمة التى اكتسحت مصر فى السنوات الثلاث الأخيرة وشددت عليها الخناق ، ومنها طغيان السينما الناطقة ونجاحها هذا النجاح الباهر الذى نراه ونلمسه كل يوم ، ثم رخص الأجور فى دور السينما عنها فى المسارح مع فخامة ما نراه هناك على الشاشة الفضية ، وضآلة ما نشاهده هنا .

ولعل من اشد العوامل التى كان لها اكبر أثر فى المستوى الذى هبط اليه المسرح اخراج الافلام المصرية وما لاقته من النجاح والاقبال مما ساعد أصحابها على موالاة الجهود وزيادة الاتقان فى فى العمل ولفت أنظار الآخرين اليها ، حتى رأينا بعض مديرى الفرق أنفسهم ينصرفون الى هذه الناحية الجديدة ويخصصون لها من المال والجهد أضعاف ماينفقون فى مسارحهم .

والجهد الذى يجب ان يبذل للنهوض بالمسرح لابد من ان يتناول كل هذه النواحى التى المنا بها فى مقالنا وكل هذه العوامل المختلفة اذا أردنا ان يكون لعملنا أثره ونفعه المنتظر ، فمن الخير ان يعود مديرو الفرق الى رواياتهم الاولى التى كانوا يغذوننا بها من سنوات ، والتى عدلوا عنها لغير علة الى نوع الميلودرام الذى يقوم على محض الأفتعال وارتجال المواقف الكاذبة ارتجالا قد يكون له أثره الوقتى ، ولكن سرعان ماينقضى دون ان يخلف فى نفس المتفرج شيئا له قيمته او خطره ،

ومن الخير ان تجتذب كبار الكتاب والأدباء ليعودوا الى خدمة المسرح والكتابة له كما كانوا يفعلون

ومن الخير ان تجد الوزارة فى موقفها حيال المسرح وترصد لاعانته ألوف الجنيهات سنويا على أن تشرف عليه اشرافا فعليا وتتحرى أوجه الصرف بحيث لاتتعدى النواحى الفنية التى يكون لها أثرها فى تقدم المسرح والنهوض به

* * *

على أن المسرح يتطلب دما جديداً يغذيه وينشر فيه روحا

فنية خالصة : أساسها الثقافة والموهبة والدراسة الحقة : وقد كان معهد فن التمثيل هو النبع الذى سنستقى منه هذا الجديد : فاذا أصرت وزارة المعارف على غلق أبوابه فلنفكر اذن فى ايفاد بعثات فنية الى أوربا من الشبان الذين تؤهلهم لذلك ومواهبهم الشخصية وميولهم : على أنه يجب قبل هذا أن تعد سياسة انشائية ايجابية لخدمة المسرح يقوم بتنفيذها أعضاء بعثتها عندما يرجعون : أما ان يعودوا ليأكلوا أنفسهم من اليأس وخيبة الامل وتجاهل الوزارة لثقافتهم واستعدادهم ، وعدم افساح المجال أمامهم للعمل : فهذا يكون عبثا وسخفا وخسارة للوزارة أو تكتفى بعضو بعثتها الذى لم تحاول أن تستفيد من كفاءته واستعداده ، ولا خير لها ولا للمسرح فى أن تزيد صفوف الساخطين المتذمرين

الحركة المسرحية والسينمائية فى الخارج .

لندن

يعد الآن فى لندن فلم سينمائى عن (مارشال هول) من اشهر رجال المحاماة والقانون فى انجلترا ، وهو الذى تولى الدفاع عن . قاتلة المرحوم على فهمى كامل وفاز لها بحكم البراءة ، وسيتولى اخراج هذا الفلم المخرج السينمائى هتشكوك

يعد الآن تحت اشراف مصلحة البريد فى انجلترا فلمان الأول ترى فيه كل الخطوات التى يمر بها خطابك من ساعة ان تكتبه حتى يصل الى يد مرسله وسيكون هذا الفلم شاملا لكل التحسينات التى ادخلت من عهد حمل البريد بواسطة العربات التى تجرها الجياد الى العهد الحاضر ، ويعرض مختلف الطرق التى كانت تستخدم لهذا الغرض بكل تفصيلاتها . أما الفلم الثانى فسيكون خاصا بأظهار شبكة الاسلاك التلفونية التى تربط بريطانيا ويبلغ طولها ٩٠٠٠٠٠٠ ميل وترى فيه كل العمليات والخطوات التى تتخذ اثناء المحادثات التلفونية وقد اعلن مدير مصلحة البريد فى انجلترا انه يسترشد فى اعداد هذين الفلمين بآراء لجنة من رجال الفن السينمائى الاخصائيين

والآن . . . هل لنا ان نقترح على مصلحة البريد المصرية اعداد فلم يجمع بين هذين الغرضين بمناسبة قرب انعقاد مؤتمر البريد الدولى فى القاهرة وتعرض فيه الطرق التى كانت تستخدم فى نقل البريد فى مصر فى عهودها المختلفة ؟!

مستر دنيس جوزيف كلارك من اشهر رجال المسرح فى انجلترا وله صيت ذائع فى اوربا كلها ، وهو يدير عدة مسارح فى (بركنهد) كما يتولى بنفسه اخراج بعض الروايات المسرحية ثم هو فوق ذلك عضو المجلس البلدى فى بركنهد منذ أربع وعشرين سنة ، وقد عرض عليه حزب العمال الانجليزى ان يتولى منصب محافظ بركنهد بمناسبة انتهاء مدة المحافظ السابق . ومن عادة الاحزاب الانجليزية ان يتولى أحدها كل عام مهمة اختيار المحافظ الجديد على التناوب ، وكان من حق حزب العمال هذا العام اختيار المحافظ ، على ان اعضاء هذا الحزب تنازلوا عن هذا الحق ، الذى يسمح لهم بطبيعة الحال ان ينصبوا رجلا من انصارهم اذا وافق مستر كلارك على اسناد المنصب اليه مع انه من حزب المحافظين . ولا شك ان تنازل حزب العمال عن حقه وتنصيب رجل فى هذا المركز الكبير من غير رجال حزبه شرف عظيم لمستر كلارك وشهادة لها خطرها بما له من المكانة والاحترام ، وقد كان هذا الحادث مثار اهتمام الصحف الانجليزية ، كما أثار عاطفة الفخر والكبرياء فى الاوساط المسرحية فى انجلترا وعده رجال المسرح الانجليزى من دواعى مجدهم الفنى وسيقيمون حفلة كبيرة لتكريم الرجل

باريس

انتهى موريس روستان نجل أدمون روستان الشاعر الفرنسى المعروف من وضع رواية مسرحية عن « اسكار وايلد » الكاتب الانجليزى الشهير . وليس بين شخصيات الرواية سيدات . وسيقوم الممثل الفرنسى كونيه بوبيه بتمثيل دور البطل

بودابست

« مجموعة اللآلى » اسم لاستعراض مسرحى حديث أخرج أخيراً فى بودابست اشترك فيه أكثر من ثلثمائة قروى بملابسهم الوطنية الزاهية الالوان وبرقصاتهم الريفية الجميلة مما جعل الإقبال على هذا الاستعراض منقطع النظير . وبرغم ضخامة عدد الممثلين والممثلات وتكاليف الاستعراض من مناظر وملابس وغيرها ، فسيجنى مدير المسرح ربحا طائلا لأن هؤلاء الريفيين الهواة لا ينظرون الى الناحية المادية ولا يأبهون لمسألة المرتبات التى يتقاضونها الى جانب الفخر الذى نالوه بظهورهم على المسرح وجدة الحادث بالنسبة لهم . ولعلها المرة الاولى التى تحاول فيها مثل هذه التجربة فتلقى هذا النجاح الكبير . ولا شك أن رواد المسرح سعداء بهذه الفرصة التى أتيحت لهم مشاهدة رقصات حقيقية . يرقصها أصحابها لا ممثلين يدربون عليها ، فلا يجيدونها مهما بذلوا من مقدرة كما يجيدها أصحابها أنفسهم . وأثناء الرقص يلقى هؤلاء القرويون أناشيد القرية وأغانيهم الساحرة ليكون لها أشد وقع فى النفوس

قصة شاءول بن شمويل اللاوى

للاستاذ محمد فريد ابو حديد
وكيل مدرسة القبـــة الثانوية

قد كان لى ولع بالتجوال فى البرارى ، ففيها كان الهواء يملأ امتلاء الصدر منه ، وفى سمائها صفاء يروق الابصار لاتدانيه زرقة البحر إلا فى أيام الخريف الوادعة ، ورمال الصحراء أخاذة باللب فى لألائها واختلاف لون حصاها ، فأذا ماجرت عليها قطرات من الغيث فى الشتاء غسلت عنها مايغشاها من التراب . فاذاهى تزرى باليواقيت واللآلىء ، واذا أسعد الانسان الحظ فجاس خلال تلك الرمال فى عقب سيل لاتزال منه بقية تجرى فى جدول رأى منها المعجب والفاتن حتى ليتمثل العذراء الحالية وقد راعها ذلك الحصى فلمست جانب عقدها النضيد . وقد جمع حب ذلك التجوال بين قلوب مختلفة الاصول متباينة الطباع ، يرضعون جميعهم معا من ثدي تلك الطبيعة الجميلة حتى لقد نما فى قلوبهم إخاء هو أقوى من الاخاء المعتاد إذ قد عرف كل منهم أخاه وكشف عن مخبوئه فى تلك المعاشرة الطويلة ، واعتاد كل منهم ان يكون مستعدا لان يبذل كل شىء حتى حياته ذاتها فى سبيل الاخلاص لصديقه . لاعجب ان تكون الصحراء مهد جلائل الأمور !

وقد قصدت يوما مع صديق من الانجليز ، وهو ممن يهيمون بالصحراء هياما ، وقصدنا معا الى برية سيناء نقطع الفيافى بمركبة القرن العشرين ونطوى أميالها مرحلة بعد مرحلة ، فكانت صحبة عجيبة من كل الوجوه..

قلت له فى فترة من فترات مابين التفكير المتصل : كانى بك من أبناء الصحراء يامستر لى . فان حبك للصحراء وصبرك على مشقاتها ينبئان عن بدوى فى اصله »

فقال لى باسما « ان البدوى وجواب البحار اخوان ، فاذا لم يكن فى دم البدوى فان فى بغير شك دما من جوابى البحار »

قال لى ذلك وهو يحدق بنظره فى ناحية من الصحراء الى يسارنا ونحن نطوى مراحلها ، ثم قال لى :

انظر الى هذا الموضع . كانى به فناء بيت من بيوت الجان ، انى اشعر بانجذاب عجيب نحوه . الا ترى ان نقف هنا قليلا ؟ ان التمتع بالصحراء لايكون الا اذا سرنا فيها كما كان يسير البدو على الابل أو الحمير أو ماسوى ذلك من وسائل السير الوئيد . أما هذه السيارات السريعة فليست هنا الا دخيلة غريبة . انها تدخل السرعة والعجلة والقلق الى ارض خلقها الله لتكون وادعة متئدة مطمئنة

قال هذا وعرج الى الموضع الذى اشار اليه واوقف دولاب السيارة وانقينا عصا السير وجلسنا الى جانب صخرة قائمة كانها المائدة ، واعددنا عدة الطعام اذ كان وقته قد أظلنا ، وكان سمرنا على ذلك الطعام حديثا أوحاه الينا الموضع . وأى حديث لمن يسير فى برية سينا أقرب من حديث قوم موسى ؟ لقد كان المكان يوحى به وحيا فيستغرق خيالنا حتى كأننا كنا نعيش فى ذلك الوقت ونحس بما كان ينبض به قلب أهله

كان ذلك الموضع متسعا من الارض تحيط به تلال من كل نواحيه الا من جهة الغرب المائل الى الشمال ، وكان متدرجا فى العلو من خارجه الى داخله ، ولا يكاد تمر عليه ساعة من النهار وليس فى ناحية منه ظل ممتد . وكانت الرياح كلها محجوبة عنه الا الرخاء التى تتهادى اليه من الشمال الغربى . فجلسنا به جلسة هنيئة زادت حديثنا اطمئنانا واستغراقا .

وخاطبت صاحبي فى شىء من الدعابة قائلا « كم شهدت هذه البقعة من مناظر جليلة ! أترى قد شهد موضعنا هذا بعض مواقف بنى اسرائيل يحرجون صدر موسى بذكريات عدس مصر وفولها ؟

فأجاب صاحبي « لقد كنت افكر فى هذه اللحظة فى أن مكاننا هذا لابد قد وطئته اقدام من خرجوا من مصر مع موسى » وكنا قد فرغنا عند ذلك من أكلنا فقمنا نمشى رويدا ونتحدث . وحدث أن ضربت بقدمى حجرا من الاحجار على عادة كانت بى منذ صغرى كنت اعتدتها فى عبث الصبا ، وما كان اشد عجبى اذ رأيت ان ذلك لم يكن حجرا بل كان قطعة من عظام جمجمة آدمية .

اذن لقد شهد ذلك الموضع حادثة انسانية ! واذن فان لذلك الموضع قصته ! فوقفت حيث كنت ، وملت الى الموضع لافحص موضع تلك العظمة فاذا بى أبصر عظمة أخرى قد طمرها الرمل .

فتناولت حجرا وجعلت أحفر ما حولها لاستخرجها فرأيتها تتصل بهيكل انساني . فاعتراني انقباض شديد ، واسترجعت ثم ألقيت الرمال التي كنت استخرجتها لكي أعيد لتلك العظام مدفنها، وفيما أنا في ذلك إذ بدا لي سطح من الخشب الصقيل . فتركت ما كنت فيه واقبلت على ذلك الخشب أفحص أمره . واذا به غطاء صندوق صغير طوله بحو نصف متر في عرض اقل من ذلك بقليل وعمق أقل من عرضه . وكان صديقي عندذلك قد بدأ يقبل على مساعدتي اذ رآني قد عثرت على شيء يستحق الإهتمام . فاستخرجنا الصندوق من مكانه ونفضنا عنه الرمال ، ونزعنا عنه غطاءه فاذا فيه مجموعة من الجلود الرقيقة وقد دب اليها شيء من الفساد من أثر البلى . وكانت على تلك الجلود كتابة ملونة يميل لونها الى السواد ، وكانت بقلم غريب

انتهى بنا السير بعد ذلك الى غايتنا ، ثم عدنا وكان ذلك الصندوق قطب حديثنا في رجعتنا الى القاهرة . ففرضنا فيه الفروض المختلفة وتناقشنا في قيمة ما فيه حتى بلغنا نهاية رحلتنا ، فكان اول هم لنا أن نطرق باب صديق من علماء الآثار ليساعدنا على كشف ما وراء ذلك الطلسم .

نظر صديقنا العالم الى صحيفة منها نظرة الفاحص ثم قال :

« ان هذا خط كاتب مصري . وهذا المداد مما كان يستعمله الكتاب في عصر الامبراطورية الثانية في المحابر النحاسية التي كانوا يضعونها في مناطقهم . وهذا هو الحرف (الديموطيقي) الذي كانوا يكتبون به في الدواوين عند ذلك »

قال هذا ونظر الى اول سطر من الصفحة طويلا ثم علت وجهه ابتسامة الظفر وقال : (لم يكن كاتب هذه السطور مصريا بل هو (شاءول اللاوي) أحد بني اسرائيل الذين خرجوا مع موسى من مصر في أيام (منفتاح) فرعون مصر ، وقد كتبها بلغة قومه العبرانيين كاتب بارع . . .

وأخذ يترجم لنا الصحائف واحدة بعد واحدة فاذا هي آية العجب وفريدة الصدف وها هي :

« أنا شاءول بن شمويل بن شمعون اللاوي من عشيرة اللاويين قادة اسرائيل وسادتهم . كنت بمصر مع قومي وكنا في أرض جاشان مهد ابي وجدي ، والأرض التي دفنت فيها عظامهما . كنت في أول الأمر صاحب خاتم الامير (راحا ترع) ثم حدثت الحوادث المشئومة المعروفة فطردت كما طرد كل قومي من خدمة المصريين ، ووضعت على رقابنا العبودية . وكنت أنا ممن حشروا لعمل اللبن من الطين لبناء مدينة (بيثوم) تسوقنا سياط المقدمين ورؤساء العمل ذوي الأيدي الصلبة والقلوب التي مثل خشب السنط .

وكانت مشقة العمل تزيد من يوم الى يوم ، وكلما مر شتاء علينا جاء شتاء آخر أشد منه برداً ، فامتلأت نفوس الشعب الاسرائيلي من الغيظ والحقد . وبدأوا يسأمون حياتهم ، ويتخلصون منها بضرب المقدمين ورؤساء العمل المصريين . وكان الذي يضرب منهم أحد هؤلاء يموت تحت السياط ، وهذه ميتة أهون من الحياة الشاقة التي كان أبناء اسرائيل يحيونها .

وقد جاء رجل من أولاد عمي بني لاوي اسمه (موسى) كان هارباً من مصر من زمن . وقد عرفه كما عرفه كثيرون من أبناء أعمامي . وكان رجلا رحيما يبكي كلما رأى أحد بني اسرائيل يضرب ويصيح وتجري الدماء من جسمه ، فكان في أول الامر يزورنا في الليل ليواسينا ، ولا يظهر في النهار مخافة أن يراه أحد فيعرفه ، فاحبه الشعب المسكين وصار كل فرد منه يرضى أن يقتل في سبيل حمايته . وأقام سنين وهو على تلك الحال ، وجعل يفهم الشعب أن وراء البرية أرضاً فسيحة يقدر أن يعيش فيها حراً ويجد فيها ماء وطعاماً . ولكن الشعب كان يخاف من البرية ولا يرضى أن يخرج من أرض مصر التي فيها عظام آبائه .

ولكن فرعون مصر عرف من جواسيسه أن هناك رجلا عبرانيا يحرض العبرانيين على العصيان والخروج . وقال له خدمه وعبيده إنه السبب في تجمع الاسرائيليين وتجمهرهم ومطالبتهم بعبادة إلههم على طريقتهم الخاصة . وقالوا له ان العبرانيين يتظاهرون بأنهم يريدون ان يسمح لهم بالخروج الى البرية لتقديم الضحايا لالههم بعيداً عن أرض مصر ، والحقيقة أنهم يريدون الذهاب الى أرض الفلسطينيين والحيثيين ليساعدتهم على غزو مصر

فقال لهم فرعون : « وماذا ترون ؟ » فقال له عبيده « نرى ان تشغلهم وتضيق عليهم الخناق ، فمر بمنع التبن عنهم حتى يضطروا لجمع الاعشاب الجافة ليصنعوا بها اللبن وطالبهم بأن يقدموا كل يوم ما اعتادوا ان يقدموه من قبل من اللبن اللازم للبناء »

فأمر فرعون بذلك ومنع خدمه من صرف التبن للشعب المسكين ، وطالبهم بأن يقدموا له كل يوم نفس المقدار الذي كانوا يصنعونه من قبل من اللبن ، مع قيامهم بجمع الاعشاب الجافة لاستعمالها بدل التبن الذي منع عنهم . فكان هذا الأمر غير ممكن . فعصا الشعب وامتنع وتجمهر وصاح بفرعون وخدم فرعون . وكان ابن عمي موسى يحرضنا على العصيان ويأمرنا بالخروج معه الى البرية ، ولكننا كنا

نخاف من ذلك فالموت مخيف وإن كانت العبودية صعبة .

وكثر التعذيب والضرب والقتل فينا حتى أننا ضجرنا وفزعنا ، وسمعنا كلمة موسى وقمنا لنخرج الى البرية جميعا نساؤنا واطفالنا على الحمير ، وقد لبس النساء الحلى التى استعرنها من جاراتهن المصريات . وفى الليلة الموعودة خرجنا نغطى وجه الأرض نحو البرية .

وكان الخوف يملأ قلوبنا من جنود فرعون أن تلحق بنا ، فعبرنا الى الصحراء من أقرب طريق ، وخضنا فى البحر باذن الله وبركة ذلك الرجل المبارك (موسى) . وتنفسنا الصعداء عند العيون التى حولها النخيل ، عندما رأينا جيش فرعون قد عجز عن اللحاق بنا وعاد ادراجه بعد أن غرق منه عدد كبير . ويقال ان فرعون نفسه كان من الذين غرقوا فى المياه . غير ان الحرية لا تعطى طعاما ولا ماء . فلما أكلنا الزاد الذى كان معنا بدأنا نفكر فى موقفنا ، وخرجنا الى (موسى) نطلب منه أن يعطينا خبزا ولحماً .

اعطانا موسى كل ما معه ، وقال لنا اقتصدوا ولا تأكلوا كثيرا ولكننا لم نقدر أن نمنع الاطفال والنساء من الأكل والشرب ، ولم نقدر ان نمنع بكاءهم عندما نفد ما كان معنا من الزاد ، فقمنا بعد أسبوع من الجوع والعطش وطلبنا من (موسى) أن يطعمنا . وصرخنا له (أعدنا الى مصر . أعدنا الى العبودية . الانسان قد يحتمل العبودية . ولكنه يموت حتما بلا طعام . نريد الحياة ولو مع العبودية . لا نريد الموت فى هذه الحرية وسط الصحراء » .

لقد غضب موسى وظهر عليه الغيظ ، وكلمنا كثيرا ولكن لم يكن لقوله ذلك الأثر الذى اعتدنا أن نجده فى نفوسنا عندما كنا نسمع الفاظه . وزاد صراخنا وعزم بعضنا على الرجوع .

وفى الصباح التالى ذهبنا الى موسى لنخبره بأننا سنعود الى مصر لنأكل من طعامها ، فوجدناه يصلى ثم أقبل علينا ووجهه يتهلل وقال « اذهبوا الى ذلك الوادى » وأشار بيده الى جهة الشروق . « وهناك تجدون كثيرا من الحب على الأرض . فاطحنوه وكلوا منه فانه مثل الحنطة اذا عجنت بالزيت » ثم أشار الى السماء وقال « انظروا الى هذه الطيور الكثيرة الآتية من البحر . أنها تقع على الارض عند أول وصولها الى البحر فاذبحوا منها وكلوا فان هذا رزق حلال قد أرسله الله اليكم » .

سرنا بعد ذلك فى البرية نأكل من هذا الطعام ولكننا كنا كل يوم أشقى مما كنا فى اليوم الذى قبله . فأين طعام مصر ؟ وأين زيتها الكثير وأعشابها الخضراء المسمنة ؟ وأين ماؤها العذب . وخيراتها العميمة ؟ حقا لقد كنا فيها معذبين ، وكنا عبيداً نسام الخسف والذلة ، ولكن الجوع والموت كانا أفظع فى نظرنا من الذل . اقمنا أكثر من سنة فى البرية ننتقل من مكان الى مكان ومن واد الى واد حتى ذهبنا الى (رفيديم) فى جوار الجبال العالية التى تغطيها ثلوج الشتاء . وقد بلغ بنا الحنين عند ذلك الى مصر مبلغا عظيما واشتد غضبنا على ذلك الزعيم الذى أخرجنا منها .

فهل الحرية تستحق أن نسعى الى القفر من أجلها ؟ وهل الذل والعبودية يستحقان أن يهرب منهما الى الموت ؟ لقد كرهنا كل شيء فى تلك البرية حتى اسم الحرية ، وذكرنا مصر بالحنين بما كان فيها من طعام وشراب ، حتى لقد بلغ بنا الحنين اليها ان نحن الى ما كان فيها من ذل وخسف ، ثم حننا الى النيران التى كنا توقدها ليلا ونرقص حولها فرحا فى أعياد (رع) و (هتور) لا بل لقد مالت قلوبنا الى تلك الآلهة المرحة ، ووددنا لو أقيمت لنا تماثيلها الذهبية لنعبدها بدل الآله الذى لا نراه ولا تقام له الأعياد المرحة على شراب البلح والحنطة .

فما كاد (موسى) يصعد على عادته الى الجبل العالى الذى تغطى قمته الثلوج حتى اجتمعنا وصرخنا الى (هرون) وتجمهرنا واجتمعنا حوله ، فلم يستطع أن يمنعنا من أن نصنع تمثال (ابيس) من الذهب الخالص ، وأقمنا حوله الاعياد والأفراح ونادينا بالعودة الى مصر . غير أن (موسى) عاد بعد قليل فرآنا على تلك الحال فغضب وحطم التمثال ، وأوقع بالرؤساء ، ولم يقدر أحد منا أن يقاوم أو يراجع .

وجعل يعنفنا على ما ارتكبناه من الذنب العظيم ، وكنا لا نستطيع أن نرفع أعيننا نحوه . وكأنه أراد أن يعاقبنا على ذلك عقاباً شديداً فما مضت أيام حتى أمرنا بالذهاب لغزو بلاد (مواب) . بلاد مواب ؟ أنستطيع أن نحارب جنود (مواب) ؟ وهل خرجنا من مصر لكى نحارب ؟ أى معنى لهذه الحرية وأى معنى لهذا الخلاص ؟ اننا لم نفهمه ولم نفكر فى شيء سوى ما كنا فيه من الحرمان . أنحارب ؟ لا ، لا إننا لن نستطيع الحرب مع احد فلنعد الى مصر

غضب (موسى) غضبا شديداً وصاح بنا « أيها العبيد . انكم قد نشأتم فى الذل وعشتم فى الخسف ، ان دمكم قد تلوث بالعبودية فليس يحمى وليس يغضب . انكم لا تعنون الا بالطعام ، كلوا واشربوا وعيشوا فى الذل والخسف ، فما أنتم الا مثل الانعام لا تعبأون الا بما يملأ بطونكم . لقد حكم على جيلكم أن تظلوا عبيدا لا تهتمون الا ببطونكم حتى تنقرضوا ويفنى كل جيلكم ، فاذا نشأ جيل آخر لم تمسه العبودية استطاع أن يفهم الحرية والكرامة ستبقون فى

البرية أربعين عاماً حتى يموت آخر كم فيها، ثم ينهض الجيل الجديد الذى يقدر له أن يفهم حياة الاحرار ويغزو معى بلاد مواب، سمعنا ذلك القول ولم نستطع جواباً، ولكن قلوبنا كانت تغلى من الغيظ، ولم يكن موسى سوى ابن عم لى انا شاؤل بن شمويل اللاوى. فذهبت تلك الليلة الى مضجعى ولم أستطع أن أجد النوم، وسألتنى امرأتى أن أخبرها بما يقض مضجعى فأخبرتها. فقالت لى لماذا لا نعود الى مصر ؟، ولم أكن أنتظر أكثر من ذلك، فعولت على الخروج ليلا والعودة الى مصر فى الطريق الذى أتينا منه. وفى الليلة التالية كنت فى طريقى الى بلاد فرعون. قضيت فى سيرى هذا ثلاثة شهور من هلال أول الشتاء الى هلال الشهر الثالث، وكانت هذه الشهور الثلاثة عقاباً عادلا على كل ما وقعت فيه من البطر والاعتداء. لقد هربت خوفا من الجوع وعدت بنفسى لكى أعرض ظهرى الى سياط عبيد فرعون وأضع يدى فى قيود الذل والظلم لكى أشبع جوعى، وأطعم امرأتى وأبنائى، ولكنى لم أجد ما ابتغيت. فقد قبض على (منحوتب) قائد رميد وأرسل أبنائى وامرأتى ليكونوا عبيدا لفرعون، ووضعونى فى السجن لانتظر الموت، وهأنذا فى هذه الحجرة ابقانى فى انتظار حكم فرعون.

وانى فى هذه الحجرة المظلمة أجلس الآن فى انتظار الهلاك، ويمر بخاطرى كل ما حدث فى حياتى من الحوادث، يمر كل ما كان فى أيامى الماضية كما تمر حوادث الماضى أمام عين الغريق اذا أشرف على الموت وقد رأيت أن أكتب قصة تلك الحياة لكى أخلف صرخة لمن يجىء بعدى. لقد كنا نهرب فى كل أيامنا من الموت، وها هو يجىء أخيراً ويلحق بنا مع طول هربنا منه. ونرضى بالذل فى سبيل الحياة، ونرضى بالعبودية والخسف فى سبيل الحصول على القوت، مع أن الحياة لا تستحق أن يحياها الإنسان اذا كانت حياة ذل وعبودية. ها قد تنبهت أخيراً الى ان (موسى) كان عظيما حين دعانا الى البرية وفضل الجوع والموت على حياة الشبع والذل. ولكن كنا قد مشى دم العبيد أجيالا فى دمائنا، فلم يحم ذلك الدم فى عروقنا غضبا للكرامة والحرية، ولم نفهم صرخة زعيمنا على وجهها، بل اندفعنا وراءه هربا من ألم السياط؛ فلما رفع عنا ألم السوط عدنا الى بذل انفسنا الذليلة. لقد أخرجنا صدره كثيرا بنفوسنا الوضيعة، وهربت انا منه خوفا من الموت والجوع وفضلت أن اعود الى ذلى فى مصر لكى اشبع بطنى، فوجدت الذل والأسر، ولكنى لم أجد الطعام الذى يملأ البطن. وهأنذا انتظر الموت الذى استحقه. حقا لقد فهمت الآن قول موسى إذ قال لنا: عند سفح جبل سيناء أننا من جيل مسمم، وانه سيصبر حتى يهلك ذلك الجيل كله فى البرية، حتى ينهض جيل جديد يفهم معنى الحرية الكرامة. انى الآن اسمع ضجة عند باب سجنى وها هو مفتاح الباب يصر فى ثقبه.

الى هنا انتهت القصة التى عثرنا عليها فى الصحراء، وحقا قد كان ذلك المكان الذى عرجنا اليه جديرا بأن يكون طلل بناء قديم حصين، لم يبق منه اليوم الا تلال الرمال، ولا تزال تحتفظ بالروح الرهيبة التى خلفتها حوادث الماضى فى ثنايا الاطلال.

صديقها عشيقها

روايه مصرية عصرية فى فصل واحد

للكاتب الروائى الأستاذ محمد خورشيد

(تتمة)

حكمت – (فى عطف) لا تمكث مرة أخرى يوما كاملا بعيداً عنى ولا تحرمنى رؤيتك المحبوبة. انى أحبك يافريد من أعماق قلبى. أحبك بكل ما أملك من قوة وعاطفة.

فايد – قلبى يؤمن بحبك ويترك لقلبك تقدير حرارة حبه ومن القلب الى القلب رسول.

حكمت – (تقترب منه وتحوطه بذراعيها فى حنان وتقول).

ألم تكن لنا ساعات هنيئة ذكراها السعيدة لا يمكن أن تزول؟

فايد – نعم، نعم.

حكمت – تعال اجلس بجانبى ولا تتكلم، لأن صمت المحبين هو نغمة الحب. فلنستمع ترنيم قلوبنا فى سكون.

(يجلسان متقاربين برهة ثم يتعانقان، وبينما هما يتبادلان القبلات اذا بالباب يفتح ويدخل مختار فيراهما على هذه الحال فيقف مصعوقا. فيفترقان ويقفان، تتقدم حكمت الى مختار وتقول.)

المنظر التاسع

حكمت، فايد، مختار

حكمت – لا تلمنى يا أعز الاصدقاء. كن كريما وسامحنى. لم أتمكن من الدفاع عن صداقتنا القديمة لأنى فوجئت بهجوم حب جديد أخذ بمجامع قلبى. غلب سلطانه عزيمتى. قهرت قوته ارادتى. فاصبحت لا حول لى ولا قوة، وخضعت لامره ومن

حكم الحب فيه يصبح غير مسئول . . . فعفوا عفواً . أعذرني يا صديقي وكن رحيماً .

مختار ـ أني مذهول . حكمت هانم أنبل وأشرف فتاة تأتي الى عشيقها كأى النساء ؟ ! . . . أراها بعيني بين ذراعيه ؟ تصرخ امامي بشدة حبها له ؛ تعترف لي بأنها ضحتني انا صديقها الوفي لأجله هو؟ كنت أعلم أن أغلب النساء يفعلن ذلك ، ولكن انت ! انت ! ماكان يخطر ببالي . أفكرت فيما سيذيعه الناس عنك ؟ (الى فايد) وانت وادعاؤك السفر . لم كل هذا الخداع ؟ . اهذا جزائي انا الذي احبك واعزك كولدي ؟ الا يؤنبك ضميرك على تلويث سمعتها . ؟

فايد ـ « يقترب منه ويقول » تأن ولا تلم .. انى عند حسن ظنك بي لقد احببت حكمت واحبتني ، وعقدنا النية على الزواج فلاخوف على سمعتها .

حكمت ـ لكن يافايد . . .

فايد ـ « يقاطعها قائلا » تمهلي ، سأقول مايجب ، وما أقوله سيكون. اريد الا يكون بحبنا ماينتقد « يقول ذلك وهو ينظر اليها نظرة كلها رجاء » لم ادع السفر يامختار بك . انى سأسافر فعلا ولكن لست مسافرا وحدي . سنسافر معا . وما اخفيت عنك أمر سفرها الا بناء على طلبها خشية ان تحزن لفراقها . وقد اتفقنا على ان نبادر بالكتابة اليك بمجرد وصولنا الى استامبول لنخبرك بكل ماحدث . وبما ان القدر شاء غير ماشئنا وحضرت والتقينا فها انذا قد اخبرتك بالحقيقة كلها .

مختار ـ (لحكمت) احقا مايقول ؟

حكمت ـ (تنظر الى فايد وتقرأ في عينيه الرجاء الحار فيقول) نعم

مختار ـ اذا ستسافرين معه وتتركيني . ألا تفكرين ؟ ألا تفكرين قليلا فيما ستكون عليه حياتي اثناء غيابك ؟

فايد ـ لم يبق امامنا سوى ساعة واحدة . سأذهب الى منزلك لأحض خادمك على الاسراع في وضع ملابسك في الحقائب لا تطيلا الحديث . فالوقت قد ازف . (ويخرج)

المنظر العاشر

حكمت ، مختار

مختار ـ اذا ستسافرين معه وتتركيني عرضة للهلاك ! الا تعلمين ان حياتي رهينة تلك اللحظات التي كنا نقضيها معا يوميا في هناء الصداقة والوفاء تلك اللحظات افقدها وكانت كل مااحب في الحياة ، ستتركينني فريسة للوحدة القاتلة ، للحزن المؤلم المضني

حكمت ـ هدئ روعك ياصديقي . لا تدع الوهم يتغلب عليك . تنبه للحقيقة . ليس بها من الخطر ماتراه ، ولن يكون لها من العواقب ما تخشاه . أعود اليك بعد غياب قصير ، وستعود لنا ايام الصفاء .

مختار ـ ايام الصفاء . تعود لك وله لا لي انا . صفاء ايامي كان في صداقتك التي فقدتها الى الابد ، لأنك اعطيته كل مابنفسك ولم تبق منه على شيء ، والدليل استخفافك بمصابي وعدم رثائك لحالي .

حكمت ـ لاتحور الحقيقة ولاتبالغ . لم يغضبك حبي له ؟ . ايمنع ذلك ان يكون لي اصدقاء ؟ كل خطأى ينحصر في أنني لم استشرك في أمر الزواج . ومامنعني الا عطفي عليك وخوفي على اعصابك من تأثير المفاجأة . والآن وقد وقعت برغم تدبيري فتأثيرها هو الذي اذهلك

مختار ـ أنا الذي اذهلته المفاجأة أم أنت التي اذهلك الحب حتى اصبحت لا تعين ما تقولين ؟ أينحصر خطأك حقا في انك لم تستشيريني في أمر الزواج ؟ أين ذهبت تصريحاتك بأنك لن تحبي ولن تتزوجي أبداً وانك ستظلين وفية لذكرى حبك الأول ؟ وماذا فعلت بتأكيدك لي أن صداقتنا قد أخذت بمجامع قلبك فأصبح لا يرضى عنها بديلا ؟

حكمت ـ نعم لقد أخطأت ولكن . . . . النهاية سامحني ياصديقي . . المسامح كريم .

مختار ـ أنا لا أسامحك أبداً

حكمت ـ أتوسل اليك

مختار ـ أبداً أبداً

حكمت ـ حسن ! أفضل أن أتركك غاضبا على أن أتركك متألما (وتسرع بالخروج)

مختار ـ « يبقى في ذهول لحظة وهو لايكاد يصدق أنها خرجت ثم يصرخ » : حكمت . حكمت هانم حكمت هانم « ويندفع نحو الباب ويفتحه ويلقى نظرة سريعة ثم يعدو الى المسرح قائلا » ذهبت لقد ذهبت .

« ثم يتمالك نفسه ويقول في هدوء أولا ثم في انفعال » :

حقا أن من تصل به السذاجة الى حد أن يؤمن بصداقة امرأة ليستحق درساً قاسياً كهذا ان المرأة لا تجد لنفسها صديقا إلا اذا خلا قلبها من الحب ولا تزيد صداقتها عن سد الفراغ بين حب انتهى وحب منتظر . صديقها عشيقها . هذه هي الحقيقة .

يتزل الستار



هدية الكروان

مجموعة أشعار للاستاذ عباس محمود العقاد

كلمة تقدير ونقد للاديب عبد الرحمن صدقي

بات العقاد يصغي لهتفات الكروان في الليالي الحسان السواحر، ويتطلع الى مجالي الربيع من زهر وعطر، ويتملى بجمال الحياة من حب وحسن، ويحتفي لشباب النفس من عطف وبشر. ومن هذه جميعا اقتبس مجموعة أشعاره الجديدة «هدية الكروان». وهي وان لم تكن جميعا منظومة في مناجاة الكروان الا أنها في موسيقيتها كأنما تعارض الكروان وتساجله.

هذه خلاصة قولي في الديوان الأخير. وهذه الخلاصة نفسها مقتبسة من تقدمة الديوان نفسه نظما ونثرا! ولا عجب فالعقاد جبار لايكاد يدع بعد مقاله مجالا لقول قائل

ولقد عرض الشاعر في مقدمته المنثورة لطائره الصداح في كلمات مشرقة ناصعة البيان، رخيمة الحواشي مصقولة الاطراف كحب الجمان، غنية بالمعاني الدقيقة الصادقة. قال:

(تسمعه الفينة بعد الفينه في جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار، فيشبه لك الزاهد المتهجد الذي يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترة بعد فترة، ويشبه لك الحارس الساهر العسس الذي يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة. وينطلق بالغناء في مفاجأة منتظرة وانتظار بمفاجئ، فلا تدري أهي صيحة جذل أم هي صيحة روعة واجفال. ولكنك تشعر بالجذل والروعة والاجفال تتقارب وتتمازج في نفسك حتى لاتفترق. كأنك تصغي الى طفل يرتاع وهو جذلان، ويجذل وهو مرتاع، ويطلب الخطر ويشتهيه لأن الخطر في حسه طرافة وحركة، فهو من عالم التفاؤل والاقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص

(ويطلع عليك بهتافه من هنا وهناك وعن اليمين وعن الشمال وعلى الارض وفوق الذرى. فيخيل اليك أنك تستمع الى روح هائم لايقيده المكان ولا يعرف المسافة، أطلقوه في الدنيا على حين غرة فسحرته فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل فهو لايعرف القرار ولا يصبر في مطار.

(فأنت تتلقى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالما من معان واشجان يتجاوب فيها تقديس المصلى القانت وحدب الحارس الامين وروح الطفولة ومناجاة الخطر المقبول وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال: عالم لانظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار)

هذا الوصف الرائع من العقاد لايفوقه موسيقية وجيشانا، ولايدق عنه معنى واحساسا، ولايزيد عليه تصرفا وافتنانا الا نظم العقاد.

وأشعار (هدية الكروان) كسابقتها في وحي الأربعين، تنزع الى الموسيقى في تقطيع أوزانها وعذوبة نظم ألفاظها ولطف وجداناتها. تخلق حولك جوا من الموسيقى الرفيعة الساحرة تشيع روحها وتشيع حتى تملأ عليك الفضاء وتملك منك المشاعر، وحتى تحس ان الموسيقى ليست لشعره أداة تعبير فحسب، بل هي عنصره الصميم

وأظهر ماتظهر هذه الميزة في أنشودة «ما احب الكروان»، فقد افترق الشاعر وصاحبه فتراءبوا اعدة التجوى واللقاء على البعد عند سماعهما هتفات الكروان:

ما أحب الكروان!

هل سمعت الكروان؟

موعدي ياصاحبي يوم افترقنا

حيث كانت جيرة أو حيث كنا

هاتف يهتف بالاسماع وهنا(١)

هو ذاك الكروان! هو هذا الكروان!

***

الكراوين كثير أو قليل

عندنا او عندكم بين النخيل

ثم صوت عابر كل سبيل

هو صوت الكروان! في سبيل الكروان

(١) الوهن من الليل عند منتصفه

لِيَ صـــدى منه فــلا تنسى صداك
هنو شاديك بــلا ريب هناك
فاذا ما عسعس الليـــل دعــاك
ذاك داعي الكروان : هل اجبت الكروان؟

***

مفرد لـكنه يؤنسـنا
ساهر لكنه ينعسـنا
صدحت فى نفســه أنفســنا
فتسمعنا سواء ، وسمعنا الكروان

***

واحـــد أو مائة ترجعــه
عنـــدنا أو عندكم مطلعـــه
ذاك شيء واحـــد نسمعه
فى أوان وبيان ،هو صوت الكروان

***

واحـد بين عصور وعصور
نحن نستحي به تلك الدهور
لم يفتنــا غابر الدنيا الغرور
فى أوان الكروان ، ما احب الكروان

وقد ألم الشاعر ببضع لمسات من ريشته المنغومة فى خفة وايجاز بليغ بحركة الكروان وطفراته فى مطاره ، وسرعة انتقاله هنا وهناك فى الفضاء الداجي ، فلا تكاد تسمعه من بعيد الا ويصبح أقرب قريب ، ولا تكاد تقول مع الشاعر : هو ، ذاك ، الكروان حتى تردف كما أردف : هو ، هذا ، الكروان وحتى تجمل معه هذين معاً فتقول : هو صوت عابر كل سبيل

ولما كانت هذه الأنشودة من مستوحيات الالهام فى لحظاته النادرة ، فقد اجتمع فيها ما توسع الشاعر فى تنويعه وترجيعه فى غيرها من القصائد الجزلة والاناشيد المطربة . وتطيب لنا الاشارة الى مواضع هذا الترجيع تنويها بطبيعة الشاعر المطبوع الذى يعيش فى معانيه ! وتعيش معانيه منه فى منبت مريع التربة خصيب فهى لاتنى فيه أبداً متفتحة نامية ، وأنفاسها أبداً خفاقة مرددة ، وحرارتها أبداً مذكورة متجددة .

فلا غرو إذن اذا رأيت هذه الاشارة الى طفرات الكروان يرددها الشاعر بين آن وآن ، موضحاً موكداً :

بينا أقول هنا ، اذا بك من هنا
فى جنح هـــذا الليل أبعد باعد

لوددت ياكروان لو القيت لى
صوتين منك على مكان واحد

وكما الم الشاعر فى أنشودته الى أنك لا تدري عند سماعك هتفات الكروان المتقطعة المتنقلة المتشابهة ، أهو واحد أو مائة ، فقد ترنم بهذا المعنى فى مقطوعة صغيرة هزجة النبرات متجاوبة الاصداء

ألف صدى لهاتف منفرد على الذرى ؟
أم ألف شاد رددت هتافهـــا مكررا ؟
أم ذاك روح أطلقو ه فى الدنى محـــيرا
فرادها مستغربا وطافها مستبشرا
فلا يقال مقبـــل حتى يقـــال أدبرا ؟
هن كراوين الليا لى أو فقل هو الكرا (١)

وفى عزلة هذه الليالى الساجية يساهر شاعرنا هذا الطائر الساهر ، ويأنس به ويصغى لدعواته ، وقد يهفو أحيانا على جناح الفكر ، فيذكر الطيور المغردة فى الفجر فيجري على لسانه :

لهجت طيور بالضحى وتكفلت بالليل حنجرة المغنى الخالد

ثم تأخذ الشاعر النشوة وأى نشوة ، ويهز أعطافه الطرب وأى طرب ، فيغنى طائره المغنى أمتع الغناء وأعذبه :

للليل يا كروان بشراك طاب الاوان
بشراك ؟ بل أنت بشرى تهفو لها الآذان
الليل ذكرى وأنت الـ مذكر اليقظان
ان كان فى السمع طيف فانت يا كروان
صوت ولا جثمان لحن ولاعيـــدان
كأنه هاتف فى فضائه حـــيران
أو رجع صوت قديم يعيـــده الحسبان
ليل الطبيعة صمت وأنت فيـــه لسان
وظلمة الليل سر فاقرأه يا ترجمان
واملأ من الليل نفسا عزيزة لا تهان
لا هتفة فيه تبقى الى غد أو أذان
الليـــل ياكروان والعالم الغفلان
ونسمة الصيف تسرى وفى يديك العنان
والصبح أول مرسى يرتاده الركبان
الليل ياكروان — ! الصبح ياكروان!

وهنا يحسن بى الصمت هنيهة تاركا فى سمعى ومسامع القراء ،

---

(١) الكرا : مفرد وهو ذكر الكروان .

وفى نفوسنا المتصنعة الذكرى جميعاً هذه الأصداء المشجية والمعانى التترية الحلوة.

ننتقل بعدئذ الى بقية الديوان، لا للكلام عنه — فإن الشعر الغنائى حظه الأجدر به الانشاد والتطريب، لا المبالغة فى الدرس والتنقيب — وإنما لنومىء إيماءة المعجب المسحور بطرف البنان، الى بعض المقطوعات الغرر الحسان، أمثال: «جمال يتجدد» بما فيه من فلسفة الحب عميقة الأثر غنية... «واليوم الموعود» والمحب المشوق اليه شوق لاعج يتعجله، ويكاد يجذبه من خفى الغيب ويتخطى به دوره فى الأيام، ولو اجتاب سيرة الشموس، وانفرط نظام الدهر...... و«الثوب الأزرق» وهو آية فى الطلاوة وظرف الهندام وملاحة القلب..... و«الحب المثال» وقد خلعت المحبة بقدرتها الخالقة على كيان المحبوب شتى السمات والشكول، كلما اقترح الخيال المتفنن، وهفت بدوات الهوى المتقلب، وخيلت تهاويل الأحلام... و«قبلة من غير تقبيل» ما لله يجتمع علينا بين رقابة، ولا له اليها من سبيل...، وذلكم الاحصاء المنمق البديع بعنوان «تسلم» وبمقتضاه يسلم الشاعر المهجور محاسن الدنيا ومجالى فتنتها لهاجره، ويسردها بين يديه، فى يوم عودته كما خلفها يوم قطيعته، فالشاعر لم يفد منها متعة ولا معنى، ولم يعرف لها استعمالاً كأنما كانت الدنيا هامدة واقفة الحركة أثناء هذه النعمة المريرة...، ثم «حلم اليقظة» و«كلماتى» و«بلدى» و«سريان روح» و«صنوف حب» وهذه جميعها كما ترى أغانى حب ترى فيها الشاعر عاكفاً على الجمال كأنه العابد المتبتل، يمسح بيده الملتهبة على تمثاله، ويتدله فى لثمه وتقديسه، ومع هذا الاستغراق من الشاعر فى حسه، وتهالكه على حبه، فليس فى غزله أثر للترقق المخنث، والاسترخاء المهين والتباكى الهازل، كما أن هذه العبادة الوثنية فى الشاعر للاشكال المحسوسة والصور المفرغة، مقرونة على الدوام بالتصعيد المعنوى والتجريد الروحى، فلا محسوس عنده الا يشف عن معنى ويقوم رمزاً على فكرة، ولا معنى عنده الا يبرز فى محسوس ويتجسد فيه وهاكم ما يقوله صاحبنا نفسه فى ما يسميه — الفن الحى أو الحياة الفنية —:

يخذ من الجسم كل معنى، وجسم	من معانى النفوس ما كان بكرا
يجد العيش يبدع الفكر جسماً	ويرى للحياة فناً وشعرا
ويرى الفن كالحياة حياة،	ويرى للحياة فناً وشعرا
ضل من يفصل الحياتين جهلاً،	واهتدى من حوى الحياتين طرا

وحب، ونحن بمعرض الاشارة الى أغانى الغزل، أن نعرض تحت أنظار شاعرنا الكبير أن بعض المقطوعات كالمنديل والفنجان والرقية ومتاعى البريد لا تقع لى نفوسنا موقع سائر أغانيه، ولسنا نجهل أن من بين شعراء الشرق والغرب من عالجوا أمثال هذه العادات الشعبية والمواضيع الدارجة فى شعرهم، ولكنها بعد دون العقاد، وتناولها على هذه الصورة فيه ترخص ظاهر

ونزيد بهذه المناسبة — أن بالديوان منظومة عن البيرة على لسان ظمآن، وهى فى وهمنا وبحسب ذوقنا محسوبة على الفكاهة ولا فكاهة فيها، وليست من الفكاهة فى قليل ولا كثير. ونحن نعرف للعقاد غيرها كثيراً أبدع فى نوعه منه وأفكه، وقد يرفع الاستاذ عن نشرها وحق له هذ الترفع.

ونحسب فى تعليل ما تقدم أن سهولة النظم، وسرعة استجابة اللفظ، ولين أداة التعبير فى قبضة صناع اليدين مثله، جعلته ينظم كل خاطرة ترد على ذهنه فى شتى المناسبات. ولو أنه يعانى فى النظم صعوبة وعنتاً لادخر الجهد الناصب لما هو أولى به من موضوعات وأحاسيس أحتضنها ونرخم عليها طويلا كعهدنا به أبداً. على أنه من حق الشاعر الكبير الذى يرضينا بنيف ومائة وخمسين صفحة أن يكون له رأيه وحريته فى بضع صفحات، اذا هى لم ترعنا فلعلها ترضى الآلاف من قرائه ذوى الفضل، وترضيه هو من ناحية فنية لم نعرفها بعد، أو لها يعلق بها عنده من ذكريات شخصية غالية

بقيت كلمة اعجاب بقصيدتين الى صديقين يوجه فى احداهما تهنئة وفى الأخرى تقريظاً وفى هذه الاخيرة يقول فى وصف نفس صديقه:

جبلت كالفراش فى أمة الطير	خفوقاً بين الندى والضياء
واستوت فى الحياة فوق جناح	مستطار الخطى رقيق الغشاء

ولاشك فى انه لم توصف نفس بأجمل من هذين البيتين بعض النظر عمن قيلا فيه

كما ان قصائد «تجريبى» و«يوم شتاء» و«القديس» تلفت قارىء الصفات والتأملات كل منهما بصفة فيها متميزة، لاسيما «القديس» فهى مطوية على ليل سر عميق. وأخيراً «ليالى راس البر» وهى من القصائد الخوالد تنبه فينا تلك الحالة النفسية الغامضة التى نحس فيها اتصال مشاهد هذا العالم المشهود بمعانى العالم المستور، وقد اختار لها الشاعر وزناً طويلا، وقافية كأنفاس الحالم الممدودة فكأنما يسرى القارىء منها فى عالم النسين والرضوان

حقا هو كتيب صغير ولكنه ديوان كبير

عبد الرحمن صدقى

المــآسى

فى الجمال والشعر والحب

للأستاذ الحومانى

قبل أن أتحدث عن عذا الكتاب القيم يجدر بى أن أتقدم بالشكر الى الاستاذ الجليل صاحب الرسالة فقد هدانى به الى نوع من الادب طالما تمنيت أن يجرى على لسان عربى والى لون من جمال والفن كثيراً ما نزعت نفسي اليه ، حتى ألقيه اليوم بين دفتى هذا السفر الجليل .

ترى الكتب أنماطا مختلفة ، فمنها ما يعتمد على زخرف القول ويستند الى الدجل والتمويه ، فلا تكاد تظهر حتى يذهب الزمان بما حوت من بهرج زائف ، فتصبح كأن لم تكن بالامس ، كالفقاقيع لا تكاد تظهر حتى تنطفىء . ومنها ما يصــدر عن القلب فيفيض بخلجات النفس ، ويجيش بنزعات الوجدان ويزخر بخطرات الضمير : ومصير هذا النوع الى الخلود ، لأنه والحياة شىء واحد فيبقى ما بقيت الحياة .

وكتاب الاستاذ الحومانى من هذا النوع الخالد ، فهو مرآة صافية رفعها الكاتب الفذ فانعكست فيها الطبيعة ، بما حوت من ضروب الفن وصنوف المذاهب .

يقع بصرك على الكتاب فتحس أن له شخصية ممتازة ، فهو مطبوع طبعا جيداً ، وهو كما ترى من عنوانه سلسلة من المآسى ، ولقد حليت زوايا غلافه بخطوط عريضة سوداء قوية الإشارة واضحة الدلالة ، وتوسطت هذا الغلاف الانيق صورة نقشتها ريشة ماهرة لفتاة بارعة الجمال تنحدر الدموع من عينيها الواسعتين الضارعتين وقد اشتبكت يداها على صدرها فى شكل يحرك القلب ويثير الشجن . أما الوجه فانه مزيج مدهش من الجمال البارع والعفاف الوادع والالم اللاذع ، وتحت هذه الصورة نقش اسم « أمل » بطلة القصة ومحور الجمال فيها .

وهى قصة قوية إذا بدأتها فلن يشغلك عنها شاغل ولن تضعها حتى تتمها ، وهى الى جانب ذلك مؤثرة الى أقصى حدود التأثير ، لا يتمالك ذو العاطفة الحساسة دمعه حين قراءتها . ومؤداها ان خالدا ذلك البطل العربى ، رحل عن بلاده الشام حين عافت نفسه الأبية أن تقيم على الضيم ، فهبط الحجاز وأقام هناك زمنا فى ضيافة عربى كريم هو الشيخ ابى وسيم ، ولقد كان هناك موضع حفاوته وحفاوة ابنه وسيم . وسرعان ما أحب وسيما واحبه وسيم .

ماتت زوجه وهو بعيد عنها وبقيت ابنته أمل تعانى بؤس الحياة ، وكانت تحب ابن عمها « ناظما » وكان يحبها ، ولكنه كان فتى طائشا يطلق العنان لشهواته ويفهم من الحب غير ما تفهم أمل ، فحبب اليها المجون ورغبها فى التبرج والخلاعة ، ولكنه فشل فى اغرائها ورحل الى بيروت حيث اللهو والمجون فلما علمت بذلك ابنة عمه تبعته لترى بنفسها ما ينغمس فيه من المفاسد ، فرأته هناك من حيث لا يراها يغازل فتاة من بنات الهوى تدعى جوزفين فبرح بها الألم وكتبت اليه تلومه ، ولكنه رد عليها ساخراً ، وكرر الدعوة اليها لتحيا معه هذه الحياة . وفى تلك الاثناء كان أبوها فى طريقه الى بلده دمشق فقضى نحبه على مقربة من العقبة ، ولقد ترك خطابين احدهما لابنته والثانى لوسيم ، وأوصى بأن يسلما اليهما فى وقت واحد ، وهرعت أمل الى قبر ابيها هالعة جازعة والتقت هناك بوسيم وأكبا على القبر يبكيان فلما أفاقا وجد كل منهما فى صاحبه ضالته فربط الحب قلبيهما برباط وثيق . وحملها وسيم معه الى التهامى . وأخذ ناظم يرسل اليها الخطابات يستحلفها ويعلن التوبة بين يديها فسافرت لتراه قبل موته وهو على فراش المرض فلم تكد توافيه حتى اسلم الروح وبكته ابنة عمه ولبست عليه الحداد وأقامت بدمشق أياما . وهنا شبت نار الحرب بالبلاد العربية واشترك فيها وسيم ، وجعل يدون مذكراته عن حبه ويشاء القدر الساخر أن يذهب ضحية الزلزال وهو يبحث عن أمل بعد أن وضعت الحرب أوزارها فحملت مذكراته الى أمل البائسة .

أخاف ان يذهب هذا التلخيص بجمال القصة وادعو الشبان مخلصا الى قراءتها فى امعان . فليس جمالها فى حوادثها فحسب بل فيما تفيض به من دروس وعبر ، وأحاديث عن الجمال والشعر والحب ووصف شائق للكون والطبيعة ؛ كل ذلك فى تعمق وخبرة وبعد نظر

أما أسلوب الحومانى فهو ذلك الأسلوب العربى المتين ، دقيق العبارات موسيقى الوقع مشرق الالفاظ : قوى المبنى ، واضح المعنى حتى ليعد فى ذاته ناحية هامة من نواحى الجمال فى الكتاب ولو ضيق المقام لأوردت بعض عباراته ، على أننى لو فعلت ذلك لاضطررت الى ايراد الكتاب كله ، فهو قطعة متسقة من الفن .

أما بناء القصة فقد سار فيه المؤلف على نهج فريد ، فابتدأه بأن ترك كل فرد يتناجى ونفسه بعيدا عن بقية الاشخاص ، ثم أخذ بعد ذلك يسرد الحوادث حتى اختتم الكتاب ؛ بمذكرات وسيم

الوصيه

هذه القصة التمثيلية التي تقع في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر والتي ألفها ج . م . باري ، قد نقلها الى العربية الاستاذ خطاب عطيه

أما القصة فهازلة ، تريك رجلا يصطحب زوجه الى مكتب محام ليوصي لها بكل ما يملك بعد موته ، مع انه كان لا يملك شيئا . ولكن شاء الدهر أن تنمو ثروة الرجل وتطرد في النمو ، وكلما ازدادت نماء سارع الى تعديل الوصية حتى تلائم موقفه الجديد ، وظل كذلك يحرص على تأكيد الوصية بما له الى زوجه حتى رزءاه القدر بموتها ! واذن فلا بد ان تقلب الوصية رأسا على عقب ، ولكن من ذا عسى أن يظفر بتلك الثروة الضخمة : انه يفكر أن يوصي بها الى ستة رجال كانوا قد نازلوه في ميدان الجهاد فصرعهم ! ولكن ظرفا طارئا قد انعرج به عن هذا التفكير السقيم ، واعتزم من فوره أن يبذلها في سبيل المرضى الذين يذهبون ضحية الفقر والاهمال . وهكذا أراد الكاتب الا تكون الوصية لأشخاص الفناء ، بل انتهى بها الى عمل الخير لأنه خالد لا يزول

والاستاذ خطاب يشكر لنقله هذه القصة الى العربية لانه غذى قراء العربية بمحصول جديد ، كما اعان طلاب السنتين الرابعة والخامسة الثانويتين لانها مقررة في منهجهم الدراسي . ولكن هل يتسمح لنا بأن نأخذ عليه عبارته الركيكة الضعيفة التي بلغت من الاسراف في الركة والضعف حد الارتباك والتعقيد ، حتى تمنيت في كثير من المواضع أن يكون الى جانبي الأصل الانجليزي لأستعين به على فهم الترجمة العربية ! ولا شك في انه قد اساء بذلك بعض الشيء الى الادب الذي نقل عنه واللغة التي نقل اليها

ز . ن . محمود

وبتلك المفاجأة المؤلمة التي حملتها فريدة الوصيفة الى سيدتها أمل . ولقد أضاف هذا الى الكتاب قوة ، ونجاه من السامة والملل

واني أتقدم بخالص التهنئة الى الاستاذ الحوماني راجيا إياه أن يزيد الأدب من نفثاته الرائعة التي تعد مفخرة للعربية وأهلها

محمود الخفيف

النفس والرقص

بقية المنشور على الصفحة السادسة

وهكذا على حين تخطف قمة رأسها البديعة في الحاضر الابدي (١) جبهة موجة متثنية

واذا كانت الارض هنا كأنها مطلقة قد برئت من كل عوج مفسد للتوقيع او دافع الى التردد فهذا المشي العظيم الذي لا غاية له الا نفسه ، والذي برىء من الوان الفساد على اختلافها يصبح نموذجا عاما

(انظر اي جمال ، اي أمن شامل للنفس ينشأ من طول خطواتها الفخمة ، هذه الخطوات الممتلئة ملائمة لعددها الذي يلائم الموسيقى . ولكن عدد الخطوات وطولها ملائمان من ناحية اخرى لقوام الجسم (٢)

سقراط — انك لتحسن الحديث عن هذه الاشياء ايها الخبير اركسيماك حتى اني لمضطر الى ان ارى كما تفكر . اني لانظر الى هذه المرأة التي تمشي وتثير في نفسي شعور السكون (٣) لا اعني الا بما لحركاتها من المساواة . .

فيدر — انها لتقف بين محاسنها التي لا تنتهي . .

اركسيماك — ستريان !

فيدر — انها تغمض عينيها . .

سقراط — انها كلها في عينيها المغمضتين وحيدة مع نفسها في أفناء عنايتها الخاصة . تشعر كأنها أصبحت شيئا حادثا جليلا .

اركسيماك — انتظرا ، ان . . (٤) الصمت . الصمت !

فيدر — يا لها لحظة حلوة ! هذا الصمت تناقض . كيف السبيل الى الأصبح . الصمت !

سقراط — لحظة عذراء حقا . ثم لحظة نحس فيها كأن شيئا يجب ان ينقطع في النفس وفي الانتظار وفي الجماعة . . شيء ينقطع ولكنه في الوقت نفسه كأنه يتصل . .

يتلى — طه حسين

---

(١) — يريد ان هذه اللحظة على أنها حاضرة فهي أبدية لانها وعاء للجمال الفني الخالد .

(٢) — يريد ان امرها كله تناسب وملاءمة وانسجام فطول خطواتها ملائم لعدد هذه الخطوات وهما معا ملائمان لتوقيع الموسيقى وكل اولئك ملائم لقامتها .

٣ — لانها حريصة على المساواة بين حركاتها مؤثرة للوقار .

٤ — كان يريد ان ينبههما الى شيء سيحدث ولكن هذا الشيء حدث قبل ان يتم الجملة فقطعها عليه .

2me Année, No. 27

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ قرشاً في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

RISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-8-1-1934

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثانية — بالقاهرة في يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٥٢ — ٨ يناير سنة ١٩٣٤ — العدد السابع والعشرون

فهرس العـــدد

لطفيــة النـــادى . . . !



منذ أسابيع استشهد في ميدان الطيران حجاج ودوس! فتقاطرت في هذا المكان عبرات الاسى سوداء من هذا القلم، وتصاعدت زفرات الاسف حارة من هذه الصحيفة، وقلنا ان الأمة التي لم تكد تأخذ باسباب الطيران حتى يسبق الى الشهادة في سبيله فتيان من فتيانها، ويبادر الى خوض اهواله فتاة من فتياتها، لايستطيع أن يكسر من ذرعها

حادث، ولا يتكاءدها في طريقها اليه عقبة .

كنا نقول ذلك والقدر الذى فتح لهذين الفتيين فى السماء باب الخلود ، كان يشق لهذه الفتاة فى الأرض طريق المجد ! فما كاد يعثر بنا الحظ فى الجو المنصب الغريب ، حتى نهض عجلان فى جونا الضحيان العجيب ، وكان يوم نهوضه الأغر يحلق فى سماء مصر الجديدة ثمانية وعشرون من نسور اوربا القشاعم يستعدون للسباق فى سمائنا المشرقة الطليقة، ويستنون للرهان استنان الجياد العتيقة ، ويظنون ان مصر التى فكرت فى الطيران آخر الامم لا يمكن ان تكون الا مطارا لكل طائر ، ومائدة لكل زائر ! أما أن تكون قرنا يغالب ، ومو توزا يطالب ، فذلك ما لم يقع فى وهم ولم يدر فى خلد ! ولكن مجدنا الذى تحــدى القرون وغبّر فى وجه الفلك لا يزال جياش الغضب على غدرة الجو بشهيديه فى فرنسا ! فهو يدمث لنسوره مثوى الضيافة ، ويعقــد غيب ضميره على الثأر ، ولا يثأر الا بطريقة تليق بماضيه وتزكو باصله !! نفث فى روع حمامة من حمائم الوادى ان تسابق هذه النسور فى حلبة الهواء الى الأمد ! فصفّت الحمامة المصرية فى الجو جناحها الهش وريشها الناعم ، ثم نظرت نظرة التحدى الى النسور المحومة ، فتوقدت صدور الكواسر غضبا من هذه الجرأة ، وشق على ملوك الهواء وجبابرة السماء ان يشعروا بهذه الحمامة وقالوا ممتعضين : ريشة تواثب الريح ، وهامة تناجز الثور ، ونملة تناجز القــدر ! وقال « ضيوفنا » الأعزة أصحاب (النشرة البذيئة (١))، والفخر المتعصب يثنى أعناقهم ، والزهو الساخر يلوى أشداقهم : « يا للغرور « ابناء العرب » ! متى دخلت « الحمير » مضامير السباق ؟ ومتى سامت وخوش « البهائم » سوابح الطير ! ألم تكفهم فضيحة « الجنديين القذرين » حجاج ودوس ؟

وكانت عيون مصر حينئذ تشخص الى السماء مغرورقة بالأمل ، ومحركات الطوائر الدولية تهزم فى الجو الصافى هزيم الرعود ، والاجنحة المعدنية تضرب فى الهواء الساكن الى الاسكندرية ، ولطفية النادى تتقدم بطائرتها الصغيرة السرب المتعاقب المثار الى قصبات السبق ! ! ثم غابت الاصوات فى مطاوى الفضاء ، واستولى على المطار اللجب سكون وصمت ، حتى اذا ازف موعد الرجوع سرحت العيون فى الجو ، وسبحت النفوس فى الخيال ، وتجاذبت أمم أوربا حبل الأمل فى الظفر ! هل هى فرنسا ؟ هل هى انجلترا ؟ هل هى المانيا ؟ ولم يقل احد لا منا ولا منهم هل هى مصر ؟ ولكن القدر على الغيب منا ومنهم قالها ! وكان الجواب الحاسم عند لطفية النادى !

من كان يخطر بباله منا — ولا أقول منهم — ان الآنسة لطفيه بنت الجذر العربى ، وذات الخفر المصرى ، تبارى أساطين الطيران ذوى الماضى البعيد والمران الطويل والخبرة الواسعة وهى لم تقض فى علاج هذا الفن غير ستة شهور ، فكيف يقع فى الظن أن تسبق سابقهم وتهبط الارض قبله بدقيقة كاملة ؟

هنالك طفر المصريون من الفرح ، وماد الاجانب من الذهول ، واقبل المحكمون على الطائرة المجلية ، يعصرون يدها من الاعجاب والدهش ، ويقولون والعرق البارد يتألق فوق الجباه الزهر ، كما يتألق رشح الرطوبة فوق الرخام الابيض ، يا آنسة قبلنا سبقك موضوعا ورفضناه شكلا !! لان هناك على ساحل البحر (خيمة) أخرى لم تدورى حولها ، والخطأ خطأ المنظمين لانهم لم يضعوها فى مكانها !

ثم منحوا المصلى الفرنسى جائزة المال ، ومنحوا السابقة المصرية جائزة الشرف ! وهل تبتغى مصر غير هذا ؟

ليقل لنا أصحاب (النشرة البذيئة) ما رأيهم فى هذا الشعب ؟ ألا يرون أنهم جحدوا فضله كما غمطوا حقه ؟ ألا يجدر بربائب المدنية والعلم أن يفهموا أن عجز القيادة وتردد السياسة وطغيان الدخيل ، انما تخمد الشعور الى حين ، وتضعف الاخلاق الى حد ؟ وان الأمم الحرة بطبيعتها ، لا تلبث أن تنفى الزغل عن حقيقتها ، فتظهر مجلوة الصفحة نقية الاديم ؟ أفلا ينظرون الى المصرى فى الميادين الحرة كيف سبقت قدمه وعلت يده ؟ ألسنا فى الرياضة والسباحة والغناء والأدب والطب أبطالا عالميين أو شبه عالميين ؟

أن أسوأ الآراء الاوربية فى مصر ما كان عن المرأة ، فانتصار البطلة لطفية فى هذا الميدان الخطير يصحح الخطأ فى العقول المنصفة ، ويقر الحق فى النفوس الكريمة .

افتحوا لنا يا قوم طريق الحياة ، وافسحوا لنشئنا مجال العمل ، وخلوا بين نفوسنا وبين الحرية ، ثم انظروا بعد ذلك ماذا يفعل الفتى ، كما رأيتم بعيونكم ماذا فعلت الفتاة !

احمد حسن الزيات

(١) هى نشرة نشرها سفهاء الاجانب على الدواوين والصحف قذفوا المصريين فيها بالكلمات التى بين الاقواس !

من دار الى دار

للدكتور طه حسين

قال استاذ البيان لتلميذه: زعموا ان البيان يعين صاحبه على ان يؤدى المعنى الواحد بعبارات مختلفة فيها الحقيقة والمجاز ، وفيها التشبيه والاستعارة ، وفيها الكناية والتمثيل ، وفيها ما نعلم وما لا نعلم من ألوان الجمال اللفظى ، هذه التى تأتى عن قصد ، وتاتى على غير عمد ، كانما يوحى بها الى الكاتب المبين . ولكنك تعلم انا لا نذهب فى فهم البيان هذا المذهب ، ولا نقصد به الى هذا النحو ، وانما نذهب به مذهبا اعم من هذا واشمل ، كان يذهب اليه القدماء حين كانوا يتخذون البيان وسيلة الى أداء ما يعرض للكاتب من الاغراض والمعانى فى أشد الالفاظ ملاءمة لاغراضه ومعانيه . ولعلك تذكر انهم كانوا يذهبون فى تعليم الطلاب فن البيان مذهبا طريفا كثيرا ما كان يضيق به المتكلفون من أصحاب الاخلاق ، والذين لا يعلمون الا ظاهرا من الفلسفة . قال التلميذ : نعم هو هذا المذهب الذى كان يحمل الاستاذ على أن يطرق امام تلاميذه ويحمل تلاميذه على أن يطرقوا أشد الموضوعات تناقضا واعظمها اختلافا فيؤدوها كأنهم يؤمنون بها أقوى الايمان ، ويقتنعون بها أشد الاقتناع . وكانت هذه بدعة استحدثها السوفسطائية ثم ورثها عنهم أصحاب البيان فلم يغيروها ، وانما أمعنوا فيها امعانا . وكتاب ارسططاليس فى الخطابة حافل بذلك . وقد أبلى الجاحظ فى هذا النحو من تعليم البيان بلاء حسنا ، وقد الف اساتذة اللغة والبيان فى هذا النحو من الادب كتبا لا تخلو من لذة ومتاع ، فيها مدح الشىء الواحد وذمه ، وفيها مدح النقيضين وذم النقيضين ، وفيها . . . . . قال الاستاذ حسبك ، فقد أرى أن أشهر الصيف وما كان فيها من ارتحال وتطواف ، ومن اختلاف البيئات عليك وترامى اطراف الارض بك لم تنسك ما أنفقت فيه أشهر الربيع من الدرس والبحث ، فانا نريد الآن أن نبتدىء من حيث انتهينا ، ونمضى من حيث وقفنا ، ونعود الى ما كنا فيه من التمرين . فاختر لنا موضوعا واحدا يثير الضحك ويثير الرثاء . يثير الشماتة ويثير الرحمة . يبعث فى النفوس مرحا وابتهاجا ويملأ القلوب كآبة وحزنا ، وهو على ذلك كله واحد لا يتغير ، وانما يتغير وجه النظر اليه ونحو التفكير فيه . فانت تعلم أن الاشياء مهما تتحد فهى متباينة ، ومهما تأتلف فهى مختلفة ، وأن الشىء الواحد قد يخالف نفسه ويباينها باختلاف الجهات التى تنظر اليه منها ، والطرق التى تسلكها الى فهمه والوصول اليه . قال التلميذ

فانى لست فى حاجة الى أن أجد وأكد ، أو ألتمس واختار ، لأن الموضوع ماثل امامى شهدته أمس فأثار فى نفسى هذه العواطف المختلفة ، وبعث فى قلبى هذه الألوان المتباينة من الشعور . وكان المتعمقون فى البيان يسرفون على انفسهم وعلى تلاميذهم وعلى الفن حين كانوا يجتنبون ما يحدث بين ايديهم من الحوادث ، ويحدث عليهم وعلى امثالهم من الخطوب ، ويلتمسون الموضوعات من عند أنفسهم يخلقونها خلقا . فيصيبون حينا ويخطئون أحيانا ، ويعيشون فى عالم الخيال على كل حال . مع أنهم لو نظروا فيما حولهم من الاحياء والأشياء لما احتاجوا الى هذا الكد والجد ، ولما بعدوا بانفسهم وتلاميذهم عن مواضع الحق والصدق والصواب ، ولما نقلوا الأدب من هـــذا العالم المعروف الذى يضطرب فيه الناس الى عالم آخر لا يضطرب فيه الا الوهم ، ولما قطعوا الصلة بين الأدب الذى يجب أن يكون صورة الحياة وبين الناس الذين يجب أن يتخذوه مرآة يرون فيها أنفسهم وحياتهم كما هى أو كما يحبون أن تكون ، أو كما يكرهون أن تكون قال الأستاذ : هات موضوعك ولا تمعن فى الأستطراد ، فقد علمت وقد أنبأتك بأنى علمت أن أشهر الصيف لم تنسك دروس الربيع . قال التلميذ : فان الموضوع الذى شهدته أمس موضوع خصب يثير ما شئت من المعانى ، ويلهم ما أحببت من الخواطر ويثير من المعانى ما لم تشأ ، ويلهم من الخواطر ما لا تحب . يبعث الابتسام إن شئت أن تبتسم ، ويبعث العبوس إن أحببت أن تعبس ، وقد يكرهك على الابتسام وأنت عابس ، وقد يكرهك على العبوس وأنت مبتسم ، وقد لا يقف بك عند الابتسام ، بل يغرقك فى الضحك اغراقا ، وقد لا يقف بك عند العبوس بل يدفعك الى البكاء دفعا ، وقـــد يقفك من الابتسام والعبوس ومن الضحك والبكاء موقفا بين ذلك . فيه هدوء وعجب ، وفيه رضى وسخط يضطربان فى النفس ولا تظهر آثارهما على الوجه . قال الأستاذ كفكف من هذا السيل اللفظى المتدفق ، واقصد بنا الى ما نريد . فقد علمت أن أشهر الصيف لم تنسك دروس الربيع فى المعانى ، وقد علمت أيضا انها لم تنسك دروس الربيع فى الالفاظ ، وقد علمت أنك ما زلت قادرا على أن تجيد هذا الفن الذى يمكن الكاتب أو المتكلم من أن يقول فيطيل دون أن يؤدى معنى أو يدل على شىء . قال التلميذ : وكأنك تنكر هذا الفن أو تسخر منه أو تزعم أن جمال الكلام لا يأتى من الكلام نفسه ، وأن الألفاظ ليست على حظ من الجمال الذاتى الذى يأتى من اتساقها والتآمها وانسجامها . قال : الأستاذ دعنا من كل هذا العبث واقصد بنا الى ما نريد فقد نعود فى يوم

آخر إلى حديث الالفاظ والمعاني وما يجب أن يكون بينهما من صلة ، وما يجب أن يقسم بينهما من الجال .

ولكني اذكر إن كنت نسيت أنك شهدت أمس موضوعا واحداً يثير الضحك ويثير الرثاء فحدثني عن هذا الموضوع ، كيف أثار الضحك ؟ وكيف أثار الرثاء ؟ قال التلميذ : وكيف أنسى موضوعاً لا يمكن أن يعدو عليه النسيان ؟ وما رأيك في أديب خلق ليكتب ، ويقول فيقضي عليه جفاة ألا يكتب ولا يقول ؟ خلق ليفكر ويرقى بتفكيره الى السماء فيجذب الى الارض جذباً ، ويكره على البقاء فيها إكراها ، ويؤخذ بالحياة مع أهلها أخذاً ، خلق ليقرأ فيقضي عليه جفاة ألا يقرأ ، خلق أطول الناس بالكلام لساناً ، وأجرأهم بالقلم يداً ، وأسرعهم الى المعاني نفساً ، وأخصبهم بالخواطر ذهناً ، فيعقد لسانه وتغل يده وتقيد نفسه ويجدب ذهنه . خلق واضح الجبين باسم الثغر مبسوط الأسارير ، تضطرب في نفسه الغنية معان غزيرة فيظهر اضطراب هذه المعاني على وجهه ، فاذا هو متحرك الهيئة دائماً لا تكاد تنظر الى محياه حتى ترى له شكلا جديداً يصور معنى جديداً يضطرب في تلك النفس التي لا تهدأ ولا تستقر فيقضي على هيئته أن تسكن ، وعلى وجهه أن يتخذ صورة بعينها جامدة مستقرة لازمة لا تتحرك ولا تنتقل ولا تزول .

قال الأستاذ وماذا تنكر من أمر هذا الاديب ؟ انما هو صورة من صور برومثيوس الذي كان حركة متصلة منتجة خصبة سريعة ليقة ، تعلم الناس في غير انقطاع . وتسلك الى تعليمهم كل سبيل ، وتبتغي اليه كل وسيلة ، حتى لم تتحرج من أن تختلس نار الآلهة اختلاساً فتهديها الى الناس وتمنحهم بذلك الحضارة والعلم والفن وتغنيهم أو تكاد تغنيهم عن (زوس) وأصحابه من سكان الأولمب ، فغضب عليه زوس وضاق به وأزمع أن يعاقبه على ما جنى ، فشده الى صخرته تلك في القوقاز وقضى عليه أن يظل طوال الدهر مغلولا ، وقد كانت الحركة جوهره عاجزاً ، وقد كانت القدرة حقيقته لا يملك لنفسه ولا للناس شيئاً ، لا يدفع عن نفسه ولا عن الناس شيئاً ، يزوره النسر الذي وكل به من حين الى حين ، فينهش كبده نهشا ، وهو يرى ذلك ويألم له أشد الألم ، ولا يستطيع له دفعاً ، يدعو الحرية فلا تستجيب له ، لأن زوس قد كفها عنه ، يدعو الموت فلا يستجيب له ، لان الاقدار قد كتبت له الخلود . وقد صور ايسكولوس حال برمثيوس هذا تصويراً بديعاً ألهم من جاء بعده من الكتاب والشعراء والمثالين والمصورين والموسيقيين .

وقد أثار ايسكولوس في تصويره ضحك الذين قست قلوبهم ، ورثاء الذين رقت نفوسهم كما أثار معاني أخرى أقوم وأخصب وأبقى من الضحك والرثاء . قال التلميذ : لم أقصد الى برومثيوس ولم أفكر فيه ، وهل تظن أني رأيته أمس ولم أذهب الى القوقاز وانما انا معك في القاهرة ، ولعلي ان ذهبت الى القوقاز فلا ارى الصخرة ولا قرينها فلم يحدثنا عنهما احد من الذين زاروا تلك البلاد بعد ايسكولوس . قال الاستاذ فهي صورة من صور برومثيوس قصدت اليها واتخذتها نموذجا لهذا النحو من البيان كما كان يفعل القدماء . قال التلميذ لم افكر في برومثيوس ولم اقصد الى تقليد ايسكولوس ، وانما هو شيء شهدته امس . قال الاستاذ وماذا شهدت ؟ قال التلميذ شهدت صديقنا فلانا وقد ارادت له ظروف الحياة ان ينتقل من دار الى دار . قال الاستاذ وقد اغرق في الضحك ما ابعد هذه الصورة التي تحدثني عنها من تلك الصورة التي كنت اذكرك بها او ابن يكون صديقنا فلان حين تنقله الظروف من دار الى دار ، من برومثيوس حين يشده كبير الآلهة الى صخرة القوقاز ؟ قال التلميذ فقد أثار صديقنا فلان في نفسك الضحك لأن صورته ذكرتك بتلك الصورة الضخمة العظيمة التي نصبها ابو التراجيديا للناس فلما انحدرت منها الى هذا الشخص الضئيل النحيل الذي كان يقيم في طرف من اطراف القاهرة فانتقل الى طرف آخر لم تملك نفسك ان أغرقت في الضحك اغراقا . ومع ذلك فلو قد رأيته امس كاسف البال كئيب الوجه محزون القلب معقود اللسان مقيد الرجل مغلول اليد ، محصورا بين طائفة من الأثاث وادوات البيت ، مختلفة اشد الاختلاف ، متباينة اشد التباين ، فيها الكبير والصغير ، فيها الانيق والذميم ، قد جمعت حوله تجميعا ، وكدست حوله تكديسا ، وقد وضع هو بينها وضعا على كرسي او شيء يشبه الكرسي ، وقيل له اقم لا تريم حتى يأذن الله أو يأذن العمال لك بالانتقال ، وهو مقيم لا يريم ، لا يستطيع ان يقول شيئا ، ولا ينبغي أن يقول شيئا ، لأنه لا يفهم مما حوله شيئا ، يريد أن يخلو الى نفسه ويعيش مع خواطره ، فاذا الاسباب قد قطعت بينه وبين نفسه ، واذا الحواجز قد أقيمت بينه وبين خواطره ، واذا هو مصروف عن ضميره صرفا بهذه الاصوات العنيفة المختلفة التي تأخذه من كل مكان ، والتي تؤلف من حوله نوعا جافا غليظا من الموسيقى ، فيه أصوات العمال على اختلافها ، واصطدام الاثاث ووقعه على الارض ، وهذا الصوت الذي يغيظ ويهيج الاعصاب ويأتي من جر الاشياء على الخشب حينا وعلى الحجر حينا آخر ، وخفق الاقدام وتداعي الخدم ، وتناهي الحالين وما شئت مما يحصر وما لا

ملق القــادة

للأستاذ أحمد أمين

لست أعنى بهذا العنوان أن يتملق الجمهور لقادتهم فيظهرون لهم الود والاعظام بحق وبغير حق، فذلك شيء قليل الخطر، فاتر الأثر، وانما أعنى أن يتملق القادة للرأى العام فيسيرون على هواه ويجرون بمجراه، ويأتون ما يحب، ويذرون ما يكره. فهذا هو الداء الدوى والعلة الفادحة

ومن أسوأ ما أرى فى الشرق فى هذه الأيام هذه الظاهرة: ظاهرة أن يحسب القادة حساب الرأى العام أكثر مما يحسب الرأى العام حساب القادة

هذه الظاهرة جلية واضحة فى قادة العلم، فهناك أوساط تقدس الغرب كل التقديس، وتعتقد أنهم فى حكمهم عدلوا كل العدل، ولم يظلموا أى ظلم، فقادتهم يتملقونهم ويستخدمون معارفهم للوصول الى هذه النتائج التى ترضيهم، سواء رضى العلم أم لم يرض، وسواء أوصل البحث الى هذه النتائج أو الى عكسها، وهناك أوساط تعبد كل غربى من عادات وتقاليد وآداب، فقادتهم يختارون اللفظ الرشيق، والاسلوب الأنيق لتأييد هذه الآراء، ولا عليهم فى ذلك ان كانوا يحقون الحق أم يؤيدون الباطل

وهى ظاهرة فى قادة الادب، فأن أحب الجمهور روايات الحب والغرام ألفوا فيها وأكثروا منها، وان ادركوا أن تصفيق الجمهور يكون اشد، كلما كان الحب احد، تسابق الادباء الى اقصى ما يستطيعون من حدة وعنف، ومهروا فى أن يستنزفوا دموع المحبين، ويهيجوا عواطفهم، ويصلوا الى أعماق قلوبهم، وان كره الناس ادب القوة فويل لأدب القوة من الادباء، هو سمج، وهو جاف، وهو لا قلب له، وان كان الجمهور لا يقبل الا على الادب الرخيص فكل المجلات أدب رخيص، لانه كلما أسرف فى الرخص غلا فى الثمن، وان بدأ الجمهور يتذوق الجد تحولوا الى الجد وداروا معه حيث دار

وهى ظاهرة فى دعاة الاصلاح، فهم يرون ـ مثلا ـ أن الشباب قوة فوق كل قوة. وهم عصب الامة واكسير الحياة، وفى استطاعتهم أن يرفعوا من شاءوا الى القمة ويسقطوا من شاءوا الى الحضيض. فهم ينظمون لهم الدر فى مديحهم واعلاء شأنهم.. وملئهم ثقة بأنفسهم، فهم رجال المستقبل وعماد الحياة. وهم خير من آبائهم، وستكون الامة فى منتهى الرقى يوم يكونون رجالها ـ وقد يكون هذا حقا. ولكن للشباب أغلاطه الجسيمة التى تناسب وهمته. وله غروره واندفاعه، وله تهوره وافراطه فى الاعتداد بنفسه ـ فكان على المصلحين ان يكثروا القول فى المعنيين على السواء، فيشجعوا وينقدوا، ويبشروا وينذروا، ويرغبوا ويرهبوا حتى تتعادل قوى النفس. وحتى يشعروا بمحاسنهم ومساويهم معا ـ ولكن هؤلاء القادة ـ مع الأسف ـ وقعوا فقط على النغمة التى تعجب الشباب وتحمسهم ولم يجرءوا ان يجبروا بعيوبهم. ولا ان يقولوا ولو تلميحا ـ فى مواضع النقص من نفوسهم. فكان لنا من ذلك شباب استرسلوا فى الايمان بقوة الدعاة الى أقصى حد. واعتقدوا انهم كل شيء فى الحياة وانهم فوق أن يسمعوا نصيحة ناصح او نقد ناقد ـ وكان هذا نتيجة لازمة بعد أن وقف القادة منهم هذا الموقف ـ وقد يكون هذا رد فعل للماضى أيضا ـ فقد كان طالب العلم فى الجيل السابق يقدس قول استاذه، وهو واستاذه يقدسان ما فى الكتاب الذى يتلى. وكان الشاب يجل الشيخ فى قوله وفعله، لا يرى ان له صوتا بجانب صوته، ولا رأيا بجانب رأيه، فكان سلوك هذا الجيل انتقاما من الجيل السابق، وذهابا فى الافراط يعادل افراط آبائه. ولكن أظن أنا وصلنا الى حد يجعلنا نفكر جديا فى تثبيت هذه الذبذبة ووقفها الموقف الحق

ان وقوف القيادة من الجمهور موقف الملق قلب للوضع، فالعالم اذا قال برأى الناس لم يكن لعلمه قيمة، والمصلح اذا دعا الى ما عليه الناس لم يكن مصلحا

انى أفهم هذا الوضع فى التاجر يسترضى الجمهور لأن نجاحه فى تجارته يتوقف على رضاهم، وأفهم هذا فى المغنى يقول ما يعجب الناس لأنه نصب نفسه لإرضائهم، واستخراج اعجابهم، ولكنى لا أفهم هــذا فى قائد الجيش، فان له مهمة أخرى، وهى أن يظفر بخصمه، فلو كان همه أن يسترضى جنده لا أن ينتصر على عدوه لما استحق لقب القيادة لحظة، ولكان

الوضع الحقيقي أن الجند هم القادة والقادة هم الجند

كذلك الشأن في قائد العلم وقائد الادب، والمصلح الاجتماعي فلكل منهم غرض يرمي اليه في علمه أو أدبه أو اصلاحه، وله خطة يريد أن يحمل الناس عليها رضوا أم كرهوا

بل لا يعد المصلح مصلحا حتى ينبه الناس من غفلتهم ويحملهم على أن يتركوا ما ألفوا من ضار، أو يعتنقوا ما كرهوا من صالح وهو في أغلب أمره مغضوب عليه ممقوت، واصطلاح الجمهور والمصلحين ليس علامة تبشر بخير. بل هي في الغالب تدل على تراجع من المصلح وانتصار للعامة

وقد كان المصلحون في الشرق الى عهد قريب أشد الناس تعبا في الحياة، وأكثر تبرما بالجمهور وأقربهم الى عهدنا جمال الدين ومحمد عبده وقاسم امين، لقوا في دعوتهم من العذاب الوانا، ولم يوفوا حقهم الا بعد أن وافاهم الموت، أما اليوم فلست أرى حركة عنيفة بين القادة والرأي العام، ولا بين المصلح ومن يراد اصلاحه. وربما كان سبب ذلك أن القائد ينظر الى نفسه أولا وقبل كل شيء وآخر كل شيء. قصد الى أن يصفق له أكثر مما قصد خدمة الحق. وقد وصل الى درجة من اعجاب الجمهور يريد أن يزيدها أو يحتفظ بها. قد خلع ثياب القائد وارتدى لباس التاجر. يبحث عما يعجبهم ليقول فيه شعره أو يكتب فيه مقالاته. أو يطنب في وصفه. ويبحث عما يسوءهم ليحيل عليه حملة شعواء بقلمه أو لسانه كما يبحث تاجر الأزياء عن آخر طراز في الزي يقبل الناس على شرائه

تلك أشد حالات الانحطاط في القيادة، فأول درس يتلقاه القائد أن يكون قليل الاهتمام بشخصه، كثير الاهتمام بالغرض الذي يرمي اليه في الاصلاح، سواء أكان اصلاحا لغويا أو أدبيا أو اجتماعيا أو دينيا، وأن ينظر الى كل ما يجري حوله في هدوء، لا يسره الا أن يرى الناس اقتربوا من غرضه ولو بسببه، ويضحي بالشهرة فتتبعه الشهرة. ويضحي بالحظ فيخدمه الحظ، بل سواء عليه عرف أم لم يعرف، وسواء عليه لعن أم كرم، ما دام سائرا على المنهج الذي رسم، لا يشعر بأريحية الا أن يصل الى غرضه، أو يقرب منه، يحب المنتصرين لرأيه ويرحم الناقمين عليه، يرفض أن يلبس تاج الفخر الا أن يكون من نسيج ما سعى الى تحقيقه — ان كان هذا أول درس يتعلمه القائد فهو آخر درس أيضا.

أخشى ان يكون قادة الرأي فينا قد ملوا المقاومة فاستبسلوا، وان يكونوا قد استصعبوا الغاية فاستناموا، وان يكونوا قد وقفوا مترددين قليلا بين عذاب الضمير وعذاب المعارضة فاحتملوا الاول، وان يكونوا لطول ما لقوا قد رغبوا عن النظر الى الامام والتفتوا وراءهم الى الرأي العام فساروا أمامه في الطريق الذي يحبه هو لا الذي يحبونه هم، ان كان هذا فيالها من هزيمة.

انى لنا بقادة في الرأي لا يتملقون الا الحق؟

الحرية

للاستاذ الشيخ ابراهيم الدباغ

غلت فغلي في كل حي وجيبها   ولست لها! إن كان غيري مجيبها
صريع هواها لا يواسى بنظرة   وجرحى أساها لا يلين طبيبها
بدت واختفى فيها جمال تزينه   فهبت أعاديها ونام حبيبها
وكم مزقت ستر العفاف لصونها   بحر يناجيها وعبد يغيبها
حديقتها قد فتحت كل زهرة   تضل النهى أنفاسها وضروبها
شكت غربة في أهلها ولداتها   وأمسى على بلواه يبكي قريبها
وكم أكلت نيرانها قلب جاحد   واني لأرجو أن يزيد لهيبها
وكم عملت في نفس حر ومنصف   وحسب الاماني أن يخف شبوبها
يشرفها في كل شرق شروقها   وتغري بها في كل غرب غروبها
مطالعها في الشرق والغرب لم تعد   إلى الأفق حتى ضاق ذرعا رقيبها
تعود منها المستبدون هدنة   وسلما، وردتهم لرشد حروبها
وكم من غراب ناعب في رياضها   صباحا وقد أحيا الدجى عندليبها
سقاها الحيا بالأمس واليوم غذبت   فياليت شعري في غد ما يصيبها!
وهل للغوالي رغبة في مثوبة   تبارك معطيها وجل مثيبها
وكائن لها من مهجة مثل صخرة   تذيب الليالي والليالي تذيبها
مضت في الكرى واستعجلت يقظة الوغى   وساحتها أم فأين ربيبها؟
ممنعة لا تبتغى عند أمة   موزعة أهواؤها وقلوبها

وأخيراً النون

للعلامة الشيخ عبد القادر المغربي
عضو مجمع اللغة العربية الملكي

كان بيني وبين بعض الفضلاء نزاع طويل حول كلمة (انسكلوبيدى) Encyclopédie اليونانية الأصل واختيار كلمة عربية تقوم مقامها.

والانسكلوبيدى لفظ وضعه الافرنج للدلالة على المعجم الذى يتضمن كل فن ومطلب من مطالب ثقافات الأمم ومقومات حضاراتها: ففيه كل شيء ماعدا اللغة، فان كلماتها تكفل ببيانها معجم آخر يختلف اسمه باختلاف اللغات.

ولما وضع العلامة البستانى معجمه العربى الجامع لكل فن ومطلب وضع له اسما عربيا مفردا، ثم بدا له فغيره الى اسم آخر مركب من كلمتين. وتتابعت بعده الاسماء والأوضاع على هذا النمط.

(١) الكوثر
(٢) دائرة المعارف } بطرس البستانى، سورية، سنة ١٨٧٦ م
(٣) لغات تاريخية وجغرافية: أحمد رفعت افندى، الاستانة، سنة ١٨٨٢ م
(٤) مصور دائرة المعارف: على سيدى ومحمد عزت وعلى رشاد، الإستانة، سنة ١٩١٤ م
(٥) موسوعة: ابراهيم اليازجي (سورية).
(٦) كنز العلوم واللغة } فريد وجدى، مصر، سنة ١٩٠٧
(٧) دائرة معارف القرن العشرين } سنة ١٩٢٣
(٨) محيط المعارف: امر الله افندي، الأستانة،
(٩) معلمة: الاب انستاس الكرملى، بغداد،
(١٠) النون

واشتد الجدل فى اختيار أفضل هذه الكلمات وأحقها بالقبول، ثم اتفقنا على اهمال ما كان مركباً منها كدائرة المعارف، أما المفردات فالكوثر لا تدل على المراد من «الانسكلوبيدى» كما لا يخفى، و «موسوعة» مختلف فى أصلها وسلامة عروبتها، فلم يبق الا كلمة «مَعْلَمَة» التى تدل على معنى «وعاء العلم».

ثم عادت المناقشة فاشتدت حول قبول «المعلمة» وعدم قبولها، وحجة رافضيها انها تدل على كتاب فيه علم ولا تدل على معنى الشمول والاحاطة كما هو المقصود من (Encyclopédie).

فرد هذا الاعتراض بان «المعلمة» تدل على معنى الكثرة لكونها مصوغة على وزن «مَأسَدَة» و «مَسْبَعَة» و «مَذْأَبَة» و «مَقْثَأَة» و «مَلْصَة» أى أرض كثرت فيها الأسود والسباع والذباب والقِثَّاء واللصوص. وقال الأب أنستاس «المعلمة» فيكون قد أراد انها كتاب كثر فيه العلم.

فبقى بعض الاخوان مصراً على رفض «المعلمة» مستدلا بان كلمة «مسبعة» واخواتها الدالة على الكثرة انما هى صيغ خاصة وقعت للعرب فى وصف الأرضين والأماكن وحدها، حتى أن ابن سيده عقد لهذه الكلمات فى مخصصه ـ جزء ٣ ص ٢٠٥ ـ بابا عنونه بقوله (باب مَفْعَلة من صفات الارضين). فكيف يصح لنا أن نجعلها من صفات الكتب؟ فلم يبق الا أن تكون صيغة ـ معلقة ـ كصيغة ـ مقلمة ـ بالقاف بمعنى وعاء الاقلام. وهذا يضعف من أمر اختيارها لتحل محل ـ انسكلوبيدى ـ

فقال بعض الاخوان: ان الياس بك القدسى (عضو مجمعنا العلمى العربى بدمشق) كان أشار بوضع كلمة (النون) فى مقابل الانسكلوبيدى مستدلا بما جاء فى معجم المستشرق المشهور (كازيمرسكى) مترجم القرآن الى الافرنسية ـ من أن (النون) فى اللغة العربية تكون بمعنى (الانسكلوبيدى) الأعجمية.

فعجبت من قوله، لأن (النون) ان كان المراد بها حرف الهجاء فلا علاقة لها بمعنى (الانسكلوبيدى) وان كان المراد بها كلمة (النون) التى من معانيها السيف والحوت والدواة فانها أيضا لا علاقة لها ظاهرة بالانسكلوبيدى

ولم يتيسر لى يومئذ أن أراجع معجم (كازيمرسكى) العربى الافرنسى، حتى وقعت لى نسخة منه منذ أيام، فوجدته يقول: ومن معانى (النون) خلاصة جميع العلوم Résumé de toutes les sciences ولم يذكر كازيمرسكى صراحة ان النون تطلق على الانسكلوبيدى، فعلمت ان الياس بك (رحمه الله) انما استنتج كلمة الانسكلوبيدى من قول (كازيمرسكى) استنتاجا. فبقى عالقا فى حفظه أنه من قول (كازيمرسكى) نفسه. وحق له هذا الاستنتاج لأن كلمة (النون) اذا كانت بمعنى خلاصة علوم البشر كانت جديرة بان تطلق على الكتاب الذى يضم بين دفتيه خلاصة علوم البشر.

وقد ازددت حرصاً على معرفة المصدر الذي اعتمد عليه كازيمرسكي فيما ذهب اليه. فلم أظفر بشيء في المعاجم اللغوية العربية، لكني رأيت «السيد الجرجاني» يقول في كتابه «التعريفات» ما نصه: (النون هو العلم الاجمالي. يريد به الدواة، فان الحروف التي هي صور العلم موجودة في مدادها إجمالاً. وفي قوله تعالى (ن. والقلم) هو العلم الاجمالي في الحضرة الاحدية. والقلم حضرة التفصيل اه)

ففي هذا القول رموز لغة وتفسير وعقيدة وتصوف، ألف بينها لحام دقيق يمكن تفكيكه على هذه الصورة:

ان حرف «ن» في الآية اريد به إجمال او خلاصة للعلم البشري وان (القلم) الذي ذكر بعد «ن» هو الكفيل بتفصيل ذلك العلم الاجمالي. وان حرف «ن» إنما جاءه معنى العلم الاجمالي من كونه حرفاً من حروف الهجاء. وحروف الهجاء يتركب منها جميع الكلام الذي يدل على علوم البشر التي انما يصورها الكاتب بمداد الدواة، فعلوم البشر مدمجة في الدواة، والدواة رمز يذكر بمجموع علوم البشر وثقافتهم في التمدن القديم، كما ان (المطبعة) رمز يذكر بمجموع علوم البشر وثقافتهم في التمدن الحديث

ثم تراجع كتب اللغة والتفسير فنجد بعض المفسرين يفسر «ن» في آية «ن، والقلم وما يسطرون» بحرف النون الهجائي، كما فسروا بقية الحروف الهجائية في مفتتح السور الاخرى. ونجد الحسن البصري يفسر (النون) بالدواة. فنفطن الى ان الحسن رضي الله عنه لم يرد بالنون حرف النون الهجائي. وانما اراد كلمة «النون»، ولكن الحسن البصري السلفي العظيم الذي عاش مع فصحاء العرب وبلغاء الصحابة رضوان الله عليهم — يفسر (النون) بالدواة من دون ان يكون له دليل يستند اليه.

نبحث فنجد ان الحبر ابن عباس رضي الله عنه يفسر النون في الآية بالحوت وهو سمكة البحر، كما هو احد معانيها اللغوية. فنفطن أيضاً الى أن تفسير (النون) بالدواة — وهو ما ذهب اليه الحسن البصري — انما جاءه من جهة تفسير ابن عباس لها بالحوت

ويبقى في المقام إشكال: وهو ما هي علاقة الحوت بالدواة؟ نراجع المفسر النيسابوري فنجده يقول في صدد تفسير الآية: انه يروى عن بعض الثقات أن أصحاب السحر (ويريد بهم أصحاب الصناعات الخفية أو الدقيقة) يستخرجون من بعض الحيتان شيئاً أسود كالنقس (أي الحبر) أو أشد سواداً منه يكتبون به أهـ

ولا يخفى ان الاخطبوط أو غيره من حيتان البحر يستخرج منه سائل كان الاقدمون يعالجونه ويلبقونه بما يجعله صالحاً للكتابة به

وهكذا نرى ابن عباس يفسر النون في الآية بالحوت، ولكن أي حوت؟ ذهب بعض المفسرين الذين يحبون الإغراب في كلام الله تعالى الى ان المراد به (الحوت) أخو (الثور) اللذان كانا وما زالا ينوآن بحمل الأرضين السبع!!

غير ان الحسن البصري رضي الله عنه ما كان يعجبه من قصاص المساجد أن يذهبوا في تفسير الوحي الالهي هذا المذهب في الاغراب والتهويل. إذ أن التسامح في ذلك بقصد التأثير في نفوس الدهماء من العامة إن سر عاجلاً فانه يسوء آجلاً.

وهذا ما حمل الحسن البصري على تفسير (النون) بالدواة تأييداً لابن عباس رضي الله عنه في تفسيره للنون بالحوت.

أما إطلاق (الحوت) وإرادة الحبر منه فله شواهد كثيرة من اللغة العربية التي يتسع صدرها لأمثال هذا الاطلاق. بل ربما كان له شواهد أيضاً في اللغات الاخرى، وها نحن اليوم نقول فيشي (المدينة الافرنسية) ونريد ماءها المعدني الذي ينبع فيها — وكولونيا (المدينة الالمانية) ونريد ماءها المعطر الذي يصنع ويجلب منها — وجنيه «بلاد غينيا» ونريد الدينار المصري الذي استخرج ذهبه من معادنها — ويقول العرب «نون» أي حوت، ويريدون الحبر الاسود الذي يستخرج من سائله — وأنزل القرآن بلغة العرب وعلى مناحيهم في أساليب البلاغة، فافتتحت السورة بالقسم على براءة النبي صلى الله عليه وسلم مما قاله المشركون فيه وتنبيه المخاطبين الى عظيم فضل الله على البشر مذ هداهم الى التسطير والكتابة، والى استخدام أدواتها من حبر وقلم. فكان ذلك سبباً لما بلغوا اليه من علم وحضارة وثقافة.

ولم أرد أن أحقق هنا معنى الآية الكريمة، ولا ما هو الأصح المعتمد في تفسيرها، فان ذلك مبين في تفسيري على «جزء تبارك» المهيأ للطبع — وانما أردت أن أبين المصدر الذي استقى منه «كازيمرسكي» القول بان النون تدل على خلاصة علوم البشر حتى رأى الياس بك القدسي أنها تصلح لان تقوم مقام الانسكلوبيدي ولا سيما أن في الامكان تناول مشتقات مختلفة منها: فيقال مثلا (نوّن تنويناً) (منوّن) (منونون) وتؤنث فيقال (النونة) الافرنسية (والنونة الالمانية) والنونة العربية وينسب اليها فيقال فلان صاحب نون و نوني Encyclopédiste

دمشق — المغربي

الفـــن والروح

للاستاذ الحوماني

أستاذ الادب العربي بكلية طرابلس

الفن في الاثر بدعة، وفي المؤثر بدعة وابداع.

فهو في قول احدى جواري العباسيين وهي تقلب تفاحة اهداها اليها سيدها

يارب تفاحة خلوت بها تشعل نار الهوى على كبدي
لو أن تفاحة بكت لبكت من رحتي هذه التي بيدي

هو بدعة أنشأها الفكر بين عاطفة الحب ودقة التصوير، واما الفن في الشاعرة نفسها فهو بدعة الجمال وابداع الخيال

ففن الطبيعة في الانسان جمال تام، وفي غيره جمال ناقص

والفن في الزهرة مثلا شكل ولون وعطر: اذا صح ان العطر في الزهرة مقابل الروح في الفنان، وهذه كل ما في الزهرة من جمال، ولكن الفن فيك — الى هذه الثلاثة — فكرة تخلق الزهرة في نفسك جميلة الشكل واللون والعطر

الفن في المرئيات نتيجة الفكر والجوارح، واما هو فيما وراء ذلك فقد يكون وليد الفكر فقط كالفن في الشعر، وقد يكون نتاج الفكر والجوارح ايضا كالموسيقى والخطابة ونحوها

تستطيع ان تتصور حبيبك تصورا تاما، واما أن تصفه للسامع وصفا دقيقا، او ان تتناول الريشة وترسم ما تتصور فذلك ما ليس في طوقك ما لم تكن فنانا في الشعر والرسم. من ذلك يتضح لديك الفرق بين العلم والفن، فنواة العلم ان تتصور، واما نواة الفن فأن تتصور ثم تصور. فتصورك المسألة علم، ثم تصويرك اياها فن. من ذلك تدرك فضل الفن على العلم وأنه احفل منه بالخلود

فالأثر الذي ينشأ عن الفكر وهو يكشف عن الحقيقة ستار الجهل هو دون الاثر الذي ينشأ عن الفكر وهو يخلق الحقيقة خلقا

فليس للحكمة ان تهب الخلود للشعر وهو عار عن الفن، ولعل النظم الفصيح القاصر على الحكمة بعيد عن حظيرة الشعر للفرق بين قوله:

كبير النفس تلقاه هزيل الجسم من سقم

وقول الآخر في معناه:

اذا سمنت همة في الضلوع فآيتها البدن الناحل

فليس الجمال في بيان ان هزال الجسم في عظام الرجال ينم على كبر نفوسهم، فقل من تأخذه الروعة لهذا البيان، اذ هو حقيقة مجردة، والعلم بالحقيقة المجردة ازلي في النفوس، ولكن إلباس هذه الحقيقة لونا من الخيال يجعلها حقيقة ثانية لم يسبق لها وجود في النفس فتظهر بها في مظهر الروعة والجلال.

فقد لحظ الفكر في البيت الاخير بعد تصوره المعنى الحقيقي الثابت وهو استلزام كبر النفس اجهاد الجوارح، واستلزام هذا نحول الجسم ... لحظ الفكر ما يقابل النحول وهو السمن، فشاء ان يجعل السمن الذي هو مقابل النحول علة له وهو من الغرابة بمكان، ثم لحظ الهمة التي هي مناط الطموح المفضي الى اجهاد النفس فاسند اليها السمن بجامع العظمة بينه وبين الكبر، فصح له اذذاك ان يعلل به النحول، فكان من مجموع ذلك خيال يوهم النفس انه حقيقة جديدة فيستهويها بما يبتدعه من خلق ما لم يكن وايهامها انه قد كان

واما الفكر في البيت الاول، فقد مر بالحكمة فأبرزها عارية من جمال الفن، فكانت بعيدة عما يصعد بها الى سماء الشعر، ثم يطبعها على مرآة النفس حية خالدة

فالشعر البسيط المعنى، هو بجمال فنه اعلق بالنفس الشاعرة منه بجلال معناه، وهو بعيد عن جمال الفن

والنفس بطبعها ميالة الى البحث عما تجهل «حب الاستطلاع» من اجل ذلك يستهويها الغريب فتعلق به حتى اذا ألفته واحاطت به هجرته وملت صحبته، فهي والحقيقة الراهنة قيد حواسها، تتشوف الى ما وراء الحقيقة، فاذا اخفقت فزعت الى الفكر فراح يعبث بها ويملأ زواياها أعاجيبا بما يصوره من اخيلة تتراءى لها حقائق جديدة

فاذا علمت ان الحياة انما هي حكمة وفن، وان الحكمة نواميس يسنها في الطبيعة المبدع الاول، وفي الاجتماع المبدع الثاني، وان الفن هو ما فيهما من جمال، وان مناط هذه الحكمة العقل، والعقل عرضة للزوال، ومناط ذلك الفن الروح، والروح خالدة: اذا علمت ذلك علمت ان الفن انما هو قوام الحياة الاسمى، فلم نكن لنرتاد المروج والحدائق لو لم تؤخذ العين بسحر ما في زهرها وشجرها وثمرها من جمال الفن، ولا لندخل منزلا لم تسبغ عليه يد الفن جمالا يستهويك بين ارائك تتخللها المناضد، تعلوها الآنية على احدث فن يحلل الجدر بالرسوم، والارض بالفراش والرياش

وقد يستهويك ما تسمع وترى من جمال الفن فيخلق فيك فكرة الابداع، فيسوغ لك اذ ذاك ان تقول: إن الفن في الاثر بدعة وابداع ايضا، على أنه ابداع الفن في النفس، ثم يؤول الى ابداع النفس في الفن آخر الامر

ثم ان للفن في المسموع لطف وقع على السمع، وبعد اثر في اعماق النفس، لن يتوفرا في الفن المنظور من حيث تراك وانت

يسمع الصوت الجميل فتهتز، تتصور جمال العازف وهو بعيد عنك بجسمه، وقريب منك بروحه الموقعة على الأوتار ينقلها اليك الحاكي، او يبعثها الى روحك توقيع الفنان من وراء الستار، فيتوفر لديك مؤثران: الفن الذى تحسه، وجمال الفنان الذى تتخيله ضرورة انك لاتلاحظ الصوت وانت ترى الشخص الجميل، بينما لاتسمع الصوت الجميل الا وتتصور جمال الشخص من ورائه

الروح في الفن:

فى كل كائن ثلاث ميز: جنسية، ونوعية، وذاتية: فى الانسان مثلا مايميزه من الجماد وهى حيوانيته، ومايميزه من العجماوات وهى انسانيته. ثم مايميزه من غيره من أبناء نوعه وهي شخصيته. والشخصية هنا هى مايميز الشخص من أفراد نوعه فى شكله لافى روحه، فالروح لاتلمس الا بآثارها، ولا يمكن للرسام وهو الشاعر الصامت أن يصورها وهى متصلة بالروح (سر الحيـــاة الغامض). ولكنه يستطيع ابراز شخصية النوع كآثار النفس الناطقة لما يدل عليهامن أمائر تبدو على أسرة الوجه، ورسم الأعضاء على كيفية تشير الى النفسيات بما عودت الناظر عليه فى حقيقة الحى قبل رسمه

فريشة الرسام لا تتناول رسم الاعضاء بما يميز الشخص فى جنسه أو نوعه فحسب حتى تتناول شخصيته التى تميزه من غيره من افراد نوعه، ومناط التفاضيل بين أولى الفن انما هو فى ابراز هذه الشخصية مشفوعة بميزة النوع

فاذا لم تقرأ فى الرسم مايقفك على خصائص نوعه كآثار النفس الناطقة فى الانسان من حيث تفكيره وعواطفه، ثم نسبة هذه الخصائص الكلية فى النوع الى الخصائص الجزئية فى الشخص، فلن تستطيع أن تقف من هذا الرسم على روح تلمس من ورائها جمال الفن فيه

فالروح فى فن التصوير هى أن تجمع الى خصائص النفس النوعية فيما تصور خصائصها الشخصية التى يمتاز بها الفرد من غيره من ابناء نوعه

فاذا توفرت هذه فى الرسم خلق فى نفسك — وانت تراه — الروعة بما يمثل لك من حقيقة فى الخارج حتى كانك تلمسها بروحك

وهكذا هى — أى الروح — فى تصوير الاشياء: جمال فى الرسم يلمسك حقيقة ما أخذ عنه لمسا تجذبك معه معجبا بما تتصفح من خيال رائع

اما الرسوم الخيالية (كاريكاتور) كرموز الآلهة وصور الشياطين ونحوها فمناط الابداع فيها انفعال نفس الناظر اليها بما خلقت له كالجمال والحب والخير والشر فى رسوم الآلهة، وكالارهاب والتنكيه والحمل على السخرية فيما عداها من الرسوم

فالروح هنا هى تأثير الرسم فى النفس بما رسم له ليصح معنا أن الروح فى كلا الامرين: نقل الحقيقة وخلقها، انما هى إلماس الرائى حقيقة ماينقل الراسم أو حقيقة ما يتخيل

والروح الفنية تختلف باختلاف فنونها، فالروح فى فن الرسم هي غير الروح فى فن النظم، والروح فى هذين غيرها فى فن الموسيقى؛ فهى فى الرسم منتزعة من المرسوم، واما فى المنظوم فهى منتزعة من الناظم. اذ الشاعر يصور غيره فى طريقه الى تصوير نفسه، واما الرسام فيصور نفسه فى طريقه إلى تصوير غيره، فنظم الشاعر مرآة تريك نفسه؛ ونفس الرسام مرآة تريك رسمه

وبأوضح من هذا إنك وأنت تدرس فن الرسم تلمس روح الفن من حيث اتصالها بالمرسوم قبل الراسم، وفى درسك فن الشعر تلمس روح الفن من حيث اتصالها بالشاعر قبل مايشعر به، من أجل ذلك تراك شديد الحرص على معرفة الشاعر لدى سماعك قطعة من شعره هى غاية فى الابداع، بينما ترى الصورة الجميلة على الجدار فتفتتن بها من حيث فنها، ثم لا تجدك شديد الميل الى معرفة من أبدعها. فلحاظك الشاعر وهو يستهويك بشعره، فوق لحاظك الرسام وأنت تعجب بما يرسم

على أن الفرق بين روحى فن الرسم وفن الشعر جد دقيق، لدقة الفرق بين الرسام والشاعر، ولعل الرسام شاعر صامت

فالرسام وهو يصور لك الحقيقة فى الخارج تصويرا حقا هو ابلغ اثرا فى الفن منه وهو يخلق حقيقة مايرسم، واما الشاعر فمناط خلوده ان يخلق ما يصوره من الحقائق، لما مر بك من ان الفن انما هو ابداع، على ان كليهما مبدع كما سيجئ.

فليس للفنان فى الرسم مهما ابدع فى خلق الصور الخيالية (كاريكاتور) ما للفنان فى الشعر وهو يتخيل فينتزع لك من الصور الحقيقية صورا خيالية يوهمك انها حقيقة جديدة

واذا قصرنا ابداع الفنان فى الرسم على تصوير الحقيقة الخارجية تصويرا بالغاً فليس معنى ذلك ان الفنان لم يأت بجديد فيكون هذا القول معارضاً لما سبق من ان الفنان يخلق الحقيقة خلقا، لانا نعتبر تصويره البالغ للحقائق هو خلقا جديدا لها، إذ يوهمك انه عين مايصور

من حقيقة ، فيكون هذا الابهام ابداعا يشير الى حقيقة ثانية خلقها فكر الفنان .

فالحقيقة التى يخلقها الفنان إما أن تكون متحققة فى الخارج مادة وشكلا ثم يصورها لك بشكلها ومادتها حتى كأنك تحس بها حقيقة فيثير فيك الاعجاب لما يوهمك من انها هى هى فكأنما قد خلقها خلقا ، او ان الحقيقة التى يخلقها هى نفس الايهام مشفوعا بما يبعثه فيك من الروعة والاعجاب

واما ان تكون تلك الحقيقة المخلوقة متحققة فى الخارج مادة لا شكلا كالخيال الذى يبدع الشاعر فانه ينتزع من صور الحقائق الخارجية حقيقة جديدة يوهمك انها موجودة فى الخارج كما فى قول ابن خفاجة فى نارنجة

وحاملة من بنات القنا أماليد تحمل خضر العذب
وتندى بها فى مهب الصبا زبرجدة أثمرت بالذهب

فالزبرجد والاثمار والذهب كل منها موجود فى الخارج ، ولكن الشكل الذى أبدعه الخيال منها وهو أثمار الزبرجدة بالذهب هو غير موجود فى الخارج ولكنه من خلق الخيال .

فالايهام اذن لا يفارق الفن فى الشعر والرسم ، فمناط الاعجاز فى فن الرسم هى الحقيقة الاولى ، ومناط الإعجاز فى فن الشعر هى الحقيقة الثانية ، وقد يعجز الشاعر فى تصوير ما فى الخارج من حقيقه كما قد يعجز الرسام فى ابداع ما يخلق من حقيقة ليس لها وجود فى الخارج

والروح فى فنى الشعر والموسيقى مصدرها واحد هو العاطفة ، على أن الروح فى فن الرسم مصدرها الفكر والخيال ، والفرق بين الروح الشعرية وروح الفن الموسيقى هو أن مظهر هذه هو الصوت من حيث توقيعه وترجيعه ، ومظهر تلك هو اللفظ من حيث يبعث فى نفسك ما انفعلت به نفس الشاعر وهو يلفظه ، وهذه الروح التى نفرق بينها وبين روح الفن الموسيقى ، انما هى الروح التى تقابل الفن والعلم فى الشعر لا الروح التى هى داخلة فى قوام الفن فى الشعر ، فان فى الشعر روحين احداهما داخلة فى قوام الشعر وهى هذه المعبر عنها بالتأثر النفسى المنتقل باللفظ من نفس الشاعر الى نفس السامع أو المطالع كما تنقل الاوتار تأثرات الموقع عليها الى سامعها

وثانيتهما داخلة فى مفهوم فن الشعر وهى المعبر عنها بالذوق الشخصى فى الشاعر ينقلها اللفظ من حيث تصويره للحقائق منقولة او متخيلة ، وهذه تتفق مع الروح فى فن الرسم من حيث المصدر ، فكلتاهما تصدر عن الفكر والخيال

فالروح فى فن التصوير تتفق مع الروح فى فن الشعر من حيث مصدرها وهو الخيال والفكر ، وتختلفان من حيث اعجازهما فى الابداع : فالاولى انما تعجز فى نقل الحقائق ، والثانية انما تعجز فى خلقها .

والروح فى الشعر التى تقابل العلم والفن تتفق مع الروح فى فن الموسيقى من حيث المصدر الذى هو العاطفة ، وتختلفان من حيث المظهر ، فان مبعث التأثر فى نفسك من الاولى هو الصوت من حيث التوقيع والترجيع ، ولا مدلول له الا انفعال النفس من ورائه ، واما مبعث التأثر من الثانية فهو اللفظ من حيث نقله التأثر اليك بواسطة حروفه لا صوته

فمدلول الصوت طبيعى من حيث يتناول ما يختلج فى الصدر بلا واسطة ، ومدلول اللفظ وضعى يتناول روح اللافظ بواسطة مدلوله الخارجى

فلا بد لنا اذن من العود الى ان نعيد قولنا فى الشعر من أنه علم وفن وروح ، فقوام العلم الفصاحة ، وقوام الفن الخيال ، وقوام الروح العاطفة (١)

الحوماني

(١) انظر فى كلامنا على الشعر من كتاب العبقرية الماثل للطبع

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٢ - مرحلة الكفاح وبداية الظفر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لم يشهد التاريخ الحديث ثورة ضئيلة فى نشأتها ، عظيمة شاملة فى نتائجها كالثورة الوطنية الاشتراكية الألمانية ؛ فان تلك الجماعة المغمورة التى قامت فى ميونيخ باسم حزب العمال الوطنى الاشتراكى بزعامة ادولف هتلر والتى لم تتجاوز السبعة ، كانت أول حجر فى صرح الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية التى اخذت تغمر المانيا لأعوام قلائل من ظهورها ، والتى توجه اليوم مصاير الشعب الالمانى .

قامت هذه الجماعة فى ميونيخ سنة ١٩١٩ على نحو ما بينا وانتظم فيها الضابط الصغير والبناء النمسوى السابق ادولف هتلر ، ليتولى بعد قليل زعامتها وتنظيمها ، فماذا كانت ترجو وعلام كانت تعتمد ؟ من الصعب أن نعتقد أن هذه الزمرة من رجال لا ماضى لهم ولا عصبة ، وليست لهم أية كفايات خاصة ، كانت يوم انتظامها تؤمل أن تفوز فى ميدان الكفاح السياسي بتلك السرعة المدهشة ، لتفرض برنامجها بعد ذلك على الشعب الألمانى كله . ولكن الذى لاريب فيه أن ظروف المانيا عقب الحرب الكبرى ، وما سرى اليها من عوامل الانحلال واليأس والفوضى ، كانت تفسح مجالاً للظهور والمغامرة ؛ وكانت أية دعوة الى الخلاص والنهوض والامل تلقى فى هذه الغمار المظلمة قبولا . وقد كانت الحركة الوطنية المحافظة التى كانت ميونيخ مهداً لها ، تتخذ شعارها العمل على انقاذ المانيا من ويلات الهزيمة ، ومن براثن الفوضى الاشتراكية والشيوعية ؛ فكانت عصبة هتلر تحمل لواء هذه الدعوة ، وتعمل فى جو من العطف الذى يتمتع به ابان اليأس العام كل من القى كلمة الخلاص والامل .

وفى هذا الجو استطاع هتلر أن ينظم حزبه وأن يجمع له الأنصار . وكانت المهمة شاقة ، ولكن هتلر استطاع بكثير من العزم والمثابرة والجلد أن يحول عصبته الصغيرة الى حزب سياسى هو : « حزب العمال الوطنى الاشتراكى الالمانى » . ووضعت مبادئ الحزب الاساسية فى فبراير سنة ١٩٢٠ فى ميثاق وطنى يتألف من خمس وعشرين مادة ترمى الى اغراض خمسة : « الاول » الاستيلاء على الحكم والسلطة . « الثانى » سحق الحركة المركسية (الاشتراكية والشيوعية) « الثالث » صبغ المانيا كلها بالصبغة الوطنية الاشتراكية . « الرابع » تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية (المتكلمة بالالمانية) . « الخامس » تنقية الجنس الالمانى وتطهيره من كل شخص يجرى فى عروقه دم يهودى أو دم آخر غير آرى . ولهذه الغاية الأخيرة التى صيغت فى المادة الرابعة (١) من الميثاق ، اهمية خاصة ؛ لان فكرة الايثار الجنسي لم تبد من قبل فى برنامج أى حزب من الاحزاب السياسية بمثل هذه الصراحة ؛ وسنرى انها غدت منذ استيلاء الحزب الوطنى الاشتراكى على السلطة من أخطر المشاكل الاجتماعية والسياسية التى تواجهها المانيا ، والتى مازالت تعانى من جرائها كثيرا من المتاعب والصعاب .

سار الحزب الوطنى الاشتراكى الجديد فى طريق التقدم بسرعة ، ولقى برنامجه كثيرا من العطف والتأييد ؛ والفى فى حوادث سنة ١٩٢٣ (مثل نكبة العملة واحتلال الروهر) وما بثته فى المانيا من البؤس واليأس مهادا خصبة لدعوته ، وبلغ اعضاؤه يومئذ نحو الفين . وأيده جماعة كبيرة من القادة والضباط القدماء وعلى رأسهم الجنرال لودندورف ؛ وأيده كثير من رجال المال والصناعة الذين خشوا عواقب تقدم الحركة الشيوعية ولم يدخروا وسعا فى مقاومتها ؛ وأخذ هتلر يجمع الأنصار حول علمه ذى الصليب المدبب (سفاستكا) وانشأ لحزبه قوة شبه عسكرية لتحفظ النظام أثناء الاجتماعات وغيرها من المناسبات وهى التى غدت فيما بعد جناح الهجوم الشهير SturmAbteilnng ؛ وانشأ حرسا من خاصة أعوانه وانصاره لحمايتـه وحماية زعماء حزبه وهو المعروف بفرقة الحماية Schutz Staffel . وبذا اتخذ الحزب الوطنى الاشتراكى لونا عسكريا قويا ؛ والفى هتلر فى هذا الوقت نفسه (ربيع سنة ١٩٢٣) فى حوادث بافاريا فرصة للقيام بأول محاولة عنيفة . وكانت بافاريا تضطرم يومئذ بحركة رجعية قوية ترمى الى اسقاط حكومة برلين

---

(١) وهذا هو نصها : « لا يحق لغير أعضاء الامة ان يكونوا مواطنين فى الدولة . ولا يحق لغير أولئك الذين ينحدرون من دم الماني ، مهما كان مذهبهم ، أن يكونوا اعضاء فى الامة . واذن فليس لاى يهودي ان يكون عضوا فى الامة »

الجمهورية وإعادة الملكية في بافاريا، على رأسها فون كار رئيس وزارة بافاريا السابق والجنرال فون لوسوف مبعوث «الريخ» - حكومة برلين - العسكري والكولونل سايزر مدير البوليس . فتفاهم زعماء هذه الحركة مع الجبهة الوطنية الاشتراكية التي يتزعمها هتلر ولودندورف لأن الحركتين ترميان الى غرض واحد؛ واتفق الفريقان على أن ينظما الزحف على برلين واسقاط الحكومة؛ ولكن فون كار تخلى عن الوطنيين الاشتراكيين في آخر لحظة، ونظم هتلر وأصدقاؤه الحركة وحدهم، وبدأ الثورة بأن أطلق رصاص مسدسه على سقف محل للبيرة في ميونيخ في اجتماع حافل، وأعلن ان الثورة الوطنية قد بدأت ضد «حكومة برلين اليهودية» . ولكن السلطات البافارية كانت على أهبة؛ فقتل عدة من رجال النازي، وجرح الكبتن جيرنج أخص اصدقاء هتلر وساعده الأيمن ولكنه حمل خلسة الى ايطاليا؛ وقبض على هتلر ولودندورف . وصدر قرار بحل الحزب الوطني الاشتراكي ومنع اجتماعاته - نوفمبر سنة ١٩٢٣ - . وبرىء لودندورف ولكن هتلر قضى عليه بالسجن في قلعة لخمسة أعوام - ابريل سنة ١٩٢٤ - . وزج الى قلعة لانجسبرج فبقى فيها ثمانية أشهر كتب أثناءها كتابه المعروف «جهادي» Mein Kampf؛ وفيه يقص حياته ويشرح مبادىء الحركة الوطنية الاشتراكية وغايتها ويرد على خصومه اليهود. وهو مؤلف لا طرافة فيه ولا قوة، ولا ينم عن مواهب فكرية أو أدبية ممتازة، بيد أنه ينم عما تضطرم به نفس هتلر من عزم وجلد . ثم أفرج عنه . وكان حزبه قد تفرق؛ ولكنه عاد الى جمعه وتنظيمه بنفس عزمه وهمته، وظهر يومئذ في الجماهير بمقدرته الخطابية وذلاقته وقوة تأثيره . وكان هذا التأثير وما زال اعظم خواصه ومواهبه . وكان يعمل عمله في صفوف الشباب بنوع خاص، اذ كان هذا الشباب الطامح يعاني من صنوف الشقاء واليأس والفاقة أشدها، ويتطلع دائماً بحماسة ولهفة الى طريق الخلاص المنشود .

وظهر تقدم الدعوة الوطنية الاشتراكية واضحاً في انتخابات مايو سنة ١٩٢٤، اذ نال حزب هتلر نحو مليوني صوت تخوله في الريخستاج ٣٢ كرسياً. ثم فتر هذا التقدم خلال الاعوام التالية، أولا لتحسن الاحوال الداخلية، ولاسيما الحالة الاقتصادية وانتعاش الآمال نوعاً، وثانياً لأن الحكومات المتوالية اخذت تشتد في مقاومة الحركة لما رأته من تقدمها وخطورتها . بيد أن الحزب الوطني الاشتراكي استمر في كفاحه، وغادت دعوته بعد وفاة شتريزمان وانهيار سياسة الوفاق واضطراب حكومة برلين من جراء ذلك، تسري في الجموع بسرعة؛ حتى بلغ أعضاؤه في سنة ١٩٣١، أربعمائة ألف؛ ونال في انتخابات ديسمبر سنة ١٩٣٠ نحو ستة ملايين ونصف مليون صوت تخوله في الريخستاج ١٠٧ كرسياً. ووصل ذروة ظفره في انتخابات يولية سنة ١٩٣٢ حيث نال نحو أربعة عشر مليون صوت تخوله ٢٣٠ كرسيا، وهو ما يقرب من خمسي اعضاء الريخستاج، وأضحى بذلك أقوى الاحزاب البرلمانية، وقوى أمله في انتزاع الحكم. ورشح هتلر نفسه في ذلك الحين لانتخاب رآسة الجمهورية ضد المارشال هندنبورج فلم يفز المارشال امام منافسه القوى الا في الدورة الثانية . وبذلت حكومة فون بابن القائمة وقتئذ جهوداً عنيفة لوقف تيار الحركة الوطنية الاشتراكية، وحلت الريخستاج واجرت انتخابات جديدة في نوفمبر سنة ١٩٣٢، فنال الوطنيون الاشتراكيون فيها مع ذلك ١٩٦ كرسيا. وأضحى الرئيس هندنبورج وحكومة برلين أمام الامر الواقع؛ وأضحى واضحا انه لا يمكن لاية قوة أن تقف في وجه هذا التيار الجارف؛ وأن الوسائل المصطنعة لا تجدى في مقاومته؛ وأن السلطة صائرة اليه بلا ريب . وكان الرئيس هندنبورج قد دعا هر هتلر عقب انتخابات يوليه ليفاوضه في امكان اشتراكه في الحكم، ولكن هر هتلر أصر على تولى السلطة كاملة غير منقوصة . وهذا ما أباه الرئيس هندنبورج مدى حين . وكان المارشال يبدى في الواقع تردداً في الثقة بالوطنيين الاشتراكيين ويخشى وجودهم في الحكم وقد ظهر ذلك واضحاً في موافقته على حل البرلمان أكثر من مرة خلال أشهر قلائل، وفي تفويضه للهر فون بابن ثم من بعده للجنرال فون شليخر، أن يتذرع بالسلطة المطلقة وأن يحكم بمقتضى قوانين الطوارىء، وذلك لأن أحداً منهما لم يتمتع بثقة الريخستاج؛ ومع ذلك فانه لم يمض على انتخاب البرلمان الجديد شهران حتى كانت حكومة فون شليخر في دور النزع وحتى كان الرئيس الشيخ يفاوض هتلر في تولى الحكم . وقد كان هذا التطور الفجائي في موقف المارشال ومستشاريه مثار دهشة عامة، خصوصاً اذا ذكرنا ان الحزب الوطني الاشتراكي لم يكن يومئذ في ذروة قوته، ولم تكن له في البرلمان سوى أقلية، وكانت قد نضبت موارده وخبت قواه . ومن الغريب أن يكون رجل هذا التطور ومدبره فون بابن الذي لم يدخر أثناء حكومته وسعاً في سحق هتلر وحزبه

وقد فسر هذا التطور يومئذ بان استدعاء هتلر الى الحكم لم يكن الا وسيلة لتحطيم نفوذه وتمزيق حزبه ، وان هذا الاضطلاع باعباء الحكم ومسئولياته سيصهره ويكشف عن ضعفه ، وانه من جهة أخرى لن يتمتع بالسلطة كاملة ، وستتخذ الضمانات الكفيلة بكبح جماحه ومنعه من اطلاق العنان لمشاريعه المتطرفة التى كانت تعتبر يومئذ خطرة على مستقبل المانيا ومصالحها ومركزها الدولى .. وعلى أى حال فقد وقع الانقلاب الحاسم أخيراً . وعهد المارشال هندنبورج الى الهر أدولف هتلر بتولى رياسة الحكم فى ٣٠ يناير سنه ١٩٣٣ ودخل الوزارة معه من أقطاب حزبه الكبتن جيرنج وزيراً للداخلية . ولكن اعطيت وكالة الرياسة ورآسة وزارة بروسيا للهر فون بابن ، ووزارة المالية لزعيم الحزب الوطني الحر هوجنبرج ، ووزارة الخارجية للبارون فون نويرات ووزارة الدفاع لقائد مسؤول مباشرة لدى الرئيس هندنبورج ، وبذا أعطيت السلطات الهامة لرجال يثق المارشال بفطنتهم واتزانهم وحسن تقديرهم

على ان هذه الضمانات التى اريد ان يحاط بها حكم الوطنيين الاشتراكيين كانت نظرية ؛ وكان هرهتلر بالعكس يعتقد ان هذه الخطوة انما هى تحقيق للشطر الاول من برنامجه ، وهو الاستيلاء على السلطة ؛ ويجب ان يكون هذا الاستيلاء عمليا كاملا . وسرعان ما تدفق تيار الوطنية الاشتراكية منذ المساء الذى تقلد فيه الزعيم Fuerher «اى هتلر» رآسة الحكم ؛ وهرعت فرق الهجوم ذوى الاردية السمراء آلافا مؤلفة تحى الزعيم فى مكتب الرآسة وتهتف له حتى منتصف الليل . ومنذ تلك الليلة ظهر الحزب الاشتراكى فى ذروة قوته ، وشعر زعماء المانيا السابقين وشعر الشعب الالمانى كله بان عهدا جديدا سيفتتح . ثم توالت الحوادث بسرعة فوقع حريق الريخستاخ فى ٢٧ فبراير ؛ وكان الريخستاج قد حل مرة أخرى لان هتلر لم يثق بمجلس ليست له فيه اغلبية قوية ، ولم يرد ان يبقى تحت رحمة حلفائه اعضاء الحزب الوطنى وحزب الوسط الكاثوليكى ؛ وتحدد للانتخابات الجديدة يوم ٥ مارس فوقع حريق الريخستاج قبله بأيام قلائل ، ونسبت الحكومة الجريمة الى الشيوعيين واتخذتها ذريعة لسحق كتلة اليسار اعنى الديموقراطيين والشيوعيين فقبضت على زعمائهم وصادرت مراكزهم واموالهم وطاردتهم بمنتهى العنف والشدة : وصرح الهر هتلر وزملاؤه يومئذ بان لديهم الادلة الحاسمة على ان الجريمة انما هى بدء فقط لثورة دموية مخربة واسعة النطاق يدبرها الشيوعيون لقلب الحكومة . ولكن حريق الريخستاج لبث مع ذلك حادثاً غامضا مريبا ولم يقتنع الرأى الخارجى بهذه التأكيدات ؛ ووجهت بشأنه شكوك وتهم خطيرة الى الحزب الوطنى الاشتراكى ذاته (١) وعلى أى حال فقد ساعد هذا الحادث على ظفر الهتلريين فى الانتخابات فخرجوا بأغلبية قوية وفاز الديموقراطيون مع ذلك بنجو مائة وثلاثين كرسى والشيوعيون بنحو ثمانين وعقد الريخستاج الجديد فى ٢٣ مارس ؛ ولم يشهده النواب الديموقراطيون والشيوعيون لانهم كانو جميعا فى السجن او فى المنفى ، وفى هذه الجلسة حصل الهر هتلر على تفويض بالحكم المطلق والتشريع لمدة اربعة أعوام ؛ ولم يبق له حاجة بعد ذلك الى موافقة الرئيس هندنبورج أو توقيعه ، وتحققت بذلك الدكتاتورية المطلقة التى ينشدها الحزب الوطنى الاشتراكى ، ولم يمض سوى قليل حتى انتزع هتلر الوزارات التى كانت بيد حلفائه وشغلها بأصدقائه ومعاونيه ؛ وتوارى جميع الزعماء والقادة الآخرين من الميدان ؛ واضحى هتلر سيد المانيا المطلق ومن ورائه حزب زاخر قوامه اليوم خمسة ملايين .

يتبع — محمد عبدالله عنان

(١) صدر الحكم اخيرا (٢٣ ديسمبر سنه ١٩٣٣) فى قضية حريق الريخستاج التى كانت تنظر منذ اشهر امام محكمة ليبزج العليا بتبرئة الزعيم الشيوعى تورجلر وباقى الشيوعيين المتهمين ولم يحكم فيها الا على شيوعى هولندى مخبول هو فان درلوبه وبذلك لم يثبت ان الجريمة كانت من تدبير الحزب الشيوعى الالمانى

نكبة البرامكة

للسيد مصطفى جواد

لعل أغرب ما وهم فيه المؤرخون فعمى عليهم سبب تدمير الرشيد للبرامكة أنهم عدوا بنى برمك دعاة للعلويين ومذ يعين لمذهب التشيع فى البلاد ، والمشكلة التاريخية إذا استبهم جانب منها تشعبت فيها الظنون واختلفت الآراء واضطربت الاحكام . ولو علم المؤرخون ان البرامكة كانوا يتقربون الى الرشيد بالسعى على العلويين والسعى بهم وتبغيضهم لوجدوا الى سبب تلك الفتكة الهاشمية سبيلا ، وعلى الجلية دليلا ، ولعلموا أنهم لما حق عليهم العذاب دمرهم الله تدميرا .

لم يكن استئثارهم بالحكم وحده سبب هلاكهم ، ولا غزارة ثرائهم مدعاة الى النقمة عليهم ، ولا الزواج الذى اختلقته الشعوبية موجبا لاستئصالهم ، ولا الخادم منها على عقابهم ، وإنما الندامة التى ندمها الرشيد بعد أن استدرجوه إلى تشريد بنى عمه العلويين واستحلال دمائهم الزكية وتعذيب الابرياء منهم العذاب الهون ؛ لم يكن الرشيد ملحداً حتى لايندم ، ولا بليداً حتى لاينتبه ، ولا شقيا حتى لا يتوب ، ولا مقصراً حتى لا يتدارك . من شفيعهم اليه وقد ولغوا فى دماء بنى على وطلبوا الزلفى بتعذيبهم ، وأعلوا مراتبهم بخفض العصبية الهاشمية واجتثاث الشجرة النبوية ؟ ولقد جرؤوا بالخادم وسوء سيرتهم أن « جعفرهم » حز رأس حبيسه العلوى « عبد الله الشهيد بن الافطس » فى يوم النوروز ، وأهداه إلى الرشيد فى طبق الهدايا ، فلما رفعت المكبة من فوق الطبق ورأى الرشيد رأس ابن عمه استعظم ذلك ، فقال له جعفر : ما علمت أبلغ فى سرورك من حمل رأس عدوك وعدو آبائك اليك ، وكان الرشيد قد حبسه عند جعفر وأمره بان يوسع عليه . وقال ذات يوم : اللهم اكفنيه على يدى ولى من أوليائى وأوليائك ، فلم يجد هذا الشقى الكفاية إلا بقتله صبراً لا سيف معه يذود به عن نفسه ، ولا بنو على حوله يحوطونه ويكلأونه ، ولا شفيع يرد عنه لؤم الزنادقة ، وهو الذى شهد وقيعة « فخ » متقلداً سيفين ينفح عن حق كان يراه مبزوزاً ، ويكافح عن سيد كان يرى نفسه محلأ عن مكانته ، فلما أسر أخذه الرشيد وحبسه عند جعفر — على ما قدمنا — فضاق صدره بالحبس وكتب الى الرشيد رقعة يشتمه فيها شتما قبيحا ، فلم يلتفت الى ذلك لأنه عالم بالعزة العلوية والاستبسال الهاشمى ، ولم يأمر الا بالتوسيع عليه والترفيه عنه ، فكان من أمره مع جعفر ما كان .. (١)

وقال السيد نعمة الله الجزائرى (٢) فى سبب هلاك البرامكة على يدى الرشيد « وقد ذكرنا أن السبب فيه ظاهر حكاية العباسة أخت الرشيد ، وأما السبب الحقيقى فهو دعاء أبى الحسن الرضا — ع — على آل برمك فى موقف عرفة لأنهم سعوا بالكاظم — ع — وكانوا أقوى الأسباب فى شهادته (٣) وهذا التعليل وأن أورده الجزائرى على حسب اعتقاده وتربيته الدينية : ففيه رد شديد على القائلين بأن هوى البرامكة كان مع العلويين : وبلغ الطيش ببعضهم ان جعلوا كل حركة للفرس دعوة للعلويين وطلابا بحقهم ، وانتصاراً لهم ، ونشراً لمذهبهم ؛ وأين الزندقة من صريح الاسلام ؟

وقال بهاء الدين أبو الحسن على بن فخر الدين عيسى الاربلى الكردى فى ترجمة الامام موسى بن جعفر الكاظم ما صورته « وكان السبب فى قبض الرشيد على أبى الحسن — ع — وقتله ما ذكره أحمد بن عبيد الله بن عمار عن على بن محمد النوفلى عن أبيه.. عن مشايخهم قالوا : كان السبب فى أخذ موسى بن جعفر — ع — أن الرشيد جعل ابنه فى حجر جعفر بن محمد بن الأشعث فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال : إن أفضت اليه الخلافة زالت دولتى ودولة ولدى ، فاحتال على جعفر بن محمد — وكان يقول بالأمامة — حتى داخله وأنس به ، فكان يكثر غشيانه فى منزله فيقف على أمره ويرفعه الى الرشيد ويزيد عليه فى ذلك بما يقدح فى قلبه ، ثم قال لبعض ثقاته : أتعرفون لى رجلا من آل أبى طالب ليس بواسع الحال يعرفنى ما أحتاج اليه ، فدل على على بن اسماعيل بن جعفر بن محمد . فحمل اليه يحيى بن خالد مالا ، وكان موسى — ع — يأنس بعلى ابن اسماعيل ويصله ويبره ، ثم أنفذ إليه يحيى بن خالد يرغبه فى قصد الرشيد ويعده بالاحسان اليه ، فعمل على ذلك ، فأحس به موسى — ع — فدعا به وقال له « الى أين يا ابن اخى ؟ » قال الى بغداد . قال وما تصنع ؟ قال على دين وانا مملق ، فقال له موسى : أنا أقضى دينك وأفعل لك واصنع . فلم يلتفت الى ذلك ، وعمل على الخروج ، فاستدعاه أبو الحسن — ع — وقال له : أأنت خارج ؟ قال : نعم لابد لى من ذلك ، فقال له : انظر يا ابن أخى واتق الله ولا تؤتم أطفالى . وأمر له بثلثمائة دينار وأربعة آلاف درهم . فلما قام من بين يديه ،

(١) عمدة الطالب فى أنساب آل أبي طالب ص ٣١٥ (٢) نسبة الى جزائر واسط (٣) زهر الربيع ص ٢٠٥

قال لمن حضره : والله ليسعين في دمي ويوتمن أولادي . فقالوا : «جعلنا فداك ، أو أنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله ؟ قال نعم ، حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله – ص – أن الرحم إذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله ، واني أردت أن أصله بعد قطعه ، حتى إذا قطعني قطعه الله ، قال فخرج علي بن اسماعيل حتى أتى يحيى ابن خالد فتعرف منه خبر موسى بن جعفر – ع – فرفعه الى الرشيد ، وسأله الرشيد عن عمه فسعى به إليه وقال له : إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وأنه . . . . ، حتى قال ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد ، ثم دعا السندي بن شاهك فأمره في موسى بن جعفر بأمره فامتثله ، وكان الذي تولى به السندي قتله جعله سما في طعام قدم إليه ، ويقال إنه جعله في رطب فأكل منه موسى واحس بالسم ولبث بعده ثلاثاً موعوكا ثم مات في اليوم الثالث . . . وأخرج ووضع على الجسر ببغداد . . . فأمر يحيى ابن خالد أن ينادى عليه عند موته : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه (٢)» .

فهذا الدليل الثاني على خطأ من نسب البرامكة إلى التشيع والامامة ، فلقد كانوا حربا على الأمامة وعونا على التشيع وراءها الفتك والزندقة ، ومحاربة الإسلام بلأمته ، ونقل علي بن عيسى الاربلي المذكور أن محمد بن الفضل قال : «لما كان في السنة التي بطش هرون فيها بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وحبس يحيى بن خالد ونزل بهم مانزل كان أبو الحسن (علي بن موسى الرضا) واقفا بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك فقال : إني كنت أدعو الله على البرامكة فقد فعلوا بأبي مافعلوا ، فاستجاب الله لي فيهم اليوم فلم يلبث إلا يسيرا حتى بطش هرون بجعفر وحبس يحيى وتغيرت حالهم (٢)» .

فهذا الخبر كالذي أورده السيد نعمة الله الجزائري مضارة بني برمك لبني علي ، ولكنه أقدم منه نقلا – كما نعرف من تاريخ المؤلفين – وكلاهما نظر فيه نظراً دينيا ، ومع ذلك يدلان على كره الامام الثامن من الأئمة الاثنى عشر للبرامكة ودعائه عليهم ربه ، وقال محمد تقي التبريزي : «من الاغلاط المشهورة ما اشتهر من ان البرامكة كانوا من المتشيعة حتى أن أيدمر بن علي الجلدكي ، ذكر في كتاب نهاية الطلب في شرح المكتسب بتقريب : انه كان سبب بطش هرون الرشيد بهم ما اشتم منهم انهم يريدون تحويل الدولة من آل العباس الى آل علي ، وذلك كله غلط نشأ من قلة التتبع ، فان البرامكة – لعنهم الله – هم الذين سعوا في قتل موسى عليه السلام فان يحيى بن خالد هو الذي بعث علي بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن أخي موسى على السعاية بموسى عند هرون لداع دعاه الى ذلك مذكور في كتب الأخبار ، والفضل بن يحيى هو الذي بعث بالسم اليه فقتله بأمر هرون وبيد السندي بن شاهك ، بل روى ان يحيى لم يكتف بذلك حتى أراد أن يغري هرون بقتل الرضا ، فقال له هرون : أما يغنينا ماصنعنا بأبيه ؟ أتريد أن نقتلهم جميعا ؟ وقد رواه الصدوق (١) في العيون ، عيون أخبار الرضا ، عن صفوان بن يحيى وذكر في آخره أن البرامكة كانوا متعصبين على أهل بيت رسول الله – ص – مظهرين العداوة لهم ، وبالجملة الذي يظهر من الاخبار المعصومية ان الله لم يغير ما بالبرامكة من النعمة الا من جهة سعيهم ومباشرتهم قتل موسى ، فكيف يجري فيهم هذا الاحتمال ؟» عن صحيفة الابرار «٢ : ٢٩٦» .

وهذه شهادة من أقوى الشهادات ، فان محمد تقي التبريزي هذا شيخي المذهب فارسي الاصل والبرامكة من جنسه ، ولكن الحق عزيز على أهله فلا يضيعونه ولا يفارقونه ، وحل هذه المشكلة التاريخية ان البرامكة اذ أدخلوا الرشيد سياسة البغي واستدرجوه الى قسوة الحكم وقتل السادة الأبرار الأبرياء من بني عمه تلقفهم بالرأي الحازم الحاسم ووضع فيهم السيف وعزاهم بالمصادرة والعذاب ، فعفى على آثارهم وبئست عاقبة القوم المكذبين بالدين الساعين في قتل السادة العرب وحفظة الاسلام وأهل الهدى والتقوى ، ولو لم يكن لهم من المساعي الخبيثة النتائج الا قتلهم موسى بن جعفر لاستحق خليفة الزمان قتلهم ، فكيف وقد ضحوا بكثير من العلويين وغيرهم من بهاليل العرب ؟ فالرشيد إذن قد ندم على ما كان منه من الغفلة وأسف على أرواح أولئك الأبرياء وفطن لما يريد بنو برمك به وبالاسلام وسادات العرب ، فانتقم وتدارك واستغفر ، وهل من دليل على ذلك أقوى من قوله ليحيى – وقد نقلناه – أما يغنينا ما صنعنا بأبيه ؟ أتريد أن نقتلهم جميعاً ؟ ، ومن أنه لما أرسل مسروراً الخادم لقتل

(١) كشف الغمة في معرفة الائمة لعلي بن عيسى الاربلي الكردي (ص ٢٤٧ – ٢٤٩) ، وانظر عمدة الطالب (ص ٢٠٨) ولكنه نسب السعاية الى محمد بن اسماعيل أخي علي بن اسماعيل .

(٢) كشف الغمة (ص ٢٧٠) ويراجع كتاب صحيفة الابرار «ج ٢ – ص ٢٩٦» .

(١) الصدوق لقب ابن بابويه ابي جعفر محمد بن علي القمي ، وله ترجمة في دائرة المعارف الإسلامية باسم «ابن بابويه» .

حول «الوضوح والغموض»

عقد الاستاذ عباس فضلى فصلا طويلا تحت هذا العنوان ، تكلم فيه عن غموض الشعر وأسبابه وقيمته ، وانتهى فى حزم الى أننا يجب أن نرفض كل شعر غامض لأن الغموض والجمال لا يجتمعان فى صعيد واحد ، ويظهر أن الاستاذ إنما يريد هذا النوع من الغموض ، الذى يتجلل من حنادس الليل بحجب واستار ، فاذا أعملنا فيه عقولنا وأجهدناها ما وسعنا الأعمال والاجهاد ، لم نتبين شيئا غير الظلام الموحش ، والحلوكة الدامسة ، وليس هذا هو الغموض الفنى أو الشعرى الذى يجعله الدكتور طه حسين سببا من أسباب جمال الشعر ، وإنما يريد الدكتور - فيما أفهم - غموضا آخر جميلا ، لا تنفر منه النفس ولا تستوحش ، وانما تقبل عليه ، وتهش له ، وتجد فيه لذة ومتاعا كبيراً ، وهو أشبه ما يكون بالظلال لا تحجب النور ولكن ترسله بقدر ، ومهما كثر هذا الغموض وفاض فلن يحول بيننا وبين التأثر الجميل بالقطعة الشعرية وما يغمرها من سحر وأبداع ، بل ربما كان هو مثار أعجابنا وتقديرنا ، ومبعث سرورنا وغبطتنا ، هو غموض حقا ، ولكنه غموض ذو بهجة ، تقر به النفس ، ويسر به الذهن ، وما أشبهه بهذه السدول الرقيقة التى يرخيها الضباب على الطبيعة ، فلا يزيدها إلا سحراً وجمالا ، ولا يزيدنا إلا اعجابا واستحسانا .

وهذا الغموض الشعري له أسباب مختلفة ، ولعل كثيراً منها يرجع الى فقر اللغـــة وقصورها فى الافصاح عن عواطف الشعراء النفســية ، وميولهم ، ورغباتهم ، فكثيرا ما تعجز اللغة عن اداء المعانى التى تضطرب فى صدورهم ، وحتى هـــذه الألفاظ التى ظفرت بالأفصاح عن بعض هذه المعانى ، لم توفق فى القيام بمهمتها الشاقة توفيقا كبيراً ، وذلك لأن المعانى تفصح عنها لاتخضع لشىء خاص محدود يعرفه الجميع ، فالمعانى ليست مادية محسوسة ، وإنما الالفاظ هى المحدودة بحروف معدودة وفراغ مخصوص ، ومما يزيد الموضوع خطرا ، ان كل كلمة من هذه الكلمات التى يستعملها الشعراء تعبر عند كل واحد منهم عن حالة مخصوصة لايشركه معه فيها أحـــد مشاركة تامة ، وما هذه الكلمات الا حيل وتدابير يستعملونها للافصاح عن هذه المعانى التى تزفر بها نفوسهم ، ولاشك فى ان بها كثير من التسامح ، كما ان بها كثيرا من الابهام والغموض ، ويخطىء كثيرا من النقاد فيظنون أن لا خلاف بين الحياتين العملية والنفسية ، والواقع ان هناك اختلافا كثيرا ، فالحياة العقلية قد درست واستطاع العلماء ان يعرفوا مقدماتها وطرق استدلالها ، فكان علم المنطق ، أما الحياة النفسية فلا تزال على أشد ماتكون أبهاما وغموضا ، ولهذا كان تحليل الحادثة الشعرية الى عناصرها ، من احساس ، وشعور ، وخيال ، وعاطفة منشأ غموض كثير ينتشر بين أجزاء القصيدة الواحدة ، ومن هنا كان الخلاف كثيرا مايقوم بين النقاد فى فهم القطع الشعرية المختلفة ، لانهم لايعتمدون على مبدأ معروف للمناقشة والمقارنة ، فهم لايستنيرون بتحليل واضح سابق مشابه للحوادث الشعرية التى يتناقشون فيها ، وعلماء النفس أنفسهم يقولون أن الشعور مصدر الابهام ، فما بالنا بالحياة النفسية كلها وماتنطوى عليه من رغبات وعواطف ، وميول وشهوات ، لاسبيل الى حدها أو حصرها ، وإذا كانت هذه هى الحياة النفسية وهى على أشد ماتكون التواء وتعقدا أفلا نسمح لما يخرج منها ان يحمل شيئا من آثار أبهامها مادام جميلا نشغف به ، ونعجب بحسنه وجماله.

والواقع أن الأمر لايحتاج منا إلى أصدار حكم ليفارق الشعر الغموض ويقاطعه ، بل إن ذلك يرجع كما رأينا الى الحياة النفسية ذاتها ، وسواء أرضينا أم غضبنا فسيستمر الغموض مسيطرا على الشعر حتى تتضح الحياة النفسية ، ولاسبيل إلى هذا الايضاح الآن وتاريخ الشعر يؤيد أن هذا الغموض لازم الشعر منذ نشأته الأولى ، فقد كان الانسان - قبل أن يتحول محيط عواطفه إلى جليد تسطع عليه أشعة الأفكار والألفاظ - يعبر عن هذه الحياة الصاخبة فى نفسه بأصوات مبهمة ، ولما أخذت الأفكار والألفاظ تقوم بتجسيم هذا التعبير رأى الشاعر الأول أنها عاجزة عن القيام بمهمتها قياما تاما فأضاف اليها الوزن الشعرى عله يكمل بنغماته المعنى الذى يريد الافصاح عنه ، وللموسيقى الشعرية شأن كبير فى الشعر ، وذلك

جعفر بن يحيى قال له جعفر : بم يستحل أمير المؤمنين دمى ؟ فقال له مسرور ، قال امير المؤمنين : بقتلك ابن عمه عبدالله بن الحسن ابن على بغير اذنه . فهذا دليل أصرح ما يكون على الندم والتوبة وبه تسقط آراء كثير من المؤرخين فى نكبة البرامكة ، وحسبنا بهذا أننا كشفنا غمة تاريخية بالأدلة الناطقة والبراهين الصادقة ، فاستقام بها مجرى من مجارى التاريخ كان متعرجاً ملتويا لاتطرد فيه الحوادث ولا تسترسل فيه الآراء

مصطفى جواد

لأنها إذا ارتقت إلى أسمى درجاتها استطاعت أن تؤثر في نفوس السامعين بدون حاجة إلى فهم الافكار التي تحملها ، فلا يكادون يستمعونها حتى يجدوا لذة جميلة لا يستطيعون أن يرجعوها إلى مصدر سوى هذه النغمات السحرية التي يبثها الشاعر في آثاره الشعرية

وغموض الشعر لا يأتي دائماً من الشاعر وشعره بل كثيراً ما يأتي من القارىء وقراءته ، فالناس يختلفون في فهم القصيدة بل في فهم البيت الواحد ، ولا سبيل إلى كبح جماح هذا الخلاف ، لأنه يرجع إلى حوادث سيكولوجية ؛ فأن كل صورة في الشعر أو فكرة فيه حين ننقلها من عالمنا الخارجي الى عالمنا النفسي الداخلي تصادف مناطق من الشعور تختلف باختلاف القراء ، ولهذا ينتهي كل قارىء غالباً إلى صورة أو فكرة لا يشترك معه فيها غيره ، ولكي يكون حكم القارىء للشعر صحيحاً ، يجب أن يكون ماهراً في اخراج نفسه من كل ما يؤثر فيه ، بدءاً في فهم الحالات العقلية التي تلائم الموضوع الشعري الذي يقرأ فيه ، كما يجب أن يتخلى عن كل النزعات فلا يؤثر شيئاً لقدمه وبقائه ، ولا يحتقر شيئاً لجدته وحداثته

والأبهام كثيراً ما يأتي بما ترمز أليه الفكرة الشعرية ، لان الفكرة الفنية لا تلهم القارىء دائماً برموز محدودة ، فمثلا أذا صور أنسان فتاة رامزاً بها الى الأنوثة ولم يعرف الناس ماذا أراد ، رأيتهم يختلفون فيما بينهم اختلافاً شديداً : هذا يقول إنه يرمز إلى الجمال ، وذاك يقول إنه يرمز الى الدلال ، ويقول ثالث بل إلى الجلال ، وقل يهتدون إلى الرمز الحقيقي الذي أراده الراسم لصورته ، وكذلك المناظر الطبيعية فهي لا تملي علينا فكرة محدودة ؛ وهذا هو الذي يجعلنا نقول إن الانسان يرى من الجمال في المرة الثانية ما لم يره في المرة الأولى ، أي أنها توحي ألينا بألوان مختلفة من الأفكار العذبة والصور الساحرة ، كلما نظرنا اليها وأمعنا فيها ، وليس الأمر كما يظن الاستاذ فضلي من أنه يرجع إلى أننا لا نفهم الجمال مرة واحدة ، إذ الجمال ليس مسألة حسابية يعوزها الفهم ، ولا تمريناً هندسياً ينقصه البرهان ، وأنما هو ينبوع لأفكار كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، ولن ينضب من هذه الأفكار الساحرة إلا إذا فنيت لا ـ قدر الله ـ حياتنا النفسية ، ويتبين جمال أطلاق الشعرية من قيود التحديد في كثير من الآثار الشعرية ، كما نجد في رواية هملت ، فان الناس يختلفون اختلافاً كثيراً في شخصية هملت نفسه ، ولا يكادون ينتهون الى رأي واحد معين ، ولكنهم مع ذلك يتفقون على أن هذه الرواية من أعظم اعمال شكسبير إن لم تكن أعظمها ، وربما كان يستحسن

لهذا السبب ـ أن يعتمد الشعر على الايجاز حتى يصبغ أفكاره بشيء من الابهام والغموض يسمح لنا أن نستوحي منه أفكاراً مختلفة جميلة ، ولا يضع الايجاز من قيمة الشعر بل هو على العكس يرفع منه ويسمو به إلى الافق الأعلى ، وانما الذي يضع منه حقاً هو الأطناب الذي لا يزال بالفكرة حتى يظهرها عارية أمامنا ، فسرعان ما نبتذلها ونحتقرها

وإذن فالغموض الشعري يجب أن نقدره التقدير اللائق به ، فلا نغالي في ازدرائه وتحقيره ، يجب أن نعرف أنه من أهم أسباب جمال الشعر وحسنه ، ومن يدري ؟ ربما كان من أهم أسباب خلود الشعر وبقائه ، فان الآثار الشعرية تشرق عليها الحياة في العصور المختلفة ، بينما تبلى القطعة العلمية بمرور الزمن ، وتنطمس معالمها ، وأكبر ظني أن هذا يرجع إلى وضوح القطع العلمية ، فالشيء الذي يتضح أمام الانسان لا يفكر في ترديده وتكرار النظر فيه . وأي حاجة تستدعي ذلك ؟ . أما الآثار الشعرية فانها لا تتضح أمام الانسان جملة واحدة ، ولهذا نحن نقرأها مرة ومرتين وثلاثاً ، وقد نحفظها ونكررها ولا نحس بضجر ولا بملل ، بل نحن نجد في ذلك لذة مغرية ومتعة طيبة.

والغريب كل الغرابة أن الاستاذ فضلي يدعي ، أن كل بديع في هذا الكون من منظر إلى صوت إلى شعر يلازمه الوضوح كيفما تكيف وتطور وتصور ، ثم ينتهي إلى أن الوضوح هو جوهر الجمال ، وما أعرف أن أحداً يستطيع أن يوافق الاستاذ على دعواه ، بل إن نقاد الفنون المختلفة يكادون يجمعون على أن الوضوح إذا عرض للآثار الفنية أفقدها كثيراً من روعتها وجمالها ، والدلالة على ذلك كثيرة فنحن نعجب بنور القمر أكثر من أعجابنا بنور الشمس ، وما هذا إلا لأن نوره أكثر ابهاماً وأوفر غموضاً ، وكذلك نحن نعجب بالمناظر الطبيعية تتراءى لنا في ثياب أضواء الفجر الغامضة ، أكثر من اعجابنا بها وهي متبرجة في أضواء الهاجرة ، ونحن أيضاً لا نطلب في الموسيقى انكشافاً ولا وضوحاً فمشاعرنا تهيج بالسماع فقط ، وليس من الضروري أن نفهمها ، بل إن كثيرين يتأذون من فهمها ، ويقلقون من وضوحها ، والشعر لا يخرج عن بقية الفنون الجميلة ، فهو كلما كان أكثر وضوحاً ، كان أقل قيمة وأدنى درجة لأنه لا ينطق حينئذ الا بظاهر من القول وضحل من التفكير ، نعم هناك مسألة مهمة يجب أن يأخذ الأدباء لأنفسهم الحذر من شرها ، وذلك ان كثيراً من شعرائنا أفسدوا أذواقنا في حكمنا على الشعر فجعلونا نظن أن بين الجمال والوضوح

مدينة زائفـــة !

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال صاحبي ، وأنا أسايره فى شارع الكورنيش ليلة من ليالى الصيف : « ما أجمل هذه المدينة ! انظر هذا المهيع الممهد ما بين رأس التين والمنتزه مشرفا على لجة يمعن فيها البصر والفكر الى غير غاية . وانظر هذه الابنية الهائلة الشامخة تزحم السحاب بدراها ، وتقابل السماء بمثل نجومها ، وتنسج فى الامواج أشعتها ، وتأمل هذا العقد من المصابيح الكبيرة ، يطوق هذا الخليج الجميل . والسيارات تطوى الارض ذات اليمين وذات الشمال ، فيها المصطافون قد أخذوا من الحياة متعتها ، واهتبلوا من الايام فرصتها ، والحان الموسيقى تدفق من هذه الأندية والمراقص فتموج فى الهواء ، حتى تختلط بأمواج الدأماء . وهذا البحر الزاخر من الناس ، والمحافل المزدحمة بشتى الأجناس يحوطها النظام ، ويهيمن عليها القانون والسلطان ، ويرقبها الشرط والعسس ، كل آخذ بحقه مأخوذ بعدوانه ، ياأخى لقد استبحر العمران ، وشمل الناس الأمان ، وامكنهم العيش السعيد ، واسلس لهم الزمان العصى ، وأطلعت لهم المدنية من النعيم ألوانا ، وأنبتت لهم من اللذات افنانا - ياأخى انها لمدنية . . .

ثم صمت صاحبى ، وتمادى بنا المسير حتى ملنا ذات الشمال الى محطة الرمل فمررنا بباب القنصلية الايطالية ، فرأيت بجانب الجدار شبحين ضئيلين فاقتربت أنعم النظر فيهما فاذا طفلان نائمان ، جلس أحدهما القرفصاء واعتمد بجانبه على الجدار ، وتمدد الآخر على الأرض عرضة لأقدام السابلة ، قلت : وارحمتاه ! طفلان شريدان ألجأهما الشقاء الى هذا الجدار ! ويعلم الله ما بهما من السغب والنصب وما لقيا فى يومهما وأمسهما ، وما يلقيان فى غدهما . قال صاحبى : « لاتعجب فأمثال هذين كثير يعثر بهم السائر حيثما ذهب » . فانقلب الأسى فى نفسى غضبا على صاحبى قلت : « أرأيتك مدينتك هذه العظيمة ، وطرقها المعبدة ، وقصورها الشاهقة ، ومصابيحها المتلألئة ، وسياراتها الخاطفة ، ومصطافيها الناعمين ، ومراقصها اللاهية ، وأنديتها الحافلة ! ! — أرأيتك القانون والسلطان ، والنظام والشرطة والعسس ، وهذا العمران المستبحر ، والسعدة التى شملت الناس ، وألوان النعيم التى طلعت بها المدنية ، والعيش الخفض ، والزمان المواتى ، ومدنيتك الرائعة الفاتنة ! أليس فى هذه المدينة العظيمة لهذين الطفلين سعة ؟ أليس فى هذا العمران لهذين الطفلين مأوى ؟ أليس فى هذه القوانين لهذين الطفلين حماية ؟ أليس فى هذا النظام لهذين الطفلين موضع ؟ أليس فى هذه المدنية لهذين الطفلين لون واحد من الحياة ؟ أليس فى هذه القلوب لهذين الطفلين مرحمة — يا صاحبى ! حسبك حسبك ! لا تحدثنى عن المدنية ونعيمها ، لا تخدعنى بالمدنية وقوانينها !

إنها لمدنية زائفة !

عبد الوهاب عزام

علاقة وثيقة ، لأننا نجدهم يحسون بالضوء أكثر من أحساسهم باللون أو أى شىء آخر ، فاذا وصفوا لنا روضا لم يشاءوا أن يصفوه الا والسماء مصحية ، وقرص الشمس يلتهب التهابا ، وقلما تحدثوا بشىء عن هذا الروض إذا تنفس الصبح أو بزغ القمر ، ولو تدبر شعراؤنا لعرفوا أن الجمال لا يبدو عاريا مكشوفا أمام العيون ، وانما يتخذ دائما سرابيل تقيه شر الوضوح والابتذال سواء فى الطبيعة ، أو فى الشعر ، أو فى اى شىء آخر ؟

شوقى ضيف
بكلية الآداب

عام جـــديد !

بين عام مضـــى وعام آتى
موقف للمنى وللذكـــريات
يهتف الشيـــخ بالقديم وداعاً
ويحيي الجديد فى السنـــوات
ويرى الكهل فى الشباب مراحا
حفلا بالجمال والصـــبوات
لم يزل طيره عـــلى الفنن المنـ
ضور يدعـــو الى متاع الحياة
ويغنى الشباب بالامل المعســـو
ل دنيا خـــلابة البسمات
أيها العام ماحســـابك ايا
مٌ تقضت فى يقـــظة وسبات
رب يوم يمر فى البؤس عـــاما
وسنين تمر كاللمحـــات
أيها العام كـــن على مصر خيرا
طـــال عهد الشقاء والازمات
فانشر النور والسلام على الوا
دى وأطلق سواحر النغـــمات

يس عبد الله

الشافعى واضع علم أصول الفقه

للاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق
أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

— ٥ —

ا ـ الدراسات الفقهية الى عهد الشافعى . ب ـ أهل الرأى وأهل الحديث
جـ ـ الشافعى بين أهل الرأى وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د ـ وضع الشافعى علم أصول الفقه

وفى صدر العهد العباسى تمكن الاستنباط واستقرت أصوله وجعل لفظ « الفقه » ينتهى بالتدريج الى أن يكون غير مقصور على المعنى الأصلى أى الاستنباط من الادلة التى ليست نصوصاً وأصبح المعنى الأول للفقه هو : « الأحكام الشرعية العملية المأخوذة من أدلتها التفصيلية » نصوصا كانت او رأياً وسمى أهل هذا الشأن بالفقهاء ونشأ التأليف فى الفقه بهذا المعنى وانقسم الفقه الى طريقتين طريقة أهل الرأى والقياس ، وهم أهل العراق ، وطريقة أهل الحديث وهم : أهل الحجاز

ب — أهل الرأى وأهل الحديث

ومقدم جماعة أهل الرأى الذى استقر المذهب فيه وفى أصحابه هو : « أبو حنيفة » المعتبر أبا لمذهب أهل العراق ، أسسه وأعانه على تأسيسه تلميذاه الجليلان : « أبو يوسف » القاضى المتوفى سنة ١٨٢ هـ — ٧٩٧ م و « محمد بن الحسن » الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ — ٨٠٤ م

ولئن كان حماد بن سليمان الكوفى المتوفى سنة ١٢٠ هـ — ٧٣٧ و ٧٣٨ م هو أول من جمع حوله طائفة من التلاميذ يعلمهم الفقه . مع ميل غالب للرأى . وكان « أبو حنيفة » من هؤلاء التلاميذ فان حماداً لم يترك أثراً علمياً مكتوبا . أما أبو حنيفة فيقول صاحب « الفهرست » : وله من الكتب « كتاب الفقه الاكبر » — كتاب رسالته الى البستى — كتاب العالم والمتعلم — رواه عنه مقاتل — كتاب الرد على القدرية — والعالم براً وبحراً ، شرقا وغربا ، بعداً وقرباً ، تدوينه رضى الله عنه) ص ٢٠٢

ويذكر الموفق بن أحمد المكى الحنفى فى كتابه « مناقب الإمام الأعظم » أثر أبى حنيفة فى الفقه بقوله جـ ١ ص ١٣٦ ، ١٣٧ : « وابو حنيفة أول من دون علم هذه الشريعة لم يسبقه أحد ممن قبله لأن الصحابة والتابعين لم يضعوا فى علم الشريعة أبوابا مبوبة ولا كتبا مرتبة انما كانوا يعتمدون على قوة فهمهم وجعلوا قلوبهم صناديق علمهم فنشأ ابو حنيفة بعدهم فرأى العلم منتشرا فخاف عليه الخلف السوء أن يضيعوه ولهذا قال — صلعم — : ان الله تعالى لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وانما ينتزعه بموت العلماء فيبقى رؤساء جهال فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون فلذلك دونه ابو حنيفة فجعله ابوابا مبوبة وكتبا مرتبة . فبدأ بالطهارة ثم بالصلاة ثم بسائر العبادات على الولاء ثم بالمعاملات ثم ختم بكتاب المواريث

وانما ابتدأ بالطهارة ثم بالصلاة لأن المكلف بعد صحة الاعتقاد أول مايخاطب بالصلوات لأنها أخص العبادات واعم وجوبا ، وآخر المعاملات لأن الاصل عدمها وبراءة الذمة منها وختمه بالوصايا والمواريث لأنها آخر أحوال الإنسان فما احسن ماابتدأ به وختم وماحذقه وأفهم وأفقه وأمهر وأعلم وأبصر

ثم جاء الائمة من بعده فاقتبسوا من علمه واقتدوا به وفرعوا كتبهم على كتبه ، ولهذا روينا باسناد حسن عن الشافعى ـ رح ـ انه قال فى حديث طويل : « العلماء عيال على أبى حنيفة فى الفقه »

وروى عن ابن سريج ـ رح ـ أنه « سمع رجلا يتكلم فى ابى حنيفة فقال له ياهذا مه ، فان ثلاثة ارباع العلم مسلمة له بالاجماع والرابع لانسلمه لهم »

قال : وكيف ذلك ؟ قال : لان العلم سؤال وجواب ، وهو أول من وضع الاسئلة فهذا نصف العلم ، ثم أجاب عنها فقال بعض : أصاب ، وبعض : أخطأ ، فاذا جعلنا صوابه بخطئه صار له نصف النصف الثانى والربع الرابع ينازعهم فيه ولا يسلم لهم . . ولأنه ـ رح ـ اول من وضع كتاباً فى الفرائض واول من وضع كتاباً فى الشروط . والشروط لايستطيع ان يضعها الا من تناهى فى العلم وعرف مذاهب العلماء ومقالاتهم لأن الشروط تتفرع على جميع كتب الفقه ويتحرز بها من كل المذاهب لئلا ينقضها حاكم بنقض او فسخ ... وقد قيل بلغت مسائل أبى حنيفة خمسمائة الف مسألة و كتبه ، و كتب أصحابه تدل على ذلك »

وجملة القول : أن مذهب أهل الرأى هو الذى رتب أبواب الفقه ، وأكثر من جمع مسائله فى الابواب المختلفة وكان الحديث قليلا فى العراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل : « أهل الرأى »

وانما كان أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق لأن المدينة دار الهجرة ، ومأوى الصحابة ومن انتقل منهم الى

العراق كان شغلهم بالجهاد وغيره من شؤون الدولة أكثر .

ومذهب أهل العراق كان يقصد الى جعل الفقه وافيا بحاجة الدولة التشريعية فكان همه : أن يجعل الفقه فصولا مرتبة يسهل الرجوع اليها عند القضاء والاستفتاء ، وكان همه أن يكثر التفاريع حتى تقوم بما يعرض ويتجدد من الحوادث . لا جرم كان مذهب أهل الرأى مذهب القضاء ، وكان أئمته قضاة كأبى يوسف ، ومحمد . وكان أهل الحديث يعيبون أهل الرأى بكثرة مسائلهم وقلة روايتهم

وسئل رقبة بن مصقلة عن أبى حنيفة فقال : « هو أعلم الناس بما لم يكن ، وأجهلهم بما قد كان ، وتروى هذا القول عن حفص ابن غياث فى أبى حنيفة : يريد أنه لم يكن له علم بآثار من مضى ، عن كتاب مختصر جامع بيان العلم

ويروى ابن عبدالبر فى كتاب « الانتقاء » ص١٤٧ (عن الحكم ابن واقد قال : رأيت أبا حنيفة يفتى من أول النهار الى أن يعلو النهار ، فلما خف عنه الناس دنوت منه فقلت : يا أباحنيفة لو أن أبا بكر وعمر فى مجلسنا هذا ثم ورد عليهما ماورد عليك من هذه المسائل المشكلة لكفا عن بعض الجواب ووقفا عنه . فنظر اليه وقال : أمحموم أنت ؟ يعنى مبرسما).

أما أهل الحديث — أهل الحجاز — فامامهم ، مالك بن أنس ، وكانت طريقة اهل الحجاز فى الأسانيد أعلى من سواهم وامتن فى الصحة لاشتدادهم فى شروط النقل من العدالة والضبط ، وتجافيهم عن قبول « المجهول الحال » ، فى ذلك

وكتب (مالك) كتاب (الموطأ) أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه

وفى كتاب (تبييض الصحيفة) : أن (مالكا) فى ترتيبه للموطأ متابع لأبى حنيفة ، ومن العسير اثبات ذلك ، فان أبا حنيفة ومالكا كانا متعاصرين ، وان تأخر الأجل بمالك وأقدم ماحفظ من المجاميع الفقهية المؤلفة فى عصور الفقه الأولى بين البنيين هو (موطأ مالك)

ويقول صاحب الفهرست فى سرد كتب مالك : . . وله من الكتب : كتاب الموطأ — كتاب رسالته الى الرشيد — ص١٩٩

وكانت وجهة اهل الحجاز كوجهة أهل العراق تدوين الأحكام الشرعية مبوبة مرتبة ، إلا أن اعتماد أهل الحديث على السنة أكثر من اعتمادهم على الرأى ، بل هم كانوا يعتبرون الرأى ضرورة لايلجأون اليها إلا على كره وعلى غير اطمئنان.

وقد روى عن مالك : انه قال فى بعض ما كان ينزل فيسأل عنه فيجتهد فيه رأيه : « ان نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين » مختصر جامع بيان العلم ص ١٩٢

وكان أهل الحديث يكرهون أن يتكاثر الناس بالمسائل كما يتكاثر أهل الدرهم بالدراهم ، و كانوا يكرهون السؤال عما لم يكن ، قالوا : ألا ترى أنهم كانوا يكرهون الجواب فى مسائل الإحكام مالم تنزل ، فكيف بوضع الإستحسان والظن والتكلف وتسطير ذلك واتخاذه دينا !

وفى « الانتقاء » : قال « الهيثم بن جميل » : «شهدت مالك ابن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها : « لا أدرى » ».

ولم يكن أهل الحديث مع ذلك ينكرون اجتهاد الرأى والقياس على الاصول فى النازلة تنزل عند عدم النصوص)

ح - الشافعى بين أهل الرأى وأهل الحديث

ظهر الشافعى والإمر على ما وصفنا من نهضة الدراسة الفقهية فى بلاد الاسلام نهضة ترمى الى الوفاء بالحاجة العملية فى دولة تريد أن تجعل أحكام الشرع دستوراً لها

ومن انقسام الفقهاء الى أهل رأى يعتمدون فى نهضتهم على سرعة افهامهم ونفاذ عقولهم وقوتهم فى الجدل . وأهل حديث يعتمدون على السنن والآثار ولا يأخذون من الرأى الا بما تدعو اليه الضرورة

كان أهل الرأى يعيبون أصحاب الحديث بالأكثار من الروايات الذى هو مظنة لقلة التدبر والتفهم (حكى عن أبى يوسف قال: سألنى الأعمش عن مسألة وأنا وهو لاغير ، فأجبته ، فقال لى : من أين قلت هذا يايعقوب ؟ فقلت : بالحديث الذى حدثتنى أنت . فقال يايعقوب أنى لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك ماعرفت تأويله الى الآن . مختصر جامع بيان العلم ص ١٨٢.

فأصحاب الحديث كانوا حافظين لأخبار رسول الله ، الا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل ، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأى سؤالا أو اشكالا بقوا فى ايديهم متحيرين. الرازى ص ٣٨.

هم ضعاف فى الاستنباط وفى القدرة على دفع المطاعن والشبهات عن الحديث

(يتبع)

صفى الدين الحلى

٦٧٧ — ٧٥٠ هـ

(شاعر أتى بما أخجل زهر النجوم فى السماء ، كما قد أزرى بزهر الربيع فى الارض)

هكذا يصف (ابن شاكر) صاحب فوات الوفيات بلبل الحلة وحماة والقاهرة : صفى الدين . وكأنه إذ يفاخر به الطبيعة فى جمال أرضها وسمائها على ماحوى ذلك الجمال من نور وشذا وألوان وسحر ، يريد أن يسجل لنا باعترافه دليلا دامغا على أولئك الذين يزعمون أن الأدب العربى قد أخذته الصيحة يوم حطم التتر عرش المستعصم فى بغداد !

نعم هناك أناس يعتقدون أن الأدب العربى بعد سقوط بغداد قد أجدبت أرضه وهوت نجومه . وأصبح لا ينتج إلا دنىء النبات ، ولا يستضىء إلا بخافت الذبالة ، وأنه قد ضل عن منابع الوحى فانزوى تحت قبة ذلك العصر المظلم المغمور الذى يسمونه عصر المغول والأتراك أو عصر الدول المتتابعة ؛ ولكن هذا الزعم مبنى على نظرية خاطئة ذاعت فى مبدأ دراسة الأدب ، ثم أخذت معاول الآراء الحديثة تهدمها من كل جانب : وهى التى كانوا يعبرون عنها بقولهم « الأدب فن السياسة » ، حيثما ولت السياسة وجهها تبعها خيالها . وكلما ألم بها سقم تقاسمته مع خدينها ، ولهذا جعلوا عصور الأدب من حيث القوة والضعف مطابقة التقسيم لعصور السياسة ، كأن الأدب شخص قابع تحت عرش الملك يحين أجله إذا انقض عليه العرش فهشم أضلاعه !

لم يمت الأدب بعد أن ماتت بغداد ، وانما ألجأته السياسة فقط إلى الفرار من مجال الفوضى والوهن ، فهام على وجهه قليلا ، ثم ألقى العصا فى معاقل حصينة يستطيع فيها أن ينصب رايته وينشر بساطه بعد ذلك اللغب والاعياء . كانت هذه المعاقل منبثة فى الأقطار العربية ولكنها ترجع جميعا إلى ثلاثة مراكز قوية : مصر كما تمثلها القاهرة ، والشام كما تمثلها حماة ، وجزيرة العراق كما تمثلها ماردين . وبين هذه المراكز ظل الأدب العربى يتنقل طليقا حيا معلنا عن نفسه بأفذاذ نوابغ لا يقل بعضهم عن أعلام العصر العباسى فى ريعان شبابه ، ومن هؤلاء ابن نباتة المصرى وصلاح الدين الصفدى ، وابن حجة الحموى ، وعلاء الدين بن الأثير ، وصفى الدين الحلى الذى نتكلم اليوم عنه من حيث هو شاعر .

* * *

نشأ صفى الدين بالحلة من مدن العراق مهد الوحى الشعري الغامر شاعرا بفطرته : يحب الشعر ويطرب لما فيه من موسيقى وانسجام ، فأكب على حفظ كثير من مقطوعاته وهو لم يزل بعد غلاما غض الاهاب ، وأخذ ينظم من أمثالها ما توحيه خواطره وميوله فى غير تصنع أو كلفة كما يقول هو عن نفسه « كنت قبل أن أشب عن الطوق ، وأعلم ما دواعى الشوق ، بهجا بالشعر نظما وحفظا ، متقنا علومه معنى ولفظا ، وامقا بسبك القريض ، كارها للتكسب بالقريض » فكانت هذه الفطرة أول عامل فى إيجاد تلك القوة الشعرية النابغة ، وأكبر مؤثر فى توجيه نفسه بعد إلى التغنى بالعواطف الصادقة الطبيعية المتصلة بأعمق النفس ورغبات الحياة . ثم اجتمع له عامل آخر شحذ هذه الفطرة وعاونها على السير فى اتجاهها وهو ولادته من أسرة راقية ذات قدم فى المجد نفخت فيه من روح العظمة فجعلته يهتف بمآثرها ويغرد بمفاخرها ، وربته كما ينشأ ولد النبلاء آخذا بقسط وافر من الثقافة العربية السائدة فى ذلك الوقت ، أو بالأحرى من الثقافة العباسية ، لأن تراث الفكر العباسى كان لا يزال هو المثل الرفيع الذى يحتذيه كل من أراد أن يرتوى من مناهل العلم والأدب بالرغم مما أصابه من القضاء السياسى . وإلى هذين العاملين كان هناك سبب ثالث ساعد كثيرا فى بناء ذلك الصرح الشعرى الباذخ وهو ما ألجأته الحياة إليه من التنقل بين عواصم البلاد العربية : فقد فارق الحلة وهى مسقط رأسه حول عام سبعمائة من الهجرة إلى « ماردين » أكبر قلاع الجزيرة حيث نزل على صاحبها الملك المنصور نجم الدين غازى ثم ابنه الملك الصالح ، وهما من أمراء البيت الأرتقى الخاضع لسيادة مصر فى عهد السلاطين ، ورحل بعد ذلك حول عام ٧٢٧ إلى مصر نفسها فنزل بالملك الناصر قلاوون ، ثم عاد إلى حماة بالشام فاتصل بالسلطان المؤيد عماد الدين الايوبى وهو المؤرخ الشهير بأبى الفداء ، وابنه الافضل ، وقد كانا واليين من قبل سلطان مصر أيضا ، وذهب إلى الحجاز مرارا لأداء فريضة الحج والزيارة ، فكان لهذه الرحلات آثار قوية فى إحياء شعره واستغلال قريحته وفى تنمية ثقافته ومقدرته الادبية . وإذا كان الرجل قد اجتمع له نقاء الفطرة ورقى الاسرة وملاءمة البيئة فماذا تنتظر منه إلا أن يكون شاعرا فحلا يرفع منار الادب ويحتل له من الخلود مكانا ؟!

هكذا كانت دواعى الشعر مهيأة لصفى الدين ، فأخذ يصعد إلى قمته حتى أشرف على الغاية وصار أمير الشعر بلا منازع فى أقطار الشرق ما عدا مصر التى كانت مغترة إذ ذاك بأميرها الذى لايبارى وهو : «ابن نباتة » ، ولما كان العصر الذى نشأ فيه الحلى هو الوارث لآثار الفكر العباسى بالعراق ، وثمرات العصر الأيوبى بمصر ، فقد ظهرت طوابع هذين العهدين فى شعره ، واصبح مرآة حاكية لصورتيهما ، ونستطيع على ضوء هذا الحكم أن نعرف الخصائص التى تميز بها شعره من ناحية الاسلوب وناحية المعانى .

أما أسلوبه فقد كان على نمط كبار الشعراء العباسيين فى العصر الثانى متين الديباجة شديد الأسر مصوغا من الألفاظ القوية الرنانة المألوفة التداول ، إذ كان يوجه كثيرا من عنايته إلى الناحية اللفظية ، ويأبى إلا أن يعارض المتنبى والطغرائى والحمدانى وأضرابهم من الفحول ، فلا يقصر خطوه عن مداهم ولا يقع دون علاهم . وقد احتذى مع ذلك طريقة القاضى الفاضل التى نشرها بمصر وسرت منها إلى الأدب العربى جميعه ، فملأ شعره بالطباق والجناس والتورية والاقتباس وغيرها من أنواع الصناعة البديعية حتى كاد أسلوبه يعد مثلا كاملا لهذه الطريقة ، وأوشك كل محسن بديعى على كثرة فروع هذه الأنواع أن يأخذ حظه من شعره .

ومن الحق أن نقرر أن هذه الظاهرة كانت تعد فى ذلك العصر من الأمثلة العليا للشعر ، بحيث تقاس منزلة الشاعر بقدرته على تطبيقها واستخدامها فى كلامه وخلق المناسبات لها كلما استطاع ، كما يتضح لنا ذلك من كتب النقد التى ألفت حينذاك ، كخزانة الأدب لابن حجة الحموى ، والوافى للصفدى وغيرهما ، ولهذا لا يجوز لنا أن ننظر إلى تلك الصناعة نظرة فتور أو سخط ، بل على العكس ينبغى أن نحكم على كل شاعر بروح عصره ونقيسه بمقياس زمانه لئلا نصدم القديم بالجديد ، ونخلط الماضى بالحاضر . وعلى هذه القاعدة يمكننا أن نحكم لصفى الدين بأنه شاعر قدير مفتن استطاع أن يتلاعب بالالفاظ فى مجال البديع بمهارة يفوق بها كثيرا من نابهى الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه . بل إن الباحث العصرى قد لا يملك نفسه أحيانا من الأعجاب بهذه الصناعة التى ينعى عليها لما يبدو له من لطف التقابل والتطابق واللمح والايماء فى معان منسجمة وخيال منتظم . وإذا شئت فانظر إلى قوله :

وما ذاك إلا أن يوم وداعنا   وقد غفلت عين القريب على رغم
ضممت ضنى جسمى الى ضعف خصرها   لجنسية كانت له علة الضم
ربيبة خدر يجرح اللحظ خدها   فوجنتها تدمي وألحاظها تدمي
اذا ابتسمت والفاحم الجعد مسبل   تضل وتهدى من ظلام ومن ظلم
تغزلت فيها بالغزال فأعرضت   وقالت لعمرى هذه غاية الذم
وكم قد بذلت النفس أطلب وصلها   وخاطرت فيها بالنفيس على علم
فلم تلد الدنيا لنا غير ليلة   نعمت بها ثم استمرت على العقم !

وقد بلغ من قدرته وتجليته فى هذه الحلبة أنه ألف قصيدة طويلة عدتها مائة وخمسون بيتا تشتمل على مثل هذا العدد من أنواع البديع المختلفة كأنها كتاب علمى وضع لضبط هذا الفن بالقاعدة والمثال ، ومع ذلك فهى قطعة أدبية قيمة تجمع بين الغزل الرقيق والمدح الرائع والاستعطاف والوصف فى سياق مخاطبة الرسول (ص) الذى يتوسل اليه الشاعر بعد مرض عضال شفاه الله منه ! ومن أبياتها هذه الامثلة الأربعة التى جمع فيها أنواع التوشيح والمقابلة واللف والنشر والتذييل والالتفات :

هم أرضعونى ثدى الوصل حافلة   فكيف يحسن منها حال منفطم ؟
كان الرضا بدنوى من خواطرهم   فصار سخطى لبعدى عن جوارهم
وجدى حنينى أنينى فكرتى ولهى   منهم إليهم عليهم فيهم بهم
لله لذة عيش بالحبيب مضت   فلم تدم لى وغير الله لم يدم !

ومع أن صفى الدين عارض كثيراً من الشعراء فى العصرين الجاهلى والأموى ، وشاهد كثيرا من مظاهر حياتهم فى البادية أثناء رحلاته الطويلة ، فاننا لم نره يتناول الاوصاف الجاهلية الغريبة أو يختار غير الشائع فى عصره من الألفاظ السهلة الجارية على الالسن الفصيحة ، متأثرا فى ذلك شعراء العصر الايوبى فى مصر وان كان لم ينزل معهم الى الذوق الشعبى العام : فكأنه وقف وسطا بين الاسلوب القديم الغامض ، والأسلوب الحديث الواضح ؛ ومن أجل موقفه هذا رماه أحد النقاد فى عصره بسهم حاد إذ عاب عليه ضعف شعره من الوجهة اللغوية وقلة استخدامه للألفاظ الغريبة ، فأخذ يرد عليه بهذا البيان القوى الحاسم :

إنما الحيزبون والدردبيس   والطخا والنقاخ والعلطبيس
والجراجيح والشقحطب والصعـ   ـقب والعنقفير والعنتريس
لغة تنفر المسامع منها   حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يذكر النافر الوحـ   ـشى منها ويترك المأنوس
أين قولى : هذا كثيب قديم   ومقالى : عقنقل قد موس ؟
لم نجد شاديا يغنى : « قفا نبـ   ـك » على العود إذ تدار الكئوس
لا ولا من شدا « أقيموا بنى أمـ   ـى » إذا ما أديرت الخندريس
خلى للأصمعى جوب الفيافى   فى نشاف تخف منه الرءوس
إنما هذه القلوب حديد   ولذيذ الألفاظ مغناطيس

فهذه دعاية ثائرة للتجديد تدل على أن شاعرنا لم يكن يحب التقليد الأعمى للأقدمين ، وانما يرى من الواجب أن تتحول اللغة إلى أشكال شتى بحسب ما يقتضيه العصر مادامت محافظة على قواعدها الأساسية ، وقد ذكرنا أن هذه الدعوة ليست إلا صدى لمذهب الشعر المصرى سرى فى بلاد الشرق العربى حين كان منضويا تحت لواء مصر السياسى والاجتماعى فى عهد الأيوبيين والسلاطين .

(يتبع)   ضياء الريس

من طرائف الشعر

وصف القلب

وهى قطعة من عبقريات الوصف وروائعه

للعالم الشاعر الاستاذ احمد الزين

من لقلب بين الجوانح عانى   يجمع اليأس والمنى فى مكان
شاعر فى الضلوع يخفق بالمعـ   ـنى فيعيا عنه بيان اللسان
كم خيال له يضيق به اللفـ   ـظ فيسمو إليـه بالخفقان
وأمانى فيه كالزهر منها   ماذوى والقليل فى ريعان
فهو راث لما ذوى من أمانيـ   ـه ومستبشر بباقى الأمانى
باكيا شجوه وآنا نراه   يتغنى بأعذب الألحان
فهو كالعود فى يد الدهر يشدو   بالذى شاء دهره من أغانى
قطع العيش بين خوف وأمن   ورجاء ناء وآخر دانى
فتراه حينا يلج به الوجـ   ـد وحينا يلوذ بالسلوان
وتراه يسيل كالماء لطفا   وتراه كالنار فى الثوران
صامت وهو لا يني عن حديث   مطمئن فى ثورة البركان
بالسلطانه القوى ولا شيـ   ـء عليه فى الأرض ذو سلطان
لا تلمنى اذا تبعت هواه   هو بعضى وآخذ بعنانى
كم حدانى إلى هوى لم يدعنى   فيه أصغى لفكرتى وجنانى
قادنى للهوى ولو كان يدرى   ما يلاقيه فى الهوى لنهانى
لج فيه فكان شرا عليه   ليتنى قد عصيته إذ عصانى
عصف الحب بالقلوب فقلب الـ
ليث فى حربه كقلب الجبان
مضغة فى الضلوع يؤلمها المس   غدت نهبة لصرف الزمان
فوق موج الآلام تذهب حيرى
كسفين تسرى بلا ربان
فهى بين الاحزان تفنى ويحييـ   ـها خيال التعليل والنسيان
جل من صاغها ميولا وأهوا   ء ولم يعد طينة الانسان
وبراها من الملائك نورا   تتراءى فى صورة الجثمان
فهى بين الضلوع لا تملأ الكف
وفيها صحيفة الاكوان

موعظة الغاب !

للأستاذ خليل هنداوى

رحت للغاب ، على أتسلى   عن حظوظ ساءت بمرأى الغاب
هائم الروح فى ضواحيه ، ناس   حزنى ، حاسد طيور الروابى
تملأ الجو بالغناء ، ونفسى   لحنها لحن شقوة واكتئاب
والازاهير ناشرات شذاها   فى ربيع من الهوى والشباب

***

قلت يا روحى الكئيب تعزى   واسترح يا فؤاد بعد العذاب
وانف عنى يا غاب بعض شقائى   أرح عانيا من الأتعاب

***

قال لى الغاب وهو يسخر منى   والصدى كان منه رجع جوابى :
« أنا اشكو الذى تشكيت منه   من قضاء يرمى بزرق الحراب »
« لا سلام كما تصورت عندى   كلنا فى تنازع وغلاب »
« لا يغرنك ماترى من سكون !   ضم هذا السكون كل اضطراب »
« ذاك معنى الحياة فى كل صقع   من لحوم النعاج قوت الذئاب »
« لا تغرنك زهرة فى ربوعى   تتسامى فواحة الاطياب »
« لا يغرنك طائر راح يشدو   فى الروابى بلحنه المطراب »
« فارتقب اهل ترى يتم غناه؟   و القضاء القاسى له فى ارتقاب »
« لو تأملت فى ربوعى لأبصر   ت نضالا فى الطير والاعشاب »
« كم زهور راحت ضحايا زهور !   وعقاب فريسة لعقاب ؟ »
« فصراع الحياة فوق التراب   وصراع الحياة تحت التراب »

***

قلت يا غاب ! ما رأيتك تشكو   انت راض عن القضاء المرابى
قال هل تنفع الشكاة فاشكو   قدر لا يرى طريق الصواب !
فتعلم مثلى السكوت فانى   قاهر بالسكوت كل مصاب
أعطه ما يريد ، فهو عنيـد   لا يدارى ، وفز ببعض الرغاب

***

عدت والهم عالق بفؤادى   عدت والغاب زاد فى أوصابى
فترانى - اذا رأيت - صموتا   فتخال الهناء ملء إهابى
غير أنى واريت بالصمت همى   وبقلبى دفنت صمت الغاب

دير الزور   خليل هنداوى

البريد الأدبي

الحياة الأدبية

حفلة جائزة نوبل العالمية

يعلم القراء أن جائزة نوبل الأخيرة في الأدب قضت بها لجنة التحكيم للروائي الروسي المهاجر إيفان بونين . وقد وقعنا في البريد الأخير على وصف الحفلة التي أقيمت في القصر الملكي السويدي لتسليم جوائز نوبل للفائزين .

ولما كنا نحب أن نسجل في هذا الباب كل حدث أدبي كبير ، فنحن ننقلها تنويهاً بالأدب ، الروسي خاصة ، وبمكانة الأدب والأدباء في العالم المتحضر عامة ، وحضاً على رفع الفنون فوق كل اعتبار جنسي أو سياسي



ايفان بونين

أرسلت الدعوة الرسمية الى المدعوين قبل يوم الحفلة بأيام عدة ، وهي محررة على النحو الآتي :

« المرجو من حضرات الفائزين الحضور الى قاعة الحفلات الموسيقية يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٣ في الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين على الاكثر لتسلم جائزة نوبل ، وسيشرف صاحب الجلالة تتبعه الأسرة الملكية وسائر الحاشية ، في الساعة الخامسة تماما لشهود الاحتفال ، ويسلم جلالته شخصيا الجوائز المذكورة الى كل من الفائزين . وفي الساعة المشار اليها توصد الابواب ويبدأ الاحتفال »

وأهل السويد شديدو المحافظة على المواعيد ؛ فلا يستحب عندهم التبكير عن الموعد المضروب ولا يجوز مطلقا التأخر عنه .

فكان يرى الرائي في الساعة الخامسة الا عشر دقائق رتلا ممتدا من السيارات وقوفا على مدخل قاعة الحفلات الموسيقية في القصر الملكي باستكهلم . واذا بسيارة فخمة تقل إيفان بونين — وقد تفضل بأعارتها اياه أحد الأصدقاء ، تقف امام درك الباب الخارجي في الدقيقة المحدودة . وكانت الجموع الحاشدة تزداد احتشادا حول القصر وما يجاوره ، وكانوا يعرفون الفائز بجائزة الادب اذ شهدوا صورته منذ اعلان فوزه مراراً في جميع الصحف وفي زجاج المكاتب ، فحيوه وهتفوا له متحمسين ، وتنحوا مفسحين له الطريق في احترام ومحبة . وارتقى إيفان بونين الدرك بنشاط ، وكان يضيئه سنا المشاعل الاحمر الخفاق . ثم أفضى من دهليز طويل الى غرفة صغيرة ملاصقة للمنصة التي تعزف عليها الموسيقى عادة في القاعة الكبرى لحفلات البلاط .

وكان قد سبقه الى هذه الغرفة زملاؤه الفائزون هذا العام من العلماء الجهابذة وكلهم من الانفعال محتقن الوجه أو شاحبه ، وهم بالقياس اليه في ريعان الشباب لا يكاد يتجاوز أكبرهم الخامسة والثلاثين من عمره ، والى جانبهم إيفان بونين في الثالثة والستين ، بشعره الأشيب ، ومعارف وجه الكهل المطوطة النبيلة ، مما جعله أروع طلعة وأكثر هيبة

ولم تكد تنقضي دقائق معدودات حتى غصت القاعة ، وتوزع في رحابها كالأشباح المتحركة ألفان من المدعوين هم أعلام العاصمة السويدية ، وذلك في سكون ونظام لا تشوبهما شائبة ، وكانت بذلة السهرة محتمة بلا أستثناء ، فالرجال في الزي الرسمي والسيدات في أبهى زينة

وكانت المنصة مغمورة بضياء ناعم لين ، مزدانة بازهار لاعداد لها سويدية الموطن وردية اللون ، تتخللها أزهار وأفنان غريبة النابت مجلوبة . وفي الصدر ، لصق الحائط تقريباً ، يقوم تمثال نصفي للملك من الشبه يجلله العلم السويدي وأعلام الأمم التي ينتمي إليها الفائزون هذه السنة ، والظاهر أن حالة « بونين » الخاصة أثارت في البداية بعض المشاغل ، ذلك أن الفائز الروسي خارج على البلاشفة وفي عداد من لا وطن لهم ، والسويد معترفة بالدولة السوفيتية .. فما

العمل ؟ لو رفع العلم القيصري القديم لترتبت عليه لا محالة تعقيدات سياسية ، كما أنه لا يمكن النظر فى رفع الراية الأخرى رمز المطرقة والمنجل . وأخيراً قرر القائمون على الاحتفال تخلصاً من هذه الورطة زيادة علم قومي يمثل صليبا أصفر فى ساحة زرقاء

وقبل بدء الحفلة بدقائق قلائل احتل أعضاء المجمع السويدى الجانب الايمن من المنصة ، أما الجانب الايسر فكانت فيه أربعة مقاعد ضخمة ، خلت مؤقتا ، وهى مخصصة للفائزين الذين يتلهفون شوقا الى الظهور .

***

دقت الساعة خمساً ، ونفخت الابواق ، ودوى صوت من ركن من الاركان يتعذر تحديده :

ــ صاحب الجلالة الملك !

ودخل القاعة الملك جوستاف الخامس ، نحيف القامة ، رشيقا للغاية ، يعرفه الرياضيون فى الخافقين . وفى اثره جميع أفراد الأسرة المالكة ، والأمراء والأميرات قادمين من أطراف المملكة ، وكبار رجال البلاط . فوقف جميع الحاضرين كرجل واحد ، وانحنوا فى احترام عميق ، بينما كانت موسيقى غير منظورة تعزف النشيد القومى ويترنم معها الحاضرون أجمعون.

حتى اذا جلس الملك استوى الجميع فى مجالسهم بخفة ولطف ، ثم ما لبثوا أن قاموا بعد لحظة وقوفا ، وأصوات الابواق تعزف ، والسعداء الأربعة الفائزون يدخلون ، وكان ايفان بونين خاتمة الموكب والى جانبه السكرتير الدائم للمجمع السويدي . وبعد أن حيوا الملك ثم شهود الحفلة جميعا ، اخذوا اماكنهم

وهنا فى الحقيقة يبدأ الاحتفال

قام أحد أعضاء المجمع ، وبنظرة منه ساد الحاضرين صمت مطلق ، وألقى خطابا يعدد فيه مناقب الفائزين من جهابذة العلوم الطبيعية . ودوت الابواق وملأت القاعة بانغامها الجليلة . ونزل أحد العلماء الشباب الجهابذة من المنصة الى القاعة ، ودنا من الملك . فصافحه الملك مصافحة قلبية قوية ، وعاد الفائز متأثراً ظاهر التأثر الى مكانه يحمل شهادة ، ونوطا منقوشا لتكريمه خاصة . وتعالى التصفيق عاصفا قاصفا . وتكرر هذا ثلاث مرات للعلماء الثلاثة . واخيرا جاء دور بونين

***

ولقد قضت التقاليد المرعية من سنوات عدة أن تعطى جائزة نوبل فى الأدب آخر الحفلة . فهى ختامها . وكذلك كان الحال هذا العام . فلما أن عاد الفائزون الثلاثة الأولون الى مقاعدهم على المنصة قام سكرتير المجمع ـ وهو الذى قدمه الى لجنة المحكمين ـ قام فى تؤدة ، وأصلح فى شيء من التعالم والتفيهق رداءه ، وتوسط المنصة ، وتلا بصوت خالجه الانفعال ، ثم أخذ يتمالك شيئا فشيئا قراره وجهارته ، خطابا باللغة السويدية عن القصصى الروسى ، منوها بما بينه وبين تولستوى من واشجة قرابة فنية ، مبينا بالتحديد الدقيق مكانته بين كبار المؤلفين الروس المشهود لهم . فلما أن فرغ من كلمته ترك لغته الاصلية ، والتفت الى ايفان بونين وخاطبه بالفرنسية قائلا :

ــ إيفان الكسيفيتش بونين ، تفضل بالنزول الى القاعة لتتسلم من يد صاحب الجلالة جائزة نوبل فى الأدب التى منحك إياها المجمع السويدى .

وكانت هذه اللحظة بالبداهة أروع اللحظات فى الاحتفال وأشجاها تأثيرا . فقد قامت القاعة كلها على قدم واحدة من تلقاء نفسها . واجتاز ايفان بونين المنصة ، رافع الرأس ، ولكنه شاحب اللون من التأثر . وعزفت الموسيقى لحنا مطربا . وطفق الجمع يصفق تصفيق من فاض به شعوره وجن جنونه . وقبل أن يبلغ ايفان بونين الى موقفه بين يدى الملك تماما كان الملك قد وقف ، ومد اليه يده بأريحية غامرة بالمحبة ، فانحنى ايفان بونين انحناءة عميقة أمام المليك المعظم يسمع النطق الكريم :

ــ « أهنئك من كل قلبي ! وأنى لمبتهج معك بنجاح الادب الروسى » فأجاب الفائز وصوته لا يخلو من رجفة خفيفة :

ــ « ياصاحب الجلالة أرجو أن تتقبل منى أجل شعائر العرفان وأعمقها »

وعندئذ ناول الملك ايفان بونين الشهادة فى غلاف نفيس ، ونوطا من الذهب نقش عليه اسم المؤلف ثم صافحه مرة أخرى

هذا والقاعة لاتنى عن التصفيق كأنما تساجل بحماسها الموسيقى وهى تعزف النشيد القومى .

ورفعت الجلسة ، ويمم الملك وحاشيته شطر الباب فى وسط التهليل والهتاف الحار . ولما أن برح الملك المكان انطلق الجميع معجلين بالخروج لانه لاتمضى ساعة واحدة حتى تبدأ حفلة العشاء الكبرى لجائزة نوبل فى حديقة الشتاء بالفندق الكبير

وقد اقيمت حفلة العشاء لثلاثمائة مدعو ، فى منتصف الساعة الثامنة تماما . فدخل ولى العهد الملكى جوستاف ادولف الى القاعة والى جانبه مدام ايفان بونين واتجه بها الى حيث أجلسها فى صدر

الوليمة فى وسط المنضدة الرئيسية . وعلى مقربة من ولى العهد جلس بونين صاحب الجائزة بين الاميرة اينجريد ، والامير اوجين من انجال الملك

والموسيقى تعزف اثناء ذلك أعذب الانغام

وبدأت الوليمة كالمعتاد بشرب نخب الملك ثم الهتاف له عاليا .

وبعد تناول العشاء الفاخر ، ألقى بونين بالفرنسية كلمة استغرقت عشر دقائق . وقد طالت الوليمة وامتد بها الوقت الى ساعة متأخرة من الليل . وفى صبيحة اليوم التالى فى تمام الساعة التاسعة توجه الكاتب الروسى الى لجنة نوبل وتسلم حوالة بمبلغ ١٧٠٣٣١ر كورونا سويديا ، أو بعبارة أخرى بحو ٨٠٠٠ جنيه وهى اكبر قيمة اصابها كاتب روسى على آثاره الادبية

« صدق »

مسئولية القصصى عن اشخاص قصته

هل يحتمل الكاتب القصصى مسئولية ما من جراء ماينسبه لاشخاص قصته من الاعمال والاقوال ؟ يحدث احيانا ان يتصور شخص ماانه لظروف ومشابهات خاصة هو المقصود بالتعريض والتجريح فى صورة بطل من ابطال القصة ، فهل يؤخذ الكاتب القصصى فى تلك الحالة بما كتب ؟ اجاب القضاء البلجيكى على ذلك بالايجاب فى قضية ادبية تثير اليوم فى الاوساط الادبية والمسرحية الفرنسية والبلجيكية اعظم الاهتمام

فقد ظهرت اخيرا للكاتب البلجيكى الكبير بير اوبرمون قصة عنوانها : « تشجع يامونترشان ! » يصف فيها سير المعركة الانتخابية فى احدى نواحى الريف ، فلم يمض على ظهورها قليل حتى رفعت عليه قضية من خمسة اشخاص يقولون انهم عرفوا انفسهم فى أشخاص القصة وانهم هم المقصودون فيها بالتعريض والتجريح وطلبوا الحكم بالتعويض على الكاتب ، فقضت لهم محكمة « هنيو » عليه بتعويض قدره واحد وعشرون الف فرنك

وقد تناول الكاتب الفرنسى الكبير جورج دوهامل هذه المسألة فى مقال يحتج فيه على هذا المبدأ بقوة ويقول : « لعلنا نلزم غدا كما ألزم اوبرمون ان ندافع أمام ثورة المتهوسين والحمقى ، ثم أمام القضاء عن كتبنا ومخلوقاتنا ، وابناء عبائنا وتأملاتنا ، وربما أرغمنا على أن ننكر نفس مبادىء هذا الفن الذى تغذيه الحقيقة »

« فليعلم قضاة بربان (بلجيكا) والعالم اجمع أن القصصى الحق لايصور فلانا او فلانه لكى يغضب افاضل الناس ، ولكنه يقصد ماهو ارفع ، فهو يقدم بذلك نصيبه فى تاريخ الرجل وتاريخ المرأة . فاذا صور فلانا فى صورة ما ، أو نسب اليه قولا ما ، فانه يؤدى واجبه كشاهد ، فلا تطلبوا اليه ان ينظم العالم اذا لم تسمحوا له ان يحكم على المناظر ، ولا تلوموه ان يرى بوضوح وان يسمع الحق ، فانما تؤاخذونه اذا رأى شيئا اوسمع شيئا ؛

« ان جميع القضايا المماثلة قد أعيد النظر فيها على يد الجيل اللاحق ، وقد اعاد النظر فيها دائما وهو يبتسم »

جائزة جونكور

جائزة « جونكور » من اشهر الجوائز الادبية فى فرنسا لا من حيث قيمتها المادية ، فهى خمسة آلاف فرنك فقط (نحو ستين جنيها) ، ولكن من حيث قيمتها الادبية . وقد نالها عن سنة ١٩٣٣ ، الكاتب الفرنسى اندريه مارلو ، وهو كاتب شاب امتاز بروعة التصوير وقوة الاسلوب ؛ وله عدة مؤلفات معظمها فى تصوير الحياة الاسيوية التى درسها أثناء رحلاته فى فارس وتركستان والهند الصينية . منح له جائزة « جونكور » عن كتابه « حالة انسانية » Condtlion humaine ، فارتفع بذلك الى ذروة الشهرة ، واضحى عضوا فى « اكاديمية جونكور »

وقد انشأ هذه الجائزة الادبية الشهيرة ادمون لوى جونكور باسمه واسم أخيه الاصغر جول جونكور . وكان الاخوان من اعظم الشخصيات الادبية فى فرنسا ايام الامبراطورية . وكانت لهما مواهب بديعة فى الكتابة والخيال فاشتغلا معا بكتابة عدة روايات تاريخية اشتهرت بقوة خيالها ودقة تصويرها . وكانت لهما آراء ونظريات خاصة فى كتابة القصة ذاعت فى فرنسا فى اواخر القرن الماضى ، وكان لها أثر عظيم فى توجيه التأليف القصصى فى هذا العصر ، وولد ادمون سنة ١٨٢٢ واخوه جول سنة ١٨٣٠ . وتوفى جول سنة ١٨٧٠ ، ولكن ادمون عاش حتى سنة ١٨٩٦ ، وفيها وضع وصيته بأنشاء الجائزة الشهيرة ، تمنح فى ديسمبر من كل عام لأحسن مؤلف ادبى . ولاكاديمية جونكور التى تتألف من الكتاب الذين نالوا هذه الجائزة ، والذين يمنحونها للفائزين ، مركز ادبى ممتاز فى فرنسا ، وقد رفعت الى سماء الشهرة عدة كتاب منهم دوديه ، واوكتاف ميرابو ، وبول مرجريت ، وجستاف جوفردى ، والاخوان روزنى وكثيرون غيرهم

جائزة فيمينا

ومنحت جائزة « فيمينا » وهي ايضا من اشهر الجوائز الادبية في فرنسا ، وقيمتها خمسة آلاف فرنك الى كاتبة هي مدام جرمين فوكونييه من اجل قصتها « كلود » claude . ومما يذكر أن هذه الجائزة لم تمنح لسيدة منذ خمسة اعوام.

الشاعر الالماني شتيفان جورج

نعت أنباء المانيا الأخيرة الشاعر الالماني الكبير شتيفان جورج . وهو من أعظم كتاب المانيا وشعرائها المعاصرين ؛ ويعتبر في الشعر والنقد الأدبي من الطبقة الأولى . ولد في مدينة ريدزهايم سنة ١٨٦٨ . وأنشأ مجلة « صحف الفن » الشهيرة Die Blaelter fuer die Kunst وجمع حوله لفيفا من كتاب المانيا البارزين . وامتاز بقوة نقده وروعة شعره ؛ وانشأ مذهبا ادبيا خاصا شعاره التحرر من قيود الماضي ؛ وكان استاذه ومثله الأعلى في التفكير والأدب الفيلسوف نيتشه . وكان لجهوده وجهود زملائه وتلاميذه أثر عظيم في توجيه الادب الالماني قبل الحرب ؛ وله عدة دواوين شعرية شهيرة منها « سنة الروح » و « الاغاني » و « أغاني الحلم والموت » و « أيام الحرب وأعمالها » الخ .

المؤرخ الفرنسي كاميل جوليان

توفي في الثاني عشر من ديسمبر المؤرخ الفرنسي الكبير كاميل جوليان عضو الاكاديمية الفرنسية بعد مرض طويل . وقد ولد في مرسيليا سنة ١٨٥٩ ؛ وتخرج في مدرسة المعلمين الشهيرة (النورمال) حيث كان أستاذه المؤرخ الاشهر فوستل دي كولانج ؛ وهو الذي قدر مواهبه ووجهه نحو دراسة التاريخ . وبعد أن نال الشهادة العالية ، والاجازة مدرسة روما عين أستاذا للتاريخ في كلية الآداب بجامعة بوردو ، وتخصص في تاريخ جنوب فرنسا ودراسته ، وأخرج عنه عدة كتب ورسائل تعتبر أعظم حجة في موضوعها ، بيد أن أشهر جهوده وأعظمها هو كتاب « تاريخ غاله » Hist.de Gaule الذي أنفق في وضعه عشرين عاما . وهو من أمهات كتب التاريخ الفرنسي ، وانتخب عضوا في الاكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٩٢٤ ، ونال عدة جوائز أدبية كبرى

دراسات أدبية

ايفان بونين

صاحب جائزة نوبل في هذا العام

بقلم محمد أمين حسونه

لم يكن ايفان بونين بالكاتب المغمور اذاع صيته وأنبه ذكره في عالم الادب فوزه بجائزة نوبل ، بل هو من أقدم الادباء الروسيين المعاصرين ، وهو يمثل تلك العبقرية المثالية التي نعرفها في تولستوي وتورجنيف وديستويفسكي .

وقد تجلت هذه العبقرية في سمو تفكيره وفي نزعته الثائرة بالحياة ، واذا كان مكسيم جوركي يتزعم اليوم الحركة الادبية في داخل روسيا ، فان ايفان بونين يتزعمها في خارجها ؛ تدل على ذلك مؤلفاته القصصية التي نقلت الى معظم اللغات الحية ، ومركزه الادبي الممتاز الذي يحسده عليه حتى مواطنوه .

ويعد بونين في طليعة كتاب القصة في العالم ، ويقوم فنه — كما يصفه جيروم تاردو — على الابتكار والافتنان في الصور التي بمخيلتنا ، وبالاصوات والكلمات التي تطرق آذاننا ، والاشادة بتلك العاطفة التي يبررها السرور المنبعث من القلب ، وبحيث لا تتجاوز أهمية الخير والشر غيرهما مما يحدث في الحياة .

وقد جاء بونين بفكرة كانت تعد غريبة من قبل ، وهي أن الفنان يجب أن يكون إلها ، لا تحاسبه الا نفسه ، فحياة الفن تتجاذبها عوامل شتى ، وتجارب فيها الجميل والدميم ، وليس للفنان الا أن يسمو بفنه فوق هذه العوامل دون أن ينقاد الى احدى الطريقتين ، وعليه أن يجعل حياته سعيدة طافية .

وتكاد هذه الفكرة التي يدين بها بونين ، تبرز من خلال فنه الرائع الذي يبدو قويا في أشكال واضحة بديعة ، كما أنها خلاصة أفكاره التي يطالعنا بها في مؤلفاته الخالدة ، وقد كتب الجزء الاكبر من هذه المؤلفات بعيدا عن بلاده ، وهي تحمل الى جانب عاطفته المشبوبة وحبه لوطنه ، طابع الانسانية وتحقيق المثل الاعلى ، وفي هذا دلالة واضحة على الحيوية الكامنة في ذهنه

وقد اعترفت بهذا الاكاديمية السويدية وقدرت هذه العبقرية الحية فذهبت تجوس خلال العالم وتفتش في قرية صغيرة في جنوب فرنسا لتخرج منها الى الناس الفنان الذي عرف كيف يواجه الخطوب ويصمد زمناً في وجه العاصفة فيحتفظ — برغم فاقته المادية

بتلك البهجة الموسيقية التي تواتينا رنانة خفاقة ، والتي أمكنه بها ان يثبت للعالم ان العبقرية الروسية لم تغرق بعد وان كانت السفينة قد غرقت بجميع ما فيها !

ظهرت اول اعمال بونين الادبية في روسيا ، في عام ١٩٠١ وهي عبارة عن مجموعة اشعار نال عنها « جائزة بوشكين الادبية » وانتخب بعد ذلك بأربعة اعوام عضواً « بالاكاديمية الروسية » حيث جلس مكان تولستوى وجوركي ودستويفسكي وغيرهم من أعلام الادب الروسي .

وهو يجيد الانجليزية اجادة تامة ، وقد تعلق بدراسة الادب الانجليزي منذ حداثته ، وترجم الى الروسية اشعار كبلنج وتينسون وغيرهما من الشعراء الانجليز .

وقد فر على أثر قيام الثورة البلشفية وتسجيل اسمه في القائمة السوداء الى فرنسا حيث يقيم منذ ذلك الوقت في قرية « جراس » التي يخلص لها الحب برغم انتفاء المشابهة بينها وبين مسقط رأسه كما يقول !

ولايفان بونين مسحة ارستقراطية في كتابته ، ويستوى في أسلوبه الغموض والابهام احيانا ، ويتسم أدبه بدقة الملاحظة واستقصاء الفكرة ، وانسجام الخيال ، والتواء التعبير ، واسهاب الوصف بما قد يضجر القارئ ويدفعه الى الملل والتبرم ، وهو الى جانب هذا ؛ واقعي ، كثير التهكم خاصة عندما تعرض لوصف غباء الفلاحين من ابناء وطنه كما في روايته « القرية » ، واكثر ما نلاحظه في فنه ترديده ذكر الموت ، ووصف الموت وحياة العزلة وروح التصوف التي يطالعنا بها بين سطور رواياته .

وايفان بونين اقرب الى بوشكين في آدابه منه الى تولستوى او ديستويفسكي ، ولذا يترسم خطى بوشكين ويعده استاذه ، ونراه يعترف بهذا فيضع تمثاله المادي المفكر على عتبة روايته الجيلة « سر الحب المقدس » .

وقد أشار الى هذا الناقد الفرنسي جيروم تاردو في خطابه عن « علاقة الادب الروسي بالادب الفرنسي المعاصر » ، وذلك في الحفلة التي أقامتها اخيرا الجالية الروسية في باريس لتكريم ايفان بونين بمناسبة فوزه بجائزة نوبل فقال :

« منذ ان أصدر مليشور دي فوجويه كتابه عن الفن الروائي الروسي ، تجلت أمام أعيننا — نحن الفرنسيين — آدابكم الخالدة ، وكنا قبل ذلك في حالة جهل ساذج لا نعرف ماذا يكتبون وكيف يفكرون في بلادكم ، لا نعلم بوجود تلك العبقرية النادرة التي يمثلها في بطرسبرج وفي موسكو كتاب ومؤلفون ألموا بمختلف نواحي الادب ، وكان من جراء هذا الحدث التاريخي ان تطور الادب الفرنسي واتجه ناحية جديدة ، فهل هناك روائي فرنسي يستطيع ان يؤكد لنا أنه لم يتأثر بهؤلاء العباقرة في دائرة قوته وذوقه الادبي

« لقد جاءنا تولستوى باشياء كانت مجهولة عند أمثال موباسان وفلوبير وستندال ، وهي أنه من المستطاع تشييد عمل فني حول مشكلة أخلاقية . وعلمنا دستويفسكي ان في الانسان شيئاً آخر غير الشعور العام الذي أوضحه الأدب الفرنسي في القرن السابع عشر ، بل أنه يوجد في كل فرد منا عالم خاص من الشعور الغامض المظلم دفعنا دستويفسكي الى أن نستكشفه ونتبينه . أما ترجنيف فلم تكن ثمة الى هذا الحد ، لانه كان يظهر تلذذ على الأدب الفرنسي ولكن فنه الرائع كشف لنا عن عقليتكم وشعوركم وطبيعتكم .

« والى جانب هذه الأسماء العظيمة ، يجب أن أضيف اسما آخر ، فليس كتاب دي فوجويه وحده هو واسطة التعارف التي بيننا وبين هؤلاء الكتاب ، فهناك بريميه الذي يحدثنا عن بوشكين ذلك الفنان الملهم والشاعر الروسي المحبوب ، الذي اتضح لي بعد قراءته أن هناك صلة وثيقة بين فنه وأدب ايفان بونين ؛ ذلك الفن الذي يذكرنا — نحن الذين تسممنا بافكار علماء النفس وعلماء الوعظ — بأنه لا حاجة بنا مطلقا الى خلط الخير بالشر »

* * *

كتب ايفان بونين الى الآن نحو عشر روايات كلها تفيض بالنزعة الانسانية وتحقيق المثل الأعلى ، منها : كأس الحياة ، والليل ورجل من سان فرنسسكو ، وسر الحب المقدس ، ثم « القرية » التي يقول عنها مكسيم جوركي انها « خير ما كتبه الروائيون عن الفلاح الروسي ، والتي أنصف فيها بونين هذا الفلاح — الذي لم تغيره النظم الحالية — خير انصاف ، لأنه اذا كانت القيصرية قد ظلمته ، فان البلشفية غمطت حقه وازدرته في الوقت الذي شادت فيه ورفعت من شأن العامل هناك .

وقد أخرجت المطابع في الفترة الاخيرة ، رواية بونين الخالدة « حياة ارسنيف » ، ومن المؤكد أنه نال بها وحدها « جائزة نوبل » ، وقد وصفها أحد النقاد بانها عبارة عن حياة بونين نفسه ، ولكن بونين يدفع هذا يقول :

ان « حياة ارسنيف » تشبه الى حد ما تاريخ حياتي ، ولكنها في نظري اقرب الى الرواية الحقيقية ، ومع ذلك فاني اذا

(البقيـــة على صفحة ٣٣)

العلوم

البحوث الروحية

للأستاذ عبد المغنى على حسين

خريج جامعة برمنجهام

هل يصل العلم الحديث إلى استنباط وسيلة للتخاطب مع أرواح الموتى ؟ لا مبرر للقول بأن هذا مستحيل . ويكفى أن نستعرض تاريخ العلوم فى العهد الأخير لنرى كم حققت لنا من ضروب المستحيلات . فإذا امتد أجل المدنية الحاضرة ، وواصل رجال العلم بحوثهم فى هدوء واطمئنان ، فقد يتحقق على أيديهم كل حلم وخيال ، بل وما لا يخطر ببال .

قد يقال إن العلم الحديث لا شأن له بالأرواح . لأن اختصاصه ينحصر فى المادة ومحيطها . ولما كانت الأرواح غير مادية فهى من العلم كالثريا من سهيل .

هى شامية إذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى .

هذا القول يبدو صحيحا فى ظاهره ، ولكن الواقع أن عددا كبيرا جدا من البحوث العلمية فى الوقت الحاضر يتعلق بأشياء بعيدة فى ذاتها كل البعد عن المادة . خذ المجال المغنطيسى مثلا . فهو عبارة عن دوائر فى الأثير تحيط بقطعة الحديد الممغطسة . دوائر غير مادية فى وسط غير مادى . خذ أمواج الراديو ومويجات الحرارة والضوء وأشعة أكس ، كل هذه أيضا ظواهر غير مادية فى وسط غير مادى .

قد تسلم معى بأن هذه الظواهر فى ذاتها غير مادية ، ولكن تقول أن يد العلم لم تكن لتصل إليها إلا عن طريق تأثيراتها فى الأجسام المادية . فالمجال المغنطيسى غير المحسوس لم يكن العلم ليعترف بوجوده لولا تحريكه لقطع الحديد وأدارته لابرة البوصلة . وأمواج الأثير لم يكن العلم ليقر وجودها لولا تأثيرها فى آلات الراديو أو فى الألواح الحساسة . فالعلم أذن لن يعترف بوجود الأرواح المجردة عن المادة إلا اذا استطاعت التأثير فى جهاز مادى .

هذا صحيح . ولا بد للأرواح المجردة قبل أن تصبح حقيقة علمية من أن تحدث أحداثا محسوسة ظاهرة . وهذا هو السبيل الذى سلكه « سر ألفر لدج » ومن قبله « سر وليم كروكس » و « ألفرد رسل ولاس » وحاولوا منه اثبات وجود العالم الروحى إثباتا علميا ، ثم العمل على الاتصال به بوسائل علمية فى متناول كل إنسان .

فما هو الجهاز الذى ركبه أولئك العلماء وهيأوه لتستخدمه الأرواح ؟ أنه مع الأسف ليس بآلة حديدية أو خشبية أو زجاجية ، وليس مما يصنع ويباع . هذا حلم لم يتحقق بعد ، وأن لم يكن مستحيلا . الأرواح لا يناسبها الى اليوم غير الجهاز المخى العصبى العضلى وهو الجسم البشرى . ولذلك لا تستطيع أن تتصل بنا الا باستخدام جسم بشرى لشخص يسمونه الوسيط .

فما هو الوسيط ؟ وهل يستطيع كل انسان أن يكون وسيطاً ؟ أم هل الوساطة وقف على أفراد معينين ؟ يقولون ان الوساطة صفة مجهولة السبب . وأنها من ضروب العبقرية ، كالقدرة على الغناء الشجى عند المغنى الموهوب ، وكالبراعة فى الشعر عند الشاعر الفحل . وكما أن كل واحد منا لا يستطيع أن يكون مغنياً أو شاعراً ممتازاً ، فكذلك لا يستطيع كل منا أن يكون وسيطا . والوساطة كالغناء والشعر متى وجدت بذرتها فى الشخص يمكن تقويتها وتغذيتها وأنماؤها بالتعليم والمران ، كما يمكن أضعافها وأماتتها بالأهمال والكبت والانصراف عنها الى غيرها . وهم يقولون ان الوساطة موجودة فى عدد من الناس أكبر بكثير مما نتوقع ، ولكنها تهمل فى الاغلبية العظمى من الحالات . فتموت من تلقاء نفسها اذا كانت ضعيفة ، وتحسب شذوذا نفسانيا أو خلقيا أو مرضاً عصبيا اذا كانت قوية

الوسيط كعامل التلفون تذهب أليه وتطلب منه أن يصلك بالعالم الآخر فينيلك ماتريد . كيف يقوم الوسيط بهذا العمل الغريب وعلى أى صورة يؤديه ؟ الوسطاء يختلفون فى أداء مهمتهم ، فمنهم من وهب القدرة على الكشف البصرى Clairvoyance فهو يرى الارواح كما يرى الأشباح . ومنهم من لديه خاصة الكشف السمعى Clairaudience فهو يسمع حديث الأرواح وينقلها الى الأحياء . ومنهم من تستولى الروح على يده وتكتب بها ما تريد دون أن يكون لفكر الوسيط دخل فيما يكتب . ومنهم من يغيب عن رشده ويسلم جسمه كله للروح فتستخدمه كما كانت تستخدم جسمها فى حياتها الأرضية ..

والوسيط يتناول بطبيعة الحال أجرا لقاء ما يؤدي للناس من خدمة يصرف فيها الوقت والمجهود . لأنه كسكل الناس لابد له من أن يعيش . بل هو جدير بالأجر الحسن والعطاء السخي . ولكن أنى لنا أن نثق بصدقه ونطمئن الى صحة دعواه الخطيرة . ولم لا يكون محتالا ماكرا يعيش بالادعاء على الموتى وبتغفل الاحياء .

لاشك ان مجال الاحتيال واسع في هذا الميدان ، وهناك حتما مدعون للوساطة يكتسبون من خدع البسطاء عيشا سهلا . ولكن هذا الصنف في الغالب يعمل في الخفاء ، وينفرد سرا بالسذج والاغنياء . أما القول بأن وسيطا زاول عمله في جمعية علمية سنين متوالية ويجتمع به كل يوم رجال أذكياء اعتادوا البحث العلمي المنطقي المنتظم يكون مدعيا ومحتالا ، فقول بعيد جدا عن المعقول وهو مرفوض بالبديهة .

الواقع ان جمهور العلماء اليوم يعترف بوجود افراد لهم مواهب نفسانية غريبة تمكنهم من ان يدلوا إليك بمعلومات جمة عن نفسك واسرتك ، ومن مات من معارفك ، بما يستحيل ان يكون قد وصل إليهم علمه من طريق طبيعي معتاد ، والخلاف بين العلماء ينحصر في تعليل هذه الظاهرة ، وهل هي اتصال بكائنات حية غير منظورة مما تسميه الأرواح أم لها سبب آخر

هناك تعليل آخر يصح أن تعزى إليه هذه الظاهرة وهو قراءة الأفكار أو ما يسمونه بالتلباثي « Telepathy » ، فقد ثبت بالتجارب العلمية الصحيحة ان بين الناس من يستطيع استطلاع ما في فكر الآخرين دون ان يحتاج في ذلك الى اشارة أو لفظ . وقد اجرى العلماء في ذلك تجارب عديدة ، فاذا طلب من أحد الحاضرين حصر فكره في شيء معين استطاع هذا الموهوب بعد فترة من السكون ان يعرف ذلك الشيء ، فيمكن القول إذن بأن ما يدلي به الوسيط وينسبه الى الارواح يحصل عليه كله من أفكار الحاضرين .

ولكن الوسيط يدلي أحيانا بمعلومات ليست في ذهن أحد من الحاضرين في ذلك الوقت ، فكيف نعلل هذا ؟ يمكن تعليله بأن الوسيط يقرؤه من العقل الباطن لأحد الحاضرين . إذ لكل انسان عقل باطن تستقر فيه ذكرياته وكل ما مر به مما لا يفكر فيه في وقته الراهن . فلعل لدى الوسيط القدرة على ولوج هذه الناحية العجيبة من العقول ليستخرج ما شاء منها كلما شاء .

ولكن ماقولنا فيما يدلي به الوسيط أحيانا مما لا يمكن أن يكون قد مر بذهن أحد من الحاضرين يوما ما ؟ إن الوسيط ينسب أصله إلى الأرواح التي تخاطبه ، فهل نسلم معه بهذه الدعوى الخطيرة ، ونتخذ من ذلك دليلا علميا على صحة وجود العالم الروحي والحياة الآخرة ؟ إن بعض العلماء يميل لهذا الفرض . ولكن البعض يميل إلى فرض آخر وهو القول بأن الميت أثناء حياته كان قد فكر فيما ينسبه إليه الوسيط فانتقلت أفكاره إذذاك إلى عقول الأحياء بطريق التلباثي واستقرت في عقلهم الباطن ، ثم استطاع الوسيط أن يستخرجها من عقلهم الباطن بطريق التلباثي .

أي الفرضين يا ترى هو الصحيح ؟ أظن أن الفرض الثاني هو محاولة بعيدة وتعلق بالقش لانقاذ الفلسفة المادية من الغرق بعد أن غاصت تحت الماء .

سنواصل هذا المبحث الواسع المتشعب في فرص أخرى ان شاء الله ؟

ايفان بونين

(بقية المنشور على صفحة ٣١)

كتبت فانما استقي فني من ذاكرتي ، وهذا ما يحمل بعضهم يظن أني سردت تاريخ حياتي في هذه الرواية . ومما يشجعني على العمل ان المرئيات التي صقلت في ذهني بمرور الزمن هي التي تدفع بي دائما الى ترديد ذكريات عن الطفولة والشباب والكهولة .

(ويمكن لاي كاتب تعرض لنقد « حياة ارسنيف » ان يطلق عليها اسم « حياة دورانت » أو « حياة ديبون » أو حياة أي شخص آخر ، فهي حياة فقط ، وحياة رجل في دائرة ضيقة جاء الى العالم يبحث عما كان بين الملايين من لداته ، فهو يعمل ويشقى ويحب ويريق دمه ويجاهد من أجل سعادته فينهض أو يرزح تحت حمل الحياة) .

وليس لايفان بونين اتجاه أدبي آخر ، بل هو يردد ماسبقه اليه جيته عند ما سئل من أنت ؟ فأجاب : لا أعلم ... وانا سعيد بذلك ، فانا رجل حر وحسب .... نعم انني لست جيته ، لكنني رجل حر مثله ، ومحب لمهنتي برغم الصعوبات المحيطة بها ، اذ انها تتيح لي حرية العمل والانتاج وحرية امتلاك نفسي ، وقد سافر بونين في أوائل هذا الشهر الى استكهلم حيث تسلم جائزة نوبل ، وسيعود بعد ذلك الى قرية « جراس » التي ينوي الايتركها حتى ينتهي من كتابة الجزء الثاني من « حياة ارسنيف » ؟

تأزين الهواء

دخل الشتاء وبدخوله تسد المنافذ وتغلق الأبواب منعا للبرد ، وتزدحم الحجر بالناس طلبا للدفء ، فيفسد هواؤها وتسوء رائحتها ويثقل جوها ، ويعترى أهلها استرخاء وهمود ، فاذا سألتهم عن سر هذا قالوا : فسد الهواء ، واذا سألتهم عن علاجه قالوا افتح الشبابيك ، وهم فى تسبيبهم وتطبيبهم مصيبون ، ولكنها أصابة مبهمة أدركتها الفطرة دون العلة ، وساقتهم اليها البديهة التى لا يعرفون لها سببا

زعم الفسلجيون يوما ان إخمام الحجر وثقل جوها يرجع الى سببين : أولهما زيادة غاز الكربون فى الهواء بالتنفس ، وثانيهما زيادة حرارة هذا الهواء . وكلاهما علة خاطئة حسب ما أجمع عليه علماء اليوم . وذلك أن غاز الكربون يوجد فى الهواء الطلق العادى بنسبة جزء من كل ١٠٠٠٠ جزء من الهواء ، وقد أجروا تجارب على الانسان فوجدوا أنه يستطيع العيش بلا ضيق ولا تأفف فى هواء نقى يحمل ٣ ٪ من غاز الكربون ، أعنى يحمل ثلاثين قدرا مما يحمل الهواء الطلق . كذلك وجدوا أن الانسان يستطيع المكث ساعات فى الحمامات العامة الحارة المسماة بالتركية ، دون أن يحس بشىء مما يحس به فى الغرف الخامة المزدحمة بالخلق ، بل على النقيض هو يستمتع بدفئها وقد تبلغ حرارتها الخمسين

السبب الأول فى اخمام الحجر ليس غاز الكربون ، وليس ارتفاع الحرارة ، وان كان لهما حظ فى تسبيبه فهو حظ ضئيل لا يتناسب مطلقا مع شائعة السوء التى شاعت عنهما . انما يرجع سبب هذا أو أكثره الى دقائق صغيرة من مواد عضوية تنبعث فى الهواء من الرئتين والجسم على السواء ، دقائق ولكن فعلها جسيم ، فهى مواد سامة مهيجة تعل الهواء فتحدث فى الجسم علة مبهمة يعبر عنها باختلال المزاج . ولهذه المواد فوق ذلك فعل فى الجهاز العصبى ، فهى تسكنه وتهمده ، وبخاصة بسبب ما تحمل من رائحة كريهة ، ويفتر الجهاز العصبى يعجز الجلد عن أداء وظائفه التى منها تبريد الجسم ، وعندئذ تكون حرارة الحجرة ضغثا على ابالة ، تزيد فى ضيق الانسان وحدة مزاجه

وعلاج هذه الحال هو بالطبع فى التخلص من هذه المواد ، وأيسر طريق للتخلص منها فى حين محدود يكون بأكسدة هذه المواد لتستحيل الى أجسام أبسط لا ضرر فيها . وهذه طريقة الطبيعة ذاتها فى التخلص من هذه المواد ، فهى تستخدم الأزون لأكسدة هذه المواد . وهو غاز تصنعه الطبيعة من أكسجين الهواء ، وهو يتكون فيها كلما تبخر ماء أو تكهربت سماء ، لا تلك الكهربة الصائتة التى تحدث البرق والرعد ، بل تلك الكهربة الصامتة التى تتفرغ بين السحاب والسحاب ولا يحس بها أحد . وهذا التفرغ الصامت للشحن الكهربائية هو الذى يستخدم فى تأزين الهواء فى الصناعة ، أى احالته الى أزون ، وهو عمل أشبه شىء بالتكثيف ، فجزىء الأكسجين يتركب من ذرتين من الأكسجين ، أما جزىء الأزون فيتركب من ثلاث ذرات ، وهو لذلك ليس له استقرار الأكسجين ، فهو لذلك فعال ، لا يلبث أن يلتقى بأمثال تلك السموم التى نحن بصددها حتى يهاجمها فيعدمها ، لا يعدمها بالمعنى الدارج ، بل هو يحيلها الى ما لا ضرر فيه

وقد جدت الصناعة فى هذه الأيام واهتمت حتى بهذه الناحية ، بأصلاح الهواء بعد فساده دون فتح النوافذ والتعرض لأخطار الهواء البارد والتيار اللافح الباغت ، فخلقت مؤزنا سهل الحمل تضعه فى حجرتك أو مكتبك أو صالة استقبالك أو فى أى مكان به رئات عديدة جادة فى التنفس ، وتصله بمنبع الكهرباء من الحائط ، فيؤزن لك الهواء فيظل مع انحباسه طاهرا نقيا . وهو فوق ذلك جهاز رخيص ، فهو يعمل ٢٠٠ ساعة ولا ينفق غير وحدة من الكهرباء واحدة

« ز »

استدراك

فاتنا أن نذكر الجمل الشارحة تحت الأشكال الثلاثة التى نشرت فى العدد الأخير بموضوع (فى النبات وحشيه وأنيسه) للدكتور أحمد زكى ، واستدراكا لذلك ننشر هذه الجمل ليرجع إليها قارئ المقال فى فهم هذه الأشكال . يكتب تحت الشكل الأول (طريقة حصاد القمح الأمريكى . بالآلات فى ولاية وشنطون) وتحت الشكل الثانى (اناء جنائزى فى شكل بطاطستين من قبر فى شنبوطى فى بيرو بأمريكا الجنوبية) وتحت الشكل الثالث (آله الذرة عند أهل بيرو القدماء وكان يدفن فى الحقل وسيلة لنمو المحصول . وهو يصنع من مطر الذرة وكيزان الذرة)

القصص

الحقيقة

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه في الآداب

(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟)
« قرآن كريم »

تململت فى فراشها وظلت تنظر ذات اليمين وذات الشمال ثم تغمض عينيها وتفتحهما ثانية وتفكر اين هي هيه ... اين هي ؟ ... آه اهي فى المستشفى ، وقدجاءت اليها منذ ايام ؟ منذ أسابيع ؟ منذ شهور ؟ لا تدرى . ولكن لم جاءت ؟ يقولون انها مصابة بمرض عقلي أنهك اعصابها . وحياتها فى خطر من جرائه . هاها ! مضحك ! اهذا كل مافى الامر ؟ ... ولكن أين أختها ؟ لقد كانت جالسة هنا منذ حين ، ولقد اوصتها ان تكتب كل ماتمليه عليها ، ولكن الظاهر انه لم يكن هناك ما يملى فقامت . وضحكت ضحكة عصبية عالية . هاها ! الساذجة ! الا تدرى ان رحلاتى فى عالم الارواح اصبح يحوطها جو غريب ، جو يقبض الانفاس فلا استطيع التحرك ولا التكلم ولا ... ولا التفكير .. ترى هل اوفق ؟ اعينيني ايتها القوى الخفية ، اعينيني ، ارحميني ، فما فى مطلبي اجحاف ولا ظلم ولا طمع . كل ما أريده هو ان اعرف الحقيقة .

دخلت الاخت ودلائل السهر بادية عليها : اصفرار فى الوجه ، وورم فى العينين ، ونحول ووهن فى الاعصاب .

« اين كنت ؟ آه من لى بهذا الاطمئنان ، بل هذا البرود الذى يسود حياتك . انت لا تعرفين عما اريد ان أعرف شيئا ، ومع هذا انت لا تأبهين بشيء . ايمان مطلق وهدوء تام . ثم هؤلاء الاولاد ، اولادك ماذا علمتهم عن الحياة ، عن الموت ، عن الله ، عن الحساب ، عن الروح . . . لاشيء ، لاشيء ، لانك لا تعلمين شيئا ، ولا تريدين ان تفكري لتصلى الى شيء . »

« كفاك اختاه ما انت فيه من وهن الاعصاب . اريحى رأسك قليلا . لقد شغلت هذه المسائل رؤوس آلاف الناس قبلك ، وستشغل رؤوس آلاف الناس بعدك . ولن يوفق اليها احد لأن الله اراد ذلك ، وإرادة الله ليس لها مرد . » فصاحت فيها

« لم ينه الله عن البحث والتفكير ، ولم يامرني الا اعرف شيئا عن هذه الاشياء ، اقتربي هنا ، ماذا كتبت ؟ لا لا اريد شيئا من هذا ، اكتبي ما أمليه عليك كله ، اكتبيه رسالة مني الى اهل هذا العالم كلهم ؛ سأعرف الحقيقة اليوم ، ستقودني اليها قوة خفية لا أعرف عنها شيئا الآن ولكني سأعرفها بعد حين . اياك ان تهملي كلمة واحدة او أشارة واحدة . أفهمت ؟ »

« نعم اختاه ، سأكتب كل شيء . »

لقد كانت دائمة الصمت كثيرة التفكير . اتسعت دائرة تفكيرها على مدى الايام حتى شملت اعوص ما فكر فيه الانسان واغمضه . ولم تصل الى العشرين من عمرها الا وشغل تفكيرها هذا الكون بما فيه من قوى خفية . قوى تتلاعب بالانسان كيفما شاءت ، وهو لا يدرى من أمرها شيئا . يحاول ويحاول ولكن سرعان مايعرف ضآلة المرحلة التى اجتازها امام ذلك الخضم المظلم من الاسرار والخفايا .

اشفقت عليها أمها مما هى فيه ، وحاولت ان تدخل الى تلك النفس المفكرة الصامتة الحزينة بعض مايسليها أو يريح فكرها ، ولكن نصيبها كان الفشل المؤلم .

وها هى ذى الايام تجرى سريعة والام يزداد اشفاقها ، وخوفها والفتاة يزداد نحولها وضعفها ، ويزداد احتقارها لكل شيء فى العالم الا ما تفكر فيه . كل متعة تنظر اليها كما ينظر الشاب الى الاعيب صباه ، واذا مارغبها احد فى اى لذة أو سلوة هزت كتفيها وقالت : « لست أدرى ماهذه السذاجة ؟ لقد القى الحكيم مدبر هذا الكون بهذه الألاعيب لتلهوا بها عن اللذة الكبرى : لذة العلم ، لذة معرفة الحياة وما بعدها . »

ساءت حالها على مر الايام فارغمت على ملازمة الفراش فى مستشفى الامراض العقلية ، ولكن ذلك لم يمنعها من مواصلة التفكير . وكثيرا ماقرأت فى كتب الدين ، وكثيرا ماقرأت القرآن ، تقف عند بعض آياته فتسترسل فى التفكير العميق ، وكثيرا ماوقفت

عند الآية (هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) وحملت الآية أكثر ما يمكن من معانى الاستهزاء والسخرية « وهؤلاء الناس لايعلمون شيئا ، ولكنهم لايجتهدون فى أن يعلموا شيئا . قنعوا بما لهم وفسروا العلم بتلك المحاولات التافهة التى يقضون العمر فى تحصيلها وكأنها هى العلم ، لقد انشغلوا عن العلم الحق ، عن اهم مايتشوقون اليه . لقد خدعوا انفسهم والبسوها ثوبا من الايمان والاطمئنان وهم يعلمون فى قرارة نفوسهم انه ليس الا مبردا للنار المتقدة ، وملطفا لهذا التطلع الغريزى »

جلست الاخت قرب سرير اختها واخذت تلاحظها وتدون بعض هذه الملاحظات ، وانتظرت والقلم فى يدها ان تكتب ما تمليه عليها كما وعدت ، ولكن النعاس غلبها فنامت . لم يطل نومها حتى قامت فزعة مذعورة على صوت اختها المحشرج وهى تصيح صيحة منكرة قائلة « لن تفتر عزيمتى مهما سرت ، فسر بى ايها النور ، سأتبعك ، سأتبعك فوق الجبال ، فى اعماق الانهار ، فى السماء ، فى جوف الأرض تعلو وتنخفض ولكنى اتبعك . لن ارجع كما رجعت قبل اليوم ، ولن انظر الى نفسى فتشغلنى عنك ، سر انا وراءك . »

كتبت الاخت واستمرت هى تقول « بدأت افهم ، نعم عرفت ، ولكنى لا أقوى على التعبير عما اعرف ، لماذا ؟! . . . كلا لن افكر فى هذا ، سر ، سر ، ايها النور انى وراءك ، آه ألهذا اذن نموت ولهذا اذن نحيا ، نعم ولهذا يجب الا نعرف ، فهمت ، عرفت ، ولكن يجب ان اعرف اشياء اخرى ، يجب ان اعرف السر الاعظم سر ، سر ، انى وراءك . »

« نعم لقد عرفت كل هذا ايضا ، ولكن كيف اعبر عنه ؟ فلأحاول فلأحاول ، لا ، لا أقوى سأعبر عند ما اعود الى هذا ، الى ماذا اسميه ؟ الى هذا الملعب ، الى روضة الاطفال ، الى ما يسمونه العالم . ها ! ها !

« لقد اعيانى السير ، اما آن لى ان اعرف الله ، ان اعرف القوى المهيمنة على كل شيء ، على كل ملاعب الاطفال هذه ، ما اكثر عددها وما اشد اعتداد كل منها بنفسها ! كأن ليس هناك سواها . لقد عييت ، ولكن كلا كلا ، سأسير ، سر انى وراءك . . . . . .

« رهبة شلت حواسى ، لقد امتزج هذا النور الذى أتبعه بالظلام حوله ، ولقد كانا قبل يزيد كل منهما فى قوة الآخر . . . جو غريب لا هو ظلام ، ولا هو نور ، شيء ثقيل ينزل على رئتى ، الكلام عسير ، والتنفس شاق . . . . ستار هائل عظيم امسكت بطرفه يد خفية . سيزاح هذا الستار دون شك ووراءه الحقيقة الكبرى . كل ما فى ينبض بذلك . ازداد الثقل على رئتى . . . . لا استطيع التكلم ، الستار يزاح ، التنفس عسير عسر ، لقد قضى كل شيء ، سأعرف سأعرف ، سينزل الستار ، هو ينزل بالفعل قليلا . . قليلا ، سأعرف سأعرف ، قليلا ، بطيئا ، لقد عر . . . فت . . . . آه .

ودوت صرختها قوية كالرعد مرعبة محشرجة ، ثم ساد الصمت ، صمت عميق ، عميق رهيب مخيف ، وقفت الأخت عن الكتابة فزعة مذعورة ولكنها لم تقو على تحريك رأسها ناحية أختها المريضة ، حاولت ان تنادى فلم تفلح ، واخيرا أدارت رأسها فصرخت هى الاخرى صرخة مروعة ، امامها عينان جاحظتان خيل اليها انهما فصلتا من الرأس ، وانهما كل شيء على الفراش . وحولهما عروق نافرة زرقاء متوترة مشدودة اغمضت عينيها وفتحتهما مرة ومرتين ، واخيرا استطاعت بعد لأى ان تمد يدها لتلمس الجسد امامها ، فردت يدها قشعريرة شديدة مكهربة ، ودوى صوت هائل رن فى اذنيها . تبينته فاذا هو ضحك استهزاء ، ضحك غريب الصوت متواصل ، وكأن آت من عالم آخر ، ليس لها به عهد ، ضحك ، بل اغراق فى الضحك ، ثم ماذا ؟ صوت كلمات ، صوت هادىء رزين ولكنه مسموع برغم هذه الضحكات الهازئة العالية المتواصلة . ماذا يقول ؟ ماذا ؟ . (هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟)

سهير القلماوي

وجه صالح للسينما

للكاتبة الالمانية فيكى بوم

مؤلفة « الفندق الكبير »

كانت من المصادفات النادرة الوقوع ان شاهد جوهانس فيليب المخرج السينمائى ، من خلف الصحيفة التى كان يطالع فيها وهو فى عربة الترام . تلك المرأة العجوز الجالسة أمامه فاذا بجسمه يضطرب اضطرابا ظاهرا واذا البرودة تسرى الى اطرافه .

كانت هذه المرأة ، واسمها در بجالسكى – المادر بجالسكى – من اللاتى تراهن فلا تستطيع ان تقدر لهن عمرا ، تراها فكأنك ترى تمثالا للشقاء والبؤس ، وكأنها الفقر عاريا متجردا فى صورة انسان

ولم يكن شعرها الذى فقد لونه المنسدل حول وجهها النحيف الشاحب هو كل ما أثر فى نفسه ؛ بل أثرت فيها تلك التجاعيد التى لاعد لها والتى تملأ وجهها ، تجاعيد حول فمها الغائر ، وتجاعيد خطت سطورا متقاطعة فوق جبينها ، وحفر قاتمة مظلمة تحت عينيها ، اثر فى نفسه منظر يديها النحيلتين اللتين برزت عظامهما ممسكتين كيسا من الجلد وضعت فيه ما أحضرته من السوق ، وحذاؤها الذى لم يبق منه طول العهد غير الاثر ، ثم تلك الاسمال النظيفة البالية التى ترتديها .

لكن أشد ماتأثرت به نفس المخرج السينمائى هو مابدا على المرأة من اهمال وقلة مبالاة ، وملامح اليأس والتعس والقنوط التى تنم عليها عيناها تحت حاجبيها النحيلتين

وأغمض عينيه لحظة ليخفف الاثر الذى فعلته فى نفسه ، وهنا فى تلك اللحظة – مر خاطر بباله ، وكأنه يرى امامه ، منظر الجماهير المحتشدة فى احد المناظر التى يعدها للشريط السينمائى الجديد الذى اعتزم اخراجه ويريد أن يضع له عنوانا : صرخة من « الاعماق » .

وخيل اليه انه يرى جمعا من النساء ، وكأن كل واحدة منهن تشبه تلك التى امامه ، رآهن جميعا يتزاحمن ناحية سلم كبير وكأن بينهن تلك الجالسة امامه الآن ، الا انها انتحت بعيدا عنهن جميعا ثم سارت ينطو عليها البؤس والاسى

وفتح المخرج السينمائى عينيه ، وذكر انه فى عربة الترام ، فقام من مجلسه وتقدم نحو المرأة قائلا

ـــ ٧٥ ـــ

— هل لك ياسيدتى ان تحضرى يوما الى الرجل الذى اعطيك عنوانه الآن ؟ وأحسبه يدفع لك أجرا طيبا .

ومرت فترة حتى بلغت كلماته ادراك در بجالسكى ، ولكنها لم ترفع اليه بصرها رغم انها فهمت ما يريد ، وربما كانت متعبة فلم تستطع ان تجلى فيه بصرها ، او حال الالم البادى فى عينها دون أن تنظر اليه ، واخيرا فتحت فمها المطبق وقالت :

— أأعمل عمل غسالة ؟

— كلا ، بل عمل سهل واجر طيب ، وسوف يشرحون لك كل شىء اذا ذهبت اليهم ، وأجابت وقد اهتزت عربة الترام فكادت المرأة تسقط من مقعدها

— اسمع !.. انى كنت أغســل .. وكنت أتناول سبعين (بفنج) اجر ساعة واحدة فى اليوم ، ولكن هذا العمل قد انتهى الآن ، والمحل الذى كنت اشتغل فيه اغلقت ابوابه ... على أى حال افضل ان لا اكون غسالة .

— لا أظنك سعيدة فى حياتك ؟ ...

وبعد أن توقفت قليلا ، قالت :

كانت الأمور سائرة سيرها الطبيعى قبل تلك النوبات التى أصبحت تنتاب زوجى ؛ نوبات فظيعة تصيبه فيستحيل وحشا حتى ليعجز أربعة رجال عن تهدئته ووضعه فى فراشه ، وهو عاطل لايعمل ... ينام أغلب وقته ... ولكن حين تعود اليه النوبة !...

كان عاملا فى مصانع بوش وزايش ، فسقطت قطعة من الحديد فوق رأسه ... غير أن الطبيب يقول ليس هذا وحده ما سبب له هذه النوبات ... بل لأن زوجى كان سكيرا ... ربما أصاب الطبيب .. كذلك ولدى ، عقله غير كامل ... لسوء حظه ... لم يكن بهذا القدر من السوء وهو صغير ، كان يجلس هادئا فوق مقعده الصغير ، فلما بلغ السادسة عشرة أصبحت تصيبه نوبات شديدة ... وذلك من سوء حظه أيضا ... فأنا التى أقوم بكل ما يحتاج اليه البيت ،

من عهد قريب كنت سائرة فى الشارع فسقطت على الأرض ... ونقلت إلى أقرب محل للأسعاف . وقال الطبيب ، انها ليست مريضة انما هى قلة التغذية ... ماذا تفعل بضعة دريهمات أمام أجور الغاز ... وأجرة البيت ؟

كانت تتكلم بصوت ضعيف خافت كأنها تخاطب نفسها ، وانحنت

قليلا فوق الكيس بين يديها . لا بأس . . . إذهبى وقابلى الهر توربج فقد يصلح حالك فيما بعد ، وألح عليها فى الذهاب ما استطاع ، ثم ترك الغرفة وهزت دريجالسكى رأسها وهى تفكر كيف يمكن أن يصلح حالها . .

وهكذا بدأت المادر يجالسكى مجدها السينمائى العظيم

ومضت إلى استوديو (هالفا) وكأنها شبح يتنقل فى هيكل من عظام ، وسألت عن هر توربج — رناتس توربج كاتب السناريو الذى كان شاعراً قبل أن يشتغل بهذا الفن .

وكاد توربج يجن بها فرحا ودعا اليه غيره من زملائه وقد تملكوه إعجابه . أما دريجالسكى فظلت واقفة وسط الغرفة دون أن تدرك شيئا ومع ذلك لم يبد عليها اثر من الدهش فقد علمها الشقاء ألا تأبه لشىء .

وطلب اليها ان تسجل اسمها لدى الكاتب المختص بذلك فى الاستوديو ، وذكروا لها انها ستتناول عشرة ماركات فى اليوم ، فكان كل ما بدا عليها انها عجزت عن تصديق ذلك . .

كان الاستوديو غاصا بنساء كثيرات يرتدين أسمالا كتلك التى ترتديها دريجالسكى ، وحول عيونهن تجاعيد كتجاعيدها الا انها تجاعيد زائفة من دهانات واصباغ . وألقوا بها بين الاخريات فكانت يبين كأنها ليست منهن ، بوجهها الطبيعى وسط الوجوه المصبوغة بالطلاء ، وشقائها الحقيقى الذى لا تمثيل فيه . وأثرت الاضواء القوية فى عينيها حتى سالت منهما الدموع .

وفى الساعة الواحدة كانت واقفة تحت مصباح كبير بين النساء الاخريات ، وصاح رجل كان واقفا فوق منصة عالية طالباً منهن جميعاً أن يرفعن رءوسهن ويلتفتن الى جهة أشار اليها . . . وكان هذا آخر مناظر الموقف .

وذهبت جميع النسوة الى مطعم الاستوديو الا دريجالسكى فلم تشاركهن ، بل انتحت ناحية بعيدة وجلست فوق مقعد تأكل قطعة من الخبز أخرجتها من كيسها . وتوربج لم يحول بصره عن هذا الجسم الذى يبدو كأنه بقية انسان . . . وهو يفكر لو أنه ظل شاعراً لنظم فى صورتها قصيدة رائعة ، أما وقد أصبح مؤلفا للسينما . . .

وحان وقت العمل للتصوير فنادوا جميعا ، واستمر العمل حتى كانت الساعة الثامنة مساء ، والمخرج واقف فوق سلم امام النسوة ، ومن ورائهن رجال آخرون يلقون عليهن الاوامر من الابواق المكبرة للصوت .

واخيرا أمروهن ان يسرن الى الامام .

وقيل لدريجالسكى ان تبتعد عن زميلاتها ، وان تتقدم وحدها لتصعد السلم ، وأن تفعل ذلك حين تسمع كلمة : « الآن ! سيرى » ، وما عليها الان تسير فى مشيتها الطبيعية المعتادة ، وحين سمعت الإشارة تباعدت عن زميلاتها وسارت ثم رفعت يديها لتحجب عن عينيها النور الذى اثر فيهما ، فلم تعد تبصر شيئا . . . والمصور واقف فوق منصته يدير آلة التصوير وقد اخذ الاعجاب كل مأخذ منه ، فكان يصيح : ما اعجب هذا ! . . ما ابدع هذا ! . .

وقال توربج لدريجالسكى قبل ان تمضى تعالى غدا لاخذ منظر آخر ، وصورت فى اليوم التالى وهى تحمل طفلا ، وصورت فى اليوم الثالث ثم قدموا لها ثلاثين ماركا !

وسألتهم : متى اعود ثانية ؟ فاجاب الرجل الذى نقدها أجرها وهو يمزح . سنكتب اليك حين نحتاجك ؛ فليس العمل منظما هنا كعمال الغسالات !

— وعادت دريجالسكى منهالكة من التعب ، لم تدرك شيئاً من كل ما حدث ، عادت الى بيتها فى انتظار أن تدعى مرة أخرى

واستدعيت المادر يجالسكى مرات كثيرة فى الاشهر التالية .

وكان منظر المرأة فى بساطته وصدقه فذاً أعجب به كل من رآه ، ولهج النقاد بذكره كثيراً ، وبلغ إعجاب الجمهور به مداه ، وطلب الى دريجالسكى أن تقوم بدور آخر فى رواية جديدة ، ومنحت عشرين ماركا أجر هذا الدور . وسألت شركة سينمائية أخرى عن عنوانها وأرسلت اليها تستدعيها ، وهكذا تسابق اليها المخرجون ، فكان مظهرها يكسب الموقف لوناً طبيعيا رائعاً : لون الألم والبؤس الصحيح الذى لا أثر للصناعة فيه .

وخرجت دريجالسكى من عزلتها التى كانت فيها ، فتعرفت الى غيرها من النساء اللاتى تستخدمهن شركات السينما ، وعرفت منهن أن تتردد على مكاتب الاستوديو إذا طال عليها الأمد ولم يستدعها أحد ؛ ولكنها برغم ذلك كله لم تدرك من الأمر شيئاً ، وكان كل ما عرفته أن أجرها يزيد خمس مركات اذا صورت وحدها عما لو صورت بين جمع من النساء . وقد تعلمت الطمع والجشع فكانت تبذل جهدها لتحذق عملها الذى تؤمر به حتى يزيد أجرها .

« البقيــة على صفحة ٤٢ »

يحصر ،من هذه الضوضاء الغريبة التى يمتلىء بها البيت حين تفارقه الحياة ،ويمتلىء بها البيت حين تدخله الحياة .

قال الاستاذ بحزن وإشفاق؛ وكم قضى المسكين من وقت على هذه الحال ؟ قال التلميذ يوما كاملا نصفه فى ذلك البيت الذى كاد يخلو ، ونصفه فى هذا البيت الذى كان يعمر . ولقد لقيته فهممت ان أتحدث اليه فى الانتقال من دار الى دار ، وان اذهب معه مذهب الادباء فى هذا الحديث؛ فأخذت أذكر له وقوف الشعراء على الإطلال واحياءهم لما يثير هذا الوقوف فى نفوسهم من الذكرى وما يسفح على خدودهم من العبرات، وذهبت أروي له : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . . وانشده: لخولة اطلال ببرقة ثهمدي . . . وانغى له بدمنة ام اوفى . . وأروى له ماقال ذوالرمة فى ربع مية . واستطرد به الى ماقال ابو تمام فى عمورية بعد ان دمرها المعتصم تدميرا . فلم أجدمنه نشاطا ولا انبساطا وانما قال فى صوت المحزون ولهجة المتعب المكدود وما انا وذاك؟ لقد تنقلت فى حياتى بين دور كثيرة من حوش عطى ، الى درب الجماميز ،الى شق الثعبان ،الى مونبليه ،الى باريس ،الى السكاكينى ،الى الحوياتى ،الى هليو بوليس ،الى الزمالك ، فأقسم ماوجدت ساعة الانتقال لحظة من هذه اللحظات الحلوة التى يغنيها الشعراء غناء جميلا فى شعر جميل اودع فيها دارا احببتها وبلوت فيها الحلو والمر من الوان الحياة، واستقبل فيها دارا لا اعرفها ولا أعرف ماستكشف لى فيها الايام عنه من الاحداث والخطوب . انما هو الضجيج والعجيج وازدحام الادوات والاثاث ، وصياح العمال والحمالين وخفق الاقدام ،وجر الاثقال ،ومجلس ضيق كهذا المجلس الذى ترى وساعات طوال ثقال كهذه الساعات التى رأيت ، ثم وصل لما انقطع من الحياة ،وسعى فيما أهمل من العيش ،وانغماس فى هذه الحركات العنيفة التى لاموضع فيها للشعر ولا مكان فيها للغناء . هنالك عدلت به عن هذا النحو من الأدب الى نحو آخر ،فأخذت اتحدث اليه عن قول ابى تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ماالحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل .

واخذت اسأله عن احب منازله اليه و آثرها عنده فلم يحتج الى تفكير ولا تقدير ، وأنما قال فى صوت حزين يشوبه الابتسام احب دار وآثرها عندى انما هى تلك الدار التى درجت فيها طفلا فى قرية من قرى الريف ،وهذه الدار التى نشأت فيها شابا فى حوش عطى ، ثم هذه الدار التى أقمت فيها طالبا للعلم فى شارع من شوارع الحى اللاتينى فى باريس ولكن بشرط الا أعود الى الاقامة والحياة فى واحدة منها ،هى حبيبة الى كريمة على أثيرة عندى حين أذكرها وحين ألم بها الالمامة القصيرة اليسيرة ،فأما أحب الدور الى وآثرها عندى الآن فهى هذه التى تراها مضطربة مختلطة مملوءة بالضجيج والعجيج والصياح من كل نوع ، وترانى فيها اسيرا سجينا بين هذه الادوات المختلطة المكدسة حولى لا أستطيع حركة ولا انتقالا لانها ستبتسم لى بعد أيام ، وستحمل الى فيها ساعات الحياة من الوان العيش مالم اذق بعد . ويكفى ان اذكر تلك الدور كلها وكيف انتقلت من احداها الى التى تليها حتى انتهيت الى هذه الدار لتعلم انى كغيرى من الناس خليق الا امنح تلك الدور من نفسى الا هذا الحب الذى يقترن بالذكرى ، ومن يدرى لعلى إن انتقلت من هذه الدار التى تراها الى دار اخرى أوثرها عليها واختصها بالتفضيل ، انما نترك فى كل دار نسكنها قطعة من قلوبنا ، ولكنك تعلم ان قلوبنا لا تنقص بما نفرق من أجزائها بين الدور ، وانما تكمل وتستكثر من الثروة بهذه الذكريات التى نحملها معنا الى أن يأتى هذا اليوم الذى ننتقل فيه الى منزل آخر لانؤثره ولا يؤثرنا ، لا نحبه ولا يحبنا ، لا نسعى اليه ولا يسعى الينا ، ولكنا نكره عليه اكراها ، ويكره هو علينا اكراها . . . .

هنالك أحسست مرارة الحديث فهممت ان اتحول بصاحبى الى حديث آخر ، ولكن أمور الدار وترتيبها كفتنى مؤونة هذا الانتقال ، فقد اقبل المقبلون يرفعون هذا ويضعون ذاك ، يتصايحون ويتبادلون بينهم الامر والنهى . قال الاستاذ لا بأس بهذا الموضوع ولكن على ان تعالجه علاجا آخر وتعرضه عرضا فنيا يثير الضحك ويثير الرثاء وانما يتأتى ذلك حين تقصد اليه قصد صاحب الفن وتبث فيه جزءا من اجزاء نفسك يمنحه شيئا من الحياة ؟ طه حسين

(الرسالة) عاق الدكتور بعض الشواغل عن ترجمة النفس والرقص فأرجأها الى العدد القادم

الكتب

العـــراق

نقد لكتاب جغرافية العراق

تأليف الفريق طه باشا الهاشمى

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

صديقنا الفريق طه الهاشمي باشا مدير معارف العراق سابقا ورئيس أركان حرب جيشه حالا ، نسيج وحده اليوم في الجمع بين أدب السيف وأدب القلم ، توفر على الاصلاح المنتج الصامت من طريق التعليم والتأليف ، ورضي من سيادة العيش ومتاع الحياة بشرف الدفاع عن الوطن ولذة الجهاد في سبيل العلم ، فلم يدخل في فتنة ، ولم يساهم في حزبية ، ولم يوزع همه وجهده الا على مكتب في وزارته ، ومكتب في بيته . ومن يطلع على ثبت مؤلفاته في التاريخ والجغرافية وفنون الحرب لا يسعه الا اكبار هذا الرجل . وهذا كتاب جديد اسفر عنه عزمه في جغرافية العراق سيحدثك عنه صديقنا الدكتور محمد عوض ، والدكتور عوض استاذ هذا العلم كان في الجامعة المصرية ثم في مدرسة التجارة العليا ، فحديثه عن الكتاب نقد ، وشهادته للمؤلف الفاضل أصدق

المحرر .

إن حديث العراق يثير فى النفس أحاسيس لا سبيل إلى دفعها ، وظمأ لا سبيل الى ريه . ويبعث أمام العين صوراً قوية جذابة ، ويحرك فى القلب شجناً وأى شجن . ويثير فى الخاطر ذكرى عهود وأى عهود ! . فهات الحديث إذن عن الزوراء وعن هيت ، وعن سامراء وتكريت ، وعن الموصل وكربلاء وعن البصرة والكوفة ! أو اعد بهذا الحديث ذكرى ذلك العهد الجليل – كان عهداً جليلا للناطقين بالضاد ، وكان عهدا جليلا لبنى الانسان كافة — أيام كان الوطن العربى كتلة واحدة ، كأنه العقاب الهائل باسطا جناحيه على المشرق والمغرب ، أيام كان هذا الوطن العربى هو فى العالم كل شىء وما سواه ليس بشىء ، أيام لم يكن فى العالم نور سوى ما ينبعث من نبراسه ، ويضىء ارجاءه . ولم يكن فى الدهر كله راية أسمى ، ولا منار أرفع من هذه الراية الاسلامية التى تظل تلك الاقطار الفسيحة المنتشرة ، من المحيط الاطلسى الى أقصى بلاد الصين ، حين كان سائر العالم يخبط فى دياجير من الجهل لا يعرف لنفسه منها مخرجا .

فى ذلك الزمن كان السائح المتجول ينتقل من القطر الى القطر ويتجول فى الاقليم بعد الاقليم ، وما ينتقل من وطن إلا لينزل فى وطن ، فحيثما سار ، وأينما حط رحاله ، لن يخرج عن الوطن العربى الفسيح ، سواء أصعد أم أسهل ، وأتهم ام أنجد .

وكانت هذه الاقطار كالعقد المنظوم ، انبسطت حباته على محيا البسيطة ينتظمها جميعا سلكان ذو قوة ومتانة برغم أنف الزمان ، وهما الدين الاسلامى واللسان العربى

وليس من شك فى ان للعراق فى هذا العقد منزلة خاصة . ولئن لم نقل أنه واسطة ذلك العقد ، لاننا لسنا فى مقام المفاضلة . فلا أقل من ان نؤكد ان العراق جوهرة ثمينة براقة فى ذلك العقد النظيم الذى لم يشهد الدهر له ضريبا .

***

على أن صورة الدولة الاسلامية ليست الصورة الوحيدة التى يثيرها حديث العراق . هذه صورة يهتم لها العالم الإســلامى ، والناطقون بالضاد . ولكن هنالك صورة أخرى تعنى العالم كله ، لا فرق بين شرقه وغربه ، ومسلمه وغير مسلمه . وهى صورة العراق أيام كان مهد الحضارة الأولى . فى أقدم عصور التاريخ . فهنا ، فى سهول دجلة والفرات ، نهضت حضارة سومر وأكا قبل ميلاد المسيح باربعين قرنا ، أيام لم يكن فى العالم كله ثقافة ولا حضارة ، اللهم الا فى الوادى الشقيق الذى نعيش فيه .

إن هذه الحقيقة وحدها لكافية لأن تثير فى قلب كل إنسان شغفا بالعراق الذى كان مهدا لكل هذه الحضارات ، والذى ظل عامرا زاهرا كل هذا الدهر الطويل ، الذى يتضاءل بجانبه عمر هذه الدويلات المحدثة ، التى ملأت عصرنا هذا عجبا وضوضاء .

***

اذن هنالك أسباب عدة لأن نعنى بدرس جغرافية العراق

دراسة خاصة . وأخلق بنا — نحن مدرسي الجغرافيا — أن نذكر هذا أبدا ، وأن نكون دائما على استعداد — في مقام التمثيل والاستشهاد . لذكر البلاد الشرقية والديار العربية فاذا كنا نتحدث عن الأنهار وجغرافيتها ، فلا ننس أن نذكر أنهار الشرق: دجلة والفرات ، وسيحون وجيحون والأردن والعاصى ، ولا نكتفي بذكر الرون والرين ، والطونه والسين .

على أن الكتب العربية الحديثة التي وفت هذه الموضوعات حقها من البحث قليلة جدا ، والمشتغلون بالجغرافيا في البلاد العربية — وعلى الأخص في مصر — قلما يكتبون ابتغاء وجه العلم ، بل يكتب أكثرهم ابتغاء عرض الحياة الدنيا . ولهم في ذلك أعذار مقبولة وأخرى غير مقبولة ، وعلى كل حال لقد أصبح لنا في مصر — مثلا — ولدينا عشرات من الكتب (المقررة) للمدارس الابتدائية وغيرها ، وليس لدينا كتاب واحد حديث يفصل لنا جغرافية مصر تفصيلا علميا متقنا

لهذا كانت دهشتي عظيمة حين تناولت كتاب (جغرافية العراق) تأليف الفريق طه الهاشمي باشا ، رئيس أركان حرب العراق . فرأيته يتناول جغرافية العراق بالبحث المفصل الواضح ، لم يغادر ناحية من نواحي علم الجغرافية الحديث الا عالجها في قدرة فائقة تشهد بالفخر لمن كانت حرفته الجغرافيا . فكيف والكتاب من انتاج رجل حرفته الأولى تعبئة الجيوش ، ورسم الخطط الحربية ، وتدبير المعارك الحاسمة ؟

ولئن كنا مضطرين الى اكبار هذا الجهد الفائق والى الاعجاب الشديد به ، فانه يحق لنا أن نعجب كيف بدأ التأليف الجغرافي بالعراق ناضجا كاملا على هذا النحو من غير إرهاصات ولا مقدمات ، وبلا دون نشوء ونمو . اللهم إلا أن تكون هنالك مؤلفات سابقة ليس لنا بها علم .

وكل مطلع على هذا الكتاب ممن له أقل خبرة بالتأليف الجغرافي لابد ان يدرك ما عاناه المؤلف في جمع كل هذه الاحصائيات الدقيقة ، وفي اخراج هذه المصورات المتقنة . خصوصا اذا ذكرنا أنه يطرق أبوابا جديدة ، ويعالج أمورا لم يعالجها المؤلفون قبله . ويسير في سبيل لم تمهد ولم تعبد

* * *

ان العراق هو أشد أقطار العالم شبها بمصر ، وقد تكون أمطاره في بعض نواحيه أغزر منها في وادي النيل ، غير أن العراق يعتمد قبل كل شيء على ماء أنهاره كما تعتمد مصر على نيلها . وللعراق نهران يكاد ذكر اسميهما أن يكون من الفضول : دجلة (الفتاة) التي تجري في شطره الشرقي ، والفرات (الفتى) الذي ينساب في الجانب الغربي . كلاهما يبدأ مجراه في جبال أرمينية وكردستان وليس بين منابعهما مسافة كبيرة . فأما دجلة فتنحدر مسرعة أو متسرعة — كبنات الاناث لا تلتفت يمينا ولا يسارا ، بل تجري متعجلة الى البحر (خليج العجم) . وأما الفرات فيميل مغربا حتى يدنو من بلاد سورية ، وكأنما كان يريد أن يتجه الى البحر الأبيض ثم غير رأيه ، أو كأنما أراد أن يطل على القطر الشقيق ليقرئه السلام ، ثم يلتوي بعد ذلك في هدوء ورزانة ، ويولي وجهه شطر العراق ، ولا يزال يجري هو أيضا حتى يصل الى خليج العجم ، لكن في شيء من التؤدة والتأني ، وفي منتصف الطريق بين المنبع والمصب يشتاق الفرات الى دجلة فيأخذ في الاقتراب منها ، وفي هذا الجزء الأوسط من العراق يقترب النهران حتى لتظن انهما سيجتمعان . فلا يفصلهما غير مسافة أربعين كيلومترا . وفي هذا الموضع قد احتشد كثير من مدن العراق الشهيرة قديما وحديثا . فهنا نجد آثار بابل ومدائن كسرى ، ونشاهد بغداد الزاهرة وكربلاء المقدسة . كلها في هذه المنطقة التي يتدانى فيها النهران ، على ان اجتماعهما لا يتم بعد ، بل يتباعدان مرة اخرى ، ثم يلتقيان بعد لأى عند القرنة ، فيكون منهما نهر واحد هو شط العرب الذي ينحدر الى خليج فارس .

هذان النهران هما رأس مال العراق وينبوع ثروته فمنهما ماؤه الذي يسقيه ، ومنهما تربته الخصبة التي يعيش أهله من ريعها ولقد تكون سهل العراق الفسيح مما حمله هذان النهران من الرواسب والطين . فاستطاع السهل الخصب أن ينمو ويمتد الى البحر ، حتى أصبح خليج فارس أصغر مما كان عليه حتى في العصور التاريخية . ولا يعرف في العالم كله سهل نهري يزداد نموه بسرعة تعادل سرعة نمو سهل العراق ، فهنا يتقدم البر وينكمش أمامه البحر بسرعة معدومة النظير ، ولهذا كانت أرض العراق في عصر السومريين أصغر مما هي اليوم ، بحيث كانت المدن السومرية القديمة : أور واردو ولاجاش واقعة على البحر أو قريبة منه .

* * *

وهكذا يعرض المؤلف أمام أعيننا صورا شائقة ممتعة لجغرافية العراق . ويعرضها في ترتيبها المنطقي المتسق . فتراه في الفصول الأولى يشرح موقع البلاد بالنسبة لما جاورها من الاقطار ثم يأخذ في شرح التكوينات الجيولوجية ، وكيف تكونت أرض العراق

في الازمنة الجيولوجية ، ثم ينتقل الى وصف تضاريس البلاد وما بها من سهول مطمئنة ، وجبال شاهقة تفصل ما بينه وبين بلاد الترك والفرس . ثم يصور لنا مجرى النهرين العظيمين تصويرا دقيقا ؛ حتى نكاد نراهما ونلمسهما ، ويبين لنا كيف يفيضان ، ومقدار ما يجري فيهما من الماء ، وفي أي الشهور يفيض ، او يغيض الماء ثم ينتقل بعد ذلك الى دراسة المناخ والنبات والحيوان ..

وبهذا يكون المؤلف قد أكمل الصورة الطبيعية للبلاد في كافة نواحيها ، وهنالك يصبح ذهن القارئ مهيأ لأن ينتقل من البيئة الى السكان ، ومن الجغرافيا الطبيعية الى الجغرافيا البشرية

والناحية البشرية تحتل الشطر الاكبر من الكتاب ؛ ويحق لها ان تنال كل هذه العناية . فنرى المؤلف يمعن في ذكر القبائل ومواطنها ، وحاضرها وباديها . وكيف تنتقل من موطن الى موطن ، وبعضها قد ينتقل من العراق الى فارس أو تركيا أو سوريا في بعض الشهور ، ثم يعود الى العراق في شهور أخرى .

ومن أفضل أبواب الكتاب تلك الفصول التي يشرح فيها المؤلف الجغرافيا الاقتصادية في العراق ، ويبين للقارئ طرق الزراعة والري والمعادن والتجارة ؛ وطرق المواصلات على كافة أنواعها .

ولن يتسع المقام هنا للافاضة في ذكر فصول الكتاب . وحسب كل مشتغل بعلم الجغرافيا أن يعلم أنه قد بات في متناوله اليوم كتاب واف عن جغرافية بلاد نحن في أشد الحاجة الى أن نلم بجغرافيتها إلماما صحيحا دقيقاً .

وسيجد القارئ المصري صعوبة في فهم بعض المصطلحات العلمية . لأنها في كثير من المواضع قد تخالف ما اصطلح عليه المشتغلون بالجغرافيا في مصر . ولكن لن يلبث القارئ طويلا حتى يعتاد لغة الكتاب ومصطلحاته . وانا لنرجو على مدى الزمن أن تزداد المؤلفات الجغرافية العربية ، فنستطيع بمبادلة الرأي أن نوحد المصطلحات العلمية في اللسان العربي .

ولا بد لنا أن نذكر بشيء كثير من الثناء ما اشتمل عليه الكتاب من خرائط ملونة وغير ملونة . وكثير منها من نوع فريد لا يسهل العثور على مثله . ولنذكر على سبيل المثال الخرائط التي تبين مناطق الزراعة ، وكثافة السكان ، والاجناس والشعوب والقبائل . والكتاب مفعم بالصور التي توضح جميع نواحي البحث في الكتاب كله .

ونحن نهنئ المؤلف الفاضل بجهوده المثمرة . ولا نشك في أنه ماض في عمله الجليل ، حتى يشق في بحثه الجغرافي سبلا جديدة . وتزداد مؤلفاته الجغرافية عددا واتقانا على اتقان . . إن رجال الجيش طالما أدوا الى علم الجغرافيا خدمات جليلة ومن ذا الذي لا يسره أن يرى اسم هذا القائد العربي بين اسماء من خدموا الجغرافيا وأحسنوا الى المشتغلين بها ؟

«عوض»

وجه صالح للسينما

(بقية المنشور على صفحة ٣٨)

صرفت دريجالسكي أول نقود نالتها في أجرة طبيب . ثم صرفت ما كسبته بعد ذلك في جنازة زوجها ودفنه . وتحسنت الاحوال بعد موت هذا الزوج . فقد كانت تخشى ان تترك ابنها المعتوه في البيت لئلا يعبث بالكبريت . اما الآن فقد اصبح في وسعها ان تودعه مصحة للأمراض العقلية ، ولم يبق معها بعد ذلك الا القليل من النقود ومع هذا فقد استشعرت الراحة والاطمئنان لقد كانت مدفونة تحت اطلال حياتها التعسة وأحست اليوم انها تستنشق الهواء ، وهجرت مهنتها الاولى كغسالة . ومع ذلك فقد ساق اليها حظها الجديد رجلا يستأجر غرفة في بيتها .

وهو انتون بوش الاعزب الذي كان يبيع المثلجات في الشارع وكانت دريجالسكي ترى فيه رجلا ظريفا ، وحسدها الجيران لنجاحها في فن السينما ، واعتزت بنفسها اذ ادركت منهم ذلك الحسد . وكان الهر بوش يدفع لها اثنى عشر ماركا في الشهر ويدفع نصف أجرة الغاز وكان كريما شديد الاخلاص لها وقد ابتاع لها فستانا من الحرير الازرق وكانت تطهى له الطعام بنفسها وتقدم له شطائر ليتناول منها طعامه في جو لاته . وانك لتدرك من ذلك ان غذاءها هي نفسها قد تحسن كثيرا وزالت التجاعيد عن وجهها شيئا فشيئا وقد بلغت الآن قمة النجاح واصبح اسم دريجالسكي اسما يردده المخرجون !

التتمة في العدد القادم — محمود عزى

مجموعة السنة الاولى

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الاولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد

2 Me Année, No. 28

Lundi-15-1-1934



الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الاقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العدد الثامن والعشرون — «القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٢ — ١٥ يناير سنة ١٩٣٤» — السنة الثانية

فهرس العـــدد

من جـــد الشـــتاء

للدكتور طه حسين

من جد الشتاء ان تهيء الزيات بعيدين يطلع بهما عليه فجر يوم واحد ، هو هذا اليوم الذى تظهر فيه الرسالة للناس ، وتشرق بهما عليه شمس واحدة هي شمس يوم الاثنين ، ويستقبل فيهما ابتسامتين ما أعرف ان في الحياة شيئا احب اليه ولا احسن في نفسه وقعا ، ولا أجمل في قلبه صورة ، ولا أشد احياء للامل ، واستدعاء للغبطة ، واثارة للابتهاج منهما ، احداهما مقصورة عليه او كالمقصورة عليه . استغفر الله ، بل هى مقسومة بينه وبين شطر نفسه وشريكته في الحياة ، وهى ابتسامة ابنه (رجاء) ، والاخرى شائعة بينه وبين أصدقائه واحبائه وخصومه واعدائه في مصر كلها ، وفي الشرق العربى كله ، وفي كل طرف من اطراف الارض تقرأ فيه اللغة العربية ، ويذاق فيها الأدب العربى ، وهى ابتسامة بنته (الرسالة) . فقد رزق الزيات في مثل هذا اليوم من العام الماضى هذين الوليدين العزيزين ، فسعد باولهما في نفسه واسرته ، وسعد بثانيهما في نفسه وامته ، وانفق عامه كله معنيا بتنشىء رجاء وتنمية الرسالة ، يقصر جهد عقله على هذه ، ويختص بفيض قلبه ذاك . ويجنى من هذه كما يجنى من ذاك هذه الثمرات الحلوة المرة ، اللذيذة المؤلمة ، التى يجنيها الاحياء من حب الاحياء والعناية بهم والانصراف اليهم عن كل شىء .

يبتسم رجاء للحياة فيبتسم قلب الزيات وتنعم نفسه ، وتبتسم الرسالة للحياة فيبتسم عقل الزيات وينعم ضميره ، تعرض آلام الحياة

لرجاء فيكتئب قلب الزيات، ويأرق ليله وينغص نهاره، وتظلم الحياة في وجهه، وتعرض المصاعب للرسالة فيبتئس عقل الزيات ويقلق ضميره وتضيق به الأرض ويضيق هو بالأرض، لا يطمئن ولا يستريح ولا يتذوق لذة العيش الا اذا استقبل النهار بابتسامة رجاء في بيته، وبابتسامة الرسالة خارج البيت.

***

أليس من الجد أن نهنئ صديقنا اذا استدار العام وأقبل يوم الاثنين، فاذا رجاء يقبل على الحياة مبتسما لها، مغتبطا بها، آخذا منها بهذا الحظ الحلو، الجميل الصفو، الخالص من كل شائبة، الذى لا يتاح الا للاطفال، والذى أتيح لنا جميعا في وقت من الاوقات، ثم محته من نفوسنا وقلوبنا وذاكرتنا هذه الأيام التى تمضى وهذه الليالى التى تتبعها، فاذا نحن لا نذكره ولا نقدره، وانما نأسى عليه ونود لو استطعنا أن نحقق المستحيل فنسعد بسذاجته النضرة، ونحتفظ مع ذلك بمصدر ما نكره من الالم والحزن، ومن الكآبة والشقاء، وهو العقل والضمير.

أليس من الجد أن نهنئ الزيات اذا استدار العام وأقبل يوم الاثنين، فاذا الرسالة تستقبل الحياة واثقة باقبال القراء عليها وتأييدهم لها، وحرصهم على أن يستقبلوها كلما دار الاسبوع قوية نشيطة، ممعنة فيما هى فيه من تصوير الحياة الأدبية الشرقية، والآمال الأدبية الشرقية بما فيها من جد وهزل، ومن قوة وضعف، ومن أمل ويأس، ومن نور وظلمة، ومن نشاط وخمود. بلى إن من الجد كل الجد أن نهنئ صديقنا بهذا اليوم السعيد لقلبه وعقله معا: وأن نتمنى لصديقنا أن يستدبر الاعوام والأعوام، وأن يستقبل هذا اليوم كلما أتم الفلك دورته بهاتين الابتسامتين اللتين تملآن قلبه وعقله وضميره رضى وغبطة واطمئنانا لأداء الواجب، واستعدادا للنهوض باعباء الحياة.

***

ومن جد الشتاء أن يذكر لهو الناس بلذات الشتاء، وما أكثر لذات الشتاء وما أعذبها، وما أشد تنوعها واختلافها، وما أحسن موقع بعضها من القلوب، وما أجمل أثر بعضها فى النفوس، وما أقل حظنا من الرغبة فى خيارها والاقبال على طيباتها. أما دور السينما فحافلة والحمد لله فى جميع ليالى الأسبوع، وفى جميع أيامه، كثيرة ولكنها على ذلك مزدحمة بالمختلفين اليها، مكتظة بالمتهالكين عليها، تعرض عليهم كثيراً من السخف وقليلا جداً من القيم المفيد، وهم بذلك راضون، وفى ذلك راغبون، لانهم لا يبتغون الا هذه اللذة اليسيرة القصيرة التى تلهيهم عن هموم الحياة وأثقالها ساعات من ليل، أو ساعات من نهار، وأما دور التمثيل فالأمر فيها مختلف، منها العربى الذي يعيد ما يبدىء، ويبدىء ما يعيد، يصاحب الحياة دون أن يحيا، ويستقبل الايام والليالى، لان الايام والليالى تمر به وتغمره كما تمر بكل شىء، وكما تغمر كل شىء. لا يحدث جديداً، ولا يبتكر طريفا، والناس مع ذلك يغشون هذه الدور فى كسل، وفتور لأنهم تعودوا أن يغشوها كما تعودوا أن يغشوا الاندية والقهوات. ينفقون فيها ساعات فارغة من حياة فارغة. ثم يعودون الى بيوتهم بنفوس فارغة وقلوب فارغة واجواف ممتلئة. والله يعلم باى نوع من انواع الطعام والشراب، وانك لتسأل نفسك وتسأل الناس وتسأل الأدباء، وتسأل النقاد عن القصة الطريفة من قصص التمثيل والآية البديعة من آيات الفن التى استقبلنا بها فصل الشتاء، فلا تظفر إلا بهز الرءوس ورفع الاكتاف وابتسامة فيها السخرية وفيها الحزن، وفيها اليأس من الحياة والازدراء للحياة، والانصراف عما يجعل للحياة قيمة أو يجعلها خليقة بالتفكير والتقدير.

ومنها دار الأوبرا الملكية التى تنام تسعة أشهر، وتستيقظ ثلاثة اشهر من كل عام، تنام لأنها فى بلد يحب النوم، وتستيقظ لأن قوما من الاجانب يوقظونها كلما انتهى الخريف وأقبل الشتاء، وهم يوقظونها لأنهم يدعون الى ذلك ويرادون عليه. تدعوهم الى ذلك الدولة. لأنها لا تريد ان تنام طول العام، أو أن يظن بنا الناس أننا ننام طول العام، أو أن يزورنا السائحون فلا يجدوا عندنا ما يلهيهم ويريحهم من تعب النهار. ويدعوهم الى ذلك ضيفنا الاجانب الذين لا ينامون لا فى الصيف ولا فى الشتاء، هم أيقاظ فى بلادهم اذا اقبل الصيف، وهم إيقاظ فى بلادنا اذا كان الشتاء، هم يلهون فى بلادهم على حساب أنفسهم اذا أقبل الصيف، وهم يلهون فى بلادهم على حسابنا نحن اذا اقبل الشتاء، والغريب اننا نلهيهم ولا نلهو معهم. وحق الضيافة على اقل تقدير يقضى علينا بأن نشاركهم فيما نقدم لهم من اللهو. ولكن احصيت لى الطرابيش التى كانت فى الاوبرا يوم الاثنين الماضى. فلم تبلغ العشرين. فاما العمائم فما لها وللاوبرا؟ وكيف يظن بها ان تختلف الى هذه الدار؟!

***

النفس والرقص

للكاتب الشاعر الفرنسي العظيم بول فاليري

ترجمة الدكتور طه حسين

— ٣ —

أركسيماك — أي أنكتيه ! ما أشد اتقانك للقرب (١) !

فيدر — كأن الموسيقى تستردها في هدوء ، كأنها ترفعها . . .

أركسيماك — انما تغير الموسيقى نفسها

سقراط — أي آلهة الفن ، إن قوتكن لبالغة في هذه اللحظة التي تريد أن تموت . يا له من تعليق حلو للأنفاس والقلوب . . . ان الثقل ليسقط تحت قدميها ، وهذا الرداء العظيم الذي يسقط في غير صوت ينبئنا بذلك (٢) . لا يرى جسمها إلا متحركا

أركسيماك — لقد عادت عيناها الى الضوء .

«١» يريد انها بارعة في تهيئة النفوس لما سيحدث قريبا

«٢» يريد انها تتخفف من كل ثقل استعدادا للنشاط فيما سيأتي من حركات جديدة .

فيدر — لنستمتع بهذه اللحظة الحلوة التي تغير فيها ارادتها ! (١) كأنها الطائر الذي يصل الى حافة السقف نفسها ثم يقطع ما بينه وبين المرمر الجميل من صلة ، ويسقط في طيرانه .

أركسيماك — لا أحب شيئاً خيراً لما يريد أن يحدث ، حتى في الحب لا أجد ألذ من الشعور الأول (٢) . والفجر أحب ساعات النهار الي (٣) . لهذا أريد أن أرى في شيء من الحنان ظهور الحركة المقدسة على هذه الفتاة الحية . انظرا . . . ! أنها تنشأ من هذا اللحظ المنزلق الذي يجذب في قوة رأساً ذا الانف الحلو الى كتفها المضيئتين؛ وهذا العصب الجميل كله ، عصب جسمها الصريح القوي ، يظهر ويلتوي شيئاً فشيئاً من العنق الى العقب . ثم تمضي الرعشة في كل شيء . ويصور في بطء مولد وثبة . ويحظر علينا أن نتنفس حتى تنبع هذه الوثبة ملائماً في تقدير خفي مفاجيء لطرق الصنج الذي يمزق الهواء . (٤)

سقراط — ما أعجبها ! ها هي ذي تدخل في الاستثناء وتمضي في غير الممكن (٥) . ان نفوسنا لمتشابهة أيها الصديقان أمام هذا السلطان الذي هو واحد كامل بالقياس الى كل واحدة منها . . . انها لتشرب معا كل ما هو جميل . (٦)

أركسيماك — انها لتستحيل كلها الى رقص وتفرغ كلها للحركة الكاملة . (٧)

فيدر — كأنها قبل كل شيء تمحو بهذه الخطوات التي يملؤها العقل من الارض كل تعب وكل حمق (٨) . وها هي ذي تتخذ لنفسها منزلا يرتفع قليلا فوق الاشياء كلها ، وكأنها تهيء لنفسها عشا في ذراعيها الناصعتين . . ولكن ألا يظن الآن أنها تنسج لنفسها بقدميها بساطاً من الاحساسات لا يكاد يحد . . هي تلائم وتخالف وتنسج

«١» يريد التي تنتقل فيها من طور الى طور في الرقص

«٢» يريد انه ضيق بما هو واقع، تواق دائما الى ما سيقع

«٣» لانه أولها

«٤» يصور في هذه الجملة كلها أدق تصوير حركة من حركات الرقص منذ أرادتها الراقصة الى أن انتقلت من الارادة الى التنفيذ وانبثت في جسمها كله وانتهت الى ما أرادت الراقصة من الوثوب

«٥» يريد أن ما تأتي من اشكال الرقص مخالف للمألوف الذي كان منتظرا .

«٦» يريد أن جمال الفن يزيل ما بين النفوس من الفروق .

«٧» يريد أن الرقص قد استأثر بها فلم تصبح فتاة ترقص وانما أصبحت رقصا خالصا ،

«٨» يريد أنها ترفع النفوس الى حيث تبرأ من التعب والسخف ؛

ومن جد الشتاء ان تذكر لهو الناس بالموسيقى . وحديث الموسيقى ليس أقل عجبا من حديث التمثيل ، فنادي الموسيقى الشرقي يعيد ويبديء ، ويبديء ويعيد . وجماعة الموسيقى الغربية تدعو الى مصر في كل شتاء أعلام الموسيقى في أقطار الارض كلها ، وتختلف نحن الى مجالسهم ، فما أكثر ما نرى من القلانس ! وما أقل ما نرى من الطرابيش ! وأما العمائم فلا تذكرها مع الموسيقى ، فذكرها حرام . ومع ذلك فقد اخطأت عمامتان او اكثر من عمامتين ، فدفعت الى حفلة من حفلات الدولة كان فيها موسيقى ، وكان فيها غناء ، وكان فيها رقص . ولكن هذا استثناء يثبت القاعدة ولا ينفيها .

***

ومن جد الشتاء ان نذكر الأدب فنقول اننا لم نستقبل العام الجديد بشيء جديد ، وان ادباءنا نائمون لم يوقظهم البرد . وما اظن ان سيوقظهم الحر ، وان الفرنسيين مثلا قد استقبلوا العام بمئات من الكتب في الادب والفن ، والتاريخ والفلسفة ، ألفت ليتهادى بها الناس في عيد رأس السنة . ومن جد الشتاء ان نقول ان البرد يحبب النوم الى النفوس ، ويرغب الناس في الراحة ، ويصرف الناس عن الجد ، وإنا نقدر هذا كله ، ونؤمن بهذا كله ، ونأخذ من هذا كله بأوفر نصيب ؟

طه حسين

الارض بالزمن(١). ياله من أثر بديع هذا العمل القيم تاتيه بابهاميها العاقلتين اللتين تهجمان وتختلسان، وتعقدان وتحلان، وتتطاردان، ثم تطيران . . . ما أبرعهما ! ما أنشطهما هاتين الماهرتين فى أثناء اللذة التى ينفق فيها الوقت الضائع ! . . . إن هاتين القدمين لتتناغيان وتختصمان كأنهما حمامتان (٢) . ان نقطة من الارض لتثير بينهما من الخصومة ما تثيره الحبة بين الحمامتين . ترتفعان معاً ثم تصطدمان فى الهواء. أيضا . انى لأقسم بآلهة الفن ما اشتهت شفتاى قط قدمين أكثر مما تشتهيان هاتين القدمين .

سقراط - وكذلك تحسد شفتاك هاتين القدمين البارعتين على فصاحتهما البالغة، وتود لو أعارتا كلماتك جناحيهما ولو زينتا ما تقول بوثباتهما (٣) .

فيدر - أنا ؟ . . .

اركسماك — لم يكن يفكر الا فى أن ينقر حمام الاقدام. وهذه نتيجة لعنايته الحادة التى يختص بها منظر الرقص . اى غرابة فى هذا يا سقراط ؟ أى شىء أدنى الى السر الساذج الجميل ، ان صديقنا فيدر مسحور بهذه الحركات الخفية الظاهرة المضيئة التى تزدهى بها إبهاما (اتكتيه) هو يلتهمهما بعينيه ، هو يمد اليهما وجهه، هو يظن أنه يحس على شفتيه جرى أظفارهما السريعة . لا تعتذر أى فيدر العزيز ، لا يأخذك اضطراب ما . فانت لم تشعر بشىء إلا وهو مباح غامض أى ملائم كل الملاءمة لطبيعة الناس ، ألسنا عبثا منظما ؟ وتأليفنا الحى أليس اختلاطا يعمل فى نظام ، واضطرابا يحدث آثاره ؟ أليست الحوادث ، والرغبات ، والخواطر تتغير فى نفوسنا على أشد الانحاء ملاءمة للضرورة ومباعدة للفهم . . . أى اختلاط من العلل والآثار

فيدر — ولكنك وضحت بنفسك أحسن التوضيح ما شعرت به أنا شعورا ساذجا . سقراط أيها العزيز فيدر فى الحق أنك لم تتأثر بغير سبب . وكلما نظرت أنا الى هذه الراقصة التى لا توصف تحدثت الى نفسى عن الإعاجيب وأسالها كيف استطاعت الطبيعة أن تودع هذه الفتاة النحيلة الضئيلة مقداراً ضخما من القوة والسرعة الى هذا الحد ؟ أتوجد اسطورة لهرقل وقد استحال الى طائر ؟ وكيف يستطيع هذا الرأس الصغير المحدود كأنه قبضة الصنوبر أن يثير آلافا من المسائل والاجوبة بين اعضائه وهذه المحاولات المذهلة التى تحدثها — ثم تجدها متخلصة منها ذا ثما متلقية إياها من الموسيقى ثم رادة لها فى سرعة الى الضوء

اركسماك — وأنا إنما أفكر فى قوة الحشرة التى تستطيع بهذه الحركات التى لا تحصى فى اجنحتها أن تقيم صوتها وثقلها وشجاعتها :

سقراط — هذه تضطرب فى شرك لحظنا كأنها الذبابة الأسيرة ، ولكن عقلى الطلعة يجرى فى اثرها ويريد أن يلتهم ما تحدث !

فيدر — أيها العزيز سقراط ألا تستطيع اذن أن تستمتع إلا بنفسك ؟

سقراط — أيها الصديقان ما حقيقة الرقص ؟

اركسماك — أليس الرقص ما ترى ؟ وأى شىء أوضح فى تعرف الرقص من الرقص نفسه ؟

فيدر — صديقنا سقراط لا يرضى حتى يصل الى نفس كل شىء بل الى نفس النفس .

سقراط — ولكن ما الرقص وما عسى أن تقول الخطى ؟

طه حسين

---

(١) يريد أنها تلائم برقصها بين الزمان والمكان كما يلائم النابغ بين اللحمة والسدى

(٢) يشبه ما بين القدمين من حركات خفيفة حينا عنيفة حينا آخر بما يكون بين الحمامتين من التناغى والخصام .

(٣) يوهم سقراط أن صاحبه الشاب يرتفع عن الشهوة الى الجمال الفنى الخالص فيدهش لذلك فيدر ويبين اركسماك أن الفتى لا يزيد على انه يريد تقبيل القدمين

احدث المبادىء الاجتماعية ؟!

للاستاذ حسن جلال

المنظر الأول

(شابان ـ فتى وفتاة عليهما سيما الجد . الجد الذي يقارب العبوس . يدخلان « المكتب » ثم يتقدمان الى صدر المكان حيث تجلس العاملة المنوطة بأعمال المكتب فتدور بينهما المحاورة الآتية التي تبدأها العاملة عادة)

فتاة المكتب ـ زواج أم طلاق ؟

الفتى ـ طلاق

— هل لكما أبناء ؟

— كلا !

— وما اسمك أيها السيد ؟

— اسمى . . . .

— وما اسمك أيتها السيدة ؟

— اسمى . . . .

— ها كما الأوراق.

(يتسلم كل من الشابين ورقته ولكنه يظل واقفا فى مكانه كأنه لا يصدق أن كل ما كان بينه وبين صاحبه قد انتهى على إثر هذا الحوار البسيط ـ وتنتبه فتاة المكتب فتدرك ما هما فيه وتقول) :

— لقد انتهى كل شىء .

— أليست هناك اجراءات أخرى ؟

— كلا . لقد أصبح كل منكما حرا . إن شاء بقى كما هو وأن شاء تزوج بمن يشاء !

— شكرا . « وينصرفان »

المنظر الثاني

(زوج آخر من الشبان . ولكنه فتى باسم وفتاة باسمة . يتقدمان أمام فتاة المكتب ليحلا محل الزوج السابق)

— زواج أم طلاق ؟

— زواج !

— ما اسمك أيها السيد ؟

— اسمى . . . .

— وما اسمك أيتها السيدة ؟

— اسمى . . . . .

— دونكما الأوراق . أرجو لكما وقتا سعيدا !

— شكرا (وينصرفان هذه المرة بسرعة)

ه ه ه

هذه هى العملية التى يقال انها تتكرر اليوم عشرات المرات فى « مكاتب الزواج والطلاق » فى روسيا الحمراء . وهى عملية لا تشبهها فى سرعتها وبساطة اجراءاتها الا عمليات تناول الطعام فى محلات (السندوتش) الرشيقة التى تملأ القاهرة اليوم : قضمة من بعدها أخرى ، ثم كوب الماء ودفع القروش . وتنتهى العملية هنا أيضا كما تنتهى به عادة فى بلاد السوفيت :

— شكرا (وينصرف)

ترى أهو لصالح الجماعة هذا النظام ، أم هو هادم لكيانها ؟ أما أنصاره فيقولون إن (الزواج) كما يعرفه العالم اليوم لم يزد على أن يكون إحدى العادات المدنية التى اعتادها الانسان فخرجت به عن فطرته الأولى حيث الحرية التامة وعدم التقيد بأى قيد . وإنه لجدير بانسان الجيل الحاضر أن يتحرر من هذا القيد كما تحرر من كثير من أمثاله . لقد خبر الناس نظام الزواج أجيالا من بعدها أجيال ، فهل سعدت الانسانية باتباعه أم شقيت ؟ وهل استراح الانسان فى حظيرة الأسرة وارتقى مستواه . أم فقد تحت أثقالها حيويته ، وتبددت داخل أسوارها مطامعه وآماله ؛ وناء بأعباء العيش وتربية البنين ورعاية البنات ؟

ثم يقولون وما شأن هذا النظام بالحياة الفاضلة التى ينشدها الانسان ؟ أليست جريمة الزنا وليدة هذا النظام ؟

وهل فى العالم اليوم جريمة أوسع انتشاراً من هذه الجريمة التى يمارسها الملوك والصعاليك على السواء ؟

وإذا كان هذا النظام هو الذى طوح بالجماعة الى هذه النهاية المحزنة التى أصبحت الرذيلة شعارها . أفليس من العقل أن يعدل الانسان عن هذا النظام ؟

ثم يتساءلون متى كانت صلة الرجل بالمرأة صلة دائمة فى طبيعتها حتى يحتم لها الانسان هذا الدوام والاستمرار فى صورة عقد الزواج الحالى ؟ ألم يثبت عن تجربة أن صلة الرجل بالمرأة لا يمكن أن تدوم حية إلى أبعد من بضع سنوات ؟ ألم تنته هذه الصلة عند ملايين الناس فى كل زمان ومكان إلى الفتور والبرود ؟ ألم تعالج بعض الاديان

هذه الحالة بوضع نظام آخر فيه معنى التجديد . وحاولت التخفيف من قيود الزوجية لا بتيسير الطلاق وحده بل بإباحة تعدد الزوجات؟ ففيم التقيد إطلاقاً بنظام الأسرة ؟ إن انهيار نظام الملكية الفردية في روسيا يؤدي حتماً إلى زوال السرقة ، وكذلك انهيار الأسرة الحالي يؤدي حتماً إلى زوال جريمة الزنا ويمهد الطريق لأن تنتشر في الكون حياة فاضلة سعيدة !

***

هذا ما يقوله الأنصار

فاسمع ما يقوله المعارضون :

لا شك أن السرقة جريمة شنيعة تتنافى مع طبيعة الأمن الذي ينشده كل انسان سواء أكان من أنصار هذا المذهب أم ذاك . ولا شك في أن الزنا جريمة مرذولة لأنها أقسى أنواع السرقات : أليس لصاً يسرق القلوب؟ وهل المرء إلا قلبه ! ولكن أليس أقرب إلى الهزل منه إلى الجد أن يعالج الانسان داء السرقة في المجتمع بإباحة أموال الناس عامة ؟ وأن يعالج داء الزنا بهدر الأعراض ؟ وهل الشيوعية إلا هذه الإباحة والهدر . فالمال فيها مال الدولة والابناء فيها أبناء الدولة ولا شيء فيها إلا هو للدولة !

الدولة أبوكم !

الدولة أمكم !

الدولة دينكم !

هذه هي صيحات الشيوعية وتعليماتها لأهلها ! وهذا هو المذهب الذي يدعو اليه الخارجون على نظام الأسرة الحالي . فهم في سبيل مكافحة الفقر عند المعسرين يفقرون الأغنياء . وفي سبيل اخفاء معالم جريمة الزنا يريدون أن يجعلوا من العالم كله ماخورة واحدة !

*
* *

وبعد .

فقد شهدت منذ قليل رواية جميلة عنوانها « La Loi Violée » وترجموها بقولهم « مخالفة الشريعة » والرواية تسير حوادثها هكذا :

يقبل من أقصى الأرض فتى وفتاة يريدان الالتحاق بإحدى الجامعات (الروسية) الحديثة . والشابان زوجان . ويريد الشاب أن يلتحق بكلية الطب فيصادف فيها الأستاذ ر... وهو ركن من أركان السوفيتية . فينفث في الطالب من روحه ، ويتأثر الطالب بنفثاته ، لأنه معجب بعلمه ومقدرته في فن الجراحة الذي يدرسه عليه ، وتكون من تعليمات الأستاذ لتلميذه أن « الحب حر » وأن رباط الزوجية معطل للنبوغ مقيد للمواهب . ويضرب له المثل بنفسه فيريه أنه هو غير متزوج ، ولكنه يعاشر فتاة يحبها حباً كثيراً ، وأنه يسعد بهذا الحب اضعاف السعادة التي يمكن ان يشعر بها الازواج . وتنسكب هذه المعاني انسكاباً في قلب الفتى الغض : فتفتر همته في حب زوجته الشابة لأنها ظللتها تلك الغشاوة التي نسجها من حولها أستاذه ، وتحس الفتاة بما جد على فتاها من التطور والتحول . وتدرك ان استاذه هو السبب في ذلك . فتتوجه اليه وتستغيث به في أزمتها التي تهدد حياتها ، وتتوسل اليه ان يقوم طباع تلميذه وان يخفف من تلقينه هذه المبادىء التي توشك ان تهدم هناءهما . فيقول لها الأستاذ في جمود:

— وماذا عليك إن تركك فتاك ؟

— أني أحبه !

— سوف تنسين !

— ان الحب لا ينسى !

— انت طفلة ينقصك علم كثير وخبرة كثيرة ، كل شيء يا بنيتي يستطيع الزمن ان يجر عليه ذيل النسيان

— ولكنني لا أطيق أن أراه يعلق بفتاة غيري .

— هي الغيرة إذن ! لقد أصبحت هذه العاطفة عتيقة عندنا ياصغيرتي ! ونحن نعمل على مطاردتها من صدور الناس لأنها سر شقائهم . ثم ما بالك أنت لا تعلقين بفتى آخر فيني كل منكما صاحبه في جو حياته الجديدة ؟ إن الحب حر في هذه البلاد !

وتنصرف عنه الفتاة يائسة

وتشاء المصادفة ، أن ترتاح في الوقت نفسه رفيقة الأستاذ الى طلعة الطالب وفتوته فتعمل على اغوائه حتى يتم لها ذلك . وعندئذ توعز إليه ان يطلق زوجته الأولى ليتزوجها هي ، ويقبل الفتى على ذلك متأثراً بروح أستاذه وتعليماته . وبجمال معشوقته وفتنتها واغوائها ويتم بينهما الزواج

***

ويتلمس الاستاذ فتاته فلا يجدها ، فيظل يبحث عنها في كل مكان حتى يهتدي اليها اخيراً بين ذراعي تلميذه . .

وهنا ذروة القصة ونقطة انقلابها !

ماذا ترى يكون موقف الاستاذ ازاء هذا المشهد البديع ؟ لقد كانت تقضي تعليماته أن يدير ظهره ويذهب من توه يبحث عن فتاة أخرى ينسى عندها حبه الاول

ولكنه بدل ان يفعل ذلك وقف يحدق ثم يحدق ثم صر اسنانه

الشعر

الشعر أثر كبير فى تاريخ الحياة الانسانية ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ما أفادها بنغماته السحرية الجميلة ، وموسيقاه الناطقة المؤثرة ، واذا كان العلم يعطينا مددا نافعا ، وفوائد جليلة ، فأن الشعر يمنحنا هبة أعظم شرفا ، وذلك لأنه يفتح على أرواحنا النوافذ المغلقة فيصلها بالحياة التي تجرى امامها ، والنور الذي ينتشر حولها ، ثم هو يعرض أمام أنظارنا الجمال الهاجع فى الكون مجلوا فى أبهى حلله ، ذلك الجمال الذى هو زهرة الحياة الدنيا وفتنتها فما هو هذا الشعر الذى يقدم لنا كل هذه الهبات ؟

أما أساتذة مدارسه التى أخذت تعلمه فى الشرق فقد اهتدوا منذ القرون الأولى للهجرة الى تعريفه بأنه « الكلام الموزون المقفى » ولا شك أن هذا تعريف قاصر لأنهم تناولوا به السور الخارجى الذي يحيط بمدينة الشعر فقط ، أما المدينة نفسها وما تضج به من حياة وحركة ، وما تموج به من حسن وجمال ، فلم تسترع أنظارهم ، ولم تجذب انتباههم ، ولعل رواية الشعر الجاهلى هي التى ورطتهم فى هذا التعريف الأبتر ، فقد كان الشعر الجاهلى يروى سواء أكان بسيطا أم لم يكن ، وسواء أكان مؤثرا أم لم يكن ، وسواء أكان مفهوما أم غير مفهوم ، وكان الرواة لا يطلبون فى الشعر الا أن يطن بالوزن والقافية ، وأما المعنى الذى هو روح الشعر فلم يلق منهم عناية ولا دراية الا فى الأقل القليل ، فلما أخذت المدارس تعلم الشعر وتقننه فهمت أن الوزن والقافية هما كل شىء فيه ، واستن لها السنة الخليل بن احمد استاذ المدرسة الأولى فقد قال : « والشعر هو ما وافق أوزان العرب » ، فما دام الكلام قد ارتدى برداء الوزن فهو شعر ولو لم يكن فيه روح تنبض ، ولا حياة تخفق ، والذي يدعو الى الدهش هو أن هذه الفكرة السقيمة فى الشعر استمرت قائمة فى هذه المدارس طوال العصور المختلفة كأنها قضية منطقية مسلم بها ، ولم يفكر الادباء فى الخروج عليها . نعم أتيح للجاحظ أن يتأثر بالمدرسة اليونانية فيقول : (إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير) ولكن للأسف لم يعن هو نفسه بهذا المعنى فيما جمع من الشعر بكتابه البيان والتبيين ، وعلى الرغم من أن ابن خلدون انتقد المدارس السابقة فى تعريفها للشعر ، استمرت عند فكرتها ، ولم تحاول أن تعتق نفسها من رق هذا الخطأ ، ولا أن تطلق عقولها من أغلال هذا التقصير

والأمر فى تعريف الغربيين للشعر على خلاف هذا ، ولنلم بطرف من تعاريفهم ، ولعله يلقى على الموضوع أشعة توضحه ، يقول مستر بلوك : إنه لا يمكن تعريف الشعر بشىء سوى السحر ، وكان أجدر به أن يعدل فى كلامه فيقول إنه لا يمكن تشبيه الشعر بشىء سوى السحر ، ومهما يكن فتعريفه لا يعطينا شيئا أكثر من فكرة أولية لا تقبل التحليل ، وقال مستر تيفر : إن كلمة الشعر ككلمة الجمال من الكلمات المبهمة التى تشمل مجموعة من الاشياء المختلفة تمام الاختلاف بالنسبة لاختلاف المنتجين ، وانتهى الى أنه يمكن تعريف الشعر بأكثر من هذا التعريف الردىء لمعاجم اللغة ، واعترف مستر لمبورن بأنه لا يمكن تعريف الشعر الا اذا عرفنا الحياة والحب ، اللذين يترجم عنهما

وهكذا نجد النقاد من الانجليز مضطربين امام تعريف كلمة الشعر ، فبعضهم يعرفها تعريفا ناقصا ، وبعضهم يعرفها تعريفا مبهما ، ويحجم كثير عن تعريفها لأنه لا يمكن تعريفها ، أو لأنها ككلمة الجمال لا يمكن تحديدها ، وبمعنى أوضح لأن الشعر عمل فنى ، وكأنما كتب على كل عمل فنى ألا تحيط به التعاريف إحاطة تامة ، وأيا كان فكلمة الشعر تعنى شيئا موجودا أمامنا ، يشرح خواطرنا ، ويخاطب قلوبنا ، ويؤثر فى نفوسنا تأثيرا جميلا ، وإذا كنا لا نستطيع أن نحدد الشعر تحديدا تاما يبين ماهيته فليس من العسير أن نقف على اساسه ، ولعل أقدم من تكلم فى هذا الموضوع

وهو يوجه القول الى فتاته :

— ماذا تصنعين هنا ؟

— الحب حر ! أليس هذا من مبادئك ؟

ولم يكن من الاستاذ إزاء هذا الجواب المفحم الا ان تسللت يده فى حركة خفية فاخرجت مسدسه من جيبه . وكانت طلقتان أصابت احداهما الطالب المسكين فصرعته ، واصابت الأخرى عروسه فطرحتها الى جانبه !

وكانت هذه الخاتمة المروعة هى التطبيق العملى البديع لنظريات الاستاذ الخلابة فى (حرية الحب) وفى مقدرة (ذيل الزمن) على نشر النسيان بين الناس ، وفى بيان ما أصاب عاطفة الغيرة من الهزائم على يد هذه المذاهب الحديثة !

حسن جلال

كلاما مستفيضا هو أرسطو فقد قال : إن الابتكار أساس الشعر ، فالشعر عنده صورة مخترعة يخلقها الشاعر بقوة خياله ، والوزن عنده شىء إضافى يلحق بالصورة حين يتم خلقها فى قلب الشاعر ، وماذا ؟ أيخترع الشعراء الأوزان التى ينظمون عليها كلامهم ؟ ! وهل يخلق الشعراء الالفاظ التى يوقعون عليها نغمات عواطفهم ؟ ! إن الوزن واللفظ ملك للغة ، ليس لأحد أن يدعى شيئا منهما لنفسه وإنما الذى يستطيع الشاعر أن يعزوه إلى نفسه فيصدق هو الصورة الطريفة التى يبتدعها ، وهذه النظرية جميلة فى ظاهرها ، ولكنها ليست دقيقة كل الدقة ، وعلى الرغم مما يظهر فيها من المغالاة فى تقدير الشعر استمرت محتلة أفكار النقاد مددا طويلة ، حتى جاء المؤرخ اليونانى « ديونيسيوس » صاحب الأبحاث البلاغية الشهيرة ، فعلق على الأوديسا تعليقا انتهى فيه إلى أن أساس الشعر إنما هو الأسلوب ، وقد تبعه كثير من النقاد فى أوائل العصر الحديث ، كل منهم يخطىء نظرية أرسطو ، ويبرهن على أن الأسلوب والوزن لهما أثر كبير فى صناعة الشعر والواقع أن الشعر عمل فنى يقوم على أشياء لا على شىء واحد ، فلابد له من الصورة الفنية ، والموسيقى الجميلة ، والخيال البارع حتى يستطيع أن ينهض من الارض فيحلق فوق رءوسنا فى السماء .

وقيمة الشعر ترجع إلى أنه يترجم عن إحساسات الانسان محاولا أن يوقظ العواطف المقابلة فى قلوب الآخرين ، وما دامت هذه هى قيمته ، فكل منا شاعر إلى حد ما ، لأن كلا منا يملك إحساسا ، وقوة بها يترجم للآخرين عما يجيش بصدره ، ولكن يجب أن نعرف أن هؤلاء الذين نسميهم شعراء هم فى الواقع أرق من الشخص العادى شعورا وألطف منه وجدانا ، وهم أقدر على التعبير عما يحسون ويتأثرون ، قد انقادت إليهم أعنة الكلام واستسلمت لهم شوارد الأوزان ، فسهل عليهم تصوير ما فى قلوبهم وإخراج ما تطفح به صدورهم ، والذين يعنون بدراسة الشعر ونقده يجدون مواطن كثيرة لا يجذب جمالها قلوبهم ، ولا يسترعى حسنها عقولهم ، يلفتهم الشاعر إليها بصوره الساحرة التى يعرضها ، وموسيقاه الجميلة التى يغنى بها ، ولقد أحسن كيتس حين قال : « ربما جعل الله لك يابنى هذا العالم جميلا فى نظرك كما هو جميل فى نظرى ، وحقا أن الشاعر يتراءى له العالم جميلا أو قبيحا أكثر مما يتراءى لنا ؛ وكثيرا ما يجعل الأشياء التى تبدو لنا قليلة القيمة أنيقة معجبة بما يصور من جلالها وما يظهر من جمالها

وأول محاولة فى الشعر هى ترجمة العاطفة الثائرة فى قلب الشاعر ، فقياس الشعر ليس هو المنطق ، وإنما هو العاطفة ؛ ونحن لا نسمع لشعر الشاعر ، ولا لغنائه لأنه أكثر عقلا من غيره ، بل لأنه يجعلنا نشعر بحياة قلوبنا وأحاديث وجداننا ، والتعبير العاطفى هو الشعر ولكن إذا حمل لباسا جميلا ، وشكلا أخاذا وموسيقى بارعة ، فإذا لم يحمل ذلك لم يكن شعرا بالمعنى المعروف ، لأن الشعر لا يتطلب حياة عاطفية فقط ، بل هو يتطلب إلى ذلك الأسلوب الجميل والموسيقى المؤثرة ، ويجب أن تكون الموسيقى قوية ، وطبيعية ، وحرة ، لتستطيع عواطف الشاعر وأفكاره أن تبقى خالدة على وجه الدهر ، أما اذا كانت الموسيقى ضعيفة واهنة ، أو نافرة جامحة ، أو أسيرة سجينة ، فأنها تفسد على الشاعر شعره ، والموسيقى الشعرية لا تستطيع أن تحيا بدون التعبير العاطفى لحظة من الزمن ، بخلاف التعبير العاطفى فأنه يستطيع أن يحيا ، بدون الموسيقى فيكون نثرا أدبيا ، وبقوة تعبيره وجمال تصويره تكون قيمته فى هذه الحياة الفنية التى وقف عندها

ويجب أن تكون لغة الشعر سلسة عذبة ، جميلة فى مرأى العين وسمع الأذن ، لا يعوزها الحسن ولا ينقصها الرواء ، كما يجب أن يكون الأسلوب متماسكا متراكبا ليعبر تعبيرا واضحا مسرعا عن غايته ، وحسن البيان ضرورى فى الشعر حتى لا يقعد به سوء التعبير عما يريد الافصاح عنه ، والواجب أن يهتم الشاعر بهذه الأشياء جميعها لأنها اللباس ، وكثيراً ما يدل اللباس على صفات لابسه .

وكل العواطف صالحة لأن تكون موضوعا للشعر يترجم عن مستورها ويفصح عن خبيئها ، ولكن ليست العواطف كلها فى مرتبة واحدة غير متفاوتة ، بل منها القوى ومنها الضعيف ، فاذا أفصح الشاعر عن عاطفة قوية كان شعره ساميا جميلا ، أما اذا ترجم عن عاطفة ضعيفة فأن شعره يتدلى معهـا الى أسفل فتنقص من حسنه وتغض من روعته ، ويجب أن يكون القلب الذى يعبر عن هذه العواطف سليما غير مريض ، فأن القلب هو الذى يمثل مرض الانسان ، أما القلب المريض فلا يجد من يحيله ، وما أشبه العواطف بجداول مياه تنساب من القلب فيميلها كيف يشاء

وخير العواطف ما كان يبعث على الحياة والقوة كعاطفة الاعجاب التى تملأ قلب الشاعر فتجعله يصف الأسد مثلا ، وسمو هذه العاطفة راجع الى أن القوة مظهر الحياة ، وهى تعجب الانسان أكثر من أى مظهر آخر ، فالانسان دائما يعتز بقوته ويخفى سوأة

الضعف التي قد تتراءى له في زوايا نفسه ، يتجاهلها ، ويتعامى عنها ، ويبعدها عن نفسه كلما ألمت به ، ولهذا كانت العواطف التي تبعث على الحزن ضعيفة ، لأن الألم والبكاء تنفر منهما النفس وتفر بطبيعتها إذ الانسان لا يرضى أن يعترف بضعفه ، وإذا اعترف لم يبق على هذا الاعتراف طويلا ، ومن العواطف الضعيفة عاطفة المدح فإنها عاطفة شخصية تتصل بنفس الشاعر وذاته ، ولا تعبر عن شيء عام يشترك فيه الجميع . نعم إن تخلصت من ذاتيتها ، فمدحت المروءة أو حضت على خلق كريم تغير حالها ، وعلت مرتبتها ، لأنها حينئذ تفصح عن شيء يشترك فيه الجميع ويقدره

والعاطفة ليست وحدها كل شيء في الشعر بل يجب أن تضاف إليها الفكرة التي تنظمها وتهيئها للحياة والظهور ، وكل الفنون ما عدا الموسيقى لا بد فيها من الفكرة حتى تتلذذ العاطفة ، وليس من الواجب أن نخترع الفكرة ، وأنما الواجب أن تظهر في معرض جديد يوضح عمل صاحبها وقوة ايمانه بها ، والشعر قد يكون فكرا خالصا فيبحث في أعمق المسائل التي تشغل عقول الفلاسفة من مثل طبيعة الخير والشر ، وحينئذ لا يكون شعرا بالمعنى الصحيح الا اذا امتزج بالقلب فأصبح عاطفة قوية تفيض منه لا من العقل ، تخاطب الشعور والوجدان قبل أن تخاطب الأفكار والأذهان ، ولقد أحسن قدماؤنا حين قالوا (الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان)

والشعر في الواقع رسالة كرسالة الأنبياء ، فهو يقوم على الإلهام أكثر من أي شيء آخر ، والايمان بالفكرة ووضوحها هما الملكان اللذان يوحيان إلى الشاعر بالمعاني الجميلة المعجبة ، والصور الفريدة المعجزة ، فيخرج للناس أفكارا نيرة واضحة ، كأنها وهج الحريق في الليل البهيم ، فلا تجد تكلفا ولا تعملا ، وإنما هي زهور جميلة ينثرها الشاعر على رغمه كما ينثر الزيتون زهوره ، وما أشبه الفكرة القلقة يقولها الشاعر بالعصفور المضطرب الحيران التائه من عشه ، ويجب أن تكون الفكرة قوية ، ليكون الشاعر مبدعا ، رائعا ، حتى إذا أراد أن يحلق في السماء انتهى الى أعلاها فكان نجما زاهرا بين نجومها ، وللأسف نجد الشعر العربي تعوزه القوة في كثير من الأحيان ، ولعل هذا هو السر في أن الشاعر العربي إذا أراد أن يحلق فوقنا ارتفع ارتفاع السحاب في السماء الدنيا ولم يستطع الارتفاع إلى أعلى أكثر من ذلك ، لأن أجنحته ليست قوية ، على أنه سرعان ما يدنو الينا وينزل من سمائه إلى أرضنا

والعواطف والأفكار لا تكون وحدة الشعر بنفسها ، وإنما الذي يصنع ذلك هو الخيال الشعري ، فهو المنظم للأفكار والعواطف وهو المخرج لها ، هو الذي يجمعها وينفخها بروح من لدنه فتستوي ناطقة معبرة نشخص لها ونعجب بجمالها ، وإذا تجردت قطعة شعرية منه فلا تسمى أدبا ، فاذا شاهد شخص حديقة جميلة في مكان وجاء يقول : لقد رأيت حديقة بها أزهار واشجار ومياه لم يكن هذا شعرا ، وإنما الشعر حقا هو الذي يحمل للناس أبهة الخيال فيظهر للناس في وحدة جميلة بديعة تسترعي الأنظار ، وتخلب الألباب ، وأي خيال أجمل من قول كيتس « يوجد الغد مبرعما في نصف الليل » ؟

شوقي ضيف
بكلية الآداب

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٣ - البرنامج الداخلي في طور التنفيذ

للأستاذ محمد عبد الله عنان

رأينا كيف نشأت الوطنية الاشتراكية الالمانية واستمدت قوتها من عوامل اليأس والفوضى التي غمرت الشعب الالماني عقب الحرب ، ومن مختلف المصائب والمتاعب التي توالت عليه من جراء شروط الصلح وأعبائه ، ومن تفاقم الخطر الشيوعي ، وفشل الديموقراطية والنظم البرلمانية في معالجة الحالة وتسيير الشؤون ، ومن تفاقم العطلة والأزمة الاقتصادية : هذا من الناحية السلبية ، وأما من الناحية الايجابية فان وعود الوطنية الاشتراكية في العمل على تحقيق وحدة المانيا وسلامها ورخائها ؛ ومكافحة الخطر الشيوعي وحل مشكلة العطلة ، وانهاض الزراعة والصناعة والتجارة ومعالجة الأزمة الاقتصادية بوجه عام ؛ ثم في تحرير المانيا من عسف الظافر ومن أعباء معاهدة الصلح ؛ كانت كلها تبث الامل والانتعاش في الجموع وفي الشباب بنوع خاص . وتحشد حول علم الوطنية الاشتراكية ملايين الانصار

والآن لنر كيف عملت الوطنية الاشتراكية لتنفيذ برنامجها

الداخلى منذ قبضت على مقاليد الحكم فى ٣٠ يناير الماضى .

لم تمض أسابيع قلائل حتى استأثر الهر هتلر وحزبه بكل سلطة حقيقية ، وغمر تيار الوطنية الاشتراكية المانيا من أقصاها الى اقصاها ، وبدأت ككل حركة ثورية تنفذ برنامجها بمنتهى العنف والسرعة . فوجهت ضرباتها الاولى الى الشيوعية والديموقراطية : سحق الشيوعية أو الماركسية من غاياتها الرسمية كما بينا ، ولكنها أتجهت الى سحق كتلة اليسار كلها باعتبارها مسئولة عن كل مصائب المانيا منذ خاتمة الحرب ؛ وجدت فى مطاردة الحزب الشيوعى فرقته ابلغ تمزيق وصادرت مراكزه وامواله وصحفه ونشراته ، واعتقلت كل زعمائه ونوابه وانصاره ، وسحقت دعايته بكل ماوسعت ، ومزقت الحزب الديموقراطى الاشتراكى اعظم الاحزاب البرلمانية منذ نهاية الحرب ، ونكلت بزعمائه ونوابه وانصاره ، واعتقلتهم كالشيوعيين آلافا مؤلفة ، وصادرت كل مراكزه وصحفه ، واختفت الشيوعية والديموقراطية من المانيا بسرعة مدهشة ، فى الظاهر على الاقل : وحققت الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ذلك ماحققته الفاشستية الايطالية يوم قيامها ، بيد انها كانت اشد عنفا وقسوة : وكانت وسائلها أشد إثارة وأغراقا ، ولا ريب ان سحق الوطنية الاشتراكية للشيوعية كان عملا جليلا ، بل لعله أجل خدمة ادتها الى ألمانيا والى الدول الغربية كلها ، ذلك ان البلشفية (الشيوعية) خطر اجتماعى على النظام والمدنية كلها ، وكانت قد تقدمت فى ألمانيا الى حدود مروعة ، وكانت تحمل اكبر تبعة فيما اصاب المانيا من الاضطراب والخراب والفوضى ، وكانت المانيا ومازالت حاجز البلشفية من الشرق ، بيد أن الوطنية الاشتراكية كانت متطرفة مغرقة فى مطاردة الديموقراطية ، وكانت تقصد بسحقها الى غايات حزبية لا الى غايات قومية ، بل لم يقف الحزب الوطنى الاشتراكى عند سحق كتلة اليسار ، ولم يطق أن يرى الى جانبه أى حزب آخر فى المانيا مهما حمدت مبادئه ووسائله ، فمال على الحزب الوطنى الالمانى ، وحزب الوسط الكاثوليكى ؛ وهما الحزبان اللذان حالفاه وعاوناه على استخلاص الحكم والسلطة المطلقة : وانتهى بحلهما وإدماج أنقاضهما فيه ، وبذلك اختفت كل الاحزاب البرلمانية السابقة من ميدان السياسة الالمانية ، واستطاع هر هتلر ان يفرض الوطنية الاشتراكية على المانيا كلها

ولما كانت الوطنية الاشتراكية حركة طغيان مطلق ، وقد بدأت بتعطيل الحياة الدستورية ، فقد كان طبيعيا ان تعمل على إخماد جميع الحريات الدستورية حتى لا تقف عثرة فى سبيلها . ولم تكتف فى ذلك بمطاردة خصومها السياسيين القائمين فى ثكنات الاعتقال آلافا مؤلفة دون اية تهمة ، وإصدار القوانين الاستثنائية المختلفة بل عمدت الى الصحافة مظهر الرأى الحر فسحقتها وأخضعتها لرأيها ووحيها ، وجعلتها تابعة لوزارة الدعاية التى أنشأتها ؛ وعطلت كل صحيفة مخالفة فى الرأى ، وجعلت مهنة الصحافة نوعا من المهن الرسمية . وكما انه لا يستطيع اليوم إنسان فى المانيا ان يرفع صوته بالاعتراض على شيء من أعمال الحكومة ، فكذلك لا توجد صحيفة المانية واحدة تستطيع ان تقول رأيا غير رأى الحكومة ، ووزارة الدعاية (ووزيرها الدكتور جبلز) هى التى ترسم للصحافة كلها خططها وتلقى اليها اوامرها ووحيها . والشعب الالمانى لا يعرف من سير الحوادث والشئون فى المانيا الا ما تذيعه صحافته الرسمية . ولم تفعل الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ذلك سوى أن حذت حذو البلاشفة فى روسيا والكماليين فى تركيا والفاشيست فى إيطاليا: ومن الطبيعى انه حيثما قام الطغيان المطلق تنعدم كل ألوان الحرية الفردية . وهذا ماوقع فى المانيا . ويفتخر انصار النظام الهتلرى ذلك بان المانيا قد اصبحت كلها تدين بمبادىء الوطنية الاشتراكية وغاياتها وتؤيد سياستها ووسائلها بكل ماوسعت ؛ ولكن كيف يمكن استجلاء الرأى العام اذا جرد من كل وسائل الاعراب والافصاح ؟

هذا وأما من جهة تركيز السلطة فقد خطت الوطنية الاشتراكية فى ذلك خطوة جريئة ؛ وأصدر المستشار هتلر مرسوما يقضى بالغاء استقلال الحكومات والمجالس الاتحادية ويخضعها بطريقة مباشرة لسلطة الحكومة المركزية ويجردها من كل سلطة معارضة ؛ وتلك بلا ريب خطوة هامة فى سبيل تدعيم الوحدة الالمانية ؛ وتدعيم هذه الوحدة كما رأينا من أخص غايات الوطنية الاشتراكية . ونستطيع ان ندرك أهمية هذا الانقلاب متى ذكرنا كيف كانت الحكومات المحلية فى بعض الولايات القوية (مثل بافاريا) تقاوم فى كثير من الاحيان سياسة الحكومة المركزية واعمالها . وكيف كانت الدسائس الاجنبية تتسرب اليها لتنظم فيها دعوة الانفصال (مثلما حدث فى منطقة الرين إبان احتلال الحلفاء) تمزيقا لوحدة المانيا واضعافا لها . وقد حقق هر هتلر فى ذلك غاية قومية جليلة ، واتم العمل العظيم

الذى بدأه بسمارك فى سبيل الوحدة الالمانية . وثمة خطوة أخرى اتخذت فى سبيل تركيز السلطة السياسية هى إلغاء نظام النقابات القديم وتنظيمها طبقا لدستور جديد يحرم عليها كل عمل سياسى ويجعلها بما تضم من ملايين عديدة خاضعة للحكومة من حيث توجيهها الاقتصادي والاجتماعى ؛ وهذا ايضا تقليد من جانب الوطنية الاشتراكية للفاشستية الايطالية التى عرفت قوة النقابات فنظمتها واستخدمتها لغاياتها .

وقد بذلت الحكومة الوطنية الاشتراكية جهودا لابأس بها لمكافحة العطلة وإنعاش الزراعة والتجارة ؛ وحذت حذو الفاشستية فى العناية باخلاق النشء ومطاردة الوان الفساد الاجتماعى والجنسى ، وتعزيز الميول الرياضية والاخلاق المحافظة ؛ وفى الحد من حرية المرأة وتدخلها فى الشئون العامة ، وتوجيهها الى المنزل والاسرة . وتلك من عناصر قوتها وتقدمها

***

والآن ننتقل الى مشكلة من أخطر وأدق المشاكل التى أثارتها الوطنية الاشتراكية الالمانية : تلك هى مشكلة الجنس وتطهيره وتفوقه ، أو بعبارة أخرى هى المسألة اليهودية : ونحن نعرف أن سحق اليهودية الالمانية غرض أساسى من أغراض الوطنية الاشتراكية ، وأنه أدمج منذ الساعة الأولى فى برنامج الحزب الوطنى الاشتراكى فى مادة خاصة هذا نصها :

« لا يحق لغير أعضاء الأمة أن يكونوا موظفين فى الدولة ، ولا يحق لغير أولئك الذين ينحدرون من دم المانى مهما كان مذهبهم أن يكونوا أعضاء فى الأمة ؛ واذن فليس ليهودى أن يكون عضوا فى الأمة » (المادة الرابعة) : ويخصص هر هتلر فى كتابه «جهادى» حيزا كبيرا لنظرية الجنس ؛ ويشرح بافاضة خطر الجنس اليهودى وخواصه المنحطة ؛ ويعتبر الجنس الآرى وحده أهلا لانشاء الحضارة ، والجنس اليهودى أشد الاجناس هدما للحضارة ؛ وان الحضارات الانسانية العظيمة لا تفنى إلا لان الجنس المنشىء لها يفنى بامتزاج الدم وتسممه ، وأن تاريخ الأمم الآرية يدل على أنها تنحط وتتدهور كلما انحرفت عن مبدأ فصل الاجناس وامتزجت بالشعوب المغلوبة ؛ ويعدد هتلر مزايا الجنس الآرى ، ثم يتحدث عن خواص الجنس اليهودى ، فيقول إنه جنس يضطرم بالاثرة ، وانه ذكى ولكنه مقلد مجرد من الابتكار والطرافة ، وانه لم يخلق لنفسه أية حضارة خاصة ، ولا يحدوه أى مثل أعلى ؛ ثم يصف الطرق التى يتبعها اليهودى فى دخول المجتمعات الجرمانية ، فيقول إنه يحل فى اثر الجيوش الاجنبية ، ويتقدم كتاجر ويشتغل بالوساطة والربا الخطر ، ويحتكر التجارة ويرهق الفلاحين ؛ ويجتمع اليهود فى احياء أو مجتمعات خاصة ، وينشئون بذلك دولة داخل الدولة ، ثم يملقون رجال السلطة والامراء ويمدونهم بالمال ، ويستظلون بنفوذهم وحمايتهم ، ويسيطرون على البورصة والانتاج ؛ ثم يملقون الشعب ويبدون له فى ثوب محب الانسانية وأصحاب النظريات الحرة ، ويتكلمون الالمانية ولكنهم يحرصون كل الحرص على نقاء جنسهم ، ويستعملون لتعزيز نفوذهم أداتين قويتين هما الصحافة والبناء الحر (الماسونية) . هذا من الناحية الاجتماعية ، وأما من الناحية السياسية ، فان هتلر يعتبر الشيوعية (المركسية) يهودية فى أصلها وفى غاياتها (١) ؛ ويقول لنا إن الوطنية الاشتراكية تؤمن بزعامة الجنس وأهمية الفرد وتجل الزعامة والفكرة الارستوقراطية ، ولكن المركسية ديموقراطية حرة تحل مكان الفرد فكرة الجماعة وتتخذ من ذلك وسيلة لتمكين اليهودية من الاستئثار بالنفوذ العالمى .

وليس فيما يقوله هر هتلر عن اليهودية شىء جديد وانما هو ترديد فقط للنظرية الالمانية القديمة التى قامت عليها خصومة السامية الحديثة . وكان الكاتب الالمانى كرستيان لاصن أول من نوه فى منتصف القرن الماضى بأهمية الفوارق الجنسية بين الجنس الآرى والجنس السامى ، وبتفوق الآريين فى الذهنية والخواص الجنسية على الساميين ، وتبعه المؤرخ الفرنسى رينان فى التنويه بانحطاط الاجناس السامية . وقد كانت ألمانيا منذ أواخر القرن الماضى مهداً خصباً لخصومة السامية (أو حركة اضطهاد اليهود) وكان بسمارك قبل قيام الامبراطورية يصادق اليهود ويعتمد عليهم فى تحقيق سياسته لانهم كانوا بين الاحرار قوة بارزة ، وكان الاحرار يؤيدون وحدة ألمانيا ؛ فلما تحققت الوحدة الالمانية انقلب بسمارك لمحاربة الاحرار واليهودية ووجد فى خصومة السامية سلاحا قويا ، وتفاقمت الحركة غير بعيد ، وأيدها المحافظون ورجال الدين وسرت الصيحة بان اليهود خطر على ألمانيا وألفت صداها فى الرأى العام

---

(١) يلاحظ أن كارل ماركس أمام النظرية الشيوعية يهودي الاصل

(٢) راجع كتاب هر هتلر « جهادي » Mein Kampf — الفصل الحادى عشر من القسم الاول

بقوة . وعرض اليهود الى صنوف الاضطهاد والزراية . واقترح بعض النواب إبعاد اليهود عن الوظائف والمدارس ، ونظمت الجهود لمقاطعة التجارة اليهودية ، وكادت الحركة تضرم فى ألمانيا نار الحرب الاهلية لولا أن رأى جماعه من العقلاء والمفكرين وعلى رأسهم ولى العهد (الامبراطور ولهلم الثانى فيما بعد) خطورة الحركة وسوء عواقبها ، فاذاعوا منشوراً وقعه كثير من أعلام العصر شرحوا فيه اخطار هذه الخصومة القومية ، ووصفوها بانها وصمة فى شرف ألمانيا ، وناشدوا الشعب أن يخلد الى السكينة والاعتدال فهدأت الحركة واضمحلت بسرعة(١) وانصرف عنها معظم العقلاء والمعتدلين ،

وهذه نفس النظرية ـ نظرية الخصومة السامية ـ التي نقلها هرهتلر وصاغها فى برنامج حزبه كمبدإ أساسى يجب ان تعمل الوطنية الاشتراكية لتحقيقه ، والتاريخ هنا يعيد نفسه ؛ وقد عملت الوطنية الاشتراكية مذ تولت مقاليد الحكم لسحق اليهودية بمنتهى العنف والقسوة والسرعة ، فطاردت اليهود فى كل مناحى الحياة العامة بشدة ، وقضت الحكومة الهتلرية بطرد جميع الموظفين غير الآريين (اليهود) من وظائفهم فى جميع مصالح الحكومة المركزية والمحلية ؛ وإقصاء جميع المستخدمين والعمال اليهود عن اعمالهم فى جميع الجهات والهيئات والأعمال ، وعزل جميع القضاة وأساتذة الجامعات والمعلمين اليهود ؛ وقضت بطرد الاطباء اليهود من جميع المستشفيات العامة وشطب اسمائهم من سجل الاطباء والجمعيات الطبية ، وفرضت عليهم فى مزاولة العمل الخاص قيودا تستحيل معها مزاولة المهنة ، وحرمت على معظم المحامين اليهود مزاولة مهنتهم ؛ وحرمت على اليهود فى المستقبل مزاولة المهن والاعمال التى تقتضى درجة عالية من التعليم ، وجعلت للطلبة اليهود فى المدارس الثانوية والعالية نسبة ضئيلة ، وحددت نسبتهم فى المستقبل بواحد فى المائة ، ونظم الحزب الوطنى الاشتراكى من جهة أخرى مقاطعة التجارة اليهودية فى سائر ألمانيا ، ونفذها بطريقة رسمية يوم أول ابريل الماضى رداً على دعوة اليهودية فى الخارج إلى مقاطعة التجارة الالمانية ، وعلى الجملة فان الحكومة الالمانية لم تترك حقا مدنياً او سياسياً لليهود إلا سلبته ولم تترك لهم وسيلة مشروعة للحياة والعيش والعمل الا سحقتها ، وصيغ ذلك كله فى طائفة من القوانين الاستثنائية التى لم يسمع بها ، ونفذ فى غمر من المناظر المروعة ، وارتكبت خلال تنفيذه سلسلة من الاعتداءات والجرائم المثيرة كان لها فى الرأى العالمى أشد وقع ، واتخذت ذريعة لحملات شديدة على الوطنية الاشتراكية الالمانية وعلى مبادئها ووسائلها

ولا نقف طويلا عند هذه الحوادث المعروفة ، ولكن يحسن أن نلخص الأسباب والحجج التى تبرر بها الوطنية الاشتراكية موقفها . فهى تقول ان اليهود يبلغون فى المانيا نحو واحد فى المائة فقط من مجموع الشعب الالمانى (نحو سبعمائة الف من ٦٥ مليونا) ومع ذلك فقد استطاعوا فى ظل الحكومات الديموقراطية ان يحصلوا على اعظم قسط من النفوذ والسلطان فى دوائر الحكم والمالية والثقافة والمهن الحرة والفنون والتجارة والصناعة ، وكل مقومات الحياة العامة ، وانهم بلغوا فى بعض هذه الميادين نسبا لم يسمع بها ، مثال ذلك ان نسبة الاطباء اليهود فى برلين بلغت ٥٢ فى المائة من المجموع وبلغت أكثر من ذلك فى المحاماة ، وبلغت نسبتهم فى دوائر البورصة تسعين فى المائة ، ووصلت أيضا فى دوائر التعليم الى حدود مزعجة ، مثال ذلك انه كان بجامعة برزولا سنة ١٩٣١ من الاساتذة لليهود ٢٥ فى المائة فى كلية الفلسفة و٤٧ فى المائة فى كلية الحقوق و٤٥ فى المائة فى كلية الطب . واما فى الدوائر المالية فقد كان نفوذهم فوق كل نفوذ ، مثال ذلك انه فى سنة ١٩٢٨ كان خمسة عشر يهوديا يسيطرون على إدارة ٧١٨ شركة المانية وهكذا . وتزيد الوطنية اشتراكية ان كثيرا من اليهود الذين تقصدهم بالمطاردة ليسوا من اليهود الالمان ، ولكنهم وفدوا على المانيا عقب الحرب من أوكرانيا وغاليسيا وبولونيا وانهم من العناصر المنحطة التى يخشى منها على سلامة الجنس الجرمانى . بيد ان مطاردة اليهودية فى المانيا كانت عامة شاملة كما تقدم

والواقع ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لا تقف فى صوغ نظرية تفوق الجنس وفهمها عند هذا الحد ، بل تذهب فى ذلك الى أبعد مدى . فهى تنادى بتفوق الجنس الآرى على جميع الاجناس الاخرى لا على الجنس اليهودى وحده ، وترى ان الاجناس غير الآرية كلها اجناس منحطة ، وتعتبر شعوب البحر الابيض الجنوبية والشعوب السامية والشرقية بوجه عام كلها من الشعوب المنحطة التى يجب ان يستعبدها الجنس الآرى ، ويجب ان يحرص على نقائه من الامتزاج بها . وهذه نظرية تستحق منا نحن المصريين والشرقيين عامة تأملا خاصا . ولسنا فى حاجة لأن نقول انها

(١) راجع شرحا وافيا لنظرية الخصومة السامية وتطوراتها فى المانيا وغيرها فى كتابى « ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى » ص ٥٠٤ وما بعدها

لاتقوم على سند من العلم أو البحث أو التفكير السليم ، لانها ليست الامظهرا جديدا لما تجيش به الشعوب الغربية نحو الشرق من أثرة وتحامل وليست الا عنوانا جديدا لتلك النزعة الاستعمارية الغربية التى ترى فى الشرق ابدا فريسة يجب التسابق لاقتسام اشلائها. على أن اغراق الوطنية الاشتراكية فى نزعتها الجنسية وما أثارته باسمها من ضرام الخصومة السامية ، وما لجأت اليه فى تنفيذ سياستها من العنف والبطش . انتهت الى نتائج لم تكن تتوقعها ؛ فقد اتخذت كما قدمنا مادة لحملات شديدة على ألمانيا فى معظم دول العالم ، وكان لذلك أثره فى هيبة ألمانيا وسمعتها ومصالحها الخارجية ، وكان اكبر عامل فى تحول الرأى العام فى انكلترا وأمريكا عن مناصرة ألمانيا فى ميدان السياسة الدولية

هذا ما فعلته الوطنية الاشتراكية الألمانية لتنفيذ برنامجها الداخلى وسنرى فى الفصل القادم كيف سارت فى تنفيذ برنامجها الخارجى

محمد عبد الله عنان

وقفه ثالثة على جسر اسماعيل

.... أما أنا فلم أقف على هذا الجسر .. لأن مشيتى عليه كانت أقرب إلى العدو منها الى الوقوف .... إن شيئا فقد منى فكيف تطلب منى ان أقف .... ؟ دعنى أسير لأبحث عنه .. ودع قلبى يسبق بصرى إلى ماوراء الجسر ... والجسر ... ماوراؤه...؟ إننى لم أجد شيئا ... إن نفسى كانت حائرة ... ولكن الحيرة لم تتطرق الى بصرى .... فقد كان ساهما جامدا مصوبا الى ماوراء الجزيرة ، الى ماوراء الأفق ... الى الشفق البعيد ، ففيه قتمة من قتمة الليل .. وفيه ظلام من ظلم البشر ...

فكيف كنت تطلب منى ياسيدى ان أقف... ؟ لقد كان « بافنوس » آثما فى بحثه عن « تاييس » .. لذلك كانت وقفاته كثيرة .. أما أنا فلماذا أقف ... ؟ إن هرم « خوفو » بعيد عن الجسر .. فاذا وصلته فقمته بعيدة عن القاعدة ... فاذا أدركتها فالفضاء وسيع فسيح ...

* * *

وقف استاذى على جسر اسماعيل فتمهل وتريث ... للجسر جمال ... للطير تغريد ... للماء بريق ...

أما أنا فلم أقف ، لأن الاعمى لايسر ناظريه ماقد يكون حوله من جمال أو بهاء أو رواء ..

أما أنا فلم أقف لأن الاصم لايطربه تغريد البلبل ... والاذن المصلوم لايزينه قرط ..

أما أنا فلم أقف لأن المشرف على الغرق لايتغزل فى جمال الطبيعة ولا يستهويه خرير الماء أو تلاطم الامواج

إن النيل الذى يجرى تحت الجسر لو خلبه سحر المنظر لوقف فى مكانه يا سيدى كما وقفت ... ولكنه مثلى مثقل بالهموم ، مقيد بالأوهام ، محمل بالأرزاء ، لذلك يهرول باحثا عن البحر ... ليلقى فيه الغرين الذى يثقله ... وليدفع عنه الشاطئ الذى يقيده .. وليذيب أرزاءه فى صفائه ، ويمزج سكونه فى أضطرابه ......

والفرق بينى وبين النيل ... أن النيل يجد بغيته ، أما أنا فلا أجد ...

* * *

ثم وقف صديقى على جسر اسماعيل فتأوه وتأسى ... فالأسد نائم ... والسكنات متيقظة ...

حقا يا صديقى إن من يرى دمعك ينهمل ... لا تمهله دموعه ... ولكن ... اعذرنى يا صديقى لأنى لم ألق لك بالا ... ولم أسمع أنين قلبك وأنت واقف على جسر اسماعيل ... لأن أنين قلبى قد طغى على نفسى فلم أر ولم أسمع ...

يا أستاذى ...

فى نفسى من نفسك قبس . ولكن بصرى عليه غشاء ...

يا صديقى ...

فى قلبى ... من قلبك شعلة . ولكن خافق مريض ....

لقد بحثت عن حبيبتى فى كل بقع الأرض فلم أجدها ...... من أجل ذلك رأيتنى أسير مهرولا على جسر اسماعيل محدقا ببصرى إلى ما وراء الجسر .. إلى ماوراء الجزيرة ... إلى ماوراء الأفق ... إلى الشفق البعيد .. ففيه قتمة من قتمة الليل ، وفيه ظلام من ظلم البشر ....

جورج وغريس

كيف اختار المنصور موقع بغداد

دالت دولة الأمويين وقامت على أنقاضها دولة بني العباس تسندها كواهل الفرس وتؤيدها سيوفهم ، وكان لا بد للدولة الجديدة من عاصمة جديدة ، اذ يرى المتتبع لتاريخ العرب إن تغيير العاصمة لا بد منه عندما تتولى الحكم اسرة جديدة ، ففي بدء الاسلام هاجر النبي (ص) من مكة واتخذ يثرب مقراً له فانتقل بذلك المركز السياسي لجزيرة العرب من مكة المدينة التجارية القديمة الى يثرب التي سميت بعد مدينة الرسول ، والتي أصبحت عاصمة الإسلام ومركز الحكومة ؛ وبقيت كذلك في حياة النبي (ص) والخلفاء الراشدين الثلاثة من بعده ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؛ فلما آلت الخلافة الى علي عليه السلام اتخذ الكوفة مقراً ، وحدث النزاع بينه وبين معاوية منافسه الذي مرت عليه عشرون سنة وهو أمير الشام قد وطد فيها امره واسكن اقرباءه واتباعهم ، حتى اذا ما انتهى هذا النزاع باستشهاد الامام وتنازل الحسن اصبحت دمشق حاضرة الاسلام ، وكان موقعها مناسبا لان تكون عاصمة حكومة الأمويين العربية ، فهي واقعة وسط إقليم خصب ، وهي قريبة من مكة والمدينة مركزي القوة الدينية كما أنها تقع على تخوم الصحراء العربية التي يتخذ الخلفاء من سكانها جنوداً يهاجمون بلاد الروم القريبة من دمشق ايضا ، ولم يكن يقلل من أهمية موقع دمشق انها لم تكن واقعة على نهر صالح للملاحة ، لأن تجارة المسلمين كانت حينذاك بسيطة تتبع طرق القوافل وتحمل على الإبل .

واذا ما صلحت دمشق لان تكون حاضرة الامويين ، فانها لا تصلح أن تكون حاضرة بني العباس ، فهي مأهولة بأتباع الأمويين ومناصريهم وهي بعيدة عن بلاد فارس ، مصدر قوة العباسيين ودعامة ملكهم ، وفضلا عن ذلك فقد أصبحت مهددة بالروم الذين اغتنموا فرصة ضعف الأمويين ، فأخذوا يشنون الغارة تلو الغارة ، كي يثأروا لاندحارهم القديم ، فالعاصمة الجديدة إذن يجب ان تتجه نحو الشرق قريبة من بلاد فارس ، ثم إن التبسط التجاري يقضي ان تكون على ماء يصلها بالبحر ومن هذا تعين ان يكون موقعها إما على الفرات وإما على دجلة ، حيث لم يتردد العباسيون أن يجعلوها هناك .

لما انتهى السفاح من حروبه ومذابحه ابتنى الهاشمية بجوار الانبار المدينة الفارسية القديمة ، واتخذها مقراً له وتقع هذه الهاشمية على ضفة الفرات الشرقية ، حيث يتفرع منه النهر الكبير الذي عرف فيما بعد باسم نهر عيسى ؛ وفيها توفي السفاح سنة ١٣٦ هجرية . وبعد قليل من تبوء المنصور كرسي الخلافة شرع في بناء مقر له سمي بنفس الاسم ، وتقع هذه الهاشمية الثانية بين الكوفة والحيرة على الجانب الغربي من الفرات ، في محل لا يبعد كثيراً عن البطائح ، مصب الفرات في القرن العاشر الميلادي وتقول رواية أخرى انها كانت قرب مدينة ابن هبيرة القريبة من الكوفة . ومدينة ابن هبيرة هذه هي غير قصر ابن هبيرة . لم يكن موقع الهاشمية الثانيه مناسباً ليكون عاصمة بني العباس لقربها من الكوفة مركز شيعة العلويين ولأن القبائل التي تقطنها كانت لا تفتأ تثور وتشاغب ، وقد تركها المنصور بعد ثورة الراوندية الذين تظاهروا بتقديسه وكادوا يفتكون به .

وإذا ما انتقلت العاصمة الى العراق فمن الواضح ان فائدة بقعة على دجلة خير منها على الفرات . لانها تكون وسط إقليم خصب فقد كانت مياه الفرات تسقي الارض التي بينه وبين دجلة كما كانت مياه هذا الاخير تروي الارض الواقعة شرقيه ، وفضلا عن ذلك فان القسم الأسفل من دجلة كان أصلح للملاحة من الفرات .

وقد قام المنصور برحلات عدة للتفتيش على موقع لائق بالعاصمة فسافر من جرجايا الى الموصل ، متبعاً شاطئ دجلة ووقع اختياره أولاً على موقع قرب بارما جنوب الموصل عند الموقع الذي يعرف اليوم باسم الفتحة ، حيث يقطع نهر دجلة جبال حمرين ولكنه تركه حين علم بغلاء الميرة وقلتها فيه وأخيرا اختار قرية بغداد الفارسية الواقعة على ضفة دجلة الغربية ، شمال مصب نهر الصراة تماما وأسس فيها عاصمته الجديدة سنة ١٤٥ للهجرة (٧٦٢ للميلاد) .

ويظهر من الاستكشافات التي قام بها السير هنري رولنصن سنة ١٨٤٨ للميلاد انه قد كان في هذا المحل مدينة من المدن القديمة جداً فقد وجد آجراً مكتوبا عليه اسم بختنصر ولقبه ، كما وجد في خرائط الأشوريين الجغرافية اسما لمدينة يقرب من اسم بغداد .

وقد كانت تقام في قرية بغداد الفارسية أثناء حكم الساسانيين سوق شهرية اشتهرت كثيراً في صدر الاسلام ، إذ هاجمها المسلمون سنة ١٣ للهجرة وغنموا كثيراً من الذهب والفضة ثم لم يعد يظهر اسم بغداد في التاريخ حتى سنة ١٤٥ للهجرة حين أخذ المنصور يفتش عن موقع لعاصمته الجديدة ، وقد كان في هذا الموقع لذلك الحين عدد من الأديرة وخاصة أديرة الرهبان النسطوريين ، ومنهم عرف المنصور خلو هذا المحل من البعوض الذي يكثر في المحلات الأخرى من دجلة ، وأن لياليه بهيجة باردة حتى في الصيف وكانت هذه المميزات بلا

شك مما أغرى المنصور على اختيار هذا المكان موقعا لعاصمته

وقد أطنب مؤرخو العرب وجغرافيوهم في الكلام عن فوائد موقع بغداد المتعددة ؛ فيذكر لنا المقدسي مثلا أن الخليفة استصح بقول ساكني هذا المحل ، ونلخص في الأسطر التالية الكلام الذي خوطب به المنصور «الذي أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج (مقاطعات) في الجانب الغربي طسوجان ، وهما قطربل وبادرايا ، وفي الجانب الشرقي طسوجان ، وهما نهر بوق وكلواذي فأنت تكون بين نخيل وقرب الماء فان أجدب طسوج وتأخرت عمارته ؛ كان في الطسوج الآخر العمارات ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشام ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمنية وما اتصل بها في تامرا حتى تصل الى الزاب . وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة ؛ وأنت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ؛ فاذا قطعت الجسر وخربت القناطر لم يصل إليك عدوك ؛ وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج الى العبور ؛ وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ؛ وأنت قريب من البر والبحر والجبل»

إن التبصر الذي أظهره الخليفة المنصور في اختيار موقع بغداد يظهر جليا في تاريخ بغداد الأخير ؛ فقد توسعت هذه المدينة توسعا كبيراً حتى كانت المدينة الثانية بعد القسطنطينية في العصور الوسطى ولم يكن لها نظير في جلالها وعمرانها بين مدن آسيا الغربية ؛ ولم تستطع الحروب والحصارات وانتقال الخلافة منها الى سامراء ؛ وحتى تخريب المغول لها ، كل هذه لم تستطع أن تحط من مركز بغداد وكونها عاصمة ما بين النهرين ، فاتخذها الاتراك مقراً لهم ؛ والآن بعد أن مر عليها أحد عشر قرنا ؛ أصبحت عاصمة الحكومة العراقية .

سليم محمود الاعظمي

من صور الحياة

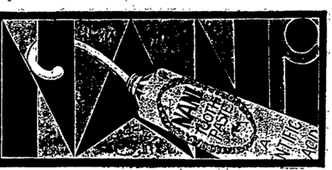
صديق . . .

الى تلك النفس الظلوم

قلبي الساعة مجال لصراع عنيف بين عاطفة من الحب والوفاء . وعاصفة من شيء يشبه المقت وأنا بينهما حائر مضطرب :

لي صديق لا يزال حيا ؛ ومع ذلك فانا أميل الى الاعتقاد بانه مات ، لأني كفنته في أثواب الاهمال ، ودفنته في زوايا النسيان . ولأن إباءه قضى ، ووفاءه مضى ، وليس بعد فقد الاباء والوفاء معنى للحياة

إذن مات صديقي بالنسبة لي على الأقل . ولكنه أورثني فيما خلف لي من تركته المثقلة بالهم ؛ جروحا لا يزال الدم يقطر منها ولكم وددت لو أن الايام عقدت حول اسمه ورسمه ؛ سحبا من النسيان لا ينفذ إليها شعاع من الذكرى وطالما جاهدت نفسي في أن أجعل بيني وبينه من التناسي أستاراً صفيقة ، وأسواراً منيعة ؛ فلا يسعى إلي ولا أصل اليه ، فلم أوفق . ولا تزال ذكراه تلم بي وتحوم حولي ، ولا أزال أتردد على رسائله وصوره كما يتردد العابد إلى محرابه ولقد يتفق لي أحياناً أن أصادف هذا الصديق الميت الحي ؛ فأقف أمامه ، مضطرب العاطفة إنه يشبه صديقي في جماع شكله ، إلا ان صديقي كان صفي النفس وفي القلب نقي الضمير ، وليس هذا الانسان من تلك الصفات في قليل ولا كثير ! لقد اتممت اليوم قراءة الصفحة الثانية بعد العشرين من كتاب حياتي ، وعاشرت الناس بقدر ما اتفق لي أخيرا واشرارا فلم أر شيئا أوقع في النفس من خيانة الصديق ؛ وكنت ولا أزال أحتقر نوعا من الصحاب يصادقون شهرا وينافقون دهرا ، ثم يتقلصون أخيرا عن الصاحب فاذا هو عندهم منكر الطلعة كأن لم يكن بينهما من أسباب الود القديم ما يربط أحدهما بالآخر . . . وصديقي من صميم هذا النوع . قطعت معه في طريق الحياة أشواطا لم يقف الأمر خلالها بيننا على ما يكون بين الصديق وصاحبه من المجاملة ، بل نشأ بيننا لون من الحب العميق الوثيق لم تعبث به الاغراض ، ولم تفسده الأعراض فأخلصت له كما يجب ان يخلص الصاحب ، لا أبتغي على ذلك جزاء ولا شكورا إلا أن يأخذ نفسه بشيء من الاخلاص . فأعطاني على ذلك الموثق وأقسم جهد أيمانه ومضى يزعم أن شيئا في الوجود لا يستطيع العبث



الطفلة الراقصة

للانسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

كان اليوم يوم عيد للأطفال فأخذ أهل المصيف يتوافدون على فندق كبير وكل معه طفل أو طفلان . وقد ارتدت الأطفال أزياء مختلفة جميلة . فهذا الطفل من سكان الجبال ، وذاك من راجات الهند، وهذه شريفة روسية، وتلك راقصة اسبانية. وهكذا اجتمعت للمتفرجين مجموعة طريفة جميلة من أزياء مختلفة يزيد جمالها أن ممثليها كلهم أطفال تقل أعمارهم عن العشر سنوات .

وصدحت الموسيقى الراقصة وحملت نسمات البحر أنغامها الى الآذان فهزت القلوب هزا لذيذا مطربا . واندفع الأطفال فى حماس برىء يرقصون ويضحكون ويهللون . وكانت هى بينهم طفلة فى السابعة أو الثامنة من عمرها . مرتدية لباس راقصة حديثة لونه أخضر جميل . وقد بدت منه تقاطيع جسمها جميلة منسجمة بديعة التكوين . وما كاد نصف الأطفال ينأى عن مكان الرقص ليستريح حتى اندفعت هى اليه ترقص رقصا فنيا رشيقا مدهشا . واتجهت اليها الأنظار كلها . وخجل الأطفال من رقصهم البسيط الفطرى فانتحوا ناحية يفسحون المجال لتلك الطفلة الراقصة .

ما دهشت لرقص قدر مادهشت لرقصها ، وماهز الطرب لمنظر أعجبنى قدر مااهتززت لمنظرها ، أى جمال ! أى فن ! أى طفولة مرحة بريئة ساذجة ! هذه هى الحياة عندها : رقص وموسيقى ، فرح ومرح ، حب واعجاب ، لقـــد دوى التصفيق فى أذنهـــا مرارا فاتسعت له حدقتا عينيها اتساع النشوة والرضى ، وأغراها التصفيق بالمزيد ، بل بالتفنن فى المزيد ، فما زال عندها حركات جديدة رشيقة فنية بديعة وما زال بها ظمأ الى الاعجاب والاستحسان . ترى أتظل الحياة لها هكذا ؟ أتظل هى هى مرحة ، طروبا لاهية ، راقصة ؟ أم ستضطرها الحياة الى تذوق ألوان أخرى منها ؟ أستعرف الالم، أستعرف العذاب؟ استنسى المرح؟ استظل راقصة أم سيبدل الدهر رقصها نحيا مشجيا؟

لهفى عليك ، طفلتى يوم تودين الرقص فلا تستطيعين ! لهفى عليك يوم تذكرين أيام طفولتك بالحسرة اللاذعة والالم الاليم ! ترى أستظل نظرتك كما هى الى تصفيق الناس واعجابهم بك ؟ أستظلين ظامئة اليهما تسعين الى المزيد ولا ترضين الا به ، أم ستستفهين هذا الاعجاب وتزدرين هذا التهليل والتصفيق ؟ ترى أتظلين حريصة على رضى الناس عنك أم ستعلمك الايام ان رضـــاهم أرخص من أن تسعى اليه ؟ كم أخاف طفلتى هذا الاعجاب ، كم أخافه على أخلاقك وعلى حياتك المستقبلة . ستعودينه ، وستفقدينه وستألمين أمض الألم لفقده، ثم سترينه يكال لغيرك كيلا ، ولكن الحياة ستسلمك الى نوع من الرضى اليائس ، ستعرفين بعد أن تصهرك الآلام ان الأيام دول وأن الدوام نقيض الحياة ، ستؤمنـــين بكل هذا ولكن بعد دروس ودروس . دروس لا كدروس الرقص التى تعلمتها فرحة لذيذة منعشة ، ولكنها دروس قاسية مؤلمة موئسة .

ثم إذا هو أخيرا يتكفل بنقض دعوى نفسه وترجيح الشك فيها على اليقين

على أنى مع ذلك لست أكرهه ، ولست أطمع كذلك فى رجعته ، فان النفس الجاحدة أثبت على الباطل ولكن ما أخوفنى أن يفيق ضميره فى الفينة بعد الفينة كما يفيق المجنون ! فربما حاسب نفسه فأحس أنه أساء الى ، وربما يحس فى أغوار نفسه مرارة الحسرة وحرارة الندم ، ولست أحب أن يمسه شىء من ذلك :

فبعض الظالمين وإن تناهى   شهى الظلم مغفور الذنوب

أى صديقى الميت الحى !

عزيز على أن تكون هذه صورتك ! ولكن الله يشهد أنى لم أزد على الأمانة فى رسمها للناس ، ومهما أكن حريصا على رضاك فانى على رضا الحق أحرص ؟

البكرى القلوصناوى

ودوي التصفيق فانحنت الطفلة الراقصة وكم كانت رشيقة فى حركاتها الشاكرة الراضية ، كم كانت الغبطة تشع من عينيها بريقا لامعا . واتجحت الطفلة ناحية ثم عزفت الموسيقى دور رقص روسى ، فقامت طفلة أخرى فى لباس رقص روسى واخذت ترقص رقصة صعبة بديعة . وكال لها المتفرجون التصفيق كيلا ، فادرت رأسى ابحث عن الطفلة الاولى . كانت فى ركن بعيد تنظر الى الراقصة الجديدة نظرة المتعجب المعجب الفرح ، وتتبع حركاتها حركة حركة فتصفق لها كلما قامت بحركة صعبة فاتقنتها ، كانت أشد المعجبين بالراقصة الجديدة حماسا واكثر المتفرجين تصفيقا لها . ياللطفولة البريئة الطاهرة ! لم تخط الغيرة بعد سطراً من سطورها ولم تخط الحسد كلمة من كلماته . ياللطفولة المرحة الطروب ما اجملك وما أطهرك !

وصدحت الموسيقى ثالثة فقامت الطفلة راقصة لاهية طروباً ، ودوى لها التصفيق وانتشت بنشوة الاعجاب بها من جديد ، تفننت فى رقصها وابدعت . فلمت نفسى على اوهامى وخيالى . حصن الطفولة مازال حصينا لم ينفذ فيه سهم من سهام الدهر بعد . ليتك تظلين طفلتى هكذا . ليت الحياة تدعك كما انت عصفورة من عصافير جنتها تغنين وترقصين وتلهين . ليتك لا تعرفين للحياة معنى غير ما تعرفين الآن . ابقى طفلتى كما انت راقصة . فرحة مرحة الى ماشاء الله . الحياة الحياة ماهى ؟؟ : رقصة . فارقصيها لاهية .

(سهير القلماوى)

الشافعى واضع علم أصول الفقه

للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٦ —

ا — الدراسات الفقهية الى عهد الشافعى . ب — أهل الرأي وأهل الحديث
جـ — الشافعى بين أهل الرأي وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د — وضع الشافعى علم أصول الفقه

وكان أهل الحديث يعيبون أهل الرأى بأنهم يأخذون فى فى دينهم بالظن ، وأنهم ليسوا للسنة أنصارا ولاهم فيها بمتثبتين ، فان أصحاب أبى حنيفة يقدمون القياس الجلى على خبر الواحد وهم يقبلون المراسيل والمجاهيل — أى الحديث المرسل الذى أسنده التابعى أو تابع التابعى الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابى الذى روى الحديث . أما المجاهيل فهم مجهولو الحال من الرواة —

ثم لا يقبلون الحديث الصحيح اذا كان مخالفا للقياس ولا يقبلونه فى الواقعة التى تعم فيها البلوى : الرازى ص ٢٥٠ ، ٢٥١

كانت الحال على ما ذكرنا حين جاء الشافعى ، وقد تفقه الشافعى أول ما تفقه على أهل الحديث من علماء مكة كمسلم بن خالد الزنجى ، وسفيان بن عيينه ، ثم ذهب الى امام أهل الحديث ، مالك بن أنس فى المدينة فلزمه ، ولقى من عطفه ومن فضله ما جعله يحبه ويجله « عن يونس بن عبد الاعلى أنه سمع الشافعى يقول : واذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أمن على من مالك بن أنس » الانتقاء ص ٢٣

على أن نشأة الشافعى لم تكن من كل وجه نشأة أهل الحديث ، ولا استعداده استعدادهم

لقد توجه فى أول أمره الى درس اللغة والشعر والأدب واخبار الناس ، ولم يقطع صلته بهذه العلوم حين وصل حبله بأهل الحديث الذين كانوا لا يرونها من العلم النافع ، حكى عن مصعب الزبيرى قال : كان أبى والشافعى يتناشدان ، فأتى الشافعى على شعر هذيل حفظا وقال : لا تعلم بهذا أحدا من أهل الحديث فانهم لا يحتملون هذا ، معجم الادباء ص ٣٨٠

وكان الشافعي بطبعه نهما في العلم ، يلتمس كل ما يجده من فنونه . وقد ذكر من ترجموا له : أنه اشتغل بالفراسة حين ذهب الى اليمن ، وعالج التنجيم والطب ، وربما كان درسهما في إحدى رحلاته الى العراق ، حيث كان التنجيم يعتبر فرعاً من فروع العلوم الرياضية ، وكان الطب فرعاً من العلم الطبيعي ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي قسمان من أقسام الفلسفة التي كان مسلمو العراق أخذوا يتنسمون ريحها ، وكان الشافعي مغرى بالرمي في شبابه ولم يكن في كهولته يأنف من الوقوف عند مهرة الرماة يدعو لهم ويمدهم بالمال ، ويظهر : أنه لم يكن شديداً في جرح الرجال كعادة أهل الحديث ، وقد نقل صاحب كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » حكاية تدل على سخرية الشافعي من تزمت المزكين .

« قال الشافعي — رضي الله عنه — حضرت بمصر رجلا مزكياً يجرح رجلا فسئل عن سببه وألح عليه فقال : رأيته يبول قائماً ، قيل وما في ذلك ؟ قال :

يرد الريح من رشاشه على بدنه وثيابه فيصلي فيه ، قيل هل رأيته أصابه الرشاش وصلي قبل أن يغسل ما أصابه ؟ قال : لا ولكن أراه سيفعل » ج — ١ — ص ١٩٤ ، ١٩٥ »

وكان في العلماء المعاصرين للشافعي : بل أهل الرأي منهم بله أهل الحديث من لا يراه بمعاني الحديث « عن أبي عبد الله الصاغاني يحدث عن يحيى بن أكثم قال : كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة : وكان الشافعي رجلا قرشي العقل والفهم ، صافي الذهن ، سريع الاصابة ؛ ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء » ابن حجر ص ٥٩ »

ولما ذهب الشافعي الى العراق استرعى نظره تحامل أهل الرأي على أستاذه مالك وعلى مذهبه ، وكان أهل الرأي أقوى سنداً وأعظم جاهاً بما لهم من المكانة عند الخلفاء ، وبتوليهم شؤون القضاء ، ذلك إلى أنهم أوسع حيلة في الجدل من أهل الحديث وأنفذ بياناً ، ويمثل حال الفريقين من هذه الناحية ، ما روى عن أمامي أهل الرأي وأهل الحديث : أبي حنيفة ومالك .

روى ابن عبد البر المالكي عن الطبري قال : وكان مالك قد ضرب بالسياط ، واختلف فيمن ضربه وفي السبب الذي ضرب فيه قال : حدثني العباس بن الوليد قال : خبرنا ذكوان عن مروان الطاطري أن أبا جعفر نهى مالكا عن الحديث : « ليس على مستكره طلاق » ثم دس اليه من يسأله عنه فحدث به على رؤوس الناس » الانتقاء ص ٤٣ ، ٤٤ »

أما أبو حنيفة فينقل في شأنه الموفق المكي في كتاب « المناقب » عن معمر بن الحسن الهروي يقول : اجتمع أبو حنيفة ومحمد ابن اسحاق عند أبي جعفر المنصور ، وكان جمع العلماء والفقهاء ، من أهل الكوفة والمدينة وسائر الأمصار لأمر حزبه وبعث الى أبي حنيفة فنقله على البريد الى بغداد ، فلم يخرجه من ذلك الأمر الذي وقع له الا ابو حنيفة ، فلما قضيت الحاجة على يديه حبسه عند نفسه ليرفع القضاة والحكام الأمور اليه ، فيكون هو الذي ينفذ الامور ويفصل الاحكام ، وحبس محمد بن اسحاق ليجمع لابنه المهدي حروب النبي - ص - وغزواته قال فاجتمعا يوما عنده وكان محمد بن اسحاق يحسده لما كان يرى من المنصور من تفضيله وتقديمه واستشارته فيما ينوبه وينوب رعيته وقضاته وحكامه ، وسأل أبا حنيفة عن مسألة اراد بها ان يغير المنصور عليه ، فقال له ما تقول يا أبا حنيفة في رجل حلف ألا يفعل كذا وكذا أو أن يفعل كذا وكذا ولم يقل ان شاء الله موصولا باليمين ، وقال ذلك بعد ما فرغ من يمينه وسكت ، فقال أبو حنيفة لا ينفعه الاستثناء اذا كان مقطوعا من اليمين ، وانما كان ينفعه اذا كان موصولا به ، فقال وكيف لا ينفعه وقد قال جد أمير المؤمنين الاكبر أبو العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن استثناءه جائز ولو كان بعد سنة ، واحتج بقوله عز وجل « واذكر ربك إذا نسيت » ؟ - فقال المنصور لمحمد بن اسحاق : أهكذا قال أبو العباس صلوات الله عليه ؟ قال نعم ! فالتفت الى ابى حنيفة — رحمه الله — وقد علاه الغضب ، فقال تخالف أبا العباس فقال ابو حنيفة لم اخالف أبا العباس ، ولقول ابي العباس عندي تأويل يخرج على الصحة ولكن بلغني ان النبي - ص - قال « من حلف على يمين واستثنى فلا حنث عليه » ، وإنما وضعناه اذا كان موصولا باليمين ، وهؤلاء لا يرون خلافتك . لهذا يحتجون بخبر ابي العباس ، فقال له المنصور كيف ذلك ؟ قال : لانهم يقولون إنهم بايعوك حيث بايعوك تقية وان لهم الثنيا متى شاءوا يخرجون من بيعتك ولا يبقى في اعناقهم من ذلك شيء . قال هكذا ، قال : نعم فقال المنصور : خذوا هذا يعني محمد بن اسحاق فأخذ وجعل رداؤه في عنقه وحبسوه » ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٤

كان طبيعيا : أن يجادل الشافعي عن استاذه وعن مذهب استاذه وقد نهض الشافعي لذلك قويا بعقله ، قويا بعلمه ، قويا بفصاحته قويا بشباب في عنفوانه ، وحمية عربية ، وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعي عن مالك ومذهبه : « عن محمد بن الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : قال لي محمد بن الحسن : صاحبنا أعلم من صاحبكم يعني : أبا حنيفة ومالكا ، وما كان على صاحبكم ان يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت ، قال فغضبت وقلت نشدتك الله من كان أعلم بسنة رسول الله «صلعم» مالك أو أبو حنيفة ؟ قال : مالك ، لكن صاحبنا أقيس ، فقلت : نعم ومالك أعلم بكتاب الله تعالى وناسخه ومنسوخه وسنة رسول الله «صلعم» من أبي حنيفة فمن كان أعلم بكتاب الله وسنة رسوله كان أولى بالكلام» الانتقاء ص ٢٤

كان هذا الحجاج عن مذهب مالك في قدوم الشافعي الى العراق أول مرة ، وأقام الشافعي في العراق زمنا غير قصير ودرس فيه كتب محمد بن الحسن وغيره من أهل الرأي فيما درس في العراق ولازم محمد بن الحسن ورد على بعض أقواله وآرائه نصيرا لأهل الحديث .

ولا شك أن الشافعي في ذلك العهد كان متأثرا بمذهب أهل الحديث ومتأثرا بملازمة عالم دار الهجرة فهو كان يدافع عن مذهبه يدافع حميته لاستاذه وأنصار أستاذه المستضعفين

أما البزاز الكردري فهو يروي في سبب اختلاف الشافعي على محمد بن الحسن روايات يقول فيها : «عن عبد الرحمن الشافعي : لم يعرف الشافعي لمحمد حقه وأحسن اليه فلم يف له . وعن اسماعيل المزني قال الامام الشافعي : حبست بالعراق لدين فسمع محمد بي فخلصني فأنا له شاكر من بين الجميع . وعن ابن سماعة قال : أفلس الشافعي غير مرة فجاء الى محمد فحث أصحابه فجمع له مائة ألف فكان فيه قضاء حاجته ثم أفلس مرة أخرى فجمع له سبعين الف درهم ثم أتاه الثالثة ، فقال : لا أذهب مروءتي من بين أصحابي ، لو كان فيك خير لكفاك ما جمعت لك ولعقبك وكان قبل هذا مولعا بكتبه يناظر أوساط أصحابه ويعد نفسه منهم ، فلما أتى محمدا الثالثة أظهر الخلاف » المناقب — ج ٢ — ص ١٥٠ ، ١٥١

والشافعي نفسه يرد على ذلك ، فقد أخرج الحاكم من طريق محفوظ بن أبي توبة قال : سمعت الشافعي يقول : يقولون . أني إنما أخالفهم للدنيا ، وكيف يكون ذلك والدنيا معهم ؟ وإنما يريد الإنسان الدنيا لبطنه وفرجه ، وقد منعت ما ألذ من المطاعم ولا سبيل الى النكاح ، يعني لما كان به من البواسير ولكن لست أخالف الا من خالف سنة رسول الله . ابن حجر ص ٧٦

ولما عاد الشافعي الى بغداد في سنة ١٩٥ هـ — ٨١٠ — ٨١١م ليقيم فيها سنتين اشتغل بالتدريس ، والتأليف وروى البغدادي في كتاب «تاريخ بغداد» :

«عن أبي الفضل الزجاج يقول : لما قدم الشافعي الى بغداد وكان في الجامع إما نيف واربعون حلقة أو خمسون حلقة فلما دخل بغداد مازال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم : قال الله وقال الرسول وهم يقولون قال أصحابنا حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره» ص ٦٨ ، ٦٩

واختلف الى دروس الشافعي جماعة من كبار أهل الرأي كأحمد بن حنبل وأبي ثور فانتقلوا عن مذهب أهل الرأي الى مذهبه ، ويروى عن احمد ابن حنبل : أنه قال «ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبرة الا وللشافعي عليه منة» فقلنا : يا أبا محمد كيف ذلك ؟ قال ان أصحاب الرأي كانوا يهزؤون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعي وأقام الحجة عليهم» الانتقاء ص ٧٦

ووضع الشافعي في بغداد كتاب «الحجة» وروى ابن حجر عن البويطي : ان الشافعي قال : اجتمع علي أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب أبي حنيفة فقلت : لا أعرف قولهم حتى انظر في كتبهم ، فكتبت الى كتب محمد بن الحسن فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي يعني «الحجة» ص ٧٦

ويظهر من ذلك : ان مذهب الشافعي القديم الذي وضعه في بغداد كان في جل أمره ردا على مذهب أهل الرأي وكان قريبا الى مذهب اهل الحديث

وروى البغدادي عن حرملة : أنه سمع الشافعي يقول : «سميت ببغداد ناصر الحديث» ج ٢ ص ٦٨

ونقل ابن حجر عن البيهقي : ان كتاب الحجة الذي صنفه الشافعي ببغداد حمله عنه الزعفراني ، وله كتب أخرى حملها غير الزعفراني منها : كتاب السير ، رواية أبي عبد الرحمن أحمد بن يحيى الشافعي »وفي كتاب كشف الظنون :

(«الحجة» للامام الشافعي ، وهو مجلد ضخم ألفه بالعراق اذا اطلق القديم من مذهبه يراد به : هذا التصنيف ، قاله الاسنوي في المهمات ويطلق على ما افتى به هناك أيضا)

ثم انتهى الشافعي الى مصر فآزره تلاميذ مالك حتى اذا وضع مذهبه الجديد وأخذ يؤلف الكتب ردا على مالك تنكروا له وأصابته منهم محن

«قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : قدمت مصر لا أعرف :

أن مالكا يخالف من أحاديثه إلا ستة عشر حديثا فنظرت فاذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع ، ويقول بالفرع ويدع الأصل

ثم ذكر الشافعى فى رده على مالك : المسائل التى ترك الاخبار الصحيحة فيها بقول واحد من الصحابة أو بقول واحد من التابعين أو لرأى نفسه

ثم ذكر : ماترك فيه أقاويل الصحابة لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه وذلك : أنه ربما يدعى الاجماع وهو مختلف فيه

ثم بين الشافعى أن ادعاء : ان اجماع أهل المدينة حجة ، قول ضعيف . الرازى ص ٢٦

ويروى بعض الرواة : ان الشافعى انما وضع الكتب على مالك لانه بلغه أن بالاندلس قلنسوة لمالك يستسق بها وكان يقال لهم : قال رسول الله «صلعم» فيقولون : قال مالك ، فقال الشافعى : إن مالكا بشر يخطىء . فدعاه ذلك الى تصنيف الكتاب فى اختلافه معــه . وكان يقول أستخرت الله تعالى فى ذلك . ابن حجر ص ٧٦

ومذهب الشافعى الجديد الذى وضعه فى مصر هو الذى يدل على شخصيته وينم عن عبقريته ويبرز استقلاله

« سئل احمد ما ترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين أهى أحب اليك ، أم التى بمصر ؟ قال : عليك بالكتب التى وضعها بمصر فانه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع الى مصر فأحكم تلك كما يرويه الذهبى فى تاريخه الكبير « هامش الانتقاء ص ٧٧ »

(يتبع)

صفى الدين الحلى

— ٢ —

هذه هى الناحية اللفظية ، وأما خصائص معانيه فانها تتمثل فى شدة اتصالها بعلوم البيان من كثرة التشبيه واستعمال المجاز والكنايات ، وقد ساعده على الاجادة فى ذلك ماوهبه من قوة الخيال ودقة المشاهدة كما ستعرف ذلك حين التحدث عن وصفه . وتتمثل أيضا فى طغيان الاشارات والمصطلحات العلمية عليها إذ تراه يستغل معارفه فى علوم الفقه والحديث والفلسفة والتصوف فى استعارة معانيه لأى موضوع شاء ، وكثيرا مايضرب الأمثال بحوادث التاريخ أو يستشهد بالقصص العامة الشائعة كأنه يدرك قاعدة التربية الحديثة فى إظهار المعقول بثوب المحسوس .

وتعد معانيه فوق ذلك من النوع الممتلىء الدسم ، فهى تتدفق قوية فى طريقها الى الغاية من غير تفكك أو فضول أو تدنس بالمعانى العامية المبتذلة ، ويحس قارؤها بروح الصدق سارية بين أجزائها فى أغلب الاغراض لأن الشعر كان قطعة من نفس صفى الدين لاعلما يحرك به لسانه ، أما فى غير الغالب فقد كان يقحم نفسه فى اغراض متكلفة لاصلة بينه وبينها غير حب المحاكاة والصنعة كما أنه انحدر إلى أعماق الابتذال حين خاض فى المجون ..

وقد جال صفى الدين بهذه المعانى فى جميع الميادين التى عرفها الشعر العربى إلى وقته ، حائزا قصب السبق فى كثير منها فتناول الفخر والمدح والوصف والغزل ، وهى أركان شعره الكبرى ثم الحكمة والخمر والزهد والالغاز والمجون ، وهى العمد الثانوية ، ونحب قبل ان نستعرض هذه الميادين ان نسجل هنا شهادة أحد المعاصرين له وهو صاحب «الفوات» المتقدم ذكره إذ قال : «تعجبك ألفاظه المصقولة ومعانيه المعسولة ومقاصده التى كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة » ! وما أثمنها شهادة من معاصر كان أجدر به الجحود والنكران

***

لم يكن صفى الدين شاعرا قوالا فحسب ، وإنما كان بطلا مغوارا يعرف كيف يكتب بالسيف على الرقاب كما يخط بالقلم على الطرس ، وذلك لانه نشأ من أسرة نبيلة قوية كانت هى صاحبة الولاية على « الحلة » وبعض بلاد العراق المحيطة بها ، وكان يجانبها أعداء

وحساد كثيرون يحاولون ان ينزلوها من المكانة السامية بكل الوسائل من غدر دنيء أو قتال صريح ، حتى إن أحد أخوال هذا الشاعر قد قتل وهو بين يدى ربه فى المسجد العام فكان هذا الموقف الخطر داعيا إلى تنشئة أبناء الأسرة نشأة حربية باسلة ليستطيعوا ان ياخذوا من اعدائهم بالثأر ويردوا فى نحورهم كيدهم ولهذا كان أول الدواعي التى حدت بشاعرنا الى الشدو والغناء ذلك الشعور القوى الذى كان يجيش فى خلايا قلبه شعور العزة القومية والمجد والكرامة ، وقد غرس فيه هذا الشعور طموحا وثابا إلى مشارف العلا فظل يضرب على وتر الفخر والحماسة بأروع الأغانى الشجية التى تبرى صدر الجبان وتلهب عزيمة الشجاع المقدام ، فشعره فى ذلك مثل سام من أمثلة الأدب الحى القوى الذى ننشده اليوم فى عصر انحلال العزائم وخمود الشهامة ! وإذا شئت فترنم معه وهو يشيد بذكر قومه :

قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة   يوما وان حكموا كانو موازينا
تدرعوا العقل جلبابا فان حميت   نار الوغى خلتهم فيها مجانينا
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة   وإن دعوا قالت الايام آمينا
إذا جرينا إلى سبق العلا طلقا   إن لم نكن سبقا كنا مصلينا
تدافع القدر المحتوم همتنا   عنا ونخصم صرف الدهر لو شينا
عزائم كالنجوم الشهب ثاقبة   ما زال يحرق منهن الشياطينا

ولم يقصر الشاعر همه على مجرد الفخر بهذه الارادة التى تدافع القدر المحتوم وتخصم الدهر ؛ بل كان بين قومه فى منزلة الشاعر الجاهلى فى قبيلته يشترك عملا فى تدبير سياستهم ويحرضهم قولا على الحرب إذا ثلبت كرامتهم وينعى عليهم لو أحجموا يوما عن أداء الواجب ؛ وكأنما كان شعره جريدة « الحلة » القومية تشير عليهم كل آن بسديد الرأى وماضي العزم وفى نار هذه المواقع المشبوبة تلقى الشاعر دروسا من الحكمة جديرة أن توضع بين عينى كل من يحلم بالمجد أو يطمح إلى العلياء ، فهو رجل عملى لا يؤمن بالحظ والخيال الكاذب ، ولكنه يرى طريق النجاح مرصوفا بالكد والعناء لاتذلله إلا الارادة الجبارة والنفس التى لا تلين ، وهو رجل يستنكف أن يجرى ماء الحياة بين جنبيه ثم لايسعى ويقدم ويصعد حتى يدرك قمة الشرف والسمو ، وكم يسخر ويثور على هؤلاء القوالين الذين يقتنعون بالالفاظ الرنانة والأصوات الجوفاء ، ألا تراه يقول

لست ممن يدل مع عدم الجد   بفضل الآباء والأجداد
ما بنيت العلياء إلا بجدي   وركوبى أخطارها واجتهادى
وبلفظى إذا نطقت وفضلى   وجدالى عن منصبي وجلادي
غير أنى وإن أتيت من النظـ   ـم بلفظ يذيب قلب الجماد
لست كالبحترى أفخر بالشعـ   ـر ، وأثنى عطفي فى الايراد
واذا ما بنيت بيتا تبخترّ   ت كأنى بنيت ذات العماد
إنما مفخرى بنفسي وقومي   وقناتى وصارمى وجوادى

ومن منا لا يحفظ قوله السائر :

لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا   ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن أراد العلا عفواً بلا تعب   قضى ولم يقض من إدراكه وطرا

وله غير ذلك الشعر الجيد المصقول يصور فيه همته وتفضيله للموت على الذل والنفور من اليأس حتى فى ساعة الفشل والاستهزاء بالعدا والأخطار ، ويالها من مبادىء يتسم لها المجد .

***

ولكنه ما كاد القرن الثامن يذر فى الأفق حتى احاطت بالعراق خطوب وفتن بانشقاق أهله على انفسهم وبأيغال المغول فى أنحائه فاتحين متجبرين ، فاضطرت الولايات الصغيرة التى لا تستطيع الدفاع عن نفسها الى الاحتماء بما حولها من الدول الحصينة القوية . وهكذا اعتمدت أسرة الحلى على الدولة الارتقية المقيمة بماردين وعلى رأسها الملك المنصور نجم الدين غازى وقد كانت تتمتع باستقلال داخلى وراثى ، ولكنها تعترف بسيادة مصر ، وفى عاصمتها هذه يقول « ياقوت » فى معجمه : « إنه ليس فى الارض أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم » ، فدخل الشاعر الى بلاط هذا الملك يحرضه بادىء الأمر على مساعدة قومه والانتصار لهم على اعدائهم ؛ ثم مالبث ان صار شاعرا رسميا له ، يهتف بمناقبه وينشر ذكراه . وعند ذلك ابتدأ ظهور النوع الثانى من شعره وهو المدح .

حدث صفى الدين عن نشوء هذا الانقلاب فى شعره فقال : « كنت عاهدت نفسى ألا أمدح كريما وإن جل ، ولا أهجو لئيما وإن ذل ، ولكن الحوادث ألجأتنى إلى هجر عزيمتى .. فحططت رحلى بفناء فخر الأواخر والاوائل ملوك ديار بكر بن وائل فقد ثبتوا بالاحسان

قدمي ، وصانوا عن بني الزمان وجهي ودمي ، حمدت لقصدهم مطايا الآمال، وقلت لاخيل عندك ولامال ، فليسعد النطق ان لم تسعد الحال»

فمن ذلك الحديث نرى ان مدحه لم يكن نفاقا او رياء يتخذه وسيلة للاستجداء والسؤال ، وانما كان نتيجة عاطفة محمودة هي عاطفة الشكر وعرفان الجميل . ويدل كذلك على أنه كان يفهم غاية الشعر حق الفهم ويؤمن بقدسيته الفنية ، فكان يربأ به أن يكون عبد الغرض ورسول الحاجة ولاغرو فقد عرفنا صفي الدين شاعرا مطبوعا لامصنوعا .

واذا أحصينا المدائح التي نظمها وهي كثيرة مستفيضة ألفيناها تكاد تنحصر في أربعة مسالك : مدح الرسول وآله ، ومدح الاسرة الارتقية المذكورة، وبني قلاوون ، وبيت المؤيد ، وكلها تسير على على نمط متحد في عدم الوصول إلى المدح إلا بعد مقدمات طويلة في موضوع آخر يسترسل فيها ثم يبذل جهده في اختراع وسائل التخلص إلى غرضه . غير أنه كان يتصرف في انواع هــذه المقدمات بألوان شتى ، فتارة تكون غزلا وأخرى وصفا لرحلة فتارة تكون فخرا أو خمرا ، وقد تكون رسما لمنظر طبيعي جميل ، فكأن كل قصيدة منقسمة الى شقين لكل منهما غايته وصورته ولا يلتقيان إلا بذلك الرابط الواهن الذي يسمونه « حسن التخلص »

وأوضح ماتراه في معاني المدح النبوي ظاهرتان تشير احداهما إلى مذهبه والأخرى إلى خلقه : فقد عهدناه محبا مخلصا لآل البيت والسلالة العلوية يذكرهم كلما ذكر النبي تقربا اليه بأهله ، ويناضل تحت لوائهم كل من عرض لهم بمذمة أو نقيصة، مرددا انهم أجدر الناس بالخلافة ، مسجلا على بني العباس طغيانهم واغتصابهم لذلك الحق الثابت . وقد سأله نقيب الاشراف بالعراق أن يجيب عبد الله بن المعتز عن قصيدته التي غض فيها من قدر العلويين ، فأجابه بقصيدة دامغة الحجة كأنها جدال علمي لولا ما فيها من صور العاطفة الثائرة.. وهذه العاطفة الشيعية تدل على حقيقة تاريخية كبيرة ، هي أن العلويين كانوا لايزالون يثيرون دعاتهم في العراق أملا في أن يخلفوا العباسيين بعد زوال دولتهم

أما الظاهرة الثانية فهي اعترافاته الخطيرة أمام النبي (ص) بما جنى في حياته من عبث وجور على الشريعة يصفها بانها جرائم تندك منها الجبال ، ولا نحسبها مبالغة منه لانا نعرفها حقيقة ثابتة في خلقه ، إذ كان حي الشيطان واهي الزمام في يداء هواه يعطي لنفسه ماتشتهي ثم يعود الى ربه معتقدا دائما أن الله غفور رحيم ، ولذا نظن أنه لم يفكر في هذا الندم الا بعد ان وخطه المشيب وآذنت شمس حياته بالمغيب .

وأما مدائحه في بني ارتق فحسبنا أن نقول عنها إنها جمعت كل ماأنبتت القرائح في الأدب العربي من أوصاف الخلق الحميد ، ففيها كرم حاتم ووفاء السموءل وحكمة لقمان وشجاعة خالد وهكذا حتى تطوف على ذرى الفضائل الانسانية ، فهي مليئة حقا بالمبالغة والاغراق إلى أبعد مدى . ويظهر أن الشعراء كانوا لايعدون بلاغة المدح في تصوير الحقيقة الواقعة وإنما يقيسونها بعظم المثل الأعلى الذي يتخيله الشاعر ثم يرسمه في شعره . وهـذه القصائد قسمان : قسم متفرق مرتبط بالمناسبات العارضة ، وقسم أخر مجتمع الاجزاء كديوان مستقل يحتوي على تسع وعشرين قصيدة كل منها تسعة وعشرون بيتا وقد اسماه (درر النحور في مدح الملك المنصور) .

(له تكملة) ضياء الريس

من طرائف الشعر

عصفورة الوادى

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

لقد رقد السمّار حتى خلا النادى
ولم تبق يقظى غير عصفورة الوادى
شدت فى هدوء الليل تندب غائباً
وفى شدوها شجو لسامعه باد
تردده فى خير لحن سمعته
وتنشده شعراً على خير انشاد
فيا حسن شعر محزن مطرب معاً
ويا حسن لحن ثم يا حسن ترداد
فبتّ وعينى لحظها يخرق الدجى
وسمعى على بعد إلى الطائر الشادى
قد انتبهت فى ليلها فتذكرت
أليفاً غدا عنها ولم يعد الغادى
وبرّحت الذكرى بها فترنمت
ترنّم ثكلى قد أصيبت بأولاد
وقالت تناجى نفسها ما لصاحبى
تأخر عن ميعاده غير معتاد
وقد كان وجه الليل ميعاد عودة
وذلك للأطيار آخر ميعاد
فما عاد عصفورى إلىّ الشفوقى
وكان إليه فى حياتى إخلادى
أأبعد عن مثواه فى طيرانه
فضلّ طريق العود من بعد إبعاد
وكيف تضلّ الطير عن مستقرّها
وكل كثيب فى الطريق لها هاد
أم احتازه الصيّاد فى شرك له
أم اختطفته برثن الأجدل الغادى
أم التقفته هرّة البرّ بغتة
أم ابتلعته حيّة بعد ارصاد
لقد كان لى إغراده خير سلوة
كما كان يسليه عن الهم إغرادى
وكنا اذا طرنا معاً لرياضة
نحلّق فى جوّ من الصبح ورّاد
وبعدئذ نهوى معا فى هوادة
الى فنن غض من البان ميّاد
وكنا على الأيام زوجين فى رضى
فأفردنى دهرى وأوحش افرادى
بقيت لأرزاء الزمان وحيدة
بعش نضيد من هشيم وأعواد
وكنا بنيناه معا فوق أيكة
تظلّل على ماء وعشب وأوراد
بنيناه حتى تمّ نجهد نفسنا
لنحيا معا فى غبطة ثم إرغاد
يقيم بقربى ثم فى العش واضعا
اذا ما غفا الغاده فوق الغادى
ولكن إلفى قد تخطفه الردى
فأفسد عيشى بعد أىّ افساد
فياليت إلفى كان قد ظلّ سالما
وأنى بريشى والحياة له فاد
ذهبت ولم ترجع فهل كان واقفا
لك الموت فى جنب الطريق بمرصاد
بربك عد لى أو على الموت دلّنى
فانى إلى كأس شربت بها صاد

جميل صدقى الزهاوى

بني مصر!

للاستاذ فخري أبو السعود

إلام تغيب الشمس عنا وتطلع ونلعب في ظل الحياة ونرتع؟
رضينا بخفض العيش والذل حوله وما الذل إلا حظ من بات يقنع
نهيم بهزل لا نهيم بغيره ونهرب من جد الحياة ونفزع
ونحجم عن أخطارها وصعابها وتنهبنا لذاتها والتمتع
وإن نبتغ العليا ترانا كأنما نساق إليها كارهين وندفع
نسير على رسل وللعصر حولنا مواكب في طرق العلا تتدفع
أساغ بنو الشرق الحياة ذليلة وعيش بني الغرب العلا والترفع
هم قادة الدنيا ونحن وراءهم فضول وأذيال تجر وتتبع
رضينا بأن نحيا على الغرب عالة كأن ليس فيما دون ذلك مطمع
نذل ونستعلي بمخترعاتهم ولا كاشف منا ولا ثم مبدع
ونفخر بالعلم الذي هم عيونه ولم نك إلا شربه حيث ينبع
ونرفل في أعطافها من حضارة وما نحن نبنيها ولا نحن نصنع
وكم تائه منا بثوب منمق وأحرى به منه الرديم المرقع
وكم متعبر تاسيهم ويخاله بقوته فينا يصول ويدفع
لهم حاضر عال وماض مؤثل وسعى إلى مستقبل المجد أروع
اذا ذكروا أوداءهم فخروا بها ويا حبذا فخراً ذمار ممنع
يطولون بالجاه العزيز تفاخراً ونطرق من ذل الاسار ونخشع
ونشحذ من آبائنا وجدودنا فخاراً على أعقابهم ليس يخلع
هم دوننا أهل الفخار ولم يكن علو أب في حطة الولد يشفع
نتيه بتاريخ لهم وآثر قيام على الأيام لا تزعزع
وما هي مالم تحي إلا صحائف بوال وأطلال خوال وأربع
وفيم تباهينا بعز ورفعة وحاضرنا قفر من العز بلقع؟
تبرأ ماضي المجد منه ولو درى لكاش له خوفو وأذهل خفرع
وريع الفراعين العظام وأجفلوا وهالهم هذا التراث المضيع
رأوا أمة تمشي وراء زمانها وقد عرفوها في الطليعة تطلع
وتقنع من حظ الحياة بدونها وقد تركوها في الذرى تتربع
وأوغل فيها الاجنبي ينوبه وقد عهدوها النجم أوهى وأمنع
وهالهم خيل بمصر وراية إلى راية النيل المفداة ترفع
كأني أصغي من علاهم إلى صدى يشق القرون الداجيات فيسمع
يقول: بني مصر! الحياة أو الردى ومالكم من دون هذين مشرع
فليست حياة الشعب إلا سيادة ترد مطامع الطامعين وتردع
وليس الردى إلا حياة مهينة يقربها الشعب الذليل المضعضع
أيرضخ شعب النيل للغير راضياً بما بات يأباه من الزنج أوكع؟
هلموا إلى جد الحياة وانفضوا بقية هذا النوم فالعصر مسرع
فما الأمر لو تدرون إلا عزيمة تصارع شدات الحياة فتصرع
تعاف ذلول العيش قد لان ملمساً وتضرب في وعر الحياة وتقرع
وأني سبيلكم فاجعلوا مصر قبلة وحول علاها الملتقى والتجمع
شريكتم في سركم وجهاركم وحين تغيب الشمس عنكم وتطلع
وولوا إلى الاعمال لا القول همكم فما القول بالمجدي ولا الزعم ينفع
وإن فاتكم منها الجناة ففي غد ستزهر للجيل الجديد وتونع

بائع حصير

جاء طفل يروم بيع حصير زخرفته بالنقش أيدي الصين
فيه بحر يبدو، وفي البحر فلك وعلى الفلك يضع حور عين
وعليه نوتية من غزلان جادفات فيه بكل سكون
فتمنيت نفسي الركوب بفلك يتحلى بلؤلؤ مكنون
سعد البحر في حشاه وفي أعلاه در مكلل للجبين
وكأن الفلك الذي ضم غيداً صدف قد طفا بدر ثمين
جاءني الطفل وهو يحسب أني ذو نقود تغري وكنز دفين
ثم قال اشتر الحصير وزين لك بيتا يليق بالتزيين
قلت مالي بيت أزينه أو أي بيت قناؤه يحويني
كل هذا الوجود بيتي ومالي فيه بيت عند الدجى يؤويني
كل ليل آوي لبيت كراء بي لا يرتضي ولا يرضيني

البقيه على صفحة ٢٨

الشعر والموسيقى

للشاعر الكبير پول فاليرى

عضو المجمع الفرنسى

مترجمة بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

خير عون على ادراك مافى عمل الشاعر من مشقة وصعوبة ، أن نقارن بين مافى يديه من عتاد عند البداية ، وبين العتاد الذى يتصرف فيه الموسيقار . فانظروا هنيهة ماهو مبذول لهذا وماهو مبذول لذاك وهما مقبلان على العمل ، وقد خرجا من حيز النية الى حيز التنفيذ

فما أسعد الموسيقار ! إن تطور فنه قد هيأ له حالة كثيرة المزايا . فوسائله معينة مفصلة ، ومادة تأليفه موضوعة وضعها المحكم من قبله . وقد يصح تشبيهه بالنحلة حين لا يصبح لها هم غير عسلها ، حين تكون أقراص الموم المنتظمة وتخاريب شهادها مصنوعة قبلها . فهمتها مقدورة مقصورة على اخراج خير ما عندها . ذلكم حال الموسيقار . بل انه ليصح القول بأن الموسيقى قديمة الوجود ، وأنها كانت تنتظر الموسيقار . وقد مضى عليها وهى تامة الوضع دهر دهير .

فكيف كانت للموسيقى أوضاعها ؟ نحن نعيش بالسمع فى عالم الضوضاء ، ومن جملة هذه الضوضاء تنفصم مجموعة من ضوضاء لها بساطة خاصة انفردت بها ، بحيث تميزها الاذن وتقوم لها بمثابة المعالم . وتلك عناصر لها فيما بينها علائق بديهية . وهذه العلائق الصحيحة الملحوظة بين العنصر ندركها ادراكنا للعناصر نفسها . فالفــترة بين نغمتين نحسها مثل احساسنا بالنغمة

ومن ثم فهذه الوحدات ذات الرنين ، هذه النغمات ، قمينة بأن تتركب منها تلكم التواليف المطردة ، وتلكم المنظومات المتتابعة أو المتحدة فى الزمن ، التى تطلع لنا فتروعنا ببنائها وسياقها وتواشجها وتقاطعها .

ونحن نميز حق التمييز بين النغمة والضوضاء ، و ـ مذ ندرك التباين بينهما ، وهذا احساس له خطورة كبرى ، لأنه التفريق بين الخالص وغير الخالص ، ويستطرد ذلك الى التفريق بين النظام والفوضى ، وهذا أيضا يرجع الى أحكام قوانين ذات أثر فعال . ولكننا نكتفى بهذا القدر

وهذا التحليل أو التمييز للضوضاء قيض للانسان ايجاد الموسيـ على انها عمل قائم بذاته ؛ واستقلال لعالم الاصوات . والفضل فى انجاز هذا أو على الأقل فى ضـ لـ سيره وتوحيده وجمع قوانينه ، يرجع الى علم الطبيعة ، الذى صار استكشافه هو ذاته بهذه المناسبة وعرف بأنه علم المقاييس . وقد است اع هذا العلم من قديم الزمان الملائمة بين القياس وبين الاحساس ، وأمكنه البلوغ الى نتيجة كبرى وهى احداث الاحساس بالصوت على نحو دائم متماثل بواسطة آلات . وما هذه المعازف فى حقيقتها الا آلات للقياس !

فالموسيقار يجد فى حوزته مجموعة وافية من الوسائل المحدودة المفصلة تقابل بين الاحساسات والنغمات أتم المقابلة . فكل ـ عزفه حاضرة بين يديه ، محصاة العدد ، مرتبة الصنوف . وهذه الاحاطة الدقيقه منه بوسائله بحيث لم يقف عند الالمام بها بل نفذ إلى كنهها و ـ ود بها فى صميم نفسه ، تمكنه من التقدير والتدبير ، ومن البناء والتركيب ، من غير أن يشغل خاطره بمادة عمله ، وميكانيكية فنه بوجه عام .

ويحصل من ذلك ، أن يكون للموسيقى مجال خاص بها ، هو مجالها على الاطلاق . واذا عالم الفن الموسيـ ، أى عالم الاصوات ، ظاهر الانفصال عن عالم الضوضاء . وبينما ان حركة من الضوضاء لاتبعث فى وعينا إلا حدثا مفردا ، فان نقرة واحدة من النغمات تبعث وحدها كل العالم الموسيقى . وهذه القاعة التى أحاضر فيها والتى تحسون فيها لغط صوتى أوغيره من شتى العوارض المسموعة ؛ اذا أنتم سمعتم فيها على حين غفلة نغمة من النغمات ؛ اذا اهتز وتر أو نبضت آلة منغومة

فانه لايكاد هذا الصوت الفذ الذى لايختلط بغـيره من الاصوات العـادية يمس اسماعكم ، حتى تحسون فيه فاتحة واستهلالا وحتى ينشأ فى الحال جو آخر ، وتخيم على الجميع حالة انتظار خاصة ؛ ويؤذن بالظهور نظـام جديد بل عالم جديد ، وتتهيأ نفوسكم صاغية لاستقباله ، بل ان بها جنوحا من تلقاء نفسها الى توسيع مقدماته ؛ والى توليد احساسات لاحقة بالاحساس الوارد على نفوسكم ، وعلى شـاكلته وفى مثل صفاته

وكما توفر لنا الدليل طرداً فهو متوفر عكسا

فاذا وقع فى قاعة من دور السماع ، والالحـان ترن فيها وتسودها ، أن هوى مقعد ، أو سعل ساعل أو اصطك باب ، فسرعان

ماتشعر بانقطاع لاتدري ماهيته وبان شيئا لايمكن وصفه ، أشبه بالسحر ، قد يبطل أو بالزجاج ، قد تكسر او انشعب .

وحاصل القول ان هذا الجو ، هذا السحر القدير الوشيك العطب ، هذا العالم من الإصوات ميسور لاهون مؤلف موسيقى وذلك بطبيعة فنه وبما يفيده مباشرة من هذا الفن .

وبخلاف هذا حالة الشاعر ، فان ما أوتيه اقل حظا من صاحبه بما لايحد . فتراه يعالج مطلبا لا يختلف كبير اختلاف عما يرومه الموسيقار وهو محروم مما تقدم بيانه من المزايا العظيمة .. فهو ملزم بان يخلق مبدئا ومعيدا في كل دقيقة ، مايلقاه الآخر جاهزا مهيأ

يلقي الشاعر الأمور على شر حال من السوء والفوضى . فبين يديه هذه اللغة المتبادلة ، هذه المجموعة من الوسائل الجافية الغليظة التي يطرحها كل علم مضبوط لكي يبتدع لنفسه ادوات التعبير عن اغراضه . فالشاعر لابد له من استعارة هذه الطائفة من الالفاظ والقواعد المأثورة المنقولة غير المعقولة التي صاغها من صاغها غريبة في استعمالها ، غريبة في تفسيرها ، غريبة في قيد أحكامها

وأقل الامور صلاحا لمقصد الفنان ، هو هذه الفوضى الاصيله التي ينبغي له في كل لحظة ان يستخلص منها عناصر النظام المنسوق الذي يريد استحداثه . ولم يرزق الشاعر بعالم من علماء الطبيعة فيحدد له الخصائص الدائمة لعناصر فنه ، ويعين علائقها ونسبها والأحوال المتماثلة لاصدارها . وليس لديه مفتاح للدوزان ! ولا ميزان لضبط حركة الاصوات ولا واضعون للسلم الموسيقي ، ولا متطسون في أصول تركيب الانغام ! وليس يصح عنده علم يقين ، اللهم الا العلم بالتموجات الصوتية المعنوية في اللغة ، على أن هذه اللغة لا ترد مورد النغمة في اتجاه واحد على السمع وهو الحاسة المثلى للتوقع والاصغاء ، بل اللغة بعكس ذلك ، خليط من المنبهات الحسية والنفسية غير متماسكة ، وكل كلمة هي مجموع وقتي من المؤثرات لا رابطة بينها ، فالكلمة تجمع صوتا ومعنى ، بل أخطأت ، فان كل كلمة هي عدة أصوات وعدة معان معا ، أجل ، عدة أصوات ، أصوات عداد ما في الوطن الواحد من أقاليم ، بل عداد ما في كل اقليم من أناس ، وهذا ظرف عصيب على الشعراء ، اذ يفسد الوقع الموسيقي الذي دبروه ، وتشوه معالمه بتصرف القراء . ثم ، عدة معان ، لان الصور الذهنية التي توحيها لنا كل كلمة لاتخلو بوجه عام من اختلاف وصورها الثانوية التابعة جد مختلفات

فالقول شيء مركب ، وهو مجموع خصائص مرتبطة بالفعل ومستقلة بطبيعتها في آن واحد . والكلام يمكن أن يكون منطقيا عامرا بالمعنى ولكنه خلو من الايقاع خلو من الوزن ، وقد يكون عذب الورود على السمع وهو سخف ولغو ، وقد يكون واضحا وفارغا ، غامضا ولذيذا . . . .

ويكفي لتصور ضروب الكلام وكثرتها العجيبة ، أن تعدد سائر العلوم التي نشأت للتوفر على بحث هذا التنوع ، وليستثمر كل علم عنصرا من عناصرها . فالواحد منا يستطيع دراسة نص من النصوص على وجوه شتى كل منها مستقل بذاته ، فيمكنك الرجوع به دواليك الى علم الصوت ، وفقه اللغة ، وتركيب الكلام والمنطق والبيان — وزد عليهما الوزن والاشتقاق .

وهاهو ذا الشاعر يصارع هذه المادة غير المستقرة وغير الخالصة الى حد بعيد . فهو مضطر الى النظر طورا فطورا في رقة الالفاظ وفي معناها ، واستيفاء الانسجام وتنغيم الفقرات ، فضلا عن شتى المطالب الفكرية والمنطق والنحو وموضوع القصيد وافانين البديع والوشي به المتواضع عليه من القواعد

فتأملوا مبلغ الجهد الذي تقتضيه معالجة الإتقان لكلام يجب ان تتوافر فيه ، بمعجزة من المعجزات ، جميع هذه المطالب دفعة واحدة ؟

بائع حصير

(بقية المنشور على صحفة ٢٦)

لست أشري الاثاث ، كل أثاث لعيوني يلوح ، ملك عيوني
كل هذا الوجود بيتي وفيه من بديع الاثاث ما يكفيني
فأثاث البيوت ليس بأبهى من رياض الاقاح والياسمين
صوروا البحر في الحصير لكي يشـ
ـرى ويقني والبحر يزخر دوني
واذا صوروا الغواني بفلك فخيالي مصور ذو فنون
صوروا الكائنات تزهو وعنـــدي
صور فقن عالم التكوين
واذا كنت ما اقتنيت اثاثا فخيالي أبهى الاثاث يريني

دمشق — احمد الصافي النجفي

العلوم

سمك البكلاه

للدكتور احمد زكي

السماكة كالزراعة صناعة من أقدم الصناعات، بل هي أقدم من الزراعة لأنها صناعة صيد، والانسان كان صيادا قبل ان كان زراعا، يصطاد طعامه على الارض وفوق الدوح وكذلك في الماء. وكانت طريقته في صيد ماعلى ظهر الارض وما في الهواء مسك ما يمسك، وقذف ما يفلت بالحراب مصنوعة من الحجر والخشب ثم من الحديد. ولكن هذه الطرائق التي أساسها القوة لم تغنه في صيد أحياء البحار إلا قليلا؛ لأن البحر غير الأرض، لم يخلق لحل الرجل والحافر، والإنسان لم يؤت زعنفة ولا ذيلا، وهو ان عام فاصطناعا وتكلفا، وفوق ذلك فالماء اذا سمك تعثر البصر فيه فلا ينفذ الايسيرا. لذلك غير الانسان طريقة الهجوم وعمد الى الحيلة، الى الختل والخديعة، فعقف ابرة ربطها بل أمسكه بيده، ثم كساها بما يصلح ان يكون طعاما، ثم في الماء دلاها فجاءت السمكة المسكينة تسعى كالناس للرزق فلما وجدته وجدت فيه حتفها. وطمع الانسان في غلة من البحر كبيرة، والبحر ابو الخيرات، كثير الفيوض، فعمد الى الحبل الطويل يمده بين السفينتين تتدلى منه الحبال الطويلة تحمل الصنارات الكثيرة تخفت تحت ألوان من الطعام شهية لم تبذل عن سخاء. ثم جاء دور الشباك، ثم امتدت هذه وطالت حتى بلغت قيمها مئات الجنيهات. وجاء البخار فاستبدلت السفن الشراعية بسفن بخارية، وارتقت طرق الصيادة واحكمت، فكثر المصيد وتعددت أنواعه واتسعت تجارته فأثرت الامم وأغنتها

ومن الدول من يعتمد في اكثر ريعه واتزان ميزانيته على الدخل الذي يأتيها من السماكة. ولما كانت هذه الدول تصيد الاقل لنفسها، وتصيد الاكثر الكثير لغيرها من من الامم البعيدة النائية، وكان السمك قريب التحلل سريع العطب، عمدت الى تحليله وتقديره، فاصبح يختزن منه بنسبة لاتختزن بها اللحوم، وصار مايصاد في القطب يؤكل في خط الاستواء، ومن ذلك سمك البكلاه الذي نحن بحديثه اليوم

والبكلاه Bacalao لفظة أسبانية معناها سمك الحوت، وهو سمك يقطن المناطق الشمالية من البحر الاطلسي ويقطن بحر الشمال والبلطيق؛ ويوجد كذلك في شمال المحيط الهادي، وتتحدد أخص مناطقه بخطي عرض ٥٠ و ٧٥.

وهو لايوجد في البحر الأبيض المتوسط. ويسكن من البحر أعماقه على مسافات تتراوح في الأغلب بين العشر قامات والمائة قامة، ولو أنه غوري (١) في سكناه وعادته الا أنه اذا آن أوان إنساله غادر الاعماق الكبيرة ورحل في قطعان هائلة الى اماكن من البحر يترجح عمقها بين ٢٠ و ٣٠ قامة يكون فيها أقل استهدافا للمهالك، فاذا هو بلغها ألقى بيضه قطفا في الماء، ويحدث هذا غالبا في يناير وفبراير ومارس، فاذا فقس البيض وتبدل واستتم خلقه تدرج في النزول الى الأغوار الأعمق وعندئذ يبدأ يعيش كما عاش آباؤه، فاذا بلغ من العمر سنة استطال حتى ليبلغ ثمانية من البوصات، ثم يزداد في الطول عاما بعد عام، حتى اذا استتم عامه الرابع أدرك فاستطاع ان يكون أبا أو أما، ويكون طوله عندئذ نحو قدمين، واذا امتد به الأجل عاش الى أن يطول الى خمسة أقدام والى أن يزن خمسين رطلا

(١) الغور القاع

وتبيض الأنثى من الحوت بيضاً يتذبذب عدده بين المليون والعشرة الملايين فى الفصل الواحد تبعاً لحجم الأنثى وزنتها. ويبلغ قطر البيضة جزءاً من عشرين من البوصة ، وليس كل البيض بفاقس ، فأكثره يذهب طعمة لعادى السمك ورائحه ، وكثير منه يهلك فلا يستتم انضاجه بسبب مؤثرات فيزيائية لا طاقة له بها . وقد عرفت الطبيعة منه ذلك فزادته عدداً لكى يفلت منه المقدار الذى لا بد منه لإضطراد وجوده

وأكثر صيد الانسان للحوت يكون فى فصل انساله ، ذلك لأنه فصل التجمع فالترحل الى سطوح من قيعان البحر أقرب الى يد الانسان . وأشهر هذه السطوح مواضع ثلاث ، ساحل النرويج ، وجزيرة أيسلن Iceland ، وجزيرة نيوفوندلنــــد Newfoundland بكندا . وهى لذلك أشهر مصايد الحوت . وعداها قيعــــان ضحلة ببحر الشمال بين بريطانيا والقارة الأوروبية .

أما مصايد النرويج فقد هيأت لها الطبيعة ساحلاً متعرجاً ، يدخل فيه البحر تارة ويدخل هو فيه تارة أخرى ، وينحدر شاطئه فى الماء انحداراً باغياً كبيراً . وفى قبالة هذا الساحل سلسلة جزائر اللوفوتن Lofoten تستطيل فى حذاء الشاطئ النرويجى وتستدير قليلاً مع استدارته ، تحنو عليه ، كأنما تحميه من انواء البحر الطلق وأمواجه . وعدا هذا تأتى الشاطئ التيارات المائية الدافئة من خط الاستواء Gulf Stream فتعدل من حرارته فتقل نحواً من عشرين درجة عن حرارة أى نقطة من الكرة الأرضية على خط عرضه . ولهذا لا تتجمد البحار النرويجية فى الشتاء ، فهى تهيء بقيعانها وطيب جوها مناخاً مستطاباً لقبائل الحوت تنزح اليه لتؤدى فى كنف الحب واجب الحياة الأول .

أما مصايد جزيرة نيوفوندلند فاوفقها منطقة تتكون من سابلات جبال علاها الماء نحواً من ثمانين قامة ، قمتها تحت الماء من رمل وطين ، يرحل اليها الحوت فى جماعاته فيجد عندها مسكناً ومستقراً إلى حين . ويزيد فى صلاح هذه المنطقة تياران بحريان يلتقيان هنالك ، يحملان معهما مقادير لا حصر لها من احيــــاء متعضونة صغيرة ومن الفطريات ، غذاء طيب لا للحوت ولكن لأسماك قشرية وأخرى رخوة يعيش الحـــوت بدوره عليها

كذلك لجزيرة أيسلن وللبحر الشمالى ميزات من ضحولة واستتار عن هائجات المحيط تجعل الحوت يقصدها .

وتعود السفن بحمولاتها من الحوت ، فيشق ويغسل باطنه ثم يملح . وبعد استكمال ملوحته يجفف إما فى الشمس ان كانت . واما فى حجرات سخن هواؤها بالفحم ، وذلك الى أن يبلغ درجة من الجفاف معروفة . وقد يجفف بلا تمليح . ثم يصدر هذا القديد ، وهو المعروف عندنا بالبكلاه ، الى أوربا الجنوبية ومصر والقارة الافريقية . أما كبد الحوت فتعالج بالبخار وهى صبيحة فتدر بزيتها المشهور . ولحم الحوت أبيض لذيذ الطعم وهو طازج ، سهل الهضم الا أنه قليل التغذية نسبة الى غيره وذلك لقلة دسمه ، حتى كأنما تركز دسمه فى كبده فافتقدته سائر الاعضاء . أما زيته فغذاء طيب كسائر الزيوت ويمتصه الجلد سريعاً فيغذى به الاطفال فى بعض الامراض بدعك بطونهم به . وكشفوا فيه عن فيتمينين من الفيتمينات التى تذوب فى الدهن فطلبه الطب فغلا ثمنه . والزيت النقى له طعم جميل كطعم الزبدة لا رائحة للسمك فيه ، ولكنه سريع العطب بالتأكسد وينشأ عن هذا التأكسد طعمه الكريه ، والزيت يتأكسد ولو احتجب عن الهواء لأن به اكسجيناً ذائباً يكفى لافساد نسكيته . والطريقة الحديثة لوقايته من ذلك تتلخص فى تفريغ مافوق الزيت من هواء كائناً ما كان ، فينبعث منه كل غاز مذاب ، ثم يطلق فى الفراغ الحاصل غاز الكربون فيحل فى الزيت محل الهواء

ويقدر الحوت المصيد فى السنة بما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ مليون حوته ، ثمنهــــا دون الزيت خمسة ملايين من الجنيهات والطازج منه كثير فى انجلترا فقد قصد صيادوها بعد الحرب العالمية الى منافسة الأمم فى أصطياده فبرزوا عليهم . والطازج منه رخيص فى انجلترا ، كنا ندفع فى الرطل منه ستة بنسات أو دون ذلك . اما القديد فثمن الرطل منه دون هذا .

العالم المسرحي والسينمائي

الدرامة والحياة

لناقد «الرسالة» الفني

من الجلي الواضح اننا قبل أن نطرق بحثاً كهذا (١) ، علينا أن نتريث برهة نسائل فيها أنفسنا ماذا نعنيه تماما بكلمة «درامة» — أو بمعنى آخر — ما هو التعريف الذى نستطيع أن نضعه لفن الدرامة اذا ما قورن بالفنون الاخرى كالشعر والتصوير والقصص ؟ من الواضح أن الدرامة فن ، ولكن بأى القيود نستطيع بها أن نحدد صفاته الخاصة التى تميزه عن الفنون الأخرى ؟ ولقد يبدو هذا عند النظرة الاولى سهلا ميسورا ومطلبا هينا لا عسر فيه ولا عناء ، ولكن قليلا من التفكير يكشف لنا عن الصعاب التى تواجهنا ، وقد يكون من الخير لنقدر دقة هذا المطلب العسير أن نرجع خطوة أو خطوات الى الوراء فنمر سراعا عاجلين بتلك المحاولات التى بذلها أقطاب هذا الفن فى تاريخه الطويل ليجيبوا على هذا السؤال وليضعوا لفن الدرامة تعريفا واضحا وصريحا .

من أولى النظريات التى وضعت فى هذا الصدد ومن أكثرها أذيوعا وانتشارا ، تلك النظرية التى نستطيع أن نسميها «نظرية التقليد» و المحاكاة . ولعل من الخير أن نذكرها فى أبسط صورها كما جاءت فى أقوال «شيشرون» الخطيب الرومانى المعروف ، فالدرامة عنده (نسخة للحياة ، مرآة للعادات ، انعكاس للحقيقة) وهذا التعريف ، اذا صح أن نسميه كذلك يقول به كثير من النقاد المتعاقبين مئات من السنين ، واتخذ أساسا لابحاث فنية لا عد لها ، خصوصا فى عصر النهضة «رنيسانس» . بل لقد وجد حتى فى العصور الأخيرة أنصارا وأشياعا لانه يتمشى مع أغراض الكتاب الواقعيين «ريالست» فى القرن التاسع عشر .

ومن أنصار هذه النظرية فى تعريف الدرامة «زولا» الكاتب الفرنسى المعروف و«بومارشيه» رجل المسرح الشهير . ومن المقدمة التى وضعها الاول لروايته «تريس راكوين» ومن كتاب الثانى عن الفن المسرحى نستطيع أن نستخلص الكثير من العبارات التى ندلل بها

(١) للاستاذ الرديس نكولا أستاذ آداب اللغة الانجليزية فى جامعة لندن بحث مسهب فى هذا الموضوع وقد رجعنا اليه فى هذه الكلمة

والحوت له المحل الثانى فى جدول أسماك العالم الاقتصادية أما المحل الاول فلسمك الرنكة المعروف بالرنجة Herring ، ولا نراه فى مصر الا مملحا أو مدخنا .

وقد بدأ القلق يظهر خشية على الحوت والرنكة وغيرهما من الاسماك أن تنفد من المحيطات وذلك لامعان الانسان فى اصطيادها ولتحسن العدة التى يستخدمها فى ذلك ، فهو بتحسنها يأتى بالمحصول الأكثر لقاء مجهود أقل وزمن أقصر . وهم يحاولون اتقاء هذا باغلاق المصايد أحيانا ، وبانشاء المرابى الصناعية أحيانا أخرى . ويظهر أن الطريقة الأولى هى الوحيدة الناجعة ، إذ لا بد من أن يتباطأ الصيد حتى يتمشى مع سرعة إنسال السمك فلا يصيد الانسان غير المزيد . أما الطريقة الثانية فتقليد للطبيعة عسير ، وقد دلت التجارب على أن تلك المرابى يأتى أكبرها فى العام من الخلف بالمقدار الذى يأتيه بضع مئات فقط من الحوت الطليق فى المحيط .

ومصر ، مصر الواقعة جنوب البحر الابيض ، وغرب البحر الاحمر ، وكلاهما مزرعتان تناهضان فى أمل الثراء ضياع الدلتا والصعيد ، مادخلها مما أحاطها الله من بحاره ؟ لا أدرى . انما الذى أدريه أنها فى يوم عيدها القومى تأكل سمك البكلاه ، وهو لا ينزرع فى بحرها الابيض ، انما يأتى من أصقاع بعيدة نائية

احمد زكى

على أن المثل الاعلى للمسرح عند الاثنين ان يكون « مرآة الحقيقة وصورة مطابقة لمافى الحياة »

فاذا أخذنا بهذا الرأى وبحرفيته قلنا أن الدرامة اقتباس من الحياة . وهذا معناه أن المؤلف المسرحى الحق يجب أن يضع نصب عينيه أن يكتب لنا مشاهد للمسرح تطابق قدر المستطاع ما يحدث فى الحياة أو يمكن حدوثه فيها حتى لتجىء هذه المشاهد كالصور وخيالها فى المرآة او كالنسخ المتعددة المتطابقة للشىء الواحد . وتكون محاورات ابطال الرواية الأروع والأجمل اذا كانت تنقل لنا نفس الحديث ، بل الكلمات والالفاظ للحوار الذى يقع بين الأحياء كما ينقله الحاكى دون نقص او زيادة ، ويكون أجمل ما فى الرواية صدقها وأمانتها للحقيقة ..

واذا نظرنا الى هذه الآراء فى مجملها قد نغرى بأن نصدق ان ثمة ما يمكن ان يقال للدفاع عنها أو تاييدها ، ولكن لو فكرنا قليلا لتبين لنا زيفها وخطؤها . وبغض النظر عما إذا كان فى مقدور المرء ان يعتبر أن المؤلف المسرحى ليس اكثر من حاكى يسجل ما يسمع وينقله حرفيا الى المسرح ، فانه من السهل ان نتبين ان ان هذا المثل الاعلى للدرامة مستحيل لأن الرواية المسرحية لا يمكن إن تكون صورة مطابقة تمام المطابقة للحياة . وحتى اذا فرضنا ان أن المؤلف فى أحد مشاهد روايته نقل نفس الالفاظ التى تحدث بها فعلا الأشخاص الذين اتخذهم كنماذج لأبطاله ، فان الحقيقة الواقعة من ان هذا المشهد فصل عما سبقه أو تلاه من المشاهد الاخرى تجعله شيئا صناعيا محضا ، أو بمعنى آخر تكسبه الصبغة الفنية . واذا لم يستعين المؤلف بالآلات الميكانيكية المسجلة للأصوات ، فانه لا يستطيع ان يطمع فى نقل الحوار الذى دار فى الحياة الحقة بألفاظه وحروفه وتفصيلاته نقلا دقيقا غاية الدقة لا تحريف فيه . فاذا كان المؤلف هو الذى خلق المشهد وخلق أبطاله ، كما يحدث على الأغلب ، لكان من السخف أن نتخيل ان هذا المشهد لو انه حدث حقا فى الحياة ، لتحدث هؤلاء الابطال ، لو انهم أحياء من لحم ودم ، بنفس هذه الكلمات ولدار بينهم هذا الحوار دون زيادة أو نقص . فمطابقة الحياة فى الدرامة شىء مستحيل ومطلب عسير فالريا لزم الحق لا وجود له ، ثم هو بعد ذلك ليس من عمل الفنان ، لانه ليس من الفن . ولم يكن فى يوم من الأيام مطمح كبار الكتاب الخالدين بآثارهم المعروفة ، ولا المثل الاعلى الذى حاولوا تحقيقه بأعمالهم وكتاباتهم ونحن اذا أخذنا بهذه النظرية فى معناها الحرفى وحدودها الضيقة طرحنا من مكتبة الفن احسن ما فيها من اعمال رجال الادب والمسرح وألقينا بمخلفات أشيل وارستفان وشاكسبير وموليير وأندادهم طعمة للنار .

فاذا أردنا أن نتحرر من هذا الحرج وأن نأخذ هذه النظرية ، نظرية التقليد أو المحاكاة ، بمعنى أوسع وأرحب ، كان لنا أن نعود إلى ارسطاليس الذى جعل أساس آرائه أن الفن فى مجمله ينطوى على عنصر التقليد ، وأظن أننا فى غنى أن ندخل فى بحث مستفيض فى هذا الصدد وحسبنا أن نقول أن أرسطاليس قد ذكر أن التقليد هو أصدق تمثيل للحقيقة إلا فى النادر القليل ..

ومن المعروف ان النصوص التى وجدت ونسبت الى الفيلسوف اليونانى القديم والتى يتحدث فيها عن فن التراجيديا والشعر القصصى اتخذت مرجعا لرجال الفن ونقاده فى شتى العصور وكانت لها مكانة القداسة فى عصر النهضة وأطال مناقشتها وبحثها كثير من النقاد فى العصر الحديث . ومن الخير ان نلم بهذا كله قدر المستطاع وهو ما سنحاوله فى القريب العاجل ان شاء الله

ونعود إلى بحثنا لنكرر ما قلناه فى اسطر سلفت من أن نظرية التقليد وجدت فى العصور الحديثة مشايعين وانصارا ولكن فى معناها الشامل الرحب ، وهناك فيكتور هوجو الذى قال فى المقدمة التى وضعها لرواية كرمويل « لقد قيل إن الدرامة مرآة تنعكس فيها الطبيعة . ولكن اذا كانت هذه المرآة عادية ، مسطحة لامعة ، فانها لا تقدم لنا إلا صورة ضئيلة للأشياء التى تعكسها دون أن تبرزها ، صورة صادقة ولكن لا روح فيها ، ومن المعروف أن اللون والضوء ينعدمان فى الانعكاس البسيط . فالدرامة على ذلك يجب أن تكون مرآة تتركز فيها المرئيات ، وبدلا من أن تضعفها تجمع الأشعة وتكثفها وتطغى عليها قوة التركيز فتجعل من القبس شعاعا ، ومن الشعاع لهيبا وهاجا ، وبهذا وحده تستحق الدرامة أن تكون فنا له خطره وقيمته »

وهذه العبارة فى وضوحها وقوتها لها أهميتها الكبرى فيما نحن بصدده ، وتتمشى معها كلمة سارسيه من أكبر نقاد المسرح الفرنسى إذ يقول إن الطبيعة المجردة على المسرح لا تثير اهتمام الجمهور بل تبدو له فضلا عن ذلك مزيفة كاذبة . ويضيف فى رأيى أن الحقيقة اذا أظهرت على المسرح بصدق وأمانة بدت مزيفة للجمع الحاشد

الحركة المسرحية والسينمائية فى العالم

نيويورك

نعت أنباء امريكا أخيرا هوراس ليفريت من اكبر الناشرين المعروفين فى الولايات المتحدة وهو صاحب الفضل الاكبر فى أظهار أوجين أونيل الكاتب الامريكى الشهير فقد كان اول ناشر قبل ان يطبع كتاباله فى مستهل حياته الادبية ونجح الكتاب أكبر نجاح مما ساعد أونيل على الاستمرار حتى وصل الى شهرته التى يتمتع بها اليوم . وكان من رأى هذا الناشر ان الكتب الاولى للمؤلفين الشبان المبتدئين يجب ان تعطى فرصة طيبة للظهور تشجيعا لهم . وربما كان وراء هذا الشاب الحدث عبقرى نابغ . وكان هذا الناشر يحارب الرقابة الادبية التى تفرضها الحكومات على الكتب والروايات بكل ما يملك من نفوذ ومال . واشتهر هذا الناشر أيضا كمخرج مسرحى ومن أشهر اعماله فى هذه الناحية أخرجه فى سنة ١٩٢٥ على أحد مسارح نيويورك الشهيرة رواية « هاملت » بملابس عصرية .

ونذكر بهذه المناسبة أن اوجين انتهى من رواية جديدة دعاها « الوحدة » وستمثل فى الموسم القادم على مسرح « جلد » بنيويورك

لندن

عقد فى لندن من أمد قريب الاجتماع السنوى « لجمعية الدرامة الانجليزية » وهى جمعية من اغراضها نشر الدعاية للفن والمسرح فى جميع أنحاء انجلترا ، فى مدنها وقراها وأطرافها النائية ، وكثير من الكتاب الانجليز المعروفين بدأت شهرتهم بين أحضان هذه الجمعية وظهرت اعمالهم الاولى على مسارحها . وقد ألقى مستر برنادشو خطابا قيما فى هذا الاجتماع عن « الهواية والاحتراف » نرجو ان نقدمه لقراء « الرسالة » فى عدد قادم .

ـــ مس ميني رينر من أشهر ممثلات المسرح الانجليزى المشهود لهن بالكفاية والمقدرة ويبلغ عمرها اليوم ٦٤ عاما وقد التحقت بالمسرح وهى فى سن الحادية عشر ولم تنقطع عن العمل خلال هذه المدة الطويلة . وفى أحدى حفلات الأسبوع الماضى أعلنت ـ بمناسبة عيد ميلادها ـ انها اشتركت فى ١٠٫٠٠٠ حفلة مسرحية وهو رقم قياسى جديد فى عالم الفن يعد الأول من نوعه

روما

سيتولى بيترو ما سكانى الموسيقار الايطالى المعروف رئاسة مسرح الاوبرا الملكية فى روما . والمعروف عن هذا الموسيقار انه يكره التقيد بالمناصب الثابتة ولكنه رضى أخيرا بهذا المركز بعد ان الح عليه شخصيا السنيور موسوليني . وستظهر على مسرح هذه الاوبرا اربع اوبرات جديدة فى الموسم القادم أولها « نيرون » لماسكانى نفسه وبعدها « الشعلة » الأوبرا الجديدة لرسبيني ، ثم « سيسليا » للوسيان رفيس ، والرابعة أوبرا جديدة لمؤلف حديث لم نجد اسمه فى برنامج الاوبرا الرسمى ، واذا أتم مالبيرو الموسيقار المعروف التاليه الذى يضعه والذى اقتبسه من احد كتب بيراندللو فسيكون القطعة الخامسة التى ستعرض على مسرح الأوبرا . وفى حديث لماسكانى مع احد الصحفيين صرح أنه يعتزم ان يجعل من روما عاصمة العالم الموسيقى وقطب الرحى فيه .

من المتفرجين . أننا نعد فن الدرامة الخلاصة التى بها نمثل الحياة على المسرح ونعطى الجمهور عن طريقها خيال الحق » .

وقد لمس بعض النقاد فى عصور متقدمة هذه الحقيقة ولكن فى صورة غامضة مبهمة وذكرها هيدلين الناقد الكبير فى قوله « إن المسرح لا يمثل الأشياء كما هى ، بل كما يجب أن تكون ، وشبيه بهذا ما يقوله جوته « إن من يعمل للمسرح عليه أن يدرسه ، ويتفهمه حق الفهم ، وأن يلم بتأثير المناظر المسرحية والإضاءة والألوان من نواحيها المختلفة ، وليترك الطبيعة فى مكانها اللائق بها »

وما نستطيع ان نلخص هذه النظرية باصدق وأوجز مما لخصها به احد كبار النقاد الذين يعتد بهم حيث قال : إن الدرامة ليست نسخة من الطبيعة ولكنها تقليد ومحاكاة لها ، واذا رجعنا الى الآراء التى مررنا بها فى هذا المقال لماما وجدنا ان أجداها وأثمرها ذلك الذى يتحدث عن الدرامة كمرآة مركزة تجعل من القبس شعاعا ومن الشعاع نورا وهاجا . وإنا لنلمس صدق هذا التحليل اذا ما درسنا الاعمال الفنية الخالدة ، لأن الكاتب الموهوب ، عندما يقتبس لمحة من الطبيعة ، لا يقنع بعرضها مجردة من الروح والحياة ، بل يسبغ عليها من وحى فنه وعبقريته ما يسمو بها الى قمة الخلود ويجعل منها مشاهد قوية مثيرة تلهب الخواطر والشعور وتصبغ العمل ذاته بالصبغة الفنية الحقة . وهذه احدى خصائص الفنان الحق

القصص

الورود الحمراء

كوميدية عصرية فى فصل واحد

لجاستون سوربيه والبريك كاهويه .

ترجمة فتوح نشاطى

(صالون على الطراز الحديث . . نافذة عند صدر المنظر وباب على كل من جانبى المسرح . . بعض صور عائلية وأسلحة تاريخية تزين جدران الحجرة . فوق مكتب صغير تأتلق باقة من الورود الحمراء داخل آنية شفافة . . عند رفع الستار يرى جاستون جالسا على ديوان وبيده مطرق الرأس ، حزينا وقد تناهبته هموم مبرحة . . بعد فترة وجيزة ينتصب فجأة ويتجه نحو النافذة . . . يمر فى طريقه بالورود الحمراء فيقف مترددا . . يدنو منها ثم يتنشق فى رفق عبيرها العاطر ويمضى الى النافذة فيلقى منها نظرة سريعة وجلة يعود بعدها الى باقة الورد يتأملها ، مشتت الفكر . وما يلبث طويلا حتى يقترب ثانية من النافذة ويظل يتردد هكذا بين الورود والنافذة الى أن يسئم الانتظار فيحاول اشعال سيجارة لكنه يخفق فيرمى بها الى الارض ، حانقا . يضغط على زر الجرس فيبدو الخادم فرنسيس) .

المشهد الأول

جاستون — فرنسيس

فرنسيس — سيدى . . ؟

جاستون — ألم يجئ أحد ؟

فرنسيس — كلا يا سيدى .

جاستون — ويرن الساعة الرابعة ؟

فرنسيس — لم يصل بعد .

جاستون — (يشعل سيجارة) والمسيو شنسيريل ؟

فرنسيس — لو أنه جاء . . .

جاستون — (مقاطعاً وقد فهم) حسنا . . . (يلقى فى حركة آلية بسيجارته الى الارض) ألم ترد برقية ؟

فرنسيس — لا يا سيدى

جاستون — والتليفون ؟

فرنسيس — لو أن احداً سأل عن سيدى بالتليفون لسمع سيدى رنين الجرس . .

جاستون — فى الواقع ... (وهو يشير حواليه ، ضجراً) أعد بعض النظام الى الحجرة

(ويحاول جاستون من جديد اشعال سيجارته فى عصبية مضطردة بينما يرتب فرنسيس فى صمت الأوراق المبعثرة المتراكمة على المكتب . عندما ينتهى الخادم من عمله يقترب من باقة الورود فيجمع أوراقها الذابلة المتناثرة على ارض الغرفة وحوالى الآنية الشفافة واذ يحاول المضى بها . .)

جاستون — ماذا تصنع ؟

فرنسيس — (على أهبة الخروج) أمضى بهذه الورود . .

جاستون — (مستوقفا إياه) لماذا ؟

فرنسيس — لانها ... بدأت تذبل

جاستون — لكنك تعلم جيداً انى لن استبدل بها غيرها ، بعد اليوم

فرنسيس — طبعاً لا . . بما ان سيدى . .

جاستون — (موقفاً سيل التوضيحات) اذن ؟ (يعيد فرنسيس الورود الى مكانها الاول)

جاستون — (مرهفاً سمعه فجأة) ألم يقرع الجرس ؟

فرنسيس — ما أظن يا سيدى (يعود جاستون الى النافذة . هنا يدوى رنين الجرس)

جاستون (مرتعشاً) أما قلت لك ؟

فرنسيس — (مبهوتا) رن الجرس الآن فقط

جاستون — حسناً ! . . اذهب وافتح (يخرج فرنسيس ويعود فى الحال مصطحباً شنسيريل)

المشهد الثانى

جاستون — شنسيريل

جاستون — آه ! يا صديقى . كاد ينفذ صبرى فى انتظارك ! . .

شنسيريل — يبدو عليك فى الواقع سيما الاضطراب الشديد

جاستون — اقابلت جانين ؟

شنسيريل — نعم . ولولا انها لم تتوجه اليوم الى محل عملها

جاستون . و . . كيف وجدتها ؟

شنسيريل — حزينة جداً

جاستون — ياللصغيرة المسكينة !

شنسيريل — (مشعلاً سيجارة) كلفتني عملاً شاقاً ياصاحبي ! صدقني لن أحمل نفسي بعد اليوم عناء استنطاق الفتيات التعيسات اللائي هجرهن عشاقهن .... ساعة القطيعة .. ! النهاية ...

جاستون — عجل، قص على ماحدث

شنسيريل — لم أمكث بجوارها أكثر من لحظة . لكن .. يالها من لحظة مشئومة !

جاستون — نعم ، أقدر حالتها النفسية ... كانت واجمة دون شك من هول الخبر ، مضعضعة الحواس ، يائسة .. ! الواجب كان يحتم عليك ان تشجعها ، أن تهون عليها ... لكنك فضلت النكوص على عقبيك

شنسيريل — تسمح لى بالجلوس ؟

جاستون — إن شئت ... لكن حدثنى ... أوضح لى .. هل انتزع منك الكلمات انتزاعاً ؟ ماذا قالت لك ؟

شنسيريل — لاشىء فى البدء . شاءت الحديث لكنها لم تستطع .. شبهت على أولئك الاصدقاء الذين نواجههم بعد كارثة ألمت بهم .. نراهم صامتين ، فنحسبهم متماسكين صابرين .. نمد لهم يد العزاء .. فاذا بهم يجهشون بالبكاء .. ذكرت لها أنى حضرت أتسقط أخبارها ..

شنسيريل (فى ابتسامة) التى تغنى بمحاسنها شعراء الشباب والربيع !

جاستون — نعم ياعزيزى روجيه ، عشنا معاً قبل الحرب سنتين مترعتين باجمل ذكريات حياتى ! ..

شنسيريل — (ساخراً) أحمد الله على انك الوحيد الذى يخرج من دنيا الغرام بذكريات سعيدة !

جاستون — غير أن هذه العاطفة الوهاجة .. لم تكن لتدوم الى الابد .. جانين التى تعرف دقة مركزى لم تكن لتجهل ان علاقتنا لابد آيلة الى تلك النهاية المنطقية : الزواج . نعم الزواج الذى كان قد بات حتماً على ، وقد أصبحت مضطراً أن أهجر مسكنى هذا لألتجىء الى برج العائلة ، هناك فى مقاطعة بريتانيا أعيش من أرضى دون اسراف . كان ذلك منذ ثلاث سنين .. اذ كنت أعتزم البعد عن باريس وعن جانين بالطبع ، عندما وقعت الكارثة

شنسيريل — اية كارثة ؟

جاستون — الحرب الكبرى !

شنسيريل — آه ! عفواً ! كدت انسى أننا نصلاها ! بالاختصار ؟

جاستون — بالاختصار رغماً عن رتبة الضابط التى وصلت اليها ونياشين الشرف الحربية التى أحملها وجراحى الباهرة التى حصدتها فى المعارك لم يكن مركزى المادى قد تحسن عندما .. ساق الى القدر العطوف ..

فاستفسرت عما اذا كنت قد جئت من قبلك ...

جاستون — وأجبتها ؟ ..

شنسيريل — إجابة غامضة ..

جاستون — عندئذ ؟

شنسيريل — شاهدت وجهها الصغير المعتم تتناهبه سمات التفكير والألم والعزم .. ثم قامت تخطت لك هذا الخطاب :

جاستون — (يتناول الخطاب فى لهفة وقد بدا عليه التأثر لكنه يقلبه بين يديه دون أن يجسر على فضه)

شنسيريل — ياصديقى لو تسمح لى نصحتك بارجاء قراءة هذا الخطاب الى غداة يوم زواجك (يجفل جاستون) لانك صممت على الزواج

جاستون — بالتأكيد . بما انى قطعت كل علاقة لى بعشيقتى السابقة مع ذلك لكم أحببتها جانين ! .. لقد كانت نعم الصديقة الحنون ، النموذج الكامل لشريكة الحياة القانعة المحبة . الودود ..

شنسيريل — اللؤلؤة النادرة ... داخل علبتها الذهبية !

جاستون — لا تمزح ... فالمدموازيل دى شالينى فتاة نبيلة جديرة بكل اخلاص ومحبة وأقر انى أحببتها فى الحال تقريباً ...

شنسيريل — بهذه السرعة ؟

جاستون — نعم فى الحال ... أحببتها ... لا كما أحببت جانين التى عبدتها عبادة ... بل كما أتصور أن يحب الانسان المرأة التى اصطفاها ليجعل منها رفيقة العمر ، الشريكة التى يعقد وإياها ضد الحياة وللأبد معاهدة هجومية دفاعية ... فهذا الحب يختلف عن الآخر كل الاختلاف ... ربما كان أقل مرحاً وظرفاً وتوثباً ... لكنه أثبت وأعمق وأبقى !

شنسيريل — ياللجحود !

جاستون — تخطىء يا صاحبى ! لم أنس شيئاً . صورة جانين ما زالت مطبوعة فى خاطرى ، وما زلت أشعر نحوها ... بعطف ممزوج بعرفان الجميل وانى لمصمم على رعايتها وتهوين مصاعب حياتها المعيشية ..

شنسيريل ـ (ساخراً) لا شك أنها تعتمد عليك فى ذلك كل الاعتماد !

جاستون ـ أؤكد لك انى متعذب لعذابها ! حاولت كثيراً تخفيف وقع الخبر عليها وتوطين قلبها لتلقى هذه الصدمة القاسية فلم أقطع صلتى بها الا عندما أصبح الأمر محتما ... البارحة فقط بعد بضع ساعات من تبادلنا خاتم الخطوبة أنا ومرجريت ... عندها وجدتنى مضطراً أن أصارح جانين بحقيقة موقفى وأن أقطع كل علاقتى بها خصوصا وقد كاشفتنى خطيبتى البارحة برغبتها الملحة فى أن ترانى داخل اطار مسكنى .. عش العزوبة كما تسميه مداعبة . فتصورها ياصديقى وقد جاءتنى صحبة مربيتها واتفق وجود الأخرى ! اية مأساة !

شنسيريل ـ فعلا !

جاستون ـ تلقاء هذه الزيارة المهددة لم أتمالك من أن أبوح لجانين بكل شىء ! هكذا ودعنا بعضنا وداعا مؤثراً أظهرت خلاله رباطة جأش نادرة ، حتى لقد استفهمت منى عما اذا كانت خطيبتى شقراء ....

شنسيريل ـ (متشككا) سيجارة ؟

جاستون ـ (رافضاً) شكراً (يفض خطاب جانين الذى كان يقلبه بعصبية بين يديه حتى هذه اللحظة)

شنسيريل ـ أما زلت مصراً على قراءة هذا الخطاب ؟

المشهد الثالث

فرنسيس ـ (فريسة اضطراب شديد) سيدى !

جاستون ـ ماذا تريد ؟

فرنسيس ـ جاءت مدموازيل دى شاليني ... مع مربيتها ...

جاستون (الى شنسيريل) وقع ما كنت أخشاه ! (الى فرنسيس) أدخلهما (بعد خروج الخادم) لا مفر من استقبالها !

المشهد الرابع

جاستون — شنسيريل — مرجريت

جاستون — أنت مرجريت ؟ (يقبل يدها)

مرجريت — (مبتهجة) نعم أنا ... تذكر ! اخطرتك انى سوف أزورك صحبة مربيتى ... (تلمح شنسيريل) أوه ! صباح الخير يا سيدى !

جاستون — (مقدما) أعز أصدقائى ، روبير شنسيريل ، خطيبتى ، مدموازيل دى شاليني

مرجريت — (فى ظرف) نأمل أن نحظى برؤيتك قريباً فى قصرنا يا مسيو شنسيريل . على شريطة ألا تبوح برؤيتك إياى هنا (تضحك) لانى أجد زيارتى هذه ولو بصحبة مربيتى الانكليزية بعيدة عن كل لياقة .

شنسيريل — ثقى مدموازيل بتكتمى التام (منسحبا) ياصديقى العزيز ...

جاستون — (متضايقاً) تنسحب ؟

مرجريت — (لشنسيريل) بل ابق يا سيدى لن أطيل المكوث .... مربيتى انسانة ظريفة لكنها عصبية المزاج وأراهن أن معين صبرها قد فرغ ....

جاستون — ما أظرف الخاطرة التى دفعت بك الى هذه المفاجأة السارة ... (يختلس نظرة قلقة الى الساعة)

مرجريت — نعم الخاطرة التى جعلتنى ... أخاطر بسمعتى لأراك ... بل نعم ... لا تعترض . زيارتى اليوم شاذة ولا يبعد أن تثير تقولات عديدة . غير أن روح المخاطرة تغلبت على العقل وتركتنى عزلاء عن مقاومة رغبتى الجادة فى رؤية خطيبى داخل مسكنه الخاص وسط الاشياء التى اعتادها فى ساعة من ساعات حياته اليومية . لكن ... ما حل بك ؟ أراك مأخوذاً مشرد الفكر ... حتى لقد سهوت عن تقديم مقعد لجلوسى ...

جاستون — أرجو العفو يا مرجريت ...

مرجريت — على أنى فى غير حاجة الى مقعدك . فليس أمامى من الوقت متسع ... أولى لك أن تضع جانبا هذه الورقة التى تجعدها أصابعك وتقف على خاطرك الحائر .. (يحفل جاستون لقولها ، يتردد لحظة ثم يخفى الخطاب فى جيبه . تلقى مرجريت نظرة جائلة حواليها) ما أبدع مجموعة السلاح التى تملكها ! (تجلس فى خفة على ذراع مقعد)

جاستون — هذه اسلحة اسرتى يا مرجريت

مرجريت — (فى اهتمام) ويرجع تاريخها الى أى العهود ؟

جاستون — الى عهود مختلفة ، فهذا الحسام الثقيل . قاتل فى سبيل الملك لويس الثالث عشر وقضى فى مبارزة على أحد أعوان الكردينال الأحمر : ريشيليو ، فتسبب موته فى ترحيل جدى الاكبر الى غيابة الباستيل ، أما هذا الرمح فقد كافح فى معركة رينان ليحمى زمار

الملك الشمس ويبقى على العرش بعد ذريته . وقد وجد بعد المعركة على ما يظهر بجوار جثة صاحبه !

مرجريت - يروقنى ان اضم الى صدرى هذه الذخيرة المقدسة !

جاستون - اما هذا السيف الرقيق الناعم ، سيف البلاط المزركش فلكم تخطر على ساق صاحبه وسط حفلات الملكة غير المتوجة مدام لاپومبادور فى رحبات القصر الملكي ! (لايتمالك نفســه عن اختلاس نظرة عجلى الى الساعة)

مرجريت - والاسلحة الاخرى ؟

جاستون - هذا الصارم البتار ناضل تحت امرة القائد روشامبو فى سبيل استقلال الأميريكيين ، ثم دافع عن الملك التعس دلويس السادس عشر ، لكنــه رفض المهاجرة الى خارج فرنسا وقاد الصفوف فى معركة واترلو . اما هـذا الرمح الدقيق الصنع فقد قاتل أبهر قتال فى حروب أفريقيا

مرجريت - (أثناء الحوار الاخـير تقدمت من المكتب ، وعبثت ببعض ماعليه من الكتب . تلمح الورود الحمراء فتنحنى عليها) ياللازهار الجميلة !

جاستون - (جافلا) مرجريت !

مرجريت - (تهم بقطف وردة) تسمح ؟ (يشير جاستون بالنفى) لا ؟

جاستون - لا

مرجريت - لمه ؟

جاستون - (بالغ التأثر) لان هذه الزهور . . . قاربت الذبول ولم تعد تصلح للزينة . . .

مرجريت - ليكن . أتخلى لك عن زهورك ، لكن . . . ماالذى دهاك فجاة ؟ أأكون قد أغضبتك ، عفو الخاطر ؟

جاستون - مرجريت . . لاتعتقدى . . .

مرجريت - كأنى بك مللت رؤيتى ! أأكون متطفلة ؟ (ينظر جاستون الى الساعة) والبرهان انك تخالس الساعة النظر . . . (فى حزن) الوداع أذن . أخطات فى مجيئى ، أعذرونى ايها السادة . سألحق بمربيتى (تخرج)

المشهد الخامس

جاستون - (يتنفس الصعداء) اوف ! هذا الخطاب كان يلهب أصابعى !

شنسيريل - لاتتردد إذن . . . وأقرأه (يقرأ جاستون الخطاب واضطرابه يزداد فقرة بعد فقرة ثم يناوله لصديقه)

شنسيريل - (بعد قراءته) فهمت الآن سبب اضطرابك ! ياللمخبولة ! تريد ان تراك للمرة الاخير ، واذا لم تلمح الساعة الخامسة الأشارة المعتادة ، هذه الباقة من الورود الحمراء التى اعتدت ان تضعها عند هذه النافذه أيام كنت تنتظرها . ..

جاستون - سوف تطيع وساوس اليأس !

شنسيريل - وعلام عولت ؟

جاستون - لو انك مكانى ما الذى كنت تفعل ، انت ؟

شنسيريل - انا لاأؤمن بالانتحار العاطفى على أنى لو خيرت بين أهون الشرين لفضلت ان استقبلها . . .

جاستون - أخشى ان تكون هذه المواجهة مشئومة العاقبة . لاأذكر لنا «أنا وجانين» اساءة تبادلناها طوال مدة علاقتنا ولا يحضرنى أنى أبكيتها يوما . فاذا شاء القدر أن يرينيها تتألم هنا بين سمعى وبصرى . . فما يدرينى اذا ظللت وقتها متمالكا نفسى ؟ . . .

شنسيريل - إذاً لا تستقبلها

جاستون - وان كانت قد صممت حقيقة على الانتحار . . . (فزعا) أوه ! عندها يلازمنى تقريع ضميرى مدى الحياة !

شنسيريل - إذاً استقبلها وعجل فالوقت يمر (يخف جاستون الى باقة الورود لكن ما إن يتناولها حتى يسمع نقرا خفيفا على الباب ثم تدخل مرجريت فجأة متبوعة بفرنسيس).

المشهد السادس

مرجريت - معذرة أيها السادة أرجوكم . . . نسيت قفازى ! يالى من طائشة ! يا عزيزى جاستون أخشى أن تكون فى نفسك فكرة سيئة عن امرأتك المقبلة ! (تنظر يمنة ويسرة وفجاة وقد وجدت ما تبحث عنه) ها هو ! (تلاحظ مظهر القلق البادى على جاستون) أوه ! جاستون — ما بك ؟ أراك تخفى عنى شجناما .

شنسيريل - هذه المرة انسحب . تسمحين يا آنسة ؟

مرجريت - تفضل يا سيدى

جاستون (لشانسيريل وقد أوشك على الخروج) إيها الخائن اتتخلى عنى وانا فى أشد المواقف حاجة اليك ؟

شنسيريل — ياصديقى سوف أعود (يخرج)

مرجريت — والآن .. حدثنى لا تنكر . أراك فى حالة اضطراب شديد ومن غير المعقول ان يكون وجودى هو الذى يصعب عليك الى هذا الحد

جاستون — اوه !

مرجريت — (ملحة) خبرنى انى أكاد اكون زوجك .. ان كنت تعانى الماً أو تقوم فى نفسك رهبة مرتقبة فلى الحق ان اطالبك بنصيبى

جاستون (متأثرا) مرجريت !

مرجريت — يخيل لى ان شيئا تبدل فى عينيك وفى قلبك

جاستون — فضلت أنك لم تجيئنى اليوم !

مرجريت — اذا لأدعك لنفسك

جاستون (فى لهفة) تحسنين صنعاً

مرجريت — الا . تقتضينى اكثر من ذلك، لتستعيد صفاء نفسك لا تكذبنى الحقيقة . جاستون . عهدى بك أجهر صراحة واخلص نية (لا يجيب) صدقنى . تشرف حبنا لو انك تفضى الى بما يعذب قلبك

جاستون — انت على حق .. لكن يساورنى وسواس أسود اذ أعتزم ان افتح بين يديك مغاليق روحى الحائر . مع ذلك اقسم لك انى ما تصورت يوما موقفا مثل هذا ممكنا وان تزاحم الظروف او تجرى ... دافعة بى الى موقف التردد بين واجبين

مرجريت — واجبين ؟ ماذا تعنى يا صديقى ؟

جاستون — لا تحمليني على أكثر مما قلت .

مرجريت — قلت أكثر مما يجب كى لا اتم .. ان القلق الذى يساورك خف الى قلبى وليس من مصلحة مستقبلنا أن تدعنى أتخبط فيه . تكلم !

جاستون — (بعد أن يلقى نظرة محمومة الى الساعة يخرج من جيبه الخطاب ويدفعه اليها بعد تردد قصير) إذن ، اقرأى !

مرجريت — (تقرأ مرتعشة وقد تهالك جاستون على مقعد ثم تقول فى صوت أبح) هذا هو السر !

جاستون — (متأثرا) عفواً (تكاد مرجريت تهوى اعياء فيحاول ان يسندها) مرجريت

مرجريت — (تدفعه عنها فى رفق) لم يصبنى أذى .. أرجو العفو .. لكنى احس ألما ممضاً ...

جاستون — ! مرجريت أخطأت اذ بحت لك ...

مرجريت — (مقاطعة) بالمرة ، جاستون .. لى سؤال واحد: هذه الانسانة ، مدموازيل ... (تعود الى الخطاب) جانين هل هى جديرة حقاً بال ... بالاهتمام الذى حملته لها مدى عامين ؟

جاستون — نعم يا مرجريت

مرجريت — آه ! (تندفع الى باقة الورد وتضعها على منضدة امام النافذة .)

جاستون — (فى لهفة) ماذا تصنعين ؟

مرجريت — اعطى الاشارة

جاستون — كيف ؟ تجيزين لى استقبالها ؟

مرجريت — أنت ؟ لا .. بل استقبلها انا

جاستون — انت ؟ لكن هذا محال ..

مرجريت — لم ؟ أتخشى على حياتى ؟

جاستون — كلا ، اخاف عليك مما ينتظرك من عميق التأثرات ..

مرجريت — أعنف التأثرات شعرت بها وانا اقرأ هذا .. (تشير الى الخطاب) والآن دعنى أعمل ما يتراءى لى

جاستون — لكن ..

مرجريت — لا تعاند (يسمع رنين الجرس ويدخل فرنسيس على الأثر) أدخل السيدة ، فرنسيس (يدهش الخادم لكنه ينحنى ويختفى) آن مقاديرنا الساعة فى كفتى ميزان . صدقنى جاستون . يجب أن أواجه الآن هذه الفتاة .. أحس حاجة ملحة فى أن استوضح أشياء .. دعنا أرجوك، سوف أدعوك فى الوقت المناسب

جاستون — (يحاول اقناعها وهى تقوده الى الباب) مرجريت .. لا احتمل أن أتصورك أنت خطيبتى .. زوجتى ..

مرجريت — خطيبتك نعم ! .. اما زوجتك ، فلم أصرها بعد . ينسحب جاستون منهزماً (تبقى مرجريت وحيدة فريسة اضطراب بالغ وقد لفت وجهها تجاه البـــاب متكئة بيد الى المكتب)

المشهد السابع

مرجريت — جانين

جانين — (تدخل مندفعة) آه ! عفواً . مدام .. أبحث عن جاستون (مستدركة) لكن ... من أنت ؟ آه ! ... حزرت من تكونين ! ... ووجدت من نفسك الشجاعة على اقتحام باب عشيق ؟ ! (تندفع نحو الباب فتهزه فى عنف جنونى)

مرجريت — (صارخة) ابق ! . . (تلتفت جانين اليها ، دهشة فتقول لها فى لهجة أرق) أتوسل اليك ! . . .

جانين ـ (دهشة) تتوسلين الى ؟

مرجريت ـ نعم ، ان دعى الحال . . . لأستبقيك .

جانين ـ والداعى ؟

مرجريت ـ لأعلم اذا كان الخطاب الذى وجهته الى . . . المسيو دى كيرولون . .

جانين ـ (ثائرة) واطلعك عليه ؟ . . .

مرجريت ـ لم يطلعنى عليه بدافع عاطفة الزهو التى تتصورين .

جانين ـ قبل ان نخوض غمار هذا الحديث الشاذ ، خبرينى .. ماذا تصنعين فى هذا البيت ، أنت يامن ليس مكانك هنا ؟

مرجريت ـ اتعرفيننى ؟

جانين ـ حدثنى عنك بما فيه الكفاية !

مرجريت — الى هذا الحد ؟

جانين — لقد تابعت خيالك الممقوت فى نظراته الشاردة ، فى فترات صمته الحالم بل وفى كل همسة وحركة .... آه الكم عذب قلبى وأضناه (تلتفت حواليها) الهذا السبب بات الآن يخشى مقابلتى ؟

مرجريت — تخطئين ، مدموازيل . . لك ان تقابليه ان رغبت... على انى شئت قبلها ان أحادثك وبما ان الصدف الاليمة تسوق بين يدى هذه الفرصة السانحة

جانين — لا أطمع فى شفقتك ، مدموازيل !

مرجريت — وانا لا أسمح لنفسى بها .. ولكن الا يمكننى ان أحاول تهوين وقع ...

جانين — مصابى ؟ وكيف ؟ أتعتقد أن لا يكون ذلك بتقديم .. ما فى مكنة الوارثات السريات أمثالك ان تقدميه من مال ... ما أهون الثمن !

مرجريت ـ أسفاه

جانين ـ لا تشتكى ، فلولا مهرك لما فزت بالزواج من جاستون

مرجريت ـ هل ألقى جاستون فى روعك انه يقترن بى طمعا فى ثروتى ؟

جانين ـ (هازة كتفيها) لو أنه صارحنى بذلك لما صدقته . .

مرجريت ـ إذن ؟ . . . آه ! . . فهمت ما يجول بخاطرك وهو اسمى مما نطقت به ؛ تتصورين ان مالى سيساعد بلاستول فى جهوده المقبلة ، لكنك تتناسين ، انه فى مقابل ذلك يحمل إلى كنزاً لا يقوم بثمن من التقاليد المجيدة والافكار المبتكرة التى تفوق فى قيمتها جميع أموال العالمين . واتفقت معى من برهة على أن جاستون يشعر نحوى ببعض العطف وأنا ، من جهتى ... لا لا . عفواً :

جانين ـ . . . أنت تحبينه ، حزرت ذلك

مرجريت ـ إذن . . ألا تجدين ارتباطنا طبيعيا ؟

جانين ـ لو اننى أملك ثروتك لفكرت مثلك ، على أنك محقة فى النهاية ، خذى إذن جاستون ؛ أمضى به وثقى انه أسعد منك حظا : سوف تكونين ملكا له بكليتك . اما هو فلن ينالك منه أكثر مما تركت لك من فضلات . .

مرجريت ـ لم توجهين الى هذه العبارات القاسية ؟

جانين ـ اننى أحمل فى قلبى سنتين من أجمل سنى شبابه بما فيهما من فتوة حارة . . . ونشوة فياضة . . .

مرجريت ـ أوه ! اصمتى !

جانين ـ (متهالكة على المقعد) أضحى الحزن يعمينى حتى ليدفع بى الى الشر والأذى

مرجريت — مدموازيل ...

جانين ـ دعينى وشأنى .

مرجريت ـ جانين ، هل لك أن تجيبينى على سؤال أخير بجمع تذكاراتك الحية ، بجمع قلبك المعذب فى صراحة تامة ؟

جانين ـ وهل أملك من الجهد ما اجيبك به على سؤالك ؟

مرجريت ـ قد يبدل ردك حظوظنا نحن الثلاثة . أتفهمين ؟ اذن أجيبى . هل وعدك جاستون يوما ما .. بالزواج ؟

جانين ـ وعدنى بالزواج ؟ .. كلا لم يعدنى بشىء !

مرجريت ـ (تتنفس) و . . . سامحينى ان كنت ألح ، لكنى فى اشد الحاجة الى استيضاح الحقيقة كاملة . . الم يحاول جاستون ان يعللك بيوم مقبل تصبحين فيه زوجته دون ان يقطع على نفسه عهداً صريحا بالزواج ؟ أقسم لك بأعز من أحب لو أنه بذر فى قلبك مثل هذه الفكرة لأكونن على استعداد تام للابتعاد عنه الى الابد دون امل فى الرجوع .. (ترفع جانين رأسها فى بطء وتطيل النظر لحظة الى مرجريت ثم تطرق من جديد) لم لا تجيبين ؟

جانين ـ وما الفائدة ؟ .. الا تحسين انى ماعدت آمل شيئا ؟

كلا لم أحب جاستون إلا حبا خالصا لا يداخله وعد ولا أمل .. أني لم أكن أجسر على المجيء الى هنا إلا عندما كنت ألمح من الشارع قرب النافذة هذه الباقة من الورود الحمراء .. فهل كان في مكنتي أن أحلم بمشاركته يوما في حياته النبيلة ، أن أحيا بقرب هذه المجموعة من الاسلحة الاثرية .. امام هذه الصور العائلية التي يطالعني منها الاشراف والقواد العظام ، أنا ابنة الشعب البائسة ؟ صدقيني يامدموازيل ، مثل هذا الحلم الباهر لم يقم بخاطري .. على أني لا أملك نفسي عن الشعور بأن كل شيء قد انتهى .. (تبكي)

مرجريت — (في تأثر بالغ) وهل انا التي أهجت في قلبك هذا الألم المبرح ؟ .. آه عفوا ! ياصغيرتي جانين

جانين — ليس في مقدورنا الآن أن نبدل شيئاً !

مرجريت — من يدري ؟

جانين — لو أنك شئت اعادة جاستون الى لما استطعت .. لن يعود بعد اليوم ... انتهى ... على اني أفضل الآن وقد عرفتك ان تكوني انت التي تمضين به لا امرأة أخرى .. لكن عفوا ! .. عيوني ما زالت تغص بالدموع ... مدموازيل ! اغفري لي أقوالي الطائشة التي فهت بها منذ لحظة ... كنت مجنونة ... لم أك أتوقع رؤيتك هنا ... أسأت اليك ، فعفوا ! ... والآن ، وداعا !

مرجريت — ألا تفضلين رؤيته قبل الرحيل ؟

جانين — (بسرعة) كلا .

مرجريت — اذن ، قبيل أن نفترق ، ياجانين ، عديني بأن ماورد في خطابك قد تبخر .. أتسمحين لي أن تكوني جد شجاعة ؟ (تنبير جانين) مهما تصورتني بعيدة عنك فثقي أن لك في صديقة حنينة ...

جانين — الوداع يامدموازيل (تجيل بصرها في انحاء الحجرة) أبحث عن تذكار ... هذه الورود ... (تنزع الزهور في لهفة من الآنية) أنها ملكي هذه الورود ! كل ما أملك من متاع العالم ! (في يأس دامع) على أن الزمن العاتي سيذويها عن قريب ! (تضم باقة الورد الى قلبها وتختفي) (تتابعها مرجريت في نظرة ألمية ثم تسقط باكية على مقعد امام المكتب)

المشهد الثامن

مرجريت — جاستون

جاستون — (مقبلا) أأنت وحدك ؟

مرجريت — (ترفع رأسها دون ان تنظر اليه) فضلت الاتراك ، على انها وعدتني ألا تستسلم الى اليأس

جاستون — مرجريت !

مرجريت — بالصغيرة المسكينة ! لن تبرح خاطري صورتها وهي تمضي الى حال سبيلها ، وحيدة ، باكية وقد ضمت الى صدرها تلك الباقة من الورود الحمراء .. التي تشبه قلبها الدامي .

جاستون — مرجريت ! كأني بك لم تعودي تحبينني . أتجدينني مذنباً

مرجريت — لا ياجاستون . اني لا أتهمك . لقد دفعت عنك جانين لم تكن تلك خطيئتك ، بل الخطيئة المقادير ، خطيئة الحياة ، الحياة التي تجعلنا بالرغم منا قناة الى هذا الحد

ينزل الستار

وجه صالح للسينما

للكاتبة الالمانية فيكى بوم مؤلفة الفندق الكبير

(تتمة)

وفى صباح أحد الايام التقى بها رناتس ثوربج وهى صاعدة الى غرفة الملابس فى الاستوديو لتأخذ الشال الذى تضعه على كتفيها اثناء التمثيل. وسألها قائلا: صباح الخير. يادريجالسكى. كيف حالك؟

— بخير ياسيدى ونظر اليها ثوربج مليا ثم قال:

— بخير نعم. أراك تحسنت كثيرا...

وكأن فى صوته مايدل على عدم رضاه لانها بخير... وفكرت دريجالسكى فيما تحمله قلوب الناس من حقد وحسد!

وعندعودتها اشترت زهورا وآنية جديدة للزهور. واشترت طعاما تحمله الى ولدها فى المصحة اذ كانت تزورة كل احد. وكان سعيدا فى تلك المصحة مسرورا بتلك العصى الحمراء والزرقاء التى كانوا يقدمونها له هناك ليلهو بها.

كانت دريجالسكى تبتسم كلما فكرت فى ولدها. وهاهى تفكر فيه وتبتسم وتنظر الى خيالها فى المرآة — وكانت قد اشترت مرآة — وابتسمت ايضا وقد اطمأنت الى شكلها فى مرآتها الجديدة.

وكانت اعدت طعاما فاخرا لهر بوش، واشترت دهانا لشعرها وزينت رأسها، واشترت غطاء جديدا للمائدة التى كانت تتناول عليها وهر بوش القهوة، وقد بدأ هر بوش يفكر فيها وفى أنها تصلح قرينة له.

* * *

جاء شهر اكتوبر، ولاول مرة احست دريجالسكى ان القوم فى الاستوديو غير راضين عنها. وكان ماطلبوه منها سهلا بسيطا. اذ كان عليها أن تعبر شارعا ثم تقف قليلا تحت المصباح وتسعل ثم تمضى فى طريقها فى بطء... ولكنها اخطأت فى كل حركة قامت بها، وقد استقام ظهرها وزال الانحناء الذي كان يزيدها ضعفا، وجفت عيناها، وقد تعودتا النظر الى الضوء الساطع واعاد المخرج المنظر ثلاث مرات، ولكنها لم تفلح فطردها وعادت الى بيتها

وفى المرة الثانية جاءت فى ثوبها الابيض ومعطفها الازرق الجديد، فتلقوها بشىء كثير من العنف وقدموا لها ملابس بالية ولكنها لم تظهر فى صورتها الحقيقية الاولى، وأمرت فى قسوة وحدة ان تحضر دائما مرتدية تلك الاسمال البالية التى جاءت بها الاستوديو لاول مرة، ولكنها لم تدرك قط ماير يده اولئك الناس وقد اصبحت الآن تخجل من لباسها القديم، ولماذا يسمح لغيرها من النساء ان يظهرن فى أثواب جميلة، ويأبون عليها الا ان تظل فى مظهرها التعس؟

ومر شهر نوفمبر ولم تدع للعمل الا قليلا، وكانت تصور فى يوم من أيام ديسمبر بين جمع من الناس فى رواية «الاشقياء» ولم تدرك أن هر فيلب المخرج كان يشير اليها حين كان يصيح بعماله لماذا تركتم هذه المرأة من غير تزيين وجهها؟ ماهذا الاهمال؟ ومد أحدهم يده وجرها من ذراعها الى غرف التزيين وقام العامل بطلاء وجهها وتصوير التجاعيد عليه، تجاعيد الفقر والجوع التى فقدتها من شهور مضت.

وجاء فيليب الى غرفة ثوربج فوجد امرأة تبكى بكاء مرا وسأل ما الخبر، فاجابه ثوربج

— هذه دريجالسكى جاءت تشكو لاننا لم نستدعها من عهد بعيد، فاجابت وهى تنتحب

— كنت اقول. انه ليس من العدل الا ادعى الى العمل وقد اصبح فى وسعى الآن ان احضر فى ثياب لائقة، ويخيل الىّ انكم ترونها جريمة من عاملة مثلى ان تأكل وتتغذى، أنى استطيع بتلك الدهانات التى يصبغ بها الوجه ان اسدى لكم ماتريدون. ولا احسبكم تريدون منى ان اظل جائعة فى اسمالى البالية، فكل مافى الافلام غير حقيقى، وقد رفضتم عودتى الى العمل لا لسبب الا لأن غذائى قد تحسن. فاجابها فيليب فى حدة وغضب:

— لا، ياسيدتى فانت مخطئة، اننا نريد فى الافلام شيئا أكثر من التمثيل نريد حياة، الحياة الحقيقية. واذا كنت تريدين لنفسك عيشة راضية فلا شان لنا بك.

قال ذلك وسكت وترك الغرفة، ثم قال ثوربج وهو يفكر:

— نعم، انه على حق يادريجالسكى، ان الفن شاق وقاس، عودى الى حياتك الاولى، انهكى قواك فى العمل، لا تفرى من الشقاء، اقضى الليالى ساهرة، واعيدى اليك ولدك، وعندئذ ندعوك ثانية، هل فهمت الآن؟

لا، لم تفهم دريجالسكى قط، وخرجت من الغرفة وكأنما انحنى ظهرها قليلا مرة أخرى، خرجت وقد استحال عليها أن تفهم شيئا وكانت تسائل نفسها: علام كل هذا؟ أيدفعون نقودا لكى اظل جائعة؟ فاذا كسبت من النقود مايكفى لاحسن طعامى طلبوا الى ان اعود الى الجوع، واذا وجدت من الغذاء مايكفينى طردونى من العمل! سأحدث بوش عن هذا كله. ربما كان خيرا لى ان أعود الى عملى، غسيل الملابس، يخيل لى انهم هنا فى الاستوديو كلهم مجانين

محمود عزى



ابن خلدون وتراثه الفكرى

تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان

أصدر الاستاذ المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان كتابه القيم (ابن خلدون، حياته وتراثه الفكرى) فأدى به واجبا طالت بنا الأيام ونحن عاجزون عن أدائه . ولئن كان أهل الأدب ورجال العلم والتاريخ قد قابلوا هذا الكتاب بما يليق به من الترحيب والتقدير لما رأوا فيه من ترجمة وافية لحياة العالم المؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون الذى شهد له كبار رجال الغرب بالعبقرية وقدروه حق قدره، واعترفوا بأنه واضع أصول علم الاجتماع وفلسفة التاريخ، فانى قد قابلت هذا الكتاب النفيس لا بما قابله به الناس فحسب، وانما قابلته كذلك بفرح وغبطة، ذلك بأنه قد حقق أمنية لى طالما تمنيتها وناديت بها على صفحات الصحف وهى أن يعمل على احياء ذكرى مؤرخنا الفيلسوف العظيم حتى يعلم المسلمون خاصة والشرقيون عامة مقدار علو مقامه، وليقفوا على مدى ما يسمو عليه فيجعلوه مفخرة لهم وينتفعوا بعد ذلك بتراثه الفكرى العظيم .

واذا كان الاستاذ الكبير محمد عبد الله عنان قد أرضى العلم والتاريخ بترجمة حياة عالمنا ومؤرخنا الفيلسوف بعد ان كان لا يعرف من حياته الا نزر يسير لا يحفظه الا القليلون، وأطلع جيلنا على عظمة هذا الرجل ومبلغ أثره الفكرى، وكشف عن فضله على العلم والتاريخ والأدب، فانه قد بقى أمر ذو خطر لم يسع حضرة المؤلف نفسه الا أن يتحدث عنه ويشيد به، ذلك هو مقدمة تاريخ ابن خلدون، تلك المقدمة التى حملت تاج عبقريته وكانت سبب عظمته التى بهرت علماء الغرب جميعا وجعلتهم يشهدون له بالنبوغ والألمعية، فان طلاب الأدب والعلم الذين ناشدهم الاستاذ عنان أن يعكفوا على دراستها والانتفاع بها لا يجدون بين أيديهم نسخة صحيحة منها يرجعون اليها، ذلك بأن كل ما طبع منها قد مسه التحريف، وناله التصحيف، وقد ذكر لنا الاستاذ احمد زكى باشا انه لما استيقن من وجود المسخ والتحريف والتصحيف فيما طبع من هذه المقدمة ظل يسعى حتى أسعده التوفيق بالعثور على نسخة خطية من هذه المقدمة مصححة بقلم ابن خلدون نفسه، وعلى أنه قد انفق فى سبيل نقل هذا الأثر النفيس نحو ثمانين جنيها فانه يأسف جد الاسف ان لم يجد أحدا من رجال العلم أو من أصحاب المطابع قد سعى فى طبعها ونشرها، ولا يزال هذا الكنز مدفونا بالخزانة الزكية .

فاذا كان الاستاذ الكبير محمد عبد الله عنان قد قام بهذا الفرض الكفائى فأرخ حياة ابن خلدون، فانه لا يزال عليه فرض آخر لا يتم الفرض الأول الا به، ذلك أن يعمل على طبع نسخة صحيحة من مقدمة ابن خلدون فيحظى بالحسنيين ويتم بذلك عمله الخالد، وحبذا لو تولت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع هذه المقدمة ووقف على تصحيحها مع الاستاذ عنان الاستاذان الجليلان أحمد أمين وأحمد حسن الزيات فيؤدوا بذلك أجل عمل للأدب والعلم والتاريخ

انى أناشد حضرات الاساتذة الاجلاء عنان وأمين والزيات بحق العلم الذى يعملون له مخلصين أن يجعلوا من عملهم للعلم طبع مقدمة ابن خلدون ولتجعلها لجنة التأليف والترجمة والنشر من حسناتها فى (نشر) الكتب القيمة والأسفار النافعة ؟

المنصورة — محمد أبو ريه

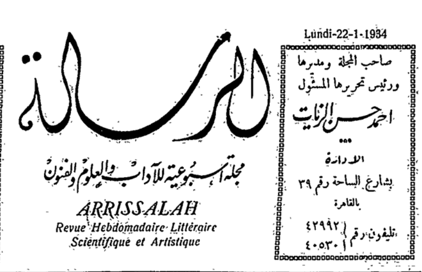
2 me Année, No. 29

Lundi-22-1-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الاقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العدد التاسع والعشرون — القاهرة في يوم الاثنين ٦ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٢ يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العــــدد

من أحاديث العيد ...

للدكتور طه حسين

ابتسم الصبح فابتسمت معه الثغور ، وأشرقت الشمس فأشرقت معها الوجوه ، وغنت الطير فتغنت معها نفوس بالآمال والأماني وبالاهواء والميول ، وتغنت معها نفوس اخرى بالأحزان اللاذعة ، والآلام الممضة ، والعواطف التي تفطر القلوب وتسفح الدموع . واندفع قوم الى السرور العريض ، واندفع قوم آخرون الى الحزن العميق ، وتردد قوم بين هذا وذاك يأخذون من كليهما بحظ معتدل ، ويؤلفون لانفسهم منهما مزاجا لا هو بالمشرق المبتهج ، ولا هو بالمظلم القاتم ، وانما هو شيء بين ذاك ، فيه مكان للذة والأمل ، وفيه مكان للالم والذكرى . واضطرب الناس أيام العيد بين دور الاحياء ودور الموتى ، يتحدثون الى أولئك ويفكرون في هؤلاء .

وكثير من حديث الناس الى الاحياء ، وكثير من حديثهم عن الموتى ، خليق أن يسجل ويتخذ موضوعا لألوان مختلفة من الادب والفن . ولكن هذه الاحاديث تقبل مع أيام العيد ، وتذهب معها كأنها لم تكن . تترك آثارها في نفوس النـاس ولكنها لا تترك آثارها فيما ينشئون ويكتبون . لأنهم لا ينشئون ولا يكتبون ، ولأنهم ان أنشأوا أو كتبوا فقلما يقفون عند ما يشعرون أو يجدون ، انما يلتمسون موضوعاتهم في السماء حينا ، وفي السحاب حينا ، وبعيدا

عن حياتهم إثما. فإن مسوا حياتهم فهم لا يمسون إلا ظاهراً منها، وهم يمسونه في رفق أقرب الى الجدب الموئس منه الى الخصب الذى يحيي النفوس ويغذو القلوب.

اما انا فقد كنت اتحدث الى نفسي والى أصدقائي في أيام العيد احاديث مختلفة، منها الباسم ومنها العابس، فيها الجد وفيها الهزل. ولكني كنت احتفظ لنفسي باشد هذه الاحاديث مرارة ولذعا. لأني أعلم ان الناس يكرهون في أيام العيد وفي غير ايام العيد مرارة الحزن ولذع الألم. وأشهد لقد استقبلت يوم العيد بحزن عميق لأني استعرضت صوراً تعودت ان استعرضها كلما اقبلت الاعياد، وفكرت فيمن ازوره ويزورني، وفيمن اسعى اليه ويسعى الى، فاذا كثير من هذه الصور قد محى من صفحة الحياة، ولم يبق له الا رسم في صفحة القلب، قوى عند قوم، ضعيف ضئيل عند قوم آخرين. محيت هذه الصور من صفحة الحياة فلن اسعى الى أصحابها، ولن يسعى اصحابها الى، إما لأن أصحابها قد نقلوا من هذه الدار التي نضطرب فيها بالألم والأمل الى دار اخرى، لا تعرف الحركة ولا الاضطراب، وإما لأن اصحابها ما يزالون يضطربون معنا في هذه الدار، ولكن ظروف الحياة واسباب العيش قد نقلت اهواءهم عنا الى قوم آخرين ليسوا منا ولسنا منهم الآن في شيء. لقد كنت أبدأ زيارات العيد بهؤلاء النفر من الأصدقاء الأعزاء أكون معهم ليلة العيد، فاذا تنفس الصبح فكرت فيهم، واذا ارتفع الضحى سعيت إليهم، فلقيتهم وكأننا لم نلتق منذ دهر طويل، وقضيت معهم ساعة قصيرة ضيقة لم أفرغ لهم فيها، ولم يفرغوا الي لكثرة المقبلين والمنصرفين، ولكنها على ذلك ساعة عريضة خصبة لكثرة ما فيها من هذا الود الذى ينتقل الى قلبك مريحاً عذباً لا لشيء الا لأن اليد صافحت اليد، ولأن التحية الهادئة البريئة من التكلف قد مست الاذن فملأت النفس حياة وغبطة وسروراً. فاذا قضيت مع هؤلاء الأصدقاء هذه اللحظة القصيرة الخصبة خرجت من عندهم وقد ادخرت من الغبطة والسعادة ما يعينني على احتمال اثقال العيد. فذهبت الى دار عدلى ثم الى دار ثروت ثم الى دار فلان وفلان .. وقد اخذت الايام تتخطف هؤلاء الناس واحداً واحداً حتى لقد زرت هؤلاء الاصدقاء فقضيت معهم ما قضيت من الوقت، ثم خرجت فاذا انا انصرف الى كوكب الشرق لا الى دار عدلى ولا الى دار ثروت ولا الى دار فلان وفلان من اولئك الذين كنت احب ان اسعى اليهم واغتبط حين يسعون الى او حين يرسلون الى تحياتهم مع البريد. وكنت لا اكاد اتهيأ للخروج يوم العيد حتى ينبئني المنبئون بأن فلانا وفلانا وفلانا من الاصدقاء قد اقبلوا وهم ينتظرون، منهم من يريد ان يبدأ العيد بلقائي لأن لقائي كان احب شيء اليه يوم العيد، ومنهم من يريد ان يهنئني في زيارات العيد لأنه يجد في هذه الصحبة لذة ويسرا. فاما الآن فأني أنبأ بأن قوما آخرين قد اقبلوا وبأنهم ينتظرون. أما أولئك الذين كانوا يقبلون وينتظرون فقد انقطع اقبالهم وانقطع انتظارهم الى حين، لانهم يخشون الاحداث ويخافون الظروف ويشفقون من الجواسيس ويربأون بأنفسهم عن غضب السلطان.. هم احياء ولكن ظروف الحياة قد قطعت ما بينهم وبيني من الاسباب: كما ان ظروف الموت قد قطعت ما بين الموتى وبيني من الاسباب. ولم تكن ايام العيد تنقضي حتى ازور دارا من الدور في ناحية من نواحي القاهرة فالقى فيها ابتسام الزهرة النضرة، والشباب الغض، والحياة التي تبتسم للحياة. وقد انقضت ايام هذا العيد فلم ازر هذه الدار لأنها محزونة لا تحتفل بالعيد، ولأن زهرتها النضرة قد اجتثت منها اجتثاثاً، وانتزعت منها انتزاعاً، وحملتها الريح الى حيث لا ينضر الزهر ولا تبتسم الحياة للحياة. لم أزر هذه الدار ولم انعم بتلك الابتسامة ولم اسمع ذلك الحديث، ولكن الله يشهد انى قضيت ايام العيد كلها، ويظهر انى سأقضي اياما طويلة اخرى وان صوتا من الاصوات سيتردد في نفسى جافا خشنا متعثرا موئسا كما تتردد النغمة من الانغام في القطعة الطويلة من الموسيقى، وتسألني عن هذا الصوت الذى تردد في نفسى منذ اشهر وسيتردد فيها اشهرا واشهرا واعواما، فهو صوت ذلك النعش حين خرج الحاملون به من الصلاة في مسجد من مساجد القاهرة وهم يعالجون اثباته على سيارة من سيارات الموتى وهو يأبى عليهم بعض الاباء ثم يطيعهم ويستسلم لهم، واذا خشخشة جافة كاقفال الباب، واذا النعش قد استقر، واذا ازيز ضئيل نحيل يرتفع في الميدان ثم يتسع ويضخم، واذا السيارة تنطلق كأنها السهم الى ذلك المكان الذى لا يعود منه من استقر فيه. واذا نحن نتبعها كاسفين ونعود كاسفين، واذا الحياة تتصل بنا وتضطرب خطوبها حولنا، وتصرفنا عن انفسنا وعن الناس، ولكن ذلك الصوت الجاف الخشن المتعثر يعود الى من حين الى حين فيذكرني بذلك

(البقية على صفحة ٤٢)

لحظات التجلى

للاستاذ احمد امين

لكل انسان ـ وخاصة العقليين والروحانيين ـ لحظات تضىء فيها نفوسهم، حتى كأنها المرآة الصافية، أو الشعلة الملتهبة، كل جانب فيها مضىء، وكل العالم منعكس عليها، يراه فيها كما يرى السماء فى الماء

يحس بهذا الاديب، فتراه حينا وقد غزرت معانيه وتدفقت عليه من كل جانب، حتى ليحار فى الاختيار، ماذا يأخذ وماذا يذر، وبم يفضل بعضها على بعض، وحتى كأنه يغترف من بحر، أو يملى عن حفظ، ويصدر عنه اذ ذاك القول السلس والمعانى الغزيرة، والشعر المتدفق، هذه اللحظات عنده هى « لحظات التجلى »، وتأتى عليه أوقات وقد جمدت قريحته، وأجدب فكره، يعانى فى البحث ما يعانى، ثم لا يأتى الا بجماة وقليل ماء، ويصعب عليه القول كأنه يمتح من بئر، أو يستنبط من صخر، وقد عبر الفرزدق عن هذا المعنى فقال « أنا أشعر تميم، وربما أتت على ساعة ونزع ضرس أسهل على من قول بيت » وتناجه فى مثل هذه اللحظات بارد جاف، لا يستسيغه الذوق، ولا تألفه الروح، اشبه شىء بقطع الجلاميد، وبأجدال الحطب

ويحس بهذا الفيلسوف، فيشعر بلحظات تنكشف فيها حقيقة هذا العالم، فيراها ويستلذها، ويود ان تدوم، بل يود أن تعاوده الفينة بعد الفينة، ويتمنى ان يشترى عودتها بكل ما ملك، وينفق فى ساعة منها كل متع الحياة الدنيا، يشعر فى هذه اللحظات بذكاء فى الفهم، وصفاء فى النفس، ولطافة فى الحس، تكفيه فى فهم هذا العالم الاشارة، وتجزئه الايماءة، يستشف العالم من وراء مظهره، ويلمحه من رموزه، ويشعر اذ ذاك بسمو فى العقل، ورقى فى الروح، لا يعدل لذتهما شىء فى الحياة

ثم تذهب عنه لحظات التجلى على الرغم منه، فاذا به فى بعض أوقاته مظلم الحس، متخلف الذهن، بليد البصيرة، لا يتنبه للحن، ولا يفطن لمغزى، تستعجم عليه المدارك الظاهرة، وتخفى عليه الاشباح الماثلة. وتختلف لحظات التجلى عند الفلاسفة والصوفية كثرة وقلة، كما يختلف مدى التجلى بعداً وقربا، حتى ليحكى عن افلوطين، الفيلسوف الروحانى المشهور أنه حظى بهذه اللحظات بضع مرات فى حياته، وحظى بها تلميذه « فورفوريوس » مرة واحدة

وتعرض للفنان فيلهم معنى يصوره بريشته أو يوقع به على قيثارته، فثمّ الابداع والجمال الرائع، والحسن البارع، ذاك يملأ العين حسنا بصورته، وهذا يملأ السمع والقلب عذوبة بنغمته، ثم تأتى على هذا وذاك أوقات ينضب فيها معينهما، ويفتر عنهما وحيهما

وترى العلماء من رياضى وطبيعى وكيماوى، يرزق أحدهم الحظوة بلحظة من هذه اللحظات، يلهم فيها فكرة يكون من ورائها مخترع عجيب، أو استكشاف خطير، عرض له أثناء بحثه، وقد لا تكون هناك علاقة ما بين ما يبحث فيه وبين ما ألهمه، بل قد لا تكون هناك مقدمات منطقية مماثلة لما ألهم، ويقف العلم حائراً لا يستطيع أن يعلل كيف نشأت فى ذهن هذه العالم تلك الفكرة، وكيف فطن لها، بل يحار المستكشف نفسه كيف عرضت له وكيف ألهم بها

وبعد، فهل يمكن أن نضع قوانين لهذه اللحظات، وهل هناك عوامل معروفة اذا استوفيت أمكننا اقتناؤها والحظوة بها؟ وهل يمكن أن نجمع هذه الشروط فى زر كهربائى أو زر روحانى نفتحه فتنفتح علينا لحظات التجلى إن شئنا ؟

لو استطعنا هذا لتضاعف الانتاج الادبى والعلمى فى هذا العالم أضعافا مضاعفة، ولسهل على الاديب أن يستوفى الشروط فما هو الا أن يمسك بقلمه فيغزر ماؤه، ويسيل أتيه، وتنثال عليه الألفاظ والمعانى انثيالا

لقد حاولوا من قديم أن يستكشفوا قوانين « التجلى » فقالوا ان مما يعين عليه جودة الغذاء ، وفراغ البال من هموم الحياة ، وصحة البدن ، وطمأنينة النفس ، واستعانوا على نيل لحظات التجلي بمختلف الألوان ، فقد قيل لكثير عزة يا أبا صخر ، كيف تصنع اذا عسر عليك قول الشعر ؟ قال أطوف فى الرباع المخلية ، والرياض المعشبة ، فيسهل على أرصنه ، ويسرع الى أحسنه ، وقال الاحوص

وأشرفت فى نشز من الارض يافع
وقد تشعف الايفاع من كان مقصدا (١)

ولجأ الأدباء من قديم الى الأزهار والرياض ، والمياه الجارية والمناظر الجميلة ، كما لجأ بعضهم الى الخمر يستلهمها ويستوحيها ، وتكاد تكون لكل أديب عادة يرى أنها علة غزارته ، ونبع تاج إنتاجه ، وأنه يستنزل بها بعض من الافكار ، ويستسمح بها الآبى من المعانى ، ولكن هل نجحت كل هذه المحاولات فى استكشاف قوانين التجلى .. ؟ أظن أن نظرة بسيطة تكفى للقول بأنها لم تنجح ، فقد تستوفى كل الشروط التى قالوها ، فالصحة فى أجود حالاتها ، والغذاء خير غذاء ، والكاتب أو الشاعر مطمئن النفس ، هادىء البال ، بين الرياض المزهرة ، والمياه الجارية ، والوجوه الناضرة ، وهو مع هذا أجدب ما يكون قريحة ، وأنضب ما يكون معينا ، ثم هو يكون على العكس من ذلك كله فيواتيه شيطانه ، وتتزاحم فى صدره المعانى ، وتتبارى على قلمه الآراء والافكار والالفاظ

ثم هذا أديب أو شاعر يجود قوله وتتجلى نفسه ، فى الاماكن الخالية والسكون العميق ، وذاك لا يتأتى له هذا الموقف إلا فى الاوساط الصاخبة والحركة المائجة . وأديب لا ينتج الا اذا امتلأ جيبه واطمأنت نفسه لحاجات الحياة ، على حين أن الآخر لا يجيد الا اذا فرغ وطابه . وعضه الفقر بنابه ، وتكاثرت عليه الهموم .

فأين قوانين التجلى اذا كان يحدث فى البيئة وضدها ، والظروف وعكسها ؟ قد تكون كل المظاهر وكل ما يحيط بالنفس يؤذن بحال انقباض وجمود ، واذا النفس مع ذلك فياضة جياشة متجلية ، وقد تكون المظاهر كلها تدل على نفس متفتحة للعمل ، مليئة بالفكر فاذا هى مجدبة متقبضة ، وترى الآراء القيمة والمعانى السامية قد تنبع من بيئة قاتمة .. ونفس مظلمة كما تخرج الزهرة من طين ، أو كما يخرج الذهب من الرغام ، والحرير من الدود ، وقد حكى لنا عن أدباء أخرجوا روايات هزلية تستخرج الضحك من أعماق القلب وحالتهم النفسية وقت تأليفها كان يسودها الحزن ، ويشيع فى جوانبها الالم والبؤس

أخشى ان يكون الذين قد وضعوا هذه القوانين وأمثالها للحظات التجلى قد تسرعوا فى وضعها ، فالانسان معقد كل التعقيد ، ولئن كان جسمه معقدا مرة فنفسه وروحانيته وعقله معقدة ألف مرة بل آلافا ، وإن العوامل التى تؤثر فى نفسه وروحانيته ليست الحالة البدنية ، ولا الغذاء الصالح ، ولا المناظر الجميلة ، ولا الغنى والفقر ، وحدها ، بل هناك عوامل أدق وأعمق وأغمض ، ان الانسان لا يعيش فى بدنه وحده ، ولا فى محيطه فقط ، بل إنه ليعيش فى أصدقائه الاقربين والابعدين ، وإنه ليعيش فى آبائه الذين كانوا وماتوا ، وأنه ليعيش فى ذريته الذين كانوا وسيكونون ؛ وانه ليعيش فى أحلامه وآلامه وآماله ، ويعيش فى شبكات من تموجات نفسية دونها بمراحل شبكات التلغرافات والتليفونات ، وتتسلط عليه أنواع من الاشعة لاعداد لها

لعلنا لا نستطيع أن نستكشف قوانين التجلى الا إذا عرفنا نوع النفس التى تتلقى هذه الاشعة ، وعلمنا كل هذه المؤثرات ، وهيهات !!

احمد امين

(١) اليافع : المرتفع وشعفه الايفاع حركت نفسه وهاجت عواطفه والمقصد من يعمل القصائد

حنجرة

للدكتور محمد عوض محمد

أشهد أن الطبيعة قد تمنح ، فتسرف فى المنح ، وتعطى فتجزل العطاء وتنسى نفسها أحيانا ، فتكيل السعادة لمن رضيت عنه بمكيال هائل، وتبذير منقطع النظير .. وكان ذلك شأنها يوم أفرغت على الرجل العجيب (أنطون سو كيلوف) أسجال الهبات : بأن منحته تلك الحنجرة الثمينة الرائعة !

أجل وإن المرء لتأخذه الدهشة عن يمينه وشماله، ومن ورائه وأمامه ، ومن فوقه ومن تحته ، حين يفكر فى الوسائل المختلفة العديدة ، التى تتوسل بها الآلهة ، لكى ترفع من تحبه على الناس درجات ، وتحلق به فى ملكوت السموات : - ترضى عن هذا فتمنحه المال عن وفر وعن سعة ، وتحب هذه فتكسوها أثواب الجمال: ثوبا فوق ثوب - كأنها ورق الكرنب - ويحلو للآلهة ان تنعم على ذاك فاذا هو ذو جاه عريض طويل، عميق غليظ.

ولكن أغرب شىء تهبه الالهة هو من غير شك - تلك الميزات الجسدية : تلك القطع من اللحم والعظم والغضروف والجلد - يجرى فيها الدم احيانا ؛ وأحيانا لا يرى فيها دم مطلقا ، وطورا يكسوها الشعر ، وكثيرا ماتكون صلعات عارية من الشعر - تلك الاجزاء الجثمانية ؛ التى يحسبها الجهال من مصادفات الولادة ، أو من غلطات الولادة، وفى الواقع وفى الحق هى السر الباتع الذى يحرك الفلك، وتدور له الكرة الارضية من الغرب الى الشرق.

وماعلى الذى يشك فى صحة هذه الدعوى ، او يريد ان يتهمنا بالغلو والمبالغة ، إلا ان يلقى نظرة يسيرة على التاريخ المكتوب وغير المكتوب ، ويكفى ان يلقى النظرة على عجل وهو مغمض العينين ، ليرى كم من صلعة لامعة قد ساست الممالك ، ودوخت الجيوش ، وكم من ذقن غليظ استطاع اخضاع الاقطار وتسخير كل جبار . وهانحن نسوق للقارىء أمثلة لا تحتمل الشك أو الانكار .

هذه كيلوباطزه ! بأى سلاح وبأية قوة استطاعت ان تخضع يوليوس قيصر ، وتلفه حول إصبعها الخنصر ؟ أبالقنابل والاساطيل ؟ أما بالجيوش والدبابات ، أم بالغازات الخانقة وغير الخانقة ؟ لا بهذى - لعمرك - ولا بتلك . بل بقطعة أنف مستدق مستطيل : خارت أمامها عزمة العاهل الرومانى الهائل ، الذى فتح الغال وبلاد الاسبان واستولى حتى على بريطانيا العظمى - التى لم تكن عظمى فى ذلك الوقت ..

ثم شمشون : الجبار شمشون ، الذى استطاع أن يقتل ألفا من الفلسطيين وما بيده سلاح سوى عظمة الفك الاسفل لحمار نفق حديثا ، والذى استطاع أن يقبض على العمودين اللذين يمسكان الهيكل الأكبر - وقد احتشد فيه أعداؤه آلافا مؤلفة - أمسك عموداً باليمين ، وعموداً بالشمال ، ثم مال بالعمودين وهو يقول : « على وعليهم يارب ! » فاذا الهيكل يتداعى والسقف ينقض بمن عليه ، والبناء يندك بمن فيه . واذا الآلاف المؤلفة تقبر ، بما فيهم دليلة الخائنة الماكرة !

ألا رحم الله شمشون ! أنى جاءته كل هذه القوة وهذا الجبروت ؟ ذلك هو السر الخطير ، الذى أدلى به الى دليلة الخائنة ، حين أنبأها أن قواه كلها كامنة فى تلك الشعرات التى نبتت فى رأسه كما تبدت الاشعة فى رأس الشمس .

وهكذا كان عضو بسيط من أعضاء الجسم سبباً فى تحويل سطح الأرض ، وفى قلب مجرى التاريخ . . .

اذن لماذا نعجب من أن الآلهة حينما ارادت أن تغدق النعم على (أنطون) لم تزد على أن وهبته حنجرة ؟ . لم تهبه مالا ولا عقلا ، ولا ذكاء ولا فهما ، ولا طرفا ناعسا ، ولا وجها وسيما . بل كل مامنحته وحبته به : حنجرة .

***

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وصيرته ملكا هماما

هذا جاثم فى عصام المذكور . أما (آنطون سوكيلوف) فلم تكن له نفس تستحق الذكر ، ولم يكن شجاعا ولا هماما ولا يعرف كرا ولا إقداما . ولم يكن صاحب علم ولا جاه ، بل صاحب حنجرة فحسب . يملكها وتملكه ، وليس له من حطام الدنيا شيء سواها ، وليس لها من حطام الدنيا شيء سواه وكانت هي سر سعادته ؛ واستطاع هو أيضا أن يجعلها سعيدة منعمة .

ليس على فضل الاله من حرج
إن شاء ضاق الأمر ، أو شاء انفرج
ويدرك العلياء من به عرج
وترتقي حنجرة أعلى الدرج !!

* * *

إن سر النجاح فى الحياة هو ما قاله سقراط : إن تعرف نفسك . وهكذا فعل انطون ؛ فقد خلا الى نفسه يوما ، وجعل يجهد فكره الكليل فى معرفتها ، وفى الكشف عن أمرها . لعله أن يرى فى ركن من أركانها كنزا مخبوءا ، أو قوة مدفونة . فهداه طول التفكير ، والتدبير الكثير ، الى ان له حنجرة ليس لها فى العالم نظير . أجل وانها لجديرة بأن ترفعه ويرفعها الى المقام الاسمى والسماك الاعلى . وان ينفض بواسطتها غبار الفاقة الذي يوشك ان يقبره ويقبرها .

وكانت ساعة إلهام أدرك فيها أنطون أن برلمان انكلتره — أبو البرلمانات جميعا — هو ميدانه الوحيد وميدان حنجرته العزيزة . . . عجبا كيف لم يوفق الى هذا الكشف الهائل من قبل ، فيقضى على عيش الضنك والفقر الذي لازمه طوال هذه السنين ؟

* * *

وفى مساء ذلك اليوم الخطير كان أنطون جالسا — وحنجرته — إلى رئيس (المحافظين) يحدثه حديثا شائقا طليا . والصوت يدوى من حنجرته دويا ، ولولا أن الريح فى ذلك المساء كانت تهب من الجنوب ، لسمع أهل فرنسا صدى تلك الحنجرة تنبىء الساكنين على ضفاف السين . أن على ضفاف التاميز رجالا .

وأدرك رئيس المحافظين — ويا برعان ما أدرك ! — أى كنز قد ظفر به ، وأي ذخر ثمين قد قدمته الآلهة له ولحزبه ! انهم بفضل هذه الحنجرة الرعدية لن يلبثوا طويلا حتى يتربعوا على دست الحكم ، ويتحكموا فى الدولة التى لا تغرب عليها الشمس .

ولم يبرح أنطون مجلس الرئيس إلا وقد حمل فى صدره — وفى جيبه — ألف دليل على أن نجم نحسه قد أودع بطن الثرى وأن نجم سعده قد أشرق فى السماء لامعا صاعدا .

* * *

كان أنطون من رعايا الروس ، وقد حاول السنين الطوال أن ينال الجنسية البريطانيه ، فلم تلق جهوده الا الفشل . ان الجنسية البريطانية أجل وأثمن من أن تمنح للصعاليك أمثاله أما اليوم فقد جاءته تلك الجنسية تجرر أذيالها ، وهى تمشى على استحياء ، نزلت عليه من المحل الارفع من بعد طول تعزز وتمنع ،

وفتحت بين يديه نوادى المحافظين ، المفرطين فى ارستقراطيتهم ، وفى عزلتهم . فجعل يغشاها هو وحنجرته التى كان صداها يدوى فى تلك الحجرات الهائلة ، فتمتلىء بها الآذان وتميل نحوها الاعناق .

ولم تمض أسابيع قلائل حتى أخليت له دائرة من دوائر البرلمان ، وحتى أقسم يمين الطاعة للملك ولدستور الدولة العظمى التى قلما تغرب الشمس عليها .

هنالك بدأت معجزته الهائلة تقرع الاسماع ، وتأتى بكل إبداع ، يوم تبوأ مقعده فى (وستمنستر) وقد لف على الحنجرة العزيزة كوفية من الدمقس الخالص ، برا بها ، وعطفا عليها . وهى بهذا العمرى جديرة بعد أن أصبحت ينبوع ثورة ، ومبعث قوة وصولة ، وعماد حزب ودولة .

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٤ — البرنامج الخارجي في طور التنفيذ

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لم يكن أثر الثورة الوطنية الاشتراكيه الالمانية فى سياسة المانيا الخارجية أقل منه فى شئونها الداخلية . ولكن الثورة الوطنية كانت فى ميدان السياسة الخارجية اكثر توفيقا ، لانها الفت الميدان عند قيامها ممهداً صالحاً للعمل القوى الجرى ، ولان الشعب الالمانى يرى المسألة الخارجية مسألة قومية محضة ويؤيد الثورة الوطنية فيها تأييداً قويا صادقا . على أن هذا التوفيق الذى لقيته الوطنية الاشتراكية فى بعض نواحى السياسة الخارجية كان مقرونا من جهة أخرى بتطورات ونتائج لم تكن فى صالح المانيا ، ولكنها كانت نتيجة لما ابدته الوطنية الاشتراكية فى وسائلها من ضروب العنف والاندفاع

تولى الوطنيون الاشتراكيون الحكم والمانيا مازالت من الوجهة الدولية فى المركز الذى وضعت فيه بمقتضى معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) وهو مركز لايجعلها على قدم المساواة مع باقى الدول العظمى من حيث الحرية فى تدبير وسائل الدفاع عن نفسها وتنظيم مواردها الاقتصادية طبقا لمصالحها ؛ وهو مركز يرى الوطنيون الاشتراكيون بحق انه لايليق بالمانيا كدولة عظمى ولا يلائم كرامتها القومية . وكانت المانيا تجاهد منذ دخلت عصبة الامم (فى سنه ١٩٢٦) فى سبيل الانتصاف لنفسها فى مسألة الدفاع القومى لانها جردت بمقتضى معاهدة الصلح من سلاحها ؛ وفى سبيل التحرر من اعباء التعويضات الفادحة التى فرضت عليها لأن هذه الاعباء لبثت بعد الذى ادته منها خطرا داهما على مواردها القومية ونشاطها الصناعى والتجارى ، ولانها فرضت على أساس مسئولية المانيا فى إثارة الحرب الكبرى ، وقد ثبت فيما بعد بما صدر من تحقيقات ووثائق دولية مختلفة ان هذا الزعم باطل ، وان مسئولية المانيا فى الحرب ليست اكثر من مسئولية غيرها . وقد سويت مسألة التعويضات غير مرة ، ولكن المانيا لبثت تصر على وجوب التحرر منها ؛ وقالت كلمتها الرسمية فى ذلك منذ سنة ١٩٣٢ فى عهد حكومة الهرفون بابن ، وانتهت جهودها فى هذا السبيل بعقد مؤتمر لوزان فى صيف سنة ١٩٣٢ ؛ وخرجت المانيا من المؤتمر ظافرة بتقرير وجهت نظرها ، ووافقت دول الحلفاء فى البروتوكول الذى عقده المؤتمر على مبدأ الغاء التعويض نظير قدر محدد تؤديه المانيا لايتجاوز عشر ماكان مطلوبا منها . والقيت المانيا فى ذلك الحين ايضا دعوتها الى نزع السلاح الحقيقى طبقا لما نصت عليه معاهدة الصلح ، او انها تعمد من جانبها الى تسليح نفسها تحقيقا لمبدأ المساواة ومقتضيات الدفاع القومى .

كانت مسألة التسليح اذن اهم مشكلة دولية تواجهها المانيا عند قيام الحكومة الوطنية الاشتراكية . ومسألة الدفاع القومى من اهم المسائل التى أثارتها الوطنية الاشتراكية وخصتها بكبير عنايتها . والوطنية الاشتراكية اشد ماتكون بغضا لمعاهدة فرساى واحتجاجا على نصوصها وفروضها الظالمة ؛ وهى تعتبرها مصدر كل مصائب المانيا ومتاعبها ، وترى وجوب الغائها او تعديلها على الاقل تعديلا يتفق مع كرامة المانيا وحاجاتها القومية . والمانيا تجاهد فى هذا السبيل منذ اعوام ؛ وقد استطاعت فى الواقع ان تظفر بتعديل كثير من نصوص المعاهدة ، ولكنها لم تستطع ان تحقق شيئا فى مسألة نزع السلاح والدفاع القومى

ولم يك إلا أن جالت هذه الخنجرة جولة أو جولتين
حتى سقط (الأحرار) المساكين ، صرعى لاحراك بهم ،
وسقطت حكومتهم ، التى كانت تحسب أنها باقية على الدهر .
فاذا هى تندحر وتتدثر وتمزق كل ممزق .
ثم أذن مؤذن بالانتخابات الجديدة للبرلمان الجديد ، فاذا خنجرة أنطون تكتسح كل شيء أمامها ، وتجوب البلاد من جنوبها الى شمالها ، فتندك أمامها المعاقل والحصون ، وتعنو لها الرقاب والأعناق . وتنجلى معارك الانتخاب عن فوز ساحق ماحق يفوزه المحافظون ، ويعودون الى البرلمان . يجرون ذيول التيه ، ويبرمون شوارب الخيلاء

وفى اليوم التالى غدا أنطون الى شركات التأمين فامن على حنجرته بمائة ألف من الجنيهات .

إن الآلهة قد تمنح ، وتشرق فى المنح ، وتعطى فتجزل العطاء

... ولألمانيا فى مسألة نزع السلاح نظرية تستمدها من معاهدة الصلح ذاتها . ذلك أن معاهدة الصلح قضت بتجريد ألمانيا من سلاحها ؛ وحددت جيشها العامل بمائة ألف ، وحصرت حقها فى اقتناء الذخائر والأسلحة فى أضيق الحدود ، وحرمت عليها أنواع الأسلحة الضخمة ؛ وأنزلت أسطولها الى وحدة بحرية ضئيلة ؛ وحرمت عليها إنشاء الطيارات الحربية ؛ وقضت عليها بالغاء الخدمة العسكرية الاجبارية ، وحرمت عليها انشاء أية تحصينات على حدودها الغربية على بعد خمسين كيلومترا من شرق نهر الرين ؛ وغير ذلك من الفروض المرهقة التى تجعل ألمانيا من حيث الدفاع القومى أضعف من أية دولة ثانوية ؛ وتجعلها غير قادرة على الدفاع عن نفسها إزاء الطوارئ . (معاهدة فرساى — القسم الخامس — المادة ١٤٩ وما بعدها) . ولكن ميثاق عصبة الأمم الذى هو قطعة من معاهدة الصلح ينص من جهة أخرى على أن أعضاء العصبة يعترفون بأن تأييد السلام يقتضى تخفيض التسليحات القومية الى الحد الذى يتفق مع السلامة القومية وتنفيذ التعهدات الدولية . . . وعلى أن مجلس العصبة ينظم وسائل هذا التخفيض ، (المادة ٨) . ونص من جهة أخرى فى ديباجة القسم الخامس من المعاهدة ، وهو الخاص بتجريد ألمانيا من سلاحها ، أن هذا التجريد إنما هو وسيلة لتمكين تنظيم تحديد السلاح تحديداً عاما بالنسبة لجميع الأمم . وقد أنشأت عصبة الأمم لجنة نزع السلاح ومؤتمره منذ عشرة أعوام تنفيذاً لما يقضى به ميثاقها ؛ واشتركت ألمانيا فى أعمال مؤتمر نزع السلاح منذ دخولها فى العصبة ، وجاهدت بكل ما وسعت فى سبيل تخفيض السلاح ؛ ولكنها لم تظفر بأية نتيجة ؛ لأن دول الحلفاء وفرنسا بنوع خاص ، لا تريد أن تجرى فى تسليحاتها أى تخفيض يذكر . . ولهذا تقول ألمانيا اليوم إنه ما دام أن نصوص المعاهدة فى شأن تخفيض السلاح لم تنفذ ، وما دام أن تجريدها من السلاح كان مقرونا بوجوب اجراء هذا التخفيض ، فهى من جانبها فى حل من أن تسترد حقها كاملا فى تسليح نفسها وتنظيم دفاعها القومى .

وهذا منطق سليم واضح ؛ ولألمانيا فيه كل الحق . ولكنه قوبل من فرنسا بأشد اعتراض ؛ ورأت فرنسا وبريطانيا العظمى على ألمانيا كل حق فى المساواة الفعلية فى التسليح ، واقترحتا وضع رقابة دولية على تسليحات ألمانيا . وأصرت ألمانيا على موقفها ورأت أن تختم هذا الجدل العقيم ؛ فانسحبت من مؤتمر نزع السلاح ومن عصبة الأمم فى منتصف اكتوبر الماضى . وكانت خطوة جريئة ولكن موفقة من جانب الحكومة الاشتراكية ؛ وكان لها أكبر وقع فى سير السياسة الدولية . وفى نفس اليوم الذى أقدمت فيه الحكومة الألمانية على هذه الخطوة الحاسمة ، استصدر هر هتلر مرسوماً بحل الريخستاج وأجراء انتخابات جديدة ليستفتى الأمة فى سياسته الخارجية ؛ وأجريت هذه الانتخابات فى ١٢ نوفمبر الماضى وخرج منها هر هتلر بما يشبه اجماع الشعب الالمانى على تأييده فى العمل لاستعادة مركز ألمانيا الدولى كدولة عظمى والاعتراف لها بحق المساواة فى الدفاع القومى وسائر الحقوق القومية الاخرى . واضطرت فرنسا إزاء هذا التطور أن تدخل فى مفاوضات مباشرة مع ألمانيا لبحث الموقف . وتجرى هذه المفاوضات منذ أسابيع . وتحاول انجلترا وإيطاليا أن تقوما بدور الوساطة والتوفيق . وبينما تؤيد إيطاليا وجهة النظر الالمانية إذا بانجلترا تتراوح بين التأييد والمعارضة ؛ فهى لا تريد أن تبقى فرنسا محتفظة بزعامة أوربا العسكرية ؛ وتخشى من جهة أخرى ان تعود المانيا الى زعامتها العسكرية القديمة . وقد قدمت الحكومة الالمانية مقترحات فى هذا الشأن خلاصتها ان يرفع عدد الجيش الالمانى العامل الى ثلاثمائة الف ، وان تعاد الخدمة العسكرية ؛ وان يكون لالمانيا حق استعمال وسائل الدفاع المختلفة ، وان ينقح دستور عصبة الامم لكى تكون اداة صالحة محررة من كل ضغط ونفوذ . وقد ردت فرنسا برفض هذه المقترحات باعتبارها مناقضة لمعاهدة الصلح ، وقالت بان تسوية مسألة التسليح لا تكون بزيادته وانما تكون بتخفيضه ، وإن تخفيض السلاح لا يمكن ان ينظم الا فى جنيف وعلى يد عصبة الامم طبقا لمعاهدة الصلح ، وما زالت المفاوضات تجرى بين باريس وبرلين من جهة ؛ وبين لندن وباريس وروما من جهة أخرى ؛ ولكن الذى لاريب فيه هو ان المانيا قد كسبت أول مرحلة فى المعركة ، وانها تتقدم فى سبيل غايتها من تحطيم الاغلال التى فرضتها معاهدة فرساى على دفاعها القومى ، بل نعتقد أن المانيا قد بدأت تعمل بالفعل فى هذا السبيل دون انتظار لرأى فرنسا وحلفائها .

وتثير المانيا الى جانب مشكلة الدفاع القومى عدة مشاكل أخرى ترى أنها تمس مصالحها القوميه . من ذلك مسألة وادى السار الالمانى الذى انتزعته فرنسا لتستغل مناجمه الغنية حتى سنة ١٩٣٥ ؛ فألمانيا

تطالب برده او بجري الاستفتاء المنصوص عليه في المعاهدة ؛ ومنها مسألة المستعمرات الالمانية التي وزعت بين فرنسا وبريطانيا العظمى فالمانيا تطالب الآن بردها لانها تضيق بسكانها، ومصالحها الاقتصادية الحيوية تقتضي ان يكون لها مستعمرات ؛ ومنها مسألة الممر البولوني الذي يمزق بروسيا الشرقية الى قسمين ، فالمانيا ترى انها لا تستطيع الصبر على هذا التمزيق الى الابد ، وان كانت اليوم على تفاهم مؤقت مع بولونيا.

* * *

على ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لم تكن موفقة في ناحيتين خطيرتين من نواحي السياسة الخارجية ؛ هما المسألة النمسوية ، ومسألة العلائق الالمانية الروسية.

فأما في المسألة الأولى فقد حاولت الحكومة الالمانية أن تتدخل في شئون النمسا بطرق شتى . ووجهت الوطنية الإشتراكية الالمانية إلى النمسا كثيراً من ضروب الوعيد والتحدي ، وحاولت أن تبث فيها دعوتها وأن تصبغها بصبغتها . ونذكر أن العمل على اتحاد الأمم الجرمانية من الغايات الاساسية التي ترمي إلى تحقيقها الوطنية الألمانية . والنمسا هي الامة الجرمانية المقصودة بهذا النص ، وهي ترتبط مع المانيا بكثير من الروابط الاقتصادية والاجتماعية . وكانت النمسا تضطرم من قبل بدعوة قوية إلى الاتحاد مع المانيا سياسياً واقتصادياً (Anschluss). ولهذا أرادت الوطنية الالمانية أن تقوم بمحاولتها الاولى في سبيل هذا الاتحاد . ولكنها لجأت كعادتها الى الاندفاع والعنف ، وحاولت ان تعامل النمسا كدولة تابعة وان تملي عليها إرادتها ووحيها ، وان تثير فيها القلاقل والاضطراب ، وان تؤثر فيها بجميع وسائل الضغط والارغام . ولكن هذه السياسة القصيرة النظر انتهت الى عكس ما أريد بها . فقد أذكت في الشعب النمسوي عواطف العزة القومية ، فنسي خلافاته الحزبيه والتف حول حكومة المستشار دلفوس التي أبدت في مقاومة الوطنية الالمانية حزما يثير الاعجاب وأعلنت النمسا ارادتها صريحة في انها لا تريد أن تكون تابعه لحكومة برلين ، وقمعت الحكومة النمسوية كل شغب أثارته الدعوة الالمانية بمنتهى القوة وطاردت دعاة الوطنية الإشتراكية بلا رأفة ، وأنهارت في الوقت نفسه دعوة الاتحاد (الآنشلوس) وانفض عنها أنصارها بعد أن رأوا ألمانيا تفسرها بالقضاء على الاستقلال النمسوي واستطاعت حكومة فينا أن تجعل من المشكلة النمسوية مشكلة دولية وأن تغنم تعضيد انجلترا وفرنسا وايطاليا في الدفاع عن وجهة نظرها ضد ألمانيا

واما في مسألة العلائق الروسية فقد ارتكبت الوطنية الاشتراكية الالمانية ايضا خطأ فادحا . وكانت المانيا منذ خاتمة الحرب تعمل دائما على توثيق صلاتها السياسية والتجارية بروسيا السوفيتية ، وتتخذ من هذه الصلات دعامة لسياستها الخارجية ؛ وكانت روسيا اعظم سوق للصناعات الالمانية بعد ان اغلقت في وجهها الاسواق الغربية ؛ وكان التفاهم بين الدولتين محور التوازن السياسي في اوربا الشرقية حيث تطوق المانيا بدولتين خصيمتين هما بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، ولكن الوطنية الإشتراكية لم تراع هذه السياسة التقليدية ، ولم تفرق في كفاحها للشيوعية بين الاعتبارات الداخلية والخارجية ، فالقيت تصريحات شديدة ضد روسيا السوفيتية من المستشار هتلر وبعض زملائه ، وردت الصحافة الروسية هذه الحملات بمثلها ؛ وكان لموقف حكومة برلين الجديدة وقع سيء في حكومة موسكو ؛ وظهر أثر هذا التوتر في علائق البلدين واضحا في اتجاه السياسة الروسية الى وجهة جديدة . وانتهزت فرنسا هذه الفرصة فعملت على توثيق علائقها مع روسيا باتفاقات جديدة ؛ واعترفت الحكومة الامريكية لاول مرة بحكومة السوفييت . ونظمت المبادلات التجارية بين البلدين ؛ واتجهت بريطانيا العظمى الى توسيع نشاطها التجاري في روسيا ؛ وفقدت المانيا بذلك دعامة سياسية قوية ومصالح اقتصادية خطيرة . كان في وسع الوطنية الاشتراكية ان تحرص على علائق المانيا وروسيا من الوجهة الخارجية ، وان تمضي في نفس الوقت في كفاحها ضد الشيوعية داخل المانيا على نحو ما فعلت الفاشستية الايطالية . ولكن الظاهر ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لم تعرف بعد ان تفرق بين نزعاتها الشخصية وبين مصالح المانيا العامة ، وانها لا تتمتع بذلك الاتزان الذي تمتاز به الفاشستية الإيطالية رغم صرامتها

* * *

هذه خلاصة الظروف والادوار التي تقلبت فيها الوطنية الاشتراكية الالمانية . وهي لم تعمل حتى اليوم كثيرا لألمانيا ، ولكنها عملت كثيرا لاثارة الاحقاد الجنسية والقومية ، وسحق الديمقراطية والحريات العامة . وقد أثارت بذلك كثيرا من الخصومات على المانيا ، واساءت بوسائلها المثيرة الى هيبة المانيا وسمعتها ، وافقدتها كثيرا من العطف العالمي ، وجمعت كلمة الديمقراطية ضد المانيا في خصومة موحدة مشتركة ، وبدت الفاشستية الايطالية للعالم اليوم ، بعد الذي شهده من جموح الوطنية الاشتراكية الالمانية وعنفها ، اجدر بالتقدير والاغضاء والتسامح من وليدتها ؟

«تم البحث» محمد عبد الله عنان

صحائف المجد والخلود

الفن المصرى القديم

— ١ —

تمهيد :

تؤلف الكتب ، وتحبر الاوراق ، يتبارى فى اخراجها ابناء الامة ذات الفن أو التاريخ . ومصر ، أم التاريخ ، التى نهل منها جميع الوجود ، ومصدر الفن والذى غذى بنعمته ونوره العالم من مبدأ الحياة . مصر ، التى هى البقعة الوحيدة التى هبط عليها طائر الفن الجميل ، ونزل على أرضها بوحي العظمة والعرفان ، أفقر الامم جميعاً . إعتزازاً بفنها وتاريخها .

وكم مجهود من مجهودات المصريين الحاضرين بذل فى سبيل تحقيق تلك الغاية وتمجيدها ؟ ! وكم هو عدد المؤلفات التى وضعتها أيد مصرية عن الفن المصرى القديم ؟ ! وهذه جهود الافرنج تملأ مصر بحثاً ودرسا ، وتغشى أرضها تنقيباً واستكشافاً . ثم هذه مؤلفاتهم عن الآثار المصرية وما فيها من فن وقدرة وجمال تغمر الدنيا جميعاً . بل إن فى متحفنا المصرى وحده مكتبة تجمع نحو تسعة عشر الفاً من بعض الكتب التى وضعت بلغات مختلفة عن آثار مصر .

الأجانب هنا وهناك ، هم الذين يأخذون وحدهم بشئون تاريخنا . وهم الحاذقون فى دراسة حضارتنا القديمة ، ينشرون بحوثهم فيها على العالم ما كان لمصر فى التاريخ القديم من فضل . ونحن ، نحن الذين كنا أولى من غيرنا بتلك الدعاية ، وأجدر من كل الناس دراسة لآثارنا وأخذاً بمعالم تاريخنا ، لا نتقدم الى الميدان بأقصر يد . ولا ننهض للاعتزاز بمجدنا بأيسر حال .

أليس هذا من بواعث الأسف ؟ ثم أليست حالنا فى ذلك أدعى الى النقد والسخرية ؟

نعم هناك بعض جهود مصرية ، لا ننكرها . وبعض أياد وطنية ، على التاريخ المصرى ، لا يجب أن نجحد فضلها . ولكنها بضعة ضئيلة . أملنا أن تتجسم وتتضاعف ، حتى تفيض على الناس خيراً .

***

ولعلنا جميعا ، نوقن فى أنفسنا بأننا مهما بذلنا فى خدمة وطننا الجهود ، ومهما ملأنا الأرض جداً وسعيا ، ووصلنا أركان القطر ذكريات وآثاراً ، فلن نبلغ الى غاية الخلود والعظمة ما بلغ أجدادنا المصريون القدماء ، الذين بهروا العالم اعجابا واعجازا

ولقد نفخر بهم ، ونعتز بمخلفاتهم ، ونشير اليهم كلما أعوزتنا الحقيقة الى اثبات شخصيتنا ، وأخذتنا النشوة بالتيه . نفخر بهم ، ونتحدث بمجدهم ، ولا نخجل من انفسنا أن لا يكون لنا ، نحن ابناء الحاضر ، فى ذلك فضل . بل نقف موقف الغراب الذى لبس ريش الطاووس فما كان ذلك يرفعه عن أن يظل غرابا . . .

أولئك الأجداد العظام النابهون ، لهم علينا ذمة ، ما أحرى بنا أن نفى دينها ، ونؤدى حقوقها . فهم لم يتركوا لنا ما تركوا ليلزمونا الفخر بهم جزافا ، ونحن قعود . ولكن لنكون جديرين بأن نرث عنهم ذلك المجد ، وبررة بجميل ذلك التراث الموهوب

فحبذا لو نعمل جميعاً لوصل حلقات هذه العظمة ، واضعين نصب أعيننا دائما هذه العبارة الخالدة

إن سئلنا ما تركنا بعدهم ماذا نجيب ؟

مصدر المدنيات

كان فريق من علماء الغرب ينسبون الاسبقية فى تاريخ الفن الجميل الى الاغريق . وانها المصدر الذى تدرجت عنه ثقافات البشر وقلما كان يعترفون بفضل لمصر .

وبالرغم من ان البحوث الأثرية والاستكشافات قد نشرت على الافكار نوراً بأن الاغريق انما أخذت قسطاً كبيراً من ثقافتها عن مصر التى سبقت حضارتها حضارة الاغريق بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، فان بعض آراء المتعنتين نحو مصر ظلت الى حين ، على نكران فضل مصر وعدم اقتباس الامم عنها .

وقد يكفى ان ندلل على ذلك بتلك الكلمة النزيهة التى انصف بها مصر « السير دنيسون روس » (Sir E. Denison Ross) مدير مدرسة العلوم الشرقية بانجلترا ، فى الكتاب الذى قدمه علماء الانجليز الى حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر ، باسم « الفن المصرى فى جميع العصور » (The art of Egypt Through The Ages) والتى دحض بها تلك الآراء العتيقة . حيث قال :

« مصر هى مهد الفنون . ولولا بقاء كثير من آثارها الاولى حتى يومنا هذا ، لقامت معلوماتنا عن التاريخ الاول للفنون على الحدس والتخمين . وكلما زدنا علماً باعمالها الجليلة تبين لنا ما تدين به الفنون المتأخرة لمصر ، وزاد جلاء ، خذ مثلا الابحاث الاخيرة التى جرت فى صقارة ، فانها أثبتت نهائيا أن العمود المزمارى (الذى يشبه الناى او المزمار) Fluted- Column انما تطور

ووضعت فكرته بواسطة الفنانين المصريين (١) ومن جهة اخرى فان تأثير مصر فى آراء البشر وأفكارهم ليس أقل شأنا من تأثيرها فى عالم الفنون ، وسجلاتها تعتبر أقدم كنز فى تاريخ الانسانية بأجمعها

« وحينما بدأت مصر تسترعى انتباه الغرب كان شارحو مدنيتها هم رجال اللغة والمؤرخون . وأما قيمة آثارها ، وما فيها من معان ، فكانت من الأشياء التى تكاد لا تعرف . وقد حلت رموز الكتابة الهيروغليفية وقرئت . ولكن ما كان عندنا من تعصب موروث من ثقافتنا القديمة وتفكيرنا الحديث ، عاقنا عن أن نقدر فنا كهذا الفن ، كل ما فيه غريب علينا . ولقد كان حتما على عالم الفنون أن يجاهد زمنا طويلا ، كى يتخلص من براثن الفكرة الاغريقية ، ويقترب من آثار الفراعنة البديعة ، ويلقى عليها نظرة بريئة خالية من التحيز . »

واليك كلمة اخرى للاميرة بيبسكو (Princess Bibesco) وقد يذكر القراء اسم سموها حيث تردد ذكره فى مؤتمر الطيران الذى عقد بمصر اخيرا . وهى عقيلة رئيس المؤتمر — فى رسالة لها بعنوان « يوم مصر » (Jour d'Egypte) إذ قالت عند ذكرها للعمود المزمارى فى سقارة الذى سبق الكلام عنه :

« لقد وجدت مهد الفن الاغريقى . فان « إمحتب » وهو مهندس الملك « زوسر » أول من استعمل الحجارة الرملية فى مصر . وجاء بين كتابات المصريين القدماء أن هذا الفنان رفع الى صفوف الآلهة لقيامه ببناء الهياكل . وليس هناك ما يدعو للدهشة فى ذلك ، لأن عليها مسحة قدسية ، ولأنها أجمل بكثير من تلك المشاهدة فى الاكروبول ، التى تشابهها . وقد تفوقها من أنها أتم تهذيبا . ويرجع تاريخ هذه الاعمدة المصرية إلى ما قبل « فدياس » بثلاثين قرنا .

« وأنى لأحس ، عندما أنظر اليها ، بذلك الصلف الذى كان يركب رءوس من سبقونا . وها مصر قد فازت أخيرا بقصب السبق . أما هؤلاء الذين تحيزوا للفن الاغريقى ضد الفن المصرى ، فيجب أن يخفضوا رءوسهم من الخزى بعد استكشاف أعمدة صقارة »

(يتبع) احمد يوسف

بالمتحف المصرى

---

(١) كان نوع هذا العمود منسوبا الى الاغريق — Doric Column — على انه من ابتكار ثقافتهم حتى استكشف أخيرا فى صقارة بواسطة المرحوم المستر سيسيل فرث وظهر أنه من ابتكار الاسرة الثالثة المصرية

مقدمة الاعاصير

للشاعر القروى رشيد الخورى

نزيل البرازيل

تقديم

كانت نفسى تجمجم منذ شهرين بكلمة تريد أن تعلن بها الى جمهور القارئين صدور هذا الديوان منذ دفع إلى لأكتب عنه كلمة فى « مجلة الشبان المسلمين » — وقد أهداه صاحبه اليها — ، لأن بمقدمته آراء أدين بها ، وأحب أن يدين بها شعراؤنا وكتابنا بين يدى زماننا هذا ؟ ولكن التوانى فى إخراج الفكرة حين ولادتها وحرارتها ، طالما جر الى موتها ونسيانها وخمود دواعيها ، وهذا ما حدث لى بشأن الكلام عن هذا الديوان .

بيد أن كلمة الاستاذ الكبير عبد الوهاب عزام ، عن هذا الديوان فى عدد مضى من الرسالة قد جددت فى نفسى حرارة الافكار التى فى مقدمته ، مما تقاضانى أن أسرع الى الكتابة عنها .

ولئن كانت كلمة الدكتور عزام كافية فى إعطاء القارىء صورة عن وطنية صاحب « الاعاصير » وعروبيته وتساميه . . الخ فانى أرى جمهور قراء الرسالة بحاجة الى أن يعلن اليهم عن الافكار التى فى مقدمته النثرية ، فان فيها دعوات ثائرة ، من العار ألا يتردد صداها فى نوادى الادب فى الشرق العربى وسط عصر الجهاد والفداء والزلزلة ! وليس من الانصاف للذى هتف بها على بعد الدار ونأى الشقة ، أن نمر بها كما نمر بأية فكرة أدبية ، فاننا نعتبر ذلك عقوقا لهذه النفس البرة التى لم تطرف عينها خوالب الدنيا الجديدة ولم تشغلها عن النظرة الرائية الآسية للوطن الاول . . .

وعجيب أن يكون القلب الخافق بهذه الوجيعة ، والبوق الهاتف بأصواتها التى سيسمعها القارىء خلال ما ننقله من السطور ، نزيل ديار فاتنة بأفانين حياتها وحريتها ، مما يجر الى نسيان الوطن الأول . بينما نجد الكثرة الراقدة بين فكى الحوادث وتحت مناسمها من

أدبائنا الذين يأخذ أمتهم الضغط والاضطهاد مصبحة وبالليل ، تجدهم كما يقول صاحب الأعاصير : « بين متهافت على وظيفة يخسر نفسه ليربحها ... وعابد بغيا يسفح شبابه على أقدامها . و (علاك) أوزان تمر به قوافل الحياة قطاراً تلو قطار ، رازحة بعبر الدهر وعظات الأجيال ، وهو واقف إزاءها وقفة الغر الابله يتلهى بتشطير أو تخميس ! أو يبارى فى وصف ساعة معلقة على جدار كأن ليس فيما يجري خلفه وبين يديه من ساعات الهول وأهوال الساعة ما يحرك له خاطراً أو يهيج له شاعرية !! أو ليس من الغبن الفاضح ومن دواعي اليأس القاتل أن يموت فى الأمة شاعر فتصيح الأمة بأسرها شعراء ترثيه وتبكيه ، وتموت بأسرها فلا تجد لها شاعراً يرثيها ؟! ، أجل أيها الأخ النازح ! إنه لغبن فاضح وجهل بحقوق الأمم فى أعناق الرجال ، وغفلة عن رسالة الشعر والأدب ، وعن وضاعة الأدباء على أممهم ، أن يهمل المتأدبون ناحية الجهاد فى هذه الحقبة من تاريخ العرب ، وأن يعكفوا على أدب الخليين الذين يذهبون الى اشباع الحاسة الفنية فيهم ليس غير ...

وإنى لأفهم أن قلم الشاعر والكاتب ، ولسان الخطيب ، فى عصرنا هـذا ، يجب أن تشيع فى متوجه ألوان من آلام أمته ، وأن يخلد من وقائع جهادها صوراً تتيح للأجيال المقبلة ان ترى فيها حياة الأمم الذى يأكل إحساس الجماعة المثقفة فى هـذا العصر لأنهم بشاعريتهم المصقولة ، واحتكاكهم بالزمن ، وتيقظهم لمروره يعكسون صوراً منه يدركون من الحوادث بوضوح واستيعاب ، فاذا حولوا هذه الحساسية المصقولة إلى حياة اللهو والمتاع والخلو ، فقد تضيع معالم هذه الحقبة من تاريخنا أو تنبهم ، فضلا عما يصيب إحساسنا القومي من تبلد ونزوع الى حياة المتعة حيث الكتابات الداعية اليها تأخذ على عين القارىء مسالك الصحف . وفى هذا خسران الروح المعنوية فى عصر الجهاد ، وفى ذاك خسران أيضا لأننا فى جيل انتقال أحوج ما نكون إلى تسجيل الأحداث مع المشاعر التى تصاحبها ولن يسجل المشاعر إلا شاعر .

ولن يستطيع الداعون إلى بناء الوطن العربى ان يخلقوا فى نفوس الشباب حرمة له مالم يأتوا اليهم من طريق الجد والمرارة ! فانهم يستطيعون حينذاك ان يشيدوا البناء بنجوم السماء !

والآن أضع بين يدى الرسالة نص مقدمة « الأعاصير » لتلتقى من أفكارها ما تتسع له صفحاتها ومناهجها ، ولو أن الأمر الى لوضعتها كاملة تحت عين القارىء ليرى ذلك القلب الخافق رحمة لأمته ، والصوت الصارخ لآلامها ، والقلم الوفى لقضيتها .

* * *

أما بعد فانى كتبت ما تقدم قبل أن أقرأ المقال الذى كتبه صديقى الأستاذ الاديب على الطنطاوى الدمشقى فى عدد مضى من الرسالة والذى ينعى فيه على أدبائنا الذين لم يعرفوا حق القومية فى عصر الجهاد والذين اعتنقوا الأدب للفن لا للحياة .. وقد عجبت لهذا التوافق فى ظهور هذه الأفكار بينه وبين صاحب الأعاصير .

ويلوح لى أن الأمر جد ، وأن زمان ظهوره قد شاءته المقادير ، وأن هذه الدعوة يجب أن تلقى التبشير بها مالة من الاعتبار عند أدباء العربية ، وأنه يجب أن ترسم الخطة التى ينبغى أن يتجه اليها أدب أمة تتنزى آلـمـا فى السياسة والاجتماع .

وأنى لأستقبل المغرب وأرسل للشاعر القروى تحية حارة خالصة لا يطفىء من حرارتها عبور ما بيننا وبينه من ديار وقفار وبحار . ثم استقبل المشرق فأحي صديق الاستاذ الطنطاوى تحية طيبة . ومنى نفسي أن يكون لهذين الصوتين المنبعثين من مشرق الشمس ومغربها صدى بالغ إلى قلوب قراء الرسالة ؟

عبد المنعم خلاف

المقدمة

هذه الاعاصير ! وهى مختارات من شعرى الوطنى ، نحيتها عن سائر أشعارى لتعصوصف فى جووحدها . انها خواطر جامحة ، وأفكار ثائرة ، بلوت من صراعها فى صدرى مع اخواتها الوادعات ، ما أشفقت معه أن أجمع بينهن فى كتاب ، يسمنه من تنابذهن وحراشهن ما سمتنى من عذاب ، ولم أخصها بالنشر ، على ما فيها من شدة وعرام ، قبل مختلف المواضيع التى يشتمل عليها ديوانى ، إلا لاعتقادى أننا الى مايبعث فينا الاثرة ويقوى العصبية ، احوج منا الى ما يزيدنا حباً للانسانية ، واصلاحا للبشرية .

هذه آيات أنبيائنا واسفار حكمائنا ، تشهد بأن لنا من فيض العاطفة الاجتماعية ، وحرارة الروح الانسانية وسطوعها ، ما ليس لسائر الأمم بعضه ؛ ولكن هذا الذى أردنا به السلام للعالم يعمل به أحد سوانا ، فلم يهد الناس شيئاً وعاد علينا نحن وبالا شديداً فلقد وزعنا الحب على أهل الدنيا ، حتى لم يبق لنا منه فضلة لذواتنا ، ولقد

بلغنا من انكار النفس والتطوع بخدمة الغرباء مبلغا جاوز بنا رياض فضيلة الكرم ، وشرف التضحية الى سباخ التمرغ والذل والدناءة . اننا أسلس المطايا قياداً ، وألينها شكيمة ، وأحناها ظهراً ، واتعسها مركبا ، بل نحن صيد شهي سائغ ، ليس أقرب منه منالا ولا أسهل منه مأخذاً ، فبدلا من أن يتكلف القناصون مشقة نصب الفخاخ لنا أو مطاردتنا وهقنا ، باتوا وجهادهم محصور في كيف يتقون تهافتنا عليهم ، ووقوعنا على أقدامهم ، كما يدفع الرجل كلبه عنه حذراً منه على لباسه ، لفرط ما يرى من تحببه اليه وتوثبه عليه .

اما والله لو كنت شاعراً فرنسياً أو انكليزيا لحبست النفس على التبشير بالسلام ، ووقفت القلم على الدعوة الى الرأفة والحنان . لأن الرأفة والحنان زينة الأقوياء . أما وأنا سوري ، ومن لبنان ، فاني لاغرض لي في الحياة أشرف من دعوة شعبي الى بغض الشعوب ، ولا مثل عندي أعلى من استنهاض أمتي لمحاربة الأمم . وأنه لبغض اسمى من الحب ! وانها لحرب اقدس من السلم ! فما دمنا عبيداً ضعفاء فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة في شيء أكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار ، حجة الذليل اللئيم ! فلنصافح السيوف ، فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء ! نحن نحب أوروبا ، ولذلك يجب أن نبغضها أولا ! نبغضها لنحاربها ، ونحاربها لنتحرر منها ، ونتحرر منها لنستطيع خدمتها بأحسن مما تخدم نفسها . نحن أصح الخلق أبداناً وأرجحهم عقولا ، وأحسبهم أرواحا ، فلو فكت عنا اغلال القوة الغاشمة لسبقنا العالمين في مضامير العمران ، ولأسبغنا على العلم من دماثة اخلاقنا ما يروض أوابده ويصرف أعنته على أكمل وجوه الخير والصلاح . ولكننا ، دون هذه الأمم الحرة أمة شلتها قيود التقاليد الرثة والتعصبات المقيتة ، كلما فتحنا عيوننا على عيوبنا وحاولنا تحطيم اصفادنا لتسري فينا الدماء ، ونعود فنعد في الاحياء ، أحكم الظلم وثاقنا ، وضاعف ارهاقنا وألقى بنا في مطارح الخسف والهوان ، طرحك الخرق البالية في القمامات !

فيا أبناء وطني — لكم تجدون بينكم من دعاة الاستعمار ، نفراً يدعون الحكمة ويتكلفون الوقار — يجلس وأحدهم جلسة الوثن مترصنا جامداً ، كأنما ركز المصور أو المزين رأسه على شكل لا ينحرف عنه . ثم يبسط كفيه على ركبتيه ، ويزوي بين عينيه ، ويقول خافضا صوته : — ما لكم ولهؤلاء الشعراء ، ان هم إلا صبية اغرار ، يحرضونكم على المطالبة بالحرية ، ولا سلاح لديهم غير ألسنتهم وأقلامهم ، فيجلبون عليكم النقمة ويسوقونكم الى الهلاك . . . ألا أعرضوا عنهم ! كلوا أمركم الى الدولة الامر فيكم ، أنها أمكم الحنون ، وحاشا لأمكم الحنون أن تريد بكم شراً . . . أنها تهيء لكم خيراً جزيلا . تدربكم على الحرية ، فاذا صرتم لها أهلا وهبتها لكم لوجه الله لا تبغي اجراً ولا شكوراً ، فاسعفوها في اصلاح نفوسكم تستقلوا ، فالاستقلال رهن بأهليتكم ، ووقف على استحقاقكم . الى ما شاكل من عظات تخثر النفوس وتوهن العزائم ، وتطفىء جذوة الحماسة في الصدور — أما أنا فأقول لكم : يا أبناء وطني لا يؤهلكم للاستقلال إلا الاستقلال نفسه . نفوسكم ضائعة . نفوسكم مغصوبة . جدوها أولا واستردوها ثم اصلحوها ! أفأنتم مسؤولون عما لا تملكون ؟

ان هؤلاء المضللين يلهونكم عن السعي الى تحقيق مطلبكم الإسمى ، ببهرج من وعد ، وزيف من رجاء ، لتلبثوا حيث أنتم أو تمشوا القهقرى . أنهم يحاولون اقناعكم بان العبودية وسيلة الى الرق ، والرق وسيلة الى الاستقلال . انهم يعدون الجائع بقميص ، ويمنون العاري بكأس ثليج ، ارأيتم منطقا أسد من منطق المستعمرين ؟ يا أبناء وطني ! الاستقلال هرب من حمام ، وطب من سقام ، وكما أن النقه درجة بين الداء والصحة ، هكذا الحرية مرحلة بين العبودية والمجد . الاستقلال غاية بالنسبة الى الرق الذي انتم فيه ، ووسيلة بالنظر الى الرقي الذي تنشدون ، فمزقوا هذه العصائب ، وحطموا هذه القيود ثم رودوا نجع الاصلاح ، وحاضروا في أشواط الفلاح ، فلا هدى لعميان ، ولا عدو لمقعدين .

ولقد يقول الناقدون ، ما شأن السياسة في الشعر ؟ ان الشعر لأرفع من هذه الاباطيل . انه تنكب عن أغراض الدنيا وإعراض عن سفساف الحياة ، وتلمس للمثل الأعلى . ثم يقولون من ناحية أخرى : — الشعر الحقيقي هو ما مثل الحياة أكمل تمثيل ، والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطقة . هو دليل أمته الذي يتقدمها كعمود النور في ليالي محنتها . رافعاً لواء الحق . هو بشيرها في الشدة ينعشها بالرجاء . ونذيرها في الرخاء يقيها مزالق البطر . فنقول لحضرات الناقدين : — انا إذاً وإياكم لجد متفقين ، ولا خلاف بيننا إلا أن ما نسميه نحن وطنية أخطأتم أنتم فدعوتموه سياسة . اننا في هذا الشعر لم نخض معارك انتخاب ، ولا تدخلنا في أحزاب ، ولكننا جهرنا بالحرية ونادينا بالاستقلال ، وطالبنا بالحق ونشدنا العدل . والحرية والحق والعدل ليست من أباطيل الحياة كما تزعمون ، ولكنها

من أشرف مبادئها وأنبل غاياتها - ولقد عبرنا في شكاوينا المحرقة عن أعمق جراحات أمتنا المطعونة في صميم عزتها وإبائها، وأعربنا في صيحاتنا عن أسمى ما تغامر بلادنا في سبيل استرداده من شرف مرءوم، كان فوق النجوم، فبات سحيقاً تحت أقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين.

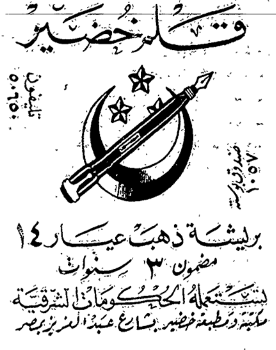
أما ذلك الشعر الذي تضحك فيه الحياة، وترن قوافيه بألحان الحب والغزل، وتعبق أنفاسه بنفحات الشباب، فله ساعات تخلص فيها النفس من أعبائها وتتناهى الى حين ما هي فيه من شقاء، وقد اتفق لنا منه قدر معلوم سننشره في كتاب وحده، ولكنه على كل حال ليس بالشعر الذي يترنم به أديب أمة مقهورة كأمتنا الراهنة، إنه لدولة مرفوعة لواء المجد ممدودة رواق العز كدولة أجدادكم في الشام وبغداد والأندلس لا كدولة الانتداب التي تحتها ترزحون، والأصفاد التي في حديدها ترسفون.

ان صراخ سوريا وعويلها يكاد يقض مضاجع النائمين في المريخ، ودخان غيظها يوشك أن يبطن القبة الزرقاء بقبة سوداء، افتريدون منا أن نخرج المعجزات، فنسمعكم همس الأزهار وسط هذا الضجيج، ونصور لكم ألوان الشفق وراء هذا القتام. ان لم نكن غرباء الشعور عن هذه الأمة، وإن لم تكن يعيون غيرها نبصر، وبآذان غيرها نسمع، ومثل غيرها ننشد؟ الا على رسلكم أيها الناقدون أفاما أن تأتونا بغير هذا الافلاس الوطني آية، والا حسبكم تضليلا

وهبوكم لا تؤمنون بغير الارض وطناء، وغير الانسانية عشيرة، افتعتقدون أن الارض قد صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون؟ وإذا كنتم ولا شك تشعرون بفقرها الى الإصلاح فلماذا لا تباشرونه من أقرب أقطارها اليكم؟ أن الذي يغضب لحق هضم في الصين أولى به ان يناضل لدفع حيف نزل ببلاده، والذي ينفر الى نصرة مظلوم في آخر الدنيا أحرى بان يذود عن ضعيف يصرعه البغي بين شماله ويمينه! إن الحرية هي الحياة بمعناها الشريف وهي أول حقوق الانسان، فهل من شروط حبكم للانسانية ان تنكروا الحياة على أقرب ابناء الانسانية اليكم؟ الا فاشتروا لوجوهكم براقع أيها المراؤون أو فاستروها بأكفكم خجلا! إن الذي لا يستطيع أن يحب نفسه وأهله فلن يحب من الناس أحداً

يا أبناء وطني! ويقول لكم صنائع المستعمرين نحن مثلكم نحب الحرية ولكن أين عدتكم للحرب والصدام؟ أين مدافعكم وأساطيلكم وطياراتكم وغازاتكم الخانقة؟ فأقول للرعاديد لا تحتجوا بحاجتكم الى السلاح، فأنتم الى الآباء وعزة النفس أحوج! اشعروا أولاً بهوانكم واغضبوا لكرامتكم فاذا فعلتم فأنا الكفيل بأنكم تجدون غير هذه الجبانة جواباً لمن يسألكم أين عدتكم للحرب والصدام! فوالله انكم بطول نومكم على هذا الضيم واستكانتكم لهذا الذل قد برهنتم على أنكم أصبر الناس على الكريهة! فلماذا تتقون الحرب؟ أو تخافون موتاً شراً من الموت الذي أنتم فيه؟!

أفانتم أكلف بالسلام من مسيح السلام؟ أأنتم أودع من حمل الجلجلة؟ أبنا غضب فانهال بالسوط على الصيارفة وباعة الحمام يطردهم من الهيكل غيرة على بيت أبيه؟ فبربكم أيها الشياطين الأتقياء كونوا آلهة أشراراً ولو مرة واحدة وذودوا عن بيوت آبائكم وأجدادكم! وإذا كان يشق على أيديكم الحريرية الناعمة أن تجلد بالسياط أو تضرب بالسيوف فحاربوا بسعف النخل وأغصان الزيتون! حاربوا بالسلام! حاربوا بالغندية! ان الشريف لا يعدم سلاحا ينافح به عن الحق، أما الجبان فيموت الحق شهيداً بين سمعه وبصره، وهو في غاب من بنادق وحراب. ألا ليت الجبان كان لعيناً يزجر الطير ويفزع الثعالب فان هذا اللعين يخاف كل شيء ولا يخيف أحداً!! ...... الشاعر القروي



ابرة المغناطيس

للدكتور عبد الوهاب عزام

جلست الى مكتبي البارحة، فوقع بصري على بيت الابرة، فانفتحت أمامي سبل من الفكر لاتحدها غاية. وانى اذ أحاول أن أقيد هذه الفكر على القرطاس لمحاول أن أسلسل بهذه الاحرف خطرات الفكر الخاطفة التى تطوي الاجيال والاقطار فى لحات. وتجمع السماء والارض فى طرفة عين:

قلت ما أعجب هذه الابرة! انها هادية لاتضل، عارفة لاتخطىء. تنتحى الشمال مهما أدرتها عنه، ولا تنسى عهد المغناطيس مهما أبعدتها منه. ومهما جمعت عليها من الحجب والظلمات، وأضعفت لها فى المسافات، فهى مولية وجهها شطره محسة جذبه، موصولة به، خبيرة بوحيه، لاتنساه ولا تشرك فى هواه. ليت شعرى أأهدي من الانسان هذه الابرة الصغيرة! أجل انها لتهدى الانسان فى البر والبحر والسفر والحضر.

أحسست حينئذ خفقان قلب يذكرنى أن فى صدر الانسان ابرة أخري مرشدة هادية، تتوجه شطر معدنها أبدا ولا يصدها عنه تطاول الأمد وبعد المدى

ألم تهد هذه الابرة الأمم فى ظلمات الجاهلية، وغيابات القرون، فعصمتهم على العلات من الهلاك، وأخرجتهم إلى النور على تكاثف الظلمات. ولاتزال هادية بصيرة بالغاية، خبيرة بالسبيل اليها — كم عبدت الانسان شهواته، وأضلته عن الخير مطامعه. فما زالت هذه الابرة تضطرب فى صدره حتى اهتدي سبيل النجاة، ووضع على هدأها منار الطريق. كم طغت بالانسان ضغائنه وأحقاده، فمازالت هذه الابرة تخفق فى جوانحه حتى عرف إلى الحب والألفة والمودة السبيل، واستقام على النهج لايميل. وكم غلا الانسان فى ظلمه وعدوانه، فمازالت تتحرك فى أضلاعه حتى أشعرته نفسها ثم ردته إلى خطة للعدل محمودة، وسبيل من الانصاف رشيدة. وكم غدر الانسان ثم اهتدى بها الى الوفاء فندم على ماقدم، واغتبط بما اهتدى. وكم أجرم الانسان فوخزته فأفاق، فكأنما صور خلقاً آخر ينفر من الاجرام، ويركن الى السكينة والسلام. وكم سفلت بالانسان سجاياه، فعملت فى صدره حتى سمت به إلى العلياء، وطارت به من الحضيض الى عنان السماء. وكم وقفت [illegible] نسان همته فدفعته هذه الابرة العجيبة فمضى قدما الى العمل، وهمزته فدأب لايعرف الكلل. وكم أظلم على الانسان طريقه، وعميت عليه أرجاؤه. واطبقت عليه سحائب سوداء، وأحاطت به ظلمات لاشية فيها من الضياء، فنظر اليها فاذا هى الى الغاية دليل، واذا هى على الظلمات قد استقامت على السبيل — وكم حارت بالانسان آراء مضلة. وأفكار غائلة، وأقوال ساحرة، فلماهلك أو كاد، ودارت به الحيرة والالحاد، أحس اضطرابها فى نفسه فسكن، فتهافتت الآراء وتهاترت الأقوال، وثاب اليه هداه فوجد أمامه الله.

* * *

إيه أيتها الابرة الهادية! ضل الانسان فى صباه وهرمه، وجهله وعلمه، وسعادته وشقائه، ووحدته واجتماعه، وحله وترحاله، لولا هداية من الله فيك. وبصيص من نوره فى نواحيك، وصلة به لاتنقطع، وشعور به لايضل، وجذوة من حبه لاتخمد.

وأما الذين أضلتهم الأهواء، فعميت عليهم الانباء، وتخطفتهم فى الحياة المآرب، فتذبذبوا بين شتى المذاهب. وشرق بهم مطمع وغرب آخر، وتلونت لهم غيلان من الآمال والاعمال، والذين فقدوا أنفسهم وهم لايشعرون، وضل سعيهم وهم يحسبون انهم مهتدون، والذين يلبسون كل يوم ديناً، ويبدلون كل حين رأياً، ويلبسون لكل دولة وجهاً، ولكل سلطان زياً، ويتخذون لكل ساعة لساناً، ولكل فرصة وجداناً، فأولئك أغفلوا النظر اليك فحرموا الاهتداء بك، بل أولئك فى إبرتهم خلل قد عرض، أو أولئك فى قلوبهم مرض.

عبد الوهاب عزام

الجمال الطبيعى والفنى

للأديب الانجليزى كلاتون بروك

(A. Clutton - Brock)

عن كتابه (مقالات فى الفن Essays On Art)

للطبيعة جمالها وللفن جماله ، وقد بذلت مساع كثيرة لايضاح الفرق بين الجمال الفنى والجمال الطبيعى ؛ لكن نظرية « سيجنر جروس Signor Groce » كثيرة الانصار اليوم ، وهى تقول : « إن الطبيعة تمد الفنان بالمواد الأولية فقط ، وإن الشعور بجمال الطبيعة هو مبدأ التدرج الفنى ، وان عقل الفنان موجد الترتيب والتناسب فى الطبيعة المهوشة ، وان الناس جميعهم قادرون على إيجاد هذا الترتيب ولكن بدرجة محدودة . أما الفنان فيظهر هما أكثر جمالا وكمالا ، الفنان قوى الاحساس يستطيع أن يصنع (Make) الجمال الذى يحسه ، الاحساس جزء من الصنعة .

ويقول جروس : « اذا كان الفنان يصنع جمال الطبيعة بشعوره به ، واذا كان من الممكن أن يتولد هذا الجمال بعمل عقله ، يكون جمال الطبيعة حينئذ من نفس الجمال الذى يظهر فى فنه ، ثم اذا ظهر لنا أن فن الفنان يختلف عن جمال الطبيعة فما ذلك إلا لاننا أنفسنا لم ننظر جمال الطبيعة كما نظره الفنان ، ولاننا لم نحول كل التهويش الى ترتيب . واعلم أن هذا الاختلاف بين عمل الفن وعمل الطبيعة ليس اختلاف نوع بل اختلاف قدر ، وأنه لا اختلاف فى الحقيقة بين جمال الطبيعة وجمال الفن لا فى النوع ولا فى القدر . ان ما يصنعه الفنان يراه ، وما يراه يصنعه ، كل الجمال فنى ، وان حديثك عن جمال طبيعى حديث خرافة » .

رغماً عن « جروس » وكل حذقه وما فى نظريته المتطرفة من حق لا يمكن أن نعتقد أننا نصنع الجمال حينما نراه ، وأن الفنان يصنعه حينما يحسه ، ولن نعتقد أن الجمال الذى يصنعه هو من نفس طبيعة الجمال الذى شعر به ، ولا هو — مثلنا — يقدر الجمال الذى يحسه حق قدره لانه يعلم أن لا بد له من صنعه ، وأنه شىء مستقل عن نفسه . الفن ليس أكثر من تأثر عقل الفنان بجمال الطبيعة ، وعلى قدر ما فى العمل الفنى من عاطفة واحساس يكون ما فيه من جمال .

إذا عرف الفنان أن الجمال الذى يحسه هو نتاج عقله ، لا يستطيع بعدها أن يقدره حق قدره ، وانه اذا تمسك بنظرية « جروس » خرج عن كونه فناناً وأصبح ذا صفة أخرى ؛ لاشىء يقتل الفن مثل الجرى وراء ايجاد جمال من نفس طبيعة الجمال الذى نراه فى الطبيعة .

نشاهد فى جمال الطبيعة صنعة Work Manships غاية فى الاتقان ، وانها كذلك غاية فى الاتقان ؛ لأنه لا يوجد فى الحقيقة ثمة صنعة ، الاشياء الطبيعية لم تصنع وانما ولدت ، أعمال الفن التى صنعت ، توجد فروق جوهرية بين الاشياء التى صنعت والاشياء التى ولدت ، ثم بين جمال هذه وجمال تلك .

لابد وأن يظهر فى كل من الاعمال الفنية جهد الصنعة ونقصها وخشونتها ، وان هذا الجهد والنقص والخشونة انما هو فى الحقيقة روح جمال الاعمال الفنية وانه هو الذى يميزها من جمال الطبيعة ، وحاليا يمتنع الناس عن فهم ذلك ويستخفون بهذا الجهد والنقص والخشونة ، تراهم على الغالب لا يظفرون حين يطلبون من الفن الجمال الطبيعى بغير جمال ميت .

يمكننا أن نفهم أحسن فهم الفرق بين نوعى الجمال اذا نحن تدبرنا كيف ينسل الجمال فى اللغة ، هذا الفن الذى نمارسه جميعنا قليلا أو كثيراً ، والذى يصعب فيه ان لم يكن مستحيلا تقليد غاية الجمال الطبيعى ؛ لا يوجد جمال فى مثل جملة : « سينال المعتدون جزاءهم » لانها تؤدى المعنى المراد تماما بلا زيادة ولا نقصان ، ويوجد جمال فى مثل جملة « ليال سرقناها من الدهر . . . » لان فيها ، وان كانت تظهر أيضا غاية فى البساطة ، يحاول الشاعر أن يقول أكثر بألف مرة مما يستطيع أن يقوله ؛ ان السعى فى عمل ما هو خارج عن طاقة الكلمات هو الذى يحمل الجمال الى الكلمات ؛ تلك هى طبيعة الجمال الفنى التى بها يتميز من الجمال الطبيعى ، الاعمال الفنية هى دائما وليدة السعى لاتمام المستحيل ، لاتمام ما يعرفه الفنان أنه مستحيل ، وانه حينما لا يوجد هذا السعى ، حينما يكلف الفنان نفسه عملا فى وسعه اتمامه ، عملا لا يدل على غير المهارة ، حينئذ يخرج عن كونه فنانا . يقول (جروس) إن شعورنا بالجمال يتوقف على قوة احساسنا بعظمة الأشياء ، هذا صحيح ؛ غير أن قوة احساسنا هذه تبقى قوة احساس غير قادرة على صنع ما تحسه ! ان الفن ليس مجرد انساع طريق الشعور كما يزعم (جروس) ، وانما هو تجربة عملية لاظهار مقدار شعور رجل الفن ، فن الفنان جواب لجمال الطبيعة وعبادة له ،

الفن أيضاح حالات حاصة ، حالات اعجاب وتقدير ، هو التسليم ببعض اشياء أعظم من الانسان وحيث لا يوجد هذا التسليم يموت الفن .

ان هذا الفرق بين جمال الطبيعة وجمال الفن لا يرى في الجمعية التي تعتقد أنها تستطيع أن ترفع سماء بمهارتها وعلمها وحكمتها ، أن الفن في مثل هذه الجمعية يفقد كل خواص جماله .

أن الرجل الذى يتطلع الى الكمال فى الفن انما يخدع نفسه إذ الكمال لله وحده ، ولا ريب أن من عرف الله حق معرفته أصبح شبيها به وأمكنه أن يكون الجمال مثله ، ولكن انى للانسان ذلك ، بل أن العجز ليجعله غير قادر على اتمام موضوعاته التى توحى اليه بها معرفته الله ، معجبا بسمو لا يد له فيه ؛ وهكذا ترى النقص باديا فى كل جمال فنى ليس فى الفكر فحسب ، بل فى العمل أيضا ، وانه لنقص يحسبه خيبة وشناعة اولئك الذين يتطلعون الى مسمى الجمال الطبيعى فى الفن والى توقع رؤيته نظريا لا صنعياً ، مثل هؤلاء يفشلون أبداً فى الاعمال الفنية العظيمة لما يعروهم من قنوط وكد وجهد ؛ انهم موازين قدرة الانسان واعترافه بالعجز فى آن واحد ؛ بيد ان هذا الاعتراف القائم على الصدق والإخلاص ان هو إلا الجمال بعينه ، وأن الصفاء ليبدو فى جمال الفن ابداً ولكنه صفاء الاذعان لا صفاء الرضى ، صفاء القداسة ، وليس لا صفاء التجمل ، ان العظمة غير المحدودة فى كل ما يأتى به الفن ليست سوى أثر مهارة يلذها سعي الفنان الدائم ليعمل أكثر مما يستطيع . ليس للفنان ان ينشد مجرد الثناء وتصفيق الاستحسان بل يجب أن يعبد أيضا وان يدع ما يقدمه بين يدى عبادته ، ذلك خير وابقى ، ليس الرعاة وحدهم الذين تقدموا الى قبر السيد المسيح ، بل الحكماء أيضا جاءوا يحملون اليه كنوزهم ، وفن الانسانية انما يكون بآثار حكمائها ، بل هو عبادة المجوس أكثر الناس بساطة فى عبادتهم .

(أيها الحكماء لقد قطعتم كل طرق المعرفة وانتهى بكم المطاف الى حيرة الراعى ؛ ولكنها الحيرة التى لا تذهب بالحكمة) .

التى عندما تقف حائرة وتتوجه معرفة الانسان ومهارته وكامل شعوره الى الاقرار لما هو أعظم من الحكماء أنفسهم يكون ذلك الاقرار هو الفن ، ويكون له من الجمال ما يفوق جمال الطبيعة القدسى .

شرق الأردن — بشير الشريق
المحامى

الحقيقة . . . والخبز !

للاستاذ على الطنطاوى

كانت ليله باردة . تزأر فيها الرياح زئيراً مرعباً ـ ويهبط فيها البرد مجنوناً ، فيصطدم بالنوافذ والجدران . ويكون لوقعه على نافذة النادى الوطنى فى تورينو (فى بيه مونت) صوت كصوت الطبل . وكان النادى خالياً تلك الليلة الا من نفر جاؤه على رغم هذا البرد .. وتجمعوا حول الموقد يحتسون الخمر ، حتى اذا اكثروا من الشراب ، واثقل رؤسهم جو النادى الثقيل ، الملىء بالدخان ، استرخت اعضاؤهم ، وتمددوا فى كراسيهم ، يتجاذبون اطراف الاحاديث فى فوضى واضطراب . ولم يكن فيهم مصغ ، بل كانوا جميعا متحدثين صاخبين ..

ورأى خادم النادى تثاقلهم عن الذهاب ، فعلم انهم لا ينوون براحاً قبل الصباح . فمشى الى الباب على حذر ، ثم أغلقه دونهم وخرج وهو يدهب عنقه فى كتفيه ، ويتنفس الصعداء . وهرول يريد بيته وعياله

ولبث القوم على صخبهم حتى صاح منهم «دافى» :

ـ هو . . . ألا ترون هذه الفوضى مضجرة ؟

وكأنما نبههم بصياحه فأنصتوا . وقال صولين

ـ وماذا تريد ؟

ـ أريد أن نشرب قدحاً آخر على روح الدكتور !

فتبسم صولين ضاحكا من قوله ، وانبرى له بيبر بحدة كالذى لدغته عقرب فقال :

ـ أتعود الى ذكره ؟ لقد ذهب الى الشيطان !

ـ ولكنه كان مخلصاً

ـ نعم ، كان مخلصاً للنمسا (عدوة الوطن) للنمسا التى عاش سبعة أعوام يتلقى العلم فى جامعاتها ، ويتلقى معه بذور الخيانة للبلد الذى أنشأه ، حتى اذا عاد أنكر هذا البلد الذى غادره ، طيعاً هادئا : يؤثر السلم والطمأنينة ، ولو فى ظل الأجنبى الغاصب ، على الجهاد فى سبيل الحرية ، فوجده حين عاد متيقظاً قد غمرته الروح المقدسة ، روح الجهاد من أجل الوحدة الايطالية ، وانتشرت فيه كالسيل

الجارف الذى لا يقف أمامه شىء ، قد آمن بها الرجال جميعا ، وتخطت جدران المنازل فاعتنقها النساء ، وجازت أبواب المدارس فاستقرت فى نفوس الأطفال ، ودخلت قصور الحكومة فاحتمت بها ، ووقفت منها موقف الصديق المرحب ، آملة أن ترفع لها راية حمراء ، تقود الشعب تحتها لانتزاع حريته من فم الأسد ، من النمسا ! وجد الدكتور ذلك قبالة وعمل على محاربته، فسقط فى الميدان صريع خيانته

- لا تقل خيانة . ان القاء محاضرة علمية عن قيمة الامبراطورية الرومانية لا يعد خيانة. وحسب الدكتور أنه أرضى ضميره العلمى وأظهر تاريخنا للناس مجردا من ثوب الغرور الوطنى

- أنه خالف الحقيقة . فروما سيدة العالم لا يمكن أن تكون من عنصر العالم . هى من عنصر اسمى . هى أم الشعب المختار

- لو كانت كذلك ، لما انقرضت ، الصالح يبقى أبداً . . .

وعلت الاصوات . حتى صارت المناقشة ضجة جوفاء . . فاسكتها صولين . . وقال بهدوء

- وماذا يعنيكما من الحقيقة حتى تتقاتلا من أجلها؛ مهما تكن حقيقة الامبراطورية الرومانية ، فالغرور الوطنى ، خير منها . مادام هو السبيل إلى حياتنا واستقلالنا

فصاح به دافى :

- هذه آراء خطرة ؟ قل لى من ذا الذى لا يشتهيه الحقيقة ؟

- الجائع المشرف على الموت ! ان الحقيقة الواحدة هى فى نظره الرغيف ، ورغيف يابس أبلغ لديه من كل ماحوت مكتبة روما

- قد يكون ذلك ، ولكن الحقيقة تبقى لها قيمتها

- عند من تبقى لها هذه القيمة ؟ انك لم تفهم ماقلت ؟ ان الحقيقه يهتم بها ويفكر فيها من يشبع من الطعام . كما يفكر فى الحلوى ويشتهى الفاكهة . أما الجائع المشرف على الموت فينكرها . لا يحس بوجودها . يصبح عقله فى معدته . أفهمت ؟

ولاحت على شفتيه ابتسامة تهكم خفيفة ، اغتاظ منها دافى فقال بحنق :

- وماذا تعنى ؟

ثم بدا له ان هذا الحنق انهزام منه فتكلف الوقار وقال :

- وضح كلامك من فضلك

- كلامى واضح ، فاذا لم تتبينه فليس الذنب على . أعنى أنه يجب على الانسان أن يعيش ثم يتفلسف . كما قال المثل اليونانى . وكذلك الأمة ، لتستقل أولا وتبن لها كيانا قائما ثم تبحث عن الحقيقة . أما البحث عن الحقيقة أولا فجريمة !

- ولكن اذا لم نراع المبادىء الاخلاقية فى بنائنا كياننا قام على مبدأ الوحشية . وارتكز على عظام غيرنا ، افنبنى كياننا على عظام الابرياء ؟

- اذا لم يوجد غيرها . فلم لا ؟ اذا لم يكن بد من قتل احدكما . فكن أنت القاتل

- ولماذا ؟

وظن انه سيعجزه بهذا الاعتراض . وخالطه الاشمئزاز من آراء صولين والشعور بانه يفوقه علما وذكاء . فمط شفته السفلى متهكما وردد

- ولماذا بالله ؟

لماذا ؟ لأن حياتك اثمن من كل شىء . ولأن تنال حياة وحشية خير لك من أن تعدم الحياة

- ولكن الفضيلة

- لا دخل للفضيلة فى أمر الحياة - لن الفضيلة والعدل والحقيقة والجمال الفنى - كل اولئك وسائل ابتدعها الانسان الى ترف الحياة واستمرارها قوية ، فاذا استحالت وسيلة الى فقد الحياة فلتذهب الى لعنة الله

- وماذا تقول فى مبدأ الانسانية؟ وكيف يتفق ودعوتك الى قتل اخواننا من البشر ؟

- انا لا ادعو الى قتل احد . . ولكن من اراد قتلك فلا تقف منه مكتوف اليدين، أما مبدأ الانسانية فلا انكر انه من اجمل (السخافات) التى اخترعها الاقوياء لتكون قيدا جميلا، يقيدون به الضعيف

- اتقول انه (سخافة) ؟ يالله ! لست اطيق سماع آرائك الشاذة

- أولا تظنها كذلك ؟

- من ؟ انا ؟ ابداً !

- وتراها حقيقة ؟

- طبعاً

- وترى البشر كلهم اخوانا ؟

- بلاشك

- اذن فانت ايها الايطالى اخو النمساوى الذى غلبك على بلادك

صحائف المجد والخلود

الفن المصرى القديم

— ٢ —

قد يكون من بعض الاسباب التى يقوم عليها عذر اولئك المنكرين لفضل الفن المصرى على أنه أساس الفنون الأخرى ، ان الفن المصرى هو فن فذ ، ذو أسلوب فريد يختلف عن بقية الفنون ، يجعله كما يعتقدون — أو يتوهمون — جافاً ليس خراً . أو أنه فن محلى بحت لقيامه على قواعد وشروط خاصة ، أو نظام قومى لايتعداه ، يجعله غير مألوف لأعين الأمم الاخرى ، أو غير متوافق مع مزاج كل أمة لشذوذه عن المعروف عندها . بخلاف الفن الاغريقى . فهو فن متفق مع جميع الفنون الأخرى فى الغرض والاسلوب . أو هو فن دولى ، فهو لذلك الفن الجدير الصادق . ولهذا أغضوا عن الفن المصرى القديم ، وقام فى أعينهم مكانه الفن الاغريقى كأساس لكل فنون العالم ، وذهبت هذه الفكرة الواهية بمعالم الحقيقة .

وسأحاول أن أدافع عن هذه الحقيقة ، وأقاوم تلك الفكرة التى لاينبغى أن تلبس العقول . وقد أتمنى أن أوفق لاثبات الجدارة للفن المصرى القديم ، وللتدليل على أنه الأساس ، إن لم يكن لكل تلك الأساليب من الفن التى يبهر بها الغربيون أعيننا الآن ، فلا أقل من أن يكون صاحب الفضل على جميع أقوام العالم فى تدريبهم على كيفية رسم المجسمات وعلاج الألوان ، أو أن يكون قد وضع الأنموذج المبدئى فى كيف ترسم اليد جسم الانسان رسما صحيحاً ، وكيف تتقن تصوير أعضائه وتمثيل عضلاته . ثم كيف بعد ذلك ينتخب ذوق الانسان الألوان التى تتناسق وتتفق تحت العين .

ارتباط الفن بالدين :

ان فنون العالم ، وقد بدأت كلها حياتها فى خدمة الديانات ؛ وفى تحقيق أغراضها المختلفة ، تدرجت الحال بها كلما تقربت الأمة الى فهم معانى الجمال ، وتوغلت فى أساليب المدنيـــة ، الى طرح التقاليد الدينية جانباً . وتخطتها الى التعبير عن الأغراض الدنيوية ، والكشف عن أسرار الطبيعة بما فيها من جمال وروعة . فاتفقت كلها على أن تعطينا أخيراً تلك الخلاصة البارعة فيما نتمتع به اليوم من مبدعات الفن .

الا الفن المصرى القديم . فانه ظل للديانة المصرية خادما أمينا ؛ محافظا على غايته واغراضه مدى الخمسين قرنا الطويلة التى عاشها فى التاريخ . ولم يخن عهوده يوما ما ، ولم يتزعزع عن خدمة الديانة حتى فى أنشط أدواره ، فى غضون عصر الاسرة الثامنة عشرة عندما جنحت الفكرة بفن تل العمارنة الى الاغراق فى تزويق القصور .

ومن ذلك كان الفن فى كل أدواره مرتبطا مع الدين برباط وثيق . يتأثر تبعا للانقلابات الدينية ، أو لحركات العبادة ذاتها . أو قل ان الكهنة كانوا غالبا يسيطرون على دقة الفن ، فيوجهونها حيثما شاءوا ، بحسب العقيدة والاهواء الدينية . لما كان للكهنة من سلطة عظيمة فى البلاد ، تقارب سلطة الملك ذاته ، بل ان سلطتهم كانت فى بعض الاحيان ، تفوق سلطة الملك .

ولكن الفن الذى تركه لنا أولئك القدماء ، أعطانا ، مع ذلك ، اخر مايشهد بقدرتهم وكفايتهم ، وأصدق مايعبر عن نضوج اذهانهم واكتمالها . بل أعطانا فى كل أسبابه شواهد لاتحصر من البراعة والسمو والابداع ، مع وافر من الرشاقة والجمال . فى حين أن كل فن ، قام أو يقوم بخدمة الديانة بعده ، وقف طويلا فى طريق الجمود ،

ونازعك على خبزك ، واتخذك عبداً له ؟ لا احسبك من البلاهة بحيث تقول ان الجلاد الذى يعذب السجين ويشوى جلده بالسياط هو أخوه

- انك تهدم الاخلاق من اساسها !

- ذلك خير من أن تنهدم امتى التى تبنى الآن . ولست من رأى الدكتور الذى بحث عن الحقيقة فى شعب يبحث عن الخبز . وقد يأتى يوم يصبح فيه من الشهداء ، ينصب له تمثال . اما الآن فليس الاخائنا

***

ولم يعد يطيق البقاء بين هؤلاء السخفاء الذين يذبحون امتهم بسيف من الذهب . . . فخرج من النادى والسماء تهبط على الأرض فى رعد وبرق ، ففتح فاه ونشق الهواء الطلق ، وصاح صيحة النشوان :

- بهذه الثورة السماوية ، تكون حياة الأرض . .

دمشق   علي الطنطاوى

الى الآنسة لطفية النادى

صور خالدة

من بطولة المرأة العربية

نسيبة بنت كعب المازنية :

سيدة امتلأت كرما ونبلا وفاضت شجاعة وحماسة وازدانت بكل ما يزين المرأة من قلب رقيق وحساسة قوية وعطف شديد ، كما تحلت باقدام الرجال وحزمهم .

خرجت هى وزوجها زيد بن عاصم وولداها عبدالله وحبيب(١) فى ذلك النيف والسبعين من الانصار يوم العقبة الثانية يريدون رسول الله المصطفى يبايعونه مستخفين لئلا يؤذيهم الجاهلون ، فبايعوه والناس نيام فى ثلث الليل الاخير فى اليوم الاوسط من أيام التشريق من السنة الثالثة عشرة للبعثة ؛ وعادوا الى المدينه ووجوههم تطفح بالبشر بما نالوا من خير ، وقلوبهم ترقص طربا بما نفحهم الحق سبحانه من نوره ، من نعمة الايمان ونور الهدى

كان يوم أحد - يوم تلك الغزوة التى كاد ان يقضى فيها على المسلمين - فاظهرت نسيبة - رضوان الله عليها - من رباطة الجأش والاستبسال فى القتال مالم يكن للابطال المداويد من فرسان العرب المغاوير

فقد التحم الجيشان (٢) وكانت الدائرة - اول الأمر - على المشركين فانكب المسلمون على الغنائم وشغلتهم الأسلاب . فتجمع المشركون ثانية وزحفوا عليهم زحفة اطارتهم كل مطار ولم يبق حول رسول الله الانفر قليل فيهم ابو بكر وعمر وعلى وسعد وطلحة والزبير ونسيبة هذه وزوجها وابناها . ومارأت نسيبة دم المصطفى يسيل على وجهه ، ورباعيته قد كسرت ودخلت حلقة المغفر فى رأسه حتى طرحت قربتها التى كانت تسقى منها العطاش وانتضت مهنداً تقاتل دون الرسول ببسالة وإقدام فائقين حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيها « ما التفت يمينا وشمالا الا وأنا أراها تقاتل دونى » .

ولقد جرح ابنها عمارة فى عضده اليسرى ضربه رجل كأنه الرقل (النخلة) ومضى عنه فجعل الدم ينزف فقال رسول الله « اعصب جرحك فأقبلت أمه ومعها حقائب فى حقويها قد أعدتها للجراح - والنبى واقف ينظر فضمدت جرحه وقالت انهض بنى فضارب القوم فجعل النبى يقول « ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة » وإذا بضارب ابنها يظهر فقال المصطفى « هذا ضارب ابنك » فاعترضت له وضربت ساقه فبرك فابتسم الرسول وقال « استقدت يا أم عمارة » ثم أخذت تعل الرجل بالسلاح حتى أتت عليه . فقال الرسول « الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك » . وقد جرحت اثنى عشر جرحا وهى لا تعنى حتى ضربها ابن قمئة ضربة غائرة فى عنقها ، فنادى رسول الله « عمارة ! أمك ! أمك ، اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان » فلما سمعته قالت « ادع الله أن نرافقك فى الجنة » فقال « اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة » فقالت « ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا » .

ولنستمع اليها تحدثنا هى عن بلائها ذلك اليوم : « قالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى ، قالت راوية الحديث فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا ؟ قالت « ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول « دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس

(١) الاصابة ج - ٧ - والطبرى وابن هشام . (٢) ابن هشام

ومصر لايجب أن تعتبر وثنية بكل المعنى . لأنها فى كل أدوار تاريخها كانت متغلغلة فى أسباب الديانة ، مراعية للخير والصلاح بكل دقة ، تقدر الحساب والعقاب ، وتعمل للآخرة ، حتى طبعت ارضها بطابع دينى . يقرب كثيرا فى بعض الاحيان من الحقيقة . وفنها من أجل ذلك ، فى مسحته القدسية ، يجعلنا بعيداً عن الحقائق الأرضية ، بما يفوق الفن الاغريقى . ولكنه فى الوقت نفسه نابض بكل معانى القدرة والرزانة ، متواضع مع الافكار البشرية ، مخلص كل الاخلاص فى التعبير عن الإنسانية الأولى .

« يتبع »

احمد يوسف
بالمتحف المصري

من ثبت مع رسول الله فضربنى بهذه الضربة ولقد ضربته ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان (١)

وهناك موقف آخر من مواقف بطولتها الخالدة يوم خرج خالد ابن الوليد فى جيش فيه ولداها لقتال مسيلمة الحنفى . فاسر مسيلمة ابنها حبيبا فعذبه واراد فتنته عن دينه ، ولكن انى لهذا الشهم الكريم سليل تلك السيدة الكريمة الباسلة التى غرست فيه الشمم وقوة الايمان يوم ان ارضعته . أنى له ان يفتن فى دينه أو يصبأ عن عقيدته.

روى ابن هشام (١) فى السير ما نصه « ... وابنها حبيب الذى اخذه مسيلمة صاحب اليمامة فجعل يقول له أتشهد ان محمداً رسول الله فيقول نعم ، فيقول افتشهد انى رسول الله فيقول له اسمع فجعل يقطع منه عضواً عضواً حتى مات فى يده لا يزيد على ذلك : اذا ذكر رسول الله آمن به وصلى عليه ، واذا ذكر مسيلمة قال له اسمع ، فلما بلغها هذا خرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً ما بين طعنة وضربة »

***

هذه هى نسيبة بنت كعب التى كانت مثلا عاليا أعلى فى التضحية والاقدام ، والبسالة والنبل . على انها ما كانت لتقتصر على هذا فقد كان لها نصيب وافر من العلم فقد روت عن النبى وحدثت كما فى الاصابة .

فهلا تحذوها اوانس اليوم اللائى نسين واجباتهن وفرطن فى كل شىء عدا زينتهن وترفهن

فلتأتس الشابات الكرائم بنسيبة ذلك العصر ، ولطيفة هذا الوقت ليقمن بما عليهن لهذا البلد الامين فينشئن له من فلذات اكبادهن رجالا اولى قوة ، شدادا صلابا ينقذونه مما هو فيه ؟

اسعد طلس

« ١ » السيرة لابن هشام ص ٥٧٣ طبع أوربا فى فصل عنوانه « أم عمارة نسيبة الخ »

(٢) ص ٣١٢ طبع اوربا

التعليم العالى للنساء

للآنسة أسماء فهمى

درجة شرف فى الآداب

مازال التعليم العالى للنساء فى مصر وليدا فى المهد ، ولم تتهيأ اغلبية العقول بعد للاقلاع من المبدأ القديم الذى يقول إن المرأة لم تخلق الا للدار وانجاب الاطفال ويكفيها لقضاء مهمتها الخاصة أقل قسط من التعليم . وتحت تأثير هذا الزعم كان قبول الفتيات بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٨ بطريق الاحتيال والتآمر كما ذكر أحد رجالات التعليم فى مصر فى حفلة تكريم أولى خريجات الجامعات بدار الاتحاد النسائى فى الشهر الماضى . والواقع ، مازال التعليم العالى للنساء فى بلادنا نبتا يخشى عليه من تقلبات الجو السياسى وزوابع الآراء الرجعية بالرغم من ان النساء فى البلاد الاوربية الراقية التى تحذو مصر حذوها فى كثير من نواحى حضارتها ، قد حصلن على هذا الحق منذ أكثر من ثمانين عاما

ولما يخامر النفس من شكوك ومخاوف ، على مستقبل التعليم العالى للمرأة المصرية ، رأينا ان نتأهب للدفاع ، بعرض قضية المرأة اليوم على بساط البحث بادئين ببيان الغرض من التعليم العالى ثم ما يترتب عليه من النتائج بالنسبة للمرأة والمجتمع .

يمتاز التعليم العالى الصحيح الذى يتحرر فيه الطالب من كل القيود بكونه يهيء مجالا واسعا لتكوين الشخصية ولاظهار المواهب بما ان من اول شروطه البحث المستقل والاطلاع الواسع والاعتماد على النفس فى تكوين الآراء والوصول الى نتائج تدعمها الحجج القوية والبراهين . كما ان من مزايا هذا التعليم أيضا فيما لو سار على أسسه الصحيحة ، الاتصال بالمجتمع ودراسة أزماته وظواهره المختلفة من سياسية واقتصادية وتدريب النشء على اعمال الجماعات والقيادة بأن يشتركوا فى تكوين الجمعيات الصغيرة للبحوث والالعاب والاغراض المختلفة التى تنشأ فى ظل الجامعة . وبهذه الطريقة يعتادون العمل المشترك والتعاون وتضعف فيهم النزعات الانانية . وبذلك يصبحون اعضاء نافعين للمجتمع والانسانية .

والمرأة احوج ما تكون الى مثل هذا التعليم الذى يتضمن كل هذه المزايا فلها عقل كعقل الرجل هو الفارق بينهما وبين الحيوانات غذاؤه الطبيعى العلوم ونموه وصقله فى استغلالها واستثمارها وبما ان المرأة انسان فلا يصح ان تمنعها الأمومة أو الحياة المنزلية من ان تستكمل اول مميزات الانسان

بان تستمتع بالتعليم العالي الوافي الطليق .. ثم إن المرأة في حاجة أعظم من حاجة الرجل الى الناحية الاجتماعية من هذا التعليم فهي بسبب انزوائها الطويل في عقر دارها وحرمانها من الاختلاط الحر وتناول الآراء قد عجزت عن تنمية الصفات الاجتماعيـــة في نفسها . تلك الصفات التي يمتاز بها الرجل المثقف وهي الميل إلى الاعمال المشتركة، وسعة الصدر في المناقشة والتفكير المتواصل الرصين ولو تحلت المرأة بتلك الصفات فوق ما تمتاز به من حنان ورقة لارتفع ولا شك مستوى المجتمع. ولهنأت الحياة المنزلية . وتلك الصفات يمهد السبيل لاكتسابها التعليم العالي أو الجامعي ، ففي أثناء هـــذا التعليم تختلط المرأة بأناس مختلفي الطبائع والنزعات، متنوعي الأفكار والمذاهب، فيداوي ما بها من نقص ونظرة محدودة متأثرة بالمرغبات الشخصية الى الامور ... والواقع أن الحياة الاجتماعية في الجامعة لا تقل أهمية عن الحياة العلمية بما أنها تعد الطلاب للحياة العملية الراقية ولذلك اهتمت بها كل الاهتمام الجامعات العريقة مثل اكسفورد وكمبردج اللتين أخرجتا للعالم مهرة الساســـة والمصلحين .. وقد يعترض معترض : وما شأن المرأة بهذه الامور وهي لا ينتظر أن تكون من الحكام أو الساسة الماهرين ؟ حقا إن المستقبل القريب لا يبشر بمثل هذا التقدم وان كنا لا نيأس من حصوله في وقت ما ببلادنا أسوة بالبلاد الاخرى المتمدينة .

ولكن الفتاة المصرية كما بينا تفتقر الى الصفات الاجتماعية وفوق ذلك تبعدها الحياة الجامعية الصحيحة لان تقوم بنصيبها في ميدان الاصلاح وليس هنالك من يجهل نواحي النقص الكثيرة في بلادنا وقد جمع أحد مفكري الأمريكان الغرض من التعليم العالي للجنسين في قوله: « إن من يصرح بان الثقافة وتحرير المواهب الفردية هما غرض التعليم الأعلى، لا يذكر في الواقع غير نصف الحقيقة فالتعليم يكون ناقصا مبتورا اذا استمر منفصلا عن معالجة الشئون الاجتماعية، فهل بعد ذلك تحرم المرأة من التعليم العالي الذي ينمي مداركها ويجعلها أداة نافعة لاصلاح المجتمع خصوصا وأنها مطبوعة على التضحية، شديدة الحساسية، تؤثر فيها تأثيرا بليغا مظاهر الشكوى والألم ؟

تلك هي أغراض التعليم العالي ولم يبق الا أن نذكر شيئا عن بعض نتائجه التي يتخذها أنصار التردد والهزيمة حجة ضد التعليم العالي للنساء : فهم يقولون مثلا : أو ليس من نتائج التعليم العالي للفتيات اذا صدقت الاحصائيات أن أكثر من ٥٠ في المائة من المتعلمات تعليما عاليا في أوربا وامريكا يحجمن عن الزواج ويفضلن حياة الانتاج والتسبب والاستقلال على الحياة المنزلية التي لا تهيء لهن الميدان الكافي لاستثمار معلوماتهن بالذات فيقل عدد النسل ويضمحل أذ تترك تلك العملية الهامة لاغلبية من غير المتعلمات ؟ ثم الا تصبح أولئك المتمردات على الحياة البيتية عاملا خطرا من عوامل الأزمات الاقتصادية اذ ينافسن الرجال في ميادين الاعمال فيزداد عدد العاطلين والمعوزين من الأسر ؟

إن مجرد النظر السطحي الى مثل هذه الاعتراضات يظهر المرأة بمظهر الخارج على القوانين الطبيعية العامل على فناء النوع الانساني ومضاعفة أخطار الازمات الاقتصادية . ولكن الموضوع أخطر من أن نكتفي بالنظر السطحي اليه. لنسلم جدلا بأن أكثر من ٥٠ في المائة من خريجات الجامعة يحجمن عن الزواج عندما يجدن لذة كافية في الأمور العلمية واستثمار تعليمهن العالي . ولكن تسليمنا بذلك ماهو الا تسليم بجانب من الحقيقة فقط ؛ ويجب أن نذكر انصافا للمرأة واقرارا للحق أن المرأة التي لا تتزوج تخدم المجتمع في الغالب بطريق مباشر، طريق الانتاج العلمي والعملي واصلاح المساوىء الاجتماعية فعمل المرأة البيولوجي لا يصل وحده بالمجتمع الى الرقي والرخاء وانما الانسانية بحاجة الى مجهودها الموفق واستقلال مواهبها خارج المنزل كما هي بحاجة الى عملها الخاص داخله . أما ما يقال عن نتاج من يتزوجن من المتعلمات تعليما عاليا وان كن الأقلية فهو أن العبرة بالنوع لا بالعدد، وبالكيف لا بالكم . فلو لم تتعلم النساء هذا التعليم لكنا حقا اكتسبنا زيادة في عدد الاطفال، ولكنا من ناحية أخرى كنا نفقد الإضافة الى الانتاج العقلي والثروة المعنوية، والاطفال الممتازين الذين لا ينجبهم غير الامهات المتعلمات تعليما عاليا

اما المشكلة الاخرى وهي زيادة مزاحمة المرأة للرجل فيما لو تعلمت تعليما عاليا فيكفي ان نقول لهدم هذا الاعتراض انه ناتج عن انانية الرجل فلو لم يكن الرجل انانيا حقا لما عمل على تضحية المزايا المعنوية التي تترتب على تعليم المرأة تعليما عاليا في سبيل الاستئثار بالمزايا المادية بابعاد المرأة عن ميدان العمل بل هو قد يقدم على أكثر من ذلك فيعمل على ان يحرمها متعة التعليم العالي واللذة الروحية حتى يضمن عدم منافستها المادية في أحد الايام . إن مثل هذا الاعتراض لا يتفق مع شهامة الرجولة ولا مع اقدام الرجل

الشافعي واضع علم أصول الفقه

للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق
أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٧ —

ا — الدراسات الفقهية الى عهد الشافعي . ب — أهل الرأي وأهل الحديث
ج — الشافعي بين أهل الرأي وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د — وضع الشافعي علم أصول الفقه

ومذهب الشافعي الجديد وصل إلينا فيما ألفه بمصر من الكتب وقد سرد البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ — ١٠٦٥ - ١٠٦٦ م كتب الشافعي ولخصها عنه ابن حجر في ص ٧٨

(الرسالة القديمة ؛ ثم الجديدة - اختلاف الحديث ، جماع العلم - إبطال الاستحسان - أحكام القرآن - بيان الفرض - صفة الأمر والنهي - اختلاف مالك والشافعي - اختلاف العراقيين - اختلافه مع محمد بن الحسن - كتاب علي وعبد الله - فضائل قريش - كتاب الأم - . . .

وعدة كتب الأم : مائة ونيف وأربعون كتابا وحمل عنه حرملة كتابا كبيراً يسمى « كتاب السنن » وحمل عنه المزني كتابه « المبسوط » وهو المختصر الكبير والمنثورات وكذا المختصر — المشهور — قال البيهقي : وبعض كتبه الجديدة لم يعد تصنيفها وهي : الصيام — والصداق — والحدود — والرهن الصغير — والاجارة — والجنائز — فانه أمر بقراءة هذه الكتب عليه في الجديد وأمر بتحريق ما يغاير اجتهاده قال : وربما تركه اكتفاء بما نبه عليه من رجوعه عنه في مواضع أخرى

وبالاجمال تبدو اعتراضات المتخوفين من تعليم النساء تعليما عاليا واهية لانها تنافي اصول المنطق والعدل والشهامة وما هي في صميمها إلا نتيجة للانانية او الازمات الاقتصادية التي تجعل الناس يفتشون عن المرأة دائما شأنهم في كل شيء فيعملون على ارجاعها الى عقر الدار ناسين أو متناسين ماطرأ على العالم من تطورات فكرية واجتماعية واقتصادية خطيرة غيرت من وظيفة المرأة فجعلتها لاتقتصر على المنزل وتربية الاطفال وانما تشمل أيضا استخدام مواهبها خارج الدار او في قلب المجتمع وذلك هو العهد الجديد. والتعليم العالي هو الذي يهيء المرأة لهذا العهد الذي اصبح امرا واقعا فيجب أن نعترف به مختارين أو مرغمين

اسماء فهمي

قلت : وهذه الحكاية مفيدة ترفع كثيراً من الإشكال الواقع بسبب مسائل اشتهر عن الشافعي الرجوع عنها وهي موجودة في بعض هذه الكتب

ثم نقل ابن حجر : أن لأصحاب الشافعي من أهل الحجاز والعراق عنه مسائل وزيادات قال: وهذا يدل على أن (كتبا أخرى حملها عنه هؤلاء لأن هذه المسائل ليست في الكتب المقدم ذكرها)

وقد ترك ابن حجر في تلخيصه : كتاب « مسند الشافعي » ولا ندري : ان كان البيهقي قد تركه أيضا أم لا ؟ ويقول الرازي (ان كتابه المسمى « بمسند الشافعي » كتاب مشهور في الدنيا ، ص ١٤٦)

كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعي الى جمع المسائل وترتيبها وردها إلى أدلتها التفصيلية عند ما تكون دلائلها نصوصا .

وأهل الحديث لكثرة اعتمادهم على النص كانوا أكثر تعرضاً لذكر الدلائل من أهل الرأي

فلما جاء الشافعي بمذهبه الجديد كان قد درس المذهبين ولاحظ ما فيهما من نقص بدا له أن يكمله وأخذ ينقض بعض التفريعات من ناحية خروجها عن متابعة نظام متحد في طريقة الاستنباط

وذلك يشعر باتجاهه في الفقه اتجاها جديداً هو اتجاه العقل العلمي الذي لا يعنى بالجزئيات والفروع

ويدل على أن اتجاه الشافعي لم يكن الى تمحيص الفروع مما نقله ابن عبد البر في « الانتقاء » من : أن احمد بن حنبل قال : « قال الشافعي لنا : أما أنتم فاعلم بالحديث والرجال مني فاذا كان الحديث صحيحا فاعلموني أن يكون كوفيا ، أو بصريا أو شاميا ، أذهب اليه اذا كان صحيحا » ص ٧٥

وطريقة علاجه لمسائل العلم تدل على منهجه قال أبو محمد بن اخت الشافعي عن أمه قالت : ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح بين يدي الشافعي ، وكان يستلقي ويتذكر ثم ينادي ياجارية هلمي مصباحا فتقدمه ويكتب ما يكتب ثم يقول : ارفعيه ، فقيل لأحمد : ما أراد برد المصباح ؟ قال : الظلمة أجلى للقلب . مفتاح السعادة ج ٢ ص ٩١

وليس هذا النوع من التفكير الهادئ في ظلمة الليل تفكير من يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع

بل يعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية باصول تجمعها ، وذلك: هو النظر الفلسفي

قال ابن سينا في الشفاء « انا لا نشتغل بالنظر في الجزئيات

لكونها لا تتناهى وأحوالها لا تثبت وليس علمنا بها من حيث هى جزئية تفيدنا كمالا حكميا أو تبلغنا غاية حكمية ، بل الذى يهمنا هو النظر فى الكليات ،

وكان احمد يقول : الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : فى اللغة واختلاف الناس والمعانى والفقه (الرازى ص ٣٥)

وقد حاول الشافعى : أن يجمع أصول الاستنباط الفقهى وقواعدها علما ممتازا وأن يجعل الفقه تطبيقا لقواعد هذا العلم

وبهذا يمتاز مذهب الشافعى من مذهب أهل العراق وأهل الحجاز

د — وضع الشافعى لعلم أصول الفقه

اذا كان الشافعى هو أول من وجه الدراسات الفقهية الى ناحية علمية فهو أيضا : أول من وضع مصنفا فى العلوم الدينية الاسلامية على منهج علمى بتصنيفه فى أصول الفقه ، قال الرازى : اتفق الناس على : أن أول من صنف فى هذا العلم - أى علم أصول الفقه - الشافعى وهو الذى رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض وشرح مراتبها فى القوة والضعف

وروى : أن عبد الرحمن بن مهدى التمس من الشافعى وهو شاب أن يضع له كتابا يذكر فيه : شرائط الاستدلال بالقرآن والسنة ، والاجماع ، والقياس ، وبيان الناسخ والمنسوخ ومراتب العموم والخصوص ، فوضع الشافعى رضى الله عنه « الرسالة » وبعثها اليه

فلما قرأها عبد الرحمن بن مهدى قال : ما أظن أن الله عز وجل خلق مثل هذا الرجل ثم قال الرازى : واعلم : أن نسبة الشافعى الى علم الاصول كنسبة « أرسطاطاليس » الى علم « المنطق » ، وكنسبة « الخليل » بن أحمد الى علم « العروض » ،

وذلك لأن الناس كانوا قبل « أرسطاطاليس » يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة لكن ما كان عندهم قانون مخلص فى كيفية ترتيب الحدود والبراهين

فلاجرم . كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة فأن مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلى ، قلما أفلح . فلما رأى « ارسطاطاليس » ذلك اعتزل عن الناس مدة مديدة واستخرج علم « المنطق » ، ووضع للخلق بسببه قانونا كليا يرجع اليه فى معرفة الحدود والبراهين

وكذلك الشعراء كانوا قبل « الخليل بن احمد » ينظمون أشعارا وكان اعتمادهم على مجرد الطبع فاستخرج « الخليل » علم « العروض » فكان ذلك قانونا كليا فى معرفة مصالح الشعر ومفاسده فكذلك هنا الناس كانوا قبل الامام الشافعى يتكلمون فى مسائل « أصول الفقه » ويستدلون ، ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة وفى كيفية معارضتها ، وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى علم « اصول الفقه » ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع . . ثم يقول الرازى : واعلم ان الشافعى صنف كتاب « الرسالة » ببغداد ولما رجع الى مصر أعاد تصنيف كتاب « الرسالة » وفى كل واحد منهما : علم كثير ص ٩٨ - ١٠٢

ويقول « بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى » المتوفى سنة ٧٩٤هـ ١٣٩١ - ١٣٩٢ م فى كتابه فى أصول الفقه المسمى بالبحر المحيط « فصـــل » : الشافعى أول من صنف فى « أصول الفقه » صنف فيه كتاب « الرسالة » وكتاب احكام القرآن واختلاف الحديث وأبطال الاستحسان وكتاب « جماع العلم » كتاب القياس - الذى ذكر فيه : تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول شهادتهم

ثم تبعه المصنفون فى علم الاصول ، قال احمد بن حنبل « لم نكن نعرف الخصوص والعموم حتى ورد الشافعى »

وقال الجوينى فى شرح الرسالة : لم يسبق الشافعى أحد فى تصانيف « الاصول » ومعرفتها ، وقد حكى عن ابن عباس « تخصيص عموم » وعن بعضهم « القول بالمفهوم » ومن بعدهم لم يقل فى الاصول شىء ولم يكن لهم فيه قدم فانا رأينا كتب السلف من التابعين وتابعى التابعين وغيرهم فما رأيناهم صنفوا فيه « من نسخة خطية بالمكتبة الاهلية بباريس »

ويقول ابن خلدون فى المقدمة : « وكان أول من كتب فيه أى فى « علم أصول الفقه » الشافعى رضى الله عنه أملى فيه « رسالته المشهورة » تكلم فيها فى : الأوامر والنواهى ، والبيان ، والخبر ، والنسخ ، وحكم العلة المنصوصة ، من القياس

ثم كتب « فقهاء الحنفية » فيه ، وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها ، وكتب المتكلمون أيضا » ص ٣٩٧

وفى كتاب « طبقات الفقهاء » للقاضى شمس الدين العثمانى الصفدى : وابتكر الشافعى مالم يسبق اليه من ذلك : « أصول الفقه » فانه أول من صنف « أصول الفقه » بلاخلاف

ومن ذلك : « كتاب القسامة - وكتاب الجزية - وكتاب قتال أهل البغى » من نسخة خطية بدار الكتب الاهلية بباريس

ويقول صاحب كتاب « كشف الظنون » : وأول من صنف فيه « الامام الشافعى » ذكره الأسنوى فى التمهيد وحكى الاجماع فيه ص ٣٣٤

والباحثون فى هذا الشأن من الغربيين يرون فى « الشافعى » واضعا « لأصول الفقه » يقول (جولد زيهر) فى مقالته فى كلمة (فقه) فى دائرة المعارف الاسلامية : « واظهر مزايا « محمد بن ادريس الشافعى » : انه وضع نظام الاستنباط الشرعى من أصول الفقه

وخدد مجال كل أصل من هذه الاصول وقد ابتدع في (رسالته) نظاما للقياس العقلي الذي ينبغي الرجوع إليه في التشريع من غير اخلال بما للكتاب والسنة من الشأن المقدم ريث الاستنباط من هذه الأصول ووضع القواعد لاستعمالها بعد ما كان جزافا.

على أنا نجد في كتاب الفهرست في ترجمة (محمد بن الحسن) ذكر كتاب له يسمى (كتاب أصول الفقه)

ويقول الموفق المكي في كتابه (مناقب الامام الأعظم) نقلا عن طلحة بن محمد بن جعفر ؛ أن أبا يوسف اول من وضع الكتب في «أصول الفقه» على مذهب أبي حنيفة ج ٢ ص ٢٤٥ ونقل ذلك طاش كبرى زاده في كتابه «مفتاح السعادة» ج٢ ص١٠٢

ولم يرد كتاب في هذا العلم فيما أورده صاحب «الفهرست» لابي يوسف من الكتب واذا صح أن لابي يوسف أو لمحمد كتابا في أصول الفقه فهو فيما يظهر كتاب لنصرة ما كان يأخذ به أبو حنيفة ويعيبه أهل الحديث من الاستحسان

وقد يؤيد ذلك ؛ أن صاحب «الفهرست» ذكر في أسماء كتب أبي يوسف. كتاب الجوامع ألفه ليحي ابن خالد يحتوي على أربعين كتابا ، ذكر فيه اختلاف الناس والرأي المأخوذ به ولم يكن في طبيعة مذهب أهل الرأى الذين كان من همهم أن يجمعوا المسائل ويستكثروا منها ، النزوع الى تقييد الاستنباط بقواعد لا تتركه متسعا رحبا

على أن القول بأن أبا يوسف هو أول من تكلم في (أصول الفقه) على مذهب أبي حنيفة لا يعارض القول بأن الشافعي هو الذي وضع (أصول الفقه) علما ذا قواعد عامة يرجع اليها كل مستنبط لحكم شرعى وقد لا يكون بعيدا عن غرض «الشافعى» في وضع «أصول الفقه» : أن يقرب الشقة بين أهل الرأى وأهل الحديث ويمهد للوحدة التي دعا اليها الاسلام

صفي الدين الحلي

— ٣ —

(تتمة)

كانت مصر إذ رحل اليها الشاعر في عهد زاهر مثمر من أكثر نواحي الحياة ؛ فهبط اليها كما يهبط الطائر الصادى على الروض الندى اليانع ؛ ينهل من موارده في شوق ويتنقل على دوحاته في طرب ؛ ثم ينثنى عنه وقد ارتوى الى وطنه شاديا مترنما !

فقد أصبحت بعد ان ثل المغول عرش بنى العباس واسدلوا على بغداد الستار ، مركز الثقافة الاسلامية الأكبر وموئلها الحصين ؛ تنهض فيها جامعة الازهر والمدارس الأخرى حولها بأعباء الرسالة العظمى للعلم والأدب ، وتشترك سلاطينها بأيد عاملة نشيطة في تعضيد هذه الحركة وتغذية روحها بعوامل القوة ؛ بما تحدثه من المدارس وما تغدقه في كرم على العلماء والادباء من هبات وصلات

وكان عصر السلطان الناصر بن قلاوون من خير عهود دولة السلاطين الأولى ؛ إذ كان السلطان نفسه ـ كما يقول السير وليم موير ـ «مثقفاً ثقافة عالية ، درس علوم الفقه والقانون ونال شهادة فيها فكان يحب العلم والعلماء ويشاركهم في كل أمر يفيضون فيه » وكثيرا ما يكون الملوك المثقفون نعمة على رسل الثقافة لما يملكون من حسن التقدير لأعمالهم ، وصدق الشعور بحلاوة ثمراتهم ؛ وقد روى عنه أنه أقطع أبا الفداء المؤرخ الشهير ولاية حماة تقديرا لمكانه وجزاء لما قدمه اليه من معونة في بعض الحروب . وفي عهده كانت مصر تنعم بشيء من راحة الظافر بعد أن شلت حركات المغول وأنقذت الشرق العربى من بين براثنهم المسمومة ؛ وبعد أن طاردت حملة الصليب المستكلبين في هدم الاسلام والشرق ، وقذفت بهم في قوة الى البحر ! ولكنها مع ذلك لم تكن تغفو عن حراسة هذا الملك وقطع أذناب العدو كلما امتدت اليه ، وهو ملك شاسع مترام يمتد ما بين الفرات والحجاز وآسيا الصغرى وجنوب النوبة ، ولما كانت إذ ذاك لا تزال طريق التجارة والرحلة بين أوربا والشرق قبل أن يكشف طريق رأس الرجاء الصالح ؛ وعرفت مصر كيف تستغل هذا المورد الثرى أحسن استغلال ، وكانت تجبى اليها ثمرات تلك «القافلة» الكبرى ؛ فقد حازت من المجد المالى ما يمكنها من مواصلة السير في طريق مجدها العلمي والحربي .

لذلك لا نعجب أن نرى القاهرة حينذاك تموج بوفود رجال العلم والأدب فتحسن وفادتهم ، وأن نسمع صفي الدين وقد أقبل إليها فانتظم زمنا فى حاشية الملك الناصر يصوغ آيات المدح لمصر ومليكها ، ويعود إلى وطنه فيلهج بأجمل الذكريات التى فيها من روعة الكرم وحسن الضيافة . وقد اتصل أثناء إقامته فى مصر بحلقاتها الأدبية التى كان يمثل زعامتها الكتابية (علاء الدين بن الأثير) رئيس ديوان الانشاء ، وزعامتها الشعرية ، جمال الدين بن نباتة ، الأديب الشهير ؛ وتوثقت بينهم جميعا روابط الصداقة والاخلاص ، فلم يفتأ بعد رحيله يتراسل معهم فى مساجلات أدبية ممتعة تعبر عن عواطف الشوق ويعترف فى احداها بزعامة ابن نباتة لجميع الشعراء .

والآن نستعرض إحدى قصائده التى تجمع بعض هذه الأمور ، وقد قالها يوم احتفال مصر بيوم الخليج وابتدأها بوصف الربيع فى مصر :

خلع الربيع على غصون البان	حللا فواضلها على الكثبان
وتتوجت هام الغصون وضرجت	خد الرياض شقائق النعمان
وتنوعت بسط الرياض فزهرها	متباين الأشكال والألوان
والظل يسرق فى الخمائل خطوه	والغصن يخطر خطرة النشوان
وكأنما الاغصان سوق رواقص	قد قيدت بسلاسل الريحان

واستمر هكذا فى أوصافه الجميلة التى يعبر بها عما أودعته طبيعة مصر النباتة فى نفسه حتى قال :

إنى وقد صفت المياه وزخرفت	جنات مصر وأشرق الهرمان؟
واخضر واديها وحدق زهره	والنيل فيه ككوثر بجنان
وبه الجوارى المنشآت كأنها	أعلام بيد أو فروع قنان
نهضت بأجنحة القلوع كأنها	عند المسير تهم بالطيران
والماء يسرع فى التدفق كلما	عجلت عليه يد النسيم الوانى

وأخذ بعد ذلك يصف السلطان بالقوة والفصاحة والسيادة على جميع الملوك ، وليس الملوك فى الحقيقة إلا مظاهر للأمم من أكثر الوجوه ، فاذا كانوا أقوياء أو كرماء فما ذلك إلا فيض أممهم ومنحة رعاياهم ، وإذن فكل مدح للملك إنما يتجه الى الأمة التى أكسبته أسباب المدح ووهبته ماينتيه به من أثواب المجد . ونود أن نشير هنا الى أن مصر لم تكن تنظر الى سلاطينها الذين كانوا فى الأصل مماليك إلا بعين التجلة ؛ لأنها كانت إذ ذاك تفهم معنى الوطنية كما يقرره الاسلام ، دينها الذى تعتز به ، وهو دين ديمقراطى حر يأمر أهله ألا يأنفوا من الحاكم المسلم العادل ولو كان عبداً حبشياً . وكذلك لم يكن هؤلاء السلاطين فى نظر مصر إلا جنداً مسلمين تربوا فى أرضها ودافعوا طويلا عن مجدها ثم ارتقوا باستيلائهم على شؤونها الحربية الى عرش الملك ، فرضيت بهم وعهدت اليهم بتمثيل قوتها فى السياسة والعلم والحرب ، فمثلوها أحسن تمثيل ، ثم لما فرغ دورهم أرخت عليهم السدول وبقيت مصر هى مصر الخالدة .

ومما قاله صفى الدين فى أحدهم وهو الناصر المذكور :

لا عيب فى نعماه إلا أنها	يسلو الغريب بها عن الأوطان
شاهدته فشهدت لقمان الحجا	ونظرت كسرى العدل فى الايوان
وشهدت منه فصاحة وسماحة	أعدى بفيضهما يدى ولسانى
ملك اذا اكتحل الملوك بنوره	خروا لهيبته إلى الأذقان

وقال :

أبقى قلاوون الفخار لولده	إرثا وفازوا بالثناء مكاسبا
قوم إذا شمّوا الصوافن صيروا	للمجد اخطار الأمور مراكبا
عشقوا الحروب تيمنا بلقا العدا	فكأنهم حسبوا العداة حبائبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا	واللدن قدا والقسى حواجبا
يا أيها الملك العزيز ومن له	شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهمة	تذر الاجانب بالوداد أقاربا
وحرست ملكك من رجيم مارد	بعزائم إن صلن كن قواضبا

* * *

كان لصفى الدين قدرة فائقة فى رسم المناظر الاخاذة بدقة الفنى وتأثر الشاعر ، وذلك لما وهبه من ميزتين عظيمتين : إحداهما دقة النظر وصدق المشاهدة ؛ والأخرى قوة الابتكار والتخيل . فقد كان يدرك بالأولى جزئيات الامور ونواحى المناظر التى تخفى على غير الموهوب ، ثم يتولى خياله ما أدركه فيحكم نسجه ويضفى عليه ألوانه ، ويزيد فوقه نقوشه ، فاذا بوصفه قطعة فنية رائعة تثير الاعجاب .

قام الشاعر برحلات عدة كما ذكرنا قبـل، في صحارى العرب والشام ومصر، وانتظم أزمنة طويلة في حواشى الملوك الذين كان لهم غرام وشغف بالنزه الخلوية في أودية حماة والحلة وماردين فكان ذلك داعيا لشدة قربه من الطبيعة وتذليا حبه لها، ولما كان بفطرته يملك نفسا شاعرة فقد استجاب دعوة الجمال وأخذ يرصد الطيور حائمة في الجو، والوحوش هائمة في الصحراء، والحيوان الأليف والسائم ينقش صورها جميعا في شعره نقش المصور الماهر، وفي ديوانه أمثلة كثيرة لكل هذه الأوصاف.

ومن مظاهر أوصافه الدقيقة أيضا وصفه للخمر ومجالس الندامى؛ فان الصفي كان رجلا طروبا امتهافتا على موارد اللهو والسرور، يشرب من لذائذه الكؤوس الدهاق: يعاقر الخمر ويعشق النساء والولدان ويختال بين الرياض، ويتجول في الصحراء؛ غير آبه لما حرم من اللذة أو حل، وذلك لأنه اتخذ لنفسه مذهبا خاصا في فهم أحكام الدين يطاوع هواه كل المطاوعة، وقد عبر عن هذا المذهب بقوله:

فارتكب أجمل الذنوب لنفع ... واعتقد في ارتكابه التحريما
ثم تب واسأل الاله تجــده ... لذنوب الورى غفورا رحيما!

وتمـادى في هذا المذهب حتى أحل الخمر صراحة فقال:

نهى الله عن شرب المدام لأنها ... محرمة إلا على من له علم
وذاك بقيد الشاربين وعقلهم ... ففى معشر حل وفى معشر حرم
ولو شاء تحريما على كل معشر ... لقال رسول الله لا يغرس الكرم!

ولو صدق هذا المنطق المموه لكان العلم رخصة مؤذنة لأهله أن يرتكبوا كل لذة أثيمة؛ ولأنه قد مارسها فعلا واغتبق من كؤوسها واصطبح، عرف كيف يتغزل في محاسنها ويصف آثارها بمهارة تشهد له بالقدرة الفنية. ومما قاله:

سلاف تميت العقل في حال شربها ... وتنعش منها الروح والجسم والقلبا
محجبة وسط الدنان ونورها ... يمزق من لألاء غرتها الحجبا
اذا مسها وقع المزاج تألمت ... وأزبد منها الثغر وامتلأت رعبا
وأعجب من بكر لها الماء والد ... وترجع أني رام تقبيلها غضبى
هي الشمس إلا أنها في شروقها ... اذا مزجت في كأسها أطلعت شهبا
يعض عليها التائبون بنانهم ... ويندب كل منهم عقله ندبا

وعلى كل فلا يتردد المرء بعد أن يقرأ أوصاف الحلي أن يحكم له بأن مرتبته في الصف الأول من شعراء الوصف في الأدب العربي أما الغزل فقد كبا فيه جواده وخانه ذكاؤه إذ العقل لا يغني وحده في هذا الميدان، وإنما مرد الأمر إلى القلب الخفاق والعاطفة المشبوبة، وشاعرنا لم يكن من فئة المحبين الذين يؤمنون باتصال الوجدان ويظلون في نجواهم باكين من هول الذكرى وألم الهجر وانما كان رجلا حسيا يعترف حقا باللذائذ المادية ليس غير.

لهذا كان غزله قسمين متباينين، أولهما الغزل النسائي المألوف، والثاني غزل الولدان أو ما يسمونه بالغزل المذكر، ونأسف إذ نقول إن النوع الثاني كان أرق وأصفى وأدل على الصدق من الأول؛ ولكننا لا ندهش كثيرا إذا ذكرنا مبادئه الخلقية التي وصفناها قبل؛ ويلوح لنا أن هذا الانحلال الخلقي لم يكن قاصرا عليه وحده وإنما كان ظاهرة عامة للولاة والأمراء الذين يستقلون في أطراف المملكة ببعض المناطق؛ لأن وفرة المال وتحقق أسباب النعيم مع قلة الشواغل الادارية، كانت تغريهم بالعكوف على الملاهي والتمادي في الاباحة. أما غزله الأول ففيه جفاف وتكلف وترى عليه سمات التقليد واضحة. ومما قاله في مذهبه:

خلياني من فترة النسوان ... وانعشاني بنشطة الغلمان!
ليس يصبو لربة الخال قلبي ... بل برب الاقراط جن جناني!

***

تلك هي الاغراض البارزة التي تستحق الدراسة في شعر صفي الدين، أما الاغراض الاخرى فهي لا تخرج عن السبل التي طرقتها إخوتها، وجملة القول فيها أن الزهد والالغاز ليسا الا مثلين من التقليد والتكلف، لأن الرجل كما عرفنا كان متهتكا مسرفا، وإنما أراد أن يعارض قصائد ابن الفارض وأمثاله من المتصوفة المخلصين، ولأن نوع الالغاز أبعد ما يكون عن معنى الشعر. وهو، وإن أجاد في الرثاء حقا، وأبدع في تصوير فجائع الموت!، نستطيع أن ندرك إجادته فيما درسنا من مدحـه، لأن معناهما واحد وإن اختلفا في مناسبة كل منهما مع الحياة أو الموت. غير أنه أتى في باب الحكمة بكثير من التجارب الصادقة التي يعززها العقل والواقع وأكثر ما تدور حول الصداقة وآداب الاجتماع، فلم يبق إذن غير المجون وهي ما نستميح القارىء أن يعفينا منه صونا لحياء القلم وحرصا على وقار «الرسالة».

(وبعد) فهذه شخصية كبيرة تجمع بين الوسامة والدمامة، ولكنها في جملتها جديرة بالخلود، على انها آية بينة تقرر ان الأدب العربي قد ظل بعد موت بغداد يتنسم الحياة قويا ناضرا؟

دار العلوم ... ضياء الريس

من طرائف الشعر

النشيد !

للشاعر الوجداني علي محمود طه

عندما ظللني الوادي مساء ... كان طيف في الدجى يجلس قربي
في يديه زهرة تقطر ماء ... سمعت أذني بها أنات قلبي !

قلت من أنت ؟ فلباني مجيباً ... نحن يا صاح غريبان هنا !
قد نزلت السهل والليل رهيبا ... حيث ترعاني وأرعاك أنا ! !

قلت يا طيف أترت النفس شكا ... كيف أقبلت وقل لي من دعا كا ؟
قال أشفقت من الليل عليكا ... فتتبعت إلى الوادي خطاكا !

ودنا مني وغناني النشيدا
فعرفت الصوت واللحن الشجيا
هو نجي هام في الليل شريداً ... مثلما همت لتلقاك سويا !

وتعانقنا وأجهشنا أنيناً ... وانطلقنا في حديث وشجون
ودنا الموعد فاهتجنا حنيناً ... وتنظرتك والليل عيون

أقبل الليل فأقبل نوهنا ... والتمس مجلسنا تحت الظلال
وافني نصدح بألحان المنى ... ونعب الكأس من خمر الخيال

أقبل الليلة وانظر واسمع ... كل ما في الكون يشدو بمزارك
جئت بالأحلام والذكرى معي
وجلسنا في الدجى رهن انتظارك

ستري يا حسن ما أعددته ... لك من ذخر وحسن ومتاع
هو قلبي في الهوى ذوبته ... لك في رفاف لحن وشعاع

وهو شعر صورت ألوانه ... بهجة الفجر وأحزان الشفق
ونشيد مثلت ألحانه ... همسات النجم في أذن الغسق

ذاك قلبي عارياً بين يديك ... أخذته منك روعات الإله
فتأمله دماً في راحتيك ... ودماء منك يستوحي الحياه

باكي الأحلام محزون المنى ... ضاحك الآلام بسام الجراح
لم يكن إلا تقياً مؤمناً ... بالذي أغرى بحبيك الطماح

يتمنى فيك لو يفنى كما ... يتفانى الغيم في البحر العباب
أو يلاشى فيك حياً مثلما ... يتلاشى في الضحى ومض الشهاب

زهرة أطلعها فردوس حبك ... استمدت نورها من ناظريك
خفقت أوراقها في ظل قربك ... وسرت أنفاسها من شفتيك

هي من حسنك تحيا وتموت ... فارحمها يا حسن إعصار المنون
أو لها الدفء من الصدر الحنون ... أو فيها النور من هذي العيون

دمعها الإنداء والعطر الشجا ... وصدى أناتها همس النسيم
فاحبها منك الربيع المرتجى ... تصدح الأيام باللحن الرخيم

لو أمكنتني فرصة !

ريان من ماء الحياة ... وسرها في وجنتيه
كالجدول المفتون في ... وشي الرياض بأنيه
غنى بلحن مسكر ... وبلابل الوادي لديه
لا يرتوي منه الظما ... ولا ترى طيراً عليه
ومن العجائب أن ترى ... ناراً تشب بوجنتيه
فتثير نيراناً بقلبي ... كلما أرنو إليه
لو أمكنتني فرصة ... أطفأتها من شفتيه

شرق الاردن ... حسني فرير

ابليس

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

أسرفتَ يا إبليس في الوسواس
فأعوذ منك بربِّ هـذا الناس

أغويتني من بعد ما استدرجتني
مستحوذاً حتى على انفاسي

حسَّنْتَ في عيني الشرورَ فجئتها
وضممتُ أرجاساً على أرجاس

ونفـذتَ في أعماق قلبي فاتحا
حتى ملكتَ منافذَ الاحساس

فتعاورتني للشكوك وساوس
سودٌ وعافت مجلسي جُلاّسي

أفرغتَ قلبي من رضىً يقينه
وملأتَ بالشكِّ المبرِّح راسي

من بعد ماجرعتني مرَّ الاسى
أترعتَ بالمصل المخدِّر كاسي

إبليسُ ما أشركتني في صفقة
إلاّ قضيتَ عليَّ بالإفلاس

ابليسُ أنت وليُّ كلِّ ذوي الهوى
ابليس انك في الولاية قاس

لم يبق مما كان لي قبلاً سوى
ثوبٍ كخائبة المُنى أدراس

تُلقي العداوةَ موغراً بين الورى
فتثير أجناساً على أجناس

ولو اعتقدتَ بهم شعوراً في الردى
لتبعتَهم تغوى الى الارماس

تُذكي الحروبَ وأنت فيها سالمٌ
مما يضرُّ بأنفس الأحلاس

أتعستَ أقواماً لتسعد غيرهم
والشرّ كل الشرّ في الإتعاس

كوخٌ حقير ثم قصرٌ شاهقٌ
ومآتمٌ في جانب الاعراس

لا تستريح وأنت عنهم في غنًى
حتى توسوس في صدور الناس

مالي سوى دمعٍ يفيض ندامةً
ما سوف أكتبه على القرطاس

ذكريات في الجزيرة

للاستاذ الحاج محمد الهراوي

لي في الجزيرة ذكريات كلما	خطرت تهز من الحنين فؤادي
فلقد لبست الغيّ في شرخ الصبا	ومضيت طوع مراده ومرادي
وشربت من كأس الهوى وأبحته	وعصيت فيه رويتي وسدادي
أيام أنعم بالشباب وبالمنى	ولقاء من أهوى على ميعاد
نلهو ونمرح ، والهوى ما بيننا	نجوى يراوح بيننا ويغادي
تتحدث العينان في لحظيهما	عما يحز الشوق في الأكباد
متجاذبين بما حديث صبابة	ولذيذ وصل بعد طول بعاد
متبادلين على الشراب ونقله	قبلات شوق في عناق وداد
فوق الغدير وبين أزهار الربى	في ظل غصن الدوحة المياد
نخشى النسيم تشي بنا خطراته	إن مر بالعذال والحساد
مستأثرين نغار من عبث الصبا	ونخاف جائحة الزمان العادي
متعانقين نهيم في وادي الكرى	متيقظين على الحمام الشادي
متساقيين من الرضاب ، وإنه	خمر الهوى في غية المتمادي
تمضي بنا الساعات لا ندري لها	كيف انقضت في يقظة ورقاد
فدع الهوى العذري بعد زمانه	ما مر من زمن فغير معاد
جمح الشباب وما ثنيت عنانه	وجرى وما من وازع أو هاد
فاذا الغواية موبقات كلها	تأتي على الارواح والأجساد
فغسلت بالحج المبارك حوبتي	ورجعت حين رجعت في الزهاد
ولقد مررت على الجزيرة لا كما	عهدته في غي مع الوراد
فاذا بها وكأنها حجت معي	أو أننا عدنا معا لرشاد

بين الموسيقى الشرقية والغربية

— ١ —

تقوم الآن حركة طيبة فى الأوساط الموسيقية ، غايتها النهوض بالموسيقى الشرقية الى المستوى الذى يليق بها كفن له آدابه وأوضاعه وأصــوله . وكان طبيعيا أن تتشعب الآراء ، وتتو الأفكار ؛ والمدار هو الكيفية التى بها ترتفع الموسيقى الشرقية الى مكانتها . وسمعنا أثناء ذلك اسم الموسيقى الغربى تلوكه الألسن وتتجه اليه الأفكار كأنه الغاية التى اليها تتجه ، والمستوى الذى اليه نرتفع ، غير أن هناك ألسنا لم تنطق به وأنظاراً لم تتجه اليه ، بل بقيت رابضة فى وكرها لا تحيد عنه . وبين هذه وتلك تقف الفكرة الأساسية مترددة محجمة ، وإن سارت ففى خطى بطيئة متمهلة .

وقد رأيت أن أجمل فى نقط بسيطة غير مركبة ، أهم الاختلافات التى بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، وذلك بأن أضع أمام القراء صورة حقيقية للأصل الذى أتكلم عنه ، وأن أقسم تلك الفوارق التى بينهما تقسيما منظما صحيحا لتكون أمام من يطلع عليها صورة مرتبة غير مشوشة ، مع اختصارى قدر ما أصل اليه .

فمن رأى هذه الكلمة خلوا من الإيضاح والشرح فليعذرنا فلسنا نكتب كتاباً ليحفظ ويكون حجة ومرجعا ، وانما هو مقال يجمع بين الفائدة والترويح ، وعلينا العهد عند ما نريد أن نكتب كتابا أن نراعى الدقة جهدنا وأن نختصر فيه أو نجمل ....

تنقسم الفروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية الى ناحيتين رئيسيتين ، الناحية الأولى : وهى الناحية العامة ، وفيها تظهر روح كل موسيقى وترتيبها وموافقتها لأخيلة وأمزجة مؤلفيها ، ومناخ البلاد التى وضعت فيها وما لها من رقى وانحطاط ، وهذه الناحية قد يكتب فيها الأديب المطلع كما يكتب الموسيقى ، ولعل الأديب يكون أكثر توفيقاً فى الشرح والوصف . أما الناحية الثانية فهى التى تتناول الناحية الفنية من بحث الأغراض التى يذهب اليها التأليف الى اختلاف الأنغام الى طرق التلحين ، ثم الى شرح الأوزان والمقاييس وما الى ذلك من أقسام تتصل بالموسيقى من ناحيتها الفنية . وهذه الناحية هى التى أرجو أن أقصر عليها عنايتى وأن أستطيع توضيحها وتقريبها الى الافهام .

الموسيقى كأدب اللغة صورة ناطقة حية للعصر الذى وضعت فيه ، والامة التى نشأت منها ، وتكاد أغراض الموسيقى تشابه الأغراض التى يذهب اليها أدب اللغة فى كثير من الحالات ، «فالموسيقى الحماسية» هى التى توضع إما لتعبر عن عاطفة قومية وطنية أو لتثير الحمية والاقدام فى النفوس ، وهى تكون تلحينا للأناشيد كنشيد المرسليز الافرنسى ونشيد اسلمى يا مصر المصرى ونشيد الجمهورية التركية ، أو تكون فى موسيقى صامتة Sans parole كما فى «مسيرا الحرب» March Militaire لشوبرت أو «مسير الحرية» لصرصه ولعل هذا النوع من الموسيقى الصامتة فى الموسيقى الشرقية غث لا قيمة له لا يكاد يبعث حماسة أو يوقد حمية اذا استثنينا بعض المسيرات الحربية التركية . يلى هذا النوع من الموسيقى : موسيقى اللهو والمراقص ، وهى التى تعزف فى الحــانات ودور اللهو والتى يرقص على أنغامها الراقصون والراقصات ، وهذا النوع من الموسيقى هو أساس الموسيقى الشرقية قديما وما زال متصلا بها الى الآن وإن كان التهذيب قد داخله فى كثير من نواحيه . أما فى الموسيقى الغربيــة فالتطور عكسى فبعد أن كان هذا النوع فى بدء النهضة الموسيقية راقيا فنيا من نوع الكلاسيك صار يتدهور حتى الحرب العظمى فسقط سقوطا شنيعا وأصبح خلوا من أي شاعرية أو فن

والآن اتكلم عن الموسيقى الدينية فهى فى الموسيقى الغربية أساس باقى الأنواع ، فمن معابد روما وهياكلها انتشرت الموسيقى الدينية فى العالم الغربى ، وكان رجال الدين فى أول أمرهم يقاومون تسرب موسيقاهم الى الخارج بكل شدة ، وكانوا يحافظون عليها كل المحافظة ولكنها ذاعت وانتشرت رغم كل حيطة أو صد ، وكل من حملوا علم النهضة الموسيقية كانوا فى بدء اشتغالهم بالموسيقى يدخلون الكنائس منتظمين فى سلك المنشدين أو لاعبى الارغن وبعد مضى مدة على اشتغالهم وتمرينهم كانوا يخرجون فينشرون تلك الروح التى تأثروا بها فى فجر حياتهم الفنية ، واذكر من هؤلاء النوابغ شوبرت مؤلف أوبرا فيرابراس ، فقد كان أحد المنشدين بكنيسة ليشتنتال وهاندل مؤلف (نيرو) و (ألميرا) و (وراد ميستر) كان عازفا على الأرغن فى كنيسة جوبرتزبرج ونشأ هايدن فى كنيسة القديس اسطفان بفينا ، وكانوا جميعا عند ما تنضج أرواحهم وتكمل فيهم بوادر النبوغ ، يتمردون على الكنيسة ويخرجون الى العالم الحر الطليق لتحلق أرواحهم فى فضائه متحررة من القيود التى فرضت

عليها فى المعابد. وأعظم القطع الدينية هى (الأوراتوريو) التى منها نشأت (الاوبرا). أما فى الموسيقى الشرقية فبكيان الموسيقى الدينية متهدم لا أساس له ، هذا باستثناء الهند والصين فان لموسيقاهم الدينية طابعا من الرهبة العميقة والتأثير ومن اكبر مؤلفيهم الموسيقيين (تاجور). أما فى الاسلام فالموسيقى تكاد تكون بدعة لا تحليل لها وان كان هناك شيع وطرق تقيمها فى أذكارها فهى منظور اليها نظرة بغيضة ، وان كنا لا نستطيع أن نغفل ذكر (المولوية) ومركزهم الموسيقى بين موسيقى الاتراك القدماء. وأما فى الديانة القبطية فللكنائس تراتيلها وأناشيدها ولكنها على حال من السذاجة الفطرية لا تجعل لها أهمية من الوجهة العملية وإن لم تخل من خطرها فى التاريخ الموسيقى فهى أصل موسيقى العالم اذا وصلنا موسيقى القبط بموسيقى الفراعنة . ننتهى من الموسيقى الدينية لنتكلم عن الموسيقى التمثيلية ، فهى ركن هام من أركان الموسيقى لا يشتغل به إلا من أوتى قدرة واستعداداً خاصاً ، فكثيرون من نوابغ الموسيقيين الغربيين من اوتوا فى انواع كثيرة من الموسيقى حظا وافراً ولكنهم لما وصلوا الى الموسيقى التمثيلية رأوا أنهم لا يستطيعون أن يضربوا فيها بسهم وخير مثال لنا هو (بتهوفن) الخالد فقد حاول محاولة ونجح بدة فى الموسيقى التمثيلية هى (أوبرا فيدليو) رأى بعدها انه ليس من رجالاتها فرجع الى السيمفونى والسونات. واعظم من وضع فى الموسيقى التمثيلية الغربية هو (فاجنر) إله الاوبرا و(لوهنجرين) (وتانهوزر) ومقطوعاتهم تشهد لما نقول اما فى الموسيقى الشرقية فلم يعرف هذا النوع الا حديثا وما زال فى مهده لم يشب عن الطوق . بقى امامنا بعد ذلك آخر قسم وهو قسم الموسيقى التصويرية وهو فى رأينا اجل الاقسام واخطرها ويكون عادة موسيقى صامتة تصور وتشرح مختلف العواطف والمناظر والمؤثرات ومن اوائل من بدأوا بعمل السيمفونى التصويرية (هايدن) ثم (موزارت) ثم سيدهم اجمعين (بتهوفن) وفى الحق يمكننا بوجه عام اعتبار كل انوع الموسيقى تصويرية ، اذ الموسيقى كالشعر يعبر كل بيت منها او قصيدة عن فكرة او يصف موضوعا، ويستثنى من ذلك (الدراسات) الخاصة وهى التى يطلقون عليها اسم " Etude " فانها تكون عادة لدراسة النغم فى دائرة قواعده واصوله

والموسيقى الشرقية خلو من الموسيقى التصويرية ، وما جلها إلا دراسات للانغام ولا يمكن اعتبار البشارف والسماعيات والبستات إلا نوعا من ال etude فلا تعبر عن فكرة او تصف موضوعا

ولعل معترضا يقول ، أو ليس ذلك الراعى الجالس على حافة الغدير او وسط المراعى ينقل اصابعه على مزماره وهو يرعى غنمه فيبعث انغاما هى السحر تاثيرا ؛ اليس يصور بانغامه ما يجيش بصدره من عواطف و آمال وما يتلاعب بفؤاده من أميال وأفكار ؛ واليس يصور بانغام مزماره ذلك الغدير بعذوبته وتلك المراعى بخضرتها ونضارتها، وما الى ذلك من تصوير . هذا هو الحق ولكنه تصوير ساذج ضعيف إلا إن جعلنا من مصورى القرية الذين يرسمون صور عودة الحجاج وما شابه ذلك مصورين لهم خطرهم واهميتهم ولكن فى الموسيقى الشرقية الحديثة، هناك من قام بمحاولات فى هذا النوع علها تسير الى التقدم فهى بعد فى مهدها

والآن نتكلم عن الفروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية من الوجهة العامة فاول ما نلاحظه هو تعدد النواحى التى ذهبت الى التعبير عنها الموسيقى الغربية واقتصار الموسيقى الشرقية على نوع يكاد يكون واحدا ، ويشبه ذلك شعر أمتين، تناول فى الاولى كل ما تذهب اليه اغراض الشعر من وصف وغزل ومدح وهجاء ورثاء . . . . ، واقتصر الثانى على غرض واحد لا يتعداه من تلك الاغراض .

كذلك الامر فى الموسيقى الشرقية لم تعد كونها موسيقى لهو ومراقص وهى تكاد تقصر نفسها على هذا اللون فقط لا تبدله ولا تنهض عنه بينما نجد ان للموسيقى الغربية مذاهب واغراضا متعددة متلونة لا يكاد ينتهى منها الباحث .ولعل ذلك راجع كما ارى الى ان نشأة الموسيقى الشرقية لم تكن بالنشأة اللائقة بها كفن سام له آدابه، فهى قد نشأت فى بلاد الفرس والعرب بين الموالى والقيان وفى الحانات التى كان ارتيادها محرما على ذوى المكانة الادبية . ومع ان بعضا من الخلفاء قد اهتموا بامر الموسيقى وعطفوا على المشتغلين بها فان ذلك كان لرفهوا عن انفسهم فى مجلس شراب وأنس لا لمجلس جد واحترام وظل الامر كذلك حتى انتقلت الخلافة الى الاتراك فابتدأت الموسيقى ترفع رأسها لتحل محلها الذى كان ينبغى لها ان تحله من قبل وكان ذلك باشتغال سلاطين آل عثمان انفسهم بالموسيقى ومارا « سوزدلار بيشروى » تأليف السلطان سليم خليفة المؤمنين آيه من آيات الموسيقى الشرقية .

ومما يؤسف له حقا ، ان التراث الفنى للموسيقى العربية قديما مفقود ، إذ لم تكن الحروف الموسيقية (النوتة) متداولة ، أو لعلها

كانت متداولة إلى الآن ماوصل الينا منها كالطلاسم لاحل له ولا بيان. وكانت النتيجة أننا لم نرث عنهم سوى الناحية الادبية وهي كما قلنا لاتشرف في قليل ولا كثير، بل لعلها قد أثرت أثرها السيء في الأفهام.

بقيت الآن ملاحظة ثانية على الفروق بين موسيقى الشرق وموسيقى الغرب، تلك هي ضعف الاولى وخلوها، وامتلاء الثانية وقوتها، وهذا فيما أرى يرجع لسبب لانملكه.

نشأ الموسيقى الغربي بين جبال وصخور وبحار عظام تمثل قوة الطبيعة وعظمتها وتهب عليه العواصف وتنقض الصواعق وترعد فى سمائه الرعود فعندما تجول في مخيلته الموسيقية فكرة نراه تأثر فيها بتلك المؤثرات التي أحاطت به والتى تكيفت بها عاقلته ومخيلته. فنراها في صوته الاجش القوي وفى موسيقاه الممتلئة الضخمة

أما نشأة الموسيقى الشرقى فعلى ضفاف نهر عذب تسطع عليه شمس صافية وتهب من حوله نسمات تتهافت في الرقة واللطف، وأشد ما قاساه من قسوة الطبيعة وبطشها لفحة حر أو قرصة برد لاتلبث حتى يصفو الجو ويعتل النسيم

ذلك مايحيط بالموسيقى الشرقى وذلك مايوحى اليه بفكرة موسيقاه وهذا ما ترتاح الى سماع التعبير عنه اذنه وهذا سر تلك الرقة التى نشاهدها في موسيقاه. وهي ليست منقصة أو عيبا ولكن الضعف هو ضعف التعبير عن الفكرة كالبيت من الشعر يصف البستان النضر والمنظر الجميل في اسلوب ضعيف وفكرة غثة وليس العيب فيها عيب الموصوف بل عيب القصور في التعبير وضعف شاعرية الشاعر

ورقة الموسيقى ليس معناها ضعفها من الناحية الفنية، بل لعلها تكون قوية كل القوة وهي تسيل رقة ولطفا، ولعل من يسمع Romance لبتهوفن يمكنه ان يفهم ما أعنيه تماما بقوة الموسيقى ورقتها مجتمعين معا.

بقى الآن الحديث عن تركيب الانغام في كلتا الموسيقتين والاوزان والتاليف فيهما، وارجو أن تتاح لى الفرصة قريبا للكلام عنهما في اعداد قادمة من (الرسالة)

مدحت عاصم



جراحـــة المخ

للدكتور فريدريك دامرو

استخلصها الدكتور احمد زكى

تقدمت جراحة الأبدان تقدما كبيرا معروفا ألفه الناس ففتر إعجابهم به الا فيما تستجد الايام منه . و كان طبيعيا ان يأتى دور الرأس ، ذلك العضو المخوف المرهوب ، لتظهر الجراحة فيه من المهارة والبراعة مثل الذى أظهرته فى سائر الاعضاء .

وقد بلغ التقدم فى هذه الناحية فى العصر الحاضر مبلغا قمينا باعجاب العلم ، هواته ومحترفيه ، إعجابا قد يبلغ حد الهلع اذا لمح اللامح بعينه داخل حجرات العمليـــات فرأى تلك الجرأة التى يأتيها الأطبـــاء فى تناول المخ الحى حتى كأنه بعض الأحشاء ، ورأى كذلك شدة استمساك المخ نفسه بالحياة رغم ماتلعب به تلك الايدى اللبقة وتقطع منه تلك « المشارط » و « المكاشط »

فى عام ١٩٣١ بمدينة كليفلد بالولايات المتحدة ، اقتطع الدكتور جيمس جـــاردنار النصف الايمن كله من المخ ، ومع ذلك صحت المريضة وقامت بعافية ا وكانت امرأة فى الحادية والثلاثين ، ولها ولدان صغيران ، عانت داء الصرع عشر سنين ، وانتهى بها إلى أوجاع مريعة فى الرأس ، وإلى بصر أخذ يتضاءل ، حتى أوشك يضيع ، كل هذا بسبب خراج داخل جمجمتها كان ينمو فيزداد ضغطه فيكاد يقتلها ألما . حلق النصف الايمن من رأســـها ، ثم أزال الدكتور جاردنار جزءا من الجمجمة قطره أربع بوصات ونصف ، وقطع بطانة المخ فتراءى



فى هذه البرهة من العملية اشتقت جلدة الرأس ووضعت المشابك فى أطراف هذه الجلدة لتبعدها عن عظم الجمجمة وقد انكشف

له شىء غريب نام كالقرنبيط ، امتد وتفرع كالسرطان حتى عم النصف الايمن كله من المخ . أما النصف الايسر . فقد كان صحيحا سليما ، وهو النصف الأخطر لاحتوائه مراكز الكلام والكتابة فضلا عن سيطرته على النصف الأيمن من الجسم . كان الدكتور جاردنار يعلم أن حذاقا من الأطباء قبله حاولوا إزاحة النصف الأيمن من المخ لبعض المرضى ، وان الموت كان نتيجة مؤكدة فى كل حالة ، ومع علمه هذا أقدم على ما أقدم عليه لأنه كان المخلص الوحيد الذى بقى للتعيسة المسكينة . وبيدين بارعتين لبقتين عقد الشرايين والأوردة بأنشوطة محكمة أوقفت نزف الدماء ، ثم أخذ يكشط المادة المخية بما فيها الخراج حتى أفرغ نصف الجمجمة ، وعندئذ ملأ الفراغ بمحلول دافىء من الملح ، ثم رد العظمة الى موضعها ، فسد

الرأس، ثم أثبتها بالحرير، ولم أطراف جلدة الرأس فخاطها، وانتهت العملية بسلام

وبعد ساعات أفاقت المريضة فتعرفت أصدقاءها وتحدثت اليهم، وأسرع شفاؤها، وكانت في نقاهتها تقرأ وتكتب، وذهبت عنها أوجاع الرأس ونوبات الصرع. مع وأن ذراعها ورجلها اليمنيين ظل بهما شيء من تيبس وصلابة، الا أنها استطاعت ان تمشى، وبعد ثلاثة أشهر ونصف من يوم العملية كانت من الصحة بحيث استطاعت ان تعود الى ما كانت عليه من العناية بولديها بنفسها

ان من أغرب خصائص المخ الانسانى مقدرته على الاستفاقة من عثرات تخال قاضية. اذكر حادثة من حوادث الحرب الكبرى: جيء بجندي من خط النار، وكانت مقدمة رأسه مرصعة بشظايا قنبلة، فأخرجنا قطعة منها قطرها بوصتان سكنت من المخ مسكنا عميقا بين فصيه الأماميين ولم نجرؤ أن نمس بقية القطع لتباعدما بينها، ومع ذلك شفي المريض شفاء معجزا لم يشاهد، ولم تصب حواسه بسوء، وكل ما بقي عنده بطء في الكلام ونسيان للمواعيد

وفي الرابع من يوليو عام ١٩٣٠ وضع يافع في الثامنة عشرة من عمره صاروخين مشتعلين في اسطوانة مضخة هواء من تلك التي تستخدم لنفخ إطارات العجلات، فانسفا بشدة عظيمة قذفت بعود المضخة الحديد في رأس الشاب، دخل من قرب عينه اليمنى واخترق مخه حتى برز من ناحية الرأس الأخرى وجاء الدكتور جويل سوانسون، فأعطاه مصلا Antitoxin يقيه كزاز الفك وعقم ما أتى من طرفي العود باليود، ثم انتزعه. واشتفى الشاب واستكمل سنة في دراسته الثانوية ولم يتأثر عقله من الحادث أي تأثر ظاهر

وفي إحدى المصحات الاوربية سجلت حادثة اخرى غريبة: رجل حذاء انتابه جنون وفي أثناء احدى النوبات أراد ان ينتحر فدق المسامير في رأسه وجيء به الى المستشفى وبرأسه خمسة مسامير طول الواحد منها بوصتان كلها غائرة في المخ.

فانتزعها الجراح فصح المريض بعدها وغادر موفور العافية

وأغرب من هذا كله قصة فاعل عاش عشرين سنة من بعد أن نفذ في رأسه قضيب سمكه بوصة بسبب انفجار، دخله من دون عظمة الصدغ الايسر ومر في العين اليسرى ففقأها، وبجزء كبير من المخ فأتلفه، ثم خرج من قمة الجمجمة. استعاد هذا العامل صحته واستمر يعمل في الحقل حينا ويشتغل حوذيا حينا ويجيد في كلا العملين على السواء. فلم تكن منه يوما شكاة على اختلاف مستأجريه

لقد أفادت هذه الحوادث العلم، وقعت اتفاقا فأعانت الأطباء على تفهم هذا العضو الخطير من الجسم، فاخذوا شيئا فشيئا يجمعون عنه الحقائق بما يأتيهم عفوا من هذه الاصابات وبما يقصدون من دراسته في مرضاهم، وبتشريحه وفحصه بعد الموت اذا خاب العلاج، وكذلك بإحداث مراكز بتيارات الكهرباء في رؤوس القردة والكلاب

في الحرب الفرنسية البروسية استخدم الكهرباء طبيبان ألمانيان «جوستاف فرتش» و«ادوارد هتسج» استخدماها في تنشيط أمخاخ الجرحى وأحدثا لأول مرة حركة في الجسم الانساني بواسطة التيار والجسم فاقد الشعور. مسا بقطب التيار موضعا من المخ فتحرك الرجلان، ومسا موضعا آخر فتحرك الرأس، ثم مسا ثالثا فتحركت الاصابع. وزاد في ايضاح العلاقة التي بين مراكز المخ وأعضاء الجسد تجارب أمثال تلك أجراها العلماء على الكلاب والشمبانزى، فاصبح الطبيب اليوم يستدل باعراض الجسد على مواقع الفساد في المخ فيشق الرأس حيث أصل الداء بلا حدس ولا تقريب؛ فجراحة الرأس لا تحتمل حدسا ولا تقريبا

الرأس ومناطقه الاربع المذكورة بالمقال

أنت نفسك تستطيع أن ترسم على رأسك خريطة تدلك على مواضع تلك المراكز. ابدأ بأصل أنفك عند ملتقى

الحاجبين ، وارسم خطا يمر بانتصاف جبهتك ويعلو إلى أعلى جمجمتك ثم يمتد خلفا إلى بصلة رأسك ، بعدذلك نصف هذا الخط ، واذهب نصف بوصة وراء هذا المنتصف . ومن هذه النقطة ارسم خطين يميلان عن الخط الأول الى جانبي رأسك بزاوية قدرها سبعون درجة ، وبذلك تكون انقسمت الرأس الى خانات أربع ، ففي الخانتين الاماميتين توجد المراكز التي تهيمن على الحركة في الجسم ، وفي الخانتين الآخريين توجد المراكز التي تضبط الاحساسات التي يتعرض لها الجسد

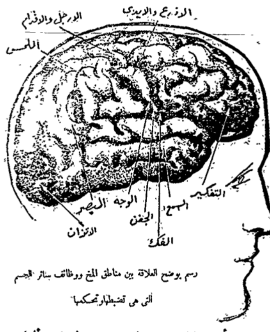
ووراء جبهتك توجد مراكز التفكير ، فان كان هذا الموضع من رأسك عظيما فاعلم أنك مفكر كبير ، وإن وجدته في رأس غيرك صغيراً ضئيلا فاعلم عكس هذا منه . وفي الانسان المستوحش وفي البسطاء تتراجع الجبهة إلى الوراء انضماراً لان هذا الجانب من المخ لديهم لا يستكمل نماءه . ومن العجيب المستغرب ان هذه المراكز إذا أصابها تلف بجراح أو سلعة (١) نهض جانب آخر من المخ ليتولى التفكير مكانها

ولقد ورث كثير من العبقريين رؤوسهم من بعد موتهم للعلم ليفحصها رجال الطب . من أولئك الكاتب الفرنسي الكبير أناتول فرانس ، كانت لفات مخه عظيمة وخلاياه السمراء كبيرة كبراً غير عادي . كذلك لينين ، مؤسس الجمهورية الروسية وواضع البلشفية ، جزئ مخه ٣١,٠٠٠ جزءا ، فحصت جميعها . كذلك «ترجوينف» Turgueneff الروائي الروسي كان له مخ من أكبر الامخاخ المقيسة ، كانت زنته أكثر من أربعة أرطال . ومع هذا فحجم الرأس ليس مقياسا دقيقا مطردا للذكاء ، دليل ذلك أن من الأمخاخ المعروفة مخين زادا وزنا عن مخ «ترجوينف» وكان أحدهما لأبله . واذا زاد مخ عن مخ فليس معنى هذا زيادة في عدد وحداته فالوحدات سوا وانما تزيد الوحدة عن أختها حجما ووزنا

وفي النصف الخلفي للرأس توجد مراكز الابصار ، فاذا نمت فيها نامية او أصابتها إصابة ، سببت العمى . وجزء المخ المجاور للأذن يحكم السمع ، وأمام الجزء الأسفل لمراكز الحركة يوجد مركز الصوت ، فنحن نسمع الكلمات مقولة بجزء من المخ ، ونراها مكتوبة بجزء آخر ، ونقولها بجزء ثالث

واذا حدث اضطراب لأي من هذه المراكز ، حدثت أحداث غريبة . كان أستاذ يحسن اللغتين الاغريقية واللاتينية ، فأصيب في حادث بضربة على رأسه فلما أفاق واشتفى مما أصابه وجد أنه فقد اللغتين جميعا وعبثا حاولت أن تسترجع ذاكرته كلمة من أيهما ، وذلك ان خلايا مخه التي تختزنهما أصابهما تلف لا إصلاح له

وفي حادث آخر انسد شريان دقيق يحمل الدم الى بعض الخلايا المخية بمنطقة الابصار من رأس امرأة مثقفة ، وما أمسى الليل وانفلق النهار بالنور حتى وجدت هذه المسكينة أنها عجزت عن القراءة وأصبحت الكتب لا تحمل اليها من المعاني أكثر مما تحمله إلى الفلاح الأمي . كانت تنظر إلى الكلمة فتراها رسما لا صلة له باللغى . أصابها عمى الكلم وعلى هذا المثال يحدث صمم الكلم . تصاب الخلايا الخاصة به فيسمع المنكوب كل الأصوات ، ويسمع الكلمات ، ولكن خلوا من المعاني



رسم يوضح العلاقة بين مناطق المخ ووظائف سائر الجسم التي هي تضبطها وتحكمها

ومنذ أشهر قليلة حدث حادث عجيب في لوس أنجلس ، بأمريكا الشمالية . فتاة مكسيكية دخلت مستشفاها العام للعلاج

(١) نمو غريب يظهر في الجسم Tumour

فقاس الأطباء فيما قاسوا درجة حرارتها فكانت ٣ و٤٣ والمعروف فى الطب أن درجة ٤٢ قاتلة . واستمرت هذه الحرارة عالية شهراً من الزمان . فحصها المختصون فأجمعوا على أن سلعة درنية نمت من مخها فى المنطقة التى تضبط درجة الحرارة فى الإنسان فساء ضبطها

إن الجراح يستطيع اليوم أن يرسم خريطة للمخ كاملة تبين فيها خلايا المخ وما تختص به من وظائف أعضاء الجسم المختلفة فهو إذا أتاه مريض عرف من أوجاعه وأعراضه أى مناطق الرأس اختل فيذهب إليها قدماً فلا ينحرف عنها قيد إصبع

أذكر رجلاً شفيناه من الصرع استهداء بتلك الخريطة كانت تبدأ الرجفة فى وجهه فعرفنا من هذا أن أصل الداء واقع بمنطقة الحركة بمؤخر المخ . وأردنا زيادة فى التحقق ودقة فى تحديد الموضع ، فخرقنا ثقبين فى مؤخر الرأس ، وغرزنا فى مادة المخ إبرتين جوفاوين ومصصنا من سائله بعضه ، ثم ملأنا الفجوة التى خلت بالهواء ، ثم أخذنا صورة سينية (١) أرتنا أن تلك الفجوة غير منتظمة وأن شكلها استطال فى ناحية وانبعج فى أخرى بسبب ضغط سلعة لم تتراجع مع مادة المخ تحت ضغط الهواء المحقون . بهذا الكشف الجديد تعرفنا على موضع السلعة حتى لكأنما رأيناها رأى العين ، ثم أزلناها

ويختلف حس المخ اختلافاً كبيراً تبعاً للموقع الذى يحصل الفساد فيه ، فقد لا تتعدى البثرة رأس الدبوس حجماً فتحدث أعراضاً مريبة هائلة ، ثم قد تبلغ فى موضع آخر قبضة اليد حجماً قبل أن تحدث حدثاً خطيراً

منذ أعوام جاءنى صديق يهوى لعبة التنس يشكو من ذراعه أنه لا يتجه بالكرة الجهة التى يريدها ، وأنه عبثاً حاول استرجاع الاصابة التى كانت له منذ حين ، وهذه كانت كل شكاته . فامتحناه فتبين أن سبب ذلك سلعة بقدر البندقة فأزلناها وبذهابها رجعت إليه رمايته الأولى . رجل مبخوت هذا الصديق الذى نحن بحديثه ، فلولا ملاحظته الدقيقة لما فطن أحد إلى داثه الخبىء ، ولزادت سلعته حتى لشق استئصالها أو استحال . وقد أصبح أطباء العصر من أجل ذلك وأمثاله حريصين على تعرف السلع فى المخ ولما تكبر ويستفحل أمرها

منذ أعوام كانت جراحات المخ تحتسب من العلل الوبيلة التى لا رجاء فيها ، وكانت جراحات المخ تنتهى بالموت بنسبة لا تقل عن ٨٥ فى المائة . أما اليوم فقد تحسنت طرقها وأحكم تفصيلها وجد الطب فى استبانة عللها قبل أن تشب ، فزاد عدد الناجين من الموت الذى كان محققاً بالأمس زيادة تطرد على السنوات

وقد ثبت أن ١٠ فى المائة من المجانين يختل صوابهم من جراء إصابات تقع لرؤوسهم . وقد ثبت أن رجالا محترمين موقرين استحالوا أشراراً مجرمين بسبب صدمة أو دقة على رؤوسهم آذت أمخاخهم . ومن الغريب أن نتائج هذه الصدمات قد لا تظهر إلا بعد أسابيع من وقوعها . مثال ذلك أن رجلاً من أهل السواد أصابته رصاصة ضلت سبيلها ودخلت من مؤخر رأسه ، فأسرعوا به إلى المستشفى ، وكان أول ما يعمل لفحصه بطبيعة الحال تصوير رأسه بأشعة س ، ولكن كان وقع بالمستشفى حريق فى أيام قريبة سابقة فقضى على جهاز الأشعة ، فلم يجرؤ الجراح على سل مشرطه وهو لا يعلم موضع الرصاصة ، فتركت حيث كانت وتعافى المريض ظاهراً وغادر المستشفى ، ولكن بعد سبعة أسابيع أخذ بصره يضعف وآذن بالعمى ، فعاد إلى المستشفى فصوروا رأسه فتراءى لهم أن الرصاصة سارت فى المخ رويداً حتى حلت منه فى موقع الابصار ، ولما انتزعوها عاد إلى الكفيف بصره

وغير هذا ما حكاه السير «وليم هويلر» الجراح الارلندى الشهير ، ذكر أن رصاصة دخلت رأس رجل وظلت هناك أربع سنوات حتى سكنت من المخ حيث ترابط الافكار فأصابت ذاكرته وبصره وسمعه ، وأخرجت فعادت اليه كل هذه جمعاء

(١) بأشعة إكس أى س

القصص

نشيد الكرنك

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

لقد كانت أياما مليئة بالحياة . جادها النيث اذا الغيث همى جلسنا بعد سير طويل عند مدخل البهو ذى الاعمدة ، وأخذ بعض الرفقة ينطقون اوتار المزهر والكمان والقانون فترتفع مقاطعها المتآلفة المتناسقة بأحسن الانغام واطيب الالحان ثم تجاوبت الاصداء العجيبة من نواحى ذلك البهو الفسيح ، فاذا الجو له يطن بأمواج مختلفة القوة من أصوات عذبة ساحرة ، واستلقيت على مسافة من الجمع اذ كنت من أكثرهم تعبا ، ولكنى وأن عزبت عن الضجة والصخب لم تفتنى نفحات الموسيقى الحلوة وقد صفاها البعد ونقاها.

وفيما انا كذلك اذا بى وقد تمثلت ذلك الهيكل منذ كان فى شبابه ، ورونقه ، وقد قامت فيه الاعمدة باسقة تحمل تيجانها النيلوفرية وتكسوها النقوش البديعة الذهبية ، وفى مداخلها المسلات النحيلة الرشيقة تلمع رؤوسها النحاسية فى ضوء الشمس المائلة الى الغروب ، ثم تمثلت منظر الهيكل يوم عيد عظيم وقد ازدحم بالكهنة يصطفون للقاء فرعون وهم ينشدون نشيد الترحيب والتكريم ؛ حتى اذا ما أقبل خروا الى الاذقان ركعا لابن إلاله وسليل حوريس .

فخيل الى وأنا وسط هذه التاملات ان ذلك الصوت المنبعث الى آذانى من موسيقى اصدقائى هو صوت هؤلاء الكهنة يتردد بين جدران المعبد القائم الجديد . وغرقت فى خيالى واذا بى وقد لف الظلام ما حولى . واذا بى ارى من خلال الظلام عالما سحريا عجيبا ينشر من بين هذه الاطلال الهرمة :

رأيت (فرعون) مقبلا يحمل فى يمناه عصا مذهبة وعلى رأسه تاج تحف به من أسفله الحية الملكية

فخر الوقوف ساجدين وتعالت فى جنبات المعبد أصداء موسيقى بديعة للنشيد الملكى وألقى فى روعى ان معناه

لاح حورماخيس يملأ الارض بأنوار الصباح

يا ابن أوزيريس روحك الاقدس من روح بتاح

وكان (فرعون) نحيل الجسم قصير العود تعلو وجهه الاسمر صفرة كصفرة النرجسة الذابلة . ولما رأيته وتبينت ملامحه لم أملك نفسى ان صحت صيحة مكتومة قائلا . (أتعرف توت عنخ آمون ؟) اذ كان صاحب الصورة التى الفنا رؤيتها منذ كشفت المقبرة المشهورة .

وقد كان المنظر الذى حولى يدعونى الى الخشوع والرهبة . غير أنى مع ذلك وجدت من نفسى كبرا أن أسجد لمخلوق ، فلم أسجد مع الساجدين ، وكنت أخشى أن يمسنى من ذلك سوء . غير أنى تعجبت إذ رأيت الحاضرين لم يزعجهم ذلك بل كأنهم لم يلحظوا شيئاً .

فتجرأت وقمت أسير وراء موكب الملك بين صفوة المتقربين وهامات رجال الجيش وكبار الكهنة .

وسار (فرعون) فى سبيل مرسومة الى ان بلغ قدس الاقداس خلال الاغصان الملتفة والاوراق المتعانقة المتراقصة . كأنها الرقراق من جدول يجرى بعد الترويق ، أو النسيم يسرى من تعدد المسارب والثنيات ، فكانت اذ بلغتنى تتوارد هينة مصقولة

ومن ذلك قصة طفل فى الشهر الحادى عشر من عمره ، سقطت على رأسه لبنة فكسرت جمجمته ، فكانت تأتيه لهذا السبب ارتجافات عنيفة ، ثم انقطعت . ولما بلغ عامه السابع عشر أخذ ينتابه صرع شديد اشتفى منه باحدى براعات الطب أتاها الدكتور شارلز هرسمن وتكساس بأمريكا . ذلك أنه ارتأى أن الصرع جاء من ضغط العظم الصديع على المخ ، ففتح الجمجمة فتحة أطالها وراء الرأس من الاذن الى الاذن على شكل حذاء الفرس ، ثم رفع الجمجمة ، وقطع شريحة دهنية من فخذ المريض فوضعها تحت عظام الرأس حيث الصدع لتفعل فعل الوسادة فتتقى الضغط دون المخ . وقد نجحت العملية نجاحا تاما وزال الصرع وعاد الشاب الى مدرسته يستعد للحياة استعداد أقرانه ، ويامل منها مثل آمالهم عمرا مديدا وعيشا رغيدا .

تصحيح

جاء فى مقالة (ملك البكلاه) المنشورة فى العدد الماضى ص ١٠٧ عمود ٢ سطر ٥ (تحليله وتقديره) والصواب (تخليله وتقديده) وفى ص ١٠٧ أيضا عمود ٢ س ١١ (٠ و ٧.٥) والصواب (٤٠ و ٧٥) وفى ص ١٠٨ ع ٢ س ١ (متعضونة صغيرة ومن الفطريات) والصواب ومن الطحالب .

فتخلف عنه القواد وسجدوا إيذاناً بالوقوف عند حد الحرم الممنوع، ولكنى دخلت وراء الموكب ولم يبق فيه الا الملك والكاهن الأعظم وبعض كبار الكهنة يحملون فى أيديهم هدايا الملك الى إله طيبة الاعظم (آمون). فلما أن بلغوا المذبح وضعوها بأيديهم وانحنوا إجلالاً، ثم وضعوا البخور فى المجامر وعلا صوتهم بنشيد قدس الأقداس:

أآمون بارك سليل العلا ومن فيه يجرى دم الاقدسين.

ولكنهم وقفوا حيث انتهى بهم السير، ودخل الملك وحده الى الحرم الاقدس يتبعه الكاهن الاعظم، فترددت قليلاً ثم عاودتنى الجرأة فسرت وراء الملك الى قلب ذلك المكان المحرم، ولكنى عجبت اذ لم يمنعنى أحد ولم تلتفت الى عين. ولقد راعنى الامر وهالنى مخافة أن أكون أقدمت على انتهاك حرمة جزاء الاعتداء عليها الهلاك. فقد كنت أعرف ان ذلك الحرم لا يحل دخوله الا للملك ولرئيس الكهنة، وان الموت هو العقاب لمن يدخله من غيرهما. غير أنى مع ذلك لم ألو على شيء، بل سرت قدما وسط الظلام الدامس الذى لا تضيء فيه الا ذبالة ضئيلة فى زجاجة حمراء لا يكاد الانسان يتبين فيها إلا أشباحا كانها الظلال المتحركة

ولما صار الملك هناك وحده مع الكاهن، أقول وحده لأن كل الادلة تدل على أنه لم يلحظ وجودى — استلقى على مقعد استلقاء المجهد السقيم وأن أنة المتوجع المكلوم.

وسمعت صوت الكاهن الهادىء يخترق ذلك الظلام بنبرات خفية متزنة ولست اذكر الفاظه ولكنى كنت افهم ما أسمع بالهام عجيب: قال (أى بنى! شملتك رحمة آمون)

فصاح الملك صيحة مكبوتة (ايها الشيخ! نحن هنا وحدنا)

فقال الكاهن (أعرف ذلك ولهذا أطلب لك رحمة آمون)

فقال الملك بالصيحة ذاتها (ليتنى كنت لا أعرف! ليتنى كنت أستطيع أن أصدق!)

فقال الكاهن (اى بنى! انك لازلت شابا وقد يغتفر للشباب أن يشك احيانا)

فصاح الملك (اشك؟ انى لا اشك. إنما أنطق عن عقيدة. فماذا يكون لتمثال مصنوع من الذهب فى قلبى من الاحترام؟)

فقال الكاهن بلهجة مرة (ولكنك ملك. واذا كنت لا تستطيع ان تصدق فعليك ان تصدق.)

فقال الملك محتدا (ماذا أصدق؟ هل أصدق أن آمون إله يرحم، أو جبار ينتقم؟ نحن هنا وحدنا فلا بأس أن تقول الحقيقة مجردة. ليس آمون هو الذى يتطلب منى الايمان والخضوع بل هو (آى) الكاهن الأعظم وليس هو آمون الذى يرضى ان يسخط بل هم الكهنة الذين يحملون رمزه ويقومون على سدانة تمثاله الأخرس. هم كهنة آمون الذين يطلبون منى الخضوع والعبادة) فقال الكاهن بهدوء (ثم ماذا؟)

فقال الملك (ومع ذلك فقد كنت صريحا مع نفسى ورضيت بتغيير اسمى من (توت عنخ آتون) الى (توت عنخ آمون) فتركت الاله القادر الواحد وآمنت باله مزيف وانا عالم بانى إنما أومن باله مزيف لكى أضلل وأزيف.

فقاطعه الكاهن وقد غلب الغضب على هدوئه وسخريته المرة قائلا:

« حسبك ياساكاى » فصاح الملك « ساكاى! »

فاجاب (آى) « نعم ساكاى. انك لا تمت الى الملوك الا بصلة النسب والاعتقاد. وقد بطل ذلك الاعتقاد الفاسد فى إلهك (آتون) منذ مات ذلك المجرم الذى كان يحكم فى (آخناتون) واما علاقة النسب فمن السهل البحث عن علاقة اقوى منها واجدر بالملك »

وعند ذلك لاح شبح الملك وهو ينهض غاضبا ويرفع رأسه متحديا. ولكنه لم يقل كلمة واحدة بل بقى واقفا وصدره يزدحم بانفاسه. ونهض الكاهن كذلك ووقف امامه واستمر فى قوله، وكان فى حماسته يحرك رأسه ولحيته الطويلة بشيء من العنف ويرفع رأسه عاليا مع ما فى ظهره من انحناء الشيخوخة: قال « لا تغضب من الحق، وان شئت ان تغضب ففكر فى العاقبة قبل ان تخطو فى سبيلك خطوة واحدة. انى احذر. انى انذر. والبلاد كما ترى فى أشد حالات الاضطراب والفوضى وقد صارت كالنسر المجرد من ريشه أو الأسد الذى قلمت اظفاره.. »

فعاد الملك الى مقعده وأن أنة أخرى أعمق من الاولى واشد مرارة ثم استمر الكاهن فقال:

« ومع ذلك فاسمع قصة قصيرة قد تكون مغنية عن قول كثير. اننا نحتفل اليوم بعيد اختيار آمون لجد زوجتك الملكية، الملك تحوتمس الثالث. ولقد كان ذلك الملك العظيم كما تعرف غير مرشح للملك لأنه ابن حظية لا تجرى فى أمه دماء الآلهة. ولكن آمون رضى عنه ومال اليه فى أول دورة، ووقف أمامه فى يوم احتفال كهذا: فاظهر بذلك ارتياحه اليه وصار الملك من ذلك اليوم اليه، فتنحى أبوه عن الملك وتنحى أخوه بل لقد تنحت اخته نفسها وهى التى تجرى فى عروقها دماء الآلهة. اتعرف هذا؟ »

فتمتم توت عنخ قائلا « نعم. اعرفه » فقال الكاهن « وإذن فلك الخيار. سأقول اليوم كلمتى اذا اخرجنا من هنا على مسمع من

رجال الدولة والكهنة والامراء . واذا شئت فارفض ماأقول »

قال هذا ثم نهض رافعا رأسه واتبعه الملك الصغير مطاطىء الرأس حزينا والمامر (توت عنخ) على مقربة منى وقعت على وجهه شعاعة من ضوء الذبالة فاذا على وجنته دمعة تترقرق وتلمع فى الضوء الخافت

ولما بلغ الكاهن الاعظم مكان المحراب عرج عليه لكى يؤدى فرضا من الفروض المرسومة والقى ببعض البخور فى المجامر المتقدة

ثم سار وراء الملك حتى بلغا الفناء الفسيح فى وسط الهيكل، وكان هناك الحشد الحافل من أهل الدولة والكهنة والقواد والامراء فخروا جميعــا للاذقان سجدا يتلقون الملك والكاهن الاعظم، ثم جلس الملك على عرش منصوب فى الصدر ، وقام الكاهن الاعظم فألقى كلمة قصيرة قال فيها :

« أيها القواد العظام والامراء الكرام ! لقد دخل الملك العظيم ابن الآلهة الى قدس الأقداس وتجلت له اسرار آمون وظهر من ايمانه وبره ماجعل الاله العظيم يتجلى له . ولكن تجلى آمون للملك العظيم . فالشكر لآمون »

فسجد الجميع مرة اخرى وقام الملك سائرا نحو الكاهن الاعظم وكانت خطاه مترددة مضطربة . ثم قال بصوت مختنق متهدج « المجد لآمون » فعلت عند ذلك ضجة من الجمع الخاشع كأنها ضجة التهليل والتسبيح .

وارتفع صوت الكهنة بنشيد الملك :

(لاح حودماخيس ، يملأ الارض بأنوار الصباح) ثم حمل الكهنة تمثال آمون الذهبي وداروا به حول الفناء أمام الحضور حتى أتوا أمام عرش الملك فوقفوا وأقبل التمثال محمولا على الاعناق لكى يبارك الملك المحبوب المؤمن

لقد تجلى آمون (لتوت عنخ) ورضى عنه لما فى قلبه من الايمان، وقام الملك بعد ذلك يتعثر فى مشيته وقد زاد وجهه شحوبا وعلى شحوبه وغارت عيناه وترددت فيهما قطرات تكاد تعشيهما . وعند ذلك علا صوت الكهنة مرة أخرى بنشيد

« آمون بارك سليل العلا »

فتجاوبت به الاصداء بين جدران المعبد وتماوجت نغماته فكان بعضها يفنى كما تفنى الموجة اذا اتسعت دائرتها وبلغت مداها وتجددت من أعقابها موجة أخرى لا تلبث أن تبلغ مداها

وعند ذلك انجلى الظلام وأسفر المنظر فاذا باخوانى ينشدون نشيدهم على آلات الكمان والعود والقانون . واذا بى لازلت متنحيا منهم ناحية راقدا على جانب حجر مكتوب الصفحات .

محمد فريد أبو حديد

من أحاديث العيد

(بقية المنشور على صفحة ٤)

اليوم الثقيل الذى شيعت فيه فقيدين عزيزين فى اقل من ساعتين .

بهذا وامثاله كنت اتحدث الى نفسى أيام العيد ، فاذا سألتنى عما كنت اتحدث فيه إلى الناس وعما كان الناس يتحدثون فيه الى حين كنا نلتقى ، فيالبؤس ! وياللفقر وياللشقاء ! ويالجدب الحياة وافلاس الاحياء ، كنا نتحدث عن الازمة المالية ، وكنا نتحدث عن السياسة ، وكنا نتحدث عن غدو المندوب السامى مع الطير يوم العيد وما يحيط بغدوه ذلك من اسرار واخبار ومن تاويل وتعليل . ثم كنا نتحدث عن بعض هذه الاشياء الممتازة التى ظفرت باحاديث الناس وشغل الصحف وعناية رجال الامن : كنا نتحدث عن ذلك الخاتم الذى اضطرب له رجال الامن وعطلت له دار من دور التجارة ، واتصل حوله تحقيق طويل دقيق ولم تبح صحيفة مصرية عربية او غير عربية لنفسها ان تعرض عنه أو تطوى اخباره عن قرائها ، ثم اصبح الناس يوم العيد فاذا الصحف تنبئهم بأن سيدة قد التقطته امام مدرسة من المدارس فظنت جوهره من الزجاج ولم تعلم انه حجر نفيس ، وان مدينة القاهرة مضطربة له اشد الاضطراب ، وان قيمته تربى على الف من الجنيهات . وكنا نتحدث عن هذا الدبوس الذى افتقدته صاحبته فلم تجده ، فارتاعت لفقده وهمت وهم أصحابها أن يقولوا قصة كقصة الخاتم ، ولكن شابا لم يلبث أن التقطه فرده الى صاحبته ، فلم يضطرب رجال الأمن ولم يحتج رجال التحقيق الى النشاط ، ولم تزد الصحف على أن روت الخبر رواية يسيرة قصيرة فى مكان غير ظاهر ولا ممتاز . وكنا نقارن بين قصة الخاتم وقصة الدبوس وبين حظ الخاتم وحظ الدبوس . وكنت أقول لاصدقائى وهم يبتسمون ويضحكون ويفلسفون : على رسلكم أيها السادة ، فلو قد سألتم ذلك الخاتم أو هذا الدبوس عما يعرفان من التاريخ ، ولو قد أراد الخاتم وأراد الدبوس أن يقصا عليكم بعض ما يعرفان لما ابتسمتم ولا ضحكتم ولا أغرقتم فى الفلسفة هذا الاغراق . فليست قيمة الخاتم والدبوس فى هذه الجنيهات التى تربى على الالف أو تبلغ المئات فحسب ، ولكن قيمتهما فيما يحملان من ذكرى وما يصوران من حياة ، وفى هذه الصلة التى تصل بينهما وبين القلوب والنفوس . قال صديق ماكر : فحدثنا اذن عن خاتمك الذى فقدته ، فقد يظهر أنك فقدت خاتما أيضا وان أمره قد ارتفع الى رجال الشرطة ثم هبط الى الصحف ثم ذاع بين الناس . قلت وانك لتتحدث عن هذا الخاتم هازلا كأنما تغض من أمره وتزدريه ، فهل تعلم انى حزنت عليه حزنا شديدا ! وهل تعلم انه ليس أقل خطرا ولعله أعظم خطرا عندى من ذلك الخاتم وهذا الدبوس ؟ وهل تعلم انه يمتاز من ذلك الخاتم وهذا الدبوس بأن له فى الحياة المصرية العامة آثارا باقية ، به أصبح قوم دكاترة . وبه أدرك قوم آخرون اجازة الليسانس ، وبه صرف كثير من امور الدولة ، وقضى فى مصالح كثير من الاساتذة والطلاب أعواما ، فحدثنى أين يقع من هذا كله اثر ذلك الخاتم وهذا الدبوس فى حياة المصريين ؟ ومع ذلك فلم تبلغ قيمته ألفا ولا مائة ، ولا عشرة من الجنيهات ، استغفر الله ، بل لم تبلغ قيمته عشرة من القروش ، وانما كانت قيمته قرشا ونصف قرش ليس غير ، اتخذته حين كانت الاشياء رخيصة ، فى ذلك الزمن ، الذى كنا نستطيع أن نبلغ فيه بالقرش كثيرا من المآرب والحاجات ، اتخذته فى باب الخلق ، وأنا خارج ذات يوم من دار الكتب ، وكنت فى الرابعة والعشرين من العمر ، وكنت أريد أن أسافر الى أوربا ، وأظهر لى هذا السفر أنى شخص من الاشخاص ، يجب أن أذكر مولدى ، وأعرف سنى ، وأقدر ما آتى من الاعمال ، فى ذلك الوقت بحثت عن شهادة الميلاد وكانت ضائعة ، فعرفت سنى وكنت أجهلها ، وفى ذلك الوقت قيل لى إن من أتى عملا أو قال قولا وجب عليه أن يمضيه ، فاتخذت هذا الخاتم ، صنعه لى رجل كان يصنع الخواتم قريبا من المحافظة ، ثم عبر معى البحر ، وصحبنى فى فرنسا طالبا ، وصحبنى فى الجامعة استاذا ، عمل معى فى أعمال الدولة ، وامضى معى عن امور الدولة ، وكان صديقا أمينا ، لست أدرى ، كيف قبلت فراقه حينا ، وائتمنت عليه صاحبى ، حتى أقبل ذات يوم ينبئنى أنه افتقده فلم يجده ، هنالك ضقت به وضقت بالناس ، وضقت بالحياة كلها وقتا غير قصير ، ثم زعم لى زاعم أن الامر يجب أن يرفع الى الشرطة فرفع اليها ، وهبط الى الصحف ، ولكن الشرطة تلقت أمره باسمة ، ولكن الصحف نشرت امره مداعبة ، ولسن الاصدقاء تحدثوا عنه مازحين ، أفرأيت ان قيم الاشياء ، تختلف لا باختلاف آثارها ، ومكاناتها ولكن باختلاف اصحابها ، فلو كنت رئيس الوزراء ، لما ابتسم الشرطى ، ولما داعبت الصحف لانى فقدت خاتما ، ولكنى لست رئيس الوزراء ، فيبسم الشرطى ، ولا يأتى حركة وتداعب الصحف ، وتمزح انت ويمزح هؤلاء . بهذا وأمثاله ، كنا نتحدث ايام العيد ؟

طه حسين

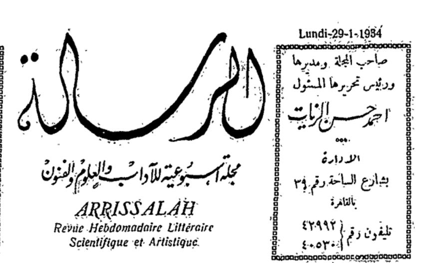
2 me Année, No. 30

Lundi 29-1-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العـــدد الثلاثون — القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٩ يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

الى الأقصـــر . . .

— ١ —

كان لا بد للأغب أن يستجمّ ، وللصائم أن يعيّد ، وللمجادل فى مجد الفراعين أن يزور الأقصر .

وكان (قطار الآثار) قد جرأ الجيوب الهزيلة على أن تبارى الجيوب الأمريكية فى (وادى الملوك) ! وقطار الآثار كقطار البحر فكرة سديدة ، تنفذها ادارة رشيدة . .

ولكنّ حرفَ (لكن) لا يزال وا أســـفاه أكثر أخوات (إنّ) استعمالا ، وأشدها بحياتنا اتصالا ! فأنا مضطر أن أقول : ولكن هذا القطار لا يصلح إلا لأقوياء البنية ، أشداء العصب ، ممن يستريحون على الوقوف ، وينامون على الرفوف ، ويغمضون على ضيق المكان ، وكظّة الديوان ، وحرج الأسرّة . أما أخو الجسد المهدود ، والعصب المجهود ، فلا مناص أن يقضى ليله كما قضيت : مقسم النفس بين القلق والأرق ، لا يجد نفسه ولا يملك قلبه !

سار بنا القطار المُثقَل فى منتصف الساعة التاسعة من مساء يوم الاثنين أول أمس العيد ، وكان المفروض على راكبه أن يبيت قائماً فى الممشى ، أو نائماً على (الرف) ، أما الجلوس لو أراد ، فلا سبيل اليه إذ لا محل له ! وكان من

الميسور تلطيف هذا المقدور بشيء من لهو الحديث لو جمعنا الحظ العنيد برفقة من أهل الأنس ؛ ولكنني كنت أنا وصديقي بين أربعة لايصل أحدهم بالآخر سبب من جنسية أولغة ، فحملونا مكرهين الى الفراش النابي والوساد القلق... ولا أريد أن أثقل عليك وعلى ادارة القطار بذكر ما أعقب ذلك من أزمة الصدر ، وضمة القبر ، وازعاج الصحب ، واغاثة الاسعاف ، وقضاء الليل الطويل قابعا أمام الباب لا يخدع في عيني نعاس ، ولا ينفس عن صدري فرج ، فان علاج ذلك كله أعداد عربة للجلوس يتنفس فيها الساهد المكروب باللهو والسمر

***

القطار الجاهد يخوض في أحشاء الليل المظلم ، والهواء البارد يسفي غبار الطريق الخانق ، والركب المترجح يغط في النوم غطيط الخلي ، والكرى الجائر قد غابني على أخوي فأوى بهما الى المضجع ! وأنا وحدي في هذا القفص الطائر أرعى نجوم الكهرباء في سمائه المحصورة الرفيعة ، وأقول في آخر ليلة من ليالي رمضان المحتضر : متى ياالله الناس يصبح هذا الليل ؟ !

وأخيرا ، أخذ نور المصابيح الزاهر يشحب قليلا فقليلا ، وستر الظلام الصفيق يرق عن جوانب القطار شيئا فشيئا ، وانفاس الفجر الندية تخلص الي من خلال النوافذ ، وكنا حينئذ نمر على الجسر الحديدي بنجع حمادي ، ففتحت الشباك القريب وارسلت طرفي الكليل في شمال الوادي ، فرأيت رءوس الشجر الرفيفة ، وذوائب النخل الرفيعة ، طافية في سيل من الضوء المشوب المبهم ، وتبينت القرى الجاثمة على الضفاف الخضر تستيقظ مطاولة الجنبات مع الطبيعة ، والصبح الوليد يهتك عن مهده الوردي كلة السحر الداكنة ، وأبصرت من وراء (قنا) خطا من ذائب المرجان قد ارتسم على قمم الجبال اللوبية ، ثم أخذ ينتشر ويبدأ على الظلال المتخلفة من بقايا الليل حتى غمر الوادي ، فاستبانت في سهوله الخصيبة حقول القمح والفول والعدس يكللها الطل ، ويرفرف فوقها رقيق الضباب

***

أشرقت الشمس علينا كما كانت تشرق منذ آلاف السنين على سيتي ورمسيس ، فهي وحدها المخلوق الذي شهد ضخامة الماضي ، ويشهد الآن ضآلة الحاضر ! فليت شعري ماذا تقول ذكاء في هؤلاء الأقزام الذين يحجون اليوم (طيبة) مختالين على مركب ليس لهم في صنعه قسط من حديد أو خشب ؟ ماذا تقول ذكاء وقد رأت ملوكنا العماليق وهم في طفولة البشرية ينقلون قطع الجبال من أدنى الشمال الى أقصى الشلال على عجلات وآلات من خلق عقولهم وصنع أيديهم ، ثم ترانا معشر الأعقاب نلوك الفخر أمام الغربيين بعظمة الأقدمين ، ونتبجح أمام الأقدمين بعبقرية الغربيين ، فنحن كخلفة الدوحة العتيقة تنبت رخوة على جوانب الجذر الثابت ، ثم يقعد بها الوهن عن مطاولة الجذع ، فلا هي في رسوخ الأصل وقوته ، ولا هي في سموق الفرع واشرافه ! !

***

لايكاد الصعيد يختلف اليوم عما عهده الفراعين منذ أربعة آلاف سنة ! فالشمس المعبودة هي الشمس ، والنيل المقدس هو النيل ، والقمح الذي خزنه (يوسف) هو القمح ، وجوارح الطير التي تحوم فوق ساحلي النهر هي بأنواعها وأشكالها والوانها التي كانت تحلق في أجواء « طيبة » . لأن الحيوان والنبات قلما ينالهما التغير . أما الذي نال منه الحدثان ، وغير من حاله الزمان ، فهو هذا الانسان المسكين ، فانسان النيل لم يعد ذلك الذي قارع الدهر ، وصارع البلى ، وحاول الخلود ، وقدس القوة ، وأخضع العراق والشام وفلسطين والسودان والحبشة ، وإنما أصبح من فعل القرون وإلحاح الجور شيئاً من المتاع تابعا للأرض ، يملك ولا يملك ، وينتج ولا يهلك !

على أن القبس الالهي العربي الذي بعث الضوء في شبابه الكادي ، والحرارة في جسمه المنحل ، لايزال قديراً على إحيائه ، جديراً برفعه

واذا كان البحر يتعاوره الجزر والمد ، والشمس يتعاقبها الغروب والشروق ، والطبيعة يتناوبها الخريف والربيع ، فان مصر الناهضة تشارف بثروتها المد ، وتطالع بقادتها الشروق ، وتستقبل بشبابها الربيع !

ضحت الشمس واستطاع النظر القصير أن يجمع الوادي في

نظرة ! وهيهات لابن (الدلتا) الفسيحة أن يفهم معنى الوادى إلا فى أعالى الصعيد ! فهنالك تتقارب السلسلتان بما وراءهما من موات وجدب ، وينساب بينهما النهر العظيم بما يحمل من حياة وخصب ، ويشعر المصرى الذى يرى هذا المنظر أول مرة فيجد واديه كله فى عينه وفى قلبه ، بنوع من الغبطة لم يحسه من قبل ، ويستغرق فى نشوة من الذكريات والامانى لا يخرجه منها الا وقوف القطار على محطة الأقصر ...

أحمد حسن الزيات

ربع مية ...

للدكتور طه حسين

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفت فيها أصيلا لا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد

ولم يكن ربع مية بالعلياء فالسند ، وانما كان فى صحن الازهر ، وعند القبلتين القديمة والجديدة ، حيث كانت الحركة المتصلة فى الليل والنهار ، وحيث كان ذلك الدوى الغريب الذى لم يكن ينقطع الا فى اوقات الصلاة العامة . والذى كثيرا ما فكرت فيه وسألت نفسى عن هذه الأجزاء التى لا تحصى ، والذرات التى لا تعد ؛ والتى كانت تؤلف جوهره وتكون مزاجه ؛ وتجعل منه وحدة لا يظهر فيها الاختلاف ؛ ولا يحس فيها التباين . فاذا حللتها رأيت اختلافا لا حد له ، وتباينا ليس له آخر : رأيت أصوات قوم يتحدثون فى متاع الدنيا ولهوها ، واصوات قوم آخرين يتحدثون فى جد الحياة وآلامها ، وقوما يذكرون الله ، وقوما يدرسون العلم ؛ وقوما يتلون القرآن ، وقوما يقرأون ما يخطر لهم وما لا يخطر لك على بال ، وقوما يخوضون فيما تظن وفيما لا تظن من فنون الحديث ؛ ومن هذه الاصوات كلها يتمد صوت واحد قوى ضخم عميق عنيف متحد يملأ فضاء الازهر منذ تدخله الى حين تخرج منه ، ويملأ فضاء الازهر من أى باب ولجته ، إلى اى باب تجاوزته ، ويملأ فضاء الازهر فى جميع ارجائه وأنحائه على كثرة ما فيها من الأنحناء والالتواء والانعطاف

نعم فى هذا الربع الذى لم يكن يخلو فى نهار ولا فى ليل ، ولم يكن يهدأ فى شتاء ولا فى صيف ، ولم يكن يشعر بالحاجة الى الحياة لانه كان حياة كله . وكان حياة كأشد ما تكون الحياة قوة وحركة وإنتاجا . فى هذا الربع وقفت كما وقف النابغة فى ربع مية ، ولكنى لم أقف أصيلا وإنما وقفت بعد صلاة العتمة ففهمت هذا النحو من شعر القدماء ، أو قل أحسست هذا النحو من شعر القدماء ، فما أكثر ما نفهم الشعر القديم والحديث دون أن نحسه كما يحسه قائلوه . ودون أن نتأثر به كما يتأثر به الشعراء

وكان الأزهر كربع مية ، خلا بعد عمران ؛ وسكن بعد حركة ، وأعيا عن جواب السؤال حين وجه اليه السؤال ؛ وكان الازهر كربع مية قد طال عليه الأمد وبعد به العهد . طال عليه الأمد أكثر مما طال على ربع مية فما أظن أن ذلك الأمد الذى ذكره النابغة والذى طال على ربع مية كان طويلا مسرفا فى الطول يكاد يبلغ ألف سنة كهذا الأمد الذى أذكره حين أتحدث عن الازهر والذى ذكرته حين تحدثت الى الأزهر منذ أسبوعين . وكان الأمد بين الأزهر وبينى قد طال . فما أذكر أنى دخلته منذ بضع عشرة سنة ، وما أذكر أنى طوفت فيه منذ أكثر من عشرين عاما ، ولكنى حملت فى نفسى دائما للازهر صورة حية قوية شديدة الحركة عظيمة النشاط رائعة الدوى عسيرة التحليل ، وكنت أسعى إلى الازهر منذ أسبوعين وإن قلبى ليخفق سعادة واغتباطاً وحنينا إلى هذه الصورة التى صحبتنى ربع قرن وطوفت معى فى أقطار الأرض واستقبلت معى ألوان الخطوب لم تضعف ولم تفتر ولم تتضاءل . والتى كنت أسعى بها إلى أصلها الأصيل فى صحن الازهر وعند القبلتين لتستمد قوة إلى قوتها وحياة إلى حياتها ؛ فلما بلغت الربع — وليتنى لم أبلغه — نظرت فاذا الصورة أقوى من الأصل ، واذا الأزهر الذى أحمله فى قلبى أشد حركة وأعظم نشاطا وأقوى حياة من الازهر القائم هنالك فى حى من أحياء القاهرة .

قال أصحابى وكلهم مثلى من أبناء الازهر الذين بعد عهدهم به وطال فراقهم له : وما يمنعنا أن نختم رمضان بزيارة قصيرة للازهر نحيى بها العهد القديم ونذكر بها أيام الشباب . قلت وإنى فى ذلك لراغب ، وإنى إلى ذلك لمشوق . ومضينا الى الازهر ونحن نقدر أن سنجد فيه تلك الصور التى ألفناها ، وأن سنسمع فيه ذلك الدوى الذى عرفناه ؛ وأن سنختلط به اختلاطاً ، ونمتزج به امتزاجا ، ونقف فيه كما كنا نفعل أيام الشباب وقفات فيها الجد الخصب ، وفيها هزل يشوبه الحب والعطف . تتنقل بين هذه الحلقات المنبثة فى أرجائه نسمع لهذا الشيخ وهو يقرأ الحديث أو التفسير أو يقص قصص الوعاظ

فيعجبنا صوته والقاؤه وفهمه وإفهامه فنعجب به ونبسم له . وتتجاوزه الى ذلك الشيخ فيضحكنا صوته أو إلقاؤه أو لازمة من لوازمه أو بعض مايدفع اليه من الخطأ فى الفهم أو السخف فى الافهام فننصرف عنه ضاحكين متفكهين ، حتى اذا قضينا من هذا كله أربا خرجنا وقد ذكرنا أنفسنا وسعدنا بلقاء تلك الأيام العذاب .

كنا نقدر هذا كله ؛ فلما دخلنا الازهر لم نر الا وحشة ولم نحس الا صمتاً ، لم نعرف شيئا ولا أحداً ، ولم يعرفنا شيء ولا أحد . وإنما كنا أشبه شيء بالأشباح أو الأطياف تمضى فى مكان خال موحش لا حياة فيه ولا عمران . وأشهد لقد لقينا خدم الازهر باسمين لنا محتفين بنا ، يسعون بين أيدينا ومن حولنا ، كانما نحن جماعة من السائحين الذين لا علم لهم بالازهر ولا معرفة لهم بخفاياه ، فهم يهدوننا ويدلوننا ويرفقون بنا فى الحديث .. ويحكم ! فانا أعلم منكم بالازهر وأعرف بمعالمه ، وإنا لم نأت لنلقى منكم هذا الرفق ، وإنا لنفضل أن تلقونا بما كان يلقانا به أسلافكم من ذلك العنف الذى كانت تحبه نفوسنا وان أظهرنا منه النفور .. اين الجبلاوى واعوان الجبلاوى ؟ اين تلك العصى التى كانوا يهزونها فنسمع لها اصوات خفيفة ولكنها مخيفة ؟ اين الغراب وايام الغراب ؟ اين رضوان وجنود رضوان ؟ اين الجندى واعوان الجندى ؟ اين هؤلاء جميعا وما كان يحيط بهؤلاء جميعا من جلال كنا نزدريه وكنا نضيق به ، وها نحن اولاء نذكره الآن فتذهب نفوسنا فى اثره حسرات . ولست ادرى من هذا الذى عرفنا فاسرع بأسمائنا الى رجل كريم من أصحاب الفضيلة المفتشين . وانى لأطوف مع صاحبى فى الازهر يتحدث الى وأتحدث اليه بهذا الصوت الهادىء الخافت الذى نصطنعه اذا خلا احدنا الى صاحبه . كأنما نحن فى دار من الدور او فى بيعة من البيع التى يحسن فيها الهمس لا فى الازهر الذى لم يكن يحب الا الجهر ورفع الصوت ، وما راعنا الا صاحب الفضيلة وقد اقبل علينا طلق الوجه باسم الثغر مبسوط الاسارير يحيينا تحية الرجل الكريم ، ويدعونا الى ضيافته ويلح علينا فى ان نصعد معه الى حيث يتلى القرآن ويشرب الشاى ..

وكنا نود لو استطعنا ان نخلو الى هذه العمد القائمة لنجدد عهدنا بها ، ولنتبها ذكرى تلك الايام ، ولنسألها عما الم بها من الحوادث واختلف عليها من الخطوب منذ فارقناها ، ونظفر منها بهذا الصمت الذى هو افصح من الكلام وابلغ منه اثرا فى النفوس ، ولكن الشيخ دعا فلم يكن بد من ان نستجيب ، فمضينا مع الشيخ الى حيث اراد ، وصعدنا معه الى غرفة من تلك الغرفات التى كنا نذكرها ايام الصبا فتمتلىء قلوبنا لذكرها مهابة واجلالا ورهبة واكبارا . فى تلك الغرف كان يستقر شيخ الازهر ومفتى الديار . وفى تلك الغرف كانت تدبر امور الازهر وتصرف شؤون العلماء والطلاب ، وحول تلك الغرف كانت تتطاير طائفة من الاحاديث والاساطير عن حياة الشيوخ واقوالهم وأعمالهم . وكانت هذه الأحاديث تصل الينا فنعجب بها ونبسم لها ونلتمس فيها العبرة والعظة والفكاهة . وكنا ننتقل بهذه الأحاديث الى بلادنا فى الريف فنقصها على آبائنا واخواننا فيعجبون بها ويكبرون أصحابها ويتخذونها ذخراً لما يعقدون من مجالسهم اذا أشرق الصبح أو أقبل المساء .

صعدنا مع الشيخ الى تلك الغرفات ونحن نسأله عن الأزهر ما خطبه ؛ وعن هذا الصمت ما مصدره . والشيخ صامت كالأزهر لا يستطيع رجع الجواب . ثم انتهينا مع الشيخ الى طائفة من أصحابه كرام مثله لقونا لقاء حسنا ، وحيونا تحية حسنة ، كما لقينا الشيخ وكما حيانا ، ونسألهم عن الأزهر ما خطبه ؟ وعن هذا الصمت ما مصدره ؟ فاذا هم صامتون كالأزهر ، وإذا هم صامتون كالشيخ ، وإذا هم لا يستطيعون رجع الجواب .

ثم تدور علينا أكواب الشاى ، ثم تتلى علينا آيات الله فى صوت عذب ولهجة حلوة وقراءة صحيحة مستقيمة نقية تصل الى أعماق القلوب . ولكن من القارىء ؟ من أين جاء ؟ ما شكله ؟ وما زيه ؟ أنه رجل مطربش قد اتخذ زيا غير زى الأزهر ، لأنه ليس من أهل الأزهر وإنما هو من عمال العنابر . تبارك الله ! رجل من غير الأزهريين يتلو القرآن بين الأزهريين ! هذا خير ، هذا خير كثير ولكنه غريب لم نكن نقدر أن نلقاه فى أيامنا تلك . وكنا نحب أن نلقاه الآن والأزهر معمور يموج بالناس وترتفع فيه أصوات الشيوخ بقراءة القرآن . ولكن الازهر ساكن صامت ، وهذه الطائفة الكريمة من العلماء الواعظين قد استمعوا وأنصتوا لتلاوة القرآن الكريم تخرج من رأس عليه طربوش . هذا خير ما فى ذلك شك . ولكن هذه الصورة مازالت غريبة فى أنفسنا ، وما زال موقعها من قلوبنا شاذا قلقا ، ومع ذلك فقد يقال إن الشيوخ محافظون ، وانا نحن من أصحاب التجديد .

ثم انصرفنا محزونين مستيئسين ، جئنا نزور الأزهر فلم نر الأزهر ، وانما رأينا اطلاله ولم نستطع أن نطيل عندها الوقف . قلت لأصحابى : ولكن ما هذا الصمت وكيف انتهى الأزهر اليه ؟ وأيكم كان يظن أن ذلك الصوت العظيم يقضى عليه فى يوم من الأيام أو فى

(البقيـة على صفحة ٤١)

منطق اللغة

للأستاذ أحمد أمين

قال صديقى : ألا تنظر إلى هذه الظاهرة الغريبة ؟ أنا فى مجلس يتجادل أحيانا فيما يُعرض عليه باللغة العربية ، وأحيانا باللغة الانجليزية ، فاذا تجادل باللغة الانجليزية فالحجة تُقرَع بالحجة فى إيجاز ، وداخل حدود معينة . قلّ أن يكون هناك استطراد . وقلّ أن يكون لعب بالألفاظ ، وقلّ أن يكون خروج عن الموضوع ، وقلّ أن يكرّر المجادل نفسه فيما يقول . فاما أن يأتى بحجة جديدة وأفكار جديدة ، وإما أن يسكت . وما هى إلا هنيهة حتى يؤخذ الرأي ، ويفصل فى الأمر . وإذا تجادلنا باللغة العربية فهناك يطول الجدل ، ويكثر الحديث ، وكثيراً ما تقرع الحجة لا بأختها ، ولكن ببنت عمها ، وكثيراً ما يستطرد من موضوع إلى موضوع لأقل مناسبة أو بدونها ، وبعد طويل من الزمان يعودون إلى مابدءوا فيه ، وتثار مسائل كثيرة لا يفصل فى واحدة منها ، ويقول المجادل الآن ماقال من قبل ، فيرد عليه صاحبه بمثل مارد من قبل ، وتتشعب الآراء حتى يصعب حصرها . وحتى ينسى أخيراً ما بدىء به أوّلا ، ثم يؤخذ الرأي وقد ملّ المتجادلون ، وسئموا الجدل ، وودوا أن يفصل فى الأمر على أى شكل . ولذلك قد يكون الرأي يؤخذ أخيرا شراً من الرأي يؤخذ أولا ، بل قد يكون الرأى الذى قرر لا علاقة له بالمسألة التى أثيرت من قبل .

نعم يا صديقى . أنا أعتقد أن لكل لغة منطقا يخالف منطق اللغة الأخرى ، وأن المسألة لا ترجع الى عقلية المتجادلين وحدها ، فقد يتجادل جماعة — كما ذكرتَ — باللغة الأجنبية ، ثم هم أنفسهم يتجادلون باللغة العربية فيكونون فى الأولى أكثر توفيقا ، وليس من الصحيح أن ترجع هذا إلى ضعفهم فى اللغة الاجنبية . وقوتهم فى اللغة العربية ، فهذا القول ينطبق تماما على من أجادوا اللغتين ، وحذقوا اللسانين

وتعليل ذلك قد يبدو غريبا ، فان أول مايتبادر الى الذهن أن اللغة ليست إلا وسيلة للتعبير عن المعانى ، وليست إلا مظهراً من مظاهر العقلية ، فاذا كان التفكير صحيحا سليما كان التعبير عنه كذلك مادام صاحبه يجيد التعبير ويتقن اللغة ، واذا كان التفكير فاسدا كان التعبير عنه فاسدا متى وفق صاحبه للتعبير عما يريد ، ولكن يظهر لى أن المسألة أعمق من ذلك وأن هناك تفاعلا بين اللغة والتفكير . فاللغة المنظمة تعمل فى تنظيم الفكر ، والفكر المنظم يعمل فى تنظيم اللغة _ وكذلك العكس _ وان المتكلم إذا تحدث باللغة الانجليزية أو الفرنسية خضع لمنطقها وطرق تفكيرها كما يخضع لاختيار كلماتها ، واختيار أساليبها وكيفية معالجة الموضوع ، فيؤثر ذلك كله فى تفكيره وجدله وحججه ، وعلى الجملة فهو يحاول ان يكون انجليزيا أو فرنسيا فى تفكيره كما هو انجليزى أو فرنسي فى لغته _ يشعر هذا تمام الشعور من أجادوا لغتين أو أكثر ، فهم إذا تكلموا بلغة أجنبية راقية شعروا مثلا _ بأن هناك غرضا محدوداً واضحا يرمون إليه فى حديثهم وحججهم ، وأنهم يضعون لذلك خططا ثابتة معينة تشبه خطط الحرب يضعها قادتها لتسلم كل خطوة الى التى تليها ، أو كالخطط التى يضعها لاعب الشطرنج الماهر إذا لعب لعبة علم ماذا يريد منها وما هى الألعاب التى تترتب عليها فتنتج الفوز ، وهو هو اذا تكلم باللغة العربية لم يتضح القصد له وضوحه باللغة الاجنبية ، ولم يرتب حججه ذلك الترتيب الذى يرتبه باللغة الاجنبية _ ومن أوضح الامثلة على ذلك أن مجيد اللغتين كثيرا مايفكر باللغة الاجنبية ، ويترجم تفكيره الى اللغة العربية ، وقلما يعكس ، مع أن اللغة العربية هى لغته الاصلية ، وهى التى نشأ عليها وتربى فى أحضانها ، فكان معقولا أن تكون هى لغة تفكيره

فإذا عبر بلغة أجنبية نقل تفكيره اليها ـ وليس من الهين تعليل هذه الظاهرة ، ولكن يمكن أن يقال ان السبب فى ذلك أن اللغات الأجنبية الراقية قد استكملت أدواتها ، من حيث الألفاظ الموضوعة لكل آلة مخترعة ولكل معنى مستكشف ، كما استكملت أدواتها من حيث أساليب التفكير وصياغة المعانى صياغات مختلفة ، أدخل فى الذهن ، وأقبل للعقل ، وأجمل فى الذوق ، وأن اللغة العربية أبطأت فى تاريخها الحديث ولم تسرع فى السير ، برغم ما يقوله الدعاة من أنها أغنى اللغات وأجمل اللغات ، ثم يناموْن على ذلك من غير أن يعملوا على تكميل نقصها ، ومعالجة ضعفها ، وكيف يعمل على معالجة الضعف من لم يشعر بألم المرض ؟ وكيف يعمل على تكميل النقص من لم يشعر بنقص ؟ ـ لهذا كان فكر المفكر اذا أجاد اللغتين يتبع ـ من غير اختيار ـ أرحبها صدرا وأغزرها مادة وتعبيرا .

— وسبب آخر : وهو أن الأمم الأجنبية الراقية قد مرنت طويلا على المجالس النيابية والمناظرات المدرسية والجامعية ، وتكونت لها مع طول الزمن تقاليد معروفة مألوفة غير مكتوبة ، وأثرت فى جدلهم ومناظراتهم ومجالسهم أثرا كبيرا ، كما أثرت فى طرق تفكيرهم ولغتهم التى يتبعونها فى الجدل والمناظرة .

ثم ـ مما لا شك فيه ـ أن هناك ارتباطا قويا بين اللغة والخلق ، فلست تجد فى لغة أجنبية من ألفاظ الملق وعباراته ما تجده فى اللغة العربية مما أدخله عليها الفرس والأتراك ، ولا تجد من عبارات الحشو التى تدل على الذل والخضوع ما تجد فى لغتنا العربية الحديثة . كانت اللغة ديمقراطية شريفة نبيلة يوم كانت اللغة العربية لغة العرب الديمقراطيين الذين لا يفرقون كثيرا بين مخاطبة الأمير ومخاطبة بعضهم بعضا . ثم أصبحت لغة العبيد يوم تسرب الى أهلها الذل والعبودية ـ لقد جلست أول أمس الى رجل يحدث « باشا » فكان ما أحصيت فى حديثه من « سعادة الباشا » أكثر من كلماته فى الموضوع — ومالى أذهب بعيدا ـ ومدلول الكلمة فى اللغة العربية أصبح غير مدلوله فى اللغة الأجنبية ، فإذا قال الألمانى أو الانجليزى « نعم أفعل » لم تدل على نفس المعنى الذى يقوله المتكلم باللغة العربية « نعم أفعل » « فنعم أفعل » العربية تدل على أنه قد يفعل وقد لا يفعل ـ والسامع إذا سمعها شك فى مدلولها « هل يفعل أو لا يفعل » فاحتاج الى أن يكرر عليه الطلب والرجاء . واحتاج المتكلم أن يعيد « نعم أفعل » وربما أقسم ، وربما استعمل كل صيغ التأكيد ، وهى بعد هذه الايمان وهذه التأكيدات كلها لا يزال مدلولها أنه قد يفعل وقد لا يفعل — وهو اذا لم يفعل لم يخجل . لأنه حقق وجها من وجوه الجملة — لى المتكلم الشرقى اذا قال « سأفعل » باللغة الأجنبية كانت أقوى فى نظره وأكثر التزاما مما إذا قالها باللغة العربية ، والمتكلم هو هو ، لم يتغير فى الكلمة إلا التعبير عنها باحدى اللغتين ، فاذا قالها العربى لأجنبى كان لها أشد احتراما ولتنفيذها أشد رغبة وأقوى ارادة — أليس فى هذا كله دليل على شدة الارتباط بين اللغة والعقل واللغة والخلق ، وأن العقل واللغة والخلق كلها تتفاعل ، فاذا رقيت اللغة تبعها ـ نوعا ما ـ رقى العقل والخلق ، وإذا رقى العقل تبعه ـ نوعا ما ـ رقى اللغة والخلق ، وهكذا . ومن هذا تنتج معادلات جبرية معقدة الحل

إن الغيرة القومية والنهضة الشرقية تتطلبان أن يعنى قادتها بهذه المظاهر ، وأن يضعوا للأمة تعاليم جديدة فى اللغة والتفكير ، فهم مطالبون ، بكل الوسائل أن يميتوا ألفاظ الملق من اللغة العربية ويحيوا ألفاظ الأدب النبيل ، وأن يربطوا أشد الربط بين الألفاظ ومدلولاتها ، فلا يسمحوا أن يضيعوا مدلول الالفاظ كما هى ضائعة اليوم — وأن يضربوا الأمثال للناشئين فى الجدل والمناظرات فيعلموهم كيف تؤدى المعانى على وجوهها ، وكيف تلتزم حدود الجدل فلا تتخطى ، وكيف يرسم الغرض الذى يرمى اليه الباحث ، وكيف يختط السبيل اليه ، وكيف

أحاديث الناس ؟ !

للأستاذ حسن جلال

المنظر الاول

(في الطريق)

رجلان يسيران إلى جانب الطريق . فيصادفهما ثالث يعرف أحد الرجلين دون الآخر فيستوقفه . ويدور بينهما الحوار الآتي بينما ينتحي الرجل الآخر ناحية ريثما ينتهي صاحبه من الحديث

١ – أين أنت يارجل ؟ نحن لانكاد نراك الا مرة في كل عام !

٢ – أنا وتحت الانظار ، يافندم !

١ – كن فوقها واظهر !

٢ – ها . ها !

١ – سلامات !

٢ – أوحشتنا !

١ – طيبون !

٢ – الله يحفظك !

١ – الى أين ؟

٢ – أرافق صاحبي هذا (ويشير اليه)

١ – طيب ياأخي ، أروفوار ، !

٢ – مع السلامة ياعزيزي !

يوفر الزمن إذا هو التزم ألا يقول إلا جديداً في المعنى ، وكيف يصل إليه من أقرب طريق

لو فعلنا ذلك لوفرنا على المجالس زمنها وتفكيرها ولوصلنا في مسائلنا إلى نتائج خير مما نصل إليه الآن ، بل عندي أن السرعة مع الخطأ أحيانا خير من الإبطاء الممل والتفكير الراكد مع الصواب دائما

احمد أمين

يتصافحان بشدة ويعود الرجل الى صاحبه الذى كان ينتظره ويقول :

روح الله لايرجعك ! انك ثقيل !

الصاحب – من هذا؟

– والله لست أعرف اسمه !

– ظننت من حرارة حديثكما أنه أحد أقاربك المقربين !

– على العكس . فأني لم أره في حياتي قبل هذه المرة الا مرة واحدة . وكان ذلك في (قطار البحر) هذا الصيف حيث كنا نحن الاثنين في طريقنا الى الاسكندرية فقطعنا الطريق في الحديث ولكني لم أقابله بعد ذلك الا الآن

(ينصرفان وهما آخذان في مثل هذا الكلام)

* * *

المنظر الثاني

(في التلفون)

رجل يعزي صاحبا له في وفاة والده

١ – آلو . فلان ؟

٢ – نعم أنا فلان !

١ – Condoliance

٢ – آلو ! آلو !

١ – Condoliance ! Condoliance

٢ – ماذا تقول ؟

١ – أقول ! Condoliance !

٢ – لست أسمعك جيدا !

١ – ألم يتوف المرحوم والدك ؟

٢ – نعم مات .

١ – أني أعزيك . البقية في حياتك !

٢ – متشكر ياأخي . ابقى الله حياتك !

١ – أنا تألمت جدا . ولكن هذا حال الدنيا !

٢ – أي نعم . ربنا يلهمنا الصبر !

١ – شد حيلك ، انت . والبركة فيك (برضو) !

٢ – بارك الله فيك . انا متشكر لسؤالك .

١ - العفو ياحبيبى !

ويضع السماعة فى ضجر وهو يقول :

جاتك داهية فى ابوك مطرح ماراح !

* * *

المنظر الثالث

(فى النادى)

جماعة من الأصحاب يجلسون حول منضدة يتحدثون :

١ ـ ألم يعد يأتى (فلان) الى النادى ؟ فأنى لم اره هنا منذ زمان

٢ ـ اعوذ بالله من غضب الله ! أنا عارف إيه اللى فكرك (باللهو الخفى) ده دلوقت ؟

٣ ـ سبحان الله ياأخى ماتفهمش ليه أنا كان ماأقبلوش الجدع ده ! أهو تجدنى أكرهه كده لله فى لله !

٤ ـ جات دا داهية فى غلاسته بعيد عنك !

١ ـ أه . افتكر نا القط جانا ينط !

٢ ـ اتفرج ياسيدى داخل نافش ازاى زى الديك الرومى

يقبل (فلان) ويدخل عليهم

الجميع ـ أهلاً . . . . . ن وسهلا فلان بك !

١ ـ اتفضل هنا .

(ويقدم له مقعد)

٢ ـ لا والله . تعال جنبى أنا هنا !

* * *

ايها القارىء :

صدقنى لقد حضرت هذه الأحاديث جميعها بنفسى . وسمعتها بأذنى . ولست اظنك الا سمعت لها أشباها ونظائر كثيرة . فأنا إنما أذكرك بها الآن لأهمس فى أذنك قبل ان أتركك :

« ماهكذا تكون (أحاديث الناس) الطيبين ! وخليق بذى الوجهين الذى يستقبل (الوجوه) بلسان ، ويشيع (الاقفية) بلسان آخر ، ان يعقد لسانيه ، ان كان لا يملك ان يتخلى عن أحد وجهيه ! »

حسن جلال

الروضة

بحث طريف لم ينشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

الروضة جزيرة بها مقياس النيل واقعة بين مصر القديمة والجزيرة ، وملخص تاريخها أنها من الجزر القديمة الحادثة قبل الفتح الاسلامى ولكن لايعلم زمن حدوثها . وبسبب قربها من قاعدة الديار المصرية وطيب هوائها وموقعها ظلت فى كل جيل مطمح أنظار الملوك والأمراء وذوى اليسار ، وتعاقب عليها حالان فكانت تارة تجعل حصناً للدولة وأخرى متنزها حاوياً للبساتين والدور والمساجد والحمامات كما يأتى .

الحصن القديم والحصن الطولونى : لما فتح الله على المسلمين مصر وملكوا الحصن الشرقى المعروف بقصر الشمع لجأ المقوقس وقومه الى حصن كان بهذه الجزيرة ، وبعد تمام الفتح خرب الأمير عمرو بن العاص بعض ابراجه وأسواره ثم نما عمرانها بعد ذلك فكانت فى ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر عامرة بالدور المشرفة على النيل من كل جهة ، وكان بها خمسمائة عامل معدة لحريق يطرأ أو هدم . وفى إمارة أحمد بن طولون بنى بها حصنا ليحرز فيه حرمه وماله وذخائره لما بلغه مسير موسى بن بغا من العراق قاصدا مصر ثم أهمل بعد الدولة الطولونية فاخذه النيل شيئاً فشيئاً .. (١)

المختار والروضة : وكانت بها الصناعة (٢) لعمل السفن الحربية فلما تولى محمد بن طغج الاخشيد (٣) على مصر نقل الصناعة

---

(١) للقاضى ابى عمرو عثمان النابلسى كتاب عن هذا الحصن سماه حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة مفقود الآن فيما نعلم وقد ذكره المقريزي فى خططه ونقل عنه (انظر ج ١ ص ٣٢٦ طبع بولاق) وذكره السيوطى فى كوكب الروضة فقال عنه « لم أقف عليه ولكن المقريزي ينقل عنه كثيرا »

(٢) الصناعة أو دار الصناعة المكان المعد لانشاء السفن وقد اقتبس الترك هذين اللفظين بعد تشويهها بالتحريف فقالوا (ترسانه) واقتبسها الافرنج بتشويه آخر فقالوا (أرسنال) Arsenal

(٣) طغج ضبطه ابن خلكان بضم الطاء وسكون الغين وفى مادة جقف فى شرح القاموس الزبيدي ان أهل المعرفة ضبطوه بضم الغين والطاء وتشديد الجيم . قلنا وهو الموافق للوزن فى قول أبى العلاء المعري فى اللزوميات

وأحسن منكم فى الرعية سيرة   طغج بن جف حين قام وبادس

وقول مهلهل بن يموت من قصيدة فى رثاء الاخشيد أوردها النويرى فى نهاية الأرب

ناق ووتاً محمد بن طغج   هو ليث الشرى وغيث الغمام

الى ساحل الفسطاط وأنشأ موضعها بستانا سماه المختار وبنى فيه قصراً وأما كن له ولغلمانه ، وكان يفاخر به أهل العراق ، وبقى بعده فكان يتنزه فيه المعز الفاطمى وابنه العزيز ، ثم فى أيام استيلاء الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى على وزارة الفاطميين وحجره على الخليفة أنشأ فى شمالى الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وبنى فيه المناظر البديعة ، فمن حينئذ عرفت الجزيرة كلها بالروضة وكانت تعرف فى أول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم بجزيرة الحصن (١) هذا قول عامة المؤرخين ، وقال ابن المتوج انما سميت بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها . وبعد قتل الأفضل بنى بها المأمون البطائحى الوزير منظرة بقيت الى آخر الدولة الفاطمية ، ويذكر المؤرخون أنه بناها مكان الصناعة بعد ان نقل الصناعة الى مكانها القديم بالفسطاط ، ولا يخفى ان نقلها أول مرة من الجزيرة كان زمن الاخشيد كما تقدم ، ولم نرهم ذكروا انها أعيدت اليها ولا رأينا منهم من تنبه لذلك غير الامام السيوطى فى كوكب الروضة فانه علق على هذا الخبر بقوله ، وهو يدل على أن الصناعة أعيدت الى الروضة بعد أن نقلها الاخشيد الى ساحل مصر حتى نقلت ثانيا ، .

الهودج : ولما تولى الآمر بأحكام الله الخلافة أنشأ بها قصرا على النيل بجوار البستان المختار سماه الهودج وأسكن به زوجته العالية (٢) البدوية ، وسبب ذلك أنه كان مغرما بالجوارى العربيات فبلغه أن بصعيد مصر جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم جميلة شاعرة فأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها ، فلما نقلت الى القصر انقبضت نفسها من حيطانه واشتاقت الى تسريح طرفها فى الفضاء على ما اعتادته فبنى لها الهودج على شاطىء النيل بالجزيرة فى شكل غريب وصار يتردد عليه الى أن قصده فى رابع ذى القعدة سنة ٥٢٤ فلما بلغ رأس الجسر بما يلى الروضة وثب عليه قوم من النزارية (١) كانوا كامنين له هناك وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه فحمل الى منظرة اللؤلؤة (٢) بشاطىء الخليج وقد مات . قال ابن سعيد وقد أكثر الناس من ذكر الآمر والبدوية وابن عمها حتى صارت رواياتهم كأحاديث البطال (٣) وألف ليلة وليلة وما اشبه ذلك . فمما روى عنها انها بقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الخليفة الآمر :

يا ابن ميــاح إليك المشتكى ... مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حي مطــاعا آمرا ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد ... لاأرى الاخيشــاً ممسكا
كم تثنينا كأغصـــان النقا ... حيث لانخشى علينا دركا
وتلاعبنا برمــلات الحمى ... حيـثما شاء طليق سلكا

فاجابها بقوله

بنت عمى والتى غذيتهـــا ... بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها ... لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الأمر اليه يشتكى ... هالك وهو الذى قد أهلكا
شأن داود غدا فى عصرنا ... مبدياً بالتيه ما قد ملكا

وبلغت الآمر الأبيات فقال لولا أنه أساء الأدب فى البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به . قال القرطبي وللناس فى طلب ابن مياح

وجاء به المتنبي مخففا فى قوله

حته على الاعداء من كل جانب ... سيوف بنى طغج بن جف القماقم

وقال العكبري فى شرحه طغج الأصل فيه ضم الغين وانما غيره على عادة العرب فى تغيير الاسماء الأعجمية

وأما الاخشيد فبكسر فسكون فكسر بلا خلاف وكان لقباً لملوك فرغانة فلما تولى محمد بن طغج على مصر وهو من ذريتهم سأل الخليفة الراضى تلقيبه به فأجابه الى ذلك

(١) كذا فى خطط المقريزي وغيرها وقد سماها المقريزي فى كلامه على الهودج (ج ١ ص ٤٨٥ طبع بولاق) بجزيرة الفسطاط أيضا ، وفى الانتصار لابن دقاق عن الكندى لها كانت تعرف قديماً بجزيرة الصناعة . قلنا وكانت تعرف فى زماننا بالنيل بفتح فسكون ففتح وهو اسم قرية بها غلب عليها كلها ثم عاد اليها اسم الروضة أخيراً لما أنشئت الجسور الثلاثة بينها وبين مصر القديمة والجيزة وأخذت الصحف تذكرها بهذا الاسم فشاع بين الناس

(٢) رسم اسمها فى بعض التواريخ بالعين المهملة

(١) هم القائلون بامامة نزار بن المستنصر الفاطمى وكان والده يريد العهد اليه فمطله وزيره الافضل ابن أمير الجيوش لبغضه له ولما مات المستنصر بايع ولده الصغير أحمد ولقبه بالمستعلى وفر نزار الى الاسكندرية واستولى عليها وانضم اليه واليها وقاضيها وبعض الامراء وبايعوه ثم انتهى أمره بالقبض عليه وحمله الى القاهرة وقتله بها بأمر أخيه المستعلى وتدبير الوزير ، وكان الحسن بن الصباح شيخ الاسماعيلية وهو المشهور لما حضر الى مصر واجتمع بالمستنصر سأله عن الامام بعده فقال ولدي نزار فلما عاد الى العراق نشر الدعوة النزارية فى تلك الارجاء بين الاسماعيلية وهو الذي أرسل هؤلاء النزارية لقتل المستعلى لاغتصابه الامامة من نزار وبنيه فلم يتمكنوا منه حتى مات فقتلوا ابنه

(٢) من مناظر الخلفاء الفاطميين بناها العزيز ثم هدمها الحاكم ثم أعادها ابنه الظاهر وكانت تطل من الغرب على الخليج ومن الشرق على البستان الكافوري وكان الخلفاء يتنقلون اليها فى أيام النيل وموضعها الآن الاماكن الواقعة جنوبي مسجد الشيخ الشعراني

(٣) طبعت هذه القصة بمصر بعنوان سيرة الاميرة ذات الهمة وولدها الامير عبد الوهاب والامير أبي محمد البطال .

واختفائه أخبار تطول. وكان من عرب طي في عصر الامير طراد بن مهلهل، فلما بلغته قصة الآمر مع العالية قال :

ألا أبلغوا الآمر المصطفى مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة بها سمر الحي بين الرجال
كذا كان آباؤك الأكرمون؟ سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الآمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه في أحياء العرب فقر ولم يقدر عليه فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد! باع أبيات الحى بثلاثة أبيات. وفى خطط المقريزى أن الهودج بقى متنزها للخلفاء الفاطميين بعد الآمر الى أن خرب وجهل مكانه بالروضة.

قلنا ما اشبه الليلة بالبارحة فقد وقع لوالى مصر عباس باشا الكبير المتولى سنة ١٢٦٤ مثل ما وقع للآمر فى بدئه ونهايته فانه كان مشغوفا باحدى البدويات أيضا فتزوجها وأسكنها قصرا في ضاحية من القاهرة وصار يتردد عليه خفية ثم كانت نهاية أمره أنه قتل غيلة في قصره بينها سنة ١٢٧٠ قتله مملوكان من الجركس باغراء رجال الدولة العثمانية على ما قيل لأنهم آنسوا منه ميلا للخروج عن طاعتهم والاستقلال بمصر، وقد أدركنا الناس فى مصر يلهجون بحديث البدوية ويروون فيه روايات شتى، وسمعنا العامة يلوكون أغنية قيلت فى ذلك الزمن أولها (ياجالى ع البدوية). وقليل من أهل مصر الآن من يعرف هذا الخبر وهو من غريب ما يتفق وقوعه لملكين فى مملكة واحدة.

القلعة الصالحية : وفى أواخر الدولة الأيوبية بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد قلعته بهذه الجزيرة وأنشأ بها الدور والقصور وغرس الأشجار وبنى بها جامعا وعمل لها ستين برجا وأنفق عليها اموالا جمة فعرفت بالقلعة الصالحية وبقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة واحتاج ببنيها الى هدم أماكن كثيرة من دور وقصور ومساجد ليدخلها فيها وخرب الهودج والمختار، ويقال إنه قطع من الموضع الذى أنشأها فيه ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى لملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه، ولما كملت جعلها مقر ملكه وسرير سلطانه وأسكن بها جنوده البحرية (١) وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الاقوات خشية محاصرة الافرنج فانهم كانوا حينئذ عازمين على قصد البلاد المصرية. وكان سور هذه القلعة الشرقى مطلا على فرع النيل الشرقى الذى بين الجزيرة ومصر وكان بها الايوان الملكى العديم المثال، وفيها يقول ابن سعيد الاندلسى، وكنت اشق فى بعض الليالى

مصور الروضة

بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء

(١) كان منهم بعد ذلك ملوك الدولة التركية البحرية التى خلفت الايوبية ولقبوا بالبحرية لسكناهم فى النيل فى هذه القلعة

وأبصرت فى هذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم تر عينى مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الابنوسى والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر ، وقد تفرجت كثيراً فى طرف هذه الجزيرة ممايلى بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات ، لم تزل لأحزان الغربة مذهبات ، انتهى. واستيعاب ماقيل فى محاسن هذه القلعة يطول ويخرج بنا عن المقصود

ولما ملك المعز أيبك التركمانى أول ملوك الدولة التركية البحرية أمر بهدم هذه القلعة ليعمر منها مدرسته المعزية واقتدى به ذوو الجاه فأخذوا كثيرا من سقوفها وشبابيكها وغيرها ، ثم لما ملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم باعادتها كما كانت فأصلح بعض ماتهدم منها ، ولما تولى المنصور قلاوون نقل منها مايحتاج اليه فى بناء البيمارستان والقبة المنصورية ، ثم نقل منها ابنه الناصر محمد مااحتاج اليه فى أبنيته فدب اليها الخراب الى أن ذهبت كأن لم تكن . قال المقريزى وبقى من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل . قلنا أما موضعها بالروضة فقد صرح ابن اياس (ج ١ ص ٨٣) أنها بنيت بالقرب من المقياس أى فى الجهة الجنوبية للجزيرة ، ونقل الامام السيوطى فى كوكب الروضة فى كلامه على جامع الريس المعروف اليوم بزاوية البسطامى نصوصا من التوقيع الذى كتبه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير لمنشئه يعلم منها ان هذا المسجد بنى موضع برج الطراز أحد أبراج هذه القلعة . وقال ابن دقماق فى الانتصار بناه الرئيس صدقة على أول برج من أبراج قلعة الروضة . وذكر السيوطى أيضا فى كلامه على جامع المقياس المعروف اليوم بجامع عبد الرحمن بن عوف ان الملك الصالح عمره بقلعة الروضة ونرى فى المصور الملحق بهذه المقالة أن كلا المسجدين فى الجهة الجنوبية من الجزيرة . وقد ظهر لنا من هذا ومما استخلصناه من اقوال غيرهم من المؤرخين ان هذه القلعة كانت فى الثلث الجنوبى للجزيرة آخذة من مقياس النيل فى المواضع الشمالية منه الى زاوية البسطامى الواقعة فى موضع برج الطراز أول برج من أبراجها من الشمال وأنها كانت مطلة من الشرق والغرب على فرعى النيل الصغير والكبير ، ومما يدل ايضاً على إشرافها على النيل من الجانبين قول ابن سعيد الاندلسى فى وصفها « ور كبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب محيى الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلألأ والنيل قد انقسم عليها فقلت :

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت	وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا	تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غيبة (١)	كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها	فمد يمينا نحوها وشمالا

فانه أبان بتشبيهه ماء النيل بالهلال عن استدارته بطرفها الجنوبى ، ثم أبان عن امتداده فى جانبيها بتشبيهه بمشوق يعانقها باليمين والشمال واذا عرفنا ذلك وعرفنا فيما تقدم ان المختار والهودج كانا مطلين على النيل وان الملك الصالح خربهما ليدخلهما فى القلعة كسائر ماخربه من الاماكن ، تبين لنا أنهما كانا فى الجهة الجنوبية أيضاً . والغالب على الظن انهما كانا على الفرع الكبير للنيل الذى بين الجزيرة والجيزة أى فى أحد المواضع الواقعة بين المقياس وجسر عباس لأن المختار أنشئ موضع الصناعة ويستبعد ان تكون الصناعة على الفرع الصغير الشرقى .

قصر نجم الدين : ذكر الفرنسيس فى كتابهم وصف مصر (ج ١٥ ص ٤٥٠ و ٤٦٥) انهم أدركوا زمن الاحتلال بقايا قصر بالمقياس ملاصق له من الشرق ومطل على الفرع الشرقى للنيل يعرف بقصر السلطان الملك الصالح نجم الدين (٢) ولم يكن باقيا منه وقتئذ غير قاعة كبيرة تتصل بها عدة أماكن أكثرها خرب ، وهو بلا ريب من قصور القلعة الصلاحية ، ولعل الذى حفظه من الدثور عناية الدول فى كل جيل بالمقياس وأبنيته ، ولكن يظهر لنا أن الذى أدركوه منه لم يكن من الأبنية الصلاحية القديمة بل كان مما جدده فيه السلطان الغورى من القاعات والمساكن . ومما يذكر عن هذا القصر نزول السلطان سليم العثمانى به مدة مقامه بمصر فانه لما تم له فتحها وصفا له الوقت بعد قتل السلطان طومان باى استطاب السكنى بالروضة فانتقل اليها ونزل بالمقياس . قال ابن اياس فى حوادث ربيع الثانى من سنة ٩٢٣ هـ « وفى يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى الى المقياس وكان فى ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد يغرق ، فلما سلم من الغرق أقام بالمقياس ونقل وطاقه (٣) الى الروضة ومصر العتيقة ، ثم ان

---

(١) كذا فى نسختين من كوكب الروضة للسيوطى والذى فى نسخ خطط المقريزى (من بعد غاية)

(٢) جاء فى كتاب الفرنسيس انه (الملك الصالح نجم الدين بن الملك العادل) وهو خطأ صوابه الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل

(٣) الوطاق محرف عن أوتاق أو أوتاغ وهو فى التركية الخيمة الكبيرة التى للعظماء والمراد هنا مخيم السلطان وحاشيته وحرسه .

أمراءه طردوا السكان الذين بالروضة وبمصر العتيقة وسكنوا في دورهم فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام (١) ... ثم إنه أنشأ منظرة من خشب فوق المقياس بجعل إقامته بها وهي التي سماها ابن أياس بالقصر (٢) فقال عنها في حوادث جمادى الثانية من هذه السنة « وفيه أشيع أن السلطان سليم (٣) شاه أنشأ له قصراً من خشب بالمقياس من فوق القصر الذي أنشأه السلطان الغوري فوق بسطة المقياس وصار يجلس به في اليوم الحر وأحضر جماعة من النجارين والبنائين وشرع في بنائه حتى فرغ منه في أيسر مدة » . قلنا وفي هذه المنظرة حاول (قانصوه الغادلي) أحد أمراء الجراكسة قتله انتقاما لطومان باي وقومه ذكر ذلك ابن زنبل الرمال في تاريخ فتح السلطان سليم لمصر فقال معبراً عن هذه المنظرة بالطيارة (٤) « فدبر في نفسه أن يلبس مثل العرب ويأخذ معه جماعة من أهل القوة وينزل الى مركب ليلا ويسير بها تحت المقياس ويجعل له سلم تسليم ويصعد عليه وينزل الى داخل المقياس ويقتل السلطان سليما ويأخذ بثأر قومه وما علم أن الحي ماله قاتل (٥) ثم إنه فعل ذلك حتى وصل الى الطيارة التي فوق المقياس وهي محل السلطان فوجد الحراس مستيقظين » الخ وعبر عنها الاسحاقي في تاريخه بالكشك متابعة للأتراك فقال « وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبني له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ، ولما رحل السلطان سليم منه أقفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم » . وروى قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة المسمى بالاعلام أنه رأى بيتين من الشعر كتبهما السلطان سليم بخطه على رخامة بهذا (الكوشك) مدة مقامه به فقال « ورأيت بيتين بالعربي بخطه الشريف كتبهما في علو المقياس في (الكوشك) الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وقد انمحى لطول الزمان مداده ، ومال الى لون البياض سواده ، وكان هذا (الكوشك) محترما مقفلا لا يصل اليه احد لعظمة بانيه ، ولا يبتذل بالدخول اليه تعظيما لراعيه ، فلما قدمت مصر في سنة ٩٤٣ وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكلربكي ( ) مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلمه مولانا عبد الكريم العجمي فطلع وأطلعني معه في صحبة خسرو باشا المذكور فرأيت مكتوبا على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل ، هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل غنى ... يردده قسراً ويضمن منه ماأدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وتحتهما ما صورته (كتبه سليم (٢)) بذلك الخط وذلك القلم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البداعة ، ونهاية التمكن من الصناعة ، فيدل على تمكنه رحمه الله أيضا في اللسان العربي لأنهما من أعلى طبقات الشعر العربي الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة عالية في حسن التمثيل ولطف الاستحضار لفهم الأشعار العربية والذوق لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك » انتهى . قلنا البيتان

---

(١) كانت اقامته بالروضة من هذا التاريخ الى ١٦ رجب من هذه السنة وقد سافر في خلال هذه المدة مرة الى الاسكندرية ثم عاد الى الروضة ثم انتقل الى دار في بركة الفيل ثم رحل الى القسطنطينية .

(٢) و (٤) ما زالت العامة بمصر تطلق القصر على العلية الممتازة بالعلو والانفراد عن حجر الدار كما عبر ابن اياس وكثيراً ما يستعمل لها المؤلفون الطيارة كما في قول ابن سعيد الأندلسي في وصف الفسطاط لما ورد مصر « وبتنا في ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل » والعامة الآن تطلق الطيارة على عريش يرفع على خشبات لحارس البيدر ويرادفها في هذا المعنى من الفصيح الفنزر بفتح فسكون ففتح وقد استوفينا الكلام على هذه الكلمة وما استعملت فيه في معجم العامية المصرية أعاننا الله على اتمامه .

(٣) لم ينونه اما تساهلا واما لبعده مع الذي بعده مركباً تركيباً مزجياً .

(٥) مثل معروف عند العامة بمصر الى الآن وذكره الجبرتي في ترجمة كجك محمد المتوفي سنة ١١٠٦ فقال « واتفق ان احمد البغدادلي أقام مدة يرصد المترجم يمر من عطفة النقيب ليضربه ويقتله الى أن صادفه فضربه بالبندقية من الشباك فلم تصبه وكسرت زاوية حجر وأخبروه أنها من يد البغدادلي فأعرض عن ذلك وقال الرصاص مرصود والحي ماله قاتل » .

(١) يرسمه الأتراك بواو بعد الكاف هكذا (كوشك) وهو بضم الكاف وسكون ما بعدها أي باجتماع ثلاثة سواكن ومعناه عندهم المنظرة تتخذ من الخشب أو البناء في البساتين والمتنزهات وقد يطلقونه على القصر الصغير وعربه العرب بالجوسق بفتح فسكون ففتح

(٢) من الرتب العثمانية ومعناه أمير الأمراء وكان ولاة مصر العثمانيون من أصحاب هذه الرتبة عادة وقد يكونون في بعض الأحيان من الوزراء .

(٣) كذا في ثلاث نسخ من الأعلام وقد نقل الاسحاقي في تاريخه هذا الخبر عن هذا الكتاب وجاء به (كتبه الفقير سليم) بزيادة لفظ الفقير وفي صحائف الأخبار لرئيس المنجمين المولى أحمد درويش الذي ترجمه الى التركية احمد نديم الشاعر ان الذي كتبه السلطان تحت البيتين (خادم الفقراء سليم)

معروفان لأبى العلاء المعرى فى لزوم ما لا يلزم وصحة العجز فى البيت الأول (يردده قسرا وتضمن نفسه الدركا) ، وأما القصر وما يتبعه من الأبنية فلم يبق لها أثر ودخلت كلها فى قصر حسن باشا المناسترلى وحديقته .

الجزيرة فى حكم الأسرة المحمدية العلوية :

فى زمن العزيز محمد على أنشأ ولده العزيز ابراهيم فى خرطوم الجزيرة الشمالى بستانا كبيرا جلب له الأشجار الغريبة من البلاد البعيدة وبنى به منظرة عالية ومغارة مجللة بالودع ، وقد أدركنا بقايا ذلك .

وكان من مزايا هذا البستان احتواؤه على أنواع كثيرة من الاشجار والنباتات المحتاج اليها فى الطب ، ومن طالع كتاب المادة الطبية للرشيدى المسمى عمدة المحتاج (١) يرى عجبا مما كان فيه من هذه الانواع ، وكان قصد العزيز ابراهيم رحمه الله الاستغناء بها عن جلب العقاقير من البلاد الافرنجية بقدر المستطاع .

وقد أنشأ أمراء ذلك العصر وسراته القصور والبساتين الأنيقة بالجزيرة ، وكان للخديو إسماعيل بن العزيز ابراهيم قصر بديع فى وسطها على الشاطىء الشرقى تحيط به حديقة غناء ثم أهملت من بعدهم وهجرت فدب اليها الخراب وادركناها جميعها وهى خاوية على عروشها ، وانحط شان الجزيرة الى أن أنشئت فيها الجسور الثلاثة : جسر محمد على ، وجسر الملك الصالح بينها وبين مصر القديمة ، وجسر عباس بينها وبين الجيزة ، فعاد اليها الانتعاش وأقبل الناس على البناء بها فهدمت قصورها وبيعت أراضيها قطعا وامتلأ الثلث الجنوبى بالدور الصغيرة والكبيرة ولكن على الطراز الافرنجى الجديد وقطع ما كان بها من الشجر والنخل وحطمت عروش الكروم فعريت من الظلال وزالت عنها مسحة الملاحة القديمة بعد أن كانت ببساتينها وحقولها قرة للعيون وفرجة للمحزون . ؟

(١) عمدة المحتاج فى علمى الادوية والعلاج للسيد أحمد بن حسن الرشيدي الطبيب النطاسى المتوفى سنة ١٢٨٢ طبع فى بولاق سنة ١٢٨٣ فى أربعة أجزاء كبيرة ثم عمل له السيد حسين عودة الطبيب بدمشق وأحد تلاميذ مدرسة الطب المصرية فهرستا مفيدا فى جزء لطيف طبع سنة ١٢٨٨ وكانت وفاته سنة ١٣٣٢ عن نحو ثمانين سنة.

أبو عبد الله

آخر ملوك الأندلس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

مأساة شهيرة فى التاريخ الاسلامى ، هى مصرع غرناطة آخر معقل للاسلام بالاندلس ، وشخصية محزنة هى شخصية آخر ملك أندلسى مسلم ، طويت على يده تلك الصفحة المجيدة الباهرة التى افتتحها موسى وطارق فى تاريخ الاسلام باسبانيا قبل ذلك بثمانية قرون

لبث الاسلام فى اسبانيا خلال هذه القرون الثمانية يغالب النصرانية وتغالبه ، والاسلام منذ انهار صرح الدولة الاموية دائم الخلاف والتفرق ، سائر أبدا فى طريق الضعف والانحلال ؛ والنصرانية تجتمع دائما على غزوه ونضاله ، وتنتزع منه تباعا قواعده وثغوره ، حتى إذا جاء القرن الثامن لم يبق من دولة الاسلام الشامخة بالأندلس سوى مملكة غرناطة الصغيرة ، تواجه وحدها داخل الجزيرة عدوها القوى . وسطعت هذه الاندلس الصغيرة مدى حين ، ولكنها لم تنج من خطر التفرق ؛ واسبانيا النصرانية أثناء ذلك متربصة بها تكاد تلتهمها من وقت الى آخر ، لولا أن كانت صولة الاسلام فى الضفة الأخرى من البحر – فى المغرب الاقصى – تروعها وتردها . وكانت مملكة غرناطة كلما تبينت شبح الخطر الداهم تستغيث بجارتها المسلمة القوية فيما وراء البحر ، دولة بنى مرين . ولكن بنى مرين لم يستجيبوا دائما الى دعوة الاسلام المحتضر بالأندلس ، وكانت لهم أحيانا مطامع ومشروعات فى الأندلس ذاتها . وكانت اسبانيا النصرانية كلما استيقنت تصرم العلائق بين الشقيقتين انقضت على الأندلس فاقتطعت منها ثغرا أو قاعدة جديدة . وكان رجالات الأندلس يستشفون من وراء ذلك خطر الفناء المحقق ؛ بل لقد استشعر به ابن الخطيب وزير الأندلس وكاتبها الكبير قبل تحققه بأكثر من قرن ، وصرح به فى إحدى رسائله إلى ملك فاس إذ يدعوه إلى غوث الأندلس ونجدتها ويقول : «ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة

تأميلكم أو أعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه » (١)
وهكذا نرى الأندلس منذ أوائل القرن التاسع الهجرى تسير بسرعة في طريق الانحلال والفناء ، حتى إذا كانت أواخر هذا القرن لم يبق للاسلام فى أسبانيا سوى مملكة غرناطة الصغيرة وفيها مدن وثغور قلائل تتربص بها النصرانية وتعد العدة لسحقها

وكان على عرش غرناطة يومئذ السلطان أبو الحسن على بن سعد النصرى الاحمرى . ولى الملك سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) ، ولكنه لم يستخلص الملك لنفسه إلا بعد نضال عنيف بينه وبين منافسيه وعلى رأسهم أخوه أبو عبدالله المعروف « بالزغل » ، وكانت الحرب الاهلية تضطرم فى مملكة غرناطة كلما لاحت فرصة للتنازع على العرش . فلما استقر أبو الحسن فى عرشه ، أبدى همة فائقة فى تحصين المملكة وتنظيم شئونها ، وبث فيها روحا جديدا من البأس والطمأنينة ، واستطاع ان يسترد عدة من الحصون والقواعد التى افتتحها النصارى ، ولاح للنصرانية أن الأندلس المحتضرة تكاد تبدأ حياة جديدة . بيد أن هـذا البعث الخلاب لم يطل أمده ، ذلك أن عوامل الخلاف الخالدة عادت تعمل عملها ، وبذر أبو الحسن حوله بذور السخط والغضب بما ارتكبه فى حق الأكابر والقادة من العسف والشدة ، وبما اغرق فيه من صنوف اللهو والعبث : وكان أبو الحسن قد اقترن بالأميرة عائشة ابنة عمه السلطان أبى عبد الله الأيسر ، ورزق منها ولدين هما محمد ويوسف . ولكنه عاد فاقترن بنصرانية رائعة الحسن تعرف فى الرواية العربية « بثريا الرومية » . وتقول الرواية الاسبانية إن « ثريا » هذه كانت ابنة عظيم من عظماء اسبانيا هو القائد (سانكو كمنيس دى سوليس) وأنها أخذت أسيرة فى بعض المعارك وهى صبية فتية ، وألحقت وصيفة بقصر الحمراء ، فهام أبو الحسن بجمالها حبا ، ولم يلبث أن تزوجها واصطفاها على زوجه الأميرة عائشة المعروفة « بالحرة » تمييزاً لها من الجارية الرومية أو إشادة بعفتها وطهرها (٢) ولم يكن اقتران السلطان بنصرانية بدعة ، ولكنه تقليد قديم فى قصور الأندلس ، وقد ولد كثير من خلفاء الأندلس وأمرائها العظام من أمهات من النصارى مثل عبد الرحمن الناصر وحفيده هشام المؤيد . وكان لهذا التقليد أثره السىء فى انحلال عصبية الدولة الاسلامية ، بيد انه كان أشد خطرا وقت الانحلال العام . وكان وجود أميرة أجنبية فى قصر غرناطة تستأثر بالسلطان والنفوذ فى هذا الظرف العصيب ، عاملا جديدا فى إذكاء عوامل الخصومة والتنافس . ذلك لأن « ثريا » أعقبت من السلطان أبى الحسن ولدين ، وأرادت أن يكون العرش لأحدهما ، وبذلت كل ما استطاعت من الاغراء والدس لابعاد خصيمتها الأميرة عائشة عن كل نفوذ وحظوة ، وحرمان ولديها محمد ويوسف من كل حق فى الملك ، وكان أكبرهما محمد ولقبه أبو عبد الله ولى العهد المرشح للعرش ، فنزل أبو الحسن عند سعى حظيته وأقصى عائشة وولديها عن عطفه ورعايته : ولا زالت ثريا فى سعيها ودسها حتى اعتقلهم أبو الحسن فى أحد أبراج الحمراء وضيق عليهم وأخذ يعاملهم بمنتهى الشدة والقسوة ، فأثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية وولديها بعطفهم وتأييدهم ، وانقسم القصر وانقسم الزعماء والقادة إلى فريقين خصيمين ، واضطرمت الاهواء والشهوات والأحقاد ، واشتد السخط على أبى الحسن وحظيته التى أضحت سيدة غرناطة الحقيقية ، واستأثرت بكل سلطة ونفوذ

وكانت الأميرة عائشة إمرأة وافرة العزم والشجاعة فلم تستسلم إلى قدرها الجائر ، بل عمدت إلى الاتصال بعصبتها وأنصارها ، وأخـذت تدبر معهم وسائل الفرار والمقاومة . وفى ذات ليلة استطاعت أن تفر من الحمراء مع ولديها محمد ويوسف بمعاونة بعض الاصدقاء المخلصين . وتقدم الرواية إلينا عن هذا الفرار صورا شائقة ، فتقول إن الأميرة استعانت بأغطية الفراش على الهبوط من نوافذ البرج الشاهق فى جوف الليل ، وأبدت فى ذلك من الجرأة والشجاعة ما يخلق بأبطال الرجال . وكان ذلك فى ليلة من ليالى جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) . واختفى الفارون حيناً حتى قويت دعوتهم وظاهرهم فريق كبير من أهل غرناطة ، وظهر الامير الفتى محمد أبو عبد الله فى وادى آش حيث يجمع عصبته وأنصاره ونشبت الثورة وانقضت العاصفة على أبى الحسن ، وكانت عصبته أقلية ففر إلى مالقة وكان بها وقتئذ أخوه الأمير أبو عبد الله محمد

---

(١) المقرى فى أزهار الرياض - (تونس) ص ٦٥ .

(٢) راجع Irving : Conquest of Granada حيث يورد أقوال الرواية الاسبانية عن شخصية ثريا (الفصل التاسع) . ولكن الرواية العربية لاتذكر إلا أن « ثريا » كانت جارية رومية - راجع المقرى فى نفح الطيب « ج ٢ ص ٨٠٦ » وأخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر « طبعة ميلر » ص ٦ - ويتفق بريسكوت مع الرواية العربية Hist - of Ferdinand and Isabella P.219

ابن سعد (المعروف بالزغل) يدافع عنها جيشا جرارا من النصارى سيره ملك قشتالة (فرديناند الخامس) لافتتاحها . وجلس أبو عبد الله محمد بن السلطان أبي الحسن مكان أبيه على عرش غرناطة (أواخر سنة ٨٨٧ هـ) وأطاعته غرناطة ووادى آش وأعمالهما وبقيت مالقة وغرب الاندلس على طاعة أبيه . وكان أبو عبد الله يومئذ فتى فى نحو الخامسة والعشرين

وكان ملك قشتالة يرقب سير الحوادث فى مملكة غرناطة بمنتهى الاهتمام . فلما اضطرمت بنار الحرب الأهلية ولاحت له فرصة الغزو والفتح ، سير جيشه الى مالقة لافتتاحها ولكن المسلمين تأهبوا لرد النصارى بعزم وقوة وهزموهم فى عدة مواقع فيما بين مالقة وبلش (فاليز Velez) وهزم النصارى فى ظاهر مالقة هزيمة ساحقة وقتل وأسر منهم عدة آلاف بينهم عدة من الزعماء والاكابر (صفر ٨٨٨ هـ — مارس ١٤٨٣ م) وكان منظم هذا الدفاع الباهر الامير أبو عبد الله « الزغل » ، فانتعشت آمال المسلمين نوعا وسرت الحماسة إلى غرناطة واعتزم ملكها الفتى أن يحذو حذو عمه الباسل فى الجهاد والغزو وأن ينتهز فرصة اضطراب النصارى عقب الهزيمة ، فخرج فى قواته فى ربيع الاول من هذا العام (ابريل ١٤٨٣) متجهاً نحو حصن قرطبة شمال شرقى غرناطة ؛ واجتاح فى طريقه عدداً من الحصون والضياع ، ومزق النصارى فى عدة معارك محلية ؛ ثم ارتد مثقلا بالغنائم يريد العودة فأدركه النصارى فى ظاهر قلعة اللشانة (لوتشينا Lucena) وكان يزمع حصارها : ونشبت بين الجيشين معركة هائلة ارتدفيها المسلمون إلى ضفاف شنيل والنصارى فى اثرهم ، فهزم المسلمون هزيمة شديدة وغرق كثير منهم فى شنيل . وقتل وأسر كثير من قادتهم وفرسانهم ، وكان بين الاسرى السلطان أبو عبد الله محمد نفسه ، عرفه الجند النصارى من الاسرى أو عرفهم بنفسه خشية الاعتداء عليه وأخذوه إلى قائدهم الكونت كابرا ؛ فاستقبله بحفاوة وأدب وأنزله بأحد الحصون القريبة تحت رقابة حرس قوى ، وأخطر فى الحال ملكى قشتالة بالنبأ السعيد ؛ وعاد المسلمون إلى غرناطة دون ملكهم ، فارتاعت غرناطة للنكبة واضطرب الشعب ؛ واجتمع الكبراء والقادة وقرروا استدعاء أبى الحسن السلطان المخلوع ليجلس على العرش ، ولكن أبا الحسن كان قد هدمه الاعياء والمرض وفقد بصره ولم يستطع أن يضطلع طويلا بأعباء الحكم ، فنزل عن العرش لأخيه محمد أبى عبدالله « الزغل » حاكم مالقة وارتد الى المنكب فأقام بها حينا حتى توفى . وجلس « الزغل » على العرش يدير شئون المملكة وينظم الدفاع عن أطرافها

أما السلطان أبو عبدالله بن أبى الحسن فلبث يرسف فى أسره عند النصارى وأدرك ملك قشتالة فى الحال ما للأمير الأسير من الأهمية ، وأخذ يدبر افضل الوسائل للاستعانة به فى تحقيق مآربه فى مملكة غرناطة . وبذل أبو الحسن حين عوده إلى العرش مجهودا لافتداء ولده لا حبا فيه وشفقة عليه ، ولكن لكى يحصل فى يده ويأمن بذلك شره ومنافسته ؛ وعرض على فرديناند نظير تسليمه أن يدفع فدية كبيرة وأن يطلق عددا من أكابر النصارى المأسورين عنده فأبى فرديناند وآثر أن يحتفظ بالأسير الى حين ، وبذلت الاميرة عائشة من جهة أخرى مجهوداً آخر لانقاذ ولدها بمؤازرة الحزب الذى يناصره ، واقترحت على ملك قشتالة معاهدة خلاصتها أن يتولى أبو عبد الله الملك فى طاعة ملك قشتالة ، وأن يدفع له جزية سنوية ، وأن يطلق كل عام عدداً معينا من النصارى ، وأن يدفع مقابل إطلاقه فدية كبيرة وأن يفرج فى الحال عن أربعمائة من أسرى النصارى يختارهم ملكهم ، وأن يقدم المعاونة العسكرية كلما طلبت إليه ، وأن يقدم ابنه الوحيد كفالة مع عدد من أبناء الأسر الكبيرة(١) ومع أن عقد هذه المعاهدة كان خطوة كبيرة فى سبيل القضاء على مملكة غرناطة ، فان فرديناند رأى قبل عقدها أن يستغل أسر ملك غرناطة وأن يستعين به على تنفيذ برنامجه الحربى . وكان أبو عبدالله (٢) أميرا ضعيف العزم والارادة ، قليل الحزم والخبرة ، كثير المطامع والأهواء ، ولم يكن يتمتع بشىء من تلك الخلال الباهرة التى امتاز به أسلافه وأجداده العظام بنو الأحمر ، وكان الملك والحكم غايته يبتغيها بأى الأثمان والوسائل . وقد ألفى ملك قشتالة القوى فى ذلك الأمير الضعيف المستهتر بحقوق أمته ودينه ؛ أداة صالحة يوجهها كيفما شاء ، فاتخذه وسيلة لبث دعوته بين أنصاره ومؤيديه فى غرناطة وغيرها ، وليقنع المسلمين بأن الصلح مع ملك قشتالة خير وأبقى ؛ وسير ملك قشتالة فى الوقت نفسه قواته فى أنحاء مملكة غرناطة لكى تنتزع أثناء الاضطراب العام كل ما يمكن انتزاعه من القواعد والحصون الاسلامية ، فاستولت

---

(١) برسكوت — ص ٣٤٤ — وايرفنج (الفصل التاسع عشر)

(٢) نرى أن نشير هنا إلى أن أبا عبدالله يعرف فى الرواية القشتالية والافرنجية عامة باسم « بوبديل » Boabdil وهو تحريف لابي عبد الله

على عدة منها ؛ ونشبت من جهة أخرى في غرناطة حرب أهلية لم تكن بعيدة عن وحى أبى عبدالله وحزبه ، وقامت (البيازين) ضاحية غرناطة بدعوته ، وشغل ملك غرناطة (ابو عبدالله الزغل) باخماد الثورة عن مقاتلة النصارى . وفى نفس هذه الآونة العصيبة أطلق فرديناند سراح أبى عبدالله بعد ان ارتضى عقد المعاهدة التى عرضت عليه مع تعديل يسير فى بعض نصوصها ، وبعد لقاء تم بين الملكين فى قرطبة أعلن فيه أبو عبدالله خضوعه وطاعته لملك قشتالة ، واتفق ان تكون الهدنة لعامين وأن تطبق فى جميع الأنحاء التى تدين بالطاعة لأبى عبدالله . وظهر أبو عبدالله يبث دعوته فى الأنحاء الشرقية والحرب الاهلية قائمة فى غرناطة (اوائل سنة ٨٩١هـ-١٤٨٦م) وبدأت المفاوضة بينه وبين عمه (مالك غرناطة) فى الصلح . ولكن حدث أثناء ذلك أن هاجم النصارى مدينة لوشة جنوب غربى غرناطة واستولوا عليها (جمادى الاولى سنة ٨٩١ هـ) وكان موقف أبى عبدالله أثناء هذه الحوادث مريبا ؛ وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة ، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه ؛ ولم يكن خافيا أنه يستظل بمظاهرة النصارى (١) وفى شوال سنة ٨٩١ ظهر أبو عبدالله فى (البيازين) فجأة واجتمع حوله أنصاره ، واعلن الثورة على عمه ؛ ونشبت بينهما الحرب فى ظاهر غرناطة ، وأمد فرديناند حليفه أبا عبد الله بالجند والذخائر والمؤن . واستمر القتال بينهما مدى أشهر . وفى ربيع الثانى سنة ٨٩٢ (١٤٨٧ م) سير فرديناند قواته الى بلش مالقة (فليز مالاجا) الواقعة على مقربة من ثغر مالقة ليفتتحها تمهيدا للاستيلاء على مالقة ، وأدرك أبو عبد الله الزغل أهمية بلش الحربية فهرع إلى الدفاع عنها مع بعض قواته ، وترك البعض الآخر لقتال أبى عبدالله وأهل البيازين ولكن إقدام الزغل وعزمه وشجاعته لم تغن شيئا ؛ وسقطت بلش فى يد النصارى (جمادى الاولى ٨٩٢ - ابريل ١٤٨٧) وعاد الزغل بجنده ميمما صوب غرناطة ؛ ولكنه علم أثناء مسيره أن غرناطة قامت أثناء غيابه بدعوة أبى عبدالله ، وأنه دخلها وتبوأ العرش مكانه (جمـــادى الأولى) ، فارتد بصحبه إلى وادى آش وامتنع بها ، وانقسمت بذلك مملكة غرناطة الصغيرة إلى شطرين يتربص كل منهما بالآخر : غرناطة وأعمالها ويحكمها أبو عبدالله محمد ؛ ووادى آش وأعمالها ويحكمها عمه أبو عبدالله الزغل ، وتحقق بذلك ما كان يبتغيه ملك قشتالة من تمزيق شمل البقية الباقية من دولة الاسلام بالاندلس تمهيداً للقضاء عليها .

« للبحث بقية »

(١) راجع اخبار العصر ص ٢٢ و ٢٣ — والمقري ج ٢ ص ٦١٢

أطلنطس (ATLANTIS)

القارة المفقودة !

للدكتور محمد عوض محمد

فى زعم طائفة من الكتاب أن المحيط الاطلسى الشمالى لم يكن فى جميع العصور بحراً خالصاً ، بل كانت تحتله قارة عظيمة تصل ما بين العالم القديم والعالم الجديد . وهذا الزعم هو ما نريد أن نعرض له فى هذا المقال .

من أهم ما يمتاز به المحيط الأطلسى — فى وقتنا هذا — نه قليل الجزر . فاذا صرفنا النظر عن الجزائر الملاصقة للسواحل ، مما يعـــده الجغرافيون جزءاً متمما للقارات ، فان هذا المحيط عبارة عن مساحة هائلة من الماء ، ليس فيها من الجزر سوى الشىء القليل جداً .

هذه حالة المحيط اليوم ، لكن هذه لم تكن حالة المحيط فى كل عصر وزمن . فان تعاقب الماء واليابس على الجزء الواحد من سطح الأرض ، من الحقائق الجيولوجية المسلم بها . وليس هنالك خلاف فى أن أمريكا الشمالية كانت متصلة بأوربا ، وأمريكا الجنوبية بأفريقية فى زمن جيولوجى قديم .

غير أن القائلين بوجود جزيرة عظيمة أو عدة جزر كبيرة فى وسط المحيط الأطلسى ما بين ما هو اليوم أمريكا ، وبين ما هو اليوم أوربا وافريقية ، أطلقوا عليها اسم قارة اطلنطس — هؤلاء الكتاب يزعمون أن هذه القارة لم تكن موجودة فى زمن جيولوجى قديم ، يرجع إلى ملايين السنين ، بل إلى عهد حديث جداً ، عهد نشأة الانسان واستعماره لسطح الارض . ولقد يسرف بعضهم فيزعم أن هذه (القارة) كانت موجودة قبل العصر التاريخى ، بحيث كان المصريون القدماء يعلمون من أمرها الشىء الكثير .

من المهم إذن أن نقرر أن الاتصال بين شرق المحيط وغربه فى زمن جيولوجى قديم ، ليس موضع البحث ، وليس هو بالأمر الذى يعنى به هؤلاء الكتاب ، بل الذى يعنيهم وجود اليابس فى هذه المساحة العظيمة التي لا نرى فيها اليوم سوى المياه ، وذلك في عصر

حديث شهده الإنسان فى أول نشأته .

والآن نتساءل : هل هناك من شاهد على صحة ما ذهب إليه أولئك الكتاب ؟

قبل أن نعرض لآراء أصحاب هذا المذهب يحسن بنا أن نكون على حذر من أمرين : أولهما أن وجود هذه القارة أمر يرتاح إليه الخيال البشرى المولع دائما بالغريب المدهش من المسائل العلمية : وكثير من الكتاب فى هذا الموضوع يبدأون بحثهم وفى نفوسهم رغبة فى أن يثبتوا وجود هذه القارة المزعومة ، كالقاضى الذى يبدأ تحقيق الحادث وفى قلبه رغبة فى أن تثبت التهمة على المتهمين . وهذه الرغبة قد تصبغ الأدلة الضعيفة بصبغة قوية . وتحمل الباحث على التغاضى عن مواطن الضعف فيما يعرض له من الحجج .

الأمر الثانى الذى يجب أن نحذره ، هو أن وجود مثل هذه القارة أمر مرغوب فيه جداً من الوجهة العلمية . . لأنها تصبح مرجعا ترجع إليه فى كثير من المسائل التى صعب علينا فهمها أو تعليلها . فإذا رأينا — مثلا — فى أوربا أو فى افريقية شعباً أو جماعة لا نعرف لها مصدرا ، أمكننا أن نقول بكل بساطة إنها بقية من سكان القارة المفقودة — فالرغبة فى التخلص من بعض المسائل العويصة قد تجعلنا فى اشتياق لأن نسلم بوجود هذه القارة المزعومة وأن نقبل من أجل هذا كثيراً من الافتراضات الواهية الضعيفة .

* * *

إن أول من ذكر قارة أطلنطس فيما بين أيدينا من الكتب هو أفلاطون . فقد حكى فى كتابه (طيماوس) رواية عن أحد أجداده . أن صولون حكيم اليونان الأشهر لما قدم الى مصر ، وتحدث إلى كاهن من كهنتها ، أخبره هذا الكاهن أنه كان فى المحيط الأطلسى إلى غرب عمودى الهرقل (بوغاز جبل طارق) جزيرة عظيمة تزيد فى الحجم على ليبية (افريقية) وآسيا الصغرى معاً . وأنها كانت عامرة يسكنها شعب قوى ذو بأس وصولة ، استطاع أن يبسط سلطانه على جميع قارة أطلنطس وعلى ما يجاورها من الأقطار فى افريقية وأوربا ، وأن سلطان هؤلاء (الأطلنطيين) قد امتد حتى بلغ الى مصر وبلاد اليونان . غير أن اليونان استطاعوا أن يردوهم على أعقابهم .

وهذه القارة العظيمة كانت عرضة للزلازل العنيفة والبراكين الثائرة ، فلم تلبث أن أخذتها الرجفة فهبطت تحت سطح الماء واختفت . وذلك قبل عهد صولون بنحو تسعة آلاف من السنين !

هذه هى القصة التى ذكرها أفلاطون نقلا عن أحد أجداده .

وليس هنالك ما يثبت أن هذه القصة قد رواها صولون حقيقة ، وأنها ليست من اختراع أفلاطون نفسه . وعلى كل حال ، وأيا كان مصدر هذه القصة ، فان مجرد روايتها على هذه الصورة ، لا يفيد الباحث عن أمر هذه القارة شيئا .

ان اختفاء جزيرة صغيرة تحت سطح الماء بسبب هبوط فى قشرة الارض ليس بالشىء المستغرب ، وقد يكون اليونان أنفسهم قد شهدوا مثل هذا الحادث فى بلادهم الكثيرة الزلازل ، وهذا وحده كاف لان يوحى إليهم بأن جزيرة قد وجدت ثم اختفت فى وسط المحيط .

ولهذا فان أكثر الباحثين لم يكن يرى فى حديث هذه القارة أكثر من أنه أسطورة جميلة . غير أن كثيرا مما كان يراه العلماء مجرد أساطير قد أثبت البحث العلمى وجوده . وقد أخذ الباحثون يهتمون حديثا بتحقيق أمر هذه القارة .

إن هبوط جزء عظيم من سطح الارض واختفاءه تحت سطح الماء ليس بدعا فى الحوادث الجيولوجية الطويلة المدى ، التى تستغرق عشرات الملايين من السنين . وكذلك ليس بعجيب أن تختفى جزيرة صغيرة تحت الماء فى زمن وجيز بسبب حادث بركانى خطير . لكن الامر الذى يصعب تصوره هو أن كتلة هائلة من اليابس تهبط نحو ثلاثة آلاف متر فى زمن يعد وجيزا جداً بالنسبة الى ما يستدعيه مثل هذا الانقلاب الخطير فى سطح الارض . وبالطبع ليس اثبات هذا الامر بالشىء السهل ، لان أكثر الادلة مقبور تحت غمار البحار ، فى أعماق يصعب جداً الوصول إليها .

ولننظر الآن فى الادلة التى يدلى بها القائلون بصحة هذه الأسطورة .

لعل أول جهة يجب أن يتجه إليها البحث أن نتساءل : هل فى قاع المحيط الأطلسى أو فى جزء من قاعه ما يدل على أن هذا القاع أو هذا الجزء من القاع كان أرضا ظاهرة فوق سطح الماء فى زمن حديث يقدر بنحو عشرة آلاف من السنين ؟ وهل فى السواحل الشرقية والغربية للمحيط ما يدل على أنها كانت الى وقت قريب متصلة ؟

يجب أن نجيب أو أن نحاول الاجابة على هذين السؤالين .

ولكن يجب علينا أن نحذر فلا نخلط بين الاتصال الجيولوجى القديم ،

وبين الاتصال الحديث بواسطة قارة أطلنطس المزعومة.

من المعلوم أن قاع المحيطات ليس أرضا مستوية. بل فيه المرتفعات والمنخفضات والسهول والجبال. وقد أصبح ثابتا أن فى وسط المحيط الاطلسى سلسلة جبال طويلة جدا تمتد من شماله إلى جنوبه، وفى بعض المواضع تظهر طائفة من قمم هذه السلسلة فوق سطح الماء. فتتألف منها جزر مثل جزر الأزور. (Azores) فى الشمال وجزيرة الصعود (Ascension) فى الوسط. وجزيرة (ترستان دا كنها) Tristan da Cunha فى الجنوب. وفى زعم القائلين بوجود القارة المفقودة أن جزر الأزور هى البقية الباقية منها. وأن الجزء الاوسط من المحيط الاطلسى قليل العمق لانه هبط حديثا.

كذلك يشير أصحاب هذا الرأى إلى التشابه العظيم بين السواحل الشرقية والغربية للمحيط الأطلسى، مما يدل على اتصال الساحلين فى زمن قديم. وليس من شك فى هذا التشابه، لكنه يرجع الى اتصال فى الأزمنة الجيولوجية القديمة. ولا فائدة لأنصار هذا الرأى من الرجوع الى هذا الدليل الذى لا يفيدهم فى قضيتهم شيئا.

أما الأبحاث الخاصة بقاع المحيط الأطلسى، والتى أريد بها إثبات أن هذا القاع كان الى وقت قريب بارزا فوق سطح الماء: فهى - على قصورها - أقوى البراهين - أو على كل حال أقلها ضعفا - التى يدلى بها القائلون بوجود هذه القارة العظيمة.

وخلاصة هذا الدليل أنه فى عام ١٨٩٨ كانت إحدى السفن تبحث عن سلك تلغرافى قد انقطع فى وسط المحيط الاطلسى، وفى أثناء بحثها عن هذا السلك كانت تستخرج من قاع البحر قطعا من الطين والصخر، وقد فحصت هذه المواد فتبين أنها مما تقذفه البراكين الثائرة، وأن هذه الصخور البركانية كانت مادة منصهرة ذائبة ثم تجمدت وكان تجمدها فوق سطح الأرض لا تحت سطح الماء كما هى حالها اليوم. وذلك لأن حمم البراكين (اللافا) اذا تجمدت فى الهواء كان لها شكل خلاف شكلها إذا تجمدت فى الماء.

والنتيجة التى يراد الوصول إليها من هذا، هى بالطبع ان هذه البراكين هى براكين قارة أطلنطس وان هذه اللافا قد تجمدت على سطح القارة المفقودة قبل ان تختفى تحت عباب الماء. لكن لابد لنا للوصول الى هذه النتيجة الخطيرة من ان تثبت ان هذا الجزء من قاع المحيط الاطلسى الذى استخرجت منه هذه المواد قد كان فى وقت حديث - أى منذ نحو اثنى عشر ألف سنة - بارزا فوق سطح الارض.

ولاثبات هذا الأمر يقول بعض الكتاب انه فى نظر كثير من الجيولوجيين لا يمكن اللافا ان تبقى تحت سطح الماء اكثر من ١٥٠٠٠ سنة، لانها فى هذه المدة تتحلل عناصرها تماما فلا يبقى لها أثر. إذن فاللافا التى استخرجت من قاع المحيط والتى ثبت أنها قد تجمدت فوق سطح الارض. لابد أن تكون قد غمرتها المياه حديثا - أى أن هبوط القاع حدث فى وقت حديث لا يتجاوز الخمسة عشر الف سنة!

هذه من غير شك أقوى حجة طبيعية يستند اليها القائلون بوجود قارة أطلنطس. ولكنها للأسف لا تخلو من شىء من الضعف. ذلك أنه - على فرض أن ماء البحر يحلل اللافا ويذيب عناصرها فى مدة لا تتجاوز الخمسة عشر ألف عام - يجب أن نذكر أن اللافا عادة تتراكم طبقات بعضها فوق بعض، ذات غلظ عظيم. وقد يتحلل الجزء الأعلى ويبقى الجزء الأسفل والذى يليه وهكذا. ولابد لها من مئات أو آلاف الأزمنة التى ذكرت قبلا - لكى يتم تحللها جميعا.

فهذه الحجة اذن - وإن لم تخل من قوة - فانها لا تثبت إثباتا قاطعا سوى أن قاع المحيط الأطلسى فى بعض جهاته كان يوما ما قطعة بارزة من اليابس ثم هبط تحت سطح الماء. ولا زلنا فى حاجة الى دليل أقوى من هذا يثبت لنا أن هذا الهبوط كان منذ زمن حديث يقدر بعشرة آلاف من السنين.

كذلك التشابه الذى يشاهد اليوم بين أنواع من الحيوان فى شرق المحيط وغربه، دليل على وجود قارة اطلنطس، بل على اتصال قديم جداً فى أزمنة جيولوجية غابرة، بين طرفى المحيط شرقا وغربا.

فالأدلة الطبيعية قليلة الغناء. ولا يبقى بعدها سوى الأدلة البشرية أو الانثروبولوجية، أى التى تتصل بالانسان جنسا أو لغة أو دينا أو تقاليد أو ما شابه ذلك.

وتتلخص هذه الأدلة البشرية فيما يأتى:

١ - أنه قد ظهر فى أوربا أثناء العصر الحجرى القديم جنس من الناس طوال القامة عظام الهامة حسان الصورة فى وقت لم يكن فيه بأوربا سوى جماعات من جنس ذى صفات منحطة دنيئة. وقد أطلق العلماء على هذا الجنس العظيم اسم جنس «كرومانيون»

Cro — Magnon (نسبة الى ناحية فى فرنسا وجدت بها هياكل عظمية كاملة لأفراد من هذا الجنس). ولا يعرف أحد على وجه التحقيق من أين جاء هذا الجنس، الذى ظهر فى أوربا فجأة فأحدث فى ثقافتها ثورة هائلة.

والآن يريد أصحاب قارة أطلنطس أن يخبرونا أن هذا الجنس إنما جاء من قارتهم المفقودة!

افتراض جميل سيخلصنا من مشكلة عويصة وهى نشأة هذا الجنس الذى لا نعرف تماما أين نشأ! ولكن هل من العقل أن نتخلص من مشكلة لكى نقع فى مشكلة أعظم منها؟

ان القائلين بأن هذا الجنس مصدره القارة المفقودة يزعمون أن هنالك شبها بينه وبين جنس قديم منقرض وجدت بقاياه فى البرازيل. وهذا الزعم لو صح لكان من غير شك حجة قوية لا تدحض. ولكن أكثر علماء الأجناس لا يرى مطلقا وجه شبه بين هذا الجنس البرازيلى القديم الذى وجدت بقاياه فى لاجوا سانتا وبين جنس «كرومانيون».

٢ — فى أوربا شعب اسمه شعب الباسك Bosque يعيش على خدود فرنسا وأسبانيا. فى الاقليم الملاصق لخليج غسقونية. هذا الشعب القديم يعيش شطره فى فرنسا وشطره فى أسبانيا ويتكلم لغة ليس لها نظير فى لغات العالم كلها. وفى زعم أصحاب نظرية القارة المفقودة أن الباسك هم بقية الأطلانطيين الذين هاجروا من قارتهم الى أوروبا قبل الميلاد بعشرة آلاف سنة. وأن لغتهم تشبه لغات سكان أمريكا الاصليين بينما هى تختلف عن سائر لغات أوربا.

وهذه الحجة البراقة لاتستند هى أيضا على أساس متين، لأن لغة الباسك لاتزال عقدة العقد، وقد رأى فقهاء اللغات فيها آراء متناقضة متضاربة، ولم يبلغ العلم فى أمرها الى حل مقبول. وليس القول بأنها تشبه لغات أمريكا بأقوى من الرأى الذى يرى شبها بينها وبين لغات البربر فى افريقية ولغة المصريين القدماء.

٣ — اما الأدلة البشرية الأخرى التى يوردها أنصار قارة أطلنطس، فتنحصر فى وجود تشابه حقيق او موهوم بين بعض العقائد الدينية والعادات والتقاليد والآلهة فى العالمين القديم والجديد، ومجرد ذكر هذه الامور كاف لأن يثبت للقارىء ان هذه الادلة ليست بالشىء الذى يسهل الركون إليه، ولانستطيع أن نستند إليها فى القول بأن تلك الاشياء المشتركة مصدرها واحد وهو هذه القارة المفقودة، التى انطلق منها فريق الى الشرق وآخر الى الغرب فنشروا آراءهم وعقائدهم وآلهتهم فى عالمين بينهما الآن آلاف من الأميال.

***

وهكذا يرى القارى أن فكرة قارة اطلنطس لا تزال مفتقرة إلى دليل أقوى مما بايدينا اليوم، ولكنا على كل حال يجب أن نرتاح إلى أن موضوعها أصبح اليوم معرضاً للبحث العلمى بالأساليب العلمية بعد أن كان مجالا للظن والخيال. ولهذا يسرنا أن نسيغ الخبر الذى رواه أحد الكتاب فى عدد الشهر الحالى من مجلة فورتنيتلى من أن بعثة ألمانية قد سافرت حديثا إلى إقليم جزر الأزور لتفتش فى قاع البحر عن أدلة جديدة عن هذه القارة المفقودة.

محمد عوض محمد

الشعر والفن

يتمتع قليل من الناس باحساس راق مهذب، ينفعل انفعالا قوياً حينما يشهدون جمال الطبيعة أو يتأملون أسرارها، وهذا الإحساس السامي لا يصلون إليه من كثرة القراءة والاطلاع، ولا من كثرة الحفظ والاستظهار، ولا من تأبط الدواوين والكتب، وانما أنهم من تدريب إحساساتهم وتمرينها على التأثر بجمال الطبيعة والتأمل فيما يغمرها من أسرار، ويشرق عليها من نظام، وما يزالون يدربون إحساساتهم ويتعهدونها بالتمرين، حتى إذا أوفوا من ذلك على الغاية، وضاقت قلوبهم عن حبس ما يجيش فيها من عواطف وانفعالات، اضطروا اضطراراً إلى اخراج هذا الفيض القلبي متدفقا فى هذه الأنهار الجميلة التى نسميها فنا، من موسيقى ورسم ونحت وعمارة وشعر، وما أشبه قلوب هؤلاء الناس بالبؤرة الصالحة ترد إليها أشعة الإحساسات الصادرة عن صنوف الطبيعة المختلفة، فتتحلل فيها، ثم تنعكس فكرا جميلة، وصورا بديعة وسرعان ما يجد الفنان نفسه مضطرا إلى ابرازها واظهارها لأنه لا يستطيع أن يؤويها فى نفسه، ولا يمكنه أن يخفيها فى زوايا قلبه، فيقدمها للناس فى هذه الثياب الساحرة، ثياب الفن الجميل، فتسترعى ألبابهم، وتستهوى أفئدتهم.

والفنون جميعها تعبر عن عواطف مشتركة ، وتسعى إلى غاية واحدة هي اظهار ما في الكون من جمال ، ولهذه الصلة الواضحة بين أنواعها كان لزاما على من يخصص نفسه في فرع من فروعها أن يتزود ما أمكن بالفروع الأخرى ، وأن يتثقف بها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وقد فقه الغربيون ذلك وعرفوا قيمته فراح شعراؤهم يدرسون الفنون الجميلة ، ويمدون شاعريتهم بما يلذ لها من صنوف طعامها ، وألوان رحيقها ، وبينما هم مجدون في ذلك مبالغون فيه ، نجد كثيراً من شعرائنا قد استناموا الى حياة شعرية غريبة ، حياة كلها تقليد وقطيعة للفنون ، فهم لا يستمدون غذاء شاعريتهم الا من فتات مائدة ، هي هذه الدواوين الشعرية التي ورثوها عن الأقدمين ، يحفظون ألفاظها ، ويجودون أساليبها ويبتغون مثلهم العليا في معانيها وصورها ، فترى الواحد منهم إذا أراد أن يقول شعراً راجع ماقاله القدماء ، والتقط مانثروه من ألفاظ وأساليب ، ونطقوا به من معان وصور ، حتى إذا اجتمعت اليه مجموعة لا بأس بها من هذا كله ، سلكها في هذه السلاسل التي يسميها أوزانا شعرية ، وقد نشأ عن ذلك أن قل الابتكار في الشعر . وأصبحنا لا نكاد نتأثر أو نحس به لأنه موسيقى متكررة توقع من حين لآخر على نغمة واحدة ، وشاعت السرقات الشعرية عن هذه الطائفة من الشعراء ، فاستباحوا حمى أسلافهم الأقدمين وأغاروا على دواوينهم ، واجتلبوا منها سبايا الأساليب والصور ، ولكنها سبايا باردة جامدة لا تنبض قلوبها بحرارة ولا بحياة ، والشركات كثيرا ماتعقد في هذه السبايا ، ولكن الشعر للأسف لا يربح منها إلا ألفاظا لا غناء فيها ولا قيمة لها ، ولو كان للشعر العربي حكومة لأخذت على أيدي هؤلاء المتشاعرين الذين لا يقعون منا إلا موقع الضوضاء الممقوتة المنكرة ، فحرمت عليهم اجتراح هذا الاثم ، أيا كان لونه ، وأيا كان شكله ، وإذن لاستراح الشعر العربي من عبء ثقيل يتعبه ويشقيه ، ويمرضه ويضنيه

ومما يدعو إلى العجب أن بعض النقاد أخذ يهيب بهؤلاء الشعراء ، ويضع أيديهم على ما هم فيه من عيب ونقص ، علهم يصلحونه أو يتخلصون منه ، ولكنهم يعرضون عنه ، ويصرون على مايجلل آثارهم الشعرية من عيب ، وما يسومها من نقص ، وتضيع من وقت لآخر هذه الدعوات المخلصة ، وتذهب كأنها نفخة في رماد ، لا تبعث لهبا ولا توقد نارا ، أو صيحة في صحراء ، تضيع في متسع الاجواء ، وتفنى في منفسح الآفاق ، ولو أنصف هؤلاء الشعراء أنفسهم لأصاخوا إلى هذه الدعوات المباركة واستجابوا إليها ، وهل يحسن بهم أن يؤثروا العقم على الانتاج ، أو يستحبوا التقليد على الحرية؟ إنهم لو تدبروا لسارعوا إلى تخليص أنفسهم من ذل الجمود ورق التقليد ، ففكوا عن أعناق شعرهم هذه الأفعى التي تحاول أن تخنقه على أن هذه الحياة الجديدة التي نأمل فيهم أن يستبقوا إليها ، لن تكلفهم مشقة كبيرة . فان السبيل إليها سهل ميسر ، وما عليهم إلا أن يلقوا بحبة من نفوسهم على عوالم الفن الاخرى ، فيثقفوا بها ، ويجدوا في ذلك التثقيف ، حتى يدربوا إحساساتهم ، حاسة حاسة ، تدريبا طويلا ، وأكبر ظنى أن هذا هو السبيل الواضح الذى يصل بهم على عجل إلى غايتهم المنشودة ، ولعل من أمس هذه العوالم الفنية بالشعر ، عالم الخطوط والحركة ، أو ما يسمونه باسم « الرسم » ففى هذا العالم يستطيع الشاعر أن يمرن إحساساته تمرينا تاما كاملا على التأثر بجمال الطبيعة والانفعال بمشاهدها الرائعة ومظاهرها الساحرة ، ويظن كثير من الناس أن جمال الصورة يتركز فى ألوانها وأضوائها ، ولو كان الامر كذلك ، لكانت الصورة قليلة الجدوى ، والواقع أن جمالها البديع يتركز في الخطوط وحركاتها واتجاهاتها ، تلك الخطوط التى تعدل الصورة وتقومها وتنتهى بها إلى شكلها الفني الجميل ، أما الالوان فهي شيء إضافى يلحق بالخطوط بعد تكونها ووجودها ، والشاعر كالمصور لا يختلف عنه فى شيء الا فى المادة التى يصور بها ، وإن فى الصورة المجتمعة ، وندرة العناصر ، وتناسب الجمع ، لنوعا سامياً من القوة الالهيـة كما يقول فلوبير ، وأهمية الصُوره فى الشعر ترجع الى أنه لا يعبر عن الحقيقة كما هى وكما نجد عند النثر ، وإنما يتخذ للافصاح عنها طريقا آخر ، هو تمثيلها وتخيلها ، وعرضها فى صور خلابة ورسوم ساحرة ، وهذا هو الذى حدا باليونان منذ القدم إلى أن يخصوا الشعر ببرهان قائم بنفسه ، برهان لا يقوم على اليقين ولا يتخذ مقدماته من المنطق ، وإنما يقوم على الاقناع والتمثيل ، ويتخذ طريقه من التأثير والتخييل ، ونحن نلحظ مع الأسف أن الشعر العربى لا يهتم بالصورة الاهتمام الواجب ، وإنما يضع همه كله في الألوان والاضواء ، ولا نكاد نجد فيه الخطوط الكثيرة التى تخلق الصورة خلقا ، وتبتكرها ابتكارا ، وتعمر قلبها بالحرارة والحياة ، فمعظم شعرائنا يقف همهم

من الصورة عند هذا النوع التافه الذى يسمونه مجازا أو كناية ، وما عرفوا أن هذه الاشياء هى أقل أنواع الصور قيمة بل هى فى الواقع لاتزيد على إنها طريق من طرق التعبير ، أما الصورة الصحيحة فهى أسمى من ذلك وأرفع ، ولا بد فيها من تحضير للمواد طويل ، وجمع للعناصر كثير .

وعلاقة الشعر بالرسم علاقة قوية شديدة ، ولكن يظهر أن علاقته بالموسيقى أقوى منها بأى فن آخر ، فقدنشآ معا ، ولكن تقدم الفنون فصل بعضهما عن بعض فأستقل كل منهما بوظيفة خاصة ، على أن الموسيقى لاتزال تحتل الشعر ولا يزال أثرها واضحا فيه ، والشاعر فى الواقع ليس الا موسيقيا ساحرا يلعب بأنامله على قيثارته الشعرية فيطربنا بأنغامه ، ويشجينا بألحانه ، ويأخذنا بفيض وحيه وقوة الهامه . والواجب على شعرائنا أن يدرسوا الموسيقى ، وأن يعنوا بدراستها عناية كبيرة ، فكثير من الالوان التى يؤديها الشعر ترجع الى الموسيقى نفسها ، ولقد استفاد اليونان قديما من هذه الدراسة فوجدوا طريق الشعر فى العقيدة كلها ، بل فى الرواية التمثيلية على طولها ، واختلاف أشخاصها خلا الشعر الغنائى الذى كان يتخللها ، ولقد كان الرومان يفهمون الشعر على انه غناء أكثر منه شيئا آخر حتى تجوز بعضهم فسمى الشعراء باسم الموسيقيين ، ويقول بعض النقاد إن الموسيقى هى سر السحر فى الشعر وهى نفس صناعته ، وكيفية تأثير الموسيقى الشعرية فينا يختلف فيها النقاد اختلافا كثيرا ، ومهما يكن فهى تحدث تغيرا فى أسلوب الوجدان ، وكل نغمة تصلنا منها تؤثر فى أدراكنا ، وترتفع معها نغمات عاطفية فى نفوسنا ، ولاينكر أحد ما للموسيقى الألفاظ من قيمة فى الشعر ، فهى ذلك الجمال الخفى الذى يستمد من غير المنظور مؤثرات ساحرة بديعة ، ولقد كان شاكسبير يعنى بها عناية فائقة ، حتى قيل إنه يحب الألفاظ من أجل الألفاظ ، لكن ينبغى أن ننبه إلى أن موسيقى كل لفظة موجودة معها فى اللغة قبل وجود الشاعر ، ولكن لا ننس أنه هو الذى يختار الألفاظ ، وينتقيها ، ويجمعها فى سلك واحد فلا نحس تنافرا ولا شذوذا ، وانما نجد جمال التناسب والتوافق يتجلى فوقها ساحرا بديعا ، واللغات نفسها تهتم بموسيقى الالفاظ ، ويتضح هذا فى اللغة العربية فى ألفاظ الاستغاثة والندبة والتعجب فان قدماءنا قلبوا ياء المتكلم التى تنتهى بها ألفا حتى يشبعوا النغمة فى هذه الألفاظ ويستتموا بها التأثير فى الوجدان ، وقد زادوا فى ذلك فجعلوا لبعضها حرف نداء مخصوصاً هو « وا » لنزيدها قوة فى الصورة ، ويتناسب مع شدتها فى المنطق ، وهم قد فعلوا هذا كله ليدلوا على الانفعال الوجدانى ويكون التأثير فى قلب السامع أوفى وأقوى

وليس من شك فى أن تتابع المقاطع والأصوات وصور النبرات يجعل العقل مستعدا لنغمة خاصة ، وينقل القلب إلى حالات وجدانية متماثلة ، ويتبين هذا فى أننا نصبح بعد قراءة بيت أو بيتين من الشعر مهيئين لسماع مايوافق هذه الحالات الوجدانية التى هيجتها فينا الأصوات والنبرات الأولى ، فاذا فوجئنا بمقاطع ونغمات جديدة أحسسنا بالفرق الظاهر والانتقال الواضح ، على أننا يجب ألا نبالغ فى ذلك ، فان التأثير الذى يفد الينا من الشعر لايأتى من الضغط والمقاطع وتشديد الصوت وقوته ، نعم تؤثر فينا هذه الاشياء تأثيرات مختلفة ، ولكن هذه التأثيرات ليست كل شىء فى الشعر فان قراءة الشعر ليست نغما خالصا ، ولا شكلا غنائيا تاما؟

شوقى ضيف
بكلية الآداب

ابن خلدون
حياته وتراثه الفكرى
بقلم محمد عبد الله عنان

فيه عرض نقدى مستفيض لحياة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون وتراثه الفكرى والاجتماعى ، ووصف ضاف لآثاره ومنهجه واسلوبه ، واستعراض لجميع المباحث الغربية النقدية التى صدرت عنه وعن تراثه . يقع فى مائتى صفحة طبع دار الكتب . ويطلب من مؤلفه بلجنة التأليف والترجمة والنشر ومن جميع المكاتب وثمنه ٨ قروش عدا البريد .

التفـاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

— ٢ —

نباح الكلب في الليل

من الخرافات الناشية عند أكثر الأمم وبين الفلاحين عندنا، التشاؤم من اهلال الكلب، أى الصياح بين الانين والنباح الغير العادى في الليل؛ ويسميه أهل الشام «العواء المقلوب» وفيه يقف الكلب وقفة منكرة ينظر فيها الى القمر، ويشرع في عوائه الغريب الذى يكاد يقرب من عواء الذئب، فيظن من يراه على هذه الحالة انه يدعو على أحد، ويناجى القمر لعله يساعده على جعل هذه الدعوة مستجابة، فيتشاءمون من هذا الصوت ويقولون أنه نذير شؤم يقع منه موت لأحد الناس. وأسلافنا المصريون هم في الأغلب الأصل في هذه الخرافة، فقد كانوا يؤمنون أن عزرائيل يتشكل في شكل ابن آوى؛ وكانوا يرسمونه في حفلات الجنازة والموت والحساب؛ وابن آوى يشبه الكلب كثيرا في هيئته؛ وربما كان له وللكلب قديما اسم واحد؛ أو ربما كان الاعتقاد سائدا بأن الكلب يتلاقح مع ابن آوى، فلما زالت عقائد المصريين من الناحية الدينيـــة الرسمية بقيت بين الفلاحين وانتشرت بين عامة الأمم الأخرى.

وربما يرجع هذا التشاؤم الى الاعتقاد باصل النجاسة التى يوسم بها الكلب عند الغرب، ولكن يجب ألا نبالغ في الاعتقاد بنجاسة الكلب فان من العرب من كان يجله ويرعاه، ويعرف له فضله في الأمانة والحرص على مصالح مولاه. وقد قال كتاب «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»؛ تصنيف الامام أبى بكر بن خلف المرزبان في سنة ٣٨١ هجرية:

«والكلب أيدك الله منافعه كثيرة فاضلة على مضاره بل هى غامرة لها وغالبة عليها. ولم تزل القضاة والفقهاء والعباد والولاة والنساك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها في دورهم؛ وهم مع ذلك يشاهدونها في دور الملوك. فلو علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا عن اتخاذها. بل عندهم أنهم إذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة..»

وعلى هذا النسق مضى المؤلف يعدد فضائل الكلاب، وأتى في الكتاب بطائفة من الاقوال البارعة والابيات اللطيفة التى قيلت في الكلاب ومنها يتبين للقارىء نظر العرب لهذا الحيوان.

القط

يتشاءم بعض الناس بأن القط الاسود مجلبة للشر وطالع نحس وعنوان كل كارثة مقبلة.. ويتطير الغربيون بالقط الاسود اذا عبر طريقهم.. وكان الانجليز حتى عهد قريب يحتفلون سنويا بمدينة «شرفيلد» بالاتيان بقطة سوداء؛ رمز الظلام، ويضربونها بالسوط حتى تموت.

وربما يرجع هذا التشاؤم الى سواده، والسواد رمز للحزن أو ربما يرجع الى عقائد قديمة كانت شائعة عند القدماء بشأن سواد القط..

ولا يزال الايطاليون والهنغاريون يعتقدون بأن القطة التى تثب فوق سطوح المنازل لا بد أن تكون قد تقمصتها روح ساحرة شريرة. والبراهمة على العموم يعتقدون بحلول أرواح البشر في القطط. وذلك أيضا هو اعتقاد أهل السيام الذين يقدمون للقطط على سبيل الهدية أقفاصا من ذهب يضعونها في المعابد، وقد شوهدت قطة سوداء في موكب الاحتفال بتتويج ملك سيام في سنة ١٩٢٦.

وكثيرا ما كانت القطة في القرون الوسطى سببا في قتل صاحبتها من العجائز لاتهامها بالسحر وكانت القطة تعتبر دليلا على ممارسة العجوز لهذا «الفن الأسود» في الخفاء لمساعدة الارواح العديدة التى تسكن جسم القطة.

ومن الخرافات المصرية التى شاعت في العالم أن للقطط سبع أرواح أو تسعا. وقد يعزى الى هذه الخرافة بعض القسوة في معاملة القط؛ ولكن أصلها يرجع الى حرمة القط بل الى تقديسه، فقد كان قدماء المصريين يقدسون هذا الحيوان ويحنطون جسمه ويشيدون له المقابر؛ وكانت «بشط» ربة مصرية لها رأس قطة، وكان المصريون يعتقدون أن لها تسع أرواح..

وذكر المؤرخ اليونانى «هرابللون» ان الاغريق كانوا يصنعون تماثيل القطط بمعبد الشمس بمدينة هليوبوليس؛ لان عين هذا الحيوان تتبع الشمس في انتقالها في الأفق وقد عثر المنقبون في سنة ١٨٩٠ على مقبرة كبيرة بجهة بنى حسن موجودة بها جثث القطط

المخنطة موضوعة فى صفوف منظمة ، ولسوء الحظ أن الفلاحين تشاءموا من وجودها فأحرقوها.

وبدأ الناس فى فجر المسيحية يمقتون آلهة الاقدمين فاعتبروا القطة رمزاً للشيطان ومجلبة للشر .

قتل الثعبان

من أغرب العادات عند بعض سكان مصر انه لا يرضى بقتل ثعبان البيت ويتشاءم من هذه الفعلة اذا حدثت ، وقد كان الثعبان مؤلها عند اسلافنا . فالحرمة التى يحوطه به بعضنا الآن هى فى الحقيقة حرمة دينية نسينا اصلها وغايتها وبقى رسمها .

نعل الفرس

يتفاءل الناس بنعل الفرس ويعلقونها على الحوانيت وابواب المنازل لتجلب السعد لساكنيها . ومن وجد نعلا فى الطريق عد ذلك حظاً حسناً يستأنس به طول يومه بل طول عامه .

وأصل هذا الاعتقاد ، أن نعل الفرس كانت فى الزمن القديم رمز الربة «عشتروت» فكان كل من يجد نعلا يتفاءل بها كأن الربة قد اهدتها اليه ، وربما يرجع أيضا الى أنها تشبه الهلال .

ونعل الفرس حديثة العهد فى التاريخ لأنه لا يمكن أن يعدو تاريخ الحديد المصنوع منه . والحديد لم يعرف الا منذ ثلاثة آلاف سنة . ولذلك قد يتوهم الانسان أن الاعتقاد فى حسن الحظ من النعال هو من مبتكرات المتمدينين الذين عرفوا الحديد ، وأن المتوحشين لا علاقة لهم بهذا الاعتقاد ، ولكن الحقيقة ان هذه الخرافة آتية من المتوحشين نزلت منهم الى المتمدينين . فنعل الفرس تشبه الهلال الجديد . والمرجح أن الانسان كان يصنع هلالا من خشب او عظم للتيمن ، فلما ظهر الحديد صار يصنعه من الحديد . ثم لما عرف نعال الخيل استغنى بها الانسان عن الآلهة القديمة وصار يعلقها على الابواب والحوانيت بدلا منها ، للمشابهة ، وبدلا من أن يرسم الهلال . والاوربيون يتفاءلون بهاملنا ويتعلقون بهذه العادة اكثر منا .

يتبع — ابراهيم تادرس بشاى

المعتصم بن صمادح

على فراش الموت

للدكتور عبد الوهاب عزام

الاندلس فى أمر مريج ، زال عنها سلطان الخلافة فاضطربت ، وفقدت رواسيها من بنى أمية فمادت . وأصبحت كرقعة الشطرنج يتغالب الملوك على كل بيت فيها . كل قوى يحوزما وسع حوله وهمته ، والعيش غلاب . «والبر أوسع والدنيا لمن غلبا» .

فى هذا المعترك ملك محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي (مدينة وشقة) وملك بنو عمه مدينة (سرقسطة) . ثم غلبوه على مدينته

ثم ملك ابنه معن بن محمد مدينة (المرية) غصبها من عبد العزيز ابن أبى عامر . وخلفه ابنه أبو يحيى المعتصم بالله وهو فى سن الرابعة عشرة . نشأ فى ملك ضيق الرقعة ، فاستعاض منه سعة الخلق وبعد الهمة ، وحلية العلم والادب ، والسخاء الشامل ، والجود العمم ؛ حتى طاول المعتمد بن عباد كبير ملوك الطوائف ونافسه ، وحتى قال أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حينما لقيهما بالاندلس . «هذان رجلا هذه الجزيرة» .

قال ابن خلكان :

«وكان رحب الفناء ، جزيل العطاء ، حليما عن الدماء ، طافت به الآمال ، واتسع فى مدحه المقال ، وأعملت الى حضرته الرحال ، ولزمه جماعة من فحول الشعراء» .

وقال الفتح بن خاقان :

«ملك أقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع فى انتظام مجالسها واتساقها ، وأوضح رسمها ، وأثبت فى جبين أيامه وسمها . لم تخل أيامه من مناظرة ، ولا عمرت الا بمذاكرة أو محاضرة ...

وكانت دولته مشرعا للكرم ، ومطلعا للهمم ، فلاحت بها شموس ، وارتاحت فيها نفوس . ونفقت فيها أقلام الأعلام ، وتدفقت بحار الكلام ، كاجادة ابن عمار وإبداعه ، فى قوله معتذراً من وداعه .

أمعتصما بالله والحرب ترتمى بابطالها والخيل بالخيل تلتقى

دعتني المطايا للرحيل وانني ... لأفرق من ذكر النوى والتفرق
وأنى إذا غربت عنك فانما ... جبينك شمس والمرية مشرق.

وكان المعتصم، كالمعتمد بن عباد، شاعراً مجيداً: كتب الى الوزير الشاعر بن عمار:

وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني ... مباديه إلا ساءني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة ... من الدهر إلا كان إحدى المصائب

طوى الامير أربعين عاما في إمارته، شاع فيها ذكره ونبه اسمه، وحلب الدهر أشطره، ورأى أحداثه وعبره. ثم حم القضاء وبعث ابن تاشفين جنوده على ملوك الطوائف تثل عروشهم، وتعفي على آثارهم. ولقي رجالا الجزيرة الصدمات الاولى فدارت على المعتمد الدائرات، فاذا هو أسير أغمات، وللمعتمد بن عباد قصة ملؤها العبرات والزفرات.

وعلم ابن صمادح بما أصاب صاحبه فلكه الغم، وناء به الحزن، وكان أسعد من صاحبه جدا، نجاه الموت من الاسار، وأنقذه الحمام من المذلة: رب عيش أخف منه الحمام. ولله ابن بسام حين يقول: «وكان بين المعتصم وبين الله سريرة أسلفت له عند الحمام يدا مشكورة. فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به الا أيام يسيرة، في سلطانه وبلده، وبين أهله وولده»

دع ما نمق الكتاب، وأنشد الشعراء، ودع أربعين طواها الزمان كأنها أحلام، وانظر المعتصم ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة — الليلة التي طلع عليه بالردى فجرها — هاهو ذا على فراش الموت في قصره بالمرية، ومعسكر ابن تاشفين على مقربة من المدينة ترى خيامه، وتسمع ضوضاؤه. ويسمع المعتصم وجبة من الجيش اللجب، والجند المصطخب، فيقول كأن لم ينعم بالملك والجاه أربعين عاما!

لا إله الا الله! نغص علينا كل شيء حتى الموت، قالت «أروى» أحدى جواريه:

«فدمعت عيني، فلا أنسى طرفا الى يرفعه، وانشاده لي بصوت لا أكاد أسمعه»:

«ترفق بدمعك لاتفنه فبين يديك بكاء طويل»

عبد الوهاب عزام

الحرص على الحياة

للعلامة الأمير مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

لكم تساءل الانسان عن هذه الحياة ومعناها، ومبدأها ومنتهاها، ولكم أجهد نفسه بلا جدوى للحصول على جواب مقنع تسكن اليه نفسه الكليمة من أحاجي هذا الكون. وهو بين الأزل والأبد يمر في هذه الحياة الدنيا كأسرع من إيماضة كهربائية تطوى الارض في أقل من ثانية!

ماهي هذه الحياة الكامنة في جنين بزور النبات، وكيف تحتفظ بعض البزور المجففة بخاصة «الانتاش» عشرات من السنين، حتى اذا زرعت وابتلت دبت فيها الحياة فضربت وتشبها في الارض وأبرزت سداها فوق التراب يتلمس الشمس والهواء. وهو أحرص على الحياة من الشيخ الفاني والهم البالي. وراقب جذور هذه النبتة كيف تخترق ذرات التراب وتتغلغل فيها سعياً وراء الماء اللاصق بها حيث تجد غذاءها مذابا صالحا للامتصاص. والغريب أنك كيفما أدرت ذلك الماء دارت الجذور معه وسعت اليه كأنها تدرك أن لا حياة لها إلا به. واذا ما وضعت حاجزا معدنيا بينها وبين ذرات التراب المبتلة دارت حوله حتى تتخطاه، وان أعياها الأمر أفرزت حوامض تذيبه، حتى اذا ثقبته دخلت في الثقب كما يفعل الكماة عندما يخرقون سور المدينة الحصينة، ويدخلون من الخرق فيستولون عليها وينعمون بها.

وانظر الى الازهار الموضوعة في نافذة غرفتك كيف تميل الى الخارج تستقبل الضياء حتى لكأنها تفر من الظلام الى النور. والحظ الاشجار المغروسة بجانب أحد الجدران كيف تبتعد عنه باغصانها النوامي فتبدو عريانة فيما يليه كأن قضبانها اللدنة لاتلتذ برغد العيش الا حيث يتماوج النور ويتلاعب الهواء. وهذه زهرة تدور مع الشمس من مبزغها الى مغربها حتى سموها عبادة الشمس. وتلك ورقة مركبة تفتح وريقاتها في النهار وتضمها في الليل مرتقبة شروق الشمس في اليوم التالي وهي أحرص ما تكون على الانتفاع من شعاعها المتناثر. واعجب لتلك النبتة الحساسة التي يسمونها «مستحية»، وخجولة اذ تنطبق اوراقها عند ما يمسها الانسان، وتنكمش اغصانها وتتدانى كأنها تشعر بالخطر المحدق

بها فتبتعد عنه ، وكأنها تستعد لمغالبة ذاك الذي جاء ينتزع منها الحياة .
وأغرب منها قواتل الحشرات التي تطبق أزهارها على الذباب فتميته وتعصره وتغتذى بعصارته بعد أن تحتال عليه بشتى الحيل لئلا يفلت منها فيفوتها رزقها وتفوتها الحياة .

أما الحشرات فلها أفانين واعاجيب في التشبث بالحياة والتعلق بها ولا سيا بواسطة أنسالها . والذي يتاح له أن يربي مثلي بعض أنواعها ويتابع سير حياتها بالمجهر أو بالعين أو بالعدسات يذهل من أساليب التلاقيح والتسافد بين الذكر والانثى ومن ضروب الحيل والقسوة التي ربما أدت بأحدها الى الهلاك في سبيل حفظ النسل وضمانة بقاء النوع حيا . وما من أحد الا وله معرفة بخلية النحل ويعسو بها ، وقرية النمل وأنابيرها ، وخيوط العناكب ومصايدها ، دع الحيوانات العليا وما تفتقه قرائحها من ضروب الحيل إما في اتقاء عدو أو تلمس قوت أو إخلاف نسل . والنتيجة في كل ذلك واحدة وهي بقاء النوع ببقاء الحياة فيه .

لكن ابن آدم الذي سمت مداركه ، كيف تلذله الحياة على ما فيها من شرور وآثام وآلام مبرحة ، ولماذا ترتعد فرائصه من الموت ، ويقف شعره لشدة فزعه منه ؛ وما هذه الشهوة الشديدة التي تدفعه الى الانتسال ، وتلك العاطفة الغريزية التي تجشمه أشد المتاعب وأضناها في تربية الابناء وإعدادهم للحياة . تمر كل هذه الأسئلة في خاطر الانسان فلا يحير لها جوابا لأنه لا يفقه شيئا عن ماهية الحياة ولا عن الغاية منها . وإذا بأصحاب مذهب العدم اي العدميين يتصبون قائلين : أما والحياة ليست سوى مجموعة من الآلام التي لا حد لها ولا نهاية ، فما علينا الآن نقضي عليها بقتل كل حي على هذه الكرة الأرضية الحمقاء . فيضحك العالم من هذا الرأي ويجيب : هبوا الناس قبلوا رأيكم هذا وعملوا به ، فماذا يحصل بعد ان تفقد الحياة على هذه الكرة ؟ هل تظل الأرض خالية من الأحياء ، تدور دون ان يدرك احد دورانها ، ويتعاقب الليل والنهار دون ان يحس احد تعاقبهما ؟ هذا ما لا يقبله العقل السليم .
والراجح ان العلة التي أوجدت الحياة ستعيدها سيرتها الأولى مهما تعددت آراء أصحاب الاديان والمذاهب والفلسفات المختلفة والعقائد المتناقضة والعلوم الحياتية المحدودة في تفسير هذه العلة وفى تحديد ماهيتها . وعندئذ تعود الحياة الى ما كانت عليه ، ويعود الأحياء الى التكاثر والتنوع والتناحر والتفاني وتكون نتيجة العمل برأى العدميين وقف الحياة بضعة ملايين من السنين ، وهي بعد لا تعد شيئا مذكورا في هذه الدهور الأبدية والكائنات السرمدية .

مسكين أنت أيها الانسان ! ما أشقاك بهذه الحياة ! عقل قاصر وجد عاثر ، وإدراك بسيط ، وحواس محدودة . تأتي الى هذه الحياة وأنفك راغم ، فتعيش بأوهامك وأخيلتك الشعرية التي لا ظل للحقيقة فيها ، ثم تجالد وتكافح وتتألم وتشقى وتتوهم السعادة أحياناً ، لكنك سرعان ما تهلك مقهوراً مدحوراً ، فلئن كانت لك أمنية في حياتك هذه فأجلها أن يسمو العقل البشري حتى يصير قادراً على اكتناه أحاجي هذا الكون الغامضة .

مِنْ طَرائفِ الشِّعْرِ

شوقية لم تنشر

نظمها شاعر الخلود شوقي بك

في الطلاب المصريين الذين يتعلمون في أوربا

قف حيّ شبان الحمى … قبل الرحيل بقافيه
عوّدتهم أمثالها … في الصالحات الباقيه
من كل ذات اشارة … ليست عليهم خافيه
قل يا شباب نصيحة … مما يزوّد غاليه
هل راعكم أن المدا … رس في الكنانة خاويه
هجرت فكل خليّة … من كل شهد خاليه
وتعطلت هالاتها … منكم وكانت حاليه
غدت السياسة وهي آ … مرة عليها ناهيه
فهجرتمو الوطن العز … يز إلى البلاد القاصيه

أنتم غـــداً فى عالم   هو والحضارة ناحيه

وأريت فيـــه شبيبتى   وقضيت فيـه ثمـــانيه

ما كنت ذا القلب الغليـ   ظ ولا الطباع الجافيه

سيروا به تتعلموا   سر الحياة العاليــه

وتأملوا البنيان واد   كروا الجهود البـــانيه

ذوقوا الثمـــار جنية   وردوا المناهل صافيـــه

واقضوا الشباب فان سا   عته القصــــيرة فانيه

واقه لا حرج عليـ   كم فى حـــديث الغانيه

أو فى اشتهاء السحر من   لحظ العيون الساجيــه

أو فى المسارح فهى بالنـ   ـفس اللطيفة راقيـــه

المحزون !!

لشاعر سورية الأستاذ خليل مردم بك

أغنِ اللهمَّ من صو   رته من حزنْ

ألف الحزنَ فلو فا   رقه الحزنُ بكاه

وجفا اللهوَ فلو وآ   صله اللهو شكاه

نفسه ليس لها غيـ   ـر الأسى من سكنِ

الأسى فى مقلتيه   قد محا كل ضياه

جاعل فى مسمعيه   كل صوت كالبكاه

إن ما يبصر أو يسـ   ـمع داعى الشجن

درج الطفل اليـــه   ضاحكا مستبشرا

ناشراً كلتا يديه   كالمصـــلى كبرا

أو كطير همّ بالاسـ   ـفاف عن غصن

ضمه المحزون لا يمـ   ـلك رد العبرات

ذاكراً يوماً وإن طا   ل التراخى فهو آت

تصدع الشمل به جو   راً صروف الزمنِ

لو تراه والتى ها   م بها عند التلاقى

خلته يلفظ روحاً   بلغت منه التراقى

مغمض الجفنين للغصـ   ـة لا للوسن

قال: لا آسى إذا لا   قيت يوماً مصرعى

انما أخشى على حبـ   ـى أن يودى معى

فاحفظ اللهم هذا الـ   ـحب واحرس وصنِ

وإذا قبـــلى ماتت   ما عسانى أصنع

هل يؤدى حق حزنى   ان تفيض الأدمع

لا وربى دون أن نمـ   ـسى معاً فى كفن

ورأى الظالم لا يـر   قب فى المظلوم ذمه

فبكى حزناً لمن عرّ   ى من عدل ورحمه

وغلى من بشديد الـ   ـجور والظـــلم منى

قال: ياذا المال مافى الـ   ـمال لى من مطمع

اى شىء هو اغلى   من لآلى الادمع

هل رأت عيناك دراً   غيرها فى الأعين ؟

فانا املك منها   ثروة لا تنفـــد

وانا ، إلا بها فى   كل مال ازهـــد

وجدها كم كشفت   عنى ظـــلال المحن

لا ترد منى شعراً   ولو ان الشعر سحر

كلما انشدت شطراً   فاض من روحى شطر

يا لروح بين أبيا   ت له مرتهن

نبذ الاديان يعتد   بها كل غبى

وجفا الاسلام لو لم   يك دين العرب

فهمو لو عبدوا الأو ... ثان آمسى وثنى

ما احب العرب الأ ... منذ لاقوا المحنا
فهم قد زرعوا ... لكن سواهم قد جنى
كم لقوا سوءا بصنع ... قدموه حسن

ضاق بالاحزان ذرعاً ... فاتيحي الروض النضير
يتغنى بنشيد ... مثل اسجاع الطيور
نفسه قد نشرت مع ... ه ولما تثن

وهزار مع ورقا ... ء عليه عكفا
قال للورقاء مابا ... ل اخي البلوى غفا؟
قالت الورقاء بل ير ... حمه الله فني!

السكك الحديدية تحت الارض

للاستاذ فخرى ابو السعود

تخلصت من زحمة الدنيا وضجتها
إلى طرائق تحت الارض تنسرب
جرت مفاوزها في كل ناحية
فلم تزل تتلاقى ثم تنشعب
ظلماء جون كأحجار الأراقم قد
مدوا لها سبباً في إثره سبب
تجرى بها مركبات ما يزال لها
تحت الثرى والدياجي مسلك عجب
تسري بها دافع للكهرباء فلم
تقذف دخاناً ولم يزفر بها لهب
شتيمة الوجه إذ تنسل ساربة
مثل الثعابين في أنيابها العطب
ترى على سفر طول المدى فاذا
حواتها صفروا سالت بها القضب
إن يبتغوا انطلقت أو يبتغوا وقفت
لم تشك أيناً ولم يعلق بها لغب
تظل ذاهبة منهم وآيبة
تمضى مولولة صخبى وتنقلب
يرمى بها نفق داج إلى نفق
وينطوى سرب من بعده سرب
كأنما هي سعلاة بها كلب
أو أنها طالب قد شفه الطلب
تجري النهار وماتدري له وضحاً
وداجي الليل لاتبدو له شهب
تظل تقطع أنحاء المدينة لم
يشعر على الارض من جاءوا ومن ذهبوا
وتنثني في الدياجي غير حافلة
بمن مشوا في ضياء الشمس أو ركبوا
فكل نهج لها أنى مضت جدد
وكل قاص إذا رامته مقترب

الى شباب العيد

للاستاذ محمود الخفيف

جددوا العزم فالزمان أهابا ... وخذوا الحذر واستحثوا الركابا
ألبسوا العيد روقة وجلالا ... قد ظمأنا اليهما أحقابا
واملأوا مهرجانكم كبرياء ... وطموحا وعزة وغلابا
وانشدوا المجد بكرة وأصيلا ... واذكروا مصر جيئة وذهابا
وابعثوا في البلاد صوتا قويا ... فستلقون صوتكم مستجابا
وافيضوا من الحماس علينا ... فسينصب في القلوب انصبابا
وانظموا العزم والوفاء كتابا ... وانشروا في الجموع ذاك الكتابا

وأتركوا الكيد والخصام لقوم ... لا يرون الجهاد الاسبابا

أيها المنكر الحيــاة علينا ... أقصر اللوم هل رأيت الشبابا؟

انظر اليوم كيف قاموا بأمر ... يملأ الشرق كله اعجابا!

رأوا النيل راسفا فى قيود ... صاغها الجور تستذل الرقابا

جنة الأرض أصبحت نهب قوم ... أخذوا الشرق عنوة واتهابا

يشرب الرنق أهلها فى هوان ... ويبيتون فى حماها سغابا

يمرح الطامعون فيها اختيالا ... ويقاسى الاحرار فيها اغترابا

فأبت نخوة الشباب عليهم ... أن يناموا ومصر تلقى العذابا

فسعوا للكفاح سعيا حثيثا ... أرأيت الشبول هبت غضابا؟

نضر الله وجه مصر بقوم ... مسحوا عن جبين مصر الترابا

أجمعوا أمرهم وساروا جموعا ... يتخطون بالثبات الصعابا

لهم المجد تالدا وطريفا ... والمعالى وراثة واكتسابا

كل يوم لهم بمصر نداء ... ولهم عزمة تذيب الصلابا

اسألوا مصر عنهمو يوم قاموا ... لا يخافون بطشة أو عقابا

يرفعون اللواء صفا ويمشو ... ن سهاما الى الردى أسرابا

زمر تبذل النفوس وتحدو ... ضاحكات لدى المنون طرابا!

كتبوا صفحة الغزاء لمصر ... بدم كان كالعباب انسيابا

يا شبول العرين فى مصر هيا ... أبعدوا عن ربوع مصر الذئابا

لست أدعوكمو لكيد ولكن ... أبتغى الرشد عندكم والصوابا

نافسوا الطامعين بالجد وامضوا ... قد كفانا تصايحاً واعتصابا

لا تقولوا ضيوفنا بعد هذا ... أسمعتم عواءهم والسبابا؟

نحن أولى اذا أردتم ملاما ... فاصرفوا اللوم عنهمو والعتابا

وأهيبوا بقومكم أن أفيقوا ... ان للمحسنين منكم ثوابا

قد سئمنا ترددا ونكولا ... وخنوعا وغفلة وارتيابا

سبل العيش مهدوها وسيروا ... فى حمى النيل جحفلا غلابا

أنتم اليوم للبلاد عتاد ... وغدا سوف تدركون الطلابا

الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية

— السلم الموسيقى —

— ٢ —

هل توجد حقا فروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية؟ يقول الموسيقيون الغربيون بوجود هذه الفروق ظاهرة واضحة لاسبيل الى إنكارها أو الشك فيها، ويؤمن الموسيقيون الشرقيون بهذا الرأى، ويذهبون الى أبعد حدود الفكر، ثم تقوم القائمة بين مفكريهم، فى هل تظل هذه الفروق على ماهى عليه أبدا، أم نقرب بينهما لفائدة الموسيقى الشرقية ونهضتها. ولكل رأى أنصاره ولكل رأى الداعون إليه بقوة وإيمان.

أما من أين نشأ هذا الخلاف، وهل كان منذ أن عرف العالم شيئا اسمه موسيقى، أم أنها كانت واحدة فى بدئها ثم انقسمت إلى فرق وشيع باختلاف أذواق من اشتغلوا بها والمؤثرات التى أحاطت بهم. للجواب على هذا السؤال يلزمنا أن نمهد له بذكر شىء يسير من تاريخ الموسيقى ونشأتها وتطورها والنواحى التى اتجهت اليها:

يقول التاريخ إن أقدم حضارة عرفها العالم هى فى الأمة المصرية القديمة، وإن أقدم موسيقى عرفها التاريخ هى موسيقى قدماء المصريين. لايخالفنا فى ذلك مخالف، غير أن بعض من بحثوا فى تاريخ الموسيقى من الغربيين يميلون الى نسبة الموسيقى القديمة إلى فلاسفة الاغريق، وأنهم أول من وضعوا قواعدها وأصولها، ولعل فى ذلك روح من تعصبهم فى البحث وعدم إيرادهم الحقيقة فى كثير منها مادام الفضل سيعود من ورائها إلى الشرق وأهله، أم لعل ذلك راجع إلى أن أقدم ما عثروا عليه من كتب الموسيقى، هو لفلاسفة اليونان القدماء.

ومما لاشك فيه أن الموسيقى كانت تدرس عند قدماء المصريين وكانت لها قواعدها وآدابها، ففى الحروب كانت تذكى نيران الاقدام والبسالة، وفى المعابد كانت تبعث الخشوع والايمان، وفى قصور الملوك وفى دور النبلاء كان للموسيقى المكان الأسمى.

ذلك ما تدلنا عليه آثارهم المحفورة فى المعابد والهياكل والقبور. وأقدم الآلات التى عرفها التاريخ هى الناى والمزمار والليرا وهى من صنع قدماء المصريين. ويقول هيرودتس المؤرخ القديم .. إن

من أعظم الاحتفالات المصرية ، الاحتفال بعيد الاله أزوريس ، فكان الكهان يحملون تماثيل الاله من الذهب الخالص ، وفريق منهم ينشد الأغانى الدينية وفريق منهم يعزف على الناى .

واخذ بنو اسرائيل الموسيقى عن المصريين ، ونبغ منهم أفراد ، وفى أقاصيصهم عن سحر مزمار داود وأثره فى الطير والحيوان الكثير. وعند خروجهم من مصر نشروا فى مختلف البطاح والوديان ماعرفوه من العلوم الموسيقية ، ولعل اقدم نشيد عرفه التاريخ هو نشيد ميريام الذى أنشد عند عبورهم البحر الاحمر .

وأخذ الاغريق الموسيقى واصولها عن المصريين والعبرانيين ، وتدرجت الموسيقى فى الغرب من المعابد الى قصور الخاصة ثم الى المحافل العامة وتطورت بتطور المجتمع الغربى وتأثرت بما تأثر به من مختلف التأثيرات . وانتشرت فى الشرق من بلاد الفرس الى العرب الى مايجاورها من بلاد الشرق وتأثرت بما تأثر به المجتمع الشرقى من عادات وأخلاق وطبائع ؛ وعرفنا نحن من هذا أن اصل الموسيقى فى العالم واحد وانها كانت فى بدايتها ولا اختلاف فيها ولا تقاسيم . ولنتكلم الآن عن أول تقسيم للسلم الموسيقى عرف فى التاريخ وهو المسمى سلم فيثاغورس وتقسيمه كما يلى من اليسار الى اليمين

دو ... سى ... لا ... صول ... فا ... مى ... رى ... دو

ليما ... مسافة كبيرة ... مسافة كبيرة ... مسافة كبيرة ... ليما ... مسافة كبيرة ... مسافة كبيرة

أى أنه مقسم الى مسافتين صوتيتين كاملتين ثم نصف مسافة صوتية ناقصة (ليما) ثم ثلاث مسافات صوتيات كاملات ثم ليما . وهذا السلم يكاد يقابل سلما شرقيا لنغمة عجم عشيران ، من حيث نسب المسافات الموجودة بين مقاماته وترتيبها كما يلى من اليسار الى اليمين تصاعديا :

عجم .... حسينى ... نواه .... جهاركاه ... كردى ... دوكاه ... راست .... عجم عشيران وهذا ما يطلق عليه بالاصطلاح العربى الحديث اسم السلم الكبير Gamme Majeur . وأول سلم شرقى عرف هو السلم الفارسى العام وترتيب درجاته كما يلى :

هفتكاه ... ششكاه ... بنجكاه ... جهاركاه ... سيكاه ... دوكاه ... يكاه

ولما استعملت الاصطلاحات الموسيقية الفارسية فى المجتمعات العربية حصل بعض تعديل فى أسماء المقامات فتغير اسم هفتكاه الى اوج واسم ششكاه الى حسينى وبنجكاه الى نواه ويكاه الى رصد واستعمل اسم مقام يكاه للمقام الاول فى ترتيب أوتار العود وهى نغمة قرار النواه .

المسافات الصوتية العامة .

— — — — — — —

١- المسافة الصوتية العامة Ton Majeur وقيمتها ٨/٩

٢- « « الناقصة Mineur « « ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦

٣- نصف المسافة الكاملة Majenr « Demi « ٢٠٤٨/٢١٨٧

٤- « « الناقصة Mineur « « ٢٤٣/٢٥٦

٥- الفرق بين المسافة الناقصة والمسافة الكاملة وتسمى كوما « ٥٢٤٢٨٨/٥٣١٤٤١

ولتفهيم معنى تلك القيم الكسرية للمسافات ، نفرض أن هناك نغمتين متاليتين الأولى ا والثانية ب ، وأردنا أن نعرف قيمة المسافة الصوتية الموجودة بينهما . لذلك نضبط وتر الصونومتر (جهاز يستعمله علماء الطبيعة لقياس الاصوات بواسطة الأوتار) حتى يصدر النغمة ا فيكون طوله عبارة عن مقام الكسر ، ثم نحرك ضابط الصونومتر المتحرك على الوتر حتى يصدر النغمة ب فيكون طوله حينئذ عبارة عن بسط الكسر ويصبح عندنا كسرا حسابيا يدلنا على قيمة المسافة الصوتية بين نغمتى ا ، ب (وهذا باعتبار أن نغمة ا أوطأ من نغمة ب .

تلك المسافات هى المقاييس الصوتية العامه سواء كانت للموسيقى الشرقية أم الغربية ، ولكن الموسيقيين الغربيين لايتبعون الآن فى تقسيم سلمهم إلا المسافة الكاملة ونصف المسافة المقرب وهو يساوى عدديا ١٥/١٦ ويطلقون عليه اسم السلم المقرب Gamme tempéré وترتيب مسافاته كما يلى

٨/٩ .. ٨/٩ .. ١٥/١٦ .. ٨/٩ .. ٨/٩ .. ٨/٩ .. ١٥/١٦

بينما يتبع السلم الموسيقى الشرقى الدقة فى مسافاته وتقسيمه العام هكذا

$$\times \ldots \frac{٨}{٩} \ldots \times \ldots \frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧} \ldots \times \ldots \frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$$

$$\ldots \times \ldots \frac{٨}{٩} \ldots \times \ldots \frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧} \ldots \times \ldots \frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$$

$$\ldots \times \ldots \frac{٨}{٩} \ldots \times$$

ومن هنا نشأ خلافان أساسيان أولهما أن السلم الغربى لا يستعمل المسافة الناقصة ، وثانيهما أن نصف المسافة الثانية فى السلم الغربى يقع آخر مسافة ، بينما فى السلم الشرقى يوجد نصف المسافة الثانية بين المقامين السادس والسابع .

تقسيم المسافات الصوتية فى السلم الغربى الحديث

قسم الموسيقيون الغربيون المسافة الصوتية الى قسمين متساويين فالمسافة مثلا بين دو ، رى يقع فى منتصفها تماما نصف مقام يسمى عند نسبته تصاعديا دو دييز وعند نسبته تنازليا رى بمول وفى التقسيم العلمى الصحيح نجد أن علامة دييز تكون لرفع المقام الذى تنسب اليه خمس كومات كاملة ، وعلامة بمول لخفضه خمس كومات كاملة ، ولما كانت المسافة الكاملة مقسمة الى تسع كومات وهو التقسيم الذى يقربه فيثاغورس ، إذاً أصبح موقع دو دييز غير موقع رى بمول ، أى أننا عندما نريد تقسيم المسافة بين دو ، رى بحساب علامتى الدييز والبمول ، يلزمنا تقسيمها الى ثلاثة أقسام كما يلى :

رى . . . . دو دييز . . . رى بمول . . . . دو

غير أن علماء الصوت والموسيقى يحتجون بأن الأذن لا يمكنها التمييز بين نغمتين الفرق بينهما كومة واحدة ، ولذا استغنوا عن ذلك التقسيم الصحيح الدقيق واعتبروه نظريا بحتا ، وأصبح لا يوجد فرق بين دو دييز ورى بمول وأصبح موقعهما واحدا كما فى البيان . وان كان هناك بعض الموسيقيين الكلاسيك ممن لا يخضعون لهذا التقسيم ولا يستعملون الآلات ذات الدرجات الثابتة .

تقسيم المسافات الصوتية فى السلم الشرقى

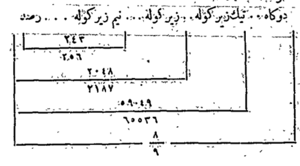
ظل الموسيقيون الشرقيون القدماء يستعملون التقاسيم الدقيقة فى سلمهم الموسيقى ، وما زالت المسافات الصوتية فى السلم الشرقى هى الجنس المسافات التى بيناها وهى المسافة الكاملة والمسافة الناقصة ونصف المسافة الكاملة ونصف المسافة الناقصة ثم الكومة ،

وسنبين الآن كيفية التقسيم ليتضح لنا عظم الفرق بين التقسيم الشرقى ودقته ، والتقسيم الغربى وبساطته .

١ ـ المسافة الصوتية الكاملة $\frac{٨}{٩}$

تقسم الى أربعة أقسام ، فمثلا بين الرصد والدوكاه توجد النيم زيركولاه ، وبعدها عن مقام الرصد عبارة عن نصف مسافة ناقصة ثم تليها الزيركولاه وتبعد عن الرصد نصف مسافة كاملة ، ثم التيك زيركولاه وبينها وبين الرصد مسافة ناقصة ثم الدوكاه وبعدها عن الرصد مسافة كاملة .

دوكاه . . تيك زيركوله . . زيركوله . . . نيم زيركوله . . . رصد



٢ ـ المسافة الصوتية الناقصة $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$

تقسم الى ثلاثة أقسام فمثلا من الدوكاه الى السيكاه يوجد الكردى وبعده عن الدوكاه نصف مسافه صوتيه ناقصه ثم التيك كردى ويبعد عن الدوكاه نصف مسافه كامله ، ثم السيكاه

سيكاه . . . . تيك كردى . . . . كردى . . . . دوكاه

٣ ـ نصف المسافه الكامله $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$

تقسم الى ثلاثة اقسام ، فمثلا من السيكاه الى الجهاركاه ، يوجد البوسلك وبعده عن السيكاه كومه واحده ثم التيك بوسلك وبعده عن السيكاه نصف مسافه ناقصه ثم الجهاركاه وبعده عن السيكاه نصف مسافه كامله

جهاركاه . . . تيك بوسلك . . . بوسلك . . . سيكاه

وعلى ذلك يكون ترتيب الرباعى الأول والثانى اللذان يكونان السلم الشرقى هكذا

رصد $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ عراق $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ عشيران $\frac{٨}{٩}$ يكاه

الرباعى الاول tetracord

جهاركاه $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ سيكاه $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ دوكاه $\frac{٨}{٩}$ رصد

الرباعى الثانى



العنصرية

للدكتور احمد زكى

قامت النازية الالمانية على مبادىء عدة ، منها السياسى ومنها الاقتصادى ومنها الادارى ، ولكن لعل أخطر من هؤلاء جميعاً وأكثر وروداً على ألسنة خطبائها ، وأسرع إذكاء لحمية مستمعيهم ، ذلك المبدأ الغالى الذى يعتمد على القومية الخالصة والدم الصريح ، فى استنهاض الشعب الجرمانى الى كل ما تقول به النازية وتدعو اليه من العقائد والأعمال .

لو أن النازية قصدت إلى تمجيد قومها ، وغالت فى ذلك ما شاءت وشاءت لها الدعاية ، لما شكا أحد مما تقول ، ولو أنها غالت حتى ألهتهم ، لنظرت اليها الامم بابتسامة عريضة يستتر وراءها أغتباط هاذىء من تذوق فكاهة هائلة ، فى عالم يحسن أن تكثر فيه الملح والنكات . أما وقد أرادت أن تمجد قومها بتجريد غيرها من الاقوام ، وأن تزيد فى أولئك بانتقاص هؤلاء ، فقد أثارت حفائظ الأمم ، وأيقظت عزة الأجناس البشرية ، فاستقاموا فى جلستهم يستمعون الجد حسبوه مزاحا ، وتقطبت من جباههم أسارير للتفكير ، بعد أن كانت قد انبسطت وجوههم بالبشر ، وذلك لما رأوا المهزلة تستحيل الى مأساة ، ووجدوا النازية تطرح على كتفيها روب الأستاذ العالم الانثروبولوجى ، ينظر فى أصول الامم ، ويقدر قيم الأصلاب ، ويضع الخلق فى منازل تعلوها جميعاً تلك النطف الجرمانية التى ادخرتها الآلهة على الأجيال ، لتنحدر الى الوجود فى القرن العشرين فتكون للناس سادة أمثالا ، وتكون هدى وبشرى للعالمين . وكل ذلك باسم العلم .

لذلك تصدى للرد على هذه النظرية التى اتخذت صورة علمية رجال من رجالات العلم ، ولعل أكثر هؤلاء اعتدالا رجل متحدر هو نفسه من أصلاب جرمانية ، ذلك هو « ملكولم بيسل » الأستاذ بجامعة كاليفورنيا . قال :

قل من يخالف فى أن الجنس الجرمانى جنس عظيم ، وأما أنه أعظم جنس كان فى كل زمان ومكان ، وأن كل مدنية كانت وتكون ، اعتمدت وستعتمد على هذا الجنس ، فذلك ما لا تحتمله أكبر المخيلات إسرافا ، ولا تتسع له أكثر الحلوم رخاوة وسماحة . ومثل هذه المغالاة ، لاسيما اذا استعير لها لسان العلم ، ستظل دائماً نذيراً بأن الانسان لا تزال عواطفه سيدة عقله ، وهواه حاكم صوابه . يدخل الأمر نفوسنا ويستأذن فى لطف على قلوبنا ، فيجد كل أهوائنا توافقه ،

ومن هذين الرباعيين يتكون السلم الموسيقى الشرقى العام مع اضافة مسافة صوتية كاملة بعد الجهاركاه ليختم السلم بجواب مقام اليكاه وهو النواه . ويصبح ترتيبه كاملا كما يلى

نواه $\frac{٨}{٩}$ جهاركاه $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ سيكاه $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ دوكاه $\frac{٨}{٩}$

رصد $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ عراق $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ عشيران $\frac{٨}{٩}$ يكاه

بقى بعد توضيح الفوارق بين تقسيم السلمين الشرقى والغربى ان نذكر شيئا عن الانغام والأوزان فى كلتى الموسيقتين ، وارجو لو سنحت فرصة قريبة ان شاء الله على صفحات من الرسالة المقبله .

مدحت عاصم

وكل ميولنا تناصره ، فنألف هذا الأمر ، ثم نعتقده ؛ ثم من بعد ذلك نتطلب الحجج على أنه الحق . نعتقد صواب شيء ، نعتقد أن الجرمانيين سادة الأجناس لأننا نحن جرمانيون ، أو أن النصرانية أقوم الأديان لأننا نحن نصرانيون ، أو أن هذا الحزب أصدق الأحزاب لأننا له متحزبون ، ثم من بعد هذا ، ومن بعد هذا فقط ، ننظر في الأدلة لنصرة معتقدنا ، ونخرج في سهولة أو يسر تلك البراهين التي تعزز مذهبنا ، وتلك الأدلة لاشك آتية ، وتلك البراهين لاشك غير مستعصية . وبذلك نحسب أن عملية التخريج تمت ، وأن العلاقة بين السبب والمسبَّب استبانت ، فنتأكد بذلك معتقدنا ويزيد به إيماننا ، ونحن نتبع أسلوب هذا المنطق الطريف غير شاعرين ولا متيقظين اليه ، ويتبعه العلماء كما يتبعه السوقة بمثل تلك الغفلة ، فهو أسلوب متستر خفي ، أخطر ما فيه تستره وخفاؤه

ليس في دعاوى النازية اليوم من جديد ، فهي تكملة للدعوى التي بدأت في القرن التاسع عشر ، وهي مثل من أمثلة عدة لم يسلم منها قرن من القرون ولا شعب من الشعوب ، فالشعوب ذاتيا تميل للسيطرة على الشعوب بدعوى تفوق الجنس ، وتستغلهم بحجة قوة الدماء وخلوصها ، وتبعث فيهم حسًّا بحقارة أنفسهم لفقر وخلط في دمائهم ، وخسة في أصولهم : فهي إذن دعاوى للعيش وأسباب للغلبة ، أكثر منها دعاوى في العلم وقضايا في المنطق.

ليس مذهب الجرمانية الافرعا من مذهب الآرية ، وكان من أكبر دعاة هذا المذهب وشارحيه ، الكونت « جوزف دى جوبينو Josef Arthur de Gobineau » ، كان فرنسيا أرستقراطيا مات عام ١٨٨٢ ادعى جوبينو أن الآريين خلقوا ثم أمدوا بالروح والعمر كل ما هو جميل وعظيم في الحضارة ، ونسى أن يثبت وجود هؤلاء الآريين كجنس واحد نقي خالص . أن فكرة الآرية نشأت من دراسة لغات بعض الامم الاوروبية وبعض الامم الاسيوية ، والاهتداء الى وجود أشباه بين تلك اللغات ، أدى الى افتراض أنها جميعا مشتقة من لغة واحدة هي الآرية ، وذلك فرض على لا شبهة فيه. استنتج جوبينو وأشياعه من وجود لغة آرية وجود شعب آري قديم عزا اليه حضارات الازمان الخوالى ، وزعم أن هذا الجنس الآرى هاجر الى شمال أوروبا فتحدرت منه الشعوب التيوتونية والانجلو سكسونية ، فهي لذلك سبب الحضارات الحالية والعلة في استمرار وجودها . وفات جوبينو أن وجود لغة واحدة ليس بدليل قاطع على وجود جنس واحد ، وان اتحاد اللغات في أمتين أو أمم ليس بحجة على اتحاد الاصلين او الاصول ، فقديما ما أعارت الامم اللغات واستعارت ، فوجود جنس آري كالذى تحسبه النازية اليوم ، لم يقم عليه أى دليل

والعنصر الجرماني نفسه مجهول الاصل ، وفوق هذا فلا يستطيع أحد ان يدعى له أرومة خالصة . انه عنصر شديد قوي ، ولا شك أن اختلاط دمه بدماء أوروبا الوسطى والجنوبية كان له أثر كبير فيما حدث هناك من التقدم والارتقاء ، ولكن ما يقال في العنصر الجرماني يقال في سائر العناصر ، فكثيرا ما أدى اختلاط عنصرين الى عنصر جديد أشد وأكبر حياة من أصليه .

على أن العلماء اليوم لا يستطيع بثقة أن ينسب الى أية مجموعة بشرية ، خصالا خاصة عتيقة ثابتة فيها ، لأنه الى اليوم لا يدرى كيف يقيس هذه الخصال برغم ما أسموه « مقاييس الذكاء » ، فتلك مقاييس ثبت مراراً وتكراراً أنها لا تقيس الذكاء وحده وانما تقيس معه آثاراً من البيئة والثقافة لا يمكن عزلها عنه . ومع هذا لا نفتأ نسمع الخرافة الجرمانية تلوكها الألسن ، وتتردد على الأسماع ، فمجد الاغريق كان بسبب غزو الجرمان ، وروما دام عزها وبقى سلطانها ابقاء دمها الجرماني خالصا صريحا ، فلما اختلط حاق بها ما حاق ، واسبانيا لم تستيقظ الى ما استيقظت اليه الا بسبب ما دخل عروقها من الدم التيوتوني ، « والنهضة » الاوروبية نفسها لم تكن الا ظاهرة جرمانية صرفة

يقولون ان الرومان والاغريقين كانوا وهم في أوج عزهم جرمانيين صرحاء . ليس من السهل الحكم على ما كانت تتألف

منه أمم قديمة كالاغريق والرومان ، ولكن من الثابت أنه فى العصور التى سبقت ، كانت حروب وكانت فتوح ، وكانت غلبة وكان انغلاب ، وكانت هجرة وكان تشتت ، فلم يرتبط قوم بأرض ، ولم ينعزل جنس بسبب ذلك عن جنس ، فلم يكن فى عصر الاغريق ولا فى عصر الرومان دم لم يختلط ، ولا عنصر لم يتلقح ، فكل ما يقال عن خلاص السابينين Sabines (١) والاترسكانيين Etrucsans (٢) وحتى عن نقاء الرومان والاغريق ، لا تمكن تدعيمه على ماهو معروف اليوم فى علم الاجناس . قالوا وشادوا بان الاسبرطيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك أدخلهم « دكسن » Dixon فى عداد الالبيين Alpines وقالوا وشادوا بأن الاترسكانيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك قال عنهم هرتس Hertz مؤلف «الشعوب والمدنية» أنهم لم يكونوا من المجموعة الهندية الجرمانية ، وأن هذا ثابت ثبوت يقين

ان العنصر له أثر لا ينكر فى احداث المدنيات وتنشىء الشعوب ولكن هناك أمور أخرى لا تقل آثارها عن أثره ، ولا تنجباعن نتائجه ، وهى تلك التى ينكرها المتصلفون من دعاة العنصرية وغلاتها . ليس من العلم فى شىء أن ننسب عظمة الاسبان مثلا الى دخول الدم الجرمانى اليهم ، وسقوطهم الى دخول دماء اخرى غير جرمانية ، ثم نغفل العوامل التاريخية والجغرافية الكبرى التى كان لها أثر كبير فى تلك الرفعة وهذا الهبوط . واذا عزونا كل مدنية الى الدم الجرمانى وكل تقدم اليه ، فكيف نفسر تلك المدنية العربية التى ازدهرت يوما ما فى الاندلس وظالت ما حولها من المدنيات الاوروبية طولا كبيرا

ان إبطال الدعوى الجرمانيه بل تسخيفها عمل يسير هين . ولكن العمل الشاق الذى يتعب الافهام ويجهد العقول ، انما هو تسبيب نشوء المدنيات ، وتسبيب انحطاطها أو زوالها . الناس تجنح دائما كما يجنح الالمان اليوم الى جعل العنصر العامل الوحيد فى ذلك ، الذى تتضاءل دونه العوامل ، والسبب الذى لا تستأهل سائر الاسباب الى جانبه ذكرا . خطأ كبير تغذيه العاطفة ، وسهولة فى تبسيط القضايا لا تسيغها العقول العلمية الهادئة . من بدء أزمان لا تقدر ، الى ما قبل قرون قلائل كان الجنس الجرمانى يسكن شمال القارة الاوروبية ، وكان جنسا غير مذكور ولا مأبوه له ، وكان أحط الامم الاوروبية سكانا ، فاين كانت خواصه الالهية ، وصفاته السماوية كل تلك القرون ؟ أكان عاجزا عن خلق مدنية لنفسه ؟ أم هى المدنية نشأت عند غيره وقريبا منه ، ومع ذلك خاب برغم قرب المساس عن اقتباسها واستعارتها ؟ أم الحقيقة هى التى تقول ، ان العنصر وحده غير كاف لخلق المدنيات واستنباط الحضارات

بدأت الحضارات فى مصر والعراق والهند وشرق البحر الابيض ، ومشى التاريخ قدما فانتقلت مراكزها الى اواسط هذا البحر ثم الى غربه ، ثم مشى التاريخ خطوات أخرى فبلغت الحضارة بحر الشمال والمحيط الاطلسى ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، بدأ العنصر الجرمانى يظهر فى التاريخ ، فان كان العنصر وحده قمينا بكل شىء فكيف ظل الجرمان ابرة كل الاحقاب بينما كانت العناصر الاخرى ، وهى وطيئة فى زعمهم ، تخترع الحروف وتبتدع الارقام وتخط البحار بالتجارة وتبنى الدول وتقيم الحضارات

ان الجزر البريطانية تألفت سكانها فى القرن الثانى عشر من نفس العناصر التى تتألف منها فى القرن العشرين ، الا فى اليسير الحقير ، وقد كانت فى اوائل القرن السادس عشر جزرا لا شأن لها ولا خطر ، ولم يمض على ذلك العهد غير قرنين حتى وجدناها قوة عظيمة فى دول العالم ، فكيف جاءها هذا الشأن وذلك الخطر ، والعنصر هو هو لم يتغير ؟ أليست العوامل التاريخية والجغرافيه اذن أبعد أثرا من كل ماعداها ؟ كانت الجزر البريطانية فى طرف اوربا ، والحضارة متركزة فى شرق البحر الابيض أو وسطه ، فلم يكن لبريطانيا ذلك المساس الذى لا بد منه لاشتعال الثقاب ، لذلك لم يكن لها فى الحضارة

(١) شعب ايطالى قديم كان يعيش فى جبال أبنينى الوسطى
(٢) شعب آخر قديم كان يسكن أواسط ايطاليا

قول كبير ولا عمل خطير ، ثم استكشفت أمريكا ، وبين عشية وضحاها انقذفت بريطانيا فى وسط المسرح العالمى ، فلم يكن لها بد من تمثيل دورها ، وانتقل مركز المدنية الى غرب أوربا حيث بقى ويبقى سنين طوالا ، حتى أصبحت لفظة الغرب علما على المدنية ، واصبحت انجلترا قائدة الأمم ، وان كان لعنصرها الجرمانى أثر فى هذا الانقلاب ، فهو لا يقارب فى شدته الأثر الذى للحوادث والتاريخ والجغرافيا معا . ولنفس تلك الاسباب زالت عن ايطاليا تلك السيادة التى كانت لها يوم تربعها فى وسط المسرح العالمى ، فى وسط البحر الابيض المتوسط حينما كان هذا البحر عظيما لوقوعه فى الطريق الى الشرق وأممه . ولكن كشف امريكا قذف بايطاليا حفيدة الرومان من بؤرة الرقعة الى طرفها ، وفى الوقت نفسه كشفوا عن طريق الهند الآخر ، فلم يكن بد من نزول ايطاليا حفيدة الرومان عن قوتها وثروتها وجاهها نزولا سريعا كسرعة الحوادث فى ذلك المكان الغربى النائى من سطح الارض . فهل ننسب هذا النزول الى العنصر وهو الذى اليه نسبنا الصعود فى سالف الدهور ؟

ثم المخترعات الحديثة وعلى رأسها البخار ، أحدثت فى العالم السياسى والاجتماعى والاقتصادى احداثا أين منها أثر العنصر ؟ ان التاريخ فى القرنين الفائتين كتب بالفحم الاسود والحضارات قيست بعدد الاحصنة البخارية التى للامم ، حضارات بنيت على الفحم والحديد ، فالفحم والحديد عاملان جغرافيان أين منهما أثر العنصر ؟ فلو لم يكن فى صخور انجلترا وامريكا ذلك الذخر الكبير من الوقود الصلب والسائل لكان للتاريخ الأخير مجرى غير الذى كان برغم العنصرية ودعاتها

ان الامم كالافراد يتألف نجاحها من عاملين ، عامل الوراثة وعامل البيئة ، ومن عوامل البيئة العوامل الجغرافية التى ذكرنا مثلا منها ، ولعوامل البيئة هذه أثر لا يناهض فى تقدم الانسان أو تأخره ، وهى على الأقل تضع حداً جازماً لتقدمه لا يمكنه تجاوزه . والحضارات أنتجت انسانية نادرة نشأت من الأرض فى بقاع متفرقة ، كانت كلها نتيجة انفعال الانسان لبيئته وتفاعله معها وتغيير نفسه وحاله وفقا لها ، وعلى هذا لا يمكن مقارنة مدنية بمدنية ولا مقدرة شعب بشعب الا إذا قارنا بيئتيهما وهذا جد عسير ، ودون هذا لا تمكن اقامة الدعوى على أن قوماً غير أهل لمدنية لانهم وهم فى بيئة خاصة خابوا فيما حاولوه . ان الماياس Mayas واليوكاتان Yucatan قبيلان من الناس كبيران كانت لهما مدنيتان زاهرتان فى أمريكا الوسطى قبل الفتح الكولومبى بقرون فلو أنك قرنتهما بالاغريق فربما خرجت بأنهما دون هؤلاء عنصراً ، لانهما لم يأتيا بمثل ما أتى الاغريق . ولكن اذا علمت ان هذين القبيلين كانا يعملان فى عسر من الطبيعة شاق ، فقد حرمتهما الدواب وحرمتهما الحديد ، فلم يعرفا لهذه رسما ولا لهذا اسما ، وامتحنت بعد ذلك ما خلفا لوقعا من نفسك موقعا قد يناهض موقع الاغريق أو يعلوه

احمد زكى

رسالة العلم

صحيفة علمية نصف سنوية أصدرتها جمعية خريجى كلية العلوم فى مائة وخمسين صفحة كلها مليئة بالمقالات العلمية الممتعة فى كل ضرب من ضروب العلم ، بأقلام طائفة من الشباب العاقل الرزين المنتج ، مجموعة من بواكير لا تحسبها عند القراءة بواكير . كتبت للجمهور المثقف العالى ، جمعت الى سهولة اللفظ صواب الحقيقة فى وفرة ولذة وحسن اختيار ، فالرسالة تهنىء تلك الطائفة الكريمة بما انتجت ، وتغتبط بالمعنى الذى أوحى لها الاسم الذى اختارته لصحيفتها ، وترجو لهم التوفيق الدائم فى جهودهم العلمية الكبيرة التى هى من جهود مصر وظاهرة من أمس الظواهر بمستقبلها الزاهر المرجو

العالم المسرحي والسينمائي

مسارحنا في الأعياد

لناقد «الرسالة» الفني

جرت تقاليد المسارح الكبرى، ودور اللهو في أوربا عامة، وفي انجلترا خاصة، على اعداد برامج حافلة في مواسم أعياد الميلاد ورأس السنة، تعنى بعرض مشاهد مسلية يجد فيها الأطفال متعة ولهواً بريئاً يثير في نفوسهم الغضة ألواناً من السعادة والجذل، ويجعلهم ينعمون بأمسيات طيبة في ليالي العيد، تبهج قلوبهم، وتبعث فيها الحياة والمرح.

وتزدحم المسارح في أيام العيد بروادها من الأطفال مع أهلهم الذين يصحبونهم يشاركونهم اللهو والسرور جذلين فرحين بأن ينعم أبناؤهم بما أعدوه لهم من مباهج العيد ومسراته في المنزل أو في المسرح على السواء.

وتستمر حفلات الأعياد في المسارح قرابة شهر، وأكثر البرامج المعروضة من نوع «البانتوميم» الذي يمثل بعض الخرافات الشائعة، أو القصص الصغيرة المسلية التي لا يعيا ذهن الطفل الحدث في تفهمها ومتابعتها، وتصحب بالموسيقى والأغاني الرقيقة التي يسهل على الطفل حفظها وترديدها بلفظها الجزل، ولحنها السهل، ونغمها الشجي العذب.

وهناك بعض الروايات على المسرح الانجليزي، تعد خصيصاً لحفلات أعياد الميلاد ورأس السنة، وقد أصبح تمثيلها من التقاليد الموروثة التي لا مندوحة عنها، وبعضها يرجع تاريخ ظهوره الى حوالى نصف قرن، ولكنها تظهر كل عام في مظهر أنيق، فتعد لها الملابس الجديدة الزاهية، والمناظر الدقيقة الجميلة، وقد تضاف اليها بعض الأناشيد والأغاني لتجعل لها لوناً جديداً جذاباً.

وأشهر الروايات التي عرضت هذه السنة على مسارح لندن في مواسم الاعياد «سندرلا»، و«الاطفال في الغابة»، و«ديك وتنجتن»، و«علاء الدين»، ويرجع تاريخ ظهورها الى سنة ١٨٩٣، أعنى الى واحد وأربعين سنة مضت.

ومن أحسن الروايات التي عرضت هذه السنة، ولها تاريخ ماض طويل، رواية «بيتربان» التي يحتفظ بطلها بنضارة الصبا على مدى الحياة، وهو خالد على مر الدهور لأنه يمثل روح الشباب الخالدة أبداً.

ومثلت رواية «هانسل وجرتل» على مسرح كامبردج، وقد ظهرت لأول مرة على مسارح لندن سنة ١٨٩٥ حيث مثلتها فرقة كاروزو. وتعد موسيقاها من أحسن الروايات الغنائية، ولها شهرتها البعيدة في انجلترا والمانيا على السواء، بل في القاهرة أيضاً، وقد كتبت قصصاً للأطفال خاصة.

ومن الروايات القديمة التي تمثل في هذا الموسم رواية «أين ينتهي قوس قزح» التي يرجع تاريخ ظهورها الى حوالى عشرين سنة مضت، وهي رواية وطنية تثير في الطفل الانجليزي الوانا شتى من العاطفة القومية، وموضوع القصة خرافي ولكنه من الموضوعات الشائقة التي يكون لها في قلب المشاهد أبلغ الأثر.

وبعض هذه القصص والروايات تمثل في لندن وفي كثير من المدن الانجليزية الكبرى في وقت واحد أثناء أعياد الميلاد. ولا نريد أن نمضي في هذه الناحية من الحديث الى غير نهاية، فانما أردنا بذلك ان نمهد لما نريد ان نقوله للمشتغلين بالمسرح في مصر، وانا لنرى منهم اهمالا تاما وعدم احتفاء بأعيادنا القومية أو الدينية وانها لتمر عليهم كغيرها من سائر الأيام، فلا يعدون لها برنامجا خاصا ولا روايات معينة، بل يحشدون فيها رواياتهم القديمة المعروفة فلا جديد في أيام العيد ولا ما يشبهه، وما يعنون باعداد مشاهد مسلية طريفة يستطيع أطفالنا ان يجدوا فيها متعة ولهوا، ويكون في مقدورنا ان نصحب صغارنا الى دور المسارح مطمئنين

الى انهم سوف يلقون قصصا تبهجهم وتسعدهم وتناسب عقليتهم الساذجة البسيطة.

وبينما يجد الطفل الانجليزى فى العيد من الروايات والمشاهد ما يحيى فى قلبه عاطفة قوية او يبث فى نفسه الحمية الوطنية ، او يدفعه الى حب الخير وينمى فيه حاسة العطف على الفقير والبائس والمحروم ، أو يريه من نواحى الفضيلة ما يحببه فيها ، ومن صور الرذيلة ما يزهده فى اقترافها ، ومن معانى تقدير الآباء واحترامهم ، وتبجيل الاهل وإيتاء ذوى القربى ، ما ينشئه نشأة صالحة طيبة ، بينما يجد الطفل فى انجلترا وفى غيرها من الممالك الاوربية هذه الروايات الطيبة التى تسليه وتربيه معاً ، ويراها يوم عيد ونفسه أحسن ما تكون استعداداً لتلقى ما يلقى اليها من المعانى السامية والاغراض الجليلة ، لا يجد طفلنا شيئا من هذا ، وانه ليمضى نهاره وليله حبيس غرفته وقد نمضى به إلى حديقة أو إلى زيارة بعض الاقرباء ، وليس فى كل هذا جديد عليه .

ولست أدرى من ألوم . المؤلف المصرى أو مديرى الفرق التمثيلية ؟ فلو أن مؤلفاً كتب قصة من هذه التى تماثل ما ذكرنا من قصص المسرح الانجليزى التى تعرض فى مواسم الاعياد هل كان يجد الفرقة التى تقبلها وتعرضها ؟ إن مؤلفنا لا تنقصه الموضوعات ان شاء وفى كثير من الخرافات الشائعة مجال واسع لقلبه ان أحب ، وانه ليستطيع أن يخلق من بعض هذه الخرافات التى يتلقاها الاطفال فى المنزل وتفسد عليهم تفكيرهم البرىء موضوعات شائقة تنقلب بها الخرافة من النقيض الى النقيض وتزيح عن عقل الصغير شيئا ما نظنه بالهين ولا باليسير .

وهذا « البعبع » الذى خلقته العجائز لاخافة الطفل وإفزاعه أما نستطيع ان نعيده رجلا طيبا يحنو على الاطفال ويحبهم ويهبهم ليلة العيد العطايا والمنح الطيبة من الالعاب والحلوى ، أسوة ببابا نويل الذى خلقته الخرافة فى الغرب فجعلت منه معبوداً للاطفال الصغار ؟ او « أبو رجل مسلوخة » ما ذنب المسكين فى سلخ رجله ، وما ذنب اطفالنا نقيمه لهم مخافة ومفزعا ؟ أما فى مقدورنا أن نضع حول خرافته قصة لطيفة مسلية نبرزه فيها الرجل الطيب الذى يحب الاطفال الذين يحترمون أباءهم ويبجلون اساتذتهم ، ويهب النشيطين منهم والمكبين على الدرس الهدايا واللعب والحلوى ، وننتزع بذلك تلك الصورة المشوهة التى نلقيها فى ذهن أطفالنا وندفعهم الى التقرب منه عن طريق حبه ورجاء خيره ، بدل أن نفزعهم بصورته البشعة ورجله المسلوخة ؟

وفى العيد الكبير ألا تصلح قصة كبش الفداء موضوعا لرواية سهلة يرى فيها أطفالنا أصل هذه العادة الاسلامية التى تدفعنا الى ذبح الكباش يوم العيد وتوزيع لحومها على الفقراء والمعوزين؟

اننا نستطيع ان نخلق عشرات الروايات من تاريخ مصر القومى ومن تاريخنا الاسلامى تدور حول موضوعات تبث فى قلوب الأطفال حب الوطن وتقدير تاريخهم المجيد ، كما تبذر فيهم بذرة طيبة صالحة من الخلق القويم والادب الرفيع ، غير ما تدخله على نفوسهم من الوان المرح والسرور بهذه القصص الشائقة المسلية ، ونجعل العيد متعة لهم ومبعث سعادة وفرح ، ونجعلهم مشوقين اليه جد الشوق ، يحسون مبلغ عنايتنا بالترفيه عنهم وادخال السرور على نفوسهم ، ونجعل من العيد حياة زاخرة قوية ، ومن ايامه افراحا واعراسا للصغار والكبار على السواء ونقيم فارقا بين ساعاته التى يجب أن نملأها نغما وهناء ، وبين أيام السنة التى تمضى بين الجد والعمل ، وتمر فاترة مملولة .

وبعد ... هل تجد هذه الكلمة أذنا صاغية من مؤلف أو مدير فرقة ؟ لقد مرت فرصة العيد الصغير ولكن ما يزال فى الوقت فسحة للعيد القادم ، فلعل صغارنا يلقون فيه بعض ما يلقى صغار الأمم والشعوب يوم العيد .

محمد على حماد

القصص

أمير النوبة

بقلم الأديب حسين شوقي

عاد أمير النوبة الى (نباتا) بعد أن قضى سنوات طويلة فى مصر ، على زعم أنه يتلقى الدروس بجامعة (عين شمس) الدينية العظيمة ، ولكن الواقع هو أنه قضاها فى مغازلة وصيفات الاله « رع » الحسان ؛ وما كاد الأمير يرجع الى وطنه حتى شعر بحنين شديد الى مصر ؛ وطنه الثانى ، فتذكر فى حسرة شوارع منفيس الواسعة ، وحوانيتها الفخمة ، وباعاتها الرشيقات ؛ ومراقصها . . أما هنا فى (نباتا) فكل شىء يضايقه : فقصر أبيه الملك لا يزيد شأناً على الأعشاش التى يقيمها بعض وجهاء المصريين فى المصايف — على شاطىء البحر — والنساء كاهن بديئات متزينات بالريش والودع ، دميمات المنظر مثل (سحمت) الاله المصري الذى يلتهم المذنبين فى العالم الثانى . . أما أصدقاؤه من النوبيين فكلهم خشن الطباع ، يلتهمون الطعام بأيديهم فى وحشية وقذارة . . إنه يؤثر عليهم العزلة ليخلو الى خياله فيتذكر أصدقاءه المصريين المرحين فى (عين شمس) الذين قضى معهم أياماً سعيدة فى قصورهم الشامخة على ضفاف النيل. ما أبهج تلك الليالى التى قضاها معهم فى احتساء « الجعة » اللذيذة المخصصة لقرابين الاله « رع » ، والتى كانوا يحصلون عليها خفية ! . أما النوبيون فكانوا لا يميلون اليه ، بل كانوا يسخرون من عاداته التى اكتسبها من مصر ؛ ويرمونه بالخنوثة . .

حقاً ! إن آلام الأمير النفسية كانت شديدة ؛ خصوصا وهو لم ينس قط (تايا) الحسناء بنت معلمه الكاهن (منتو) ، كم ود أن تصحبه هذه الفتاة الى (نباتا) ، ولكن ماذا يعمل أمام رفض والدها الكاهن وهو رجل يحافظ على التقاليد . لم يرض أن تتزوج ابنته من أجنبى دنس فى نظر الدين . .

وبينما هو سابح فى هذه الاحلام ، يذكر هذه المناظر المصرية خلال الدخان المتصاعد من « غليونه » ، اذا بأبيه الملك يدخل عليه فجأة فيقول :

ولدى ! أتحب أن تعود الى مصر ؟

فأجاب الأمير وقد تهلل وجهه :

ما أشد سرورى بذلك يا أبت ! هذه غاية مناى

الملك — ولكنك ستعود هذه المرة ظافرا ملكهم لا عليهم ! فستقود الجند الذين سيزحفون على مصر فى الغد ، لأن الوقت مناسب لهذا الهجوم ، أما أنا فصحتى لا تسمح لى بالسفر ، انظر الى ساقى ، إن ورمها يزداد كل يوم .. هذا بلا شك أثر لسحر تلك الجارية التى طردتها فى الاسبوع الماضى . آه من السحر ! كان يجب أن أدق عنقها بدلا من أن أطردها ، ومع ذلك فأنت تعرف مصر جيداً ، ولابد أنك مغتبط بهذه المهمة . .

قال الأمير (فى غضب) — كلا ياوالدى ! لا أريد أن أذهب الى مصر جلاداً . .

فصاح الملك متعجبا ماذا تقول ياولدى ؟ من علمك هذه الترهات ؟

إنى آمرك بذلك . أفهمت ؟

قال الأمير — إنى آسف ياوالدى إذ لا أستطيع أن أرافق جيشك فى هذه الغزوة !

فصاح به الملك — (فى غضب) — أنى آمرك حقا لقد أخطأت فى إرسالك إلى مصر لتتعلم ، إن القوم مهرة فى علم السحر ، فهم قد سحروك . .

الأمير — أجل ! إنهم سحرونى بحضارتهم !

الملك — (يضحك بصوت عال) — حضارتهم ! أين هى ؟ أتسمى حضارة هذا « الغليون » الذى يكتم أنفاسى بدخانه ؟

الأمير — ولكن يا أبت ما الفائدة التى نجنيها من هذه الحرب ؟ إن المصريين أقوياء ، وجيشهم مجهز بأحدث الاسلحة . .

الملك — ولكنهم منقسمون ، يحارب بعضهم بعضا ، انها فرصة ثمينة لغزوهم الآن ..

الأمير — ولكن ألا تخشى غضب آلهتهم العظام ؟

الملك — (يضحك) — ليست آلهتهم الا ضفادع المستنقعات وقطط الحيطان .. (ثم قال فى جد) كفى الآن مزاحا ، اذهب! فارصد أهبتك للرحيل

الأمير — لن أذهب ياأبت !

الملك (محتدا) — بل ستذهب أيها الولد العاق !

غادر الملك الحجرة فشعر الأمير بعد أن هدأت ثورته بحزن عميق ، لأنه لا يستطيع بحال أن يحارب المصريين الذين تعلم فى ديارهم ، وتثقف بثقافتهم ، واتخذ من بينهم أصدقاء كثيرين .. انه لا يستطيع أن يتصور النيل مصبوغا بالدماء ، ورياضه وخمائله جرداء ، وقصوره تلتهمها النيران . كلا ! ثم إن المصريين لم يعتدوا من جانبهم على النوبة حتى يكون هناك مبرر لهذا الزحف ، كلا ! هذا أمر فظيع ! انه يؤثر عليه الموت ..

ألقى الأمير بنفسه على السرير وأخذ يبكى طويلا ، ثم نهض فتذكر قنينة السم التى أعطاها اياه معلمه الكاهن (منتو) عندما ذهب ليودعه يوم سفره ، كما تذكر قول الكاهن وتنبئه :

« ولدى ! ان فى الحياة أوقاتا يفضل الموت فيها ، وأنتم معشر الملوك والأمراء معرضون لاخطار كثيرة كالاسر أو المنفى ، ثم إن هذا السم لا يحدث ألما وانما يشعر شاربه كانه فى الفردوس .. »

قصد الأمير دون تردد زاوية من الحجرة حيث كانت حقيبته التى صحبته فى رحلاته الى مصر ، فنظر بعين ملؤها العطف الى البطاقات الكثيرة التى تحملها الحقيبة من الفنادق الكبيرة فى منفيس وطيبة وصالحجر ، فأخرج منها قنينة السم ثم شربها جرعة واحدة وتطرح على السرير ...

وفى صباح اليوم التالى جاء خادمه لايقاظه من النوم كالعادة ، ولكنه امتنع هذه المرة عن تأدية هذا الواجب لأن وجه سيده كان يفيض بشاشة ، فلم يشأ ان يعكر عليه أحلامه اللذيذة ..

حقاً ! إن الكاهن (منتو) لم يكذب حين قال إن شارب سمه يحلم بالفردوس ، ولكن الواقع ان روح الامير كانت فعلا فى الفردوس ، لان الآلهة أرادوا مكافأته على تضحيته وانقاذه مصر فردوسهم الثانى فى هذه الأرض ..

حسين شوقى

أسطورة جاهلية

أساف ونائلة

حدث السادن (تيم) من (جرهم) يروى قصة « أساف » و « نائلة » اللذين مسخا صنمين ، فعبدتهما قبيلتا (قريش) و (خزاعة) ومن حج الكعبة من بعدهما ، قال : كان (أساف بن يعلى) من أشراف « جرهم » ، ومن أشجع فرسانها ، وكان مليح الوجه ظريفا عظيم النفوذ بين العرب ، وكانت « جرهم » تهابه أكثر مما تحبه ، وقد أوتى حكمة الشعر والكهانة ، وجمع إلى المال قوة الصعاليق ، شيد له صرحا فى اليمن كعش النسر ، ولم يسكنه إلا بعد أن أخذ بثأر أبيه المقتول ، ونحر على قبره ، واحتفر للغنائم من حوله ، حفرا ختمها بالحديد . هذا الجبار الذى كان يتلهى بقتل عبيده فى أوقات الفراغ ، وقع أسير حب (نائله بنت زيد) من « جرهم » ، وكانت من أجمل نساء العرب ، وأكثرهن ذكاء . تنشد الشعر ، وتترك النار مشبوبة حول بيوتها للضيفان ، وكان ربما خرج « أساف » للصيد والقنص ، فصادف جوارى يستقين ، فينشدنه من أشعارها ما يطربه ، وما كان « أساف » ليأنف أن يقف للناس فى الاسواق وهو الزعيم القوى البأس لكى ينشدهم شعره فى نائلة ، فاشتهر عشق البطل لربة الجمال ، وتغنت به الركبان فى أرض اليمن وكان من عادة العرب ، التفريق بين العاشقين ، فكان طبيعيا أن يحرم العاشق لذة اللقاء ، وأن يذوق حرارة البعد ، ومرارة الفراق ، وأن تفكر المعشوقة فى خلها طول النهار ، وطرفا من الليل ، وأن يتحين العاشقان فرصة اللقاء ، ليرتشفا كأس الحب ، فلما أقبلت نائلة من اليمن تحج البيت ، كان أساف قد سبقها اليه ، وكانت العرب تعظم الكعبة ، وتبالغ فى حبها والتبرك بها ، وكانت تضع فى جوفها أصنامها المعبودة

والتقى أساف بنائلة حول ذلك البيت المقدس حاجين ، وما كان أشد اشتياق البطل لمعشوقته ، فطافا مرارا ، ثم دخلا الكعبة يتبركان بأصنامها ، فاتفق أن وجدا غفلة من الناس ، وخلوة فى البيت ،

فتقدم البطل إلى ربة الجمال ، وأسلمت نفسها له فى خفة ، ورقة ولين ، فضمها العاشق إلى نفسه ، وتبادلا قبلات فيها شغف ولهفة ، وفيها وجد وجنين . وإذ ذاك صدرت فى الحال همهمة مروعة ، من أجواف الأوثان : أخرجت العاشق من لذة القبل ، فغضب ، وسب الأصنام ولعنها ، فلما أصبح الحجاج وجدوهما صنمين على صورتهما من العقيق الأحمر . فعدت قريش مسخهما فضلا من الآلهة ورحمة ، واحتفلت خزاعة بهما ، ونصبتهما للعبادة فى أرفع مكان بالكعبة ، وكانت تتقرب إلى عبادتهما بالهدايا والقرابين ، وتنحر عندهما ، وكلما حجت العرب الكعبة تمسحت النساء بالصنم (نائلة) وتمسح الرجال بالصنم المعبود (أساف) وطافوا من حولهما . وبالغت قريش فى تقديسهما فأقامت لهما منحرا ينحرون فيه الهدايا من النوق العتاق ، والشياه السمان ، واختارت سدنتهما من مشايخها . وكانت بنات (نائلة) السادنات يرسلن شعورهن ، وينتظرن ظهورها على قارعة النخل مرة كل عام . وكانت نائلة تظهر مرة كل عام فى صورة شيطان ، رائعة الجمال ، مرسلة الشعر ، يركض بها جواد أشهب ، الى مقر الكعبة ، فاذا بلغتها اختفت ، وسمع من الصنمين صوت القبلات المتبادلة ، وربما يكون العربى الحاج فى هذه الفترة على بعد ألف فرسخ من مقر زوجته أو أمه ، فيشعر كأنه قد قبلها وقبلته .

سليمان متولى





ربع مية ...

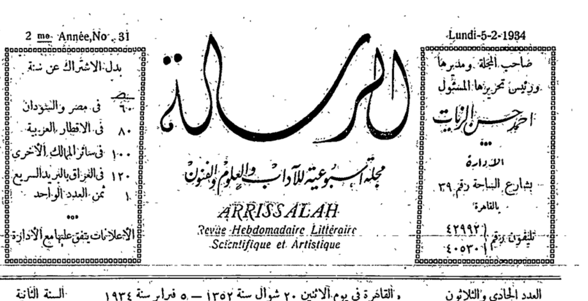
(بقيـة المنشور على صفحة ٦)

ليلة من الليالى بهذا الخفوت المنكر المخيف . قال أصحابى فأنك تنسى أن الأزهر قد كان جامعاً فاصبح جامعة ؛ وإنك تنسى أن الجامعة إن استيقظت فى النهار فهى تنام فى الليل ، وانك تنسى أن للجامعة نظاما يحد حظها من الحركة وحظها من النشاط . فاذكر هذا كله واذكر انك تخطئ اشد الخطأ إن ظننت أن التجديد مقصور على الجامعة وأصحاب الجامعة ؛ فالتجديد أقوى وأنشط وأوسع سلطانا مما تظن . انظر اليه كيف وصل إلى الأزهر فعلمه كيف يكون الكلام فى النهار والصمت فى الليل . وقد كان الأزهر متصل الكلام فى الليل والنهار . قلت لأصحابى يابؤسى للتجديد اذا انتهى بالأزهر الى هذه الحال ! كم كنت أوثر ان يظل الأزهر جامعا وألا يمسخ جامعة .

طه حسين

مجموعة السنة الأولى

لدى الادارة مجموعات من السنة الأولى للرسالة تباع مجلدة بخمسة وثلاثين قرشا عدا أجرة البريد



2 me Année, No 31

Lundi-5-2-1934

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الباجة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢ – ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

العدد الحادى والثلاثون — القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٥٢ — ٥ فبراير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العــــدد

فى الأقصر . . .

— ٢ —

وقف القطار ضحى على محطة الأقصر . وأخذ الحجيج المدنى يخطو على أفريزها ذابل الأجفان ، خاثر الأبدان . من تكسير السهاد أو تفتير الوسن . وكان قوم يستقبلون زوار الآثار ، وقوم يستقبلون أطباء المؤتمر . فتدفق الركب المتجمع لدى الباب فى وجهتين مختلفتين ، وذهب بنا أولياء القطار الى موائد الافطار ، فأصاب منها من أراد على قدر شهوته ، ثم قسمونا الى قسمين : قسم يزور (طيبة الأحياء) فى الشرق ، وقسم يزور (طيبة الأموات) فى الغرب . وهل بقى لعمرى فى طيبة اليوم أحياء أو أموات ؟! لقد ذهب الموت منذ بعيد بأحيائها الى القبر ، وذهبت الحياة منذ قريب بأمواتها الى المتحف ! فلم يبق منها على عدوتى الوادى غير أنقاض طفت على وجه القرون ، وأبعاض بينها وبين الفناء صراع لا يفتر !

الأقصر مدينة رقيقة الحال تقوم على أطلال طيبة كما تقوم أعشاش الطيور على شم الصخور ! تسير فى شوارعها القروية ، وبين منازلها المتنافرة ، فلا يستبى طرفك منظر فاتن ، ولا يزدهى لبك مظهر غريب ، فاذا استثنيت (ونتر بالاس) وما تألق من الفن فى فنائه وأبهائه ، ومرفأ النهر وما

في الكتب

حياة نابليون

تأليف الأستاذ حسن جلال

يقول الانجليز « لا ينجح مثل النجاح » وهذا ما أردده حين أتعرض للأستاذ حسن جلال ، فقد أخرج من قبل كتابه « الثورة الفرنسية » فكان توفيقه باهراً ، ثم طلع علينا أخيراً بكتابه « حياة نابليون » فكان بحق مثار الاعجاب والدهشة .

نعم ، الكتاب جدير باعجابنا وتقديرنا ، فما هي ذى كتب التاريخ الكثيرة بين أيدينا نقرؤها من غير شهية ، وهذا في اعتقادي ناشىء من أن الكاتب لم تتشبع روحه بالموضوع ، ولم يهضم مادته هضماً يمكنه من جعل الحقائق غذاء سائغاً لقرائه ، وأستاذنا من هذه الناحية محب لتاريخ الثورة الفرنسية وعهد نابليون ويعجب به ، ولعل الكثير من تلاميذه لا يزال يذكر مقدار توفيقه في تدريس هذه المادة ، الحق أن الاستاذ بلغ في هذا منتهى ما يصل اليه الخيال من حدود التوفيق ، ذلك لأنه كان يقبل على عمله بعاطفته ، ولعل هذا يفسر اخراج هذين الكتابين .

فاذا كان الاستاذ قد أحب هذه الصفحة من التاريخ الفرنسي ، وصرف شطراً من عمره يبحثها وتشبعت روحه بها ، فلا أقل من أن يضع بين يدى طلاب الثقافة عصارتها ، ومن ثم كان الكتاب سهلا سائغاً يحبه القارىء وتلذه قراءته . ولا يفرغ منه إلا ليقرأه من جديد .

هناك نقطة أخرى : هي الحقائق لا أكثر ولا أقل ، يسود المؤلفون بها صحائف الكتب ويلقونها على تلاميذهم دون أن يحاولوا استخلاص الآراء التي تحتجب وراءها ، أو يعني آخرون دون أن يعلقوا عليها التعليق الذى يجعلها تفيض نضارة وحياة وقوة . الى هذا كله فطن الأستاذ حسن جلال ، فلم يكن يهمه في كتابه أن يعلم القارىء أن مئات الحوادث قد وقعت ، ولكن يهمه أن يصل بالقارىء الى ظروف حدوثها وكيف كان يفكر أبطالها ، ثم الى أى حد كتب لهم التوفيق ولماذا أصابهم النجاح أو ضرب عليهم الفشل . ونرى في « حياة نابليون » أن الاستاذ المؤلف يوجه القارىء بواسطة المعلومات التي ساقها في مهارة ولباقة فائقين ، إلى سبل التطور وتتبعها ، وتفهم الأصول

الاجتماعية والسياسية والخلقية والعقلية والاقتصادية التي أحاطت بالعصر الذى عاش فيه نابليون . أما مادة الكتاب فلم يكن الاستاذ مخترعاً لها ، فالتاريخ انما يستخلص من المراجع ، ولكننا نجد بعض المؤلفين ينقلون صحائف برمتها من هذه المراجع ، ثم يكتبون صحائف أخرى بأنفسهم ، فلا نجد انسجاماً بين أجزاء الكتاب الواحد . والقارىء لكتاب الأستاذ جلال يلمس مهارة المؤلف في اختيار مادة كتابه ، ويلمس كذلك الترتيب المنطقي للمعلومات ، وتبدو شخصية المؤلف الجذابة وروحه الخفيفة قويتين بحيث لا يميز خلالها روح مؤلف من رجع اليهم ، كل هذا برغم أن الكتابة عن الأشخاص في نظرى أبعد أنواع الكتابة التاريخية منالا .

وليس عجيباً أن يكون الأستاذ هادئاً بطبعه ، ولكن العجيب أن يكون هادئاً حتى وهو يكتب هذه الحياة العاصفة ، لا يميل مع الانجليزى الذى يمثل نابليون أفعى نفثت سمومها ، ولا مع الفرنسى الذى يصور الرجل من قادة البشر الى الحرية والاخاء والمساواة ، بل يجلس الأستاذ بينهما مجلس القضاء .

ومهارة الأستاذ في القصص ، تفوق مهارته في التاريخ ، فأنت حين تقرأ وصفه للقاء نابليون بجوزفين بعد عودته من مصر ، تنسى التاريخ وتنسى كل شىء الا ذلك التصوير الرائع ، ولكنك لا تكاد تنتهي منه حتى تصدمك عنوانات تاريخية جافة (حالة فرنسا في غياب بونابرت — انقلاب برومير — دستور ١٧٩٩) فتوقظك من ذلك الحلم وتعيدك الى حظيرة التاريخ مرة ثانية : ذلك نصادفه كثيراً في كتاب الأستاذ ، فهل نعتبر الكتاب قصيدة منثورة أو نعتبره قطعة من التاريخ ؟ أما رأيي فهو أن الكتاب تاريخ شعرى ، وما أحوج التاريخ الى ان يكون سائغاً جميلا ، ولا سيما اذا تنبهنا الى ان الاستاذ لم يكتب لنا مؤلفاً نضعه في عداد المراجع التاريخية ، أو سفراً له قيمة السجلات الرسمية ، ولكنه صاغ حلقة من سلسلة المعارف العامة التي تعني لجنة التأليف والترجمة والنشر بوضعها بين أيدى طلاب الثقافة . وآخر كلمة أقولها بعد أن قرأت (حياة نابليون) أن الاستاذ المؤلف قد عرض المؤرخين الذين ترجموا لهذا البطل صفاً صفاً ، استملاهم جميعاً فأفرغوا ما كان يملأ جعباتهم (من وحى الهوى وتصوير الاعجاب وإملاء المقت وصدى الحفيظة) ثم ناقشهم الحساب العسير حتى عرف البواعث التي املت ما قالوا ، وأخيراً قال كلمة العدالة التي عصبت عينيها ، ورفعت الميزان في احدى يديها ، وأمسكت بالأخرى سلاحها ، فكانت كلمته فصل الخطاب ؟

عبد الفتاح البسرنجاوى

يرقرق من الحسن فى ظله ومائه . وشارع السلطان حسين وما تنسّق على حفافيه من نخله وكهربائه ، والجو الفاتر وما شاع من القوة فى شمسه والحياة فى هوائه ، وجدت بلداً كأحقر بلاد الناس يعيش حاضره على ماضيه ، وتذهب عينه على آثاره ! ولكن ولّ ظهرك حضارة الاحداث ، وتعال نسر وراء العم (ضاوى) فى طريق الكرنك . وبين الأقصر والكرنك مدى من الزمان والمكان يتسع فيه الخيال ويسبح فى أعماقه الخاطر . ومن الذى يستطيع أن يجول فى مسارح الجبارين دون أن يتمثل هذا الفصل الذى افتتح به الأزل رواية العالم ؟

فهنا منذ بضعة آلاف سنة نبتت فى ظلال هذه الجبال إنسانية باكرة ترسل النظر الثقيل البطىء فى هدوء واستقامة وبعد . ويصور لها عقلها الطفل ألوان التعاجيب والتهاويل من قوى الطبيعة الخفية ، فتنحت الجبال قبوراً ، وتبتنى الصخور قصوراً ، وتقيم لآلهتها الغلاظ من صم الجلاميد تماثيل ومحاريب يتضاءل أمامها الفن الحديث :

وهنا منذ أربعة آلاف سنة كان الفكر الانسانى يقطع مرحلته الأولى بينما كان الرقاد الأزلى يغشّى سائر الأرض ، ويطير متثاقلا عن جفون يونان وآشور .

وهنا سجّل الزمن الواعى على ملْس الغرانيت أولى صحائف الفكر ، فألهمت اليهود والاغريق فى الدين والفن والجمال فى شتى ضروبه وصوره ، وهنا كانت لبنى الانسان بداية حسنة ، لولا أن طغيان الفرد المتحكم ، وسلطان الدين المتعسف ، قد جعلا لهذه البداية نهاية من الجور والارهاق محزنة ! فها نحن أولاء بين صفين من الكباش المسيخة الجاثية أمام معبد أمون . ومعبد أمون يتلو عليك وحده ان شئت نبأ القوم ! فهو أكداس هائلة من ضخام الصخر تنافس فى نقلها وركمها الجبابرة فى خمسة عشر قرناً منذ سنى الأول ! منها أبواب وحُجَر ، ومنها محاريب وتماثيل ، ومنها مسلات وعَمَد ؛ ومن ذلك كله ما هو قائم يتحدى بطوله السماء ، وما هو نائم يفدح بثقله الأرض !

أنظر إلى هذه الغابة الكثيفة المخيفة من الأعمدة أتظن الشمس منذ أوقدها الله أشرقت على مثلها فى الضخامة والبساطة ؟ ألا يذكرك هذا العمود الذى تفتح فوق هامته زهرة اللوتس العجيبة على علو خمسة وعشرين متراً بصرح (تيتان) الخرافى واخوته (١) ؟

من الذى قطع هذه الأطواد ، ووضع هذه الأوتاد ، وشاد هـذه الأروقة ، ونحت من الصوان هذه الآلهة البكم ، وخلد الملوك على هذه الحجارة الصم ؟ ؟ هو شعب النيل الذليل البائس ! بناها وبنى سواها على قفار الجبن وألهوب السوط ونزع الروح ، ولا تستطيع أن تصدق وأنت ترى هذه المعجزات أن مصر كانت فى مدى ثلاثين قرناً تعمل غير ذلك

استعبدت فكرة الخلود عقول الفراعنة فاستعبدوا فى سبيلها جسوم الشعب ، وملكهم حب الآخرة فسخروا له حب الدنيا ، وفتنهم متاع السماء فرصدوا له متاع الأرض ، وأغرقوا فى إعزاز النفس وإيثار الحياة وتقديس العظمة . فأنكروا حرمة العامة ، وجحدوا قدرة الموت ، وجهلوا معنى الضعة ، وخلفوا للأجيال الأبد من يطمح كالملوك ، ويطمع كالكهنة ، ويخضع كالسوقة !

لقد كنا نتجمع حول دليلنا الهاذى فى أروقة هذا المعبد المحطم ، نطن فى أجرافه طنين البعوض باللحون المختلفة : نذكر أوائلنا الذين ارتجلوا للناس لفظ المجد ، واقتحموا على الدهر باب الخلد فنزهى ونصلف ؛ ونذكر أسلافنا الذين قامت على أشلائهم هياكل أمون ، وفاضت بدمائهم بحيرة أوزيريس (٢) فنأسى ونأسف ، ونذكر أمام ذلك الماضى الخالد حاجز الكرنيش وحائط المحكمة ! تلطة فنمضى ونضحك !!

احمد حسن الزيات

(١) تزعم الاساطير ان تيتان واخوته نسلوا من أبويهما السماء والارض ، وانهم تمردوا على الالهة فجعلوا الجبال طبقات بعضها فوق بعض ليعرجوا عليها الى السماء فصعقهم زحل

(٢) هذه البحيرة لا تزال فى المعبد نزارة العين الى اليوم

النفس والرقص

للكاتب الشاعر الفرنسي بول فاليرى

ترجمة الدكتور طه حسين

— ٤ —

فيـــدر ـ لنستمتع لحظة أخرى فى سذاجة بهذه الاعمال الحسان !.. كأنما تقدم(١) الهدايا عن يمين ، عن شمال ، الى أمام ، الى وراء ، الى فوق والى تحت ، من الطيب ومن البخور ومن القبل ، وحياتها نفسها تهديها الى كل مكان فى الكرة والى قطبي الكون .

إنها ترسم ورداً وشباكا ، ونجوما من الحركات ، وأسواراً سحرية .... انها تثب فتجاوز الدائرة التى لا تكاد تغلق ... انها تثب وتجرى فى أثر الاشباح .. انها تجنى زهرة لا تلبث أن تستحيل الى ابتسامة ... ما أعجب ما تنكر وجودها فى خفة لا تنقضى (٢) !... انها لتضل بين الاصوات ثم يردها الى الهدى خيط ضئيل (٣) ... هو المزمار المعين الذى أنجاها ! ياالعذوبة اللحن !...

سقراط ـ كأن ما حولها ليس الا أشباحا .... انها تلد هذه الاشباح وهى تهرب منها ، ولكنها اذا التفتت فجأة تخيل الينا انها تتراءى للآلهة الخالدين !....

فيدر ـ أليست هى روح الأساطير ، وماينفذ من جميع أبواب الحياة !

أركسيماك ـ أتظن أنها تعلم من هذا شيئا ؟ أو انها تفاخر بانها تنتج شيئا الا هذه الحركات التى تأتيها حين تغلو فى رفع قدميها ،

(١) هى الراقصة يشير الى ما تثيره حركاتها الكثيرة الخفيفة المتصلة فى نفسه من الصور والخيالات

(٢) يريد أن كثرة الحركات وخفتها واتصالها تكاد تمحو شخصها وتلهى الناظرين عنه

(٣) يريد أن انغام الموسيقى وأصواتها كثيرة مختلفة وان الراقصة تجاريها كلها فتكاد أن تضل بينها لولا أن صوت المزمار يظهر متشابها من حين الى حين ويحقق الوحدة فى الموسيقى والرقص معا .

وهذا التوقيع وهذه الالتواءات التى أتقنتها فى مشقة حين كانت تتعلم الرقص (١)

سقراط ـ من الحق اننا نستطيع ان نلاحظ الامر تحت هذا الضوء الذى لاسبيل الى انكاره..... فالعين الهادئة تنظر اليها فى يسر كما تنظر الى مجنونة . هذه المرأة التى اجتثت من اصلها اجتثاثا غريبا ، والتى لاتنفك تنزع نفسها من صورتها (٢) على حين قد جنت اعضاؤها فهى تتنازع الارض والهواء ، وعلى حين يستلقى رأسها فيجر على الارض شعرا مفرقا ، وعلى حين تظهر احدى ساقيها كانها اخذت مكان الرأس ، وعلى حين تخط اصبعها فى التراب علامات لاأدرى ما هي !... وبعد ، فلم هذا كله ؟ ـ يكفى ان تثبت النفس وان تمتنع فاذا هى لاتلاحظ الا ما فى هذا الاضطراب من غرابة تدعو الى الاشمئزاز ... فلو اردت يانفس لكان كل هذا سخيفا (٣)

اركسيماك ـ واذن فانت تستطيع حسب استعدادك ان تفهم والا تفهم ، وان ترى الشىء جميلا او تراه سخيفا كما تحب وتهوى ؟

سقراط ـ يجب ان يكون ذلك كذلك ...

فيدر ـ اتريد ان تقول ايها العزيز سقراط ان عقلك ينظر الى الرقص كانه شخص غريب يحتقر لغته ويرى اخلاقه شاذة بل مؤذية بل فاحشة كل الفحش .

اركسيماك ـ يخيل الى احيانا ان العقل هو الملكة التى تمتاز بها نفسنا والتى تمنعها من ان تفهم جسمنا باى حال من الاحوال (٤) !

فيدر ـ أما انا ياسقراط ، فان ملاحظة الرقص تمكننى من ان أتصور اشياء كثيرة ، وأتصور الصلات بين أشياء كثيرة . وهذه الاشياء تصبح فورا فكرتى الخاصة وتكاد تفكر مكان فيدر . واجدنى ما كنت قط لاجده فى الخلوة الى نفسى وحدها . ولقد كانت اتكتيه

(١) يريد بهذه الجملة أن يرد الرقص وما يشبهه من أعمال الفن الى أصله الساذج اليسير المادي ليشير الى أن ما يثيره من الصور والخيال والعواطف انما هو فى انفسنا نحن لا فى الفن نفسه . وهذه الفكرة هى التي سيدور حولها الحوار منذ الآن .

(٢) يريد أن حركات الرقص تخرجها عن طورها فكأنها قد نزعت من نفسها نزعا .

(٣) يريد أن النفس تستطيع أن تشهد الرقص وغيره من مظاهر الفن وأن تغلق أبوابها من دونه . فاذا هى لا ترى فيه إلا حركات مادية وآلية لا جمال فيها ولا سحر ولا عاطفة . واذن فالنفس هى التي تمنح الفن قيمته .

(٤) يريد الصديقان أن ينكرا على سقراط رأيه هذا ، وأن يرفضا تحكيم العقل وحده فى الفن ، لأن العقل ليس كل شيء .

منذ حين تخيل الى أنها تصور لى الحب . — اى حب ؟ — لاهذا ولا ذاك ، ولا أى مغامرة سخيفة ! — لم تكن تصور شخص الحبيبة من غير شك ... لم تكن تخيل ، لم تكن تمثل ! كلا . كلا . لم تكن تخترع الخيال ... ولم تتكلف أيها الصديقان حين نستطيع ان تتصرف فى الحركة وفى المقدار وهما خير مافى الحقيقة من الحق ؟ .. كانت اذن حقيقة الحب ولكن ماهـذه الحقيقة ؟ ومم هى ؟ وكيف تحديدها او تصورها — ونحن نعلم ان روح الحب إنما هى الفرق الذى لايقهر بين العاشقين ، على حين ان مادة الحب الرقيقة أنما هى اتحاد رغبتهما (١) فيجب اذن أن يلد الرقص بدقة معالمه ، وبجمال وثباته ، وبرقة وقفاته ، هذا الكائن الكلى الذى ليس له جسم ولاوجه ، ولكن له منحاوايأما ومصائر ، ولكن له حياة وموتا بل ليس هو الاحياة والاموتا ؛ فان الرغبة اذا نشأت لم تعرف نوما ولاهدنة .

ولهذا تستطيع الراقصة وحدها ان تظهره للعيان بأعمالها الحسان. كلها ياسقراط ، كان الحب ! ... كانت لعبا وبكاء ، وتكلفا لاغناء فيه ، شجر ، سقوط ، منح والمفاجاءات ، ونعم ولا ، وكل هذه الخطى الضائعة فى حزن .. كانت تحتفل بكل اسرار المحضر والمغيب ، وكأنما كانت احيانا تمس الكارثة التى لاتمحى (٢) ... ولكن الآن انظر اليها تقربها الى افروديت (٣) . أليست تظهر بغتة كأنها موجة من موج البحر ؟ طورا أثقل ؛ وطورا أخف من جسمها ، تثب كأنما تفصل عن صخرة ، ثم تسقط فى هدوء ... هى الموج

اركسماك — مهما يكن من شىء فان فيدر يزعم أنها تصور شيئا .

فيدر — ماذا ترى ياسقراط ؟

سقراط — فى أنها تصور شيئا ؟

فيدر — نعم . اترى أنها تصور شيئا ؟

سقراط — لاشىء اى فيدر العزيز . ولكن كل شىء أى اركسماك — تصور الحب كما تصور الحياة نفسها وكما تصور الخواطر والآراء ... الا تشعران بانها خلاصة التحول (١) ؟

فيدر — أى سقراط الملهم انك لتعلم أى ثقة ساذجة نادرة قد وثقت بنورك الذى لانظير له منذ عرفتك . لا أسمعك الا صدقتك ، ولا أصدقك الا استمتعت بنفسى التى تصدقك .. ولكن القول بان رقص اتكتيه لايصور شيئا ولا يكون فوق كل شىء صورة لقوة الحب وظرفه قول لا أكاد أطيق الاستماع له .

سقراط — لم أقل — الى الآن شيئا يبلغ هذه القسوة ! — أيها الصديقان انى لاأزيد على ان اسألكما ماالرقص ، وكلاكما يظهر علما بالجواب ، ولكنكما تعلمانه على اختلاف بينكما ، أحدكما يقول ان الرقص هو ماهو ، وأنه ينحل الى ماترى أعيننا هنا . والآخر يؤكد أنه يصور شيئا ، واذا فليس هو كله فى نفسه وإنما هو فى انفسنا قبل كل شىء . اما أنا ايها الصديقان ، فما زلت أحتفظ بشكى كاملا ! .. خواطرى كثيرة ، وليس هذا علامة خير ! ... كثيرة مختلطة ومزدحمة حولى على السواء ...

اركسماك — أتشكو من الثروة !

سقراط — ان الثروة تضطر الى السكون . ولكن رغبتى حركة يا اركسماك ... انا محتاج الآن الى هذه القوة الخفيفة التى تمتاز بها النحلة ، كما تمتاز بها الراقصة ... يحتاج عقلى الى هذه القوة ، وهذه الحركة المركزة اللتين تعلقان الحشرة فوق جماعة الزهر وتجعلانها حكما ناطقا فيما بين رحيقها من اختلاف . وتقدمانها كما تحب الى هذه أو الى تلك ، الى هذه الوردة البعيدة بعض الشىء . وتسمحان لها بأن تمسها أو تتركها أو تمعن فيها ... هى تنأى بغتة عن الزهرة التى فرغت من حبها . ثم تعود اليها اذا أحست الندم لأنها تركت فيها بعض الرحيق الذى ماتزال ذكراه تتبعها ، وماتزال لذته الماضية تنغص عليها طيرانها . أو يحتاج عقلى يافيدر الى هذا التنقل الدقيق الذى يتاح للراقصة ، والذى اذا انسل بين خواطرى ايقظها فى رفق واحدا اثر واحد ، وأخرجها من ظلمة نفسى وأظهرها لضوء عقليكما ، فى خير نظام بين النظم الممكنة ! (٢)

فيدر — تكلم ، تكلم .. انى لأرى النحلة على فمك والراقصة فى نظرتك (٣)

طه حسين

(١) يريد أن يجعل للحب روحا ومادة فاما روحه فهى هذه الفروق التى تميز بين العاشقين ، والتى تدفع أحدهما الى حب صاحبه ليكمل به نفسه . وأما مادة الحب فهى هذه الرغبة المشتركة بين الحبيبين فى أن يأتلفا

(٢) كل هذا تصوير لما تشتمل عليه حركات الرقص من رمز للحب وأطواره المختلفة فى أوقات الرجاء واليأس .

(٣) تقول الأساطير ان افروديت الاهة الحب قد نشأت من زبد البحر

(١) يريد سقراط أن يعبث بصاحبيه لان أحدهما يراها تصور أشياء كثيرة والآخر يراها لاتصور شيئا ويريد سقراط أن يردهما جميعاً الى القصد

(٢) كل هذا تصوير لاشراف العقل على الاشياء المختلفة يلتمس فيها الحق ويستخرجه منها كما تشرف النحلة على جماعة الزهر تلتمس فيها الرحيق

(٣) يريد أن سقراط قد ابتهد لاستخراج الحق واستكمل ادوات البحث

صفحة سوداء

بقلم الأستاذ احمد أمين

رووا أن عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب فى وصف مصر أن : « نيلها عجب ، وأرضها ذهب ، وهي لمن غلب ».

ورووا أن عتبة بن أبى سفيان كان عاملا لأخيه معاوية على مصر ، فبلغه أمور عن أهلها ، فصعد عتبة المنبر مُغْضَباً وقال : « أيا حاملين الأم أنوف ركبّت بين أعين ، إنما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسي إياكم ، وسألتكم صلاحكم لكم ، إذ كان فسادكم راجعاً اليكم ، فأما اذ أبيتم إلا الطعن فى الولاة والتنقص للسلف ، فوالله لأقطّعن على ظهوركم بطون السياط ، فان حسمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ».

وقبل هذا وذاك ، جاء فرعون ، فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى »

وجاء أبو نواس مصر بعد ذلك فقال :

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي
ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية
أكول لحيات البلاد شروب
فان يك باقى إفك فرعون فيكمو
فانّ عصا موسى بكف خصيب

واشتهر المصريون عند المؤرخين بالانهماك فى الشهوات وعدم النظر فى العواقب ، ولما رآهم ابن خلدون على هذه الحال قال فيهم : « كأنما فرغوا من الحساب » يريد أنهم لا يحاسبون أنفسهم على ما يصدر منهم ، ولا يخافون من عاقبة أعمالهم ، كأنما فرغوا من الحساب .

وظل مؤرخو العرب يرمون المصريين بالذل ، وقبول الضيم فى كل ما كتبوا — وكان من أشدهم المقريزى فى أول خططه ، فقد عقد فصلا فى أخلاق المصريين قال فيه : « وأما أخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات ، والانهماك فى اللذات ، والاشتغال بالترهات ، والتصديق بالمحالات ، وضعف المرائر والعزمات ، ولهم خبرة بالكيد والمكر ، وفيهم بالفطرة قوة عليه ، وتلطف فيه ، وهداية اليه » . ثم رماهم بالذل ، وأخذ يحصي الاقوال فى ذلك : فروى عن كعب الأحبار أن « الخصب قال : أنا لاحق بمصر ؛ قال الذل : وأنا معك . وقال الشقاء : أنا لاحق بالبادية . فقالت الصحة وأنا معك » . وروى أن ابن القرية وصف أهل مصر فقال : « عبيد لمن غلب ، أكيس الناس صغارا ، وأجهلهم كبارا » .

وجاء بعده السيوطى فلم يخجل من أن يضع فى كتابه « حسن المحاضرة » فصلا عنوانه « السبب فى كون أهل مصر أذلاء يحملون الضيم » وقد جاء فيه « أن الشيخ تاج الدين كان يقول : إن الحكماء وأهل التجارب ذكروا أن من أقام ببغداد سنة وجد فى علمه زيادة ، ومن أقام بالموصل سنة وجد فى عقله زيادة ، ومن أقام بدمشق سنة وجد فى طباعه غلظة ، ومن أقام بمصر سنة وجد فى أخلاقه رقة وحسنا » والرقة والذل قريب بعضهما من بعض . وقال القاضى الفاضل : « أهل مصر على كثرة عددهم . وما ينسب من وفور المال الى بلدهم ، مساكين يعملون فى البحر ، ومجاهيد يدأبون فى البر » .

ويذكرون الذل على أنه حقيقة ثابتة . ثم يختلفون فى السبب فى ذلك ، فمن قائل ان المصريين غاظوا يوماً سعد بن أبى وقاص ، فدعا عليهم أن يضربهم الله بالذل ؛ وسعد عرف باجابة الدعوة .

إن كان ذلك فالخطب هين ، فمن الممكن أن يجتمع صلحاء مصر وورعاؤها فيقرءوا الفواتح والدعوات وما تيسر من القرآن الكريم ، ويهبوها لروح سعد ويطلبوا اليه أن يعدل عن دعوته ، ويطلب الى الله تعالى أن يرميهم بالعزة بعد الذل . وما أظن سعداً يصر على دعوته ، وقد عرف فى حياته بالسماحة والسؤدد .

ومن قائل : إن فرعون لما غرق كان معه أشراف القوم وأعزتهم ، فلما غرق غرقوا معه ، فلم يبق إلا الحثالة ، فأتى من نسلهم الجبناء الأذلاء . وهل ينتج الذليل إلا الذليل ؟ وهذا القول أيضاً سهل رده ، فالمصريون قد نزل بين أظهرهم كثير من سادة اليونان والرومان ، وسادة العرب وسادة الأتراك ، وذابوا فى مصر واختلطوا بأهلها ؛ فلم يغلب الذل العزة وعهدنا دائماً غلبة الأعزاء ؟

أخطر الاسباب ما يلمح اليه المذكر « المقريزى » فهو يريد أن يبعث فى النفوس اعتقاداً بأن هذا سبب طبيعى يرجع إلى الاقليم وإلى الجو ، وإلى طبيعة الارض ، هو يريد أن يقول إن ذلك خلقة فيهم ، بل هو فى كل شىء حولهم فيقول « ان هواء مصر يعمل فى المعجونات وسائر الادوية ضعفا فى قوتها ، فأعمار الأدوية — المفردة والمركبة ، المعجون منها وغير المعجون — بمصر أقصر منها فى غير مصر » وأشد من ذلك وأصرح قوله « إن قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، وأبدانهم سخيفة سريعة التغير ، قليلة الصبر والجلد ، وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شىء الى شىء ، والدعة والجبن . . . ومن أجل توليد أرض مصر الجبن والشرور الدنيئة فى النفس لم تسكنها الأسد ، واذا دخلت ذلت ولم تتناسل . وكلابها أقل جرأة من كلاب غيرها من البلدان ، وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره فى البلدان الأخر ، ما خلا ما كان منها فى طبعه ملاءمة لهذه الحال كالحمار والارنب » .

قول قاس أيها المؤرخ ! ولو صح ما قلت لكان حكما أبديا صارما ، فإن لنا طاقة بتغيير كل شىء إلا الجو والاقليم فماذا نصنع فيهما ، لو كان صحيحا قولك لاستوجب اليأس فى الإصلاح ، فما تفلح أمة ضرب عليها الذل والخضوع ، بل لوجب الرحيل من بلد يسمم جوها دائما أخلاق أهلها :

وقديما قال الشاعر :

« واذا نزلت بدار ذل فارحل »

أخشى أن تكون متأثراً بآراء شيخك ابن خلدون وقد كان فى طباعه حدة وعنف ، وفى المصريين دعة ، فنظر اليها بطبعه الحاد نظرة فيها افراط وفيها مبالغة — لو كانت نظريتك صحيحة لما تعاقبت الذلة والعزة على الامة الواحدة فتعز بعد ذلة ، أو تذل بعد عزة ؛ « الجو واحد والاقليم واحد — وان فى تاريخ مصر نفسها صفحات بيضاء تتجلى فيها العزة بأجلى مظاهرها ، الحق — يا سيدى — أن الاقليم عامل ، ولكن ليس كل عامل ، فاذا كان الجو سما فالتربية والتعليم ترياق ، ألا ترى الى مثالك نفسه ، فقد ذكرت أن الادوية والمركبات والمعاجين يسرع اليها الفساد فى مصر لسوء الجو — لو عشت الى عصرنا لعلمت كيف تغلب العلم على الاقليم ، وصار من المستطاع فى يسر وسهولة أن يحفظ الدواء — بأبسط المعالجات — فى مصر كما يحفظ فى أوربا وأن التربية كذلك تفعل فى النفس الاعاجيب ، وكل ما نستطيع أن نستفيده منك أنك نبهتنا أنت وأمثالك من المؤرخين على أن فى مصر جبنا وفى مصر ملقا ، الى هنا نقبله منك ولكنا لا نستسلم له ، ولا نقر أنه طبيعى فينا . ولكن لنريك الامثال على خطأ تعليلك ولنبهك على نظرية ثبتت حديثاً وهى : ان الامم المبتدئة الساذجة هى اكثر استسلاما للطبيعة وشؤونها ، والامم المتحضرة تستطيع بعلمها وتربيتها وقوة عقلها أن تسخر الطبيعة لمصلحتها ، لا أن تخضعها الطبيعة لامرها ، فنحن نستطيع أن نستفيد من وداعة الطبيعة فنكون وديعين الى حد ، فاذا أرادت أن تتجاوزه الى نفاق وملق وجبن قالت التربية « لا » بملء فيها ، وحق للتربية اذا قالت « لا » أن يكون « لا » .

وعبت كلاب المصريين بالضعف ؛ ويظهر أنك لم تر كلاب « أرمنت » وما هى عليه من بسطة فى القوة والجسم ، ولو قدر عليك أن ينبحك واحد منها ما سلمت بجلدك ، ولغيرت حكمك .

لقد احسست بأن تعميم نظريتك خطأ بين ، فاستدركت وقلت « ومن المصريين من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور » أليس هذا — يا سيدى — نقضاً لقولك

وتسليا لقولنا ، فأنت تعلم أن « ما بالطبيعة لا يتخلف » ولو كان الذل ينفثه الإقليم وحده لما رأيت شاذاً من الشواذ، ألا ترى أن فعل الطبيعة في الأدوية يسرع اليها الفساد — مطرد، ومطرد دائماً ؛ فاذا اختلف الناس في الجبن والعزة والملق والصراحة ، فهناك عامل آخر أقوى وهو عامل التربية تستطيع به أن تتغلب حتى على قوانين الطبيعة .

أرجو ألا يسمح الجيل الجديد والاجيال القادمة لمؤرخيهم ان يؤرخوهم كما أرخهم المقريزي والسيوطي ؟

أحمد أمين

ابو عبد الله

آخر ملوك الاندلس

للاستاذ محمد عبدالله عنان

تبوأ ابو عبد الله عرش غرناطة للمرة الثانية بعد ان قضى فى أسر ملك قشتالة زهاء ثلاثة اعوام . وكانت الخطوب والفتن التى توالت على مملكة غرناطة قد مزقتها حسبا بينا ، فلم يبق منها بيد الاسلام سوى بضع مدن وقواعد متناثرة مختلفة الرأى والكلمة ينضوى بعضها تحت لواء ابى عبد الله والبعض الآخر تحت لواء عمه محمد بن على (الزغل) . وكان واضحا أن مصير غرناطة يهتز فى يد القدر بعد ان نفذت جيوش النصرانية الى قلبها ، واستولت على كثير من قواعدها وحصونها الداخلية ، ولم يكن الملك الصغير (ابو عبدالله) طبق المعاهدة التى عقدها مع فرديناند سوى تابع لمملكة قشتالة ، يدين لها بالخضوع والطاعة ، وكان ملك قشتالة يحرص من جهة أخرى على المضى فى تحقيق خطته لسحق البقية الباقية من دولة الاسلام فى الاندلس قبل أن يعود اليها اتحاد الكلمة ، فيبعث اليها روحا جديدا من العزم والمقاومة ، فبدأ بغزو القواعد الشرقية والجنوبية التى يسيطر عليها مولاى الزغل لانه كان فى صلح مع غرناطة يمتد الى عامين ، وقد اراد ان يسبغ على عهوده مسحة غادرة من الوفاء ، ولأنه أراد اولا أن يعزل غرناطة ، وان يطوقها من كل صوب . وزحف فرديناند بادىء بدء على مالقة أمنع ثغور الاندلس وعقد صلتها بالمغرب ، وطوقها بقوات كثيفة من البر والبحر وسقطت مالقة رغم دفاعها المجيد فى شعبان سنة ٨٩٢ﻫ (اغسطس ١٤٨٧م) . ثم استولى فرديناند على المنكب والمرية (اواخر سنة ٨٩٤ﻫ - ١٤٨٩ م) ثم على بسطة (المحرم ٨٩٥ﻫ ديسمبر ١٤٨٩) ثم قصد الى وادى آش آخر معقل لمولاى الزغل ، ورأى الزغل رغم شجاعته وبسالته أنه يغالب المستحيل وان جيوش النصرانية تحيط به من كل صوب ، فانتهى إلى الإذعان والتسليم ، ودخل فرديناند وادى آش فى صفر سنة ٨٩٥ ﻫ (يناير ١٤٩٠م) واتفق بادىء بدء أن يستمر (الزغل) فى حكم قواعده باسم ملك قشتالة وتحت حمايته ، وان يلقب بملك اندرش ، وان يمنح دخلا سنويا كبيرا ، ولكنه لم يلبث إن رأى انه يستحيل عليه الاستمرار فى ذلك الوضع الشاذ ، فباع حقوقه لفرديناند مقابل مبلغ كبير ، وجاز البحر الى المغرب واستقر فى تلمسان يقضى بها بقية حياته فى غمر من الحسرات والعدم ، وجاز معه كثيرون من الكبراء الذين أيقنوا ان نهاية الاسلام بالاندلس قد غدت قضاء محتوما

ثم جاء دور غرناطة آخر معقل للاسلام بالاندلس . وكانت جميع قواعد الاندلس الأخرى : مالقة والمرية ووادى آش والحامة وبسطة قد غدت نهائيا من املاك مملكة قشتالة وعين لها حكام من النصارى ، وتدجن أهلها اوغدوا مدجنين يدينون بطاعة ملك النصارى (١) وذاعت بها الدعوة النصرانية فارتد كثير من المسلمين عن دينهم حرصا على اوطانهم ومصالحهم ، وخشية الريب والمطاردة ؛ وجازت الوف أخرى ممن خشوا على أنفسهم ودينهم الى المغرب وتفرقوا فى ثغوره ، وهرعت الوف أخرى الى غرناطة تلوذ بها حتى غدت المدينة تموج بسكانها الجدد . وكان سلطان غرناطة ابو عبدالله يرقب هذه الحوادث جزعا ويشعر انها تسير الى نتيجة محتومة هى سقوط غرناطة فى يد العدو الظافر ، وكان قد تخلص بانسحاب عمه الزغل من الميدان من منافسيه القوى ؛ ولكنه فقد فى

(١) — المدجنون او أهل الدجن (الفعل تدجن ومصدره الدجنة) كلمة اطلقت على المسلمين الاندلسيين الذين دخلوا فى طاعة ملك النصارى واعترفوا بها . ومقابلها الاسباني هو كلمة Mudejares وقد شاع استعمالها مد القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) اعني مد كثر استيلاء النصارى على قواعد الاندلس

نفس الوقت أقوى عضد يمكن الاعتماد عليه فى الدفاع والمقاومة ، وسرعان مابدت طوالع الخطر الداهم ، وبعث فرديناند الى ابى عبد الله يطلب اليه تسليم الحمراء (١) والبقاء فى غرناطة فى طاعته وتحت حمايته مثلما وقع لعمه الزغل : فثار ابو عبد الله لذلك الغدر ، وأدرك - وربما لاول مرة - فداحة خطأه فى محالفة ذلك الملك الغادر : وجمع الكبراء والقادة ، فاجمعوا على الرفض والدفاع حتى الموت عن وطنهم ودينهم : ودوت غرناطة بصيحة الحرب : وحمل ابو عبد الله بعزم شعبه على القتال والجهاد ، وخرج فى قواته يحاول استرداد القواعد والحصون المسلمة المجاورة : وثار اهل البشرات وما حولها على النصارى ؛ ووقعت بين المسلمين والنصارى عدة مواقع ثبت فيها المسلمون ، واستردوا كثيرا من الحصون والقرى فى تلك المنطقة (اواخر سنة ٨٩٥ ﻫ) ، وعاد ابو عبد الله الى غرناطة ظافرا ، وانتعشت قلوب الغرناطيين نوعا بذلك النصر الخلب ، وأخذوا يتأهبون للدفاع بعزم . وغضب فرديناند لتلك المفاجأة التى لم يكن يتوقعها واعتزم ان يقوم بضربته الحاسمة فى الحال : فخرج فى ربيع العام التالى (٨٩٦ ﻫ) فى جيش ضخم مزود بالمدافع والذخائر الوفيرة : وسار تواً الى غرناطة ونزل بمرجها الجنوبى ، وأنشأ لجيشه فى تلك البقعة مدينة صغيرة مسورة سميت سانتافى Santa Fe (شنتفى) او الايمان المقدس رمزاً للحرب الدينية ؛ وهى تقوم حتى اليوم . وبدأ حصار غرناطة فى جمادى الآخرة سنة ٨٩٦ ﻫ (مايو ١٤٩١ م)

ولسنا نقف طويلا عند حوادث هذا الصراع الأخير بين الاسلام والنصرانية فى الأندلس : فهى تملأ فصولا طويلة مؤثرة فى الروايات العربية والافرنجية (٢) : ويكفى أن نقول ان غرناطة دافعت عن نفسها دفاعا مجيدا ، ولم تدخر لاجتناب قدرها جهدا بشريا : وأن فروسيتها الشهيرة بذلت بقيادة زعيمها موسى ابن ابى الغسان أشجع فرسان عصره ، ضروبا رائعة من البسالة ، وخرج المسلمون من مدينتهم المحصورة غير مرة واثخنوا فى النصارى . ولكن الضيق كان يشتد بالمدينة المحصورة يوما فيوما ، وتقل مؤنها شيئا فشيئا ، ويتسا قط جندها تباعا . وكانت مدى الربيع والصيف تستمد بعض المؤن من جهة البشرات من طريق جبل شلير (Sierra Nevada) ، فلما دخل الشتاء غطت هذه السهول والشعاب بالثلج الكثيف : وازدادت غرناطة ضيقا ، واشتد بأهلها الجوع والمرض ، وهم ابو عبد الله بمفاوضة فرديناند فى التسليم غير مرة لوأن كان يمنعه موسى بن ابى الغسان وتحمله الحماسة العامة ، فلما اشتد الخطب تقدم حاكم المدينة ابو القاسم عبد الملك ، وقرر أن المؤن تكاد تنفد ، وان الجوع اخذ يعصف بالشعب ، وان الدفاع عبث لايجدى : واتفقت كلمة الزعماء والقادة على التسليم : وارسل ابو القاسم لمفاوضة فرديناند : فاستقبله بترحاب وحفاوة : وتم الاتفاق على ان تسلم غرناطة بشروط كثيرة اهمها أن يؤمن المسلمون على انفسهم ودينهم وأموالهم : وان لاتمس مساجدهم وشعائرهم وشرائعهم وتقاليدهم : وان يجوز منهم الى المغرب من شاء (٣) : وهكذا اذعنت غرناطة وسلمت ، وانتهت دولة الاسلام بالاندلس (صفر ٨٩٧ ﻫ ديسمبر سنة ١٤٩١ م) وطويت الى الابد تلك الصفحة المجيدة الرائعة من تاريخ الاسلام ، وقضى على تلك الحضارة الاندلسية الشامخة وآدابها وعلومها وفنونها وكل ذلك التراث الباهر بالفناء والمحو ، ودخل النصارى غرناطة فى الثانى من ربيع الاول سنة ٨٩٧ (٢ يناير سنة ١٤٩٢) واحتلوا حمراءها وباقى قصورها وحصونها وخفق علم النصرانية ظافرا فوق صرح الاسلام المنهار

* * *

اما الملك التعس ابو عبد الله فقد قضت معاهدة التسليم أن يغادر غرناطة مع أسرته الى البشرات وأن يحكم هذه المنطقة باسم ملك قشتالة وفى طاعته وأن يكون مقره فى قرية اندرش . ولما ذاعت أنباء التسليم اضطرم الشعب غضبا وسخطا على أبى عبد الله واعتبره مصدر كل مصائبه ومحنه : فبادر أبو عبد الله بالأهبة للسفر مع أسرته وخاصته وحشمه ، وبعث بأمواله ونفيس متاعه الى مقره الجديد فى اندرش . وفى نفس اليوم الذى دخل النصارى فيه غرناطة ، غادر أبو عبد الله قصره وموطن عزه ومجد آبائه الأبد : وخرج للقاء عدوه الظافر فى سرية من الفرسان والخاصة ، فاستقبله فرديناند فى محلته على ضفة شنيل . وتصف الرواية هذا المنظر المؤثر فتقول ان أبا عبد الله حين رأى فرديناند هم بترك جواده ، ولكن فرديناند

(١) هو قصر الحمراء الكبير وما حوله من الحصون والابراج.

(٢) راجع تفاصيل هذه الرواية فى أخبار العصر بانقضاء دولة بنى نصر ص ٣٤ - ٤٨ ، والمقرى فى نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٥ ، وراجع كتابى مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام (الفصل السادس عشر)

(٣) راجع تفاصيل هذه الشروط فى نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٥ و ٦١٦ .

بادر بمنعه وعانقه بعطف ورعاية ؛ ثم قدم اليه أبو عبد الله مفاتيح الحمراء قائلا : « ان هذه المفاتيح هى الأثر الأخير لدولة العرب فى اسبانيا . وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا . هكذا قضى الله ، فكن فى ظفرك رحيما عادلا » . وسار أبو عبد الله بعد ذلك صحبة فرديناند الى حيث كانت الملكة ازابيلا ، فقدم اليها تحياته وخضوعه ، ثم انحدر الى طريق البشرات ليلحق بأسرته وخاصته .

وهنا تقول الرواية أن أبا عبد الله أشرف أثناء مسيره فى شعب تل البذول (بادول) على منظر غرناطة فوقف يسرح بصره لآخر مرة فى هاتيك الربوع العزيزة التى ترعرع فيها ، وشهدت مواطن عزه وسلطانه : فانهمر فى الحال دمعه وأجهش بالبكاء ، فصاحت به أمه عائشة : « أجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال » . وتعرف الرواية الاسبانية تلك الأكمة التى كانت مسرحا لذلك المنظر المحزن باسم شعرى مؤثر هو : « زفرة العربى الأخيرة » El ultimo Sospiro del Moro . وما تزال قائمة حتى اليوم يعينها سكان تلك المنطقة للسائح المتجول .

ثم تقول الرواية أيضا إن باب غرناطة الذى خرج منه أبو عبد الله لآخر مرة قد سد عقب خروجه برجاء منه الى ملك قشتالة وبنى مكانه حتى لا يجوزه من بعده انسان (١)

لم يطل مكث أبى عبد الله بمقره الجديد فى أندرش ، ولم تمض أشهر قلائل حتى أدرك كما أدرك عمه من قبل أنه يستحيل عليه البقاء فى هذا الوضع الشاذ كعامل لملك قشتالة ، وكان فرديناند من جانبه ينظر الى وجوده بعين الريب ويخشى أن يكون مثار الفتنة ؛ فعول أبو عبد الله أن يحذو حذو عمه فى الجواز الى افريقية ؛ ونزل لفرديناند عن حقوقه نظير مبلغ كبير ، ثم جاز بأسرته وماله ومتاعه من ثغر المرية الى المغرب الأقصى فى سفن أعدت له (١٤٩٣م) ونزل أولا بمليلة ، ثم قصد الى فاس واستقر بها ، وتقدم الى ملكها السلطان محمد شيخ بنى وطاس الذين خلفوا بنى مرين فى الملك ، مستجيراً به ، مستظلا بلوائه ورعايته ، معتذراً عما أصاب الاسلام فى الأندلس على يده ، متبرئا مما نسب اليه ، وذلك فى كتاب طويل مؤثر كتبه عن لسان كاتبه ووزيره محمد بن عبد الله العربى العقيلى ، وسماه « بالروض العاطر الانفاس فى التوسل الى المولى الامام سلطان فاس » . وقد افتتحها بعد الديباجة بقصيدة رائعة هذا مطلعها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم ... رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن ... جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غـــدا ملكه بالرغم مستلبا ... وافظع الخطب ما يأتى على الرغم
حـــكم من الله حتم لا مرد له ... وهل مرد لحـــكم منه منحتم
كنا ملوكا لنا فى أرضنــا دول ... نمنا بها تحت أفنان من النعم
فايقظتنا سهام للردى صيبت ... يرمى بأسهم حتف من بهن رمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا ... وأى ملك بظل الملك لم ينم

وهى طويلة جدا ، يمدح فيها ملوك فاس ويشيد بعلائقهم القديمة مع بنى الأحمر : ويشير ابو عبد الله بعد ذلك الى حوادث الاندلس ، ويعتذر عن نكبته : ويعترف بخطئه ، ومن قوله فى ذلك « اللهم لا برىء فأعتذر . ولا قوى فأنتصر . ولكنى مستقيل . مستنيل . مستغيث ، مستغفر : وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء » بيد انه يدفع عن نفسه تهم الزيغ والتفريط والخيانة بشدة ، ويقول : « ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرفيها ، وأعطى من أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ، مايقنع النفوس ويكفيها : فلم نر ونحن من سلالة الأحمر مجاورة الصفر ، ولايسوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر . ما وجدنا على ذلك مندوحة ولو شاسعة » ثم يرثى ملكه بعبارات مؤثرة منها : « ثم عزاء حسنا وصبراً جميلا ، عن أرض ورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا ، وسادلا عليهم من ستور الأملاء الطويلة سدولا ، سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . فليطر الطائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك فى الكتاب مسطوراً . لم يستطع غير

(١) رسكوت ص ٢٩٨ و ٢٩٩ — وايرفنج (الفصل التاسع والتسعون) يذكر ايرفنج فى خاتمة كتابه (فتح غرناطة) أنه توجد فى متحف جنة العريف (جنراليف) بغرناطة صورة لأبى عبد الله تمثله بوجه وسيم ولون جميل وشعر أصفر ، ويرتدى فيها ثوباً أصفر يظلله حرير أسود ، وقلنسوة من الحرير الاسود يعلوها التاج . ويوجد فى متحف مدريد الحربى ثوبان درعان يقال انهما كانا لأبى عبد الله ، ويبدو من حجمهما أن أبا عبد الله كان كبير القد قوى البنيه . ويخصص ايرفنج فى كتابه Tales of The Alhambra فصلان للذكريات والآثار الخاصة بأبى عبد الله .

موارده صدوراً . وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، (١)

واستقر أبو عبد الله فى فاس فى ظل بنى وطاس ، وشيد بها قصوراً على طراز الأندلس رآها وتجول فيها المقرى مؤرخ الأندلس بعد ذلك بنحو قرن (١٠٣٧ هـ — ١٦٢٨ م) ، وقضى أعواما طوالا فى غمر الحسرات والذكريات المفجعة ، وتوفى سنة ٩٤٠ هـ (١٥٣٤ م) . (٢) ودفن بفاس ، وترك ولدين هما يوسف وأحمد ، واستمر عقبه متصلا معروفا بفاس مدى أحقاب ، ولكنهم انحدروا قبل بعيد الى هاوية البؤس والفاقة ، ويذكر لنا المقرى انه رآهم سنة ١٠٣٧ هـ فقراء معدمين يعيشون من أموال الصدقات (٣) وفى بعض الروايات الاسبانية أن أبا عبدالله توفى قتيلا فى موقعة نشبت بين السلطان احمد الوساطى وبنى سعد الخوارج عليه فى وادى أبى عقبة وقاتل فيها أبو عبد الله جانب أصدقائه بنى وطاس وذلك سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٦ م) (٤) بيد أنها رواية ظاهرة الضعف لأن أبا عبد الله يكون فى هذا التاريخ قد جاوز السبعين ، ومن الصعب أن نصدق أنه يخوض مثل هذه المعارك الطاحنة بعد أن هدمه الاعياء والهرم ، هذا الى أن الرواية الاسلامية فى هذا الموطن أدعى الى الترجيح والثقة

ويعرف أبو عبد الله آخر ملوك الاندلس بالملك الصغير (وبالاسبانية El-Rey-Chico) تمييزا له من عمه أبى عبدالله الزغل ، ويلقب بالزغيبى ، أو عاثر الحظ تنويها بما أصابه وأصاب الاسلام على يده من الخطوب والمحن

*

هذه قصة مصرع الاندلس ، وقصة آخر ملوكها
وصار ما كان من ملك ومن ملك   كما حكى عن خيال الطيف وسنان

تم البحث   محمد عبد الله عنان

(١) أورد المقرى هذا الكتاب بنصه فى نفح الطيب ج ٢ ص ١٧ — ٦٢٨ — وفى ازهار الرياض ص ٦٢ — ٨٧

(٢) وذكر المقرى فى أزهار الرياض أنه توفى سنة ٩٢٤ هـ (ص ٥٨) وهى رواية خاطئة

(٣) نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٧

(٤) راجع ايرفنج فى الملحق الخاص بنهاية ابى عبد الله — وراجع الاستقصا فى تاريخ المغرب الاقصى للسلاوى ج ٢ ص ١٦٨

المشتهى

بحث طريف لم ينشر

للعلامة المغفور له احمد تيمور باشا

ذكره المقريزى فى خططه فى كلامه على متنزهات الفاطميين ، ولكن الذى ورد عنه فى النسخ التى اطلعنا عليها لا يعدو هذه الجملة المقتضبة « وكان من مواضعهم التى أعدت للنزهة المشتهى » وبعدها بياض متروك ، غير أن السيوطى نقل عنه فى كوكب الروضة ما نصه : « قال المقريزى كان من مواضع الخلفاء الفاطميين التى أعدت للنزهة المشتهى بالروضة وكانوا يركبون اليه يوم السبت والثلاثاء فيعم الناس من الصدقات أنواع ما بين ذهب ومآكل وحلوى وغير ذلك » ولا ريب فى أن هذه الزيادة من كلام المقريزى ، لأن السيوطى أعقب العبارة بقوله (انتهى) . وذكرها الشيخ عبد الغنى النجدى النابلسى فى رحلته المسماة بالحقيقة والمجاز (١) عن المقريزى بهذا النص أيضا ، فالظاهر أنهما نقلاها عن نسخة من الخطط بها هذه الزيادة أو عن تاريخ المقريزى المسمى بالسلوك . ثم أوردا بعدها أبيات الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض التى منها :

وطنى مصر وفيها وطرى   ولعينى مشتهاها مشتهاها

وقال الشيخ عبد الغنى النابلسى فى شرحه لديوانه : المشتهى الثانى اسم كان فى مصر تدخل اليه فرقة من ماء النيل وهو متنزه مشهوراً . وله ذكر فى الأشعار المصرية فى حسن المحاضرة وغيره من كتب الأدب والتاريخ انتهى . قلنا نعم أكثر الشعراء من ذكره وأورد السيوطى فى كوكب الروضة وحسن المحاضرة كثيراً من مقطعاتهم فيه ، ومنها قول ابن الفارض أيضاً مشيراً اليه والى المقياس والروضة وكان كثير التردد على المسجد الذى فيه أيام النيل

لقد بسطت فى بحر جسمك بسطة   أشارت اليها بالوفاء أصابع
فيا مشتهاها أنت مقياس قدسها   وأنت بها فى روضة الحسن يانع

ولكن الغريب ألا نرى فى كتب التاريخ ذكراً لموضعه بالروضة ولا نعرف من خبره غير القليل الذى رواه المقريزى ، ولولا

(١) الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز للعلامة عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ كتاب مخطوط لم يطبع بعد ، وفيه فوائد كثيرة ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية واثنتان عندنا .

السيوطي والنابلسي ماوصل الينا هذا القليل أيضاً . وطالما تلمسنا مزيدا من العلم به فلم نكن نحلو بطائل ، فقصرنا الجهد على تحقيق موضعه وعولنا فى ذلك على الوسيلة الباقية لدينا وهى مراجعة ما كتب عن آثار الجزيرة وتتبع ماوقع فى إسمائها من التغيير جيلا بعد جيل الى زماننا هذا رجاء ان نرى فى الباقى منها ماله صلة بهذا المتنزه تهدينا اليه . ولابد لنا فى الوصول الى ذلك من قطع المراحل الثلاث الآتية .

المرحلة الاولى

كان أول ماتنبهنا اليه فى هذا البحث أننا تذكرنا رباطا يسمى برباط المشتهى مر بنا اسمه أثناء المطالعة فقلنا إن ظهر أنه بالروضة فلا ريب فى أنه لم يشتهر بذلك الا لكونه بنى فى موضع من هذا المتنزه وقد تكون له بقية تهدينا الى موضعه . ثم بادرنا الى خطط المقريزى فرأيناه يقول عنه « رباط المشتهى . هذا الرباط بروضة مصر مطل على النيل وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين الكازرونى(١) ولله در شيخنا العارف الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى العباس الشاطر الدمنهورى حيث يقول :

بروضة المقياس صــوفية ☆ منية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر أيادعلت ☆ وشيخهم ذاك له المنتهى(٢)

ثم رأينا السيوطى ذكره فى كوكب الروضة فنقل هذه العبارة عن الخطط ، ونقل عن تاريخ المقريزى (أى المسمى بالسلوك) أن بهاء الدين الكازرونى المذكور توفى بهذا الرباط ليلة الأحد الخامس من ذى الحجة سنة ٧٧٤ ثم نقل ترجمته عن إنباء الغمر للحافظ ابن حجر ونصها « محمد بن عبدالله الكازرونى الشيخ بهاء الدين قدم مصر فصحب الشيخ احمد الحريرى صاحب الشيخ ياقوت الحبشى (٣) تلميذ أبى العباس المرسى وانقطع بعده بالمشتهى من الروضة

(١) فى موضع (بهاء الدين الكازرونى) بياض فى نسخ الخطط التى بأيدينا ، ولكن العبارة منقولة عنها فى كوكب الروضة للسيوطى فأكملنا منه ما كان فى موضع البياض . (٢) فيه تورية باسم مكان كان بالروضة لا نعلم عنه شيئاً سوى قول السيوطى فى كوكب الروضة : « المنتهى ذكره المقريزى فى الخطط وقد بيض له فلم يذكر فيه شيئاً ، وقد سكن به من الصوفية السادة الوفائية » ثم ذكر ترجمة السيد محمد وفا الاكبر والد أهل البيت الوفائي المتوفى سنة ٧٦٥ .

(٣) كذا فى نسختين من كوكب الروضة وكان حبشيا ، فلا خطأ فى العبارة إلا أنه كان مشهوراً بالعرشى وكانت وفاته سنة ٧٠٧ بالاسكندرية وقبره بها معروف يزار .

وكان الناس يترددون اليه ويعتقدونه ، وكان الشيخ أكمل الدين شيخ الشيخونية كثير التعظيم له ، وانقطع اليه البدر البشتكى وكتب له أشياء من تصانيف الشيخ محيى الدين بن العربى ، وكان يكثر الثناء عليه ، وكانت وفاته فى ذى الحجة ، وأرخه ابن دقماق ليلة الاحد خامس ذى القعدة » انتهى . قلنا وقد وقفنا على ترجمته أيضا فى الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المذكور فرأيناه أرخ وفاته بسنة ٧٧٣ أى بنقصان سنة واحدة عن قول المقريزى

ولم يزل لهذا الرباط بقية الى اليوم ، وذكره على مبارك باشا فى موضعين من خططه أحدهما فى مساجد الروضة باسم زاوية المشتهى (ج ١٨ ص ١٤) فنقل عبارة المقريزى والسيوطى ثم قال « وفى زماننا هذا يعنى سنة احدى وتسعين ومائتين وألف ، الزاوية المذكورة مشهورة بزاوية الشيخ الكازرونى وموضعها غربى سراية الخديو اسماعيل وبنتها سعادة والدة باشا والدة الخديو المذكور ، وأقام بها الشيخ على القشلان أحد المشاهير من رجال الطريقة القادرية ومعه سبعة دراويش ورتبت بها مولدا سنويا ، وفى كل شهر ثلاثمائة قرش ديوانية ورتبت لها من الشمع والبن والفحم والزيت ما يلزم لها يوميا » . والثانى فى كلامه على الربط (ج ٦ ص ٥٣) فذكره باسم رباط المشتهى ونقل عبارة المقريزى المتقدم ذكرها ثم قال « وهذا الرباط يعرف اليوم بجامع المشتهى وقد ذكرناه فى كتابنا المسمى مقياس النيل فارجع اليه ان شئت » انتهى . قلنا لم نر أحدا يعرفه اليوم بذلك بل هو معروف بزاوية الكازرونى كما ذكر فى عبارته الأولى . وقد زرنا هذه الزاوية فرأيناها تلاصق السور الغربى لقصر الخديو اسماعيل وحديقته ، وكان القصر بينها وبين النيل ، ولا ريب فى أنها بقية الرباط وأن سائره كان ممتدا فى جزء من موضع القصر حتى يكون مطلا على النيل كما ذكروه عنه فى التواريخ ، والباقى من هذا القصر الآن أطلال ماثلة شرقى الزاوية وفى حائطها الجنوبى قبة مدفون بها الكازرونى ، وعلى قبره تابوت من الخشب مغطى بستر أخضر من الجوخ عملته له أم الأمير حسين (١) ابن الخديو اسماعيل ، وفى الجانب الغربى من هذا الستر رقعة حمراء مكتوب فيها بالبياض (هذا مقام سيدى محمد الكازرونى) وفى جانبه الشرقى رقعة

(١) ولد سنة ١٢٧٠ وتولى سلطاناً على مصر فى ثانى صفر سنة ١٣٣٣ وتوفى ظهر الثلاثاء ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ .

مثلها مكتوب فيها (جددت هذا الستر دولتلو قادن أفندى (١) والدة دولتلو حسين كامل باشا ثانى نجل حضرة الخديو حالا ١٢٨٩) انتهى بنصه ورسمه . وليس بالزاوية اليوم الا خادم واحد ، واما الشيخ على القشلانى القادرى شيخ صوفيتها فقد دفن فى الايوان الشرقى بالزاوية القادرية المسماة قديما بالزاوية العدوية والمعروفة الآن بجامع سيدى عُلَىّ (بالتصغير) خارج باب القرافة، وقد فصلنا الكلام على هذا الجامع وما به من القبور فى ص ٢٩ — ٣٨ من رسالتنا (اليزيدية ومنشأ نحلتهم) ولما زرناه وقت تأليف الرسالة سألنا خدمته عما يعرفونه عن هذا الشيخ فأخبرونا أنه الذى كان مقيما بالمنيل فى زاوية الكازرونى ومات من نحو خمس وأربعين سنة .

وموقع هذه الزاوية فى وسط الجزيرة بقرب شاطئها الشرقى ، وكان المتنزه المسمى بالمشتهى ممتداً منها الى جهة الشمال كما سنبينه فى المرحلة الثانية وربما كان ممتداً فى الجهة الجنوبية منها أيضاً .

المرحلة الثانية

فى هذه المرحلة نترك زاوية الكازرونى أو رباط المشتهى ونسير شمالا حتى نصل الى قرية صغيرة تعرف الآن بكفر قايتباى (٢) فنرى فى شماليها مسجداً ملاصقاً لدورها يعرف بجامع قايتباى (٢) قد نقش على بابه اسم السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى وهو ثالث تغيير وقع فى اسمه ، فقد كان قديما يعرف بجامع الفخر باسم منشئه القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش المشهور بالفخر . وكان نصرانيا ثم أسلم وحسن اسلامه ومات سنة ٧٣٢ .

(١) كان المتبع فى الأسرة المحمدية العلوية تلقيب زوجات أمرائها بقادين أفندى تلكن من الجوارى الجركسيات على ما كان متبعاً أيضاً فى الاسرة السلطانية العثمانية ومعنى قادين السيدة ، وأفندى المولى والامير ، فالمراد مولاتنا السيدة . وأما البنات من بنات الامراء فكن يلقبن بلقب الاميرات وهو هانم أفندى ، وصوابه خانم مؤنث خان والمعنى مولاتنا الاميرة . أما الذكور فكانوا يلقبون بالبك الى أن يرقوا الى رتبة الباشا ويخاطبون بأفندينا أى مولانا وأميرنا ، ثم لما كثر الاختلاط بالافرنج فى العصر الاسماعيلى اقتبسوا بعض ألقابهم فزيد على ألقاب الذكور (البرنس Prince) وعلى ألقاب الاناث (البرنسيس Princesse) ومعناهما الامير والاميرة ، فكان يقال أفندينا البرنس فلان بك أو باشا والبرنسيس فلانة هانم أفندى . وقد أدركنا استعمال هذه الالقاب الى أن اقتصر فى النظام الجديد للاسرة على تلقيبهم بالأمراء والاميرات وخصت طائفة منهم بالنبلاء على ما هو مبين فى النظام المذكور .

(٢) و (٣) وباسان العامة (قايتبيه) .

قال السيوطى فى كوكب الروضة ثم جدده الصاحب شمس الدين المقسى فصار يقال له جامع المقسى ونسى اسم الفخر ، ثم جدده سلطان عصرنا وزماننا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى وابتدأ فيه سنة ٨٨٦ وعمل فيه ناعورة على وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدميه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور وركب عليها طاحونا فصار يسمى جامع السلطان ونسى اسم المقسى كما نسى اسم الفخر ثم زاد فيه سنة ٨٩١ وأنشأ حوله الغراس والعمائر الحسنة فعمرت تلك البقعة وأحييت الروضة بعد ما كادت تدرس محاسنها انتهى المراد منه (١) . قلنا ثم نزل به جلال الدين السيوطى المذكور أو سكن قريبا منه فعرف به ثم عاد إليه اسم قايتباى لبقاء اسمه منقوشاً على بابه . وفى تاريخ الجبرتى (ج ٣ ص ١٩١ طبع بولاق) خبر حريق وقع بهذا المسجد سنة ١٢١٦ يقول عنه فى حوادث يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول « وفى ذلك اليوم احترق جامع قايتباى الكائن بالروضة المعروف بجامع السيوطى ، والسبب فى ذلك أن الفرنسيس كانوا يصعنون البارود بالجنينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنا لما يصنعونه فبقى ذلك بالمسجد وذهب الفرنسيس وتركوه كما هو وجانب كبريت فى أنخاخ أيضا فدخل فلاح ومعه غلام وبيده قصبة يشرب بها الدخان وكأنه فتح ماعونا من ظرف (٢) البارود ليأخذ منه شيئا ونسى المسكين القصبة بيده فاصابت البارود فاشتعل جميعه وخرج له صوت هائل ودخان عظيم واحترق المسجد واستمرت النار فى سقفه بطول النهار واحترق الرجل والغلام » . وقد ذكر على باشا مبارك هذا المسجد فى ثلاثة مواضع من خططه أولها فى الجزء الخامس ص ٦٧ باسم جامع الفخر فى كلامه على جوامع القاهرة عامة فى حرف الفاء ،

(١) يظهر أن قوله (سنة ٨٩١) محرف عن ٨٩٦ أو أن يكون العمل استمر فيه بالاكمال والتحسين الى سنة ٨٩٦ فقد جاء عنه فى تاريخ ابن إياس فى حوادث رجب من تلك السنة ما نصه : « وفيه كان انتهاء العمل من جامع السلطان الذى أنشأه بالروضة وجاء فى غاية الحسن . وكان البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين يصنع فى كل ليلة رابع عشر الشهر ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى وتجتمع المراكب هناك حتى تسد البحر ويجتمع الجم الغفير من العالم ويوقد بالجامع وقدة عظيمة ويحضر هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وتكون ليلة حافلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم ، واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل هذا الامر » انتهى . وابن الطولونى المذكور كان كبير المهندسين فى ذلك الزمن وتوفى سنة ٩٢٣ كما فى تاريخ ابن إياس (ج ٣ ص ١٠٧) .

(٢) لعل الصواب من ظروف .

والثانى فى ص ٦٩ من هذا الجزء فى حرف القاف باسم جامع قايتباى بالروضة ، والثالث فى الجزء الثامن عشر ص ١٣ فى كلامه على جوامع الروضة خاصة وقال فى الموضع الثانى عن الحريق الذى وقع به ما نصه « ثم بعد مدة جدد ما احترق منه واقيمت شعائره الى الآن وكان يعرف أيضا بجامع السيوطى لاقامة الشيخ جلال الدين السيوطى فيه أيام نزوله بالروضة » انتهى

قلنا وقد وصلنا فى هذه المرحلة الى أن مسجد قايتباى كان يعرف بجامع السيوطي لنزوله فيه أو لتردده عليه بسبب سكناه بجواره واذا رجعنا الى مترجمي هـــذا الامام نراهم متفقين على اقامته فى أواخر أيامه بالروضة ووفاته بها بعد أن مرض أسبوعا وصرح الاسدى فى طبقات الشافعية بوفاته سنة ٩١١ بالروضة بالمشتهى وعلى هـــذا فمسجد قايتباى والأماكن المجاورة له كانت داخلة فى حيز هذا المتنزه أيضا وكذلك ما بينها وبين زاوية الكازرونى من المواضع . غير أن قول الأسدى كما يحتمل هذا الوجه فانه يحتمل أيضا أن يكون مراده بالمشتهى رباط المشتهى المعروف بزاوية الكازرونى على تقدير أن يكون السيوطى انتقل اليه وسكنه قبل وفاته وتوفى به ولكننا نرجح الأول لبعض مرجحات اطمأننا اليها : منها أنه الأشبه بما كان عليه هذا المتنزه من العظم المظنون فى أمثاله من متنزهات الخلفاء الفاطميين إذ لا يعقل أنه كان محصوراً فى بقعة ضيقة لا تتعدى مكان الرباط وما حواليه ، ولهذا نرجح أنه كان ممتداً فى الجهة الجنوبية لهذا الرباط أيضا وهو ما سنعالج تحقيقه فى المرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة

إذا تركنا زاوية الكازرونى وسرنا فى الجهة الجنوبية منها فاننا نصل الى زاوية تعرف بزاوية الأباريق واقعة على قيد غلوة منها شمالى قصر على باشا شريف بجانب السور المحيط بحديقته وكانت قديما مسجدا جامعا أنشأه قائد القواد غبن (١) أحد خدام الحاكم

(١) فى خطط المقريزي أن الحاكم بأمر الله غضب عليه فقطع إحدي يديه ، وفى سنة ٤٠٤ قطع الأخرى ثم قطع لسانه . وفى الانتصار لابن دقماق أنه مات بعد ذلك سنة ٤٠٥ وقد ورد اسمه مرسوماً بالباء الموحدة فى نسختين من كوكب الروضة وورد بالمثناة التحتية فى نسخ الخطط المقريزية المطبوعة ورأيت فى نسخة عندى مخطوطة من الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفى نصا على أنه « بالباء الموحده التحتية » ولم يذكر هذا النص فى النسخة المطبوعة من هذا الكتاب فالظاهر أنها حاشية كتبها بعضهم على النسخة فأدخلها الناسخ فى الاصل وعلى أى حال فهو نص يصح لنا الاعتماد عليه حتى نقف على ما يناقضه .

بأمر الله الفاطمى فعرف به كما فى كوكب الروضة للسيوطى قال « وقد صار يسمى الآن جامع الأباريق لولي مدفون بجواره ونسي اسم غبن فلا يعرفه الآن أحد إلا من له نظر فى التواريخ » انتهى . وذكر على باشا مبارك فى خططه أن هذه الزاوية بنيت على جزء من جامع غبن وجددها أخيراً على باشا شريف ابن شريف باشا . قلنا وقد زرناها فرأينا على بابها كتابة منقوشة فى الحجر نصها : « مقام سيدى احمد الاباريقى ، أنشأ هذا المسجد سعادة عبد الحميد بك شريف فى غرة شهر شعبان المكرم من سنة ١٣٢٧ هجرية » وبداخلها من الغرب قبة على حجرة بها ضريح الشيخ وعليه ستر أخضر عمله له عبد الحميد بك المذكور سنة ١٣٢٨ ، ثم توفى بعد ذلك بقليل وهو ابن على باشـــا شريف المتقدم ذكره وقد يكون المراد بانشائه هذا المسجد اصلاح ما تشعث فيه من بناء والده . وفى هذه الزاوية صلوا على الامام السيوطى لما شيعوا جنازته من الروضة الى حوش قوصون قال الاستاذ الشعرانى فى ترجمته بذيل طبقاته « ثم بعد شهر سمعت ناعيه ينعى موته فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ أحمد الأباريقى بالروضة عقب صلاة الجمعة وفى سبيل المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر العتيقة » .

فيتضح مما تقدم أن زاوية الكازرونى المسماة قديما برباط المشتهى واقعة بلا ريب فى موضع من هذا المتنزه ويعلم من موقعها أنه كان فى وسط الجزيرة على الشاطىء الشرقى منها ويدخل فيه ما فى شمالى هذه الزاوية من المواضع الى جامع قايتباى . ثم اذا صح أن هذه الزاوية واقعة فى وسط المشتهى كما يغلب على الظن كان أيضا ممتداً فى الجهة الجنوبية منها الى زاوية الأباريق أى فيكون موقعه فيما بين الأباريق وجامع قايتباى وربما كان زائداً عن ذلك جنوبا وشمالا والله أعلم

تتمـــة

فى توضيح أماكن ذكرت أسماؤها بالمصور (١)

منها جامع عبد الرحمن بن عوف فان العامة تزعم أن القبر الذى به للصحابى المشهور أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم والصواب أنه مدفون بالبقيع وبهذا المسجد قبر آخر دفن فيه حسن باشا المناسترلى الذى كان كتخدا مصر زمن عباس باشا الكبير أي وزيراً للولاية وهو من المساجد القديمة بالروضة أنشأه بدر الجمالى زمن المستنصر الفاطمى وكان يسمى جامع المقياس ثم جدده الصالح نجم الدين أيوب ثم هدمه المؤيد شيخ ووسعه

(١) لم نجد هذا المصور مع المقالة (الرسالة)

ولم يتمه فأتمه بعده الظاهر جقمق ثم عمره قانصوه الغورى ثم خرب وانتهك الفرنسيس حرمته زمن احتلالهم لمصر ثم جدد حسين باشا المناسترلى البناء القائم منه الآن على الجزء الشمالى منه ولما توفى دفن فيه وكان فى الاصل كبيرا ممتداً من الجنوب الى الشاطئ ومتصلا بالدرج التى كانت على النيل وهى التى تزعم العامة ان موسى عليه السلام قذف منها بتابوته فى اليم، ويرى الفرنسيس فى كتابهم (وصف مصر) ان أبا جعفر النحاس رمى من هذه الدرج فى النيل لما جلس عليها يقطع بيتاً من الشعر لظنهم أنه يسحر النيل(١).

ومنها زاوية أبى يزيد البسطامى فان العامة تزعم أيضا أنه مدفون بها والصواب أنه مدفون ببسطام وقبره معروف بها كما فى معجم البلدان لياقوت، واسمه طيفور ووفاته سنة ٢٦١ أو ٢٦٤ كما فى وفيات الأعيان لابن خلكان. واما نسبت هذه الزاوية للبسطامى لأن بانيها من ذريته وهو الشيخ محمد بن أصيل بن مهدى الهمذانى ثم جعلها فتح الدين صدقة بن زين الدين أبى بكر رئيس الخلافة جامعاً فى حدود سنة ٧٧٠ فعرفت بجامع الرئيس وهى معروفة اليوم بزاوية البسطامى.

ومنها جامع الديرينى وهو الشيخ عبد العزيز الديرينى المتوفى سنة ٦٩٤ فانهم يزعمون أنه مدفون به والصواب أنه مدفون بديرين وقبره بها معروف يزار كما فى المنهل الصافى وطبقات الشعرانى

ومنها مقام الأربعين ولا مقام بهذا المكان وانما هى شجرة سدر تعتقد العامة فيها ذلك، وقد وضع سدنتها بجوارها زيراً وأكوازاً لشرب الزوار والسابلة

ومنها شجرة المندورة وهى من الجميز وللعامة فيها اعتقاد ومزاعم غريبة والظاهر أن اسمها محرف عن المنذورة بالذال المعجمة والمراد المنذور لها والله اعلم

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس النحوى المصري المتوفى سنة ٣٣٨ أو ٣٣٧ ترجمة ابن خلكان وقال عن سبب وفاته : «إنه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل وهو فى أيام زيادته وهو يقطع بالعروض شيئا من الشعر فقال بعض العوام هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار فدفعه برجله فى النيل فلم يوقف له على خبر».

عثمان بن ابى العلاء

الرجل الذى غزا الاسبان ٧٣٢ غزوة

للدكتور عبد الوهاب عزام

ملك بنى مرين يعم المغرب الأقصى، ويرث دولة الموحدين. وهذا سلطانهم السادس يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (٦٨٥ — ٧٠٦هـ) يسير الجحافل لتمكين ملكه، ويجتهد ليكسو الدولة المرينية رونق الحضارة، وبهاء الملك، ولكن جماعة من بنى مرين حسدوا بنى عمومتهم على السلطان، ونفسوا عليهم الرياسة، وزعموا أنهم أحق منهم بميراث عبد الحق فثاروا على السلطان يوسف، واعتصموا بجبال ورغة، فأنزلهم السلطان من صياصيهم وألجمهم السيف. فأشفق أعياص بن مرين على أنفسهم ولحقوا ببنى الأحمر بالاندلس سنة ٦٨٦

ثم رجع الى المغرب بعد سنين أحدهم : عثمان بن أبى العلاء ادريس ابن عبد الله بن عبد الحق، لينازع بنى عمه السلطان، فثار فى جبال غمارة فاشتملت عليها ناره واستطارت منها ثورته، فغنمت بلاداً كثيرة، ولجأ اليه كل مخالف من بنى مرين وغيرهم.

ومات يوسف وعثمان فى ثورته فخلفه ابنه أبو ثابت (٧٠٦ — ٧٠٨) فسير الجحافل الى عثمان فهزمهم، ومد على رغم أبى ثابت سلطانه الى بلاد أخرى فنهض أبو ثابت نفسه فى جنود لا قبل لعثمان بها فخلى البلاد واعتصم بسبتة، وهى يومئذ فى قبضة بنى الاحمر

ومات أبو ثابت فخلفه أخوه أبو الربيع سنة ٧٠٨ واصطلح بنو مرين وبنو الاحمر فضاق المغرب على عثمان بن أبى العلاء فولى وجهه شطر الاندلس فيمن تبعه من قرابته.

* * *

لم يكن للمسلمين فى الاندلس الا مملكة غرناطة الضيقة وقد ألح العدو عليها وصمم على محوها. واستماتت فى الدفاع عنها المسلمون اذ كانت الملجأ الأخير، والوزر الذى ليس وراءه الا الموت أو الاستعباد. وكان بنو مرين يرسلون جيوشهم مدداً لبنى الأحمر حيناً، ويسيرون الى الجهاد بأنفسهم حيناً. وكان أولو النجدة

والصرامة ؛ كابن أبي العلاء ، يفدون على الاندلس مجاهدين مرابطين غضبا لدينهم ، وحمية لاخوانهم .

جاء عثمان الاندلس فتولى « مشيخة الغزاة » وحسن بلاؤه ، وعظمت مكانته فكان شجى فى حلوق الاسبان ، وكان غصة لبنى الأحمر شاركهم فى سؤددهم حتى كاد يستأثر بالأمر دونهم وهو من قبل خصم قومه ملوك المغرب ؛ ثار عليهم وزلزل دولتهم زمانا . لم يكن عثمان ملكا ولكنه :

كان من نفسه الكبيرة فى جيـ ش ، ومن كبرياه فى سلطان

تولى زعامة الغزاة ثلاثا وعشرين سنة فما وهن عزمه ، ولا فل حده ، ولا أغمد سيفه ، ولا حط سرجه ،

وما كان الا النار فى كل موضع تثير غبارا فى مكان دخان

والنفس الكبيرة تستهين بالصعاب ، وتطرق على المنايا الابواب . وما الجيوش الجرارة ، والحروب المستعرة فى همة الرجل العظيم اذا صمم .

فأثبت فى مستنقع الموت رجله وقال لها : من تحت أخمصك الحشر

حسبى من الافاضة فى وصف عثمان ، والاشادة بذكره أن أنقل هنا ما كتبه أصحابه الغزاة على قبره :

« هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال والكماة ، واحد الجلالة ، ليث الاقدام والبسالة ، علم الأعلام ، حامى ذمار الاسلام ، صاحب الكتائب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازى المسطورة ، وإمام الصفوف ، القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ، وقاصم الأعاد ، وأسد الآساد ، العالى الهمم ، الثابت القدم ، الهمام الماجد الأرضى ، البطل الباسل الأمضى ، المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الأصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق .

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقها ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة ، حتى استوفى فى المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة ، وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب ، محتسبا فى ادارة الحرب ، ماضى العزائم فى جهاد الكفار ، مصادما بين جموعهم تدفق التيار ، وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ، ما سار ذكره فى الأقطار ، أشهر من المثل السيار ، حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طي أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفر واحزابه . فمات على ما عاش عليه ، وفى ملحمة الجهاد قبضه الله اليه ، واستأثر به سعيدا مرتضى ، وسيفه على رأس ملك الروم منتضى ؛ مقدمة قبول وإسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلا على نيته الصالحة ، وتجارته الرابحة .

فارتجت الأندلس لبعده ؛ أتحفه الله برحمة من عنده . توفى يوم الأحد الثانى لذى الحجة من سنة ثلاثين وسبعمائة . رحمه الله » .

عبد الوهاب عزام

صحائف المجد والخلود

الفن المصرى القديم

— ٣ —

مصر ملتقى ثقافات العالم :

مرت بمصر فى مدى نيف وسبعة آلاف من السنين ، من عهدما قبل التاريخ حتى يومنا هذا ، أربع مدنيات عظيمة : المدنية المصرية أو الفرعونية . وهى عصر قدماء المصريين وملوكهم حتى دخول الاغريق مصر واتخاذهم الاسكندرية مقراً للحكم . والمدنية الاسكندرية ، وهى عصر الاغريق والرومان الذين كانت الاسكندرية فى عهدهم عاصمة البلاد . والمدنية المسيحية (أو القبطية البيزنطية) وهى عصر خضوع مصر للديانة المسيحية وظهور الاقباط . ثم المدنية الاسلامية ، وتبدأ بدخول العرب مصر وتغلب الديانة الإسلامية على البلاد .

ومن ذلك تجمع مصر لنا فى آثارها أعظم سجل للحضارات البارزة ، وأجل كتاب يقرأ عن العصور المتعاقبة فى تاريخ الانسانية . دع عنك ماشهدت مصر من مختلف الشعوب التى تتابعت على أرضها فى الفتوح المتوالية ، وماتركت هذه الدول فى وادى النيل من صور للثقافات المتباينة . حتى لتكفى مصر وحدها ان تعطى لمن يرغب فى دراسة الفن كل شىء ، وتكفيه المؤونة فى كل ما يريد عليه . واننا اذا وضعنا تحت عينى القارىء بأن أديم مصر قد كان مسرحاً كبيراً لغالب الأمم التى عرفها التاريخ ، مثلت فيه كل واحدة دورها ، وصرعت عليه أمة بعد أمة . وإذا أشرنا الى أن كل أمة من هذه الامم تركت على هذا الاديم أثراً من ثقافتها ، وأثراً من نفسيتها ، ان كبيراً أو ضئيلا . فقد تكون مصر وحدها أجدر دول التاريخ بالدراسة . فضلا عن أنها المصدر الاول للمدنيات جميعاً .

ويكفى لنقرر كيف جمعت مصر فى أرضها حضارات العالم بأجمعه بأن نشير الى العناصر التى دخلت فيها من الحروب والفتوح؛ مدى التاريخ القديم حتى يومنا هذا . فقد تعاقب على مصر من عناصر الأمم المختلفة : الساميون . والهكسوس (البدو الرعاة) . واللوبيون . والأتيوبيون (النوبيون) . والأشوريون . والفرس . والاغريق . والرومان . والعرب . والمغاربة . والاكراد . والشراكسة . والاتراك . والفرنسيون . والانجليز . وقد احتك بها فوق ذلك من الامم الأخرى : الحثيون . والكلدانيون . والفينيقيون . فلا عجب أن تكون مصر خير أمة يجب دراسة تاريخ الفن فيها . بل ما أجدرها أن تجتمع حولها الدنيا الحديثة لترقب فى آثارها وسجلاتها صوراً خالدة من الدنيا القديمة . وتقرأ فى مظاهرها المتباينة كتابا جليلا من كتب المجد لم تجمعه أمة غير مصر .

وقد يجب أن تعتبر مصر ملتقى ثقافات الشرق بالغرب . بل ان ثقافة مصر ذاتها نشرت على البلاد المجاورة لها نوراً كان له الأثر الظاهر فى حضارتها وتفكيرها .

وقد نأخذ دليلا على ذلك فتوح مصر القديمة على يد جيوش « تحوتمس الثالث » و « رمسيس الثانى » مثلا . فان أمثال هذه الفتوحات قد ترك فى كل مكان؛ من الغرب للشرق ، ومن الشمال للجنوب ، أثراً ، لا تزال بقاياه تشاهد فى الآثار الموجودة حتى أقصى الفرس ، وحتى أقصى بلاد المغرب ، وحتى أواسط افريقيا ،

ولكن مصر ظلت مدى هذه التطورات التى مرت بها محافظة على قومية خاصة فى فنها لم تعرف لها ظاهرة فى أى أمة أخرى . ففى عهد المدنيات الاربع المتعاقبة على تاريخها ، التى ذكرناها ، وفى عهد الاقتباسات الفنية القليلة التى دخلت على الفن المصرى فى بعض فترات من التاريخ ، كان للفن عندها طابعه الخاص . لا يخطىء قوميته أو روحيته الملازمة له . فهى ان كانت فى إبان المدنيات الاربع قد انتقلت من عصر الى عصر ، يكاد يكون كل واحد منه غريبا عن أخيه فى ثقافته ونظامه ، حتى ليظهر جديداً كل الجدة عما كان مألوفاً من قبل . وان كانت الحياة قد تطورت عندها ، من مصرية فرعونية ، الى أغريقية ورومانية ، الى مسيحية وقبطية ؛ الى اسلامية ، الا أن الفن فى إبان هذه الثقافات الطارئة كان مصرياً . مصرى الشخصية والروح . أو أن البلاد تمصر فيها الفن ، أو هى مصرت فن كل مدنية من تلك المدنيات ، وذللته ليلائم طبيعة مصر ، ويتمشى مع ذوقها .

وان كان من شاهد يطلب على ذلك ، فقد نشير الى آثار الفن فى العصر الذى حكمت فى مصر فيه الأغريق والرومان مثلا ، ونقارنه فى نفس الوقت بما كان من آثار الفن الاغريقى والرومانى فى بلاد الاغريق والرومان ذاتهما . فلا شك سيظهر ذلك الفرق واضحاً بين روحية الفن فى المكانين . فى الاغريق والرومان متشحاً بذلك الوشاح الظاهر من الأجهاد والتعمق . وفى مصر بسيطاً وديعاً رشيقاً .

وكما نطبق هذه الحال على العصر الاغريقى والرومانى ، نطبقها ايضا على العصر المسيحى القبطى ؛ الذى كان فاشيا فيه نوع الفن البيزنطى . فان نفس تلك الظاهرة التى بيناها ستفرق ما فى مصر عما كان مألوفا فى ذلك العهد من نفس نوع الفن فى القسطنطينية مثلا ، مهبط الفن البيزنطى .

وهكذا أيضا الفن الاسلامى . فقد يكفى بلا كبير عناء مقارنة ما فى مصر من آثاره بما هو موجود فى بلاد المغرب مثلا التى نقلت الى مصر الاسلوب الفاطمى . أو ما هو موجود منه فى بلاد العراق وسوريا اللتين ارتبطت مصر فى طويل من الزمن معهما فى عصر من الاسلوب والشكل . فقد خضع الفن الاسلامى نفسه فى جو مصر لمزاج أهل مصر ، وللروح المصرية . فى حين أن له فى كل مكان ، وفى بلاد الاسلام جميعا ؛ صبغة عالمية . فاضطر الفن لذلك أن يتكيف فى الارض المصرية بالطابع الذى تتميز به مصر دائما ، وهو طابع الاحتشام والبساطة والرقة الذى يعطى مع ذلك أروع وألطف ما يكون من التأثير .

وحينئذ فقد بقى لمصر فنها الخاص بها ؛ المنطبع بالطابع المصرى الصميم ، الذى لم يخطىء غرضه ؛ ولم يشذ عن طريقه ؛ منذ أخذت مصر مكانها تحت الشمس . وفى ذلك سر من اسرار عظمة مصر الفنية التى يعترف لها بها التاريخ .

واذن فالفن المصرى جدير بالدراسة قبل كل الفنون الاخرى . اذ هو فضلا عن كونه فنا محليا غير مقتبس فى أصله من أى بلاد أجنبية ، بخلاف غيره . وفضلا عن أنه الفن الوحيد الذى احتفظ مدى التاريخ بشخصيته الخاصة التى اقترنت باسم مصر . فانه المرآة التى تعكس علينا ثقافات الاجيال المتعاقبة مجتمعة فى سجل واحد ؛ هو الآثار المصرية القديمة .

ودون ذلك يجب ألا ينسى فضل الفن المصرى على فنون العالم ؛ فى أنه المصدر أو المدرسة الاولى التى تلقنت عنها دروس الفن أمم الارض جميعا .

« يتبع »

احمد يوسف
بالمتحف المصرى

من الصميم

يا أختاه . . .

إلى الفتاة المصرية :

صحراء الحياة موحشة يا أختاه ، تشيع فى شعابها المخاوف وتحفز على هضابها الوحوش، وتكمن فى كهوفها الحتوف ، وتحوم فى سمائها العقبان . . . .

ومرحلة الجهاد طويلة . . .

ونحن المدلجين فى صحراء الجهاد ينقصنا رفاق يحملون عنا بعض ما ننوء به حتى لا يأخذنا اليأس ، ويحملون أمامنا المشاعل حتى لا نأخذ على غير الطريق .

نحن بحمد الله أقوياء ما سلبنا الألم الأمل وإن طال وغلا ، وما غلبنا اليأس على بعد الشقة واتصال المشقة . . . ولكن :

إذا الحمل الثقيل توازعته   أكف القوم هان على الرقاب

فى عنقك الجميل دين يا أختاه ، وعلى عطفك الرقيق تبعة هائلة :

إن كنت تؤمنين بحق الوطن فاستعدى لتعدى لمصر جيلا جديداً أمينا على الميثاق ، متينا بالأخلاق ، قويا لا يهاب فى سبيل مصر الموت ، مؤمنا لا يرتاب فى حق بلاده وصدق جهاده

إن كنت أما : فعلمى طفلك الدين أولا ، ثم حدثيه عن مصر ، اقرئى له صحف المجد الأولى ، صحف أجداده من سادة الزمان ، وقادة العالم وشادة الهرم ، لقنيه تاريخ الأبطال فربما نفعت الذكرى ، حدثيه عن (مصطفى كامل) المجاهد المؤمن الشاب كيف جاهد ولما يتخط العشرين فتداولته ألوان العسف وتناولته ضروب الارهاق ، فلم يصرفه ذلك عن السبيل ولم يصدفه عن الغاية ، حدثيه عن (محمد فريد) كيف ضحى فى سبيل مصر بالمنصب والراحة والصحة والمال وكيف مات غريبا واحتفى معه : لتحى التضحية !

فاذا فرغت من تاريخ أشراق النهضة فحدثيه عن انبثاق الثورة ففيها من روائع آيات التضحية وبدائع صفحات الوطنية ما يهز نفوس المخلصين فخرا ، ويحفز نفوس الناكصين فى طريق المجد . . هناك (سعد زغلول) حمل الراية فى أعصب الظروف وقد تساقط من حولها المجاهدون وكان له فى مناهضة الاحتلال ومعارضة أهله جولات لا يزال يذكرها الذاكرون

وشىء آخر أحب أن تلفتى نظر بنيك إليه :

فى الألزاس واللورين نوعان من (الشيكولات) أحدهما مر والآخر حلو ، والوالدة تبدأ فتعطى لطفلها المر منهما ، فاذا بكى أفهمته أن هذه ألمانيا . . . سبب هذه المرارة ثم أعقبت فأعطته القطعة الحلوة فيصفو ويبسم فتفهمه أن هذه فرنسا . . حلوة كهذه القطعة ، ما قياس طرفه الثانى محذوف للظروف ، استخلصى منه النتيجة والحكمة والموعظة إن كنت مدرسة

فرسالتك مهمة ، ومجالك متسع ، وأثرك بعيد ، وخطرك شديد ، ودورك يبتدىء حيث ينتهى دور الأم : لقد أعدت لك التربة ، ومهدت لك منها ما جف فغرسى فيها الأصول الطيبة بالموعظة الحسنة والقدوة الحسنة ، علمى تلميذتك كيف تفنى فى الحق وتغضب للكرامة وتثور للوطن وتستشهد فى العقيدة والواجب فى أسماء بنت أبى بكر يوم ساقت ابنها عبد الله إلى الموت ، وفى الخنساء يوم فقدت بنيها الأربعة ، وفى المرأة الاسبرطية يوم صرخت فى ولدها الجندى « عد بترسك أو محمولا عليه » فى كل اولئك صور من الفتاة فى الحق والواجب . . وأخيرا : ملاحظة لست أرفع القلم دون أن أثبتها

قابلت فى قطار الصعيد فتاة مدرسة فى القاهرة ومعها طالبات لا تقل صغراهن عن ست عشرة سنة فاتصلت بيننا أسباب الحديث وتشققت نواحيه ، فكان من رأيهن جميعا ان المرأة لا تقع فى الذكاء والعقل دون الرجل ، وزادت المدرسة أنه يجب أن يتاح للمرأة من الحريات والاعمال ما يتاح للرجل ، وكنت أعتقد ان هذا لا يخرج عن كونه نقاشا ومكابرة ! وراعنى أن تخرج المدرسة (علبة سجايرها) أمام طالباتها وتقدم لى سيجارا ! ! أفى هذه الوجوه وحدها تطلبين المساواة ؟ أنا مسلم يا أختاه أن رسالة المرأة فى الحياة لا تقل أهمية عن رسالة الرجل ، ولكن كل ميسر لما خلق له ، ولو شاء ربك لجعل الناس جنسا واحدا رجالا أو نساء ، ولكنه خلق المرأة لتكون كالظل يسكن إليها المجهود ، فيجد فى أحضانها مقيلا ينسى فيه لفحات الشقاء وسفعات الحياة . . . لتكون كالشاطىء يعود اليه الملاح بعد اضطراب الموج وثورة الزوابع . لم يخلقها لتحترف التنس والجولف . خلقها لتزين العش لا لتوزع وقتها بين الحدائق والزيارات والسينما . خلقها لتشارك الرجل فى السراء والضراء لا لترهقه من أمره عسرا . خلقها لتعد بنفسها أبناءها ، لا لتتركهم لعناية الخدم والمربيات . . . تلك يا أختاه رسالة المرأة ، أما ما عدا ذلك فباطل ؟

محمود البكرى القلوصناوى

فلسفة سبنسر

للاستاذ زكى نجيب محمود

تمهيد

تستطيع أن تصور لنفسك الحركة الفكرية فى أوربا فى القرن الماضى بندولا يتذبذب من طرف إلى طرف ، ويقفز من النقيض إلى النقيض ، وليس فى ذلك نبو أو شذوذ ، إنما هى الطبيعة الانسانية ، أو إن شئت فقل هى طبائع الاشياء جميعا ، اذا ما تطرف بها الموضع ، لا تستطيع أن تتوسط فى مقر معتدل مطمئن قبل أن تجذبها الدفعة الى أقصى الطرف الآخر . وهكذا خضعت الفلسفة فى القرن التاسع عشر لما تخضع له الأشياء جميعا ، فاهتزت بها الأرجوحة بين طرفى النقيض . فى أوائل القرن الماضى طوح بها هجل فى بيداء الغيبيات والتجريد فلا تكاد تقرأ شيئا منه ، حتى تضل فى عالم وراء هذا العالم المحس الملموس ، فليست الطبيعة عنده شيئا ، وما وراء الطبيعة هو كل شىء . ولكن لم يكد ينسلخ من القرن نصفه الأول ويضرب اليأس فى أحشاء النصف الثانى حتى نفر العقل الانسانى من ذلك الفكر المجرد ، وسئم تلك الميتافيزيقا المعقدة الموحشة ، وأعياه هذا العبء الثقيل . فألقاه عن كاهله غير آسف ، وقفز الفكر الى النقيض الآخر . فنهضت فلسفة جديدة تنكر غيبيات هجل وأشياع مذهبه ، وتنتقل بالانسان الى ضرب آخر من ضروب الفكر ، بعد أن كانت تتناول بالدرس حياة لا يربطنا وإياها الا الخيال الشارد ، أخذت تعالج مظاهر هذا العالم الواقع المحسوس . نعم انتقلت الفلسفة الى المعرفة اليقينية الايجابية . وكان حامل اللواء فى هذه الحركة أوجست كنت فى فرنسا . ثم داروين وسبنسر فى انجلترا

وكان طبيعيا أن تنشأ هذه الفلسفة الايجابية فى فرنسا ، لانها موطن اللا أدرية والشك ، وهما طريق لابد أن تؤدى يوما الى الايمان واليقين مهما امتد بها الزمان ، ثم كتب لهذه الحركة الايجابية أن تتصل بتيار الفكر فى انجلترا الذى استمد روحه من الصناعة التى تدوى أرجاؤها فى كل ربع من ربوعها ، والتى تقوم على العلوم أولا وآخرا ، فليس عجيبا أن يصوب الفكر الانجليزى ناظريه نحو الحقائق الجزئية التى هى المعين الذى تستنبط منه العلوم بأسرها وأن يضرب بكل ماوراء الطبيعة عرض الحيط . . وقد كان بيكون أول من انتحى بقومه ذلك النحو من التفكير ، ثم تأثر خطوه من جاء بعده من فلاسفة الانجليز : هوبز ولوك وهيوم

عنى الانجليز إذن بدراسة ما حولهم من أحياء وأشياء . حيث آمنوا ايمانا قاطعا انها هى الحقائق التى لا حقائق بعدها ، فنتج عن هذه الدراسة علوم الطبيعة والكيمياء وسائر العلوم جميعا ، بما فى ذلك علم الحياة الذى كانت نظرية التطور ثمرة من قطوفه . وقد فصلها داروين فى كتابه أصل الانواع تفصيلا ضافيا ، فكان لها دوى ارتجت له اركان الجامعات ومجامع العلم فى أنحاء العالم ، ثم جاء على الأثر فيلسوفنا سبنسر حيث استوى على ذروة تلك الموجة الفكرية فتناول مبدأ التطور وأخذ يطبقه على كل ناحية من نواحي التفكير . وها نحن اولاء نورد لك خلاصة موجزة لاهم ما جاء فى كتبه من آراء .

١ — الحقيقة المغلقة ، أو ما لا يمكن معرفته

يقدم سبنسر بين يدى كتابه المبادىء الاولى ، قضية لا يرتاب فى صدقها ، وهى ان كل دراسة تقصد الى البحث فى حقيقة الكون واستقصاء علته ، لابد ان تنتهى الى مرحلة يقف حيالها العقل عاجزاً لا يستطيع ان يدرك عندها من الحق شيئا ، سواء سلك الى ذلك سبيل الدين أو العلم أو ما شئت من سبل

ابدأ بالدين وانظر كيف يعلل لك الكون : هذا ملحد يحاول ان يقنعك بأن العالم انما وجد بذاته ، لم يتفرع عن علة وليس له بدء ولا ختام ، فلا يسعك أمام قوله هذا الا أن تمط شفتيك جحودا وانكارا ، لأن العقل لا يسيغ معلولا بغير علة ، وموجودا سار فى الحياة شوطا لا بداية له ... ثم استمع الى هذا الناسك المتدين ، ها هو ذا يقص عليك علة الكون وكيف كانت نشأته ، فخالق الكون عنده انما هو الله العلى العظيم ، ولكنك صلب عنيد ، سترى أنه لم يفسر من المشكلة شيئا ، ولم يزد على صاحبه سوى أن أرجعها خطوة الى الوراء ، وكأنى أسمعك تسائله فى سذاجة الطفل ومن أوجد الله ؟ . وإذن فالدين بجانبيه - الايمان والالحاد - لم يستطع أن يقدم لك تعليلا واضحا معقولا

خذ العلوم ، فلعلك واجد عندها ما يرد حيرتك . . . سائل العلم :

ما هذه المادة التي أراها وألمسها والتي تغص بها جوانب الكون؟ انظر! ها هو ذا يحلل لك المادة الى ذرات ثم الى ذريرات أدق، ثم الى أخريات أكثر منها دقة، ثم ماذا؟ هنا يقف العلم بين اثنتين، فهو اما ان يعترف بأن المادة قابلة للتجزئة الى مالا نهاية له من الاجزاء، وليس من اليسير أن تستيغ هذا القول، واما أن يقرر بأن ثمت حدا يقف عنده التقسيم، وهو مايستحيل عليك أن تقنع به.... ثم سائل العلم عن القوة ماهى؟ فلست أحسبه يستطيع جوابا.. واذن فالعلم كذلك عاجز عن شرح حقائق الكون.

وأى غرابة فيما يصادف الذكاء البشرى من ابهام لايقوى على معرفته؟ انه أعد لكى يفهم ظواهر الأشياء، ولايعدوها الى ما خفى وراء أستارها، ولكنا فى الوقت نفسه لانستطيع أن ننكر هذا الشعور الذى تضطرب به نفوسنا من ان وراء هذا الغشاء الظاهر حقيقة كامنة، حسب العقل أن يدرك وجودها، اما اذا هم نحوها بالتحليل والتعليل خر صريعا عاجزا

وعلى هذا الاساس من وجهة النظر، يصبح التوفيق بين العلم والدين هينا ميسورا، فليقصر العلم دائرة بحثه على ظواهر الأشياء دون أن يتورط فى البحث عن حقائقها المستورة... له أن يتناول المادة تحليلا وتركيبا دون أن يبحث فى ماهية المادة، وله أن يستنبط قوانين الحرارة والضوء والصوت وما اليها من مظاهر القوة دون أن يعلم ماهية القوة، لأن هذه وتلك فوق مقدوره، وكل محاولة له فى هذا السبيل ضرب من العبث.. أما الدين فخير له أن يترك هذا العقل المعاند الملحاح، الذى لا يطمئن لغير الحجة المنطقية، خير له أن يترك هذا العقل يسبح فى غروره وأن يناشد العقيدة من الانسان، لان من طبعها ألا تلزم بالحجة العقلية.. قل للعلم أن يكف عن اثبات الله أو انكاره فليس اللاهوت ميدانه الذى يصول فيه ويجول، وقل للدين أن يكف عن مناشدة العقل لانه لايستقيم مع نهجه فى التفكير، تر الدين والعلم أخوين متصالحين لكل منهما حلبة ومجال.

ترى من هذا أن سبنسر يعتقد اعتقاداً لا يلين للشك بأن وراء ظواهر الاشياء حقيقة مغلقة لا يستطيع العقل البشرى أن يعلم من أمرها شيئا، ولكنى أريد أن أتقدم هنا الى سبنسر فى تحفظ وتواضع باعتراض منطقى، فالقول بان مسألة ما يستحيل على العقل أن يعلم عنها شيئا، قول يهدم نفسه بنفسه لانه يتضمن اعترافا بأن العقل قد ألم بها فعلا بعض الالمام فقد أدرك وجودها على أقل تقدير، ثم سار فى بحثها شوطا أيقن بعده أنها فوق مقدوره المستطاع، اذ لو كانت مغلقة دون العقل اغلاقا تاما، لما علم بوجودها فضلا عن علمه بقدرته على ادراكها أو عدم قدرته

٢ — التطور

ولكن مهما يكن من أمرفها هى ذى الفلسفة — أى العقل — قد ألقت سلاحها معترفة بقصورها وعجزها عن ادراك تلك الحقيقة الكامنة وراء ظواهر الأشياء وبادرت فألقت بهذا العبء الذى أثقل كاهلها طوال العصور الى الدين يحثها ما شاءت له طرائقه؛ ولتقنع الفلسفة بالبحث فيما تستطيع له فهما وادراكا، ولتكن مهمتها منذ اليوم تلخيص النتائج العلمية وجمعها فى وحدة شاملة. فقد بدأت المعرفة بأشتات متناثرة من المعلومات؛ ثم امتدت اليها يد العلم بشىء من الربط حتى تركزت فى طائفة من العلوم. أفلا يجدر بالفلسفة أن تؤاخى بين أفراد هذه الجماعة من العلوم المختلفة. فتسكب المعارف الانسانية جميعا فى وحدة متماسكة؟ حقيق بها الا تدع سبيلا للبحث حتى تهتدى الى قانون عام ينتظم التجارب الانسانية جميعا، كائنا ما كان لونها... ترى هل توفق الى الهداية فى هذه الطريق الملتوية الوعرة. فتنتهى الى قانون واحد يفسر هذا الشتيت المتضارب مما يقع تحت حسنا؟ ويضم تحت لوائه المفرد كل هذه الشنود المتباينة مما تضم صدورنا من تجربة وعلم؟

يجيب سبنسر أن نعم. ألا يتلخص تاريخ الكائنات جميعا فى ظهورها من بدء مجهول ثم اختفائها فى نهاية مجهولة؟ اذن فلابد أن يكون ذلك القانون المنشود شاملا للتكوين والانحلال... الا وهو التطور. وهنا يضع سبنسر قانونا للتطور شرحه فى مجلدات عشرة واستغرق من زمنه عشرين سنة كاملة؛ هاك نصه: « التطور هو تجمع لاجزاء المادة، يلازمه تشتيت للقوة والحركة، وفى خلال ذلك تنتقل المادة من حالة التجانس المطلق الى حالة التباين المحدود ».
ولشرح هذه العبارة نقول:

لقد تكونت الجبال الشامخة من ذرات الحصى، وامتلأت المحيطات الفسيحة بقطرات ضئيلة من الماء، واجتمعت عناصر دقيقة من الأرض فكونت الادواح العالية، ووجبات متعاقبة من الطعام تشيد أجسام الرجال، وتآلفت طائفة من المشاعر والذكر فألفت فكراً ومعرفة، ثم تآخت جزئيات المعرفة فانتجت

علماً وفلسفة ، لقد تطورت الاسرة الى القبيلة ، ثم الى المدينة والجنس ، ثم الى الدولة ، ثم الى تحالف بين دول الارض قاطبة ... كل هذه أمثلة لاجزاء المادة المتناثرة كيف تأتلف ويجتمع بعضها الى بعض . ومن جهة أخرى يسبب هذا التآلف حداً من حركة الاجزاء وشلاً لقوتها ، فقوة الدولة مثلاً تحد من حرية الافراد ؛ والحبة من الهباء حرة الحركة وهى منفصلة ؛ مشلولة مقيدة اذا ما اجتمعت مع اخواتها فى صخرة أو جبل .. ولكن تجمع الاجزاء يستتبع نتيجة أخرى هى التنوع والتنافر فى العمل الذى يؤديه كل منها ؛ فقد كان السديم الأول مركبا من مادة متجانسة يشبه بعضها بعضا ولكنه سرعان ما تنوعت فى غازات وسوائل وأجسام صلبة .. أنظر فهذه قطعة من الاديم قد افترشت سندساً أخضر ، وتلك الجبال قد اكتست ثلوجا ناصعة البياض ، وذلك البحر قد تسربل بلباسه الأزرق .... أنعم النظر فى هذه الخلية الواحدة المتجانسة وما سينشأ عنها من مختلف الاعضاء : هذا للغذاء وذاك للافراز وثالث للحركة ورابع للادراك ... اللغة الواحدة لا تكاد تسرى فى بطاح الأرض حتى تتنوع فى ألسنة ولهجات لا يفهم بعضها عن بعض ... العلم الواحد يتفرع عنه عشرات من العلوم ، المنظر أو الحادثة توحى صوراً من الفن والأدب ليس الى حصرها من سبيل ... كل هذه أمثلة على التنوع والتنافر اللذين يعقبان التشابه والتجانس

وهكذا أسطورة الحياة : تجمع وتفريق ؛ تآلف وتنافر ، تأتلف الاجزاء وتجتمع فى وحدة لا تزال تطرد فى النمو حتى يدركها تنافر الأجزاء ، ثم يشتد هذا التنافر ويشتد حتى تتلاشى وتنحل ...

سنة الوجود هذا الانحلال والتكوين ، ولكنه بين جذبة المد ودفعة الجزر يلتمس التوازن لكى ينتهى اليه ... فكل حركة تعانى من المقاومة ما يؤدى بها الى البطء ثم الى السكون عاجلا أو آجلا ؛ ... الكواكب السيارة يضيق فلكها شيئا فشيئا .. حرارة الشمس وضوؤها يقلان كلما تقادم عليها الدهر . الارض تتلكأ فى سرعتها عهدا بعد عهد الدماء فى عروقنا سيصيبها البرودة والبطء ... وهكذا سيسعى الوجود نحو الانحلال ، أو سيسعى الانحلال الى الوجود خطوة خطوة ، وهى خاتمة محتمة للتطور : سينحل المجتمع وتتفرق الشعوب ؛ وتذوب المدن . وبمثل هذا تتم دورة التطور والانحلال ولكنها ستبدأ السير ثانية وثالثة الى ما لا نهاية له من المرات ، وكل تكوين جديد لابد ان ينتهى بالفناء والموت

وهكذا كان كتاب « المبادئ الأولى » مأساة مروعة تروى لنا قصة العالم : صعود وهبوط ، تكوين وانحلال ، حياة وموت ، تطرأ متتابعة على الأحياء والأشياء ... أفيكون عجيبا أن يقابل هذا المؤلف عند اخراجه واذاعته فى الناس ثورة عنيفة لأنه لم يدع مجالا للعقيدة والأمل ؟ !

رأيت فيما سبق أن التطور عند سبنسر هو القانون الذى تنشده الفلسفة لكى تضم بين دفتيه علوم الانسان بأسرها . فمهما قلبت النظر فى مظاهر الكون وجدتها تسير فى سبيل التطور أى من البساطة الى التعقيد ومن التجانس الى التباين . ويجدر بنا أن نورد فى هذا المقام نقداً للفيلسوف المعاصر برجسن على هذا القانون ؛ فهو يقول ان سبنسر بقانونه هذا انما يقدم لنا صورة الطبيعة كما هى ، وليست هذه مهمة الفيلسوف ، بل يطلب اليه أن يفسر هذه الصورة التى اكتفى هو بسردها سرداً ..

ويختم سبنسر كتابه هذا برأيه فى الحياة بأنها تافهة حقيرة لا تستحق البقاء ؛ فأصاب بهذا الرأى ما أصاب الفلاسفة جميعا من محنة النظر البعيد ، إذ ألقى ببصره الى الأفق النائى ، فمرت صور الحياة الخلابة تحت أنفه دون أن يراها ! !

ولنقف من الأمر عند هذا الحد على أن نعود فى مقال تال الى تتمة الموضوع ؟

زكى نجيب محمود

من طرائف الشعر

أغنية ريفية

للشاعر الوجداني علي محمود طه المهندس

إذا داعبَ الماء ظلَّ الشجَرْ   وغازلت السُّحْبُ ضوء القمرْ
وردَّدتِ الطيرُ أنفاسها   خوافق بين الندى والزَّهَرْ
وناحت مطوقةٌ بالهوى   تناجي الهديلَ وتشكو القدرْ
ومرَّ على النهر ثغرُ النسيم   يقبِّلُ كلَّ شراعٍ عَبَرْ
وأطلعت الارضُ من ليلها   مفاتنَ مختلفات الصورْ
هنالك صفصافةٌ في الدجى   كأنَّ الظلامَ بها ما شعَرْ!
أخذتُ مكاني في ظلها   شريدَ الفؤاد كئيبَ النظرْ
أمرُّ بعيني خلال السماء   وأُصرف مستغرقاً في الفكَرْ
أطالعُ وجهكَ تحت النخيل   وأسمعُ صوتكَ عند النَّهَرْ
إلى أنْ يملَّ الدجى وحشتي   وتشكو الكآبةُ مني الضجرْ
وتعجب من حيرتي الكائنات   وتشفق مني نجومُ السَّحَرْ
وأمضي لأرجعَ مستشرفاً   لقاءكِ في الموعد المنتظرْ!!

الزورق الغريق

للشاعر الدمشقي أنور العطار

« ... ولكن إذا رجع بك القدر دون ما تصبو إلى أثر حب منعى، فإن هذه الحصاة تقفك ويؤلمك أنها صدمتك.
وتصبح حينذاك إن الحياة حلم، وتظل مكتوف اليدين كما لو انتبهت من إغفاءة، فتحزن وتضطرب، ذلك لأن الأكذوبة المفرحة لم تدم إلا لحظة ! »
« الفريد دو موسيه »

أنيري ظلامَ الرُّوح فالحبُّ زورقٌ   متى يعترضه طائفُ اليأس يغرقِ
يحومُ على شطِّ النجاة مروَّعاً   فتحسبُهُ الأمواجُ قربانَ متَّقي
علالةُ مغلوبٍ تعايا رجاؤه   فلم يبقَ منه غيرُ أنَّةِ مشفقِ
وفاضت من المجداف حسرةُ خائبٍ   حبيسِ التشكِّي خافتِ النَّوح مرهقِ
وعاصفةٍ هوجاء كالموت صولةً   رمتْ بشراعٍ خافقٍ متمزِّقِ
فطاحتْ أمانيه وأفضى به الردى   إلى حالكٍ جهْم السَّرائر ضيِّقِ
قسوتِ على قلبي وشرَّدتِ حلمَهُ   وخلَّفتِني مثلَ الغريق المعلَّقِ
فلا اللُّجَّةُ الرَّبداءُ تخطفُ روحَه   ولا هو من مرِّ العذاب بمطلَقِ
حنانيكِ ردِّي النفسَ من عالم الأسى   إلى عالمٍ حلو الأغاليل مونِقِ
فينتعشَ القلبُ الذي مضَّهُ الجوى   ويمرحَ في كونٍ من الحبِّ مورِقِ
أسيتُ له كمْ يقطعُ العُمْرَ موجعاً   ويحيا بحبٍّ يائسٍ منكِ مقلِقِ
متى تلتمعْ ذكراكِ في ساحِ حلمِهِ   يضجُّ كطفلٍ واهنِ الصبر مُخْنَقِ
يودُّ لو انَّ اللهَ ألقاهُ موجةً   بصدركِ إنْ يخفقْ به الوجدُ تخفقِ
خُذي بيدي فالحبُّ لم يُبْقِ لي يداً   أردُّ بها كيدَ الحياة وأتَّقي
أضعتُ ملاذي في هواكِ وليتني   ظفرتُ بحبٍّ طافحٍ منكِ مغدِقِ

كأنَّ الهوى قد بدَّل القلبَ طائراً
وعلَّمَهُ نوحَ الحمامِ المطوَّقِ

يُحلِّقُ فى موجِ السماءِ مغلغِلاً
ومَنْ يُضْنِهِ الحبُّ البرىءُ يُحلِّقِ

هل الحبُّ إلا بعضُ أصبغَةِ الصِّبا
متى ما توشَّ القلبَ يخفُقْ ويَعشَقِ

يُعيدُ إلى خابى الحياةِ شعُاعَها
فتَنْدَى بنورٍ ساطعٍ مُتألِّقِ

...

أفيضى علىَّ الحبَّ تلمعْ على المدَى
خيالاتُ ماضٍ ضاحكِ الحلمِ مُشرِقِ

يرِفُّ سناهُ وهو تَدْنانُ بالرُّؤَى
كموجةِ نورٍ فى غِلالةِ زنبقِ

تعاوِدُنى ذكراكِ والقلبُ عاطشٌ
وإمَّا يُساوِرْهُ التذكُّرُ يَشرَقِ

إذا أغدرَ الوِرْدُ الذى كان صافياً
فلا بُدَّ من كرْعِ المريرِ المرنَّقِ

أيا نهرَ النسيانِ غَيِّبْ صحيفتى
وهرِّقْ بها فى الغيبِ كلَّ مُهرَّقِ

فما نورُ هذا الكونِ إلا عمايةٌ
إذا كان حظُّ الحبِّ غيرَ موفَّقِ

...

أمانِىَّ كُثْرٌ والهوى يستثيرُها
ولكنَّها بنتُ الخيالِ المنمَّقِ

يزيِّنُ لى أُفْقَ الأعاليلِ حالياً
فأيَّانَ يبدُ الحُلْمَ نَضْراً أُصدِّقِ

ويُغرِى فؤادى بالرؤى وهى ضِلَّةٌ
وما كان حُلْمُ القلبِ بالمتحقِّقِ

أفقتُ وقلبى لا يرومُ إفاقةً
ومَنْ تحتجبْ عنه الأمانىُّ يَزْهقِ

فيالكَ من قلبٍ كحلمِىَ طائحٍ
شتيتٍ كدمعِ الفجرِ نهبٍ مفرَّقِ

...

سنمضى ويبقى الحبُّ لهفانَ باكيا
يموجُ كسرٍّ فى السموات مُغْلَقِ

إذا طفحت هذى السماءُ محبَّا
فهل تحفظ النجوى إلى يومِ نلتقى

...

وقفتُ عليكِ الشعرَ أسوانَ دامعاً
بقيَّةَ ومضٍ من فؤادٍ مُحرَّقِ

فصونى نشيداً ضَمَّ أحلامَ شاعرٍ
مُضاعٍ شرودِ اللبِّ ولهانَ شيِّقِ

آية الجزر

للاستاذ فخرى ابو السعود

جزيرةٌ قد أشاحتها يدُ القَدَرِ
عن الشطوط فقامت آية الجُزُرِ

قد استوتْ وسطَ أمواجٍ تلاطمها
نصبَ الرياح ونصب البرد والمطر

إذا الشتاء أتاها لم يَرُمْ حولاً
عنها وغشَّى فجاج الأرض بالكدَرِ

قريبُ ما بين أطرافِ النهار وما
يزهو برونق آصال ولا بُكَرِ

يأتيك فى كل يوم من تحوُّله
شأن جديد وأمر غير منتظر

يارُبَّ يومٍ شرودٍ جاء مزدهيا
بشمسه ونسيم ليِّن عطر

تلاه آخر زوَّاها وأترعها
بوابلٍ مستمر الوَكْفِ منهمر

فجاء صبح حديد البرد قارسه
يكوي الوجوه بوخز منه كالابر
فجاء من بعده صبح أبيض يقق
كاس بثلج كزغب الطير منتشر
يغشى المنازل والأشجار ناصعه
كسكر فوق حلوى العيد منتثر!
يكاد يزلق عنه غير منتبه
من لم يطأه بنعل الخائف الحذر
فجاء صبح يلف الارض في سدف
من الضباب كثيف اللون معتكر
يكاد يفتقد الانسان راحته
إذا تعرض بين الراح والبصر
يطوي معالمها في طي غيهبه
فلم يدع ثم منظوراً ولم يذر
إذا أقام ثلاثا في جوانبها
نسيت كيف مسير الشمس والقمر
إذا ترائت شتاء وهي كالحة
شوهاء عاطلة من معجب الصور
دجناء مربدة الآفاق حائلة
جدباء ذاوية الازهار والشجر
عجبت كيف يزور الوحي واديها
وكيف ينطق فيها الشعر بالغرر
وكيف يونع حسن في كواعبها
يتهن في ريق منه وفي نضر
لكن شاعرها سارت نباهته
في الخافقين وجابت سالف العصر
وقومها في أقاصي الشرق قد رفعوا
والغرب راية رب السبق والظفر
سادوا بكل أديم راق منظره
وكل واد قشيب الوشي والحبر
وسخروا اليم واعروروا أواذيه
بقاهر حيث جاب اليم منتصر
الله يشهد ما جابوا بمعجزة
في العالمين ولا بدع من الخبر
لكنه الجد تنقاد الامور به
للطالبين ويدنو عازب الوطر

في ١٤ نيسان ١٩٣٣

« هدية الى صديقي الشاعر الملهم احمد زامي »

احبك في القنوط وفي التمني كأني منك صرت وصرت مني
احبك فوق ماوسعت ضلوعي وفوق مدى يدي وبلوغ ظني
هوى مترنح الاعطاف طلق على سهل الشباب المطمئن

* * *

ابوح اذن فكل هبوب ريح حديث عنك في الدنيا وعني
سينشرنا الصباح على الروابي على الوادي على الشجر المغني
ابوح اذن فهل تدري الدوالي بانك انت اقداحي ودني؟
اتمم باسم ثغرك فوق كأسي وارشفها كأنك او كأني!!

* * *

نعيم حبنا فانظر بعيني وعرس للنبي فاستمع بأذني
كأن الصحو يلمع في ظنوني ويخفق في ضلوعي ألف غصن
على الوتر الجنون خلعت شوقي وماج هواي في آه المغني
فني النغم العميق اليك أمشي وأسلك جانب الوتر المرن

بيروت أمين نخله

مجموعة السنة الاولى

لدى الادارة مجموعات من السنة الأولى للرسالة تباع مجلدة بخمسة وثلاثين قرشا عدا أجرة البريد

دراسات أدبية

بلاسكو ايبانيز

نقل رفاته من منفاه الى مسقط رأسه

بقلم محمد امين حسونه

رأت الجمهورية الاسبانية وقد تحققت اطماع رجالها السياسية واستقرت حركتها الانقلابية الدستورية، أن تمجد الرجل الذى تقدم الصفوف ونفخ فى بوق الثورة، فذهب ضحية مبادئه : بعيداً



(بلاسكو ايبانيز)

عن البلاد التى لبث نصف قرن ونيفا يخلص لها الحب، حتى كانت « اسبانيا » آخر كلمة لفظتها شفتاه، وهو يعانى آلام الموت فى منفاه. فلم تجد أليق من أن تعيد رفاته الى وطنه ليضمه ثرى « بلنسية » وهى البلدة التى انبثق من نواحيها فجر هذه العبقرية الفذة التى تتحدث عنها.

فمن أسابيع خلت، احتفلت الحكومة الاسبانية رسميا بنقل رفات الكاتب الشهير « بلاسكو ايبانيز » من مدينة « منتون(١) » بفرنسا، على ظهر بارجة حربية حملته الى مسقط رأسه، وقد كان الاحتفال بوصول رفاته يوما مشهوداً فى تاريخ اسبانيا، ساهم الشعب فيه باظهار عواطفه السامية، نحو الرجل الذى لبث يجاهد ويناضل ويذكى فى وطنه من حرارته وفتوته، لتظل فوهة البركان أبداً مشتعلة وهاجة !

عاش ايبانيز طيلة حياته متمرداً ثائراً ؛ لا يهدأ ولا يستقر ولا يعرف لبدنه عليه حقا، كأنه موكل بتسخير قوى الطبيعة لخدمته حتى قيل : إنه سحابة من نار.

طالع فى فجر شبابه كل ما كتب عن الثورة الفرنسية، وكان يشبهها « بالهرة » عندما تجوع لا تلبث أن تأكل صغارها ؛ ولكن الثورة لم تأكل صغارها ؛ بل أكلت زعماءها : دانتون، ومارات وروبسبير. وكان مفتونا بروسو وفولتير، يعجب بهما ويقول : هما اللذان مزقت أفكارهما وثائق العبودية، وبفضل مبادئهما اشتدت روح الثورة، غذاها الأول من ناحية القلب، والثانى من ناحية العقل.

ولد بلاسكو فيسنت ايبانيز فى ٢٩ يناير سنة ١٨٦٧ بمدينة بلنسية، وهى حاضرة المقاطعة المسماة باسمها، وقد اشتهرت بكتدرائيتها الاثرية ومنها خرجت طائفة من اعظم فنانى اسبانيا فى القرن الرابع عشر، وقبل ان يبلغ العشرين من عمره، اصدر صحيفة اسبوعية كانت تبث المبادىء السياسية المتطرفة فى ذلك الوقت، كالجمهورية، والدعوة الى الاشتراكية ونحو ذلك، وحدث ان قدم ايبانيز الى برشلونة — مبدأ الثورة — ليخطب فى حفل سياسى، فتناول فى خطابه الجمهورية والملكية، واخذ يفاضل بينهما، فقبض عليه رجال البوليس، ولكنه قاومهم واعتدى عليهم فحكم عليه بالسجن، غير انه خرج من السجن وقد ازداد ايمانا بمبادئه وتحفزا الى تحقيقها: فكون (الحزب الجمهورى الحر) وتقدم فى ضوء هذه المبادىء الى الانتخابات، ففاز بالاجماع وانتخب نائبا فى البرلمان الاسبانى عن مقاطعة (بلنسية) ولم يمنعه اشتغاله بالسياسة من ان يتفرغ للادب والكتابة، وهو بلاشك اعظم كاتب ظهر فى اسبانيا الى اليوم، خلف وراءه ثروة ادبية زاخرة، تبلغ الثلاثين كتابا ؛ كل صفحة منها مشرقة اشراق النجم !

---

(١) تقع فى جنوب فرنسا على شاطىء البحر المتوسط وقد اتخذها ايبانيز مقاما له بعد صدور أمر الدكتاتور السابق بريمودى رفيرا بنفيه وتوفى بها فى ٢٩ يناير سنة ١٩٢٨ أي فى مثل يوم ولادته.

لم تقتصر ثورته على الأوضاع السياسية التي كانت تشكو منها بلاده فحسب ، بل عرف أنه كان هداما في دائرة الادب ايضا ، ليبني على انقاض القديم وجموده ، أدبا جديدا حيا له طابعه ومميزاته الخاصة ، والحقيقة ان العصر الذي بدأ فيه ابيانيز حياته الادبية ، كان في حاجة الى من يقوض اركانه ، وكان يقول : نحن في حاجة الى الثورة الادبية التي تدفعنا الى كشف مواطن الجمال وتؤدي بنا الى النور ».

ولكن هل أثرت تعاليم ابيانيز حقا فاخرجت الادب الاسباني من الظلمة الى النور ؟ إن من يتذوق ذلك الفن العميق الرائع الذي خلده ابيانيز في قصصه الممتعة ، امثال : في ظل الكنيسة ، وامرأة «جويا» العارية ، وفرسان الرؤيا الاربعة ، وفاجعة البحيرة ، وبحرنا ، وزهرة مايو ، واعداء المرأة ، ورمل ودم ، والاراضي المجهولة الخ ، ذلك الفن الذي كان يعتمد في ابرازه على جمال التنسيق ودقة الوصف ، وارهاف العاطفة ويكسوه باشباع الروح الدرامي الغامر ، حتى يجتهد في أن يجعل من أدبه مرآة صافية لفنه الجميل ، تنعكس عليها مختلف الصور والأحاسيس ، فتشعر وأنت تطالع قصة له أن شعورك ووجدانك مرتبطان تماما بحوادثها ، وانها تمثل بلاده ونفسيتها أبلغ تمثيل ، وقد لا يصرفه كلفه باللوحة ومحاولة اظهار مكامن الفتنة في الصورة ، عن العناية بالاطار نفسه ، فتجده يقتنص المعاني ويصقل الألفاظ كما يصقل النحات الأحجار قبل البناء ، وولعه بالطبيعة يدفعه الى أن يجاري (زولا) فيرسم أبطاله وهم يعيشون بين مهادها بعيدين عن تلك العاطفة الزائفة التي تولدها الحياة المصطنعة في المدن ، كما أن إعجابه بالبحر المتوسط — مهد جميع البطولات والأديان — يوحي اليه أن يمجد من أعمال رجاله «عوليس» ، و«بركليس» ، و«هنيبال» ، والاشادة بشجاعة فرسانه ، وذلك في قصته الخالدة Mare Nostrum

لفت ابيانيز انظار العالم الاوربي الى فنه خاصة والى الأدب الاسباني عامة ، فترجمت مؤلفاته الى اللغات الحية وأولع الفرنسيون بقصصه فقلدوه وسام « جوقة الشرف » ، وهتف له شيوخ النقدة . فوصفه كورتيوس النقادة الالماني « بأن فنه عبارة عن مأساة الخير والشر » ، وقال أحد القصصيين الامريكيين ، لقد بدأ ابيانيز ينافسنا في صناعتنا ، والاوفق أن نحطم أقلامنا ونبحث عن صناعة غير الأدب لنعيش » !

وقد غرست مبادئ «فولتير» في نفسه كراهية رجال الدين والسخرية من أعمالهم ، ففي قصته المسماة Dans l'ombre de la Cathedrale « في ظل الكتدرائية » ، يصور لنا مفكرا اشتراكيا هو « جبريل لونا » ، يطالب بالاصلاح الاجتماعي فيكون نصيبه الاضطهاد من الكنيسة ، فيثور على رجالها ويحتج ويغادر بلده بعد أن يؤمن بأن لا كرامة لنبي في وطنه ! ويطوف باوروبا ليبشر بمبادئه ، بينما السلطات تطارده أينما حل ، فيعود أخيرا الى بلده مقصوص الجناح كسيرا ، ويضطر الى أن يعيش متخفيا مع أخيه الذي يعمل خادما «بالكتدرائية» ، أي يعود فيأكل من خبز الكنيسة التي يضمر لها البغض ، حتى اذا ما اشتد ساعده أخذ يكفر بنعمتها ويؤلب الجموع عليها ، يتخذ من خدامها تلاميذ له ، ويبث مبادئه بينهم ، فلا تلبث هذه المبادئ أن تسري كالسم في أبدانهم ، يحملهم على سرقة أموالها وتحفها ، ولكنهم في خلال السرقة يقتلونه ويمثلون به أشنع تمثيل !

ولعل فن ابيانيز يبدو قويا واضحا ، وافكاره مستوية ناضجة في القسم السادس من القصة ، عندما يحمى وطيس المناقشة بين جبريل وأحد اتباعه ، فيبسط امامه حالة اسبانيا وجمود الكنيسة ، ويتعرض للفترة الذهبية من تاريخها ، فيذكر ان الاسبانيين أعظم من اليونان والبيزانطيين ، فهم الذين أهدوا البشرية « الدنيا الجديدة » ، وهم ارستقراطية الشعوب وسادة البحار ، قادوا الرواد في سياحاتهم حول الكرة وجابوا الآفاق وبثوا المدنية من مرتدها ، ولو أنصف التاريخ لجعل بلادهم وطن العلم الاول !

اما في قصته « رمل ودم » فهو المتهكم اللاذع ، صاحب الاسلوب المتدفق الفياض ، يرسم لنا في لباقة وسحر : حياة مصارعي الثيران فلم يحاول ان يقلل من خطر هذه المصارعة الوحشية ، ولكنه هاجم الارستقراطية التي تبني مجدها وتسليتها على شقاء هؤلاء المصارعين الذين يطلقون عليهم اسم « التريادور » . فبطل هذه القصة « جوان جالا رادو » : فتى يخرج من صفوف الشعب ليشق طريقه الى المجد بقوة ساعده فيتمرن على مصارعة الثيران ، ولا يلبث أن يبذ أقرانه ويتألق نجمه ، وتمكنه شهرته وحياته الجديدة من ان يستمتع بكل ما كان يصبو اليه في صغره ، يحارب الفقر والجوع وينعم بالزواج ووفرة المال ، ولكن القوة والشهرة لا تدومان ، فهو يخشى ان يفقدهما عند ما يقف في ساحة المصارعة حاملا حياته بين ذراعيه ، ويرسم ابيانيز الى جانبه صورة أخرى يحملنا على التهكم والازدراء بها صورة « كورنتيس » وجدانية الحس متقلبة الاهواء تدعى « دونا سول » ، بعد ان تنتزع « جالارادو » من احضان زوجته ، تحبه ، وتعبده كبطل وتحاول ان تقرن نجمها بمجده

وشهرته ، ولكن عندما تحس بالفارق بينها كامرأة ارستقراطية تحتبر أصلاب الاشراف ، وبينه كرجل من عامة الشعب تحتقره وتتخلى عنه ، فيهوى نجمه ويفقد توازنه وهو فى ساحة المصارعة فينشب الثور قرنيه فى صدره ولا يلبث ان يقع مضرجا على الارض حيث تسيل دماؤه وتمتزج بالرمال ، يحملونه الى الخارج جثة هامدة ولكن الجمهور لايلبث بعد قليل ان يصفق ويصيح طالبا مشهدا جديدا ليشبع نهمته ويرضي غريزته التى طبعت على ذلك ، منذأن شهدت الدماء الاولى وهى تجرى علي الارض : دماء هابيل .

* * *

وايبانيز قوى الايمان بروح الحضارة العربية التي سادت اسبانيا وظلت ترفرف فوق ربوعها زهاء ثمانية قرون ؛ تلك الروح المتوقدة التى نفذت الي الغرب فعلمته كيف يخلق من الحب أدباً عاليا ومن المرأة صنما معبودا ، مابرحت تمد المعجم الاسبانى بريع مفرداته وان تشع أنوار خيالها فتلهب قرائح كتابها وتسعر بحرارتها دماءهم فتدفعهم الى كتابة دون كيشوت ، و كونده لوكانور ، وغيرهما ما نرى آثار الفروسية العربية كامنة بين سطورها ، بل إن أثر هذا الروح ليبدو واضحا تماما فى مؤلفات وأشعار سلفادور ، زوريدا ، والفريدو بلانكو ، وبيرس فالنتى وغيرهم ممن نراهم متأثرين بالخيال العربى الباهر لقد صهر بلاسكو ايبانيز بنار عاطفته المشبوبة تخيلاته عن حضارة أجداده العرب : فأودعها فى بعض قصصه ودافع عنها فى حماسة ويقين ، فهو وان كان يكتب بلغة اسبانية ، الا أنه كان يفكر قبل كل شيء بروح عربى ، وقد خلف وراءه أنصارا يحاولون اليوم جهدهم تحقيق ما كان يصبو اليه من اعادة الحضارة العربية الى « الفردوس الاسلامي المفقود » كى تنعش النهضة الحاضرة من تراثها الخالد ، واعادة التعليم باللغة العربية ـ مفتاح الثقافة الاسلامية فى اسبانيا ـ ونشرها بين الجامعة ودراسة آدابها الغالية ؛ وسوف يكون شأنهم بالنسبة لها فى اوربا شأن الموارنة عندما خدموها فى الشرق خلال العصور الغابرة

ينشر ايبانيز ظلال افكاره هذه على صفحات روايته (فى ظل الكنيسة) فتراه يمجد من شأن هذا الروح العربى ويصف شعوره على لسان احد ابطال قصصه فيقول :

« ان تاريخ اسبانيا الباهر لم يأت اليها من الشمال ولا من الكنيسة ، بل من الجنوب ومن العرب ، هؤلاء الرجال سمر الوجوه الذين وصلوا الي شواطئنا في القرن الثامن من شمال افريقيا بعد ان سيطروا فى انتصاراتهم على أرقى الشعوب ، حملوا الينا الحضارة والتمدن ، حضارة اجيال امتزجت ببعض ، قوامها فلسفة الهند وثقافة الفرس وآداب اليونان وفن البيزانطيين وأشياء اخرى من الشرق ومن الصين .

« احتضنت اسبانيا العرب ، ومكنتهم فى مدى عامين من ان يستولوا على حضارة سبعة اجيال ، رحب الشعب بهم لانهم فكوا وثاقه من استبداد ملوكه السابقين ، وكان استعمارهم استعمار الحضارة والنور والتسامح الدينى لا استعمار الوحشية والسلاح !

« وعندما استوطن العرب اسبانيا ، جعلوها .. كالولايات المتحدة الأمريكية ، فى العصر الحاضر ، تعيش فيها جميع الأديان فى حرية ومساواة ، من غير تحيز ولا تعصب ، وفى الوقت الذى كانت شعوب الشمال تعيش فى ظلمات الجهالة وتتطاحن فى الحروب الدينية وتختلط بالاقوام البربرية ، كان العرب والاسبان واليهود ، يعيشون كتلة واحدة فى وئام ، يعملون فى سبيل اسعاد اسبانيا ورفاهية شعبها ، فتأسست دور العلم والجامعات وازدهرت الفنون وارتقت العلوم ونشطت الموارد الاقتصادية وبدأت اسبانيا تستيقظ لتشهد أنوار فجر جديد !

« وماذا عمل ملوك الكثلكة الذين أتوا إلينا من الشمال بعد ذلك ؟ نشروا الإرهاب ومحاكم التفتيش ، أجلوا العرب واليهود ، طردوا العبقرية والحضارة ، واحلوا مكانهما : الدين والتعصب ؛ أطفأوا مصابيح العلم التى كانت تضاء من المساجد الاسلامية والبيع اليهودية ، ليضعوا مكانهما قناديل الجهل والجمود وخرافات رجال الكنيسة ، وعندئذ بدأت اسبانيا تتلاشى من العالم وتموت » .

يتشعب بنا الحديث لو شئنا أن نتحدث عن ايبانيز لنوفيه حقه ، وخير لنا أن نرجىء هذا الى فرصة يكون فيها المجال أكثر اتساعا ، وانما نختم هذه الكلمة بأن نقول ، إنه لما شبت نار الثورة الأسبانية الأخيرة التي انتهت باعلان الجمهورية ، كان إيبانيز فى مقدمة من يثيرون الخواطر ضد دكتاتورية الجنرال بريمودى رفيرا ، فاشتدت الخصومة بينهما ، وكان ايبانيز عزوفا عن الضيم فاتهم الملكية فى وطنيتها ، وكان هذا هو السبب فى ابعاده عن اسبانيا ونفيه ؟

محمد امين حسونه

بين الشك والإيمان:

« شـــيللر »

للاستاذ خليل هنداوى

حتى فى ظلمات الشك التى رانت على قلبى ، وفى الغم الذي غشى
نفسى ، تعلم - ياالهى - بأنى قد تحريت النور ...
اراني - دائما - اكثر هدوءا ... !

« شيللر »

بين كل شعراء الادب الالمانى تجد « شيللر » هو اشقى من طغى عليهم الشك . وبرح بهم التشاؤم المعذب .

درج « شيللر » من مهده ، يغمره حنان أم هى رمز التقوى ومثال العطف . وأب دعاله حين احتضنه بذراعيه - ربى ! امنح طفلى هدى العقل ، واهده السبيل الذى أخطه له ، وهكذا كانت مظاهر طفولته محاطة بالإيمان العميق . وقضى الشاعر نشأته الأولى مولعا بالكتب . وهائما فى الطبيعة يشبع ما يثور فى نفسه من الاهواء الشعرية .

دخل المدرسة وأخذ العلم يطغى على شاعريته وإيمانه ، ولكن « شيللر » كره العلم والعلماء ، وكان يجد ألذ ساعاته ساعة ينفرد بنفسه ويتلو توراة (لوثر) أو (المسباد) ولكن روح الشك كانت تتسلل الى نفسه من حيث لا يشعر . وفجأة تيقظت هذه الروح فيه فغدا صاحب شك وقلق - وظل - فى دوره الاول - بين عاملين يتساجلان الغلبة عليه ، فطورا يقهر القلب المتردد روحه الصافية . وتارة تغلب روحه الصافية قلبه المتردد : فينشد متألما

(حتى فى ظلمات الشك التى رانت على قلبى ، وفى الغم الذى غشى نفسى : علمت - ياالهى - بأنى قد تحريت النور .

أنت اردت لى هذه الأيام السوداء ، التى تبرز فيها الاوهام المغرية من ناحية ، ويبرز الانكار - من ناحية اخرى - ضاحكا ضحكة الساخر

هاأنذا - تجأر فوق رأسى العاصفة ! والقصبة سترتجف اذا لم ترحمنى يا الهي !

احرس قلبي فى هذا الهدوء ، فى هذا الهدوء المقدس وأنا سائر الى الحقيقة . فالشمس لا تعكس اشعتها فى اللجة الثائرة ، ولا تبسط شعاعها الاعلى صفحة الماء الرقراق .

إنى اسمع صلصلة الناقوس الذى يهتف بى الى الهيكل : فأغدو اليه حاملا ايمانى ...

ألا افتح قلبي لادراك الحقيقة ، حتى أستطيع ان اعانقها ، فأغدو سعيدا .)

فى هذه المقطوعة الصغيرة يظهر لنا شك الشاعر ، ومرارة قلبه ، وتوقان روحه الى الحقيقة ، والطريق التى ابتغاها ليستعيد الهدوء والايمان . ولكن الله لم يجاور قلب شيللر كثيراً . لأن الشك تسرب اليه ظافراً ، وملك عليه نفسه ولما يتجاوز الثمانية عشر ربيعاً ، فعاد شاعر هذه المقطوعة الطافحة بالايمان شاعراً شاكا ماعلمنا سر انقلابه ! ولكن هل كانت المذاهب الفلسفية الا تاريخ قلب الانسان ؟ وهل كان الشك والجحود والسلب الا ثورة من ثورات النفس المتعطشة الى معرفة المجهول . واذا بشيللر يقول - متحديا الدين بلهجة من يؤله الطبيعة - ان الاله الواحد انما هو كل الكائنات . الطبيعة والاله هما قوتان متساويتان . الطبيعة هى اله يتعدد وينقسم الى مالانهاية ، وفى الاجتماع ، يؤمن بمذهب (روسو) القائل : ان الانسان يولد صالحاً ولكن المجتمع هو الذى يفسده (١) .

— ٢ —

لندرس الشاعر ، نفسه وقلبه وعواطفه فى رسائله وفى قصائده ، لأنها هى صورة نفسه - اذا توخينا صورتها الصادقة .

ان شقاء شيللر لم يكن شقاء شعريا خياليا فحسب ، بل كان شقاء مصدره نفسه التى غشيها منه ماغشيها ! فهو فى بعض احيانه يتنازعه عاملان : ثورة حواسه ، وتعنيف ضميره له تعنيفاً أراد أن يحطمه الشاعر فعجز عن تحطيمه ، ويتمثل أنينه هذا فى مقطوعة (القتال)

« لا لا ... سوف لا أتحمل طويلا هذا القتال .. القتال الطاحن الذى يقوم به الواجب ، فاذا لم تقدرى على كبح أهواء قلبي ايتها الفضيلة ، فلا تطلبي منى التضحية ... هذا اكليلك ليظل - كل الايام بعيداً عنى ...

خذيه ... وذرينى وحدى اتلاشى ! »

وفى بعض أحيانه قد يجد الشاعر فى نفسه جرأة على الفرار ، الذى يتجلى فيه الانتصار . فيأوى الى ملجأ (مانهايم)

« فى حالة هم وغم ، اكتب لكم - يا أصدقائى - بانى لم أعد

(١) وهذا المذهب دفعه الى تأليف روايته (القضاة).

أستطيع البقاء هنا - فانا خلال اثنى عشر يوما جست مع نفسى كل مكان داخل نفسى وخارج نفسى ، طالباً الخروج من هذا العالم ، فالناس والسماء والارض كلها غدت عندي قبيحة . أنا هنا فاقد نفسى . . .

وهناك لحظات نرى وطأة الحاضر والمستقبل والعالم والناس تثقل عليه حتى تحطم قلبه ، فيقول يائسا :

« إني عانقت الانسانية بحرارة وشوق ملتهب ولكن — وا أسفاه — لم أجد نفسى إلا بين ذراعى كتلة من جليد » .

« ان النفوس التي نشأت فى كنف الله ، تجد - عند ما تنعتق منه - ما لا تجد غيرها من أصناف الألم ، وضروب التوجع ، لأن هذا الفراغ الذي كان يملؤه الله ينقلب الى ظمأ شديد لا يرويه شيء ولا يطفئه شيء » .

« هذه هي المرحلة الأولى التي قطعها شيلر ومن ورائها مراحل ، والتي أصبح يظهر تردده كمذهب فى كتابه « رسائل فلسفية من جول الى روفائيل » فما كان جول إلا الشاعر نفسه ، وما كان روفائيل إلا صديقه الشاعر « كرونر » . ففى « جول » تتجلى نفس فتية ينتابها الشك ، وهي لا تستطيع أن تقر من أسفها على إيمان فقدته !

قال : (يالها من أيام سعيدة ! تلك الأيام السابقة حين كنت أتبع مورد الحياة بعينين مغمضتين ، كنت مستسلماً لعواطفي وكنت سعيداً . علمني روفائيل أن أفكر . وها أنذا الآن أكاد أذرى دموع الندم على هذا الاستكشاف . أنت سلبتني الايمان الذي كان يودع الراحة فى قرارة نفسى ، وأوحيت الى أن أزدرى كل ما كنت احترمه . فكم من أفكار كانت عندي مقدسة . فنزعت حكمتك (الحزينة) عنها روائها . وأذهبت بهاءها .

كلما رأيت الناس وهم يرددون صلاة واحدة بلحن واحد قلت : لله هذه الشريعة التي استمسك بها الناس ! فبعثت فى قلوبهم الراحة والسكون .

عقلك قد أطفأ هيامي النفسى ، أنت قلت لى : لا تؤمن إلا بعقلك . ولا مقدس بغير الحقيقة ، ولا حقيقة إلا ما يتقبله عقلك — وهكذا أطعتك وصرفت عنى أبهى افكاري

والآن عقلي وحده ظل معى ليكون وحده دليلي يحملني الى الله . الى الحقيقة والأبدية . . فتعساً لى اذا وجدت ما يخالف تفكيره . أو غران شك فى معرفته ، أو غزاه داء تركه مشلولا .)

فروفائيل يمثل أصحاب المذهب العقلي القائلين بأن لا حكم إلا للعقل كما يذكر جول : « أنت قلت لى : لا تقبل شاهداً غير العقل ، إذ لا مقدس إلا الحقيقة . والحقيق هو الشيء الذي تعرفه بعقلك ، قد أطعتك وضحيت بايماني وغدوت كالظافر اليائس الذى أحرق كل سفنه وقطن فى الجزيرة الجديدة قاتلا منه كل رجاء بالرجوع . فعقلي هو الآن كل شيء وهو وحده يحملني الى الله ويفتح لي أبواب الحقيقة والأبدية ! ولكن تعساً لى إذا ضل دليلي الطريق فالعادة لا بد أن تغادرني . وويل لى إذا شاء القدر أن تتقطع أوتار هذه القيثارة ، فتضطرب ألحانها ، وتكثر أشجاني وأشجانها . »

وفى فترة ثانية يكتب جول هذه الرسالة لروفائيل :

(ان مذهبك قد خدع كبريائى ، كنت سجينا وأنت جذبتني من مجلى لتقودني إلى ضوء النهار . فالنور الذهبي والفضاء الفسيح قد لامسا جفوني . بالامس كان يرضيني من المجد الوضيع ان أكون ابناً صالحاً وصديقاً فاضلا ورجلا نافعاً لبلده ، اما أنت فقد صيرتنى رجلا انسانياً .)

قال لى روفائيل : المملكة الوحيدة فى العالم الروحاني هى مملكة العقل

وفجأة ترى الشاعر يحس حقارة الانسان ازاء عظمة الوجود فيجعله احساسه هذا فى شك من نفسه فيقول .

فى أى مكان حيثما حولت انظاري يا روفائيل يبدو لى الانسان محدود العقل ، وأن هوة عظيمة تفصل بين تأملاته وبين الحقيقة . لا تغبطه على النوم الذي يستريح فيه ولا توقظه ! فالعقل هو مشعل فى عجلة ينير لحظة فوق رأس السجين ثم يتركه فى ليل اكثر حلوكة . ان فلسفتنا هى رغبة (أوديب) فى المعرفة رغبة يحوطها الإلم . ولا تنتهى من الالحاح والسؤال حتى يجيبها مجيب ، هل تستطيع ان تعلمنى من انت ؟) ولكن الشك اخذ يحز فى قلب جول وجول يصيح ويتألم فتخمد جذوته المشتعلة ، فيقول مؤنباً (روفائيل) بلهجة النادم

(هل تعيد الى حكمتك ما سلبته منى ؟ واذا لم يكن - لديك - مفتاح تفتح لى به السماء فلماذا طردتني من الارض ؟ واذا كنت تعلم ان سبل الحقيقة وراء حفائر الشك المخيفة فلماذا القيت صاحبك فى هذه الشعب الملتوية ؟

أنت هدمت كوخاً حقيراً لتشيد على بقاياه قصراً منيعا ولكنه قصر فارغ وياللأسف !

روفائيل ! أطلب منك نفسي ، فأنا لست بسعيد .

قد فقدت شجاعتي ، ويئست من قوتي . ويدك وحدها تستطيع ان تشفي جراحي .)

وروفائيل يجيبه :

(عزيزي جول :

أتريد أن تصب عليك السعادة من السماء بدون انقطاع ؟ هذا كثير على نصيب الانسان . داء الشك الذي وقعت فيه لن تشفى منه الا بنفسك ، وبرغم ان يقظتك تعسة فانني لا أملك علاجاً أنقذك به من خيالك وأحلامك : انا لم اضع شيئا للنفوس التي هي أمثال نفسك الا انني لقحتها بالاضطراب الذي لامفر منه

ايها الجاحد ! قد لعنت العقل ونسيت النعم التي حباك بها .)

وهاهوذا روفائيل يحاول ان يقود صديقه الى الحقيقة فيكتب له:

(ما الشك - ياصديق - الاحدة العقل الانساني في ثورته . على ان الهزة الشاذة التي تصيب النفس النامية يجب الا تؤول بها الى تأييد صحتها ، وتثبيت وجهتها ، وكلما كان الخطأ بعيداً كان الظفر بالحقيقة اكثر خطراً . و كلما كثرت عوامل الشك في الانسان كان اكثر لجاجة في تحري اليقين)

و كتاب روفائيل الاخير يقرب تأثير مدرسة (كانت) الفيلسوف . وفي تلك الاثناء كان شيللر يقف على أجدر ما كتبه (كونيسبرغ) بالمطالعة من تصانيف فلسفية . فقرأ فيها بأن افكارنا و آراءنا التي نراها ، قد يمكن الا يكون لها خارج عقلنا حقيقة مدركة . ومثل هذا المذهب يوافق كل الموافقة مذهب شكه ، بل يذهب شيللر الى أبعد من ذلك ، فبينما كان (كانت) يحرص على شيء من الحكمة في (العقل المكتسب) اذا بشيللر يسلخ عن (الكانتيسم) هذه النتيجة التي تجعل الواجب شيئا مجرداً والفضيلة حلما .

والآن فلنتل بعض مقطوعاته نر فيها هذا الشك بارزاً بألوان مختلفة يفيض على جنباتها ، ونرى الجمال الفني أسمى صفاتها . أما المثل الأعلى فأنت مجهد نفسك باطلا لتقف عليه . لأنه هو حلم . يقول :

(لقد خمدت تلك الشمس التي كانت تضيء أيام فتوتي . وذهبت رسوم ذلك العالم الكامل الذي كان يهجس به ضميري . وضاع ايماني الجميل بتلك الاشياء التي كانت تخلقها لي أحلامي الوادعة الالهية . .)

كان الشاعر يسأل : ماهو الوجود ؟ وأين يذهب ؟ وماذا يحول ؟ والانسان نفسه ما هو ؟

هو في بعض أحيانه :

(كحاج في ربيع أيامه ، وقف في الطريق يستخفه الطرب فسمع صوتا يهتف به : سر وثابر على سيرك حتى تبلغ الأفق ، حيث يغدو ما هو أرضي ترابي سماوياً لا نهائيا .

هذه كانت أنشودة الفجر :

ولكن - واأسفاه - قدم المساء وحالت الجبال والأنهار دون سيره ، فترامى على البحر لكي يبلغ غايته ! ولكن الغاية كانت تفر دائما دون أن يدركها .

وقف الحاج في النهاية قائلا : « وا أسفاه ! لا طريق تقودني الى الغاية ، والسماء لن تلتقي مع الأرض . والمكان الذي أنا فيه ليس هو بالمكان الذي يجب أن أكون فيه . .)

وهو في بعض أحيانه الأخرى (كالهارب) الذي يسأل عن نفسه .

(أين يجب علي أن أمشي حتى أجد الهدوء ؟ أنا متكيء على عصاي ! والأرض الضاحكة بربيع شبابها ماهي - لي - إلا كالضريح .

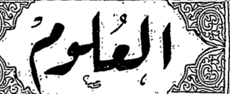
فاصعد يالون الصباح ! ولون بالشفق والقبل الملتهبة هذه الاحراج والغابات . وانزل أيها المساء ، وسكن بهمسك الجميل هذا العالم الذي سكنت منه الحياة

أنت أيها الفجر لا تنير الاحقلا للأموات ، وأنت أيها المساء لا تهز بهمسك الجميل الا نعاسا طويلا .)

ولكن أية أحلام يريدها الشاعر في قصيدته (آلهة اليونان) ففي هذه المقطوعة يظهر الهدف الذي سعى اليه ، ووضعه نصب عينيه . فهو يتغنى بالشك ويتباهى به ، لأنه يقدس من اليونان الاقدمين ما يريد ان ينشره من عبادتهم الوثنية فهو يعظم خلقهم البسيط ، ويكرم أساطيرهم الحساسة . بل هو يأسف على ذهاب العصر الذي كانت تحكم فيه مجموعة آلهة لطيفة تسيطر على العالم . وتقود الناس وراءها الى آلهات اللذائذ والمسرات ويختم هذه القصيدة بقوله :

(سرعان ما تبدل كل شيء ! في كل الخليقة يجري سلطان الحياة المطلق

(البقية على صفحة ٢٣٨)



البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسين
خريج جامعة برمنجهام

سبقت لنا كلمة بهذا العنوان فى الرسالة ، وفيها أشرنا إلى أن أفراداً من أساطين رجال العلم الحديث جمعوا من اختباراتهم وتجاربهم باستخدام الوسطاء أدلة جديرة فى اعتبارهم باسم العلم تبرر القول بأن العالم الروحي جزء من النظام الكونى ، وأن الاتصال به فى حيز الممكنات .

ونود بعد ذلك أن نورد طرفا من تلك الاختبارات والتجارب ؛ ونزنها بالميزان العلمى ، لنرى مبلغ صلاحيتها كدعامة لهذا الزعم الخطير ، الذي إذا صح فان كل كشف على سابق يعتبر بجانبه من محاقر الامور . لم لا ، والعلم لم يمهد لنا إلى اليوم غير سبيل المادة ؛ والمادة لا نمكث فى محيطها الا قليلا ، ونرتحل عنها وشيكا . أما عن الخلود بعد الممات فلم نسمع من العلم الحديث كلمة . اللهم الا كلمة انكار من بعض الذين ينتسبون اليه .

نعم ، نسمع انكاراً صريحا من بعض رجال العلم ، وافتراض وجود الارواح غير المنظورة أبغض شىء الى رجل العلم الحديث وليس هذا بغريب ، فالبرق الذى اعتبره الاقدمون لمع سيوف الآلهة فى السماء قد ثبت اليوم أنه شرر كهربائى . والرعد الذى حسبوه زمجرة غضب الآلهة ليس سوى فرقعة ذلك الشرر . وقوس قزح الذى ظنوه سلما تمده الآلهة ليهبط على درجه رسولهم ليس سوى طيف ضوئى ناتج من تحلل أشعة الشمس بانعكاسها وانكسارها فى قطرات ماء المطر . والمرض الذى توهموه فعل أرواح شريرة وطاردوها عبثا بالتمائم والتعاويذ ليس سوى فعل ذر دقيق يرى بالمجهر ويعالج علاجا صحيحاً بالحقن . لاحد لما كان ينسبه الاقدمون الى الارواح . ولا شك أن تاريخ العلم الحديث يكاد يكون سلسلة حرب مع الارواح ، فهو يجليها كل يوم عن مركز فى العالم المادى ، ويقيم على أعقابها نظما وقوانين يتبع بعضها بعضا ولا أثر فيها لروح ما .

لا بدع إذن أن نرى رجال العلم يرفض الاستماع لكل زعم بوجود أرواح للموتى مهما كان مصدره . ويعتبر ذلك رجوع القهقرى ، وعوداً الى عهد الخرافات البغيض ، واستسلاماً لحب البقاء ، وطمعا فى لقيا الاعزاء ، وذعراً من الفناء . ولا بدع أن نراه يعتبر تعليل الظواهر بالارواح عجزاً عن التعليل ؛ ويفضل عليه أن تبقى الظواهر بلا تعليل .

هذا الموقف السلبى تراه كثرة المفكرين هو الجدير بالروح العلمية الصحيحة ، التى لا تعرف الآمال ولا المخاوف . ولكن بعض المفكرين يرونه تطرفا وتعنتا . لأن الروح العلمية التى لا تعرف الآمال والمخاوف ، لا تعرف أيضا البغض والحب . يجب أن نستمع لكل رأى مهما كان بغيضا . وأن لا نرفض الاشتراك فى تجارب تجرى على النمط العلمى مهما بدا موضوعها سخيفا والامل فى جدواها ضعيفا . اذا لم نفعل ذلك فنحن كالذين رفضوا النظر فى تلسكوب غليليو .

« سر الفر جوزيف لدج » أستاذ انجليزى فى علم الطبيعة ؛ وشخصية علمية عالمية فذة . نيف اليوم على الثمانين من عمره ولا يزال نشيطا عاكفا على البحث العلمى فى معامله . كان أستاذا بجامعة ليفربول ، ثم قضى حقبة طويلة مديراً لجامعة برمنجهام ، وكان رئيسا للمجمع العلمى البريطانى ، ولجمعية رنتجن ، ولجمعية الطبيعة ، ولجمعية الراديو . ولديه من ألقاب الشرف العلمية الشىء الكثير . وله فضل معروف فى تحقيق التخاطب اللاسلكى ، ويعتبر دائما حجة فى كل ماله علاقة بالأثير .

لم تقتصر جهود هذا العالم الكبير على الطبيعة ، بل امتدت الى مافوق الطبيعة . والذى دفعه إلى هذه المخاطرة العلمية أمران : أحدهما بحوثه فى الأثير ، التى أوصلته الى أن الأثير هو الحقيقة الأساسية فى العالم المادى ، وانه الوسط الشامل ، وإن منه تصاغ

المادة نفسها . ثم نظر فرأى الأثير الجزء الأهم فى كياننا الجثمانى نفسه . أليس الجسم البشرى ككل جسم مادى يتألف من كهارب دقيقة بينها فراغ شاسع بالنسبة لحجومها المتناهية فى الصغر ؟ أليس الجزء الأكبر من الجسم البشرى فراغا يملؤه الأثير ؟ هذا الأثير إذن هو الثوب الحقيقى لعنصر الحياة الذى يميزنا من الجماد والذى نسميه الروح . أما الذرات المادية فهى مجرد آلة تمكننا من العيش برهة فى عالم المادة . ان الدقائق المادية نفسها لا تتلامس قط بل يوجد بينها دائما فراغ يملؤه الأثير . فنحن إذن لا نمس شيئا إلا عن طريق الأثير ، ولا نسمع شيئا إلا بتوسط الأثير . ولا نرى شيئا إلا باستخدام الأثير . والتفكير وكل الظواهر العقلية والنفسية لا شأن لها البتة بالذرات المادية . بل تنشأ أولا فى الأثير المتخلل لأجسامنا . وهذا الأثير بكيفية مجهولة يحرك ذرات المادة التى تتألف منها أعضاؤنا الظاهرة . فننسب نحن كل شىء لذرات المادة وننسى الأثير الرابط لها والضابط لكل ما تأتيه من حركات .

هل يحتم إذن ان يكون موت الفرد زوال كل أثر لذاتيته من الوجود ؟ إذا كانت الحياة من خواص الأثير الجثمانى فهناك كل أمل فى بقائها بعد الممات . إذ قد علمتنا دروس الطبيعة أن الظواهر الأثيرية تبقى ما بقى الدهر ، ولا تتشتت أيدى سبا ، شأن ذرات الجسم المادى . الموت إذن هو طرح ذرات المادة والعيش بعد ذلك فى ثوب الأثير الجثمانى ، وفى عالم أثيرى لا يحجبه عن حواسنا الحاضرة الا عجز تلك الحواس وقصورها . لقد كشف العلم عن ظواهر اثيرية لم تكن من قبل محسوسة ، مثل الأشعة الخارجة عن حدود الطيف المنظور ، فلم نستكثر أن يكشف العلم عن حياة فى الأثير ؟

هذا ما يقوله (لدج) . وظاهر أنه رأى فلسفى أكثر منه عمل علمى . وإذا كانت هذه هى كل حججه فقد أتى بغير جديد . إذ النقاش الفلسفى فى المادة والروح والفناء والخلود فاضت به الكتب وكاد يصبح مفروغا منه . لذا لا نرى التبسط فى حجته هذه رغم ما تستحقه من تقدير . ونتنقل الى اتصاله الفعلى بتلك الكائنات الأثيرية وكيف أمكن أن يكون .

وضع « لدج » كتابا أسماه « كيف ثبت لى خلود النفس البشرية » مهد له بما يأتى :—

« القول بخلود النفس البشرية بعد الممات ، وبأن الموت طرح للجسد المادى ليس غير ، هو قول قديم ، وجد منذ وجد البشر . أما الحجج التى تؤيد هذا القول فبعضها دينى قائم على التسليم بوجود خالق رحيم عاقل ، وبعضها حيوانى يرجع الى نفور النفس الغريزى من فكرة الانعدام ، والقول بأن الغرائز البشرية تنم حتما عن حقائق واقعة . انى فى هذا الكتاب لا أعتمد على أحد هذين النوعين من الحجج ، وإن كنت أحترمهما وأقدرهما قدرهما . بل لست أنوى أن أحاج أو أجادل ، فنظريتى قائمة على أساس من الاختبار الفعلى ، وعلى قبول طائفة من ظواهر يمكن لكل إنسان أن يشاهدها بنفسه اذا تجشم عناء التجريب . إنى أعرف خطورة كلمة « حقيقة » من الوجهة العلمية ، ومع ذلك أقول دون أدنى تردد أن بقاء ذاتية الفرد بعد موته هو عندى حقيقة قام عليها الدليل الحسى . لقد وصلت الى هذا اليقين بدراسة خصائص نفسية غامضة لم يلتفت اليها العلم حتى الآن ، ولا يرتاح لها فيما أظن رجال الدين . لذا أرى لزاما على أن أذيع من آن لآن ما يبرر مثابرتى على هذه البحوث ويعبر عن اقتناعى التام بصحة ما وصلت اليه .

« ولا حاجة بى الى القول بأن كلمة (خلود) الواردة فى العنوان لا يقصد بها الخلود أبد الآبدين فهذا ما لا علم لى به . كل ما أطمع فى تقريره هو بقاء ذاتية الفرد بعد الموت . الموت هو الحادث الذى نرى عنده انقطاع حبل الحياة فاذا كنا نعيش بعد هذا الحادث القاصم فبعيد أن نلتقى بعده بحادث أشد منه وأعظم خطرا . لست أعرف ما يكون من شأننا فى المستقبل القاصى ، وكل ما استدللت عليه هو بقاء ذاتيـــة الفرد منا بعد مغادرة هذا الجسد المادى . والمستقبل البعيد خليق بأن لا يشغل بالنا الآن . وحسبنا العلم بأن هذه الحياة الأرضية ليست كل نصيبنا من الوجود كأفراد ، وانا إذا استخدمناها كما ينبغى فهى المرحلة الأولى من عيش طويل كله فرص للخدمة التى تتفق مع طبيعتنا الحقيقية وفيها سعادتنا الصحيحة » .

هذا ما كتبه « لدج » تمهيدا للكتاب . وسنتناول ما تضمنه الكتاب من تجارب ومشاهدات فى كلمة أخرى ان شاء الله ؟

عبد المغنى على حسين
خريج جامعة برمنجهام

في النسبية

بين أستاذ وتلميذه

التلميذ — كأنك تريد أن تقول إن الأطوال تنكمش بالحركة

الأستاذ — يظهر أنك لم تفهم ما أعنيه بالضبط. سأضرب لك مثلا. تصور طائرة الآنسة لطفية مبتعدة عنا بسرعة مائتي كيلو متر في الساعة. وانك ترصد — وأنت على الأرض — قائمة علم مثبتة عمودية على هيكل الطيارة في اتجاه حركتها تريد قياس تلك القائمة. ثم لنفرض أنك — باستعمال ما تعلمته في مدرستك من أصول حسابات المثلثات وما تحت يدك من دقيق آلات القياس قادر على إيجاد طول تلك القائمة المثبتة في الطيارة مضبوطا الى اجزء من ألف مليون من المليمتر. فان العلم الحديث يؤكد لك انك ستجد انكماشا في طول القائمة المذكورة....

التلميذ — أي إنني أجد طولها أقل منه عندما كانت ساكنة أمامي على سطح الأرض

الأستاذ — نعم. ولكن ليس هذا كل ما هناك. فإن الآنسة لو رأت القيام بتجربة مماثلة وهي في طائرتها. وكان معها أجهزة دقيقة مثل التي عندك. ثم حاولت قياس ارتفاع قامتك وأنت على ظهر الأرض. لرأتك أقصر قليلا مما كنت وهي أمامك قبل أن تبدأ الطيران

التلميذ — أقصر! لا شك أنك تريد أن تقول أطول

الأستاذ — لا. بل أريد أن أقول أنها تراك أقصر. فهنا موضع الدقة في النظرية الجديدة. ذلك لأن الحركة والسكون نسبيان. وإذا كنت تعتبر الآنسة وطائرتها مبتعدتين عنك بتلك السرعة بينما ترى نفسك ساكنا. كذلك هي. فانت والأرض التي تحملك — بالنسبة للطائرة — في حركة ابتعاد عنها بسرعة مائتي كيلو متر في الساعة. أما هي فتعتبر نفسها ساكنة

التلميذ — ولكن أترى الآنسة محقة في اعتبار طائرتها في حالة سكون وكل ما عداها مبتعد عنها بتلك السرعة الكبيرة

الأستاذ — هذه وجهة نظرها. صحيح أن وجهة نظرك أنت على الضد من ذلك. ولكن هذا لا يمنع أن تكون أنت أيضا على حق من وجهة نظرك. أي أن كليكما على حق في اعتبار نفسه ساكنا والآخر متحركا. ولا شك انك تذكر قطار السكة الحديدية عندما سار بك لأول مرة. وكيف أنه كان يخيل لك كأن الأرض تبتعد عنك. وان القطار لا يتحرك. وهذا ما يحدث أيضا للمسافر بالطيارة. فالأستاذ البشري عندما ركب الطيارة لأول مرة ووصف شعوره في مقال له بالاهرام. ابان كيف أنه خال الطائرة لا تتحرك أكثر من كيلومترين كل ساعة بينما هي تقطع مائة. ولعله لو أغمض عينيه وتجاوز عن بعض العوامل الآلية التي تحيط به في الطائرة كأزير محركها مثلا. لما شعر بحركة ما.

وما دمنا قد قررنا هذا المبدأ — نسبية الحركة والسكون — فيمكننا أن نعيد نظرة على مسألة انكماش الأطوال المتحركة. أيمكنك أن تخبرني الآن أيهما ينكمش في الطول. قائمة العلم في طائرة الآنسة المبتعدة — أم قامتك أنت وأنت واقف على ظهر الارض ؟

التلميذ — يخيل لي بما سمعته الآن ان كلتهما ينكمش طولا. فقائمة العلم بالنسبة لي تتضاءل وتصغر ؛ وكذلك قامتي اذا حاولت الآنسة رصدها

الاستاذ — تعبيرك الآن مضبوط. وازيد عليه بأن كلا الاثنين أيضا ثابت الطول. فقائمة العلم طولها لم يتغير في نظر الآنسة. وكذلك قامتك في اعتبارك أنت ثابتة. اذ ما دامت الحركة نسبية فالانكماش نسبي أيضا.

التلميذ — فهمت ان مثل هذا الانكماش النسبي — لو وجد — ضئيل جدا. وأظن ان كشفه بالآلات مستحيل ، فما الذي دعا أينشتين لفرض وجوده

الاستاذ — ليس هو اينشتين اول من قال بوجود مثل هذا الانكماش. فمنذ أكثر من مائة عام وعلماء الطبيعة يجرون تجارب على الضوء والاثير ؛ فيجدون نتائج مخالفة لما يتوقعون ، وقد وجدوا أنفسهم مضطرين ازاء تلك النتائج غير المنتظرة الى البحث عن تعليل لها؛ وكان أوفق الفروض التي اهتدوا لها فكرة انكماش الاطوال المتحركة. وبواسطة هذا الفرض أمكن اصلاح ما فسد من النتائج. ثم قامت المحاولات لتعليل انكماش الاطوال بالحركة ، ووضعت النظريات العلمية على أسس معقدة ، حتى جاء اينشتين فعرض تفسيرا بسيطا سهلا لهذا الانكماش معتبرا إياه كقوس قزح ؛ انت تراه موجودا وغيرك لا يراه بتاتا.

وليست الاطوال هى المقاسات النسبية فقط : فهناك الكتلة والزمن، فهذان أيضا نسبيان . الكيلو جرام من المادة فى نظرك هو أكثر من كيلو جرام فى نظر الآنسة الطائرة . والساعة من من الوقت عندك . . .

التلميذ — مهلا . مهلا . فان ماقلته الآن يتنافى تماما مع ماعلمناه فى المدرسة عن الكتلة . أليست هي مقدار ماتجمع فى الجسم من المادة ، فكيف تقول إذن انها تتغير . ومن أين تجيئها تلك الزيادة وهذا التغيير ؟

الأستاذ — ومن أين يجيء التغيير للأطوال ؟ وفوق ذلك فالتعريف الذى أعدته أمامى للكتلة قابل للانتقاد . والتعريف الذى يمكننا أن نقبله لها هو التعريف الذى يبين طريقة الوصول لتقديرها . ومادامت الكتلة لاتصل لتقديرها الا عن طريق تغيرفى (كمية تحرك) أو (عجلة) سببتها قوة . فالسرعة والأطوال لهما دخل دائما فى تقديرها . والاطوال والسرعة كما علمت نسبيان . فلماذا لاتكون الكتلة نسبية أيضا ؟

وأريد أن أزيد الآن على ماقلته عن الكتلة كلاما يشبهه عن الزمن فالدقيقة من الزمن ليست كذلك فى كل زمان ومكان

التلميذ — هذه هى كل النظرية النسبية اذن ؟ ولكن لم تقل لى الى أى مدي تحققت تلك النظرية بالتجربة والمشاهدة

الاستاذ — ارجو أن تعلم أن النسبية تطلق الآن على نظريتين : النظرية الخاصة والنظرية العامة . والاولى قال بها اينشتين سنة ١٩٠٥ اما الثانية فلم يكملها الا سنة ١٩١٧ . وكل ماسمعته الآن من النتائج مأخوذ من النظرية الخاصة ، التى تبحث فيما يحدث للاقيسة أثناء الحركة المنتظمة في خط مستقيم . وهى تبدأ من فرض أبانت التجارب العلمية صحته . وهو فرض ثبات سرعة الضوء . فالمسافة التى يقطعها الضوء فى الثانية هى عدد محدود من الكيلومترات لايزيد ولا ينقص باختلاف الامكنة والازمنة . وقد استغل اينشتين هذا الفرض . واستنتج رياضيا بواسطته وبواسطة مبدأ النسبية الخاص . مقدار التغير فى الاقيسة نتيجة الحركة النسبية

والنظرية العامة لا تقتصر فى بحثها على الحركة المنتظمة فى خط مستقيم ، بل تتناول الحركة الدورانية ومجالات القوى . وهذه النظرية طبعا أعم من الاولى وأشد تعقيدا : ورياضيتها قلما تظفر بمن يتقن فهمها ، ولذا فهى سيئة الحظ مع جمهور الكتاب بعكس شقيقتها

تسألنى الى أى مدى عززت المشاهدات والتجارب النظرية النسبية وسأجيبك مقتصراً على النظرية الخاصة

١ — فانت تعلم أن فرض انكماش الاطوال نتيجة الحركة احتاج العلماء له لتفسير نتائج غير متوقعة فى تجاربهم . ومادام هذا الفرض مقرراً بوضوح ومبنيا على أسباب معقولة في النظرية النسبية فالنظرية لم تأت اذن الا بما دعمته التجارب وقررته

٢ — وانت تذكر من غير شك الالكترونات السالبة الكهرب المنبعثة من المواد المشعة (كالراديوم مثلا) . هذه الالكترونات تتحرك بسرعة كبيرة تقرب من سرعة الضوء . وقد وجد انها تختلف فى السرعة باختلاف مصدرها احيانا . ووجد ايضا ان كتلتها تختلف باختلاف سرعة تحركها

والنظرية النسبية كما رأيت تقول بذلك . فالكتلة مثل الطول شيء نسبي تختلف باختلاف السرعة . والنظرية تعطينا مدى تغير الكتلة بتغير السرعة . وهو مايتفق مع المشاهد الملحوظ

٣ — كان هناك رأى قائل بأن النجوم المتحركة للامام ، ضغط الاشعاع على سطحها الامامى اكثر منه على سطحها الخلفى . وهذا مما يعمل على تقليل سرعتها بالتدريج حتى تصل لحالة السكون فى وقت ما . وقد استنتج الفلكيون من ذلك ان النجوم القديمة لا بد ان تكون أسرع حركة من النجوم الحديثة . ولكن من الاسف لم تعزز المشاهدة هذا الاستنتاج الواضح

ولقد جاءت النظرية النسبية فى الوقت المناسب لتسعف العلماء وتنقذهم من هذا التناقض وأبانت لهم أن السرعة ليست إلا شيئا نسبيا . فلا يوجد مايسمى بحالة السكون المطلق . والنجم المتحرك بالنسبة لنا ساكن بالنسبة لنفسه . فلا داعى لأن نبنى على حركته المزعومة ما بنينا من النتائج

لعلك تعفينى الآن من ذكر نتائج أخرى هامة للنظرية . فانى أخاف أن تعجز عن متابعتى فيها بمثل ما فعلت من الصبر حتى الآن ولعلنا نناقشها فى فرصة أخرى .

طنطا　　　　محمد محمد السيد

القصص

الى خراسان

للاستاذ الرحالة محمد ثابت

من رحلة قام بها الاستاذ عام ١٩٣٣ الى تركية والعراق وايران وافغانستان

اعتزمت القيام من « طهران » الى أرض « خراسان » حيث مقبر الامام الرضي أحد أئمة الشيعة ، وضريحه في « مشهد » ثانية مدن فارس ، وأولى البلاد المقدسة . تبعد عن طهران مسافة تربية هي فوق مائة وستين فرسخا . والفرسخ – وهو وحدة القياس عندهم – نحو ستة كيلو مترات ، فالمسافة كلها نحو الف كيلومتر أو تزيد . كان القوم يقطعونها على متون الابل والبغال والحمير قبيل الحرب الكبرى . فيما بين اربعين يوما وستين ، وهي اليوم بالسيارات بين يومين وثلاثة . اخذت مكانا أماميا في سيارة كبيرة من ذوات العجال المزدوج برفقة ركب من الحجاج يناهز الخمسة والعشرين بين رجال ونساء : وشيوخ وشبان ، وبدأنا السير ليلا ، وكلهم ايمان صادق لا يبتغون من وراء متاعبهم تلك ونصبهم هذا الا زيارة قبر الإمام الرضى ومعهم زادهم ، أما انا فكنت أعتمد على الخانات وما فيها من وسائل ساذجة للنوم والطعام ، آونة وأخرى كان يصيح القوم قائلين : (لا هم سل آلى مهمد آل مهماد) واخذنا نمر بالخانات التي يسميها القوم مسافرخانات أو « كرفان سراى » وهناك نجد امكنة تحكى الفنادق بها حجرات فقيرة الاثاث ، وغذاء بسيط كنا نتزود منه ونأخذ قسطا من الراحة ، ثم نستأنف السير ولم تكن تقوى القوم لتنسيهم ملاذهم ، فقد كان الفريق الاكبر منهم يحمل الغلايين لتدخين الافيون فيتنحون جانبا من المكان ويمر الغليون عليهم جميعا . وكان في جواري الى جانب السائق أحد علماء كربلاء بعمامته السوداء الضخمة ، ولحيته المرسلة ، وسحنته الناحلة ، وكان يتيه على الاخرين بعلمه وبأنه من سلالة هاشمية ومن نسل العلم والعلماء ، ولأولئك على الناس حق العطاء ويسمونه هناك (حق الخمس) ، يقصدون الاغنياء كلما أعوزهم المال ليأخذوا منهم حقهم ، هذا لانهم من السادة سلالة الرسول

جد السائق في السير على ضوء القمر وقبس مصباحه ، فخانه نظره فما نشعر إلا والسيارة تنحدر بنا عن الطريق ، وتنزل هوة من دونها واد سحيق ، فكادت تنخلع لرجتها قلوبنا ، وصاح الجميع ، وارتطم هذا بذاك ، وذاك بجانب من السيارة ، ثم كانت صدمة عنيفة وفرقعة أصمت آذاننا ، وإذا هي صخرة كبيرة نابتة في منحدر الوادي توقف السيارة قبل أن تنقلب ، وقد أصيب من الركاب كثير ، ونالني من ذلك شج بين العينين سال منه الدم سيلا وصدمة شديدة في الركبة اليمنى أحدثت بها كسرا لا أزال أعانيه ، فقفزت من السيارة ونمت على الصخر تائها حتى الصباح فرأيت العجلة قد كسرت من أساسها ، ولولا لطف الله لكنا اليوم في عالم غير الذي نحن فيه . أمضينا يوما كاملا في تلك البرية المقفرة ولم يكن لدى زاد ولا قوت ، فتبلغت بكسرة أعارنيها أحد الحجاج حتى عاد السائق ومعه بديل عما كسر . وكان قد رجع إلى طهران ثم عاد إلينا وأصلح ما أفسدت غفلته ، واستأنفنا سيرنا شاكرين الله ان أنجانا من خطر الموت في تلك الناحية النائية وكم من سيارة خانها الحظ العاثر فهوت وهلك من ركابها الكثير في تلك الطرق الوعرة . ولقد عزا القوم سلامتنا إلى رضى الامام عنا . وما كدنا نسير بعيداً حتى وقفت السيارة فجأة وتبين أن البنزين قد نفد ، ولم يكن لدينا منه شيء ، فلبثنا مكاننا حيارى ساخطين جزعين أربع ساعات حتى مرت بنا سيارة أخرى أعارتنا بعض البنزين . والسيارات الكبيرة تمر تباعا ذهابا ورجعة في كثرة هائلة ، تحمل جماهير الحجاج ، ويقولون بان هذا الخط على وعورته اكثر الخطوط حركة في نقل المسافرين لأن « مشهد » خير لديهم من مكة المكرمة تغنيهم عن حج بيت الله الحرام في زعمهم فترى الفاني منهم والفقير المدقع

يدخر أجر السفر ليصل إليها ويدلو يموت بها ليدفن فى أرضها الطاهرة

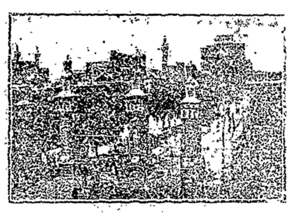
لبثنا نسير وسط الربى وصعدنا منها ماهو بالغ الوعورة فى طرق ليانها متعاقبة ، وكلها مجدبة عريت عن النبت الا فى بعض بطون من الأودية حيث كنا نرى سيلا من الماء يتلوى وتقوم القرى على جوانبه بأبنيتها الوطنية من اللبن والطين ، وبعد يوم ونصف دخلنا سهولا غالبها صحراوى وتلك بداءة ارض خراسان

استوقفت السيارة قليلا فى قرية «نيسابور» مثوى رفات (عمر الخيام) الذى عاش فى الربع الاخير من القرن الحادى عشر وأوصى ان يدفن فى بقعة تظلها الاشجار ويكسوها ورقها الذابل مرتين فى كل عام . زرت مقبرته وسط الحقول . تظلها حقا أدواح عالية قديمة ، ويزورها من الاجانب خلق كثير لانه قد خلد له ذكرا بما كتب فى رباعياته التى ترجمها الناس الى جميع اللغات ، ولقد أبى عليه علماء الدين تشييد مدفنه لاتهامهم إياه بالزندقة لانه كان إباحيا فى شعره

عادت الربى فتسلقناها وأشرفنا على «مشهد» وهى فى حجر الجبال بعد أن لبثنا فى الطريق ثلاثة ايام وأربع ليال كاملات قاسينا خلالها كثيرا . هنا وقف السائق ونبه القوم أن هاهى مشهد فارقبوها تبركا فأخذوا يحاولون رؤية القبة الشريفة وسط الضباب والدخان المنبث وكل من لمح منها قبسا قرأ آيات التبريك وعمد الى قطع الاحجار يجمعها فى كومة ، ثم أقبل على السائق يهبه من أنعامه ماتيسر

دخلنا مشهد تحوطها المزارع والبساتين ثم أخذنا نخترق طرقا فسيحة يحفها الشجر وتقوم عليها المبانى الحديثة الوطنية ، وقد كانت من قبل أزقة مختنقة كسائر بلاد فارس ، لكن يد الإصلاح تناولتها اليوم على نحو ما فعلت فى طهران ، وقد استرعى نظرى بناء القنصلية البريطانية بعظيم امتداده وهو أثر من آثار النفوذ الانجليزى الذى كان يسيطر على البلاد بجانب النفوذ الروسى . حتى حدث مرة ان حاول بعض الناس ان يعلو ببناء بيته الملاصق لتلك الدار فمنعه القنصل إذ لا يجوز كشف حرمة الدار الانجليزيه أما اليوم فلا يكاد يكون لذاك النفوذ ظل أبدا .

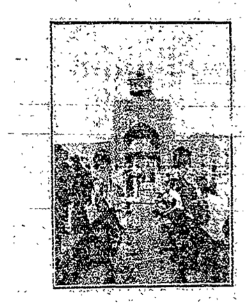
قصدت زيارة ضريح الامام الرضى ، الذى بدت لنا قبته الذهبية البراقة من أميال ، وإذا المسجد والحرم فاخران الى حد كبير . مداخلهما عدة ، الباب تلو أخيه فى زخرف جذاب وفرش قشيب بديع بالقيشانى والبلور والمرمر والرخام ، وأمام كل واجهة رئيسية بهو مربع تحفه الحجرات المزركشة أقيمت لطلاب العلم فى طابقين وتتوسطه قناة الماء يغترف منها الجميع للشرب والغسل وتنظيف الملابس والاحذية ومآرب أخرى ، والباب الرئيسى للضريح مكسو كله بالذهب الخالص



منظر عام للحرم الشريف فى مشهد كعبة الشيعة من الفرس

فى نقوش وتعاريج جذابة ، وفوق الضريح قبة مكسوة بالذهب الخالص وللمسجد مئذنتان دقيقتان ، عليهما غشاء من ذهب . أما عن العالم المتراص كالموج المرتطم هنا وهناك فحدث فى دهشة فائقة . كنت أسير ولا أكاد أشق لى طريقا بينهم : ومنهم المثقف أنيق الهندام والمتسول البائس فى الخرق البالية والاقذار التى ينبعث منها مكروب المرض فيوشك أن يحترق أجسادنا . هذا إلى العلماء فى عباءاتهم وعمائمهم السوداء للشرفاء منهم : والبيضاء لغير الشرفاء يخضبون لحاهم بالحناء جميعا ، ومن زوار الاجانب خلق كثير ، عراقيون وهنود وأفغان ومن كافة العالم الاسلامى : وعلى الجدران يرتمى الكثيرون فى خمول زائد وجلهم ممن أضناهم المرض وشوه البؤس أجسادهم ، ويتوسط أحد الافنية سبيل مذهب فى داخله نافورة حولها السلاسل تحمل القعاب للمحتسين ويشرف عليهم كهل توقد حوله الشموع صباح مساء وبين آونة وأخرى يمد مغرفة يحرك بها الماء والسعيد من استطاع أن يتذوق هذا الماء الطاهر : اخيرا دخلت الضريح الفضى وإذا المدفن وسط شباك الفضة والذهب ترصعه الجواهر الثمينة وقد ازدحمت تطوا فى حوله فى ثلث ساعة كدت اختنق خلالها من كثرة الزحام وهنا رأيت عجبا : نواح وصياح ولطم وتقبيل واستلقاء على الارض ولمس للاعتاب بالخدود وما الى ذلك مما تقشعر له الأبدان . هنا أسرع شيخ يطوف بى وناولنى أدعية مطبوعة يجب أن أقرأها وأركع أسجد وأقبل ، فأسرعت بالتخلص

منه بفضل زميل فارسى عرفته ، فخاطب المطوف قائلا بأنى عالم قارى، خبير بكل أولئك ؛ وقد علمت بعد أننى لو رفضت الاذعان للامر وحدى لظن أنى ملحد ولكان ما لا تحمد عقباه ، وبجانب الضريح قبر هرون الرشيد غير أنه منبوذ فى ناحية غير ظاهرة ، وقد وضعوه



الصحن الرئيسى للحرم الشريف يتوسطه مجرى الماء بجانبه السبيل المقدس

بحيث يلمسه الزائرون بأدبارهم عندما يطوفون حول الرضى وذلك احتقارا لشأنه وكثير منهم يلعنه بعد الزيارة ويركله برجله ووجهه مقابل الامام ويقول (لعن الله المأمون وأباه) وذلك لأنه سنى أولا ، ثم لأنه والد المأمون الذى اتهم بدس السم للإمام ، وقد سافر الرشيد الى هنالك فى حملة ضد احد الحكام الذين مالأوا بنى أمية ، فوافته منيته هناك فأوصى بأن يدفن فى هذا المكان الذى أقام عليه الاسكندر المقدونى علما ، وتنبأ بأنه سيكون مدفن رجل عظيم ، ولما جاء المأمون ولى الرضى حاكما على تلك البلاد من قبله ، ولما عاد الى بغداد وتم له الأمر دس للرجل فمات ودفن الى جوار الرشيد . خرجت الى الفناء واذا فى كل ركن من أركانه عالم يرتقى منبرا وحوله خلق كثير جلوس على الأرض فى وجوم وشبه ذهول وهو يقص عليهم أنباء الامامين على والحسين وجميعهم يبكون ، وكلما اشار فى قوله الى الفاجعة صاحوا ولطموا جباههم وخدودهم فى فرقعة مؤلمة ومنهم الطفل والمراهق والسيدة والعجوز والكهل الفانى والمتفقه والأمى الجاهل ، وذاك التبشير يظل سحابة اليوم فى جميع أركان الأفنية . ولما أوشك الغروب سمعت من شرفة الباب الأوسط طبولا تقرع فى نقرات مثلثة ثم أعقبها صياح وتلا ذلك نفخات فى أبواق طويلة مزعجة ، وظل هذا حتى غربت الشمس فكأنهم يودعونها كما يفعل المجوس بذاك الذى يدخل الرهبة ويلقى الرعب فى القلوب . فقلت فى نفسى أهكذا يلعب رؤساء الدين بأذهان البسطاء لا ابتغاء مرضاة الله بل لملء جيوبهم هم وذراريهم الذين لا يحصيهم عد ؟ تأخر معيب وتدهور يعطى الأجنبى عن البلاد أسوأ الفكر : وحتى تقضى حكمة الشاه على كل أولئك ، سيظل هذا حجر عثرة فى سبيل تقدم البلاد

مثل من الجمال الفارسى

والذى شجع الفرس على اتخاذ «مشهد» كعبة مقدسة ، الشاه عباس أكبر ملوك الصفويين هناك وكان عصره ثالث العصور الذهبية فى فارس . صرف قومه عن زيارة مكة لكراهتهم للعرب ولكى يوفر على قومه ما كانوا ينفقون من مال طائل فى بلاد يكرهونها : فاتخذ «مشهد» كعبة وجه الشعب اليها ولكى يزيدها قدسية حج اليها بنفسه ماشيا على قدميه مسافات تفوق ألف كيلو متر ومائتين فتحول الناس اليها ؛ ويندر من يزور الحجاز منهم اليوم وهم يحترمون كلمة (مشهدى) عن كلمة (حجى) لأن من زار مشهد لا شك أكثر احتراما وطهارة ممن زار مكة فى زعمهم !

حبيشـــة

— ١ —

عذراء فاتنة ، ناطقة الملامح ، تبسم عن ثغر نقى مؤشر . فوها ، ولكن جمالها فى ذلك الفوه . حوراء ، تتراءى نفسها اللطيفة رقصة فى عينها ، ما تلقى عليها نظرة الا ثبتت فى قلبك بصورتها المرحة ، وبسمتها الوادعة ، متأنقة فى ملبسها من غير تبرج ، متألقة فى خفرها بلا تـكلف ،

وكانت فتاتنا فى ريعان شبابها ، بدأ عودها يثمر ، وأخذت حركتها تنتظم ، ونظرتها تستقر ونغمتها تلين . قضت أيام طفولتها ترعى البهم ، وكانت محبوبة من لداتها وصواحبها ، مشهورة المواهب بينهم ، يتهافتون على صحبتها ويجمعون على مودتها ، ويقنعون منها بكلمة طيبة أو بسمة عذبة

وكان لابد للطفولة من نهاية ، وقعدت فى بيتها تاركة رعيتها للصغار من إخوتها وابتدأت حياة جديدة

— ٢ —

أنبأت (عبد الله) أمه برغبتها فى زيارة بيت من حيها ، وكان غلاما يفعه ، فاستبان وجهتها واذا به بيت (حبيشه) رفيقة صباه فوثبت صورتها توا إلى مخيلته ، وبدا وجهه الطلق يناديه وصوتها العذب يناغيه . فدعاها لأن تتريث حتى يمضى معها ، لكيلا تكسر عنها كلاب الحى الضارية وأكبرت الأم شهـامة فتاها ، وحسنها عاطفة حقـا لأمومتها . فرجل جمته ، وطيب ثيابه ، ومشى يختال كالطاووس ، ويترنح كالعروس ، ومن مثله سيقدم على وجه صبيح طالما انتظر لحظات رؤيته ؟ والآن قد أمكنته الفرصة . نعم سيراها ، وفى بيتها ، وتحت رقبة أهلها ، ويشبع نفسه من حسنها فيروى قفره ، ويبل صداه .

دخل عليها ، وشد على يديها ، ونظر نظرة فيها ، فاذا هى غيرها بالأمس ، جمال يتولد ومحاسن لا تنفد .

تحمل الفتى بسهامها ، وخرج من دارها ، تحدثه أمه فيغمغم ، يهيم فى مهامه فكره ، قد أطرق برأسه وشرق بنفسه ، وبعد حين زفر كالمهجور ، وانتظمت أنفاسه كلمات خافتة خاشعة .

وما أدرى ، بلى إنى لأدرى   أصوب القطر أحسن أم حبيش ؟
حبيشـــة والذى خلق الهدايا   وما عن بعدها للصب عيش

سمعته أمه ، وفطنت لدائه ، ولكنها تغافلت عن همه ، ومشيا يلفهما الصمت ، حتى اعترضهما ظبى يعطو الى سلة فوق رابية ، رآه مقدودا كتمثال ، ولمح فى جيده وعينه ليلاه ، فانطلق لسانه من عقاله ، وجهر بصوته :

يا أمتا ! أخبرينى غير كاذبة   وما يريد مسول الحق بالكذب ؟
أتلك أحسن أم ظبى برابية ؟   لا ، بل حبيشة فى ظنى وفى أرب

وماذا تخبره أمه ؟ صبت عليه ذنوبا من الملامة ، وقرعته على خوره واستخذائه ، وحذرته أن يتمادى فى عمايته ، ثم فكرت فى صرف هواه الى بنت اختها ، التى عمدت تزينها ، وتبدع فى تجميلها علها تقع من قلبه موقعا ، ولكن حب حبيشة كان قد واتى والنفس فارغة فاستحكم ، وان غابت عنه ترك ربعه خاويا ، وقلبه واريا

إذا غيبت عنى حبيشة مرة   من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا
كأن الحشى حر السعير يحشه   وقود الغضى والقلب مستعر جمرا

وكان عبد الله ككل الشعراء ، وضع قلبه على طرف لسانه ، أحب فشبب ، ولذا ذلك ، فلقى أهلها منه كل بلاء ، وعملوا كيدهم لصرفها عنه ، فراودوها على أن تعده موعدا ، وفيه تصارحه بزهادتها فيه ، وكراهتها إياه ، وهم عن جنب منها يسمعون . فلمـا أقبل انخرط اللؤلؤ متهالكا ، والتفت حيث أهلها كامنون . ففطن لنظرتها ، ورجع من حيث أتى ، وقال :

لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم   على أنه لم يبق ستر ولا صبر
ولم يك حبى عن نوال بذلته   فيسليني عنه التجهم والهجر
وما أنس م الاشياء لا أنسى دمعها   ونظرتهـا حتى يغيبنى القبر

وظل على حبه ، يقنع باللمحة ، ويتعلل بالخيال حتى وقعت الواقعة

— ٣ —

وجه النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد فتح مكة الى ما حولها من القبائل يدعوهم . الى الله عز وجل فنزل ببنى جذيمة

من عامر ولم ينزلوا على رأيه ، فأسر من استطاع منهم ، وحكم السيف فيهم ، وكان من أسراه ، عبد الله بن علقمة الكنانى ، صاحب حبيشه ، ولما هموا ليقتلوه استوقفهم لحاجة فى نفسه ، وطلب من آسره أن ينزل معه إلى أسفل الوادى ، حتى يودع ظعنه ، ولما كان منهن قاب قوسين ، نادى بأعلى صوته : أسلمى يا حبيش ، عند نفاد العيش ، فقالت وأقبلت عليه : وأنت فاسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء ، ولبث معها برهة ، تزود منها بقبلة ، تقويه على سفره الناصب ، وشقته البعيدة ، ثم انشدها

إن يقتلونى يا حبيش فلم يدع هواك لهم منى سوى غلة الصدر
وأنت التى اخليت لحمى من دمى وعظمى وأسبلت الدموع على نحرى

وبعد أن قضى لبانته ، دفع لصاحبه هامته ، وكان ما كان . ؟

احمد أحمد التاجى
دبلوم دار العلوم

قصص اجتماعية ونماذج من أدب الغرب

مترجمة بقلم محمد عبد الله عنان

يحتوى على مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام الأدب الفرنسى هم : بول بورجيه ، أناتول فرانس ، اندريه تيريه ، فرانسوا كوبيه ، جى دى موباسان ، دى باشيل ، مارسل بريفو ، جان لورين ، مقرونة بتراجم نقدية لهؤلاء الكتاب ، ومترجمة بأسلوب عربى فائق ، يقع فى ثلاثمائة صفحة ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، وثمنه ١٠ قروش — ويطلب من المترجم بدار لجنة التأليف والترجمة بشارع الساحه بمصر ومن جميع المكاتب .

على هامش السيرة

للدكتور طه حسين

قطعة فذة من أدبه الرائع

تباع بالمكاتب الشهيرة والمكتبة التجارية بشارع محمد على لصاحبها مصطفى محمد وثمنها عشرة قروش

شيللر

(بقيـــة المنشور على صفحة ٢٢٩)

أما النبات القاتم ، والوقار الحزين فقد طردتها من عبادتك الصافية . وكل القلوب يجب أن تخفق سعيدة مغتبطة . لأن السعداء كانوا حلفاءك ، ولا شيء اذ ذاك مقدس غير الجمال) اما وقد قطع هذه المرحلة فليدن خطوة أخرى ! أليس هو معتنقاً مذهب الشك وناصراً مذهب اللذة فلماذا لا يؤمن بالعدم ويتغنى به ؟ وهذه قصيدة (الخضوع للقدر)

إن انساناً مخلوقاً للسعادة يتمثل لنا فى يومه الأخير . كان زاهداً فى كل طيبة من طيبات دنياه ، راجياً من العالم الثانى أن يحتسب له هذه التضحية . سفك الدمع الكثير ولم يتمن الا وعداً . الهيا حتى يكمل الى النهاية غلبته على قلبه ، وأخيراً دنت الساعة التى ينال فيها ثوابه . فانتصب الرجل الأمين أمام عرش الله ليذكره بالوعد الذى ضحى فى سبيله بكل ملذة .

فكان الجواب :

انى أحب كل ابنائى على السواء . أنت تأملت فكان التأمل ثوابك ، وآمنت فكان الأيمان سعادتك ، انت تستطيع ان تستفهم العقلاء وهم سيقولون لك ان الأبدية لن تعيد اليك ما فرطت فى ملذاتك ، م)

البقية فى العدد القادم



كتاب ابن خلدون

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لقد ظهرت للاستاذ عنان مؤلفات شتى فى اللغة العربية تختلف فى موضوعاتها، وتجول فى انحاء مختلفة من نواحى الأدب ؛ ولكنها جميعاً تنضوى تحت لواء واحد ، وهو لواء البحث ، وتقصد الى قصد واحد وهو احياء التراث القومى العربى ، وإغناء التأليف فى اللغة العربية .

ولعل الاستاذ من أغنى المؤلفين المصريين انتاجا ؛ فله كتب فى الأدب وأخرى فى التاريخ ، نذكر منها كتب : قضايا التاريخ والمحاكات الكبرى ، وكتاب « مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام » وكتاب « تاريخ الخطط المصرية » ، وكتاب « تاريخ الأندلس » وها نحن اليوم تلتقى منه كتاب « ابن خلدون » فى ترجمة حياة ذلك المؤلف العربى الكبير وأثره فى الحياة الفكر العالمية .

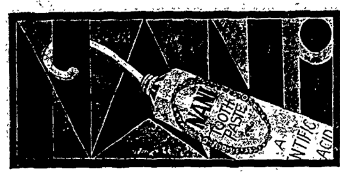
وليس لأحد أن يبحث فى السبب الذى دعا الاستاذ الى تأليف كتابه الجديد، فليس من العجيب أن يوجد فى اللغة العربية كتاب فى ترجمة حياة ذلك العالم الإسلامى العظيم ، وانما العجب أن تكون اللغة العربية خالية من مباحث شتى فيه وفى تحليل آرائه ودراسة مؤلفاته . فعلى أهل العربية شكر الاستاذ عنان على أن قام بأداء ذلك الغرض وكان أداؤه له أداء كريما .

ولقد بين الاستاذ فى مقدمة كتابه الدافع الذى دفعه إلى تأليف الكتاب فقال « ان هذه الدراسة التى أقدمها اليوم للتعريف بابن خلدون وتراثه ، انما هى وفاء التلميذ لاستاذه ، اتممت لكتابتها هذه الذكرى الستمائة لمولد المؤرخ والفيلسوف العظيم » .

وقد قسم الاستاذ كتابه الى اقسام: كل منها يتعلق بناحية من نواحى دراسته . فأولها يتعلق بحياة ابن خلدون وتطورها فى مختلف الظروف والتقلبات وفيه ذكر للدول التى كانت له بها علاقة . وقد أفاض فى وصف حياته فى مصر وأثره فى مجتمعها . والقسم الثانى وصف لما خلفه ابن خلدون من المؤلفات ولاسيما مؤلفه الاكبر « المقدمة » والقسم الثالث عرض لآراء الغربيين فى ابن خلدون واثره فى مؤلفات اوربا فى العصور الوسطى .

وقد حرص الاستاذ عنان فى القسم الاول من كتابه على ان يصور المؤرخ الاسلامى الكبير تصويرا دقيقا تلمح فيه تفاصيل الملامح ، ودقائق الاوصاف فتحس وأنت تقرأ وصفه أنك حيال رجل حى ينبض قلبه بأقوى المشاعر وتتحرك نفسه مع عوامل الحياة المضطربة حوله ، ويفكر فى كل مواقفه تفكيرا متناسقاً متوافقا منطقياً مع نفسيته .

وانه لمن الأمور المعتادة فى كتابة التراجم ان يقع الكاتب فى خطأ المبالغة اذا كان معجبا بمن يترجم له ، فان الكاتب اذا كان معجبا بالرجل الذى يصف حياته كان من السهل عليه أن يؤول كل أعماله



وكل آرائه تأويل المعجب . ولكن الاستاذ عنان كان فوق هذه المرتبة ، فان اعجابه بعقل ابن خلدون وقوة تفكيره لم يحمله على ان يتغاضى عن وزن مسلكه الخلقي في حياته ، فكان في حكمه عليه من هذه الناحية قاضيا غير محاب ، لا يحمله الاعجاب على الاغراق والمبالغة . ومن ثم نراه يصفه بعد النقد والتمحيص وصفا فيه اللوم اذا كان في مسلكه ما يدعو اليه فيقول مثلا : « فكانت كسابقتها دليلا على ما تجيش به نفسه من الاثرة ونكران الصنيعة ، وانتهاز الفرص السانحة مهما كان انتهازها ينافي الوفاء والولاء والعرفان . كان ابن خلدون ينطق في خططه واعماله عن احتقار عميق للعاطفة والاخلاق المرعية ، وكان يسيره مثل ذلك الروح القوى الذى اعجب به مكيافللي فيما بعد الخ » غير ان الاستاذ عنان وان لم يحمله الاعجاب على المبالغة لم ينس ان يعطى ابن خلدون حقه في التقدير الفكري فكتب فصلا بديعا في وصف عزله ومؤلفاته وآخر في وصف ولايته للتدريس والقضاء ، يمكن ان يعتبرا آية من آيات التأليف الحر والبحث الدقيق . ثم ختم بحثه بفصل بين فيه أثر ابن خلدون في التفكير المصري صور فيه صورة واضحة للرجل والعصر حتى ليكاد الانسان يرجع خيالا الى ذلك العصر ، ويحس ما كان الناس يحسونه فيه من تنازع في العواطف بين صديق معجب وحاسد كاره وناقد متجن وهو في كل ذلك يبين الاسباب التى تحت المظاهر ويرد الامور الى عللها وأسبابها . وقد عاد الاستاذ عنان بعد تحليل شخص ابن خلدون الى تحليل آرائه فختم بحثه بالكتاب الثاني وهو في وصف تراث ابن خلدون الفكري والاجتماعي ، فبين مجمل آرائه ووجهة نظره فيها ، ثم بحث تطور آرائه الاجتماعية فتتبعها فيما كتب المؤلفون من قبله ، ثم عقب بما كتب من بعده في الموضوع نفسه . وكانت خاتمة هذه البحوث فصل طريف عن رأى النقد الحديث في ذلك المؤلف وهو باب قلما يعنى به الكتاب عند كلامهم على مؤلفي الاسلام .

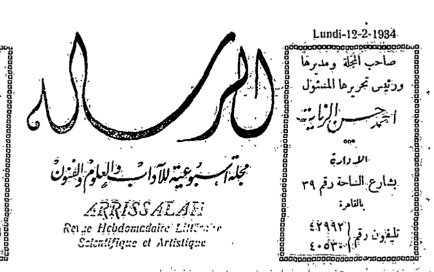
ولعله لم يسبق أحد الى الافاضة في المقارنة بين آراء ابن خلدون وآراء مكيافللي الايطالي مؤلف كتاب « الامير » المشهور وقد خرج من تلك المقارنة الى رأى طريف في مقدار الصلة التى بين المؤلف الاوربي والمؤلف العربي الذى سبقه بنحو قرن من الزمان .

فكتاب الاستاذ عنان كتاب شامل على صغر حجمه دقيق على سهولة مأخذه وسلاسة اسلوبه . واني لاهنىء به الاستاذ وارجو منه المزيد في هذه البحوث التى ظهر فيها فضله الى هذا المدى .

م . ف

2 me Année,No. 32

Lundi-12-2-1934



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٩٩٣
٤٠٥٣٠

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٥٢ — ١٢ فبراير سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

فى الأقصـــر . . .

— ٣ —

كان (ترجماننا) الأمي (ضاوى) يشرح للاساتذة الجامعيين والثانويين حديث تحوتمس الثالث مع اخته العاشقة، ووجوه التماثيل الواجمة غرقى فى صمتها الناطق، تتراكم على قسماتها انظار الخليقة، وتجثم على شفاهها اسرار القرون، ورءوس الأعمدة القائمة نائتة فى اشعة الشمس كالمزولة الهائلة، ترسم بظلالها الوريفة تعاقب الساعات منذ آلاف السنين! وكانت عيناى الحالمتان قد وقفتا على تمثال من تماثيل رمسيس الاكبر، يخطو الى الأمام خطى المصمم الواثق، وباحدى يديه مفتاح الحياة يجتاز به موت الساعة الى خلود الأبد

والخلود حلم الفراعنة الدائم وهواهم الملح؛ أخطره ببالهم قبل الناس ما متعوا به من فيض الحيوية وخفض العيش ونفوذ السلطان واكتمال اللذة، فلو أنهم عاشوا على جدب من الاقليم، وحرب مع الطبيعة، وهوان على الدهر، لاستشرفت نفوسهم للبلى، واستهلكت عقولهم للعدم

خلّد الله الروح وحاول الفراعين تخليد الجسد! وما يدريك لعلهم كانوا يظفرون بهذا الخلود لو خلى الناس بينهم وبين الزمن. لقد قهروا الفساد والدهر، وقهرهم اللص والفاتح! فمنذ خمسة وعشرون قرنا مابرحت يد الانسان

تعبث بهذى الجسوم والجروم ! جرب القدر عليها حقد قمبيز ، وعبث الاسكندر والقيصر ، وورع تيودوسيوس وعمرو ، وزهو المأمون ونابليون ، وعلم ماسبيرو وكارتر ، فقطع بعض الرقاب ، وقوض بعض الانصاب ، ونبش بعض القبور ، ولكن بسمة رمسيس لا تزال كما أراها تناجز الفناء وتعاجز القدر ! ! وأى سبيل بعد ذلك الى بلاها ومسلاتها فى العواصم الاوربية ، ومخلفاتها فى المتاحف الأثرية ، باقية مابقيت الأرض ؟ !

صعد بنا الدليل باب المعبد فى سلم جانبى حديث يقوم عن شماله ، ولو قلت إنك البرج بدل الباب لقربت اليك وصفه ! فهو سطح عريض من ضخام الجلاميد تكدس بعضها فوق بعض كما ترى فى الهرم ، أشرف من شرفة على ما بقى من صخور السقف فوق الاساطين ، وتراءى من النصب خلال الاواوين ، وطعن فى السماء من أسنة المسال ؛ ومن غربه على طريق بين صفين متوازيين من الكباش الرابضة فى حجم البقر ، يسايره النظر والفكر الى مرفأ كان ولا شك ينتهى عنده قبل أن يأخذ النهر من الساحل الشرقى ألف متر

فى هذا الطريق كانت تخرج الجنائز الملكية من المعبد الى نهر الحياة فتعبره الى مراقيدها الصخرية الابدية فى جوف الجبل ، وفى هذا الطريق كان يسير موكب أمون السنوى الى النهر ، أمامه زمر المهرجين والمشعوذين يدورون على الأرجل ، ويمشون على الأيدى ، بين أخلاط من باعة الفاكهة وشواة الاوز والبط ، ثم يلى هؤلاء جوقات الموسيق تصدح بالاهازيج ، وطبقات الكهنوت تعج بالاناشيد ، وحاملو الاصنام والبنود يسيرون بها وئيدا فى خشوع ورهبة ، حتى اذا بلغوا المرفأ تقدموا بأمون فجعلوه فى فلكه الذهبى ، وبالآلهة الأخر فوضعوا كل إله وكل إلاهة فى زورق خاص ، ثم يسير الفلك بالاله الاكبر متنزها على النهر ، تتهادى من ورائه زوارق الآلهة على الماء ، وتهلل من حوله جموع الناس على الشاطىء !

من العسير على النفس الشاعرة ان تعيش فى حاضرها بين هذه الاخيلة والصور ! فحيثما ارسلت طرفك او نقلت خطاك وجدت حجرا يكلمك أو أثرا يلهمك ! هذا التمثال الذى تراه أمامك ، أتدرى كم مرة طالعته الشمس ، وكم نظرة نظرته الناس ، وكم وقفة وقفها عليه أقوام من قبلك بعضها للتقديس ، وبعضها للتدنيس ، وبعضها للعبرة ! !

انك لتغرق من هذا الماضى الحاضر فى فيض من التأمل العميق الهادىء ، يقطعك عن الدليل ، ويفردك من الجمع ، فلا تجد — متى عدت لحظة الى نفسك — الدليل الذى كان يخطب ، ولا الحشد الذى كان يسمع ، ولا العربة التى كانت تنتظر !

خرجت فيمن تخلف فى المعبد من الاصدقاء الشعراء وأخذنا نسير الهوينى فى الطريق المرمل حتى أدركتنا فى بعضه عربة أقلتنا الى الفندق

وفى الأصيل الموثق من هذا النهار المشرق خرجنا نشهد وداع الشمس الغاربة لأطلال معبد الأقصر

ومعبد الاقصر كذلك أجمة من العمدان الباسقة المتشاجنة نتأت على سيف النهر فى طول ثلثمائة متر بمشيئة آل أمينوفيس ورمسيس الأكبر !

وأول ما يملك عليك عقلك وقلبك فيه منظر يجمع تاريخ الوادى ويختصر أطوار العقيدة : ذلك منظر المسلة فى المعبد ، والبرج فى الكنيسة ، والمأذنة فى المسجد !

تجاورت هذه الثلاثة فى هذا المكان منذ قرون تجاور الخصوم اللدّ : لا يسفر بينها سلام ، ولا تقطع حروبها هدنة !

ومن الغريب المعجز أن تصمد هذه الأوثان لهجمات المسيحية والاسلام ، صمودها العجيب لعاديات الليالى والأيام ! ..

احمد حسن الزيات

لحظات

للدكتور طه حسين

أتعرف هذه اللحظات القصار المفاجئة التي تعرض لك من حيث لم تكن تقدر ان تلقاها. كأنما كانت تكمن لك في بعض انحاء الزمان ؛ حتى اذا قربت من مكمنها خرجت عليك بما يملؤها من قوة وحدة ، وبما تستطيع ان تثير في نفسك من حزن عريض عميق أو أمل واسع مبتسم ، فوقفتك في طريقك الزمني واضطرتك بعد وقفة قصيرة الى أن ترجع الى الماضي البعيد والقريب تستحضر ما كان فيه من أحداث ، وتحس ما ترك في نفسك من ذكرى ، أو تضطرك الى ان تثب وثبة بعيدة الى مستقبل الايام ، فاذا انت تشيد القصور وتتخذ من الخيال احلاماً حلوة تحبب اليك الحياة وتملأ قلبك بالصفح عما جنت عليك من السيئات .؟

أتعرف هذه اللحظات القصار المفاجئة الخصبة التي لم تكن تقدر في وقت من الاوقات انها ستعرض لك او انك ستعثر بها ، ولكنك خرجت ذات يوم من دارك تسعى فيما يسعى الناس فيه من جد الحياة وهزلها . وتبلو ما يبلو الناس في سعيهم من حلو الحياة ومرها ، فاذا لحظة من هذه اللحظات قد سقطت عليك كما يسقط الجدار على الغريب الذي يمر به مصادفة وهو يميل الى السقوط . او عنت لك ثم مثلت امامك كما يعرض الشيء النفيس لبعض المارة ثم يمثل بين ايديهم حين يصلون اليه ، واذا هم وقوف امامه قد أخذتهم الحيرة ثم غمرهم السرور ؟ أتعرف هذه اللحظات القصار المفاجئة التي يستر عنها لك الغيب ويخفي عليك بوادرها وطوالعها ثم يفجأك بها على غير انتظار ، كما يلقاك الرجل تعرفه أو لا تعرفه فيلقي اليك نبأ من الأنباء لا يرى له خطراً ولكنك لا تكاد تسمع له حتى يحدث في نفسك أعمق الآثار وأقواها ، وأبلغها وأدعاها إلى الحزن والابتئاس أو إلى الفرح والابتهاج ؟

إنك تحسب هذه اللحظات حين تلقاها أو حين تلقاك قصاراً لأنك تحسبها بالدقائق والثواني . وما هي بالقصار لأنها تحمل في وعائها الضيق الضئيل من العواطف والأهواء . ومن الأمل والذكرى ، ومن اللذة والألم ، ما يضيق به كثير من الساعات بل كثير من الأيام ؛ انك تحسب هذه اللحظات مفاجئة لانها عرضت لك أو لانك عرضت لها على غير انتظار ولا تهيؤ منها ولا منك وما هي بالمفاجئة . فان قوى أخرى غير قوتك وغير قوتها قد عملت منذ أزمان بعيـــدة في تهيئتك لها وتهيئتها لك ، وفي دفعك اليها ودفعها اليك ، حتى التقيتما عن مفاجأة في ظاهر الامر ، وعن قضاء مدبر وقدر مقدر في حقيقة الامر . واذا كلا كما قد صنع لصاحبه وقدر له تقديرا

هذه اللحظات القصار الطوال المفاجئة المدبرة لا تسنح للناس جميعا ، ولا تسنح للناس في كل وقت ، ولو عرفت وسيلة الى ان أتبين كيف تسنح للناس ومتى تسنح لهم ، والى ايهم تسنح لكنت من أكبر المستكشفين والمخترعين . وكيف برجل يفضح سر القدر ويهتك استار الغيب ؟ ! ولكنت بعد ذلك محسنا الى كثير من الناس لأني اعلمهم كيف يتقون كثيرا من الشر ، وكثيرا من الالم اللاذع والحزن المضني للنفوس والقلوب . ومسيئا الى كثير من الناس لأني اعلمهم كيف يفقدون لذات قلما يظفر الناس بمثلها ، وكيف يصدهم العلم عن ضروب من السعادة لا ينعم بها الا الجهلاء ، ولحرصت اشد الحرص على ان اجهل هذا العلم واغلق نفسي من جميع أنحائها دون هذه القوانين ، لأني لا أعدل بهذه اللحظات القصار الطوال المفاجئة المدبرة كثيرا من اجزاء الزمن مهما تطل ، ومهما تقصر ، ومهما تمتلىء ومهما تفرغ ، وأي حزن ممض مرمض يشبه في اللذة المحرقة اللاذعة ، وفي السعادة المظلمة القاتمة هذا الحزن الذي حملته الى لحظة من هذه اللحظات في ليلة من الميلاد فوضعته في قلبي ثقيلا خشنا شاقا ، ولكنه على ذلك كله حلو ، ولكنني على ذلك أحببته وكلفت به . ولكنني على ذلك حمدت هذه اللحظة القصيرة المفاجئة التي حملته حتى اذا بلغت قرارة نفسي وضعته فيها هادئة مطمئنة الى من أقصى الزمن ، وأقبلت به متباطئة متثاقلة كما توضع الصخرة الثقيلة في مكان من الامكنة في غير عنف ولا سأم ولا كلال .

كنت مع جماعة من الاصدقاء نشهد التمثيل ونسمع الموسيقى والغناء في الاوبرا . قد فرغنا لما نشهد وما نسمع ، وتركنا أعباء الحياة واثقالها جميعا في تلك العربة التي كانت تنتظرنا بالباب ، وقد حفظت لكل واحد منا ما إئتمناها عليه من الودائع لترده الينا متى عدنا اليها ، ولم تكن ودائعنا تلك التي إئتمنا عليها العربة وتخففنا منها قبل أن ندخل الاوبرا الا حياتنا اليومية وما فيها من مشقة ولين ، ومن مودة وبغض ، ومن يأس وأمل ، ومن ألم ولذة ، ومن نشاط

وخمود . تخففنا من هذا كله وسللنا نفوسنا منه الى حين كما تسل السيوف من اغمادها ، وخلصنا بقلوبنا ونفوسنا نقية صافية مصقولة كأنها المرآة نعرضها للممثلين لينعكس فيها مايدعون من مظاهر الجمال الفنى فى التمثيل والغناء . وكنا لانحس الا مانشهد ونسمع ، ولا نفكر الا فيما نشهد ونسمع فاذا وقف التمثيل وتفرقنا فى أبهاء الدار أو لبثنا فى اماكننا لم نتحدث الا بما شهدنا وسمعنا نصفه ونستمتع به ، والا بما سنشهد ونسمع ، نتوقعه ونتنبأ بما سيحمل الينا من اللذة والمتاع . وهل ينبغى أن يدخل الناس دور الفن الا على هذا النحو ، قد خلصوا للفن من كل شىء ومن ذكرى كل شىء ، وفرغوا للفن لا يشركون معه فى نفوسهم شيئا ، وانى لجالس فى ناحية من نواحي الدار مع أصدقائى نتحدث بما كان فى الملعب ونتوقع ما سيكون ؛ واذا صوت يخرج أصدقائى ويخرجنى مما كنا فيه .. صوت لم أسمعه منذ أعوام وقد كنت أسمعه كل يوم ، صوت قد باعدت آماد الزمان والمكان بينه وبين سمعى حتى تقطعت بينه وبينى الاسباب ، وحتى كدت أنسى نبراته ، وحتى كنت أفكر فيه تفكيراً بعيداً نائياً حين كان يحدثنى عنه المتحدثون . ثم دنا هذا الصوت ودنا ، ثم امتدت يد فامتدت اليها يدى . ثم كانت مصافحة ثم كانت تحية . ثم كان استئذان فى الجلوس ، واذن به ، ثم كان وجوم من صاحب الصوت ، ووجوم ممن كان يبلغه الصوت لم يطل ، ولم يكن من اليسير أن يلحظ ، ولكنه مع ذلك كان طويلا ثقيلا . ثم كان حديث قصير فى أشياء لا تغنى ولا تفيد ولا تدل على شىء ، ثم شرب القهوة واحراق السيجارة ، ثم تحية الوداع ، ثم الافتراق .

لست ادرى أذاق أصدقائى لذة التمثيل بعد ذلك أم شغلوا عنه ؟ اما انا فاعلم انى لم اذق للتمثيل بقية الليلة طعماً ، انما كانت الاصوات تبلغ اذنى ثم لا تصل الى نفسى وانما تقف من دونها وقوفا لأنى كنت افكر فى غير التمثيل ، ولأنى صرفت عن الغناء والفن صرفا ؛ لم دنا الى هذا الصوت ، وكان قد بعد وأمعن فى البعد ؟ لم امتدت الى هذه اليد وكانت قد قبضت عنى قبضاً ؟ لم أتصل الحديث بين صاحب الصوت واليد وبينى وكانت قد انقطعت بينه وبينى الاحاديث ؛ بل كانت قد انقطعت بينه وبينى الصلات إلا أن نضطر اليها اضطرارا حين تجمعنا المجامع ، أو نلتقى على غير موعد ولا انتظار . ثم لانستطيع ان يهدى بعضنا الى بعض ماينبغى من الاعراض فى مثل مانحن عليه من الجفاء . لم دنا الى هذا الصوت ؟ ولم امتدت الى هذه اليد؟ ولم اتصل بيننا هذا الحديث ؟ لقد كان الحياء يترقرق فى هذا الصوت الذى كان يدنو الى ماخوذا حزينا ولقد كان الحياء يضطرب فى هذه اليد التى كانت تصافحنى مترددة مرتعشة بعض الشىء . ولقد كان الحياء يملأ هذا الحديث فيضطره الى الفراغ مما يعنى أو يفيد . ومع ذلك فشهد الله ماشككت فى أن هذا الصوت قد دنا الى صادقا ، وفى أن هذه اليد قد امتدت الى صادقة وفى أن هذا الحديث قد اتصل بيننا خالصا من كل رياء .

وارحمتاه للناس ! ان الضعف الانسانى ليحمل نفوسهم آلاما ثقالا . وارحمتاه للناس ! انما فى الحياة من اعراض زائلة ترغبهم فى الخير العاجل ، وتخوفهم من الشر العاجل ، لتحمل نفوسهم آلاما ثقالا . وارحمتاه للناس ! ان أجسامهم لتطغى على نفوسهم وان أهواءهم لتطغى على عقولهم ، وان منافعهم لتنسيهم حقوق الصداقة والصديق ، وارحمتاه للناس ! ان رهبة السلطان والرغبة فى جاهه والحرص على قرب المكان منه لتفسد عليهم من لذات الحياة الخالصة الصافية مالا ينبغى ان يفسد ، وارحمتاه للناس ان لهم على هذا كله لنفوسا لم تطبع على الشر ، ولم يحل بينها وبين الخير ، وان هذه النفوس التى تضعف حتى تتورط فيما لا ينبغى لها ، لتختلس الفرص الى القوة والخير اختلاسا ، وتختطفها اختطافا ، وتنعم منها باليسير الضئيل فى اللحظة القصيرة المفاجئة ، لم تكن تنتظر ولم يكن يدبر السعى لها تدبيرا ، وانما سنحت فاقتنصت كما يسنح الصيد وتمكن منه الفرصة فيقتنص . وارحمتاه للناس ! لو علموا ان منافع الحياة واعراضها واغراضها وما فيها من رغبة ورهبة ، ومن مكانة وجاه لاتزن كلها لحظة قصيرة مفاجئة يصفو فيها الود ، ويخلص فيها النصح ، ويفرغ فيها الصديق للصديق ، لغيروا من حياتهم ومن سيرتهم الشىء الكثير .

عرضت لى هذه اللحظة القصيرة المفاجئة فى ليلة من ليالى الاوبرا ، وما أكثر ماتعرض هذه اللحظات القصار المفاجئة لكثير من الناس فى هذه الايام السود ، فاللهم ارفع عن الناس مقتك وغضبك واللهم هىء للناس حياة لا يخاف الصديق فيها لقاء الصديق ، ولا يختلس الصديق فيها لقاء الصديق ، ولا يقطع الصديق فيها اسباب الود والحب ، لا لشىء الا لأنه يخاف بأس السلطان او يرجو رضى السلطان .

طه حسين

جريمة . . .

للدكتور محمد عوض محمد

— ١ —

فى صباح يوم من تشرين الأول كان الضباب ضاربا بجرانه على شوارع (ليفربول) . فلا تكاد العين أن تستبين السبيل إلا عن كثب . . والمصابيح لم تزل موقدة كأنما حسبت أن الضباب بقية من الليل ، وان النهار لم يطلع بعد . . .

فى تلك الساعة الباكرة أخذ الشطر العامل من أهل المدينة يتحرك ، وجعلت الأبواب تتثاءب : فيخرج منها العمال أفواجا ، ينشدون عملهم ويجرون وراء خبزهم وزبدهم — لأن العامل فى مصر قد يقنع بالبحث عن الخبز ؛ أما هناك فلا بد له من الخبز والزبد .

هذه الحركة الباكرة فى بعض أحياء المدينة قد تلاها سكون ؛ لأن الشطر الثانى من المدينة لم يستيقظ بعد . . وكأنما كانت الحركة الأولى بمثابة الفجر الكاذب ، أضاء لحظة ، ثم ساد من بعده الظلام . — ولكن سرعان ما انقضت ساعة الهدوء هذه ، وأخذ ذلك الغطاء الكثيف من الضباب يرق شيئا فشيئاً . وبدا فى أقصى الشرق على الأفق شىء غامض مبهم يدعونه فى تلك البلاد الشمس . . ولقد تستطيع العين المصرية — بشىء كثير من المران — أن ترى فيه من الشمس شبها ، وأن له بها صلة .

وبعد لأى ، تثاءبت الابواب فى الاحياء الوسطى ، وخرجت منها أفواج من الحضريين (البورجوا) الذين يشتغلون فى دور التجارة . فيعملون بها ساعات قلائل ، ولكن أجرهم أعلى ، ومقامهم فى المجتمع أسمى . وهم أيضا ينشدون الخبز والزبد . ولكنهما من صنف أرقى وأرفه من خبز العمال وزبدتهم .

* * *

وهكذا تحركت فى المدينة أحياؤها السفلى والوسطى ، ولم يبق مغموساً فى عسل الرقاد سوى أحياء (العاطلين) ، الذين يعيشون من أموال تأتيهم من وراء البحار : من الهند ومن استراليا ومن سائر أنحاء الدولة التى لا تغرب الشمس عليها . . هؤلاء لا يبحثون عن خبز ولا زبد ، بل يأتيهما الخبز والزبد طائعين يجران الذيول . . .

وليس يعنينا اليوم من أمر هؤلاء شىء ، وإنما تعنينا الآن تلك الأحياء الوسطى التى لم يكد أبناؤها وبناتها يخرجون .. كل الى عمله ، حتى فتحت الأبواب مرة أخرى ، وخرجت من كل باب امرأة تقصف فى ثياب رثة زرية ، وهى تحمل فى يمينها خرقة بالية ، وفى يسارها سطلا فيه ماء دافىء .

هؤلاء النساء لسن بخادمات كما قد يتبادر الى الخاطر العجل ، بل إن كلا منهن ربة دار ، وصاحبة الأمر والنهى فيها . وهى تنتظر ريثما يخرج من بالدار من بنين وبنات ، ثم تأخذ فى الجد والعمل ، من غسل وطهى وخبز وعجن ، ولا تكاد تهدأ ساعة من الصباح الى المساء ، بادئة عملها حيث يجب أن تبدأه : من عتبة الدار ودهليز البيت . . . ولقد تجد الواحدة منهن فى غسل العتبة لذة خاصة ، ولعله أحب الاعمال جميعاً اليها . . لانه يتيح لها فرصة قد تكون الوحيدة فى كل يوم لان تتحدث الى جارتها ، وتقص عليها من كل شىء ، بل ومن عدة أشياء أخرى . . .

وفى هذا اليوم من تشرين الاول خرجت السيدة نلسن من المنزل رقم ١٥ فى ساعة باكرة ، وأخذت تمسح عتبتها فى شىء كثير من النشاط ، لكنه كان نشاطا يشوبه القلق والاضطراب ، وكانت من آن لآن تنظر الى منزل جارتها السيدة هرفى صاحبة المنزل رقم ١٧ . وكأنما تود بفارغ الصبر لو خرجت هذه السيدة لمسح عتبتها ، كى تحدثها فى الامر الذى أهمها وأزعجها ، والذى كانت ترتعد من أجله الخرقة التى بيمينها . والسيدة هرفى هذه أرملة ورثت عن زوجها منزلا يفضل عن حاجتها وحاجة أسرتها ، فكانت تسعى فى تأجير شطر منه لقاء مال يسير تستعين به على تكاليف الحياة . ولم تكن جارتها ترى فى هذا بأساً ، مادام نزلاؤها رجالاً ذوى فضل . لكنها لاحظت بالامس من خلال النافذة رجلا أسود الوجه خارجا من المنزل رقم ١٧ ؛ فما شكت فى أنه النزيل الجديد ، الذى تريد السيدة هرفى أن تؤويه فى دارها . . . . ياعجبا لهذه المرأة التى لا تتورع من الخروج على كل عرف ، وانتهاك كل حرمة . والنزول بهذا الحى الراقى ، وهذا الشارع الطاهر ، إلى الدرك الاسفل . . . ماذا يكون مصير هذا الحى يوم يرى سكانه هذا الإسود رائحاً غادياً ، بوجهه المزعج وسحنته المنقلبة ؟ . . . ان العاقبة

ستكون من غير شك وخيمة والمصير أليما . فلن يلبث سادة الحى وأشرافه حتى يهجروه وينأوا عنه ؛ لكى لا تقذى أبصارهم برؤية هذا الوجه الكريه . . . ان وجها واحداً من هذه الوجوه السود لكفيل بأن يلوث حياً بأسره ، وأن ينغص على أهله صفاء الحياة وطيب الرقاد . . . والويل لفتيات الحى ان صادفن هذا الوجه المنحوس فى ليلة حالكة الظلام ، عند أوبتهن من المرقص أو المسرح : إن الرعب الذى يستحوذ عليهن فى تلك اللحظة لخليق بان يورثهن سقما يلازمهن مدى الحياة . : . . كلا . . ان السيدة هرفى – مهما كان حبها للمال – يجب أن تعلم أن مثل هذا الشىء لا يجوز . . . ومن حسن الحظ أن الفتى لم يأت بأمتعته بعد . . .

ولم يزل فى الوقت متسع لمنع هذه الكارثة من أن تلم بهذا الحى الآمن المطمئن ، ولئن كانت السيدة هرفى قد نسيت ما عليها من واجب تلقاء الحى وأهله ، فأحرى بجارتها مسز نلسن أن تريها الرشد من الغى ، وأن تردها عما هى سائرة اليه من الوبال . . . .

ولم يطل بها الانتظار ، بل فتح باب المنزل رقم ١٧ وخرجت السيدة هرفى ، وهى فى نهاية العقد الخامس من العمر ؛ وفى يمينها خرقة كبيرة وفى يسارها سطل كبير . ثم بدأت جارتها بالتحية .

– عمى صباحا ، مسز نلسن ، عمى صباحا

– نعم صباحك ، مسز هرفى

– ان الهواء دافىء صحو ، والشمس مشرقة فى السماء . أرجو أن تكونى بخير

– انك خرجت اليوم متأخرة على غير عادتك

– أجل ، لقد كان لدى اليوم عمل كثير ، وكان على أن أعد الحجرة السفلى ، والغرفة الامامية من أجل ضيفنا الجديد . فانه سيأتى بامتعته قبل الظهر بساعة وقد يبقى بالمنزل الى وقت الغداء

– أتعنين إذن انك رضيت بذلك الزنجى الدموى نزيلا عندك ؟

– هل أنبأك بأمره أحد ؟

– رأيته أمس من خلال النافذة خارجا من باب بيتك ، فقبحت عينى من الدهشة ، وأنا لا أكاد أصدق ما أراه . وخشيت ان تكونى قبلت ان تسكنيه بيتك . والآن قد صدقت أسوأ ظنونى فبالله يا صديقتى ، إلا تدبرت الامر قليلا ، قبل أن تنزلى بهذا الحى الآمن هذه النكبة الفادحة

– وأى نكبة فى هذا ؟ ان للفتى حجرته يجلس فيها ، وغرفته ليرقد فيها ، ولن يكون له سبيل الى أحد من الحى ، ولا لسكان الحى سبيل اليه . فهونى عليك فليس فى الامر ما يدعو لكل هذا الاهتمام . .

– اللهم لطفا . . ! إنك لاتبالين – اذا ظفرت بالمال الذى تبغين – أن يشقى الحى وأهله برؤية هذا الزنجى الكريه المنظر ،

– إنه ليس بزنجى ، بل هو مصرى .

– وما الفرق بين هذا وذاك ؟ أو ليسوا جميعاً من أهل آسيا ؟

– لست أدرى أية آسيا تعنين . . . غير أنى حادثت هذا الشاب ، فرأيته يتكلم بلساننا كأحسن أبنائنا . ورأيت فى حركاته وسكناته ما ينم عن حسن الأدب وكرم المحتد . .

– ذاك لعمرى العسل الذى يخفى السم الزعاف . وكأنما نسيت ذلك الهندى الزنيم الذى كان نازلا فى بيت مسز براون . لكم كانت تكرمه الأم وتجله ، وتسمح له أن يصحب ابنتها دورا الى بيوت الرقص واللهو . فكان جزاؤها أن خان الأمانة وخفر الذمة ، ثم اختفى من المدينة فلا يعرف له أحد مستقرا ولا مقاما .

– ما أحسب الناس أشرارا كلهم ، وفى أبنائنا البيض من يرتكب ماهو شر مما ارتكبه الهندى . وعدا هذا فانى ليست لى ابنة فأخاف عليها ، وقد زوجت بناتى جميعا ، ولله الحمد .

– ونحن ؟ أما تحسبين لنا ولبناتنا حسابا ؟ انك من أجل بضعة الجنيهات التى سينقدك إياها لاتبالين بنا ولا بما قد يحل بنا ولا بالحى وما يدنسه ويحط من شأنه .

– لكنى قد وعدت هذا الشاب ان اسكنه بالحجرة السفلى والغرفة الأمامية ؛ ولابد أن أبر بوعدى .

– يالهذى السذاجة البديعة ! كأنما يفهم هؤلاء السود ما الوعد وما الوفاء بالعهد ! . . . ولقد كان ذلك الهندى شديد الوفاء لدورا المسكينة يوم تركها فى تلك الحال الأليمة ، واعتصم بالفرار ! . .

وفى هذه اللحظة خرجت الجارة الأخرى من المنزل رقم ١٩ وانضمت الى جارتيها وانتقل الحوار من الحديقة الى داخل المنزل وقد صحت نية الجارتين الا تتركا صاحبتهما حتى تذعن لرأيهما ، وتنزل عند إرادتهما .

— ٢ —

فى صباح ذلك اليوم من تشرين الاول استيقظ (حسن) من رقاد كان مملوءا بالأحلام . . . وكانت أحلامه عن مصر وعمن بمصر ،

وعن منزله المطل على النيل ، حيث خلف والدين آلمهما فراقه ، وأحزنهما أن سيكون بينهما وبينه هذا البحر الفسيح وهذا البر العريض ، وأن يهزهما اليه الشوق ، فلا يستطيعان اليه سبيلا ، ويحترق الصدر وجدا وهيهات الشفاء . . . في هذه الليلة رأى حسن أخته في المنام ، ولقد غادرها في مصر حليفة السقم . . أما اليوم فقد ابتسمت اليه حين رآها ، وطلبت منه أن يعود اليها رجلا عظيما . . . عجب كيف حالهم اليوم ؛ وهل يختلف الجديدان عليهم بالسعادة والنعيم ، أم بالشدة والشقاء ؟ . . . وهل اعتادت الأم فراق الابن الوحيد ، الذي لم يفترق عنها منذ أن رزقته بعد يأس ، فكان قرة العين ، وشفاء ما بالصدور . . .

وها هو ذا قد اضطر لأن ينزح عن داره ، وأن ينزل هذه المدينة الداوية الصاخبة ، وقد التحق بجامعتها ، وأخذ يجد في طلب العلم ومضى عليه تحت هذه السماء الرمادية اللون أسبوعان ، لم يكتسب فيهما صديقا جديدا ، ولم يحاول أحد أن يتعرف به أو يتقرب اليه . . كان كذبا ما زعمه المتشدقون من أصحابه في مصر : أن الناس في هذه البلاد يقبلون على الغريب ، ويجدون في إرضائه واكتساب صداقته . . لقد كان الناس يجيبون على سؤاله اذا سأل بجواب هادئ قصير ، لا يحمله على المضي في الحديث ، بل سرعان ما أشعر أن بينه وبينهم سورا غليظا وعرا ؛ هيهات له أن يجتازه . ولم تطل به الحال حتى اعتاد أن يقابل البعد بالبعد والصد بالصد . . . وهكذا أمسى وأصبح وحيدا غريبا ؛ وسط هذا المزدحم الزاخر من الناس

واستيقظ في صباح هذا اليوم ونهض من فراشه في شيء من النشاط . . وكان ذاك آخر أيامه في هذا (البنسيون) الذي قضى فيه هذين الأسبوعين ، وكان عليه اليوم أن يبادر باعداد حقائبه وجمع ما تناثر من أمتعته . وكان مغتبطا ناعم البال ، لأنه وفق أخيرا الى هذا المسكن الجديد في المنزل رقم ١٧ . فمنذ اليوم سيكون له حجرتان : حجرة يجلس فيها ويطالع أسفاره ويتناول طعامه . والأخرى لنومه وراحته . . ولقد كان من حسن الطالع ان غرفة نومه تطل على تلك الحديقة الغناء ، فيستطيع أن يطالع من نافذته ابتسام الربيع وقهقهة الصيف ، وهدوء الخريف ووجوم الشتاء . . . أما هذا البنسيون في (اكسفورد ستريت) فلم يكن له فيه سوى غرفة صغيرة ، ولم تكن إقامته فيه إلا ريثما يتحول عنه . . ومع هذا فان صاحبته اليهودية لم يرضها منه أن يغادر البنسيون ؛ فلم تكن تلقاه منذ علمت قرب انتقاله ، إلا عابسة غاضبة ، فكان أنفها البارز المحدب ينتفض ويضطرب ، وعيناها البراقتان يتطاير منهما الشرر ، إذا طلب قليلا من الماء الساخن ليستعين به على حلق لحيته . . والويل له إن تخلف عن موعد الطعام قليلا : فانه كان يجد المائدة قد رفعت ؛ فاذا نظر الى ما حوله ألفى وجوها عابسة تنذره بالشر المستطير إن هو حدثته نفسه بالحصول على شيء من القوت الذي فاته . فكان يؤثر الصمت وينسل الى غرفته في سكون وهدوء

ان هذا الاضطهاد العجيب كثيرا ما كان يضحكه ؛ وكثيرا ما سأل نفسه أيمكن أن تقسو عليه هذه اليهودية كل هذه القسوة لا لسبب سوى أنه يؤثر أن يسكن في ظاهر المدينة حيث الهواء الطلق والسكون الشامل ؟ إن أحد الناس أخبره فيما بعد أن هذه اليهودية لم تظلمه ولم تضطهده إلا لكي تثأر منه : لما جناه أجداده الفراعنة في الزمن القديم على بني اسرائيل ، حين كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم . . . وكثيرا ما أغرب حسن في الضحك كلما خطر له هذا الرأي الظريف . . .

ومهما يكن من أمر ، فان هذا اليوم من تشرين الأول هو آخر أيام الاضطهاد وأول أيام الحرية . فلن يطالبهم اليوم بالماء السخن : واذا قدم اليه الشاي باردا والبيض فاسدا في طعام الفطور ، فانه لن ينبس بكلمة . . . ثم أخذ يعد أمتعته ويحزم حقائبه . وقبيل الظهر بساعة كان قد أعد العدة للرحيل . . .

ومشى على استحياء الى ربة المنزل ، فحيته في تكلف وفتور . أما هو فابتسم لها ابتسامة ظنها ابتسامة الظفر ؛ وقدم لابنتها الصغيرة (ساره) صندوقا جميلا مفعما بالحلوى ؛ ونفح الخادم بضعة شلنات أنطقتها بالشكر .

ثم انطلقت به السيارة وبأمتعته وحقائبه تلقاء ذلك المنزل ، رقم ١٧ المطل على الحديقة الغناء ؛ وصدره مملوء غبطة لم يحس مثلها منذ نزل على ضفاف (المرزى) وأخرج من جيبه مرآة صغيرة فأصلح الرباط الذي يحيط بعنقه ، والذي تزعزع كثيرا أثناء نقله لحقائبه من الغرفة العليا الى التاكس . .

لم يكن حسن قبيح الصورة ، ولكنه من غير شك كان أسمر

اللون، وقد أخذ يحس إحساسا مبهما أن هذه السمرة قد تكون من جملة الأسباب التي أغلقت دونه أبواب القلوب... لكنه كان بعد في شك من هذا الأمر... ولم يكن قد وقر في نفسه بعد وأصبح عقيدة راسخة... فكان في يومه هذا يائسا مستبشرا.

ها هي ذي السيارة قد وقفت لدى المنزل رقم ١٧ ا وقد أوشك أن يقلب صفحة جديدة من صفحات حياته... فلتنتظر السيارة قليلا ريثما يستأذن أهل الدار في الدخول... ثم يأخذ في دق الجرس.... عجبا ليس من مجيب... إن السيدة قد ذهبت — دون شك — الى بعض شأنها وليس بالدار أحد... فلينتظر قليلا... ولكن... أي شيء هذا؟... ان النافذة تفتح وهذه سنيـ..هر في نفسها... ولكنها تنظر اليه بوجه عابس متجهم... إنها تبدى أسفها الشديد لأنها لا تستطيع أن تقبله في منزلها.... أجل... ولا يهمها أن تكون قد سبقت كلمة منها اليه... إنها لا تقدر أن تؤوي لديها أحداً من أهل آسيا، فليرجع بسلام...

آسيا؟ ولكنه ليس من أهل آسيا... إنه من أهل مصر!

سيان لديها، من أية الجهات مصدره، مادام أهل الحي لا يروقهم شكله ومنظره... فليرجع الى أحد فنادق المدينة فانهم سيرحبون به هناك. أما منزلها هذا فليس إليه سبيل...

ويطأطئ حسن رأسه ويمشي الى سيارته مطرقا واجما، ويهمس في أذن السائق اسم أحد الفنادق. ويرتمي في مقعده مجهداً متعبا، وتجيش منه التفاتة الى يديه وبشرته السمراء، فيدرك أن في العالم بعد جريمة هائلة دونها كل إثم وكل جرم، وأنه — ويا للأسف — لا سبيل الى الخلاص منها، ولا الى الابتعاد عنها...

فضائح المالية العليا في فرنسا

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

تشغل فرنسا منذ أسابيع باحدى هذه الفضائح المالية الكبرى التي لا تقف آثارها عند اختلاس مئات الملايين ونكبة آلاف الضحايا، ولكنها تتغلغل في جميع نواحي الحياة العامة، وتثير في الشعب روحا جديداً من السخط والريب في سلامة النظم القائمة التي يحدث في ظلها أمثال هذه الفضائح المروعة. والحادث الذي نعنيه هو فضيحة ستافسكي التي يتتبع الشعب الفرنسي، والرأي العالمي تفاصيلها وتطوراتها بمنتهى الدهشة، والتي كان من خطورتها وفداحة آثارها أن سقطت وزارة مسيو شوتان بعد أن حاولت عبثاً أن تغالب العاصفة وأن تهدئ روع الرأي العام.

ولا بد قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الحادث العجيب أن نشير الى أن هذه الفضائح المالية الكبرى لم تبق في عصرنا حوادث شخصية أو فردية يسئل عن تدبيرها أفراد معينون، وتحصر نتائجها وآثارها في حدود معينة، بل غدت بالعكس ظاهرة بارزة في سير المالية العليا، وظاهرة من ظواهر الحياة العامة حيثما تبلغ النظم الاقتصادية ذروة التعقيد والتقدم. وتقع في جميع الأمم الأوربية من آن لآخر حوادث من هذا النوع، وتحدث دائما آثارها السياسية والاجتماعية: ولكن هنالك حقيقة واضحة: هي أن هذه الحوادث تكثر في فرنسا بنوع خاص وتمتزج امتزاجا قويا بحياتها العامة، وتتخذ فيها صوراً هائلة مثيرة، وتلقى دائما سحباً من الريب على كثير من الرجال المسئولين. ونستطيع أن نمثل لذلك بأمثلة عديدة من حوادث العصر الحديث؛ من ذلك فضيحة شركة بانامًا التي أسسها فرديناند دي لسبس سنة ١٨٨١ لتقوم بحفر قناة بانامًا، ثم انهارت دعائمها لأعوام قلائل بعد أن اتسعت أعمالها اتساعاً هائلا وكثرت قروضها وعجزت عن الوفاء بتعهداتها، وكشف التحقيق القضائي عن اشتراك كثير من النواب والشيوخ في أعمالها والدعوة الى تعضيدها اشتراكا مريبا، وأحيل بسببها وزير سابق وبعض الشيوخ على محكمة الجنايات سنة ١٨٩٢،

وقضى على الوزير بالسجن . ووقعت فى أوائل هذا القرن بفرنسا عدة فضائح مالية أخرى ، بيد أنها لم تكن بمثل هذه الخطورة . ووقعت منذ أعوام قلائل فضيحة « الجازيت ده فرانك » التى اتهمت فيها مدام هانو الكاتبة الصحفية باختلاس مئات الملايين ، واتهم فيها عدد من أكابر الصحفيين والكتاب بالمعاونة فى التستر على مشاريعها المريبة والترويج لها فى صحف كبيرة محترمة . ثم وقعت منذ ثلاثة أعوام فضيحة شركات أوسترك فكانت من أعظم الكوارث المالية التى عرفت ، حيث أفلست من جرائها عدة بنوك كبيرة واختلس نحو مليار فرنك (يومئذ نحو عشرة ملايين جنيه) ، وألقيت بسببها ريب خطيرة على وزيرى المالية والحقانية وادارة بنك فرنسا ، وانتهت بسقوط وزارة مسيو تارديه (أواخر سنة ١٩٣٠) ، وقد كان أوسترك بطل هذه الكارثة خادما فى مطعم ثم انتهى الى صف أعظم رجال المال وأسس بنوكا وشركات عديدة قامت على التزوير والنصب والدعوة ، ونكب انهيارها مئات الالوف من أصحاب الودائع ، وكان كل جزائه بعد تحقيقات طويلة معقدة أن قضى عليه بالحبس عاما واحدا !

وليست فضيحة ستافسكي التى تشغل فرنسا اليوم الا مثلا جديدا مروعا يؤيد هذه الحقيقة . فهى كسابقاتها تقوم على اختلاس مئات الملايين ، ونكبة مئات الألوف ؛ وهى كسابقاتها تلقى كثيرا من الريب الخطيرة على الرجال المسئولين ؛ وقد سقطت بسببها وزارة قوية تستند الى أغلبية كبيرة فى البرلمان . بيد أنه يمكن أن يقال ان هذه الفضيحة الجديدة تفوق سابقاتها فى التغلغل الى صميم النظم والحياة العامة ، وفى التدليل على فسادها ، وفى آثارها السياسية والاجتماعية . وقد شهدنا نتائجها الاولى فى سقوط وزارة مسيو شوتان وقيام وزارة مسيو دلاديه ، ولكن من الصعب أن نتنبأ الآن بما يمكن أن يتلو هذا الانقلاب الاول ؛ خصوصا وان الفضيحة مازالت تتمخض كل يوم عن حوادث واسرار جديدة ، وما زال الرأى العام يضطرم سخطا ودهشة ، ويتطلب اجراء العدالة بمنتهى القسوة واصلاح هذا الفساد الدفين بسرعة حرصا على سلامة النظم الجمهورية ، وتوطيداً للثقة العامة التى زلزلت أركانها .

***

ولنر الآن ماهى هذه الفضيحة المروعة التى تقيم شعبا بأسره ولنر من هو ستافسكى هذا الذى غدا بطلا لنكبة مالية من أعظم نكبات العصر .

ان هذه الشخصية المدهشة : شخصية ستافسكى مازالت تبدو خلال التحقيق الذى تقوم به عدة جهات قضائية وادارية لغزا مغلقا ؛ وكان مصرع ستافسكى او انتحاره عاملا فى ازدياد هذا الغموض ؛ فمن جهة نرى ستافسكى الفتى الانيق الجواد الذى ينثر المال اينما حل بسخاء لم يسمع به ؛ ورب الاسرة الوفى الذى يعبد زوجه وولديه ؛ والمالى الذكى الساحر الذى لا يفتر نشاطه والذى يتقدم كل يوم لانشاء مشاريع وشركات مالية جديدة ظاهرة القوة والنجاح . اذا بنا نرى من جهة أخرى ذلك الأفاق البارع الخطر الذى لا يفتأ يرتكب جرائم التزوير والنصب والاختلاس تباعا ، والذى يحيط نفسه بعصابة مريبة من كبار المزورين ، ويشترى ذمم جميع الرجال المسئولين الذين يوجدون فى طريقه ويستخلص لنفسه مئات الملايين من أموال الارامل واليتامى وصغار المودعين ، ثم ينفقها على ترفه وبذخه المجرم دون ضمير ولا وازع ؛ ونرى آثار مشاريعه الخيالية الجهنمية تتغلغل فى صميم المالية العليا والحياة العامة ؛ ونرى اعين السلطات والمحققين تغضى عن تتبع جرائمه مع العلم بها : تلك هى شخصية ستافسكى .

ولد سرج الكسندر ستافسكى سنة ١٨٨٦ فى سبودكا من اعمال روسيا ؛ ونزح الى فرنسا بعد الحرب وتجنس بالجنسية الفرنسية ، وبدأ حياته المالية فى باريس وبسطا فى تجارة الجواهر والحلى . ثم نشط الى تأسيس الشركات المالية المختلفة ، فأسس شركة لصنع اللحوم المقددة ، وأخرى للسينما ، وثالثة لبيع بعض الاجهزة الطبية وهكذا : ولكن هذه الشركات كانت مريبة ، ولم تكن سوى ستار لسلسلة من جرائم التزوير والنصب ارتكبها ستافسكى ، واستولى بواسطتها على ملايين عديدة . وكانت اعظم وسائله اذ ذاك تزوير قيم التحاويل المسحوبة لاذنه . واستطاع بهذه الوسيلة أن يحصل خلال سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٦ على ستة ملايين فرنك ؛ وهنا اكتشف امره وصدر الامر بالقبض عليه بناء على عدة شكاوى قدمت فى حقه من البنوك ، فاختفى مدة ولم يستطع البوليس ان يقبض عليه الا بعد اشهر . وقضى ستافسكى فى الحبس الاحتياطى حينا ثم استطاع ان يحصل على قرار بالافراج عنه ريثما تتم المحاكمة . وقدم الى المحاكمة بتهم النصب والتزوير والاختلاس مع آخرين . ولكن هذه المحاكمة لم

تم قط منذ سنة ١٩٢٦ ، ولا زالت حتى اليوم معلقة للنظر أمام محكمة الجنح . وكانت مدى اعوام ثمانية تؤجل في كل مرة الى آجال طويلة لأتفه الأسباب ؛ وظهر فيما بعد أن ذلك يرجع الى نفوذ ومؤثرات معينة ، وأن الأفاق استطاع أن يؤثر عن طريق أصدقائه الأقوياء على سير القضاء كما استطاع أن يؤثر في عمل البوليس ، ولما ظهرت هذه الحقيقة المدهشة أخيراً كانت مثار السخط والريب في نزاهة القضاء .

وكان ستافيسكي طريد القضاء أثناء ذلك يعيش في بذخ لم يسمع به في داره الفخمة بحي الشانزليزيه مع زوجته الحسناء أرليت سيمون التي تزوجها منذ سنة ١٩٢٢ ، وولديه الصغيرين ، وكان يظهر في المسارح والأوساط الرفيعة وفي ملاهي الليل وميادين السباق وأندية المقامرة بأعظم مظاهر الغنى والترف ، وينفق الملايين الطائلة في كان ومونت كارلو وبياريتز وغيرها من مدن المياه ، كل ذلك باسم « مسيو آلكس » وقد ظهر من التحقيق فيما بعد أن كثيرين ممن اتصلوا به لم يكن يدور بخلدهم أن مسيو آلكس هذا أو آلكس الجميل هو نفسه الكساندر ستافسكي بطل الفضيحة الكبرى .

وفي سنة ١٩٣٠ وقع ستافسكي في مأزق جديد وافتضح أمره مرة أخرى ، ذلك أنه قدم إلى بنك التسليف البلدي باورليان طائفة كبيرة من الجواهر الزائفة واستطاع برهنها أن يحصل على سندات للخزينة قيمتها عشرة ملايين فرنك ، وأن يقطع هذه السندات ويحصل على قيمتها ولكن هذا التزييف الهائل اكتشف غير بعيد ، وظهر أن الجواهر المودعة كلها زائفة لا تساوي أكثر من عشرة آلاف فرنك ، بيد أن ستافسكي فطن في الحال للخطر الذي يهدده ، وبادر بتسوية المسألة ورد قيمة السندات المسحوبة ؛ وبذا أسبل الستار على الفضيحة بسرعة ، وأنقذ ستافسكي مشاريعه من خطر الانهيار وأنقذ نفسه من ظلام السجن .

ولم يمض على ذلك أشهر قلائل حتى استطاع ستافسكي أن ينفذ مشروعه الجديد ، وهو انشاء بنك التسليف البلدي في مدينة بايون . وهذه البنوك المحلية الصغيرة تنشأ في عواصم الاقاليم طبقا لقانون خاص ، وتقوم بمهمة التسليف برهونات منقولة مثل الجواهر والحلي ؛ وهي تنشأ عادة برؤوس أموال صغيرة ، ولكنها تستطيع متى اتسعت أعمالها أن تزيد في رأسمالها باصدار سندات على الخزينة بالاعتمادات اللازمة ؛ وهذه السندات تتمتع بنوع من الضمان الحكومي ، لأنها تصدر بمصادقة السلطات المحلية فضلا عن ادارة البنك ؛ وتمثل السلطات المحلية في ادارة البنك على يد مدير المقاطعة وعمدة المدينة ، وتمنح هذه السندات عادة ربحا حسنا لا يقل عن خمسة في المائة ، وتعفى من ضريبة الدخل ، وهي لذلك تجد اقبالا من شركات التأمين وغيرها من شركات الادخار فتسارع الى اقتنائها كوسيلة حسنة لتوظيف المال . وقد رأى ستافسكي في الحال أنه يستطيع أن يجعل من اصدار هذه السندات وسيلة سهلة مدهشة لاختلاس عشرات بل مئات الملايين . بيد أنه حرص بادىء بدء أن يتمتع مصرفه الجديد بسمعة حسنة ؛ واستطاع أن يجعل منه مؤسسة ناجحة متسعة العمل . ثم عمد بعد ذلك الى اصدار السندات تغطية لاعتمادات يريد البنك تحقيقها ، ويسدد قيمتها متى حلت آجالها ، فأخذ يصدر منها الملايين ثم عشرات الملايين ثم مئاتها :

وكان اختلاس هذه الأموال الطائلة يجرى بالصورة الآتية : يصدر البنك سندات قيمتها عشرة ملايين مثلا ، ثم يعرضها في السوق المالية للقطع ، فتشتريها احدى شركات التأمين بقطع مرغب جداً (٥ في المائة مثلا) لكي تقبض قيمتها متى حل أجل استهلاكها وتستفيد بذلك من القطع ثم من الأرباح . وقد بذل ستافسكي لترويج هذه السندات جهوداً مدهشة ، واستعان في ذلك بالجهات الرسمية وبالدعوة الصحفية . ومن الغريب أنه استطاع بواسطة النائب جارا عمدة بايون ، أن يستصدر من وزير المالية ووزير التجارة منشورا وجه الى شركات الاستثمار المختلفة يحثها على اقتناء سندات بنوك التسليف المحلية باعتبارها أوراقا ثابتة مضمونة ووسيلة حسنة للاستثمار ، وذلك طبقا لما نصت عليه بعض القوانين المالية ؛ فكان هذا التعضيد الرسمي اداة قوية في يد ستافسكي ومشجعا للشركات على شراء سندات مصرفه ، وكانت هذه الملايين الطائلة بدلا من ان تودع خزينة البنك تذهب توا الى جيب ستافسكي يبددها على بذخه المدهش وينفق منها على شركائه واعوانه . ولم تكن هذه الملايين ترصد في سجلات البنك لان السندات كانت زائفة تصدر دون مرجع او سجل ؛ وقد استطاع ستافسكي كما أثبت التحقيق أن يبيع من هذه السندات المزورة الى مختلف الشركات والافراد بما يساوي نحو خمسمائة مليون فرنك (أو نحو ستة ملايين جنيه) في أقل من ثلاثة اعوام ! هذا الى طريقة أخرى للاختلاس لجأ اليها ستافسكي ، وهو انه في فرص كثيرة كان يقدم الى البنك بعض الجواهر المزيفة باعتبار انها جواهر ثمينة ويسحب عليها

مبالغ طائلة ، وفى أحيان كثيرة كان يستخرج الجواهر الثمينة التى أودعها عملاء البنك فى خزائنه رهنا للقروض. ثم يضع مكانها جواهر زائفة ، ويحصل بهذه الوسيلة على عشرات الملايين .

والآن ، لنر كيف اكتشفت هذه الاختلاسات الهائلة .

ومن المحقق أنه كان من المستحيل ان يمضى ستافسكى فى جرائمه طول هذه المدة ، وعلى هذا النحو المدهش لولم يكن مستظلا بحماية الرجال المسئولين آمنا مطاردة البوليس والقضاء . على ان حادثا فجائيا أدى إلى اكتشاف الحقيقة المروعة ، وهو أن احدى شركات التأمين ، كانت قد اشترت من السندات الزائفة ماقيمته ثمانية ملايين حل أجل استهلاكها فى اغسطس الماضى ؛ فتقدمت الى البنك بطلب هذا المبلغ فطلب مدير البنك تسيه رجل ستافسكى وشريكه مهلة للدفع ، فرأت الشركة من باب الاحتياط ان توقع حجزاً على بعض المبالغ المطلوبة للبنك ، فدهش مراقب الضرائب فى بايون لهذا الحادث وارتاب فى الامر لأنه لايعقل أن مصرفا كبيرا محترما مثل بنك بايون يتوقف عن الدفع بهذه الصورة ، وتصادف عندئذ أنه فحص بعض السندات المسحوبة فلم يعثر لها على أثر فى سجلات البنك أو حساباته ، فأخطر الجهات المختصة ، وكان ذلك فى يوم ٢٣ ديسمبر الماضى . ولما رأى مدير البنك تسيه أن الامر قد افتضح ذهب الى مدير البوليس ، واعترف له بطرف من هذه الجرائم ؛ وفى الحال تدخلت النيابة ، وقبض على تسيه وبدأ التحقيق فى الفضيحة الكبرى

وسنرى فى فصل تال ماذا كشف التحقيق عنه ، وماذا كانت خاتمة هذا الافاق البارع وماذا كانت آثار هذه الجرائم المثيرة فى سير الحياة الفرنسية العامة .

محمد عبدالله عنان



الأدب والخلود

بدت فى أفق الوجود منذ أقدم عصوره أنواع كثيرة من الحيوان والنبات ، ظلت تصارع مع إرادة البيئة وعوامل الموت والحياة حقبا طوالا ؛ حتى فرق بينها قانون « تنازع البقاء » بكلمته الحاسمة ، فسكنت رحى الحرب وأسفرت تلك الوقائع عن خطوط متباينة لكل نوع منها عن الآخر : فمنها ما كان ضعيف الايد فقير العدة لم يستطع أن ينجو من نار هذا التنافس المستعر فالتهمته ألسنتها وأسدلت على كيانه وذكراه حجاب العدم إلى الأبد ، ومنها ماجاوزته هذه النيران وقد أبقت منه هيكلا هشيما أو بقايا منثورة لم تزل مطمورة تحت أطباق الثرى حتى عثر عليها رجال الآثار والحفريات فنشروها فى صدور المعارض والمتاحف ، ووهبوها بعثا جديداً لحياة الذكرى . وكان هنالك غير هذين ماوهبته الطبيعة أمضى الاسلحة للوقاية أو السطوة ؛ فكان هو الصامد للهول الصائل فى المجال حتى خرج مظفرا منصورا رافعا لواء الحياة !

كذلك فى أفق الفنون والآداب نرى مثل هذا الصراع العنيف دائر الرحى بين أنواعها المختلفة ، وبين مؤثرات العدم والوجود ، كأنها كائنات حية شاخصات الجثمان تحكم بينها قوانين النشوء والبقاء . ولئن كانت حرب الأنواع المادية قد خبدت نارها منذ آماد لتؤول إلى نضال آخر بين فصائل النوع الذى ظفر بالبقاء ، فان صراع منتجات العقل وبخاصة ما كان فى دائرة الفن والأدب لما يزل حامى الوطيس مشتعل اللهيب منذ أخذ الفكر وأخذت العاطفة تفتح عيونها على الكون ، وتتعرف مافيه من ظواهر وأسرار إلى اليوم . وسيظل هكذا يزداد أواره احتداما كلما نما العقل واتسعت شعاب الحياة أمام العواطف ، وكلما ارتقت مثل الانسانية وآمال المجتمعات والأفراد فى سماء الحضارة الرحبة الآفاق ؛ فكل أدب واهن القوى أو فاقد الأداة لابد أن يكون مصيره كمصير ذلك الكائن الضعيف إما فناء أبديا أو فناء يتخلله البعث للذكرى فى خزائن الكتب ، أو شوارد التاريخ أو على جدر المعابد ، وكل أدب موفور القوة موهوب المناعة لابد أن يغالب الزمان ويبقى على الحدثان .

هكذا توزعت الجدود على أنواع الأدب فى كل عصوره الماضية

وكذلك سيبقى نظامها . وقد تكون تلك الظاهرة ملحوظة فى جملتها قريبة الادراك بشكل عام عند من يتنبهون إلى حقائق الموت والحياة فى المعنويات كما يعرفونها فى الحسيات ، ولكن الغموض وسوء الادراك إنما يقعان فى تحديد معانى هذه الحقائق : ودقة الاحاطة بمدلول كلمات الضعف والقوة والغلبة والهزيمة : وفى العثور على محور التنافس والنزاع ، وكشف القوانين التى تعمل من وراء هذا كله لترجيح كفتى الفناء أو الخلود إحداهما على الأخرى . فكثير من متناولى الأدب من يقف اليوم خاشعا أمام تراثنا الأدبى القديم ، مستلهما نفحات الخلود من سطوره وكلماته لأنه قديم باق منذ مئات الأعوام إلى اليوم برغم الغير والأحداث ، دون أن يفرق بين أدب لا يجدر به أن يحفظ إلا ليؤدى مثل وظيفة تلك البقايا الحفرية تسجن فى غرف المتاحف فتذكر بنوع باد وانقرض ، وبين أدب خالد وثيق الصلة بعناصر الحياة فهو باق بأصله وأثره ولو اندثرت ألفاظه ، وليس من سبب لهذا النظر المختلط الواهم إلا عدم الاحاطة بدائرة الخلود وتنور الاسس التى يشاد عليها صرحه وما يؤدى إليه هذا الابهام من قصور عن إدراك الفارق الكبير بين مدلولى كلمتى « الخلود » و « البقاء » فى العرف الادبى الدقيق .

فليس الخلود فى الأدب هو مجرد البقاء ، وإن أوضح ما يبدى الفرق بينهما هو ذات هذا التباين الذى أدركناه بين بقاء الآثار والعاديات وبين بقاء الكائن الحى الخالد ، ويمكن أن يعبر عن تلك الميزة الكبرى بأن خلود هذا الكائن إنما هو بقاء مقرون بالتأثير والتأثر ، أو هو بقاء قابل فاعل ، أو هو الحياة : فالاثر الادبى كالاثر المادى سواء فى أن كلا منهما لا تتحقق له صفة الخلود إلا اذا امتاز بصفات وخواص تؤهله لان يظل مشتركا مع دورة هذا الكون الحى بآثار يحدثها فتزيد فى قوة تلك الدورة ، أو بطواعية ولطف تقبل لما يوحى به الكون من غايات : وما يتطلبه من نظم ، وبقدر ثروته من هذه الخصائص تتعين له منزلته من درجات الخلود المتفاوتة السمو ، غير أن الكائن المادى يؤدى وظيفة حياته هذه بالفعل أو الترك ، والادبى انما يؤديها بما فيه من أفكار ووجدانات .

واذا كانت مؤهلات الخلود للنوع المادى هى فى هذا التكوين الدقيق المنظم من عناصر متجانسة متوافقة ، انتخبت من جنس عناصر الكون الخالد ، لتشترك باتحاد ذراتها واتساق تركيبها فى تأدية سلسلة مترابطة من الغايات ، حتى تنتهى الى الغاية الكبرى من تكون الكائن كله بجميع أجهزته وأعضائه ، وهى الاتصال المباشر بدورة الحياة بالنشاط والحركة والعمل والانتاج والاهلاك والارادة بنوعيها من سلب وايجاب ـ كذلك مؤهلات الخلود للنوع الأدبى إنما هى فى تكوينه من لباب من المعانى ، مأخوذ بمهارة من صفحة الكون الزاخر بالحقائق والاحلام ، متسق العناصر والأجزاء بدقة وتفنن وابتكار ، حتى يبدو فى شكل وحدة متلائمة كلها أفكار ووجدانات ، تؤدى غايتها العظمى ، مؤثرة تارة فى الحياة ببعث الحق فيها والخير والفضيلة والكمال : أو متأثرة بها تارة أخرى بتقديس ما بها من جمال وعبادة ما وراءها من أسرار وامتزاج بما فيها من روح !

ذلك هو شرط الخلود بحدوده العامة ، وليس هو قيدا نبتكره ونمليه نحن على الأدب وأهله ، وإنما هو فيما نرى قانون ثابت أملته طبيعة الحياة من قبل على الكائنات المادية ، ونفذت أحكامه عليها بعنف وقسوة ، وهى تمليه اليوم وتطبقه على الكائنات المعنوية بعد ان اشتد تنافسها وكثرت أنواعها ، وبعد ان أصبح للآداب كيان ظاهر فى الحياة الانسانية يسعى إلى مثل ويتجه إلى مقاصد ، أو كما يقول النحاة بعد أن أصبح « عمدة » لا « فضلة » .

ولقد ظهرت آثار هذا القانون بجلاء منذ بضعة قرون فى الحياة الأدبية لأمم اوربا الراقية حين أخذت آدابهم تنمو وتستقل وتقوى شخصياتها وتجدد غاياتها ، فنشأت عندهم مذاهب النقد وطرائق البحث التى تعمل كلها فى ضوء هذا القانون حتى لا تمنح رتبة الخلود إلا لما احتوى على عناصره وتحقق فيه شرطه ، وها هو ذا تراثهم الأدبى تجد فيه سجل الخلود منشورا واضحا لا يجمع إلا أمثال أسماء شكسبير وملتون وشلى وبيرون وتنيسون وسكوت فى انجلترا وموليير وروسو وفولتير وهوجو فى فرنسا ولسنج وشلر وجيته فى ألمانيا ، وغيرهم ممن يضاهيهم أو يقاربهم مرتبين فى درجات مختلفة من الخلود بحسب ما حاز كل منهم من عناصره . أما نحن فلا تزال حياتنا الأدبية ناشئة حديثة ، وقد كانت إلى عهد قريب حائرة ضعيفة الادراك لا تدرى أى سبيل تسلك ولا على أى مرفأ ترسو ، لأن الشعور بالحياة كان ضيق الدائرة ضئيلا ، وكان سوء التقدير وفساد الفهم لغايات الأدب ومعانى خلوده يحاصر هذا الضيق ويأبى عليه أن يكتسب مرونة أو اتساعا . ولكنها الآن قد أخذت تنهج طريقة

أختها الأوربية فتفتح عينيها على الحياة وترشف من رحيق أسرارها ومثلها ؛ معتزة بوجودها ؛ مكتسبة كل ما يزيدها نموا وارتقاء ، وبهذا حق عليها أن تدفع ثمن هذه الحرية غاليا : وتتقبل راضية أو كارهة قانون الحياة الدائم ؛ فلا خلود إلا لمن ظفر بشرطه وأوفى على غايته .

نعم لم يعد يسيرا فى هذا العصر لأثر أدبي أن يظفر بالخلود ؛ لأن التنافس يزداد شدة كلما تقدمت الحضارة خطوة ؛ ولأن ذوق الجمهور قد أخذ يدق ويسمو حتى ليكاد يصبح ناقدا عاما ، ووجدانه قد بدأ يزخر بالآمال والعواطف حتى يأبى إلا أن يحتسى كأس الحياة حتى الثمالة ، وإرادته أيضا قد غدت حرة قوية مؤثرة حتى لا تقنع إلا بنشدان المثل العليا . وهذه كلها نتائج طبيعية لنشر وسائل التهذيب من تعليم وصحافة وأقاصيص وتمثيل وخيالة ، ولحياته بروح الدساتير الحديثة التى تكفل له الحرية وتسيغ له الاشتراك فى الحكم والدولة ؛ ولشدة امتزاج الشعوب اليوم بعضها ببعض وسرعة تبادل الأفكار والمشاعر : فهل يقنع هذا الجمهور الطامح المهذب إلا بأدب يمثل قانون الخلود فقرة فقرة ؟

لابد إذن لوجود هذا الأدب السامى من أديب يملك بفطرته نفسا شاعرة نبيلة دقيقة الحس كميزان الذهب ؛ تتلقى الالهام والوحى من محيط الوجود كما يتلقى الجارس د الراديو ، موجات الأثير حاملات الأغانى لا يشعر بها غيره ، وعقلا صافيا كالعدسة المكبرة تواجه الشىء فيتجلى فيها بخفاياه وحذافيره . قد صقلته التربية ووسعت أفقه التجارب والثقافة المحيطة ؛ وقدرة ماهرة على التنسيق والتنويع وحسن الصياغة بابتكار واستقلال .

وندع الآن مشكلة اللفظ وما تنتجه من مسائل الفصاحة والبلاغة فإنما نحن نتحدث عن الجوهر لا عن العرض ؛ ونبحث فى القانون الثابت المطرد لا الأمر العارض النسبى ؛ ولسنا نعنى بذلك أن نهمل البتة ناحية اللفظ فنكسو الحسناء الجميلة ثوبا خلقا مهلهلا ، بل الذى إليه نقصد أن سر خلود الأدب أصالة إنما هو فى معناه ؛ ثم تأتى مسألة اللفظ بعد ذلك مختلفة باختلاف اللغات متفاوتة بتفاوت الأذواق ، فكم فى اللغات العامية من معان رائعة حية الأثر تتداولها الألسنة رواية لا تدوينا ؛ وبداهة لا تعلما ، وهى خالدة على مر الأجيال فى معزل عن اللغة الفصحى بل فى نفور بينها أن تشوه جمالها ، وكم فى اللغات الأعجمية من آثار خالدة أيضا لم تدرك لغتنا الفصحى شأوها بعد ولا يضيرها أن تؤدى برطانة الأعجام ! فمسألة الخلود فى الحقيقة مسألة المعنى وهى الأمر الثمين النادر ؛ أما اللفظ فيسير الثمن بتعلم اللغة والاطلاع على أساليبها . وكأننا بهذا نعكس رأى علماء البلاغة الأقدمين إذ كانوا يقولون : إن المعانى منثورة فى الطريق يعرفها الفصيح والمفحم والعالم والأمى والبدوى والحضرى ، ولكن الفرق كله بين هؤلاء فى اختيار اللفظ وحسن التركيب !

ولعمري ما أشبههم فى ذلك بمن يقولون إن الذهب والفضة مطروحة فى الطرقات ؛ ولكن المشكلة المعضلة حقا إنما هى : كيف يحمل الفقير تلك الكنوز ؟ !

وبنظرة نرددها بين غاية الخلود البعيدة المدى ، وبين أدبنا الحديث ، نستطيع أن ندرك كيف ينحرف هذا الأدب عن الهدف الذى يجب أن يقصد : ثم إذا تتبعنا خط الميل عن الجادة المستقيمة لم نلبث أن نقف على نقطة الانحراف أو رأس المفترق ، وليست هى فيما أرى إلا حيث يتدفق سيل التقليد الجارف ، فيكتسح أدبنا أمامه ويحول بصره عن الهدف الى صحراء العصور الخالية ؛ ولقد سار أدبنا منذ نشأته فى هذا الطريق المنحرف مراحل واسعة ، ثم جاء الأدباء المجددون والشباب المثقف الحديث فحاولوا أن يمسكوا بزمامه ويردوه الى غايته ؛ فاذا به يستقيم ويعدل سيره فى أنوارهم وهو حقيقة يوشك أن يعتدل . بيد أن انكساره القديم قد ترك فى بصره بعض الزيغ وفى هيكله بعض الاعوجاج !

كانت الروح الفردية هى عماد الأدب القديم ، وما زالت هى أيضا عماد أدبنا الحديث ، فكما كان رجل الصحراء ينشد أدبه الغنائى فى حدود نفسه معتزا بشخصيته دون غيرها ، حين يصف حبه وهيامه وحوادث غرامه أو حين يصف ناقته وفرسه أو يفخر بشجاعته وبأسه ، كذلك نحن لا نبرح مقيدين بخطته مقتفين أثره لا نعنى أكثر ما نعنى إلا بالتغنى بهذه الأغراض الفردية الضيقة من حب شخصي وحزن وسرور ورثاء ومدح لا تعدو حدود النفس ؛ ولست أدري كيف نمهد لنا عذرا عن هذه الأثرة التقليدية إذا وضحت أمامنا أعذار الرجل الصحراوى وقد كانت طبيعة بيئته ونظام حياته لا يسمحان ببناء مجتمع مترابط ممتزج بل تلحان على كل فرد أن يكون هو مجتمع نفسه وحكومة شخصه ؟

وهل تلك الحياة المفككة هي حياتنا اليوم ؟ أليست دعامة هذا العصر المتحضر هي قوة روح الاجتماع وتشييد بناء الوحدة وتربية الفرد ليفنى في المجموع ؟ إذن فلن ينطلق أدبنا من رجعيته إلا إذا جاري العصر وساير الحياة فاندمج في المجتمع بما فيه من سياسة ودين وتربية وأخلاق وغاص إلى أعماقه وترجح على أمواجه؛ متشرباً العواطف الانسانية لا على أنها نزعات فردية من شخص لآخر ، ولكن على أنها ظواهر اجتماعية لها آثارها في المجتمع ولها أحوالها وخواصها المتأثرة به المتغيرة بتغيره ، وناظراً منصتاً لا في منطقة شخصه ولكن في رحاب المجتمع الطليق يراه كيف يجد ويلعب وكيف يفكر ، وكيف يشعر ، ويسمعه بأي لحن ينطق ويغني ويئن ويهتف ، ضاربا معه على أوتار أفراحه وأحزانه ؛ صاعدا إلى سماء الآمال أو منحدرا إلى أرض الهوان ؛ صارخا في ثورته ، نائما في رقدته .

وكان الادب القديم نسيجا من خواطر وأحاسيس هي بنت ساعتها ، ووليدة حادثتها ، توضع متراصة مسرودة دون أن ينظمها سمط من العلم أو رباط من العقل ؛ وما زال أدبنا الحديث أيضا نسيجا من مثل هذه الخواطر والأحاسيس ؛ لا يحاول أن يتقرب إلى العلم أو يصافح الفلسفة أو يمد يده الى علم النفس ؛ بل كثيراً ما يقف منها موقف الاضداد ، فاذا كان منشأ هذا النقص عند أدباء القرون الماضية هو فقرهم من هذه الثروة الفكرية العظيمة ؛ وفهمهم الادب على أنه منفذ للشعور الفردي الوقتي كيف كان لا كما نفهمه نحن اليوم من أنه دعامة من دعائم الحضارة وأساس الاجتماع المهذب الراقي — فبأي سبب غير عماية التقليد نعلل وجود هذا النقص في أدبنا إذن ونحن في عصر يفهم الأدب على هذا الوجه ، ثري بما فيه من منتجات الفكر ؟

ولعل هذه الروح الجديدة التي نحاول أن نشربها أدبنا ليتصل بالعلم والاجتماع ، تدل بنفسها على أنها لا تستطيع أن تحيا وتنمو وراء هذه الاسوار الضيقة التي كانت تحاصر الادب القديم : أسوار الشعر الغنائي والحكم المقتضبة والامثال الموجزة ؛ والفصول الكتابية والأراجيز النظمية تعقد لبيان الاخلاق والنصائح والعظات في قواعد وقضايا آخذ بعضها برقاب بعض . وإنما هي تريد قبل أن نفكر في استلهامها أن نهدم هذه الاسوار ونخرج إلى ميدان القصة والملحمة والرواية الرحيب الجوانب فتنثر في فضائه ما نريد من حكم ووصف وعظات وما نشاء من وحي الفكر والوجدان.

أجل ، فان ذروة الخلود سوف تدنو من صروح القصة والرواية وما حاكاهما ، وسوف تكون هذه الانواع أقوى أنواع الادب وأكبرها اثرا في تأدية وظائفه في الحياة الانسانية بين الجماعات والافراد ، وستندمج في ثناياها تلك الانواع الصغيرة التي لا تحتوي الا على خطرات محدودة من مشاعر الحب والانتقام والهجاء والفخر والحماسة والمثل والوصية والمراسلة وما جرى مجراها ، فلا يبقى منها مستقلا إلا ما ترشحه رقة نغماته ووحدة موضوعه وصدق شعوره ليجيب بعض نداءات الحياة القصيرة التي لا تحمل أعباء القصة ولا تستطيع تغذيتها . وفيما خلا ذلك تنهض القصة بدعوات الحياة الكبيرة وتخوض معارك الاجتماع وترتوي من منابع العلم فتصبح صورة صادقة ناطقة للانسان والكون وما بينهما من أسباب وصلات .

وحري بنا الآن وقد جرت معنا ألفاظ الغاية والهدف والقصد الى جانب الأدب أن ندفع ما قد يدور بخلد ظان من أننا نريد أن تكون الغاية هي التي تخلق الأدب وتحكم فيه ؛ فلا يكتب الأديب أو ينظم إلا لغاية قد تعمدها ونصبها أمامه ، فان مآل هذا أن يصبح الأدب صناعة لا فنا وأن يصير الاديب مصنوعا لا مطبوعا ، وانما نحن ننسب الغاية الى الادب على سبيل المجاز ، ونريد في الحقيقة أن يصدر الادب عن نفس تشربت من قبل الغايات والمبادئ حتى ذابت فيها وتحولت الى وجدان حي ورغبة فنية دافعة ، فهي لا تكتب بعد ذلك ناظرة الى غاية منفصلة ، وانما هي تعبر عن شعورها المتصل بها وفكرها الذي أصبح ملكا لها إرضاء لطبيعتها الفنية وفطرتها الادبية ، فكأن للأدب غاية لا ترى إلا بعد صدوره بالفطرة .

وللخلود في الادب مناطق تختلف سعة وامتدادا . فقد يسري حتى يعم العالم بأجمعه ويصير أدبا عالميا . وقد يقتصر على أمته وشعبه فيكون أدبا قومياً . وحولهما درجات ، والسر في هذا انما يرجع الى اختلاف موضوعاته : فاذا كان متناوله النفس الانسانية من حيث هي لا باعتبار الاجناس والانواع فهو جار مع النفس الانسانية في كل مكان . وكذلك اذا كانت وجهته الكون والطبيعة والمعاني الكلية التي لا تحدها الامكنة ، ولا تطغى عليها البيئات . ومن أظهر الامثلة لذلك أدب المعري وابن الرومي والخيام في

الشرق ؛ وشكسبير وروسو وهوجو في الغرب. أما إذا كان موضوعه مصبوغاً بصبغة البيئة وألوان المكان وأغراض الشعوب والاجناس فهو خالد في حدود من يصورهم ويتحدث بلسانهم . ومن أمثلته بعض أدب حافظ وشوقي مما يغذى الوطنية في مصر ؛ وردیارد کبلنج في انجلترا ، وجميع الآداب القومية التي يعتز بها اليوم كل شعب . وليس يعنى هذا التفاوت في سعة النفوذ تفضيلا في الرتبة بين خلود وآخر ؛ لان الاديب قد ينتج النوعين وينبغ في الناحيتين معا ، ولكنه يقال كقاعدة عامة في هذا العصر الذى أصبحت القومية روح وجوده أنه لا بد لكل شعب من أدباء قوميين يغذونه بالادب الرفيع الخالد ؟

محمد ضياء الدين الريس

(الرسالة) لا تتحمل الرسالة بالطبع تبعة ما تنشره من الآراء مادامت مذيلة بأسماء كاتبيها

فلسفة سبنسر

للاستاذ زكي نجيب محمود

– ٢ –

تطور الحياة

يبدأ سبنسر كتابه عن تطور الحياة بتعريف الحياة نفسها بانها التوفيق بين الكائن الحي وبيئته ، ويتوقف كمالها على كمال هذا التوفيق . فهذا حيوان يكتسي بالفراء ليتقي لذعة البرد ، وذلك قد أعد لاختزان الطعام لما عساه أن يصادفه من قحط وإجداب ؛ وثالث يستطيع أن يتلون بلون الارض التي يدب فوقها حتى لا يبصره العدو فيفتك به ، الى آخر هذه الوسائل التي زودت بها الطبيعة الأحياء ، أو بعبارة أصح ، التي قسرها الأحياء قسراً على أن تزودهم بها للذود عن حياتهم ، مما يعلم القراء جميعا . وبديهي أن هذه الملاءمة لم تبلغ ولن تبلغ درجة الكمال ما دام الحيوان مخلوقا ناقصا يعتريه الضعف والموت ، ولكن مهما يكن من أمر فهو دائب لا يني عن السعي الحثيث في زيادة هذه الملاءمة شيئاً فشيئاً ، بأن يكمل هذا النقص تارة وذاك طوراً ؛ وينقح من أعضائه حتى تتمكن من مجاوبة الطبيعة ومقاومتها ؛ ومعنى ذلك أن الكائن الحي يشعر بالحاجة أولا ثم ينطلق في سعيه جيلا بعد جيل يستمد من الطبيعة عضواً يسد له ما أحس من نقص ، فهو مثلا يشعر بحاجته الى النظر لكي يتبين ما يحيط به في دقة ووضوح فيكون لنفسه على مر الدهر عضواً للابصار ، وهكذا قل في سائر الاعضاء ،

وليست الحياة الا هذا التوفيق الذي لا تنقطع أسبابه ، ولا تقتصر هذه المحاولة على أفراد الحيوان ؛ بل تعدوها الى الأنواع ، اذ يسعى كل نوع باعتباره كلا الى الملاءمة بينه وبين البيئة . ويرى سبنسر توافقا عجيبا بين تكاثر الحيوان وما يحيط به من الظروف الطبيعية ، فهو يرى أن الأصل في التناسل هو تخلص الكائن الحي من زيادة في حجمه لا تتناسب مع جهازه العضمى ، أي أن كتلة الكائن الحي اذا أطردت في النمو ، تصل الى حد لا تستطيع معه المعدة أن تسد حاجتها في الغذاء ؛ وعندئذ يضطر الحيوان الى أن يقف نموه عند حد معين ، وكل زيادة تجيء بعد ذلك يتخلص منها بان يخرجها نسلا . وتطبيق ذلك ان الانسان ، ذكراً كان أم أنثى ، يأخذ جسمه في النمو الى حد محدود ثم يقف نموه اذا ماجاءت مرحلة التناسل ، ولذا نرى أن عدد النسل يتناسب تناسباً عكسيا مع درجة النمو ، فكلما كبر حجم الحيوان كان نسله أقل عدداً ، فبينما تنسل الذبابة مثلا عشرات الذباب لا يلد الفيل الا واحداً . كذلك يتناسب عدد النسل مع مقدرة الحيوان على مقابلة الاخطار . فان كان ضعيفا عاجزاً عن صد ما يتهدده من الكوارث لجأ الى كثرة النسل ليعوض فناء أفراده الناشيء من ضعف المقاومة والا تلاشى النوع . والعكس صحيح ، أي اذا كان النوع قادرا على الاحتفاظ ببقائه ، وجبت قلة النسل ؛ والا رجحت كثرة العدد على كمية الطعام . ومعنى ذلك بعبارة أخرى انه كلما ارتقى النوع في سلم الحياة ، كان أقدر على الاحتفاظ بوجوده ، وكان بالتالي قليل النسل . وهذه القاعدة صحيحة الى حد كبير حتى في الافراد ، أي اذا ارتقى الفرد في عقليته وذكائه كان أقل نسلا . ومما هو جدير بالذكر انه كلما ازدادت عند الفرد كمية الاستهلاك العقلي اي التفكير قل عدد النسل أو انعدم . ولعل أبلغ آية لذلك عقم الفلاسفة . وقد يشير هذا الدليل الى ان الانسانية تسير في تطورها نحو مرحلة تزيد فيها القوة العقلية ويقل عدد النسل .

وعلى الرغم من ان الطبيعة ساهرة على هذا التوفيق بين نسبة التناسل وحاجة النوع . فقد يظهر انها أخطأت الحساب ومالت نحو الاكثار من السكان ، بغض النظر عن كمية الغذاء ، وحق للتوس

ان يجهر بدعوته الى ضبط النسل لما لاحظه من زيادة السكان على مواد الغذاء .

تطور المجتمع

ليست دراسة الاجتماع بالميسرة الممهدة ، بل يعترض سبيلها من العقبات والصعاب ما لا يستطيع التغلب عليها الا الافذاذ الفحول ، فقد حدث مرة ان ارتحل رجل فرنسي الى انجلترا ليقضي بأرضها بعض الوقت ترويحا للنفس وحبا للاستطلاع فلم يكد ينقضي على اقامته بها أسابيع ثلاثة حتى اعتزم ان يصدر كتابا عن انجلترا ، اذ خيل اليه أنه قد درس شعبها فأتقن الدراسة ، فلما انقضت شهور ثلاثة ، هم بوضع كتابه ، ولكنه أدرك أنه لم يتقن الدراسة بعد بحيث يستطيع ان يخرج الكتاب الذي يريد ، وآثر الروية والاناة ، فلما انقضت سنوات ثلاث ، اتسع شعوره بالعجز والقصور ، وأيقن أنه لا يعلم من موضوعه شيئا ... وهذا صحيح ، فقد يخيل للانسان للوهلة الاولى ان دراسة المجتمع سهلة ميسورة ، ولكنه كلما ازداد علما بدقائقه ، ازداد يقينا بجهله وعجزه

فما بالك بالجهود التي بذلها سبنسر ، وهو لا يريد أن يدرس شعبا بعينه فحسب ، بل يقصد الى دراسة المجتمع الانساني بأسره وكيف تطور كيانه من حالة الى حالة ؟ فهو يرى ان المجتمع كائن عضوي له أعضاء للتغذية وله دورة دموية ، وفيه تعاون بين الاعضاء ، وله فوق ذلك تناسل وافراز ، شأنه في كل ألوان الحياة شأن الافراد سواء بسواء ... فهو ينمو ، وكلما ازداد نموه اشتد تعقدا ، وكلما تعقد ازدادت اجزاؤه استقلالا . وحياة المجتمع باعتباره كلا طويلة جدا بالنسبة الى حياة اجزائه التي يتألف منها ، والمجتمع كالفرد يتعاوره التكوين والانحلال وهما وجها التطور ؛ فنمو الوحدة السياسية من الاسرة الى الدولة ثم الى عصبة الامم ، ونمو الوحدة الاقتصادية من الصناعة المنزلية الصغيرة الى نظام الشركات ثم الى الاحتكار ، ونمو وحدة السكان من القرية الى المدينة ... كل هذه ظواهر للتجمع والتكوين ، ولكنك من جهة اخرى ترى تقسيم العمل وتعدد المهن والصناعات ، وتنوع الانتاج بين الريف والمدن ، وبين أمة وأمة ... وهي دلائل تشير الى التنوع والتنافر . وتستطيع كذلك أن تلمس التطور بشطريه - تآلف الاجزاء في وحدة ، ثم تنافرها داخل تلك الوحدة — في كل جانب من جوانب المجتمع : في الدين والحكومة والعلم والفن وغيرها .

فقد كان الدين أول الأمر عبادة طائفية من الآلهة والأرواح ، فأخذت هذه تتجمع وتأتلف حتى تركزت في إله واحد . . ثم عاد التوحيد فتفرع الى جملة من الأديان وطائفة من العقائد ، ولم يتحور الدين في شكله فقط ؛ بل تبدل موقعه من النفوس كذلك . فقد كان المحور الذي تدور حوله رحى الحياة بأسرها ، ذلك لأنه ألقى في روع الانسان الأول ان هذه الحياة الدنيا غرور ولهو ، ويجب أن يربأ بنفسه أن تنغمس في حمأتها أو تتلوث بأدرانها ولتكن الآخرة وحدها محطا لآماله ومعقداً لأمانيه ، فهي خير من الأولى وأبقى ؛ ولكن ما لبثت وجهة النظر أن تطورت ، وتوجه الانسان بشطر من عنايته نحو هذه الحياة التي يعيش فيها . واخذت تلك العناية تزداد شيئا فشيئا كلما اتسع نطاق العمل الصناعي .

أما نظام المجتمع فلعل أبلغ ما طرأ عليه من تغيير ، هو الانتقال التدريجي من النظام الحربي الذي ساد أوربا إبان العصور الوسطى الى النظام الاقتصادي الصناعي ، ويعتقد سبنسر أن تقسيم الحكومات الى ملكية وارستقراطية وديموقراطية وما الى ذلك ، ان هو الا عرض تافه لا يمس الجوهر والصميم ، وأما الحد الفاصل الذي يميز دولة من دولة ، فهو أساس بنائها الاجتماعي . هل يقوم على النزعة الحربية أم يصطبغ بصبغة الصناعة ، وبعبارة أخرى تنقسم نظم الاجتماع نوعين : جماعة تعيش من أجل النزال والقتال ، كما كانت الحال في نظام الاقطاع ، وجماعة لا تجد في الحياة هدفا تتجه صوبه وتحيا به ومن أجله سوى العمل ؛ فتلك تحارب من أجل الحياة ، وهذه تعمل من أجل الحياة .

وللدولة الحربية صفات تلازمها ، منها ان السلطة تتركز في قبضة الحكومة وحدها ، ويغلب أن تكون حكومة ملكية لا تدخر وسعا للتفريق بين أفراد الشعب الواحد الى طبقات بعضها فوق بعض ، فتكون الحرب والفروسية صناعة الأشراف ، وللسوقة الصناعة وفلاحة الأرض . . . كذلك تعظم في الدولة الحربية سيطرة الرجل في الاسرة ، ذلك لأن الرجال هم عماد الحروب ، وأن منزلة الرجل في حومة الوغى من منزلة المرأة قابعة في عقر دارها ؟! . ويمقت سبنسر هذا الضرب من الاجتماع الذي تدور حياته حول قطب الحرب ، لأن مصلحة الفرد تذوب

وتتلاشى فى صالح المجموع ، ولأن الدولة لاتقوم الا على القتل والسرقة ، ونحن ان كنا نصم الانسان الاول بالوحشية لأنه كان يلتهم لحوم البشر ، فما أجدرنا أن نزدرى هذه الدول التى تأكل شعوبا بأسرها فى وجبة واحدة ! ويعتقد سبنسر ان رقى الانسانية مرهون بالغاء الحروب ، وهو لا يرى سبيلا لتحقيق هذا المثل الأعلى سوى أن تقطع الامم شوطا بعيدا فى الصناعة لأنها تعمل على المساواة والسلام ، وهى تقسم السلطة بين أعضاء المجتمع جميعا ولا تركزها فى ايدى الحكومة وحدها ، وفضلا عن ذلك فهى تشحذ العقول وتدفعها الى الابتكار ، وهو المعول الهدام الذى يكفل لنا تحطيم التقاليد الوراثية التى تقوى من شوكة الحكومة . . . وستصبح الوطنية فى ظل الصناعة حبا للوطن لا كراهية الأوطان الأخرى ؛ ثم اذا اطرد نموها ، فستؤدى حتما الى ازالة الحواجز الجمركية التى تفصل الدول بعضها عن بعض ، وعندئذ تورق دوحة السلام وتمتد فروعها حتى يتفيأ ظلها أبناء الانسانية جميعا . . . واذا ما خفقت راية السلام وامحت الحروب ، زالت دولة الرجل ، ولا يعود له فى أسرته سلطة الحجاج التى ينعم بها ، ويرتفع قدر المرأة حتى تقف معه كتفا الى كتف ، لتشابه ما يؤديان من عمل ، وعندئذ فقط يتحقق تحرير المرأة الذى تنشده .

ولما كانت الصناعة تستقى ماء حياتها من العلوم ، فلا ريب فى أن تقدمها وانتشارها ينتجان تربية التفكير العلمى وصحة الاستنتاج للاسباب والمسببات ، ولن يلجأ الانسان بعدئذ الى قوى الطبيعة الخارقة والابالسة والشياطين يعلل بها أحداث الحياة . . . وفوق هذا كله سينقلب التاريخ رأسا على عقب ، فستزدهر صحائفه بذكر الرجال العاملين بدلا من الملوك المحاربين ، وسيفسح فى مجاله للمخترعات والافكار . . . سيزداد الشعب سلطانا وقوة ، وتتقلص سطوة الحكومة وتنكمش ، وسيبطل ذلك الوهم العتيق البالى الذى يفرض على الفرد أن يحيا من أجل دولته ، وأن يضحى بنفسه فى سبيلها ، وسيعلم الناس حقا ان الدولة انما وجدت وانشئت لصالح الفرد ، وان كان هذا هكذا فلا يجوز أن تضحى الحياة من أجل العمل ، بل يجب أن يكون العمل اداة تستغلها الحياة فى تحقيق السعادة والهناء .

تطور الاخلاق

على أى أساس نشيد مبادىء الاخلاق ؟ وبأى مقياس نزن الخير والشر ؟ أما سبنسر وأتباعه فلا يترددون لحظة فى اخضاع الأخلاق ، كأى شىء آخر ، الى قوانين التطور وانتخاب الطبيعة ، وبعبارة أخرى يريدون أن نلقى بزمام الانسان فى يد الطبيعة نفسها تختار من أخلاقه ما تشاء . وقد ناهضهم طائفة كبيرة من العلماء والكتاب ، يربأون بأخلاقنا التى تواضع المجتمع عليها أجيالا متعاقبة ، أن توضع بين مطرقة الطبيعة وسندان التطور ، يفعلان بها كيف شاء لهما الهوى وفى ذلك يقول هكسلى : إن علم الحياة لا يصلح دليلا خلقيا بأية حال من الاحوال ، اذ كيف نترك مصيرنا فى كف الطبيعة العمياء ، وهى كما قال عنها تنسون الشاعر الانجليزى « ملطخة بالدماء نابا ومخلبا » ! ! نعم ، كيف نذر الطبيعة تصب فى قوالبها ما يطيب لها من أخلاق وهى كثيرا ما تمجد الوحشية والمكر والخداع وتمقت الرحمة والعدل والحب ؟ !

ولكن تحدث بهذا المنطق لغير سبنسر ! لابد أن تخضع مبادىء الأخلاق للانتخاب الطبيعى وتنازع البقاء ، وليبق من أخلاقنا ما يصمد لهذه التجربة القاسية ، وليفن منها ما تذروه هذه الريح العاصفة . . . الأخلاق — كأى شىء آخر — تعود على الانسان بالخير أو بالشر بمقدار ما تساوق أغراض الحياة « والخلق السامى هو ذلك الذى يسير مع الحياة ويشاطرها فيما ترمى اليه » فلنقبل من الأخلاق ما يلائم الحياة ، ولنرفض منها ما يعترض سبيلها ومجراها ، أو بعبارة أخرى يجب أن تكون الأخلاق بحيث تعاون الفرد على البقاء فى مضطرب الأهواء المختلفة المتنازعة التى تصدر من أعضاء المجتمع . ولما كانت هذه الملاءمة بين الفرد والمجتمع تختلف باختلاف الزمان والمكان ، كانت بالتالى فكرة الخير تختلف عند الشعوب أوسع اختلاف . ويرى سبنسر أن الطبيعة قد زودتنا بمقياس دقيق نميز به الطيب من الخبيث ، وهو مقياس السرور والالم ، فاذا صادف سلوكنا من أنفسنا ارتياحا ورضى ، كان ذلك دليلا على ملاءمته للحياة الكاملة ، لان ذلك الاطمئنان الباطنى علامة على أن الطبيعة قد اختارت ذلك السلوك ليكون سبيلا الى حفظ الحياة . فأنت تستطيع اذن أن تفرق بين الخير والشر ، بما يبعثه العمل المعين من سرور أو الم لأنهما دليل ساقته الطبيعة نفسها للتفريق بين هذا وذاك

نعلم مما تقدم أن الاخلاق يختلف لونها باختلاف البيئة الطبيعية أو الاجتماعية ، لأن الأولى صدى الثانية وانعكاسها ، ولما كان نظام المجتمع فى العصور الوسطى أخذ يتطور فى كثير من أسسه وقواعده ،

كان حتما أن ينشأ عن هذا التحول انقلاب فى فكرة الاخلاق . فقد كانت أكاليل المجد والفخار لاتعرف موضعا غير هامة الفرسان المقاتلين ، فأما هؤلاء الذين يقضون نهارهم فى الزراعة والصناعة فعبيد أرقاء حقت عليهم الذلة والهوان ، ولكن وجهة النظر أخذت تتطور منذ خلت الصناعة ورسخت قدمها ، لانها تعتمد كما قدمنا على القوة العقلية ، فأضحى العمل أشرف ما يمارسه الانسان . لانه عماد المجتمع وسنده . ولما كان هذا العمل لاينمو ولا يستقيم الا تحت ظل العدالة ، وهذه بدورها لاتورق أو تزدهر الا فى جو من الحرية ؛ كانت هذه الحرية أول واجب فى عنق الدولة ، وقد عرف سبنسر العدالة بأن : « كل إنسان حر فى ان يفعل ما يشاء ، على شريطة ألا يتعارض ذلك مع حرية إنسان آخر له ماله من حقوق » . ولا يستقيم هذا النص مع نزعة الحرب ، لانها تعبد سلطان القوة وتفرض الطاعة العمياء ، ولكنه شرط أساسى لنجاح الصناعة لانها تعتمد على السلام والحرية فى الرأى والابتكار .

تلك هى حقوق الانسان الاساسية عند سبنسر : حق الحياة وحق الحرية ، فأما شكل الحكومة فلا يقيم له وزنا ، فلتكن ملكية مطلقة أو دستورية أو ماشئت من نظم ، فالنا ولها ما دمنا نتمتع بالحرية والحياة ؟ وفى هذا يسخر سبنسر من النساء اللاتى يلححن فى طلب الحقوق السياسية ، لانها فى رأيه وهم باطل لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فضلا عن أنه يتوجس من المرأة خيفة ان هى وثبت الى مقاعد النيابة والحكم ، اذ يخشى ان تدفعها غريزة الايثار الى تقوية الضعيف الذى يجب أن يترك للطبيعة تسحقه ؛ فلا تذر من الاحياء غير الاقوياء . نعم يجب أن تتحكم الأنانية وأن تظل أساسا لاعمالنا بحيث لا تلين لعاطفة الايثار ، فهى أسبق منه الى الوجود ، وهى أصلح للحياة والبقاء ... ، وهل الايثار الا أثرة فى لبه وصميمه ! أليست الابوة حبا صريحا للنفس ؟ والوطنية ما هى ؟ ألا تراها أثرة مجسمة ؟ فأنت لا تنتصر لهذه البقعة من الارض الا لانك تعيش بين أرجائها !

وخلاصة الرأى عند سبنسر أن المثل الاعلى للاخلاق هو مزيج متزن بين الاثرة والايثار — الايثار الذى يشبع الانانية ويغذوها .

زكى نجيب محمود

فى تاريخ الادب العربى المصرى

ابن قلاقس

(٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

— ١ —

فى ثغر الاسكندرية ، مهبط الوداع واللقاء ، حيث تجلب السفن قوما وتذهب بآخرين ، وتحمل أناسا إلى أوطانهم ، بينا تذهب بغيرهم إلى بلاد غير بلادهم وآل غير آلهم ، وحيث البحر الأبيض يحمل عبابه السفن مهتدية بمنار الثغر ، فتحط إليه أو ترحل عنه ، وفى رابع ربيع الآخر عام اثنين وثلاثين وخمسمائة ولد لعبد الله بن مخلوف بن على ولد سماه نصر الله ، وكناه أبا الفتوح ، ولقبه الناس بعد ذلك بالقاضى الاعز ، وشهر فى كتب الادب بابن قلاقس ، وأرجح ما أراه سببا لكنيته الاخيرة أن أحد الاجداد فى عمود نسبه يسمى بقلاقس ، فحمل حفيده الشاعر النسبة إليه ، (وقلاقس بقافين . الاولى مفتوحة والثانية مكسورة جمع قلقاس ، وهو معروف) ولسنا ندرى السبب الذى من أجله سمى جده بهذا الاسم .

ولد هذا الطفل الذى كان على ما يظهر نحيفا ضئيل الجسم ، وظلت صفة النحافة ملازمة له ، لم تبرحه طوال حياته حتى قال حينما كبر يحدثنا أن ضآلة الجسم لا تحول بينه وبين العلا :

جوهر المرء نفسه وبها الفضـ ـل ، وما غير ذاك فهو فضول
والصغير الحقير يسمو به التد بير فيعنو له الكبير الجليـل
فزن البيدق التنقل حتى اذ حط عنه فى قيمة الدست فيل

ويروى بعض الرواة أنه لم تكن له لحية ، ولكن شعره يحدثنا أنه كان خفيف العارضين حيث يقول :

لا تغرنك اللحى من أناس درجوا كالخيل تحت المخالى
ولئن خف عارضاى فانى لا أبالى بكل وانى السبال

يلبس على رأسه عمامة كالتاج ، وذلك كل ما تستطيع أن تصل إليه إذا أردت أن تعرف شيئا عن خلقته وزيه ، فاذا أردت أن تدرس أسرته وأن تعرف شيئا عن أبيه وأمه فانك غير مهتد إلى ما يشفى غليلك ، اللهم إلا أنه يرجع فى نسبه الاول إلى قبيلة عربية هى قبيلة لخم إن صح ما يقوله النسابون عن نسبه .

الحياة العلمية لابن قلاقس حياة يشوبها الغموض ، فلسنا ندرى على وجه اليقين كيف تعلم ، ولاماذا تعلم ، ولا على يد من تخرج ، وان كنا نعلم انه درس فى الازهر ، وربما يكون قدطالت مدة دراسته حتى صح أن ينسب ويقال له الازهرى ، كما أننا نعلم أنه صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفى وهو أحد الحفاظ الذين رحلوا فى طلب الحديث ، ولقى المشايخ الاعلام ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، ثم ألقى عصا التسيار بالاسكندرية ، حيث قصده أهل العلم من البلاد النائية ، ويقال . انه لم يكن فى آخر زمانه مثله ، ولقد بنى الوزير المصرى وزير الظاهر العبيدى له مدرسة بالاسكندرية وكل أمرها اليه ، فقام بأعبائها .

اتصل ابن قلاقس بهذا العالم وانتفع بصحبته كثيراً ، وان شعره الذي مدحه به يدلنا على ماكان بينهما من أواصر المودة وقوة العلاقة ، كان السلفى رجل حديث فلا بد أن يكون ابن قلاقس قد درس عليه الحديث ، وكان رجل فقه ولغة وأدب فلابد أن يكون صاحبنا قد تأثر بفقهه ولغته وأدبه ، وإذا كان الشاعر يهضم دراساته كلها ثم تأبى الا أن يظهر أثرها فى شعره فكذلك كان صاحبنا ؛ فانك ترى فى شعره بعض اصطلاحات علمية تدلنا على دراسته وما تلقاه وانصب اليه يقول :

البدر فى العرض الضياء وأنت قد   جمعت بجوهر ذاتك الاضواء

ألا يذكرك ذلك باصطلاح المتكلمين حينما يتحدثون عن العرض والجوهر والذات ، ويقول :

وأنت ورثت الاكرمين علاهم   وعالت على قوم سواك الموارث

ويقول :

ملك شاعر الحماسة يأبى   أن يمل التسهيم والتقسيما

فهو يشير الى الميراث والعول والتسهيم والتقسيم التى هى من اصطلاحات الفرضيين واستعمالاتهم ، ويقول :

وجدى بنحوك لا عطفا ولا بدلا   فانظر اليه تجده الكل توكيدا

ويقول :

خفضت بها الاشعار حتى كأنها   وأن رفعتنى الآن من أحرف الجر

ويقول :

وأحسن بالرفع رفع الحديـ   ـث واظهاره للجوي المضمر

فهو فى كل هـذه الابيات يشير الى قواعد النحو من عطف وبدل وتوكيد وخفض ورفع وحروف جر واظهار واضمار ، وهى كلها اصطلاحات نحوية تلوكها ألسنة النحاة ، كما كان فى البيت الاخير يحدثنا عن رفع الحديث الذى هو من مصطلحات المحدثين كما قال :

لوارث الحمد يرويه ويسنده   الى مناسب أجداد وآباء

إذ هو يشير الى الرواية والاسناد اللذين يجريان على ألسنة المحدثين . ويقول :

حيث الدماء عقار يستحث على   ماشئت من رمل للخيل أو هزج

ففى رمل وهزج تورية ببحرى الرمل والهزج اللذين يعرفهما علم العروض ويقول :

وأراك تعريف الجمال بوجهه   فانظر إلى ألف العذار ولامه

فهو فى ذلك يلمح بعلم المنطق .

تلك هي العلوم التى نستطيع استنباط أنه درسها من شعره ، وإذا شئت أن تجملها قلت إنه درس الدين وعلومه واللغة العربية وعلومها كما أنه قد أخذ بحظ كبير من دراسة أدب الشعراء الغابرين وحفظ الكثير من أقوالهم ، يدلنا على ذلك معارضته لهم فى أشعارهم وقصائدهم واقتباسه الكثير من أفكارهم وتعبيراتهم ، وإن شعر شاعرنا ليدلنا حقيقة على اطلاع واسع وثقافة متغذية بأشعار السابقين له : جاهليين وإسلاميين ، وسوف نتحدث بعد عن اقتباسه ومعارضته حينما نحدثك عن شعره . قلنا إنه صحب الحافظ السلفى ، ونقول ، إن التاريخ لم يحفظ من أسماء أساتذته الا هذا الاسم ، وقلنا ان العلاقة التى كانت بينهما متينة العرى وثيقة الصلة تلمسها فى شعره ، وتقرؤها فى المدح الذى يفيض قداسة وحيا ، كما تلمس فيه تلك الدرجة العظيمة التي وصل اليها السلفى ، وتلك المنزلة السامية التى كان يضعه فيها أهل عصره ، وحسبك أن تسمع قوله فيه :

نجم علا نوره فكاد بأن   تقبض بالضوء عين من جحده

سائل به من رنته هيبته   فمات من خوفه ، وما عمده

ألم تزره كواكب ضمنت   رجم شياطين كيده المرده

وأصبح العاضد الامام به   فى دولة بالسعود معتضده

وابتسم الثغر عن مفضله   بما ارتضى الله جده ودده

يخر له الناس ساجدين فلو   شئت عددت النجوم فى السجده

وشعره فيه كثير جدا يوجد فى ديوانه ، وكان السلفى كثيرا مايثنى عليه ، ويكرمه ، ويقدره حق قدره..

— ٣ —

عاش ابن قلاقس طوال حياته فى عهد الدولة الفاطمية ؛ تلك الدولة التى جعلت مصر سيدة لامبراطورية ضخمة تمتد من المحيط الاطلسى إلى نهر الفرات ، غير أن شاعرنا كان فى آخر عهودها ، وبعبارة أخرى كان فى عهد ضعفها وانحلال قواها ؛ إذ لم يكن الأمر والسلطان فيها للخليفة : يصرف الأمور ويدبر الشئون ؛ ولكنهما كانا فى أيدى الوزراء يفعلون ما يفعلون ، ويدعون ما يدعون ، ويولون الخلافة من يشاؤون ، فقام التنافس على الوزارة .. كل يرجوها لنفسه ويصرف فى سبيل نيلها ماشئت من مال وجند ؛ مما كان مدعاة لأن توجه مصر قواها إلى نصر بعض بنيها على بعض لا إلى عدو آخر مغير ، ولهذا كان تاريخ الدولة الفاطمية فى آخر عهدها تاريخا للنزاع الذى كان قائما حينذاك بين الوزراء ، ولعل ضعف سلطة الخليفة فى أكثر المدة التى عاشها ابن قلاقس هى التى لم تدعه إلى السعى للاتصال به ، بل هو لم يتصل بأحد من رجال السياسة المصرية المبرزين إلا بشاور الذى تغلب على خصمه رزيك وانتزع منه الوزارة ، ولا زال الغالب يجد النصير ويجد المادح ؛ لهذا تسمع ابن قلاقس يقول له :

يا آل شاور أنتمو دون الورى　　للملك كالارواح فى أشباحه
وإلى معاليكم إشارة خرسه　　وإلى أياديكم ثناء فصاحه

ويقول حينما انتصر على بنى رزيك :

بك الاسلام قد لبس الشبابا　　وكان سناه قد ولى فآبا
وهز الملك عطفيه بملك　　تقلد فهمه ، وكفى ، ونابا
وقد لبست به الدنيا حلاها　　جلاها حسنها خودا كعابا
وقالوا : أطول الأملاك باعا　　فقلت : نعم ، وأنداهم جنابا
سلوا عنه بنى رزيك لما　　أفاد الحرب منهم والحرابا
فان جعلوا الظلام لهم مطيا　　فكم جعل النجوم لهم ركابا
ليهن الملك أن أمسى مصونا　　عشية راح غيرهم مصابا

وكذلك له شعر يحدثنا عما قام بين شاور وشيركوه الذى قدم لمساعدته ثم أبى شاور أن يفى له بما عاهده فاضطر شيركوه إلى الانسحاب من مصر مؤقتا ؛ ويقول فى ذلك ابن قلاقس :

عارض الصفح فى يديك الصفاحا　　ورأى البأس ان تطيع السماحا
فرفعت الجناح عن جارم الذنـ　　ـب بعفو خفضت منه الجناحا
ووضعت السلاح حين أراك الـ　　ـحزم والرأى ان وضعت السلاحا
أى ثغر سما إليه أبو الفتـ　　ـح فلم يبتدر إليه افتتاحا
بخيول طارت بأجنحة النصـ　　ـر فراحت بها تبارى الرياحا
شاركت شيركوه فى النفس والما　　ل وصاحت به فصاحا فصاحا
طلب الأمن فاستجيب ، ومايعـ　　ـرف منك الطلاب إلا النجاحا
بعد ماضيق الحمام عليه　　سبلا غودرت لديه فساحا
فليطل بعدها الفخار ، فقد را　　ح طليقا ليضكم حيث راحا

وبغير شاور لم يتصل شاعرنا بسياسى مبرز فى السياسة المصرية اللهم إذا استثنينا القاضى الفاضل الذى توصل بجده ومهارته الى أن يثب على كرسى ديوان الانشاء عوضا عن الموفق بن الجلال الذى كان أستاذا له ، وكان يشغل هذا المنصب قبله ، وإذا أنت قرأت شعر ابن قلاقس فى مدح القاضى لحظت فيه تأنقا واجتهادا فى استعمال المحسنات اللفظية ، ولا غرو فالقاضى الفاضل زعيم طريقة عرفت به وعرف بها : هى طريقة الجمال والتزيين اللفظى ، فكان من حسن الذوق أن يجتهد مادحه فى السير على نهجه واتباع مذهبه لأن فى ذلك إذاعة لطريقة يريد أن يذيعها ، ويقولون : إن أول قصيدة قالها فيه هى التى أولها :

ما ضر ذاك الريم الا يريم　　لو كان يرثى لسليم سليم

ومنها :

من لفظه راح ، وألفاظه　　روح ، وتلك الدار دار النعيم
فارشف بأسماعك من قهوة　　ما أحدثت من ندم للنديم
بلاغة جرت جريرا ، ولم　　تدع حطاما بيد ابن الحطيم
رأى به الديوان ديوانه　　مطرزا باسم شريف وسيم
وقال يا عبد الحميـد ادرع　　من بعد هذا اليوم ثوب النعيم
عـلامة السؤدد معروفة　　جسم نحيف وعلاء جسيم

وله فيه مدح كثير ، وثناء على أخلاقه ، وطريقة إنشائه ، وصاحبنا مع فخره بشعره يقف أمام القاضى الفاضل فيقول له :

أتينا بقرى الأشعا　　ر نهديها إلى المدن
إلى من بحره الزا　　خر لا يعبر بالسفن
إلى من لفظه يطـ　　ـرب كاللحن بلا لحن

وهذان العظيمان شاور والقاضى الفاضل أكبر من اتصل بهما شاعرنا فى الديار المصرية .

يتبع　　　　أحمد محمد بدوى

من طرائف الشعر

الى زوجي الفاضل

قصيدة طريفة من الأدب النسوي الجميل

للسيدة منيرة توفيق

حرم الشاعر محمد ماهر رشدي مأمور بندر الزقازيق

طالَ السهادُ وأرّقت ... عيني الكوارثُ والنوازلْ
لمّا جفاني من أحـ ... ـبُّ وراحَ تشغلهُ الشواغلْ
وطوى صحيفة حبّنا ... وأصاخ سمعاً للعواذل

يا أيها الزوج الكريـ ... ـمُ وأيها الحِبُّ المواصلْ
مالي أراك معاندي ... ومعذبي من غير طائل
لم ترعَ لي صلةَ الهوى ... وهجرتني والهجرُ قاتلْ
هل رُمتَ أن تغدو طليـ ... ـقاً لا يحولُ هواكَ حائل
أو رمتَ غيري زوجة ... بالأسى مما تحاولْ
إن تبغِ مالاً فالذي ... تدريه أنَّ المالَ زائل
أو تبغِ أصلاً فالتي ... قاطعتها بنتُ الأماثلْ
أو تبغِ حُسناً فالمحا ... سن جمّة عندي موائلْ
أو تبغِ آداباً فأشـ ... ـعاري على أدبي دلائل
أنا ما حفظتُ سوى الوفا ... ء ولا ادّخرتُ سوى الفضائل
وأنا ولي شرفُ العفا ... فِ أعدُّهُ مفخرة المنازلْ
فجزيتني شرَّ الجزا ... ء وكنتَ فيه غيرَ عادل

أنسيتَ عهداً قد مضى ... حلوَ التواصُل والتراسل
أيام تبذل من وسا ... ئل أو تنمّقُ من رسائل
وتبثُّ معسولَ المُنى ... وتمدُّ أسباب التحايُل
ولبثتَ تغريني بما ... تبديه من غرِّ الشمائل
فحسبتُ أن الدهر أز ... صفني وأن السعد ماثل
ظناً بأنك لم تكن ... لا بالعقوق ولا المخاتل

ما ذا جرى فهجرتني ... والحبُّ شيمتهُ التساهلْ
عاشرتَ أهلَ السو ... ء فاقتنصوك في شر الحبائل
ورضيتَ تطلب بينهم ... عيش المقيّدِ بالسلاسل
ورضيتَ هجر حليلةٍ ... لمّا تزل خير الحلائل
والله ما فكرتُ يو ... ماً في جفاكَ ولم أحاول
فجفوتَ يا قاسي الطبا ... ع ولم تدار ولم تجامل
فاعلم بأنك قاتلي ... والموت فيما أنت فاعل
أين المسائل والموا ... صل في العشي وفي الأصائل
أين المودةُ في الهوى ... بيني وبينك بالتبادُل
أين الحديثُ العذبُ منـ ... ـك وأين وَلّى سحرُ بابل
إني أسائلُ أين عهـ ... ـدُكَ في الهوى إني أسائل
أعلمتَ ما فعلَ النوى ... بي من ضنى أم أنت ذاهل
فاربأ بنفسكَ وانْهها ... وارجع إلى زين العقائل

منيرة توفيق

الذكرى

للشاعر الدمشقي أنور العطار

تهبطُ الذكرى على قلبي فيحيا ... ثم تنأى عن حماهُ فيموتُ
غلبَ اليأسُ على مأمله ... وطوى ضجته الكبرى السكوت
فهو كالبلبل غنّى بكرةً ... ولدى الإمساء وافاه الخفوتُ
رُبّ ذكرى غاغلت في ساحه ... هي عندي أبد الآباد قوت
نعشتْ روحيَ منها نفحةٌ ... مثلما ينعشكَ المسكُ الفتيت

يا سراباً لم أزل أنشدُهُ ... طول عمري وهو عن عيني يفوت
بينما الأمر جميع فإذا ... عيشي المنضورُ منهوبٌ شتيت
وحياتي نهرٌ معتكرٌ ... غيّبته فلواتٌ ومرُوتُ
أعشبَ الشوكُ على أعطافه ... ولقد يزهو بها آسٌ وتوتُ

الدنيا بعدكِ قفرٌ وحشةٌ ... ما بها مأوى لقلبي ومبيتُ

خلت الأكوان من بهجتها　　وامحت منها صفات ونعوت
لا تظنى شجوها يكربنى　　إننى فى الألم العاتى ربيت
كل ما لاح لعينى رائعاً　　هو عندي بعدما غبت مقيت

زهد القلب الأمانى كلها　　وثوى يصدفه عنها القنوت
غير ذكرى صورة أعبدها　　أنا منها فى عذاب ما حييت
الرزايا رضتنى خبرة　　والرزايا قد ترنى وتقيت
كلما حرقنى جرح الهوى　　صاح قلبى: إن جرح الحب صيت

يا لهم مستفيض إن يغب　　ملكوت منه يطلع ملكوت

لك فى قلبى طيف ماثل　　هو فى عيني تمثال نحيت
علق الأجفان ما يبرحها　　مشرق الساحة يحلوه الثبوت

لم أكن أرضى بأفراح الورى　　وأنا اليوم بأوجاعى رضيت
تنشد الروح إذا طفت بها　　وإذا غبت تولاها الصموت
أنا كالشارد من فرط الأسى　　مضنى هم على العيش يميت
نسج الدهر لحظى دارة　　ربما أربت عليها العنكبوت

الأمانى الحائرة

لله كم من أمانٍ بت أرقبها　　فيها يحاربنى دهرى وأيامى
تراكمت فهى أكوام مكدسة　　ليست تعد بأقلام وأرقام
أحدث النفس عنها كل آونة　　وما أحدثها فى غير أوهام
لهفى عليها وقد راحت تقاذفها　　يد المقادير من عام الى عام
ما إن نظرت اليها وهى حائرة　　إلا أنثنيت بقلب صارخ دام
ألا تحقق لى الأيام أمنية　　حتى أودع أشجانى وآلامى
لكم أجمعها حولى وأندبها　　بكل أنشودة حرّى، وأنغام
مآرب كبياض الفجر باسمة　　حفت بعاثر جد غير بسام
ياحسنها من أمانٍ لو يحققها　　دهرى، وما رجعت أضغاث أحلام

دار العلوم العليا　　محمد برهام

الساعة

وآلة تقطع الأيام سائرة　　لا تبصر العين من تسيارها اثرا
أرى عقاربها اللاتى، تدور بها　　عقاربا كل حين تلدغ العمرا
كأنها تبصر الاوقات راسمة　　لها وما ملكت كفا ولا بصرا
تهاجم العمر دوما وهى ساكنة　　والعمر يركض منها خائفا حذرا
نعدها من جماد وهى مدركة　　من وقتنا ما اختفى عنا وما ظهرا
تطوى السنين وتجرى وهى ثابتة　　وتمنح الناس لكن لم تفه عبرا
فان يكن اى سير فى المكان يرى　　ففى الزمان مسير جاوز النظرا
ان صاغها من جمادات حجى بشر　　فقد ترقت فاضحت ترشد البشرا
كأن دقاتها فى كل آونة　　دقات قلب خفوق بالنوى صهرا
كأن فى جوفها قلب الزمان غدا　　يدق مستعجلا من نفسه ضجرا
يقطع الخفق منه كل آونة　　جزءا فتحسبه بالخفق منتحرا
بالخفق نحيا وذاك الخفق ينقصنا　　جزءاً من العمر من ارواحنا انبترا
كأن دقاتها فى السير حشرجة　　للدهر يلفظها جزء قد احتضرا

كأنما هي انفاس يرددها
دهر تأوه اوذوعلة زفرا
كأن توقيعها المرنان وقع خطى
للدهر في موكب نحو الفنا عبرا
يبتغي الفرار من الساعات عقربها
خوفاً على العمر ممن تتلف العمرا
لكن يعود اليها مكرها جزعا
كساكن قفصاً أو موثق أسرا
ليت القلوب من الساعات قد وقفت
او ليت عقربها الجزار قد كسرا
حتى تمر بنا الاوقات سانحة
ما إن نحس لها طولا ولا قصرا
وكي تمر بنا الاوقات عابرة
جسر الحياة وهذا البرزخ الخطرا
ماالعمر الا منام طال أم قصرا
فلا تقطع مناما في الرقاد سرى
من يصح من نومه لم يلق غير أسى
وفاز بالسعد من في حلمه سكرا

دمشق احمد الصافي النجفي

قصر الأحلام

في عالم الأحلام قد	شاهدت أعجب الرؤى
رأيت قصراً شاهقاً	بين الكواكب استوى
أبراجه من ذهب	مؤتلق مثل الضحى
أشجاره تحكي الزمر	د الكريم في النقا
ينبوعه يرسل ما	ء كاللجين في الصفا
بلغته في مركب	يجره بعض القطا
ثم دخلت ساحة	كهالة من السنى
تضم حوراً قد رفلـ	ن في الحرير والحلى
وقيل لي ذلك قصـ	ـر الخلد لو شئت البقا
أصحابه قد وهبوا	سعداً على طول المدى
لكن حبيبي لم أجده	بين هاتيك الدمى
فعدت أدراجي الى	دنيا الزوال والفنا
أبحث عن خلي بها	هناك في عش الهوى

حسين شوقي

يا أم ...

قد مزقت صدرها النبال	وهدها السقم والهزال
لبيك يا مصر، لا تراعي	فدى لك المال والرجال
يا أم لا تجزعي، فانا	نقضي ليبقى لك الجلال
من نيلك الكوثر احتسينا	سلافة سكرها حلال
تطوف بالفكر في فجاج	يقصر عن نقشها الخيال
وتدفع الروح في صعيد	من عالم الوهم لا ينال
أروع ما قد لمست فيه	حرية صاغها الجمال
لبيك يا أم هاك قلبي	آليت لن يهدأ النضال
هيا إلى الموت يا فؤادي	أو يصرع الظلم والضلال
ما أكثر الأمنيات عندي	تجري وما ضمها مجال ...
يضيق دهري عن رجائي	أيسر ما أنشد المحال ..!!

مختار الوكيل

مجموعة السنة الأولى للرسالة

« شـــيللر »

للاستاذ خليل هنداوى

تتمة مانشر فى العدد الماضى

— ٣ —

فى عام ١٧٩٠ كتب شيلر الى صديقه « كارنر » الامين « ما أحوجنى الى رفيق يقيم معى ، ويقدر على اسعادى ، وتبديد وحشتى ونفى همومى ، وتجديد أيامى ، وكأن الأقدار رغبت فى تحقيق رجائه فوهبته امرأة ما كان أدناها من هذا الصاحب الذى تمناه ، وفيها يقول « غوته » : إن الجمال النقى يرتسم على ملامحها ، وأشعة الطهر تلمع فى عينيها . هى كثيرة الاحساس بكل ماهو خير وجميل فى الحياة ، تغلب على مشاعرها الرقة والايناس . وكان تأثير هذه الصاحبة الامينة فى حياة شيللر شديدا ، فقد نفخت روحه بالأمل الذى هو سر الحياة ، وكتب اليها قبل زواجه منها « أصبحت أرى نفسى متفتحة لكل ماهو خير وجميل . قد وجدت نفسى ... » وبعد زواجه كتب « الآن غلب على مزاجى الاعتدال . وأيامى تنقضى خالية من ثورة الاهواء ، صافية هادئة . وقد عدت الى أعمالى بنفس ملؤها الطمأنينة كعادتى السابقة » وهذا الذى عرفناه ثائراً ، شاكا ، ناقما على نفسه وعلى الناس تميل روحه للاستسلام وتغلب عليه السكينة ؛ فاذا ماعراه داء شكر ربه لأن يداً فوقه تبدى له من العطف اضعاف مايحس من الألم . وقد منحته السماء طفلا فقال « أحس بأنى أرى مشغل حياتى الذى بدأ ينطويه ، يشتغل فى غيرى . اننى راض عن القدر » ويتجه قلبه الى أمه الكهلة التى يضطرم قلبها عليه حباً وحنانا فكتب اليها « كل مايجعل حياتك سعيدة يجب أن يكون لك يا أماه ! وإن الواجب يقضى على أن أنقذ روحك من كل ملل . بعد تلك الاتعاب التى ارهقتك يجب أن يكون مساء حياتك صافيا هادئا ... »

استشاره رجل يريد ان يقبل على ذلك العلم الخطير (الفلسفة) فراح يصرفه عنه بقصيدة تصف مخاطر هذا العلم وطريقه الملتوية .

« وهل أنت متأهب مع سلطان برهانك الكئيب ؟

هل أنت ناضج الفكر لتظهر فى الهيكل الذى يحرس ... كنزه الخطير .

وهل أنت شاعر بما ستري ؟ وبأى ثمن سوف تشتريه ؟

وهل أنت موقن بأنك تبذل شيئا لا تملكه لقاء شىء أكيد ؟

وهل تحس أن قواك كافية لمعركة هى أشد المعارك هولا !

تلك المعركة التى تثور بين القلب والروح والعاطفة والفكر ؟

وهل تملك جرأة وشجاعة تسعفانك فى قتال « ثعبان » الشك الخالد ، الكامن فى داخلك ؟

ألا فر ، وأمعن فى الارض فراراً ، اذا لم تكن واثقا كل الثقة بالدليل الذى تحمله فى صدرك . فر من هذه الشواطىء المغرية قبل أن تلتهمك الهاوية ... كثيرون هم ارادوا أن يمشوا نحو النور فوقعوا فى ظلمات فوقها ظلمات .

ألا إن الطفولة تؤول حقا بصاحبها الى نور الشفق ! »

إن هذه المقطوعة تبين أن الشاعر قد نقم على الفلسفة وسئم معنوياتها واستغنى عن هدايتها . وكان موفقا كل التوفيق فى تمثيله مخاطرها . ولكن هل كانت الفلسفة كلها شكا يعذب ويؤلم ؟ ولكن هل تكون الحياة — وجميع ابوابها مغلقة — الا هذا الشك المؤلم ؟

والشاعر يبدى رأيه أكثر وضوحا فى هذا النوع من الفلسفة فى مقطوعته « صورة سايس المحجوبة »

وهذه هى المقطوعة : (١)

هجر الدار ، ولم يعبأ بما   ستذوق النفس من برح الألم
جاعلا وجهته مصر ، لكى   يفهم الاسرار ممن قد فهم
هذه « سايس » قد أرخت على   وجهها الف حجاب تلتثم
كل من يطلب يوما ان يرى   وجهها يبلى بأنواع السقم
لم يزد صاحبنا الا جوى   زاد فى القلب لهيبا وضرم
غافل الكهان عنها ليلة   وتوارى تحت أسدال الظلم
رفع الاستار عنها ورأى ...   (هل رأى حين رأى غير عدم) ؟

* * *

لم يقل عما رآه ، وثوى   بخشوع تحت أقدام الصنم
فبراه السقم حتى شفه   وتردى جسمه حتى انهدم

(١) كتب (فرانك هاريس) هذه المقطوعة كقصة بعنوان (حجاب ايزيس) . وعربها الاستاذ سلامه موسى فى العدد السادس من الاسبوع .

قال : ويل للذي يطلبها بطريق منكر ، ثم وجم !

* * *

وفي هذه القصيدة غموض يحاكي غموض الحقيقة . والفقرة الاخيرة منها تدل على ما ساور روح الشاعر من الندم الممض والألم العنيف . ولكن لماذا الندم ؟ هل ندم على معرفة الحقيقة ؟ ولكن هل هي الحقيقة الكامنة وراء الحجاب عرفها ؟! كنا نود ان نعرفها كما عرفها ، ونتذوق بعد ذلك ماتذوق الرجل في سبيل معرفتها . ولكنني أخشى من ان الرجل لم ير وراء التمثال الا مايحمل عادة التمثال ! والوثنيون انما يعبدون من التمثال ما نسجت قلوبهم وراء ملامحه من اقداس وطهارة . ولو انهم تمثلوا مايعبدونه بعقولهم — لما رأوا الا حجارة مسندة لا تضر ولا تنفع . وهؤلاء وغيرهم ممن نشأوا في كل عصر انما يعبدون ما تصوره لهم قلوبهم وترسمه نفوسهم ، وهل تساوى اثنان من شريعة واحدة في عبادة واحدة ؟ ذلك يتمثل في صلاته شيئا لا يتمثله الآخر ، مع ان الصلاة واحدة والوجهة واحدة . وسر هذا الخلاف يعود الى مايتميز به هذا القلب المباين لذلك القلب في كثير من ضروب التفكير والشعور . وما اكثر اولئك الذين اذا منعتهم عن عبادة تماثيلهم المقدس ! وأريتهم حقيقة عارية ، تقتل أمانيهم وتهدم حياتهم ، فيودون لو بقوا في جهالتهم سادرين ناعمين !!

هذه الحقيقة التي تكاد تمثلها هذه القطعة هي حقيقة العدم ! ولكن هل اراد الشاعر ان يصل الى هذه الحقيقة ؟ انه وصل اليها طوعا أو كرها ، ولكنه ندم لانه اضاع قيمة حياته ! وهو انما يريد ان يعرف شيئا من الحياة هو اقدس واسمى من حقيقة الفناء !

ما كان أدنى شيللر بهدوئه وكآبته الصامتة في أيامه الاخيرة من هذا الرجل الذي أخذ يتلاشى بعد معرفته الحقيقة ، فقد اخذت حوادث الدهر وصور الموت تجوز الى نفسه ، وهذه مقطوعة (الناقوس)

(في فناء الكنيسة تتهادى رنات الناقوس ! تلك الرنات العالية التي ترافق اغاني القبر . تنبيء عن عبور المسافر الذى مضى الى ماجنه الاخير . وا أسفاه !! هذا المسافر هو زوجة عزيزة ! أو أم اختطفها الموت من حضن زوجها ، ومن بين اولادها الذين منحتهم السعادة والغبطة ، وارضعتهم بمحبة ورفق هذه الروابط الجميلة تقطعت الى الأبد

لانها نزلت الى مثوى مظلم عميق ... هذه الأم !)

كانت هذه القصيدة بعد ثلاثة اعوام لسان حال شيللر في الحوادث التي تتالت عليه ، فقد غادرت امه الوجود ، هذه الأم التي كانت كلما ازدادت عمرا ، ازدادت عطفا على ولدها . كتبت له في كتابها الاخير « لا يوجد ولد كذلك في الوجود » وأخذت صورة ولدها قبل أن يغتالها الموت وضمتها الى صدرها ضما شديداً ، واشبعتها لثما وتقبيلا ، وماتت يشرف على قبرها صليب حجري نقش عليه هذه الكلمة « أم شيللر » .

أما الشاعر فقد تسرب اليه اليأس ، وزادت عليه الأسقام حتى خرب صدره وخارت قواه وفسدت رئته . وهو — برغم ذلك — يريد ان يغلب على هذه المحن ناظرا الى غده الزاهي . ولكن المرض المبرح ضن عليه بكل شيء حتى بنعمة الأمل . ففي شتاء عام ١٨٠٥ استسلم للألم صامتا راضيا هادئا . ولكن ثورة الشك في اللحظات الأخيرة طغت على نفسه وروحه ، أقلقها تساؤلها عن العالم الثاني : سمعه بعض عواده في اغراقة من اغراقات الحمى يهتف « أهنالك جحيمك ؟ أهنالك سماؤك ؟ ولكن الكون المغمور بالملل والتعب غلب عليه فاستسلم ، وما الموت الا استسلام . وفي الأمسية الأخيرة سألته أخته القائمة على سريره « والآن كيف أراك ؟ فأجابها بصوت خافت : « أراني دائما أكثر هدوءاً » فكانت هذه الجملة هي آخر ما لفظت شفتاه ، ثم سكنت ملامحه ، وارتعش رأسه ارتعاشة واحدة ، ثم سكن منه كل شيء وهو في الخامسة والأربعين .

ما كان أقدس هذه الكلمة ؟ وما كان أكبرها باعثاً للهدوء في النفوس المضطربة ؛ ولكننا لا نعلم : أهو هدوء الايمان ، أم هدوء الملل والقنوط .

هذه الكلمة وحدها تمثل كل حياة الشاعر وهي :

« أراني دائما أكثر هدوءاً »

دير الزور : خليل هنداوى

معرض مصرى

يعد المجمع المصري للفنون الجميلة عدته لافتتاح معرضه الأول لفصل الشتاء في ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤ بأفخم سرايات العرض المصرية ، وهو قاصر على الفنانين المصريين . وليتفضل كل من له رغبة في الاشتراك بتقديم معروضاته بادارة المجمع بشارع عبد الحق السنباطي رقم ٥ (الأوبرا) وذلك حتى ١٥ فبراير .

العلوم

نباتات التربة المجهرية

للاستاذ يونس سالم ثابت
مدرس النبات بكلية العلوم

لاشك فى ان التربة هى مصدر الحياة ، واليها المرجع ، وهى ليست آهلة فقط بمختلف النبات الذى نراه فى غدونا ورواحنا ، ولكنها تعج بكثير من دقيق النبات الذى لا يرى الا بالمجهر .

وتنتمى النباتات المجهرية فى التربة الى الطحالب والبكتيريا والفطر . فالطحالب تحتوى أجسامها على مادة الخضير (الكلوروفيل) وهى المادة التى تكسب النبات اللون الاخضر والتى تساعده على أخذ المجهود اللازم لنموه من غاز الكربون الجوى عند تعرضها لضوء الشمس .

وطحالب التربة صغيرة الحجم مختلفة الشكل بسيطة التركيب تنتشر على سطح الأرض وتكسبها أحيانا لونا أخضر أو بنيا داكنا وقد تعيش داخل التربة بعيدة عن ضوء الشمس ، وفى هذه الحالة تستمد غذاءها الكربونى من مصادر غير الهواء الجوى .

والطحالب تساعد كثيرا على تهوية الأرض فعندما تقوم بعملية التمثيل الكربونى تأخذ غاز ثانى أكسيد الكربون من التربة وتطرد غاز الأوكسجين وبذلك تصبح التربة أكثر صلاحية لنمو الكائنات الأخرى . ويشاهد ذلك بنوع خاص عند زراعة الأرز . فقد شوهد أن وجود كميات وافرة من الطحالب فى مياه حقول الارز يجعل الماء مشبعا بالأوكسجين ، ووفرته ضرورية لتنفس جذور الأرز . فاذا قلت كميات الطحالب قل المحصول .

والطحالب تزيد المادة العضوية فى التربة وتقوم أحيانا بتفتيت الصخور .

أما البكتيريا فيظن كثير من الناس انها إن هى الا كائنات مجهرية تسبب معظمها أمراضا ، فهى كثيرة الضرر قليلة الفائدة ، ولكن الحقيقة هى أنها فى التربة على عكس ذلك حيث نرى ان نفعها فيها أكثر من ضررها .

والبكتيريا أجسام دقيقة جداً لا يرى أكبرها حجما إلا بالمجهر حيث يكون طوله حوالى $\frac{1}{100}$ من المليمتر ، وهى تختلف فى الشكل من كرية إلى عصوية أو حلزونية وكثيراً ما توجد لها أهداب غاية فى الدقة تساعدها على الحركة .

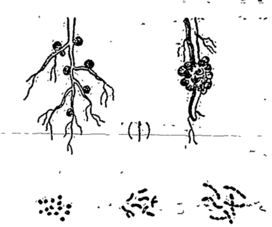


(ا) أنواع من البكتيريا
(ب) طول قطر شعرة إنسان للمقارنة

والبكتيريا تقوم بأعمال شتى فى التربة ، فمنها ما يحول المواد العضوية نباتية كانت أو حيوانية الى مواد أخرى بسيطة التركيب . ومن بين هذه الأخيرة غاز ثانى اكسيد الكربون الذى ينتشر فى الجو ، وكذلك غاز النشادر ذو الرائحة النفاذة الخاصة ، وغاز النشادر لا يصلح غذاء لمعظم النباتات الخضراء

وعلى ذلك يقوم نوع خاص من البكتيريا بتحويله الى حمض الازوتوز ، وهذا المركب الأخير يتناوله نوع خاص آخر من البكتيريا ويحوله الى حمض الأزوتيك ، واملاح هذا الحمض « الازوتات » هي الغذاء الصالح للنبات الأخضر

وكذلك يعلم الزارع بعد طول تجربته أن نباتاً كالفول أو البرسيم أو الترمس وأشباهها اذا زرع في أرض زاد من خصوبتها ، ولذلك فهو يراعى دائماً هذه الظاهرة عند ترتيب الدورة الزراعية للمحاصيل . أما سبب ازدياد الخصوبة فهو ناتج من نشاط نوع من البكتيريا تسمى بالبكتيريا العقدية ينفذ من التربة الى انسجة جذور نبات الفول مثلا ويعيش هنيئا في تلك الأنسجة

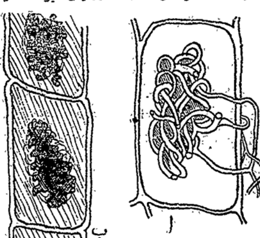


(ا) عقد فى جذور البرسيم والترمس
(ب) أصناف من البكتيريا العقدية

وهذا النوع يمتص غذاءه الكربونى من الجذر وغذاءه الأزوتى من الهواء الجوى الذى يوجد بين الأنسجة أي أنه لا يتغذى من الأزوت الموجود فى التربة . وتكون نتيجة هذه العملية ظهور انتفاخات صغيرة أو عقد على جذور الفول . فبعد الحصاد تتحلل الجذور بما عليها من العقد فتزداد فى التربة كمية الازوت المركب.

أما الفطر فهو عبارة عن خيوط دقيقة متفرعة لا لون لها تعيش بين أنسجة النباتات الراقى أو بين المواد العضوية الموجودة فى التربة وهى منتشرة فى الطبقات السطحية ويقل وجودها فى الطبقات العميقة . والفطر تقوم بتحويل المواد الكربوادراتيه (كالخلولوز وغيره) الى مواد بسيطة التركيب ، واليها فقط يعزى مثل هذا العمل النافع فى الاراضى الزراعية . وفضلا عن ذلك فهى تقوم بتحويل المواد العضوية الازوتية الى مواد أبسط منها تركيبا كالنشادر . وتساعد أيضا على إذابة المادة المعدنية الموجودة فى التربة وربما فاق عملها فى هذه الناحية عمل الشعيرات الجذرية فى النباتات الراقية .

وهناك ظاهرة أخرى أخذت تثير كثيرا من الاهتمام فى السنين الأخيرة وهى أن بعض الفُطُر الموجود فى التربة يكون مع جذور بعض النباتات أجساما غريبة تسمى جذورا فطرية وهذه تتكون من أنسجة الجذور ومن خيوط الفُطُر .



(ا) خيوط الفطر داخل خلايا الجذر
(ب) الخيوط أثناء عملية الهضم

ويعيش كلا الفردين (الجذر والفطر) عيشا رغدا ما داما

مجتمعين ولكن في كثير من الاحيان لا ينمو أحدهما نموه العادي إذا انفصل الفاروف عن رفيقه . ويقوم الفطر في الجذر الفطري مقام الشعيرات الجذرية أي أنه يمتص المادة المغذية من التربة ويرسلها الى الجذر وفي مقابل ذلك يمد الجذر خيوط الفطر بالمادة العضوية اللازمة لها . فنرى اذن أن المنفعة بينهما متبادلة . فضلاً عن القيام مقام الشعيرات الجذرية فأننا نجد أن كثيراً من خيوط الفطر تخترق خلايا الجذر (ش ٣) وبذلك يكون الفطر موردا داخليا لغذاء الجذر .

يونس سالم ثابت

منثورات

ثمرة في الجو جزيرة

في عام ١٩٣٢ أطلق ريجنر Regener الجو بالونات من المطاط تحمل اجهزة علمية تسجل ما تسجل من ذات نفسها فبلغ علوا قل الضغط عنده الى ٢٢ م . م . وصعد البالون الروسي الجديد يحمل بروكوفييف Prokofiev ورفاقه فبلغ حسبما قدروا علوا قدره ٦١٠٠٠ قدم أي ما يعدل ضغطا قدره ٥٠ م.م

وفي الخريف الماضي ارتفع امريكيان ببالونهما الى ضغط قدره ٦٤ م.م. أما البلجيكيون كوسينس Cosyns و كبفر Kipfer وبيكار Piccard فأقل ضغط سجلوه بلغ ١٣ م م . والیوم تأتي الاخبار بان محاولة جديدة ستكون يرجى فيها الصعود الى أعلى من ٦١٠٠٠ قدم وهي الطبقة التي بلغها الروس .

في الصعدات القديمة كان الطائرون يغلقون أنفسهم في حجيرات مكورة محكمة السد . أما في هذه المحاولة الجديدة فسيركب الطائرون في سلة البالون العادية المفتوحة ولكنهم سيلبسون بذلة من المطاط الرخص تغلف أجسامهم تغليفا تاما فلا تتصل بالجو الذي يبلغون . وبما ان هذا الجو سيكون قليل الضغط وبما أن هذا سيؤدي الى انتفاخ تلك البذلات لما بها من هواء صعدوا به من سطح الارض لذلك ستفرغ تلك البذلات من بعض هوائها ، وذلك إلى الضغط الذى يحتمله جسم الانسان في أثناء تنفسه من الاكسجين . والطائر على هذا الحال سيستطيع الحركة والتنقل في شيء كثير من الحرية وإذن سيتمكن من معالجة أجهزته وتسجيل ملاحظاته عن الجو بها وهي ذات مساس بالجو نفسه لا محجوبة عنه كما كان الحال في الصعدات السابقة . وباستخدام السلة المفتوحة مكان القارب المغلق الثقيل سيخف الوزن كثيراً فيزيد لاشك العلو الذي يرجى بلوغه

ومما يذكر عن الرحلة الروسية أنهم اكتشفوا أن تركيب الهواء في تلك الطبقات العالية هو نفسه تركيب الهواء على سطح الارض ، وأن الرطوبة نقصت على حدود الاستراتوسفير Stratosphere الى ٤٢ في المئة وقد كانت ٩٢ على سطح الأرض ، وفى الصعدة الجديدة المزمعة سيحملون معهم جهازاً لقياس الطيف Spectrometer لتسجيل نور الشمس هناك وضوء السماء وجهازاً لتقدير حرارة الشمس Pyrheliometer واجهزة لأخذ عينات من الهواء وكرات وكل هذه الأجهزة لتشغل بالايدي الطليقة في الجو الطلق لا في داخل الحجيرة الحبيسة كما كان الحال . ولكن مما يؤسف له ان العين والأذن لابد من تغطيتهما فلا ترى الاشياء ولا تسمع الا من وراء الزجاج . فاللون البنفسجي الغميق الذي رآه الطيارون البلجيكيون والروس سوف لا يراه الطيارون الجدد الا من دون الزجاج .

ولعل أرجى ما يرجى في هذه الرحلة الجديدة سيكون مما اقترحه الدكتور لوسينس من استخدام خزانة ولسن في اخذ صور فوتوغرافية لأشعة ب Beta وللاشعة العالمية Cosmic فأصل هذه الأشعة الأخيرة لا يزال مجهولاً !

أزمة الضباب

من متاعب الملاحة الضباب لا سيما في البحار الشمالية ، ومن آخر ما حاولوا في التغلب على مصاعبه : استعاضة الكمرة

(البقيـــة على صفحة ٢٧٢)

العالم المسرحي والسينمائي

كلمة صريحة

حول الاعانة الحكومية للمسارح

لناقد « الرسالة » الفنى

لم تكن للحكومة - الى سنوات قلائل - اية صلة بالمسرح المصرى وبالعاملين فيه . وكانت دار الاوبرا الملكية ملحقة بوزارة الاشغال فكأنها كانت فى نظر الحكومة بناية من المبانى لا دارا للفنون والآداب . وبقى الامر على هذا المنوال حتى وزارة الوفد الاولى التى كان يرأسها المغفور له صاحب الدولة سعد زغلول باشا فرأى مرقص حنا باشا وزير الاشغال ان يولى المسرح فى مصر قسطا من عنايته واهتمامه ، فكانت المباراة الاولى التى اشترك فيها مديرو الفرق والممثلون والممثلات ، وكانت هذه المباراة هى اول اتصال مباشر بين الحكومة والمسرح .

وقد ذكرنا فى كلمة لنا « حول أزمة المسرح فى مصر » كيف اضطربت سياسة الحكومة فى اتصالها بالمسرح فعدلت عن طريقة المباراة بعد ان اقامتها عامين متواليين على ما نذكر الى سياسة الاعانة السنوية ، وألفت فى وزارة المعارف - بعد ان الحقت بها دار الابرا وأصبحت هى الوزارة المشرفة على الشؤون الفنية - لجنة تتفقد المسارح وتقدر للفرق وللممثلين المبالغ التى تمنح لهم فى حدود الاعانة المقررة .

وسارت الوزارة فى هذه الخطة سنوات برغم ماظهر من فسادها وعدم جدواها ، وبرغم صيحات الاستنكار التى رددها الكتاب والنقاد طوال هذه السنين . ويكفى ان نلقى نظرة عجلى على حالة المسرح المصرى اليوم لنرى ان النقاد كانوا على حق فى انتقاد هذه الطريقة ، فلقد سار المسرح من سىء الى اسوأ فى هذه السنوات الاخيرة رغم مابذلته الحكومة من اعانات سنوية ، فلو أن هذه الطريقة كانت مجدية لاعانت على النهوض بالمسرح وعلى انتشاله من الهوة التى تردى بين جنباتها ، ولكن حال المسرح قبل الاعانة كان خيرا منه بعدها ، وفى ذلك مايدعو للعجب حقا ولكنها دلالة حاسمة على اية حال على فشل طريقة الاعانة .

وكأن الوزارة ولجنة الاعانة تنبهتا أخيرا الى هذه الحقيقة بعد أن ظهر جليا ان الاعانة لم تثمر الثمرة المنشودة ، وان المسرح قد هوى الى الحضيض وانصرفت الجماهير عنه حتى اضطرت الفرق الى اغلاق دورها حيال الكساد الذى منيت به . تنبهت الوزارة اخيرا الى الحق اذ صدمت بالواقع الملموس فرأت أن تعدل عن خطتها القديمة الى خطة أخرى ، وقد نمى الينا ان لجنة الاعانة فى اجتماعها الاخير فى الاسبوع الماضى فكرت فى تكوين فرقة من جميع المشتغلين بالمسرح من رجال وسيدات تحت اسم « فرقة اتحاد المسرح المصرى » ، وقد عرضت الفكرة على مديرى الفرق الذين حضروا الجلسة فوافقت اغلبيتهم عليها وابدوا استعدادهم للانضمام اليها وشكلت لجنة فرعية لتضع تفاصيل المشروع بالاتفاق مع مديرى الفرق على ان يبدأ فى تنفيذه فى الحال وعلى ان تخص وزارة المعارف هذه الفرقة بالاعانة السنوية كلها .

ونحن نسجل هنا أولا عدول الوزارة عن خطتها القديمة ، وهذا اعتراف صريح منها بفشلها ، وهى خطوة طيبة على أية حال . أما فكرة تأليف فرقة تضم جميع المشتغلين بالمسرح فمن العسير أن نكون لها أو عليها قبل أن نطلع على تفاصيل المشروع وعلى النظام الذى سيوضع لهذه الفرقة . والفكرة من حيث هى لا بأس بها ، بل لعلها العلاج الوحيد لانتشال المسرح من الوهدة التى سقط فيها ، وتضافر هذه القوى مجتمعة له خطره ولا شك ، وهذه الفرقة إن تحقق وجودها ستجذب الشعب اليها ما فى ذلك ريب ، وستكون تحت تصرفها بطبيعة الحال طائفة صالحة من الروايات لتمثلها . وأعنى الروايات الانموذجية التى ترجمها بعض الادباء تحت

أشراف الوزارة عن شاكسبير وابسن وموليـــير وراسين وغيرهم من أقطاب الفن المسرحى فى العالم ؛ كما أن مبلغ الاعانة سيكون العماد الذى يمون الفرقة بما تشاء من وسائل الاستعداد المسرحى فى المناظر أو الملابس أو الادوات المسرحية جميعا على اختلافها وتنوعها . وفى النهاية نستطيع أن نقول أن هذه الفرقة تتوافر بين يديها من القوى المادية والمعنوية ، ما ينهض بها الى الذروة الفنيـــة التى تطمع فيها وينشدها أنصار المسرح وهواته فى مصر .

قلنا ان الفكرة من حيث هى فكرة حسنة لابأس بها فى مجملها ، ولكنها ككل فكرة فى العالم قد لا يعدو جمالها الخاطر والفكر فاذا لم تخرج للناس فى الثوب القشيب الذى يلائم جلالها وخطرها بدت شوهاء ووئدت فى مهــدها وكان الفشل نصيبها المحتوم وهذا ما نخشاه .

على ان الوزارة اذا أخذت بالحزم ووضعت لهذه الفرقة نظاما داخليا محكما يضع الكل على قدم المساواة وعهدت بتنفيذه الى ايد مخلصة قديرة لا تعرف الاغراض سبيلا اليها ولا الاهواء مدخلا الى قلوبها ، واعلنت انها ستأخذ بالشدة والعنف كل من يحيد عن هذا النظام وتقصيه عن العمل وتحرمه حرمانا مطلقا من اعانتها ، لو احس القوم هذه النية الصادقة وهذه الارادة القوية والعزم النافذ من الوزارة ، لسارت الامور على احسن مايرام ولرجونا لهذه الفكرة النجاح والتوفيق . وأخوف ما نخافه ان تلين قناة لجنة الاعانة ويجد فيها البعض مغمزا يهدمون عن طريقه هذه الفكرة ، ولعلهم ينتظرون حتى يخرج المشروع الى حيز الوجود وتبدأ الفرقة عملها فيضربون ضربتهم .

على أن من الخير أن تعلن الوزارة من الآن فى لهجة حاسمة انها عدلت نهائيا عن خطتها القديمة ولن تتبع سياسة توزيع الاعانة بين مديرى الفرق والممثلين بأية حال ؛ وان هذه الفرقة « فرقة اتحاد المسرح المصرى » هى التى ستخصها بأعانتها كلها ، فاذا لم تتألف هذه الفرقة فلن ينال أحد مليما واحدا من الوزارة . وانى لا اعتقد — فى رأيى الضعيف — ان كلمة كهذه من الوزارة سيكون لها صداها فى جميع الأوساط ، وستكون من أكبر العوامل فى انجاح المشروع ،

واشد ما أخشاه أن تنكص لجنة الاعانة ، إذ تصطدم فى خطاها الأولى لتحقيق مشروعها الجديد ببعض العقبات فتفضل العافية والراحة على الجهد ومقاومة الصعاب ، وتقرر صرف الاعانة على النحو المتبع فى السنوات الماضية . وان تفعل لتكونن قد اجرمت فى حق الفن وفى حق هذا البلد الذى يطمع أن يكون له من مظاهر الثقافة الحقة ما لغيره من سائر البلدان .

سيناريو سينمائى

لبيت أمير الشعراء أحمد شوقى بك

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فلقاء

من وضع ناقد « الرسالة » الفنى

١ — منظر مقرب لعدسة منظار .. يظهر فى العدسة شبح فتاة جالسة ، المنظر يبتعد قليلا قليلا فتظهر أجزاء المنظار المختلفة

٢ — الضوء نهارا .. منظر مستدير لفتاة على شرفة منزل جالسة مطرقة ورأسها الى الارض تطرز ... المنظر يبدو أولا من بعيد جدا .. ثم يقترب ويقترب حتى يملأ الشاشة

٣ — شاب وراء نافذة وهو مغلق الشيش وينظر من خلفه بحذر ولهفة ... بيده منظار

٤ — كيوبيد إله الحب ومعه جعبـــة سهامه .. يخرج منهما ويرشقه

٥ — الشاب لايزال ينظر من خلف الشيش . يتراجع قليلا الى الوراء ويضع يده على قلبه

٦ — الفتاة لا تزال تطرز .. تستريح وتضع الشغل جانبا .. ترفع رأسها .. تظهر علائم الخجل على وجهها . تجمع شغلها فى ارتباك ظاهر وتجرى مسرعة الى الداخل

٧ — الفتاة من الداخل أمام شباك الشرفة وهى تقفله ... قبل أن ترد المصراع نهائيا تنظر الى الخارج نظرة أخيرة فى خلسة وحذر .. فجأة ترد المصراع فى غضب ظاهر ولكنه مفتعل ... بعد قفل المصراع تعطى ظهرها له وتقف مستندة اليه ... النور

كله محصور فى الوجه . . . على ملامح الوجه الاستنكار ولكن فى شىء من مظاهر الطفولة . . . يخف هذا الاستنكار شيئاً فشيئاً ويتحول بعد قليل الى شىء من الرضا . . .

تبتسم . . . يضاء الجسم كله . . . تظهر عنـد قدميها وردة . . تنظر اليها على مهل . . . تنحى وتأخذها . . . تأملها . . تشمها . . . تقبلها .. فجأة كأنها خجلت من نفسها فتضع الوردة فى صدرها وتجرى حيث تختفى

٨ - باب الشرفة حيث كانت الفتاة واقفة . . . النور يغمره . . . يخفت النور قليلا قليلا . . . يظهر شبح كيوبيد يبتسم . . . يأخذ سهما من جعبته ويرشقه فى الاتجاه الذى سارت فيـه الفتاة . . . النور يخفت قليلا قليلا . . . المنظر يبتعد ويرى كيوبيد يضحك فى انشراح

٩ - على شاطىء النيل . . . أناس متفرقون . . . قليلون . . . شبان . . . فتيات . . . يمشون على مهل . . . يتنزهون

١٠ - الفتاة آتية من بعيد مع طفل صغير يشبه كيوبيد . . . تقف أمام النيل ساهمة

١١ - الشاب قادم من بعيد يمشى على حذر كأنه يتبع انسانا ما ... يسرع فى مشيته . . . يتمهل . . . ينظر أمامه . . . كأنه رأى من يريد فيسرع فى المشى

١٢ - الفتاة تتحرك وتمشى على مهل ... وإلى جانبها الطفل ... تلتفت فجأة خلفها ... ثم يظهر عليها الارتباك ... تمسك بيد الطفل وتسرع فى المشى ... يسقط منديلها من يدها دون أن تشعر

١٣ - المنديل على الارض .. الشاب يسرع لالتقاطه . يقف لحظة ... ويسرع فى المشى .

١٤ - الفتاة والطفل .. يمشيان بشىء من العجلة ... الشاب يتقدم نحوهما فى هيئة المتردد .. الفتاة تنظر خلفها ... فتراه ... يزيد ارتباكها كما تريد المضى فى سيرها ... الشاب يسرع اليها ... يمد يده بالمنديل ... الفتاة تنقل النظر بين الشاب وبين يده الممدودة بالمنديل ... تمد يدها على مهل لتأخذ المنديل ... تحنى رأسها علامة الشكر ... الطفل يتقدم نحو الشاب ويمسك يده ويجره للمشى معهما . . الثلاثة يمشون سويا ... الارتباك ظاهر على الشاب وعلى الفتاة بينما يضحك الطفل الصغير فى خبث ... يمشون صامتين ... يبدأ الشاب بالحديث مع الفتاة . . . كلمات قليلة ... ترد عليه ورأسها الى الارض ... يمشون قليلا وهم يتحدثون ... يظهر عليهم التبسط فى الحديث .. تظهر الألفة .. فجأة تقف الفتاة وتمد يدها مودعة للشاب الذى يمد يده . . بالسلام . . الطفل يمد يده للشاب مسلما .. الشاب ينحنى ويقبله . تمضى الفتاة مع الطفل ... الشاب واقف فى مكانه يتبعهما بنظراته ... تختفى الفتاة والطفل

١٥ - الشاب وحده واقف يفكر . . . يبتسم . . . ينظر أمامه . . يمشى فى هدوء .

١٦ - الوقت ليل . . . ضوء القمر يغمر كل مكان . . . حديقة زاهرة . . . النسيم يميل الاغصان فى لطف . . . صوت غناء هادىء جميل من بعيد . . . يتخلله صوت خرير مياه

١٧ - الفتاة فى شرفتها واقفة ورأسها مسند الى النافذة وعيناها تنظران فى الفضاء . . . ضوء القمر يغمرها

١٨ - نافذة يلمع من ورائها نور كهربائى . . . يطفأ النور ويعم الظلام

١٩ - الفتاة فى موقفها فى المنظر (١٧) تستيقظ من غفوتها وأحلامها وتنظر أمامها . . . الى بعيد . . . نظرة ساهمة حالمة ..... تتقدم الى سلم الشرفة

٢٠ - سلم الشرفة الهابط الى الحديقة . . . الفتاة تنزل عليه بهدوء وحذر وهى تلتفت خلفها

٢١ - اقدام رجل تمشى فى الحديقة على مهل . . . تمشى . . . تقف . . . تدور . . تمشى

٢٢ - اقدام سيدة تمشى على مهل ... تقف ... تتقدم منها اقدام الرجل ... الاقدام الاربعة أمام

بعضها على مسافة قصيرة ... تقترب ... تقف وهى مواجهة ..
تقدم أقدام الرجل الى محاذاة أقدام السيدة ... وقوف لحظة ..
تمشى الاقدام الاربعة معاً .. يسمع صوت ناى من بعيد ...
خرير مياه

٢٣ — مقعد حجرى وسط الحديقة تحت خميلة جميلة .. يظهر خلفه سور الحديقة ... القمر يغمر المكان بالنور .. الاقدام الاربعة متجهة نحو المقعد .. تظهر تحته وكأن صاحبيها جالسان عليه

٢٤ — فى الشارع ... الى جانب سور الحديقة خفير يمشى ذهابا وإيابا ... ينظر الى داخل السور .. يمعن النظر باهتمام شديد ... يبتسم ... يبتسم بلاهة مضحكة ... يبتعد على مهل ... وهو ينظر خلفه ويبتسم ويبرم شاربه

٢٥ — الاقدام تحت المقعد ... تتساقط عليها بعض الورود منثورة ورقا

٢٦ — كيوبيد من بعيد يضحك وهو سعيد جداً وظاهر عليه الفرح الشديد .. المنظر يقترب رويداً رويداً ... جعبة سهامه الى جانبه على الارض .. يمد يده فيأخذها .. يحملها على كتفه .. يمشى .. يختفى ... الضوء يخفت قليلا قليلا ؟

محمد على حماد

ازمة الضباب

(بقيـة المنشور على صفحة ٢٦٨)

عن العين رجاء أن تنفذ عين الكمرة فى طبقاته الكثيفة الى أبعد مما تصل عين الانسان . فى الأيام الأخيرة ركبوا فى السفينة الأمريكية الكبيرة «منهاتن Manhattan» كمرة تحس أفلامها أشعة مادون الأحمر ، وفى هذه الكمرة وسيلة ممكنة تتوضح الصورة بها وتتثبت من نفسها فتخرج تامة كاملة بعد دقيقة من كشف الكمرة . والى الآن لم تصادف السفينة العظيمة المذكورة حالة جوية لاجراء التجارب المقصودة ، فاذا هى صادفت هذا الجو فلا شك أن النتائج ستكشف القناع عن الدرجة التى بها يستطيع الملاحون الاهتداء بالكمرة مكان العين والنهار حالك والبصر كليل .

التناسل فى فيرا كروز

فى ديسمبر سنة ١٩٣٢ صدر قانون الإنسال فى مقاطعة فيرا كروز بالمكسيك ، وهى أكثر المقاطعات سكانا . وبهذا القانون تأسس مكتب للتناسل وصحة العقول ، واندمج فى مصلحة الصحة فاكتسب بذلك من قوة الحكومة والسلطان الشىء الكثير . وبتأسيسه افتتحت مراكز لضبط النسل وتعقيم من ليسوا أهلا للإنسال ، سواء لضعف فى الأبدان أو العقول . وهذا الاصلاح حلقة فى سلسلة بدأها حاكم تلك المقاطعة منذ تولاها ، فقد أغلق «الصالونات» وجعل تعليم التناسليات إجبارياً فى المدارس ، وعلاج الأمراض الجنسية كذلك ، وأمر الأطباء أن يتدخلوا فى الزواج قبل أن يتم ، وفى الطلاق كذلك ، فيكون له قوة على العقد وقوة على الحل اذا تعارض ما انعقد والصالح الخاص أو العام . وهكذا نجد من الأمم الأقل من هو أسبق الى الاصلاح وأجرأ عليه من الأمم ذات القدم الراسخ فى الحضارة والمكان المستقر من المدنية .

القصص

عنــــترة

مأساة شعرية فى خمســـة فصول

لفخر الشرق المرحوم شكرى غانم

ترجمة الأستاذ محمد كامل حجاج

يتمى هــــذا الشاعر العبقري إلى أسرة عظيمة لبنانية ، وقد نبغ فى الشعر الفرنسى وله ديوان فرنسى ظهر حوالى سنة ١٩٠٠ ، وروايتان مثلتا بالاوديون سنة ١٩٠٥ فى فصل واحد وهما « وزده » او « زهرة الحب » و « ربع ساعة من الف ليلة وليلة » ورواية قصصية كبيرة تسمى « دعد » . واهم رواياته التمثيلية عنترة وقد ابت عليه قوميته الا ان يبتدىء بتمثيلها على مسرح شرقى فاختار الاوبرا الملكية المصرية ولحسن حظه كانت فرقة الكوميدى الفرنسية فى ذلك الوقت مؤلفة من اعظم الممثلين الذين يسود على مجموعهم الانسجام والتوافق وفى مقدمتهم الممثلة القديرة مرجريت مورينو وقد تقدمت بها السن الى ان اصبحت تمثل دور العجائز وقدقامت بدور عبله ، ودارآجون وقد توفى بالانفلونزا منذ بضع سنين وقد قام بدور عنترة ، وموتنو وقدمثل دور وزر المعروف بالأسد الرهيص .

ومن الغريب المدهش انهم حفظوا الرواية واخرجوها واعدوا مناظرها فى خمسة عشر يوما وقد سحروا الجمهور بابداعهم النادر وكانت الرواية موفقة من جميع الوجوه .

اشتهرت مورينو بحسن القائها ونبرات صوتها الموسيقى وكانت تلقى الشعر بسهولة وهى تقلد ساره برنار وتضيف الى ذلك قدرا كبيرا من شخصيتها الخاصة وعواطفها المتأججة وحركاتها الخالية من كل تكلف ، ورشاقتها النادرة وظرفها فى الحديث . وقدمثلت دور ابن نابوليون فى النسر الصغير وروكسان فى سيرانو دوبرجيراك .

وقد فتنت النظارة فى هذه الروايات الثلاث ، ولم يستطع أحد من الاجواق أن يحرز هذا النجاح من سنة ١٩٠٩ الى الآن

مثلت رواية عنترة للمرة الاولى بمسرح الاوبرا الملكية . ثم مثلها مسرح الاوديون بباريس فى ١٢ فبراير سنة ١٩١٠ فلاقت اعجابا شديداً ونجاحا باهراً وقرظتها أغلب الجرائد الفرنسية الشهيرة مثل الفيجارو والجولوا والاكلير والديبا والطان والليبرتيه ومجلة التياتر المصورة والاوبنيون كما قرظتها وذكرت ملخصها دائرة معارف لاروس فى ملحقها الشهرى سنة ١٩١٠ . وهى تستحق أكثر من هذا لبلاغتها النادرة وتفكيرها العميق وتحليلها الاخلاق ومناقشاتها الطلية وعواطفها المشتعلة ورقتها ومواقفها الفنية الرائعة

ومن سمو اخلاق شاعرنا النابغة ونبل عواطفه أنه انبأ فى القطعة التى أوردناها عن اقتراب ظهور النبى (ص) وما سيكون له من شأن خطير كما نوه باعجابه الشديد ببلاغة القرآن بعبارة تستعصى بلاغتها على أى شاعر مع أنه مسيحى فجزاه الله خيراً ورحمه رحمة واسعة

المنظر الثالث

من الفصل الرابع

عنترة . ثم شيبوب . ووزر بن جابر الملقب بالاسد الرهيص

(يدخل عنترة فى الحال)

هل هو عربى ؟ لا ... كان الخائن مختبئا فى الظلام وراء هذه الصفاة كالذئب ، ولابد ان يكون اجنبيا

(يسمع صوت شيبوب من بعيد)

هاهو ذا شيبوب ، هل يقوده ؟ لانى أرى شبحين

شيبوب (يتكلم بصوت مرتفع)

تقدم !

(ثم ينظر شيبوب وهو يجر وزرا من يده)

لقد قطع الخوف ساقيك ! وعز عليك البقاء فودع اذن الحياة

(مخاطبا عنترة الذى يقترب منهما)

لاجدال ولاريب ! فانه يستر وجهه ! وعيناه لاتخترقان حجب الظلام الا لرمى السهام ، وسيطفىء الموت شعلتيهما بعدقليل

بجره بجانب عنترة وهو جالس على صخرة وكان شيبوب يتكلم وهو سائر حتى يصل الى عنترة)

لا تبصر ان الصخور ولا الجنائل ولا الجحور حتى انني كدت ان احمله

عنترة ـ لكنه يحسن الهرب !

شيبوب ـ لا ، انه لم يهرب وكان جالسا على مقربة من صفاة، وقد طعن نفسه بسهم عندما اقتربت منه ، وترى هنا قليلا من الوضوح فانظر !

(ثم يزيح شيبوب اللثام عن وجهه ويحدق فيه)

آه ! وزر !!

عنترة ـ وزر ! أتحلم ؟ كلا !

شيبوب ـ هو بعينه

عنترة ـ الفارس المختال الذي عرفته من قبل ؟ (ثم يحدق به هنيهة) نعم نعم ، كيف تكون خائنا ؟ أقبلت في الليل الدامس لتقترف اثما ملؤه النذالة والصغار ، ولم ير مثله في البلاد العربية ! هل بلغت بك السفالة ان تفعل فعلتك هذه ؟ ما ذا عملت بقناتك وحسامك ؟ لقد أحسنت بستر وجه دمغ بميسم النذالة والجبن . ما أبشع هذا الوجه الدميم . أتنهض وترفع عينين باردتين ملؤهما الخجل والخزى ؟ أم يتلهفان لاقتراف جرم آخر ؟ تكلم .

وزر ـ عيناى فارغتان وقد استعضت عنهما بقلب ملء حقداً !

عنترة ـ ولم ؟ وعلى من تحقد ؟

وزر ـ لا تتجاهل وما هو الا عليك !

شيبوب ـ ما ذا تقول ؟

عنترة ـ دعه ! ويلزم أن يوضح هذا الرجل . أجب !

وزر ـ أنظر إذن ! هاهو جوابى ! هاتان العينان الجامدتان المفقوأتان كأنهما حجران أسودان كثيبان ! آه ! انك تسميني النذل ياعنترة وما النذل الا أنت !

شيبوب ـ قد بلغ السيل الزبى ! . .

عنترة (وهو يزيح شيبوب عن وزر)

انى أجهل أمرك ، ولقد أسرتك من قبل وأنا راع صغير الشأن وأنت فارس مدجج بسلاحك ثم سافرت في مساء ذلك اليوم وسلمتك الى غيرى ولا أعلم ما فعلوا بك فى غيبتى وأنت أسير

وزر ـ ألم تك أنت الذى أمرت أن يفقأوا عيني ؟

عنترة (وقد غير لهجته شيئاً فشيئاً)

كلا ! فانى لا أعرف أن أسيء إلى ضعيف . أما كنت أستغرب ما حصل لك منذ هنيهة ؟ وكيف لى وأنا الذى ما زلت أحارب ورائدى الشرف ومبدئى النبل أن تعزو إلى هذا الجرم الفظيع دون عذر أو مبرر ، أو يتهمنى به عدو مقهور موتور نهش صدره الحسد . انى فتنت بالحروب وهى صناعة كثير من الملوك ذوي الحول والطول وغيرهم من السادة الامجاد الذين لا يستطيعون أن يشقوا لهم طريقا إلى الافئدة ويعتقدون أنهم بالغوها بظبا البيض الصفاح ، وهذا خطأ ظاهر وما فتئ الانسان عرضة للخطأ

أيترك الانسان حنقه ليبطش بالمقهورين ويخفى أرواحهم من أعماق جفونهم ويسلبهم حقهم فى هذا النور حتى يجعلهم أمواتا وهم احياء كلا ثم كلا ! واقسم بهذا الهلال الصيرفى الذى بزغ فى السماء ، انني لا أستطيع أن اقترف مثل هذا الاثم . إنهم يريدون أن يلوثوا اسمى بمثل هذه الريبة ويجردونى من الخير الوحيد الذى يقود الى المجد والفخار وهو الطيبة .... فهل تثق بى اذن ؟

وزر ـ أثق ؟ ... نعم ! ... أود أن لا أثق ، انى ابحث فى قلبى وافتش فى ذا كرتى لان عندى أسبابا اخرى أهم وأقوى تبرر بغضك ! ... مهلا ! ... (يناجى وزر نفسه على مسمع من عنترة) ان كان ترك لك عينيك ولم يكن لك جلاداً فهل كف ان يكون خائنا لكل عربى يحب حريته واستقلاله . انه يريد أن يبيع ويسلم بلاده الى الفرس ،

(ثم يوجه الكلام الى عنترة) وهذا ما أعرفه منذ أكثر من عامين ، لقد كبر وعظم جرمك حتى برر كل اعتداء واغتيال وسحب ذيل النسيان على الجريمة التى كنت ضحيتها ، والعربى لا يحفل بفقد عينيه وموته فى سبيل انقاذ بلاد العرب !

عنترة ـ هل نصبت نفسك حكما ؟

وزر ـ (وقد اطمأن شيئا فشيئا) لقد حكمت نفسى بكل الوسائل من سلاح وقول وكل ما يصلح للقتل والانتقام ، أما ترانى إذن جريئا سفاحا ؟

عنترة ـ عجبا لك ! كيف يعرفون ان يشوهوا الحقيقة الحسناء ! يخفون صورة الجمال تحت كثيف البراقع والاصباغ كالعجائز ينقشن وجوههن بالوشم ويتكحلن ويصبغن خدودهن بالحمرة . يريدون ان يزيدوا الجمال حسنا فيشوهونه . يجب ان تغمره الشمس وهو فى صحة غريبة فيتركونه فى بساطته ووداعته ويزيلون هذه الصبغة الدميمة التى تحجبه

أصخ لي ياوزر : فاني سأجعل جمال الحقيقة ولونها الوضاح يخترقان جسمك الى ان يبلغا نفسك السوداء وسوف أقتل فيك الريب والشك بكلمة . اما كنت فيما مضى صديقا للملك المنذر

وزر ـ أنا ؟

عنترة ـ نعم انت ! وتعلم جيدا مقاصد هذا الملك

وزر ـ (بلهجة مرة)

بلى ، وهي وحدة العرب في يد ملك فرد ، وهذا صحيح ، ولكن ذلك لم يكن الاحلما لذيذا

عنترة ـ ماهو الآن بحلم

وزر ـ و كيف ؟

عنترة ـ لقد تخلص وتحرز من نير الفرس وسأنضم اليه الآن . . .

وزر ـ تنضم اليه ؟

عنترة ـ وستظهر حكمة فرد آخر كطلوع الفجر ويؤيده الله بقوته فينشر قوله الابدى . الاتشعر بالأرض وهي تميد قبل انتشار هذا القول الذي سيمليه على الناس رب قوى عظيم . لقد زلزلت الارض زلزالها واهتز النخل في الصحراء من عبث رياح السماء اللواقح ، وأصبحت آمال الانسان تتتابع مسبوقة بنسيم الصبا كأسراب هائلة من نبات الهديل تنشد ايكا تحط عليه لتريح اجنحتها المتعبة فلا تعثر عليه . تسير تلك الاسراب حيارى مترددة لارائد لها الا المصادفات : ولكن المغرب سيتوهج شفقه بزخرفه وقد اقترب الزمن الذي ستتصل فيه الارض بالسماء حتى يسمع اهل الدنيا كلام الله الكريم ، كلاما ذهبيا في إطار الالفاظ اللجينية ، وستهب قبائل العرب من كل فج عميق من فيافيهم المترامية الاطراف وقت طلوع هلالهم الفضي المتألق ... !

(ينوه في هذه الفقرة عن ظهور النبي (صلى الله عليه وسلم) وتزول القرآن)

وزر ـ اواه ! انى لاشعر باستنارة أمارتي بالسوء باحرار الفجر وضوء اللهب ! صبت عليكم اللعنات يامن خدعتموني ! لقد قطع سهمي خيط حياته الذي تتعلق به آمال اسلافنا وهذا الخيط الذي انتظمت فيه حبات المستقبل ! يالكم من خونة مجرمين ! وأن قبره ستدفن فيه بلادي ! عفوا وغفرانا !

عنترة ـ لقد عفوت عنك وسامحتك ولكن هذا الجرم سيقع على من خللوه وإن اثمك قد خط فوق الرمال وسرعان ما تمحوه الرياح ، ولكن الجرم المحرض سيلاقى جزاءه في القريب العاجل إن امتد الاجل ، وإني أحمد الله وأمجده وآمل أن يكون الجرح خفيفا . . .

وزر (بلهجة قوية وأنفاس مضطربة)

ما ذا تقول ! هل أصابت طعنتي ؟

عنترة ـ لقد أصابت ذراعي وليس لها أقل تأثير

وزر (وهو هائج)

انها لعظيمة خطيرة ! فاسحقني بحجر من هذه الاحجار كما تسحق العقارب والأفاعي ! ادفعني بقدمك بكل ازدراء واحتقار فاني لا أستحق أية رحمة ولا شفقة ! انني لتعس شقي ! وإن جرمي لعظيم لم يخط فوق الرمال . لقد نقش نقشا عميقا فوق جسمك الكبير الذي يماثل النحاس بصلابته بآلة الحقد والحفيظة ! فاسحقني سحقا !

عنترة ـ ولم هذا اليأس ؟

شيبوب ـ انى خائف !

وزر ـ هل اسود الجرح ؟

شيبوب (وهو يزيح الثوب عن الجرح) نعم قد اسود !

وزر (وقد كشف عن صدره لشيبوب) انظر هل اسود جرحي مثله ؟

شيبوب ـ لا يفترق عنه

وزر (وهو خائر القوى)

هذا هو المنتظر ! ولا يغني حذر من قدر ، أي عنترة ! قد اشتريت جرمي بحياتي واني أريد نجاتك ولا أستطيعها لأن سهمي يحمل السم الزعاف بين أسنانه . . .

شيبوب ـ ويل لك من شقي ! ألا تجد له دواء ؟ . . .

وزر ـ هيهات هيهات !

شيبوب ـ ولو يقف سير السم

وزر ـ لا ينجع فيه دواء

شيبوب ـ ولكن الادوية كثيرة جداً

وزر ـ كلا ! إن سمي لا دواء له وهو يندفع كالسيل وهو هو الذي يقتلني . اني أعالج سكرات الموت يا عنترة فاصفح عني وسامحني !

عنترة ـ مت بسلام واطمئنان !

وزر - ما العمل الآن ؟ ويل لى من شقى ! لقد نسيت ! إسرع عنترة وفوت مالك وزوجك ورجالك من هذا المضيق ، فان عمارة الوغد الذى قادنى الى هذا المكان يتربص لقتلك ... ومعه مائتان .... وسيمرون من هنا

عنترة - اننى مازلت قويا قائما على رجلى فقل لى اين هم ؟

وزر - كلا ، فلات ساعة لحاق يا عنترة والافضل الهرب ...

عنترة - الهرب ؟

وزر - ليس لك ! فلا فائدة لك منه ترتجى ... ولكن الآخرين فهربهم وان ساعدك لكفيل بتهريب زوجك وعشيرتك . . . فعجل دون أن تنتظر ان يكفر موتى عن جنايتى ....

شيبوب - أواه ؟ إنك لن تموت

عنترة - لم يرد الموت ان يدركنى فى الحروب !

شيبوب (مهددا جثة وزر) ويل لك ايها الخائن !

عنترة - (يمنعه) ولم هذه الاساءة للموتى ؟ فليتم بدعة وسلام ! وان موتى لن يختلف عنه فى الاجل والشكل وسيموت كليب ضال وهو فى عنفوان قوته دون أن يثب الوثبة الهائلة ليصل الى الماء وينهل الحياة . ولما شحب لونه وأسلم روحه الصغير ومن يعلم لاى جلاد ؟ . . مات من غلته أمام خرير الماء . . كلا فانى سأثب هذه الوثبة مهما حل وحصل ! وسأحيا !!! وسأحيا !!! اذ لا بد أن أحيا . أوقد النار ياشيبوب واصهر حد السيف او الرمح فان السم مهما بلغ امره فلا يقوى على الحرق اذا ماتعدي الجرح وان مت فسأموت مختالا فخورا . ويخيل الى وقتئذ انى قتلت بالحديد

(وقد أسرع شيبوب فى إيقاد النار بقطع من الخشب ثم وقعت عيناه على جثة وزر) ولكن الآخر مات بنفس الجرح وقد سرى السم فى جسمه واصبحت جثته بمثابة نذير ! إلهى ! انما انا عبدك وخادمك ! انى أسعى وأعمل لك فلا تمتنى هذه الميتة بل على الاقل فى الموضع الذى ينتظرنى فيه الحصار ! يالهذه الجثة ! إنى وجل ! وعيناى تطرفان امام الموت كما تطرف اجفان المولود الجديد من الضوء . ما اتانى قط الخوف فكيف حل بى الآن . واذا كان الانسان فى الحروب مقداما جريئا فهل يكون دائما فى كل المواقف ؟

(ثم يسوق الكلام الى شيبوب) هل تمكنت من مشاهدة عبلة وتطمينها ؟

شيبوب - انها نائمة وتنتظرك وهى واهية القوى من وعثاء الرحيل والتأثر والفضل لسلمى فى تهدئتها

عنترة - ما أعزك على ياعبلة !

شيبوب - لقد احمر النصل

عنترة - يجب أن تضع النصل المصهور فى الجرح دون اضطراب وارتعاش فان حياتى معلقة به

شيبوب - واأسفاه ! ستألم كثيرا

عنترة - كلا ! احرق ! احرق فانى لا أحب أن أموت (ثم يعرى عنترة كتفه فيكوى شيبوب الجرح)

ثم ينزل الستار

الفصل الخامس

عنترة وشيبوب

يأتيان من المعسكر والوهن باد على عنترة وهو متوكىء على كتف شيبوب

شيبوب - نعم ، لقد بذر صوتك الشك عندهم والباقون سيستعدون لموالاة سيرهم

عنترة - ولكن هذا يوم الراحة الذى وعدوا به

شيبوب - لم أقل عنه شيئا البارحة ، وقد ارجأت البت فيه الى هذا الصباح

عنترة - الا يدهش أحد من هذا السفر السريع ؟

شيبوب - كلا وفضلا عن هذا فلا يعلم القريبون منا ولا البعيدون بمصابك . . هل تشعر بتحسن ؟

عنترة - ان نسيم الصباح يطفىء قليلا الحمى ; والكى وحده الذى يؤلمنى . . هل دفن ميت البارحة ؟

شيبوب - اجل ; هناك بجانب تلك النخيلة

عنترة - ان الموتى مهما بلغ امرهم لهم الحق فى الراحة . ولننتخب الآن المكان الملائم لمشروعى ... هناك ! لا . . بل بجانب تلك الهاوية فانها مكان مكشوف قليلا . . ويجب ان يتمكن العدو حينما يصل من رؤية عنترة حيا أو ميتا . والآن ايها الرفيق والاخ يجب ان نفترق فى هذا المكان ولترجع من هذا الطريق الذى كان بالامس طريق الامل ; أما أنا فسأتمم حياتى وواجبى

شيبوب - الا تريد اذن أنوب عنك

عنترة - ولم ياشيبوب يحدث موتى ارتباكا فى سير الامور ؟ وتصبح عبلة وسط هذا الاضطراب دون ان تتمكن من الوصول الى

الملك ؟ لا ! بل يجب أن ينفع حتى رجالي وعشيرتي ومجدي ويترك نقطاً من الابريز الوهاج في صفحات تاريخي !

شيبوب ـ ولكنني سمعت إن المنذر من علماء الطب تعال ! تعال ! ومن يدري ؟

عنترة ـ لقد فات الوقت ، إذ بيننا وبين المنذر ثلاثة أيام ولقد مات وزر بسرعة ولا مرد للقضاء .

شيبوب ـ نستطيع أن نؤخره بجهد عظيم !

عنترة ـ لا يمكن تأخير ساعة الموت ، ولم هذا الجشع الذي ينقص الكرامة ويسقط الاعتبار . وصباح حافل بالحوادث خير من يوم عظيم خال . . . .

أتبكي ؟ ومتى كانوا يبكون فارسا سقط عن جواده في ميدان المجد والفخار ؟

شيبوب ـ انني أبكي قومنا جميعاً ، أبكي بلادك وأمتك وكل ما سيموت بموتك . عفوك اللهم وغفرانك !

عنترة ـ إن مستقبل الأمة والبلاد لا يتوقف على فرد ولو كان فارس الزمان أو كان ملكاً ذانت له الدنيا من أقصاها إلى أقصاها ولا شيء يقف تقدم أمة . انني أراها ترقى وتتقدم من المشرق إلى المغرب في ازدهار كسف الكوكب الذهبي في فلكه . ولا يهم النسور المختالة حتى الخطاطيف ريشة تزيد أو تنقص من أجنحتها القوية !

شيبوب ـ كلا يا عنترة ! فان هذه الفكرة لا تنطبق على ذويك !

عنترة ـ حتى ذوي ! إذ سيكون ألمهم شديداً ينفذ الى سويداء قلوبهم . وكل شيء في الدنيا يتألم حتماً يولد او يخلق حتى الحبة تتعفن قليلاً قبل ان تنبت . وما الحياة الا ثمرة بشجرة الموت . إذهب وارحل فلربما رأيتني في يوم قريب وسأظهر لك مرة ثانية في الخيط الاسود الذي يخطه موتي في الموضع الذي مر فيه الزارع . وستنبت تحت قدميه الحبة التي بذرها

سافر واسهر عليها واحرسها ايها الصديق والحارس الامين ، ومن يدري ماذا سيكون شأن المولود الذي ستلده

شيبوب (وهو ناظر الى جهة المعسكر) اذهب وكن على رأس الجند ومر من المضيق !

(عبلة آتية من المعسكر وهي تعدو وشيبوب وراءها اواه)(عنترتي لقد فهمت كل شيء وحدثني به قلبي . لا تمكر علي فان قلبي لقلب بطلة ولو انه تألم كثيراً ولكنه يستطيع ان يستمر في ألمه

(ثم تقع على قدميه)

انني لأتألم اذا شاطرتك حظك ، اما انا ظن أن ارتبط بظلك ؟

عنترة (وقد غالب آلامه)

هذه زهرتي المسكينة قد أضجعها إعصار وهي مثقلة بماء السماء انهضي فان الشمس ستشرب وهي منحنية عليك عبرات حبك . لقد بدد الحديد المصهور كل تخوف واني لأشعر بخفة وطأة الموت وأكاد افلت من مخالبه . وانك تستطيعين يا عبلة أن تذهبي وانت مطمئنة مرتاحة البال (ثم يقول بلهجة حنان وتأثر) هذا واجب عليك ، وان لك غرضاً يجب أن يكون نصب عينك ستبتهج له نفسك وهو امل عظيم يتوج المرأة ويولد الغد من أسراره الخفية . . . وحبذا لو نضجت ثمرة حبنا يا عبلة . وان مت وجب عليك أن تضاعفي حبك لهذا المخلوق الصغير (ثم يبتسم) ولكن ماالعمل ؟ وكأني احزنك واقطب جبينك واسعد عبراتك ، ولكن كل شاعر حزين الفؤاد ولو من غير ما داع ولا سبب

عبلة (تنهض وهي منهوكة القوى مصعدة الزفرات) سأرحل ولكنك لا تخدعني ، واعلم أن كل لحظة أو خطوة تبعدني الى الأبد عن وجهك ونظرك المملوء بالعطف والحنان ، ولا تقل عنك شجاعتي وسأذهب طائعة وأتمنى أن ألد ولداً يثأر وينتقم لأبيه !

وإني أحب الحياة لاجلكما وهل يساعدني الحظ على نيل هذه الأمنية ؟

عنترة ! إنني كالسكران من هذه الضحية وذلك الألم . فالوداع الوداع ! وآمل أن لن تلين عبراتي من قناتك (ثم يتعانقان)

عنترة ـ الوداع الوداع يا ابنة الأمير النبيل سلالة الابطال الاماجد الذين يقابلون الأهوال بعيون كعيون النسور القشاعم ، ان دم أسلافك لا يكذب كما يصدق دم راعيهم القديم الذي نال الشرف اليوم

(ثم يصطحب شيبوب عبلة)

اذهبي ولن ترحلي وحدك يا عبلة ، ان نفسي لتشيع خطواتك وسأجعل نصب عيني الساعات والايام التي نسجت منذ طفولتنا خيوط حبنا وسأبذرها في الهواء لتكون ذرات حياتي هذه لك بمثابة حرس عظيم ! ثم أحرسكم جميعا فيما بعد من اعالي السماء .

(ثم يعود اليه شيبوب)

شيبوب ـ يالك من مسكين ! يجب ان تلحق بها في أقرب وقت . هيا بنا فانني تام العدة والسلاح ، وهذه آخر واقعة أخوضها ويلزمني ان استعد لها كالفوارس البواسل وألتقي الطعنات الى ان اقع مضرجاً بالدماء .

(البقية على صفحة ٢٨٠)



أهل الكهف

قصة مسرحية للأستاذ توفيق الحكيم

بحث وتحليل ونقد بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

تتمثل حياة الشرق فى كتابين : القرآن الكريم ، وحكايات ألف ليلة وليلة . فالأول يهدى الى ما يجب أن يكون ، والثانى يصور ما هو كائن واقع . يعالج أحدهما من طريق الوحى الدينى علائق الانسان بالله والمحدود باللا محدود وموقف البشر حيال المسائل الخالدة التى تفوق مداركه ولا تنى تعذبه . ويستعرض الآخر لعياننا وأخلادنا صوراً حية تترى وتترى ، مؤنسة كل الايناس مؤثرة أبلغ التأثير ، لزحمة الحياة ، وألوان المجتمع على اختلاف شياته وتعدد أصباغ نسيجه ، وأنماط الناس ، ومطالب العيش ، ودوافع الغرائز المعقدة المتضاربة ، ومسارب الأحاسيس العميقة الغامضة

وقد عمد الاستاذ توفيق الحكيم الى هذين المرجعين من الحكمة الالهية ومن الحكمة البشرية . فاستوحى من الاول قصته المنشورة عن أهل الكهف ، واستأنف من الثانى قصته التى لم تنشر بعد عن شهرزاد . فكان اختيار المؤلف ، الحكيم ، أول عناصر نجاحه .

وسيقتصر كلامنا هنا بطبيعة الحال على القصة المنشورة ، أهل الكهف .

عمل الفنان

لأجل ان نرد ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، نسوق ملخصا لشرح البيضاوى للسورة الكريمة . وظاهر من هذا الشرح أنه كل ما اعتمد عليه مؤلفنا فى قصته التمثيلية البعيدة الغور

هم فتية من أشراف الروم ، أرادهم دقيانوس الجبار على عبادة الأوثان والشرك بالله ؛ فأبوا وهربوا الى الكهف ، وقد مروا فى هربهم بأحد الرعاة فتبعهم وتبعه كلبه ، وكان دخولهم الكهف غدوة وألقى الله عليهم سباتا سنين عدة . اختلف الناس فى عدتها ، فقالوا ثلاث مائة ؛ وزادها غيرهم تسعا ؛ والله أعلم بما لبثوا . وظلوا على الحال التى كانوا بها تحسبهم أيقاظا وهم رقود وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد . ثم قضى الله انبعاثهم ، فانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم فى يومهم أو اليوم الذى بعده ، فلما نظروا طول أظفارهم وأشعارهم التبس عليهم الأمر وأعياهم علمه . فاختلفوا فيما بينهم ، وبعثوا أحدهم إلى المدينة ليأتيهم بطعام على أن يتخفى ولا يشعر بهم أحداً لخوفهم أن يظهر رجال دقيانوس عليهم فيرجموهم أو يرغموهم على الشرك . فلما دخل المبعوث السوق وأخرج الدراهم وكانت مضروبة باسم دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا . فذهبوا به إلى الملك وكان نصرانيا موحدا ، فقص عليه القصص . فقال بعضهم ان آباءنا أخبرونا أن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء . فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم . ثم قالت فتية الكهف للملك نستودعك الله ورجعوا إلى مضاجعهم فماتوا . فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليه بيعة . والاقوال مختلفة فى عددهم فمنهم من قالوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، ومنهم من قالوا خمسة ، ومن قالوا سبعة . ويروى أن أسماءهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا وهؤلاء أصحاب يمين الملك ، ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره ، وكان يستشيرهم . والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبه قطمير . واسم مدينتهم أفسوس وقيل طرسوس

هذه هى المادة الأولية التى أتيحت للمؤلف فانظروا كيف صارت فى يديه ، وكيف نحت فيها هذه المجموعة من التماثيل الحية وأقام منها هذا الأثر القصصى

لقد شاء له الفن أن يأخذ بقول الزاعمين أن فتية الكهف ثلاثة وآثر الاقتصار عليهم حتى لا يتوزع اهتمام القارىء أو الناظر ، فيضعف التأثير وتقل المتعة بحسب الفن اثنان من مستشارى الملك والراعى . وارتأى أن تتقدم السن بأحد هذين المستشارين ويكون

الوزير الأول ، أما الثانى فيكون فتى فى ميعة الشباب وريعانه . ثم يشاء الفن القدير ان يجعل للوزير زوجة وولداً كان يخفى أمرهما ، وأن يجعل للفتى حبيبة فى الخفاء هى ابنة الملك ووحيدته . وقد اعتنق الرجـــل دينه الجديد حبا فى زوجته المسيحية ، كما أن حب سليلة الاباطرة للفتى المسيحى حبب اليها دينه . فاذا قاما من سباتهما وقد تفترت من طول الرقاد أوصالهما ، كان لهما من العلائق القلبية ما يذكرانه فتنازعهما النفس إلى طلب الخروج من الكهف ، ويختلفان فترى الفتى نزقا كعادة العاشق المشوق ، أما الزوج فحذر كظيم شأن رب الأسرة المسئول . ويشاء الفن أيضا ان تكون ابنة الملك فى عصر انبعاثهم شبيهة كل الشبه بابنة دقيانوس حتى يظل وهو صاحبها وأما الراعى فلا تطول خديعته ، فما هو إلا أن افتقد غنمه فلم يجدها ، ورأى أبناء هذا الجيل على غير عهده بهم سمتا ولهجة وزيا ، حتى اتضحت له الحقيقة ، وثقلت عليه الحياة فعاد زاهدا فيها الى رقدة الكهف . ثم تبعه الوزير ثاكلا متفجعا باكيا وقد علم موت زوجته ومصرع ولده كهلا منذ دهر طويل فى خومة الوغى وميدان الشرف . وأخيرا الفتى العاشق وقد تبددت أحلامه ، وبدت لناظريه هوة الزمن السحيقة تفصله عن المرأة التى يحبها .

وهكذا دخل الفن على العبرة القصصية فخرج منها - كما يرى القراء - بآية فنية

التحقيق التاريخى

لم يقصد المؤلف بروايته وجه التاريخ . ولا أظن به طمعا فى أن يكون مؤرخا . وهيهات ايضا لكاتب هـذه السطور أن يدعى لنفسه هـذه الدعوى العريضة . بيد أنه لما كانت القصة التى نحن بصددها لها صلة بالتاريخ ، فلا مراء فى أن الدراسة التاريخية هى على الأقل من مستلزماتها .

ولقد راجعت القليل من المراجع فى التفسير ، ومن معان التاريخ الموضوعة فى العربية ، ثم انتقلت إلى غير الكتب العربية مما هو موضوع فى تاريخ الامبراطورية الرومانية ونشأة المسيحية بغض النظر عن مؤرخى الكنيسة من رجالها . فإذا مؤلف اهل الكهف لم يسلم من نقص فى هذه الوجهة وأخطاء قد لايكون لها خطر فى صميم الفكرة ، بيد أنه كان من المستحسن على كل حال تداركها لو تكلف قاصنا المسرحى اليسير من العناء فى التحقيق التاريخى

فقد زعم أن العاهل دقيانوس هو صاحب عصر الشهداء أى ديوقلاسيانوس Diocletianus لتقارب النطق واحتمال التحريف فى تعريب الإسماء الاعجمية عند العرب . والحقيقة أن دقيانوس هو ذوقيوس كما يلفظها البعض أو دسيوس Decius عاهل الرومان الذى حكم من عام ٢٤٩ الى عام ٢٥١ بعد الميلاد . وكان مع بسالته وحسن تدبيره شئون الملك شديدا على النصارى ، فنغص ما كانوا فيه من أمان وسكينة ، وأجمع العزيمة على سحق المسيحية . فكان شديد الكراهية للبطارقة وكان كل مؤمن فى مملكة الواسعة رهنا بالسجن والتعذيب ، وقد شاع لعهده التفنن فى التعذيب بالجوع والعطش . واشتدت اضطهاداته فى سنة ٢٥٠ ميلادية فلم تعد وقائع مفردة بل أوامر عامة وتدابير منظمة . ولعل فتية القصة هربوا الى الكهف فى هذه السنة

ثم إن أكبر فتية الكهف هو مكسلمينا . والأجدر بالمؤلف اتخاذه بدلا من مرنوش . كما أن أجلهم وأجلدهم تمليخا فلا محل لإطلاق اسمه على الراعى وحسب الراعى أن يدعى راعيا

كذلك لانستسيغ تسمية الوادى الذى به الكهف فى ظاهر المدينة بالرقيم . لأننا أميل الى قول المفسرين بأن الرقيم إشارة الى لوح من الحجر أو الرصاص عمد اليه رجلان مؤمنان من بيت الملك ، فكتبا فيه شأن الفتية ورقما أسمائهم وأنسابهم ، وأودعاه فى تابوت من نحاس مختوم بخاتم من فضة ، وجعلاه على باب الكهف

وأما المدينة التى كانت مسرحا لوقائع القصة فليست طرسوس كما استحسن المؤلف استنادا الى قول فى البيضاوى ، بل هى مدينة أفسوس Ephesus كما ذكر ذلك البيضاوى نفسه وعليها أجمع المؤرخون والمفسرون من المسلمين ورجال الدين من النصارى ، ولا عبرة بوهم واهم من المفسرين زعم أن مدينة أفسوس هى طرسوس وكان اسمها فى الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس ، فقد ساقه الى هذا الخلط جهله بتلك المدينة الدائرة إطلاقا ، واقتصار علمه على طرسوس التى فتحها العرب ، ولقد عمد فى حيرته إلى قطع العقدة بدلا من حلها ، فقطع بأن المدينتين واحدة ، وشتان ما بينهما فى موقعهما الجغرافى وماضيهما التاريخى

ومدينة أفسوس قديمة ، وبها للمشركين هيكل لإحدى آلهتهم

أرتميس Artemis (أو ديانا Diana) وحرم لتمثالها المقدس . وهذه الربة هى الأم العذراء للحياة والإنتاج . وكان لأهل المدينة ولع بعلوم السحر والكهانة حتى بعد انتشار النصرانية فيها . وقد اشتهرت بأوليائها وشهدائها . وقد زعم القوم أن مدينتهم كانت الموطن الأخير لمريم العذراء ، وأنها دفنت بها ، ومع هذا بأن اعتقادهم فى أرتميس الأم العذراء أيضا لم يزل قائما قويا . وقد كان من حق أفسوس على الاباطرة الرومان ان تكون أول مدينة ينزل بها ولاتهم على آسيا وأن يتقلدوا فيها مقاليد الولاية . وأفسوس معروفة بكثرة ماخلفته من نقودها المضروبة المتنوعة وما على سكتها من بديع النقوش وطوابع الحكام .

وأخيراً يحسن تعيين الملك الذى انبعثت على عهده أهل الكهف وهو امبراطور الدولة الشرقية المسيحى تاودوسيوس الصغير Theodosius 2 وحكمه من عام ٤٠٨ الى عام ٤٥٠ ميلادية . وكانت قد فشت فى زمانه بين الناس بدعة القائلين ببعث الأرواح دون الأجساد ، فجاءت معجزة الكهف تفنيداً لهم وآية على قدرته تعالى وكان هذا الملك فى أول حكمه قاصراً ، يدير الدولة باسمه القاضى أنتيميوس Anthemius ثم تولت القوامة عليه أخته بولكيريا Pulcheria ، فدرج بعنايتها على الصلاح ودماثة الخلق والنزاهة وحسن الفكر والروية . وبولكيريا اسم تاريخى يصلح بدلا من بريسكا فى رواية المؤلف بعد تبديل بسيط

ونقف عند هذا الحد لنقول أن الرواية لاتخسر بهذا التحقيق التاريخى شيئا . ولعل الأستاذ الحكيم لو اطلع على معظم التفاسير والتواريخ من عربية وغير عربية فى هذا الموضوع وحوله ، لصدقنا فيما نذهب اليه من أن روايته الكبيرة تكسب عظمة من وجود هذه المواد فى يدى صناع مثله ، وأنه كان بهذا التشبع بالتاريخ قمينا بأن يفرغ عليها الى جانب ذلك السنا الفلسفى والضرام العاطفى والروح الانسانى لوناً محليا ظاهراً يصبغها فى غير تكلف منه أو تعمل ، بطبيعة المناخ الأسيوى ، وبذلك المزيج من الحس الوثنى ، والتصوف المسيحى .

(له بقية)

عبد الرحمن صدقى

عنترة

(بقية المنشور على صفحة ٢٧٧)

شيبوب ! ياأخى وزميلى فى الحروب ! لنتعانق دون ضعف أو أسف لايجدى ولا ينفع ، وعيون جامدة لاتعرف أن تدمع

(ثم يطيع شيبوب اشارة عنترة وهو يكظم زفراته ويذهب)

ساموت الآن بغير شهود ونعم مافعلت . انى استطيع الآن ان اعبر عن آلامى ويتسنى لعينى ان تبكيا دون أن تسيل عبرات الآخرين . لقد خارت قواى ولكنى ضاعفت قواكم ولن يرى احد منكم ضعفى و آلامى . (ثم يخترق شعاع من الشمس المشرقة سحب الضباب المربد وينير وجه عنترة)

والشمس لاتفترق عنا اذ تولد ثم يراها الناس وهى تموت . ايتها الشمس اذهبى الى ذوى وانضمى الى موكبهم وقولى لهم بأنى احييهم فى الحياة وفى الممات . الوداع يا أمانى الحب والمستقبل الزاهر اواه ! انى اشعر ان البرد يغير على شيأ فشيأ وقد اضطربت عيناى ، ماذا دهانى ! هل هذه وطأتك ايها الموت ! مهلا مهلا ! فانى انا الذى اهاجمك واشد عليك دون وجل . لامتط الجواد والرمح فى يدى كما كنت من قبل ! ساجبرك ان تخضع لامرى وسيقود ذراعى سيرك الاعمى الاحمق .

(ثم يعلو جواده وهو فى الرمق الاخير) والآن تفتح روحى جناحيك فطر وحلق . يخيل الى أنى انام نوما هادئا وأرى سربا من الطير آتيا من المشرق ! . . . يقترب منى ويحيط بى ثم يذهب ويعود . ولكنه حياتى باجمعها التى تضمنى كالكفن نسجتها الايام التى عشتها . ايام الامل والحب والحرب ، ان الماضى يعرض امامى وارى اول الكفن : اى ايام الطفولة ! ان خيوطك لمن خز وعسجد وانت وحدك اللامعة الزاهية ! اننا ننسج بايدينا أكفاننا ، وهذا كفنى يطويه الموت باصابعه ! وهو يدفننى فى طيات حياتى ! . . . لا تتحرك ياعنترة . . . يجب ان يراك العدو حينما يقبل مستعدا للكفاح . . .

(ثم يسلم النفس الاخير ويميل رأسه ويبقى جسمه منتصبا معتدلا مستندا ذات اليمين الى رمحه وذات اليسار الى الصخور القائمة وفى هذه الآونة يأتى الرجال شاهرين رماحهم وسيوفهم وعلى رأسهم عمارة بن زياد فيلمح على حين غفلة عنترة وقد اضاء وجهه شعاع الشمس المشرقة فلمع سلاحه وهو راكب جواده)

عماره — آه ! إنه لحى لم يمت !

الباقون (وهم يولون الادبار مذعورين) حى !

يتزل الستار

محمد كامل حجاج

2 me Année, No. 33

Lundi-19-2-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

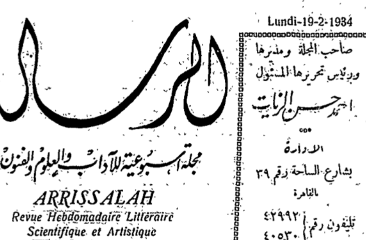
٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

السنة الثانية «القاهرة في يوم الاثنين ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ — ١٩ فبراير سنة ١٩٣٤» العـــدد ٣٣

فهرس العـــدد

صفحة

في الأقصر . . .

— ٤ —

لا تجد في معبد الأقصر ما تجد في معبد الكرنك من ذلك الاستغراق الذهني الذي يمحو الوجود من ناظرك، ويعفو الحاضر في خاطرك، ويحيك مع أمينوفيس ورمسيس في دهر واحد! فإن هذا المعبد يقع في جبهة المدينة ونزهة الناس فلا تنفك وأنت فيه بين نظرة خادعة من مفاتن النهر، وزفرة صائحة من بواخر كوك؛ ولفظة صاخبة من لغط المنارة: ولن تستطيع وعيناك تضطربان بين الهيكل والكنيسة والمسجد وقصر السلطان ووِنتر بالاس، أن تحصر ذهنك في موضع، وتقصر فكرك على موضوع. فكل صورة من هذه الصور الموائل يمثل فكرة ويسجل نهضة ويؤرخ حقبة: أما معبد الكرنك فظل بنجوة من تيار الزمن الجارف، ينعم بسكونه الشعرى في اعتزاله، ويتمتع في جوه الفرعوني باستقلاله

* * *

فتننا سحر الأصيل عن شعر المعبد، فذهبنا في طريق السلطان حسين نشهد أروع مجالي الجمال في الطبيعة. ومن حدثك أن بلداً من بلاد الله غير مصر يتمتع في يناير بدفء يستجيش العرق والبهر، وضوء يغمر القلب والنظر، وصحو يدوم النهار والليل، فهو ولا ريب لم ير الأقصر! وأى منظر تألقت به قدرة الله، وتأنقت فيه يد الطبيعة، كمنظر الغروب في طيبة؟ فالشمس المصرية تغرب في جلال

وراء الجبل ، وأشعتها الفاترة قد تجمعت حولها من شهول الوادى ، فلم يبق منها الا غرر تلمع فى أجنحة الطير وسعف النخل ورءوس الهضاب ، وشفقها الوهاج قد شب فى أطراف السلسلة اللوبية حريقا بارد اللهيب ايذانا بالمغيب ، والمشتون من سراة أوربا وأمريكا يطالعون فى شرفات الفندق اجمل ماخطته يد البارى المصور فى صفحة الوجود ، وأنا واصدقائى الثلاثة نسير الهوينى على الشاطىء الضاحك ، يشيع فى دمائنا مجد هذا الماضى ، وفى أعصابنا عظمة هذا الوادى ، وفى أخلاقنا صراحة هذا الجو ، وفى مشاعرنا جمال هذه الطبيعة ، فنكاد من فرط الزهو نقول لمن نلقى من السائحين الغربيين : نحن سلالة هذا المجد ، وصنيعة هذه الشمس ، وصورة هذا الجمال ، فهلا ترونا اخلص الناس جوهرا ، واصدقهم مظهرا ، وازكاهم أرومة ؟

وكان حديثنا فى هذه الساعة الجليلة نغمة منسجمة فى هذا اللحن السماوي الذى تنشده الكائنات كل يوم عند الغروب ، وماظنك بحديث نقى الحواشي يشققه أستاذ فى كلية الآداب ، واستاذ فى كلية العلوم ، واستاذ فى كلية الحقوق ، وكاتب صغير من كتاب الرسالة ؟

* * *

كان صباح يوم العيد موعد (المقابلة الملكية) فعبرنا النهر فى رهط من أطباء المؤتمر ، ووقفنا بالضفة الاخرى نتحسس الآثار الهوالك ، فلم نجد أمامنا غير الحقول الزمردية تكسو السهل ، والجبال الوردية تسد الأفق . وكانت هذه الضفة الخلاء فى دهرها الغابر حيا من أحياء طيبة يسكنه محنطو الجثث وصناع المومياء ، فما كان يومئذ يموت انسان أو ينفق حيوان الا أتوا به هذا الحى فيمضى فيه أهله (عملية) الخلود !!

انطلقت بنا السيارات بين الزروع الخضر أرتالا يسفى بعضها الغبار فى وجوه بعض ، فمررنا بالقرنة وقد خرج أهلها فى زينتهم يعيدون فوق المقبرة ! وأكبر الظن أنهم بقايا ذلك الحى البائد ، فهم يسكنون الجحور كبنات آوى ، وينبشون القبور كلصوص الموتى ، وينحتون التماثيل كصانعى الآلهة ، ويخدعون بالتمائم كدهاة الكهنة !

وقفت بنا الحقول فجاة ، ثم أسلمتنا الى قفر من الأرض بعضه مرمل وبعضه مترب ، فسرنا فيه بين أعلام من الحجارة المنضودة ، حتى دفعنا الى شعب فى الجبل تكثر على جانبيه الغيران الموحشة والفجوات العميقة ، فتحسبها بادىء ذى بدء من أثر الوحوش الحافرة ، ولكنك تدرك بعد هنيهة انها من أثر الانسان الذى نكبت به هذه الأرض منذ أربعة آلاف سنة فلم يرفع معوله عنها الى اليوم ! ! شقها فدفن بها الملوك ! ثم شقها فسلب فيها الملوك ! ثم هو يشقها اليوم دائبا ليخرج منها الملوك !

أخذت طراءة النسيم تتخلف عنا رويداً رويداً حتى انقطعت ، وهب يناوحنا من فجاج الوادى الملكى جو ثقيل كجو مايو ، وأصبحت سلسلة الجبال فوقنا بعد ان كانت أمامنا ، ثم انعطف الطريق الصاعد بغتة فاذا السيارة أمام باب من الخشب ، وبواب من الناس ، وقائل يقول : هنا جبل الخلود وحرم الملوك ومثوى توت عنخ آمون !!

الجبل من أعلاه الى أسفله قطعة واحدة من الحجر الجيرى الصلد لا تجد فيه صدعا ولا فرجة ! نقرت يد الانسان القديم فى أصله فتحة مربعة دخل منها الدليل ودخلناها على أثره ، فاذا سلم حاذر يهبط بك قليلا أو كثيرا الى بئر عميقة تضلل اللصوص ؛ ثم يعود فيهبط الى قاعة فسيحة تجمع أشتات المتاع ، ثم يعود فيهبط الى حجرة تضم جثمان الملك ! وسقوف الحجر محلاة بصور من جماعات الكواكب ، وجدران الانفاق مغشاة بسور من كتاب الموتى : فالبرزخ الفاصل بين الحياة الفانية والحياة الباقية مصور كله فى وضوح ودقة ! فهنا الميزان ، وهناك الصراط ، وهنالك المطهر ، وفيما بين ذلك عقبات هائلة وحيات قاتلة لا يفلت منها الا من حمل جواز الأمان وعرف كلمة السر !!

وقفنا حيال فرعون وهو راقد فى أكفانه الذهبية رقدة الضراعة والهون ! يشمت به الفناء ، ويسخر منه البقاء ، ويصيح فى أذنيه القدر :

لقد علوت فى الارض ، وغلوت فى الجبروت ، وسخرت الزمان لتخليدك ، والانسان لتمجيدك ، ثم كانت عاقبتك يافرعون هذه العاقبة المضحكة !! فصاحب اذنك خادم حقير ، وكبير أمنائك (ترجمان) أجير ، وشعبك العابث يحضر (التشريفة الكبرى) يوم العيد فى غير حلة رسمية ، ولا هيئة جدية ، وجلالتك الالهية كلها لم تقو إلا على الدود ، ولم تحظ إلا ببسمة ساخرة من ثغر الخلود !!

احمد حسن الزيات

السياسة وعلم الاجناس

للدكتور محمد عوض محمد

يود الذين يشتغلون بعلم من العلوم لو أدرك الناس ان لكل علم حرما يجب ألا يدنو منه غير أهله إلا بشيء كثير من الحذر . ومع ذلك فان من الشائع المألوف ألا يكتفى الناس بالدنو والإقتراب من حرم هذا العلم أو ذاك ، بل ان الكثير منهم ليقتحم عليه الباب ويخترق الساحة ، ويستبيح الحمى . في غير رفق ولا حذر ، ودون ان يستأذن أو يسلم

وهذا الاعتداء قد يكون من عامة الناس وجهلتهم . فلقد ترى الواحد من هؤلاء يصف للمريض الدواء الشافي والعلاج الناجع في جرأة قلما نراها في الطبيب المحنك الذي وعى في صدره طب الأولين والآخرين . ولكن هذا الاجتراء على حرم العلم قد يكون أيضاً - ويا للاسف - من رجال ينتسبون إلى الثقافة والى العلم ، وربما رأينا المثقف يعتدى - في جرأة واعتداد بالنفس - على حرمة علم لم يدرسه ولم يلم به ، فيتحدث عنه حديث من أحاط بأطرافه وتوفر على درسه .

ولعل هؤلاء أشد خطراً من جهلة الناس وعامتهم . لأنهم مثقفون ، ولأنهم ألموا ببعض العلوم إلماما حسنا . فأكسبتهم ثقافتهم وعلمهم مكانة بين الناس ومقدرة على الافصاح عن آرائهم ليست للأمي الجاهل ، فهم اذا تحدثوا عن علم غير ما اختصوا بدراسته ، أخذ الناس عنهم أقوالهم من غير جدال ؛ لما لهم من المقدرة في البيان ومن المكانة في النفوس .

والذين راقبوا هذه الظاهرة بين رجال الثقافة قد أدهشهم أن يروا هؤلاء يتكلمون في جرأة وفي ثقة ، عن أمور لا يتحدث عنها الاخصائيون الا في حذر شديد . فيصدق فيهم المثل الانكليزي :

Fools rush where angels fear to tread

(يمعن السفهاء في الجرى والاندفاع ؛ حيث تخشى الملائكة أن تمشي الهوينى)

* * *

أثارت هــــذه الخواطر في نفسي مقالة للدكتور أحمد زكي في الرسالة عنوانها «العنصرية» . وقد رأينا فيها ما يعانيه علم جديد — وهو علم الأجناس (Ethnology) — من رجال السياسة ممن لم يلموا به إلماما صحيحا ؛ ولا جشموا أنفسهم مشقة مطالعة سفر واحد مما ألف فيه . وقل أن يكون بين العلوم علم لقى من هـذه الناحية مثل ما لقيه علم الأجناس .

فلقد كان من الشائع جدا أن المتكلم عن الأجناس البشرية يخلط بين الثقافة واللغة والدين في تقسيم الناس إلى أجناس ، وبين صفاتهم الجثمانية البحتة كاختلافهم في اللون والقامة وشكل الرأس والشعر . . وهى الصفات التي يجب أن تكون الأساس العلمى الاكبر — بل الوحيد — لتقسيم الناس إلى أجناس .

هـــذه الاختلافات الجثمانية أمرها قديم جداً . وللأسف لم ينشأ علم ولا علماء يعنون بمعالجة هذا الموضوع ودراسة السلالات البشرية دراسة علمية صحيحة إلا في عصر حديث جداً ، ومما يؤسف له أن كثيرين ممن أوتوا حظا وافراً من الثقافة لا يزالون — بسبب حداثة هذا العلم — جاهلين حتى بمبادئه الأولية .

ولهذا قد نرى كثيرا من المسئولين من رجال الأدب والسياسة ينطق بألفاظ وعبارات عن الأجناس وأهميتها وأفضلية جنس على جنس في صور لا تنم عن دراسة حقيقية للسلالات البشرية ولعلم الأجناس .

واختلاط السياسة بعلم الأجناس من أيسر الأمور . فان الدول كثيرا ما تصح في مقام المنافسة والمناظرة من أجل استنهاض همة الناس أو تقوية الروح القومية فيهم . فليس أسهل للوصول الى هذه الغاية من أن يفهم الناس أن سلالتهم أعظم السلالات ، وجنسهم ارقى الأجناس . وقد يتدخل رجال العلم في هذا الأمر ؛ وينزلون عن عرش علمهم الى درك المنافسات القوية . وهذا أمر يستدعى الأسف ؛ ولكنه كثير الحدوث ، ولم تختص به المانيا النازية : كما يزعم خصومها . بل إن أشهر الكتاب فيه من غير الألمان

إن علم الأجناس لا يرى فضلا لسلالة على سلالة ولا لجنس على جنس . حتى إن بعض المؤلفين (راجع مثلا كتاب Kroeber Anthropology) قد يخصص جزءا غير قليل من كتابه في دحض الآراء الشائعة عن الأجناس ؛ فهو لابد له أن يهدم الخطأ قبل أن يبنى الصواب .

الاجناس كلها متساوية في نظر العلم ؛ ولكن أكثر الناس قد وقر في نفسه غير هذا . ومن قديم الزمان جداً يفخر كل شعب بأنه

هو الشعب الأعظم . وما سواه أمم بربرية . وهذا بالطبع لم يكن سوى صورة من صور الأثرة القومية . فاليونان كانوا يقسمون سكان العالم الى قسمين : اليونان والأمم البربرية . وهكذا يقول هرودوت فى مقدمة كتابه إنه سيقص فيه الحوادث العجيبة التى حدثت للهلينيين (اليونان) وللأمم البربرية .

وكذلك كان الرومان يعتقدون أن ما سواهم شعوب بربرية . ومن الغريب أن أهل الصين أيضا كانوا الى منتصف القرن التاسع عشر ينظرون الى الانكليز ومن اليهم بأنهم برابرة . والكلمة الصينية التي تفيد هذا المعنى : معناها الجر فى الأشخاص الذين يجلسون القرفصاء على الأرض : أى أنهم من الوحشية بحيث لا يتخذون كراسى لجلوسهم . وهكذا كان كبار رجال الدولة الصينية يخاطبون سفراء الملكة فكتوريا وكانوا يدعونها ملكة البرابرة حتى لقد كان هذا مما أحفظ الانكليز ؛ وكان من جملة الأسباب التي دعت الى اثارة حرب الأفيون :

ولئن كان الجرمان يفخرون بجنسهم اليوم . فكذلك كان يفعل الروس قبل الحرب ، فقد كانوا يمجدون الجنس السلافى ويزعمون أنه أرقى الأجناس جميعا .

ولعله ليس فى العالم شعب قد غلا من هذه الناحية ـ الغلو كله مثل الشعب اليهودى ، الذى لم يكتف بأن ينادى بأنه الشعب المختار ، بل لقد أصبحت هذه العقيدة جزءا من الدين اليهودى لا سبيل الى فصلها عنه .

هذه النعرات القومية ، قد تكون من ضروريات السياسة ، ومن وسائل النهوض بأمة فى وقت من الاوقات . ولكن الواجب يقضى علينا بأن نفرق تفريقا صريحا بين صيحات السياسة ونظريات العلم .

هنالك نظرية أو رأى اثنولوجى خاطىء شاع فى الزمن الحديث ، ولا يستند على أساس علمى ولا تاريخى ، بل يحلو لأصحابه أن يتجاهلوا التاريخ تماما . وهذا الرأى هو القائل بأن الجنس الشمالى Nordic Race أو التيوتونى ـ الذى يمتاز بالشقرة والقامة الطويلة والعيون الزرقاء ، وغير هذا من الصفات الجسدية ـ هو أرقى السلالات البشرية . وانه لولاه لما كانت حضارة ولا رقى فى أى عصر من العصور .

هذا الرأى الجرى ، لا يجوز ان ينسب الى الالمان ولا الى الهتلريين ، بل ان المؤمنين به فى أمريكا مثلا أكثر من القائلين به فى المانيا . ومن الغريب أن أول من قال بهذا الرأى الكونت جوبنو الفرنسى فى كتابه :

Essai Sur L'inégalité des Races humaine

وفى هذا الكتاب يزعم المؤلف ان التيوتونيين هم أرقى الاجناس البيضاء جميعا ، وأفضل السلالات البشرية على الاطلاق من حيث قدرتهم على خلق الحضارة بجميع عناصرها المادية والأدبية .

وقد شاع كتاب جوبنو هذا فى وقت كانت فيه المنافسة بين فرنسا وألمانيا بالغة منتهى الشدة (بين عام ١٨٦٠ وعام ١٨٧٠) ولما كان أكثر الشعب الفرنسى من غير التيوتونيين ، وأكثر الالمان منهم فقد كان كتاب جوبنو هذا بمثابة الفضل الذى شهدت به الأعداء .

وقد رد على جوبنو ودحض مزاعمه كثير من الكتاب ، ولكننا لا نزال الى وقتنا هذا نرى كتبا تنشر فى انكلترة وفى أمريكا خاصة ، وكلها فى تمجيد الجنس التيوتونى وتفضيله على سائر الأجناس . ومن شاء الاطلاع على شىء من هذا فليراجع كتاب الأستاذ ماديسون جرانت Madison Grant وعنوانه The Passing of the Great Race وكتاب الأستاذ ماكدوجال وهو من كبار علماء النفس فى الولايات المتحدة وعنوانه

National Welfare And National Decay.

وكلاهما ينادى فى مؤلفه بضرورة الحرص على الجنس الشمالى والإكثار منه لانه العماد الأكبر لحضارة أمريكا ؟

ومن الغريب أن الولايات المتحدة حين سنت قانون المهاجرة منذ نحو عشر سنين سمحت بالمهاجرة الى بلادها لعدد عظيم من سكان البلاد التى يسود فيها الجنس التيوتونى . مثل اسكندناوه والمانيا وانكلترة وهولندة . ولم تسمح الا بعدد قليل من المهاجرين من الأقطار الأخرى .

وهذا مثال خطير لتطبيق نظرية لا تقوم على أساس فى مسألة دولية خطيرة . وبرغم الاحتراس الشديد الذى يبديه علماء الأجناس أنفسهم ، لا نزال نرى الكثيرين يتحدثون فى موضوع الأجناس من غير تدبر ولا حذر .

محمد عوض محمد

قيمـــة الثقافة

للأستاذ احمد أمين

للثقافة قيمة ماليـــة مقررة . فالليسانس والدكتوراه والدبلوم وما الى ذلك من الأسماء ، هى عنوان الثقافة ، أو بعبارة أخرى تتويج لجهود سنين قضيت فى تحصيل العلم ، وتأتى « المالية » بعد فتقدر هذه الدرجات بالجنيه والمليم ، وتجعل لكل منها قيمة مالية خاصة ، ولها العذر فى أن تخالف بين الدرجات ، وتسوى بين حاملى الدرجة الواحدة وإن اختلفوا فى مقدار الثقافة ، لأنه لم يخترع الى الآن مقياس دقيق يوزن به الفكر ومقدار استعداده وزناً صحيحاً . ولو اخترع هذا الميزان لألغيت الدرجات ، واكتفى بوزن الكفايات ؛ ولكن من لنا بذلك وقد عجزت المدنية الحديثة عجزاً تاماً عن اختراع هذا الميزان .

وللثقافة كذلك قيمة اجتماعية ، فالثقافة ترفع من كان من طبقة وضيعة ، الى ان يكون أحيانا مساويا لمن كان من طبقة رفيعة ، فحامل الشهادة العليا يرى نفسه ـ وقد يرى الناس معه ـ أنه صالح لأن يتزوج من طبقة راقية ، مهما كان منشؤه ومرباه . وقديماً قال الفقهاء فى « باب الزواج » : إن شرف العلم فوق شرف النسب ــ والمثقف الراقى له الحق أن يكون عضواً فى الأندية الراقية من غير أن يسأل عن نسبه وحسبه ــ بل له أن يُدِلّ على أبناء الطبقة الأرستقراطية إذا نال درجة لم ينالوها ، وعرف من أنواع الثقافة ما لم يعرفوا ، وله من حرمة الناس فى المجتمعات والأندية ما لا يناله غير المثقفين ، وإن كانوا من بيت خير من بيته ، وفى نسب خير من نسبه .

ولكن لا أريد أن أتحدث فى شىء من هذا ولا ذاك ، فليست تعنينى الآن الناحيـة المـالية للثقافة ، ولا الناحية الاجتماعية لها ـ وإنمـا أريد أن أتساءل : ما القيمة الذاتية للثقافة ؟ إن المـال واحترام الناس عرض خارجى ، فما القيمة الثابتة التى تتصل بنفس المثقف ولا تفارقها فى فقر أو غنى ، وفى جاه وغير جاه ؟

أهم قيمة ـ فى نظرى ـ لثقافة المثقف هى كيفية نظره الى هذا العالم . ذلك بأن عيون الناس فى نظرها الى الأشياء وحكمها عليها ليست سواء ، فعيونهم الحسية وإن اتفقت فى الحكم على الألوان بالسواد والبياض والحمرة والصفرة ، وإن اتفقت فى الحكم على الأبعاد قرباً وبعـداً ، وإن اتفقت فى الحكم على الأحجام كبراً وصغراً ، فان العيون النفسية لا تتفق فى نظرها ولا حكمها ، فالشىء فى نظر الأبله غيره فى نظر الفيلسوف ، وبين هذين درجات لا حدّ لها ، وليس للشىء الواحد معنى واحد ، بل معان متعددة تتسلسل فى الرقى ، والناس يدركون من معانيـــه بحسب استعدادهم وثقافتهم وأذواقهم .

وقد حكوا أن عيسى عليه السلام مرّ هو وأصحابه بجيفة فقالوا : ما أخبث رائحتها ! وقال هو : ما أحسن بياض أسنانها ! ونظر الرجل العادى الى حديقة مزهرة غير نظر الاديب الفنان ، هذا ينظر اليها فيقرأ فيها من المعانى والجمال ما يمتزج بنفسه ، ثم يسيل على قلبه كأنه قطع الرياض ـ وذاك ينظر اليها نظرة مبهمة ، لا تُسفر عن معنى ، ولا تُعْرَف لها وجهة ، نظرة بليدة جامدة ، لا يبعثها ذوق ولا تخدمها قريحة .

ومثل هذا فى كل شىء يعرض على العين ، فكل شىء فى السماء وفى الارض لا يحمل معنى واحدا بل معانى متعددة ، وقيمة الثقافة ان تنقل العين من أنظار سخيفة ومعان وضيعة الى أنظار بعيدة ومعان سامية . فالاديب اذا لم ينظر فى المرأة الا الى حسن جسمها وتناسب أعضائها لم يكن أديبا مثقفا وقلنا له كما قال المتنبى

وما الخيل الا كالصديق قليلة
وان كثرت فى عين من لا يُجرّب

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها
وأعضائها فالحسن عنك مغيب

ففرق كبير بين ان تنظر الى المرأة كشيطان وان تنظر اليها كانسان وان تنظر اليها كملك ـ وفرق كبير فى كل شىء فى الوجود يعرض على أنظار الناس

وكل انسان له نظراته فى العالم من اسفل شىء الى أرقى شىء، من مادة تحيط به ومال يعرض عليه وأعمال تتعاقب أمام نظره واله يعبده ـ هو فى كل ذلك قد يكون سخيفا فى نظراته، وضيعا فى رأيه، وضيعا فى حكمه. وقد يبلغ فى ذلك كله من السمو منزلة قل أن تنال. وعمل الثقافة ان تنتشله من تلك النظرات الوضيعة الى هذه النظرات السامية

وليست نظرات الانسان الى الحياة قوالب من طوب، كل قالب مستقل بنفسه، محدودة بحدوده، انما هى كسائل لطيف اذا لونت نقطة منه بلون شع اللون فى سائر السائل، واذا سخنت جزءا منه وزع حرارته على السائل كله حتى يتعادل ـ بل الرأى والنظرات ألطف من ذلك وأدق وأرق، فاذا رقى النظر الى شىء أثر ذلك رقيا فى سائر النظرات، فكل نظرات الحياة متأثرة بنظرك الى نفسك والعكس، بل نظرك الى الله تعالى متأثر بنظرك الى عالمك المحيط بك ـ وهذا ما يجعل الثقافة فى أية ناحية من النواحى الأدبية والعلمية يؤثر أثرا كبيرا فى النواحى الأخرى حتى ما نظن أن ليست له صلة به. وقد أصاب صديقى يوما اذ كان يقول « ان رقى الامة فى الموسيقى وتذوقها الصوت الجميل والغناء الجميل يجعلها تتعشق الحرية وتأنف الضيم وتأبى المذلة » فمحيط المخ والعقل والشعور محدود، كل ذرة فيه تتأثر بأقل شىء وتؤثر بما تأثرت ـ والفكرة الجديدة قد تدخل فى الفكر فتقلبه رأسا على عقب وتجعل من صاحبه مخلوقا جديدا يقل وجه الشبه بينه وبين ما كان من قبل، فتجعله فى أعلى عليين أو أسفل سافلين

اذا كان هذا صحيحا، وكانت قيمة الثقافة الذاتية فى مقدار ما ترفعه فى المثقف من وجهة النظر الى الاشياء وتقويمها قيما جديدة اقرب الى الصحة، أسلمنا ذلك الى نتائج خطيرة ـ فدين خير من دين بمقدار ما تحاول تعاليمه من رفع مستوى النظر الى الله تعالى والى الحياة ـ وعلم خير من علم باعتبار ما يؤدى اليه من نظر راق صحيح ـ وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ولكن بمقدار ما أفاده العلم، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم، وبمقدار ما اوحت اليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال.

أحمد أمين

بل . . . صفحة بيضاء !

للأستاذ حسن جلال

كتب الأستاذ الكبير ـ أحمد أمين ـ تحت عنوان « صفحة سوداء » مقالا عن مصر كما يراها بعض مؤرخى العرب. تجمع كثيرا مما قاله القوم فى المصريين وفى طبيعة بلادهم. وكيف أن أرض مصر « تولد الجبن والشرور الدنيئة فى النفس حتى أن الأسد لم تسكنها ـ وهى إذا دخلت أرضها ذلت ولم تتناسل ! وكلابها أقل جرأة من كلاب غيرها من البلدان، وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره فى البلدان الأخرى » اه

وقد تفضل الأستاذ فرد على هذه التهم ولا سيما التهمة المسندة إلى كلاب مصر فانه أبدع فى تفنيدها وأشاد بذكر أرمنت وما يستطيع أن يفعله كلابها بجلد المؤرخ الذى فرط منه ذلك القول ونحن نشكره هنا . . بلسان أرمنت وما فيها !

ولكن بقيت بعد ذلك تهمتان نريد أن نقول نحن أيضا فيهما كلمتين: أما التهمة الأولى فهى الخاصة بأرض مصر وأن الأسد لا تسكنها، وأنها إذا سكنتها ذلت ولم تتناسل فيها لأنها ترث الجبن عن هذه الأرض. وهذا قول عجيب، فكأن التناسل من أعمال الشجاعة فى نظر ذلك المؤرخ الذى يحيط علمه الواسع ولا شك بما قال الشاعر من أن

« بغاث الطير أكثرها فراخا »

والحقيقة الواقعة أن التناسل لا دخل له بالقوة ولا بالضعف

ولا بالجبن ولا بالشجاعة . على أننا نكتفي في هذا الصدد بأن نحيل حضرة المؤرخ المحترم — كما يقول البرلمانيون — الى حدائق الحيوان بالجيزة فهي كفيلة وحدها بالرد على دعواه . وفى (بيت الأسود) فيها من الاشبال الكثيرة التي نبتت على أرض مصر وتحت سمائها ما يكفى لتفنيد مزاعمه !

*

والآن بقيت تهمة أرض مصر بأنها تفسد أهل مصر وتجعل ما في مصر أضعف من نظيره في البلدان الاخرى . وهذا ما نريد أن نقول فيه كلمة قصيرة . ونحن نطمع في أن يتصدى للإدلاء بالقول الفصل في هذا الموضوع رجال هم أقدر منا على ذلك بحكم علمهم ووقتهم واطلاعهم . على أننا نرى الموضوع لا يكفي فيه رد واحد يطلق في صحيفة واحدة ثم تنطوى الصفحة وينسدل الستار ، ونبقى نحن على ما عشنا فيه من الاتهام بالذل والضعف حتى من بعض مؤرخي العرب كأن لم يكفنا ما نلقاه نحن وهم على يد الافرنج من التجني إذ يقولون عنا — Les Arabes — ويقصدون بهذه اللفظة المفردة كل ما تنطوى عليه الفاظ الوحشية والهمجية والتأخر من المعاني !

ولعل الوقت الحاضر أنسب الاوقات للإكثار من البحث في هذا الموضوع ورد الحق الى نصابه والاشادة بمكانة المصري ومقدرته وما يمكن أن يأتيه من جلائل الأعمال لو تهيأت له الظروف . فلقد رأينا أخيرا أن هذه الدعوى التي رمانا بها مؤرخو العرب وغيرهم قد باتت يحلو ترديدها في فم بعض المصريين أنفسهم عن يقين منهم بصحتها . وتلك آفة الآفات والنكبة التي ما بعدها نكبة لهذه البلاد ، فان الايحاء أفعل من السحر . وانك لتستطيع أن تستأنس النمر الشرس لو أتيح لك أن تفهمه أنه هر أليف ، ثم تمضي تردد على سمعه هذا القول الهراء . فلينظر الذين يحلو لهم ترديد مثل ذلك القول المنكر إلى أين يهبطون بأنفسهم وبجيلهم وهم يهرفون بما لا يعرفون !

لقد قالوا إن الشعب المصري شعب ذليل بحكم سمائه وارضه . كذبوا ، فان سماء مصر وأرضها لا تنبتان الذل . وانما تنبتان العزة والقوة والقدرة على الاستقلال . وإني لأستنكف أن أذكر الفراعنة في هذا الصدد حتى لا يقال احتمى بمجد أمة ماضية ، ولاذ بعزة قوم غابرين . ولكني أكتفي بأن أنظر الى ما عليه مصر الآن . فان هذه البلاد العجيبة لما ينقض على نهضتها الأخيرة ربع قرن ، ومع ذلك برز من بين أبنائها أبطال عالميون في مختلف ميادين الحياة . لقد ظهر فيها أسماعيل سرى المهندس ، وعلى ابراهيم الجراح ، وخليل عبد الخالق البيولوجي ، ونبتت فيها لطفية النادى الطيارة ، ومحمود مصطفى المصارع ، وسيد نصير الرباع ، ونشأ بين أرضها وسمائها طلعت حرب المالى الكبير . ولست أذكر رجالا ظهروا في مستهل هذه النهضة ففتحوا الشام وهزموا الوهابيين واستعمروا السودان . فكل أولئك وغيرهم ما كادوا يلجون ميادين أعمالهم حتى تخطوا كل قرنائهم في أنحاء العالم . وحملوهم على التنحى لهم عن الصدر فتبوأوه ورفعوا راية مصر عالية فوق رءوس الجميع .

فما هو مدلول هذه الظاهرة عند كل ذى عينين غير أن الأمة التي أنجبت كل هؤلاء الأبطال في جيل واحد — وفى هذه الظروف القاسية التي تجتازها مصر الآن — لا يمكن أن يكون معدن أهلها كمعدن أهل غيرها من بلاد الله . وأنها لابد تمتاز على من عداها في حسن فطرتها وقوة ملكاتها وسلامة استعدادها .

ولئن كانت قد طغت على هذه البلاد موجات من الضعف والتأخر فهذه هى سنة الطبيعة في كل شىء . فما من شعب يدعى اضطراد سيره في سبيل التقدم والرقى منذ خلقه الله ، وأنه لم يطرأ عليه من عوامل الضعف ما جعله فريسة لغيره من الشعوب (وتلك الايام نداولها بين الناس)

ولئن صح ما يقال من أن دولا كثيرة استعمرت مصر ، فصحيح أيضا أن مصر من دون البلاد التي استعمرت كانت هى التي تأكل مستعمريها وتطبعهم بطابعها قبل أن تنطبع هى بطابعهم !

لقد حكم الاتراك مصر واشتهرت تركيا بفخامة مساجدها وعظمة قصورها . وأن هذه المساجد وتلك القصور لتشهد للصانع المصري بأنه هو الذى زينها ووشاها ، ورفع سمكها وسواها .

ولقد ولى (محمد على الكبير) أمر مصر ولم تك إلا نفخة قوية من صدره الشديد حتى انجاب عن جمرة مصر رمادها الذى خلفه عليها عجز المماليك ، فتوهجت هذه الجمرة ونضنض لهيبها ثم اشتعل واندلع لسانه طويلا فلف فلسطين والشام والحجاز والسودان وكاد يحرق آستامبول نفسها ، وروعت أوربا من طغيانه نحوها ، وأشفقت على سلطانها في الشرق أن تلفحه هذه النار ، فاجتمع العالم الغربي

كله ليقف فى وجه مصر ليكبح جماح المصريين يوم أن أفاقوا من سباتهم وتفتحت أعينهم من جديد على النور!

***

هذا هو الشعب المصرى الذى لا يمكن إلا أن يكون عظيما لأن العظمة فى دمه ولحمه، فى ماضيه وحاضره، فى أرضه وسمائه!

***

وحق مصر: لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا!

حسن جلال

فضائح المالية العليا فى فرنسا

للأستاذ محمد عبد الله عنان

(تتمة)

حدثت فى فرنسا، منذ كتبنا مقالنا الاول، تطورات سريعة خطيرة لم تكن فى حساب أحد؛ فإن وزارة مسيو دالادييه التى عقبت وزارة مسيو شوتان أو وزارة «الفضيحة» لم تستطع أن تواجه غضب الرأى العام، أو أن تهدىء روعه؛ ووقعت فى باريس وفى الأقاليم مظاهرات ومصادمات دموية خطيرة قتل فيها مئات وجرح ألوف؛ وشحنت حامية باريس بالجند المدجج تحوطا للطوارىء؛ ولاح مدى لحظة أن فرنسا ستغدو فريسة الحرب الاهلية، أو يتحطم فيها النظام الجمهورى لتقوم مكانه دكتاتورية مطلقة؛ ولكن وزارة دالادييه استقالت فى الحال؛ واستدعى مسيو دومرج رئيس الجمهورية الاسبق ليؤلف وزارة ثقة قومية؛ وقد وفق مسيو دومرج الى تأليف وزارته من شخصيات قوية بعيدة عن ريب الفضائح الاخيرة، وهدأ الرأى العام نوعا، ووقفت المظاهرات مؤقتا؛ ولكن فرنسا مازالت مترقبة جزعة؛ ومن المستحيل أن يتنبأ انسان بما قد يقع بعد هذا الهدوء المؤقت من الحوادث أو التطورات

كانت فضيحة ستافسكى المالية التى فصلنا حوادثها وظروفها بدء هذه التطورات الخطيرة وباعثها الاول. ويندر أن تجد فى صحف التاريخ الحديث جريمة أو جرائم مالية كالتى ارتكبها ستافسكى، تحدث فى سير الحياة العامة لامة عظيمة كفرنسا مثل هذه الآثار الفادحة، فتهدد سلامة نظام عريق بأسره كالنظام الجمهورى، وتدفع شعبا عظيما إلى نوع من الثورة أو الحرب الاهلية. ولكن فضائح ستافسكى كانت فى الواقع وصمة للنظام بأسره، وكانت دليلا ساطعا على أن عوامل الفساد والانحلال قد سرت الى جميع نواحى الحكم والادارة والحياة العامة الفرنسية كلها؛ وقد شهد الشعب الفرنسى فى روعة وسخط كيف يكشف التحقيق تباعا عن أن من بين وزرائه وحكامه وقضاته ونوابه رجالا يلحق الريب بذممهم ونزاهتهم، وكيف أن المجرمين الذين يدبرون اغتيال أموال الشعب يستطيعون بالرشوة أن يشتروا أولئك الذين اختارهم الشعب للسهر على أمواله ومصالحه، وان يستظلوا بحماية أولئك الذين عهد اليهم بقمع الجريمة، وان يجعلوا من القانون والقضاء اداة مشلولة. وقد رأينا مما تقدم كيف أن ستافسكى، وهو متهم بعدة جرائم نصب وتزوير، استطاع مدى ثمانية أعوام أن يتفادى نظر القضاء لقضيته، وأن يفوز بتأجيلها تباعا عشرات المرات، وانه لبث أعواما يمرح فى جرائمه واختلاساته مع أنه معروف لدى دوائر البوليس، ولم تكن جرائمه سرا من الاسرار. فأى دليل أسطع على فساد القضاء وتدهور القانون والأمن والنظام؟

وقد حاولت وزارة مسيو شوتان التى ظهرت فى ظلها هذه الفضائح ان تقمع الفساد بسرعة، فابعد منها الوزيران اللذان اتجهت اليهما الشبهة، وهما مسيو دالامييه وزير المستعمرات ووزير العمل السابق، ومسيو رينالدى وزير الحقانية؛ وقدمت الى البرلمان مشاريع قوانين بمعاقبة الرشوة والموظفين المرتشين بأشد العقوبات، وقبض على مدير البوليس القضائى وبعض زملائه ليحقق معهم؛ وقبض على النائبين جارا وبونور اللذين ثبت انهما تلقيا مبالغ طائلة من الافاق ستافسكى وعاوناه فى مشاريعه لدى الرجال المسئولين، وأحيل عدة قضاة من رؤساء الدوائر وأعضاء النيابة الى المحاكمة التأديبية لانهم تهاونوا فى نظر قضية ستافسكى فتركت معلقة عدة أعوام دون أسباب معقولة؛ ولكن هذه الاجراءات كلها لم تقنع الشعب ولم ترضه. وبدا للشعب بحق أن الجريمة أوسع مدى مما ظهر، وأن الداء أشنع وأبعد أثرا مما صور، وكان من اصراره وسخطه واضطرامه ان استقالت الوزارة «الملوثة».

واستقالت من بعدها وزارة دالاديه ، لأنها تستند الى نفس الأحزاب التى ينتمى اليها الرجال « الملوثون » ؛ وجاشت باريس وفرنسا كلها بموجة ثورية ، كادت تكتسح فى طريقها كل شىء لو لا أن تذرع الرجال المسئولون ببقية من الشجاعة والحزم ، وتقدم الرئيس الشيخ دومرج ليضطلع بأعباء الحكم فى هذا المأزق العصيب ؛ فألف وزارة ثقة قومية ارتضتها البلاد واستطاعت أن تبث نوعاً من الطمأنينة .

* * *

والآن نعد الى ستافسكى بطل هذه الفضائح المروعة التى كادت تبث الى فرنسا ضرام الحرب الاهلية

لقد شرحنا فيما تقدم طرفا من الحياة المالية العجيبة التى خاض غمارها هذا الافاق البارع ، وكيف انه ارتفع من العدم الى صف أعظم رجال المال ، وانشأ شركات وبنوكا عديدة ، وانتهى بأن انشأ بنك التسليف البلدى فى بايون ، واتخذه مع شركائه اداة لاصدار سندات مزورة بمئات الملايين كان يستولى على قيمتها ويبددها على بذخه ولهوه ، وشرحنا طرفا من الوسائل والاجراءات التى كان يتبعها لاختلاس هذه المبالغ الطائلة ، وكيف اكتشف أمره أخيرا وقبض على شريكه ومساعده الاول تسييه مدير بنك بايون ، فبادر بالإعتراف وقص على المحققين كيف كان هذا الاختلاس الهائل يدبر وينفذ مدى هذه الاعوام ، والقى كل مسئولية فيه على ستافسكى وزعم أنه ضحية نفوذه وإكراهه المعنوى .

وكان اكتشاف الحادث فى يوم ٢٢ ديسمبر ، ففى نفس اليوم غادر ستافسكى مسكنه الفخم بحى الشانزليزيه بباريس وودع زوجه وولديه ، وقال انه مسافر الى فينا لاعمال هامة . ثم اختفى فى نفس الوقت الذى صدر فيه أمر قاضى التحقيق بالقبض عليه ، وابلغ هذا الامر الى جميع مراكز البوليس والنيابة فى فرنسا ، والى جميع سلطات الحدود ، وطير الامر بواسطة الراديو واللاسلكى الى جميع البواخر الراسية فى الثغور الفرنسية والمسافرة فى عرض البحر ، فلم يكن ثمة وسيلة لأن يغادر ستافسكى فرنسا أو يجتاز الحدود الى أى بلد أجنبى ، وأطلقت فى أثره مئات من رجال البوليس السرى فى جميع المواطن التى يظن أنه قصد اليها ، ولكن ستافسكى ظل مختفيا عن العيان ، ولم يظفر انسان بأثره ، وأصرت زوجه على أنها لاتعرف شيئا عن مصيره ومكان اختفائه ولم تهتم قط بأن تعرف شيئا عن اعماله المالية .

على أن ادارة البوليس كانت على ثقة من أن ستافسكى لم يغادر فرنسا وأنه لايزال مختفياً بها بمعاونة بعض أصدقائه . وقد أسفرت تحرياتها المتواصلة فى النهاية عن تأييد هذه الحقيقة ، واستطاع بعض رجال البوليس السرى بعد أسبوعين من البحث والتنقيب أن يعثروا بآثار بعض أصدقاء ستافسكى فى مدينة « شومونى » احدى مدن الجنوب الجبلية ، واجتمعت لديهم القرائن والأدلة على أن الهارب قد التجأ الى هذه الناحية القاصية . وكان ستافسكى قد فر الى هذا المكان بمعاونة اثنين من موظفيه السابقين الذين كان يغدق عليهم عطفه وعطاءه ، واستاجر له أحدهما فى « شومونى » منزلا صغيرا منعزلا باسم مستعار ، ولجأ اليه ستافسكى مع صديقيه باسم مستعار أيضا ، ولزم غرفته ولم يغادرها ، فحاصر رجال الشرطة هذا المنزل بعد أن وثقوا من أنه هو المقصود ، وأن ستافسكى موجود فيه بلا ريب . ثم صعد بعضهم الى الطابق الأعلى ، وطلبوا الى ستافسكى أن يسلم نفسه ، وكان معتصما بغرفته ، فلم يجبهم أحد ، فاستمروا فى البهو الخارجى حينا يطلبون التسليم دون جدوى . وأخيرا دوت من الغرفة المحصورة طلقة نار ، وهوى جسم على الارض ، فكسر رجال البوليس باب الغرفة فى الحال ، فالفوا ستافسكى بعينه ملقى على الارض مضرجا بدمه فى النزع الاخير وقد اخترقت الرصاصة رأسه . وكان ذلك فى الثامن من شهر يناير الماضى .

هذا هو البيان الذى قدمته إدارة البوليس عن مصرع ستافسكى بطل الفضيحة الكبرى ، ورددته معظم الصحف الفرنسية . ولكن ثارت حول هذا البيان ريب وشكوك خطيرة ، وأنكرت بعض الدوائر صحته ، وأكدت أن ستافسكى لم ينتحر ، ولكن البوليس قتله قتلا لكى يخرس بذلك لسانه الى الابد فلا يفضى إلى المحققين بشىء من الاسرار التى يعرفها ، ولا يفضى بالاخص باسماء شركائه ومنهم كثير من الرجال المسئولين ، وبذلك يسدل الستار على أهم جوانب الفضيحة . وقد رددت هذه التهمة بقوة ، وقذف بها فى مجلس النواب فى وجه الوزارة ، واهتم لها الرأى العام . ويدلل أصحاب هذا الاتهام على صحته بقرائن شتى ، منها أن ستافسكى لو كان ينوى الانتحار لانتحر منذ البداية ، ولم يتكبد مشاق الفرار والاختفاء

وإن رجال البوليس حينما داهموه فى مخبئه انتظروا نحو ساعة قبل أن يحاولوا القاء القبض عليه؛ وأن رئيسهم اتصل أثناء ذلك تليفونيا بادارة البوليس فى باريس مع أنه كان يحمل أمراً صريحاً بالقبض على ستافسكى؛ ثم يقولون أيضا إن ستافسكى ترك بعد مصرعه طريحا ينزف الدم منه نحو ساعة ونصف ساعة قبل أن يسعفه الطبيب وسمح للمصورين أن يصوروه وهو فى هذه الحالة الخطرة؛ وأن المقصود بذلك كله أن يهلك ستافسكى قبل أن يستطيع الافضاء بشىء. وهذه أقوال لها قوتها بلا ريب. ونحن من جانبنا نرجح مقتــل ستافسكى لا انتحاره؛ خصوصا وأنه ثبت من التحقيق أن البوليس كان يتستر على ستافسكى؛ وأن بعض أكابر ادارة الشرطة البارزية وفى مقدمتهم مسيو جيشار مدير البوليس القضائى كانوا يتلقون منه الاعانات الطائلة؛ هذا الى أن الاختام القضائية لم توضع على مسكن ستافسكى البارزيسى؛ وعلى مكاتبه الا بعد عدة أيام من فراره؛ ولما فتشت لم توجد بها أوراق تفيد التحقيق فى شىء.

هكذا كانت خاتمة مسرح ستافسكى أعظم أفاق ومختلس فى العصر الحديث؛ بيد أن هذه الخاتمة لم تنجح شيئا فى تهدئة اضطرابات الرأى العام، ولم تفعــل سوى أن أثارت على وقائع الفضيحة وظروفها ظلاما جديداً. هل قبض على جميع المجرمين المسئولين عن تبديد أموال الشعب بهذه الجرأة المثيرة؟ أم بقى الاكابر المرتشون المتسترون كالعادة فى الظلام؟ هذا ما يتساءل الشعب الفرنسى عنه اليوم. والظاهر أن الشعب الفرنسى لم يقنع بان ما اتخذ من اجراءات القبض والتحقيق يكفى لقمع ذلك الفساد الذى يقضم النظم والحياة العامة كلها. فقد سقطت وزارة شوتان الادبية أمام غضب الشعب وسخطه؛ ولكن وزارة دومرج التى قامت مكانها ما تزال تصطدم بهذا السخط، وما تزال العاصمة الفرنسية تضطرم بمختلف المظاهرات، وما يزال الجو فياضا بمختلف الاحتمالات، والرأى العام لا يقف عنــد المطالبة بمعاقبة المجرمين المغتالين لأموال الشعب أيا كانت مراكزهم وصفاتهم، ولكنه يطالب أيضا بتطهير الحياة العامة من تلك الادران المشينة ووضع الضمانات الكفيلة بطمأنينة الشعب على أمواله وثقته بأن وزراءه ونوابه وموظفيه ليسوا شركاء للصوص والمختلسين؛ بعد أن دل التحقيق فى كل فضيحة من هذه الفضائح المالية الكبرى أن هنالك وزراء ونوابا وموظفين يشتركون مع اللصوص والمختلسين؛ ويمرحون معهم فى تبديد أموال الأرامل وصغار المودعين والمستثمرين؛ ويعاونونهم فى اجتناب سطوة القانون والعدالة. والواقع أن هذه الفضائح المالية الشاملة لم تبق فى فرنسا حوادث فردية؛ بل غدت ظاهرة قوية فى سير الحياة العامة. واذا تتبعنا تاريخ الجمهورية الثالثة وجدناه فياضا بتلك الكوارث المالية الفادحة التى يدبرها افراد اذكياء بمعاونة الرجال المسئولين، وتسفر دائما عن اختلاس مئات الملايين ونكبة مئات الالوف. وقد كانت هذه الحوادث فى بدء الجمهورية الثالثة تعتبر من مخلفات الامبراطورية؛ لانها ظهرت وتفاقمت فى أواخر عهدها؛ وان توطد النظام الجمهورى سوف يقضى عليها ويطهر الحياة العامة من ادرانها. ولكنها استمرت تتعاقب قوية مروعة فى ظل الجمهورية: ودلت كثرتها وتفاقمها فى الاعوام الاخيرة، حسبما بينا، على أن النظام الجمهورى او بعبارة أخرى على أن الديموقراطية تحتضنها وتسيغها. ويخشى اليوم أولئك الذين يقدسون النظم الديمقراطية، أن هذا الفساد الدفين الذى لم توفق الحكومة الديمقراطية الى قمعه؛ قد يصرف الشعب عن عبادة الجمهورية والديمقراطية، ويجعله أكثر قبولا لقيام النظم الفاشستية والطغيان المطلق. والديمقراطية تعانى اليوم ازمة شديدة؛ بعد أن سحقت فى ايطاليا والمانيا: وهى تهتز اليوم فى فرنسا ويخشى أن تنهار دعائمها اذا لم تتداركها الايدى القوية الماهرة. بيد أنا نستطيع أن نقول ان تطور الحوادث الاخيرة فى فرنسا كان ايضا ظفرا حقيقيا للديموقراطية فقد استطاع الشعب بقوة رأيه وارادته أن يسقط فى اسابيع قلائل وزارتين لم يثق بهما ولم يرتض حكمهما؛ وأن يقدم الدليل القوى على انه مازال فى ظل الديمقراطية سيد نظمه ومصايره؟

محمد عبد الله عنان

رجـــاء

الشيخ عبد الرحمن احمد مدير مكتبة الهداية بالخرطوم ووكيل مجـــلة الرسالة بالسودان يرجو من كل من حضرات الدكاترة والأساتذة طه حسين ومحمد حسين هيكل بك وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين ومحمد عبد الله عنان وابراهيم عبد القادر المازنى وعباس محمود العقاد أن يرسل اليه ١٠ نسخ من الكتاب الذى يؤلفه بعد الآن بمجرد ظهوره فى طرد يحول عليه بالقيمة.

حول الغموض والوضوح أيضا

للاستاذ عباس فضلي خماس

« هل يحسن بالشعر أن يكون واضحا حتي لا خلاف فيه
أم أن بعض الغموض فيه مغتفر بل مطلوب » — ط . ح —

يذكر قراء الرسالة ان الدكتور طه حسين كان قد عقد فصلا ممتعا حول غموض الشعر ووضوحه ، وكان خلال بحثه يرمي الى غاية ، وهى ان الشعر الغامض قد ينطوى على إبداع فني . ويذكرون ايضا انى علقت على الموضوع بكلمة ذهبت فيها الى ان الجمال والغموض لا يجتمعان فى صعيد واحد ، وانتهيت الى ان كل بديع فى هذا الكون من منظر الى صوت الى شعر يلازمه الوضوح كيفما تكيف وتطور او تصور ، وان الوضوح هو جوهر الجمال .

وكان لى من تعليقي على مقال الدكتور غرض جوهري لم يخف على القارىء الاديب كما كان لى من ورائه إمل فى ان ينشط الادباء للكتابة حول الموضوع بالنظر لما أعتقده فيه من خطورة . وقد تحقق شيء من هذا الأمل بتعليق الاديب الفاضل شوقى ضيف على مقالى حول الغموض والوضوح بما يعرفه القراء الذين تتبعوا هذا البحث .

يتساءل الدكتور طه حسين « هل يحسن بالشعر ان يكون واضحا حتى لاخلاف فيه »

نعم يحسن بالشعر ان يكون واضحا حتى لاخلاف فيه اذا كان هم الشاعر ان يضمنه صورا جميلة ، وسوانح رائعة ؛ لأن القارىء لايستطيع ان يتبين الصورة الجميلة اذا كانت مغمورة فى حجب الغموض الكثيفة ولاتتأثر نفسه بروعة السوانح الفكرية ، والخوالج النفسية اذا كانت متلفعة من الشعر الغامض بأستار مظلمة .

الشعر الفاظ وتعابير ، يستعين بها الشاعر على وصف مشاهد الكون وتصوير الحادثات ، والانفعالات والانطباعات النفسية المتكونة من تأثير المحيط الخارجي فى نفسه . فهو اذن وسيلة وليس غاية . والشعر بالفاظه وتعابيره واصطلاحاته واوزانه وقوافيه للشاعر كالقيثارة او الكمان او البيان للموسيقى . يجلس الموسيقى على شاطىء بحر فى ليل عاصف ، فتتأثر نفسه بصفير الرياح وهزيم الرعد وتلاطم الامواج ، فيحاول ان يصور تأثير نفسه بانغام يتخيلها اولا ، ثم يؤلف بين متصاعداتها ومتنازلاتها ، ويوفق بين تموجاتها مستعينا بآلاته الموسيقية حتى يهتدى الى تاليف قطعة موسيقية تتضمن من الانغام ما لو سمعها الانسان لشعر بنفس التأثير الذى تأثر به الموسيقى ولخيل اليه أنه فى مجلس ذلك الموسيقى من شاطىء البحر فى تلك الليلة .

ويجلس الشاعر مجلس هذا الموسيقى ؛ ويتأثر بنفس ما تأثر به زميله ، فيحاول ان يصف تأثره ويصور انفعالات نفسه بتخير الألفاظ والتعابير التى تحمل تلك التأثيرات الى نفوس السامعين ليجسم لهم الخيال المتولد من تأثير هذه الالفاظ والتعابير ، صفير الريح وهزيم الرعد ، كما يجسم لهم شعور الاستيحاش من الظلام الذى يشمل الطبيعة فى ذلك الموقف

هذا اذا كان الأول يملك من الآلات الموسيقية ومن القابليات الفنية الخاصة بالموسيقى ما تمكنه من بلوغ غاية نفسه .

واذا كان الثانى ذا نفس شاعرة حساسة دقيقا فى تصوره ؛ متقنا فى تصويره ، مالكا زمام الالفاظ والتعابير يحسن أستعمالها فى مواطنها ، حاذقا فى أسلوبه ، عالما بنفسيات الناس وما تتأثر به والى غير ذلك من الصفات التى يجب ان تتوفر فى الشاعر

فاذا لم يتصف الموسيقى بما مر ذكره ، أسمعنا ولاشك قطعة مزعجة فى نغماتها ؛ لاتناسب ولا وئام بين تموجاتها ، فلا تولد فى النفس التأثير الذى قصد الموسيقى اليه . وكذلك الشاعر اذا لم تتوفر فيه الصفات التى ذكرنا بعضها انشدنا كلاما غامضا لانكاد نتبين منه قصده ، واذا لم يتبين الانسان قصد الشاعر بما نظم فأين يا ترى يكون موضع الجمال ومحل الابداع ، وموطن الروعة من شعره ؟

لكى يفلح الشاعر فى وصف الجمال او القبح وتصوير اللذة او الالم وغيرها من الحادثات النفسية يجب ان يكون صافى الذهن والنفس ، واضحا فى تعابيره واصطلاحاته . استعرض مناظر الكون جمعاء ، تحت نور الشفق القانى الأدكن ، وتحت أشعة الهاجرة المتوهجة ؛ أو تحت نور الأصيل الذهبي الفاتح ، وتحر الجمال وابحث عن الروعة فى هذه المناظر ، تجد نفسك مهتديا اليهما دون أى عناء ، وتراك تنجذب الى مواطنهما كما تنجذب الفراشة الى الورود والازاهير الزاهية بالوانها الفياحة باريجها .

فالجميل يكهرب حواسك ، والبديع يمغطس مشاعرك ، فيجذبك اليه فتنجذب . وما ذلك الا للتناسب الظاهر بين اجزائه وللنظام المسيطر على تراكيب تلك الاجزاء والاشكال ، وهذا هو سر الوضوح .

استعرض دواوين الشعر ديواناً ديوانا ، واقرأ قصائدها واحدة بعد واحدة ، تجد نفسك تعرض عن قراءة بعضها بينما تقبل على قراءة بعض آخر ، ابحث في نفسك عن سبب اعراضك وتلمس دواعي إقبالك ، تجد أنك في الحالة الأولى لا تستطيع أن تهتدي تحت جنح ظلام الغموض الى الجمال واللذة اللتين تنشدهما نفسك كما تجد أن نور الوضوح في الحالة الثانية ينير نفسك فتهتدي الى الجمال وتلمس اللذة.

أما أن يكون هناك غموضان أو نوعان من الغموض كما يرى الأديب الفاضل شوقي ضيف ، فهذا ما لا أتفق معه عليه ولا إخال أحداً من الأدباء يوافقه في مذهبه.

فالكلام إما أن يكون واضحاً وإما غامضاً ، وكل ما نرى أو نسمع أو نلمس ، وكل ما تتأثر به أنفسنا بطريق الحواس : إما أن يكون واضحاً بتأثيره في النفس ، وإما أن يكون غامضاً ، ففي الحالة الأولى نتلذذ به لأن نفسنا تستطيع أن تلمس جماله ، وتعانق ابداعه ، وتحتضن روعته ، وفي الحالة الثانية نشمئز منه وننفر : فنفسنا لا تتأثر به ، لأنها لا تلمس منه إلا شيئاً واحداً ، وهو الألم الذي تعانيه من معالجة حل رموزه وطلاسمه . فاذا كانت ثمة نتيجة من قراءة الشعر الغامض ، فهي ليست حينئذ لذة من تلمس أثر جمال أو روعة ، وإنما هي شعور بألم الخيبة ، ولذة الراحة بعد العناء ..

ومثل الذي يعالج استنباط المعنى أو الغرض من الشعر الغامض ، كمثل من يتوهم أن في بقعة من الأرض ركازا ، فيظل ينبش أرض تلك البقعة الى أن يعييه الاجهاد ، ولما لم يجد ما يتوهم وجوده يطرح بمعوله جانبا وهو يلهث كما يطرح بنفسه على الأرض وهو غير مفلح إلا بشيئين : ألم ، ولذة . أما الأول فناشىء من شعور الخيبة في العثور على كنزه الموهوم . وأما الثاني فشعوره الناشىء من لذة الراحة بعد التعب والعناء ..

أما الأديب الفاضل شوقي ضيف فقد أوجد غموضين « يظلل الغموض الأول » من حنادس الليل بحجب وأستار » فجعله بذلك مشتملا على ظلام موحش وحلوكة دامسة . أما الثاني فقال عنه إنه غموض جميل « لا تنفر منه النفس ولا تستوحش ، وإنما تقبل عليه وتهش له وتجد فيه لذة ومتاعا كبيرا » ثم راح يشبه غموضه الجميل بالظلال التي لا تحجب النور » ، وارتأى أنه لا يحول بين المرء وبين التأثر الجميل بالقطعة الشعرية ، وأنه مثار للاعجاب ومبعث للسرور ، وما إلى ذلك .

والعجيب كل العجب أن الأديب الفاضل لم يبتعد كثيراً عن غموضه الجميل الذي شبهه بالسدول الرقيقة التي يرخيها الضباب على الطبيعة ، حتى أخذ يسرد لنا أسبابه ويشرح علله ، فاذا به يعود الى الضرب على نفس الوتر الذي ضربنا عليه ، فقال : إن كثيراً من الغموض يرجع أسبابه الى فقر اللغة وقصورها في الافصاح عن عواطف الشعراء وميولهم ؛ ثم أردف هذه الأسباب بأخرى وهي تعقد الحياة النفسية وإبهامها وغموضها ، ثم انتهى الى أن هذا الغموض سيظل مسيطراً على الشعر حتى تتضح الحياة النفسية .

أما قصور اللغة في الافصاح عن بعض الحوادث النفسية الدقيقة فأمر لا ننكره ولا ينكره أحد من الناس ، ولكن ذلك لا يعني بان الشعر الغامض يجب أن يكون منطويا على جمال رائع ، وفن بديع ، ولا يسوغ لنا أن نعتبر الكلام المرتبك الغامض شعراً كما أنه لا يجوز لنا أن نعتبر الناظم الذي لا يوفق لتصوير خوالج نفسه وعواطف روحه وانفعالاته شاعرا مبدعا

واذا القيت نظرة متأمل الى ضروب الشعر الوجداني والعاطفي تبين لك أن بين هذا الشعر ما قد تمكن من أن يصف لك أعمق العواطف البشرية وأدقها بأبرع اسلوب وأتم بيان ، ومنه ما كان بالفاظه وتعابيره أشبه بالاحاجي والالغاز منه بالكلام المفهوم

وقد يجوز أن تجيش في نفس الانسان بعض الخواطر البديعة والمشاعر الرائعة ، وقد يجوز أن يحتدم جيشانهما في أعماق نفسه فيضطرب شعوره بها ويظهر هذا الاضطراب ويفيض من جوانحه الى جوارحه فيصبح على أشبه ما يكون بثورة نفسية ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يظهر لغيره ما تكنه نفسه لأنه ليس بشاعر ليتمكن من التوفيق بين الكلمات والتأليف بين التعابير والمصطلحات اللفظية التي تحمل الى نفوس الناس وافهامهم ما خالج نفسه وما أثار شعوره وإحساسه ، أو لأنه ليس برسام ليستطيع أن ينقل بريشته الوان تلك الصور والأشكال التي تأثرت بها نفسه ، أو لأنه ليس بالفنان الذي يستطيع أن يستخدم وسائل فنه لتصوير ما جاشت به نفسه ووصف ما اضطرب له حسه .

فان شعوره ولا شك يبقى مطمورا في باطنه ، ولا يمكن البتة ان يتأثر احد سواه بما تأثر به هو ، ومثل الشاعر الغامض الذي ينظم

قصيدة فيقرأها الناس ولا يفهمون ما ارادبها وماقصد ، فيضطرون الى ان يسألوا منه عن مراده وقصده ـ كمثل كل انسان اعتيادى بما يشعر به تجاه مظاهر الكون وحوادثه .

والسبب الثانى الذى اورده الاديب الفاضل شوقى ضيف على غموض الشعر هو تعقد الحياة النفسية وابهامها ، ولعله قاصد بهذا التعقد والابهام عجز الانسان عن تبين ماهية بعض من ميول نفسه ونزعاتها ورغباتها وانفعالاتها و . . . الخ

نعم ان الحياة النفسية معقدة بالرغم من مجهودات البشر العلية فى تحليلها الى ابسط ما يمكن ، وستظل معقدة بل سيزيد تعقدها وابهامها كلما تقدمت جهود الانسان العقلية فى البحث عن كنه النفس واسرار حوادثها .

اما ان يظل الشعر يلازمه الغموض ما دامت الحياة النفسية غامضة فهذا حكم غير صائب ، ولعل الاديب الفاضل قد تورط اضطرارا فى هــذا الحكم وذلك لأنه ضيق على نفسه بيده مجال البحث فناط بالشعر وحده دون سواه من الفنون الجميلة اماطة اللثام عن اسرار هذه الحياة النفسية .

لا يا أخى شوقى ! ما كان الشعر فى جميع أدوار حياته ، ولن يكون وحده الكفيل الضامن للنهوض بهذا العبء الثقيل ، فقد وجدناه فى سالف العصور ونجــده الآن يمد يده الى اخوته ، الفنون الجميلة مثل الرسم والنحت والموسيق حتى الرقص يستعين بها على بلوغ هذه الغاية .

فهناك بعض الحوادث النفسية لا يستطيع الشعر أن يصفها بما لديه من وسائل ، وتستطيع ريشة الرسام أن تبرزها واضحـــة ، فعدم إستطاعة الشعر فى مثل هذا الموقف يجب ألا نعتبره عجزاً منه وتقصيراً بل هو فى الحقيقة تكليفه بالخروج عن نطاق اختصاصه وقابليته كما أن هناك بعض الخوالج النفسية يعجز عن ابلاغها إلى النفوس كل من الشاعر والرسام والمثال والموسيق ، ولكن راقصة رشيقة فنانة تتمكن بحركات خاصة أن تعبر عنها وتجسم تأثيرها فى النفوس .

فمطالبة الشعر وحده بكشف أسرار الحوادث النفسية ووصفها وتصويرها على إختلاف أنواعها وضروب تأثيراتها هو السبب الذى حدا ببعض المفكرين أن يرموه بعلة الغموض ، هذه العلة التى راحوا بعد اختراعها يتحرون بين طياتها الجمال الموهوم والإبداع المزعوم .

بغداد — عباس فضلى خماس

فى محكمة التاريخ

الوزير مؤيد الدين بن العلقمى

هل غدر بأمته وخليفته ؟

— ١ —

إن موضوع الخيانة العظمى التى تتهم جمهرة المؤرخين هذا الوزير بها موضوع دقيق ، إذ ليس لدى من يتعرض لهذا الحادث التاريخى المهم الادلة الكافية التى تخرجه بنتيجة حاسمة لا جدل فيها ولا مغالطة ، وكيف يتسنى لكاتب ان يصل لحقيقة تحيط بها الشكوك وتكتنفها الظنون ؟ لأن ما يظهره بعض من كتبوا او قل تعرضوا لهذا الأمر الخطير من ميل مع هوى النفس وخضوع للعواطف يزيد فى التحير والتشكك . زد على هذا وقوع هذا الحادث فى فترة فوضى واضطراب استولى الرعب فيها على مشاعر الناس ، وكيف لا وهى فترة تقتيل وتشريد وتحريق وتدمير . وفى احوال كهذه يجب الشك ، ويلزم الحذر والتنبه لاكثر ما يروى عما يقع عادة فى خلال هذه الاحوال المضطربة ، لأن الفزع والذعر يخرجان المرء عن الطبيعة الهادئة المتروية التى تطلبها رواية الحوادث ولا سيما الهامة منها . فالاضطراب والتشويش صنوان متعانقان فضلا عن رواج سوق الشائعات ، ولا سيما الباطلة منها فى اوقات الانقلابات والاحداث السياسية المبهمة .

وسأضع الآن بين أيديكم ما تقوله المصادر الأوليـــة عن هذا الحادث ، مبتــدئا بالمصادر حسب اوليتها ، وبعد أن افرغ من ذلك سأحاول جهدى المقابلة بين المصادر ، ثم نقده واطن الضعف فى كل مصدر . وأبدأ بمـا يقوله ابن الطقطقى فى صدد الكلام عن مخامرة الوزير (ونسبه الناس انه خامر . وليس ذلك بصحيح . ومن أقوى الادلة على عدم مخامرته سلامته فى هذه الدولة ، فان السلطان هلاكو لمـا فتح بغــداد وقتل الخليفة سلم البلد الى الوزير وأحسن اليه وحكمه ، فلو كان قد خامر على الخليفة لمـا وقع الوثوق اليه) (١) وبعد أن ينتهى من هذا البرهان يذكر لنا روايته عن تصلب الوزير واصراره على عدم الخروج الى هلاكو . ويروى المؤرخ هــذه الرواية عن ابن أخت الوزير ، ومآلها أن الخليفة طلب وزيره وقال

(١) الفخري ، طبعة مصر ، ص ٣٠٢ .

له (قد أنفذ السلطان بطلبك ، وينبغي أن تخرج اليه ، فخرج الوزير من ذلك ، وقال يا مولانا اذا خرجت فمن يدبر البلد ومن يتولى المهام ؟ فقال له الخليفة لابد من أن تخرج . قال فقال السمع والطاعة ، ثم مضى الى داره وتهيأ للخروج ثم خرج .. فلما حضر بين يدى السلطان وسمع كلامه وقع بموقع الاستحسان . . . . . . فلما فتحت بغداد سلمت اليه والى على بهادر الشحنة فمكث الوزير شهوراً ثم مرض ومات رحمه الله فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة) . (١)

اما ابو الفدا فيقول فى كلامه عن استيلاء التتر على بغداد وسبب مجيئهم (ان وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمى كان رافضيا ، وكان اهل الكرخ ايضا روافض ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جارى عادتهم فأمر ابو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدواادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى وكاتب التتر واطمعهم فى ملك بغداد) (٢) وبعد ان يذكر ما وقع بين جند الخليفة وجند السلطان وتغلب السلطان وتقدمه لحصار بغداد (خرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمى الى هلاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال إن هلاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبى بكر ، وحسن له الخروج الى هلاكو فخرج اليه المستعصم فى جمع من اكابر اصحابه فأنزل فى خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والاماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون ، وكان منهم محى الدين بن الجوزى واولاده وكذلك بقى يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة ، فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم (٣)) .

ويجىء بعد ابى الفدا ابن الوردى وهو يأخذ عن ابى الفدا احيانا بالحرف ، ولولا انه ذكر اشياء لم يذكرها ابو الفدا لاغفلت ذكره ، وهو بعد ان يذكر ما ذكره ابو الفدا عن فتنة بغداد وما ارتكب من الامور الشنيعة ، وان ابن العلقمى ارسل الى هلاكو يستقدمه يورد نص الرسالة التى ينفرد بذكرها فيقول (وكاتب التتر واطمعهم فى بغداد وطمع الخبيث الغوى فى اقامة خليفة علوى) . (قلت) وكتب ابن العلقمى الى وزير اربل يطلعه على ذلك فى رسالة (منها) أنه قد نهب الكرخ المكرم وقدديس البساط النبوى المعظم وقد نهبت العترة العلوية واستوسرت العصابة الهاشمية وقد حسن التمثيل بقول شخص من غزيه

امور تضحك السفهاء منها ... ويبكى من عواقبها اللبيب

قد عزموا على نهب الحلة والنيل ، بل سولت لهم أنفسهم أمراً فصبر جميل .

أرى تحت الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

ومنها :

وزير رضى من حكمه وانتقامه ... بطى رقاع حشوها النظم والنثر

كما تسجع الورقاء وهى حمامة ... وليس لها نهى يطاع ولا أمر

« فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون »

ووديعة من سر آل محمد ... أودعتها إن كنت من أمنائها

فاذا رأيت الكوكبين تقارنا ... فى الجدى عند صباحها ومسائها

فهناك يؤخذ ثار آل محمد ... وطلابها بالترك من اعدائها

وكن لما أقول بالمرصاد ، وتأول أول النجم واحرص) (١) ثم يقول فى شأن الرسول وكيف أرسل بالرسالة الى هلاكو (فارسل ابن العلقمى الى التتر أخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد فى جحفل عظيم (قلت) أراد ابن العلقمى نصرة الشيعة فنصر عليهم ، وحاول الدفع عنهم فدفع اليهم ، وسعى ولكن فى فسادهم ، وعاضد ولكن على سبى حريمهم وأولادهم ، وجاء بجيوش سلبت عنه النعمة ، ونكبت الامام والأمة ، وسفكت دماء الشيعة والسنة ، وخلدت عليه العار واللعنة) . (٢) ثم يقول عن عاقبة الوزير : وفيها أى فى سنة ٦٥٦هـ (توفى ... والوزير المتبر مؤيد الدين محمد بن محمد العلقمى الرافضى ، قرر مع هلاكو أموراً فانعكست عليه وعض يده ندما وصار يركب اكديشا فنادته عجوز يا ابن العلقمى هكذا كنت تركب فى أيام المستعصم ؟ ووبخه هلاكو آخراً فمات غما وغبنا ، لا رحمه الله ومات ابنه بعده) (٣) أما صاحب فوات الوفيات فيذكر ان الوزير ظل مخلصا لأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار ما وقع من اختلاف ، فعضدت الحاشية الدوادار فضعف أمر الوزير فرفعته الضغينة والحقد ان يسعى فى ادالة

(١) الفخرى ص ٣٠٢ — ٣٠٣
(٢) أبو الفدا ج ٣ ص ١٩٣
(٣) أبو الفدا ص ١٩٤

(١) تاريخ ابن الوردى طبعة مصر ج ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦
(٢) ابن الوردى ص ١٩٦
(٣) ابن الوردى ص ٢٠١

الدولة فأخذ (يكاتب التتر الى ان جرأ هلاكو على أخذ بغداد وقرر مع هلاكو أموراً انعكست عليه وندم حيث لاينفعه الندم ،وكان كثيراً مايقول - وجرى القضاء بعكس ماأملته ، لأنه عومل بانواع الهوان من اراذل التتر والمرتدة)(١) ثم يستمر ابن شاكر في حديثه فيروى لنا كيف ابلغ الوزير رسالته الى التتر ،فقد إبتدع خطة جهنمية قد لاتخطر لانسان فيقول المؤرخ (وحكى انه لما كان يكاتب التتر تحيل الى ان أخذ رجلا وحلق رأسه حلقاً بليغا ، وكتب ماأراد عليه بالابر ونفض عليه الكحل وتركه عنده الى ان طلع شعره وغطى ما كتب فجهزه وقال اذا وصلت مرهم بحلق رأسك ودعهم يقرأون مافيه. وكان في آخر الكلام «قطعوا الورقة» فضربت عنقه وهذا غاية في المكر والخزى) (٢) أما عن نهاية الوزير فيروى انه مات بعيد استيلاء التتر على بغداد بتأثير الغم والغيظ على ماأصابه من التتر في سبيل انتقامه من الدوادار ومشايعيه (٣) ويقول ابن خلدون في كلامه عن هلاكو (وقصد قلعة ألموت وبها صاحبها علاء الدين فبلغه في طريقه وصية ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلايا صاحب اربل يستحثه للمسير الى بغـــداد ويسهل عليه امرها لما كان ابن العلقمي رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ ،وتعصب عليهم أهل السنة بان الخليفة والدوادار يظاهرونهم ، وأوقعوا باهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمي ودس الى ابن الصلايا باربل وكان صديقا له بان يستحث التتر لملك بغداد ، وأسقط عامة الجند يموه بانه يصانع التتر بعطائهم ، وسار هلاكو والتتر الى بغداد) (٤) وبعد أن يذكر فظائع التتر ببغداد وما قتلوا من أنفس أحصي عددها فبلغ المليون والثلاثمائة ألف يقول (... واستبقى ابن العلقمي على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام في الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه فبقي على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلاكو) (٥)

ويقول دحلان في كلامه عن مجيء التتر (وكان من أعظم الاسباب أن ابن العلقمي وزير المستعصم كان رافضيا وكان يريد نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين فكاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد ... اما ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد وذاق من التتر غاية الذل والهوان ، فان هلاكو استدعاه بين يديه وعنفه على سوء مافعله مع أستاذه ، ثم قتله شر قتلة ، وقيل إنه مات حتف أنفه غما وكمدا) (١)

مناقشة المصدر في العدد القادم

فرحان شبيلات
الجامعة الأمريكية (بيروت)

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٥٢ (٢) فوات الوفيات ص ١٥٣
(٣) فوات الوفيات ص ١٥٢ (٤) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٢ (٥) ابن خلدون ص ٥٤٣

(١) الدول الاسلامية في اول الجداول المرضية ص ٥٠٢

خــــواطر

للاستاذ أديب عباسي

١ - الفضيلة سياج من شوك ليس له باب ، يجد الداخل اليه والخارج منه صعوبة على السواء .

٢ - كثيرون يخلقون عندما يموتون .

٣ - مساوىء المرء تدفن معه .

٤ - بعض الناس كالموائع يتشكلون دائما بشكل الاناء الذي يوضعون فيه .

٥ - كلما دنت النفوس من الأرض هان قطافها - شأنها شأن الثمر .

٦ - أفراح الحياة واتراحها ممتزج بعضها ببعض . لهذا كان من المستحيل أن ينال امرؤ حظا من الحياة خالصاً من الاتراح ، أو خالياً من الأفراح .

٧ - أكثر الذين يظنون انهم يحبون غيرهم لايحبون في الحقيقة غير نفوسهم .

٨ - يحب الرجل الانكسار في المرأة لأنه تعود اذلالها .

٩ - من لاتحفزه همته الى الاهتمام بنفسه لايستطيع احد ان أن يحمله على ذلك .

١٠ - من الناس من يخلقون اذنابا : ومن العبث المسرف أن تجعلهم رؤساء .

١١ - ليس آلم للنفس من رؤية الرذيلة في ثياب الفضيلة والذئب في ثياب الحمل

١٢ - المتكبر كالراية الجرداء ..

١٣ - يحب الشهرة جميع الناس : ولكن العاجزين يتظاهرون بالرغبة عنها .

١٤ - شر الناس واشدهم خطرا هم اولئك الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، لأن من بدت للناس سريرته هان عليهم اتقاؤه مهما كان شره .

١٥ - ينعم الجاهل بجهله كما ينعم الحكيم بحكمته .

١٦ - ضعيف الأرادة كالمريض المدنف عرضة لتغيرات البيئة .

١٧ - كثير الكلام كالصبي لا يستطيع ان يعطيك فكرة محبوكة الاطراف .

١٨ - تحب المرأة في الرجل الصفات التي هي تخلو منها وكذلك الرجل . فكأنهما فيما قصد الطبيعة امتزجا على هذا النحو ليخرجا المخلوق الكامل .

١٩ - الجهل صحراء محرقة لا يعيش فيه الا من تعوده .

٢٠ - الضمير الحي كالإبرة لا تستطيع ان تمعن في الضغط عليه .

٢١ - المصائب الكبرى تبتلع الصغرى .

٢٢ - كلما كثرت اغلاط المرء قل اهتمامه بها .

٢٣ - من حرص على اخفاء عيوبه فقد قلل منها .

٢٤ - الفن هو فوق على قدر ما يستولى علينا ويستغرق حواسنا ومشاعرنا .

٢٥ - رحب الصدر كالبحر مهما جاش وأزبد يبقى في موضعه .

٢٦ - المتكبر كالرجل فوق الجبل يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيرا

٢٧ - ما أغرب ما تكون حياة المرء لو عمل بكل ما يفكر به .

٢٨ - اذا فقد الذئب أنيابه صار حملا

٢٩ - النبع العميق لا تعكره الحصاة الصغيرة

٣٠ - الأمل يزيد القوى قوة والضعيف ضعفاً

٣١ - من لا يقتنع بالحق لا يستطع أن يقنع به أحداً

٣٢ - الوضيع كالدخان لابد عائد الى مصدره الوضيع مهما ارتفع .

٣٣ - بعض الناس كديك الهواء يميلون دائما حيث تميل الريح

٣٤ - من تكلف الصدق فقد كذب

٣٥ - نزعة الدفاع عن النفس يذكيها ويغذيها فينا الشعور بالنقص والحرمان من جهة ، وما فطرنا عليه من حب للكمال وكره للنقص من جهة أخرى . ومن هنا كانت هذه النزعة بين الناس في هذا الحد من الشيوع

٣٦ - من الناس من اذا أعياه الإرتفاع الى مستوى الأغيار حاول النزول بهم الى مستواه

٣٧ - ان العبقري كالمصباح القائم على عمود عال يرى ويلاحظ من بعيد ، ولكنه في الوقت ذاته يبدى للمشاهدين كل ما يحيط به ويرتكز عليه .

٣٨ - المرأة كالأطفال تأسرها الروايات المغرقة في الخيال . وهذا ليس أمراً عارضاً : إنما هو تعبير صامت عن شعورها بالضعف ومقياس لمقدار ما تشتهيه من قوة ونفوذ : فتعوض عن ذلك بطريق الخيال .

٣٩ - ان الميل الذي يظهره البعض الى الزهد والتقشف قد لا يكون له من أساس إلا طلب المتعة من جهة ، والعجز عن نيلها من جهة أخرى . فينطبق عليهم مثل الثعلب والعنب .

٤٠ - ان الخطيب الذي يهبط كلامه الى قرارة النفوس هو الخطيب الذي يقول « نحن » ولا « أنتم »

٤١ - العبقري جبل شاهق بين سلاسل من التلال المطمئنة ، فيشعر أوساط الناس — الذين يقيسون اقدارهم الى قدره — بأنوارهم تكسف وأقدارهم تتضاءل . ومن هنا ترانا الى تضخيم سيئات العبقري أميل ، وبتشويه سمعته أعلق ، كأننا ننتقم منه لعزتنا الجريحة .

٤٢ - العبقري لا يبالي ما اصطلح عليه الناس من عادات وما تواضعوا عليه من أخلاق ، لأنه أعظم من أن تحده مثل هذه الحدود ، أو تقيده مثل هذه القيود .

٤٣ - لا يوصف العبقري بالاعتدال (والاعتدال دائما النزول على حكم الأكثرية) . ومن هنا ما يجده العبقري من تأييد شديد وعداء شديد . فهو في آرائه ونزعاته وأخلاقه ينحاز غالبا الى أحد طرفي المبالغة . وهو - لذلك - يوافق فئة أشد الموافقة ويخالف فئة أشد الخلاف

٤٤ - لا ترسل الطبيعة العبقري بوقا يردد صدى أصوات الجمهور ، انما ترسله نوراً وهداية يؤتم به ويهتدى بهديه .

شرق الاردن — أديب عباسي

يوم سقراط الأخير فى منزله

للآنسة أسماء فهمى

درجة شرف فى الآداب

تهمنا ناحية خاصة من تعاليم الفيلسوف سقراط ، التى سجلها أفلاطون فى « الجمهورية » ، وهى رأيه فى تعليم النساء ، فقد كان يقول بوجوب تعليم الممتازات منهن تعليماً لا يختلف عن تعليم الرجال الممتازين ، لإعدادهن لتولى منصب الحكام الفلاسفة فى المدينة النموذجية ، إذ لا يرى اختلافاً جوهرياً بين استعداد المرأة واستعداد الرجل . يرى سقراط هذا الرأى فى وقت انحطت فيه مكانة المرأة فى أثينا وأصبحت لا تمتاز من الأرقاء إلا قليلا ؛ وبالرغم من أنه كان يعيش مع زوجة يضرب بها المثل فى شراسة الطباع ورعونة الخلق . وهذا لا شك برهان قوى على استقلال رأى الفيلسوف وسموه على الآراء السائدة ، والمؤثرات الخارجية ؛

واعترافاً بفضل سقراط على المرأة سأبين فيما يلى ما عاناه من عنت زوجه « زانتيب » فى يومه الأخير بداره قبل القبض عليه ، مستعينة بالرواية التى وضعها Clifford Banks عن حياة الفيلسوف .

° ° °

فى صباح يوم راق جوه ، وسطعت شمسه ، آثر سقراط البقاء فى منزله على غير العادة ، فلم يخرج للحوار والمجادلة فى أسواق أثينا ، وإنما جلس على مقعد خشبى عتيق فى فناء داره التى كان يستعملها غرفة استقبال — وأخذ يخصف حذاءه : ولعل ذلك مامنعه عن الخروج ذلك اليوم ؛ وتلك عملية كانت تجدد ولا شك كل بضعة أسابيع ، لأن الفيلسوف كان لا يستعمل شيئاً أكثر من نعليه سوى لسانه !

وبينما هو على تلك الحال ، ولحيته الطويلة البيضاء المرسلة تكاد تخفى الحذاء وتعوق سير العمل ، اذا بزوجته زانتيب تنقض عليه انقضاض الصاعقة وتفاجئه قائلة :

ـ انت هنا يا سقراط ؟

ـ نعم يازانتيب ، ولكنى لا أفهم المقصود من تلك العبارة ...؟

ـ وما الذى تفهم من شئون الحياة ؟ . سأفرغ من اعداد طعامك بعد دقائق ..

ـ حسن جداً .

ـ الطعام المعتاد طبعاً .

ـ جميل للغاية .

ـ أحقاً ماتقول ؟! لو كنت تعدل عملا شريفاً وتحصل منه على بعض النقود مثل سائر الرجال المجدين لما أصبحنا فى حاجة لأكل العيش والعدس يوماً بعد يوم .

ـ إن من لا يسأل غير الكفاف يازانتيب يكون بلا شك أعظم الناس شبهاً بالآلهة !

ـ أبق هذا الهذيان حتى تكون مع صحبك الأعزاء . أما أنا فلا تهذ معى ..

ـ لقد خلق كلانا محباً للكلام !

ـ لقد خلقت محباً لذاتك ، وتلك هى مصيبتك .

ـ ربما ...

ـ أيهمك أمرى أو أمر الأطفال ؟ لو كنت تفكر فينا حقاً لما جننت لدرجة أنك أصبحت تناصب الحكومة العداء .

ـ ما الذى سيحل بى ؟

ـ أريد أن أعلم ـ عندما يلقونك فى أعماق السجون ؟

ـ عندئذ تصبحين أسعد حالا .

ـ وكيف ذلك ؟ هل لى أن أسأل ؟

ـ إن أصدقائى لا يفتأون يقدمون الى نقوداً ...

(زانتيب مقاطعة) وأنت دائماً ترفضها .

ـ بالتأكيد ! أما أنت فسوف لا ترفضينها !

- وهل تريد أن أموت جوعاً؟ أما عن أصدقائك فانى أبغضهم جميعاً ماعدا « السيباديس » الانيق! انى لا أستغرب ان يقتل الشبان الموسرون أوقاتهم فى المجادلة فى أمور تافهة، ولكن الذى استغربه هو عدم ترك الرجل الفقير لتلك الأمور لمن هم فوقه مرتبة.

- لقد أشتغلت بجد فى شبابى

- وانفقت كل ماجمعت على الناس! آه لقد نفد معين الصبر معك!

- لقد لاحظت ذلك

- آه. كم أود أن تغتاظ وتفقد حلمك معى! انى كمن يحاول إيقاد خشب مبتل

- لاتحاولى ذلك

- حقاً لك! أعازم على الدخول انت؟

- سريعاً.

- سوف لا تجد من الطعام غير الماء البارد

- هو كل ما أريد

(يسمع طرق على الباب)

زانتيب: - من الطارق؟ إذا بقيت هنا للكلام فقد لا تجد طعاما مطلقا. (تخرج)

سقراط: يفتح الباب ويدخل « مليتاس » الشاعر.

سقراط: انك لتفاجئنى!

مليتاس: أتسمح لى بالبقاء دقائق معدودة؟

سقراط: بالطبع. ولكنك منذ ثلاثة أيام قلت إنك سوف لا تكلمنى أبداً

مليتاس: لقد كان ذلك هياجاً سخيفاً. لقد كنت على صواب وكنت أنا على خطأ وقد جئت لأقر بذلك الآن بجانب غرض آخر

سقراط: وماهو الغرض الآخر؟

مليتاس - أن أسألك عما اذا كان فى إحضارى صديقين من أصدقائى للحديث معك عمل خارج عن حدود الحرية المألوفة. انهما يتلهفان لمعرفتك

سقراط - بابى لكل وارد مفتوح.. من هما؟

مليتاس - أنيتاس الدباغ، وليكون الخطيب من ذوى المستقبل الباهر فى السياسة.. ولقد سنحت لهما الفرصة الآن طبعا.

سقراط - الآن؟ ولم الآن؟

مليتاس - أحقا إنك لم تسمع بعد؟

سقراط - لم أخرج اليوم من منزلى قط.

مليتاس - إذن أنا الذى سازف اليك النبأ السار: لقد سقطت الحكومة الاستبدادية وقامت مكانها حكومة ديمقراطية.

سقراط - معنى ذلك نفى عدد جديد من الناس على ما أعتقد.

مليتاس - معناه أنك أصبحت بعيداً عن الخطر الآن.

سقراط - نعم! ولكنى واثق من إغضاب الحكومة الحاضرة كما أغضبت السالفة.

مليتاس - وهل نسيت أن لك عـــدداً كبيراً من الأصدقاء فى أثينا؟

سقراط - لى أضعاف أضعافهم من الاعداء.

(يسمع طرق على الباب)

مليتاس - هاهما ذان قد حضرا!

سقراط - من أعدائى؟

مليتاس - كلا. كلا. بل قل أصدقاءك الجدد (يدخل أنيتاس الدباغ وليكون الخطيب)

مليتاس - ها قد أتيتما. هذا أنيتاس الدباغ وليكون الخطيب

سقراط - اجلسا على الرحب والسعة.

ليكون - ان من دواعى فخارى أن أتعرف اليك الآن

أنيتاس - وإنه ليسرنا نجاتك المدهشة.

ليكون - قد تتساءل عن سبب زيارتنا لك الآن؟

سقراط - صدقت.

ليكون - إننا ديمقراطيان متحمسان

أنيتاس - ونعد الديمقراطية النوع الوحيد من الحكومات الذى يرضى أفراد الشعب الذين يحترمون أنفسهم ويعتزون بالكرامة.

ليكون - وإنه ليسرنا أن سقراط العظيم يوافقنا فى بالرأى

سقراط - ان نوع الحكومة لا يفضل أى نوع آخر، بل كل شىء يتوقف على الأشخاص الذين يحكمون بالفعل.

مليتاس - ولكنك بالطبع تؤيد المبادىء الديمقراطية؟

سقراط - هل لليكون أن يعرفنى ماهى لأنه كما يبدو أكثر احتمالا لغباوتى من غيره؟

ليكون ـ الديمقراطية هى الحكومة القائمة على رغبة الشعب ، وهى المبنية على المساواة المطلقة بين الافراد .

سقراط ـ عظيم جدا . . . ولكن هل لى أن أسأل بعض الإسئلة بحسب طريقتى المعروفة .

زانتيب (من الداخل) سقراط ! سقراط !

سقراط ـ هى زوجتى تعلن اعداد الطعام

ليكون ـ اذن يجب أن نستأذن للخروج

سقراط ـ انى أفضل الحديث على الطعام .

مليتاس ـ اذن سل ماتشاء .

سقراط ـ سأبدأ بسؤال ليكون : اتسلم مبدئيا بمقتضى مالديك من التجارب أن التجارة مثلا ليست من الأمور الهينة وكذلك إدارة الجيش

ليكون ـ بالتأكيد .

سقراط ـ وأن إدارة الحرب يدخل ضمنها التجارة والجيش والزراعة وأشياء أخرى صعبة الحصر ؟

ليكون ـ بالطبع .

سقراط ـ وأن من الضرورى أن يدير حكومة كهذه كثيرة الفروع مختلفة الاغراض أعقل الأفراد ؟

ليكون ـ بالضرورة .

سقراط : وهؤلاء يختارون بالتصويت العام . أليس كذلك؟

ليكون : هو ماتقول

سقراط : وانت تقول إنه لابد من اشتراك الافراد فى الحكومة اشتراكا مبنيا على المساواة فى التصويت ماداموا يتساوون فى الدفاع عن الأوطان؟

ليكون : مازلت محتفظا بنظريتى .

سقراط : ومعنى ذلك أن الفرد الغبى له سلطة تعادل سلطة الرجل الذكى ، والنتيجة تكون اختيار افضل الرجال ؟

ليكون : (بغضب) إننا نعتمد على الاجماع الذى لايضل :

انيتاس : وما الذى ترمى اليه من محاورتك هذه ؟

(تدخل زانتيب)

زانتيب : بمثل هذا الإهمال تعامل الزوجة الصالحة التى تجهد نفسها فى طهى العدس ؟ ألا فاشهدوا أيها الرفاق على عقوق الأزواج ! هيا انهض معى وإلا أرك كيف يكون الانتقام

سقراط : معذرة أيها الرفاق فانا ذاهب معها ! (يخرجان) .

مليتاس : ألم اقل لكما إنه عدو للحكومة والشعب ؟ اذهب ياانيتاس وأحضر من يتولى القبض عليه فهو كما تبين لكما خائن للحكومة وكثيرا ماعاث فى الارض وأفسد عقائد الشيوخ والشبان .

(يخرج انيتاس)

(يدخل سقراط)

سقراط ـ أين انيتاس وكيف يخرج غير مسلم ؟

ليكون ـ لقد طلب إلى أن أعتذر اليك إذ تذكر موعداً أنساه إياه حديثك العذب الطريف . . الآن وقد استنرت بآرائك فى السياسة فهل لى أن أطلب هدايتك فى الدين ؟

مليتاس ـ حذار ياليكون فسقراط معروف بكفرانه بالآلهة

سقراط ـ تلك أكذوبة لفقها كتاب الكوميديا .

ليكون ـ أنت غير ملحد إذن ؟

سقراط ـ يلزمنا أن ننظف أدمغتنا كل عام كما تنظف دورنا من سقط المتاع

مليتاس ـ وما هو سقط المتاع يا ترى ؟

سقراط ـ آراء ماتت أو آخذة فى التعفن والاضمحلال .

(تدخل زانتيب)

زانتيب ـ لقد برد طعامك ، فما الفائدة من كل ذلك الهذيان ؟ إن العدس لا يؤكل الآن

سقراط ـ لا بأس فلا حاجة لى به

زانتيب ـ أتقول لا حاجة لك به بعد أن تعبت فى إعداده لك ؟ حسنا هاك جرة من الماء البارد هى كل ما ينبغى أن تأكل جزاء وفاقا (تلقى الجرة فى وجهه) !

(يسمع طرق على الباب)

زانتيب ـ تسير نحو الباب وتفتحه قليلا ثم ترده بسرعة صارخة وتكر راجعة

زانتيب ـ الجنود ! الجنود بالباب ياسقراط . . انى أرى الشر فى وجوههم أى زوجى العزيز . . لقد جاءوا فى طلبك ولا شك . ألم أقل لك أن كف عن النقد والجدل . . آه (تبكى) (يشتد الطرق) ولكنك لم تهرنى ابداً ولم تضربنى كما يفعل الرجال غلاظ القلوب مغفرة يازوجى العزيز . واحزناه . . انك لم تذق طعاما منذ ظهر

٢ — ابن قلاقس

(٥٣٢ — ٥٦٧ ﻫ (١١٣٨ — ١١٧٢ م))

— ٤ —

لشاعرنا مذهب في الحياة ، اختاره لنفسه ، وارتضاه طريقة يسير عليها ؛ ذلك المذهب هو اختلاس الفرصة ، وانتهاز غفلة الزمان ؛ فهو قد آمن بأن الدهر لا يحسن مرة الا أساء أخرى ، ولا يمد يداً الا انتزع بشماله ما قدمه يمينه ؛ فهو متقلب متلون كالحرباء ، وإذا كانت تلك حالة الدهر ، فمن الخير للمرء أن ينتهز الفرصة التي تسنح له ، فلا يدعها تفلت من يده ، ولينل فيها اللذة التي تهيأت له ؛ إذ أنه من الخير للمرء ألا يدع نفسه فريسة للدهر يحط عليه بأثقاله ويعضه بنابه ، ثم يأبى المرء إلا أن يساعد الدهر فيزيد السهام سهما ، والجراح جرحا ، وأولى له أن ينتهز غفلة الدهر فإذا نامت عينه ، تمتع مادامت تلك العين غافلة ، واستمع إليه حين يقول :

واعطف على خلس اللذات مغتنما ... فالدهر في حربه تلوين حرباء

أما اختلاس اللذات من الناحية الدينية فهو يطمئنك عليها ويخبرك أن هناك إلها رؤوفا رحيما لا يضن عليك بالعفو إن أنت اقترفت جرما ثم عدت إليه لابسا ثياب التوبة مرتديا ثياب الاستعطاف ؛ فلا بأس عليك من ذنب ، ولا ضير عليك من اقتراف معصية ، فاقترف ، واعترف ، فثم كريم يهب الاقتراف للاعتراف ، ولقد كان من وسائل سروره التمتع بالغناء ، والانصات إلى مغنية جميلة رخيمة الصوت تطربه وتسره ؛ حتى أصبح له بسبب هذا الولوع اذن غنائية هيأت له أن ينتقد المغنيات اللاتي لا يجدن من الغناء ولا يحسن الا مد الصوت ولو كان متنافرا ، ولا يجدن اتفاق النغمات ، ولا ندرى إن كان شاعرنا قد اتخذ الخمر وسيلة من وسائل تمتعه بالحياة ولهوه فيها ، أو أن لهجه بها وتغنيه بذكرها ، وتفننه في وصفها ، كان ناشئا عن تقليد لا عن عاطفة نحوها ، وبعد . فماذا كان موقف ابن قلاقس إزاء الحياة العملية ؟ وما مذهبه الذى اختطه لنفسه ؟ وهل كان موفقا في اختياره هذا المذهب ؟

— ٥ —

إن كنت تبغى وطنا ... من العلا فاغترب

فالسمر فى غاباتها ... معدودة في القضب

على أن أسعى وما ... على نجح الطلب

تلك هي عقيدته في الحياة العملية ، وذلك هو مذهبه الذي اختاره وارتضاه ؛ فهو لا يرى العلا تنال إلا بالبعد عن الوطن والتغرب عن الآل ، ففي ذلك نيل الآمال وبلوغ المآرب . ولعل ولادته في ثغر الاسكندرية لها أثر في ذلك ، على أنه بالرغم من هذا لا يرى التغرب إلا وسيلة من الوسائل للوصول إلى أطماعه ؛ فأن أخفقت فأن ذلك الإخفاق لا يفت في عضده ولا يضعضع من قوته ، فعليه أن يسعى ، وما عليه نجح مطالبه ، وشاعرنا لم يكن في مذهبه ذلك مشرعا فحسب أو قانونيا يلقى القانون إلى الناس ، ولا يتبعه بعمل بل كان قوله ذلك معبرا أصدق تعبير عن حياته العملية كلها ، فتاريخه ينبئنا أنه كان كثير الحركات والأسفار ، لم يقتصر على التنقل في وطنه ، بل غادره إلى بلاد غير بلاده وآل غير آله

رحل إلى صقلية في شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة ؛ وصقلية جزيرة قرب ايطاليا كانت تابعة للفاطميين حينا من الزمن طويلا ، إلى أن تغلب عليها روجر النورماندى ، وانتزعها من أيديهم ، وجعلها إمارة مستقلة ، وكان بتلك الجزيرة أيام وصل اليها شاعرنا قائد يسمى أبا القاسم بن حجر ، فاتصل به اتصالا وثيقا ، ومدحه مدحا كثيرا ، وتوثقت بينهما الصلة ، حتى ان شاعرنا ألف له كتابا أسماه الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم ، ويقال إنه قد أجاد فيه ، ولكن الكتاب لم يصل الينا ، وعبثت به يد الزمان ، وظل شاعرنا لدى أبي القاسم حول عامين ، أراد الرجوع بعدهما إلى بلاده ، وكان في زمن الشتاء ، فردته الرياح إلى صقلية ، فكتب إلى أبي القاسم المذكور :

أمتس (تدخل الجنود)

سقراط - مهلا ايها الجنود .. انا قادم اليكم .. وداعا يازانتيب .. لا تجزعى فسيرعاك الله في غيبتى .... واذا ماذكرتنى فاذكرى انى لم أعبأ قط بالحياة ولا بالموت بل بالحقيقة التى سأعذب ولا شك من أجلها .....

زانتيب : ترتمى على مقعد وتنتحب ....

اسماء فهمى

منع الشاء من الوصو ل مع الرسول الى دياري
فأعاذني وعلى اختيا ري جاء من غير اختياري

ولم يقتصر شاعرنا فى رحلاته على صقلية ، بل ذهب الى بلاد المغرب ومدح صاحبها عبد المؤمن بقصيدة قوية الأسلوب ، قوية المعانى ، تدلنا على عظمة من قيلت فيه . وانصت اليه يقول :

عظمت قيمتها مـنذ علقت بأمير المؤمنـين الأعظم
كعبة المدن التى من زارها بات فى أمن حمام الحرم
قبلة الدين التى حج لها خلقه : من كافر أو مسلم
قائد الجيش الذى من راعه باسمه قبل التلاقى يهزم
يا إماما خضع الدهر له فأطاعته رقاب الأمم . . . الخ .

ثم عاد الى وطنه ، ولكنه لم يستقر به المقام طويلا حتى دفعته النوى إلى بلاد اليمن ، ودخل مدينة عدن ، واتصل بأبى الفرج ياسر بن بلال وزير البلاد اليمنية ، فأحسن الوزير صلته ، وأجزل عطيته ، ثم فارقه عائدا إلى الديار المصرية فانكسر المركب به وغرق جميع ما كان معه بالقرب من دهلك ، فعاد الى ياسر ، ومدحه بقصيدة بدأها بقوله :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا إلى مغناك ، والعود أحمد
وجاذبنا للأهل شوق يقيمنا وشوق لمغنينا عن الأهل يقعد

ثم أنشده قصيدة أخرى يصف فيها غرقه ، وما أصابه فى البحر غير أن هذا الحادث لم يجعله يسخط على السفر والاغتراب كما قد يظن ، فقد رأيناه بعد أن نجا يكرر مذهبه ويؤكده ، ويقول

سافر إذا ما رمت قـدرا سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى طيبا ، ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسـة بدلت بالبحر نحرا

مما يدلنا على قوة عزمه ، وتغلغل مبدإ السفر والإرتحال فى فؤاده ، ولقد هداه حادث الغرق إلى أنه من الخطأ تشبيه ممدوحه بالبحر إذ يقول :

وغلطت فى تشبيهه بالبحر فاللهم غفرا
أو ليس نلت بذا غنى جما ، ونلت بذاك فقرا ؟!

ولعل شاعرنا حينما ألقت به يد الأمواج إلى جزيرة دهلك لم يأنس بالمقام فيها ، ولم يجد من حاكمها مالك بن شداد برا ولا رحمة ، لذلك هجاها ، وصورها بصورة جهنم بدليل أن خازنها مالك (ودهلك جزيرة بين بلاد اليمن وبلاد الحبشة) وظلت أيدى النوى تتقاذفه حتى ألقت به فى عيذاب ، وهى بليدة على شاطىء بحر جدة يعدى منها الركب المصرى المتوجه إلى الحجاز عن طريق قوص ، وهناك وافته منيته بعد أن بلغ من العمر خمسا وثلاثين سنة .

بالرغم من كثرة أسفار شاعرنا ، وكثرة تنقله بين الأوطان المختلفة كان حنينه وشوقه الى مصر لا يفتران : ففى صقلية يذكر مصر ، وفى غيرها يذكر مصر ، ويذكر آله وقومه ، ويذكر ما كان له فى تلك الديار : من صحب وأصدقاء فيحن إليهم ويقول :

يا إخوتى ، ولنا من ودنا نسب على تباين آباء وأجداد
متى تنور آفاق المنارة لى بكوكب فى ظلام الليل وقاد
متى تقر ديار الظاعنين بهم والدهر يسعفهم بالماء والزاد

ويقول مخاطبا أبا القاسم بصقلية :

وعليك السلام منى ، فانى عنك غاد أو رائح أوسارى
شاقنى الأهل والديار وذو البعـ د معنى بأهله والديار

وتلك حالة طبيعية يحسها الرجل المفارق لوطنه ، فهو يحن إليه دائما ، ويشتاقه دائما .

(البقية فى العدد القادم) أحمد أحمد بدوى

مِنْ طَرائِفُ الشِّعْرِ

ذِكرى الحج

للأستاذ الحاج محمد الهراوى

جَذَا بِى الى أُمّ القُرَى شوقٌ هائمٌ
مدلَّهِ قلبٍ حولَ مكة حائمِ
وَهِمْتُ بها ما بين نومٍ ويقظةٍ
وقلبي يقظانُ الهوى غيرُ نائمِ
فان نمتُ لم تبرح تخيَّلُ لِي الرُؤَى
وإن أصْحُ لم يبرحْ تخيُّلَ واهِمِ
فذلك شأنى ثم لجّ بِىَ الهوَى
الى أن رأيتُ الحجَّ ضربةَ لازمِ
حطَطتُ برحلِى فوقَ ناحيةِ السُّرَى
وطرتُ بشوقى فوقَ ذاتِ القوادمِ
لعلّي ، وفى بردىَ حوبةُ آثمٍ
أطهرُ عن بردىَ حوبةَ آثمِ
ويُطمعني فى الله أنىَ من منًى
قريبٌ ، وأنى من سُلالةِ هاشمِ
أمسّحُ بالأركان وجهى مُعفَّراً
وأهمِى عليها مِن دموعِى السواجمِ
أطوفُ وأسعى بين مَروةَ والصفا
وآوِى الى رُكْنٍ من البيتِ عاصمِ
وأرجعُ مملوءَ الجوانحِ خشيةً
من الله فى يومٍ من الهوْلِ قادمِ
فياهل أتى صَحْبى بمنزَجِ لهوِهم
متَابى ، وأنى قارعٌ سِنّ نادمِ
فلم أرَ مثلَ الدينِ أدعى الى الهُدَى
ولا مثلَ حجِّ البيتِ أهدَى لجارمِ
وما أبتغى إلا المثوبةَ مخلصاً
ودعوةَ ربِّ البيتِ تحتَ المحارِمِ
أقول : إلهى أنتَ أدرَى بأمّتِي
وكم نزلتْ دهراً على حكمِ غاشمِ
تركتُ ورائى أمةً لم تكن تنِي
عن الحقِّ جُهْداً ، أو تهى فى العزائمِ
فيارب ياحامى حِمَى البيتِ لا تُبِحْ
حِمَى مصرَ للعادِينَ من كلِّ ظالمِ
ويارب إنّ الشرقَ باتَ بأهلهِ
كبيرَ الأمانى طامحاً للعظائمِ
يريد حياةَ العِزِّ وهو مُسالِمٌ
ويأبى عليه الجورُ عيشَ المسالِمِ
فيارب أيِّدْهُ على الحقِّ ما سعَى
الى الحقِّ وارفعْ عنه نيرَ المظالمِ
بلادي وقومى فوقَ ما جئتُ أبتغى
لنفسى ، وما أرجو لها من مغانمِ
ويارب إن كانت لنفسى حاجةٌ
فحاجةُ نفسى منكَ حُسْنُ الخواتمِ

سبيكة الشعر

إن كنتِ أهديتِنى من شعركِ الغالى
سبيكةً جددتْ عهدَ الهوى الخالى
فقد وهبتكِ يادنياى مرتضياً
قلباً يفيض بأحلامى وآمالى
قلبي لديكِ . فهلاّ رويته من نهركِ ؟
كما تروّى عيونى بالدمعِ غالىَ شعركِ
وهل يجود الزمانْ بالقرب بعدَ النوى ؟
فتلتقى العينانْ ونستعيد الهوى
مازلت أندب والأحشاء ثائرة
عهوده كلما مرّت على بالى

عالم الهوى

للشاعر الوجداني أحمد رامي

يا طيور ما الذي هزك للشدو الجميل
في سكون الليل أو صفو السحر
يا زهور مالأغصانك في الروض تميل
في ضياء الشمس أو نور القمر
يا غدير مالأمواهك في المرج تسيل
ضاحكات بين أفنان الشجر

قالت الطير أما تلقى الربى
يتباهى الزهر فيها بالجمال؟
وانثنى الزهر مجيبا هل ترى
كيف يجري الماء ما بين الظلال؟
ومضى الجدول مختالا وقال
قد غذاني النهر بالعذب الزلال

تعشق الطير الزهور والجنى يهوى الغدير
والغدير
يستقي الماء من النهر النمير

كل من في الكون يغني من هواه بنصيب
وأنا قلبي يهنا برضى قلب الحبيب

ولا أرى بعد ما هاجرت مرغمة
إلا عذاب فؤادي أو ضنى حالي
ولم تعد لي دموع إلا دماء الفؤاد
أبكي بها في الضلوع عليه بعد البعاد

يا ضيعة العمر إلا في وكرك الفتان
وبؤس للقلب إن لم ينل لديك الأماني
مناي في الحب أن نقضي الحياة كما
كنا: أليفين في حل وترحال
أسقيك كأس الهوى والحب مترعة
وأستقي من رضاك المسكر الحالي

محمد فريد عين شوكه

وحشة

للاستاذ محمود الخفيف

ليس يمحو الوجد من قلبي الحزين كل ما في الكون من آي الجمال
يتأسى كل قلب بعد حين ما لقلبي بات مفقود المثال؟!
شفه طول الحنين وتباريح الخيال
واغتدى بعد اليقين بين يأس واحتمال

أظلم الكون وقد كان سناه مشرقا في النفس إشراق الأمل
نبه القلب لأكدار الحياه وحشة تبعث في قلبي الوجل
حار قلبي في هواه والهوى أصل الخبل
ويحه ماذا دهاه فبكى بعد الجذل؟

تبسم الأزهار للصبح الوليد وتغني الطير ألحان السحر
ويلوح النور في الأفق البعيد فيهز البشر أعطاف الشجر
والندى در نضيد فوق أكمام الزهر
هل يرى قلبي الشريد حسن هاتيك الصور؟

تشرق الشمس لا أرى أي معنى يبهج النفس من معاني ضحاها
لا، ولا البدر إذ يسير الهوينى باعث في النفس أحلام مناها
وإذا العصفور غنى ذكرت عيني بكاها
وإذا الغصن تثنى هيج النفس شجاها

تدمع العين برغمي أن أرى في ظلال الريف مغنانا الوسيم
كان مرعى اللهو فيه ناضرا عاطر الأنفاس مطلول الأديم
ما لعيني لا ترى حسن مرآه القديم؟
يتراءى مقفرا والأسى فيه مقيم!

أسأل الدوحة عنها ذاهلا وأطيل السير في جنب الغدير
ثم أمضي بعد حين قافلا تخفق اللوعة في قلبي الكسير
أتناجى قائلا بين دمع وزفير
كيف ولي عاجلا ذلك العيش الغرير؟

ضربت الأقوى على غشيانه ان في مرآه الوان الشجن
وكأن الورق في أفنانه تشتكي مثلي تصاريف الزمن
هل سوى سلوانه لفؤادي من سكن ؟
أو سوى هجرانه لغريب في الوطن ؟

زمن الوصل تقضى مثلما يتقضى في الكرى حلم بديع
وتولت بهجة العيش كما يسقط الزهر اذا ولى الربيع
ويح نفسي أكلما ذكر الشمل الجميع
بات مضنى هائما ذلك القلب الصديع

أترى تذكر «أيدا» عهدنا أم تناسته وقد طال الغياب
نفس الدهر علينا صفونا وكذا الدهر نعيم وعذاب
كم حبسنا دمعنا ما شكا البين الصحاب
وان تقينا يومنا في وجوم واكتئاب

اقرئي هذا وحسبي سلوة أن ترى عيناك هاتيك الدموع
خانني عزمي ففاضت عنوة ...
... وأخو الشوق لدى الذكرى جزوع
فاغفري لي صبوة لم تجيء بعد شروع
ولقلبي وثبة أشفقت منها الضلوع

الى السيدة منيرة توفيق

من الآنسة خيرية أحمد

ناحت مطوقة فأشجت كل طير في الخمائل
وبكت لها مقل السحاب بأدمع تجري هواطل
شكت الحنين إلى الحليل من الجوى والوجد مائل
صدقت الهوى بفؤادها فبكت وصدق الحب قاتل
زين العقائل والفضائل في المنازل والمحافل
أخت الفصاحة والسماحة والرجاحة في الشمائل
لو كنت في عصر الأوائل كنت مفخرة الأوائل
زفرات أختك قد علت لأساك تغلي كالمراجل
عجبي لزوجك كيف غيره عهده بعد التواصل
وأذال من حكم الهوى والحب خصم لا يتازل
هل في البرية للوفية والحبيبة من معادل
هل للخلال الباهرات وللفضائل من مماثل
ولرب رأي قد رآه الزوج حقاً وهو خاطل
وتعدد الزوجات في الأسرات منزلة المهازل
أصل العداوة والشقاق وباب مشكلة المشاكل
والحق سيف لو تجرد نصله ماض وفاصل
وأخال أنك تحلمين وأن هذا الحلم زائل
سيعود زوجك للوئام وليس عند الخلف طائل

واليها أيضاً

من الآنسة ناهد محمد فهمي

إن طال سهدك فاشتكي لله زوجا غير عادل
إني أرى بين السطور دموع قلبك كالجداول
تجري بألحان الأسى وخريرها يشجي العقائل
لا تيأسي فلربما عاد العقوق الى التواصل
وترفقي في لومه فالرفق من شيم الأماثل
وتشاغلي فيما يجيء لا شيء ينفع كالتساهل
وتدرعي بالصبر في كل الكوارث والنوازل
كم من ضحايا للرجال وكم نعاني من رذائل

مجموعة السنة الأولى للرسالة

مذهب « السمبوليسم »

أو

الشعر الرمزي

للاستاذ خليل هنداوي

المدرسة الرومانتيكية والبرناسية . حقيقة المذهب الرمزي . الشعر الرمزي . كالاحلام . الشعر الرمزي والموسيقى . الشعر الرمزي والطبيعة

«شغل الرسالة — في الايام الاخيرة — ما شغلها من (پول ڤاليري) . وكان من (مقبرته البحرية) مجال فسيح لبحث الوضوح والغموض في الشعر ، وقد رأيت ان أوضح مذهب أصحاب المدرسة الرمزية بهذه المقالة ، ثم أتلوها بصور شعرية مختارة لهم » .

المدرسة الرومانتيكية والبرناسية

لم يكد يوارى جثمان الشاعر (هينو) في الثرى حتى قامت مدرسة شعرية جديدة هي مدرسة (السمبوليسم) تنازع المدرسة (البرناسية) التي نازعت بدورها المدرسة (الرومانتيكية).

المدرسة الرومانتيكية جعلت موضوعها الفني عواطف الشاعر نفسه ، فترى الواحد من شعرائها ينظم وينظم ، وهو يحدثك عن نفسه ، ويقصيك عن نفسه ، ليدنيك من نفسه ؛ يحسب نفسه العالم الأكبر الذي ينطوي على كل شيء ، فاذا أنّ وانتحب عجب من الناس كيف لم يسمعوا أنينه ولم ينتحبوا ؟ وتراه اذا عرض عليك عواطفه رقق ديباجته ؛ وبهرج ألوانه ، وذوب نفسه ؛ لأن قاعدة هذه المدرسة توجب على الشاعر ان يكون متأثراً حتى يستطيع ان يؤثر في غيره . فجاءت المدرسة البرناسية تنعى على أصحابها ضيق عقولهم وقلوبهم ؛ وتنتقد هذا المذهب الذي يتغنى على ضرب واحد لا يتغير له لحن ولا وتر ، ولا يسمع سامعه الا رنة ناقوس واحد . فكان جدال عنيف وكان نقد صارم ، فاضاع الشعر الوجداني كثيراً من قيمته . وذهب زمان كان يؤله الناس فيه هذا النوع من الشعر لأنه — كما يعتقد أصحابه — هو شعر الرقة ، وشعر الجمال . وقد لا يمكننا القول بأن أصحابه لم يحسوا الجمال ، وغاية الأدب — مذ كان الادب — الحج الى مجالي الجمال . ولكن كثيرين ممن يتمثلون الهدف ويعينون موقع الهدف ، ويسعون بشوق ولهفة ؛ تسعى بهم اقدامهم وبالالتباس الى غير الهدف . وللجمال طريق يختلف عن طريق هؤلاء القوم الذين اتخذوا طريقهم اليه : طريق الالحان المشوشة التي تخلقها العواطف الثائرة . ومتى كانت مقاييس العواطف ثابتة وموازينها صادقة ؟ وحقيقة هذه الالحان أنها تصور أهواء النفس ، ولا تصور شيئاً من مجالي الفن والجمال . فكانت غاية المدرسة البرناسية أن تحول أذهان الناس عما اعتقدوا ، وأن تصف الجمال — بالفن الذي لا يتصل بمشاعر النفس ، ولا يتعلق بأهواء النفس ، ولكن هذه المدرسة لقيت فشلها ، وكان يقدر لها الفشل ، وهي لما تدرج من مهدها لولا ثبات أصحابها ، واحترام الاندية الأدبية لهم ، وتحوير هؤلاء لبعض قواعدهم . فالفئة التي سئمت الحنان النفس والوجدان سأما بعثها عليه المغالاة والتصنع ، راعها أن يطلبوا منها أن تقطع كل صلة بينها وبين النفس ، ليتسنى لها أن تدرك الجمال بدورها كما أدركوه هم بدورهم . ولكنهم (أصحاب المدرسة البرناسية) لم يستطيعوا أن يقطعوا هذه الصلة ، لأن الانسان لا يستطيع أن يؤدي لغته الشعرية ؛ وأن يفهم اللغة الشعرية الا بنفسه . وهل يستطيع أحد أن يفهم ملامح التمثال دون أن يمر بهذه الملامح على نفسه التي تدرك منها ما تدرك . وقد يكون هذا الادراك هو الادراك الصحيح للتمثال وقد لا يكون ، ولكنه لم يكن — في الحالين — الا تعبير النفس والعاطفة العميقة . ولذلك لم يحفل الناس بهذه المدرسة الا كحفلهم بشيء جديد له منظر جديد وروعة جديدة ولو كان هذا الشيء قبيحا . حتى اذا شبعوا من هذا المنظر الجديد والروعة الجديدة صدفوا بوجوههم عنه ، وعاودوا النظر في الأفق البعيد ، لأنهم لم يقعوا على غايتهم في هذا الأفق الخادع .

وهذا (پول فرلين) أحد شعراء هذه المدرسة لم يستطع أن يثابر على النظم وهو خارج عن نفسه ، فتمرد على احساسه وتمرد احساسه عليه ، فعاد يترجم عن مشاعره مضطراً ، لأنه لم يقدر على كبحها ، ولكن بأسلوب غير الأسلوب (الرومانتيكي) لأن فلسفته العميقة ساعدته على خلق فنه ولغته . فنزل الى أعماق النفس ، وهبط الى حيث تكمن المشاعر (١) (في الخليات المظلمة) فأيقظها

(١) اشارة الى انتمائه للمدرسة (الرمزية).

وأحياها وأدناها من عالم النور والحركة ، بعد ان كان يغمرها الظلام والسكون .

حقيقة المذهب الرمزي :

كان (ديكارت) يزعم خطأ يوم قال : بان لامستقر في الدماغ إلا للافكار الواضحة ، وخلا هذه الافكار لاتقوم الا المادة الجامدة التي لاتحتوي على شيء ، ولكن الفلسفة الحديثة نقضت هذا الرأي ، وأثبتت ان هنالك في الدماغ مجموعة من احساسات وافكار وعواطف ، كلها واضحة بادية ، ووراء هذه المجموعة مجموعة عواطف نائمة ضعيفة ، حتى لكانها تحيا بنصف شعور ! وهذه العواطف قد لايأبه بها الانسان الا اذا نزل اليها وتنبه لها ، ولكن الانسان — في أغلب الاحيان — ينقاد لها على غير وعي ، ويقبل حكمها وهو جاهل مصدر الحكم ، ويتبع ما أغرته به وهو غافل عن مكمن هذا الاغراء .

مع هذه العواطف القائمة تحيا كل ميولنا الفنية ، واحساساتنا الشعرية ، ونحن لانكاد نشعر بها . فنقرأ المقطوعة الجميلة ، فتيقظ هذه الميول وتستفيق هذه الاحساسات لهوى جاء في هذه المقطوعة كان سبب يقظتها ، فتهب وتظهر وتتوارى وترتخي وتشتد حسبما تشاء . فاذا عرضنا هذا الهوى على المنطق والعقل تبدل الحكم وتغير الوضع ، وجاءت النتيجة اما مؤيدة لهذا الهوى أو ذاهبة به . على أن هذه الاحساسات نفسها تبقى مبهمة ، متدثرة بشيء من الغموض والخفاء . لايدرك من أين بدأت وانتشرت ، والى أين تناهت وتلاشت .

أليس من واجب الشعر اذا ان يعبر عن هذا الهوى وهذا التناقض في الاحساسات التي لاتحصى ؟ فاذا كان النثر الواضح المنطقي العقلي واجبه ان يعبر عن أفكار ظاهرة ، وعواطف بادية ، ومواضيع يراد تقسيمها الى فصول واجزاء لكي تدنيها من الافهام فان الشعر واجبه ان يعبر عن ذلك الاحساس الباطني الذي يكمن الجمال في حناياه .

إن (البرناسيين) وصفوا الجمال للجمال نفسه لا لغاية . وخدموا الفن للفن لا لحاجة . (ولكن الرمزيين) اعتبروا هذا المذهب وما قبله من المذاهب لايصلح منها شيء للشعر ، اذ — في الامكان — تحويل مارصفوه ونظموه الى نثر لايذهب ببهجة معانيهم . وانصرفوا هم الى انفسهم ، وفي انفسهم تلك العوالم الواسعة الطافحة بالاحساسات المبهمة ، والاهواء المظلمة . لايرسل اليها أحد عقله حتى تتلاشى ، ولا تلين للتعابير الواضحة لأنها تذهب بمعناها . والاحساس الحقيق هو الاحساس الذي يختلج في النفس دون أن يستطيع البيان أن يعبر عنه . ولهذا الاحساسات — كالصور الخيالية — رسائل لايمكن أن تقيدها الاغلال المنطقية ، والقيود الشعرية التقليدية . وهذه الرسائل التي تستعين — بالاحساس وحده — لتفهمها ، ولاتستعين بالدماغ الذي يفككها ويقضي على روعتها ، هذه الرسائل هي الشعر الحقيقي وهذه الاحساسات الباطنة هي التي حدت (بالرمزيين) الى أن يعالجوا أعمق عالم مظلم في أنفسنا ، ويعبروا عن هذا العالم تعبيراً شعريا .

أجمع علماء النفس على أن العقل الواعي ماهو الا مظهر حقير من مظاهر العقل الباطن الكامن في (اللاشعور) وهذه العقيدة الفلسفية اضطرت الشعراء والفنانين الى الانطلاق من قيد العقل الذي لايحكم الا بوعيه ، ولا يخضع الا لحكمه ، وقالوا ان العقل الواعي بما فيه من أفكار واضحة انما وجد لكي نستخدمه في حياتنا العملية والتفكيرية . ولم يوجد ليكون معبراً عن الحياة الشعرية ، إذ يجب على الشاعر أن يرتفع عن هذه العوالم المتجسدة ، ويخوض في البقاع التي يتلاقى فيها النور بالظلمة ، والبيان بالغموض والشعور باللاشعور .

الشعر الرمزي والاحلام :

لانكاد نجهل نصيب الرؤى التي تطرقنا في أحايين وأحايين . فثمت أحلام وأوهام وحوادث تبدو وتتوالى لا يدفعها جهد ، ولا يربط مابينها منطق . تظهر كقوة خفية لايمكن تعليلها ولا تحليلها على أن بعض هذه الاحلام قد يجيء عذبا لذيذا يسعد النفس بما يحمل اليها من أوهام ، أليس من هذا البعض تلك الاحلام التي تغنى بها الشعراء لأنها مثلت لهم أطياف الاحباب ؟ فودوا لو ان حياتهم الحقيقية تكون صورة من حلم لأن شعورهم الجائع النائم مثل لهم - بدوره - هذه الأحلام . ولكنه تمثيل ، ليس له تعليل

وهكذا قد تأتي الصور الشعرية مماثلة لهذه الصور الوهمية ، صورة أو صوراً تتالى ، يحدوها وهم لا حقيقة له ، ولا يمازجها شيء من الشعور ؛ ولكنك تتلوها وتتلوها ، فيخيل اليك أنك دخلت فى عالم جديد تتلبس فيه هذه الصور ، فترى بعينيك مايجب أن يرى ، وتسمع بأذنيك ما يجب أن يسمع . وقد تستقرىء هذه الصور الوهمية ، وتحس مواضع التخلخل فيها والاضطراب المنطقى والتباين العقلى ، وتشعر بأن المطابقة فيها مفقودة ، والتناسب معدوم . تستقرىء هذا كله وتستوضحه بأجمعه ، ثم يخيل اليك أن هذه الصور الوهمية انما هى حقيقة ، وأنها باعثة فيك ما تريد من أسباب الرضا والسرور .

وقف الشاعر (كاربنور رامبورد) شعره على التعبير عن مثل هذه الصور الوهمية ؛ قد ولد فى مدينة مكتظة بالمصانع تقلق آلاتها الراقدين والساهدين؛ وكان يرى - برغم ذلك - موطنا يستسلم فيه الى أحلامه التى تحمله الى عالم الغيب والذهول ، حتى أصبح يرى فى الحانة معبداً . وفى كثير من مقطوعاته كـ(سفينته الضالة) جاء بأفكار غامضة كل الغموض ، وتعابير مبهمة كل الابهام . لأن الشاعر يخلق لنفسه الحروف والكلمات التى يراها مؤتلفة مع نفسه ، ولكن فقدان التسلسل المنطقى يرخى على المقطوعة سدول الغموض ، حتى لينتقل الابهام من الأفكار والمعانى الى الصور الشعرية ، وإذ ذاك يغدو القارىء شبيها بمتدحرج أصابه دوار فى بصره شغله عن التأمل والتفكير .

الشعر الرمزي والموسيقى :

الموسيقى قبل كل شىء ! الموسيقى دائماً وأبداً
ليكن شعرك شيئاً يطير من النفس صاعداً الى سماوات أخرى .
(بول فرلين)

الفن الشعرى : — أنت تعلم ذلك التأثير الذى تثيره فى النفس الواعية تلك الألحان الشائعة ، لبحر يهدر ، أو لجدول يخر ، أو لنغمة تعلو من آلة موسيقية . فهذه الألحان لا تكلم العقل رأساً ، وانما تكلم — قبل عقلنا — احساساتنا . فيخيل الينا أننا منطلقون منعتقون ، لم نتأثر بالعقل والمنطق . فتحملنا هذه الألحان ونحن كسالى هامدون ، الى عالم ملؤه الراحة والسكون .

وقد فهم الرمزيون هذه الوشائج النفسية العميقة فأعلنوا - وفى طليعتهم « فرلين ، ورامبو ، وملارمى » أنهم سيتخذون من الكلمات ألحاناً موسيقية ، وأنهم سيعنون بوقعها قبل عنايتهم بمعانيها ! فكانت هذه الثورة ثورة منتجة للغة ، لأنها تهذبها وترققها وتجملها ؛ ولكنهم — كما أحسنوا فى مواطن كثيرة — قد كبوا فى مواطن كثيرة ، لأنهم استعملوا كلمات غريبة ليس لها معنى يميزها ، أو ميسم يسمها ، واستخدموا ألفاظاً مجهولة لا تدرك إلا فى معاجمهم الرمزية ، حتى دعاهم هذا الى الاستخفاف بقيمة الكلمة والنص عن معناها ، والالتفات الى وقع موسيقاها ؛ ولم نكن لننكر أن القوم أحسنوا كل الاحسان فى انعتاقهم من القواعد التقليدية ، وعروجهم بالشعر الى مرابع خصبة ندية . فاللغات لا تزال قاصرة ، لا تحدد كل كلمة مدلولها الذى وضعت من أجله . ولا تزال تضيق عن استيعاب ما يجود به عالم النفس الأكبر من الخواطر الكامنة . ولكن هذا القصور لا يحمل القادر على توسيع شقة الابهام ، وترك الامر فوضى بين الأفهام ، فان فى استطاعة الشاعر أن يتخير الكلمة الواضح معناها ، والحسن موسيقاها ، وهو بعد ذلك لا يخسر من معناه ولا من مبناه شيئا .

فاذا تلونا مقاطيعهم فلنتلها كموسيقى ، فانها قد تلذنا لو كنا خالقنا شعراء . وتولد فينا تأثيراً عميقا يحملنا - على غير وعى منا - إلى عالم يزداد وضوحا أو غموضا حسب بيان الشاعر .

الشعر الرمزى والطبيعة

التفت شعراء الرموز الى أنفسهم ، ولاحظوا دقائق الحياة الباطنة ونواحيها الغامضة ، ولم يعنوا كثيراً بالظواهر الخارجية

نظروا إلى عمر الساعة الهاربة ، والفصل الغابر ، والزمن السائر ، ولجب الحياة العاملة ولا انتهاء لها ، والانحلال والتركيب اللذين لا ينتهيان ، فى هذه اللحظة وفى قلب هذه الحركة وصفوا صور المادة وشرائع الطبيعة الخفية ، فرأوا حقائق الاشياء كأنها تتلاشى بين تبدل المظاهر وبقاء أسبابها . والطبيعة ماهي الا صورة متحركة ورمز مستور مقيد محصور . ورأوا من جهة أخرى إن فهمنا للأشياء ما هو الا صورة من صور احساسنا ، فكأنها تحيا

البقية على صفحة ٣١٨

العلوم

مطالعات واشتات

للدكتور احمد زكي

انقلاب اللاسلكي: الانسان فى كثير من أموره يبدأ صغيرا ثم يطلب الكبر ، يطلب العظمة فى الضخامة والقيمـة من الجرم . ولكنه جرى على غير ذلك فى اللاسلكى ، فهو ابتدأ فى الاذاعة بالموجات الطويلة العظيمة ، ثم أخذ بالموجات الأثيرية الصغرى طولا فالصغرى ، ثم بالمتوسطة فالتى دون ذلك فتقسمت الموجات الى طويلة وهى التى تزيد على ١٠٠٠ متر ، ومتوسطة وهى التى بين الألف والمائة ، وصغيرة وهى التى بين المائة والعشرة ، وزائدة الصغر وهى التى دون ذلك . وقد يختلف اللاسلكيون فى هذا التدريج وهذه التسمية ، ولكن هذا لا يؤثر فى الحقيقة الراهنة وهى ان استغلال هـذه الموجات بدأ بالكبيرة ثم بالتى دونها . وكانت الشركات الكبيرة تعتقد انه لا حاجة بها الى الموجات الصغيرة حتى قام الهواة فى بقاع الأرض المختلفة على الاذاعة والاستقبال ، معا بتلك الموجات ، وأخذوا فى التغير فى أجهزتهم والتبديل فى طرائقهم حتى وقفوا على أحسن الشروط لحسن الارسال والاستقبال وكشفوا عن ميزات لهذه الموجات الصغيرة ليست للكبيرة ؛ فمن ذلك ان الصغيرة تحمل الأصوات الى السامع خالصة من هذه الطقطقة والخرفشة وذلك الضجيج والعجيج والنشوز الملح الذى يؤذى الأذن ويحرج الصدر ويذهب بصبر الانسان . ومنها أنها تنفذ فى الأجواء الى مسافة ابعـد وعلى حال أشد حتى لتلف الكرة الأرضية لفا . لذلك ما لبثت السلطات اللاسلكية التجارية أن أغارت على هذه الموجات فاستلبتها واحتفظت للهواة بموجات دون تلك أكثر صغرا يجرون فيها ما شاءوا من التجارب فقصر الهواة عملهم على هذه فأتقنوه كسالف دأبهم ، فتجددت الاغارة عليهم فاستلبت تلك الموجات أيضا ، وارتد الهواة الى الوراء ، إلى موجات أمعن فى الصغر . ولكن يظهر أن الشركات اللاسلكية عرفت من مزايا هذه الموجات ما سوغ لها أن تقوم فى العلانية قليلا وفى السر أكثر بدراسة هذه الموجات لتسبق الهواة ، وهم الذين كان لهم فضل السبق الى كشف فضلها . وقد جاء فى الأخبار الحديثة أن شركة مركونى قامت فى الخفاء منذ أكثر من شهرين بدراسـة موجات طولها أصغر من متر واحد وانها نجحت فى استخدامها نجاحا كبيرا ، وانها ترجو من وراء ذلك أن تحدث فى فى الاذاعة التجارية انقلابا خطيرا .

بدأت بتلك التجارب فى « بيت مركونى » على نهر « التمس » فكانت تذيع من هناك الرسائل تستقبلها مستقبلات متنقلة فى مقاطعة « كنت » بانجلترا وقد تمكن السناتور مركونى بهذه الاشعة التى يسمونها بالمجهرية Micro من الارسال الى أبعد من ١٨٠ ميلا ، والهوائى Aerial المستخدم فيها لا يزيد طوله على ثلاث بوصات ، والقوة الكهربائية اللازمة للمحطة المرسلة لا تزيد على تلك التى تلزم لاضاءة مصباح كهربائى

وستكون هذه الطريقة الصغيرة الجديدة شديدة النفع فى القريب العاجل فى المواصلة بين مراكز الشرطة والإسعاف ، وبين بيوت الأعمال الكبيرة وفروعها ، فان الجهاز نفسه يكاد يحمل فى الجيب ، وقد اتضح أن هذه الطريقة المصغرة أيسر فى نقل الصور من الطرق الكبيرة القديمة ، أو التى سنسميها قريبا بالقديمة ، فقد جربها السناتور مركونى فعلا فى ذلك فنقل بها صورة بلغت مساحتها خمسة أقدام فى خمسة كانت غاية فى الوضوح ومثلا فى البيان .

وهـذه الموجات الضئيلة لا تتأثر بالجو ولا بالضباب ، وفوق ذلك لا يمكن استراق السمع منها . ويقول العارفون أنه قد لا تمضى بضع سنوات حتى تصبح الموجات الطويلة اثرا بعد عين

دقات قلب سكنت

الدكتور « هـ . و . كروك » طبيب يسكن « فى أكستر » من

المدن الغربية الجنوبية فى انجلترا ، لا يزال الى اليوم رائحاً غادياً فى مطالب العيش ، ولكن قلبه لا ينبض بالحياة منذ ثمانية أعوام . وليس هو بالرجل الكسول الخامل فهو يشتغل فى الاسبوع ستة أيام كاملة ويسوق سيارته بنفسه ، وهو يعلم وهو الطبيب ان قلبه سكنت ضرباته الى الأبد ، ولا يزعجه ذلك ولا يهمه ، فأنت تراه ينعم بالدنيا كغيره من الأصحاء ، وهو اذا ذكر قلبه اهتم به اهتمام العالم بظاهرة غريبة يحملها بين جوانحه كأن من حسن حظه ان استأثرته الطبيعة بها .

بدأت قصة هذه الحال فى سنة من سنوات بعيدة اذ كان « المستر كروك » يدرس الطب فى مستشفى « جاى » بلندن ، فأصابته حمى روماتزمية أخذت تنتابه ثم تذهب عنه فيصح ، فتعود اليه المرة بعد المرة ، فكان من آثارها اتساع صمامات قلبه فأصبحت لا تنفتح ولا تنغلق كعادتها اذ تدفع الدم كالمضخة فتجريه فى الجسم ، وبانعدام هذا الانفتاح وذلك الإنغلاق ، انعدم الصوت الذى نسمعه وهو دقة القلب .

حدث ذلك له فى مرضه الأخير عام ١٩٢٦ ، وكانت حاله لا رجاء فيها ، وكتم عنه الأطباء أمره خشيــــة أن يدرك خطره فينزعج ويصدمه الخبر السيء ، فيكون فى ذلك قضاؤه . ودخلوا عليه مرة يفحصونه فأزعجهم أن وجدوه يأخذ سماعة من تحت وسادته يستمع بها الى قلبه . ولكنه ما لبث أن ذكر لهم أنه لم يفتر عن الاستماع الى قلبه كل يوم ، وأنه يعلم ما آل اليه ، وعقب على ذلك فى كثير من البشر وشىء من المرح أنه معجب بنفسه مغتبط بان يقدم لهم وللطب حالة نادرة لذيذة ممتعة للفاحص والمتقصى

وقد اتصل بالدكتور فى الأسابيع الماضية متصل يستخبر عن صحته فذكر له أنه صحيح لا يحس علة ولا يشكو ضيقاً ، وان عضلات قلبه اشتدت اشتداداً سد النقص الذى طرأ على صماماته ، وانه ينعم بالحياة كنعمة المستخبر . وهكذا الطبيعة تحاول دائماً أن تصحح أخطاءها ، فتصيب مرة وتعجز مراراً .

البيض المحفوظ : كل كائن حى يفسد على الزمن ، وكل نتاج من كائن حى تظل فيه الحياة حيناً ، ثم يعتريه الفساد كذلك . وتدخل فى هذه الأنتجة اللحوم والخضروات والحبوب وما اليها . وكان المعروف أن البرودة تطيل من صلاح هــــذه الأطعمة ، والحرارة تعجل فسادها ؛ فعمدت المصانع الى استخدام الكهرباء والكيمياء فى بناء الخزانات الباردة ، منها الصغير الذى يستخدم فى المنازل والمعامل ، ومنها الكبير الذى يبلغ القصور حجماً ؛ وقد أفادت هذه المبردات التجارة فوائد كبيرة أدت الى انتشارها انتشاراً واسعاً . وعمدوا فيما عمدوا اليـه الى البيض يحفظون به فى تلك الخزانات ، ولكن التجربة دلت على أن البيض فى اختزانه يفقـد الشيء الكثير من جدته رغماً من برودته . ويرجع هذا الى تغيرات فسلجية وبيلجية تحدث طبيعة فى داخل البيضة من العسير الشاق إيقافها بالتبريد .

وقد ظهر فى دورية « الصناعات الغذائية » Food Industries وصف لطريقة جديدة يختزن بمقتضاها البيض مبرداً ولكن فى جو من غاز الكربون أعنى ثانى اكسيد الكربون فيخرج بعد أشهر ثمانية صحيحاً لا يمكنك تمييزه من البيض الطازج . وتفصيل ذلك أن البيض المختار يوضع فى خزانات مختومة فى حجرة لا تزيد حرارتها على الصفر . ثم تفرغ الخزانات من الهواء وتملأ بغاز الكربون حتى تزيد ضغطه قليلا على الضغط الجوى ، وذلك خشية أن يكون فى الخزانة ثقب غير منظور فيتسرب اليها منه الهواء . وغيرهذا يجعلون على ظاهر الخزانات أنابيب التبريد تجعل جوانبها أبرد من جوفها ليتكثف بخار الماء داخلها على تلك الجوانب فلا يسقط على البيض ، فانه ان فعل ذلك أثر على قشر البيض بما يحتويه من غاز الكربون الذائب فخشنه وخيبه . ويظهر من هذا الوصف أن النفقة لابد كبيرة ، ولكنهم يقولون إن البيض المحفوظ بهذه الطريقة يباع فى أشهر القلة بأثمان تزيد على النفقة زيادة مربحة .

كرة تبلع ـــ ولكنها بالطبع صغيرة لكى تمر فى الحلقوم فالمرىء ثم تستقر فى المعــــدة فتصور مافيها . وهى على شكل اسطوانة طولها بوصتان وقطر قاعدتها خمسة أثمان بوصة . وتتصل بها انبوبتان أحداهما لتوصيل التيار الكهربائى الى مصباح وامض Flash lamp تحمله الكرة ، والانبوبة الأخرى لتحمل السلك المتصل بغطاء العدسة يفتحها ويغلقها وهى فى جوف الانسان . استخدمت هذه الكرة فى لندن فلقطت ١٦ صورة من جدران المعدة فى ٢٠ ثانية.

وهذا لاشك فتح جديد فى تشخيص امراض المعدة ، فاننا اذا عجزنا عن نزعها من الجسم كما ننزع اجزاء المكنات لفحصها

الثعبان والانسان

للدكتور حسين فرج زين الدين
دكتوراه فى التاريخ الطبيعى من فينا

من رسالة قيمة وضعها فى (الحيات المصرية) سننشر بعض فصولها تباعا

لعل من يزور حدائق الحيوانات بالجيزة لايستوقف نظره شيء اكثر مما تستوقفه تلك الحيات السجينة فى بيوتها الزجاجية ، فهى على الرغم من جمال منظرها وماهو معروف من نعومة ملمسها تبعث فى النفس شيئا من الاشمئزاز والكراهية ، وعلى الرغم من سجنها والأمان من شرها يهتز القلب فزعا منها ، ولعل السر فى ذلك تلك الاعتقادات السائدة التى تناقلها الناس جيلا بعد جيل عن فتكها وخياناتها حتى جاء ذكرها فى كثير من تشبيهات الكتاب وخيال الشعراء . كما ورد ذكرها فى الكتب السماوية

وقد يكون ذلك راجعا الى شكلها الطبيعى ووقوفها شاخصة لاتغمض ولاتطرف وحركات ألسنتها الدائمة السريعة ، واعتقاد الناس خطأ أنها أعضاء اللدغ منها فترى أثر الخوف منها شديدا فى نفوس الكبار الذين عرفوا شيئا عنها ، ولكن الاطفال الصغار لايدركون قليلا ولا كثيرا من أمرها ، وكذلك صغار القردة قد ترى الافاعى زاحفة فلاتخشى ان تقترب منها وتلمسها وتلعب بها ، وقد أيد هذه المشاهدة البحاثة ميتشل فى تجارب عدة قام بها ، وقد أثبت كل من العالمين wall & Mell بعد بحثهما فى أفاعى الهند والصين انها على ضخامتها تفزع من الناس ، وتفر منهم ولا تحاول ايذاءهم الا محرجة مضطرة للدفاع عن نفسها ، غير ان ذلك لم يقلل من اعتقاد الناس بخطرها ، وليس هـذا عجيبا منهم فانها كانت دائما موضع اهتمام عظيم . كثر ذكرها فى الكتب السماوية وفى الديانات على اختلافها ، وفى الكتب الادبية والعلمية ، فهناك حية آدم عليه السلام ، وعصا موسى وثعبان كليوبطرة ، وترى اسكليبوس إله الطب عند اليونان يحمل عصاً ملتفة عليها أفعى ، وابنته هيجيا إلهة الصحة ترى دائماً معها أفعى تقدم اليها الماء ، وقد صنع عقداً لآلهة مينرفا من صور الأفاعى ، وإن رأس ميدوزا إلهة الانتقام معصوب بها ؛ وكان قدماء المصريين يعبدون الناشر المصرى المعروف ، وكان من الخرافات السائدة فى الشعب فى ذلك العهد ، أن هذه الأفاعى الخطرة تختلط بالناس فى بيوتهم وتعيش بينهم على العسل والنبيذ لا تمسهم بسوء . ويروى أنها ظلت على هذا الولاء للناس حتى كان لأحد التجار طفل فعدا عليه يوما ثعبان صغير فلدغه فمات ؛ ولما عادت أم الثعبان وعلمت بجريرة ابنها قتلته ارضاء لآل الطفل : ومنذ ذلك اليوم هجر الأفاعى البيوت الى الخلاء ، وساجلت أبناء آدم العداوة ، وأصبحت لدغتها قاتلة . ومنذ ذلك اليوم أيضا جعلت الأفعى رمز القوة ، ووضعت على تيجان الملوك القدماء .

وروى بلوتارك المؤرخ الرومانى أن قبيلة السلر وهى من القبائل البائدة ، كانت فى رجالها مناعة طبيعية موروثة ضد سم الحيات ، وكانوا يحافظون على طهارة أصلابهم ونقاء دمائهم المحافظة كلها ، فلا يسمحون لنسائهم أن يتزوجن أو يتصلن أى اتصال برجال من غيرهم ، وكانوا يستوثقون من هذه الطهارة بان يطلقوا الحيات السامة على أولادهم حين ولادتهم فان قتلت واحدا منهم تبينوا خيانة أمه .

ومن الحيات المعروفة فى الهند ذات النظارة وتسمى الناشر الهندى ، وفى الأساطير التى تروى عنها ان الاله بوذا هبط مرة الى الارض على شكل انسان ونام فى الهواء فجاءت هذه الحية ونشرت عليه عنقها فأظلته من الشمس فجزاها على ذلك بان آمنها من شر المخلوقات جميعا ، وبعد حين ذهبت اليه الحية تقتضيه وعده وتشكو اليه الطيور الجوارح واضرارها بها فوهبها تلك النظارة تمتاز بها لدى الطيور فتخشاها ولا يصل اليها اذاها .

ومن الروايات الشائعة التى يتناقلها سكان الجمهورية الفضية ان البقرات التى يقل ادرارها تكون قد رضعتها الحيات ، بل يعزون ضعف بعض أطفالهم الرضع الى أن الحيات تمر ليلا بأمهاتهم فترضع ثديهن

وإصلاحها بعدسة العين فلا أقل من أن نراها وهى فى مكانها بعدسة الجماد . ومن عجائب ماتستخدم فيه الكمرات مما يتصل بالطب ماقرأته أخيرا عن مريض فى البرازيل أصابه فى عينه مرض أعجز الأطباء . وكان لابد من تشخيصه عاجلا والا فقد المنكود بصره . وفى وقت غاية فى القصر صوروا عينى المريض وأبرقوا بالصور على اسلاك التلغراف الى برلين الى احد الأخصائيين ، وما لبث هذا الاخصائى أن فحصها وعاد فأبرق الى البرازيل بالداء والدواء ، وبهذا نجا المريض من ظلام ليل دائم .

احمد زكى

ويعتقد الناس أن فى الحواة سحرا أو قوة خارقة يسلطونها على الحيات. فى الهند مثلا يمر الحاوى بالناشر الهندى ومعه عصا ومزمار، فيظل يداعبه بالعصا والحية تعضها، وبعد أن يكون قد أجهده التعب يزمر له فيهدأ ويسكن فيظن الناس أن الثعبان لا يلدغ الحاوى خوفا منه. والواقع انه يكون أفرغ سمه حين عض العصا كما يحسبون أن للقيثارة أثرا فى تهدئته، والحقيقة أنه التعب الذى اضناه.

وكذلك نرى حواتنا فى مصر يطوفون بانواع من الحيات يحملونها عادة فى جراب من الجلد ويلعبون بها العابا مختلفة فيطوقون بها بعض النظارة أو يضعون رؤوسها فى أفواههم أو يمزقونها باسنانهم أو يتركونها تشرب من اناء ثم يشربون منه، ومنهم من يدرب بعض القردة على اللهو بها وقذفها على الناس ويوهمون العامة ان ذلك راجع الى سر الولاية الرفاعية فيهم، والحقيقة ان بعض هذه الحيات ليس ذا خطر مطلقا كالدساس الذى يعتقد الناس ظلما انه اشد انواعها خطرا، وكأنواع الارقام وكبعض الحيات الاخرى الخطرة المنزوعة الانياب، ولا يعرف غير الحاوى سر ذلك.

وقد حدث فى المنيا فى مايو سنة ١٩٣١ ان احد هؤلاء الحواة الرفاعية كان ينزع أسنان ناشر فأفلت من يده ولدغه فمات. وحية الناشر محفوظة الى الآن فى المستشفى الأميرى هناك

اما الطريقة التى يستخدمها هؤلاء الناس فى امساك الحيات فانها ترجع اولا الى الذعر الذى يعترى الحية عند ما يفاجئها مفاجىء غريب فانها تقف بغتة بتأثير الحركات العكسية فيها، ثم الى خفة حركة الصياد فى القبض على رقبة الحية، وفى تحريك عصاه، والى قوة تأثيره النفسى وشعور الحية بهذه القوة كقوة التنويم المغناطيسى. والدليل الآتى يؤيد صحة هذه النظرية. وذلك أنه قد تقدم أحد الاشخاص وكان يخاف من الحيات فامسك دساسا فعضه، ثم تقدم آخر لا يخشاها ولا يخاف منها وأمسك الحية، فلم تحرك ساكنا وكلاهما لا يدين بمذهب الرفاعية.

وعلى ذلك لا يجوز أن تعزى قوة الحواة الى شىء من السحر أو الولاية، ولا أدل على ذلك من أن أهالى البرازيل وعمال حديقة الحيات الشهيرة عندهم يمسكون بأنواع الحيات، ومنها ذات الجرس المخيف دون أن يمسهم سوء، وهم ليسوا أتباعا ولا ينتسبون للرفاعى.

وقد شاءت حكمة الله أن يسلط بعض المخلوقات الحية على بعض حتى لا تزدحم بها الأرض أو يطغى جنس منها على غيره من الأجناس، ولهذا نرى رحى الحرب دائرة بين هذه المخلوقات منذ نشأت الدنيا فبينما نرى الطيور الجوارح وغيرها مسلطة على الحيات فلا تكاد تراها حتى تنقض عليها وتمزقها تمزيقا فلا تحميها منها لدغاتها ولا سمومها، تجد هذه الحيات بدورها مسلطة على الضفادع والسحالى وصغار الطير والثدييات، ولا ينجو من شرها الانسان نفسه، فكثيرا ما تعدو عليه وعلى أطفاله وعلى ما يربى من طيور وثدييات نافعة كما تفعل الأراقم فى مصر والبواء فى الهند والبرازيل وهناك الحيات المائية الشرهة التى تفتك بالاسماك، ويكثر فتك أنواع من الحيات بالانسان فان للعربية والناشر فى الهند وذوات الاجراس فى أمريكا والابتر والناشر فى افريقيا ضحايا لا ينهض بعبء احصائها العادون.

ولكنها الى جانب هذه الاضرار لا تخلو من فائدة، فهى تقضى فى الهند على الفيران التى هى من أكبر العوامل فى نقل عدوى الطاعون فتقلل بذلك انتشاره وتحمى البيوت والمزارع من هذه الفيران كذلك وبخاصة الغيطية منها، وبعض الحيات تأكل الديدان الضارة، وهناك أنواع ضخمة تؤكل لحومها ويصنع من جلودها أجود أنواع الأحذية وحقائب السيدات.

العالم المسرحي والسينمائي

« فلم عيون ساحرة »

لناقد « الرسالة » الفني

عرض في الاسبوع الماضي فلم (عيون ساحرة) للسيدة آسيا في دار سينما فؤاد ، وبرغم الدعاية الواسعة النطاق التي استمرت أشهراً طويلة قبل عرض الفلم ، والضجة التي قامت أخيراً بسبب تعنت قلم المراقبة مع أصحاب الفلم ، وعدم اجازة بعض مواقفه والسماح بعرضها ، على رغم كل هذا لم يلق الفلم من اقبال الجمهور ما ينبئ عن نجاح كبير ، وهو ما يؤسف له حقاً أشد الأسف ، فان صناعة الافلام المصرية في أشد الحاجة الى التشجيع والموازرة ليشتد ساعدها وتمضي في طريقها بخطى ثابتة نحو الرقي والكمال .

يمتاز هذا الفلم من سابقيه بانه نحا في فكرته وفي اخراجه منحى جديداً لم نألفه بعد في أفلامنا المصرية التي كانت في الأغلب تدور فكرتها حول مواضيع مصرية بعضها عادي لا غناء فيه ، وبعضها فيه من المحاولة والجهد ما يدل على رغبة صادقة في التجديد والابتكار ، وان قعدت الوسائل المحدودة والجهود الشخصية التي لا تقوم على أساس صادق من العلم أو التجربة بأصحاب هذه الافلام عن تحقيق ما يطمعون فيه من التقدم والتجديد .

فكرة الفلم معقدة بعض التعقيد ، أو قل انها كانت من العمق بحيث أصبح من العسير على الجمهور ان يلمسها او يفهمها للوهلة الاولى ، والى هذا اعزو انصراف الجمهور عن الاقبال على مشاهدة هذا الفلم . والواقع ان الفلم لا تنقصه عوامل الاغراء التي تدفع الجمهور عن حضوره فمن مناظر جميلة خلابة ، وجو يكتنفه غير قليل من الرهبة والغموض ، وحيل سينمائية لم يألفها جمهورنا في الافلام المصرية ، الى غير ذلك من دواعي الاقبال . ومع هذا كله فالواقع ان الفلم لم يصادف نجاحا كبيراً . وارجح ان السبب الأول في هذا هو عدم تفهم الجمهور لفكرة الفلم وعدم تتبعه لها في مشاهده المختلفة .

على أن اصحاب الفلم ، على ما اظن ، قدروا ان نفس هذه العوامل مع الغموض الذي يسود الفلم والفكرة الغريبة التي يعرضها ، هي التي ستدفع الجمهور الى التزاحم على مشاهدته ؛ فكانوا في تقديرهم مخطئين . وأمثال هذا كثير مألوف في عالم السينما في اوربا وامريكا على السواء ، وكم من افلام أنفق عليها آلاف الجنيهات واشترك فيها أقطاب السينما من ممثلين ومخرجين ، وقدر لها النجاح ، ثم لم تصادف اقبالا من الجماهير فيتكبد أصحابها خسائر جسيمة . ولكن ما كان اغنانا نحن في مصر ، ومازلنا في خطانا الاولى في هذا الميدان المترامي الاطراف الوعر المسالك ، عن ان نجازف مثل هذه المجازفات الخطرة ولما تنضب بعد بين أيدينا المواضيع التي يصح ان نستمد منها مادة لأفلامنا المصرية .

على أن المخرج لم يفلح في خلق الجو الغامض المخيف الذي يسود مثل هذه الافلام ، ولذلك كانت مشاهد الفلم — وليست لها تلك الروعة التي تناسب الفكرة — تقابل من الجمهور بكثير من عدم الاكتراث والمبالاة . على أن المحاولة في ذاتها محاولة جريئة مبتكرة — من ناحية الفلم المصري على الاقل — وقد أراد المخرج أن يسير فيها على نمط بعض الافلام الغربية التي من هــذا النوع . كفلم « فرنكنشتين » ولكن لم تسعفه تجاربه وخبرته من الناحية المعنوية ، ولا ما تحت يديه من عدد وآلات من الناحية المادية . على اننا نرجو الا تثبط هــذه التجربة — وما كانت لها من نتائج تدعو حقا الى اشد الاسف — عزائم السيدة آسيا وتثنيها عن متابعة جهودها ، ولعل فلمها القادم يكون أحسن حظا وأكثر نجاحا ورواجا .

* * *

ذكرنا أن بالفلم مشاهد رائعة الجمال من تلك الحدائق الغناء والقصور الانيقة والرياش الفاخر مما يعطي لمشاهدي الفلم في الخارج فكرة طيبة عن هذه البلاد ، وعن مفاتنها ومغانيها ، وينفع في الدعاية لمصر نفعا لا شك فيه . وقد تقف مميزات الفلم عند هذا الحد فاننا اذا شئنا أن نتحدث عن بعض نواحيه الفنية وجدنا فيها نقصا كبيراً لعله

واضح ملموس حتى لا يخطئه أقل الناس خبرة بمثل هذه الشئون. فالصوت لم يكن حسن الالتقاط ولا دقيقه، والجمل مقطعة تقطيعاً غريباً حتى لتمر الثواني بين الكلمة والكلمة في الجملة الواحدة، وربما اقتضى الموقف ان يلفظها الممثل في تدفق وحرارة، فهذا التقطيع يفسد وقعها ويضيع على المشاهد الأثر الذي كان يجب أن تخلفه في نفسه. وصوت الآلات الموسيقية كان أشبه برنين الاواني النحاسية منه بوقع المثاني والمثالث كما يقولون أحياناً... وكانت «خشخشة» الصوت وما فيه من عيوب واضحة تذكرني بتلك الآلة الملعونة «الراديو» التي تزعجني في المنزل أي ازعاج، وقد عدت اليوم شديد الاعجاب بها والرضاء عنها.

كذلك كانت الاضاءة، إلا في بعض المشاهد الخارجية التي تغني فيها أشعة الشمس الساطعة عن الآلات التي قد لا تستخدم على الوجه الأكمل.

وللمرة الأولى — على ما أذكر — تغني السيدة آسيا، ولست ممن ينصح لها بالغناء، على الأقل حتى تجد الآلات اللاقطة التي لا تشوه الصوت وتجعله بحيث يصادف وقعاً حسناً في الأذن، وارتياحاً في نفس المتفرج. وعلى كل حال فما أظن أن أفلام السيدة آسيا — مهما أكثرت فيها من المشاهد الغنائية — ستعد في يوم من الأيام من الأفلام الموسيقية، فالخير لها أن تقتصد في هذا أو تعدل عنه بالمرة.

***

بذل ممثلو الفلم جهداً كبيراً في أداء أدوارهم على أحسن وجه ممكن، على أن الحظ خانهم في كثير من المشاهد، ولم يصادفوا التوفيق الذي كانوا أهلاً له، ونلاحظ على أحمد افندي جلال أنه كان كثير التقيد في حركاته، كثير الاضطراب فيها، حتى في المشاهد العادية التي تخرج عن دائرة السحر ووقوعه تحت تأثير دليله. ولو ترك نفسه على سجيتها، وكان في دوره أكثر بساطة وأقل تكلفاً لكان خيراً مما رأيناه.

بقي أن نقول ان الحوار في الفلم لم يكتب بشيء من العناية، والنقص فيه واضح جداً. كما أن تقطيع الفلم لم يخل من الارتباك والاضطراب، وما نجد غناء في تفصيل كل هذا.

وفي النهاية أظن أن من الخير، ومن التشجيع للسيدة آسيا على مداومة الجهد والعمل، أن نشكر لها ما بذلت وما حاولت، وأن نرجو لها في الأفلام القادمة ما تصبو اليه من النجاح والتوفيق. فإن أخطأها الحظ اليوم، فما نظنه يخطئها في المرات المقبلة.

على مسرح الاوبرا الملكية

تعمل على مسرح دار الاوبرا الملكية هذه الأيام فرقة غنائية فرنسية، تضم بعض ممثلي دار «الاوبرا» في باريس «والاوبرا كوميك». وقد جرت التقاليد ان تشغل هذا الفصل من موسم الاوبرا في مصر فرقة أيطالية، وقد حرم الجمهور بذلك من الفن الموسيقي الايطالي على ماله من القدر والقيمة الفنية التي يعرفها عشاق الفن الموسيقي الغربي، واتيحت لنا هذا الموسم فرصة للتمتع بهذه الاوبرات العظيمة التي وضعها كبار الملحنين الفرنسيين.

ومن الاوبرات التي تعرضها هذه الفرقة «تاييس» و«مانون» و«لاكيه» و«كارمن» و«صيادو اللؤلؤ» و«فرتر» و«حياة البوهيميين» و«فاوست» وكلها من أشهر الاوبرات المعروفة، وبعضها مأخوذ من قطع أدبية لها طرافتها ولها قدرها في عالم الادب كفاوست وفرتر لجيته، وتاييس لاناتول فرانس، ومانون للأب بريفو.

وقد شاهدنا من هذه الاوبرات «تاييس» و«كرمن» و«مانون» ولمسنا عن كثب ما بذله أقطاب هذه الفرقة الغنائية من جهد، ومقدرتهم في اداء أدوارهم المختلفة خير أداء. ونعمنا بأمسيات طيبة في دار الاوبرا روحت عن نفوسنا كثيرا مما نعانيه من الغصص لما يلحق مسرحنا المصري من الركود بل العدم.

على أن من الحق أن نذكر بهذه المناسبة أن مناظر دار الاوبرا وملابسها أصبحت قديمة بالية على ضخامة ميزانية الدار التي لا يخصص منها الا القليل للنواحي الفنية الخالصة، وقد كان هذا سبباً في الا تبرز هذه الاوبرات في المستوى الفني الحق الذي يضفي عليها جلالاً وروعة، ولهذا يحس المتفرج كثيراً من النقص، ولا تخرج الرواية بذلك في الثوب الفني اللائق بها. ومن الواجب ان نذكر أن دار الأوبرا لا تستطيع بعدتها اليوم أن تجاري وسائل التجديد في الفن المسرحي الحديث، ومن الخير الا تكون دارنا الرسمية للفنون في مستوى أقل من الواجب، وفي مرتبة أقل من مثيلاتها من دور الأوبرا في العالم.

الحركة المسرحية والسينمائية فى الخارج

هوليود

تعد هوليود للسنة الجديدة برنامجا حافلا بروايات من أقلام أكبر الكتاب العالميين المعروفين . وستخرج شركة مترو جلدوين ماير روايتى (النور الذى خفت) و (كيم) لرديارد كبلنج شاعر الامبراطورية البريطانية كما يسمونه .

وستخرج رواية (ما تعرفه المرأة) للكاتب الانجليزى الشهير بارى ، وتقوم بالدور الأول فيها هيلين هايز . كما تعد رواية (صور من المستقبل) للكاتب المعروف ولز للظهور على الشاشة الفضية ، وقد سبق أن أخرجت له روايتى (جزيرة الدكتور مورو) و (الرجل الذى لا يرى) . وسيرى رواد السينما رواية (دنيا جديدة عظيمة) من قلم الدس هكسلى الذى يعد من أعظم كتاب العصر الحديث .

وتستعد شركة راديو لاخراج رواية برنارد شو (تلميذ الشيطان) ويقوم بالدور الأول فيها جون باريمور الممثل السينمائى الشهير

وقد قبل هر اميل لدويج الكاتب المعروف وصاحب التراجم الشهيرة أن تقتبس من كتابه عن نابليون رواية للشاشة الفضية ، وسيمثل دور نابليون فيها ادوارد روبنسون من أقدر ممثلى شركة وارنر السينمائية . وقد عاد لدويج أخيراً من هوليود وذكر لبعض الصحفيين أن فى عزمه أن يضع كتاباً عنها قائلا : إن للدن كما للأشخاص شخصياتها الملأى بالفواجع والمهازل على السواء .

برلين

دعا الهر هتلر زعيم حزب النازى ورئيس الوزارة الالمانية أنى أوندرا الممثلة السينمائية الشهيرة وزوجها ماكس شملنج الملاكم المعروف لتناول الشاى فى قصره الخاص بمناسبة مبارحتهما المانيا الى أمريكا .

باريس

ايفون برنتان من أشهر ممثلات المسرح الباريسى وقد دعيت لزيارة لندن لتمثل رواية كتبها خصيصا من أجلها مستر نويل كوارد الكاتب الانجليزى المعروف ومؤلف رواية « كفلكاد » الشهيرة . والرواية من نوع الاوبريت وقد عرضت على مسرح (ماجستى) وربما انتهزت بعض الشركات السينمائية فى انجلترا فرصة هذه الزيارة وتعاقدت مع الممثلة على الظهور فى عدة أفلام غنائية ناطقة . .

لندن

ارتفعت الشكاية فى لندن من أصحاب المسارح والممثلين ومديرى الفرق من الضريبة التى فرضتها الحكومة على المسارح ، وعقدت اجتماعات كثيرة للاحتجاج على هذه الضريبة ، واستطاعت سبيل ثورنديك الممثلة الانجليزية الشهيرة بما لها من المكانة والاحترام فى جميع الأوساط أن تطلب من بعض أعضاء مجلس العموم البريطانى ممن يعنون بهذه المسائل عقد اجتماع خاص فى إحدى غرف المجلس للبحث فى هذا الموضوع . وتم الاجتماع منذ أمد قريب وحضرته سيبل ثورنديك وباحثت الحاضرين من النواب فى أمر هذه الضريبة وقد وعدوها بعرض الأمر على المجلس فى القريب العاجل .

قامت شركة جومون الانجليزية للسينما بتجربة هى الاولى من نوعها . والغرض منها تقريب السينما الى العميان وحثهم على مشاهدتها وأعدت الشركة ثلاث حفلات للعميان عرضت فيها فلم « انا كنت جاسوبة » وكانت الحركات السينمائية يتولى اذاعتها على الحضور احد موظفى الشركة بواسطة ميكروفون خاص دون أن يحول ذلك بينهم وبين سماع محاورات الفلم وحديث أبطاله ... وقد نجحت التجربة وخرج الحضور مسرورين من هذه النتيجة التى قربت اليهم احدث ما وصلت اليه المدنية الراهنة من وسائل الرفاهية والمتعة .

وبهذه المناسبة نذكر ان بعض المسارح تعد فى صفوفها الامامية سماعات خاصة يستطيع بواسطتها الصم أن يسمعوا ما يلقى على المسرح اثناء التمثيل .

نيويورك

عمت البطالة المشتغلين بالمسرح فى امريكا كغيرهم من أصحاب المهن والحرف الحرة ، واشتدت الأزمة حتى أغلقت كثير من المسارح أبوابها ، وأعلنت بعض الأندية الفنية وجمعيات الهواة أنها على وشك الافلاس ان لم تمد لها الحكومة يد المعونة ، وخفضت المسارح مرتبات ممثليها بنسبة كبيرة ، وتدفع نقابة الممثلين فى نيويورك مرتبات من صندوق التوفير للممثلين العاطلين ، وقد بذلت فى هذا السبيل فى العام الماضى ٤٠٫٠٠٠ جنيه ، وأعدت هذه السنة مطعما خاصا لاطعام ثلثمائة من الممثلين العاطلين يتناولون فيه طعام الغداء كل يوم مجانا .

القصص

قصـــة مصرية

المعـــلم لوقا . . .

اجتاز الترام الميادين والشوارع ، وأخذ ينساب بين الحقول فى الطريق إلى الأهرام ؛ وكان القمر قد نفض الغيوم عن وجهه ، وبدا سافرا يضحك للحقول ، ويحنو على النباتات المرتجفة فى نسيم الليل ، ويناغى الأغصان المشرئبة اليه من أعالى الأشجار ، فانبسطت أسارير « المعلم لوقا » سائق المركبة ، وفارق العبوس وجهه المزيل اليابس ، وأخرج علبة سعوطه وأدناها من أنفه ، يلتمس الصحو والانتعاش .

لم يكن الرجل فى حال حسنة ، لأن الليلة باردة قارسة البرد ، وهو مسن ، ليس فى هيكله من اللحم ما يقى عظامه المقرورة ، ولو كان معافى لما شكى ، لكنه مريض ، مبهور الأنفاس من السعال ، معصوب الرأس ، يحرك عينيه بعناء كأن السعال قد شدهما فى محجريهما بخيوط قوية . . . ما كان أحوجه أن يأوى الى فراشه ! لكنه آثر أن يشتغل الليلة ، ليظفر بيوم راحته فى الغد ، لأن الغد « عيد الميلاد » ، وهو يريد أن يبقى فى البيت مع زوجته « كثورة » وابنته « ياسمينة » يستقبل المهنئين بعودة الأيام ، والمتمنين أن يمضى الحول ، فاذا بياسمينة أم لطفل جميل .

وإذ ذكر « عم لوقا » فتاته ابتسم ، ونظر فى ساعته يتعجل ميعاد العودة ، ثم أرسل بصره فى الطريق أمامه ، وابتدأ يغرق فى تأملاته : كم له من السنين وهو يقف هذه الوقفة ؟! . . إنه الآن شيخ ! كان فتى عندما ارتدى سترة (المصلحة) للمرة الأولى . كان وجهه ناضراً ، وشاربه أسود مفتولا ! وكان له حاجبان جميلان ! وكان شعره مرتباً معطرا ! . . أما الآن فقد صار يابس الوجه ! ظهر الشيب فى حاجبيه ، وعبثت بجمالهما الأيام ! ولم تعد رأسه معطرة مزينة ، بل استغنت عن العطر بأردإ الصابون ؛ ولم يعد للمشط معها شأن ، لأن شعرها قد انتحل ، ولم تذر الأيام منه غير بقايا مبعثرة متباعدة . . . وندت عن صدره آهة طويلة وهو يغمغم : « ما أعجب أمر الحياة !! »

واكتأبت نفس « لوقا » واشتد عليه صداعه ، واستيقظ سعاله ، فاضطربت الصور فى مخيلته ، وانهدت قواه ، ولم يعد يملك كل وعيه ، وصار يستقبل بذهول هذه الأصوات المنصبة فى أذنيه من ضجيج العجلات ، وصرير الآلة ، وهمهمة الأشجار فى أذن الليل . . . فلما وصل الترام الأهرام تهالك فى مقعده ، وأغمض عينيه وهو يتحسس بيده جبهته الملتهبة ، ويحدث نفسه : لا بأس . سأقضى العيد مع ياسمينة ، وارتسمت فوق شفتيه ابتسامة سعيدة ، ورقص شاربه الفضى .

حاول أن ينام ريثما يحين وقت العودة ، لكن الالم كان يحتدم فى جمجمته ، ويتردد فى عظامه فيعيده إلى اليقظة . . . وأخيراً آثر أن يفكر ، وأن يرسل روحه فى ماضيه .

واضطربت مقلتاه خلف جفنيه المقفلين ! فقد ذكر (آلة القيادة) . آلته المحبوبة !! التى يحركها فتندفع المركبة ، وتشق الطريق وهى تغنى بعجلاتها فوق القضبان ! . . واشتاقت يده أن يلمسها ، ويشركها سعادته بالعيد ، فمد نحوها يديه . ما أعزها عليه ! أليست رفيقة حياته ، وعشيرته الدائمة ، كزوجته كثورة سواء بسواء ! .

وتقلصت ابتسامته عن شفتيه ! . . ذكر سيئات آلته ، وانها لم تكن له مطيعة ولا مواتية فى بعض الاحيان . وبدت أمام عينيه صور أشلاء مبعثرة ، وطربوش فارق جبهة هشمتها العجلات . ودم قان يبلل الحصى ويصبغ القضبان ! . . . وذهب يستر عينيه بيده المرتجفة النحيلة ، فقد ذكر موقفه فى قفص الاتهام ، فى محكمة الجنايات ، والنائب يحدث المستشارين قائلا : كان الصبى وأخته فى طريقهما إلى المدرسة عند ما دهمهما هذا الرجل الشرير المستهين بالارواح من العدل أن ينال أقصى القصاص .

لقد برأته المحكمة . « ومضت عشر سنوات » لكنه يشعر للآن أنه مذنب . وأنه قد ارتكب خطأ ما . وخيل اليه ان الصغيرين ينظران

اليه يعيون رزينة عاتبة مملوءة بالألم . وأن أبويهما يجدد ان الحزن فى العيد ، ويذهبان الليلة الى الكنيسة فى ثياب سوداء يلتمسان العزاء ويسألان النعيم لولديهما والسلوان لأكبادهما الحرى ، فانسابت الدموع من بين جفنيه وبللت وجهه النحيل ، وغمغم بصوت حزين « رحماك يارب »

وارتد فكره من هذه الجولة فى الماضى . وذكر أن « ياسمينة » تنتظره ليشاطرها طعام العيد ورأى مائدة شهية ، متعددة الالوان عقب أيام الصوم . وما تناول فيها من طعام غليظ مجهز بالزيت ، فسال لعابه . وبدأت أساريره تنبسط . . . وبدأ يصفح عن آلته العزيزة وما فعلت . طالما مكرت به كثوره واذنبت اليه وسامحها فلا ضير ان سامح آلته المحبوبة .

وأخذ القمر يغالب الغمام ثم احتجب ، وأظلمت الدنيا وامتدت ظلمتها الى روح « المعلم لوقا » . عاد فتذكر شيخوخته ، وان الحياة ستتبرع له بأيام أخرى قليلة إن كانت كريمة . من يدرى قد لا يأتى عليه عيد جديد ! . . قد تقضى « ياسمينة » العيد الآتى وحدها ، وتشتمل بثوب أسود ؛ وترسل أثوابها الزاهية الملونة الى المصبغة : ويطفىء الحزن لمعان عينيها ، ويذهب ببهجة قلبها ، وتصير ابنة يتيمة منكرة ! . .

ونشر يديه فى الهواء كأنه يحاول ان يحميها ، ثم سقطت يداه فوق ركبتيه ، وانتابته رعدة ، وأخذ السعال يصخب فى صدره . فتح عينيه وأخذ يحدق فى الظلام وقديم وجهه شطر الصحراء ورأى نفسه يرتقى الأهرام كما كان يفعل ايام الشباب أو خال انه جالس على القمة يستعرض الحياة من هناك ، ويرسل بصره من مكانه العتيد فى القفر البعيد الممتد ! . هو واحد من هذه الهوام الزاحفة على ظهر الأرض يسحقها الموت بقدمه وهى تسعى ، فتصير نسيا منسيا ، كهذه الحشرة التى يدوسها عابر السبيل ! . . .

وبدت له الحياة متعبة ثقيلة لا خير فيها . . . ما أشبهه برجل سائر على الرمال ، تائه ضال ، يسير نحو مصير مجهول تضربه الشمس ، ويفترسه البرد ، وتروعه وحوش الفلاة . . . يسير ويسير ، وهو ينشد الواحة . ويحتمل الصعاب والمشاق على أمل أن يستريح فى الغد . وتتجلى أمامه الواحة التى طال اليها سعيه واشتياقه فاذا بها أشبار جدبية ، لها وسائد من تراب يستريح عليها راحة الأبد ، ولا يعود يخشى عريا ولا جوعا . . .

ماذا كسب من حياته ! . . لا شىء . عمل ، وعرق ، وشخ . . . ليست هناك مسرات . ولد وتألم ، سيموت . لم يبق غير المرحلة الأخيرة . . .

وحدق فى الآلة التى امامه ، وهى جالسة صامتة ، تنتظر يده لتدور ، وتفنى الوقت فى الدمدمة . لم تعد جميلة فى عينيه ! ود لو يحطمها ! رأى نفسه عبدا لها مربوطا بها يطوف واياها حول المدينة كما تطوف البقرة الذلول حول الساقية كل النهار . أى فرق بينهما ! . . بل انه أسوأ منها حالا ! هى تعمل لقاء حفنة من الشعير ، وهو يعمل لقاء أجر لا يتيله بين الناس الترف الذى نالته بين البهائم . . .

ماذا أصاب من حياته ! . . تنبهت روحه ، وأحس كأنه قد حمل على كتفه من ركبوا معه طيلة مدة خدمته . ذكر مركبة الدرجة الأولى التى تكون الى ظهره اذ يقود الترام . وذكر المترفين الذين يصعدون اليها . ناس من طينة غير طينته . ليسو قوما عملقين متعبين مثله أيديهم ملساء ناعمة لم يجر عليها العمل الشاق . وجباههم منبسطة مطمئنة لم يبللها عرق الكفاح ؛ وليس على وجوههم ثوب الذل الذى نسجه على وجهه الضنك والزمان اللئيم . . . ذكر كبرياء بعض السادة وعجرفة بعض السيدات . وخشيتهن على أثوابهن الجميلة أن تمسها سترته الخشنة أو يداه الشقيتان .

ذكر كم منهم ومنهن يندفعون الى باب المركبة وهو يهم بالمسير فتكاد أقدامهم تزل ، فيقتحمونه بأبصارهم وتزدحم أفواههم بكلمات الازدراء والتحقير ، ويصعقونه بلهجة الآلهة وهم يصرخون « يا اعمى » ، بينما يقيدون (نمرته) فى مذكراتهم ذات الجلد الجميل المزركش ، ليبلغوا شكواهم الى الشركة ، حتى تجزيه بخصم بضعة أيام من راتبه ! . .

كم من الأيام عمل بلا أجر ، بفضل هذا العنف من الناس ! كم غضب ويئس وطاش حلمه . وود لو يقتاد المركبات الى النيل لينتقم ويستريح . . . عاد الى حلق المعلم لوقا طعم المرارة الذى يغص به المضطهد والمظلوم . وامتدت انامله المرتجفة الى القطعة النحاسية المعلقة بياقته . وقد نقشت عليها (نمرته) فأحس كأنه مسجون محكوم عليه بالعمل الشاق مدى الحياة ، وغمغم . « يارب رحماك ! . . . »

ونظر فى ساعته . . . بعد قليل سيعود الى القاهرة . سيجمع فى طريقه الخارجين من المسارح والصالات . عشاق مسرات الليل زبائنه الدائمين ، وشر الراكبين . رحم الله ايام الماضى ! لم يكن الناس قد تعلموا الافراط فى السهر ، فلم يكن الطريق يزدحم عند ما ينتصف الليل . وكان يسوق بسرور واطمئنان لا يخشى شيئا ، لأن الطريق خال والناس فى مضاجعهم يستقبلون أحلام الفجر . . . أما الآن فيجب ان يجلو أعصابه ويشحذ حواسه ، ويلزم جانب الحيطة والحذر ، لأن الحانات بدأت ترفض المتهالكين على الشراب ، وتطرد النائمين فوق الموائد . وهم الآن مبعثرون فى الطريق يترنحون وقد

يحلو لبعضهم أن يداعب السائق ، أو يغني وهو جالس بين القضبان ! .
وقد بدأت الصالات والمراقص تلفظ زوادها . دور الدعارة تتقيأ من ابتلعتهم أول الليل . والفتيات خارجات من دور السينما فى رفقة الفتيان ! فى ذراع كل فتاة شاب ! والذراع حار ! لاتحلو لهم إلا حفلات الليل ! .. تنهد (المعلم لوقا) وهو يفكر ويحدث نفسه : رحم الله ايام زمان ! أيتغير الناس هكذا ! أين جيل (كتوره) وعهد الحرائر ! أين الثياب الفضفاضة ! اين البرقع الابيض . واليشمك ، والحبره ! ذهبت الحشمة وولى الوقار الادبار من (بر مصر) ! .. لم يعد النساء يعنين بصيانة أجسامهن من عبث الناظرين لايرى نساء محجبات إلا عندما يمر بسيدنا الحسين والامام ! لكن الملاءة فقدت هيبتها وأصبحت وسيلة بنات البلد لهز الارداف ! ..

ومض السخط فى عينى « المعلم لوقا » وحوقل وهو يعيد فى ذهنه صورة هؤلاء الفتيان الذين وقفوا بجانبه بالأمس بعد منتصف الليل . كانت رائحة الخمر تنبعث من أفواههم ، والكلمات البذيئة تتكاثر عند شفاههم كما يتكاثر الذباب عند الأقذار . كانوا يتهامسون متهكمين بطربوشه الباهت الملوث ، وكيف اسودت حافته ... وأخذ يجذب شعرات شاربه بعنف وأنامل متوترة ! ..

واتسعت حدقتاه فجأة ! .. صور عنيفة كانت تخطر أمام عينيه ! ذكر أنداد هؤلاء الغلمان من أربعة عشر عاماً خلت .. كانوا رجالاً بأرواحهم فتيانا بأجسادهم . لأن الزمان كان يخلق فى الفتيان جهد الرجال . كانت الأرواح كاملة النمو تامة النشاط . لم يكونوا يتحدثون عند ما يقفون خلفه عن الفتيات والمودات ، لأن حديثاً آخر كان يشغلهم . ولم تكن تنبعث من أفواههم رائحة الخمر بل قد كانت تقبل الى قفاه . اذ يتناقشون أنفاس حارة ، ترسلها صدور ألهبها الشوق للحرية . لم يكونوا ضاحكين ساخرين ، بل قد كانوا أغلب الوقت حزانى واجمين ، ينظرون فى صحف الليل فيصمتون ويطيلون الصمت ، وهم يحدقون فى أعمدة من الصحيفة بيضاء لا كتابة فيها ، لأن يداً لاتحب مصر تبعثر الحروف المصفوفة حتى لاتستيقظ الأرواح لكن الأورواح يقظى متنبهة ، تقرأ الحديث ، وتعلم الخطب وإن لم يكن مكتوبا ! ..

لم يكونوا يتهكمون به ، بل قد كانوا يحدثونه عن مصر الفتاة ، والمستقبل ، والأيام الآتية ! .. ويناشدونه ان يلبى داعى الوطن يوم يطلب الوطن المضنى دماء بنيه يجدد بها الحياة .

وازدحمت أمام عينى « المعلم لوقا » الصور المجيدة . وبكى كأن العام ١٩ ، والتلاميذ عائدون من مدارسهم يملأون الترام ويكونون مواكب جميلة متنقلة هاتفة للحرية ! وهو القائد لهذه المواكب لانه السائق ، قائد فخور تياه ، لايزعجه رفيف الرصاص ؛ تطلقه أيد أثيمة . مشتاقة لابادة الارواح . دائبة على صرع الأحرار . وتمثل فى ذهنه صورة الفتيان وهم يسقطون مجندلين يهزون الاعلام فى أيديهم وهم يتخبطون فى دمائهم .. وذكر كيف غلى الدم فى عروقه فقفز من الترام وتلقى العلم عن أحد الشهداء وذهب يعدو فى الطرقات يزأر بأن الحياة لمصر والنيل لبنيه ! .. وأحس بدم البطولة يعود فيجرى فى عروقه ، ويجدد فى صدره الحياة ؛ فشمخ بأنفه ، وصعر خده ، وابتسم ابتسامة استحمت فى الدمع المتهاطل من عينيه ، ودس يده فى جيبه يلتمس علبة سعوطه وأفرغ مافيها فى أنفه وهو يغمغم ! « ياماشافت العين يالوقا .. »

وكأن صدره لم يحتمل هذا الانفعال فاستيقظ سعاله ؛ وأخذ يعبث بأنفاسه فى غير رحمة ولاهوادة ، حتى اغرورقت عيناه وانصدع جنباه . هى نزلة شعبية مزمنة مضت سنين وهو يتطبب ، وينفق فى الادوية نصف اجره الضئيل على غير جدوى . ولم تكن النوبات بادىء الأمر حادة هكذا ولكن مهنته هى التى قضت عليه استقبال هواء امشير البارد وهواء بؤونه النارى هو ما أحدث هذه التهيجات بصدره وأتلف رئتيه .. كم هم بترك العمل ، ثم كان يذكر حاجة عياله للقوت . فيعود وهو ناقم . يعود لخدمة سيد يرى أرواح خدامه أرخص من أن تفتدى بالواح من الزجاج تقيهم تغيرات الجو ! ليس أمامه الا ان يخضع ، ويحتمل ، ويدفع ثمن قوته من حياته : وينفق سلفا أيامه الآتية ليتقى غوائل الجوع فى الغد القريب ! ..

ولم تتركه غلته ليفكر ، وبدأ يسعل من جديد .. وتنهد .. لو كان له أولاد لكان الآن فى دفء الفراش . رجل سىء البخت . دفنهم بيده اربعة . غيبهم التراب وهم فى سن الشباب ليتهم ماتوا صغارا كاخوتهم الآخرين قبل ان تتعلق روحه بهم ويحبهم حبا مفرطا كانت يد المنون تقصفهم كما تقصف الريح السنابل وقد بدأت تمتلىء بالقمح ..

واشتد البرد ، وازداد الليل حلكة ، وساد الارجاء صمت عميق ، وأخذ الرجل ينتفض ، خيل إليه أن أولاده الأربعة يحيطون به ، جالسين فى أكفانهم لاتبين منهم غير وجوههم الشاحبة ، وانهم يعتبون عليه اهماله فى علاجهم ، وعدم مواظبته فى السهر عليهم فى مرضهم ، وأمضه هذا الخاطر وأقلق روحه ، وذهب الشك الماكر يعذبه ، وذهب الوهم يصور له انهم يحتضرون الساعة بين يديه ، وانه يسبل أجفانهم ، ويطبع على جباههم القبلة الاخيرة .

كان يحسب أن الجراح قد اندملت ، وأن يد النسيان قد مسحت الاحزان عن صدره ، فاذا بالذكرى تمزق هذه الغشاوة الرقيقة التى نسجها الزمان ، وإذا بالجراح تتفتح ، وإذا به يحس أن بين جنبيه كبداً قد اخترمها الأسى ، فلم يبق منها غير قطعة كالاسفنج راوية من قيح الحزن وصديده .

ووضع يده على جنبه يلم بها حشاه الممزق ، وأخذ يبكى . .
يبكى ؟ ! . كيف ! ألم يكن يبكيهم وقد كان الحزن جديداً ، لأنه كان وقتذاك رجلا قويا . وكان يزعم أن البكاء للأطفال والاحتمال للرجال ، لأن الرجل كفؤ لحمل أثقال الهموم . بل قد كان ينكر على زوجته أن تعول وتنتحب ، ويطلب منها أن تكون امرأة صبوراً قوية ، وكم اختطف حزامه من وسطه وانهال عليها بالضرب الموجع — لترأف بنفسها ! . فما باله الآن يبكى وقد صار شيخا ؟ ! ان الاطفال اضراب للشيوخ فى الابانة عن عواطفهم ! . .

وأهمته هذه الفكرة ، وأزعجه أنه صار ضعيفا يضطهده الحزن فلا يستطيع حبس دمعه ، وكتم أنينه وحدث نفسه : « والله طيب يازمان ! بقيت عيل يالوقا ! فين عزم الرجال ! . . »

وصعب عليه الأمر فاستخرط فى البكاء وأخذ ينشج نشيجاً عاليا .
وإذ هو فى بكائه فاجأته نوبة السعال ، وكانت هذه المرة قوية مجتاحة متلفة . . وأحس « المعلم لوقا » كأن روحه تتسرب من بين جنبيه : وكانت أعضاؤه ترتجف وتتشنج ، وأنفاسه تختلج فى صدره اختلاجا قويا . ثم أخذت حركته تهدأ ، ورعدته تسكن ، وأنفاسه تعود الى الخمود

وشعر « لوقا » فى تلك الآونة بشوق شديد لياسمينة ، وخيل له أنها مقبلة اليه فابتسم ، ومد نحوها يديه ، ثم سقطت يداه الى جانبه ، ومال عنقه الى كتفه . . .

وأزف وقت العودة ، وذهب (الكمسارى) يتفقد صاحبه : وهمس فى أذنه : لوقا — كل عام وأنت طيب . الدنيا برد . سوق بسرعة خلينا . يتوب علينا ! . . .

كان لوقا فاتحا عينيه يحدق فى الفضاء ، لكنه لم يجب رفيقه ، فاغتاظ ، وظنه لا يحفل بحديثه فلكزه واذا به يتداعى بين يديه . .

وظهر له ماخفى من أمر زميله ، وحدق فى عينيه فعلم أن « المعلم لوقا » قد انتهى أمره مع الحياة فاسبل جفنيه . ومزق السكون صوت ينادى : « لاحول ولا قوة إلا بالله . . . إنا لله وإنا اليه راجعون ! . .

كانت (كتورة) تغط فى النوم ، وكانت الابنة جالسة فى ثوب العيد تنتظر أباها وقد لعب القلق بفؤادها ، فلما قرع الباب تهلل وجهها وهى تضع يدها على المزلاج : (ابى ، كل عام ، وانت بخير) .
ولم يجب أبوها ، لأنه كان نائماً على كتف رفيقه . وكان يبدو على وجهه أن نعاسه عميق ، وانه لن يستيقظ سريعا ، وحدقت ياسمينة فى وجهه لعله يلين ويستيقظ ، فلم تظفر بغير تلك الابتسامة الواضحة على شفتيه ، كانه كان سعيداً ، موفور السرور بالوصول الى الواحة ، . .

يوسف جوهر عطية

مذهب السمبوليسم

(بقية المنشور على صفحة ٣٠٧)

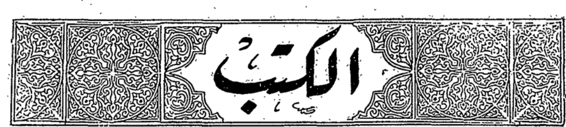
فينا ، أو قل هى نحن . . وأنا كلما نظرت للاشياء شعرت بنفسي وأحسست بحياة عقلى . وما تنظيمى للمناظر التى رأيتها ثم نظمى شعراً لهذه الاحساسات الا اباحة منى بجانب أو بجوانب من إسرار نفسى . ولكن ، أليست الطبيعة كلها رمزاً لحياتى ووجودى ؟ أليس هذا الرمز هو الذى يؤلف بين النفس والطبيعة ؟

ان الفنان الرمزى لايجعل همه ان ينقل صور الطبيعة نقلا ويعرضها على الناس ، انه يفسر ويؤول قبل كل شىء مايراه ، ويعطيك ماأوله بتعابير ملؤها الرموز والكنايات ، وعليك ان ترى وتؤول وتفهم هذه التعابير ، لأنه فنان يود الادراك عبداً للراحة ، والفتور . هو يريد ان يطربك بموسيقاه فتطرب ، ولكن موسيقاه تغرى الأرواح باستقراء الأرواح . فتذهب روحك على أثره ، وانت تعلم وقد لاتعلم ! حتى تجوز مايقدر لها ارتفاعها من مراحل . وان فى هذا السفر تعباً ولكنه تعب فيه لذة المستكشف فاذا كان يطيب لك ان تجول فى بقعة غريبة تطلع على مجاهلها وتفرح بما تجد ، فجدير بك ان تكون اكثر طرباً ، وقد وقعت على بقعة نفسية مجهولة تستكشف مخبوءاتها ، وتقف على مكنوناتها

كتب (ملارمى) جوابا عن سؤال « ان البرناسيين يأخذون الشىء بتمامه ويبدونه للعين ، مع أن تعيينك للشىء هو حذف ثلاثة ارباع لذته ، لأن اللذة الحقيقية تكمن فى الاستكشاف التدريجى . وفى التنويه الذى ينطوى على السحر الذى ألف عالم الرموز .

ولكن هذا الفن الشعرى الذى كانت له مآثره كانت له عيوبه أيضا ، فأصحابه وهم ينطقون عن الغامض والمبهم ، وقعوا فى التعابير المظلمة ، فجاء شعرهم محاطا بحجب كثيفة لاتزيحها الأيديهم . على أن الشعر الرمزى — برغم هذه الأخطاء والأخطار — قد فتح فى الأدب عالما اتسع للاوهام والحقائق الخفية ، وانشأ روحا جديدا للعاطفة الشعرية التى تعددت وتعدد من أجلها المذاهب ، وهى واحدة لكنها غامضة لم تزل وراء الرموز ؟

دير الزور — خليل هنداوى



٢ — أهل الكهف

قصة مسرحية للاستاذ توفيق الحكيم

بحث وتحليل ونقد بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

ألوان التفكير :

لا نقصد الى استقصاء ألوان التفكير فى الرواية . فالتفكير العميق المنساب فى غير لجب ولا عنف هو من أظهر مميزاتها . وقلما تخلو منه صفحة من صفحاتها . والقارىء المطلع على الادب العالى فى الأمم الراقية يألف هذه الأفكار ، ولا يجد هذه المناحى من التفكير غريبة عنه . وانما براعة هذا المؤلف المسرحى حق براعته فى أنه لا يشعرك بأن له فكرة ، أو أنه يفكر ويتفلسف . وانما هى وقائع الحال ناطقة ، وهذا الذى تسمعه هو ما يجرى على لسان الحال ، وتنطلق به كل نفس على سجيتها فى مثل هذه الملابسات

فالرواية لها فكرة عامة خرج بها المؤلف من بعث هؤلاء الذين بعثوا . وفيها تشاؤم متغلغل خفى نكتفى بالتنويه به تاركين للقراء اكتناهه .

كما أن كل فصل من الفصول الأربعة يكاد يكون له فكرة خاصة يدور على محورها . فهو يعرض فى الفصل الاول للايمان وصنوفه : فثمة ايمان الراعى الموروث فى رسوخه وبساطته من غير تحليل ولا تعليل ، فهو ايمان التسليم الخاشع والعاطفة الجميلة الساذجة . فاسمع اليه يروى يوم أن ذهب الى المدينة فى بعض شأنه ، فلمح خارج أسوارها راهباً يتكلم فى جمع صغير بين خرائب قديمة تخفيهم عن الأعين ؛ فاقترب وأصغى اليه ، فاذا به كأنما انقلب إنساناً آخر . فلما سأله صاحباه فى الكهف عما كان يقوله الراهب ؛ قال : « لست أذكر شيئاً مما قال ، لكنى لن أنسى ما شعرت به إذ ذاك ، إحساس لم يعترنى فى حياتى من قبل إلا مرة ، إذ كنت أهبط الجبل ساعة غروب ، فأشرفت على منظر بالخلاء لم أر أجمل منه ، فلبثت ليلتى أفكر وأستذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل ؟ أفى الطفولة ؟ أفى الاحلام ؟ أم قبل أن أولد ؟ . إن هذا الجمال على غرابته ليس مجهولا منى . وقمت فى الفجر فذكرت صورة البارحة ، وفجأة برقت فى رأسى فكرة : هذا الجمال كان موجوداً دائماً منذ الازل ، منذ وجدت الخليقة . هذا الاحساس بعينه هو ما شعرت به وأنا أصغى الى الراهب . إن كلامه الذى أسمعه لاول مرة ليس مع ذلك جديداً عندى . أين سمعته ومتى ؟ أفى الطفولة ؟ أفى الحلم ؟ أقبل أن ولدت ؟ وتولدت فى نفسى عقيدة أن هذا الكلام هو الحق ، إذ لا أتصور لهذا الوجود بدونه ولا انتهاءه بدونه . . . »

أما المستشاران فهما بطبيعة تعليمهما وحداثة عهدهما بالعقيدة يؤمنان ايمان العقل والمنطق ، فلا شأن لله فيما وقعا فيه بل هما اللذان أوقعا نفسيهما فى التهلكة . وهما يفكران فى أمرهما أكثر من تفكيرهما فى الله . واذا صليا له فلكى يسألانه الخير لهذا لامرأته وولده وذاك لحبيبته . والحب يبتلع كل شىء حتى الايمان لأنه ايمان أقوى من كل ايمان . وما دام الله قد خلق للناس قلوبا فقد نزل عن بعض حقه عليهم . . . واذا هما قابلا بين ايمانهما هذا وايمان الراعى قدرا فى تحليل وتعليل أن صاحبهما خلى القلب فلا يضيره أن يبيح قلبه كله لله أو للشيطان

ثم ايمان المرأة ، فقد كان حسب ابنة الملك أن تسمع الفتى الذى تحبه يقول لها وهى فى ثياب بيضاء تخطر فى بهو الأعمدة فى هدأة الليل وسكون القصر « إنك ملك من ملائكة السماء » وأن تعلم منه أن هذا فى المسيحية اسم لمخلوقات أسمى وألطف من مخلوقات الارض ، حتى رضيت نفسها عن المسيحية وارتاحت لها بحافز مما فى الاحياء عامة وفى المرأة خاصة من الانانية الكامنة .

ويأتى الفصل الثانى فتراه يعالج فى مطالعه طبيعة المرأة . فهى أبداً امرأة ، قديسة كانت أو غير قديسة ، ملكة أو من بنات السوقة فاذا قيل ارتباط بعهد مقدس لم يخطر لها انه مع الله بل حسبته مع من يختاره قلبها . فقلب المرأة يتسع دائماً لله ولغير الله . ولعل القديسة كانت تفضل أن تكون امرأة لو أنها استطاعت .

والفصل الثالث عن الزمن . فالمؤلف يشعرك بأنه لا حقيقة للزمن خارج شعورنا وأنه على قدر تطور شعورنا تكون حركة الزمن . فكل واحد من أهل الكهف لم يشعر بشقة الزمن الذى غبر حتى أحس بالشقة السحيقة بينه وبين من حواليه فى الشعور . والذى أطال وهم أصغر فتية الكهف أنه التقى بمن تشبه حبيبته ، وتكاد تكون

مثالا لتقمص روحها ، فلم يصدق دورة الزمن حتى حدث له ما حدث . ثم اسمع لقائل منهم يقول : « حياة جديدة ! إن مجرد الحياة لا قيمة لها . ان الحياة المطلقة المجردة عن كل ماض وعن كل صلة وعن كل سبب لهي أقل من العدم . بل ليس هناك قط عدم . ما العدم إلا حياة مطلقة » .

والفصل الأخير يعرض لحيرة العقل في الحد بين الوهم والحقيقة ، وما يعترض المعرفة الصحيحة من عقبات لقيام العواطف الداخلية والمؤثرات الخارجية ، وكيف اختلاط الحقيقة بالوهم بحيث يرفع الخيال عالم الواقع ويحمل الحلم عالم اليقظة ، كما يفعل الفني بمادته من الحياة فيسبغ عليها من عبقريته معنى فنيا من جمال أو فظاعة لم يكن لها .

أسلوب التأليف

المؤلف خبير بالقصة المسرحية ، وما يدخل هذه الصناعة من التفنن والاحتيال . فلم يغفل عن شيء فيه تقوية العمل والحركة في روايته . وقد بث في أثناء كل فصل من فصولها المفاجأة بعد المفاجأة فكلما استقرت حواسك وألفت من القصة مسلكا ، ابتدهك بما يجدد اهتمامك ويفززك ، فلا يدركك فتور ولا ركدة . والعجيب أنك على عرفانك بوقائع القصة المروية فأنه يسوقها في نظام يجعل شعورك بها جديدا ، ولا يسردها سردا في نفس واحد ، بل يفرط عقدها حبة حبة بين حين وآخر في ظرفها الملائم وموقعها المناسب ، فاذا كل واقعة تفعل في نفسك كأنه أول عهد لك بها . كما أنه لا يفتأ يستغل كل جزء منها في أصغر تفاصيله ويستنبطه حتى آخر قطرة فلا يتركه بعده الا مصاصة جافة . ومؤلفنا من طبيعة ذهنه الاستطراد والتنقل من فكرة إلى فكرة ومن احساس الى إحساس ، تداعى جميعها في سبحات خالة دون ان يكون سياقها منبتا وعراها متفككة ومن ديدنه أحيانا تكرار الجمل وترديد الخواطر في مواضع تشعرك بتعلق القوم بأمل ضعيف واه يعيدون فيه ويستأنفونه محاولين بهذا إقناع أنفسهم . ثم ان عنده مقدرة بارزة الأثر في تعقيد المواقف وخلق سوء التفاهم بحيث يتكلم كل فريق ويتصرف بما يفهمه الآخر على غير الوجه المقصود وإن كان يحتمله منطوقه . وله هنا وهناك فكاهة دقيقة تجمع في بعض الاحايين بين المفكه والفاجع ويتجاور فيها الدمع والابتسام .

وعبارة الكاتب فيها قصد وايجاز تغنى بالاشارة عن الافاضة وتنطوي على ايحاء يفتح للقارىء نوافذ وكواء على آفاق وأجواء . وفيه شاعرية غنية تمده بالجميل قالبا ودلالة . فيقول مثلا عن أساطير الأمم أنها ضمير الشعب . ويقول على لسان أحد فتية الكهف وقد برم بالحياة في هذا الوسط الجديد « إلى الكهف ، الكهف كل ما نعرف من مقر في هذا الوجود ، الكهف هو الحلقة التي تصلنا بعالمنا المفقود » ، وعلى لسان آخر منهم « أننا أشباح . لسنا ملك الزمن . إنما نحن ملك التاريخ . وقد هربنا منه . فالتاريخ ينتقم ! » .

كذلك قصة أورشليا فهي في ذاتها جميلة رائعة ويزيد في روعة جمالها موضعها من قصة أهل الكهف لما بينهما من مقابلة ، ولو أنه يخشى ألا يكون للرومان والمسيحيين الأوائل علم بأساطير اليابان في عزلتها العتيدة .

وإلى هذا ملكة في التصوير ملحوظة . وأبرع مثال عليها وصف الراعي لاحساسه بالغربة في هذه البيئة المستحدثة :

« آه لو تعلمان ما رأيت الآن في شارع بطرسوس ، إن كانت هذه بعد مدينة طرسوس ! لو رأيتماني وقد أحاطت بي ناس في ثياب غريبة وعلى وجوههم ملامح غريبة . وأينما سرت فهم في إثري بنظراتهم المستطلعة الحذرة . وكأنهم يتفحصون أمري تفحص من يحسبني من عالم الجن . لا أستطيع مخاطبة أحد منهم ، وإن فعلت فلا أحسبني أجد مجيبا بل نظرات صامتة مفزوعة . . . بل إني سمعت أثناء هذا نباحا خافتا مخنوقا ، فانتبهت فألفيت كلبي قطميرا كذلك قد أحاطت به كلاب المدينة ، وطفقت ترمقه وتشمه كأنه حيوان عجيب . وهو يحاول الخلاص من خناقها ولا يجد الى ذلك سبيلا . وجرى المسكين أخيرا الى جدار قريب ووقع تحته اعياء ورعبا ، والكلاب في أثره ، حتى وقفت منه على قيد خطوة . تعيد النظر اليه ، ويريد بعضها الدنو منه لمعاودة شمه فيقصيها الحذر . . . هذا أنا ، وهذا كلبي قطمير في هذه الحياة الجديدة » .

وله أيضا زكانة لادراك العواطف المركبة وتحليلها : كاستمتاع بريسكا بعنف فتى الكهف في كلامه معها يحسب أنها حبيبته تلك التي عاهدته في العصور الغابرة وأنها خانته وحنثت بعهده . فهي وإن صدمها عنف هذا الخطاب الا أنه يشعرها بأنها محبوبة — ولو وهما ، يشعرها بعاطفة الحب التي تعيش كل امرأة في انتظارها .

كذلك له توفيقات عجيبة نذكر منها على قبيل المثل أنه يجعل الراعي أول من استيقظ من أهل الكهف كعادة الرعاة في التبكير ويتلوه مرنوش لأنه أكبر الصاحبين سنا والمرء يقل نومه كلما تقدم به العمر ، وأخيرا مشلينيا لأنه فتى والفتيان نومهم عميق . ونجتزىء لضيق المقام بهذا المثل . ولا نحسب أن المؤلف حسب لكل هذه التوفيقات حسابها الدقيق ودبر لها التدابير . ولكنها — فيما نعلمه عن المؤلف — الهام ذوقه الفني . وان هذا الذوق الفني العميق الشعور هو فيما يكتب هاديه ومسدد خطاه .

الختام

فقصة الكهف قد استوفاها مؤلفها الشاب من ناحية التأليف المسرحي ورسم الشخصيات وعمق التفكير وجمال الحوار . ولاشك أن القارىء لا يفرغ منها حتى يقول : هذا الفتى فنان حتى أطراف أنامله .

2 me Année, No. 34

Lundi-26-2-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ قرش في مصر والسودان

٨٠ في الاقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢ ٤٠٥٣٠

العـــدد ٣٤ «القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٤» السنة الثانية

فهرس العـــدد

أسبوع جول رومان

للدكتور طه حسين

يستطيع هذا الاديب الفرنسى الكبير ان يقول لنفسه منذ الآن ولمواطنيه اذا عاد اليهم بعد أيام انه شغل المثقفين من سكان مصر اسبوعا كاملا بل اكثر من أسبوع ، ويستطيع ان يقول لنفسه ولمواطنيه انه شغل هؤلاء المثقفين من سكان مصر شغلا لذيذا مريحا ممتعا لا ألم فيه ولا جهد ولا عناء ، وانما فيه الحديث الحلو ، والحوار العذب ، والتفكير الخصب ، والاعجاب بمظاهر الجمال الفنى الرفيع وقد يكون مسيو جول رومان من هؤلاء الادباء المتواضعين الذين يسرهم ما يلقون من نجاح فيتحدثون به الى انفسهم والى الناس ، وينعمون به اذا تحدثوا الى انفسهم أو الى الناس . وقد يكون من أصحاب الكبرياء التى تدعو أصحابها الى العجب والتيه والخيلاء فيزدهيهم النجاح ويدفعهم الفوز الى ان يفاخروا ويكاثروا ويستطيلوا على المنافسين ، وقد يكون من أصحاب هذه الكبرياء التى تدفع أصحابها الى ان يستغنوا بأنفسهم عن كل شىء وعن كل انسان . والى ان ينظروا الى الناس فى شىء من الازدراء الرحيم ، فلا يزدهيهم اعجاب الناس بهم ، ولا يسوؤهم اعراض الناس عنهم ، ولا يستخفهم من الناس شىء ، لأنهم لا ينتظرون من الناس شيئا ، وانما ينتظرون من انفسهم

كل شيء ، وأكبر الظن ان جول رومان ليس من هذه الطبقة بين طبقات الادباء ، فقد رأيته شديد العناية بما يكتب عنه فى مصر أو يقال فيه ، ورأيته شديد الحرص على ان يتبين ذلك ويحصيه ويتفهمه ، ثم سمعته يتحدث فى بعض محاضراته عما قال هذا الناقد أو ذاك فى هذا الكتاب او ذاك من كتبه التى اذاعها فى الناس ، بل سمعته يتحدث فى بعض محاضراته بأنه اذا اصدر كتابا من الكتب التى يصور فيها حياة الافراد والجماعات كانت عنايته برأى هؤلاء الافراد وهذه الجماعات فى كتابه أشد جدا من عنايته برأى النقاد والزملاء . وقد قص علينا فى ذلك قصصا طريفة ، وكان ظاهر السرور والرضى حين كان يقص علينا هذه القصص لانها كانت تصور مقدار ما ظفر به من التوفيق إلى رضى الافراد والجماعات الذين وصفهم فى كتبه وأسفاره . وقد حدثنا بانه يلهو أحيانا بالمقارنة بين ما يكتب اليه القراء وبما يكتب عنه الناقدون ، وبما تنتهى اليه هذه المقارنة من بعد النقاد عن الحق والانصاف وتورطهم فى الخطأ والجور ، ومن اصابة القراء لمواضع الصدق وحسن التقدير . واذا لم يكن جول رومان من أصحاب الكبرياء الطاغية المعتصمة بنفسها المتعالية عن الناس ، فليس من شك فى أنه سيغتبط ويبتهج حين يعلم أنه قد شغل المثقفين فى مصر أسبوعا أو أكثر من أسبوع ، ولم يثر فى نفوسهم الا حبا له وإعجابا به وعناية بآثاره ، وجداً فى قراءتها والاستمتاع بما فيها من جمال . نعم وسيبتهج ويغتبط حين يعلم أن المثقفين من أهل مصر قد نظروا إلى هذا الاسبوع الذي أقامه بينهم محاضراً متحدثا كأنه عيد من أعياد الثقافة العليا ، خلصت فيه نفوسهم من أثقال الحياة اليومية وأعبائها وتكاليفها وما تثيره من الخصومات وما تبعثه من الهموم التى تضعف القلوب ، ومن الأحزان التى تميت النفوس ، ومن المشاغل التى تنحط بالعقول عن مكانتها وتبتذلها ابتذالا .

بدىء هذا الأسبوع حين ألقى جول رومان محاضرته الأولى فى مدرسة الليسيه الفرنسية ، وختم حين ألقى محاضرته الأخيرة فى قاعة الجغرافية مساء الخميس الماضى ، وكان فى محاضرته الأولى يتحدث عن وطنه فرنسا ورأى الأفراد والشعوب فيه ، وكان فى محاضرته الأخيرة يتحدث عن نفسه وعن كتابه الأخير ، وعن رأى الناس من مواطنيه ومن غير مواطنيه فيه وفى هذا الكتاب . وكان فيما بين ذلك يتحدث عن العقل وعما أحدث فى حياة الناس السياسية من خير ، وما ينتظر أن يحدث فى مستقبل حياتهم من خير . وكان فيما بين ذلك أيضا يتحدث إلى الجماعات والأفراد أحاديث خاصة فى موضوعات مختلفة من الأدب الفرنسى والأجنبى ، ومن السياسة والفلسفة والاقتصاد . وكانت أحاديثه ومحاضراته كلها متعة غالية ممتازة للذين استمعوا منه وتحدثوا اليه . ذلك ان جول رومان ليس اديبا عاديا من هؤلاء الأدباء الذين ينتجون الآثار الادبية القيمة دون ان يمتازوا باكثر من قدرتهم على الانتاج وبراعتهم فيه . انما هو أديب ممتاز حقا . ولعل خير ما يميزه من الادباء انه من هؤلاء الافراد القليلين الذين جعلت نفوسهم مرآة صافية شديدة الصفاء . تنعكس فيها صور الحياة التى تحيط بها ، فاذا وصلت اليها استقرت فيها . وما تزال الصور تتبع الصور دون أن يطغى بعضها على بعض أو يفسد بعضها جمال بعض . واذا أنت أمام نفس من أغنى النفوس ، أمام نفس لا تصور فرداً ولا بيئة ، انما تصور شعبا كاملا ، وانما تصور خلاصة كاملة لارقى ما تصل اليه الثقافة فى عصر من العصور . فالذين كانوا يسمعون من جول رومان أو يتحدثون اليه انما كانوا يسمعون من العقل الفرنسى كله ، ويتحدثون الى العقل الفرنسى كله ، ولا تظن ان فى هذا النحو من القول غلوا او ميلا الى الإسراف ، انما هو الحق كل الحق ، والاقتصاد كل الاقتصاد . ذلك أن جول رومان لم يكد يبلغ رشده الادبى كما يقول حتى رأى نفسه أكثر من فرد ، ورأى مطمعه الادبى أكثر من مطمع الفرد ، ورأى انه اذا كتب فلن يستطيع ان يكتب كما تعود الناس أن يكتبوا فى هذه الموضوعات المحصورة ، وفى هذه الاطارات الضيقة المحدودة . وانما هو ان كتب فسيصور الجماعات ، وسيصورها فى اطار واسع مخالف لما الف الكتاب ان يتخذوا من الاطارات والحدود . رأى

أنه لا يستطيع أن يتخذ الفرد من حيث هو فرد موضوعا لأدبه ، وإنما الجماعة هي موضوع هذا الأدب ، فهو شاعر الجماعات إن نظم الشعر ، وهو واصف الجماعات أن كتب القصص ، وهو مصور الجماعات ان عالج التمثيل . ولم يكد يكتب وهو في العشرين في أوائل هذا القرن حتى ظهرت هذه الخصلة في آثاره ظهورا بينا وفرضت نفسها عليه فرضا ، وأحس هو ذلك وشعر به ، وإذا هو ينظم صفته هذه تنظيما ويصوغها صيغة المذهب الأدبي ويدعو الى هذا المذهب ويجاهد في الدعوة اليه ، وإذا هو على شبابه صاحب مدرسة لها تلاميذ ولها أنصار ، وإذا مدرسته لا تلبث أن تتجاوز حدود فرنسا بل حدود أوربا فتكسب الانصار والتلاميذ في المانيا وانجلترا وامريكا . ثم تتقدم به السن ويمضي في انتاجه الأدبي شعرا وقصصا وتمثيلا ، وكلما يمضي في هذا الانتاج زاد امتيازه وضوحا وجلاء ، ولان مذهبه واشتدت مرونته . وإذا جول رومان منذ أعوام يفرض نفسه على الأدب الفرنسي ثم على الأدب الحديث فرضا ويصبح من أظهر الممثلين لحياة الأدب الفرنسي في هذا العصر الذي نعيش فيه . فليس غريبا اذن أن يكون حديثه حديث الشعب الفرنسي المثقف كله ، لأنه قد وعى هذا الشعب كله وصوره واختصر خلاصته كلها في نفسه ، فهو يتحدث بها وهو يتحدث عنها وهو يصورها في حديثه أجمل التصوير وأروعه وأبلغه تأثيرا في النفوس . وقد عالج جول رومان من فنون الأدب الشعر وعالج القصص وعالج التمثيل . وكان قبل هذا كله أستاذا للفلسفة . مر بالسوربون طالبا وتخرج من مدرسة المعلمين العليا ، وعلم في المدارس الثانوية . وليس هنا بالطبع موضع الدرس لشعره وقصصه وتمثيله . فذلك شيء لا يتسع له فصل في صحيفة بل لا تتسع له فصول ، وإنما تتسع له كتب وأسفار

ولكن من الخير أن ندع الآن شعر جول رومان لأنه هو نفسه قد انصرف عن الشعر أو كاد ، وأن نقف وقفة قصيرة عند تمثيله ووقفة أقصر منها عند قصصه وعند كتابه الاخير بنوع خاص . ولعل أظهر ما يمتاز به تمثيل جول رومان أنه أقرب التمثيل الفرنسي الحديث الى تمثيل موليير ، فموضوعاته فرنسية ولكنها من دون إطارها الفرنسي تتجاوز فرنسا وتصبح موضوعات إنسانية عامة لا تقف عند بيئة خاصة ولا عند زمان بعينه ، وإنما تتجاوز الزمان والمكان المعينين الى جميع الازمنة والأمكنة . فقصته الدكتور كنوك ليست نقدا للطبيب بعينه ، ولا للطبيب فرنسي ولا للطبيب في القرن العشرين وإنما هي نقد للون من ألوان حياة الأطباء في كل أمة وفي كل عصر وفي كل مكان . ولا يكاد يعرف التمثيل الفرنسي بعد الحرب فوزا كالفوز الذي أدركته هذه القصة التي لا أتردد في أن أراها آية من آيات التمثيل الحديث .

وقصته التي تسمى مسيو لترودك ، وقصته الأخرى التي تسمى زواج لترودك لا تصفان أستاذا بعينه من أساتذة الجغرافية ، وانما تصفان لونا من حياة الاستاذ الذي تطغى عليه ظروف الحياة فتخرجه عن الدرس الى الحياة العامة وتعرضه لألوان من المحن والخطوب تثير الضحك ولكنه الضحك الذي يثيره موليير ، والذي يمتلىء بالعبر والعظات . وقد هممت أن أسأل جول رومان لماذا اختار لهاتين القصتين بطلا من أساتذة الجغرافية ، دون أساتذة التاريخ أو العلم الطبيعي أو الفلسفة . وأكبر الظن أن هذا الاختيار ليس نتيجة المصادفة ، ومن يدري لعله كان يضيق بأستاذ من أساتذته الذين تعلم عليهم وصف الارض وتقويم البلدان في المدرسة أو الجامعة . وليس أقدر من جول رومان على تشخيص الجماعات ومحو ما بين أفرادها من الفروق ، وجعلها شخصا واحدا يشعر ويعمل ويتكلم ويصدر في هذا كله عن نفس واحدة ، والذين يقرأون زواج لترودك يرون أنه وفق في ذلك الى أقصى حدود الاتقان .

أما كتابه الاخير الذي لم تتفق أمس — وكنا كثيرين — على ترجمة دقيقة لعنوانه ، والذي أسميه كما سماه صديقي هيكل ، الاخيار من الناس ، فأعجوبة القصص الفرنسي في هذه الايام . أخذ يظهر منذ أعوام . وظهر منه الجزء الخامس والسادس في هذا العام . والناس يتساءلون كم تكون أجزاؤه ؟ وجول رومان يأبى أن ينبئهم بعدد هذه الاجزاء اشفاقا عليهم وعلى نفسه من السأم والخوف فيما يقول ، وأكبر الظن أنه لا ينبئهم بعدد هذه الاجزاء لأنه هو لا يعرف كم تكون ، وقد زعم بعض نقاده في النوفيل لتررير منذ أسابيع أنها قد تنيف على العشرين وتمى

ماقد الطان ان تبلغ الخمسين ، والله يعلم ماذا يتمنى جول رومان . وأكبر الظن أنه لا يتمنى الا أن تستقيم له الطريق ، ويمضى القلم فى يده حتى يتم شيئا لم يستبينه هو فى نفسه الى الآن .

وقد حدثنا جول رومان عن كتابه هذا أحاديث ضاق بها توفيق الحكيم ، لأنه لا يحب أن يتحدث الكتاب عن أنفسهم وعما يكتبون . ورضيت عنها أنا كل الرضى لأن الكتاب اذا بلغوا منزلة جول رومان كان من حقهم ان يتحدثوا عن أنفسهم . ولست ادرى لم يباح للكتاب ان يتحدثوا عن انفسهم الى عشرات الالوف فى الكتب ، ويكره منهم ان يتحدثوا الى المئات فى قاعة من قاعات المحاضرات ، واحب ان يعلم توفيق الحكيم ، وان يعلم جول رومان أيضا انى لم أومن بكل ماسمعت من هذا الحديث . فالاديب يحدثنا بأنه تصور موضوع كتابه تصورا دقيقا كل الدقة ، محددا من جميع الوجوه ولم يبدأه حتى وضع له برنامجا مفصلا أدق التفصيل ، ولما كان من المستحيل ان يعرض علينا الصورة التى فى نفسه ، او البرنامج الذى رسمه لكتابه على الورق ، فانى اسمح لنفسى بأن اشك فى هذا الحديث . وانما هو خيال يتلهى به الكاتب الاديب ، على حين انه فى حقيقة الامر لا يتصور كتابه الا تصورا مجملا تفصله الظروف ، وتفصله المزاولة والكتابة بنوع خاص . ذلك ان موضوع الكتاب ليس من هذه الموضوعات التى يمكن ان ترسم فى دقة وضبط ، فجول رومان يريد ان يصف الجماعة الانسانية ، فحدثنى كيف تستطيع ان تحدد هذه الجماعة او ان تحدد ماتريد ان تصف من أمرها تحديدا دقيقا ، بل ان تصف ذلك بالفعل انما يريد جول رومان أن ينشىء أثرا كالذى انشأه بلزاك أو زولا أو رومان رولان . ولكن من الذى يستطيع ان يقول ان هؤلاء الناس قد رسموا موضوعاتهم رسما دقيقا قبل ان يبدؤا فى كتابتها . انما الشىء القيم الذى تحدث به الينا جول رومان هو مذهبه فى الاستعداد لكتابه ، فهو لا يسلك طريق غيره من الذين سبقوه فيحصى ويستقصى ويكتب المذكرات ويجمعها ويرتبها ثم يعود اليها كلما هم بالكتابة فى موضوع من الموضوعات ، وانما هو يحيا فى جميع البيئات التى يريد أن يصورها ، يحيا فيها كما يحيا أهلها ، حتى يصبح واحدا منهم ، ثم يرسل خياله على سجيته فيكتب ، حتى اذا أتم الكتابة عاد الى هذه البيئة فقارن بين الصورة وبين الاصل وانتهى فى أكثر الاحيان الى الرضا عن هذه المقارنة

على أن التصوير الصحيح لمذهب جول رومان فى الاستعداد لهذا الكتاب هو الذى تقرأه فى المقدمة ، فهو تصوير معقول لا يتجاوز حدود الممكن المألوف ، وهو فى الوقت نفسه تصوير يبين ما فى هذا الكتاب من الابتكار . فالكتاب لا يدور حول شخص بعينه ولا حول حادثة بعينها ، وانما هو قصص كثيرة مختلفة البيئات كثيرة متباينة ، تنشأ هذه القصص فى وقت واحد أو فى أوقات متقاربة ثم تمضى كل واحدة منها فى طريقها التى رسمت لها فتلتقى أحيانا وتفترق أحيانا ، وتتوازى أحيانا ، ويضاد بعضها بعضا أحيانا أخرى والله يعلم ولعل جول رومان يعلم أيضاً إلى أين تنتهى وكيف تنتهى آخر الامر

وقد بدأت هذه القصص فى اكتوبر سنة ١٩٠٨ وحدثنا جول رومان انها تنتهى فى سنة ١٩٣٣ الا أن يطرأ ما يغير هذا الميعاد . فالكتاب اذن محاولة جديدة لوصف الجماعة الانسانية وصفا تصصيا رائعا فى ربع قرن ، وتريد أن تعلم بالطبع هل وفق جول رومان إلى ما أراد ، وتريد أن تعلم مقدار ما فى هذا الكتاب من روعة وجمال . فالذى أستطيع أن أقوله هو أن كتابا آخر لم يظفر بمثل ما ظفر به هذا الكتاب من الاعجاب بعد كتاب مرسيل بروست فى هذا العصر الذى نعيش فيه . فاذا اردت ان تتبين جماله وروعته فالسبيل الى ذلك ان تقرأه ، وانا واثق بانك لن تأسف على ما تنفق فى قراءته من الوقت أو الجهد.

طه حسين

صندوق الكتاكيت

للاستاذ أحمد أمين

كان أمس ، من أيام الشتاء المشهودة : ريح صِرّ ، وليل قرّ ، حتى خَصِرَت اليد ، وقفقفت الأسنان ، ويبست الأطراف ، وتجلى « أمشير » بأحلى ما وسم به من هَوَج ورَعَن . حتى لو كان طفلا لسال لعابه ، أو رجلا لسقطت عنه التكاليف .

ثم انجلى الليل عن صبح بديع : سماء صافية ، وشمس مشرقة ، حاولت أن آتى لها بتشبيه جديد ، فكانت الشمس فى السماء أجمل من كل تشبيه قديم وحديث .

غادرت حجرتى الى حديقتى الصغيرة المتواضعة فوجدت خادمى قد سبقت ، فأخرجت صندوق الكتاكيت الى الشمس لينعم ما فيه بحرارتها ودفئها — وقع عليه نظرى ، وصادف ذلك منى تفكيرا فى موضوع للرسالة .

شعرت إذ ذاك بشخصيتين من نفسى تتناظران مناظرة عجيبة عنيفة أسجلها للقراء :

لم لا يكون (صندوق الكتاكيت) موضوعا طريفا ؟

إنه موضوع تافه لا يليق بأستاذ فى جامعة ، ولا بمدرس ، ولا بمساعد مدرس — إن الجامعيين وأمثالهم يجب أن تكون موضوعاتهم فى أعلى السماء ، أو أعمق الأرض ، ويجب أن تصبغ بصبغة ميتافيزيقية ، ويكون فيها الجوهر والعرض ، والكمية والكيفية ، والانّيّة والعلية . أما صندوق الكتاكيت فموضوع يثير الهزؤ والسخرية ، ويستخرج من النفس عاطفة الازدراء والاحتقار .

ليس ذلك بصحيح ، فكل شىء فى الحياة موضوع أدب ، وخير الأدب ما مس الحياة الواقعية ، واستخرج من تافه الأشياء فكرة بديعة ، أو رأياً طريفاً . لقد قال تعالى « إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها » ، والكتكوت خير من البعوضة من جميع الوجوه ، فالبعوضة منبع ألم ، والكتكوت منبع لذة — والبعوضة إذا كبرت كانت أقوى على اللدع وأقدر على الايلام ، بنفسها وبمنتجاتها ، والكتكوت اذا كبر كان دجاجة أو ديكا ، يسيل لعاب الانسان اذا تصوره على مائدة أنيقة ، أو تخيله وقد أنضجه طاه ماهر .

وضرب الله الذباب مثلا فقال تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعُفَ الطالب والمطلوب » وأين الذباب من الكتكوت ؟ وقد سميت فى القرآن الكريم سور منه بالبقرة والنحل والنمل والعنكبوت .

وقرأت لأديب كبير لا أذكره الآن «مقالا بديعاً فى زنبار أراد أن يخرج من شباك فاصطدم بزجاجه ، وحاول مراراً أن يخرج فلم يستطع ، فاستخرج الكاتب من ذلك قطعة فنية طريفة فى الحرية والاسترقاق ، وكيف يبحث الزنبار عن حريته فلا يجدها ، ثم هو لا ينساها مهما صادفه من عقبات ، وتحمل من آلام .

وكتب فيكتور هوجو قصة طريفة عن برغوت أنقذ أمة من الأمم سلط عليها حاكم ظالم لم تستطع حمله على العدل ولا إبعاده عن الحكم .

وبعد هذا وذاك كتب مستشرق كبير معاصر كتاباً جمع فيه ما قيل من الأدب العربى فى « البراغيث » ، واقترح عليه مستشرق آخر أن يسمى الكتاب « صيحة المستغيث من البراغيث » ، الى ما لا يعد ولا يحصى .

إذن فنظرتك فى اختيار الموضوع وأنه يجب أن يكون « أكاديمياً » ، وأن يعنون عنواناً ضخماً يستعمل فى اختياره كل ضروب التكلف والتعمق والفلسفة ، نظرة أرستقراطية بغيضة يجب أن تتخلص منها وتهزأ بما جرى عليه العرف فيها .

على هذا النحو ظلت الشخصيتان تتناظران ، وظللت أصغى

اليهما وأقيد أفكارها، الى أن طال الاخذ والرد، وأشفقت على القراء من استرسالهما فى الجدل، وحاولت أن أبتعد عن الصندوق، وأهرب من الموضوع فلم أستطع.

أيها الكتكوت! فيك كل معانى الحياة ومشاكلها ومظاهرها.

فاسمك - أولا - كتكوت ويجمع على كتاكيت، ولم أدر من أين أتى لك بهذا الاسم، فقد راجعت القاموس المحيط ولسان العرب، وغيرهما من كتب اللغة، فلم أجد فيها هذا اللفظ للدلالة عليك، ولا يستعمله الا أهل مصر. أما أهل الشام والعراق فلا يعرفونه - أتعمدت اللغة إهمالك احتقارا لك؟ ذلك ما لا أظن، لأنى أعلم أن اللغة ديمقراطية تعنى بالجليل والحقير على السواء، بل اللغة العربية مفرطة فى الديمقراطية فقد وضعت لأتفه الأشياء أسماء تعد بالمئات، واحتقرت أشياء عظيمة فلم تضع لها اسما للآن كالراديو والبيانو ومئات من المخترعات الحديثة، بل هم وضعوا لك اسما آخر هو «الفرخ» ولكن الفرخ غير مقصور عليك، شاركك فيه كل صغار الطيور حتى استعملوه أحيانا فى صغار الشجر والنبات، على أنهم وضعوا لك اسم (الفروج) فلم يطلقوه على غيرك من صغار الحيوان ولكنهم أشركوا معك فيه نوعاً من الأقبية وأمثالها ولعل العامة كانوا أنصف لك فوضعوا لك اسما خاصاً، ومن أولى بالتخصص منك؟

ولكن - مع كل هذا - لا أدرى من أين أتى اسمك «الكتكوت» فسأتركك لعلماء اللغــة والاشتقاق ومقارنة اللغات، من سريانية وآرامية وفارسية وعــبرية، لعلهم يجدون لك أصلا - وعلى كل حال فقد أثبتُّ أن فيك مشكلة من مشكلة الحياة العظمى، وهى مشكلة اللغة، وستثبت مشكلة أخرى أعظم من هذا وأعقد. فهب أن علماء اللغــة استنكروا هذه الكلمة فأين سلطانهم على لفظك الذى تداولته العامة ونطقت به قرونا.

فهل اذا صدر قرار بمحو هذه الكلمة لأنها ليست عربية يسمع ويطاع. على أى وجه من الوجوه أنت مشكلة حتى فى اسمك

هذه هى الخادم قد رمت الحب للكتاكيت، فلا تسأل عما كان بينهما من خصام ونزاع، ومباراة وسباق وضرب وطعان

وهل الانسان الا هذا - وهل تاريخ حياته الا نزاع وصراع، وقد عبروا عن ذلك أصدق تعبير فقالوا، ان الحياة جهاد - أوليس أكبر باب فى كتب التاريخ هو تاريخ الحروب والفتوح، واعــلان الحرب، ومعاهدات الصلح. وكل الفرق بينك ايها الكتكوت وبين الانسان أنك استعملت فى جهادك ونزاعك منقارك الوديع، وحسمك اللين الغض وحاد الانسان الراقى، فاستعمل فى الحصول على غذائه الكذب والخديعة والرياء والنفاق، واستعمل فى مدافعة خصومه كل طرق الكيد والدهاء، واستخدمت الجماعات فى حربها كل أنواع المدمرات والمهلكات - وقد أعطى الانسان عقلا أرقى من عقلك لينظم عيشه فأفسده، ولينظم السلم فنظم الحرب، وليعاون أخاه فعاداه.

- أيها الصندوق!

فيك تنازع البقاء وبقاء الاصلح، فيك استكانة الضعيف وغلبة القوى، فيك الضعيف يكره العراك، وفيك القوى يصول ويجول، ويدعو الى النزال - فيك الجمال وفيك القبح - استأنست ايها الكتكوت بالانسان صغيرا، ثم علمتك التجارب ففررت منه كبيرا.

وكنت مادة صالحة للغذاء كما كنت مادة صالحة للادب، فمن قديم استعيرت منك الاستعارات اللطيفة، والابيات الجميلة، فقد قال الشاعر

أرى فتنة هاجت وباضت وفرّختْ

ولو تُرِكَتْ طارت اليها فراخها

وفى حديث عمر. يا أهل الشام تجهزوا لأهل العراق فان الشيطان قد باض فيهم وفرخ

ثم قالت العامة «الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح»

وأخيرا، فيك سر الحياة الغامض - كيف دبت الحياة فيك

يوم كنت بيضة: وكيف تطورت جنينا، وكيف نبض قلبك لاول مرة، وكيف خرجت الى هذا الوجود، وكيف تموت ولم خرجت، ولم تموت؟. لو أفصحت لنا عن كل هذه الاسرار لكشفت سر الوجود، ولما كان هناك مجال لفلسفة ولا حكمة ولكنك أعجزت الفلاسفة، إذ كتمت سرك بين جناحيك فهامت الفلاسفة على وجوهها، وارتبكت فى تفكيرها .

إذن فيك أيها الصندوق الصغير، كل ما فى العالم الكبير، من معانى الحياة وغوامضها وأسرارها، وفيك كل مظاهر الانسان على تبجحه وغروره ـ وفيك ما حير العقول قرونا، وأجهد الفكر أجيالا ـ وهل العالم الا لغز، لو حل جزؤه لحل كله .

أحمد أمين

صفحة من تاريخ افغانستان المعاصر

بمناسبة حوادثها الاخيرة

للاستاذ محمد عبدالله عنان

فى الثامن من نوفمبر الماضى سقط نادر شاه ملك أفغانستان السابق قتيلا برصاص طالب أفغانى فى احدى حدائق كابول اثناء حفلة رياضية كان يشهدها الملك القتيل ، فخسرت أفغانستان بذهابه أميرا قويا حازما لبث مدى أربعة أعوام يشرف على مصايرها ويعمل لتنظيم شئونها وتوطيد سلامها فى ظروف عصيبة .

وكانت أفغانستان قبل ان يتبوأ عرشها نادر خان قد اضطرمت باحدى هذه الثورات القومية التى يتميز بها تاريخها منذ اواخر القرن الماضى، والتى تدفع بها دائما الى فترة من الفوضى الخطرة ، وتجعل من عرشها مثار معارك طاحنة بين الزعماء والمتغلبين ، ومن استقلالها هدفا تعمل السياسة الاجنبية ما استطاعت للنيل منه : وكان عرشها بعد أن غادره الملك السابق أمان الله فى صيف سنة ١٩٢٩ فرارا من نقمة شعبه قد تداوله اثنان فى بضعة أشهر ، أولهما عناية الله أخو أمان الله الأكبر ، والثانى حبيب الله أو باشا سقا الزعيم الثائر : وكانت أفغانستان تمزقها الحرب الاهلية حينما جاء اليها نادر خان وزير الحربية السابق فى أواخر سنة ١٩٢٩ من مقامه فى أوربا ، وانتزع كابول من يد الثائر وقبض عليه وأعدمه ، ثم نادى بنفسه ملكا ، واستطاع فى أشهر قلائل أن يقمع الفوضى وأن يعيد الى أفغانستان نوعا من السكينة والاستقرار .

ولم يكن مقتل نادر شاه (نادر خان) مفاجأة ولا حادثا غير عادى فى تاريخ أفغانستان الحديث ؛ فعرش أفغانستان يرتجف دائما فوق بركان من المنافسة الدموية : وقد قتل فى الفترة الأخيرة من ملوك أفغانستان عدة ، أولهم حبيب الله خان الذى قتل سنة ١٩١٩ . ولو لم يبادر الملك السابق أمان الله بالفرار لكان نصيبه هذا المصير الدموى . بيد أن هذا العرش الخطر ما فتىء يغرى زعماء القبائل والاسر الأفغانية ؛ ونخشى أن تعود هذه المعركة الخالدة على العرش فتضطرم غير بعيد فى أفغانستان ، وان كان الامير الفتى طاهر شاه ولد نادر شاه قد جلس على العرش غداة مقتل أبيه ، واتخذت فى الحال كل أهبة لاخماد كل نزعة للخروج والثورة . فقد كان نادر شاه يحكم أفغانستان مدى الأعوام الاربعة الماضية بقوة وذكاء ؛ ولكنه لم يستطع رغم عزمه وحزمه أن يخمد كل عوامل الانتقاض والفوضى التى تضطرم بها أفغانستان منذ أواخر عهد الملك أمان الله ؛ وقد نشبت فى عهده غير ثورة أخمدت دائما فى سيل من الدماء ، ومازال الملك السابق أمان الله يتربص فرص العودة الى عرشه ؛ وما زالت توازره فى أفغانستان بقية من أنصاره . هذا الى أن القبائل الافغانية القوية فى الشرق والشمال الشرقى مازالت تعيش فى نوع من الاستقلال الاقطاعى ، وتتردد بين تأييد العرش والخروج عليه حسبما تملى عليها مصالحها أو حسبما توجهها المؤثرات الاجنبية فى كثير من الاحيان

والحقيقة أن أفغانستان تجد نفسها منذ نحو قرن فى مركز حربى وسياسى يكاد يحرم عليها الحياة الهادئة . فهى تقع بين الهند البريطانية من الشرق، وبين التركستان الروسية من الشمال ، وتكون بذلك ملتقى الجذب بين سياستين استعماريتين قويتين تتنازعان السيادة والنفوذ فى أواسط آسيا ، وتلتقيان دائما فى ذلك الاقليم الجبلى الوعر ، الذى يحد حدودهما ويفصل بين أراضيهما ؛ اعنى أفغانستان . والشعب الافغانى لا يتجاوز أربعة ملايين جلهم من القبائل الجبلية ؛ ولكنه شعب قوى بخلاله الطبيعية

ونزعته العسكرية يعتصم دائماً بهضابه الوعرة ، ويحرص على استقلاله أيما حرص . واذا كان تجاذب السياستين البريطانية والروسية يعرض افغانستان بين آن وآخر الى تيار النفوذ الأجنبي ، فان أفغانستان من جهة أخرى تتخذ من هذا التجاذب أداة لتدعيم استقلالها ، وتجعل منه دائماً وسيلة لاقامة التوازن بين السياستين المتنافستين . بيد أن السياسة البريطانية التي تقدر أهمية افغانستان في حماية حدود الهند الشمالية الغربية من الغزو الروسي ، تحرص دائما على أن تكون راجحة النفوذ والكلمة ، ولا تتردد في تأييد هـذا التفوق في السهر على مصاير أفغانستان بالقوة القاهرة . وأفغانستان تعرف أنها لا تستطيع أن تتخلص من هذا النفوذ دون أن تعرض استقلالها للخطر ؛ وقد أنست هـذا الخطر في تاريخها الحديث غير مرة إذ غزتها الجيوش الانجليزية في سنة ١٨٣٨ ، ثم في سنة ١٨٧٨ : وعرض استقلالها للضياع في المرتين . وما زالت السياسة البريطانية الى يومنا تقوم بدورها التاريخي في السهر على توجيه شئون أفغانستان وتطوراتها .

ونستطيع أن نرجع من مرحلة التاريخ الافغاني المعاصر الى اواخر القرن الماضي ، أو الى عهد الامير عبد الرحمن خان الذي تولى العرش عقب تطورات الحرب الافغانية الانكليزية الثانية ، سنة ١٨٨٤ ؛ فقد استطاع هذا الامير القوي لاول مرة أن يحطم سلطة القبائل الاقطاعية ، وان يخضعها لصولة العرش ، واستطاع أن ينشىء لافغانستان جيشا نظاميا حسنا ، وان ينظم الضرائب والموارد العامة : وتمتعت افغانستان في عهده بعهد طويل من السكينة والاستقرار في ظل ادارة قومية صارمة . ثم توفي عبد الرحمن سنة ١٩٠١ وخلفه على العرش ولده حبيب الله خان . واستطاعت السياسة البريطانية في تلك الفترة ان توطد نفوذها في افغانستان ؛ وكان حبيب الله برغم حرصه على استقلال افغانستان الداخلي ، يصانع السياسة البريطانية ويتقي اثارتها ما استطاع ؛ وفي عهده بلغ النفوذ البريطاني ذروته في توجيه سياسة افغانستان الخارجية ، ولاسيما في علائقها مع روسيا القيصرية ، وتضاءل النفوذ الروسي الى أعظم حد . ولما نشبت الحرب الكبرى حافظ حبيب الله على صداقته مع بريطانيا العظمى ؛ وقاوم كل مسعى بذلته المانيا لتحريض افغانستان على نقض هذه الصداقة . ثم توفي قتيلا في أوائل سنة ١٩١٩ ، فخلفه اخوه نصر الله ؛ ولكن ثورة نشبت بقيادة امان الله ثالث اولاد حبيب الله انتهت بعزله . وتبوأ أمان الله العرش في ربيع هذا العام . وهنا كان تطور حاسم في تيار النفوذ الخارجي ؛ وانتهزت روسيا السوفيتية هذه الفرصة لتسترد نفوذها الذاهب ، فعاونت امان الله على انتزاع العرش من عمه ، واستعملت كل وسيلة لمقاومة النفوذ الانكليزي والقضاء عليه ؛ وذهب امان الله في خصومته للانكليز الى حد أنه دفع بجنده الى اجتياز الحدود الهندية ، ولكن الانكليز ردوها في الحال وعبروا الحدود الافغانية الى « دكا » ، وأرغموا امان الله على عقد الصلح ، ولكن بشرط أن تعترف انكلترا باستقلال افغانستان (اغسطس سنة ١٩١٩) .

وكانت روسيا من وراء أمان الله تؤيده وتوجه خططه ؛ وكانت انكلترا من جانبها تقدر هذا العامل الجديد في تطور حوادث افغانستان ، وتتحاشى الاصطدام بروسيا السوفيتية ، وتعمل لاتقاء دسائسها ما استطاعت ، وأفغانستان من جانبها تجنى ثمرة هـذا النضال بين الدولتين الخصيمتين . بيد أن السياسة البريطانية لم تعدم وسيلة للاتفاق مع امان الله ؛ ففي سنة ١٩٢١ عقدت في كابول معاهدة انكليزية افغانية جديدة ؛ تعترف انكلترا فيها باستقلال افغانستان الخارجي والداخلي ؛ وتعترف افغانستان فيها بالحدود الهندية الافغانية القائمة ؛ وتنص على تبادل التمثيل السياسي والقنصلي ؛ وتخول لافغانستان الحق في ان تستورد من انكلترا ما يلزمها من الاسلحة والذخائر معفاة من الرسوم . وفي سنة ١٩٢٣ عقدت بين الدولتين معاهدة تجارية . ومع أن العلائق بين انكلترا وأفغانستان لبثت عادية ودية ، فان النفوذ الانكليزي لم يعد الى سابق تمكنه واستئثاره ، واستمر النفوذ الروسي متفوقا في افغانستان مدى حين .

وقضت افغانستان فترة من الاستقرار والسكينة ، توطدت فيها شئونها الداخلية وعلاقتها الخارجية . وفي سنة ١٩٢٧ قرر الملك امان الله أن يقوم مع زوجته الملكة ثريا برحلة رسمية في بعض الدول الاوربية ؛ فغادرا أفغانستان في شتاء هذا العام ، ومرا في طريقهما بمصر ، وانفقا فيها بضعة أسابيع ، واستقبلا اينما حلا بمنتهى الاكرام والحفاوة ؛ ثم سافرا الى أوربا وزارا ايطاليا وفرنسا وانكلترا والمانيا ، وتسابقت الدول في الاحتفاء بهما واغداق الهدايا عليهما ، كما تسابقت في التقرب الى امان الله ومحاولة الحصول منه على بعض المزايا السياسية والتجارية ، ولكن امان الله لم يتورط في التعاقد واكتفى ببذل الوعود . ثم غادر المانيا الى روسيا ، واستقبله

حلفاؤه البلاشفة أعظم استقبال ، وعقدت اثناء مقامه بموسكو معاهدة افغانية روسية تجارية جديدة . وأبدى امان الله اثناء رحلته اهتماما عظيما بمظاهر الحضارة الغربية ، ولم يخف اثناء تجواله بيته فى الاقتباس منها لبلاده باعظم قدر ؛ والعمل على تجديد افغانستان ودفعها الى طريق الحضارة الغربية باسرع مايستطاع ؛ ولم تخف زوجته الملكة ثريا نيتها فى العمل على تعليم المرأة الافغانية وتحريرها ؛ وكان لهما فى ذلك تصريحات رنانة مازلنا نذكرها . واستمرت الصحف الاوربية مدى حين تفيض فى رحلة الملك الشرقى وفى اخباره وأعماله وأقواله ، وفى برنامجه الاصلاحى ، وفى أحوال أفغانستان وشئونها وأهميتها الحربية والسياسية . بيد أنه لوحظ منذ قصد أمان الله الى موسكو فتور الصحافة العربية فى الحديث عنه ؛ ولوحظ بنوع خاص أن الصحف البريطانية أخذت تحمل على سياسته ، وتنتقد زيارته لموسكو وتورطه فى محالفة البلاشفة . ولم يكن حديث الصحف البريطانية عبثا ؛ وانما كان دلالة اتجاه جديد فى السياسة البريطانية كما سنرى .

عاد امان الله الى افغانستان بعد أن زار تركيا وفارس ، وعقد مع كل منهما معاهدة صداقة ، وتأثر ايما تأثر بما رأى فى تركيا من مظاهر التجديد الاوربى . ولم يضع وقتا فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى : وكان برنامجا شاملا تناول نظم الحكم ، كما تناول كل نواحى الحياة القومية . فاما فى نظم الحكم فقد ألغى أمان مجلس الحكم القديم الذى يضم زعماء الدين ومشايخ القبائل بمجلس تمثيلى يؤلف بالانتخاب ، وأدخل نظام الوزارة الحديث ، والغى سلطات الاشراف وزعماء الدين ، وفرض الضرائب العامة المنظمة والخدمة العسكرية الاجبارية على كل أفغانى . وكان أمان الله فى الناحية الاجتماعية أشد جرأة واندفاعا وقد خيل له أنه يستطيع بقوة التشريع العاجل أن يخلق من افغانستان العصور الوسطى ، أمة جديدة تتمتع بمظاهر التمدن الحديث . وكانت زوجه الملكة ثريا ، وهى امرأة سورية لاتفهم روح الشعب الذى رفعت الى عرشه ، تدفعه فى ذلك الطريق بعنف ، فاصدر طائفة من القوانين الاجتماعية الجديدة ترمى الى تحرير المرأة وسفورها ؛ والغاء تعدد الزوجات ، ورفع سن الزواج ؛ والزام الافغانيين بلبس القبعة والثياب الاوربية على نحو مافعل مصطفى كمال بالترك ، وأرسل الى أوربا بعوثا من الشبان والفتيات ليتعلموا فى معاهدها . وكان الشعب الافغانى يشهد هذا الانقلاب فى دهشة وروعة ولا يكاد يصدق أنه المقصود بهذه الاجراءات ، وفى افغانستان أمة قديمة تغلب فيها البداوة ، ولم تخرج بعد من غمر القرون الوسطى ، وللتقاليد الدينية والاجتماعية فيها ايما هيبة ورسوخ . فوقعت هذه السياسة الجريئة فى الشعب الافغانى وقع الصاعقة . وثار سخطه لهذا الاحتراء على تقاليد القرون ، وقابل زعماء الدين والقبائل تلك المحاولة لسحق سلطانهم القديم بمنتهى الانكار والمقاومة ، ولم تمض أشهر قلائل حتى سرى ضرام الثورة الى ذلك الشعب المضطرم المتأهب ابداً للثورة وتحطيم أية سلطة مطلقة تحاول ارغامه على مالا يرضى .

نشبت الثورة بسرعة لأسباب وعوامل لم تتضح تماما . ولا ريب أن تطرف الملك أمان الله فى تطبيق برنامجه الاصلاحى كان عاملا هاما فى نشوبها بين القبائل الاقطاعية القوية التى أدركت خطر السياسة الجديدة على نفوذها واستقلالها المحلى ؛ ولكنه لم يكن كل شىء ، فقد نشبت الثورة بادىء بدء فى الولايات الشرقية المجاورة للسند ؛ ولاسيما منطقة جلال أباد ؛ وهى منطقة يسود فيها النفوذ البريطانى ؛ ثم امتدت بسرعة مدهشة رغم ما بذله أمان الله لحصرها واخمادها . وقد كانت السياسة البريطانية تأخذ دائما على أمان الله تأثره بنفوذ السوفييت ومحالفته إياهم ؛ وترى فى زيارته لموسكو وتقوية صلاته بالسوفييت تحديا لا تحمد عواقبه . وللسياسة البريطانية دائما أثرها فى تطورات أفغانستان الحاسمة ؛ والمرجح انها لم تكن بعيدة عن ذلك الانفجار الذى فوجىء به أمان الله . وكان خطراً على عرشه وشخصه . وقد استطاع أمان الله أن يهزم الثوار بادىء بدء ؛ واعتقد مدى لحظة أنه سيد الموقف ؛ ولكن الحوادث تفاقمت بسرعة وامتدت الثورة إلى الجيش ؛ وزحف الثوار على العاصمة الأفغانية ؛ فبعث الملك بزوجه وأسرته إلى قندهار ؛ وفر الأجانب من كابول على متن طيارات بريطانية أرسلت من الهند ، وحاول أمان الله عبثا أن يهدىء الثورة بالغاء القوانين الجديدة التى أصدرها ، فلما رأى أنه فقد كل أمل فى الاحتفاظ بعرشه وسلطانه ؛ نزل عن العرش لأخيه الأكبر عناية الله ، وفر إلى قندهار لاحقا بزوجه ؛ ولكن الملك الجديد ألفى نفسه فى مأزق صعب ، ولم يجرؤ على مواجهة الحوادث ، فغادر بدوره ذلك العرش الخطر وفر ناجيا بنفسه ، ودخل الزعيم الثائر باشه السقا كابول ظافراً ؛ وتربع على العرش باسم حبيب الله . (أوائل سنة ١٩٢٩)

من هم اخوان الصفا؟

للأستاذ أديب عباسى

أصل التسمية — نشأة الجمعية — طبقاتها — تأثيرها — رأي الناس فيها — رسائل الاخوان اجمالا

قدأظهر كولدزهير ان « أخا الصفا » تعنى - حسب الاصطلاح العربى - ذلك الذى صفت نفسه وخلصت سريرته فحسب - كقولك : يا أخا المروءة ويا أخا العرب ، وهكذا لا تكون لعبارة « اخوان الصفا » أية دلالة أو نسبة إلى أخوية من الاخويات على نحو ما يفهم من الاخوية حسب الاصطلاح الحديث . على أن « دى فو » فى كتابه (Les pensurs de l'Islam) يتساءل هل لهذا الاسم علاقة بكلمة فيلسوف كما ترد فى اصطلاح الفيثاغوريين ويقول : ان كلمة « أخ » تقابل الشطر الأول من لفظ « الفلسفة » (فيلو) وكلمة « صفا » تقابل معنى ومبنى الشطر الثانى منها (صوفى) وعليه يكون معنى الاسم محبى الحكمة .

هذا عرض موجز لرأيين مختلفين فى أصل تسمية الاخوان هذا الاسم لمستشرقين غربيين . وثم رأى آخر لاخوان الصفا أنفسهم فى أصل هذه التسمية لانعتقد أن باحثا من الباحثين فطن اليه أو نبه له ؛ فقد جاء فى الجزء الرابع من رسائل الاخوان (ص٣٧٣) ما يأتى : —

« وانما سمينا رسالتنا هذه رسالة السحر ليستدل اخواننا على الأسرار الخفية وليكونوا اذا بلغوا معالى العلوم ذوى غنى عن الحاجة إلى من سواهم فى جميع ما يحتاجون اليه من أمر معيشة الدنيا . فاذا وصلوا إلى هذه المرتبة صح لنا أن نسميهم باخوان الصفا . واعلم ياأخى ان حقيقة هذا الاسم هى الخاصة الموجودة فى المستحقين له بالحقيقة لا على طريق المجاز » . ويقولون أيضا (ج ٤ ص ٣٧٣ — ٧٤) : —

« واعلم يا أخى أنه لاسبيل إلى صفا النفس إلا بعد بلوغها إلى حد الطمأنينة فى الدين والدنيا جميعا . وهو أن يعرف الانسان بحسب قدرته توحيد الله جل جلاله . وبعد ذلك ما يكون به صلاح معيشة الدنيا والغناء فيها عن الحاجة إلى من عدم هذه الصناعة . ومن لا يكون كذلك فليس هو من أهل الصفا . لانه لو كان من أهل الصفا لكان بصفائه عمن دونه الغناء » .

لنا من جميع ما تقدم إن « إخوان الصفا » كما يعرفون أنفسهم - هم هؤلاء الذين حذقوا علوم الدين والدنيا معاً واستغنوا بها عن الحاجة إلى من سواهم .

وأخيرا نود ان نشير الى رأى أورده المستشرق كرلو نلينو فى كتابه « علم الفلك عند العرب فى القرون الوسطى » يفسر فيه معنى هذه التسمية بالرجوع الى عبارة وردت فى اول باب « الحمامة المطوقة » من كليلة ودمنة . على اننا لدى رجوعنا الى القطعة التى يشير اليها المؤلف فى رسائل الأخوان (أنظر الجزء الأول من الرسائل : ص ٥٣) لم يتبين لنا ان حادثة الحمامة المطوقة كما وردت فى كتاب كليلة ودمنة هى أصل التسمية . وذلك أن اخوان الصفا كعادتهم فى التمثيل لكل فكرة - قد أوردوا هذه القصة لبيان فائدة التعاون فحسب . بيد أنه قد يكون فى غير الموقع الذى يشير اليه المؤلف من الرسائل مايقوى هذا الرأى ؛ ولكن المؤلف لايشير الا الى ماتقدم

***

هذا وقد قامت جمعية اخوان الصفا حوالى سنة ٣٧٣ هـ . وكان مركزها العام مدينة البصرة (١) وقد ذكر المؤرخون خمسة بالاسم

(١) انفرد ابن تيمية ، دون باقى المؤرخين بذكر أن رسائل اخوان الصفا صنفت قريبا من بناء القاهرة (بغية المرتاد ص ٥٩) فاذا صح هذا الزعم فانه يرجح ان يكون مركز هذه الجمعية القاهرة ، لا البصرة . وتكون جمعية البصرة فرعا منها .

ولما رأى أمان الله تطور الحوادث على هذا النحو عاد فاسترد تنازله . وجمع فلوله وحاول السير إلى كابول ، ووقعت بينه وبين خصومه معارك عديدة انتهت بهزيمته ؛ فانسحب من الميدان أخيراً وفر مع زوجه وأسرته فى مايو سنة ١٩٢٩ عن طريق الهند ، ثم جاز إلى أوربا منفياطريداً ؛ واستقر بروما ، يرقب مجرى الحوادث فى أفغانستان ، ويسمع صوته كلما اضطرمت أفغانستان بحادث جديد . وكان آخر العهد بتصريحاته فى أوائل نوفمبر الماضى ، حينما قتل المرحوم نادر شاه ، فقد صرح يومئذ لبعض الصحف الكبرى أنه لا يتأخر عن العودة إلى أفغانستان ، وتبوء العرش إذا دعاه الشعب الأفغانى ؛ ولكن الشعب الأفغانى لم يقم بمثل هذه الدعوة ، وقد تبوأ ظاهر شاه ولد الملك القتيل العرش غداة مقتل أبيه .

لما غسبة — **محمد عبد الله عنان**

من أعضاء هذه الجمعية وهم . ابو سليمان محمد بن مشعر البستي ويعرف (بالمقدسي) ، وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني وابو أحمد المهرجاني والعوفي وزيد بن رفاعة .

وكانت جماعة الأخوان تتألف من اربع طبقات . الطبقة الأولى وتتالف من الاحداث الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والثلاثين . ويفرض على افراد هذه الطبقة الطاعة التامة واسلاس القياد لرؤسائهم ومعلميهم . والطبقة الثانية تتراوح اعمار افرادها بين الثلاثين والاربعين .ويسمح لهؤلاء بالاطلاع على العلوم الدنيوية دون العلوم الدينية . ثم الطبقة الثالثة واعمار الداخلين فيها تقع بين الاربعين والخمسين . وهؤلاء يسمح لهم بالاطلاع على شرائع العالم المقدسة ، أما الطبقة الرابعة فأعضاؤها يكونون ممن اربت سنهم على الخمسين . ويسمح لهم في هذه الطبقة بالوقوف على سر الأشياء الصحيح والنفوذ الى لباب المسائل كما يتسنى ذلك للملائكة. غير انه ليس لدينا مايثبت ان اخوان الصفا راعوا هذه التقسمة مراعاة دقيقة ، فلم يسمحوا لهذه الطبقات ان يتداخل بعضها ببعض

وقد اوجب القائمون بانشاء هذه الجمعية ان يكون لأخوان الصفا ، حيث كانوا من البلاد مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم ، يتذكرون فيه علومهم ويتحاورون اسرارهم ، كذلك اوجبوا ان تكون مداكراتهم - على قدر مايستطيعون في علم النفس والحاس والمحسوس والنظر في الكتب الآلهية والعلوم الرياضية وهي العدد والهندسة والتنجيم والتاليف (يقصد تأليف النسب الموسيقية)

وكانوا يحتاطون ما امكنهم الاحتياط في اختيار الاعضاء الجدد . فلم يكن يسمح لأحد بالدخول في هذه الجمعية الا اذا كان ناصع الصحيفة لاغبار على أخلاقه ولاريبة في سلوكه ، وكانت اجتماعاتهم تعقد سرا في بيت رئيسهم زيد بن رفاعة .

أما غاية أخوان الصفا فيلخصها ابو حيان التوحيدي بقوله : -

« وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله . وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال »

هذا هو ظاهر الغرض من تأليف هذه الجمعية والدعاية لها ولكننا نعتقد ان وراء هذا الغرض اغراضا أخرى نحن مبينوها فيما بعد في فصل خاص

أما تأثير هذه الجمعية فقد اقتصر بوجه عام على العامة وأشباه العامة . والظاهر أن أخوان الصفا لم يكونوا يطمعون في أكثر من ذلك . وهم - لذلك - قد وضعوا رسائلهم بلغة بسيطة سهلة بعيدة عن الاعتياص والغموض اللذين رافقان عادة الكتابات الفلسفية ، ومما توسلوا به لتقريب مذهبهم الى افهام الجمهور اكثارهم من ضرب الأمثال وسرد الحكايات . فكان ذلك كله مقرونا الى بساطة التعبير وحلاء العبارة ، داعيا الى تهافت العامة على دراستها وانتحاء ذلك بعد حين من تأليفها . أما الطبقات الراقية فلم تر في هذه الرسائل ما يروي الغلة أو يملأ الفراغ الذي كانت تحسه النفوس الى الفلسفة في جميع فروعها آنئذ ، واليك ما يصفها به أحد المعاصرين وهو أبو سليمان المنطقي قال : -

« وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة . وهي مبثوثة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية . وفيها خرافات وتلفيقات ، فتعبوا وما أغنوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا وبالجملة فهي مقالات مشوقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج » (تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج ص : ٣٠٩)

ورأي الغزالي في هذه الرسائل لايخرج عن معنى ماتقدم (١) فهو يقول : -

« . . . فلو فتحنا هذا الباب وتطرقنا الى أن يهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا أن نهجر كثيراً من الحق ، وللزمنا أن نهجر كثيراً من آيات القرآن . . . لأن صاحب كتاب اخوان الصفا أوردها في كتابه مستشهداً بها ومستدرجا قلوب الحمقى بواسطتها الى باطله (المنقذ من الضلال ص ٢٧)

من هنا لا نرى ما يراه (لان پول) من أن هذه الرسائل كانت تمثل الفلسفة العربية حين ألفت أصدق تمثيل ، فأن كتابا يكتب بلغة شبيهة بالعامية وللعامة ، ويصفه أبو سليمان المنطقي والغزالي بما وصفاه ، لايمكن أن يكون ممثلا للفلسفة العربية في ذلك العصر

ورسائل اخوان الصفا هذه تبلغ واحدة وخمسين رسالة عدا الرسالة الجامعة . والشك يحوم حول مؤلفيها . فمن قائل أنها من

---

(١) — يقول دي بور : ان الغزالي الذي كانت آيته التشكك في كل شيء لم يحجم أن يقتبس من اخوان الصفا ما يرى اقتباسه . فهو مدين لهم باكثر مما يود أن يعترف

تأليف جعفر الصادق ، ومن قائل أنها من كلام بعض متكلمي المعتزلة ، ولكن السائد اليوم هو أن كتابات زيد بن رفاعة كانت نواة هذه الرسائل . والأربعة الذين يذكرون معه كانوا يساعدونه في التأليف وانضاج الرأي . وقد كان لتأليف الرسائل على هذا النحو من التعاون أثر كبير في اسلوبها واختلاف قيم اجزائها ، فهي في مواطن قوية الفن غزيرة المادة ، وفي مواطن اخرى مهلهلة الأسلوب سطحية المباحث . وهذا التباين الملحوظ في مراد هذه الرسائل يثبت لنا ان مؤلفيها كانوا على تفاوت في ثقافتهم

على ان من هذه الرسائل ما انفرد بكتابته شخص واحد من هذه الجماعة دون غيره . ومن هذه الرسائل رسالة الحيوان . فاطراد الافكار وتسلسل المعاني ، ووحدة السياق التي تلحظ في هذه الرسالة يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأنها لكاتب فذ منهم . وهذه الرسالة في رأينا – هي أقوى هذه الرسائل واعلاها نفسا وأسدها منطقا ، وقد عرضت هذا الرأي على الأب انسطاس الكرملي منذ سنوات فجاءني منه حينها ما يلي :–

« رسالة الحيوان هي – كما تقول – لكاتب واحد منهم اقواهم عبارة واصفاهم فكرا واحسنهم منطقا . لكن الظاهر ان بعض الأخوان نظروا فيها واحكموا تنسيقها ، واظهروا فيها حذقهم » وحضرة الأب – على ما أفهمني – يدرس رسائل أخوان الصفا منذ سنة ١٩١٧

ولعل الغرض الخاص الذي ألفت من أجله هذه الرسالة كان انتقاد المجتمع اذ ذاك على لسان الحيوان كما فعل بعض أدباء الغرب في عصور التضييق على الحريات الفكرية . فأخوان الصفا في هذه الرسالة ينطقون الحيوان بما لا يستطيعون الجهر به من عبارات كلها تقريع للحكام ورجال الدين والقضاء في ذلك العصر (انظر ص ١٥٤ –٥٥، ٢٣٣ – ٣٤)

أما المصادر التي استقى منها إخوان الصفا فهي عديدة ومتنوعة ؛ وذلك انه لم يكن يمنعهم عن النقل من أي مذهب أو دين أو فلسفة مانع ، كانوا يرون أن في كل مذهب أو دين أو فلسفة قسطا من الحقيقة ؛ وإذن ليس ثمة مانع من الانتفاع به أقصى ما يمكن الانتفاع . وعلى هذا المبدأ يبني فلسفتهم الانتخابية . ففي هذه الرسائل من الافلاطونية الحديثة ، وفيها من الفيثاغورثية ، وفيها من مذهب وحدة الكون (البانثيزم) وفيها من أفلاطون وأرسطو ، وفيها من الديانات الهندية والزردشتية واليهودية والمسيحية .

شرق الاردن — أديب عباسي

حجاج الخضري

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

قد تكلم المتكلمون في وصف أهل مصر فأكثروا في وصفهم من المبالغات ، وذهبوا في التعميم مذاهب مختلفة . فمنهم من أغرق في المدح حتى لم يترك فضيلة الا وصفهم بها ، وهؤلاء قد غاب عنهم من وجه الحق مثل ما غاب عن الفريق الآخر الذي أغرق في الذم والتجريح . وقد تناول أفاضل كتاب الرسالة هذا المعنى فضربوا فيه بسهم

ولعمري أنه لم يخطئ كاتب خطأ كتاب العربية قديما اذا هم تناولوا قوماً بالوصف ، فانهم إذا وقعت أنظارهم على جماعة أو عاشروا فئة من الناس وصفوها وصفا يخيل إلى من يسمعه أو يقرؤه أنه وصف شامل لكل أهل البلد ، أو أنه سمة ثابتة لكل الجنس ، في حين أنهم انما كانوا يصفون من اتفق لهم الامتزاج به أو من ألقتهم الظروف في سبيلهم .

إن العالم الذي يحاول وصف الشعوب إنما يصل إلى حكمه على مميزات الشعب بعد أن يدقق في بحثه ويفحص من أفراد الجنس عدداً يستطيع بعد فحصه أن يقول بحق إنه قد عرف نسبة محترمة من أفراد ذلك الجنس ، فاذا ما قال إنه رأى في ذلك الجنس صفة لازمة يشترك فيها الافراد جميعاً أو أغلبهم كان ذلك الحكم جديراً بالوثوق والتصديق . وشعب مصر إذا ذكره الذاكرون انما يعني به شعب تلك الأرض الممتدة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وليس من السهل على أحد أن يصف مثل ذلك الشعب بوصف شامل يعم أفراده جميعا ، أو يصدق على أغلبهم . فأمثال ابن خلدون والمقريزي ممن وصفوا أهل مصر إنما يصفون من رأوه من أهل الدولة أو من الأعيان أو من أهل العلم ، وهؤلاء ان صدقت عليهم كلمة أو شملهم وصف لم يصح أن يكون وصفهم وصفا للأمة جميعها . بل إن وصفهم لا يصح أن يكون وصفا لبعض الأمة فضلا عن كلها . وذلك لان أغلب أهل هذه الطبقة في مصر لم يكن في تلك العصور من جرثومة البلاد وأبناء شعبها الصميمين ، بل كانوا أخلاطا من مشرق الارض

وغربها قد اجتمعوا فيها بين مجندين فى جيشها أو عالين على حكومتها أو مقربين فى بلاط حكامها الاجانب ، أو علماء يجمعهم الاسلام من كل الامصار والأقطار فى صدره الرحب السمح .

ولقد أهمل مؤرخو مصر ذكر ابناء البلاد الصميمين اهمالا يكاد يكون ازدراء لهم واحتقارا لشأنهم ، إذ زعموا أن مهمة المؤرخ محصورة فى حدود رجال الدولة وأهل الحكم ومن يلحق بهم أو يطيف بأبوابهم من رجال الدين والعلم . غير أننا نجد بين حين وحين اسما من اسماء الدهماء والعامة يذكره المؤرخ عفوا ، وهو ادل فى نظرنا على صفة أهل مصر من تلك الأعلام العالية والاسماء الضخمة التى ملأ قدماء المؤرخين كتبهم بوصفها ، وبنواعليها أحكامهم لان تلك الاسماء المشهورة لم تكن فى أغلب الاحوال من أهل مصر وان كانت من أهل مصر ، فهى غير جديرة بأن تتخذها أساسا للحكم على اهل مصر . وانى ذاكر هنا اسما من هذه الاسماء المتواضعة لعلى أبين من وصفه ان شعب مصر الحقيقى كان فيه رجال ، وان البطولة كانت تسرى فى عروق عامته الذين لم يحظوا بتخليد التاريخ .

كان من أهل مصر فى اول القرن التاسع عشر رجلا متواضع الصناعة اسمه حجاج . وقد كانت صناعته بيع الخضر فكان اسمه يذكر دائما مع اسم صناعته ، فكان الجبرتى رحمه الله يذكره اذا ذكره باسم (حجاج الخضرى)

وكان العصر الذى فيه حجاج عصرا فذا فى تاريخ مصر منذ عهد الفتح العربى الاول . فقد اعتاد أهل مصر منذ قرون طويلة ان يتركوا أمر السياسة والحكم والحرب لمن غلب على البلاد من الدول أو من الجماعات وتمادوا فى ذلك الاعتياد حتى صارت عقيدتهم أن الحكم واجب على غيرهم ، وان واجبهم الابتعاد عنه وعما يستلزمه من نضال ومغامرة . غير ان غزوة الفرنسيين هزت البلاد هزة عنيفة تصدعت لها العقائد الثابتة فاذا بأهل مصر يرون الجنود الاجنبية تطرد جنود السلطان الذين اعتادوا الخضوع لحكمه ، وتشتت شمل المماليك الذين قضوا الاحقاب يتصرفون فى أمور البلاد تصرفا مطلقا ، فأصبحوا وجها لوجه أمام حالة جديدة لا تدعمها عقائدهم الاولى ولا عاداتهم الموروثة .

وبدأت روح أهل مصر تتنفس ، وبدأت حواسهم تتنبه ، فاذا بهم يثورون على الفرنسيين فى شوارع القاهرة وأزقتها مرتين فى مدى سنتين ، واذا هم يلقون اعداءهم المسلحين وهم لا يحملون الا الهراوى والحجارة ، ويحتمون منهم وراء متاريسهم وخنادقهم يقيمونها فى عرض الطرق وعند مداخل الميادين . وكان حجاج الخضرى من زعماء تلك الثورة الشعبية وأبطالها ، تميز نفسه بقوة الجسم ورباطة الجأش وثبات الجنان ، حتى صار أبناء البلد ينظرون اليه نظرهم الى القائد المحبوب الموثوق به ، يهرعون اليه عند الكوارث ويصرخون باسمه عند الهيعات . ثم خرج جيش الفرنسيين وعاد الحكم الى السلطان وولاته ، ولكن مصر شهدت عقب ذلك أشد تطاحن على الحكم والسلطة بين الزعماء والهيئات ، حتى انتهى الامر بتطلع مؤسس الدولة العلوية المجيدة الى الملك .

انتهت فى هذه الاثناء زعامة الشعب المصرى المدنية الى الزعيم الجليل السيد عمر مكرم ، وهو الصديق الحميم لمحمد على باشا ، وكان حجاج هذا من صفوة أعوانه وأشجع جنوده ، فعندما تخاذلت جنود الاتراك عن نصر محمد على باشا فى نضاله مع منافسيه قام السيد عمر مع أهل مصر الصميميين بحصار القلعة حتى اضطروا القائد المنافس الى التسليم ، وكانوا لا يرجون من جهادهم ذاك مالا ولا عطاء ، بل كانوا يرابطون ويحاصرون ويحاربون من أجل الوطن وحده . وكان حجاج الخضرى أظهر الزعماء الشعبيين فى هذا الموطن قال الجبرتى فى يومياته

« فأرسل (أى السيد عمر مكرم) الى من بالنواحى والجهات وأيقظهم وحذرهم فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحى ، فحضروا الى ناحية القرافة فرأوا الجمال التى تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا الى القلعة ، ومعها أنفار من الخدم والعسكر وعدتهم سبعون حملا ، فخرج عليهم حجاج الخضرى ومن معه من أهالى الرميلة فضربوهم وحاربوهم وأخذوا منهم تلك الجمال »

واستمر نضال حجاج على رأس هؤلاء الجنود المصريين المخلصين حتى تم الامر بانتصارهم وتولية محمد على باشا على مصر ، وجاء فرمان السلطان مقرا بالأمر الواقع ، وعند ذلك خرج موكب النصر المصرى وعلى رأسه قواده المظفرون : وقال الجبرتى فى وصف ذلك .

« اجتمع الناس ، وطوائف العامة ، وخرجوا من آخر الليل . وهم بالاسلحة والعدد والطبول الى خارج باب النصر . . . وكثير من الفقهاء العاملين رؤوس العصب ، واهالى بولاق ومصر القديمة والنواحى والجهات . . وكبيرهم حجاج الخضرى وبيده سيف مسلول

و كذلك ابن شمعة شيخ الجزارين وخلافه ، ومعهم طبول وزمور والمدافع . . . الى ان وصلوا الى الازبكية فنزلوا بيت محمد على باشا ، وحضر المشايخ والاعيان وقرأوا المرسوم » . وبذلك تم انتصار الشعب، واخذ يتطلع الى الحكم والسياسة . وما كان ذلك ليرضى الجنود الاتراك الذين تعودوا ان يكونوا سادة غير منازعين. فلما انتهى النضال الكبير بدأ التنافس والتنازع بين أهل مصر وبين الجنود . وكان حجاج مثل ذلك التنازع والتنافس. قال الجبرتى فى بعض يومياته بعد ذلك «وقع بين حجاج الخضرى والعسكر مقاتلة جهة طيلون وقتل بينهم اشخاص ، ورأى أهل الحكم أن يعودوا بذلك الشعب الى هدوئه الأول ، وسكينته القديمة ؛ فبدأوا ينزعون منه السلاح بعد أن انقضت الحاجة الى حمله . فغضب الناس لذلك جدا ، غير انهم أرغموا على الاذعان فأذعنوا . ولكن نفس حجاج الحضرى لم تذعن بتلك السهولة بل قاوم وناصل وكابر . قال الجبرتى فى وصف ذلك .

«وفيه بنى حجاج الحضرى حائطا وبوابة على الرميلة عند عرصات الغلة » ولكن أيستطيع فرد أن يقاوم دولة ولو كان من بناتها ؟ لا ، فان حجاجا لم يستطع الا الهروب من القاهرة التى جال فيها تلك الجولات ، ولجأ الى جيش الالفى بك ؛ وكان عند ذلك مرابطا بجيشه يترقب الغرر ، ويتحين الفرص، جاثما طورا عند إطفيح بالصعيد ومرة عند دمنهور بالبحيرة .

غير ان المقام لم يطب لذلك البطل المصرى فى جيش الالفى بك وكيف يطيب له المقام ؛ وهو ابن البلد الصميم ، يقيم بين جيش من المماليك يشمخون عليه بأنوفهم . وهو المعتز بكرامته الذى يرى نفسه مثيلا وكفؤا لهم ؟ قال الجبرتى فى وصف ذلك :

« وفيه أيضا حضر حجاج الخضرى الرميلاتى الى مصر ؛ وقد كان خرج من مصر بعد حادثة خورشيد باشا خوفا من العسكر وذهب الى بلده بالمنوات . ثم ذهب عند الالفى ، وأقام فى معسكره الى هذا الوقت ؛ ثم ان الالفى طرده لنكتة حصلت منه ، فرجع الى بلده ، وأرسل الى السيد عمر مكرم فكتب له أمانا من الباشا ، فحضر بذلك الأمان وقابل الباشا وخلع عليه ونادوا له فى خطته بأنه على ماهو عليه فى حرفته وصناعته ووجاهته بين اقرانه . »

غير أن نفسه لم تكن لترضى بعد ذلك بالبقاء فى صفوف العامة الذين قضى عليهم أن يعودوا إلى انزوائهم واكتفائهم بالعيش العادى ، فاختفى مرة أخرى من القاهرة ، ولا ندرى بعد ذلك له مقرا . أقتله الجنود انتقاما من كبريائه ؟ أهرب إلى وطن غير مصر ؟

لسنا ندرى غير ما قاله الجبرتى « وفيه اختفى حجاج الحضرى أيضا بسبب ما داخله من الوهم والخوف من العسكر » . اللهم ان فى صفوف الابطال أفذاذا لم يسمهم التاريخ ولم تعهم ذاكرة الأحفاد ليؤدوا اليهم ما يستحقون من الاجلال... ولئن كان حجاج الخضرى أحد هؤلاء ، فقد حفظ لنا المؤرخ المصرى اسمه فى عرض حديثه ؛ وهو يمر «مرورا سريعا . غير أنى أتجه الى ذكراه بقلب خاشع تملؤه دعوات الترحم ، وتتردد فيه أسمى عواطف الاجلال والتبجيل .

ألا يستطيع مصرى أن يقول عند قراءة سيرة حجاج إن فى المصرى أنفة وعزة ؟ وإن له نخوة وسطوة ؟ وإن بين جنبيه همة وقوة . . . ؟

محمد فريد أبو حديد

والبيئـــة أيضا . . .

أما لهذا الليل من آخر . . . ؟

للدكتور محمد عوض محمد

من الموضوعات التى لابد أن تمر بنا جميعا ـ الموازنة بين الوراثة والبيئة هذا الموضوع بمثابة المطية الذلول التى لا يتحرج أضعف الناس وأصغرهم من أن يمتطيها . ثم يخيل إليه الوهم أنه أضحى فارسا من كبار الفرسان ! ولقد طالما نشاهد صغار الناشئين وقد جلسوا على المنابر ووقف هذا لينتصر للوراثة ويراها كل شىء . وذاك لينتصر للبيئة ويدعى لها كل شىء ، وقد لا يكون للتكلمين بعد إلمام صحيح بمعنى الوراثة او البيئة .

ولا بأس بهذه الأشياء ، ما دام يراد بها العبث البرىء ، وتمرين الطلاب على الحوار . ولكن كلام الاحداث فيما يجهلونه قد يغدو ـ وياللاسف ـ عادة تلازمهم مدى الحياة . وقل أن يوجد بين الموضوعات ما يتطلب الدقة فى الفهم ، والتأنى فى الحكم كموضوع الوراثة والبيئة .

فأما الوراثة فيراد بها ما يرثه الناس عن آبائهم وأجدادهم من الصفات التى اختصت بها سلالتهم التى ينتمون اليها . فتأثير الوراثة هو تأثير الجنس والسلالة . والقائلون بالوراثة يزعمون ان هذا الشعب راق لانه من جنس راق ، والآخر منحط لان جنسه منحط .

وأما البيئة فهي ما ينشأ بينه الانسان من أرض وسماء، وهواء وماء ؛ وجبال وأنهار ، وصحارى وبحار وما اليها ولهذه فى نظر القائلين بالبيئة الاثر الاكبر فى رفع قوم وخفض قوم ؛ واعزاز شعب واذلال آخر .

ولقد حاولت فى كلمة سابقة ان أضرب بعض أمثلة للضلال الذى يخبط فيه كثير من الناس حين يتكلمون عن الاجناس فى غير تدبر ولاحذر . وهممت ان أكتب كلمة ثانية لأضرب أمثلة أخرى للضلال الذى يخبط فيه الناس حين يتكلمون عن تأثير البيئة ثم جاءت كلمة الاستاذ حسن جلال فحفزتنى إلى المضى فى هذا السبيل

ان فى شرائع كثير من الدول ما يضمن مجازاة من يمارس الطب اذا لم يكن من أهل الطب ، ولكن ليس فى الشرائع — وباللاسف — ما يكفل معاقبة من يمارس التاريخ وليست له دراية بالتاريخ ؛ أو يمارس الجغرافيا وليس له كبير المام بالجغرافيا ، وهكذا الحال فى كثير من فروع العلم . فاستطاع ان يقتحم هذه الميادين من ليست لديه العدة اللازمة لها

وهكذا رأينا اناسا يحكمون بين الاجناس ويرفعون جنسا على جنس ؛ وسلالة فوق سلالة ؛ دون أن يأخذوا العدة لمثل هذا الحكم بدراسة الشعوب والاجناس فى كل مكان وفى كل زمن (١)

كذلك ما ينبغى لأحد أن يحكم فى تأثير البيئة : فى تأثير الهواء والماء والارض والسماء فى أخلاق الناس وطباعهم ؛ الا اذا درس كل بيئة على سطح الأرض ؛ وقارن بين المتشابه وغير المتشابه ؛ وقارن بين المتفق والمختلف ، بحيث يستطيع أن يدرك ما اذا كانت البيئات المتشابهة قد أكسبت أهلها خلالا متشابهة وأن هذا التشابه سببه طبيعة الاقليم لا أى سبب آخر قد يكون خافيا .

ومع هذا فان الذين صناعتهم دراسة البيئات الطبيعية هم عادة أزهد الناس فى اصدار تلك الأحكام القاسية الشاملة كأن يقال مثلا . إن سكان هذه البلاد جبناء لأن أرضهم سهلة منبسطة ! وسكان ذاك القطر بخلاء لأن بلادهم جبلية ! وأهل هذا الاقليم بلهاء لأن هواءهم حار رطب : وأولئك كذابون خائنون لان مناخهم متقلب لا يستقر على حال .

ان هذه الآراء لها للأسف صورة خلابة تسترعى الذهن وتلفت النظر وفى عالم سكانه لا يلذ لهم اجهاد الفكر وانعام النظر فيما يلقى اليهم من الكلام — كثيرا ما تسير تلك الأحكام وتشتهر بين الناس وترسخ [illegible] . . وقد لا يكون فى بعض هذه الأحكام ضرر كبير . ولكن الخطب المؤلم ما ذكره الاستاذ حسن جلال من أن أناسا يقال لهم أنتم اذلة لأن هواء بلادكم يقضى بهذا ؛ وقد كتب عليكم الذل سرمدا الى يوم القيامة ، فيصدقون ما يقال لهم ويؤمنون به . مع انه ليس فى العالم أمة إلا ويصح أن يقال لها مثل هذا الكلام فى وقت من الأوقات .

٭ ٭ ٭

كتب أحد الجغرافيين الامريكان ، واسمه إلسورث هنتجتن يصف تأثير الهواء فى الناس فقال : إن المناخ الذى يلائم حياة الانسان أكثر من سواه ، ويساعد على النشاط والجد والرقى فى سلم الحضارة هو مناخ بلاد اليابان (فى الجزء الجنوبى منها) وبعض جهات الجزر البريطانية . ثم تكون ملاءمة كل إقليم آخر للانسان بقدر ما بينه وبين هذه الجهات من المشابهة .

هذا ما ذكره ذلك الكاتب الجغرافى العصرى ؛ ومن المفيد أن نقارن هذا الحكم بما ذكره ابن خلدون فى مقدمته عن الأقاليم السبعة (٢) وملاءمتها للانسان . وقد ذهب هذا الكاتب الاجتماعى العربى الى أن الأقليم الرابع هو أطيب الاقاليم جميعا ، وأكثرها ملاءمة للعمران ، وسكانه أرقى حضارة من سكان سائر الأقاليم أما ما يليه شمالا وجنوبا فدونه منزلة ؛ وما يلى ذلك أقل صلاحا نظراً لشدة الحرارة أو لشدة البرودة . .

والاقليم الرابع الذى عناه ابن خلدون هو الواقع بين دائرتى العرض الثلاثين والاربعين . وفيه الاندلس وبلاد المغرب وايطاليا

(١) ذكرنا فى العدد الماضى الرأى الذى ذهب اليه بعض الكتاب فى تفضيل الجنس النوردى على سائر السلالات وكان من المصادفات الطيبة أن ألقى الاستاذ [illegible] فى الجمعية الجغرافية ثلاث محاضرات عن حالة أوربا بعد سقوط الدولة الرومانية وجاء فى كلامه أن بلاد الشرق الأدنى مثل سوريا ومصر كانت تبعث الى أوربا بسلع ثمينة مثل الحرير وورق البردى وفى مقابل هذه السلع كانت أوربا ترسل عبيداً وإماء من أبناء وبنات هذه الأجناس الشمالية بالذات . فهذه السلالات التى يدعى لها اليوم التفوق على سائر الأجناس كانت من الهوان بحيث تباع مع السلع

(٢) فى عرف الجغرافيين القدماء تبدأ الأقاليم من خط الاستواء الى درجة العرض السبعين شمالا فمن خط الاستواء الى درجة عشرة الاقليم الأول ومن الدرجة العاشرة الى العشرين الثانى ؛ ومن العشرين الى الثلاثين الثالث . ومن الثلاثين الى الأربعين الرابع . وهكذا الى السابع الذى ينتهى عند درجة العرض السبعين وليس وراءها عمران . كما أنه ليس وراء خط الاستواء من جهة الجنوب عمران

ومصر وسوريا والعراق وايران . وقد ذكر ابن خلدون صراحة أن الاقليم السادس قليل العمران . وهواؤه لايبعث على الحضارة . مع ذلك فني هذا الاقليم السادس بالذات يقع معظم بريطانيا العظمى علام يدل هذا كله ؟

إنه يدل دلالة صريحة على أن كلا الكاتبين لم يبن حكمه على فهم صحيح لطبيعة الهواء وتأثيره فى العمران . بل كل مافعله أن نظر الى العالم الذى يعيش فيه ؛ والى الأفكار المختلفة التى نالت فى عصره حظا وافراً من الحضارة . وحكم بأن هواءها أحسن الأهوية ، وأقليمها أطيب الأقاليم . رأى ابن خلدون أن العمران فى عصره واقع فى بلاد كلها فى الاقليم الرابع ، فحكم بأنه أكثر الاقاليم ملاءمة ؛ ورأى هنتجتون أن انكلترة واليابان فى مقدمة دول العالم اليوم فحكم بأن هواء انكلترة خير هواء . ومتى أتيح للأقطار الاستوائية - أن تنهض قريبا أو بعيداً ؛ فسيرى الناس ابن خلدون آخر ينادى بكل جرأة أن الأقطار الاستوائية ، المغضوب عليها فى الوقت الحاضر - هى أبدع وأزهى وأزهر الأقاليم ذات الحضارة والعمران .

ومن غريب أحكام ابن خلدون ماذكره فى حكمه على أهل السودان بأنهم موصوفون بالخفة وكثرة الطرب وحبهم للضحك بسبب حرارة الهواء ، ولو بقى ابن خلدون الى وقتنا هذا لأدهشه أن يعلم أن من أكثر الناس خفة وضحكا الاسكيمو سكان الجهات القطبية !

وشبيه بهذا ماذكره المقريزى فى حكمه على أهل مصر مما ذكره الاستاذ أحمد أمين : من أن البيئة المصرية قد أثرت تأثيرا سيئا فى كل ما بمصر من إنسان وحيوان . ومما طنه حجة علينا أن الأسد لايعيش فى مصر . وهذا صحيح . ولو كان الأسد فى مصر يوما من الأيام لكان العمران وحده كفيلا بابادته والقضاء عليه كما أبيد التمساح من نيل مصر . ولكن من يخبر المقريزى رحمه الله بأن بلاد الانكليز ليس فيها أسد ، وليس فيها من الوحوش الضارية سوى الانسان . وكذلك الحال فى الجزء المتمدن من أمريكا وفى معظم أوروبا ؟

تلك العبارة البادية السخف هى من فصل طويل للمقريزى . مملوء بالعبارات الكثيرة فى ذم مصر وهوائها ومائها وأهلها وفى ذم اخلاقهم وأجسامهم وطبائعهم . . وكلها عبارات لاتزيد قوة على العبارة السالفة .

ولقد يجوز لكاتب أن ينقد أخلاق المصريين وأن يرميهم بصفات الضعف إنشاء ، أو الجبن أو الانهماك فى الشهوات . ولكن ليس لأحد أن يرجع شيئا من هذا الى طبيعة الأرض أو الماء أو الحرارة . فيضل ويضل . وأولى بهؤلاء القضاة أن يبدأوا بدراسة كل اقليم وطبيعة كل بلد من بلدان العالم . إذن لعلموا أن كثيراً مما يتهم به أصل مصر - صدقا أو كذبا - شائع فاش فى أقاليم تختلف عن مصر كل الاختلاف ، وهنالك أقاليم لا يقل هواؤها حرارة عن هواء مصر ، وأرضها سهلة كارض مصر ، تعيش فيها شعوب لا يشك أحد اليوم فى رقيها وتفوقها .

٥٥٥

ومن الأمثلة الشائعة فى تأثير البيئة مايقال من أن المناظر الطبيعية تخلق الشعراء وتوحى بالشعر والموسيقى . وقد زار أحد كتاب الامريكان بلدة ستراتفورد حيث ولد شكسبير ، فصور له الخيال الجامح أن مثل هذه البيئة - والتى ليس لها فى الواقع مايميزها - هى الجديرة بأن توحى الى رجل مثل شكسبير تلك الدرامات الخالدة ، والقصائد الرائعة .. ولولا جهل هذا الأمريكانى لعلم أن شكسبير لم يقض فى هذا الأقليم غير زمن الحداثة . ولم يكتب فيه شيئا بل قضى معظم حياته فى لندرة تلك البلدة المظلمة التى لايمكن أن توحى من تلقاء نفسها بشىء جميل .

واذا سلمنا بأن المناظر الطبيعية الجميلة تثير الخيال وتبعث الشعر فى النفوس ، فاننا سنلاقى من غير شك صعوبة عظيمة فى تعليل تلك الظاهرة العربية وهى قلة نبوغ الشعراء الفحول فى سويسرة التى لايضاهيها فى أوروبا بلد فى أنهارها الجارية ، وجبالها الشامخة ، ومناظرها الرائعة .

أليست الحقيقة اننا نتورط كثيراً ، ونندفع فى الاستدلال والاستنتاج ، ونقضى بأحكام شاملة واسعة من غير حذر ولا تدبر ، بل وأحيانا من غير فهم لما نريد الخوض فيه ؟ !

من الثقافة العربية القديمة

النـــار

عقد الجاحظ فصولا ممتعة على النيران ، فى نهاية الكتاب الرابع وبدء الخامس من الحيوان ، ذكر فيها نيران العرب والعجم ، فحدث أخبارها ، وأبدى آثارها وأشعارها

وإنا نتكلم الآن عن النار ونشوئها ، فنورد قول طائفتين تختصمان فيها جمعناه من شتات ، واختصرناه بعد افاضة .

النار

النار اسم للحر والضياء ، فاذا قالوا أحرقت أو سخنت فانما الاحراق أو التسخين هو للحر ، دون الضياء .

والحر جوهر صعاد كالضياء ، وانما يختلفان فى الصعود لاختلاف جوهرهما ، والضياء أحث صعودا لايعلى . ألم تر الى النار اذا أطفأناها من أتون وجدنا أرضه وهواءه وما يلابسه حاراً ، ولم نجده مضيئا .

مستقر النار ونشوؤها :

النار التى تقدح من عودين أو حجرين أين تستقر ؟ أهى فى العودين كامنـــة تبرز بالقدح فهى من عناصر العود أو الحجر ؟ أم نتراءى أنها خرجت منهما ، والحق أنها ليست فيهما ، بل تحدث من غير العود والحجر عند قدحهما ـ كلا الرأيين له فرقة تميل اليه وتؤيده بكل وسعها واليك أقوالهما :

ـ نظرية الكمون :

يرى فريق أن النار كامنة فى الحطب والحجر وغيره لأنها أحد عناصره ، ويمنعها من الظهور البرد المضاد للحر والمكافىء له . فان نحن قوينا النار الكامنة إما بنار أخرى خارجية أو بتوهين البرد المانع كحك العودين اللذين يضعف البرد فيهما ـ ظهرت النار الكامنة ، وتغلبت على البرد ونفته

فالنار التى نراها هى نار العود تسعرت بعد كمونها ، وانتصرت على مكافئها واعلم أن احراقك للثوب والحطب والقطن ؛ انما هو خروج نيرانه منه ليست أن ناراً جاءت من مكان فعملت فى الحطب ؛ ولكن النار الكامنة فى الحطب لم تكن تقوى على نفى المانع ضدها عنها فلما اتصلت بنار أخرى واشتدت منها قويتا جميعا على نفى ذلك المانع . فلما زال تجزأ الحطب وبجفف وتهافت لمكان عملها فيه » . « وإن من ينكر أن فى الحجر ناراً كامنة ؛ كمن ينكر الزيت فى الزيتون ، والدهن فى السمسم ، والدم فى الانسان ، ويقول بحدوث ذلك عند رؤية الانسان لها » .

بل تتوسع هذه الفرقة فى تطبيق نظريتها ، فعندها أن حرارة الأيام ليست من الشمس ، وانما النيران الكامنة فى العالم تظهر بتقوية الشمس لها وتغليبها على مانعها ، بل تطفر من كمون الحرارة الى كمون السم ، فتزعم أن فى كل بدن سما كامناً ، له مانع يمنعه من ظهور أعراضه ـ وليس سم الأفعى الذى يتلف البدن ـ لأنه ليس يقتل متى مرج بدناً لا سم فيه : ولكن الذى يقتل السم الكامن فى الأبدان ، متى أعانه سم الأفعى وقواه على مانعه .

البراهين على كمون النار :

لو كانت العيدان كلها لا نار فيها ؛ ما كان ظهورها فى بعض العيدان أسرع منها فى البعض الآخر : لكنها كانت كذلك ـ لأن موانعها أضعف فى بعضها عن بعض ؛ فيكون ظهور نيرانه أسرع ، فالمرخ والعفار أفضل العيدان ، كما أن الحجارة تختلف فى الأسرار ، وأكثرها ناراً حجر المرو ـ وقد تحتك عيدان الأشجار فى الغياض فتلتهب النار ـ وقد تقدح النار من الساج اذا اختلط بعضه ببعض فى السفينة عند تحريك الأمواج لها ، ولذلك أعدوا الرجال يصبون عليه الماء صبا ؛ ولم صار لبعض العيدان جمر باق ، وبعضها له جمر سريع الانحلال ، وبعضها لا جمر له ؟ ولم صار البردى مع هشاشته ويبسه ورخاوته لا تعمل فيه النيران ؟ فهل اختلفت تلك الا على قدر ما يكون فيها من النار وعلى قدر قوة الموانع وضعفها ؟

ولا يسكت هـذا الفريق دون أن يؤيد كلامه بآى الكتاب قال تعالى « أفرأيتم النار التى تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » تقول كيف قال (شجرتها) وليس فى تلك الشجرة شىء وجوفها وجوف الطلق (١) فى ذلك سواء ، وقدرة الله على أن يخلق النار عند مس الطلق كقدرته على أن يخلقها عند حك العود ؛ وهل يريد سبحانه فى هذا الموضع الا التعجيز من اجتماع الماء والنار ؟ ويقول تعالى « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون » فهل نجد لذكر الخضرة الدالة على الرطوبة معنى ، الا ذلك التعجيز ؟

(١) نبت يستخرج عصارته فيتطلى به الذين يدخلون فى النار فيمنع الحرق

نظرية الاستحالة

تنكر هذه الفرقة أن النار كامنة فى العود ؛ وكيف تكمن فيه وهى أعظم منه ؛ ولا يجوز أن يكمن الكبير فى الصغير . ولكن العود اذا احتك بالعود حمى العودان ؛ وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذى بينهما ، ثم الذى يلى ذلك منهما ، فاذا احتدم رق ثم جف ثم التهب ، فانما النار هواء استحال .

والهواء فى أصل جوهره جسم رقيق حوار ؛ جيد القبول ، سريع الانقلاب ؛ فالنار التى نراها اكثر من الحطب انما هى ذلك الهواء المستحيل ؛ وانطفاؤها بطلان تلك الأعراض الحادثة للهواء . ينقلب الهواء الى نار ؛ لأن طبعه قريب منها ؛ فالنار يابسة حارة . والهواء رطب حار . والماء رطب بارد . فالهواء وسط بين النار والماء يجمع بينهما . وقد ينقلب كل منها الى مايقاربه . فيجوز ان ينقلب الهواء نارا . وينقلب الهواء ماء ، ثم ينقلب الماء أرضا ، ولابد فى الانقلاب من الترتيب والتدريج .

البراهين على انكار الكمون :

نرى براهين هذه الفئة سلبية ؛ فهى تنكر الكمون باعتراضاتها على الطريقة ؛ وإن كانت لاتتقدم بحجج تؤيد الاستحالة ، فترى المناظرة تنتقل الى تأييد الكمون وإنكاره . تقول هذه فى الانكار .

ان هذا الحر الذى رأيناه قد ظهر من الحطب ؛ لو كان كامنا فيه لكنا وجدناه باللمس كالجمر المتوقد ؛ فإن قلتم كان يمنعه برد مكانى كامن مثله ـ فأين ذلك البرد ؟

لايخلو الحال من أمرين : إما بقى بعد الاحراق ، وإما خرج عند الاحراق . فان كان باقيا فى الرماد استلزم ان يكون الرماد أبرد من الثلج ، وإن كان خرج مع الحر . وأخذ كل وجهته ـ فقد كان ينبغى له أن يجمد ويهلك الاقاه ؛ كما أحرق الحر وأذاب كل مالاقاه ولما وجدنا جميع أقسام هذا الباب لم تتحقق ؛ علمنا أن النار لم تكن كامنة فى الحطب .

ونشعر بقيمة هذا الاعتراض ؛ إذا لاحظنا قول الفريق الأول فى أن النار تنفى المانع الذى هو البرد ؛ ولم يقل تفنيه وتبطله ـ إذن فالبرد موجود عند الاحراق ؛ يقع عليه أحد الفروض السابقة .

بعد هذا أخذت كل فرقة تنتصر لنفسها بنقض قول خصيمتها وإنا نمسك عند هذا المقدار .

احمد احمد التاجى

فى محكمة التاريخ

الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى

هل غدر بأمته وخليفته ؟

— ٢ —

مناقشة المصادر

المصادر كما رأيت قسمان : قسم يبرىء الرجل مما نسب اليه ، وآخر لاأقول يتهمه بالغدر والمخامرة ، بل يلصق الخيانة به لصقا دون تحرز او تشكك . ويمثل القسم الأول ابن الطقطقى وحده . ويمثل الثانى ابو الفدا وابن الوردى والكتبى وابن خلدون ودحلان ؛ فهؤلاء متفقون فى الجوهر مختلفون فى الاعراض . والآن أحول شطر اتجاهى نحو ابن الطقطقى لأنه اول من كتب عن الحادث ، ولأنه المؤرخ الأوحد الذى يحاول ان يبرىء ساحة الوزير من تلك التهمة الشنعاء ؛ فيقول بصراحة إن ابن العلقمى لم يخامر ؛ ويؤيد مدعاه باستبقاء هلاكو للوزير وتسليمه الأمر اليه بعد فتح بغداد ، الا ان مانعلمه من كلام ابن خلدون يدحض حجة ابن الطقطقى من حيث يؤيدها ؛ فابن خلدون يذكر كما يذكر ابن الطقطقى أن هلاكو استبقى الوزير فى دست الوزارة الا انه يزيد على ابن الطقطقى فيقول (والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام فى الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه) (١) ثم لابن الطقطقى حجة أخرى فى براءة الوزير هى انه يستبعد على هلاكو ان يبقى على الوزير فيما لو كان الوزير غدر باستاذه ؛ وهذا فى الحقيقة استنتاج ضعيف جدا ؛ يرده مايقع تحت ابصارنا اليوم من استعانة المستعمرين بطبقة خاصة من الناس يسمونهم عادة بالمعتدلين ، لكنهم فى الحقيقة الخونة الخارجون على مبادىء الأمم النزاعة الى استقلالها واستغلال مواهب ابنائها . وماذا يضير هلاكو ان هو استبقى ابن العلقمى ؟ وهل بلغ هلاكو من سمو النفس ؛ وحب الصادقين والمخلصين تلك المنزلة التى تحوله ان يقتل من يخرج على هذه المبادىء ، حتى ولو كان الخروج فى مصلحة هلاكو ؟؟ فعدم قتل هلاكو لابن العلقمى لايؤخذ حجة على سلامة نيته فى دولة المستعصم ؛ بل على العكس من ذلك يمكن اعتباره كدليل على إدانة الرجل وممالأته لاعداء الخلافة المتبربرين ثم

---

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٣

هنالك أمر يسترعى الانتباه . وهذا الأمر هو تصدى ابن الطقطقى لنفى التهمة ، وتصريحه بأن هنالك من يتهم الوزير بذلك . فهذا يؤيد المصادر الأخرى التى تقول بمخامرة الوزير . ذلك لأنها لم تختلق هذه التهمة اختلاقا . فقد ذكرها من تقدمها ، لكن وجهته سلبية . وأعنى به ابن الطقطقى ، ولذا فانا أظن أن تعرض المؤرخ لنفى الاتهام له تفسيران إما أن يكون المؤرخ يعلم حقيقة أن هناك مخامرة ، فعمد إلى نفيها اضلالا لمن بعده ، أو أن شائعات قوية راجت عن خيانة الوزير إن صدقا وإن كذبا . فتصدى صاحب الفخرى لدحضها وتكذيبها لغاية فى نفسه أو لغير غاية . وأنا أرجح أن تعرضه لهذا الموضوع كان بسبب رواج تلك الشائعات . أما لأى الغايتين فلا أرانى قادرا على تحديد ذلك ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية دعنا نسلم بأمانة ابن الطقطقى وحرصه على الحقيقة وتباعده عن التشيع " . الخ .

بيد أن هنالك الا أن كل هذا ينقصه أمر مهم فى النقد التاريخى ، ذلك الأمر هو أن ابن الطقطقى ينقل لنا عن الوزير ما قاله أو حدثه به ابن أخت الوزير ، وفى هذا كفاية لتقليل أهمية ما يرويه المؤرخ ، ولا سيما فى موضوع اتهامى له علاقته الشديدة بالشرف والشهامة ، وهذا يهمان ابن الأخت بقدر ما يهمان خاله ، فأى اعتبار بعد هذا يبقى لما يرويه ابن الطقطقى ؟ ؟ ؟

أما ما يقوله ابن الوردى فهو فى الحقيقة رد فعل لما يقوله ابن الطقطقى ، فهذا يتشدد فى الدفاع عن الوزير ، وذاك يتشدد فى اثبات الجريمة عليه ، وقد ذهب الغلو بابن الوردى مذهبا شططا خرج عن كياسة المؤرخ وحياده ، وأنسته العاطفة الجامحة وظيفته والموقف الذى يجب أن يقفه كل مؤرخ ، فنعت الرجل بالغوى ولعنه ، وبخل عليه بالترحم الذى يستمطر عادة على العصاة والمجرمين ؛ وقد ذكر أشياء لم يذكرها أحد ممن تقدمه ولا ممن تأخر عنه ، فمع أنه ينقل عن ابى الفدا ، فقد ذكر أمورا لم يذكرها أبو الفدا نفسه ، وأهم هذه الأمور نص هذه الرسالة التى يزعم أن ابن العلقمى أرسلها الى التتر وهى رسالة طويلة . وقد حثت على ذكرها فانا أشك فى نص الرسالة ويلح على الشك حتى يميل بى الى الجحود والانكار ، وذلك لسببين : الأول انفراده بذكرها ، والثانى أسلوب الرسالة والكلفة البادية فى لهجتها ثم الجمع بين شعر من هنا وهناك لارابطة بينه ، ولا سيما الابيات التى تحمل الاتراك (ويريد بهم المغول وهذا يدل على تدقيق المؤرخ !) طلاب ثأر آل محمد ، ثم أمره هلاكو أن يتأول أول النجم وإيصاءه هلاكو بالخرص الذى ليس له معنى فلا أدرى ماعسى الوزير يريد بحثه هلاكو على تأول النجم والخرص ؛ والذى يبدو فى عبارة هذه الرسالة هو استنهاض ابن العلقمى لهلاكو بذكر ما أصاب العترة العلوية والعصابة الهاشمية ؛ وماذا يهم هلاكو من هذا ؟ فهو لم يكن شيعياً ليتأثر بهذه اللهجة الشيعية . ولا نعلم حقاً هل أسلم هلاكو أم بقى على وثنيته . فقصة موته ودفنه تؤيد أنه لم يسلم ، وإذا كان أسلم فأن الاسلام لم ينفذ الى قرارة نفسه ؛ ولم يتأثر به التأثير الذى يعطف على الشيعة ويثير فيه عاطفة دينية تحفزه لمهاجمة بغداد ؛ ثم ان دحلان يصف التتر وصفا لايطابق روح الرسالة التى يذكرها ابن الوردى . فيقول دحلان (وكان ذهاب الخلافة بدخول التتر بغداد وهم قوم كفار خرجوا من الصين وتعدوا على ممالك الاسلام وكانوا يقتلون الرجال والنساء والصبيان . ويأكلون كل شىء حتى الكلاب والحشرات ، ولا يعرفون نكاحا ولا يحرمون شيئا . وكان ابتداء خروجهم فى أول القرن السابع ، وظهر امرهم فى سنة سبع عشرة وستمائة فى الامصار والمدائن والقرى ؛ الى ان استولوا على بغداد وازالوا خلافة بنى العباس ؛ (١) فهل نرى بعد هذا ان فى كتاب ابن العلقمى المزعوم مايلائم طبائع قوم كهؤلاء ؛ وهل فيه ما يستثير حماسهم ؟ انى لأرى شيئا من ذلك ، فلو جاء فى الكتاب ماينفق مع عقلية اولئك البرابرة كذكر غنى المملكة ، وسهولة اقتحامها والى ما هنالك من مغريات ، لكان فى ذلك مايدفعنا الى الترجيح بأن هذا النص الذى يورده ابن الوردى قد يكون النص الحقيقى لكتاب الوزير الى هلاكو ان صح ان الوزير ارسل كتابا . اما وفحواه ما عرفنا فانا استبعد جدا ان يكون هذا النص صحيحا . ثم هنالك اختلاف بين المصادر بشأن شخصية الرسول وكيفية الارسال . فابن الوردى يقول بأن الوزير ارسل أخاه ، وصاحب الفوات يذكر ان الوزير (تحيل الى ان اخذ رجلا وحلق رأسه حلقا بليغا وكتب ماأراد عليه و . . .) (٢) ، أما ابن خلدون فيذكر وصية أوصاها الوزير لصديقه ابن الصلايا صاحب اربل . ليستحث التتر على المسير الى بغداد ، وهذا معقول جدا ، وليس فيه ما يدعو الى التشدد فى عدم احتماله أو تصديقه . ولا سيما ونحن نعلم ان ابن العلقمى لم يكن راضيا عن الدولة التى استبد بأمورها الدوادار ذلك السنى المتشدد فى سنيته ؛ والحق بى مستريح لما يذكره ابن خلدون لأنه منطقى يستسيغ العقل قبوله ، ولأن الرجل لم يظهر أى تحيز أو ميل

(١) دول الاسلامية ص ٢٥

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٥٣

وكذا أبو الفدا فقد ألفيته فيما كتبه نزيها مترفعا عن الهوى وليس هذا بالكثير على ذلك الملك المؤرخ . اما دحلان فيريد ان يقول لنا ان لمجيء التتر اسبابا كثيرة ،من اعظمها رسالة الوزير لهلاكو ولكن ما يؤسف له انه لا يذكر سببا واحدا من هذه الأسباب الكثيرة . أما أنا فلا أعتقد أن وصية الوزير ان ثبتت هي التي جاءت بالتتر وحدها ،وانما قد تكون عاملا قويا في تسهيل الاغارة على بغداد، وآسف أني لا أعرف الكافي عن تاريخ التتر ليتسنى لي تعداد بعض الاسباب التي حفزتهم لشن غاراتهم الشعواء ، واخيرا وبناء على ضعف حجة وكيل الدفاع ابن الطقطقي وتكاتف بقية المصادر — على ادانة الوزير — أراني مضطراً اضطراراً علميا سليما من الغاية ،وبعيداً عن الهوى، ومبنياً على ما أوصلني اليه استقصائي أن أرجح غدر الوزير بدولته وخليفته متبعا في ذلك ابن خلدون بأن ذلك وقع على يد ابن الصلايا الذي يظهر أنه اتصل بالتتر فحسن لهم مهاجمة بغداد بشتى الطرق ، وذلك بعد أن ضاق الوزير ذرعا بالدوادار وولي العهد واشياعهما السنيين وبعد أن قاست الشيعة نكبات وويلات وفضائح في العرض وخسائر في المال أخرجت الوزير عن تعقله ،وجعلته يتناسى كل شيء في سبيل الانتقام أولا وانقاذ الشيعيين ثانيا ،فلم يجد امامه أوفق من الاستعانة بالمغول الذين لم تكن بغداد غريبة عن الاستعانة بهم، فقد سبق للخليفة العباسي أن استعان بجنكيز خان على شاه خوارزم ، وقد أصاب بغداد من جراء استغاثة الوزير بهلاكو ما أصاب المشرق وبخارى يوم استعان الخليفة بجنكيز على الشاه .

فرحان شيلات
الجامعة الامريكية (بيروت)

٣ — ابن قلاقس

(٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م))

— ٦ —

لابن قلاقس ديوان شعر يحدثك جامعه أول ما يحدثك أن هذا الشعر ليس كل شعر ابن قلاقس ، لأنه حذف منه ما لا يليق بهذا الشاعر من غث القول وسخيفه ، وهي فكرة خاطئة تضر بتاريخ ، ولا تفيده : إذ من الخير لنا أن نرى جميع مظاهر التفكير للشاعر ، سواء أكانت جيدة أم غير جيدة ،غير أننا اليوم وقد ذهب ذلك الشعر الضعيف ، ليس لنا إلا أن نتحدث عن هذا الشعر الذي بين أيدينا . وأهم ما يميزه خصائص ثلاث : أولها الغرابة في كثير من الأحيان : تلك الغرابة التي تستدعي منك مزيد العناية والاهتمام ، فأنت إذ تقرأ شعره لا تقرأه مارا عليه أو مسرعاً في تلاوته ؛ ولكنك تقرأ محترساً منتبها ، موجهاً كل همك إلى تفهم ما يريده ، وفهم ما يقصده : ولست أدعي أن ذلك محمدة في الشعر ، أو فضيلة بها يمتاز ، ولكنني أزعم أن الذي أوقع شاعرنا فيها هو غرامه الذي لاحد له بالمحسنات اللفظية والجمال البديعي ، مما يدعوك إلى أن تقرأ القصيدة مرة ومرة حتى تفهمها ، وتدرك سر معناها ، على أنه لم يكن في كل شعره كذلك ؛ بل هو في كثير من الأحيان يترقرق عذوبة ، ويسيل لينا ولطفا ، واستمع اليه يقول :

كان الشباب الغض ليـ ـلا فاستنار الشيب فجرا
ولئن تقلب بي الزما ن كما اشتهى : بطنا وظهرا
فيما قتلت صروفه وقتلته جلداً وخبراً
غاض الوفاء ، وفاض ما ء الغدر أنهاراً وغدراً
فانظر بعينك هل ترى عرفا ، ولست تراه نكراً
خلق جرى من آدم في نسله : وهلم جرا
ومروعي بالبحر يحـ ـسب أنني أرتاع بحرا
أو مادري أني بتسـ ـهيل المصاعب منه أدرى ؟ !

ثاني الخصائص التضمين والاقتباس ،وهما إن دلا فانما يدلان على ثقافة واسعة ، واطلاع على الشعر عظيم ، وشاعرنا قد أخذ كثيراً من معاني السابقين وصاغها في شعره ،فاذا أنت سمعت قوله :

والماء يكسب ما جرى طيبا ويخبث ما استقرا

عاد إلى ذهنك قول البديع : وهو الماء إذا طال مكثه بطهر خبثه ؛ وإذا سمعت قوله :

ونـــقلة الدرر النفيـــ ـــسة بدلت بالـــبحر نحرا

خطر ببالك قول صرد :

قلقـــل ركابك فى الفـــلا ودع الغـــوانى للخـــدور

فمحالفـــو أوطانهـــم أمثال ســـكان القبور

لولا التنقـــل ما ارتقت درر البحـــور إلى النحور

بل هو يتعدى ذلك أحيانا إلى المعارضة ، وقد استطعنا أن نعرف أنه قد أخذ من ابن الرومى وابن المعتز والمتنبي وغيرهم ؛ وكان أكثر من عارضهم البحترى فهو قد عارضه فى قصيدته السينية بتلك القصيدة التى يهنىء فيها بمولود ويقول :

كوكب لاح بين بدر وشمس فسرى بالسرور فى كل نفس

وتشبهه به جعله يقع أحيانا فى سوء التخلص الذى كان البحترى يقع فيه كثيرا كما شابهه أيضا فى الفخر بشعره والمغالاة فى التحدث عن قوته وجماله ، ولسنا ننسى بعد أقوال البحترى مفاخرا بشعره بعد إلقاء قصيدته ، وهاهو ذا ابن قلاقس يقول عن شعره :

أين أمثال ما أقول ؟ وقولى مات يقتاد شارد الأمثال

وهو قد عارض كذلك بعض قصائد جاهلية وأموية واقتبس منها . مثل قصيدة : قربا مربط النعامة منى ، وقصيدة : حنت إلى ريا ، وغيرهما .

ثالثة الخصائص ولوع بالمحسنات اللفظية والجمال البديعى ، وبخاصة الجناس والتورية ، شأنه فى ذلك شأن الشعراء المصريين واستمع إليه يقول :

أما فى فنائكم الليـــالى فلاطرق الفناء لـــكم فناء

ويقول :

وكيف لا يحب القلب الذى فعلت يد الصبابة فيه فوق ما يجب

وكثيرا ما تسمعه يقول : حجابا وحجابا ، أو إجلاء وإجلابا ، أو إرغادا وإرغابا ، كما كان له كذلك ولع خاص بالاستعارة المكنية التى يثبت فيها للمشبه خاصة ولازما للمشبه به فكثيرا ما تسمع منه ثغر المزن ، ووجنات الورد ، وجبين الخطب ، ومعاطف الطرب ، وغير ذلك .

شعر شاعرنا جار على القوانين النحوية والصرفية لا يشذ عنها ، ولا يخرج عليها ، اللهم إلا إذا استثنينا قطعه لهمزة الوصل أحيانا وأخذه بمذهب : وحملت زفرات الضحى ؛ ذلك المذهب الذى يسكن عين جمع المؤنث السالم حينما تكون الفاء مفتوحة وهو لا يلجأ إلى ذلك إلا مضطرا مكرها ، كما أنه لم يلجأ – وعلى الأقل فى هذا الشعر الذى بين أيدينا – إلى أساليب العامة إلا فى النادر الأقل كقوله :

يبكى به الاقلام نفلا نحرفا تموت معانيه عليه من الضحك

ويحسن بنا أن نقول . إن ابن قلاقس كان ينظر الى الشعر نظرته إلى شىء يثير العاطفة ؛ فالشـــعر ليس كلاما مزخرفا فحسب ؛ ولكنه قول يثير فى النفس عاطفة تدعو إما الى الزهد فى الدنيا أو الاقبال على لذتها وحسنها وجمالها

— ٧ —

أهم ما طرقه ابن قلاقس من الاغراض المدح ، والغزل والوصف ، والعتاب والرثاء والهجاء ، وهى كلها من أنواع الشعر الغنائى الذى لا قصص فيه ولا تمثيل ؛ ومدح شاعرنا أكثر هذه الأنواع وأوفرها قد أخذ بحظ من الجمال وحظ من الرقة . تقل فيه المغالاة والاغراق ؛ وشاعرنا ينظر الى شعر المدح نظرته الى العقد الذى يربط محاسن الممدوح ؛ وينظمها فى قرن واحد ؛ ولولا الشعر لظلت هذه المحاسن متفرقة غير مجتمعة ، فهو يقول .

وما الشعر الا سلك منثر العلا ينظم فيـــه درها المتبـــدد

ويقول

إذا ما نحـــد لم يضبط بشعر فقد أضحى مـــدرجة الضياع

غير أننا نتساءل : أكان شاعرنا يتكسب بشعره ؟ وإذا كان فما كان نصيبه من ممدوحيه ؟ أما أنه كان يتكسب بشعره فانا نراه يقول

تأبى لى الهمـــة أن أجعـــل شـــعرى مكسبى

غير أننا بالرغم من ذلك البيت نكاد نوقن بأن شعره كان وسيلة من وسائل كسبه ، يدلنا عليه أولا تلك الرحلات التى رحلها فى الشرق والغرب ، ولا بضاعة معه الا شعره ، وثانيا تلك القصائد التى فيها يقاضى ممدوحيه العطايا والهبات ويبدى لهم فيها فقره وحاجته ، بل إن بعض قصائده تدل على أن بعض ممدوحيه قد جعل له راتبا يتقاضاه .

([illegible]) احمد احمد بدوى

من طرائف الشعر

عبرات منظومة

للأستاذ عبد العزيز البشرى

أتى على الأستاذ البشرى سبع وعشرون سنة لم يقل فيها بيت شعر ، حتى فجعه الموت فى صديقه الدكتور حلمى المنشاوى وهو فى ريق شبابه ومشرق نبوغه ، فرثاه بهذه القصيدة الباكية .

حلا الدمعُ بعدك والعيشُ مرّ   فخطبك جلّ عن المصطبر
وما خيرُ هذى الحياة وقد كنـ   ـت ملء الفؤاد وملء البصر
فان كان لابدّ من لبثة   فما هى إلا الدمى والصور
وأما الهناء وأما النعيـ   ـمُ فذلك عفّى عليه القدر
وهل كان يضحك زهرُ الربى   إذا لم يباكرْهُ فيها المطر ؟
وما لذّة السمع للسامعيـ   ـن ومامن حديث ولامن سمر
ويا ويحَ من أمعنوا فى الفلا   ة إذا الليل جنّ وغاب القمر !

.....

بنفسى هذا الفتى الأريحـ   ـىّ النجيب النجيد الأبىّ الأبرّ
جميل المحيّا ، نبيل الخلا   ل ، كريمُ الفعال ، صدوقُ النظر
شديدُ الحياء ، عظيمُ الوفاء   يرى الشرّ شرّ الهنات الكبر
أمين لغيب الصديق ، نصيـ   ـحٌ رفيقُ المقال إذا ما حضر
له شيمةٌ كعبير الورود   وروحٌ كمثل نسيم السحر
جلا هذه النفس من صاغها   وطهرها من خبيث الوضر
وما كان يعلو الغبار السما   ء أو يسكن التربُ جوف الدرر

.....

أحلمى ، رويدك ماذا جرى ؟   تحدث ، فدأبك صدقُ الخبر
لقد كنت نعم الفتى المرتجى   فديتك والأمل المدخر
صليب القناة ، خضيب الحصاة   رحيبَ الأناة عزيزَ النفر
قوىّ العزيمة ما تنثنى   ولو ذا ... ن ! الم إم الحجر
بعيد المطالب ، رحبَ المنى   وصولَ الجهاد ، دؤوب السهر
ترجّى وترجى لجلّى الامور   فماذا دعاك لهـذا السفر ؟

.....

لكم صادَ فيك أبوك المنى   دراكا وصارعَ فيك الغير
وضنّ على الدهر أن يعتريك   بما يعترى العالمين الدهر
ولو قد ترقرق ماء الحياة   لدى المشترى ماونى أوفتر
ولو كان يرضى الفدى مهجة   لشدّ على قلبه واعتصر
ولكن تغلب عزمُ الزمان   على عزمه والقضاء انتصر
أحافظُ ، ذلك حكم الاله   وهل لامرىء دونه من مفرّ ؟
فلم يبق إلا الرضى بالقضا   أعانك من قد بلا واختبر

خيـــالة !

للشاعر الدمشقى انور العطار

خيـــالة للغابر الدفين   فى ظلمات الأبد الجنين
تخبرُ عن فؤادها الطعين   تفيض بالدموع والأنين
تطفحُ بالآمال والحنـــين   جبّارةً فى جسدٍ وهون
مفجوعةً بالأمل الثمين   ليس لها فى الكون من معين
يرنى لها فى الحالكات الجون   ما انتابها من دهرها الخؤون
قد امتطت أجنحة الظنون   فاسترت فيها عن العيون
ثم توارت فى دجى المنون   سادرةً فى ظلها الأمين
هادئةً تنعمُ بالسكون   وصورةٍ لشاعر الغصون
أمعنّ فى النواح والرنين   لم تمحها آلهة الجفون
من ساح قلب وجع ضمين   مفجّع الأحلام كلّ حين
فهل لترب الشجو من خدين   يقبّلُ منه صفقة الغبين
وخافقاً يموجُ بالشجون   ومقلةً فيّاضة الشؤون
هديّةٌ من شاعر محزون ؟

أعـداء لا أضياف

للاستاذ فخرى ابو السعود

أ أنا نقرىء القومَ السلاما ... ويبغون العداوة والخصاما
ونكرمهم مجـاملة وودا ... ولم نر فيهمُ الشيمَ الكراما
ونرعاهم بموطننا حُلولا ... ولم يرعوْا لمودتنـا ذماما
ونمنحهم قِرَى العربىّ جوداً ... قعوداً بين أظهُرِنا قيـاما
وقد أمستْ عرُوبتُنا لديهم ... وسبتنـا إلى الأجواد ذاما
وندعوهم ضيوفاً فى دَرانا ... لهم حقُّ النزيل إذا أقاما
وما للضيف حقٌّ من مضيف ... اذا نبذ الحياء والاحتشاما
ونزعمنا مُضيفيهمْ وهذى ... خديعة مَن تخادعَ أو تعامى
هُمُ ساداتنا فيما ادَّعوْهُ ... ولم نَكُ عندهم إلا سَوَاما
أمهما تلق أورُبَّا برذْلٍ ... إلى مصر تطاولَ أو تسامى ؟
وندعوهم أخوّتَنا ونبغى ... لودُّ الشرق والغرب التئاما
وهم يترفعون عُلا ونبلاً ... وقد شطروا الورى آراً وساما
فمهلاً معشر الدُّخلاء مهلا ... إلامَ نسيغ كيدكمُ إلاما !
إلامَ نرى الدخيلَ لمصر حرباً ... وما نمى له إلا سلاما ؟
لكم منا غدٌ صعبٌ عصيبٌ ... وإن نِلتم بيومكمُ المراما
فضوليُّون أنتم لا ضيوف ... ثقلتم فى منازلنا مُقـاما
مَننتم أن مَنحتم شعب مصر ... كساءً أو شرابا أو طعاما
وما رُمتم بذلك غير مالٍ ... حـلالا نلتموه أو حراما
به أعليتمُ فى مصرَ دوراً ... وأحرزتم بها الضيعَ الجساما
ولم تسعوْا لها الا ابتدارا ... إلى الفرص السوانح واغتناما
زعمتم مالكم دمَ مصر يحيا ... به أبناؤها عاما فعـاما
وما أموالكم إلا بلاءٌ ... تسرَّبَ فى دم الوادى سماما
وداءٌ فى مفاصله عيـاءٌ ... مشّى يبرى المفاصل والعظاما
مُصابُ النيل أنتم لو علمتم ... وأوَّلُ راشقٍ فيـه السهاما
ولولا كم لما أمسى أسيراً ... مَهيضاً فى الحوادث مستضاما
بنى مصر ! بغى اللؤماء بغياً ... علامَ نطيق بغيَهم علاما ؟
هُمُ الأعداء لا الأضياف فينا ... فلا تخدعْ بمكذوب الأسامى
لئن لم نَسقهم مما سقونا ... لنحن أحقُّ منهم أن نلاما
أخو الافرنج إن تكرمْهُ يشمخْ ... عليك وإن تقوِّمْهُ استقاما
يحال الجود فى الأجواد ضعفاً ... وأنَّى شامَ بارقةً ترامى
فلا تنسوْا مقالا من حكيمٍ ... وقدْماً أحكم العربُ الكلاما
يحذرُ مَن أراد ندًى وبرّاً ... عواقبَ برِّهِ القومَ اللئاما(١)
تجافوْا من تجافَى عن هوانا ... ولا ترعَوْا لمصغرنا مقاما
أشلوا عن تجارتنا يديْهمْ ... فقد ملكوا بها منا الزماما
وقدُّوا عن معاصمنا امتيازاً ... يُكبِّلنا به القوم اهتضاما
حبوْناهم به أمس اختياراً ... فغلُّونا به اليومَ التزاما
ولم أرَ مثلـه ذلا وعاراً ... وغَبناً للعـدالة واحتراما
كأنا ما تشرعنا وعنا ... هُمُ قبسوا القضاء والاحتكاما
جزَوْنا عن قديم الفضل تمرّاً ... وجازَوْنا عن الودّ انتقاما
أذاقونا المذَلّة فى حمانا ... وإن نصمت أذاقونا الحِماما

(١) اشارة الى قول المتنبي : وان انت أكرمت اللئيم تمردا

خداع الحياة

حطمْتُ قيثارى وعفتُ الهوى ... وضقتُ ذرعاً بالأمانى العذابْ !
واعتضتُ عن شدوى بلحن الأسى
والشجْوُ يطغى فى طلال الشبابْ !
ومأمّلٍ أشرق ، ضاحى السَّنا ... منضرَ الأفياء ، رحبَ الجنابْ
ألمَّ بالرُّوحِ ، كطيف الكرى ... لاحَ لعينٍ ، ثم ولى وغابْ

وا لهفتي ! إنّ حياةَ الورى حُلمٌ عميقٌ مستفيض الشعاب
ولُمعَةُ الآمال خـــدّاعةٌ كخُلّبِ البرقِ يشبها الكِذاب
يخالها المحزونُ ماء الحيا فان دنا لم يُلفِ غيرَ السراب
لا تَعشقِ الدنيا وإن زانها فيءٌ ظليلٌ، وغصونٌ رِطابْ
لذّاتها محفوفة بالأسى وساحُها زاخرةٌ بالصعابْ
تغريكَ بالزُخرُفِ ، لكنها تَسقيكَ سُمًّا في نَميرِ الشراب

ياقلبُ قد أصليتَ حرّ الجوى وذقتَ في عيشك مُرّ العذاب
ياليت شعري هل تلذّ الصِّبى
أم ينتحيك الموت نَضرَ الإهاب ؟
كمْ في الثرى من حدثٍ رائعٍ طوته كفّ الدهر جمّ الرغاب
وعاشقٍ ، أحلامُهُ طلقةٌ ثوى مَغيظَ القلبِ تحت التراب
كلّ مشيدٍ من قصورِ المنى
مضطربُ الأسّ ، وشيكُ الخرابْ

دمشق حلمى اللحام

فى مرقص مقنع ..

بنت السَّريِّ ذهبت لمرقص مقنــع
تبحث فيه عن فتى فى دالها لم يطمع
حتى اذا ما ظفرت بذى الحديث الممتع
ورقصا وشربا نَخبَ الزواج المزمع
وظن أن نال المنى (ذاك الغلام المدّعى) (١)
انتزع القناع عن وجه كوجه الضفدع
وأدبرت مسرعة فتاتنا فى جزع
قائلة فى حسرةٍ ياليته لم يرفع !

حسين شوقى

الى السيدة منيرة توفيق

أفصحت فى شكاتها وأفاضت عن جوى القلب فى بديع النظيم
حرّةٌ عفّة الازار تناجى هاجر العش فى بيان الحكيم
ايهذى الورقاء كفى عن الشجو وعيشى بذكريات القديم
وانظميها روائعاً تملأ الكون ففى الشعر راحة المكلوم
واملأى الوكر بهجة واستعيضى بجمال الآداب خير نديم
والغى النجم بالأمانى فما اليأس من مطمح خلال النجوم

أيها الطائر الذى هجر الوكر ولم يعن بالفؤاد الرؤوم
أجزاء العفاف ياصاح هجر وجزاء الوفى عيش المضيم
منحتك الفؤاد ملكا حلالا وحبتك الوفاء فعل الكريم
أسئمت النعيم ام شمت برقا خلبا من عواذل وخصوم
لاتصخ ياأخىّ سمعاً لقوم ينفثون الشقاق نفث السموم
يبذرون الشقاء فى منبت السعد ويسقونه بماء الحميم
إن فى زوجك الجمالَ جمال النفس يسمو على جمال الأديم
وأرى وجهها ولم أحظ باللقيا خلال السطور جد وسيم
ولقد خصها الاله برأى يا أخا الرأى فى الحياة قويم
حبذا العيش فى جوار مصون ذات قول مهذّب مستقيم
عدْ اليها أخىّ زوجاً عطوفاً رحم الله كل قلب رحيم
عدْ إلى زوجك الأمينة والثمْ جبهة النبل والوفاء العظيم
قد أهابت وقد هجرت حماها بك للعود للهناء القديم
فاحبُها الحبّ والوفاء وعيشا فى حمى السعد فى صفاء النعيم

مكتب وكيل حكومة السودان أحمد يحيى وصفى

واليهـــا أيضا

رقّتْ برقتــكِ الشمائل وجمعتِ أشتات الفضائل
أدب وعــلم ضمَّنا حِكمَ الأواخر والأوائل
ظرفٌ ولطفٌ أسـيا نى سِحرَ هاروت وبابل
لكِ من كمالكِ غنيةٌ عن قاطع وُدًّا وواصـل
أوأنتِ مخلصـة ؟ فما لكِ تأسفين على المخاتل ؟!
لا تعجبي من ميـله فالدهر يا أختاه مائل
إن الألى شغلوا عنك لتبيّنين سافلة وسافل
لاطفته حتى استطال فجرّبى معـه التثاقل !
كلّ السـعادة فى الحياة عقيـلة فى بيت عاقل

المنية محمد جاد الرب

---

(١) شطر البيت من رواية مجنون ليلى

صور مختارة من الشعر الرمزى

للاستاذ خليل هنداوى

جيفـــة

للشاعر الفرنسى بودلير

أنذكرين ما رأينا فى صباح ذلك النهار الجميـــل فى منعطف سبيل !؟

جيفة مطروحة فوق الحصا   صعد الساقان منها فى الهواء
كفتـــاة سعرتها شهوة   نضحت منها جراثيم البلاء

كأنها مسترسلة للمجون فى ذلك الرقاد !

ناضية ثيابها عن جوف طافح بريح الفساد !

تبسط الشمس عليها نورها   لاذعا تنضجها قبل المساء
نثرت اوصـالها ترجعها   بعد تفكيك عُراها ، للفضاء !
زهرة فتحها برد الندى   هكذا تنظرها عين السماء
وهى اذ تنشق ماتبعثه   تنشق السمَّ زعافا والوباء

وللذباب حول هذا الجوف النتن دويٌ وطنين ! والديدان تزحف فى مساربه كالكتائب السوداء فائرة ، او كالموجة القاتمة تتقلب على هذه المزق المتناثرة .

موجة نازلة صـــاعدة   زفرة بين هبوط وارتقاء
حيث يحيا الجسم تكراراً بها   مبدعا منه جسوما من هباء !

والاجواء كانت تردد موسيقاها العربية ، كخرير الماء الراكد ، وعويل الريح الكئيبة ، أو كترجيع الحبوب ترتل فى المدراة الحانا متناسقة عجيبة ، والأشكال كلها قد عفت وامحت رسومها لا يستطيع الفنان ان يعيدها سيرتها الاولى الا اذا اكمل نسجها وتأليفها بالذكرى

كلبـــة ترمقنا نافخة   شقيت فيا شقاء الضعفاء
ترصد الفرصة كى تنهشها   وترى فى لحمها البالى شفاء
وغداً ! ياعصمتى ! يامنيتى !   يمسح الموت على هذا البهاء
عند ما تغدين فى جوف الثرى   جيفة تنثرها أيدى الفناء
تحت أعشاب وأزهار نمت   تخذت من جسمك الغض غذاء
حيث يمشى الدود فى أحنائه   آكلا باللثم منها ما تشاء !
خاطبى الدود ! وقولى للبلى   إننى أنقذت من حب عداء
كنهىَ السامى الالهىِ الذى   أبداً يبقى قريباً للبقاء

عـالم النسيان

للشاعر تومس فدر

« [illegible] الأكبر »

. . .

« هل أنا أحوس أو [illegible]
[illegible] وأصول [illegible]
ألا [illegible]
[illegible] .
[illegible]
[illegible]
[illegible] هنالك [illegible]
[illegible] في [illegible]
لا [illegible] »

[illegible]

لا تلمنى إن نسيت الموعدا   أنا فى النسيان أحيا أبدا
لو سرى النسيان فى أرواحهم   لرأوا منى حياة رغدا . .

كل شىء ـ غير نفسى ـ ثابت   لم تزعزعه أعاصير العمر
أى خطب لشموس خلدت   عمر سحر من عدادات البشر

ما الذى يحدثك إن قلت لنا ؟   إنها واقفة . أو سائره
فعذابى فى وجودى واحد   وعلى الروح تدور الدائره

أيها الخافق ! قد أضنيتنى : ماالذى يجديك نوح أو أسى ؟
ناح من قبلك حتى صمتوا وتولوا كسحابات المسا
عابر تمحـــو له آثاره كلما خطط أمواجُ القدر
أنت تبغى أن تبقّى أثراً فامضِ ! لا يبقى على الرمل أثر
أيها العابر ! ما ذنبك أن جاءك الشك وما ذنبى أنا ؟
إن يكن كل يقين خادعاً فاتبعنى نعلن الشك هنا ...
نبتغى الراحـــة فى أفيائه كيف نبغى راحة فى قلق ؟
رنة تصبغ أثواب الدجى حيـــلة منها . بلون الشفق
عدلوا الذاهل عن إحساسه لو دروا فى أمره ما عذلوا
قل لهم ! لو ذهلوا عن وعيهم لاستطابوا عيشهم إذ ذهلوا
أسلمونى لشـــعورى المبهمِ أنا أحيا فيه بشعورى المبهم
أخبروا الليل بأن يغمرنى فهنائى فى الظـــلام المظلم
فى اعتزالى عالم أسكنه وصلت أحزانه أخيـــلتى
كم إلـه ! ماله فى يقظتى أثر . سامرنى فى عزلتى ؟
كلما أغمضتُ عينى انفتحت لعيون النفس أكوان الأمل
كم رجاء كان ينأى فدنا ... وحبيب كان يعصى فوصل ...
كلما أطبقت جفنى انبعثت ذكرياتى مثل أشباح الدجى
عانق الشك يقينى ضاحكا والتقى اليأس صديقاً بالرجا

الغابة المفجوعـــة

للشـــاعر بودلير

« رسائل »

« الطبيعة هى معبد يضم دعائم حية يخرج منها فى بعض الاحيان كلمات مبهمة ، يمر فيه الانسان تعابات من الرموز تنظر اليه نظرات أنيسة .

الطيوب والألوان والألحان تتجاوب كالاصداء الطويلة التي تمتزج بعيداً فى وحدة عميقة مظلمة واسعة كالليل وكالضياء »

أزهار الشقاء . « بودلير »

بدّل النهر هواه إذ تولاه الضجر (١)
قال يا (سلمى) تعالَىْ أنا لا أهوى الشجر
قد مشى الجهم لديه مثلما يمشى القمر
ليس للنهر اختيار فى الذى شاء القـــدر
هجر الطـــير مروعا عشــــه بين الغصون
صاحِ ! هل تسمع فى الغاب سوى همس السكون ؟
وشكاوى طرحتها الآن عشاق البشر
عطلت فيها نجاوى كل طير وزهر
وشجيرات تعرّت بعـــد ذيّاك البهاء
فهى لا ترجو حياة بعد موت الاصدقاء
لاعصـــافير تغـــنى لاازاهـــير تفـــوح
كل مايلقاك منهـــا جسد من غير روح
ايها المقسم عهد الحب فى هذا المقـــام
احترم حزن ذويه وامض عنهم بسلام
بين أيدينـــا زهور قد مشى فيهـــا الذبول
هل وفت عهد هواها؟ هل أثمت ما تقول ؟
كل شىء فيه ذكرى حيثما هبت تروع
هى أولى من هوانا لو عرفنا بالخشوع
قل لمن تعطيك خداً تجتنى منـــه القبـــل
أعلى زهر ذوى تغـ ـرس أزهار الأمـــل ؟
لحظـــة تاسى فتنسى بعـــدها ارماســـها
واذا الغـــابة تحيي فى الهـــوى أعراسها
وتناست كل صـــرف مثلما تنسى الطيـــور
دائرات الدهر تجـــرى وهى نشـــوى بالسرور
حزنت يوما ولكن نسيت أحزانهـــا
هل بامكان الفتى ينـ ـسى الاسى نســـيانها ؟
انما الانسان لو تعـ ـلم اشقى الكائنات
ليته كالغاب لايحـ ـفـــظ تلك الذكريات
ليس ما فى الكون الا صـــورة من مظهرى
ذكرتنى بوجودى وروت عن معشرى
فى غروب الشمس لغز لرجـــاء يلتـــوى
فى ذيول الزهر رمزٌ لغــرام ينطـــوى
كل شىء - فيه - يا كالضمـــير المنفصل
فىّ - ما اعظم روحى - كل شىء يتصل .

دير الزور — خليل هنداوى

---

(١) اشارة الى طريق أقيم على شاطىء جزيرة الدير وقضى على الاشجار الممتدة على ضفتي الفرات



مطالعات وأشتات :

ذكاء القردة

للدكتور احمد زكى
وكيل كلية العلوم

نبدأ بالتعريف — حصرتها قردة ، مخلوقة من مخلوقات الله ولا تحقير لخلقه ، ولدت فى ليلة اسودّ أديمها بمقدار ما ابيضّ نجمها ، وغاب نحسها وتراجع بؤسها ، على حين حضر



(عطف الأبوة فى ميمى)

نعيمها وأقبلت بركتها ، ليلة من تلك الليالى الاستوائية الجميلة فى دَغَل من أدغال الكمرون الفرنسية على الشاطىء الغربى من القارة الأفريقية ، وأصبح الصباح ففتحت عينيها ترى وَضَح النهار لأول مرة ، وأدبر النهار عن ليل ازدهرت نجومه فرفعت عينيها إلى علٍ فى خيفة وخشوع ، كأنما تستخبر عن سر هذه الثقوب فى القبة السوداء ، وانسلخ النهار من الليل . وانسلخ الليل من النهار ، فأخذت تدرج من مسقط رأسها تتعرف البقعة الكونية التى تحيط بها وهى كل دنياها ، وذات يوم وهى تتفقد الأشجار مع القبيل فى هدوء ، وتدور وراء الأحراج فى بطء ، صرخ صارخ القوم ينذر ، فتجاوبت من كل الأرجاء أصوات النُّذُر ، فجرت القردة تطلب النجاة فى أعالى الشجر وسواد الغاب ، وضلّت أمّها وتخلفت عن القافلة فوقعت فى أسر نفر من الصيادين الأمريكان . جاءوا يرتادون الناحية لدرس حيوانها وطيرها . وكان من هذا النفر أمين من أمناء متحف التاريخ الطبيعى بنيويورك ، فأعجبته القردة الطفلة ، فشاء أن يختص بها ويتبناها على قدر ما تسمح أبوة مثله ببنوة مثلها . فأسماها « ميمى » . وحملها معه حيثما نقل معسكره فى تلك البقاع الحارة ، وأبى عليه كرمه والعهد الذى اتخذه أن يضع فى يد « ميمى » كبلا أو يقيم دونها حاجزا . وكانت هى قد آنست من أبيها الجديد رفقاً وكرما وأمومة يقدرها الصغار فى ضعفهم وقلة حيلتهم ، فلم تحاول أن تهرب من المعسكر مرة واحدة . ومضت سنة أو بعضها ، ورجع الأمين عَبْرَ المحيط الى بلده وأخذ صاحبته معه ، ودخل منزله الريفى فى ضاحية من ضواحى نيويورك العظيمة ، فلقيته زوجه وأولاده ، فسروا بالوافد والوافدة الصغيرة وأكرموا مثواها .

واليوم ميمى فى منتصف عامها الخامس تزن ٤٦ رطلا ولاتزال تحتفظ بالشىء الكثير من مظاهر الطفولة وبجميع أسنانها الرواضع ، وزادت الى هذه أضراسها الطواحن لبدأتها

فى السنة الثالثة . وكانت وهى طفلة تحتضن كل من تلقى من معارفها ، أما الآن فهى ترغب عن ذلك كثيرا وتطلب الاستقلال وتود أن تسير وحدها وتتفقد ما حولها بنفسها، وتختبر الأشياء بيدها وعينها ،الا ان هواها لا يستقر طويلا على شىء واحد . وقد استقام عودها واعتدل قوامها وزادت خطاها ثباتا واتزانا . وكان شعرها يطول الى جانبى رأسها حتى ليهبط دون ذقنها ، أما الآن فقد قصر قصراً كبيرا . وكان جلد يديها ورجليها ووجهها قاتما فأخذ يتبقع بالسواد، وكانت صورتها الشمسية تخرج بيضاء وهى تخرج اليوم سوداء

ومهما كان التغير فى جسمها كبيرا فان التغير فى عقلها وادراكها اكبر ، فهى تستطيع الآن ان تسلى أصدقاءها بما تصنع ، وتحبسهم اليها الساعة والساعتين وهم مغتبطون ، وهى كذلك مغتبطة ، كأنها تحس أنها بذلك تقيم الدليل على ان معشر الشيمبانزى لهم من الفطرة والذكاء حظ لا يقصر كثيرا عن حظ الانسان منهما



ميمى تقرب الثمرة نحو ذى يدها . ويعد استخدام مثل هذه الرافعة وغيرها من الآلات من مبادىء مظاهر الذكاء الانسانى

كانت فى أفريقيا لا تعرف القيد ، ولكن بارتحالها عن تلك الأراضى الواسعة الطلقة ، وبنزولها فى باحة المدنيـــة كثيرة الحدود، كثيرة الفروض، كثيرة القيود أصبح لا بد من القيد . فكان فى أول الأمر من الكتان ، ولكن التجربة دلت على قلة غنائه لان ميمى كانت تطلق نفسها منه بالشد والعض، فابدل بسلسلة من الحديد من سلاسل الكلاب المعروفة وهذه لم تكن بأكثر كفاية ، فما لبثت ميمى أن فطنت الى أن الشد الأقوى يفتح حلقاتها. فزاد سيدها الجديد سمكا . فاتجه نظر صاحبتنا الى الطوق،وكان تارة من حبل معقود وتارة من جلد مشدود . أما الحبل فقد عرفت بالمران كيف ترخى عقده ثم تتبع ذلك بعضه حتى ينقطع ، وأما الجلد فعرفت بالتجربة المبتدهة أن الريق يلينه فكانت تبله وتشده وتمطه حتى يتسع فتخرج رأسها منه

وأفادها ذلك التفنن فى حل العقد حتى برعت فى أساليبه. ربطوها الى حبل طويل ، وربطوا الحبل الى سارية وعقدوه عندها عقداً كثيرة ، ثم أطالوه بعد السارية الى حيث لا يهتدى الى طرفه الآخر .نظرت الى العقدة الأولى فى تأمل ولم تلبث أن هجمت عليها بأسنانها ويديها فأوسعتها سعة كبيرة ثم نفذت بجسمها منها رويداً رويداً . وأخذت تنظر الى العقدة الثانية فى تأمل جديد لم يطل كثيراً وفعلت بها كفعلتها الاولى ، وهكذا حتى انحلت العقد جميعها عن السارية . ولما أعادوا عقد الحبل حول السارية أعادت ميمى حله فى نصف دقيقة وهى فى غبطة من ذلك كبيرة وسرور بين، والنظارة فى مثل سرورها وغبطتها

وحاولت مرارا ان تعقد عقدة فى حبل بنفسها ، ونجحت فى ذلك مرات ، الا أن طريقتها الى ذلك كان يعوزها التهذيب فقد كان فيها التواء وتنكب عن المقصد الأمم والغرض القريب . فكانت فى ذلك كالطفل الانسانى يبلغ ما يريد ولكن فى قليل من الرشاقة واللباقة

وميمى على صغرها قوية شديدة ، فانثى الشمبانزى عند استكمال نمائها تعدل فى القوة من الرجال الأشداء الثلاثة والاربعة . وصاحبتنا بلغت الثلث من نمائها الكامل ، وفى اذرعها دقة ، وفى طباعها رفق ، قد يخدعانك فى تقدير قوتها . جاء الشتاء فاحتبسوها فى صندوق من الخشب المتين فأخذت تهز حيطانه فى طلب الرياضة لبدنها ، وأعجبها صوته على أرض البدروم فزادت فى هزه بكل حولها ، فكان لا بد من تعزيز

جوانبه . فلما لم يسمع ذلك علقوا الصندوق من السقف بسلسلة فأخذت تؤرجحه حتى دنا من مصباح الكهرباء المعلق فأحذت به . وكان لابد من استدعاء الكهربائى لنقل موضعه . ونظرت فأبصرت عداد الغاز فزادت فى التأرجح حتى بلغت الحائط وأمسكت بالخزان فخلعته على متانته وثنت الانبوب وكان الى جانبه نار موقدة فخالت العناية دون اشتعاله . ولما أعجزتها حوائط الصندوق أخذت تدفع سقفه حتى انفتح ففرت منه . وأرادت ربة الدار أن تتلفن الى زوجها ولكن ميمى كانت قد عمدت الى التلفون فانتزعت أسلاكه . وجاءت الى سيدتها تحتضنها اغتباطا وشكرا على انفكاكها . وذهبت الى المطبخ فوجدت الخادم تغسل الصحون فأرادت عونها وتنقلت



(ميمى فى يوم صائف)

بينها برفق غريب فلم ينكسر منها شىء . وكان التليفون أثناء ذلك قد أصلح فجاء رب البيت أمين المتحف على عجل فخطب رضاء ميمى وأطعمها ألوانا مستطابة رضيت بعدها ان تنقاد وتتقيد بعد انطلاق

وكان لرب الدار أطفال ، وكانت لهم دراجات من ذات العجلات الثلاث يركبونها فى ساحة البيت ، فكانت ميمى تركب مع أحدهم وتمسك بمقابض الدراجة فتوجهها يمنة ويسرة . وأرادت أن تركب الدراجة وحدها ولكن قصرت رجلاها عن بلوغ مواطىء الأقدام منها ، فاشترى لها رب الدار دراجة على قدها وأجلسها عليها فأمسكت مقابضها بيديها وأمسكت كذلك مواطئها برجليها . وهما كاليدين يقبضان على الأشياء ، ولكنها لم تدر فى بادىء الأمر كيف تدفع الدراجة بضغط موطىء واحد دون الآخر فى الآن الواحد ، ولكنها بالمران اليسير عرفت ذلك . وكانت تنسى فترفع قدميها الى المقبضين فكان لابد من ربطهما الى الموطئين ، ولكنها عافت ذلك فكانت تهوى باليد اليها لتحل الرباط فيصيح بها رب الدار عاتبا فتقلع . وأراد أن يعوّدها الاستقامة فى السير ، فكان يحمل فى يده جوزة أو عنبة أو طعاما تراه مختارا ويقف به بعيدا ثم يلوّح لها به وهى على الدراجة . فكانت فى بادىء الأمر تنزل عنها فيعنف عليها فتعود الى الركوب ، وكان همّها أن تصل الى الفاكهة من أقرب طريق فاستقام سيرها وكذلك طال . وأراد أن يعلمها كيف تنعطف فكان يلوّح لها بالثمرة حتى اذا قاربته انزاح تيسر فتمر بدراجتها فى استقامة الى جانبه فلا تنال الثمرة فتصرخ وتدمدم لهذا الخداع . ولم تفطن الى تحريك المقابض الى حين. فأتى بابنه يحركها لها فعرفت ذلك . وحرصت على القوت المغرى فتعلمت كيف تميل

وكانت أحيانا يفوتها أن تنعطف فتصل بدراجتها الى مأزق كحائط أو ركن فتمد رجلها تدفع الحائط فتبعد عنها قليلا . ثم تُسيّر الدراجة الى الأمام وهى تنعطف حتى تصل الى موضع أخلص من الحائط ، فتدفعها مرة أخرى فتبعد عنها وهكذا حتى تخلص من المأزق تماما وقد نفد صبرها . ولكنها تعلمت أن تنزل عن الدراجة فتحملها الى الخلاص . فكانت تفعل ذلك فى سرعة البرق كلما تأزقت وهى غاضبة

وكان يجتمع أطفال الجيران على دراجاتهم ويسيرون بها فى الطريق صفا يحملون الاعلام ويزأطون ويفرحون . فتتقدمهم ميمى على دراجتها تتعرف لهم المسالك وهى مثلهم

زائطة فرحة مغتبطة حتى لتحسبها منهم لولا مظهرها

وكان أمين المتحف يصطحبها معه الى مقر عمله فى سيارته فكانت تتشبث باصطحاب دراجتها فلا تنزل عند باب المتحف حتى تخف اليها فتركبها داخل المتحف . وكان من غرائبها انها كلما وصلت الى طبق الحديد الذى يغطى انابيب المجارى بأرض المتحف تترجل حتما وتجر دراجتها عليه ثم تركبها بعد تخطيه معانه فى استواء الأرض لا يحسه الراكب. وظهر منها هذا الشذوذ عينه لما سارت فى الطابق الأعلى فانها كانت كلما صادفت فى بلاط الارض صفا أسود تخطته راجلة



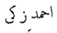
(ميمى على المائدة)

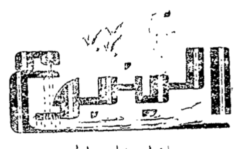
وكانت تأكل مع صاحبها فى مطعم المتحف ظهرا فتسير اليه بالدراجة وتذهب الى مكانها دون تلكع فيهيجها صوت الآكلين وقرع الصحون وشميم الاطبخة فتصرخ فيبتهج لصراخها أصدقاؤها الكثيرون من حولها . وتدور بعينيها تطلب حاملات الطعام فاذا بصرت بهن هزت جسمها سرورا وتلفظت بالرضاء. فاذا استقر الطعام أمامها رفعت شوكة أو ملعقة من ذات نفسها ، وقد تخطىء فترفعها بيسارها فتنقلها الى يمينها ولكن بعد امساكها بفمها . وهى تأكل البسائط ، فتأكل الخبز والزبد واللبن والبطاطس والسبانخ والفول الأخضر والخس والطماطم والفواكه وشيئا من اللحم أحيانا، واختصارا كل ما كان يأكله الناس . وهى تحب الحلوى كائنة ما كانت ساخنة أو مثلوجة

واذا انتهت من الطعام بسطت منديلها فمسحت به وجهها

وتشرفت ميمى بدعوة من رئيس المتحف الأمريكى العام للتاريخ الطبيعى فى وليمة رسمية كبرى ، فذهبت فى سيارة الى بؤرة المدنية لأول مرة ، فاخترقت الطرقات العظيمة على أضوائها الشديدة وزينات مسارحها الباهرة ، فى جو ملىء بنغم الاوناروفنغ المزمار وأدخنة السجائر والسيجار وأبواق السيارات وضجيج الحجيج من أهل اللباس الأنيق والزى الرشيق والدوق الرفيع . فأهاجت ميمى كل تلك المظاهر لا شك ولكنها صمتت كأنما تفكر فى موطنها الافريقى . وجاء أوان النزول من السيارة فخفت ميمى الى دراجتها وسارت بها عبر البهو الى قاعة الطعام الكبرى فاتخذت مجلسها بين الضيوف . وجاءتها الصحفة بعد الصحفة . فأكلت بأدب من كل لون . وجاء دور الكلام فأصغت كأنها تستمع للخطباء فلم تنبس بكلمة ولم تطرف بعين الا عند ما جاء المصورون يصورونها على ضوء المغنسيوم فانها أخذت تطرف لكل صورة حتى استموا عشرا . وانتصف الليل فانفض الجمع وهم معجبون بميمى . وقال قائل منهم ما الى هذا الحد يبلغ الأطفال من الأدب والكمال

احمد زكى





ديوان ابى شادى الجديد

يطلب من المكاتب الشهيرة ومن ادارة مجلة (أبولو) بالسيدة زينب بالقاهرة . ثمن النسخة مائة مليم خلاف البريد .



استقبال الكاتب الفرنسي جول رومان

في نادي القلم المصري

احتفل نادي القلم المصري في مأدبته التي أقامها مساء الأربعاء الماضي باستقبال الكاتب الفرنسي النابه جول رومان ضيف مصر وألقى الدكتور طه حسين باسم نادي القلم هذه الكلمة تحية للكاتب الكبير

كلمة الدكتور طه حسين

سيداتي وسادتي:

سمعتم مني في المرة الماضية أني لا أحب الخطب في مثل هذه المجامع. وإني أوثر أن تكون مجامع حديث وسمر، وأن تكون مجامع نستريح فيها من عناء ما نتكلف أثناء النهار من الجد والبحث والقراءة والكتابة. وأوثر أن تكون هذه الاجتماعات كالساعات التي يظفر فيها الطلاب بالراحة أثناء النهار. ولكني مضطر هذه الليلة إلى أن أتحدث إليكم قليلا، وثقوا بأني لن أطيل. والذي يسرني أن أتحدث فيه إليكم، وواثق أنكم جميعا تشاركونني فيه هو أن النادي - نادي القلم الذي أتاح لي أن أظهر - له موفق، وأن التوفيق قد كتب له منذ اجتماعاته الأولى. فإذا ذكرتم أننا في اجتماعنا الماضي قد استقبلنا كاتبا من أكبر الكتاب الإنكليز هو مستر هتشنسن وإذا لاحظتم أننا نستقبل الآن كاتبا من أكبر الكتاب الفرنسيين هو مسيو جول رومان عرفتم ووافقتموني على أن نادينا من حقه أن يغتبط بهذا البدء السعيد

وإني لسعيد هذه الليلة بأن أحيي صديقا تحية ملؤها الحب والإكبار فالذين يقرأون كتبه لا يستطيعون إلا أن يتبينوا هذه العواطف القوية التي يثيرها في نفوسهم، وهي ليست إلا عواطف محبة وإكبار. فهو ليس من الكتاب الذين يبهرون الناس بحسن ألفاظهم وروعة صياغتهم وإنما هو كاتب قبل كل شيء يصل إلى قلب القارئ ويرفعه إلى أرقى ما يستطيع أن يرقى الإنسان إليه من المثل الأعلى والكمال

والذين سمعوا منكم محاضرتيه القيمتين في الجمعية الجغرافية لا يستطيعون إلا أن يقدموا إليه تحية خالصة هي تحية العقل للعقل، وتحية القلب للقلب. ولأول مرة نستطيع أن نسمع في مصر بين المحاضرين الذين يفدون إلينا من الخارج ما يرفعنا من هذه الحياة اليومية إلى حيث يستطيع العقل أن يستريح، والذين سمعوه قد ذكروا أن المحاضرات ليست ميدانا للمسابقة في السماع، بل هي أيضا مكان يستطيع أن يلتقي فيه المفكرون بالمفكرين وأن يتحدث فيه الإنسان إلى الإنسان بما تعانيه الإنسانية من الآلام

وإذا كنا نستقبله ونحييه الآن فإنما نستقبله ونحييه ككاتب من أكبر كتاب فرنسا الذين يمثلون العقل الفرنسي الحديث والأدب الفرنسي الحديث؛ ثم إني لا أستقبله بهذه الصفة وحدها وإنما أستقبله باعتباره كاتبا إنسانيا فيه كل مميزات العقل الفرنسي، وكل مميزات الكتاب الفرنسيين والأوربيين المتقدمين. ثم هو لا يمثل ذلك كله، وإنما يمثل المثل الأعلى للإنسانية كلها

فإذا حييته الآن فإنما أحيي فيه العقل الفرنسي من جهة والمثل الأعلى للأدب الإنساني من جهة أخرى . . .

ونهض مسيو جول رومان وألقى الكلمة الآتية:

كلمة مسيو جول رومان

سيداتي وسادتي: واسمحوا لي أيضا أن أقول زملائي وإخواني الأعزاء

إني لسعيد بأن أمس هذا المساء. وأقول لكم كيف تأثرت بما حباني به الكتاب المصريون من الرعاية والحفاوة. وأعرب عن شكري للكتاب المصريين الذين عنوا باستقبالي. وطبيعي أن يستحق هذا الشكر كتاب مصر. فالكتاب في كل بلد هم أهل

الشكر . ثم إنى لسعيد بان أكون الليلة فى قلب نادى القلم المصرى ، ذلك النادى الفتى ، بل أحدث مراكز القلم فى العالم سنا ، انى عضو قديم فى نادى القلم ، وقد اشتركت فى تاسيس النادى الفرنسى ، وكنت دائما مندوب فرنسا فى جميع مؤتمرات القلم الدولية ؛ ولقد شهدت أخيرا كل مايهدد مجمع القلم من الصعاب وخيبة الأمل ، حتى لقد خيل الينا أن مجمع القلم سيقضى نحبه . وكنا فى العام الماضى فى مؤتمر القلم الدولى بمدينة راجوزا تتخبط فى معترك من الآراء والأفكار المضطربة . اجل ، كاد مجمع القلم يذهب فى راجوزا ضحية المثل الأعلى . ولم تكن الآراء المتضاربة تضطرم حول مهنة القلم ذاتها ، ولكنها كانت آراء إنسانية هامة . رباه ؛ إن هذا الموت لم يقع ، ولكن حدث بتر ولعله بتر احتياطى ؛ وسوف يقوم المجمع من عثرته كرة أخرى ، وانى لانتهز هذه الفرصة لاقول لكم واذكركم بان العضوية فى مجمع القلم تحتم بعض التعهدات نحو الانسانية عامة ، أجل ، لسنا كتابا نتحدث عن مهنتنا فقط ، ولسنا نريد الاجتماع للحديث والسمر فقط . بل نحن أيضا رجال نخدم العقل والضمير ونعرف ماتفرضه علينا مهنتنا . وأبدع مافى مهنتنا أننا نقدم بعض الواجبات بعيداً عن مصالحنا الشخصية ، ولما كنا خدام العقل فانا نتضافر على على اداء الواجب ولا نعبأ بالأعتبارات السياسية ولانخضع لحرب من الاحزاب ، بل نحتفظ بالحق والواجب ولا نخضع لأى نظام سياسى لايعترف بحق العقل والذهن ، وكلما هدد هذا المثل الأعلى وجب على أندية القلم فى العالم كله أن تثور على هذا الوعيد . إن سلطتنا ليست وهمية ؛ ولست أبالغ فأقول إننا نستطيع أن نقف البحر ؛ ولكنى أذكر لكم شيئا مما حدث فى راجوزا فقد تحدثنا عن سياسة الحكومة الالمانية فى اضطهاد رجال الفكر ، وتحدثنا من هذه المدينة الصغيرة بالتليفون مع المسئولين فى المانيا عدة ساعات ، واستطعنا أن نحمل الحكومة الالمانية على أن تخفف مسلكها نوعا ما وأن تمنع بعض الاعتداء على الفكر

سيداتى وسادتى : لست أعلم ما يجىء المستقبل ؛ فانا نخاف كثيراً ونؤمل كثيراً ، ولكنى لست متفائلا ، فانا لم نخرج بعد من غمار الأزمة ونحن فى غمر الصعاب ، ولكنى أعتقد وأكرر أن أعظم جريمة يرتكبها خدام العقل هى أن يعتقدوا فى القدر الذى لايخدم العقل ، أجل إن أعظم جريمة نرتكبها هى أن ننحنى أمام العاصفة فالخطر الذى نواجهه هو خطر انسانى من عمل الانسان ، اراده ودبره الانسان ، فنحن نستطيع ان نقاوم مقاومة انسانيـــة ، ويجب أن يعتمد علينا فى كفاح هذه المصائب التى تهدد الانسانية وفينا نحن رجال الفكر والقلم تتمثل تلك القوة التى تحمى الانسانية من التدهور النهائى

وانى لأرفع قدحى نخب مصر التى استقبلتنى ، ونخب فرنسا التى أمثلها كمندوب متواضع ، بل ونخب جول رومان .

الاكاديمية الفرنسية والنساء

كانت وزارة المعارف الفرنسية قد رشحت "الكاتبة المعروفة مدام كوليت عضوا بالاكاديمية الفرنسية ، ولكن بعض المغرضين لم ينظروا الى هذا الترشيح بعين الارتياح ، وحملوا على الفكرة حملات شعواء فى الصحف والمجلات الادبية مستنكرين منح مقاعد الاكاديمية للنساء فى الوقت الذى يضن بهافيه على نوابغ الكتاب والشعراء امثال : جيد وستراتى وجوليان بندو وغيرهم

وقد انضم الى هؤلاء الساخطين بعض الشيوخ من اعضاء الاكاديمية ممن لايزالون يرون ان المرأة الفرنسية لم تصلح بعد للاشتراك فى الهيئات النيابية او المجامع العلمية والأدبية الرسمية .

ازاء هذه المعارضة القوية ، عدلت وزارة المعارف عن رأيها وقررت اخيرا منح هذا المقعد لفرنسوا مورياك الناقد والكاتب المسرحى المشهور ، والذى سبق ان أخرجت له فى مصر رواية « المسحور » على مسرح الاوبرا الملكية فى عام ١٩٢٤ ورواية « بلانشيت » على مسرح رمسيس .

وقد فكرت بعض الاديبات الفرنسيات فى تأسيس أكاديمية للآداب والفنون تكون خاصة بالنساء فقط ؛ وسوف يفتح باب الاشتراك فيها لجميع الكاتبات والصحفيات من الجنس اللطيف بدون تمييز بين الجنسيات والاديان

انتحار روائية انجليزية

اشتهرت دوروثى ادوارد الروائية الانجليزية بأقاصيصها الصغيرة التى كانت تودعها نظرياتها الخاصة عن الحياة العصرية ، ونالت من وراء ذلك شهرة أدبية واسعة ، خاصة فى الولايات المتحدة ، وطبع

بعض رواياتها أكثر من مائة طبعة وذلك وهى لم تتجاوز العقد الثالث من العمر .

وقد وجدت جثتها فى صباح ذات يوم ملقاة الى جانب السكة الحديد بالقرب من كيارفلى بانجلترا ، ويستدل من التحريات التى أجراها بوليس سكوتلانديارد على أن الكاتبة بعد أن زارت لندن ، وحضرت بعض حفلات موسيقية استقلت القطار حيث عثر على جثتها فى صبيحة اليوم التالى ولا يعلم ان كانت قد تعمدت الانتحار أم سقطت اثناء اجتيازها عربات القطار فى الليل .

وتقول مجلة « جون أوف لندن » أن رواية دروثى الاخيرة « نفسية فى مرقص » قد ترجمت الى معظم اللغات الحية وبلغ ما بيع منها زهاء النصف مليون نسخة !

الكاتب النمسوى هرمان بير H. Baehr

توفى أخيرا الكاتب النمسوى الكبير هرمان بير فى الحادية والسبعين من عمره ! ولد فى لنز سنة ١٨٦٣ ، ودرس فى فينا وبرلين . وكان « بار » منذ أربعين عاما من زعماء الأدب الالمانى الحديث ؛ وكان بالأخص من مؤسسى الحركة الادبية التى عرفت فى أواخر القرن الماضى باسم « النمسا الفتاة » ، وكان من زعمائها مع بار ، ارثر شنتزلر وفون هوفانشتال . وظهر بير فى مستهل حياته الادبية بالتأليف المسرحى واختص منه بناحية « الكوميديا » ؛ ومثلت رواياته فى أشهر مسرح فينا ولاقت فى أوائل هذا القرن شهرة واسعة ، ثم اشتغل بار بالنقد الادبى والصحافة . واشترك مدى أعوام فى تحرير جريدة « دى تسايت » (الوقت) النمسوية ثم فى جريدة « نويه فيير جورنال » . وكان يختص بكتابة النقد الادبى والتاريخ . وتزوج بير من الفنانة الشهيرة أنا ملدنبورج ، وهى موسيقية ومغنية بارعة اشتهرت فى حفلات سالزبورج برائع فنها ورخيم صوتها . ولما انتقلت أنا ملدنبورج الى ميونيخ لتعمل فى مسارحها تبعها زوجها وغادر موطنه ، وأقام معها فى ميونيخ وقضى فيها أعوامه الأخيرة حتى توفى

ومن أشهر قطعه التمثيلية « الاتفاق » (١٩١١) وفيها يعالج فكرة اجتماعية هى تسامح الزوج المنبوذ نحو خيانة زوجته واعترافه بحبها لآخر كوسيلة لاستثارة عطفها واستعادة ودها و « الغبى والعاقل » (١٩١٢) وفيها يعالج فكرة الحكمة وهل هى اتباع الواجب أم اتباع الهوى . ومن أشهر رواياته « نماذج للحب » (١٩٢٩)

حق المؤرخ فى التصوير والتفسير

هل يحق للمؤرخ أن يكون حراً فى تصويره وتقديره للشخصيات المعاصرة التى يعرض لها ؟ هذه مسألة طرحت أخيرا على القضاء الفرنسى لمناسبة ظهور كتاب جديد للمؤرخ الفرنسى الشهير « رايمون ريكولى » عن « الجنرال جوفر » القائد العام للجيش الفرنسى فى أوائل الحرب الكبرى ؛ وقد تناول المؤرخ حياة الجنرال جوفر والحوادث العسكرية التى حضرها وعلق عليها بآرائه وتقديراته فرأى القائد لا برزاك ولد الجنرال جوفر ان فى الصورة التى يقدمها مسيو ريكولى ، وفى بعض آرائه وتعليقاته اخطاء ومآخذ تعتبر سبا لذكرى والده . ورفع أمام محكمة السين قضية مدنية يطالب فيها مسيو ريكولى بالتعويضات .

وقد أثارت هذه القضية اهتماما كبيرا . وانتهت بعد مرافعات ومذكرات طويلة بانصاف التاريخ والمؤرخ . ومن رأى المحكمة أن مسيو ريكولى لم يتعد حقوق المؤرخ وانه لم ينشر وقائع مزيفة أو مشوهة ، وانه فى تقديره وتعليقه لم يتجاوز ما هو حق للمؤرخ فى عرض التاريخ وكتابته . ولهذا رفضت قضية القائد لابرزاك .



قصة فى رسالة

سيدى الطبيب :

إن المصادفات المشئومة والحظوظ السيئة ساقتك الى وعرفتنى ؛ ما كنت أظن أن أمرا تافها ستكون نتيجته وخيمة الى هذا الحد !

قبل أيام وقفت عجلة كبيرة مملوءة بالأثاث أمام الدار المواجهة لدارنا ؛ فرغبت أن أعرف وأنا فى نافذتى أولئك الذين سيكونون جيراننا فى هذا الصيف ، فرأيتك عارى الرأس تأمر وتنهى وتساعد الخدم كلما قضت الحاجة بذلك ؛ ثم رفعت رأسك نحو نوافذ غرفتى : وكانت — ياللأسف — نافذتى مفتوحة : فرأيتنى — ويا ليتك لم ترنى — احولت رأيتنى وأن أبتسم ، وكان السبب فى تلك الابتسامة ؛ لأن انهماكك فى تفريغ العجلة وأوامرك التى لا حد لها ولا نهاية كانت مضحكة جداً . فالذنب إذاً ذنبك وتبعته عائدة عليك . ثم رأيتنى مرة ثانية وأنت ترسل ستائر نوافذ بيتك ؛ فى تلك الأثناء وجهت بصرك نحو نوافذنا وابتسمت لى فهذا ذنب ثان كان منك ؛ كنت أظن أن هذه الأشياء تافهة فى ذاتها وأنها لن تبقى راسخة فى مخيلتك عالقة بذهنك ، ولكنى فى ملاقاتى الثالثة علمت أنك أعطيت ذلك من الاهتمام شيئاً كثيراً .

أظن أن ذلك كان بعد عشرة أيام ، خرجت مع والدتى من البيت فرأيتك مقبلا من الشارع الذى أمامنا ، ولكنك فى هذه المرة لم تبتسم لى — ويا ليتك ابتسمت — ولو فعلت ذلك لما اكترثت ولكنت أعدك ككثير من الرجال الذين يبتسمون لكل أنثى يصادفونها فى طريقهم ، لكنك لم تبتسم بل اصفر وجهك ، وفى أقل من ثانية لم يبق فيه أثر للدم كأنه انسحب ليجتمع فى قلبك فقط . ماهو سبب ذلك ؛ ولماذا اصفر وجهك ؟ كان يجب أن تلحظ أن حركة كهذه أمام الفتيات توجب لهن القلق وتسبب الاضطراب ؛ وهذا الذنب الثالث أوجهه اليك أيضا ؛ بعد أن مررت قالت والدتى : « أليس هذا الرجل هو الطبيب الذى سكن أمامنا ؟ » ولا أدرى لماذا كذبت عليها وقلت « لا أعرف » مع أنى كنت أعرف جيداً أنك فى هذا الصيف ستسكن الدار التى أمامنا .

وكانت مقابلتى الرابعة لك فى النزهة ، وفى هذه المرة لم تبخل بالابتسام فقط بل بخلت بالنظر أيضا ، يالله ما أشد اصفرار وجهك إذ ذاك ! كلما ذكرت حالتك تلك ؛ شعرت بحس غريب ؛ وألم لا أدرى مصدره ؛ فانى لم أفعل شيئاً يوجب اضطرابك ولا أرى على أدنى تبعة يمكن أن يتحملها وجدانى

فقررت بعد ذلك أن أبالغ فى الاحتياط . وأشتد فى الحذر وبخاصة منك ، لأن ابتسامة عن غير قصد ولا رأى أحدثت موقعاً مهما أرعبنى . فقررت أنه يجب أن يقف الأمر عند هذا الحد .

ولكنك لم تقف عند هذا الحد ؛ ولم تلحظ أن الفتاة التى ابتسمت لك عن غير قصد ؛ وابتسمت لما لم تكن إلا طفلة لاشابة ؛ وأنها تود الآن أن تصلح خطأها

كلما قرع جرس الباب ، وكلما حدثت ضوضاء أمام الباب برز خيالك من وراء زجاج النوافذ ؛ لقد طرأ عليك وعلى أحوالك تبدل هائل خلال هذه الخمسة عشر يوما ، كنت ترى مطرقا حزينا عميق الافتكار ، تمشى بطيئاً جداً كأن المشى السريع سيقطع سلسلة أفكارك ؛ تقف أمام داركم وتلمس زر الجرس الكهربائى وتلتفت نحو نوافذنا ؛ وتنظر نظرة استرحام تدل على أن كل ذلك كان من تلك الطفلة البريئة صاحبة تلك الابتسامة .

ثم مرضت ؛ وأخذ القدر يمشى بك نحو الهاوية التى كنت أحترس منها . لما علمت أن والدتى تود أن ترسل اليك لتعودنى مانعت وطلبت طبيباً غيرك ؛ ولكنى غلبت على أمرى ؛ ولو رأيتنى حينئذ لعلمت جيداً كيف كنت أخشاك . لما دخلت

على لمحى كنت مضطربا أصفر الوجه ؛ وكل ما كنت أتمده أن يحس نبضك جاس حيما أمسكت أنت يدى لتعد نبضى . . . كنت تسمى لأخفاء اضطرابك وتخلط كلامك بالنكت اللطيفة ، وتظهر عدم الاكتراث ؛ ولكن كان تكلفك ظاهرا وكان مثلك فى ذلك كمثل المغنى الذى يغنى أنشودته على غير توقيعها .

كنت فى كل مرة تدخل على عائدا أكثر اضطرابا وأشد يأسا وتألما من المرة السابقة ؛ وأرى ورد خديك قد صار بهاراً كأنى كلما تقدمت نحو الصحة تقدمت أنت نحو المرض ، وأخيرا بعد أن انتهى المرض ومضى دور النقاهة قلت لى بلهجة مملوءة بالحزن العميق الشامل جميع انحاء فؤادك « انك لست بحاجة بعد اليوم إلى المعالجة ، وكانت نغمة صوتك تحمل معنى « إنى أنا المحتاج إلى العلاج » .

إن تلك العلاقات التافهة البريئة التى بيننا كان يجب أن تقف عند هذا الحد ؛ ولكنك أنت أبيت إلا أن تسير فى هذا الطريق وأنت لا تعلم أتصل إلى نهايته أم لا ؟ . ان تبعة ما فعلته بعد رؤيتك لى وأنا مريضة ماثلة عليك كما كانت عليك تبعة الذنوب التى كانت قبل المرض .

لقد شاهدتك البارحة وأنت جالس على كرسى فى غرفتك تراقب نافذتى وأنت مشغول عن كل ما حولك إلا عن نافذتى كأن عينيك لا تشاهدان إلا ما وراء زجاجها ؛ فسمعت صوتا ساعدنى على فهمه سكون الليل وهدوءه ، سمعت صوت زوجك تناديك قائلة « لماذا لم تدخل إلى الغرفة ؟ » فأجبتها بحدة جوابا ظهر لى منه انك تألمت لهذا السؤال الذى قطع تلك اللذة التى كنت تشعر بها وأنت منفرد عن بقية أفراد الأسرة ؛ قلت لها « إذا كنت تريدين النوم فنامى ، إنى أود أن أبقى فى الشرفة » .

لا أدرى لماذا أكتب اليك كل هذا ؟ وربما كان ذلك لتبرئة نفسى من تبعة ما كان ، إنى لا أدرى كيف عزمت وقر رأيى على كتابة هذه الرسالة ، ولست أدرى ما الذى يمنعنى من تمزيق تلك الورقة التى أحررها اليك ؟ أنت ترى انى لم أجد جوابا لهذه الاسئلة ؛ ولكنى أرى انى تابعة لحس خفى يسوقنى لارسال هذا الكتاب اليك .

تصور فتاة نشأت بين دلال الأم وعطف الأب ، تقضى أكثر لياليها فى مكتبة والدها تتسلى بقراءة الحكايات ، وأكثر أيامها تمضى فى السينما تبكى من الفواجع التى تصورها اللوحة الفضية ؛ لا هم لها ولا غم . ولكنها تتألم لألم الناس وتحزن لحزنهم . ثم تذهب الى مخزن الازياء فاذا عادت بما تحب قدمت الى والدها أوراق الحساب ذات الارقام الضخمة . لم تفكر فى حياتها كلها بشىء غير هذا . ولم يطرأ على حياتها طارىء الا أن شابا ابتسمت له وهو يأمر وينهى خدمه وهم ينقلون الاثاث الى المنزل الذى امام دارها ؛ ثم ابتسم لها وهو يرسل سجف نوافذ المنزل ؛ أليس الأمر حتى الآن طبيعيا ؟ ولكن هذا الشاب لم يتلق هذا الابتسام كأمر طبيعى ، بل ظل يراقب النافذة وهو مضطرب حائر ، ثم بعد كل ذلك رمى داخل مظلتها المعلقة وهو يمر من جانبها كتابا من غير أن تشعر بذلك والدتها التى بجانبها . ان هذه الاشياء أحدث تخرج عن الحد الطبيعى . لذلك أصبحت الفتاة الشابة ترى أن الضحك ليس أمرا طبيعيا

ما أشأم تلك المصادفات التى القتك فى طريق ؛ وما أصل الافكار التى أوحت اليك وضع الورقة فى مظلتى ؟ ماهو الشىء الذى خولك حق رمى ورقة الى فتاة لم تر ولو فى المنام من يؤذيها أو يلعب بشعورها ؟ .

كنت حتى اللحظة أشعر نحوك بشىء لا أدرى ماذا أسميه ؟ أشعر بشىء شبيه بالرحمة والعطف ؛ ولكنى منذ سمعت صوت الورقة وهى تقع فى مظلتى نفرت منك نفوراً شديداً

لقد شعرت بحس قوى يدفعنى الى أن أفتح مظلتى وأرمى تلك الورقة فى الارض ؛ ولكنى لا أدرى لماذا لم أنفذ هذا العزم ؟ لقد تغلب على حب الاطلاع . وأردت أن أعلم ما الذى كتبته لى فى كتابك . هل قدرت عظم ذنبك وأنت ترمى ورقتك فى مظلتى ؟ هل قدرت حرج موقفى فى تلك الدقيقة ؟ وهل قدرت أنها جناية غير قابلة للغفران ؟

إن ما يشع فى عينيك من النجابة وما يقرأ فيهما من آثار العفة يشهد بأنك كنت تحت تأثير غفلة خضعت لها عن غير ارادة منك .

حينما بلغت البيت ذهبت توا الى غرفتى وفتحت رسالتك فلم [illegible] فيها ولا كلمة واحدة تثقل على سمع فتاة مثلى .

فرأيى السابق فيك كان صحيحا . لقد أثبت لى ذلك كتابك ذو الصحائف الأربع الذى لا يحتوى على معنى تفيده جملة مركبة من أربع كلمات .

فما الغاية إذن من كتابته الى ؟ هل أظهرت لك رغبتى فى الاطلاع على أنك لست سعيداً فى حياتك ؟ وهل طلبت منك أن تكتب الى ذلك فى صحائف أربع ؟ قرأت كتابك للمرة تلو المرة ولم أفهم له

غاية . فقلت فى نفسى : إنه يعلن لى حبه ، ولكن زوجته ؟ .. أولاده ؟ ..

فى مساء أحد الأيام كان الأولاد يلعبون أمام الدار ، فشاهدت ابنتك الصغيرة ذات الوجه الجميل والشعر الاشقر المحيط بوجهها احاطة الهالة بالقمر تصفق طربا وتصيح : هاهوذا والدى قد جاء وتركض نحوك ، فاذا أنت تقطب حاجبيك وتأمرها بالابتعاد عنك ، وترفع عينيك نحو نافذتى ، فعادت الصغيرة كئيبة حزينة ، لا يقدر يراعى أن يصف لك نفورى منك وكرهى لك فى تلك الدقيقة ، اذن أنت فى شغل بى حتى عن أولادك فأنت تنظر اليهم بقسوة وتعاملهم معاملة سيئة ؟ إن حالتك هذه كافية لتشرح لى الآلام التى سببتها لتلك الاسرة التى أنت ربها .

قلت فى نفسى مادمت سببا فى نفوره من زوجته وأولاده فالواجب ان تقف هذه المسألة عند هذا الحد . أخذت كتابك حينذاك وقرأته فى امعان مرة اخرى ، نخطر ببالى ان ارسله الى زوجتك ، ولكننى عدلت وانقلب ذلك النفور الذى كنت أشعر به منذ لحظة الى رحمة من أعماق قلبى .

وفى صباح اليوم الثانى بينما انا خارجة من البيت ، ولم أكن اسدلت النقاب على وجهى شاهدتك تنزل مسرعا من الدرج فالتقت العين بالعين ، خانتك قواك عند ذلك ، ولولا استنادك الى الجدار لوقعت على الارض لا محالة . فشعرت أن مهمتى تجاه هذه الحال شاقة جداً وانه يجب ان اشفق عليك وعلى زوجك وأولادك لا أن احقد عليك .

أعترف لك انك بارع جداً فى ارسال الرسائل ، انى بعد أن قرأت رسالتك الأخيرة التى وجدتها بين زجاج نافذتى وبين القفص الخشبى ، تلك الرسالة التى حتى الآن لم اكتشف كيفية وصولها الى ولم اعلم بأية طريقة وضعت ؛ شعرت بأن دافعا اهم من السابق يدفعنى للكتابة اليك ، لا لأجلك بل لأجل تخليص زوجك من مصيبة محتملة الوقوع ، ولمنع هذه الاضحوكة من ان تتحول الى فاجعة كبرى .

فى كتابك هذا تبحث عنى وتعلنى أن مصادفتك لى كانت سببا فى شقائك ، وانك تحبنى حبا بغير امل ، وانى كدرت حلو معيشتكم وأنك حتى الآن كنت سعيداً بحياتك مع زوجك وأولادك ، وان حبك لى حول نعيم حياتك فى البيت الى جحيم ، وأنك ستكون ضحية هذه الصدفة ، الى آخر ما فى كتابك من كلمات .....

انى واثقة كل الثقة من أنك الآن خجل بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى لكتابتك هذه الجمل وهذه العبارات ، تصور أنك ستترك زوجك أرملة ، وأولادك يتامى من أجل ابتسامة من فتاة غرة ، وفى هذا منتهى الغرابة ....

أيقنت الآن انى سأكون سبب فاجعة كبرى ، فالواجب يقضى على أن أقف امام تلك الكارثة ، وهو الذى اضطرنى أن التجىء الى هذه الوسيلة وهى الكتابة اليك ، انت تعلم يقينا انها جرأة من فتاة مثلى ، ولكن ... ولكن الوجدان .....

تبحث أيضاً فى كتابك عن اشياء كثيرة كلها متقاربة وتقول : ان حبك لى جعل بينك وبين زوجك واولادك فراغاً لا يسده شىء : وانك الآن بعيد عنهم بعد الارض عن السماء ، وان كان جسمك قريباً منهم متصلا بهم ، وانك حاضر الجسم بينهم لكنك غائب القلب والعقل عنهم : وان كل ذلك سيكون سببا لفرارك من هذه الحياة التى أصبحت فى نظرك جحيما .

أنا اعلم انك تبحث لى عن هذه الاشياء كلها ، ولست اعلم لذلك سببا ، واذا كان الأمر كما ذكرت فى كتابك ، فالفرار الفرار منى ...

إن حياتك فى هذين الشهرين الأخيرين تمر من أمامى كما تمر الصور على اللوحة الفضية امام جمهور النظارة فامتع النظر بها فأرى ان الشقاء فى حياتك سرى الى حياتى ايضا ، وتلونت حياتى بلون حياتكم الأسود ، لقد كنت سعيدة انا ايضاً حتى قبل شهرين من الزمن ، لقد كنت مرحة مرح الصبا والشباب ، وليتك تعلم مقدار حزنى وألمى وبؤسى ، لأننى كنت سبباً فى شقائكم اذن انا من حيث لا ادرى ولا أشعر كدرت صفو حياتكم ، وبدلت سرورها شقاء ، وقلبت نعيمها الى جحيم ، وصفاءها الى كدر وبهجتها الى عبوس . آه ما أتعسك ايتها الزوجة ؟ ليت شعرى كم من الدموع ذرفت ، ومن الزفرات صعدت بسببى ؟ ..

اسائل نفسى عن الاسباب التى اضطرتك الى المجىء هنا ، وساقتك الى السكنى فى هذا المصيف ؛ فتقول لى ربما كان سبب ذلك ان هذه الزوجة مصابة بفقر دم ، او أحد الأطفال مبتلى بمرض ثقيل ، فاضطر ذلك الاسرة كلها الى نزول هذا المكان طلباً للعافية وتخلصاً من الاسقام ، فاذا كان الأمر كذلك فقد حضرتم هذا المكان فى طلب الصحة والعافية ففقدتم معهما السعادة العائلية ،

نعم ويااللاسف ان قطرة من السم وقعت صدفة واتفاقاً فى حياتكم السعيدة فسممتها وجعلتها جحيما ...

اتمثلك في بيتك مطرقا حزينا غريقاً فى بحر الافكار تسألك زوجتك « مابك أيها الرفيق ؟ وبماذا تفكر؟» فلا تجيبها بل تنق فى حزنك واكتئابك ، ثم تتبرم من كثرة الاسئلة وتؤلم زوجتك ببضع كلمات فينكسر قلبها وتبكى تلك الليلة فى فراشها بكاء مراً ، تبكى بصوت خافت خشية ان تسمعها ، ولكنك تشعر بذلك وتشفق عليها ،فتقبلها قبلة تنسيها كل مابها من الم وهم وتذهلها عن كل ما كان .

ولكن بعد ذلك يعود اليك ضجرك وحزنك ،فتعامل زوجك واولادك بقسوة وخشونة ما كنت تعاملهم بهما من قبل .

ويخطر ببالى اشياء أخرى يقشعر بدنى لهولها وسوء أثرها فى زوجك واولادك ، اذا كان الامر كذلك فالفرار الفرار منى...

أنتم أتيتم إلى هــــذا المصيف لتجدوا فيه الصحة والسعادة ، ولكنكم لم تجدوا غير العلة والشقاء ، فالفرار الفرار منها . . .

لقد جمعتنى المصادفة بزوجك ، فليتك تعلم مقدار ما كان لها فى قلبى من محبة، وفى نفسى من مكانة ، كلما تمثل لى وجهها الشاحب ومحياها الجميل المرسومة عليه آثار الحزن العميق : تألمت لها وأشفقت عليها كأنها أختى ، فيالله من سوء ما جنيت عليها وهول ما سقت اليها من العذاب على غير علم منى بذلك ولا رغبة فيه ولا قصد اليه .

أتمثلها واقفة أمامك مع أولادها تنظر اليك نظرة الاسترحام والاستعطاف والدموع ملء محاجرها ، ولسان حالها يقول : « لمــاذا أدرت عنا وجهك وطويت دوننا كشحك ؟ لمــاذا تغير قلبك علينا منذ شهرين ؟ » .

أكتب اليك ولا أدرى كيف أرسل اليك هذه الرسالة ، ولا أعلم ما الذى سيكون من أثرها فى نفسك ؟ يخيل إلى أنها ستصل اليك وزوجك نائمة فى فراشها وحولها أطفالها يغطون فى نومهم ، فاذا وقعت فى يدك جلست الى منضدتك ونشرت الكتاب عليها وجعلت رأسك بين كفيك ثم أخذت تقرؤها . . ولعلك لاتنتهى من قراءة الصفحة الأولى حتى تشعر بأن غشاء الغفلة الذى يغشى عينيك اخذ ينقشع عنهما ، وتعلم يقيناً انك كنت تابعا لحس غير ثابت الأساس ، أجل ! كنت تابعاً لذلك الحس محاطاً به مغلوبا له خاضعا لسلطانه مشغولا به عن كل مايجب عليك ، كانك كنت جاهلا حتى الآن ان من العيب على المرء ان يسير وراء عواطفه وان ينقاد لها فتسوقه الى المهاوى .

فى تلك اللحظة تشعر انك لا تزال تحب زوجك واولادك فتتحرك الشفقة فى قلبك وتترك العنان لدموعك فتجرى . . أجل أترك لها العنان تسيل فوق تلك الورقة التى كلفت أن تخبرك بأنها. تلك الرؤيا المخيفة ...

آه . إنى لا أجد ملجأ يلجأ اليه المرء لتطهير قلبه مثل دموعه ، يخيل إلى أنك الآن تبكى ، أليس كذلك ؟ إنك ما ساعدتك الدموع وأسعفتك الجفون . . وغداً ، أجل ! غداً ستأخذ أسرتك وتهرب منى . أجل خذها ثم الفرار الفرار

والآن أتمثلك وقــــد نهضت عن كرسيك مطمئن القلب . وقد أخذت الورقة بيدك وأحرقتها بنار الشمعة المضاءة أمامك . ثم مشيت على رؤوس أصابع رجليك ،وخرجت من غرفتك الى غرفة زوجك وأولادك ، وأنت حذر كل الحذر أن توقظهم بوقع قدميك ، ثم طبعت قبلة طويلة على جبين كل من زوجتك وإبنك وإبنتك .

كن على ثقة ان فى الدار التى أمامكم قلبا يتمنى لكم السعادة من الصميم، ويطلب لتلك القبلة الدوام الى ابد الآبد . اجل ! ان هناك قلبا يخفق طربا لرجوع السعادة الى عشكم .

حلب فتاة الفراب



حول أزمة المسرح

بين مديرى الفرق والممثلين

لناقد « الرسالة » الفنى

تفيض مد أسابيع انهار الصحف من يومية واسبوعية بالحديث عن المسرح المصرى ومشكلته القائمة من سنوات لمحاولة انهاضه وبعثه من جديد ، وخلقه خلقا آخر يقيل من عثرته ويبعث فيه دم الحياة والقوة ، ويرفعه من هذه الهوة العميقة . وقد رددت الصحف صدى الشكوى الحارة مما آلت اليه حالة المسرح خاصة فى هذا الموسم اذ اغلقت اكثر دور المسارح أبوابها وفض مديرو الفرق فرقهم التمثيلية بعد عمل لم يدم الا اسابيع . وكان الموسم يمتد كل عام اشهرا طويلة وتشتد فيه المنافسة وتنشط الحركة ، وتمثل عشرات الروايات بين مترجمة او مؤلفة ويقبل الجمهور على الملاعب مرحبا بما يبذل بين يديه من جهد وما يرى من آثار فنية لها قيمتها ولها خطرها .

كنا وكان الحال على ما ذكرنا حتى سنتين او ثلاث فخمدت هذه الجذوة ، وفتر هذا النشاط ، وانصرفت الجماهير بعضها الى صاديق الليل كما يسمونها فى باريس ، وبعضها الى دور السينما ؛ وطالعنا هذا الموسم بما طالعنا به من الكساد وسوء الحال وغلق دور التمثيل ابوابها ولما تكد تبتدىء العمل .

ولم يفت لجنة تشجيع التمثيل فى وزارة المعارف ان تتنبه الى ما وصلت اليه حال المسرح فاسرعت بعقد جلساتها ونشطت للعمل نشاطا ملحوظا ، وارسلت لمديرى الفرق جميعا تسألهم رأيهم فيما يعيد على المسرح حياته ونهضته . وكان أن اقترح تاليف فرقة من جميع المشتغلين بالمسرح تمدها الوزارة بالاعانة وتشد ازرها ويتكاتف الجميع على العمل بها فى سبيل غاية واحدة الا وهى انتشال المسرح والنهوض به .

قبل مديرو الفرق — أو أغلبهم على الأصح — هذا الاقتراح ورحبوا به ؛ وألفت لجنة فرعية من أعضاء لجنة تشجيع التمثيل لتضع بالاتفاق مع مديرى الفرق تفاصيل هـــذا المشروع للبدء فى تنفيذه فى الحال . وعقدت اجتماعات عدة لذلك ، تبودل فيها كثير من الاقتراحات والآراء ، وظن فى وقت من الأوقات أن الأمور تسير سيرها الطبيعى ، وأن المشروع أوشك على التمام . ولكن ظهر أخيراً أن مديرى الفرق يعجزون اللجنة بطلباتهم ، وأن قبولهم المشروع لم يكن الا تظاهراً منهم بالتمشى مع اللجنة فى الاقتراح الذى لقى عندها ترحيبا وتشجيعاً على أن يقفوا فى منتصف الطريق ويعودوا إلى طلباتهم الاولى من أن توزع الاعانة عليهم كما جرت العادة كل سنة دون قيد أو شرط فشل مشروع اللجنة اذا ازاء هذا التشبث أو قل هذا التعنت من مديرى الفرق الذين رفضوا التعاون معها ، ووقفت اللجنة حيرى واذا بفريق كبير من ممثلى المسرح المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة يؤلفون من بينهم اتحادا ويتقدمون للجنة يعلنون أنهم يرحبون بمشروعها ؛ واذا كان مديرو الفرق قد ابوا التعاون معها على استعداد للعمل ولا ينقصهم الا أن تعينهم اللجنة وتمدهم بالمال .

كان هذا هو الموقف الطبيعى الذى لا يمكن أن يكون للممثلين غيره ومديرو الفرق قوم لديهم من المال ما يقوم بالأود ويسد الحاجة ؛ ولأغلبهم من موارد العيش غير العمل فى المسرح ما يجعلهم لا يحسون ضيقا إن لم يكفل لهم كثيرا من الرفاهية والنعيم ؛ ولكن الممثلين حالهم يختلف عن هذا كل الاختلاف فمهنتهم هى كل شىء لهم ؛ ومنها موردهم الوحيد الذى يعيشون عليه هم واسرهم ومن يلوذ بهم من الاهل والزوج والولد . لذلك كان من الطبيعى جدا وقد تخلف مديرو الفرق عن العمل أن يتقدم الممثلون ؛ والاولون ؛ والآخرون المجموع والكثرة ؛ ورحبت اللجنة بهذا الاتحاد ووعدته بالمعونة وشد

الأزر إذا توفرت فيه أشياء حددتها اللجنة كما طلبت من أفراده ضمن ما طلبت أن يتخذوا لهم مسرحا خاصا للعمل عليه .

ويسرنا أن أفراد هذا الاتحاد حققوا كثيراً مما طلبته اللجنة وانهم يجدون فى تحقيق الباقى مما لم تسعف به الظروف المؤاتية وضيق الوقت ، واتصالهم باللجنة مستمر وقد يكتب لمشروعهم النجاح والتوفيق وهو ما نؤمله ونرجوه مخلصين .

على أن الصحف طالعتنا هذا الأسبوع بنبأ اتحاد جديد ألفه فريق آخر من الممثلين يقولون أن عددهم يبلغ المائة أو يزيد . وتقدم الاتحاد الجديد الى اللجنة بما تقدم به اتحاد الذى سبقه وما ندرى ماسيكون موقف اللجنة حياله ؛ ولكن ظروف تكوين هذا الاتحاد وجملة عارضة جاءت فى نشرته الاولى وبعض ما أحاطه من ملابسات لاتخفى على الاعين المتنبهة الفاحصة ، كل هذا يجعل الاتحاد الجديد مشكوكا فى جديته وفى الغرض الذى قام من أجله ، فاذا قلنا أنه تألف للكيد للاتحاد الأول ، وأن يد مديرى الفرق ليست غريبة عنه ، لعلنا لا نكون مخطئين ، ولعلنا لا نكون قد جاوزنا كثيرا حقيقة الامر والسر فيه .

على أن هذا لا يهمنا فى الواقع كثيرا وأن كان يؤلمنا ان نرى زملاء بعضهم حربا على بعض ، ولو حسنت النيات وتصافت النفوس لانضم أفراد الأتحاد الثانى الى زملائهم الذين كونوا قبلهم اتحادا ، ولما كان ثمت معنى لهذه التفرقة التى لن يكون لها اثر من نفع ان لم تنبت الفشل وتبذر الشقاق والخصام .

على أننا لم نكتب كلمتنا لنقف من الممثلين موقف الواعظ الناصح ، فليتدبروا شأنهم على النحو الذى يحلو لهم ، ولكن نريد أن نقول للجنة ، لجنة تشجيع التمثيل ، أن ليس فى تنحى مديرى الفرق ما يحد من جهودها أو يدفع بها الى الفشل مادام أن الممثلين قد تقدموا للعمل مجدين مخلصين ، وامامها السبيل واضحة إن أرادت أن تكون نواة صالحة للعمل المسرحى الحق ، وفى وسعها أن تشرف على العمل وتشترط له من الشروط والقيود ما يحقق رغباتها وينهض بمشروعها إلى الغاية التى تنشدها وننشدها جميعا . وهاهى فرصة سانحة تعرض لها فلعلها تنتهزها فى حزم وعزم ، ولعلها أخيراً لا تحجم عن العمل الجدى الصريح ، وثمت بارقة من أمل لعل فيها الخير ولعل فى ثناياها تحقيق أملنا الواسع فى اقالة عثرة المسرح .

محمد على حماد

فى الكتب

أبو على عامل أرتست

مجموعة أقاصيص مصرية

تأليف الأستاذ محمود تيمور

عرض ونقد وتحليل

لا يمكن لأى ناقد أن يتكلم عن أقاصيص تيمور . أو أن يتعرض لدراستها دون أن يفكر فى الصفات الأساسية التى تقوم عليها : أو التى أكسبتها هذا الطابع الخاص ؛ وهى : البساطة والصدق والانسجام . وبودى أن أتحدث أولا عن « طابع الصدق » فهى اظهر الميزات التى يتسم بها أدب تيمور ، وهى تكاد تكون سجية طبيعية عنده .

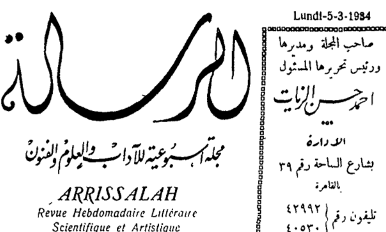
يرجع طابع الصدق فى أقاصيص محمود تيمور الى أنه يعيش فى عالم عواطفه فطرية ؛ فهى تملى عليه هذه الصور البسيطة التى يرسمها بريشته الصغيرة من غير أن تحجب عنا ظلال الألوان : « فام زينب » هى المرأة التى تعمل أجيرة فى البيوت وفى الغيطان ؛ لا ترى على وجهها عبوسة اليأس ولا ثورة السخط ، فهى راضية عن حياتها ، قانعة بالقرب من حفيدها الصغير « الغالى » ؛ تنهك قواها نهاراً فى الخبازة ، وتسهر ليلا أمام مصباحها ، تخيط له الجلابيب والطواقى ، والصغير فى حجرها ، تهزه وتغنى له أغنيات المستقبل بصوت كله نواح وشجون ؛ معددة له صفاته حينما يصير رجلا ؛ له شارب غزير مفتول كشوارب الحكام ، وطربوش أحمر فاتح اللون كطرابيش الامراء ، وحذاء ذو صرير عال كأحذية الجنود . و« الشيخ جمعه » هو الرجل العامى الفيلسوف السعيد بايمانه ؛ المنعم بخيالاته يروى لك فى بساطة فطرية ، قصة سيدنا سليمان وماجرى له مع النسر الهرم الذى عاش الف الف عام ، وحكاية السيد البدوى الذى حارب الجيوش قبل ان يولد ، وخرافة مدينة النحاس والسندباد وطير الرخ وغيرها . و« عم متولى » ، هو بائع الفول السودانى الذى مايكاد يؤوب من جولاته العديدة بين شوارع الحلمية وحارة نور الظلام ، وتؤويه ليلا حجرته الضيقة القذرة حتى يخرج من

2 me Année, No. 35

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربيه
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi-5-3-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢
٤٠٥٣٠

العـــدد ٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ — ٥ مارس سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

زمـــزم . . . .

كان المصرى اذا ذكر بالامس زمزم ذكر البيت الذى تتهافت على ضوئه امانيه وأحلامه، والنبع الذى تسكن على برده لواعجه وآلامه. اما اليوم فبذكره فيجد فى نفسه بجانب شعوره الدينى اللطيف شعورا آخر له كذلك لطفه وقداسته. ذلك هو شعوره الوطنى بالمستقبل المشرق والكرامة العزيزة والحياة المستقلة! لأن زمزم لم يعد فى ذهنه مقصور الدلالة على البئر المقدسة، وانما أصبح يدل أيضا على الحجر الاساسى لمجده البحرى، والمظهر الحقيقى لوجوده الدولى، والسفينة الاولى من اسطوله المدنى الأول!

والاسطول المصرى كلمة نسيتها مصر منذ أودت بأسطولها الدول الغوادر فى امواه (نافارين)، فشواطىء رمسيس وكليوبطرة، وموانى المعز وصلاح الدين، ظلت بعد ابراهيم حمى مباحا للسفائن الاجنبية، ترسى عليها بالذل والقهر، او بالغلاء والفقر، او بالسم والرذيلة! ثم لا تجد بين حنايا المرفأ الرءوم باخرة مصرية واحدة تشعرها ذل الغربة، وتذكرها واجب الدخالة، فكانت مياهنا كما كانت أرضونا مرتعا غريض الكلأ تخور فيه السوائم الغريبة خوار الكفر والبذاء، لا خوار الشكر والثناء، ونحن أصحاب البلد

صندوقه سيفا قديما ، هو الأثر الباقي من أيام عزه الاولى ، يضعه على ركبتيه ثم يسبح في تأملاته اللانهائية ، حتى اذا مامرت بخاطره ذكرى العهود الخوالي ، حين كان يحارب في صفوف « المهدي » في السودان ، اخرج السيف من غمده فاذ بالسلاح قد علاه الصدأ وبعد ان يهزه في يده مرارا كأنما هو يحارب عدوا في الهواء ، يصيح صيحات خافتات ، مناديا الجيش ليتقدم الى الامام ، ثم يصحو بعد برهة من خيالاته ، فاذا الميدان حجرته المظلمة المقفرة ذات المصباح الزيتي الباهت النور ، واذا الجيش أوهام في أوهام واذا جلبة المهزومين وصياح المنتصرين سكون في سكون ! و « صابحة » هي تلك الريفية الساذجة التي تعمل في منزل حسن أغا حيث التقت هناك بخادمه عبدالسميع فتعارفا وتحابا وأظهرا رغبتهما في الزواج ، ولكن لما ذهب إلى أهلها ليخطبها لقي منهم كل صد واعراض لأنه فقير ، فلما أتاها بعد شهور بالمهر سألته في ريبة من أين له هـــذا المال ؟ حتى اذا ما أيقنت انه اختلسه من أموال سيده احتقرته وأشاحت بوجهها عنه ، وضحت بغرامها في سبيل الوفاء لمخدومها ولم ترض أن تقبل مهرها نقوداً مسروقة ، لان الله لن يبارك في مثل هذا الزواج !

أليست كل هذه الشخصيات تبدو أمامنا ساذجة في تصوراتها وفي نواحي تفكيرها ؟ كما أنها تدلنا تماما على البيئة الفطرية التي يشهدها تيمور ويخالطها لينقل صورها الينا ، فهي كما يقول عنها العلامة الانجليزي كرنكو : كالتصوير الفني ، تصور حقيقة الحياة كما هي

وقد يرجع طابع الصدق أيضا في أدب تيمور ، الى أنه تعود استعمال الالوان الطبيعية في لوحته . فلذا تلمح أن فنه خال من سيطرة الافكار الغريبة غير المألوفة ، فهو لا ينقب مثلا عن الفساد الجنسي الذي أصبح الادب القصصي الحديث يعج به ، ليقدمه الى القارىء كيما يثير ميوله فيفوز برضائه واعجابه ! كلا ! فان السجية الطبيعية التي اتصف بها ، تكاد ترشدنا الى أنه فنان بطبعـــه . لا آلة صماء . يصور أمامنـــا كل ما يحس به وما يراه حوله ، ونحن حين نقرأ وصفه لأحدى شخصيات أقاصيصه ، نراها ظاهرة في وضوح وجلاء ، ونكاد نحس بان الحياة تدب في هذا الوصف دبيب الكهرباء ؛ فهو كما يقول عنه الدكتور ويدمار ، المستشرق السويسري : يتغلغل في أعماق نفس الموصوف : لكي يبرز عقليته الحقيقية

يدين محمود تيمور بالمذهب الواقعي ، ولكنه كثيرا ما يحيد عنه ويخرج عن قواعده المرسومة ، وحجته في هذا ، هي ان الفنان يجب الا يقيد نفسه بمذهب واحد لايخرج عن دائرته فني ذلك تعجيز له ، اذ انه يجب أن يكون مطلق الحرية في التعبير عن أحساسه ، وما المذاهب الا قوانين وحدود وضعت للدراسات الادبية ، ولكنها لم توضع للكاتب ، لانه فنان بطبعه ، يكتب باحساسه ووجدانه وبصيرته ، وهذه لا تعرف شيئا اسمه المذاهب .

وفي الواقع نجد ان المذهب الواقعي الاصيل ، مذهب جامد جدا ، وقد لطفه وغيره الكتاب الواقعيون بعد زولا ، اذ انهم لم يستطيعوا ان يسيروا على مقتضاه ، وقد رأينا زولا نفسه ، بالرغم منه ، يخرج عليه بدون أن يشعر ، فزولا كاتب عبقري ، كان يكتب مدفوعا بوحي والهام ، وقد عارض نفسه وكذبها كثيرا في مؤلفاته .

ولذلك لانصف فن تيمور « بالواقعية » ، وإنما نُصفه « بالصراحة » ، وأهم مميزاتُ الصراحة ، حصر الذهن في الموضوع والتخلص من الشعور الرقيق المصطنع ومن الخيال المترامي الاطراف ، فهو قبل أن يكتب ينظر اولا الى الاشياء نظرة ثاقبة ، يحاول أن يصفها كما هي دون اسراف في العواطف أو تعمق في الخيال ، أو التجاء الى الغموض ، وبدون أن يسمح لشخصيته أن تحول بينه وبين موضوعه ، فأقاصيصه هي هي تلك البطيعة المصرية البسيطة ، التي جلبت على الخير والقناعة والايمان بقضاء الله ، وفنه عبارة عن مرآة تنعكس عليها الحياة المصرية كما هي ، دون زخرفة أو تجميل ، ولا عدسات تواجه هذه الحياة فتظهرها على غير حقيقتها .

وقد ينظر بعض النقدة الى أن العواطف الفطرية والبساطة الادبية التي تتسم بها أقاصيص تيمور ، لاتتفق والاجادة الفنية أو النزعة الانسانية التي هي إحدى دعامات الادب الحديث ، على ان بساطة تيمور هي السر في قوتها وتأثيرها ، فهي تتمشى مع الفن جنبا الى جنب ، وقد يكون هـذا من الغرابة بمكان ، فانك في « العودة » وهي أولى أقصوصات الكتاب ، تلمح أثر هذا الروح

للكلام بقية

محمد أمين حسونة

لانجد فى هذا الطغيان سيادة المالك، ولاعزة الوطنى ولا سلطان الدولة !

فلما تكشفت جهودنا القومية المتجة عن بنك مصر، صمدهذا الناشىء الجبار بحزم الكهول وعزم الشباب الى الميادين المالية الاجنبية فاقتحم حصونها المنيعة، وسرى فى هيكل هذا البلد العليل الواهن سريان البرء، يحرك كل عضو من من أعضائه بشركة من شركاته : فصاول فى حى المال بنوك الدول، وطاول فى (ألماظة) مطار الانجليز، ونازل فى (المحلة) مناسج (لنكشير)، وزاحم فى كل سوق تاجر كل شعب ! ومشت أعراض السلامة من الصدر الى الثغر، فقامت شركة مصر للملاحة تعيد سلطاننا على البحر، وتعلن استقلالنا الى الخارج، فأنشأت (زمزم) وأخواتها الثلاث على أحكم مايقوم الانشاء، وأضخم مايمكن الابتداء، وأفخم مايكون التأثيل

وكان الاسبوع الماضى (مظاهرة كبرى) للاستقلال الاكبر !!

نزل طلعت حرب وصحبه العاملون يغزون الماء، بعد ماغزوا الارض والسماء، فخفقت الاعلام الخضر على سوارى زمزم، وتهللت الجباه الغر على سواحل مصر، وشعرت الموانى الثلاثة المحتلة أن فى أحضانها اليوم وليدًا من أهلها صريح النسب، تضطرم فى أحنائه رجايا الشعب، وتسفر على وجهه مخايل الأمل، وتبسم فى طريقه مضاحك الفوز ! واختلفت الظنون الفواجر على خواطر السفن الغربية فتساءلت : الا يكون هذا المشروع الجديد كألف مشروع قديم لمعت كلمع الشرار ثم خبت سراعًا الى الأبد ؟ الا تكون زمزم هذه التى تختال على الماء فى صلف وكبرياء، نواة من النوى العُجف لايرسخ لها أصل، ولايسمق لها فرع ؟ أيستطيع الاسطول المدنى المزعوم أن يجوب مسارب البحار وليس من ورائه أسطول حربى يرصد طريقه ويمنع جانبه ؟

وكانت هذه الأسئلة المتشائمة تَرْفَضُّ صاغرة خجلى عن جوانب الباشا وهو على ظهر زمزم فى عبوسه الرهيب وسكونه المهيب ونظرته النافذة، يحيل المتسائل المتشكك على الماضى المجيب والواقع المقنع، فيرى الفلك الداوى الذى يديره برأيه، ويسيره بيده، شمسه بنك مصر، وتوابعها شركاته الميمونة.

وهنالك الجواب الذى يُبكم الحاسد، ويفحم الشامت، ويقوم حجة بتراء على رشد النهضة الاقتصادية فى مصر

إن شركات بنك مصر هى وحدها الجانب الجدّى فى حياتنا الهازلة، تقوم على الحاجة الداعية، والكفاية الفنية والارادة القوية، والادارة الحازمة، والغاية النزيهة، والايمان الصادق، والخير العام. وهذه الآساس الثوابت أكثر مما يلزم لقيام العمل، فكيف يقع فى البال أن يتحكك بها الفشل، أو ينال منها الكيد، أو تطير فى جنباتها الشُّبَه ؟

إن أرجل الجنود الانجليزية جعلت ثكناتنا أجنبية، ولكن رءوس الاموال الاوربية جعلت مصرنا غير مصرية، وإن أساطيل بنك مصر الآلية والهوائية والبحرية هى التى سترد مصر الى أهلها من غير حرب ولا عنف ولا خصومة

لقد كانت الوحدة الاولى من أسطول الشعب هى زمزم، وكانت الوجهة الاولى لزمزم هى جدّة، وكان أمس الاول موعد ابحارها من السويس بالحجيج الاول ! فليت شعرى أى نوع من الشعور يشيع فى نفس المصرى المسافر على زمزم حين يرى قطعة من أرض مصر تسير به على الماء حتى شاطىء جدة، يعلن المؤذن فوق منارتها كلمة الله، وينشر العلَم فوق ساريتها مجد الوطن، ويجد المصرى على ظهرها قومه ولغته ودينه وكرامته وراحته وأنسه !

ذلك شعور لايتصوره ولا يصوره إلا شاعر كتبت له السعادة ان يتذوقه !! فلعل فى الحجيج من يسعفه الالهام فينفح قومه وأدبه بهذه النفحة السماوية، تمجيدا لأول نهضة مصرية زكت فى الارض، واول باخرة مصرية جرت فى البحر، وأول حجة (مصرية) صعدت الى السماء !

احمد حسن الزيات

غرائب الالقاب

للأمير العالم مصطفى الشهابى

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

ماأشد غرور الانسان فى هذه الحياة !! وما أكثر تعلقه بالاوهام ! ولكم حوى هذا الكون الأحمق فى طياته من غرائب ومهازل ! ولعل من أغربها أهكومة الألقاب الجوفاء فى أيامنا هذه . فلقد اقتبسنا الميل الى تلك الألقاب عن الفرس والترك فى الأيام الخوالى ، ثم لما ضعف سلطاننا اتخذناها ألهية نلهو بها عن الملك المضاع ، حتى تأصل هذا الميل فينا واستشرى ، وصرنا نسمع باسماء والقاب يضحك منها العاقل : كصمصام الدولة ، وغضنفر الملة ، وأسد الدين ، وغير ذلك مما يذكرنا بصاحب البيت الآتى :

« القاب مملكة ... »

ومن النكات المستملحة ان رجلا من الصق الناس بى وازهدهم فى الألقاب ، زار مصر أخيراً فحار الناس بماذا يلقبونه : فواحد زعم انه صاحب السمو ، وثان قال انه صاحب السعادة ، وثالث ادعى انه صاحب العزة . ولقد والله اخطأ الثلاثة وتاهوا عن محجة الصواب . فالرجل ليس بصاحب سمو ، بل هو كسائر الناس صاحب انخفاض ... لأن كل دقيقة تمر من العمر تدنيه وتدنينا من حفرة منخفضة ، سنصير اليها عما قريب ، وسنغيب فيها شئنا أم ابينا ، وذلك بعد ان نحمل على الآلة الحدباء المعروفة التى قال فيها الشاعر :

كل ابن أنثى وان طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول

وليس الرجل بصاحب سعادة ، بل نحن كلنا أصحاب شقاء فى هذه الحياة الفانية . وما هى السعادة ياصاح ؟ واين هى ؟ لقد سلخت من العمر اربعين حجة وأنا أفتش عنها بلا طائل . تنورتها تارة بالكهرباء ، وطورا بالسراج وفتيله ... وتحريتها بالعين وبالمجهر . وغشيت لأجلها كل المجتمعات ، وتلمستها لدى كل الطبقات . وعدت فى آخر طولى وأنا أشقى من صاحبنا حنين ، لأن هذا اضاع البعير لكنه فاز بخفيه ، وهما شىء لديه ، أما انا فلم أجد لدى احد من السعادة ما يساوى خفا واحدا لا خفين . وسأظل أفتش عن هذا الخيال الذى علقه الناس ، مشبها فى استعصائه صاحب البيت الآتى ، وقصته يعرفها بعض الأدباء :

من لى بهاتفة يوما وقد سالت ... أين الطريق الى حمام بجاب

أما الأدعاء بأن الرجل صاحب عزة ، فهذه ثالثة الأثافى . فالعزة لله وحده . أما صاحب عزة (بفتح العين) فهو شاعر غزل ، اسمه كثير ، وهو زير نساء ، وصاف لمحاسن ربات الحجال . أحب عزة وعشقها وشبب بها ، وقال فيها البيت المشهور :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

والبيت المفجع الآتى :

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت

وقدهلك كثير وهلكت عزة منذ قرون ، فكيف يكون رجلنا صاحبها ... مع هذا فهو قد فاته الغزل ، وعداه التشبيب ، وتدلف الى الكهولة ، فلا هو من أصحاب عزة ولا عزة من صواحبه .

والخلاصة أن البلاد العربية ، ولا سيما مصر والشام والعراق ، أسرفت فى النعوت والألقاب ، خلافا لما نراه فى كثير من أنحاء أوربا . ورحم الله زمانا كان فيه ملك الخلفاء يمتد من الهند الى بحر الظلمات ، مع هذا كان عمالهم يخاطبونهم بمثل قولهم « الى فلان أمير المؤمنين من عامله على كذا » والحكومة اذا لم يكن الحاكم فيها كمصعب فى البيتين الآتيين :

انما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء

فهل من مشترللألقاب كافة ؟ (حتى التى فاتت القلقشندى فى صبح الأعشى ...) بحكمة يفيدنا إياها ، أو بسر صغير من أسرار هذا الكون يرفع لنا الستار عن غوامضه ؟

عمر بن عبد العزيز يصلى

للآنسة سهير القلماوى

وليس هو عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى المشهور بعدله وتقواه ، وانما هو طفل مصرى فى الثانية من عمره ، لا يقل عن الخليفة شهرة ولا منزلة فى نفوس عارفيه . ولئن كان عمر الخليفة حقق للعرب المثل الاعلى للخلافة ، فان عمر الطفل حقق لعارفيه المثل الاعلى للطفولة . فليست طفولته خفة وجمالا ومرحا وطهرا ، وانما هى الى جانب هذا كله يشوبها القليل من الجد والتفكير ، وغير القليل من التقوى والدين .

ولعل أهم ما ربط عمر الطفل بعمر الخليفة ، غير الاسم ، مظهر التقوى والدين . ومظهر الدين غريب عند أطفالنا المصريين اليوم ، فقلما نجد طفلا يعرف من أمر دينه ما يجب أن يعرفه أو يؤمن به . أضف الى هذا أن سن عمر لا تسمح له بالكلام الواضح ولا بالفهم والأفهام ، ولكنها ، وهنا موضع الدهشة ، سمحت له بفهم لروح الدين وتقدير لها عجيبين . ولعلك تدهش كل الدهش اذ ترى عمر يسحب أى غطاء فيفرشه على الارض ، ويجلس القرفصاء لينزع ما يسميه « ألبِبِس » أو ما نسميه نحن « الشبشب » ، ثم يرفع يديه الى اذنيه ويتمتم بكلمات لا تفهمها مهما حاولت ، ولكنه يتمتمها فى حرارة وحمية غريبتين ، ويوالى بعدها حركات الصلاة المعروفة من سجود وركوع . والغريب أنه يقوم بصلاته فى حمية وحماسة ، قلما تجدهما عند أى طفل فى أي حال من حالاته ، وقد تضطره الحمية أحيانا فى السجود الى ضبط رأسه ضبطا مؤلما يصيح بعده « بخ » بصوت فخم عال ملؤه الجد والخشوع . و « بخ » هذه عنده هى « الله أكبر » عندنا . يكفى أن تقول له صل يا عمر ، ليسحب أقرب غطاء وينزع فى سرعة حذاءه ، ويبدأ الصلاة كأشد ما يمكن أن يكون حمية وحماسة . هو لا يعرف للصلاة وقتا ، وانما يصلى كلما ذكر أو ذكر . ولعلك تظنه بعد كل هذا مازحا أو غير مقدر قدسية العمل الذى يقوم به . كلا . فيكفى أن تفلت منك ضحكة مهما يكن مبعثها ليكون نصيبك « زغرة » متوعدة ؛ ثم لينالك بعد فراغه من الصلاة كل ما يمكن أن ينزله بك من عقاب . حاول ما شئت أن تخرجه من صلاته فلن تظفر بشىء ، وإن استعملت معه القوة واضطرت طفولته الضعيفة أن تخضع لها ، فهناك يكون لك الويل والثبور ؛ هناك الضرب واللكم وشد الشعر ، وكثير جداً العض المؤلم القاسى .

مرض عمر يوما فخفتت أصوات البيت ، وأصبح جوه جوا حزينا كئيبا ، أصبح كل شىء باهتا صامتا . وانطرح عمر على ذراع جدته فى استسلام هادىء حزين . وعيناه الزرقاوان تدمعان قليلا من فرط الحمى ، وخداه تلتهبان من حرها ، والتف أهل البيت حوله وكلهم واجم حزين ، يحس أن روحه معلقة تنتظر وترتقب ، وتخاف كل الخوف من احتمال يبعده العقل ويقربه الحب والشفقة . وتناول عمر الدواء من يد جدته فى ألم وحزن ؛ ثم أغمض جفنيه واستسلم لنوم بدأ مضطربا ، ثم ما لبث أن هدأ قليلا قليلا . ونام عمر زهاء الساعة هادئا ، وقام بعدها وقد خف عنه الألم ، وأحس أن الداء فارقه تماما . فما كان منه الا أن سحب غطاء منضدة الدواء غير مبال بما سقط أو تكسر ؛ ثم فرشه وقام يصلى : يركع ويسجد ويصيح « بخ بخ » فى حرارة وحماسة . لم ينس عمر أن يشكر الله فى مرضه لأنه أنعم عليه بفترة هدأ فيها ألمه فاستراح .

* * *

هذه صورة لك يا عمر من صور طفولتك ، لست أعرف أين يضعها لك الزمان بين صورك الماضية وصورك المستقبلة . ولكن خالتك تشفق على هذه الصورة البريئة الحلوة الطاهرة من النسيان ، فسجلتها لك لتذكرها أيام تحلولك ذكريات الطفولة . ترى أستقابلها بابتسامة كابتسامة الطفولة فرحة مرحة ؟ أم بابتسامة أخرى ستعلمها لك الأيام ؟

صفحة من تاريخ افغانستان المعاصر

لمناسبة حوادثها الاخيرة

للاستاذ محمد عبدالله عنان

— ٢ —

غادر أمان الله ميدان الحوادث فى أفغانستان فى ربيع سنة ١٩٢٩ كما قدمنا ، وفر مع زوجه وأسرته مثقلا بما يدخر الأمراء الطغاة لمثل هذا اليوم من مال مغتصب ؛ ولكن الملك الجديد باشا السقا أو حبيب الله لم يستطع أن يبسط سلطانه على غير كابول وضواحيها ، ولبثت أفغانستان تضطرم بالحرب الأهلية ؛ وزعماء القبائل القوية ولا سيما الشنوارى وغلزة يتطلع كل منهم الى الملك . عندئذ ظهر فى ميدان الحوادث رجل لم يكن له فى بدء الفتنة من الأمر شىء ، وكان يقيم منذ حين بعيداً عن وطنه فى معزل عن الحوادث . ذلك الرجل هو الجنرال نادر خان . وكان من قبل وزيراً للحربية وقائداً عاما للجيش فى حكومة الملك أمان الله . ولكنه لما رأى اندفاع أمان الله فى سياسته الطائشة ، استقال من منصبه وعين سفيراً لأفغانستان فى باريس ، وأبعد بتلك الوسيلة عن طريق أمان الله . فلما نشبت الثورة وتفاقم خطر الحرب الأهلية لبى نادر خان داعى الوطن وعاد الى أفغانستان ليحاول إخماد الفتنة وإنقاذ أفغانستان من عواقب ذلك النزاع الخطر ، ولكنه ألفى الموقف مستحيلا ؛ فاعتزم أن يخوض المعركة وأن يحاول سحق ذلك الزعيم المتغلب الذى أثار هذا الضرام ، وجعل من أفغانستان مسرحا للجريمة والفوضى ؛ فحشد أنصاره وفاوض زعماء القبائل القوية . ومن المعقول أيضاً أن تكون السياسة الانكليزية قد أدت مهمتها التاريخية فى هذا النزاع ، وأمدت نادر خان بالمعاونة المطلوبة لأنها رأت فيه زعيما مستنيراً متزنا ، ولأنها تحرص دائما أن يستتب الأمر فى أفغانستان لأمير يؤثر التعاون مع بريطانيا العظمى . وعلى أى حال فقد استطاع نادرخان أن يشق طريقه ، وأن يهزم قوات المتغلب والثوار فى عدة معارك ؛ ثم زحف أخيراً على كابول ودخلها فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ ، وقبض على حبيب الله وأمر به فأعدم رمياً بالرصاص ؛ وقبض على زمام السلطة فى كابول . بيد أنه لم يكن سيد الموقف بعد ، لان الثورة لبثت تضطرم فى مختلف الأنحاء . وكان نادر خان كما قدمنا من معارضى سياسة التجديد الأوربى التى كان لها شأن فى اضرام الثورة ، فاعلن مرة أخرى أنه سيعمل على احترام أحكام الشريعة الاسلامية وتقاليد البلاد وحمايتها من كل انتهاك وعبث ؛ وأخذت الثورة تهدأ شيئاً فشيئا ، ونادر خان يصرح أنه لا يبغى العرش وأنه يتركه للرجل الذى تختاره أفغانستان . على أنه لم يك ثمة شك فى نتيجة هذا التطور ، فقد انتهى نادر خان بارتقاء العرش بعد ذلك بأيام قلائل (١٥ اكتوبر) على يد جمعية وطنية من الزعماء نادت به ملكا وأيدته معظم العناصر القوية فى البلاد

وقد ولد السردار محمد نادر خان فى سنة ١٨٨٣ من والدين ينتمى كلاهما الى أصل ملكى . وظهر منذ فتوته بالبراعة الحربية وتولى منذ سنة ١٩١٩ قيادة حرب الاستقلال الأفغانى فى صف الملك أمان الله ؛ ولبث مدى أعوام شخصية بارزة فى حياة أفغانستان العامة ؛ ولكنه أبى التعاون مع أمان الله منذ رأى تطرفه واندفاعه . وتولى نادر خان الحكم فى غمار من الصعاب ؛ ولكنه أبدى منتهى الاعتدال والكفاية والحزم ؛ وألغى جميع الاجراءات المتطرفة التى اتخذها أمان الله ؛ ورد أحكام الشريعة كما كانت ؛ ونظم علائق أفغانستان مع الدول ؛ وكانت بريطانيا العظمى أول الدول التى اعترفت بحكومته ؛ واهتم نادرخان باصلاح الجيش وتقويته ، ولبث يعمل فى مثابرة وجلد حتى عادت السكينة الى البلاد واستقر الأمر فى نصابه نوعا . ولكن بعض القبائل القوية ولا سيما قبيلة الشنوارى لبثت محتفظة بموقفها من الاستقلال عن كل سلطة . ولم تمض أشهر قلائل حتى عادت الثورة والقلاقل العنيفة تهدد سلام البلاد وأمنها ؛ فعاد نادر خان الى الكفاح ؛ وكانت تعترضه صعاب فادحة مالية وغيرها واستمرت الثورة تخبو وتضطرم فى أفغانستان مدى الأربعة أعوام التى حكمها نادر خان . بيد أنها كانت ثورات محلية : ولم تتخذ ذلك العنف الذى تتحول معه مصاير أفغانستان الى وجهة جديدة ؛ وكان نادر خان دائما رجل الموقف : وبذل نادرخان جهودا صادقة لاصلاح نظم الحكم والادارة : وجرى فى الحكم على نظام الوزارة الحديث ؛ وأنشأ مجلساً تمثيليا (برلمانا) يقوم بمهمة التشريع باشرافه ، ولزم جانب الاعتدال فى سياسة الاصلاح ؛ ورد المرأة الافغانية الى حجابها ومنزلها ، ولم يحاول أن يغير بالعنف شيئا من تقاليد البلاد الدينية او الاجتماعية؛

وسار بافغانستان فى طريق التقدم والتوطد رغم القلاقل التى كانت تعترض سبيله من آن لآخر ، وعادت السياسة البريطانية فوثقت علائقها مع افغانستان ، وقامت السفارة البريطانية فى كابول مرة أخرى، وطبقت المعاهدة المعقودة بين البلدين منذ سنة ١٩٢١ . وبالجملة فقد بدأت افغانستان على يد هذا الامير القوى الحازم مرحلة من الاستقرار والتقدم كان مقدرا ان تطول وان تثمر خير النتائج لولم يذهب نادرخان فجأة ضحية الاغتيال السياسى .

٭٭٭

لم يكن مقتل نادرشاه مفاجأة كما قدمنا ، فقد رأينا ان عرش افغانستان يقوم على بركان مضطرم من المنافسة الدموية ، ورأينا كيف يذهب معظم الجالسين عليه ضحية الغدر والغيلة . ولم تتضح العوامل والظروف الحقيقية التى ذهب ضحيتها نادرشاه بعد وضوحا كافيا يسبغ عليها لون التاريخ الحق . ولكنا نستطيع ان نتتبع هذه العوامل فى معترك البغضاء السياسية والشخصية التى تتربص منذ بعيد بنادرشاه وأسرته ، واليك خلاصة مايقال فى اصل الجريمة واسبابها

كان غلام نبى بين زعماء افغانستان المقربين الى الملك امان الله ومن اكبر معاونيه . وكان يشغل منصب سفير افغانستان فى باريس ايام حكم الملك امان الله ، ويشغل أخوه غلام صادق منصب سفير افغانستان فى برلين . وهو من أسرة « تشركى » القوية ، فلما سقط امان الله وتولى نادرخان ، أقيل غلام نبى وعين مكانه فى سفارة باريس السردار شاه والى خان اخو نادرشاه ، ثم أقيل أخوه غلام صادق بعد ذلك من سفارة برلين وعين مكانه اخ للملك أيضا هو السردار محمد عزيز خان .

ولبث غلام نبى حينا فى اوربا ثم عاد الى افغانستان بشفاعة اخى الملك والى خان وبعد وعد ملكى بالامان . واستخدمه نادرشاه فى مهام عسكرية وسياسية فى بعض الاقاليم ، ولكن غلام نبى كان يضطرم باطماع خفية ، وكان يبث دعوة الثورة ضد نادرشاه خفية ويدعو لصديقه السابق امان الله ، ووقف نادرشاه على طرف من مساعيه فاستدعاه الى كابول واستدرجه الى مجلس عقده فى قصره بضاحية « الارج » التى تضم القصور والقلاع الملكية ، ولما ظهر نبى خان أمامه أبرز له بعض الوثائق التى تثبت خيانته ، فحاول غلام نبى الجدل والمكابرة ، ولكن نادرشاه كان قد أعد العدة للتخلص منـــه وفى الحال ظهر عدة جنود مدججين بالسلاح ، وانقضوا عليه وقتلوه حقا امام عينى الملك . وأخفى نبأ موته حتى عقد نادرشاه فى اليوم التالى محكمة من الرؤساء اجتمعت سرا وقضت باعدام غلام نبى جزاء خيانته ، ثم نشر نبأ اعدامه بعد ذلك فى الجريدة الرسمية ، وعلمت اسرة « تشركى » أسرة غلام نبى القوية — بمصرع زعيمها ، واقسمت بالانتقام .

وكان ذلك فى الثامن من نوفمبر سنة ١٩٣٢ ، أى لعام بالضبط قبل مقتل نادر شاه . وعلى أثر ذلك قبض على كثيرين من أسرة غلام نبى وأتباعه . وكان ممن قبض عليهم بسبب الحادث عامل جنان من أتباع غلام نبى وولده ، وهو طالب فى السابعة عشرة من عمره يدعى عبد الخالق ، فاعتقل الفتى أياما ثم أطلق سراحه بشفاعة وزير المعارف لانه طالب مجد متفوق فى الألعاب الرياضية ولم تلحقه أية شبهة . وكان الفتى عبد الخالق هذا هو قاتل نادرشاه فى المستقبل

أقسمت أسرة « تشركى » بالانتقام وعملت له ، وظهرت البوادر الأولى لانتقامها المميت فى يوليه سنة ١٩٣٣ ، فى برلين حيث قتل السردار محمد عزيز خان أخو الملك نادر شاه وسفير أفغانستان فى فى برلين ، قتله طالب أفغانى من حزب « أفغان الفتاة » الذى يناصر سياسة الملك أمان الله ، واتجهت الريب يومئذ إلى غلام صادق أخى غلام نبى الذى كان يشغل من قبل منصب سفير أفغانستان فى برلين وعرضت أسرة غلام نبى فى كابول بسبب هذا الحادث إلى مطاردات واضطهادات جديدة ، وازداد الملك نادر شاه ريبا فيها وحذراً منها ، وازدادت الأسرة ظمأ إلى الانتقام .

وكان الفتى عبد الخالق أثناء ذلك متصلا بأسرة غلام نبى التى يعمل لديها أبوه ، وكانت الأسرة تبث الى كل من يتصل بها روح البغض لنادر شاه والنقمة عليه . وهنا تروى قصة غرام وانتقام خلاصتها أن الفتى عبد الخالق هام بحب سيدة رائعة الحسن من سيدات أسرة غلام نبى ، وانها شجعته وبادلته الهوى ، وأغدقت عليه كل عطفها وحنانها ، وكانت أبواب القصر تفتح لعبد الخالق صباح مساء ، ويلتف حوله سيدات الأسرة جميعاً ، ويبذرن فى نفسه الفتية الهائمة ضرام البغض والنقمة ، وكانت صاحبته الحسناء تملك عليه كل حسه وتفكيره ، وتصور له المستقبل بديعا فياضا بالآمال الكبيرة ، فاذا قتل نادرشاه وعاد أمان الله ، فان أسرة تشركى تعود إلى سابق مجدها ونفوذها ، ويغدو عبد الخالق وأسرته من ذوى النفوذ والغنى .

ولم تمض أشهر قلائل حتى نضج المشروع ، ولم يبق على عبد الخالق الا أن يتحين فرصة التنفيذ . وسنحت هذه الفرصة فى اليوم الثامن من نوفمبر ، وكان قد تقرر أن تقام فى هذا اليوم مباراة فى الكرة بين فريق المدرسة الفرنسية الأفغانية ، وفريق المدرسة الألمانية الأفغانية التى ينتمى عبد الخالق إلى طلبتها ويعمل عضواً فى فريقها الرياضى . كذلك تقرر أن يرأس الملك نادر شاه الحفلة ويتولى توزيع الجوائز على الفائزين ، وأقيمت المباراة فى إحدى ساحات الحدائق الملكية فى « أرج » فى عصر هذا اليوم . وقصد الملك نادر شاه مع ولده ظاهر شاه وعدة من الأكابر إلى الخيمة الملكية لمشاهدة المباراة ، وفى أثناء سيره خرج من صف الطلبة المجاور له طالب يرتدى ثياب اللعب ، واقترب منه بسرعة ورفع يده وأطلق ثلاث رصاصات متواليات ، فوضع الملك يده على قلبه وسقط صريعا على الاثر ، وكان هذا الطالب هو عبد الخالق . ووقع الحادث بسرعة مدهشة ، وذهب دوى الرصاص فى الضجيج والهواء فلم يفطن له أحد . وساد الهرج وقبض على المعتدى وتمت المأساة .

***

هكذا تروى العوامل والظروف التى دبر فيها مقتل المغفور له نادر شاه ، وهكذا توصف الصورة التى تمت بها الجريمة . وقد كان للحادث دوى عميق ؛ وكان مدبرو الجريمة يؤملون على مايظهر أن يحدث موت نادر شاه اضطرابا وقلاقل ينتهزها خصوم الملك القتيل لاضرام الثورة . وكانت بوادر الثورة تبدو فى الجنوب مذ حين : ولكن السردار محمود وزير الحربية وأصغر أخوة الملك القتيل أبدى منتهى الحزم والسرعة فى تلافى هذا الاثر ، فلم تمض ساعة واحدة على مقتل نادر شاه حتى كان قد استدعى الوزراء والقادة والزعماء الى القصر ، ونادى فى الحال بظاهر شاه ولد الملك نادر شاه الوحيد ملكا على افغانستان مكان ابيه : وحياه الزعماء والقادة والضباط فى الحال بلقب الجلالة . وقد أبدى السردار محمود فى ذلك تضحية وحكمة سياسية بعيدة المدى ، لانه من حق اخوة الملك طبقا لقانون العرش الافغانى ان يرثوا العرش ؛ ولكن السردار محمود أدرك فى الحال ما قد تثيره مسألة العرش بين أخوة الملك الثلاثة وبين المتطلعين الى العرش من الاضطراب الخطر على سلام البلاد : وجاء رفع ظاهر شاه الى العرش حاسما لكل خلاف وجدل

وفى الحال زج الفتى القاتل الى قلعة القصر ، ووجد معه على ما يقال صور الغادة الحسناء التى حرضته فقبض عليها ، وقبض على كثيرين من اسرة غلام نبى رجالا ونساء واطفالا ، وقبض على كثيرين من زملاء عبد الخالق فى المدرسة وعلى بعض المدرسين ، بل وعلى وزير المعارف ؛ وهبت على العاصمة الأفغانية ريح من الروع والرهبة ؛ ومازالت اقبية السجن الملكى غاصة بالمقبوض عليهم ولا يعلم حتى اليوم من زهق منهم ومن هو باق على قيد الحياة

وملك أفغانستان الجديد جلالة ظاهر شاه فى العشرين من عمره وهو ولد نادر خان الوحيد ، ولكن له أربع شقيقات هن بالتعاقب: الأميرة زهرة وهى فى السابعة عشرة ، والأميرة زينب وهى فى الخامسة عشرة ، والاميرة سلطانة وهى فى الرابعة عشرة والأميرة بلقيس وهى فى الثانية عشرة ، وقد تلقى ظاهر شاه بعض تربيته فى فرنسا ، وأقام هنالك نحو ثمانية أعوام ، وهو ذو آراء وتربية عصرية ويجيد اللغة الفرنسية فضلا عن الفارسية والاوردية (الهندية) . وقد كان منذ حين ، اثناء حياة والده يتولى بعض الوزارات والمهام الرسمية طبقا لتقاليد أمراء الأسرة الملكية ؛ وهو بعد الملك غازى ، ملك العراق أحدث ملوك الشرق والغرب سنا

وقد مضى إلى اليوم زهاء أربعة أشهر مذ تولى ظاهر شاه عرش افغانستان دون أن نسمع بحدوث اضطرابات او قلاقل جديدة ، والظاهر أن حكومة الملك الجديد تقبض على ناصية الموقف ، وأن بوادر الثورة التى كانت على أهبة الانفجار قد أخمدت أو اختفت الى حين وأن الشعب الافغانى يؤيد القابضين اليوم على زمامه . وهكذا تتحطم آمال المتطلعين الى العرش وفى مقدمتهم الملك السابق أمان الله مرة أخرى

ونحن نغتبط إذ نرى أفغانستان تجوز أزمتها الخطرة بمثل هذه السرعة ، ونرجو أن تظل هذه الشقيقة الشرقية الناهضة متمتعة بالاستقرار والسكينة ، بعيدة عن كيد السياسة الاجنبية ومطامعها؟

محمد عبد الله عنان

من أحاديث القهوة :

فى الحب . . .

. . . ولم تكن الا سنة واحدة حتى تمزق ذلك الثوب . وبدت من ورائه امرأة كهذه المئات من النساء : نبصرهن كل يوم فلا نكاد نحس بهن ولا يهجن فينا شعوراً

وكيف تبدلت ؟ ألم يكن يهيم بها ويراها جميلة فتانة ؟

بلى . ولكنه كان يراها جميلة لانه يحبها . والمرء — كما يقول ده كارت — يرى من يحب جميلا ، ولا يحب من يراه جميلا ، واذا هو أحب امرأ أسبغ عليه من خياله ثوبا يراه به أجمل الناس

ـ وذلك الحب المضطرم ، الذى كان يخفق به قلبه فى صدره . وبه تجرى دماؤه فى عروقه ؟ . أليس عجيبا أنه قد مات ؟ أليس لها هاتان العينان العميقتان كالبحر . الصافيتان كاديم السماء . أليس لها ذلك الجسم الابيض الغض ، أليس لها تلك الرشاقة الفاتنة ، فكيف اذن يسلوها ويموت حبه اياها ؟

ـ قد مات هذا الحب . لانه لم يكن عذريا صافيا . وهى جميلة لاتزال ، ولكنه شبع منها كما يشبع الانسان من الطعام مهما لذ وطاب . ولو تنزه حبه عن مأرب الجسم ، وعقد الصلة بين الارواح لكتب له البقاء

وكان الاستاذ صالح عاكفا على نارجيلة لايتكلم ، فرفع رأسه وقال :

ـ أى بقاء ؟ أسمعت ان حبا كتب له البقـــاء ، ان الحب ياصـاحبى كالزهور العطرة ينعشك عطرها ويعجبك لونهـا ولكنها لاتعيش طويلا . ثم ماهو هـذا الحب العذرى الذى تتحدث عنه ؟ انه لايوجد الا فى مكانين : القاموس ، وأدمغة أمثالك من الناس !

وأقبل على نارجيلته يصلحها ويدعو لها بجذوة من نار . ولم يلق بالا لجواب فوزى ، فجذبه من طوقه وصاح به :

ـ ألا تسمع ؟ أنت دائما هكذا . . . تريد ان تتكلم ولا تتنازل للاصغاء

فاصلح ثيابه باسما وقال له :

ـ ولماذا تريد أن أصغى اليك ؟

ـ لانك مخطىء . . مخطىء . . أريد أن أوضح لك الحقيقة

ـ أشكرك ، لا أريد أن توضح لى شيئا

بل ستسمع وأنفك راغم : ان من الحب حبا لايفكر فيه الانسان فى شىء من اللذاذات الجسمية ، بل ليس لها فيه مكان ، فهو اتصال فى الارواح وتمازج ، هو ان يفنى كل من المحبين فى الآخر !

ـ شىء جميل . . من أين تعلمت هذا ؟ أمن شعر المجنون ، أم من قصص لامارتين ؟

ـ من أى كان ؟ . . ماذا يهمك أنت ؟ لماذا تتهكم دائما ؟

ـ ذلك لان لامارتين نفسه كان من أجرإ النـاس على اللذة الجسمية وأشدهم تهالكا عليها ، وما كتب قصصه بهـذا الاسلوب الفاتن الممتع ! إلا ليسخر منك ومن أمثالك

ـ أنا عرفت هذا الحب بنفسى

ـ وأنا أيضا قد عرفته ، انه حب لاتجد فيه الرغبة الجنسية سبيلا الى الظهور فتبقى مخبوءة فى قرارة النفس ، حتى اذا اتسع السبيل ظهرت على أتمها ، ولو انه كان خاليا منها لأحب الرجل أخته الجميلة!

ـ شىء فظيع . . . ان طبيعة الانسان تأباه

ـ نعم تأباه لان الطبيعة تفهم الحب على انه لون من ألوان الصلة الجنسية ، بل هو المخدر الذى ابتدعته الحياة لتمام هذه (العملية) اللازمة لبقاء الجنس البشرى . ثم . . . تصور فتاة جميلة تحبها حبا عذريا . . هل تصورتها تماما

ـ نعم .

ـ وتصورت انك تحبها لنفسها لا لجسمها ، ولا تطمع منها الا بهذه الصلة الروحية ؟

ـ نعم .

ـ وانك ستقيم على هذا الحب ؟

ـ نعم . . وماذا بعد ؟

ـ تصورها الآن وقـد أصابها مرض عضال ، بدد محاسنها ، وبتر أعضاءها . وجعلها قطعة من اللحم المنتن ، هل تبقى على حبها ؟

ـ نعم ، إنى اشفق عليها وأحبها

فضحك الاستاذ صالح وقال :

ـ ها أنت ذا قد اعترفت . . إن الشفقة شىء غير الحب . . أرأيت كيف اتضحت الحقيقة ؟

وأراد فوزى وقف الجدال فقال :

وصديقنا جميل ... ماذا فعل بعد ذلك ؟ قد أضعت علينا قصته . .
أعاد الى زوجته الجاهلة القذرة التي تلقاه وعلى يديها أثر الصابون وفي ثيابها رائحة الطبيخ ؟ . كيف يطمئن اليها . ويأنس بها بعد أن عرف لويزا ؟

فقال صالح :

ـ ان يكن للويزا جمال الاصباغ والعطور ـ والثياب الشفافة ـ والاعضاء العارية ـ فان لهذه الجاهلة القذرة ، جمال الاخلاص والاصباغ والعطور تهيج من نفوسنا مكان الشهوة . اما الاخلاص فيهيج منها مكان الروح

ـ ماهي الروح وما هي الشهوة ؟ . انا لم افهم . أتريد أن تقول إن هذه المرأة التي لاتعرف كيف تتحدث الى صديقنا جميل . ولا تدري كيف تسايره في شرع أو تصحبه الى سينما ، ولا تدرك أفكاره ونفسه ، توائم روحه ويراها جميلة أكثر من لويزا ؟ . . مستحيل !

ـ قد تكون دونها جمالا ورشاقة ، ولكنها امرأة شرقية تفنى في زوجها : تعيش من أجله . وتقف حياتها على راحته وتسهر عليه لينام ، وتحرم على نفسها الطعام لتوفر عليه ماله ، واذا رأته محتاجا نزعت حليها من نحرها وأخذت لقمتها من فيها لتسد حاجته ، واذا مرض فدته بنفسها . وإذا أصابه مكروه طارت نفسها عليه شعاعا ، ثم هي الراضية أبدا ، القانعة بالقسط الأقل من حبه أو من ماله ، أحب هذه العاهرة وانتزع المال من فم زوجته ليصبه على قدميها . ونال زوجه بالأذى من أجلها ، فما شكت ولا حملت له كرها ولا حقدا ، ثم هي تفرغ عليه من الاجلال مايجعله معصوما عن الزلل والخطأ ، أفتقيسها بتلك ؟

ـ ها ها . . انها لاتصلح خادما . فليضح بها من أجل لويزا .

ـ إنها هي الزوجة ياسيدي

ـ واذا كانت هي الزوجة ؟ إن الحب الذي عقدته الطبيعة بين قلبيهما أوثق وأقدس من الزواج الذي عقده انسان !

فالقى صالح أنبوبة النرجيلة من يده . وصاح به في شدة وغضب :

ـ أنا لا استطيع أن اسمع هذه الآراء التي تنسف حياتنا من اساسها ، واذا هي صحت في المجتمع الغربي ، فما كانت لتصح عندنا ، ومن الجنون أن نقبس عن الغرب كل ما يأتينا به ، فنلبسه وهو ثوب فصل لغيرنا ، فيجيء واسعا نضيع فيه ، أو ضيقا يتمزق من دوننا . . . إن الحب الذي تعقده يد الشهوة ، ويعيش في جو مشبع بالرذيلة ، ويولد في ليلة ليموت في أسبوع لايمكن أن يكون اوثق ولا اقدس من الزواج الذي يبقى . اساسا كاملا من نصف انسان ! واذا جعلنا الحب اساس الحياة ، لما عرف امرؤ اباه ، ولما بقيت زوجة لزوجها ، لأن القلوب تتقلب والمرأة التي تحبك اليوم قد تحب في غد غيرك ، والقلب الذي يميل اليك قد يميل عنك ، افنهدم الحياة بايدينا من أجل خاطر هذه (المودة) ؟ . . (مودة الحب) ، ونقتل زوجاتنا الوطنيات الشريفات ، أمهات شعب المستقبل . من أجل خاطر هؤلاء (الارتستات) اللاتي بعثت بهن الينا الغرب فيما بعث به الينا من سموم ومهلكات . . . أليس خيرا لنا أن يقال انا رجعيون من أن نشهد بناتنا واخواتنا عاريات على الشواطئ في الصيف ، ونساءنا مهجورات باكيات في البيوت في الشتاء ، وأبناءنا ناشئين بين الألم والرذيلة ، والسفالة والشقاء ؟

ألا إن الحب لذيذ ممتع ، والمدنية ساحرة فاتنة ، والتجديد ضروري واجب . . . ولكن يجب اولا أن نحيا . . . . . وكان جميل قد وصل فنقطع هذا الحديث ، وأخذوا في حديث آخر .

دمشق　　　　　　علي الطنطاوي

ليسانسييه في الحقوق



محجر الطور

مقدمة

تستعد وزارة الداخلية فى مثل هذه الايام من كل سنة أى فى موسم الحج لاستقبال الحجاج مصريين وأجانب عند عودتهم من البلاد المقدسة فى الحجاز بعد تأدية فريضة الحج فتوفد موظفين مؤقتين يبلغ عددهم كثرة وقلة تبعا لعدد الحجاج ولمدة العمل فى محجر الطور ؛ وتستغنى عنهم عند الانتهاء من الغرض الذى من أجله توفدهم اليه ؛ وتنتدب كذلك موظفين ملكيين وعسكريين للغرض نفسه يعودون الى مقر وظائفهم عند نهاية الموسم .

الموظفون

يحيا المحجر وينتعش مدة الموسم وبعد ذلك يكاد يكون ساكنا لقلة الحركة فيه ويحييه الموظفون ثم الحجاج فيصبح مملوءا بالسكان عامرا بالحركة والتجارة .

ويرأس الموظفين جميعا مدير المحجر وهو موظف كبير بوزارة الداخلية ينتقل اليه فى موسم الحج ؛ وكان الى سنة ١٩٣١ سعادة الأميرالاى محمد بك المسيرى ؛ والموظفون اما تابعون للادارة نفسها وإما تابعون لمصلحة الصحة ، ويدير هؤلاء طبيب كبير هو طبيب اول المحجر . والموظفون اما منتدبون كموظفى وزارة الداخلية والاطباء وكضباط الجيش والبوليس وجنودهم ، وإما معينون تعيينا مؤقتا يستغنى عن خدمتهم بعد انتهاء الحج ، والمفروض فى جميع الموظفين انهم لراحة الحجاج وخدمتهم والسهر على سلامتهم وصحتهم

باخرة الحجاج

تمكنت من فحص البواخر التى كانت تنقل الحجاج عامى ١٩٢٩ و ١٩٣١ وخرجت بنتيجة ثابتة هى أن معظم هذه البواخر لا يعتنى اصحابها براحة الحجاج بالدرجة الثالثة بل انهم يعاملون فيها معاملة خالية من روح العدل ، فهم مكدسون فى عنابرها تكديسا ؛ وقد لا يدخلها ضوء الشمس فتنبعث منها رائحة كريهة تكاد لا تحتمل يلاقون صعوبة كبيرة فى الحصول على الماء العذب . ولا يوجد فى الباخرة كلها — وقد تحمل فى بعض الاحيان الفى حاج — سوى طبيب واحد يهمل أغلب الاوقات الغرض الذى من أجله انتدبوه له . وانى كمصرى مسلم أود ان يتلافى هذا النقص فى بواخرنا الوطنية الجديدة

الاجراءات الاولية

إذا وصلت باخرة تحمل حجاجها إلى مياه الطور يكون كل شىء معداً لاستقبالها ويقابل المدير ومساعدوه وكبير الاطباء ومساعدوه الباخرة وتفحص فحصاً عموميا ، حتى اذا لم يكن هناك ما يشتبه فيه من الأمراض المعدية سمح للحجاج بالنزول فينزلون ومعهم متاعهم ، وتبقى الباخرة ان لم تكن عائدة إلى جدة ثلاثة أيام يقوم عمال الصحة خلالها بغسلها وتعقيمها ، أما اذا وجد مريض أو أكثر فان رجال الاسعاف يحملونهم بعد أن يودعوا متاعهم ومن ثم بيت المال الى المستشفى ؛ وغالبا يشفون الا اذا كتب عليهم أن يتوفوا فى هذا المكان .

المباخر

هى ثلاث مباخر ، والمبخرة هى الصلة بين الاسكلة ونفس المحجر ولا يسمح لحاج ما أن تطأ قدمه أرض المحجر قبل أن يبخر وتعقم الأدوات التى معه والتى يرى رجال الصحة ضرورة تبخيرها ، اللهم الا فى أحوال نادرة جداً يسمح فيها لبعض الحجاج من الطبقة الأولى الا تجرى له عملية التبخير ويأخذ الطبيب مسئولية ذلك على عاتقه

والحمامات التى يغتسل بها الحجاج فى المباخر قسمان : أحدهما للرجال والآخر للنساء بطبيعة الحال ، ويعطى لكل حاج رقما يحمل مثله الكيس الذى به أدوات الحاج المراد تعقيمها حتى لا تختلط أدوات هذا بأدوات ذاك .

ويبدى المحجر اهتماما خاصا نحو ماء زمزم الذى يجلبه معه الحاج تبركا به له ولأهله الذين لم يسعدهم الحظ بالزيارة ويحمله فى صفائح مقفلة أو فى زجاجات أو أوان جلدية ، وفى كثير من الأحيان يخبئه الحاج خوفا من أن يعثر عليه رجال المحجر لانهم يبيدونه فى الحال ان كان فى زجاجات أو فى جلد لتعذر تعقيمه عندئذ ويعقمون الصفائح

وكنت أدهش كثيراً عند ما أرى الحجاج المصريين يتمسكون بحيازة هذا الماء ، وكنت أفهمهم انه كان سبب عدوى الكوليرا فى مصر عاما ما ، وقد زادت دهشتى عند ما وجدت الحجاج الأجانب أشد تمسكا به يكادون يبذلون كل ما معهم من قوة فى سبيل حيازته حتى لقد رأيت رجلا يبكى بكاء الثكلى عند ما كسرت له زجاجات

قذرة كان يحمل فيها هذا الماء ،وكم كان فرحه شديداً عندما أحضرت اليه زجاجات بدلها بها ماء من الصنبور على أنه ماء زمزم

الحزاء

الحزاء مكان يقضى فيه الحجاج أيام الحجر الصحى ، وهى ثلاثة أيام فى العادة ، إلا اذا اشتبه فى نظافة الحج ، فان الأيام تزيد زيادة يقررها مجلس الادارة . والحزاء يسع عدداً كبيراً ،وهو مقسم الى عنابر فسيحة ينزل كل عنبر فى الغالب حجاج قرى متقاربة أو مراكز متجاورة ، وبالحزاء غرفتان أو أكثر لحجاج الدرجة الأولى ، يؤجر السرير فيها مدة الحجر بجنيه واحد ، ويشرف على كل حزاء موظف من الداخلية وآخر من الصحة ، الأول يراقب الحجاج ويراقب التاجر الذى يبيعهم الأشياء ويطعمهم ، فيمنعه من الغش ومن بخس الميزان ، ثم هو يسمع شكايتهم ويعمل على ارضائهم . والموظف الثانى يراقب نظافة الحزاء ويأخذ عينات من براز كل حاج لفحصها بالمعمل ، ويصرف الأدوية ويبلغ عن المريض .

ولكل حزاء بوابة يحرسها جندى شاكى السلاح لا يسمح لأحد بالدخول اليه أو الخروج منه إلا للموظفين الذين يقومون بأعمال تستوجب دخوله أو الخروج منه ، على أن يكون بيدهم تصريح خاص بذلك . وبالجملة فيجمع الحزاء كل أنواع الراحة التى يتطلبها الحاج حتى لينتقل اليه كل يوم فى ساعة خاصة عاملا البريد والبرق لتوزيع الرسائل وارسالها .

والحزاءات عشرة من خلفها عشرة أخرى هى بمثابة حزاءات احتياطية أقل تنظيما من الأولى ينزل بها الحجاج اذا كثر عددهم فامتلأت بهم دون أن تسعهم جميعا .

بيت المال والمستشفى

بيت المال اسم يطلق على مكتب أعد لحفظ أمتعة وأموال من توفى من الحجاج فى الأحوال النادرة ومن يدخل منهم المستشفى بسبب المرض ، فاذا كان المتاع لمتوفى قيد فى سجل خاص وأعطى رقماً ليرد الى ورثته بمعرفة القانون ، ويحفظ متاع المرضى الى أن يشفوا ويخرجوا فيعاد اليهم .

وتقع المستشفيات فى طرف المحجر بعيدة عن الحركة والضوضاء ،ولا يسمح الا لسيارات الاسعاف التى تحمل المرضى باجتياز حط المستشفيات حتى لا يقلق المرضى ،ويبدى المحجر عناية بالغة بزائرى المستشفيات يستحق عليها الشكر الجزيل ، وهى اما عادية للمرضى العاديين ، واما خاصة بالامراض المعدية الخطيرة وهذه لا يسمح بدخولها لغير المرضى الا للطبيب الخاص ولمساعديه وهى بعيدة عن المستشفيات الاخرى تكاد تكون منقطعة عن كل ما عداها .

وفى حيز المستشفيات يقع المعمل وهو معد باحدث أنواع الفحص الميكرسكوبى والبكتريولوجى وبافران الزرع وعمل الأمصال وغير ذلك مما يحتاج اليه الحال كثيرا فى هذا المكان ، وفى الحقيقة ان فى هذا المعمل وفى هذه المستشفيات لرحمة كبيرة للحجاج وطمأنينة وسلام لمصر والعالم الاسلامى لانها تفحص الحجاج وتطمئن على سلامتهم وتعزل المصابين منهم اذا وجدوا وتكافح أمراضهم وتعمل على عدم نشر العدوى ، ويدل على ذلك الاهتمام أن المعمل يفحص عينات برازية لكل حاج متى استقر فى حزائه وقد تتكرر عملية الفحص مرتين أو أكثر للتأكد من نظافة الحج ، ولا يقتصر غرض المستشفى على الحجاج — ولو أنه أنشىء من أجلهم — ولكنه يتعداه أيضا الى من يمرض من الموظفين والجند والخدم .

توفير اسباب الراحة

الحاج وإن اشتد شوقه الى أهله وبلده وعمله وكان يحلم بالطبل والزمر اللذين ينتظرانه فى محطته أو فى حيه ، ويتخيل الوفود التى تأتى اليه متبركة به ويتصور أحباءه وهم يتقبلون منه هداياه من مسبحة وعقال وخاتم وملفعة وغير ذلك من صنع الحجاز ويود لو تحمله طائرة الى مقره بعد المتاعب التى تحملها فى الصحراوات والبحر والانتقال والسفر ـ يكون على رغم هذا كله مبتهجا فى أيام الحجر الصحى ، لان أسباب الراحة متوفرة له فهو مطمئن على نفسه من الوجهة الصحية ، لان الحجر كفلها له ، ومتاعه وماله فى مأمن حريز ،ومأكله وشرابه نظيفان يعنى رجال الادارة والصحة بهما عناية فائقة . . متاعه يحمل اليه من غير أجر ، ولو كان فقيرا لا يملك معه مالا فان بيت المال يتكفل باطعامه حتى يعود الى وطنه ، وكم من شكاوى تافهة يبلغها الحاج الى المدير — وكان فى السنتين اللتين كنت بالمحجر فيهما صاحب العزة المسيرى بك — فكان يهتم

عزته بها اهتماما كبيرا ارضاء للحاج وراحة له

وفى المحجر آلة للاضاءة بالكهرباء وآخرى لتكرير المياه وعمل الثلج ، وبه مطعم، يديره متعهد يوقع على اتفاق بينه وبين المسئولين على تحديد الاثمان، وجودة الاصناف وعدم استعمال الغش.

المحجر

محجر الطور لابد أن يكون من أشهر محاجر العالم ؛ وموقعه صحى لأنه فى وسط مساحة هائلة من الفضاء يهب عليه هواء الصحراء الجاف ونسيم البحر البليل ؛ وله بوابتان رئيسيتان: احداهما تصله ببلدة الطور والأخرى بتلال طور سيناء .

وغير ماذكرت من أقسام المحجر أعدت فيه أبنية مريحة لسكنى الموظفين ؛ ويصرف أمين الخزن لكل موظف الأدوات التى يحتاج اليها مدة العمل على أن تكون عارة يردها عند نهاية المأمورية .

وقد أعد لعمل المحجر زورقان بخاريان ؛ وزوارق أخرى عادية وأكثر من سيارتين للركوب وعربات (اللورى) للنقل وسيارات الاسعاف

وينتدب فى كل موسم فصيلة من جنود الجيش على رأسها ضابط عظيم برتبة البكباشى يحرسون المحجر بالمناوبة ويسهلون كثيرا من أعماله ، هذا عدا ضابطين من البوليس يقومان بتحرير المحاضر وتحقيق الشكاوى

ويقوم متعهد خاص بتوريد عدد من الخدم يكون هو مسئولا عن سلوكهم لحمل أمتعة الحجاج ولنظافة أقسام المحجر وخدمة الموظفين :

والاطباء يكفون العمل وهم بنسبة طبيب واحد لكل حزانين غير أطباء المستشفيات وغير طبيبة للسيدات .

والموظفون ينقسمون من حيث العمل أقساما : فمنهم من يفرز أجوزة السفر وهى (الباسبورتات) ويوزعها على أصحابها بعد التوقيع اللازم عليها ؛ ومنهم من يراقب أمتعة الحجاج حتى لا تختلط أو تفقد ؛ ومنهم من يتولى خدمتهم مدة الحج فى الحزاء وغير ذلك من الاعمال الكثيرة اللازمة .

عيون موسى

اذا خلا المحجر من الحجاج - وقد يخلو منهم مرة أو مرتين خلال الموسم - تفتح بواباته ويتصل من به ببلدة الطور حتى يحين ميعاد اغلاقه مرة أخرى عند ورود حجاج .

والطريق الى عيون موسى طويل تتخلله كثبان رملية ونباتات صحراوية تنتهى ببستان عظيم من أشجار النخيل والكروم يحيط به سور باللبن . وعيون موسى يحيط بها جدران وسقف يقولون ان الخديو اسماعيل أمر باقامتها ؛ وتصب العين ماءها الفاتر الشفاف الكبريتى فى حوض مساحته متران ونصف متر مربعة ؛ وهى كدير الطور من الاماكن التى يزورها بعض من السائحين والمسافرين .

عبد الرحمن فهمى

ليسانسيه فى الآداب

فلسفة الكون عند اخوان الصفا

للأستاذ اديب عباسى

خلق الكون - خلق الانسان - غاية الوجود - معنى البعث - العقاب الثانى

فى رأى الاخوان أن الكون وما فيه من أجرام وأفلاك سماوية وأحياء وكائنات أرضية مشتق جميعاً ومنبثق من الله ، ولكنه انبثاق متسلسل غير مباشر . وأول ما انبثق منه هو العقل الكلى أو القوة الالهية المؤيدة للنفس الكلية ، ثم النفس الكلية السارية فى جميع الأجرام السماوية والأحياء الأرضية . وهذه النفس الكلية هى بطبيعة الأمر أحط من العقل الكلى ، لأنها منبعثة منه ، ولأن وجودها متوقف عليه . « ولهذه النفس الكلية قوتان ساريتان فى جميع الأجسام : احدى قوتيها علاَّمة ، والأخرى فعَّالة . فهى بقوتها الفعالة تتم الأجسام وتكملها بما تنقش فيها من الصور والأشكال ، وبالقوة العلامة تكمل ذاتها (أى النفس الكلية) بما يظهر من فضائلها من حد القوة الكامنة الى حد الفعل » .

ويرى اخوان الصفا أن ظهور الانسان نتيجة لرغبة النفس الكلية فى الحصول على المعرفة التامة التى هى من صفات العقل الكلى . ولهذا فان هذه النفس الكلية تنزل الى الأرض وتنتشر على سطحها بهيئة أنفس جزئية . إلا أن هذه الأنفس لا يمكنها أن ترقى الى مستوى العقل بدون معونته وارشاده . ومن أجل هذا ينزل العقل الى الأرض ، فيساعد النفوس إذ يحل فيها ويظهر بهيئة العقول الانسانية . بيد أنه لما كانت النفوس دائمة التغير كثيرة التحول

وكان العقل ثابتاً لا يعتريه النقص أو يعتوره التغير أصبح العقل يحل فى هذه الأنفس الجزئية حلولا متعاقبا . وهو عند هـذا الحد من الحلول يدعى العقل الناطق . وهو الذى يرسل الأنبياء ويبعث الرسل ليؤدوا رسائله الى العالم . أما النفس الكلية فهى إذ تحل فى الأجسام بشكل أنفس جزئية تأخذ على عاتقها تفسير ما عمى على الناس فهمه وغاب عنهم علمه من رسائل هؤلاء الأنبياء والرسل .

فاذا أحسنت هذه الأنفس الجزئية الاسترشاد بنور العقل وأفسح لها البقاء زمناً كافياً تنال فيه حظا وافياً من فنون الحكمة والتهذيب تضحى أهلا للاتحاد بالنفس الكلية . واذا حم القضاء انطلقت هذه الأنفس من أجسادها ، التى هى بمنزلة الرحم للجنين ، وعند ذلك ترتقى الى الملأ الأعلى لتتحد بالنفس الكلية .

هذا هو معنى المعاد فى نظر أخوان الصفا . وهو الاتحاد بالنفس الكلية ثم بالله فى اليوم الأخير ، ومن هنا أصبح مثل الحياة الأعلى للأخوان ، التشبه بالإله بحسب طاقة الانسانية ، على ان نظر اخوان الصفا الى الحياة هـذا النظر - نظر من لا يرى فيها الا أنها سبيل او جسر يمر عليه الناس الى الحياة الأخرى - لم يحملهم على احتقارها او التقليل من شأنها والزراية عليها ، لأن الحياة الدنيوية سبب للموت . والانسان مالم يدخل فى هذا العالم لا يمكنه ان يموت ، فاذا وجد الانسان تكون حياته سببا لموته ، وموته سببا لحياته الباقية أبد الابدين » . بل هم يرون أنه كلما مدفى أجل المرء ازداد حكمة ومعرفة ، وبالتالى دنوا من الله . ومن هنا لم يتشدد اخوان الصفا ولم يغالوا فى الانحاء على الجسم الانسانى والانتقاص من أسباب متعته مغايرين فى هذا لفيفا كبيراً من المذاهب الشرقية التى جعلت دأبها حرمان الجسم الانسانى من كل لذة جسمانية أو متعة حسية .

والصورة التى خلفها لنا أخوان الصفا عن جهنم هى صورة ذهنية لا تبعث الرعب فى النفوس ولا ترعد لها الفرائص ، فجهنم الأخوان هى هذا العذاب النفسى الذى يسلط على النفوس لدن يحال بينها وبين ما تهوى وتحب . وذلك أن أنفس الأشرار ، اذا فارقت أجسادها بقيت مسلوبة آلات الحس الخمس التى كانت تتناول بها الملاذ الجسمانية وصارت بعد ذلك ممنوعة عنها بعد ما اعتادتها بطول التدرب وعند ذلك يكون مثلها مثل من سملت عيناه وصمت أذناه وسد منخراه وأخرس لسانه وشلت يداه واشتد شوقه الى لذاته ، وهكذا يكون حكم نفوس الكفار اذا فارقت أجسادها وسلبت منها آلات الحس وحيل بينها وبين شهواتها . . وتكون هائمة فى الجو دون فلك القمر (المسافة بين فلك القمر ومركز الأرض هى عندهم منطقة جهنم) وتطرح بها أمواج الطبيعة فى بحر الهيولى إلى كل فج عميق وهى مشتعلة فيها بنيران شهواتها ، وتكون معذبة بذاتها من وزر سيآتها وسوء عاداتها .

هـذا مجمل رأى الاخوان فى مسائل الخلق وغاية الوجود والثواب والعقاب وهو رأى نحوا فيه منحى بعض المذاهب الفلسفية القديمة كالأفلاطونية الحديثة ومذهب وحدة الوجود وما الهاما تأثر به فلاسفة الاسلام وظهر واضحا جليا فى كثير مما كتبوا ودونوا ؟

شرق الاردن — أديب عباسى

استدراك

فى خاتمة حياة حجاج الخضرى

تساءلت فى خاتمة مقالى السالف عن (حجاج الخضرى) عما آل إليه أمر هذا البطل المصرى أقتل انتقاما من كبريائه ، ام هاجر الى بلد غير مصر ؟ . وقد تفضل العلامة المفضال الاستاذ شفيق غربال فأرسل إلى ما جاء فى تاريخ الجبرتى خاصا بخاتمة حياة ذلك الرجل فى حوادث رمضان سنة ١٢٣٢ من الهجرة .

قال الجبرتى : « فى ليلة الخميس ١٧ منه (اى رمضان) طلب المحتسب حجاج الخضرى الشهير بنواحى الرميلة فأخذه الى الجمالية وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة . وذلك فى سادس ساعة من الليل وقت السحور وتركوه معلقا لمثلهامن الليلة ، ثم أذن بدفنه فأخذه أهله ودفنوه . وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مرة (وهنا ذكر بعض حوادثه) ثم حضر الى مصر بأمان ولم يزل على حالته فى هدوء وسكون ولم يؤخذ فى ذلك بجرم فعله يوجب شنقه بل قتل مظلوما لحقد سابق وزجرا لغيره »

وقد بادرت بارسال هذا التحقيق شاكرا للاستاذ غربال بحثه وفضله معيدا ترحمى على ذلك البطل المصرى الشهيد ؟

محمد فريد أبو حديد

حوار الفلاسفة

للاستاذ زكى نجيب محمود

ومن أحق من الفلاسفة بالبعث العاجل والنشور السريع ؟ وهل تظن أن تلك القبور الضيقة المقفرة تستطيع أن تضم فى جوفها هذى العوالم الفسيحة العامرة حينا طويلا من الدهر ؟ أفتظن أن تلك الأجداث الشرهة التى لا تنفك فاغرة الأفواه تلتهم الفريسة تلو الفريسة بمبادرة على سحق هذى العقول الجبارة ، وأذرتها نفس تسفيه الريح مع الهباء ؟ أم كنت تحسب أنهم بشر كالذى عهدت من بشر ؟ كلا ! فاولئك الفلاسفة جبابرة عتاة ؛ لا تكاد تتلقفهم يد الموت حتى تسلمهم الى حياة الخلود والبقاء ، وعندئذ يلتئم الصدع الذى ضربه الدهر بينهم ؛ فتأتلف منهم القلوب وتمتزج النفوس ، كأنما دفعهم الله الى الوجود كتلة واحدة مذ الأزل ؛ فشتتها يد الدنيا ؛ وفرقت أجزاءها على تعاقب الدهور ، ثم عادت اليوم سيرتها الأولى ، وحدة متحابة متآخية .

ولست بهذا الحديث أفترى منكراً من القول . إنما أقص عليك حديثا تحدر من السفهاء واهتزت به الآذان ؛ فأسوقه اليك كما وقع :

هناك فى الملأ الأعلى ؛ انعقدت طائفة من الفلاسفة بالأمس القريب ؛ ولم يكد جمعهم يستوى فوق الأرائك ؛ حتى نهض من الحضور أقدمهم عهدا بدار الخلود ـ سقراط ـ وأخذ يشير بيمناه الى الجلوس واحداً فواحدا ؛ فى تؤدة هادئة رزينة ؛ فيعرفهم بأسمائهم التى أطلقت عليهم فى دار الفناء ، ولم يكن ذلك تعريفا لهم بمجهول فهم عصبة واحدة مذ الأزل ، ولكن خشية أن تكون شواغل الأرض قد محت سالف الذكرى :

هذا سبينوزا صاحب وحدة الوجود ، وهذا ليبنتز الذى كان للناس بشيرا بما فى الكون من خير ؛ وهذا فولتير عظيم الساخرين ؛ وهذا روسو نصير الطبيعة . وهذا شوبنهور صاحب إرادة الحياة . وذلك نيتشه صاحب أرادة القوة . . . فتباسم الفلاسفة ، وأجالوا الأنظار لكى تتعرف الوجوه . أما ليبنتز ، فقد ثبت بصره فى فولتير ، وأخذ يحدق به فى شىء من القلق ، ما لبثا أن التقت منهما النظرات ؛ فأرسلها فولتير ضحكة رقيقة وقال :

فولتير — أراك ياعزيزى قلقا نابيا ، لا اطمئن بك المكان ولا تطمئن اليه ؟

ليبنتز — كلا ! بل أنا موفق محدود ، إذ ضمنى وإياك مجلس واحد ؛ فما زلت أتمنى ذلك وأرجوه ، مذ جاءنى نبأك ؛ وعلمت عنك تلك الطعنات الدامية التى صوبتها نحو رأيى فى العالم وخيره

فولتير — أوه ! لقد أنسيت كل شىء . . . وكأنما أذكر الآن حلما مبهما يجول فى حنايا الرأس . . . ها هوذا ينجلى ويتضح . . . لقد ذكرت ! فأنت الذى زعمت يوما أن تلك الحياة الفانية مفعمة بالخير مترعة بالآلاء والنعم ، وأنه لم يكن فى الامكان أبدع مما كان ! . . هذا كثير ـ لعمر الحق ـ أن يقال فى عالم سداه الشر ولحمته البؤس والشقاء !

ليبنتز — أليس الله ، وهو رب الكون وخالقه ، حكيما عميق الحكمة ، خيرا واسع الخير ؟ صور لنفسك هذه الحكمة المطلقة قد تآزرت مع ذلك الخير الاسمى فى خلق العالم ثم حدثنى كيف يكون . أليس من المحقق ان يجىء على أحسن ما تجىء العوالم ؟ هذا حق لاريب فيه ، لأن الله تعالى يصدر عن منطق مستقيم يتفق مع كماله ولابد لذلك المنطق الكامل ان ينتج عالما أدنى ما يكون الى الكمال لأنه اذا خلق عالما دون المستطاع ؛ كان فى عمله ما يمكن تهذيبه واصلاحه ؛ وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فولتير ـ أما ان فى العالم شرا فحقيقة فوق الجدل ؛ واذن فاختر لنفسك واحدا من اثنين لا ثالث لهما إما ان يكون الله قادراً على ان يرفع عن العالم السوء والشر ولكنه لا يريد ، وإما انه يريد ولا يستطيع ؛ وكلا الفرضين شر من أخيه ! لك أن تقول عن العالم ما تشاء ؛ أما أنا فقد كنت فى تلك الحياة الدنيا شقيا بائسا ، قرحت كبدى الكوارث ، وكلم فؤادى العناء والألم ؛ ومع ذلك فقد كان لزاما على أن أحيا !! وأحسب انى لم انفرد بذلك العبء الثقيل ؛ فلست أشك فى ان الاحياء جميعا قد عانت من الشر ما عانيت .. تذكر ياعزيزى ليبنتز ذلك العقاب الكاسر ، وهو ينقض على فريسته الوديعة المطمئنة ؛ فينهشها بمنقاره المرهف العاتى ، وعبثا ترتعش منها الفرائص وترتجف الأعضاء ، وعبثا تصيح ؛ فصيحات الغوث ذاهبة فى الفضاء والعقاب ماض لا يحول نابا ولا ينزع مخلبا ؛ وعندئذ هبط على العقاب نسر جارح مزق منه الأشلاء ونثر الدماء ؛ وأخذ يلتهم طعامه هنيئا لولا أن صائدا من الانس قد كمن له فى الغاب ، وما هى الا لحظة حتى

أرسل اليه قوسا كانت تحمل حتفه سهمها ؛ فلما ان جاء ذلك الانسان الظافر الى حومة الوغى ، ودارت رحى الحرب ، داهمه الردى ؛ فانقلب صريعا يسبح فى لجة من الدماء البشرية فيرطم جسدا هنا وشلوا هناك !! وتدور عجلة الدهر فاذا الانسان الشامخ بانفه قد بات طعاما تتخطفه العقبان والنسور !! تلك هى أسطورة الحياة ياعزيزى : حلقات متلاحقات من عذاب مر أليم ؛ تنتهى بالحياة الى الموت والفناء .. مأساة ترتعد من هولها الفرائص ، وتطير منها النفوس شعاعا ؛ أفتزعم بعد هذا أن شقاء الفرد سبيل الى سعادة المجموع وتصيح بملء فيك المرتعش المتهدج ان ليس فى الامكان أبدع مما كان ؟ لعمرى انك لفى ضلال بعيد ، الا ان الكون بأسره لينهض الآن لسانا ناطقا بانكار ماتقول ؛ بل لكأنى ألمح قلبك الذى تحمله بين جنبيك ، ينبض فى ثورة وجموح ليرد مايفيض به رأسك من خداع . أليس من سخرية الدهر وعبث القدر ان تكون الحياة لغزا مغلقا من دون البشر ، وأن يكون الانسان وهو صاحب الدار دخيلا لا يعلم من أمرها شيئا ، فلا يدرى أنى جاءت به الحياة ، ولا أين يذهب به الموت ؟ بارعاك الله ! لله ما أمرها حياة تلك التى كتب علينا أن نحياها حينا من الدهر ، وعجيب الامر أن ترى من الاقوام الغافلين من تنطلق ألسنتهم بحديث السعادة والخير ؟! .

عفواً أصدقائى ، فانما تحدثكم الآن ما أنحته الحياة فى نفسى من جراح دامية لم تزل عندى عميقة الاثر قوية الذكرى .

سبينوزا — أى عزيزى فولتير ! هون على نفسك الامر ؛ فليس الفرد الا جزءاً من كل عظيم ، وانك لتبتغى شططا اذا أردت أن يصغى الوجود بأسره الى صوالح الافراد ، وهى متنازعة متنافرة . ان فى ذلك لشراً وفوضى . فلست أرى فى الكون الا قانونا خالداً وصوراً فانية ، وحسبه دقة وكمالا أن يسير ذلك القانون فى استقامة لا التواء فيها ولا شذوذ ، أما هذه الصور المادية الزائلة التى تروح وتغدو ؛ فلا يضير الكون فى كثير أو قليل أن تشعر بألم أو سعادة ! وهل تستطيع أن تحدثنى عن الشر والخير ما هما ؟ انهما لفظان قد اصطلح عليهما البشر ، وليس لهما فى عالم الحقيقة وجود ... خذ قلماً وقرطاسا ، وارسم طائفة من المثلثات المختلفة نوعا وحجما ثم امح منها ما تريد ، وارسم سواها أو لا ترسم شيئا ، والبث هكذا ساعة من زمانك ؛ غير فى أوضاعها وبدل فى أشكالها ليكون لك فى النهاية زخرف جميل . . . هب أن تلك المثلثات كائنات شاعرة يتعاورها السرور والالم ، وأنك علمت أن واحداً منها غاصب لانه جاء من الزخرف فى مكان منحرف ، وان ثانيا بائس مسكين لانه لا يتمتع بأضلاعه الثلاثة تامة كاملة ، وثالثاً يعانى مرارة الالم لان الممحاة قد أتت عليه فأزالته من الوجود . . . فماذا أنت قائل إزاء تلك الاهواء المتنازعة ؟ انك لن تفهم لها معنى ، لانك تنظر بمنظار آخر أعم وأشمل .

نيتشه — أؤيد سبينوزا فيما يقول ، ولست أفهم هذا التفريق بين الخير والشر ؛ فكلاهما خير للبشر ، ولو لم يكن الشر خيراً لما صمد فى معترك التنازع على البقاء ، بل لا محى من الوجود منذ أمد بعيد .

فولتير (يضحك) — هل أتاكم حديث الواقعة التى نزلت بلشبونة ؛ اذ زلزلت (١) الأرض زلزالها فأردت ثلاثين ألفا من رجالها ؟ ويأبى القدر الا أن يمعن فى السخرية ، فيجمع عدة من هذه الالوف بين جدران بيت من بيوت الله ، فينقض على الرؤوس ذلك البناء المقدس وهم يؤدون الصلاة !! ثم يعلن القساوسة فى جرأة وقحة بأن الكارثة انما جاءت جزاء وفاقا لما قدمت أيديهم من ذنوب !!!

روسو — وهل تريد أن تلقى التبعة على غير الانسان ؟ فلو هجر المنازل وطلق المدن الى حيث الطبيعة الطلقة الطاهرة ، لما تهدمت فوق رؤوسهم جدران ولا ركمت سقوف !

فولتير — هل جاءك يا عزيزى روسو نبأ الفتى كانديد ؟ (٢) ذلك الصبى الألمانى الذى لبث يأخذ العلم عن أستاذ فيلسوف ؟ لقد أبى الدهر عليهما حياة هادئة ، فأرسل عليهما المصاب فى اثر المصاب حتى اضطرا الى الرحيل الى لشبونة ، وكأنما أراد الدهر ألا يغمض عنهما جفنا ، فكانت تلك المأساة المروعة التى حصدت الأحياء حصداً بالألوف ؛ ولكن الفتى وأستاذه قد أفلتا من يد الموت ، والتقيا فى فزع ورعب ، وبينا هما فى سمر من الحديث ؛ يرويان ما صادفا من هول ، إذا بامرأة عجوز تجىء اليهما من أقصى المدينة ، فتقص عليهما ما لاقته من هول تشيب له ناصية الطفل الرضيع ، « ولقد حدثتنى النفس مائة مرة بأن ألقى عبء الحياة عن كاهلى ؛ ولكن على الرغم من ذلك قد أحببت الحياة !! . »

---

(١) زلزال لشبونة . نوفمبر سنة ١٧٥٥

(٢) قصة ساخرة كتبها فولتير للرد على من يدعى أن فى العالم خيرا

تبت يدا الانسان ، إنه لنى ضلال مبين ، أترون كيف ينوء تحت اثقال الحياة ، ثم يقبل راضيا أن يظل ذلك العبء فوق كاهله ، مع أنه يستطيع أن يلقيه الى الأرض بعزمة واحدة ؟! ولاعد بكم الى حديث الفتى كانديد ، فقد أرهقته محاكم التفتيش ، ففر هاربا الى بارجواى بأفريقيا ، ولم يكد يجوس خلال أرضها حتى أبصر — وياهول ما أبصر ! — أبصر رجلا يضم أعواد القصب مرغما ، وهو يئن من فداحة الألم ، كان يعمل مبتور الساق والذراع ، ولا بد أن يعمل فى جد وإلا فضربات السياط — سياط الشركة الاوربية التى تستغله وتستذله — مسلطة فوق ظهره ، ولا يدثره غير أسمال قذرة بالية . . . وهكذا كان كانديد ، كلما قلب صفحة من كتاب الدهر ألفاها مترعة بالعناء والأذى ، وما أحسب الجدران والسقوف قد اقترفت من ذلك العدوان شيئا .

ليبنتز — ومن ذا الذى يود أن يعيش فى عالم لا ألم فيه ولا عناء ؟ أليست المرارة القليلة ألذ مذاقاً وأشهى طعاماً من السكر الحلو ؟ وهل الشر إلا سبيل للخير ؟ فلعلك لو علمت مبعث الشر لخففت من هذه الغلواء ، قد خلق الانسان مغلولا بطائفة من أصفاد المادة ، ولكنه فطر على أن يجاهد فى تحطيمها ما استطاع ليصل الى مرتبـــة الكمال ، ومبعث الشر جميعا هو ذلك الجهاد العنيف الشاق الذى يبذله الانسان فى هـذه السبيل ، وإذن فليس الشر مقصوداً لذاته ، وإنما هو سلم للصعود الى الكمال .

شوبنهور — لست أرى الا أن الانسانية مدفوعة أمام ارادة الحياة دفع الخراف ، ولقد زودتها بجعبة من الرغبات تلهب ظهرها وتستحثها على السعى كلما أبطأ بها المسير ، وفى تلك الرغبات سم الانسان الزعاف ، لأنه كلما حقق واحدة قامت فى سبيله عشرات ، والحياة لا تمنحنا أمنية الا كما يلقى الجواد باحسانه الى السائل المحروم ، فهو يضر كثيرا ولا ينفع فتيلا ، لأنه يطيل فى أجل بؤسه يوما آخر.. سر أنى شئت تجد بين الاحياء تنازعا وتنافرا ، حرب ضروس وقتال طاحن ، وفيم الحرب والقتال ؟ لكى يقيموا حياة كلها تعب وشقاء أمدا قصيرا من الدهر . فلو أننا أدركنا رجحان العناء على الجزاء ، لعلمنا كم نبذل الثمن باهظا لقاء أنفاس معدودات ! الحياة هى الشقاء والشقاء هو الحياة ، وجدير بك — أى عزيزى ليبنتز — أن تنقح من عبارتك بحيث تكون : « ليس فى الامكان أسوأ مما كان ، لقد كان خيرا لنا ألف مرة ألا نكون ! ومن ذا يحدثنى عن مهزلة الحياة : فيم بقاؤها وما غرضها ؟ ولشد ما يدهشنى على الرغم من ذلك أن أرى الكائنات بأسرها تتشبث بالحياة ، وتبذل فى حراستها كل ما تستطيع ، كأنما هى ذخر ذو غناء ! ألا من يحدث الناس عنى أن يكتموا الأنفاس دفعة واحدة لكى يردوا للحياة كيدا بكيد ؟

* * *

تقدمت من سقراط فى بصر خافض وأدب خاشع ، وسألته أن أطلع قراء الرسالة على حديثهم ذاك ، فخشى أن ينسب القراء الى كاتبه بعضه أوكله ، فطمأنته بأن القراء فى مصر على كثير من الذكاء .

زكى نجيب محمود

فرعون حزين !

للاديب حسين شوقى

كنا نظن أن الآلهة ينعمون بالسعادة الكاملة ، ولكننا مخطئون لأن فرعون حزين برغم أصله السماوى . . أجل فرعون حزين ، لهذا خرج الى السطح الكبير يستنشق نسيم الليل العليل ويلقى نظرة على السماء التى أخذت تتلألأ أمامه ، وقد بدت نجومها تشاهد الملك العظيم الذى ملأ صيته أنحاء العالم بأسه وجبروته . . ثم أخذت النجوم تتساءل : لماذا كان فرعون حزينا ؟ لماذا ؟ أليس قادراً على كل شىء ؟ ألم يشد لنفسه بالأمس رمسا فخما متينا يضمن له الحياة الثانية التى سيكون فيها كذلك عاهلا كبيرا لقرابته الوثيقة بالآلهة آمون وهوروس وشركائهما ؟ لماذا إذن كان الملك حزينا ؟ قالت إحداهن متفلسفة : لأنه لم يعرف الحب ! فتساءلت أخرى : وهل الحب على هذا القدر من الخطر ؟ فأجابت الاولى : أجل ! هو سر الوجود لذلك العالم الازلى وتعزية أهله . . ولكنها لم تتم كلامها لأن نجما آخر قاطعها قائلا : وما صورة الحب ! وما مادته قالت : ليست له صورة ، وما هو بمادة . . لحسن حظ البشر ، لأنه لو كان مادة لا كتنزه الناس كالذهب من زمان بعيد فى خزائن بنك فرنسا أو بنك الاحتياطى الأمريكى . .

أجل ! فرعون كان حزينا لأنه لم يعرف الحب ! لقد صدقت تلك النجمة فى زعمها ، لأن علاقته بمن حوله من الناس لم تكن

الا علاقة رسمية ، بل كانت علاقة السيد بالخادم ، أستغفر الله ! بل علاقة الاله بالعبد ! اما زوجه الملكة فهو يجلها ويقدرها ولكنه لايحبها لان اقترانه بها فرض عليه فرضا منذ الحداثة للدم الالهى الذى يجرى فى عروقها . هى أيضا . .

كم يود فرعون ان يحب ! ولكن يحب من ؟ انه يستعرض فى مخيلته نساء القصر .. أجل ! لقد وجد ضالته ! سيحب تلك الجارية الاشورية الحسناء التى أرسلها اليه ملك أشور فى جوار أخر — على سبيل الهدية تملقا لفرعون وطمعا فى كسب صداقته . . هى فتاة حسناء يذكر أنها لفتت أنظاره مرة وهو يجتاز إحدى ساحات القصر . . ولم يكد فرعون يدعوها حتى كانت الجارية بين يديه ساجدة ترتعد خوفا أمام العاهل الأكبر ! ثم طلب منها فرعون ان تنهض من الارض ففعلت وهى لاتعرف ان كانت فى حلم أو فى يقظة . . ثم تشجعت ورفعت نظرها الى ذلك الوجه العلوى الذى قلما وقعت عليه عين البشر انه وجه جميل ناعم (غير ما كانت تظنه) . . خلعت عليه سيماء النبل الموروث قرون طويلة من العز والسلطان . . ثم اقترب منها فرعون فوضع يده على شعرها الفاحم الجميل وحاول ان يبتسم ، ولكن تقاطيع وجهه التى فقدت مرونتها من زمان طويل ، منذ الطفولة خانته اذ كان وجهه قناعا أكثر منه وجهاً !

ثم حاول أن يقول لها كلمات عذبة رقيقة معربة . . مما نسميه نحن معشر البشر غزلا ، ولكنه لم يستطع ، فقد عى لسانه ! فاكان من فرعون امام ذلك الا أن أوما الى الجارية فى يأس وقنوط لتنصرف موليا عنها وجهه .. واأسفاه ! ان فرعون لا يستطيع ان يحب ، فالحب للبشر .. أما هو فهو اله عابس نحت قلبه من الصوان الأصم

ازجال ابن حنظل

للاديب محمد كامل امين

مجموعة من الزجل الرقيق الرائع تناولت كثيرا من النواحى الاخلاقية والاجتماعية يطلب من مؤلفه بسنورس ، فيوم ، وثمنه خمسة قروش صاغا

فى محكمة التاريخ

قضية ابن العلقمى الوزير

للسيد مصطفى جواد

ذكر بعض أصحاب مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمى الاسدى الوزير أنه سمعه يوما ينشد من شعره :

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيعوا الحزم فيه أى ضياع ؟
مطاع الكلام غير سديد وسديد المقال غير مطاع (١)

وقال شمس الدين محمد بن عبد الله الكوفى الواعظ فى دولة المستعصم بالله :

ياعصبة الاسلام نوحوا واندبوا أسفا على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمى

وفى سنة (٦٥٥) هـ رحل السلطان هولاكو قان من همذان نحو العراق ، فلما اتصل ذلك بالخليفة المستعصم شاور وزيره مؤيد الدين ابن العلقمى فى ما ينبغى فعله فأشار عليه ببذل الاموال وحملها اليه مع التحف الكثيرة والاشياء الغريبة والاعلاق النفيسة ، فلما شرع فى ذلك ثناه الدويدار الصغير وغيره ، وقالوا له : ان غرض الوزير تدبير حاله مع السلطان هولاكو ، فوافقهم واقتصر على انفاذ شىء يسير مع شرف الدين عبد الله بن الجوزى (٢) فلما وصل اليه أنكر ذلك وأرسل الى الخليفة يطلب إما الدويدار وإما سليمان شاه الايوانى ، وإما فلك الدين محمد بن الدويدار الكبير علاء الدين الطبرسى فلم يفعل ، وأرسل شرف الدين بن الجوزى أيضا يعتذر عن ذلك ، فسار السلطان حينئذ نحو بغداد » (٣)

قال عبد الرزاق بن الفوطى بعد سقوط بغداد فى أيدى التتر ، ثم دخل الخليفة المستعصم بغداد يوم الاحد رابع صفر ومعه جماعة من أمراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسى وأخرج اليهم من

---

(١) الحوادث الجامعة لعبد الرزاق بن الفوطى (سنة ٦٥٥ هـ) والفخري (ص ٣٣)

(٢) أهملت دائرة المعارف الاسلامية ثلاثة من أبناء الجوزى : شرف الدين هذا وجمال الدين عبد الرحمن أخاه ومحيي الدين يوسف بن الجوزى أباهما (قتلهم هولاكو سنة ٦٥٦ كما فى الحوادث)

(٣) مختصر الدول (ص ٤٧٢ والحوادث الجامعة سنة ٦٥٥ هـ والفخرى ص ٢٤٦) وطبقات الشافعية للسبكى « ٥ : ١١٣ »

الاموال والجواهر والحلى والزركش والثياب وأوانى الذهب والفضة والاعلاق النفيسة جملة عظيمة، ثم عاد مع الجماعة الى ظاهر سور بغداد بقية ذلك اليوم، فأمر السلطان هولاكو بقتله فقتل يوم الاربعاء رابع عشر صفر ولم يهرق دمه بل جعل فى غرارة ورفس حتى مات ودفن وعفى أثر قبره. (١)

وسبب هذه القتلة أن بعض الناس المسموعى الكلمة الاقلاء العلم قال لهولاكو: لو أصاب الارض قطرة من دم الخليفة لانقلبت الدنيا بأهلها (٢) فجرى هولاكو هذه العقيدة وان لم يوقن بها لوضوح بطلانها

ووضع المغول السيف فى أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر سنة ٦٥٦ وما زالوا فى قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب، واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوما: فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال، فلم يبق من أهل بغداد ومن التجأ اليهم من أهل السواد إلا القليل. ماعدا النصارى (٣) فانه عين لهم شحان حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم. وكذلك دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمى فانه سلم بها خلق كثير، ودار صاحب الديوان ابن الدامغانى، ودار حاجب باب النوبى ابن الدوامى، وماعدا هذه الأماكن لم يسلم فيه أحد إلا من كان فى القنى والآبار، وأحرق معظم بغداد وجامع الخليفة المعروف اليوم بجامع سوق الغزل ومايجاوره. واستولى الخراب على بغداد، وكانت القتلى فى الدروب والأسواق كالتلول، ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول، فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى، ثم نودى بالأمان فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التى لايعبر عنها بلسان وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور: من الجوع والخوف والبرد (٤)، وضرورة الاستنباط توجب الرجوع فنقول: قال عبد الرازق بن الفوطى: فلما كان اليوم الرابع عشر من المحرم خرج الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى الى خدمة السلطان هولاكو فى جماعة من مماليكه وأتباعه وكانوا يهونون الناس

---

(١) الحوادث سنة ٦٥٦

(٢) العجري ص ١٠٢

(٣) كانت زوجة هولاكو نصرانية كما فى مختصر الدول

(٤) الحوادث سنة ٦٥٦

عن الرمى بالنشاب ويقولون: «سوف يقع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا» هذا وعساكر المغول يبالغون فى الرمى. وعاد الوزير الى بغداد يوم الأحد سابع عشر المحرم وقال للخليفة: «قد تقدم السلطان هولاكو أن تخرج إليه، فأخرج ولده الأوسط أبا الفضل عبد الرحمن فى الحال فلم يقتنع به، فخرج هو والوزير ثامن عشر المحرم ومعه جمع كثير فلما صاروا بظاهر السور منعوا أصحابه من الوصول معه وأفردوا له خيمة وأسكن بها» (١)

وأمر هولاكو باجاعة المستعصم، فلما اشتد عليه الجوع أمر أن يقدموا له جملة من الجواهر والحلى والأعلاق النفيسة فى أوانى الذهب والفضة التى أخذها من دار خلافته، فاستغرب الأمر وقال: قد علمتم أن هذا ليس مما يؤكل ولا يغنى من جوع «فأرسل إليه هولاكو «لم لم تجند به الجنود ولم تدفع به عن نفسك فلات ساعة مندم» (٢)

ولسرد أخبار الجنود نقول: قال عبد الرزاق فى حوادث سنة ٦٤٠ ما صورته: «فى شعبان حضر جماعة من المماليك الظاهرية (٣) والمستنصرية عند شرف الدين إقبال الشرابى (٤) للسلام عليه — على عادتهم — وطلبوا الزيادة فى معايشهم وبالغوا فى القول وألحوا فى الطلب، فحرد عليهم وقال: «ما نريد كم بمجرد قولكم بل نريد منكم من يريد إذا أظهر خدمة يستحق بها ذلك» فنفروا وخرجوا على فورهم الى ظاهر السور وتحالفوا على الاتفاق والتعاضد ...»

وقال فى حوادث سنة ٦٤٩ (وفيها فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم ولحقوا ببلاد الشام) وقال فى حوادث سنة ٦٥٥ ما نصه (وكان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض فآلت أحوالهم الى سؤال الناس وبذل وجوههم فى الطلب بالاسواق والجوامع ونظم الشعراء فى ذلك الأشعار، فمما قاله المجد النشابى: (٥)

يا سائلى ومحض الحق يرشده   أصخ فعندى نشدان وإرشاد

واسمع فعندى روايات تحققها   دراية وأحاديث واسناد

فهم ذكى وقلب حازق يقظ   وخاطر لنفوذ النقد نقاد

---

(١) الحوادث سنة ٦٥٦

(٢) الفرمانى «آثار الاول وأخبار الدول»

(٣) نسبة الى الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسيين

(٤) كان دواتدار أعظم جيوش المستعصم وهو تركى

(٥) هو سعد بن ابراهيم بن حسن (فوات الوفيات ١ : ١٠)

عن فتية فتكوا بالدين وانتهكوا   حماه حملا برأى فيه إفساد (١)

وكان خواجه نصير الدين محمد الفيلسوف الطوسى قد بعث — وهو فى قوهستان — بقصيدة الى المستعصم بالله يمدحه فيها ويطلب اليه الزلفى من دار خلافته ، فاطلع عليها مؤيد الدين محمد بن العلقمى واتقاها عنده وكتب الى شمس الدين محتشم قوهستان من بلاد ايران يحذره ارتحال نصير الدين من بلاده مع احتياجه إليه فى التجامة والتدبير ، وانما فعل ابن العلقمى ذلك خوفاً من ان يعرف المستعصم فضل نصير الدين الطوسى وعلمه فيستوزره مع كونهما شيعيين من فرقة واحدة ، فوشى به هذا المحتشم الى إمام الباطنية الاسماعيلية ، علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلى ، فاعتقله هذا فى قلعة ألموت ، ولما فتح هولاكو هذه القلعة خرج نصير الدين وحضر بين يدى هولاكو فعظم موقعه فى نفسه وأنعم عليه واستوزره (٢) وصار لاسرته شأن عظيم ، وكان المنتظر من نصير الدين حين قدم بغداد مع هلاكو ان يبطش بابن العلقمى لاساءته إليه وتحريضه عليه ، ولكنه كان متعصبا للشيعة مغالياً فى حبهم ، حتى أنه أنقذ ابن العلقمى من الموت بأن رغب الى هلاكو فى العفو عنه(٣)، ومن الحق أن ابن العلقمى لم يخن ولم يهن فى خدمة المستعصم . فلما فتحت بغداد ورأى زوال الدولة العباسية ووزارتها من المحققات ؛ سعى فى تنجية نفسه من الموت وداره من التحريق ودار كتبه المحتوية على عشرة آلاف مجلد من النهب ، فاستشفع بنصير الدين الطوسى الى هولاكو وأوصل اليه كتابا فيه ملحمة ، من ملاحم الشيعة تثبت صلاح أعماله ووجاهة فتحه لبغداد ، فقد قال قطب الدين الحنفى « إن مجد الدين بن طاوس وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلى أرسلا كتاباً الى هولاكو على يد ابن العلقمى يروونه عن على بن أبى طالب — رض — صورته « إذا جاءت العصابة التى لاخلاق لها لتخربن يا أم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا ، ويل لك يا بغداد وللدور العامرة التى لها اجنحة كالطواويس ، تماثين كاىماث الملح فى الماء ويأتى بنو « قطورا » (٤) مقدمهم جهورى الصوت لهم وجوه كالمجان المطارقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل الى بلدة الا افتحها ولا الى راية الا نكسها ، فلما وصل الكتاب الى هولاكو أمر أن يترحمله ؛ فلما قرأه أمر لهم بسهم الأمان وسلموا بذلك من القتل والنهب » (١)

قال عبد الرزاق بن الفوطى بعد وقعة بغداد « وأما أهل الحلة والكوفة فانهم انتزحوا الى البطائح بأولادهم وبما قدروا عليه من أموالهم وحصر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاوس العلوى الى حضرة السلطان هولاكو وسألوه حقن دمائهم فأجاب سؤالهم وعين لهم شحنة ؛ فعادوا الى بلادهم وأرسلوا الى من فى البطائح يعرفونهم ذلك ، فحضروا بأهلهم وأموالهم وجمعوا مالا عظيما وحملوه الى السلطان هلاكو فتصدق عليهم بنفوسهم ، وكان أهل الكوفة والحلة والسيب يجلبون الى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك ، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير منهم (٢

ولو كان ابن العلقمى قد خان المستعصم ومالأ هولاكو عليه لخشى هولاكو غدره وخاف خيانته ولم يوله الوزارة الاقليمية ، فانه لما رحل عن بغداد عائداً الى بلاده فوض أمرها الى الامير « على بهادر » وجعله شحنة بها والى الوزير مؤيد الدين بن العقمى وصاحب الديوان فخر الدين بن الدامغانى ونجم الدين أحمد بن عمران الباجسرى ونجم الدين عبدالغنى بن الدرنوس وشرف الدين العلوى المعروف بالطويل (٢) » فتوفى ابن العلقمى بعد فتح بغداد بثلاثة أشهر وذلك فى مستهل جمادى الآخرة ؛ فأمر هولاكو أن يكون ابنه عز الدين أبو الفضل وزيراً بعده (٣)

ولقائل أن يقول : إن الخيانة أناله الوزارة الاقليمية فقول له : قد قيل هذا ، وزعم أن هولاكو قتله لخيانته ، وقال له « إنا لا نأمنك وقد خنت خليفتك » ولقد كان هولاكو حذراً من الخونة مسارعا الى سفك الدماء ، فهو إن لم يكن حريا أن يقتله — على ظن خيانته فأنه يطرحه ويستبدله فلا يوليه من ملكه شيئاً ، وأن مؤرخا يبتدع قتل هولاكو لابن العلقمى لسهل عليه أن يخونه ويفجره ويسند اليه مايشاء ، ولكن الحق غير ذلك .

وولى هولاكو تاج الدين على بن الدرابى صدارة الأعمال العراقية فتوفى فى شهر ربيع الأول فجعل ابنه مجد الدين حسيناً عوضه وأقر أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجى على رتبته وجعل

(١) ويراجع الفخرى أيضاً ص٣٣ من أجل الأبيات

(٢) روضات الجنات وفوات الوفيات والوافى بالوفيات (فى ترجمة نصير الدين) والحوادث سنة ٦٥٤

(٣) الفخرى ص٢٤٨

(٤) نقل م.م الزهري فى كتابه « أخبار قران وبلغار » حديثاً منسوباً فيه نبى للعرب غزو بنى قطورا ، وحلل الكلمة الى « قاآن طوران » وهو الصحيح

(١) الأعلام باعلام بيت الله الحرام (ص٨٠)

(٢) الحوادث سنة ٦٥٦

لفخر الدين الدامغانى وزارة أقليمية وجعل نجم الدين أحمد بن عمران المذكور ملكا على الأعمال الشرقية وهى الخالص وطريق خراسان والبندنيجين وأشركه مع ابن العلقمى وابن الدامغانى فى الحكم (١) فهل كل هؤلاء خونة غدرة ؟ وقد يرد هذا القول بأن هولاكو لم يقتل هؤلاء الخونة لأن هوى الشعب فيهم، وضلعه معهم ، فنقول : إنه قتل جماعة صبراً وهم من عظماء الشعب منهم محيي الدين بن الجوزى الحنبلى استاذ دار الخليفة وأبناه شرف الدين عبدالله وجمال الدين عبد الرحمن مؤلف مناقب بغداد وشيخ الشيوخ صدر الدين على بن النيار وشرف الدين عبدالله بن أخيه وبهاء الدين داود بن المختار والنقيب الطاهر شمس الدين على بن مختار وشرف الدين محمد بن طاوس العلوى وتقى الدين عبد الرحمن بن الطبال وأكثر أمراء الترك

ومن أغرب سخرية المؤرخين أنهم أشركوا فى الخيانة تاج الدين أبا المعالى (٢) محمد بن الصلايا العلوى ناظر إربل ، ولقد قال ابن الفوطى يذكر المتوفين من الأعيان بعد وقعة بغداد (وتوفى تاج الدين أبو المعالى محمد بن الصلايا العلوى ناظر إربل ، قتل بجبل سياه كوه وكان قد قصد حضرة السلطان هولاكو بعد وقعة بغداد ليقر رحاله فأمر بقتله ، وكان كريما جوادا فاضلا متدينا يبالغ فى عقوبة من يفسد أو يشرب الخمر (٣) وليس عند المؤرخين دليل على خيانة ذلك الرجل العلوى الصالح واتهام ابن العلقمى ـ وان ورد فى تاريخ ابن خلدون وفوات الوفيات وتاريخ أبى الفداء وغيرها — فان مصدره واحد هو سوء الظن به والحقد عليه ، حتى أن ابن الفوطى لما كتب الحوادث الجامعة قال (ذكر من توفى من الأعيان بعد الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى فى جمادى الآخرة ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة : كان عالما فاضلا أديبا يحب العلماء ويسدى اليهم المعروف ، وتوفى علم الدين أحمد أخوه بعده) (٤) ووجد فى الحاشية تعليق على هذا القول صورته « الا أن خيانته لمخدومه تدل على سوء أصله » فان كانت مؤلفات ابن الفوطى بقيت على التسويد — كما ذكر العماد الحنبلى فى شذور الذهب — فيظهر لنا أن المؤلف قد أثرت فى نفسه أشاعة تهمة ابن العلقمى فاستدركها على نفسه مع عدم اقتناعه بصحتها فى أول التأليف ، وبقى هذا الاستدراك مشيراً الى ضعف الاتهام وصعوبة امره على الافهام.

ولم تكن حملة هولاكو على بغداد الا حملة صليبية شرقية ، فقد ذكر ابن العبرى أن المسيحية انتشرت بين المغول فى القرن السابع للهجرة ، وأن جنكيز خان قد أوحى اليه بمحاربة الدول المسلمة ، وأن امرأة هولاكو مسيحية ، ويتضح ذلك من كتاب هولاكو الى الملك الناصر ونصه كما فى مختصر الدول :

« يعلم الملك الناصر أننا نزلنا بغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف الله وأحضرنا مالكها وسألناه مسألتين فلم يجب سؤالنا ، فلذلك استوجب منا العذاب — كما قال فى قرآنكم — : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وصان المال ، فآل الدهر به إلى ما آل ، واستبدل بالنقوش النفيسة ، نقوشا معدنية خسيسة ، وكان ذلك ظاهر قوله تعالى : « ووجدوا ما عملوا حاضراً » ، إنا قد بلغنا بقوة الله الارادة ، ونحن بمعونة الله فى الزيادة ، ولا شك أنا نحن جند الله فى أرضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه ، فليكن لكم فى ما مضى معتبر ، وبما ذكرناه وقلناه مزدجر . . فان أنتم أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا . . . فالله عليكم يا ظالمون ، هيئوا للبلايا جلباباً ، وللرزايا أتراباً ، فقد أعذر من أنذر ، وأنصف من حذر ، لأنكم أكلتم الحرام وحنثتم بالأيمان ، وأظهرتم البدع واستحسنتم الفسق فأبشروا بالذل والهوان فاليوم تجـدون ما كنتم تعملون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، لقد ثبت عندكم أنا كفرة ، وثبت عندنا أنكم فجرة ، وسلطنا عليكم من بيده مقاليد الأمور مقدرة ، والاحكام مدبرة . . . فسارعوا الينا برد الجواب بتة ، قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ، وأنتم تعلمون ،

ونقلنا فى ماسبق من المقالة أن النصارى ببغداد سلموا من القتل والنهب والسلب وكل الأذى ، وعين لهم أمراء من المغول يحرسون بيوتهم ، وقال ابن الفوطى « وتقدم للجاثليق بسكنى دار علاء الدين الطبرسى الدويدار الكبير التى على شاطىء دجلة فسكنها ودق الناقوس على أعلاها واستولى على دار الفلك التى كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة ، وعلى الرباط البشيرى المجاور لها وهدم الكتابة

---

(١) الحوادث سنة ٦٥٦

(٢) ورد ذكره فى الفخرى وفى جامع التواريخ طبعة حب ص ٢٤٤ ، ٢٦١ وطبقات الشافعية «٥: ١١٠ — ١١٦» وكشف الغمة فى معرفة الأئمة ، وفوات الوفيات «٢: ٦٠ — ٧» وغيرها

(٣) الحوادث (٦٥٦) (٤) الحوادث سنة ٦٥٦

التى كانت على البابين وكتب عوضها بالسريانى » (١)

وقال فى أخبار من عين فى المراتب بعد الوقعة الهولاكية ببغداد « وعز الدين بن أبى الحديد كاتب السلة فلم تطل أيامه وتوفى ، ورتب عوضه ابن الجمل النصرانى » (٢) وعرض بهذه الغزوة الصليبية شمس الدين الكوفى إذ قال يرثى بنى العباس :

ربع الهداية أضحى بعد بعدهم   معطلا ودم الاسلام منسفك (٣)

ومما زاد شراسة هولاكو على المستعصم أن أحد أبناء عمه من السلاطين وهو بركة خان ، كان قبل وقعة بغداد قد أسلم وراسل الخليفة المستعصم وصادقه ؛ فاشتدت العداوة بينه وبين هولاكو من جهة السياسة والملك ، ومن جهة الاسلام والوثنية وحماية النصرانية ، وكان بركة خان مستولياً على شمال ارمينية وشمال جبال القبق (قفقاسية) ، فلما سمع بنكاية هولاكو جد فى محاربته وشرد بجنوده فى وقعات عدة ، كانت عاقبة أخراهن ان مات هولاكو كمداً وأسفا لانكسار جيوشه ، وانتفع مماليك مصر بهذه العداوة .(٤)

القاهرة   مصطفى جواد

---

(١) الحوادث سنة ٦٥٦

(٢) الحوادث سنة ٦٥٦

(٣) اسمه صفى الدولة سليمان

(٤) أخبار قازان وبلغار لـ « م م الرمزي »

٤ — ابن قلاقس

٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٢٢ م)

(تتمة)

أما ما صادفه من ممدوحيه فهو السعة والرخاء والعطاء الجم ، وان كنا لا نشك فى انه قد أصابه الاخفاق أحيانا كثيرة مما دعاه الى ان يقول :

وان ألمت بك الرزايا   او قرعت بابك الخطوب
فجانب الناس وادع من لا   تكشف إلا به الكروب
من يسأل الناس يحرموه   وسائل الله لا يخيب

ولا نشك كذلك فى ان الوشاة كثيرا ما كانوا يسعون بالافساد بينه وبين الممدوحين ، وكثيرا ما كان هو يتنصل من دعاويهم وأقاويلهم ، ويحسن بنا أن نورد قطعة صغيرة من نماذج شعره فى المدح ، قال :

وهنيئا له أبا القاسم الند   ب نهانى ، فما أقول الهناتا
هو بحر وما يكدره الحا   سد إن بات فيه يلتى القذاتا
ساقنى فضله فأسكننى الدو   ر وأسكنته أنا الابياتا
واقتسمنا ، فكان عارض غيث   عشت فى ظله وكنت النباتا
كرم ينجز العداة وسلطا   ن على رسمه ينبذ العداتا

أما غزل شاعرنا فهو أقل شعره جودة وجمالا : ذلك أنه قد تعمد فيه الأكثار من المحسنات اللفظية ، مما دعا إلى غرابة الشعر واحتياجه إلى فهم وتثبت وروية ، والغزل إن لم يكن معناه سريعا إلى القلب يسبق لفظه إلى الفهم يصبح ثقيلا على النفس ، ليس له حظ من جمال الشعر ، فضلا عن أن المعانى التى كان يجىء بها معان صغيرة لا تحتاج إلى كل هذا التكلف ، ويعد من أجمل ماقاله فى الغزل قوله :

سددوها من القدود رماحا   وانتضوها من الجفون صفاحا
بالها حالة من السلم حالت   فاستحالت ولا كفاح كفاحا
صح إذ أذرت العيون دماء   أنهم أثخنوا القلوب جراحا
عجبا للجفون ، وهى مراض   كيف تستأسر العيون الصحاحا
آه من موقف يود به المغ   رم لو مات قبله ، فاستراحا
وجناح النوى تضم ظباء   لم تخف فى دم الأسود جناحا

وهى تدلك على قصر باع شاعرنا فى فن الغزل ، وقد يكون ذلك

راجعا إلى أن عاطفته التي ينبعث منها الغزل كانت فقراء مجدبة ، إذ هو ليس إلا رجل عمل وأسفار .

أما الوصف فهو كثير فى شعره ، وهو يصف لك ما رآه وشاهده فى مصر وفى غيرها من تلك البلاد التى رحل اليها ، ولقد كان للنيل ولمنارة الاسكندرية حظ فى وصفه ، وهناك منظر من طبيعة مصر قد رسمه شعرا يوم قال :

أنظر الى الشمس فوق النيل غاربة ... واعجب لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبدت شعاعا منه يخلفها ... كأنما احترقت بالماء فى الغرق

وفى الحق انه منظر يثير فى النفس حب الجمال وحب الطبيعة . ذلك المنظر هو منظر غروب الشمس حيث تختفى وراء الأفق تاركة وراءها حمرة الشفق بازغا بعدها الهلال . كما كان لوصف أسفاره ، ووصف مراكبه فى تلك الأسفار حظ أى حظ فى شعره : فوصف لنا الفرس ، ووصف لنا السفينة ، ووصف لنا ما كان يلاقيه فى سفره ، ولعل من أجمل ما قاله فى الوصف تلك القصيدة التى يصف لنا فيها سفرة من أسفاره ، ويحدثنا عن البحر وهدوته ثم عصفه وارعاده ، ثم يعطف على السفينة فيصفها ، ثم على إخوانه فيتشوق اليهم ، قال :

لو لم يحرم على الأيام انجادى ... ما واصلت بين اتهامى وانجادى
طوراً أطير مع الحيتان فى لجج ... وتارة فى الفيافى بين آساد
والناس كثر ولكن لا يقدر لى ... الا مصاحبة الملاح والحادى
أقلعت والبحر قد لانت شكائمه ... حداً ، وأقلع عن موج وإزباد
فعاد لا عاد ذا ريح مدمرة ... كأنها أخت تلك الريح فى عاد
ونحن فى منزل يسرى بساكنه ... فاسمع حديث مقيم داره غادى
لا يستقر لنا جنب بمضجعه ... كأن حالاتنا حالات عباد
فكم يصعر خد غير منصعر ... وكم يخر جبين غير سجاد .. الخ

أما حين يحدثنا عن الطبيعة ويصفها فهو يشعرك أنه تلميذ لابن المعتز لكثرة تشبيهاته وتضمين معانيه . وان شئت أن تتأكد من ذلك فاقرأ قوله .

سرت وجبين الجو بالطل يرشح
وثوب الغوادى بالبروق موشح
وفى طى أبراد النسيم خميلة ... بأعطافها نور الربا يتفتح
تضاحك فى مسرى العواصف عارضا
مدامعه فى وجنة الروض تسفح
وتورى به كف الصبا زند بارق ... شرارته فى فحمة الليل تقدح
تفرس منها البدر فى متن أشقر ... يلاعب عطفيه النسيم فيمرح

باقى أغراض الشعر التى طرقها قليلة ، ولكنه فى هجائه قصير موجع بالرغم من ندرة الهجاء فى شعره ، ورثاؤه قليل كذلك ، وهو لا ينسى فيه المحسنات اللفظية والجمال البديعى ، أما عتابه فقليل كذلك ، وهو يشتد ويوجع فيه ثم يلين ويرق ، بعد أن يكون قد أوجع ، واسمعه يعاتب :

أقبل بوجهك إنى عنك منصرف ... فما أقول لسؤالى ؟ وما أصف؟
خدعت فىّ وغرتك الضراعة بى ... ومال تيهابك الاعجاب والصلف
وكان من سيئاتى أننى أبداً ... إليك فى سائر الحالات أختلف

إلى أن قال :

أنت الكريم وقد قال الألى مثلا
إن الكرام إذا ما استعطفوا عطفوا
متى أقول : صباح لاح شارقه
فضم رحلك وارحل أيها السدف

تلك أهم أغراض الشعر التى طرقها ابن قلاقس

لم يعمر شاعرنا طويلا كما ذكرت ، بل مات وهو فى سن الخامسة والثلاثين ، ويخيل الى أن الهرم أصابه سريعا حتى صح له أن يقول وهو فى سن الثلاثين

مدت الى الأربعون يداً وقد ... قهرت عشرا

فكنت تراه فى سن الثلاثين كأنه قد أوفى على الاربعين ، ولعل الشيب قد لحقه سريعا ، فمضى يذم الشيب ويتحسر على فقد الشباب شأن كل شاب يريد أن يتمتع بالحياة فيلحقه الشيب ويغير على لمته ؟

احمد احمد بدوى
المدرس المندب بثانوية نابلس

من طرائف الشعر

الضمير

قطعة اخرى من روائع الأستاذ أحمد الزين

لا تسلنى عن صاحبى ونصيرى   لم أجد لى فى الدهر غيرَ ضميرى
صاحبٌ أمرُه لدىّ مطاعٌ   يالهُ من مصاحب وأمـــير
هو صوت السماء فى عالَم الأر   ض وروحٌ من اللطيف الخبير
وشعاعٌ تذوب تحت سناه   خدعُ العيش من رياءٍ وزور
هو سرٌ يحار فى كنهه اللبْ   بُ وتعيا به قوَى التفكير
مبلغُ العلم أنه روحُ خير   باطنُ الشخص ظاهرُ التأثير
كلُّ حىٍّ عليه منه رقيبٌ   حلَّ من قلبه مكانَ الشعور
حل حيث الأهواء تزوى الأنا   م وتهوى الى مهاوى الشرور
جامحات أعيت على الدين كبحاً   رغمَ إنذارها بسوء المصير
ثم صاح الضميرُ فيها نذيراً   فأصاخت الى صياح النذير
هو روحٌ من الملائك يسمو   بسليل الثرى لعالَم نور
قد تولّت بالأنبياء عصورٌ   وهو باقٍ على توالى العصور
حافظاً فى الزمان ما خلفوه   قائماً فى الصدور بالتذكير
حاملا من شرائع الخير كتْباً   قد نسّخنَ من صحائفٍ وسطور
ليس يعفو عن الهناة وإن ها   نت مليحٌ فى اللوم والتعذير
هو إن شئت كان جنّةَ خلدٍ   وإذا شئتَ كان نار السعير
عاجلُ الشرِّ وهو يأمر بالخيـ   ر قديرٌ لم يعفُ عفوَ القدير
فتحصَّنْ ما شئت منه فلا ينـ   جيك حصنٌ من شره المستطير
هو مثلُ القضاء يغشاك لا تعـ   ييه لو كنتَ فى خوافى النسور
وتضرَّعْ بما تشاء فلن تجـ   دى نفعاً ضراعة المستجير
لا تحاولْ خداعه بالمعاذيـ   ر فليس المسىء بالمعـذور
لا تجادلْ فى حكمه فهو حتم   لا يُردّ الذى قضى من أمور
لا يدارى ولا يداجى صديقاً   ناقدٌ للأمور نقـــدَ بصير
مرهَف الحِس ليس يُعييه غيبٌ   يَسمع الهمس فى حنايا الصدور
يبذلُ النصحَ لا يمنّ بما يُسـ   دى ولا يبتغى ثناء شكور
لم يدَعنى الى هوى النفس فى الأمـ   ر ولم يستعن برأى مشير
ليس لى دونه من الرأى إلاّ   ما يراه الهوى بعين الغرور
كم حملتُ الآلامَ فيه وسخط النـ   اس حتى فقدتُ ودَّ عشيرى
ليس يزكو غرسُ المودّة فى النا   س بغير النفاق والتغرير
لم يدَعْ لى صدقُ المقال صديقاً   فلأعِشْ قانعاً بودّ ضميرى

أطلَّ من حرم الرؤيا فعزانى

مهداة الى روح الدكتور أديب مطر

للشاعر اللبنانى بدوى الجبل

منـازل الخلد لا أرباع لبنان   وفتنة السحر لا آيات فنان
جنان لبنان حسبى منك وارفة   فيها الديان من روح وريحان
شب النبيون فى أفيائها وحبت   فيها خيالات إنجيل وقرآن
يغفو بها الفجر فى أحضان مورقة   مديدة الظل سكرى الآس والبان
سقته من خمرها قبل الكرى عللا   فبعض أحلامه أحلام سكران
ودعدغته فللاغصان هينمة   كأنها بث غيران لغيران
ومانته حتى راعه وهج   والشمس حلى ربى خضر وافنان

صحبت فيك شبابى والهوى ومنى   لعس الشفاه وظلا غير صديان
فأسعفى نعمة النسيان تغمرنى   عسى يخفف من بلواى نسيانى
أمسيت لا الصعر المعسول أسعدنى   ولا الجنون جنون الحب واتانى
ألح بى السقم حتى لا يفارقنى   وراح ينسج قبل الشيب أكفانى
عفٌّ على نزوات النفس جامحة   إلا اهتزاز خليع الحسن نشوان
وصبوة للعيون النجل هائمة   من الشباب بظل العاطف الحانى
يثير بى كل حسن فتنة وهوى   فما أمر بماء غير صديان
ويا ربى الحسن فى لبنان هل عريت   مخضلة الدوح من ظل وأغصان
ومن لباناتى السكرى مصرعة   من الونى بين أفياء وأفنان
ويا ربى الحسن هل من نفحة حملـ   شذا الهوى لصادى القلب حران

وهل صباك نموم العطر ناقلة ... بعدى أحاديث أذيال وأردان
ويارُبى الحسن فى لبنان هل نُملت ... بعدى الرياحين من صهباء نيسان
ويارُبى الحسن فى لبنان ما انبسطت ... يمنى الهجير على افياء لبنان
مدى ظلالك ينعم فى غلائلها ... صرعى الردى من أحبائى واخوانى
الناعمين بظل الارز ينشدهم ... رواية الدهر فى نعمى سليمان
أما البلابل فلتؤنس قبورهم ... من كل ثاكلة فى الدوح مرنان
أعيذ بالحب والذكرى هوى نفر ... بيض الوجوه من النعماء غران

قد صور الوحى ألوان النعيم على ... مثال مافيك من حسن وألوان
خيال ولدانه والحور منبعث ... عن فيض سحرك فى حور وولدان
وزاد فيها خلودا ماعنيت به ... أشهى الامانى فى حكم الهوى الغانى
لايعذب الوصل إلا أن يخامره ... خوف المحبين من نأى وهجران
ولا هناء بنعمى لاتخاف لها ... فقدا ولا نبتلى منها بحرمان
لو يعلمون هنات النفس ماخلعوا ... قدس الخلود على نعمى وأحزان
فالنفس موحشة من رغبة وهوى ... نعمى الجنان وبؤسى النارسيان
وأصبح الكون لغوا لاحياة به ... من رغبة فى مجاليه وغنيان
ماللخلود وما للحسن يزعمه ... هيهات عرى من حسن واتقان
يضفى الجمال على الايام مقتدرا ... من «التحول» ذو عز وسلطان
غنى له الكون مأخوذا بفتنته ... من أنجم ومكانات وأزمان
وعاطفات وأرواح وأخيلة ... تغزو الوجود وآراء وأديان
وربما فقهت من أمره عجبا ... قبل الهداة عصا موسى بن عمران
كفرت بالروح بعد الريب آونة ... وكان زلفى الى نجواه كفرانى
ورحت أعبده بالحان مجانيا ... آيات قدرته فى خمرة الحان
وقرب القوم ماشاءوا لمذبحه ... فما تقبل منهم غير قربانى
أعلنت حين أسروا أمرهم فرقا ... يابعد مابين إسرار وإعلان

إن الخلود وما تروى مزاعمهم ... عن السعادة فى الاخرى نقيضان
ان الفراديس فى سر الخلود غدت ... وكل آو اليها رازح وان
مل المقيمون فيها من هناءتهم ... كما يمل السقام المدنف العانى
تمضى العصور عليهم وهى واحدة ... أليوم كالامس فيها ضاحك هانى
تزجى السآمة تفكيراً وعاطفة ... إلى عقول وأهواء ووجدان
لايرقبون جديداً فى خلودهم ... لرث من قدم العهد الجديدان
ولايحبون لكن تلك طائفة ... من ماجنات خليعات ومجان
ولا يناجون فى أحلامهم أملا ... محببا بين إنكار وإيقان

ولايحسون لاحرنا ولا جذلا ... فالقوم مابين مشدوه وسهوان
ياشقوة النفس تخلو بعد أن عمرت ... من حسرة ولبانات وأضغان
وصبغة القلب لاتأوى إليه منى ... كالنحل تاخذ من روض وبستان

من كل من أبلت الادهار جدته ... فما يحركه إحماض رضوان
ينادم الحور لكن غير مغتبط ... ويشرب الراح لكن غير ظمآن
لود فى كل ماتجريه من عسل ... ومن خمور ومن در وعقيان
هنيهة من شقاء يطمئن بها ... إلى مناجاة آلام وأشجان
اذا تذكر دنياه هفا ولها ... إلى حبيب وصهباء وندمان
وراح يبحث فى المجهول عن أمل ... وعن شفاء وعن أهل وخلان
لعل بين زوايا النفس قد تركت ... ثمالة من حابات وتحنان
أما العوانى فصحر لايحركها ... نجوى محب ولا تدليل ولهان
لاتعرف الحب الا محض تلبية ... لعابرين من الابرار فتيان
ولا تحن إلى روح وعاطفة ... فالحب فى ملكوت الخلد جثمانى
خبا لهيب المنى فى روحها فغدت ... وحسبها فى حلاه حسن أوثان
جنى الخلود عليها فهى شاكية ... إلى الانوثة ذاك الخائن الجانى

وللخلود على أهل الجحيم يد ... تجزى على الدهر إحسانا باحسان
الكافرون لطول العهد قد ألفوا ... بقاعها نضج أرواح وابدان
وقد تزف بها والحفل محتشد ... سجينة من ضحاياها لسجان
فأصبحت وهى من ماء ومن مدر ... شيطانة تتصبى كل شيطان
وربما صحبوا فيها زبانية ... بعهد القلى ـ إلف أخدان لأخدان
لايألمون ولاتشكو جسومهم ... من اللظى فهى نيران بنيران

مليحة الدل من غسان لابليت ... شمائل الصيد من أقيال غسان
أتأذنين بانشاد فما جليت ... الا لحسنك أشعارى وأوزانى
طوفت فى هذه الدنيا على دهل ... طواف أشعث ماضى العزم يقظان
تظلنى مصر أحيانا وآونة ... أعاقر الكأس فى جنات بغدان
وقد صحبت شعوب الأرض من عرب ... شم الأنوف إلى روم وكلدان
مفتشا عن «عزاء النفس» لالعبى ... أدى اليه ولا حلى وعرفانى
مسائلا عنه حتى قد عييت به ... ارث الفلاسف من هند ويونان
فما رأيت له عينا ولا أثراً ... ولا أفاد طوافى غير خذلانى
اذا ندبت جهودى وهى ضائعة ... أطل من حرم الرؤيا فعزانى
ثم انثنيت وركبى جد متئد ... من الونى ورفيقى جند حيران

واليد أوسع من صدر الحليم مدى   وللسراب بها آلاف غدران
ظمأى حيارى وخلف الركب طائفة   حمر اللواحظ من أسد وذئبان
فأيقن القوم بالجلى وقد صمتوا   لهيبة الموت وهو المقبل الدانى
حتى اذا اليأس لم تترك مرارته   الا بقيــــة صبر غير خزيان
لاحت خيامك بالصحراء مونقة   أبهى وأزين من عرش وايوان
فكبر الركب مرتاحا الى امل   عذب انجاجة حالى الوشى ريان
مبادراً للظلال الخضر قد كسيت   شير ورد ونمـــام وسوسان
فما فتحت جفونى وهى دامية   من الرمال . أعان الله أجفانى
حتى لمحتك خلف السجف ضاحكة   إلى حوار وحجاب وغلمان
فقرت النفس لا شكوى ولا تعب   ولا لحاجة إيمان وسكران
وأبصرت بعد طول البحث غايتها   فأذعنت لهـــداها أى إذعان
فقبلت شفة حمراء داميــــة   واهتز من نشوات اللثم نهدان
سر السعادة فى الدنيا وإن خفيت   تحلوه منك على الاكوان عينان
آمنت بالحب ما شاءت عذوبته   آمنت بالحب. فهو الهادم البانى

بدوى الجبل

السائلة الحسناء

قربت حسناء منى وذدت   وهى فى ثوب من الاسمال بال
لحنى عينها عن كثب   فأنت تطمع منى فى النوال
سألتنى درهمـــا فى ذلة   قلت صونى الحسن عن هذا السؤال
بسؤال الناس قد أرخصته   إن هذا الحسن ـ لو تدرين ـ غال
لم أكد أنطق حتى أطرقت   وجرى فى خدها الدمع وسال
ثم قالت وهى ترنو فى أسى   أيها اللائم أشفق فى المقال
يعلـــم الله بانى صنته   لم أفرط أبدا فيه بحال
صنته جهـــدى وما أرخصته   إنما قد أرخص الفقر الجمال

محمد برهام

الحمـــد لله !

للســـيدة منيرة توفيق

فتيات مصر تحيــــة   أنتن ربات العـــزائم
إنى أدين بعطفكـ   ـن ، وشكركن على لازم
شكرى الى « خيرية »   و « لناهد » ذات المكارم
قد شــدتنا أزرى ، فيا   لبراعتــين من الصوارم !
واهتاجتا فسمعت زأ   ر الأسد فى سجع الحمائم
سرب الظبى شهر الظبى   فى وجه جندى الملاحم
وهناك حين رأى الوغى   ألقى السلاح ولم يقاوم
فأتى إلى يمــد كفـ   ـف مصافح يمنح مسالم
ومضى يجدد عهدنا الـ   ـماضى . وصفو العيش قائم
والحر يرجع حـــين يعـ   ـلم أنه فى الحق آثم
يا سيـــداتى الفضليـا   ت لكن حق الشكر دائم
قد عاد لى زوجى الكر   يم ، وجاء يقرع سن نادم
من بعــــد ما قدرت أ   ن رجوعه أضغاث حالم
هى عضبـــة بحرية   أدت الى حسن الخواتم
فعلت به ما ليس تفـ   ـعـــله العزائم والتمائم
فليطمــــئن اليـــوم فى   دار الخلود (أمين قاسم)
وليهنأ النيـــل العظيـ   ـم بما لديه من كرائم
أنتن ذخر النيــل فى   يوم العزائم للعظـــائم
والله يشكر سعيكـ   ـن لرد أنواع المظالم

اللقـاء الصامت

أيقنت أنك مثلى جد مولعة   يوم اللقاء فزال الخطب أو هانا
قد كنت أخشى بعادى يوم فرقتنا   لكن حمدت بعادى يوم لقيانا
شربت فيه كؤوس الهم مترعة   وذقت فيه من التسهيد ألوانا
حتى اذا كان يوم العيد عاودنى   بشرى كأن لم يكن فى العدم ما كانا
ونحن إن لم يخل العرف أعيننا   فحسبنا العين فى تخفيف بلوانا

محمد مصطفى الطحلاوى

منطق الطير

القصـــة الصوفية الخالدة

للدكتور عبد الوهاب عزام

فريد الدين العطار، شاعر صوفى عظيم من شعراء القرن السادس الهجرى. وهو أحد الثلاثة الذين انتهت اليهم الامامة بين شعراء الفرس المتصوفين، والآخران مجد الدين سنائى الغزنوى، ومولانا جلال الدين الرومى

وللعطار من المنظومات الصوفية زهاء أربعين، بعضها يحتوى على عشرة آلاف بيت وهو أحد المؤلفين الذين حالت كثرة مؤلفاتهم دون معرفة آثارهم معرفة بينة.

وأعظم منظوماته وأشهرها وأدخلها فى الشعر: منظومة سماها «منطق الطير» وتعرف أحيانا باسم «هفت وادى» اى سبعة الأودية. وهى زهاء ٤٦٠٠ بيت، يقص فيها اجتماع الطير وتساؤلها عن ملكها وتعريف الهدهد اياها بهذا الملك ومكانه ووصفه الطريق اليه، ثم توليه قيادة الطير الى حيث السيمرغ الساكن وراء جبل قاف، واجتيازه بها سبعة أودية، وما أصاب سفر الطير حتى بلغ غايته ويتخلل هذا قصص عديدة يتصل بها السياق، ويبين بها بعض مقاصده.

وأنا أجمل لقراء الرسالة هذه القصة على طولها فى صفحات قليلة، وعسى أن أستطيع من بعد نقلها كلها الى اللغة العربية

يبدأ العطار كتابه بحمد الله وتمجيده والثناء عليه، بكلمات هى غاية ما بلغته فلسفة الصوفية، ثم يثنى بفصل عنوانه «نعت سيد المرسلين وخاتم النبيين» يطيل فيه ما شاءت بلاغته وايمانه، ثم يثلث بمدح الخلفاء الراشدين على نسقهم فى الخلافة، وينعى على أهل العصبية الذين يفرقون بين صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكر ست قصص لتأييد رأيه

ثم يشرع فى مقصوده بعد هذه المقدمة التى تستغرق ستمائة بيت ويعالج الموضوع فى خمس وأربعين مقالا وخاتمة

يبدأ بوصف اجتماع الطير، ويذكر فيما يذكر منها الهدهد والببغاء، والدراج والبلبل والطاوس، والفاختة والقمرى والبازى. ويصف شكل كل طائر وطباعه.

اجتمعت الطير فتشاكت ما هى فيه من الفرقة والفوضى، وفقد رئيس يجمع كلمتها ويهديها السبيل، على حين لا تخلو أمة من ملك. فانبرى الهدهد يخطب فيذكر خبرته واعتزاله الناس، وجده فى طلب الحق، وصحبته سليمان بن داود، وأنه طوف الأرض سهلها وحزنها، وخبر قاصيها ودانيها. ثم قال: عرفت أن لنا ملكا، ولكن عجزت عن المسير اليه وحدى، فان تعاونا استطعنا أن نبلغ مكانه. إن لنا ملكا اسمه سيمرغ وراء جبل اسمه جبل قاف، هو منا قريب ونحن بعيدون. هو فى حرم جلاله لا يحيط البيان بوصفه، ودونه آلاف من الحجب — واستمر الهدهد يفيض فى وصف السيمرغ حتى راع السامعين بيانه. قال: وأول عهد الناس به أنه كان طائرا فى ظلمات الليل فوق بلاد الصين، فسقطت من جناحه ريشة، فقامت قيامة الامم، وأعجب الناس بما فيها من الألوان العجيبة والنقش، وتعلم كل منها فنا. ولا تزال هذه الريشة فى الصين، ومن أجل هذا جاء فى الأثر. (أطلبوا العلم ولو فى الصين) ولو لم يظهر فى هذا العالم نقش هذه الريشة ما كان فى العالم أحد منكن أيتها الطير.

فلما سمعت الطير بيان الهدهد، هاجها الشوق الى السيمرغ وأزمعت الرحلة اليه، ثم ذكرت ما فى الطريق من أهوال فبدا لبعضهن أن يؤثر العافية، فادعى كل لنفسه عذرا:

قال البلبل: انا إمام العاشقين، ملأت القلوب وجدا بأغاريدى، فكيف أستطيع مفارقة حبيبى الورد.

وقالت الببغاء: ان جمال هذا الريش أغرى بى الناس، فحبسونى فى الاقفاص، فقاسيت الغم الطويل والألم الممض، حسبى ما قاسيت على انى لا أستطيع ان أطير تحت جناح السيمرغ.

وقال الطاوس كنت مع آدم فى الجنة فطردت منها، وكل همى أن أعود اليها ولست بعد قادرا على مصاحبة السيمرغ

ويذكر البط طهارته وعيشه فى الماء وزهده، ويعتذر بأنه لا يستطيع مفارقة الماء والعيش على اليبس. ويعتذر الحجل بانه ألف الجبال فلا يستطيع أن يبرحها. وتعتذر الصعوة بضعفها، والبازى بأنه لا يود أن يترك مكانه من أيدى الملوك. وهلم جرا

يحدل الهدهد هده الطيور و يردعليها أعذارها ، و يرشدها الى الخير ، ولا يألو فى النصح لها . فتطيف الطيور بالهدهد تسأله : كيف يقطع هذا الطريق البعيد ، وما ذا يصلنا بهذا الملك العظيم ، فى أسئلة كثيرة ، فيو بخهن على التوانى فى الطلب ، والركون إلى الدعـة ، والوجل من لقاء الشدائد . ثم يقول مبينا نسبة الطير الى السيمرغ انه تجلى كالشمس من وراء الحجب ، فبدت آلاف الظلال على الأرض وما الطير الا هذه الظلال . ثم يقول : ان العشق اذا صدق استهان العاشق كل شيء فى سبيله ، واقتحم كل عقبة الى حبيبه .

(وهنا يستطرد الشاعر الى قصة الشيخ صنعان الذى أخرجه العشق عن طوره وهى قصة عجيبة تستغرق أكثر من ٢٠٠ بيت ولا يتسع لها المجال هنا ، ولا يحسن اجمالها)

هـ حت الطير شوقا ، وأجمعت على أنه لابد لها من أمير تطيعه على اليسر والعسر ، واتفقت على أن يقرع بينها ، فأصابت القرعة أجدرها بالامارة وهو الهدهد .

فوضع التاج على رأسه وتقدم ، واجتمعت اليه أسراب الطيور فأشرف بها على طريق موحشة مقفرة ، فسأله سائل : ما لهذي الطريق مقفرة ؟ قال ان الناس تحموها اشفاقا وخوفا وحكى أن أبا يزيد البسطامى خرج الى البرية فى ليلة مقمرة والناس نيام ، فراقه جمال الليل وتهويده . وعجب كيف خلا هذا المقام من المشتاقين ، فسمع مناديا يناديه ، ان الملك لا يأذن لكل انسان أن يسلك طريقه ، وأن عزتنا أبعدت السائلين عن بابنا .

ثم تقدمت الطير « فرأت طريقا ولا غاية ، والما ولا دواء ، هنالك تهب ريح الاستغناء ، فينحنى لها ظهر السماء ، هنالك صحراء لايعبأ فيها بطاوس الملك ، فكيف بطير هذه الدنيا (١) »

فلما هال الطير مارأت ، حفت من حول الهدهد فقالت : إنك طوفت فى الآفاق وعرفت كل شيء ، فارق المنبر لنسالك عما حاك فى صدورنا ، فلا بد أن نطهر قلوبنا من الريبة . صعد الهدهد وشدا بعض الطير بالحان هاجت الطير وأذهلتها . ثم توالت الاسئلة فكان أول سؤال أن قال طائر : أخبرنى أيها الامام كيف فضلتنا جميعا وكيف كان هذا التفاوت بيننا وبينك ؟ قال الهدهد : منحتنى هـذه الدولة نظرة من الملك . إنها دولة لاتنال بالطاعة ، فكم أطاع ابليس . لاأقول إن الطاعة لاتجب ، فعليك الطاعة . لاتفتر عنها ساعة ولكن لاتقدمها ثمنا . إمض عمرك فى الطاعات حتى تصيبك من سليمان نظرة . ثم سئل الهدهد عشرين سؤالا أجاب عنها مفصلا مسهبا ضاربا الأمثال . وكان السؤال التاسع عشر : ما الهدية اللائقة بتلك الحضرة التى نؤمها . وكان جواب الهدهد : لاتحمل شيئا مما لك كل شيء ، وليس خيرا لك من الطاعة والعشق .

والسؤال العشرون يفتح القسم الثانى من الكتاب ، وهو الذى يصف الأودية السبعة التى تعترض السائرين الى حضرة السيمرغ : سأل سائل ، كم فرسخا مسافة هذه الطريق . قال الهدهد : أمامنا سبعة أودية لانعرف مسافاتها ، لأن أحداً لم يرجع منها فيخبر عنها . أمامنا أودية الطلب ، والعشق ، والمعرفة ، والاستغناء ، والتوحيد ، والحيرة ، والفقر والفناء .

البقية فى العدد الآتى

عبد الوهاب عزام

(١) يتخيل شعراء الفرس أن السماء فى مظهرها المقبب منحنية أو ساجدة خشية ، وكذلك يسمون الفلك أسماء كثيرة منها الطاوس لكثرة ما يبدو فيه من ألوان



فى البحوث الروحيـــة

للاستاذ عبد المغنى على حسين

خريج جامعة برمنجهام

— ٣ —

أمامى الآن ذلك الكتاب الصغير « كيف ثبت لى خلود النفس البشرية » لذلك العالم الكبير « سر ألفر لدج » . كتاب خليق بأن يفتح لرجال العلم ميدان بحث جديد لا يمكن التكهن بمدى اتساعه ، فهو يلفت النظر بشدة الى حقيقة كبرى ، تتراءى من وراء ظواهر غامضة ، لم يلتفت اليها العلم حتى الآن لما يحف بها من دجل يبدو معه البحث فيها عاراً ومنقصة .

لقد كمن الرجل فى ظل العلم بشتى الصور فى كل العصور . وقديماً بينما كان آباء الكيمياء الحديثة — جابر بن حيان الصوفى ، وأبو بكر الرازى ومن أخذ عنهما من الفرنج — يستنبطون المركبات الجديدة ، ويستقطرون الزيوت والحوامض ، كان أخوهم الدجال ، يزور عباد المال موهماً إياهم باسم الكيميا أن فى مقدوره قلب رصاصهم ذهبا ، ثم يذهب عنهم وقد استلب ما كان لديهم من ذهب وترك رصاصهم كما هو ، فينتبهون بعد فوات الوقت الى أن الذى يعرف سر صنع الذهب من الرصاص لا يكون بحاجة لعرض خدماته على الناس .

ولكن اذا اجتمع العلم والدجل فى ميدان ، فهل للعلم أن يهرب ؟ كلا . بل عليه أن يغزو .

سلخ لدج فى بحوثه تلك زهاء الأربعين عاما ، وكون فيها رأياً نهائيا لم يتحول عنه قيد أنملة منذ كونه ، ولم يفرط فى اذاعته وبسطه بمختلف التواليف فى صراحة تامة ، ومع شىء من التضحية أيضا ، فقد تعرض اسمه الضخم للتجريح ، وعقله الكبير للاتهام .

قلب معى صفحات تاريخ العلم الحديث . هل ترى نظرية ضخمة جاءت وليدة ساعة أو يوم ؟ من المعلوم المشهور أن دارون قضى عشرين عاما تختمر نظريته فى ذهنه ، وهو يقدم على البوح بها ثم يحجم ، ولما أذاعها أخيراً قوبلت بوجوه مستطيلة ، وأفواه فاغرة ، ولم تتخذ سبيلها الى عقول الناس بعد اذاعتها إلا ببطء شديد ، ولا يزال لها الى اليوم أعداء متحمسون .

أغلب الظن أننا اليوم أمام نظرية علمية جديدة من هذا الوزن الثقيل ، سيتفسر بها الكثير مما يحير اللب اليوم ، وحيره فى كل العصور ، بل ربما أفضت الى تفسير كل شىء على أساس جديد . نظرية روحية سيقال إن بطلها ألفر لدج . والحقيقة أن النظرية الضخمة لا يتفرد بتشييدها عادة عقل واحد مهما تجبر ، وهذه النظرية قد ساهم فيها آخرون لن تكون جهودهم منسية ، نخص بالذكر منهم « كروكس » و « ولاس » من علماء الجيل السابق ، والعالم الفرنسى المعاصر « شارل ريشيه » .

ولكن اذا كانت هناك حقيقة ظواهر من هذا النوع ، ينتفى عنها الدجل ، وتشعر بأقل أمل فى الوصول إلى كشف خطير كالذى يجاهر به لدج ، فلماذا نرى جمهور رجال العلم يغمضون عنها عيونهم ، ويضعون أصابعهم فى آذانهم كلما صاح فيهم لدج وأهاب بهم ؟ هل يعقل أن يوجد ميدان بحث كهذا ، جليل النفع ، خطير الغاية ثم لا يلجه من العلماء الا الشاذ النادر ، وترفض الاعتراف به المجامع العلمية ، وتظل قاعات البحث فى الجامعات خالية من كل أثر له ؟ لقد عهدنا رجال العلم ككلاب الصيد ، تشتم ريح الفريسة من بعيد ، فلماذا نرى منهم البرود والجمود فى هذا الموضوع ؟

هى حال غريبة حقا . ولكن يظهر أن صيحات لدج قد بدأ صداها يدوى فى الآفاق العلمية . فقد جاء فى عدد ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣ من مجلة نايتشر (nature) الانجليزية (مجلة علمية يعرفها كل مشتغل بالعلوم تمثل الرأى العام العلمى أصدق تمثيل) مقال من قلم التحرير الذى يرأسه (سر رتشارد غريغورى) بعنوان (العلم والبحوث الروحية) نقتطف منه مايلى : —

(إن الظواهر غير العادية ، التى تشاهد فى حالة النوم المغنطيسى وفى حالات التحول والكتابة الأوتوماتيكية ونحوها ، قد أصبحت الآن جديرة بثبات الباحثين من حملة الدرجات الجامعية . . . . إن الحاجة إلى البحث الصريح الجرئ فى تلك الظواهر لتزداد يوما عن يوم . . . من الواضح الجلى أن تبعة عدم الوصول إلى تعليل لتلك الظواهر تقع على عاتق الهيئات العلمية الرسمية . . . تلك الظواهر الغامضة الخارقة للمادة قد أصبحت من مواد البحث الجدى فى كثير من المراكز العلمية بأوربا وأمريكا ، وقد حان الوقت على ما نظن لأن نعد العدة لمثل هذا البحث فى بريطانيا . . . لا يتسرب إلى الذهن أن أى خدمة تعترف بهذا الموضوع الواسع الغامض ، ستجد فى الخطوة التى خطتها مساسا بكرامتها ، بل بالعكس ، ستكون إرادتها الحرة فى خدمة نحو تقدمه سببا فى ازدياد قدرها كمركز للتقدم المستنير .)

نعمة جديدة : واتجاه فيه الخير حتما ، سواء أفضى إلى النتيجة المتوقعة أم إلى غيرها ، لأن نتائج البحث العلمى الصحيح لها دائما قيمتها . والآن نورد مثالا من المشاهدات التى تعرض كثيرا للعلماء القليلين المشتغلين اليوم بهذه البحوث .

فى سنة ١٩٠٣ تلقى البروفسور ألفرد لدج من صديقه الأستاذ شارل ريشيه رسالة فحواها أنه فى الليلة التى قتلت فيها ملكة الصرب وأخواها فى بلغراد كان الأستاذ ريشيه مجتمعا بوسيط وبعض الأصدقاء فى جلسة روحية بباريس ، وكانت حروف الهجاء تملى عليهم بطرقات على المائدة . فبعد ورود عدد من الرسائل العادية بدا من القوة المتسلطة على المائدة اهتمام وإلحاح ، وأمليت الحروف الآتية بطرقات أعلى من المعتاد Bancalamo عندئذ توقع ريشيه أن تكون الرسالة باللاتينية ، واستمر الأملاء وجاءت الحروف الآتية Rtgu ، ولم يجد ريشيه فى الرسالة أى معنى ، ولكنه استمر فى التدوين آليا ، وكانت الحروف الباقية Ettefamille ولم يكن يفهم من هذه الرسالة سوى أنها تشير إلى عائلة ما . ثم لاحظ ريشيه بعد ذلك أنه يمكن تقطيعها إلى كلمات هكذا (Banca La Mort Guette Famille)

(بانكا . الموت كامن للعائلة .)

هذه الرسالة وردت فى يوم الأربعاء ١٠ يونية سنة ١٩٠٣ الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ مساء . وبعد يومين كانت الصحف الفرنسية غاصة بخبر مقتل الملك اسكندر وزوجته الملكة (دراجا) وأخويها فى بلغراد . ومن بين ما ذكرته الصحف ان والد الملكة توفى من عهد غير بعيد وكان اسمه Pança (بانسا) وقد دهش الأستاذ ريشيه عند ما رأى هذا الأسم فى الصحف . ولاحظ اتفاقه مع الكلمة الأولى غير المفهومة فى الرسالة Banca والخطأ الوحيد هو أملاء B بدلا من P

وبالبحث علم ريشيه أن القتل حدث بعد منتصف الليل ببلغراد ، فهو فى وقت ورود الرسالة لم يكن قد وقع بعد . ثم علم ريشيه أن الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ بباريس توافق منتصف الليل فى بلغراد . وهو الوقت الذى غادر فيه الثلة فندق لاكرون دى سربيا ، لارتكاب الجريمة المروعة . إذن فكلمة Guette تناسب الظروف تماما ، إذ تشعر بنفس يتحفز للوثوب على فأر . ولم تكن لتناسب الظرف لو أن الرسالة وردت بعد حدوث القتل ، أو وردت قبله بزمن طويل .

وفى يوم الخميس ١١ يونية الساعة ٢ مساء ورد الخبر إلى باريس ولم يطلع ريشيه على تفاصيله إلا يوم الجمعة .

تلك هى الرسالة وظروفها . والطريقة التى أحدث بها تعد أبسط تجربة روحية . وهى أن يجلس عدد من الأصدقاء أو الأقارب حول منضدة : ويكون بينهم وسيط ، ثم يضعوا أيديهم على المنضدة بخفة . فتسمع على المنضدة طرقات لا شأن لأى واحد من الحاضرين بأحداثها . عندئذ تتلى الحروف الأبجدية فتسمع طرقة عند النطق بكل حرف ماعدا الحرف المراد إملاؤه ، فيدون ، وبعد الانتهاء تقسم الحروف الى كلمات .

كيف نعلل حدوث هذا الطرق على المائدة ؟ أقرب تعليل له هو أن الوسيط يحدثه بطريقة شعوذية لا يتبينها الحاضرون . ولكن لو سلمنا بأن الوسيط هو الذى يحدثه عمدا ، كيف نعلل ورود رسالة كهذه التى ذكرناها ؟ كيف علم الوسيط بوجود المؤامرة لاغتيال الأسرة المقتولة وحلول وقت التنفيذ ؟ إن سر هذه المؤامرة كان بطبيعة الحال مصونا أشد صيانة ، ولولا ذلك لحبطت ، فبعيد أن يكون الوسيط على علم بها وهو فى باريس .

يعلل لدج هذه الظاهرة بأن واحداً ممن ماتوا وكانوا يشاركونه هو وريشيه بحوثهما قد انتهز هذه الفرصة ليضع أمام ريشيه دليلا على الاتصال الروحى .

أما ريشيه فمع اعتقاده بانتفاء الشعوذة من هذه المشاهدة ومثيلها بالنسبة لما يتخذه من التحوطات ، لا يذهب فى تفسيرها مذهب لدج بل يعزوها الى انتقال الفكرة من عقول القتلة فى هذه الحالة الى

عقل الوسيط بطريق التلباثى ، ثم طرق المائدة بقوة مستمدة من العقل الباطن للوسيط .

ريشيه يرى وجوب البحث الجدى فى تلك الظواهر ، وجمع المشاهدات ووصفها بدقة علمية ، ولكنه لا يرى التعجل بنسبتها الى مصدر روحى ولدج يرى أن مشاهداته الخاصة قد تركته على تمام اليقين من وجود المصدر الروحى . أما الذى لا خلاف بينهما عليه ، فهو أن هناك ظواهر نفسية وآلية شاذة غريبة تتطلب جيوشا من الباحثين ؟

عبد المغني على حسين
خريج جامعة برمنجهام

بين الضحك والبكاء

للدكتور احمد زكى

يُسرّ الانسان لأمر ، لمنظر واقع حاضر يُمتعه ، أو لذكرى طيبة ماضية يسترجعها ، أو لفكرة يؤلفها خياله لا تتصل الى الكائن الراهن بسبب ، فلا يلبث أن ينتقل هذا السرور الذى بروحه الى جسده ، والوجه أكثر أجزاء الجسد تخصصاً فى إظهار الآثار الروحية ، والكشف عن انفعالات النفس الخبيئة ، وهو يفعل ذلك بقبض العضل وبسطه ، وتقصيره وتمديده ، وبالتأليف فى كل هذا بين مجموعات منه متخالفة . فقد تنبسط الأسارير ، وقد تفتر الشفاه ، وقد تنفتح انفتاحا ويصحبها انطلاق الهواء من الرئة واندفاعه اليها بسرعة تزيد على سرعة الزفير والشهيق كثيراً فتحدث القهقهة . وقد ينقلب سرور النفس الى ثورة تعم الجسد كله .

وقد حاول كتاب تفسير الضحك . قال أحدهم إنك تنظر للرجل تزل قدمه فى الطريق فينقسم الى أجزاء ثلاثة أو أربعة فتضحك لأنك تقرن نفسك به دون قصد ، فتحس بالتفوق والعلو ، فيسرك « المجد الذاتى الباغت » . ورد « شوبنهور » أسباب الضحك الى تناقض بين أجزاء الصورة أو تعارض غير مألوف بين معانى الفكرة الواحدة ، على أن يكون إدراك ذلك سريعا . وقال « برجسن » : إن سبب الضحك أن تتعطل فى المضحوك منه الارادة اليقظة الموجّهة القاصدة ، فيأتى أفعالا لا هيمنة للعقل عليها ، ومثل ذلك الزّلق وما يحدث من الغافل الذاهل ، ومن السكران الذى فقد السيطرة على أعضائه . كل هذه لا شك أسباب تكون للضحك ، ولكن لا شك أيضا أن هناك أسبابا عديدة أخرى ليس من السهل الميسور تحديدها أو تعريفها .

وبقدرما تتعدد أسباب الضحك تتعدد أنواعه ، فالضحكة قد تضيق وقد تستعرض ، وقد تسرف فى الضيق كما تسرف فى الاتساع ، وقد تتخذ أوضاعا عدة بين هذا وذاك ، وهى فى جميعها ضحكة بسيطة خالصة نشأت عن سرور بسيط خالص. ولكن قد تكون الضحكة عن ألم شديد وحزن عميق يحدث فى النفس توترا لا بد من إرخائه ، وتأزما لا بد من تفريجه ، وتركزاً فى طاقة البدن لا بد من تخفيفه ، وضغطاً حاراً تحسه فى القلب أو بين الاضلاع لا بد من انطلاقه ، فان كان معتدل الكم انطلق من مخارجه المعتادة ، من الشؤون فى العيون ، وان ضاقت عنه تلك المخارج أو عزّت طلب سبلا غير معتادة فكان حزنا ضاحكا ، فالضحكات كالدمعات ان اختلفت أصولها فقد اتحدت مراميها

وكما يضحك الباكى فكذلك يبكى الضاحك ، فالضحك والبكاء صنوان . كلاهما فيض الكأس عند الامتلاء ، كلاهما فضل الطاقة الفسلجية الخبيئة كالتى يفيض بها جسم المحموم عندما تنكسر حماه عن قطرات تبكيها مسام الجسد العديدة. فان أنت سررت وضاق صدرك بالسرور فلا تكتمه بل اضحك وازأط ، وان أمكنك فابك ، يسترح جسمك وينتعش ويستفق . وان أنت اهتممت أو حزنت أو داخلك الوجد المضنى فابك وأفض وافتح شئونك وُسعها ، وان أمكنك فاضحك وازأط كذلك ، وأنا ضمين لك بالعزاء وبالشفاء .

والضحكة قد تمتزج بها عواطف أخرى لا تمت بسبب الى

السرور او الى الحزن ، فقد تكون ضحكة هازئة ، أو ضحكة مرة حاقدة . أو ضحكة غزِلة

والانسان فى عالم الحيوان أكبر ضحاك ، وربما كان هو الضاحك الوحيد ، ويقول بعض العلماء الخبثاء إنه أكبر مضحوك منه كذلك

ومن الضحك ضحك ميكى آلى تثيره الدغدغة وان شئت « فالزغزغة » ولا أظلم كلمة تضيق بها صدور العرب وان ضاقت عنها المعاجم . وهذا الضحك الآلى لا يعوزه السرور الذى يصطحب الضحك التلقائى Spontaneous ولذا يعود الطفل الى طلب الدغدغة وقد كان أباها . وذلك لما وجد فيها من الغبطة .

وكذلك الحيوان يتدغدغ فيحس فى الدغدغة سرورا وغبطة . ولكنه لا يضحك ولا تجرى دموعه منها . فمن الثعابين أنواع اذا مسحتَ أظهرها بأناملك فى لطف ورفق سرها ذلك فاستكانت ، وان سكتَّ عادت فى خشوع تطلب المزيد .

وفى جزيرة سيلان يمسكون التماسيح بالحيلة ؛ وحيلتهم فى ذلك الدغدغة . يلوّحون للتمساح بالطعم فى الماء ، حتى اذا استدرجوه الى المياه الضحلة ، أتاه المروّض فتمتم بعض التعاويذ ، حتى اذا اقترب منه دق رأسه بعصا دقا خفيفا متتابعا ، حتى اذا تلهّى تجرأ الصيّاد فركب كتفيه وأخذ يمسح بالأصابع جلده الاسفل اللين ، بينما اليد الاخرى تشده بالحبال

وفى الملايا يستخدمون نفس الحيلة فى أسر نوع من السمك ويسمونه « السمك الاحمق » وهو سمك كبير يعيش على بعد من سطح البحر يتراوح بين العشرة الاقدام والعشرين ، وهو يرقد ساكنا فاذا تحقق السماك من وجوده نأى من قاربه اليه فى سكون ، وأسرع فوضع يده تحته وأخذ يدغدغه دون زعانفه . فلا يلبث أن يدخل السمك فى شبه سكرة من السرور العميق فينقاد طوعا الى سطح الماء حيث القارب وهو يحتضن الكف التى تدغدغه . ثم يسير به القارب برجاله الى المياه الضحلة من الشاطىء . فاذا حانت الساعة انهالوا عليه بكل سكين جارح ، ومقصل حاد فقتلوه . وكم قتلة جاءت من بعد سرور ، وكم لذة خلفت حسرات .

احمد زكى



قصة مصرية

الخبز الرخيص

... وفتح الفتى عينيه — وكان يغمضهما كأنه يحلم — وألقى نظرة أخرى على ورقة من ورق الرسائل الأزرق منشورة امامه. ولم يكن يدري كم من الوقت مر عليه وهو على حالته هذه — امام مكتبه. والقلم في يده، وعيناه مغمضتان، ورأسه يحس انه يوازن كرة الارض ويدور دورانها.

واعتمد بجبينه على راحة يده اليسرى، وأرسلها نظرة تائهة الى الفضاء الذي يمتد امام نافذته، وأخذ يستعيد ذكريات ساعات قريبة:

تذكر انه كان جالسا يقطع ساعة من ساعات الفراغ والوحدة المملة بالقراءة والتفكير، فسمع الجرس يدق خمس دقات — تتصل ثلاثتها الاولى وتفقوها دقتان منفصلتان — فأسرع الى الباب يفتحه، وقد افترت شفتاه عن ابتسامة للوجه الذي سيطالعه. اذ كانت هذه الدقات سراً بينه وبين فتاته اصطلحا عليها، رفقا بأعصابه التي لم تكن تتحمل، حين يكون في انتظارها، أن يدق الجرس ثم لاتكون هي الطارقة.

دق الجرس دقاته الخمس، ولكنه حين فتح الباب تقدمت اليه فتاة أخرى — لا عهد له بها — تبتسم ابتسامة ناقصة، فحار في تعليل هذا ولم يكد يبدأ التفكير حتى تقدمت اليه صاحبته — وكانت تختفي وراء مصراع الباب المقفل — وهي تقول ضاحكة: «أقدم لك صديقتي فتحية» فمد لها يده يحييها؛ ونظر لفتاته عاتبا وهو يقول: «ياشقية! متى تدعين هذا العبث؟»

وجلسوا ثلاثتهم وجعل الفتى يضحك ويتحدث كما هي عادته مع صديقته وصاحبتها، الا انه كان يخيم على مجلسهم شيء من الفتور لم يكن يدري له سببا. وكان يبدو على وجه الفتاتين كثير من التردد والانتظار، ففترت رغبته في الحديث وود لو يعلم ماذا تكون النهاية وكانت كلمات تحار على شفتي فتاته أمضها كتمانها، فقامت وخطت خطوتين الى النافذة، وأطلت منها وعادت الى حيث كانت جالسة وعلى محياها دلائل العزم والتصميم وقالت:

— حقي! (وهذا اسم الفتى) هات ورقة وقلما!

— ماذا تصنعين بهما

— لاتسألني!

وألقت نظرة الى صديقتها. وقدم لها هو رزمة من ورق الرسائل الازرق وقلما فقالت:

— اجلس هنا

وأشارت الى المكتب فجلس وهو لايدري ماذا يراد به. فقالت:

— أكتب ما أملي عليك (واخذت تملي)

٢و٥ متر كريبستان أسود، ٥ أمتار كريب جورجيت أسود حذاء أسود رقم ٣٧ (أنيسيال) حرف (ل)

وقالت كأنما تحدث نفسها:

— يكفي حرف واحد يسعى أنا (وكان اسمها ليلى)

والتفتت الى صديقتها قائلة: ماذا غير هذا؟

وقبل أن تجيبها قالت وكأنما تحدث نفسها مرة أخرى.. كفى! ورفع اليها حقي عينين حائرتين يسألها ماذا تعني فقالت:

— سوف آتي يوم الثلاثاء القادم فأجدك اشتريت هذه الأشياء. اني اترك الاختيار لذوقك — ثم قالت:

— سوف ترى كيف ابدو في هذه الملابس!

فحاول أن يبتسم، ولكن شفتيه لم تنفرجا؛ وحاول أن يعلل مسلكها فلم يهتد الى تعليل. ترى ما الذي دعاها لان تطلب منه هذا، وقد كانت ترفض أن يهدي اليها شيئا مخافة أن يسألها ذووها عن مصدره؟ ثم هذه الطريقة التي طلبت بها ما طلبت. إنها لم تعجبه بل ومالها لانقول إنها ساءته وأمضته أيما مضض.

وحاول أن يستبقيها حين همت بالرحيل ولكن الأعذار تسابقت الى شفتيها... وسادل نفسه — وهو يسير معها الى الباب يودعها وصديقتها — ماذا تراها تعلل مسلكها إن سألها عنه؟ ولم يجد جوابا، وانتهى الى أنها وضعت نفسها في مأزق سوف لاتدري كيف تخرج منه.

ووقف في أعلى الدرج يتابعها بنظراته وهي تهبط، وطافت برأسه

حكاية الغزال والثعلب فهم أن يصيح بها . لم لم تفكرى فى الطلوع قبل ورود الماء ؟ ولكنه ارتد عن هذا وعاد الى مكتبه يفكر

وهذا هو بعد فترة — لم يكن يدرى مداها — قضاها شبه حالم فى تأمل لم يخرج منه بطائل ، ثم إنه حين فتح عينيه وعاد بعض الشىء الى حالته الطبيعية تبين أنه كتب فى غير وعى على الورقة الزرقاء — التى لاتزال منشورة أمامه — باللغة التى يعرفها : ابدا . . . ابدا . هذا لن يكون . . ! ، ذلك بأنه كان قد انتهى الى ما يشبه التصميم على الا يلبى طلب الفتاة ، وعلى أن يقطع علاقته بها وان لم يكن يدرى سبب هذا على التحقيق .

وجاء المساء فتوفر الفتى صدر ليلته على التفكير فى فتاته وكأنما رأيلته نفسه وقفزت الى كتفه ، وصارت تسائله وتحاوره وتضحك منه ساخرة . قالت له نفسه :

— تريد أن تهجرها ؟ أتراك تعى ما تقول ؟ أتراك تستطيع أن تنسى ؟

فمط شفتيه وهز رأسه وأقفل عينيه وهو يقول :

— النسيان ؟ لقد جربته فى الماضى ونجحت التجربة فلم لا أحاول مرة أخرى ؟

— أية مغالطة ! انك لم تنس أبدا لقد كنت تخدعى وتتناسى . ومع ذلك حاول هذه المرة أن تنسى . العينين الباسمتين دائما : العميقتين اللتين تكن تمل أن تحدق فيهما ، والشفتين اللتين كانا تفتران عن بسمات تسير على ضوئها أياما . والقبلات التى كنت تقول إنها تعوض كل مفقود وتأسو كل جرح ، وتعزى عن كل مصاب !

— كفى ! كفى ! دعنا من هذا !

— هيه ! لقد كنت ظننتك نسيت ! وفى الحق قل ولهذا ؟ أنت تريد أن تهجرها فهل بحثت عن سبب أطمئن اليه)

— كأنك لا تعرفيننى ! إنى أقتل قلبى ، ولا أجرح كبريائى .

— كبرياؤك ؟ ماذا مسها ؟

— لم أكن أظن أن فتاتى — كمن سبقتها — تريد أن تتقاضانى ثمن العاطفة كأن حنانى لم يكن ثمنا كافيا !

— أى سبب ؟ ! إنك لتتجنى عليها . لعلك تفىء الى الحق فتعترف انها نزوة تلك التى أصابتك .

— وماذا يهمنى ؟ أليست النزوة مع تعطلها عن الأسباب سببا فى حد ذاتها ؟ وللنزوات أحيانا أسباب نجهلها . قل لى ألم تكن تحب صاحبتك ؟

— لست أدرى . وإنما كل الذى أدريه انى كنت أكون سعيدا بجانبها ، وان نظراتها كانت تسحرنى ، وأن بسماتها كانت تضىء ظلمات وجدانى

— ولم لم تصل حياتك بحياتها ؟ ألم يكن هذا يكفى ؟

— كان يقتضنى أن أعلم علم اليقـــين انها تريدنى إرادة قوية جارفة تطغى فى نفسها على كل ما عداها

— انها تريدك . والا فما الذى دعاها أن تبقى على علاقتها معك ؟

— هيه ، كثيرات يبعن أنفسهن أو يعرضنها سلعة يتقاضين فى مقابلها خبزاً . وياما أرخصه من ثمن !

أنت تشك اذن ؟

— وأريد ان يمحى الشك بأن أراها تهزأ بكل شىء وتستبيح كل شىء فى سبيل ان تبقى على أنا

— أية أنانية ! وماذا يغريها بهذا ؟

— وماذا يضيرها ؟

— ماذا يضيرها ؟ إنها فتاة ومن حقها أن تشك وأن تظن انك تريد أن تلهو بها وأن تلعب .

— اذن أنفض يدى منها !

— وتبقى هكذا فارغ القلب دائما ؟

— ذلك أجدى من أن املأه عاطفة قد تكون مسمومة فتقتله . . . وقلب فارغ خير من لا قلب !

وعاد الى نفسه أو عادت اليه ؛ فخفف كثيرا من ثورته على فتاته وعزم على ان يجيبها الى ما طلبت ، وأن يتخلى عنها فى رفق ، وأن تكون هكذا نهايته معها

ومرت سنتان .

وذات ليلة بينما كان يقفل نافذته لينام ، راعه السكون المخيم على الطريق ، وما هى الا لحظة حتى خرقت حجب الصمت دقات ساعة فى منزل قريب . . . تن . تن ، حتى أكملت إحدى عشرة دقة وهو فى مكانه ذاهل واجم . وان صوت الجرس فى الظلام والسكون ليدخل على النفس شيئا كثيرا من الرهبة والكآبة ، وهكذا أنسته هذه الدقات برنينها المكتوم نفسه لحظة او بضع لحظات فوقف فى مكانه يفكر على هذا النحو

هذه الساعة القت بحلقات من سلسلة الزمن الى ظلام الماضى وعمقه ، وهذا هو مبعث الكآبة التى تدخلها على النفس دقاتها فى السكون والظلام .

أهكذا تمر الساعات والايام ؟ هذا عام ثان يكاد ينتهى ولما تعد فتاتى ، ترى ماذا صنع الله بها ؟ انى لا تمثلها الآن وهى تهبط الدرج لآخر مرة فى خطوات غير متزنة إنها لم ترفع عينيها الى . أترى لم تكن تفكر فى الطلوع مرة أخرى ؟ أم ان القدر الاعمى لم يكن ابدا ، وانما سارت واضعة ذراعها تحت ذراع الى حيث لم تكن تدرى ؟ من كان يدرى ؟ . حين القت بها المصادفة فى طريقى ، شعرت

إنى وجدت فيها الأجابة على نداء نفسى الذى كانت تهتف به منذ فجر الشباب . لقد وجدت فيها ريا أطفأ ذلك الهيام الى المجهول الذى كان يجعل العالم أمامى كوادى التيه اسير فيه على غير هدى .

وغابت عنى فعدت الى عالمى القديم صفر اليدين الا من ميت الآمال !

ومرت سنون ثلاث . . . وذات يوم كان (حقى) يسير فى شارع فؤاد فلمح اسم صديقه ابرهيم . المحامى ، على لوحته النحاسية — بين لوحات أخرى تحمل اسماء كثيرين اغلبهم اطباء — معلقة على باب العمارة ؛ وفجأة خطر له أن يزور هذا الصديق فى مكتبه .

ولم يكد يتخطى الباب الكبير حتى وجد فتاته . . . ليلى ! نعم هى كما كانت دائما . . وجدها واقفة تتسلى بقراءة البطاقات الموضوعة على صناديق البريد فى مدخل العمارة ؛ وكأنما كانت تنتظر احدا والتقت نظراتهما ؛ وحار فيما هو فاعل ؛ ولكنه لم يدر الا وقد تقدم اليها وهو يقول :

ليلى — ! لم لم تأت يوم الثلاثاء الماضى ؟ كنت مريضة ؟ هذا هو عدك الدائم .

وكان يوم الثلاثاء الذى يعنيه قد مرت عليه سنون خمسة ! ولكنه حين أخذ يدها بين يديه يشد عليها نسى أنه لم يرها طوال هذه المدة وهكذا شعرت هى الأخرى . وكأن هذه السنين قضياها كأهل الكهف نياما !

وأغمضت عينيها وكأنما أرادت أن تكر بالذاكرة الى هذا الماضى البعيد وقالت وهى تبتسم :

— كلا لم أكن مريضة ولكن حدث أن أمى خرجت معى ولم يكن فى امكانى أن أستصحبها فى زيارتى لك . قال :

— حاجاتك لاتزال فى درج مكتبى . كنت انتظر دائما دقات الجرس الخمس ، فأذهب لاقابلك بها على الباب .

لقد اشتريتها اذن ! لم أكن أحسب أنك تعتقد أنى كنت جادة فيما طلبت . . . هى صديقتى التى أغرتنى . . . تجربة لعاطفتك نحوى . ولكنى أخطأت فى السماع اليها ، وخفت ان أنا عدت اليك أن تعتقد انى انما أعود لاسألك ماطلبت

ودارت الدنيا امام عينيه ، وقال لنفسه « ما أكثر ما يخطىء الانسان التقدير ! »

وفجأة رآها تتركه — وقد عراها ارتباك ظاهر — وتنظر الى الباب حيث وقفت عربة ، نزل منها شاب ناداها باسمها فهزت رأسها تحييه ، ودارت بنظرها الى يمين المدخل منادية ياحقى !

وأصابته رجفة اذ سمعها تلفظ اسمه ، ولكنها كانت تنادى طفلا — فى نحو الرابعة من عمره — لم يكن الفتى باله اليه . وأجابها الطفل متسائلا — ماما ؟

فمدت يدها الى الطفل ورفعت نظرها الى الفتى كأنما تسأله ان كان قد فهم شيئاً .

وركبت الفتاة والشاب والطفل العربة ، وانطلقت بهم ووقف « حقى » يتعقبها بنظره ويصغى لوقع اقدام جيادها على الارض ، ويسمعه دون كل ما عداه من ضجة الطريق الصاخبة ، حتى لم يبق منه غير صدى يرن فى الاذن رنينا

وحينئذ أحس كأنما بدأت الارض تميد . . .

مصطفى حمدى القونى

الى خراسان

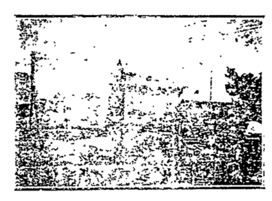
للأستاذ الرحالة محمد ثابت

من رحلة قام بها الأستاذ سنة ١٩٣٣ الى تركية والعراق وأفغانستان

الى بحر الخزر

قمت من طهران شمالا صوب بحر الخزر ، مسافة ستين فرسخاً أو نحو أربعمائة كيلومتر ، كانت المناظر فى النصف الأول منها مألوفة : ربى تتوسطها هوى من أرض مهملة ، وما كدنا نوغل فى النصف الأخير حتى زادت عقد الجبال فى صخرها الاغبر المحل وغالبه من الحجر الجيرى اسود تغشى السنين . وكثرت الالتواءات الارضية وزادت طياتها وأخذ الطريق يعلو ويهبط ويلتوى على نفسه مرات متعاقبة فى وعورة لم نعهدها من قبل . بعد ذلك بدأت صفحة الجبال المعقدة تتغير معالمها اذ كساها الشجر القصير فى تفرق أعقبه تلاصق عاجل ، وما نشعر الا ونحن نوغل فى غابة كثيفة ذكرتنى بمناطق الغابات الافريقية ، وكنا بجانب وادى نهر يسمونه (النهر الابيض) يتلوى لينات متعاقبة وسط تلك الجبال اللانهائية ؛ وكان ماؤه آسنا اذ يفيض بلما. ابان الشتاء حين تكثر الثلوج التى تكسو تلك الجبال — جبال البرز — ولقد ظلت المناظر رائعة ساحرة خلاف ما عهدناه فى ربى ايران المقفرة التى عريت عن النبت ؛ ونضبت مياه مسايلها . وكانت بعض الوهاد وما يزينها من قرى صغيرة أشبه ببلاد اسكندناوة وسويسرة ، على أن الشجر مختلف اذ لم أر للصنوبر من أثر حتى فى أعالى الذرى ، وكله من أشجار المناطق الحارة

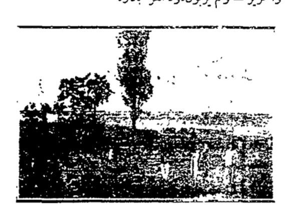
تكثر حوله الطفيليات والأعشاب المتسلقة التي تسد الغابة سداً ولذلك يطلق عليها القوم كلمة (جنجل) الانجليزية ، وكلما قاربنا بلدة (الرشت) بعدت الجبال وانفسح السهل وغص بالقرى والمزارع التي شهرت من أجلها البلدة وبخاصة في الأرز والطباق ، وهــذه الناحية أشهر بلاد فارس الزراعية . أخيراً دخلنا الرشت التي كانت



الميدان الرئيسي في رشت

عاصمة بلاد الديلم قديما ، وهي اليوم عاصمة مقاطعة (جيلان) الفارسية فبدت مدينة عامرة أخف روحا من طهران نفسها ، وقد حاكت المدن الاوربية ، ويظهر أنها تأثرت طويلا بالروس يوم كان لهم النفوذ في هذه المنطقة ، لذلك كانت جموعهم كثيرة ، نساء ورجالا ، واللغة الروسية يعرفها الجميع الى جانب لغتهم الفارسية . وغالب البيوت من طابق واحد تظهر وكأنها اقيمت كلها من جديد ، وهي ذوات سقوف متحدرة يكسوها الآجر الاحمر خلاف ماشاهدنا في سائر جهات فارس، ذلك لان مطر المنطقة غزير يفوق مقداره المتر ، ويعزى الى رياح شمالية غربية سائدة تهب من بحر الخزر على تلك المرتفعات فتدفعها مطرا وتكسو ذراها ثلجا ، وتزيدها في الشتاء أعاصير البحر الابيض التي تندفع من بحر قزوين الى بحار الهند الدفئة خفيفة الضغط وينقطع المطر زهاء ثمانيـــة شهور ولم تخل السماء من الغيوم وكان الجو اميل الى الرطوبة حتى في هذا الفصل الجاف ، لذلك قل بها التراب الذي كان ينغصنا في بلاد فارس كلها ، وكان جوها لطيفا محتملا عن جو طهران ، الا اذا انكشفت الشمس فعندئذ يصبح الحر شديدا . على ان الجهة تعرف بكثرة الاوبئة والحميات بسبب الحرارة والرطوبة معا ، وقد زادها حرا أنها على منخفضات بحر الخزر التي تنخفض عن مستوى البحر بنحو خمسة وعشرين مترا لذلك يجرى القول على لسانهم : ماذا أذنب فلان حتى يولى حاكما على الرشت . على ان حظي كان موفقا اذ كانت أيامي هناك أجمل أيام قضيتها في ايران كلها . وفي المدينة مجموعة من متنزهات منسقة تقوم بها المقاهي ، وفيها تسمع الموسيقى الشجية وقد اختلطت الانغام الفارسية بالروسية ، وكلاهما مما تستريح له آذاننا .

اقلتنا السيارة الى بهلوي على شاطىء بحر الخزر – ولا يسمونه هناك بحر قزوين ابدا – فكان الطريق يمتد اربعين كيلو مترا وهو يتلوى وسط الاحراج المغلقة يؤمها النمر والحيوان المفترس ومن أعجب ما رأيت فيها الكروم البرية التي كانت تنمو في كل ارجائها ومنها نقلت كروم أوربا . اخذ الشجر ينضمر ويندر كلما قاربنا البحر ثم انعدم ، واضحت السهول تكسى ببساط من خضرة الى البحر ، وكانت بيوت القوم اخصاصا من الأعواد والخشب يكسوه القش الثقيل في شكل مخروطي او متحدر السقوف ، كأنها مساكن العابات الاستوائية على ضفاف فكتوريا نيانزا . والقوم يستأصلون الاحراج في مسافات يزرعونها من الارز والطباق والقطن والكتان ، والعمل يقع كله على السيدات اللاتي كن يظهرن في ملاءات بيضاء ناصعة وقد استرعى جمالهن نظري ، فهو مخالف للسحن الفارسية البحتة ويظهر أن اختلاط الروس بالفرس هناك اكسب أولئك جمالا عالج كبر الانف الفارسي ، وأشرب اللون الفارسي الابيض بعض الحمرة الروسية الجذابة . والناس في تلك الناحية يمونون أنفسهم بكل شيء من عمل ايديهم حتى الملابس ينسجونها من القطن والكتان والحرير — وهم يربون دود القز بكثرة



على شاطىء بحر الخزر في بهلوي

دخلنا بهلوى فكانت بيوت الفقراء اخصاصا ، على نمط تلك التي في الغابات ، يحفها سور من غاب ، وعلى البحر اقيمت الميناء بروافعها وبواخرها وزوارقها ، وتلك الناحية يسمونها (غازيان) واذا ركبت البحر اقيلت على شبه جزيرة تبدو عليها المباني الفاخرة والشطآن المنسقة ، وهذه هي بهلوي أو أنزيلي القديمة ، ركبت البحر اليها

فى ربع ساعة ، واذا بها آية فى التنسيق والنظافة ، بيوت فخمة ، وطرق مرصوفة ، ومتنزهات عدة ، وقد مدت على شواطئ البحر الحدائق والمقاهى ، فكنت وكأنى فى احدى مدن الرفيرا تماما . وفى الحق ان تلك الناحية من فارس فريدة ، تختلف عن سائر جهات فارس فى كل شىء : فى طبيعة الارض ، وفى الجو ، وفى النبت ، وحتى فى أهلها فهم أكثر نشاطا وجمالا . أما الناحية الخلقية فهى هنا أكثر فساداً ، ولا شك إن للاباحية الروسية أثراً كبيرا فى هذا



السهول المؤدية الى بحر الخزر وتكاد تسدها الاحراج

ولقد حققت حلما طالما جال بخاطرى هو أن أركب بحر الخزر — بحر طبرستان قديما — وأطوف بسواحله ذات الطبيعة المختلفة من غابات كثيفة تغص بها سواحله الجنوبية ، الى غابات جبلية فى غربه ، الى كلأ وعشب صحراوى فى شرقه ، الى أرض مالحة مهملة فى شماله . لكن الشبح الروسى لم يتح لى التجوال كاملا فلبثت اليوم كله أجول فى مياهه الفارسية ، وقد كان ماؤه هادئا ، على أنه إبان العواصف يعلو موجه ويضطرب ، وقد تذوقنا ماءه فاذا به نادر الملح على خلاف ماعهدت ، فخلنا أن ذلك راجع الى قرب المصاب العذبة . لكن القوم يعرفونه أميل الى العذوبة فى كل أرجائه وأبدوا رأيهم بكثرة اسماكه نوعا وعدداً . ولذلك كانت مصائده هامة للدولتين الفارسية والروسية ، حتى أضحى السمك الغذاء الرئيسى ، فهو والارز عماد الطعام ، وقد كان لهما أثر حسن فى اجسام الاهلين ، فهى ممتلئة ولم أعثر على القامات الطويلة والاجساد السمينة الا فى تلك الناحية من فارس كلها

اصبحنا يوم الجمعة والجو جميل ، والسماء تنثر بالغيوم بعد ان امضينا ليلتنا فى نزل (سافوى) فى الرشت ، وهو يطل على ميدان البلدية ، تمتد منه الطرق المستحدثة ، وتزينه المتنزهات ، والمنظر من شرفة النزل رائع : السماء تنقشها السحب ، والخضرة تمتد الى الآفاق ، والمبانى حولنا أنيقة ، وجماهير الناس فى أنظف ثيابهم — لأن يوم الجمعة يوم الراحة النومية . يروحون ويغدون فى كثرة تسترعى النظر ولا يخلو الجمع من طائفتين الغانيات فى ازرهن السوداء المهفهفة والمتسولين الذين يمسكون بتلابيبك ويصيحون فى نغمة البائس المستميت ، وأكثرهم مدعوطنو كثير منهم من يظهر فى هندام نظيف ووجه مشرق ، يدل على أنهم على شىء من اليسار ، لكن التسول أضحى فى القوم عادة متأصلة ذميمة . وكثير من مبانى الرشت وبهلوى من الخشب لكثرة الغابات حولهما ، لذلك ترى فى كل برجاً عاليا يظل فيه الرقيب صباح مساء لينذر بالحريق إذا ما بدا دخانه أو لهيبه فى أية ناحية من البلدة .

قمنا مودعين تلك المنطقة البديعة التى تصلح للراحة فى الربيع والخريف . وأخذت سيارتنا تشق الخضرة التى زادت كثافتها تدريجا ، وبعد ثلاثين كيلومتراً بدت جبال البرز ، أعنى أن السهول تمتد الى بحر الخزر سبعين كيلو مترا ؛ وكانت الأشجار الكثيفة تغطى الجبال الى أعلى ذراها ، والربى تبدو مدرجة الواحدة وراء الأخرى ، وسحاب السماء يكاد يلامسها وإن لم يبد للثلج فوقها من أثر . وكانت طيات الوديان بمائها الشحيح تختفى وراء النجاد تارة ثم لا تلبث أن تتكشف فى مباغتة تقر لها العين . وكان المنظر العام ونحن واندون من الرشت أروع منه لمن يدخل البلدة قادماً من طهران . وظل جلال الغابات حولنا زهاء خمسة وعشرين كيلو متراً ، ثم ندر الشجر وانعدم فجأة ، وأضحت عقد الجبال قاحلة منفرة مسافة ذرعها سبعون كيلو مترا ، كان الطريق فوقها طيات قاسية رهيبة ، خصوصا فى ضوء القمر الشاحب ، وفى سكون الليل الرهيب .



بين مسرحى الدرام والكوميدى فى مصر

لناقد «الرسالة» الفنى

لعل من أعجب ما يلاحظه لمتصل بالمسرح المصرى فى العشر سنوات الاخيرة اتصالا وثيقا ان المسرح الهزلى — الكوميدى — كان أكثر توفيقا ونجاحا من المسرح الجدى — الدرام — وأقوى على مغالبة الازمات والعقبات التى عرضت فى السنوات الاخيرة وأودت بالفرق التمثيلية إلى الدرك الذى وصلت اليه .

وأغرب من هذا وأبعث على العجب أن مسرح الدرام بدأ غنياً فافتقر ، بينما أن مسرح الكوميدى بدأ فقيراً ثم اغتنى وما نعنى هنا هذا العرض الزائل وهذه الدريهمات التى تأتى بها الظروف أحيانا ، وتذهب بها الظروف أحيانا أخرى ، وانما نعنى فى حديثنا عن الفقر والغنى الناحية المعنوية والفنية لكل منهما .

فمنذ عشر سنوات أو قبل ذلك بقليل ، كانت فرقتا الأستاذ جورج أبيض والأستاذ عبد الرحمن رشدى تنهضان بعبء العمل المسرحى كأكفأ ما يكون ، وتغذيان جمهورهما بنفس الروايات المترجمة أو المؤلفة على السواء ، وكانت الفرقتان تضمان مجموعة من خيرة ممثلى وممثلات المسرح فى مصر ، وكان الاقبال على حفلاتهما ليس بالقليل وحلت الفرقتان لأسباب عارضة لسنا بصدد تفصيلها هنا وتألفت على انقاضهما فرقة رمسيس التى اجتمع لها من أسباب القوة والبروز ومقدمات النجاح والنصر ما لم يجتمع لفرقة قبلها ؛ فالمال جم وفير ، وثمت مسرح خاص أنيق ؛ ونخبة من أحسن الممثلين والممثلات ؛ ومجموعة منتقاة من أجود الروايات ؛ وقبل كل هذا الرغبة القوية فى العمل الفنى الحق ، والارادة التى لا ينقصها الحزم ، ونشطت الصحافة اذ أحست هذه الجهود الجبارة تبذل فى سبيل الفن فأفردت صحفنا اليومية للحديث عن المسرح والتمثيل أبوابا خاصة بل صحائف كاملة ، وكان ذلك حدثا جديداً فى عالم الصحافة ، وتفرغ كثير من الأدباء للكتابة عن التمثيل ونظمت لأول مرة فى تاريخ المسرح حركة النقد تنظيما واسع النطاق ، وقصارى القول ان مسرح الدرام فى ذلك الوقت كان غنيا بل طائل الثراء بالجهود التى تضافرت لانعاشه ولعنه وخدمته الخدمة الحقة التى تعلى من شأنه وترفعه الى المنزلة التى هو جدير بها ، ولم يكن ينقصه اقبال الجمهور الذى تدفق وحيا القائمين بهذه النهضة المباركة تحية طيبة مباركة .

كان ذلك منذ عشر سنوات ، أى فى مستهل افتتاح مسرح رمسيس الذى يؤرخ ظهوره عهدا جديدا فى تاريخ المسرح فى مصر ، ما فى ذلك شك ؛ ولا من الاعتراف به بد ولكن انظر اليوم اين نحن واين مسرح الدرام ، واين تلك النهضة التى بدأت قوية وسطعت كالشهاب اللامع . ثم اذا نحن نراها تنطوى على الايام رويداً رويدا ، وتنحدر من قمتها الباذخة سنة بعد أخرى حتى اذا هى اليوم فى أسفل الوادى ؛ بل فى هوة سحيقة والأسفاه ، وفى حال تدمع لها العين ويدمى لها الفؤاد .

هاهى فرقنا الجدية تغلق دورها وتعلن فشلها ، ويتفرق أفرادها يطرقون الابواب كبائس فى يوم عيد يرى الناس فى زينتهم ونعيمهم وهو مملق مسكين ؛ كده الضنى وأجهدته الحياة ؛ واسلمته صروف الايام الى المسغبة والعوز ، ويخفض جناح الذل من الحاجة ويستجدى على مطالب العيش وقوت الأهل إحسان المحسنين وبر الكرام العاطفين

كان مسرح الدرام كما رأيت ؛ وحاله اليوم كما ترى ، كان غنيا وافر الغنى ، فأصبح فقيراً شديد الفقر ، كان رفيع العماد شامخ الذرى فاذا هو اليوم انقاض وخرائب موحشة .

لكن مسرح الكوميدى حاله غير هذه الحال ؛ ولشد ما يختلف فى نشأته وكيانه وتطوره عن مسرح الدرام ! فبينما كان هذا قويا زاخرا بفرقه العاملة وبمن تضم من أفراد مشهود لهم بالمقدرة والكفاءة . كان الآخر لا يزال فى مستهل حياته ومطلع فتوته يلجأ الى دور صغيرة ضيقة من التجاوز فى التعبير أن نسميها مسارح ، وكان

لا يضم الا قلائل جمعتهم وحدة الغاية والميول فتكاتفوا على العمل سويا فى النوع الذى وجدوا من أنفسهم ميلا اليه ومن استعدادهم كفاء له . وأخرجت بعض روايات جورج فيدو المؤلف الفرنسى النابه الذكر فلقيت نجاحا كبيرا وبدأ مسرح الكوميدى ينتعش قليلا قليلا ولكنه لم يحرز التوفيق كله الا فى فرقة مسرح الاجبسيانه — برنتانيا اليوم — حيث بدأت الروايات الاستعراضية الكبرى والتى كانت تمثل كل منها الاسابيع والاشهر المتوالية بنجاح عظيم يفوق الحد ، والجمهور تكتظ بأفراده كل يوم مقاعد الملعب حتى ليس ثمت موضعا لقدم .

على أن مسرح الكوميدى ضحيته الازمة وحدت من جهوده غير أنه قاومها طويلا وثبت للعاصفة الجتاحة . والفرقة الوحيدة التى استمرت الى اليوم على العمل هى فرقة للكوميدى ، كما أننا نجد فرقة ثانية للكوميدى تؤلف فى هذا الموسم وتلقى نجاحا كبيرا فى الوقت الذى تغلق فيه فرق الدرام أبوابها وتنصرف عنها الجماهير وبينا نسمع صرخات مديرى الفرق الدرام يستغيثون بلجنة تشجيع التمثيل ويطلبون منها المدد والمعونة ، نجد مديرى فرق الكوميدى يعتمدون على محض جهودهم وعملهم فان منحتهم اللجنة بعض المال فلا بأس ، وان فاتت عليهم معونتها فلا بأس أيضا ، وهم مستمرون على بذل ما فى وسعهم لاكتساب رضى الجمهور وضمان اقباله وتشجيعه

أليس هذا الموقف جديرا بالتأمل والدرس ؟ قل فى تعليله ما تشاء ، وقل فى أسبابه ونتائجه ما تقول ، ولكن تبق بعد ذلك الحقيقة الواقعة الملموسة لا غناء فى تجاهلها ولا نفع يرجى فى التغاضى عنها وعما فى طيها من معان هى خليقة بكثير من العناية والفحص . فاذا أبيت الا أن أدلى بدلوى فى الدلاء وإلا أن اذكر لك مرجع هذا فى رأيى فلعلى لا أكون قد جاوزت الحق والواقع اذا قلت أن مسرح الدرام لم يعمل على التقرب من الجمهور ولا على أن يدوم له الطعام الذى يستسيغه ويتذوقه ، بينما عمل مسرح الكوميدى على هذا فنجح من حيث أخفق الاول

غلبت على مسرح الدرام الروايات الافرنجية المترجمة وهى بشخصياتها وجوها ، وعادات أبطالها وأخلاقهم ، وبيئتهم وتصرفاتهم وكل ما يتصل بهم بعيدة عن ذوق الجمهور المصرى ، وقد تكون بعيدة أيضا عن فهمه وإدراكه ، غريبة عنه بكل ما فيها ومن فيها ، ولكل شعب ذوقه الخاص ولذلك كان لكل أمة مسرحها الخاص ، والمسرح فى كل بلد يمثل الوسط الذى يعيش ويترعرع فيه ، ولا نكاد نقحم المسرح الفرنسى فى انجلترا ، ولا المسرح الانجليزى فى فرنسا ، وليست كل الروايات الصالحة للعرض هنا ، تصلح للعرض هناك ، وقد تجد نماذج تنال النجاح والتوفيق فى البلدين ولكنها الاستثناء الذى يثبت القاعدة ولا ينفيها . لهذا فشل مسرح الدرام لان الرواية المترجمة غلبت عليه .

والحال على النقيض فى مسرح الكوميدى حيث لا تجد الا الرواية المصرية ، والا الشخصيات المصرية الصميمة التى تعرفها وتحبها وتعيش معها فى جو ليس بالغريب عليك وفى بيئة انت بها جد عليم . وقد افلح مسرح الكوميدى فى خلق نماذج من الشخصيات المصرية قد تبدو عليها مسحة التجسيم والتهويل ، او هى نماذج «كاريكاتورية» ولكنها مصرية قبل كل شىء ، ثم هذه هى صنعة الفن الكوميدى اولا وآخرا ، وعرف مسرح الكوميدى اجادة من بعض الممثلين لم يبلغها انداده فى مسرح الدرام ، لان الاول عرف التخصيص ، ووعى ان من بين ممثليه أفرادا تخصصوا فى اخراج شخصيات معينة فاجادوها بحكم المران والاستمرار ، وتوغلوا فى صميمها فأخرجوا منها الطريف المبتكر . وهذه «المصرية» التى غلبت على مسرح الكوميدى كانت العامل الاول فى نجاحه .

على أن شعب هذا الوادى ، شعب سهل لين ، محب بفطرته للمرح يعجب فيه بنهم وقابلية ، ولعل فى هذا أيضا بعض السبب فى اخفاق مسرح الدرام ونجاح مسرح الكوميدى . ومن الخير أن نعرف للمسرحين ما أديا من رسالة الفن وأن نذكر لكليهما ما كان له من إحسان أو اساءة ، فالمسرح المصرى يقف اليوم بمجموعه فى مفترق الطرق فأما الى الصدر وأما الى القبر ، ومن أوجب الواجبات فى هذه الفترة الدقيقة من حياة المسرح أن نذكر للمحسن احسانه وأن نعدد للمسىء نقصه وعيوبه ، فيمضى الاول فى طريقه مجداً عاملا ، ويصلح الثانى من نفسه ان أراد الا يتخلف عن زميله أو يدرك غباره .

محمد على حماد

الحركة المسرحية والسينمائية فى الخارج

باريس

مثلت أخيراً على مسرح « جناز » رواية جديدة لهنرى برنشتين المؤلف المسرحى المعروف باسم « الرسول » ، وقد أدار المؤلف موضوعه حول فكرة غريبة ، وكأنه يريد أن يقول أن زوجة ابتعدت سنة عن زوجها الذى تعبده يمكن أن تسلم نفسها لشاب جاء من عند الزوج كرسول يحمل لها حبه وغرامه ، وهى اذ تسلم نفسها للرسول يخال لها أنها إنما تستسلم للزوج نفسه . وهذا غريب والفكرة كما ترى يحوطها الغموض والابهام . ولعل برنشتين يريد أن يضع فى علم النفس قاعدة جديدة .

واليك تلخيص موجز للقصة : سافر مسيو نقولا - الزوج - إلى أفريقيا ليبنى لنفسه مستقبلا جديدا فى ميدان العمل وليحصل على ثروة وفيرة يسعد بها زوجته الشابة التى يعبدها . ولم يكن له حديث فى غربته الا عن زوجته مارى وعن حبه لها ويجلس الساعات الطوال مع زميله جلبرت يتحدث عنها حديثا مسهبا وانتهى الأمر بان أحب جلبرت هذه المرأة . . والأذن تعشق قبل العين أحيانا . .

ويذكرنا هذا الموقف بشبيه له فى رواية المانية معروفة تدعى « كارل وأنا » . ويحدث أن يصاب جلبرت بما يقعده ويضطره الى العودة الى وطنه ، وفى باريس يلتقى بمارى الزوجة الامينة على شرف زوجها والتى رفضت تأباه ما أظهره لها كثير من الرجال من الحب والهوى . ولكن مارى هذه سرعان ما تصبح عشيقة جلبرت ، لا لأنه يحبها ويتطلبها ، ولكن لانها تحس فيه حرارة حب زوجها لها وحنينه اليها . يرجع الزوج فجأة وعلى غرة من العاشقين ويكتشف ما بينهما من صلات فيكون بينه وبين زوجه مشهد رائع ويعلنها بالانفصال النهائى . ثم يزمع السفر والعودة الى أفريقيا واذ يهم بالرحيل تقدم مارى ، ويعلم الزوج أن جلبرت انتحر لانه أدرك أن المرأة لم تحبه أبدا وإنما تحب فيه زوجها الغائب ويقبل الزوج هذا التفسير الغريب

هوليود

تتجه أنظار شركات السينما فى هوليود نحو الروايات الادبية الكبيرة التى دبجتها يراعة كبار الكتاب العالميين . وقد ذكر ما قيلا ان بين برنامج السنة القادمة روايات من أقلام برناردشو وإميل لدويج وولز وغيرهم . ونذكر اليوم أن جان هارلو الممثلة الشقراء الفاتنة أغرمت بدور بورشيا فى رواية « تاجر البندقية » لشاكسبير وتنوى اخراجه على الشاشة ، وميرنا لوى تحب أن تظهر فى رواية أبسن المعروفة « بيت الدمية » ، وجون باريمور يستعد لاخراج « هاملت » ومن المعروف أنه مثله على المسرح ونال فيه نجاحا كبيراً ، وشارلى شابلن أيضا من هواة هذا الدور وقد فكر فى تمثيله فى وقت من الاوقات كما فكر فى تمثيل دور « نابليون » . وستمثل كى فرانسيس دور مدام دى بارى المرأة الشهيرة فى تاريخ فرنسا وتظهر جلوريا سوانسون فى دور جوزفين أمام ادوارد روبنسن فى رواية « نابليون » التى اقتبست عن الكتاب الذى وضعه أميل لدويج عن امبراطور فرنسا العظيم .

لندن

أقامت جريدة « ايرا » الانجليزية المسرحية مسابقة لتتعرف رأى قرائها فى أحسن رواية ظهرت فى انجلترا فى العشر سنوات الاخيرة ، ففازت الاولوية رواية « سن جون » لبرناردشو وقد نالت ١٦ درجة ، وتلتها رواية « نهاية الرحلة » للكاتب المسرحى شريف ونالت ٨ درجات ، وهناك بعض الروايات الشهيرة جاءت فى الرتبة الخامسة والسادسة ومنها « طريق للحياة » لنويل كوارد . ونذكر بهذه المناسبة انها مثلت أخيرا سبعة اسابيع على احد مسارح نيويورك بلغت أرباح مؤلفها فى خلالها ٢٠٠٠٠ جنيه

الحركة المسرحية فى الخارج

بقية المنشور على صفحة ٤٠٠

القارىء ، وروى ظمأ المتعطشين الى القصة فى مصر والذين كانوا لا يقرأونها الا باللغات الافرنجية أو مترجمة الى اللغة العربية فهل تراه وفق فى عمله ؟ لاشك فى أنه وفق الى حد بعيد ، يدلنا على هذا أن أكثر أقاصيصه مترجم الى اللغات الحية وأن الاستاذ شادة مدير دار الكتب المصرية السابق ألقى عنها محاضرة نفيسة فى مؤتمر المستشرقين السابع عشر وأن مجموعة اقاصيص « أبو على عامل ارتيست » هى المجموعة السابعة التى يقدمها الاستاذ تيمور الى قراء العربية !

محمد أمين حسونة

٢ أبو على عامـــل أرتست

تأليف الأســـتاذ محمود تيمور

عرض ونقـــد وتحليل

واتيمور موهبة فائقة فى وصف آلام الناس ونزعاتهم فى الحياة، دون ان يترك فى نفس القارىء شعورا بالكآبة او الانقباض ، وقليلون من الكتاب من لهم مثل هذه القدرة ، فهم اذا تعرضوا لوصف الآلام أسرفوا فى عواطفهم وشعروا بالكآبة والضجر وحملوا القارىء على أن يفقد حيوتيه ؛ اما الوصف فى أقاصيصه فقد يكون أقرب الى فلسفة الجمال منه الى استدرار عواطف الرحمة والاشفاق

على ان هناك صفتين أخريين نلحهما دائما فى أدب تيمور :أولاهما تغلب عاطفة الخير فى أقاصيصه على عاطفة الشر ، وقد يعود هذا الى أنه يرى الحياة من جانب واحد هو الخير ،وبنظرة ثابتة هى الاطمئنان ، وهو من هذه الناحية يشبه دكنز ، عندما أراد أن يرسم لنا صورة مكوبر ومسترمل ، جعلهما ينجحان فى استراليا ، مع ان شخصيتيهما لا تدع أمامنا مجالا للشك فى أنهما خرجا ليلاقيا الخيبة

وقد تدفعه عاطفة الخير الى ان يحجب نور الحقيقة عن نظر القارىء ، وعند مايريد ان يصارحه بهذه الحقيقة ، تراه يشير اليها من طريق خفى وبدون ان يعلق عليها بقلمه ، كما فى أقصوصه «جحيم امرأة» ، فأنه بدلا من أن يصارحنا بحقيقة الخواجه نعوم وموقفه من خيانة زوجته، نراه يلجأ الى التستر والتلميح ،خاصة عند ماناوله عبد السميع مبلغ الثلاثين جنيها بحجة انها ثمن لاسهم شركة يريد ان يؤسسها ، مع ان فطنة القارىء تكاد ترشده الى ان هذا المبلغ لم يك الا ثمنا لثلاثين ليلة قضاها العاشق المضطهد فى أحضان الزوجة العابثة !

والصفة الثانية التى يريد أن نتحدث عنها ، هى تلمذته على أدب المرحوم محمد تيمور أخيه وتأثره الشديد بفنه ، وهذه الصفة البارزة تدفعنا الى أن نقارن بين أدب الأخوين فالفرق بينهما واضح جداً

كان فن المرحوم محمد تيمور يقوم على ميزات ثلاث : اللغة والمحاورة وبناء هيكل الرواية ، وكان يؤمن بان الفن هو مرآة الطبيعة فاجب ان ننقل اليه الطبيعة كما هى من غير تجميل ، ومن اجل هذا وكان ينتصر للعامية ويرى انه يمكن ان نعبر بها عن كل مايراد التعبير عنه ، ولذا جاءت لغة الحوار فى رواياته طبيعية لاأثر للصناعة او التكلف فيها ،وكانت نظرته للحياة اكثر ادراكا ، فكان يستوضح مظاهرها ويدور فى اعطافها ليستمد فنه من جميع نواحيها ، انه ليخيل الينا ونحن نطالع احدى رواياته انه قد تقمص بطلها

أما محمود تيمور ، فبالرغم من طابع الصدق الذى يتسم به أدبه وجذوة الحياة التى تشتعل فى جوانب أقاصيصه ، فانا نكاد نشعر كنقدة ـ بأنه يبخس المتكلم حقه ولايعطيه الحرية التامة فى ان يعبر عن أفكاره وميوله باللغة التى توافق مزاجه وتلائم بيئته، والقصصى العبقرى ، هو الذى يحس بالحوادث تجرى حوله ، فلا يكتفى بأن ينقل الينا صورها ويصبها فى القالب الفنى ، بل عليه الى جانب هذا الا يجعل أشخاصه جامدين ، وان يعطيهم الحرية فى ان يعبروا عن أحساساتهم باللغة التى توافقهم وتلاءم مع طباعهم ، فالفن هو كل شىء فى القصة واليه يرجع عامل نجاحها او سقوطها !

وانى أثبت بهـــذه المناسبة رأيا أبداه المستشرق الروسى كراتشقوفسكى عن فن محمود تيمّور القصصى ، إذ قال : ليست أقاصيصه الا درسا بسيكولوجيا وتحليلا لأحوال النفس وتطوراتها فى الشخص الواحد مع بعض الدرس للاشخاص المجاورين له فى البيئة ، ومزية التركيز وقلة الحركة فيها يجعلها تؤثر فى النفس أحيانا تأثير الدراما المسرحية المحزنة .

أما « حسن أبو على » فقصة شاب مأفون مهرج ، هوى التمثيل وتأليف الروايات المسرحية ، فترك عمله والتحق باحدى الغرف التمثيلية لاشباع نهمته الفنية ، وهى نزعة كانت سائدة عند الكثيرين من شباننا إثر ترددهم على دور التمثيل ،أما الآن فليطمئن بال الاستاد تيمور لان السينما قضت على هذه النزعة فى النفوس !

والقارىء يشعر بعد مطالعته لهذه القصة ، بروح التهكم المر والسخرية اللاذعة التى لجأ المؤلف اليهـــا ، فى تصوير هـذه الشخصية المشعوذة التى انبعث حبها للتمثيل . ولم يكتف المؤلف بان يقسو على بطله يعذبه فى الحياة من أجل الفن وفى سبيله ، وأن ينسب اليه موت عمه ليتخذ من هـذا وسيلة لاظهار مواهبه الفنية ، وأن يدفعه الى ارتقاء منابر المسـاجد ليعظ الناس فى يوم الجمعة كانما هو على خشبة المسرح ، وأن يتسلط عليه فيدفعه أيضا الى أن يبدد الثروة الضئيلة التى تركها عمه ، فيشيد بها مسرحا يهدمه المتفرجون على رأسه فى ليلة الافتتاح ! لم يكتف المؤلف بهذا كله بل نراه قد أجهز عليه بنفس القسوة وحكم عليه بالموت !

وبعد فقد فرض الاستاذ تيمور هذا اللون من الاقاصيص على

البقية فى أسفل صفحة ٣٩٩

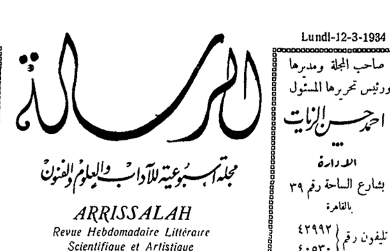
2 me Année,No . 36

Lundi-12-3-1934

بدل الاشتراك عن سنة

ـــصـــ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العـــدد ٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ — ١٢ مارس سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

فى ملعب الكرة

للدكتور محمد عوض محمد

... وفى ذلك اليوم ذهبت بصديقى إلى ملعب الكرة ... لم أذهب به الى دور العلم أو إلى حلقات الأدب ، حيث ينصت إلى لجاج الفقهاء ، وحوار الأدباء ؛ فلقد طَعِمَ من هذا الغذاء الدسم الشهر كله : وشهد المعركة الطاحنة بين اللائحة والشرعة ، وبين الأريكة والسرير ؛ وبين الفنون الرفيعة والغليظة ؛ وبين الفتوة والمروءة ، وبين الكوفة والبصرة ، وبين المستشرقين والمستغربين ...

***

انتزعتك ياصديقى من بين هذا كله . فلعمرى لقد آن لك أن تمسح عن جبينك المجهد المعنى عرق النحو والصرف والفقه ، وأن تزيل عن عينيك ما علق بهما من قذى البحث العميق ، عن اللفظ الدقيق والمعنى الأنيق : ذلك البحث الذى طالما ما أضناك وأذواك ؛ ثم عدت منه صفر اليدين ، أو رجعت بشىء زهيد لا يطفىء غلة ، ولا يغنى من جوع .

فتعال اليوم نتبوأ هذا المقعد العالى ، ونشرف منه على هذا الميـــدان الفسيح ، كما يشرف النسر من ذروة الطود . ولنرقب ما يجرى بين أيدينا من الحوادث الجسام ... أراك تبتسم ابتسامة الشك أو الانكار ، كأنما تظن أن ما يجرى هنا ليس إلا ضرباً من ا ث أو اللهو : كلا وأبيك ان تبرح حتى تشهد فى هذا الملعب

من دروس الحكمة ومن عبر الحياة ، ومن المعانى البديعة العميقة ، ما لم تجده بعد فى الكثير من أسمار أصحابك الخالدين . . .

وهم أولاء "اللاعبون قد أقبلوا ؛ فدوى رعد الهتاف و" صفيق ؛ أرأيت هذه الأجسام الفتية التى أفعمت صحة وقوة ، والتى لا تكاد تستقر فى مكان مما بها من نشاط ومرح ولكنها قد تثبت فى موقفها حينا فكأنها الجبال الرواسى . ثم تنقض على الأثر كأنها صخور تهوى من قمة طود : أو تندفع طائرة كما تندفع السهام عن القسى . وهى بعد هذا كله لا تشكو كلالا ولا ملالا ، كأنما يتفجر نشاطها من ينبوع لا يغيض . إن هذه السيقان التى تراها تحمل تلك الاجسام ؛ ما نمت هذا النمو ولا اكتست تلك القوى فى يوم أو بعض يوم . . بل هى ثمار المران الطويل شهوراً وسنين . وليس من هؤلاء الفتيين من لم يأخذ نفسه بأنواع من الجد والدأب والحرمان من ضروب اللهو والعبث ، كى يبلغ هذه المرتبة العلية من القوة ومن الرشاقة ومن جمال الفتوة ، والرجولة الصحيحة .

حدثنى بالله ! ألا ترى فى النظر إلى هذه الأجسام القوية الفتية متعة للنفس وللحس ، بعد الذى شاهدته من تلك الأجساد المترهلة ومن تلك البطون الناتئة ؛ والمدت المترامية على الصدور ، والأقفاء المطوية فى ثنايا عديدة ، مديدة والسيقان العلاظ التى لا تستطيع المضى ميلا أو بعض ميل . ألا إن عيوننا لتقذى برؤية هؤلاء الأسبوع كله . فلينعم طرفنا اليوم بمنظر الصحة الدافقة والقوة الباهرة . . بعد هذا فلتضف فصلا جديدا إلى كتب الفتوة ، فصلا تبنيه على المشاهدة والعيان الا على الأخبار والأقوال . .

ان الرياضة قد أدبت هؤلاء الفتيين فأحسنت تأديبهم . . . أنظر اليهم كيف تركوا ضيوفهم يسبقونهم الى الملعب . وفى إثرهم ينزل أصحاب الدار على مهل ، كأنما يمشون على استحياء . وهم على هذا كله خصوم ، ستدور بينهم معركة لا هوادة فيها ولا لين ولا محاباة فيها ولا مداراة . معركة سيبوء فيها الضعيف بالخزى والخسران ؛ ويرقى النصر بالمنتصرين إلى أعلى مراتب السمو .

هذه المعركة هى بيت القصيد . وأن فى صورها العديدة لما ينشرح له الصدور وتطمئن القلوب . . . فها هنا معركة تنشب بين فريقين قد تكافآ فى العدة ، وتماثلا فى العدد . فلن يكون الفوز فيها إلا للجد والجلد ، للبراعة والأقدام . . . ونحن فى عالم طالما نشهد فيه تغلب الأقوياء على الضعفاء ، وطغيان جيوش الظلم على جنود الحق . واستبداد الكثرة الغاشمة التى تزهى بعدتها وعديدها ، ويحلو لها أن تمعن فى الجور وتسرف فى العدوان فما أسعدنا اليوم ان نتناسى ذكر هؤلاء حينا ؛ لكى تنعم أبصارنا بشهود معركة نظيفة بريئة بين أكفاء وأنداد . .

أجل ؛ وإنك لتهتز طربا اذ ترى هذه المعركة تدور رحاها بين يديك فى وضح النهار . معركة ليس فيها خفاء ولا لبس . الميدان كله أمام أعيننا — من أدناه الى أقصاه — نتأمل كل ما يجرى فيه ولا يخفى علينا من أمره شيء . فلسنا الآن — ونحن ننظر إلى هذه الحرب الطاهرة — تلك المعارك الغريبة المريبة ، التى تدبر فى الخفاء وتسير فى الظلام . وتنصب فيها الحبائل ؛ ويشتد فيها الكيد . وينسى فيها الشرف . وتحنث فيها الايمان ؛ وتخون فيها العهود . والتى لا يحلو فيها الطعن إلا على غرة ؛ ولا يتحارب فيها الا أسلحة الجبن . . . هذه — ويا للاسف ! — معارك قد امتلأت بها حياة الناس فلنستعن على نسيانها الساعة بهذه المعركة النبيلة ؛ التى بين أيدينا ، والتى تبدأ جهاراً ، وتجرى جهاراً ، وتنتهى جهاراً . . . وعلى كل لاعب رقباء من هذه الآلاف المؤلفة ، التى احتشدت اليوم لكى ترقب حركات كل لاعب وسكناته والويل لمن يحيد عن الصواب لمحة العين ؛ فيستثير من آلاف الأفواه صيحات الانكار والاستهجان

أجل وإن لهذه الحرب الضروس لقواعد وشروطا قد نصت عليها قوانين مقدسة الرعاية ، ولن ترى فى العالم كله قانونا ينفذ فى شدة وصرامة ، وفى قوة وحزم ، كما ينفذ هذا القانون ؛ الذى ليس فى تنفيذه تسويف ولا (تأجيل) . بل سرعان ما يلقى الآثم جزاء اثمه ؛ قبل ان يتحول عن مكانه ، وهاهنا الحكم النزيه اليقظ الذى يحصى الصغيرة والكبيرة ، ولا يعرف المحاباة ولا المداراة .. فاذا كنت — ياصديق — ! قد أهمك وأحزنك ان رأيت العدل يصرع والقانون يداس بالنعال فى مشارق الارض ومغاربها ؛ فلتسر الهموم عن نفسك برؤية هذا الحكم العدل ، الذى لا تأخذه فى الحق لومة لائم . والذى يرى القوى المدل بقوته ضعيفا عاجزاً ؛ حتى يقتص منه ويرده الى جادة الصواب .

* *

والآن ، ألست تراك شديد الاعجاب بما تراه الساعة فى الفريقين من عزمة وثبات ودأب لبلوغ الغاية ، ومضى لما وطنوا النفس عليه فلقد يخطئون الهدف المرة بعد المرة . من بعد ما أجهدوا قواهم

فى الجـــو …

للدكتور طه حسين

أما فى العصور القديمة حين كان الانسان رشيدا حذرا يطلق خياله الى أبعد مدى ممكن، لأن اطلاق الخيال لا يضر ولا يخيف ولا يرسل عقله وجسمه الا فى أناة ومقدار؛ لأن إرسال العقل والجسم بغير حساب قد يؤدى الى ما لا يحب، اما فى تلك العصور فقد كان الناس يطيرون فى الخيال يطيرون مجازا لا حقيقة. وقد تحدث اساطيرهم بأن منهم من حاول ان يطير حقا. فلما ارتفع فى الجو دنا من الشمس فذابت اجنحته التى اتخذها من الشمع ولم يلبث هو ان هوى الى الارض فاندق عنقه، ولقى من الموت جزاء على هذه الجراءة التى سمت به الى ارقى مما يجب ان يسمو اليه الناس. فقد خلق الناس ليمشوا على الارض لا ليطيروا فى الجو؛ فمن عدا منهم طوره او تجاوز حده لقى هذا الجزاء الذى لقيه طائر الاساطير اليونانية حين اذابت اجنحته الشمس؛ او ما لقيه طائر الاخبار العربية حين كان جسمه اثقل من خياله فلم يكد يسلم نفسه الى الهواء حتى خانه الهواء واسلمه الى أمه الارض فدقت عنقه اولا. ثم حنت عليه بعد ذلك كما تحنو الام الرؤوم على ابنها العزيز

كان ذلك فى العصر القديم حين كان خيال الانسان اكبر من عقله وأشد اجتراء على الطبيعة وما ينبث فيها من المصاعب والعقاب.

وكان اسلافنا من أدباء العرب وشعرائهم يحبون للأناة: يطيرون ولكن دون ان يفارقوا اماكنهم، تطير نفوسهم وقلوبهم شوقا الى من يحبون، وتطير نفوسهم وقلوبهم فرقا من يكرهون؛ وقد تطير أجسامهم الى ساحة الحرب وميادين القتال حين يأتيهم الصريخ ويبلغهم فزع المستغيث. ولكن اجسامهم كانت تطير دون أن تفارق اقدامهم الارض. كانوا يسرعون فى العدو فيحسبون انهم يطيرون؛ ولعل منهم من كان يطير فى الجو؛ ولكن على ظهر ناقة او جمل. فكان يباعد بين قدميه وبين الارض، ولكنه كان يتخذ بينه وبين الارض سببا على كل حال. ومنهم من كان يسعده الحظ وتواتيه الثروة فيطير على ظهر فرس او جواد، ويحسب مع ذلك انه يطير حقاً، وربما عبث به الوهم ولعب به الخيال فظن حينا انه يطير؛ وظن حينا آخر أنه يسبح فى الماء. أما الآن فلست أدرى أضعف الخيال ام لم يضعف، ولكن الشيء الذى لا شك فيه هو ان العقل والجسم اخذا يسابقان الخيال فيسبقانه فى كثير من الاحيان؛ فلم يبق الطيران فى الجو حلما ولا وهما ولا نبأ من انباء الاساطير، وانما أصبح اداة يسيرة من ادوات الانتقال. وكان منذ أعوام اداة مقصورة على أصحاب الجرأة من الفنيين؛ ثم تجاوزهم الى أصحاب الجراءة والسعة من المترفين وفارغى البال؛ ثم تجاوزهم الى أصحاب الثروة الذين يحبون السرعة ويستطيعون الانفاق؛ ثم أخذ منذ حين ينزل ويتدلى دون ان يفارق الجو، ولكنه ينزل ويتدلى على كل حال حتى بلغ امثالك وأمثالى من أهل الطبقات الهينة اليسيرة المتواضعة التى يسمونها الطبقات الديمقراطية. وأصبح الطيران فى هذه الايام اداة من ادوات الانتقال قد يعجز العمال عن استخدامها؛ ولكن أهل الطبقات الوسطى لا يعجزون عن ذلك ولا يترددون فيه؛ والغريب انه بعد ان تقدم او تأخر فى اوربا وأمريكا الى هذا الحد وصل الى مصر واستقر فيها؛ ان صح ان الطيران يستطيع ان يستقر. وصل الى مصر واصبح اداة للانتقال يستخدمها المصريون الذين عرفهم الزمان ببغض السرعة وحب الأناة والحرص على الثبات والاستقرار. أليس آباؤهم قد بنوا الاهرام. ومع ذلك فقد أخذ المصريون يطيرون، ولم يقتصر الطيران على الرجال فى مصر؛ بل تجاوزهم الى النساء. فهن يطرن أيضا وهن يسابقن فى الطيران وهن يسبقن الطائرين؛ وقد كان مكتوبا عليهن أن يلزمن الدور ويعكفن من وراء الخدور. ولكن ماذا نصنع وقد ارتقى العقل حتى سابق الخيال؛ وارتقى الجسم حتى

سعيا وطلبا. ولكنهم يعودون بعد الاخفاق الى السعى والعدو، لا تنبههم العقبات إلا ريثما يتأهبون لاجتيازها. ولا يترددون لحظة الا ليأخذوا العدة للتقدم. وكأنما لا يعرفون طعم اليأس، ولا يؤثر فيهم الاخفاق؛ فهم أبداً كموج البحر لا يتراجع إلا ليدفع؛ ولا يضعف إلا ليشتد.

وهاقد انقضت الساعتان كأنهما لحظتان فى وسعك الآن أن ترجع إلى أسفارك وأخبارك؛ وبحوك وصرفك. وأحسبك الآن قد آمنت ان هذا الميدان البرى لا يخلو من الحكمة والموعظة الحسنة. اجل وانك لتحدثك نفسك الساعة بمثل الذى تحدثنى به نفسى ليت لعب الحياة كان جدا، وليت جدها كان لعبا!

استطاع أن يطير ويبلغ آماداً وبيئات لم يكن يبلغها من قبل الا الخيال والوهم. وأغرب من هذا وذاك ان الطيران قد هان ولان وسهل أمره وابتذلت قيمته حتى أصبح مباحا لقوم ما كان ينبغى أن يباح لهم لولا أن الفساد قد دب الى كل شىء وتسلط على كل شىء وأصبح الناس ينظرون فلا يعرفون أين يعيشون ، ولا كيف يعيشون

وهؤلاء القوم الذين سخر لهم الطيران فى آخر الزمان هم الأدباء . والأدباء المصريون ، أرأيت الى أديب عربى يطير ؟ أين نحن من أيام طرفة بن العبد ، وعلقمة بن عبدة ، وزهير ، وغيرهم من الشعراء الذين كانوا اذا حزبهم الأمر وألح عليهم الهم وعبث بهم شيطان الشعر يعمدون الى نوقهم فيركبونها ثم يخرجون بها فى الصحراء ليسلوا عن أنفسهم همها ، وليتلقوا عن شياطينهم ما يريدون أن يوحوا اليهم من جد الكلام وهزله . ثم يعودون وقد فتنوا بهذه النوق وقالوا فى وصفها ما لا نزال نتكلف فى فهمه وتفسيره ضروب المشقة وألوان العناء

كذلك كان يفعل اسلافنا من شعراء الجاهليـــة والاسلام ، أما الآن فصديقنا الأستاذ عبد العزيز البشرى يطير لا بالخيال ولا بالعقل ولا على جناح الفلسفة ، وانمـا يطير حقا ، يطير من هليوبوليس الى الأسكندرية ، ثم يتحدث عن طيارته كما كان يتحدث طرفة عن ناقته ، أو كما كان يتحدث صاحب العرداة عن عرادته ، أو كما يتحدث أبو نواس عن ناقته فى تلك الأبيات التى يحسن الأستاذ عبد العزيز البشرى خاصة انشادها وتوقيعها . يتحدث عن هذه الطيارة حديثا اى حديث ، حديثا ساحراً حقا ، باهراً حقا ، نشرته الاهرام فى الصيف فأعجبت به حتى لم أنسه الى الآن على كثرة ما قرأت منذ الصيف ، حديثا لا تكاد تمضى فيه حتى تحس كأن الأستاذ يعرف طيارته كما كان طرفة يعرف ناقته ، ومع ذلك فما أظن ان للاستاذ علما مفصلا بهذه الشياطين التى تطير بالناس فى الجو منذ طغى العلم الحديث .
ولكن للبيان سحراً ينطق صاحبه بالأعاجيب ، وما دام الأدباء وقد أخذوا يطيرون ، وما دام الطيران قد أصبح أداة من أدوات الانتقال فلا بد من أن تتغير لغة الناس بعض الشىء ، ولا بد من أن يلتمس المبالغون لأنفسهم ألفاظا أخرى يعبرون بها عن السرعة حين يريدون أن يصفوا السرعة ، فقد كانوا يطيرون شوقا حين كان الطيران أمراً مستحيلا ، أما الآن فيجب أن يجدوا للشوق أداة ينتقل بها غير الطيارة ، وبيئة ينتقل فيها غير الجو .

وقد أخذ الأدباء الاوروبيون يسلكون الطريق الطبيعية الى هـذه الغاية ، وأول ما كان ينبغى أن يفعلوه من ذلك انما هو تسخير الطيارة للادب بعد ان سخرت للعقل والجسم ، ولعقول الادباء وأجسامهم بنوع خاص ، أخذوا يفهمونها ثم يصفونها ويعبرون عنها تعبيراً أدبيا بعد ان كان وصفها والتعبير عنها مقصورين على العلماء الذين يخترعون ، والعمال الذين ينفذون ، والصناع الذين يعالجون أجزاء الطيارة فى كل ساعة من ساعات النهار . ثم لم يكتف الادباء بالفهم والوصف والتصوير فيما يكتبون من المقالات ، وما ينظمون من القصائد وما يذيعون من الاحاديث ، ولكنهم تجاوزوا ذلك فاستغلوا الطيارة فى فنون الأدب كلها . فما الذى يمنع ان تكون الطيارة موضوعا يلهم أصحاب القصص ، ويلهم أصحاب التمثيل ، واذا كان من الحق أن الناس يأتلفون ويختلفون وتثور بينهم عواطف الحب والبغض فتؤثر فى حياتهم أبلغ الاثر وأعمقه ، وتلهم القصاص أن يصوروا من ذلك ما يريدون ، فاذا بعضهم يصور من ذلك ما يقع فى قطار ، وبعضهم يصور من ذلك ما يقع فى سيارة ، وبعضهم يصور من ذلك ما يقع فى عربة تجرها الخيل ، أقول اذا كان من الحق أن كرسى البريد وعربة الخيل والسيارة والقطار والزورق والسفينة الشراعية والسفينة البخارية ، كل ذلك قد الهم الأدباء فى الشعر والنثر والقصص والتمثيل ، فما الذى يمنع الطيارة أن تلهم الأدباء فى هذه الفنون جميعا ، ومن الذى يستطيع أن يزعم أن الطيارة أقل قدرة على الالهام ، و أقل حظا من الفصاحة وسحر البيان من هذه الأدوات التى ذكرناها آنفا .
ومن الذى يستطيع أن يزعم أن الأدباء الذين سخروا للأدب كل هذه الادوات يعجزون عن أن يسخروا للأدب هـذه الاداة الجديدة التى تطير بأجسام الناس بعد أن طارت صورتها بما كان لهم من عقل أو خيال

الطيارة قادرة على الالهام ، والأدباء قادرون على أن يطقوها رغم أنفها سواء أكان لها أنف أم لم يكن . وتستطيع أن تنظر فى الآداب الأوربية الحديثة فسترى أن الأدباء قد أغنوا فنون الأدب وأضافوا الى ثروته الضخمة ثروة أخرى قيمة حين اتخذوا الطيارة أداة من أدوات القصص . وانا زعيم بأنك إن بدأت القصة التى أنشأها الكاتب الفرنسى كيسل منــذ أعوام وسماها اكياج

(البقيـــة على صفحة ٤٣٩)

الاحســـان

للاســـتاذ احمد امين

لا أطيل على القارىء ، فانى أريد بالاحسان التصدق على الفقراء ،ومعونة الضعفاء والمرضى ، ولست أرى لفظا أدل على المعنى من الاحسان ، وان لم يرضه المتشددون فى الالفاظ

ربما كانت فضيلة الاحسان من أكثر الفضائل تقلبا مع الزمان ،وتغيرا فى افهام الناس . فكم بين ما كان يفهمه حاتم الطائى من نحر الجزور وانهابها الناس ، وبين ماوضع من النظم الحديثة للاحسان من فروق ومباينات !

فنظام المعيشة من قديم ينتج غنيا مفرط الغنى ، وفقيرا مفرط الفقر ، كما ينتج :

أعمى وأعشى ثم ذا بصر وزرقاء اليمامه
فذوو السعادة يَضْحَكُو ن وغيرهم يبكى ندامه

ولم يخلق للآن نظام يعدم هذه الفروق أو يقللها من غير ان يستتبع خطرا أعظم ، وداء أعضل .

فاهتدى الناس لتلطيف هذه الفروق الى المناداة بالكرم والفخر به ، ولست أدرى أكان اول من نادى به الاغنياء اتقاء لخطر الفقراء ، ام الفقراء تعطيفا لقلوب الاغنياء

وأتت الاديان تدعو الى الأخوّة ، وخاصة بين أهل الدين الواحد ، وتجعل من مستلزمات هذه الاخوة عطف الغنى على الفقير واشراكه فى جزء من ماله ،واستتبع ذلك وجود الاديار فى النصرانية والتكايا فى الاسلام

وكما أنتجت النظم معونة للفقراء وسدا لحاجات المعوزين أنتجت عند بعض الناس تراخيا فى العمل ، وميلا الى الكسل واتخاذ الاستجداء حرفة ، والتكدى صناعة .

وكثرت جيوش الفقراء فلم تكف النزعات الدينية لسد حاجاتهم ، فتدخلت الحكومات تحمل بعض العبء . فبنت المستشفيات وأنشأت الملاجىء وما الى ذلك

وأتت المدنية الحديثة فأخذت تقوّم الفضائل من جديد ، واستخدمت العلم فى هذا التقويم كما استخدمته فى كل شىء ، وكان مما نظمته طرق الاحسان ، بل جاء قوم من الفلاسفة متأثرين بمذهب النشوء والارتقاء . وبنظرية الانتخاب الطبيعى وعلى رأسهم « هربرت سبنسر » يطبقون هذا على الاحسان ويرون أنه رذيلة لا فضيلة ، وأن العجزة ومن اليهم لا يستحقون هذه العناية ، انما العناية يجب أن تتجه الى الأقوياء والى خير العناصر . ويجب أن ينتخب من المجتمع خيره وأقواه ، فوجه اليه العناية ونأخذ بيده ، وبعد أجيال سيمحى الضعفاء ويبقى الاقوياء فيسعد مجتمعهم ـ نفعل فى ذلك ما نفعل بالزهور والاشجار ، نهمل الذابل والضعيف فيفنى ، ونستولد القوى الجيد فيبقى الى آخر ما قالوا . ومن حسن الحظ لم تلق نظريته هو وأمثاله نجاحا ، فانها نظرية تقضى على خير ما فى الانسان من عاطفة نبيلة نحو الناس ، وكيف يقضى على العجزة والفقراء ونظام الحياة يخلق منهم كل يوم خلقا جديداً وجيشاً كبيراً لو لم يُعْنَ به لاكتسح الأغنياء ، ولثار ثورة لا يعلم مداها الا الله .

انما كتب النجاح لقوم آخرين من الأدباء والعلماء لم يحاولوا أن يمنعوا الاحسان ، ولكن حاولوا أن ينظموه . لم يشكّوا فى قيمته ،ولكنهم آمنوا بضرره وضاره . واستعانوا بما وصل اليه العلم كما استعانوا بمنهاج البحث الجديد . فدرسوا الفقر وأسبابه وطرق الاحسان وما يتلافى منه مع أسباب الفقر وما لا يتلافى ، ووفقوا فى ذلك الى حد كبير وان لم يصلوا الى الغاية ، وعلى ضوء هذه الدراسة سنت القوانين وأنشئت النظم ، وظلت القوانين تنظم والنظم تعدل ، حسب مقتضيات الاحوال الى اليوم .

فمن أشهر القوانين القانون الانجليزى للفقراء الذى وضع سنة ١٦٠١ ونقح سنة ١٨٣٤ والتزمت فيه الحكومة بمساعدة الفقراء والعاطلين

ومن أشهر النظم المعروفة نظام « همبرج » الذى وضع للفقراء والعاطلين، وهو يتلخص فى تأسيس مكتب رئيسى فى المدينة للنظر فى شؤون الفقراء وتنظيم الاحسان وتقسيم المدينة الى أقسام، وتعيين مشرف على الفقراء فى كل قسم وظيفته اعانة العاطلين على وجود عمل لهم، ودراسة أسباب الفقر فى الاسر ووصف العلاج لها، وانشاء مدارس صناعية لاولاد الفقراء ومستشفيات لمرضاهم، ويقضى بمنع الاحسان يداً بيد الى الفقراء، انما يعطى الاحسان لهذه الجمعية، فهى أدرى بطرق انفاقه — وكان من أثر هذا النظام قلة عدد الفقراء وتنظيم معيشتهم، وقد أدخلت عليه تعديلات قليلة ثم عمم فى مدن كثيرة فى أوربا.

ونشأت فى أمريكا جمعيات على هذا النظام وسعت بعض أغراضها — من ذلك أنها رأت أن أكبر مساعدة ليس إعطاء المال للفقراء ولكن ايجاد العمل لهم، كما جعلت من أهم أغراضها رقية المعيشة الاجتماعية فى منازل الفقراء والعناية بحالتهم الصحية، وبتعويدهم العادات الصالحة للعيش. ووجهت أكبر همها الى العناية بأطفال الفقراء حتى لا ينشأوا كآبائهم، فكان لدى الجمعيات سجل للفقراء والعاطلين فى كل حى، ويجمل عن سبب فقر كل اسرة وحالتها وما بذل من العناية لها، والاتجاه الذى اتجهوه فى معالجتها، وبذلك أسس الاحسان على الاسس العلمية

لعل أهم ما حدث من الانقلاب فى تصور الاحسان انه كان يكفى فى عده فضيلة أن يخرج الانسان عن شىء من ماله أو جهده ابتغاء ثواب الله، لا يبالى بعد ذلك أين وقع ماله: أعلى غنى وقع أم على فقير، أكان فيه اصلاح للفقير أم افساد له؟ فيكفى أن يجود بقرش ليحسب له عند الله عشرة أو مائة، فجاءت الدعوة الحديثة تطلب أن ينظر فى الاحسان الى المحسن اليه لا الى المحسن، فليس من العمل الصالح فى شىء أن تعطى حسبما اتفق، بل يجب أن يكون عطاؤك لاصلاح الهيئة الاجتماعية التى أنت فيها، ولا يكون ثوابا عند الله الا اذا نظر فيه هذا النظر. ولا يعد فضيلة حتى يكون القرش الذى يعطى يقصد به رفع مستوى الأمة، فاذا كان الاحسان يزيد حال الامة سوءاً عد رذيلة لا فضيلة، وعد من أتى به مجرما لا محسنا، وبعبارة أخرى أن هذا النظر الحديث يتطلب أن يشعر المحسن بالتبعة أو المسئولية، فمسئولية المحسن أن يعطى الفقراء وأن يتساءل عن إعطائه هل أفاد من أحسن اليه؟ وهل أفاد الأمة بعمله أو لم يفد؟

كان لهذا النظر نتائج لها قيمتها — منها تحريم الاحسان الفردى، وهو ان تكون علاقة المحسن بالفقير علاقة مباشرة، وانما يجب ان تتوسط فى ذلك الجمعيات والهيئات التى عرفت حالة الفقراء ودرست شؤونهم، واهتدت عن طريق دراستها الى نوع ما يصلح لهم، فمن شاء الاحسان فعليه ان يتبرع لهذه الجمعيات وهى التى تتولى الانفاق — ومنها تحريم التسول فى الشوارع والطرق، لأن المتسول لم يثبت للجمعيات صحة دعواه وعلة فقره. ان كان وليس التسول حرفة مشروعة، ولكن اذا أثبت عدم صلاحيته للعمل وعجزه عن العيش وجب على الامة اعانته، والجمعيات أقدر على تعرف هذا — وكان من مقتضى هذا النظر أيضا أن الهيئات التى وكل اليها هذا الأمر لا يصح ان تكتفى بأعطاء المال الى الفقراء، بل يجب ان تعالج الأمر بشتى الوسائل حسب حالة كل فقير. فمن كان سبب فقره ان لا عمل له مع قدرته سعت له فى ايجاد عمل، ومن كان سبب فقره مرضه عالجته، ومن كان سبب فقره إدمان مخدرات أو سوء عادات نظرت فى وسائل اصلاحه، كذلك اهم عمل تعمله أن ترعى أبناء الفقراء حتى لا يكونوا فقراء المستقبل، فتنشىء لهم المدارس لا ليتعلموا فيها تعلما نظريا لا يسمن ولا يغنى من جوع، ولكن تعلما صناعيا يبعث فيهم روح الاعتماد على النفس، ويفتح لهم السبل لتحصيل العيش — بهذا وأمثاله عولج الفقر فى اوربا وأمريكا، فان كان بعد ذلك عاطلون لم يكن سبب عطلهم راجعا اليهم، وانما يعود الى نظام العمل والعمال وسوء الحالة العامة، وجب ان تضمن الحكومات لهم ما يقيم أودهم حتى يعودوا الى عملهم.

ونحن اذا نظرنا — فى ضوء هذه النظريات وكيف طبقت — الى حالة الشرق وجدنا عجبا ، وجدناه لا يزال على حالته الاولية ، سواء فى ذلك أغراض المحسنين أو تطبيق الاحسان .

لدى الشرق أموال كثيرة تبرع بها أهلها للخير ، لدينا أموال الاوقاف الخيرية ، ولدينا أموال النذور ، ولدينا تبرعات المحسنين ، الى كثير من أمثال ذلك ، ولكن أكثرها لا يقع موقعا حسنا عند الله وعند الأمة ، وكأنه يصب فى البحر صبا أو يدفن فى الارض دفنا . على أن المال الذى يدفن أو يلقى فى البحر ليس له من الضرر أكثر من فقده . ولكن ضرر الانفاق على غير مستحق يزيد الامم بلاء والحال سوءا

وأهم ما استوجب هذه الحالة الاسيفة فى نظرى شيئان — أولهما — احترام ارادة الواقف والمتبرع . فالفقهاء يرون أن شرط الواقف كنص الشارع ، والواقف لا يعلم تطور الامة ولا مطالبها ولا حاجاتها التى تختلف باختلاف الزمان — قد كان كثير من الواقفين لا يفهمون من وجوه البر الا الوقف على الحرمين والمساجد والتكايا والتصدق بالخبز على المقابر . فأصبح الناس اليوم يفهمون أن من وجوه البر كذلك انشاء المستشفيات والمدارس والملاجىء ، وسيفهمون قريبا أن من وجوه البر اعانة جمعيات التأليف واعانة الفلاحين ليحصلوا على الماء النقى ، وليستضيئوا بالنور الكهربائى ، وسيجد غير ذلك من ضروب الخير ، وسيرون أن الوقف على مسجد اذا كان المسجد قد وقف عليه من قبل ما يكفيه ليس وجها من وجوه الخير ، وسيرون ان أموال النذور تلقى فى صناديق الاضرحة ليست تنفق على المعوزين والمحتاجين ، فليس التبرع بها احسانا

كان الواجب من عهد بعيد أن تحترم ارادة الواقف والمتبرع فى رغبته فى الخير فقط ، ولكنا لا نحترمها فى وجوه الخير التى يراها هو اذا رأينا أنها ضارة أو رأينا أن الامة أحوج الى الصرف فى وجوه أخرى — رحم الله حسن باشا عاصم ، فقد كان له موقف فى ذلك من أبدع المواقف — تبرع محسن ببناء مدرسة ، ووقف عليها الاوقاف التى تلزمها ، وأتبعها للجمعية الخيرية الاسلامية ، وكان حسن عاصم مديراً للمدارس ثم أراد الواقف أن يدخل ابنه فى المدرسة ، وكانت سنه تزيد على السن المقررة شهوراً ، فأبى عليه ذلك وقال : انه تبرع بمدرسة فله الشكر ، ووقف عليها أوقافا فله من الله الاجر ، ولكنه يريد أن يبطل قوانيننا فليس له فى ذلك حق

قد يكون من المعقول أن نقبل ارادة الواقف فى أوقافه الاهلية . أما الخيرية فيجب أن تخضع كل الخضوع لمصلحة الامة . لا أظن الواقفين اذا بعثوا من قبورهم ورأوا تطورات الامم الا مؤيدينا فى رأينا وراجعين عن رأيهم .

والامر الثانى وهو متصل بالاول ، ان اموال الخير تصرف حسبما اتفق لا خضوعا لدراسة اجتماعية ولا تحريا لوجه الانفاق ولا للمنفق عليهم ، فكثيراً ما يحرم البائس المحتاج ويعطى الغنى المبذر ، وكثيرا ما يحرم العائل لا يجد قوته وعياله ، ويعطى المدمن ينفقها فى كيوفه

ان فوضى الاحسان فى الشرق سبب من اسباب شقائه ، ولو نظمت لكانت من أكبر العوامل فى نهوضه وصلاحه

لا أمل فى هذا الاصلاح حتى ينشط رجال الامة وشبانها للخدمة العامة ، وان يمتلئوا عقيدة بضرورة المساهمة فى الاحسان بالمال وبالنشاط ، وأن يطالبوا مطالبة حارة بتنظيم الاحسان حتى يؤدى غرضه على أكمل وجه مستطاع ، اذن لرأينا البؤس فى الامة يتضاءل الى حد كبير ، ويحل محله كثير من الرخاء ، ولرأينا المال — الذى يضيع فى الشرق سدى — وقد أصبح دعامة للاصلاح ، وسببا من أكبر أسباب النهضة الحديثة .

احمد أمين

حوادث النمسا

النمسا الجمهورية فى خمسة عشر عاما

للاستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

فى الثانى عشر من فبراير المنصرم اضطرمت النمسا فجأة بضرام حرب أهلية خطيرة ، واتجهت أنظار العالم الى هذا الحدث الأوربى الجديد ترقب آثاره فى سير الشئون الدولية . وكانت المعركة عنيفة هائلة ولكن قصيرة المدى ، لأنها لم تطل سوى ثلاثة أيام وكانت حاسمة النتائج والآثار سواء فى الموقف الداخلى أو فى سير السياسة الأوربية العامة .

ويرجع هذا الفصل السريع الحاسم الى عزم الرجال الذين يشرفون اليوم على مصاير الجمهورية النمسوية ، وعلى رأسهم الدكتور انجلبرت دولفوس المستشار (رئيس الحكومة) الفتى . وقد تولى الدكتور دولفوس الحكم منذ عامين (فى أواخر مايو سنة ١٩٣٢) فى ظروف صعبة تزداد كل يوم حرجاً : وفوجىء غير بعيد بخطر السياسة العنيفة التى اتخذتها الوطنية الاشتراكية الألمانية أو السياسة الهتلرية إزاء النمسا ، ومحاولتها أن تقضى على إستقلالها وأن تجعل منها ولاية ألمانية ؛ وأنفق العام الماضى كله فى قمع الاعتداءات المنظمة التى يدبرها الوطنيون الاشتراكيون (النازى) النمسويون بوحى ألمانيا وإرشادها ؛ وأبدى حزماً وشجاعة نادرين فى الدفاع عن استقلال النمسا ، ومقاومة ضغط السياسة الهتلرية ، واستطاع حتى اليوم أن يقضى على كل مشاريعها ومحاولاتها . بيد أن هذا الخطر ما يزال قائماً داهماً .

وكان ثمة خطر آخر تواجهه حكومة الدكتور دولفوس وتخشى منه على النظم القائمة وعلى سلام البلاد . ذلك هو قوة الديموقراطية الاشتراكية النمسوية وتغلغلها فى مرافق البلاد . وكانت الديموقراطية الاشتراكية تؤيد الحكومة فى نضالها ضد الخطر الهتلرى ، ولم يك ثمة خلاف فى جهة السياسة النمسوية من هذه الناحية ؛ ولكن المعركة الخالدة بين الجبهة الاشتراكية والجبهة المحافظة كانت تجثم دائماً وراء هذا التفاهم المؤقت على مقاومة الخطر المشترك ؛ وتلك هى المعركة التى انفجر بركانها فى الثانى عشر من فبراير لأسباب وظروف ما تزال غامضة . وقد استطاعت الحكومة ومن ورائها القوى المحافظة أن تخرج من هذا الصراع ظافرة ، وأن تقضى — مؤقتاً على الأقل — على الديموقراطية الاشتراكية النمسوية .

ولكن ماذا سيكون بعد هذا الظفر وبعد اختفاء الديموقراطية الاشتراكية من ميدان كان لها فيه منذ قيام الجمهورية النمسوية أيما شأن ؟ لقد كانت الديموقراطية الاشتراكية سند حكومة الدكتور دولفوس فى نضالها ضد الخطر الهتلرى ، فالآن وقد حطمت هذه القوة ، فان مهمة الدكتور دولفوس تغدو أصعب وأشق . بيد أنه يصعب علينا أن نقول اليوم كلمة حاسمة فى نتائج هذه المعركة . وسنحاول فى هذا البحث أن نستعرض تاريخ الجمهورية النمسوية منذ قيامها ، وأن نشرح العوامل والظروف الداخلية والخارجية التى تقلبت فيها ، والقوى السياسية والاجتماعية التى تتجاذبها ، والاتجاهات المختلفة التى تسيرها فى ميدان السياسة الدولية .

٭ ٭ ٭

قامت الجمهورية النمسوية فى الثانى عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، على أنقاض البقية الباقية من امبراطورية النمسا والمجر القديمة . وكانت امبراطورية النمسا والمجر تسير قبل ذلك بعامين أو ثلاثة فى سبيل الانحلال والتفكك . وكان الامبراطور الشيخ فرانز يوسف الذى سهر على وحدتها ومصايرها نحو سبعين عاماً قد توفى فى نوفمبر سنة ١٩١٦ ، والحرب الكبرى فى إبان اضطرامها والامبراطورية القديمة تواجه أخطار الهزيمة والتفكك ؛ فخلفه حفيد أخيه الأرشيدوق كارل ؛ ولم تمض أشهر قلائل حتى أخذت بوادر الاعياء والهزيمة تبدو قوية على الجيش الامبراطورى . واخذت القوميات والاجناس القديمة التى تتألف منها الامبراطورية اعنى المجر والتشك والسلوفاك والبولونيين والصربيين والرومانيين ، تتحرك فى سبيل التحرر والاستقلال . وفى أكتوبر سنة ١٩١٨ ، اعلنت تشيكوسلوفاكيا نفسها بمؤازرة الحلفاء جمهورية مستقلة برئاسة الدكتور مازاريك ؛ وفى نفس الوقت اعلن الصرب والكروات خلع الامبراطور كارل ، ونادوا بأنفسهم مملكة مستقلة هى مملكة الصرب والكروات والسلوفين ، أو مملكة يوجوسلافيا وملكها بطرس الأول ملك صربيا . وقامت خلال ذلك ثورة فى بودابست ، واعلنت المجر انفصالها عن الامبراطورية وقيامها دولة حرة

مستقلة . وبذلك انتهت امبراطورية آل هبسبرج القديمة . وفى أوائل نوفمبر ثارت مدينة فينا بدورها وطالبت الجموع باقامة الحكم الديموقراطى ، فلم ير الامبراطور كارل سوى التنازل عن عرشه والانسحاب ؛ واعلن قيام الجمهورية النمسوية فى ١٢ نوفمبر واجتمعت فى الثالث عشر جمعية وطنية تولت مقاليد الحكم ؛ وانتدبت حكومة مؤقتة على رأسها الدكتور رنر الزعيم الاشتراكى ؛ ودخلت النمسا فى طور جديد من تاريخها .

ويقرر الدستور النمسوى الجديد الذى بدىء بتنفيذه فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ أن النمسا جمهورية اتحادية تتكون من ثمان ولايات والعاصمة فينا . وهذه الولايات هى النمسا السفلى والنمسا العليا ، وسالتسبورج ، وستريا ، وكارنثيا ، والتيرول ، وفورارلبرج وبورجنلند . ونظام الحكم نيابى ديمقراطى ، قوامه جمعية وطنية هى (الناسيونال رات) وتؤلف بالانتخاب العام ، وتتولى التشريع ، ومجلس الاتحاد (البند سرات) وينتخب من اعضاء المجالس الاتحادية ، وسلطاته استشارية فقط ، وينص الدستور على الغاء جميع الامتيازات والالقاب الخاصة وعلى ضمان الحرية الدينية ، وعلى المساواة المطلقة فى الحقوق والواجبات بين جميع السكان . وللجمهورية رئيس ينتخب لمدة أربعة اعوام ولا يجدد انتخابه أكثر من مرة . ويبلغ سكان النمسا نحو ستة ملايين ونصف

وقد حددت علائق الجمهورية الجديدة بدول الحلفاء ، ومركزها الدولى بمعاهدة سان جرمان التى عقدت فى سبتمبر سنة ١٩١٩ . وكانت النمسا تريد يومئذ بعد أن فصلت عن باقى اجزاء الامبراطورية القديمة أن تنضم الى المانيا ؛ ولكن الحلفاء عارضوا فى ذلك اشد المعارضة . ونصت المعاهدة على اقتطاع جزء من التيرول النمسوى وضمه الى ايطاليا ، وعلى اقتطاع بوهيميا الالمانية وضمها الى تشيكوسلوفاكيا ؛ ونصت على تنازل النمسا عن جميع حقوقها فى مصر ومراكش والصين ؛ وحددت عدد الجيش النمسوى بثلاثين الفا ووضعت قيودا شديدة على التسليح الجوى ؛ ونصت على حماية الاقليات ، وعلى الزام النمسا بنصيب من تعويضات الحرب

بدأت النمسا حياتها الجديدة فى غمار من الصعاب ، وكانت النظم الاجتماعية والاقتصادية القديمة قد انهارت وساد الانحلال واليأس جميع الطبقات والافراد ، فكان على النمسا الجمهورية أن تخلق لنفسها حياة اجتماعية واقتصادية جديدة ؛ وأن تبرز من أنقاض الماضى المجيد الى ميدان الكفاح الشاق . وكانت الكتلة الديموقراطية الاشتراكية هى صاحبة الكلمة فى توجيه مصاير النمسا الجديدة ، فهى التى تولت الحكم على أثر انهيار الامبراطورية وهى التى عقدت معاهدة الصلح ؛ وكانت أغلبية فى الجمعية الوطنية التى وضعت الدستور (سنة ١٩١٩) حيث بلغ عدد النواب الديموقراطيين الاشتراكيين ٧٠ والاشتراكيين المسيحيين ٦٤ والوطنيين الالمان وحزب الفلاحين ، وغيرهما ٣٠ ؛ وقد كان هذان الحزبان القويان القديمان ، أعنى الديموقراطيين الاشتراكيين ، والاشتراكيين المسيحيين ، هما اللذان يتنازعان الحكم والسلطان فى الجمهورية الجديدة ، والحزب الأول يمثل طبقات العمال وأصحاب المهن والحرف وله منهاج اشتراكية قوية . والحزب الثانى يمثل أصحاب الاملاك والاموال والفلاحين ، ذوى المبادىء والآراء المحافظة ، وتغلب عليه نزعة دينية قوية . وقد لبث تيار الديموقراطية الاشتراكية غالبا زهاء عامين ، وتولى زعيمها الدكتور رنر رآسة أول حكومة جمهورية فى سنة ١٩١٨ ، ولما أجريت الانتخابات العامة للمرة الثانية خرج الديموقراطيون الاشتراكيون باغلبية جديدة حيث بلغت كراسيهم ثمانين مقابل ٦١ كرسيا للاشتراكيين المسيحيين وعاد الدكتور رنر فتولى رئاسة الحكم على قاعدة الائتلاف مع الاشتراكيين المسيحيين . وكان الائتلاف يومئذ ضرورة تمليها الظروف العصيبة التى تجتازها النمسا ، وكان فى كثير من الاحيان ضرورة دستورية أيضا ؛ لأن الأغلبية الحاسمة لم تكن لاحد الحزبين وكان العمل التشريعى يتطلب التفاهم والمهادنة . وفقدت الديموقراطية أغلبيتها سنة ١٩٢٠ ، وتولى الاشتراكيون المسيحيون الحكم على يد زعيمهم المونسنيور أجناس سيبل ، وهو حبر وعلامة فى القانون الدولى ، ولكن الديموقراطيين الاشتراكيين لبثوا أقلية قوية تناهض الاغلبية وتملى عليها ارادتها فى كثير من الاحيان . وكان اكتساح الحزبين القويين للميدان الانتخابى على هذا النحو يحرم الطبقات الوسطى من أن تمثل تمثيلا قويا ، ويجعل ميدان النفوذ والكفاح قاصرا على معسكرين يمثل كل منهما ناحية متطرفة من المثل والمبادىء ، بيد أن الطبقة الوسطى كانت أكثر ميلا الى ناحية الديموقراطية منها الى الناحية الأخرى .

وأنفقت الجمهورية النمسوية اعوامها الاول فى معالجة المشاكل التى خلفتها الحرب وفروض الصلح ، وشغلت حينا بمسألة النقد

وتدهوره . وكان المونسنيور سيبل رجل الموقف ، فاستطاع بكثير من البراعة والجلد ان يعالج مشكلة النقد بالالتجاء الى عصبة الامم ، واستقر النقد النمسوى منـــذ سنة ١٩٢٣ ، وأخذت النمسا تسير فى طريق الانتعاش الاقتصادى ، وعولجت عدة مشاكل اقتصادية واجتماعية مثل: مسألة الأجور وتنظيمها ، ومسألة المساكن وحماية المستأجرين ، ومسألة التأمينات والمعاشات ، والتشريع العملى والاجتماعى . وبذل المونسنيور سيبل لتنظيم النمسا الجديدة جهودا تخلق بالاعجاب . وكان يعتمد فى سياسته أثناء هذه الاعوام على جبهة موحدة من حزبه، أعنى الاشتراكيين المسيحيين والاحزاب الصغيرة الأخرى ، ولكن الديموقراطيين الاشتراكيين كان لهم دائما فى سير الشئون نفوذ قوى ، بل كان هو الغالب فى معظم الاحيان ، وكانت جهودهم خلال هذه الاعوام تتجه الى تقوية حقوق الطبقات العاملة وتوطيدها ، والى مقاومة اصحاب الاموال والصناعات الكبرى والكتلة المحافظة من الملاك ورجال الدين . وكانت أهم المسائل السياسية التى واجهتها الجمهورية خلال هذه الفترة مسألتان : الاولى ، مسألة التيرول الجنوبية ، والثانية مسألة الاتحاد مع المانيا (الانشلوس) ؛ فاما الاولى فترجع الى ان معاهدة سان جرمان قضت بفصل قسم كبير من أراضى التيرول الجنوبية عن النمسا وضمها الى إيطاليا ، وفيها نحو مائتى الف نمسوى . وعبثا حاولت النمسا أثناء مفاوضات الصلح ان تقنع الحلفاء بتعديل هذا النص والابقاء على حدود النمسا الطبيعية . وقد ازدادت هذه المسألة أهمية وخطورة حينما اشتدت وطأة النظم الفاشستية على أهل التيرول وأخذ السنيور موسولينى فى حرمانهم شيئا فشيئا من اخص حقوقهم القومية والجنسية ، وفرض عليهم اللغة الايطالية فى المدارس والكنيسة ولم يدخر وسيلة لسلخهم عن الكتلة الجرمانية وإدماجهم فى الكتلة الايطالية . عندئذ حاولت النمسا ان ترفع صوتها بالاحتجاج على هذه السياسة ، وقامت الصحف النمسوية والالمانية عامة بحملة شديدة على ماتنزله الفاشستية بأهل التيرول من ضروب الظلم والارغام؛ ولوح الرجال المسئولون فى النمسا والمانيا بأمكان طرح المسألة على عصبة الأمم تطبيقا لما تنص عليه معاهدات الصلح المختلفة من حماية الاقليات القومية . ولكن السنيور موسولينى انكر هذه التهم ، وسخر من تدخل العصبة ونوه بما تسبغه الحكومة الايطالية على رعاياها الجدد من ضروب الرعاية والمعاونة ، وأكد أن التيرول الجنوبية ضرورية لسلامة ايطاليا ، وان ايطاليا لن تنزل عنها قيد ذرة . وانتقد الشعب النمسوى موقف المونسنيور سيبل فى هذه المسألة ورماه بالتردد والضعف ، ولكن سيبل لم ير سبيلا للعمل الايجابى ازاء وعيد موسولينى : ولم تستطع النمسا ان تحمل ايطاليا على تغيير شىء من سياستها وخططها فى التيرول ؛ ولبثت المسألة مثاراً لسوء التفاهم بين البلدين مدى حين ، ومازالت على حالها لم يتخذ بشأنها أى اجراء لانصاف أهل التيرول .

وأما المسألة الثانية وهى مسألة اتحاد النمسا مع المانيا Anschluss ، فقد لبثت مدى اعوام ظاهرة بارزة فى السياسة النمسوية . وهى أمنية قديمة لدعاة الجامعة الجرمانية ترجع الى أواخر القرن الماضى ، وكانت قبل الحرب من غايات السياسة الالمانية ، ولكنها لم تتخذ فى النمسا الامبراطورية أية أهمية ، ولم يكن لها سوى أنصار قلائل بين شبيبة هذا العصر ؛ فلما انتهت الحرب بانهيار الامبراطورية القديمة وتمزيقها ، وفصلت النمسا عن باقى وحداتها شعرت النمسا بخاطر ضعفها وعزلتها عن باقى الكتلة الجرمانية ، ورأت فى اتحادها مع المانيا شقيقتها الكبرى خير سبيل لضمان مستقبلها السياسى والاقتصادى . واعربت النمسا فعلا عن هذه الامنية لدول الحلفاء على يد مندوبيها فى مؤتمر الصلح تطبيقا لمبدأ الرئيس ولسون فى حرية تقرير المصير ، ولكن الحلفاء عارضوا فى تلك الخطوة أشد المعارضة كما قدمنا ، لأن اتحاد الأمتين الجرمانيتين على هذا النحو يقوى ساعد الكتلة الجرمانية فى أواسط أوربا ، ويجعلها أشد خطراً وأبعد نفوذاً ، ولما بدأت النمسا الجمهورية حياتها الجديدة ، وآنست كل مايعترضها من الصعاب السياسية والاقتصادية المترتبة على فصلها وعزلتها وتمزيق معاملاتها وعلائقها القديمة ، عادت فكرة الاتحاد مع ألمانيا تبدو لها كعلاج ناجع ، وكان الفريق المتطرف من أنصار الفكرة يرى أن يكون هذا الاتحاد تاما من جميع الوجوه السياسية والاقتصادية أو بعبارة أخرى يكون نوعا من الاندماج العام ، ويرى الفريق المعتدل أن يكون هذا الاتحاد اقتصاديا قبل كل شىء يقرن بتوحيد الخطط السياســـية العامة ، ولكن تبقى النمسا محتفظة بشخصيتها واستقلالها الداخلى . بيد أن الفكرة كانت تلقى على وجه العموم تأييداً كبيراً من الشعب النمسوى ، وكان أنصار الجامعة الجرمانية فى البلدين يروجون لها بالدعاية الواسعة ، وكانت تقام من أجلها المظاهرات فى العاصمة النمسوية من آن لآخر ، وتشجعها الحكومات

النمسوية المختلفة . وكانت الديموقراطية الاشتراكية مع ذلك تشك فى قيمة هذا الاتحاد وتخشى منه على مستقبلها وحقوقها اذا ما انتهى بالقضاء على استقلال النمسا ، بيد أنها لم تعارضه بطريقة ايجابية ، وكانت تؤيد جانبه الاقتصادى على الاقل ، خصوصا وقد كانت الديموقراطية الاشتراكية الالمانية يومئذ صاحبة النفوذ والسلطان فى المانيا واتخذت أول خطوة عملية لتحقيق مشروع هذا الاتحاد فى سنة ١٩٣١ حيث عقدت النمسا مع ألمانيا اتحادا اقتصاديا جمركيا ، وكان المفهوم أنه أول مرحلة فقط ، ولكن دول الحلفاء ، ودول الاتفاق الصغير ، احتجت كلها على هذا الاتحاد بمنتهى الشدة . وانتهى الأمر بسحبه والغائه ، وأدركت النمسا مرة أخرى انه لن يسمح لها بالاندماج فى الجامعة الجرمانية الكبرى .

وكانت فكرة الاتحاد النمسوى الالمانى ما تزال قوية فى النمسا حينما تولى الوطنيون الاشتراكيون الحكم فى ألمانيا فى يناير سنة ١٩٣٣ وأخذوا يعملون لتحقيق برنامجهم ، والمعروف أن العمل على تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية فى مقدمة المبادىء التى يحتويها برنامج الهرهتلر ؛ وليس من ريب فى أن ضم النمسا لألمانيا هو أهم عناصر هذا المشروع ، وكان المفهوم أن ظفر الوطنية الاشتراكية بالحكم فى ألمانيا يقرب أمد هذه الغاية ، ولكن سرعان ما ظهرت الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ثوبها الحقيقى ، مسرفة فى العنف والطغيان وسرعان ما أخذت الحكومة الهتلرية تتدخل فى شئون النمسا وتعاملها بخشونة وغلظة كأنها ولاية تابعة لألمانيا . وهنا أدرك الشعب النمسوى حقيقة لم يقدرها فى البداية حق قدرها ، وهو أن أنصار الجامعة الجرمانية لا يفهمون من الاتحاد الا أنه قضاء على كيان النمسا كأمة مستقلة أو بعبارة أخرى ضم النمسا لألمانيا كولاية ألمانية . وشهد الشعب النمسوى فى دهشة وسخط كيف تتجنى ألمانيا الوطنية الاشتراكية على النمسا ، وكيف يحاول الدعاة الهتلريون أن يضرموا فى النمسا نار الحرب الأهلية لكى تقضى على وجودها ، وشهدت الديموقراطية النمسوية من جهة أخرى كيف قضى الهتلريون على الديموقراطية الألمانية فى غمر من العنف المثير : عندئذ انهارت فى الحال فكرة «الاتحاد» (الأنشلوس) ، وظهرت للشعب النمسوى فى روعة خطرها وخطئها ، ونهضت حكومة الدكتور دولفوس ومن ورائها سواد الشعب ترد عدوان ألمانيا الهتلرية ، وتعمل لحماية الاستقلال النمسوى بكل ما وسعت من جهود .؟

للبحث بقية

محمد عبد الله عنان

حجر رشيد والقلم الهيرغليفى

للاستاذ عبد الفتاح الزيادى

مدرس التاريخ والجغرافيا والاقتصاد بدار العلوم العليا

تعالى الله كان السحر فيهم   أليسوا للحجارة منطقينا

(شوقى)

ان هذا الحجر وثيقة تاريخية خطيرة أدت الى فك رموز الكتابة الهيرغليفية (المقدسة) ففتحت ما اغلق من تلك المدنية المصرية القديمة التى ترعرعت على ضفاف النيل ودنت قطوفها حتى عمت جهات البحر الابيض الشرقية .

قد هذا الحجر من صخر البازلت : وهو نوع من الحجارة اللوتونية السوداء المعروفة بصلابتها ، وهو يرى الآن قائما فى الطرف الجنوبى من غرفة الآثار المصرية بالمتحف البريطانى . أطلق عليه المؤرخون هذا الاسم بعد العثور عليه فى مكان قريب من مصب النيل العربى بالقرب من موضع رشيد . وقد قرر بعض المؤرخين انه كان ملقى على الأرض وقت ان عثر عليه ، وقرر آخرون انه وجد مبنيا داخل جدار قديم كان نابليون قد أمر ثلة من جنوده بهدمه ليعزز ذلك الحصن الذى عرف بعد ذلك باسم حصن « القديس جوليان » .

أما الذى عثر عليه فهو الضابط « بوسار » من فرقة المهندسين الذين رافقوا نابليون فى حملته على مصر فى أغسطس سنة ١٧٩٩ ورقى عقب ذلك الى رتبة جنرال « قائد »

لما لاحظ « بوسار » ما على وجه الحجر الاملس من الخطوط والنقوش الغريبة أيقن انها لابد ان تكون خطوطا من قلم خاص ، وسرعان ما كاشف رئيسه الجنرال « منو » بما لاحظه ، فأمره هذا بنقل الحجر الى منزله بالاسكندرية ، فنفذ بوسار الامر وظل الحجر زمنا فى بيت « منو » لايعلم أحد من أمره شيئا حتى ادعى « منو » ملكيته واعتبره جزءا من متاعه الخاص

ولما علم نابليون بما كان من أمر هذا الحجر أصدر أمره للجنرال « منو » بنقله الى القاهرة فصدع منو بالأمر ، ونقل الحجر الى « المعهد الوطنى » الذى أسسه نابليون فى المدينة ، وما ذاع خبر نقله

حتى تهافت عليه جمهور العلماء المرافقين لنابليون فأثار دهشتهم ، وأصبح منذ ذلك الحين موضع اهتمامهم واهتمام العاهل العظيم الذى رأى ضرورة فك طلاسم ماعليه من النقوش . أمر نابليون بأن تطبع من تلك الرسوم نسخ توزع على طوائف العلماء فى أوربا ، واستقدم لهذا الغرض اثنين من مهرة الطباعين فى فرنسا ، وهما مارسل وجالان . اما الطريقة التى اتبعاها فى نقل النقوش فهى تتلخص فى أنهما نشرا على وجه الحجر مدادا خاصا . ووضعا ادراج الورق فوق الحجر ضاغطين عليه بضغط من مطاط حتى انطبعت الرسوم واضحة ، ثم وزعت النسخ المطبوعة على علماء العاديات الشرقية فى أوربا تنفيذا لأمر نابليون ؛ وقد اختص المعهد الوطنى بباريس بنسختين وضعتا موضع بحث وتنقيب قام به العلامة « دوتيل »
Dutheil

وصول الحجر الى انجلترا

بعد أن أحرز السير رالف ابركرمبى الانجليزى النصر فى مصر بهزيمته الجنود الفرنسية سنة ١٨٠١ أبرمت معاهدة بين الانجليز والفرنسيين تنص المادة السادسة عشرة منها على ان يسلم الفرنسيون حجر رشيد مع آثار مصرية أخرى عظيمة الخطر كانت فى حوزتهم الى الجنرال هاتشنسون فى أواخر اغسطس من هذه السنة عينها ؛ وتنفيذا لهذه المعاهدة شرع هاتشنسون يتسلم الآثار المصرية بدون كبير معارضة ويرسلها الى انجلترا . ولما حان تسليم حجر رشيد اليه لاقى صعوبات جمة ؛ اذ أن الفرنسيين كانوا قد أسرعوا عقب هزيمتهم الى نقل هذا الحجر الى الاسكندرية وأخفوه فى منزل الجنرال منو مدة من الزمن بعيدا عن أعين الرقباء ، فلم يقف هاتشنسون له على أثر ، الا أنه فى سبتمبر سنة ١٨٠١ عادت انجلترا الى طلبه على يد الماجور جنرال تيرنر تنفيذاً لشروط المعاهدة المذكورة ، ملحة فى ضرورة تسليمه ، فلم ير الفرنسيون بدا من التنازل عنه والأسف يملأ قلوبهم . وأبحر به تيرنر على الباخرة (الاجبسين) ووصل بورتسموث فى فبراير سنة ١٨٠٢ . وفى ١١ مارس أودع الحجر احدى غرف جمعية الآثار بلندرة ، وبقى فيها بضعة شهور فحص فى أثنائها جماعة من علماء المشرق ، وعلماء الاغريق ماعليه من النقش ، وفى يوليه أمر رئيس الجمعية بصنع أربعة نماذج من الجبس على مثاله لجامعات أكسفورد وكمبردج وادلبره ودبلن وطبع نسخا من هذه النقوش وأرسلها الى جامعات أوربا ومكتباتها الشهيرة ومجامعها العلمية . وفى أواخر هذه السنة نقل الحجر من غرفة جمعية الآثار الى المتحف البريطانى حيث نصب وعرض للجمهور لمشاهدته بين بقية التحف الأخرى .

وصف الحجر

ان حجر رشيد كما كشف قطعة غير منتظمة من صخر البازلت يبلغ طوله نحو ثلاثة أقدام وتسع بوصات ؛ ولا يتجاوز عرضه قدمين وأربع بوصات . أما سمكه فلا يزيد على احدى عشرة بوصة . وليس فى الامكان تحديد الجزء الناقص منه تماما ، الا أنه من الهين أن نحكم أنه كان أطول مما هو الآن بنحو اثنتى عشرة بوصة ، ويغلب على الظن أن الطرف العلوى منه كان مقوسا . وواجهة الجزء المقوس كانت محلاة بنقوش تحوى صورة القرص ذى الاجنحة لهوروس اله أدفو . وفى أسفل القرص ذى الاجنحة كنت ترى صورة الملك واقفا مع الملكة فى حضرة جمع من الآلهة . وليس من الصعب أن تتصور أن هذا الحجر وهو منصوب فى المعبد بجانب تمثال الملك الذى صنع تخليداً لذكراه كان من أبرز الآثار وآخذها بالألباب وأكثرها استرعاء للنظر .

أما النقوش على الحجر فقد كانت مرسومة بلغتين مختلفتين المصرية والاغريقية . وكان يعبر عن اللغة المصرية بنوعين من الكتابة: أولهما الهيرغليفى وهو القلم العتيق المستعمل منذ عهد الاسرات الأولى فى تدوين كتاب الموتى والمراسيم المختلفة . وثانيهما الديموطيقى اى القلم العامى وهو المحرف عن القلم الهيراطيقى الذى كان مستعملا فى نشر الاعمال الأدبية من تأليف وغيره

وقد بطل استعمال الخط الهيرغليفى والديموطيقى بعد مادخلت الديانة النصرانية فى البلاد المصرية ؛ وحلت محلهما حروف الهجاء القبطية المركبة من ألف باء اليونانية ، ومن ستة حروف توافق بعض اصوات مصرية ، وليس فى اليونانية مايعبر به عنها

أما الكتابة الاغريقية المنقوشة على صفحة الحجر فقد كانت عادية ومماثلة لما تحويه المخطوطات اليونانية القديمة . ويلاحظ ان القسم الهيرغليفى على الحجر مكون من أربعة عشر سطرا فقط على حين ان مايقابله من الاغريقى مكون من ثمانية وعشرين سطرا بينما يتألف الديموطيقى من اثنين وثلاثين سطرا

مجهودات العلماء فى فك رموز حجر رشيد

أثارت النقوش التى على الحجر حركة عنيفة من الترجمة والبحث بين العلماء ، وكان ستيفن وستن اول من وضع ترجمة القسم اليونانى ثم القى هذه الترجمة امام جمعية العاديات بلندرة سنة ١٨١٢ . وقام دوتى بنقل هذا الجزء الى الفرنسية فاذا به شكر وتمجيد مرفوعان من كهنة الاسكندرية الى بطليموس ايفانس Epiphanes

وقام بدراسة الرموز الديموطيقية العالمان الشهيران سلفستر دى ساسى و آكربلاد السويدى . ونجح هذا فى توضيح ما يرادف بالديموطيقية اسماء الاسكندر والاسكندرية وبطليموس وابسيس واسماء الاعلام الأخرى ، ورتب حروف هجاء مستعملة فى القلم الديموطيقى مازال العلماء يعولون على معظمها ، واكثرها موافق للصحة والضبط . وقد وجه هذان العالمان اهتماما خاصا بالخانات الملوكية وأوضحا مايقابل ذلك فى الهيرغليفية

وفى سنة ١٨١٨ كتب الدكتور توماس يج فى دائرة المعارف البريطانية عن نتائج دراسته الشخصية فى فك رموز الحجر ، ونشر جريدة (قائمة) تحوى كثيراً من الحروف والمقاطع الهيرغليفية ويعتبر الدكتور ينج بحق أول من أدرك فكرة القاعدة الصوتية فى قراءة الهيرغليفية وطبق هذه القاعدة على حله بعض الرموز .

ظلت أبجدية ينج رهن التحول والتغير الى أن ظهر العلامة شامبليون ، وهو من أبرز العلماء فى جمع طلاسم القلم الهيرغليفى اشتغل منذ نشأته بدراسة اللغات الشرقية ، واستوعب بنوع خاص آداب اللغة القبطية من الكتب الدينية والأناشيد الكنسية التى نشرها أقباط مصر أتباع القديس سان مارك بالاسكندرية ، وقد استطاع شامبليون بمعونة اللغة القبطية أن يدرك القيمة الصوتية لكثير من العلامات المقطعية .

وفى سنة ١٨٢٢ نشر جريدة (قائمة) بالحروف والمقطع الهيرغليفية ، وأصلح بهذا بعض الاخطاء التى وردت فى جريدة يج ، وقد شفع هذه الجريدة ببيان قواعد النحو عند المصريين الأقدمين فكان شامبليون أول من أدرك أن الهيرغليفى يحوى علامات تدل على أفكار ومعان مستقلة بالفهم يمكن التلفظ بها . وقد ضمن أول نتيجة ظهرت من أعماله فى رسالة بعث بها إلى المسيو داسيه السكرتير الدائم فى جمعية النقوش والآداب ، وطبعت هذه الرسالة وقابلها الناس أولا بشىء من الاستنكار ، ولكنه أزال الشك بعد ما نشر كتابه خلاصة قواعد الكتابة الهيرغليفية موضحا فى هذا الكتاب أن الصيغ النحوية فى الهيرغليفية توافق المصطلح عليه فى اللسان القبطى . بهذا المجهود الجبار أصبح من السهل ترجمة الخطوط وقراءتها فلا نكون مبالغين اذا قررنا أن شامبليون هو الذى وقف على كنه أسرار الهيرغليفية وفتح الباب على مصراعيه للباحثين بعده :

ماذا على حجر رشيد ؟

ان المسطر على حجر رشيد هو صورة من القرار الذى اصدره مجلس الكهنة المصريين المجتمعين فى ممفيس للاحتفال باحياء الذكرى الأولى لتتويج بطليموس ايفانس ملك مصر فى ربيع سنة ١٩٦ ق . م . والصورة الاصلية للقرار كانت بالقلم الديموطيقى . أما الهيرغليفى واليونانى فكلاهما مترجم عن هذا الأصل . وتاريخ القرار هو اليوم الرابع من الشهر الاغريقى Xandiko (ابريل) وهو الموافق لليوم الثامن عشر من الشهر القبطى أمشير ، ويتألف هذا القرار من فقرتين تحوى الفقرة الأولى القاب بطليموس الخامس ، ونعوته بما يتحلى به الملك من الورع والتقوى وخشية الآلهة وحبه لمصر والمصريين — أما الفقرة الثانية فهى تعداد للنعم التى اسبغها الملك على البلاد وما أسداه للدين من خدمات . ويمكن تلخيص هذه النعم فيما يأتى

١ — هبات مالية وعطايا من قمح للمعابد والهياكل — ٢ — حبس أموال على المعابد والاعمال الدينية — ٣ — نقص الضرائب الحكومية الى النصف — ٤ — التنازل عن بعض الديون التى للحكومة على الأهلين — ٥ — اطلاق سراح المسجونين الذين قضوا معظم المدة فى السجون — ٦ — العفو عن العصاة والسماح لهم بالعودة للبلاد والاقامة فيها — ٧ — ضرورة ارسال حربة عسكرية برا وبحرا ضد اعداء البلاد — ٨ — محاصرة بلدة Lycopolis ليكوبوليس وفتحها — ٩ — تجديد هياكل العجل ابيس ومعابده والحيوانات المقدسة الأخرى ووقف أموال عليها .

واعترافاً بهذه المبرات التى أسداها الملك بطليموس الخامس قد قرر المجلس العام للقساوسة تخليد ذكرى الملك والاكثار من إقامة حفلات الذكرى . وتتلخص قراراته فيما يأتى :

١ — صنع تماثيل لبطليموس بوصفه « منقذ مصر » تنصب فى المعابد ليقوم الكهنة والناس بعبادتها .

٢ — صنع صور ذهبية لبطليموس تحفظ فى صناديق ذهبية

رسالة الشعر

ليس الشعر صنعة يمكن كل انسان احترافها ، ولا أداة يستطيع كل شخص امتلاكها ، وانما هو رسالة يلهمها الشاعر ، فاذا هو قد تبدل من نفسه نفساً أخرى ، تنظر الى العالم نظرة جديدة ، تغير قيم الاشياء فى رأيه ، وتعدل أقدارها ، نظرته لا تقف عند القشور ، ولا تحجز عند اللفائف ، وإنما تنفذ الى اللباب ، وتتغلغل الى صميم الجوهر ، وما تزال هذه النظرة ترقى باحساسه وتسمو بقلبه ، حتى ترفع له الحجب عن الجمال الماجع فى الكون ، وتكشف له الاستار عن سحره البديع وسره العجيب ، فيخر ساجدا أمام عرشه مفتونا بحسنه ، مأخوذا بروعته ، وما هى الا عشية أو ضحاها حتى يحس بشعور غامض غريب ، وحال نفسية شاذة ، لا يزالان يتضخمان فى نفسه ، ويتبلجان فى قلبه ، حتى ينحسرا عن رسالة شاقة ممتعة معاً ، هى رسالة الجمال ، فيترجح بين سترها ونشرها ، ويتردد بين إخفائها وإعلانها . بيد أن رسل الوحى لا تمهله ولا تتركه ، بل تتبعه وتقلقه . وما تزال به حتى يذعن الى تلبيتها ، ويستجيب الى دعوتها ، فيتناول قيثارته السحرية ، ويوقع للناس عليها أفكاره الغنائية اللذيذة ، ويرتل عليها أناشيده العذبة الجميلة ، محاولا بكل جهده أن يطلعهم على هذه المعانى الموسيقية التى هى لباب كل شىء فى هذا الكون ، وصميم كل موجود فى هذا العالم ، وكل ماسواها إنما هو قشور وأغلفة ، فان جمال الطبيعة ونظام الكون إنما يتألفان من شىء يشبه النغمات الموسيقية وما بينها من ائتلاف وانسجام ، ووحدة ووئام ، بل هو النغمات الموسيقية نفسها وما تحمل من رنة وجمال ، وما تغشى من حسن وجلال . ولقد اهتدى أحد فلاسفة اليونان القدماء ببصيرته النافذة الى معرفة هذا السر الموجود فى كل كائن فقال : إن للأفلاك موسيقى تنظم حركتها ودورانها ، وتحفظ توازنها وبقاءها ، وأكبر الظن أن اليونان شعروا منذ القدم بهذه الحقيقة الجميلة ، وربما كان هذا الشعور هو السبب فى نبوغهم فى فن الشعر ، وتفوقهم على العالم فيه ، فقد نظروا الى الطبيعة نظرة جمة الضياء ، غزيرة الشعاع ، فتبينوا باطنها وكشفوا داخلها ، وعرفوا أن الموسيقى هى قلبها بل هى جمالها وجلالها ، فأخذوا يقتربون منها ، يحاولون أن يعرفوا أسرارها ويمثلوا نغماتها ، فكانت هذه المثل العليا فى فن الشعر التى لا يزال شعراء العالم يحتذونها حتى الآن .

والمعانى الموسيقية التى يغنيها الشاعر لا ينقلها الينا من الطبيعة نقلا وإنما يمزجها بقلبه ، ويخلطها بدمه ، ثم يقدمها الينا فتؤثر فينا تأثيراً جميلا ، لأنها تصدر عن القلب ، وكل ما يصدر عن القلب يؤثر فى القلب ، ولكن جماعة من النقاد زعمت أن الشاعر لا يرينا شيئاً أكثر من الواقع الخارجى نفسه ، وكل ما يملك الشاعر تلقاءه إنما ينحصر فى كشف حقائقه ، وكأنهم أبوا إلا أن يفسروا كل شىء فى الوجود تفسيراً ماديا فأنكروا الخيال وأنكروا المثال ، وما عرفوا أن فى الوجود شيئاً آخر ليس حقيقة مقيدة ، ولا مادة محسوسة ، وانما هو نور يشع على وجه الطبيعة ، فيشرق على قلوب الشعراء ، ويختلط بما فيها من نعمة وبؤس ، وشقاء وسعادة ، وبكاء وفرح ، ويمتزج بما يسرى فى روعهم من خطرات وأفكار وخوالج وآراء ، فاذا هو نغم مزيج من الانسان والطبيعة ، وغناء خليط من قلبه وقلبها ، بل من خياله وجمالها .

وقد يكون من الجحود أن نقول إن الشعر من الأعمال الموضوعية التى لا يتدين لصاحبها فيها أثر ، والتى يقتصر فيها على ابداء الملحوظات وذكر التنبيهات ، فان الشعر ذاتيا أكثر منه موضوعيا وداخليا أكثر منه خارجيا ، وهو يعنى بتقديم شخصية صاحبه قبل عنايته بتقديم الموضوع الذى يحاول الكلام فيه ، وما

توضع جنباً لجنب مع توابيت الآلهة وتحمل فى المواكب والاحتفالات معها . ٣ — أن تكون الأيام الخمسة الأولى من شهر توت أعياداً متصلة تقدم فيها القرابين ويلبس الناس فيها أكاليل الغار . ٤ — إضافة هذا اللقب الجديد الى ألقاب الكهنة « كهنة الاله المحسن الوهاب بطليموس ابيفانس الذى ظهر على الأرض » وتنقش هذه العبارة على خاتم كل كاهن وتسجل فى كل وثيقة دينية . ٥ — للجنود أن يستعيروا من المعابد الصناديق التى تحوى صور بطليموس ويحملوها معهم الى ميادين الحرب تبركا بها . ٦ — كتابة صورة من القرار على حجارة من بازلت بلغة الآلهة (الهيرغليفية) وبلغة الأدب (الديموطيقية) ، وكذا باليونانية ويكون من بينها حجر كبير يقام فى الهيكل الأعظم جنباً لجنب مع تمثال بطليموس «الاله المخلد فى المعابد» .

عبد الفتاح الزيادى

التصويرات والأفكار الشعرية إلا الواقع كما نحلم به ونتخيله، لا كما نراه ونشهده. ولو كانت مهمة الشعر هي نقل مافي الطبيعة لكان تكراراً قليل القيمة، ولو كانت هي فكرته عن الجمال لكان أقل قيمة وأدنى درجة، وإنما تتركز مهمته السامية في أنه الحلقة الرابطة بين الطبيعة في أجمل مظاهرها وأسمى معانيها وبين روح الانسان، وإذن فالشعر لايبتغي نقل حقائق الاشياء ولا اظهار جانب الحق وتزييف الباطل منها، فان لذلك لسانا خاصاً يقوم به. ونحن لا ننكر أن الشاعر يحب الحقيقة فان الحقيقة في ذاتها محببة إلى كل نفس ولها سلطان على القلوب لا يمكن أحد أن يجحده، ولكننا نقول إننا لانريد من الشاعر بيان الحقائق، وإنما نريد منه تحديثنا عن الجمال المستتر في الكون، وتمثيل الموسيقى التي تؤلف بين أجزائه ووحداته، وينبغي أن ننبه الى أن الشاعر يعرف الحقيقة معرفة أخرى غير المعرفة التي يعرفها الرياضي والرجل العادي، وكأني بالشعر ينظر الى الاشياء من جهة خاصة به، وينظر اليها العلم من جهة ثانية، والدين ينظر اليها من جهة ثالثة، وقد ينظر اليها الشعور العام من جهة رابعة، أما هؤلاء الذين يطلقون عجبا قائلين أي حق هذا بينما يقرأون شعر الشاعر انما هم لا يعرفون كيف يستفيدون من الفن الاستفادة الصحيحة، ولا ينتفعون به الانتفاع الواجب وهم يضيعون أوقاتهم من حيث لا يشعرون، والا لو كان الامر كما يظنون لانقلب الشعر الى صور من الحجج والبراهين

على ان الحقيقة الواحدة قد تتبدل من حين لآخر أمام الشاعر الواحد، ويتبين هذا في أن نلاحظ ان الشاعر المحب إذا كان مسرورا بش للطبيعة وبش للسماء، وتخيل كأن كل شيء يحدثه ويضاحكه فالريح تسر إليه باسم حبيبه، والنجوم ترنو اليه بعين الحنان والعطف، وكل شيء في الطبيعة يداعبه ويفاكهه، أما إذا كان محزونا فان هذه الحقائق والأخيلة تتغير في رأيه، وتختلف في نفسه فالريح تسخر من تأوهاته، والنجوم القاسية تنظر إليه في غير تقدير ولاعناية، وكل شيء حوله مغاضب له ساخط عليه

قد يقول قائل إن الشعر يقوي ويوضح الاحساسات ويوسع الخيال، ونحن نوافق على ذلك ونزيد أن الشعر قد يعمل على تنظيم مايضطرب في عقول الآخرين، وانه قد يوقظ العقل ويوسعه بترقية الأحساسات وكثرة الأفكار التي يلقيها إليه؛ ولكننا ننكر أن هذه هي غايته السامية، فليست رسالة الشعر هي التثقيف كما قال هورس، فللتثقيف أداة خاصة به والشعر لا يزاحمه فيها؛ وماجاء من ذلك إنما أتى عن طريق غير مباشر في عرض الرسالة وأدائها؛ ولعل أعظم برهان على ذلك أننا لانسمع لشعر الشاعر، ولا لغنائه لأنه أكثر تفكيرا، ولكن لأنه أكثر حساسية وأوفر شعورا، والذين يفهمون الشعر على أنه فلسفة أو أخلاق أو يحاولون فهمه على هذا الأساس، إنما هم يخطئون في معرفة رسالته، فالشعر لم يرسل ليكون لسانا للفلسفة، ولا أداة للاخلاق، وأما هذه الأفكار التي قد نعثر بها عند بعض الشعراء فنظنها فلسفة أو أخلاقا، فهي ليست من هذا الطراز الذي نعهده عند الفلاسفة، ولا من المبادىء التي نعرفها عند الاخلاقيين، وفهمها على هذا النحو خطأ من أساسه، ونسيان لرسالة الشعر وغايته.

والشعر لايخضع لقانون خاص كقوانين العلم، ولا أصول ثابتة كأصول الدين، وإنما يحتاج إلى قوة التأثير التي تربط بينه وبين قلوبنا وتصل بينه وبين أفكارنا، وذلك لأنه صلة بين صاحبه وبين قارئيه، وبمقدار تلك الصلة من القوة والضعف تكون منزلته العلو والأسفاف، وقد نستطيع أن نقول إن التأثير هو كل شيء في الشعر، وهو سر خلوده، وسبب بقائه على وجه الدهر، وما الشاعر العظيم إلا الذي يشعر الأشياء التي تلمس قلوب الناس وتؤثر فيها تأثيرا عميقا؛ ولقد كان قلب شاكسبير — كما يقول الأنجليز — كأنه مخلوق من قلب الأنسانية ذاتها، لأنه كان يتحدث فيلم بخطرات القلوب وخلجات النفوس، ولقد كان لسانه — كما يقولون أيضا — كأنه يحفظ كل الكلام الأنساني، لأنه كان يعبر فيحسن التعبير ويؤثر فيجيد التأثير

وإنه من الحق هنا أن نذكر أن معظم شعرائنا لايتناولون بشعرهم مايتصل بحياتنا اتصالا مباشرا، ولا ما يؤثر فيها ولو تأثيرا بعيدا، كأنهم في شغل عنها أو في غفلة عن أمرها، ولهذا فشعرهم لايقع منا إلا موقع الطنين الممقوت والضوضاء الكاذبة، فهو شعر لايمتزج بالنفوس، بل لايتصل أي اتصال بالقلوب؛ وما أشبهه بمدينة منهدمة لها سور لايكاد يقوم فلاهي تجذب العيون، ولاهو يعطف القلوب، وأكبر ظني أن هذا الخطأ الفاحش في فهم رسالة الشعر جاء هؤلاء الناس من أنهم يعيشون معيشة فنية صرفة فهم لايستمدون فهم من الطبيعة التي ينظرون إليها، ولا يتخذون ألوانه من الحياة التي يحيون فيها؛ وإنما يحدبونه جذاً من دواوين أسلافهم، ويسلبونه سلبا من موضوعاتها وأساليبها، وكأنهم جهلوا أن الشعر هو نفس صورة الحياة معبرة في حقيقة الجمال الخالدة؛ وموسيقاه المؤثرة؟

شوقي ضيف

سياسة أمريكا النقدية

الرئيس روزفلت والدولار

يتتبع الرأى العالمى سياسة الرئيس روزفلت الاقتصادية والنقدية بمنتهى الاهتمام . ومازالت مشكلة الدولار الامريكى فى مقدمة المسائل العالمية لما للدولار من عظيم الارتباط بسير النقد فى كثير من الامم ومن عظيم الأثر فى سير التجارة الخارجية العالمية لأن امريكا من اعظم الدول المصدرة فى العالم . وفى مصر تعنينا مسألة الدولار بنوع خاص لما لها من أثر كبير فى سير أسعار القطن . وقد قرأنا فى هذا الموضوع مقالا للعلامة الاقتصادى الامريكى الدكتور ايرفنج فيشر فى مجلة Annals الامريكية فرأينا أن نلخصه لقراء الرسالة فيما يأتى :

قال الرئيس روزفلت فى ٣ يوليو الماضى ما يأتى : « ان الولايات المتحدة الامريكية تبحث عن الدولار الذى يكون له بعد جيل من عصرنا من قوة فى الشراء وفى اداء الدين ما للدولار الذى نؤمل ان نحصل عليه فى القريب العاجل »

ويتفق جميع علماء النقد الذين درسوا هذه المسألة مع العلامة مينارد كينس (١) فى ان الرئيس روزفلت « مصيب كل الاصابة » ومع ذلك فان اغلبية الشعب الامريكى لم تقتنع فيما يظهر بهذه الحقيقة . بيد أنه من الخطر ان تترك المسائل الفنية لحكم الجمهور . ويعتمد الرئيس روزفلت فى عمله على مؤازرة اثنين من أعظم خبراء النقد فى العالم هما : الدكتور وارنر الاستاذ بجامعة كورنل ، والدكتور هارفى روجرز الاستاذ بجامعة ييل

ونرى عند تحليل كلمات الرئيس روزفلت ان سياسته النقدية تقوم على غايتين : الاولى هى رفع مستوى الاثمان ، والثانية هى الاستقرار او تحديد مستوى الاثمان . وقد قال الرئيس روزفلت فيما يتعلق بالمسألة الاولى ما يأتى :

« ان الحكومة تنوى ان تعمل على رفع أثمان الحاجات الى حد يمكن اولئك الذين اقترضوا مالا من ان يؤدوا ذلك المال بنفس نوع الدولار الذى اقترضوا به . ونحن لا نريد ان نمكنهم من الحصول على دولار يكون من الرخص بحيث يمكنهم من الاداء بأقل مما اقترضوا » ونريد بعبارة أخرى ان نصلح خطأ ارتكب لا أن نحدث خطأ جديدا فى الناحية الأخرى »

واذا كان التضخم النقدى امرا لا يرغب فيه ، فكذلك التمسك النقدى مما لا يستحب . ونستطيع ان نقول ان التدهور الاقتصادى الحاضر يرجع فى معظمه الى التمسك النقدى . وهو « تمسك » فى الدين ، والدين والتمسك يتفاعلان معا . وقد كان عبء الدين الذى تواجهه الامة فادحا ، فادى ذلك الى تدهور البيع ، ونقص الودائع فى البنوك بسبب تصفية القروض ، وكان هذا الانكماش فى تداول النقد ، والهبوط فى البيع ، سببا فى هبوط مستوى الاثمان ورفع قيمة الدولار من حيث القوة الشرائية بما يبلغ ٨١ فى المائة ، وهذا يعنى ان كل دين كانت قيمته الف دولار ، اصبح يعادل ١٨١٠ دولارات ، وكان هذا اصعب واشق فى الاداء

وقد كان هذا المجهود الذى يبذل فى اداء الدين سببا فى نقص ودائع البنوك ، ومن ثم فى زيادة الديون ، وكلما حاول الشعب الامريكى ان يتخلص من دينه كلما شعر ان عبء الدين يزداد ، وذلك لأن الدين يجب ان يقاس بقيمة السلع الحقيقية . وهذا هو لغز الركود التجارى . فنحن قد أدينا فى الظاهر ٢٠ فى المائة من ديوننا ، ولكننا فى الحقيقة زدنا هذه الديون ٤٠ فى المائة بما بذلناه فى سبيلها مدى اربعة أعوام من السلع الحقيقية

وللمسألة وجوه كثيرة يثيرها خصوم الرئيس روزفلت . اولها ان هذا التضخم النقدى هو تضخم غير محدود . والواقع ليس كذلك . بل ليس فى أمريكا رجل مسئول يقول بالتضخم غير المحدود ، وكل ما هنالك هو انه يراد أن يسير التضخم الى الحد الذى يتدارك فيه أثر « التمسك »

ثم يقال انه حتى لو اريد ضبط هذا التضخم ، فأنه سيفلت من كل ضبط ، ويضربون لذلك مثل المـــانيا التى انتهت سياسة التضخم فيها بكارثة نقدية ، وان مثل هذا التضخم يحدث بنوع خاص بواسطة الاوراق النقدية الحكومية . ولكنا قد جزنا فى أمريكا هذه التجربة مرتين : الاولى سنة ١٨٦٥ ، والثانية اثناء الحرب وقد استطعنا فى كلتيهما ان نوقف سيل التضخم ، بل وان نصل الى نوع من « التمسك »

ويقال أيضا إن كل رفع الاثمان بالطريقة النقدية هو عمل مصطنع ، نظراً لأن الاثمان يحددها قبل كل شىء قانون العرض والطلب . وهذا غير صحيح . فان أسعار القطن مثلا لا تتأثر فقط

(١) اشهر علماء الاقتصاد والنقد الانكليز

بعرض القطن وطلبه ، ذلك أن طلب النقود وعرضها ايضا عامل مهم ، فاذا قايضت قطنا بفضة ، وارتفع سعر القطن المقوم بالفضة ، فلا يمكن ان ننسب هذا الارتفاع فى الثمن لأسباب تتعلق بالقطن وحده . ذلك أن القطن فى هذه الحالة يرتفع بالنسبة للفضة ، وتنخفض الفضة بالنسبة للقطن ؛ والعرض والطلب كلاهما مهم . وكذا سعر كل سلعة يتأثر بعرض النقود وطلبها . ولا يمكن فى الواقع أن يقوم عرض القطن وطلبه بالنقود دون أن نرجع الى قوة النقود فى الشراء . وهذه القوة تمثل فى كل ثمن وكل مساومة . بيد أن هذه الحقيقة تنسى دائما . فاذا حدث هبوط عام فى أسعار الحاجات كما هو حادث منذ أعوام . فان الناس لا يفهمون السر فى ذلك الا أنه يرجع الى وفرة الانتاج . ولكن هذا الهبوط يرجع فى الواقع الى قلة النقود أكثر مما يرجع الى وفرة الانتاج .

ويقولون ايضا إن مثل هذا الاستقرار فى الاثمان لاقيمة له بل هو ضار . والوقائع تثبت غير ذلك ؛ وفى رأيهم ان الاستقرار الحقيق لايمكن الا أن يكون بالنسبة للذهب ، وأنه يجب علينا أن نعود الى معيار الذهب باسرع مايستطاع ، وهذا وهم . ذلك أننا اذا كنا على عيار الذهب ، فانا نعتبر أن معيار النقد يجب أن يكون هو الذهب وانا سنعود اليه . ولكن اذا كانت دولة اخرى تتبع معيار الذهب فانا نشكو من اضطراب القطع بين البلدين . وقد كان المستطاع حينما كانت المانيا وروسيا تجوز كل منهما عملية التضخم الكبرى . ان ينشأ بينهما معيار ثابت للقطع : ولكن ذلك لايعنى ثبات المارك او الروبل ، ولكن معناه انهما قد خفضا معا ، وكذلك لو قام بيننا وبين فرنسا مثلا معيار ثابت للقطع ، وبقينا معا على عيار الذهب : فليس معنى ذلك أن الدولار او الفرنك ثابتان : ولكن معناه انهما قد ارتفعا معا فى الاعوام الاخيرة ، وما نريده هو تثبيت الفرنك والدولار ، او المارك والروبل ، بالنسبة للسلع والاشياء الحقيقية وبالنسبة لقوة الشراء التى تعبر عنها النقود

لقد اتبعت امريكا سياسة الذهب ؛ ولكنها تركت معيار الذهب فى الاثمان . فكان من نتيجة ذلك أن وقف هبوط التجارة الامريكية وهبوط الاثمان

وللرئيس روزفلت فى ذلك سلطة هائلة ؛ فهو اذا قرر أن يخفض الدولار الى نصف قيمته الاصلية كما هو مخول له ، فمعنى ذلك أن الأربعة بلايين دولار من الذهب التى تملكها أمريكا تصبح فى الحال ثمانية بلايين اذا أوقفنا شراء الذهب من الخارج .

٣ ـ التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما اسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

أيام الأسبوع

ان فكرة التشاؤم من بعض ايام الاسبوع سائدة عند الامم العربية ؛ ويعتقدون بعدم التوفيق ونجاح الاعمال فيه ؛ فيوم النحس عند الفرنسيين هو يوم الاربعاء ؛ وعند الالمان يوم الاثنين ، وعند الانجليز يوم الثلاثاء ؛ حتى ان عدد الذين يركبون قطار المترو الذى يسير تحت الارض قليل جدا بالنسبة الى عدد الركاب فى الايام الاخرى من الاسبوع ، ويعتبر الامير كيون يوم الجمعة من اسوأ أيام الاسبوع ، وبعضهم يعتقد ان أقبح الايام يوم الاربعاء ، وأغرب من هذا ان عالما امريكيا يدين بهذه الفكرة ويؤيدها . وأحسن الأيام عند الامير كيين هو يوم السبت فتجدهم يقيمون فيه حفلاتهم.

وكان المغفور له السلطان حسين كامل يتشاءم بيوم الاربعاء ، ولا يحب أن يقرر فيه قرارا ما . ومما يروى عنه فى هذا الصدد انه لما أراد أن يعين لنفسه طبيبا خاصا سأل الأطباء الذين كانوا يتولون معالجته عن اسم الطبيب الذى يشيرون عليه باختياره ، فذكروا له اسم الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية الآن فدعاه الى مقابلته ؛ وبعدما حادثه مليا أبلغه أنه يرغب فى تعيينه طبيبا خاصا له ، ثم صرفه بعد ما طلب منه أن يعود اليه فى اليوم التالى ليصدر قرار تعيينه .

ولم يؤجل رحمه الله قرار التعيين الى الغد الا لأن المقابلة كانت يوم الاربعاء فلم يشأ أن يصدر القرار فى ذلك اليوم ؛ وخصوصا أن القرار كان لأمر متعلق بصحته .

وكان أهالى جزيرة مدغشقر حتى عهد قريب يقتلون الاطفال الذين يولدون فى أيام الاسابيع المحسوبة شؤما . وكانوا يرمون جثثهم فى البحر تيمنا .

ولم يبين أحد من الباحثين حتى الآن سبب التشاؤم من بعض ايام الاسبوع ؛ وربما يرجع هذا التشاؤم الى عقائد فاشية عند القدماء ؛ ثم انقطعت الثقافة بينهم وبين أسلافهم فلا يمكنهم التفسير على وجه سديد .

كسر المرآة

من الخرافات السائدة بين الناس عامة والنساء خاصة التشاؤم من كسر المرآة . والاصل فى ذلك أن الانسان القديم كان يحسب أن ظله جزء منه ، وإن ايذاء الظل هو ايذاء له لأنه بمثابة الروح منه. وكلمة ظل عند بعض الامم فى آسيا تعنى الروح . وكان الانسان قبل اختراع المرآة ينظر صورة ظله على اسطح مياه الانهار والبحيرات وغيرها ، وذلك لأن الزجاج لم يكن قد عرف بعد . ومازلنا نرى فى « المندل » بعض آثار هذه الخرافات القديمة . فأن هناك اعتقادا بأن من ينظر فى كوب به ماء ثم تتلى عليه الرقى يرى أشياء خفية لايراها غيره . وأكثر ما يكون الخطر من المرآة فى الوقت الذى يكون أحد فى المنزل فى النزع الاخير أو قد توفى من وقت قريب لأن الموت عندئذ يرفرف بجناحيه على المنزل ، فليست رؤية الظل « الروح » بما تؤمن عاقبته . ولذلك كثيرا مايقلب الناس مراياهم فى ذلك الوقت العصيب . والاصل كما قلنا هو خوف الناس من تعرض ارواحهم اى ظلالهم للأذى أو الموت كما يتوهم المتوحشون القدماء ان الظل هو الروح

السلم

مما يتشاءم منه الغربيون المشى تحت أو وراء السلم ، وقد ذكرت مجلة انجليزية محادثة بين سيدة وصديقتها عن خرافة السلم :

السيدة ـ انا لا امشى تحت سلم مطلقا لاعتقادى ان ذلك شديد الخطر .

صديقتها ـ انت بلهاء فأنى اضع اطراف اصابعى الصغيرة معا واثنى الثلاث الأخر فى راحة اليد وابسط الابهامين ثم اقول « ماجنوم بونوم » ، وامشى رابطة الجأش تحت السلم فأذا فعلت مثلى مررت من دون ان يلحق بك اذى .

وقد القت المس « واليس » احدى مدرسات لندن محاضرة يوم ١٩ يناير سنة ١٩٢٨ عن منشا الخرافات السائدة بين الشعب الانجليزى فقالت : إن خرافة السلم يرجع تريخها الى أزمنة العقاب بلا محاكمة قانونية فكان المحكوم عليهم يشنقون بتعليقهم على سلم اذا لم تكن شجرة فى مكان التنفيذ ، وكان كل شخص يتفق وجوده وراء السلم مستهدفا لخطر الاتهام بالاشتراك مع المشنوق فى جرمه .

ابراهيم تادرس بشاى

تعـــد ذنوبى . . .

يصدق الشطر الأول من بيت أبى العلاء المشهور على الشرق فى موقفه اليوم من الغرب . سواء أصدق الشطر الثانى أم لم يصدق ، ولا يسع الشرقى فى بلاد الغرب إلا أن يتمثل به مابين آن وآخر . فالشرق كما قال الاستعمارى كبلنج مازال شرقا والغرب غربا وكلاهما جاهل بالآخر ، والغرب أجهل بصاحبه . الشرق مخدوع فى الغرب يحسبه أرقى مما هو عليه ، والغرب مزدر للشرق يظنه أحط مما هو فى الواقع .

صورة الشرق فى ذهن الانجلـــيزى وإن يكن متعلما صورة خيالية . تحوى أمراء مترفين عائثين ورعايا كادحين محتوشنين . وصحارى وغابات تجيش بغوائل الوحش والانسان . ورجلا أبيض ينشر الخير والبركات ويبدل الشرور منافع محتسبا لا يبغى غير وجه المدنية ورضى الانسانية . فان جاء أحد أبناء تلك البلاد يفهم ذلك الواهم أن تلك الصورة القصصية التى ربما انطبقت على بعض نواحى الهند فى غابر الأيام لا تنطبق على الشرق اليوم . وأن الشرقيين ليسوا موغلين فى الجمود والتشبث بالقديم كل ذلك الايغال ، وانما هم فضلا عن عراقة حضارتهم يسعون جهدهم ــ وقد ظهرت مدنية أوربا على غيرها من المدنيات ــ أن يأخذوا بأسبابها ويسايروا عصرها ، اذا أراد الشرقى أن يشرح ذلك للانجليزى الذى لم يبرح بلاده انصرف عنه معرضا . لأنه يراه يفسد عليه صورته المحبوبة التى يألفها ولا يريد فراقها

ومهما أطنب الانجليزى فى روعة الشرق وثروته ولآلائه وفتنته . ومهما ود لو تتاح له مشاهدة كل ذلك فانه يعود ـ إذا ما تأمل الصورة الموصوفة ــ إلى نفسه مغتبطا ويحمد الله من صميم قلبه على أن خلقه انجليزيا مسيحياً لا عربيا مسلما ولا هنديا بوديا ، وقدر له أن يقضى حياته فى ربوع المدنية لا بين أكناف الهمجية

فلا عجب أن ينظر الانجليزى إلى نزلاء وطنه ــ ولا أقول ضيوفه ــ من الشرقيين نظره إلى أطفال كبار جاءوا ليتلقوا فى بلاده طرق الحياة وسبل المدنية ، ويتوهم أنهم حين وطئوا أرضه طرحوا عاداتهم وتقاليدهم وأزياءهم المتأخرة جانبا، واستبدلوا بها الطرق الانجليزية الراقية ، وبدأوا حياة جديدة ، ولاعجب ان يضمر لهم كثيرا من الازدراء وغير قليل من الكراهية

قابلت فى بعض جولاتى فى انجلترا انجليزيا يعمل فى السودان كان يقضى عطلته فى بلاده . فسالى فى غضون الحديث . كيف ترى إقامتك فى انجلترا ؟ قلت : أين هى من إقامة الأوربى فى مصر ؟ قال: ماذا تعنى ؟ إن الانجليز يحبون المصريين ويرحبون بهم فى منازلهم ، قلت : لا أرى دليلاً على ذلك . وليست تخدعنى المجاملة الظاهرة عما تكن النفوس من ترفع تارة و كراهية أخرى . قال : كيف ؟ هل لقيت سوى حسن المعاملة حيثما ذهبت ؟ قلت هبنى لم ألق سواها فماذاك الا لأنى رجل مهذب أحترم نفسى وأرعى حق غيرى ، فمن له بمخاشنتى وهذا محلى ؟ فمضى فى مكابرته الانجليزية التى تعمى عن الحقائق من أجل أغراضها عماية عجيبة

ومضى زمن ، وكنت احادث طالبة انجليزية بينى وبينها صداقة وثيقة فقالت : كم زوجا لك فى مصر ؟ قالتها بلهجة بين الجد والمزاح وقدماً قال شاعرهم شكسبير : كم من حقيقة اودعت نكتة ، وأذكرنى الخوض فى هذا الشأن حديث ذلك الانجليزى ، فأردت ان أستوثق منها صراحة عن حقيقة رأى الانجليز فى الاجانب وشعورهم نحوهم ، قالت أتروم الحق ! قلت الحق الذى لا غبار عليه والذى لن يغضبنى مهما قسا

قالت : فأما إذ تروم الحق ، فالانجليز لا يحبون الاجانب عامة لأنهم يعدون أنفسهم سادة العالم ، ولا يقيمون كبير اعتبار لما جاء من خارج جزيرتهم ، ثم هم أشد نفوراً من الشرقيين الملونى البشرة لأنهم شديدو البعد والاختلاف عنهم ، ولأنهم فى الغالب غير مسيحيين ، ومن لم يكن مسيحيا فهو فى نظرهم لا يؤتمن ، ثم إن المعروف بينهم عن الشرقيين أنهم شهوانيون ، وأنت تعلم ما يقال عن مسائل الحريم وتعدد الزوجات ، وأخيرا لأن من يفد الى هذه البلاد من طلابهم هم عادة صفوة شباب بلادهم ؛ وهم لذلك يفوقون أقرانهم الانجليز ، ولذا ينقم عليهم الطلاب الذكور خاصة

كنت وعدت مخاطبتى ألا أغضب ، فلم أشأ أن أفند لها هذه الأوهام ، لاسيما وقد عزتها الى غيرها فى لهجة من هى براء منها ، فلم أقل لها إن القول بسيادة الانجليز للعالم فيه ادعاء وتغرير ، فتلك السيادة إن صحت لا يتمتع بها وبما تجره من منافع مادية سوى طبقة محدودة من الانجليز ، بينما سواد الشعب لا يمتاز كثيراً من سواد الشعوب الأخرى من نواحى التعلم والثراء والخضوع لتحكم الطبقة العليا ، وإن المسيحية ليست أسمى ولا أطهر من الاسلام والبوذية دين الملايين من الشرقيين ، وإن الانجليز وإن رموا غيرهم بالشهوانية يقارفون مثل ما يقارف غيرهم لأنهم آدميون مثلهم ؛ لم تكن لذكر هذا وذاك جدوى فلم أذكره وإنما شكرت الطالبة على بيانها الواضح المفيد الملىء بالعبر

وذكرت هذا كله حين قرأت كلمة الدكتور عوض التى سماها «جريمة» فقلت : صدق الدكتور الفاضل ، ولكنه ذكر جريمة واحدة ، ولنا غير جريمة سمرة البشرة جرائم أخرى عديدة . وذنوبنا تعد عند قوم كثيرة .

فخرى ابو السعود

ابن سينا

«انه من أشهر مشاهير العلماء العالميين»

«سارطون»

مقدمة : ما أقل الذين يعرفون أن ابن سينا اشتغل فى الرياضيات والفلك ، وأن له فضلا كبيراً فى علم الطبيعة (Physics) ، وقد يكون لهم بعض العذر اذا علمنا أنه كان فيلسوفا وطبيباً ، وان شهرته فى هاتين الناحيتين ومؤلفاته الكثيرة فيهما جعلت الناس لا ترى عبقريته فى النواحى الاخرى ، وسيقتصر بحثنا فى هذا المقال على مآثر ابن سينا فى الرياضيات وعلم الطبيعة ، وقد نأتى عرضا على بعض آثاره فى الفروع الأخرى من المعرفة . وهو ابو على الحسن بن عبد الله بن سينا ويلقب بالشيخ الرئيس ، ويعرف عند الافرنج باسم (Avicenna) ويقول عنه بعض فلاسفة الغرب انه أرسطو الاسلام وابقراطه ، وهو أيضا من العلماء العالميين المشهود لهم بطول الباع فى كثير من العلوم والفنون . ولد فى خرميثن من ضياع بخارى سنة ٣٧١هـ — ٩٨٠ م وتوفى فى همدان سنة ٤٢٨ هـ — ١٠٣٧ م . اشتغل ابن سينا فى الرياضيات والفلك وعلم الطبيعة وكان له بها ولع خاص ، وكذلك فى الفلسفة والموسيقى والطب والمنطق ؛ وله فى هذه كلها مؤلفات قيمة يعد بعضها من موسوعات العلوم تشهد له بعبقريته ونبوغه ، وقد نقلت هذه المؤلفات الى اللاتينية وكان لها تأثير عظيم فى نهضة أوربا الحديثة .

منشؤه

كان والد الشيخ الرئيس من بلخ ، انتقل الى بخارى فى أيام

نوح بن منصور سلطان بخارى، واشتغل والياً في إحدى قراها حرميثن ، وبعد حين رجع الى بخارى حيث تولى تهذيب ولده . فاحضر معلما ليدرسه القرآن الكريم والادب وعلم النحو ، وصادف ان جاء الى بخارى عبدالله الناتلي ؛ ونزل فى دار الشيخ الرئيس فاستفاد منه كثيرا ، ثم اخذ ابن سينا يقرأ الكتب بنفسه ويطالع الشروح فقرأ كتب هندسة اقليدس ، وكتب المجسطى والطبيعيات والمنطق وماوراء الطبيعة ، فخرج من ذلك واقفاً على دقائق علم الهندسة بارعاً فى الهيئة محكما علم المنطق ، مبرزاً فى علم الطبيعة وعلوم ما وراء الطبيعة ، ولم يكتف بذلك ، بل عكف على دراسة الطب وقراءة الكتب المصنفة فيه ؛ ويقول عن (نفسه) فى هذا ، ثم رغبت فى علم الطب وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلاجرم انى برزت فيه فى اقل مدة ، حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون على علم الطب : وتعهدت المرضى فانفتح على من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف، (١) واشتهر كثيرا فى هذا العلم وطار اسمه فى الآفاق حتى دعاه الامراء لتطبيبهم ؛ ووفق فى مداواة الامير نوح والامير شمس الدولة ؛ والأمير علاء الدولة ونجح فى معالجتهم فسروا منه كثيرا وأنعموا عليه وفتحوا له خزائنهم ودور كتبهم ؛ وفى هذه وجد مجالا كبيراً لتتميم دراساته وللتعمق فى مختلف فروع المعرفة ، ويقال إن ابن سينا لم يكن منقطعا انقطاعا تاما للعلم والتأليف ؛ بل كان فى كثير من الاحايين يعين والده فى أعمال الدولة

وبعد وفاة والده (وكان إذ ذاك فى الثانية والعشرين من عمره) ترك بخارى ورحل الى جرجان حيث كان يقطن فيها رجل اسمه ابو محمد الشيرازى اشتهر بميله وشغفه بالعلم ؛ فتعرف اليه ابن سينا وقويت بينهما وشائج الصداقة حتى اشترى الشيرازى للشيخ داراً فى جواره وأنزله فيها ، وفيها ألف الشيخ الرئيس كثيرا من مؤلفاته القيمة : ككتاب القانون الذى هو من أهم المؤلفات الطبية ومن المؤلفات النادرة التى تشتمل على أساس علوم الطب ؛ وقد بقى كتاب القانون منهلا عاما يستقى منه الراغبون فى الطب قرونا عديدة . ولم تطل اقامة الشيخ كثيراً فى جرجان (لاسباب سياسية) بل اضطر الى تغيير موطنه مراراً ، فاتى همذان حيث استوزره الامير شمس الدولة ، ولكن الظروف حالت دون بقائه كثيراً فى الوزارة فان الجند طلبوا قتله ، ولم يرض بذلك الامير وانقذه منهم بعد عناء ؛

(١) ابن القفطى ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء ـ ص ٢٧٠

وبعد وفاة الامير شمس الدولة وانتقال الملك الى ابنه كاتب ابن سينا سرا علاء الدولة أمير أصفهان (لاعراض شمس الدولة عنه) يطلب الانضمام الى جانبه ، واكتشفت هذه المكاتبة وعوقب من أجل ذلك بالسجن ؛ ولكن بعد عدة أشهر قضاها فيه فر الى اصبهان حيث رحب به الامير علاء الدولة ، وبقى فى معيته الى أن وافته منيته فى همذان ، وكان قد رجع اليها مع علاء الدولة فى احدى غزواته لها.

آثاره

قسم ابن سينا العلوم فى كتاب الشفاء الى ثلاثة أقسام :

العلوم التى ليس لها علاقة بالمادة أو علوم ما وراء الطبيعة ؛ والعلوم التى لها علاقة بالمادة وهى الطبيعيات

والعلوم الوسط وهى التى لها علاقة تارة بعلوم ماوراء الطبيعة وطوراً بالمادة وهى الرياضيات ، وفى بعض المواضع نراه قد جعل الرياضيات نوعا من الفلسفة ونسب اليها بعض أشياء تبحث فى غير المادة ؛ وقد اتبع الطريقة اليونانية فى بحوثه عن العدد ، وقد كان فكر ابن سينا يمثل المثل الأعلى للفلسفة فى القرون الوسطى (١) وله فيها آراء ونظريات لاتزال تدرس فى جامعات أوروبا ، وهو وإن اعتمد كثيراً على فلسفة أرسطو واستقى كثيراً منها ؛ قد أضاف اليها كثيراً وأخرجها بنطاق أوسع ونظام أتم . وهو من الذين قالوا بانكار تحول المعادن بعضها الى بعض مخالفا بذلك آراء أكثر علماء زمانه ؛ وفى رأيه ان المعادن لا تختلف باختلاف الاصباغ بل تتغير فى صورتها فقط ؛ وكل معدن يبقى حافظا لصفاته الأصلية وقد قال فى ذلك «نسلم بامكان صبغ النحاس بصبغ الفضة ؛ والفضة بصبغ الذهب الا أن هـــذه الأمور المحسوسة يشتبه ألا تكون هى الفصول (أى الخواص) التى تصير بها هذه الأجساد أنواعا ؛ بل هى أعراض ولوازم والفصول مجهولة : واذا كان الشىء مجهولا فكيف يمكن أن يقصد قصد ايجاد أو اخفاء » (٢)

واستنبط ابن سينا آلة تشبه آلة الورنية أل vernier وهى آلة تستعمل لقياس طول اصغر من اصغر اقسام المسطرة المقسمة ولقياس الاطوال بدقة كبيرة ، ودرس دراسة عميقة بحوث الحركة والايصال

(١) سارطون — مقدمة فى تاريخ العلوم — مجلد ١ ص ٧١٠

(٢) اسماعيل مظهر — تاريخ الفكر العربي — ص ٦٧

والقوة والفراغ ، واللانهاية والحرارة والضوء ، وقال بأن سرعة النور محدودة ، وعمل عدة تجارب فى ايجاد الوزن النوعى لمعادن كثيرة (١) وقال بان شعاع النور ياتى من الجسم المرئ الى العين (٢) وفى كتابه الشفاء بحث فى الموسيقى وقد اجاد فيه لدرجة كبيرة ؛ وقد فاقت ابحاثه فيها ابحاث الفارابى (٢) وشرح طريقة اسقاط التسعات وتوسع فيها ، والف فى المعادن ومؤلفه كان النبع الذى استقى منه علماء طبقات الارض فى القرن الثالث عشر للميلاد . ويقال ان ابن سينا خرج مرة فى صحبة علاء الدولة وقد ذكر له الخلل الحاصل فى التقاويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة، فأمر الامير الشيخ بالاشتغال بالرصد واطلق له من الاموال مايحتاج اليه (٤) وهذا (طبعاً) ساعده على التعمق فى علم الهيئة ؛ وفى كشف بعض حقائق هذا الكون وفى اتقان الرصد « ووضع فى حال الرصد آلات ماسبق اليها » (٥)

مؤلفاته وانتقالها الى الغرب

على رغم المتاعب التى انتابته والمشاغل الكثيرة التى كانت تشغله وبرغم تعدد انتقاله من محل الى آخر ، تمكن من وضع مؤلفات قيمة عديدة يربو عددها على المائة ، وهذه هى التى جعلت سارطون وغيره من علماء الافرنج يضعونه فى مصاف العلماء العالميين ومن كبار حكماء الشرق ومن أهم مؤلفاته

كتاب الشفاء وهو فى ثمانية عشر مجلداً ؛ وتوجد منه نسخة كاملة فى أكسفورد ، ويحتوى على فصول فى المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة، ترجم بعضها حنا الأسبانى وكنديسالينس (John of Spain and Gundissalinus) الى اللاتينية، وقد اختصر ابن سينا هذا الكتاب فى كتاب سماه (النجدة) ترجمه الى اللاتينية كارام (Carame Mgr) باسم Avicenna Metaphysics Compenduim

وله أيضا كتاب القانون فى الطب وهو من أشهر مؤلفاته ويتكون من اكثر من مليون كلمة ترجمه جيرارد اوف كريمونا الى اللاتينية ، وبقيت ترجمته هذه المعتمد عليها والمستعملة فى الجامعات والكليات حتى منتصف القرن السابع عشر للميلاد ، وكتاب المختصر للمجسطى ، وكتاب المجموع ، وكتاب الحاصل والمحصول ويتكون من عشرين مجلداً ، وكتاب الارصاد الكلية ، وكتاب

(١) سارطون — مقدمة فى تاريخ العلوم — مجلد ١ ص ٧١٠
(٢) كتاب تراث الاسلام ص ٣٢٥
(٣) راجع سارطون مجلد ١ ص ٧١٠
(٤) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء ج ٢ ص ٧
(٥) ابن ابى اصيبعة — طبقات الاطباء ج ٢ ص ٨

النجاة وهو ثلاثة مجلدات ؛ وكتاب القولنج ، وكتاب لسان العرب ، ورسالة الآلة الرصدية ؛ وهذه الآلة صنعها فى اصبهان عند رصده لعلاء الدولة (٢) ، ورسالة غرض قاطيغورياس ؛ وكتاب الاجرام السماوية ؛ وكتاب الاشارة الى علم المنطق ، وكتاب أقسام الحكمة وكتاب النهاية واللانهاية ؛ وكتاب فى أبعاد الجسم غير ذاتية له ، وكتاب مختصر أقليدس ، وكتاب الأرثماطيقى والموسيقى . وقد اورد فى كل من مؤلفاته فى الرياضيات زيادات رأى ان الحاجة اليها داعية . فى اقليدس اورد شبهاً وفى الارثماطيقى اورد خواص حسنة وفى الموسيقى اورد مسائل غفل عنها الأولون ؛ وكتاب المجسطى وقد اورد فيه عشرة اشكال فى اختلاف النظر ، واورد فى آخره أشياء لم يسبق اليها (٣) وله رسائل أخرى فى الحساب ؛ وله أيضا فيه وفى الهندسة ابتكارات كثيرة ، وكتاب مختصر فى ان الزاوية التى من المحيط والمماس لا كمية لها ؛ وكتاب المدخل الى صناعة الموسيقى وكتاب كيفية الرصد ومطابقته مع العلم الطبيعى وكتاب الحدود ؛ وله خطبة فى أنه لا يجوز أن يكون شىء واحد جوهرا وعرضا (٤) ومقالة فى خواص خط الاستواء ، ومقالة فى هيئة الارض من السماء وكونها فى الوسط ، وكتاب تدبير الجند والمماليك والعساكر وارزاقهم وخراج الممالك (٥) وفوق ذلك له شعر رقيق وأشهر قصائده قصيدة نظمها فى النفس يقول عنها ابن ابى اصيبعة انها من أجل قصائد ابن سينا وأشرفها ؛ وقد ترجمها فانديك H. E. van Dyk الى الانجليزية (٦)

نابلس — حافظ قدرى طوقان

(١) دائرة المعارف البريطانية مادة ابن سينا
(٢) ابن ابى اصيبعة — طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٩
(٣) ابن القفطى — اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٧٥
(٤) ابن القفطى — اخبار العلماء الخ — ص ٢٧٠
(٥) ابن ابى اصيبعة — طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٩ — ٢٠
(٦) دائرة المعارف البريطانية مادة ابن سينا

ابن خلدون

حياته وتراثه الفكرى

عرض نقدى فى مائتى صفحة طبع مطبعة دار الكتب بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى يطلب من المؤلف بلجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة .

من طرائف الشعر

عــد الينا

قطعة من البحر المديد

يا غريباً راح يطوى القفارا   أين تمضى؟ هل كرهت الديارا؟
أختياراً تقطع الأرض سيراً،   أم طريق سرت فيها اضطرارا؟
ولأمر فى النهى مستقر   بتّ تغتنى الأرض داراً فدارا؟
أم لسير غامض لست تدرى   كنهه أبعــد عنك القرارا؟
أم لخطب داهم قد تمادى   بك حتى رحت تبغى الفرارا؟

***

إن تكن تبغى مراماً عزيزاً   فلماذا أصليَ القلب نارا؟
ولمــاذا بعد نأى وهجر   لا تنى للغائبين ادّكارا؟
ودموع مذرفات حنيناً   حائرات فى جفون حيرى!
عــد الينا آمناً مطمئناً   تلق خلاً ذا وفاء وجارا!
ياغريباً راح يطوى القفارا   عد الينا وادن منا مزارا!

م . ع . م

وادى الاحـــلام

للشاعر الدمشقى انور العطار

« يا آلهة الشعر! تأمل ضحينك »
« الفونس دو لامارتين »

ياوادىَ الأحلام فيك التقت   بيضُ الأمانى بأغانى المهود.
ليت فؤادى بلّ منك الصدى   وليت أيامك يوماً تعود
يا مُقلةَ الدهر أطيلى الكرى   وباركى الحلمَ لقلبى العميد
ومهّدى للروح رحبَ المدى   فقد يضيق اليومَ عنها الأبيد
أُلحلمُ يُشجينى تذكارُهُ   إن زارنى فى غير يوم سعيد
يا مُقلةَ الدهر توارَىْ وما   ألهاكِ عمّن تاه فى ذا الوجود
لا تفجعى بالله يترَبَ المنى   فبُتنى الآمل سُؤلٌ زهيد
توردُهُ الأطماعُ سبلَ الردى   فيُرمضُ القلبَ العذابُ الوكيد
يرضى من المغنم لو آب من   آماله وهو الحريب الشريد
لا يملك الأحلامَ من ياسه   وما له عن ظلها من محيــد
إن تستفيقى من دياجى الكرى   يهدْ فى نُعماهُ قصرى المشيد
ففيه أحلامى فى مهدها   تنعمُ فى الدنيا بعيش رغيد
تغمسُ فى قلبى أفواهَها   وتسلب العين شعاع الخلود
غذاؤها من كبدى ماؤها   ولهوُها من مدمعى بالعقود
تزين بالأزهار تاجَ الصبا   كموجة الأطفال فى يوم عيد
ترى اذا ما نهلت فى غد   هل تودعُ المبثوثَ عقداً فريد
أم تنثرُ الأشعارَ فى روضها   فتخطفُ الأطيار منها القصيد
تصوغُهُ والزهرَ أغرودةً   فتانةً يصبيك منها النشيد
تحسُ منها خطرات المنى   تَرُودُ بالروح المطاف البعيد
تُعيدُ للقلب كنوزَ الهوى   وكنزُها ليس له من مُعيد
وإنْ أضاعتهُ فما ذنبُها؟   الطفلُ يُؤذيه المتاعُ النضيد
أهبْتُ بالاحلام أنْ مهّدى   لىَ الامانى، والنعيمَ العتيد
والحبَّ والشعرَ وعهدَ الصبا   والعيشَ نضراً، والخيالَ الوليد
لا أرتضى بالنزر منها ولا   أطمعُ إلاّ فى الشعاع المديد
فأمعنتْ فى ضحكها واغتدَتْ   تسخرُ من آمال غرٍّ عنيد
خِلتُ أنّ الضحكَ منها رضًى   وضحكةُ الهازىء نارُ الوعيد
لقيتُها فى سكرات الرؤى   تنشدُ أيامى وتبكى الوعود
تجود للدهر بأحــلامها   وهوَ بما تطلبُهُ لا يجود
تبوحُ بالاسرار فى سهوها   وسرُّنا قد وثّقتْهُ العهود
دريْتُ فى عزلتها ما مشى   فى خافق واهٍ وفكرٍ كدود
ورُحتُ أبكى أملاً لامعاً   أناتُه عنّى عاثراتُ الجدود

ياطيفها جددت عمر الاسى   ونلت من قلبي المنال الشديد
نضرت ياغامض تذكارها   وحصنك الممنوع جهم الوصيد
أيتها الذكرى أثرت الجوى   فهل لما تذكينه من مزيد ؟
علام زرت اليوم خل الشجا   إيناسك الطائف يضني الوحيد
أبليته في ذكراك نضر الصبا   وعهدك الآيب غض جديد
مل صراع العيش ندمانه   وضج من قفر الحياة الجليد
يخبط في يهماء مستغديا   على معنيه العزيز الحميد
يصرخ إن مر بصحرائها   ماذا نلاقي في ظلام اللحود
خذ بي أيا غيب إلى مأمن   يزيح عني وحي عبء القيود
فنادت الأقدار في حزنها   لم يحن أن يستريح الطريد
نجوز دنيانا سراعا ولا   نستطيع أن نمشي مشيا وئيد
فهل ترى نقعد في ساحها   أم ليس للرائد يوما قعود
السير يضنينا وما نأتلي   نشق في الاطواد سبل الصعود
تمضي بنا الايام في فسحة   راعبة ليس لها من حدود
حتى إذا ما العمر أمضى بنا   مضافه ثم طوانا الهمود
عدنا إلى كون بعيد المدى   يطيب للمتعب فيه الرقود
هناءة الأيام ممزوجة   بالصاب والعمر خيال الهجود
أفراحنا يمشي عليها الاسى   ولهونا يغتاله ما الجهود
نضيع في غيهب هذا الردى   ولا يرد النوح منا الفقيد
لا تحسدن بالله عقد الهوى   كم في وصال الحب عاشت صدود
ولا يهولنك شك الورى   رب يقين فائض من جحود
قال شبابي لنؤوم الصبا :   كيف تمتعت بنضر السعود
فقال : في الغفلة عن عالم   ما فاز بالمأمول منه الرشيد
... ...
هات أغاني وعد بالمنى   وانهب خطى العمر فكل يبيد
وادس الورى وانشر على ما مضى
من نعمة النسيان ضافي البرود

بائعة الزهر

جاء ظبي يبيع زهرا جنيا   زاد حسنا بروعة التنضيد
قال هلا اشتريت مني زهرا   ضم أبهى شقائق وورود
قلت أبغي شراء أجمل زهر   وسأسخو له بكل نقودي
قال لي فاشتر الشقائق تحكي   أكؤس الخمر او خدود الغيد
قلت لا، قال فاشتر وردا زهيا   هو بين الازهار بيت القصيد
قلت لا، قال فاشتر - ان كنت تشري
زنبقا يزدهي ببيض البرود
قلت لا. قال لي اذن فاشتر فلا   قد حبوه لون الصباح الجديد
قلت لا، قال فاشتر النرجس الحا   وي لتبر في فضة كالجليد
قلت لا ، قال فاشتر آسا فلم او   بل فأغضى طرفا ومال بجيد
قال دعني لم يبق عندي زهر   قلت باق لديك زهر الخدود
قال زهر الخدود : كم ذا يساوي ؟!
لست ادري : فقلت كل وجودي
قال ما تستفيد من زهر خد   نلته في وجودك المفقود ؟!
قلت في البيع أستفيد هياما   هو عندي يفوق كل مفيد
ان أسمى اللذات ما تنتهي بي   لفناء ما فوقه من مزيد
لذة السكر تبلغ الأوج لما   فيه يغدو الرشيد غير رشيد
ان أقصى حدود سيري اني   أتخطى في السير كل الحدود

دمشق   احمد الصافي النجفي

---

٢ - منطق الطير

القصـــة الصوفية الخالدة

للدكتور عبد الوهاب عزام

والشاعر فى وصف هذه الاودية يذهب مع الشعر المذاهب البعيدة ، فيملؤها جميعا بالاهوال والدموع ولست أدرى أكان المدهد حازما حين وصف الأودية هذا الوصف المروع . وهذا اجمال وصفها :

١ — فى وادى الطلب، يعترض السالك عقاب كثيرة : ويلقى من النصب والتعب مايضنيه ، ولابد له أن يفرغ من كل مايربطه بهذا العالم ، ويطهر قلبه من علائق هذه الارض . فاذا تم الطهر اصاب القلب شعاع من النور الآلهى فيتضاعف طلبه الف مرة . واذاً يذهب قدما لاتثنيه الأخطار والاهوال

٢— واما وادى العشق : فهو النار يمضى فيه العاشق كاللهب مضطرما ثائراً ولا يفكر فى العواقب ، لايعرف الكفر والدين ، ولا الشك واليقين؛ الخير والشر سواء عنده ، كلا بل لاخير ولاشر اذا اضطرم العشق . هناك القلب خفاق يحترق ويذوب ليرجع الى مكانه كالسمكة اخرجت من البحر الى الصحراء . هنالكم العشق نار والعقل دخان ، فاما جاء العشق فر العقل مسرعا .

٣— ثم وادى المعرفة : الذى لاأول له ولا آخر . هنالكم تتشعب السبل ، وكل يسلك الطريق الذى يستطيعه ، وكيف ترجو ان يسير الفيل والعنكبوت معا فى هذا الطريق الوعر . انما سير كل سالك على قدر كماله ، وقربه بمقدار حاله . هنالكم المعرفة متفاوتة ، فهذا يجد المحراب ، وذاك يجد الصنم ، اذا اضاءت شمس المعرفة من ذلك الفلك العالى أبصر كل بمقداره . وكل مايرى فهو وجه الحبيب ؛ وكل ذرة محله . آلاف الاسرار تتألق كالشمس من وراء الحجب هنالك الظمأ الدائم الى الكمال . . الخ

٤ - وادى الاستغناء

مى جهد أزبى نيازى صرصرى ميزند برهم بيكدم كشورى
هفت دريابك شمر آنجابود هفت أختربك شرر آنجابود

تعصف من الاستغناء ريح صرصر تدمر فى كل خفقة اقليما .
وهنالكم سبعة الابحر غــدير ، وسبعة الكواكب شرر ، والجنات السبع جيفة ، وسبع النيران قطعة من برد . يقول العطار :
« ياعجبا ! إن النملة هناك تربو قوتها على مائة فيل ، وإن غرابا لايشبع بمائة قافلة .
لوسقطت آلاف الارواح فى هذا البحر ما كانت الا قطرة واحدة فى بحر لاساحل له . ولو هوت الافلاك والأنجم ما كانت الا كورقة سقطت من شجرة . . الخ

(يريد شاعرنا أن يشرح ما يدركه السالك فى هذه المرحلة من استغناء الله عن العالم وصغر هذه العوالم كلها وضآلتها فى جانب الحقيقة الكبرى . ويبين أن الأشياء هناك لاتقاس بمقاييسنا)

٥ - وادى التوحيد

هناك كل عدد يصير واحدا فى واحد فيتم الاتحاد ، ولكن هذا الواحد ليس كالواحد الذى يذكر فى العدد ، هو وراء العد والحد (كلام يذكرنا بكلام فيثاغورس فى نشأة العالم من الواحد) .
هنالكم لاأزل ولا أبد . وان يضع الازل والابد فلا شىء بينهما فكل الاشياء كانت وستكون عدما .

(ومعنى هذا الكلام المبهم - فيما أظن - أن الله هو الحقيقة التى لايحدها الزمن ، وكل ماعداها ممايقاس بالماضى او الحاضر عدم ، فلا شىء قائم الا هذه الحقيقة .)

٦ - وادى الحيرة

هناك يلاقى السالك أضدادا ونقائض تلوح له كلما اختلفت على نفسه الاحوال والادراكات . وهو بين هذا وذاك يفقد نفسه . لايستطيع أن يهب قلبه لهذا الجلال ولا أن يمنعه ، ولايقدر على أن يسير وحده أو يتبع غيره . فهو نفور من الخلق ومن نفسه ، لامسلم ولا كافر ، لأن دين الحيرة لايحد ، ولايعرف الحب ولا البغض ، ولاالتقوى ولاالفسوق ، لاهو خير ولاشرير ، ولاموقن ولا مرتاب ، ولا هو عزيز ولاذليل . لاهو كل شىء ولا هو شىء ؛ ولا هو كل ولا جزء من كل .

يقول العطار : « فان يسال السالك هل أنت موجود أم لا ؟ أأنت فى العالم أم خارجه ؟ أظاهر أنت أم خفى ؟ أفان أم باق ، أم لست فانيا ولا باقيا ، أم أنت فان وباق فى وقت واحد ؟ فلن يكون جوابه : الا « لاأدرى شيئا ولاأدرى اننى لاادرى . أنا عاشق ولكن من ؟ لا أدرى »

ويضرب العطار مثلا بنت ملك أحبت خادما واستحيت أن تظهر حبها للخادم . فأوحت الى حواريها فسقينه حتى سكر ، ثم أتين به اليها ، فلما صحا بعض الصحو فتح عينيه فرأى جمالا باهرا فى مكان يسحر الالباب ، وشم رائحة ذكية ، وسمع موسيقى مطربة . فأحب الخادم الفتاة ، فلما غلبه النوم حمله الخدم الى مكانه ، فلما استيقظ ذكر ما رأى ولكن كيف ومتى وأين ؟ قال له الناس إنه حلم ، ولكنه لم يستطع أن يقول أكان هذا حلما أم يقظة ، ولاأن يعرف أكان سكران أم صاحيا :

(فهذا المثل يوضح مقصد الشاعر فالسالك فى هذه المرحلة تلوح له أشياء من عالم الغيب ثم تختفى عنه حين يرجع سيرته الأولى من هذه الحياة)

٧ ــ وادى الفقر والفناء

وهو آخر الأودية : هو وادى الدهشة والصمم والبكم والغشية ، هنالك آلاف آلاف الظلال تمحى فى الشمس . اذا ماج البحر الكلى فكيف يبقى النفس على صفحة الماء . وكل من فقد نفسه فى هذا البحر فهو فى فناء وسلام ابدا .

يضرب الشاعر أمثالا ليبين الكلام عن هذا الوادى كدأبه فى الفصول كلها ، ومما ضرب هنا مثـــل الفراش الذى اجتمع ليلة واتفق على طلب الشمعة ، فقالوا لابد أن يذهب بعضنا ليراها ويصفها لنا قبل الذهاب ؛ ذهبت فراشة الى قصر فرأت نور الشمعة منبعثا منه فرجعت تصف الشمعة لأخواتها ، قالت فراشة عارفة : ما لهذه علم بالشمعة قط . فانبعثت فراشة أخرى قاصدة مكان الشمعة فاقتربت ثم اقتربت حتى لم تطق حرها فانثنت الى صاحباتها تصف ما عرفت من أسرار الشمعة ، فقال الخبير : أيها الأخ ماهذا الا كلام كالذى سمعنا من قبل . ذهبت ثالثة سكرى من الشوق راقصة مرفرفة ، فألقت بنفسها فى نار الشمعة فأخذتها النار من كل جهة فاحمرت كالنار . فلما رجعت رآها فى لون النار وضوئها فقال هذه عرفت الشمعة . إنما يدرك المحبوب بالفناء فيه الخبير العارف

كل هذا يقوله الهدهد على منبره والطير مصيخات اليه . فلما سمعت الطير مقاله أخذها الغم ووجمت وعرفت ان لا طاقة لها بهذا ومات بعضها فى مكانه ، ثم بدأن الطيران فلقين فى الطريق ما لا قبل بوصفه ، وانتهى قليل منها الى الغاية ، وهلك أكثرها فى الطريق ! فمنها غارق فى البحر ، ومنها ضال فى الفيافى ، ومنها هالك عطشا على قنن الجبال ، وبعضها هلك فى وهج الشمس ، وبعضها سقط إعياء ، وبعضها شغلته عجائب الطريق فوقف وبعضها وجد ما يلهو به فركن الى الدعة وآثر الراحة . وبعضها أصابته مصائب أخرى .

لم يبلغ الغاية من تلك الآلاف المؤلفة الا ثلاثون طائرا منهن مرغ ، بلغت وبها من النصب والاعياء والآلام ما بها . فماذا وجدن ؟ وجدن حضرة لا يدركها الوصف ولا ينالها العقل . وأين برق الاستغناء يومض فيحرق مئات العوالم فى لمحة وأين آلاف الشموس وآلاف الكواكب حائرة كالذرات ، فقال بعضهن لبعض : وا أسفا على ما تحملنا من مشاق السفر إن مائة فلك هنا كذرة من التراب . فما وجودنا او عدمنا نحن فى هذه الحضرة ؟ بقين فى حسرة يقصص الحزن منهن حتى خرج عليهم حاجب العزة . قال . أيتها الحائرات المضنيات من اين جئتن ولماذا ؟ ما اسمكن . هذا سمعتن ، ومن اخبركن ان قبضة من العظام مثلكن تستطيع ان تعمل شيئا ؟ قالت الطير : جئنا هنا ليكون السيمرغ ملكنا . وقد طال علينا الطريق وكنا آلافا فما بقى الا ثلاثون جئنا من أرض بعيدة راجين ان يؤذن لنا فى هذه الحضرة ، لعل الملك يرضى عملنا فتنالنا نظرة من رحمته

قال الحاجب : أيها الحيارى ما أنتن ما وجودكن وعدمكن عند الملك المطلق الباقى ؟ ان مئات آلاف من العوالم لا تزن شعرة أمام باب هذا الملك ، هلم فارجعن أيتها المسكينات

قالت الطير : إن منعتنا على هذا الباب عز . وسنبقى هنا نحترق كالفراش على النار ، أذن لنا بالدخول ام لم يؤذن ، ولن نيأس من رحمة الملك . فخرج عليهن حاجب الرحمة وفتح الباب لهن وتقدم يرفع الحجب مئات من الحجب كل لمحة ، فانبعث النور فى الارجاء وبدا عالم التجلى . فدخلت الطير واجلست على أرائك القرب

ماذا أصاب الطير من بعد ؟ أعطى كل طائر ورقة ليقرأها فقرأ كل ما قدم من عمل حتى غشى عليه حياء وخجلا . ثم محيت الأعمال وأنسيت فلم تذكر الطير شيئا . ثم أضاءت شمس القرب

محرقة كل روح وحينئذ رأين السيمرغ . وما أعجب مارأين كن اذا نظرن الى السيمرغ يرين « سى مرغ » واذا نظرنا الى أنفسهن « سى مرغ = ثلاثين طائرا » رأينا السيمرغ ، واذا نظرن الى أنفسهن والسيمرغ معا رأين سيمرغا واحدا . فبلغت بهن الحيرة مبلغها . فسألن فقيل لهن : إن هذه الحضرة مرآة فمن جاءها لا يرى فيها الا نفسه . فقد جئتن ثلاثين طائرا « سى مرغ » فرأيتن فى المرآة سيمرغ ، ولو جاء أربعون أو خمسون لانكشف الستر كيف تدركنا الابصار . كيف تنال الثريا عين . النملة . ليس الأمر كما علمتن ورأيتن ، ولا كما قلتن وسمعتن . ولكنكن خرجتن من أنفسكن فهاهنا مكانكن . فامحين فيه وضاع الظل فى الشمس

(بلغت الطير مقام الفناء وهو عند الصوفية أن يتجرد الانسان من نفسه ، ويخضع صفاته للصفات الألهية ويرجع كما يقولون قطرة فى البحر تموج بموجه . ويقول أبو سعيد فى تعريف الفناء . إنه فناء الشعور بالبشرية — ولأجل توضيح لغة العطار الشعرية أنقل الجملة الآتية من كشف المحجوب :

« الفناء درجة من الكمال ينالها الأولياء الذين تحرروا من آلام المجاهدة ، وخرجوا من سجن المقامات والاحوال ، وانتهى طلبهم الى الكشف ، فرأوا كل ما يرى وسمعوا كل مايسمع ، وعرفوا كل أسرار القلب ، ولكنهم أدركوا نقص كشفهم هذا فأعرضوا عن كل شىء ، وفنوا فيما رغبوا اليه وفى هذه الرغبة فقدوا كل رغباتهم »

وراء هذه الحال حال أخرى يسميها العطار وغيره من الصوفية « البقاء فى الفناء » ويقول عنها كتابنا هذه العبارة العجيبة . وهو يعترف أنها حال لا تشرح الا بالتمثيل)

فلما مضى مائة آلاف من القرون ، القرون التى لا زمان لها . أرجعت الطيور الفانية الى نفسها فلما رجعت الى نفسها بغير أنفسها رجعت الى البقاء بعد الفناء .

(وتأويل هذا بكلام الصوفية الآخرين : أن الانسان يفنى عن نفسه — عن ارادته ورغباته وشهواته الخاصة فيبقى فى الله ؛ يريد من أجل الله ، ويرغب فى الله ويفعل كل شىء غير غافل عن الله طرفة عين هذه خلاصة ما فى الكتاب — كما فهمته — والكتاب فى حاجة الى بحث مفصل ، ولعله يتاح من بعد .

ثم يختم العطار « منطق الطير » بقوله :

قد عطرت ياعطار آفاق العالم ، وهجت العشاق فى كل مكان ، تارة تنفث العشق المطلق ، وتارة تغنى أغانى الحب لمن عشق ، ففى شعرك كنز العاشقين وزينة لا تفنى للوالهين . قد ختم عليك « منطق الطير » كما يحيط بالشمس ضوؤها

عبد الوهاب عزام



عمـــل التطور

للسر ارثر طمسن

ترجمة بشـــير الياس اللوس

التغيير والانتقاء

تنشأ خلال عملية التطور العظيمة تنوعات جديدة لا يخلد منها الا القليل ، لان التناحر على البقاء يعمل على انتقاء أصلح التنوعات الجديدة . ويظهر أن هذه هي الطريقة الأساسية في التطور العضوى . وأهم ما يجب أن نبحث عنه الآن هو هل التغيرات الطارئة على حياة الفرد كنتيجة مباشرة لمميزات خاصة فى البيئة أو الغذاء أو العادات يمكن أن تنتقل بدرجة ما الى الأحقاب التالية ؟ اذ لو لم تكن قابلة للانتقال والتسلسل ولو بدرجة ضئيلة على الأقل إذن لما كان لها أية أهمية من الوجهة السلالية . فالوراثة إذن هى إحدى صفات التطور . انها « منخل » آخر . ويمكننا أن نقول عندئذ إن عملية التطور العضوى ما هى الا عمليـــة انتخاب وتثبيت الصالح واهمال الطالح .

أصل النباتات الجديدة

من أعقد مشاكل علم الحياة معرفة كيفية نشوء التنوعات الجديدة . ففى القرن السابع عشر ظهرت فى إحدى حدائق مدينة هيدلبرج (Heidelberg) نبتة جديدة ذات أوراق غريبة مستورة الشكل سميت (Greater Calendine) ودعيت تنوع — Variety — الـ Laciniatum من النوع — Species — الـ Chelidonium majus ومن خصائص هذه النبتة انها أصيلة (Bred - true) وظلت كذلك منذ ذلك العهد . هـــذا مثال من التنوعات الجديدة التى دامت . ولكن المهم هو كيفية نشوء هذه النبتة .

وحدث فى زمن شارل الأول Charles I ملك انكلترا ان رجلا فرنسياً يدعى « جيان نوكارى Jeare Nrugant » كان مصابا بعاهة « العمى الليلى » — أى عدم القدرة على الرؤية فى الضياء الضعيف . وترجع أسباب هذه العاهة إلى نقص فى شبكية العين — وقد حفظ سجل عائلة هذا الرجل إلى الآن ودرس بامعان فعُرف ان فى كل جيل ورائى كان بعض الأفراد من عائلته مصابين بتلك العاهة وعندما يتزوج أحد أفراد نسله المبرئين من المرض بامرأة من عائلة أخرى أو بالعكس كانت العاهة تنقطع لأن جميع أفراد النسل يسلمون منها . ولكن عندما يتزوج فرد مصاب من عائلته بفرد سليم من عائلة أخرى كان يستمر هذا المرض فى عدد معين من النسل الجديد . ان ميزة العمى الليلى هذه توضح لنا ما يسمى بالوراثة المندلية (Mendelıan Inherstane) ولكننا قد نتساءل أولا كيف ابتدأ « العمى الليلى » .

لماذا يختلف أفراد العائلة عن بعضهم ؟ كيف نستطيع تعليل بعض الحوادث العرضية كالقطط العديمة الأذناب والعجول العديمة القرون والعصافير البيضاء والصبير العديم الشوك والبرتقال العديم البذور . الخ . كيف تنشأ كل هذه الشواذ ؟

الوراثة (Heredity)

تتمثل المميزات الوراثية فى البويضة والحيوان المنوى بطريقة لا نفهمها فمن الجرثومة الاولى تظهر المميزات التى تختص بها الكائنات وتميزها عن بعضها ؛ وفيها العناصر التى تكون الوراثة الطبيعية للنوع . ولكن هذه العناصر قد تتحول نحو جهة معينة اثناء النمو . والواقع اننا نعلم فى بعض الحالات وخاصة فى الحيوانات الدنيا كالاسماك بين الفقريات — ان نمو بعض الخصائص يتوقف على انتقالات المخلوق الحى وبيئاته . وبكلام آخر ان العنصر أو العوامل الوراثية هى بذور حية يجب الاعتناء بزرعها . فالجسم النامى الابذرة الاولين ،

والآن نعلم انه عند نضوج الحجيرات الجرثومية (التناسلية) وتلقيح البويضة من قبل الحيوان المنوى (وهذه هى بداية حياة الفرد) توجد فرص عديدة واحتمالات شتى لاختلاط الميزات الوراثية . ومن المؤكد ان التبادلات والتوافقات Combinations & Permutations) التي تنشأ بهذه الطريقة تخلق التنوعات الكثيرة خلال النمو

الكاليدوسكوب الحي

اذا أنعمنا النظر فى أشكال الحيوانات وصورها لانقع على اثنين يتشابهان تشابها تاما ، وهذا يذكرنا بالكاليدوسكوب الذى يعطينا مختلف الصور والاشكال بتحريك القطع الزجاجية الملونة فيه . وربما كانت الجرثومة كالكاليدوسكوب احيا فقد تتأثر أحيانا بعوامل الغذاء والمحيط وعادات الوالدين وقد يؤثر عليها تغير المناخ ، او قد يتغير من نفسها محدثة ترتيبات جديدة لعناصرها . ولما كانت الجرثومة حية فهى جسم عضوى مضمر او بعبارة اخرى ، هى مخلوق حى كامن فى حجيرة واحدة ، وقد أشرنا فيما سبق الى تعدد الفرص فى امتزاج العناصر الوراثية عند نضوج حجيرات التناسل وتلقيحها .

التغايرات والقسامات الجزيرة (Variations & Mutations)

كثيرا ما يكون الطفل شديد الشبه باحد والديه فى بعض الاوجه على الاقل . وقد يرث بعض الخصائص عن ابيه والبعض الآخر عن أمه وهذا ما دعا داروين الى اعتبار تلك التغايرات كمواد اولية للتطور . وقد عثر على مجموعات من الاحافير تظهر التغير من شكل الى آخر وتوحى لنا بفكرة « التقدم بعلاوات تدريجيه » (Progress By Gradual Increments) او التقدم « بالاختزالات » (Reductions) وهناك احتمال حدوث تغير خاص فى جهة معينة الامر الذى يجعل هذه التطورات كالفصول المتتابعة فى النمو الفردي

بيد أن هناك نوعا آخر من التغير اكثر تعقيدا وهو « النشوء الفجائى » (Mutation) كالشعر المجعد والشعر الآنقرى والنبوغ الموسيقى والرياضى والصفصاف الباكى والديك الطويل الذنب والفيل الابيض . وقد قارن « السر فرنسيس غالتون » (Sir Francis Galton) التغايرات الصغيرة بذبذبات جسم كثير الاوجه مرتكز على أحد سطوحه والنشوء الفجائى بانقلاب الجسم كله على سطح جديد . ومن ابرز خصائص النشوءات الفجائية أنها تتوارث وتظهر بوضوح فى النسل المولود من أبوين فيهما نفس تلك الخصائص . فاذا تزوج النابغ بنابغة كان النسل حاويا النوابغ عديدين ، ولكن فى حالات كثيرة يجب أن يلاحظ ان النشوء الفجائى يظهر غالبا بشكل نقص فى التركيب ـ أى عدم وجود ميزة معينة فى النباتات ، او قرون فى الابقار ، او اذناب فى القطط . ويقال عنه فى مثل هذه الحالات انه نشوء فجائى سلبي (Negative Mutations) بينما قد تظهر الميزة الشاذة بشكل ايجابى (Positive) أى باضافة ميزة جديدة لم تكن موجودة فى الوالدين ولا فى اسلافهما .

الانتخاب الطبيعى

إن اساس نظرية التطور الداروينية هو : « انتقاء الاصلح من النشوءات الجديدة بعد التجربة والاختبار » . وقد اجرى العالم الطبيعى الايطالى « سسنولا Cesnola » تجارب على الجراد المصلى أو فرس النبي (Praying mantis) وهى حشرة غريبة توجد على ضربين (Variety) أخضر وأسمر كل منهما ملائم للمحيط الذى يعيش فيه . ربط « سسنولا » الضرب الاسمر بخيط حريرى على نبتة ذابلة فتخلصت الحشرة من أعدائها ، وكذلك ربط الضرب الاخضر على نبتة خضراء فنجت من الاعداء أيضا . ولكن عندما ربط الحشرات السمراء على نبتة خضراء والخضراء على نبتة ذابلة ، سرعان ما اجتاحتها الطيور عن آخرها . فلو أصبحت ايطاليا مثلا بقعة جرداء اذن لانقرض الجراد الاخضر فيها عن آخره ، ولبقى الجراد الاسمر فقط ، والعكس بالعكس . هذا مثال لما نسميه بالانتخاب الطبيعى او ما نعبر عنه بغربلة الطبيعة

الانتخاب الصناعى

رأى داروين أن يستعمل تعبير « الانتخاب الطبيعى » تمييزا له عن الانتخاب الصناعى الذى يقوم به الانسان فاذا أعجب المربى

بضرب جديد (New Variety) أزوجه بآخر يشابهه على قدر المستطاع ، ويبادر الى النسل فيغربله منتزعا الضروب التي لا يريدها ومحافظا على الضروب التي يريدها . وهكذا نستطيع ان نميز عمليتين مزدوجتين في الانتخاب الصناعي وهما : (١) تزاوج الافراد المتشابهة المرغوب فيها (٢) إقصاء الافراد غير المرغوب فيهم

ولنتكن ترى من يقوم مقام المربي المنتخب في حقل الطبيعة ، للاجابة على هذا السؤال يمكننا أن نستعين بالفكرة التي أدخلها داروين ، ووالس (Wallace) في نظرية التطور وهي فكرة الانتخاب الطبيعي التي تعني غربلة الطبيعة للنشآت الجديدة خلال التناحر على البقاء

التناحر على البقاء

لقد استعمل داروين هذا التعبير بمعنى واسع ومجازي فشمل اتكال البعض على الآخر ، وعلى الاخص نزوع الفرد الى الحياة وتكثير ذريته . فلكي نفهم فكرة داروين يجب أن نشاركه في نظريته الواسعة لانه عني بالتناحر على البقاء أكثر من نضال مستميت في سبيل الغذاء .

تميل المخلوقات الحية الى التكاثر ، ولكثير منها نزعة شديدة للحياة لا تقف مطامعها عند حد فهي عاصية متمردة تستنكر التغيرات المقيدة لحريتها في البيئة التي تعيش فيها . وفي وسط هذه الميول والنزعات يجري التناحر على البقاء — أو التصادم بين العضويات الحية وحواجز بيئاتها . على أن ذلك النزاع المستمر قد يؤدي الى فناء البعض ، ولكنه قد يؤدي أيضا الى التعاون بين أفراد البعض الآخر ، وقد يكون لاجل التوطن والحصول على الغذاء ولكنه قد يؤول أيضا الى التنعم والترف ، وقد يكون لاجل التمتع الفردي أو لتكوين رابطة عائلية يقوي الحب أواصرها ، وقد يؤدي الى استعمال الاسنان والمخالب ويؤول إلى النفع العام ، وأخيرا يسقط في ساحة ذلك النضال المستميت ضعاف المخلوقات ومهازيلها فيثبت القوي ويفنى الضعيف والطبيعة خالدة فوق الجميع .

الانتخاب الجنسي

لكي نهيء مرجا صالحا يجب أن نقتلع منه الدغل ونبقي العشب الاخضر فقط . كذلك تنتقي الطبيعة الصالح وتقضي على الطالح . على أننا نحتاج الى نوع من السماد يغذي العشب ويقويه دون أن يفيد الدغل الضار وهكذا يتغلب العشب على تلك الادغال . ان هذا يشبه ما نسميه في الطبيعة بالانتخاب الجنسي لان كثيرا من المخلوقات لا تنجح في الحياة لقوتها ومهارتها بل لكثرتها غالبا — وقد تكون القوة والمهارة مرافقتين للكثرة أيضا .

لقد علق داروين أهمية كبرى على الانتخاب الجنسي ، أي ذلك التناسل الذي يصحبه تفضيل الانثى للذكر الذي يروق في عينيها أكثر من غيره : إما لجماله أو لرشاقته أو لقوته ، أو لجمال صوته أو لغير ذلك من الصفات المستملحة . وكان رأي داروين أن شغف الانثى بتلك الصفات حملها على محاولة استهواء الذكر بما اكتسبته أثناء التطور من جمال قد ورقة صوت ، تلك الميزات التي يهيم بها الذكر هياما عظيما ؟

مطالعات وأشتات

للدكتور احمد زكى

لبن الحمام

سمعنا بلبن الانسان وتذوقناه كلنا، وسمعنا بلبن الابقار والجاموس وشربناه لاشك جميعا، وبلبن الماعز ولبن الجمال، ولا ريب أن منا عددا غير قليل أسعدته المصادفات بتذوقهما واستمرائهما، حتى لبن الحمير يدخل فى دائرة ما عرفنا أو سمعنا فى الحياة، ومن الناس من يحدثك عن فوائده وأسراره بأحاديث حارة لاتتشكك بعدها فى صفاته وآثاره. وغير هذه الحيوانات عدد كثير تهيء اللبن لصغارها طعاما سائغا تستحضره من غذائها اذ يجرى فى دمها فتستخلصه منه مجموعة من الغدد أسميت بالثدى. أما لبن الحمام، وهو طائر يبيض، فلم يسمع به الكثير، ولكنه مع ذلك حقيقة، فهو افراز كاللبن تفرزه الحمامة قبيل إفراخ بيضها، وتستمر فى افرازه اياما بعد إفراخه، وتطعم به صغارها وهن ضعاف عراة، وهذا اللبن ثخين يضرب لونه الى البياض، ويحتوى الدهن الذى تحتويه الألبان، وكذلك يحتوى زلالها، فيبلغ مقدار دهنه مابين ٢٥ الى ٢٩ فى المائة، ويبلغ زلاله مابين ١٣ الى ١٤ر٥ فى المائة وهذان يبلغان فى لبن البقر نحواً من ٣ر٧٪ فى المائة و ٣ر٥ فى المائة على التوالى.

فلبن الحمام إن خالف ألبان الأبقار فهو يشبه لبن الارانب فى مقدار دهنه وزلاله، غير أنه لبن يعوزه سكر الالبان وكل سكر غيره.

والحمام لايحضر لبنه فى ثديه، فليس له ثدى، وانما يفرزه فى حويصلته

ومن الغريب أن الذكر يفرز اللبن كما تفرزه الإنثى، وهذه ظاهرة لا ينفرد بها الحمام، فقد عُرفت من الحيوانات الثديية أنواع تتعادل ثدى إناثها وذكورها حجما، ويشتركان كليهما فى تغذية الوليد الرضيع. حتى الوطواط يُظن ان ذكره يساعد انثاه فى الارضاع احيانا.

والرجل ذو ثديين هما فيك وفى منضمران، ولكن قد عُرف من البشر رجال تضخمت ثديها حتى كانت كالنساء وقطر اللبن منها وسال. والفسلجيون لا يعدون هذه الظواهر فلتات من الطبيعة وانما هى لديهم شارة الى أن الحيوانات فى ابان نشوئها كان يشترك جنساها بالسوية فى تغذية الرضيع وانجاده كما اشتركا فى انجاده. ثم تلا هذا أن تخصصت الأنثى بذلك فى الأكثرية العظمى من المملكة الحيوانية. وقد حدث فى بعض الاسماك أن قام الذكر بذلك بالحضانة وأعفيت الانثى.

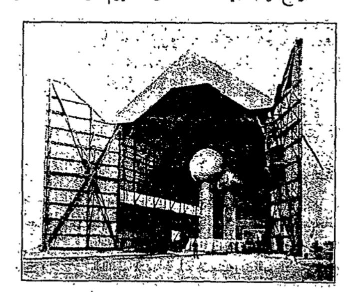
شرارة هائلة

من المعروف المألوف الآن أن الذرة الواحدة من ذرات الأجسام تحتوى على نواة يدور حولها عدد يزيد وينقص من وحدات كهربائية تسمى بالكهارب، هى نفس الوحدات التى يتركب منها تيار الكهرباء. ومن المعلوم كذلك ان الابحاث فى ذرات العناصر من بعض وسائلها إصابة الذرة بمقذوفات من تلك الكهارب يحضرها الباحث من الكهرباء نفسها ويسلطها على الذرة المبحوثة فيتطاير عنها من كهاربها ما يتطاير ثم يمتحن ما ينتج عن ذلك من إشعاع.

وقوة تلك القذائف تتوقف على الضغط الذى يدفعها فى طريقها، ويسمى هذا الضغط فى لغة الكهربائيين «بالفلتجة» ويقاس «بالفلت». وضغط الكهرباء فى أكثر منازل القاهرة يبلغ مائة «فلت» أو يزيد قليلا. وهو ضغط كاف لحاجات البيت، ولكنه غير كاف لتمزيق الذرة.

وقد كان وصل العلم من عهد قريب الى توليد كهرباء استاتيكية ضغطها ٨٠٠٠٠٠ فلت، ولكن جاءت الإخبار من المعهد الصناعى بماساشوست بأمريكا بأن الدكتور

«فان دي جراف» وهو أحد الفيزيائيين فيه قد توصل الى تدبير جهاز يتولد به تيار متواصل من الكهرباء ضغطه ١٠٠٠٠٠٠٠ فلت . ويتركب المولد من قطبين كبيرين متماثلين هما فى الواقع كرتان عظيمتان لماعتان من الالمنيوم قطرهما



١٥ قدما تحملهما اسطوانتان جوفاوان عازلتان قطرهما ٦ أقدام وارتفاعهما ٢٥ قدما . ويحمل الاسطوانتين عربتان ثقيلتان تسيران منفصلتين على قضيبين حديديين تبلغ مسافة ما بينهما ١٤ قدما ، وبذلك يمكن التقريب بين القطبين والتبعيد بينهما وهما يسكنان الآن بيتاوسيعا كانت تسكنه المناطيد . ويشغل الجهاز بادارة أحزمة مغلقة عديدة من الورق تصعد وتهبط فى دورانها داخل الاسطوانة على حذاء طولها ، تتصل عندقاع الاسطوانة بالمحركات التى تديرها ، وتتصل من أعلى ببكرات مثبتة فى وسط الكرة ، فاذا بلغت أجزاء الحزام الدوار بكرته وهو متكهرب مس عندها فرشة فاعطاها حمولته من الكهرباء فأوصلتها الى الكرة المعدنية وهى على ضغط ٢٠٠٠ فلت . ولكن لا تلبث أن تأتى الأحزمة بحمولات غيرها فعل الساقية المصرية فتزيد شحنة الكرة زيادة كبرى . وذلك بينما الكرة الاخرى فى القطب الآخر جادة فى جمع شحنة مثل هذه فى الكبر ولكنها تخالفها فى النوع ، فان كانت احداهما سالبة كانت الأخرى موجبة . فاذا بلغ اختزان الكهرباء فى كل منهما ضغط قدره ٥٠٠٠٠٠٠ فلت أخذ القطبان فى التفريغ الكهربائى تحت ضغط ١٠٠٠٠٠٠٠ فلت

ولما كان التفريغ تحت هذا الضغط الهائل لا يؤمن جانبه على المشتغلين بالجهاز من البحاث فقد أنزلوهم منه آمن منزل : ذلك جوفه فى الكرة المعدنية نفسها ، وسيكون بها نور وآلات وأجهزة ، أى ستكون معملا فيه كل مايطلبه الرجال للعمل ، وستشحن أجسامهم بالكهرباء والجهاز دائر الى أقصى القطبين ، ولكنهم معزولون عن الارض فلن يصيبهم أذى .

قماش جديد :

ويصنعونه من القطن والكتان . وخلط القطن بالكتان فى النسيج أمر معروف ، فهم يجمعون خيوط هذا الى خيوط ذلك ، أو يسدون بهذا ويلحمون بذلك . ولكن الطريقة الجديدة تتضمن احالة القطن الى مادة كالفالوذج ، وإحالة الكتان الى مادة فالوذجية مثلها ، ثم خلط الاثنين بنسب تتفاوت لأغراض تتفارق ، ثم ضغط المخلوط فى ثقوب رفيعة يخرج منها وقد جف خيوطاً بين القطن والكتان تغزل ثم تنسج منها الأثواب . وسنرى فى القريب بشائر هذا الاثواب تباع فى الأسواق بأثمان يقولون عنها إنها أغلى من القطن بقليل ولكنها أرخص من الكتان بكثير .

غادة الكاميليا

تحيي زميلتنا مجلة روزاليوسف الغراء مساء يومى الجمعة والسبت ١٦ ، ١٧ مارس سنة ١٩٢٤ بمسرح حديقة الازبكية حفلتين لاعانة منكوبى محلة زياد وتمثل فى الحفلتين رواية غادة الكاميليا الشهيرة وتقوم السيدة روزاليوسف بتمثيل دور « مرجريت جوتييه » ويتولى اخراج الرواية الاستاذ زكى طليمات



الصديق الصدوق

للأديب الانجليزى المعروف

أوسكار وايلد OSCAR WILDE

فى صباح أحد الايام أطل من جحره فأر ماء عجوز ، ذو عينين لامعتين كالخرز ، وشارب خشن أسمر ، وذنب كأنه قطعة طويلة من المطاط الأسود ، وكان يسبح حوله فى الغدير أفراخ من البط ومعهم أمهم البيضاء الناصعة ذات السيقان الحمراء تعلمهم كيف يقفون فى الماء على رؤوسهم ، وتقول لهم من حين الى حين « لا يمكن أن تعيشوا فى جمعية راقية وانتم غير قادرين أن تقفوا فى الماء على رؤوسكم . » ثم تريهم كيف يكون ذلك ؛ ولكن الافراخ لم يصغوا اليها ، لقد كانوا صغاراً لا يدركون فائدة الحياة فى الجمعية .

صاح فأر الماء العجوز — ما أعقهم من أولاد ؛ انهم ليستحقون الموت غرقا .

أجابت البطة — ليس الأمر كذلك ، إن لكل امرىء بداية .. وإن الآباء ليصبرون طويلا .

فأر الماء — آه .. انا لا أعلم شيئاً عن عواطف الآباء ، انى لست رجل أسرة ، فلم لم أتزوج ولم أفكر قط فى الزواج . الحب جميل اجمالا ، ولكن الصداقة اسمى بكثير . فى الحق انى لا أعرف ما هو أشرف ولا أندر من الصديق الصدوق .

سأل الطائر الصغير الملقب بالتفيفحة ، وكان جالسا على شجرة الصفصاف وقد سمع المحادثة « ولكن بالله عليك قل لى ما رأيك فيما يجب أن يكون عليه الصديق الصدوق ؟ »

البطة — نعم هذا ما أردت أن أعرفه — وسبحت الى نهاية الغدير ووقفت على رأسها .

صاح فأر الماء — ما أسخفه من سؤال ! إنى أريد من صديقى الصدوق أن يضر نفسه لينفعنى .

قال العصفور الصغير وهو يطير فوق إعنلوج ذهبى ويصفق بجناحيه الرقيقين « وماذا تفعل أنت مقابل ذلك ؟ »

أجاب فأر الماء — لا أفهم ما تعنى .

العصفور — دعنى أقص عليك حكاية فى هذا الموضوع .

فأر الماء — وهل يدور حول محور هذه القصة — اذا كان كذلك فانا أصغى اليك لأنى جد مولع بالقصص الخيالية .

العصفور — إنها إتناسبك ، وطار هابطاً وحط على الشاطىء وأخذ يقص حكاية الصديق الصدوق .

الطائر الصغير — كان يعيش فى أحد الازمنة شاب نبيل يدعى «هانس» .

فأر الماء — هل كان مشهوراً ؟

الطائر — كلا ما أظن أنه كان مشهوراً ، اللهم الا بقلبه الرحيم ووجهه الضحوك البشوش المستدير ، لقد عاش فى كوخه الحقير وحيدا وكان يشتغل كل يوم فى حديقته التى لم يكن فى القرية حديقة تدانيها فى الجمال ، فيها كان ينمو الزهر المنثور والورد الاحمر والورد الأبيض والأصفر والزعفران الليلكى والذهبى والبنفسج الارجوانى والريحان والياسمين وهكذا كنت تجد دائما فى الحديقة ما يقر العين وينعش الفؤاد .

وكان «لهانس» الصغير اصدقاء كثيرون ، ولكن «هيو» الطحان الضخم الغنى كان أكثر هؤلاء الاصدقاء وفاء وتضحية وقد بلغ من وفائه « لهانس الصغير » أنه لم يكن يمر بحديقته دون أن يعطف على الحائط ويقطف باقة أزهار كبيرة أو يجمع حزمة من الحشيش النظيف ، واذا كان الفصل فصل الاثمار ملأ جيوبه بالبرقوق والكرز

وكان الطحان يقول : يجب أن ترتفع الكلفة من بين الاصدقاء الأوفياء ، فيؤمن هانس الشاب على أقواله ويبتسم ويأخذه العجب

كلما فكر أن له صديقاً يحمل مثل هذه الافكار النبيلة .

وكان الجيران أحيانا يتساءلون مستغربين : كيف أن الطحان الغني لايعطى هانس شيئا مقابل مايأخذه منه في حين أن لديه مئات من أكياس الدقيق مخزونة في مطحنته وعنده ست بقرات حلوب ، وقطيع كبير من الغنم المكسو بالصوف ، ولكن « هانس » لم يزعج نفسه بمثل هذه الافكار ، ولم يكن ليسره شيء بقدرما كان يسره أن يصغي الى الاقوال الغريبة التي كان يذكرها له الطحان عن تضحيات الصديق الصدوق .

وكان هانس الصغير يشتغل في حديقته ويعيش جد سعيد خلال أيام الربيع والصيف والخريف ، ولكن حين يأتي الشتاء وليس لديه مايبيعه من أثمار وأزهار كان المسكين يتألم كثيراً من البرد والجوع ، وكثيراً ماكان يذهب الى فراشه دون أن يتناول شيئاً من الطعام اللهم الا قليلا من التين الجاف أو شيئاً من الجوز اليابس ، وفي الشتاء أيضاً كان دائم الوحدة لان الطحان لم يكن يأتي ليراه في ذلك الفصل أبداً .

ـ ليس من الخير أن أذهب وأرى « هانس الصغير » ، والثلج لا يزال على الابواب ، هذا ماكان يقوله الطحان لزوجه حين يكون الناس في اضطراب ، علينا أن ندعهم فلا نزعجهم بزياراتنا هذا رأيي في الصداقة ، واكبر ظني اني على صواب ، لذلك فانا سأنتظر قدوم الربيع وعندئذ أذهب لزيارته ، وسيكون عندئذ قادراً على أن يقدم لي سلة كبيرة من ازهار الربيع !

أجابت الزوجة وهي ترتمي على المقعد الكبير الى جانب النار ـ في الحق أنك كثير الاهتمام بغيرك ، إنه ليسرني أن اسمعك تتكلم عن الصداقة دائما . . انني على يقين أن رجل الدين نفسه لايتكلم بمثل كلامك الممتلىء علما وحكمة .

قال أصغر أولاد الطحان ـ ولكن الا نطلب لهانس الصغير ، أن يصعد الينا ـ اذا كان هانس الصغير في ضيق فانا ساقدم له نصف ماعندي من ثريد ، وأريه أرنبي الصغير .

صاح الطحان ـ يالك من ولد غبي . حقا اني لا أعلم ما فائدة ارسالك للمدرسة ، يظهر انك لاتتعلم شيئا : لماذا ؟ اذا اتى هانس الصغير الى هنا ورأى نارنا الموقدة وطعامنا اللذيذ ودننا الكبير الطافح بالنبيذ الأحمر عندما يأخذه الحسد ، والحسد هو أفظع خلة يمكن أن تشوه طبيعة الانسان . أنا خير أصدقائه وسوف أظل أرعاه بعنايتي وأحول دون دخوله في أية تجربة ، وبالاضافة الى ذلك فان هانس اذا جاء الى هنا فقد يطلب مني أن أقرضه قليلا من الدقيق ، وهذا مالاأستطيعه ، الدقيق شيء والصداقة شيء آخر ولن يجتمعا . لماذا ! لأن الكلمتين تختلفان في التهجية ولكل منهما معنى خاص . كل انسان يوافقني على ذلك ! ...

قالت الزوجة وهي تملأ كأسها بالجعة الدافئة : ان ماتقوله هو عين الصواب . .

أجاب الطحان ـ يحسن بعض الناس التمثيل ، ولكن قل من يجيد منهم الكلام . وهذا يعني ان الكلام أصعب من التمثيل وهو كذلك أجمل بكثير . ثم نظر بجفاء الى ولده الصغير الذي جلس الى المائدة منكمشاً مطرقا برأسه ، خجلا من نفسه .

سأل فأر الماء العجوز ـ أهذا ختام القصة ؟

أجاب العصفور ـ طبعاً لا . هذا أولها . . .

فأر الماء ـ انت اذن من الرواة القدماء ، ان الراوية البارع في هذه الأيام يبدأ روايته من نهايتها ثم يسير بالسامعين الى بدايتها ، تلك هي الطريقة الحديثة ، لقد سمعتها من فم ناقد كان يسير منذ يوم برفقة شاب حول البركة ، لقد تكلم بحماس جعلني اوقن بانه على صواب خصوصاً وقد كان أصلع الرأس يضع على عينيه منظارين أزرقين . ولكن ارجوك ان تستمر في قصتك .

قال العصفور وهو يقفز حيناً على إحدى ساقيه وحيناً على الأخرى : وكان الطحان عندما ينتهي الشتاء وتبدأ أزهار الربيع تتفتح عن اكمامها الباهتة الصفراء يقول لزوجته بأنه ذاهب ليرى هانس الصغير

صاحت زوجته - ماذا ! ما أطيب قلبك ! انك دائم التفكير في الآخرين. هل أذكرك ان تأخذ السلة معك لتملأها بالازهار .

وهكذا ربط الطحان شراع الطاحون وهبط التل وبيده السلة

الطحان - صباح الخير ، هانس الصغير .

قال هانس وهو متكىء على معوله ضاحكا مل شدقيه : صباح الخير

الطحان - كيف أمضيت أيام الشتاء . ؟

هانس - بخير انه لكرم منك أن تسأل عنى ، كانت أياما شديدة ، ولكن هاقد أتى الربيع وأنا سعيد حقاً وازهارى أخذت تتفتح .

الطحان - طالما تحدثنا عنك ايام الشتاء وتساءلنا كيف يكون حالك ؟

هانس - هذا لطف منك ، لقد كدت أظن وبعض الظن إثم انك نسيتني !

الطحان - هانس انى معجب بك . الصداقة لا تنسى أبداً وهذا هو سرها العجيب .. كم تبدو زهورك جميلة ! !

هانس - حقا انها لها منظرا بديعا ومن حسن حظى ان لدى كثيرا منها ، سأحملها الى السوق وأبيعها الى ابنة شيخ القرية وأبتاع بثمنها عربة يد .

الطحان - تبتاع عربة يد ! ما احسبك تعنى أنك قد بعت عربتك ، انه يكون اذن تصرفاً منك خاطئا . .

هانس - هذا هو الواقع الذى اكرهت عليه . انك تعلم ان الشتاء كان على جد صعب ، وانى لا أملك ما ابتاع به خبزاً ، فاضطررت بادىء الأمر أن أبيع ازرار بذلتى يوم الاحد ، ثم بعت سلسلتى الفضية فغليونى الكبير ، وأخيراً بعت عربتى ولكننى مصمم ان اعود فأشترى هذه الاشياء كلها

الطحان - هانس . سأقدم لك عربتى . صحيح انها بحاجة الى اصلاح ، وقد ذهب أحد جانبيها وفى دولابها عطل بسيط . ولكن سأقدمها لك على رغم ذلك ، انا أعلم ان هذا كرم عظيم منى ، وان كثيرين من الناس سيظنون بى الغباوة لتفريطى فى العربة ، ولكني لست كباقى الناس ، انا ارى فى مثل هذا الكرم روح الصداقة .

هانس الصغير - حسناً حقاً انه لكرم منك وطفح وجهه الضحوك المستدير سروراً .. انى أصلحها بسهولة لان عندى لوح من خشب .

الطحان - لوح من خشب انا بحاجة اليه لان فى سقف مخزن الحاصلات ثقبا كبيراً . انه لمن حسن الحظ انك نوهت لى بهذا اللوح الخشبى ، عجيب حقاً ، كيف ان العمل الصالح يلد دائما عملا صالحاً لقد أعطيتك عربتى ، والآن فانك تقدم الى لوحك . نعم ان العربة أثمن بكثير من لوح الخشب ولكن الصداقة الحق لا تهتم بمثل ذلك ، أرجو أن تحضره حالا .

هانس - بالتأكيد . وجرى الى السقيفة وأخرج اللوح .

قال الطحان وهو ينظر الى اللوح - انه ليس كبيرا جداً ، انى لأخشى ان لا يبقى منه شىء لتصلح به العربة بعد أن اسقف مخزنى ولكن ذلك ليس خطأى ، والآن وقد قدمت لك عربتى الصغيرة ، فانى متأكد بأنك ستقدم لى زهوراً مقابل ذلك . هذه هى السلة وانى اذكرك أن تملأها جيداً

قال هانس الصغير متألما - املؤها جيداً .. ! (لان السلة كانت كبيرة جداً ، وقد أدرك انه ان ملأها فسوف لا يبقى لديه ما يأخذه الى السوق ، بيناهو يرغب ان يعيد ازراره الفضية)

أجاب الطحان - ما كنت أظن بعد أن أعطيتك العربة انه كثير على ان أسألك قليلا من الزهور . قد أكون مخطئا ولكنى اعتقد ان الصداقة ، الصداقة الحق يجب ان تبتعد عن كل انانية

صاح هانس الصغير - ياصديقى العزيز ، ياأخلص صديق . لك الأمر على كل ما فى حديقتى من أزهار ، انى لا ارغب فى أفكارك السديدة أكثر من ازرارى الفضية ، وجرى فقطف كل زهوره الجميلة وملأ بها سلة الطحان

الطحان - وداعاً هانس الصغير وصعد التل ولوح الخشب على كتفه والسلة الكبيرة فى يده.

هانس - مع السلامة .

فى اليوم الثانى كان هانس ينصب العليق حينما سمع صوت الطحان يناديه من الطريق فقفز عن السلم ، وجرى الى الحديقة وتطلع من أعلى الحائط فرأى الطحان وعلى ظهره سلة كبيرة ملآنة بالزهور

الطحان - عزيزى هانس الصغير هل تحمل لى هذه السلة الى السوق ؟

هانس - انى كثير الشغل اليوم . على ان أنصب كل العليق واسق كل الزهور واحزم كل الكلأ .

الطحان - حسناً . أظن انه ليس من حسن الصداقة أن ترفض طلبي

صاح هانس - آه لا تقل ذلك انى لا أحب أن أعادى العالم أجمع ، ثم جرى فأحضر قبعته وسار ينوء بالسلة الكبيرة

لقد كان يوماً لافحاً ، وكان الطريق يعج بالغبار ، وقبل أن يصل هانس الى الكيلو متر السادس كان قد بلغ به التعب مبلغاً عظيما وكان عليه ان يستريح ، ولكنه استمر يسير بشجاعة الى ان وصل السوق

وبعد إن انتظر قليلا استطاع ان يبيع الازهار بسعر جيد ،حينئذ عاد الى البيت حالا دون ابطاء لانه خاف ان هو تأخر قليلا ان يلتى اللصوص فى الطريق.

قال هانس الصغير لنفسه وهو ذاهب للفراش « حقا لقد كان يوماً مزعجا متعباً ، وعلى كل فأنا مسرور لانى لم أرفض طلب الطحان وهو أخلص صديق الى ، وعدا ذلك فهو سيعطيني عربته

وفى صباح اليوم الثانى نزل الطحان مبكراً ليأخذ زهوره ، ولكن هانس الصغير كان لا يزال فى فراشه من أثر تعبه .

الطحان ـ قبل كل شىء انك كسول جداً والكسل خطيئة عظيمة ، وأنا لا أحب ان يكون أحد أصدقائى كسولا بليداً . لا ينبغى أن تتأثر من صراحتى ، تأكد انى ما كنت لارميك بهذه الكلمات الجارحة لولم اكن صديقك ، كل شخص يستطيع ان يقول كلاماً ليتأويذكر اموراً مبهجة ويصانع ويخادع ولكن الصديق الصدوق يقول دائما اقوالا لاتسر ولايهمه أن هو آلم صديقه .

قال هانس وهو يفرك عينيه ويرفع عنه اللحاف ـ أنا متأسف جداً لقد بلغ من تعبي ان زعمت انى أستطيع البقاء فى الفراش ولو قليلا ، والاصغاء الى غناء الطيور . هل تعلم انى حين أصغى الى الطيور اشتغل بنشاط عظيم ؟ :

قال الطحان وهو يربت على ظهر هانس الصغير ـ انا مسرور من ذلك ، لأني اريدك ان تأتى الى الطاحون حالما ترتدى ثيابك وتصلح لى سقف مخزن الحاصلات . مسكين هانس الصغير ! لقد كان فى نيته أن يذهب ويشتغل فى حديقته لأن أزهاره لم تسق منذ يومين ، وهو فى نفس الوقت لا يحب أن يرفض طلب الطحان صديقه الصدوق ، قال هانس بصوت المتهيب الخجل ـ هل تظن انى أكون مذنبا اذا اعتذرت لك بقولي : انى مشغول

أجاب الطحان ـ ما أظن انى طلبت منك أمراً خطيراً ثم اذكر انى ساعطيك عربتى وطبعاً اذا رفضت فأنا سأذهب بنفسى وأصلح السقف .

صاح هانس ـ آه ليس من الضرورى . . وقفز من الفراش وارتدى ثيابه وصعد الى مخزن الحاصلات حيث اشتغل هناك طيلة النهار حتى اذا غربت الشمس جاء اليه الطحان ليرى ما الذي صنع

صاح الطحان بصوت رقيق هل رتقت خرق السقف ياهانس الصغير؟

أجاب هانس ـ تماما ونزل عن السلم

الطحان ـ آه لا يوجد عمل الذ من العمل الذى يقوم به المرء للغير .

قال هانس وهو يمسح جبينه ـ بالتأكيد ، إنها لفائدة عظمى أن أسمعك تتكلم ، فائدة عظمى ، ولكنى أخشى أن لا يقدر لى أن أحمل مثل هذه الأفكار التى تحملها .

الطحان ـ إنها ستأتيك ولكن بعد عذاب أعظم . عندك الآن تطبيقات فى الصداقة وبعد أيام ستعرف نظرياتها أيضا

هانس ـ سأعرف حقيقة نظريات الصداقة ؟

الطحان ـ أنا لا أشك فى ذلك ، ولكن الاحسن الآن وقد أصلحت السقف أن تذهب الى البيت وتستريح لانى أريد منك غداً ان تسوق غنمى الى الجبل . مسكين هانس لقد خشى أن يجيب بشىء ، وفى صباح اليوم التالى أحضر الطحان غنمه الى الكوخ فسار بها هانس الى الجبل وقد كلفه أخذها والعودة بها يوماً كاملا ، وحين عاد كان منهوك القوى فنام على مقعد ولم يستيقظ حتى ساعة متاخرة .

قال ـ سأتمتع بيوم مبهج في حديقتى وذهب فى الحال ليشتغل لكن لم يستطع ابداً أن يرعى زهوره لان صديقه الطحان كان ياتيه دائما ويرسله فى مهمات طويلة أو يحضره ليساعده فى المطحنة . ومع الأيام كان هانس الصغير يزداد حزنا على زهوره ، ولكنه كان يعزى نفسه بأن الطحان صديقه الصدوق.

وهكذا كان هانس يشتغل للطحان ، وكان الطحان يذكر له كل الاقوال الجميلة عن الصداقة فكان ينقلها الى دفتره ويراجعها فى المساء شأن التلميذ المجتهد

وقد حدث فى مساء أحد الايام وقد كان هانس الصغير جالسا الى جانب الموقد أن سمع صيحة شديدة عند الباب ، وكانت ليلة مزعجة الريح تصفر فيها وتزمجر حول البيت ، فظن هانس أن الصوت صوت العاصفة ولكن حين أعقب الصرخة الاولى ثانية فثالثة قال هانس لنفسه ! انه مسافر مسكين ، وجرى نحو الباب فاذا بالطحان يحمل

فانوسا باحدى يديه وعصا ضخمة بالاخرى

صاح الطحان ـ عزيزى هانس الصغير، انى فى قلق عظيم لقد سقط ولدى الصغير من أعلى السلم وأنا ذاهب الى الطبيب، ولكنه يسكن فى مكان بعيد جداً. ولقد فتقت لى هذه الليلة الرديئة فكرة حسنة وهى أن تذهب أنت بدلا عنى. انك تعلم أنى أريد أن أعطيك عربتى، ولذلك فأرى من العدل أن تقوم لى بخدمة مقابل ذلك.

صاح هانس الصغير ـ بالتأكيد.. ان قدومك الى كرم منك وسأنطلق حالا. ولكن يجب أن تعيرنى مصباحك لان الليلة مظلمة وأخاف أن أقع فى الوادى..

أجاب الطحان ـ انى آسف جداً. انه مصباحى الجديد وخسارتى تكون عظيمة إن حدث له أى حادث.

صاح هانس الصغير ـ حسنا، لابأس سأذهب بدونه وتناول معطفه الكبير وطاقيته القرمزية الدافئة، ولف لثاما حول عنقه ثم سار..

يالها من ليلة مرعبة.. لقد بلغ من حلكة الليل أن هانس لم يكن يرى الا بشق النفس، وبلغ من قوة الريح أنه ما كان يقف الا بكل صعوبة، وعلى كل فقد كان شجاعا، وبعد مسير ثلاث ساعات وصل منزل الطبيب، فطرق الباب.

صاح الطبيب وهو يطل من نافذة غرفة النوم ـ من أنت؟

ـ أنا هانس الصغير يادكتور.

ـ ماذا تريد ياهانس الصغير؟

ـ لقد سقط ابن الطحان من أعلى السلم ويرجوك أن تاتى حالا.

قال الدكتور ـ حسنا وأعد جواده وفانوسه ونزل الى الطابق السفلى وسار فى اتجاه منزل الطحان. وهانس الصغير قد دلف وراءه ولكن العاصفة أخذت تزداد قسوة وشدة، وأخذ المطر يتدفق كالسيل ولم يستطع هانس الصغير ان يرى اين يسير أو كيف يتبع الجواد، وأخيرا ضل الطريق وهام فى المستنقع الممتلىء بالحفر العميقة، وهنالك غرق هانس الصغير المسكين.

وفى اليوم الثانى وجد بعض الرعاة جثته طافية فى بركة كبيرة من الماء فجاؤا بها الى الكوخ.

خرج كل الناس فى جنازة هانس الصغير لانه كان مشهوراً لدى الجميع وكان الطحان أول المؤبنين.

قال الطحان ـ وحيث انى كنت اصدق اصدقائه فمن الحق ان اتقدم الجميع، وهكذا سار الى صدر الحفل فى معطف طويل أسود وكان بين الفينة والفينة يمسح عينيه بمنديل كبير

قال حداد حين انتهت حفلة الدفن والجميع فى الفندق يشربون النبيذ المعتق ويأكلون الكعك المحلى ـ بالتأكيد أن موت هانس الصغير خسارة عظيمة للجميع.

أجاب الطحان ـ خسارة عظيمة لى بوجه التخصيص، لماذا؟ لانى كنت أريد أن أتفضل عليه بعربتى. والآن فانى لا ادرى ما الذى افعله بها، انها دائما فى وجهى فى البيت وهى فى حالة من العطل لاتساوى معها شيئا اذا عرضت للبيع، سوف أحتاط بعد اليوم فلا أتبرع بشىء، بالتأكيد إن المرء يضره أن يكون كريما.

قال فأر الماء بعد تردد طويل ـ حسنا.

قال العصفور ـ حسنا. تلك نهاية القصة.

سأل فأر الماء ـ ولكن ماذا حدث للطحان؟

أجاب العصفور ـ حقا لست أعلم ولا يهمنى أن أعلم.

فار الماء ـ إذن فأنت بطبيعتك بعيد عن الاحساس.

العصفور ـ أخشى ان لاتكون ادركت مغزى القصة.

صاح فأر الماء ـ لم؟ ماذا؟..

العصفور ـ لم تدرك المغزى.

فأر الماء ـ هل تريد أن تقول إن القصة لها مغزى

العصفور ـ بالتأكيد.

قال فأر الماء بلهجة الساخط ـ حسنا حقا.. أظن أنه كان يجب أن تخبرنى بذلك من قبل.. بالتأكيد كنت لا أصغى اليك وضرب الماء بذنبه، ورجع الى جحره.

سألت البطة التى جاءت على أثر ذلك بحدقة ـ كيف رايت فأر الماء، ان له ملاحظات بديعة

اجاب العصفور ـ انى لاخشى ان أكون قد أزعجته، فقد قصصت عليه قصة ذات مغزى.

شرق الاردن — بشير الشريقى

المحامى

سؤال: ماهو اقوى فلم مصرى ظهر الى اليوم

جواب — الاتهـــام!

الادب والفن

فى حياة ملك بلجيكا الراحل

هذا الملك البطل قد أصبح بعد حياته حيا بين أبطال الأساطير وزاده مصرعه الفاجع عظمة على عظمته . وهو ملقى مضرجا بدمه الغالى على اطراف الصخور المسنونة

ولم يكن ألبرت الأول ملكا عظيما فحسب ، بل كان أيضا رجلا عظيما . وله قبل الحرب صورة تمثله والشاعر الأديب فرهيرن فى وسط الأسرة المالكة فى جو ديمقراطى ، والانجال الى المائدة ، والجميع يسمرون تحت المصباح وقيثارة الملكة ترسل أنغامها بعد العشاء .

ولم يكن هناك أثر للمراسم وأوضاعها التقليدية فى علاقة صاحب التاج بالعلماء والكتاب وأهل الفن من أبناء البلاد . فقد كان يعلم حق العلم أن الفكر كالبطولة له النصيب الأوفر فى توثيق وحدة البلاد وجعلها موضع احترام العالمين واعجابهم . ولقد استنهض الهمم لتوفير عتاد من المال الأدبة مرصود على البحث العلمى ، كما أنه فكر فى تأسيس مجمع للغة والأدب ، ومنح الأديب الروائى ماترلنك رتبة الكونت ، ورفع لفيفا من الرسامين والمثالين ومهندسى العمارة الى رتبة البارونات . وظلت الآداب والفنون مدى ربع القرن الذى حكمه عزيزة الجانب ، تزداد مكانتها رفعة ، وتستمتع بحرية لاعهد بها من قبل

فالحق أنه أول ملك على بلجيكا بدت منه الشواهد الجمة على عناية حقيقية بالجانب الأدبى فى بلاده . فأن والده العظيم ليوبولد الثانى مع منادناته بأن الأدب هو زهرة المدنية الرفيعة ، لم يؤثر عنه قط متابعة جهد الادباء وتشجيعهم ، وهم أولاء الذين شقوا الطريق للشباب البلجيكى ولهم الفضل الكبير على كتابها المشاهير أمثال فرهيرن وماترلنك

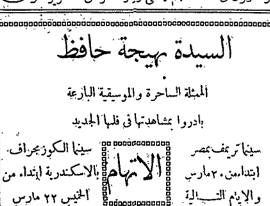
ولئن كان الملك البرت قد تخرج على الأخص فى العلوم ، وانصرفت ميوله فى الغالب الأعم الى الرياضيات وتقدم الصناعات ودراسة المسائل الاجتماعية والاستعمارية ، فأنه لم يخل قط من الاهتمام بالفن وإن كان تذوقه للتصوير لم يكن بالغا ، ورأيه فى الموسيقى أقرب الى القائل أنها « ضوضاء كبيرة النفقة » . وأما الادب فكان أكثر متعة به . وهو على كل حال من مدمنى القراءة والاطلاع ، وثقافته واسعة ، وشوقه الى المعرفة متنبه على الدوام .

ولا نقول أنه كان يطرق آفاق التآليف الأدبية مستكشفا ، وإنما كان يحب الوقوف على ما يشغل الناس من المؤلفات ويهتم بمن يأتى بين المؤلفين بالجديد . وهو من أول المشتركين فى مجلة (مركير دفرانس) الأدبية لأول أنشائها وجنوحها وتشذ فى الادب الى مذهب الرمزيين . كما أنه من أشد القراء عناية بتتبع آثار بول فالترى القلمية ، وقد حضر فى بروكسل تمثيل بعض روايات بول كلوديل سفير فرنسا فى بلاده ، ولم يكن حضوره مجرد مجاملة للسفير بل تكريما أيضا للأديب

وكثيرا ما أعرب الملك عن أعجابه بالأدب الفرنسى . وكانت إحدى المناسبات السانحة عندما جاء مسيو بول كلوديل الى قصر (ليكن) ، وهو على مسيرة عشرين كيلومترا من بروكسل ، لتقديم اوراق أعتماده فاستقبله الملك فى حجرة المكتب الفسيحة الجنبات العالية السمك ، حيث كان يحب الجلوس محفوفا بكتبه التى لاتقل فى عددها عن ثلاثين ألف مجلد ، وأدواته واجهزته العلمية . وحياه الملك بالفرنسية بلهجة فلنكية لها رنة ثقيلة حلوة قائلا (هذا سفير الفكر الفرنسى) . ولحظ السفير الأديب أحد مؤلفاته على مكتب الملك

كذلك كان الادب الانجليزى محببا اليه ، وقد نوه بذلك ذات مرة فى خطب القاه بعد الحرب فى قاعة بلدية لندن فى اثناء حفلة أقامتها له جمعية الأدب الملكية .

ولا شك فى أن هذا الملك الجندى ، المعدود بين أكبر هواة الرياضة وتسلق قمم الألب ، كان يؤثر الزيارة لأحد المصانع أو المعامل أو النزول فى أحد المناجم ، على زيارة معرض للتصوير ، وأن



ابتسامه الى العمال فى عملهم أحب الى نفسه من أحاديث أبناء الفن المنمقة فى ردهات المعارض يوم الافتتاح . غير أنه كان يستفسر من هؤلاء وهؤلاء ، ويهتم بكل شىء شوقا منه الى المعرفة وقياما بالواجب ، ولما أن أقيمت رداى الفنون الجميلة فى العاصمة تجاه القصر الملكى أو بعبارة أدق ، أقرب مايكون الى مواجهته ـ أصبح الملك من أخلص المترددين عليها . ولقد يزور المعرض فى الصباح الباكر زيارة الجيران وهو يلبس قبعة من لبد عريضة الحافة ، وفى رقبته ربطة معقودة على نحو ماينتحل الفنانون . ويطوف به الاستاذ الفنان « إنسور » وهو فى مثل رداء مولاه ، يشرح له الالواح والصور أكثر من ساعتين . والملك مطيع له ، مصغ اليه ، والجمهور لايكاد يتنحى بعيدا عنهما ، يتبعهما ويتابعهما بعيون ملؤها الاجلال والمحبة . وفى كل لحظة يقف الملك مقتربا من كل لوحة يدقق فيها نظره القصير ويسائل مرشده الشيخ مبتسما

كذلك كان من آونة لأخرى ينزل الى قاعة الموسيقى مزدانة بالأزهار والتحف الفنية ليستمع الى الموسيقى ولاسيما موسيقى فاجنر ، فقد كانت عنده أثيرة . ولقد قال ذات مرة بمناسبة هذا الموسيقار الألمانى ، إن الموسيقى لأقوى من كل تدابير السياسة فى تآلف الشعوب .

وأكثر من هذا وذاك كانت رعاية الملك والملكة وأمارات عطفهما القلبى على الأدباء خاصة . ولم يعزب بعد عن الأذهان أنه فى زيارته الأخيرة لفرنسا منذ شهور ، رأس حفلة العشاء التى تقيمها « مجلة العالمين » وقد سره من الحفلة أن استطاع مطارحة الأدب مع طائفة من الكتاب واستدلوا من حديثه على واسع المامه بالادب الفرنسى الحديث

وقد كانت آخر امضاءات ملك البلجيك يوم التبييت قبل ذهابه الى النزهة المشؤومة ، هو امضاؤه الذى مهر به أمره الكريم بمنح رتبة ضابط من طبقة التاج للمؤرخ الفرنسى « شاتيل » لنشره كتابا عن جهود بلجيكا فى فرنسا أثناء الحرب . ولقد قدم لهذا الكتاب بمقدمة المسيو دومرج الذى هو اليوم رئيس الوزارة الفرنسية

ثم إن هنالك فوق ماتقدم سمات أعمق فى الانسانية وأرفع . نذكر منها أن الملك كان فى عصر أحد الايام فى قصر (ليكن) مع ماترلنك مؤلف قصة العصفور الازرق الخالدة فبادره ببساطة وعلى غير انتظار (يامسيو ماترلنك : أتريد تقبيل أولادى ؟)

وكانت صلته بالشاعر البلجيكى (فرهيرن) صلة حميمة . فلما أن قضى الشاعر نحبه ذهب أحد أصدقائه النواب الى الملك يلتمس منه أن يرأس الاحتفال بنقل رفاته الى الضريح الفخم الذى أعدوه . فقبل الملك فى الحال عن طيبة خاطر . ولما أراد النائب شكره اعترض قائلا « ليس لك أن تشكرنى . فان مجد فرهيرن فى غير حاجة الينا . بل نحن امرأتى وانا ـ اللذان نتشرف بالاشتراك فى هذا الاحتفال »

فكيف لاتكون هذه نفس فنان أديب شاء صاحبها أو لم يشأ وهذا المتسلق وحده الى القمم ، المغرم بدوار الارتفاع المشغوف بالطبيعة : من يكون إن لم يكن شاعراً حالما ؟

عبد الرحمن صدقى

في الجو . . .

(بقية المنشور على صفحة ٤٠٤)

Equipage فلن تستطيع أن تدعها حتى تتمها، ولن تتردد في أن تعترف بأنها من خير ما انتج القصص الحديث . وليس لهذه القصة موضوع الا اختصام جنديين من جنود الطيران في الجيش الفرنسي اثناء الحرب حول امراة كانت زوج أحدهما فاحبها الآخر وهو لا يعرف زوجها . ثم جمع الطيران بين الزوجين فاحب كل منهما صاحبه حبا عميقا ، ثم ظهر لهما أنهما يحبان امرأة واحدة . وصور أنت لنفسك كيف تنتهي القصة ، ولكن يجب أن تعلم ان الطيارة هي الاداة التي بها تنتهي القصة والتي عليها تقوم القصة .

واذا استطاعت الطيارة ان تدخل في فن القصص ، فما الذي يمنعها أن تدخل في فن التمثيل وأن تلهم الممثلين أو كتاب التمثيل آيات بينات وقد فعلت . وقد بلغت من الاجادة في ذلك أمداً بعيداً حقا ، فتستطيع أن تقرأ إن لم تستطع أن تشهد هذه القصة التمثيلية الممتعة التي وضعها الكاتب الفرنسي المعروف فرنسيس دي كروا وسماها Le vol nuptial أو طيران العرس ، فسترى اتقانا في الأداء ، واتقانا في العرض ، واتقانا في تصوير الصراع بين هذه العواطف الجديدة التي استحدثها الطيران في نفوس الناس لا عهد للأدب بمثله من قبل ، وسترى من هذه القصة التمثيلية ومن تلك القصة الاخرى أن الطيران لم يكد يوجد لنفسه بيئة خاصة من الذين يحبونه ويتخذونه صناعة أو لهواً حتى أوجد لهذه البيئة اخلاقها الخاصة وعواطفها الخاصة ولغتها الخاصة واساليبها في الحس والشعور ومذاهبها في التعبير والتصوير .

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه الى شيء عظيم الخطر حقا ، لست أدري انافع هو ام ضار ، ولكن من الذي يستطيع ان يقيد العقل والخيال بما ينفع أو بما يضر . واذا كان الرقي العلمي قد انتهى بالناس الى حيث يتنافسون الآن في اختراع ادوات الموت والتدمير وما يمحو الحضارة محوا ويرد الانسان الى شر ما عرف من أطوار الوحشية ، فما الذي يمنع الرقي العلمي من أن يدفع بالطيران الى ما يفسد العلم افسادا ويجعله اداة من أدوات الشعوذة والتضليل ؟

لست ادري اعرفت ان كاتبا فرنسيا شابا هو الاديب ملرو قد مر بمصر منذ اسابيع ، فقد طار هذا الشاب من مصر الى غرض لم يرد أن يعينه ، ولأمر لم يرد ان يدل عليه ، ثم أصبحنا اليوم واذا الصحف تنشر رسائل برقية تنبيء بأن هذا الكاتب الشاب قد طار إلى بلاد العرب وتغلغل في احشائها ، ولكن من فوق ، لأن احشاء البلاد العربية خطرة تهضم الذين يقتحمونها هضما . قالت الرسائل البرقية إن هذا الكاتب الشاب قد استكشف شيئا عجيبا وطار فوق اخطار جسام ، استكشف مدينة سبأ التي تحدثت عنها التوراة وتحدث عنها القرآن وامتلأت بأنبائها كتب التاريخ والاساطير ، وليس من شك في أننا سنقرأ تفصيلا واسعا لهذا الاستكشاف ، ولكن الشيء الذي لا اشك فيه هو أننا سنقرأ كتابا لهذا الاديب الشاب عن مدينة سبأ هذه . وسيكون هذا الكتاب من أقوم الكتب الأدبية ، وسيكون على كل حال من اروجها واكثرها انتشارا ، ولن يكون حظه من الرواج والانتشار أقل من حظ القصة التي وضعها الكاتب الفرنسي بيير بنوا وسماها الاطلنطيد والتي فتحت لصاحبها ابوابا ثلاثة : باب الثروة وباب الشهرة وباب المجمع اللغوي . سمع بيير بنوا بأحاديث القارة الموهومة اتلنتيس وسمع باستكشافات الجغرافيين للصحراء الكبرى ، فزعم ان صاحبه قد ذهب يستكشف فانتهى الى بقية من هذه القارة ، ولقى هناك الملكة انتينا من سلالة نبتون إله البحر . ثم وصف شخصها وقصرها وبيئتها وصفا رائعا عجيبا ، وسمع الكاتب الشاب ملرو احاديث سبأ وقصة بلقيس ، وسمع أحاديث المستكشفين الذين يتجشمون الاهوال لاستكشاف البلاد العربية . ووجد الطيارة فطار مستكشفا ، والله يعلم هل عبر البحر الى بلاد العرب ، وهل وصل الى طرف من أطراف الربع الخالي حقا . ولكن مما لا اشك فيه أنه وجد مدينة سبأ ، ومن يدري لعله رأى ملكتها ، وتحدث اليها ولو بالأشارة من طيارته ، ولعل الملكة أن تكون قد شغفت به ، ولعله هو أن يكون قد فتن بما رأى من حسنها البارع . ولعله قد انصرف عنها بعد أن القى اليها بقلبه من أعلى الجو ، فهو مضطر الى أن يعود اليها ليلتمس قلبه هناك حيث القاه في ذلك القصر الممرد من قوارير ، والذي يقوم في تلك المدينة العظيمة التي ترتفع اسوارها

الشاهقة فى طرف من أطراف الربع الخالى . وسيكون حظ هذه القصة المنتظرة كحظ تلك القصة التى فرضت بيربنوا على الادب الفرنسى فرضا

رأيت أن بيربنوا قد استغل الاستكشاف العلمى للصحراء فدل الناس على بقية القارة المفقودة ، وأن ملرو قد استغل الاستكشاف الجغرافى والطيارة ، وسيدل الناس على ما بقى من ملك السبئين .

* * *

أما بعد فانا نبحث منذ قرون عن مدينة ضائعة فى الصحراء يقال أنها تنتقل من مكان الى مكان . يحسبها بعضهم من الذهب والفضة ، ويحسبها بعضهم من النحاس والحديد . وهى إرم ذات العماد . ويقول بعضنا انها ليست الا هرما من هذه الاهرام التى تقوم فى الجيزة ، والتى تستكشف من حولها المقابر والتماثيل والادوات المختلفة . ولدينا طيارون ، ولدينا طيارات . فهل نستطيع أن ننتظر من أديب من ادبائنا وليكن صديقنا عبد العزيز البشرى أن يطير مع بعض شباننا البارعين فى هذا الفن لعله أن يعثر — إن امكن أن يعثر الناس فى الجو — بهذه المدينة القديمة العظيمة إرم ذات العماد ؟ وليس عليه بأس إن لم يجدها أن يخترعها اختراعا وأن يزعم لنا انه وجدها كما فعل بيربنوا وكما سيفعل ملرو . وليس ينبغى أن نخاف من صديقنا غوض واصحابه الجغرافيين فان الكاتبين الفرنسيين لم يحفلا باعلام الجغرافيا فى السوربون

طه حسين

المؤتمر الدولى الثانى عشر

لنادى القلم العالمى

يقام فى صيف هذا العام بين السابع عشر والثانى والعشرين من شهر يونيه القادم فى مدينتى أدنبورج وجلاسكو (اسكتلنده) المؤتمر الدولى الثانى عشر لنادى القلم ، وتمثل فيه جميع مراكز القلم فى انحاء العالم . وقد أرسلت الدعوة اليه الى مختلف المراكز ، وسيمثل كل مركز عضوان بصفة رسمية ؛ وأعضاء غير رسميين يشهدون الأعمال والجلسات اذا شاءوا . وينزل المندوبون الرسميون ضيوفا على نادى القلم الاسكتلندى الذى يتولى تنظيم المؤتمر والدعوة اليه . ويقام لهم استقبال غير رسمى فى ادنبورج فى ١٧ يونية ؛ ويشتمل البرنامج فضلا عن الأعمال والمداولات الخاصة بشؤون الكتاب والمؤلفين ، على تنظيم استقبالات ورحلات مختلفة فى ادنبورج وجلاسكو وبعض مشاهد اسكتلنده التاريخيه . وقد دعى نادى القلم المصرى ، اسوة بمراكز القلم الاخرى ، الى شهود المؤتمر واختيار مندوبيه الرسميين وغير الرسميين

رحلة صيف

بقلم الصحافى العجوز

للصحافى العجوز أسلوب فى الصحافة فريد يجمع بين البساطة والقوة والرقة ، وينم عن اطلاع واسع ونظر صادق وروح خفيفة ، ومطالعو هوامشه فى الاهرام ، ومستمعو حديثه فى الأندية يعرفون فيه هذه المواهب . رحل فى العام الماضى الى تركية واليونان ويوجوسلافيا ووصف ما رأى وسمع فى مقالات متتابعة (على الهامش) بأسلوب طريف سلس سهل ، ثم جمعها فى كتاب لطيف الحجم أنيق الشكل والطبع ، يجدر بكل شاب أن يقرأه ، وهو يطلب منه ومن المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش .

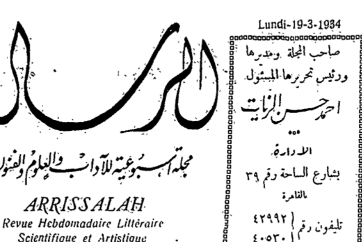
2 me Année, No . 37

Lundi-19-3-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٩٩٢
٤٠٥٣٠

العـــدد ٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ذى الحجة سنة ١٣٥٢ — ١٩ مارس سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

شهرنا الخالد . . . !

شهرنا الخالد فى تقويم الدهر مارس ! فيه كما يقولون ألغيت الحماية . وأعلن الاستقلال . وصدر الدستور !

وفيه كما نقول استيقظ أبو الهول . وشبت ثورة النهضة ، وتنافس فى الجهاد النساء والرجال ، وتعانق على الوداد الصليب والهلال . وتسابق الى الخلود الشيوخ والاطفال . وسالت أنفس الشباب ضحايا على مذبح الحرية !!

وفيه كما تقول الطبيعة تتجدد الحياة ، وتهتز الارض ، ويورق الشجر السليب . ويمرع الوادى الجديب ، وينشد الربيع الباكر أناشيد الجمال والحب والأمل !!

***

ولكن خمسة عشر عاما طوالا أتت على مارسنا الأول فجعلت ما قالوه كلمات ميتة . وما نقوله ذكريات خافتة ، وما تقوله الطبيعة حديثا معادا !

فالحكومة تدفع الحكومة ، والذكرى تتبع الذكرى ، والربيع يعقب الربيع ، ونحن لا نزال فى الموقف الأول ، يتدفق علينا الزمن ، وتعبر فى وجوهنا الشعوب . كأنما خرجنا عن مدارج القافلة ، أو رمى بنا التيار فى حواشى الوجود !

من الذى نضح القبس بالماء، وشغل المسامع عن نداء الشهداء، وحوّل وجه النهضة الى الوزراء، واعترض مجرى الحياة المصرية طول هذه الحقبة؟ سنقول خدعة السياسة، وشهوة الحكم، وفتنة المال، ونكسة المرض، ولكنك لو عبرت عن ذلك كله بانحلال الخلق لكان اجمع لأسباب الأمر، وأبلغ فى اجمال الحقيقة، فان التكالب على سلطان الحياة وزهرة الدنيا يصدر فى الغالب عن جبنة وزجولة، ولكن ما نحن فيه اليوم من تحكيم الهوى، وتغليب الأثرة، وهوان الغرض، وفساد الضمير، وفجور الخصومة، لا يوائم فطرة الله، ولا يلائم طبيعة التقدم

على أن السفينة التى يصارعها الموج فتضطرب، ويعصف بها النوء فتجور، سيظل لها (مارس) منارا فى مرفأ السلام يرسل الهدى للجائر، ويلقى السكينة فى المضطرب.

***

سنذكر دائما مارس من عام ١٩١٩ حين عصفت فى الرؤوس نخوة العزة، وثارت فى القلوب ثورة الحفيظة، وأعلنت مصر مرة أخرى بعد (عرابى) أن لها مثلا تتبعه، وماضيا تعيده، ومستقبلا تعده، وأمرا فى ارضها تدبره، وحكما فى سياستها تصدره. ويومئذ كان الربيع معنى الربيع! هبت رياح آذار فألوت بحطام الشتاء والخريف، وسرت فى البلاد نسائم الروح الخالق والنشر البديع، وجرت على الثرى المقدس دماء الضحايا الأول فتفطر بالنبات البهيج، وبدت على الوجود المصرى مظاهر الشباب من الرونق والصفاء والجدة والقوة، وتمردت على الطغيان المتسلح نفوس شيعها الايمان بالحق، وحطمت أسلاك البرق ودمرت طرق الحديد لتقطع ما بينها وبين جنود الذل، وأجبرت الغاصب الغاضب على أن يحترم رأيها فى الشيخوخة الأسيرة، وعزمها فى الشبيبة الثائرة، واتسع نطاق الافق للقلوب التى حصروها بالكبت، وانكشف رقيع السماء للأبصار التى عقدوها بالأرض، وفتح التاريخ للشعب المجيد كتاب العهد الجديد، وكادت تتوالى صفحاته لو لا أننا من الخلفاء وكالحلفاء، ربحنا الحرب وخسرنا الصلح!

***

يعود مارس فيعود العقل العازب، وينتبه الضمير الغافل. ويستطيع كل امرئ أن ينظر الى الوراء فيرى ماذا ترك، والى الامام فيرى ماذا قدم، ثم يجيب أطياف الشهداء وهى تطوف ساهمة الوجوه امام الأزهر، وحول ابن طولون، وخلال المقبرة الموحشة، تسائل كل عابر: ماذا صنع الاحياء بعهود الموتى؟ وكيف حال المعتدين على لحوم الضحايا؟

***

يعود مارس فيودع فى اوائله الشتاء، ويستقبل فى اواخره الربيع، ونحن وان تلكأ بنا الحظ البليد خمسة عشر عاما لا بد موفون على ربيع النهضة! وان فى هبة الشباب من غفوته المريبة، ومعالجته الامور من جهاتها المنتجة، واضطرام الشعور القومى فى ذكرى مارس، وإطباق الرأى العام على وخامة الحال، لبشيرا بتوافى النفوس على الخير، وتواطئها على الجد، وتعاونها على الاصلاح

ليس فى منطق الأشياء ولا من سنة الوجود، أن يجتمع لمصر ما لم يجتمع لغيرها من أسباب الطموح ووسائل الصعود، ثم تظل فى ساقة الركب الانسى تمشى ظلعاء الى أمدها المرسوم وغايتها المرجوة، إنما هى عوائق تقيمها الذئاب ليفردوا بها الحمل الغافل عن القطيع! وان فى هذه الذكريات العزيزة الطيبة حافزا للهمم الوانية، وموقظا للضمائر الغافية، ومهيبا بشوارد الأنفس الى سواء السبيل.

احمد حسن الزيات

محاضرة الآنسة مي

للدكتور طه حسين

لا اعرف شيئا يحتاج الى أن يقام عليه الدليل ، والى ان يتكلف أصحاب المنطق والنظر له الحجج والبراهين ، كالبديهيات التي يخيل الى الناس أنها أوضح من أن تحتاج الى دليل ، وأبين من أن تحتاج الى أن تكد في إثباتها العقول ، وقد زعموا لنا ان بعض أصحاب الرياضة يشك فى أوليات الرياضة ، ومن يدرى لعل شكهم هذا ينتهى إلى أن هذه الاوليات بعيدة كل البعد عن ان تكون من الاوليات !. كنت أفكر فى هذا كله أمس ، حين كنت أذهب الى الجامعة الامريكية ، لأسمع للمحاضرة التى كانت الآنسة الجليلة « مى » تريد أن تلقيها ، لأن موضوع هذه المحاضرة كان يدعو الى مثل هذا التفكير ، فقد زعموا لنا أن الآنسة كانت تريد أن تظهر فضل المرأة على الحضارة الانسانية ، وأعترف بأنى لم اشك فى يوم من الايام ولا فى لحظة من اللحظات بأن للمرأة على الحضارة الانسانية فضلا لا يجحد ، كما أن للرجل على الحضارة الانسانية فضلا لا يتاح الشك فيه الا لامثال هؤلاء الرياضيين الذين لا يجزمون بأن الاربعة اذا قسمت على اثنين كانت نتيجة القسمة أثنين ، وكنت اسأل نفسى عما تريد الآنسة « مى » ان تقول لتبين لنا فضل المرأة على الحضارة الانسانية ، فذلك شىء لا يحتاج الى أن يقول فيه قائل ، أو الى أن يثبته مثبت ، ولكن ما رأيك فى أنى سمعت المحاضرة ، وانصرفت الى دارى وأنا أشك شكا عظيما فى أن للمرأة فضلا على الحضارة الانسانية ؟ وأسأل نفسى عما أرادت الآنسة « مى » اليه بمحاضرتها القيمة الممتعة ، أأرادت أن تقنعنا بان للمرأة فضلا على الحضارة ؟ أم أرادت أن تشككنا فى ذلك ؟ وتبسط عليه سلطان الريب فى نفوسنا ؛ ومن يدرى لعل أديبا من الادباء البارعين أن يمكر ذات يوم فى أن يثبت فضل الرجل على الحضارة فينتهى فى نفسى الى ما انتهت اليه الآنسة « مى » أمس من اثارة الشك والريب .

واذن أنا مقتنع بان الحضارة الانسانية قد أنشأت نفسها وليس للرجل عليها فضل ، ولا للمرأة عليها فضل ، وانما هى صاحبة الفضل عليهما جميعا لانها أنشأتهما إنشاء ، ومتعتهما بما ينعمان به من لذات الحياة وآلامها ، فهما ينعمان بالآلام كما ينعمان باللذات ، وآية ذلك أن الآلام تلهمهما روائع الشعر والنثر والفن ، وتحيى فى نفوسهما من الفضائل ، وجميل الخلال ما يملؤهما متاعا ولذة وشعوراً بالكرامة ، وأملا فى المستقبل وحبا للحياة ، فالرجل والمرأة إذن ينعمان بالآلام كما ينعمان باللذة ، ولعل أديبا من الأدباء الذين لم حظ الآنسة « مى » من البراعة وانهم لقليلون ، يستطيع ان يقنعنى كما اقنعتنى الآنسة أمس بان ليس للرجل على الحضارة فضل ، كما أنه ليس للمرأة على الحضارة فضل ، وانما الفضل للحضارة عليهما جميعا . انبأتنا الآنسة أمس بان المرأة وحدها هى التى أنشأت الحضارة انشاء ، وأعانتها على التطور والرقى ، وابتكرت ما يزينها من العلوم والفنون والآداب ، فأما ان المرأة أنشأت الحضارة انشاء فشىء فيما يظهر لا سبيل إلى الشك فيه ، لان كتب الدين كلها تنبئنا به ، فلولا أن حواء اغواها الشيطان فأكلت من الشجرة ، وعضت تلك التفاحة لما طرد آدم وزوجه من الجنة ، ولولا انهما طردا من الجنة لما هبطا إلى الأرض ، ولولا انهما هبطا الى الارض لما عملا فيها ، ولولا أنهما عملا فيها لما كانت الحضارة ، واذن فالحضارة اثر من آثار حواء ، لأن حواء هى التى أكلت من الشجرة ، وهى التى جرت على نفسها وعلى زوجها هذه العقوبة ، واذن فنحن الرجال نتمتع بالحضارة راغمين ، نتمتع بها لأن خطيئة أمنا حواء قد اكرهتنا عليها اكراها ، ولكن حواء لم تأكل من الشجرة لانها اشتهت ما كانت تحمل الشجرة من التفاح ، وانما أكلت من الشجرة لان الشيطان هو الذى دلها على الشجرة ، وزين لها التفاحة ، وحببها الى قلبها ودفعها الى أن تأكلها دفعا ، والغريب أن حواء لم تأكل من الشجرة وحدها ، وإنما أكل معها زوجها ، وأكبر الظن انهما اقتسما التفاحة نصفين ، فذهب كل منهما باحد شطريها ، فالحضارة إذن ليست أثراً من آثار حواء وحدها ، وإنما هى أثر من آثار حواء وآدم أيضا ، وإذن فلنا نصف الحضارة وللنساء نصفها ، ولكن النساء لا يكرهن الظلم ولا يأبين التجنى ، وأعظم من هذا أن أبانا آدم وأمنا حواء إنما دفعهما الشيطان إلى هذه التفاحة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ثم طردا منها طردا ، فليست الحضارة إذن من آثارهما ، وإنما هى أثر من عمل الشيطان ، والشيطان رجيم ، فلترجم معه الحضارة

وليت شعرى أيما تمدح به المرأة ، انها قد أنشأت الحضارة على هذا النحو ، وأقامت بناءها الشاهق على الخطيئة ، وبدأتها هذا الابتداء السىء

الذى هو إعراض عن أمر الله ، واقبال على أمر الشيطان ؛ أليس من حقنا نحن الرجال أن نلوم المرأة ، ونغرق فى لومها لأنها لم تستطع أن تقاوم الشيطان ، ولأنها دفعتنا الى هذه الحضارة الآثمة دفعا ؟ ومن يدرى لو أن أمنا حواء لم تقترف هذا الاثم ، ولم تتورط فى هذه الخطيئة ، ولم تفتتن بحديث الشيطان ، ولم تتهالك على طعم التفاحة وريحها ولونها أيضا ؛ من يدرى لعلها لو لم تفعل شيئا من ذلك لنشأنا نشأة أخرى

ولعل هذه النشأة الأخرى ان تقيم لنا حضارة أطهر من حضارتنا هذه وانقى وأشد امتناعا على الآثام وبعدا عن السيئات ؛ بل ليس من شك فى أن أمنا حواء لو أطاعت أمر الله ، وعصت أمر الشيطان لعصمتنا من الشر ، وبرأتنا من النكر ، وحمتنا من كل ما يتعرض له من الولن الغى والبغى والضلال والفساد ، فلم تحسن أمنا الينا اذن بانشاء الحضارة ، ومتى كانت اطاعة الشيطان احسانا ؟

ولكننا نحن الرجال نحب العدل ونكلف بالرحمة . ونكره الطغيان ، ولا نريد أن تستقل المرأة بوزر هذه الحضارة ، وتحتمل وحدها آثامها وأثقالها ، فنحن نشاركها فى هذه الآثام والأثقال ، لأننا نعترف بأن أمنا لم تأكل التفاحة وحدها ، ولو قد أكلتها وحدها لطردت من الجنة وحدها ، ولو قد هبطت الى الأرض وحدها لما استطاعت ان تعمل ولا ان تجد ، ولا أن تنشىء حضارة ولا ان تعيش ، فهى محتاجة الى الرجل لتحسن ، وهى محتاجة الى الرجل لتسىء ، لم تعش فى الجنة وحدها قبل الخطيئة ، ولم تهبط الى الأرض وحدها بعد الخطيئة ، وانما عاشت فى الجنة مع الرجل ، وهبطت الى الأرض مع الرجل ، أطاعت أمر الله مع الرجل ، وأطاعت الشيطان مع الرجل ، وأكلت التفاحة فهوت مع الرجل ، ونحن الرجال أكرم مما تظن الآنسة مى ، وأحب للرحمة وأحرص على العدل . فنحن لا نحمل أمنا حواء شيئا من الاثم ، وانما نحمل هذا الاثم كله أبانا آدم ، ولا بأس عليه من ذلك فقد تلقى من ربه كلمات بعد ذلك فتاب عليه ، ذلك أن حواء لم تخلق من الطين مباشرة كما خلق آدم ، وانما خلقت من آدم ، فآدم هو الذى سبقها الى الوجود ، وهو الذى سبقها الى الحياة ؛ واذا كانت قد خلقت منه ، فقد اخذت عنه هذا الضعف الذى حبب اليها التفاحة ، ودفعها الى الخطيئة ، ثم الى انشاء الحضارة ، فما فى طبيعتها من الضعف مستمد من الرجل ، وما فى طبيعتها من القوة مستمد من الرجل ، وإذن فليست هى التى تحتمل وزر التفاحة ، وما نشأ عنه من الآثار ، وانما يحتمله آدم ، ثم يحتمله بعده أبناؤه من الرجال ، أرأيت يا آنسة أننا أكرم مما تظنين ، وأحرص على العدل مما تظنين ؟ ليست الحضارة خيرا ، وانما هى شر لأنها من عمل الشيطان ، فنحن نرفع عن النساء اثقالها ، ونحمل عن النساء أوزارها ، وأى شىء نستطيع أن نبخل به لحماية النساء من كل شر ، ووقايتهن من كل وزر ، كلا ، للمرأة على الحضارة فضل عظيم ، وهو أنها لم تنشئها وانما احتملتها ، ولم تقترف اثمها وإنما خففت هذا الاثم وهونت علينا احتمال اثقاله ، واعانتنا على ما تكلفنا الحضارة فى كل يوم من البأساء والضراء ، أليس هذا خيرا من ايثار السبق ، وهذه الرغبة فى التفوق التى تظهرها المرأة فى هذه الأيام ، وأغرب من هذا ان الآنسة مى تحدثت الينا أمس بأننا مدينون للمرأة وللمرأة وحدها باعتدال القامة ، واستقامة القدود ، والمشى على رجلين بعد أن كنا نمشى على أربع ! ومع أنى لا أعرف كيف استطاعت المرأة ان تقوم قاماتنا وتعدل قدودنا وتقيمنا على رجلين بعد أن كنا نمشى على أرجلنا وايدينا ، مع أنى لم أعرف هذا ، ولن أستطيع ان أعرفه فيما يظهر لأنى لم أفهم نظريات التطور ، وأنا يائس من فهمها بحمد الله ، فانى قد غمرتنى الحيرة أمس حين سمعت هذا الكلام ، فهل كنا نمشى على أربع بعد أن هبطنا إلى الأرض ؟ أم هل كنا نمشى على أربع قبل أن نخرج من الجنة ؟ فان تكن الأولى فلم مسخ آباؤنا ، وقد كان أبونا آدم وأمنا حواء يمشيان على رجلين لهما قامة معتدلة وقد مستقيم ، وان تكن الثانية فلم يكن اذن أبوانا على صورتنا هذه التى نعرفها ؛ انما كانا يمشيان على أربع ، لم يكن رأساهما الى السماء ، انما كان رأساهما الى الأرض ، فنحن خير منهما حالا ، وأجمل منهما شكلا من غير نزاع ، ومصدر هذه الحيرة فيما يظهر هو أن الآنسة «مى» ارادت ان تجمع بين العلم والدين ، وما أصعب الجمع بينهما فى كثير من الاحيان ! فالدين فيما يظهر لا يرضى لنا ان نكون من نسل القردة ، والعلم أو بعض العلم على أقل تقدير لا يكره ان نكون من نسل القردة أو غير القردة من الحيوان ؛ والآنسة «مى» تريد ان تكون من نسل القردة وان

(البقية على صفحة ٤٧٧)

المادة لا تنعـــدم

للأستاذ احمد امين

هكذا يقول علماء الكيمياء ويشرحون قولهم ، ويبرهنون عليه . ويرون أن المادة تتغير وتتحول وتعود الى عناصرها الأولى ولكن لا تنعدم ، والعالم كله كساقية جحا : تغرف من البحر وتصب فى البحر ؛ فقد يحترق هذا المكتب الذى أمامى لا قدر الله ، ولكنه سوف لا ينعدم ؛ بل يتحلل الى عوامله الأولية . وسيتغذى منها النبات ويتكون منها خشب جديد ؛ قد يكون مكتب المستقبل .

قال الكميائيون ذلك ، وقصروا قولهم على المادة لانها مادة عملهم وموضع تجاربهم .

ولو عرض لهذا فيلسوف واسع النظر غير محدود البحث لقال « لا شيء ينعدم »

ان الاعمال من خير وشر لا تنعدم . بل تنمو وتتحول ، وتؤثر وتتأثر ، ولكن على كل حال لا تنعـــدم ، ان كذبة واحدة تكذبها على أولادك فى بيتك ، ومن غير أن تعيرها اهتماما لا تنعدم ، فسوف تبيض وتفرخ وتنتج كثيراً من أمثالها ؛ وسوف يكذب أولادك وستخرج الكذبة من حجرتك الى سائر بيتك ، وستخرج من بيتك الى المدرســـة ، وستخرج من المدرسة الى مصالح الناس ومعاملتهم فكيف تنعدم

قد يدق العمل ويصغر حتى لا تراه أعيننا . ولا تسمعه آذاننا ؛ ولا تشعر به نفوسنا ، ولكنه موجود ، يعمل عمله فى هذا الوجود ؛ ويفعل وينفعل ، ويتسع نطاقه ، ويعمل فى دوائر مختلفة قد لا تخطر بالبال ؛ وما أظنك تجهل أن حصاة ترميها فى البحر الابيض المتوسط لابد أن يتأثر بها المحيط الاطلنطى ، وان لم تر ذلك عيوننا . والدليل على ذلك بديهى ، فلو كبرت هذه الحصاة ملايين المرات ، أفلا تؤمن بهـــذا الاثر ؟ اذن فآمن بأن هذه من تلك وعلى نسبتها ومقدار حجمها ، وجزء من ألف من الشعرة له ظل حقيقى وان لم تره عيوننا ، ولولا ذلك لما كان لألف ألف شعرة ظل . ولما كان لثوبك الذى تلبسه ظل

وعملك الخير مهما صغر له أثره فى أمتك مهما صغر ، أعلنته أو أسررته . نجحت فيه أو فشلت ؛ علم الناس أنك مصدره أو لم يعلموا ، وهل مقياس رقى الامة وانحطاطها الا عبارة عن عملية حسابية مركبة من جمع وطرح ؟ جمع لما صدر منها من حسنات . وطرح لما صدر من سيئات . لتكن هذه العملية أشد ما تكون من صعوبة ، ولتحتج الى ما شئت من آلاف دقيقة للجمع والطرح ، فان رسم الحل لهذه المسألة فى منتهى البداهة

وليس الأمر قاصرا على الاعمال . فاذا قلنا « الاعمال لا تنعدم » فهو تكرير لقول الطبيعيين « المادة لا تنعدم » وهل الاعمال الا نوع من المادة ؟

بل الافكار والآراء من هذا القبيل . فالفكرة لا تنعدم . والرأى لا ينعدم ، فاذا دعوت الى فكرة أو جهرت برأى . فقد أخرجت الى الوجود خلقا جديدا ينطبق عليه القانون العام ، قد ينجح الرأى وتعتنقه الامة ، بل ويعتنقه العالم وتظهر آثاره فى أعمال الناس وحياتهم ونظامهم . فتسلم معى بأنه لم ينعدم ولكنه قد يفشل ، وقد يستعمل الناس فى اضطهاده وحربه كل أنواع الاسلحة المشروعة وغير المشروعة . والرفيعة والوضيعة ، حتى يختفى ولا يظهر فى الوجود . فتظن اذ ذاك انه انعدم ، وهو ظن غير موفق ، فقد يختفى ليعود ان كان صالحا . ولكن كان قبل أوانه فيستتر وينكمش . ويبقى حيا يتغذى فى الخفاء وتنميه الاحداث . حتى اذا تم نموه وتهيأ الناس له برز الى العيون ثانية أو ثالثة وهو أشد على مقاومة الحرب ، وأقوى على مصارعة الباطل ، حتى يكتب له النجاح — وحتى اذا كان الرأى فاسدا سيئا لا يصلح لحال ولا لمستقبل فليس مما ينعدم . إنما هو يتحول ويتحور كلوح خشب لا يصلح بحالته ان يكون شباكا فينجر ، أو لوح زجاج ليس بالحجم الذى تريده فيصغر ، أو حديدة لا يناسب شكلها وحجمها فتوضع فى قالب جديد بعد أن تصهر ، وهكذا فى الرأى يغير ويعدل ، ويطعم بآراء أخرى حتى يخرج خلقا آخر ، ولكنه فى كل ذلك لا ينعدم

وفرق كبير بين أن تقول : فشل الرأى وفشل المشروع ، وأن تقول انعدم الرأى وانعدم المشروع . فالفاشل موجود والمعدوم معدوم . وشتان بين الموجود والمعدوم . فالرأى الفاشل أو المشروع الفاشل شىء حى قد تلقى درسا من الفشل ليصبح بعد رأيا قويا ومشروعا ناجحا ، وهذا لا ينطبق على المعدوم

بل أذهب الى أبعد من ذلك ، وأرى أن العارض يمر على النفس ، أو الخاطر يخطر بالذهن ، لا يضيع ولا يذهب سدى ولا ينعدم ، وانما هو دخان قد يكون بعدُ سديما ، ثم قد يكون السديم كوكبا يلمع أو نجما يتألق ، وقد يكون على العكس من ذلك صاعقة تحرق ، أو وميضا خلبا يبرق ، وعلى الحالين فسيكون مولوداً جديداً ، شقيا أو سعيداً ، أليس كثيراً مما يعترينا من حزن يسبب الكسل والخمول والملل ، أو فرح يدعو الى العمل ، سببه طائف مجهول طاف بالنفس ، وخطرة متنكرة خطرت لها ، فغيرت حالها وكيفتها تكييفا خاصا فى هذا الوجود ؟ أوليس كثير من الآراء التى أسبغت على هذا العالم نعما ، وكثير من المشروعات التى عم الناس خيرها أو شرها بدأت خطرة ثم كانت فكرة ، ثم أصبحت بعدُ عملا أو خيرا ، أليس مما يكوّن الانسان خطراته ، فهو خيّر أو شرير بخطراته ، وهو بائس أو منعم بخطراته ، ولو كشف عنا الحجاب لقرأنا فى صفحات الانسان خطا عميقا خطته فى نفس الانسان خطراته وآراؤه ، وهو أدل على الانسان من مظاهره الكاذبة ، ومناظره الخارجية الخادعة ، «وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » كل هذه الخطرات قد تتحول وتتغير ولكن لا تنعدم

وعلى الجملة فان قال علماء الكيمياء إن المادة لا تنعدم فكل ما فى الوجود يقرر أن « لا شىء ينعدم » . ان كان هذا حقا فويل للخير يقعده عن الخير انه لم ير بعينه آثار عمله ، وويل للخير صرفه عن خيره نكران الجميل وجحد المعروف ، وويل للمجد عدل به عن جده ان لم يسبح الناس باسمه ، ويشيدوا بذكره ، ومرحى لمن كان مبدؤه « الخير للخير ، ولا شىء ينعدم » .؟

بعد حوادث النمسا

النمسا الجمهورية فى خمسة عشر عاما

للاستاذ محمد عبد الله عنان

- ٢ -

انشأت الديموقراطية الاشتراكية الجمهورية النمسوية الجديدة ، وتولت زعامتها وقيادتها اثناء عقد معاهدة الصلح (معاهدة سان جرمان) وتسوية المشاكل الاولى التى خلفتها الحرب ، ولكنها لم تتمتع طويلا بالاغلبية البرلمانية وسلطان الحكم ، فى سنة ١٩٢٠ خرج الاشتراكيون المسيحيون باغلبية فى الانتخابات ، واختتم الدكتور رنر زعيم الديموقراطية وزارته الثانية ، وألف الاشتراكيون المسيحيون اول وزارة لهم برآسة الدكتور « مير » ، ومن ذلك الحين تعاقب الوزارات الاشتراكية المسيحية فى حكم النمسا ، أحيانا مستقلة دون ائتلاف ، واحيانا مؤتلفة مع الديموقراطيين الاشتراكيين او الاحزاب الصغيرة الأخرى (مثل الالمان الوطنيين والزراع) وفى العام التالى اشتدت دعوة الانضمام الى المانيا (الانشلوس) فى بعض نواحى التيرول ، واشتدت الازمة المالية ، فاستقالت وزارة « مير » والف الدكتور شوبر وزارته الاولى فى يونيه سنة ١٩٢١ ، ولكن الوزارة الجديدة لم تستطع ان تغالب الازمة المالية ، وارتفعت الاثمان واشتد الغلاء ووقعت كارثة النقد ، فاستقالت وزارة شوبر ، والف المونسنيور سيبل وزارته الاولى (مايو سنة ١٩٢٢) ، وابدى فى معالجة الموقف كثيرا من الشجاعة والبراعة ، واستطاع ان يحمل عصبة الامم على الاهتمام بمتاعب النمسا ، وان يجعل من المسألة النمسوية مسألة اوربية ، واستطاع بالاخص ان يعالج مسألة التضخم ، وان يعيد الاستقرار الى النقد ، فهدأت النفوس وانتعشت الآمال نوعا ، وبذل المونسنيور سيبل جهودا تخلق بالاعجاب فى سبيل توطيد شئون الجمهورية الجديدة ، وتذليل مشاكلها الداخلية والخارجية ، ولكنه اضطر الى الاستقالة على اثر محاولة الاعتداء على حياته فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، وألف الدكتور رامك بالاتفاق مع الديموقراطيين الاشتراكيين وزارة ائتلافية ، استمرت فى سياسة الاصلاح المالى ، ثم استقالت فى

أواخر سنة ١٩٢٦ حين اشتدت الازمة المالية كرة أخرى ، والف المونسنيور سيبل وزارته الثانية (فى نوفمبر)؛ وخرج الديموقراطيون الاشتراكيون على الأئتلاف ونظموا معارضة قوية . وفى أثناء الانتخابات العامة التى وقعت فى ابريل سنة ١٩٢٧ ، بث زعماء الديموقراطية الاشتراكية وعلى رأسهم الدكتور أوتو باور ، والهر كارل سايتز حاكم فينا ضد الحكومة وحزبها وأنصارها دعوة شديدة فى العاصمة والاقاليم ، ونظم اعتصاب عام شديد الوطأة ، ولكن الحكومة ثبتت امام العاصفة ، وأخفقت هذه المحاولة الاولى

وفى منتصف يولية سنة ١٩٢٧ وقع صدام دموى خطير بين الكتلة المسيحية الاشتراكية (الحكومة) ، والديموقراطية الاشتراكية . وتفصيل ذلك أن بعض الفلاحين المنتمين الى «جماعة هتلر» اطلقوا النار على جماعة من الديمقراطيين الاشتراكيين فى قرية شاتندورف ، أثناء اجتماع انتخابى عقدوه ، فقتلوا رجلا وطفلين ، فقبض على الجناة متلبسين بجريمتهم واحيلوا على المحاكمة ، وثار الاشتراكيون لذلك الاعتداء ، ولكن المحكمة قضت ببراءة المتهمين فاضطرم الاشتراكيون لذلك غضبا وسخطا ، ورموا الحكومة بالتأثير فى القضاء ، ونددوا بتحيز القضاء «البورجوازى» ، وهرعت ألوف مؤلفة من العمال الى قلب مدينة فينا لتتظاهر احتجاجا على الحكم . وكان ذلك فى ضحى يوم ١٥ يولية ، وابدى بوليس فينا يومئذ - وعلى رأسه مديره الهر شوبر رئيس الوزارة السابق - فى معاملة المتظاهرين صرامة . ووقعت اول مصادمة بين المتظاهرين والبوليس أمام دار البلدية (الرات هوس) وعندئذ تحول جماعة من المتظاهرين الى وزارة الحقانية واضرموا النار فى جنباتها ؛ ولما اشتد ضغط الجموع ، أطلق البوليس النار على المتظاهرين ، فقتل منهم نحو ستين بينهم عدد من النساء والاحداث ؛ وكان يوما عصيبا ساد فيه الروع والحزن مدينة فينا . ومما يجدر ذكره ان المتظاهرين ، لم يكونوا مسلحين يومئذ ، واعتذر البوليس عن تصرفه بان المتظاهرين بدأوا باطلاق النار ، ولكن البوليس لم يقتل منه سوى رجل أو اثنين : ولم تعرف الحقيقة قط ، وأدركت الديموقراطية الاشتراكية من ذلك اليوم أنها تواجه جبهة لا يستهان بقوتها ، وأنها تخوض معركة الحياة والموت مع القوى الخصيمة لها .

والواقع أن حوادث ١٥ يوليه كانت ذات نتائج حاسمة فى سير السياسة الداخلية النمسوية . فقد رأت الديموقراطية الاشتراكية أنها أضعف الحزبين . وأخذت تعمل لتقوية نفسها وتسليح أنصارها ؛ ورأت الكتلة المحافظة ، كتلة الملاك وأصحاب الاموال التى تؤيد حزب الحكومة - المسيحيين الاشتراكيين - أن تنشىء لها قوة خاصة تستعين بها على مقاومة الديموقراطيين الاشتراكيين ؛ وهكذا أنشئت جماعة «الهايمفر» Heimwehr - الشهيرة - ومعناها «الدفاع الوطنى» - فى خريف سنة ١٩٢٧ ، لتكون قوة دفاعية للمحافظين والملاك . وتولى تنظيمها وزعامتها سيد من أبناء الاسر النبيلة القديمة هو البرنس أرنست فون شتارهمبرج ، وقامت جماعة الهايمفر مشبعة بروح الفاشستية الايطالية ، ولكنها اعلنت أنها مخلصة للنظام الجمهورى ، وانها تعمل فقط لحماية النمسويين من خطر الطغيان الاشتراكى أو المركسى (نسبة الى ماركس) ؛ ونظم الاشتراكيون من جانبهم قوتهم العسكرية المعروفة «بالشوتسبند» ، أو رابطة الدفاع الجمهورى Republicanischer Schutzbund وهى القوة التى انشأوها وسلحوها منذ حين ليعتمدوا عليها فى مقاومة خصومهم وفى حماية أنفسهم ومصالحهم ، وتولى تنظيمها وقيادتها قائد قديم هو الجنرال كرنر ، واصبحت النمسا تموج بهذين المعسكرين المسلحين الخصيمين ، ولم يمض بعيد حتى اشتبك الهايمفر مع خصومهم فى ضاحية «فينر نويشتات» ، وهى مركز المعسكر الاشتراكى (فى أكتوبر) واضطرت الحكومة أن ترسل قوة كبيرة من الجيش لحسم النزاع والمحافظة على النظام ؛ واحتج الاشتراكيون بقوة على قيام «الهايمفر» واتهموا أصحاب الاموال باستخدامهم لارغام الاشتراكيين والطبقات العاملة على التنازل عن حقوقهم ؛ وبدا خطر الحرب الاهلية داهما ، وحاول زعماء الفريقين التفاهم والمهادنة ، واقترح البعض نزع سلاح الفريقين ؛ ولكن هذه الجهود السلمية ذهبت عبثا .

*
* *

ولبث المونسنيور سيبل فى منصة الحكم حتى صيف سنة ١٩٢٩ وكانت مسألة الاتحاد مع المانيا (الانشلوس) من أهم المسائل السياسية التى شغلت الاحزاب والرأى العام يومئذ ، وكانت الديموقراطية الاشتراكية ، كما قدمنا تعارض فى هذا الاتحاد أشد المعارضة ، وكان المونسنيور سيبل ينكره ويأباه فى خطبه الرسمية ، ولكنه لم يفعل شيئا ضده من الوجهة الرسمية ، ولم يقبل أن تدخل النمسا فى حلف سياسى أو اقتصادى مع أية دولة من الدول الوسطى التى تعارض

المانيا . وفى شهر ابريل استقال المونسنيور سيبل فجأة ، واستطالت الأزمة الوزارية نحو شهر ، ثم قامت وزارة الهر شتيروفتز أخيرا بتعضيد المونسنيور وحزبه المسيحي الاشتراكى . ولكنها لم تلبث سوى أشهر قلائل ، تقدمت خلالها جماعة الهايمفر تقدما كبيرا وزاد أنصارها بكثرة ، ولاسيما فى التيرول والنمسا السفلى ؛ وأضحت قوة كبيرة يخشى بأسها ، وأخذ المونسنيور سيبل وحزبه فى تأييدها واضطرت وزارة شتيروفتز تحت ضغط الهايمفر أن تجرى عدة اصلاحات دستورية ، ولما زاد ضغط الهايمفر وصخبهم ووعيدهم استقالت وزارة شتيروفتز (سبتمبر) ؛ واتفقت الآراء على ترشيح الهر يوهان شوبر مدير بوليس فينا ورئيس الوزارة السابق ؛ فألف وزارته الثانية ، على قاعدة الائتلاف والتفاهم مع الديموقراطيين الاشتراكيين . وكان الديموقراطيون يضطرمون نحوه سخطا منذ حوادث يوليه ، ولكنهم اضطروا الى مهادنته والتعاون معه نظرا لتفاقم خطر الهايمفر ، واشتداد بأس المحافظين . ولم يكن الهر شوبر من خصوم الهايمفر ، وكان يرى بالعكس أن يصانعهم ليكسبهم ويأمن جانبهم وليوجه حركتهم الى مايدعم غاياته السياسية ، وأعلنت الوزارة الجديدة أنها لن تدخر وسعا فى تأييد النظام والأمن وقمع كل محاولة للعبث بهما . فاستقرت الأمور نوعا وعادت الثقة والطمأنينة ، وأثبتت الحكومة انها تملك ناصية الموقف غير مرة كلما حدث احتشاد أو تظاهر من جانب الهايمفر أو خصومهم الاشتراكيين ، وأبدى الهر شوبر بالأخص براعة فى تسيير السياسة الخارجية وفى توطيد الثقة الدولية بالنمسا وحمل عصبة الأمم على معاونتها ؛

وفى نوفمبر سنة ١٩٣٠ وقعت الانتخابات العامة وخرج الديموقراطيون الاشتراكيون باغلبية نسبية تفوق الأغلبية التى فاز بها المسيحيون الاشتراكيون ، ولكنها لم تكن كافية لأن يعود الديموقراطيون الى الحكم ، واستقالت وزارة شوبر ، وقامت وزارة ائتلاف برياسة الدكتور أندر يؤازرها المسيحيون والهايمفر وكتلة شوبر المستقلة ، وتولى هر شوبر وكالة الوزارة ووزارة الخارجية وكان هو الروح المنير لهذه الوزارة ، وخصوصا فى الشئون الخارجية ، وفى مارس من العام التالى عقدت النمسا مع ألمانيا مشروع اتحاد جمركى نمسوى ألمانى ، فاحتجت عليه دول الحلفاء بشدة ، وكذلك دول الاتفاق الصغير ، واعتبرته مقدمة لتنفيذ مشروع الاتحاد النمسوى الألمانى (الانشلوس) ؛ وطالبت بالغائه لانه يخالف معاهدات الصلح وتعهدات النمسا إزاء عصبة الامم ؛ فاضطرت النمسا أن تنزل عند ارادة الحلفاء فى ذلك ، وأن تحيل الاتفاق الجمركى الى محكمة العدل الدولية الدائمة لتقضى بعد ذلك ببطلانه . ووقعت خلال ذلك كارثة « كريديت انشتالت » وهو أعظم بنوك النمسا وظهر عجز جسيم فى موارده وكاد ينهار بناؤه فساد الذعر المالى وكادت النمسا تنحدر الى هاوية الخراب المالي ، وتصدع بناء الوزارة لانها لم تقو على معالجة الازمة ، ووضعت الدول ذات الشأن شروطا شديدة لاعانة النمسا وإقراضها ، ومنها الاشراف على مالية النمسا على يد لجنة دولية ؛ فاستقالت الوزارة فى يونيه ، وبعد مفاوضات معقدة خلفتها وزارة ائتلاف أيضا على رأسها الدكتور بوريش ، وعاد هر شوبر فتولى وكالة الرئاسة والخارجية وعنيت الوزارة الجديدة بمسألة الانقاذ المالى وتوطيد الميزانية ؛ واستطاعت بعد جهود عديدة أن تصلح الموقف نوعا ؛ وأن تدبر مسألة القروض المالية مع الدول ذات الشأن ، وعالجت أيضا مسألة المرتبات واعانة العاطلين .

ووقعت فى ١٣ سبتمبر محاولة عنيفة قامت بها عصابات الهايمفر فى ولاية ستيريا دبرها الدكتور فريمر . واستولى الهايمفر خلالها على عدة مبان ومدارس حكومية ، فجردت حكومة فينا فى الحال على الثوار قوة كافية وانهارت المحاولة فى الحال وفر مدبرها الدكتور فريمر ؛ وكانت هذه أول محاولة من جانب الهايمفر للتطلع الى السلطة ، ولكنها كانت محاولة ضئيلة ؛ ولم يبد من الشعب عندئذ أنه متحمس فى تأييد الهايمفر . واستمرت وزارة بوريش فى كرسي الحكم حتى مايو سنة ١٩٣٢ ثم استقالت . وهنا قامت وزارة على رأسها رجل لم يعرف من قبل كثيراً فى ميدان السياسة هو الدكتور انجلبرت دولفوس ؛ وهو من رجال الاقتصاد ، وكان قد تولى وزارة الإقتصاد فى الوزارة السابقة ، ولكنه لم يعرف قبل ذلك بأى نشاط سياسى . وهو من رجال الحزب المسيحى الاشتراكى ، قوى الايمان والنزعة الدينية ، ولم يكن يوم توليه الرآسة قد جاوز الاربعين بعد ، وكان المقدر أن هذه الوزارة الجديدة ستكون وزارة ادارية على الاغلب ، وانها لن تعمر طويلا .

ولكن الدكتور دولفوس لا يزال يشرف على مصاير النمسا منذ عامين ، ولا يزال يواجه الصعاب والازمات المختلفة بجلد

وشجاعة تخلقان بالاعجاب . ولم تلق النمسا الجمهورية من الازمات العصيبة الداخلية والخارجية مثل مالقيت فى العامين الأخيرين ، ولكنها استطاعت حتى اليوم أن تجوز هذه الصعاب ، وأن تحافظ على كيانها السياسي والاقتصادي . وبدأ الدكتور دولفوس بالعمل فى سبيل الانهاض الاقتصادى ، وانتهى فى ذلك بعقد بروتوكول لوزان على يد عصبة الامم لمعاونة النمسا المالية والاقتصادية . ولكن هذه الخطوة اثارت معارضة شديدة من جانب الديمقراطيين وباقى الاحزاب المعارضة ، ولم تستطع الحكومة أن تحصل على الاغلبية البرلمانية اللازمة الا بصعوبة : وطلب الديمقراطيون باجراء انتخابات جديدة ؛ فعارض الدكتور دولفوس فى ذلك متذرعا بحاجة البلاد الى السكينة والعمل الهادىء ، وسعى الى الاتفاق مع جماعة الهايمفر ليكسب عونهم فى البرلمان على أن يضم واحد منهم الى الوزارة وكان الهياج الحزبى يشتد فى كل يوم ، اذ قويت دعوة انصار الجامعة الالمانية (الهتلريين) ، ووقعت بينهم وبين الديمقراطيين مناوشات دموية ، فاستدعى الدكتور دولفوس زعيم الهايمفر فى فينا الماجور فاى وهو جندى قديم ذو مواهب ممتازة واسند اليه وزارة الامن العام ، فعمل على ضبط النظام بعزم وقوة ، ولما افتتحت الدورة البرلمانية فى اكتوبر ظهرت شدة المعارضة ، وانضم الهتلريون الى الديمقراطيين فى معارضة الوزارة متهمين اياها بالخضوع للسياسة الفرنسية ؛ وتحرج الموقف البرلمانى شيئا فشيئا حتى غدا مستحيلا ؛ وعمد الدكتور دولفوس من جانبه الى العمل المستقل ؛ واخيرا استقال رئيس البرلمان واعضاء مكتبه ، فشل بذلك العمل البرلمانى ، والفى المستشار نفسه طليقا من اشراف المعارضة ، واتخذ لنفسه سلطة شبه دكتاتورية .

« البحث بقية » محمد عبد الله عنان

مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى

ظهرت الطبعة الثانية بعد أن نقحت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة ، يقع فى ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير طبع دار الكتب وثمنه ١٥ قرشا عدا اجرة البريد ، ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر .

تحديد الزمن عند قدماء المصريين

للاستاذ عبد الحميد محمود سماحة

مفتش مرصد حلوان

لاشك فى ان الكثير من الظواهر الفلكية كان من أهم العوامل الرئيسية فى تكوين العقل البشرى منذ أقدم العصور ، ثم فى بناء المدنيات المتعاقبة فى التاريخ .

فظهور الشمس فى ناحية ما من السماء ، وارتفاعها عند الظهر نحو السمت ، ثم انحدارها فى الناحية المقابلة غربا ، واختفاؤها بعد ذلك كل يوم دون انقطاع ، وما تجلبه اثناء النهار من النور والدفء ، وما يسببه اختفاؤها فى اثناء الليل من الظلام والبرد : ثم ظهور القمر فى ليال معدودة مبددا حلكة الظلام : وشروق النجوم الثابتة من حيث تشرق الشمس ، ومغيبها من حيث تغيب : وتلكم الكواكب السيارة التى تتحرك وسط النجوم الثابتة : وهذه المذنبات التى كانت تفاجىء الناس بظهورها ثم تفاجئهم ثانية باختفائها ؛ وما كان يروعهم من كسوف الشمس وخسوف القمر : كل أولئك أو بعضه لاشك قد ايقظ انتباه (الانسان الأول) كما تدل عليه آثار العصر الحجرى .

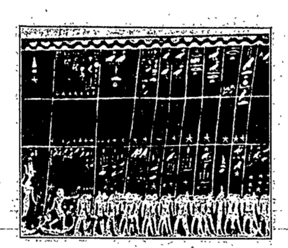
وتاريخ أقدم المدنيات يدل على مقدار ما كان لهذه الظواهر الفلكية المتعددة من الأثر فى بناء هذه المدنيات نفسها : فعلى ضفاف النيل — حيث أشرقت على العالم أولى المدنيات — نجد فى آثار أجدادنا ما يؤيد هذا الزعم .

ولكى نستطيع ان نحكم بالدقة على مبلغ ما وصلوا اليه فى هذه الناحية دون تورط فى المديح أو مبالغة ، لانرى مندوحة من أن نذكر القارىء بالعقائد الرئيسية الثلاث عندهم ، وهى التى صبغت بها مدنيتهم فى جميع مظاهرها :

فالأولى — الشمس وهى الاله المعبود « رع » .

والثانية — النجوم — منازل المباركين

والثالثة — النيل — النهر المقدس — الذى لم يزل يفيض على جوانبه الخير والبركات

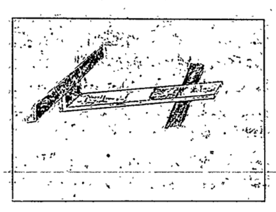


(ش ١) جداول النجوم والكوكبات منقوشة على جدران مقبرة سيتي الأول (١٣٠٩ قبل الميلاد) بوادي الملوك وترى الى اليسار الكوكب الالمع سوثيس فوق صورة ايزيس والثانية من اليمين كوكبة الجبار

ولما كان أهل مصر منذ القدم يعيشون على فلاحة الأرض ، كان لزاماً عليهم معرفة الوقت الذى يفيض فيه النهر المقدس ليربطوا تبعاً لذلك أزمنة الحرث والبذر والري والحصاد . ومن المصادفات الموفقة أنهم لاحظوا ان فيضان النيل يأتيهم عند ما يرون الكوكب الألمع سوثيس (الشعرى اليمانية) يشرق لاول مرة قبيل شروق الشمس ؛ ومن ثم اتخذوا الفترة الواقعة بين فيضانين متتاليين يحددها تحديداً فلكياً رؤية هذا الكوكب مرتين متتاليتين قبيل شروق الشمس وحدة للزمن . ويقول الاستاذ برستيد (Breasted) ان أول سنة حددت فى التاريخ على هذا الاساس الفلكي - بل اطلاقاً - هى سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد . غير انهم قاسوا هذه الفترة بخمسة وستين وثلاثمائة يوم . ذلك لانهم فيما اتفق عليه اكثر المؤرخين كانوا رجالاً عمليين اكثر منهم نظريين ، فلم يأبهوا باكثر من ذلك لدراسة حركة الشمس لاستنباط وحدة للزمن ادق من هـذه التي كفتهم حاجتهم فى تحديد أعيادهم الدينية ومواسمهم الزراعية ؛ ولو أنهم فعلوا لوصلوا من غير شك الى نتائج لانستطيع ان نتكهن بمدى تأثيرها فى المدنية ، ولكننا نعتقد عند ذلك بأمكان تأسيس مدنية نظرية فى مصر قبل اليونان حيث نشأت الفلسفة النظرية ومبادىء العلوم الحديثة

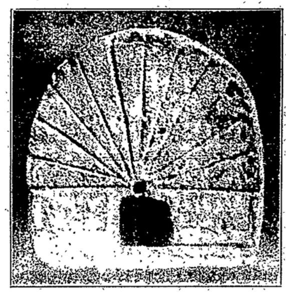
دعت الحاجة بعد ذلك فيما اقتضته مرافق الحياة عندهم وما وصلوا اليه من درجة فى المدنية ان يقسموا اليوم نفسه الى اقسام ،

فاستخدموا الساعات الشمسية والمائية . وتدل آثارهم على أنهم استعملوا منها أنواعاً متعددة نقتصر هنا على وصف اهمها :



(ش ٢) ساعة شمسية كانت تستعمل عند قدماء المصريين فى أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد

فالصورة (٢) هى ساعة شمسية يرجع عهدها الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وتتكون من قضيبين متعامدين ا ا َ ب ب توضع بحيث يكون ا ا مواجها قبل المشرق قبل الظهر وقبل المغرب بعده وظل ا ا على ب ب يبين الوقت اثناء النهار . ولقد قسموا الفترة بين شروق الشمس حين يكون الظل أطول ما يمكن والظهر حين لاظل الى ست ساعات ومثلها بعد الظهر .



(ش٣) ساعة شمسية (مزولة) وجدت فى تل جزار بفلسطين كان يستعملها قدماء المصريين حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد

والصورة (٣) هى نوع آخر من الساعات الشمسية استخدمت لتعين الوقت فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد . وهى لاتختلف كثيراً عن المزاول الشمسية المستعملة الى وقتنا هذا . وقد اكتشفت ببلدة جيزار فى جنوب فلسطين.



(شكل ٤) ساعة مائية وجدت فى معبد الكرنك ويرجع تاريخ استعمالها الى عهد امنحتب الثالث (١٤٠٠ قبل الميلاد)

والصورة (٤) هى إحدى انواع الساعات المائية وجدت فى معبد الكرنك ، ويرجع تاريخها الى عهد امنحتب الثالث (١٤٠٠ قبل الميلاد) وهى مصنوعة من المرمر ومزينة من الخارج برسوم الكواكب والكواكب السيارة مع إلاهى الشمس والقمر ، وصورة الملك بين آلهة الشهور الاثنى عشر . وهذا النوع من الساعات عبارة عن إناء مملوء ماء ينصرف من ماسورة صغيرة فى القاع . وقد جعل شكل الاناء بحيث يحدث تصرف كميات متساوية من الماء فى ازمنة متساوية انخفاضات متساوية فى سطح الماء.

وفى أنواع أخرى من الساعات المائية كان يصب الماء من مصدر خارجى ، وفى هذه الحالة يبين الوقت ارتفاع سطح الماء فى الاناء.

وربما كان أهم الاكتشافات العلمية فى هذا الصدد تلك الآلة الزوالية الصغيرة التى ابتاعها الاستاذ برستيد من أحد تجار العاديات بلندن سنة ١٩٢٣ لسببين :

الاول — ان الصانع الحقيق لها هو الملك العظيم توت عنخ أمون نفسه كما تدل عليه الجملة الهيروغليفية المنقوشة على جانبها (صنعتها بيدى)

الثانى — لانها أقدم آلة فلكية عرفت فى التاريخ ، فقد دلت ابحاث الاستاذ جورج هيل على أن تاريخ استعمالها يرجع الى حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد

وقد كانت تسمى هذه الآلة عندهم « مرخت » ومعناها آلة القياس ، ولا يتسع المقام هنا لوصف طريقة استعمالها ، ونكتفى بالاشارة الى انها تشبه — من هذه الناحية — الآلة الرئيسية فى المراصد الحديثة المعروفة بالمظار الزوالى . وبواسطتها يمكن تحديد الوقت برصد عبور النجوم على مطمار معلق من إحدى نهايتها .

ولا يفوتنا أيضاً ان نذكر أن آلة أخرى من هذا النوع أقدم من هذه التى ابتاعها برستيد توجد فى متحف العاديات ببرلين

ويقول الاستاذ بورخارت Borchardt إن تاريخ استعمالها يرجع الى عهد امنحتب الثالث

فليت شعرى هل ترانا جديرين بهذا التراث العظيم . . . . ؟؟!!!

عبد الحميد محمود سماحه

من صور الحياة في دمشق

الشيخ عبد السفرجلاني

للاستاذ علي الطنطاوي

. . . رفع الشيخ صوته مرة ثانية يأمر التلاميذ بالانصراف ولكنه لم يسمع لهم ركزا ، فنظر فاذا المقاعد كلها خالية ، واذا آخر تلميذ قد بلغ الباب الخارجي ، ثم قفز فرحاً مسروراً ، وغاب في منعطف الطريق ، وعم المدرسة السكون . . .

تنفس الشيخ الصعداء ، والقى عصاه جانباً ، ثم تمدد على كرسيه المستطيل ، يستريح من العناء الذي حمله في نهاره ، وكأن هذا السكون العميق ، وهذه الصفرة التي تبعثها في الغرفة اشعة الشمس المحتضرة قد ملأ نفسه كآبة ورهبة ، فاغمض عينيه ، وأسلم نفسه لخيالاتها :

احس كأن هذه السجف التي اسدلها دون الماضي ، ترتفع سجافا سجافا ، وان هذا الماضي البعيد الذي لفه في ثوب النسيان ، وألقى به في هوة العدم ، قد استفاق في نفسه مرة واحدة ، ثم عاد يكر عليه كما يكر « شريط السينما » ، ولكنها سينما حياة طويلة ، مرت عليه كانما هي يوم واحد او بعض يوم ، سبعون عاما مرت به في لمحة عين ، فلم يأخذ بصره فيها إلا العمل المستمر في تعليم صبيان دمشق ، سبعون عاما لم يسترح في خلالها إلا أيام الجمع ، ثم يعاود عمله منذ صباح السبت ، هادئا راضيا نشيطا . . .

***

عادت به الذكرى الى ذلك اليوم الذي بدأ فيه حياته التعليمية ، وكان غض الشباب ، يقطع مرحلة (العشرين) ، وكان يوما بعيداً طوى فكره الوصول اليه ثلاثة أرباع القرن ، وأدار الفلك راجعا سبعين دورة . . . يالقدرة الفكر البشري ! كيف يدير الفلك كما تدير الاصبع عقرب الساعة تقديما وتأخيرا ؟

كانت المدرسة التي استأجرها غرفة واحدة ، في (المناخلية) قبالة الباب الحديدي الذي بقي مع قطعة من السور ، تراثا لدمشق المفتحة الابواب لكل طامع ، من دمشق المنيعة المتحصنة بسورها وقلوب ابنائها من كل طامع ، وفي هذا الباب نفحة من نفحات الغساسنة (العرب الخلص) يحسها من يجوزه ، كما يحس من يدخل من الباب الشرقي روح خالد بن الوليد ، بطل عصره ، وابن بال العرب ، وكما يحس من يمر من باب الجابية روح ابي عبيدة بن الجراح ، ولم يكن هذا الباب معروفا بباب المناخلية كما يدعى اليوم ، بل كان يدعى بالباب المسدود ، وقد كان قبل ان يسد الباب الرسمي لملوك الغساسنة ، وكان يقابل قصر البريص ، حيث كان الغساسنة الكرام الحسب الشم الانوف :

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

***

ذكر كيف لبث نهاره كله منفردا لم يجيء اليه تلميذ واحد ، وكيف اسرع المساء بالعودة الى داره ، قبل أن يقفل العسس ابواب دمشق ، وبواباتها التي كانت تغلق منذ العشاء ، أيام كان الناس جادين مستقيمين لا يعرفون ملاهي الغرب ورذائله ، ولا يعرفون احياء الليل في الفاحشة ، وقتل النهار في الكسل . وكيف كان قوي الامل ، جم النشاط ، لا يخالط اليأس قلبه ، فلم ينثن عن عزمه . وغدا في اليوم الثاني الى مدرسته التي أنشأها في البلد الذي لا يعرف القراءة الا اثنان في الألف من سكانه . . . فجاءه خمسة تلاميذ ، وشرع يعمل

لم يكن الشيخ يحمل شهادة ، ولم يكن في دمشق كلها من يحمل شهادة البكالوريا أو الكفاءة ، ولكنه قد اتقن العلوم الاسلامية والعربية ، وثابر سنين طويلة على (الطلب) حتى الم بالثقافة العامة المعروفة في زمانه الماما حسنا . وانصرف للتعليم ابتغاء لمثوبة الله ، واجابة للرغبة القوية الجامحة . فلما جاءه هؤلاء التلاميذ ، رأى فيهم تحقيقا لحلمه فاكب على تعليمهم وتهذيبهم

***

— أحسن الله لأولئك التلاميذ ! لقد كانوا اشرافاً عاملين ، ثيابهم كاملة . وحركاتهم وافعالهم فياضة بالرجولة ، وحياتهم مقصورة على البيت والمدرسة ، لا تعرف الرذيلة الغربية طريقا الى نفوسهم ، ولم يكن الغرب قد غزانا بازيائه وملاهيه وابنائه ، وابنائنا الذين علمهم العلم والعقوق . واعطاهم السلاح ولقنهم كيف يقتلون به (التقاليد) الشرقية الشريفة ، فكانوا بمنجى من هذا كله .

لقد هاجت الشيخ ذكرى أولئك التلاميذ الذين اصبحوا اليوم شيوخا ومات منهم من مات ، وقارن بينهم وبين تلاميذ اليوم المتأنثين المتخنثين الذين يتقنون التجمل ويغوصون في الملاهي القذرة الى أعناقهم

فاسترجعوهم بالبكاء . وازدحمت فى ذاكرته الصور المؤلمة ، فرأى كيف كان يتلقى الفوج من تلاميذه أطفالا ، فيعلمهم ويربيهم ، ويجعل منهم شبانا عاملين ، ثم يودعهم بعد أن يوليهم من نفسه اسمى مايولى والد ولده ، فيغادرون المدرسة ، ليدخلوا الحياة ، ويرتقون من مقاعد النظارة الى خشبة المسرح ، ويحسبون أن هذه الشهادة غاية العلم ، وهى فاتحته ، وانهم اذا نشروها ، طويت لهم المراتب الى الصدر وقدم لهم من كل شىء ما يشتهون ، لايدرون ان للحياة فنا غير فن الكتب ، وفى العلم آفاقا لاتحيط بها المدرسة . . . وكيف كان يلبث الايام الطويلة يستوحش بالمدرسة والمنزل ، ويحس بالفراغ فى قلبه بعد أن اقتطع منه كل فوج قطعة ، ويتألم ويجفوه النوم . فلا يعلم الا الله بألمه . ثم يستعين بالله ويستأنف العمل مع تلاميذه الجدد . ويحاول أن يجد فيهم بدلا مما فقد ، حتى اذا نضجت الثمرة خرجت من يده . وكان حظه من هؤلاء حظه ممن سبقهم : ينبونه مذ يتخطون بأقدامهم عتبة الباب ، وينصرفون عنه اذا لحوه فى طريق ، مصعرين خدودهم ، شامخين بأنوفهم — وهم التجار الاغنياء ، أو الموظفون الكبار ، أو الوجهاء الكرام — على هذا الشيخ المسكين (معلم الكتاب)

— احد عشر الف تلميذ . . . احد عشر الف . . . علمتهم وأفنيت فيهم حياتى ، فضاع تعبى فيهم أدراج الرياح . . . يالله ! وفتح عينيه فوقع بصره على مرآة كانت إلى جانبه فنظر فيها وأطال النظر كأنما قد انتبه الآن الى لحيته البيضاء الناصعة ، والى سنيه التسعين فاسترجع مرة ثانية . . وسأل الله حسن الخاتمة .

***

— سقياً لتلك الايام الهنيئة . حين لم يكن فى دمشق الا هذه المدرسة . ومدرسة الشيخ الصوفى ، أما الآن فالمدارس تعد بالمئات ، ولكن الناس لايميلون الا الى المدارس الاجنبية ، إنهم يضنون على مدرسة كهذه المدرسة تقدم ابناءهم للفحص الرسمى العام ، وتحفظ لهم دينهم ووطنيتهم بعشرين قرشاً فى الشهر ، ثم ينفقون مائتين وثلاثمائة فى المدارس الفرنسية او الايطالية او الانجليزية ، ليعود اليهم أبناؤهم فرنسيين او طليانا او انكليز . . . إه ، الحمد لله على كل حال الحمد لله . . . اننا نجد ثمن الخبز .

وانتبه فاذا الباب يقرع قرعاً متواصلا

— ادخل ، تفضل . . ممن هذا الكتاب ؟

— من وزارة المعارف

قرأ الشيخ الكتاب اولا وثانياً ، وقرأه مرة ثالثة ، فغشيت وجهه سحابة اليمة من الغم ، ثم قام الى مكتبته صامتاً ، فأخرج من قراراتها دفتراً كبيراً مسح الغبار عنه ، وأخذ يقلبه يفتش عن هذا الاسم ، بين أحد عشر الف اسم حواها هذا الدفتر ، فلما وجده تناثرت الدموع من عينه . وارتمى على كرسيه محطما .

— أهذه خاتمة المطاف ؟ . إه . . الحمد لله على كل حال . . . الحمد لك يارب . . انه تلميذى علمته ومنحته قسطاً من قلبى ، وعلمت أباه من قبله ، وعلمت ابنه من بعده ، ولكن لابأس ، إن أمور المعارف بيده . ومن حقه ان يفعل ماشاء ، وعاد فقرأ الخطاب للمرة الرابعة :

« . . . ولانكم لا تحملون شهادة تخولكم حق ادارة مدرسة ابتدائية لانرى بدا من ان . . . »

***

كنت منذ عامين محرراً فى الجريدة الوطنية الكبرى (الايام) فجاءنى يوما (١) ناع ، فنعى الى الشيخ عيد السفرجلانى . واخبرنى ان هذا منصرفه من دفنه ، فبلغ بى الألم مبلغه ، وجعلت مقالى فى ذلك اليوم عن الشيخ . ولما قدمته لرئيس التحرير . قال لى احد الرجال الكبار فى دمشق ، وكان فى غرفة الرئيس مانصه بالحرف :

بلا مسخرة ، شيخ كتاب مات !

قلت : ولكنك ياسيدى تلميذه

— واذا كنت تلميذه ؟ . . شيخ كتاب !

***

وبعد يامولاى الشيخ :

لاتأس على أن ذهبت فى غير ماضجة ولا صخب ، وأن قد سكنت قبراً فى (الدحداح) لايمتاز من مئات القبور التى حوله ولا تحيط به النصب والنقوش ، وان الناس لم يأبهوا لك كثيراً ، ولم يقيموا لك الحفلات ، ويلقوا على قبرك الخطب . . . فانت أشرف وأجل من كل هؤلاء الصاخبين الضاجين ، ومجدك الصامت الذى بنيته فى سبعين سنة لبثت فيها مناراً للعلم ، وهاديا ومرشداً . أسمى من مجد هؤلاء الذى يبنى على خطبة جوفاء ، أو ليلة فى السجن ظلما ، أو مقالة فى صحيفة رعناء .

وان كنت شيخ كتاب ، فذلك فخر لك ، وحسبك فخراً ان الذين سرقوا مجدك ومجد أمثالك — هم — كما هى سنة الحياة — أشد

(١) توفى شيخ الشام الشيخ عيد السفرجلانى فى ديسمبر سنة ١٩٣١

الابتكار فى الأدب

يرى بعض أدباء الغرب أن للمصور المجيد ، والشاعر المبدع والموسيق الماهر موهبة عجيبة تعرف بالعبقرية ، تعمل مستقلة عن الزمان والمكان ، وأن كل مايحتاجه الفنان الموهوب إنما هو الالهام مع قليل من الاقدام . فألق به كما يقولون فى جوف المحيط أو فى وسط الصحراء ودعه يتجه نحو الفن فسيعاون الالهام عبقريته على انتاج الجيد وإبراز المعجز من الفن والأدب .

ولكن الحقيقة أقسى من وهمهم هذا ، فالواقع أنه ليس هناك فنان يعمل مستقلا عن الزمان والمكان . ولو أخذنا طائفة من الكتب الأدبية الرائعة فى أى عصر من العصور ، وقرأناها مع إلمام تام بالكتب التى سبقتها مباشرة لحكمنا مضطرين بأنه لايوجد كاتب - مهما علا قدره - يتهيأ له وجود مستقل عن حدود زمانه ومكانه الضيقين ، إذ الكتاب ما هم إلا أجسام مختلفة تسكنها روح واحدة هى روح العصر الذى يعيشون فيه كما يقول البحاثة الانجليزى بتر كونل Pater Quennell . وكذلك الحال فى الموسيق والتصوير .

وحقا أن الكاتب الكبير قد يطبع العصر الذى يعيش فيه بطابعه الشخصى وينحو بجمهرة المتأدبين نحوا لم يعهد قبله ، وحينئذ يلقبه معاصروه بالمجدد أو الثائر ، ولكنه على ذلك يساير التيار الزمنى ويتأثر ببيئته إلى حد كبير . وقد اعتاد مؤرخو الأدب الانكليزى تقسيمه إلى عصور حسب الشخصيات البارزة فى كل عصر ملاحظين هذه الحقيقة المتقدمة . فهناك عصر شوسر ، وعصر شكسبير ، وعصر ملتون ، وعصر دريدن ، وعصر بوب ، وعصر جونسون ، وعصر وردزورث ، وعصر تينسون . وكلها شخصيات متفوقة تزعمت الأدب فى عصورها وسلكت به مسالك مختلفة . ولكننا نراهم كثيرا ما يتأخرون بالعصر عن صاحبه ويدخلون فيه بعض مشاهير الأقربين ممن سبقوه ملاحظين تأثره بهم وتأثيرهم فيه ، وتمثيل الجميع لأزمنة متشابهة . وكأنهم بهذا يقررون أن الابتكار الأدبى بمعناه الصحيح لا يتيسر لأى أديب .

وبعد هذا ، هل العظمة الأدبية تساوى الجدة الأدبية ؟

الاجابة عن هذا الاستيضاح تدعو الى التفكير وإنعام النظر . . .

فقد اعتاد جل نقاد العربية أنهم اذا أرادوا بحث أثر أدبى أخذوا ينظرون إلى مافيه من الافكار والأخيلة : اجديدة هى فيذكر صاحبها بالفضل ؟ أم سبقه بها غيره فيرمى بأنه دعى ؟ وليس من فضل - عندهم - للكاتب الذى يتعرض لما يتعرض له غيره ولو فى إيراد مغاير ومن ناحية مباينة . وقديما عدوا سرقات المتنبى . وفى العام الماضى ثاروا على الأستاذ المازنى لأن فكرته فى رواية له وافقت بعض الشىء فكرة رواية لمؤلف غربى .

والحق أنهم مخطئون فى هذا أو مسرفون ، وأنه إن لم يكن بد من الحكم حسب الجدة ، فعليهم أن ينظروا إلى أسلوب الأداء نفسه أهو جديد أم مستعار . فان كان جديدا لا يحرم صاحبه من فخر الإبداع الأدبى بل يجب أن يعترفوا له بالتفوق على صاحب الفكرة نفسها إذا صاغها صياغة أدق من صياغة سابقه وأكمل ، لأنه حينئذ يكون قد أتى بما عجز عنه الاول . ولعل هذا الذى كان بعض المتقدمين يعنيه بقوله : إن المعانى معلومة للجميع وانما المعول على النظم . هذا هو المقياس المستقيم وبه قدر المنصفون من النقاد الانجليز حينما حكموا بأفضلية وصف العنكبوتة لبوب على وصفها لدريدن ، وإن كان الأول مدينا بالفكرة التى قام عليها الوصف للثانى .

ومن الامثلة القوية التى يصح الاستشهاد بها فى هذا الموضوع شكسبير أعظم الشعراء السكسونيين ، والذى لكتاباته المنزلة التالية لمنزلة الكتاب المقدس فى الادب الانجليزى . ولست أستشهد برواياته التاريخية يوليوس قيصر ، وأنطونيو وكيلوباتره ، وكوريولينوس Coriolanus التى استعار أصولها بل بعض أخيلتها مما كتبه المؤرخ الشهير فلوطرخ Plutarch وانما أورد رواية أخرى لا تمت للتاريخ

تلاميذك حماقة وجهلا ، وأقلهم استقامة وشرفا ، وأنهم ماقفزوا الى هذه المراتب ، الا ليجحدوا فضلك وفضل أمثالك ، ويسخروا منك ومن أمثالك ، هى سنة الحياة ، يعمل أناس ليجنى الثمرة آخرون

يامولاى الشيخ :

نم مستريحا فى ظلال الخلد ، فأنت أبو النهضة العلمية فى دمشق ، أنت صفحة من تاريخها الحديث ، أنت معلم كل من قرأ فى دمشق كتابا أو خط بقلم

عليك رحمة الله وبركاته .

على الطنطاوى

بنسب ، وتعد من رواياته القيمة التي ألفها في عهد نضوجه الادبي وهي رواية الليلة الثانية عشرة « Twelfth Night » فقد أخذ حوادثها كلها عن رواية ايطالية ، ومع ذلك لم يقل أحد إن شكسبير لم يكن مبدعاً في هذه الرواية أو أنها ليست من مفاخره الادبية .

ومن المفيد أن نذكر خلاصة كل من الروايتين حتى يتبين القارىء مدى الإستعارة . فملخص الرواية الايطالية وقد ألفت سنة ألف وخمسمائة وسبع وثلاثين أي قبل تأليف رواية شكسبير بنحو سبعين سنة واسمها جلينجاناتي Gl' Inaanngti هو ما يأتي : فابريتو وليليا أخ وأخت فرقت بينهما ثورة روما في سنة ١٥٢٧ دفعت المقادير بليليا إلى مودينا مقر فلامينيو الذي كان بينه وبينها علاقة غرام سابقة فتنكرت في زي شاب ودخلت في خدمته فوجدت أنه نسي حبها وتعلق بسيدة من أشراف مدينته تدعى إيزابلا . ليليا كشاب جذاب كانت تحمل رسائل الغرام من سيدها فلامينيو إلى إيزابلا . إيزابلا لم تتأثر بتوسلات فلامينيو ولكنها أحبت ليليا ـ وهي رجل في اعتقادها ـ حبا عميقا . فابريتو يصل إلى مودينا ولأمر ما يلقى إيزابلا فتتم بين الاثنين مراسيم الزواج وهو في اعتقادها ليليا شقيقته . تظهر الحقيقة بعد هذا فينتقل حب إيزابلا في سهولة من ليليا إلى شقيقها ويتزوج فلامينيو من حبيبته الاولى ليليا .

وخلاصة رواية شكسبير ما يأتي : الدوق أورسينو يقيم بايليريا . وقد وقع من وقت طويل في حبال غرام نبيلة من نبلاء مدينته تدعى أوليفيا . أوليفيا لا تبادله الحب بل تنتهز فرصة موت شقيقها ، وتعلن أنها سوف لا تسمح لأي خطيب بالاقتراب منها وأنها ستمكث في حداد على أخيها سبع سنين . وهنا نرى فيولا توأم شاب من نبلاء ميسالين يدعى سيبستيان ، ظن أنه توفي أثناء عاصفة هبت على سفينة كان هو واخته من بين راكبيها ، ونجت فيولا بفضل رباحها على الشاطىء المقابل لايليريا . ولما علمت فيولا بأمر أورسينو وكانت تحبه لما تسمعه ، فكرت في العمل عنده كأمين ، وتنكرت في زي أخيها وقدمها الى قصر الدوق أحد رجال حاشيته . اطمأن الدوق إليها وأطلعها على حبه أوليفيا واستخدمها في استعطافها ، وعندما تراها أوليفيا لأول مرة تفتتن بها وتطلب إليها أن تزورها ثانية بحجة اخبارها بسبب رفض طالب أورسيو ، وفي المقابلة الثانية تصدم أوليفيا ببرود فيولا التي أظهرت لها أوليفيا غرامها به . فيولا وهي غير قادرة على كشف سرها لأوليفيا تتركها معلنة أنها سوف لا ترجوها في أمر سيدها ثانية . وبعد وقت قصير يأتي سيباستيان الذي يشبه أخته مشابهة تامة حتى أنه لا يميز بينهما إذا ما تشابه لباسهما فتدفعه الحوادث إلى منزل أوليفيا ويتم بينهما عقد الزواج ثم يكشف السر فلا ترى أوليفيا بأساً من إقرار العقد ويتزوج أورسينو فيولا التي كانت تحبه حبا جما

نعم قد استعار شكسبير حوادث روايته من تلك الرواية السابقة على النحو الذي رأينا ، ولكنه صاغها صياغة أخرى وخلقها خلقا جديداً فاض عليها من قريحته الخصبة وخياله الواسع أفكاراً وصوراً أكسبتها بهاء وجلالا حرمتهما الروايه الايطالية ـ فهي على استعارة حوادثها جديدة قوية لأنها في أسلوب جديد وهو أسلوب شكسبير القوي الذي امتاز به من غيره . فليس للنقاد أن يطلبوا من الاديب أن يكون أول عابر للسبل التي يسلكها ، أو أصيلا في الموضوعات التي يطرقها ، أو مبدعا للحوادث التي يدور حولها ، وإلا كان طلبهم من ناحية أخرى أن يمعن في الأطلاع على الآداب الماضية ، وتفهمها عديم الغناء قليل النفع ، ومن غير المعقول أن يكون الادب الحديث غير قائم على الآداب الماضية ، كما أنه من غير المعقول أن تكون المدنية الحديثة غير قائمة على المدنيات السابقة . اللهم اذا كان أدبا متأخراً لا يمثل العصر الذي قيل فيه .

والذي يؤاخذ به من يريد الاشتغال بالأدب أشد المؤاخذة هو ألا يكون مبتكراً في أسلوبه ، أو بعبارة أخرى أن يكون أسلوبه مرقعا من أساليب أدباء آخرين يحتذيهم وينحو منحاهم ، ويا ليته يبلغهم . . . هذا لا سواه هو الادعاء الأدبي . فلا فرق بين الأديب والمحسوب على الأدب بالنسبة الى مأثور القول ، إلا أن الأول يخضعه لطبيعته ويتصرف فيه حسب مزاجه الخاص . أما الثاني فيضعف أمامه أو تضعف طبيعته ــ ضعفه أمام المعبود المقدس فلا يستطيع أن يتناوله بتبديل أو تحوير

وعمل الأديب الحق يشبه تماما عمل النحلة التي تحيل بطبيعتها الحلوة ما تمتصه من مختلف الأزهار إلى عسل مصفى لا تتبين فيه الأصول التي أخذ منها . ؟

السيد محمد نوفل

حنين الى مهد الطفولة

للآنسة أسماء فهمي
درجة شرف في الآداب

يكاد يكون الحنين إلى «المنزل الأول» غريزة من الغرائز الانسانية ، تزداد قوة ورسوخا كلما توغل المرء في عبور مرحلة الحياة . . . ولعل أعذب ذكريات الشيخ الفاني المثقل بتجارب الحياة أياما قضاها على شاطىء اليم يلهو مع الصغار ويجمع الاصداف ويلق الشباك للاسماك أو يصنع دوراً وقباباً من الطين والرمال ، ثم يهدمها ليعيد بناءها . . بل ان الفتى اليافع ليتضاءل أمام عينيه ما يتمتع به من قوة ومرح وصفاء عند ما تستعرض مخيلته صور عهد الطفولة المليء بالسذاجة والحركة المتواصلة والمرح البريء . . . وقد ينشأ المرء وضيعا في كوخ حقير ثم يرتقي سلم العلياء ويسكن القصور ذات الحدائق الغناء ومع ذلك تتوق نفسه للحج الى مهد الطفولة وتستحيل في نظره خشونته نعومة وقبحه حسنا وجدبه رخاء . . .

وهذا الحنين هو أساس الوطنية ونواة إعزاز القومية لا تخلو منه إلا القلوب الصماء المجردة من العطف والوفاء فلا بدع إذن أن يحط الركاب الشاعر الفياض العاطفة إذا مر باطلال الديار ليذرف دمعة أو ليستعيد ذكرى أو ليرسل نجوى قبل أن يستأنف المسير ويخب المطى به عثرا . . .

ولعل أشد الحنين هو حنين ذلك الذى ينتزع انتزاعا من بين أحضان مهد طفولته ويقصى عنه قوة واقتدارا ، ثم يشغل هذا المهد العزيز الوثير أعداؤه المغتصبون بينما هو لا يجرؤ أن يحاول منه اقترابا ، إذ تحول بينهما الاستحكامات والحصون فلا يجد من وسائل الاتصال غير الذكرى والخيال . . . ولكن الذكرى التى لا أمل يصحبها ويجلوها تضيع كرياح القيظ اللافحة تحرك الأشجار كما تثير الرياح الرمال . . . والحنين يبعث الذكرى التى هى رمز الوفاء . . . .

إذن فبأجنحة الذكرى أحلق فوق مهد الطفولة المقدس — فوق ربوع السودان . . تلك الربوع التى كانت ميدانا لبطولة الأجداد والآباء ، منذ عهد الفراعنة قبل أن تصبح مهداً لبراءة الطفولة ومرحها الفياض

هنالك في إحدى بقاع السودان عند ملتقى النيل الابيض بالازرق قضت فتاة سنى الطفولة التى مهدت لها الطبيعة هناك كل وسائل اللهو والنعيم ، فحبتها ببساط لانهاية له من الرمال الذهبية تنطلق فيه انطلاق الظبي في الفلوات . . كما زودتها باشجار باسقة من دوم ونخيل وساسبان كانت رؤوسها حصنا منيعا للطفلة التى كانت تهرع لتسلقها بمهارة القردة وخفة النسانيس اذا أصابها ذعر أو لحقها وعيد ! ولطالما وجدت الطفولة في أمطار السودان الغزيرة وسيوله المندفعة التى تكتسح الدور والأشجار والناس ما يثير اللذة والخوف معا . . ومن ثوران الزوابع والعواصف التى كانت تنافس السيول في الجبروت وكثرة الاسلاب ، كانت تستمد الطفولة الطليقة نوعا من التسلية الممزوجة بالدهشة ، وتنصت باهتمام الى دوى العواصف وقصف الرعود التى تعلمت كيف تأنس بها بعد ان تغلق الابواب والنوافذ دونها ! . . والحر على شدته وقسوته لا يضير الطفولة ، لأنها بالنهار تلهو برؤية الطيور الفاتنة التى تنطلق أمامها مداعبة ومحاورة ، فتطلق على ذات الريش الأخضر منها « عصافير الجنة » والأحمر « عصافير النار » وان كانت لاترعى حرمة الأولى ولاتخشى حرارة الثانية ! بل تجد في اللحاق بها دون جدوى . . على انها سرعان ما تشعر بالجهد فتتجه دون ندم إلى مداعبة الغزلان الوديعة الجاثمة في الظل او مداعبة الببغاء الثرثارة أو القردة والنسانيس المتمردة . . التى قلما تخلو منها حديقة من حدائق منازل السودان . . . وفي الأصيل عندما يهب عليل النسيم وتنخفض جذوة الحرارة ويسمع نعير السواقى يمتزج بأغانى السودانيين الرقيقة على ضفاف النيل ، وتمتطى صهوة مهر أو حمار وتندفع بين الادغال بمحاذاة النهر العظيم بينما تتناثر عليها سلاسل ذهبية من أشعة الشمس المائلة للغروب . فتطل عليها من بين غصون الشجر مودعة وتكر راجعة إلى حيث تجتذبها اصوات الرفاق اللاعبين فوق بساط الرمل الوثير . . وسرعان ما تنبثق النجوم في القبة الزرقاء . . ويتهادى القمر حتى يستوي على عرشه المتلألىء في صدر السماء . . بينما تتعالى تهاليل الاطفال البيض منهم والسود سواء . . لأن الطفولة تسمو فوق فوارق الألوان والاديان والاجناس . .

وهكذا كان يسود التفاهم والوئام بين الطفولة والطير والعجماوات والاشجار والعواصف والامطار والناس — في حين كانت ترتع آمنة في ذلك الفضاء غير المحدود الذى حبب اليها الحرية المطلقة وطبعها

على الصراحة وجعلها تهيم بالجمال فى شتى نواحيه . . .

ولكن ماهى الا عشية أو ضحاها حتى زلزلت الأرض زلزالها وقبض « سنخاريب » على معول يهدم به وكر السعادة ... فاستفاقت الطفلة مذعورة فى أحد أيام شتاء سنة ١٩٢٤ ونظرت حولها فكادت تنكر الدار التى بها ترعرعت اذ هنا وهناك تكدس أمامها الأثاث فى غير نظام وعهدها بدارها نموذج التنسيق والجمال . . . واذا بالأم تقبل مرتجفة واجمة وتنادى الطفلة بصوت تخنقه العبرات أن اسرعى فقد أزف وقت الرحيل عن الديار نعم ؛ وا أسفاه . . لقد حل بالمصريين فى السودان عام ١٩٢٤ مادهى بنى اسرائيل فى أورشليم فى القرن السادس قبل الميلاد على يد الكلدانيين . . . ولم تطلب الطفلة إيضاحا لأنها أدركت بغريزتها حدوث أمر جلل . . وهل بعد الطرد والتشريد من الديار من مصاب ؟ . . تركت الطفلة حجرتها فى صمت رهيب ، وسارت حتى بلغت حديقة الدار الفسيحة فأطلت على النيل برهـــة امتزجت فيها دموعها بمياهه ، ثم توغلت بين الاشجار التى طالمـا احتمت برؤوسها كلمـا توعـــدتها أمها بالعقاب وتعلقت بغصونها ، وأخذت تقبلها قبلات الامتنان والوداع . وما زالت تسير حتى بلغت مكان طيورها وحيواناتها العزيزة ووقفت أمامها فى خشوع . فأقبلت اليها السنانير وتعلقت بشعرها ونظرت فى وجهها كما لو كانت تستفهم سبب وجومها ، واقتربت منها الغزلان وقد كان عهد الطفلة بها شدة النفور والابتعاد فوقفت أمامها كتمثال . ولم تكد الطفلة تجثو على قدميها لتعانق اعزاءها العناق الأخير حتى أقبلت الأم مهرولة ، وجذبتها معلنة قدوم العربات . فاستسلمت الطفلة استسلام اليائس ، على أنها سرعان ما وقفت عن المسير وأجهشت بالبكاء إذ تذكرت أنها تركت وراءها عصافيرها المحبوبة دون ماء أو غذاء ، ولكن الأم رغم تأثرها العميق لم تدعها تفلت من يدها اذ كان عليها أن تلحق القطار .

بمثل هذه العجلة المؤلمة ختمت حياة الطفولة الرغدة فى السودان وبمثل هذه القسوة انتزعت الطفلة البريئة من بين أحضان المهد الرؤوم دون انذار . . . فلا غرو أن يتضاعف حنينها الى المهد المغتصب الذى له فوق قداسة ذكريات الطفولة السعيدة قداسة الماضى التليد : ماضى البطولة وبذل النفوس من أجل الخلود . . .

اسماء فهمى

ذكرى . . .

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم

. . . ولكنه لم يكن طيف غرام ولا خيال غانية ، ولم يكن صدا هذا الذى عقد طرفى بالنجم ، ولا بعدا هذا الذى أغرى بى الهم ، ولكنها ذكرى !

كن ما استطعت قوى العزم ؛ عصى الدمع . فسيصهرك الأسى وسيقهرك الدمع ؛ سيلاحقك هذا الطيف ، ستستبد بك هذه الذكرى

مصر فى أمر مريج : رجال هنا وبنود ، ورصاص هناك وجنود ؛ هنا حق مغلوب أبى ، وهناك باطل ظلوم قوى ؛ هنا رجال أقوياء بحقهم يزيدهم الايمان غلوا : وهناك رجال أقوياء بسلاحهم يزيدهم الظلم عتوا ، ولكن الحق من روح الله فهو نصيره ؛ والباطل من عمل الشيطان فالخذلان مصيره .

الشوارع يومئذ تزخر بأمواج المتظاهرين الثائرين ، الشباب دائما فى الطليعة ، الرايات الخضر تتردد خفاقة بين أحضـــان الريح ؛ الموسيقى تعزف أنشودة « الحرية أو الموت » ، الصليب والهلال يتعانقان بعد أن محت وحدة الألم ما أقره فى الأذهان المريضة صاحب « فرق تسد » ؛ السيدات يلوحن من النوافذ بالمناديل والأعلام ؛ ويهتفن فى اتصال وانفعال .. بل إنى لألمح فتاة شقراء يلفها العلم الأخضر تتقدم الصفوف ، وتهتف فى صوت حزين رهيب تخنقه العبرات ونبرات طويلة حلوة « شجرة الحرية تروى بالدماء ـ فى سبيلك يا أماه نستشهد »

لقد كنت تلميذا صغيرا يومئذ ، ولكن اسما وتاريخا ما زالا محفورين فى قلبى . أما التاريخ فهو ١٩ مارس ١٩١٩ وأما الاسم فهو « مصطفى ماهر أمين » الطالب بالسعيدية !! لقد كان مصطفى يقود الصفوف ، وصدى المدافع يصم المسامع ، والهول يأخذ على الناس كل طريق ، وقد انبثت أسباب الموت فى كل مكان ، وتقسم الجنود الشوارع ينثرون على الجموع رشاش الهلاك ، مصائب بعضها فوق بعض

ولكن مصطفى ماض فى عزم ؛ راض فى ايمان ، يحمل العلم عاليا خفاقا ، ويحتمل الألم راضيا فخورا ، عيناه تشعان نورا وصدره يلتهب نارا وسعيرا ، شفتاه تقذفان شررا ، ووالله ما رده اليأس ولا الخوف ، ولا صده العنف ولا الضعف ، يسوقه الايمان ولا

تعوقه النيران ، يدفعه الإخلاص ولا يمنعه الرصاص : رجل والرجال في الدنيا قليل ، وهناك . . . عند شجرة الحرية سالت دماء الرجال والرجال في مصر كثير ، وفي لهيب المجد تراكم الوقود من الجنود ، وعلى مذبح الفداء تزاحمت من الضحايا الوفود .

طلعت الجنود الانجليزية من إحدى المنعطفات وراحت مناجل الموت تحصد زرع الوطن ، والشباب مع ذلك يستبق الى الحتوف كلما ذاب صف تقدمت صفوف ، ثم سقط مصطفى فتدفقت لرفع العلم الوطني . ويلاه ! ما أمر الذكرى ولكن ما أحلاها ! ! لقد رأيت مصطفى قبل أن يسلبه ملك الموت سر الحياة : عيناه تبتسمان في رضا وإيمان ، الالم يمزق ضلوعه ، الدم يتدفق من فمه ، شفتاه تهمسان بكلمات خافتة ، أكبر اليقين أنها تسبيح بمجد الوطن .

ورأيت الضابط الانجليزي الذي صرعه بمسدسه على خطوات منه ؛ ورآه كذلك مصطفى ، فكأن رؤيته له حلت عقدة من لسانه فهتف «فداء الوطن — لتحي مصر» ثم أغمض مصطفى عينيه ونقل إلى المستشفى حيث استرد الله فيه وديعته .

هذه هي الذكرى التي حطمت أعصابي أمس ، وأزعجت إلى روحي الحزين ، وكلفتني قطرات من الدمع ، ولكني رغم كل شيء لم أتمالك أن ابتسمت من خلال الدموع ؛ لأن في مصر رجالا يعرفون كيف يستحب الموت ، حين تكون في الموت الحياة .

لست أشك أن ذكرى مصطفى — أول الشهداء — قد مست من قلوبكم مكامن الحسرة ، بل اني لا أغلو اذا قلت إن غير قليل منكم ترجرجت في عينيه دمعة أو دمعتان ، وجرت في عروقه هزة عنيفة ، بل سأمضي إلى أبعد من هذا ، فازعم أن بعضكم سيقاسي الذي قاسيت من سهد وجهد في دفع الأرق !

أيها الناس ! اذكروا مصطفى ماهر أمين ، فقد مات لتحيوا !

أيها الوطن ! اذكره فقد جاد بدمه لتكتب به سطورا في صفحة الحرية والمجد والخلود ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود

أيها الخلود ! سجل اسمه في سفر الأبطال الخالدين

أيتها الجنة : التي أعدت لمن أحسن عملا . أعدي له مكانا بين الشهداء والصديقين . . .

وأنت يارب . أكرم مثواه وابسط عليه جناح رحمتك ، فقد مات في الشباب .

محمود البكري القلوصناوي

في الأدب العربي

شـــوقي

١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م

للاستاذ عبد العزيز البشري

هو أحمد شوقي بك بن أحمد شوقي بك . ولد بالقاهرة ونشأ فيها . وقد حدث عن نفسه في مقدمة الطبعة الأولى لديوانه (الشوقيات) قال : « سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ، ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا . . . فأدخله الوالي في معيته ، ثم تداولت الأيام ، وتعاقب الولاة الفخام . وهو يتقلد المراتب العالية ، ويتقلب في المناصب السامية ، إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية » . ثم ذكر طرفاً عن سيرة جده لوالدته إلى أن قال عن نفسه : « أنا إذن عربي ، تركي ، يوناني ، جركسي » .

وقد كفلته من المهد جدته لأمه ، وكانت في يسر ونعمة ، على حين أتلف أبوه ما ورثه عن أبيه . ولقد كانت جدته تيك من وصائف قصر الإمارة في عهد اسماعيل . قال : « حدثتني (يريد جدته) أنها دخلت بي على الخديو اسماعيل ، وأنا في الثالثة من عمري ، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديو بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدتي اصنعي معه مثل هذا فانه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض . قالت هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي . قال جيئي إلي به متى شئت .

فلما بلغ الرابعة أدخل في مكتب الشيخ صالح ، وكانت نشأته في خط الحنفي ، وقد جاز بعد ذلك متفوقاً بارعاً مرحلتي التعليمين الابتدائي والثانوي . فلما تقدم إلى مدرسة الحقوق اعتل ناظرها عليه لصغر سنه . على أنه دخلها ودرس بها عامين . وكان قد أنشئ فيها قسم للترجمة ، فعدل إليه ولبث فيه سنتين آخرين ، وأحرز الاجازة النهائية . والحقه المرحوم الخديو توفيق بمعيته . ثم أشخصه على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب الفرنسية ، على أن يقضي عامين في مدينة « منبليه » ، وعامين في باريس . حتى إذا أحرز الشهادة النهائية رأى ولي الأمر أن يظل في فرنسا ستة أشهر

أخرى فقعل، وعاد بعدها إلى مصر، وتولى منصبه فى معية الأمير. وفى سنة ١٨٩٦ م ناب عن مصر فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى جنيف من أعمال سويسرا.

وما برح شوقى يتدرج فى المناصب حتى تولى رياسة القلم الافرنجى فى المعية الخديوية. ولما نشبت الحرب الكبرى أزيل عن منصبه. ثم رؤى له أن يغادر البلاد، فاختار برشلونة من أعمال أسبانيا مثوى له ولأسرته. ولم يؤذن له فى العودة الى مصر إلا بعد أن استقر السلام العالمى.

ولقد رأيت أن أكبر منصب سما إليه شوقى فى معية الخديو هو رياسة القلم الافرنجى، على أن نفوذه وسلطانه لقد تجاوزا شأن هذا المنصب إلى حد بعيد، فلقد نال من الحظوة عند ولى الامر مالم ينله من قبل أحد. فكانت داره (كرمة ابن هانىء) مثابة طلاب الحاجات، ومورد المستشفعين من كل ناحية، صغار الناس وكبارهم فى هذا بمنزلة سواء. فلقد كانت إشارته حكما، وطاعته عند أكثر الحكام من بعض المغانم.

ولقد كانت مصر إلى ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية، فكان شوقى كثير الاختلاف إلى الآستانة، فلا يكاد يدخل الصيف من العام إلا وهو على جناح السفر إليها، فلا يلقى من أولياء الامر هناك إلا الاجلال والنزول فى منزل الكرامة. ولقد انتهى إلى الخليفة فى إحدى السنين خبر مقدمه فأمر بأن يقيم ما اقام هناك ضيفاً على مقام الخلافة. وأنعم عليه بالرتبة الأولى من الصنف الثانى وهو يتقدم بها على بعض من يحملون لقب الباشوية. كما انعم عليه بكبار الاوسمة من الدولة العلية، ومن ألمانيا (قبل الحرب) ومن الدولة السورية.

وكان، رحمه الله، شغفاً بالسياحة فى الغرب وفى بلاد الشرق القريب، ولكنه فى مؤخرات عمره قصر سياحاته على البلاد السورية واللبنانية، فيلقى من أعيانها وأدبائها أبلغ العطف وأعظم الاكرام.

وفى سنة ١٩٢٧ عقد فى مصر مؤتمر لتكريمه اشترك فيه عنق من رجالات مصر وعلمائها وأدبائها، وحضر إليه عدد غير قليل من أعيان الأدباء فى الاقطار العربية. وتوجت حفلة التكريم برعاية حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فؤاد الاول حفظه الله. لقد عاش شوقى مبجلا عالى الاسم، رفيع المنزلة. فلما قبض إلى رحمة الله تعالى أقامت له وزارة المعارف بالاشتراك مع طائفة من أعيان أهل الفضل والأدب حفلة تأبين دعت إليها كبار العلماء والأدباء فى الأقطار العربية. وشرفها جلالة الملك المعظم بنائب عن ذاته الكريمة. وقد أقيمت هذه الحفلة فى دار الأوبرا الملكية فى شهر ديسمبر من السنة التى قبض فيها.

وبعد، فقد تقلب شوقى من أول نشأته فى النعمة، وأصاب ما شاء من متع الحياة، ولو قدر للخلق من الناس أن يدركوا كل مناهم، وأن يبلغوا الحياة مدى أشرها، لكان شوقى من احدهؤلاء.

واذ قد عرفت هذا فلا يتعاظمنك ما ترى من شيوع الترف فى شعره، فلا تقع من تشبيهاته، فى غير المآسى، الا على كل فاخر ثمين (١)

صفاته وأخلاقه

كان شوقى ذكيا وافر الذكاء، حييا جم الحياء، لا يتبسط فى الحديث إلا إذا خلا له وجه صديق أو صديقين. ولعل بعض ما حمله على هذا أن طلاقة لسانه لا تكافىء فصاحة قلمه، ولا تواتى مطالب عقله. يكره الدخول فى زحمة الناس، وينفر من شهود الحفل الجامع، إلا أن ينقبض فى ركن من ملهى أو ملعب، وادع النفس، هادىء البسمى، لا تراه يعنف، وقل أن يستفزه الغضب. عطوف شديد العطف، رحيم كثير الرحمة. ينفر من ذكر المآسى ويفر من رؤيتها فراراً. على أنه مع هذا قد راض نفسه على الصبر على المكروه، ودربها على الرضا بالقضاء واقعا حيث وقع. فاذا لحقه المكروه راح بذهنه يستخرج من بعض نواحيه خيراً. فان تعذر عليه استراح فى النهاية، إلى أن الله تعالى إنما دفع به ما هو أكره.

وهو دائم الاعتداد بما يعتريه من النعماء، فاذا دقت وصغرت جعل يجلها ويعظم، ولو بالتخييل، من شأنها. وعلى الجملة فان هذا الرجل لو انحدرت عنه كل نعمة لعاش من رضاه فى أوسع نعمة. وعلى هذا لقد كان من أقل الناس شكوى من زمانه. ولعل أوجع ما شكى فيه قوله

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس؟

(١) اقرأ قصيدته التى أولها:

ونحلة فوق الجزيرة نسها ذهب الأصيل حواشياً ومتونا

وهذا قاله وهو منفى من وطنه . ولقد جعل الله النفى من الوطن عديلا للقتل والصلب وتقطيع الأطراف . قال جل مجده : «إلا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض» . وأى رجل هذا المنفى من وطنه ؟ هو الذى يقول فى هذا الوطن من القصيدة نفسها :

طنى ، لو شغلت بالخلد عنه   نازعتنى إليه فى الخلد نفسى !

ولقد كان شوقى شديد الايمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر . ولم تحص عليه فى هذا الباب زلة لسان أو عثرة قلم ؛ وكان شديد الحنين إلى السيد المسيح صلوات الله عليه ، دائم الذكر له فى شعره ماواتته المناسبة . يذكره فى عطف وشوق ولهفة ، وإذا ذكرت ماركب فى طبع هذا الشاعر من الرقة والرحمة والحنو ودعة النفس أدركت الوجه فى إيثاره لاسم هذا النبى الكريم بكثرة الإشادة والترديد .

على أن شوقى . على شدة إيمانه هذا ، كان فى شباب السن مستهتراً بلذائذ الدنيا ، مسرفاً فى الاصابة مما يطيب له منها ، لايتأثم فى هذا ولا يتكلف مداراة الناس ، فبلغ فيه حداً يشبه الاباحية ، ولكنه حين لحقته السن ، قصر متعته على شهود (السينما) وحضور مجلس الغناء ، وله من بلائه فى النضح عن دولة الإسلام وفى مدحه لسيد الانام (١) أعظم رجاء فى كرم العاقبة وحسن الختام . ولقد قال فى (نهج البردة)

إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل   فى الله يجعلنى فى خير معتصم

وهو بعد هذا مفتن بأجمع معانى الكلمة ، يكلف بفنه إلى حد الافتتان ، بل إنه لايكاد يرى الرجل كل الرجل يتمثل إلا فى الشاعر . ولا يرى للحياة فى جميع صورها غاية الا قرض الشعر . انظر كيف يقول على لسان إحدى من ينسب بهن :

جاذبتنى ثوبى العصى وقالت :   أنتم الناس أيها الشعراء !

ولقد كان إلى هذا شديد التمكن من نفسه حتى مايرى فى الدنيا شاعراً يباريه أو يتعلق بغباره .

شاعريته

لم يطاول شوقى فى قرض الشعر ولم يجهد فيه ؛ بل لقد جاء به فتى ؛ وأطلقته قريحته الغضة عالى المعنى ، فخم اللفظ ؛ متلاحم النسج ، ومدح الخديو توفيقا وهو لما يزل طالباً حدثاً ؛ ونشرت مدائحه يومئذ فى (الوقائع المصرية) وارتفعت من فورها الى ولى الامر . فدل هذا على ان فيه طبيعة ؛ وانه أوتى الموهبة . ثم لقد كشف الزمن عن ان تلك الموهبة من الضرب الرفيع العالى الذى يضن بنفيسه على الأجيال

ولا شك فى أن المواهب الفنية لاتعلل . فان حاولت أن ترد هذا إلى أنه قد دخل فى أصله العنصر العربى ، فهذه ملايين الخلق من خلص العرب ، لم يقولوا الشعر ولم تنتضح به ألسنتهم ، وأكثر من عالجوه منهم لم يرتفعوا الى شىء من حظ شوقى ، وإن أنت رددته الى أنه جرى فى أعراقه الدم اليونانى ، فهذه الملايين من اليونان الخلص لقد تعذرت عليهم ملكة الشعر فلم يجيئوا منه بجيد ولا ردىء ،

نعم ، لقد يكون للعنصر وللدم دخل فى توجيه شاعرية الشاعر ، وتكوين عقليته وفى تصوير منطقه ، وتلوين عاطفته ، والذهاب بنزعته مذهبا خاصا ، ونحو ذلك . أما أن ذلك مما يخلق الموهبة خلقا ، فهذا مالا يكون .

شعره

تقدم لك فى أثناء هذا الكتاب صفة الشعر فى العصر الحديث (من الحملة الفرنسية) . وكيف كان يغلب عليه الضعف والأسفاف ، والدوران فى فنون من الأغراض لا غناء فيها لمطالب العاطفة ، ولا لحاجات المجتمع . ولقد نجم شوقى أول مانجم والكثرة الغامرة من جمهرة الشعراء على هذا ؛ على أنه من يمن طالعه أن تقدمه إلى قرض الشعر أفذاذ ثلاثة : عبد الله فكرى ، ومحمود سامى البارودى وإسماعيل صبرى . فدلته الموهبة عليهم ، وعدل من فوره إلى احتذائهم ، وانتهاج طريقهم فى تجويد الشعر باصطفاء اللفظ ، وإحكام الصياغة ، والاحتفال للمعانى ، وعدم استهلاكها فى سبيل البديع ، صنع أكثر من يقوم فى العصر من الشعراء .

ولقد كان فى صدر شبابه كلما قرض قصيدة أو نظم مقطوعة من الشعر عرضها على إسماعيل باشا صبرى ، وهو شاعر قد بلغ الغاية من دقة الذهن ، وكمال الذوق ، ورهافة الحس . فلا يزال يعالج معه ماعسى أن يقع من قلق فى اللفظ ، أو انحراف فى المعنى ، أو نشوز على مواقع الجمال . وتلك كانت سنة كثير من الشعراء من قديم الزمان .

وشوقى ، فوق هذا ، كان شديد الاكباب على قراءة الكتب

(١) لشوقى فى هذا الباب قصيدتان سائرتان ، عارض باحداهما البردة وبالاخرى الهمزية للبوصيرى عليه رحمة الله ، وله مدائح أخرى فى الرسول صلى الله عليه وسلم

بوجه عام ، وكتب الأدب على وجه خاص ، ودواوين الشعراء على وجه أخص . ومن أعظم من عنى بقراءة دواوينهم ، واستظهار أشعارهم ، وانتهاج طرائقهم ، ومباراتهم في منازعهم . أبو نواس ، وأبو تمام ، والبحترى ، والمتنبى . وقد نضح أربعتهم على شعره ، فكان أثر كل منهم فيه بينا . وإنك لتلمح فيه حلاوة أبى نواس ودقة وصفه ، وتصرفه في فنون الغزل ، وإشادته بمجالس اللهو ، وافتنانه في الخمريات (١) . كما تلمح فيه احتفال أبى تمام بالمعانى الرفيعة والارتصاد لاصابتها مهما جشمه ذلك من إعنات اللفظ وجلجلة الصياغة . ولقد تلمح فيه هلهلة البحترى ، وإحكام نسجه ، وبراعة نظمه . أما أثر المتنبى في شعره فقلما ترى من شيوع الحكمة والاكثار من ضرب المثل

ولا يذهب عنك أن هذا الكلام ليس معناه أن شوقى إنما هو مستعير منهم ومقلد لهم . بل الغرض أنه استظهر أشعارهم فاتصلت بذوقه ، وجرت في عرقه ، وخالطت طبعه فنضحت على قلبه . والواقع أنه إذا كانت أشعار هؤلاء الشعراء وغيرهم من العناصر التى دخلت على شاعرية شوقى وجلته في هذه الصورة ، فانه مما لاشك فيه أن للرجل شخصيته القوية الخاصة به ، والتى ينفرد بها عن سائر من عداه من الشعراء ، حتى إنك لو عرضت شعره على أهل البصيرة من نقدة الكلام لما ترددوا في نسبته له وإضافته اليه ، شأن غيره من فحول البيان . واعلم أن احتفال الشاعر للمعانى حتى ليقلق الألفاظ في سبيلها لا ينافى اجتهاده في بعض الأحايين لاحكام النسج وتجويد الصياغة . والشاهد على هذا ما نرى في شعر أبى تمام والبحترى كليهما .

ولا شك أيضاً في أن من العناصر التى دخلت على شعر شوقى فذهبت به هذا المذهب حذقه اللغة الفرنسية ، وسعة اطلاعه فيها على أدب الغرب ، وترويه عيون بلاغاته . ومن الحق أن يذكر له في هذا المقام ، أنه كثيراً ما مس من معانى القوم أو لمحها في شعره ، ومع هذا لقد جلاها عربية خالصة لاتنشز على الذوق العربى ، ولا يجد هو فيها ريح الاستعجام . وإذا ذكرنا أن شوقى من أوائل من ارتصدوا لهذا وعالجوه في العصر الحديث ، فجاء به عربيا خالصا في مثل هذا اليسر ، قدرنا مبلغ كفايته وتبريزه في فنون البيان .

كذلك من العوامل التى لها أثر واضح في شعر شوقى نشأته في بيت الملك ، ومقامه في بطانة الأمراء وظهارتهم ، ودخوله في أدق الأسباب السياسية في مصر ، سواء ما اتصل منها بالدولة المحتلة (انجلترا) أو بالدولة المتبوعة يومئذ (تركيا) .

وفي الغاية ، لا تنس أثر سياحاته الكثيرة في بلاد الغرب ، وفي بلاد الشرق القريب ، ومخالطته لأصناف الخلق ، ووقوفه على طباعهم وأخلاقهم ومأثور عاداتهم ، وما تجلى من صور الطبيعة في بلادهم ، وغير ذلك مما لا يتهيأ لكثير من الشعراء .

وبعد ، فمما لا يعتريه الريب أن شوقى يعد بحق ، من أعظم أقطاب الشعراء في العالم العربى كله ؛ بل إن بعض النقدة ليتخطى به القرون فيصله بأعلام الشعراء في أزكى عصور العربية وأنضرها بيانا

ولقد تصرف شوقى في كل فن ، وجال في كل غرض ، وأصاب من كل مطلب ، فبذ وبرع . وعارض متقدمى الشعراء ومتأخريهم فما قصر ولا تخلف . ولقد ظل جيلا ونصف جيل يرسل غالى الشعر ، ماوقع في البلد من حدث إلا جلجل بالقريض ، ولا كانت الجلى في رجا من أرجاء العالم إلا نظم ماتنقطع من دونه علائق الاقلام .

وهنا ينبغى أن يذكر له ولصاحبه حافظ ابراهيم ، عليهما رحمة الله ، أنهما من أوائل من بعثوا الشعر في الأغراض العامة ، وخاضوا به في المسائل الاجتماعية ، فأغنوا وأجدوا ، وأصبح أثرهم في هذا الباب ثابتاً على وجه الزمان .

ومن خصائص شوقى في شعره أنك قد تراه يمدح أو يرثى أو يتصرف في غير هذين الفنين من فنون القريض ، ولكنه لا يفتأ ينحرف عما هو بسبيله إلى ضرب مثل أو إجراء حكمة فيها كل النفع لو قد أخذ بها الناس .

وهو طويل النفس جداً حتى لقد يبلغ بالقصيد المائة ، وقد ينيف عليها في غير قلق ولا إسفاف . ولقد بلغت قصيدته (كبار الحوادث في وادى النيل) مائتين وتسعين بيتاً أكثرها من مصطفى الشعر ومتخير الكلام .

---

(١) اقرأ قصيدته التى أولها :

آذار أقبل قم بنا ياصاح   حى الربيع حديقة الأرواح

وكذلك التى أولها

حف كأسها الحبب   فهى فضة ذهب

ولِه مقطوعاتٌ شعرية يرجعها بعض حذاق المغنين اليوم(١) ومن شعره الذى لو تقدم به الزمان لكان حقيقاً بأن يتغنى به أمثال ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق قوله من قصيدة (لبنان):

دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل — فأتيت دون طريقه فزحمته
فازور غضباناً وأعرض نافرا — حال من الغيد الملاح عرفته
فصرفت تلعابى إلى أترابه — وزعمتهن لباتى فأغرته
فمشى إلى وليس أول جوذر — وقعت عليه حبائلى فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادنى — وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به على حرم الهدى — لابن البتول وللصلاة وهبته(٢)

وديوان شوقى رحمه الله يقع فى اربعة أجزاء، طبع منها اثنان. وله غيره فى الشعر كتاب (عظماء الاسلام)، وكشكول جامع لقصائد لم تنشر، وقصائد سهلة للأطفال والأغانى، وربما استغرق هذا الكشكول ثلاثة أجزاء. وله فى النثر كتاب (اسواق الذهب) جارى فيه الزمخشرى رحمه الله فى كتابه (أطواق الذهب). وله روايات شعرية وهى: على بك الكبير، وكليوبترا، ومجنون ليلى، وقمبيز، وعنترة. وله روايات أخرى نثرية منها: لادياس، وورقة الآس ومذكرات بنتاؤر، وأميرة الاندلس. ومن هذا تدرك مبلغ إنتاج الرجل وسخاء ذهنه من يوم نجم إلى أن أدركته الوفاة.

---

(١) راجع قصيدة (يا جارة الوادى)

(٢) ابن البتول هو السيد المسيح عليه السلام

من طرائف الشعر

الى الشتاء

للأستاذ محمود الخفيف

أيها الراحل العنيد وداعا — قد سئمناك من زمان بعيد
كم تظاهرت بالرحيل خداعا — فظننا خطاك تمضى تباعا
فاذا أنت مقبل من جديد!

طال شوقى الى الربيع فهيا — ياشتاء حويت كل عجيب
مذ تراأيت مكفهرا عتيا — تنذر الناس بكرة وعشيا
بضحى شاحب وليل كئيب!

حين أقبلت ياشتاء علينا — فى بنود من السحائب سود
جئت قبل الأوان تسعى الينا — وتوغلت فى الربوع لدينا
بين دمع الحيا وضحك الرعود

هازئاً بالغصون ألقت حلاها — وتعرت على امتداد الضفاف
ولَه الطير عريها فتراها — نازحات تغربت عن حماها
فى فروع الكروم والصفصاف

وترى كل جدول أو غدير — ناضب القاع بعد طول امتلاء
يشتكى الجدب فى زمان مطير — ويطيل السكوت بعد خرير
قبل القياك كان حلو الغناء

شبح أنت ياشتاء مخيف — ماثل الطيف دائما فى خيالى
قارس البرد زمهرير شفيف — عاصف أينما حللت عنيف
هيكل قد من سواد الليالى

لست أنساك حين لحت عشاء — فوق كوخ تناوبته الرياح
لم يجد ساكنوه منك وقاء — فتراهم أذلة أشقياء
ما دجا الليل أو تراءى الصباح

لست أنساك اذ تمثلت يوما — شبحا لاح فى زوايا الطريق

أورثته الحياة بؤسا وهما   شاحب الوجه زاده الجوع سقما
ناحل الجسم فى كساء عتيق

انت كالدهر قُلّبٌ كذوب   لا يروق العيون منك صفاء
هادىء تارة وطورا غضوب   يعقب البشر ان صحوت قطوب
مثلما يعقب النعيم شقاء

أيها المؤذنى بليل رهيب   وصباح مجلل بسواد
ونهار هامى الدموع كئيب   لست أقسى اساءة من حبيب
لج فى الصد بعد طول وداد

ياشتاء شيعته فى جفاء   لست أقسى من الجهول الظلوم
لست أقسى عداوة من مراء   أو جحود فؤاده من عداء
مشرب اللون من سواد الغيوم

الجندى القديم

للاستاذ فخرى ابو السعود

لقد كان يوما شديد الاياد   رشيق القوام نضير الصبا
يقضى مع الصحب ساع السرور   وينهب والغيد صفو الهوى
وتحلو أحاديثه للرفاق   إذا جمعتهم كؤوس الطلى
فنبهه ذات يوم نداءٌ   إلى الحرب يدعو فلبى الندا
ليحمى أوطانه فى الحماة   ويدرأ كيد عدوٍّ طغى
ويدفع عن أرضه فهى كهف   الحضارة طرا ومأوى العلا
ويقتحم الموت من أجلها   ويلقى الحديد ويصلى اللظى
ويأخذ بين الصفوف مكان   الألى طحنتهم تروس الرحى
فقاسى أذاها وأهوالها   ودافع ما شاء أو لم يشا
وصادف فى كل يوم حماما   وذاق من الخوف ألفى ردى
فاذ كادت الحرب أن تنجلى   ويطرح الجند ذاك العنا
وآن له أن يعود قريرا   لأوطانه بعد طول النوى
أتيح له قاذفٌ فرماه   بمارج نار إليه هوى
فطاح بساق له بعد ما   تراءى قريباً بعيد المنى
ولم يدر ثمت من ذا رماه   ولم يدر واترهُ من رمى
وأىَّ فؤاد دهى فأثار   به الحسرات طوال المدى
وما اجتمعا قبلها فى مكان   ولا التقيا بعد ذاك اللقا
ولكنها محن ثمَّ تهوى   على خائضيها هوىّ القضا
فآب بساق إلى قومه   وقد غيبت أختها فى الثرى
فقلده الحاكمون وساما   وأثنوا عليه جزيل الثنا
وقالوا افتدى وطناً غاليا   بعضو ثمين فنعم الفِدى
وأجروا عليه الكفاف جزاء   على ما سعى وعلى ما جنى
وعاد إلى داره مفردا   يقضى الحياة إلى المنتهى
ذوى عوده وانحنى رأسه   وجلل فوديه شيبٌ بدا
بجانب موقده يصطلى   بياض النهار وشطر الدجى
وحيداً أبا الصحب عنه اشتغال   بروم الصفاء ونشد الغنى
يدخن مسترسلا فى الخيال   ومستغرقا فى قديم الرؤى
ويذكر وسط دخان الطباق
دخان الحروب ونار الوغى
وكيف ألمت به الغاشيات   فخاض دجاها وكان الفتى
وكم كرَّ بين صفوف العدوّ   فأوقع فى القوم ثم انثنى
ويروى وقائعه الرائعات   لأىٍّ أصاب وأىٍّ رأى
ويسردهن عليه مراراً   وهيهات يسأم مما روى
ويسردهن على نفسه   اذا هو لم يلق سمعا وعى
فان راح يبغى الرياضة يوماً   ويبعث بالسير ميت القوى
فصاحبه كلبه فى المسير   وعكازتاه بحيث مضى

آذار أمي

للأستاذ زكي المحاسني

أستاذ الآداب العربية بتجهيزية دمشق ودار المعلمين

الورد لاوردي ولازهري ... زهر الربيع الفائح النشر
غنيت والاحزان مائجة ... تهتاج مثل البحر في صدري
اهل الهوى قاموا لنزهتهم ... دوني وهم يدرون ماعذري
وأتيت مهدوماً منهنهة ... عيني بكاً ودنوت من قبر
فنثرت آساً فوقه وهمى ... دمعي على أوراقه الخضر
أمي بهذا القبر هادئة ... وأنا فجعت بها على الدهر
مثلت آذاراً لانعتيه ... بالشعر فاستعصى على الشعر
فوصفته بالوهم أحسبه ... معنى أدق كلمعة الفكر
ناجيت فيه الريح صافرة ... والغصن منعطفاً على النهر
ورأيت في غلوائه أسفاً ... كم يزهد الانسان أو يغري
وأصخت للاطيار فاندفعت ... كفي على قارورة الخمر
أسكرت آلامي لأسكنها ... ياليت لا تصحو من السكر
شرخ الشباب حملت رائقه ... وغداً يسير بمهيع العمر
هو مثل آذار على سفر ... لكن بلا عود من السفر
آذار سر الحب في يده ... أفضى به في مطلع الزهر

حب جديد

قفوا دون هذا الحب لاتتركوا له ... سبيلا الى نفسي فاني مغلق
فقد أوصدت قلبي هموم تجمعت ... على دورة الايام لا تتفرق
رأيت الهوى يسعى بوجه مخادع ... ويلق شباكا على أتعلق
يلوح باللذات تلويح غادر ... وما أعجب اللذات: تسقي وتحرق!
ففيها حياة عذبة، ثم مرة ... مقيدة يوما وفي الغد تطلق
ويرقص فيها الموت رقصا مروعا ... وينهل منها الخير، والشر يورق
يطل عليها الشعر بالوحي من عل ... ويرتع فيها الفحش يشدو وينعق
ويحني لها الدهر المراوغ هامه ... وفي مقلتيه بسمة تتألق
ملكت جناني مرة بعد مرة ... فكنت شبابي تستبيح وتسحق
ولم الق الا ذلة ومهانة ... ولم تك تصغي للشكاة وتشفق
فدعني الى من لم يكابدك عمره ... فلن يفتن التجريب حسن مزوق

باريس ... حسين عارف

قلبي!

كان كالخيمة في أعلى الجبل ... كل ريح بالهوى مرت عليها
واذا هبت لها ريح الأمل ... مرة لم تنعطف يوما إليها

وأنا في جوفها أقضي الحياة ... حائرا ما بين يأس ورجاء
كلما افترت من الريح شفاه ... خفت أن يقضي علينا بالفناء

وانقضى في خيمتي عهد الصبي ... ناعما بين أمان ووعود
تتهادى فوقها ريح الصبا ... في حنان مثل أنفاس الوليد

كلما مرت بها تلك الرياح ... قبلتها قبلة الأم الحنون
فترى كالطير يهفو بالجناح ... بعض حين ثم يغشاها السكون

قلت يابشراي لو مر الشباب ... مثلما مر الصبي حلو المصير
فاذا أيامه بحر عباب ... ثائر اللجة مرهوب العبور!

وأتى في عهده يوم عصيب ... كالح الوجه كاشباح الكهوف
طالع الناس بانذار رهيب ... فقضوه هربا تحت السقوف

وأنا في خيمتي نهب الشجن ... قلق الاحشاء كالطير الذبيح
مرغم! مالي سواها من سكن ... تفزع النفس له أو تستريح

وجميع الكون حولي مغرق ... في سكون ليس يدري شاطئيه
وظلام الكون جهم مطبق ... عمي الناظر فيه عن يديه

واذا ريح على البعد تثور ... في جنون يملأ الجو دويا
ألهبت قلبي بسوط كالسعير ... ثم ألقته أباديد عليا

ويح للقلب الذي كان صبيا ... يستقي في الحب كأس الأمل
خانه الحب فأرداه قتيا ... ليت شعري من ترى يحييه لي؟

فريد عين شوكه

الشاعر نوفاليس

١٧٧٢ — ١٨٠١

للاستاذ خليل هنداوى

غالى قوم فى نعتهم (نوفاليس) بنبى المدرسة الرومانتيكية الألمانية ، وقد كان لنوفاليس تأثير واضح فى تشييد دعائم هذه المدرسة فى عصر كان الأدب الألمانى فيه حائراً تتهاداه السبل ، وتتقاذفه الشكوك . ولكن هذا التأثير لا يجعل من نوفاليس نبياً قدسى الآيات ، ولعله كاد أن يكون نبياً وفوق النبى لهذه المدرسة ؛ لو لم يقتطف الموت زهرة صباه عاجلا قبيل أن تتفتق ؛ ولكن قلبه النضير ؛ قلبه الشاب استطاع ان يسبح فى عوالم الشعر . ويعود — بعد طوافه — غنياً بما جمع والتقط وكثير ما هم النبغاء الذين تنبغ قلوبهم قبل ان تنبغ اعمارهم . ويفيض عبيرهم قبل أن تتفتح ازهارهم ؛ ويمضون سراعاً وهم فى مقتبل العمر ، وقد تركوا وراءهم دويا لا ينسى ابد الدهر ، شأن شيللى وكيتس ونوفاليس . لكل نابغة — فى مقتبل عمره — مثال من النوابغ المعجب بهم ، يتأثر به ويتشبع له ويترسم خطواته . وكان (شيلر) مثـــل (نوفاليس) الأسمى ، كان مثله فى البراعة والعظمة والكمال . وشيللر هو الذي احيا فى نفسه هذه الميول ، ودفع به الى الحياة الشعرية ؛ خبت فى نفسه هذه الميول ؛ ثم مالبثت ان هبت ثانية على أثر مطالعته كتب (ويلهلم مستر) وعكوفه على هذه الكتب يتلوها تلاوة وجد وهيام ، فطبعت فى نفسه لحنا رومانتيكيا وولدت عنده حقائق عميقة محاطة بالرموز ، ولكن هذه الميول ظلت هامدة ساكنة لا يقوي شيء على إظهارها ؛ حتى عرضت لعينيه غادة أحلامه متمثلة فى (صوفيا الصغيرة) التى لا تتجاوز الاثنى عشر ربيعا . فخطبها فكان له ذلك ، ولكن القدر كان قاسيا ، فانتاب الفتاة داء لم يمهلها الا قليلا ، فتيقظت ميوله واهتاجت عواطفه ، وبكاها ما شاء له البكاء ، ينظم فيها الشعر ويجعلها مثله الأعلى فى الوجود . ويعتقد أنها حية فى نفسه لم ينهها موت ، وانما الميت هو نفسه ، وأنها سبقته إلى ذلك العالم تدعوه اليها . فيسأل : « هل فى استطاعة الارادة البشرية التى تحول وتبدل ماتشاء فى هذا العالم ان تجوز أبواب الأبدية ؟ . .

ويقول : « أود ان أموت ، لا موت ذلك الكائن البالى الذى عافته الطبيعة ، أود ان أموت كالعصفور المتنقل الذى يسعى وراء أقطار جديدة ، او ان اموت فرحا كالشعر الفنى » وبهذه العاطفة التى تجعل تشاؤمه مضيئا كتب (أغانيه لليل) بأسلوب شعرى منثور ، لم ينقصه الوزن شيئا من روعة معانيه ؛ ولم يضع نثره من العاطفة الشعرية . يغلب على أغانيه شيء من الطرب القاتم ؛ يناضل به صاحبه الشقاء . هذا هو الطرب الذى خفف من شقائه ؛ وهذه هى القوة التى كانت تزين له الاحلام وتنقله من حياته هذه الى حياة اكثر سعادة وأحسن أملا .

أراد (نوفاليس) أن يطرق عالم الفلسفة فغلب عليه خياله ، وتبدو فى كتابه (الاغانى) و (الدفتر اليومى) فكرته التى تدور حولها فلسفته ، وهذه الفكرة يريد من ورائها ان يفرض سلطة الروح بدون واسطة على المادة وعلى الاشياء ، كما هو الحال فى العلم الذى يسيطر عليها ، وهذه الفكرة هى (علم السحر) ويعتقد ان ازاء فن المنطق الذى يعتمد على الاقيسة العقلية والبراهين الفكرية فنا هو أسمى منه ، يدعوه (عالم الوهم) وهذا الفن هو ان نعرف كيف نستنتج بصورة نفسية فنا نعمل به على تحقيق أحلامنا وأوهامنا ؛ وغير مغنيك شيئا ان تسأل (نوفاليس) عما ينتج من هذا الفن من فائدة ، فانه يطلب اليك ازاء الحاحك الكثير ان تغادره سعيداً فى أقطار أوهامه وأخيلته ، وهذا المعتقد الفلسفى قد أثر تأثيراً واضحا فى روحه الشعرية ، وما كانت هذه الروح الا اثراً من آثار هذا المعتقد الذى يشيع فى كل جوانب نفسه ، فيحس فى نفسه ميولا عميقة لا تقل غموضا عن جوهرنا الذاتى ؛ لا أسماء لها ولا القبض عليها بمستطاع ، فيوجب على الشعر أن يوقظ فينا مثل هذه الميول ، لأن الشعر هو لسان باطنى ؛ وتعبير تحدث به النفس ذاتها ؛ وعليها أن تنفر كثيرا من الصيغ الواضحة كل الوضوح لأن كل وضوح وكل حد تحمل عليه النفس يحدد آفاق النفس التى يجب الا تحد .

الموسيقى هى الفن الأول ، والشعر هو أولى الفنون كلها بالتقرب من فن العزف والضرب على الاوتار ، وكما أن الشعر يهتك الاستار ويهبط علينا بالاسرار ، فالموسيقى تحمل الينا معانى الطبيعة الخفية المستورة وتعبر لنا عن نفس الطبيعة ؛ ونفس الطبيعة عنده هى الشيء الغريب ؛ والشاعر هو الذى يعطل فينا ملاحظتنا العادية

(استدراك) فاتنا أن ننبه إلى أن قصيدة « جنة » وقصيدة « عالم النسيان » وقصيدة « الغابة المفجوعة » المنشورين فى العدد ٣٤ تحت عنوان : صور من الشعر الرمزى ، هى من وضع الاستاذ الهنداوى لا من ترجمته

للاشياء ، ويرينا الخليقة كما تبدو للانظار في الوهلة الاولى ؛ هو يعجبنا ويذهلنا وهو بعد ذلك غيد لبيب مترنم.

هذا هو مذهب (نوفاليس) في الشعر أعلنه يوم كانت المدرسة الرومانتيكية في بدء عهدها . وعده بعض انصار هذه المدرسة نبياً للمدرسة ؛ على أن هذا المذهب الذي جاء به لوحلله الناقد وعمل على مقارنته بالمذهب الرمزي لرأى أنه أدنى الى الرمز منه الى المذهب الرومانتيكي ؛ لأن صاحبه رمزي وأكثر تمسكا بالرموز من أصحابها بها . ولكن ذلك الجيل كان يجهل بواعث الرموز ؛ وفلسفة ذلك الجيل لم تصل الى تقرير المشاعر الباطنية في النفس تقريراً علميا . فلم ير ذلك الجيل الا أن يحشره مع المدرسة الرومانتيكية ، وإن لم يكن منها .

أليس نوفاليس هو الذي يعلن أن هناك ميولا خفية لا تسمى هي ما يجب على الشاعر ان يوقظها ويخرجها بلغة لا يفسدها الوضوح ، وهذا المذهب نفسه هو الذي آلى (الرمزيون) على انفسهم ان يظهروه . وجعلوا أصحابه أصحاب مدرسة جديدة في الشعر . ولم ينس نوفاليس تأثير الموسيقى في الشعر ؛ فأوجب على الشاعر أن يكون نظمه وإيقاعه للألفاظ ايقاعا موسيقيا ، لأن الموسيقى لغة النفس

ولكن تلك الفاجعة التي نزلت به في مطلع صباه ، جعلت منه شاعرا متألما يتغنى بألمه ، ويأبى أن يظهر والألم غالب عليه فيضحك للألم ويطرب للشقاء ، ويرشف دموعه ناعما كما يرشف الطائر الظمآن دماءه ؛ وفي هذه المجالى تسمع نفسه تشكو وصدره يزفر ؛ وترى عينيه محدقتين في العالم الموهوم الذي تصوره وشاء أن يسكنه

روح (نوفاليس) الرومانتيكية تبدو في رواياته التي كتبها لنفسه ، لأنه لم يستطع أن يدخل إلى العالم ويعاشر سكانه ويعرف أهواءهم ، لأنه شاعر غني يريد أن يوزع ما لديه بعد أن ضاقت جوانب نفسه بكنوزها ، هو لا يأخذ ولكنه يعطي . وهكذا نري (نوفاليس) شاعرا في رواياته ؛ شأنه أن يجود وأن يعطي . .

وضح مذهبه الشعري جليا في روايته (هنري دوفتر ينجين) التي جاءت ناطقة عن نفسه . نوفاليس الذي فقد (صوفيا) وهام بعدها هيام الجنون ، قد وجدها مرة ثانية حية في (جوليا) فأحب هذه وكأنه يحب صوفيا ، وخطبها كأنه يخطب صوفيا فأطفأ هذا الحب الجديد كل ما لقي من كآبة وسأم . وأخذ يستقبل الحياة بقلب يخفق مرحا . ويشيع عهده الأول ليدخل في عهد ثان طافح بالأمل والرجاء .

بدأ يكتب روايته هذه ؛ ولكن القدر لم يشأله أن يكملها . فالف جزأها الأول ، وترك بعده مقطوعات منثورة قد تتم معنى روايته وتظهر الغاية التي سلك اليها . يبدأ جزؤها الأول بحلم وينتهي بقصة ، وكلا الحلم والقصة جزءان متلائمان منتظمان يعبران عن نفسية البطل (وبطل القصة) خلق شاعراً ، ونشأ تحت رعاية والديه ؛ يقضي وقته متأملا متنقلا في مروج الخيال . دون أن تحول حوائل بينه وبين مايصبو اليه .

رأى في حلمه الزهرة الزرقاء ، وهي مثل حياته الأعلى ، ورأى انه اذا أراد لنفسه ، فمن الواجب عليه أن يهجر وطنه ، ويسيح في أقطار الارض وبقاع العالم . فأطاع هذا الهاتف النفساني ، وسار في الارض يتأمل في أقطار تقع عليها عيناه . وفي طريقه التقى بالساحر الشاعر (. . .) وهو الذي القى عليه بعض فصول ممتعة في الفن ، وأفهمه مخاطر الهيام ، وأدلى اليه بفائدة التأمل والتمحيص . وكان لهذا الشاعر الساحر ابنة جميلة ، ما أن وقع عليها نظر هذا الهائم حتى جن بها ، واعتقد أنها هي (الزهرة الزرقاء) التي وجدها في حلمه . فشغف بها شغفا شديداً ، ولكن المنية داهمتها فقضت نحبها — وهذه الجميلة لم تكن الا (صوفيا) محبوبة نوفاليس الأولى — ثم واصل الشاعر الفتى سياحاته في الارض ، مازاده موتها الا كلفا وهياما .

ثم تأتي أجزاء الرواية المنثورة فنفهم منها أن البطل سيعرج على ايطاليا ويعرج على اليونان ، ثم يسيح في بلاد المشرق ، ثم يجتمع بالشاعر الساحر ؛ فتقوم — هنالك — مجادلة شعرية فنية ثم يتعرف الشاعر الفتى الى فتاة تمثل (الزهرة الزرقاء) وتحل محل الأولى — وهذه الجميلة الثانية هي (جوليا) محبوبة نوفاليس الثانية . — فتجدد له حياة زاهية الألوان . وتبني له من الارض الغبراء سماء ساطعة الأضواء . فيرى الشاعر في وجهها وجه الأولى ، وهما متحدان مقترنان في وجه واحد وسام كامل ، وهكذا تنتهي سياحة الشاعر .

والشاعر بعد أن ساح في أقطار الارض ، وبعد أن تعرف الى صور كل شيء ، لم يبق له وراء ذلك الا أن يطوي نفسه ، ويدخل الى عالم نفسه — كما يقول نوفاليس في إحدى مقطوعاته — « الا إن كل شيء يقودني الى نفسي ! » ، وهذه هي الفكرة التي بنى عليها نوفاليس روايته .

فالرواية لا تتخذ لها أجواء الا أجواء النفس ، وهي ضعيفة بحقيقتها واسعة بخيالها ، تمتزج مع خيال الشاعر ولا تلائم حقيقة

الفيلسوف . قد اجتمع فيها كل آلام الشاعر وآماله ، وكل ما اعتقد ويعتقد من قواعد في الشعر والفن – وهذه الرواية هي أدنى الى القصيدة الشعرية منها الى القصة التي تعتمد على الألوان الخارجية .

وهي قصيدة طويلة عميقة الخيال ، بعيدة الغور ، تصل الى أعماق الباطن والنفس ، يظهر فيها نوفاليس الشاعر وراء الشخصية المبهمة التي تلبس بها . تلك الشخصية التي تستفزها الاحلام وتهيجها الآمال وتفهم الجمال الكلي الذي لا يموت بموت الملاح .

روح وادعة تنظر الى الوجود بعين الأمل والرضا ، يريد صاحبها أن يحمل شقاءه كصديق ، ولا يريد أن يوليه مملكة قلبه وعقله كالغالب يعيث فيها فساداً . لأنه يرى نفسه مرتاحة بهذا البزر من الشقاء . قال عنه (فردريك شيلجل) « وكان لا يجد أثراً للسوء والشر في الوجود ، وكان يعتقد أن كل شيء يستعد ليدخل في حياة ذهبية » ونوفاليس يقول عن نفسه « ان الطبيعة حبتني هذه النعمة ، نعمة النظر الى سمائها ولألائها بعين المرح والسرور » وهذه الكلمة تبدى لنا احساس (نوفاليس) العميق في الطبيعة ، وتفهمه لدقائق أشيائها . هو احساس لا تغلب عليه العاطفة الهوجاء . ولا تصدمه الحقيقة السائدة في الوجود ، وكيف تريد ان تقيد أو تحدد إحساسه وهو الذي آمن بالاحلام ليستطيع أن يكيف الطبيعة كما تبتغي احلامه . وهو يبغي ان يحيا في الطبيعة كما يريد لا كما تريد هي . . ! ولكن هذا المرح لم يكن مرحا هائجا ثائراً ، بل كان مرحا ساكنا هادئا ، يتمشى بين ثناياه ألم عميق إذا تعمق الناقد في باطنه تبينت له تلك السحابة القاتمة ، وتلك الظلمة الفاحمة . وقد تكون سحابة قاتمة لكنها موشاة بألوان الشفق الوردي : يبدو احمرارها للعين ويتوارى سوادها . وقد تكون ظلمة فاحمة ولكن أشعة قمر مستور يغمرها بشعاع باهت ينيرها ولكن لا يظهرها .

هذا هو (نوفاليس) الذي غادر الوجود ولما يبلغ التاسعة والعشرين ، قد غالى قوم في تقديسه حتى نعتوه (بنبي المدرسة الرومانتيكية) . وغالى قوم في بخسهم قيمته ، فقالوا ان فنه هو مجموعة أحلام صبيانية . والناقد الحق هو الذي لا يغالي في الأمرين . ينظر الى الأولين فيدرك أنهم أرادوا لو انفسح عمر الشاعر لكان منه ذلك النبي المزعوم . وينظر الى الآخرين فيدرك أن مقاييسهم كانت قاسية ، تريد من الشعر ما لا يريد الشعر من نفسه ، فيقف بينهما موقفا وسطا ويقول : كان نوفاليس شاعراً تلاه ناس ، وسوف يتلوه ناس ، لانه كان شاعر النفس والعاطفة العميقة والاحلام والرموز ؟

الى الاستاذ زكي نجيب محمود

آخذ الرسالة بيدي ، وأفتح عيني على أسماء كتابها ، فأفرح كلما وقعت على اسم قام بيني وبينه شيء من التفاهم الروحي ، وهذا التفاهم هو الذي يدفعني — في كل رسالة — الى النظر لهذا الاسم ، والتحري عنه بين الأسماء . فاذا لم أجده غلب على نفسي شيء من المرارة ، لأنني أحببت هذا الاسم وأحب أن أراه في كل رسالة .

بين هذه الأسماء — اسم الاستاذ زكي نجيب محمود — الذي خص الرسالة بصفحات لامعة من تاريخ الفلسفة الفكرية ، وقرب كثيرا من ابعادها ، وحلل كثيراً من مذاهب أصحابها . وهذه المقالات سدت فراغا كبيراً في الأدب العربي ، وعرفت أهله بأقطاب الفلسفة الغربية بصور واضحة بليغة ، هي أوجز ما تكون سطوراً ، وأملأ ما تكون أفكاراً .

هذا الاسم أطرب له ، وأهفو اليه كلما وقعت عليه ، ويستولى علي شيء من الخيبة اذا لم أجده بين الأسماء . لأنه أصبح عزيزاً علي ، لا أريد ان يغيب عني ، مهما كانت عوامل هذا الغياب .

انني أعجبت — بمقالاته الفلسفية — كما أعجب بها كثيرون ، وقد رأيت ان هذه المقالات قد تكون أكثر فائدة لو كان يربط ما بينها وحدة متماسكة مترابطة ، وأريد من وراء ذلك ان يدرس الكاتب العصور الفلسفية دراسة تنتظم فيها دراسة الاشخاص والافكار والايام والعصور — ادبية كانت او فلسفية — لها تأثيرها في الاشخاص كما لها تأثيرها في المذاهب ، وخير حل لهذه النقطة — والامر امر الكاتب — ان يبدأ بدرس الحركة الفلسفية من بدء نهضتها وثورتها ويأتي على أصحابها ويصف تأثيرهم وتأثير مذاهبهم في التطور الفكري ، مع شيء من المقارنة بين المذاهب المتباينة ، ومثل هذا الدرس يجعل — للمقالات — وحدة يفتقر اليها من ود ان يقف وقوفاً تاماً على تطور الحركة الفلسفية عند الغربيين ، وهذه الوحدة هي لازمة — في اعتقادي — وقد تكون ألزم من الوحدة في الأدب لان الادب الحاضر يستطيع ان يحيا اذا قطع كل اواصره مع الادب القديم ، ولكن الفلسفة — ومسائلها الحاضرة هي ذات مسائلها الماضية — يخطىء من يريد ان يتفهم تطورها الحديث قبل ان يقف على تطورها القديم .



ملاءمة الكائنات الحية لبيئاتها

للاستاذ احمد عبد اللطيف النيال

مدرس النبات بكلية العلوم

تختلف الحيوانات والنباتات بالنسبة لبعضها اختلافا عظيما حسب المناطق والأجواء التي تعودت الحياة فيها. فكل كائن نشأ في بقعة اعتاد هو وأسلافه عليها وتدرع لها بخواص تكفل له المعيشة في تلك البقعة على أصلح حال ممكنة

يعتقد أغلب العلماء الطبيعيين أن الكائنات الحية جميعها نشأت من اصل واحد وفي بيئة واحدة هي الماء.. هذا الكائن الأولى يسهل عليه تهيئة نفسه للمعيشة في أي وسط يوجد فيه. تكاثر هذا الكائن ولما أن ضاقت به بيئته نزح إلى غيرها طلبا للمعيشة والغذاء. فلكي ينجح وينمو ويتكاثر لابد له أن يتأهب ويحور نفسه بطرق توافق بيئته الجديدة. استمر هذا الانتقال تدريجيا أعني من وسط مائي صرف (ويغلب أن يكون ذلك الوسط بحراً) الى نصف مائي ثم الى أرضي، ومن هذا الى المياه العذبة والى الهواء. ومن المحقق أن هذا الانتقال قد تدرج على كر العصور والاحقاب في ملايين السنين. وفي أثناء هذا الصراع في سبيل الحياة كانت تنقرض هذه الكائنات التي جمدت أمام بيئتها الجديدة، وعجزت عن الملاءمة بين تركيبها وما يحيط بها — على حين نجح غيرها تدريجيا، وتشعبت أفرعه التي انتشرت في انحاء المعمورة، وباين بعضها بعضا تباينا عظيما وفقدت كل شبه لأصلها ولأقاربها — ويمكن تقدير مدى نجاح الكائن الحي وسعة انتشاره بقدرته على الملاءمة بينه وبين الوسط الذي يحتويه.

وقد اجتهد النبات في تكوين غذائه بنفسه واتخذ الأرض أصلا ثبت فيها والهواء وسطا تفرع فيه. ولكي يقوم بكل عمليات الحياة ولوازمها اختص كل جزء منـــه للقيام بوظيفة خاصة. اذ ضربت جذوره في الأرض لمسافات مختلفة وارتفع ساقه في الهواء لحمل أفرعه حيث تنوعت كذلك لحمل الأوراق التي تفرطحت وتركزت فيها مادته الخضرية لتمكنه من الحصول على أكثر كمية مناسبة من الأشعة الضوئية ومن الغازات الجوية. ولكي يقوى على حمل ذلك الحجم العظيم تكون له هيكل داخلي (الخشب) ليحفظ قوامه من فعل الرياح

أما الحيوان فقد سلك طريقا آخر لم يجتهد في تحوير نفسه لتكوين غذائه (ولربما أجتهد ولم يفلح) ولكنه طمح إلى أخذه قهراً ممن هو قادر على تكوينه وهو النبات فتركز جسمه ليشغل حجما صغيرا يمكنه من الوصول إلى غايته وتحورت أجزاؤه إلى أعضاء للحركة تمكنه من الانتقال من مكان الى آخر. وتناسبت أعضاؤه الداخلية لـــكل هـذه التحورات حتى تقوم بأصلح مايمكنها القيام به

وتحورات النبات عديدة جدا شملت كل عضو من أعضائه ولكني سأقتصر على ذكر أهمها بالإجمال

نشاهد النباتات التي تعيش على الأرض تختلف عن مثيلتها التي تعيش في الماء، ونسمي الأولى أرضية والثانية مائيـــة، والنباتات الأرضية تختلف باختلاف أنواع الأراضي التي تنبت فيها، فمن صحراوية إلى صخرية إلى تلك التي تنبت في أرض خصبة. ثم إن

وهنالك — العدوى الفلسفية — وهي اشد سرياناً في الفلسفة منها في الادب، فان جل البارزين واللامعين في العصر الحاضر اذا حككت مذاهبهم قليلا رأيت فيها كثيرا من مذاهب اساتذتهم اللامعين — في العصر الماضي — فمثل هذه القربى يجب ان تظهر وان تحلل، لأن قرابة الفلسفة قرابة جامعة بين الفلاسفة هي أشمل من قرابة الادب بين الادباء.

هذه كلمة يتقبلها الاستاذ الاديب ممن لايحمل له الا المحبة والاخلاص

دير الزور　　　　خليل هنداوي

نباتات المناطق الحارة تختلف عن نباتات المناطق المعتدلة

فنباتات الصحراء مثلا كونت لها جذوراً امتدت امتداداً عظيما حتى يمكنها أن تجمع ما يلزمها من الماء والغذاء وضمرت أفرعها وأوراقها لتقتصد بقدر الامكان ما تفقده من الاسراف في ماء التنح Transpiran ولقد تخص بعض النباتات الصحراوية بشكل آخر إذ تكون له مخازن مائية يملؤها وقت الكثرة ليتصرف فيها حين الضرورة والقلة ، وعلى العكس من ذلك تحورت النباتات المائية لأنها محاطة بغذائها فاضمحلت جذورها لعدم الحاجة إليها وتكاثرت أفرعها على قدر غذائها ، وتوسطت بين هذين — النباتات التي تعيش في الاراضي الخصبة إذ تناسبت أجزاؤها امتداداً وتفرعاً

أما تأثير الأجواء فله أهمية عظمى في تكييف النبات جملة وأعضائه خاصة . ولقد كان انقلاب الجو وتغيره في الازمان الغابرة سببا من أسباب انقراض الكثير من النبات كما كان سببا في تكاثر بعضها الآخر

سلك الحيوان مسلك النبات وتبعه أينما حل وانتشر في مختلف البقاع وتكيف حسب بيئته . وأهم أعضائه التي تأثرت أعضاء التنفس والحركة . فأعضاء التنفس يمكننا القول إجمالا أنها اتخذت نوعين رئيسيين لبيئتين متباينتين هما : الماء والهواء ، فالحيوانات التي تعيش في الماء كالأسماك تتنفس بواسطة الخياشيم التي تستخرج غاز التنفس من الماء . والتي تعيش على الارض أو في الهواء تتنفس بواسطة الرئة ، والحيوانات البرمائية كالضفادع جمعت بين هذين العضوين (الخياشيم والرئة) فتستعمل الخياشيم في أطوارها الأولى والرئة بقية حياتها

أما أعضاء الحركة فقد تحورت كذلك حسب حاجة الحيوان ، فما عاش في الماء تفرطحت أرجله فصارت كالزعانف يستعملها للسباحة ولموازنة جسمه ، وتفرطح ذيله كذلك ليستعمله دفة لحركته كالأسماك والحوت . ومن الحيوانات التي عاشت على سطح الارض ما تعود الجرى فاستطالت أقدامه وقويت عضلاتها . ومنها ما كانت طبيعته الوثب فتستطيل خلفيتاه فقط . وما اعتاد الحفر قويت أماميتاه ، والحيوانات التي عاشت وسط الأشجار كالقردة استطالت أيديها لتتمكن بذلك من الانتقال من فرع الى آخر بسهولة وسرعة .

أما ما اتخذ الهواء وسطاً لسيره فتكونت له أجنحة تحمله في ذلك الوسط . وقد اختلفت الأجنحة حسب قوة طيران الحيوان ، فأحسنها أجنحة الطيور ثم الوطاويط ثم القوارض الطيارة وأمثالها التي تطير مسافات قصيرة ، وأقلها الأسماك الطيارة

ولذلك تغير شكل الحيوان الخارجي وتركيبه الداخلي . فالأسماك وأمثالها اتخذت شكلا مستطيلا مدببا وتكونت لها مخازن هوائية داخل جسمها تغير حجمها كيف شاءت فترتفع وتنخفض في الماء حسب رغبتها . والحوت تكون في رأسه تجويف عظيم مملوء بالزيت زيادة على تكوين مادة دهنية تحت جلده . هذه المواد الزيتية والدهنية أقل كثافة من الماء فتساعد على تقليل الثقل النوعي للحيوان

والطيور وأمثالها تحورت نحو تقليل وزنها بتكوين أكياس هوائية كثيرة تخللت كل جزء من جسمها حتى عظامها زيادة على الريش والزغب ومحو الأسنان وتقليل الزوائد وتكييف الشكل الخارجي العام بطريقة مناسبة

يظهر مما تقدم كيف اتخذت الكائنات أشكالا عديدة تضمن لها النمو والتكاثر في الوسط الذي وجدت به ، ولكن اذا لاءم الكائن بيئته لدرجة الكمال كان ذلك سببا من أسباب انقراضه وتلاشيه اذا حدث تغير عم البيئة التي يعيش فيها ككثير من الزواحف الجسيمة المنقرضة وغيرها . ولقد كان الفيل في العصور الماضية يقطن سيبريا وشمال الروسيا حينما كانت تلك البقاع دافئة فلما انخفضت حرارتها نزح الى أسفل نحو خط الإستواء حتى وصل الآن الى تلك المنطقة في بقعتين فقط هما : الهند ووسط أفريقيا ، وامحى بتاتا من كل البقاع التي مر بها تاركا آثاره ومعالمه ، وقد ثبت ذلك بصفة قاطعة : فقد وجدت آثاره في مصر (بالفيوم) وفي سيبريا حيث يستخرج منها سن الفيل المنقرض ويستعمل في أغراض صناعية

وهناك حيوانات ذات قدرة على المعيشة في مختلف البيئات كالفأر والعصفور الصغير فانهما منتشران الآن في جميع أنحاء العالم ، مثلهما مثل الكائنات التي قاومت الانقلابات الجيلجية في العصور الماضية فعاشت وأنتجت كائنات الاجيال التالية ، وقد حدث في بعض جزر المحيط الهندي والهادي أن انتابها براكين دمرت ما عليها من حيوان ونبات ماعدا القليل الذي أصبح أصلا نتجت منه الأجيال التي تكاثرت بتلك البقاع بعد ذلك

واذا جف البحر في منطقة ما ، انقرضت الكائنات التي تعيش فيها ، فمناجم الزيوت والأسمدة التي بمصر على ساحل البحر الأحمر كانت مغطاة بالمياه ثم جفت فماتت حيواناتها وتراكمت وتغطت بطبقات أرضية وتحللت أجسامها وتكونت منها الزيوت والاسمدة المختلفة

(البقيـــة على صفحة ٤٧٢)

أعظم الأفلام المصرية الناطقـــة

هى

الآتيـــــــــــــــــة

تحفـــــــــة قيمـــة نادرة لمصر

تقـــــــــدمها

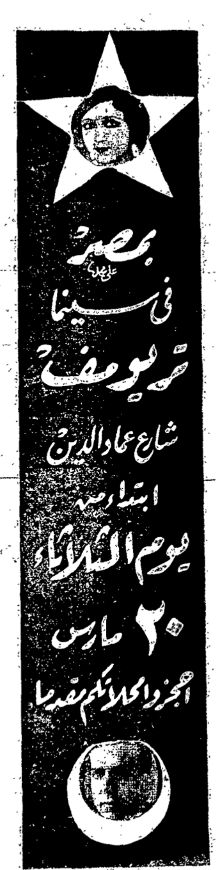
شركة فنــــــــــا

حيث تقوم بالدور الأول

بهيجة

بالاشتراك مع . زينب

كل يوم ثلاث حفلات
يوما الأحد والجمعة
حيث يرى الجمهور المصرى والشعب
النادرة التى تتجلى فيهـــــا



الموسيقية موضوعا واخراجا وتصويرا

رواية

ـــــــام

والشرق فى هـــــذا الموسم

لــــــكم

ر فيـــــــلم

أســـطع النجوم المصرية

حافظ

صـــــدقى . زكى رستم

٣،١٥ — ٦،٣٠ — ٩،٣٠

حفلة صباحية الساعه ١٠،٣٠

السكندرى فى وقت واحـــد تلك التحفة

عظمة التمثيل والاخراج

بالاسكندرية

فى سينما

الكوزموجراف

شارع الجنرال ايرل

ابتداء من

يوم الخميس

٢٢ مارس

احجزوا محلاتكم مقدما

القصص

ليلة ضائعة

مسرحية ذات فصل واحد

تأليف شارل كاسيرك

ترجمة فتوح نشاطي

أشخاص الرواية

ممثلة التراجيديا العظيمة : راشيل . الشاعر الفريد دي موسيه.
لوردي برانكور . ايفون . وصيفة الممثلة

تقع حوادث الرواية حوالى سنة ١٨٤٠ فى باريس

(يمثل المنظر صالون استقبال صغير فى قصر الكونت دي كاستلان أعد لتستعمله الممثلة الكبيرة مقصورة مسرحية . عند رفع الستار تدخل راشيل حاملة باقة فخمة من الزهور يصحبها دوى التصفيق والهتاف فقد ألقت فى حفل ارستقراطى حاشد قصيدة رائعة للشاعر الخالد الفريد دى موسيه : ليلة ضائعة . ولا تكاد تخفت عاصفة التهليل حتى يسمع من بعيد عزف كمنجة حنون)

المشهد الاول

راشيل . ايفون

راشيل (لوصيفتها) لا أحد ! هل تسمعين ؟ لا أستقبل أحداً ! ستزحل على أثر انتهائي من تمثيل مشهد « هرميون » ..

ايفون - (ملحة) ولكن . . . معالى الوزير سيدى الكونت دي شاتل جاء قصداً خصيصا ليحظى برؤية راشيل العظيمة على انفراد

راشيل - لا احد

إيفون - (قارئة البطاقات المشبكة بباقات الزهور) واللورد بروجهام ؟ أيمضى الى خال سبيله ؟ والكونت دى موليه الذى لا يجازف ببطاقته الا داخل باقات ملكية ؟

راشيل - (ضجرة) أرغب الا أرى أحداً الليلة !

إيفون - كيف ياسيدتى ؟ أتراك تبدلت نفسك ؟ أقدر لنا أن نلقى معبودة فرنسا وقد عادت نافرة ملولا تزهد فى بخور الاعجاب الذى طالما نشقته وهى نشوى بعطره المتصاعد ؟ هل أضحى الظفر أو هى جاذبية من أن يستوقف بخاطرك الحزين ؟

راشيل - (وقد ارتدت لباس هرميون) لا أراك مصيبة فى فهمى يا ايفون - يشوقنى حقيقة فى المسرح اعجاب الجماهير التى تؤخذ بنبرة هرميون الصادقة وإشارتها البسيطة - لكن هنا ، فى قصر آل كاستلان ، داخل هذه الصالونات الصاخبة التى يذوب تمثيلى فيها عزف الموسيقى ! هنا حيث لا يحتفون براشيل ولا يمجدونها الا لأنهم يرونها عن كثب .. هنا حيث أستبين فى العيون الشاخصة الى شهوة ملحة أكثر مما ألمح فيها اعجابا خالصا !

ايفون - كفى اذن عن أن تكونى فتية وجميلة !

راشيل - لقد عدت برمة بهذه الجمهرة من العشاق المتزاحمين حوالى كالفراش ! أتدرين ما الذى يجذبهم الى ؟ انه المجد .... مجدى الذى صنعته بيدى فوق مفرقى ! هل دار فى خلد واحد منهم أن يجازف بعاطفة حنون نحوى أيام كنت أسابق ظلى على الطرق الموحشة ،

(بقية المنشور على صفحة ٤٦٩)

التى تستخرج الآن من تلك البقاع

ومناجم الفحم أصلها غابات ناضرة نمت فى العصور الغابرة ، فلما انتابها تغيير فجائى فى بيئتها سقطت وتغطت وتحللت وتكونت منها المناجم التى يستخرج منها الفحم الآن

وكثيراً ما انتاب سطح الارض من الانقلابات ما غير معالمها فكان رائع التأثير على الكائنات التى تعمرها . فيأخذ بعضها فى الانقراض ولكن لا يلبث ان يتكاثر ما يفلت من هذه الكوارث فيعمر البسيطة كرة أخرى فسبحان من يبدأ الخلق ثم يعيده .

أحمد عبد اللطيف النيال

فى الريف عارية القدمين ، وحيدة ، بائسة ؟ أمضى بهذه الزهور بعيداً عنى .... أريحى عنى من مرأى هذه البطاقات ... جميعها ... جميعها ... أريدنى الليلة سيدة نفسي ! (لنفسها وقد جلست الى مرآة الزينة بينما ترتب الوصيفة باقات الزهور)

لم يجيء موسيه حتى الآن ! أن سهرة بسيئة شغلته ولابد عن الحضور لسماعي وأنا التي قصدته ... إيه ! أرانى أسعى وراء أحلام طائشة ! لتنس الناسي !

(طرقة خفيفة على الباب) من الطارق أيضا ؟

ايفون - إنها تلميذتك ، مدموازيل دى برانكور التى تستأذن

راشيل - هى ... بلا شك ... على الرحب والسعة ... فلتدخل ...

المشهد الثانى

راشيل — لوردى برنكور ثم بعد حين الوصيفة

راشيل - (للور) أنت هنا ياعزيزتى لور ؟

لور - نعم ياصديقتي العظيمة - أكاد أكون من الأسرة . فصاحب القصر الكونت دي كاستلان قريبي . لكم رددت فى حداثتى اشعار فلوريان تحت هذه الصورة الخطيرة التي تمثل أحد أجداد هذه الأسرة الكريمة ، فقد جذبنى المسرح اليه منذ ذلك العهد البعيد

راشيل - (بجاملة فى عطف) وما زلت تتألقين فى سمائه !

لور - بفضل تعاليمك الغالية التى تسدد خطواتى المتعثرة ! أعلم أنى تلميذة جهول ، غير أنى أرحب دائما بانتصاراتك الباهرة وأصفق لها من كل قلبى ! شد ما أعجب بك الحضور الليلة !

راشيل - لاتخادعى نفسك ! لقد أعجبوا بى ولكنهم لم ينظروا الا اليك ! لو أنى أكثر أنوثة وأقل ولوعاً بفنى لحسدتك على سنيك التسع عشرة المتألقة !

لور - شبابى اعجز من ان يسامى عبقريتك ! انت يامن تجمعين اليك أرواح الجماهير لتمضى بها نحو المثل العليا ! انت التى لم يعوزك لتتسنمى قمة المجد - أكثر من ليلة اصغت اليك فيها باريس . ثم توجتك اميرة للمسرح ! أنت يامن تبعث مواهبك الفذة كورنيل حياً بعد راسين ، والتى ينحنى العالم مشدوهاً أمام نبوغك المشرق ! أى حلم !

راشيل - (فى حرارة) الحلم جميل نعم ... لو يدوم ولولم تبدده ريح النسيان العاتية ! أسفاه ! من يمجدوننى اليوم هم أول من يمزقوننى غداً ! ولا أعود أجد بعد قليل بين آلاف المعجبين غير شاعر واحد يصون مجدى من البلى : هو الذى سمعته من هنيهة

لور - موسيه ؟ ان الاشعار الجديدة التى أنشدتها منذ حين ستبقى عزيزة على من صفقوا لها معجبين . أكاد أسمعها تتغنى فى حافظتى فهى لعذوبة معانيها وروعة صورها اقرب الى الذاكرة وألصق بالفكر : الشاعر الحالم وسهرة الكوميدى فرنسيز : العنق الرشيق الناصع الذى ينوء بفرعه الفاحم ، والذى يبصر به الشاعر فجأة وهى يستعرض الوجوه بمنظاره ، فيستوقف منه النظر والفكر حتى ساعة الرحيل ، الصورة الخيالية الباهرة التى تبارى فى رسمها شاعران كبيران ، والتى استلهم فيها موسيه بيتين من شعر الشاعر شنييه ....

راشيل - (تردد الابيات المعنية) ، تحت رأسك الظريف يتثنى عنق بض ، رشيق ، يكاد لفرط بياضه ان يكسف نصاعة الثلج ،

لور - يظهر لى أن لغزاً دقيقاً يستتر خلف هذه الليلة الضائعة ، واكاد أفترض لحظة ان راشيل ربما كانت تعرف العابرة الجميلة التى تراءت للشاعر المحبوب

راشيل (مرحة) أبدا ! لم أمثل فى حياتى ادوار العجائز اللاتى يعمد إليهن أبطال الروايات للمارة ! فيم اذن تحلم الفتيات الطائشات ؟ ثم مايدريك ان موسيه مازال يذكر للآن تلك الرؤيا الخفية التى مرت به كومضة البرق الخاطف ؟ هذا الرأس الجميل الذى لمحه موسيه ليلة فى مسرح إن هو فى عرفى إلا خيال شاعر ! وماأحسب موسيه متأثراً إلا بروعة الابيات التى خطها يراعه للخلود !

لور - تتهمينه بما هو براء منه ... واعتقد ...

راشيل - ليكن ، أخطأت ! انتشى اذن وحدك بهذه القصة الوجدانية الخيالية فهى من سنك !

لور - ولكنك لم تبلغى العشرين بعد !

راشيل - القلب الذى يسيطر عليه الفن يذوى قبل الاوان ويعود يؤمن بالاشعار الجميلة اكثر مما يؤمن بأحلام الشاعر

الوصيفة (داخلة) يطلبونك ياسيدتى

راشيل - فى الحال ... انا على استعداد

(تخرج الوصيفة)

لكن ، يالفوضى !

لور - (وهى تقترب من مرآة الزينة التى وضعت امامها الممثلة العظيمة حليها بين عقود وخواتم) أطمئنى ! آخذ على عاتقى ترتيب كل شىء !

راشيل - امضى اذن واثقة بسلامة حلى من الضياع ؟

(تخرج)

المشهد الثالث

لور — ثم — الزائر

لور ـ (لنفسها وهى تجرب الحلى التى تجمعها) تروقنى هذه اللآلىء الصافية . . . هذا الخاتم فى أصبعى يغرينى بالزهو والعجب . يالدنيا المسرح العجيبة ! ترى ما الذى حل براشيل هذا المساء ؟ تبدولى كئيبة ، متجهمة ! أيكون لانقباضها علاقة بهجمات ذلك النقادة الظالم الذى ادعى أنها خيبت آمال اصدقائها فى رواية « بايزيد » ؟ على أن هذا محض افتراء ! فما رأت عينى سلطانة أروع وأجمل منها فى دور « روكسيان » ! لقد دافع عنها موسيه . وأحسن صنعا فالجمال حقيق بكل تقديس وعبادة !

(يدخل الزائر فلا تلحظه لور وقد جلست مدبرة للباب . الزائر غاية فى التأنق يلبس « فراك » السهرة والصديرى الابيض)

الزائر ـ مساء الخير يا راشيل !

(تلتفت لور فيتولى الزائر عارض من الدهشة ، رجة نفسانية يكبحها فى الحال) أنت !!

(يملك روعه وقد تبدلت لهجته) اوه ! عفوا ! مدموازيل ! ما كنت أتوقع . . . ودهشتى لا تحد . . . طرقت متطفلا ودخلت دون استئذان . . .

لور ـ أبدا ياسيدى . . . لكن راشيل تمثل الآن مشهد ميون فعجل ان شئت مشاهدتها

الزائر ـ هل أنشدت بعض أشعار ؟

لور ـ نعم ، أرق وأعذب قصائد الوجدان ، أبيات شجية للشاعر موسيه ، تلتها علينا من لحظة قصيرة بين الاعجاب والتهليل ذكرى « ليلة ضائعة » ، عمل استاذ قدير !

الزائر ـ قرأت أخيراً هذه الاشعار الجديدة وتمنيت لو أسمعها لكنى وفدت متأخراً ، أنا أيضا أعد موسيه شاعرى المفضل . يشوقنى فيه فنه الساحر : ذلك المزيج البارع من الحنان الصادق والأسى العميق !

لور ـ حرمت على مطالعة « قصص ايطاليا » ، غير انى نعمت بقراءة « فانتزيو » وشاركت « فينون » أحلامها الذهبية ! لكن لنعد الى قصيدة الليلة . آه ! ياسيدى لو تدرى كم أجهدت ذهنى فى التقصى عن مجهولة الليلة الضائعة أهى كميل أم سيسيل ؟ من تكون يا ترى تلك الفتاة الصبوح ذات العنق الناصع . من ؟

الزائر ـ انها العذراء الفاتنة التى تشبه الاثنتين على غير علم منها !

لور ـ (متابعة فكرتها) وهكذا قدر للملهمة أن تجهل القصة الرائعة التى الهمتها ! لو أنها تكشفت هذا السر لغادت به جد فخورة !

الزائر ـ تظنين ؟

المشهد الرابع

المذكوران . الوصيفة .

الوصيفة ـ أوه ! عفواً ! جئت أبحث عن فراء سيدتى (تبصر بالزائر) أنت مسيو دى موسيه ؟ وما وقوفك هنا ؟ تعال : كيف ؟ يمجدون راشيل . وتهجرها ؟

موسيه ـ أسير اليها فى الحال . . .

الوصيفة ـ عجل فقد تكاثر من حولها الاعجاب ! (تخرج)

المشهد الخامس

موسيه — لور

موسيه ـ (للور وقد بهتت مأخوذة حيرى) ثقى انى ما استرقت سرك الا بالرغم منى ، فلولا هذا اللقاء العزيز الذى لم يكن ليؤمله قلبى لقدمت اليك نفسي لاول بادرة . ان العابرة المجهولة التى تطوف فى سماء قصيدى قمين بك ان تعرفيها . تأملى هذه المرآة . . . المجهولة الجميلة أنت ! كنت ترتدين تلك الليلة ثوبا ورديا ، وكنت قد وصلت متأخراً الى المسرح ـ فجأة ـ بينما كنت اجيل بصرى فى ارجاء تلك الصالة التى استحوذت عليها سخرية (ألسست) اللاذعة فجعلتها تضج بالضحك والاعجاب ـ لمحتك فى مقصورتك . . .

لور ـ (فى خفر صادق) أمسك ياسيدى . . . لا تزد حرفا ارجوك . . . أرى لزاما على أن افارقك . . . فما اخالك الا شاعرا بالضيق الذى طوح بى إليه اعترافك . انى جد خجلة . . . .

موسيه ـ وانا جد سعيد . هذه الليلة الهانئة تبدد جهمة الليالى العاصفة التى تملأ قلب الشاعر بالشك المقيت ! ان أشعارى التى تحبينها هى صفوة ما كتبت ، ولقد بت أستحسن ما تفضلين فى قصائدى من شعر طهور ورؤى علوية ما دام قلبك العذرى خفق لها خفقة الاعجاب . نعم ، صدقينى يا آنسة . نينيت ونينون اختان لك . اراهما على صورتك . لهما عيونك وصوتك . انى لم اعد استطيع ان افصل عن خيالى الفنى هذه الابيات التى رسم لك فيها شبيه صورة مخلدة ، تحت رأسك الظريف يتثنى عنق بض رشيق ،

« يكاد لفرط بياضه ان يكسف نصاعة الثلج »

لور - عندما انشدتنا راشيل هذه الاشعار تأثرت بها نفسى أقل بكثير مما تأثرت الآن، لقد تجلت لى لجأة بهجتها السحرية ! وها أنذا استعيد ذكرى تلك السهرة التى قضيتها بالكوميدى فرنسيز فى أدق تفاصيلها، وللأول وهلة تتضح فى عينى معالم قصيدتك وتتناسق . أذكر وقد جلست محاذاة والدتى انى شعرت بنظرة ملحة تحوم حولى مرتقبة نظرتى .. ياللعجب ! بينا كنت أغرب فى الضحك غرامية عجيبة ! هل متفكهة بمشهد « اورونت » لم يهجس ببالى أنى كنت احيا قصة كنت تتابع الرواية انت الآخر ؟

موسيه - ما كنت أرى إلا إياك ! لقد تبعتك فى فترة الاستراحة القصيرة وحمت حواليك اتملى محاسنك الغضة ؛ واذ أنت توشكين العودة إلى مقصورتك سقطت منك عفواً مروحتك فخففت التقطها وقدمتها إليك واجف القلب واليد ، تذكرين ؟

لور - (حالمة) نعم أذكر تلك الليلة تعاودنى البجلة كالذكرى السعيدة !

موسيه - ليلة أقل سحراً وقداسة من التى تعود بك الى مازجة جميع اعطار العالم بعطرك الشذى ! أنت وأنا بالغبطة ! ومع ذلك ما أرانى أجترىء أن أصعد فيك بصرى يامليكة العطور والزهور ! ألا ليت الزمن الحانى يقف بنا متمهلا ! ياالساعة السعيدة التى يرود الحب فيها حوالينا موحيا الى قلوبنا العطشى أن تعتصر خمرته الالاهية مذكراً إيانا أن الحياة حلم غامض لا مغزى له الا عند من جمعوا شتيت آمالهم فى يوم هنى ! . . . أرى الدنيا تداعى حواليك ولا أبصر فى وهيج المصباح الذى ينسير بقربك آنية شفافة . غير عينيك النجلاوين وشفتيك اللتين تفوقان زهر الربيع نضارة وبهاء ! أحبك

لور - (مقاطعة) أخشى هذه الكلمة . . . أخشى الا تكون منبثقة من أعماق قلبك وأن تكون مخادعى بها وأنت تخدع نفسك ، ألم ترددها من قبل على راشيل ؟

موسيه - احبك ! أنا لا أدرى عنك شيئا ، ومع ذلك فقد ملأ طيفك النورانى سماء خيالى فى كل وقت . هى انت ؛ هى صورتك التى كانت تتبدى لى فى ليالى سهادى ، وأنت فى الحق خيالى الشعرى تجسم حيا ! كل ما أعجبك فى أعمالى الادبية ، هى أنت ! لكم تشفعت بك واستنجدت فى أيامى العصيبة المحمومة . كنت ارتقبك كما يرتقب الغريق صخرة النجاة ، وكما كانت ليالى المدلهمة تتشوق لمطلع فجرك ! أحبك !

لور - الآن اصدق . وبودى لو اصارحك بما يجيش فى صدرى من أمان خفية لكن . وا أسفاه ! أما زلت جرة ؟ لا ادرى ، شت فكرى ! كيف يمكننى ان أكون لك بينما ارى كل شىء يفصلنا ؟ لقد تم اختيار اهلى .. فهل يحق لى أن اخالف الرغبة الوالدية فاتصرف بنفسى كما يحلو لى ؟

موسيه (بحزونا) نعم انت محقة .. أحس يدك ترتجف ! اكثر مما يجب بين يدى كى لا اردها اليك فى الحال ! وا إسفاه ! حرمت حتى هذه التعزية ؛ الأخيرة واراني ملوماً اذ تجرأت على الكلام دون ان استوثق من انى اطرق قلباً خاليا .. فهل تتجاوزين عن نزوتى المختلة ؟

لور - (مادة له يدها) انسنى !

موسيه - وهل يرتجى فيك نسيان ؟ أتموت الذكرى التى قدسها الألم كما تغيب لؤلؤة داخل علبتها الذهبية ؟ ان الألم المقدس الذى يحيى ميت الارادة ويشحذ الهمة الشماء ، الألم الذى يرهف قوى النفس ويصمد لحوادث القدر كالسنديانة فى مهب العواصف ، ذلك الالم الالاهى الذى يغسل الافئدة المجدودة ، أحسست به اليوم لأول مرة ابفضلك سأدين لك آخر الدهر ببعث قلب جهله الكل وظنوا ما الحياة فيه قد نضب !

لور - (بعطف) الوداع !

موسيه - لا . لا ترحلى بهذه السرعة ! سينتهى حلمى بعد حين غير تارك فى قرارة نفسك سوى ذكرى عفيفة ! انك إذ تلمسين مدى سلطان محاسنك البريئة على ، لا تتنزلين عن جزء من طهارة قلبك ! هل تروح زنبقة الوادى أقل نصاعة ، لأن ظلال السحر تطيف بجمالها الفتان ؟ قد تمسى احزانى اهون حملا لو أضاءتها مثل هذه الساعة الحنون ! ابقى ، أرجوك ! فلن تحجلك بعد ارتحالى ، نجوى هذا القلب الذى باح رغماً عنه بكل ما يكن لن تصدقى بعد اليوم جميع مايذاع عنى ما دمت تحتفظين الى الابد بذكرى اللحظة التى تنسمت فيها زهرة القبلة على شفتيك بينا كان فى مكنتى وقد استشعرت رجفة يدك فى يدى ان أقطف تلك الزهرة العلوية !

لور - (مبتعدة عنه) اقبلت راشيل ! ترى .. هل أملك الوقت الكافى لأبثك عميق اضطرابى ؟ وا أسفاه ! لابد لى من اصطناع الابتسام وتكتم عذوبة هذه العاطفة الوليدة ! اخشى ان يخوننى ثبات جأشى !

المشهد السادس

المذكوران — راشيل ثم الوصيفة

(راشيل للوصيفة من الخارج) سأتناول الطعام فى البيت . انى أتهالك من فرط الإعياء !

(تبصر بموسيه)

ياللمفاجأة ! انت . موسيه ؟

موسيه — (مقبلا يدها) نعم ، قدمت متأخراً . كنت مرتبطاً بسهرة ولم استطع الفرار . . . سوف أشرح لك

راشيل — (متخابثة) ولكنى حذرت كل شىء ايها العزيز !

موسيه — ترينى شديد الاسف . سامحينى .

راشيل — سامحتك . وهل أملك ان أكون صارمة حيال الصديق الشاعر المحبوب الذى تقودنى حكمته وينير مجدى حماسه ؟ لقد هبت ذئاب النقد تتواثب حوالى شخصى الضعيف فلم ألق غيرك يثبت إيمانى بنفسى . ترى ، أهى الصداقة التى أملت عليك موقفك ازائى أم اليقين ؟

موسيه — الاثنان معا . ثقى انى ما كتبت غير مايجول بخاطر باريس جميعا ! انما أنت عنوان فخرنا ، بك نتنفس ونزهو على العالمين ! الا دعى الحمقى الأغرار يتزاحمون عليك رجاء النيل من عزيمتك : لن ينتزعوا من ذكرياتنا الحية « هرميون » ولا « مونيم » ولا اللهب المشبوب الذى يتطاير من هذا القلب الفتى الخفاق ! اندبى يا أميرة المسرح « بايزيد » ، واندبى الملك بيروس ، فكل دمعة منك ترتفع بمجدك الناشىء وبفننا المسرحى أكثر ألف مرة مما نفيده من نقد جميع الناقدين !

راشيل — أشكرك وأومن بقولك . كنت الليلة فى حاجة ماسة الى كلمة مشجعة ، إلى شعاع من الأمل . سأدرس « فيدر » عقب عودتى إلى المنزل . هذا الدور معقد احلامى ! قرأته عشرين كرة بعينى التلميذ ، وأطمح فى تمثيله وشيكا

لور — تعملين الليلة ؟ ولكنك لم تستريحى اليوم !

موسيه — (للور) الفن طاغوتنا !

راشيل — اذن ، فلا تحرر من ربقته . لور محقة . موسيه . . . أدعوك إلى العشاء معى . سوف نتذاكر الماضى العزيز : عشاءنا الأول الذى كان غاية فى الفقر والظرف . أتذكر تلك الليلة البوهيمية التى خدمتك فيها بنفسى إثر عودتنا من الكوميدى فرانسيز ؟ قرأنا ليلتها فصلين من « اندروماك » بعد أن تناولنا ، فرحين ، شايا ممزوجا بالروم . تعال . سنعيد السيرة من جديد . . . وأكرم وفادتك . . خيراً من الماضى !

موسيه — (وقد لحظ القلق يستولى على لور) صديقتى . لم انس راشيل الناشئة وتغرينى هذه الدعوة الحبية ، لكنى لا أجد الليلة من نفسى حافزا للهو والمرح ، خصوصا وقد وعدت بالسهر على مقال يرتقبونه من زمن مديد . . . خذلنى تكاسلى مرات عديدة فلا أرى المهرب من الواجب ، مرة أخرى !

راشيل — ياللعذر الواهى ! وإن اضعت أيها العزيز ليلة أخرى !

موسيه — (شاخصا الى لور) لا . . بت والاسف يحز فى نفسى على بعض « الليالى الضائعة » .

راشيل — (تتطلع نحو الاثنين ثم تقول وقد فهمت كل شىء) الليالى الضائعة ؟ أو اثق أنت من ضياعها ؟ اراهن انك التقيت بالعابرة المجهولة وأن قلب غذراء فى العشرين سيحلم الليلة بالأبيات الخالدة التى ألهمتك اياها احدى هذه الليالى الضائعة ، لقد اهتدت فطرة ذلك القلب السليمة الى ماتبقى فى نفسك من صدق ونبل وحنان وإنى لابصر وأنا أهتك سرك — بموسيه مجهول ربما كان هو موسيه الحقيقى !

موسيه — (فى تأثر بالغ) مساء الخير يا راشيل !

(يقبل يد الممثلة ثم ينحنى طويلا أمام لور التى تكتفى بكلمة تعبر له عن شدة تأثرها واغتباطها برفضه قضاء السهرة فى مرح) شكرا

(يخرج موسيه)

راشيل — (للوصيفة) على بمعطفى !

(تخف الى لور التى تابعت الشاعر بعيونها وتقول)

أما أنت ياصغيرتى لور فصدقينى : لك أن تفاخرى بهذا الحب !

(ثم لنفسها فى أسى مرير)

لم يناجنى موسيه قط بمثل هذه النجوى القدسية !

— ستار —

محاضرة الآنسة مى

(بقيـــة المنشور على صفحة ٤٤٤)

نكون من نسل آدم وحواء ، وليت شعرى كيف كان شكل آدم وحواء في رأى الذين يريدون ان يجمعوا بين الدين وبين مذهب أصحاب التطور ؟ أما أنا فقد قلت ومازلت أقول ، انى لم أفهم نظرية التطور وليس يعنينى أن أفهمها لأنى أوثر أن أكون من سلالة رجل خلق معتدل القامة مستقيم القد يمشى على رجلين ، أوثر ذلك على أن أكون من سلالة القرد أو غيره من الحيوان الذى يمشى على أربع ، وينظر الى الارض لا الى السماء ، ولعل أجمل ما كان فى المحاضرة آخرها ؛ وهو هذه الاسطورة المصرية الجميلة التى تحدثنا بأننا مدينون لحياة لامرأة هى ايزيس التى بكت فجرى من دموعها النيل ، هـذا عندى أجمل ما كان فى المحاضرة وأظرفه ، ولكنه مع الأسف الشديد ككل شىء جميل ، وككل شىء ظريف ، لا يثبت للنقد والتحليل فى هذه الحياة الدنيا ، فمن يدرى من تكون ايزيس ، وأين كانت وكيف كانت ، ومن يدرى لعل النيل لم يجر من دموع هذه الآلاهة الرحيمة فى رأى الاساطير ، وانما هو ينبع من تحت العرش كما يقول بعض الصالحين ، والشر كل الشر ما يقوله العلماء ، وويل للناس من العلماء ! فهم يزعمون أن النيل ينبع من تلك البحيرات التى مهما تعظم ويرتفع شأنها عند العلماء والشعراء فهى بحيرات حقيرة لا تعدل دمعة من دموع ايزيس ، ولا تعدل قطرة من هذا الماء السلسبيل الذى يجرى تحت العرش

احسن الله جزاء الآنسة مى ، فقـــد امتعتنا أمس ، وامتعتنا الى غير حـــد ، فكاهة حلوة ، وحديث عذب ، وصوت حلو .

ولكنى أخشى أن تغضب الآنسة ، وويل لى منها إن غضبت ، ومن يدرى لعلها قد غضبت منذ قرأت السطر الأول من هذا الكلام ، وإذن فأنا أشهد قراء الرسالة جميعاً على انى معتذر اليهـــا أصدق الاعتذار وأخلصه ، ضارع اليها أن تغفر لى هذه الهفوة ، هفوة التحدث عن محاضرتها القيمة على هذا النحو ، ولكنى لست وحدى ملوما فى ذلك ، فهى التى ألهمتنى هذا الحديث ، وقد زعمت لنا أمس أن نابليون كان يقول فى كل شىء : (فتش عن المرأة) فاذا لم يكن بد من أن يلام أحد على هذا الحديث فالآنسة «مى» هى الملومة . ولكنى أحتمل عنها هذا اللوم كما احتمل أبونا آدم عن أمنا حواء إثم التفاحة ، وأعتذر اليها من هذا الحديث وهى بطبيعتها أرحم وأدنى الى الحنان من أن تأبى قبول المعذرة .

طه حسين



قصة خسرو وشيرين

والشعر المرسل

بقلم احمد حسن الزيات

ألقى الي مع البريد رواية شعرية في خمسة فصول ، بعنوان (قصة خسرو وشيرين) لاتحمل اسم ناظمها ، ولا عنوان طابعها ، ولا تتسم بشيء من السمات الدالة على الشخصية ، فكأنها الوليد البريء جاء لغية فألقي على مدرجة الطريق ، متروكا لرحمة القدر او قسوته .

الرواية جليلة الموضوع ، نبيلة المغزى ، جميلة النسج ، ينم سياقها وحوارها على قلم مدرب ، وفكر ناضج ، وثقافة لية ، فلا يمكن ان يكون المؤلف قد أرسلها غفلا ، فرارا من تعقب الدين او القانون او الأدب او الفن ، انما علة هذا التخفي على مايظهر من المقدمة تمكين الناقدين من الرأي الجلي والحكم الصريح في قضية الشعر المرسل .

فان المؤلف كما تدل المشابهة القوية بين ما نشر من هذا الشعر في (الرسالة) وبين ماجاء منه في هذه الرواية ، زعيم القائلين به والقائلين فيه ، فهو بذلك يضع المثل أمام القراء والشعراء ليقطع حبل الجدل ، ويخرج من النظر الى العمل ، ويجعل الدفاع عن هذا المذهب لقوة الحياة فيه ، ومبلغ الفائدة منه .

أضف الى ذلك ان المؤلف يدرك نبو هذا الشعر في ذوق الجمهور فهو يريد ان يوسع له في مجال القول ، ولا يجعل لاعتراضه او امتعاضه حدا من الصداقة أو المجاملة . قال الاستاذ في المقدمة :

- (أرجوك العفو أيها القارىء عما يمكن ان تتحمله في قراءة هذا ال . . . (ماذا أسمي هذا ؟ اظن خير تسمية ان أسميه المطبوع) . وأنك ان قرأت منه كلمة واحدة أو سطرا واحدا ثم رميته كارها كنت عندي معذورا ، فهذا ما توقعته ، ولا عجب في الامر إذا كان متوقعا ولست عندي معذورا فحسب ، بل انك جدير بشكري ، اذ أنك قرأت منه شيئا في حين أن كثيرا من الناس إذا وقع لهم مثل هذا المطبوع لا يقرأون منه حرفا بل يقلبون صفحاته تقليبا سريعا ، ثم يرمون به الى أقرب موضع ، ولكنهم مع ذلك لا يترددون في ان يبدوا رأيا في عيوبه أو محاسنه إن تكرموا . وأما إذا أنت صبرت أيها القارىء فقرأت سطرين أو ثلاثة من هذا المطبوع ، ثم قذفت به حيث أردت لم تكن في ذلك بالمعذور ، بل كنت متفضلا مضحيا من أجل مجاملتي مع أنك لا تعرف من أنا ، وفي هذا أدب عظيم وكرم مطبوع . وأما إذا كنت قد بلغت من قوة ضبط النفس ورياضتها على المكاره بحيث استطعت ان تثبت على القراءة حتى اتيت إلى آخر كلمة ، ثم تركت لنفسك العنان بعد طول كبحها وحبسها فانطلقت تصخب وتشتم وتنادي بالويل والثبور — إذا فعلت ذلك كنت في نظري بطلا من أبطال العزيمة وقوة الاحتمال . على أنك لو فعلت ذلك لم يمسني منك أذى وان بلغت في ثورتك مبلغا مخيفا ، لاني قد توقعت من ذلك فاحتميت نفسي حتى لا تتحرج فيما تفعل ، فلعلي إذا أظهرت لك شخصي بدوت لك صديقا أو ممن يمتون اليك بسبب فتجاملني أو تكظم غيظك علي ، فيكون في ذلك أذى لك لا أرضاه . فافعل ما بدا لك أيها القارىء ولا تتورع فان أحجارك أو سهامك لن تصل الي) .

ذلك ما بدأ به المؤلف الفاضل مقدمة الرواية ، ومن وراء سطوره كما ترى إغراء بالقراءة ، وتحريض على النقد . وعتاب ساخر لمن يقول في الشيء بغير علم . ويحكم عليه من غير خبرة . فاذا علمت بعد هذا أنه لم يعرض روايته في السوق ، وإنما أهدى ما طبع منها إلى الأصدقاء والأدباء ازددت يقينا بأنه لا يريد غير محاكمة المذهب ، وسواء بعدها أكنت له أم عليه .

على ذلك نصارح الاستاذ برأينا في الشعر المرسل ، ونحن أشد ما نكون اطمئنانا الى رضاه ، ووثوقا بحسن ظنه .

***

لقد قرأت الرواية وحاولت أن أوفق بين شعرها المرسل وذوقي المقيد فلم أفلح . فالأبيات تطربني بأجزائها المتسقة ، وألفاظها المختارة

ومعانيها السامية. ولكن أواخرها الواشر تناكر مع الطبع والسمع فتذهب بحلاوة سياقها وعذوبة موسيقاها. اقرأ معي قوله في الفصل الأول ص ١٤

شيرين :

جئت حينا هاهنا، فلقيت أرضا   غيرما اعتدت إذ تكون بجنبي
كان لون الزهور غير بهيج   وخرير المياه غير جميـــل

وقوله في الفصل الثاني على لسان خسرو ص ٤١

خسرو :

لا أرى في الأنام أحرى بسخر   من معنى بكاذبات الأماني
من يكن همه التماسا لرزق   لم يجد في طلابه أسقاما
قد يهيم الفقير بين الفيافي   في التماس الاحطاب والاعشاب
فاذا فاز بعد جهد جهيد   برغيفـــين لم يعكره هم
غير أن الذي يحاول مجداً   يدع النوم والسلام ويأبى
ثغره الابتسام. حتى اذا ما   طالعته المنى رآها سرابا

وقوله في أول الفصل الخامس على لسان جنديين يبيتان بجلسا في بهو القلعة لخسرو السجين ص ١٠٣

الاول : ان في الفقر سلوة يا صديقي.
الثاني :   فتمتع به وحيـــداً هنيئا
اني لا أراه الا عـــذاب.
الأول   : قد أمنا في الفقر غدر الليالي.
الثاني : هل ترى تلك نعمة ان أمنا   إذ بلغنا الحضيض؟ أي أمان!
الأول : ليس في الفقر لو علمت اشقاء.   انا ان جعت كان حسبي رغيف،
واذا ما تعبت نمت عميقـــا.   لا أبالي اذا تعريت صيفا.
وشتائي لباســه جلد شاة
الثاني :
لا تبالي اذ كنت فرداً وحيداً   ليس يبكي الاطفال حولك جوعا
كن كما شئت، عش فقيرا، فاني   حانق حاقد عـــلى املاقي
الاول :
يا صديقي أكنت ترضى بعز   ثم تهوى الى قرار ســحيق؟
سل عن المجد والعزازة كسرى،   بعد ان ذاق ذلة المأسور
الثاني :
ان قلبي يسيل هما اذا ما   مر كسرى يختال في الاسر كبرا.
الأول :
حسبه شقوة اذا كان قوم   مثلنا يرحمونه في شقائه..
يا صديقي لا تغترر بلباس   لامع قد يكون سترا لبؤس.

ماذا تجد في حسك من هذا الشعر؟ ألا تجد في ذوقك المطبوع على نغم القوافي العربية نفورا من هذه الفواصل المتدابرة؟ لقد كان هذا النشوز يخف لو راعى الأستاذ الشاعر اتحاد الاصوات في أواخر الابيات كقوله مثلا على لسان سرجيس :

قد علمنا أن الحياة غرور   ثم لا نستطيع غـــير الغرور
جعــــل الله في النفوس نزوعا   لاضطراب الحياة رغم العقول

فان بين الغرور والعقول مزاوجة تلطف من وقعهما على الذوق الحساس والعادة الموروثة: ولكن أين هذا وذاك من قوله في ختام الفصل الخامس على لسان شيرين (ص ١٢٩)

أيها الذاهب الشهيد بنفسي   ما أصابتك من جروح دوامي
قد أسالوا الدم الزكي. وأني   تنفع المدنف الدموع الهوامي؟
ذهب اليوم صاحب وحبيب   كان من هـــذه الحياة نصيبي
فجعوني به، فكيف حياتي   بعد أن غاب عن حياتي حبيبي

شيرويه (يرى شيرين فيظهر التألم).

وا أبي! صرعة العظيم قضاء   عرفته النجوم منذ القـــديم.
قد أراد القضاء ما كنت أخشى،   ما احتيالي في الكائن المحتوم؟

شيرين : (لشيرويه)

أنا أبكي والدمع حسبي، فمالي   حيلة في المصاب غير دموعي
ليس في الصولجان والسيف حتى   أندب الملك بانتقام وجيع.

. . . .

شيرين :

دع لمثلي الدموع، فهي دوائي   من شجون لواعج وكلوم
فجعوني بصبيتي تحت عيني،   وأسالوا دماء قلب سقيم
ثم ضحوا بصاحبي وحبيبي،   وافتداه للصريع الــكريم!
أسعفي يا دموع قلبي حتى   أجد الطب في الهلاك الرحيم

في هذه الابيات اشتد التأثير في الموقف، وقوى الشعور في الاشخاص، فغلبت القافية إرادة الشاعر، وجاء المنظر الختامي حجة عليه ونقضا لما عاناه من ترويض الآذان على الشعر المرسل

***

انما يتميز الشعر من سائر ضروب الكلام بخصائص ثلاث: موسيقية شديدة الحساسية، وصعوبة عسيرة التذليل، وقدرة على تثبيت الفكرة بلفظها في الذاكرة. فالشعر المرسل يستطيع أن يدرك شيئا من الموسيقى اذا زاوج الشاعر بين أواخر الأبيات، واستفاد من

الحرية التى أعطيها ، فتخير الالفاظ ، وعدل الاقسام ، وألف الالوان ، وحرك المعانى ، ونوع الصور ، وأخشى بعد ذلك كله الا يرتفع عن النثر البليغ المحكم . ولكن الصعوبة التى تلقى الشاعر فى كل بيت عند القافية فيسلط عليها ذهنه وفنه وذوقه ولغته حتى يفجأ أذنك — وهى تنتظر فى غير صبر — بتلك الحيلة الفنية ، واللفتة الذهنية ، والكلمة الصادقة الموسيقية ، لا تجدها فى غير الشعر المقفى

كذلك يعجز الشعر المرسل عن أن يهيء للذاكرة فى التمثيل — على الأخص — ما تهيئه لها القافية من (نقط الارتكاز) وعلائم الطريق حتى لا تجور ولا تضل .

على أن تسهيل الشعر بالغاء القافية يخمد الذهن ويجدب القريحة ، لأن الصعوبة ترهف الفكر فيدق احساسه ، وتوقظ العقل فيزيد انتاجه ، وتبعث الفن فيحيا بين الهام الشاعر واعجاب القارىء .

والواقع أن القافية لم يشكها شاعر مطبوع ولا ناظم مطلع ، فان الطبيعة الغنائية للشعر العربى من جهة ، ووفرة الثروة اللفظية للشاعر من جهة أخرى ، تجعلان القافية من اخص لوازم الشعر واسهل ضروبه . ولك فى الاراجيز القديمة ، والموشحات الحديثة ، وسائر ما استحدث المولدون من الانواع القائمة على موسيقى القافية دليل ناهض على ما نقول .

فاذا وقع شاعر اليوم فى رهق من بناء القافية لقلة محصوله من اللغة ، أو لمعالجته التمثيل والقصص الطويل ، كان له فى تنويعها مندوحة عن هذا النوع الذى تذبذب بين النظم والنثر ، فوقف من الأذن موقف الغصة من الحلق ، بذلك استطاع البستانى أن يترجم الإلياذة ، وتسنى لشوقى أن يبدع فى مآسيه

٭ ٭ ٭

هذه كلمة موجزة نفتتح بها المعركة الاخيرة بين الشعر المقفى والشعر المرسل ، فان رواية (خسرو وشيرين) مع ملاحظة التحفظ فى عرضها ، جاءت بعد المقالات التى نشرت بالرسالة أشبه برواية (هرنانى) حين كتبها (هوجو) على المذهب (الروماتيكى) بعد أن دعا اليه فى مقدمة (كرومويل) وفاتحة (الشرقيات) فجعلها هو وأنصاره المعركة الفاصلة بين هذا المذهب والمذهب (الكلاسيكى)

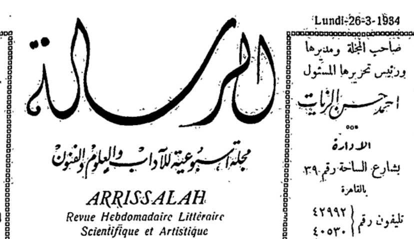
٭ ٭ ٭

أما الحديث عن موضوع الرواية ، وتصوير أشخاصها ، وعرض مواقفها ، وتسلسل حوادثها ، وتدرج العمل فيها ، فله فرصة أخرى نرجو أن تحين .

Lundi 26-3-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢ – ٤٠٥٣٠



الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

2.me Année, No. 38

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الاقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العــــدد ٣٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ — ٢٦ مارس سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العــــدد

عيــــد الاضحى . . .

. . . وفي مارس أيضا يقبل عيد الاضحى أو يوم الله ، بعد ما أقبل عيد الضحايا او يوم الوطن ! والايمان بالله وبالوطن أسمى شواعر النفس ، والتضحية لله وللوطن اصدق شعائر الايمان ، والاحتفال بيوم الله ويوم الوطن أقدس مظاهر الانسان ، وعيد الأضحى أجل اعياد المسلمين خطراً ، وأبلغها في حياتهم أثراً ، وأبلجها في نفوسهم دلالة . تجمعت فيه مبادىء الاسلام وغاياته كما تتجمع صور الوجود في العين ، ومحاسن الربيع في الزهرة . فهو موجة من النور الهادىء الهادي في خضم الزمان المضطرب ، وفترة من السلام الالهي بين خطوب الجهاد المضطرم ، ونفحة من النعيم السماوي تندى لها القلوب اليابسة بالوداد المحض والبر الخالص ، وسبب من الروح المؤاخي يصل بين الغني والفقير بالاحسان ، وبين القوى والضعيف بالرحمة ، وبين القريب والبعيد بالمودة ، وبين الله والانسان بالصلاة ، وبين المسلم والمسلم بالحج ! !

***

الأعياد الدينية واحات في صحراء الحياة ، يستريح الى نبعها الحرّان واللاغب ، ويطمئن الى ظلها الهيمان والشارد ، ويجد الكاسف المعمود في نسيمها الندى برد السرور ونشوة العافية ، ويذهل السائر المجهود برهة من العمر عن مخاطر

الطريق ومكايد الرفاق ومساوىء القافلة ؛ ويذكر أن له عواطف صالحة طغت عليها المنافع ، وقرابة واشجة قطعت بينها المطامع ، وصلات شابكة أوهنتها الجفوة ، وتبعات واجبة أعجزه عن حملها كلال الضمير ، وغاية الى الخير المطلق أضله عن سبيلها غرور الحياة .

...

عيد الأضحى هو عيد الأسرة والأمة والملة : يفيض المسرة والبهجة على البيت ، ويجدد المودة والألفة فى الوطن ، ويسفر بالتعارف بين وجوه الاخوة فى عرفات .

فاذا رده اليوم فساد العيش فى المدينة إلى مانعرف من خروف يذبح ولا يضحى ، ومساجد تؤذن بالمدافع والمآذن ولا تجاب ، وبيوت تفتح للتهانى ولا تزار ، وأيام كنقاهة المريض كلها خمود ونوم وأكل ، فأن له فى القرية صورة لاتزال منذ الطفولة فى ذهنى فاتنة الجمال اخاذة السحر شديدة الروعة :

لايكاد يفرغ القرويون من صلاة المغرب ليلة العيد حتى ترى طريق المقبرة يسيل بالفوانيس الشاحبة الخافتة . ثم تنتشر آخر الأمر على وجوه القبور انتشار الحباحب (١) ، وتنتقل القرية الحية الى القرية الميتة فتقضى موهنا من الليل فى الاستعبار والاستذكار والقراءة ، ثم يعودون وقد كفاهم (الفقهاء) مئونة ماحملوا من الكعك والفاكهة ، فيقطعون الجزيع الثانى من الليل فى طسوت الحمام أو فى دار المزين ! والغسيل بالماء الساخن لايعرفه الفلاحون الا ليلة العيد وليلة الزواج ويوم الموت ؛ ثم يعدون زينة العيد فيكورون العمائم ويصبغون الاحذية ، ومن لايحسن لوث العمامة ، أولا يملك علبة (الورنيش) ، ذهب بطربوشه أو بحذائه الى قريبه أو جاره ، والقرية كلها أسرة واحدة يكمل بعضها نقص بعض ، فاذا فرغوا من ذلك ناموا على هدهدة الاحلام ومناغاة المنى ؛ وتركوا النساء امام المواقد ينضجن الخبز ويطهين اللحم ويصنعن الحلوى حتى الصباح !

...

تشرق شمس العيد على القرية فى غير وجهها المألوف ، فلا النور كان باهرا كهذا النور ، ولا الشعاع كان ساحرا كهذا الشعاع : وتستقبلها القرية فى غير زيها المعروف ، فلا الوجوه كانت ضاحكة كهذه الوجوه ، ولا الجلابيب كانت ناصعة كهذه الجلابيب ، ولا العمائم كانت زهرا كهذه العمائم ، ولا الدروب كانت مطرزة بألوان الربيع كما هى اليوم !!

لا يتخلف عن صلاة العيد من أهل القرية غير النساء ! أما الرجال فهم صفوف وراء الإمام يؤدون الصلاة ، وأما الأطفال فهم وقوف على الأبواب يشهدون الخطبة ! ثم تقضى الصلاة فيقبلون الخطيب جميعا ، ويقبل بعضهم بعضا ، ثم يذهبون رتلا جميل النسق الى المقبرة ، ويرجعون من طريق أخرى الى الحارات المكنوسة المفروشة ، فيجلسون أمام المنازل الى الطعام الشهى الفاخر ، يتبادلون الألوان ، ويتهادون الصحاف ، ويتركون على موائدهم مجالا رحيبا للفقير !

ترفع (الصوانى) وتوضع القهوة ، ثم يقوم العمدة فى أهل حارته فيزورون الحارة الاولى ، فيهنئون ويجلسون ريثما تدار القرفة وتوزع السجائر ، ثم يقومون جميعا الى الثانية فالثالثة فالرابعة وهلم جرا الى آخر البلد ، وكلما مروا بحارة أخذوا أهلها الى الأخرى ، حتى تجتمع القرية كلها آخر المطاف لدى العمدة فيقضون فى مجلسه أكثر اليوم .

ذلك أمر الكهول والشيوخ ، أما الشباب والايفاع فيطوفون زمرا بالبيوت يهنئون الصبايا وأيديهن لاتزال فى الطعام ، فيطبعن بالقبلات الخلية على الخدود البرنزية خاتما رقيقا من (الدمعة) ، ويرسمن بالانامل المخضبة على الثياب البيض طغراء جميلة من الدسم ، ثم ينصرف بعد ذلك الشباب الى لعب الكرة فى ساحة البيدر ، والاطفال الى الاراجيح على أشجار الترعة !

تلك صورة العيد فى القرية رسمتها بغير ألوانها الزاهية ، وجلوتها فى غير اطارها المذهب ، فبالله ربك ! اهى على علاتها اخلق بالانسان واقرب الى الدين وأشبه بالخلق ، أم هذه الصورة التى تراها اليوم فى شوارع المدينة وجوامع المدينة وقصور المدينة ؟!

نسأل الله مخلصين أن يعيد هذا العيد على الأمة المصرية والدول العربية والممالك الاسلامية ونحن وهم على خير من هذه الحال !

احمد حسن الزيات

---

(١) الحباحب ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه كالسراج

النقد والطربوش وزجاج النافذة

للدكتور طه حسين

وتستطيع ان تضيف الى هذه العنوانات عنوانات أخرى ، فهناك أزقة ضيقة شديدة الضيق ، ملتوية شديدة الالتواء ، قد كثر على ارضها الوحل ، حتى أن الذي يمشي فيها ليتزلق ، أو يمشي مشية مسلم بن الوليد في بيته المشهور :

اذا ما علت منا ذؤابة شارب   تمشت به مشي المقيد في الوحل

وقد أمطرت سماؤها أو نوافذ ما يقوم فيها من الدور ألوانا من المطر ، منها السائل ومنها اليابس ، نستغفر الله ، بل قد صبت سماؤها أو نوافذ ما يقوم فيها من الدور ألوانا من البلاء ، منها مرق الفول النابت ، وماء المخلل ، وفيها أشياء أخرى جامدة كانت تهوى على الرؤوس ، وربما مست العيون ، وربما دخلت الافواه ووصلت الى الحلوق فانعصرت فيها انعصارا ، وأذكت فيها لهيبا ونارا ، وقد كان في هذه الازقة مارد من مردة الجن أو مردة الانس ، له صدر عريض قد انتفش فيه شعر طويل حاد كأنه الاسنة ، يصطدم به الرجل القصير فاذا هذا الشعر الطويل الحاد يداعبه ويلاعبه ، فيعبث بوجهه ، ويدخل في أنفه وفي فمه وفي عينيه . وقد كان في هذه الازقة غلام شرير ، لسانه عذب ، ويده مرة ، وقد كان في هذه الازقة شاب ظاهر الغباوة والبله ، خفي المكر والغدر ، شديد البأس والبطش ، يخيف من ليس من شأنه أن يخاف ، ويضطر اثبت الناس قلبا وأشدهم استهزاء بالحياة الى أن يعدو عدو الشنفري وتأبط شرا وابن براق ، حتى يدفع الى دار من الدور ، ثم الى بيت من بيوت هذه الدار ؛ فلا يدخل هذا البيت من بابه كما أمر الله أن تؤتى البيوت ، وانما يدخله من إحدى نوافذه . وفي هذه الازقة شيخ وقور ، ظاهره يخيف ، وباطنه فيه الرحمة واللين ، وفيه الرفق والدعة ، وفيه الادب وحسن الذوق

كل هذه الأشياء ، وكل هؤلاء الأشخاص ، يمكن أن تضاف ويمكن أن يضافوا الى هذه العنوانات التي قدمتها بين يدي هذا الكلام ، ولكني لم أضفها تحرجا من الاطالة واشفاقا من الاطناب . وإيثاراً للايجاز البليغ .

وأنا أستطيع بعد ان وضعت هذا العنوان وأتبعته بهذا الكلام ، أن أتحول بك الى ما شئت أنت أو ما شئت أنا من الموضوعات ، فأتحدث اليك فيه حديثا طويلا أو قصيراً ، وأعرض عليك فيه صوراً جميلة أو دميمة ، وأثير في نفسك به عواطف هادئة أو جامحة ، وأرسم على وجهك به ابتساما وضحكا ، أو عبوسا وتقطيبا ، حتى اذا بلغت من هذا كله ما تريد أنت ، أو ما أريد أنا ، أو ما نريد جميعا ، ذكرت النقد والطربوش وزجاج النافذة . واعتقدت أنا أو خيلت اليك اني أعتقد ، واعتقدت أنت أو خيلت إلي انك اعتقدت ، واعتقد صديق الاستاذ المازني ، أو خيل الى نفسه والينا أنه يعتقد ، اني قد أمتعت الرسالة وقراء الرسالة بفصل قيم أو غير قيم ، قوامه الحديث عن النقد والطربوش وزجاج النافذة !.

وتسألني ما بال الاستاذ المازني يقحم هنا اقحاما ، وما خطبه مع النقد والطربوش وزجاج النافذة ومرق الفول النابت ، وماء المخلل ، وما يتبع هذا كله من الأشياء والأحياء ؟ فأجيبك بأن هذا السؤال لا ينبغي أن يساق الي ، وانما ينبغي أن يساق الى الأستاذ المازني ، فهو الذي تحدث عن هذا كله ، وهو الذي أثارني إلى أن أتحدث عن هذا كله ، وليس من شك في أن الأستاذ المازني سيقول في دعابته الحلوة الظريفة ، وما أنت وجر الشكل ؛ وما لك تدخل بيني وبين النقد والطربوش وزجاج النافذة ، وما يتصل بها من الملحقات ؟. ولكن الأستاذ يوافقني أو لا يوافقني — فهذا سواء — على أنه صاحب فن ، وعلى أن أصحاب الفن ان كتبوا لأنفسهم فهم ينشرون للناس ، وعلى أن صاحب الفن لا يملك أثره الفني بعد أن يلقيه إلى الناس . وعلى أن من حق الناس اذا ألقى اليهم شيء أن يتناولوه كما يحبون ، يعجبون به أو يسخطون عليه ، يرغبون فيه أو ينصرفون عنه ، يحمدونه أو يسلطون عليه اللوم .

وإذن فقد ألقى الينا الأستاذ المازني فصله الممتع البديع الذي أثارني الى أن أتحدث اليك عن النقد والطربوش وزجاج النافذة ، أو الى أن أتحدث اليك عن الأستاذ المازني نفسه من وراء هذه الأشياء التي لا تحصى ، والتي لا أكره تكرارها ، وما أظنك تكره تكرارها ، وهي النقد والطربوش وزجاج النافذة والأزقة وما يتراكم على أرضها من الوحل ، وما تصبه سماؤها من السائل والجامد ، ومن يمشي بين ذلك من الأشرار والأخيار .

وللاستاذ المازني مع هذه الأشياء كلها ، ومع هؤلاء الناس كلهم ، ومعك أنت ، ومعي انا ، قصة طريفة ظريفة ، خليقة أن

تقيص ، وخليقة أن تثير الاعجاب . فهل تدري ماذا دفع الأستاذ المازنى الى أن يتحدث عن هذه الاشياء ، وعن هؤلاء الاشخاص ، فيثيرنى الى أن أتحدث عنه ، وعنها ، وعنهم ؟ هو شيء يسير ، يسير جدا ، هو أنه أديب يقرأ فى الكتب ، ويكتب فى الصحف ، وينقد الكتاب والمؤلفين . وقد تتغير الازمنة وتتبدل ظروف الحياة وترقى الاجيال بعد انحطاط ، ولكن هناك شيئا لا يتغير ولا يتبدل فى حقيقة الأمر ، وهو أن الأدب محنة يمتحن بها الأدباء ، ونقمة يصيب الله بها هؤلاء الذين يمنحهم شيئا من حسن الذوق والقدرة على فهم الأدب وتقريبه الى الناس . وقد امتحن الله صديقنا المازنى ووفر له من نقمة الادب وبلائه حظا عظيما ، فجعله شاعرا مجيدا وكاتبا بارعا ، وناقدا مسموع الكلمة ، مهيب الجانب ، مقدور الرأى ، لا يصدر كتاب الا أراد الناس أن يعرفوا رأيه فيه وحكمه عليه . وكان صاحب الكتاب نفسه أحرص الناس على ذلك وأشدهم طلبا له والحاحا فيه . والكتب تمطر على الاستاذ المازنى ، ويمطر معها طلب النقد وطلب التقريظ ، والنقد والتقريظ يحتاجان الى القراءة والدرس . واذن فالمازنى المسكين مصروف عن نفسه وعن فنه وعن كتبه ، الى هؤلاء الناس الذين يكتبون ، والى هؤلاء الذين يقرأون . ومن هنا ومن جهات أخرى أيضا كان المازنى شقيا بالادب ، وان كان الادب سعيدا بالمازنى ، وأى دليل على شقاء المازنى بالادب وسعادة الادب بالمازنى ، أقوى من هذه القصة التى أحدثك عنها الآن ؟

فقد اخرج كاتب من الكتاب كتابا من الكتب ، واهداه الى الاستاذ بالطبع . وعرف الناس أن هذا الكتاب قد أهدى اليه فأخذ الناس ينتظرون ، وأخذ صاحب الكتاب بنوع خاص ينتظر ، فلما طال الانتظار كان الطلب ، ولما كان الطلب ولم يجد شيئا كان الالحاح . واضطر المازنى الى أن يذعن ، وأكره المازنى على أن يكتب ، ولكنه كان قد أرسل الكتاب الى من يجلده . فلما اشتد عليه الالحاح ذهب فى طلب الكتاب من المجلد . فدفع الى رحلة غريبة ، والى استكشاف أغرب . دفع من هذه الاحياء المتحضرة التى تتسع فيها الشوارع ، وتجرى فيها السيارات ، وتنتشر فيها الشرطة ، والتى لا تتغطى ارضها بالوحل ، ولا تمطر سماؤها مرقا ولا خللا ، الى أزقة ضيقة ملتوية فاسدة الهواء ، تعيش فيها أجيال من المردة والشياطين ، وفى هذه الازقة عرف المازنى الخوف والفرق ، وعرف الهرب والغلو فيه ، وعرف كيف يكون وقع الاحجار على الاجسام ، وكيف يكون وقع التشائم فى النفوس . ثم عرف كيف يفقد الناس طرابيشهم ، وكيف ينظرون اليها وهى تهان وتمرغ فى الوحل تمريغا ، ثم عرف كيف يدفع المارون الى اقتحام الدور والاستخفاء فى البيوت وقد غاب عنها اهلها . ثم عرف قصة الرجل الذى ذهب يطلب كتابا ففقد طربوشه وعاد صفر اليدين .

والغريب ان هذه الرحلة الهائلة وما امتلأت به من الاخطار كانت كلها فى القاهرة ، وفى ساعات قصيرة ، ولست أدرى فيم يحتاج الذين يحبون الاخطار الى التماسها فى الصحراء او فى الجبال او على البحر والمحيط ، مادام الانتقال من حى من أحياء القاهرة الى حى آخر ، خليقا ان يرينا من الهول والخطر مثل ما رأى صديقنا الكاتب الاديب

ومن هنا نستطيع أن نفهم ضيق المازنى بالأدب والأدباء ، وبالكتب والمؤلفين وتضرعهم المتصل الى الله أن يعفيه من هذه الصناعة التى يشقى بها ، ولكنها تسعد به وتسعد الناس أيضا . ولكن الاستاذ المازنى يتساءل فى شيء من الحيرة : أيجب أن يقرأ ما يريد هو أم يجب أن يقرأ ما يريد الناس ؟ واذا سمح لى بأن أجيبه فانى أرى أنه ملزم بان يقرأ ما يريد ، وبأن يقرأ ما يريد الناس ، مادام قد أقبل على صناعته هذه راضيا بها أو مكرها عليها ، ولكن السؤال الذى أحب أنا أن أسأله هو . هل يظن الاستاذ المازنى أنه أبرأ ذمته امام القراء وامام المؤلف بهذا الفصل البديع الذى كتبه منذ ايام ، فحدثنا فيه عن النقد والطربوش وزجاج النافذة ، وعما تحمل الارض من وحل ، وما تمطر السماء من مرق ؟ فان كان يظن أنه قد أرضى قراءه وصاحبه بهذا الفصل فقد أصاب وأخطأ فى وقت واحد . أصاب لأن الفصل بديع ، وأخطأ لأنه لا يغنى من النقد شيئا ، فلن يعفيه صاحب الكتاب من الالحاح عليه ، ولن يدعه حتى يقول إنه قد قرأ هذا الكتاب فرضى عنه أو سخط عليه .

وسؤال آخر ، أحب الا يغضب صديق المازنى حين أسوقه اليه . ما باله يطغى على نفسه ويسرف عليها فى الطغيان ، ويصورها هذا التصوير الذى لا يلائمها بحال من الاحوال ، والذى لا نحبه لها ؟ فهل من الحق أنه هياب الى هذا الحد ؟ كلا ، ولكنه يحب أن يعبث بنفسه فيسرف فى العبث ، وأكبر الظن أننا ان حدثناه فى ذلك ضاق بنا وضجر ، وشكا من هؤلاء الطفيليين الذين يدخلون بين الناس وبين انفسهم ، وقال اذا لم يكن لى الحق فى أن أعبث بنفسى فلمن .

(البقيـــة على صفحة ٥٢٠)

والراديو أخيراً !

للأستاذ أحمد أمين

نشأت فى حي وطني ، لم يأخذ من المدنية الحديثة بحظ قليل ولا كثير ، يعيش أهله عيشة وادعة هادئة بطيئة ، لم تتغير عن معيشة القرون الوسطى إلا قليلا ، ولم تنقطع الصلة بينهم وبين آبائهم وأجدادهم ، إذا عرضت عليهم صفحة من حياة مصر قبل بضع مئات من السنين فهموها حق الفهم ، وقرأوها فى أنفسهم وفى معيشتهم ، فكانت الصلة بيني وبين سكان القاهرة فى عهد الفاطميين أو الأيوبيين أو المماليك أقرب من الصلة بين ابني وعهد اسماعيل . فالحياة فى السنين الأخيرة غيرت سكان المدن تغيراً كبيراً ، ونقلتهم نقلة مفاجئة سريعة ، حتى ليحملق الطفل فى عينك استغراباً إذا حدثته بحديث يتصل بالحياة الاجتماعية فى عهد جده أو جدته ، ويرى كأن الدنيا خلقت خلقاً جديداً .

كانت حارتنا تمثل طبقات الشعب المختلفة ، يسكنها البائع المتجول ، يظل نهاره وشطراً من ليله متنقلا فى الحارات والشوارع ، ينادى على البلح فى موسم البلح ، والخيار فى موسم الخيار . وأسرته وأقاربه يعيشون جماعات فى بيت كبير عيشة بائسة تعسة ، كل جماعة فى حجرة .

وطائفة من الموظفين من رئيس قلم فى وزارة الأوقاف ، وكاتب فى وزارة الأشغال يمثلون الطبقة الوسطى فى حياتهم الاجتماعية والمدنية .

وبيت أرستقراطي واحد كان ربه نائب المحكمة الشرعية العليا ، وكان متقدماً فى السن ، عظيم الجاه ، وافر المال ، له الخدم والحشم ، ويرهبه الكبير والصغير ، وله عربة فخمة ، تضرب خيولها الأرض بأرجلها فتملأ القلوب هيبة ، وكان كل سكان الحارة يسمونه «الشيخ» من غير حاجة الى ذكر اسم ، فالشيخ ركب . والشيخ جاء ، وعند بيت الشيخ — وكان الشيخ نعمة على الحارة ، فلا تستطيع امرأة أن ترمى ماء قذراً أمام بيتها خوفاً من الشيخ ، ولا يستطيع قوم أن يرفعوا أصواتهم فى السباب والنزاع خوفاً من الشيخ . ولذلك امتازت حارتنا من مثيلاتها ومما يجاورها بالنظافة والهدوء .

كان بين سكان الحارة رابطة تشبه الرابطة بين أفراد القبيلة ، يعتز الأولاد بحارتهم ويهتفون بها فى النداء ، ويكون بينهم وبين أولاد الحارة الأخرى منافرة فيحتكمون الى القوة ، ويعتزون بالناشيء الشجاع يظهر بينهم يذود عنهم ، ويجلب الفخر لحارتهم — ويرعى سكان الحارة حق الجوار بأدق معانيه ، يعودون أحدهم اذا مرض ، ويهنئونه اذا عوفى ، ويواسونه فى مأتمه ، ويشاركونه فى أفراحه ، وهم فى ذلك سواسية ، لا يتعاظم غني لغناه ، ولا يتضاءل فقير لفقره .

وكان لكل بيت من بيوت الطبقة الوسطى منظرة (مندرة) يتبادلون الاجتماع فى إحداها . فيسمرون فيها السمر الحلو اللطيف ، وأحيانا يحيون الليلة فى سماع قرآن أو حفلة طرب ، ولحسن حظي كان بجوار بيتنا موظف فى الأوقاف يهوى الناي ويتقنه ، فكان كثيراً ما يحيي أصدقاؤه فى منظرته حفلات شيقة بديعة ، اليها يعود الفضل فيما لي من أذن موسيقية وميل لسماع الغناء والافتتان به .

***

كان من المناظر التى لا أنساها طائفة من الرجال ، قد لبس كل منهم على جلبابه الأزرق ميدعة من الجلد ، يحمل القربة على ظهره ويمشي بها فى ركوع ، وهم يغدون فى الحارة ويروحون ، ينادي أحدهم بعد أن يفرغ قربته فى الزير « سقا عوّض » وهي كلمة كنت أفهم منها المناداة على الماء ولكن ما كنت أفهم معناها تفصيلا . بل ربما لم أفهمه الى الآن . فاذا سمعته سيدة أطلت من الشباك وأمرته أن يأتى لها بقربة حلوة أحياناً ، ومالحة أحيانا ، وربما تصنعت فى مناداتها فرققت من صوتها ، وتدللت فى نغمتها ، فكانت فتنة للسامعين .

وكثيراً ما طال النزاع بين السقا وربة البيت : فهو يقول ان القرب صارت سبعا وهى تأبى الا ستا ، ويطول الحوار والجدل والقسم بالإيمان ، وأحيانا يتفادى السقا هذا الجدل بطريقة من طريقتين . إحداهما أن يوزع خرزا من نوع خاص على صاحبة البيت عشرا عشرا ، أو عشرين عشرين وكلما أتى بقربة أخذ خرزة . فاذا فرغ الخرز علم أنه تم العدد فأخذ حسابه . وثانيتهما انه كلما أتى بقربة خط على الباب بحجر أبيض خطا ، ولم يكن يعرف الطباشير ولا كتابة الأرقام ـ وأحيانا يتهم السقا ربة البيت بأنها مسحت خطا ، وأحيانا تتهمه هى أنه خط خطين لقربة واحدة . فاذا تكرر مثل ذلك ابى السقا فى معاملة هذا البيت الا أن يأخذ نصف القرش ثمن القربة الحلوة قبل أن يتحرك من مركزه أمام باب الحارة

وفى يوم من الأيام حول سنة ١٩٠٠ رأيت الحارة قد مزقت وحفرت فيها الحفر طولا وعرضا ، ومدت المواسير وأدخلت فى بيتنا الحنفية واستغنينا عن السقا ، وأراحنا الله من سماع النزاع حولنا ، وأصبح الماء فى كل طبقة من بيتنا ، فى أسفله وأوسطه وأعلاه ، وشعرت أن البيت قد دبت فيه الحياة . فالله يقول « وجعلنا من الماء كل شيء حى » وما أنس لا أنس خادما أتت منزلنا اذ ذاك من قرية من قرى الفلاحين فعجبت أشد العجب من الماء يخرج من الحائط ثم لا ينقطع الا اذا شئنا ، وحارت فى تعليل ذلك ، وأظنها حائرة الى اليوم ان كانت على قيد الحياة .

* * *

وألفنا الماء يخرج من الحائط ، وذهب الألف بالعجب ، ولكن ظللنا نستضىء بالجاز ، وهو مايسميه سادتنا العلماء زيت البترول ، وكان لمضايقاته أشكال من العذاب وألوان ، فيوما ضربت لأنى أرسلت لأشترى زجاجة لمبة فكسرت منى فى الطريق ، وكثيرا ما فسد مفتاحها فاذا أدرناه يمينا أخذ يرتفع اللهب ثم يرمينا بالهباب ، واذا ادرناه شمالا أخذ يهبط حتى لانرى ، وهكذا دواليك ، حتى يضيق الصدر ونذهب الى النوم قبل الموعد ـ وكثيرا مانكون فى سمر لذيذ أو حديث ظريف أو قراءة ملحة ، ثم نسمع الزجاجة كسرت فينكسر قلبنا لأن الوقت ليس وقت بيع وشراء ، أو ننظر فاذا الجاز قد فرغ ولا جاز لنا ! .

ثم رأينا الاسلاك تحزم البيت ، وتحزم كل حجرة فيه وتدخل بيتنا الكهرباء فندير المفتاح يمينا فتضىء الحجرة وندير شمالا فتظلم ـ وابى الله الا أن يرزقنا هذه المرة أيضا بخادم خطبت فى قريتها وأرادت السفر لتتزوج ، فطلبت منا ان نعطيها لمبة من اللمبات الكهربائية أو لمبتين لتنيرها فى حجرتها ليلة زفافها ـ وكان لهذه الخادم فضل اظرف من هذا وألطف . فقد نظرت أول ماأتت من قريتها إلى السقف فلم ترفيه عروقا تحمل ألواح الخشب (لانه كان من الاسمنت المسلح) فصعدت الى السطح لتحقق الامر لعل السقف مقلوب ، وان العروق من فوق والاخشاب من تحت ، فلما لم تر عروقا فوق ولا تحت ، أحست بالخيبة فى تعليلها ، وفوضت الى الله أمرها ! . .

* * *

ثم دار الزمن دورته واذا بعامل يأتى ليحزم البيت من جديد ، واذا بالاسلاك تمد وعدة صغيرة تركب وجرس يدق واذا بالتليفون ، واذا بنا نتصل بمن فى القاهرة وضواحيها بل بمن فى أنحاء القطر ويتصل بنا من أحب ، وأحسست اذ ذاك أن البيت قد استوفى حظه من الحياة كما يستوفيها الجسم الحى الراقى من شرايين وأوردة على أدق ما يكون من نظام ـ وكان لى مع التليفون متاعب أود أحيانا أن لو كان لم يكن ، وأحيانا محامد احمد الله ان كان ـ فقد كنت قاضيا ، وبيتى وحده من بين القضاة فيه تليفون يصلنى برئيس المحكمة ، فقد يتغيب قاض فجأة عن الجلسة فيدق التليفون ـ آلو ـ انتدبنا كم اليوم لمحكمة العياط ، ومرة أخرى لمحكمة الصف ، وقد يكون اليوم ثقيلا ، حر يذيب رأس الضب ، أو برد يقف منه الجلد ـ على كل حال ـ فكثيرا ما كان نذيرا بشر ، وكثيرا ما كان بشيرا بخير .

* * *

وأخيراً أتى العامل أول أمس يزيد الأحزمة حزاما ،

ولكنه فى هذه المرة حزام ناقص — خط رأسى وخط أفقى ، وآلة لايأبه لها النظر ، وفى ذلك سر عجب ، هذا هو الراديو — فيه علم إن شئت ، وفن إن أردت ، وناطق إن أصغيت ، وساكت إن أعرضت ، ومتحدث بكل لسان ، وواصلك بكل مكان - إن شئت معلما فعلم ، أو غناء فغن ، أو فنا ففنان - يهزل حيث تحب الهزل ، ويجد حيث تهوى الجد . يمتاز عن التليفون بأن التليفون طالب ومطلوب ، فإذا كان طالبا فقد يفجعك بخبر ، أو يوقظك من نوم ، أو يحملك مطلبا يشق عليك ، أو يصلك بمحدث يثقل على نفسك ، ثم تريد أن تتخلص منه فلا تستطيع ، فقد لزم الأمر ، وحم القضاء . أما الراديو فليس الا مطلوبا ، هو عبد مطيع ، وخادم أمين . إما ساكت أو متكلم بما أحببت ، نديم ظريف ، جهينة أخبار ، وحقيبة أسرار ، ترياق الهم ، ورقية الاحزان ، قد تكون له مساو لم أتعرفها فان جربتها فسأحدثك عنها بعد..

أين أنت أيتها الخادم التى عجبت من حنفية الماء ، وأين أنت أيتها الاخرى التى عجبت من مصباح الكهرباء ، لو كنتما اليوم في بيتنا لشاركتكما العجب ، ولوقفت معكما حائرا من العلم الحديث والفن الحديث ، ولانفردت عنكما بالحزن العميق على ان ليس لنا من هذه المخترعات إلا المشاركة فى الاستهلاك لا فى الانتاج ، وأننا - فى مواسير الماء ومصابيح الكهرباء وآلات الراديو والتليفون — وما الى ذلك من شؤون المدنية ، لنا أن نشتري وليس لنا أن نبيع ، ولنا أن نكون من النظارة ولكن ليس لنا أن نكون من الممثلين ، ولنا ان نستورد ولكن ليس لنا ان نصدر

ان كنت أيها الراديو قد دخلت البيت أخيرا فلست آخر ما يدخل ، فهم يحدثوننا عن سلك آخر سيدخل قريبا يحمل الصور كما تحمل أنت الصوت ، فان كنا الآن نسمع لك فسنسمع بعد ونرى - ومن يدرى ! لعل اسلاكا أخرى تدخل توزع الحرارة والبرودة بقدر ، واسلاكا واسلاكا - بل لعل هذه الاسلاك لا تعجب الجيل القادم فيراها بعد ان يتحرر رمزاً لعصر بغيض أولع الناس فيه بالقيود حتى سلسلوا بيوتهم بهذه السلاسل ، وسيهزأون بهذا النوع من الحياة الساذجة التى تستعين على الرغبات بالمواسير والأسلاك ، وسينظرون الينا كما ننظر نحن الى سكان ما قبل التاريخ ، وسيعجبون اذ فرحنا باتصالنا بأهل الارض مع انهم اتصلوا بأهل السماء . وستعود البيوت من غير أسلاك ، ولكنها وافية بالمطالب التى نستمتع بها ، والتى نحلم بها ، والتى لا يقدر خيالنا الآن حتى على الحلم بها ، ويخلق ما لا تعلمون .

أحمد أمين

من حوادث النمسا

النمسا الجمهورية فى خمسة عشر عاما

٣ - الحرب الاهلية وما بعدها

للاستاذ محمد عبد الله عنان

اخذت الحياة البرلمانية فى النمسا تنحدر منذ اوائل العام الماضي الى معترك من الصعاب والعواصف ، وألفت حكومة الدكتور دولفوس نفسها فى مازق صعب . ولم يك ثمة بد من ان تنتصر المعارضة - أعنى الديموقراطية الاشتراكية - اذا تركت الأغلبية البرلمانية فى سبيلها وخصومتها ، او تتوسل الحكومة لبقائها بوسائل أخرى . ولكن وقعت فى يوم ٤ مارس أزمة برلمانية الفت الحكومة فيها فرصتها ووسيلتها ؛ وذلك ان مناقشة عاصفة حدثت فى البرلمان فى ذلك اليوم حول تصرف نائب اشتراكى اتهم بانه وضع ورقتين فى صندوق التصويت ، واشتد القذف والاتهام والهرج من الجانبين ، فاستقال الدكتور رنر رئيس المجلس واستقال الوكيلان ، ومن ثم غدا انعقاد المجلس مستحيلا ، اذ لا يستدعيه للانعقاد طبقا لنص الدستور سوى الرئيس او احد وكيليه ؛ وقدمت الوزارة استقالتها للرئيس ميكلاس فابى قبولها ، وفوض لرئيسها ان يعمل بقوانين الطوارىء ، وبذا اتخذت الوزارة صبغة دكتاتورية ، واستطاعت ان تصدر بعض القوانين الاستثنائية التى رأت ان الحاجة تدعو اليها مثل رقابة الصحافة ، ومنع الاجتماعات والمظاهرات السياسية الخطرة على النظام ؛ بيد ان الوزارة ما لبثت ان اضطرت ان توجه

كل جهودها لمقاومة خطر آخر . أخذ يشتد شيئا فشيئا وينذر مصاير النمسا بشر العواقب : ذلك ان الوطنية الاشتراكية الالمانية أخذت منذ استيلائها على مقاليد الحكم فى ٣٠ يناير (سنة ١٩٣٣) تتدخل فى شئون النمسا بطرق ووسائل عديدة ، وبث الدعاة الهتلريون فى جميع انحاء النمسا دعوة شـــديدة لتحقيق مشروع الاتحاد النمسوى الإلمانى (الانشلوس) . وضم النمسا لالمانيا كما نعلم غاية جوهرية من غايات الوطنية الاشتراكية الالمانية سجلت فى برنامج الهر هتلر منذ انشاء الحزب الوطنى الإشتراكى ، وعبر عنها « بتحقيق وحدة الشعوب الجرمانية » ؛ وقد شرحنا فيما تقدم كيف نشأت فكرة اتحاد النمسا مع المانيا وتطورت . وكانت الفكرة ماتزال قوية فى النمسا لدى الكتلة المحافظة حينما ظفرت الوطنية الاشتراكية بتولى الحكم فى المانيا ؛ ولم يكن يعارضها سوى الاشتراكيين الديموقراطيين ؛ ولكن السياسة العنيفة الهوجاء التى اتبعتها حكومة برلين ازاء النمسا ، كانت كما قدمنا سببا فى انهيار مشروع الوحدة ، وكشف عدوان الوطنية الاشتراكية وصلفها وتجنيها فى الحال للشعب النمسوى عن فداحة الخطر الذى يهدد استقلاله وكيانه ، وأيقن ان هذه الوحدة لاتعنى فى نظر برلين سوى خضوعه وعبوديته ، وثارت حكومة فينا ومن ورائها الشعب كله ضد هذا التجنى ، وابدى الدكتور دولفوس حزما وصرامة فى قمع الدعوة الوطنية الاشتراكية التى تنظمها حكومة برلين وتمدها بالمال والنصح ؛ وأجاب الهتلريون بتدبير سلسلة من الإعتداءات والحوادث الجنائية ؛ ولا سيما فى فينا وسالزبرج (شهريونيه) . وأجابت حكومة برلين على ذلك بمنع السياح الألمان من زيارة النمسا ، وفرضت غرامة فادحة للتصريح بهذه الزيارة ، وساءت العلائق بين فينا وبرلين الى أعظم حد ، وشغلت وزارة دولفوس بذلك الخطر الجديد الذى يهدد أمن النمسا وسلامتها ، ولم تدخر وسعاً فى مقاومته ، وأيدها فى ذلك خصومها الديموقراطيون الاشتراكيون لأنهم أدركوا الخطر الذى يهدد الديموقراطية إذا ظفرت الوطنية الاشتراكية فى النمسا ؛ وعمد الدكتور دولفوس إلى العمل السياسى ، فزار رومة ولندن وباريس ليثير قضية النمسا باعتبارها مسألة أوربا الوسطى ، وليبين ان استقلالها مسألة دولية تهم قضية السلام الاوربى كله : فنجحت مساعيه فى هذا الشأن ؛ واستطاع أن يغنم مؤازرة دول الحلفاء ضد السياسة الألمانية ، وأن يحصل على تعديلات هامة فى النصوص العسكرية لمعاهدة سان جرمان ، إذ سمح للنمسا أن تزيد جيشها ووسائلها الدفاعية : وتولى الجنرال فاوجوان وزير الحربية وزعيم الحزب المسيحى الاشتراكى (بعد وفاة المونسنيور سيبل) تنظيم القوات الجديدة ، ونظم قوات الهايمفر أيضا لتعاون فى تأييد النظام ؛ واستطاع الدكتور دولفوس بكثـــير من الحزم والشجاعة والجلد أن يحبط تحريضات الدعوة الألمانية ودسائسها ، وكاد يفقد حياته فى ذلك السبيل ؛ اذ أطلق عليه الرصاص من أحد الدعاة الهتلريين وأصيب اصابة خطيرة (فى ٣ اكتوبر) ولكنه نجا ؛ ولم يزده الاعتداء سوى شجاعة وإقدام فى مقاومة الخطط والدعوات الهتلرية ومطاردة أنصـــارها فى جميع انحاء النمسا .

ooo

فى أثناء هذا الصراع كانت الديموقراطية الاشتراكية ترقب مجرى الحوادث . وكانت الخصومة الخالدة بين الديموقراطية والكتلة المحافظة (الاشتراكيين المسيحيين والهايمفر) ما تزال قائمة ، ولكن الديموقراطيين الاشتراكيين كانوا يؤيدون الحكومة فى قمع الدعوة الوطنيـــة الاشتراكية ، ويشتركون معها فى خصومة الجبهة النازية (الوطنية الاشتراكية) لأنها خطر فادح على مثلهم وكيانهم ، بيد أنهم لم يهادنوا الحكومة فى غـــير ذلك ، ولم يتركوا فرصة لمعارضتها والعمل على اسقاطها ؛ وكانت الحكومة من جانبها تخشى خطط الديموقراطيـــة ومفاجآتها ؛ خصوصا مذ تذرعت بالسلطة الدكتاتورية ، ورفضت اجراء الانتخابات واعادة الحياة النيابية . كانت المعركة دائمة مستمرة بين الجبهتين اللتين تشغل خصومتهما حياة الجمهورية منذ قيامها ، ولكنها كانت فى الأشهر الأخيرة معركة تربص وأهبة ، وكان من الممكن بل من الطبيعى أن يقع الصدام بينهما من آن لآخر ، كما وقع دائماً خلال الأعوام الأخيرة ، بيد أنه لم يكن يتوقع أحد أن تضطرم بينهما معركة الحياة والموت فى مثل هـــذه الظروف العصيبة ، ولم يكن يتوقع أحد بالأخص أن تلقى الديموقراطية النمسوية حتفها فى تلك المعركة وأن تختفى من ميدان الحوادث بمثل هذه السرعة .

ولقد شهدنا منذ أسابيع قلائل فقط تلك المعركة الهائلة وتتبعنا حوادثها السريعة بمنتهى الروع والدهشة : كانت مفاجاة لم تتضح حتى اليوم ظروفها وبواعثها الحقيقية . ويكتفى بان نقدم هنا خلاصة

وجيزة عن تلك الحوادث التى لا تزال ماثلة فى الاذهان : فنى ظهر يوم الاثنين الثانى عشر من شهر فبراير ، ذهبت سرية من رجال البوليس لتفتش دار العمل (مركز الديموقراطيين الاشتراكيين) فى مدينة لنتز عاصمة النمسا العليا ؛ فاطلق الجند الديموقراطيون (الشوتسبند) النار على البوليس والقوا عليه القنابل ؛ فقتل عدة من رجاله : فارسلت الحكومة فى الحال عدداً كبيراً من الجند ، ونشبت المعركة الاولى فى لنتز بين الديموقراطيين وجند الحكومة ، والظاهر أن هذا الحادث الأول كان ايذانا بنشوب المعركة العامة . فنى نفس الوقت قطع العمال فى فينا التيار الكهربائى فعطلت المواصلات ؛ وأعلن الاعتصاب العام ؛ وكان ذلك بدء الحرب الاهلية فاعلنت الحكومة القانون العسكرى وحشدت القوات بسرعة البرق فى كل ناحية ، ولم يأت المساء حتى كانت مدينة فينا تضطرم بلظى معارك هائلة ؛ وتحصن رجال الشوتسبند فى مساكن العمال الكبرى ، ولا سيما فى كارل ماركس هـوف ، وأوتاكرنج وسيمرنج وفلوريتسدورف ، وغيرها من ضواحى المدينة الآهلة بالعمال ، وأصلوا جند الحكومة وابلا من الرصاص والقنابل ، واطلقت قوات الحكومة المدافع الكبيرة على معاقل الاشتراكيين ؛ واستمرت المعارك فى اضطرامها وشدتها حتى يوم الاربعاء . ووقعت مثل هذه المعارك فى عدة مدن فى الاقاليم ، ولا سيما بروك وشتير وجراتز واشترك جنود الهايمفر مع قوات الحكومة ؛ وأبدى الاشتراكيون شجاعة وبسالة نادرتين فى الدفاع عن معاقلهم وأنفسهم ؛ واستعملت الحكومة منتهى الشدة والعنف ؛ وقبضت على الموظفين الاشتراكيين وعلى أعضاء المجلس البلدى ؛ وقررت حل الحزب الاشتراكى الديموقراطى ومصادرة مراكزه وأوراقه وأمواله وصحفه وكل مؤسساته ، وصدرت أحكام الاعدام ونفذت على كثير من الاشتراكيين ، ولم يأت مساء الخميس ١٥ فبراير أى لرابع يوم فقط من بدء القتال حتى كانت قوى الاشتراكية الديموقراطية قد حطمت فى كل ناحية ، وغدت فلولا ممزقة ؛ وقبض على عدة من زعمائها مثل رنر وسايتز وسفر ؛ وفر الزعيمان باور ودويتش الى تشكوسلوفاكيا ؛ وانتهت تلك المأساة الدموية بمقتل الفين وجرح آلاف من الجانبين ؛ واختفت الديموقراطية الاشتراكية من الميدان ؛ واختتمت حياتها القوية الحافلة بسرعة ؛ وقضت الكتلة المحافظة (الاشتراكيون المسيحيون والهايمفر) على خصومها الخالدين لتنفرد بالإشراف على مصاير النمسا

***

ولقد كان سحق الديموقراطية عملا فى منتهى الجرأة والخطورة من جانب الدكتور دولفوس وزملائه وخصوصا لما اقترن به من العنف والضحايا الفادحة . ومن الصعب أن نقول اليوم كلمة حاسمة سواء فى المسئولية أو النتائج : فاما من حيث المسئولية فان حكومة فينا ترجعها جميعا الى الاشتراكيين ، وتقول انه يبدو من اضطرام الثورة فى معظم انحاء النمسا فى وقت واحد ، ومن شدة المقاومة التى بذلها الاشتراكيون ، ووفرة الاسلحة والذخائر التى وجدت لديهم ؛ ومناعة الابنية التى اعتصموا بها ، أن الثورة كانت مدبرة ، وأن الديمقراطية الاشتراكية كانت تتأهب للقيام بضربة عنيفة للاستيلاء على مقاليد الحكم ؛ بيد أنه يقال فى ذلك أيضا إن الحكومة دلت على مثل هذه الأهبة ، وأن ما أبدت من الشدة والعنف فى قمع الحركة ؛ ومن قسوة وافراط فى إراقة الدم ، ومن تصميم على سحق الديمقراطية الاشتراكية لا لإخضاعها فقط ، يدل على انها عملت بتدبير وقصد ؛ وتتهمها بعض الدوائر الخارجية فوق ذلك بانها كانت تعمل فى ذلك بوحى من السياسة الايطالية . واما من جهة النتائج فان الديمقراطية الاشتراكية كانت سندا قويا للحكومة فى كفاحها ضد الدعوة الهتلرية ، وكانت بطبيعتها هى الصخرة التى تتحطم عليها محاولات الوطنية الاشتراكية الالمانية ؛ فالآن وقد سحقت ، فانه يخشى أن لا تستطيع الكتلة المحافظة أن ترد بمفردها عدوان السياسة الالمانية ، ومحاولات دعاتها فى الداخل ؛ واختفاء الديمقراطية الاشتراكية من الميدان يشجع الحركة الفاشستية على الظهور ، وقد اشتد ساعدها الآن بالفعل واضحى لانصارها « الهايمفر » كبير نفوذ وسلطان فى الحكم وفى تسيير الشئون العامة ؛ والهايمفر يملون اليوم ارادتهم على حكومة فينا ، وليس بعيدا أن يتحركوا غدا لانتزاع الحكم . بيد أن « الهايمفر » مازالوا يؤكدون خضوعهم للدستور وولاءهم للحكومة ؛ وقد نفوا غير مرة بلسان زعيمهم البرنس شتارهمبرج ما ينسب اليهم من التأثر بوحى السياسة الايطالية ؛ وصرح البرنس شتارهمبرج غداة سحق الاشتراكية ، بان الفاشستية النمسوية تقتبس حقيقة من مبادىء الفاشستية الايطالية ولكنها ليست مقلدة عمياء ، بل هى تفكر وتعمل طبقا لظروف النمسا وحاجاتها ؛ ولخص برنامج حزبه فقال : ان الهايمفر ابعد ما يكون عن فكرة ارهاق الطبقات العاملة ، ولكنهم

يعملون لجمع كلمتها حول مثل اجتماعية مشتركة ؛ والهايمفر مخلصون لمبدأ الجامعة الجرمانية ، ولكنهم أيضا مخلصون لمبدأ الاستقلال النمسوى ، ولا يقبلون بأى حال أن تبسط ألمانيا سيادتها على النمسا ، ولا أن تبذل النمسا ذرة من استقلالها فى سبيل ارضاء ألمانيا . وهم ينكرون مبادىء السياسة الهتلرية كلها لانها تنافى مثلهم النصرانية . هذا وليس هنالك فى الآونة الحاضرة ما يدل على أن الهايمفر يفكرون فى القيام بأية حركة لمقاومة الحكومة ، وكل ما هنالك بالعكس يدل على أن التفاهم تام بين الفريقين .

وقد اتخذت مسألة استقلال النمسا عقب الحوادث الاخيرة أهمية خاصة ، ولا سيما لما تبين من أن النازى النمسويين (الوطنيين الاشتراكيين) ، سواء داخل النمسا أو فى ألمانيا حيث يحتشد منهم عدة آلاف يتربصون الفرص لتنفيذ خطط حكومة برلين ، ويدبرون الوسائل لاحداث انقلاب يمكنهم من انتزاع الحكم . وحكومة برلين هى التى تقوم فى الواقع بتنظيم هذه الحركة كلها ، وقد انتدبت لذلك عدة من الدعاة والمحرضين على رأسهم الدكتور هابخت ؛ وحشدت من اللاجئين النمسويين قوة عسكرية كبيرة تهدد من آن لآخر باقتحام الحدود والزحف على فينا ؛ وقد غدت مسألة استقلال النمسا مسألة دولية ، وانتهت المساعى التى بذلتها حكومة فينا فى ذلك السبيل بأن اعلنت ايطاليا وفرنسا وبريطانيا العظمى فى تصريح رسمى بانها ترى وجوب المحافظة على استقلال النمسا كشرط لاستتباب السلم فى أوربا ، وابدت ايطاليا اهتماما خاصا بمقاومة مشاريع السياسة الالمانية لانها تهدد سلامة حدودها الشمالية ومصالحها فى اوربا الوسطى ، وتوترت العلائق من أجل ذلك بين ألمانيا وايطاليا ، وانتهت الجهود التى بذلها السنيور موسولينى فى ذلك السبيل بأن عقد أخيرا فى رومة ميثاق سياسى اقتصادى بين ايطاليا والنمسا والمجر يرمى الى توحيد الجهود السياسية والاقتصادية بين الدول الثلاث فى سبيل رد أى اعتداء يوجه الى حقوقها أو مصالحها .

وكان من أثر ذلك أيضا أن قويت الدعوة الى اعادة الملوكية فى النمسا كوسيلة لتقوية استقلالها والقضاء على اسباب الخلاف الداخلى فيها ، وليس فى معاهدة الصلح (سان جرمان) ما يمنع عودة آل هبسبورج الى النمسا وعودة العرش النمسوى ، ولكن الحلفاء كانوا يعارضون دائما فى هذا العود ، بيد أن الفكرة تلقى اليوم قبولا فى كثير من الدوائر التى كانت تنكرها من قبل ، وقد نشطت هذه الدعوة اخيرا فى النمسا ، واقيمت عدة اجتماعات من أنصار الملوكية تحت رعاية الحكومة ، وقيل إن رئيس ميكلاس ينوى الاستقالة من منصبه قريبا ليمهد الى هذا العود ، ولا يوجد فى النمسا من يعارض الفكرة الآن بعد ذهاب الديموقراطية الاشتراكية ؛ وهى بالعكس تلقى تأييدا من الحزب المسيحى الاشتراكى (حزب الحكومة) ومن حلفائه الهايمفر . ويرى أنصار الفكرة أن عود الملوكية خير وسيلة للقضاء على مشاريع السياسة الالمانية فى ضم النمسا (الانشلوس) وأما فى الدوائر الخارجية فان ايطاليا وفرنسا اللتين كانتا تعارضان من قبل فى هذا العود أشد المعارضة ، لا تريان اليوم بأسا منه ، وفى وسع فرنسا أن تذلل معارضة حليفتها تشيكوسلوفاكيا وفى وسع ايطاليا أن تذلل معارضة صديقتها المجر ، وعندئذ تغدو مسألة عود آل هبسبورج الى عرش النمسا مسألة تخص النمسا وحدها ، وتتوقف على ارادة الشعب النمسوى وحده ؟

« تم البحث »

محمد عبد الله عنان

التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية؟

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

— ٤ —

الملح

من الخرافات أو بالأحرى من العادات السائدة التي نشترك نحن والمتوحشون فيها عادة أكل الخبز والملح فنتفاءل من الملح لأنه علامة الولاء والصداقة والإخاء .

وفي مصر عادة ، وهي أنه اذا وقع طفل على الأرض رشوا في المكان الذي وقع فيه شيئاً من الماء مذابا فيه الملح . وهذه العادة شائعة بعض الشيوع حتى اليوم بين الطبقات المتوسطة والوضيعة

ويتوهم الفرنجة أنه اذا حدث لاقدر الله وانقلبت المملحة على مائدة الطعام كان ذلك نذير شؤم ، الا اذا اخذ احد أصحاب البيت شيئاً من الملح المقلوب على طرف ملعقة والقاه من فوق كتفه اليسرى وهو ينطق بكلمة « ستبستروم » .

وان اهل العصور الغابرة كانوا اذا أرادوا هدم بناء لتطهيره من دنس أو لعنة رشوا على ارضه الملح قبل ان يشيدوه ثانية .

ويقول التاريخ أن امرأة لوط تحولت الى تمثال من ملح ، ويقال ان الاقدمين كانوا يعاقبون أرقاءهم المكلفين بنقل الملح بالإعدام لو سقط منهم شيء منه على الأرض .

ويذكر كذلك أيضا أن بعض حكومات أوربا كانت توزع الملح مجانا على الأسر التي لا يزيد عدد افرادها على اثنى عشر شخصا ، ويعتقد نساء الفرنجة أن سقوط الملح على الأرض نذير شؤم وسوء .

أما أصل هذا الاعتقاد فيرجع الى تأثير الملح في حياة الانسان وغذائه ولأن الملح كان من اندر الاشياء وجودا عند المتوحشين وانهم مولعون به ، يقفون الخصام أحيانا لكي يقايضوا بأي شيء لاجله . يذهب احدهم الى تخوم القبيلة الأخرى فيضع ماعنده من سلع ثم يتركها ويعود في اليوم التالي فيجد بدلا منها ملحا يحمله الى أهل قبيلته ، وقد كان القدماء يحتاجون الى الملح اكثرمنا لان معظم

قوتهم كان من النبات لا من الحيوان . ولذلك كانوا إذا اكرموا ضيفا قدموا له أشهى ماعندهم للنفس وأغلى مايمكنهم الحصول عليه وهو الملح ، وبقيت هذه العادة الى وقتنا هذا ، وكذلك لأنه يستعمل في كثير من الأحوال الدينية عند المسيحيين فهم يذيبونه في الماء المقدس وكذلك يضعون قليلا منه على طرف لسان الطفل في حفلة العماد .

الخبز المرتد

من الخرافات التي شاعت في فرنسا أن الفرنسيين يتشاءمون من أكل الخبز المرتد الى الخبز ، وذلك أن الخبازين كانوا يحجزون للجلادين خبزهم الخاص بهم ويضعونه في مكان منعزل ، فاذا اتم العامل صنعه أخذه صاحب الخبز ووضعه في مكانه الخاص ريثما يأتي الجلاد فيأخذه ، وكان هذا الخبز يسمى الخبز المرتد .

السن

من الخرافات الفاشية أن يرى الفتى سنه في عين الشمس من وراء ظهره .

وأن بعض طلبة جامعات أمريكا وأوربا الى يومنا هذا يحتفظون بضروس العقل المقلوعة في جيوبهم ويحرصون على حملها معهم الى قاعة الامتحان في نهاية كل عام .

أما عادة إلقاء السن في عين الشمس فمعروفة عند العرب ، وقد ذكرت في أشعارهم ، كما هي معروفة عند فتياننا وفتيان الغربيين ، بل وفتيان المتوحشين . ومن عادات هؤلاء أن يأخذ الوالد سن ولده فيضعها في أصل شجرة كبيرة ويدعو لولده بأن يبلغ في الرفعة والقوة مثلما بلغت هذه الشجرة ، ومن عاداتهم أيضا أن ينزعوا سنا أو سنين للشاب عند مايتناول سر الرجولة أي عند مايسمح له بأفعال الرجال .

وقد تكون عادة القاء السن السائدة الآن بقية من بقايا العصور الغابرة حين كان قلع السن بشير الرجولة ، فالصبي يتفاءل بقلع سنه كأنه يرى في ذلك دليلا على انه اقترب من الرجولة ، وقد يتساءل القارىء الآن : لماذا يقلع رجال القبيلة سنا أو سنين للشاب الذي يريد الدخول في زمرتهم ؟ والجواب أن هذا القلع يجرى على سبيل تجربة الشاب من حيث القدرة والجلد على تحمل الآلام .

يتبع — ابراهيم تادرس بشاي

في علم النفس

الأحلام والتحليل النفسي

بين فرويد وابن سيرين

للدكتور عبد الفتاح سلامه

إن الذي حدا بي الى البحث عن الأحلام وما تدل عليه ، هو في الواقع رغبتي في إظهار فضل ابن سيرين على هذا الفن الذي يدعى فرويد Freud أنه هو الذي أنشأه وأوجده ، في حين أنه لم يصل الى شهرته العظيمة في التحليل النفسي إلا بعد أن ترسم خطى ذلك المفسر العربي العظيم واقتفى أثره .

فتفسير الأحلام والتحليل النفسي هو في رأيي من عمل الأقدمين ، وإذا قلت الأقدمين فاني أقصد بذلك الشرق ، وهو لا يمت الى الغرب بصلة ، اللهم إلا صلة النقل ومحاولة فهمه والاستفادة منه .

ولا بد لي قبل الموازنة بين ابن سيرين وفرويد من أن أشرح نظرية فرويد في تكوين الرؤيا وكيف يتصدى هو الى تفسيرها .

وكذلك سأشرح رأى ابن سيرين وطريقته في التفسير ، وسيظهر جليا كيف أن الأولى هي وليدة الثانية إن لم تكن هي هي مع قليل من التحوير ، وسأبين أيضاً كيف تدل الرؤيا على حوادث المستقبل في بعض الأحيان .

تتلخص نظرية فرويد في أن الرغبة أو الأمل الذي لم يتحقق هو الذي ينبه العقل الى العمل والتخيل أثناء النوم ، وتكون النتيجة أن العقل يتخيل أن رغبته قد تحققت ، أو بمعنى آخر فان الرؤيا قد تعتبر حارساً للنوم ، وظيفته أن يجعل النوم هادئاً مطمئنا ، لأنها تخيل الى الانسان أن رغبته قد تحققت فلا داعي اذن الى التفكير .

ويقول فرويد أيضـا : إن بين رغبات الانسان مالا يتفق ونظام المجتمع فقيد تتمنى نفسه شيئا محرما يقف ضميره دون تحقيقه ، فتتحين النفس فرصة يضعف فيها الضمير فتتحقق رغبتها ، ومن الناس من يضعف ضميره في اليقظة فيحقق رغبته المحرمة بالفعل ومنهم من لا يضعف ضميره الا إذا نام إذ يتخيل تحقيق رغبته الملحة ، وذلك في الرؤيا أي في وقت يكون الضمير فيه نائما أو ضعيفا

فلا منع اذن ولا تأنيب ، ويقول فرويد إن هذه الرغبات لا يعرف الانسان عنها شيئا مطلقا مع أنها ليست غريبة عنه ، وذلك لأن الضمير يطردها من العقل الواعي أو ما يسمونه العقل الظاهر .

ومع غياب هذه الرغبات عن الوعي فهي ممثلة في العقل الباطن ، ممثلة فيه كأفكار كامنة ، وانها سبب الرؤيا وسبب مباشر لكل الامراض العصبية التي يسميها فرويد Malanies de transfert وهو يقول أيضا إن المريض اذا صبح على بينة من افكاره ورغباته الكامنة فانه يوجه اليها قوته العقلية المميزة ويضعها في ميزان النقد والتقدير ، وبهذا فقط يتخلص من مرضه العصبي الذي يسببه له ولأسرته كل أنواع المتاعب . هذا في الواقع هو الذي حفز فرويد الى دراسة الاحلام لأنها في نظره وسيلة من الوسائل التي توصل الى كشف الرغبات الخفية للنفس . وفيما يلي طائفة من الاحلام التي حللها فرويد .

١ — رأت آنسة كأن أخاها في دولاب مقفل وكان تفسير فرويد أن الآنسة تود الا يتدخل أخوها في شؤونها — ذلك لان وجود الأخ في الدولاب المقفل رمز لعدم قدرته على رؤيتها ، وبالتالي رمز لعدم إمكان انتقادها أو التدخل في شؤونها

٢ — زوجة رأت أنها اشترت ثلاث تذاكر لها ولزوجها لحضور حفلة تمثيلية وأنها اشترت هذه التذاكر الثلاث بفرنك ونصف ، وأنها اشترت التذاكر قبل ميعاد التمثيل بثلاثة أيام خوفا من نفاد التذاكر ، وأنها حضرت إلى صالة المسرح قبل رفع الستار بساعة خوفا من الزحام ، ولكنها لما دخلت مع زوجها وجدت كراسي كثيرة خالية ، وهذا معناه أنها ما كانت لتخسر شيئا لو انها لم تتعجل في شراء التذاكر ولا في التبكير في الحضور ، وأخبرها زوجها وهو يلاطفها في المسرح بأن صديقتها فلانة وزوجها قد اشتريا تذاكر ولكنهما لم يحضرا ، ولما سألها فرويد علم منها ما يأتي . صديقتها المذكورة في الرؤيا أصغر منها بثلاثة أشهر وهي لم تتزوج الا بعد زواج صاحبة الرؤيا بعشر سنين ، ولاجل تفسير هذه الرؤيا المعقدة تجد أن فرويد قد حاول تحليلها بطريقة الرموز على الوجه الآتي

الحفلة التمثيلية رمز لحفلة الزواج ، والرقم ٣ رمز للرجل وهو الزوج في هذه الحالة ، وإذا عرفنا أن المرأة هي التي تدفع المهر عند الافرنج وأنها اشترت ثلاث تذاكر بفرنك ونصف ، كان معنى ذلك أنها دفعت مهر زوجها رخيصا فهي غير سعيدة في زواجها ، وما كان اسعدها لو أنها تأخرت في الزواج كزميلتها التي تزوجت من رجل

أشجع وأحسن من زوجها وذلك بفضل تربيتها حتى جمعت مهراً لائقا برجل كريم

من هذين المثالين نرى ان فرويد قد استعان فى تحليله النفسى بالاحلام وأنه فسر هذه الأحلام بواسطة أسئلته لصاحب الرؤيا وبواسطة فكه للرموز بهذه الأحلام

أما هذه الرموز فهى موجودة ، فى اللغة ، موجودة فى الشعر موجودة فى الأمثلة السائرة ، وفى الحكم المنثورة ، وفى كلام العامة ، والخاصة وفى كل شىء . فالشمس والقمر قد يكونان رمزا للوالدين أو رمزا للملوك . وصغار الطيور قد تكون رمزا للأطفال والابناء . وهكذا يقول فرويد إن لكل أمة رموزها الخاصة وهو على حق ، لأن لكل أمة لغتها الخاصة وآدابها وأمثلتها . وبعد ، أفليست هذه الطريقة هى طريقة ابن سيرين فى التفسير وقد كان يسأل صاحب الرؤيا مليا فى النهار وهو يقول فى كتابه إن الرؤيا قد تأتى عن رغبة فى النفس كأن يرى الانسان نفسه مع من يحب أو قد يرى الأكل أمامه اذا كان جائعا ، وأما الرموز عند ابن سيرين فهى كثيرة ليس لها حصر ، وليس له مثيل فى هذا الباب وقد أخذ هذه الرموز من القرآن كالآيات الآتية .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقوله تعالى فى النساء « بيض مكنون » وكان يأخذ رموزه أيضا من الحديث كقول النبى صلى الله عليه وسلم « رفقا بالقوارير » يعنى النساء ـ وقد كان يأخذ رموزه أيضا من الأمثلة المبتذلة كقول ابراهيم لاسماعيل عليهما السلام « غير اسكفة الباب » أى طلق زوجتك وكقول لقمان لابنه « غير فراشك » يعنى زوجتك أيضا وفيما يلى طائفة من الرؤى التى فسرها ابن سيرين

١ ـ جاءت امرأة الى ابن سيرين فقالت : رأيت كأن فى حجرى لؤلؤتين أحداهما أكبر من الأخرى وقد طلبت أختى منى أحداهما فأعطيتها الصغرى ـ فقال ابن سيرين تعلمت سورتين من القرآن إحداهما أكبر من الأخرى وقد علمت أختك الصورة الصغرى

ـ ٢ ـ جاء رجل الى ابن سيرين وقال : رأيت كأن ثورا عظيما خرج من جحر صغير وأراد أن يرجع الى الجحر فلم يتمكن من ذلك . فقال ابن سيرين هى الكلمة العظيمة تخرج من فم الرجل ثم يندم عليها

وظاهر هنا ان ابن سيرين قد رمز للسورة باللؤلؤة وللكلمة بالثور وللفم بالجحر . وبديهى أنه ـ تمشيا مع عادته فى التفسير ـ قد سأل أصحاب الرؤيا عما فى أنفسهم قبل ايضاحه لهم ما تدل رؤياهم عليه . وهناك طائفة أخرى من الاحلام قد فسرها ابن سيرين وفى تفسيره لها شىء من التنبؤ وهاك بعض الامثلة :

١ ـ جاء رجل إلى ابن سيرين وقال رأيت كأنى البس خاتما جميلا فصه من ياقوت فقال تتزوج من امرأة جميلة غنية أى انه حمل المعنى على المستقبل

٢ ـ جاءت الى ابن سيرين امرأة وكان زوجها غائبا وقالت له : رأيت كأن أسكفة الباب العليا سقطت على السفلى ، فقال ابن سيرين : سيعود زوجك . وهنا أيضا حمل المعنى على المستقبل

ونحن من جانبنا لا نتعرض لموضوع التنبؤ الآن لاننا سنوفيه حقه فيما بعد ، ونكتفى بذكر رؤيا عظيمة تدل على مبلغ تضلع العرب فى تفسير الاحلام . فقد حدث المنصور أنه رأى فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمسة ، فاحتار المنصور فى تأويل رؤياه لانه لا يعلم هل سيموت بعد خمسة أشهر أو خمس سنين ، ولكنه سأل الامام ابا حنيفة ، فقال له انه يشير الى الآية (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت) فكأن ملك الموت يريد أن يذكره بالخمسة أشياء التى لا يعرفها غير الله ومن ضمنها وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا

هذا هو تفسير أبى حنيفة ، ولعمرى لا يمكن لفرويد ان يزيد شيئا على هذا التفسير ، اللهم الا اذا قال كعادته إن هذه الرؤيا تمثل محاورة بين النفس والضمير ، فالنفس ترغب فى معرفة عمرها والضمير بصورة ملك الموت يقطع عليها هذه الرغبة قائلا إن ذلك من علم الله

وانى مع اعترافى لفرويد بالنبوغ فى التحليل النفسى بواسطة الاحلام ، وأنه هو الذى نبه العصر الحديث الى أن الاحلام لها مغزى يجب أن نعرفه اذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا ، وان التحليل النفسى هو الطريقة المثلى لعلاج الامراض العصبية علاجا أكيدا . أقول مع اعترافى بكل هذا فانى أشعر بأن هذا العصر الحديث مدين لابن سيرين ومفسرى العرب لأنهم هم الذين أناروا الطريق لفرويد حتى وصل الى هذه الشهرة العالمية العظيمة ، ومن الغريب أن فرويد فى كتبه العديدة لم يذكر كلمة عن ابن سيرين .

وقبل أن أتكلم عن علاقة الرؤيا بالمستقبل أود أن أذكر هنا رؤيا اخرى مما طلب إلى تفسيره

١ — شاب موظف متزوج وله اطفال رأى كأن فى بيته فراريج صغاراً داس على فروج فمات

هذه رؤيا ظريفة وصغيرة ولكنها تدل على معنى كبير لان الفراريج رمز للأطفال ، فهل من المعقول أن يود أبو دموت طفله بيده ؟ قد يبدو ذلك محالا ، ولكن الواقع أن الأسئلة قد جعلته يعترف بانه ليس سعيدا فى حياته الزوجية ، وأنه يتمنى لو لم توجد هذه الرابطة : رابطة الاطفال بينه وبين زوجته

اذن تريد النفس ألا يكون هناك أطفال ، ولكن الضمير يقف حائلا دون ظهور هذه الرغبة فتكتفى النفس بتمنى موت طفل واحد ولكن تحت ستار آخر غير ستار كراهية الزوجة ، وهذا الستار هو أن ذلك الطفل مريض مرضا خطيرا وخير له أن يموت من أن يواجه الدنيا فى المستقبل ويده اليمنى مشلولة . ذلك الذى يتمنى موت طفله لان يده اليمنى مشلولة يقول أيضا بأن بعض الاطباء قرر بأن الشلل موضعى وأن الشفاء ممكن لو عنى به العناية اللازمة اذن فليست هى الشفقة التى تدفعه الى تمنى موت طفله اذ انها بالعكس تدفعه الى معالجة ذلك الابن المرموز له بفروج صغير فى الرؤيا ، وعلى هذا فالوضع الظاهرى للحالة هو التخلص من الابن شفقة به ، والوضع الحقيقى هو انه يرغب فى الانفصال عن زوجته فترغب نفسه موت اطفاله فى هذا السبيل

الى هنا نقف برهة عن سرد امثلة أخرى لانه قد يتبادر الى الاذهان السؤال الآتى .

اذا كان فرويد قد تتبع طريقة ابن سيرين فى تفسير الاحلام فلماذا نرى هذا الفرق العظيم فى نتيجة التفسير ؟ ففرويد مثلا يقول لصاحب الرؤيا ان عندك رغبة فى كذا ، ولكن ابن سيرين يقول لصاحب الرؤيا أنت حدث لك كذا أو سيحدث لك كذا ؟

اما كشف حوادث الماضى فان ذلك ممكن لمحللى النفس كما كان ممكنا لابن سيرين ، ولكنهم لم يكتفوا بالكشف عن حوادث الماضى بل تخطوها الى معرفة رغبات النفس التى اقترنت بهـــذه الحوادث ، والذى يعنينى هنا هو تعرض ابن سيرين لحوادث المستقبل . والواقع أن ابن سيرين كان استاذا فى الايحاء الذى يسمونه Suggestion كما كان استاذا فى التحليل النفسى

وفى كتابه نرى كيف يختار الوقت والمكان اللذين اذا عبر فيهما يكون اقرب الى الخير منه الى الشر ، وكيف يدعو الله قبل سماع الرؤيا لجلب الخير ودفع الشر وتأكيده فى كتابه بان على المعبر ان يختار الكلام المبشر بالخــير ، لان أول تعبير فى نظره هو الذى لابد من وقوعه

إذن فالايحاء هو الذى أوجد الفرق بين ابن سيرين وفرويد ، ففى رؤيا ابن سيرين التى قال فيها لصاحب الخاتم أنك ستتزوج امرأة جميلة غنية لو قصت هذه الرؤيا على فرويد لقال لصاحبها إن عندك رغبة فى أن تتزوج بالمرأة الجميلة الغنية التى تعرفها . وفى رؤيا ابن سيرين التى قال فيها لصاحبتها إن زوجها سيحضر لأن اسكفة الباب العليا قد اجتمعت على أسكفة الباب السفلى لو عرضت هذه الرؤيا لفرويد لفسرها بأن الزوجة عندها رغبة فى رجوع زوجها ، وربما قال لها أكثر من ذلك لما فى اجتماع رمزى الزوجين من معـان . والفرق واضح بين الطريقتين ، فكلمة ستتزوج تحمل الرغبة فى الزواج والايحاء بالزواج فى نفس الوقت ، ولما كان الناس يعتقدون فى ضرورة تحقيق التعبير فان ذلك الرجل الذي أوحى اليه بالزواج لابد انه سيتزوج ويكون بذلك قد حقق لابن سيرين تفسيره .

وهكذا يتبين لنا أن فرويد قد أدخل تعديلا مهما على تعبير الأحلام ، فهو يسأل صاحب الرؤيا عن نفسه وهو يفك الرموز بطريقة ابن سيرين ، ولكنه لا يوحى الى صاحب الرؤيا بأى فكرة بل يكتفى باظهار الرغبة النفسية الخفية له ، ويقول إن أظهار هذه الرغبة كاف لأن يفكر صاحب الرؤيا فى رغبته فيتناولها بالنقد والتقدير ، وبذلك فقط قد يوافق على رغبته وينفذها اذا لم يكن هناك مانع عائلى أو اجتماعى وإلا فانه يكبت هذه الرغبة أو قد يسمو بها ، وهذا ما يسميه فرويد Sublimation أى أنه يوجهها وجهة شريفة سامية ، وبقى علينا أن نجيب على سؤال واحد : وهو هل تدل الرؤيا على حوادث المستقبل ؟ والجواب على ذلك هو أن الرؤيا قد تدل على المستقبل فى بعض الأحيان . وأما كيفية ذلك فسنخصص له بحثا آخر فيما بعد ، بعد شرح أقسام العقل المختلفة التى تعتمد رؤيا المستقبل عليها .

دكتور عبد الفتاح سلامه

طبيب مستشفى برقاش ووردان

بمناسبة قصة خسرو وشيرين

كلمة فى الشعر المرسل

للاستاذ مؤلف خسرو وشيرين

لقد تكرم الأستاذ اللوذعي صاحب الرسالة بكلمة نقد قيمة فى قصة خسرو وشيرين تناول فيها قالبها أو رداءها من الشعر المرسل، وكان على عادته فى كتابته قاصداً قوياً مهذباً

ولقد ادهشنى وايم الحق ان رأيت بالرسالة الغراء كلمة فى تلك القصة، وذهبت نفسى توغل فى هزة من الطرب أنستها ما يجب عليها من وزن القول والقصد فيه.

وذلك لانى منذ أخرجتها بعثت بها الى أساطين الكتاب والادباء وكبار المحررين، وانتظرت ان يقرأها بعضهم فيقول فيها كلمة، إما ان تكون كلمة نقد مر يظهر ما فيها من تفاهة وسخف، وإما ان تكون كلمة نقد هين يتعاقب فيها الاستهجان والاستحسان. وما كنت انتظر ان يقذف بالقصة فى زاوية الاهمال لأن صاحبها لم يكتب عليها اسمه، أو لأنه لم يلح فى طلب التقريظ، أو لأنه لم يلتمس إعانة أو حماية من أحد. فلما مضت أيام ولم أجد ذكراً لها على لسان ولا فى صحيفة، طويت ذكراها فى ثنايا الماضى وانسيت نفسى إياها، وقلت ألتمس التعزية لنفسى، أنها لم تكن جديرة لا بالثناء ولا بالذم، فلعلها فى نظر الادباء أقل من أن يحكموا عليها بالسخف والسقوط. هكذا قلت لنفسى ورضيت القول على شدته، لأنى كنت دائماً أتهم نفسى باننى كسائر المؤلفين موصوف بالعمى والغباء، فكم رأيت من المؤلفين من أسمعنى قوله، فجال فى فكرى عند سماعه ان أقول له «أسأت»، ولكني ضعفت عن قول ذلك اللفظ فقلت له «أحسنت». فصدق ما قلته وذهب عنى قرير العين موقناً أنه مؤلف مجيد موفق، وذلك العمى الخاص بالمؤلفين شبيه بما يصيب الآباء فى حكمهم على ابنائهم. قيل ان اعرابياً فقد ابنه مرة، فمر الصبى بقوم فرأوه شبيهاً بالجعل القبيح، ثم مر الاعرابى بهم فسألهم عن ابنه فقالوا له صفه لنا، فقال لهم: «كأنه دنينير» اى كأنه دينار صغير من حسنه، وتردد بريق الجمال فى وجهه ونفاسته. وعلى ذلك لم استبعد ان أكون كأحد هؤلاء المؤلفين البغيضين، وحمدت الله على ان وفقنى لفكرة اخفاء اسمى عن الناس حتى لا تنالنى معرة «قصة خسرو وشيرين»!

قلت لقد دهشت اذ رأيت فى الرسالة كلمة عن تلك القصة، ولاسيما وهى كلمة من قلم استاذ اديب وكاتب أريب، لا أظنه يخدع عن غث القول وسمينه. ولما رأيته يتناول القصة فى أول مقاله بالثناء زدت عجباً، اذ كيف تكون تلك القصة جديرة بتقدير أديب كبير، ومع ذلك تجد من سائر الادباء مثل هذا الاهمال. وكيف لا تستحق من الادباء كلمة وقد استحقت من مثل الزيات كلاما، حسبى إذن اندفاعاً مع هزة الطرب التى استخفتنى، وذهبت باتزان قولى عندما قرأت مقال الرسالة فى قصتى، فقد كنت أوثر ان الزم القصد فى قولى، لولا ان رأيت شيئاً لم أتوقعه فأنطلق قلمى برغمى.

حسبى إذن لوماً للادباء والاساتذة، فلعل لهم العذر فيما كان، ولعلى أخطأت فهم قصدهم وعذرهم فما أكثر مشاغل الحياة وما أثقل أعباءها، وأولى بى أن آخذ الناس كما أجدهم ولا أعتب على أحد منهم شيئاً.

أما الشعر المرسل فقد رأيت الاستاذ الجليل قد وضعه تحت ضوء قلمه الوهاج فأعشى وهجه العيون وكاد يحجب ما دونه. لا فائدة هنا فى ان يدافع أحد عن أسلوب من القول، ولا فائدة فى ان يحاول حمل الناس على تذوق ما يحلو فى ذوقه، فهذا شىء من العبث وضرب من طلب المحال، غير انى أرى من حق ان أبين للناس كيف يجب ان يكتب الشعر المرسل الذى كتبت فيه قصتى «خسرو وشيرين» فان وحدة هذا الشعر هى الشطر الواحد، وليس البيت المكون من شطرين.

لقد تعارف شعراء اللغة العربية على وحدات متعددة لشعرهم، فأكثر القصيد وحدته البيت المكون من شطرين كما هو معلوم، والرجز وحدته الشطر الواحد مع مراعاة انتهاء كل وحدتين منه بقافية واحدة، وهناك المثلثات والمربعات والمخمسات على ما هو معروف. وأما الشعر المرسل فوحدته كما تقدم الشطر الواحد. وأما حكمة ذلك فلا فائدة من بيانها. فان اختيار اوزان الشعر المرسل واختيار جعله من شطرات مفردة لم أصل اليها الا بعد درس واختبار ومحاولات تجريبية كثيرة. غير ان بيان أسباب ذلك الاختيار لا يجدى نفعاً، اذ ان تلك الاسباب مهما تكن وجيهة فانها لا يمكن ان تحمل الناس على استحسان شىء لا يبدو لهم مستحسناً. ولهذا أكتفى بأن أقول ان من يحاول ان يكتب الشعر المرسل

أو يقرؤه يحسن به أن يجعل وحدته الشطر الواحد ، وان يكتفى بما فى الوزن من الموسيقى بغير ان يقف عند آخر الشطر إلا اذا كان المعنى ينتهى اليه .

ولم يلجأ أحد فى لغة من اللغات الى الشعر المرسل لكتابة الأغانى ، وهذا مالا يراد به فى اللغة العربية . فالاغانى وكل ما يعبر عن العواطف الثائرة التى تهز القلوب هزة وقتية قصيرة لاينفع فيها الشعر المرسل . أقول هذا وا كرره كثيرا حتى لا ينزعج الادباء من دخول هذا الباب فى اللغة العربية . وما انا ممن يحاولون هدم القديم : انى افاخر بذلك القديم وقد تقدمت بى السن الى حدود القدم ، فلست ممن يتعلقون بالهدم ، ولست ممن لايحرصون على كنوز القرون المتعاقبة ، بل أجد من نفسى أشد الحرص على تلك الكنوز ، وذلك لما استميد منها من لذة وحكمة . وانما اقصد الى أن أفتح بابا جديدا كان الى الآن مغلقا وهو باب القصة الشعرية أو الملحمة الطويلة ، وفى مثل هذه الابواب كانت القافية غلا يقيد المعنى ، ويغير مجاريه ، حتى أن شعراء اللغات الاخرى رأوا انفسهم مضطرين الى الاستغناء عن القافية والاكتفاء بموسيقى الوزن . ولو فعل البستانى مثل ذلك فى ترجمة الإلياذة ، ولو فعل شوقى مثله فى رواياته المسرحية لكان لعملهما شأن آخر ، ولصارت الإلياذة العربية اليوم فى متناول المتأدبين سهلة لينة ، ترسم صورة الإلياذة اليونانية الاصلية ، وليست كما هى اليوم ، فالقطع الشعرية الطويلة تكون طللا يابسا غير متناسق ، ولو كانت أجزاؤه من قطع مرمرية بديعة ، فانك عندئذ إذا نظرت فى القطعة الصغيرة منها أعجبتك ولكنك اذا تابعت النظر اليها لتراها مجتمعة راعك منظر غير متآلف وحركات جامدة غير متوثبة مع الحياة . لست ادعى انى أحسنت ، ولكنى أقول قول الواثق أن الشعر المرسل يكون اداة اصلاح وسعة فى اللغة العربية اذا وجد من يحسن القول فيه . وإذا أنا ضربت من قولى مثلا له فلست أضربه على أنه قول حسن ، ولكنى اضربه على سبيل العرض للطريقة : وها انذا مختار قطعة من مواقف خسرو وشيرين ، وارجو أن تكتبها الرسالة الغراء كما اردتها أن تظهر — أى أن تكون وحدتها الشطر الواحد .

وقف بعض قواد الملك كسرى فى أيام مجده وجبروته يتحدثون ويتندرون ، فأقبل عليهم شاعر البلاط (مهمند) فقطع عليهم حديثهم فدخلوا فى حديث دعابة مع الشـاعر ، والقواد هم (اسفاذ) و (تخواذ) و (حراز) .

حراز (ضاحكا)
أوه . مهمند ؟ كيف حال الزمان ؟
(يعودون الى الهدوء)

مهمند مثلما كنت دائمـا . أتغـدى
ثم أغفو ، وبعـد ذلك أصحو
ثم أغفو ، وبعـد ذلك أصحو .
(يضحكون)

حراز سرك الله ، نعم تلك حياة ..
(لتخوار) ياصديقى تخوار نعم الحياة .
(لاخوانه) هل سعتم مقال مهمند يوما ؟

تخوار : أنا بالحرب عالم ، غـير انى
لست بالشعر عالمـا ياصـديقى .

حراز : (لمهمند) قل لنا من بديع شعرك شيئا

مهمند : لست ياسـيدى أحب كلامى
(يشير حراز إشارة عدم التصديق)
لا تكذب فانما هـو رزقى
وسبيل الأرزاق غـير حبيب
بائع الزهر ذاهـل عن شذاه
لايرى فى الزهـور الا بضاعة .

حراز غير أن الزهور لم تك يوما
غير محبوبة الشميم . أعـدلى
ذلك الشعر اذ خرجنا للهو
يوم عيـد النيروز

مهمند كان جميلا
ذلك اليوم كم ضحكنا . ولكن . . .
(يهز رأسه كمن يتذكر شيئا يأسف على فواته)

حراز كم ضحكنا . أعـده يامهمند

مهمند (ينشد) من أراد الصدق فليسمع ومن شاء السرور
ذقت ما فى الدهر من حلو ومن مر مرير
وعرفت الناس عند اليسر والأمر العسير
كنت أبكى إن بكى لهفان ذو قلب كسير
ولكم ضل فؤادى فى فنون وغرور
فاذا بى بعـد أن شيبنى مر الدهور

لاأرى فى الناس ذا حظ سوى القدم الغرير
كن اذا شئت حمارا مرحا بين الحمير
واذا شئت فأسرج راكبا فوق الظهور
ساخرا منها اذا أعجبها السرج الحرير
فأضل الخلق عقل فوق رجلين يسير

حراز (يضحك بصوت عال)
كن اذا شئت حمارا مرحا بين الحمير
(يضحك مهمند والحضور)
(لتخوار) اترى أن تكون هذا صديقى ؟

تخوار (ضاحكا) لا أرى أن اكون هذا .

حراز فأسرج
راكبا فوق ظهرها ياصديقى

تخوار (ضاحكا) لا أرى فى الركوب بأسا اذا ما
كان لابد من ركوب الحمير .

حراز (لاسفاذ) ليت شعرى ماذا تحب ؟

اسفاذ (متكلفا الضحك) اراني
لااحب الحمير

مهمند لم أر يوما
سيدا طينا تواضع حتى
رضيت نفسه بهذا . ولكن
كلنا يرتضى الركوب . وعندى
أن أحلى الحياة عيش الحمير
(يضحكون)

حراز كيف هذا مهمند ؟

مهمند نعم الحياة !
كل ارض خضراء مرعى مباح
لم يعكرهم الحياة صفاهيا .
حيث سارت رأت محلا ومأوى
واذا شاءت النهيق وصاحت
لم توار النهيق خشية بطش

حراز انت مهمند احكم الشعراء .
كم من الناس من يود نهيقا
ثم يخشى فيكتم الانفاسا .

١ — تولستوى

اجتماعيات

عشق تولستوى المدنية الاوربية ، فطاف فى أنحاء أوربا وأعجبه منها تقدمها الآلى ونظامها المتسق . وبهره فيها حركتها الدائمة ونشاطها المتجدد ..

ولكنه مالبث أن نفذ الى أعماقها . وكفاه أن يرى فى تجواله رجلا يشنق فى باريس أم المدنية على مرأى ومسمع من الجماهير حتى ينقلب ساخطا متذمراً متشائما . وحتى يرجع الى روسيا غضبان أسفا ، فيهاجم الحضارة الحديثة فى سخرية لاذعة وتهكم مر .

تناول تولستوى الناحية النفسية من المجتمع . وأخذ يصورها بقلمه الماهر تصويراً دقيقا .

فبين أن حياة العامل اليوم أشق بكثير من حياة الرقيق بالأمس . فقد كان يؤمن هذا ايمانا لايخامره الشك انه خلق عبداً . وأن الله أراد أن يكون هناك أحرار وعبيد . وكان يوقن أن لامرد لأمر الله ، وفى هذا الأيمان تعزية . وفى هذا الأعتقاد سلوة . .

أما العامل الحر اليوم فقد علموه المساواة ، فلانبيل ولا حقير . ثم هو يرى أن عليه أن يتعب ، ولهم أن يستريحوا . ومن واجبه أن يشق ، ومن حقهم أن يسعدوا

وهو ولا شك غير راض بهذا ولا قانع ، ولا بد له أن يتساءل لماذا يشق ؟ وهو منته الى الشك فى عدل هذا العالم وانصاف القائمين بأموره .

وفى هذا الشك . وفى ذلك التساؤل تعس ليس بعده تعس ، ثم رجل الطبقات الوسطى لاتقل حالته النفسية عن حالة العامل تناقضا واضطرابا : اذ يرى عجبا ، يرى قوما اذا ما أجادوا التملق

ولعلى أعرض على قراء الرسالة فى مرة أخرى قطعة ثانية تصف موقفا آخر ليروا فى ذلك القول رأيا

وانى أرجو أن تتكرم المجلة الادبية الغراء بنشر مقالى هذا خلوا من الامضاء ، إذ أنى أرجو أن يبق كاتب (خسرو وشيرين) فى تحجبه ، فانما المقصود أن يرى الأدباء رأياً فى القصة وشعرها المرسل فحسب ؟

وأحسنوا الاحتيال وداسو على الشرف والكرامة ارتفعوا على أكتاف الغير وتولوا قيادة الأمم ، ثم طائفة أخرى تتمسك بالأمانة وتتعلق بالشرف . وهى أبية لا تقل ذكاء ولا مهارة عن الأولى ولكنها مهما كدت وجدت فنصيبها فى الحياة القدح المنيح ، ثم هو متعجب لماذا يجب عليه أن يؤدى ضرائب ثقيلة على نفسه لتتمتع بها قلة مستهترة . وماذا يحمله على محاربة الموت فى ميدان القتال ، ماذام الغنم كله راجعا الى القواد والساسة !؟ ويزيده شقاء على شقاء انه مضطر الى مجاراة العالم فى نظمه وأساليبه ، وهو يحمل لها بين طوايا نفسه انتقاما مرا . ورجال المناصب وقادة الأمم من ساسة وحكام لهم آمال عريضة ومبادىء قويمة . ولكنهم اذا ما تولوا الحكم وقبضوا على أزمة الأمور انتهوا الى منهاج من سبقهم واضعين مبادئهم فى أحد أدراج مكاتبهم التى يستريحون اليها !

ويمتد هذا التناقض الى نفسية الامم كمجموعة . فليس أعجب من أمم مسيحية تعتنق دينا يدعوها ألا تقابل الشر بالشر وأن تدير الخد الأيسر لمن يلطم الخد الأيمن . وهى لا تتورع عن قتال دام تعد له أشد الآلات فتكا لاهانة تافهة ، أو لطمع أشعبى فى قطعة أرض أو تصريف محصول .

فرق بعيد اذن بين مايعتقد البشر وبين مايعملون . وبون شاسع بين مايؤمنون انه واجب ان يكون ، وماهو كائن بالفعل ، وفى هذا سر الشقاء والبؤس الذى يسود العالم .

كان من نتيجة هذا الخلاف بين ما تراه ضمائرنا وما تعمله ايدينا أسوأ العواقب . فالنظم والاوضاع الاجتماعية الحديثة لاتستند الا الى القوة . ولاتقوم الا بالعنف .

فليس من حكومة تستطيع ان تدير أمر دولة دون أن يكون من ورائها شرطة تجبر الناس على الطاعة . وليس من قانون يسرى إلا اذا اعتمد على قوة تنفيذية تضطر الناس الى الاذعان له ، وليس من عمل يدار الا اذا تحكم أصحاب رؤوس الأموال فى العمال ، ويتجلى هذا العنف فى أبسط نواحى الحياة الاجتماعية أو اكثرها تعقيدا من العلاقات العائلية الى العلاقات الدولية ، فلا يتاح لأسرة ان تستمر إلا اذا استبدت المرأة بالرجل أو الرجل بالمرأة ، ولا يمكن لنزاع ان يحسم بين دولة وأخرى الا إذا اريقت الدماء وازهقت الارواح

ولو ترك الناس وضمائرهم لما جبيت الضرائب ، ولما الفت الجيوش ، وما كان ليخطر ببال انجليزى ان يقتل فرنسيا ولا فرنسى ان يستعبد سوريا

ولو كان الأمر شورى والمبادىء التى نودى بها من مساواة واخاء حقيقة واقعة لما وجدنا طبقة حاكمة وأخرى محكومة . وما كان يتاح لأحد ان يسعد ولآخر ان يشقى .

ونحن نحس كل هذا ونشعر ان مانعمله مساقون اليه سوقا ومدفوعون اليه دفعا . وانا لانستطيع مع الانظمة الحالية صبرا ، ولكن لسنا من الشجاعة الادبية بحيث نجهر بضرورة تغيير نظام العالم وبوجوب قلبه رأسا على عقب .

لقد أصبحت المدنية الحالية نسجا مهلهلا ونظاما معطلا لايصلح لما يجيش فى نفوسنا ويجول فى عقولنا . وأمست رياء وخداعا تدثر بمسوح كهنوتى لتخفى فجورها وشرابتها . فهى إن استعبدت الامم فلكى تأخذ بيدها الى الرقى ! وهى إن لجأت إلى القوة فى هذا السبيل فذلك عمل انسانى نبيل .

نعم . لقد أصبحت النظم الحالية من سياسية واجتماعية واقتصادية نظما عتيقة لاتشرف الانسانية فى قليل أو كثير .

ولكن . أى نظم نستبدلها بها . وعلى أى صورة تكون هذه النظم ، هذا مابحثه تولستوى ، وكان من نتيجة بحثه ان وصل الى رأى قاطع

— ٢ —

ولم يكن رأى تولستوى خيالا أو اديالا يستحيل تحقيقه ، ولم يتطلب من البشر أن ينسوا بشريتهم ليصبحوا ملائكة .

وهو لا يقول لك أكثر من أن تتبع التاريخ لتتبين بنفسك مجرى الانسانية إلى أين تسير وفى أى اتجاه تتجه .

لقد أتى على العالم حين من الدهر كان فيه أسرا وعشائر . وكانت الاسر فى تطاحن وتناحر ، يعتقد أفراد كل أسرة أن سعادتها فى التغلب على الأسر الأخرى . ثم ظهر لهم أن لا ثمرة يجنونها من قتال طويل ممل . فاندمجت الأسر فى قبائل .

وبدأت القبائل دورا آخر من أدوار التاريخ سودت صفحاته بحروب الغلبة والثأر . ثم مالبثت أن تحققت بدورها أن سلامها فى تعاونها فاتحدت القبائل . وكان من نتيجة اتحادها هذه الدويلات التى عظمت حتى سميت بعد بانجلتره وفرنسا والولايات المتحدة . . . فى تتبعك لهذه الأدوار استكشاف لسر الانسانية . فهى تتجه إلى الوحدة . وتسعى الى الالتئام فليس من المستحيل أن تصبح الدول دولة واحدة . وبذا تنقطع من صفحات التاريخ سلسلة المجازر البشرية .

قد تقول إن هذا حلم فيلسوف وخيال شاعر . وأن ليس من الوطنية مفر . ولا من الحرب بد ، وأن الشقاء والبؤس من لوازم هذا العالم . ليس فى الامكان أبدع مما كان .

ويضحك منك تولستوى . ويقول إن ما تحسبه اليوم قد حسبه أجدادك من قبل . فالاثينى ما كان يخطر بباله أن يتعاون مع أخيه الأسبرطى تحت علم واحد متناسيا احقاده مضحيا بمصلحة مدينته فى سبيل اسم أجوف دعوه اليوم دولة اليونان.

وانجلترة التى يضحى الانجليزى من أجلها بنفسه وماله . لم يكن لها من قبل وجود . وما كان يتصور الاسكتلندى أو الارلندى قبل بضع مئات من السنين أن يأتى وقت يتنازلان فيه عن استقلالهما الشخصى وتقاليدهما الموروثة وليصبح لهما وطن مشترك ، وعنوان واحد ، والرقيق كان يحسبه البعض منذ مائة سنة ضرورة من ضروريات الحياة وقانونا طبيعيا ارادة الله وليس الى تغييره من سبيل .

وأين الرقيق اليوم ؟

وهكذا ، فما تخيله اليوم من أن اتحاد البشر أمر محال وأن الغاء الحروب خيال بديع سيصبح بعد غد حقيقة واقعة

وشقاؤك آت من أنك تؤمن بضرورة هذا الاتحاد ، ولكنك تحكم باستحالته . وسعادتك لن تتحقق إلا إذا اعتقدت بامكانه فتعمل له

هذا اليوم الذى تتحقق فيه الوطنية لتحل محلها الانسانية . وتتنازل فيه الدول عن بعض حقوقها لتعيش فى هدوء وسلام هو الضالة التى يجب أن ننشدها وهو الغاية التى يجب أن نقصدها . ثم هو النهاية التى لاشك انا واصلون اليها .

كيف يتحقق هذا الحلم الجميل ؟ ذلك ما يجيبك عنه تولستوى مرة أخرى .

(البقية فى العدد القادم) شهدى عطيه الشافعى

بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

القرن الرابع الهجرى

سيطر على النصف الشرقى من العالم الاسلامى فى القرن الرابع ثلاث دول كبيرة ودول أخرى صغيرة :

سيطر بنو بويه على غربى إيران وجنوبها وعلى العراق العربى فسيطروا على الخلفاء العباسيين فى بغداد .

وكان ما وراء النهر وخراسان وسجستان فى سلطان السامانيين

ثم قامت الدولة الغزنوية فى أواخر هذا القرن فورثت ملك السامانيين كله . وانتقصت ملك بنى بويه وزحزحتهم تلقاء المغرب ثم أوغلت فى المشرق ففتحت الهند .

وكان فى طبرستان وجرجان الدولة الزيارية التى أقامها فى أوائل هذا القرن مرداويج بن زيار . وكان بنو باوند فى طبرستان أيضاً .

وفى سجستان أمراء من نسل يعقوب بن الليث الصفار ومنهم الأمير خلف بن أحمد (٣٤٤ - ٣٩٩) .

عاش أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذانى فى عهد أربعة الملوك الأخيرين من بنى سامان إحدى وثلاثين سنة . وفى عهد جماعة من ملوك بنى بويه أعظمهم عضد الدولة (٣٦٧ - ٣٧٢) ومؤيد الدولة وفخر الدولة (٣٦٦ - ٣٨٧) ومجد الدولة أبو طالب رستم (٣٨٧ - ٤٢٠) وشمس الدولة أبو طاهر (٣٨٧ - ٤١٢) . والذين كان لهم سلطان على همذان والبلاد التى أقام بها الهمذانى هم مؤيد الدولة وفخر الدولة وابناه مجد الدولة وشمس الدولة . ولمؤيد الدولة وأخيه فخر الدولة وزر أبو الفضل بن العميد والصاحب ابن عباد .

وعاش البديع فى عهد شمس المعالى قابوس بن وشمكير من الزياريين وفى عهد سبكتكين وابنه محمود من الغزنوية ، وخلف ابن أحمد من الصفارية وثارت حروب كثيرة بين هؤلاء الملوك اضطربت لها البلاد وشقى بها الناس .

وكانت هذه الدول تتنازع مجد العلم والأدب كما تتنازع السلطان وكانت للادب فى النصف الثانى من القرن الرابع محافل : حول

ملوك السامانية في بخارى وحول وزراء البويهيين في الري وأصفهان وجرجان ، وحول شمس المعالي قابوس بن وشمكير في جرجان وطبرستان وحول السلطان محمود الغزنوي في غزنه وأخيه نصر في نيسابور ، والمأمونية في خوارزم .

ومما يؤثر من تنافس هذه الدول في العلماء والأدباء أن نوح ابن منصور الساماني كتب الى الصاحب بن عباد سرا يستدعيه ليستوزره فاعتذر . وأن السلطان محمودا كتب إلى المامون أمير خوارزم ليرسل اليه ابن سينا والبيروني وأبا سهل المسيحي الفيلسوف وأبا الحسن الخار الطبيب ، وأبا نصر العراق الرياضي ، فنهم من رضي بالمسير الى محمود ومنهم من فر . وكان الى جانب الملوك والوزراء رؤساء وبيوت يؤمهم الأدباء ابتغاء الحظوة عندهم

واذا اتخذنا الثعالبي والبيروني مثلا لأدباء هذا العصر وعلمائه عرفنا تولية الأدباء وجوههم شطر هذه الدول :

الثعالبي اهدى كتابه لطائف المعارف الى الصاحب بن عباد والمبهج والتمثيل والمحاضرة الى شمس المعالي قابوس وسحر البلاغة وفقه اللغة الى الأمير أبي الفضل الميكالي والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف ، والظرائف الى مأمون بن مأمون أمير خوارزم : وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم إلى نصر أخي السلطان محمود ، والبيروني أقام في خوارزم عند المأمونية ثم سار الى شمس المعالي وقدم اليه كتاب الآثار الباقية ثم قصد السلطان محمودا فلزمه وقدم اليه كتابه عن الهند . وقدم كتاب التفهيم في علم النجوم الذي ألفه بالعربية والفارسية الى سيدة من خوارزم اسمها ريحانة ثم قدم القانون المسعودي في النجوم لمسعود بن محمود وكتابه في المعادن الى السلطان مودود بن مسعود .

— ٢ —

وقد نفقت سوق الآداب في القرن الرابع ونبغ كثيرون من أعلامه ولا سيما كتاب الرسائل

وحسبنا أن نذكر من الكتاب ابن العميد وابن عباد وأبا اسحاق الصابي ، وأبا بكر الخوارزمي والعتبي وعبد العزيز الجرجاني وبني ميكال ، وشمس المعالي قابوس وأبا هلال العسكري ، وابن نباتة الخطيب ، والحسن بن علي التنوخي .

ومن الشعراء : المتنبي والمعري والحمداني والرضي ومهيار ، وابن نباتة السعدي ، وابو الفتح البستي ، والببغا ، والنامي ، والناشي ، والزاهي ، وغير هؤلاء من شعراء اليتيمة وكتابها .

همذان

مدينة في ناصية الجبال يشرف عليها جبل أروند في سهل خصب ، ويؤخذ من أخبار الكتب الفارسية والعربية أنه كان لها شأن عظيم في حقب مختلفة قبل الاسلام وفي العصر الاسلامي .

وهي هكمتانه في الآثار الفارسية القديمة ، وأهمثا في التوراة ، واكبتانا عند كتاب اليونان والرومان .

واجمع الكتاب على وصفها بشدة البرد ، وأكثر الشعراء في هذا . قال ياقوت : « لما قدم عبدالله بن المبارك همذان أوقدت بين يديه نار فكان اذا سخن باطن كفه أصاب ظاهرها البرد واذا سخن ظاهرها أصاب باطنها البرد فقال :

أقول لها ونحن على صلاء   أما للنار عندك جرنار ؟
لئن خيرت في البلدان يوما   فما همذان عندي بالخيار

ثم التفت الى ابن ابي سرح وقال يا أبا عبدالله وهذا والدك يقول

النار في همذان يبرد حرها   والبرد في همذان داء مسقم
والفقر يكتم في بلاد غيرها   والفقر في همذان مالا يكتم

وقال ياقوت : « ولاشك عند كل من شاهد همذان بأنها من أحسن البلاد ، وأنزهها وأطيبها وأرفهها ، ومازالت محلا للملوك ومعدنا لأهل الدين والفضل ، الا أن شتاءها مفرط البرد بحيث قد أفردت فيه كتب ، وذكر أمره بالشعر والخطب . »

وأما أهلها فكأنهم عرفوا بالغلظة ، وبديع الزمان يعتذر في بعض رسائله عن سوء فعله بانه همذاني المولد . وينسب اليه في ياقوت :

همذان لي بلد أقول بفضله   لكنه من أقبح البلدان
صبيانه في القبح مثل شيوخه   وشيوخه في العقل كالصبيان

وفي مناظرة رواها ياقوت بين همذاني وعراقي يقول العراقي للهمذاني : « ثم فيكم أخلاق الفرس ، وجفاء العلوج ، وبخل أهل أصبهان ، ووقاحة أهل الري ، وقذارة أهل نهاوند ، وغلظ طبع أهل همذان . »

ويقول ابن فارس كما في ابن خلكان :

سقى همذان الغيث لست بقائل   سوى ذا وفي الاحشاء نار تضرم

ومالى لاأصفى الدعاء لبلدة　　أفدت بها نسيان ما كنت أعلم

نسيت الذى أحسنته غير أننى　　مدين ومافى جوف بيتى درهم

ومما يستأنس به هنا قوله فى مدح خلف بن أحمد :

أبادية الأعراب أهلك اننى　　ببادية الأتراك نيطت علائقى

وقوله فى القصيدة نفسها :

اذا اقتنصت منى خراسان لفظة　　أماطت نساء العرب در المخانق

وكذلك رسالته الى أبى عامر الضبى رئيس هراة فى عيد السدق وهو ليلة الوقود عند المجوس ، وفيها يبين فضل العرب على العجم فى أسلوب تتجلى فيه العصبية

ويظهر أن أسرته كانت ذات مكانة فى همذان ، فهو يقول فى رسالة الى أبى بكر الخوارزمى حين لم يحسن لقاءه بنيسابور : « فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت ان بوادينا ناغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف .

وفيهم مقامات حسان وجوههم　　وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبى بكر أيده الله طوائح الغربة ، لوجد منال البشر قريبا ، ومحط الرحل رحيبا . وأجابه الخوارزمى بقوله : « فاما القوم الذين صدر سيدى عنهم فكما وصف ، حسن عشرة ، وسداد طريقة ، وكمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد ، ونلت المراد »

فان كنت قد فارقت نجدا وأهله　　فما عهد نجد عندنا بذميم

وفى رسالة الى وزير الرى يقول (وورائى من أخوالى وأعمامى من مواقف خدمة مشهورة ، ومقاماتهم مشكورة ، وبهم حاجة الى فضل عونه) .

— ٣ —

فى النصف الثانى من هذا القرن عاش الهمذانى ، فنبين سيرته وأخلاقه ثم ننظر مكانته من أدب هذا العصر

ا — أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشر الصفار المعروف ببديع الزمان الهمذانى ، ولد فى همذان ١٣ جمادى الثانية سنة ٣٥٨ من أسرة عربية :

ذلكم بأنه يقول فى رسالة الى الفضل بن أحمد وزير السلطان محمود ، « انى عبد الشيخ واسمى أحمد ، وهمذان المولد ، وتغلب المورد ، ومضر المحتد ، » وكأنه يريد أن يقول إنه مضرى الأصل ، ولكن أسرته عاشت فى تغلب . وفى رسالة الى الشيخ أبى القاسم يعتذر عن التخلف عن الحضور بالزكام ، ويقول عن رجل اسمه أبو الحسن يظهر أن اسمه سقط من الرسالة : « وما أشد استظهارى بخلافته وإن لم يكن من ولد العباس والله يبقيه علما للفضل » فيقول أبو القاسم فى الجواب . « والشيخ ابو الحسن فوق شروط الخلافة ، فان كان المستخلف تغلبيا ، جاز أن يكون الخالف كسرويا »

فالتغلبى هو الهمذانى نفسه . ودليل آخر أنه كتب الى القاضى أبا الحسين على بن على : « أنا أمت الى القاضى أطال الله بقاءه بقرابة ، ان لم يكن عربيا فأبى وأبوه اسماعيل ، وعمى وعمه اسرائيل ، الخ ،

ب — ويؤخذ من رسائله بعض أخبار أسرته : يؤخذ منها أن أبويه عاشا إلى أن كبر وترك همذان ، وأن أخاه أبا سعيد كان صغيرا حين بدأ هو أسفاره . ويؤخذ من معجم الأدباء أن أخاه أبا سعيد كان مفتى همذان ، ويؤخذ من رسائله أيضا أنه كان له ابن صغير اسمه أبو طالب ، وأن أحد أعمامه لحق به فى أسفاره ، وعاش معه عشر سنين .

ويفهم من رسائل كثيرة أن أباه أرسل اليه أول الأمر مالا وأمره أن يرجع الى همذان ، ولامه على طول غيبته ، وأنه هو أرسل الى أبيه مالا من بعد وسأله أن يلحق به ، وأن أباه وعده ذلك ثم لم يفعل حتى غضب البديع ، وكتب الى أخيه أبى سعيد دون أبيه . ومن رسائله الى أبيه : « كتابى أطال الله بقاء سيدنا من بوشنج ، ولك أسوة بيعقوب فى ولده ، اذ ظعن اليه من بلده . وليس العائق سور الأعراف ، ولا جبل قاف ، فلم لا ينشط ؟ والله لا يضيع بذلك المكان درهما الا عوضه دينارا ، ولا يعدم هناك دارا الا أفدته دارا . . . وقد رسمت لموصل كتابى هذا أن ينقده مائة دينار بشرط أن يخرج وأن يرتب له عمارة شتوية تسعه . فالشيخ الفاضل العم فليتفضلا ، وليقوما ويرحلا ، ويستصحب الاخ ابا سعيد ، وليأتى بأهله أجمعين ، الخ . . . »

وفى رسالة أخرى يذكر أنه غاب عن أبيه احدى عشرة سنة ص (١٦٠)

وأما أمه فلا أجد ذكرها فى الرسائل ، وفى الديوان له : « وله يجيب والدته :

وعجوز كأنها قوس لام　　خلقوها من نبعة شر خلق

كاتبتنى شوقا الى وقالت　　أخذ الله يابنى بحقى

قلت لاأستطيع ترك بلاد　　قد وفى الله فى ثراها برزقى

وهى أبيات ان صحت فلا تشهد لبديع الزمان بالبر .

ويظهر من بعض رسائله أيضاً أنه طلب إلى صهره أن يرسل امرأته وابنه أبا طالب . على أن في الكلام غموضاً . « وقد طالت مراجعات الشيخ في حديث أبي طالب الخ ص ١٩٩ إلى آخر الرسالة » .

ج — نشأ أحمد بن الحسين في هذه الأسرة . وكان كما يقول الثعالبي مقبول الصورة ، خفيف الروح ، وكان أعجوبة في الحفظ والبديهة والارتجال ، له أخبار في هذا لا نكاد تصدق ، وسنعود إليها عند الكلام على أدبه ، ويخبرنا الثعالبي أنه أخذ اللغة عن أحمد بن فارس ، ونحن نجد في الرسائل رسالة إلى أستاذه هذا جواباً عن رسالة ذم فيها الزمان ، وقد مدحه ببعض شعره . ويقول الهمذاني في رسالة إلى ابيه عن أخيه أبي سعيد :

« وبلغني انه ابتدأ بمجمل اللغة ، فأين بلغ منه ، والشيخ لا يحمل عليه بعويص اللغة حتى يعلم سهلها ، ولا يأخذه بما أخذني به ، فالعمر لا يتسع للعلوم أجمع . »

وقد درس الحديث ، ويقول ياقوت في معجم الأدباء نقلا عن شيرويه بن شهردار مؤرخ همذان : « وكان أحد الفضلاء والفصحاء متعصباً لأهل الحديث والسنة ، ما أخرجت همذان بعده مثله ، وكان من مفاخر بلدنا ، روى عنه أخوه أبو سعيد ، والقاضي أبو محمد عبد الله ابن الحسين النيسابوري .. » ونجد عصبيته لأصحاب الحديث في رسالة كتبها إلى أحد القضاة يقول فيها : « مالك ولأصحاب الحديث الخ الرسالة » ص ١٠٥

سفره من همذان

فارق همذان سنة ٣٨٠ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة : وورد حضرة الصاحب فتزود من ثمارها وحسن آثارها ، كما يقول الثعالبي .

وفي الديوان أنه قدم إلى الصاحب وله ١٢ سنة ، فهذا كان قبل رحيله عن همذان ، ويؤيده ما رواه الثعالبي عن الهمذاني قال : « لما أدخلني والدي إلى الصاحب ووصلت مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بني اقعد ، إلى كم تسجد ، كأنك هدهد » وفي إحدى قصائده ما يدل على أنه ذهب إلى الصاحب أكثر من مرة .

وتعجب لاختياري ان رأتني أرى بحراً وأمتاح الركايا
سأنتاب الوزير فان أتيحت زيارته وساعدت القضايا
أعاود ورده والعود خير وأرجع ان للرجعى مزايا

ولا ندري ما كان بينه وبين الصاحب ، ولكنا نراه يذكر في قصيدة ان الصاحب أوعده وهدده :

أكافي الكفاة استبق مني ومن دمي حشاشة مجد في البلاد مشرد
أفي موجب الفضل الذي أنت أهله توعد مثلي أم قضية سؤدد
أبعد مقاماتي لديك وهجرتي اليك وانفاق طريفي ومتلدي
وجوابة للافق فيك طردتها غدت بين منشور وبين مقصد الخ

وأظنه أراد هجاء الصاحب في قوله من قصيدة يمدح بها خلف ابن أحمد :

وليل كذكراه كمعناه كاسمه كدين ابن عباد كادبار ذي تق

جرجان

يقول الثعالبي : « ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية والتعيش في أكنافهم ، والاقتباس من أنوارهم ، واختص بأبي سعيد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائعه لديه ، وتوفر حظه من مادته المعروفة في اسداء المعروف والافضال على الأفاضل .. »

فلما استقرت عزيمته على قصد نيسابور اعانه على حركته ، وأزال علله في سفرته ، فوافاها سنة ٣٨٢ ، ونحن نجد في رسائله رسالة إلى أبي سعيد الاسماعيلي يذكر أن الاعراب قطعوا عليه الطريق إلى نيسابور وسلبوه كل ما معه .

(يتبع) عبد الوهاب عزام

مِنْ طَرائِفِ الشِّعْرِ

رب زهر يشوكني وهو غرسي

للأستاذ الحوماني

مدرس الآداب في كلية طرابلس

« قطع الناظم شطرا من حياته مهاجرا بين أزوبا واميركا من الغرب ثم بين العراق ومصر وسائر الاقطار العربية من الشرق: فالقصيدة التالية تمثل حياته المشردة، مائلة بين آلامه في الحياة وحنينه إلى وطنه وهو يطوف في الغرب ، معارضا بها قصيدة امير الشعراء التي عارض بها قصيدة البحتري في ايوان كسرى »

ربما أنضج التجارب درسي　　لثلاثين من سني وخمس
ولقد تكشف الغطاء ليومي　　عن مآتي غدي بصيرةُ أمسي
قد لفظت الحياة يشقى بها الحرُّ　　وتبترى منها يدا كل جبس
إذ بلوت الورى ثلاثين عاماً　　وخد نياى من يراع وطرس
بين جهدين من يد ولسان　　تحت ليلين من غموض ولبس
كم أطوف البلاد شرقا وغربا　　فوق ظهرين من سفين وعنس
أيُّ جد يُغريه بي أيُّ عزٍ　　ترامى اليـه آية نفسي
البوادي في العراق أقضّت　　مضجعي في الشآم فوق الدمقس
غرست مضجعي قتاداً وقالت　　لأماني هوّني وتأسي
يصبح الزهر ناضراً وعلى ما　　يحبس الدمع في فؤادك يمسي
قد نزلت العراق أحسب اني　　نازل في العراق دارة قدس
ووردت الشآم تبحث عينا　　ى بها عن طبابة المتحسّى.
فاذا القول فيهما دار ملك　　وإذا الفعل ثم دارة فلس
لا يغرنك في الشآم (١) رجال　　موّهوا بالرياء وجه الفرنسي
ربما أثرت العيون من الكحـ　　ـل وخلف الجفون منبت ورسى

كم أذود الكرى وأنشد عزى　　بين ناب من الزمان وضرس

(١) المراد بالشام سوريا بما فيها لبنان وفلسطين لا دمشق وحدها

وأغاف المبيت بين نهود　　وشفاه من الكواعب لعس
ضاق بي مهيع الفضاء فلا أصـ　　ـبح الاعلى قذى حيث أمسي
همتي همتي ففيم نواحي ؟　　في طلاب العلى ونفسي نفسي
رب يوم ذممته تحت ليل　　طالعتني من أفقه ألف شمس
احرقوني بعد الممات اذا لم　　يبن من دارة الكواكب رمسي
اتحدى اصلاح شعبي ولما　　تعد كفاي لعبة المتخسي (١)
يتمشى اليه بي من أبي الحا　　رث قلب يحدوه جسم ابن عرس
في رؤوس مما أخفض شم　　وطباع مما أذلل شُمْس
هزت الصم صرختي فلما ذا　　لم تع الأذن منهم غير همس
لمَ ، لم يسمعوا وهم غير صم　　لمَ لم ينطقوا وهم غير خرس؟
ربما أرجفوا بقولي وقالوا　　وهم الساخرون ، عنتر عبس
وكذا الشعر لم يصب غير قوم　　قد أصيبوا من الجنون بمس
واذا الجد لم يهب بك أوفيـ　　ـت على العزم من حقائف وُعس
فاعجبوا للاريب وهو أريب　　وارداً في حياته ورد خمس
وحياة الأديب بارق سعد　　يتحداه من طوالع نحس
أمل في الحياة أبرق فارفضـ　　ـت عزاليه من سحابة يأس

لا الوم الصديق أن يتناسى　　سالفات العهود فالبعد ينسى
نكث العهد من حدبت عليه　　رب زهر يشوكني وهو غرسي
ولقد ينكر الصحيح علاجاً　　هام فيه والنبض تحت المجس
كم طباع تشف عن زهرها الغضـ　　ـض جسوم تضاءلت تحت طلس
ولكم تلمس الخشونة فيها　　باكف ممن تصافح مُملس

شرما في الإنام نعمى مليك　　هي في شعبه عصارة بؤس
وكذاك الحياة سفر شواظ　　يتراءى للغر مُذهب ظرس
عرُس قائم على اس رزء　　ورزايا قامت على اس عرس

لا تهن أن قعدت اعزل والخبـ　　ـم) من الشعب قائم فوق كرسي
رب نادٍ ملء الصدور بهذ كـ　　ـر ابن هند ونهج (٢) حيدر منسي

(١) المتخسي من التخسي وهي لعبة يلعبها الأطفال

(٢) النهج هو نهج البلاغة الذي يضم خطب الامام علي

كيف بالشعب ان ُيبل وقد أو   رده الجهل آسياً غير نطس

ومن الهون فى الحياة على الحر (م) خضوع الكريم للمستخس

ايها الشعب والسلاسل ضاقت   بك ذرعاً ، أما تحس بنهس؟

عمرك الله ! لا يقيم على الضيـ   ـم خسيس الحياة غير الاخس

واذل الشعوب شعب تحدى   ذروات العلى على يد نكس

قد يشيد الجبان صرحاً ولكن   هيكلا قائمـــا على غير أس

اطرحوا الجهل ساعة وتعالوا   أبصروا فى البحار جنة إنس

بحر علم يطغى بهم فوق شم   من جبال الحديد فى البحر ترسى

قل لمن حاول الزعامة قبلا   بجـــدا نائل وشدة بأس

اخفقت بعد كم شجاعة عمرو   وندى حاتم وحكمة قس

أفأستعرض الحياة (بنويرك) (م) (وفى لندن) وغوطة مرسى؟(١)

ما الذى تبلغ اليراعة من عد (م) السها وهى فى انامل خمس

يعجز الحصر ما أحس واضعا   ف خوافيه لم يقع تحت جس

عرفوا الله كيف يعبد فى القلـ   ـب دماً فائراً وعزة نفس

عبدوه منزهاً لا الى (اللورد)   هووا ركعاً ولا (للبرنس)

عبدوا الحـــق قوة تتلظى   فى أنوف من أسد خفان حمس

عبدوه فوق الطروس يراعاً   وخميساً يموج تحت الدرفس

(١) مرسى ترغيم مرسيليا احدى مرافىء فرنسا

ليلة داجيـــة !

للأستاذ خليل هنداوى

وليلة داجية ، والهوى   كل مناه ليلة داجية

ان كنت لا تدرك سر الدجى   فاسأل بأسرار الدجى غانية

طوراً تذوقت الهوى قبلةً   أبثها فى الفسحة السارية

ويرجع الليل صدى قبلتى   مصحوبة بقبلة ثانية

وتارة تشدو فتجلو المنى   بنغمة ساحرة شاكية

فيسمع الليل لألحانها   وليلتى آذانها واعية

تقول هبّت عيون الهوى   قلت الهوى عيونه ساهية

ان الهوى نسيان ما ينقضى   كأننا فى عزلة نائية

الصوفى المعـــذب

.. هـــذه الذرّةُ كم تحـ   ـمـــل فى العـــالم سراً

قف لديها وامـــتزج فى   ذاتها عمقا وغـــورا

وانطلق فى جـــوّها المـ   ـــلوء أيمانا وبرا

وتنقّلْ بين كبرى   فى الذرارىّ وصغـــرى

تر كل الكون لا يفـ   ـترُ تسبيحاً وذكرى

وانتشِ الزهرةَ والزهـ   ـرةُ كم تحمـــل عطرا

غُذّيت واســـتوثقت   فى الأرض أعراقاً وجذرا

وتعرّت عن طريـ   خضـــل يفتأ نضرا

سلْ هزار الحقل من أنـ   ـبته ورداً وزهرا

وسل الوردةَ من أو   دعها طيبـــا ونشرا

تنظرِ الروح وتســـمعْ   بين أعمـــاقك أمرا

الوجـــودُ الحق ما أو   سعَ فى النفس مـــداهْ

والسكون المحضُ ما أو   ثق بالروح عـــراه

كل ما فى الكون يمشى   فى حنـــاياه الأله

هـــذه النملة فى رقـ   ـتها رجعُ صـــداه

هـــو يحيا فى حواشـ   ـيها وتحيـــا فى ثراه

وهى إن أسلمت الرو   حَ تلقتهـــا يداه

لم تمت فيها حيـــاةُ الـ   ـــله إن كنت تراه

أنا وحـــدى كنتُ أسـ   ـتجلى من العالم همسهْ

أســـمع الخطرة فى الذّ   ر وأستبطىء حســـه

واضطراب النـــور فى خفـ   ـقته أسمع جرســـه

وأرى عيـــد فتى الور   د وأســـتقبل عرســـه

وانفعالَ الكرم فى قفـ   ـصته أشـــهد غرســـه

رب ســـبحانك إن الـ   ـكون لا يقدرُ نفسه

صغت من نارك جثه ومن نورك إنسـه
رب فى الأشراقـة الأ ولى عـلى طينة آدم
أمم تزخر فى الغيـب وفى الطينـة عالم
ونفوس ترحم الما ء وأرواح تحـاوم
سبح الخـلق وسبح ت وآمنت وآمن
وتسللت من الغيـ ب وآذنت وآذن
ومشى الدهر دراكا ربه الخطـو الى من . . ؟
فى تجليـاتك الكبـ رى وفى مظهر ذاتك
والجـلال الزاخر الفيـ اض من بعض صفاتك
والحنان المشرق الوضـ اح من فيض حياتك
والكمال الأعظـم الأعـ لى وأسمى سبحاتك
قد تعبـدتك زلفى ذائداً عن حرماتك
فنيت نفسى وأفـ رغتها فى صـلواتك
ثم ماذا جـد من بعـد خلوصى وصفاتى
أظلمت روحى .. ماعد ت أرى ما أنا راء
أبهذا العثير القا تم فى صحو سمائى
للمنايا السود آما لى وللموت رجائى
آه ياموت جفونى آه يايوم قضائى
قف تزود أيها الجبـ ار من زادى ومائى
واقترب إن فؤادى مثقل بالبرحاء
يانسـيما مشرق الصفـ حة يساقط دونى
نضرت فى قربه نفـ سى وزايلت غضـونى
فمشت غائلة الشـ ك الى فجر يقينى
قضت اللذة فاستر جعها لمح ظنونى
واستردت النعمة الكبـ رى من الدهر خئونى
من ترى استأثر باللذ ذة واستبقى جنونى ؟
أذنى ... لاينفذ اليو م بها غـير العويل
نظرى .. يقصر عن كل دقيق وجليـل
غاب عن نفسى إشراقك والفجر الجميل
وابتحال الماء فاستحـ جر فى كل مسيـل
رجـع اللحن الى أو تاره بعـد قليل
واختفى بين ظلام الـ مزهر الكل القليـل

أم درمان — التيجانى يوسف بشير

الى جانب المدفأة . . .

تميل روحى على لظاها لتحتسى خمرة الشتاء
لسانها شيمت والشفاها فى شعلة وقدها شفائى
حببت لى النار فهى عندى غذاء جسمى وأمن روحى
أود تقبيلها لأهـدى لها القرابين عن جروحى
نيرانها رقصها غريب كمجهد هده الدوار
ولحنها وقعه مريب ينبىء عن ضعفه اصفرار
أعدت لى رونق الحياة ياواحة التائه الشريد
وقدت قلبى الى النجاة بدفئك المنقذ السعيد
كم أشتهى أن أضم نارك الى السعير الذى بصدرى
ما أسعد القلب فى جوارك حتى ولو بعت كل عمرى .. !

مختار الوكيل



العلوم

بيت يهم بالسجود

للدكتور احمد زكى

تتداعى البيوت الكثيرة فى كل زمان وفى كل مكان، فلا يسمع بها الا الجيران، وان تضمن سقوطها قتل الانفس والتمثيل بالابدان، فقد يخرج خبرها عن دائرة الجيرة الى دائرة المدينة وقلما يتعدى حدود القطر والأمة. ولكن بيتا فى مدينة «برانتفورد» بكندا هم بالسجود أو كاد، أو خيل أنه نوى الصلاة أو أوشك ان ينويها، فاهتزت أسلاك العالم تبرق بالنبأ الى أدانيه وأقاصيه، وحظ البيوت كحظ الرجال، رجل يمرض فيموت فلا يجد من يلف عليه كفنا، أو يستر له فى التراب شلوا، ورجل يمرض فيتأوه خفيفا، فتتردد آهته عالية فى كل بوق من أبواق الاذاعة، ويتأوه معه العالمون.

على انه لا بدع ان تعطف الاسلاك البرقية على هذا البيت، وان تضطرب باضطرابه، فهو بيت أسرتها العتيق، مسقط رأسها ومهد طفولتها، وفيه وفى المدينة التى حوله كان لعبها ولهو صباها. ذلك البيت هو بيت «جراهام بل» Bell الذى فيه وُلد أول تلفون عرفه الناس، وفيه امتد أول سلك بأول صوت لانسان.

شكا هذا البيتُ العتيق الارض التى حملته نصف قرن، لا عن نكران ولا جحود، ولكنه إلفُ هذا الهواء.. فلم يكد ينطق بالشكاة حتى أشكاه أهله، فامتدت اليه أيد حريصة تنقله حجرا حجرا برسمه ووضعه، الى أرض أشد، ومنزل آمن

ولد اسكندر جراهام بل عام ١٨٤٧ فى أدنبره عاصمة اسكتلانده، وتعلم فى جامعتها، ثم انتقل الى جامعة لندن ودرس فيها، ثم ساءت صحته فطلب العافية، فنزح مع أبيه الى كندا عام ١٨٧٠. ثم انتقل بعد ذلك الى «بسطن» بالولايات المتحدة

ولم يكن اختراعه التلفون اتفاقة من اتفاقات الحظ المجدود ورمية من غير رام، وانما كان نتاج دراسة طويلة منظمة وبحث دقيق وصبر شديد. كان أبوه عالما فى السمعيات، فاشترك الاثنان فى دراسة الطريقة التى بها ينتج الكلام من فم الإنسان، وفى النغمات الموسيقية للاحبال الصوتية التى بحلقه، وفى مخارج الحروف والاصوات فى مختلف اللغات، وفتح الابن مدرسة لتخريج معلمين يعلمون الصم الكلام، وكان درس الكهرباء، واتصل بالفزيائى العالم «هلمهولتز» Helmholtz فكان من الطبيعى أن يربط بين الكهرباء والصوت، فكان أن طلب مع فزيائيى عصره تسخير الكهرباء فى حمل الصوت فسبقهم سبقا قريبا، وحمل اختراعه الى دار التسجيل، وحمل الاستاذ «اليشا جراى» Elisha Gray اختراعا مثله الى دار التسجيل ولكن «بل» سبق «جراى» ببضع ساعات، فكان له السبق، وكان له وحده من بعد ذلك تمجيد القرون

والآن مضت سنوات كثيرة على ذلك، وتبع المخترعَ الأول مخترعون عديدون، قام كل بنصيبه فى تنمية التلفون وتمديده، وأولدوا منه التلفون اللاسلكى، واستعان المولود والوالد على ربط الارض الدوارة، مشارقها بمغاربها، ويابسها بمائها وسهولها بأحزانها، فأعدما بذلك من قيود الانسان قيد الزمان وقيد المكان.. فأنت تستطيع الآن وأنت فى بيتك أن تتصل فى ساعة بنحو أربعين مليون مشترك مفترقين فى نواحى الارض المترامية. وقد يقال إن فى هذا الكفاية، ولكن

الانسان أمالٍ لا يفتأ يطلب المزيد . مثال ذلك أنه تضجّر من عاملات التلفون ومن أعناتهن ، فذهبن ، وأصبح التلفون فى كثير من البلاد يعمل من نفسه بدون عاملة ، ولا تمضى سنوات حتى يعم هذا النظام الجديد العالم كله . وشكا طالب الترنك الزمن الذى يقضيه فى الانتظار ليتصل بألمانيا أو امريكا ، فأصغى العلم اليه ، وعن قريب ستتمكن من مخاطبة تلك البلاد والاتصال بها بعد برهات قصيرة من اعتزامك ذلك

وشكا رؤساء الأعمال العالمية الواسعة أنهم كثيرا ما يريدون استشارة مرموسيهم أو وكلائهم أو شركائهم فى البلاد المختلفة فيضطرون الى مكالمة واحد ثم ثان ثم ثالث ، وذلك فى الأمر الواحد ، ثم يجدون بعد ذلك أنهم محتاجون الى مراجعتهم ، وسألوا ألا من سبيل الى اجتماعهم جميعا فى مؤتمر واحد على التلفون ، فقال العلم نعم ، وفعلا جُرّبت دعوة أمثال هذه المؤتمرات فى انجلترا ، وتحدث المؤتمرون كما لو اجتمعوا فى حجرة واحدة على مائدة واحدة . وساعد على هذا النجاح بالطبع أن هؤلاء القوم اذا تناقشوا تكلم منهم واحد فقط واستمع الباقون

وهناك مطالب أخرى ، وتكهنات أخرى ، وآمال واسعة ترمى كلها الى تمكين الانسان وترفيهه . فمن المحتمل القريب الآن ان يتخاطب اثنان فيمتعان السمع والبصر ، أما السمع فسمع الكلام ، وأما البصر فبصر محيّا من تستمع له تلقى صورته على لوحة أمامك . على ان هذا ان أمتع أناساً فسيزعج لا شك أناساً آخرين . فليست كل الوجوه يُستحب مرآها . وغير هذا فانت اليوم تخاطب من تشاء وانت على أى حال تشاء من لباس أو هيئة ، أما غدا ومحدثك يراك فلا بد من استواء الهندام والهيئة المحترمة ، وغدا ستضطر اذا أردت تبليغ أسفك لشىء أو حزنك على حادثة أن تتكلف الاسف والحزن لا فى صوتك فحسب ، بل كذلك فى وجهك ، وهذا لاشك يزيد فى عَنت الحياة

على ان العلم حسب حساب كل هذا ، وعرف ضعف النفوس الانسانية كما عرف قوتها ، وعرف كذلك ان تقويم المعوج وتكسير الصحيح لا يقع فى اختصاصه ، لذلك ستجد فى الجهاز الجديد زرًا صغيرا ، تديره شمالا فتحتجب ، وتديره يمينا فتسفر ، فدونك ماشئت من سفور أو حجاب .

احمد زكى

٤ — في البحوث الروحية

للأستاذ عبد الغني علي حسين

منذ أسابيع، وجهت إحدى المجلات المصرية إلى عدد من النوابغ المصريين استفتاء في دعوى مخاطبة الأرواح أيصدقونها أم يكذبونها، فأعرب البعض منهم عن تشككه في صحة الدعوى أو نفي لها للأسباب الآتية :—

١ — إن الدعوى لا تقوم على أساس علمي.

٢ — إن واحدا من كبار الباحثين الروحيين غرق في حادث الباخرة (تيتانيك)، فلم لم تنبه الأرواح بالحتف الكامن له في عرض المحيط؟

٣ — لم نسمع بأن ساسة الدول وقادة الجيوش قد استخدموا الأرواح في استطلاع ما يضمره خصومهم السياسيون والحربيون.

٤ — لم نسمع بأن رجال الأمن قد استغلوا مخاطبة الأرواح في كشف خفايا الجرائم وتعقب المجرمين.

هذا مجمل الاعتراضات. ولكن مع احترامي لقائليها، لست أراها تذهب بعيدا في نفي دعوى المخاطبة. أما القول بأن الدعوى لا تقوم على أساس علمي فقول غامض. وما هو يا ترى المقصود بالأساس العلمي؟ إذا كان المراد أن المخاطبة لم تأت كنتيجة منطقية أو رياضية لإحدى النظريات القائمة في العلوم الطبيعية فالاعتراض صحيح، إذ المفروض أن المخاطبة مشاهدة تجريبية مستقلة لا تقوم على نظرية علمية سابقة. ولكن من قال بأن النظريات العلمية السابقة يجب أن تكون أساس كل حقيقة علمية جديدة؟ إن أساس الأسس العلمية هو المشاهدة والتجربة لا النظريات العلمية السابقة.

في ساعة من ساعات التجلي السماوي، جلس (جيمس واط) يرقب ابريق الشاي وهو على النار يغلي ويئز، ورأى البخار يدفع الغطاء من آن لآن فيفتح فرجة يهرب منها، فتملكت (واط) فكرة استغلال قوة البخار المحبوس، ومال على هذا المبحث بكل ما أوتي من ذكاء، وجد في تهذيب ما سبق في هذا الميدان من محاولات ساذجة (١)، فوضع أساس صرح ضخم من البحوث والمخترعات، وحمل البخار الناس في البر والبحر وطار بهم في جو السماء؛ فهل كان اكتشاف قوة البخار بادىء ذي بدء نتيجة لنظرية علمية سابقة؟ كلا. لقد كان مشاهدة تجريبية مستقلة.

وفي ساعة من ساعات التجلي السماوي، تنبه وليم جلبرت من أهالي كلشستر بانجلترا، إلى أن الكهرباء (الكهرمان) المدلوكة بالصوف تجتذب خفاف القش، وقصاصات الورق، وكان جلبرت ذكي الفؤاد بحاثة، فجرب وجرب، ووضع أساس كل ما نعرف اليوم عن الكهرباء، وما نتعم به من مخترعاتها وبدائعها ومعجزاتها، فكشف الكهرباء أيضا لم يكن قائما على نظرية علمية سابقة، بل كان مشاهدة تجريبية مستقلة.

القول إذن بأن مخاطبة الارواح لا تقوم على أساس علمي هو على الأقل قول غامض. أما بقية الاعتراضات فليس لها من الخطر ما لهذا الاعتراض الأول. وهي تفاصيل لا أرى التعجل بالخوض فيها، ولعلها تتعلق بالأرواح ذاتها، وما تستطيع وتحب أن تفعله وما لا تستطيعه أو لا ترى في فعله خيرا. وإذا انجلت هذه البحوث عن إثبات علمي لوجود العالم الروحي، وعن تقوية للايمان بأوتاد من العلم اليقيني، فكفى بذلك نفعا، بل ذلك هو النفع كله، وهو اللباب الدسم، أما ما زاد عليه فألياف تافهة.

هذه الاعتراضات إذن قد أدلى بها على عجل. ولكن كما أنها لا تذهب بعيدا في نفي دعوى المخاطبة فكذلك ردودي هذه لا وزن لها كإثبات لصحة الدعوى. إذ الحقائق العلمية لا تقوم على الجدل الكلامي، وإنما الوسيلة إليها هي البحث التجريبي.

فهل ثمة بحث تجريبي جدير بالاعتبار يجري في هذا الموضوع؟ في العواصم بأوربا وأمريكا مجامع لهذا الغرض، أعضاؤها من المثقفين المفكرين، بينهم المحامي والطبيب والمربي والموظف والصحافي والأديب، وعدد صغير من أساتذة الجامعات وأفراد من العلماء الأفذاذ. تستحوذ هذه المجامع على وسطاء يزعمون فيهم الإخلاص وطهارة الطوية، ويدونون تجاربهم في سجلات، وينشرون لإذاعتها المجلات. وقد يختلفون في تفسير الظواهر، ولكنهم مجمعون بادىء ذي بدء على صحتها، وانتفاء الدجل منها، وأنها مفتاح ما استغلق من خصائص العقل البشري ومدى علاقته بمحيط المادة.

ولكن جمهور المفكرين لن يطمئنوا تماما إلى حكم هيئات كهذه في موضوع خطير كهذا. قد يسلم الجمهور بأن في الأمر ما يستحق

(١) الثابت أن أول من اخترع آلة بخارية هو مصري من أهالي الاسكندرية يسمى (هيرو) وذلك في سنة ١٣٠ قبل الميلاد، كما أن بعض الأوربيين قد سبق (واط) إلى ترسم خطى المخترع المصري.

البحث ، ولكن البحث الذى يرضيه يجب أن يكون بين جدران الجامعات . الجمهور يعتبر هؤلاء الباحثين ثائرين على العلم الرسمى ، ينشئون داخل مملكته دولة يحكمون فيها باسمه ، مع أنه — بحق أو بغير حق — لا يعترف بدولتهم ولا بأساليب حكمهم . ولكن لما كان رجال من وزراء البلاط العلمى قد انضموا إلى الثوار فقد جل الخطب عن السكوت : وها نحن أولاء نتساءل إلى متى تتحمل الهيئات العلمية الرسمية تبعة شذوذ الموقف ؟ ولماذا لا تجلب على الموضوع بالخيل والرجل ، فإما أن تهلكه وإما أن تضمه تحت جناحها ؟

العلم لا يعترف إلى اليوم إلا بشيئين — المادة وما يحرك المادة من قوى آلية . ولكن الروحيين ينادون بأن فى الكون أيضا قوى خفية ذات عقل وإرادة تؤثر فى المادة فى بعض الظروف . هل لهذه الدعوى من الحق نصيب ؟ سؤال ملح موجه إلى الهيئات العلمية الرسمية .

ويخيل إلينا أن العلم الرسمى قد بدأ يصغى إلى السؤال . فقد تألف بلندن فى الأيام الأخيرة مجمع جديد للبحث الروحى ، أعضاؤه من صميم رجال العلم ، يرأسه البروفسور جرافتون أليوت سميث عضو المجمع العلمى البريطانى والعالم العالمى فى الأنثروبولوجيا (علم أصل الإنسان) وأستاذ التشريح بجامعة لندن . أعلن هذا الرئيس تأليف المجمع بخطاب أرسله لمحرر مجلة اللانسيت (مجلة للعلوم الطبية) ونشر فى عدد ١٣ يناير من تلك المجلة ، وفيما يلى ترجمته :—

سيدى :

صحت كلمة عدد من رجال العلم على تأليف مجمع للبحث فى الظواهر المسماة عادة بالروحية أو غير العادية ، وذلك بالوسائل العلمية التجريبية المتبعة فى علوم الطبيعة والفزيولوجيا . يحدث كثيرا أن يدعى رجال العلم لإبداء رأيهم فى تلك الظواهر فيعجزون عن الإتيان بحجج مستقيمة تبرر موقفهم السلبى ، والأولى بهم لكى يكون موقفهم أكثر التئاما مع الروح العلمية أن يتقدموا لبحث تلك الدعاوى بالوسائل العلمية المعروفة بدلا من أن يقتصروا على نفى وجودها ، والمجمع الجديد ينوى القيام بهذه المهمة تلبية لنداء مجلة (نايتشر) فى مقالها الرئيسى بعدد ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣ (١) قال مستر جيرالد هيرد عضو اللجنة الإستشارية لمجمعنا فى كلمة أذاعها باللاسلكى يوم ٥ يناير ، إن الوقت قد حان ليتنبه العلم الرسمى إلى وجود ظواهر تشذ عن القوانين المعروفة فى العلوم الطبيعية ، ولا تلتئم مع أى نظام مادى ، ولا يصح إغفالها بعد اليوم ، منذ أربعين عاما كان رجال الطب ينكرون الدعاوى الغريبة التى جاء بها التنويم المغنطيسى ، ولكن التجربة والاختبار أثبتا صحة تلك الدعاوى وأهميتها ، وها هو العلم اليوم فى موقف مشابه لموقفه ذاك منذ أربعين عاما . عندما كنت طالب طب بالسنة النهائية ، كان زملائى من الطلبة يسخرون منى لمجرد قراءتى كتابا فى التنويم المغنطيسى ، ولكنى نجحت فى إقناعهم بصحة التنويم بأن نومت كبير الساخرين منى . قد أورد مستر هيرد فى خطابه المذاع باللاسلكى طرفا من تلك الظواهر النادرة الغامضة التى يزعمون حدوثها . ظواهر فيها المجال واسع لكل باحث كفء فى علوم الطبيعة والفزيولوجيا والسيكولوجيا . إن لدى العلم اليوم لأجهزة ووسائل للبحث غاية فى الدقة لم تكن موجودة منذ ثلاثين سنة ، مثل تصوير الأشعة فوق البنفسجية ودون الحمراء ، ومثل أشعة إكس والحاكى ومضخم الأصوات وأشرطة السينما وغيرها مما لم يكن يعرفه الذين بدأوا البحوث الروحية أمثال كروكس وريشيه ولدج . لن نبدأ البحث متأثرين باعتقاد فى الأرواح ولا بأى اعتقاد آخر . وسنسير على النمط الجامعى كما هو الحال فى معامل البروفسور وليم مكدوجال بأمريكا وفى جامعات أخرى بأوروبا . وسنعامل بكل اعتبار أولئك الذين يسمون بالوسطاء . وسيضطرب هذا المجمع فى مستهل حياته حتى يكون مستقلا فى ماليته ، ولكن رجال العلم ليسوا دائما ذوى مال ، ومعلوم أن بين الأثرياء اليوم من يهمهم جدا تشجيع هذه البحوث ، فلعلهم يجودون بسخاء لإقامة المجمع على دعائم مالية ثابتة . ونزولا على إرادة البروفسور مزيزرهاريس ، الذى أكد لى أنه يعبر عن رغبة باقى زملائه من أعضاء المجمع قد قبلت أعباء الرياسة ، ولكن ليس معنى هذا القبول أننى أعرف الكثير فى هذا الموضوع ، بل معناه أنى أتعهد بأن أجعل البحث جديا وبعيدا عن كل تحيز .

هذا خطاب رئيس المجمع الجديد ، وقد أدلى إلى الصحف اليومية الإنجليزية بأحاديث لا تخرج فى معناها عما بهذا الخطاب . ؟

عبد المغنى على حسين

خريج جامعة برمنجهام

---

(١) راجع مقالنا السابق بالعدد ٣٥ من الرسالة



دار الاصلاح

للدكتور محمد عوض محمد

كنا نتذاكر حديث الحسن الموهوب والمجلوب . فقلت لصاحبي : رحم الله ذلك الشاعر العربي القديم ، الذى كان ينادى بأنه ليس ممن يخدعه مظهر الجمال ، ولا يستهويه طلاء مصطنع ، أو رواء متكلف ، ولا يفتنه حسن مجلوب بتطرية . أو جمال مشترى من دكان العطار . وكأنى أراه إذ يجلس على دكة أمام داره يتأمل الوجوه الحسان إذ تروح وتغدو ، فاذا رأى وجها عليه من التجمل أكثر مما به من الجمال ، أقبل على جلسائه ضاحكا ، وأنشدهم من شعره أبياتا ساخرة ، يختمها بالسؤال المشهور :

« وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ »

وكان يلقى السؤال فلا يسمع من جلسائه سوى الاستنكار . . ذلك أن الناس فى ذلك الزمان قد حكموا على العطار المسكين حكما قاطعاً ، بأنه عاجز كل العجز أن يصلح ما أفسده الزمان . . . . وأكبر ظنى أن العطار نفسه — وان أنكر هذا الحكم جهاراً — قد آمن به سراً .

فقال صاحبي : غير أن هذا الحكم الصارم ما هو الا كسائر الاحكام ، عرضة لأن يتغير ويتبدل ، حين يتغير الزمان والمكان ، ولم يبق لدى اليوم شك فى أننا بتنا فى زمن قد علت فيه دولة العطار ، وتألق نجم عزه ، وأصبح قادراً على أن يثبت أن فى وسعه إصلاح ما أفسده الزمان .

فأنصت إلى كى أحدثك عن (دار الاصلاح) . فان حديثها طريف معجب . . قضيت فى الصيف الماضى الى بلاد الانكليز ، وقضيت شطراً من الزمن فى عاصمتهم ، وأنت تعلم أن من عادتى أن أقضى الصيف فى مدينة النور ، غير أنى اضطررت هذا العام أن أستبدل بها مدينة الظلام . ولا أحسبنى آسفاً على زمنى الذى قضيته هناك .

أما الدار التى أدعوها (دار الاصلاح) فقد كان من أمرها انى ذهبت ليلة ألتمس ملهى أقضى فيه المساء . فجعلت أطوف بشوارع لندن ذات الطول والعرض ، متنقلا بين اكسفورد ستريت الى شافتسبرى أفنيو ، الى بيكاديلى ، الى لستر سكوير . . متأملا المسارح ظاهراً ، ومستفسراً عما اشتملت عليه باطنا ، حتى وقعت عينى على مسرح (الحمراء) : فأعجبنى منه ذلك المظهر الشرقى المتقن ، كما أعجبنى ما بداخله من نقوش عربية بديعة ، فيها ما يكفى لتبرير ذلك الاسم الأندلسى . وكانت به عندئذ جماعة من الراقصين الروس وهم حديث الأندية فى لندن فى ذلك الوقت . فلم يطل ترددى وبادرت بشراء تذكرة . .

ونعمت ليلتى تلك بمشاهدة رقص عجيب ، والانصات الى نغمات موسيقية شائقة . فلقد نبغت تلك الجماعة فى محاكاة الموسيقى الدقيقة العويصة بحركات جسدية ناطقة . وفى ترجمة النغمات المطربة المشجية الى وثبات وخطوات واهتزازات ، تكاد تفوقها شجواً وطرباً وابداعا . ولست أنسى حتى الساعة كيف مثلوا لأعيننا (الحظ) بحركات الراقصين والراقصات على عزف الآلات ، فكنت كأنما أرى بعينى — مجسما أمامى — كيف يقبل الحظ ، فاذا السعادة قد ملأت الكون ، واذا الوجوه تطفح بالبشر ، واذا السرور باسط جناحيه ، ثم نراه بعد ذلك مدبرا ، فاذا السرور قد استحال حزنا ، واذا العالم قد امتلأ هموما وشجنا . . ولا حاجة بى الى الافاضة فى ذكر ذلك الرقص ، الذى لم يكن له صلة بدار الاصلاح ، لولا أنى فى فترات الاستراحة كنت أنظر فى كراسة اشتريتها قد اشتملت على برنامج الحفلة ، وعلى كثير من الاعلانات . وكانت الفترات طويلة فأعدت قراءة هذه الكراسة مرارا . ولم يفتنى مما بها شىء . . وقد لفت نظرى اعلان بها عن (دار الاصلاح) : فرأيته يزعم أنها دار معجزات ، تدخلها العجوز الشوهاء ، فتخرج منها غانية حسناء . .

وكأن ليس بالعالم دمامة مهما قبحت ، ولا سحنة مهما انقلبت ، إلا وفى وسع أصحاب هذه الدار أن يحيلوها الى حسن باهر وجمال بارع ، ويزعمون أن ليس الاصلاح لديهم من سبيل الترقيع الذى يزيد القبيح قبحا ، والدميم دمامة . بل هو اصلاح شامل كامل ؛ يلف المرء من قمة رأسه الى أخمص قدمه ... قرأت هذا كله فابتسمت ابتسامة الساخر . وعند مغادرتى المسرح هممت بأن ألقى بهذه الكراسة بعيدا ؛ ولكنى لم أفعل ؛ بل طويتها باعتناء ووضعتها فى جيبى . وكأنما كنت حريصا ألا يضيع منى عنوان تلك الدار .. فمن يدرى لعلى يوما أن تثور نفسى على هذه الصورة التى صحبتنى كل هذه السنين فأريد ان أستبدل بها صورة أحسن منها ..

ومضت على تلك الليلة أيام قلائل . وإنى لجالس فى صباح يوم اطالع (التيمس) فى شىء من الكسل ؛ اذا بصاحبة الدار تعلن إلى أن صديقاً يريد أن يرانى . وكانت دهشتى غير قليلة حين رأيتنى أصافح صديقى عيسى الذى تركته فى القاهرة ، وكنت أحسب أن بينى وبينه أقطاراً وبحارا .. « عجبا ماالذى أتى بك ؟ »

فحدثنى أنه قضى أياما فى البحث عنى ، حتى اهتدى بعد لأى الى مكانى ... ولقد غادر مصر فجأة حين نصحه أصدقاؤه أن يلتمس علاجا فى هذه البلاد لتلك الحال القاسية التى لم يعد يطيقها . ذلك ان المسكين قد زاد وزنه ، واكتسى اللحم والشحم طبقات بعضها فوق بعض .

فقلت له حييت أيها الصديق ، وأيا كانت الدوافع التى جاءت بك الى هذه الديار ، فانها من غير شك دوافع قوية حتى تستطيع ان تحرك هذا الجسد العظيم . فرحبا بك على كل حال ... ولست أدرى ياعيسى هل يتاح لك ان تظفر ببغيتك فى هذه البلاد . إننا قد سمعنا من قبل عن معجزات الانبياء رضوان الله عليهم الذين استطاعوا أن يبرئوا الاكمه والابرص ، وأن يحيوا الموتى باذن الله .

ولكن لم نسمع بعد بالانبياء الذين يستطيعون ان يجعلوا منك شابا رشيق القوام .

قال أحسبك قد نسيت أننا فى زمن العلم والاختراع ، وفى عصر الكهرباء والبخار . ولو انك تذكر هذا لما استكثرت على العلم الحديث هذه العلمية اليسيرة التى تدعوها معجزة .

قلت حقا إن فى عصرنا لمعجزات كبرى . فلقد استطاع البخار ان يحملك من غير عناء كبير ، حتى أبلغك هذه الديار . ولكن قل لى بأبيك ، أليس من نكد الدنيا على الحر ان مثلك لايدفع ثمنا لنقله من مصر الى لندن اكثر مما يدفعه مخلوق ضئيل هزيل مثلى ، ولو كان فى العالم إنصاف لاقتضوك الثمن أضعافا مضاعفة . فان عشرة من أمثالك على ظهر باخرة ، لخليقون أن يحولوها عن مجراها فتشرق بدلا من ان تغرب ، وتميل الى افريقية بدلا من أن تتجه نحو لندن .

فقال انك ما زلت فى ضلالك القديم ، ولم تلطف حلاوة هذه البلاد من طبعك الحامض .. فاعلم اذن أن الأمر عكس الذى توهمت . فان أصحاب البواخر يغتبطون لوجود الركاب ذوى الوزن الثقيل ، لأن هذا مما يجعل السفينة تمشى فى رزانة واتزان . ولو لم يتح لهم أمثالى ، لاضطروا أن يستعيضوا عنا بعدد عظيم من أكداس الرمل يجعلونها فى قاع السفينة .... والآن هلم بنا ننطلق الى إحدى تلك الدور التى يدعونها معاهد الجمال . فقد سمعت أن فى هذه المدينة منها عددا ليس بالقليل . وأفهمت انهم يستطيعون أن يحيلوا المرء إلى أية صورة شاء .

عند ذلك ذكرت الليلة التى قضيتها فى (الحمراء) . وتناولت تلك الكراسة . وقلت لصاحبى — وأنا أحاوره — لست أدرى أيليق بنا أن نسمى تلك الدور معاهد الجمال . أو ليس الأقرب الى الصواب أن ندعوها معاهد الدمامة ؛ إذ لا يؤمها من الناس الا من كان مثلك يحاول اصلاح ما أفسده الدهر .. وإنى لهذا السبب قد سميتها دور الاصلاح ، وقد ألقت المصادفات فى يدى اعلانا عن واحدة من تلك الدور . ولست أضن عليك بأن أصحبك اليها ...

***

وقفت بنا السيارة أمام دار فى حى (سوهو) لاينم ظاهرها المتواضع عن باطنها الفخم . وكان استخراج عيسى من بطن السيارة ليس بالأمر اليسير . ولقد نفحت السائق نفحة حاتمية جعلته يغض الطرف عما عاناه سيارته من جهد ومن عناء . وقد علمتنى التجارب أن الدراهم خير لجام للأفواه فى لندن كما فى سائر البلدان .

ودخلت الى دهليز الدار أجر معى هذا الكثيب العظيم من اللحم والشحم .. فأسلمنا الدهليز الى فناء فى جوانبه أرائك وكراسى ، وقد طلب الينا أن نجلس قليلا ريثما يؤذن لنا . فاخترت لعيسى من الكراسى أصلبها عوداً وأشدها مراسا . وجلسنا نتأمل فيما حولنا فرأينا فناء مفروشا بشىء كثير من الذوق وحسن اختيار للألوان ، وكان يغلب فيه اللون الأزرق والأحمر ؛ وعلى الأرض وفوق الجدران بسط وطنافس شرقية . وفى أحد الأركان موقد لم يكن به نار ؛ بل كان مستوراً بغطاء مزخرف ، وفى هذا الفناء خمسة أبواب يفضى كل

منها الى حجرات عديدة ؛ وفي ناحية منه سلم ينتهي الى الطوابق العليا

فقلت لصاحبي محاورا : إن اليوم لشديد الحرارة ، وأراك أخذت تتصبب عرقا . فعسى هذا الحر أن يذيب قليلا من هذا الشحم لكي تقل نفقات (الاصلاح) . . . على أني لو كنت مكانك لادخرت هذا العرق الى حين تلقى المدير الأعظم لهذه الدار . فانه سيفاجئك بامتحان عسير ، لم يكن ليخطر لك ببال . علمت أنهم سيطلبون اليك أن تجلس على كرسي واطيء ، وأن تضع رجلك اليسرى على اليمنى ، وتلفها حولها لفا محكما ، وأن تميل برأسك الى الامام حتى تمس به ركبتيك ؟ ثم تستلقي على ظهرك من غير حراك ، ويؤتى بدبابة متينة فيمرون بها على بطنك ذهابا وايابا . أجل ، هذا وأمثاله من الأمور التي ليس لك عنها مفر . فاستبق عرقك إذن ، فانك في حاجة اليه .

ولا تظنن أن في قولي هذا غلوا . فان الاصلاح ليس بالشيء الهين . . . سل المصلحين قديما وحديثا ينبئوك أن إصلاح بني الانسان من أشق الأمور . . وناهيك بالجوع الشديد الذي لابد لك أن تشقى به بضعة أشهر ، تحرم فيها الطعام والشراب الا قليلا . فلا يكون لك مندوحة عن أن تأكل من لحمك ودمك كما يفعل العشاق .

وعلى ذكر العشاق ، لقد هممت أن أقترح عليك العشق علاجا شافيا مما ألم بك ، فلقد يزعمون أن الهوى باعث على التحول والانضمار خصوصا إذا بلغ المرء فيه مرتبة الشغف والهيام والوله — ولقد هممت أن أسألك أن تعشق لكي تكتسب النحول والرشاقة . ولكني راجعت نفسي وذكرت أن الحب لن يصيب أمثالك ، فانه سيلقى من دون قلبك هذا السور المنيع من الدهن والدسم ، الذي لا تنفذ منه سهام الحب ، ولا تخترقه قنابل الغرام . . . وأي حب يحترم نفسه يرضى أن يسكن مثل هذا المنزل ؟ اذن لم يبق بد من تلك الطريق الوعرة التي تساق اليها الساعة .

هذا وقد جعلت أتأمل فيما حولنا من الناس ، فاذاهم مجموعة من الكائنات ما كنت أحسب أن في العالم حجرة تستطيع أن تضمهم جميعا . قد كان عن يميني زنجي مفلفل الشعر أسود البشرة . . وعن يساري رجل من المغول أفطس الأنف ، أصفر الجلد مائل العينين ؛ وكان هناك نساء ورجال . ليس فيهم من لم يرزق من شذوذ الخلق طرافة نادرة وتحفة عجيبة . وقد جاءوا جميعا ينشدون (الاصلاح) .

ولم يطل جلوسنا ، حتى ذهبوا بنا الى احدى الحجرات ، فاذا نحن أمام امرأة نصف ، مليئة القوام ، مستديرة الوجه ، ضاحكة السن ، قد قصت شعرها الأسود الحالك قصا محكما . بحيث أصبح رأسها المستدير أشد استدارة . ولم تكد ترانا حتى هشت لنا وبشت . وقالت : أما صاحبك فليس بحاجة لأن أسالك ماخطبه . . . وأما أنت فما أكاد أتبين ما تشكوه . . . لعلك تشكو اعوجاجا قليلا في الأنف . فان به ميلا يسيرا عن (السمترية) . . . وعلاج هذا أمر هين . فان لدينا عددا من الجراحين ذوي أيد صناع ، لا هم لهم في الحياة غير تقويم ما اعوج من الأنوف . وتخفيض ما تطامن منها ومابرز ، ورفع الافطس منها واعلاء شأنه بين الملأ ؛ ولقد يصادفون في هذا السبيل عقبات لكنهم يتغلبون عليها ، برغم أنفها . . . !

وأعجب شيء لدينا رجل من الصين ذو أنف شديد الفطس حتى لا تكاد تراه ؛ وكأنما الناس قد اتخذوا وجهه مقعدا أو متكأ ، وكنا أول الامر عاجزين عن معالجته بما لدينا من الآلات ، لكنا الآن قد اتخذنا له آلات خاصة ، ولا شك عندنا في النجاح العاجل فيخرج هذا الصيني من معهدنا بأنف معتدل جميل ، يستطيع ان يشق به لنفسه طريقا في الحياة . . أما أنت فخطبك يسير جداً ! . . حدق في وجهي ! . . إن ميل أنفك عن السمترية لا يتجاوز الخمس درجات . . . .

هكذا أخذت تحدثنا هذه المرأة . . ولكني كنت راضيا عن أنفي ، ولم يكن لي في إصلاحه مأرب . . فسألتها أن تعنى بصاحبي ، وتبذل له كل ما في دارها العظيمة من وسائل الاصلاح : حتى يعود رشيقا نحيل القوام . فنادت خادما وسألتها أن تذهب بصديقي الى المكتب الثاني عشر . فانطلقا وبقيت مكاني ، لا أدري ما أفعل . . فقالت اجلس فان صديقك سيعود بعد لحظة .

فاستطيع متى وصلني التقرير عنه أن أخبركما عن مدة العلاج والأجر الذي تتقاضاه . ان معهدنا هذا قد اشتهر أمره حتى بات كعبة القاصدين من أطراف العالم . أما أنتما فلا أشك في أنكما من أهل مصر . فقد أصبحت لكثرة ما رأيت من الوجوه لا يكاد يخفى على أمر أحد . ان علم الجمال العملي قد ارتقى ، حتى أصبح لدينا علاج ناجع لكل شائبة تشوب الجسم وتنقص من حسنه . ولدينا أقسام تعنى بالقوام ، وأخرى بالشعر وبالوجه وبسائر الجوارح والاعضاء . ولدينا قسم جليل الشان همه أن يكسب الكهول من رجال ونساء رونق الصبي ومظهر الشباب ، وكم من غانيات قد خرجن من

هذا المعهد ، وقد لبسن فيه خلل الجمال والدلال . . .

عند ذلك قاطعتها وقلت لها متحمسا : بالله لا تذكرى الغانيات ، فانما الغانية هى من تستغنى بطبيع جمالها عن التطبيع ، وبحسنها الموهوب عن المجلوب . . .

قالت : ذلك المذهب القديم أيها الصديق . أما غانية اليوم فهى التى تستطيع انفاق قدر زهيد من المال فى هذا المعهد النافع ، فتصبح من الغوانى الحسان .

قلت : هذا لعمرى مذهب أخرق ، وخداع تخدعون به الناس .

قالت : لعليكم متى رخص الجمال ، وأصبح فى متناول النساء جميعا ، أن تثوبوا — معشر الرجال — الى رشدكم ، فلا تعبدوا جمال الجسد تلك العبادة المزرية . ولعليكم أن تفكروا قليلا فى جمال الروح . . .

وأظننى قد أفحمنى هذا الرد . فقد سكت لحظة لا أحير جوابا ، ورجع عيسى وبيده ورقة ، تناولتها وقرأتها ، وقالت : ان (اصلاح) صديقك سيتم فى مدى شهرين ، وسيكلفه هذا الاصلاح خمسين جنيها .

* * *

قال صاحبى : ولقد رجعت منذ أسابيع ، ومعى عيسى وقد غدا فتى رشيقا نشيطا ، وسيما قسيما . . . ألست ترى الآن أن دولة العطار قد ارتقت ، وأنه قد استطاع أخيراً أن يصلح ما أفسده الدهر ؟

قلت : بلى ، ولكن ألست ترى أنك قد بالغت فى تنميق قصتك وتزويقها ؟

قال : وهل تحسبنى من أولئك الطغام الذين يقصون عليك الحديث كما تجرى ؟

قلت . معاذ الله أن تكون منهم . على أنى سأذكر دائما ما قالته لك تلك المرأة . فانه سيجىء يوم لا يأبه الناس فيه لجمال الجسد ويلتمسون فيه جمال الروح ، وعندئذ قد يكون لمثلك ومثلى فى الحياة شأن غير هذا الشأن .

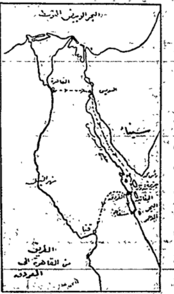
شهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة الامتحانات والسجلات بوزارة المعارف

١ — فى الطريق الى الغردقة

بعد أن اجتزنا ابا زنيمة فى طريقنا الى دير سانت كاترين فى سيناء شتاء سنة ١٩٣١ وصلنا الى ربوة تشرف على البحر، وكانت الشمس عندئذ تؤذن بالمغيب آخذة فى الاحتجاب وراء جبال صحراء العرب على الشاطىء الآخر لخليج السويس، فبدت هذه الجبال وقبها والشمس وراءها واضحة جليـــة برؤوسها العالية مرصوصة فى خط طويل موازٍ للبحر، وكان جبل الشايب بهامته الشامخة فى الوسط ابرزها ارتفاعا واعظمها جلالا وفخامة — كان المنظر بديعا اثار فى نفسى رغبة شديدة لزيارة هذه المنطقة، الا ان تنفيذ هذه الرغبة لم يكن حينئذ بالامر السهل، فالشقة بعيدة، والانتقال اليها فيه صعوبة ونفقة كبيرة، فمكثت انتظر الفرصة الى أن سنحت صيف هذا العام بعد ذلك بسنتين، فقد تفضل صديقى العالم النابه الدكتور محمد عبد الخالق بك، فدعانى لمرافقته فى رحلة علمية الى الغردقة على البحر الأحمر، حيث مكثنا شهرا كاملا كانت كل أيامه بركة على العلم وعلينا. فالابحاث العلمية الطريفة والتجارب الدقيقة التي قام بها الدكتور عبد الخالق بك على أسماك البحر الاحمر وحيواناته ملأت نتائجها مجلدا ضخما كما ضاق عن نماذج الاسماك والطفيليات التى جمعها ما كان معنا من صناديق وحقائب.. ثم كانت رحلاتنا العديدة الى البحر والبر، فمن مناطق المرجان العجيبة الى المنشآت العظيمة لشركة البترول بالغردقة، وشركة الفوسفات بسفاجة، ثم الى الكتلة الجرانيتية الهائلة لجبل الشايب ثم اختراق السلسلة الجبلية الوعرة الى قنا على النيل.



الطريق من القاهرة الى الغردقة

كل هذا وغيره سأحاول أن اصفه فى ايجاز، راجيا أن أوفق فى رسم صورة تقريبية لمعالم هذه المنطقة المنعزلة التى لا نعرف عنها الكثير ولا القليل

كان فجر يوم الخميس ٦ يوليه سنة ١٩٣٣ موعدا للقيام بالرحلة، فاقلتنا السيارة من القاهرة الى السويس عن طريق الصحراء، فبلغناها ضحى، ثم توجهنا الى ميناء الزيت احدى نواحى ميناء السويس حيث كانت باخرة الزيت أرتيناشل (١) راسية فنقلنا اليها ما أحضرناه من متاع وأجهزة، وقبل الظهر بنصف ساعة وصل الربان وأعطى إشارة القيام، فسارت بنا الباخرة نحو الجنوب وسط جو هادى، وبحر ساكن، وبعد قليل دعينا لتناول الطعام مع الكابتن بيس (Cap. Peace) ربان السفينة فتلقانا فى حجرة المائدة مرحبا وتبسط معنا فى الحديث وأفاض بكلام رقيــق تتخلله النكتة الرائقة والفكاهة الحلوة، وبعد أكلة شهية اجتمعنا على السطح، وأخذنا نشاهد معالم الشاطىء من خلجان وجزر ومنارات وجبال، وفى الأصيل تناولنا الشاى، وعند الغروب تعشينا ثم قضينا سهرة لطيفة فى لعب ومسامرة.

كان الوقت صيفا، فنمنا على السطح، واستيقظنا فى اليوم التالى مع بزوغ الشمس، وكانت السفينة تسير عندئذ امام رأس محمد، الطرف الجنوبى لسيناء، ثم أخــذ البحر أمامنا فى الانفراج وبعد قليل اختفى الشاطىء الشرقى عن الابصار، ثم مال بنا الطريق نحو الجنوب الغربى، ودخلنا مضيقا واسعا فى الغرب من جزيرة شدوان، وعند الساعة العاشرة صباحا لاحت فى الأفق معالم الغردقة، نقط بيضاء وخطوط سوداء، عبارة عن خزانات الزيت وابراج الآبار. وقبيل الظهر مرت الباخرة أمام الطرف الشمالى لجزيرة الجفاتين، ثم دخلت الميناء بسلام ورست حذاء رصيف خشبى يحمل انابيب كبيرة تتصل بالشاطىء، وذلك للشحن والتفريغ: شحن الباخرة بالزيت، وتفريغ الماء العذب منها

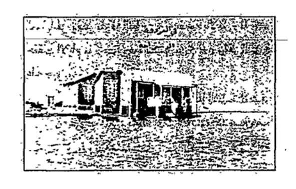
---

(١) Ortena Sheit باخرة كبيرة من بواخر شركة شل معدة لنقل زيت البترول الخام من الغردقة الى معامل التكرير بالسويس. سرعتها ٨ أميال فى الساعة وتقطع المسافة بين السويس والغردقة وطولها ٣٢٠ كيلو مترا فى ٢٤ ساعة أو ٢٧ ساعة ولا تقبل من المسافرين الا عددا قليلا ولا يباح فيها السفر الا بترخيص خاص من مدير الشركة بالغردقة

يشرف على الميناء امام الرصيف منزل انيق ، يقيم فيه مدير الشركة ، وخلفه على ربوة عالية خزان ضخم (فيطاس) يسيل الزيت الخام منه الى احواض الباخرة عند الشحن ـ وعلى مسافة قليلة من الميناء مكاتب مصلحة الحدود يرفرف على ساريتها العلم المصرى الكريم

نزلنا الى البر وركبنا السيارات ، فانطلقت بنا الى محطة الاحياء المائية على عشرة كيلو مترات جهة الشمال ، والطريق إليها مرصوف ينحنى فى اوله ليدور حول تل عال مشرف على البحر ، ثم يستقيم ويخترق منشآت شركة الزيت : فأبراج عالية هنا وهناك على اليمين وأخرى على اليسار ، ومساكن العمال والمسجد والكنيسة ، ومكتب البريد ، ومكاتب الشركة ومصانعها ثم «فيلات» الموظفين والنادى كلها منثورة فى فضاء واسع تتخللها الشوارع المنتظمة ، والحدائق النضرة بهندسة جميلة تجعلها شبيهة بمبانى مصر الجديدة

وصلنا المحطة بعد نصف ساعة ، ونزلنا ضيوفاً على الدكتور كرسلاند Dr. Crossland مديرها فتفضل ودعانا للطعام ، ثم بعد ذلك انتقلنا إلى الاستراحة التى اعدت لاقامتنا

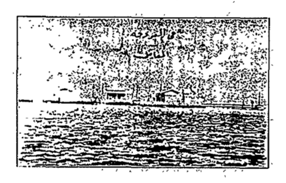


٢ — فى محطة الاحياء المائية

محطة الاحياء المائية شيدتها الجامعة المصرية على البحر الأحمر منذ ثلاث سنوات لتمكين علماء البيولوجيا من اجراء ابحاثهم المتعلقة بالاحياء البحرية فى نفس المواطن التى تعيش فيها .

وتشغل مبانى المحطة بقعة واسعة من الشاطىء على بعد خمسة كيلو مترات من مبانى الشركة ، وقد بلغ ما أنفق على تشييدها واعدادها حتى العام الماضى نحو خمسة عشر ألفاً من الجنيهات .

وكل مبانيها من الخشب على شكل الاكشاك مقامة بالقرب من البحر أو داخلة فيه . فمنزل المدير والمكتب والاستراحات ومنازل الموظفين والعمال على الشاطىء فى ثلاثة صفوف تواجه البحر ، ثم المعامل وقد أقيمت داخل البحر على مسافة مائتى متر من الأرض تصل اليها على رصيف مبنى فى الماء .



وقد لوحظ فى اختيار المكان وقوعه بالقرب من منطقة بحرية غنية بالمرجان ، كما أن قربه من شركة الزيت كفل للمحطة الحصول على الماء العذب الكافى للشرب وللتجارب العلمية ، وكذلك حاجات المعيشة كما جعل اتصالها بالسويس بواسطة السفن ميسوراً مرة كل أربعة أيام — ويؤتى بالماء العذب وبالاطعمة على اختلاف أنواعها من السويس فى بواخر الشركة كما يؤتى أحياناً بالطيور والخضروات من قنا فى السيارات — وتدير الشركة مصنعاً للثلج ومخبزاً كامل المعدات . وبالجملة فان أسباب المعيشة بالغردقة موفورة لدرجة كبيرة تنسيك انك تعيش فى منطقة كانت من ثلاثين سنة مضت بلقعاً لا تجد فيها غير بعض أكواخ حقيرة يسكنها جماعة من صيادى السمك المساكين الذين يجوبون الشواطىء المصرية فى طلب الرزق عن طريق الصيد أو تهريب الممنوعات .

(يتبع) الدمرداش محمد

مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى

ظهرت الطبعة الثانية بعد أن نقحت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة ، يقع فى ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير طبع دار الكتب وثمنه ١٥ قرشا عدا اجرة البريد ، ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

العالم المسرحي والسينمائي

فلم « الاتهام »

لناقد « الرسالة » الفني

في الاسبوع الماضي عرض فلم مصري جديد ، هو ثالث الافلام المصرية التي عرضت هذا الموسم ، ونعني به فلم « الاتهام » لشركة « فنار فلم » التي دعت رجال الصحافة لمشاهدته في حفلة خاصة قبيل عرضه على الجمهور .

ولعل هذا الفلم هو أول شريط مصري نجد فيه موضوعا ، أو حادثة إذا شئت ، محبوكة الاطراف ، منسجمة الوضع ، تسير من البداية الى النهاية في تسلسل طبيعي معقول ، فخلا بذلك مما كان يؤخذ على الأفلام المصرية عامة من تفاهة الموضوعات التي تعرضها وعدم استقامة الحادثة وارتباكها ، مما كان يجعل هذه الافلام تافهة من الناحية الفنية القصصية ، ويجعل الارتباط بين مشاهدها المختلفة مضطربا يتلبسه المشاهد تلبسا ويكاد لا يفهمه ، وفي ذلك ما يقلل من قيمة الفلم نفسه ، بل يجعله فاترا مملولا ليست فيه هذه الحرارة التي تدفع المتفرج الى تتبع مشاهده والاندماج فيها والتأثر بها .

ففلم الاتهام ، سد من هذه الناحية نقصا كبيرا ، وتضمن حادثة وموضوعا يستطيع ان يلبسهما المتفرج في غير عناء ولا مشقة ، ويمهد سياق الحادثة من ناحية أخرى ، بوقائعها المتتالية ، مشاهد تمثيلية رائعة لأبطال الفلم يظهرون فيها مقدرتهم الفنية .

على أن الموضوع ليست له هذه القيمة الفنية التي تعلقها عليه ، ولكنه فاز برضاء الجمهور بفضل هذه المفاجآت السينمائية التي تجعل المتفرج لا يمل العرض ، ومن المعروف أن القصة ، مسرحية كانت أم سينمائية ، اذا لم تثر اهتمام المتفرج سقطت . وفي فلم « الاتهام » هذه المفاجآت التي تجعل المشاهد طول مدة العرض متيقظ الحواس والمدارك لا يفوته منه مشهد الا ويثير اهتمامه بما يليه ، ومن هنا نجح الفلم هذا النجاح الملحوظ الذي يستحق عليه أصحابه كل شكر وثناء . ونريد أن نخص بالذكر هنا السياق الفني البديع الذي ظهرت به حادثة القتل والسير فيها ، فقد بقي محتفظا به الى اللحظة الاخيرة ، الى ساحة المحكمة حيث المتهمة في القفص وكل الأدلة تقوم على اذانتها ، وبغتة تظهر الحقيقة ، ويعترف المجرم بجرمه ، ويرى المشاهد كيف ارتكبت الجناية ، فيكون لذلك تأثيره في نفسه . وهذا المشهد هو أبدع مشاهد الفلم ولا شك من الناحية الفنية السينمائية ، وقد أحسن حبكه وعرضه بمهارة تدل على كثير من الحذق والدراية بأصول الفن السينمائي

اشتركت نخبة طيبة من الممثلين والممثلات في القيام بادوار هذا الفلم وعلى رأسهم السيدة بهيجة هانم حافظ وقد نزلت الى ميدان العمل الحر بنفس ملؤها الثقة وروح مفعمة بالأمل والرجاء ، وقد حققت الايام ما كانت ترجوه لنفسها من نجاح ، وللفن الذي قصرت عليه جهودها من توفيق وفوز .

ظهرت السيدة بهيجة هانم لأول مرة على الشاشة الفضية في دور « زينب » في الرواية المعروفة بهذا الاسم للدكتور محمد حسين هيكل بك ونجحت في دورها نجاحا شجعها على تكوين شركة سينمائية ، هي شركة « فنار فلم » التي تقدم ذكرها والتي يتولى إدارتها الأستاذ محمود حمدي بكفاءة نادرة جعلتها في مقدمة شركاتنا السينمائية المصرية . وقد أخرجت هذه الشركة قبل اليوم فلم « الضحايا » ، وهذا الفلم « الاتهام » هو فلمها الثاني . وقد قامت السيدة بهيجة بدوري البطولة في الفلمين ، وكان توفيقها فيهما كبيرا الى درجة تغبط عليها حقا ، فهي تلجأ في مواقفها على الشاشة الى البساطة التي هي ميزة الممثل الماهر الذي لا تحس في تمثيله تكلفا أو تصنعا ، بل يعيش في دوره ويندمج فيه حتى ليتلاشى الممثل ولا يبقى الا هذا الشخص الذي تراه على الشاشة بطلا من أبطال الحادثة .

والسيدة بهيجة « فوتوجنيك » فلها هذا القوام المتسق البديع ، وهذه القسمات والملامح الواضحة التى تظهر على الشاشة فاتنة أخاذة وعين « الكاميرا » دقيقة قوية تسجل الهنات والصغائر وتجسمها ، ولا تعوض الكفاية هذا النقص الذى يبدو فى صورة الممثل أو الممثلة ، والسيدة بهيجة من هذه الناحية كثيرة التوفيق ، توفرت فيها كل الشروط التى تؤهلها للتمثيل السينمائى ، وللنجاح فيه ، سواء من ناحية المقدرة الفنية والاستعداد لاخراج الشخصية التى تمثلها اخراجا دقيقا ماهرا ، أو من ناحية التصوير والظهور على الشاشة فى صورة بديعة فاتنة . وللسيدة بهيجة فوق هذا صوت متزن النبرات حلو النغم ، سلس الأداء ، سمعه الجمهور فى هذا الفلم لأول مرة ، لأنه أول فلم ناطق تشترك فيه

ولعل من الخير ان نذكر هنا ان السيدة بهيجة اشتهرت وعرفت قبل عملها فى السينما بموهبتها الموسيقية ، وقد نالت سنة ١٩٣٠ دبلوما فى الموسيقى من باريس . ومن المعروف أنها وضعت موسيقى جميع الافلام التى اشتركت فيها ، وقد سجلت هذه الالحان على الاسطوانات الغنائية . وهذه الانغام الساحرة التى سمعها الجمهور أثناء عرض افلام « زينب » . و « الضحايا » و « الاتهام » هى من وضع السيدة بهيجة . ولها فى هذا الفلم الاخير مقطوعات عديدة تعد من أحسن ما وضعت والفت الى اليوم .

ونحن نسجل هنا مغتبطين هذا النجاح العظيم الذى نالته فى فلمها الجديد بتمثيلها وموسيقاها ، ونرجو ان يكون لهذا الاقبال من الجمهور على مشاهدة الفلم صداه فى القريب العاجل فنرى قريبا فلما جديداً لها

قامت السيدة زينب صدقى بأحد الادوار الاولى فى الفلم ، والسيدة زينب ممثلة معروفة لها على المسرح شهرة بعيدة ، وقد أخرجت كثيرا من الأدوار الفنية الدقيقة التى يعد نجاحها فيها دليلا ساطعا على مقدرتها الفنية وكفايتها الفذة ، فليس عجيبا أن توفق هذا التوفيق فى دورها فى هذا الفلم ، تمثيلا وأداء وحركة

وقام الأستاذ زكى رستم بدور شوكت المحامى قريب بهيجة الذى يحبها ، ويقتل فى سبيلها ، ثم يترافع عنها محاولا انقاذها ، وقد كان فى كل مواقفه مبدعا موفقا ، خصوصا فى موقفه الأخير عند اعترافه بجرمه الذى يعد من أبدع المشاهد التمثيلية فى القصة بما أبداه هذا الممثل الكفء من الحرارة ومهارة الأداء ، وتدفق العاطفة ، واتزان الصوت والحركة ، وزكى هو الآخر من ممثلينا البارزين على المسرح وله أدواره المعروفة وكفايته التى لا تنكر .

هؤلاء الثلاثة هم أبطال الفلم ، وقد عاونهم مجموعة كبيرة من الممثلين الاكفاء الذين أجادوا مواقفهم إجادة كبيرة ، وفى المقدمة الأستاذ محمود حمدى الذى مثل دور وكيل النيابة وألقى كلمة الاتهام وهو يتمتع بصوت جهورى ممتلىء قوى النبرات ، يترك فى نفس المتفرج أثراً بليغاً ، ومن ممثلى الفلم أيضا حضرات عزيز فهمى ، وحسن كامل ، ومنير أبو سيف ، ومنير فهمى ، وعبد القادر المسيرى ، ولطفية الصغيرة ، وقد كانوا جميعا كثيرى التوفيق فى أدوارهم المختلفة

ولا يسعنا فى النهاية إلا أن نهنىء شركة فنار فلم على شريطها الجديد وعلى ما نال من نجاح واقبال ، ونرجو أن يكون هذا حظها على الدوام فى افلامها المقبلة ..

محمد على حماد

أكبر نجاح يناله فيـــــــلم مصرى الى اليـــــــ

فيـــــــلم الاتهـــــــ لشركة فنار فلم

اقبال منقطع النظير . . . نجاح لا مثيل له . . . الجماهير تتزا

بنـــــــاء على طلب الجمـــــــاهير

يمتـــــــد العرض اســـــــ

ســينما تريعف بالقـــاهرة سينما الكوزموج

بهيجـــــــة

تقوم بالدور الاول

إسـطع النجوم المصـــــــ

بالاشـــــتراك مع زينب

ونخبـــــــة من أكفأ

كل يوم حفلة اضافية الساعة ٣

أحجزوا محلاتـــــــ

بادروا بمشاهـــــــ

الموسيقية النـــــــ

وم ـــ عشرات الالوف يشاهدون فى مصر والاسكندرية

ـــــــام لشركة فنار فلم

حمى لمشـــــاهدته

بناء على طلب الجمــــاهير

ـــــــبوعا ثانيا

راف الامريكانى بالاسكندرية

حافظ

تقوم بالدور الاول

رية السـينمائية

صدقى وزكى رستم

الممثلين والممـــثلات

وربع بعد الظهر ويوما الجمعة والاحد حفلة نهارية الساعة ١٠،٣٠ صباحا

ـكم مقدما احجزوا محلاتـــــكم مقدما

ـدة الفلم المصرى الذى يعد احسن الافـــــلام المصرية

ـاطقة التى ظـــــهرت الى اليوم

حول ابن سينا

للدكتور محمد خليل عبد الخالق

اطلعت فى عدد الرسالة رقم ٣٦ بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٣٤ صحيفة ٤١٩ على مقال للأستاذ حافظ قدرى طوقان عن ابن سينا ، عدد فيه مؤلفاته ، وبين اكتشافاته الهامة فى العلوم المختلفة ، وأود أن ألفت النظر الى أن ابن سينا أول من اكتشف الطفيلية الموجودة فى الإنسان المسماة الآن بالانكلستوما ، وكذلك المرض الناشىء عنها المسمى بالرهقان أو مرض الانكلستوما . وقد كان هذا الاكتشاف فى كتابه « القانون فى الطب » فى الفصل الخاص بالديدان المعوية . وهذه العدوى تصيب الآن نصف سكان العالم تقريبا . وقد بلغ ما كتب عن هذا المرض من المقالات والكتب الى سنة ١٩٢٢ ، ٥٠٠٠ مرجع عنيت بجمعها مؤسسة ركفلر بأمريكا . وقد سمى ابن سينا هذه الطفيلية باسم « الدودة المستديرة » ، وقد كان لى الشرف فى سنة ١٩٢٢ أن قمت بفحص ما جاء فى كتاب « القانون فى الطب » عن الديدان المعوية ، وأمكننى أن اقوم بتشخيصها بدقة ، وتبين من هذا أن الدودة المستديرة التى ذكرها ابن سينا هى ما نسميه الآن بالانكلستوما ، وقد أعاد اكتشافها دوبينى فى إيطاليا سنة ١٨٣٨ ، أى بعد كشف ابن سينا عنها بتسعمائة سنة تقريبا .

وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا الرأى فى المؤلفات الجديثة ، وكذلك مؤسسة ركفلر كما يرى من المراجع المذكورة بعد . ولذلك كتبت هذا ليطلع عليه الأدباء ، ويضيفون الى اكتشافات ابن سينا العديدة هذا الاكتشاف العظيم لمرض هو من الامراض الاكثر انتشارا فى العالم الآن .

المراجع

١ — الدكتور محمد خليل سنة ١٩٢٢
مرجع قديم عن الطفيليات الطبية مترجم عن مؤلف للطبيب العربى ابن سينا مع ترجمة حياته باختصار (بالانجليزية) — مجلة امراض البلاد الحارة ، وعلم الصحة بلندن مجلد ١٤ عدد ٦ مارس سنة ١٩٢٢ صحيفة ٦٣ — ٦٧

٢ — الدكتور محمد خليل سنة ١٩٢٤
رسالة أثرية فى العلقات الطفيلية التى تصيب الانسان (بالعربية) — المجلة الطبية المصرية مجلد ٧ عدد ٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤ ص ٤٠٣ — ٤١١

٣ — مؤسسة ركفلر سنة ١٩٢٢
المراجع الخاصة بمرض الرهقان (الانكلستوما) (بالانجليزية) ص ١١ من المقدمة

٤ — فاوست سنة ١٩٢٩
علم الديدان البشرية — فيلادلفيا — صحيفة ٣٥٧

النقد والطربوش وزجاج النافذة

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٤)

يكون الحق فى أن يعبث بها اذن ؟ أما أنا فاجيب الاستاذ بأن هذا الحق ليس مباحاً لاحد ، ولكن الناس يستبيحونه لانفسهم ، سواء أرضى الاستاذ أم لم يرض ، وأنا أتحداه ، وأطلب اليه أن يرينى كيف يستطيع أن يمنع الناس من أن يتناولوه بما يحبون من الوان النقد والعبث لا بما يحب هو ، كيف يستطيع أن يمنع الناس من ذلك دون أن يخرج عن طور الكاتب الاديب ؟ واذن فما له يظلم نفسه هذا الظلم ، ويلح عليها بهذا العبث الذى لاقصد فيه ، أم هل ضاقت الدنيا بالاستاذ كما ضاقت بالحطيئة ذات يوم فيما يقال فهجا نفسه لانه لم يجد من يهجوه ، أم هل كره الاستاذ الاخذ والرد ، وضاق بالحوار والجدال ، وكره أن يذكر الناس فيغريهم بذكره ، فآثر أن يذكر نفسه هذه المسكينة التى لا تجد من يدافع عنها ويحميها من صاحبها الطاغية . فان تكن هذه فقد أخطأ المازنى ، فهأنذا اذافع عن المازنى برغم المازنى . أخشى ألا يكون لشىء من هذا كله أصل ولا فرع كما يقولون ، وان يكون المازنى قد أراد نقد الكتاب الذى طلب اليه نقده ، فمضى به الخيال ومضت به الدعابة الى هذه الازقة الضيقة الملتوية ، يبحث فيها عن الكتاب وصاحب الكتاب ، فلم يفد الا ان فقد طربوشه واضاع على صاحبه الشيخ زجاج نافذته ، ولم يجن لنفسه ولا لصديقه المؤلف شيئاً . وويل للكتاب وللمؤلفين من دعابة المازنى ومجونه ، وويل للكتاب والمؤلفين من الغاز المازنى ورموزه ، بل ويل للمازنى نفسه من طغيان خياله وجموحه ، فان فى هذا الجسم النحيل الضئيل ، جسم هذا الرجل الهادىء الوديع ماردا لا كالمردة وشيطانا لا كالشياطين .

أما بعد ، فلنذكر النقد والطربوش وزجاج النافذة ، وما يتصل بها من الاشياء والاشخاص ، لنختم المقال كما بدأناه ، وليعلم المازنى أنا لم نتحدث عنه ، ولم نشر اليه ، ولم نفكر فيه ، وانما تحدثنا عن كتاب نقد ، وطربوش فقد ، وزجاج حطمه فتى من الفتيان تحطيما .

طه حسين

2 me Année, No. 39

Lundi-2-4-1934

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢٠
٤٠٥٣٠١

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر المالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذى الحجة سنة ١٣٥٢ — ٢ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

المصرى الغريب فى مصر!

للدكتور طه حسين

هو مختار رحمه الله. فقد كان فى حياته مرآة صادقة كل الصدق لنفس مصر الخالدة التى لاتحد ولاتحصر. كنت تجد فى هذه المرآة صورا صادقة لنفس مصر القديمة، ولنفس مصر الاسلامية، ولنفس مصر هذه التى يكونها هذا الجيل، ولآمال مصر ومثلها العليا بعد أن يتقدم الزمان ويتقدم، وترث أجيال أخرى ارض الوطن عن هذه الاجيال التى تضطرب فيها الآن

كان مختار هذه المرآة الصافية المجلوة التى تنعكس فيها حياة مصر على اختلاف ازمنتها ومايحيط بها من الظروف. فكان من هذه الناحية أشد أبناء مصر اتصالا بها وقربا منها وتمثيلا لها. ولكنه على ذلك كان غريبا فى مصر أثناء هذه الأسابيع التى ختمت مساء الثلاثاء حين ختمت حياة مختار. أقبل من أوربا فلم تكد الصحف تتحدث عن إقباله، ولم يكد يخف للقائه من أصدقائه الا نفر قليلون. وأقام فى مصر مريضا مكدودا يلح عليه الالم والسقم فلا يكاد يذكره من المصريين الذين كانوا يعجبون به ويحمدون له ويهتفون باسمه ويعتزون بمجده ويرفعون رؤوسهم بآثاره الا نفر يحصون، ولعلك إن أحصيتهم لم تبلغ بهم العشرين، وأخشى الا تبلغ بهم أقل من هذا العدد اليسير. ثم اشتد عليه المرض وألجأه الى المستشفى فلم تكد الصحف تتحدث عن ذلك الا حديثا يسيرا جدا. وخف أصدقاء مختار الى المستشفى يسألون عن صديقهم

ويريدون لقاءه فحال المرض بينهم وبين اللقاء . وأغلق اليهم ان الحجاب قد ألقى بينهم وبين هذا الصديق وان كانت الحياة ماتزال تتردد فى جسمه النحيل . ثم أصبح الناس يوم الاربعاء واذا نعى مختار يملأ القاهرة ويقع من نفوس اهلها موقع الألم اللاذع والحزن الممض . ثم أمسى الناس يوم الاربعاء ، واذا جماعة من خاصة المصريين وقليل من الاجانب عند محطة القاهرة يستقبلون جثمان مختار ، ثم يسعون معه الى المسجد . ثم يتفرقون ويمضى مختار الى مستقره الاخير ، ومن حوله جماعة قل فى إحصائهم ماشئت فلن تستطيع أن تبلغ بهم نصف المئة . ثم يصل مختار الى قبره ، ثم يهبط مختار الى هذا القبر ، وهؤلاء الاصدقاء قائمون قد ملكهم وجوم عميق لايقطعه الا هذا الصوت الرفيق المزعج ، صوت المساحى والمعاول وهى تسوى القبر عليه ، وتقطع مابقى بينه وبين الحياة من أسباب ، والا هذا النداء الذى يتردد بين حين وحين عنيفا يتكلف الرفق ، طالبا الماء الذى يحتاج اليه فى تسوية هذا القبر ، وإقامة هذا السد بين صاحبه وبين الحياة ، والا هذا اللغط الذى يؤذى الاسماع ، وكان من حقه أن يكون موسيقى عذبة رقيقة تأسو القلوب الجريحة وتهدىء النفوس الثائرة ، وترد الجازعين اليائسين الى ماينبغى لهم من الاذعان لقضاء الله والرضى بحكم الله . وهو لغط هؤلاء القراء الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب ، وقد كره الله أن يلوى الناس ألسنتهم بالكتاب ، لأنه كتاب مبين مستقيم لاعوج فيه ولا التواء . وانما فيه هداية للعقول وشفاء لما فى الصدور . ثم ينقطع كل صوت ، ويتفرق هؤلاء الاصدقاء يحملون فى قلوبهم مايحملون من حب ووجد ، ومن أسى ولوعة ، يحملون هذا كله لينغمسوا به فى هذه الحياة التى تنتظرهم على خطوات قليلة قصيرة من مستقر الموتى .

وكذلك انتهت قصة مختار مع انتهاء النهار يوم الاربعاء ، وكذلك أسدل ستار الموت على حياة مختار فى الوقت الذى أسدل فيه ظلام الليل على حياة الاحياء . وما أكثر ماتنتهى قصص الناس فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، بل فى كل لحظة . وما أكثر ما يسدل ستار الموت حين تشرق الشمس أو حين تغيب ، فلا نحس ذلك ولا نلتفت اليه ، لأن الذين تختطفهم المنية أو تحصدهم فى جميع الاوقات قوم مجهولون لم تميزهم الظروف أو لم تميزهم أنفسهم ، فهم يمضون دون أن يحسهم أحد كما يقبلون دون أن يحسهم أحد . ولكن مختارا كان غريبا حقا فى آخر حياته ، وكان غريبا حقا فى أول موته ، وأى عجب فى هذا ؟ لقد آثر حياة الغربة منذ أعوام ، فكان لا يزور وطنه الا لماما ، ولقد تعود الجفوة من مواطنيه . وأكبر الظن أن ذلك كان يؤذيه ، ولكنه كان أكرم على نفسه من أن يشكو أو يظهر الالم . ولقد سمعنا أنه احتمل المرض شجاعا ، واستقبل الموت شجاعا ، لم يدركه جزع ولا فرق . ولو أنه رأى بعد أن مات كيف ودعه مواطنوه لما أثر فيه ذلك أكثر مما أثرت فيه جفوة مواطنيه قبل أن يموت . ولعله كان يألم لذلك فى قرارة قلبه الممتاز ، ثم لايظهر من ألمه شيئا كما كان يفعل أثناء الحياة ، انما نحن الذين ينبغى لهم أن يألموا أشد الالم ، وأن يحزنوا أشد الحزن ، وأن يستشعروا شيئا غير قليل من اللوعة والحسرة وخيبة الأمل حين نرى هذا العقوق ، وحين نقدر أثره فى نفس صديقنا الراحل العزيز . فقد كنا ومازلنا نتحدث بأن مختاراً هو الذى رد إلى مصر بعض حظها من المجد الفنى ، وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد مكن مصر من أن تعرب عن نفسها وعما تجد من الألم والأمل بلسان جديد لم تكن تستطيع أن تصطنعه من قبل ، وهو لسان الفن . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد أنطق مصر بهذه اللغة التى يفهمها الناس جميعاً وهى لغة الجمال ، لغة الفن ، بعد أن كانت لاتنطق الا بهذه اللغة التى لا يفهمها الا جيل بعينه من الناس ، وهى لغة الكلام . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد جدد فى مصر سنة كانت قد درست ومضت عليها قرون وقرون . وهى سنة الفن ، وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختاراً قد لفت الاوروبيين الى مصر ، وأقام لهم الدليل على أن مطالبتها بالاستقلال لم تكن عبثا ولا لغواً ، وانما كانت نتيجة لحياة جديدة ، ونشاط جديد ، وقد لفت مختار الاوروبيين الى ذلك فى أشد الأوقات ملاءمة ، فى وقت الثورة السياسية . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً على حداثة عهده بالفن كان أسبق المصريين الى إعجاب أوروبا ، ألم يعرض آثاره فى باريس . ؟ ألم تتحدث صحف الفن عن مختار قبل أن تتحدث صحف الأدب عن كتابنا وشعرائنا ؟ ألم تستقر آثار مختار فى متاحف باريس قبل أن تستقر آثار كتابنا وشعرائنا فى مكاتبها ؟ كنا نتحدث بهذا كله ، وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد رد الى المصريين شيئاً غير قليل من الثقة بأنفسهم ، والأمل فى مستقبلهم ، والاطمئنان إلى قدرتهم على الحياة الممتازة الراقية . كنا وما زلنا نتحدث بهذا وبأكثر من هذا ، ومع ذلك فقد قضى مختار آخر حياته شريداً أو كالشريد . وقد قضى مختار آخر أيامه فى مصر منسيا أو كالمنسى ، وقد عبرت جنازة مختار مدينة القاهرة يطيف بها جماعة من الخاصة ليس غير الا نستغفر الله بل مرت جنازة مختار أمام التمثال الذى صنعه يديه كما تمر أمام أى شىء لم يظهر على التمثال ما يدل على الحزن

أوما يدل على الاكتئاب ، أو ما يدل على الشكر وعرفان الجميل . وعبرت جنازة مختار مدينة القاهرة تجهلها الحكومة المصرية أو تكاد تجهلها ، لم يمش فى جنازة مختار ولم يقم على قبر مختار وزير العلوم والفنون .. ولم يلق أحد على قبر مختار كلمة الوداع ، وانما كان الصمت يشيعه ، وكان الصمت يواريه التراب ، وكان الصمت يودعه حينما تفرق من حوله الأصدقاء . ولو قد مات مختار فى بلد غير مصر لكان لموته شأن آخر . ولو قد كان مختار فرنسيا أو انجليزيا أو ايطاليا وأدى لبلده مثل ما أدى لمصر لقامت الدولة له بشىء آخر غير الاهمال والاعراض . إذن لكانت جنازته رسمية تنفق عليها الدولة ، ويمشى فيها رجال الدولة ، ويخطب فيها كبار الدولة ، ولكن مختارا نشأ فى مصر ، وعمل لمصر ، ومات فى مصر فحسبه ما أتيح له يوم الاربعاء من توديع الذين كانوا من اصدقائه وأحبائه ليس غير

ولا ننس أن رئيس الوزراء قد تفضل فندب من مثله فى جنازة مختار . وهذا ، ويا لسخرية الاقدار ، كثير جدا ينبغى أن يشكر لرئيس الوزراء . فقد ينبغى الا ننسى أن مختارا لم يكن من انصار السياسة الرسمية ، ولا من الذين يستمتعون بعطفها وحبها ورضاها ، فكثير أن يتفضل رئيس الوزراء فيندب من يمثله فى جنازة هذا المعارض وان كان صاحب فن ، وان كان قد انفق حياته كلها لمصر لا لحزب من الاحزاب ولا لجماعة من الجماعات . لا أكذب المصريين أن لنا فى مثل هذه الاحداث والخطوب مواقف لا تشرفنا ولا تلائم ما نحب لانفسنا من الكرامة ، ولا تشجع العاملين على أن يعملوا . ومن الذى نسى موت الشاعرين العظيمين حافظ وشوقى وموقف السياسة منهما . ذهب المعارضون بحافظ ، واستأثر المؤيدون بشوقى ، ثم ذهب المعارضون بمختار منذ أيام ، وضحى بالادب والفن فى سبيل الاهواء والشهوات ، وظهر المصريون فى مظهر العقوق الذى لا يليق بالشعب الكريم . لا أكذب المصريين إنهم فى حاجة الى ان يرفعوا انفسهم امام انفسهم وأمام غيرهم عن هذه المنزلة المهينة ، انهم فى حاجة الى أن يرفعوا الادب والعلم والفن عن اعراض الحياة ، واغراض الخصومة السياسية ، لأن فى الحياة أشياء ارقى واطهر واكرم من السياسة وخصوماتها ، والأدب والعلم والفن أول هـــذه الأشياء .

(البقية على صفحة ٥٥٨)

كاظم باشا الحسينى

بقلم احمد حسن الزيات

حنانيك يا رب ! ! أفى الساعة التى يضطرب فيها البحر ويحار المركب ويبعد المرفأ ، يموت الربان ويختفى القطب ؟ ! وفى الساعة التى يستحر فيه النضال بين حق العرب وباطل اليهود ، وبين ايمان فلسطين وطغيان الانجليز ، يسقط القائد ويهبط العلم ؟ ! وفى كل يوم تتجاوب أصداء الأسى فى أقطار العروبة على بطولة تودى ، أو زعامة تخلو ، أو نبوغ ينطفىء ، أو ألفة تفترق ، أو وحدة تشتت ؟ !

لا بأس بالألم يجمع شتى القلوب على الاحساس المتحد ، وبالخطب يروض رخو المغامز على المقاومة الشديدة ، وبالموت يبعث ضارع النفوس الى الحياة العزيزة ، أما المدامع التى تجدب المشاعر ، والشدائد التى توهن العزائم ، والمنايا التى تقبر الأمانى ، فأرزاء من الشر المحض والعذاب الخالص كابدتها الأمة العربية وا أسفاه فى مصارع سعد وفيصل وكاظم !

* * *

روّع العربَ فى عيد التضحية والتلبية مصاب فلسطين فى حياة نهضتها وسر وحدتها وروح ثورتها المغفور له موسى كاظم باشا الحسينى ، فضجت المآذن بالنعى ، وفاضت الصحف بالرثاء ، واضطربت الألسن بالأسف ، ونال الناسَ من الجزع الطبيعى ما ينالهم حين يرون الركن يميل ، أو النظام (١) ينقطع ، أو الدليل يغيب ؛ وتساءلوا عن مصير فلسطين المعذبة بعد شيخها الذى أخلصت جوهره السنون ، وأحكمت رأيه السن ، وشيعت قلبه العقيدة ، وأعلت صوته النزاهة ، وقدست شخصه التضحية ، فجهل الحزبية ، وأنكر الطائفية ، وسل أحقاد الصدور ، وأذهب تنافس الأُسَر ، وعبأ الأمة المغزوّة فى دار أمنها ، ثم قادها زهاء خمسة عشر عاما فى المفاوضات بلندن ، وفى المظاهرات والمؤتمرات بفلسطين ، لا يقطعه يأس ، ولا يردعه وعيد ،

(١) النظام هو الخيط الذى يجمع حبات العقد

رسالة الربيع

للأستاذ عبد الحميد العبادى

لو تمثل هذا الربيع لكان إنسانا ، ولكان شابا رائع الشباب ، مشرق الطلعة ، حلو الشمائل ، معطاء بكلتا اليدين ، يملأ العيون والقلوب مهابة وجمالا . أفلا يرى القارىء تصديق هذا التصوير فيما يأخذه الحس والشعور من الطبيعة فى أيامنا هذه : من اعتدال جو وانبعاث شمس ، وإيراق شجر ، وتفتح زهر ، وترنم طير ، وتتابع حسن ؟ أفلا يرى أن كل مظاهر الطبيعة قد غدت ولسان حالها يصيح بمن يمر : ألا ترانى فتفهم حكمة الخالق العجيب ؟

ولكن وارحمتاه للناس ! إنهم عن هذه الدعوة الكريمة فى شغل شاغل ؛ « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » لقد شغلوا بالعرض عن الجوهر ، وبالسفساف الحقير عن الجليل الجليل . انهم يوشكون أن يميت قلوبهم ويغول نفوسهم الصفق بالأسواق

رحم الله أسلافنا الأقدمين وآباء الأولين . لقد كانوا أقرب منا الى الطبيعة ، وأبر بهذا الربيع وأحسن استقبالا له . فالمصريون القدماء على شدة تفكيرهم فى الحياة الآخرة ، لم يهملوا الأخذ بأسباب التمتع بهذه الحياة الدنيا . كانوا كلفين بالطبيعة ، وحياة الطبيعة . وهل شيء أبهج للخاطر وأسر للقلب من الطبيعة وحياة الطبيعة ؟ لقد فتنوا بنهرهم المتدفق الوقور فقدسوه وعبدوه ، وكلفوا بالزهر حتى لقد اتخذوا منه رمزا وشعاراً لملكهم السياسى ، فكانت الزنبقة رمز مملكتهم الجنوبية ، وزهرة النيلوفر رمز مملكتهم الشمالية . وصاغوا تيجان الاعمدة التى تنهض بعمائرهم على مثال برعمة السدر ، والنيلوفر ، ورؤوس النخيل . وكانوا يحتفلون لمقدم الربيع احتفالا بقيت لنا منه أثارة نلحظها فى عيدنا الطبيعى الوحيد المعروف « بشم النسيم » .

وكان الفرس القدماء من أشد خلق الله حبا للزهر والماء والجو الطلق ، لذلك جعلوا « النيروز » الذى هو أول الربيع أعظم أعيادهم ، وأسبغوا عليه هالة من التقديس والاجلال ، فزعموا ان الله فرغ فيه من خلق الخلائق ، وانه يقسم فيه السعادة لأهل الارض ، ولذلك سموه « يوم الرجاء » ، ولفرط شغفهم بالربيع كانوا اذا هجم الشتاء وألح على بلادهم المطر والبرد والثلج اعتاضوا عن مناظر الربيع الطبيعية بصور لها قد وشيت بها بسطهم وسجادهم الشهيرة بحيث اذا جلسوا عليها للطرب والشراب خيل اليهم انهم فى روضة معطار من رياض الربيع . وإن من يطالع الأدب الفارسى جملة يجده عبقا بعبير الورد والزنبق والبنفسج والياسمين وغيرها من فنون الرياحين

أما العرب فربيع بلادهم هو حياتها على الحقيقة دون المجاز ، فاذا أقبل عرفوه بتألق البرق وجلجلة الرعد ، بالغيوث الهاطلة والأودية السائلة ، فاذا كان ذلك اخضرت المراعى واعشوشبت الوهاد والنجاد ، ونعم بآثار ذلك كله الانسان والحيوان . وكان ملوك بنى أمية جريا على مقتضى غريزتهم البدوية إذا أقبل الربيع برزوا الى بادية الشام فقضوا شهوره فى قصور تخذوها لذلك خاصة . ولا تزال آثار تلك القصور ماثلة إلى اليوم . فلما اختلط العرب بالفرس أخذوا عنهم عادة الاحتفال بالنيروز الفارسى . فكان عمال بنى أمية

البقية على صفحة ٥٥٨

ولا يخزله طمع ، ولا يقعد به عبء السنين التسعين عن قيادة الشباب الى صراع دائم بين حق أعزل وباطل مسلح !!

لو كانت قضية فلسطين قضية رياسة وسيادة وغلب لكان فى كل مكان سبيل الى الخلاف ودليل الى الفرقة ، ولكنها قضية الحياة والموت : وللحياة طريق تهدى اليها الفطرة ، وقافلة تدل عليها الطبيعة : فالأمر من هذه الناحية مختلف بين فلسطين وبين العراق ومصر .

ولا ريب أن المستقبل الذى يتمثل لشباب فلسطين فى أبشع صوره سيذهلهم عن نعرة العصبية ، ويلهيهم عن شهوة الخصومة ، فلا يرون الا عدوا واحدا هو الواغل المقتحم ، ولا يسمعون الا قولا واحدا هو قول زعيمهم الخالد وهو يجود بنفسه :

« ... قضية العرب فى فلسطين أمانة فى ذمتكم فجاهدوا فى سبيلها ، فإن فعلتم فارحمونى فى قبرى »

عزى الله الأمة العربية أجمل العزاء عن فقيدها الغالى ، وأحيا فى خواطر أبنائها النبلاء مثله العالى ، وجعل رضوانه عليه ثواب ما بذل فى سبيلها من ماله وجهده ونفسه ؟

الزيات

الرجوع إلى الباطل
خير من التمادى فى الحق . . . !

صفحة من حياة تشلينى

للدكتور محمد عوض محمد

« بنفنيتو تشليني Benenuto Cellini من كبار رجال الفن الايطالى فى عهد النهضة ، ولد فى مدينة فلورنسا عام ١٥٠٠ وتوفى بها عام ١٥٧١ وقد نبغ أولا فى صياغة الذهب والفضة صورا وتماثيل غاية فى الدقة والجمال . وبعد ذلك استطاع النبوغ فى صناعة التماثيل من الحجر والبرنز ، وقد عاش فى روما وباريس حيث دعاه فرانسوا الأول ليعمل عنده ، وقضى الشطر الأخير من حياته فى وطنه فلورنسا ، وله مؤلفات فى الفنون التي مارسها ، وله كتاب ضمنه مذكرات عن حياته الحافلة بالحوادث وعلى إحدي هذه الحوادث قد بنيت القصة التالية »

الرجوع الى الباطل ، خير من التمادى فى الحق . . .

ذلك هو الدرس القاسى الذى ألقاه القضاء الساخر والقدر الجائر على فنان فلورنسا العظيم بنفنيتو تشلينى ، فى يوم بدأ ضاحكا وانتهى عابسا متجهما . . .

ذهب الفنان الى الحجرات الخاصة فى قصر دوق فلورنسا ، ليشرف على الاعمال الفنية التي كلف القيام بها : من تزويق وتنميق فى الجدران والأثاث ، وتحلية بالذهب والفضة ، ومن نقوش بديعة وتماثيل بارزة . . . ولم يكن فى فلورنسا كلها فكر أبرع ، ولا يد أقدر من فكر بنفنيتو تشلينى و يده ، ذلك الرجل الذى لم يكفه أن نبغ فى صياغة الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، فأتى فى هذا الضرب من الفنون بالرائع الساحر ، بل أراد أن ينافس المثالين والنحاتين فى صناعة التماثيل الضخام ، ينحتها من الصخر أو يصبها من البرنز . فكان له ما أراد ، وبات نابغة زمانه فى الصناعتين الدقيقة والجليلة .

وكان يحلو لدوق فلورنسا أن يمر به وهو يشتغل وعماله فى الجناح الخاص بقصر الأمير ، فيتحدث اليه عن الفن وعن رجاله وأنصاره . ويناقشه فى رأى ارتآه الفنان أو خطة أراد رسمها . وكان بنفنيتو حلو النادرة ، سريع البادرة ، فى شيء من غرور النوابغ ، وغطرسة الواثق بنفسه .

وفى اليوم الذى نحن فى صدده ، جاء الدوق فتحدث اليه قليلا ، ثم عاد لينظر فى بعض أمور الدولة . . . وسألت الدوقة عن تشلينى ، فقيل لها إنه جالس وحده يشرف على الأعمال التى يقوم بها فى جناح الأمير الخاص ، فلم تمض لحظات حتى كانت الدوقة جالسة تتحدث الى تشلينى وتطرى ماقام به من اعمال الزينة فى قصر الامير ، ثم أرته عقدا من اللؤلؤ يشتمل على ثمانين لؤلؤة وقالت : أيعجبك هذا العقد ؟ قال : إنه لعقد جميل يامولاتى ! قالت فانى أريد أن يشتريه الدوق لى . فلا بد لك أن تقول له ماشئت فى مدحه والاشادة بذكره ، وأن تبالغ فى اطرائه ما استطعت الى ذلك سبيلا

كان تشلينى يظن أن الدوقة قد اشترت العقد وقضى الأمر . ولهذا بادر إلى مدحه واطرائه . أما الآن ـ واللآلئ لم تُشترَ بعد ـ فقد رأى واجباً عليه أن يطلعها على ما يراه فيها من عيوب ، ولم يكن فى فلورنسا كلها أقدر منه على نقد الجواهر واللآلئ ، ولا أبصر بمواضع العيوب منها .

فقال : مولاتى ! حسبت العقد ملكا لك فبادرت الى مدحه . فأما وأنت تهمين بشرائه ، فانى أرى لزاما على أن أطلعك على ما به من عيوب بينة تحط من قدر هذه اللآلئ . ومن أجلها لا أستطيع أن أنصحك بالشراء .

قالت : لقد رضى التاجر صاحب هذه البضاعة أن يبيعنا اياها بستة آلاف دينار . ولو لم تكن بها تلك العيوب الطفيفة التى تذكرها لما رضى بأقل من اثنى عشر ألفا .

فجعل تشلينى يبذل النصح الثمين . ويقول للسيدة الكريمة إن هذه اللآلئ لو كانت خالية من كل عيب ، وبالغة أقصى غاية الكمال ، لما جاز لأحد أن يدفع فيها أكثر من خمسة آلاف . فأما وقد اشتملت على كل هذه النقائص فانها لن تساوى نصف هذه القيمة . وفوق هذا كله ، فان اللآلئ ليست كالأحجار الكريمة نفاسة وقيمة . إنما القيم النفيس هو الماس ، والياقوت ، والزبرجد ، والعقيق ، والفيروج ، هذه هى الاحجار الكريمة التي تزداد على مدى السنين رونقا وبهاء . أما اللآلئ فليست سوى قطع من محار البحر ، وعظام السمك ، لاتلبث أن تفقد بهجتها ورونقها بعد سنين قلائل !

لكن الأميرة كانت صلبة كصلابة الماس ، وقد وطنت النفس على حيازة هذا العقد . وفي رأسها عينا امرأة قد بهرهما لمعان اللؤلؤ . فأوحتا الى قلب المرأة الذي بين جوانحها ؛ فاذا القلب قد اشتهى ذلك العقد ، واتخذ لحيازته إرادة لاتنثني ، ورغبة لاتقبل الجدل ، ورأى تشليني أنه غدا بين نارين ؛ فاما أن يغضب الأميرة او يخدع الدوق . . .

فقالت له : هون عليك الأمر ، فانا الضمينة بأن الدوق لن يمسك بسوء ، بل وستنال أجرك مني يوم تغدو هذه اللآلىء لى . وقد وطنت النفس على احرازها . فاذهب بها الآن الى الدوق . وأطنب فى مدحها ما استطعت .

* * *

كان من أكبر مايفخر به تشليني الصراحة والأمانة . ولقد طالما جنت عليه الأولى ، وأفقدته الثانية شيئا كثيرا من المكسب والمغنم ؛ ومن قبل ما جنت عليه صراحته يوم كان فى بلاط فرنسوا الأول ملك فرنسا . فرأى نفسه فجأة وقد غضبت عليه مادام ديتامب ، معشوقة الملك ، وأصبحت له عدوا عنيدا ، لاتجدى مع عداوتها صداقة أحد ، حتى ولا صداقة الملك نفسه . . . فلم يلبث ان اضطر الى مغادرة أكبر ملوك العالم ، وأغنامهم وأسخاهم . والآن أيغضب الدوقة العظيمة ، دوقة فلورنسا ! من أجل كلمة تريد أن يقولها ، فيرتكب فى فلورنسا - وطنه العزيز - ما ارتكبه فى فرنسا من قبل ؟ ويفقد ماناله فى قصر الدوق من حظوة ومن مقام رفيع ؟

تناول العقد ، ومشى به الى الدوق - وقد عزم على ان يقول كلمات قلائل يمدح بها العقد ، ولعل الدوق ان يغفر له هذه الخطيئة من أجل الأميرة . . فلما رآه الدوق قال - ما الذى جاء بك يابنفنيتو ؟

قال - عقد جميل من اللؤلؤ أردت ان أنصح مولاى بشرائه فانى ما رأيت عمرى ثمانين لؤلؤة كريمة قد نظمت فى عقد بمثل هذا الحسن الباهر ، وهذا التنسيق البديع

قال الدوق - ما أنا بالذى يشتري لآلىء مثل هذه ، فلقد رأيتها من قبل ، فلم يرقني منظرها ولا حسنها . وما هى بالنادرة كما تزعم ولا النفيسة !

قال - عفوا مولاى ! انها وايم الحق درر غوال ، ولا أعرف أن عينا رأت عقدا منظوما كهذا العقد ، حوى دررا كهذه الدرر !

قال الدوق - والله يابنفنيتو ! لو أن هذه الدرر من النفاسة بحيث تذكر لما ترددت فى شرائها ؛ فانى فى حاجة ابدا لاحراز هذه الجواهر الثمينة ، حبا فى إحرازها ، وارضاء للأميرة زوجى ، ولكى تكون هذه الكنوز ذخرا لأبنائنا وبناتنا ؛ وأنا أعلم أنك أبصر الناس بهذه الامور ، وأن عينك لن تخطىء فى نقدها وتقديرها . كذلك أعلم أنك رزقت الصراحة فى القول ، والامانة فى النصح ، فأصدقنى الخبر ، ولا تخش بأسا ! هل تنصح لى حقا بشرائها ؟

أصغى تشليني إلى كلمات مولاه ، فكأنما سقط عن كاهله عبء ثقيل . لقد كان يمدح تلك اللآلىء بلسانه ويلعنها بقلبه . وكان يعلم وهو يطريها أن هذا المدح يذرى به كفنان له رأيه السديد فى تقدير الجواهر ، ويذري به كرجل اتخذ الامانة والصدق شعارا . لهذا انكشفت عنه الغمة حين سمع الدوق يناشده الصدق والصراحة ، وقال : إنى لأخشى يامولاى - إن أنا صدقتك الخبر عن هذه اللآلىء - أن يشتد غضب مولاتى الدوقة ، وتصبح لى من ألد الخصوم ، فأضطر الى مغادرة فلورنسا - وطنى المحبوب - مرة أخرى . واليوم وقد تقدمت بى السن فان مغادرة الوطن على شىء عسير . فأستحلف مولاى ان يحميني سخطها ؛ اذ لم يضمن لى رضاها ! ولقد وعدتنى مائتى دينار إن أنا استطعت إقناع مولاى بشراء تلك اللآلىء . وقد كان خوفى من غضبها أكبر من طمعى فى جائزتها . أما الآن وقد ناشدنى مولاى الصدق ، فانى لايسعني إلا أن أخلص فى النصح : إن شراء هذه اللآلىء بذلك الثمن صفقة خاسرة . فانها لا تساوى أكثر من ألفى دينار ؛ فاذا كان لابد من شرائها فلا يدفع الامير فوق هذا القدر درهما واحدا .

قال الدوق - كن مطمئنا ! ان الدوقة لن تعلم شيئا مما قلته لى الآن ، ولن يمسك منها أذى . وسأذكر لك أبدا هذا الاخلاص فى النصيحة !

* * *

عند ذلك دخلت الأميرة ؛ وقد ظنت أن قد مضى من الزمن مايكفى لاقناع زوجها بشراء العقد . وان قد آن لها ان تضم صوتها الى صوت الفنان فقالت :

— عسى ان يكون مولاى الدوق قد راقه هذا العقد النفيس فانه قلما وقعت عين على عقد يضاهيه حسنا ورونقا ، وما أشد رغبتى فى أقتنائه وادخاره !

— لست أرغب فى شرائه .

— لماذا يضن على أميرى الكريم بهذا العقد الثمين ؟

— لأنى لا أريد أن تذهب أموالى هباء .

— أيظن مولاى أن أمواله تذهب هباء ، حين يقتنى جواهر غالية كهذه الدرر التى قل أن يكون لها فى العالم نظير ؟ كيف وإن بنفنيتو نفسه — الذى يضع فيه مولاى بحق كل ثقته — قد رآها فبهرته وسحرته ، وقال ان الأمير لو دفع فى هذه اللآلىء ستة آلاف دينار لكانت صفقة رابحة .

قال الدوق : إن بنفنيتو لم يقل شيئا من هذا . بل لقد ذكر لى الساعة انها لآلىء خسيسة ، وأن شراءها مضيعة للمال . أنظرى أنت اليها ! انها ليست مستديرة ، وليست متساوية فى أحجامها . وكثير منها قديم فقد الرونق والحسن . تأملى فى هذه . . . وهذه ... كلا . . . إنى لن أرمى بأموالى من أجل هذه السفاسف .

***

دهش تشلينى حين سمع الدوق يخاطب زوجه بهذه الصراحة ويفشى لها سره ، ولم تمض لحظات على ائتمانه عليه .

ونظرت اليه الدوقة نظرات تلتهب فيها نار الغيظ . ثم خرجت من الحجرة وهى تهز رأسها هزة الثائر المتوعد . فاستولى الرعب على الفنان وجعلت الحجرة تدور أمام عينيه . وكاد أن يغشى عليه .

وعاد فى ذلك المساء الى داره مهموما منكس الرأس . . .

وقد هم أن يعد العدة لمغادرة فلورنسا ليلتمس الرزق فى غيرها من المدائن . . . ولكنه رأى أعماله التى أخذ ينشئها يعز عليه أن يتركها لتهمل وتنسى . أو ليتناولها أعداؤه بالمسخ والتشويه . وعز عليه خاصة ذلك التمثال الضخم الذى أوشك أن يتمه ، والذى يمثل فرساوس قابضا على رأس الميدوزا — وهو يعد اليوم من أبدع مخلفات عهد النهضة — أجل ، عز عليه أن يترك أعماله هذه التى يوشك أن يتمها . ويوشك أن يزداد بها صرح الفن علوا وشموخا .

لو أن هذا الحادث جرى له فى شبابه لبادر الى مغادرة المدينة فى ساعته تلك ، أما اليوم وقد نيف على الخمسين فقد رأى أن يتريث قليلا ، لعل الدوق أن يستطيع حمايته ونصره ، وأن يصلح ما بينه وبين الأميرة .

فى اليوم التالى غدا تشلينى الى قصر الدوق لعله أن يلقاه كسابق عادته . ولكنه لم يكد يبلغ القصر ، حتى لقيه أعوان الدوقة ، واضطروه لأن يعود أدراجه بعد أن ناله منهم شىء كثير من الاهانة والعنت . واضطر الفنان أن يلزم داره أياما لا يكاد يجرؤ على مغادرتها . ومن قبل كان الدوق يأمر حجابه بأن يفتحوا له أبواب القصر فى أى وقت شاء ، وألا يحولوا بينه وبين الأمير . أما اليوم فان الدوقة قد أمرت بعكس هذا . وأمرها النافذ . . !

***

وزار تشلينى أحد الأصدقاء ، فأنبأه بأن الدوق قد اشترى ذلك العقد ! أجل ، لقد دفع فيه ستة آلاف من الدنانير الذهبية راضيا طائعا . . ذلك أن الدوقة حين أعيتها الحيل ، أمسكت العقد بيدها ، وجثت بين يدى زوجها ، وتناثرت من جفونها درر غوال كانت أكثر بهاء وأشد وقعا فى نفس الأمير من درر ذلك العقد ! وقالت له وهى تنتحب ، إنها إذا حرمت ذلك العقد فقد حرمت كل سعادة ، وقد كتب عليها الشقاء والذل مدى الحياة . وسيعلم الناس جميعا أن الأمير زوجها العزيز ، وسيد أمراء ايطاليا ، الذى تفتديه بروحها ، قد بخل عليها بعقد من اللؤلؤ . وانها لن تطيق الحياة متى علم الناس بما هى فيه من هوان وبلاء ! . . عند ذلك أمر الدوق — لساعته — بشراء تلك اللآلىء . . ولم يكد يفعل حتى رقأ دمع الأميرة وأبرقت أساريرها ، وابتسمت عن لؤلؤ آخر ، كان فيه للملك خير عوض عن اللؤلؤ الذى اشتراه .

***

ومضى تشلينى الى القصر ، وهو لا يكاد يصدق ما سمعته أذناه . فرآه الدوق مقبلا ، فأمر بأن يؤتى به الى حجرته . فلما مثل بين يديه ، قال له من غير تلطف ولا مجاملة :

ويحك يا بنفنيتو أيها الشقى ! كيف بلغت بك الجرأة أن تغضب الدوقة مولاتك ، التى طالما أيدتك ونصرتك ؟ فجعلتنى أعرض عن شراء تلك اللآلىء النفيسة ! يا لك من شقى لا يعرف معنى للوفاء والاخلاص ! إذهب أيها التعس الآن الى حجرة الأميرة ، واجث على قدميك بين يديها . واسألها الصفح والمغفرة عن جريرتك . وارجع الى الحق أيها الجاهل . فان الرجوع الى الحق فضيلة . . . وعساها تصفح عنك وتعفو عن خطيئتك !

***

وفتح تشلينى عينين ملؤهما الدهشة والحيرة

— مولاى أى حق . . . !

— لا تنبس أيها الشقى بكلمة . واذهب الساعة فافعل ما أمرتك به .

ومضى تشلينى مطرقا برأسه يمشى فى بطء شديد ليلتمس من مولاته الصفح . لأن الرجوع الى الحق فضيلة ... ! ؟

أزمة الديموقراطية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

هل آن لشمس الديموقراطية أن تغرب ؟ هذا سؤال يطرح منذ أعوام فى معرض البحث والجدل ، ولكنه يغدو اليوم أشد خطورة ، ويشغل جميع الأذهان والضمائر الحرة : فالنظم الديموقراطيـة تتحطم تباعا فى أمم كانت بالامس أشد الأمم تعلقا بالنظم والمثل الديموقراطية ، والحكومات الدستورية تختفى تباعا من الميدان لتقوم مكانها حكومات طغيان شامل ، والحريات السياسية والاجتماعية القديمة تخنق وتحتق لتستأثر بها وتتصرف فيها أحزاب وجماعات سياسية جديدة تقوم مبادؤها ودعوتها على القوة القاهرة ، والديموقراطية تهتز اليوم حيثما استطاعت أن تبقى وتتسرب اليها عوامل الوهن والفساد : فهل يكون ذلك ايذانا بان صرح الديموقراطية غدا على وشك الانهيار ، وأن الديموقراطية تسير الى مصرعها النهائى فى المستقبل القريب ؟ هذا ما يتنبأ به أصحاب النظريات والمثل الجديدة القائمة على الطغيان الشامل ، والقومية المتطرفة ، وانكار النظم البرلمانية ، وخضوع الفرد المطلق ، والايمان بالقوة المادية ؛ أو بعبارة أخرى هذا ما يقوله دعاة الفاشستية والوطنية الاشتراكية الالمانية

والحقيقة أن الديموقراطية تجوز أخطر أزمة عرفت فى تاريخها . ويجب قبل كل شىء أن نعرف الديموقراطية بايجاز . فهى فى الاصل كلمة يونانية معناها « قوة الشعب » ، وهى مبدأ سياسى اجتماعى يقوم على المساواة التامة بين الافراد فى الحقوق والواجبات ، وغايتها الجوهرية أن يشترك الشعب كله فى ادارة الدولة أو بعبارة أخرى أن يحكم نفسه بنفسه ؛ والنظم البرلمانية أظهر وسائلها لتحقيق هذه الغاية . والديموقراطية الاوربية الحديثة ترجع الى الثورة الفرنسية . ولكنها لم تستطع ثباتا فى البداية ، واستمرت نحو نصف قرن تناضل فى سبيل مثلها ، ولم تتوطد وتزدهر الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، بيد أنها لم تتقدم الا فى غرب أوربا . أما فى شرق أوربا ووسطها ، فقد كانت الملوكيات القديمة فى روسيا وتركيا والنمسا والمجر والمانيا تطاردها وتخمد مثلها بكل ما وسعت . ثم كانت الحرب الكبرى ، فانهارت الملوكيات القديمة الطاغية ، وقويت المثل والمبادىء الديموقراطية ؛ وظفرت الديموقراطية ، باقامة نظمها فى الجمهوريات الجديدة الفتية فى روسيا ، والمانيا ، والنمسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا . أما اليوم فماذا بقى لها من هذا الظفر ؟ لقد كان ظفر الديموقراطية فى روسيا كالبرق الخلب ، وكان اسما بلا مسمى فلم تمض أشهر قلائل حتى قام طغيان البلشفية مكان الطغيان القيصرى القديم ، يخمد جميع الآراء والحريات الخصيمة ؛ ولم تثبت الديموقراطية طويلا فى بولونيا ، حيث وثبت العسكرية وفرضت سلطانها على الجمهورية الجديدة ، واتخذت من الحياة النيابية ستارا تملى من ورائه ارادتها . أما فى المانيا والنمسا فقد استطال هـذا الظفر أعواما طويلة ؛ واستطاعت الديموقراطية أن تنشىء الجمهورية الالمانية مكان الامبراطورية القديمة ، وأن توطد دعائم الحريات الديموقراطية ، وأن تقود مصاير الشعب الالمانى خلال الازمات والخطوب التى تعاقبت من جراء الحرب والهزيمة مدى أربعة عشر عاما ؛ ولكنها سقطت أخيرا صريعة الاشتراكية الوطنية والطغيان الهتلرى ، ومهدت لمصرعها بخلافها الداخلى ؛ ومنذ اسابيع فقط لقيت مصرعها فى النمسا بعد أن اقامت فيها الجمهورية ، وتولت حكمها وقيادتها فى أعوامها الاولى ، ولبثت خمسة عشر عاما قوية مرهوبة الجانب . واما فى ايطاليا التى تمتعت منـذ وحدتها بالحريات الديموقراطية فى ظل الملوكية الدستورية ، فقد غاضت الديموقراطية عقب الحرب بضربة سريعة ، وقامت فيها الفاشستية منذ اثنى عشر عاما تخمد كل الحقوق والحريات القديمة ، وتتحدى الديموقراطية فى العالم كله ، وتنوه بقواها السياسية والاجتماعية ، وتسير فى ميادين السياسة والاقتصاد من ظفر الى ظفر ، وتقدم القدوة والارشاد لكل نزعة أو حركة طغيان مماثلة .

فالديموقراطية تجوز فى الواقع مرحلة عصيبة ربما كانت نذير انحلالها ومصرعها النهائى . بل إنها فى البلاد التى مازالت فيها راسخة وطيدة الدعائم تتخبط فى غمار من الصعاب ؛ وتفسح باخطائها وعثراتها لخصومها مجال الاتهام والانتقاص . ففى فرنسا ، مهد الديموقراطية الحديثة ، تشتد الحملة على النظم الديموقراطية والحياة النيابية لما كشفت عنه الفضائح المالية الاخيرة (فضائح ستافسكى) من فساد شنيع يتغلغل فى صميم الحياة العامة ؛ ويصم الحكومات الحزبية والهيئات النيابية بتهم الرشوة واختلاس أموال الشعب ؛ ويصم القضاء والبوليس بفساد الذمة والتستر على الجناة ؛ ويقول خصوم الديموقراطية من

الملكيين والفاشست ؛ إن مثل هـذه الجرائم لا يمكن أن ترتكب بمثل هذه الجرأة وهذا الاغراق الا في ظل الحياة السياسية الحزبية وفي ظل نظام تكسب فيه النيابة عن الشعب بقوة المال والنفوذ، وغدت فكرة الدكتاتورية من الحلول المحتملة التي تطرح اليوم في فرنسا كوسيلة لانتشالها من هذه الفوضى، وغدت هيبة الديموقراطية هدفاً لاشد الحملات . وفي انكلترا أعرق الأمم الاوربية في النظم والحريات الديموقراطية ، يهمس اليوم بكلمة الدكتاتورية ، وتلقى المبادىء الفاشستية قبولا من الشباب الانكليزي ؛ ويوجد اليوم في انكلترا بالفعل حزب فاشستي صغير لم يحرز بعد أهمية سياسية ، ولكنه يعتبر رمزا حيا لأثر الفاشستية في انكلترا . ولم تحرز الديموقراطية في الاعوام الاخيرة الى جانب هذه الأزمات والخطوب أي ظفر أو تقدم حقيقي الا في اسبانيا ، حيث سقطت الملوكية القديمة ، لتقوم مكانها جمهورية جديدة مشبعة بابعد المثل والاماني الديموقراطية؛ بيد أن الجمهورية الفتية مازالت تعاني صعابا وأزمات تكاد تصدع بناءها .

فماذا يكون مصير الديموقراطية ازاء هذه الخطوب ؟ يقول أنصار الفاشستية والطغيان إن الديموقراطية لا تستحق الحياة لأنها برهنت منذ الحرب انها ليست أهلا لحكم الشعوب في ظروفها واتجاهاتها الجديدة ؛ وانها دفعت الحريات السياسية والاجتماعية إلى حدود الفوضى ؛ وسخرت الشعوب لاهوائها ؛ وان الحياة البرلمانية أصبحت مظهراً عقيما من مظاهر التمثيل النيابي ، ولا تعبر عن ارادة الشعب الحقيقية ؛ وأنها تغدو في كثير من الأحيان عقبة في سبيل الاداة الحكومية تمنعها من العمل المجدي . وقد يجد أنصار الفاشستية في تاريخ الحكومات الديموقراطية ما بعد الحرب كثيراً مما يؤيد هذه التهم ، ولكنهم يخلطون دائماً بين المبادىء الديموقراطية وبين الصور المختلفة التي تطبق بها هذه المبادىء . فهذه المطاعن قد تلحق بعض النظم ووسائل الحكم التي تقوم على الفكرة الديموقراطية ، ولكنها لا يصح أن تنسب الى الفكرة ذاتها ، واذا كانت الاحزاب والحكومات الديموقراطية قد ارتكبت كثيراً من الأخطاء في ألمانيا وايطاليا ، واذا كانت توصم اليوم في فرنسا بكثير من العيوب والتهم ، فانها ما زالت في انكلترا والسويد مثــلا تعمل في ظل الملوكية بقوة وبراعة وتدلل على أنها أمثل طرق الحكم المستنير العادل . والفاشستية لا يمكن أن تزعم انها بريئة من العيوب ، فهي أولا أبعد صور الحكم عن تحقيق العدالة وصون الحرية ، لانها تقوم على القوة المادية ولا تعف عن ارتكاب أشنع وسائل العنف تحقيقا لسيادتها ، ويكفي أن نشير في ذلك الى ما ارتكبته الفاشستية الايطالية في أعوامها الأولى من الجرائم والاعتداءات المثيرة ، وما استعملته من وسائل البطش والارغام قبل أن تثبت اقدامها وتفرض ارادتها على الشعب الايطالي ، ويكفي أن نستعرض ما ارتكبته الاشتراكية الوطنية الألمانية مذ ظفرت بالحكم من ضروب السفك والعنف والانتهاك والمطاردات السياسية والدينية الوضيعة ، لتفرض مبادئها وارادتها على الشعب الألماني . وهذه الوسائل الهمجية التي تلجأ اليها الفاشستية دائما في تحقيق سيادتها حيثما استطاعت أن تشق طريقها لا يمكن أن ترتفع من الوجهة المعنوية الى مستوى المثل الرفيعة والوسائل السلمية الحرة التي تقوم عليها الديموقراطية وتعمل في ظلها . ومما يلاحظ أن الفاشستية شعورا منها بهذا الضعف المعنوي تحاول أحيانا أن تستتر وراء بعض المظاهر الديموقراطية ، فترى الفاشستية الايطالية مثلا تحتفظ بالبرلمان حينا وتبقي على بعض صور الحياة النيابية ، وتستخدم فكرة النقابات ؛ وترى الفاشستية الالمــانية (الاشتراكية الوطنيـــة) تجري الانتخابات وتتظاهر باستفتاء الشعب في الحصول على تأييد أغلبيته الساحقة لتحقق بعض أغراضها السياسية . وقد تتفوق الفاشستية على الديموقراطية أحيانا بالعمل السريع وتحقيق بعض المظاهر والغايات السياسية والاقتصادية التي عجزت الديموقراطية عن تحقيقها ، كما حدث في ايطاليا مثلا حيث حققت الفاشستية الايطالية كثيراً من الاغراض والنتائج العملية القيمة ، ولكن هذا النجاح المادي يحقق في معظم الاحيان على حساب الحريات والحقوق الشعبية ، وليست وسائله ممــا يحمد دائما .

لقد انتصرت القوى الرجعية على الديموقراطية في إيطاليا والمانيا والنمسا ؛ وقد تنتصر في غيرها غدا ، وربما بقيت الديموقراطية أعواما أخرى تعاني هذا الضعف والانحلال . ولكن هذه الفورات الرجعية لا تقوم على مثل راسخة ، ولا تستمد بقاءها الا من القوة المادية ؛ وهي في الغالب وليدة ظروف وعوامل مؤقتة ، فمتى تطورت هذه الظروف والعوامل فقدت اسباب الحياة . والتاريخ يعيد اليوم نفسه في اوربا القديمة . ففي اوائل القرن الماضي ، على أثر انتهاء الحروب البونابارتية ، اجتمعت كلمة العروش الاوربية القوية على سحق جميع النزعات والحركات الحرة ، والتمست لذلك عقد محالفة عرفت بالمحالفة المقدسة (اواخر سنة ١٨١٥) عقدت بين قياصرة روسيا والمانيا والنمسا ، واتخذت في المبدا صبغة ميثاق

للعمل على تأييد السلام ، وإقامة العدل ، وبث الاخاء ، ولكنها نظمت وعقدت فى الواقع للتعاون على إخماد الحركات الحرة التى أخذت تضطرم من غرب اوربا الى شرقها ، وتبدو فى مطالبات عنيفة بالحريات الدستورية . وكانت الحروب البونابارتية قد شغلت اوربا حينا عن التفكير السياسى وخبت الريح الحرة التى أثارتها مبادىء الثورة الفرنسية ، ولكن الجيوش الفرنسية الغازية كانت تحمل أينما حلت طرفا من هذه المبادىء ، فلما هدأت العاصفة التى أثارها نابوليون ؛ عادت الافكار الحرة والامانى الدستورية تشق سبيلها فى معظم الامم الاوربية ، ومن ثم كان اجتماع العروش القديمة على مقاومتها وسحقها . وقد انضمت معظم الدول الاوربية الى المعاهدة المقدسة ، وطبقت غير بعيد فى المانيا والنمسا حيث قيدت حرية الصحافة ، وفرضت الرقابة الرسمية على الجامعات ، ولكن هذه الجبهة القوية التى نظمها الطغيان لمقاومة الحريات الشعبية لم تغن شيئا ، ولم يمض ربع قرن آخر حتى كانت معظم الدول الاوربية تضطرم بالثورات والفورات التحريرية ، وكانت القوى الرجعية ترغم على بذل المنح الدستورية المختلفة . وقد استمر هذا الصراع بين الطغيان والديموقراطية طوال القرن التاسع عشر ، وانتهى بظفر الحريات فى معظم الامم الاوربية .

ونحن اليوم نشهد هذا الصراع كرة أخرى . ولكنه يتخذ اليوم صورة جديدة . فالقوى الرجعية لا تستند اليوم الى العروش والحق الالهى ، ولكنها تتشح باثواب شعبية ، فالفاشستية تزعم فى ايطاليا والمانيا أنها تقوم بارادة الشعب وتسير طبقا لها ؛ وتخشى ان تبدو مجردة فى ثوبها الحقيق ؛ وهذا دليل على أنها رغم ظفرها المؤقت مازالت تخشى قوة الديموقراطية الخفية . ونحن مازلنا نؤمن بمستقبل الديموقراطية وقوتها . واذا كانت الديموقراطية قد استطاعت ان تصمد طوال القرن الماضى لجميع القوى الرجعية التى هاجمتها وقاومتها مع أنها لم تكن قد استكملت يومئذ كل نموها وقوتها ، فانها اليوم وقد رسخت مبادؤها ومثلها فى جميع الامم الاوربية واقامت لها صروحا قوية شامخة ، وأضحت قوام الحياة العامة فى كل بلد ، لا يمكن أن تستكين طويلا الى عدوان الطغيان ، ولا بد أن تنهض غير بعيد من عثرتها ، وتستعيد كل قوتها وسلطانها ، يوم تنفض عنها غبار هذه المفاسد الشكلية التى اسبغت ريبا على هيبتها ؛ ويوم تنبذ ذلك الخلاف الذى فت فى قواها ومكن لخصومها . ؟

محمد عبد الله عنان

مضى عام

للآنسة سهير القلماوى

تسارعت الأيام فى سيرها الآلى المنظم السريع . الأيام الطويلة المملة ، والأيام القصيرة الطائرة ، كلها غرقت فى بحر الفناء على ألا تعود . وانقضى العام فاذا الذكرى تتهادى حتى تقف أمامى ، ثم تمد يدها لتأتى بأجزائها المنزوية فى مخيلتى تستكمل بها صورتها المؤلمة . فاذا الصورة هى هى كما كانت منذ عام ، واذا الألم لها وإن خففه سلطان الزمان الذى لا يقهر ، إلا أنه مازال لاذعاً مذهلا عن كل شىء سواه .

كان صباح العيد منذ عام ، فاجتمع أفراد الأسرة كلهم فى بيت الوالدين ، اجتمع الأخوات والأخوة ، والأزواج والأولاد والأخوال والأعمام ، واصطفوا جميعا على مائدة الأفطار ، وكلهم وجوههم مشرقة مستبشرة . وكانت هى بينهم - ومتى لم تكن بينهم ولو بجسدها - ولكنها كانت تفكر وتقدر . تضحك معهم وتبتسم لابتسامهم ، ويشرق وجهها لاشراق وجوههم ؛ ولكن نفسها كانت تتألم يائسة ، وعقلها مرتبك ، يقدر ويفكر ، ويقرر وينثنى عما قرر ، ثم يعود فيقرر ثانية ، فاذا القرار هو هو . وتقلب الاحتمالات والمنتظرات ، تستعرض فى خيالها الساعات المقبلة ، وقد نظمتها حسبما ظنت أن ستكون . ماذا لو أنفذت قرارها ؟ ثم تعود فتنثنى عنه من جديد ؛ لم يرقها ما قدرت ، ولكن أى مخلص غيره ؟ وأخيراً ، لا بد من القرار الأول ، لا بد منه .

لم يلاحظ عليها الحضور شيئا ، فقد كانت الحركة التى تأتيها فى فى رواحها ومجيئها لخدمتهم - لأن أمور المنزل أصبحت كلها لها بعد زواج أختها - التى كانت تساعدها كثيراً على اخفاء ما بها . وانتهى الافطار فانتشروا فى الدار ، وأصوات الاطفال المرحة الصاخبة تملأ أسماعهم . وانتهزت هى الفرصة وصعدت الى حجرتها . خافت أن تعود الى التفكير فترتبك من جديد ، ولقد سئمت الحيرة ولا بد أن تنجو منها ، لقد كانت تلهب رأسها .

وصعدت وراءها أختها تناديها ، ونادتها فاذا بها قادمة نحوها

تصرخ وتتأوه ، ووجهها أغبر قاتم ، وجسمها يتلوى من الألم ، ويداها على معدتها تضغطان بعصبية وتقلص ، فصاحت أختها ما بك ! ما بك ؟ وضمتها الى صــــدرها تسندها من الوقوع فوقعتا على الدرج معا . وهزتها ثانية ما بك ؟ فتمتمت بصعوبة مريرة متألمة « شربت سما »

كلمتان هما آخر ما نطقت . كلمتان قلبتا العيد مأتما ، كلمتان حولتا شابة مليئة بالحياة والنشاط الى جثة هامدة لا تحس ولا تشعر . واجتمع الاهل والصحب والخلان حول ضحية العيد ، منهم من أسعفه البكاء فبكى ، ومنهم من حيرته الفاجعة فذرب لسانه باسبابها وصاح يستلهم الجثة جوابا عما حير فكره وصدع قلبه . ومنهم من وجم يستعرض في وحدته صورا تتتالى فلا تشعر ارتباطا في تتاليها ولا أثرا لمرورها في مخيلته . وأخيرا منهم من اختل توازن أعصابه وفقد القدرة على حكمها ، فراح لسانه ينطق بكل ما يمر في خاطره المضطرب المحموم

وفي الصباح جاءتها صديقاتها بورودهم البيضاء وكأنهم آتون لعرسها ، ثم أودعوها حفرة ضيقة وعادوا جميعا وكل منهم يظن أنه فى حلم مروع يتلبس اليقظة منه فلا يصحو . ومتى كانت الحياة الا رؤى تتتابع ! رؤى نراها افرادا فنختلف في حقيقتها ، ورؤى نراها جماعة فنجمع على حقيقتها ؟

أودعوها حفرتها ، وأودعوا سرها معها ، ولكن متى دخل لسان الناس افواههم ؟ متى استراح لسان الناس فى أشد المواقف استدعاء للاستراحة ؟ هل احترموا جلال الموت ؟ هل خشعوا امام فجيعة مريرة للاسرة بأجمعها ؟ كلا ! لم يخلق اللسان الا للكلام ، فاذا سكت لم يحقق الغرض من خلقه ، واذا لم يحقق جزء من المخلوقات الغرض من خلقه فقد اختل نظام الكون كله !

وفى العيد تجتمع الاسرة لا على مائدة الافطار وانما حول قبرها فى مدينة الاموات الهادئة ، وهناك تناديها فلا تجيب كما كانت تفعل منذ عام ، وهناك تبكيها فلا تشاركها شعورها كما شاركتهم الابتسامة والفرح منذ عام ، وانما ترفرف روحها من عليائها رائحة غادية لا ترتبك ولا تضطرب ، فليس لديها ما تخفيه وقد حجبها الفناء بأستاره الكثيفة المظلمة .

سهير القلماوي

التطور وروح الدين

للاستاذ محمود الشرقاوى

« انا وجدنا الشارع قاصدا لمصالح العباد . والاحكام العادية تدور معه حيثما دار . فترى الشىء الواحد يمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة . فاذا كان فيه مصلحة جاز »

« الشاطبى »

لكل دين من الأديان روح تسيطر على مجموعة ، وتتمشى فى أصوله وفروعه . وتميز دعوته وتربط أحكامه جميعا ، وتساوق بين أجزائه وتوجه تيارها الى غاية خاصة ،

والأسلام يمتاز من جميع الأديان بأنه دين عام خالد لا دين بعده ولا رسالة . فهو لذلك قد جمع الله فيه كل ما تحتاج إليه البشرية من الأصول لجميع ظروفها وأحوالها وأزمانها وأماكنها ، والحياة البشرية متغيرة سريعة التحول والأنقلاب والسير فى طريق التطور من حال إلى حال ومن قديم الى جديد ، وبالأخص فى عصرنا هذا الذي تضاعف فيه سير الحضارة ، واختلطت الشعوب والأفكار واستولى على الأنسانية كلها ما يشبه الحمى فى سرعة التحول والانتقال

فهل روح الأسلام وغايته العليا تعارض سير الحضارة وتقدم العالم ؟ وتلزم البشرية بالوقوف عند حال واحد لا تتعداها إلا اذا تركت الدين واستعاضت عنه باشياء مدنية لابد منها لاستكمال الحياة البشرية واطراد السير فيها والتطور من حال الى حال ؟ أما أنا فأجيب بأن الأسلام لا يتعارض بتاتا مع سير البشرية وتحولها . وأنه دين لين واسع الأفق ، نستطيع أن نوفق بين روحه وبين كل مظهر من مظاهر الحضارة ، وأن نجد فى نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التى تتخطاها البشرية فى عصورها المتباينة ، وهذا ما أريد أن أكتب عنه فى هذا الفصل ،

ويجب أن نلتفت إلى الفرق بين « روح » الدين وغايته . وبين أحكامه الفرعية وتطبيقها ، والفرق بين الدين كشعور وعقيدة وإيمان ، والدين كتقاليد وأشخاص دينيين ومظاهر كنسية للحكم والسيطرة . فروح الدين وجوهره هو الشىء الخالد الباقى الذى لا يتعارض مع أى عصر . والذى تجد فيه كل حضارة وكل أمة فى كل زمن ما يتفق مع احتياجاتها ويعينها ويسددها فى سبيل الغاية العليا والكمال البشرى

الذى تسير اليه ، روح الدين وجوهره هو الشيء الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وعلى هذا الفهم نستطيع أن نجد في نصوص الدين الاسلامى وفى تاريخه أشياء تؤكد لنا أنه دين يستطيع أهله أن يجدوا فيه كل ما يتفق مع مظاهر الحضارة التى تغمرهم وتجذبهم اليها وتستولى عليهم وعلى جميع الدنيا طوعاً أو كرها .

وهذه أشياء أذكرها تؤيد ما أقول وتفصح عما أريد :

هذه المسايرة للزمن ، وتطبيق الأحكام على ملاءمات الاحوال والظروف واختلافاتها . مع المحافظة على جوهر النصوص وروح الدين . نجدها عند شخصيات فى قلوبها بصيرة للوقوف على مراميها وإدراك الغاية منها وعدم التقيد بحرفيتها ، ونجدها فى بيئة تختلف عن البيئة التى عرفنا فهمها لهذه النصوص ودرسنا ماقالته فيها وما استرشدت فيه بحاجاتها وحدودها العقلية والمدنية ومميزاتها الجغرافية والتاريخية

فمثلا إذا كنا فى عصر هين لين نحتاج فيه إلى زيادة الانجاب والنسل ، نجد من روح الاسلام ما يشجعنا على التكاثر والتناسل والنماء . وإن كنا فى عصر عسير محرج ضيق نحتاج فيه إلى القصد فى الانجاب والالتفات فيه إلى الكيفية لا إلى الكمية . فنجد من روح الاسلام ما يجعلنا نخفف من نسلنا ونتقلل على ما نريد . بل نمتنع منه إذ نريد . نجد صحابيا جليلا وحاكما قادراً يبيح لنا التقليل من النسل . بل يوشك أن ينهانا عن العيال : « يامعشر الناس : إياكم وخلالا أربعة ، فانها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى المذلة بعد العزة ، إياكم « وكثرة العيال ، وإخفاض الحال . . . . الخ » (١)

وإذا كنا فى عصر يتشدد أهله فى علاقاتهم الزوجية ولا يمتهنون رباط الأسرة ، ويعرفون أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فنحن نستطيع أن نجد فى أحكام الامام والخليفة عمر بن الخطاب ما يجعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا ، وإذا كنا فى عصر مثل عصرنا الحاضر وهنت فيه العلاقات الزوجية واضطرب رباطها وأصبحت ألفاظ الطلاق على كل لسان ، فنحن نستطيع أن نجعل الطلاق

(١) من خطبة لعمرو بن العاص خطبها فى مصر أيام ولايته الأولى عليها ، أوردها ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وأخبارها ص ١٣٩ طبع ليون وابن تغري بردي فى النجوم الزاهرة ص ٧٣ ج ١ »

الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة ، ونجد فى نصوص الإسلام ما يبيح لنا ذلك كما وجدنا ما أباح لنا الأول : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة . فلو أمضيناه عليهم ؟ فأمضاه عليهم » (١) وهذا ما فعلناه نحن فى مصر ،

وإذا كنا فى إقليم وفى مجتمع يلزمنا عمرة خاصة للرأس . وكان غيرنا من المسلمين فى إقليم أو مجتمع يلزمهم عمرة للرأس خاصة غير عمرتنا ، أو يجعلهم يسيرون حاسرين ، نجد من روح الاسلام ما يجعلنا نلبس ما نشاء . ويجدون هم من روح الاسلام ما يجعلهم يلبسون ما شاؤوا أو يحسرون كما يشاؤون : « كل ما شئت واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة » (٢)

***

الامام الشاطبى من أعلم الرجال فى أصول الدين . ومن أبرعهم وأوسعهم ذهنا فى تطبيق النصوص الدينية والموازنة بينها وبين الأحوال . وله كلام يجب على كل رجل من رجال الدين أن يتدبره ويعتبره ، لما يدل عليه من فهم جيد لروح الاسلام ومسايرته لكل عصر وكل حضارة . وطواعية احكامه ونصوصه لأن توافق كل حضارة وكل جيل .

يقول الشاطبى : « . . . والمسكوت عنه من الشارع لا يقتضى مخالفة . ولا يفهم للشارع قصداً دون ضده وخلافه . فاذا كان كذلك رجعنا إلى النظر فى وجوه المصالح . فما وجدنا فيه مصلحة قبلناه إعمالا للمصالح المرسلة . وما وجدنا فيه مفسدة تركناه إعمالا للمصالح أيضا . وما لم نجد فيه هذا ولا هذا فهو كسائر المباحات إعمالا للمصالح المرسلة أيضا » (٣)

ويقول : « إن الشارع توسع فى بيان العلل والحكم فى تشريع باب العادات . وأكثر ما علل فيها بالمناسب الذى إن عرض على العقول تلقته بالقبول ، ففهمنا من ذلك أن الشارع قصد فيها اتباع المعانى لا الوقوف مع النصوص » (٤)

(١) صحيح مسلم ص ١٨٣ ج ٤

(٢) ابن عباس رضى الله عنه

(٣) الموافقات للشاطبي ص ٢٨٩ ج ٢

(٤) ص ٢١٣ من نفس الجزء والكتاب

وللشاطبي أشياء في غاية الجمال والابداع من هذا الفهم الواسع المحيط. وهذه النظرة الشاملة النافذة الى جوهر الدين وحقيقته الواعية لروحه الكلى الشامل ، وعلى رأس هذا الفصل فقرة هي الدستور الذى يجب ان يستوحيه كل مفكر دينى

يقول الشاطبي ايضا : « قد تكون العوائد ثابتة وقد تتبدل ومع ذلك فهى أسباب لأحكام تترتب عليها .... والمتبدلة منها ما يكون متبدلا فى العادة من حسن إلى قبح وبالعكس . مثل كشف الرأس فانه يختلف بحسب البقاع فى الواقع . فهو لذوى المروءات قبيح فى البلاد الشرقية . وغير قبيح فى البلاد المغربية . فالحكم الشرعى يختلف باختلاف ذلك ، فيكون عند أهل المشرق قادحاً فى العدالة ، وعند أهل المغرب غير قادح ، واعلم بأن ما جرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ، فليس فى الحقيقة باختلاف فى أصل الخطاب . لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدى لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية » (١)

* * *

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب عن الرمل فى الحج : « فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب ، وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ... ؟ » (٢)

وسرق جماعة لحاطب بن أبى بلتعة ناقة لرجل من مزينة . فلما أرسلوا إلى عمر بن الخطاب أقروا على سرقتها ، فأمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم . ثم ردهم وقال : « إنهم يجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، ولم يقطع أيديهم » (٣)

ولما جاءت المجاعة والقحط فى سنة ١٨ هـ أيام خلافة عمر بن الخطاب لم يقطع أيدى السارقين

* * *

نحن نستطيع أن نسير مع كل حضارة . وأن نأخذ عن حضارة الغرب ما يفيدنا وينعشنا ويلقح حياتنا باللقاح الجديد ، ولا نجد فى روح الاسلام ما يصدنا عن ذلك .

ولكن المشكل هو فى وجود الرجال الذين يفهمون روح الدين بالعقل اليقظ الواسع الخبير العارف حاجات العصر وتيارات الحضارة والذهن البشرى ؟

محمود الشرقاوى
عالم من الأزهر

(١) ص ١٩٨ — ١٩٩ من الموافقات ج ٢
(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لأبى الفرج بن الجوزي م ص ٩٢
(٣) أعلام الموقعين ص ٣٢ ج ٣

الاسماعيليـــة

الملقبون بالحشاشين (١)

مقدمة

هذا بحث موجز لطائفة الاسماعيلية التى عرفت اخيرا عند أهل التاريخ بطائفة الحشاشين ، والتى تركت فى تاريخ الاسلام فى القرن الرابع الهجرى أثراً كبيراً ، وتاريخ الاسماعيلية قديم يرجع الى عام ثمانمائة وأربعين للميلاد ، بعد أن انتشر الدين الاسلامى وساد كثيراً من الأقاليم والبلاد ، فقام بانتشاره دعاة فى أقاصى الجهات وأدانيها يحاولون الحط من قدر الرسول . ويخترعون الأحاديث الملفقة اختراعا يقلل من هيبة الدين الاسلامى ، وينزل به من مستواه الرفيع ، وكان أنشط أولئك القوم وأكثرهم تحمسا ، ابن ديصان ، ويقال إنه الجد الأعلى لعبد الله المهدى الفاطمى (٢) صاحب الدعوة بأفريقية ، فقد كان يكره بنى العباس ويود لخلافتهم الزوال ، فبث دعاته فى بلاد الفرس حوالى عام ٨٤٠ م حيث تبعه خلق كثير ، وألف كتاباً فى الزندقة سماه « الميزان » وألف ممن تبعوه عصابة سرية نسبت نفسها الى اسماعيل بن جعفر الصادق فسميت بالاسماعيلية ، ثم انتشر أتباعه بمرور الزمن فى جزيرة العرب والشام وأفريقية ، وظلوا نحو قرنين ونصف قرن ، تسرى تعاليمهم فى جسم الدولة الاسلامية كسريان السم فى العروق ، حتى جعل منهم الحسن ابن الصباح ، أخيراً عام تسعين وألف للميلاد طغمة سياسية تقلب الممالك وتخرب العامر من الديار ، وتسفك الحرام من الدم ، وتعمل فى مختلف البلدان سلباً ونهباً وقتلا ، وتدمن تعاطى الحشيش حتى لقبوهم بالحشاشين وسماهم الفرنجة Assassins وأطلقوا هذا الاسم على كل قاتل سفاك ، وبقوا على تلك الحال

(١) كلمة « الحشاشين » تعبير محرف لجماعة القتلة الاسماعيليين : والصواب « الحشيشية » فهى الكلمة التى تطلقها عليهم الرواية الاسلامية المعاصرة . وهكذا يسميهم أقدم مؤرخى الحروب الصليبية من المسلمين مثل العماد الاصفهانى صاحب « الفتح القسى » وشهاب الدين القدسى صاحب الروضتين (راجع الروضتين ج ١ ص ٢٥٨) (الرسالة)

(٢) هو عبيد الله المهدى الفاطمى لا عبد الله (الرسالة)

حتى قضى عليهم عام ١٢٥٦ م ، أى سنة ٦٥٤ هـ بوفاة خليفة الحسن ابن الصباح الأخير ركن الدين بن محمد ، ولا يزال للاسماعيلية الى يومنا هذا أتباع ومريدون ، ولكن شتان بين مالهم الآن وما كان لهم فى تلك القرون الغابرة من قوة وسلطان ، وهم متفرقون فى فارس والهند ، وزعيمهم أغا خان الهندى الثرى المعروف .

وقد كان لتلك الطائفة عدا اسم الاسماعيلية أسماء اخرى فسموا بالقرامطة نسبة إلى قرمط احدى قرى البحرين التى تفشى فيها مذهب ابن ديصان فى القرن الثالث الهجرى بدعوة من رجـــل يقال له حمدان قرمط ، يقول ابن خلدون : وكان من هؤلاء الاسماعيلية القرامطة واستقرت لهم دولة بالبحرين ، وكان من أسمائهم (الباطنية) وذلك لأنهم كانوا يبطنون دعوتهم وينشرونها متكتمين فى عهد المستخفى العلوى لابنه نزار ، وقيل انما سموا بذلك أيام الحاكم بأمر الله العبيدى الذى أنشأ فى القاهرة فى القرن الثالث الهجرى مدرسة سماها دار الحكمة كان الطلاب يعلمون فيها معنى مكتوما لمتن القرآن ، وسواء أكان السبب هذا أم ذاك ، فالتسمية راجعة الى تكتم القوم فى دعواهم وتعاليمهم . وكان من اسمائهم أيضا اسم الحشاشين ، وقد لقبوا به أخيرا ، واطلق على طائفتهم التى عاشت أيام الصليبين . وسنذكر فيما بعد أثر ذلك المخدر عندهم ، وكيف استغلوا فعله فى قضاء مآربهم . وسموا كذلك بالفدائية لانهم كانوا يجعلون انفسهم ، وخاصة فى عهدهم الاخير ، فداء لرئيسهم ينفذون أوامره ولو أدى ذلك الى التضحية بالنفس فى سبيله . والمصادر الشرقية تطلق عليهم غالبا اسم الاسماعيلية والملاحدة والنزارية . وهذه الأسماء الكثيرة هى لطائفة واحدة تعددت باختلاف الملابسات والظروف . فهم اسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر ، وهم فدائية لانهم يضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم ، وهم ملاحدة لانهم عند البعض ينكرون الإله ، وهم قرامطة نسبة الى قرمط وهكذا ... غير ان اسم الحشاشين هو الذى عرفوا به آخر أمرهم :

مذهب الاسماعيلية

كان للسريان الفضل فى نشر الفلسفة اليونانية ، وخاصة مذهب الافلاطونية الحديثة فى العراق وما حوله ، وقد ترجموا الكتب من اليونانية الى السريانية فانتشرت فيما بين النهرين ، وكان من اشهر رجال الدين والأدب من السريان الذين عرفهم المسلمون برديصان أو ابن ديصان ، وقد توفى سنة ٢٢٢ م وله مذهب دينى يجمع بين اليونانية والنصرانية ينكر فيه بعث الاجسام ويقول إن جسد المسيح لم يكن جسما حقيقيا بل هو صورة شبهت للناس أرسلها الله تعالى . وله تعاليم أخرى بقيت بعد الاسلام ، ومنها استمد الرافضة بعض أقوالهم . وقد انتسب اليه بعضهم كأبى شاكر الديصانى الذى بعث دعاته فى بلاد الفرس والعرب والشام وجمع حوله اتباعا وأنصارا نسبوا انفسهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق فسموا بالاسماعيلية وهم غلاة الرافضة . يقول ابن خلدون : وافترق الرافضة فرقتين : الاثناعشرية والاسماعيلية ، تلك بعض تعاليمهم أول أمرهم وقد انقلبوا اخيرا الى فرقة سياسية تعمل على هدم الخلافة العباسية ، ولم يعد لهم (مذهب) بالمعنى الصحيح يدعون اليه ، وكانوا فى العراق يطلق عليهم اسم القرامطة (١) حتى تولى زعامتهم الحسن بن الصباح فلقبوا بعده بالحشاشين ، ونحن نجمل تاريخهم قبل زعامته التى بدأت عام ٤٨٣ هـ وانتهت عام ٥١٨ هـ .

بدء القرامطة :

كان بدء ظهورهم فى البحرين على يد رجل يعرف بيحيى بن المهدى نزل فى قطيف على رجل يدعى على بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين ، وكان يغالى فى التشيع ، فاظهر له يحيى انه رسول المهدى ، وكان ذلك سنة ٢٨١ ؛ وذكر أنه خرج الى شيعته يدعوهم الى أمره وأن ظهور المهدى قريب ، فارسل على بن المعلى الى شيعته من أهل القطيف فأقرأهم كتاب يحيى الذى زعم انه من المهدى فاجابوه ، وكان فيمن اجابه ابو سعيد الجنابى الذى تولى الزعامة فيما بعد (٢) وخلفه فيها ابن الصباح ، وظل يحيى يغيب عنهم ثم يعود اليهم ، وفى كل مرة يطلب منهم المال زاعما انه يذهب به الى المهدى . وفى عام ٢٨٩ ظهر بالشام رجل قرمطى اسمه ذكرويه بن نهرويه يدعو الى مذهب القرامطة ، ولقبه اتباعه بالشيخ ، وزعم انه من احفاد اسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ، واستفحل أمره فسير اليه المعتضد جندا ظفروا باتباعه واسروا رئيسهم أبا الفوارس . وهنا نذكر مادار بين ابى الفوارس والمعتضد حين جاءوا اليه به لنتبين شدة القوم وجرأتهم على خلفاء العباسيين . يقول ابن

(١) من الخطأ ان يقال إن القرامطة هم الاسماعيلية . فالقرامطة فرقة ثورية مستقلة من غلاة الشيعة قامت على مبادىء ودعوات خاصة بها ، وكانت فى كثير من الاحوال خصيمة للاسماعيلية الفاطمية . (الرسالة)

(٢) توفى سنة ٣٠١ هـ

الأثير «فأحضره (المعتضد) بين يديه وقال له أخبرني ، هل تزعمون أن روح الله وأرواح أنبيائه تحل في اجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل ؟ فقال له ياهذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك ، وإن حلت روح ابليس فما ينفعك ، فلا تسأل عما لا ينفعك وسل عما يخصك ، فقال له وما تقول فيما يخصني ؟ قال أقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبوكم العباس حي ، فهل طلب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر وهو يري موضع العباس ولم يوص له ، ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس ولم يوص له ولا ادخله فيهم ، فبماذا تستحقون الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ؟ فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه » فهذا الكلام وتلك اللهجة التي يخاطب بها أحد زعماء القرامطة خليفة المسلمين تدل دلالة واضحة على استبسال القوم وجرأتهم في الافصاح عن آرائهم ومذهبهم ، وقد ظل القرامطة بعد المعتضد في حروب مع المكتفي ومن بعده من الخلفاء طوال القرنين الثالث والرابع إلى قبيل منتصف القرن الخامس يهزمون ويهزمون ، حتى دوخوا الدولة وشقيت بهم الناس ، وعانت الدولة العباسية في سبيل قمع حركتهم جهداً كبيراً ، وشغلوا بحركاتهم الهجومية جانباً عظيماً من وقت الخلفاء فحشدوا لهم الجيوش يقاومون دعوتهم الجريئة وخروجهم عليهم ، وكثيراً ما انهزمت جيوش الخلفاء أمام جيوشهم واستماتتهم في الدفاع ، وكم من غنائم ظفروا بها وأرواح اودوا بأصحابها ، وكم من أسرى قتلوهم وصفدوهم بالاغلال . وأظهر ما في تاريخهم في تلك السنوات العديدة أعمالهم الوحشية واتخاذهم القتل والتعذيب وسيلة الى دعوتهم ونشر مذهبهم ، واشنع من ذلك اعتداؤهم على قاصدي بيت الله يقتلونهم ويسلبونهم اموالهم وينشرون الرعب في القلوب حتى قل زائرو الكعبة وانقطعوا عن الحج في بعض السنين ، وقد سودوا صحيفتهم بالاعتداء على الحجر الأسود ونقله إلى أحد حصونهم حيث بقي فيه نحو اثنتين وعشرين سنة .

هذه الفئة التي اجملنا تاريخها الى عام ٤٣٦ وفيه أوقع صاحب ماوراء النهر بجموعهم وكتب الى سائر البلاد بقتل من فيها منهم والذي اسرفنا في اجماله حتى لا يمل القارئ من تفصيل الحروب وكثرة المواقع ، هذه الفئة هي التي ازدادت شوكتها قوة وامرها خطراً وسدرت في اعمال القتل والنهب وامعنت في تعاطي الحشيش واستمرأت خداع الناس وفتنتهم عن دينهم ، وذلك بظهور الحسن ابن الصباح وتوليه زعامتها عام ٤٨٣ ﻫ فجعل منها عصابة سياسية مجرمة دينها أن تعيث في الأرض فساداً تقتل وتنهب وتقلق الوادعين ، تلك هي طائفة الحشاشين في نهاية القرن الخامس الهجري . وقبل أن نشرح أعمالها نتكلم عن زعيمها هذا وكيف وصل الى زعامة القوم فهوى بهم الى الحضيض الاسفل من الاخلاق والسلوك .

« للبحث بقية »

محمد قدري لطفي
ليسانسيه في الآداب

٢ — تولستوي

اجتماعياته

— ٣ —

لن يحقق هذا حلم مؤتمرات تعقد ومعاهدات تمضى أو نظم تعدل وقوانين تفرض .

وإن مؤتمراً يجتمع ويتلوه مؤتمرات أخرى لا تحل مشاكل العالم . وإن سكنت ألم الانسان الى حين ، والمعاهدات قصاصات ورق لا تغير شيئا ولا تدفع مضرة ، ولا يخفف من البؤس الواقع حزب اشتراكي يتولى أو حزب محافظ يتحكم . فليس معنى ذلك الا أن طبقة حلت محل أخرى . وأفراداً استبدل بهم أفراد . وليس معناه الا أن يبقى النظام الحالي بضرائبه المرهقة وحواجزه الجركية المشتطة وميزانيته العجيبة ينفق ثلاثة أرباعها على اعداد الجيوش وتجهيز الحروب .

إن الاصلاحات التي تفكر فيها الجماعات الحديثة من تحديد ساعات العمل أو تنظيم علاقات المالك والاجير على ما فيها من الفائدة لا تجتث الشر من أساسه . فكيف الطريق إذن ؟

أثورة دموية لا تبقى ولا تذر ؟ تراق فيها دماء الطبقة الحاكمة ويزهق فيها أرواح الأغنياء . ؟

ولكن تولستوي كان آخر من يدعو الى العنف وآخر من يفكر في مقابلة الشر بالشر .

ان التعاون لا يمكن أن يقوم على سفك الأرواح . والرخاء من المستحيل أن يعتمد على أسنة الحراب . وما كانت الانسانية التى بشر بها تولستوى ليكون الطريق اليها مغطى بالدماء حافلا بأنين المجروحين وجثث القتلى .

لقد قامت الثورة الفرنسية باسم أشرف المبادىء الانسانية وعلى أكتاف أشد الناس حماسة واخلاصا . وحسب الناس أن نوراً جديداً قد اشرق يلوح بالسلام المنشود والهناء الدائم . ولكن الثورة الفرنسية لم تنجح كثيراً . ولم تفعل رغم الادعاءات العريضة التى بشرت بها الا أن تحل طبقة محل أخرى وتستبدل اسما باسم وملكية بجمهورية .

وفشلها راجع إلى انها قامت على العنف واراقة الدماء . إن الشر لا يجب ان يقابل بالشر ، وإن أكبر ما يعاب على المجتمع الحالى اعتقاده أن الثورة الدموية هى الطريق للخلاص ، وان الحرب شر لابد منه . وأن القتال قانون طبيعى لولاه لازدحم العالم بالسكان ولما وجدوا قوتا يكفيهم . وليس أسخف من هذا الزعم زعم . فان أشد ما يعتز به الفرد هو حياته ، وأقدس واجب لديه هو المحافظة على هذه الحياة والعمل على ابقائها . وأكبر أمنية للانسان هو الخلود أو العيش الى أطول العمر ، فتناقض إذن ان نزعم ان قانون الحياة هو الموت أو ان من الضرورى ان يقتل الأخ أخاه .

لقد دعا تولستوى الى السلام والاخاء الانسانى . وأهاب بالانسانية القضاء على التسلح والمقاومة .

وقد يبدو أن هذا أمر ثانوى لا علاقة له باصلاح العالم . ولكن ليعتقد الافراد جميعا ان الشر هو فى الحروب . وان بؤس الانسانية راجع الى العنف والاستبداد ، وليؤمنوا بالسلام وضرورته ، وستسقط بطبيعتها جميع النظم القائمة . فلن تقوم حكومة من الحكومات الا إذا استندت الى ارادة الشعوب ، ولن يوضع قانون الا اذا رغب فيه الافراد . ولن تسير دفة عمل من الاعمال الا اذا كان قائما على التعاون والاشتراك . ولن تجد نزاعا بين دولة وأخرى الا ويفض فى بضعة أيام عن طريق التحكيم . فتولستوى يرى من العبث التفكير فى كيف تكون الحكومة . أو على أى أساس تشرع القوانين . إذ الحكومة لديه ليست الا مجموعة افراد والقوانين ليست الا من وضع بضعة افراد . والدولة لا معنى لها لا مجموع افرادها ؛

فى إصلاح الفرد وحده . وفى الارتفاع بعقليته والسمو بنفسيته أساس المدنية المستقبلة . ماذا يجدى ان تصلح من شأن حكومة ، اذا كان القائمون بها هم هم لم تتغير نفوسهم

لن يجدى هذا نفعا . ولكن يكفى ان يعتقد كل فرد بوحشية الحروب فى سبيل قطعة أرض أو من أجل شهرة وطنية كاذبة . ويكفى أن يمسى هذا الاعتقاد عملا حتى يشرق الصباح عن اختفاء اله الحرب من الارض

ويمكن - اذا آمن الناس بضرر الفروق الاجتماعية بين الطبقات وما يساعد على ابقاء هذه الفروق من قانون الوراثة ونظام الملكية - أن تختفى الملكية فجأة وتحل المساواة بين البشر .

ولاشك أنه لو أيقن كل إنسان أن سعادته فى خدمة أكبر مجموعة إنسانية يستطيع خدمتها لانهارت من أساسها ما نسميها الوطنية التى تراق من أجلها الدماء وتزهق تحت علمها ملايين الارواح . ويجر باسمها الخراب والدمار والارتباكات المالية والاقتصادية .

فلتقم الشعوب . لا . بل لتقم طائفة منها تعلن أن كفاهم رياء وخداع ، وانهم لن يخضعوا الا لما توحيه اليهم ضمائرهم ، ولن يعملوا الا ما تحتم عليهم مبادئهم . فلا يذهبون الى قتال يعتقدونه شرا ولا ينفذون قانونا لا يرون فيه خيرا . ولا يدفعون ضريبة لا معنى لها . ولا شك أن كل مساوىء العهد الحالى تصبح فى خبر كان

ان للرأى العام قوة عظيمة تسير الحكومات والدول . فاذا ما أراد الرأى العام شيئا فهو واصل الى ما يريد . والرأى العام ساخط متذمر من النظام الحالى وهو يريد أن يعمل شيئا ، ولكن لا يعرف ما يريد ولا يدرى ماذا يعمل .

قد تسأل : ومن له الشجاعة ليقوم بهذه الدعوى ومن له الاستعداد لما قد يجره عليه من اضطهاد وسجن وتشريد ؟

ولكن تولستوى يعجب : لماذا تنتظر الانسانية منقذا من السماء أو مسيحا يهبط الى الارض .

إن نفسية الجماعات الحالية لا تحتاج الا الى بضعة أفراد بل فرد جرىء يرشدها الى طريق العمل حتى تقوم قومة رجل واحد .

— ٤ —

إن صلاح نفوس الافراد وتربيتهم من أخطر ما يدعو اليه تولستوى ، وهذه التربية إما أن تتناول الصغار أو الكبار . فهى للكبار

بث العقيدة الانسانية فيهم واقناعهم ان لا فائدة تعود عليهم من حروب ..وس ، والاهابة بهم الى نبذ العنف واحلال الوئام والصفاء .

وأما تربية الصغار فهى أجل وأعظم شأنا .

ولقد سدد تولستوى الى التربية الحديثة سهاما مسمومة . وكال لها تهما شنيعة ، وليس يعنيه من أمر المدرسة علوم تحشى بها أذهان الطلبة المساكين ولكن يعنيه روح التربية .

فالتربية الحديثة تساعد احط الغرائز على الظهور والنمو ، فهى تبعث التنافس والغيرة والحقد فى نفوس الاطفال وتشبعهم بفكرة العقاب والثواب، وتلقى فى روع الطفل الانانية وحب الفوز على أكتاف اخوانه من التلاميذ . فهو يهنأ على تقدمه عليهم ، ويكافأ اذا بذهم وفاقهم

وهى فوق ذلك تربية عسكرية تهمل شخصيات الاطفال اهمالا وتزعم أنها مستطيعة ان تشكل عقليات متغايرة تشكيلا واحدا . وهى مضطرة فى سبيل هذا ان تخضعهم لنظام معين وتجبرهم بالقوة على التزام حركات خاصة والجلوس فى غرف ضيقة مما ينفر الطفل من المدرسة والمدرسين ، وبما يكبت فيه ميوله الطبيعية ومواهبه .

إن الطفل له شخصية قائمة . وليس يتاح لأى مدرس ان يفهمه على حدة فيعرف ما يلائمه وما لا يلائمه . والمدرسة الوحيدة التى يمكن ان ينال فيها الطفل تربية صحيحة هى البيت .

نعم هى منزله . حيث يجد الحنو والشفقة الابوية . وهى مسكنه حيث تراعى ميوله وحيث يفهمونه فهما حقا . وبذا يرفع تولستوى من شأن التربية المنزلية ويجعلها فى المكانة الاولى . وقد جره هذا . إلى البحث عما إذا كان البيت والعائلة الحالية يصلحان مكانا لتربية الاطفال .

وجوابه أن لا

فنظام الزواج الحالى نظام عتيق فاسد ، والعلاقات العائلية اليوم كبقية العلاقات لا تستند إلا على الرياء والعنف . فالمال يتحكم تحكما فى العلاقات الزوجية . والرجل الغنى هو كل شىء فى الزواج الحديث .. مهما كان أومريضا ، ضعيفا أومنحطا . فهو يرحب به لأنه ذو مال ، ولأنه أقدر من غيره على الإنفاق . والفتاة الحديثة لا تكاد تفهم مهمتها التى خلقت من أجلها . والزوجات يرون فى الالتصاق بالبيت عاراً أو تأخراً . بل يحسبن فى الاطفال عبئا ثقيلا لا يتفق والسهرة ومحال الرقص . ولا ينسجم والرقة والأناقة . ومن هنا دعا تولستوى إلى هدم نظام الزواج هدما يتناول الاساس

فالأم كما يرى تولستوى يجب أن تختار لابنتها زوجا قوى الجسم ممتلىء الصحة محبا للعمل ناسية مكانته الاجتماعية غير ناظرة إلى جيبه انتفخ بالاوراق المالية أم لم ينتفخ .

والزوجة يجب أن تؤمن بأن عظمتها فى المنزل ، وفى انشاء طفلها الذى قد يتحكم يوما فى مصير العالم . وهى اذا كانت قد تلقت أرقى العلوم فلكى تحسن ادارة بيتها . وهى ان درست وتعمقت فى الدرس فلكى تجيد تربية طفلها . فالمرأة فى يدها مستقبل هذا العالم .

ولكن أى امرأة ؟ ليست هى هذه المرأة المستهترة ، ليست هى سيدة الصالونات . ولكن ربة البيت والام الرحيمة تنشىء أطفالها على حب السلام وحب الآخرين . وتربى فيهم كراهية الشر ومقت العنف

***

لقد نادى تولستوى بكل هذا فى اخلاص وإيمان وبعد تفكير طويل وتدبر ليس بالقليل ، وقد توافق على دعوته وقد لا توافق . وقد تحسبها الحكمة بعينها أو خيالا متطرفا . ولكن لا يسعك الا أن تعجب بالرجل وأن تعجب باخلاصه ، وان تجد أيضا فى دعوته الحق أو بعض الحق

ولعلك تشتاق بعد هذا الى معرفة شىء عن حياة تولستوى أو فهم الظروف التى أحاطت به فخلقت منه رسول السلام والانسانية على الأرض . هذا ما قد نكتب فيه مرة أخرى .

شهدى عطية الشافعى
بكالوريوس آداب

من طرائف الشعر

الربيع الباكر

للاستاذ محمود الخفيف

قادنى الشوق الى واد مريع أسفرت فيه بواكير الربيع
وانجلى آذار ببسام الضحى كابتسام الزهر فى زهو وديع
ألبس الزهر أكاليل الندى ودعا الطير فلبى منشدا
وترى الاغصان مالت طربا وانثنى الجدول تيها وبدا

ضاحك الصفحة مطلول الاديم

يجتلى للعين منضور البطاح باسم الضفة عن وشى الصباح
سالت الالوان فى قيعانه وارتدت آكامه أبهى وشاح
وسرت فى جوه ريح الصبا تنشر المكنون من سر الربا
تملأ الكون حديثا عطرا كحديث النفس فى زهو الصبى

أو كصافى الشعر يرويه النديم

يتبدى الكون موفور الرواء رفرف خضر ووشى ونماء
وصفاء شاع فى أركانه عرف القلب به معنى الصفاء
وفضاء تنعم النفس به يذهل المعجب عن اعجابه
يقف الشاعر فى أحضانه موقف الصوفى فى محرابه

غارق الأحلام فى فيض النعيم

فطن القلب الى معنى الحياه فى مجاليه واشراق ضحاه
ثم فى بعث كساه حسنه أينما درت بعينيك تراه
ومراح جال فيه طالما علق القلب به مستسلما
غرقت عيناى فى لجته فكأنى فيه أروى حلما

عن ربا الخلد ومرآها الوسيم

هذه الزهرة فى نضرتها تخبر الألحاظ فى وجنتها
خلص الحسن لها فابتسمت بسمة الحسناء فى خلوتها
تعشق الكون وتهوى نوره أو لم توح اليه سحره ؟
فتجلى حسنه فى حسنها وحبته من شذاها نشره

فلريا نفحه عنها نميم

منظر الطير على أفنانها يملأ السمع صدى ألحانها
نسيت نفسى به أتراحها وتمشى البرء فى وجدانها
وخرير الماء فى ظل الشجر كغناء العود فى ليل السمر
نغمات كأحاديث الهوى أو أغانى الصيف فى ضوء القمر

تدرأ السقم عن القلب السقيم

يافراشا رف فى جنب الغدير دائم الوثب على العشب النضير
هجت أشواقى الى عهد مضى أين منى عيشه الحلو الغرير ؟
حينما كنت صبيا لاهيا لن ترانى ذات يوم وانيا
عن طلاب اللهو فى ظل النخيل أعشق الريف ضحوا كما حاليا

مشرق الضحوة خفاق النسيم

ياربيعا أشرقت ألوانه وتعالت فى الضحى ألحانه
يازمانا راقت الدنيا به وسرى فى جوها ريحانه
ايه ياعهد الصبا المقبل أنت رمز الحب ، روح الأمل
رفل الدهر به فى نعمة وتحلى الكون بعد العطل

بنثير من حلاه ونظيم

شاعر يتلو الورى آياته يستنزل الالهام من ساحاته
عبقرى دق فى تصويره وسمى بالشعر عن غاياته
شعره ياحسنه فى فيضه فى سماء الكون أوفى أرضه
قد وعاه القلب ألحانا على سرحة فينانة فى روضه

ملكته فهى منه فى الصميم

هى دنيا من ربيع زاهر وضحى ضاف ونشر عاطر
ملأت قلبى وعينى بهجة سوف يبقى وحيها فى خاطرى
سوف يبقى حسن هاتيك الرؤى حلما يذهب عن قلبى الأسى
كلما مثلته فى خاطرى نسى القلب به حر الجوى

فهو من ذكراه فى ظل عميم

آذار

أغنية الربيع

«مهداة إلى سر شوقي»

لشاعر الشباب السوري أنور العطار

هلمّي انظرى قبلات الربيع … على معطف السهل والرابيه
سرت فى السموات أنفاسه … فعطّرت الحقل والساقيه
وآذار يلعب فوق المروج … كما تلعب الطفلة اللاهيه
يعانقها وهو جمّ الحنين … فتغريه بالمقلة الرانيه
ويلقي عليها وشاح الخلود … وألوانه العذبة الساييه
ويبعث فيها شعاع الهوى … فتهتزّ من وهجه صابيه
تألقت الأرض من وشيه … فلم تبق زاوية خاليه
وقد زيّن الغاب أفياءه … بأحلى مطارفه الكاسيه
خمائله من نسيج النعيم … تأرّج بالنفحة الذاكيه
جواء من العطر طفّاحة … تنمّ روائحه غاديه
كأنّ النسيم أخو سكرة … تعايا من الخمرة العانيه

تغاشيب ناهلة بالطيوب … مفضضة الثوب والحاشيه
كأن على الأرض عرساً يقام … فتمشى إليه الدنا حابيه
تعالت الى الله أفراحه … تمايد جافلة حانيه
وهبّت مواكبه الضاحكات … تجدّد أعيادها الباهيه
رياحينها قد ملأن الفضاء … ولم تخل من عطرها ناحيه
فني الجوّ ذابت أغاني الطيور … بهينمة النسمة الساليه
وفى الحقل ثار ضجيج القطيع … حنيناً لزمّارة الراعيه
تذوب من الحب أنغامها … فتخفت من ناره الصاليه
برآها الهوى وطوت سرّه … فبان من النغمة الفاشيه
فيالك عرساً بهيّ الاطار … جديد الرؤى والمنى الهانيه
هلمّي افتحى كوة للربيع … لنشرب فرحته ثانيه
فقد ملت الروح عبء الظلام … وحنّت إلى البسمة الضاحيه
أكان سجونك غير الرقاد … تغلغل فى المقلة الساهيه
وأغفل بين شعاب الجفون … تصاوير من مهجة باكيه
يبين على صفحتيها الانين … وتخشع فيها الرؤى جاثيه
توهّج من ماسها فى العيون … روايات أحزانها الطاغيه
هلمّي اقرئى خافيات الحظوظ … وما تضمر العيشة الباغيه
وتوحى على حلم مورق … تبدد فى السكرة الغاشيه
سيمضى الشباب كأن لم يكن … سوى ذكرة حلوة ساجيه
تجدد أحلامه الغابرات … وترجع نشوته الماضيه
كأنّ له ملعباً سادراً … تناسته أيامه الخاليه
تموج بأفيائه النعميات … وتلمع فيه المنى الغاليه
بدا والحياة على جانبيه … تتيه بأحلامها الغاويه
محفّفة آذار تلق عليه … أزاهيرها الثرّة الغانيه

تعالى نوثق عهود الهوى … ونسرد حكاياتها النائيه
ونوقظ لياليها الغاليات … ولولا الهوى لم تكن غاليه
أقاصيص ملء الربا والوهاد … تناثرن من أكبد شاكيه
أرجن وعطّرن هذا الفضاء … كما تأرج الزهرة الناميه
ولقّن منه معاني الحياة … وأدركن من دائه ماهيه
رويدك ولنستمع سرّه … فان له ألسناً حاكيه
وإن له سيراً جمة … تناقلها الأنفس الصاغيه
تعالي إلى الصدر تلق به … شكايات أضلاعه الحانيه
وأوجاع خافقه المستهام … وإرنان أفيائه الواهيه
فلا البث يهدىء تحنانه … فيرتاح من شجوه ثانيه
ولا الحب يوليه بعض المنى … فيفرح بالمنحة الراضيه
ويشدو الاغاريد ضحاكة … فتحيا بها المهج الداميه

ولما اقتسمنا دموع العيون تفردت بالدمعة القاسيه
فلاهي تسكن شعب الجفون فتخفى ولا هى بالهاميه

أطلت رنوك نحو السماء وأطرقت راهبة خاشيه
فهل تبحثين عن الغائبين ومن غاص فى اللجة الطاميه
فرابتك ضفة هذى الحياة وخفت من الضفة التاليه
فنحت وصحت النجاة النجاة وأين النجاة من الهاويه
هنالك لا النور ضافى الجناح ولا الطير صادحة شاديه
خلت من بهاريج هذا الوجود وأحلامه الحلوة الزاهيه
سوى موجة من بنات السماء تحوم بأرجائها عاريه
يشع على جانبيها الخلود وما ضم من صور ساميه
كأن عليها إطار النعيم وغبطته اللذة الشافيه
حنانيك لا تبتحي فى الدموع ولا ترهبى الراحة الناجيه
فما إن تقي من إسار الردى إذا حم يوم النوى واقيه
وليس ترد عليك الدموع سوى حرقة مرة واريه

وددت أمنية برة ترف بها الذكر القاصيه
جلست على جنبات الغدير أشيع أمواهه الجاريه
أردد أشعارى الثانيات وأستقبل الفكر الآتيه
وتشدو الطيور أغاريدها فالقط من فمها القافيه
وددت من الغيب كل الوداد لو انى لأشعارها راويه
ويوحى المساء الى خاطرى هواجس غامضة خابيه
موشحة بطيوف العفاء كأن بها جنة باديه
فأصغى إلى همسه المستطاب وأسمع ألحانه الخافقه
أعب لذاذاته الطافحات وأكرع سكرته الصافيه
وأنسى متاعب هذا الوجود وعيشته الوحشة الجافيه

وغيبوبة مثل كهف النسور تضيع بها الانفس الرائيه
توشحها مانجات الغيوم وأطياف أجنحها الضافيه
رقيت أعاليها مفردا ورحى سباقة حاديه
وخلفت جسمى فى الهامدات تطيف به الصور الفانيه
وأطللت من فرجات الضباب على عالم الرمم الباليه
تجردت من صفة الهالكين وتمتعت بالصفة الباقيه
وقد غبت عنى كأن لم أكن سوى نفحة سمحة عاليه
وأنسيت أنى ابن هذا التراب وضجعته المرة الطاغيه
بكاء على أمل لامع تطاير فى الفينة الصاحيه
وغاغل فى عالم غامض أمانيه ساخرة هاذيه

هلمى افتحى كوة للضياء لننسى بها الكوة الداجيه
فليس لنا أمل فى الربيع ونفحته العذبة الساريه
وما العمر غير ربيع الشباب ربيع الهوى والرؤى الوافيه
تجوس به الذكريات العذاب ويغمره الحب والعافيه
إذا طاح طاحت مسالى الوجود وغايات مفاتنه الحاليه
وصار إلى عالم موحش كصحراء خالية خاويه

أسيت لعمر تولى سناه كإيماضة الشعلة ٱوانيه
فيالك من عمر ضائع كما تنثر الباقة الذاويه
هوى النجم من شرفات الحياة فأمست على إثره هاويه

... ...

... أفاتك أنى جم الجروح أعيش على يدك الآسيه
فوليت عنى وخلفتنى أحن الى الساعة القاضيه

... أموت وقيثارتى ما تزال تنوح على مهجتى الصاديه

أنور العطار

في الأدب الفرنسي

بيير كورني Pierre Corneille

للدكتور حسن صادق

حياته وعبقريته ورواياته

نتحدث في هذا المقال عن عبقرية شعت في معاصريها الحرارة والنور ، عن شعلة وهاجة فيها جمال وانسجام ، وفي جوهرها هدى وسلام ، عن مدرسة غالية تتعلم القلوب فيها السمو والشجاعة ، وتتهيأ النفوس فيها للعفة والنبل والصفاء ، عن مدرسة علمت الفرنسيين نفاسة الارادة وبطولة الواجب وجمال التضحية . وسنجعل موضوع المقالات التالية عن عظماء الكتاب الفرنسيين في القرن السابع عشر وهم : بسكال ولاروشفوكو ولافونتين وموليير وراسين وبوسويه وفنلون ولابرويير وسان سيمون ومدام دي سفنييه

***

إذا ولد ابن ملك ، دقت النواقيس وأطلقت المدافع إيذانا بمولده ، وفرض على الشعب أن يبتهج إن كان شقيا ، أو بعث الفرح في نفسه إن كان مجدودا سعيدا . وإذا ولد عبقري ، جهل الناس أمره ولم يعرف حقيقته إلا الله الذي يسم جبينه بطابع الهي ويعين مهمته الغالية بين البشر . وبعد أن تكشف العبقرية عن نفسها ويسود مجدها ، يبحث الناس في ظروف مولدها وفي حوادث شبابها عن الامارات العظيمة التي تدل على مستقبلها . وكذلك ولد بيير كورني في ٦ يونيو عام ١٦٠٦ بمدينة روان . ولم يسطع في ذلك اليوم نجم في السماء جديد أو يحدث على سطح الغبراء حادث خارق يعلن الى الناس بمجيء رجل عظيم

أحبه والداه حبا شديدا ، وربياه على التقوى والفضائل . ولم يجدا فيه ما يدلهما على أن اسمه سيكون يوما في شعفة المجد الفرنسي . ولما بلغ أشده أدخله أبوه مدرسة يديرها الجزويت فتلقى فيها تربية قوية صلبة وتعليما متينا . ولم ينس قط لهذه المدرسة الأثر الجميل الذي خلفته في نفسه الغضة . ثم أراد له أهله أن يكون من رجال القانون فكان ، إرضاء لهم دون أن يشعر بميل إلى ما أصاروه إليه

نال إجازة الحقوق في ١٨ يونيو عام ١٦٢٤ وترافع أمام القضاء ، ولكنه لم يصب غير الفشل الممض لأنه كان خجولا يشعر في حضرة الناس باكتئاب باطني يغمز عليه الحيرة والاضطراب ، ويسلط على لسانه الحبسة والحصر . وفجأة حدثت مصادفة سعيدة أظهرت عبقرية هذا المدره الصغير . كان له صديق عزيز عليه يحب فتاة ، وقد طلب منه هذا الصديق ان يصحبه في زيارته لها فأجاب سؤله . ولما تكررت هذه الزيارة أدرك كورني أن الفتاة أخذت ترنو إليه دون صديقه ، فكف عن زيارته لها لأنه بطبعه وفي كريم . هذا الحادث دفعه الى كتابة قصة مسرحية فكاهية سماها (ميليت) مستمدا قواعد الفن من نفسه وذوقه ، ثم سافر إلى باريس وفي جيبه فصول القصة الخمسة ، ولم يجرؤ على تقديمها لممثلي « بيت بورجوني » المهرة النابهين ، وهو المسرح الوحيد الذي كان موجودا في ذلك العهد . فقدمها في تواضع إلى ممثلين مغمورين فقراء ، كانوا يحاولون تكوين فرقة وإنشاء مسرح صغير في شارع « بتي بوربون »

مثلت هذه القصة في عام ١٦٢٩ ودرت على المسرح الصغير رزقا كبيرا . ولكن الجمهور الذي اعتاد رؤية القصص التمثيلية المقتبسة أو المنقولة عن « لوب دي فيجا » الاسباني وغيره والزاخرة بالدسائس والعقد ، وجد قصة (ميليت) سهلة بسيطة طبيعية ، ولم ير في مؤلفها شاعرا كبيرا

ثم وضع كورني في عام ١٦٣٢ قصة فكاهية أخرى سماها (كليتاندر) وقال عنها بعد وضعها إن كل ما هو محتمل فيها الأسلوب ليس غير .

بعد هذه القصة يئس من الحصول على نجاح يرضيه في الكوميديا

آب الربيع

آب الربيع وهذه الآثارُ ... في كل واد فضة ونضارُ

بشت لمقدمه الخمائل والربى ... وتمايلت في وشيها الأزهار

والياسمينُ نقيةٌ بسماتُه ... ومن البنفسج نافح معطار

والورد فياض الخدود نضارة ... ترنو اليه كواعبٌ فتغار

والطير تصدح في الغصون يديرها ... في كل دور بلبلٌ هدّار

آب الربيع .. فهل يؤوب أحبةٌ

صدّوا عن القلب الحزين وجاروا

لما تجنّوا قلتُ صدّ ملاحة ... ولدى المتيّم تُطلب الأعذار

حسين شوقي

وشعر في الوقت نفسه بيقظة العبقرية التراجيدية في نفسه ، فاستعار من (سنيكا) الحكيم الروماني موضوع قصة سماها (ميديه) وأخرجها في عام ١٦٣٥ ، فأصابت بعض النجاح ولفتت نظر ريشليه الوزير الفرنسي المعروف ، وكان هذا الوزير يتعشق المسرح والتأليف المسرحي وإليه تنسب قصص أربع غيبت كلها في تضاعيف النسيان . ويقال إنه لم يكتب هذه القصص وإنما كان يضع خططها ويشرف على كتابتها

وبهذه المناسبة نذكر أن مجد ريشليه الأدبي هو في إنشاء مجمع العلماء (الأكاديمي فرانسيز) : في عام ١٦٢٩ اتفق جماعة من الأدباء على أن يجتمعوا مرة في الأسبوع عند أحدهم للبحث والمناقشة في الموضوعات الأدبية . هذه النواة المكونة بادىء ذي بدء من تسعة أشخاص ، كبرت سريعاً إذ انضم اليها أخصاء الكردينال ريشليه . ثم اتصل خبرها بهذا الوزير فرأى في الحال بمهارة رجل الدولة الفائدة التي تجنى من إنشاء هيئة تضم رجال الأدب ، يجيزها أمر ملكي وتكون تحت رعايته ، فيضع بذلك يده القوية على جميع العقول الكبيرة في فرنسا كما كاد يضعها على النبلاء والعظماء . وقد تم له ما أراد وصدر الأمر الملكي في عام ١٦٣٥

اتجه نظر ريشليه الى كورني كما قلنا ، ورآه جديرا بالعمل معه في تصنيف قصصه المسرحية ، فعرض عليه رغبته في الانضمام الى « جماعة المؤلفين » وكانت مكونة من أربعة أشخاص يكتبون باسم الوزير . قبل كورني ذلك لأنه شعر بالحاجة الى عضد قوى يعبد له الطريق ، واندمج في هذه العصبة الصغيرة ، ولكنه كان حريصا على الاحتفاظ بكنوز عبقريته لنفسه

وفي أحد الأيام طلب اليه الوزير أن يضع الفصل الثالث لاحدى قصصه وفقا للخطة التي رسمها له فلم يوافق كورني على هذه الخطة ، ودهش الوزير من جرأته واسترد منه شرف العمل معه ، وقال عنه : « ليس فيه روح العمل برأي غيره » أي ليس فيه روح الخضوع والذلة

نالت هذه الصدمة من نفس كورني منالا كبيراً فعاد إلى روان ليجد بين أحضان أسرته متلبسا من ألم الفشل ، واعتزم العدول عن التأليف المسرحي وهجر الشعر . ثم قابله ذات يوم مصادفة كاتب سر قديم للملكة (ماري دي مدنيس) يسمى (شالون) فنصح له بان يدرس بامعان شديد المسرح الاسباني ، ولفت نظره إلى موضوع (السيد) وكان قد عولج في أغان وطنية اسبانية وفي قصتين من نوع التراجيدي : إحداهما (لدون جوان ديامانت) والأخرى (لجيلهم دي كاسترو)

قرأ كورني القصتين . وخلال غرابة التركيب وضعف الأسلوب استخلص حدثا دراميا ، ومواقف رائعة ، وأفكاراً خلابة : استخلص من التراب تبراً نقيا ، فوضع أول قصصه الخالدة وهي (السيد) المشهورة ، أول درة في تاج المسرح الفرنسي في عام ١٦٣٦ .

وقد أثارت هذه القصة في نفس ريشليه الغيرة والحسد ، ولكن كورني تعزى بتصفيق الاعجاب الذي ناله من فرنسا كلها ، وبلغ من نجاح هذه القصة أن أصبح الناس يقولون : هذا جميل كالسيد . وانتشرت هذه الجملة حتى عدت من الأمثال العامة . وقد سخر (بوالو) الشاعر والناقد الفرنسي في ذلك الوقت من حسد ريشليه فقال : « عبثا يثور وزير على السيد » فكل باريس تنظر الى شيمين بعيني رودريج (شيمين بطلة القصة ورودريج بطلها ، وكان بينهما حب شديد رائع) . ولكي يطفىء ريشليه غلة حسده أوعز إلى مجمع العلماء أن يسفه القصة ، فأعلن مكرها أن موضوع القصة تافه ، وهذا مديح أفلت من فم المجمع خلسة ، لأن كورني استطاع بعبقريته أن يجعل من الموضوع التافه قصة رائعة استبدت اعجاب الناس في عصره واستهوت نفوس الاجيال المتعاقبة ..

وقال أكثر خصوم كورني لوما ان الجمال الذي يعجب به الناس في القصة لا يد لكورني فيه ، وانما هو (لدي كاسترو) الاسباني . وقد نال هذا القول من نفس كورني أكثر مما نال منها رأى مجمع العلماء الذي دحضه وسحقه نجاح القصة في طول البلاد وعرضها . فبحث في التاريخ القديم عن موضوع يخلق منه قصة هامة ، فعثر في (تيت ليف) المؤرخ الروماني المشهور على تاريخ الموقعة التي حدثت بين آل هوراس وآل كورياس . وأخرج من هذا الموضوع قصته العظيمة (هوراس) في عام ١٦٤٠ . وفي السنة عينها أخرج قصة (سنا) أو رحمة أغسطوس التي نالت أكبر قسط من النجاح ، وفي عام ١٦٤٣ أخرج (بوليكت) و (بومبيوس) و (الكذوب) وكلها قصص خالدة أبلغته قمة المجد والعظمة . وعقب قصة (السيد) منح الملك لويس الرابع عشر والد كورني لقب الشرف ووثائق النبل ، ثم دخل الشاعر مجمع العلماء في عام ١٦٤٧ . استمر بعد هذه القصص التي ذكرناها والتي بنت مجده على أسس متينة ، يصنف القصص التمثيلية وأخرج كثيرا منها ، ولكنها لم تبلغ الدرجة العلية التي بلغتها القصص السابقة وفي عام ١٦٥٢ أخرج

للناس قصته (برتاريت) فلم تنجح .

اشتد عليه هذا الفشل الأليم وهو الشاعر الكبير الملحوظ المنزلة فلزم الصمت سبع سنوات قضاها فى روان مع زوجه (وكان قد تزوج فى عام ١٦٤١) وأولاده الثلاثة . ثم شاءت المصادفة أن يزور (موليير) الشاعر وفرقته روان ويمثلون فيها بعض كوميدياته . ولما شاهد كورنى التمثيل انتعش فى دخيلته الحنان إلى المسرح . فعاد اليه فى عام ١٦٥٩ أمام جيل جديد من النظارة بقصته (أوديب) فقوبلت مقابلة حسنة . ثم أخرج بعدها عدة قصص ولكنها فشلت كلها . ويقال إن سبب الضعف الذى ظهر فى قصصه الأخيرة يرجع إلى إفراطه فى العمل وإجهاده القريحة والعجلة فى التأليف ، لأنه كان فى حاجة شديدة إلى المال بعد ما استنفدت تربية أولاده كل موارده المالية . ولكن الحقيقة أنه كبر ومالت قوة ذهنه إلى الاضمحلال والركود . يدل على ذلك قوله : « شعرى ذهب مع أسنانى » نعم استطاع هذا الشعر أن يستريح بعد كثير من الآثار الخالدة التى تقص على القرون غرام رودريج وبطولة هوراس ورحمة اغسطوس واستشهاد بوليكت . وفى الوقت الذى بدأ فيه نجم كورنى بالأفول ، كان نجم راسين يعلو ويسطع ويزدهى الناس إعجابا وطربا . وفى عام ١٦٧٠ عرضت هنريت أخت زوج لويس الرابع عشر على كورنى أن يضع تاريخ (برنيس) فى قصة تمثيلية . وكان راسين فى الخفاء يعالج هذا الموضوع وهى تعلم ذلك . وأخرج الشاعران القصة فى وقت واحد فنجحت قصة راسين نجاحا كبيرا وسقطت قصة كورنى سقوطا مروعا . وفى عام ١٦٨٣ باع كورنى منزله فى روان إذ استبد به العسر . وكان لويس الرابع عشر قد قرر له معاشا سنويا قدره ٢٠٠٠ دينار بعد وساطة الشاعر شابلان ذى الحظوة لدى الملك . ودفع هذا المعاش بغير انتظام ثم ألغى . وقد شعر (بوالو) بحالة كورنى فقابل الملك ورجا منه أن يدفع المعاش للشاعر المسكين بانتظام فقبل رجاءه . ومن حسن حظه أنه مات فى ليلة أول أكتوبر عام ١٦٨٤ بعد أن ذاق مرارة الفاقة فى شيخوخته ، والشقاء هو الفدية الضرورية للعبقرية .

وقد قام مجمع العلماء بنفقات دفنه ، وكان مديره إذ ذاك القسيس (دى لافو) ولا تنتهى مدة عمله إلا فى آخر أكتوبر من ذلك العام . وجرت العادة أن يؤبن مدير المجمع ، العضو الذى يموت . وكان راسين هو الذى سيعين مكان القسيس ولذلك حدثت بينهما مشادة إذ كان كلاهما يريد أن يحظى بهذا الشرف . وتمت الغلبة فى النهاية للقسيس . ثم عين (توما كورنى) عضوا فى مجمع العلماء بعد موت شقيقه ، فاهتبل راسين هذه الفرصة وأثنى أجمل الثناء على ذكرى منافسه العظيمة . وإن خطبته فى ذلك المقام لهى فخر لعبقرية الميت وكرم الحى . وسنذكر نبذة من هذه الخطبة القيمة عند الكلام عن حالة المسرح الفرنسى قبل كورنى

مكانته ومواهبه ومزاياه

كان حساد هذا الشاعر العظيم كثيرين . فلما مات لم يروا فيه غير الشاعر العبقرى الذى خلق أروع القصص ، وجاءهم بآيات فى البلاغة بينات ، ووضعوه فى مكانة أعلى من المكانة التى كان يشغلها أيام مجده . ومن الغريب أن مدينة روان لم تقم تمثالا لأشهر أبنائها إلا فى عام ١٨٣٤ !

وكان معاصروه من كبار الأدباء لا يستطيعون إنكار قوة ذهنه وعذوبة شعره ومتانة قصصه . ومنهم لابرويير وبوالو ومدام دى سفنيه . وهـــذه كانت تصيح فى كل مجلس قائلة : « ليحى صديقنا القديم كورنى ! إن كتبه آثار أستاذ لا يجارى ولا يقلد ! إنها الذوق السليم نفسه ! » . وكان هو نفسه يؤمن بعبقريته ويتحدث بها فى عزة الرجولة وصراحة كريمـــة تفضل التواضع المصطنع الذى لا يخدع أحداً ولا يخفى ما وراءه من زهو خلق . وقد بقى وفيا لخلقه المزيج من البساطة والكرم والخجل والشجاعة والوداعة والسمو ، حتى استوفى أنفاسه .

ونستطيع أن نقول إن كورنى قلب كبير ونفس جميلة . والدليل القوى على ذلك هو ما تركه لنا من الآثار الجليلة ، وكل العواطف السامية التى يجدها القارىء فى قصصه ، مصدرها قلبه ونفسه ليس غير .

كانت الأخلاق فى عصره هابطة ، والبطولة نادرة ؛ فلما جاء عمل على إيصال القليل من حرارة الشعلة التى تحركه إلى خمود معاصريه ، فتنبهت قلوبهم وهبت تخفق على توقيع ألحانه .

يقال دائماً إن الشاعر لا يصور إلا معاصريه ، وإن كورنى استمد موضوعاته من العادات والأخلاق التى كانت تحت بصره . هذه قاعدة صحيحة بالنسبة للآخرين ، ولكنها لا تنطبق على كورنى لأنه كان يصور الناس كما يجب وكما يجب أن يكونوا ، أى كان يصورهم على طراز نفسه العالية .

ومن يقرأ كتب هذا الشاعر يجد أن الرغبة فى جعل الارادة تتغلب على كل الصعاب والعقبات من عناصر البلاغة الخاصة بكورنى ،

ويجد أن أبطاله سواء أكانوا يريدون قهر أنفسهم أم قهر غيرهم ، يبذلون جهدهم فى إقامة الدليل الذى يبرر إرادتهم وعملهم . وهم يشرحون حساسيتهم فى شعر له نغمات الناى الساحرة ، ويعبرون عن إرادتهم فى لهجة خطابية . ولذلك يلذ لهم الحوار الطويل والمنطق السليم الذى يورث إرادتهم الحائرة ، والبرهانات القاطعة التى تنتصر على ترددهم . وهم فوق ذلك وفى كثير من الأحايين يريدون أن تقر ضحاياهم أعمالهم وتوافق عليها . وكذلك نجد (رودريج) فى قصة السيد يريد أن يجعل صاحبته (شيمين) تؤمن بأن قتل أبيها الكونت (دى جورماس) كان واجباً عليه . ونجد فى قصة هوراس أنه أراد أن يجعل (كورياس) يؤمن بأن من واجبه قتله . وكذلك فى (سنا) تحاول (راميلى) صاحبة (سنا) أن تجعل الامبراطور (أغسطوس) يعتقد أن واجبها يأمرها بتدبير مؤامرة لاغتياله .

قلنا إن كورنى كان عيياً فى حضرة الناس ، ولكنه كان خطيباً بلسان أبطاله . وفى كل قصة نجد أن الحوادث هى نتائج قرارات الأبطال ومشيئتهم . ففى هوراس وسنا مثلا لا يحدث حدث إلا برغبة أبطال القصة ، فالامبراطور أغسطوس بعد أن عرف أن صديقه سنا يأتمر به ليقتله كان فى مقدوره إذا أراد ، أن يعاقبه بدلا من الصفح عنه ، فالارادة فى مسرح كورنى هى نابض الحركة الوحيد ، لأنه كان يعتقد أننا فى الحياة سادة حظوظنا . وهذا ما يجعل لهذا المسرح قيمة خلقية فريدة ، وإن جعل الفعل الدرامى معلقا على مشيئة الأبطال ، لهو فى الحقيقة تخفيض لنصيب الظروف أى تبرئتها مما تتهمها به . وليس هذا حقيقة خالصة ، ولكن كورنى أراد بذلك أن يرغب الناس عن التواكل والاستسلام ويربى فيهم الاعتماد على الارادة

ولكى نحكم حكما صحيحا على كورنى ، يجب أن نضع نصب أعيننا دائما أنه المؤسس الحقيقى للتراجيدى الفرنسية . كثير غيره جاؤا بعده ، مترودين بدروسه ومناهجه ، فماثلوه أو بذوه ، ولكنه بقى أستاذ هذا النوع . إنه هو الذى ابتكر استعطافا جديدا يقوم لا على الفزع والشفقة ، ولكن على الاعجاب ، الاعجاب بالمواقف ، والاعجاب بالخلق ، والاعجاب ببطولة الواجب وروعة التضحية . وهو الذى جدد شكل التراجيدى الفرنسية وجعلها « قضية أخلاقية توضع بواسطة العرض ، ثم تحصل المناقشة فيها بواسطة انقلابات الحال ثم تحل فى الختام » . وعبقريته هى التى جعلت التراجيدى تحليلا نفسيا لشهوة من الشهوات تتدرج فى طريقها حتى تصل الى العنف والحدة ثم الى النتائج الأخيرة

أثر كورنى فى التراجيديا والادب

كانت التراجيديا قبل كورنى محاورات طويلة . وكان واضعوها يصورون الوالد والولد والزوج فى ظروف شخصية خاصة محدودة . ولكن كورنى صورهم بطريقة عامة أى صور المثل الأعلى للوالد والولد والزوج

قال (سانت بيف) بحق « إن كورنى هو الشاعر الجدير بأن يعاصر الفيلسوف (ديكارت) . كان الفيلسوف يبرهن على وجوده بالفكر فيقول : « إنى أفكر ، اذن أنا كائن . وكان الشاعر يبرهن بالفكر على الحساسية المحركة والحياة ، فكل شخص فى قصصه يقول إنى افكر ، إذن أنا شاعر حى »

وكل ما يعاب على كورنى أنه لم يصور المرأة فى قصصه تصويرا طبعيا ، وذلك لأنه لم يحب قط ، ولم يسبر غور القلب النسوى ، وكل أبطاله النساء لا تمت الى الطبيعة الا بصلة ضعيفة لأنه خلقهن من إدراكه لا من تجربته وملاحظاته

كان كل همه أن ينتج الاعجاب بالفضائل . وقد بلغ غايته بجعل الواجب يناضل الهوى ثم ينتصر عليه . أى أنه بلغ غايته بتصوير البطولة أحسن تصوير . وهذه الغاية أرغمته فى بعض الأحايين على أن يبالغ فى قوى أشخاصه ويعلو بهم فوق الضعف الانسانى ليحيلهم الى ابطال

وقد أعجب (فولتير) فى القرن الثامن عشر بكورنى إعجابا شديدا ، حتى إنه تبنى بنت أخته وزودها بمهر ثم زوجها . ونشر كتب كورنى وشرحها ، وقال فى المقدمة : « الشرح الوحيد لكتب كورنى يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات فى أسفل كل صحيفة : جميل . جليل . إلاهى ! »

وطبعى أن ينهض كورنى بالمسرح الفرنسى لأنه جاء فى عصر زاهر مهيأ لهذا النهوض . إن المسرح من أنفع وأنبل ما ابتكر العقل الانسانى لتهذيب العادات وصقل الخلق . لا يمكن أن يصل الى كماله الا عند ما تبلغ الجماعة نفسها قمة مدنيتها . ولهذا يكون الفن الدرامى دائما فى بطء بينما يظهر الشعر الحماسى والغنائى فى طفولة الامم بقوة أكثر مما يظهر بها فى عصر نضجها . لأن شعراء الملاحم والغناء يستطيعون أن يسلموا أنفسهم الى جرأة عبقريتهم ، وبهذه

الجرأة يسبقون القرون . أما شعراء الدراما ، ومهمتهم كما نعلم تهذيب الجماهير وإشعال الحماسة فى نفوسهم ، فانهم مرغمون على أن يلائموا عبقريتهم مع عادات العصر الذى يعيشون فيه . ولذلك نرى أن الجماعة التى لم تبلغ شأوا بعيدا فى المدنية ، لا يشغل المسرح من أدبها الا مكانا ثانويا . فاذا اقتربت من نضجها ، أخذ المسرح مكانه فى الصف الاول من مدرسة الادراك . وهذا ماحدث فى فرنسا فى القرن السابع عشر ، وماحدث فى بلاد الاغريق قبل أن يأتيهم سفوكليس وأوريبيدس وأريستوفان وإسخيلوس . فقد كان للفرنسيين جودل وبايف وهاردى قبل ان يكون لهم كورنى وموليير وراسين

والى القارىء نبذة من خطبة راسين التى استقبل بها (توما كورنى) لما صار عضوا فى مجمع العلماء تلخص رأى هذا الشاعر فى حالة المسرح الفرنسى قبل كورنى ورأيه فى كورنى نفسه : « أى اضطراب وأى شذوذ كان يسود المسرح قبل كورنى ! كان الذوق مفقودا ومعرفة الجمال المسرحى مجهولة . وكان الجهل المعيب يجمع بين المؤلفين والنظارة . وكانت جل الموضوعات تحمل سمة الهوس ، وعارية من الصدق . وكانت الألفاظ نفسها أكثر قبحا من الحوادث . وخلاصة القول ، إن قواعد الفن حتى قواعد النزاهة والآداب كانت فريسة الفتك والعدوان . فى هذه الطفولة أو على الأرجح وسط هـــذا العماء الذى كان يخيم على الشعر الدرامى فى بلادنا ، جاء كورنى . وبعد أن جاهد وناضل الذوق الذميم مزوداً بسلاح العبقرية ومعتزاً بقراءة القدامى ، أظهر على المسرح العقل تحف به أبهة اللغة وروعة البيان ، فطغى صوته على صوت منافسيه فأخفاه . ولما يئسوا من بلوغ مكانته عمدوا الى تسفيه كتبه ، وحاولوا أن ينالوا بالنقد الطائش من جدارته ، ولكنهم فشلوا وحاق بهم مكرهم السىء . السيد وسنا وهو راس ، ملأت الاسماع وهزت أوتار النفوس وترجمت إلى عدة لغات ، وستظل حية على مر العصور فى أفواه الناس ، كورنى فن وقوة وبراعة ، وخصوبة ونبل وعظمة » .

هذا كلام راسين الذى كان ينافس سلفه ، وهو قول حق .

وعند ظهور كورنى ، كان قد مضى على الناس ما يزيد على مائة عام وهم يعالجون التفكير ويتألفون الشعر والنثر دون أن ينجحوا النجاح المرجو . وعبثاً نهبوا مؤلفات الأقدمين ومسخوها ، وعبثاً سرقوا من لوكريس وفرجيل وهوراس وسنيكا أو من الايطاليين والاسبان . وعبثا انتحل كتاب النثر لأنفسهم من سيسرون وبلوطارخوس . ثم جاء كورنى وديكارت فحررا اللغة والفكر الفرنسى من ربقة الاغريق والرومان ، فهما أول من أعطى الادب الفرنسى صبغته الخاصة وطابعه القومى . فالسيد و(رسالة فى المنهج) لديكارت يعينان عهداً جديداً فى تاريخ الأدب والفكر الفرنسى . فقد كسرا أغلال اللغة وكانت أسيرة فى أطلال اللاتينية ، وأنقذا الفكر من محنته وكان يريد ذلك ولا يستطيعه . وبفضلهما وجـــد فى أوربا كلها بين كل الذين يقرأون ويكتبون أداة عامة جديدة للتفاهم : هى لغة ديكارت وعلى الأخص لغة كورنى التى سادت من عام ١٦٤٨ تحرير معاهدات التحالف والصلح ، وأصبحت آخر الأمر اللغة الوحيدة تقريبا للأدب والفلسفة والعلم . وكما يفخر الرومان بأن عصر أغسطوس أنتج هوراس وفرجيل ، كذلك يفخر الفرنسيون بأن عصر لويس الرابع عشر « أكبر ملك حكمهم » أنتج أكبر شاعر لهم وهو كورنى .

ونختم هذا المقال بكلمة نابليون الأول : « القصة التمثيلية تشعل النفس ، وتسمو بالقلب ، وتخلق دون ريب أبطالا . وإنى أجهر بأن فرنسا تدين لكورنى بجزء كبير من أعمالها المجيدة : إن القصص التمثيلية مدرسة عالية لعظماء الرجال ، ومن واجب الملوك تشجيعها ونشرها . ولو كان كورنى حيا فى زمنى لجعلته أميرا » .

وما قيمة اللقب الرسمى فى جانب اللقب الذى ناله من الشعب وهو كورنى العظيم ؟ ! ولماذا وهبه الشعب هذا اللقب ؟ لأنه جاءهم بقصته السيد ، وهى الحب فى أجمل أثوابه ، وبقصته سنا ، وهى السياسة فى أسمى أشكالها ، وبقصته بوليكت ، وهى الدين فى أروع مظاهره ، والحب والسياسة والدين هى « ثالوث » القلب الانسانى ؟

حسن صادق

البـــؤساء

لفكتور هوجو

في سنة ١٨٦٢ أخرج فكتور هوجو روايته الخالدة «البؤساء» وكان قد لبث مدى ثلاثين عاما يفكر في أن يكتب كتابا في صنوف البؤس التي يعانيها الشعب ويستجمع له شوارد نظرياته الاخلاقية والسياسية فلم ينضج مشروعه الا بعد أعوام طويلة من التأمل والبحث ، وكان مشروع كتابه الاول يتألف من أربعة أقسام بسيطة هي :

قصة قديس (وهو الراهب ميريل) وقصة رجـــل (وهو جان فالجان) وقصة امرأة (وهي فانتين) ثم قصة دمية (وهي كوزيت)

ونظم فكتور هوجو هذه الأقسام الأربعة في سلك رواية طويلة متناسقة ساحرة البيان والمعنى ، تثير في كل موقف من مواقفها وكل صفحة من صفحاتها أسمى العواطف الانسانية ، وتبعث فيه كوامن الاشفاق والرحمة . فاسم « البؤساء » وحده يستدر منا الاشفاق ، الاشفاق على جان فالجان الذي دفعه البؤس وحده الى سرقة رغيف من الخبز ، والذي ينبض فيه قلب رجل خير كريم مخلص ، والاشفاق على فانتين تلك الفتاة المسكينة التي أغويت ثم نبذت والتي تبيع حتى شعرها وأسنانها لتطعم ابنتها ، ولا تبيع شرفها الا نزولا منها على حبها الاموي ، والاشفاق على تلك الصغيرة المسكينة التي تعاني على يد أسرة تارديه أمر ضروب الاضطهاد والذلة ، ثم الاشفاق والحب نحو البؤساء والمساكين الذين يمثلهم القس ميريل ، وصلابة الواجب الذي يفهم على غير وجهه في شخص الشرطي جافير .

وهيكل القصة الاول بسيط مؤثر ، فهو يتلخص في نكث جان فالجان بالمنفى وفي تحريره ، وفي توبته وعيشته عيشة رجل خير محب للانسانية في معمل للزجاج ، ثم موت العاملة فانتين ، ودخول ابنتها كوزيت في أسرة تارديه ، ثم قضية شان ماتيو واتهام جان فالجان لنفسه وتسميه باسم مادلين ، ثم اعادته الى المنفى حيث يفر فيطارده الشرطي جافير ويلتجيء الى محلة « بتي بكبيس » . وتسير القصة بعد ذلك في نسق رواية بوليسية يتخذ معظم أشخاصها اسماء مستعارة وتكثر فيها المفاجآت الغريبة وتأخذ القارىء أخذا عنيفا بمواقفها الشائقة .

وقد عني فيكتور هوجو بأن يلزم جانب الحقيقة دائما في قصته وأن يقدم فيها القارئه أشخاصا حقيقيين وأوصافا دقيقة ، وحوادث معقولة ، فاما القس ميريل فهو يمثل شخصية حقيقية عاشت وعرفها فكتور هوجو ودرسها منذ سنة ١٨٢٩ وهي شخصية المونسنيور ميوليس أسقف « ديني » . وكان المونسنيور ميوليس قد آوى ذات يوم مجرما بائسا يدعى بير موران وحمله على التوبة وانتهاج سبيل الخير . وقد وقعت معظم الحوادث التي يقصها فكتور هوجو حقيقة في اسقفية « ديني » سنة ١٨٠٦ ، وهي حوادث يلخصها الواعظ انجلان فيما يأتي : — « في ذات يوم من أيام سنة ١٨٠٦ ، دخل بير موران وهو مجرم أفرج عنه ، مدينة ديني نحو الساعة الخامسة مساء بعد أن قطع يومه سائرا ، وكان في السادسة والعشرين من عمره ، فلما رده جميع أصحاب الفنادق ، وأنهكه الجوع والتعب ، قصـــد بناء على نصح سيدة عجوز ، باب الاسقفية وطرق الباب طرقا عنيفا ، فلبث الاسقف هادئا ، ونزلت خادمته روز الى شاحبة مضطربة وهي تقول — رباه ! من ذا الذي يطرق بهذا العنف؟ ودخل بير موران ، ولم يكن في هيئته مايطمئن ؛ ومع ذلك فقد كان يبدو عليه الوجل والحيرة وعذاب المسغبة ، وكان وجله يتعارض مع كتفيه العريضين ، ووجهه القوي ، وكان جبينه ينضح عرقا ؛ فراعه محيا القس الوديع وغمغم بعبارات لا تفهم ، فهدأ القس روعه وخاطبه بتلك البساطة التي تذهب الى أعماق النفس ؛ وقدم اليه العشاء وهيئت له غرفة للنوم ... ، وشعر بير موران أنه قد تغير وغدا شخصا آخر ، فدخل ممرضا بمستشفى متنقل ؛ وكان قويا متين البنية مثل جان فالجان ، فكان يؤدي عمله كالابطال ، وحمل بين يديه ضابطا جريحا ، ثم عاد بعد ذلك الى منزل القس وأحب ابنة أخته وخادمته روزالي ، ولكنه لم يجرؤ على طلب يدها ، فاختفى وقتل في موقعة واترلو

البقية في الصفحة المقابلة



ماء جديد

للدكتور احمد زكى

الماء من أقدم أشياء هذا الوجود ، فهو لا شك سبق الانسان وسبق الحيوان ، ولا شك سبق النبات ، أليس من الماء كل شيء حي ؟ هكذا قالت الكتب السماوية ، وعليها أمنت الكتب الفلسفية فالعلمية . وقد أدرك خطر الماء الحكماء فى العصور الخالية ، فعدّوه رابع أربعة من جواهر حسبوا الكون بما فيه تكوّن منها ، ومنها فحسب ، بنسب تكبر وتصغر فيتألف منها الجسم الذى ترى بخواصه التى تعرف .

وجرت على هذه العقيدة قرون تلتها قرون . حتى جاءت الكيمياء الحديثة بعناصرها ومركباتها ، وجاءت بجزيئاتها وذرّاتها ، فأفسدت على الحكماء حكمتهم ، وطاحت بالأصول الأربعة التى فرضوها على الوجود ، وأثبتت أن الماء مركب من عنصرين : الأيدروجين والأكسجين ، بنسبة وزنية ثابتة . نعم قد يتغير الماء لوناً وطعماً وكثافة ، فقد يتملح وقد يتطين وقد يتغوّز ، فالغازات تذوب فى الماء كما تذوب الأملاح ، ولكن إيت بالماء من الأرض أو من السماء ، على أى حال تشاء ، ثم رشحه من أوساخه ، وقطّره ليخلص من أملاحه ، واتبع لنقائه أموراً أخرى عديدة تجدها فى مفصّلات الكيمياء ، ثم حلله تجد نسبة الأيدروجين الذى فيه الى الأكسجين ثابتة لا تتغير .

هذه بديهة من بدائه الكيمياء ، فرغ منها العلماء من زمن ، أو حسبوا انهم فرغوا منها . بديهة تنشمك قراءتها لاشك ، كما تشمنى أنا كتابتها ، لولا أن البدائه كثيراً ما تنتابها الشكوك فتعكر عليها سيرها الهادىء فى هذا الوجود المضطرب ، حتى بدائه العلم .

ان الايدروجين أخف الغازات المعروفة ، وذرته أخف الذرات . ومن أجل هذا اتُّخذ وزن ذرته وحدة تقاس بها ذرات العناصر جميعا . ولكن هذه العناصر إن اتحد بعضها بالايدروجين فأمكن ايجاد ذرته ، فان الكثير منها لا يتحد به وانما يتحد بالاكسجين ، فيمكن عندئذ احتساب وزن ذرته منسوبة الى ذرة الاكسجين ، ولكن المراد نسبتها الى الايدروجين حتى يكون أصل النسب واحد ، فكان لابد من احتساب كم من الايدروجين يتحد بكم من الاكسجين ، واحتساب ذلك بدقة كبيرة لان هذه النسبة سيتوقف عليها ضبط نسب أخرى عديدة .

اتجه الكيماويون الى احتساب هذه النسبة الخطيرة ، وهى النسبة التى يتكون بها الماء الذى تشربه وأشربه ، وفى كل عقد

ولم يقتصر فكتور هوجو على أن يتحرى الحقيقة بالنسبة لابطال روايته ، ولكنه ذهب الى تحريها فى أوصافهم واخلاقهم وفى الاوساط والبيئات التى عاشوا فيها متبتدنا فى ذلك الى وثائق دقيقة . وتبدو عنايته الشديدة بالبحث والدرس حينما يقص حوادث موقعة واترلو ، فقد زار مسرح الموقعة الشهيرة ودرس خططها وأماكنها وأوضاعها ، ورجع فى حوادثها الى تواريخ العصر وسيره ووثائقه .

والحقيقة أن « البؤساء » أكثر من رواية وأعظم من قصة ؛ « فالبؤساء » بموضوعها وأوصافها قصيدة رائعة للبؤساء ، ترتفع الى السمو ، وتشدو فيها العواطف البشرية ، ويمثل شدوها فى صورها ؛ هى تنبؤ بليغ حى ، هى نوع من الوعظ الدنيوى يضطرم بنبرات رسول ؟

وفي كل عام يخرج الباحثون بنسب متقاربة كل التقارب ، الا أن بينها فروقاً صغيرة لا تفتأ تظهر عند الحساب ! خطأ في الميزان يا صديقي ، وفرق لابد منه ما دامت يد الانسان العاجزة تقوم بهذه التقادير ، وأجهزته الناقصة هي كل حيلته في الوصول الى بغيته . حسّنوا الاجهزة ، ودققوا في صنع الموازين ، واتخذوا كل حيطة انسانية لمنع الخطأ أن يتسرب ، ولكن هيهات أن تتفق الارقام الناتجة .

حتى كان يوم قريب قدروا فيه هذه النسبة من جديد ، فتبين لهم من الأسباب ما حملهم على الاعتقاد أن الخطأ ليس في التقدير ، ولا في عجز الانسان ولا في نقص أجهزته ، ولكن في الفرض الاساسي الأول : إن ذرة الايدروجين ثابتة الوزن ، وأن ذرة الاكسجين ثابتة الوزن .

عرفت الكيمياء في السنوات الحديثة أن العنصر الواحد قد تتشكل ذرته أكثر من تشكل واحد . فالزئبق والكلور والبروم والبكرنتون والزينون وكثير غيرها لكل منها شكلان فأكثر تتفارق في الوزن تفارقاً صغيراً وتتقارب في الخواص تقارباً كبيراً . وإذن فلم لا يتشكل الايدروجين أو الاكسجين أو كلاهما مثل هذا التشكل ؟ لم لا يكون للايدروجين ذرتان ، ذرة خفيفة وذرة ثقيلة ، وإذن لم لا يكون للماء جزيئان ، جزيء خفيف وآخر ثقيل ، أعني لم لا يكون الماء ماءين ، ماء ثقيل يليق بالحلاقيم الغليظة للجنس الخشن من الرجال ، وماء خفيف يتفق والجنس اللطيف من الآلى يدميهن الحرير ويؤذيهن النسيم .

العلم يتخيل فيخال ، وإذا بالخيال حقيقة . وتلك الحقيقة أثبتها الأستاذ لويس Lewis ، وذلك بأن أمرّ التيار الكهربائي في الماء يحلله الى ما هو معروف الى عنصريه ، فأثبت أن الايدروجين الخفيف هو الذي يصعد من الماء أولاً ، وأنه عند ما يتحلل أكثر الماء تتبقى منه بقية صغيرة هي الماء الثقيل الذي يحتوي الايدروجين الاثقل .

أعيدت هذه التجربة بصورة أكبر فتنج عنها « ماء ثقيل » أكثر تركزاً . وخالوا إن الذي يأتي به التحليل بالكهرباء يأتي به التقطير بالنار ، فقطروا الماء فحصلوا على نفس النتيجة . كم من ألوف حللوا الماء ، وكم من ألوف قطروه في الاجيال المنصرمة ، وفاتهم جميعاً كنه ما يصنعون .

ومن الغريب أن هذا الماء الجديد سم . نعم سمّ برغم أن الماء أصل الحياة . وضعوا فيه فراخ الضفدع فماتت في ساعة ، ووضعوا فيه سمكاً فمات في ساعتين ، ووضعوا فيه دوداً فمات في ثلاث . ولكن بالطبع كان هذا « الماء الثقيل » مركزاً تركيزاً كبيراً ، فقد كان تركيزه ٩٢ في المائة . ولما أضافوا اليه « الماء الخفيف » حتى بلغ تركيزه دون الثلاثين في المائة عاشت فيه كل هذه الاحياء . « والماء الكثيف » يوجد في ماء الشرب العادي بقدر جزء واحد في كل ٢٥ ألف جزء أو نحو ذلك . فهو لا أثر له في الانسان . بل على النقيض قد يكون فيه نفع له . أليس كثير من العقاقير كالزرنيخ والاستركنين سماً زعافاً . ومع هذا يعطى للمرضى بمقادير صغيرة فيكون فيه الشفاء من أدواء ؟ على أن أثر هذا الماء الجديد في الأحياء الراقية ومنها الإنسان لم يمتحن بعد ، فالحصول على المقدار الكافي منه لا يزال عملاً عسيراً .

ويختلف « الماء الثقيل » في خواصه الطبيعية عن الماء العادي ، فهو لا يتجمد على درجة الصفر المئوية بل في نحو درجة ٤ ، وهو لا يغلي على المائة بل على نحو درجة ١٠١ . فاذا ذكرنا أن درجة الصفر ودرجة المائة ان هي الا درجات اصطلاحية ، تعريفها أنها درجة تجمد الماء ودرجة غليانه على التوالي ، حق لنا أن نبتسم ابتسامة خفيفة لما حاق بعلم الحرارة من اخلال بأساسات مقاساته ، وقد كان عدّها الفيزيائيون ثابتة تتزعزع الجبال وهي لا تتزعزع .

ونال الفيزيائيَّ غير هذا الاخلالُ جديد في أساس أوزانه . فالجرام ماهو ؟ أليس هو وزن سنتيمتر مكعب من الماء ؟ ولكن أي ماء ، ثقيله أم خفيفه ؟

البقية في الصفحة المقابلة



على أن هذه اختلالات لا تؤثر فى حوائج العلم العادية ، ومطالب الحياة الجارية ، فعين الانسان قاصرة ، ترى الكون كتلا كبيرة ولو ظنتها جسيمات صغيرة ، ويده تحس الكون كذلك كتلا ، وأنفه يشم الكون اجمالا لا تفصيلا ، وأذنه تسمع انغامه وتظن أنها تستطيع ادراكها نغمة نغمة ، ولو ان كل نغمة منها أنغام تحتوى أنغاما ، وهو مستمتع فى كل هذا بقصور حواسه ، قانع برؤية الوجود غبشا وضبابا ، مادام لا يحس أنه غبش وضباب ، فلننس ما كان من تحقيق العلماء وتدقيقهم ، ولنشربه زلالا سائغا خفيفه وثقيله ، وعلى الدنيا وعلى العلماء العفاء .

أحمد زكى

قصة شامية ريفية

المجنـــونة

للاستاذ على الطنطاوى

قالت ربة المنزل ، وقد حف بها اولادها واحفادها ؛ وجلسنا نحن على مقعدين نصبوهما لنا فى صدر الغرفة :

اصغوا الى فانى قاصة عليكم الليلة قصة واقعة . شاهدت حوادثها بعينى رأسى . ولا يزال أشخاصها احياء يرزقون ، وليس كل ما تمتاز به انها واقعة ، ففى الواقع كثير من التوافه ، ولكنها تمتاز بأنها مؤثرة وان فيها عبرة .

***

كنت صغيرة . لا أكاد أدرك ...

— إذن فالقصة منذ ستين سنة على الاقل !

فرمت المرأة صديقى بنظرة تأنيب على هذه الاهانة التى تلقاها بها ؛ واستمرت فى حديثها :

.. كنت بنت سبع سنين يوم دخل «رظا» افندى البلد . وإنى لأذكر ذلك بوضوح على رغم طفولتى وقدم العهد ... لأن بلدنا كان يومئذ معتزل العالم ، وكان مرور الجند فى البلد . أو زيارة غريب أو سفر أحد الفلاحين الى دمشق . يعد حادثا تاريخيا يلهج به الفلاحون شهورا . ويتخذون منه مادة لاحاديثهم فى أسمارهم ، وكان اليوم جمعة فلم يرع الناس وهم منصرفون من الصلاة الا شبح شخص يلوح فى الحرة (١) المحيطة بالبلد ، ثم بدو واضحا واذا هو رجل طوال منحن يمسك بيمناه عصا طويلة قد علق بها صرة كبيرة ، ويجر بيسراه طفلة له ، وكانا يجدان عناء فى تسلق هذه الصخور والقفز على هذه الاحجار السوداء الحديدة الجوانب ، حتى أن الطفلة سقطت أكثر من مرة . فكان الرجل يقيلها ، ويصب فى أذنها كلمات حلوة معسولة ، ويشير لها الى البلد ، فتعاود المسير يحفزها أمل بارق ، فى ظلام من اليأس

تجمع الناس فى رحبة البلد ، ينظرون اليهما ، وتطوع فريق منهم للأخذ بايديهما ومساعدتهما ، وأخذ رجل حماره ليركبهما ، وعمد آخر الى شىء من الخبز والجبن وقمر الدين فاخذه اليهما زاعما انما قد حطمهما الجوع ، وحملت امرأة جرة ماء مؤكدة أن ليس بهما جوع ولا تعب ، ولكن الضرب فى هذه الحرة المحرقة ثلاث ساعات من الكسوة الى زاكية ، ثلاث ساعات فى هذه الظهيرة اللاذعة قد قتلهما عطشا

ولم تشأ المحدثة أن تفلت هذه المناسبة دون ان تعظ اولادها وتصف لهم جلال الاخلاق الماضية وجمالها فقطعت قصتها وقالت :

— أرأيتم ؟ هكذا كان الناس : يساعدون الغريب ويواسونه بنفوسهم ، لا كما تصنعون انتم اليوم

— فقلت : ولكن الرجل ؟ هل أكل ما حملوا اليه من طعام ؟

— قالت : كلا ، كان مريضا فلم يأكل شيئا . أما البنت فقد كانت ساغبة لاغبة ، فأكلت وشربت ثم نامت مكانها من التعب .

(١) الحرة أرض ذات حجارة سوداء بركانية وقرية زاكية الحورانية التى نحدث عنها فى وسط حرة

حملوا الرجل وابنته الى دار الشيخ ، وكان المرض والضعف قد بلغا بالرجل . فارادوه على الطعام ليشتد أزره فأبى . فعرضوا عليه الدواء الذى يتخذونه لمثل علته فرفض ايضا : — لااريد . لااريد شيئا . لاتفكروا فى . انى ميت . قد انتهيت ، ولكنى موصيكم بهذه الطفلة فهى أمانة فى اعناقكم . لقد غالبت الموت حتى بلغت بها هذه القرية ، قد حملتها فوق ما يطيقه انسان ، لقد جابت معى البلاد كلها من القسطنطينية إلى هنا ، من القسطنطينية الى زاكية فى ست سنين لم نذق فيها ليلة هناء واحدة .

وأطبق عينيه وفمه . وسكت ، وحاولوا ان يفهموا منه شيئا آخر فلم ينبس . واعترته حال غريبة لم أكن أعرف يومئذ ما هى ، ولكنى فهمت منها ، ومن صوت الرجل الذى خرج خافتا رهيبا كأنه خارج من قبر ، ومن وجهه الشاحب النحيف ، وأنفاسه المتقطعة ولهجته الغريبة ، إنه ليس كمن أرى من رجال ، وإن له لشأنا . . ولكنى لم أستطع البقاء أكثر مما بقيت فعدت الى الدار كيلا تضربنى أمى

وفى الصباح سمعت أن الغريب قد مات — مات ليلة قدومه كأنما قد طوف فى بلاد الله هذا التطواف لينام الى الابد على هذه الحجارة السوداء ، ويستمتع بحلم طويل إثر رحلة شاقة !

* * *

بقيت الطفلة وحيدة فكفلتها زوجة شتيوى ، وكان شتيوى من شيوخ البدو المقيمين فى هذا البلد . وكان غنيا موسراً ، ولكن زوجه عاقر لم تأته بولد طيب صالح يعلمه الفروسية والرمى ، ويستخلفه فى أهله وماله ، على الرغم من أنها راجعت الاطباء والمنجمين والمشايخ والمشعوذين فى دمشق وفى قطنا ، واصطنعت عشرات الأدوية والتمائم فلم ينفعها ذلك كله فتيلا . فيئست . . ولما كفلوا هذه الطفلة تلقتها بسرور . واتخذتها ابنة لها . . .

كانت الطفلة فى التاسعة من عمرها يوم مات ابوها . فلم تلبث فى بيت شتيوى سنين حتى نمت واكتملت ، وغدت أجمل فتاة فى البلد ، ولكنها كانت غريبة عن نساء البلدة فهى شقراء ، لها عينان زرقاوان ، وجسم متناسق جميل ، كانما هى أحدى الفتيات اليونانيات اللاتى عرفناهن فى حى المهاجرين فى دمشق

— بل كأنما هى ديان ، غادية الى الصيد !

— وكانت تجول كل يوم فى هذه الصخور ، لا كما يجول نساء دمشق اذ يمشين متباطئات متكاسلات نصف ساعة فى طريق المنشية ، أو فى شارع بغداد ، ثم يعدن فى عربة ، بل كما يجول الراعى النشيط ساعتين او ثلاثا تقفز فيها كما يقفز الغزال الشارد ، كأن لها خفته وملاحته .

وكانت غريبة فى طباعها وأخلاقها ، كما كانت غريبة فى شكلها وصورتها ، فلما اكتملت انوثتها وتفتحت زهرة الحب فى قلبها ، لم تجد لها قاطفا ، إذ لم يكن فى الناس من يجرؤ على الزواج بفتاة لقيطة لاتعرف اسرتها ولا يعلم نسبها ، فضلا عن انها تقرأ ، وانها قد قرأت كل ما كان مع أبيها من كتب وحفظت ما فيها من كفر وترهات

* * *

كانت الفتاة تعود الى البيت حينما تعود الشمس الى خدرها ، فتملأ البيت طربا ومرحا ، فلما كان ذلك اليوم الذى قلب عليها حياتها ، لم تعد الا فى ظلمة الليل ، وكانت تهبط الصخر بحذر تحمل شيئا ثقيلا حتى بلغت الدار فولجتها وقد انهكها التعب ، ولكنها كانت هاشة باشة ككل فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، فوضعت حملها برفق على احدى الارائك ، وقالت لامها فى سذاجة :

— هاك زوجى ! وجدته طريحاً عند الصخرة الشرقية . وقد أغمى عليه من هذا الجرح ، ستعنين به أجمل عناية حتى اذا ما شفى تزوج بى . . أليس كذلك ؟

فهزت المرأة رأسها وقد حدثها قلبها وقلب المرأة (ترمومتر) الحياة — بكارثة ، ولكنها لم تجد مجالا للقول فانصرفت الى العناية بالجريح — وكان ضابطاً ألمانيا جميلا قد خرقت صخرة قذاله وشجته شجاً عميقا . ودعت المرأة زوجها فشرع يعالجه بالبلسم والحراقة وما اليها من الطرق البدوية التى قلما تخطىء فى مثل هذه الحالات . والفتاة متعلقة به تسأله عن مبلغ الأمل فى شفائه ، وترجوه ألا يدخر وسعاً فى معالجته ، لانها تود شفاءه ليكون لها زوجاً ، ولما تمت العملية ألقت المريض على سريرها . والحت على الرجل وزوجه أن يدعا خدمته لها . ففعلا

جثت أمام السرير كما يجثو العابد فى صلاته . وراحت تتأمل وجهه وعينيه المغمضتين فى ذهول عميق ونشوة غريبة . وتجرؤ أحيانا على مس شعره الأشقر المتهدل على العصابة مساً رفيقاً ، كما يمس المرء شيئا يقدسه ويخشاه ثم تقبض يدها فى سرعة . .

— نديدة ! نديدة !

— نعم يابابا

— ألم تنامى بعد ؛ دعى المريض فانه لن يفيق من غيبوبته قبل الصباح

— نعم ، سأنام

ولكنها لبثت جاثية أمام السرير

لبث الرجل وزوجه ينصحانها. يحاولان أن ينزعا غرس الحب من قلبها قبل أن يقوى ويشتد، فكانت تعرض عنهما وتعيد أبداً كلمتها الأولى: هذا هو زوجي

مر على هذه الإمسية عشرون يوما لم تفارق فيها الفتاة الضابط ولم تعد تجول كما كانت تجول ولم تعد تفكر في شيء... وكان الناس يتساءلون عن صلة هذا الافرنجي الكافر باسرة شتيوي، فاذا قيل لهم إنه مريض وإنهم يعالجونه.. انصرفوا الى أعمالهم ساخرين.

وصحا الضابط وذكر كيف خرج يتصيد بجره الصيد الى هذه القرية: وكيف زلت قدمه فوقع من ذروة الصخرة، وأحس بالدم الحار يسيل على عنقه، ثم لم يعد يذكر شيئا... الا أنه فتح عينيه فوقعتا على عيني فتاة جميلة، حسبهما في الوهلة الاولى، عيني زوجته الفاتنتين الزرقاوين، وأنه وجد نفسه على سرير نظيف محاطا بالعناية والعطف، وأنه لبث ينظر الى الفتاة في صمت وخشوع وشكران نظرات طويلة، ثم مد يده الى يدها الرخصة اللينة فاخذها الى فمه، ليخط عليها أول كلمة من القصيدة التي تضطرم بها نفسه، قصيدة الشكر للجميل، والشوق للجمال، وأن الفتاة لازمته بعد ذلك ملازمة الظل، وحرصت على سروره وهنائه، فكانت تحدثه أطيب الاحاديث البدوية وألذها، فكان يجيبها بعناء ومشقة، لضيق العربية عليه، ويعجزه أن يأتي بالكلمة المناسبة فيأتي بها بالالمانية فتفهمها الفتاة وهي لا تعرف من الالمانية كلمة، كأنما هي في قلبه، أو كأنما هو - وذلك اصح - في قلبها، ولكن شيئا من ذاك لم يتجاوز في رأيه صلة المجاملة والمتعة بالجمال..

أما الفتاة المتفتحة للحب فقد كانت ترى في هذا كله علامة على الحب الصادق الذي كانت تتوق اليه وتحلم به. وقد ابتغى لها الضابط شتى المعاذير في هذا الموقف حينما أخبره به الشيخ شتيوي، وأعطاها كل الحق في أن تحب. أما أن تصر على اتخاذه زوجاً لها وهو الرجل الألماني المتزوج، وهو الموظف الذي لم يبق من أجازته غير أسبوعين. فأمر مضحك لم يستطع برغم احترامه لشتيوي وشكره إياه إلا أن يتلقاه بقهقهة طويلة مجلجلة..

— ما هي جريرتي اذا هي قد أحبتني؟ إني لم أشجعها على هذا الحب. ولم أقطع لها أي وعد بالزواج. وما وقفت منها الا موقف الرجل المهذب الشاكر. ففسرت ذلك بأنه الحب

ولكنه تألم إذ يحمل إلى الفتاة التي حملت اليه البرء والحب الألم واليأس. ويجرب الأعراض والاساءة اليها علها تنساه. وتتقطع هذه الصلة بينهما من غير أن تخلف وراءها قلبا داميا. فلم يفده ذلك شيئا، وازداد حب الفتاة اضطراما. فأزمع السفر مضطراً وأزف الوداع فتعلقت به وأبت أن تفارقه.. وأعرضت عن كل نصيحة، ولم تنفع فيها موعظة ولا زجر. فاقتربت زوجة شتيوي من الضابط وهمست في أذنه كلاما فعاد طلقا مستبشراً. فأمسك بيدي الفتاة بحنو وقال لها:

— سأعود لأتزوجك. فدعيني أذهب لأعد عـــدة الزواج. سأعود... فتركته الفتاة مصدقة، ووقفت على الصخرة التي لقيته عندها تبكي وتشير اليه بمنديلها حتى اختفى. فعادت إلى البيت تقول لأمها:

لقد وعدني أن سيعود. سيتزوجني!

— نعم سيعود!

*
* *

مر شهران تصرم فيهما صبر الفتاة. فكانت تمضي نهارها حيال خريطة قديمة كانت بين كتب أبيها تنظر فيها: وتحاول أن تعرف أين تقع ألمانيا من وجه الأرض، وكم هي المسافة اليها. ولكنها لم تكن تعرف شيئا عن البحار ولا عن الوسائط النقلية. فكانت تصوراتها لا تعدو أن تكون أحلاما مبهمة

وكانت تبكي بكاء خافتا وهي مكبة على الخريطة، وتستعيد في نفسها صورة الضابط وصوته وحركاته. ثم تعاود البكاء والنشيج، أما هو فقد نسيها. ولم يذكر اسمها الا مرة واحدة. في كتاب أخرجه عن الشرق.

*
* *

وقطعت المرأة حديثها لأن الباب قد انفرج عن عجوز منحنية على عصا طويلة تصرخ صراخا مزعجا. وتهذي بكلمات مبهمة. ووراءها سرب من الصبيان يقرعون بأيديهم الحجارة ويصيحون

مج.. مج.. مجنونة! مج.. مج.. مجنونة!

فلما نجت منهم، ألقت بنفسها على عتبة الباب، وجلست تبكي بكاء أليما...

فهمست في أذن ربة الدار:

— من هذه المجنونة؟

— إنها صاحبة القصة ياسيدي...!

دمشق — علي الطنطاوي

٢ ـ شهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة الامتحانات والسجلات بوزارة المعارف

مدير المحطة الدكتور كرسلاند كما أسلفنا وهو عالم بيولوجي له خبرة حسنة بحياة المرجان وأجناسه وتطوراته ، وهو في العقد السادس من عمره ؛ طويل القامة ؛ صحيح الجسم ؛ وسيم الوجه ، لطيف المعشر ؛ اذا تكلم رفع صوته لثقل في سمعه ؛ وهو جم النشاط تجده في المعمل ؛ ثم تراه في المكتب ؛ ثم تلقاه في الطريق ، ثم تعثر عليه في الجراج ، ثم تبصره في البحر ، ثم تعلم أنه في مركز الشركة ينظم وسائل نقل الماء مثلا ، وهكذا فهو حركة دائمة تلقاه في كل مكان . ولعل من أحسن فضائل الرجل حبه الشديد للمحطة ورضاءه التام عن حالة العزلة التي يعيش فيها

كان الجو طوال المدة التي مكثناها بالغردقة معتدلا ، فلم تعد درجة الحرارة في معظم الايام درجة الثلاثين على الترمومتر المئوي مع جفاف شديد في الهواء قل أن تجده على شواطىء البحار ، ونسيم البحر دائم الانطلاق ، وأحيانا يشتد حتى لينقلب في بعض الليالي الى ريح عاصفة ، تثير الامواج وتهز البيوت وتقلق المضاجع

وماء البحر بالقرب من الشاطىء دافىء لا يجد فيه الكثيرون من هواة الاستحمام في الشواطىء المصرية الشمالية متعة البحر ولذته ؛ كما أن السباحة فيه أحيانا غير مأمونة العاقبة لوجود سمك القرش بكثرة في هذه الجهات

كان الباعث للرحلة عمل مباحث واسعة النطاق على الطفيليات التي تعيش في اسماك البحر الاحمر ، وقد استحضر معه الدكتور عبد الخالق بك جميع مايلزم لهذا البحث من أجهزة علمية ومواد كيميائية ، ملأت صندوقين كبيرين من الخشب ؛ وعقب وصولنا وضع الدكتور الخطط الكفيلة بتحقيق الغاية على الوجه الذى أراده ؛ فكان صيادو المحطة يخرجون كل يوم للصيد في قواربهم الصغيرة (الهورى) ويعودون بها عند بزوغ الشمس موقرة بانواع السمك المختلفة بين صغير وكبير ، وعند وصولها يستقبلها الدكتور ومساعدوه ويشرعون في الحال في ترتيبها ال . . . تشق بطونها وتفحص محتوياتها بالمجهر بالعناية والتدقيق وطول الأناة التي يستلزمها البحث العلمي

وكانت هذه العمليات المتشعبة وما تستلزمه من كتابة اسماء وتدوين مشاهدات ، وضبط اسماء الانواع وقيد الصفات ورسم الاشكال وحفظ العينات والنماذج ؛ تستغرق اليوم كله ، واحيانا شطرا من الليل ، ومع تشابه هذا العمل وتكراره اليوم بعد اليوم فانه لم يزد الدكتور الا إمعانا في البحث ؛ وتوافرا عليه من غير كلل أو ملل ؛ فيذهب الى معمله مع بزوغ الشمس ، ولا يفارقه الا اذا خيم الظلام ، وكثيرا ما كان يعود اليه بعد العشاء ، مستضيئا بنور شمعة أو مصباح ضئيل لإكمال بحث النهار : همة عالية تدلك على ان الشهرة العلمية لا تأتي الناس عفوا ، بل هي غالبا نتيجة الكد والمثابرة والتدقيق والاستقصاء .

(٣) أسماك البحر الاحمر

اشتهر البحر الأحمر منذ القديم بالغنى في انواع السمك واجناسه ومقاديره ، فهناك في بطن الماء ثروة طائلة هائلة لمن يسعده الحظ فيكشف عن وسيلة للتغلب على شعب المرجان التي تحول حتى الآن دون استغلال هذا المورد الخصب استغلالا واسع النطاق



سمك القرش

اما عن الانواع والاجناس فتبارك الله مبدع الكائنات : سمك صغير رقيق بطول العقدة ، ووحش بحرى هائل ، بطول أربعة أمتار ، وسمك عريض الفك جاحظ العينين مبطوط الرأس ، وآخر استطال فمه حتى كأنه الحربة غارت عيناه وبرزت وجنتاه ؛ وسمك



السمك أبو حربة

ناصع البياض مع تناسب في الوجه ورشاقة في القد حتى كأنه شركسية من أهل الشمال ؛ وآخر أسود الجلد غليظ الوجه ضائع

الشكل حتى كأنه زنجية من خط الاستواء ، وسمك مقوس الظهر مدكوك الرأس حتى كأنه القزم ، وسمك ممشوق القامة طويل الذيل ممطوط الرأس حتى كأنه العملاق ، وسمك رفيع طويل كأنه الثعبان وآخر ممدود الرأس مجنح الزعانف كأنه الطير ، وسمك كالصندوق


في مياه البحر الاحمر : ابو الكرامح (التجمه)

سمك الراي

شكلا وهيئة ، وسمك على شكل الفرس القافز ، وآخر على شكل قطعة من الصخر في اللون وعدم الانتظام ، وسمك احمر ذهبي وأصفر واخضر وازرق واسمر ، وسمك مخطط بخطوط سوداء وبيضاء أو سوداء وصفراء ، أو حمراء وزرقاء ، أو جمعت هذه الالوان بالطول أو بالعرض ، وسمك هادىء وديع ، وآخر هائج عنيف ، وسمك سام يلسع بأبرة مثبتة في جسمه أو على ظهره أو في طرف ذنبه كأنه العقرب ، وبعض هذه الانواع مسلح بزوج من هذه الابر واحدة على كل جانب ، وسمك يغطي جسمه زغب صغير سام من مادة صلبة كأنه الشوك وهكذا ، وقد عددنا من هذه الاشكال مائة وخمسين نوعاً وهو قليل من كثير يقطن الابعاد والاعماق ، ولهذه الانواع اسماء دارجة يعرفها الصيادون ، وقلما يخطئون في التمييز بينها مع وجود تشابه كبير بين بعض هذه الانواع . وهاك اسماء بعض الاسماك التي تعيش في منطقة الغردقه بالقرب من الشاطىء نذكرها على سبيل المثال لا لغرابتها فحسب بل لدلالتها : الجم والجانح والبشراكة والمعجبية وشك الزور والقصبة والدراك والبومة والسيبيا

ومن العجيب أن أكثر هذه الانواع تفقد الوانها البراقة الجميلة بعد اخراجها من الماء بقليل وتصطبغ بلون أسمر قاتم — وسمك القرش أكبر حيوانات المنطقة وأشدها بأساً ، وهو كبير الرأس عظيم الجسم واسع الفم حاد الاسنان تهلع من رؤيته الاسماك ويخافه الصيادون . ومنه نوع يهاجم الانسان ويحاول اختطافه ، وربما ينهش منه شقاً أو ذراعاً — ومن الغريب أن سمكة صغيرة بطول القدم تعيش طفيلية عليه فيحملها على رأسه لاصقة بجلده تتغذى من فضلات طعامه وهو بذلك راض مسرور


مام المعامل : سمك القرش وقد جلس خلفه صياد !!

(٤) في حقول المرجان

يفاخر الدكتور كرسلاند بحديقته المرجانية ويشيد بذكرها ويشوقك لزيارتها فكنت أصغي لوصفه الشعري وأنا بين الشك واليقين إلى أن رأيت حديقته بل بساتينه بعيني فقلت في نفسي تالله لقد قصر الرجل ، فحديقته اجمل وابدع مما وصف :

ركبنا « اللنش » المحطة صباح أحد الايام فخرج بنا الى عرض البحر على مسافة اربعة كيلومترات ، ثم وقف بنا أمام جزر متتابعة متلاصقة بينها فجوات كأنها بحيرات ، ويغطي سطح الجزر ماء البحر على عمق قليل ، فنزلنا من اللنش واخذنا نخطو فوقها ونحن غائصون في الماء الى مافوق الركب ، وبعد سير شاق فوق العشب لم يتجاوز بضع دقائق وصلنا الى شاطىء غاطس تتكسر فوق حوافيه امواج البحر بشكل بهيج يسر الخاطر ، وبعد خطوات اخرى اشرفنا على جرف مواجه للامواج يغوص في الماء بانحدار ، ولم تكد تقع عيوننا على سطح المنحدر حتى ارسلنا صيحات الدهش والتعجب : منظر ملك علينا المشاعر ، فقاع البحر قد كسته لمسافة كبيرة خمائل كثيفة ذات الوان زاهية جميلة بين حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء وسمراء ، وقد امتدت على الجوانب وفوق المرتفعات وبين الصدوع على اشكال متباينة متآلفة تخالها خمائل الازهار في بستان الامير وقت الربيع

(يتبع) الدمرداش محمد

النقد

كتاب النثر الفني في القرن الرابع

تأليف الدكتور زكي مبارك

للأستاذ أحمد أمين

ان كان أخي « المازني » قد استطاع بلباقته أن يكتب عن هذا الكتاب مقدمة بلا موضوع ، فلأحاول في مقالي هذا – للموازنة – أن أكتب عنه موضوعا بلا مقدمة ؛ وان هو وقف الكلام عند محاولته ان يأخذ الكتاب من المجلد ، فلأصل ما قطع وأكتب من حين تسلمت الكتاب من المجلد

***

أول ما يطالعك من الكتاب شكله وحجمه ، فيعجبك شكله ، ويبهرك حجمه ، وما ظنك بكتاب طبع في دار الكتب على ورق جميل في جزأين يقعان في نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ؟

ثم المقدمة ، وفي الحق أنها لم تعجبني كثيرا ، فقد تحدث المؤلف فيها عن نفسه طويلا « فالكتاب أول كتاب من نوعه » « والكتاب أول منارة أقيمت لهداية السارين في غيابات ذلك العهد السحيق » « والمؤلف أول من كشف النقاب عن نشأة النثر الفني في اللغة العربية وقهر المستشرقين ومن لف لفهم » وهكذا يمضي المؤلف في تعداد أولياته وهي طريقة لا أستحسنها ولا أستسيغها ، وأظن ان كثيرا من القراء لا يستحسنونها كذلك ولا يستسيغونها ، فخير للمؤلف ان يتوارى وراء ما كتب ، ويدع الناس يحكمون له أو عليه لا أن يتقدم هو بالحكم لنفسه ، ويقطع الطريق على القراء والنقاد ، ويعجبني في ذلك ما نقله المؤلف نفسه في ثنايا الكتاب عن أبي هلال قال « ومن صفات الشعر التي يختص بها دون غيره أن الانسان اذا أراد مديح نفسه فأنشأ رسالة في ذلك أو عمل خطبة فيه جاء في غاية القباحة ، وان عمل في ذلك أبياتا من الشعر احتمل » نعم ان المؤلف لم يرتض هذا الرأي ، وأباح ذلك اذا جرى مجرى الدفاع والمفاخرة ، ولكن الكتاب ليس موضع دفاع ولا مفاخرة ، وانما هو موضع تقرير لحقائق يراها ويعرضها على القراء ، ثم هم قد يخالفونه فيها وقد يوافقون ، وقد يقدرونها تقديرا عاليا وقد لا يقدرونها ، وعلى كل حال فلهم القول الفصل لا للمؤلف ، فمن من المؤلفين لم يعجبه ما ألف ولم يرقه ما كتب ، وانما كتب الخلود لما قدره الناس لا ما قدره المؤلف – شعر المؤلف بذلك وأراد أن يعتذر عنه « بأنها ثورة نفسية : أنطقه بها ما رآه في زمانه من غدر وعقوق » ولكن هل هذا القول يداوي الجرح ويبرئ المرض ؟ أخشى أن يحمل الناس على الالحاح في العقوق والامعان في الغدر ، لأن النفس مولعة أبدا بكراهية الحديث عن النفس ، ومن طبيعتها أن يحملها امعان المادح في مدح نفسه على امعانها في التنكر له وجحد فضله ، بل أخشى أن يكون هذا بعينه هو السبب في الغدر والعقوق ، فقد اعتادت النفوس أن تقابل الافراط بالافراط والغلو بالغلو.

ان يكن المؤلف قد خانه التوفيق في المقدمة فقد صحبه الى درجة كبيرة في الكتاب ، فهو نتيجة مجهود صادق وبحث طويل شاق ، أتى فيه بمقدمة في الموازنة بين الشعر والنثر ، ثم تطور النثر من عصر النبوة الى القرن الرابع ، وتكلم في نشأة النثر الفني ، والسجع وأطواره ، وخصائص النثر في ذلك العصر وأنواعه ، ثم أشهر الكتاب في كل نوع ونماذج من كتابتهم ، وتحليل لآثارهم.

وطريقة بحثه في كل ما بحث سليمة ، جارية على الاسلوب الحديث في العرض والنقد واستقصاء ما في الوسع في الرجوع الى المصادر ومقارنة بعضها ببعض ، والشجاعة في ابداء الرأي ، والقارئ قد يخالفه في بعض ما قال ويرى رأيا غير ما ذهب اليه ، ولكنه على كل حال يقدر ما بذل المؤلف في تكوين رأيه وتأليف حججه . ثم هو قد وفق الى آراء جديدة له فضل الجد في استكشافها ولفت النظر اليها ، وآراء صقلها وعرضها في حلة جديدة . واني ان احترمت الكتاب من الناحية العلمية والعقلية ، فأني ناقده من جهة الذوق ، وذلك أن الدكتور زكي مبارك كلما رأيته أو استحضرت صورته ، أشع علي معنى غريبا يصعب تصويره ، وربما كان أقرب تصوير له رجل

يمسك بيسراه كتابا فيما فيه علم غزير . وأدب وفير ، وبيده اليمنى عصا أشهرها ، ثم هو يطلع الناس على ما فى كتابه من طرف فمن هم أن يفتح فاه بنقد أو مخالفة قنعه بما فى يمناه ، بل قد يؤمن الناظر بما يعرض عليه ، فلا يعجبه الاستسلام وهذا الايمان فلا يزال يهيجه حتى يبدأ بالمخالفة أو يظن أنه سيبدأ بالمخالفة فيشهر عليه العصا ، بل قد يكون السالك على علم بذلك فيتنحى عن كتابه وعن عصاه وينتحى ناحية أخرى فيسرع الدكتور ليسد عليه المسلك ويأبى أن يفسح له الطريق حتى ينظر فى الكتاب ، فاذا نظر فالنتيجة محتمة ، واذا لم ينظر فالنتيجة هى هى أيضا ؛ وهى العصا

هذا ما كان يشعه على الدكتور زكى ، فلما قرأت كتابه النثر الفنى تأكد هذا المعنى وتجسم ، وما أدرى أقرأت الكتاب بهذه العين التى تكونت ، أو قرأته محايدا وقراءته زادت هذا المعنى وضوحا

تجلى هذا المعنى فى أنه يعرض آراء قيمة وافكارا عنى بدرسها ثم اذا به يظفر فيحتك بمؤلف أو كاتب فلا ينقده نقد عالم لعالم ولكن نقد مصارع لعالم . إن شئت فانظر اليه وهو يعرض لرأى الاستاذ مرسيه ـ أستاذه وشيخ المستشرقين فى فرنسا ـ اذ يقول « وهناك رأى مثقل بأوزار الخطأ والضلال وهو رأى المسيو مرسيه ومن شايعه » ثم تقرأ رأى الاستاذ مرسيه ومن شايعه ، فاذا هو رأى جدير بالاحترام باعث على التفكير ، صالح لحسن التقدير ، وهبه كان رأيا سخيفا وفكرا تافها ، وقولا لا يؤبه له ، فليست هذه لغة العلماء فى النقد ، ولا طريقتهم فى الرد .

نعم قد يكون نقدهم فى بعض الأحيان لاذعا ، ولكنه ـ على كل حال ـ يصاغ بلباقة ، وقد جرى المؤلف على هذا السنن مع الاستاذ مرسيه وغيره مما لا شأن لنا بتفصيله ، ومما يزيد الأمر عجبا أنه شديد قاس فى بعض النقد ـ كما رأيت ـ ولطيف لبق فى البعض الآخر ، ولا ندرى من الناحية العلمية لم كان لطيفا لبقا هنا ، وقاسيا صارما هناك ، فقد قلبنا الأمر على وجوهه فلم نجد ذلك يرجع الى قوة رأى المخالف وضعفه ، ولا قوة الحجة وضعفها ، إلا أن يكون لشىء غير الرأى وغير العلم وهذا ما لا أدريه .

كذلك آخذ عليه أشياء لم تتفق والذوق قرأتها فضربت أذنى وانقبض منها خاطرى . مثال ذلك ما جاء فى صفحة ٩ و ١٣ و ذيل ص ٦٠ و ٦١ و ذيل ٦٥ الخ

ثم هندسة الكتاب لم تخل من نقد ولم يشع فيه التناسق ، فحجرة صغيرة وحجرة كبيرة ، بل وحجرة لم تكن كان يجب ان تكون ، وباب كبير وباب صغير ، وقد يكون هذا معقولا اذا دعاه الحال واقتضاه المقام ، ولكن لم يكن كذلك فى هذا الموقف ، فقد تحدث مثلا عن المقامات ونشأتها فأفاض وأنفق عن سعة ، ولم يحدثنا كثيرا عن رسائل اخوان الصفا ونشأتها . قد يتبادر الى الذهن انه عنى بالمقامات لأنها ألصق بالأدب ، ولم يعن برسالة إخوان الصفا لأنها أدخل فى الفلسفة والعلم ، ولكنه فى الكتاب تعرض للاسلوب العلمى كما تعرض للاسلوب الأدبى . على ان فى رسائل إخوان الصفا نواحى أدبية عديدة أقر بها المؤلف فاقتبس منها رسالة الانسان والحيوان ، وقد اعتذر عن ذلك بأن الباحثين أطالوا فيها القول قديما وحديثا ، وهو عذر لا نوافقه عليه بحال ، فمجال القول فى اخوان الصفا ذو سعة . والى الآن لم تبحث الرسائل بحثا وافيا ، ولم يقل فيها ما يشفى النفس ويثلج الصدر .

وفيما عدا ذلك فالكتاب قيم ، يقف القارىء على أشياء كانت دفينة ، وآراء نظمت كانت شتيتة ، ويلفت نظر الشباب الى جمال فى الأدب العربى كان قد عفى عليه الزمان ، ويعبر عن ذلك كله بلغة العصر فيقربه من نفوسهم ، ويحببه الى أذواقهم ، ويفتح أبوابا لبحث العلماء وتفكيرهم فله على ذلك الشكر .

المجمع المصرى للثقافة العلمية

المجمع المصرى جماعة من بعض خيرة أهل العلم غرضهم نشر الثقافة العلمية باللغة العربية فى الشعب المصرى . وهو يحيى من أجل هذا أسبوعا فى كل عام بالمحاضرات العامة يحضرها كل راغب بلا دعوة . وسيحيى أسبوع سنته الخامسة بمحاضرة واحدة تلقى فى الساعة السادسة ابتداء من يوم الجمعة ٦ أبريل بدار جمعية الحشرات الملكية بشارع الملكة نازلى (عند تقاطعه بشارع فؤاد) تبعا للبرنامج الآتى : ـــ

المحاضرة الأولى : يوم الجمعه : وتبدأ بكلمة الرئيس الاسبق حضرة صاحب العزة أحمد محمد حسنين بك ثم يعقبها خطبة الرئيس الحاضر حضرة صاحب العزة حسين سرى بك وكيل وزارة الاشغال وموضوعها فى « الرى »

المحاضرة الثانية : يوم السبت : للدكتور أحمد زكى استاذ الكيمياء ووكيل كلية العلوم فى « الاحجار الكريمة »

المحاضرة الثالثة : يوم الاحد : للدكتور محمد سعيد نبيه فى « داء الكلب »

ثم تعطل المحاضرات يوم الاثنين من أجل عيد شم النسيم وتستأنف بعد ذلك

شهر زاد

رواية للأستاذ توفيق الحكيم

كلمة تحليلية بقلم : عبد الرحمن صدقى

هى تحفة فنية أخرى للأستاذ الحكيم . وهى أدق فى ذوقها الفنى وأرق ، وهى أرهف فى الحس وألطف ، وجوها الشرقى أمتع منظراً وأوقع سحراً ، وروحها الصوفى أعرق تأصلا وأعمق سيراً .

ونحن نعرف الأميرة شهر زاد ، تمثل فيها عبقرية القصص وروح السمر ، وتمثلها بأحاديثها المشوقة المتنوعة الأفانين ، وحكاياتها الممتعة التى لا ينضب لها معين ، بين يدى الملك الأسيوى شهريار وقد تحجر قلبه وغلظ طبعه ، تنتقل به ليلة بعد ليلة مأخوذاً مدهوشا من قطر الى قطر فى أجواء شتى وآفاق سحيقة ، من أنحاء فارس ، الى بلاد الصين أو الهند العجيبة ، الى وادى مصر الخصيب ، بين أجناس البشر المختلفة الألوان ، وبين طبقات المجتمع ونماذج الأفراد على تفاوت الطبائع والدرجات ، من ملوك ومماليك ، وسراة وصعاليك ، وتجار وحمالين ، وصاغة وصيادين ، ومقاحيم يجوبون القفار ويركبون أهوال البحار ، وفوق ذلك بين عناصر طبيعية وغير طبيعية ، أنسية وجنية . رحلة كقصيدة « الأوديسة » شائقة طويلة ، طافها الملك شهريار وهو فى المقصورة مضطجع يصغى الى شهر زاد فى كل مساء فى ألف ليلة وليلة .

هذه الرحلة المعهودة للملك شهريار ، لم يعرض لها مؤلفنا العصرى . وإنما خلص منها الى رحلة باطنة للرجل شهريار ، هى رحلة نفس تحركت فجازت أطواراً بعد أطوار

فلقد كان شهريار عبد الجسد يبنى كل ليلة بعذراء يستمتع بها وفى الصباح يقتلها ، وكذلك كان ليلة استقبل شهر زاد يشتهى منها المتعة بالجسد الغض . حتى اذا سمعها تحدثه حديثها الساحر الممتع وتفتح له خزائن القصص والخيال والشعر ، تفتحت مغاليق قلبه الموصد وتحرك جامده وارتجفت نياطه ، فاذا هو يحبها ، وإذا بهذا الجسدانى الشهوانى يحبها حب القلب والوجدان . غير أن نار العاطفة بدورها لم تلبث مشبوبة طويلا حتى تصفت الى نور هادىء شاحب ، فاذا هو لا يأمن للشعور بل ينشد المعرفة ، واذا به لا يريد لوقفة عند الظواهر والاعراض ، بل الغوص الى الجوهر ولب اللباب ، ولا يريد الاحتباس فى الحدود الضيقة بل الانطلاق ، الى حيث لا حدود ، فهو فكر محض يحلوله التأمل النظرى والتجريد الفلسفى .

وهذه الأطوار النفسية الثلاثة التى اتفقت لشهريار على آناء متفرقة ، يجلوها أيضا المؤلف على مسرح قصته فى آن واحد موزعة على شخوص ثلاثة : فهذا العبد أسود اللون وضيع الأصل قبيح الصورة رمز للشهوة الحيوانية ، تلقاه شهر زاد فى حلك الظلام ، وتلزمه ألا يطرقها إلا خفية مع الليل ، وتستكره معه العلن وتحذره من أن يدركه الصباح فيقتل . وهذا الوزير الفتى ، مثال الجمال فى الخلقة والخلق ، يحب شهر زاد كما يحب رجل جميل امرأة جميلة ، فهى معبودته لا عشيقته ، وقد بلغ التسامى بعواطفه منتهاه فلم يعد غير قلب شاعر . وهذا الملك وقد أفادته حكايات شهر زاد خبرة ، وكشفت لبصيرته عن أفق للتأمل بلا حد ، ونقلته كالطفل من طور اللعب بالأشياء أو التعبد لها الى طور التفكير فيها ، فهو اليوم فكر شارد أبداً ينقب عن الكنه ويطلب المجهول :

أما شهر زاد فهى كالطبيعة لا رفيع عندها ولا وضيع ، وهى كالطبيعة تتراءى لهؤلاء الثلاثة فيرى كل فيها مرآة نفسه . فهى عند العبد جسد مادى ولذة مشبعة ، وهى عند الوزير مثال أعلى للجمال قلبا وقالبا ، وهى عند الملك سر عميق ينطوى على نواميس خالدة تجرى على مقتضاها حركات الحياة وسكناتها وبتحدى لغزها المعرفة .

ومن عجائب الاتفاق أن هذه المعانى التى اقتضت القصة الرمزية اجتماعها فى شهر زاد ، لها سندها المدعم فى الحكاية الأصلية : فشهر زاد الى كونها مثل غيرها من بنات حواء تخضع لمطالب المرأة الجسدية . فانها ابنة وزير ، كريمة المحتد ، كما يدل اسمها نفسه فى الفارسية ، وقد شاء لها طيب أرومتها أن تتقدم طواعية ليتزوج منها الملك الغشوم قاتل زوجاته ، وأن تحمل مختارة جيدها الغض عرضة لسيف جلاده ، مفادية بحياتها على ضعف الأمل انقاذاً للعذارى من هذا الحيف الراصد لهن . ثم هى لا محالة بطبيعة التربية فى القصور ذات ثقافة عالية ، وحذق لفنون الأدب والشعر ، وعلم بالتواريخ ومضارب الأمثال والعبر . فليس هنالك تجوز معتسف فى تصويرها جامعة للجسد المنعم النضير والقلب الفياض بالشعور والفكر الواعى المحكم بالتدبير .

ولقد احتاط المؤلف لرموزه هذه من أن تظهر مجرد رموز متحركة تشخص لما وضعت له فى خطى آلية وعزيمة صماء حديدية .

فأضنى عليها مخايل الأحياء من تردد وتشكك ، ونوبات ضعف وانتكاس ، لما هو مركب فى الطبيعة البشرية من العوامل المتضاربة والدواعى المتداخلة ، بحيث اذا صحت الغلبة لأحداها فان المغلوبة لا تعدم ، بل لها فى النفس بين الفينة والفينة تخبط المقيد ، وانتقاض المضغوط عليه . فترى الوزير وإن كان فى حبه للملكة شهر زاد عذريا طاهراً يحفظ لصديقه الملك غيبته ، ويرعى حرمته ، ويذكر مودته ، فانه ليضطرب أشد الاضطراب عند خلوتها به ، كما يسوؤه أن تعطف على صديقه وزوجها أيسر العطف ويتجرع المرارة من غيرته الخفية . كذلك ترى شهريار وقد باشرت الحسيات حواسه حتى ملّ جوارها ، وتشبعت بالعواطف مشاعره حتى لفظها ومجها ، وتعالى عن كل ما هو حس وشعور ، يعود فى فترة يأس من المعرفة الى شهر زاد ، يسكر عطشه من كأس ثغرها اللؤلؤى ، ويستظل من رمضائه بعناقيد غدائرها المتهدلة ، ويوسد رأسه المتصدع حجرها ، ويريدها على أن تنشده شعراً ، أو تغنيه أغنية ، أو تقص عليه قصة .

وما تبدلت الرموز غيرها من أجل هذا ، وانما هى عوارض من أمارات الضعف البشرى ، ثم تستأنف هذه الرموز البشرية سيرتها المرسومة ، ودورتها المقدورة فى افتنان وروعة

ولقد اختار مؤلفنا للقصة بداية ليس أصلح منها مدخلا للرواية من حيث تهيئة الجو والدلالة على المعنى . فثمت طريق قفر والليل حالك ، والى ناحية منزل منفرد على بابه مصباح مضىء . وفى هذا الموقف يقفك المؤلف على سحر الساحر ، وضعف الجسد ، وسطوة الشهوة باللمسات الاولى من ريشته :

ـ الساحر (يقود جارية الى المنزل) : ماذا يقول لك هذا الغريب الأسود ؟

ـ الجارية : يسألنى عن سر فرح المدينة ، فأجبته هو عيد تقيمه العذارى للملكة شهرزاد

ـ الساحر : وما فرائصك ترتعد ؟

ـ الجارية (همسا) : لست أدرى !

ـ الساحر : ألم أحذرك أن تقربى هذا العبد الهرم ، فان فى عينيه نظرات الفجرة ؟

ـ الجارية (همسا) . ليس هرماً

ـ الساحر : بم تهمسين كن به مس ؟ هاتى يدك ولندخل . لعلك ارتعت من قبح هذا الرجل ؟

ـ الجارية (همسا) : ليس قبيحا .

(يدخلان المنزل . يظهر العبد يتبع نظراته الجارية . . .)

ـ العبد : ما أجمل هذه العذراء ، وما أصلح جسدها مأوى !

ـ صوت (من خلفه) : مأوى ؟ ألشيطان ؟ أم للسيف ؟

ـ العبد (يلتفت) : أهذا أنت ؟

ـ الجلاد (يظهر) : عرفتنى

ثم لا يطول بك الانتظار فى هذا الموقف بسمع من هـذه الكلمات المتقطعة المتبادلة حتى تلم كل ماطرأ على حياة شهريار الذى كنت تعرفه ، من تغير بعيد الأثر ، وما يحيط به اليوم من ملابسات وظروف ، وحتى تتسلم بين أصابعك أطراف خيوط القصة جميعها ، وتتابع فى لذة مشوقة حركات نسجها سداة ولحمة .

وترى كيف يعارض حائك القصة بين شهرزاد وقلب الوزير المتأجج فى منظر ، وبينها وبين عقل الملك السائح فى زرقة أحلامه الصافية فى منظر ، ثم بينها وبين العبد الأسود فى منظر . وهو فى خلال هذه المناظر وما بينها يداول بين هذه الخيوط المختلفة الأصباغ فيخرج لنا منها نسيجا خسروانى الوشى ، ساحر الالوان كقوس الغمام . حتى اذا أزف الختام أبى المؤلف ، الحكيم ، على العبد قتله استرخاصاً له وكرامة للمنية أن تكفر عن خسته ، بل ادخر المصرع الفاجع للوزير الذى ضاق الواقع عن قلبه الكبير . أما شهريار فقد ذهب فى سفر بعيد مجهول

ولئن كان المؤلف قد نحا نحو الرمزيين فى قصته ، إلا أنه لم يصنع منها لغزاً مغلقا ولا شبه مغلق ، ولا هان عليه أن يترك رموزها على قرب منالها وقلة تعويصها للقراء وبخاصة الذين ألفوا نحوها فى التآليف الغربية ليستنبطوها استنباطاً ، بل آثر ان ينص على تفسيرها نصا فى ظاهر سطوره أثناء الحوار ، فلا يدع لأحد دون فهمها على وجهها حجة .

وقد اصطنع صاحبنا ما يصطنعه أهل مذهبه من أساليب العرض والكتابة . فشخوصه معروفة النظائر فى الواقع ، ولكنها تبدو لعياننا من مادة أشف من مادتنا ، وتروح وتجىء فى جو أخف مما نعيش فيه . فكأنما هى من عالم الاحلام نحسها بالحس الباطن ، وكأنها لا تتحرك بمحرك فيها من ارادتها بل تحركها قوة مستعلية عليها خارجة عنها ؛ فهى مسوقة من حيث لا تدرى الى حيث لا تدرى ولا طاقة لها على التوقف والمغالبة . ثم هنالك السحر والكهانة ، والفلتات المنبئة ، وأحاسيس النفس السابقة المؤذنة بوقائع غامضة لاحقة . وهذه جميعا مفرغة فى سياق شعرى يتمشى

فيه النغم ، وتنتظم الموسيقى نسقه من مبدئه الى منتهاه ، ويعتمد على الإشارة المقتضبة والتلبيس ويتجنب البسط والتقرير ، وتتكرر فيه العبارة الواحدة مرات وتكثر فيه الكلمة البارعة والكنايات المحجبة

ـ شهر زاد : أترى شيئا فى ماء هذا الحوض ؟ أليست عيناى أيضا فى صفاء هذا الماء ؟ أتقرأ فيهما سراً من الاسرار ؟

ـ شهريار : تبا للصفاء وكل شىء صاف ... ! لشد ما يخيفنى هذا الماء الصافى ... ! ويل لمن يغرق فى ماء صاف ... !

ـ شهر زاد : ويل لك يا شهريار

ـ شهريار : الصفاء .. ! الصفاء قناعها

ـ شهر زاد : قناع من ؟

ـ شهريار : قناعها هى ، هى ، هى ...

ـ شهر زاد : إنى أخشى عليك يا شهريار

ـ شهريار : قناعها منسوج من هذا الصفاء . السماء الصافية ، الأعين الصافية ، الماء الصافى ، الهواء ، الفضاء ، كل ما هو صاف ! ما بعد الصفاء ؟؟ إن الحجب الكثيفة لأشف من الصفاء !

فلنسجل إذن لمؤلفنا المسرحى النجاح مرة أخرى مغتبطين ، ولنردد قولنا فيه واثقين « هذا الفتى فنان حتى أطراف أنامله »

عبد الرحمن صدقي

المصرى الغريب فى مصر

بقية المنشور على صفحة ٥٢٣

لقد هم أصحاب حافظ أن يخلد واذكر حافظ فلم يوفقوا . وهذا حافظ يخلد ذكر نفسه . ولقد هم المستأثرون بشوقى من رجال السياسة الرسمية أن يخلدوا ذكر شوقى فلم يفلحوا . وهذا شوقى يخلد ذكر نفسه . فهل بين المصريين من يهمون بحماية آثار مختار من الضياع وبتخليد ذكر مختار ، وهل هم ان فعلوا موفقون الى ما يريدون ؟ أم هل تدخل السياسة فى أمر مختار فتفسده كما أفسدت أمر حافظ وشوقى ؟ سؤال مؤلم ، ما كان ينبغى أن يلقى ، ولكن انتظار جوابه لن يكون طويلا ، ولعله لا يضيف ألما الى ألم ، وحزنا الى حزن .

طه حسين

رسالة الربيع

(بقية المنشور على صفحة ٥٢٤)

على المشرق اذا أقبل النيروز جلسوا للناس جلوسا رسميا عاما يتقبلون فيه تهانئهم به وهداياهم . ولما قامت الدولة العباسية أصبح النيروز من أعياد الدولة الرسمية ، وصار له شأن أى شأن ، بل لقد اشتقوا منه عيدا رسميا خاصا بالخلفاء وأسموه « نيروز الخليفة » يقول البيرونى « انه كان يفعل فيه ببغداد من رش الماء وحثو التراب والملاعب ماهو مشهور » وهذا من قبيل النوروز القبطى ، الذى يتحدث عنه المقريزى فى خططه ، ومن قبيل ما يفعل فى أعياد المرافع المشهورة فى بعض بلدان اوربا لعهدنا هذا والمعروفة « بالكرنفال »

***

وقد افتن شعراء العرب فى وصف الربيع والنيروز وأتوا فى ذلك بالبديع المطرب من الشعر ، ولا يزال ماقاله الطائيان فى هذا الصدد هو المقدم والمحتذى سواء أكان ذلك من الناحية الفلسفية التى ينتحيها أبو تمام أم من الناحية الفنية التى ينتحيها البحترى

قال ابو تمام يصف الربيع من قصيدة يمدح بها الخليفة المعتصم بالله العباسى : ـ

أربيعنا فى تسع عشرة حجة ⁂ حقا لهنك للربيع الأزهر
ما كانت الأيام تسلب بهجة ⁂ لوأن حسن الروض كان يعمر
أو ما ترى الأشياء ان هى غيرت ⁂ سمجت وحسن الأرض حين تغير
ياصاحبى تقصيا نظريكما ⁂ تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه ⁂ زهر الربى فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى إذا ⁂ حل الربيع فانما هى منظر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها ⁂ نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى ⁂ فكأنها عين اليك تحدر
تبدو ويحجبها الجميم كأنها ⁂ عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجادها ⁂ فئتين فى خلل الربيع تبختر
مصفرة محمرة فكأنها ⁂ عصب تيمن فى الوغى وتمضر

وقال البحترى مخاطبا الوزير الفتح بن خاقان :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ⁂ من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز فى غلس الدجى ⁂ أوائل ورد كن بالامس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه ينث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشرت وشيا منمنما
أحل فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يجيء بانفاس الأحبة نعما

وبعد: فان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رسالة بليغة تؤديها الى النفوس الشاعرة والفطر السليمة . فليت شعرى أية رسالة يحملها الربيع الى ذوى القلوب الواعية منا ؟ قابل أيها القارىء بين الشتاء والربيع ، بين رقدة الطبيعة ونهضتها ، وان شئت ، فبين موتها ونشورها . فستجد هذه الدورة على قصر أمدها قد تضمنت حكمة الحياة كلها . والى هذه الحقيقة يشير الربيع فى رسالته الى الناس !

« إن الطبيعة أيها الناس هى الاول والآخر ، والأصل والمآل من طيباتها تبنون أبدانكم ، ومن جمال منظرها وروعة سحرها نمت عواطفكم وألهمتم فنونكم وآدابكم . ومن تصرف سنتها واختلاف مقاديرها يسرا وعسرا ، وأملا ويأسا وعافية وبأسا ألهمتم عقائدكم ومللكم . ومن دقة هذه السنن واطرادها استبنتم أصول شرائعكم ونظمكم ، ومن الصبر لأحكامها تكونت اخلاقكم فان تكن أجسامكم قد ضويت ، وعواطفكم قد خبت ، وعقائدكم قد وهت ، وشرائعكم قد قست ، وأخلاقكم قد رثت ، فما ذلكم إلا لأنكم عققتم أمكم الحنون ، وجفوتم ظئركم الرءوم . فالى الطبيعة أيها الناس ، الى الطبيعة فهى وحدها الكفيلة بازاحة عللكم ، وجبر مصابكم . وهى القادرة على أن تنشئكم نشأة أخرى ، وتبعثكم خلقا جديدا ،

كتاب المفصل

فى تاريخ الأدب العربى

للسنتين الرابعة والخامسة من المدارس الثانوية

أتمت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » طبع هذا الكتاب وهو من تأليف لجنة شكلتها وزارة المعارف من الأساتذة احمد الاسكندرى واحمد امين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى واحمد ضيف — ويشمل تاريخ الأدب العربى من العصر الجاهلى الى الآن

ويقع فى جزءين مجلدين فى نحو ستمائة وخمسين صفحة وثمن الجزء الأول منهما عشرة قروش والثانى خمسة عشر قرشا ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

اتحـــاد الممثلين

لناقد « الرسالة » الفنى

في مساء السبت الماضى ابتدأ اتحاد الممثلين ، عمله على مسرح الهمبرا برواية « هرنانى » لفكتور هيجو وترجمة الاستاذ خليل مطران ، وهى من الروايات الانموذجية التى ترجمت تحت اشراف وزارة المعارف .

وقد ذكرنا فى كلمتنا عن « مديرى الفرق والممثلين » ان اتحادا قويا متينا تألف من بين ممثلى الدرام فى مصر ، من الأكفاء الذين شهد لهم الناس بالمقدرة ، وتقدموا للجنة تشجيع التمثيل فى وزارة المعارف يعرضون عليها العمل تحت اشرافها وبالشروط التى ترتضيها . وذلك بعد أن فشلت الجهود التى بذلت مع مديرى الفرق ، وبعد أن تعنت هؤلاء مع اللجنة وأرادوا أن يملوا عليها شروطهم

ذكرنا هذا وأهبنا باللجنة أن تنتهز الفرصة السانحة فتمد يدها حازمة قوية لهذا الاتحاد وترحب به ولا تضن عليه بالمساعدة المادية التى يستحقها . ويسرنا ان اللجنة كانت عند حسن ظننا بها ، وان كلمتنا وجدت منها آذانا صاغية ، فقررت ان تمد يدها الى هذا الاتحاد فى سخاء وكرم ، وأن تعينه على العمل فى خطاه الاولى فوضعت تحت تصرفه بضع مئات من الجنيهات يعد بها الوسائل الضرورية ليبدأ العمل على بركة الله .

واتحاد الممثلين اليوم لا ينقصه الرجال الاكفاء ولا المخرج النابه ، ولا المال المعين ، ولا يعوزه تعضيد الصحافة وتشجيع الكتاب والنقاد ، وبالجملة توفرت له كل وسائل العمل التى تكفل النجاح فالاتحاد يحمل عبئا عظيما ومسؤولية خطيرة أمام هذا البلد وإن الانظار لترعاه من كل مكان تترقب خطاه وتنظر ماذا هو صانع بالامانة التى رضى بحملها وبالثقة التى وضعت فيه وبالآمال العريضة التى نيطت به . فهو ولا ريب الأمل الأخير فى انعاش المسرح فى مصر وانهاضه الى المستوى الجدير به . وانها لتجربة لها ما بعدها ، فان فشلت فليس لنا الا ان ننفض الايدى جميعا من المسرح ونتركه للقدر يبعثه حين يشاء ، فى جيل غير هذا الجيل ، وما نتحدث عنه بعد اليوم ان تحدثنا الا كما نتحدث عن عزيز قضى ، أو حلم تبدد

لو تحقق النجاح لهذه التجربة لسارت القافلة على بركة الله الى غاية الطريق ، ولاستطعنا أن نطالب الوزارة بالمزيد من المعونة . ثم لعلنا ننتهى الى لفت الأنظار الى العناية بالفن عناية بجدية فتكون لنا الفرقة الرسمية ، ويكون لها مسرح خاص مزود بأحدث مبتكرات الاخراج المسرحى ، ويقوم فيه معهد الفن من جديد لتلقى أساليبه ودرس وسائله ، وتنهض بكل هذا ميزانية من آلاف الجنيهات كما هى الحال فى سائر الممالك الحية وتنشط حركة التأليف وتخرج الرواية المصرية الى النور ، وترفع عنا وعن المسرح هذا الخمول الذى نعانيه

بقى أن نقول إن الاتحاد خطا خطوة طيبة بطلبه من الاستاذ زكى طليمات أن يتولى اخراج رواياته وقبل الأستاذ طليمات هذه الدعوة بصدر رحب ونفس مطمئنة

إن المسؤولية الكبرى التى يحملها الاتحاد أمام يحمل العبء الأكبر فيها فناننا النابه ، وهذه المادة التى بين يديه مادة ثمينة فى يد الصناع الماهر ، ولا شك اننا سنلمس أثر جهوده واضحا ، وسنكون سعداء اذ نتحدث الى قرائنا عن هذا الجديد الذى بتنا نرقبه طويلا .

سينجح فناننا وسيكتب له الفوز ، وستخفق لنجاحه وفوزه قلوب ، بعضها من الفرح وبعضها من الحسد ، قلوب تفرح لانها ترى المسرح ينهض ويشتد عوده بعد أن طال احتضاره وركوده ، وقلوب تتأكل ألما لان هذا النجاح يفوت عليها كثيرا من المآرب الشخصية والمنافع العاجلة أو يقضى على ادعاءات كانت تصك بها مسامعنا طوال هذه الاعوام .

محمد على حماد

2 me Année, No 40.

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الاقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-9-4-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العـــدد ٤٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ — ٩ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

٢٠٥٠٣٦

في الحال الحاضرة !

« في الحال الحاضرة » عنوان عزيز علي وعلى أخوي طه حسين ومحمود زناتي ! نذكره في مقام الأنس وساعة التنادر فيفجر الضحك من صدورنا المكبوتة ، ويرجع بنا مقتحما تيار الزمن الدافق الى العهود النفّاحة النضيرة من شبابنا الأول ! يرجع بنا إلى بقعة من بقاع الأزهر العتيق ، خفت فيها الدويّ الهادر قليلا ، وتهادنت بها أرواح العلماء فلا تشتجر في لفظة ، ولا تختصم في (قولة) ، ولا تزدحم على اعتراض ، وإنما تسكن إلى هؤلاء الايفاع الثلاثة ومن أخذ إخذهم سكون الطير المروعة إلى سلام الأيكة المنعزلة ، لأنهم كانوا قليلا ما يرغبون في إثارة القلاقل وإهاجة الفناقل(١) على هذه الأرواح الآمنة البرّة . إنما كان وكدهم أن يجتزئوا من علوم الفقه بقسمة القدر ، ثم ينصبوا لعلوم اللسان فيدرسوا الأدب ، ويقرضوا الشعر ، ويحاولوا الكتابة ، ويتعرفوا إلى العلم الحديث في دور الكتب ، ويطلوا على العصر الحديث من نوافذ الصحف ، ويقفوا على البرزخ الممدود بين دنيا الأزهر ودنيا الناس ، ينزعون الى الحياة الحاضرة المتجددة نزوع أسماك البحيرة الآسنة إلى البحر الزاخر المزبد .

(١) كلمة نحتها أستاذنا المرصفي من قول الأزهريين عند توجيه الاعتراض « فإن قيل »

كان أستاذنا المرصفي يطبعنا في النظم على غرار (الحماسة)، وفي النثر على غرار (الكامل)، ويزين لنا ان ننظم معلقة كطرفة، أو ننشىء خبرا كأبي عبيدة، ولكنا كنا نجلس على ذلك البرزخ بعيدا عن هتاف الاشباح، نراقب سير المدنية، ونرامق حياة (الافندية)، ونحاول العبور فيتساءل صديقاى:

— فيم ننظم؟

— في مدح الخديو

— وفيم نكتب؟

— في الحالة الحاضرة

ونكرر كل يوم هذين السؤالين، وهذين الجوابين، حتى استطعنا ان نجد كلاما في مدح الخديو فقلناه ونشرناه.

أما هذه الحال الحاضرة، فكانت معاياة لم نجد لأمرها مطلعاً ولم نقف في وصفها على حيلة! لأن مدلولها يومئذ كان غامضا في اذهاننا غموض الجبر! فالقرويون يعيشون على نمط الفراعين، والازهريون يعيشون في عهد الايوبيين، والقاهريون يعيشون على حال المماليك، وهذا الذي نسميه الحالة الحاضرة ما كان يذكر الا في مكاتب الصحف، ولا يعرف الا في بعض دواوين الحكومة!

عبرنا البرزخ، وتعاقبت الاعوام على ذلك العهد تعاقب الموج، فبعضها هادىء وبعضها مضطرب، فأما محمود فظل على حدود الماضي، وأما طه فطفر الى آماد المستقبل، وأما أنا فبقيت في الحاضر بين الصديقين، وسأحاول أن أقضي عنهما هذا الدين، فأكتب اليوم في هذا الموضوع الذي وسمنا بالعجز عنه طوال ربع قرن!!

حالنا الحاضرة محنة من محن الانتقال، وخدعة من خدع الاستقلال، وفتنة من فتن الباطل! فهي راكدة ركود العفن، واقفة وقوف الحيرة، لا تستطيع أن تجد لها في لغة التطور اسما ولا صفة! فلا هي سبيل نهضة، ولا هي دليل يقظة، ولا هي مظهر امتعاض! وكأنما تقطعت وشائج الاجتماع بين الطبقات والجماعات والأسر، فتناكر الناس، وتدابر الأهل، وذار كل امرىء على نفسه!

فالفلاح كما كان منذ أجيال، لا يكاد ينزع يده من الارض، ولا يرفع طرفه الى السماء، ولا يتبين وجهة الدنيا، ولا يتصور غاية الحكم، ثم يحول عليه الحول فلا يجد نقودا في جيبه، ولا سرورا في قلبه!

والعامل على أسوإ ما كان: يقاسي العطلة، ويعاني الفاقة، ويشكو الأمية، ويستغله الاجنبي بما دون القوت، ثم لا يجد في بلده العين التي تكلؤه، ولا اليد التي تحميه، ولا النور الذي يهديه، ولا الروح الذي يسيره!

والشاب في لبس من أمره! يتعلم ولا يعرف لأي عمل، ويتقدم ولا يدري لأي غاية؟ ويقولون له كن عزيزا في بلدك، سيدا في دارك، متصرفا في أمرك، ثم يخضعونه للامتيازات فتكسر من نخوته في المجتمع، وتغض من كرامته في القضاء، وتهجم على ثروته في التجارة، ويفور شبابه الحين بعد الحين فيكفه الهوان الغالب والقيادة المترددة.

والادب يعتمد في سلطانه على الدعوى والوقيعة، وينقل في أحكامه عن النكران والحقد، ويتفرق شيعا وطوائف، لا ليجدد مذاهب القول، ويجدد طرائق البيان، ولكن ليخلق الخصومة بين الكهول والشباب، ويورث العداوة بين الشعراء والكتاب!

والسياسة تراشق بالتهم، وتقاذف بالعيوب، وتحكم الى الخصم، وتحول مجرى الجهاد، وتزهق روح النهضة، وتشوه آمال الأمة بالمطامع السود والاهواء الاثيمة

والحكومة تنبعث من ادراج مكاتبها العليا روائح كريهة تسور في الانوف، وتأخذ بالانفاس، وتفسد الجو على هذه الامة المسكينة!!

هذه هي العناوين الصغيرة لهذا العنوان الكبير، والعناصر الأولية لهذا الموضوع الخطير، أجملناها في رأسه قبل أن ينزل بنا التفصيل الى ذيله! على نحو ما يصنع المعلمون من الكتاب، أو المنشئون من الطلاب، جمعا لشتيت الرأي، وتصويرا لهيكل الفكرة..

فليت شعري يا هداة الأمة ما ذا كنا نقول لو قدر لنا أن نكتب هذا الموضوع حين اقترحناه منذ خمس وعشرين سنة؟!

احمد حسن الزيات

كرستينا ملكة السويد

١٦٢٦ — ١٦٨٦

للدكتور محمد عوض محمد

هذه الصورة — التي عرضتها أمام أهل القاهرة إحدى محلات السينما : في شيء كثير من الاسراف الذي يعشقه رواد الملاهي ، وفي شيء كثير من الانحراف عن حقيقة التاريخ التي قلما يعبأ بها أصحاب القصص ، ومؤلفو المسرحيات — هي من تلك الصور التي تتجاوز في حقيقتها وفي طبيعتها مذاهب الوهم ومسابح الخيال. وحسب كل انسان أن تعرض أمامه تلك الصورة كما كانت لا كما يتوهمها القصصيون.

ليس لكرستينا مكان بين كبار الملوك ، ولكن لها شخصية قوية غريبة تستفز لتصويرها كل من يهوى الشيء النافر الغريب الشاذ.

ولدت في أول الربع الثاني من القرن السابع عشر ، وكان مولدها في شهر كانون الأول : في عنفوان الشتاء القارس ، حين يصبح الهواء زمهريرا والماء جمدا ، ويوشك الدم أن يتجمد في عروق الناس والحيوان ... وكان حقيقا بمن يولد في هذا الشهر أن يكون في طبعه تؤدة وبرود ، ورزانة وهدوء ... غير أن ابنة جوستاف أدولف ، ما كانت تعرف الهدوء ولا البرود . بل كانت كتلة من الشرر التطاير واللهيب المندلع .

وسيظن الناس أننا نعبث حين ندعي أن لشهر كانون تأثيرا فيمن يولدون فيه . ولنسلم لهم أن في هذا الزعم ما فيه من عبث ، وأن شهر المولد أبعد الأشياء من أن يؤثر فيمن يولد فيه . ولكن ، بعد التسليم بهذا ، أنستطيع أن ننكر ما للبيئة من تأثير لا يجحد ، وقضاء لا يرد ، وأفعال لا تعد ؟ كيف والبيئة هي الركن الركين في فلسفة الفلاسفة وعلم العلماء ؟

ولقد ولدت كرستينا تحت سماء اسكندناوية مكفهرة تغشاها السحب ، وتكتنفها الغيوم ، في بلاد تجمد أنهارها في الشتاء ، فلا تجري فيها قطرة ماء ، وتجمد البحار فلا تستطيع السفن حراكا : ويتساقط الثلج ، ويتراكم أكداسا فوق أكداس ، فلا ترى العين حيثما نظرت سوى هذه الكتل البيضاء ، تكسو الشجر والحجر ، والحقول والدور ... ويبرد الهواء حتى ليكاد الفم أن يجمد حين يغادر الشفتين ، ويعجز النبات عن النمو ، فيبقى في الثرى هامدا جامدا ، ينتظر ربيعا لا يجيء الا أخيرا ، وصيفا لا يدوم الا زمنا يسيرا . أما الخريف فما له هنالك من مأرب سوى أن يمهد للشتاء السبيل ؛ وكثيرا ما يندمج فيه ، ويصبح ويمسي جزءا منه

وكان خليقا بمن يولد في هذه البيئة — اذا كان هنالك معنى لما يقوله أصحاب مذهب البيئة — أن يكون هادىء الطبع ، لا يصدر في أعماله الا عن تؤدة وترو ، بعيدا عن طيش أهل الشرق وخرقهم الذي اكتسبوه من حرارة هوائهم ، كثير التبصر في العواقب ، والادخار للمستقبل المظلم كظلام الشتاء ؛ مولعا بالعدل بعيدا عن الاستبداد والظلم اللذين هما من خصائص الشرقيين أهل البلاد الحارة ، لأن العدل نتيجة الروية والأناة وقلة الاندفاع ، وهذا كله من المزايا التي يمنحها الله لعباده الذين يعيشون في بيئة باردة

وكأنما أرادت كرستينا أن تقلب هذه السنن جميعا فتجعل عاليها سافلها : فاذا هي وسط هذا الجليد والزمهرير شعلة من نار لا تخبو ، ولهيب متقد لا يهدأ ، واذا في طبعها اندفاع وعنف ، واذا هي شديدة القلق ، بعيدة عن الهدوء والاستقرار ... مسرفة مبذرة تبذيرا أفقر الدولة ، جائرة في الحكم حتى لقد مالت إلى النبلاء ميلا شديدا ، ومنحتهم موارد الدولة وغمرتهم بالهبات . . شديدة الغرور حتى لقد كانت تضع التاج تحت قدميها ، وتزعم أنها تفخر إذ تطأ برجلها ما يجلل هام الملوك ، وقد نسيت أن من حمل ذلك التاج أبوها العظيم جوستاف أودلف ... وعلى حدة ذكائها النادر لم تستطع أن تفهم أنها مهما عظمت فانما عظمتها الحقيقية في عظمة بلادها ... فكانت لا تعنى الا بأبهة الملك ، وبمظاهر العظمة دون حقيقتها ، ومن أجل أبهة الملك أرسلت في طلب ديكارت المسكين ، وألحت عليه في أن يقيم بقصرها في استكهولم لكي يدارسها العلم والفلسفة . فجاء الفيلسوف العظيم وقضى نحبه بعد ثلاث سنين قضاها في بلاد لا يلائمه هواؤها ولا جوها

وكانت متكبرة أشد الكبرياء ، غيورة لا تطيق أن يعرف لأحد فضل ، أو يشتهر له بين الرعية ذكر ، حتى لقد أساءت إلى الوزير القدير اكسنستيرنا ، الذي لم يكن في البلاد بل في أوروبا كلها أقدر منه .. وكانت جامحة في شهواتها أشد الجموح ، منغمسة في اللذات انغماسا يزري بالمتوحشين من أهل أفريقية ، ومع ذلك

فما هي من أهل الشرق ولا من أهل افريقية ، بل من ذلك الجنس الشمالي التيوتوني الذي اشتهر بالاعتدال وبرود الطبع ، كما اشتهر بالشعر الاشقر والعيون الزرقاء . . . فكأنما أرادت كرستينا أن تصفع أصحاب مذهب البيئة باليمين ، وأصحاب مذهب الوراثة بالشمال .

لكن البيئة والوراثة ليستا بالشيئين الوحيدين ، اللذين خرجت عليهما كرستينا وطغتهما في الصميم ؛ بل لقد خرجت أيضا على المؤدبين ونظرياتهم وعقائدهم . . اختاروا لتعليمها وتأديبها رجلا من كبار المؤدبين . فلقد توفي أبوها جستاف أدولف في حومة الوغى ، بين قعقعة السلاح وهزيم المدافع ، في حرب الثلاثين عاما ، ولم تكد الفتاة أن تبلغ السادسة من عمرها

ولم يكن للعرش وارث سواها فحاول المؤدبون أن ينموا فيها طباع الملوك وأخلاق الرجال ، فاذا هي لا تعرف سوى أهواء النساء وميول النساء . واذا فيها كل ما في طبع المرأة المسرفة من تعسف وتسرع ، وعناد كعناد الاطفال ، وتطرف ، ومتابعة للشهوات ، وأرادوا منها أن تناصر المذهب البروتستنتي ، الذي مات أبوها في الدفاع عنه ، والذي بلغت السويد ما بلغته من العظمة بالذود عن حوضه فاذا كرستينا لا تعبأ بالدين البروتستنتي ، ولا يهمها أن تمضي البلاد في تلك الحروب الدينية ، بل لقد انتهى بها الأمر الى نبذ البروتستنتية تماما والميل إلى الدين الكاثوليكي . ولم تكد تبرح البلاد بعـــد اعتزالها الملك حتى اعتنقت الكثلكة وتركت البروتستنتية غير آسفة عليها ، وغير مكترثة لذلك التراث الديني المجيد الذي ورثته . بل لعل السبب أو بعض السبب الذي دفعها الى اعتزال الملك حب ذلك الدين الكاثوليكي الذي أشربت بغضه وعداوته منذ الطفولة

وبذل المؤدبون كل جهودهم لكي يلقنوها منذ طفولتها كيف تسوس البلاد . وكيف تضطلع باعباء الملك . وكيف تملأ العرش المجيد كما كان يملؤه أبوها . وأن تكون العناية بشئون الدولة . صغيرها وجليلها ، همها الوحيد الذي لا يصرفها عنه شيء

لكنها لم تكد تكبر وتتولى الحكم ، حتى كانت شديدة التبرم بالدولة وبأعمال الدولة ، وبالحكم وما يفرضه عليها من أثقال وأعباء ، ومن عناية بأمور تافهة : مسئمة مملة : وهي التي تريد أن تنصرف الى لذات الجسد بالانغماس في الشهوات ، وإلى لذات العقل بالتحدث الى الفلاسفة ، فكانت تتهرب من الاضطلاع بذلك العبء البغيض ، وتفر منه ما استطاعت الى الفرار سبيلا . . وذلك في زمن مقاليد الأمور فيه كلها بيد الجالس على العرش ، فكان هذا الفرار داعيا الى إهمال شئون الدولة ونقضا لمصلحة البلاد .

ومع ذلك فقد كانت كرستينا تحسب نفسها عظيمة ، بالغة أقصى حدود العظمة ، حتى لقد قالت وهي تناجي ربها : « اللهم لقد جعلتني من العظمة بحيث لو أحرزت ملك الارض جميعا ما رضيت به ! » . .

ورأت من العظمة ان يحيط بها جيش عرمرم من اولئك الناس الذين يدعون النبلاء ، وهم طائفة ممن لا غناء فيهم ، يعيشون عيش الحشرات الطفيلية ، بما تدره عليهم الدولة من مال لم يكدحوا لجمعه واكتسابه . وكان يلذ لها ان يحدقوا بها ليمطروها ماشاءت من رياء العبودية ، وثناء التزلف . . وأعجبها منهم هذا كله ، فجعلت تزيد في عددهم وتخلق منهم قبيلا بعد قبيل ، حتى باتوا ضعف ما كانوا في عهد أبيها ، وكان لابد لهم أن يعيشوا عيشة البذخ والترف ، فجعلت تمنحهم الأراضي والضياع باسراف وتبذير منقطع النظير ، حتى استنفدت ثروة الدولة في أشباع هذه الحشرات النهمة ، وأسلمت بلادها الى الافلاس . .

وكان من العظمة أن تشجع العلم والتعليم ، وجنت البلاد من هذا بعض الخير ، لكنها غلت ، فأرادت أن يكون بلاطها مأوى العظماء من رجال الفلسفة والعلم . فكانت تنفق من أجل هذا المأرب ، انفاقا مسرفا لكي يقال انها حارسة العلم وصديقة العلماء ، وأعجبها أن يقصدها السفراء من أقاصي الممالك ، وأن يكيلوا لها المدح والاطراء ، ولم تلبث أن بات لهؤلاء الغرباء من النفوذ عليها ما ليس لاحد من وزرائها وبني وطنها . وبينما هي تسمح لهؤلاء أن يستميلوها الى المذهب الكاثوليكي ، ويخرجوها عن دين آبائها ، اذا هي تنفر من مستشار الدولة الأمين ووزيرها المحنك . أكسل أكسنسترنا Axel Oxenstierna لانه محبب الى الناس ، ولأن الشعب يرى فيه خادمه المخلص ، المتفاني في خدمته .

كانت كرستينا بلاشك ، من أولئك الملوك الذين لا يستطيعون أن يفهموا أن عظمتهم لا قيمة لها الا اذا استمدوها من عظمة أمتهم ، وأنهم لن يعلو لهم شأن إلا اذا علا شأن دولتهم . فما كان يجديها أن تكون عظيمة وأمتها حقيرة ، غنية وأمتها فقيرة . ذات صولة وقوة ، وأمتها لا حول لها ولا قوة . فما لبثت أن أفنت موارد البلاد ، واستنفدت خزائن دولة كانت تعد في طليعة دول ذلك الزمن . .

وأراد المخلصون من رجال الدولة أن تتزوج مليكتهم ، لكي يضمنوا العرش الدولة وريثا يجري في عروقه دم أسرة فازا Vasa

البقية على صفحة ٦٠٠

نعمة الألم

للاستاذ احمد امين

لندع الآن جانبا وصف ما كان من الخلاف بين علماء النفس فى أن الألم شعور موجب، أو لذة سالبة، ولندع كذلك بحوثهم الطويلة فى تقسيم الألم الى أنواع : فنوع منه كالذى نشعر به عند وجع الاسنان، ونوع كالذى نشعر به عند الفشل فى محاولة، ونوع كالذى نشعر به عند مواجهة ما نكره الخ

ولندع أيضا بحوث علماء الاخلاق فى أن الانسان فى جميع أفعاله يطلب اللذة، ولا يطلب شيئا غيرها، ويهرب من الألم ولا يهرب من شيء غيره، وأنه حين يفر من لذة فانما يفعل ذلك لطلب لذة أكبر منها، وأنه حين يتحمل الألم فانما هو يفر من ألم أكبر منه، أو يتطلب بألمه لذة أكبر مما تحمل — ولندع التعرض لما قام حول هذه النظرية من نزاع .

لندع هذا كله، ولننظر الى أثر اللذة فى الحياة العامة وأثر الالم فيها، فيخيل الىّ أنا مدينون للألم بأكثر مما نحن مدينون للذة، وأن فضل الألم على العالم أكبر من فضل اللذة

إن شئت فتعال معى نبحث فى عالم الأدب، أليس أكثره وخيره وليد الألم ؟ أو ليس الغزل الرقيق نتيجة لألم الهجر أو الصد أو الفراق ؟ ذلك الألم الطويل العريض العميق تتخلله لحظات قصيرة من وصال لذيذ، وليس هذا الوصال اللذيذ بمنتج أدبا كالذى ينتجه ألم الفراق، وإن الأديب كلما ضهره الحب، وبرّح به الألم، كان أرق أدبا وأصدق قولا، وأشد فى نفوس السامعين أثراً، ولو عشق الأديب فوفق كل التوفيق فى عشقه، وأسعفه الحبيب دائما، ومتعه بما يرغب دائما، ووجد كل ما يطلب حاضرا دائما لسئم وملّ، وتبلدت نفسه، وجمدت قريحته، ولم يخلف لنا أدبا ولا شبه أدب، ولو كان مكان مجنون ليلى عاقل ليلى لكان كسائر العقلاء — وانما فضل المجنون لأن نفسه كانت أشد حسا وأكثر ألما

ولولا علو همة المتنبى ما كان شعره، وما علو همته ؟ أليست كراهية الحياة الدون، والالم من أن يعد من سقط المتاع، والتطلع لأن يكون له الصدر أو القبر ؟ وعلى هذا المحور دارت حياته، ودار شعره، ولو نشأ قانعا لما فارق بلدته، ولكان سقاء كأبيه يروى الماء ولا يروى الشعر .

وما قيمة المعرى لولا ألمه من الفقر والعمى - لو كان غنيا بصيرا لما رأيت لزومياته، ولا أعجبت بكلماته، ولكان إنسانا آخر ذهب فيمن ذهب - انما خلده ألم نفسه، وأبقى اسمه قوة حسه .

ولو شئت لعددت كثيراً من أدباء العرب والغرب أنطقهم بالأدب حينا ألم الفقر، وحينا ألم الحب، وحينا ألم النفى، وحينا ألم الحنين الى الأوطان، الى غير هذا من أنواع الآلام

نعم قد أجدت اللذة على الأدب كثيرا - لقد أنتجت لهو امرىء القيس وطرفة، وخمر أبى نواس، وفخر أبى فراس ومجون الماجنين، وفكاهة العابثين، وكان غنى ابن المعتز ولذته ينبوعا صافيا لحسن التشبيهات، وجمال الاستعارات - وخلفت لذة هؤلاء أدبا ضاحكا، كما خلف الألم أدبا باكيا . خلفت اللذة أدب الملهاة (الكوميديا) وخلف الالم أدب المأساة (التراجيديا) ولكن أى الأدبين أفعل فى النفس، وأيهما أدل على صدق الحس، وأيهما أنبل عاطفة، وأيهما أكرم شعوراً، أى النفسين خير ؟ أمن بكى من رؤية البائسين، أم من ضحك من رؤية الساخرين ؟ أمن رأى فقيرا فعطف عليه، أو هزأة فضحك منه ؟!

* * *

على أنى أخشى أن تكون اللذة التى أخرجت الأدب الضاحك ليست إلا ألما مقنعا أو علقما « مبرشما » أليست خمر أبى نواس محورها « وداونى بالتى كانت هى الداء » ؟ أو ليس قد هام بها لأنها « لو مسها حجر مسته سراء » ؟ فهو يهيم بالخمر فرارا من ألم الدنيا ومتاعب الحياة ؟

ولو فتشت عن دخيلة ابن المعتز ، لرأيت ألما قد بطن بلذة ، وجحيما فى شبه نعيم

* * *

ثم تعال معى الى الحياة الاجتماعية ، فخير الأمم من تألم للشر يصيبه ، والضر يلحق به ، وهل تحاول أمة أن تصلح ما بها الا اذا بدأت فأحست بالالم ، أو ليس من علامة تماثل المريض للشفاء أن يحس بالألم بعد الغيبوبة — ثم من هو المصلح ؟ أليس أكثر قومه ألما مما هم فيه . أو ليس هو أبعدهم نظراً ، وأصدقهم حسا . دعته رؤية ما لم يروا ، واحساسه ما لم يحسوا ، أن يكون أعمق منهم ألماً وأشد منهم سخطاً ، فلم يسعه الا أن يجهر بالاصلاح وان يتحمل منهم عن رضى ما يصيبه من ألم ، لان ألم نفسه مما يرى بهم ، أكبر من أى ألم يناله منهم ؟ — وما الوطنية ؟ أليست شعوراً بألم يتطلب العمل ؟

ومن نعم الله أن أوجد أنواعا من الألم هى آلام لذيذة تتطلبها النفوس الراقية وتعشقها . ولو عرض عليها ان تعوض عنها لذائذ صرفة لما قبلتها . فلو عرض على الفيلسوف المتألم لذة غنى جاهل لرفض فى غير تردد ، ولو خير المصلح المجاهد ينغص عليه قومه ، وينغص عليه غير قومه ، وينغص عليه بعد نظره ، وينغص عليه قوة شعوره ما اختار من حياته بديلا — ذلك لان آلامه سرى فيها نوع من اللذة لا يدركه الا العارفون ، وأصبح يهيم بهذا الالم اللذيذ . ويرى اللذة الصرفة لذة أليمة — وكل ميسر لما خلق له .

* * *

أكره من الألم أن يكون ألماً يائسا ، فهو يسلم للضعف فالموت ، وأحب الألم الآمل فهو أبعث للقوة والحياة

وتعجبنى اللغة العربية إذ قاربت فى اللفظ بين الالم والأمل ، وباعدت بين الألم واليأس ، فاللهم لا تحرمنى الألم ، ولكن قدر أن يكون ألما لذيذاً .

أحمد أمين

الحرب بين نجد واليمن

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كان الخلاف يشتد منذ حين بين زعيمى الجزيرة العربية ، جلالة ابن السعود ملك نجد والحجاز وسيادة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن . وكانت آمال العرب والمسلمين قوية فى أن ينتهى الزعيمان بالمفاوضة والحسنى الى حسم الخلاف القائم بينهما ، وان يبذل كل ما فى وسعه لاتقاء حرب اهلية تشق الجزيرة بعواقبها . ولكن العرب والمسلمين فجعوا أخيرا فى هذه الآمال ، فوقع الخطب ونشبت الحرب فى الجزيرة للمرة الثانية خلال بضعة أشهر . وكانت قد نشبت فى الخريف الماضى بين القوات اليمنية والنجدية لنفس الخلاف الذى يثيرها اليوم ؛ ولكنها أخمدت بسرعة وتغلبت الروية والحكمة يومئذ ؛ وكان لصوت العرب والمسلمين أثره فى ذلك ؛ فعاد الزعيمان الى التفاهم والمفاوضة ، وعقد مؤتمر نجدى يمنى ليبحث وجوه الخلاف ، وليحاول الوصول بها الى تسوية مرضية ولكنه لم يوفق فى مهمته لتمسك كل من الفريقين بوجهة نظره فكان تفاقم الخلاف ، وكانت الحرب

وهذا الخلاف الذى يضرم الحرب فى جنوب الجزيرة العربية قديم يرجع الى اعوام بعيدة . ومنشؤه مسألة الحدود بين البلدين وتنازع السيادة بينهما على المناطق والاراضى الواقعة بين الحجاز واليمن ، وهى تشمل ولاية عسير الواقعة فى جنوب الحجاز وشمال اليمن ، ومنطقة نجران الواقعة شرق عسير جنوب شرقى الحجاز وشمال شرقى اليمن . وقد كانت السيادة فى عسير حتى سنة ١٩٢٢ مقسمة بين قبائل بنى شهر القوية فى قسمها الشرقى ، وبين الادارسة فى قسمها الغربى وهو المعروف بتهامة ؛ ففى سنة ١٩٢٢ اجتاحت القوات السعودية منطقة عسير الشرقية ، وخضعت قبائل بنى شهر واستولت على أراضيها حتى بلاد اليمن وضمتها الى نجد . ولما استولى ابن السعود على الحجاز سنة ١٩٢٥ رأى أن الاستيلاء على تهامة ضرورى لتأمين حدود الحجاز الجنوبية ؛ ورأى الادارسة أن القوات النجدية تطوق بلادهم من الشرق والشمال فآثروا التفاهم مع ابن

السعود والاستظلال بلوائه ؛ وعقد زعيمهم السيد الحسن الادريسى اتفاقاً مع ملك نجد توضع عسير تهامه بمقتضاه تحت حماية نجد واشرافها (سنة ١٩٢٦) ؛ واستمر الأدارسة فى حكم البلاد تحت اشراف مندوب من قبل ملك نجد ؛ ولكن هذا الوضع الشاذ كان مثاراً لمصاعب وخلافات لا نهاية لها ؛ واضطر السيد الادريسى فى النهاية أن يتخلى عن مهمة الحكم والادارة وأن يفوض الامر الى ملك نجد ؛ وشعر ابن السعود انه لا يستطيع المحافظة على عسير الا اذا ضمها الى املاكه ، فاعلن ضمها فى سنة ١٩٣٠ ؛ ونزع الادارسة كل سلطان حقيقى : وبذلك امتدت حدود المملكة السعودية الى شمال اليمن ، وزادت بذلك اسباب الاحتكاك بينهما . وكانت هذه الاسباب قائمة منذ استولى ابن السعود على اراضى بنى شهر (عسير الشرقية) ، واشرفت بذلك على منطقة نجران التى يدعى امام اليمن أنها من ملحقات مملكته وأن قبائلها تلتمس حمايته ، ويدعى ابن السعود أن قسمها الشمالى داخل فى اراضيه . ولكن استيلاء ابن السعود على امارة الادارسة كان أبعد فى استياء الامام وتوجسه من اشراف «الاخوان» على حدوده الشمالية . وكان للامام من قبل نفوذ قوى على الادارسة ، وكانت عرى التفاهم والتحالف بينهما قوية متينة ، وكان يرى دائماً انه اولى وأحق بضم هذه المقاطعة الى املاكه من منافسه القوى الذى قصد اليها من قلب الجزيرة ، واستطاع فى اعوام قلائل أن يدفع حدود املاكه حتى البحر الاحمر غرباً واليمن جنوباً ؛ ولكن الامام لم يكن فى ظروف تمكنه من الاقدام على هذه الخطوة لأنه فى الوقت الذى استولى فيه ابن السعود على عسير كان مشغولا بخصومته مع الانكليز على بعض المناطق اليمنية الجنوبية المجاورة لعدن ، وقد احتلها الانكليز بحجة أنها اختارت الحماية الانكليزية ، وأغارت أسرابهم الجوية على اليمن مراراً والقت قنابلها على صنعاء عاصمة اليمن ، ولم يستطع الامام يومئذ أن يفعل شيئاً لمقاومة الغزو السعودي في عسير .

تلك هي أسباب الخلاف الجوهرية بين اليمن والمملكة السعودية . وقد استطاع ابن السعود والامام أن يتغلبا مدى حين على بواعث الخصومة ، وأن يتذرعا بالروية والتفاهم ، وأن يحسما أسباب الخصومة فى كثير من المواطن ؛ بل لقد انتهى التفاهم بينهما إلى أن عقدا معاهدة صداقة وحسن جوار فى سنة ١٩٣١ تعهد فيها كل منهما بمراعاة المودة والصداقة وتسليم المجرمين من رعايا الفريق الآخر ، وتبادل حقوق التوطن والاقامة بالنسبة لرعايا الدولتين ؛ ولكن هذه الجهود المحمودة فى سبيل الوفاق والتفاهم لم تنجح على مايظهر فى حسم أسباب الخلاف الحقيقى ؛ واستمرت بواعث الاحتكاك على مسائل الحدود تتفجر من آن لآخر . وفى سنة ١٩٣٢ انتقض الادارسة على عمال الحكومة السعودية ، واضطرمت فى عسير ثورة خطيرة وهوجمت القوات السعودية بشدة ، واصيبت بخسائر فادحة ، وردت عن بعض المواقع الهامة ؛ فبادر ابن السعود بارسال النجدات القوية إلى عسير ، وأخمدت الثورة بعد خطوب ، وفر الزعماء الادارسة إلى اليمن ، والتجأوا إلى حماية الامام . واستشعر ابن السعود على ما يظهر ريباً فى موقف الامام ازاء هذه الثورة ، وفى أنها ليست بعيدة عن وحيه وتدبيره ومؤازرته المعنوية على الاقل ، خصوصاً وقد رفض ما طلبه ابن السعود من تسليم الزعماء الادارسة بالاستناد إلى المعاهدة المعقودة ؛ عندئذ عاد الخلاف بين الملكين إلى أشده ، واخذ كل منهما يحشد قواته على الحدود . ومع ذلك فقد حاول ابن السعود أن يبذل مجهوداً اخيراً فى سبيل الوفاق والتفاهم ، فارسل إلى الامام وفداً للمفاوضة ، ولبث الوفد السعودى فى صنعاء عدة أسابيع دون أن يوفق إلى مفاوضة الامام أو التفاهم معه : وقيل يومئذ إن الوفد وضع بأمر الامام أو بأمر ولده سيف الاسلام فى حالة اعتقال . وعلى أى حال فقد فشلت هذه المحاولة ، وتفاقم الخلاف حين تقدمت القوات اليمانية شمالا فى مقاطعة نجران ، واستولت على بعض مواقع في جنوب تهامة ، واشتبك الفريقان يومئذ في بعض المعارك المحلية ؛ واستشعر العالم العربي والاسلامى خطر هذه الحرب الأهلية فرفع صوته يحذر الزعيمين من عواقبها ، ويناشدهما حقن الدماء واتقاء الشر ، فوقف الحرب يومئذ في بدايتها ، وأصغى الفريقان مدى حين لهذا النداء الحكيم .

ولكن الحرب تعود فتضطرم اليوم بين زعيمى الجزيرة العربية ويعود الخطر فيهدد مستقبل الجزيرة بشر العواقب . وأشد ما نخشى أن تكون المطامع والدسائس الاستعمارية جاثمة وراء هذه الحرب الاهلية تنفخ النار فيها ، وتترقب من خلالها فرص التدخل . ذلك أن المملكة السعودية بلغت من الضخامة والقوة حداً أضحى يشغل السياسة البريطانية . والمملكة السعودية (نجد وملحقاتها) تجاور بحدودها جميع مناطق النفوذ البريطانى فى شبه الجزيرة ؛ فهى تجاور العراق من الشمال الشرقى ، وتجاور شرق الاردن وفلسطين من الشمال

الغربي، وتجاور الكويت وعمان من الشرق، وتشرف على حضرموت من الجنوب؛ وقد دلل ابن السعود في اكثر من فرصة على قوته ومنعة مملكته التي تشمل جميع اواسط الجزيرة من شرقها الى غربها ودلل بالاخص على أنه شديد الحرص على سلامة حدوده واراضيه لا يغضي عن أية محاولة تقوم بها السياسة البريطانية لتوسيع نفوذها داخل الجزيرة؛ وقد رفض مرارا ما عرضته بريطانيا من الاتفاق معه على استثمار موارد الحجاز الطبيعية، أو منحه قرضا يمكنها من التدخل في شئون مملكته؛ وعلائق ابن السعود حسنة مع روسيا السوفيتية، والتجارة السوفيتية متفوقة في الحجاز، وهذا ما لا يرضي بريطانيا. وابن السعود يدعي ملكية العقبة وما حولها من الاراضي التي تحتلها بريطانيا، ويهدد بالاغارة عليها من حين لآخر، حتى أن بريطانيا اضطرت ان تنشيء لها في العقبة مركزا بحريا ومركزا للطيران الحربي. فهذه العوامل والظروف كلها تحمل السياسة البريطانية على التوجس من صديقها القديم ابن السعود ومن ازدياد قوته ونفوذه داخل الجزيرة، هذا وأما اليمن فهي محط انظار السياسة الايطالية، لان موقعها على الضفة الشرقية من البحر الاحمر تجاه مستعمرة اريترية الايطالية الواقعة على ضفته الغربية يجعل لها في نظر ايطاليا أهمية خاصة. وقد توثقت العلائق بين اليمن وايطاليا منذ سنة ١٩٢٨ وزار رومه يومئذ وفد يمني برئاسة سيف الإسلام ولد الامام، واستقبل بمنتهى الحفاوة؛ وعقدت بين اليمن وايطاليا معاهدة تجارية اقتصادية. وتقربت روسيا السوفيتية من اليمن ايضا وعقدت معها معاهدة ودية تجارية (سنة ١٩٢٩) وكان ذلك عاملا في جزع السياسة البريطانية وتطور سياستها نحو اليمن. ذلك أن بريطانيا تجاور اليمن في عدن أعظم مراكزها البحرية في البحر الاحمر، وتحتل الى جانب عدن عدة مناطق أخرى تجاور اليمن من الجنوب الشرقي وينازعها الامام في ملكيتها. وكان الخلاف قويا مستمرا بين الانكليز والامام منذ أعوام طويلة، والسياسة البريطانية تتردد بين خصومته وصداقته، وتحاول إرغامه من وقت لآخر بتنظيم الغارات الجوية على اراضيه، أن يعترف بملكيتها للمناطق التسع التي تحتلها. فلما اتجه الامام نحو السياسة الايطالية، وظهرت روسيا السوفيتية في الميدان تتقرب الى اليمن، خشيت السياسة البريطانية عواقب هذه الخصومة، فعادت الى مصانعة الامام، ودارت بينهما مفاوضات انتهت اخيرا بعقد معاهدة يمنية بريطانية تعترف فيها بريطانيا العظمى باستقلال اليمن، وتسوي فيها بعض المسائل المعلقة بين الفريقين، وتنظم علائقهما. فهذه العوامل والظروف كلها مما يحمل على الاعتقاد بان اضطرام الخصومة بين الامام وابن السعود زعيمي الجزيرة العربية ليس مما يعنيهما وحدهما، وان نشوب الحرب بين اليمن والمملكة السعودية مما يثير أشد الاهتمام من جانب السياستين البريطانية والايطالية؛ ومن الصعب ان نحاول الآن ان نلتمس ما قد يكون لاحدى هاتين السياستين او لهما معا من عناصر الوحي أو التأثير في سير الظروف والحوادث التي أدت الى هذه الأزمة الخطيرة في علائق زعيمي الجزيرة العربية؛ ولكن الذي لا ريب فيه ان السياستين البريطانية والايطالية تترقب كل فرصها خلال هذه الحوادث، وتبذل وسعها للاستفادة منها، ودفعها الى الطريق الذي يتفق مع مصالحها وغاياتها

وليس هنا مقام التحدث عن المسئولية، وعمن ترجع اليه التبعة في وقوع هذه الحرب التي تهدد مصاير الجزيرة العربية بشر العواقب، فلكل من الفريقين المتخاصمين وجهة نظر، ولكل أسبابه التي يستند اليها في تأييد موقفه. ويكفي أننا سردنا الحوادث والظروف التي أدت الى هذا الموقف. وهي كما يرى القارىء حوادث وظروف تجتمع وتتهيأ منذ عدة اعوام، ثم اشتدت وتفاقمت في العامين الأخيرين. بيد أننا لا يسعنا إلا أن نعرب عما يخالجنا ويخالج العرب جميعا والمسلمين جميعا من الأسف والجزع لاضطراب افق الجزيرة العربية بهذا الحدث الخطير الذي لا تقتصر عواقبه على المملكة السعودية وحدها أو على اليمن وحدها، ولكنها تلحق القضية العربية بأسرها. ونحن على يقين من أن جلالة عبد العزيز بن السعود، وسيادة الامام يحيى يدرك كلاهما خطورة الموقف ويود أن يتقيه بكل ما وسع؛ ولقد برهن كلاهما خلال الأعوام الأخيرة في اكثر من موطن على أنه يؤثر التذرع بالروية والحكمة ويؤثر الصفاء والسلام؛ وقد استطاعا حتى اليوم أن يتجنبا كارثة الحرب؛ فمثل هذه الحرب مهما كانت نتائجها بالنسبة للمملكة السعودية أو اليمن لا يمكن الا أن تكون شرا على مستقبل الجزيرة العربية؛ وما تزال ثمة فرصة للمهادنة والتفاهم، فهلا بذل زعيما الجزيرة مجهودا اخيرا لتدارك الخطب وحقن الدماء، فيحققا بذلك رجاء كل عربي وكل مسلم، ويعيدا بذلك إلى الجزيرة سلامها وأمنها؟

محمد عبد الله عنان

المحامي

فلسفة القصة

ولماذا لا أكتب فيها ..؟

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

سألت الاستاذ مصطفى الرافعي : لماذا لا يكتب فى القصة ، ولماذا يخلو أدبه منها ؟

— فاجاب :

« لم أكتب فى القصة الا قليلا ، إذا أنت أردت الطريقة الكتابية المصطلح على تسميتها بهذا الاسم ؛ ولكنى مع ذلك لأرانى وضعت كل كتبى ومقالاتى الا فى قصة بعينها ، هى قصة هذا العقل الذى فى رأسى ، وهذا القلب الذى بين جنبى .

« شاع أدب القصة فى أوربا ، وطغى عندهم على المقالة ، والكتاب وديوان الشعر جميعا ؛ فقام عندنا المتابعون فى الرأى ، والمقلدون فى الهوى ، والضعفاء بطبيعة التقليد والمتابعة — قاموا يدعون الى هذا الفن من الكتابة ، ولا يرون من لا يكتب فيه إلا مدبرا عن عصره وأدب عصره . ولا جرم اذا كانوا هم أنفسهم مدبرين عن الحقيقة ومعنى الحقيقة . وأنت متى كان وجهك إلى الباطل وظهرك الى الحق ، فمهما تقدم فى رأى نفسك فانما تتأخر فى رأى الحق ، وكلما قطعت الى غايتك رأيت الذى وراءك متخلفا متراجعا بمقدار ما أبعدت كأنه فى أمس ، وكأنك فى غد ، ولا يوم بينكما يجمع منكما ماتفرق .

« أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التى يأتى بها يوم وينسخها يوم آخر . والقبلة التى أتجه اليها فى الأدب انما هى النفس الشرقية فى دينها وفضائلها ؛ فلا أكتب الا مايبعثها حية ويزيد فى حياتها وسمو غايتها ، ويمكن لفضائلها وخصائصها فى الحياة ، ولذا لا أمس من الآداب كلها الا نواحيها العليا — ثم انه يخيل الى دائما أنى رسول لغوى بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه ، فأنا أبداً فى موقف الجيش (تحت السلاح) له مايعانيه وما يكلفه وما يحاوله ويبنى به وما يتحاماه ويتحفظ فيه ، وتاريخ نصره وهزيمته فى أعماله دون سواها . وكيف اعترضت الجيش رأيته فن نفسه ؛ لا فنك أنت ولا فن سواك ، اذ هو لطريقته وغايته ومايتأدى به للحياة والتاريخ .

« وقد عابنى مرة أحد الكتاب بأنى (لا أكتب فى الدراما) فلو أن هذا الكاتب وقف على شاطىء المحيط وجعل يتهكم بالأسطول الانجليزى فيزرى عليه أنه ليس شيوعيا ولا بلشفيا ؛ فما عسى أن يقول الاسطول اذا هو أجابه الا أن يقول شيئا كهذا : تبارك من صنع هذا الانسان مدفع لحم لاطلاق الكلام الفارغ .

« أنا من أجل ذلك لا أزال الى الآن مع الأدب العربى فى فنه وبيانه أكثر مما أنا مع الحكاية ولغتها وعواطفها ؛ فأكبر عملى إضافة الصور الفكرية الجميلة الى أدبنا وبياننا متحاشيا جهد الطاقة أن أنقل الى كتابتى دواب الارض أو دواب الناس أو دواب الحوادث ، فان الكتب ليست شيئا غير طبائع كتابها تعمل فيمن يقرؤها عمل الطباع الحية فيمن يخالطها . والرواية اذا وضعها كاتب فاجر ، فهى عندى ليست رواية بل هى عمل يجب أن يسمى فى قانون العقوبات (فجورا بالكتابة) .

« إن أكثر ماتراه من القصص ، وبخاصة هذه التى غمرت الكتابة عندنا — انما هى صناعة لهو ، ومسلاة فراغ ، وهذا قد يكون له وجه فى علاج الحياة العملية ، وفى تخفيف حطمة الاجتماع فى أوروبا وأمريكا ، ولكن ماموضعه عندنا فى الشرق ، والشرق إنما تعمل فى نهضته لمعالجة اللهو الذى جعل نصف وجوده السياسى عدما ، ولملء الفراغ الذى جعل نصف حياة الانسانية موتا ؟ هذا الضرب من القصة هو لرجالنا ونسائنا اذا قرأوه وتلهوا به أشبه بادخال أولئك الرجال والنساء — ادخالهم وادخالهن على الكبر — فى مدارس رياض الاطفال . .

« الأطفال يستلذون الحكاية بالفطرة لأنها تجيئهم بالدنيا التى يعسر عليهم أن يذهبوا اليها أو يغامروا فيها ، وتهىء لهم أن يشعروا خيالهم قوة الخلق فتكون لذتهم على مقدار من بعد هذه الدنيا عنهم وعلى مقدار مثله من طبيعة العجز فى خيالهم ، وهذا الضعف فى الناحيتين هو بعينه الذى يجعل لأكثر القصص شأنا عند سخفاء الناس وفراغهم ، وأهل الحمق فيهم . يسعرهم شهوات وخيالات وأوهاما من الباطل . فذلك إذن ليس أدبا يكتب ويقرأ ، بل هو بلاء اجتماعى يطبع ويوزع فى الناس ....

ألا ترى أن تلك الروايات توضع قصصا ، ثم تقرأ فتبقى قصصا ؟ وإن هى صنعت شيئا فى قرائها لم تزد على ماتفعل المخدرات

تكون مسكنات عصبية إلى حين ، ثم تنقلب هى بنفسها بعد قليل إلى مهيجات عصبية ؟ !

وأنا لا أنكر أن فى القصة أدباً غالياً ، ولكن هذا الأدب الغالى فى رأيى لا يكون إلا بأخذ الحوادث وتربيتها فى الرواية كما يربى الأطفال على أسلوب سواء فى العلم والفضيلة . فالقصة من هذه الناحية مدرسة لها قانون مسنون وطريقة محضة ، وغاية معينة ، ولا ينبغى أن يتناولها غير الأفذاذ من فلاسفة الفكر الذين تنصبهم مواهبهم لالقاء الكلمة الحاسمة فى المشكلة التى تثير الحياة أو تثيرها الحياة ، والأعلام من فلاسفة البيان الذين رزقوا من أدبهم قوة الترجمة عما بين النفس الانسانية والحياة ، وما بين الحياة وموادها النفسية فى هؤلاء وهؤلاء ، تتخيل الحياة فتبدع أجمل شعرها ، وتتأمل فتخرج أسمى حكمتها ، وتشرع فتضع أصح قوانينها .

« وأما من عداهم ممن يحترفون كتابة القصص فهم فى الأدب رعاع وهمج كان من أثر قصصهم ما يتخبط فيه العالم اليوم من فوضى الغرائز — هذه الفوضى الممقوتة التى لو حققتها فى النفوس لما رأيتها إلا عامية روحانية منحطة تتسكع فيها النفس مشردة فى طرق رذائلها

إذا قرأت الرواية الزائفة أحسست فى نفسك بأشياء بدأت تسفل ، وإذا قرأت الرواية الصحيحة أدركت من نفسك أشياء بدأت تعلو . تنتهى الأولى فيك بأثرها السىء ، وتبدأ الثانية منك بأثرها الطيب . وهذا عندى هو فرق ما بين فن القصة ، وفن التلفيق القصصى ! ! »

* * *

هذا هو رأى الاستاذ الرافعى ننشره على أصله ، لينظر فيه الكثير من شبابنا الناشئين ، الذين أقبلوا على كتابة القصة ، لعل فيه ما ينفعهم ويفيدهم ، ويمهد لهم سبيل الكمال فى انتاجهم .

اسعد حنا

٢ — الاسماعيلية

الملقبون بالحشاشين

أين نشأ ابن الصباح :

ورد فيما مضى ذكر لدار الحكمة(١) وهى المدرسة التى أنشأها فى مصر الحاكم بأمر الله العبيدى فى القرن الثالث الهجرى لتعليم مذهبه التوحيدى ، فلما مات أبو طاهر الجنابى عام ٣٣٢ ه وهو الذى خلف أبا سعيد الجنابى كانت هذه المدرسة قد زهت وأفلحت فلاحاً عظيماً ، وكان أساس التعليم فيها قلب الخلافة العباسية وزوال دولتها ، وكان الدخول فيها مباحاً لكل راغب ، ويلقى العلوم فيها شيوخ تصرف لهم المرتبات والمكافآت العظيمة من أموال الدولة ، وكانت علوم هذه المدرسة تسعة كلها دينية منقولة عن مبادىء ابن القداح (القداح هو ولد ديصان واسمه عبد الله ولقب بالقداح لانه كان يعالج العيون بقدحها ، وكان أبوه قد علمه الحيل ، وأطلعه على أسرار نحلته ومخاريقه ، فلما مات خلفه ابنه ، وكان يدعو الى ظهور المهدى فى ذلك الزمان فى اليمن ، وهو المذهب الذى تفشى فى البحرين فى القرن الثالث الهجرى كما ذكرنا) .

وكانوا فى الدور الأول من هذه العلوم يعمون على الطالب ويشوشون عليه تشويشاً مخيفاً ويلقنونه معنى مكتوماً لمتن القرآن ، وفى الدور الثانى يفرضون عليه أيماناً وأقساماً يقسم بها ويبالغ فى حفظها ، ثم يعلمونه معرفة الائمة المقامين من الله تعالى الذين هم

(١) ذكر الكاتب فى اكثر من موضع ان دار الحكمة المصرية أنشئت فى القرن الثالث الهجرى ، ويقول هنا إنها أفلحت وازدهرت فى أوائل القرن الرابع .. وهذا خطأ تاريخى بين ؛ فدار الحكمة الفاطمية لم تقم الا فى أواخر القرن الرابع . أنشأها الحاكم بامر الله بصفة رسمية فى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ ه (مارس سنة ١٠٠٥ م) وكانت مجالس الحكمة تعقد قبل ذلك أيام العزيز منذ سنة ٣٨٥ ه ، ويتولى تنظيمها قاضى القضاة . ولم يكن اساس التعليم فيها « قلب الدولة العباسية » كما يقول الكاتب ، ولكنها انشئت أولا لقراءة علوم الفقه طبق الاصول والتقاليد الشيعية ، ثم تطورت الى نوع من الدعوة الدينية والسياسة الفاطمية ، واتخذت اتجاهاً فلسفياً حراً ، ورتبت فيها الدعوات الفلسفية السرية الشهيرة (راجع خطط المقريزى — مصر — ج ٤ ص ٧ — ٧٢ ، ص ١٥٨ ؛ ج ٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ، وما بعدها) (الرسالة)

في مذهبهم أصل كل معرفة ، فاذا بلغ الطالب الدور الثالث علموه عدد هؤلاء الأئمة الذين لا يتجاوز سبعة ، واذا بلغ الدور الرابع علموه انه منذ خلق الله العالم وجد سبعة متشرعون إلاهيون هم الرسل السبعة المعروفون في مذهبهم بالنطقاء ، وكيفية اقامتهم لتلك الشرائع .

فاذا بلغ المرتبة الخامسة علموه ان لكل واحد من هؤلاء السبعة اثنى عشر رسولا للدعوة الى الايمان الصحيح ، واذا بلغ السادسة علموه السنن الاسلامية ، ولقنوه ان كل الشرائع الدينية المشروعة يجب أن تكون خاضعة للشرائع العمومية والفلسفة ، معولين في ذلك على فلسفة أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، وهي عندهم رأس كل تعليم ، واذا بلغ المرتبة السابعة انتقل من الفلسفة الى الاسرار ، وفي الثامنة كانوا يثقفون عقله بتعليم أشياء من مراتب الأنبياء والرسل ، ويلقنونه وجوب انكار وجود الجنة والنار ، ويبطلون الأعمال ويقولون أن ليس على الأعمال ثواب ولا عقاب لا في الدنيا ولا في الآخرة . ثم يدخل الطالب في الدور التاسع وفيه ينقاد الانقياد الاعمى لشيخه فلا يخالف له أمراً ولا يعصى له كلمة ولو أدت إلى الموت .

ونظرة الى هذه التعاليم ترينا مقدار مخالفتها للدين الاسلامي ، فان منها ما لو آمن به المسلم لكفر ، وتبين منها الكراهة لبني العباس والتشويش على الطالب بتلقينه معنى مكتوماً لمتن القرآن حتى يتيسر لهم التوفيق بين انكار الجنة والنار ، وما ورد في ذلك الكتاب المقدس عن وجودهما بأصرح عبارة . ثم هذا الى ذكر المشرعين الالاهيين والرسل الذين يدعون الى الدين الصحيح ، وما في ذلك من التشكيك في صحة النبوة والدعوة الى الارتياب فيها وقصر الصحة على أولئك الرسل وخدمهم .

في هذه المدرسة التي ذكرنا تعاليمها الخبيثة درج زعيم الحشاشين ، وعلى هذه المبادىء التي تناقض الدين نشأ ابن الصباح . فلا عجب إذن ان فعل ما سنراه من المنكرات ، ولا عجب أن تكون هذه الافعال نتيجة سيئة لانكار الحساب والجزاء والعقاب . واذا كان الشخص الناشىء على هذه التعاليم خطراً على الدين والاخلاق فماذا يكون اذا شابه ابن الصباح فيما كان عليه من دهاء وعلم وحذق ؟ ! لكأن ابن الصباح أصلح نفسية تلائم هذه المدرسة وأخصب عقلية لغرس تعاليمها .

كيف تولى ابن الصباح أمر الاسماعيلية

يقول ابن الاثير (وكان الحسن من تلاميذ ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة أصبهان ، ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ، ودخل على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالا ، وأمره ان يدعو الناس الى امامته ، فقال له الحسن فمن الامام بعدك ؟ فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ، ودخل كشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم . فلما رأى قلعة (آلموت) واختبر أهل تلك النواحي اقام عندهم وطمع في غوايتهم ودعاهم في السر ، وأظهر الزهد والورع ولبس المسوح فتبعه أكثرهم ، والعلوي صاحب القلعة حسن الظن به ، وجلس اليه وتبرك به . فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوي في القلعة ، فقال له ابن الصباح : اخرج من هذه القلعة ، فضحك العلوي وظنه يمزح ، فأمر ابن الصباح أصحابه فأخرجوه الى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة) .

هذا الدهاء الذي اتصف به الحسن كان من أكبر العوامل التي ساعدته على تسلم الرياسة الكبرى للاسماعيلية ، والى جانب هذا الدهاء انصراف الخلفاء من بني العباس في وقته عن الشؤون العامة وعجزهم عن تحصين إمامتهم ، وضبط خلافتهم لاسترداد الملك للعجم من الديلم والسلاجقة فباتوا وهم لا يقدرون على كف الغوائل عنهم ، والاسماعيلية ينتشرون في أنحاء الشرق القاصية

وبعد استيلاء الحسن على قلعة آلموت في ولاية جيلان بفارس وهي أقوى القلاع زادها قوة وأحكم تحصينها وجعلها تحت دولة الاسماعيلية ، فعظم أمره بين أتباعه ولقبوه بالشيخ وهو أكبر القابه ، وقد كانت له ألقاب أخرى منها الرئيس والسيد .

وبعد أن تولى الرياسة كثر أتباعه وانقادوا له الانقياد الاعمى فاتخذ منهم أداة للظلم والطغيان فأرهب بهم الخلق والملوك والسلاطين وحاربهم وهزمهم ، وقد قام بترتيب الطائفة الى ثلاث مراتب : الدعاة وهم الداعون الى مذهب الطائفة ، والرفاق وهم الذين اعتنقوا المذهب وخضعوا لسلطة الرئيس ، والفدائية وهم عدة الرئيس خاصة يسيرهم كما يشاء ، وكانوا يربون في بيوت الرؤساء منذ نعومة اظفارهم يلقنون طاعة الرئيس والتضحية بالنفس في سبيل إنفاذ اوامره ، ويفهمون ان الواحد منهم قد علقت سلامته بفداء روحه ويصور لهم العذاب

فى ابشع صورة إن هم خالفوا للرئيس امرا ، والنعيم فى أشهى مظاهره ان هم تفانوا فى خدمته . وهنا تظهر صولة القوم وخداعهم فقد كانوا كي يحققوا للفدائية مايعدونهم به من نعيم مقيم ينشئون الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء يحيطونها بالاسوار العالية ويضعون فيها من الصناعات ماحسن تنسيقه مما يبهر الانظار ويخلب الالباب ويجعلون فيها كل انواع الفاكهة والازهار والورود والرياحين تتدفق فيها الشلالات الجميلة وسط المزروعات الخضراء والمروج الفيحاء ، وينبعث من أرضها ماء فى الينابيع والنافورات ، ويخصصون أمكنة من تلك الحدائق تكون مجالس فاخرة وأروقة مزخرفة بالزخرف والصيني والفرش ، والبسط والطنافس والرياش ويودعون فيها الأوانى الفضية والذهبية والبلورية المموهة بالذهب الخالص يزين ذلك كله أجمل العذارى ، وأظرف الولدان فى ثياب أرق من نسج العنكبوت يروحون فى تلك الحدائق ويغدون كالأطيار الجميلة تنتقل من دوحة الى دوحة ، يغرون الناظرين بالتيه والدلال ، وبالجملة فقد جعلوا من تلك الحدائق فتنة لاتباعهم ، فاذا فاز أحد الرفاق على الآخر فى اظهار منتهى الطاعة للرئيس والخضوع لأوامره خضوعا تاما وكتم السر والاحتفاظ بالعهود ، أعطوه من الحشيش مايذهب معه لبه ، ويفقده صوابه ، ثم أرسلوه الى تلك الحدائق الساحرة حيث يفيق بين مظاهر الجمال ويغمر بانواع الملذات ويتركونه ساعة يعطونه بعد مضيها الحشيش مرة أخرى حتى اذا غاب عن صوابه أعادوه الى مكانه الأول . وهناك يمنونه بالعودة الى تلك الجنان إن هو زاد فى طاعته ، وبلغ فى التفانى والولاء اقصى ما يستطيع

وبعد أن تفشت هذه التعاليم أباح الرؤساء لتابعيهم كل انواع الملذات وأطلقوا لشهواتهم العنان ، وأباحوا لهم زواج الاخوات وكل من يحرم الدين الزواج منهن ، وعكفوا على تعاطى الحشيش وأدمنوا فى ذلك واسرفوا ، حتى انقلبت تلك الطائفة التى تدعى أن لها تعاليم دينية راقية وأنها تدعو الى الايمان الصحيح الى فئة طاغية مجرمة تحلل المحرمات وتحض على المنكرات . وترى فى القتل عملا مشروعا يثاب عليه فاعله .

ولما قامت الحروب الصليبية كان للحشاشين فيها يد سوداء ، وقاموا فى اثنائها بأفظع الاعمال الوحشية ، فاطلق عليهم الفرنجة اسم Assassin وهو تحريف لكلمة حشاشين وجعلوه لكل قاتل مجرم . ويروى المؤرخون لاولئك الحشاشين من فظائع الاعمال مايعطينا عنهم صورة بشعة رسمت بلون الدماء الحمراء ، ووضعت فى اطار من عظام القتلى وأشلائهم ، فيقول المسعودى وابو الفداء إنه بلغ من جرأة الحشاشين أنهم كانوا يخطفون الناس من الشوارع والحارات باغرب الطرق ، وكان الرجل يتبع خاطفه فى سكون وخشوع ، والويل له ان ابدى مقاومة أو تحرك لسانه طلبا للنجدة ، فانه ان فعل استقر خنجر الفداوي فى قلبه ، وكان اذا غاب احدهم ساعة عن اهله تحققوا انه قد خطف وقتل فيقيمون عليه الاحزان ، وصار الناس يلبسون الدروع تحت الثياب مخافة الفدائية ، وكان من دهائهم تعليم اتباعهم المهن كالطباخة والحلاقة والخياطة ودسهم فى بيوت الامراء يقومون فيها بالخدمة والجاسوسية . يقال إن أحد السلاطين ارسل يوما الى شيخ الجبل يدعوه الى الطاعة والكف عن ايذاء الناس . فقال الشيخ للرسول : أمخلصون انتم لسلطانكم ؟ فاجابه كلنا نفتديه . فقال له قل لسيدك موعدنا يوم كذا ، وقل له أن يضم الى مجلسه أخلص المخلصين له ، وكان عند السلطان غلامان لايطيق فراقهما لحظة ، فلما حل اليوم اقبل الشيخ فى قلة من أصحابه مدججين بالسلاح فجعل يحادث السلطان فقال السلطان للشيخ سألت عن اخلاص قومى وكفايتهم ، وانى مريك الآن مالم تره ، وكان المجلس غاصا بالقواد والوزراء ، فرمى السلطان بخنجره من شرفة المكان الى الوادى ، فترامى القواد لاحضاره فهلكوا جميعا . فقال الشيخ نعم القوم قومك . فقال السلطان وهل انت على مثل ذلك من قومك ؟ قال لى كلام اقوله لمولانا فى خلوة . فاخرج السلطان كل من كانوا عنده عدا الغلامين ، فنظر اليهما الشيخ وقال يا عبدى مولانا اذا قلت لكما إن مولاكما هذا يهدد شيخكما ويفسد عليه أمره ، فماذا تفعلان به ؟ فاستلا سيفيهما ولوحا بهما على رأس السلطان وقالا نقتله ، فدهش السلطان وحار فى امره ثم التفت الى الشيخ يقول انصرف فانت فى حل مما تفعل . . .

وقد توفى الحسن بن الصباح عام ٥١٨ ﻫ وتولى الزعامة بعده نحو سبعة من الرجال نجد ترتيب زعامتهم فى دائرة المعارف الاسلامية مادة Assassin وقد ظلت الزعامة فى طائفة الحشاشين قائمة فى قلعة آلموت حتى ٦٥٤ ﻫ . أى نحو قرنين لم يبطل لهم فيهما شر ، ولم يكفوا فى اثنائهما عن أذى الى جانب افساد الاخلاق بتعاطى الحشيش وتحليل المنكرات واباحة الملذات

وكان من أكبر دعاتهم فى افريقية رجل خرج من صنعاء يقال له ابو عبد الله أحمد بن محمد بن زكريا ، ويعرف بالشيعي يبث الدعوة

للنهدى . اما مصر فلم يكن لهم فيها حوادث أو وقائع ، اللهم الا تلك الخرافات يرويها الناس عنهم كقصة الشاطر حسن وشيخ الفداوية . أما القبة الموجودة الآن فى العباسية والتى يزعمون انها للفداوية فقد كانت قبة للصلاة بناها الأمير يشبك بن مهدى الداودار عام ٨٨٤ فى ولاية السلطان قايتباى ، وقد تداعت فرممها الامير حسين كتخدا ثم رئيس ديوان الاوقاف الخيرية عام ١٣١٧ ه فى عهد محمد توفيق باشا

ولا يزال للاسماعيلية الى وقتنا هـــذا صوت كدبيب النملة ، وزعيمهم اغاخان الذى عرف واشتهر بوفرة ماله لا بزعامته لتلك الطائفة الموزعة بين الهند وفارس . والظاهر أن القوم قد غيروا ما عرف به سلفهم من قبيح العادات والتقاليد ؛ والا لما استطاعوا الاقامة بين الحكومات التى تنبهت وتوصلت الى طرق من الرقابة على الناس مباشرة ، وقد انصرف القوم عن نشر دعوتهم واكتفوا بعقيدتهم والحياة فيما هم فيه من يسر البيع وربح التجارة ، وما كان القرن العشرون ليتسع لمثل دعوتهم

ذلك شأن الاسماعيلية عامة والحشاشين خاصة ، وتلك مكانتهم التاريخية طول أيام الدولة العباسية ، وهى وان كانت مكانة لا يحسدون عليها لما قامت عليه من شر ونكر الا أن التاريخ سجل يحفظ بين طياته حوادث الايام والناس لا يفرق بين مخازيها ومفاخرها . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ؟

« تم البحث »

محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

حول الشاعر كورني

عزا الدكتور الفاضل حسن صادق فى مقاله عن كورنى ضعف رواياته الأخيرة الى اضمحلال قواه الذهنية من أثر الهـــرم ، والحقيقة أن كورنى بالغ فى مبدئه الذى يعنى بتصوير الاشخاص كما يجب أن يكونوا لجاءت شخصيات قصصه الأخيرة خارجة عن حدود المعقول ، وذلك على ما أرى كان السبب الأول فى سقوط رواياته

وقد جاء فى المقالة أيضا : قال فولتير « الشرح الوحيد لكتب كورنى يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات فى أسفل كل صحيفة: جميل . جليل . الاهى ! » وهذه الكلمات على ما جاء فى كتب الأدب الفرنسية قيلت فى راسين لا فى كورنى ، وذلك أقرب الى العقل لأن فولتير كان يعجب بمبدإ راسين الذى يريد تحليل نفس الانسان كما هو لا كما يجب أن يكون ، أكثر من اعجابه بمبدإ كورنى الذى تعرض له فى بعض كتبه بالنقد اللاذع ؟

صلاح الدين وصفى

كتاب النثر الفني

حضرة الأستاذ محرر الرسالة :

قرأت فى باب النقد من العدد الماضى مقال الاستاذ الجليل احمد امين فى نقد كتاب « النثر الفنى فى القرن الرابع » وسرنى أن أظفر من مثل هذا الباحث المفضال بمثل ذلك الثناء ، وقد رأيت من باب الدعابة أن أعد سطور ذلك المقال . فرأيت خمسة منها تمهيدا ، وخمسة وستين فى نقد طريقة المؤلف فى الحديث عن نفسه ومصاولة ناقديه ، وثلاثة عشر فى نقد هندسة الكتاب ، ثم رأيت مع السرور الفائق ثمانية عشر سطرا كلها ثناء صرف على المؤلف وعلى الكتاب ؛ ومن النادر أن يظفر مؤلف بثمانية عشر سطرا كلها ثناء على كتاب جديد من رجل كالأستاذ احمد أمين

وكتابى كما تعلمون يقع فى نحو ثمانمائة صفحة ، وملام الاستاذ احمد امين لا ينصب على أكثر من صفحتين يمكن حذفهما بسهولة فى الطبعة المقبلة ان شاء الله

ويقول الاستاذ :

« وانى وإن احترمت الكتاب من الناحية العلمية والعقلية فانى ناقده من جهة الذوق »

ثم أشار الى كلمات وهوامش جمح فيها القلم ، وهو ينقد بعض العلماء ، وصح لدى بعد التأمل أن مجموع ذلك لا يزيد عن عشر كلمات سأحذفها فى الطبعة المقبلة ، لأنها ضربت أذنى وانقبض منها صدرى كما ضربت أذن الاستاذ وانقبض منها صدره

وعجب الاستاذ من أن رآنى قاسيا فى بعض النقد ، ولطيفا لبقا فى البعض الآخر ، وتمنى لو يعرف لم كنت لطيفا لبقا هنا ، وقاسيا صارما هناك ؟

وتفسير ذلك سهل : فان الادب يأخذ وقوده أحيانا من الاعصاب والأحاسيس ، وقد تتمثل للنفس ظلال من إحدى المعارك الأدبية فتثور وتعصف ، وتمضى حينا فى هدوء فلا يفيض عنها غير اللباقة واللطف

والى حضرة الاستاذ تحيتى واحترامى

زكى مبارك

اخوان الصفا والاسماعيلية

للاستاذ اديب عباسى

علاقتهم بالاسماعيلية ـ تشيعهم ـ دعوتهم الى الإمام المنتظر

يقول كازنوفا المستشرق الفرنسى الكبير ما معناه :

« إننى على أتم الثقة من أن آراء إخوان الصفا هى برمتها آراء الأسماعيلية . ومحور هذه الآراء هو الاعتقاد بعودة الامام الذى سوف يملأ الأرض سعادة ، وقد اتهم القرامطة والحشاشون من قبل أعدائهم بالكفر ، ولكن ليس لهذه التهمة ظل من الحقيقة . فان الرسالة الجامعة (١) ، وهى خلاصة هذه الفرق ، ليس فيها شىء من ذلك . فمذهب الاسماعيلية وما تفرع منه هى فى أصلها بريئة من كل ما نسب اليها ، وأكرر القول هنا بان النزعة التى تسود آراء الاسماعيلية هى الاعتقاد بوحدة الكون (البانتيزم) . وهو مذهب يقاوم الألحاد وإنكار الخالق مقاومة عنيفة

« والنتيجة التى انتهيت اليها هى أن هذه المذاهب هى مثل من أمثلة التاريخ التى تبين كيف ان المذهب يكون نقياً ، ولكن فى أيدى ذوى الإطماع يصبح آلة للفتك والتدمير » (نيكلسن ص ٣٧١)

نقلنا هذه القطعة عن المستشرق الفرنسى لكى نبين أننا لا ننسىء الى إخوان الصفا إذ ننسبهم الى الاسماعيلية ، ولكن ماهى طبيعة هذه النسبة وماهو مقدارها ؟ هذا ما يجيب عنه اوليارى بقوله « هناك ما يغرى بالظن فى أن حركة الأخوان كانت حركة اصلاح من جانب بعض الاسماعيلية الذين ارادوا الرجوع الى تعاليم الاسماعيلية القديمة » (٢)

وأول ما يلحظ من اوجه الشبه بين الاسماعيلية وإخوان الصفا الاسلوب الذى جروا عليه فى نشر دعوتهم والدعاية لمذهبهم وهو اسلوب الاسماعيلية المعهود ـ إسلوب التدرج فى بث الفكرة والتلطف فى عرضها على الناس . فخوان الصفا كالاسماعيلية يوصون « بأنه ينبغى لمن حصلت له هذه الرسائل من اخواننا الكرام ان يدفع منها الى كل من يستحق ما يقرب من فهمه ، وما يعلم انه يصلح له أو يليق بمرتبته أولا فأولا . فكلما ارتفعت نفسه فى العلم الى درجة درجة وانتهت الى مرتبة مرتبة فى المعرفة رقى الى ما بعدها ورفع الى ما يتلوها (ج ٤ ص ٢٨٨)

ومن أبواب التشابه بين الجماعتين اتفاقهما اتفاقا كليا فى مذهب الحلول . فهو فى رسائل الإخوان كما فى تعاليم الاسماعيلية المحور الذى تدور حوله هذه الرسائل والتعاليم (٣)

ووجه آخر من أوجه التشابه هو تفسير القرآن تفسيرا غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ . وهذا الاسلوب هو أسلوب الباطن الذى جرى عليه الشيعة ومن تفرع منهم . واليك ما يقوله اخوان الصفا فى هذا الشأن :ـ

« واعلم أن للكتب الالهية تنزيلات ظاهرة وهى الالفاظ المقروءة المسموعة . ولكن لها تأويلات خفية باطنة : وهى المعانى المفهومة المعقولة . . . . وفى استعمال احكامها الظاهرة صلاح للمستعجلين فى دنياهم ، وفى معرفتهم اسرارها الخفية صلاح لهم فى أمر معادهم . » (ج ٤ ص ١٨٩)

هذه بعض أوجه الشبه بين الاسماعيلية واخوان الصفا من حيث المعتقد وطرائق النشر والدعاية . على ان ثمة وجهين آخرين للشبه بينهما : وهما التشيع لآل البيت والدعوة الى الامام المنتظر أو المهدى . أما أمر التشيع فظاهر من قولهم :ـ

« ومن الناس طائفة ينسبون الينا أجسادهم وهم براء منا ويسمون انفسهم العلوية وماهم من العلويين ، ولكنهم فى أسفل السافلين لا يعرفون من امرنا الا نسبة الاجساد ، ولا من القرآن الا اسمه ، ولا من الاسلام الا رسمه (ج ٤ ص ١٩٥) . وهم لايذكرون الأمام الا مقرونا بأفخم النعوت كقولهم « وايضا من الآراء الفاسدة رأى من يرى أن بارئه وإلاهه روح القدس قتله اليهود . .

---

(١) الرسالة الجامعة هى خلاصة رسائل اخوان الصفا . وفيها تظهر أغراضهم بجلاء ووضوح تامين ، فكل ما تقدمها من رسائل كان شبه مقدمات لها . وقد اعتمد المستشرق كازنوفا على هذه الرسالة (وهى خطية نادرة) فى اثبات صلة اخوان الصفا بالاسماعيلية على أننا لدى مطالعتنا رسائل الاخوان ، وجدنا فيها ما يثبت هذه الصلة دون الاحتياج الى هذه الرسالة الجامعة . .

(٢) يعتقد كولد زيهر أن رسائل اخوان الصفا كانت الاساس الذي بنيت عليه معتقدات الاسماعيلية Nohannad I & Haw الا أننا نرجح رأى اوليارى لاسباب لا مجال لذكرها هنا . ص ٢٦٤

(١) يقول مكدونلد : انه مما يثبت علاقة اخوان الصفا بالاسماعيلية ومن تفرع منهم وجود قسم من رسائلهم فى كتب الحشاشين المقدسة . ويتفق على ذلك بقوله يجب الا يظن بان الحشاشين لم يكونوا الافئة دأبها السلب والتقتيل . لأن الواقع يثبت انهم درسوا العلوم درسا لا بأس به (ص ١٦٩ .... Muslim Theslogy)

وهكذا ايضا حكم من يرى ويعتقد ان الامام المنتظر الفاضل الهادى مختف لايظهر من خوف المخالفين » (ج ٤ ص ٧٦ – ٨٧) .

ومثله قولهم : « واعلم يا أخى أن أقوى ما يكون فعل ابليس فى دور الشهر (دور الشهر فى مصطلحات الشيعة هو الزمن الذى لايكون فيه إمام . وهو الفترة بين الامام الواحد والذى يليه) . وذلك لأن حجة الله على أرضه وخليفته على عباده يكون مختفيا مستوراً ، وإن كانت انواره تضىء فى نفوس العارفين به » (ج ٤ ص ٢٥٥)

ماتقدم لا يدع مجالا للشك فى تشيع إخوان الصفا وإيمانهم بالامام المنتظر . ولكن لنا ان نسأل هل وقف اخوان الصفا عند حد النظر من الايمان بالأمام المنتظر أو هم تخطوا ذلك الى بث الدعوة له والتعريف به ؟ نعتقد ان فى القطعة التالية ايضاحاً لذلك وذلك حيث يقولون : —

« وقد أخذناك ايها الأخ لأمر فيه قربة الى الله تعالى ونصرة للدين . فكن واثقاً بما اخترناك ، وسر على بركة الله وحسن توفيقه ، متوكلا عليه فى نصرته وتأييده الى أخ من اخواننا الفضلاء ، وتلطف فى الوصول اليه وبشره بما القيناه من الاسرار فى شأنه . . وعرفه بان اخوانه الذين وجهوك اليه لهم مجلس يجتمعون فيه يتذاكرون العلوم ويتحاورون الأسرار . فتذاكروا يوماً فيما بينهم من حوادث الايام وتغيرات الزمان وماتدل عليه دلائل القرآن من تغيير شرائع الدين والملل ، وتنقل الملك والدول ، من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ، ومن اهل بيت الى اهل بيت(١) وقد اعتبرنا بهذه الوجوه التى ذكرناها حتى عرفنا (صاحب الأمر) بصفاته والسنة والشهر الذى يكون فيه الحادث (ج ٤ ص ٢٢٤ — ٢٥)

ما تقدم لايداع مجالا للريب فى أغراض اخوان الصفا السياسية ، وهى نشر الدعوة واعداد الأفكار لظهور أحد المهديين ؟

(١) قد يكون المعنى فى كلام اخوان الصفا الفاطميين ، فقرائن الاحوال تدل على انه كان لاخوان الصفا صلة بهم ، وإ ، كنا لانستطيع أن نحدد هذه الصلة تحديداً قاطعاً . وأحب أن لايغيب عن ذهن القارىء ما ذكرناه من قول ابن تيمية أن رسائل الأخوان صنفت قريباً من بناء القاهرة

(الرسالة) نلاحظ على الاستاذ هنا وفى المقال الماضى أنه أخطأ المقصود من قول ابن تيمية صنفت قريبا من بناء القاهرة ، فانه يريد صنفت قريبا من زمن بناء القاهرة أى سنة ٣٥٨ هـ لا قريبا من مكانه

بين المعرى ودانتى

بقلم محمود النشوى

فى رسالة الغفران والكوميديا المقدسة

فى سماء الأدب العربى تتألق رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى . وفى سماء الأدب الطليانى تتألق الكوميدية المقدسة لشاعر الطليان دانتى اليجيرى Dante alighieri وفى كل منهما خيال يقرب من الخيال الآخر حتى ظن كثير من الأدباء أن شاعر الطليان سرق شاعر العرب . وأن خيال المعرة انتقل الى فلورنسا . وسواء لدينا أسرق دانتى فكرة المعرى أم هى المصادفة أتاحت لكل منهما ما اتاحته للآخر ، ففى كل من الروايتين حوار مع أهل الجنة ومع أهل النار ، وفى كل منهما رحلة فى دركات الجحيم وفى طبقات الجنة ، سنعرض لذلك كله بالموازنة والتحليل ما اتسعت لنا صفحات الرسالة الغراء

التعريف بالشاعرين

فى سنة ٩٧٣م ولد أبو العلاء المعرى وفى سنة ١٠٥٩ انتقل الى قبره بعد أن عمر ستة وثمانين عاما ، ولم يكد يناهز الرابعة من عمره حتى أصابه الجدرى فذهب بعينيه .

وكأن الله أراد أن يعوضه عما فقده من حاسة البصر ، فرزقه حافظة تعلق بها الكراريس العدة اذا تليت عليها مرة واحدة

وكأنى به استوعب ما احتوته قريته المعرة من العلوم والمعارف فرحل الى العواصم الاسلامية يرتشف منها مناهل العلم ، فزار حلب وانطاكية وطرابلس الشام واللاذقية وبغداد . الى ان بلغ من العمر سبعة وثلاثين ، فزهد فى الدنيا واعتزل الناس فى منزله بالمعرة ، وقضى بقية حياته رهين المحبسين : العمى والمنزل . فأوحت اليه عزلته ما ظهر فى لزومياته وفى رسالة غفرانه

وأما دانتى فولد فى سنة ١٢٦٥ وتوفى سنة ١٣٢١ بعد أن عاش ستة وخمسين عاما

ولقد كان جده كاتشا جويدا Cacciaquida يحارب المسلمين فى صفوف الصليبيين لاغتصاب بيت المقدس تحت إمرة الامبراطور كونارد الثالث . وكأنى به اشتد على المسلمين فى حربه ، فأنعم عليه ذلك الامبراطور بلقب Çavaliere ؛ فأما والده فقد كان من غمار الناس

ودهماتهم لم يترفق بذاتي حينما توفيت أمه بل تزوج امرأة تدعى لا باأذاقته آلام الحياة وهو فى عهد الطفولة ، حتى إذا اشتد ساعده قليلا هرع الى مدارس الفرنشسكان يتعلم الدين وقليلا من الهندسة والحساب ، متلمذا للقديس فرانشسكو دي أسيزي ، ولا زال يتشرب روحه وتعاليمه حتى أدرك دور المراهقة فوقع فى أشراك من الغرام امتدت نحوه من الفتاة بياتريشى تلك التى الهبت شاعريته ، وكان لها أثر كبير فى كوميديته المقدسة ، ثم توفيت تلك الحبيبة فى سنة ١٢٨٩ فزادت آلامه . غير أن نجمه بدأ يتألق فى سماء السياسة فاختير عضوا من ستة أعضاء يحكمون فى مدينة فلورنسا التى كانت تعصف بها الحروب الأهلية . ولأمر ما اغتاظ منهم البابا بونيفاشيو Bonipakio فسلط عليهم شقيق ملك فرنسا كارلو دي فالوا فأخذ مدينتهم ، وفر دانتى مع الهاربين بعد أن حكموا عليه بالموت حرقا سنة ١٣٠١ ، ولولا ذلك الهرب لنفذوا فيه حكمهم . ثم صادروا أملاكه ونفوا ولديه جاكو وبيترو Pietre ولا زالت البلاد تتقاذفه حتى مات شريدا طريدا سنة ١٣٢١ بعد نفى قارب العشرين عاما .

أسباب تأليف الروايتين

فأما رسالة الغفران فهى رد على رسالة ابن القارح التى أرسلها الى المعرى .

وابن القارح هو على بن منصور الحلبى ، ولقبه دوخله ، خدم أبا على الفارسي فى صباه وقرأ عليه بعض كتبه ، ثم جاء الى مصر يؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر . وكان له شعر من نوع ضعيف كمدحته للحاكم بأمر الله الفاطمي التى يفتتحها بقوله

ان الزمان قد نصر بالحاكم الملك الأغر

وكان فيه شىء من ذكاء وشىء من دعابة . أملت عليه دعابته أن يرسل لأبى العلاء رسالة فيها لهو ، وفيها سخر ، وفيها حوار للشعراء والمتزندقين والمتألهين . وفيها أسلوب معرى يكثر من ذكر الآيات القرآنية يوردها أدلة على مالا تدل عليه الا قليلا ، أو من طريق بعيد ، أو لا تدل عليه بالمرة . وفيها كثرة الجمل الاعتراضية بالدعاء للمخاطب والاسهاب فى الترضى والترحم وفى اللعنة ، مما لم نعهده فى كتاب غير رسالة الغفران وغير رسالة ابن القارح تلك التى بدأها بقوله « كتابى أطال الله بقاء مولاى الجليل ، وجعلنى فداءه على الصحة والحقيقة ، وليس على مجاز اللفظ ، ومجرى الكناية ،

ثم يروى عن صاحب الزنج أنه خطب فى زنوجه قائلا : « انكم قد اعتنم بقبح منظر ، فأشفعوه بقبح مخبر . اجعلوا كل عامر قفرا ، وكل بيت قبرا » ، ثم يروى لأبى العلاء أن رجلا دفع الى صديق له جارية وأودعها عنده ثم ذهب فى سفره . فقال المودع لديه بعد أيام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه . يا أخى ذهبت أمانات الناس : أودعني صديق لى جارية فى حسابه أنها بكر . . فجربتها فاذا هى ثيب ! . ثم يعيب على الرواة تصحيفهم قول على كرم الله وجهه تهلك البصرة بالريح فهلكت بالزنج ، كما تحدث المعرى عن الرواة وتصحيفهم وتحريفهم .

ثم تحدث عن المتنبى ، وأنه كان مغرما بتصغير كلماته فصغر أهل الزمان حينما قال

أذم إلى هذا الزمان أهيله

فأنحى عليه باللائمة فقال « وما يستحق زمان ساعده بسيف الدولة أن يطلق على أهله الذم » ، ثم تحدث ابن القارح عن المتنبي وعن سجنه فى بغداد فقال : « إن المتنبي أخرج من الحبس فى بغداد الى مجلس أبي الحسن على بن عيسى الوزير رحمه الله ، فقال له : أنت احمد المتنبى ؟ فقال أنا أحمد المتنبي . ثم كشف عن سلعة على بطنه وقال : هذا طابع نبوتى وعلامة رسالتى . ثم تحدث عن ابن الرومى وعن طيرته . وعن أبى تمام ، وأن الحسن بن رجاء بلغه أنه لا يصلى ، فوكل به من يلازمه فلم يره صلى يوما واحدا فعاتبه ، فقال يا مولاي : قطعت الى حضرتك من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ، ولم أره يثقل علي . فلو كنت أعلم أن الصلاة تنفعنى وتركها يضرنى ما تركتها : قال الحسن : فأردت قتله فخشيت أن يحمل على غير هذا فتركته »

ثم تحدث عن الذين ادعوا الألوهية كالقصار الأعور الذى اتخذ له وجها من ذهب وخوطب برب العزة ، والصناديقى الذى خوطب بالربوبية وكوتب بها ، وكانت له دار يجمع اليها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهن ليلا

ثم ذكر الحلاج وأنه كان يخاطب الله بقوله

ياجملة الكل لست غيرى فما اعتذارى اذاً اليا

ثم تحدث عن المتزندقين فذكر بشارا وأن المهدى قتله على الزندقة . وعن صالح بن عبد القدوس وأن المهدى قتله لأنه قال

ولو انى اظهرت للناس دينى لم يكن لى فى غير حبسى أكل

وذكر الوليد بن يزيد وأنه رمى المصحف بالنشاب وخرقه ، وأن

٥ ـ التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية ؟

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

الرقم ١٣

إن كثيراً من الغربيين يعتبرون أن رقم ١٣ يحمل الويل والدمار في طياته ، كما يعتقد المصريون في العدد « ١١ » ، أما ٣ و ٧ فهما رمز السعادة عند بعض الغربيين .

ومن الغريب أن رقم ١٣ تناول العلماء وذوى الثقافة والملوك والعظماء كما سرى بين الجهلاء وتناولته بعض الحكومات ايضاً فهم يتوقون هذا الرقم في الولائم والحفلات وبعض الفنادق وغيرها فيقفزون في عدد غرف الفنادق وغيرها من ١٢ الى ١٤ حتى لا يتشاءم نازل بالفندق من هذا الرقم .

ويتفق في بعض شهور السنة أن يطابق يوم الجمعة الثالث عشر من الشهر فيتطير الواهمون من هذا التطابق ويتوقعون الشرور والاخطار العظيمة ، لأن هذا الرقم دليل على الشؤم عندهم فيملأ نفوسهم رعبا فضلا عما يعرف به يوم الجمعة من النحس .

والأسرة المالكة في انجلترا تتقى الرقم المذكور ، ومحال أن تضم المائدة الملكية ١٣ مدعواً .

وفي عام ١٩١٢ حينما دعا المستر جون وارد جلالة ملك انجلترا الحالي جورج الخامس الى مأدبة غـداء في بستان ، شلتن ، كان عدد المدعوين ١٣ فجاءوا بالرابع عشر .

ومما يحكى عن ملكة رومانيا ماري انها تتشاءم من رقم ١٣ أسوة بكثير من الغربيين ، وقد حدث عند زيارتها لأهرام الجيزة ومعها كريمتها الاميرة اليانا عام ١٩٣٠ حادث يدل على مبلغ تشاؤمها من الرقم ١٣

شاهدت الملكة عمال الحفر الذي كان يديره هناك الاثرى المعروف المستر فيرث ، وعند انتهاء الزيارة دعاها الى الغداء وما كادت الملكة ماري تستعد للجلوس على المائدة حتى شاهدت ان عدد المدعوين ١٣ فاكفهر وجه الملكة فجأة ، واعتذرت بالمرض الا ان المستر فيرث أدرك حقيقة الامر بسرعة خاطره فبادر بأصـلاح هـذا الخطأ ودعا ضابطا مصريا ظريفا للجلوس على المائدة حتى يكون العدد ١٤ فلم تتردد الملكة عندئذ في قبول الدعوة .

وكان امبراطور المانيا السابق غليوم يحذر هذا الرقم ويتشاءم منه ، ويقال انه رفض ان يعلن الحرب عام ١٩١٣ لأن السنة تنتهي بالرقمين المشؤومين .

وكان بسمارك Bismatk يكره الخرافات الا انه كان يبغض الرقم ١٣ بغضا عظيما ، وما حاول ان يهم بأمر ذي بال في يوم ١٣ من أي شهر ، وكذلك المستر تشرشل الوزير الانجليزي وهو سليل آل مرلبورو أعرق الأسر الانجليزية نسبا .

ولكن الرئيس ويلسون يعتقد ان الرقم ١٣ هو عدده الجالب لليمن والسعد ، ومن دلائل حب الرئيس ويلسون للرقم ١٣ أنه وصل الى ثغر برست بفرنسا يوم الجمعة ١٣ ديسمبر عام ١٩١٨ ليحضر مؤتمر الصلح وانه أودع ٢٦ فقرة (٢ في ١٣) وأتمها يوم ١٣ فبراير سنة ١٩١٩ ، ودعا لمائدة عيد ميلاده ١٣ مدعواً فقط .

ولم يكن الرئيس ويلسون بالرجل الوحيد الذي أحب هذا الرقم ، فان المستر لويد جورج رئيس حزب الاحرار بانجلترا وقف عام ١٩٢٤ في حفلة انتخابية وقال ان الرقم ١٣ هو رقمه المحبوب .

الحجاج كانوا يطوفون بالكعبة فيقولون (لبيك اللهم لبيك : ياقاتل الوليد بن يزيد)

ثم ذكر أبا عيسى بن الوليد ، وأنه برم بشهر الصيام ونذر ألا يعود الى صومه فقال :

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر
ولا صمت شهراً بعـده آخر الدهر

ثم يختم ابن القارح رسالته بأنها استجيبت منه وكتبت عنه .

ثم يسأل المعرى ان يجيب عنها ليذيعها في حلب وغيرها من الآفاق فيبطىء المعرى في الرد ثم يجيب بأنه كفيف البصر مستطيع الكتابة بغيره ، ان غاب الكاتب فلا املاء . . .

ثم يبدأ الرد سـالكا سبيلا عبدها له ابن القارح ، وأثار من نفسه حنينا للسير على منهاجها ، والاتجاه مع تيارها . ولكن المعرى أرانا أفانين من الخيال ، واطلاعا في اللغة وفي التاريخ ، مما لا يمثل به ابن القارح الا كما تمثل الذرة بالجبل ، أو الحلقة في الفلاة .

يتبع

ودعا احد رجال الاعمال بانجلترا بعض خلانه ليتناولوا معه طعام العشاء، فلما جلسوا الى المائدة فطن أحدهم إلى ان عددهم ١٣ فتشاءموا وارسلوا الخدم فى اصطياد أى رجل ليأكل معهم، ولم يتناولوا الطعام حتى انتظموا على المائدة أربعة عشر

ويتشاءم المركيز نيجرو توكيبازو العضو الايطالى فى صندوق الدين برقم ١٣ تشاؤما كبيرا، ويروى عنه قبل شيوع السيارات أنه كان يمتنع عن ركوب مركبة رقمها ١٣ أو مؤلفة من مضاعفات ١٣ كأن يكون رقمها ٢٦ مثلا أو ٣٩ الخ...

وحدث لما زار الدكتور أميل لدويج الكاتب والمؤرخ الالمانى الشهير القطر المصرى أن أدب له أحد الاصدقاء مأدبة عشاء ودعا اليها ١٤ شخصا، وفى آخر لحظة تخلف أحدهم عن الحضور فأبت سيدتان أن تجلسا الى المائدة لأن عدد المدعوين أصبح ١٣ فجىء بمائدة صغيرة ووضعت على مقربة من المائدة الكبيرة، وجلس اليها اثنان من المدعوين لكى يصبح عدد الآخرين ١١

ويرد الباحثون فى الضائقة الاقتصادية التى غشيت العالم من أقصاه الى أقصاه إلى أسباب شتى الا أن أحدهم فى نيويورك قال ان السبب فى ضائقة عام ١٩٣٠ هى عام ١٩٣٠ نفسه وحجته الدامغة هى أن مجموع أرقامه ١٣، ولكن مرت سنوات وما تزال الازمة المالية باقية حتى الان. ولكى يزيد الجمهور اقتناعا وبرهانا بتأييد ذلك رجع الى سنى الضنك المشهورة فى القرن الحالى فاذا هي كما يلي

سنة ١٩٠٣ ومجموع أرقامها ١٣، سنة ١٩١٢ ومجموع أرقامها ١٣، سنة ١٩٢١ ومجموع أرقامها ١٣، سنة ١٩٣٠ ومجموع أرقامها ١٣

ولكن هدى روعك أيها المتشائم فسوف تمر ٩٦ سنة قبل أن تأتى سنة أخرى مجموع أرقامها ١٣ وهى سنة ٢٠٢٩.

ومن الشواهد التى يستندون اليها أن كلا من نابوليون بونابرت وهنرى الرابع ولدا فى ١٣ من الشهر، فنفى نابليون فى مثل هذا اليوم وقتل هنرى الرابع أيضا فى مثله

وتمتنع الاسر الافرنجية بتاتا عن سكنى المنازل المرقومة بالعدد ١٣ ولا يستأجر الامريكى غرفة رقمها هذا الرقم فى أى فندق أو باخرة.

وقد اتفق مدير وبعض المستشفيات على حذف رقم ١٣ من مستشفياتهم، فهم لا يضعونه على غرفة لمريض اوسرير خشية تاثر المريض من الوهم الناشىء عنده من التشاؤم. وشوهد فى ايطاليا ان الفنادق لا تضع ذلك الرقم على الغرف، وذلك لتذمر المسافرين وامتناعهم عن النزول فى الغرف التى يوجد بها الرقم المذكور، وادارة سكة حديد لندن والشمال الشرقى قد ألغت هذا العدد من مركبات النوم

وادرك الوهم اصحاب البواخر فوضعوا عدد A١٢ بدل ١٣

منها يثبت أن الناس اصبحوا يخشون الرقم المذكور حتى أن احد الشوارع لا يحمل رقم ١٣ وأن حكومة فرنسا اذا وضعت الارقام على المنازل ووصلت الى المنزل الذى ينبغى ان يوضع عليه الرقم ١٣ لا تكتب عليه هذا الرقم وانما تضع عليه رقم ١٢ والى جانبه لفظة مكرر تخلصا من شؤمه.

ووقف احد المجرمين امام القاضى فقال اقسم ان شؤم عددى هو الذى يسوقنى هنا دائما، فسأله القاضي وما ذلك الرقم؟ قال ما وقفت متهما الا وكان المحلفون ١٢ والقاضى واحدا وما الـ ١٢ والواحد إلا ١٣ وهو الرقم اللعين...

ولكن هنالك حوادث أبدل النحس فيها بالسعد، ولو أن الرقم ١٣ كان موجودا. فقد اتفق أخيرا ان وقع بناء مدخنة داخل احد منازل مدينة بريتون، وكان فى المنزل ثلاثة عشر ساكنا فلم يصب أحد منهم بسوء، مع ان قطع الحجارة وجدت على الوسائد بجوار النائمين.

واشترى بعضهم منزلا فلما رأى ان رقمه ١٣ جعله ١٢ وما مر يومان حتى سرق المنزل برغم العدد السعيد الميمون مع انه ما سرق يوم كان شؤما

وقد عمدت احدى السفن الكبرى الى وضع علامة ا بجوار العدد ١٢ للدلالة على الغرفة رقم ١٣ وبذلك تريح فكر المسافر الذى يكون نصيبه تلك الغرفة.

وقد علل الكاتب الاجتماعى الانجليزى ه. ج. ولز H. G, Wells شؤم هذا الرقم «بأنه لا يقبل القسمة» على حين ان غيره من الارقام التى قبله أو بعده تقبل القسمة، وبعبارة أخرى تقول ان الانسان الاول كان ردىء الفهم فى الحساب لا يعرف الكسور، ثم هنالك أشياء لا يمكن كسرها فاذا كان عدد السبايا ١٣ حدثت المشاجرات بين افراد القبيلة من أجل امرأة تزيد فى حظ احدهم أو تنقص، فى حين ان الارقام الاخرى لم يكن فيها ذلك.

ويقال إن الخرافات التى نسجت حول الرقم ١٣ مصدرها عشاء السيد المسيح الاخير مع تلاميذه الاثنى عشر ، وجلسوا على مائدة واحدة فكان مجموعهم ثلاثة عشر ، وكان واحد من التلاميذ خائنا هو يهوذا الاسخريوطى الذى سلمه . لذلك كان الناس يتشاءمون من الجلوس ثلاثة عشر شخصا على مائدة واحدة ، لأن ذلك نذير شؤم بسوء أو موت يقع لأحدهم خلال سنة على الاكثر ، ثم سرى التشاؤم من الرقم ١٣ حتى شمل كل شىء ولم يقتصر على مائدة الطعام .

الهلال

جميع الامم تقريبا تتفاءل بالهلال الجديد ، وكثيرا ما يرى الناس فى مصر وغير مصر قد تهللت وجوههم استبشارا لرؤية الهلال فى أول الشهر القمرى وهم يدعون الدعوات

وان العامة فى مصر يتناولون قطعة من العملة الفضية ويديرونها نحو الهلال لأول ولادته تيمنا ، ولا يصنعون مثل ذلك فى الذهب لانهم يتطيرون به ، وهكذا يفعلون فى الشام ويزيدون عليه ان يتمتم الواحد بعبارة مثل قوله « يهلك ويبتهلك ، ويجعلك علينا شهرا مباركا ،

وفى انجلترا يتشاءمون من النظر الى الهلال المولود حديثا من وراء زجاج النوافذ .

والمرجح ان الانسان الاول كان يعتقد انه اذا ظهر القمر جديدا وجب عليه ان يخرج الى العراء للترحيب به بوسائل كانت معروفة عنده وكان لا يلزم منزله وينظر اليه من ثقوب الجدران والاعوقب على ذلك .

وأن الانسان نظر الى القمر من زمان بعيد نظرة التفاؤل والاستحسان ، والانسان الاول معذور فى تفاؤله بالهلال الجديد اذ هو يعيش فى خطر المداهمة والغارة ، فالهلال يكشف له عن ظلمات الليل ويؤمنه بعض التأمين ، لذلك كان القمر من اقدم الالهة التى عبدها الناس بل اقدمها . وان العرب اشتقوا لفظة تهلل من الهلال ، ولا نزال نرى كثيرا من الاعياد حتى الاعياد المسيحية تقرر تبعا لأوجه القمر ؟

« تم البحث » ابراهيم تادرس بشاى

٢ - بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

تكلم الأستاذ فى المقالة الأولى عن الحال السياسية والأدبية فى القرن الرابع ، وعن أسرة بديع الزمان وسيرته إلى أن رحل الى نيسابور

وقد وقع خطأ مطبعى أثناء ترتيب المقالة فوضعت الاسطر من الثالث الحادى والعشرين من صفحة ٥٠١ النهر الأيمن فى غير مكانها ، وكان ينبغى أن توضع بعد السطر التاسع من النهر الأيسر فى الصفحة نفسها

فهذا الاسماعيلى هو ، فيما يظهر ، أحد هؤلاء الاسماعيلية الذين أكرموا مثواه فى جرجان .

وفى رسالة الى أبيه يقول « وقد كان رسم أن أعرفه سبب خروجى من جرجان ، ووقوعى فى خراسان ، وقد كانت القصة أنى لما وردت من ذلك السلطان حضرته التى هى كعبة المحتاج . لا كعبة الحجاج ومشعر الكرام ، لا مشعر الحرام ، ومنى الضيف لا منى الخيف ، وقبلة الصلات ، لا قبلة الصلاة ، وجدت فيها ندماء من نبات العام ، اجتمعوا قبضة كلب ، على تلفيق خطب ، ازعجنى من ذلك الفناء ، وأشرف بى على شرف الفناء ، لولا ما تداركك الله بجميل صنعه وحسن وقعه ، ولا أعلم كيف احتالوا ، وما الذى قالوا ، لكن الجملة ان غيروا السلطان وأشار على اخوانى ، بمفارقة مكانى ، وبقيت لا أعلم أيمنة أضرب أم شآمة ، ونجدا أقصد أم تهامة ،

ولو كنت من سلمى أجا وشعابها لكان لحجاج على دليل

قد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه . وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه ، وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والسخط عرجه ، كما ليس بين غضبه والسيف فرجه

. . . .

ونظرت فاذا أنا بين جوذين ، اما أن أجود بياسى ، وإما أن أجود براسى ، وبين ركوبين إما المفازة وإما الجنازة ، وبين طريقين : إما الغربة ، وإما التربة ، وبين فراقين : إما أن أفارق أرضى أو أفارق عرضى ، وبين راحلتين إما ظهور الجمال ، أو أعناق الرجال ، فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ، وأنشدت :

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا فلا رأى للمضطر الا ركوبها »

ولست أدرى من هذا السلطان . وأحسبه فخر الدولة ابن

بويه ، وأما شمس المعالى فلم يكن سلطانا فى جرجان ذلك الوقت

فى نيسابور

ورد نيسابور فكتب الى ابى بكر الخوارزمى ، وهو شيخ أدبائها وأحد أغنيائها : أنا لقرب الاستاذ أطال بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح للقائه ، (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه ، (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج بمرآه (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب) فكيف نشاط الاستاذ لصديق طوى اليه ما بين قصبتى العراق وخراسان ، بل ما بين عتبتى نيسابور وجرجان ، وكيف اهتزازه لضيف فى بردة جمال ، وجلدة جمال

رث الشمائل منهج الاثواب بكرت عليه مغيرة الاعراب

وهو أيده الله ولى انعامه ، بانفاذ غلامه ، الى مستقرى لأفضى اليه بسرى ، إن شاء الله تعالى ،

ويؤخذ من كلام البديع أنه ذهب الى دار الخوارزمى فلم يحسن لقاءه ، أو لم ترض نفس الهمذانى بهذا اللقاء فكتب اليه : الاستاذ ابو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه ان وجده يضرب اليه آباط القلة فى اطمار الغربة فأعمل فى رتبته انواع المصارفة ، وفى الاهتزاز له أنواع المضايقة من إيماء بنصف الطرف ، واشارة بشطر الكف ، ودفع فى صدر القيام ، عن التمام ، ومضغ الكلام ، وتكلف لرد السلام ، وقد قبلت تربيته صعرا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته نكرا وتأبطته شرا ، ولم آل له عذرا ، فان المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفى هذه الاسمال ، أتقزز صف النعال ، فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبى بكر أيده الله طوائح الغربة ، لوجد منال البشر قريبا ، ومحط الرحل رحيبا ، ووجه المضيف خصيبا ، ورأى الاستاذ ابى بكر أيده الله فى الوقوف على هذا العتاب الذى معناه ود ، والمر الذى يتلوه شهد ، موفق ان شاء الله تعالى ، فرد الخوارزمى رداً حسنا

وسعى سعاة السوء بين الرجلين ؛ ثم جمع بينهما الشيخ ابو الطيب فلم يحمد ذلك الاجتماع ، ثم كانت بينهما المناظرة الأولى فى دار السيد أبى على أحد الكبراء فى نيسابور ، فتناظرا فى ارتجال الشعر مناظرة ظهر فيها غلب البديع وقد غضب من قطع الخوارزمى انشاده عليه فصمت برهة ، يقول الهمذانى : ثم عطفت عليه وقلت يا أبا بكر

ان الحاضرين قد عجبوا من حلمى ، أضعاف ما عجبوا من علمى ، وتعجبوا من عقلى ، أكثر مما تعجبوا من فضلى ، وبقى الآن ان يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عى ، وان تكلفى للسفه أشد استمرارا من طبعك ، وغربى فى السخف أمتن عوداً من نبعك ، وسنقرع باب السخف معك ، ونفترع من ظهر السفه مفترعك ، فتكلم الآن . فقال لى أنا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته ، فما الذى أفدت أنت بعقلك مع غزارته ، فقلت : أما قولك دية أهل همذان فما اولانى ان لا أجيب عنه ، لكن هذا الذى تتمدح به وتتبجح وتتشرف وتتصلف ، من أنك شحذت فأخذت ؛ وسألت فحصلت وأجديت فاقتنيت ، فهذا عندنا صفة ذم يا عافاك الله

ذهب البديع الى بيت الخوارزمى واصطلحا . ثم شاع بين الناس أن البديع غلب ، فكتب الخوارزمى اليه يتهمه بأنه أشاع هذا الكلام ، ويقترح مناظرة أخرى ، فكانت المناظرة الثانية فى بيت الشيخ أبى القاسم الوزير . وحضرها عظماء نيسابور ، وكانت مباراة الارتجال والترسل والنحو واللغة ، وقضى بالفلج للهمذانى فلما خرج لقيه الناس بالتقبيل ولم يستطع الخوارزمى الخروج حتى جنه الليل

وفى رسائل الهمذانى تفصيل المناظرة التى قضت له بالفلج . وينبغى الا ينسى القارىء أن هذا قول أحد الخصمين ، ولست أتهم الهمذانى بالكذب الصراح ، ولكنى لا أبرئه من محاباة نفسه . ثم ينبغى أن نتذكر أن الخصمين ليسا سواء : أحدهما شيخ طائر الصيت يخشى أن يؤخذ عليه ما ينقص من قدره ، والآخر شاب طامح الى الصيت يريد أن يبنى مجده على هزيمة قرنه ، وهو لا يخسر كثيراً إن غلب ، وهذا مظنة أن يستعظم الحاضرون ظفر البديع ولو كان قليلا وهفوة الخوارزمى ولو كانت مما يغتفر أمثالها . ثم أظن أن بعض النيسابوريين كانوا يحسدون الخوارزمى ، ويودون أن يذهب بمجده ذلك الضيف الشاب الجميل الطلعة ، الخفيف الروح .

وكان الخوارزمى ، فيما يظهر ، متكبراً ذا جفاء ، قليل الوفاء :

قال الصاحب بن عباد حين جاءه نعيه :

أقول لركب من خراسان قافل : أمات خوارزميكم ؟ قيل لى نعم

فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره ألا لعن الرحمن من كفر النعم

ويقول أبو سعيد الخوارزمى :

بو بكر له أدب وفضل   ولكن لا يدوم على الوفاء
مودته اذا دامت لخل   فمن وقت الصباح الى المساء

ثم لم تكن المناظرة فى صميم الأدب من الشعر والترسل ، بل كانت فى البديهة والارتجال والحفظ . قال الهمذانى وهو يتحدى خصمه : « ومثال ذلك أن أقول لك أكتب كتاباً يقرأ منه جوابه هل يمكنك أن تكتب ؟ أو أقول لك أكتب كتاباً على المعنى الذى أقترح لك ، وانظم شعراً فى المعنى الذى أقترح ، وافرغ منهما فراغا واحداً . هل كنت تعدله ساعداً ؟ وأقول لك اكتب كتاباً فى المعنى الذى أقول وأنص عليه ، وانشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل ، حتى اذا كتبت ذلك قرىء من آخره الى أوله ، وانتظمت معانيه اذا قرىء من أسفله هل كنت تفوق لهذا الغرض سهما أو تجيل قدحا أو تصيب نجحا ، أو قلت لك أكتب كتابا اذا قرىء من أوله الى آخره كان كتاباً ، وان عكست سطوره مخالفة كان جوابا الخ ، وقد أجاب الخوارزمى على هذا كله بقوله : « هذه الابواب شعبذة ، وهى ان لم تكن شعبذة فهى ليست من الادب ، وان دلت على توقد الذكاء وسرعة البديهة » .

ولست اقول إن البديع ليس أعلى من الخوارزمى فى الأدب مقاما ، ولكن أقول ما غلب بديع الزمان أبا بكر الخوارزمى هذه الغلبة التى تصورها رسائل الهمذانى ويرويها الأدباء .

اغتبط بديع الزمان بنيسابور ولقى من سراتها حفاوة واكراما . يقول فى رسالة الى أبيه عن صديق كان قد وعده اللحاق به : « وكان سألنى أن أزود له منزلا ماؤه روى ، ومرعاه غذى ، وأكاتبه لينهض اليه راحلته . فهاك نيسابور ضالته التى نشدتها ، وقد وجدتها ، وخراسان منيته التى طلبتها ، وقد أصبتها . وهذه الدولة بغيته التى أردتها ، فقد وردتها ، فان صدقنى رائداً ، فليأتنى قاصدا . . . وأما أنا وأخبارى بهذه الناحية فتقلب فى ثوب العافية ، موقر بهذه الحضرة مرموق بعين القبول » (١)

وقد كتب كثيرا من رسائله الى جماعة من رؤساء نيسابور وهى تدل على ما كان بينه وبينهم من مودة . وفى نيسابور لقى بنى ميكال ومدحهم . وفى رسائله واحدة الى ابى جعفر الميكالى يشكو فيها تقصيره فى تعظيمه : « وهل كنت الا ضيفا هداه منزع شاسع ، وأداه أمل واسع ، وحداه فضل وان قل ، وهداه رأى وان ضل ، ثم لم يلق الا فى آل ميكال رحله ، ولم يصل الا بهم حبله ، ولم ينظم الا فيهم شعره ، ولم يقف الا عليهم شكره . . . ودخلت مجلسه وحوله من الاعداء كتيبة فصار ذلك التقريب ازورارا . وذلك السلام اختصارا ، والاهتزاز ايماء ، والعبارة اشارة ، ويقول فى رسالة أخرى اليه : « وأعرفه انى ما أطوى مسافة مزار الا متجشما ، ولا أطأ عتبة دار الا متبرما . ولست كمن يبسط يده مستجديا ، أو ينقل قدمه مستغذيا . فان كان الامير الرئيس ، أطال الله بقاءه يسرح طرفه فى طامح أو طامع ، فليعد للفراسة نظراً » (٢) ثم ينقلب عتابه هجاء فيقول فى رسالة الى ابن ميكال « اشهد لئن صدق البحترى فى اللامية ، لقد صدق الاعشى فى الصادية ، وإن وصف الدريدى فى المقصورة ، فلقد تغير الامر عن الصورة ؛ وإن كان كالآخر الأول فما أحوج الكتب الى المقراض ، وأكذب السواد على البياض — الى أن يقول : اللامية قول البحترى :

ثلاثة تجب تنبيك عن خبرى   فيها وعن خبر الشاه ابن ميكال

والصادية قول الاعشى :

كلا أبويكم كان فرعى دعامة   ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

يريد الهمذانى أن يقول أن بنى ميكال كانوا كما قيل فيهم ولكن هذا الرئيس من بينهم قصر عن شأوهم .

ونجد الهمذانى فى نيسابور يكتب الى الشيخ العميد مستنجزا وعده فى توليته بعض الأعمال : « فهل للشيخ أن يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه درن العار ، وسمة التكسب والافتقار ، ليخف على القلوب ظله ، ويرتفع عن الأحرار كله ، ولا يثقل على الاجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه من أشغاله ، ليعلق بأذياله ، وليستفيد من خلاله ، فيكون قد صان الفضل عن ابتذاله ، والأدب عن إذلاله ، واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشتريه بماله » (٣)

وفى نيسابور أملى المقامات . وسيأتى الكلام فيها .

يتبع   عبد الوهاب عزام

(١) الرسائل ص ٩٢

(٢) الرسائل ص ٤٦ — ٤٧

(٣) الرسائل ص ٧٣

من طرائف الشعر

يريد الحب أن نضحك

للاستاذ ايليا أبو ماضي

تعالى نتعاطاها كلون التبر أو اسطع
ونستنشق النرجس الواشي بقايا الروح في الكاس
فلا يعرف من نحن ولا يبصر ما نصنع
ولا ينقل عند الصبح نجوانا الى الناس

تعالى نسرق اللذات ما ساعفنا الدهر
وما دمنا وما دامت لنا في العيش آمال
فان مر بنا الفجر وما ايقظنا الفجر
فلا يوقظنا عالم ولا يوقظنا مال

أراد الله أن نعشق لما أوجد الحسنا
والقى الحب في قلبك اذ القاه في قلبي
مشيئته وما كانت مشيئته بلا معنى
فان أحببت ماذنبك أو أحببت ماذنبي ؟

دعى اللاحي وما صنف والقالي وبهتانه
وللجدول ان يجرى وللزهرة أن تعبق
وللاطيار أن تشتاق أياراً والوانه
وما للقلب وهو القلب ان يهوى وان يعشق

تعالى ان رب الحب يدعونا الى الغاب
لكى يمزجنا كالماء والخمرة في الكاس
ويغدو النور جلبابك في الغاب وجلبابي
فكم نصغى الى الناس ونعصى خالق الناس ؟

يريد الحب أن نضحك فلنضحك مع الفجر
وان نرقص فلنرقص مع الامواج في النهر
وان نهتف فلنهتف مع البلبل والقمرى
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجرى ؟

تعالى قبلما تسكت في الروض الشحارير
ويذوى الحور والصفصاف والنرجس والآس
تعالى قبلما تطمر أحلامي الاعاصير
فنستيقظ لا فجر ولا خمر ولا كاس

اليه !

أحب ولو لم أحظ منك بنائل   وحسبى من حبى تعلل آمل
كتمت شكاتى عنك حتى حسبتنى   بما رحت ألقى في الهوى غير حافل
وبى من تباريح الهوى ما أعادني   بزفرة محزون وأنة ثاكل
لكم بت ظمآنا لريقك صاديا   فأوردت دون العذب مر المناهل
وقد كانت الدنيا كأرحب ما ترى   فصيرتها بالهجر كفة حابل
أعدلا تبيت الليل جذلان هانئا   وأقطع هذا الليل جم البلابل
لشد الذى لاقيت من عنت الهوى   وان كان في بردى له صبر باسل
وأقسمت لا أشكو صدودك بعد ما   تبينت أن القول في غير طائل
فكن كيفما تبغى فلست مباليا   أأشفقت أم أثقلت بالهم كاهلى

محمد برهام

كيف تشكو ؟

كيف تشكو إلى زيداً وعمرا إنما كل ما أتوه صوابُ

إن دنياك قوةٌ فكن الذ ب وإلا تخاطفتك الذئاب

إن عيش القوي رغد هنيٌّ وحياة الضعيف فيها عذابُ

لا تقل لي الضمير والعهد والعد ل كلام منمق مستطاب

فارم عنك القشور وانفذ إلى اللبّ

ب يطالعك بالمفيد اللباب

في قرار الكأس التي ضمت الشه

د تفاني سم زعاف مذاب

ووراء العيون تطفح بالبشـ ر قلوب بالغدر ملأى صلاب

فادّرع للحياة عزما من الفو لاذ وانهد فالعيش ظفر وناب

حمص « سوريا » وصفي قرنفلي

ذكرى العيد

فراقٌ الى غير اللقا لا يرده

بكاء ولا وجد ولا حر انفاس

ولا نظرة قبل الوداع افدتها

ولا دمعة تذري لدى الراحل الناسي

حلفت يمينا بالصبابة والهوى

لقد ضيعت أوفى محب من الناس

وخلّت فؤاداً لم يخفّ لغيرها

طعينا ولا يشفيه طبٌ ولا آس

خفوقا وقد شدت عليه أضالعي

وليس له من بينهن مواس

كنجم بدا في حندس الليل مفرداً

يطل على جيش من الليل فراس

وخلفت نفسي في الاسى لا تريمه

ووجد ملح ظله فادح قاس

كشاة اضلت صحبها وتخلفت

ببيداء تعدو بين هم ووسواس

....

كذلك ذكرى العيد من قاتل الهوى

وكان نديمي كل عيد وايناسي

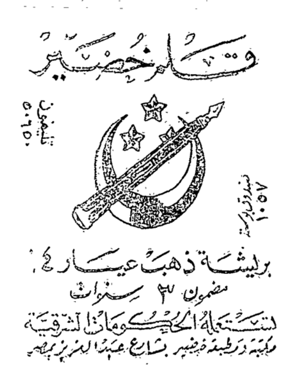
اذا العيد لم يحمل الىّ حديثها

ونشراً زكيا دونه عابق الآس

فما العيد الا مأتم متجدد

يهدم قلبي أو يقطع أنفاسي

شرق الاردن حسني فريز



الشعراء الرمزيون

١ – بول فرلين

١٨٤٤ — ١٨٩٦

للاستاذ خليل هنداوي

شخصية هذا الشاعر شخصية غريبة ، قد اصطلحت عليها أعاصير الحياة ، وانحطت عليها الآلام ، وهي خلال ذلك تعبث بالآلام ، وتنشد الشقاء خالياً من ألحان الشقاء .

كانت حياته الأولى حياة هادئة كالسماء الصافية لا يغشى أديمها شيء . ثم بدأت سحائب سوداء قاتمة تحتشد من كل صوب لتحجب هذا الصفاء ، واستطاعت أن تحجبه ، واستطاعت أن تعكر عليه صفاءه . وتجعل حياته الجليلة مأساة عاشت مع نفسه . وترددت ما ترددت أنفاسه في هذه المأساة التي عصفت به وعصف بها !

رحم الله أبا نواس . فقد كان يدعو الندامي والشاربين الى أن يغبطوه على سكره كلما شرب ، لأنه يرى في سكرته نشوتين ، ويقول لندماه : تسكرون أنتم سكرة واحدة ، وأنا أسكر سكرتين .

لي نشوتان وللندمان واحدة !...

وكذلك كان (پول فرلين) . فسكره كان متصلا ، وذهوله الروحي كان متصلا ، يقتله السكر الاول ولكن السكر الثاني يحييه . ولعله كلما توغل في السكر القاتل زادت محبة الحياة عنده في السكر المحيي ، فألح عليه أصدقاؤه أن يتحرى المرأة فتحرى فوجد ، وشفع له جمال نفسه عن دمامة وجهه ؛ ولكنه لم يجد الشفاء المرتجى في المرأة ، فذهب يتحرى ، ولعله تمثل أن شفاء نفسه في صديق يفهمه ، ولعله اعتقد أنه وجده في الشاعر الرمزي (أرتور رامبورد) فمال اليه ميلا غريبا . وفتحت قصائده مغاليق نفسه ، فاتصلا بضعة أشهر ثم انفصلا ، ولعل أمر انفصالهما كان كأمر اتصالهما ، لأن الأرواح قد تتجاذب وقد تتدافع . ولكن هذا الانفصال لم يكن الا الى حين ، لأن (فرلين) الضعيف كتب الى صديقه يدعوه ، فلبى الصديق نداءه ، وعاد اليه يقضيان – في بلجيكا – حياة تضل فيها الظنون ، وتحلق فيها الأوهام . ولكن أمد هذه الصداقة لم يطل . وليته مات موتاً ، ولكنه انقطع انقطاعا . فان (فرلين) عقب سكرة عنيفة قد اقتفى أثر صديقه في الطريق . وأطلق عليه رصاصة جرحته جرحاً بليغا . شاء ذلك (فرلين) السكير . وشاءت ذلك نفسه الذاهلة الغالبة على نفسه الواعية ، ولعل مبعث ذلك كله هو الخمر ! فلبث عامين يتخبط في سجن (بروكسل) . حتى اذا انطلق من السجن عاد الى ميدان الحياة يغامر فيه ، ويطلب لنفسه منفسحا ، فشغل مناصب علمية في أقطار مختلفة ، ثم لجأ الى باريس . لا يحمل الا قلبه الشاعر ! وقلب الشاعر أرجوحة تترجح بين الشقاء والهناء ، فعزاه عن خطوبه أنه طفق يرى كوكب مجده يسطع ويتألق ، وأن أصدقاءه المعجبين به يشيعون ويظهرون ، فلتفن كل آلام الحياة أمام هذا الأمل المشرق ، ولتقو ما شاءت أشواك الألم ما ظللت هذه الزهرة حية لا تقدر على خنقها .

اما مجده الشعري الذي خلقه من بعده ، فهو يتجلى في مذهبه الرمزي الذي لم يتكلفه تكلفاً . وانما كان برموزه يساير روحه التي تانس بالغموض والابهام ، وتأوي الى عالم ماؤه الاوهام والاحلام .

جرب (فرلين) جل المذاهب الشعرية الشائعة في عصره ، فسمع الحان (الرومانتيكيين) وطرب لها ، ولكنه فر عاجلا وأبى أن يظهر مرارته بهذه الالحان ، فاتى المدرسة (البرناسية) ووجد فيها ضالته ، فنظم قصائد كثيرة خالية من ميول النفس وأهوائها ، وهو القائل :

« أليست من رخام « فينوس ميللو » ؟

فقد فرض على قلبه أن يكون من رخام ايضاً يوم يتلمس هذا الجمال الرخامي .

ولكن (فرلين) المتقلب لا يجد ان هذه المذاهب تستطيع ان تتسع لنفسه الفياضة ، فهو يحس – في نفسه ميولا غامضة تتمشى ، ونزوات مبهمة تتهادى ، فأي فن رخامي يقدر على بيانها ؟ فمال عن المدرسة (البرناسية) ومشى وراء الشاعر (بودلير) مشية المحترس فأخذ من (بودلير) كثيراً . وولد شعر (بودلير) في نفسه كثيراً وأيقظ في نفسه كوامن كان يحسها ، ولكن لا يجد الى الافصاح عنها سبيلا .

وبعد أن رأينا (فرلين) يصارع أصحاب الشعر العاطفي الشخصي نراه غدا أوضح الشعراء شخصية وعاطفة في شعره ، ونرى قصائده الاخيرة انما هي رسالات حقيقية يمكننا أن نعتمد عليها في درس شخصية الشاعر ، تلك الشخصية المعقدة الجوانب التي اجتمعت فيها

مذاهب متباينة وميول من الحياة متنافرة ، وصدر من أجتمعت فيه هذه المذاهب وهذه الميول نراه طوراً كالرخام تمر به وتضج وتثور فلا يحسها ، وطوراً تمر به مر النسيم فيتأثر ويهيج ، و(فرلين) الرخامى القلب الذى كان يصف الاشياء وصفا متجرداً عن الاهواء يصبح شاعراً محللا نفسياً ، نزل الى أعماق النفوس ، ووصف الكآبة العميقة المتمددة فى خناياها ، ووصف التأملات المشوشة يوم تعبس ، وأحلامها المتبدلة حين تطرب . كل ذلك وصفه بعبارات تتمشى مع حركات النفس ، وتنسجم مع ألحانها متوافقة متلائمة ، ووراء هذه العبارات إحساس حى دقيق ، ولكنه إحساس لايظهر فيه الشقاء واضحاً منتصراً غالباً على كل شىء ، ولكنه ذلك الاحساس المفعم بالظلمة والمغشى بالابهام ، كأنما يسرى السارى فيه فى جو مبطن بالضباب ، والشاعر بين حقيقة حياته المظلمة المنقوتة وبين تلك التعازى التى كان يرسلها فنه واحساسه أحلاماً جميلة ملونة ، كان يمشى بفنه ، ويحلق فى أفقه ، مبدعاً ذلك الشعر الذى دعاه معاصروه بحق (بالشعر الرمزى) وأضافوا لحنه الجديد الى ألحانهم الشعرية

(وفرلين) بعد هـــذا كله أبدع شعراً جديداً ألبسه مطارف فن جديد ، وخلق للشعر لغة جديدة أجمع النقاد على أنها أسمى لغة شعرية ، ولم يكن (فرلين) بنفسه إلا أنشودة جديدة مرت على أوتار قيثارة الشعر

مختار من شعره

— ١ —

اغنية الخريف

تجرح قلبى تلك الأنات الطويلة
التى ترسلها قيثارة الخريف . . .
وتبعث فى نفسى الكلال والفتور

* * *

تدق الساعة ! فتطفح نفسى بالذكريات القديمة !
فتبهت ملامح وجهى ، وتضيق أنفاسى !
وتذرف عيناى الدموع .
أستسلم الى رياح الخريف !
فتحملنى مثلما تبتغى . . كما تحمل الزهرة الذاوية !

— ٢ —

القمر الابيض

هذا هو القمر اللجينى يسطع فى الغابة ،
وتحت كل فرع ، ومن كل غصن
يتعالى صوت هاتف « يامحبوبتى ! »
هذا هو الغدير الرقراق كالمرآة المصقولة ،
تسبح فيه خيالة الصفصافة السوداء
حيث تبكى الريح .
ألا فلنحلم . . . هذه هى ساعتنا
والهدوء الشامل قد غمر الكون ،
كأنما تنزل من اللانهاية المشرقة الوانها
ألا إنها الساعة المنتظرة . . .

— ٣ —

منظر

والبلبل القائم على الغصن يخال نفسه
ساقطا فى الماء يخشى على نفسه
الغرق وهو فى ذروة السنديانة
« سيرانو »

تموت ظلال الشجر على صفحة الساقية التى غمرها الضباب
كما يموت الدخان .
بينما الحمائم فى الفضاء تبث الشكاوى
وترسل النجاوى بأنات
أيها المسافر ! إن هذا المرأى الحائل
ليبعث فى نفسك الحؤولة
ويغادرها تحت الظلال العالية ، كاسفة كئيبة
آمالك الغرقى التى تموت ،

— ٤ —

من السجن

السماء — هنالك — لامعة زرقاء .
وشجرة — هنالك — تهتز غصونها فى الفضاء
الناقوس تتهادى دقاته فى الأجواء !
والعصفور يرسل شكواه نشيداً وغناء

البقية على صفحة ٥٨٨

العلوم

٥ ـ فى البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسين
خريج جامعة برمنجهام

لهذه البحوث جانب علمي وجانب ديني . أما الجانب الديني فقتله بحثا جهابذة من المصريين ، وأما الجانب العلمي فأمنية هذا القلم الضعيف أن يبسط ماتم منه ، ويتتبع عن كثب مايستجد فيه ، ومن وراء هذا القلم نفس تتمنى لو أن بمصر معهدا لهذه البحوث ، فلعل الاماني تحققها الأيام .

وللبحوث الروحية أيضا جانب تاريخي ، اذ الظواهر الروحية لم يخل منها عصر من العصور ، عرفها سقراط ، واندفعت بتأثيرها جان دارك ، ومارسها الكهنة والسحرة . دع جانبا وحي الأنبياء ومعجزاتهم ، وكرامات الأولياء ، وما أدى ويؤدي اليه التصوف .

ليست الظواهر الروحية بمكتشف جديد ، وإنما الجديد هو أن يفلحها العلم الحديث بمحراثه التجريبي البطيء الأكيد .

هل الحياة بعد الموت إحدى الحقائق الكونية ، أم كل مايقال عنها توهم وإيهام ؟ واذا كانت تلك الحياة حقيقة واقعة فما القوانين الطبيعية التي تربطها بهذه الحياة ؟ وما العلاقة بين الجسم المادى الذى نعيش به هنا والجسم الروحي الذى نعيش به بعد الممات ؟ وكيف ينشأ وينسلخ هذا من ذاك ؟ سيخيل الى القارىء أن المبحث عبث ، والمطلب مستحيل ، ولكن عددا من رجال العلم قد أوغلوا فى هذه السبيل ، ووصلوا الى نتائج حاسمة ، ونبشوا فى صخرة الموت الصماء ثغرة يضع أنفه فيها كل يوم باحث جديد ، وقد تتسع يوما ما لكل الأنوف .

الجسم البشرى يتألف من كهارب سالبة وموجبة ، والتمثال الحجرى يتألف من نفس تلك الكهارب . ولكن الجسم البشرى يحس ويتصور ويتذكر ويفكر ويريد . فما السر فى أن كهارب الجسم البشري حية عاقلة ، وكهارب التمثال ميتة خاملة ؟

هناك رأيان أحدهما أن ظواهر الحياة في الجسم الحي ليست سوى نتائج طبيعية لترتيب كهاربه على نسق خاص ، أو هى ، بصيغة أخرى ، نتائج آلية لتركيبه الكيميائى . ذلك أن المادة بمفردها تكون ذات خواص معينة ، فاذا اتحدت بمادة أخرى نتج مركب تختلف خواصه عن خواص المادتين اختلافا بينا . فالايدروجين مثلا غاز خفيف ، تصعب إسالته ، والاكسجين غاز يتوهج فيه القبس المتقد ، ولكن اذ اتحد الاكسجين بالإيدروجين نتج الماء ، وشتان بين خواص الماء وخواص كل من الايدروجين والاكسجين . وخذ مثالا آخر : الكلور غاز يعافه الانف ، متلف ، مهلك ، سم زعاف ، والصوديوم فلز نشيط قوى الفعل ، لو وضع الانسان حبة منه فى فمه لنيفت حلقه نسفا ، ولكن اذا اتحد الكلور بالصوديوم نتج جسم لطيف ، يصلح المعدة ، والدم ، هو الملح الذى به نأتدم ، وبدونه لا نستمرىء الطعام . فأصغر تعقيد كيميائي فى تركيب المواد يحدث أكبر تغير فى خواصه ، فلعل كل ظواهر الحياة ، على غرابتها ، ليست سوى خواص طبيعية وكيميائية للمركب المعقد المسمى بالبروتوبلاسم .

هذا رأى الكثرة من علماء البيولوجيا .. وأصحاب هذا الرأى لايرون البعث من الممكنات ، وعندهم أن الرجل اذا مات ، وتفككت ذرات جسمه ، فصعد بعضها فى الجو بهيئة غاز ، ورسب الباقى فى التربة بشكل ملح ، وشتتت الريح الغاز فى القارات الخمس ، وأسلمت التربة الملح الى جذور النبات ، فقد عاد الرجل كأن لم يكن ، وبعثه من جديد رجع بعيد ، وليس له من روح الا بقدر مايكون للملح روح بعد تحليله الى الكلور والصوديوم .

ومن زعماء هذا الرأى سر آرثر كيث ، أستاذ البيولوجيا وعضو المجمع العلمى البريطانى ، فهو يقول :ـ

(.... اذا كنا نخلد فانما نخلد فى أبنائنا وذرارينا ... قبل

أن نتساءل عن كنه الحياة وإمكان استمرارها بعد الممات ، يحسن أن نقول ما هو الموت . اذا وجد الطبيب قلب مريضه سكت ، ولم يبق لتنفسه مد وجزر ، قرر أن الموت حل بساحته . ولكن ليس هذا بصحيح ، اذ لو هيأ الطبيب فى الحال جهازاً يدفع دما طازجا مشبعا بالاكسجين فى الأوعية الدموية لمخ الميت ، لاستعاد هذا وعيه وذاكرته ، وقدر على التفكير ، ونطق با لكلام ، وبقى كذلك مابقى فى عروق مخه دم صبيح . فاذا أوقف الدم عشر دقائق دخلت خلايا المخ فى موت لاحياة بعده ، ولكن خلايا القلب تظل حية ، بحيث لو اقتطع وأحيط بوسائل خاصة عاد يدق كما كان يفعل بين ضلوع صاحبه ، أما خلايا الشرايين فتعيش بعد الوفاة أربعين ساعة . الموت لايحدث دفعة واحدة بل بالتدريج ، وخلايا الجسم تموت فرادى كما يموت السكان فى قرية جائعة ـ الضعيف يموت أولا والقوى يعيش بعده الى حين . لو كان الموت كما يقول سر أليفر لدج هو خروج روح من الجسم لحدث دفعة لا بالتدريج .... لايستطيع البيولوجى أن يسلم بوجود روح للانسان أو للحيوان ، وعنده أن الروح والجسم شيء واحد لايتجزأ .)

هذا رأى فى تعليل ظواهر الحياة . أما الرأى الآخر فزعيمه سر أليفرلدج ، ومحله أن كل حيوان ، ابتداء من الاميبا (حيوان آحادى الخلية بدأ يتميز من الجماد بالشعور والارادة) يتألف من كيان مادى وكيان أثيرى ، وينفرد الثانى إذا ما تحطم الاول ، وتستمر الحياة بعد ذلك بهيئة لاندركها حواسنا الخمس .

هذان رأيان نقيضان فأيهما الصحيح ؟ العلم الحديث لايقف عند حد الادلاء بالآراء ، بل سر قوته ونجاحه هو اختبار الآراء بالتجارب العملية ، فهو لايقيم وزنا لآراء تأبى الامتحان العملى ؛ ولو فعل لتصدعت الرؤوس بآلاف الآراء الجامحة . فقبل أن يصبح الرأى حقيقة علمية يجب أن تحققه التجارب العملية .

نظرة فى هذين الرأيين

الرأى الأول (رأى العدميين) لاسبيل إلى إثباته عمليا إلا بصنع خلية حية من مواد كيماوية عادية وهذا لم يحدث بعد . نعم . نسمع فى الحين بعد الحين أن كيميائيا أحدثه ، ولكن الخبر يذاع اليوم ويموت غدا ، فهو مبالغة أو اختلاق . أما الرأى الثانى فتوجد اليوم ظواهر تؤيده ، نذكر هنا مثالا منها :

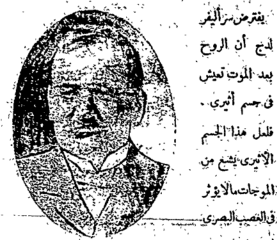
مستر (فرانك لى) وسيط يعمل بجمعية للبحث الروحى بلندن ، وله خاصة الكشف البصرى ، فهو يرى الأرواح كالأشباح . ولكنه يزيد عن أمثاله من الوسطاء بأنه رسام ماهر ، فعند ما يرى الروح ويصفها ، يتناول القلم والورق ويرسمها . وللتحقق من صدقه يفاجئه الباحثون كل يوم بأشخاص ليست لديهم معرفة . ولكنه برغم ذلك يرسم صوراً صحيحة لأرواح أقربائهم . ويجد القارىء هنا رسمين لزوجين من عمل مستر (لى) ، وبجانب كل رسم صورة عادية من صور المتوفى أيام حياته . ويلاحظ أن الشبه متوفر بين الأصل ورسم الوسيط .



(فى الحياة)

(بعد الممات)

كيف يمكن أن يرى الروح انسان كائناً من كان ؟ ليس الأمر من الغرابة كما يبدو . نحن نرى من الأشعة ما يقع بين نهايتى الأحمر والبنفسجى . ولكن هل هذه هى كل ما فى الكون من أشعة ؟ لا . لقد كشف العلم عن سلسلة طويلة من موجات أطول من الحمراء ، وسلسلة أخرى أقصر من البنفسجية — أشعة يعج بها الفضاء من حولنا ولا نراهـا . ويمكنك أن تدخل حجرة حالكة الظلمة ، وتملأ فضاءها بتلك الاشعة ، ومع ذلك لا تميز عينيك غير الظلمة الحالكة .



(في الحياة)

(بعد الممات)

يفترض سر أليفر لدج أن الروح بعد الموت تعيش في جسم أثيري. فلعل هذا الجسم الأثيري يشع من الموجات ما لا يؤثر في العصب البصري للشخص العادي، ولكنه يؤثر في عصب شخص شاذ هو الوسيط. لعل العالم المرئي لنا هو واحد من عوالم كثيرة تحف بنا من كل جانب، وبيننا وبينها حجاب رقيق؟

بول فرلين

بقيـــة المنشور على صفحة ٥٨٥

إلاهي! إلاهي! إن الحياة — هنالك — يحفها الهدوء والسكينة
وهذه النأمة الخفيفة — هي أصوات المدينة،
يا أيها الساكن — هنالك — تبكي البكاء الطويل!
قل: ماذا تصنع أنت بشبابك الجميل

— ٥ —

جرين GREEN

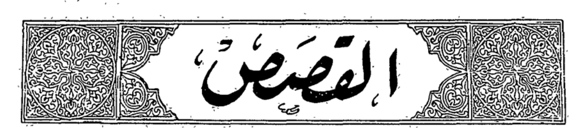
اليك هذه الثمار، وهذه الازهار!
اليك هذه الأوراق، وهذه الاغصان!
اليك قلبي، الذي لا يخفق إلا من أجلك،
لا تمزقه بالله يداك الناعمتان البضتان
ولتقبل هديتي الوضيعة عيناك الجميلتان!
وصلت اليك! وعلى جبيني تتألق قطرات الندى
التي جمدتها ريح الصباح.
تألمي لي! فان شقائي الذي يسكن تحت قدميك،
يحلم بتلك الثواني العزيزة التي ستزيح الرواح.
دعي رأسي على صدرك الساطع،
ترن فيه أصداء قبلاتك الاخيرة
دعه يستريح من العاصفة الثائرة
وذريني يطبق جفني الكرى حيث أنت تهجعين...

— ٦ —

كآبة

تهوي الكآبة على قلبي كما يهوي على المدينة ماء السماء!
فما عسى تكون هذه الكآبة التي غمرت قلبي! وما هذا الشقاء؟
آه! ان وقع المطر على الأرض والسقوف يبهج الفؤاد
الذي اعتاده سأم.. آه يا أغنية الشتاء!
تهبط الكآبة والشقاء القاتم، بدون سبب على هذا القلب الباهم.
فعلى اي عهد ضائع اكتئب؟
ألا إن هذا الحداد بغير سبب.
ألا إن هذا هو العذاب الاكبر!
يكتئب فؤادي
ويتنابه الأسى، دون أن يعتاده حب او يهيجه بغض
وهو لا يعلم — بعد ذلك — لحزنه سبباً!

دير الزور — خليل هنداوي



قصة مصرية

صدمة الغرور

أتم كامل تسريح شعره بعد أن نضحه بماء الكلونيا ووضع طربوشه فوق رأسه . ثم نظر فى المرآة المثبتة فى خزانة ملابسه نظرة اختبار وتأمل ، فحسن فى عينه كل شىء إلا نظام المنديل الحريرى المدلى من جيب سترته ، فأخذه فى يده وجمع أطرافه إلى وسطه وأعاده بعناية ورفق إلى مكانه

ارتدى بعد ذلك معطفه ، وأمسك بعصا دقيقة وخرج من المنزل الصغير ، بعد ان أوصى الخادم أن يعد طعام الغداء مع شىء من الزيادة وكثير من العناية ، لأن ضيفا سيأتى لزيارته اليوم وسيعود إلى المنزل معه .

سار كامل فى طريقه الى عمله بمكتب التلغراف ، فى تؤدة ونظام ، ترتسم على شفتيه نصف ابتسامة يتكلفها دائما ليكون عظيما على الاقل فى نظر نفسه . وكان حريصا كعادته على ان يقتصد فى نظراته وتحياته فى الطريق ، وعلى ان تظل منتصب القامة واضعا يده اليسرى فى جيب معطفه ، وممسكا بالاخرى قفازيه وعصاه الثمينة ، يرفعها ويهبط بها على نظام ثابت ، وبين مسافات متساوية . مبتعدا بحذائه اللامع عن آثار المطر القليل فى الشارع .

وصل المكتب فحيا الوكيل وحيا زملاءه بابتسامة كاملة لم تنفرج لها شفتاه ، ثم جلس الى عمله يستقبل البرقيات ويعنونها ويضعها فى أغلفتها ويسلمها بايصالاتها إلى السعاة الموزعين

يفكر كامل فى نفسه كل التفكير ويتأنق فى ملابسه كل التأنق ، فهو يشفق ان تقتحمه نظرة ارستقراطية تقع منه على ضعف فى التجانس بين قميصه الحريرى وبين بذلته أو رباط عنقه . ولذلك يأخذ نفسه بكثير من الدقة فى اختيار الألوان وفى انسجام كل مجموعة من ملابسه على ذوق مناسب للفصل والوقت . يرعى ذلك كله وان ن يعمل فى مدينة صغيرة من مدن الوجه البحرى قلما تقع فيها العين على أكثر من اللباس العادى النظيف الذى يمتاز بالبعد عن الكلفة والامعان فى البساطة .

ويحرص على هذا كله برغم ما يقتطع من مرتبه الشهرى الذى لم يزد على سبعة جنيهات ونصف جنيه من يوم أن عين فى وظيفته . وهو راض بذلك يعيش منه فى جو من الغرور وخيال العظمة يعزله عن وسطه وزملائه ويجعله أحيانا مبعث دهشتهم وأحيانا موضع نكاتهم .

قلبه يحمل إلى جانب ذلك حبا يملكه كاقوى ما يمتلك الحب ، وهوى يعذبه كاشد ما يعذب الهوى . فاذا به وهو يمسك بصورة محبوبته يقلبها بين يديه فى مناجاة ذليلة ، وضعف ينسى فيه نفسه ويتخيل الحبيبة كل شىء ، طالما أوصد على نفسه باب حجرة نومه الصغيرة . وأخرج الصورة من حرزها الحريز فى خزانته ولبث ينظر اليها فى ذهول حتى يغيب عن وجوده وعن حجرته ، ويعود فى ذكرياته الى أيام الدراسة ثم إلى أيام العمل الاولى فى القاهرة . فيرى نفسه وقد ذهب محملا بالأمانى غارقا فى الأحلام الى منزلها ليزور والدها واخوتها ، حاملا إليهم تحيات أسرته الصديقة كان ينتهز لذلك فرصا كثيرة . وكان يقابل هناك بكثير من الحفاوة للصلات القديمة المتينة التى تربط العائلتين . وكانت تأتى « هى » لتحيته فيقوم لها وقد سرت فى جسمه هزة سريعة ينهزم لها قلبه ، وينعقد لسانه ، وتتسمر عيناه ، إلا أن الإبتسامة التى كانت تنطبع على شفتيه دون وعى كانت تحجب عن الأنظار كثيراً من ذلك . ثم يجلس مفكك الأوصال كما يعتدل فى فراشه المريض الناقه بعد أدوار الحمى القاسية . ويمضى الزمن سريعا سريعا فيستأذن ويخرج مهيض الجناح ملتاع القلب . يذكر ذلك وفى يده الصورة فينهال عليها بفمه الملتهب يقبلها فى حرارة ، ويرفع نظره عنها ويثبته فى السقف وهو لا يرى منه شيئا . ثم يرسل تنهدة عميقة ، ويقوم فى تراخ فيفتح صوانه ويضع الصورة حيث كانت . ثم يعود الى سريره يستلقى عليه فى فتور وإعياء .

هذه الصورة عزيزة عليه ، يحتفظ بها ويحرص عليها كل الحرص لانها لم تصل الى يده الا بعد عناء شديد ، شاركته فيه أمه عند ماسافرت لرؤيته فى مصر ، فاعملت حيلتها فى تبادل الصور بين الاسرتين ، ولم تظفر بها الا بعدجهد ورجاء فى الزيارة الثانية . وقد تشجعت – بعد الحاح ابنها الشديد – على أن تشير فى سرعة وغموض الى أملها فى أن تتصل بينهما أواصر صلة قرية . وكم اطمأن قلبها عندما لمحت حمرة الخجل تشيع فى وجه (رسمية) وابتسامة المجاملة تبدو على ثغر والدتها !

كل هذه الذكريات كانت تطيف بكامل كل يوم قبل أن يأوى الى فراشه ، وعندما يخلو الى الصورة العزيزة يناجيها ويتنهد من أقصى رئتيه ، لايستطيع التفكير فى مصير أمله الغامض

لم يسافر الى مصر من عهد أن نقل منها ، وقد أرسل خطابا الى عمه ، رأفت بك والد رسمية يعرفه فيه حاله ، ويتجه بتحيته الى الاسرة جميعها . وورد اليه منه رد رقيق يتمنى له فيه الراحة ويبدى استعداده لخدمته فيما يريد . وقد استحى بعد ذلك أن يكتب اليه مرة أخرى ، ثم هو لايعرف طريقا يقربه من غرضه . فوق أنه لا يعتمد على شىء لهذا الغرض الا على الصداقة القديمة بين أبيه وبين رأفت بك . وهو لايثق كل الثقة فى أنها تكفى بعد أن بعدت الشقة وأصبح رأفت بك موظفا كبيرا ، ونشأت رسمية على حياة راقية وآمال واسعة . كما أنه لايثق من مساعدة أبيه له لنفس هذه الاعتبارات ، ولذلك يؤثر الا يكاشفه بالأمر فى رغبة ورجاء استبقاء على أمله أن يتبدد من أقرب الناس اليه .

كانت تؤلمه هذه الخواطر حين ينتهى فى تفكيره اليها فيحاول أن يبعدها عنه فلا تبتعد ، فيعلق نفسه بخيوط من الامانى . لعله يوما أن يكتسب عطف رأفت بك ، ولعله يوما أن ينعم بحب رسمية . أليس شابا مستقيما ؟ أليس وسيما أنيقا ؟ وتحمله هذه التعلات من مكانه فاذا به امام المرآة ينظر الى نفسه ثم يبتسم لها ويعود الى فراشه . ويسلم أفكاره الى الهواجس ثم الى النوم حتى الصباح ...

* * *

جاء موعد قيام القطار فدوى صفيره فى الفضاء ، ثم انطلقت أنفاسه المحبوسة ، وتحرك فى خفة وهدوء ، وارتفعت اصوات المودعين ، واخذ القطار يبتعد عن الرصيف شيئا فشيئا ، وأخذ المودعون والمسافرون يلوحون بمناديلهم فى الهواء . ثم أغلقت النوافذ ، وتتابعت المناظر من خلال الزجاج فى سرعة عظيمة .

وجلس الدكتور أمين ممسكا بيده المجلة العلمية التى ابتاعها وأخذ يقلب صفحاتها ليعرف موضوعاتها وكتابها . ثم وضعها الى جانبه وسبح فى خياله . هو اليوم يعود الى القاهرة منقولا إليها بعد أن فارقها من سنتين ، فارق فيهما حريته الواسعة واصدقاء الدراسة ، واندمج فيهما فى التقاليد الاجتماعية التى ينفر منها ، ولكنه لايجد مفرا من الخضوع لها . سيعود اليها الآن شبه غريب فقد تفرق زملاؤه ، وأصبح هو مقيدا بعمله وواجباته . ولكن القاهرة هى القاهرة على كل حال ، ولا بد أن يجد فيها كل امرىء راحته وسعادته .

اتسعت احلامه وذكرياته فقام من مكانه ومد يديه الى الأمام ثم الى الخلف فى بطء واسترخاء مالئا رئتيه من الهواء المنعش البارد كمن يود أن يستجمع نشاطه المتفرق . ثم سار فى بهو العربة الخالى ينظر أحيانا الى الركاب اللاهين فى أحاديثهم أو صحفهم ، أو المسلمين أنفسهم إلى سنة خفيفة من نوم أو تفكير . سار مرات فى ذهاب وجيئة لم يتعد العربة التى هو فيها ، ثم خطر له أن يجتاز مركبات الدرجة الأولى إلى عربة الأكل ليتناول فيها فنجانا من الشاى . فسار سيرا وئيدا فى ممرات العربات التى يسودها سكون لا تسمع فيه قرقعة العجلات ، ولا صفير القاطرة . وانقلب تفكيره وخياله الى حال من العظمة والشعور بالكبرياء . وسمح لآماله أن تسبق الزمن فتراه طبيبا شهيرا جمع الى ذيوع الصيت ثروة ضخمة تؤهله أن يكون دائما من رواد هذه العربات الفاخرة دون أن يكون دخيلا عليها . ثم تسرب فكره وخياله إلى نواحى العظمة الاخرى فتصور الضياع والقصور ، وتخيل رحلة لذيذة فى الصيف إلى خارج القطر يمثل فيها مصر فى مؤتمر دولى طبى . وكان قد استند قليلا إلى إحدى النوافذ وإذا بيد تنزل على كتفه فى ملاطفة وتنبيه ، فالتفت سريعا وملأت وجهه ابتسامة شاكرة ، ثم مد يده مسلما فى احترام ولين .

– إلى أين انت مسافر يا دكتور ؟

– الى مصر يابك فقد نقلت اليها للعمل فى المصلحة

– عال . إذن ننتظر منك ان تزورنا كثيرا . فأنت من الآن طبيبنا الخاص . أليس كذلك ؟

– بكل سرور يابك . ولى الشرف

— العفو يادكتور . وكيف حال عمك ؟ ألم تزره حديثا ؟

— كنت عنده فى الأسبوع الماضى وهو فى صحة جيدة . ولو أنه يعلم بهذا النقل لأوصانى أن أزور سعادتكم وأن أحمل اليكم أطيب تحياته .

— وكيف حال كامل ابنه فانى لم أره منذ أن نقل من القاهرة بعد تعيينه بمصلحة التلغراف .

— بخير يا بك . وسأمر عليه اليوم لأراه .

— إذن أنت لا تسافر فوراً الى مصر فى هذا القطار ؟

— سأتخلف عنده ساعتين ، وأصل ان شاء الله مصر فى هذا المساء .

— وإلى أين كنت تسير الآن ؟

— كنت أريد الذهاب الى عربة الاكل اتناول فنجانا من الشاى

— إذن تفضل . واعمل ترتيبك على أن تنزل عندنا إلى أن تنظم مسكنك الجديد . فاهم ؟ سأنتظرك فى المساء . لا أقبل منك اعتذاراً . إن لعمك عندى منزلة كبيرة . وأنت دكتورنا الصغير العزيز . ها . ها . ها ! بلغ كامل سلامى .

— متشكر يا بك . إن شاء الله

***

وقف القطار واستقبل كامل ابن عمه فى حفاوة وترحيب وكان قد انتهى من عمله حين كانت الساعة الواحدة بعد الظهر . فسار به الى المنزل ، وتحدثا فى الطريق عن النقل ، فهنأه به كامل تهنئة حارة ، وبادله الدكتور التهنئة على أناقته ومظهره الفخم الذى يبدو فيه من أبناء الطبقة الراقية

بلغا المنزل وكان الخادم على استعداد لتقديم الطعام . فأمره كامل باعداده ، وساعده فى ترتيبه على مائدته البسيطة . ودعا ابن عمه أمين الذى كان فى حجرة النوم مشتغلا بالتفرج على ملابس كامل العديدة الجميلة الصنع واللون فذهب اليه وأخذ مكانه من المائدة وبدأ الحديث . .

— برافو كامل . أنت لا تزال محتفظا برشاقتك المعروفة عنك برغم بساطة البلد الذى تعيش فيه . فمجموعة ملابسك تعتبر من أبدع ما يملكه هاو للأزياء الحديثة

— أبداً . انها فى منتهى البساطة . ويظهر أن للعادة حكما لا يستطيع الانسان أن يتغلب عليه ولو عاش فى الارياف أو فى الصحراء

— « على فكرة » رأفت بك كان مسافرا الى مصر فى القطار الذى وصلت فيه . وقد عرفنى اثناء مرورى فى العربة وسأل عنك . وكلفنى أن أحمل سلامه اليك

— رأفت بك : وكيف عرفك ؟ وماذا قال لك ؟

— يظهر أن ذاكرة الرجل قوية . فقد مرت سنتان لم أره فيهما ، ولكنه رآنى مع عمى كثيرا قبل ذلك . وقد هنأنى تهنئة رقيقة يوم ظهور نتيجة الدبلوم . وقد سألنى اليوم عن عمى . وطلب منى بالحاح ان أنزل عنده فى مصر حتى أهيىء لى سكنا ، وقال انه فى انتظارى الليلة

— فى انتظارك الليلة ؟ . اذن انت لا ترغب فى البقاء معى ولو يوما واحدا ؟

— بكل أسف . فأنا مضطر الى الذهاب الى المصلحة غدا صباحا ولذلك سأسافر بقطار الساعة الثالثة . ولا تنس أننى وعدت رأفت بك بالذهاب الى منزله هذا المساء

— إنها فرصة سعيدة جدا . الا تعرف ؟

— فرصة لا بأس بها وان كان لا يهمنى كثير الاختلاط بالطبقات الارستقراطية . بل إنى أضيق بالعادات والتقاليد الخاصة بها . وأحاول أن أتكلفها لئلا يفوتنى شيء منها ، فتقابل تصرفاتى بابتسامة أشفق منها على نفسى . ولذلك فانى فى الغالب ساعتذر للبك بعد ليلتين بحصولى على مسكن وأنتقل الى أحد الفنادق

كيف ذلك ؟ إنى أريد ان أكلفك بمهمة فى هذا المنزل . مهمة شريفة جداً . يتوقف على قضائها مستقبلى ، أو قل تتوقف عليها حياتى ، وقد خدمتنى الظروف أجل خدمة بما حدث بينك اليوم وبين رأفت بك مما جعلك تقبل النزول فى بيته ، فتكون ضيفا كريما مسموع الرأى ، مجاب الإرادة . فهل أنت مستعد أن تقدم لابن عمك وصديقك هذه المكرمة الميسورة لك ؟

— لا أفهم . إنما ثق انى على أتم استعداد لخدمتك فانت أخى قبل كل شيء ، فما هى هذه المهمة وكيف يتوقف قضاؤها على بقائى فى منزل رأفت بك . أأنت تريد العودة الى القاهرة ؟

هذا طلب ثانوى سيكون له وقته القريب أو البعيد . اسمح لى دقيقة . . .

وقام كامل فغسل يديه بسرعة وجففهما ثم دخل إلى حجرة النوم وعاد ومعه الصورة فى غلافها .

اقترب من أمين وقد امتقع لونه وعلت أنفاسه ورفع الصورة بين أصبعين من يده المرتعشة .. فأمسك أمين عن الأكل وحلق بعينيه وفغرفاه وقال بصوت ملؤه الغرابة والدهشة :

« رسمية ! بنت رأفت بك ! انت بتحبها ! ؟ مين جاب لك الصورة دى ؟ » ... « آه ياعفريت » . جلس كامل وهو لا يكاد يعي ما يسمع أو ما يقول ثم أجاب ـ الصورة مهداة إلى أمى . وليست لى بالذات ، أنا انى أحبها فلست أدرى إن كان الحظ أو سوء المصير هو الذى أوقد نيران هـــذا الحب فى قلبى ، فهو يستعر به ولا تبى عنه إلا هاته الزفرات .

ـ وهل كاشفت أحدا بهذا الحب ؟

أبدا لم أجد فرصة أولم أجد شجاعة . حتى أنى لأحس الآن بألم فى نفسى كأنى استبحت حرمة دفينة حين صرحت لك ، ولكنه الأمل ، فعزائى الآن بيديك . وإنما أمى تعرف عنه كل شىء ، وأظنها أبدت الرغبة ذات مرة فى زواجى من رسمية ، وأخبرتنى وليت أدرى أكان حقا أم قصدت إلى سرورى . أخبرتنى أن رغبتها صادفت ارتياحا من الجميع .

ـ اذن المسألة أصبحت سهلة . وماذا يمكننى أنا أن أقدمه اليك فى هذا الأمر ؟

ـ ماذا يمكنك ؟ يمكنك كل شىء . تستطيع أن تعرف الميول الحقيقية نحو الفكرة .. وميول رسمية بصفة خاصة .. وتستطيع أن تكون صريحا فى ذلك . وأن تستعمل حيلتك وتأثير شخصيتك . وعندك الفرصة سانحـــة لتمكنك من قضاء وقت طويل أثناء اقامتك فى المنزل .

ـ على كل حال ثق أنى سأجرب نفسى فى هذا الموضوع ، وانى سأتخذ ما ليس من طبعى من التبسط فى التفاصيل وسيساعدنى على ذلك أن مثل هذا الحديث عند الطبقة الراقية مألوف لاغضاضة فيه . وإن كنت لا أكتمك ظنى أن لامثال هذه الطبقات ميولا وآمالا قد لا تدخل فى تقديرنا فلا نعمل لها حسابا . انما يمكنك أن تعتمد على فى ذلك إلى أبعد حد

ـ إذن أضع كل أملى فيك ، حياتى ومستقبلى بين يديك ، عاملنى كأخ ، ولا تنس أن قلبى يتفطر ، وأنى لن أرى الراحة حتى أرى بوادر خدمتك ، وسأظل مدينا لك بروحى مدى الحياة ..

لماذا أمسكت عن الأكل ؟ كل ، فان المسافر يجب أن يأكل كثيرا .

ـ متشكر ، لقد امتلأت . اين ماء الغسيل ؟

٭ ٭ ٭

سافر الدكتور ومضت أيام ، فأرسل اليـــه كامل خطابا يستثير فيه اشفاقه ، ويرجو منه افادته عما عمل وما رأى وما سمع ، ومضى أسبوع ، وأرسل كامل كتابا آخر يعتب فيه أشد العتب ، احتدت فيه عاطفته أول الأمر ثم لانت وتوسلت وتذللت وطلبت رداً .. أى رد !

وأتى الرد أخيرا . نشر كامل الخطاب بين يديه فى سرعة ورجفة وقرأ ..

عزيزى كامل

احييك وأتمنى لك الصحة والراحة . جاءنى خطابك وقد كاشفتها بحبك ، فامتعضت وزمت شفتيها فى احتقار وتبرم . ولم أشأ ان أجرح شعورها بعد ذلك ، اجتهد ان تنسى عاطفتك الجامحة ، وثق انك تستطيع ذلك ، ويمكنك أن ترسل الصورة إلى الوالدة أو تتخلص منها على أى حال . فهذا ما يساعدك على ما ذكرت ، وانى لك على الدوام المخلص

أمين

٭ ٭ ٭

ومنذ شهر ، عاد كامل فى نهايته من أجازته المرضية الطويلة . واذا به يتلقى فى البريد الدعوة الآتية

« محمد رأفت بك ، والدكتور أمين سامى يتشرفان بدعوة حضرتكم الى حفلة عقد قران الآنسة رسمية كريمة الاول على الثانى فى الساعة السادسة من مساء الخميس ٢٥ الجارى بمنزل الأول فى الزمالك ويسرهما ان يشفعا هذه الدعوة بأطيب الأمانى » .

وجمد كامل فى مكانه من ألم الصدمة . ولكن سؤالا سريعا وجوابا حاسما ، طافا بمخيلته فى غير شعور أيذهب ؟ مستحيل !

محمد فريد عبد القادر

٣ – شهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

— ما هذا يادكتور كرسلاند ؟

— هذه حدائق المرجانية

— عجبا وما هذه الالوان الجميلة ؟

— هذه الوان المرجان نفسه

— ولكن عهدى بالمرجان أن يكون شعبا صلبة من مادة جيرية بيضاء أو حمراء

— ماتقوله يصدق على بيوت المرجان بعد اخراجها من الماء وتعرضها للهواء والشمس

— اذن ارجو ان تزيدنا علما بهذه الكائنات العجيبة

— بكل سرور – المرجان كائن حى هلامى الجسم صغير جدا من فصيلة الحيوانات الدنيئة ، وله قدرة على بناء بيت له من مادة جيرية يفرزها جسمه ، وهذا البيت يعيش فيه الحيوان ويرتكز عليه وهو تكاثر بطريقين : طريق التوالد أى التلقيح ، وطريق الانقسام ، أى أن الواحدة تصير أثنتين بطريقة تشبه الأزرار فى النبات ، وشانه فى ذلك شأن كثير من أنواع هذه الفصيلة — فالمرجان فى تكاثره يشبه النباتات والحيوانات العليا معا ؛ فهو مثل النباتات فى أن كلا منهما يحتاج الى رواكز ينمو عليها ، كما أنه ينتشر فى الاماكن المتباعدة بطريقة تكاد تشبه طريقة الانتشار بالبذور ، وهو مثل الحيوانات العليا فى أنه ينقسم الى ذكر وانثى — وتكاثر المرجان من الامور المدهشة العجيبة ، فالجزر تحت أقدامنا والشاطىء من السويس الى المحيط الهندى والحاجز المرجانى العظيم شرقى قارة استراليا وكثير من جزائر المحيط الهندى والهادى ماهى الا تكوينات مرجانية من نوع الخمائل التى ترونها الآن والتى تثير فيكم الاعجاب والدهشة — فمتى حان وقت اللقاح قذف الذكر من فمه سائلا لبنيا خفيفا ينتشر فى الماء ، فاذا وصل السائل المذكور الى الانثى واختلط بالبويضات فى جوفها حصل التلقيح وأخذت البويضات فى النمو على شكل كرات صغيرة جداً لاترى بالعين العادية ، وبعد تمام نموها تطرحها الانثى فى الماء بكميات عظيمة ؛ فتعوم فيه بحركة ضعيفة بواسطة أهداب على جسمها تدفعها الى الامام ، وبعد أيام أو أسابيع تستقر هذه الاجنة فى قاع البحر بالمكان الملائم لنموها فتلتصق سريعا بالقاع ، ثم تتطور فيتميز لها فم تحيط به أذرع لدفع الغذاء الى الفم ، ثم يتكون للحيوان هيكل جيرى يأخذ فى النمو سريعا فتقوى أذرعه ويكبر تجويفه حتى اذا اكتمل نموه بدأت عمليتا التوالد والتكاثر على نحو ماقدمنا فتتسع قاعدته وتطول شعبه ، وتتفرع بالتزرر كما يزرع نفسه فى الاماكن المجاورة بالتوالد .

وهنا اقتلع الدكتور كرسلاند من الماء شعبة مرجانية زرقاء فانساب منها سائل هلامى شفاف له قوام كثيف ثم قال : إن هذ السائل عبارة عن اشلاء مئات من الحيوانات المرجانية ، تسقط عن هياكلها الجيرية بعد أن فارقت الحياة لانها لا تقوى على البقاء خارج الماء ، وأما هذه الشعبة – انظروا الى الثقوب فيها فهى قرية او مستعمرة مرجانية ، وعما قليل يضيع لونها الازرق وتصير سمراء ثم بيضاء – انها قصفة تنكسر بسهولة ، وهذا المرجان لايغرنكم شكله الجميل ، فهو حيوان مفترس ؛ فالكائنات البحرية الصغيرة التى يسوقها سوء الطالع بالقرب من اذرعه تلاقى حتما حتفها ، فعلى الاذرع تنتشر ابر دقيقة تنتهى عند قواعدها باكياس صغيرة تحتوى على سم شديد الفعل ، فمتى انغرزت الابر فى جسم الحيوان شلته عن الحركة فيقف جامدا فتمتد اليه الاذرع وتلصقه بها ، ثم تدفعه رويدا الى الفم ، فمتى وصل اليه انفتح بالقدر اللازم لابتلاع الفريسة ، ثم يطبق عليها وتبدأ عملية الهضم داخل التجويف ؛ والمرجان من أكلة اللحوم فهو لايتغذى بالنبات ، وهو يتنفس مثلنا بالاكسجين يأخذه من الماء ونحن نأخذه من الهواء .



انواع الشعاب المرجانية

والمرجان موجود فى معظم بحار العالم ، ولكن النوع الذى يبنى الجزر والحواجز العظيمة لا يعيش إلا فى البحار الاستوائية قليلة العمق ، حيث يتوافر دفء الماء وصفاؤه ، ومن صفات المرجان انه يموت اذا انكشف عنه الماء أو غطته رواسب كطمى الانهار .

والمرجان نوعان : نوع صلب وهو هذا ، ونوع لين يكاد يشبه العشب البحرى وله ملمس كالجلد ، ثم ان النوع الصلب على اشكال ، فمنه الريشى اى ذو الشعب ، وهو أكثرها انتشارا واجملها منظرا ، ومنه الوان كثيرة بديعة كالارجوانى والاصفر والأخضر والاحمر ، ومن اشكاله ايضا النوع المخى وهو على هيئة تلافيف المخ ، والنوع الطبقى وهو على هيئة أطباق صغيرة ، والنوع الخيمى وهو على هيئة عيش الغراب ..

ثم إن الدكتور كرسلاند بعد أن خطا بضع خطوات ونحن نتبعه وقف متفرسا وقال انظروا فى الماء : انظروا الى هذه الاسماك الصغيرة التى تعيش بين الشعب ، أليست جميلة حقا ؟ ان وصفها يحتاج الى بلاغة اكبر الكتاب وخيال اعظم الشعراء وريشة أمهر المصورين ـ انظروا الى حركاتها الرشيقة وهى تتسلل بين الشعب ـ فهذه أسماك لا يزيد طولها على سنتيمتر ونصف ذات ألوان بديعة براقة بين أزرق وأخضر وبرتقالى وأصفر وأحمر وأرجوانى وأسمر ، وبعضها نصف جسمه بلون والنصف الآخر بلون ، وبعضها مخطط بخطوط واضحة محدودة : ازرق وابيض ، أو أصفر وأسود ، وبعضها جسمه رفيع وبعضها جسمه مبطط يكاد ان يكون شفافا

ثم انظروا الى هذه المحارة العظيمة ، انها من النوع ذوى المصراعين ، انها كذلك تعيش مختبئة هكذا بين المرجان ـ ثم ان السماكين يخشونها ويحاذرون أن تزل قدم فيسقط أحدهم بين فكيها ، فاذا انطبق المصرعان على القدم فانه لا يخرج منهما الا مهصورا مهشما .

ثم انظروا الى هذا « البنجق » الاسود والابيض ، انه كذلك من سكان هذه المنطقة ، والصيادون يسمونه خيار البحر ، وهو حيوان وديع لا يؤذى أحداً ، ثم انه يكاد يكون عديم الحركة ، فهو لا يسعى للقوت بل يكتفى بدفع ماء البحر مع الرمل الى جهازه الهضمى وهو عبارة عن قناة بطول جسمه ، فيدخل الماء من طرف ويخرج من الطرف الآخر ، والحيوان يكفيه ما فى هذا الماء والرمل من مواد عضوية وحيوانات صغيرة لتكون غذاء له

ثم انظروا الى هذه السمكة التى تحاول مسرعة أن تختفى منا بين المرجان الاخضر — إنها « الدرمة » أو السمك البالونى — ان لونها يكاد يكون كلون البيئة التى تعيش فيها : — ظهر أخضر وبطن أبيض — ثم انظروا الى رأسها الكبير ، وخصوصا الفم ، الا ترون أن لها منقاراً كمنقار الببغاء — ثم إنه أمر (خير الله) كبير صيادى المحطة باقتناصها ، فبعد دقائق كان يسحبها من الماء ، ولم تكد تخرج منه حتى انتفخ جسمها وصار كالكرة الكبيرة (البالون) ثم قال هكذا طبيعتها كلما اخرجت من الماء ، فهذا هواء الجو تضغطه فى جسمها فاذا عادت الى الماء زفرته فيتقلص جسمها كما كان — ثم قال لا تلمسوها بايديكم لأن جسمها مغطى بأهداب بيضاء تفرز مادة لاذعة تحدث فى اليد تخديراً

ثم إنه انطلق ونحن فى أثره حتى أقبل على بقعة غنية بأنواع المرجان فقال هنا تعيش حيوانات بحرية كثيرة ، والجهاد للحياة بينها على أشده ، فهى لا تنفك فى هجوم ودفاع — إن الغذاء هنا وافر ولكن المنطقة مفتوحة للبحر فلا يجد فيها السمك الضعيف الحماية الكافية لصد هجمات السمك القوى فهو يعمد الى الخديعة والحيلة — انظروا الى هذا الثقب ، إن حيوانا لا شك أنه مختبىء هنا — ثم إنه أدخل فى الثقب طرف عصاه فقفز منه شىء متحرك لم نميز فيه شيئا — فمد الدكتور يده الى الماء بخفة وحذر وانتشله منه فكانت دهشتنا كبيرة اذ رأينا سرطانا بحريا (أبو جلمبو) فى حجم الليمونة قد نما على ظهره عشب مائى غطى منه الرأس والارجل حتى أنه اذا وقف على الارض أو تعلق بالشعب أو اختبأ فى ثقب فانك لا تفرق بينه وبين قطعة من العشب الا بعد جهد وإنعام نظر

ثم انه تقدم ونحن وراءه وقال : فى كل خطوة مخلوق عجيب ، وفى كل شبر كائن غريب ، ولا حصر لعجائب مخلوقاته . فتبارك الله العظيم !

ثم ركبنا اللنش فعاد الى المحطة وقد انتصف النهار .

وفى المقال التالى سنتكلم إن شاء الله عن منابع الزيت ومناجم الفوسفات .

الدمرداش محمد

العالم المسرحي والسينمائي

فن التنكر MAKE - UP

لناقد « الرسالة » الفني

فن التنكر Make - up أو الماكياج ، من أدق الفنون التي تتطلب من الممثل مهارة خاصة ، أو خبرة واسعة ، ودراية تامة ، ذلك لأن الممثل يعتمد على تعبيرات وجهه وما يكون لها من التأثير في نفس المتفرج في ابراز الشخصية التي يمثلها ، وفي تلوين بعض المشاهد بلون العاطفة التي تناسبها من الغضب او الرضا ، اليأس أو الرجاء ، الحب او البغض ، الى غير ذلك من شتى الانفعالات النفسانية التي تختلج في القلب ، ويلجأ الممثل في أظهارها الى رنة الصوت وطبيعة اللهجة التي يتحدث بها ، وبما يأتيه من الحركة المناسبة ، هادئة كانت ام عنيفة ، ثم بما يلوح على وجهه من الملامح التي تعبر عن هذه العاطفة ، ومن هذا المجموع ، من الصوت والحركة وملامح الوجه ، يستطيع الممثل ان يحدث في نفس المتفرج الأثر الذي يريده ، وينقل اليه إحساس الشخصية التي يحيا في تضاعيفها على المسرح .

على ان الوجه وما ينطبع عليه من تعبيرات شتى ، وما يلوح على صفحته مما يترجم عن خلجات النفس وعواطف القلب ، أكبر معوان للممثل في فنه . والممثل القدير قد يعطيك بنظرة ساهمة ، او لمحة خاطفة ، ما لا تؤديه عشرات الجمل ، بل قد يشرح الممثل المؤلف والقصة كلها بهذه النظرة ، أو هذه الملامح التي تنطبع على صفحة وجهه في مشهد من مشاهد القصة .

أذكر أني يوم قرأت « شمشون » للمؤلف الفرنسي المعروف هنري برنشتين ، استكثرت على الزوج ان يضحي ثروته ومركزه الذي ناله بكده وجده ، وكان حالا فأصبح من كبار رجال المال والنفوذ : استكثرت عليه ان يضحي كل جهود حياته في سبيل الانتقام من عشيق زوجته ... وطويت الرواية وانا أقول إن برنشتين لا يزال يجعل العنف المسرحي غرضا من أغراضه ، وشاهدت هذه القصة بعد ذلك من فرقة فرنسية على أحد مسارح القاهرة ، ورأيت الممثل الذي قام بدور الزوج في المشهد الرائع الذي يتضمن في تضاعيفه القصة كلها ، تراه في هذا الموقف بين اثنتين : اما أن يكف عن طريقته في الانتقام من عشيق امرأته ، واما أن تجرفه العاصفة معه فيسقطان الى الهاوية معا ، وقف الزوج مشدوها لا يتحرك ، ينتابه الف عامل وتمر بقلبه الف عاطفة ، وفجأة ينظر الى غرفة داخلية كان قد احتبس فيها خصمه ، ينظر الى الغرفة فتلمح في نظرته وترى على وجهه من معاني الحقد والثأر والغضب ما يفزعك ، ثم يصدر أمره الى أحد رجاله بأن يمضي الى النهاية ، النهاية التي فيها الخراب والدمار ، وفي هذه النظرة الحاقدة ، وفي هذه الملامح التي غمرت الوجه لحظة أو بعض لحظة ، ملامح الغضب الكمين والرغبة في الثأر والانتقام الفظيع برر الممثل ما أخذه الناقد على المؤلف ، بل شرح الممثل المؤلف وأعان المتفرج على أن يفهم كيف ارتضى الزوج أن يهدم حياته كلها في سبيل هذا الانتقام .

وأنت إذ تمضي في الطريق ترى عشرات الوجوه ، بل المئات بعضها سمح طلق تحس الراحة والطمأنينة بالتطلع اليه ، وبعضها قاس عنيف تنفر منه ، بعضها تحس أن وراءه طبيعة طيبة وقلبا كريما ، وبعضها الآخر تحس أن وراءه خبثا كمينا وشرا مستطيرا ، وقد ترى أناسا لا تعرفه ولم تحتك به في عمل أو حديث ، ولا صلة لك به ، ثم تهمس في اذن صديقك انظر ! هذا رجل أبله ، أو هذا رجل طيب ، أو هذا رجل شرير ، إلى غير ذلك من المعاني التي توحيها اليك ملامح الوجه الذي رأيته .

ومن العبارات المألوفة أن تقول عن شخص معين في حديث يدور حوله إن

وجها يدل على الطيبة وكرم الاخلاق أو أن ملامح وجهه تدل على أنه شرير خبيث ولن تجد لغة من اللغات تخلو من هذه العبارات التي تتردد على الالسنة والاقلام ، فتمر بالسمع أو يقع عليها النظر وكأنها بديهية لا نقاش فيها ولا جدال ، وفي العربية من مثل هذا شيء كثير ، وفي شعرها ونثرها قديمه وحديثه مطولات في وصف الوجوه على مختلف ما تنم عنه ملامحها وقسماتها ، وهذا هو الشاعر العربي لم ينس ان يسجل القول في مديح من أراد وصفهم بأنهم (بيض الوجوه ...) . وهذا الحطيئة لما أراد أن يهجو نفسه هجا وجهه !!

ولينا نمضي في هـذا الى النهاية ، فاننا لا نكتب بحثا في الأدب ، وكل ما أردناه من هذا الاستطراد أن نقول ان لوجه المرء وما يرتكز عليه من ملامح ، او يمر عليه من تعبيرات ؛ أهمية كبيرة في اعطاء الناظر فكرة خاصة عن صاحبه ، سيئة كانت ام حسنة ، سواء أكانت هذه الفكرة عن طبيعة الشخصية ذاتها في سائر اطوارها ، ام عنها في ظرف خاص ووقت معين ؛ ومن هنا كانت هذه الأهمية الكبرى التي يعلقها فن التمثيل على قوة تعبير الممثل بوجهه ، ولهذا كان لفن التنكر خطره الذي لا ينكر ؛ فاذا أجاده الممثل أعانه الى مدى كبير على خلق شخصية دوره خلقا صحيحا مستقيما مع طبيعة الدور ، واعانه على اعطاء المتفرج فكرة حقيقة عن الشخصية التي يقوم بها كما أرادها المؤلف ، وكما تفرضها طبيعة القصة ، واذا اخطأ الممثل في تنكره المسرحي ولم يعط الوجه — مستعينا بما لديه من الأدهنة والألوان وغيرها من ادوات التنكر المعروفة — الصورة التي يجب أن يكـون عليها ، فقد يؤدي به ذلك الى الفشل المحتوم والسقوط الذي لا مفر منه ، بل هذه هي النتيجة التي لا محيص عنها ؛ وضع على وجه اقدر الممثلين واكفئهم قناعا كثيفا واخرجه أمام الجمهور المتفرج فلن ترى فيه الا دمية تتحرك وجثة تروح وتجيء ، بعد أن حجبت منبع الحياة ، ومرآة القلب والشعور .

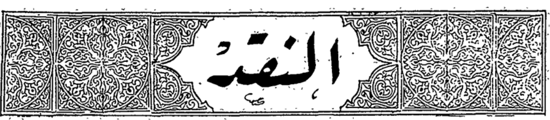
وفن التنكر من أدق الفنون وأشقها ، يتطلب خبرة واسعة ودراية كبيرة ، حتى ليضطر الممثل الذي يريد أن يحيط به احاطة تامة أن يدرس تشريح الوجه من الوجهة الطبية ويلم بكل التفاصيل التي تتعلق بهذه الناحية الماما شاملا . وعليه أن يدرس أيضا الى جانب هذا مختلف التغيرات التي تطرأ على وجه الانسان في شتى أطوار حياته وكلما تقدمت به السن . فوجه ابن العشرين ليس كوجه ابن الاربعين أو الستين ، كما أن علائم المرض والصحة تترك أثرها على الوجه ، وهناك بعض الامراض تترك آثارا مادية تدل عليها كالجدري مثلا .

والى اختلاف السن ، هناك اختلاف البيئة والمركز الاجتماعي والمعروف أن لكل حرفة طابعا خاصا يميز صاحبها ، ولا تخطئ النظرة الدقيقة الخبيرة هذا الطابع على الوجه ، وما أظن أن من العسير أن تميز الفلاح من بين المئات ولاول نظرة وفي مقدورك أن تشير الى أحد المارة فتقول انه عامل ، وتكون مصيبا في قولك صادقا في فراستك ، كما تستطيع ان تحكم على معين أنه من الدهماء أو من أوساط الناس أو أثريائهم من ملامح وجهه ، ومن العبارات المألوفة قولنا «هذا الشخص تلوح على وجهه آثار النعمة »

والتعاسة والشقاء يتركان على الوجه آثارا لا تخطئها العين في تلك التجاعيد والغضون ومسحة الألم التي تنبئ عما وراءها من كدر العيش ومرارة الحياة ، كما أن السعادة والهناء يخلفان هذه البسطة في الملامح والسماحة في تعبيرات الوجه ، تتوجها كلها الابتسامة المشرقة التي تدل على راحة البال وخلو الفؤاد مما يشغله من اكدار الدنيا .

وأنت تعرف بعد كل هذا أن للاقليم تأثيره في ملامح الانسان ، بل قد تتعدد السحن والوجوه في الاقليم الواحد والوطن الواحد ، فالاوروبي غير الاسيوي ؛ وفي اوروبا الانجليزي غير الفرنسي ، والالماني غير الايطالي ، كما أن في آسيا الصيني والياباني غير الهندي والتركي والسوري ، وفي افريقيا المصري غير السوداني وهكذا.

كذلك يختلف أبناء الوطن الواحد ، فالقاهري غير الصعيدي أو الاسكندري مثلا ، وقس على ذلك مئات الفروق التي تجدها في هذه الدنيا العريضة ، والممثل بحكم مهنته معرض لان يقوم بتمثيل شخصية من هذه الشخصيات المنتشرة على رقعة الارض ، وقد يكون من المستحيل أن تتطلب منه أن يدرس كل هذه الشخصيات الدراسة التفصيلية التي تعينه على تنكره وتكييف ملامح وجهه ، بما يعطي الشخصية الطابع الأصيل لها ، ولكن من الميسور لديه أن يدرس الشخصية التي سيمثلها الدراسة التي تؤهله لاعطاء المشاهد صورة منها ، مستعينا على ذلك بأدوات التنكر التي تحت يده .



الينبوع

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

من جد الحياة أن نضحك ، ومن جد الحياة أن نعمل ونشقى ، وبين الضحك والعمل ، تنساب الأيام وتتراكم الاعوام ، ويفنى قديم ويعيش جديد ، ويقضي قوم وينشأ آخرون .

ومن جد الحياة أن يرسم الانسان نفسه في وقت ضحكه ، ومن جد الحياة أن يرسم الانسان نفسه في وقت عمله ، وأن يصور خلجات قلبه القلب ، وجموح نفسه الوثابة ، ومطامع روحه الهائجة ، أو تمثل حياتنا التي هي مسرح نضال بين عواطفنا وعقولنا .

فنحن أمام عمل لذيذ مفرح ، تتمثل فيه الماضي ، وترسم صورته الحائلة بصورة لماعة رائعة ، وتخلد فيه ذلك الشبح الباهت بطيف براق فاتن . فيه سحر الحياة وفتونها ، وفيه غموضها وأسرارها ، وفيه جمالها وبهاؤها ، وفيه موسيقاها المتزنة ، وأنغامها المتناسقة . اننا نخلق من القتام نوراً ، ومن الموات حياة ، أو ننتج نتاجاً فنياً .

اننا نشيد هذه العواطف والاحساسات ، التي أوحت بها الينا الحياة ، والتي صبغها الأسى بلونه الأحمر الدامي ، أو أيقظها الأمل بعطره وشذاه ، أو حركها الإباء والشمم ، والغيظ والشفقة ، والغضب والرحمة ، تلك العواطف التي تتلاعب بعقولنا وأرواحنا ، والتي تحدى دائرة ، سمها إن شئت حياة . وإن شئت لحركة الكون .

والفنان إنما خلق ليسجل هذا الشعور الذي يصور وحدة الكون ، ولا يستطيع تسجيلها إلا إذا أحس بالكون ذاته ، ولا يستطيع أن يحس بالكون الا إذا كان ذا نفس صافية ، تنطبع عليها المشاهد ، وتظهر على صفحتها الرؤى ، وقد تشابك بعضها ببعض . وقد ارتبطت بروح واحد هو روح التناسب . فهي كالنغمة الموسيقية ، مترابطة مؤتلفة متزنة .

وعمل الفنان في هذا المجال . هو أن يقف أمام دولاب الزمن الذي يدعس كل شيء فينتشل من تحته رؤى ومشاهد . وعواطف وإحساسات ، ونوعا من الشعور المبهم الغامض ، ونوعا من الادراك الناقص . أجدر بها أن تبقى لانها تمثلنا . لأنها قريبة منا شديدة الصلة بنا . اننا نحتفظ بها لنبقى نحن . فهي تخلدنا ونحن نخلدها فنشعر بها في أدمغتنا ، ثم نصورها بألفاظنا وكلماتنا . فنحس أنها قد أتت ببسامة فتانة . ونحس بنورها المشرق على نفوسنا فيبعث مواتها . ويحيي رميمها ، وقد لا نرسمها بالكلمات ، فان اللغات أضيق من أن تشرحها في النفوس ، قد تستعين بالرسم أو النقش أو الموسيقى أو غير ذلك ، فعملنا في سبيل احيائها ورسمها هو الفن ، وجزاؤنا منها هو الخلود

فهل الفن الذي يتنفس عنه رجال الفنون في بلادنا من هذا القبيل ؟

وهل لي أن أقول وأسأل عن الشعر الذي يفيض من قرائح شعراء الزمن أ يكون تلك الأداة المادية التي تصور تلك الصور الفتانة التي تمتلك علينا تفكيرنا ، وتستبد بنفوسنا ؛ أو تلك العواطف المتبدلة المتغيرة التي تستنفد حياتنا ؛

أيكون تلك الأداة المادية التي لها موسيقاها وتوقيعها ، والتي تسعى لأن تظهر لعيوننا نوعا من الشعور الغامض والادراك الناقص ، لا يدركه الا القلب الشعري الذي يستمد قوته من الالهام والعلم

من هذا يستطيع المرء أن يكون فكرة عامة عن دقة هذا الفن ، فن التنكر ، وعن العناية التي يتطلبها العمل المسرحي من الممثل حتى يستطيع أن يصور على وجهه الوجه الآخر ، وجه الشخصية التي يتقمصها ويؤديها أمام النظارة . ونستطيع بعد هذا أن نتحدث عن فن التنكر من الناحية الفنية العملية مستعينين في ذلك ببعض الصور والرسوم التي تشرح ما نقول ؟

محمد علي حماد

والعقل والخيال ، كأنه ادراك شامل لما تحويه لحظة من لحظات النعيم أو الشقاء ، وبأبراز هذا الشعور الغامض وهذا الادراك الناقص ، فى صورة واضحة ناطقة ، تامة كاملة ، فيها حياة وفيها حركة

واذا كان الشعر العصرى كما يقول الدكتور ابو شادى فى مقدمة ينبوعه (هو لسان حياة العصر ، والحياة العصرية ذات صلات شتى بالماضى ، وذات تطلع الى المستقبل ، فليس غريبا فى الثورة الروحية والفكرية الحاضرة أن يأتى هذا الشعر مزيجا منوعا ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم الأدبى بأسره) ويضرب على ذلك المثل بالشاعر الألمانى العظيم هين Hainriet Heine ، أننا لانجاريه فى قوله ولا نجاريه فى استشهاده بالشاعر الألمانى العظيم ، فبينما يشرح ذلك الألمانى النبيل عواطفه المتدفقة فى نفسه ، او يشرح نفسه الواسعة الفياضة ، بأنواع من النظم ، نرى الدكتور ، لايرتفع فى شعره عن أن ينظم فى بعض مناسبات خاصة . وفرق كبير جـــداً بين هذا الشعر الذى يكاد يكون ، شعرا صحفيا ، وبين شعر هين المختلف المتناسق ، الذي نرى اختلافه فى اغراضه وسعتها ، والذى تراه يتناسق فى الصفات الأولى ، التى تتصف بها نفس ذلك الشاعر العبقرى ، اما أن يجد الدكتور احمد زكى ابو شادى حجة على الناس فى مناسباته التى صاغ كل شعره من أجلها فهذه حجة غير واردة كما يقول رجال القانون فى بلادنا ، ولا أدرى أن كانوا يقولون كذلك فى مصر

وانا عالم كل العلم بان أقوالى قـــد لاتفيد مع الدكتور الشاعر ، لانه قد قطع على الطريق فى مقدمة ديوانه فقال (واذا كنت أؤمن ايمانا عميقا ، بأن الفنون الجميلة من أقوى عوامل السلام ورسول الانسانية المشتركة . فلست اعنى بذلك ان تقديرها شامل فى الظروف الحاضرة . فكم تتباين الاذواق ، وعلى حد تعبير (بردنز لاهو برمان) ، لا يرتقب أن يجد عزف موسيقى بتهوفن اجادة المتذوق المعجب بها ، من ليست لديه اثارة من عواطف بتهوفن ، وكذلك شأن الشعر وغيره من الفنون الجميلة)

والاستاذ ابو شادى يشير الى انه (ليس محتوما على غير مريديها — أى أشعاره — ان يطلعوا عليها حتى أكون معرضا لمؤاخذتهم اياى)

والشاعر يحدث الناس فى صراحة مابعدها صراحة فيقول (نوازع وجدانية ، صوفية تحبب ذلك الى — أى نشر اشعاره — كأنما انا مكلف برسالة أؤديها)

وأبو شادي يقول ، ان الشاعر ككل فنان يعمل على تخليد صور الحياة الفانية ، وذكرياتها فى النسق الذى يستطيع به استرجاعها لروحه الغالية ،

وانا متفق مع الدكتور فى هذه الفكرة الى أبعد حد ، مؤمن بالنوازع الوجدانية الصوفية التى تحفز الشاعر العبقرى على أذاعة بنات شعره ، ولكننى اكاد اكون كافراً بفكرته الأخرى فكرة النقد وأطلاع الناس على الشعر .

ان هذا الشعر الذى نشره صاحبه قد خرج من يده وأصبح ملكا للناس ، لقد تنازل لهم الشاعر عنه ، فسيقرأون وسيفهمون ، وقد لايفهمون كثيراً ، وسيؤخذون وينقدون ، فما دخل الشاعر هنا ، لقد صار هذا الكلام فى حكم التاريخ وسيتكلم الناس عنه بما يرضى صاحبه وبما يكره

وأنا باسم هذا الحق المكتسب قد استعرضت الكتاب ، ووقفت على مقدمته ، وبعد ان قرأت الينبوع من الجلد الى الجلد بما فيه من مقدمة وتصدير والمامة ، ودراسات مختلفة .. وبما فيه من شعر أختلفت الوانه ، وتباينت أمزجته . ، وبعد ان انعمت النظر بما فيه من صور جميلة ملونة تستهوى كثيرا من الناس ، وأنعمت النظر مرة أخرى فى عنوان الكتاب ، وصورته الفنية التى تزين غلافه .. آمنت بفكرة واحدة ، جسمتها فى ذهنى قراءة ديوان أبى شادى الجديد .

آمنت ان من النادر ان ينتج الانسان كما يتصور الانتاج ، وأخذت أطبق هذا الحدس على نفسى . هل الشعر الذى انظم عقوده ، يوافق ماأريد ان أفهم من الشعر ، ثم رجعت اسأل مرة أخرى ، ألا يخطىء الانسان فى تصوير الصورة التى تقوم فى ذهنه ، ومن ثم سألت نفسى ، هل الشعر الذى يفيض من ينبوع ابى شادى يشبه فى شىء الشعر الذى يشير اليه فى مقدمته ،؟

وأنا حائر بين الفكرتين . او انا أؤمن بأن لأبى شادى أكثر من شخصية واحدة فى الشعر ، كما أن له أكثر من شخصية فى مناحى الحياة ، فقد يكون من الوجهة الشعرية ، نظرياً وعملياً ، وعمله لايتفق مع نظرياته ، كما أنه فى الاعمال لايتمسك بمهنة او فكرة واحدة ، فهو طبيعى وشاعر يحرر وينشر ويقرأ ويطالع ويهتم بالوظيفة والنظم وتربية الحيوان ، وأكاد أتمثله بصورته الرمزية ، والجماهرة أمامه والمبضع فى يد والريشة فى أخرى والآلة الموسيقية الى جانبه ، وفتاة الالهام تضوع عليه ، والنحل من حوله وله أزيز وطنين ،

ويتمثل أمامى وعيناه فى الافق البعيد واحدة تنظر الى الشرق ولا ترتفع عن الشرق. وواحدة فى الغرب تذهب بنظرها عنه ثم تعود اليه كأنها أبصرت ما يريبها ، ولسانه يردد بين هذه النظرات الحائرة شعره المقفى الموزون ، هو ناظر الى آبللوخيا ، وشاخص ببصره الى عمرو بن كلثوم يردد معه اقوالا تشبه قوله :

قفى قبل التفرق ياظعينا نخبرك اليقـين وتخبرينا

وانا شاك فى أن يكون أبو شادى مجدداً ملتوى التجديد ، لقد وقف على أدب الغرب مافى ذلك شك . وعرف من أدب الغرب كل غث وسمين ، ثما له قـد ضيق على نفسه كل هـذا التضيق وهو يحاول بين هذا العسر وذاك ، أن يضع لنفسه مزاجاً خاصاً . يتمثل لك فتكاد تنفر منه . لضعفه فى التعبير ، وتقصيره فى التصوير . ثم هو لاشىء من وجهة التفكير .

أقرأ معى الينبوع وهى قطعة من الديوان سمى الديوان بأسمها يتمثلها فى صورة (سكس ايـل) اقرأها جملة . فماذا ترى ... أنا لا أرى فيهـا نظرة صوفية ، ولا أفهم منها فكـرة فلسفية عميقة ، هى فكرة عادية بسيطة ، من الفكر التى يسميها (بول فاليرى) فكرة غير شعرية ، وهى بعد هـذا كله ، شهوانية مفرطة فى الشهوة ، تتمثل فى بطن أملس ، إنتصب فوقه جبلان وفى أسفله واد عميق ، ربما كانت الفكرة طبية ، ربما كانت تهم علماء الغريزة ، ربما كانت تهم رجال النسل ، ولكن المادة الصرف ، المادة المتنجة الملبوسة ، المادة التى تشبع شهوة الجسم ، أو التى تنتج الجسم ، المادة التى لاروح فيها . هذه المادة النجسة التى ترى فى كثير من النساء ، قد لا تعجب ذا النفس الشاعرة ، وقد لا تروق فى عينيه كثيرا .

وأعوذ بالله أن أكون كمن حاول عزف مقطوعة لبتهوفن فما استطاع لأنه لم يتأثر بالمؤثرات التى دفعت بتهوفن الى تاليف قطعته . او ان يكون الدكتور كذلك المصور الذى أتيت اليه ليرسمنى بشوهنى ، فلما عاتبته فى ذلك . قال هـذا تصوير فى Astistujue وأنا أعوذ بالله من أن يكون كلامى لغواً من ناشىء أرعن ، يقلق على الدكتور صفاء نفسه . وما عرفته وغيره من اخواننا المصريين ، الا أباة على النقد ، يثيرون من أجله المعارك . ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع .

وأنا بعد هذا الذى قدمت أسأل نفسى . اذا كنت على اتفاق والدكتور من حيث النظرة الى الشعر كفن من الفنون العالية ، أفلا يجدر بى أن أتفق معه على اللغة التى يدون بها هـذا الشعر ؟ ألا يصدق معى الدكتور أن العلة هى اللغة التى يشتكى منها الشعراء ، فهى التى تؤلمهم عند التعبير ، وتضيق عنهم أو يضيقون بها عند التصوير ، فيداورونها ويتلاعبون بها حتى تأتى طيعة راضية لا تحس فيها ضعفاً ، وهل يرى الدكتور معى أن لغته فى شعره ، أبسط من أن تسمى لغة شعرية ، بل أكاد أحس بضعفها فى كل بيت من أبيات الينبوع التى تبلغ الى بيت ونيفا

ألتمس من الدكتور ، أن يقرأ معى قطعة أخرى أو قطعتين . وقعت يدى الآن عليهما من غير تفتيش أو تنقيب . الأولى دنيال فى جب الأسود . اقرأ هذا البيت وافهم منه شيئا :

جعلوا المليك محرماً لشوى المليك دعا المسود

أظن أن فى هذا الكلام ركاكة وتعقيدا . وأظن أن الزمن ليس زمن عبد القاهر الجرجانى . لنعيد النظر فى بيت الشعر والفاظه ، ولكننا نقول : ان ضعف هذا البيت وغيره من ابيات هذه القطعة أظهر من أن يظهر

بل ما تقول فى هذا البيت الهزيل من القطعة ذاتها . وكثير على شاكلته ؟

أنا فى أمان يامليك بفضل ربى من ملك

اندرى أية مناسبة بين حكمة من ملك ومليك . ماالذى هزها . فأتت مختالة تضع نفسها فى آخر البيت لتكمل القافية

أو قوله فى قصيدة العودة صفحة (٣٠)

وقفنا فى جو ازاليم سكرى كسكر الناظرين الى الرحيق

نرى فى البر الوان التناجى وفى البحر المشارف والعميق

البحر المشارف والعميق ، وسكر الناظرين الى الرحيق ، لا يكملها الا قوله

وأبنا أوبة المحزون لكن بنا طرب من الادب الحقيق

أو قوله :

وتمضى الغانيات على تثن تثنى النور فى الجو الصفيق

الحق أن الجو الصفيق والادب الحقيق . والبحر المشارف والعميق والرحيق اذا زف بعضها الى بعض خرج شىء ليس فى الحسبان هو قصيدة العودة

أنا لا أريد أن أذهب الى كثير من شعر الديوان ، فبعض يجزى عن بعض ، بل لا أريد أن أطيل الجوار في قضية يراها الدكتور قضية ذوق ، وأنا اراها قضية أدبية عربية ، تهم الناطقين بالضاد جميعاً ، فما كانت الكلمات تتلاعب بالشاعر ، فتسخره ولا يسخرها ، وأنا أؤمن ايماناً وإثقاً أن كلمات الشعر يجب أن تكون كالكلام المنزل ، لو رفعت كلمة من بيت فلن تجد في اللغة بأجمعها كلمة تحل مكانها وتؤدي المعنى الذي كانت تؤديه الاولى ، بل انا أفرق كثيراً من ان توضع الكلمة في غير موضعها فيبخس حقها ، ويبخس المعنى حقه بل ما رأى الدكتور في قرط جميل من الماس الفاخر تعلقه أنثى في اسفل ذقنها ؟ انها تشوه جمالها ، ويضيع قدر الماس الثمين ، فما للدكتور يسوق الكلام في مواضعه وفي غير مواضعه ، بل ما يلجئه الى كثرة الانتاج هذه ، وللقليل الناضج خير من الكثير الفج ، وأنا أرجو أن أكون مخلصاً كل الاخلاص في قولي ، جريئاً كل الجرأة في تعبيري ، فقد كفى هذا التبلبل في الادب العربي ، ينهض ولكن ليقعد ، ويسير ولكن الى الوراء ، ينتج الأديب او الشاعر ، ويظن انه فوق النقد ، ولو عرف أن النقد سيتناوله في عنف وفي قوة ما أنتج انتاجاً كهذا ، ولحاول ان يكون مدققاً أكثر مما دقق .

حلب (المرتيني)

كرستينا ملكة السويد

بقية المنشور على صفحة ٥٦٤

فكانوا يرجون — ويلحون في الرجاء — أن تتخذ لها شريكاً في حياتها . وكان حديث الزواج هذا أبغض الاشياء اليها ، ولم يكن نفورها من الزواج عن تعفف ، بل لانها كانت ترى في الزواج أغلالاً تكبح جماحها ، وتثني من عنانها ، وهي التي تريد أن تبقى حرة طليقة . فلما اشتد الحاح رجال القصر عليها ، طلبت من البرلمان أن يكون ابن عمها شارل جستاف هو وارث العرش من بعدها .

ooo

وفي عام ١٦٥٤ — ولم تكد كرستينا أن تبلغ الثامنة والعشرين تنفس شعبها الصعداء ، لأن ملكتهم قد اعتزلت الملك وغادرت البلاد ، وليس من السهل أن نقدر الدافع الاكبر الذي دفعها الى سلوك هذا السبيل ، فقد كانت هنالك بواعث شتى تعتلج في صدرها ، فمن شعب مضطرب ثائر على تبذير ملكته ، إلى بغض شديد لتلك التكاليف المضنية التي يستلزمها الاضطلاع بالحكم ، الى رغبة شديدة كانت تدفعها لأن تعيش في جنوب اوربا ، وأن تعتنق الدين الكاثوليكي . ولعل أقوى دافع لها الى اعتزال الملك أنها كانت تريد أن تبهر ملوك العالم حين يرون ملكة في ريعان الشباب تنزع عن جبينها التاج وتلقى به في ازدراء واحتقار .

وقد تم لها ما ارادت ، فغادرت وطنها ، ومعها ثروة حسنة لم تلبث أن أتت عليها ، واعتنقت دين الكاثوليك . واتخذت لها في روما قصراً عاشت فيه زمناً عيش الاسراف الذي لا يعرف حداً .

وزارت فرنسا مرتين ، وفي المرة الثانية أدهشت وأغضبت ولاة الامور حين أمرت رجالها بقتل عشيقها مونالديسكي . فاضطروها الى مغادرة فرنسا والعودة الى روما .

لقد كانت المقادير أرحم بكريستينا والطف ، لو أنها وافتها منيتها بعد أن نزلت روما ، وبعد أن نفدت ثروتها ، لكن الاجل قد تراخى بها حتى بلغت الستين ، وكان الشطر الأخير من حياتها مفعماً بالألم والشقاء . وعادت الى وطنها حين بلغت الاربعين تحاول عبثاً أن تسترد الملك فلم تلق سوى الاعراض والنفور . ورجعت الى روما حيث قضت بقية العمر ، وقد نسيها العالم وأهملها الناس ، وظلت تعيش عيشة الضنك والضيق ، وجل رزقها مما يجود به عليها البابا من الهبات حين امتنعت عنها الموارد وتقطعت بها الأسباب .

محمد عوض محمد

2 me Année, No 41.

Lundi-16-4-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ - ٤٠٥٣٠

العـــدد ٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٥٣ — ١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

مصر فى الصباح!

للدكتور طه حسين

ولا بد من الكتابة عن (مصر فى الصباح) بعد أن كتب صديق الزيات عن الحالة الحاضرة، فهما عنوانان طالما ترددا فى أفواه ثلاثة من الشبان، ظلوا أعواما طوالا يلتقون كل يوم اذا كان الضحى، ثم لا يفترقون حتى يتقدم الليل. وكانوا اذا التقوا أخذوا فى فنون من الحديث والقراءة وتناشد الشعر، والاختـــلاف الى الدرس، واطالة المقام فى دار الكتب. ودفعوا الى الوان من الهزل، وضروب من العبث، حتى كانوا مضرب المثل عند الذين يعرفونهم والذين لا يعرفونهم من الازهريين.

وكان هؤلاء الشبان الثلاثة قد اتفقوا على الضيق بالدرس الازهرى القديم، والابتهاج بما لم يكن مألوفا فى بيئات الازهر من درس الأدب والعناية به، وقراءة الصحف والاغراق فيها، ومن التطلع الى ما كان يقوله ويأتيه المثقفون الممتازون، أولئك الذين كانوا يدبجون الفصول فى الصحف، يمسون بها السياسة والاخلاق وشؤون الاجتماع. وأولئك الذين كانوا يخطبون فى المحافل والمجامع، ويتحدثون فى الاندية، وتنشر الصحف خطبهم ومحاضراتهم، ويتناقل الناس أحاديثهم ومحاوراتهم، وتذكر أسماؤهم فتمتلىء بها الافواه، وتبتسم لها الشفاه، وتشرق لها الوجوه، ويشتد بها الاعجاب، ويتخذ الشبان أصحابها مثلا عليا لما شئت مما يطمع فيه الشباب من بعد الذكر

وارتفاع الشأن ، والظفر بما يظفر به عظماء الرجال من الاكبار والاجلال . وكان هؤلاء الشبان الثلاثة اذا التقوا وفرغوا من قراءة في كتاب، أو استماع لدرس، أو إنشاد لشعر، أو نظروا امامهم الى هؤلاء العظماء المتقين، فأجلوا وأكبروا، ونظروا من حولهم الى شيوخهم الازهريين فتفكهوا وتندروا ، وأطلقوا ألسنتهم بالفكاهة والنادرة، وأقل من الناس من كان يجلس اليهم ويسمع منهم ، ثم ينتقل فيذيع ما سمع ، ويملأ به هذه الحلقات التي كانت تنحلق من حول الصحن، وعند القبلة القديمة أو القبلة الجديدة . وكانت اصداء ذلك ترد عليهم فيفرحون ، وكان إنكار ذلك يبلغهم فلا يرتاعون ، حتى أقبل ذلك اليوم الذي دار فيه الملاحظون في الازهر : يجمعونهم من دروس الظهر جمعا ، ويدفعونهم الى مجلس الشيخ الاكبر دفعا ، ثم يسألون ، فمنهم من يجيب ومنهم من يجمجم ، ثم ينهرون ، فمنهم من يبتسم ومنهم من يعبس ، ثم يعلن الشيخ اليهم أنهم مطرودون ، وأن درسهم الذي كانوا يحبونه موقوف ممنوع ، وأن شيخهم الذي كانوا يكبرونه مكلف أن يدرس المغني لابن هشام بدل الكامل للمبرد ، منفى من الرواق العباسي ، مقرون الى اسطوانة من هذه الاساطين داخل المسجد تخيرها له (رضوان) .

هنالك ضاق الشبان الثلاثة بعض الضيق ، وفرقوا بعض التفريق ، ثم لم يلبثوا أن استأنفوا الحياة ، ومضوا فيها باسمين ، يطمحون إلى ما كانوا يطمحون اليه ، ويسخرون مما كانوا يسخرون منه ، حتى ضرب الدهر بينهم بضرباته ، كما قال حافظ رحمه الله في ترجمة البؤساء ، وقد كانوا يعجبون بهذه الجملة أعجابا شديدا ، ويرددونها ترديدا متصلا . وهنالك مضى كل منهم في سبيله ، وأخذوا لا يلتقون الا من حين الى حين ، فاذا التقوا كانت ساعات اللقاء أضيق من أن تسع ما كان يضطرب في نفوسهم من الخواطر والآراء والأحاديث .

وكانوا في حياتهم تلك ، كما كانت الشعوب الأولى في حياتها ، أصحاب حس وشعور ، وأصحاب قلوب تتأثر ، ونفوس تتغنى ، وكانت عقولهم غافلة أو كالغافلة ، فكانوا ينشئون الشعر وينشدونه ، وقلما يفكرون في النثر ، فان فكروا فيه فقلما يحاولونه ، فان حاولوه فقلما يجيدون . وكانوا لا يخطر لهم موضوع الا تناولوه مسرعين ، فنظموا فيه الشعر وتنافسوا في الاجادة ، ولم يتحرجوا من أن ينقد بعضهم بعضا . وكانوا يبلغون من ذلك ما يريدون . يجيدون قليلا ، ويسيئون كثيراً ، ويرضون دائماً . وكانوا يحسون أنهم ضعاف في النثر ، وأنهم في حاجة الى أن يأخذوا منه بحظ ، وكان الزيات يحاول أن يقوم من صاحبيه مقام الأستاذ ، لأنه كان أحب منهما للصحف ، وأكثر منهما عكوفا عليها واغراقا في قراءتها ، ويجب أن نعترف بالحق ، فقد كان أوسع منهما صدراً للتجديد ، يحب الكتاب المحدثين وما كانوا يحدثون من الآداب ، على حين كان صاحباه يكلفان من الأدب بقديمه ، بل بأقدمه . كان الزيات يكلف بالمتنبي بين الشعراء القدماء ، وكان صاحباه يسخران منه ومن المتنبي ، ويكرهان أن يسمعا له حين ينشد شعره البديع . كان الزيات يقرأ المثل السائر، وكان صاحباه لا يعترفان بمن بعد الجاحظ من الكتاب . كان الزيات يؤثر شوقي ، وكان صاحباه يؤثران حافظا ، ويتعصبان للبارودي ، ويسرفان في تقديم الكاظمي عليهم جميعاً . كان الزيات إذن يقيم نفسه من صاحبيه مقام الأستاذ في النثر ، وكانا لا يتحرجان من أن يقرا له بهذه الاستاذية ، فاذا أراد أن يزعمها لنفسه في الشعر كان الجدال والنضال ، وكان تذاكر الغرزمة وآثار الغرزمة ، وكان انتحال الشعر الردىء وحمله عليه واضافته اليه . وكان انتحاله هو للشعر الردىء وحمله على صاحبيه واضافته اليهما ، وكان انشاد لمثل هذين البيتين :

بموسم عاشوراء قد عمت البشرى
وضاءت لنا الاكوان مذ علت الذكرى
ونادى المنادى أيها الناس يمموا
ضريح الحسين الشهم تنجو من الأخرى

ولست أدرى أي الثلاثة قال هذا الشعر الرائع ، أو لعله شائع بينهم جميعا . ولعل ثالثهم محمودا ان يكون قد حفظ هذا الشعر فيما حفظ من آثار هذا العصر ، فقد كان اليه تخليد هذه الآثار التي لم تكن تستحق أقل من الخلود .

وفي ذات يوم أقبل الزيات يقترح على صاحبيه التفكير فيما ينبغي لهم من العناية بالنثر ، ويبين لهما ولنفسه أسباب هذه العناية ومذاهبها ، ويرى ان ليس الى ذلك من سبيل الا أن يفعل الثلاثة كما يفعل الطلاب في المدارس ، حين يعالجون الانشاء ، ويعرض عليهما وعلى نفسه هذين الموضوعين : (الحالة الحاضرة) ، و (مصرف الصباح) . وكان يقول ذلك جاداً كل الجد ، مؤمنا كل الايمان ، وكان صاحباه يسمعان له في موقف بين الجد والهزل ، يريدان ان يكتبا

ويعلمان انهما لن يستطيعا . فيقدمان ثم يضطران الى الاحجام، ويستران ضعفهما بالهزل والعبث، ثم يفزعان الى الشعر فينظمان منه ماشاء الله لهما ان ينظما بين الجيد والسخيف . وكانت الايام تمضي وتمضي ، والاصدقاء يلتقون ويتحدثون في النثر، والزيات يقترح الكتابة في الحالة الحاضرة ومصر في الصباح . وصاحباه يسألانه عن الحالة الحاضرة ماهي ، وما عسى ان تكون ، فلا يحير جوابا ؛ وصاحباه يسألانه عن مصر في الصباح كيف هي ؟ وماذا يقول فيها فلا يحير جوابا ، فيتمثل ثالثنا بهـــذا البيت الذي كان يغيظ الزيات ويحفظه :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
يتف عثنونه من الهوس

وقد فتح الله على الزيات بعد خمسة وعشرين عاما ، فكتب في الحالة الحاضرة . ولم يفتح الله عليه ولا على صاحبيه بعد خمسة وعشرين عاما ليكتبوا عن مصر في الصباح . ولكنه قد كتب على كل حال ، فما زال اذن قائما من صاحبيه مقام الاستاذ ، ولن يستطيع صاحباه منذ يوم الاثنين الماضي ان يصدماه بهذا البيت :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس

وإني لأخشى ان يستطيل هو على صاحبيه ، وقد عجزا ربع قرن عن ان يكتبا في الحالة الحاضرة ، أو يصورا مصر في الصباح ، فيصدمهما بهذا البيت بعد أن كان يخافه ويضيق به ، ويكره استماعه منهما .

ولست أدري أأشفق ثالثنا من هذا النذير فاستعد لهذه الساعة الخطرة التي يلتقي فيها الاصحاب لتصفية الحساب ، أم شغل بكتبه واسفاره عن كل هذا الحديث . اما انا فاعترف بأني فكرت في هذه الساعة ، وقدرت

انها ستكون عصيبة محرجة ، وأشفقت من هذا الحرج ، وحاولت ان احتاط له ، وأستعد لهجمة الزيات ، واربأ بنفسي عن ان اسمع منه هذا البيت الذي سنا نخونه به ، فأصبح خليقا ان يخوفنا به :

شيخ لنا من ربيعــة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس

فحاولت منذ أسبوع أن أطرق هذا الموضوع ، وأن اكتب عن مصر في الصباح ، فاذا بلغت من ذلك ما أريد أمنت الزيات وحالفته على صديقنا الثالث ، كما كنت احالف صديقنا الثالث عليه ، ثم ذهبنا الى صاحبنا نسعى اليه مبتسمين ، حتى اذا بلغنا مجلسه لم نبدأه بتحية ولا مصافحة ولا حديث ، وانما وضعنا الرسالة بين يديه وفيها الحالة الحاضرة للزيات ، وفيها مصر في الصباح لطه حسين . ثم ابتدرناه معا بهذا البيت :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس .

ثم انصرفنا عنه راجعين وتركناه يغلي كالمرجل . ولكن الله الذي فتح على الزيات فالهمه وصف الحالة الحاضرة لم يفتح علي ولم يلهمني وصف مصر في الصباح . ذلك أن الزيات راغ وزاغ وعدل عما كان يراد منه من وصف تلك الحالة الحاضرة قبل نيف وعشرين سنة الى وصف هذه الحالة الحاضرة التي نبغضها أشد البغض ونضيق بها اعظم الضيق . واي الكتاب لا يقدر على ان يصف الحالة الحاضرة الآن ؟ وأي الكتاب لا يقدر على أن يجيد في هذا الوصف ويأتي فيه بالاعاجيب ؟ ومن يدري ؟ لعلي احسن اذا ذهبت الى صديقنا الثالث فالقيت في روعه ان الزيات قد ذكر اسمه القديم فراغ وزاغ ، ووصف ما لم يكن يراد على وصفه .

البقية على صفحة ٦٣٨

مختار مريض*

للأستاذ مصطفى عبد الرازق

لقيت مختارا أول مالقيته في باريس عند ما ذهب اليها لاستكمال دراسته في « مدرسة الفنون الجميلة ».

كنا جماعة من الشبان المصريين نسمر في بعض قهوات « الحى اللاتيني » ، والحى اللاتيني يومئذ مجمع الطلاب ومسرح الشباب ، فهبط علينا فتى أسمر اللون رقيق الجسم ، فيه وداعة وفيه حياء ، تعرف من سحنته ومن سمته ومن حديثه أنه ريفى ، وتلمح في نظراته التائهة أن استعداده الفطرى يوجه بصره الى مرمى بعيد ، ذلك الفتى هو « محمود مختار » ، وقد أخذ يعرض علينا أوراقا كان يرسم فيها أبطالا من العرب كخالد بن الوليد وغيره ممن حفظ التاريخ فعالهم ولم يحفظ مثالهم .

وكنا كلما اجتمعنا بعد ذلك بمختار في الحى اللاتيني ، طالعنا بثمرات عمله ، وحدثنا في فنه الذى يكب عليه ، ويوجه كل همه اليه ، فأحببنا مختارا لما في شمائله من البساطة والتواضع والصفاء ، واحببناه لشغفه بفنه الجميل ، ولما توسمنا فيه من مخايل النبوغ

ثم غمر الفن مختارا واستحوذت عليه الاوساط الفنية ، وغمرتنا في الحياة شئون أخر ، فافترقنا زمانا ، وسمعت ذكر مختار حين برزت آثاره الفنية في الميدان ، وعرضت في معارض الفن في باريس ، فنالت من أسنى الجوائز وشهد لها بالبراعة كبار النقاد

وسمعت ذكر مختار حين صور لنهضة مصر تمثالا تجمع فيه للوثوب أبو الهول حتى كاد ينتفض انتفاضا ، فهتفت مصر كلها باسم النابغة مختار .

رأيت النابغة مختارا فاذا الشاب النحيف الأمرد ، قد استوى رجلا مفتولا أصلع الهامة ، طويل اللحية ، عريض الصوت ، ضخم الملامح ، طبعه الفن بطابعه ، والقى عليه من حب الجمال وفهمه جاذبية أهل الجمال ، ديمقراطى النزعة ، ارستقراطى الذوق ، يعجبك حديثه وجدله ، وإن كان حديد الطبع سريع الرضا والغضب ، في نفسه فيض من الصبي والمرح ، كأنما هو على مر السنين يزيد .

منذ ذلك العهد تكررت فرص لقائنا في السفر والحضر ، فشهدت مختارا في عمله جاهدا مثابرا مجدا ، حتى حسبته لا يعرف اللهو ، وشهدت مختارا لاهيا مرحا ، حتى ظننته لا يدرى ما الجد ، وبلوته صديقا وفيا ، ووطنيا مخلصا ، وعرفت من جوانب حياته دلائل بر وشهامة ، وصبر وكرامة ، في شدة الحياة وفي رخائها

ولقد يخيل الى الناس أن مختارا لم تنله في حياته شدة . ذلك بأنه صبور على احداث الحياة ، لا يغيره عسر ولا رخاء . ولعلك لو اطلعت على مختار اليوم وهو في سرير المرض لوجدته باسما صبورا . ولو أنه كان يقوى على الضحك لملأ الدنيا كعادته ضحكا برغم أوجاعه ووحدته الموحشة . . .

الأستاذ مختار ، هو صاحب « نهضة مصر » أول تمثال في تاريخنا الحديث صنعه مصرى ، وهو الذى ابدع للفلاحة المصرية تماثيل لا يستطيع ابداعها الا فنان ماهر ، أنبته الريف المصرى ، وغذاه بمائه وهوائه .

لقد قالوا إن في تمثال النهضة مآخذ : منها أنه ضئيل فوق قاعدته الضخمة : وأن حجاب الفتاة وتناسب أعضائها ، وموقع يدها من أبى الهول لا يحقق كل مايشتهى الفن .

ليكن كل مايقولون صحيحا ! فهل سلم من النقد أثر من آثار المجهود الانسانى في القديم والحديث ؟

إن الانظار ستصقل على مر السنين هذا التمثال العظيم القائم في ميدان المحطة رمزا وطنيا خالصا لمصر ، وسيبقى اسم مختار في ديوان مجدنا القومى عنوانا لنهضة الفن الجميل في وادى النيل

بذل مختار شبابه وقوته للفن ولمجد مصر من ناحية الفن . وقد يكون المرض الذى يعانيه الآن من آثار جهده المضنى .

في بعض حجرات « المستشفى الفرنسى » بالعباسية ، يقيم مختار منذ اشتدت به العلة ، وصار في حاجة الى علاج يقظ متواصل ، والى راحة لا يجدها المريض إلا في المستشفيات ، واذا كان عواد مختار قليلين ، فقد يكون هو في شغل بأوصابه عن كثرة الزوار وقلتهم ، وعن وفاء الناس وتقصيرهم ، لكن علينا جميعا أن نحف بكل مافي قلوبنا من عطف وبر سرير ذلك المريض العزيز ، تحية لعبقريته وتكريما لمجده الفنى ، وابتهالا الى الله العلى أن ينجيه من براثن الداء ، ويكتب له العافية والشفاء . ؟

---

* كتبت هذه القطعة الرائعة قبل أن يستأثر الله بالفنان القدير : (الرسالة)

مقبرة عائمة

للدكتور احمد زكى

ليست هذه حكاية من صنع الخيال ، ولكنها واقعة صدق ، أرويها عن راوية صادق ورجل مسئول :

سكيم وحكيم شابان من أهل الامبراطورية السماوية المقدسة التى يسميها أهل هذه الدنيا غير المقدسة بلاد الصين ، نشآ فى قرية من قرى مديرية « كانتون » ولازماها حتى بلغا سن الشباب الاول ، سن العشرين ، هذا باحتساب دوران الأرض واختلاف الليل والنهار ، فانك كنت تراهما فتحسبهما بلغا الثلاثين او فاتاها ، وتحدق فى وجهيهما الكالحين مليا فتجدهما مثقلين بهموم الاربعين والخمسين . وتلك المسحة الحزينة الكلحاء تجدها حيثما ضربت فى بلاد الله فالتقيت بصينى شاب أو شيخ ، دائما أبدا ذلك الوجه النحيل الشاحب المسكين الذى تكاد تقطر منه الصفرة والألم . اشترك سكيم وحكيم مع شباب امتهم فى حمل ذلك الوجه الكالح الحزين : وزاده كلاحة وحزنا فروض ثقيلة يفرضها الآباء على الابناء من يوم يخلقون ، فالابن دائما فى طاعة أبويه ومن متاعهما ، لقن صغيرا أنه انما خلق لخدمتهما وترفيههما وكسب معاشهما ، وأن وجوده فى هذا العالم لا يبرره الا التضحية لهما بالنفس والنفائس

وذات مساء ذهبا الى حانوت القرية الصغير يشتريان من الافيون أطيبه وأنضجه ، ويتخيران منه أكثره تسكينا للطابع الثائر وتخديرا للمزاج الحاد ، فقد كان اتفق فى تلك الليلة أن أبويهما لم يكونا على أطيب حال وأرحب بال ، فالتقيا هناك بعد غيبة أيام قليلة ملأتهما بالشوق الكثير ، فرحب حكيم بسكيم ، ورحب سكيم بحكيم ، وتساءلا مليا فى أدب كثير عن صحة أبويهما ، ولما بلغا من ذلك ما طمأن بالهما وأقر خوفهما ، انتقلا يصفان الزمن السيء ويشكوان ضيق الحال ؛ ويتأسفان على ما حاق بالقرية من الفقر والجوع

وكان الى جانبهما رجل من أهل الصفرة كذلك ، الا أنه سمين بدين ، وقد اضطجع على فراش من فرش الحانوت يهيء لنفسه تدخينة الأفيون ، وكان يستمع للشابين وشكاتهما ، فلما بلغا من الحديث ما بلغا ، شاء أن يتدخل فيأخذ بطرف من حديثهما فقال :

— نعم صديقى ، ان فى الزمن سوءاً ، وان فى الحال ضيقا . وكيف تقنع الروح فتهدأ وتخلد للسلام والمعدة فارغة ؟

فابتدره الصديقان :

— هذا حق . هذا حق لا مراء فيه

ثم أخذا يتساران :

— ان هذا الغريب المحترم لابد أن يكون فيلسوفا كبيراً لأنه يتكلم بلغة الحكماء

وجرى الحديث بينهما وبين الحكيم المحترم ، وبعد تحية تتلوها تحية ، وشكوى منهما يتلوها تأمين منه ؛ وبعد أن ذكرا للغريب مراراً أنهما وضيعان حقيران لا يساويان خردلتين ، تراءى للفيلسوف أن يفتح لهما عيبة حكمته ويدلهما على أقوم السبل وأقربها للعناية بآبائهما الأشياخ حتى تنفرج الأزمة الحاضرة . فذكر لهما جزيرة فى ناحية من نواحى البحر المحيط يسكنها شياطين شقر من الهولانديين يقومون فيها بزراعة الطباق فى مساحات مديدة واسعة ؛ ويستخدمون فيها الشبان فيعطونهم اجورا لا تتحقق الا فى الاحلام ، هذا بشرطين : أولهما ان يكون الشباب قادرا ماهراً ، وثانيهما ان يكون له الحظ المجدود الذى ييسر له الخدمة لدى هؤلاء الشقر . وذكر لهما أنهما لابد مجدودان لأنهما وقعا فى سبيله ؛ وأنه هو أيضا مجدود باستطاعته اسداء الخير لهما على هذا النحو . وكان فى حديث هذا الفيلسوف عذوبة ، كانت كلمته ملساء تنزلق فى سهولة من بين شفتين ملساوين ، ولا بدع فصاحبنا كانت تفرض عليه صناعته حذق الكلام وموادعة القلوب ومصانعة الإفهام ؛ فهو رجل من الرجال المغامرين ، الذين كانوا يجوسون خلال الريف يتصيدون الشباب البرىء الساذج يبعثون به الى وكلائهم بالموانىء ليرحلوهم فى طلب العمل وراء البحر الى حيث تشترى الابدان اغتصابا لقاء كراء دنىء وعيش رقيق

ولما كان فى طبع الصينى ارتياب ؛ وفيه كذلك حب المباعرة والممارسة ، لم يطمئن سكيم ولم يطمئن حكيم الى قبول الدعوة فى الليلة الأولى من عرضها ، وآثرا انتظار الغد ، فالغد الذى يليه ، وانتهيا أخيرا الى ان بلعا الطعم كما بلعه قبلهما ألوف وبثمن بخس ، بخمسة وثلاثين دولاراً فضة ، باعا الجسم والروح

وفي صبيحة يوم كان سكيم وحكيم يدقان بأقدامهما تراب الطريق الى ميناء « كانتون » ، وهو ميناء في الشرق الأقصى في ذكر اسمه غناء عن سوء وصفه وشناعة الأمور التي تجري فيه ، ولما بلغاه سيقا كالأغنام في قطيع كبير من الضحايا الى سفينة صينية عتيقة عرفت البحار طرازها منذ خمسة قرون . وكانت سيئة النظام فاسدة التقسيم عاطلة من كل أدوات الراحة ووسائل العيش ، لا أقول الرفيه ، ولكن اللازم للتمييز بينه وبين عيش الأنعام وسائر الحيوان .
دخل شباب الصين الى السفينة الصغيرة وكانوا خمسين ومائة رجل فملأوا طابقيها حتى ضاقا بهم ، ولكن لم يظهر عليهم أنهم ضاقوا بهما ، وكيف يضيق الصيني بشيء وهو من أمة يرى الرجل منها صنوف الكرب تحل به وبأهله ، وألوان الخسف والعذاب تنزل بغيره وبأهل غيره ، وهو يحدق الى هذه والى تلك بعين تنظر ولا ترى ، ومقلة إن أدركت من الصور مبناها فقد فاتها معناها

وتحركت السفينة باسم عزريل مجراها والى جهنم مرساها . وبتحركها بدأت تتحرك الأمور . فالبحر أخذ يدور فدارت معه نفوس الراكبين — في الأمم المتحضرة يذهب دوار البحر بوقار الناس ، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم فيحرصون على حرمتها فيتقون ما يقع لهم من ذلك بالتخفي والتستر ، أما أصحابنا فلم يعرفوا الوقار اسما ، ولا لحرمة النفس معنى ، ولو أنهم علموا من ذلك ما علم غيرهم لما أغنام علمهم شيئا ، فلم يكن في السفينة موضع فاضل ، فكيف بمكان ساتر ، وما حاجة الصيني العامل المسترق للستر والخفاء ، فقضت أيام ثلاثة ، اختلط فيها الانسان والمتاع والمكان ، بمقذوفات الحلوق في جو امتلأ فسادا وتنضح سما

وصحا الجو في اليوم الرابع فرفع الرجال رؤوسهم وقاموا الى وجبة من سمك وأرز ، الا رجلين بقيا بلا حراك على ظهر السفينة . ومن أجل هذين اجتمع ربان السفينة بوكيله اجتماعا سريعا فقررا ان الرجلين يحتضران ، وانه لابد ألا يموتا في السفينة فيجلبا لها الشؤم والخراب . وكان من عادة أمثال هذه السفن أن ترسى على شواطئ غير آهلة طلبا للوقود الرخيص الذي يفر اليها هربا من الضريبة . وفي أول ارساءة أنزل الرجلان ففرحا لذلك فرحا كبيرا ، ولكنهما مالبثا أن أدركا أنهما نزلا الى أرض لا أنس فيها ولا عون بل فيها المرض المتصل والموت البطيء . فبكيا واستغاثا يطلبان العودة الى السفينة ، ورفعا أيديهما عبثا بالرجاء والدعاء . وأقلعت السفينة بدونهما . وعلم الرجال الذين بها ان هذا مآل كل من يسقط منهم هذه السقطة ، ولكن لم يتحرك فيهم بنان باحتجاج أو لسان بكلمة دفاعا عن هذين البائسين ، وكيف يقع من أحدهم شيء فيه إفساد لمغامرة مالية تعود على نفسه وأهله بالنعمة والثراء ؟ وما هذه بأول مرة بردت فيها المنافع الذاتية الدم الانساني في موقف كان من طبعه أن يغلي فيه ويفور

سارت السفينة مع الريح جنوبا ، وكان يهب من الشمال شديداً ، فسرعان ما بلغت أرخبيلا يقع الى الجانب الادنى من بوغاز « مالقة » ، فانقلب اتجـاه الريح فصار حاراً لافحاً ، وبدأ العطش يأخذ من الرجال فاستنفدوا صهريج ماء كامل . وفتحوا الصهريج الثاني وبفتحه انفتحت طاقة من جهنم .

ففي مساء ذلك اليوم مرض ثلاثة من الرجال مرضا مفاجئا ، وماتوا موتا سريعا فلم يمهلوا ربان السفينة ليفعل بهم ما اعتاد أن يفعله بالمرضى اذا قل فيهم الرجاء . فاستاء الربان وتشاءم وتربص شرا . وقذف الرجال الاحياء بالرجال الاموات من فوق ظهر السفينة الى البحر ، الى أفواه « القروش » التابعة ، ووحوش الاقيانوس السابحة ، وكان في وجوههم جزع ، وفي عيونهم رعب ، وكانت في الجثث بشاعة وشناعة

في الصين يعيش الناس في فقر مدقع وجهالة سوداء ، وهذان يلدان القذارة فاذا حلت الهيضة (الكوليرا) بهم راعتهم أشد الروع فان كانوا على الارض فروا منها وتفرقوا سراعا في كل صوب ، وفرقوا معهم عدوى المرض في كل ناحية ، وان كانوا حيث لا مفر ولا منجاة استسلموا استسلاما كاملا ، واشتد بهم الخوف فجمدوا عن الحركة وهذا ما حدث لسكيم وحكيم واصحابهما على تلك السفينة المشئومة ، فانهم جميعا جلسوا القرفصاء ودلوا وجوههم بين أرجلهم يحدقون في الارض تحديقا شديدا كأنما يريدون خرقها بأنظارهم ، وهم انما يفكرون فيمن تكون عليه النوبة التالية ، وبأي اسم يهتف الهاتف عن قريب

ولم يطل تفكيرهم طويلا ، فما انتصف النهار التالي حتى أجاب الهاتف منهم ستة رجال ، وما جاءت العشية حتى زاد هؤلاء عشرة آخرين . وجاء النهار مرة أخرى وجاءت شمسه ، وأخذت تصب على السفينة أشعة لا من ضياء لطيف ولكن حمما من النار ، وكان من حولها البحر هادئا ساكنا كأنه صفحة الزجاج ، تشقه السفينة

بصدرها فيسمع انشقاقه واضحا في هذا السكوت الرهيب

وزاد جدول المرضى وطال ، وتحرك الريح فزادت سرعة السفينة ، وما لبثت ان تراءت لها شواطئ جزيرة « سومطرا » . وكان البحارة خمسة فمات منهم ثلاثة . ومات اكثر الركاب أو كانوا فى سبيل الموت ، وأحدق الاحياء الى الارض البعيدة ، الى الأمل النائى ، الى الحياة من بعد أن ذهب رجاؤهم فى الحياة . وكان من بينهم نفر ذهب الرعب بصوابهم فزادوا الحال خبالا

وعلم الربان ان السلطات لن تسمح بدخوله المرفأ الذى كان يطلبه على هذه الحال ، فنكب عنه ، وسار بحذاء الشاطئ يطلب مرسى آخر ، وبعـــد ساعات وصل الى ميناء صغير لهولاندا . وازدحم الرجال على ظهر السفينة ، وفى عيونهم برق الأمل ، وفيها كذلك بريق الدموع .

ولكن كان الربان اضطر الى أن يستعين على قيادة السفينة بأيد تعوزها الخبرة وينقصها المران ، فلم يستقم سيرها ، وظهر كأنها لا تعرف أين تميل ولا إلى أين تقصد ، أو كأنها تدرى ولكن لأمر ما تخشى وتخاف . فأثار ذلك الريبة فى موظفى الميناء فخرج اليها ضابط هولاندي فى قارب ومعه بعض الجند ، فلما بلغ صاح مترجمـــه الصينى الى رجال السفينة يسأل ما بها . فصمت الجميع ونطقت الجثث المترامية على ظهرها

فصرخ الضابط : « انها الكوليرا . الكوليرا السوداء . لا سماح بالنزول والا هلك من بالجزيرة جميعاً . يا مترجم . صح بهم أن لا أمل فى النزول . وانهم ان أبوا نسفت السفينة بمن بها »

فكان بالسفينة هرج ، وكان بها مرج شديد ، واصطفت تلك الوجوه الجوفاء الشاحبة تطل على القارب تبكى وترجو فى ذعر ودهش من أن تبلغ القسوة هذا المبلغ من الانسان . وتحول الضابط بنظره عنها وفى قلبه إحساس قوى أليم بأنه انما حكم بالموت على هؤلاء التعسين ، ولكنها الاوامر لم يكن باستطاعته مخالفتها ، وغير ذلك فلم يكن بالميناء محجر صحى ينزل هؤلاء الاشقياء فيه

واجتمع الربان بوكيله ، واعتزما أن يعبرا البوغاز الى الشاطئ الآخر يحاولان النزول على شاطئ الملايا . كان هذا آخر أملهم فتمسك الرجال به تمسك الغريق بقطعة خشب عائمة ، فقام من استطاع منهم بالمعونة لتصل السفينة سريعا الى منزل الخلاص . وجاء الليل فمرض الوكيل وذهب . وجاء دور حكيم فدافع المرض بقدر ما فى جسمه من قوة ، ومر بكل ادوار الوباء وآلامه . ونظر الى صديقه سكيم والداء يملؤه ، يرجو ويسترحم ويطلب تخليصه ، ولكن سكيما فر ، فحكيم هذا لم يكن فى تلك الساعة صديق طفولته وصباه الذى كان يعرف ، ولكنه رجل يزفر الموت فى أنفاسه

وجمع القبطان رجاله ، وذكر لهم ان الخير فى تجريد السفينة مما عليها من الاشلاء ، وفى تنظيفها من مظاهر الوباء ، وفى التخفى والتستر لكى يسمح لهم بنزول الشواطئ . فبدأوا فى رمى الجثث الى البحر بسواعد تضطرب ، وفرائص ترتعد . وجاء دور الجثث التى لم تمت بعد ، فنظر اليها الرجال ولم يمدوا اليها يدا ، ونظروا الى الربان يستنبئون ، فصاح بهم : لابد من ازالة كل أثر فقذفوا بأجساد لاتزال بها حرارة الحياة . وكان حكيم لم يمت بعد ، فاسترحم واستغاث . ومرت رعدة شديدة فى ظهر سكيم لما رآه يقذف الى الماء . ولكنه لم يفعل شيئا

دبر الربان ودبر القدر ، فحدث ما لم يكن ينتظر . سكنت الريح وكان تيار الماء قويا فى هذه المنطقة فحمل السفينة معه ، وحمل معها الجثث التى قذفت بها ، فسارت حولها فى موكب مريع ، وازدحم الرجال على السفينة ينظرون الى الرجال الذين يرقصون فى الماء . ونظر سكيم فيما نظر صديقه حكيما يصعد فى البحر وفى فمه صياح وفيه ازباد وارغاء ، ثم يغطس غطسة فمرتها ستة من زعانف سوداء ، أكلت « القروش » حتى شبعت ، ومع ذلك بقيت على المائدة بقية صحبت السفينة حتى بلغت ميناء « كلانج »

وكان البرق قد طير خبر السفينة الى « سنغافوره » فخرج رجال الميناء يطلبونها . فأقبلت تتهادى فى ثقة من النزول هذه المرة لأنها تخلصت من آثار الوباء أو خالت أنها تخلصت منه ، ولكن حال الرجال الذين حملت كانت تنم عن كثير ، وغير هذا فقد دخلت تجرر فى أذيالها على الماء من بقايا الأموات وثائق حية تعلن التهمة للرياح الاربع

فأحاط بها الجند من كل ناحية ، وساقوها الى جزيرة العزل ، أما الاموات فدفنوهم مع كثير من الجير ، وأما البقية القليلة الباقية فركزوهم فى نطاق مضروب ، ومرضوهم فمات منهم ثلاثة ، وخرج الباقون بعد حين فى ذهول كبير ، الى الدنيا بلا خوف ، الى الارض الجامدة الواسعة الأمينة ، يستقبلون حياة جديدة وأملا جديدا . وكان كلما نظر ناظر منهم الى خلفه اقشعر .

احمد زكى

الانقلاب الجمهوري في اسبانيا

١ — اسبانيا ما قبل الحرب

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

تعاني اسبانيا الجمهورية منذ قيامها أزمات ومتاعب متوالية ، وتتعاقب فيها القلاقل والاضطرابات المختلفة . وقد استطاعت حكومة السينور ليرو الأخيرة التي قامت بعد أزمة وزارية طويلة أن تسيطر على الموقف نوعا . ولكن استنادها إلى العناصر الفاشستية والمحافظة يثير سخط الأحزاب الاشتراكية والمتطرفة ، ويذكي النضال الخالد بين الجبهة الرجعية والجبهة الثورية . وتتنازع اسبانيا فوق ذلك قوتان أخريان : هما قوة الملوكية ، وقوة الكثلكة . وقد قامت الجمهورية الاسبانية الفتية على انقاض الملوكية والقوى الدينية التي تحركها . ولكن فلول الملوكية ما زالت تبث في اسبانيا وتعمل في الداخل والخارج لاثارة الصعاب في وجه الجمهورية ، وما زالت قوى الكثلكة رغم انهيارها تحاول النهوض والعمل لاسترداد نفوذها وسلطانها . وما زالت الجمهورية قوية تقبض على ناصية الحوادث ، ولكن الخلاف الذي يضطرم دائما بين العناصر الجمهورية والحرة من جهة ، وبينها وبين العناصر المتطرفة والثورية من جهة أخرى ، يزيد في متاعبها ويعرضها لاخطار شتى .

قامت الجمهورية الاسبانية منذ ثلاثة أعوام فقط ، في ابريل سنة ١٩٣١ نتيجة لنضال ديموقراطية ثائرة تضطرم منذ أعوام طويلة . ولكن الديموقراطية الاسبانية قديمة ترجع إلى أكثر من قرن . وقد ظفرت اسبانيا بدستورها الحديث سنة ١٨١٢ ، أثناء الحروب البونابارتية ، وهو الدستور الذي وضعته جمعية وطنية في قادس ، ووعد فرديناند ملكها المنفي يومئذ باحترامه ، ولكنه لما عاد إلى اسبانيا بعد ذلك بعامين على أثر انتهاء الحروب البونابارتية ، عمل على توطيد الملوكية المطلقة وانتقاص الحريات والحقوق الدستورية ، فعاد الشعب الاسباني الى الثورة في سنة ١٨٢٠ ، واضطر فرديناند الى الاعتراف بالدستور كرة أخرى ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى انتهاكه ، وعاونته الجنود الفرنسية التي أمده بها لويس الثامن عشر على تنفيذ سياسة الحكم المطلق . وكانت معظم الشعوب الاوربية تنزع يومئذ الى الحركات التحريرية ، ولكن الملوكيات القديمة لم تقف جامدة أمام هذه النزعة ؛ ومنذ سنة ١٨١٥ عقدت المعاهدة المقدسة بين العروش الاوربية القديمة في روسيا ، والنمسا ، والمجر ، وألمانيا ، للتعاون على اخماد النزعات والحركات الشعبية الحرة التي بثتها مبادىء الثورة الفرنسية ، وأذكاها مبالغة الملوكية القديمة في الاستئثار بالسلطان والحكم المطلق ، وفي تجاهل الرغبات والاماني الشعبية . وفي أواخر عهد فرديناند (نحو سنة ١٨٣٠) اضطرم النضال بين فرديناند وأخيه الدون كارلوس على مسألة وراثة العرش . وكان فرديناند حتى سنة ١٨٢٩ عقيما لا ولد له ، ثم ولدت له بعد ذلك ابنة ، فعمد في الحال الى تغيير قانون الوراثة ليحرم أخاه كارلوس من ارتقاء العرش وليبقى العرش لابنته . ولما توفي سنة ١٨٣٣ ، اعترف « الكورتيز » (البرلمان) بابنته ايزابيلا مليكة لاسبانيا وبوالدتها وصية على العرش ، واعترفت ايزابيلا بعد ذلك بالدستور الاسباني الجديد الذي وضع سنة ١٨٣٦ ، على مثل دستور قادس . ولكن عهدها كان فياضا بالاضطراب والقلاقل ، وتوالت فيه الحكومات الضعيفة العاجزة وفسدت النظم والادارة ؛ وفيه فقدت اسبانيا معظم أملاكها الامريكية على أثر الحركات التحريرية التي قامت في امريكا الجنوبية وانتهت بتحرر شعوبها من النير الاسباني ، وقيام الجمهوريات الامريكية الجديدة ، واستمرت اسبانيا عصرا تعاني غمر الاضطراب والفوضى ؛ ولكن الديموقراطية استطاعت خلال ذلك أن تنمو وأن تقوى ؛ وبذلت يومئذ لتحطيم الملوكية عدة محاولات عنيفة ، ووقعت من جراء ذلك حوادث دموية كثيرة . واشتد ساعد الحركة الجمهورية الى حد روعت معه الملوكية ؛ واستمرت اداة الحكم على ضعفها وانحلالها ، والعرش فيما بين ذلك يهتز توجسا وفرقا ، حتى غدا الموقف مما يستحيل استمراره . ولم تقو الملكة ايزابيلا على مواجهة هذه الصعاب والخطوب كلها ، ففرت الى فرنسا ، ثم تنازلت بعد ذلك عن العرش لولدها الفونسو الثاني عشر . وكان الفونسو وقتئذ طفلا في نحو العاشرة ، فلبث العرش الاسباني خاليا مدى حين ، وأقيمت حكومة مؤقتة تحيط بها الصعاب والازمات من كل ناحية ثم كان عرض العرش الاسباني على ليوبولد الالماني من أمراء آل هوهنزلرن ، ومعارضة نابوليون الثالث في ذلك ، وقيام تلك الازمة

الخطيرة التي التمست سببا لاضطرام الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ ؛ فعدلت اسبانيا عن ترشيح ليوبولد . وانتهى الامر باختيار أمديس أمير سافوا ملكا لاسبانيا ، فجلس على عرشها نحو ثلاثة أعوام يعمل في ظروف صعبة ، ثم استقال وغادر البلاد وخلا العرش كرة أخرى ؛ وهنا اضطرمت البلاد بثورة تحريرية قوية ، واستطاع الاحرار أن يعلنوا قيام الجمهورية ، وأن يقيموا الحكم الجمهوري مدى عام (سنة ١٨٧٤) ؛ وكان هذا أول ظفر حقيقي للديموقراطية الاسبانية ، ولكنه كان ظفرا خلبا ، لأن العناصر الرجعية لبثت قوية تعمل لاسترداد سلطانها . وكانت اسبانيا تعاني في نفس الوقت مصائب الحرب الاهلية ، لأن الدون كارلوس وأنصاره انتهزوا فرصة الاضطراب العام ليحاولوا انتزاع العرش فوقعت الحرب الكارلية الثانية (سنة ١٨٧٢) ، ولبثت نحو أربعة أعوام تمزق أوصال الامة ، ثم انتهت أخيرا بسحق قوى الدون كارلوس وفراره الى فرنسا . وعندئذ أعلن الفونسو الثاني عشر ، وكان عندئذ طالبا يدرس في انكلترا ، انه ملك اسبانيا الوحيد ، واستمر انصاره في الداخل يدبرون له سبيل العودة ، حتى استطاع ان يعود وأن يجلس على عرش اسبانيا سنة ١٨٧٥ ، وهو فتى لا يجاوز السابعة عشرة ، وكان الفونسو الثاني عشر رغم حداثته يتمتع بخلال ومواهب طيبة ، فاستطاع بمعاونة وزيره الشهير شارو قاس دل كاستيلو ان يقمع الفوضى وأن يعيد الامن والنظام ، وان يقوم باصلاحات واسعة المدى . وتنفست اسبانيا في عهده الصعداء ، وتمتعت بفترة من السكينة والرخاء . ولكن الموت لم يمهله ، فتوفى شابا في السابعة والعشرين من عمره سنة ١٨٨٥ ، وترك ارملته حاملا ، فوضعت بعد وفاته ولدا سمي بالفونسو الثالث عشر ، وأعلن منذ مولده ملكا لاسبانيا وعينت أمه الملكة ماريا كرستينا وصية للعرش

°°°

كان الفونسو الثالث عشر خاتمة لتلك السلسلة الحافلة من ملوك قشتالة الذين لبثوا قرونا يحاربون العرب والاسلام في اسبانيا والذين قضوا بعد طول الجهاد على الاسلام والحضارة الإسلامية في اسبانيا . وكان وريث ملوكية عريقة كانت مدى حين تفوق جميع الملوكيات الاوربية في العظمة والنماء ، وتبسط سلطانها ما وراء المحيط على قارة بأسرها ، ولكنه لم يرث من ذلك التراث العريض الباذخ سوى بقية واهنة مضعضعة . كانت الملوكية الاسبانية في الواقع تطوى مرحلتها الأخيرة في بطء ، وشاء القدر أن يكون مصرعها على يد الفونسو الثالث عشر آخر ملوك قشتالة .

تولت الملكة ماريا كرستينا زمام الامور حتى يبلغ ولدها أشده . وكانت مهمة شاقة ، لأن الامور لم تكن قد استقرت بعد ، ولكن الملكة الارمل استطاعت ان تعمل في جو من العطف سواء في الداخل ، أو في الخارج ، فهدأت الخواطر وتحسنت الاحوال نوعا . وكان أعظم الحوادث في هذا العهد نشوب الحرب الإسبانية الامريكية ، وفقد اسبانيا لباقي مستعمراتها ، وكان سبب نشوبها الخلاف بين اسبانيا وأمريكا على جزيرة كوبا ، وتطلع امريكا الى انتزاعها من اسبانيا . ونشبت الحرب بين الدولتين سنة ١٨٩٨ ، وهزمت اسبانيا وحطمت قواها البحرية ، وفقدت كوبا وباقي مستعمراتها في الهند الغربية ، وفقدت أيضا جزائر الفلبين الغنية في الهند الشرقية ، ولم يبق لها شيء من تراثها العريض فيما وراء البحار وكبدتها الحرب نفقات باهظة أنضبت مواردها وأثقلت كاهلها مدى حين .

وفي مايو سنة ١٩٠٢ توج الملك الفونسو الثالث عشر ، وهو في السادسة عشرة من عمره ، وتولى زمام الحكم ، وبدأ بذلك عهد جديد في الملوكية الاسبانية استطال مدى ثلاثين عاما ، وكان عهد الفصل في تاريخها . وأبدى الفونسو منذ ولايته همة ونشاطا ، بيد أنه لم يمض نحو عام حتى توفى السنيور ساجستا رئيس الوزارة وزعيم الاحرار ؛ وكان سياسيا بارعا يتمتع بكفايات جمة ، فاضطربت شؤون الحكم ، وانتقلت السلطة الى المحافظين ، وتعاقبت منهم في الحكم خمس وزارات في نحو ثلاثة اعوام ، وأخذ الملك الجديد يواجه كل الصعاب التي واجهها اسلافه . وكان الفونسو الثالث عشر يبدي منذ البداية ميولا رجعية قوية ، ويلتمس الوسائل المختلفة لمقاومة النزعات الحرة والحريات الدستورية ، ويعتمد في تنفيذ سياسته على العناصر الرجعية المحافظة ويجمعها حوله ؛ وكان ذلك سببا في بث السخط حول العرش وحول شخصه حتى أنه دبرت يوم زواجه من الاميرة فكتوريا اوجيني ابنة اخي الملك ادوارد السابع ، أول محاولة لاغتياله (سنة ١٩٠٦) ، وبدأت من ذلك الحين سلسلة من الاعتداءات على شخصه شاء القدر ان ينجو منها جميعا . وكانت الحركات والنزعات الديموقراطية والثورية اثناء ذلك تنمو وتشتد وخصوصا في مقاطعة قطلونية . وكانت قطلونية فوق ذلك مسرح

حركة انفصالية قوية ومهد معركة مضطرمة بين الوطنيين القطلان والراديكاليين المركزيين بزعامة السينور ليرو . وعاد الاحرار الى منصة الحكم منذ سنة ١٩٠٥ على يد زعيمهم موريه واستمروا بضعة أعوام ؛ ولكن الملك مالبث أن عاد الى محالفة المحافظين ، وكانت المسألة المراكشية تشغل اسبانيا منذ حين ، وكانت قد سويت مع فرنسا فى سنة ١٩٠٤ بمعاهدة فرنسية اسبانية ، اعترف فيها بحقوق اسبانيا ، وحددت المنطقة الاسبانية تحديدا يرضي امانيها . ولكن المسألة المراكشية استمرت شغلا شاغلا للسياسة الإسبانية ، بل غدت كا سترى كابوس السياسة الاسبانية مدى اعوام طويلة ، وكانت عاملا جوهريا فى تطور الحوادث فى اسبانيا ، وفى تذرع العناصر الرجعية باقامة حكم الطغيان الشامل الذى لبث عدة أعوام يخمد إنفاس الشعب الاسبانى ، ثم انتهي بذلك الانفجار الحاسم الذى حطم صرح الملوكة القديمة ، وحقق فى اسبانيا آمال الديموقراطية كاملة شاملة .

وخلف المحافظون الأحرار فى منصة الحكم على يد زعيمهم السينور مورا ، وفى ذلك الحين اشتدت الحركة الثورية فى قطلونية ، واضطرمت الحرب فى مراكش فى نفس الوقت لأن بعض قبائل الريف هاجمت الخط الحديدى الذى يربط المناجم الأسبانيــة ؛ وقررت الحكومة أن تعبىء الجنود الاحتياطية القطلونية ، فثارت قطلونية احتجاجاً على ذلك ، ونظم اعتصاب عام فى برشلونة امتد الى باقى أنحاء الولاية (يوليه سنة ١٩٠٩) ، وانفجر بركان الثورة فقبضت العسكرية على زمام السلطة ، وقمعت الثورة بمنتهى القسوة ، وأعدم الزعيم الثورى فرانشيسكو فيرر ؛ فازدادت البلاد سخطاً ، واضطرت الوزارة المحافظة الى الاستقالة ، وعاد الأحرار الى الحكم أولا على يد السينور موريه ، ثم بعــد استقالته على يد السينور كاناليخاس (فبراير سنة ١٩١٠) . واستمرت الوزارة الحرة فى الحكم حتى مقتل رئيسها كاناليخاس فى نوفمبر سنة ١٩١٢ . وامتاز هذا العهد بحادثين فى منتهى الخطورة ، أولهما : اضطرام المعركة بين الحكومة الحرة والكاثوليــك ، بسبب اضطهاد الحكومة للكاثوليك وسخط الفاتيكان من أجل ذلك ؛ والثانى قيام الخلاف بين اسبانيا وفرنسا بسبب المسألة المراكشية . وكانت فرنسا تزداد توسعاً فى مراكش حتى شعرت اسبانيا أنها تهدد منطقتها ومصالحها ؛ وانتهزت ألمانيا هذه الفرصة للتنويه بمصالحها فى مراكش ، وأرسلت الطراد « بانتير » الى مياه أغادير بحجة حماية مصالحها ، واضطرت فرنسا أن ترضي ألمانيا بتحقيق بعض مطالبها فى الكونغو ، واضطرت من جهة أخرى أن تحترم سيادة اسبانيا على المنطقة الإسبانية ، وكان ذلك فوزاً للوزارة الحرة . ولكن اشتدادها فى إخماد الحركة الثورية فى قطلونية انتهى بمقتل رئيسها (نوفمبر سنة ١٩١٢) ؛ فخلفتها وزارة محافظة برئاســة السينور داتو لبثت فى منصة الحكم حتى ديسمبر سنة ١٩١٥ ، وفى عهدها نشبت الحرب الكبرى . وأعقبتها وزارة حرة برئاسة الكونت رومانونيس ، فاستمرت حتى أوائل سنة ١٩١٧ . ولزمت اسبانيا الحياد أثناء الحرب ، واستفادت من حيادها فوائد تجارية واقتصادية جمة وتمتعت بفترة من الرخاء الحسن ؛ وكان الرأى العام الاسبانى خلال الحرب يتراوح بين تأييد الحلفاء وتأييد ألمانيا . فالأحرار وأحزاب اليسار تميل مع الحلفاء ؛ والأحزاب المحافظة ورجال الدين يميلون مع ألمانيا . وكان السلام الذى تمتعت به اسبانيا خلال الحرب نعمة سابغة وعاملا كبيراً فى استقرار شئونها وأحوالها .

وفى أواخر سنة ١٩١٧ تحركت احزاب اليسار (الاحزاب الاشتراكية) كرة أخرى ، ودبرت اعتصاباعاما فى جميع اسبانيا . وكانت الديمقراطية ترمى بهذه المحاولة الى تحطيم النظام القائم ، وإقامة جمهورية اسبانية ديموقراطية ، ولكنها اخفقت فى تدبيرها واستطاعت العسكرية أن تسحق الثورة فى مهدها . وكانت العسكرية تطلع دائما الى بسط نفوذها وسلطانها على شئون الحكم ، وكانت ترى من حقها بعد أن انقذت الملوكية والنظام القائم من ثورات الديموقراطية غير مرة ، أن تستأثر هى بالسلطة ، وأن توجه سياسة البلاد طبقا لرأيها ، وقد استطاعت فى الواقع ان تحقق هذه الغاية الى حد كبير على يد الوزارة المحافظة التى قامت يومئذ برياسة السينور جارسيابريتو ، وتولى فيها وزارة الحربية رجل من رجال العسكرية هو الجنرال لاتشيرفا ، ولكن هذا الطغيان العسكرى لم يطل يومئذ امده لما ابداه لاتشيرفا من عجز وصلف ؛ فسقطت هــذه الوزارة المسيرة ؛ والفت وزارة حرة برئاسة الكونت رومانونيس (ديسمبر سنة ١٩١٨) ؛ وعلى يد هــذه الوزارة التحقت اسبانيا بعصبة الامم التى كانت يومئذ معقد كثير من الآمال والامانى . ولكن الوزارات الحرة كانت تصطدم دائما بعثرات وصعاب جمة سواء من جانب العرش ، وقد كان يؤثر دائما جانب

الطغيان والقمع ويعتمد على مؤازرة العناصر الرجعية والعسكرية والدينية ؛ أو من جانب العسكرية وقد كانت ترهق بضغطها كل حكومة لا تذعن لارادتها ووحيها . فسقطت وزارة رومانونيس ، وخلفتها وزارة محافظة برئاسة السينور مورا ، ثم وزارة محافظة أخرى برئاسة السينور توكا . وكانت هذه الوزارة الأخيرة وزارة قوية مستنيرة ، ولكنها اصطدمت بارادة العسكرية ولم تذعن لها ، فاستقالت مرغمة ؛ ولكن المحافظين استمروا في الحكم ايضا ؛ أولا على يد السينور سالازار ثم على يد زعيمهم السينور داتو الذي ألف الوزارة الجديدة في مايو سنة ١٩٢٠ . وكانت اسبانيا ترزح يومئذ تحت خطبين عظيمين : أولهما اضطرام الثورة في قطلونية ، وثانيهما اضطرام الحرب في مراكش ؛ وكانت حوادث قطلونية دائمة كابوس السياسة الداخلية ، كما كانت حوادث مراكش كابوس السياسة الخارجية ، فحاولت وزارة داتو أن تقمع الثورة في قطلونية وانساقت كالعادة الى القسوة والتطرف متأثرة بارادة العسكرية والعرش ، ولكنها لم تفلح في اخماد الهياج ، وانتهى الامر بمقتل رئيسها (مارس سنة ١٩٢١) ؛ فعاد السينور سالازار الى تأليف الوزارة الجديدة ؛ وهنا تطورت حوادث مراكش تطوارا خطيرا نرجىء شرحه الى الفصل القادم .

محمد عبد الله عنان
المحامي

عدد الرسالة الممتاز

يصدر يوم الاثنين القادم في ضعف العدد المعتاد حافلا بصحائف المجد العربي لاقطاب الادب والبيان في مصر وفي الاقطار العربية وسيباع بقرش صاغ واحد فاجتهد الا يفوتك

فضيلة . . . !

للاستاذ اديب عباسي

والفضائل كالرجال : منها المائع المسترخي ، ومنها الشديد الصلب الذي لا ينثني ، ومنها المقرور مفرط القر ، ومنها المشبوب مفرط الحر ، ومنها مرهف الحد نافذ الشفرة ، ومنها كثير الفلول كليل السطوة ، ومنها الذليل المستعبد ، ومنها الابي المستكبر ، ومنها الواضح البين ، ومنها الذي ليس له أول ولا آخر . وتستطيع أن تمضي في المقارنة الى آخر ما يحضرك من صور للرجال ونماذج . ولا عبرة بما يوحيه اللفظ من معاني القداسة والاشتقاق من الفضل . فانت تعرف جيدا أن الفضائل كالرجال أيضا تخضع لملابسات الحياة وتعنو للزمن ، وتنال من دهرها تقديراً عادلا حيناً ، وتقديراً جائرا أحيانا اخرى .

وفي عصور النضال العنيف والجهاد المحرج يقسر الناس على التفطن الى جميع مناحي الحياة دقيقها وجليلها ، ويحملون على تناول موادها تناولا سريعا مرتجلا لا اشفاق فيه – غالبا – على ماض تليد ولا مستقبل موموق بعيد . والذي يربح المعركة للقوم من هذه المواد هو الذي لاشك يربح البقاء والخلود .

ولعل الشرق في هذا الوقت الحافل بجميع ضروب النزاع الملىء باقرب الاحتمالات وابعدها ، هو احوج مايكون الى أن يكر راجعا الى هذا الكتاب القديم الذي دونت فيه فضائلنا ، ويطمس بالقلم العريض هذه الاسطر المجرمة التي تسيء الى رجولة الشرق ، وتنتقص من حيويته الفردية ثم حيويته الاجتماعية ، وعملية التنقيح في الاخلاق والفضائل هذه هي عملية قديمة خبرها اليونان والرومان والعرب وغيرهم ، وخبروا خيرها أصدق مختبر . ولعل أشد عصور هذه الأمم سواداً هي العصور التي كانت فيها عين الرقيب في غفوة عنها ، فثبت بعض هذه الفضائل من رقدتها ونشبت تنهش في الحياة وتوالي تمزيقها الى أن أحالتها في النهاية رسما لجسم ، وبقية من جثة .

والحياء – كما تعلم – من أقدم ماخط في كتابنا الاخلاقي – الحياء لا بمعنى صرف النظر وتحويل الفكر عن الشهوات والملاذ الدنيئة – بل الحياء بمعنى اعطائك سيفك لخصمك ليقتلك به ، أو

الارتماء على فجوة بين حائطين ليعبر عليك الى غايته من هو دونك ، أو السير وراء الناس من بعد تلتقط بقايا الزاد وفتات الاطعمة .

ان سبيل النجاح سبيل واضح لا يخطئه النظر الصائب والاستعداد الصادق . فاذا رمت السير فيه غير مرفوع الرأس موفور الثقة بالنفس ، فاحر بك ان تجدك في آخر الطريق او موطئاً للاقدام . ان الزحام على طيبات الحياة لا يدعك تسير في رفق وعلى مهل . وخجلك الذى تخجل واستكانتك التى تستكين ، ليس لهما الا نتيجة واحدة تعرفها لا شك تمام المعرفة . وهى لا ريب الحرمان والخيبة على حين قد تكون وانت المحروم اكثر الناس استعداداً واحقهم بالفوز

تقول كاتبة فرنسية : ما من حياة الا ويمكن ان تكون ضرراً على حياة أخرى او اكثر . فاذا صدقت كاتبتنا فيما تقول — وما اخالها الا صادقة — فما معنى ذلك ؟ معناه ان نجاحك فى سعى أو سبقك الى غاية هو فى الواقع حرمان لواحد أو أكثر من عداك . فهو لذلك مدفوع بغريزته الى مزاحمتك وإقامة العراقيل فى وجهك ليصرفك عن النجاح فى هذا المسعى او السبق الى تلك الغاية . وهو غالباً لا يكتفى بان يوقفك حيث انت بل تراه لا يحجم ولا يتجمجم ان يدفعك خطوة او خطوات الى الوراء ، فذلك اضمن لفوزه وأكفل بنجاحه .

ونحن لا ندعو الى اطراح الخجل والمزاحمة بالمناكب لنقف عند هذا الحد من تقوية الانانية الفردية واحتجان معظم الخير للنفس . ولكن يقيننا الذى لا يتسرب اليه الشك هو ان من احسن نيل حق خاص واجاد فى مدافعة الاخصام عنه يحسن أيضاً المدافعة عن حق عام والمساهمة فى نصرته . والمرء فى أمم الغرب العريقة يزج فى اتون من الخصام العنيف والنضال الشديد فما يزال ينحي ويذود عن نصيبه الموموق وحقه المشروع حتى يناله . فاذا دعا داعى التضحية العامة والبذل المطلق كان صاحبنا هذا فى اول الملبين وطليعة المستجيبين . وما ذلك الا ان فضائل الصبر والاحتمال يصيبها المرء من هذا النضال مضافاً اليها استشعاره الرضى كل الرضى عن هذا البلد الذى يظله ويهيء له من فرص النجاح على قدر استعداده ، هى مما يحبب اليه هذا البلد ويدعوه الى المسارعة فى البذل له والتضحية من أجله وليس من باب المصادفة المحضة ان تجد الانكليزى اكثر الخلق مطالبة بحق خاص ، وأكثرهم فى ذات الوقت مطالبة بحق عام

ثم لا تحسبن انتفاء الحياء والخجل يولد الغرور ويشجع على القحة كما قد يتبادر الى الذهن . والصواب أن نقول : ان انتفاء الحياء بالمعنى الذى أردت هو قتيل للغرور واستئصال للقحة . وذلك أن ظهور الجميع بمظهر الصراحة والثقة بالنفس لا يدع للدعى مضطرباً يضطرب فيه أو مجالا يصول فيه ، اذ لا يبقى حينها رائجا الا سوق الجدارة والاقتـــــدار . ولو اتقى المزاحمون لراح هؤلاء الادعياء المغرورون يملأون الدنيا صياحا وصخبا وادلالا بقوتهم وسمو مواهبهم :

زد على هذه المحاذير ان الحيي بانزوائه قد يحرم المجتمع الذى يعيش فيه كثيراً من الثمار الطيبة والجنى اليانع الذى قد لا يخصب خصبه المطلوب فى غير نفسه . وحبذا لو درس أصحابنا الخجلون هؤلاء شيئاً من صحائف الطبيعة الناطقة ، ولقنوا بعض دروسها العملية . إذاً لكانوا يشفون من مرضهم المخامر هذا . لينظروا الى الزهرة ترفع جيدها لتستقبل الشمس ، وليلاحظوا الرياح تذرو النبتة لا تتشبث جهد التشبث فى أديم الارض ، وليلحظوا أيضا الزهرة الجميلة لا يفوح عطرها يأتى عليها منجل الحاصد وتلقى بين ما يلقى أمام البهائم . ثم لينظروا الى ذلك الطائر الجميـــــل يتخذ من رواء ريشه وجمال زينته وسيلة للتشبث بأسباب الحياة . وليصغوا أيضا الى ذلك الطائر عينه يملأ الارض برجع صوته الرخيم ، لا ليشنف أسماعهم ، بل ليكون له مما تصوغه حنجرته الصغيرة وسيلة يستبق بها النوع ويستديم الذرية .

أن المرونة الخلقية لا بأس بها ، ولكن ليس الى الحد الذى يصبح عنده الانسان كالاسفنج تعتصر كل ما فيه من حياة دون أن يأسى أو يتألم ، فيحاول المدافعة عن نفسه بالتى هى أحسن أو بالتى هى أشر . الحرير لا بأس به لباسا للمترفين ، ولكنه بئس اللباس للمحاربين . فلتكن إذاً الشوكة تدمى الانامل وتؤذى الملمس لا الوردة تنثر غلائلها أو الشهد يستساغ منهله .

شرق الأردن — أديب عباسى

مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى

ظهرت الطبعة الثانية بعد أن نقحت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة ، يقع فى ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير طبع دار الكتب وثمنه ١٥ قرشا عدا اجرة البريد ، ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

الشطرنج

كيف اخترع ؟ — تطوراته بين الأمم القديمة

لعبة الشطرنج من أدق اللعب الفكرية وأهمها وأنفعها . بل هي معيار لقوة الذكاء والمهارة والحذر والدهاء والاقدام ، لأنها دقيقة في وضعها ، دقيقة في لعبها ، تروض الانسان على التحذر وسعة الحيلة وتدفعه إلى المجازفة اذا ماتبين له فيها بريق أمل من الفائدة .

إن هذه الرقعة التي يلعب عليها اللاعبون بقطع من الخشب مصورة ذات أسماء موضوعة ، إنما هي ملعب الحياة ، ومضمار السباق والرهان فيها ، بل هي سر الحياة والعظمة ، والموت والمهانة والزراية ، ففيها يعلو الصغير إلى منصة العرش ، وفيها تخطو الفرس ثلاثا فتعلو على الشاه فتلقيه بحافرها ، هذه وغيرها كلها مشاهد في لوحة هذه الحياة التي تعتورها دائما ظروف شاقة لايحتملها غير ذي الصبر والجلد الذي يفسح له من الآمال مجالا ، ويجعل بين حدى الفشل والنجاح اتصالا .

لايوجد من الأسانيد التاريخية القديمة شيء محقق يدل على تاريخ وجود هذه اللعبة الفكرية كما حققت هذا « دائرة المعارف الفرنسية » وكل ما عرفوه عنها راجع إلى العهد الذي ذاعت فيه ، فقد كان للقدماء ألعاب شتى بالطبع يلهون بها في فراغهم لترويح نفوسهم . وقد تشاهد منقوشة على الآثار المصرية القديمة ولكن لم تعرف لها قواعد

« وقد قيل في أساطير الاولين إن أول من اخترع لعبة الشطرنج هو (بالاميد) إبان حصار طروادة وقد صدرت جريدة خصيصة بهذه اللعبة اسمها (بالاميد) .

وللشطرنج أسماء قديمة تباين اسمه العصري ، فقد كانوا يطلقون عليه في أوروبا في القرون الوسطى ، عندما كانت اللغة اللاتينية ذائعة في ذلك الحين اسم (لودوس لاترنكو لوروم) وكانوا في الهند يسمونه قديما (شطرونجا) وأطلقوا عليه في القرن السادس اسم (شاتورانجا) وتسربت هذه اللعبة الى فارس وبلاد العرب وغيرها من مختلف البلاد . ولعل أول عهد لاوروبا بها كان القرن السادس عشر وأخذت تذيع فيه الى حد أن تألفت فيها مجامع ومدارس وجرت مسابقات بين البلاد وعقدت مؤتمرات خصيصة بها وغامر فيها الغاوون بضياعهم ورؤوس أموالهم حتى لقد فقد واحد كل ماملكت يداه في سبيل لعبة واحدة فلم يحزن لانه أضاعها بغلطة فكرية .

ولعبة الشطرنج في ذاتها ، فكرية تبعد بالناس عن كل موبقة وتصرفهم عن كل إثم ، فأنت ترى الجالس أمام الرقعة مقصور النظر والفكر عليها ، لامطمع له إلا أن ينهمك في المغامرة ليغلب بجد ، ويدفع عن خياض فكره بحق .

وللاعبين حيل غريبة في التغلب ، فان الدهاء لابد أن يكون الآلة العاملة مع الفكرة ، مثال ذلك أن اللاعبين في أوروبا في القرن الخامس عشر كان أحدهما إذا لاعب الثاني ليلا جعل الضوء الى يساره ، واذا مالاعبه نهارا اجتهد في ان يجعل خصمه إزاء الضوء حتى يضلل بصره . وقد كانت هذه الطريقة التي جرى عليها (فنتيان) و (دى لوسينا) وهما من اشهر اللاعبين الاوربيين في ذلك الحين .

وقد كان للعرب القدح المعلى في هذه اللعبة ، وكانوا يسمون الملك « شيخا » ، وهو الذي أسماه الفرس « شاها » ، وجرت تسميته حتى الآن .

وقد روى « الصفدى » أنه رأى غير مرة في دمشق سنة ٧٣١ ﻫ شخصا يعرف « بالنظام العجمى » وهو يلعب الشطرنج غالبا في مجلس « الصاحب شمس الدين » ورآه أول مرة يلعب مع « الشيخ أمين الدين سليمان » رئيس الأطباء فغلبه مستدبرا ولم يشعر به حتى ضرب « شاه مات » بالفيل .

وحكى له عنه أنه يلعب غائبا على رقعتين وقدامه رقعة يلعب فيها حاضرا ويغلب في الثلاث . وكان الصاحب يدعه في وسط الدست ويقول له عد لنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعها كأنه يراها .

وأجمع بعض من المؤرخين على أن السبب في اختراع لعبة الشطرنج راجع الى عهد الملك « تلبيث » ملك الهند الذي أحزنه أن يضع « شيربابك » أحد ملوك الفرس « النرد » وهو رموز على السنين والحساب ، والأشهر ، والأيام ، والأسابيع ، والقضاء والقدر ، الى غير ذلك . فعمد حكيمه « صوصة » الى اختراع لعبة تفوق تلك وتعد فخارا للهند . فاخترع لعبة « الشطرنج » التي أجمع حكماء ذلك العصر ومفكروه على تفضيلها . فلما أن عرض اختراعه على الملك أعجب به وطلب منه أن يتمنى عليه ما شاء من جزاء ،

فتمنى عدد تضعيفه حبات قمح ، فأنكر عليه الملك هذا الطلب التافه فألح المخترع في إجابة طلبه ، فحسب أهل ديوان الملك هذا التضعيف ثم قالوا له إن ما عندنا من القمح هو دون الطلب ، فدهش ، ثم أوضحوا له الأمر فأعجب به لأن تضاعيف الأعداد الى البيت السادس عشر أسفر عن اثنين وثلاثين ألفاً وسبعمائة وثمانية وستين حبة من القمح . فكيلت قدحاً ، ثم ضوعفت أجزاؤها الى البيت العشرين . فكانت ويبة ، ثم ضوعفت هذه الارادب فكانت في البيت الاربعين مائة وأربعة وسبعين ألفاً وسبعمائة واثنتين وستين أردباً وثلثي الاردب . ولما كان الاردب ستة وتسعين قدحا فان هذا القدر يملأ شونة ، ثم ضوعفت الشونة الى البيت الخمسين فكانت الجملة ألفاً وأربعاً وعشرين شونة ، وهذا القدر يعادل فسيح مدينة ، ثم ضوعفت المدينة الى البيت الرابع والستين وهو آخر بيوت رقعة الشطرنج ، فكانت النتيجة ستة عشر ألفاً وثلثمائة وأربعاً وثمانين مدينة وهو ميزان الرقعة جميعها . فان جمع من البيت الاول الى الثالث والستين كان الحاصل مساوياً لما في البيت الرابع والستين لا ينقص عنه غير حبة واحدة ، ثم جمع ما في الرقعة جميعها فكان اثنين وثلاثين ألفاً وسبعمائة وثماني وستين مدينة . فعجب الملك ومن حضر مجلسه العجب كله .

أبو بكر طاهر مؤمن

مهجور اللغة

روى أن ابن زيدون قام على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمع يجيب أحداً بما أجاب به غيره ، قال الصلاح الصفدي : وأقل ما كان في تلك الجنازة ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يشكر له ، فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشكر .

وورد أن ابن نباتة الخطيب المصري أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها « أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه ترجعون »

وكان الحريري صاحب المقامات كلما جمع بين الحارث بن همام وأبي زيد السروجي وأراد أن يفرق بينهما بقوله « فلما أصبح الصباح » أتى بعبارة تغايرها لفظاً في كل مقامة .

وليس في هذا كله ما يدعو الى الغرابة وإن دل على البراعة ، فان اللغة العربية تمتاز من سائر اللغات بكثرة الترادف في الالفاظ والتعدد في الصيغ ، يذكرون أن للخمر فيها مائتي اسم وللجمل خمسمائة وللسيف ألفاً ، وهذا مما يساعد الكتاب على التوسع في العبارة ، ويعينهم على التفنن في أساليب الكلام ، ولكن العجز قعد بكتابنا عن أن يحتفظوا على اللغة هذه الميزة وأن ينتفعوا بها في كتاباتهم ، فهم يصيغون عباراتهم على نمط واحد ، ويجرون في أساليبهم على طريقة متفقة ، وتجدهم يستعملون ألفاظاً محدودة ، وأبنية متكررة ويميلون الى الترهل واللين ، حتى أصبحت ثروتنا اللغوية يكتنفها الابهام والغموض ، وأصبحت أساليبنا في الكتابة ضعيفة واهية لا تلمح فيها أثراً للفن والجمال .

وكتابنا معذورون في هذا ماداموا لا يشتغلون بمتن اللغة ، فقل منهم من يهتم بكتاب اسمه « القاموس » أو « اللسان » أو « أساس البلاغة » وقل منهم من يعرف شيئاً اسمه « فصيح ثعلب » « فقه اللغة » أو غير ذلك من كتب اللغة ، يكتفي الواحد منهم بأخذ لغته من الصحف والمجلات ، وبمعرفة جمل من الألفاظ من نوع « فحسب » ومهما يكن من شيء ، ليجعل نفسه في عداد الكتاب ثم لا يستحي من اتهام اللغة العربية بالعقم ونضوب المادة ورميها بالتأخر والقصور .!.

أنا لا أرجو من الكتاب أن يترسموا طريق ابن زيدون في

كتابته ، ولا أن يذهبوا مذهب ابن نباتة فى أسلوبه ، ولا أن ينهجوا منهج الحريري فى سجعه وتكلفه ، وإنما أدعوهم الى التمكن من فقه اللغة ومتنها ، والانتفاع بالقواميس والمعاجم فان هذا مما يساعدهم على تلوين الخطاب وإحياء كلم اللغة الميتة ، فكم فى لغتنا من ألفاظ مهجورة ، وكم فى قواميسنا من مفردات مهملة ، مع أنها تصلح للاستعمال والتداول على أسلات الاقلام ، فمثلا كلمة « يتمعج » بمعنى يتلوى ويتثنى لاتجد الكتاب يستعملونها مع أنها سهلة النطق والرسم وقد تكون أولى مرادفاتها فى الاستعمال ، ومثلها كلمة « يعمس فى الامر » بمعنى يتجاهله ويتغافل عنه إلى غير ذلك من الكلمات التي نحن فى حاجة الى احيائها والتى فى تداولها تعزيز لمادة الكتاب

وإحياء مهجور اللغة ليس معناه ان تستعمل كل كلمة غريبة مجهولة ، وان تجريها على أى وجه كان ، وتدرجها فى أى عبارة كانت ، وإنما هذا مقام يحتاج إلى البراعة والدقة ، وورد عن ابن شهيد الاندلسى انه قال « جلس إلى يوما يوسف الأسرائيلى ، وكان أفهم تلميذ مر بى وأنا أوصى رجلا عزيزا على من أهل قرطبة وأقول له : إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو فى الكلام ، فاذا جاور النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر وطابت المخابر ، أفهمت ؟ قال إى والله ! ! قلت له وللعربية إذا طلبت ، وللفصاحة إذا التمست ، قوانين من الكلام ، من طلب بها أدرك ، ومن نكب عنها قصر ! أفهمت ؟ قال نعم ، قلت : وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو وفصيح الغريب وتهرب من قبيحه قال : أجل ، قلت : أتفهم شيئا من عيون كلام القائل ؟

لعمرك إنى يوم بانوا فلم أمت ... خفاتا على آثارهم لصبور
غداة التقينا إذ رميت بنظرة ... ونحن على متن الطريق نسير
ففاضت دموع العين حتى كأنها ... لناظرها غصن يراح مطير

فقال : إى والله ! وقعت « خفاتا » موقعا لذيذا ووضعت « رميت » و « متن الطريق » موضعا مليحا ، وسرى « غصن يراح مطير » مسرى لطيفا ، فقلت له : أرجو أنك تنسمت شيئا من نسيم الفهم ، فاغد على بشىء تصنعه الخ .

وفى هذه الحكاية يشرح لنا ابن شهيد كيف يكون استعمال الغريب وإحياء المهجور من الألفاظ ، فيرى أن تختار الكلمات الصالحة ، وأن يراعى فى وضعها القرابة والنسب ، حتى تحسن الصحبة وتطيب الألفة ، وهو رأى صحيح ولكنه يحتاج فى تنفيذه كما قلنا إلى البراعة والدقة ، فلعل الكتاب يستجيبون لدعوتنا ، ولعلهم يراعون هذا فى كتاباتهم فيكونوا قد بروا بلغتهم وخدموا أساليبهم ؟

الزقازيق — محمد فهمى عبد اللطيف

الالوان والصور فى شعر ابن الرومى

الشعر تمثيل وتصوير ، قبل أن يكون لفظاً منمقاً وكلاماً مزوقاً ، وكما تعجبنا دقة الراسم حينما يبرز الأضواء والظلال ، والألوان والشكول ، لصورة من الصور ، فكذلك تعجبنا يقظة حواس الشاعر حين يصورها فى منظومه وابياته ما يرسمه الراسم بريشته وألوانه ، وحين يبدى لنا الشاعر حور العيون ، وسحر الجفون ، وحمرة الخدود ، وبروز النهود ، بتمثيل وتصوير لا بريشة والوان ، كلا الفنانين ممثل للحقيقة ، الا ان الراسم يصوغها شكولا والواناً ، والشاعر ينقلها شعوراً ووجداناً

قد يجتمع — وهذا نادر — للراسم خيال الشاعر ، وللشاعر دقة الراسم ، فان كان شىء من ذلك فقد استوى كل منهما على عرش الفن — فأى الرجلين كان ابن الرومى ؟

كان ابن الرومى رساماً فناناً ، ومصوراً ماهراً ، مرهف الحواس شديد التأثر بالطبيعة كأن أعصابه اسلاك كهرباء وعينيه عدسة الكاميرا ينطبع عليها مختلف المناظر والصور . وكأن أذنه — ميكرفون — موكل بالتقاط دقيق الأصوات وجليلها . وكان ابن الرمى أيضاً شاعراً مطبوعا واسع الخيال ، خصب الشعور ، مشبوب العاطفة . ولئن حق لابى العلاء ان نسميه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء . فمن حق ابن الرومى ان يكون شاعر المصورين ومصور الشعراء . لان فى شعره دقة المصور وتعدد الوانه ، وروعة خيال الشاعر وسمو عواطفه . وهو حين يصف قينة شادية ، يستهويك من شعره عاطفة مشبوبة وخيال خصب ، ثم تصوير دقيق وأتقان للألوان الطبيعية .

وقينة إن منحت رؤيتها ... رضيت مسموعها ومنظرها
شمس من الحسن فى معصفرة ... ضاهت بلون لها معصفرها

فتمنى عدد تضعيفه حبات قمح ، فأنكر عليه الملك هذا الطلب التافه فألح المخترع فى إجابة طلبه . فحسب أهل ديوان الملك هذا التضعيف ثم قالوا له إن ما عندنا من القمح هو دون الطلب ، فدهش ، ثم أوضحوا له الأمر فأعجب به لأن تضاعف الأعداد الى البيت السادس عشر أسفر عن اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة من القمح . فكيلت قدحا ، ثم ضوعفت أجزاؤها الى البيت العشرين . فكانت ويبة ، ثم ضوعفت هذه الأرادب فكانت فى البيت الأربعين مائة وأربعة وسبعين ألفا وسبعمائة واثنتين وستين أردبا وثلثى الأردب . ولما كان الأردب ستة وتسعين قدحا فان هذا القدر يملأ شونة ، ثم ضوعفت الشونة الى البيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعا وعشرين شونة ، وهذا القدر يعادل فسيح مدينة ، ثم ضوعفت المدينة الى البيت الرابع والستين وهو آخر بيوت رقعـــة الشطرنج ، فكانت النتيجة ستة عشر ألفا وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة وهو ميزان الرقعة جميعها . فان جمع من البيت الأول الى الثالث والستين كان الحاصل مساويا لما فى البيت الرابع والستين لا ينقص عنه غير حبة بر واحدة ، ثم جمع ما فى الرقعة جميعها فكان اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانى وستين مدينة .

فعجب الملك ومن حضر مجلسه العجب كله .؟

أبو بكر طاهر مؤمن

كتاب المفصل

فى تاريخ الأدب العربى

للسنتين الرابعة والخامسة من المدارس الثانوية

أتمت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » طبع هذا الكتاب وهو من تأليف لجنة شكلتها وزارة المعارف من الأساتذة احمد الاسكندرى واحمد امين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى واحمد ضيف — ويشمل تاريخ الأدب العربى من العصر الجاهلى الى الآن

ويقع فى جزءين مجلدين فى نحو ستمائة وخمسين صفحة وثمن الجزء الأول منهما عشرة قروش والثانى خمسة عشر قرشا ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

مهجور اللغـــة

روى أن ابن زيدون قام على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمع يجيب أحداً بما أجاب به غيره ، قال الصلاح الصفدى : وأقل ما كان فى تلك الجنازة ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يشكر له ، فيحتاج فى هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشكر .

وورد أن ابن نباتة الخطيب المصرى أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها « أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه ترجعون »

وكان الحريرى صاحب المقامات كلما جمع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجى وأراد أن يفرق بينهما بقوله « فلما أصبح الصباح » أتى بعبارة تغايرها لفظا فى كل مقامة .

وليس فى هذا كله ما يدعو الى الغرابة وإن دل على البراعة ، فان اللغة العربيـة تمتاز من سائر اللغات بكثرة الترادف فى الالفاظ والتعدد فى الصيغ ، يذكرون أن للخمر فيها مائتى اسم وللجمل خمسمائة وللسيف ألفا ، وهـذا مما يساعد الكتاب على التوسع فى العبارة ، ويعينهم على التفنن فى أساليب الكلام ، ولكن العجز قعد بكتابنا عن أن يحفظوا على اللغة هذه الميزة وأن ينتفعوا بها فى كتاباتهم ، فهم يصيغون عباراتهم على نمط واحد ، ويجرون فى أساليبهم على طريقة متفقة ، وتجدهم يستعملون ألفاظا محدودة ، وأبنية متكررة ويميلون الى الترهل واللين ، حتى أصبحت ثروتنا اللغوية يكتنفها الابهام والغموض ، وأصبحت أساليبنا فى الكتابة ضعيفة واهية لا تلمح فيها أثراً للفن والجمال .

وكتابنا معذورون فى هـذا ماداموا لا يشتغلون بمتن اللغة ، فقل منهم من يهتم بكتاب اسمه « القاموس » أو « اللسان » أو « أساس البلاغة » وقل منهم من يعرف شيئا اسمه « فصيح ثعلب » « فقه اللغة » أو غير ذلك من كتب اللغة ، يكتفى الواحد منهم بأخذ لغته من الصحف والمجلات ، وبمعرفة جمل من الألفاظ من نوع « فحسب » « ومهما يكن من شىء » ليجعل نفسه فى عداد الكتاب ثم لا يستحى من اتهام اللغة العربية بالعقم ونضوب المادة ورميها بالتأخر والقصور !!

أنا لا أرجو من الكتاب أن يترسموا طريق ابن زيدون فى

كتابته ، ولا أن يذهبوا مذهب ابن نباتة في أسلوبه ؛ ولا أن ينهجوا منهج الحريري في سجعه وتكلفه ، وإنما أدعوهم الى التمكن من فقه اللغة ومتنها ، والانتفاع بالقواميس والمعاجم فان هذا مما يساعدهم على تلوين الخطاب وإحياء كلم اللغة الميتة ، فكم في لغتنا من ألفاظ مهجورة ، وكم في قواميسنا من مفردات مهملة ، مع أنها تصلح للاستعمال والتداول على أسلات الاقلام ، فمثلا كلمة « يتمعج » بمعنى يتلوى ويتثنى لاتجد الكتاب يستعملونها مع أنها سهلة النطق والرسم وقد تكون أولى مرادفاتها في الاستعمال ، ومثلها كلمة « يعمس في الامر » بمعنى يتجاهله ويتغافل عنه إلى غير ذلك من الكلمات التي نحن في حاجة الى احيائها والتي في تداولها تغزير لمادة الكتاب

وإحياء مهجور اللغة ليس معناه ان تستعمل كل كلمة غريبة مجهولة ، وان تجريها على أي وجه كان ، وتدرجها في أي عبارة كانت ، وإنما هذا مقام يحتاج إلى البراعة والدقة ، ورد عن ابن شهيد الاندلسي انه قال « جلس إلي يوما يوسف الاسرائيلي ، وكان أفهم تلميذ مر بي وأنا أوصي رجلا عزيزا على من أهل قرطبة وأقول له : إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلام ، فاذا جاور النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الالفة وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر وطابت المخابر ، أفهمت ؟ قال إي والله ! ! قلت له وللعربية إذا طلبت ، وللفصاحة إذا التمست ، قوانين من الكلام ، من طلب بها أدرك ، ومن نكب عنها قصر ! أفهمت ؟ قال نعم ، قلت : وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو وفصيح الغريب وتهرب من قبيحه قال : أجل ، قلت : أتفهم شيئا من عيون كلام القائل ؟

لعمرك إني يوم بانوا فلم أمت خفاتا على آثارهم لصبور
غداة التقينا إذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير
ففاضت دموع العين حتى كأنما لناظرها غصن يراح مطير

فقال : إي والله ! وقعت « خفاتا » موقعا لذيذا ووضعت « رميت » و « متن الطريق » موضعا مليحا ، وسرى « غصن يراح مطير » مسرى لطيفا ، فقلت له : أرجو أنك تنسمت شيئا من نسيم الفهم ، فاغد على بشيء تصنعه الخ .

وفي هذه الحكاية يشرح لنا ابن شهيد كيف يكون استعمال الغريب وإحياء المهجور من الألفاظ ، فيرى أن تختار الكلمات الصالحة وأن يراعى في وضعها القرابة والنسب ، حتى تحسن الصحبة وتطيب الألفة ، وهو رأي صحيح ولكنه يحتاج في تنفيذه كما قلنا إلى البراعة والدقة ، فلعل الكتاب يستجيبون لدعوتنا ، ولعلهم يراعون هذا في كتاباتهم فيكونوا قد بروا بلغتهم وخدموا أساليبهم ؟

الزقازيق — محمد فهمي عبد اللطيف

الالوان والصور في شعر ابن الرومي

الشعر تمثيل وتصوير ، قبل أن يكون لفظاً منمقاً وكلاماً مزوقاً ، وكما تعجبنا دقة الراسم حينما يبرز الأضواء والظلال ، والألوان والشكول ، لصورة من الصور ، فكذلك تعجبنا يقظة حواس الشاعر حين يصور لنا في منظومه وابياته ما يرسمه الراسم بريشته وألوانه ، وحين يبدي لنا الشاعر حور العيون ، وسحر الجفون ، وحمرة الخدود ، وبروز النهود ، بتمثيل وتصوير لا بريشة والوان ، كلا الفنانين ممثل للحقيقة ، الا ان الراسم يصوغها شكولا والواناً ، والشاعر ينقلها شعوراً ووجداناً

قد يجتمع — وهذا نادر — للراسم خيال الشاعر ، وللشاعر دقة الراسم ، فان كان شيء من ذلك فقد استوى كل منهما على عرش الفن — فأي الرجلين كان ابن الرومي ؟

كان ابن الرومي رساماً فناناً ، ومصوراً ماهراً ، مرهف الحواس شديد التأثر بالطبيعة كأن أعصابه اسلاك كهرباء وعينيه عدسة الكاميرا ينطبع عليها مختلف المناظر والصور . وكأن أذنه — ميكرفون — موكل بالتقاط دقيق الأصوات وجليلها . وكان ابن الرومي أيضاً شاعراً مطبوعاً واسع الخيال ، خصب الشعور ، مشبوب العاطفة . ولئن حق لأبي العلاء ان نسميه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء . فمن حق ابن الرومي ان يكون شاعر المصورين ومصور الشعراء . لان في شعره دقة المصور وتعدد الوانه ، وروعة خيال الشاعر وسمو عواطفه . وهو حين يصف قينة شادية ، يستهويك من شعره عاطفة مشبوبة وخيال خصب ، ثم تصوير دقيق وأتقان للألوان الطبيعية .

وقينة إن منحت رؤيتها رضيت مسموعها ومنظرها
شمس من الحسن في معصفرة ضاهت بلون لها معصفرها

في وجنات تحمر من خجل　　كأن ورد الربيع جمرها

وللمشاهد الطبيعية الفاتنة ، ومجالي الربيع المونقة ، لوحات ساحرة في شعر ابن الرومي ونحب ان نعرض عليك لوحة من هذه اللوحات لترى صدق قولنا . قال يصف روضة

وجادها من سحابة ديم　　ورد انوارها وعصفرها
وساق من حولها جداولها　　فشق أنهارها وفجرها
فارتدت الماء من جوانبها　　فزانها ربنا ونضرها
أمامها بركة مرخمة　　ترضى اذا ما رأيت مرمرها
أعارها البحر من جداوله　　لجا غزير المياه أخضرها

افلا ترى انك في كل بيت ، حيال زهرة تقطفها ، وريحانة تنشقها ، وبركة إطارها من مرمر ومياهها أشبه بمياه بحر أخضر ؟

ثم إن حاسة اللون عند ابن الرومي حاسة زاكية متوفرة : وهي في شعره بمنزلة علبة الالوان عند الرسام . لاتقوم صوره الا بها ، ولا تأخذ حظها من الحياة والحركة الا باصباغها . فحين يصف لك الكأس تترقرق فيها الخمر لايشبهها بحصباء من الدر على أرض من الذهب ، وانما يوكل بها حاسة اللون الزاكية اليقظة فلاتكاد تعرض الا لونها البراق وشعاعها الخفاق . وقد يكون حظ ابن الرومي من تألق الخمرة ولمعها . أكبر من حظ أبي نواس من نشوتها ودبيبها

صفراء تنتحل الزجاجة لونها　　فتخال ذوب التبر حشو أديمها
لطفت فقد كادت تكون مشاعة　　في الجو مثل شعاعها ونسيمها

ولقد عرض قوس قزح لعيون الشعراء ما عرض ، فلم نر شاعراً قبل ابن الرومي أو بعده استطاع أن يصور ألوانه الطبيعية في اياته تصوير الرسام له في لوحته وألوانه . فأنت تحت سحاب مطرز بالألوان ، مرصع الأردان ماذمت تقرأ له هذه الأبيات

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا
من الجو دكنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب بأخضر
على أحمر في أصفر اثر مبيض
كاذيال خود أقبلت في غلائل
مصبغة والبعض أقصر من بعض

وأحب أن تلتفت الى البيتين الأخيرين فان فيهما من جودة التصوير ومهارة تثبيت الالوان ما يعجز عنهما شاعر غيره .

وابن الرومي حين يصف القيان الشوادي والجواري الفواتن يدرن الكؤس ويملكن النفوس ، يبرز لنا أعضاءهن عضوا عضوا ويعرض علينا أحسامهن عرضا ، حتى لا تفوتنا بضاضة الاهاب ولا شفافة الثياب

من جوار كأنهن جوار　　يتسللن من حياة عذاب
لابسات من الشفوف لبوسا　　كالهواء الرقيق أو كالسراب
فترى الماء ثم والنار والآ　　ل بتلك الإبشار والأسلاب

وكما كانت حاسة اللون اليقظة تصور اختلاف ألوان الطبيعة وتباين شكولها فلا تفوتها خافقة أو بارقة . كذلك كانت اذنه السامعة المرهفة تلتقط أدق الأصوات وأخفى النغمات . وهو حين يصف لنا صوت المغنية وحيد ، لا يصف غناءها فحسب ، بل ينقل لنا بأذنه الحساسة رقيق نغماتها ولطيف نبراتها وعذوبة صوتها نقلا يشبه نقل الميكرفون .

مد في شأو صوتها نفس كا　　ف كأنفاس عاشقيها مديد
وأرق الدلال والغنج منه　　وبراه الشجا فكاد يبيد !
فتراه يموت طوراً ويحيي　　مستلذ بسيطه والنشيد
فيه وشي وفيه حلي من النغـ　　ـم مصوغ يختال فيه القصيد
ما هذا شعر ! إن هو الا حاك يحكي واسطوانة تغني

ولو أردنا أن نعرض عليك أشعاره في وصف الاقزام والمحدودبين لحسبت نفسك أمام شريط سينمائي تطالعك فيه هذه الصور المضحكة . ولكن من الخير أن نكتفي بصورة واحدة من هذا الشريط وهي صورة الأحدب

قصرت أخادعه وطال قذاله　　فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة　　وأحس ثانية لها فتجمعا

فقد شخص لناظر القارىء في هذين البيتين صورة طبق الاصل للاحدب يعجز عن تصويرها أمهر المصورين .

وجملة القول في شعره انه كان تعرض له الصورة أيا كان نوعها فلا يصورها بحاسة واحدة وانما يوكل بها حواسه كلها . فترسم عينه أشكالها وألوانها وأضواءها وظلالها ولمحاتها وخلجاتها ، وتنظم أذنه صوتها وجرسها ، وينقل الأنف عرفها وريحانها ، واللمس وقعها وأثرها . أي أن جميع حواسه اليقظة تنهض في تصوير هذه الصورة حتى تبرزها موفورة الحظ من الحياة ، وفي هذه الأبيات يصف فيها شمس الأصيل وهي تجنح عن روضة ، غنى عن الشرح

الأدب العربي والأدب الغربي

على ذكر رواية خسرو وشيرين

لا ريب أن الأدب العربي مقصر دون الأدب الغربي فى كثير من النواحي . برغم ماله من الميزات الخاصة وبرغم عراقته وحداثة الأدب الغربي بالنسبة اليه . فقد سار الأدب الغربي بخطى واسعة وتطورفى عصوره . على حين سار الأدب العربي دائما على نمط يكاد يكون واحداً . وكبا بعد العصر العباسى الزاهى كبوة لم يقل منها الا اليوم . وكان من عهدها إلى العصر الحديث فى حكم العدم اذا قيس بآداب الأمم الرفيعة .

ولا ريب أن الأدب العربي يكسب كثيراً — وقد كسب بالفعل كثيرا — بلقاحه بالأدب الغربي ، وهذا اللقاح يتأتى عن طرق ثلاثة : الأول اطلاع أدباء العربية على الأدب الغربي . فان لذلك أكبر الاثر فى نفوسهم وفى كتاباتهم وإن لم يشعروا ولم يتعمدوا إدخال ما قرأوا فيما يكتبون . والثانى ترجمة الآثار الغربية المشهورة من نثر وشعر الى لغة الضاد . فان ذلك يؤثر فى أبناء العربية الذين لم يطلعوا على آداب غيرها تأثيراً يكاد يدنيهم من اطلعوا عليها . والثالث إدخال الاشكال والمواضيع الشعرية الغربية فى الادب العربي اذا كانت غير موجودة فيه . فان ذلك يزيد اللغة ثروة وقوة ؛ ويقدر الادب العربي على مجاراة آداب الغرب

والشعر العربي خاصة خلو من كثير من الاشكال والمواضيع التى يتناولها الشعر الغربي كالدرامة والملحمة والشعر المرسل والقافية المنوعة والاوزان المتداخلة فى القصيدة الواحدة . فالشعر العربي فضلا عن كون مواضيعه محدودة قوامه الوحدة فى الوزن والقافية ؛ والاحكام فى القواعد ؛ والصنعة والرصانة فى الأسلوب ؛ وعلى المعنى أن يخضع لكل هذا فلا يخرج الا مصقولا فى قالبه . بينما الشعر الغربي أكثر مرونة وأقل قواعد وأسهل فى يد الناظم وأقدر على التحول والتنوع وزنا وقافية اتباعا لمعانى القصيدة المتتابعة ؛ ومن ثم استطاع الشاعر الغربي أن يودع شعره من دقيق المعانى وعميق الأفكار وخاصها وجزئيها مايشق على الشاعر العربي الذى لاطاقة له بغير ذكر العام والكلى ، فكلما جاد الشعر العربي راع اسلوبه وأحكمت ديباجته ورافت موسيقاه ، وكلما جاد الشعر الأوربي دقت معانيه ولطفت اخيلته وتجسم وصفه وتصويره وعبر عن الخوالج النفسية البعيدة الغور . وبالجملة كانت نتيجة الوحدة فى العروض والقافية فى الشعر العربي أن كان شعر أسلوب ، ونتيجة التنوع والمرونة فى عروض الشعر الغربي وقافيته أن كان شعر معنى

واذا كان شعراء العربية الأقدمون قد قنعوا بذلك الضرب المقيد الموحد من الشعر وأدوا به معانيهم وأغراضهم العامة ، فلن يقنع به عصرنا ، هذا اذا كنا نريد للشعر العربي مجاراة الشعر الأوربي ؛ ونريد أن يؤدى من لطيف الأوصاف للمشاهد الطبيعية والحالات النفسية مايؤديه ذلك الشعر ، ولا بد لنا — كما اقتبسنا من الغرب القصة القصيرة والطويلة والرواية التمثيلية والمقالة فى عالم النثر — أن نقتبس فى عالم الشعر الأوضاع والأشكال التى توسع أفق شعرنا العربي وتزيده قوة وخصبا

والواقع ان القافية الموحدة التى تنتظم القصيدة من أولها الى آخرها غير معروفة فى الشعر الغربي ؛ وقد قال ملتون فى مقدمته لملحمته المشهورة « الفردوس المفقود » إنه عول على نظمها شعرا مرسلا وعلى نبذ القافية نبذا تاما لأنها أثر من آثار الهمجية ، وكثيرا

وقد رنقت شمس الاصيل ونفضت.

على الافق الغربي ورسا مزعزعا

ولاحظت النوار وهى مريضة

وقد وضعت خداً على الارض أضرعا

وقد ضربت فى خضرة الروض صفرة

من الشمس فاخضر اخضراراً مشعشعا

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله

وغنى مغنى الطير فيـــه فسجعا

وغرد ربعى الذباب خلاله

كما حثحث النشوان صنجا مشرعا

لئن حفل شعر أبى تمام والبحتري بالكنايات الظريفة والاستعارات الطريفة ، فابن الرومى فى الشعر التصويرى الملون نسيج وحده

حلب كمال حريرى

ما عاقت الشعراء عن تسجيل سامي المعاني ، وبرغم مغالاة ملتون في قوله هذا – إذ للقافية روعتها ولزومها في كثير من ضروب الشعر – فلا شك في أن القافية كثيرا ما تقف عقبة في سبيل نظم دقيق المعاني وجليلها

لابد من رياضة الوزن العربي والقافية العربية على المرونة والسهولة والتنوع في القصيدة الواحدة تبعا للمعاني ، كي يساعدا الناظم البارع على بيان اغراضه ، فلا يعتمد الاعتماد كله على المعاني والتشبيهات ونحوها ، بل يعتمد أيضا على جرس الالفاظ وموسيقى الوزن ووقع القوافي وتجاوبها واختلافها لابراز أوصافه وإحياء صورته التي يريد في خلد القارىء ، فقد برع الشعر الغربي في هذا الضرب من الملاءمة بين المعنى واللفظ والوزن ولاسيما في اشعار الوصف فبذ بتصويره ريشات المصورين في كثير من الأحيان

لا بد من التخلي عن بعض القيود والقواعد وإدخال بعض السهولة والحرية واقتباس ما يمكن اقتباسه من الأوضاع والأشكال الشعرية الغربية ، على إننا يجب ان نذكر أولا أن ما سنقتبسه لن يلغي القافية الموحدة والوزن الموحد من العربية إلغاء ، بل تظل هذه الطريقة العربية الخالصة قائمة ، لها ميزاتها من الرصانة والفخامة ، ولها مناسباتها التي تستعمل فيها فتؤدي غرضها أحسن الأداء ، لن نهجر طريقتنا الى طريقة غيرنا بل نأخذ مما عند غيرنا ما يزيد لغتنا وشعرنا سعة وثروة ، ويجب أن نذكر ثانيا ان الناظم الغربي انما يستخدم تلك الحرية والمرونة في شعره ليؤدي بها اغراضا خاصة : تجسيم وصف ، أو تمثيل حركة ، أو تقليد صوت ، أو إسلاس قصص ، فيجب ألا نهجر القافية والوزن الموحدين إلا أن يؤدي تنويع الوزن والقافية مثل تلك الأغراض ، وإلا كان الأمر مجرد تسهيل للنظم يغض من قيمة الشعر الفنية ويورث الناظم التكبيل وقلة التعب في معالجة القصيد .

وأكبر اعتراض يقام امام ادخال هذه الاساليب الشعرية الغربية نبوها على السمع الذي اعتاد الوحدة في الوزن والقافية العربيين . وهو اعتراض وجيه غاية الوجاهة : فان اقتباس تلك الأساليب إن أدى الى فساد موسيقى الشعر العربي التي هي قوامه كان وبالا وكان علينا أن نقلع عنه مهما كان له من فوائد ، ولكن هذه العقبة يمكن تذليلها بوسيلتين :

الأولى التدرج في التحرر من قيود الوزن والقافية تحررا يسيرا بطيئا مع الزمن ولا يفاجيء الآذان كبير مفاجأة ، فان التطور دون الطفرة جدير بتعويد الأذن على اختلافات العروض والقوافي في القصيدة الواحدة ، حتى تستطيب تلك الاختلافات وتلتذها وتصير لها فيها متعة كالمتعة التي تجدها في النظم الموحد ، وقدما اخترعت الموشحات والابيات المختلف شطراها طولا فكانت خرقا في الطريقة السائدة وكانت بلاريب نابية على الاسماع في اول الأمر ، ولكنها بمرور الزمن صارت مألوفة ولم يعد أحد من كبار الشعراء يتحرج من اللجوء إليها في بعض اغراضه .

والوسيلة الثانية هي ان يتصدى لادخال هذه الاساليب في شعرنا العربي كبار الشعراء الذين عالجوا القريض سنين طوالا ، ومارسوا اللغة واستوعبوا ثروتها واستبطنوا اسرارها وحذقوا عروضها ، فهم وحدهم بخبرتهم ودربتهم وتمكنهم قادرون على أن يدخلوا في اللغة ما يلائمها وينبذوا ما عداه ، ويصقلوا ما يدخلون صقلا حتى يصير جزءا منها ويثبت فيها وينمو ويثمر ، أما أن يتصدى لذلك الناشئون المتحمسون للتجديد على غير بصيرة فلن يأتوا إلا بكل غث لا يؤدي اغراض الشعر الغربي ولا يبقي على جمال الشعر العربي ولا يكتب له بقاء .

والقافية أشد من الوزن قبولا للتلقيح بالاساليب الغربية ، والشعر المرسل خاصة يكون ذا مستقبل باهر في العربية اذا عالجته الايدي القديرة ، وقد مارسه الاستاذ فريد أبو حديد غير مرة ونجح فيه نجاحا غير قليل ، ونشر في الرسالة ترجمة لفقرات من «عطيل» امتازت بالسلاسة ولم ينقص من قدرها في نظري سوى أن الأستاذ اختار لها بحر الرمل ، وليس هذا ولا الخفيف المنظومة فيه رواية خسرو وشيرين بأليق البحور لبدء معالجة الشعر المرسل . بل اكثر البحور العربية استعدادا لذلك البحر الطويل الذي هو بطوله وفخامة موسيقاه واتئادها أقدر على الاستغناء عن القافية وأحق بأن يترجم إليه الشعر المرسل الغربي المعروف «بالبلانك فيرس» وأن يحل عندنا محل ذلك الضرب الذي يختص عند الغربيين بشعر الدرامات والملاحم ، ولا ريب أن ترجمة روايات شكسبير وأمثالها اليه أولى من ترجمتها نثرا .

ولقد كان شوقي في أواخر أيامه أقدر الناس على ولوج هذه الأبواب لو أراد ، لولا شديد اعتداده بالوزن والقافية الموحدين ، فانه كان قد مارس قرض الشعر نحو نصف قرن حتى حذق

٣ - بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

رحيله عن نيسابور

فارق بديع الزمان نيسابور سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . نعرف هذا من قوله وهو يمدح خلف بن احمد ان سنه خمس وعشرون سنة . وهو مولود سنة ثمان وخمسين . ثم هو يكتب من سرخس الى الشيخ ابى الطيب سهل بن محمد فيذكر ان الخوارزمى كتب الى الامير يسأله ألا يقبله فى حضرته ويذم الخوارزمى ويرد عليه دعواه الغلب فى مناظرته ، ويهدده بالعود الى مساجلته . والخوارزمى مات فى رمضان سنة ثلاث وثمانين

ويفهم من هذه الرسالة أنه ذهب الى مرو كذلك ، يقول عن الخوارزمى ، ان اللسان الذى أخرس لسانه ، والبنان الذى أنبس بيانه ، لم تكسبهما مرو مجادة ، ولا كستهما سرخس بلاده . وهما معى لم يفارقانى : (١)

(١) الرسائل ص ٨٩

ولم يسم الأمير الذى نزل بحضرته فى سرخس ، والظاهر أنه أحد أمراء السامانية . وقد أكرم الأمير مثواه كما قال فى آخر الرسالة نفسها عن الخوارزمى : « وأما مسألة الأمير ألا يخرطنى فى سلكه ولا يمكننى من بساط ملكه فقد شملتنى على رغمه أطراف النعم ، وبلتنى سحائب الهمم ، وللراغم التراب ، وللحاسد الحائط والباب ،

وفى سنة ثلاث وثمانين مات الخوارزمى ! يقول الثعالبى « واجاب الخوارزمى داعى ربه فخلا الجو للهمذانى ، وتصرفت به أحوال جميلة ، وأسفار كثيرة »

وفى رسائل بديع الزمان رسالة كتبها الى من هنأه بمرض الخوارزمى يقول فيها : (فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يعدمها فى جنسه ، والشامت إن أفلت ، فليس يفوت (ص ٨٢ الى آخر الرسالة)

وفى ديوانه قصيدة يرثى بها الخوارزمى ويرد على من قال : « قد خلا الجو للهمذانى » يقول فيها :

حنانيك من نفس خافت ... ولبيك من كمد ثابت
أبا بكر اسمع . وقل كيف ذا ... ولست بمسمعة الصائت ؟
تحملت فيك من الحزن ما ... تحمله ابنك من ضامت
حلفت لقدمت عن معشر ... غبين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامت ... فقلت الثرى بفم الشامت
وعزت على معاداته ... ولا متدارك للفائت
وقال الأنام خلا الجو لى ... لعمرى ولكن على عانت
أبيض ولكن الى عاقر ... وأصفر لكن على ساكت

أكثر البديع أسفاره بعد مفارقة نيسابور . يقول الثعالبى :

« ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة الا دخلها وجنى وجبى ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس الا استمطر منه بنوء ، وسرى معه فى ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم » ويقول الهمذانى فى رسالته الى القاسم الكرجى : « فانى وان كنت فى مقتبل السن والعمر ، قد حلبت شطرى الدهر ، وركبت ظهرى البر والبحر ، ولقيت وفدى الخير والشر ، وصافحت يدى النفع والضر ، وفى رسالة أخرى : « وانى أيد الله القاضى ، على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الارض وعاشرت أجناس الناس . » (١) وليس يمكن بما عندنا من الرسائل غير المرتبة ان نتتبع أسفاره فى خراسان

(١) الرسائل ص ٤٨ ، ١٦٣ .

صناعته ، وكانت له موهبة فى الأسلوب عالية ، فبلغ فى النهاية غاية الجزالة والسلاسة ، وكان له من الوقت متسع للتجريب والمحاولة ، ولو عمل على إخصاب اللغة بهذه الأساليب الغربية فيها لخدمها خدمة أجل كثيراً من خدمته إياها بمعالجة النظم التمثيلى فى أخريات أيامه ، ورواياته التمثيلية ذاتها شاهدة بذلك : فان ميزتها الكبرى والوحيدة براعة الديباجة ، أما اذا قيست بمقياس التأليف التمثيلى وقوبلت بالمؤلفات الغربية التى كان يقلدها ويترسمها فلن تكون شيئاً مذكورا

على أنه اذا كانت العربية قد فقدت شوقياً وحافظاً اللذين عالجاها حقبة وتمكنا منها ، فما يزال لها من كبار الشعراء المجربين من هم قادرون على توسيع أفقها ومضاعفة ثروتها بطرق هذا الباب من الاقتباس والابتكار ، فلعلهم يتقدمون ، ولعل مجهودات الأستاذ فريد أبى حديد تكون الخطوة الأولى فى هذا السبيل .

فخرى ابو السعود

وسجستان وغزنة ، ولكنا نعرف أنه فارق خراسان لما وقع بها من الحروب ، والظاهر أنها الحروب التى وقعت فى أواخر الدولة السامانية ، ونعرف ان الاتراك قطعوا الطريق عليه وهو ميمم سجستان كما قطع الأعراب طريقه وهو قاصد نيسابور من جرجان : « ولما وقع بخراسان ماوقع من حرب ، وجرى ماجرى من خطب ، واضطربت الأمور ، واختلفت السيوف ، والتقت الجموع وظفر من ظفر ، وخسر من خسر ، كتبنى الله فى الأعلين مقاما ، ثم الهمنى من الامتداد عن تلك البلاد ، والاقلاع عن تلك البقاع . واعترضتنا فى الطريق الأتراك . وأحسن الله الدفاع عن خير الأعلاق وهو الرأس ، بما دون الأعراض وهو اللباس . فلم نجزع لمرض الحال مع سلامة النفوس ، ولم نحزن اذهاب المال مع بقاء الرؤوس . وسرنا حتى وردنا عرصة العدل ، وساحة الفضل ، ومربع الحمد ، ومشرع المجد ، ومطلع الجود ، ومنزع الأصل ، ومشعر الدين ، ومفرع الشكر ، ومصرع الفقر ، حضرة الملك العادل أبى أحمد خلف بن أحمد الخ ،(١) هذا هو الذي مدحه فى ست من مقاماته ، وبعض رسائله مدحا لم يبذل لغيره مثله ، ولكن بديع الزمان لم يعفه من العتب الموجع حين آنس منه الاغضاء عنه .

ثم ذهب الهمذانى الى غزنة حاضرة الدولة الغزنوية ومدح السلطان محمودا بأبيات . ولا نجد فى رسائله تفصيل مقامه فى غزنة ولقائه السلطان . ولكنا نجد له رسائل كثيرة الى الفضل بن أحمد الاسفرائينى وزير السلطان يذكر بعض خطوب هذه الدولة ، ويهنىء ببعض فتوحها . والأبيات التى مدح بها السلطان مثبتة فى الديوان ، وفى اليتيمة وأولها :

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيمانى
أأفريدون فى التاج (م) أم الاسكندر الثانى ؟
أم الرجعة قد عادت الينا بسليمان
أظلت شمس محمود على أنجم سامان

فى هراة

ثم سار الى هراة ليرحل عنها كما رحل عن غيرها ، ولكن كتبت له الاقامة بها حتى الممات . يقول فى رسالته الى الشيخ أبى نصر انه سار من سجستان الى بوشنج ، وأنه لما سكنت الحرب وانفتحت

(١) الرسائل : ط - بيروت ص ٤٣٢

السبل استأذن الأمير فى المسير الى هراة . ويقول فى رسالة أخرى « ويا سبحان الله ما علمت ان هراة تنسينى صرصر والصراة ، حتى انستنى دجلة والفرات ، على ظهر الغيب نظر الريب . فكيف اذا دخلناها وحللناها فسقاها الله من بلد ، وأهلها من عدد . »(١) وذلك أن بعض الهرويين أرسل اليه مرحبا قبل دخوله المدينة ، ويظهر من رسائله أنه لم يغتبط بالاقامة فى هراة أول عهده بها ، ولا أزمع المقام فيها ، يقول فى رسالته الى الشيخ ابى النصر : « كتابى أطال الله بقاء الشيخ ، والماء اذا طال مكثه ، أظهر خبثه ، واذا سكن متنه ، تحرك نتنه .

كذلك الضيف يسمج لقاؤه ، اذا طال ثواؤه ، ويثقل ظله ، اذا انتهى محله . قد حلبت أشطر خمسة أشهر بهراة ولم تكن دار مثلى لولا مقامه . »(٢) ونجده فى رسالة أخرى يشكو حيفا أصابه فى هراة . « والله ، أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ، ماسكنت هراة اضطرارا ، ولا فارقت غيرها فرارا . وانما اخترتها قطنا ودارا ، واخترته سكنا وجارا ، لتكون أرفق لى من سواها ، ولأزداد به عزا وجاها . فان كان قد ثقل مقامى ، فالدنيا أمامى ، وان كان قد طال ثوائى ، فالانصراف ورائى . لست والله ذباب الخوان ولا وتد الهوان . والشام لى شام ، مادام يكرمنى هشام . وهراة لى دار ، ماعرف لى فيها مقدار ، وقرى الضيف غير السوط والسيف الخ ، فهذا يدل على أنه غير مطمئن الى هراة وان اختارها سكنا . ونجده فى الديوان يقول من قصيدة مدح بها ابن عدنان رئيس هراة .

قد طال مكثى فى هراة فهل لكم   فى ان أوليكم قفا الاعراض
ولو اتنى ماء الحياة لملنى   وراده وتنكبوا أحواضى
أحسنتم ياالكرام ضيافتى   عند الورود فأحسنوا إنهاضى

ولكن بديع الزمان ، على هذا ألقى عصا التسيار فى هراة واتخذها موطنا وأمضى بها بقية عمره . فما الذى بدل رأيه وحبب اليه المدينة ؟ يقول الثعالبى : « ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفضل ، والطهارة والستر القديم والحديث حتى وفق التوفيق كله وخار الله له فى مصاهرة أبى على الحسين بن محمد الخشنامى . وهو الفاضل الكريم الأصيل الذى لا يزداد اختبارا الا زيد اختيارا . فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره ، وتعرفت القرة فى عينه ، والقوة

(١) ص ١٤٩
(٢) ص ١١٠

فى ظهره . واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخرة ، وعاش عيشة راضية . » (١)

وفى رسائل الهمذانى تصديق خبر الثعالبى ، فهو يقول فى إحدى رسائله من هراة « والله لولا يد تحت الحجر ، وكبد تحت الخنجر ، وطفلة كفرخ يومين ، قد حببت الى العيش ، وسلبت عن رأسي الطيش ، لشمخت بأنفى عن هـذا المقام (ص١٦٢) وهو يتكلم فى رسائل هراة عن الزرع والأكرة والخراج وديونه على الناس والسفاتج ، والشأن أن أعيش عيش الجعل ، بين السرقين والعمل ، وانا على ذلك محسود . . . أرأيت رجلا يندم أن ولده آدم ، أو يألم أن يسعه العالم ، يحسد فى قرية يشتريها ، (٢) وفى رسالة الى بعض وزراء السلطان محمود : « ومما أبث الشيخ الجليل ، ان مبلغ خراجى بهراة ألفان . وعلى المخف من الجريان ثلاثة مدورة ، بيض مقشرة ، وعلى المثقل تسعة وعشرة . ووددت لو أمكن التبلغ بأقل من هذا فأفعل ولكن افواهاً فاغرة ، وأضراساً طاحنة ، وعيالا وأذيالا ، الله وكيلهم وأنا ربهم وأكيلهم . وإن أمكن تحويل هذا المقدار من الخراج بيوشنج لتتوفر حقوق بيت المال ، وأصان عن مجازفات العمال ، وتبعات الحال ، فتلك غاية الآمال ، (٣) وفى رسالة الى والده : « وقد رسمت لموصل كتابى هذا أن ينقده مائة دينار بشرط ان يخرج ، وان يرتب له عمارة شتوية تسعه والشيخ الفاضل العم ، فليتفضلا وليقوما ويرحلا ، ويستصحب الأخ أباسعيد ، وليأتى بأهله أجمعين فما يعجبنى لقاء ليس له بقاء ، ولا وصل بعده فراق ، فان لم يمكن استصحاب القوم فلا يتأخر بنفسه ، فسيرد على خمسمائة نير وألف أكار ، وأحوال منتظمة ، وأسباب مستقيمة » .

ومن أجل هذه الثروة قصده الناس واستماحوه . وفى رسائله واحدة كتبها الى مستميح عاوده مرارا : « عافاك الله : مثل الانسان فى الاحسان مثل الاشجار فى الاثمار . سبيل من أتى بالحسنة أن يرفه الى السنة . وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى ، وهما فؤادى ويدى . أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود . ولكن هذا الخلق النفيس ، لا يساعده الكيس ، الخ » (ص١٩٧)

وفاة بديع الزمان

كان الهمـذانى يتعجل العمر ويستكثر السنين فهو يتكلم عن الشيب فى مدحه خلف بن احمد وهو فى سن الخامسة والعشرين ، ويرحب بالشيب ويفضله على الشباب وهو فى سن الثلاثين : « فجزى الله الشيبة خيرا ، اسم لأناة ، ولا رد الشبيبة انها لهناة ، وبئس الداء الصبا ، وليس دواؤه الا انقضاؤه ، وبئس المثل النار والعار ، ونعم الرأصان اللبن والنهار . وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الأول كلبا عقوراً ، والآخر شيخا وقورا ، ولاشتعل الأول ناراً وانتشر الآخر نورا . والحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار . وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد . ان السعيد من شابت جملته ، والشقى من خضبت لحيته » (١) وفى رسالة أخرى : وأسأل الله خاتمة خير وعاجل وفاة . ان بطن الارض أوسع من ظهرها وأرفق بأهلها . » (٢) فهذا ينم عن طبع مكتئب وصدر يضيق بالحياة وكأن وفاته فى سن الاربعين كان استجابة العمر لهذه السجايا .

فى رسائله رسالتان يذكر فيهما مرضه ، يقول فى احداهما : « وقد عملت فى أمر الدواء ما أشرحه له شفاها . وجملة الأمر أنى أؤمل النفع فى تناوله ، وحالى الآن صالحة » ويقول فى الأخرى : « ولكنى وقيذ أوجاع ، أنتقل من حمى الى صداع . وأخشى أن يأخذ منى لفح الهواء مأخذه ، فلذلك لا أبرز عن البيت ، وأنا فيه حى كميت . وعلى كل حال فاذا خفت وطأة الهواء ، وحان وقت المساء ، نعبت لعباتى الى حضرته ، متزوداً من طلعته ان شاء الله تعالى » وما أدرى متى أصابه هذا المرض وهل كان مرضه الأخير أو غيره .

ويقول الثعالبى : « وحين بلغ أشده ، وأربى على الأربعين سنة ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . » ويقول جامع الرسائل فى عنوان رسالة « وله فى تهنئة فتح الجابية بباب بلخ . وهذا آخر كتاب أنشأه . ومات يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . »

يتبع

عبد الوهاب عزام

(١) اليتيمة ج ٢ ص١٦٩ (٢) ص٥٤ ، ١٦ ، ١٦٢
(٣) ص ١٣١

(١) ص ١٤٥ الرسائل
(٢) ص ١٤٦

تصويب

جاء فى مقال الاستاذ احمد أمين المنشور فى صفحة ٥٦٥ من العدد السابق قوله فى السطر الرابع عشر من العمود الثانى (نعم قد اجدت اللغة على الادب كثيرا) والصواب (أجدت اللذة).

غلطة نحوية

للآنسة سهير القلماوى

لاتستغربوا هذا العنوان ، وأستحلفكم ألا تستفهوه ، فسترون بعد حين أن للغلطات النحوية شأنا وأى شأن . ستدركون عظمة الغلطة النحوية وخطورتها ، ولن يكلفكم هذا الادراك ما كلفنى . ستقرأون المقال وستؤمنون بعده ان للغلطة النحوية الواحدة قدرا ، وانه لقدر لو تعلمون عظيم

* * *

ما كادت تنتهى من محاضرتها حتى عدت الى أستاذها تستطلع رأيه ، وتحاول ان تلمح فى تقاطيع وجهه قيمة جهدها الذى بذلته . لقد كانت تحسب حسابا كبيرا لنقده ، وخاصة لابتسامته الساخرة التى يلاقى بها جهدا بذل فى غير موضعه ، واستنتاجا سخيفا متكلفا بعيدا عن الصواب ، وعن طبيعة الاشياء كما يقول . وما وصلت حتى بادرها بقوله . أهنئك ، قالت أشكرك ، قال أريد مقابلتك ، قالت ومتى تشاء ؟ قال أأنت قادمة لعمل فى دار الكوكب غدا ؟ قالت لا . قال اذاً قابلينى بعد غد فسأكون هناك ، قالت حسن ، الى بعد غد .

وجلست تفكر بعدها ماذا يريد منها ياترى ؟ لم يدعها فى حياتها قط الا لعمل ذى شأن ، أو لمسألة ذات خطر . ثم هو يتعجل تلك المقابلة ، ماسر هذه العجلة ؟ أكانت المحاضرة سخيفة الى هذا الحد ؟ ولم هنأها اذاً ؟ ولم تره فى ظرف من ظروف حياته يقول غير ما يعنى ، أكان هازئا ؟ ولكنها لم تلمح منه الا الجد ليلتها ، ثم هى توقن إنه لن يستهزىء بها مهما يكن ، فى مكان وفى ظرف كهذين ، وأخيرا هى تحس فى شىء من الاخلاص أن المحاضرة كلفتها جهداً ، وانها وإن لم تكن خالية من المآخذ ، الا أنها بكل تأكيد لا تستحق استهزاءً علنياً ومقابلة مستعجلة . وأحس قلبها أن الأمر أهون مما تظن ، ولكن متى خضع العقل للقلب ؟ لقد ظل العقل فى عمله يقدر ويحسب ، يستبعد ويستقرب ، يرجح وينفى ، كل هذا وهو متعب مكدود ، فأفسد عليها يوما كانت أعدته لراحته الكاملة .

ظلت يوما وبعض يوم تفكر ، وتقلب الاحتمالات التى أمكن أن يخترعها عقلها فى مثل هذا الظرف ، وبدأت تحس أن تفكيرها فى الموضوع أصبح آليا دائريا ، يبدأ ليعيد ، ثم يبدأ من جديد وهكذا ، وانتهت أخيراً بابعاد كل احتمال أن تكون المقابلة خاصة بالمحاضرة ، فلو كان ثمت متعجل فى شأنها لقاله لها يومها ، والا لانتظر فرصة أخرى فهى لا تتغيب عنه كثيراً .

وما جاء صباح الأحد حتى أستعدت للذهاب الى المقابلة ، وما كادت تستعد حتى سألها والدها أن تصطحبه فى نزهة كان يسرها جدا أن تصطحبه فيها ، ولكنها اعتذرت بضرورة ذهابها لمقابلة استاذها ، وسألها هل ستبطئين عنده ؛ فتكلفت شيئا من عدم الاكتراث تخدع به نفسها ، وقالت لا أدرى ، لانى لا أعرف لماذا يريد مقابلتى . ولكن نفسها لم تنخدع بهذا المظهر المتكلف وبدأ عقلها سيرته الآلية من جديد ، وسخطت على نفسها ، ما الذى يثير حب استطلاعها الى هذا الحد ؟ وفى استهزاء مؤلم أكمل صوت فى قلبها « وخاصة اذا كان الامر اهون مما توهمين » فثار عقلها واسترد سيرته الآلية فى حمية جديدة .

وجاءتها ابنة خالتها تعرض عليها الذهاب الى أختها لترى هناك صديقة عزيزة عليها . وكانت تود رؤية هذه الصديقة فهى لم ترها من سنين ، ولعلها لا تراها سنين أخرى ، ولكنها اعتذرت ثانية ، فسألتها ابنة خالتها : ولكن الا تعرفين لأى شىء يريدك ؟ وكأنها احست تطفلا فاكملت حتى تستطيعى أن تلحقى بى هناك اذا كان الامر لا يستغرق زمنا طويلا . قالت بعدم اكتراث ، لست أدرى ماذا يريد ، فلا استطيع أن اعدك باللحاق بك . وبدأ عقلها سيرته من جديد ، وبدأت نفسها تضحك منها وتعيد « الامر اهون مما توهمين » .

وأخيرا وصلت دار « الكوكب » وصعدت الدرج فى اتزان عجيب تحاول أن تؤخر الميعاد ما استطاعت حتى لا يستشف استاذها عجلتها وحب استطلاعها . ودخلت حجرته فحيته وحياها ، ثم جلست تنتظر . وتكلم فى مواضيع مختلفة ، وهى تحاول فى جهد ان تتبع كلامه وان تخفى عجلتها واشتياقها لمعرفة ماجاءت من أجله وجاء ذكر المحاضرة فاثنى عليها ، ثم قال : ولكنى اترك مابها لغيرى من أساتذتك ، لأن لى معك الآن امرا من اخطر الامور .

وخفق قلبها ولم تستطع حفظ مظهر الاتزان الذى تكلفته منذ الصباح ، ودون أن تدرى قالت فى لهفة ظاهرة « وماهو ؟ » قال يافريد ، آتى بعدد الرسالة الماضى .

فارتفع الصوت الهازىء فى نفسها يضحك ويقول « الامر اهون

مما تتوهمين ، قال غلطة تكبرك بكثير ما قرأتها حتى كلمت الاستاذ الزيات بشأنها تلفونيا .

وارتفع صوت العقل وقال ، الم اقل لك ان الامر خطير ، ولكن العقل ما كاد يزهى حتى قال استاذها متابعا كلامه — غلطة نحوية كبيرة . اما أن تقلعى عنها ، واما ان تطلعى على الناس بمذهب جديد هو عدم التفريق فى الجمع السالم بين مذكر ومؤنث ، ومن يدرى فقد تجدين من يؤيدك . . . . . واستمر فى كلامه

«غلطة نحوية» كانت كلوح ثلج نزل على رأسها الملتهب يوما وبعض يوم . وكأنه لمح شيئا من غيظ تخفيه بسكوتها بعد أن لم تجد آمن منه ستارا . فقال : ألا تستحق هذه الغلطة انتقالك من العباسية الى عابدين ؟

وهمت أن تقول له إن هذا الانتقال أيسر ما كلفتها تلك الغلطة ، ولكنه استمر يحاول اغاظتها :

دونى فى مذكرتك أن أستاذك استدعاك من العباسية الى عابدين من أجل غلطة نحوية . وضحك فى سخرية مثيرة للغيظ ، فقالت محاولة اخفاء غيظها — سأدون !

* * *

أستاذى : — غلطة نحوية كلفتنى هذا . فليت شعرى ماذا سيكلفنى هذا المقال ؟ ولكنى أؤكد لك لا فى تملق كما تقتضيه حال الخائفة من عقابك ، وانما أؤكد فى صدق واخلاص أن لولا يقينى برحب صدرك ما خططت حرفا فى هذا المقال .

سهير القلماوى

تعتزل الحب !

للأديب حسين شوقى

الكونتس (س) سيدة فى العقد الخامس من عمرها ، أما جنسيتها فلا تهم كثيرا لانها غنية جداً ، والمال جواز سفر دولى تستقبل به بالترحاب فى كل مكان ، كما أن الكونتس (س) وهى سيدة صالونات — تلم إلماماً تاماً بجميع اللغات الحية كأنها سكرتيرة ممتازة بعصبة الأمم . .

توفى زوجها حديثا فحزنت عليه لأنه كان رجلا طيب القلب ، وديعا مطيعا لها مثل كلبها الصينى الصغير « بيبى » ، وكانت فضلا عن ذلك تتخذه حجابا لستر غزواتها الغرامية الكثيرة ، وكانت الكونتس نهمة فى الحب ، بل شيوعية ، لا تبالى ان قضت ليلتها مع أمير من الامراء أو مع سائق سيارتها ، وتمضى الكونتس (س) زمنا طويلا فى معاهد الجمال ، لتصلح أولا فأولا الآثار التى يحدثها الزمن فى وجهها ، ولكن هذه الآثار كانت تزداد يوما عن يوم حتى قلقت الكونتس على مصيرها ، لما ينتظرها وراء ذلك من شيخوخة محتمة . . لذلك فكرت فى اعتزال الحب ، كما فعلت الحظية المصرية الشهيرة تاييس التى روى قصتها الكاتب العظيم أناطول فرانس ، أجل ! ستفعل الكونتس ما فعلته تاييس قبلها ، وتقيم هى أيضا فى كوخ بصحراء مصر النائية .

وفى صباح يوم من الايام ، وبعد أن شاهدت الكونتس فى الليلة تمثيل تاييس بالاوبرا ، قالت لوصيفتها مارى :

مارى ، انى صممت على اعتزال المجتمع . أعدى الأمتعة ، سوف نرحل الى مصر حيث نعيش فى الصحراء فى عبادة وتقشف مثل تاييس الحظية المصرية التى أعجب بتضحيتها كل الاعجاب . . !

فابتسمت الوصيفة ولم تجب ، لانها مقتنعة أن سيدتها غير جادة فى قولها ، وانها اذا ذهبت الى مصر فانما تذهب لتهرب من برد العواصم الاوروبية القارس . ثم عادت الكونتس فقالت :

حقاً ! انى سئمت المجتمع وما فيه من خدع وخيبة أمل ! ولاسيما بعد خيانة صديقى جان ، الراقص بفندق «بلاس» ، آه ! انى كنت أحبه حبا عميقا ، كما كنت مفتونة بشبابه الغض ، كيف استطاع أن

يكذب على وهو فى مثل هذه السن الصغيرة ؟

الوصيفة — ولم لا يكذب المرء وهو صغير فى السن ياسيدتى ؟ إنى كذبت فى طفولتى أضعاف أضعاف كذبى الآن ! كم سرقت الكرز من حديقة الجار ، فاذا سئلت عنه اتهمت الغربان !

الكونتس — هذا شىء آخر ، هذا كذب الطفولة البريئة . انى أقصد كذب الشباب ، ان الشباب يصعب عليه فى نظرى أن يكذب ، لأنه ليست بوجهه تجاعيد تستطيع ان تخفى الاكاذيب

الوصيفة — وكيف عرفت خيانة السيد جان ، ياسيدتى !

الكونتس — من عشيقته نفسها !

الوصيفة — عجباً ! وما فائدة عشيقته فى ان تفضح أمر صديقها ؟

الكونتس (مستضحكة) — لتنتقم يابنيتى ! إن الوغد كان يخونها مع عشيقة أخرى ثالثة !

ثم أعدت الوصيفة الأمتعة للسفر الى مصر كمشيئة الكونتس ، ولكن لشد ما كانت دهشتها حينما قالت لها سيدتها لدى عودتها الى المنزل ظهراً :

مارى ! أنا لا نسافر الى مصر ، أنى أولم فى الاسبوع القادم وليمة عشاء تكريما للمثال العبقرى هنرى دى . . . فابتسمت الوصيفة وقالت : وما سن هذا المثال العبقرى يا سيدتى ؟

الكونتس (فى إعجاب) — خمسة وعشرون ربيعا !

الوصيفة - اذن لابد أن يكون هذا المثال عبقريا يا سيدتى !

ثم ضحكتا ضحكا عاليا على هذه الملاحظة ، ولكن الوصيفة عادت فقالت فى حسرة : يا للأسف على رحلة مصرانها لن تتحقق ! وقد كانت شديدة النفع لما أشعر به من ألم فى المفاصل !

حسين شوقى

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الإدارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى

بعد النوى

أيها الراحل عن قلبي العميد   سوف يشقى بالنوى حتى تعود
ويح للعشاق فى وادى الهوى   من عذاب فادح العبء شديد

أين من عينى وجه مشرق   رائع الطلعة كالصبح الوليد
أين من أذنى صوت ساحر   كل صوت دونه عندي زهيد
وحديث للهوى مستعذب   هو فى الاسماع قرآن مجيد
وغناء كم هفت روحى له   مثلما يهفو لمغناه الطريد
يطفىء الوجد ويشفى مهجة   من تباريح الجوى كادت تبيد

ياحبيبى لم تروعك النوى   مثلما روعت الصب الوديد
أنت فى الريف قرير ناعم   رافل فى عيشك الحالى الرغيد
بين أهل جمعوا فيك المنى   وبك ازدان لهم هذا الوجود
وتمنوا بسط أكبادهمو   لك تمشى فوقها أين تريد
وشباب أنت فيهم كوكب   ضوؤه ضاف على الدنيا مديد
كلما عدت ترامى جمعهم   للورى حولك كالدر النضيد

تهبط الحقل فيغدو نبته   لك ما بين ركوع وسجود
ويهب الطير من أوكاره   حائما حولك فى كل صعيد
ويغنى أينما سرت به   كل لحن رائع الحسن فريد
ويفيق الدوح من غفوته   بعد ما أيقظه رجع النشيد
فترى الأغصان فى نشوتها   قد غدت شطرك تهفو وتميد

وأنا فى مصر نهب للجوى   سادر فى ظلمة الوجد شريد
واذا ما عاد بى الليل الى   مضجع عن أعين الناس بعيد
دفع الشوق بفكرى عنوة   فى ظنون ماله عنه محيد
وظنون الحب اذ ما عصفت   بفؤادى فهى شيطان مريد

أيها الغائب عن عينى وفى   قلبى المضنى له عرش وطيد
أدرك الغارق فى بحر النوى   قبل ان يصرعه الموج العنيد

فريد عين شوكه

وقفة الوداع

للورد بيرون

ولما وقفنا للوداع ، نبكي واجمين ، وقد انسحق قلبانا من هول الفراق ، نال وجنتيك الشحوب والبرودة ، وكانت قبلتك مثلوجة ، حقا لقد تنبأت تلك الساعة بويل اليوم .

سقط ندى الصباح قارساً على جبيني ، فكان نذير ما أشعر به الآن ، لقد ضاعت كل عهودك ، وظهرت لى فضيحتك ، كلما سمعتهم يلفظون باسمك ، أحسست بنصيبي من عاره .

يذكرون اسمك امامي ، فيقع على سمعي وقع جرس الموت ، وتعتريني هزة غريبة ، وبلى ! لم أحببتك كل هذا الحب ؟ إنهم لايعلمون أنني عرفتك ، أنا الذى عرفتك جيداً ، سأتحسر عليك زمنا طويلا ، حسرة بعيدة القرار .

التقينا سراً ، فآلمني ان قلبك استطاع أن ينسى غدر نفسك ، واذا قدر لى أن التقي بك ، بعد أعوام طوال ، كيف أحييك ؟ بالصمت والدموع !!

المطبعة

لروبرت . ه . ديفيز

أنا المطبعة ، أمي الأرض ، قلبي من فولاذ ، أطرافي من حديد ، وأصابعي من نحاس ، أنشد أغاني العالم ، ألقي خطب التاريخ ، وأردد ألحان الزمان ، أنا صوت اليوم ، ومتنبي الغد ، أقص حكايات السلم والحرب على السواء ، أحرك القلوب فى خفوقها وخفوتها . أوحى للعامل المضنى في منتصف الليل ، أن يرفع رأسه محدقاً فى الفضاء البعيد غير خائف ليتلمس الأمل المواسى الخالد ، ملايين من البشر تصغى الى ، حينما أتكلم يفهمني الجميع .

أملأ دماغ الغبي بأفكار تعليه ، أنا النور والمعرفة والقوة . أجمل انتصارات العقل على المادة ، فى الشروق وعند الظهيرة وفى الغسق ، تقصد اليك أولادى ، وأنت على نور الشمعة وبين اضواء الفقر الخافتة أو نعم الثراء .

أنا قهقهة العالم ودموعه ؛ وسوف لا أموت حتى يستحيل كل شيء تراباً . انا المطبعة .

دعاها الصبى فلباه

لروبيرت بيرنس

فى صباح يوم جميل من آذار ، وقد لونت الطبيعة كل شيء بلون بهيج ضاحك ، وعلت الاطيار الغناء ، والخراف اللعب ، وكشفت عن فتنة الصبايا ونضارتهن ، استيقظ « جوان » الشاب مبكراً جداً ، وارتدى ثياب يوم الاحد مسرعاً ، لان « جيني » الصبية الجميلة ، التى أحبها « جوان » وعدها ، سترافقه الى رياض المدينة ، حيث يقضيان ساعة فى اللهو والرقص والغناء .

دق ناقوس الكنيسة الخاشع ، فتلمس الشباب طريقه وسار بخطوات المشتاق الى منزل الحبيبة ، قرع النافذة « أسرعى يا عزيزتى » ، عندها صاحت « جيني » ، صيحة الجزوع الضجور « من هنا ؟ » ، أنا يا حبيبتى ، لا أحد سواى ، أقبلى على مهل ولا تخافى عيون الرقباء .

ان أبى وأمى غارقان فى رقادهما ، وأخى بعيد يرعى غنمه ، وأنت ألا تزال أمينا على وعدك ، وهل تبرهن أبداً على وفائك !

بحق ما فى السماء من قوى ، سأكون أبداً المحب العابد ، ولن أضيع لمحامتى عهداً ، ولن أخفر ذماماً ، أبعدى عنك هذه الشكوك وأسرعى ياحبيبتى .

وسارا ملتصقين بين الورود والرياحين ، يضحكان ويعبثان حتى انتهيا الى غدير يترنم فى أسفل الوادى ، فجلسا على حافته يتشاكيان الجوى ، ثم استرخت الأكف للعناق ، وكانت ساعة حالمة تساقيا فيها كؤوس الحب مترعة صافية ، لقد دعاها الصبى فلباه . !

شرق الأردن ترجمة بشير الشريقى
المحامى

نجوى يتيم

ما لفؤادي ذابْ   وما به وجدُ
وللدجى قد شابْ   ولم أنم بعدُ

ما للأسى قد فازْ   فى كبدى الحرّى
وما الدمعي ثار   من مقلتي ثرّا
أمن بكا الاطيارْ   تستقبلُ الفجرا
أم لزمانٍ جارْ   قد ألفَ الغدرا
أحنو إلى التذكارْ   وليس من ذكرى!

خيالُ أمي غابْ   والفتى المهدُ
عدامع الأحقابْ   ولم يزل يعدو

* * *

فتّشتُ فى فكري   عنكِ بخيبتِ
متّ ولم أدرِ   أنّي قد عشت
ماضرّ بالدهرِ   لو لقّني الموت
خلّفت فى الاسر   قلبي بنفثْ
يندب فى السر   حليفه الصمت

فى زمنٍ لعّاب   من طبعه الحقدُ
يروح بالأوصابْ   وبالجوى يغدو

* * *

تمضي بيَ الأفكار   فى هدأة الأغلاس
تسائلُ الاقدار   وتنبش الأرماس
علّ بها تذكار   لساكن الارماس
والدهر للآثار   مخرّبٌ درّاس
منقلب غدّار   قاسٍ شديدُ الباس

دهرٌ حديدُ النابْ   ليس له عهدُ
مزمجر صخّاب   كأنه الرعد

* * *

الله للايتام   ماذا يلاقونا
من عنت الاعوام   كم ذا يعانونا
غافون فى الاحلام   بالدمع لاهونا
وهذه الايام   لا تعرف اللينا
تسقيهم الآلام   والذلّ والهونا

وتدهقُ الاكوابْ   لهم وتشتدّ
واليتم مثل الصابْ   ما مثله وردُ

* * *

أي طرفيَ الذراف   مالك لا تهدا
فالحلمُ الرفاف   أشرق وامتدا
والزمن المخلاف   لا ينجز العهدا
من طبعه الاجحاف   إن خشى اشتدا
فى هزله مسراف   لا يعرف الجدّا

دعني من التسكاب   فهمّيَ المجدُ
وخافقي وثّاب   قد شاقه الخلدُ

دمشق   أمجد الطرابلسي

في الأدب الفرنسي

زهرات من حديقة أبيقور

الحقيقة

هذه الحكمة اليونانية القائلة : « إعرف نفسك بنفسك » هي لعمري طيش شديد وجهالة كبرى !! فلن نستطيع أبداً أن نعرف نفوسنا ولا نفوس غيرنا من البشر. وانه لينبغي التيقن من ذلك والإيمان به ، فان خلق العالم أدنى صحة وأقل استحالة وأكثر امكانا من فهمه وعرفانه . لقد شك بها « هجل » بعض الشك ، ومن القريب المحتمل أن يخدمنا العقل في يوم من الايام بابداع كون جديد ، فأما الكشف عن مفهوم هذا الكون وتبين كنهه فذلك ما لا سبيل اليه، ولا قدرة لأحد عليه. والاولى بنا أن ننسى استعمال العقل ونمعن في الجور وسوء التصرف به ، بدلا من أن نتخذه آلة لتحري الصواب ومعرفة الحقيقة . وحتى استخدامه للحكم والقضاء كما يتطلب العدل ويرتضيه الناس فانه ضعيف ضئيل لا يجدي نفعا كبيرا ، وانما يصلح العقل للتسلي بتلك الملاهي ، وهي أكثر تعقيدا وغموضا من الشطرنج ، المسماة ميتافيزيك .. علم الاخلاق .. علم الجمال ، ولعله جدير بالرضى والإعجاب حين يقتطف من هنا وهنالك قليلا من النتوء أو بعضا من الوضوح في الأشياء ، ثم يتمتع بألوانها وأصباغها من غير أن يفسد تلك اللذة البريئة الخالصة بالتفكير الكلي الشامل والاندفاع وراء الحكم والقضاء.

ادب الحياة

مادام معنى الجمال لا يدرك مستقلا عن حدود الزمان والمكان فاني لا أشرع في استساغة آثار الفكر والتلذذ بمنتوجات العقل الا حين أكشف عن وجه اتصالها بالحياة ولصوقها بها، وهذه الصلة هي التي تجذبني اليها وتأسرني على قراءتها . فجراد هيارليك الضخمة حببت الي « الالياذة » كثيرا ، واذا كنت أتذوق « المهزلة الالهية » وأستسيغ حلاوتها جيدا ، فلأني أعرف حياة فلورنسا ، وأدرك الحال التي كانت عليها هذه المدينة في القرن الثالث عشر . أنا لست أفتش في الفنان الا عن صورة الانسان ! وما عسى أن تكون القصيدة الجميلة الرائعة غير البقية الباقية من جثمان الشاعر ؟ اليك هذا القول العميق برسله جيته : « الآثار التي تخلد دون غيرها انما هي آثار الظروف والاحوال ، ولكن الآثار الفنية لا يمكن أن تكون الا آثار الظروف والاحوال ، لانها انما ترتبط جميعها بالمكان والزمان اللذين أبدعاها وكونا عناصرها . ولسنا نستطيع تفهمها ولا محبتها اذا كنا نجهل الزمن الذي أنشئت فيه والمكان والشروط الاجتماعية التي أحاطت تكوينها .

الحق أن البلاهة المتعاظمة الصلفة انما تبرز في القول بالانتاج الفني المستقل . فالثمن الذي يدفع غاليا للمؤلفات الرفيعة الغالية انما هو ثمن العلاقات التي تربطها بالحياة . وانا كلما تبينت هذه العلاقات وكشفت عن قوتها اشتد هيامي بالاثر الفني أستسيغه وأستمرئه

القمار

يلعب المقامرون كما يحب العشاق ويسكر الشراب مرغمين مجبرين . يلينون لقوة رائعة لا تقاوم ، ويستكينون للنوازع الجامحة العمياء ! وفي الناس من وقف نفسه على القمار ونذرها للعب ، على نحو من يقف نفسه على الهوى وينذرها للتصابي والغرام . وليت أدري الذي ابتدع قصة ذينك الملاحين المقامرين تذيبهما نيران اللهو ؛ كاد الملاحان يغرقان ثم طوحا بجسميهما وسط المغامرات الخطيرة ، ولم ينجهم من الموت المحتوم غير الطفرة الى ظهر حوت ، فما لبثا ان انتزعا من الجيوب الزهر والفنجان ، ثم راحا يلعبان !

هذه القصة أصح من الحقيقة وأشد منها ثبوتاً ، وكل مقامر مدنف انما هو ملاح على طراز من ذكرنا . والواقع ان في القمار معنى من معاني الرهبة ، يهز أعصاب الشجاع ، ويثير في نفسه ألوان الاضطراب والقلق . فليس اختبار الحظ غبطة يسيرة معتدلة ، وليس ارتشاف حياة طويلة عريضة ذات أشهر وسنين مليئة بالخوف والرجاء ، بالإلم والأمل — ليس ارتشافها في هنيهة من الزمن لذة ضعيفة هامدة لا تمل ؟ أذكر اني كنت دون العاشرة من عمري حين قرأ علينا المسيو غريبيني ، استاذ الصف التاسع ، حديث الانسان والجنية . وبالرغم من طول البعاد وتقادم العهد ، فاني ما ازال أعيه وأتمثله كأنما هو حديث الأمس القريب : إن جنية ماكرة

دفعت الى طفل صغير خيطاً طويلا قدلف في انتظام حول نفسه ثم قالت له : هذا خيط عمرك فالمسه ، وحين تريد ان يمضى الزمن لتستشرف له وتحيا فيه ، فاشدد الخيط فان الأيام والليالى سوف تمر أمام ناظريك وتكر متتابعة فى إسراع او بطء حسبما تشد الخيط فى قوة أو فتور . ومادمت لاتجذب هذا الخيط فانك تبقى من الوجود فى الساعة التى أنت فيها ، فأخذ الطفل الخيط الملفوف فجره قبل كل شىء ليفلت من طور الطفولة ويغدو رجلا رشيداً ، ثم جره ليتزوج بمن أحب ، ومازال يجره حتى رأى أولاده تنمو ، ونفسه تبلغ أسنى المراتب ، وتنال المال الوفير والمجد الرفيع ؛ ثم جره ليجتاز آلام الشيخوخة ويجتنب ثقل وطأتها وامراضها .. واأسفاه على هذا الغود الأملد النضير ! لقد عاش الطفل أربعة أشهر من بعدها ستة أيام على زيارة الجنية له .

لعمرك قل لي ماحد القمار اذا لم يكن الفن الذى يستبق أحداث الطبيعة العاقلة ، ويشد تقلبات الأقدار المتئدة التى لاتبرز الا فى سنين وسنين ! أليس القمار هذا الفن العجيب الذى يجمع فى لمحة من الزمن مختلف الاهواء والميول المنتثرة بين حياة الناس البطيئة الراكدة ؟ بلى ! إنه سر الوجود ومعنى الحياة نتذوقها فى مدى ضئيل من الثوانى القصار ، فهو يطاول القدر ويسايره جنباً لجنب ، ولعله يشبه صراع يعقوب مع الملك ، او ميثاق الدكتور فوست مع الشيطان .

المال مادة القمار ؛ ونقصد انه العلة الضرورية المباشرة ، ومن يدرى ! لعل الورقة التى تستبطن ، او الكرة التى تتدحرج ، تنفح المقامر اللاعب بالحدائق الجميلة ، والحقول المزروعة ، والابراج الفخمة ، والقصور المشيدة تشق السماء ابراجها الدقيقة . هذه الكرة المتدحرجة انما تضم فى اطوائها الاراضى الخصبة الواسعة ، والدور العامرة تلبع مداخنها المنحوتة فى مياه اللوار ، إنما تضم كنوز الفن وعجائب الذوق ، وجواهر غالية طريفة ، ونفوساً كان يظن ان ليس الى بيعها من سبيل . وعلى الجملة تضم مطارف الزينة والمجد ، وشديد القوى ونافذ الأسلحة ، ماذا أقول ؟ انها تضم شيئاً اثمن من هذا كله بكثير : تضم الأمانى والأحلام ، أفتريد بعد هذا الا يلعب المقامرون ؟ ألا يلهو الخازلون .. ؟؟ ولو أن القمار لايبعث غير الآمال الكبار ولا يبدى الا بسمة عينيه الخضراوين ، لكان الميل اليه خفيفا نحيلا ، ولكنما اظافره مصنوعة من ماس . يروع ، ويخلع البؤس ان شاء ، والجاه حين يريد .. ومن هنا كان القمار إلها تقدم له فروض الطاعة ومراسيم العبادة .

يكمن الخطر فى الأهواء الملحة العنيفة ، أرأيت غبطة شديدة ليس يصحبها خمار أو يعقبها دوار .. وانما تسكر اللذة قد خالطها الفزع ، وهل يخيف شىء فى الوجود أكثر مما يخيف القمار ؟ اذا أعطى أدهش ، واذا أخذ فتش ، منطقه يباين منطقنا ، فهو اصم وأبكم وأعمى : قادر على كل شىء كالاله ، له عباده وقد يسوء الذين يحبونه لذاته لا لثوابه ؛ وأكثر مايعبدونه حين ينزل بهم عذابا اليما . وقد يغريهم بما يلتبسون ، فيعزون النقص اليهم دونه ، ثم يقولون (لقد اخطأت كثيراً فى لعبى)

وارحمتاه لهم ! يتهمون أنفسهم ثم لايكفرون .

حمص   محمد روحى فيصل



ماء جديد أيضا

للدكتور احمد زكى

ذكرت فى العدد الأسبق من الرسالة ما كان من أمر الماء الثقيل ، وقد سألنى سائلون الزيادة من ذلك فهاهى :—

ان الماء الثقيل يختلف كل الاختلاف عن الماء العادى فى خواصه :

	الماء العادى	الماء الثقيل
درجة السيحان	صفر	+٨ر٣
درجة الغليان	١٠٠	٤٢ر١٠١
الوزن النوعى فى درجة ٢٥	١	١٠٥٦ر١
الدرجة التى عندها يبلغ أكثر كثافته	+ ٤	+ ٦ر١١

فمن أجل هذا ، ومن أجل أن الايدروجين فى الماء الاخف يختلف عنه فى الماء الأثقل اختلافا بينا ، اقترح الكيماويون الامريكان لهذا الايدروجين الأثقل اسما جديدا فأسموه ديوتيريوم Deuteriun ، واقترح له الاستاذ المعروف اللورد رذرفورد Rutherford. إسما غير هذا لاعتبارات كثيرة فأسماه دبلوجين diplogen ، وكلا الاسمين ثقيل على اللسان العربى . ولعل الثانى أخف وطأة من أخيه ، وقد اشتركا فى حرفهما الاول فصار رمز هذا العنصر الجديد هو حرف د D وبذلك يصبح الماء الثقيل أكسيد الدبلوجين

وقد قدّر الباحثون مقدار الدبلوجين فى الأيدروجين العادى وقدّروا مقدار أكسيد الدبلوجين فى الماء العادى فاختلفوا اختلافا كبيرا ، وكان هذا الاختلاف لاسباب ، منالها أنهم اعتمدوا فى أحد هذه التقديرات على طيف الايدروجين ، وكان أيدروجينا حضروه بطريقة التحليل الكهربائى للماء . فكان دبلوجينه لا شك قليل لان أكسيده أبطأ تحللا بالكهرباء من الماء . فخرج الحساب بنتائج واطئة المقدار . ومن هذه النتائج الواطئة النسبة ١ الى ٢٥٠٠٠ التى ذكرتها فى مقالى السابق

واتبع باحثان آخران طريقة أخرى يكفلان بها تحلل الماء كله تحللا كهربائيا كاملا ، ثم اختبروا طيف ايدروجينه الناتج ، فقدروا ان به من الدبلوجين جزءا فى كل ٥٠٠٠ جزء

وطبق الاستاذان لويس ومكدونالد طريقة البكنومتر pyknometer على الماءين ، العادى والنقى (هكذا أسمياهما) فخرجا على أن الماء العادى يحتوى جزءا فى كل ٦٥٠٠ جزء

واستخدم الاستاذ اللورد رذرفورد Rutherforp وأصحابه طريقة « القذائف » ؛ وفيها قذفوا عنصر الليثيوم Lithium بأيونات الدبلوجين وأيونات الايدروجين ؛ فوجدوا أن جسيمات « ألفا » الناتجة فى حالة الدبلوجين لها مدى أكبر ٥٠ فى المائة من مداها فى حالة الإيدروجين . وهذه طريقة دقيقة يرجون بها أن يقدروا اكسيد الدبلوجين فى الامواه الاصطناعية والامواه الطبيعية المختلفة ، فماء العين لا شك سيختلف عن ماء النهر ، وهذا عن ماء البحر ، ومياه البخار الطلقة لا شك ستختلف فى ذلك عن مياه البحار الحبيسة . وقد وجدوا فعلا ان ماء البحر الميت يكثر مقدار اكسيد الدبلوجين الذى به ، وقد قدرت النتائج الاولى هذه الكثرة بالضعف . وهذا ما كان منتظرا لتبخر مائه تبخرا يزيد على غيره من البحار .

أما الخواص الكيميائية للدبلوجين ولأكسيده فالابحاث

التي أجريت عنها لا تزال قليلة . ولكنها في مجموعها تشير الى قلة النشاط الكيميائي في الدبلوجين وفي أكسيده . مثال ذلك أنهم حللوا ماء مأخوذاً من المطر بامراره على الحديد المحمى فوجدوا أن الجزء الأول الناتج من الإيدروجين يحتوى ١ : ٦٠٠٠ من الدبلوجين ، بينما الجزء الاخير يحتوى ١ : ٤٥٠٠ منه . ومثال ذلك انك اذا حللت ماء محمضاً بالخارصين فان المتبقى من هذا الماء تزيد نسبة اكسيد الدبلوجين فيه زيادة كبيرة .

إن علمنا بالدبلوجين ومركباته لا يزال قليلا ، ومناهج البحث فيه كثيرة ، والاحتمالات العلمية الذي سيتمخض عنها الغد لا شك جليلة . قال الاستاذ اللورد رذرفورد « لقد فتح هذا الكشف لنا باب كيمياء جديدة وبيلجة جديدة »

احمد زكي

ماء جديد

حضرة الاستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

تحية واحتراما وبعد ، فقد قرأنا فيما قرأناه من موضوعات شيقة آخر ما صدر من اعداد الرسالة فصلا فيما كتبه حضرة الدكتور احمد زكي في باب العلوم بعنوان (ماء جديد) فهمنا منه ان البحث قد كشف اخيرا عن وزنين مختلفين لذرة الايدروجين كما كشف قبلا عن مثل ذلك في الزئبق وغيره من العناصر ، وانه ظهر على أثر ذلك أن الماء العادى يشتمل على كم صغير جدا من ماء ثقيل شديد التركز مؤلف من ذرات الايدروجين الثقيلة وذرات الاوكسجين

وقد ذهب الدكتور الفاضل الى ان هذه الحقيقة الأخيرة قد أظهرت خللا في الاسس المقررة لقياس الحرارة ووزن الاثقال

وذهب بعض القراء الى انه يؤخذ من مقال احمد أمين هذا — يريد احمد زكي — أن البحث الحديث قد أدى الى نتيجة جديدة هي أن الماء مؤلف من ذرات ايدروجين صغيرة وذرات ايدروجين كبيرة ، وانه لا صحة لما كان يقال من ان السنتيمتر المكعب من الماء يزن جراما

وعندى ان صاحب المقال لم يخطر بباله عند كتابته انه سيؤدى الى هذه النتائج الخطرة

فهو يقول ان الماء الثقيل يتجمد في درجة ٤ تحت الصفر ، ويغلى على درجة ١٠١ ويعد هذا دليلا على فساد أسس علم الحرارة ، ثم يسأل باسلوب يلقى الريب في ذهن القارئ عن الجرام وهل هو وزن السنتمتر المكعب من الماء الخفيف أو من الماء الثقيل ؟

والصحيح ان الحقائق التي كشفها البحث وأشار اليها الكاتب لا تمس مقاييس الحرارة والاوزان من قريب او بعيد . فالعبرة فيما كانت وستبقى بالماء النقى العادى المشتمل دائما على جزء من ٢٥ الف جزء من ماء ثقيل ، فهذا الماء العادى ، او ان شئت الطبيعى ، سيتجمد دائما في درجة الصفر ويغلى على درجة المائة ويزن السنتمتر المكعب منه جراما لا غير في درجة معينة من الحرارة

وما شأن الماء الخفيف وحده والماء الثقيل وحده بعد ذلك في أمر الحرارة والثقل إلا نفس الشأن الذى لغيرهما من السوائل

فالماء النقى العادى سيظل كما هو اساس مقاييس الحرارة والأوزان .

واما ماذهب اليه بعض القراء من الخلط بين الاستاذ الكاتب وزميله الاستاذ احمد امين فرده فيما ارى الى تناول الكاتب موضوعاته العلمية بأسلوب كاسلوب زميله الاديب الكبير . واغلب الظن ان النتيجة العجيبة التى طفر اليها هذا البعض من تكون الماء من ايدروجين صغير الذرات وايدروجين كبيرها تقع تبعتها على هذا الاسلوب الأدبى الممتع نفسه . . . . ؟

الاسكندرية　　　　«م . ا .»

تعليق

أقرأنى صديقى الأستاذ الزيات اعتراض الكاتب الفاضل م . ا .

وأرى أنه اذا كان حضرته يريد القول بان هذا الكشف الجديد لا يؤثر في وزن السنتيمتر من الماء مطلقا ، أو على حسب تعبيره « من قريب أو بعيد » ، فهو لا شك مخطىء ، لأن الأمواه تختلف نسبة الماء الثقيل فيها أعنى أكسيد الدبلوجين ، وإذن تختلف كثافاتها .

ولو رجع الى مقالى الثانى المنشور بهذا العدد من الرسالة لوجد بعملية حسابية بسيطة أن هذا الاختلاف يتناول من كثافة الماء الرقم العشرى الخامس ، وأرجو أن يكون عالما بأن من الموازين الحساسة ما يحس بزنة الرقم العشرى الثامن من الجرام ، ومن أجل هذا أمكن العلماء استخدام طريقة البكنومتر ، وهى تعتمد على التفريق بين الكثافات بالوزن ، في تقدير ما بالأمواه من ماء ثقيل — وان كان الكاتب

القصص

الميتــة . . .

بقلم الكاتب القصصي « جى دى موباسان »

ترجمة الاستاذ خليل هنداوى

أحببتها حتى غلب عليَّ فيها الذهول ، ولمـاذا أحببتها ؟ أغريب شأنى إذا لم تر عيناى إلا كائناً واحداً ، ولم تحمل نفسى إلا فكرة واحدة ، ولم ينطو قلبى إلا على أمنية واحدة ، ولم يتسع فمى إلا لاسم واحد ؟ ذلك الاسم الذى يصعد من فمى تكراراً . ومن أعماق روحى مراراً ، كأنه ينبوع متفجر . أقوله وأعيد فيه القول ثانية وثالثة كأنه صلاة أذكرها وأرددها .

لن أقص عليكم ما غشينى فى هذا الحب ، ومتى كانت للحب حكايات متعددة ، وروايته فى كل زمان ومكان واحدة . قد رأيتها وأحببتها ، وهذا كل ما فى روايتى .

قضيت زمناً — ويا حبذا ذلك الزمن — يغمرنى عطفها ، وتحوطنى بذراعيها ، وتشبعنى نظراتها ، ورداؤها وكلماتها . بل فنيت فيها حتى غلب على الذهول فأصبحت لاأدرى : اذلك الليل او النهار يحيط بى ؟ وأنا فى قيد الحياة أو فى سجل الاموات ؟ وهل انا على ارض غير الارض ؟

والآن ماتت ، فكيف سطا عليها الموت ؟ لاأدرى . . لاأعلم ، دخلت على أمسية ليلة من ليالى الشتاء مبللة الاثواب فنامت ، فتيقظت وهى ترسل السعال ملحة فلزمت سريرها مضطرة .

وبعد ذلك لاأعلم . .

الاطباء حشدناهم من كل صوب . فكانوا يقدمون ويكتبون ويذهبون . والعلاجات تنهال عليها وازاءها امرأة ترعاها . يدها حارة الملمس . وجبينها متوقد . ونظرتها ساطعة ، لكنها كئيبة . أكلمها فتخاطبنى ، ولكن ماذا قلنا ؟ لاأعلم . . قد نسيت كل شىء . . كل شىء . انها قضت ولا أزال أذكر تنهدتها الخفيفة وأنتها الضعيفة . وقد صاح من حولها « آه » ففهمت ان الأمر انقضى .

لم أعد أعلم شيئاً . . .

لمحت كاهناً يخاطبنى بهذه الكلمة : أمعشوقتك ؟ فخيل إلى انه ينال منها ، - وهو بعد موتها - يجب عليه الا يعرف شيئاً من هذا فنفيته من دارها وطلبت غيره ، فخف الى كاهن طيب السريرة . رقيق النفس ، حدثنى عنها فغلب على البكاء .

أمسيت لاأعرف شيئاً ، ولكننى أذكر الاكفان والناووس الذى ووريت فيه الى الابد .

نزلت فى التراب ، وجاء معها بعض صواحبها ، واخيراً انطلقت وطفت فى السبل شارداً ، وعدت ادراجى ، وفى الغد الباكر حملت نفسى على الرحيل

الفاضل يريد أن يقول إن هذا الاختلاف بسيط لا يؤثر فى التجارب العلمية المعتادة فهو لاشك مصيب ، فان الموازين العادية بالمدارس تزن الى جزء من عشرة آلاف من الجرام ، أى تصل الى الرقم العشرى الرابع فقط . وهذا هو عينه الذى قررته فى مقالى الذى يعترض عليه ، فقد قلت فيه ، على أن هذه اختلالات لا تؤثر فى حوائج العلم العادية ،

ان الكاتب اذا كتب فى الأدب قد يذهب به الخيال عن الدقة ، وقد يغتفر له ذلك ، أما اذا هو كتب فى العلم وجب أن يكون أول ما يقصد اليه الدقة فى التعبير ، ويزداد هذا الواجب وجوبا اذا هو حاول أن يتكلم عن العلم لغير علميين ، فاضطر الى استعارة شىء يسير من لغة الأدب ، وهذا ما نأخذ به دائما . ولكن على القراء كذلك واجب التدقيق عند القراءة . فصاحبنا الذى خلط بين احمد امين واحمد زكى كان من الطبيعى أن يخلط فى فهم المقال . وحضرة الفاضل م . ا . نفسه لا شك قرأ المقال بسرعة ، فانه روى عنى أن الماء الثقيل يتجمد فى درجة أربعة تحت الصفر والذى كتبته ونشر فى المقال كان « فى نحو درجة أربعة » ومعناها بالطبع فوق الصفر لا تحته .

احمد زكى

وبالأمس دخلت باريس . . .

ومذ وقع ناظرى على غرفتى . . . غرفتنا وسريرنا ومتاعنا . وكل ما يخلفه الميت وراءه ، شعرت بأن أنفاسى تضيق ، وبأن كآبة تتمدد فى احناء نفسى فتزيد صدرى حرجا . وتبعثنى على القاء نفسى من النافذة . . . لم أستطع البقاء طويلا فى هـذه الغرفة التى تتراءى لى فيها محبوبتى ، فأسرعت عازما على الخروج ، فوقع ناظرى على تلك المرآة المصقولة التى كانت تقف إزاءها ناظرة الى وجهها وجسدها كل يوم ، تتقن زينتها تجاه هذه المرآة التى كان رسمها ينعكس فيها ، ولا يزال يتراءى على صفحتها . فأدركتنى رعشة عميقة ، وعينى خلال ذلك لا تبرح المرآة العميقة الفارغة التى احتوتها — قبل اليوم — فخيل الى أننى أحب هذه المرآة فلمستها فاذا هى باردة . . . ولكن الذكرى ، الذكرى ! ! المرآة الملتهبة المعذبة .

ألا إنهم سعداء ، من تشبه قلوبهم هذه المرآة ترتسم عليها الظلال ثم تمحى . وتنسى كل ما ارتسم عليها وانعكس فيها .

برحت مكانى وانا غير مختار . ولا أعلم أية وجهة اسلك ! ؟ فدخلت المقبرة فألفيت ضريحها المنفرد يشرف عليه صليب رخامى نقش تحته

« انها أحبت ، وكانت محبوبة ، ثم ماتت . . . »

انها تحت هذا الضريح قد عبث فيها الفساد ! مكثت هنالك طويلا خاشع الرأس حتى وافى المساء ، ولكن خطرة غريبة صعدت من نفسى هى خطرة عاشق يائس تحدثنى وترغمنى على قضاء الليل بجانبها ذاكراً باكيا ، ولكن الناس سينظرون الى وسيطردوننى فما عسى أصنع ؟ نهضت وأبديت لمن يرانى اننى ضال بين القبور ، فسرت وأمعنت فى السير ، ولكن ما أضأل مدينة الموتى ازاء غيرها من مدن أهل الحياة ، والموتى ينيف عددهم على عدد الاحياء .

يتخذ القصور الشامخة والدور الباسقة والسبل الفسيحة أبناء النور ، وشاربو الينابيع ، وراشفو ابنة الاعناب ، وآكلو سنابل الحقول ، أما الموتى الذين تحدروا الى أعماق الثرى وما زالوا ينحدرون . أولئك لا ينالون شيئا . . . رقعة من الثرى تضمهم والنسيان يطوى أسماءهم . وودا عا .

فى زاوية من زوايا المقبرة الآهلة بسكانها وقع ناظرى على المقبرة العتيقة التى اختلط رفات أصحابها بالتراب ، وأتى على صلبانهم الهلاك . وغدا سيبدل الاحياء بالنازلين القدماء ، نازلين محدثين . كان يغشى تلك المقـــبرة ورود منتشرة ، وأوراق سوداء ، كأنها حديقة كئيبة شامخة تغذيها لحوم الموتى .

آويت الى جذع شجرة تواريت به عن الناس . ولبثت مرتقبا قابضا على الجذع كما يقبض الغريق على بقية من بقايا زورقه المحطم حتى مد الظلام رواقه ، فغادرت مكانى وطفقت أطوف متمهلا بين اللحود ضللت كثيراً وأنا أتلمس قبرها . فكنت أسرى باسطا يدى . وفاتحا عينى ، وواثبا بين القبور على غير هدى ، فكم قبور لمحت ، وكم رسوم وقفت عليها كأعمى يود أن يهتدى الى سبيله . فلمست حجارة وصلبانا . وأكاليل ذوت أزاهيرها ، وأكاليل من زجاج . وتلوت اسماء كثيرة بيدى ولكننى لم أجدها .

لا قمر فى السماء يزيح هـذه الظلمة الداجية . ! وياله من ليل ، بعث فى نفسى الهول . أغشى الطريق تغمر جانبيها القبور . القبور عن يمينى . والقبور عن شمالى . والقبور امامى وورائى . أعيانى السير فاستويت على ضريح فسمعت خفقان قلبى وسمعت شيئا غير خفقانه .

ما ذا أسمع ؟ أهذه وساوس تعيث فى رأسى ؟ ! وهـذه اسماء تتصاعد من الأرض الطافحة باشلاء بنى الانسان ؟

كم مضى على من الزمن وأنا لابث فى مكانى ؟ لا أعلم . ولكن الخوف قابض على قلبى بكلتا يديه لا يبرحه . همت باكيا أصيح ، وأوشكت أن أقضى نحبى .

فجأة شعرت بأن لوح الضريح الذى تخذته مقعدا لى بدأ يتحرك كأن شيئا تحته يزيحه ، فبعدت عنه مذعوراً واذا باللوح يمشى . . . وصاحبه ينتصب بهيكله العظمى . ازاح بظهره المقوس لوح الضريح فألقاه على الارض

فتلوت على اللوح برغم حلوكة الليل : (هاهنا يرقد (جاك أوليفيان) المتوفى فى الخمسين من عمره . كان باراً بأبويه ، وكان صالحا شريفا . ومات تحت كنف الله)

رأيت الميت يحدق فى هذه الكلمات ثم جاء بحجر مسنون يمحوها حتى لم يبق لها من اثر . ثم أخذ ينظر مكانها وتناول عظمة من عظامه وسطر عليها بأحرف بارزة (هاهنا يرقد جاك أوليفيان المتوفى فى الخمسين من عمره . قد عجل موت والديه لعقوقه ، وأضنى

امرأته . وعذب أولاده وخدع جيرانه وسرق ما استطاع ومات فقيراً) .

أتم الميت تسطيرها وظل يتأمل فيها ، وغادرت مكانى فاذا القبور جميعها متفتحة ، وسكانها جميعا بعثوا من مراقدهم ، ومحوا الصفات الكاذبة التى سطرها أهلوهم على لوحات قبورهم ، ونقشوا مكانها حقائقهم المجردة ، فوجدت أن جميع هؤلاء الآباء الصالحين والزوجات الأمينات ، والابناء الطاهرين ، والغوانى العفيفات ، وأن هؤلاء التجار المستقيمين ، منهم العاق والبغيض ، والاثيم والمرائى ، والكاذب والحاسد والنمام ، ومنهم السارق والخادع ، والمرتكب كثيرا من الآثام . رأيتهم جميعا منكبين على منازلهم يسطرون حقيقة أنفسهم التى يجهلها أو يكاد يجهلها أبناء الحياة .

شعرت — اذ ذاك — بأن محبوبتى خطبها خطبهم ؛ فعجلت اليها نافضا عنى الخوف ، ومن حولى القبور المفتوحة . والجثث المنشورة والهياكل المنتصبة . عرفتها إذ لمحتها ، ولم أتوسم وجهها المتصبب عرقا . وعرفت القبر الذى كانت هذه الجملة مسطورة عليه (انها أحبت . وكانت محبوبة ثم ماتت) .

تلوت هذه الجملة الثانية (خرجت يوما لتخون حبيبها فأصابها برد أودى بحياتها) .

*
* *

ويبدو لى انهم عثروا بى راقدا عند شروق الشمس على أحد القبور .

خليل هنداوى

الملاح التائه

ديوان الشاعر على محمود طه

يصدر

فى اول مايو

فى المزرعة

بقلم ايفان بونين

كان ذلك الوهج الوردي الفاتر المنبعث من الغروب الذاوى يغادر السماء متلكئا متباطئا . وتوارى الضوء شيئا فشيئا بين جحافل الظلام التى أخذت تخيم فوق مزارع الغلال الفسيحة المترامية . ثم أمعنت تلك الجحافل فى الزحف حثيثا على القرية .. بعد ان ارسلت بعض النوافذ الصغيرة فى جدر الاكواخ وميضا نحاسيا خالبا يستبى اللب . كان المساء هادئا ساكنا . قد حشدت قبل قليل قطعان الماشية فى حظائرها ، واحكمت دونها الرتج والاغلاق . وآب أهل القرية من عملهم المضنى فتناول كل عشاءه على الحصباء قبالة أكواخهم ثم غرقوا فى صمت سادم عميق . لاصوت لغناء ولا صرخة لطفل

كل شىء كان يحلم حلمه المسائى . وكان الكابتن ايفانيش وقد جلس الى نافذته المفتوحة يحلم أيضا .

كانت «عزبته» فوق رابية آجام واطئة من الاقاقيا والليلاك تحتها انجم كثيفة ملتفة مشتبكة من القراص والحماض تنحدر الى أسفل فى اتجاه الوادى . ومن النوافذ تستطيع العين ان تقطع مسافات شاسعة فوق تلك الايك والاحراج البالغة مكانا قصيا .

كانت الحقول ساكنة صامتة تحت ذلك الغسق الشاحب ، قد انقطعت فيها الحركة . والهواء جافا دافئا عليلا . والنجوم فى السماء ترتجف باستحياء وفى غموض مبهم كانما تخفى فى باطنها اسرارا لا تدرك وأحاجى لا تحل .

ليس هناك تحت النافذة الا بضع جنادب دائبة فى صريرها المتشابه من غير كلل ولا ملل ، وهى فى مكامنها تحت عساليج القراص والا صيحات السمانى المتزنة الآتية من السهل النائى البعيد .

كان الكابتن ايفانيش وحده ، كدأبه دائما . لقد كتب له ان يعيش وحيدا يقاسى آلام الوحدة ما بقى حياً .

كان ابواه لا يملكان شيئا ، يعيشان فى بيت الامير (نوكايسكى) ماتا إبان طفولته ولما يبلغ من العمر سنة واحدة . قضى أيام طفولته وفتوته فى بيت عمة له مخبولة وفى مدرسة ابناء الجنود . كان فى شبابه ينظم الاغانى ناسجا فيها نسج ديلفك و كولتسوف . نظم فى قصائده

الغرامية الكثير عن (هى) المعهودة .

وما كانت (هى) المعهودة الا (آنا) ابنة موظف فى مكتب (تسجيل العقود) فى القرية ، لكنها ما كانت تحبه كما يحبها

كان أهل القرية يقولون عنه انه يشبه (السيد) ولكن ليس فيه شىء يسترعى النظر .

هو نحيف طويل بعض الشىء . قد صار يوما بتأثير الامير ملازما فى الجيش ثم ورث عن عمته نقوداً واستقال من وظيفته

أما (هى) فقد ذهبت يوما لتقيم فى بيت صديق لها وتزوجت وأقفل هو مكتبه على قصائده الغرامية حيث ظلت وستظل الى يوم موته .

انشأ يشتغل بالزراعة وحاول العمل فى مكتب الحكومة فى القرية ولكن لم يشغفه الجد

ومرت الأيام وانقضت الشهور وتعاقبت السنون ، وأصبح فلاحا حقيقيا : سترة طويلة تصل الى ركبتيه وشاربان طويلان أسودان ، على أنه ما كان يعلم أن وجهه المنضمر المغضن بعض الشىء وما كان يعلوه من أمارات الحنو كان جميلا جذابا .

إنه اليوم حزين مكلوم . وجاءت اليه فى الصباح خادمه (اكرافية) النقية الورعة وذكرت له بين ما حدثته به (أتذكر السيدة «آنا» ياسيدى ؟

— فأجابها الكابتن إيفانيش . نعم

فقالت له ماتت ودفنت فى خلال أيام الصوم .

وبعد هذا لبث الكابتن إيفانيش طول يومه مرتسمة على شفتيه ابتسامة مضطربة غامضة . وفى المساء ، وما أهدأ ذلك المساء وما أشده سكونا ، وما أعمقه كآبة — لم يتناول عشاءه ولم يذهب الى فراشه مبكراً كعادته . بل تناول فى يديه لفافة غليظة من تبغ أسود قوى وظل جالسا الى نافذته واضعا ساقيه الواحدة على الاخرى .

أراد أن يخرج من البيت ويذهب الى مكان ناء ، ولكنه سائل نفسه : الى أين ؟ ! . أيذهب لصيد السمان ؟ ولكن لم يبق وقت لذلك . ثم ليس هناك من يرافقه . أيذهب ؟ ام لا . . . لم يرق له صيد السمان . تنهد وخبط بيده ذقنه غير الحليق .

ثم قال فى نفسه « إن حياة الانسان لقصيرة ضنينة » .

أترى الحقبة طويلة من يوم كان فتى فى ميعة الشباب حتى الآن مدرسة ابناء الجنود — حبنا انها ولت . . . الى حيث لا رجعة . . . فقر وسغب ولعب — أسفار الى عمته ، ما أغربها من عمة . ما أشد شذوذها وغرابة أطوارها . هو يتذكرها جيداً ، حتى لكأنها الآن ماثلة امام عينيه — عجوز بكر هيفاء نحيلة . لها شعر أشعث ، أسود فاحم ، وعينان دعجاوان شاردتان ذاهلتان . كان يقول عنها أهل القرية إنها قد أصابها الخبل من حادث غرامى لم توفق فيه . . . هو يتذكر كيف كانت تحفظ جيداً بعض أساطير فرنسية جريا على عادة كانت فى ذلك الحين متبعة فى مدرسة ليلية من طراز قديم ، وكيف كانت تكررها مرة بعد أخرى . ويذكر أيضا كيف كانت تضرب على البيان لحن (بولونى أو كينيسكى) . لقد كانت تلك الاغنية تبدو مخيفة غريبة ، لأن السيدة العجوز كانت تغنيها من غير عاطفة ولا شعور

أوه — تلك الاغنية (بولونى أو كينيسكى) . . . (هى) المعهودة أيضا كانت تحسن غناءها وعزفها على البيان .

والآن اخذت النجوم فى السماء تبعث بصيصاً ضئيلا من نور خافت وتتلألأ تلألؤاً سحريا لا تدركه الافهام .

وطفقت الجنادب تسبح بصريرها تسبيحتها الواهنة الوانية ، لا تلبث تفتر حتى تهتاج من جديد فى هدوء المساء وسكون الطبيعة .

. . . هناك بيان عتيق . هناك فى تلك الغرفة الداخلية : النوافذ مفتوحة لو أن (هى) المعهودة تدخل الآن فى الغرفة ، خفيفة الظل كالطيف وتعزف عليها ، تمس مفاتيحها العتيقة المغبرة . . . ومن ثم يذهبان معا الى هناك . . . الى هناك باستقامة واحدة . . . يمران من تلك الطريق الضيقة بين الجويدار الكثيف . الى أين . . . الى بعيد ، حيث الضوء ينبعث فى الافق الغربى .

كبح الكابتن ايفانيش جماح افكاره وابتسم قائلا بصوت مرتفع (لقد ذهب الخيال معى الى بعيد . . .) .

كانت الجنادب تصدح بانشودتها فى نسيم المساء الهادىء البليل ومن البستان يعبق شذا الارقطيون المحمل بالطل . واريج زهرة الفجر ورائحة القراص المخضل المنعشة ، فتختلط كل هذه الارواح العطرة فى الفضاء وتتجه شطر الانوف كأنما تنتوى نية أو تبغى بغية . . . هذه العطور الزكية ذكرته بمساء كان قد رجع فيه من المدينة فى ساعة متأخرة ؛ وكيف ظل يفكر (عنها) يخدع نفسه ويمنيها بآمال السعادة والهناء . . .

ما كنت ترى فى القرية نافذة تشع ، ساعة ساق عربته الى اعالى الرابية . كل شىء تحت تلك القبة السماوية الصاحية السلسبيل الزاخرة بالكواكب كان غارقا فى سبات عميق . . . ليالى أبريل مظلمة دافئة

من البستان كانت تفوح رائحة الكرز المزهر . والضفادع تنق وسنانة في البرك — فتبعث بموسيقى ضعيفة هزيلة من النوع الذي يسمع عادة في آخر هزيع من ليالي الربيع عندما يدنو الصباح . ظل زمنا طويلا قبل أن يعقد أجفانه الكرى واستلقى في نومة عميقة فوق الحلفاء في الكوخ بالبستان . قد لبث ساعات يمشي الهوينى على سراب جار تحول من بعـــد إلى سحابة بيضاء شفافة متألقة من الاحلام البعيدة النائية . ولكن هناك جاءت من بركة ليست في الحسبان بعد حين صيحة المالك الحزين — كأنها لغز أو سحر . والظلام الحالك — الظلام الذي ضرب بجرانه في طرقات البستان الضيقة هو أيضا بدا كاللغز أو كالسحر . وبعد ذلك . . . قبيل الفجر فتح عينيه واستنشق مل‌ء رئتيه نسمات البستان الندية الباردة المحملة بالعطر . ومن خلال الكوة المفتوحة قليلا أطلت عليه نجوم الصباح اللامعة مضطربة قلقة .

استفاق الكابتن ايفانيش من هواجسه واستوى قائما . وراح يطوف انحاء الدار ترجع الجـــدر اصداء خطواته ، وينحني بلاط الغرف هنا وهناك تحت قدميه مرسلا صوتا متزنا كأنما هو يئن من وطئهما أنين الألم .

« ثمانون عاما عمر هذه الدار » قال في نفسه : « لأستدعين الفعلة في الخريف . سيكون البرد فيها في الشتاء المقبل قارسا لا يطاق »

وفيما كان يتمشى جيئة وذهابا كان يشعر أنه أضحى الآن أعجف سمجا — هو طويل نحيل محنى بعض الشيء . ظل كذلك يجيء ويغـــدو ثم رفع حاجبيه وهز رأسه وغنى الغناء (البولوني) . أحس أنه يرقب خطواته الخاصة — ينظر الى نفسه — فقدم نفسه الى نفسه على أنها رجل آخر يهيم وحده في ارجاء الدار — رجل حزين قد أمضه الحزن وأرمضت قلبه الكلوم . حمل كنانته وخرج من الدار .

كان الضوء خارج الدار اكثر منه داخلها ، ولا يزال ضوء الغروب الشاحب الذي توارى خلف القرية يرسل على مزارعها بصيصا ضئيلا باهتا . وبخطوات ثقيلة مرتبكة جاز رقعة من الارض مفروشة بفراش من القراص انتهى منها الى رابية وقف عندها . وبعد أن أشعل غليونه جلس على صخرة هناك .

ثم قال في نفسه « أراني جالسا كاليوم على سفح الجبل » وسيقول الفلاحون عني هناك . . . إن الشيخ لا عمل له . . . نعم لقد امسيت عجوزا « ألم تبت (انا) . . . حتى لكأنها لم تكن » . اين ذهب كل ذلك . . . كل ذلك الماضي

كم ظل محدقا ببصره في الحقول النائية — كم ظل مصيخا بسمعه الى هجعة الطبيعة وسكنة المساء . . .

قال بصوت مرتفع (كيف يمكن ذلك ؟ !) كل شيء سيبقى على حاله . الشمس تشرق . الفلاحون يخرجون الى الحقول حاملين على اكتافهم محاريثهم عاليها سافلها . وسوف لا أرى من ذلك شيئا — وليس هذا فحسب ، بل ولن اكون في هذا المكان ابدا . ولو مرت الوف السنين ، لن اعود الى الدنيا مرة أخرى — لن اجلس جلستي هذه على هذه الرابية . .

لبث زمنا طويلا جالسا جلسته تلك ، مطرقا يسحب شاربيه الاشيبين ويعبث بشعراتهما .

ترى كم من السنين كان الرجل الذي امامه الآن شيئا خطيرا — بارزا . . . لقد كان ذات مرة صبيا صغيرا — وكان شابا يافعا — ثم هو في يوم قائظ لافح من ايام الصيف قصد بعربته الصغيرة الى الانتخابات . . . مارا من طريق عريض رحب . ما اعرض ذلك الطريق ! . .

ابتسم الكابتن ايفانيش الى نفسه من افكاره التي تتواثب من شيء الى آخر .

لكن ذلك كله كان منذ زمن بعيد . . . ممعن في البعد . . كذلك . اواه ! ماذا يرى الآن امامه ! ياهول ما يرى ! قد بلغ زمنا هو كما يقول الناس يصل فيه كل شيء نهايته ، سبعون ، ثمانون عاما لا يقدر الانسان ان يعمر اكثر من هذا . ما هي الحياة البشرية — طويلة كانت أم قصيرة .

قال في نفسه : (ان حياتي طويلة ! طويلة على كل حال)

هناك في ظلمة السماء أضاءت نجمة وخرت الى الارض . رفع عينيه الحزينتين الكليلتين ، وظل يحدق في السماء . وفيما هو يرسل بنظراته في اعماق تلك اللا نهاية المظلمة الهادئة الزاخرة بالكواكب تنهد الصعداء وشعر بالحزن يذهب عن نفسه . لقد عاش هادئا مطمئنا ، وسيموت هادئا مطمئنا . كالورقة في تلك الايكة تجف وتسقط متى يحين أوانها ، إيه . لكل اجل كتاب .

لا تكاد الحقول المترامية ترى الآن في ظلمة الليل الحالكة . اشتدت الظلمة وزاد لألاء النجوم . وبين الفينة والفينة تسمع صيحات السماني . واخذت تنبعث من العشب الندي رائحة منعشة . استنشق الهواء بخفة ، وبسهولة ملأ رئتيه . ما أشـــد اتصاله بهذه الطبيعة الساكنة الهادئة !

بغداد   ترجمة   ع . الحمدى

٤ - شهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

عند آبار البترول

في الشمال من محطة الاحياء المائية وراء الافق جبل عال تراه من المحطة اذا كان الجو صافيا ناتئا في البحر ببروز كبير . كان لهذا الجبل شأن خاص في قديم الزمان عند القدماء : من مصريين ورومان ، فامتدت اليه همتهم وقصدوه من وادي النيل عبر الصحراء طلبا في سائل أسود كثيف ذي رائحة شديدة ينضح من جدار الجبل عند سطح الماء — هذا الجبل هو جبل الزيت ، وهذا السائل هو زيت البترول ، ولا يزال الجبل ينز بالزيت الى يومنا هذا ، وفي القرن الماضي عثر على الزيت في مغارات قديمة بالقرب من دمشه (جمسا) جنوبي جبل الزيت بنحو عشرين كيلو مترا ، فدل هذا على وجود الزيت في باطن الارض في هذه المنطقة بكميات كافية للاستغلال التجاري ، فتقدمت لاستنباطه شركة شل الانجليزية ، واستحوذت من الحكومة المصرية على منطقة امتياز في هذه البقعة ، وبدأت العمل في مستهل هذا القرن ، ثم حفرت أربعا وثلاثين بئرا مكثت تجود بالزيت حتى سنة ١٩٢٧ ، ثم نضب معينها فهجرتها الشركة وتحولت لغيرها .

ويظهر ان هذا النجاح حفز حكومتنا السنية للبحث عن البترول ، فاختارت بقعة جنوبي دمشة بخمسين كيلو مترات تعرف بأبي شعر ، فأنشأت فيها في أوائل هذا القرن أيضا مرفأ حسنا ، وجعلت حوله رصيفا لارساء السفن . مدت عليه سكة حديد ضيقة تربطه بالداخل لمسافة طويلة ، ثم أقامت بالقرب من الرصيف المخازن والمنازل لايواء الموظفين والعمال وجلبت اليه الفناطيس والماكينات والسيارات والانابيب ، وكلها من أجود أنواع الصلب المتين ، ثم أخذت في حفر بئر وقبل أن تتمها بدأت في حفر بئر ثانية على مسافة من الاول وقبل اكمالها توقفت عن العمل فصرفت العمال والموظفين وشونت الماكينات والادوات وتركت الابراج قائمة على الآبار الى اليوم

وقد زرنا أبا شعرة عصر أحد الأيام وهو قريب من محطة الاحياء المائية ، فاستقبلنا بالقرب من المرفأ الخفير القائم بالحراسة من قبل مصلحة المناجم ، وقال هنا في هذا المخزن عربات الترولي وفي ذاك المخزن ست عربات لوري ، وهناك الوابورات ملقحة ، وعلى يمينكم بيت المدير والادارة ، وعلى يساركم منازل الموظفين والعمال ، وعلى رأس السكة فنطاس الزيت ، وخلف التل البئر الاولى وفي الوهدة أمامكم البئر الثانية . ثم تقدمنا وتبعناه فشاهدنا برجا عظيما من الحديد قد أقيم فوق البئر ولا زالت الاحبال والعدد هناك كما تركتها العمال من عشرين عاما ونيفا .

وكنت أتخيل الحارس وهو يعدد محتويات أبو شعر كأنه الترجمان في منطقة سقارة أو الهرم وهو يرشد السائحين الى مقابر الفراعنة وآثار الغابرين . وكنت أسائل نفسي في حيرة عن السبب أو الحكمة التي املت هذا التصرف الغريب وعن العقلية التي أوحت بترك كل هذه الادوات والعدد وثمنها لا يقل عن سبعين الفا من الجنيهات كما قال الحارس ملقاة هكذا وسط الرمال طوال هذا الزمن حتى كادت تبلى مادامت الحكومة قد قطعت الامل من وجود البترول في هذه المنطقة

وفي عام ١٩١٤ استحوذت شركة شل (أيضا) على شقة طويلة من ساحل البحر جنوبي ابي شعرة بعشرة كيلو مترات (فقط) في منطقة الغردقة ، ثم حفرت فيها الآبار وأقامت عليها الأبراج وشيدت المعامل والمنازل وما الى ذلك كما سيأتي وصفه

وقد توجهنا لزيارة هذه الآبار عصر أحد الايام رفقة صديقنا الدكتور محمود أبو زيد مفتش مصلحة المناجم وهو مندوب الحكومة لدى الشركة وله الاشراف على تنفيذ اشتراطات العقد بينها وبين الحكومة ، وقد استقبلنا عند وصولنا الى مركز الشركة وكيل المدير وهو انجليزي وبعد تبادلنا التحية اجازلنا الزيارة ، فتوجهنا الى المعمل الفني ثم الى منطقة الآبار ، ويدير المعمل عالمان لهما دراية خاصة بالجيولوجيا الصناعية فيقدم لهما عينات من أنواع التربة التي تخرج اثناء عملية حفر الآبار فيبحثانها بحثا مستفيضا من حيث التكوين والعصر الجيلوجي الذي تكونت اثناءه ونوع الحيوانات التي كانت تعيش فيها وهكذا ، ثم يعمل بذلك رسم تمثيلي لكل بئر يدل على الترتيب الطبقي للقشرة الارضية في مكان البئر ونسبة السمك لكل طبقة وغير ذلك من البيانات الدقيقة . ومن

هذا الرسم والشواهد الجيلوجية المحلية يكون فى مكنتهما ان يقدما للشركة بيانات صحيحة لدرجة كبيرة عن الامور الآتية :

١ — صلاحية المنطقة من حيث وجود البترول
٢ — عمق الطبقات الخازنة له
٣ — نوع البترول
٤ — اتجاه البحث عند الشروع فى اختيار مكان حفر البئر التالية .

ولهذا المعمل على صغره وسكون الحركة من حوله اهمية كبرى فى نظر الشركة، وذلك لعظم النفقات التى يتكلفها حفر البئر الواحدة، فقيمة ذلك تتفاوت بين ستة آلاف وعشرة آلاف من الجنيهات . وللقارىء ان يتصور فداحة الخسارة التى قد تصيب الشركة اذا سارت فى حفر الآبار على غير هدى كأن تقوم بالحفر فى منطقة رحل عنها البترول او كانت الطبقة الخازنة له قليلة العمق ينضب معينه منها بعد زمن وجيز

وقد انتهزت فرصة وجودى بالمعمل وسألت أحد العالمين عن رأيه فى مسألة أصل زيت البترول، وهى من المسائل العلمية التى لم تتقرر بعد بصفة قاطعة . فأجاب بأنه فى جانب النظرية التى تقول بان البترول ناتج عن انحلال مواد نباتية وحيوانية معا .

خرجنا من المعمل قاصدين الآبار ، وتقع منطقة الاستنباط الاساسية عند سفح تل من حجر جيرى - المحطة نمرة ١ - وفى هـــذه البقعة حفرت الشركة أولى بئر لها ، وقد قيل لنا ان خروج الزيت منها كان بكميات عظيمة مكثت مدة تتدفق ليل نهار على هيئة نافورة ، حتى انها اغرقت من الارض حولها مساحة كبيرة — ثم توالى بعد ذلك حفر الآبار شمالا وجنوبا حتى بلغ عددها التسعين — وفى السنوات الاخيرة قل الناتج اليومى منها قلة ظاهرة دعت الشركة الى الانتقال الى المحطة نمرة ٢ وهى تقع فى شقة جبلية قريبة من البحر على مسافة كيلومترين تقريبا جهة الشرق من المحطة الاولى . وعدد ما حفر من الآبار بها حتى وقت الزيارة سبع عشرة بئرا كلها تجود بزيت غزير

حقول البترول بالغردقة

وعملية حفر الآبار من العمليات الهندسية الدقيقة ، وقد شاهدنا بئرا فى دور الحفر فى المحطة الثانية قد اقيم عليها برج من الحديد لا يقل ارتفاعه عن عشرين مترا تتدلى من قمته الحبال من الصلب معلقة فى بكرات ، ووقف فى البرج حول البئر المهندس والعمال ، وكانوا يدخلون فى جوف الأرض انبوبة طويلة من الصلب ، ومصدر الحركة فى البرج طارة كبيرة من الخشب تديرها ماكينة قوية وقودها الزيت الثقيل

وعلى خبرة المهندس وبراعته يتوقف نجاح حفر البئر ، فمثقاب ثقيل صاعد هابط ، وانابيب ترسل فى جوف الارض الى عمق الفين وربما الى عمق ثلاثة آلاف من الاقدام الواحدة تلو الاخرى فى استقامة رأسية ، وإشارات المهندس يتلوها أقوال واعمال باوضاع مختلفة مؤتلفة . والمثقاب دائب الحركة داخل الانابيب، وفتات الصخور والرمال ترتفع من باطن الارض الى سطحها بطرق ميكانيكية ، وبصيرة المهندس تلحظ ما هو جار فى الاعماق فتصلح اى انحراف قد يطرأ على اتجاه الانابيب أو تسد بالسمنت ما قد يحدث من الثغرات فى جدرانها حتى لا يتـــدفق فيها ماء الرشح او يتسرب منها الرمل فتفسد البئر ، ويستمر العمل جاريا هكذا مدة ثلاثة شهور او أربعة وأحيانا عشرة حتى يصل المثقاب الى طبقة البترول ، وهنا يسير العمل بحذر شديد وبعناية كبيرة ، وتتجلى فى هذا الدور ألمعية المهندس فى توقيه ما قد يحدث احيانا من انبثاق الزيت وهو تحت ضغط هائل من الاعماق السحيقة الى وجه الارض بشدة عظيمة تخرب البئر وتقذف الانابيب والادوات فى الهواء الى علو كبير ، وتغرق الارض بكميات كبيرة من الزيت يذهب معظمه هباء

(البقية على صفحة ٦٤٠)

مصر فى الصباح

(بقيــة المنشور على صفحة ٦٠٣)

وإذن فهو مازال عاجزا كصاحبيه، وإذن فما زلنا ننتظر من يصف الحالة الحاضرة ويصور مصر فى الصباح.

أما أنا فلم اشك فى أن مصر فى الصباح موضوع خطير لابد من الكتابة فيه، ولكن أي مصر ؟ اهى مصرى انا أم مصر الزيات ام مصر صديقنا محمود ؟ فقد كانت لنا امصار ثلاث مختلفة فيما بينها اختلافا غير قليل. كانت مصرى انا تبتدىء فى ربع من ربوع حوش عطى، وتنتهى الى الازهر الشريف مارة بمشهد الحسين. والحلوجى بعد أن يقطع السالك الى هذا المشهد الكريم احدى طريقين : حارة الوطاويط، أو شارع خان جعفر.

وأما مصر محمود فكانت تبتدىء فى الظاهر فى حارة ضيقة قريبة من بيت الشيخ الانبابى رحمه الله، وتنتهى الى الازهر الشريف مارة بما شئت من الطرق التى تستقيم ان اردت لها أن تستقيم، وتلتوى إن احببت لها الالتواء.

وأما مصر الزيات فكانت تبتدىء فى حارة ضيقة على قلعة الكبش، ثم تنحدر الى شارع لا اذكر اسمه، ولكنه ينتهى الى مسجد السيدة زينب ثم تصل بعد ذلك الى الازهر من طرق تستطيع أن تستقيم وتستطيع أن تلتوى، تستطيع ان تقصر، وتستطيع أن تطول. فأى هذه الامصار الثلاث أصف؟ وعن أى هذه الامصار الثلاث أتحدث ؟ فأما مصرى أنا فقد كانت حلوة لذيذة فى الصباح، ولكنها لم تكن تعجب الزيات، ولم تكن تلذ لمحمود. كان يوقظنى فيها مع الفجر صوتان : احدهما صوت المؤذن الذى كان يدعو الى الصلاة فى جامع بيبرس، والآخر صوت جارنا الشيخ الذى كان شافعيا موسوسا، ينفق نصف ساعة فى اقامة الصلاة : ال.. ال.. الله.. الله.. ال.. الله أكبر. ثم يبدو له فيخرج من الصلاة أو يستأنف الدخول فيها : ال.. ال.. الله.. الله ال.. الله أكبر. ثم يمضى فى صلاته حتى يتم الفاتحة أو يكاد وإذا هو يخرج منها ويستأنف الدخول فيها. ومازال يقبل ويدبر، ثم يبدأ ويعيد، ثم يقيم الصلاة ويستأنف اقامتها، حتى اذا أشفق من فوات الوقت عزم أمره، وهجم على صلاته فاقتحمها اقتحاما ثم مضى الى درسه فى الازهر الشريف.

أستغفر الله فقد نسيت صوتا ثالثا كان يوقظنى فى السحر لا فى الفجر، صوت ذلك الشيخ الظريف الذى لم يكن عالما ولا شيئا يشبه العالم، وانما كان تاجرا أعرض عن التجارة، وانقطع للفكاهة والضحك فى النهار، وللصلاة والنسك فى الليل. فاذا أقبل السحر خرج من غرفته يهمهم ويجمجم ويضرب الارض بعكاز غليظ، ويبعث فى الجو صوتا هائلا رائعا يحمل جملا متقطعة من الورد الذى كان يبدأه فى غرفته ليتمه، ثم يستأنفه فى مسجد الحسين، حتى إذا صلى الصبح عاد هادئا مطمئنا قد خف وقع عكازه على الأرض، وخف ارتفاع صوته فى الجو، لأن الذين كانوا نياما فى السحر قد أصبحوا أيقاظا حين ارتفعت الشمس. أستغفر الله، وقد أنسيت أصواتا أخرى، كانت تنبعث بعد أن ينقطع صوت المؤذن : فهذا سائق عربة قد أقبل يحل خيله أو يحل حماره الذى عقله تحت النافذة. وهذه حمدة التى كانت تبيع ألوان الفاكهة على اختلافها باختلاف الفصول تفرضها علينا نحن المجاورين فرضا. فاما اشترينا وإما تعرضنا لغضبها، وويل لمن كان يتعرض لغضب حمدة، فقد كان عنيفا مخيفا يضطرب له الربع ويزلزل له حوش عطى زلزالا !!

على هذه الاصوات كنت أستقبل مصرا، وكانت تستقبلنى مصر فى الصباح، فاذا هبطت من الربع ومضيت الى مدخل حوش عطى، فهذا صاحب القهوة قد أفاق، وهو يحك عينيه من بقية النعاس ويهيىء الجوزة للحاج فيروز، هذا الذى كنا نشترى من عنده أكثر ما نبتغى من ألوان الطعام. فاذا مضيت قليلا فهذه الحوانيت تستيقظ شيئا فشيئا، وهؤلاء باعة الفول والبليلة والطعمية قد ازدحم من حولهم الناس، حتى اذا تقدمت بعض الشىء عطفت ذات الشمال ان كنت مستعجلا، فمضيت من حارة الوطاويط، حيث أقذر مكان خلقه الله، وحيث أعظم الناس حظا من البؤس رجالا ونساء، قد جلسوا فى أقبح شكل وأبشعه يسألون الناس. وإن كنت مستأنيا عطفت ذات اليمين، فمضيت من خان جعفر، وانتهيت على كل حال الى شارع الحسين، ثم المفارق الاربعة ثم انغمست فى شارع الحلوجى، ثم دفعت الى باب المزينين.

هذه مصرى التى كان الزيات يريدنى على ان أصورها له فى الصباح، وأقسم لو فعلت لنفر منى وهزأبى وازور عنى ازورارا. ولكنى واثق الآن بأنى حين أتحدث اليه عنها اثير فى نفسه عواطف يحبها واحلاما يرضاها، وأبلغ من استحسانه ما أقصر عنه من غير شك

العالم المسرحى والسينمائى

٢ — فن التنكر MAKE - UP

وعلاقته بالاضاءة المسرحية

تحدثنا فى الاسبوع الماضى عن فن التنكر من الوجهة العامة بحيث أوضحنا اهميته وخطره للممثل الذى يريد أن يتقن عملة المسرحى الاتقان الفنى المنشود ليستطيع أن يخرج الشخصية التى يمثلها الاخراج الصحيح المطلوب من الممثل الكفء. وقد رأينا سعة الدائرة التى يشملها هذا الفن حتى ليتطلب الالمام به دراسة شاملة دقيقة بعضها يتصل بعلم النفس، وبعضها يتصل بعلم التشريح والطب، وبعضها يتصل بدراسة الاجناس المختلفة المبعثرة على سطح هذه الارض.

ونتحدث فى هذا الاسبوع عن فن التنكر من احدى نواحيه الفنية أعنى من حيث علاقته بالاضاءة المسرحية. فالاصباغ والادهنة التى يستخدمها الممثل فى تنكره تتألف من الوان مختلفة متعددة، ومن الثابت أن الالوان لها علاقة وثقى بالضوء، وشتان مابين الاضواء الصناعية والضوء الطبيعى الذى يكسب الاشياء مظهرا خاصا ولونا خاصا لا يمكن أن يكون لها تحت الاشعة الصناعية، وليس ثمت ضوء صناعى يظهر الاشياء بنفس المظهر الذى يكون لها تحت اشعة الشمس فى وضح النهار، لذلك كان لزاما علينا أن ندرس هذه العلاقة بين اللون والضوء حتى نستطيع فى المسرح أن نعطى الضوء المناسب

وقد أدخلت فى السنوات الاخيرة تحسينات كثيرة على الاضاءة المسرحية سواء من الوجهة الفنية أو الآلية، وتكاد تكون لكل مخرج طريقته الخاصة به ونظرياته التى يبتكرها تارة أو يستنبطها من تجاربه المتوالية تارة أخرى. ولسنا بصدد شرح هذه النظريات، فنتركها الى البدهيات التى لا محل فيها للاختلاف

والآن نضع هذا السؤال: كيف نرى الأشياء ونميز ألوانها المختلفة؟ حاسة النظر هى التى تؤدى لنا هذه الغاية بواسطة الضوء. وهذا ثابت من الحقيقة المعروفة اذ لا يمكن أن نرى شيئا من الاشياء الا اذا سلطنا عليه ضوءا طبيعيا أو صناعيا، فاذا لم يكن هناك هذا الضوء لم نستطع رؤية شىء. وادخل غرفة مظلمة، وحاول أن تميز مافيها فلن تستطيع مهما كنت حاد البصر، مع أن الغرفة ملأى بما فيها من أثاث وأدوات وغيرها. وعود من الثقاب تستطيع بلهبه، الذى يشع ما نسميه بالضوء تمييز مافى هذه الغرفة. وأكثر مافى هذا العالم من الاشياء لا يشع ضوءا ذاتيا: وتسمى لذلك بالاجسام غير مضيئة، والبعض الآخر له القدرة على الاشعاع الذاتى ويسمى بالاجسام المضيئة. وهذه الاجسام كالشمس: والمصباح، واللهب ترى بواسطة الضوء الذى تشعه، ويتألف هذا الضوء من ذرات مضيئة يصل بعضها الى شبكة العين فيؤثر فيها هذا التأثير الخاص

أما الاجسام غير المضيئة فانها تتراءى للعين لعلة واحدة وذلك بسبب مالها من الخاصية فى عكس الاضواء التى تنصب عليها من الاجسام المضيئة. وعلى ذلك فان الاشياء التى تراها انما تبين لناظريك عن طريق الضوء الذى تعكسه على شبكة العين. وتتوقف درجة وضوحها ومداها على طبيعة وحجم الاجزاء العاكسة للضوء فيها، وعلى مقدار الضوء المتسلط عليها، وعلى المدى الذى بينها وبين العين والاجسام المضيئة تبدو كأنها تزداد حجما كلما زاد ضوؤها بريقا وقوة، واذا نظرت الى شيئين متساويين فى الحجم احدهما مضىء والثانى مظلم بدا الاول أكبر حجما من الثانى.

لو أنى صورت له مصر فى الصباح هذه التى تبتدىء من دارى فى الزمالك، وتنتهى عند الكوكب فى عابدين.

ان الزيات ليحسن أعظم الاحسان لو انه وصف لنا مصره فى الصباح، تلك التى كانت تبتدىء من قلعة الكبش، وتنتهى الى الازهر، وان محمودا ليحسن أعظم الاحسان لو انه وصف لنا مصره فى الصباح، تلك التى كانت تبتدىء فى ظاهر القاهرة المعزية، كما كان يقول، وتنتهى الى الأزهر، فاما مصرهما الاخرى هذه التى تبتدىء فى شبرا وتنتهى عند الرسالة أو عند قبة الغورى، فلسنا فى حاجة اليها الآن، وقد يحتاج اليها ابناؤنا بعد ربع قرن، كما نحتاج نحن الى أمصارنا تلك العزيزة فى أيامنا هذه.

طه حسين

ومن المسلم به أن الضوء الأبيض ، كما يسمونه في الاصطلاحات العلمية ، يتألف من جميع الالوان الموجودة في الطبيعة أو التي يمكن خلقها صناعيا ، ومن الميسور تفريق هذه الالوان بعضها عن بعض ، كما انه من الميسور مزجها من جديد فيعود للضوء لونه الأصلي . وهذه الالوان المختلفة يمكن تقسيمها الى ستة ألوان رئيسية هي الاحمر ، والبرتقالي ، والاصفر ، والاخضر ، والازرق والبنفسجي . ولكل من هذه الالوان طبيعته ، ولكل منها موجته وخواصه الى غير ذلك مما لسنا بصدده . ولكن يهمنا هنا أن نقرر أن جميع الالوان ليست الا نتاجا للضوء في انعكاسه من سطح المنظور على شبكة العين . فالاشياء التي نراها ليست لها الوان ذاتية في الحقيقة ، ولكنها تكتسب ألوانها التي نراها ونصفها من طريق الانعكاس الضوئي . أو نقول بعبارة أخرى ، إن اللون ينتج من الضوء الواقع على الشيء المنظور . وما نسميه بالالوان الطبيعية للاشياء يرجع الى الحقيقة المقررة من أن كل منظور يعكس على العين لونا من الالوان الموجودة في الضوء الأبيض المسمى بالضوء الكامل لأنه يتألف من جميع الألوان والاجسام غير المضيئة خاصية تمييز أو امتصاص الضوء المتسلط عليها . وهذه الخاصية لها قوة الاختيار ، أي انها تمتص بعض الوان الضوء وتعكس البعض الآخر . وعلى ذلك فلون شيء من الاشياء يرجع في حقيقته الى طبيعة اللون الضوئي الذي لم يمتصه المنظور وعكسه على العين . فمثلا اذا امتص المنظور كل الضوء المتسلط عليه بدا المنظور أسود اللون واذا عكس كل الضوء بدا أبيض اللون . فالمنظور الذي يبدو أحمر اللون تحت الضوء الابيض يكون قد امتص سائر الألوان الضوئية ولم يعكس منها الا الأشعة الحمراء ، فطبيعة اللون الذي يبدو للمنظور تتوقف على الضوء الساقط عليه ، فاذا فرضنا أن الاشعة التي يعكسها المنظور معدومة في الشعاع الساقط عليه أو قليلة المقدار بدا المنظور قاتما أو غير تام الوضوح . ومن المعروف أنه لا يمكن الحكم على الوان الأشياء حكما صادقا تحت الاشعة الصناعية . وذلك لان هذه الأشياء تكون في هذه الحالة معرضة لضوء لا يحتوي على كل الالوان الضوئية ، ولذلك لا يمكن لهذه الأشياء ان تعكس جميع الالوان التي تعكسها تحت الضوء الطبيعي والضوء الملون ضوء ناقص ، أي انه ينقصه لون أو جملة الوان من تلك التي يحتويها الضوء الابيض الكامل .

وهذه الكلمة الموجزة عن طبيعة الضوء انما تعيننا على فهم الاضاءة الصناعية المستخدمة في المسرح وعلى الاستفادة منها بحيث نتسلط عليها كل التسلط ونوجهها الوجهة التي ننشدها لنخرج منها على خشبة التمثيل ما نشاء من الصور والأخيلة التي نريد أن نبرزها للمتفرج .

ولما كان التنكر المسرحي اساسه اصباغ وأدهنة ملونة ، يستخدم كل لون منها لغاية مخصوصة محدودة ، فان العلاقة بين فن التنكر والاضاءة المسرحية تبدو واضحة جلية .

محمد علي حماد

شهر بالغردقة

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٧)

وتكون الخسارة أفدح لو اتصلت النار بهذا الزيت فتشب حريق هائل قد يلتهم باقي الآبار ومستودعات البترول ومباني الشركة . وللمهندسين طرائق مختلفة لاجتناب هذه الكارثة ـ فإذا اجتاز الحفر هذه الخطوة الدقيقة ووصل المثقاب الى الزيت نفسه رفع المثقاب وأدليت مكانه مضخة ماصة كابسة تستقر وسط الزيت على عمق لا يقل في المتوسط عن ٦٠٠ متر ، هذا اذا كان ضغط الغازات في باطن الارض عاديا ، أما اذا كان الضغط كبيرا فان الزيت يستمر متدفقا داخل الأنابيب من نفسه مدة طويلة حتى يهبط ضغطه ، وعندئذ تدار المضخة بواسطة محركات قوية فيخرج الزيت على هيئة سائل كثيف لونه اسمر داكن مشبع بغازات فوارة ويختلط بدقائق الماء الملح وبعض المواد الصلبة والاملاح فيرسل في أنابيب الى أجهزة خاصة لتنقيته مما فيه فتنفصل عنه أولا الغازات الخفيفة التي ينتفع بعضها محليا كوقود ثم تفصل عنه الاملاح بغسله بالماء العذب في احواض مقفلة ثم يفصل عنه الماء بطرق كهربائية في مصنع كبير مشيد بالقرب من الآبار ، ومن جهازات التنقية يذهب الزيت الى مستودع كبير بالقرب من الميناء لتخزينه بها حتى شحنه في السفن للسويس لتكريره وفصل مركباته عن بعضها كزيت الأضاءة وزيت الوقود والبنزين وغير ذلك — ويبلغ الناتج اليومي من البترول الخالص في حقل الغردقة ٦٠٠ طن يصيب الحكومة منه نحو ٦٠ طنا وذلك قيمة الضريبة .

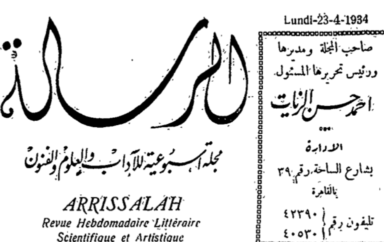
يتبع — الدمرداش محمد .

---

2 me Année, No 42. — Lundi 23-4-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الاقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٥٣ — ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

العام الهجري

١٣٥٣

منذ أسبوع قلب الدهر المسجل صفحة ثلاث وخمسين وثلثمائة وألف من تاريخنا المجيد المشرق. قلبها هذه المرة وهو حافل حاشد يرصد فلك الاسلام، ويرقب حركة العرب، ويجمع الأهبة لتسجيل ما يتوقع من أحداث الأمة المبعوثة، والبطولة الموروثة، والعروبة الناهضة!

وكان منذ تهجرت في وجوهنا الأهوال، واغبرت في عيوننا الآمال، وأخلد الى الجمام سلطاننا الجاهد، يقلب الصفحة بعد الصفحة، فلا يجد ما يسجل غير أنات العاني، ونشجات الباكي، وخلجات الجناح المهيض، حتى أوشكت حياتنا الخالدة أن تكون لحقا من البؤس والهون. الكتاب آيتنا الجليل المحكم! ولكن الأمة العربية التي تمتد جذورها في أعماق الأزل لا بد من ريعها وإن طال الخريف!

فالحياة المتجمعة في الأصل الثابت أخذت تشيع في الجذع وتنتشر في الفروع، والظلال الحاسرة في العهد الجديد جعلت تمتد الى القفر وتنبسط في الربوع، وأشبال

الفاتحين الذين غيروا وجه الأرض، وحرروا موازين العدل، قد هبوا ينفضون عن المعدن الكريم غبار الزمن، ويسحرون عن الجوهر الحر عبث العوادي، ويعودون الى مكانهم من رأس القيادة وصدر العالم!

ففي مصر تضطرب الحياة الجديدة في البراعم النابتة، وتضطرم نوازى الكمال في النفوس الهامدة، ويفيض نُبل الإحساس في صدور الناس فيكفكفه وأسفاه طغيان الغاصب، وتكدره واحسرتاه بقايا العهد الذليل!

وفي فلسطين تدافع العروبة جراد أوربا الماحق، وتصارع الاستعمار المسلح الخاتل، وتطلب عز الحياة بعز الممات وشرف التضحية.

وفي سورية يقظة عاملة فطنة، تداور خصمها بالصبر، وتواثب جشعه بالحزم، وتقابل تفعه بالحذر، وتصارح هوجه بالنخوة، وتتجهز للمستقبل الباسم القريب بجهازه

وفي العراق أمة تنشىء الحياة، وتبني الملك، وتلحق الزمن، وتصل ما انقطع بين ماض ضخم وحاضر نزوع، وتنبض بالحيوية العربية المتجددة نبضان القلب الفتي الطموح

وفي الجزيرة موطن الاسرار ومهبط الوحي ومشرق الدين ومنبت العبقرية تخطر العروبة في مطارف العزبين سرير الامام وعرش الملك! وإذا نزت بين الاخوين نوازي الخلاف فذلك حفاظ ينتهي الى السلم، وحمية تعود الى السلامة، وإن في اصاختهما الى دعوة الداعين الى الصلح في أقطار العرب لدليلا على اتجاه الميول الى الوحدة، واصغاء القلوب الى الجماعة

وفي الجزائر وتونس ومراكش قلوب تذوب من حرارة الظلم، ورءوس تدور من خدر السياسة، وشهداء في سبيل الوطن والدين يخطون لأبنائهم بدمائهم وصية المستقبل!

وسائر المسلمين في تركية وإيران وافغانستان والهند والصين وأندوسيا وروسيا ويوغوسلافيا يشعرون بالتطور الجديد، وينظرون الى الأفق البعيد، ويتمنون أن يعود الاسلام كما بدأ مرفوع الراية، مجموع الرأي، مسموع الكلمة!

والأمر في الجملة يدل على نور ينبثق من جديد في أمة محمد، وروح ينبعث في مملكة الرشيد، وشعور يأتنف من هذه الروح وذلك النور فيجمع قلوب الأخوة المتفرقين على هوى واحد!

***

حسبُنا مطلع العام الهجري موقظا للشعور وحافزا للهمم وهاديا الى شرف الغاية. يستقبله المسلم الذاكر فتعاوده ذكريان تجددان دينه وتثبتان يقينه وتقومان خلقه: ذكرى هجرة الرسول في سبيل الدين، وذكرى مقتل الحسين في سبيل الحق!

فاما هجرة الرسول فقصيدة من قصائد البطولة القدسية لا يفتر عن انشادها الدهر! استمدت وحيها من روح الله، ونسجها من خلق الرسول، وسيرها من صدق العرب! واستقرت في مسامع الأجيال مثلا مضروبا للقواد الانسانية، يلهمهم الصبر على مكاره الرأي، والاستمساك في مزالق الفتنة، والاستبسال في مواقف المحنة، والاستشهاد في سبيل المبدأ، والاعتقاد الصادق بفوز الفكرة

بلَّغ الرسول ما أُنزل اليه من ربه وقد تألبت عليه جهالة العصبية، وحماقة الشرك، وسفاهة الحسد، وعداوة المنافسة، وحرمان الفقر، وخذلان القلة، فما استكان ولا وهن، ثم نبت فقار مكة على الغراس الالهي فهاجر به تحت عين الله الى طيبة!

وهنالك بالصبر والصدق والايمان والرجولة، أثمر غرس الدعوة، وتم نور الله، وأصبحت القلة ملة، وصارت كل قرية من القرى الثلاث قارة (١)

وأما مقتل الحسين فلا يزال صكا داميا في سجل التاريخ، يثبت أن العربي الحر لا تلهيه عن نداء الواجب زهرة الحياة، ولا ترده عن طلب الحق كثرة الموت.

فاذا انتفع العرب والمسلمون بهاتين الذكريين، وجعلوهما كما هما في رأس العام رمزين على الجهاد الواصب في سبيل العقيدة، والاستشهاد المروع في سبيل الحق، عاد أمرهم يجرى مع الشمس، ويسرى مع الروح، ويتغلب أخيراً مع الحق!

احمد حسن الزيات

---

(١) القرى الثلاث هي مكة والطائف والمدينة، ومنها ابتدأت الدعوة، والقارات الثلاث هي آسيا وأفريقيا وأوربا، واليها انتهى الاسلام!

من حديث الشهداء

للدكتور طه حسين

لم يذكروا فى تلك الليلة ماضيهم الحلو ، وحاضرهم المر . ولم يتحدثوا عن اوطانهم تلك النائية التى كانوا ينعمون فيها بلذات الحياة ، ويستمتعون فيها بخفض العيش ، ويسيرون سيرة الاحرار لا يعرفون لاحد غير قيصر وعماله عليهم سلطانا ؛ وقد يعرف لهم غيرهم كثيرا من السلطان والبأس ؛ وقد يقدم اليهم غيرهم كثيرا من آيات الطاعة والاذعان . ولم يسمروا بهذه الاحاديث التى تعودوا ان يسمروا بها إذا فرغوا من اعمالهم وانصرفوا الى راحتهم ولقى بعضهم بعضا حين ينقضى النهار ويتقدم الليل ؛ والتى كانوا يستعيدون بها حياتهم تلك الجميلة المشرقة ، ويستحضرون بها مواطن لذاتهم ونعيمهم ، هنالك حيث لا يشتد القيظ حتى ينضج الجلود ويصهر الاجسام ، وحيث لا تقع العين على الجبال الجرد والوهاد المقفرة ؛ وحيث لا تضيق الارض بالناس ولا يضيق الناس بالارض ، وحيث يستقبل الناس ايامهم راضين باسمين ، ويستقبلون لياليهم لاهين عابثين . كلا ولم يسمروا فى تلك الليلة بما كانوا يسمرون به من ذكر الفاتنات المفتونات اللاتى كن يحولن حياتهم احلاما ويجعلن جدهم لعبا ، ويسرين عنهم كل هم ، ويغرين بهم كل نعيم ، يخلبنهم باللفظ واللحظ ، ويعذبنهم بالدل والتيه ، ويسعدنهم بالقرب والوصل ، كلا ولم يسمروا فى تلك الليلة باحاديث قيصر وقصره ، ولا بانباء الحاكم وحاشيته ، ولا بقصص الحرب بين الفرس والروم ، وأين هم الآن من قيصر وقسطنطينية ؟ واين هم الآن من تلك الثغور الباسمة القوية التى كانت تبسم لاهلها كأنها الجنات ، وتعبس لاعدائها كأنها الجحيم . واين هم الآن من الفرس والروم ؟ واين تكون مكة من ميادين الحرب بين الفرس والروم ؟ كلا . ولم يسمروا فى تلك الليلة بما كانوا يسمرون به أحيانا من أحاديث ساداتهم ومواليهم ، وبما كان يتصل بينهم من التنافس والجهاد ، وبما كان يدبر بينهم من الكيد والمكر ، وبما كان يجتمع لهم من الغنى والثراء ، وبما كان يلم بهم من الحوادث والخطوب كلا ، ولم يسمروا فى تلك الليلة بما كانوا يسمرون به أحيانا من أحاديث هذه القوافل التى تفصل من مكة الى الشام ، فتمضى معها نفوسهم تسايرها فى تلك الطرق البغيضة التى يذكرون طولها وثقلها حين قطعوها عناة أذلاء يساقون الى مكة عبيدا أرقاء ، والتى كانت تعود الى مكة قافلة من الشام تحمل من أرض قيصر أنباء مختلطة وأحاديث مشوهة مضطربة ، ولكنهم كانوا يتلقفونها ثم يتناولونها بالتأليف والتصنيف ، وبالتحليل والترتيب ، حتى يكونوا منها شيئا مستقيما أو كالمستقيم : ثم يتخذون منه علما بأمور أوطانهم تلك التى لم يبق لهم اليها سبيل .

كلا . لم يسمروا فى تلك الليلة بشىء من هذا ، لأن أحاديث مكة شغلتهم عن كل هذا ، وما لها لا تشغلهم وصاحبهم نسطاس قد اشترك فيها وأثار كثيرا منها ، وها هو ذا قد اتخذ مكانه بينهم كئيبا كاسف البال ، محزونا بادى الحزن ، قد اضطربت نفسه أشد اضطراب . وهو يتحدث اليهم فى صوت متقطع مظلم كأنما أسبغ الحزن والندم واليأس عليه ظلمة كثيفة متراكمة لا تنكشف عن شىء . وما له لا يكتئب ولا يبتئس ، وما له لا يحزن ولا يندم ، وما له لا يفزع ولا يجزع ، وقد سفكت يده المسيحية دما بريئا ولما ينتصف النهار : أو كان هؤلاء النفر جماعة من نصارى الروم دفعوا الى بعض أطراف الصحراء وعدت عليهم بعض القوافل فاتخذتهم تجارة ، وتقلبت بهم ظروف الرق حتى انتهوا الى ملك جماعة من سادة قريش . وكان نسطاس أنقاهم ضميرا ، وأصفاهم قلبا ، وأعظمهم حظا من الدين . وكان لهذا كله أصبرهم على ما ألم به من كرب ، وأحسنهم احتمالا لما سلط عليه من محنة ، ورضى بهذه النكبة التى كان ينظر اليها على أنها اختبار له ، وابتلاء لايمانه ، وامتحان لثقته ، وتهيئة لنفسه لتحيا حياة السعداء اذا انقضت اقامتها فى هذا العالم الشقى البغيض . ولكنه أظهر فى تلك الليلة غير ما تعود أن يظهر لاصحابه من الجلد والصبر ، ومن الآباء والاحتمال ، وهم يعزونه ويرفقون به فى العزاء ، وهم يلومونه ويعنفون عليه فى اللوم ، وهم يأتون نفسه من جميع أنحائها يريدون أن يصرفوها عن هذا الحزن العميق ، وأن يصرفوا عنها بعض الهم الثقيل ، ولكنهم لا يبلغون منه شيئا ولا يزيدونه الا إغراقا فى الحزن وغلوا فى اليأس ، وربما بلغوا بأحاديثهم قرارة نفسه فأثاروها ودفعوه الى الحديث فاذا هو يتكلم بكلام تقطعه العبرات وتبلله الدموع . وكان نسطاس مملوكا لصفوان بن أمية ، وكان قد أنفذ فى ذلك اليوم أمره فى أسير من أسرى الانصار يقال له زيد بن الدثنة دفعه الى صفوان وأمره أن يخرج به من الحرم ، حتى اذا بلغ به التنعيم قتله ثم عاد ؛ ولم يكن مثل هذا

العمل يحبب الى نسطاس . ولكنه لم يكن خليقا أن يدفعه الى مثل هذا اليأس المهلك لولا أنه عرف من أمر أسيره وصريعه ، ومن أمر أصحابه ما عرف ، ولولا أنه رأى من أمر زيد ما رأى ، وسمع من أمر خبيب ما سمع ، وانتهت اليه أحاديث أولئك الذين أدركهم الموت قبل أن يحملهم الى مكة ويبيعهم لقريش غدر الغادرين من هذيل . ولكنه عرف ما عرف ، ورأى ما رأى ، وسمع ما سمع . فذكر أمورا كان يقرؤها فى الكتب ، واحداثا كان يهلع لها حين يسمع أنباءها من الوعاظ . ذكر أولئك الشهداء الذين قتلوا فى المسيحية تقتيلا ، والذين امتحنوا بما كتب الله عليهم من ضروب المحن وفنون الكيد فلم تضعف نفوسهم ولم تهن عزائمهم ولم يفرطوا فى دينهم ولم يجد الشك الى نفوسهم سبيلا . ذكر أولئك الشهداء الذين أقاموا مجد المسيحية على أشلائهم وغذوه بدمائهم ، وقووه بضعفهم ، وأعزوه بما احتملوا فى سبيله من الذل ، وأيدوه بما لقوا فى سبيله من الأذى والآلام . ذكر أولئك الشهداء الذين كان يكبرهم ويجلهم ، ويرى أنهم شفعاؤه وشفعاء أمثاله عند الله ، وانهم قدوته الصالحة وأسوته الحسنة ومثله الأعلى ، وانه أسعد الناس لو استطاع أن يظفر ببعض ما ظفروا به من عذاب الدنيا ونعيم الآخرة ؛ ومن ذل الدنيا وعز الآخرة ؛ ومن هذا الموت الهين السريع الذى تتبعه حياة باقية سعيدة متصلة لا حد لما فيها من نعيم .

ذكر هؤلاء الشهداء وذكر أنه لم يرد حين أطاع أمر مولاه صفوان على أن قتل واحداً منهم ، واقترف ذلك الاثم الذى اقترفه الظالمون الذين اضطهدوا الشهداء وفتنوهم ، ثم قدموهم قربانا الى آلهتهم وأوثانهم فى الزمن القديم . هنالك اضطربت نفسه اضطرابا ، وزلزل قلبه زلزالا ، ورأى حياته كلها وقد استحالت الى شر منكر ، ورأى ما قدم من الخير وقد استحال الى فساد ، ورأى ما احتمل من الآلام وقد أصبح هباء . وهنالك ملك الندم عليه أمره ، وملأ اليأس عليه قلبه ، وعجز أصحابه عن أن يسلوا نفسه بما كانوا يقدمون إليه من تسلية أو عزاء . على انه لم يكن يحس فى نفسه شيئا من الموجدة على مولاه صفوان ، ولم يكن يضمر شيئا من البغض ، انما كانت موجدته كلها وحقده كله قسمة بين نفسه وبين امرأة من قريش ، هى سلافة بنت سعيد بن سهم زوج طلحة ابن عبد الله بن عبد العزى . كان واجدا على نفسه أشد الموجدة ، مبغضا لها أشد البغض لأنها أثمت بقتل هذا الرجل الشهيد ، وكان حانقا على سلافة حاقدا عليها لأنها هى أصل هذا الشر ، ومصدر هذا الاثم ، ومنشأ هذا البلاء . وكان يقول لأصحابه : لولا أن هذه المرأة الآثمة نذرت ما نذرت ، واذاعت ما اذاعت فى أهل البادية ، لما دفع صفوان الى ما دفع اليه ، ولما ظفر صفوان بما ظفر به ، ولما اشترى أسيره ، ولما انفذت أمره فيه . قال أصحابه وما نذر سلافة وماذا اذاعت فى الأعراب ؟ قال أتذكرون يوم حشدت قريش لحرب صاحبها فى يثرب كيف كان اشراف مكة موتورين يأكل قلبهم الغيظ ، وتملأ نفسهم الحفيظة ، وتضطرب امامهم أشباح الخزى . يذكرون هزيمتهم حين لقوا صاحبهم لأول مرة ففعل بهم الافاعيل ، وترك من اشرافهم صرعى لم يثوبوا الى أهلهم ولم يستمتعوا بتجارتهم تلك الرابحة التى انقذها أبو سفيان . ويشفقون أن يتراءى لهم الموت فلا يثبتوا له ولا يقدروا على النظر اليه فيفروا منهزمين كما فروا من قبل . ويتركوا صرعى من اشرافهم كما تركوا مثلهم من قبل .

هنالك اجمعوا أمرهم على أن يتقووا بالنساء ويتقوا بهن الهزيمة والعار ، فاختاروا منهن اعلاهن قدرا وارفعهن شأنا وأنبههن ذكرا واقدرهن على دفع الرجال الى غمرات الموت . وكانت سلافة بين هؤلاء النساء ، خرجت مع زوجها وبنيها الثلاثة ، وعادت مع المنتصرين أيما ثكلى قد فقدت زوجها وفقدت بنيها

ثم سكت نسطاس كأنما يستحضر هولا يروع النفوس ويخلع القلوب . ثم عاد الى حديثه فى صوت هادىء بعيد فقال : ان كانت لوقعة مروعة حقا تلك التى كانت عند يثرب . لقد عادت قريش تتحدث بالأعاجيب . لقد عادت تتحدث بالاخوان يسعى بعضهم الى بعض بالموت . لقد عادت تتحدث بالأمهات يدفعن أبناءهن الى أن يقتل الرجل منهم أخاه . لقد عادت تتحدث بأم مصعب بن عمير وقد قتل ابنها مصعب . فما كان لها أن تظهر عليه حزنا أو جزعا لأنه كان من خصم قريش وأصحاب محمد ، لقد عادت قريش منتصرة تتحدث بأمر سلافة هذه وقد فقدت زوجها وتلقت ابنيها احدهما بعد صاحبه يبلغها وقد أصابه السهم فتضع رأسه على حجرها وتسأله يا بنى من أصابك ؟ فيقول ما أدرى ، ولكنى سمعت قائلا يقول : خذها وأنا ابن الأفلح . ثم أصابنى السهم ،

(البقية على صفحة ٧١٥)

المسلمون أمس واليوم

للاستاذ أحمد أمين

في نحو ثلاثة وعشرين عاما استطاع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما منح من قوة العقيدة . وصدق العزيمة . وبعد النظر وتأييد الله أن يحول العرب من جماعات مختلفة اللغـــة ، مختلفة الدين ، مختلفة الرأى ، مختلفة الاهواء ، تشعر بالضعة اذا قارنت نفسها بمن حولها ، وبالذلة اذا رأت من في جوارها ، لا يفكر الفرد فيها الا في نفسه ، فان اتسع أفقه ففي قبيلته ، فان فكر في قبيلة أخرى ففي الانتقام والأخذ بالثار ، وشن الغارة للسلب والنهب — الى أمة واحدة ، متحدة اللغة ، متحدة الدين ، متحدة الرأى ، يشعر الفرد فيها أنه من أمة أعزها الله بالاسلام . وفضلها به على الأنام . وجعلهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . وليس ذلك بالكثير في تاريخ الأمم .

فان مات محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتعد اصلاحه جزيرة العرب ، فقد أعد أمة لاصلاح غيرها ، ولسيـــادة الناس خير اعداد — حتى اذا وجهها قادتها نحو الفتح ، أتوا بما حير علماء السياسة والاجتماع والتاريخ الى اليوم — بسطوا سلطانهم على جزء كبير من العالم في أقل من عشر سنين ، ولم يكن فتحهم تخريبا وتدميرا ، انما كان فتحا منظما أحكمت قواعده وأصوله — واستمروا ينتقلون من فتح الى فتح ، ومن ظفر الى ظفر ، مما يجعل الباحث يقتنع بأن نجاحهم لم يكن حظا أتيح لهم ، ولا مصادفة وقعوا عليها — انما كان نتيجة مبادىء صحيحة اعتنقوها ، ونفوس قوية ضمت صدورهم عليها — ومع ما عرض لهم من خلاف فيما بينهم كان من طبيعته أن يودى بامثالهم من حروب داخليـة ومنازعات سياسية وخلافات دينية ، تغلبوا على كل ذلك ، ولم يمنعهم من الظفر بعدوهم واستمرارهم في فتوحهم .

ثم هم ساهموا في كل شأن من شؤون المدنية ، إن نظرت الى الدين فقد دعوا الى دينهم فدخل الناس فيه أفواجا في هدوء من غير عنف ، ولم يمض قرنان على فتحهم حتى كان أكثر البلاد المفتوحة على دينهم ، ثم هو لا يزال ينتشر الى اليوم مع انعـــدام الدعاة ، وعدم حماية الدعوة ، وان نظرت الى اللغة رأيتهم هيئوا لغتهم لكل جديد ووسعوها — وهى البـــدوية الأصل والمنشأ . حتى أحاطت بكل مرافق المدنية إذ ذاك ، وحتى زاحمت الفارسية في فارس ، والرومانية في الشام والقبطية في مصر ، وسارت مع الدين جنبا لجنب ، كلما ظفر الدين ظفرت اللغة ، وكسبت لغتهم قادة الفكر في كل هذه الأمم المفتوحة . فأصبحوا يمنحونها خير أفكارهم وأفكار أممهم ، وظلت اللغة العربية تسود حتى نسى كثير من الامم لغتهم الاصلية ، وأحلوا محلها العربية ، ولو لم يعتنقوا الاسلام

وان نظرت الى النظم والتشريع فكذلك ، قد أقلم المشرفون أنفسهم وكانوا حيث حلوا مرنين يقفون موقف المتفهم للموجود من نظم وقوانين ثم يقرون ما لم يتعارض وأصول دينهم ، ويغيرون ما تعارض ، ووقف الفقهاء في كل قطر يوسعون مذاهبهم حسب الحاجة ، وحسب الأقليم الذى حلوه ، وخلفوا من كل ذلك قوانين لا تزال الى اليوم محل اعجاب المنصفين من المتشرعين

وان التفت الى العلم رأيت أنهم في كل فرع من فروع العلم أخذوا بحظ وافر ، لم يمنعهم دينهم أن يأخذوا عن وثني اليونان فلسفتهم ، ولا عن النساطرة طبهم ، ولا عن اليهود ما يروون من أخبار أنبيائهم وعلمائهم ، وأبلوا في العلم بلاء لا يقل عن بلائهم في الحرب ، فحيث حلوا رأيت علما كثيرا وجدا عجيبا ؛ ثم خلفوا من كل ذلك ثروة فيها غاية ما وصل اليه العلم لعهدهم . فهموا ما كان من علم قبلهم وتداولوه بالشرح والنقد وضموا اليه ما أوحته نظرات دينهم من علوم اسلامية ، ومذاهب دينية ، وزادوا في ثروة من قبلهم بما بذلوا من جهد وأنفقوا من مال ونفس

فلئن لم يكونوا سادة العالم فقد كانوا سادة في العالم ، وان لم يكونوا رأسه المفكر فقد كانوا رأسا من الرءوس ، لا عبيدا ولا أذنابا ، ووقفوا في بعض أيام تاريخهم من العالم موقف المعلم ؛ يرحل من اراد العلم من الاوربيين اليهم ، وينقلون الى اللاتينية كتبهم ، ويدرسون في جامعاتهم عليهم — وفي السياسة العالمية وقفوا موقف الموازن ، يسمع لقولهم ويحسب حسابهم ، وتعقد المعاهـــدات المحترمة معهم .

* * *

ثم دار الزمن دورته وأصبح سادة الأمس عبيد اليوم ورءوس الأمس أذناب اليوم ، وشباب الأمس هرم اليوم ، وقضى على حضارتهم

ماقضى على حضارة اليونان والرومان، والآشوريين والبابليين، وقدماء المصريين، الا فرقا واحداً وهو أن حامل لواء الحضارة الاسلامية لا يزال حيا وأن كان شيخا فانيا ، وان الشيخ ان لم يصب بالعقم فقد يلد طفلا يمر بأدوار الحياة ومنها الشباب ، وان الامم ان لم تمت فلها أيام ، فقد يكون للاسلام فجر وضحى ، وعصر وغروب ، ولكن لا يلبث الليل حتى ينجلي عن صبح آخر فيه كل صفات الصباح ، من نور وضياء ، و اشراق يدفع للحركة ، ونسيم يبعث الحياة

وبالفعل يظهر أن هذا الشيخ الفانى قد مات أو كاد ، وأن الله فالق الاصباح ويخرج الحى من الميت لم يصبه بالعقم ، ووهبه ماوهب زكريا «إذ نادى ربه نداء خفيا، قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . و انى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا»

ولكن إن ورث «يحيى» من زكريا علما وحكمة فانى أخشى أن يرث «يحيانا» تركة قد اثقلت بالديون وأفعمت بالمغارم ، فهل من سبيل الى أن يرث من آبائه الابعدين لا من آبائه الاقربين ؟ يحدثنا علماء الوراثة بأن ذلك جائز فى قوانينهم ، وأن بعض الابناء يرث من جده الأبعد لا من أبيه الأقرب ، ان كان ذلك كذلك نخير له فأن أباه أشعث أغبر ، لوحته الهموم ، وأحنت ظهره الاحداث ، أما جده البعيد فجميل المحيا ، مشرق الجبين ، صارع الدهر ، فصرع الدهر ، وأرادت أن تنال منه الاحداث فنال منها ، ولكن أنى لنا ذلك ، ومربوه من جنس أبيه ، فان لم تفسده الوراثة أفسدته البيئة وأفسده المربى وأفسده الموالى من ورائه يكيدون له ، ويضعون الخطط تلو الخطط لاغتياله . لا يكون ذلك حتى يرزق «يحيى» بالمثل الصالح ، والمربى الصالح ، يفتح عينيه ليرى ماحوله ، ويضع له البرامج ليعده أن يكون سيداً مع السادة ورأسا بجانب الرءوس ، يبنى صرح المدنية مع بناته ، ويشيد العالم مع مشيديه ، فأن كان العالم لا يسع الا مدنية واحدة شارك فيها ، وان كان يسع مدنيتين فا كثر ، أسس هو مدنية تتفق وروحه ، وعقليته ونفسيته ، ودينه وخصائصه .

***

من نحو خمسة قرون فقد المسلمون مركزهم العالمى ، وأصبحوا حيث حلوا عنوان الذل والعبودية ، وخلفاء الفقر والمسكنة ، ولم يكن تأخرهم راجعا الى بيئتهم كما يذهب بعض الباحثين ، فهم يسكنون بيئات تختلف حرارة وبرودة ، وتختلف خصبا وجدبا ، وتختلف جفافا ورطوبة ، وهم مع ذلك فى مستوى واحد من الضعة والتأخر ، على أن الأمر لو كان يرجع الى البيئة ماتداول عز وبؤس ، ونعيم وشقاء ، وسيادة الأشراف وصعلكة العبيد ، ولكانوا على حال واحد أبداً ، لأن البيئة تلازمهم أبداً — كما أن الأمر لا يرجع الى مايجرى فى عروقهم من دم ، فدمهم الذى يجرى فيهم اليوم هو من نوع الدم الذى كان يجرى فى عروقهم أمس ، وقد بطلت نظرية أن الله إختار من عباده جميعا شعبا واحدا عهد اليه تنظيم العالم وسيادته هو الشعب التيوتونى أو الشعب الآرى ، فليس من أمة الا وهى خليط من دماء مختلفة ولو كان كذلك لما عزوا وذلوا ، وعلوا وسفلوا ، وليس أمر المسلمين كذلك يرجع الى دينهم فدينهم قديما كان هو سبب سعادتهم وهو الذى انتشلهم من بؤس ، وأعزهم من ذل — والدين متى كان صالحا فى أسسه كالاسلام كان باعثا على الأصلاح لا الفساد ، وعلى النهوض لا الانحطاط ، انما هو ككل دين يختلف باختلاف العين التى تنظر اليه ، فان صلحت العين صلح ماتنظر اليه ، وان ساءت ساء ، بل قد رأينا فى تاريخ الامم عينا صحيحة ودينا مريضا استطاعت العين لصحتها أن تصلح منظره وتجمل شكله

على انى لا أرى أن المسلمين تأخروا وانحطوا بالمعنى الحرفى الذى يفهم من الكلمة أعنى الرجوع إلى الوراء ، بل كل ما فى الأمر أنهم وقفوا حيث كانوا من خمسة قرون ، وغيرهم سائرون ، وناموا وغيرهم أيقاظ ، فلما بدأوا ينتبهون رأوا الشقة بعيدة واللحاق يتطلب عزما قويا وجهدا بالغا

مظاهر هذا الوقوف وإن شئت فسمه الركود متجلية فى كل مرفق من مرافق الحياة — فى اللغة وهى أداة الثقافة ، وآلة العلم ووسيلة الرقى العقلى — وقفنا حيث انتهى الامر بالدولة العباسية ، ولم نساير الزمن ولم نخط معه خطواته ، تغير وجه الحياة ، واخترعت ألوف الآلات ، ومعاجم لغتنا - كما هى - لا تعترف الا بما كان ، وتهمل ماهو كائن وما سيكون ، فلا هى توسعت فى مدلول الكلمات العربية ووضعت منها أسماء للجديد ، ولا هى سمحت بالكلمات الاجنبية أن تدخل من غير تعديل أو بتعديل ، والخلاف محتدم ، والنزاع قائم ، ومركزنا كما هو لم تتقدم فيه شبرا — مع أنا واجهنا هذا الأمر منذ احتككنا بالمدنية الحديثة ، وحرنا فى تصرفاتنا فحينا

ندرس كثيرا من المواد في مدارسنا بلغة أجنبية وحينا تأخذنا العزة القومية فنحولها الى العربية ، والنقص كما هو والموقف كما هو

وفى التشريع تغير العالم فى معاملاته ، فانتجت المدنية الحديثة أنواعا من المعاملات عديدة ، وأنواعا من الجرائم جديدة ، ونظما في الحكم والقضاء ، فأبى رجالنا الا أن يقفوا حيث هم ، أبوا أن يفتحوا أعينهم لأنواع الشركات الا ما نص عليه فى الكتب القديمة من شركة مفاوضة ووجوه وعنان ، وأبوا أن ينظروا الى نظام الجمارك الا ما ورد فى كتب الفقه فى باب العاشر ، وأبوا أن ينظروا فى جرائم الكيوف والاختلاس والتزوير الا ما جاء فى باب التعزير فكان من الزمن أن تركهم فيما هم فيه ، وسلب من يدهم أوسع أبواب التشريع ، وهى مايتعلق بالمسائل المدنية والعقوبات واستمد من قانون نابليون اذ أبى ، بالعلماء أن يمدوه بالفقه اولم يترك في يدهم الا الأحوال الشخصية الى حين

وكان موقفنا فى الاخلاق موقفنا فى اللغة والتشريع ، فالمدنية الحديثة كان لها من الاثر ماغير قيم الاخلاق ، وقلب أوضاعها وطبعها بطابع جديد ، ذلك أن أكبر أسس المدنية الحديثة وأهم أركانها الصناعة — ومن أجل هذا قومت الاخلاق من جديد على أساس الصناعة ، ورتبت قائمة الاخلاق ترتيبا يتفق والصناعة ، فخير الاخلاق النظام ، والنظافة ، والصدق فى المعاملة ، والمحافظة على الزمن ، والاقتصاد ، وما إلى ذلك ، وجعلت هذه الصفات فى المنزلة الاولى ، ووضع للعمال نظم لحمايتهم وترقية شؤونهم من نقابات وجمعيات ، وقلبت القائمة التى وضعت فى القرون الوسطى رأسا على عقب ، فالحياء والتواضع والسماحة ونحوها قل أن تعد فضائل ، واذا سمح بعدّها فى ذيل القائمة لانها لاتتناسب مع أخلاق القوة وأخلاق الصناعة ، فليس خير الصناع اشدهم حياء ، وأكثرهم تواضعا ، ولكن خيرهم أقواهم وأمهرهم ، وأحفظهم على نظام ، وأشدهم مراعاة لموعد وهكذا — وجاء العلم يخدم هذا النظر لانه رقى الصناعات رقيا عظيما بفضل ما يقدمه لها كل يوم من مكتشف جديد ، وبجانب هذا تحكم العلم فى تقويم الأخلاق . فغير الانظار القديمة وجعل المقياس سعادة الناس ورفاهيتهم فى الحياة الدنيا ، ولم يعبأ بالتقدير المأثور عن السلف ، فنظر من جديد الى الموسيقى والالعاب وسائر الفنون ، وحكم بالحسن على ما كان يحكم عليه من قبل بالقبح ، وعد كثيرا مما كان قبل اثما وحراما وجريمة محمدة وخيرا وفضيلة ، ورأى أن ما فى حياة القرون الوسطى من رهبنة واعتكاف فى الاديرة والتكايا ونحو ذلك ، عيشة كسل وخمول لا تتفق وخير الناس ، فمن لم يعمل لا يأكل ، جرى كل هذا والمسلمون حائرون بين تقاليدهم القديمة وماتقدمه المدنية الحديثة من نظر جديد — والزمن لا ينتظرهم فى حل الاشكال واختيار أحد الطريقين ، فلما ترددوا جرفهم طوعا أو كرها من غير أن ينظرهم حتى يبتوا فيما يتفق وأخلاق المدنية الحديثة مع تقاليدهم ودينهم وتاريخهم وما لا يتفق .

ويطول بنا القول لو عددنا كل مرفق من مرافق الحياة وأبنا ما أصابه من ركود فنجتزىء بما ذكرنا من أمثلة للدلالة على باقيها .

* * *

ثارت أوربا فى التاريخ الحديث ثورات سياسية وثورات صناعية ، كان من نتائجها تغيرها تغيرا كبيرا فى القرن التاسع عشر فن الناحية السياسة حلت الديمقراطية محل الارستقراطية بما يتبع ذلك من تغير فى النظم والتشريع ، ومن الناحية الصناعية حلت المصانع الكبيرة والشركات ، والسكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات والكهرباء محل المظاهر الساذجة من صناعات يدوية وحمل على الخيل والبغال ، واستنارة بالشمع والزيوت ، وما الى ذلك وهذا التغير السياسى والصناعى هو مانسميه بالمدنية الحديثة . وتبع هذا التغير الداخلى فى أوربا ، تغير آخر خارجى ، فقد اتجهت أفكار قادة الرأى فيهم الى غزو آسيا وافريقيا وكان الباعث لها على ذلك جملة أمور ، أولها اقتصادى وهى أن تجد لها فى الشرق أسواقا لصناعاتها التى ذكرنا ولتجد لها فى الشرق مواد أولية لتغذية صناعتها ، وثانيها وطنى ، وهو أن كل أمة من امم أوروبا فشت فيها النزعة الوطنية وامتلأت نفوس أهلها حمية ، ودفعها ذلك لان تتطلب كل أمة قوة المظهر داخلا وخارجا ، ومن أهم ذلك التوسع فى الاستعمار وبسط النفوذ ، والفخر بلون الخرائط — وثالثها — وهو أقل من الاولين شأنا الدافع الدينى فقد دفع قوما من أوروبا لنشر الدعوة المسيحية فى البلاد الاسلامية واستعانوا بالسلطة على حمايتهم

على كل حال — حمل الأوروبيون الى آسيا وأفريقيا مدنيتهم مع فتحهم ، وكان لابد لهم أن ينظموا الحال فيهما بما يتفق والنظام السائد عندهم فى التشريع لابد أن تسود المبادىء القانونية السائدة فى أوربا حتى تسهل التجارة ويأمنوا على معاملتهم للشرقيين ، ولابد من انتشار المدنية الحديثة بآلاتها وأدواتها حتى تروج فى الشرق البضائع الأوروبية ، ولا بد أن يتعلم طائفة من المفتونين على النمط الاوروبى

الحديث ، وأن يكونوا هم المتولين المناصب الكبيرة حتى يمكن التفاهم معهم في تسيير الشؤون ، وهكذا كان من أثر انتشار هذه المدنية بين المسلمين نتائج كثيرة أهمها فيما يظهر لى أمران — الاول — اختلال التوازن بين الأمم الشرقية عامة والامم الاسلامية خاصة ، وأكبر ما تمنى به أمة اختلال توازنها ، ذلك أن المدنية الحديثة بما استتبعها من تغير فى مظاهر الحياة الاجتماعية ومن تعديل فى قيم الاخلاق ، كانت نتيجة لثورات داخلية شبت فيه ، وآمال وآلام جاشت فى صدره وتجارب جربها وأخطأ فيها فأصلح خطأه وهكذا كانت حركاته سلسلة متصلة تسلم حلقة منها الى حلقة ، ونسير فى التدرج فيها سيراً طبيعيا ، أما فى الشرق فجاءته هذه المدنية لا من داخل نفسه بل من خارجها ، وفرق كبير بين ما دعت اليه الطبيعة وما دعا اليه التقليد — ولاختلال هذا التوازن مظاهر كثيرة فان نظرت الى القضاء فقضاء شرعى فى الاحوال الشخصية يطبق نظم المدنية الاسلامية وقضاء اهلى يطبق نظم أوربا عصرة وقضاء مختلط يخالفهما ، وفى الحياة الاجتماعية نرى قرى لم يتأثر أهلها بالمدنية الحديثة فى قليل من شؤونهم ولا كثير ، ومدنا تأثرت الى حد كبير بها حتى فى أدق أمورها ، ولعل خير ما يمثل مظاهرنا المختلفة المضطربة اختلاف ملابسنا وتعدد أشكالها مما لا يعرف له نظير فى أوربا . وفى التعليم انواع تتبع الأنماط الاسلامية فى عصورها ، وأنماط تتبع المدنية الحديثة فى مظاهرها وأشكالها ، وهكذا فأن أنت نظرت إلى أية أمة اوربية فى كل مظاهر الحياة من لغة وتعليم وملبس ومظهر اجتماعى رأيت فيها وحدة رغم الاختلافات السطحية ، وان أنت نظرت الى حياة المسلمين فى كل مرفق من هذه المرافق لم تجد هذه الوحدة ووجدت الخلاف فى الصميم ، نرى نزعات تتجه نحو تاريخهم ودينهم ومدنيتهم القديمة ونزعات تتجه نحو المدنية الحديثة ولا رابطة تربط هذه النزعات — وترى ناحية من نواحى المدنية الحديثة تطغى وتكبر ولا يماثلها ما يقابلها فيطغى — مثلا — فى الشرق لهو أوربا من خمر ورقص وحياة مترفة وهى كثيرة فى أوربا كثرة تفوق بمراحل ما فى الشرق ، ولكنها فى اوربا تتعادل وتتوازن ، فلهو كثير يزنه جد كثير ، واجرام يوازنه حزم ، وليس كذلك فى الشرق فلهو لا يعدله جد واجرام لا يوازنه حزم — وعلى هذا النمط يختل التوازن وتفقد الأمة قوتها الحيوية — ولا يمكن أن تصلح هذه الحال إلا اذا توافر جماعة من خير الامة على دراسة الموقف الاجتماعى للمسلمين والشرق دراسة عميقة مسلحة بما وصل اليه علم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ ، ثم يضعون بعد هذه الدراسة الاكاديمية خططا للسير فى هذا الظرف العصيب ظرف الانتقال ، يعرفون الداء ويصفون الدواء ، يعلمون مدنيتهم القديمة والمدنية الحديثة ، ومعايب كل ، ومزايا كل ، ويعلمون الحالة النفسية لأممهم وما يناسبهم وما لا يناسبهم ويبنون « خطة الانتخاب » يعرفون مناحى اختلال التوازن وأسبابها ويرسمون طريقة « إعادة التوازن » .

والأمر الثانى من نتائج انتشار المدنية الحديثة بين المسلمين أمر يناقض الأول ويكاد يسير سيراً عكسيا معه ، ذلك أن انتشار التعاليم الجديدة للمدنية الحديثة واضطرار الاوربيين لتأليف فرقة من المسلمين يتكلمون لغتهم ، ويتعلمون مناهجهم ، ويتشربون مبادئهم ، أمكنت هذه الطائفة من الاطلاع على المبادئ التى تدعو الى الديموقراطية ، وتبث روح الوطنية ، فكان من ذلك أن أشربوا روح الثورة — نظروا الى أممهم بالعين التى نظرت الى هذه المبادئ ، فأيقنوا بحقهم فى الحياة ، وحقهم فى الاستقلال ، وحقهم أن يساهموا فى بناء صرح المدنية ، وأن يشاركوا فى تحمل أعباء الانسانية — وزادهم عقيدة فى ذلك ما رأوا من أن أوربا تحكم آسيا وأفريقيا على قاعدة مختصرة موجزة واضحة طبيعية ، وهى أنها تتجه فى تسيير آلات الحكم الى منفعتها هى ، فحيث اتفقت مصلحة آسيا وأفريقيا مع أوربا نفذت المصلحة المشتركة ، وحيث اختلفت مصلحة آسيا وأفريقيا مع مصلحة أوربا ، فطبيعى أن تنفذ مصلحة أوربا ، وقد ينظر فى تقدير المصلحة النظر الضيق القريب لا النظر الواسع البعيد — كان من جزاء هذا وذاك وجود الاصطدام وشعور الشرق بالغبن ، وقيام الطائفة المتعلمة على النمط الحديث ببث روح الوطنية — وعملت هذه الحركة فى النفوس سنين وتكفل الزمن بأن يظهر كل حين وآخر حادثة تفتح عيونهم وتقوى شعورهم ، فكان القلق فى كل مكان فى الشرق ، فى مصر ، فى تونس ، فى الجزائر ، فى مراكش ، فى فلسطين ، فى الشام ، فى العراق ، فى الهند ، فى غيرها من البلدان ، قلق اقتصادى وقلق وطنى وقلق دينى ، هذا القلق أنتج وليداً جديداً هو ما وصفته قبل ، ماذا ينتهى اليه هذا القلق ؟ ماذا يكون شأن هذا الوليد ؟ ما تاريخه المستقبل ؟ هذه الاسئلة وأمثالها خارجة عن عنوان مقالنا وهى بعنوان « المسلمون غدا » الصق واليق ، وكل ما أعلنه الآن وأريد أن أقوله عن هذا الطفل أنه « لن يموت » .

احمد امين

وحى الهجرة فى نفسى

للاستاذ مصطفى صادق الرافعى

ان التاريخ ليتكلم بلغة أوسع من ألفاظه إذا قرأه من يقرؤه على أنه بعض نواميس الوجود صورت فيها النفس الأنسانية ؛ كيف أعتورت أغراضها ، وكيف مدت فى نسقها ، وكيف تغلغلت فى مسالكها ، وما تأتى لها فجرت به مجراها ، وما دفعها فانحدرت منه الى مقارها . فهو ليس بكلام تستقبله تقرأ فيه ، ولكنه أحوال من الوجود تعترضها فتغير عليك حسك بالهامها وأحلامها ؛ وتتناولها من ناحية فتتناولك من الأخرى ، فاذا الكلمة من ورائها معنى ، من ورائه طبيعـــة ، من ورائها سبب وحكمة ، واذا كل حادثة فيها انسانيتها وإلهيتها معاً ، واذا الوجود فى ذهنك كالساعة ترسم لك حد الثانية بخطرتين ، وحد الدقيقة من عدد محدود من الثوانى ؛ ثم حد الساعة إلى حد اليوم ، واذا البيان فى نفسك من كل هـذه الحواشى ، واذا التاريخ فيما تقرؤه مفتن فى ظاهره وباطنه يفىء عليك من ألفاظه ومعانيه بظلال هى صلتك أنت أيها الحى الموجود بأسرار ما كان موجوداً من قبل .

كذلك قرأت بالأمس تاريخ الهجرة النبوية فى كتاب أبى جعفر الطبرى لأكتب عنه كلمة فى « الرسالة » فلم أكن علم الله ــ فى كتاب ولا فى حكاية ؛ بل فى عالم انبثق فى نفسى مخلوقا تاما بأهله وحوادث أهله ، وأسرار أهله وحوادثه جميعا ، كما يرى المحب حبيبه ، لا يكون الجبل فى محل الا امتلأ مكانه بعاشقه ؛ فهو مكان من النفس والدنيا ، لا من الدنيا وحدها ، وفيه الحياة كما هى فى الوجود بمظهر المادة . وكما هى فى الحب بمظهر الروح . وتلك حالة من القراءة بالروح والكتابة بالروح متى أنت سموت إليها رأيت فيها غير المعنى يخرج معنى ، ومن لا شىء تخلق أشياء ؛ لانك منها اتصلت بأسرار نفسك ، ومن نفسك اتصلت بأسرار فوقها ؛ فيصبح التاريخ معك فن الوجود الانسانى على الوجه الذى أفضيت به الحكمة الى الحياة لتستمر بالنفس الأنسانية ، لا فن علم الناس على الوجه الذى أفضت به الحوادث ما بين الحياة والموت

***

نشأ النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة واستنبىء على رأس الأربعين من سنه ، وغبر ثلاث عشرة سنة يدعوا الى الله قبل أن يهاجر الى المدينة فلم يكن فى الاسلام أول بدأنه إلا رجل وامرأة وغلام : أما الرجل فهو هو صلى الله عليه وسلم ، وأما المرأة فزوجه خديجة ؛ وأما الغلام فعلى ابن عمه أبى طالب . ثم كان أول النمو فى الاسلام بحر وعبد : أما الحر فابو بكر . وأما العبد فبلال . ثم اتسق النمو قليلا قليلا بطء الهموم فى سيرها ، وصبر الحر فى تجلده ، وكأن التاريخ واقف لايتزحزح ، ضيق لايتسع ؛ جامد لاينمو : وكان النبى صلى الله عليه وسلم أخو الشمس ؛ يطلع كلاهما وحده كل يوم . حتى اذا كانت الهجرة من بعد : فانتقل الرسول الى المدينة ــ بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فضغطها فحركها ، وكانت خطواته فى هجرته تخط فى الارض ، ومعانيها تخط فى التاريخ ؛ وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب .

لقد كان فى مكة يعرض الاسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين ، يرونه بريقا وشعاعا ، ثم لاقيمة له وما بهم حاجة اليه ، وهو حاجة بنى آدم إلا المتوحشين ، وكانوا فى المحادة والمخالفة الحمقاء ، والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والإساطير ــ كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى ليالى القر الى مداواة جسمه بأشعة الكواكب : وكانت مكة هذه صخرا جغرافيا يتحطم ولا يلين ، وكأن الشيطان نفسه وضع هـذا الصخر فى مجرى الزمن ليصد به التاريخ الاسلامى عن الدنيا وأهلها .

وأوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذب وأهين ، ورجف به الوادى ، يخطوا فيه على زلازل تتقلب ، ونابذه قومه وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضا عليه ، وانصفق عنه عامة الناس وتركوه إلا من حفظ الله منهم ، فأصيب كبيرا باليتم من قومه ، كما أصيب صغيراً باليتم من أبويه .

وكان لايسمع بقادم يقدم من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض نفسه عليه ، ومع ذلك بقيت الدعوة تلوح وتختفى كما يشق البرق من سحابة على السماء ، ليس إلا أن يرى ثم لا شىء بعد أن يرى !

***

فهذا تاريخ ماقبل الهجرة فى جملة معناه . غير أنى لم أقرأه تاريخاً ، بل قرأت فيه فصلاً رائعا من حكمة الالهيـة ، وضعه الله

كالمقدمة لتاريخ الاسلام فى الأرض ، مقدمة من الحوادث والأيام تحيا وتمر فى نسق الرواية الالهية ، المنطوية على رموزها وأسرارها ، وتظهر فيها رحمة الله تعمل بقسوة ، وحكمة الله تتجلى فى غموض ، فلو أنت حققت النظر لرأيت تاريخ الاسلام يتأله فى هذه الحقبة ، بحيث لاتقرؤه النفس المؤمنة إلا خاشعة كأنها تصلى ، ولا تتدبره إلا خاضعة كأنها تتعبد .

بدأ الإسلام فى رجل وامرأة وغلام ، ثم زاد حرا وعبدا ، أليست هذه الخمس هى كل أطوار البشرية فى وجودها ، مخلوقة فى الانسانية والطبيعة ، ومصنوعة فى السياسة والاجتماع ؟ فهاهنا مطلع القصيدة ، وأول الرمز فى شعر التاريخ .

ولبث النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة لايبغيه قومه إلا شرا ، على أنه دائب يطلب ثم لايجد ، ويعرض ثم لايقبل منه ، ويخفق ثم لايعتريه اليأس ، ويجهد ثم لايخونه الملل ، ويستمر ماضيا لايتحرف ، ومعتزما لايتحول ، أليست هذه هى أسمى معانى التربية الانسانية ، أظهرها الله كلها فى نبيه ، فعمل بها وثبت عليها ، وكانت ثلاث عشرة سنة فى هذا المعنى كعمر طفل ولد ونشأ وأحكم تهذيبه بالحوادث حتى تسلمته الرجولة الكاملة بمعانيها ، من الطفولة الكاملة بوسائلها ؟ أفليس هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم ، غناه فى قلبه ، وقوته فى إيمانه ، وموضعه فى الحياة موضع النافع قبل المنتفع ، والمصلح قبل المقلد . وفى نفسه من قوة الحياة مايموت به فى هذه النفس أكثر مافى الأرض والناس من شهوات ومطامع ؟

ثم أليست تلك العوامل الأخلاقية هى هى التى ألقيت فى منبع التاريخ الاسلامي ليعب منها تياره ، فتدفعه فى مجراه بين الأمم ، وتجعل من أخص الخصائص الاسلامية فى هذه الدنيا — الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدم ، وعلى الحق وإن لم يتحقق ؛ والتبرؤ من الأثرة وإن شحت عليها النفس ، واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط ، ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب ، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر ، والعمل للعمل وإن لم يأت بشىء ، والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة ، وبقاء الرجل رجلا وإن حطمه كل ما حوله ؟

ثم هى هى البراهين القائمة للدهر قيام المنارة فى الساحل — على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، تثبت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس أنه روح وغاياتها المختومة بالقدر ، لاجسم ووسائله المتغلبة بالطبيعة ، ولو كان رجلا ابتعثه نفسه لتنحل الحيل لسياسته ، ولأحدث طمعا من كل مطمع ، ولركد مع الحوادث وهب ، ولما استمر طوال هذه المدة لايتجه وهو فرد إلا اتجاه الإنسانية كلها كأنما هو هى .

ولو هو كان رجل الملك أو رجل السياسة لاستقام والتوى ، ولأدرك ما يبتغى فى سنوات قليلة ، ولأوجد الحوادث يتعلق عليها ، ولما أفلت ماكان موجودا منه يتعلق به ، ولما انتزع نفسه من محله فى قومه وكان واسطة فيهم ، ولا ترك عوامل الزمن تبعده وهى كانت تدنيه . قالوا إن عمه أبا طالب بعث إليه حين كلمته قريش فقال له . يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق على وعلى نفسك ، ولاتحملنى من الأمر مالا أطيق ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال : ياعماه ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر صلى الله عليه وسلم فبكى ، يا دموع النبوة ! لقد أثبت أن النفس العظيمة لن تتعزى عن شىء منها بشىء من غيرها كائنا ماكان ، لا من ذهب الارض وفضتها ، ولا من ذهب السماء وفضتها ، إذا وضعت الشمس فى يد والقمر فى الأخرى .

وكل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست إلا دليل ذلك الزمن على أنه زمن نبى ، لا زمن ملك أو سياسى أو زعيم ؛ ودليل الحقيقة على أن هذا اليقين الثابت ليس يقين الانسان الاجتماعي من جهة قوته ، بل يقين الانسان الالهى من جهة قلبه ؛ ودليل الحكمة على أن هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التى تنشرها عدوى النفس للنفس ، فها هو ذا لا يبلغ أهله فى ثلاث عشرة سنة أكثر مما تبلغ أسرة تتوالد فى هذه الحقبة ؛ ودليل الانسانية على أنه وحى الله بإيجاد الإخاء العالمى والوحدة الانسانية . أفلم يكن خروجه عن موطنه هو تحققه فى العالم ؟

ثلاث عشرة سنة ، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ليس رجل ملك ، ولا سياسة ، ولا زعامة ، ولو كان

واحداً من هؤلاء لأدرك في قليل ؛ وليس مبتدع شريعة من نفسه ، وإلا لما غبر في قومه وكأنه لم يجدهم وهم حوله ؛ وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس في انتشارها ، ولو كانه لحلهم على محضها وممزوجها ؛ وليس رجلا متعلقا بالمصادفات الاجتماعية ، ولو هو كان لجعل ايمان يوم كفر يوم ؛ وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة ؛ ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمخ في أرضه شموخ جبل فيها ، دون أن يحاول ما بلغ اليه من إطلاله على الدنيا إطلال السماء على الارض ؛ ولا رجل حاضره إذ كان واثقا دائما أن معه الغد وآتيه ، وإن أدبر عنه اليوم وذاهبه ؛ ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه ؛ ولا رجل شخصيته يستهوي بها ويسحر ؛ ولا رجل بطشه يغلب به ويتسلط ؛ ولا رجل الأرض في الأرض ، ولكن رجل السماء في الأرض .

هذه هي حكمة الله في تدبيره لنبيه قبل الهجرة ، قبض عنه أطراف الزمن ، وحصره من ثلاث عشرة سنة في مثل سنة واحدة ، لا تصدر به الامور مصادرها كي تثبت أنها لا تصدر به ؛ ولا تستحق به الحقيقة لتدل على أنها ليست من قوته وعمله . وكان صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو في حدود نفسه وضيق مكانه يتسع في الزمن من حيث لا يرى ذلك أحد ولا يعلمه ، وكأنما كانت شمس اليوم الذي سينتصر فيه ، قبل أن تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة ـ مشرقة في قلبه صلى الله عليه وسلم .

والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يؤخرونه ، لأنه من سر الكون كله ؛ والسحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح ؛ ومع النبي من مثل ذلك برهان الله على رسالته ، إلى أن نزل قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » فحل الفصل ، وانطلقت الصاعقة ، وكانت الهجرة .

تلك هي المقدمة الالهية للتاريخ ، وكان طبيعيا أن يطرد التاريخ بعدها ، حتى قال الرشيد للسحابة وقد مرت به أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك .؟

مصطفى صادق الرافعي

٥ — صور من التاريخ الاسلامي

الهجرة

للاستاذ عبد الحميد العبادي

كان من أثر الاتجاه المادي الحديث في فهم حوادث التاريخ وتعليلها أن أصبح المؤرخون أشبه شيء بالفلاسفة الكلبيين القدماء الذين كانوا يجردون الانسان من عاطفة الخير ، ويعتقدون أنه أناني بطبعه ، لا يصدر عنه الخير الا رئاء ونفاقا ، ولكن من حسن حظ الحقيقة والفضيلة أن بعض أحداث التاريخ يكذب هذه الدعوى وينقضها نقضا صريحا ، ولست أجد في التاريخ الاسلامي انقض لتلك الدعوى وأشد تكذيبا من حديث الهجرة التي وقعت زمن النبوة ، سواء أكانت هجرة الحبشة أم الهجرة الى المدينة ، ففي كلتا الهجرتين تجد الاخلاص للعقيدة مجسما محسوسا ، والتنزه عن حطام الدنيا واضحا ملموسا . وإلى القارىء أسوق المقال الآتي توضيحاً لهاتين الهجرتين في ضوء الحياة العامة التي ابتعثتهما وأدت اليهما

* * *

لقد حمل الاسلام من أول الأمر على ما كان لقريش من نظم بالية عتيقة حملة عنيفة لا مواربة فيها ولا هوادة . فكان محمد يقرع أسماع قومه بما يتنزل عليه من القرآن ناعيا عليهم وثنيتهم المنحطة ، ونظامهم الاجتماعي الذي فرقهم أغنياء وفقراء وسادة وعبيداً ، مهجنا تكاثرهم بالاحساب والانساب ، مقبحا طرقهم الملتوية في المعاملات من تطفيف الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل ، محذراً لهم ان هم أصروا على عتوهم واستكبارهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم عندما أعرضت عما بعث به اليها الرسل من أسباب الهداية والاصلاح .

لم يجب هذه الدعوة التي تكفلت بخيري الدنيا والآخرة إلا فريق قليل العدد وسيط المكانة في المجتمع القرشي . أما الملأ من قريش فرأوها دعوة صريحة الى الفوضى وقلب الاوضاع . ورأوا في محمد ثائراً يريد هدم النظم التي درجت عليها الجمهورية

المكية من قديم . ثم من يدريهم لعلهم ان هم اتبعوه التاث عليهم الامر واضطرب الحبل ، فان الهدم عادة أيسر من البناء . تلك كانت حجتهم فى عـــدم متابعته ، وهى حجة الجامدين على المصلحين فى كل زمان ومكان .

وكان موقف قريش من محمد أول الأمر سلبيا محضا . ولكن محمدا كان النشاط واللباقة والفصاحة وقوة الخلق مجتمعة ، فوجدت قريش نفسها بازاء رجل لا كالرجال ، وخصم ليس كغيره من الخصوم ، فهى إن لم تعاجله عاجلها ، وإن لم تقض عليه قضى عليها . لذلك أخذت تنهج فى مقاومته خطة ايجابية تدرجت فيها تدرجا . فكانت أول الأمر تستهزئ به وبدعوته وبمن اتبعه ، فهو شاعر وساحر ومجنون ، ودعوته انما هى محض خداع وغرور ، وأتباعه ليسوا الا أراذلها وسفلتها ، ثم جعلت تحاول اعجازه ومعاياته . ان يكن صادقا فيما يدعى فليحول جبال مكة جنانا وأنهارا ، أو فليكن له بيت من زخرف ، أو ليرق فى السماء ، أو فليسقط السحاب عليهم كسفا ، أو فليأت بالله والملائكة قبيلا . ثم انتقلوا من هذه المعاياة الدالة على قصر عقولهم الى التعريض له بالمال والسلطان . فلما أعيتهم فيه الحيل ورأوا وقوف عشيرته دونه أخذوا يفتنون أصحابه بالأذى والعذاب . فمنهم من كان يثبت على رأيه وعقيدته ، ومنهم من كان يفتتن من شدة البلاء .

عند ذلك أمر الرسول أصحابه بالهجرة التى هى آخر مايلجأ اليه المحق الضعيف فى مقاومة المبطل القوى . أمرهم بالهجرة الى أرض الحبشة فهى أرض قديمة الصلة بمكة ، وبها ملك نصرانى رشيد لا يضام من يلجأ اليه ويحتمى بحماه

فخرج من مكة فى شهر رجب من سنة خمس للنبوة زهاء مائة مسلم ومسلمة ، وكلهم جاز البحر الاحمر من الشعيبة الى بر الحبشة ، فتلقاهم النجاشى لقاء حسنا وأذن لهم فى المقام بأرضه آمنين على دينهم وأنفسهم ، وقد أبى أن يخفر ذمته لهم عندما ارسلت اليه قريش فى رد اللاجئين اليه . فلما تبدلت الأحوال بالحجاز وعلا شأن الأسلام به جعل هؤلاء المهاجرون يعودون الى الحجاز . وكانت عودة بقيتهم الى المدينة سنة سبع للهجرة أى بعد أن لبث بأرض الحبشة نحو خمسة عشر عاما ، وقد جزت الرواية الاسلامية النجاشى عن صنيعه هذا بأن اعتقدت اسلامه ، وبأن النبى صلى الله عليه وسلم قد صلى عليه عندما بلغته وفاته .

ولما رأت قريش خروج من خرج الى الحبشة من اصحاب محمد أرادت ان تحسم مادة الخطر فاجتمعت كلمة ملئها على حبس محمد وعشيرته من بنى هاشم والمطلب فى بعض شعاب مكة ، وعلى أن يقطعوا كل أسباب الاتصال بينهم وبين جمهور قريش ، وقد أنفذت هذا الحكم ، وقضى بنو هاشم والمطلب فى الشعب نحو ثلاث سنين قاسوا فيها جهدا جاهدا حتى لقد كان يسمع صوت صغارهم من وراء الشعب وهم يتضورون جوعا . واخيرا قام فى قريش من عطفته عليهم عاطفة الرحم والقرابة فسعى فى اخراجهم من الشعب فأخرجوا

على أن الرسول لم ينعم بتلك الحرية التى سيقت اليه طويلا . فى السنة العاشرة للنبوة أصيب بفقد عمه أبى طالب وزوجه خديجة ، فخلا الميدان من النصير الذائد ، وخلا البيت من الحبيب المؤنس . واصبح محمد وجها لوجه أمام عدو حنق عليه كان يترقب فيه الفرصة ، فلما امكنت استغلها استغلالا . فجعل يأخذ عليه المذاهب ويغرى به السفهاء يتعمدونه بالأذى والهوان

عند ذلك أخذ الرسول يفكر فيما كان قد أشار به على أصحابه منذ سنين عند ما اشتد تحامل قريش عليهم : أخذ يفكر هو أيضا فى الهجرة . لقد دلته تجارب سنوات عشر على أن دعوته توشك أن تذهب بمكة صرخة فى واد ونفخة فى رماد ، واذا فنعم المقام بواد غير ذى زرع حقيقة ومجازا ؟ فليهاجر ! ذلك ما قر عليه رأيه . ولكن على ألا يتخطى حدود بلاد العرب فهو مبعوث الى العرب أولا والى سائر الناس أخيرا . فليخرج الى اقرب قرية عربية من مكة : الى الطائف ، لعل ثقيفا تجيره حتى يبلغ رسالته . ولكن ثقيفا لم تكن أبر به من قريش ، فقد أعرضت عن سماع دعوته وضنت عليه بجوارها ، ثم زادت فأغرت به سفهاءها ، فما زالوا يتعقبونه حتى ألجأوه هو ومولاه زيد بن حارثه الى حائط من حوائط ثقيف . وهنا — وقد خلا الى نفسه وربه — فاضت أشجانه واعتلجت فى صدره همومه ، فانبعث يناجى ربه « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ! يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك ،

ثم نهض من مكانه يريد مكة فلم يدخلها الا فى جوار سيد من ساداتها هو المطعم بن عدى . وكف محمد مؤقتا عن توجيه الدعوة الى قريش واكتفى بعرض نفسه على قبائل العرب فى مواسم الحج لعل قبيلة تصغى اليه فينتقل اليها ويبلغ دعوته فى ظلها وسلطانها . فكانت القبائل ترد عليه بانه لو كان صادقا لاتبعه قومه ، الا ما كان من أمر اهل يثرب . ففى عام ١١ للنبوة لقى النبى عند العقبة ستة نفر من الخزرج فعرض عليهم الاسلام فآمنوا وصدقوا ، ووعدوه أن ينشروا الدين الجديد فى قومهم . تلك بيعة العقبة الأولى . فلما كان العام القابل وافى الموسم من الأوس والخزرج اثنا عشر رجلا ، لقوا النبى عند العقبة ايضا فبايعوه على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يشرع القتال « على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف . فأن وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عز وجل ، أن شاء غفر ، وأن شاء عذب » تلك بيعة العقبة الثانية ، وبعث الرسول معهم صاحبا من اصحابه دينا لبقا فطنا ليفقه القوم فى الدين ، وفى الوقت نفسه ليخبر أحوال يثرب العامة ويسبر غورها وينهى الى النبى ما يصل اليه من ذلك . ذلك هو مصعب بن عمير . وقد أدى مصعب بن عمير واجبه أحسن أداء وأتمه ، ثم عاد الى مكة فاطلع الرسول على حال يثرب ومقدار نجاح الدعوة الأسلامية بها . فلما حل موسم الحج وافى مكة جم غفير من الاوس والخزرج ، مسلمهم ومشركهم . فواعد المسلمون منهم رسول الله ان يلقوه عند العقبة ليلا ، وقد لقيه منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، فبايعوا الرسول بيعة العقبة الكبرى المشهورة وهى تقوم على تعهد الاوس والخزرج بالدفاع عن الرسول والحرب من دونه . يقول الطبرى « فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة واعطوه عهودهم ، على انا منك وانت منا ، وعلى أنه من جاءنا من اصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه انفسنا ، وبهذه البيعة أصبح للرسول بيثرب أنصار يؤوونه ويذودون عنه .

***

لكى ندرك السبب فى مسارعة الاوس والخزرج الى قبول الدعوة الاسلامية ومبايعة الرسول على الدفاع عنه ، ينبغى أن نلم بحال يثرب فى السنوات السابقة على الهجرة من الناحيتين الدينية والسياسية ، فمن الناحية الدينية كانت اليهودية قد حرثت المدينة وأعدت الأنصار لقبول الدعوة الاسلامية ، لأنهم اهل كتاب منزل ودين مشروع . وكان الأوس والخزرج يلقفون منهم معنى النبوة والرسالة والوحى ونحو ذلك من المصطلحات الدينية . ثم أن اليهود كانوا كدأبهم يتوقعون ظهور نبى منهم يجمع شملهم ويعيد اليهم سلطانهم ويقهر بهم أعداءهم ، وكانوا لا يعدمون أن يبوحوا بشىء من ذلك لمواطنيهم من الأوس والخزرج . قال ابن اسحق عند كلامه على استجابة الانصار لدعوة النبى فى بيعة العقبة الاولى : « وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم . فكانوا اذا كان بينهم شىء قالوا لهم ان نبيا مبعوث الآن ، قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وأرم . فلما كلم رسول الله (ص) أولئك النفر دعاهم الى الله قال بعضهم لبعض : ياقوم تعلموا ، والله انه للنبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ،

قد يكون تصوير حالة المدينة السياسية قبيل الهجرة أبلغ من تصوير الحال الدينية فى فهم قبول الأنصار دعوة النبى والتزامهم الدفاع عنه ببلدهم . لقد كانت الحياة العامة بالمدينة مضطربة أشد الأضطراب من جراء حرب الاوس والخزرج التى سببها ما كان بين الفريقين من دماء وثارات . وكانت الغلبة بوجه عام فى تلك الحرب للخزرج على الأوس ، حتى لقد همت الأوس حوالى السنة العاشرة قبل الهجرة ان تجلو عن المدينة جملة ، وأخذت تفاوض قريشا فى ان تأذن لها بالنزول عليها بمكة ، ولكن قريشا كانت أحرص من ان تأذن بذلك ، فلما طلبت اليها الأوس ان تحالفها على الخزرج أبت ان تتورط فى شىء من ذلك أيضا . فعادت الأوس تلتمس الحلف من يهود يثرب وخاصة قريظة والنضير . وكان اليهود قد وقفوا من تلك الحرب موقف الحياد المطلق ، فلما بلغ الأمر الخزرج أرسلت الى اليهود تحذرهم عاقبة هذا الحلف ان تم ، فلما أكد اليهود أنهم غير محالفى الاوس عادت الخزرج تطلب منهم رهنا اربعين غلاما من غلمانهم يكونون بأيديهم ضمانا لهذا الحياد . فلم يسع اليهود الا أن يسلموا اليهم الضمان الذى طلبوا . ولكن الخزرج كانت قد قرمت الى ارض قريظة والنضير وكانت أغنى بقاع يثرب ، فأقبلت تتجنى على اليهود وتخير قريظة والنضير بين أمرين كلاهما شر : فاما ان يجلوا عن يثرب

ويترلوا لهم عن أرضهم ، وإما ان تقتل غلمانهم . فلما رأت اليهود ان الخزرج قد لجت فى طغيانها ، وأن حيادها لن يجر اليها خيرا ، عند ذلك خرجت من حيادها وحالفت الأوس صراحة ، فقتلت الخزرج الغلمان وعقدت حلفا مع القبيلة اليهودية الثالثة بالمدينة قبيلة بنى قينقاع وبذلك استحالت يثرب عسكرين تشحذ فيهما السيوف وتراش النبال استعدادا للواقعة الفاصلة .

وقد وقعت الواقعة الفاصلة فى يوم بعاث الذى كان قبيل الهجرة بنحو خمس سنين . فى ذلك اليوم أديل للأوس وحلفائها من الخزرج وحلفائها ، وقتل من الفريقين يومئذ عدد كبير من سادات الناس وأشرافهم . جاء فى صحيح البخارى عن عائشة : « كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلعم ، فى دخولهم فى الاسلام ، فقدم رسول الله صلعم وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم » ويفسر السمهودى هذا الحديث بقوله : « ومعناه انه قتل فيه من أكابرهم من كان لا يؤمن أن يتكبر ، ويأنف ان يدخل فى الاسلام » الى ان يقول : « وقد كان بقى معهم من هذا النمط عبد الله بن أبى بن سلول . . . وكذلك ابو عامر الراهب . . . فشقيا بشرفهما » .

ورأى أهل يثرب غداة يوم بعاث أن الحرب مهلكة النفوس متلفة الاموال ، وأنها يشقى بها الغالب والمغلوب جميعا ، وأنه أولى بهم أن يقيموا بيثرب حكومة تزع القوى وتأخذ بناصر الضعيف .

وكان عبد الله بن أبى بن سلول الخزرجى قد رأى غدر قومه فى الحرب فلم يخض غمارها معهم وامتنع من قتل من كان بيده من غلمان يهود ، ولذلك اتجهت اليه أنظار القوم وهموا ان يملكوه على يثرب ، وأقبلوا ينظمون له الخرز ، وكان ذلك شارة الملك عندهم . ولكن يظهر أنه لم تكن هناك رغبة صادقة فى تمليكه . أما الأوس فكانت تكره أن يصير الأمر الى خزرجى مهما تكن فضائله ، وأما الخزرج فقد كبر على كثير من أحيائها أن تولى رجلا وسمها بالغدر وخذلها عند الحرب ، فكان بذلك مسؤولا الى حد ما عن هزيمتها . وأما اليهود فلا شك فى أنها كانت تستنكف أن يلى أمرها مشرك ولو كان ابن أبى نفسه .

فلما التقى حجاج الأوس والخزرج بالرسول بموسم الحج واطلعوا على سيرته وحاله وجدوا فيه ضالتهم المنشودة . فهو وحده الرجل الذى تستقيم على يده حالهم المختلة ، وتجتمع على حكومته آراؤهم المختلفة ، هو نبى عربى يتنزل عليه الوحى من السماء ، وبذلك يحتجون به على اليهود .

نعم إنه من الناحية السياسية يعتبر أجنبيا عن يثرب ، ولكن حكومته لن تكون أجنبية . أليس الانصار هم الذين سيكونون عدته ومادته ؟ فأى حكومة ليثرب يمكن أن تفضل هذه الحكومة ؟ اذن فليعدلوا عن تمليك ابن أبى ، وليبايعوا محمدا ، ولكن ذلك فى غيبة ابن ابى وليكتموا ذلك الأمر عنه كتمان النبى إياه عن قريش .

تلك كانت الحال المعنوية للانصار عندما بايعوا النبى بيعاتهم الثلاث بمكة . قال ابن اسحق عند كلامه على العقبة الأولى « . . . وقالوا له (للنبى) انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم » وروى ابن اسحاق أيضا عند كلامه على بيعة العقبة الكبرى « . . . فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها ، يعنى اليهود ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم ! والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » . فالمسألة من ناحية الانصار لا تعدو أن تكون حلفا سياسيا قوامه الفكرة الدينية . أما من ناحية الرسول فلم تكن كذلك . فالرسول انما كان يريد اذ ذاك بلدا يأمن فيه على دعوته واصحابه ، وقوما يحمون ظهره حتى يبلغ رسالته . وقد أصبح ذلك مكفولا له بالبيعة الأخيرة ، واذن فلم يبق الا الرحيل من مكة الى المدينة

٭٭٭

ورأى الرسول اغتنام الوقت فأذن لأصحابه فى الخروج إلى يثرب فى أواخر ذى الحجة من السنة الثالثة عشرة للنبوة . فجعلت جماعاتهم عند ما استهل المحرم تخرج من مكة أرسالا وتنزل على الانصار فى دورهم : فخرج فى نحو شهرين زهاء المائتين . وقد أقفرت دور برمتها بسبب الهجرة . من ذلك دور بنى مظعون وبنى جحش وبنى البكير . قال ابن هشام « فغلقت دار بنى جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام ابن المغيرة . . . وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر اليها عتبة ابن ربيعة تخفق أبوابها يبابا ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال :

وكل دار وان طالت سلامتها يوماستدركها النكباء والحوب

ثم قال هـذا عمل ابن أخى هذا ، فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا » ولم يبق بمكة من المسلمين الا النبي وأبو بكر وعلى والامن كان مفتونا أو محبوسا أو مريضا أو ضعيفا عن الخروج .

وأحست قريش الخطر الذى أصبح يتهددها من جراء تلك الهجرة وذلك الحلف الذى عقده محمد مع أهل يثرب . فاجتمع ماؤها في دار ندوتها ليقلب الأمر على وجوهه ويصدر فيه رأيا حاسما . وهنا افترقت بها الآراء وتشعبت المذاهب ، فمنهم من رأى أن يحبس محمد حتى يموت ، ومنهم من رأى أن ينفى من البلد ، ومنهم من رأى قتله . والظاهر أن الرأى الأخير هو الذى اجتمعوا عليه آخر الأمر . وإلى هذه القصة كلها يشير القرآن بقوله « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، ثم رأوا أن يقتلوه بحيث تمتنع على عشيرته المطالبة بدمه فأمروا فتيانا من بطون قريش أن يضربوه ضربة رجل واحد وبذلك يتفرق دمه فى القبائل ويرضى بنو هاشم بديته .

ولكن رسول الله كان قد نذر بذلك فأسرع الى الخروج خفية من داره الى دار صديقه أبى بكر وكان قد أعد عدة السفر الى المدينة ، دليلا وظهرا وخادما وزادا . وخرج الرسول وابو بكر الى غار بجبل ثور بقيا به ثلاثة أيام اهتاجت فيها قريش اهتياجا شديدا وجعلت لمن يأتى بالنبي حيا أوميتا جعلا سنيا . والى حادث الغار يشير القرآن بقوله « الاتنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه ، لاتحزن ، ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز ذو انتقام »

توصف الارض التي بين مكة والمدينة بأنها حزنة وعرة موحشة ، ليس بها ما يرفه عن المسافر فى بلاد العرب من ماء او خضرة ثم هى يشقها طريقان : أحداهما شرقية محاذية لنجد ويجاوز طولها الثلاثمائة ميل بقليل ، والآخرى غربية محاذية لساحل البحر الاحمر ويقرب طولها من مائتين وخمسين ميلا . وقد آثر الدليل الذى اتخذه ابوبكر هاديا له وللرسول أثناء السفر سلوك الطريق البحرية . غير انه كان ينحرف يمنة ، ويسرة تضليلا لمن عسى ان ترسله قريش فى اثرهم . فخرج بالجماعة من جبل ثور اسفل مكة فبلغ عسفان وهنا أدرك الجماعة سراقة بن مالك طامعا فى قتل الرسول وأخذ جعل قريش ، ولكنه وجد نفسه أمام اربعة أشداء فكان قصاراه ان نجا بنفسه بعد ان أعطى الرسول وأصحابه موثقا الا يدل عليهم . ثم سار الدليل بهم الى أمج فقديد ، فلما قارب بدرا مال بهم يمنة الى العرج ، ثم هبط وادى العقيق الذى يؤدى الى المدينة . ولكن النبي أمر بأن يكون المسير اولا الى قباء قرية بني عمر بن عوف . فبلغها ظهر يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الاولى للهجرة وذلك بعد مسير ثمانية أيام . وأقام النبي ثلاثة أيام بقباء وثق فيها من حسن استقباله بالمدينة . فلما كان يوم الجمعة خرج من قباء الى المدينة يحف به ملأ بني النجار . وقد لحقه بقباء على بن أبى طالب بعد ان ادى عن الرسول ما كان للناس عنده من الودائع . ولما أطمأن الرسول بالمدينة انفذ الى مكة من حمل اليه أهل بيته .

***

ليس يسيرا على المؤرخ أن يصور مقدار المشقة التى لحقت المهاجرين الأولين من جراء هجرتهم من وطنهم الى بلد ناء ومعشر غرباء . لقد كان أول مظهر لهذه المشقة أن تأثروا بجو المدينة الوخم لاول قدومهم فاعتلت صحتهم وأصابتهم الحمى وعراهم داء الحنين

الى وطنهم القديم ، حتى لقد كان بعضهم يهذى بذلك إذا أخذه دوار الحمى . روى البلاذرى باسناده عن عائشة أم المؤمنين انها قالت « لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مرض المسلمون بها فكان ممن اشتد به مرضه أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة . فكان أبو بكر يقول فى مرضه :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال يقول :

الإ ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفخ وحولى أذخر وجليل !
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل تبدون لى شامة وطفيل !

وكان عامر بن فهيرة يقول :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

قال فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة ، وبارك لنا فى مدها وصاعها » .

وتتمثل هذه المشقة كذلك فى الفاقة الشديدة التى صار اليها المهاجرون بسبب الهجرة . فقد خلف اكثرهم أمواله بمكة فعدت عليها قريش فاغتصبتها تشفيا من أصحابها . روى صاحب أخبار مكة « انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح (فتح مكة) الا تنزل منزلك بالشعب ؟ قال وهل ترك لنا عقيل منزلا . قال وكان عقيل ابن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أخوته من الرجال والنساء بمكة حين هاجروا ومنزل كل من هاجر من بنى هاشم ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل فى بعض بيوت مكة فى غير منزلك . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أدخل البيوت ، فلم يزل مضطربا بالحجون وكان يأتى المسجد من الحجون ، ويروى ابن هشام أن عبد الرحمن بن أبى بكر عدا على مال أبيه بمكة بعد هجرته ، فلما كان يوم بدر خرج عبد الرحمن مع قريش لقتال المسلمين فناداه أبوه : أين مالى ياخبيث ؟ فأجابه عبد الرحمن :

لم يبق غير شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

ويروى ابن هشام كذلك « أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريدان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب . أرأيتم أن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا نعم ! قال فأنى جعلت لكم مالى . قال فبلغ ذلك رسول الله (صلعم) فقال : ربح صهيب ! ربح صهيب ! » ويروى ابن اسحق أنه « لما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم عدا عليها أبو سفيان ابن حرب فباعها من عمرو بن علقمة . . . . فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله (صلعم) . فقال له رسول الله (صلعم) ألا ترضى ياعبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ؟ قال بلى ! قال فذلك لك . فلما افتتح رسول الله (ص) مكة ، كلمه ابو أحمد فى دارهم فأبطأ عليه رسول الله (صلعم) . فقال الناس لأبى أحمد ، يا أبا أحمد ! ان رسول الله (صلعم) يكره أن ترجعوا فى شىء من أموالكم أصيب فى الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله (صلعم) فيها » . ومما يدل على شدة فقر المهاجرين لأول عهدهم بالمدينة أن الرسول عند ما خرج بهم الى وقعة بدر فى السنة الثانية للهجرة دعا الله فى رواية الواقدى فقال : « اللهم انهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك » .

من أجل تلك الفاقة كان المهاجرون فى السنوات الأولى من الهجرة عالة على الانصار . وذلك مظهر ثالث لحوق المشقة بهم . نعم ان الانصار أكرموا وفادتهم كل الاكرام وواسوهم اتم المواساة ، ولكن تلك الحال ليس من السهل على كرام النفوس احتمالها . يروى البلاذرى أن النبى عندما أراد قسمة غنائم بنى النضير قال للأنصار : « ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمت هذه واموالكم بينكم وبينهم جميعا ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة . فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت . فنزلت (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقال أبو بكر : جزاكم الله يامعشر الأنصار خيرا ، فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوى :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذى يلقون منا لملت
فذو المال موفور وكل معصب الى حجرات أدفأت وأظلت

من أجل تلك المشقة التى نالت المهاجرين الاولين فى سبيل الله اعتبر القرآن هجرتهم هجرة الى الله ورسوله ، ومن أجلها جعل أولئك المهاجرين أرفع طبقات المسلمين درجة وأجزلهم مثوبة ، وفرض مثل هجرتهم على كل مسلم عند خوف الفتنة ولحوق الضيم ، قال تعالى « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا : الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا ،

اشراق الهلال على الوادى

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

وقف ربيئة الروم فوق أعلى حصن (بابليون) بجوار مدينة مصر العظيمة ، فنظر الى مادونه نحو الاهرام عابرا ببصره نهر النيل العظيم فذهب به الخيال إلى الماضى البعيد ، وهمت بنفسه سورة خفيفة من الشجن المبهم ، وكان الجو كله ممتلئا بالاشجان والمخاوف لما كانت الدولة تلقاه من جميع الانحاء من الغارات والاخطار ثم ، نظر إلى الشمال نحو مدينة الشمس العظيمة (أون (١)) حاضرة العلوم القديمة ومركز ثقافة الفراعنة ، غير أنها لم تكن عند ذلك إلا بقية ضئيلة من نفسها القديمة . ثم نظر إلى الكروم والبساتين التى تكتنف الحصن من شماله حتى تصله بمدينة (أون) فلاح له من بينها غبار ثائر وجرم متحرك . وما زال يحدق فى ذلك الغبار وقلبه مضطرب وعقله تساوره الذكريات ، والمخاوف تتوارد عليه سراعا . ثم صاح صيحة النذير فاجتمع حوله جنود الحصن الذين كانوا على مقربة منه يشتركون معه فى النظر إلى ذلك الغبار الثائر وما لاح تحته من اجرام متلاحقة متحركة نحو شاطىء نهر النيل . وكان الجنود الى ذلك الوقت لا يعرفون شيئا سوى ما يذيعه لهم قوادهم وأمراؤهم ، فجعلوا يذهبون مع الخيال مذاهب شتى ، فقائل منهم تلك جنود من الفرس عادت لتنتقم من الهزيمة الطاحنة التى لحقت بدولتها على يد هرقل ملك الروم العظيم ، وقائل ان تلك قبائل البجة التى اعتادت العيث فى جنوب البلاد قد بلغت شمال الوادى لتهبط على ريفه فتسلب منه ما شاءت ثم تعود مسرعة قبل أن يستطيع الروم أن يجمعوا الجيوش للايقاع بها ، ثم قال قائل منهم ممن عركتهم الحروب « أين الفرس اليوم ؟ لقد صارت دولتهم فى يد جيوش عرب الصحراء كما صارت بلاد الشام . ولقد رأيت بنفسى جيش العرب يأخذ دمشق ويطرد الروم من مروج سوريا ، وليس من شك فى أن هذا الغبار قد أثارته حوافر خيولهم السريعة » .

وأتى عند هذه اللحظة قواد الروم عندما بلغهم الصخب واللغط فنظروا حيث نظر الجنود ، ثم نظر بعضهم الى بعض نظرات صامتة فى وجوه مصفرة ثم قال (جورج) كبيرهم للجنود : « هلم أيها الجنود الى أماكنكم فليس من المباح لكم أن تقفوا الى جوار الربيئة تشغلونه عن حراسته » . فانصرف الجنود طائعين وقلوبهم غير راضية وعقولهم غير مطمئنة ، ثم مضى القواد الى ناحية من سور الحصن وجعلوا ينظرون الى الاشباح المتحركة والغبار الثائر فى ضوء الغروب الخافت .

ثم قال (جورج) القائد الأعلى للحصن « أيمكن أن يكون هؤلاء العرب قد غلبوا جنود الدولة التى أرسلت اليهم وبلغوا هذه الجهات فى شهر واحد ؟ وماذا فعل (إريطبون (١)) ؟ وماذا فعل تيودور (٢) ؟ » . فقال أحد القواد ، وكان أقربهم اليه : « لقد شهدت حرب هؤلاء فى مواطن كثيرة ، إنهم يخرجون اليك كأنهم سراب الصحراء لاتدرى من أين جاءوا ، ثم تراهم ينصرفون عنك حتى لاتسمع عنهم شيئا فكأنهم غاصوا فى رمال الصحراء . ثم مايلبثون أن يعودوا اليك وأنت لاتتوقع عودتهم كأنهم أشباح لا تعوقهم مادة هذه الارض » .

ثم أرخى الليل سدوله ولم يأت بعد نبأ عن فعل تلك الاشباح المتحركة ، وطلع صباح اليوم التالى فاذا بالارض الشمالية على عهدها ليس فيها غبار ثائر ولا أشباح متحركة ، فكأنما كان منظر المساء الغابر من صور الخيال واختراع الوهم . الا أن زوال ذلك اليوم حمل الى الحصن بقية من جرحى قرية (أم دنين) التى على شاطىء النهر

(١) هى مدينة (عين شمس) أو هليو بوليس المعروفة قديما .

(١) اريطبون قائد من كبار قواد الروم

(٢) وتيودور القائد العام لجنود الروم بمصر عند غزوة العرب

ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » .

°°°

أما بعد فلقد وفق امير المؤمنين عمر بن الخطاب كل التوفيق عند ما اتخذ هجرة الرسول من مكة الى المدينة تاريخا يحسب منه المسلمون سنيهم وأيامهم ، ويؤرخون منه احداثهم ووقائعهم . انه لا شك قد لحظ فى الهجرة انها بدء رسوخ الأسلام ، ولكننا نلحظ فيها فوق ذلك أنها كانت مظهرا رائعا لعناصر الحياة القوية النبيلة : حياة الألم والتضحية والاخلاص ؟

عبد الحميد العبادى

وفلا من مسلحة الحصن التي هزمها الجيش البدوى المغير . غير أن ذلك الجيش لم يبق بعد ذلك طويلا على الشاطئ . بل عبر النهر واختفى فى الأفق الغربى . فتعجب القائد (جورج) عندما بلغه هذا ، وعرف أن قائده الذى وصف له حرب العرب كان يصفهم عن خبرة وعلم . لقد ظهر جيش العرب فى شمال الحصن كأنه شبح خيال ثم اختفى كذلك كأنه شبح خيال . ولكن متى يعود ؟ ومن أى جهة يطلع بعد عليهم ؟

توارد الى الحصن بعد ذلك الامداد الكثيرة من جميع أنحاء مصر تعزيزاً لحصن الحصون الذى يدافع عن قلب البلاد ومدينة (مصر) ، وأجاب قواد الأطراف على استصراخ (جورج) قائد الحصن بأن بعثوا اليه ما استطاعوا بعثه من الجنود المجهزة ليطردوا ذلك الجيش الذى لاح ثم اختفى . وتجهز المقوقس العظيم ليسير بنفسه من الاسكندرية الى مركز البلاد ، ليكون وجوده حافزا لهمة الجنود ، وليكون على مقربة من الأعداء لعله يستطيع بما أوتى من بلاغة ومكر أن يصرفهم عن البلاد .

ومرت الأيام سراعا وراجت الأخبار المتضاربة عن الغزاة ، وأتت بعض أنباء تلك الكتيبة الصغيرة من فرسان الصحراء ، فاذا بالقائد الشجاع (حنا) الذى كان معبود جيش الروم بالفيوم يقتل فى بعض المواقع منذ دفعته شجاعته للقاء جيش العرب . وترددت أنباء ذلك بين القواد والجنود فاذا هم فى حصن بابليون حلقات يتهامسون عن هذا العدو المغير ويتساءلون عن كنهه وحقيقة أمره ، وكان بين جنود الروم وقوادهم من رأى حروب الآفار والبلغار والفرس ، وكان منهم من قرأ أخبار الامم الماضية ممن أغار على دولة الرومان فى القرن الماضى من اللمبرديين والوندال والقوط . وما كان أفظع تلك الامم التى أغارت فى تلك القرون على أراضى الدولة الرومانية فقد كانوا لا يعرفون فى الحرب هوادة ولا رحمة ، ولا يخضعون لقانون خلق أو دينى . فقد حكى عن (ألبوين) ملك اللمبرديين أنه هزم فى بعض حروبه قبيلة الجبيدى وقتل رئيسهم والد (روزاموند) الجميلة ، ثم اتخذ تلك الابنة الجميلة زوجة له واحتفل بزواجه منها احتفالا وحشيا ، وجعل يشرب الخمر فى كأس جميلة . وأى كأس أجمل من جمجمة عدوه والد عروسه الجميلة ؟ حقا ما كان أفظعه وأفظع قومه ! ولقد دخل الوندال بلاد غالة ثم بلاد افريقية ، وكان الروم يعرفون مقدم هؤلاء الوندال بما يرتفع من لهيب النيران فوق آفاقهم . فكان هؤلاء الوندال يجتاحون بلادهم كما تجتاح العواصف والحرائق السهول الفيحاء فتتركها قاعا صفصفا ، أيكون العرب كبعض هذه الامم ؟

مضى أشهر ثم عادت كتيبة العرب من الأفق الغربى فعبرت نهر النيل مرة أخرى ، وظهرت لربيئة الروم من خلال البساتين والكروم التى بين الحصن ومدينة (أون) ، وكان الروم قد اجتمعوا فى العدد والعدة فى حصنهم العظيم (بابليون) . فما أسرع أن تدفقت جموعهم نحو الشمال لتحيط بتلك الكتيبة وتهلكها . وهل كان هؤلاء العرب ليقووا على صدمة جيش عظيم كهذا ؟

وقع الاصطدام أخيرا عند مدينة (أون) . وماذا هى القوم ؟ فان هى إلا جولات ، فاذا بجيش الروم يتردد فى سيره ، ثم إذا به يرتد نحو شاطئ النهر . ثم ها هى ذى كتيبة عربية تخرج اليه من شاطئ النهر كأنها تقذف عليه من أعماقه . وها هو ذا الجيش العظيم يتردد مرة أخرى ثم يتفكك ثم تتدافع جموعه نحو الجنوب يحاول كل فرد منهم أن يبلغ الحصن قبل أن تأخذه سيوف العرب اللامعة . ومرت الأيام بعد ذلك فاذا بالروم قد دخلوا حصنهم وأغلقوا أبوابه الضخمة ، واذا بالعرب حول الحصن العظيم يتطلعون اليه ولا يدرون كيف يسمون فوقه . وأراد المقوقس العظيم أن يعرف حقيقة أمر هؤلاء المغيرين لعله يعطيهم بعض مال فيرتدوا عنه ، فقال له أحد القواد : « دع عنك هذا فما هم بمن يأتى من أجل الذهب حتى اذا ما بذل لهم ذهبوا به عنا » وجعل يقص عليه قصته مع رجل (١) من هؤلاء العرب رآه يوما واقفا وحده يصلى ، فهبط اليه من الحصن مع جماعة من الروم ، فترك العربى الصلاة وأقبل اليهم كأنه الصخرة الثقيلة التى تنحدر من عل ، لا يتردد ولا يلتفت الى شىء ، فهربوا منه حتى أنهم رموا اليه بمناطقهم الذهبية ليلهوه بها فلم يلو على شىء منها ، ولم ينجهم منه إلا أن بلغوا الحصن وأغلقوا بابه دونه ، ورموه بالحجارة من فوقه . فارتد ولم يلتفت الى تلك المناطق الذهبية ، بل عاد الى موضعه ليتم ما كان فيه من الصلاة وتركهم يخرجون من حصنهم لاسترجاع مناطقهم ثم يعودون على حذر

تعجب المقوقس العظيم ، وأراد أن يستطلع حقيقة الامر فبعث بجماعة من الروم رسلا الى قائد القوم فرأوا من هؤلاء المغيرين ما لا عهد للروم به من قبل . قال الرسل : « رأينا قوما ، الموت أحب اليهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعة ، ليس لاحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة . انما جلوسهم على التراب وأكلهم على

(١) هو عبادة بن الصامت البطل العربى المعروف

ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم . ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد . وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم » .

لم يكن هذا شأن شعب من شعوب الهمج الذين افترسوا أطراف الدولة الرومانية . وهذه أول مرة يجتمع فيها الى الاستهانة بالحياة والشجاعة التى لا تعرف خوفا ، خلق متين ونظام لا ينفك منه أحد . ومن ذا يستطيع أن يقاوم شعبا اجتمع له هذان الوصفان ؟

كان أعظم ما يخشاه الروم فى مصر أن يعرف شعب مصر حقيقة هؤلاء العرب ، فلو أنهم عرفوا العرب لأمنوا اليهم ، ولو أمنوا اليهم لأصبح الروم ولو كثر عديدهم غرباء عن الارض قد فقدوا الناصر والتابع . غير أن شعب مصر مالبث أن عرف الحق واتصل بهؤلاء المحاربين ، فلقد كانوا فى سيرهم لا يسيرون سير الجيوش المغيرة المدلة المتكبرة المفسدة ، بل كان الطفل آمنا بينهم ، والمرأة لا يلحقها أذى من نظرة أحدهم . إذ كانت عداوتهم لجيش الروم لا لأهل مصر ، بل إن أهل مصر كانوا موضع وصية خليفتهم ووصية نبيهم الكريم ، ومنذ رأى أهل مصر ذلك صاروا حلفاء لهم على أولئك الروم الذين طالما طغوا وبغوا وظلموا وعسفوا وأحرقوا وعذبوا ولم يرعوا فى رعيتهم ما كان فى اعناقهم من أمانة . وما هو إلا عام حتى كان العرب على انتظار تسليم الاسكندرية ذاتها بعد أن دان لهم داخل البلاد .

وكان الحاكم العربى عمرو بن العاص لا يدع فرصة لتذكير جنوده بما عليهم من الواجب نحو أهل البلاد التى حلوا بها ، وكأنما به يتطلع بخياله القوى نحو ذلك اليوم الذى يمتزج فيه قومه الصحراويون بقبط مصر ، وينشأ من ذلك الامتزاج شعب جديد يقوم على إنشاء مدنية جديدة . وقف عمرو يخطب فى قومه عند حلول الربيع وقت ذهاب العرب الى الريف ابتغاء أن يصيبوا من خيراته لأنفسهم ولخيولهم . وقال عند ذلك فى خطبته : « واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا ، وإياكم والمنومات المعسولات . . حدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا ، فإن لكم منهم صهرا وذمة ، فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم . . . »

ولقد سار العرب على وصية قائدهم الحكيم فلم يشك أحد من أهل مصر اعتداء على شرفه ولا انتهاكا لحرمته .

ولقد كان عمرو عفيفا فى حكمه عن العسف والخبط حتى لقد وقف فى وجه عمر بن الخطاب نفسه دفاعا عن سياسته المالية الرحيمة ، ثم عزل عن مصر فى أيام عثمان دفاعا عن تلك السياسة عينها . وكانت سياسة العرب على تقلب الايام واختلاف الدول مدى القرنين الاولين من بعد الفتح سياسة اعتدال ورفق ، تسمع ذلك مترددا على لسان أساقفة القبط الذين تركوا لنا فى دواوينهم ذكرا من تلك الايام .

قال أحدهم عند ما عاد بنيامين بطريق القبط آمنا بعد أن هرب ثلاثة عشر عاما من اضطهاد الروم : « الحمد لله الذى أنجاك من الكفرة (الروم) ، وحفظك من الطاغية الاكبر الذى شردك فعدت الى ابنائك تراهم ملتفين حولك مرة أخرى » .

ونقل عن بنيامين البطريق الأعظم للقبط انه قال يصف عودته عند فتح العرب : « كنت فى بلدى وهو الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف ، واطمئنانا بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة (الروم) وبأسهم » « وقد فرح القبط كما يفرح الاسخال اذا ما خلت لهم قيودهم ، وأطلقوا ليرتشفوا من لبان أمهاتهم » .

وقال الاسقف حنا النقيوسى : « لقد تشدد عمرو فى جباية الضرائب التى وقع الاتفاق عليها ، ولكنه لم يضع يده على شيء من ملك الكنائس ، ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب ، بل انه حفظ الكنائس وحماها الى آخر مدة حياته » .

وقد ورد فى كتاب الأستاذ بتلر (فتح العرب لمصر) فى وصف دخول المصريين فى دولة العرب : « فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف تطاول ، وآل أمرهم بعد خروجهم منه إلى عهد من السلام والاطمئنان ، وكانوا من قبل تحت نير من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين ، فأصبحوا وقد فك من قيدهم فى أمور الدنيا ، وأرخى من عنانهم . وأما دينهم فقد حازوا فيه إلى تنفس حر وأمر طليق » .

وإذا كان قبط مصر قد دخلوا فى الاسلام أفواجا حتى صار الاســلام دين الكثرة فى البلاد ، فما ذلك إلا ميل الطبيعة نحو وحدة قوم هم بطبيعة حياتهم ذاتها لا يستطيعون الا أن يكونوا شعبا واحدا متجانسا . ولقد بقيت من القبط بقية عظيمة فى دلالتها ، عظيمة بما يجرى فى عروقها من دم مصر القديمة ، وإذا كان دينها دين المسيح ، ودين سائر أهل مصر الاسلام ، فإن ذلك لا يفرق بين طائفتين تجمع بينهما أسباب الحياة وأواصر الاخوة . وأن الاسماء إذا اختلفت ، والمظاهر إذا لاح عليها شيء من التباين ، فإن الدماء التى تجرى فى العروق ترجع الى منبع واحد وجرثومة قديمة شهدت عصور ما قبل التاريخ ؟

محمد فريد أبو حديد

الهجـــرة

رواية في فصـــل واحد وسبعة مناظر

للأستاذ توفيق الحـكيم

إني أشهد أن محمداً نبي كريم
إني أشهد أن محمداً بشر عظيم
إني أسجد للعظمة والنور
وما صفحاتي إلا إشهاد وسجود.

توفيق الحكيم

المنظر الأول

كان النبي (ص) جالساً وحده في المسجد وأشراف قريش يجتمعون عن كثب يتهامسون ......

قريش — ما الرأي في محمد ؟ إن عمه أبا طالب يمنعه وينصره علينا

عتبة بن ربيعة — أجل ، ولا قبل لنا بأبي طالب

أبو جهل — إني لأخشى أن يتابع محمداً بعض رؤوس القوم فيعز ويمتنع ويفشو أمره في القبائل

أبو سفيان — ما أحسبه يا أبا الحكم إلا نائلا منا إن تركناه فيما هو فيه

قريش — وما الرأي ؟

عتبة «تبدو له فكرة»

يا معشر قريش ! ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟

قريش — بلى يا أبا الوليد ، قم اليه فكلمه

«يقوم عتبة الى رسول الله ويجلس اليه ......»

عتبة «للنبي»

يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم : فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ؛ فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

محمد — قل يا أبا الوليد ، أسمع

عتبة — يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفا ، سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا ، وإن كان هذا الوحي الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

«يسكت عتبة وينظر الى النبي»

محمد — أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

عتبة — نعم

محمد — فاستمع مني

عتبة — أفعل

محمد «يتلو»

«بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ، وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل إننا عاملون . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي ، أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . . . .

؟

عتبة «ينصت ويلقي يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ...»

محمد «يمضي فيها يقرؤها عليه»

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم . فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله ، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون ، فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ...

« ينتهي رسول الله الى السجدة منها فيسجد ... »

عتبة — « مأخوذا كأنما على رأسه طائر واقع ... ... »

؟

محمد — قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فانت وذاك

عتبه — « يقوم الى أصحابه صامتا »

؟

أبو جهل « لقريش ناظرا الى عتبة مقبلا عليهم »

أحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به

عتبة — « يجلس اليهم ساكتا »

أبو جهل — ما وراءك يا أبا الوليد ؟

عتبة — « في صوت متغير »

ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط . والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه

« قريش يعروها دهش ويصمت الجميع »

أبو جهل — « يفتيه ويرفع رأسه ملتفتا الى عتبة ... ... »

سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه

عتبة — والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ

قريش — أهذا رأيك فيه ؟

عتبة — هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم ...

المنظر الثاني

« بعد غروب الشمس ... ...

أشراف قريش عند ظهر الكعبة »

أمية بن خلف — هل بعثتم اليه ؟

أبو سفيان — نعم ، لقد بعثنا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك

أمية بن خلف — أجل ، ابعثوا اليه فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه

أبو جهل — لن يستطيع اليوم أن يسحرنا بحديثه كما سحر أبا الوليد

أبو سفيان « ينظر »

ها هو ذا مقبلا سريعا

أمية — « ينظر »

أرى في وجهه المستبشر أنه يظن أن قد بدا لنا فيه بداء .

« رسول الله يحضر ويجلس اليهم مستبشرا طامعا في اسلامهم »

أبو سفيان — « لأبي جهل »

كلمه أنت يا أبا الحكم

أبو جهل — « لرسول الله »

يا محمد ! انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ،

وسفهت الأحلام . فان كنت انما جئت بهذا الحدث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك

« يسكت وينظر الى النبى »

محمد — ما بى ما تقولون . ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ؛ فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ؛ وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش « تهامس »

انه غير قابل

أبو جهل — يا محمد ان كنت غير قابل شيئاً مما عرضناه عليك فانك تعلم أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ، فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول

محمد — ما بهذا بعثت اليكم ؛ انما جئتكم من الله بما بعثنى به ؛ وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش « تهامس »

انه والله غير فاعل

أبو جهل — فاذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك

أبو سفيان — وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة ، يغنيك بها عما أنت تبتغى ؛ فانك تقوم بالأسواق كما نقوم ، تلتمس المعاش كما نلتمسه

أمية — نعم ، فليجعل لك قصورا وكنوزا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم

محمد — ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا . وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا ، فان تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش « تهامس »

فليرنا ما يتوعد

أبو جهل — أسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ، فان ربك ان شاء فعل ، فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل

محمد — ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل

أبو سفيان — يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟

أبو جهل — يا محمد ، أنه قد بلغنا أنك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وانا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ؛ فقد أعذرنا اليك ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا

أمية — نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله

أبو سفيان — لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا

محمد « يقوم عنهم يائساً » « ويقوم معه عبد الله بن أبى أمية »

؟

عبد الله — يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم

سألوك أن أخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل ، فوالله لا أو آمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتى بصك ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك

محمد — « ينصرف حزينا آسفا »

؟

أبو جهل — يامعشر قريش ، إن محمدا قد أبى الا ماترون من عيب ديننا وشتم آلهتنا ، وأنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم

الجميع — والله لا نسلمك لشيء أبدا ، فامض لما تريد

المنظر الثالث

أبو طالب « وقد حضره الموت .... »

أبو طالب — شربة ماء !

العباس « على رأسه يسقيه »

؟

أبو طالب « يلتفت »

من هذا ؟

العباس — أين ؟

أبو طالب « يشير الى الباب »

؟

العباس « يتوجه الى الباب ينظر ثم يعود »

هو أبو جهل فى رجال من أشراف قومه ، ما أحسبهم الا يمشون اليك فى أمر محمد ابن أخيك

أبو طالب — أدخلهم علي

العباس « يدخلهم »

؟

أبو جهل — يا أبا طالب . انك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذ لهمنا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه

أبو طالب « يشير الى العباس أن يبعث الى محمد »

؟

العباس « يخرج فى طلبه ثم يعود »

لقد جاء محمد

« يدخل رسول الله »

أبو طالب « للنبي »

يا ابن أخي ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك

محمد — نعم ياعم ، كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم

أبو جهل — نعم وأبيك وعشر كلمات

محمد — تقولون ، لا إله الا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه

« يصفق القوم بأيديهم »

أبو جهل — أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة الها واحدا ؟ ان أمرك لعجب

أبو سفيان « يتهيأ للانصراف مع بعض القوم » والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه

« يتفرقون ويخرجون »

أبو طالب « للنبي بعد خروج قريش » والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا

محمد « ناظرا اليه طامعا فى اسلامه »

« أى عم ، فأنت فقلها ، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة

أبو طالب — يا ابن أخي ، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى

بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها ....

« يقترب منه الموت »

العباس أخي ...

أبو طالب — من هذا ؟

العباس — أين ؟

أبو طالب — « يغمض عينيه ويحرك شفتيه »

؟

العباس — « يحني عليه ويصغي اليه بأذنه ثم يهمس الى رسول الله .... »

يا ابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها

محمد — لم أسمع

المنظر الرابع

« بيت النبي في مكة »

بلال — « يدخل باكياً »

؟

جارية — ويحك يا بلال . ما بك ؟

بلال — قاتلهم الله

الجارية — ما يبكيك يا بلال ؟

بلال — قاتلهم الله

الجارية — من هم ؟

بلال — أغروا أحد سفهائهم فاعترض رسول الله وحثا على رأسه التراب

الجارية — التراب ؟

بلال — نعم

الجارية — قريش ؟

بلال — نعم . هي قريش صنعت هذا

الجارية — نعم ، اليوم

بلال — واحزناه عليك يا أبا طالب ، من ذا يمنع اليوم النبي وينصره ؟

الجارية — « ترى احدى بنات النبي مقبلة »

صه ودع البكاء عنك يا بلال

بلال — « يرى النبي مقبلا »

رسول الله ...

« ثم يكفكف دمعه سريعاً »

محمد — « يدخل والتراب على رأسه »

ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب

ابنته — « تبكي »

؟

« ثم تأتي بماء وتغسل عن النبي التراب ...... »

محمد — لا تبكي يا بنية ، فان الله مانع أباك

المنظر الخامس

« في الطائف ، النبي في نفر من سادة ثقيف وأشرافهم على مقربة من حائط لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وهما فيه ينظران »

عتبة — « يهمس »

ما جاء به الى الطائف ؟

شيبة — ما أحسبه الا جاء يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه

عتبة — قريش ؟

شيبة — نعم ، ما كان أحد يمنعه وينصره على قريش الا عمه أبو طالب ، فلما هلك عمه نالته قريش من الأذى بما لم تكن تطمع به في حياة عمه

عتبة — وهل تحسب ثقيفاً ناصرة اياه ؟

شيبة — ان لم تنصره ثقيف فلا ناصر له

عتبة — « يلتفت الى ناحية القوم »

انظر يا شيبة . انه جلس الى أشراف ثقيف يدعوهم الى ربه الذي يحدث عنه . وما أرى في وجوه القوم الا استهزاء به وبما يقول

شيبة — « ينظر »

سمع . هذا مسعود بن عمرو يدنو منه

مسعود — « يدنو حقيقة من النبي »

انى أمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك

عتبة — « لشيبة همسا »

أسمعت ؟

شيبة — « هامسا »

سمعت

عتبة — « همسا »

أرى وجهه قد تغير

شيبة — هذا أيضاً عبد ياليل بن عمرو يدنو منه

عبد ياليل « يدنو من النبي »

أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟

عتبة — « هامسا »

انهم يغلظون له

شيبة — صه . هذا حبيب بن عمرو يدنو منه كذلك ليقول له شيئا

حبيب — « للنبي »

والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك

محمد — « يقوم وقد يئس منهم »

عتبة — انظر ياشيبة ، انه قد قام

شيبة — ما أراه الا يائسا حزينا

عتبة — انه يريد أن يقول لهم شيئا ، اسمع

محمد — « للقوم »

اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني

عتبة — « هامسا »

ماذا يريد بهذا ؟

شيبة — لعله يكره أن يبلغ قومه عنه خذلان ثقيف له فيذئرهم ذلك عليه

« صياح وأصوات » .

عتبة — ما هذا الصياح ؟

« ينظر »

انظر هؤلاء ناس وعبيد تصيح به

شيبة — « ينظر »

ما أحسب الا أن القوم قد أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به .

عتبة — انظر لقد اجتمع عليه الناس وهو لا يستطيع منهم فرارا

شيبة — ما أرى الا أنه سيلقى منهم أذى كثيرا

عتبة — أنه مقبل علينا . . . .

شيبة — أنهم يسدون عليه السبيل

« الصياح يقترب »

عتبة — لقد ألجأوه الى حائطنا

شيبة — أجل ، ها هو ذا يسقط إعياء

« النبي قد عمد حقيقة الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وقد رجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف . . . . . »

عتبة — أي هوان يلقى هذا الرجل من أهل الطائف !

شيبة — أتحركت له رحمتك يا عتبة ؟

عتبة — « وينظر اليه »

اسمع . أصغ . انه يقول شيئا

محمد — « وقد اطمأن قليلا بعد ذهاب الناس عنه . . . . »

اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي . الى من تكلني ؟ الى بعيد يتهجمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ أن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك

عتبة — « همسا لاخيه شيبة »

أسمعت ؟

شيبة « مأخوذا »

نعم !

عتبة — أيمكن أن يكون مثل ذلك الرجل كذابا ؟

شيبة — ويحك يا عتبة !

عتبه « ينادي غلامه همسا »

يا عداس !

عداس — لبيك !

عتبة — خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه

عداس « ... الى ما أمر به »

شيبة « ينظر الى وجه أخيه »

ما حملك على هذا ؟

عتبة « ينظر الى النبي »

انظر ياشيبة ، ان عداسا قد أقبل بالطبق ووضعه بين يديه

عداس « للنبي »

كل !

محمد « يضع يده فى الطبق »

بسم الله !

« ثم يأكل »

عداس « ينظر فى وجه النبي »

والله ان هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلاد

محمد — ومن أهل أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟

عداس — نصرانى .. وأنا رجل من أهل نينوى

محمد — من قرية الرجل الصالح يونس بن متى

عداس — وما يدريك ما يونس بن متى ؟

محمد — ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبى

عداس — « يكب على رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه ... »

عتبة — « هامسا لشيبة »

أرأيت ؟

شيبة — نعم

عتبة — وما تقول فى هذا ؟

شيبة — أما غلامك فقد أفسده عليك

عداس « يقبل عليهما »

عتبة — ويلك يا عداس ، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟

عداس — يا سيدى ما فى الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى

شيبة — ويحك ياعداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه

عداس — ان مثل هذا لا يمكن أن يحتمل مالقى إلا فى سبيل الحق ، ولا ان يثبت على دينه بعد كل هذا إلا أن يكون دينه دين الحق

المنظر السادس

« دار الندوة التي يجتمع فيها قريش للمشاورة . ابليس فى ثياب شيخ نجدى جليل يدخل الدار وهى خالية فتلقاه حية تظهر فى الحائط »

الحية — « تصيح به »

ابليس فى لبوس شيخ من نجد ؟

ابليس — لا تصيحى أيتها الصئيلة

الحية — ماذا جئت تصنع فى دار الندوة ؟

ابليس — أريد محمدا

الحية — تريد به الهلاك

ابليس — أريد لنفسى الحياة

الحية — ماذا صنع بك ؟

ابليس — سيغير وجه الأرض !

الحية — كيف ؟

ابليس — نور يخرج من قلبه يضيء الأرض

الحية — وما يضيرك هذا ؟

ابليس — يعمى بصري هذا النور

الحية — أطفئه من قلبه

ابليس — لا سلطان لى على مثل هذه القلوب

الحية — قلب لا ككل القلوب ، انى لأذكر أمره ، لقد أتاه الملكان وهو صغير بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاه فشقا بطنه واستخرجا قلبه ، فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج حتى أنقياه . . .

ابليس — العلقة السوداء !

الحية — تلك رسولك فى كل قلب

ابليس — تبا له ، تبا له

الحية — كما كنت أنا رسولك الى أول قلب

ابليس — حواء ؟

الحية — ذاك يوم ملعون الى أبد الآبدين

ابليس — أتندمين ؟

الحية — ماذا جنيت من كل هذا ؟

ابليس — قلت لك : تلك حياتى

الحية — حياة ملعونة فى كل زمان

ابليس — ويل للنفاق ! ويل للنفاق !

الحية — نفاقك

ابليس — بل نفاق من يلعننا

الحية — كنت أود أن تفتن غيرى

ابليس — أود أن أفتن هذا الرجل

الحية — انك تقول أن لا سبيل لك عليه

ابليس — تبا لى !

الحية — أنه ليس كغيره من الناس

ابليس — تبا له !

الحية — لقد وزنه الملكان وهو صغير بعشرة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بمائة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بألف من أمته فوزنهم : فقالا والله لو وزناه بأمته كلها لوزنها

ابليس — صه . انهم قادمون

الحية — من هم ؟

ابليس — ادخلى جحرك . ولا تخذن لغة القوم

« الحية تختفى ويقف ابليس بباب الدار ويدخل أشراف قريش »

أبو سفيان « لابليس »

من الشيخ ؟

ابليس — شيخ من أهل نجد . سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون : عسى ألا يعدمكم منه رأى ونصح

أبو جهل — أجل فادخل

« ابليس يدخل معهم ويجتمعون فى دائرة .... »

أبو سفيان — تكلم يا أبا الحكم

أبو جهل — ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا

أمية بن خلف — احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهير والنابغة ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم

ابليس — لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره

أبو سفيان « يتفكر قليلا »

نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت

ابليس — لا والله ما هذا لكم برأى . ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ؛

ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . دبروا فيه رأيا غير هذا

أبو جهل «بعد تفكير»

والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد

أبو سفيان — وما هو يا أبا الحكم ؟

أبو جهل — أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه . فنستريح منه ، فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم .

ابليس «مبتهجا»

القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره

«ويتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له ......»

المنظر السابع

(ليلة الهجرة ... النبى فى داره ...)

جبريل «للنبى»

لا تبيت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه

«يرتفع الملك»

على بن أبى طالب (يدخل عابسا)

ألمح فى عتمة الليل رجالا قد اجتمعوا على بابك ، ما أحسبهم الا يرصدونك حتى تنام فيثبون عليك

محمد — نم على فراشى والتف ببردى هذا الحضرمى الأخضر فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم .

« على يفعل ما أمره به النبى »

أبو جهل « يهمس بين الرجال على باب النبى »

أكره أن يفلت منا الليلة كما أفلت منى يوم احتملت الحجر أريد فضخ رأسه فى المسجد

أمية «عابسا»

وكيف أفلت منك يومئذ ؟

أبو جهل «عابسا»

ما أدرى والله . لقد أقبلت نحوه حتى اذا دنوت منه رجعت مرعوبا وقد يبست يداى على حجرى حتى قذفته من يدى ، فقد عرض لى دونه فحل من الابل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى

أمية — سحرك والله يا أبا الحكم

أبو جهل — ان كان قد سحرنى يومئذ فما أحسبه يستطيع ذلك الليلة معكم جميعا

أمية — أرى أنه قد نام

أبو سفيان (يتطلع الى مكان النبى)

انه نائم فى برده الأخضر الذى ينام فيه

أبو جهل — ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها

«رسول الله يخرج عليهم آخذا حفنة من تراب فى يده ......»

محمد — نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم

«ينثر عليه الصلاة والسلام التراب على رؤوسهم حتى لم يبق منهم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وهو يتلو :»

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم ، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون .

« ينصرف النبى وهم كالنائمين لا يبصرون ... ... »

؟

راع «يمر بهم»

؟

قريش «لا تراه»

الراعى «لقريش»

ما تنتظرون ههنا ؟

الجميع «كأنما افاقوا . يهمسون»
محمــدا

الراعي — خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك
منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ،
أفما ترون ما بكم؟

الجميع. «يضع كل منهم يده على رأسه»
حقا هذا تراب ، ما هذا التراب ؟

«يتطلعون الى فراش النبي وفيه علي في برد رسول الله»

أبو جهل «متطلعا»
والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده

الراعي «كالمخاطب لنفسه»
ان محمدا قد هاجر أيها الغافلون .... !!

«جميع الحقوق محفوظة لتوفيق الحكيم»

السفارات النبوية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

مضت خمسة أعوام على هجرة النبي العربي (عليه السلام) الى المدينة قبل أن تهدأ ثائرة قريش أو تفتر عن مخاصمته ومهاجمته ؛ وأنفق النبي هذه الأعوام الخمسة على أهبة الدفاع يرد محاولات قريش لغزو معقله وملاذ دعوته ، أولا في بدر ثم في أحد ثم في موقعة الخندق . فلما وهنت قوى قريش بعد الخندق ، استطاع النبي أن يعنى بالتفكير في العمل الايجابي لمغالبة خصومه وبث دعوته . ولم تكن الدعوة الاسلامية قد تجاوزت يومئذ وديان مكة والمدينة ؛ ولم تثبت دعائمها الا في المدينة بين عصبة المهاجرين والانصار ؛ ولم يك ثمة ما ينبيء بأن هذه البداية الضئيلة إنما هي الحجر الأول في صرح الدولة الاسلامية العظيمة التي قامت بعد ذلك بعشرين عاما فقط على أنقاض دولتين من أعظم دول التاريخ هما الدولة الفارسية والدولة الرومانية الشرقية . وكان فشل قريش في موقعة الخندق حاسما في تطور هذه الخصومة التي أضرمت قريش لظاها منذ أذاع النبي رسالته . ومنذ الخندق استطاع الاسلام أن يفتتح غزواته للامم والاديان القديمة ؛ ففي أواخر العام الخامس وأوائل العام السادس للهجرة قام النبي بعدة غزوات محلية لبعض القبائل والبطون المعادية وفي أواخر العام السادس نظم النبي بعوثه أو سفاراته لأكابر الملوك والامراء المعاصرين . وفي العام السابع كانت موقعة خيبر التي سحق فيها اليهود المخالفون . وفي العام الثامن كان فتح مكة وخضوع قريش ؛ وكان ظفر الاسلام حيثما استهل رسالته وانبعثت أشعته الأولى .

وكانت السفارات النبوية بين حوادث هذا العهد حادثا فريدا ؛ وكانت دليلا جديدا على ما تجيش به نفس الرسول العربي من سمو في الشجاعة وقوة في الايمان برسالته . ولم يكن الاسلام يومئذ قوة يخشى بأسها فيدعو قيصر وكسرى الى اعتناق دعوته ؛ ولكن محمدا أرسل للبشر كافة بشيرا ونذيرا . وكما كانت الغزوات النبوية المتواضعة سبيلا للذود عن الاسلام ووسيلة لتأييد كلمة ، فكذلك كانت السفارات النبوية سبيلا لاداء رسالته وابلاغ صوته الى الملوك والامراء الذين يحكمون العالم القديم يومئذ . ففي شهر ذي الحجة سنة ست من الهجرة (ابريل سنة ٦٢٨ م) (١) بعث النبي كتبه وسفراءه الى ثمانية من أولئك الملوك والامراء . هم قيصر قسطنطينية ، وقيروس حاكم مصر الروماني ، والحارث بن ابي شمر الغساني النصراني عامل قيصر على الشام ، وكسرى (خسرو) ملك فارس ونجاشي الحبشة ، وثلاثة من امراء الجزيرة المحليين هم هوذة بن علي صاحب اليمامة ، والمنذر بن ساوى صاحب البحرين ، وجيفر بن جلندا واخوه صاحبا عمان . وقد كان هؤلاء ملوك العرب والعجم ، الذين يسودون الجزيرة العربية يومئذ او يتصلون بها بأوثق الصلات . وكان اهمهم واعظمهم

(١) هذه هي رواية ابن اسحاق اقدم رواة السيرة ، وكذا ابن عبد الحكم والطبري (راجع فتوح مصر واخبارها ص ٤٤ — والطبري ج ٣ ص ٨٤) . وهي أوثق رواية فيما نعتقد وخصوصا لاتفاقها مع ترتيب الحوادث والتواريخ التي تقدمها الرواية البيزنطية عن هذه الفترة من حكم هرقل (راجع بتلر — فتح العرب لمصر — ص ١٢٤ والهامش — وراجع (Milne - Egypt under Roman Rule, P. 115)
وأيضا (Muir - The Life of Mohamed IV P. 50)
ويقول الواقدي انها كانت في المحرم سنة ٧ (الطبري ج ٣ ص ٩١) ويأخذ المستشرق الالماني شبرنجر بهذه الرواية ويرجح بالاعتماد على بعض المقارنات التاريخية ان البعوث كانت في المحرم سنة ٧ (مايو - يونيه سنة ٦٢٨ م) وهو خلاف يسير . راجع :
(Sprenger : Das Leben und die Lehre Mohamed I P. 261)

بلا ريب قيصر الروم وملك فارس ، وقد كانا يقتسمان سواد العالم القديم يومئذ ؛ ويبسط اولهما حكمه على الشام وما اليها جنوبا حتى شمال الحجاز ، ويبسط الثاني حكمه على شمال شرقي الجزيرة، ويدين له كثير من امراء العرب بالولاء والطاعة . وكان الاول زعيم الامم النصرانية ، والثاني زعيم الأمم الوثنية

نظمت هذه السفارات وارسلت الى مختلف الانحاء ؛ لكل ملك وفد أو رسول ولكل كتاب نبوى . وكانت مهمتها جميعا واحدة . وتقدم الرواية الإسلامية الينا صور الكتب المرسلة ، وهى جميعا فى صيغ واحدة او متماثلة ؛ وفيها جميعا يدعو النبي ملوك عصره الى الاسلام والايمان برسالته . وكان سفير النبي الى هرقل قيصر الدولة الرومانية الشرقية دحية بن خليفة الكلبى ؛ واليك نص الكتاب النبوي الى قيصر حسبما ورد فى السيرة وفى الصحيحين : «من رسول الله الى هرقل عظيم الروم ؛ سلام على من اتبع الهدى ـ أما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم : أسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فان عليك إثم الاريسيين (١) ؛ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (٢) . وكان هرقل (الأول) قد تسنم عرش قسطنطينية قبل ذلك بثمانية عشر عاما بعد حوادث وخطوب جمة ، وقضى معظم عهده فى حروب طاحنة مع الفرس . وكان الفرس قد غلبوا على مصر وسوريا وآسيا الصغرى ، وهددوا قسطنطينية نفسها ، فاستطاع هرقل ان يردهم عن اقطار الدولة ، وان يطاردهم حتى قلب بلادهم ، وان يسحق قواتهم فى موقعة نينفة الحاسمة (ديسمبر سنة ٦٢٧) . وفر كسرى الثانى ملك الفرس المعروف بكسرى ابرويز

(١) وفى رواية أخرى « فان عليك إثم الاكارين » وفى صورة اوردها ابو عبيدة لكتاب النبي الى هرقل ، يختم الكتاب بما يأتي : « والا فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام أن يدخلوا فيه او يعطوا الجزية » (راجع صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٧٦) والاريسيين ليست عربية وكذلك الاكارين . ولعلها تعني على ضوء عبارة ابي عبيدة ، الفلاحين او الرعايا البادين .

(٢) اورد ابو عبيدة فى كتاب الاموال نصا آخر لكتاب النبي الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام او دفع الجزية (راجع صبح الاعشى ج ٦ ص ٣٧٦ حيث يورد نصوص باقى الكتب النبوية) . ؟ يورد ابن عبد الحكم نفس هذا النص ، ولكن على أنه نص الكتاب الذي وجه الى المقوقس (حاكم مصر الروماني) (راجع فتوح مصر ص ٤٦) .

من عاصمته المدائن ؛ ثم قبض عليه ولده شيرويه (سيروس) وقتله وجلس على العرش مكانه ، وعقد الصلح مع هرقل . وعاد قيصر الى قسطنطينية ظافرا يحمل صندوق « الصليب المقدس » الذى كان الفرس قد انتزعوه من بيت المقدس . ثم سار فى خريف هذا العام (سنة ٦٢٨) حاجا الى بيت المقدس سيرا على الاقدام ومعه الصليب ليرده الى موضعه بالقبر المقدس : فبينا هو ببيت المقدس يؤدى مراسم الحج ، اذ وفد عليه حاكم بصرى (بوسترا) ومعه دحية الكلبى ؛ فقدم إليه كتاب النبى ، واخبره بمضمون سفارته (١) . وتقول الرواية الاسلامية إن هرقل استقبل سفير النبى بأدب وحفاوة ، وسأله عن بعض احوال النبى واحوال رسالته ؛ بل تذهب الى القول بأن هرقل هم باعتناق الاسلام لولا أن خشى نقمة البطارقة ، وانه صارح دحية برغبته وخشيته . وهذه مبالغة بلا ريب . ونستطيع ان نتصور ما اثارته سفارة النبى فى نفس قيصر من بواعث الانكار والدهشة ؛ ولعله لم يكن قد سمع عن محمد ورسالته من قبل قط ؛ بيد انه رد السفير النبوى ببعض المجاملات والاقوال الودية . ولما عاد هرقل الى عاصمته وصلته رسالة أخرى تلقاها عامله على الشام المنذر بن الحارث الغسانى من النبى على يد رسوله شجاع بن وهب يدعوه فيها الى الاسلام ، ويحذره عواقب المخالفة (٢) فبعث بها المنذر توا الى هرقل وسأله ان يسير لمحاربة ذلك الذى اجترأ على هذا الوعيد فلم يوافقه هرقل على ذلك ، ورد شجاع كما رد دحية ببعض المجاملات والتحيات

ووصلت سفارة النبى الى مصر فى الوقت نفسه يحملها حاطب ابن بلتعة اللخمى . وتجمع الرواية الاسلامية على أن هذه السفارة كانت موجهة الى « المقوقس عظيم القبط » وتقدم الينا صورة الكتاب النبوى الذى أرسل اليه مستهلا بهذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط » (٣) وهو فى نص الكتاب الذى وجه الى هرقل وفى نفس عباراته مع تغيير يسير فى بعض الروايات (٤) ؛ وفيه يدعى المقوقس كما دعى

(١) الطبرى (ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ ، وفى رواية أخرى أن الذى قدم كتاب النبي الى هرقل هو حاكم بصرى بعد أن تلقاه من دحية . وفى بعض الروايات أيضا أن الرسالة وصلت الى هرقل أثناء رحلته قبل أن يصل الى بيت المقدس Muin; ibid; p. 91

(٢) يورد الواقدي نص هذه الرسالة (الطبرى ج ٣ ص ٨٨)

(٣) راجع نص الكتاب كله فى ابن عبد الحكم ـ ص ٤٦

(٤) راجع صبح الاعشى ، فهو يورد نصا آخر لهذا الكتاب (ج ٦ ص ٣٧٧)

هرقل الى اعتناق الاسلام. وهنا يجب أن نقف قليلا عند شخصية المقوقس هذا الذي تعرفه الرواية الاسلامية دائما بأنه عظيم القبط. فقد كانت مصر يومئذ ولاية رومانية استردها هرقل من الفرس بعد أن لبثوا فيها عدة اعوام (١) ورد اليها سلطة قسطنطينية، وعاد يحكمها الولاة الرومانيون كما كانت من قبل؛ ولم يكن لاهلها القبط أى نوع من الاستقلال. والظاهر أن هذه الحقائق لم تكن مجهولة فى المدينة حيث تدل رسالات النبي وكتبه على ان الاحداث والاوضاع السياسية التى كانت تسود الجزيرة العربية وما يجاورها من الممالك كانت معروفة من النبي وصحبه. وقد كان حاكم مصر الرومانى فى نحو الوقت الذي نتحدث عنه هو الحبر « كيروس » وهو فى نفس الوقت حاكم مصر وبطريقها الأكبر. وقد استطاع البحث الحديث أن يلقى كثيرا من الضياء على شخصية « المقوقس » وأن يتعرف فيه شخصية « كيروس » نفسه؛ واذا فالمرجح أن المقوقس الذى تردد الرواية العربية اسمه انما هو « كيروس » حاكم مصر الرومانى(٢) بيد أن هناك نقطة ما تزال غامضة هى أن « كيروس » لم يعين حاكما لمصر إلا فى سنة ٦٣١ م؛ أعنى بعد ارسال السفارات النبوية باكثر من عامين؛ ولا يمكن أن تفسر هذه الثغرة فى التواريخ الا بأن السفير النبوى قد انفق الوقت فى قطع الطريق ثم فى الانتظار أو أن « كيروس » كان معينا قبل ذلك لحكم مصر بصفة غير رسمية ثم عين بصفة رسمية. بيد أن الواقدى يقدم الينا حلا لهذا المشكل، فيقول ان سفارة النبي الى « المقوقس » كانت فى السنة الثامنة من الهجرة لا فى أواخر السنة السادسة (٣). وأواخر السنة الثامنة من الهجرة توافق أواسط سنة ٦٣٠ م، فاذا اضفنا الى ذلك موعد المسافة من المدينة الى مصر استطعنا أن نضع مقدم السفير النبوى فى اوائل سنة ٦٣١ م. وعلى اي حال فالمرجح والمعقول هو أن السفارة النبوية لم توجه فى مصر لاحد غير الحاكم العام، وقد كان هذا الحاكم العام هو « كيروس ». ومما يؤيد هذه الحقيقة هو أن السفير النبوي قصد الى الأسكندرية ليؤدي مهمته وقد كانت الاسكندرية يومئذ مقر الحاكم العام الرومانى

اخترق حاطب بن بلتعة اللخمي مصر من شرقها الى غربها وقصد الى الاسكندرية ليؤدى سفارة النبي ورسالته، واخذ الى « كيروس » فى مجلسه المشرف على البحر؛ فاستقبله بترحاب وحفاوة، وتلق منه الكتاب النبوى وناقشه فى مضمونه، وسأله عن النبي ودعوته. وهنا تقول الرواية الاسلامية أيضا كما قالت فى شأن هرقل، ان المقوقس (كيروس) أفضى الى حاطب بأنه مؤمن بصدق رسالة النبي، وانه يود لو تبعه لولا خشيته من القبط؛ ثم صرف حاطبا بكتاب منه الى النبي وهدية يذكرها فى الكتاب. واليك نصه كما يورده ابن عبد الحكم اقدم مؤرخ لمصر الاسلامية: « لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط. سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه. وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، وبكسوة؛ وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام » (١). وفى بعض الروايات ان الهدية تضمنت فوق ذلك حمارا وشيئا من العسل والمال (٢). والجاريتان هما مارية القبطية وأختها شيرين. وقد أسلمتا على يد النبي؛ وتزوج النبي بمارية ورزق منها بولده ابراهيم الذى توفى طفلا؛ ووهب أختها شيرين لأحد أصحابه المقربين اليه. وفى زواج النبي بمارية، وفى مولد ولده ابراهيم، دليل مادى قاطع على انه كانت ثمة مخاطبات وعلائق حقيقية بين النبي وعظيم مصر يومئذ، أعنى « كيروس » الحاكم الرومانى

***

هكذا كانت النتائج التى انتهت اليها الكتب والسفارات النبوية الى قيصر وعامليه على مصر والشام، وقد كانت نتائج سلبية، ولم تكن حاسمة فى شيء. بيد أنها كانت بلاريب ذات أثر معنوى عميق فى البلاط الرومانى وفى الكنيسة

وأما الكتب والسفارات النبوية الى الناحية الشرقية من الجزيرة فقد لقيت مصاير أخرى. وكانت ثلاثا أهمها سفارة فارس، وكان سفير النبي الى ملك فارس عبدالله بن حذافة السهمى، فقصد الى المدائن ومعه الكتاب النبوى. وتقدم الرواية الاسلامية ايضا نص هذا

---

(١) يراد بالفتح الفارسى لمصر هنا الفتح الثانى الذى تم فى عهد كسرى سنة ٦١٦ م حيث فتح الفرس آسيا الصغرى وفلسطين ومصر ولبثوا فى مصر زهاء عشرة اعوام حتى اجلاهم هرقل عن مصر وباقى أملاك الدولة (سنة ٦٢٧ م).

(٢) راجع بتلر — ص ١٢٦ و ص ٤٤٤ وما بعدها Lane Poole; Milne; ibid, 115 Egypt in thə Middle ages p. 5. 7

(٣) راجع الطبري — ج ٣ ص ٩٠

(١) فتوح مصر ص — ٤٧

(٢) فتوح مصر ص — ٤٨

الكتاب فيما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس - سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ، ورسوله وشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وادعو بدعاء الله ، فانى انا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ؛ فاسلم تسلم ، فان ابيت فان اثم المجوس عليك » (١) . وكان ملك الفرس يومئذ كسرى الثانى (أو كسرى ابرويز) ؛ فلما قرىء عليه كتاب النبى مزقه ، وأهان السفير وطرده ؛ وبعث إلى عامله على اليمن باذان الفارسى أن يبعث إلى محمد من يتحقق خبره أو يأتيه به ؛ فصدع بالأمر . بيد أنه حدثت فى تلك الاثناء بالمدائن حوادث خطيرة ، فان شيرويه (شيروس) ولد كسرى ثار عليه وقتله وانتزع الملك لنفسه . ويضع الواقدى تاريخ هذا الانقلاب فى العاشر من جمادى الأولى سنة سبع (٢) (سبتمبر سنة ٦٢٨ م) . فاذا صح هذا التعيين فان الرواية الاسلامية تكون معقولة متناسقة فيما تقوله من أن الذى استقبل سفير النبى وتلقى كتابه هو كسرى أبرويز ؛ ولكن أغلب الروايات على أن مقتل كسرى كان فى فبراير سنة ٦٢٨ (ذى القعدة سنة ست) أعنى قبل قيام البعوث النبوية بنحو شهر ؛ وإذاً فالمرجح أن الذى استقبل السفير النبوى هو شيرويه ولد كسرى . أما حادث ارسال كسرى لعامله على اليمن أن يتحقق خبر محمد أو يأتيه به فالمرجح أنه وقع قبل البعوث النبوية وقبل مصرع كسرى ببضعة أشهر لما نمى الى كسرى من ظهور الدعوة الاسلامية وتقدمها (٣)

وفى السنة الثامنة من الهجرة (٦٣٠ م) قصد الى البحرين سفير آخر هو العلاء الحضرمى ، ومعه كتاب نبوى الى أميرها المنذر ابن ساوى ؛ وقصد الى عمان ، عمرو بن العاص الذى أسلم قبل ذلك بأشهر قلائل ، ومعه أيضا كتاب نبوى الى أميريها جيفر وعباد ابنى الجلندى زعيمى بنى الأزد . وفى الكتابين يطلب النبى الى هؤلاء الأمراء اعتناق الاسلام أو أداء الجزية . بيد أنهما حسبما تنقل الرواية الاسلامية قد صيغا فى أسلوب يخالف أسلوب الكتب السابقة . فمثلا تنقل الينا كتاب النبى الى أمير البحرين فيما يأتى : « من محمد النبى رسول الله الى المنذر بن ساوى - سلام عليك -

(١) يورد الطبرى صورة أخرى لكتاب النبى الى كسرى (ج ٣ ص ٩٠) .

(٢) الطبرى — ج ٣ ص ٩١

(٣) راجع Mueller : Der Islam I-149 وكذلك Muir, ibid, IV-58

فانى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو — أما بعد فان كتابك جاءنى به رسلك ، وأن من صلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فانه مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ؛ ومن أبى فعليه اداء الجزية » (١) ، ففى الكتاب خيار بين الاسلام ودفع الجزية لم يرد فى الكتب السابقة ، وهو بهذه الصفة ذو صبغة عملية ؛ ثم هو يدل على أمر آخر هو أنه رد على استفهام وجهه أمير البحرين إلى النبى عن أحكام الاسلام . وقد تضمن الكتاب الذى أرسل إلى أميرى عمان شرح بعض أحكام الاسلام أيضا (٢) . وكان لهاتين السفارتين نتيجة عملية ، فان أمير البحرين ، وأميرى عمان آمنوا برسالة النبى واعتنقوا الاسلام ، وأدوا الجزية عن رعاياهم غير المسلمين . وأرسلت سفارة ودعوة اخريان على يد سليط بن عمرو الى امير آخر من أمراء هذه الانحاء هو هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة (٣) ؛ وكان نصرانيا ، فرد على النبى بكتاب خشن يطلب فيه مشاركة النبى فى أمره وسلطانه شرطا لدخوله فى دعوته .

* * *

بقى أن نتحدث عن سفارة النبى الى الحبشة ، وهى السفارة الوحيدة التى أرسلت الى ماوراء البحر . وقد كان ارسالها فى ختام السنة السادسة او فاتحة السنة السابعة فى نفس الوقت الذى ارسلت فيه سفارتا قيصر وكسرى . وكان بين الحبشة والنبى وانصاره قبل ذلك علائق ودية منتظمة ، والى الحبشة لجأ كثير من انصار النبى ايام الهجرة فرارا من اضطهاد قريش ، واقاموا بها تحت حماية النجاشى ورعايته ، ومنهم جعفر بن أبى طالب عم النبى ، فلما نظمت السفارات النبوية الى « ملوك العرب والعجم » ، ارسلت سفارة الى ملك الحبشة (النجاشى) على يد عمرو بن أمية الضمرى فى ذى الحجة سنة ست اعنى فى نفس الوقت الذى ارسلت فيه سفارة قيصر ؛ ووجه النبى الى النجاشى كتابين ، يدعوه فى أولهما الى الاسلام ؛ ويطلب اليه فى ثانيهما ان يرسل الى المدينة من عنده من المسلمين اللاجئين . وقد صيغت دعوة النبى الى النجاشى فى اسلوب خاص يخالف فى روحه والفاظه ما تقدم من الدعوات . واليك نص هذه

(١) الطبرى — ج ٣ ص ١٠٢ — ونقل صاحب صبح الاعشى عن السهيلى صورة أخرى لهذا الكتاب (ج ٦ ص ٣٦٨)

(٢) راجع صورة هذا الكتاب فى صبح الاعشى — ج ٦ ص ٣٨٠

(٣) من ارض نجد الشرقية مما يلى عمان

الدعوة حسبما يقدمها الينا ابن اسحاق في السيرة: « بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة ، سلم انت ؛ فاني أحمد الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، واني ادعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته ، وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله ؛ وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين ، فاذا جاءوك فاحترمهم ودع التجبر ، فاني أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى » . وقد كان النجاشي نصرانيا ، وكانت النصرانية تسود الحبشة منذ القرن الرابع . وفي الكتاب النبوي شرح لموقف الاسلام نحو النصرانية ونظريته في خلق المسيح ؛ وهو موقف ليس فيه انكار ولا خصومة جوهرية الا من حيث الوحدة والتوحيد ؛ والكتاب النبوي ينوه بهذه الوحدة . وبعث النبي الى النجاشي أيضا يكلفه بأن يعقد زواجه من ام حبيبة بنت ابي سفيان ، وكانت من المسلمين اللاجئين ، وكانت زوجة لصحابي يدعى عبيد الله هاجر بها الى الحبشة ثم ارتد هنالك عن الاسلام وتنصر ، وتوفي مرتدا . وتقول الرواية الاسلامية ان النجاشي لبى دعوة النبي وأسلم ، وبعث اليه بكتاب يؤكد فيه اسلامه ، وانه حقق رغبته في تزويجه من أم حبيبة نيابة عنه ، وبعثها اليه مع من كان عنده من المسلمين في سفينتين كبيرتين . بيد أنه يلوح لنا أن القول باسلام النجاشي مبالغة يمكن أن تحمل على ما أبداه النجاشي من أدب ومجاملة في استقبال السفارة النبوية ؛ والمرجح أن النجاشي لم يسلم ؛ ولو أسلم النجاشي يومئذ لكان الاسلام قد غمر الحبشة كلها ، ولكانت النصرانية قد غاضت منها . بيد أن الاسلام لم ينتشر في الحبشة الا بعد ذلك بعصر ، وكان انتشاره في الجهات الشرقية والجنوبية فقط (١)

ونلاحظ أخيرا ان البعوث والسفارات النبوية لم تقتصر على من تقدم من الملوك والأمراء . فقد أوفد النبي بعوثا وكتبا أخرى الى عدة من زعماء الجزيرة المحليين ، لتحقيق نفس الغاية في ظروف وتواريخ مختلفة ، اسفر بعضها عن نتائج عملية مرضية ، ودخل بعض

(١) راجع رواية الطبري عن ابن اسحاق والواقدي (ج ٣ ص ٨٩ و ٩٠) وراجع أيضا بتلر ص ١٢٥. وكذلك Mujr.; ibid IV 58 والهوامش.

هؤلاء الزعماء في الاسلام (١)

***

كانت هذه السفارات والكتب النبوية عملا بديعا من أعمال الدبلوماسية ، بل كانت أول عمل قام به الاسلام في هذا الميدان . وليس أسطع من هذه السفارات دليلا على ما كانت تجيش به نفس النبي العربي من فيض في الايمان والشجاعة ؛ ذلك النبي الذي لم يكن قد نجا بعد من اضطهاد قومه ، ولم يكن له سلطان يعتد به أو قوى يخشى بأسها ، يقدم في ثقة وشجاعة على دعوة قيصر الدولة الرومانية وعاهل الدولة الفارسية ، وباقي الملوك والامراء المعاصرين على اعتناق دعوة لم تكتمل بعد في مهدها ، على أن هذه الدبلوماسية الفطنة التي لجأ اليها النبي في مخاطبة ملوك عصره لم تذهب كلها عبثا كما رأينا . ولا ريب أن النبي لم يكن يتوقع أن يلبي أولئك الملوك الاقوياء دعوته ، وهو ما يزال يكافح في بثها بين عشيرته وقومه . بيد أن إيفاد هذه البعوث كان عملا متمما للرسالة النبوية . وكان العالم القديم الذي يتوجه اليه النبي العربي بدعوته يقوم يومئذ على أسس واهية تنذر بالانهيار من وقت الى آخر ؛ وكانت الاديان القديمة قد أدركها الانحلال والوهن وفسدت مثلها العليا ؛ فكانت الدعوة الاسلامية تبدو في جدتها وبساطتها وقوتها ظاهرة تستحق البحث والدرس . ولم يكن عسيرا أن يستشف أولو النظر البعيد ، ما وراء هذه الدعوة الجديدة من قوى معنوية تنذر بالانفجار في كل وقت . وقد كان الانفجار في الواقع سريعا جدا ، فلم تمض اعوام قلائل على ايفاد هذه البعوث حتى كان الاسلام قد غمر قلب الجزيرة العربية ، وانساب تيار الفتح الاسلامي الى قلب الدولتين الرومانية والفارسية ، واخذ العرب ابناء الدين الجديد وحملة الرسالة المحمدية يعملون بسرعة خارقة على انشاء الدولة الاسلامية الكبرى .

وقد تناول البحث الغربي حوادث السفارات النبوية فيما تناول من حياة النبي العربي ، وكان جل اعتماده في شأنها على الرواية الاسلامية ؛ وهنالك من كتاب السيرة الغربيين من يبدي ريبا في أمر هذه السفارات ، أو يبدي بالاخص ريبا في صحة الكتب والرسائل النبوية . ومن هؤلاء الكتاب المستشرقان الالمانيان فايل وميلر ؛ فان فايل يلاحظ مثلا أن في بعض الكتب النبوية (كتاب النبي الى كيروس)

(١) راجع في صبح الاعشى بعض هذه الكتب واسماء من ارسلت اليهم (ج ٦ ص ٣٦٨ و ٣٧١ و ٣٨١ و ٣٨٢

آيات قرآنية لم تكن قد نزلت وقت ارسالها مما يدل على انها قد وضعت فيما بعد (١) ؛ ويرتاب ميلر فى أن رسالة قد وجهت من النبى الى هرقل ، ولكنه مع ذلك يقدم ملخصا لحوادث السفارات النبوية كما وردت فى السيرة (٢)

أما نحن فلسنا نرى من الوجهة التاريخية ما يبعث على الشك فى صحة هذه السفارات النبوية ، بل نلمس بالعكس كثيرا من الادلة والقرائن على صحة معظم الوقائع التى اقترنت بها . وقد تبالغ الروايه الاسلامية فى بعض الوقائع حسبما اشرنا اليه فيما تقدم ولكن فى تعيين الرواية الاسلامية للتواريخ والاشخاص والامكنة ، وفى اتفاقها على كثير من الوقائع ، وفى موافقة الرواية الكنسية والبيزنطية لكثير منها خصوصا فيما يتعلق برسالة النبى الى قيصر وكيروس — فى ذلك كله ما يؤيد صحة كثير من هذه الاحداث الدبلوماسية الاسلامية الاولى . وانما يتطرق الشك فى نظرنا الى النصوص والصيغ التى تقدمها الرواية الاسلامية للكتب النبوية . ذلك انها لم ترد جميعا فى رواية ابن اسحاق اقدم مؤرخى السيرة ؛ وقد ورد بعضها بعد ذلك فى كتاب الواقدى الذى لم يصلنا منه سوى شذور قليلة ، وفى كتاب ابن عبد الحكم المصرى ، ثم فى الصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم) وفى الطبرى وغيره من الروايات المتقدمة (٣) ولكنها ترد بصيغ وألفاظ مختلفة مما يحمل الشك فى صحة هذه النصوص . وأكبر الظن أن هذه النصوص قد وضعت ، ورويت فيما بعد باعتبار انها تمثل أقرب الصور التى صيغت فيها الكتب النبوية ، وقدمها كتاب السيرة على انها أرجح النصوص المحتملة : بيد أن هذا الشك فى صيغ الكتب النبوية لا يتعدى الحقائق التاريخية التى تنهض الادلة والقرائن على صحة الكثير منها

لقد كانت السفارات النبوية حادثا سياسيا عظيما فى حياة النبى العربى ؟

محمد عبد الله عنان

المحامى

(١) G. Weil : Mohamed der prophet p. 198

(٢) Mueller : Der Islam - I - 148

(٣) توفى ابن اسحق سنة ١٥٠ هـ — والواقدى ٢٠٧ هـ ، وابن عبد الحكم ٢٥٧ هـ ، والبخارى ٢٦٥ هـ ، ومسلم ٢٦١ هـ والطبرى ٣١٠ هـ

خالد بن الوليـــد

القائد الذى لم يهزم قط (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان شرف قريش قبل الاسلام لبنى عبد مناف وبنى مخزوم ، وكان شرف بنى مخزوم الى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم حتى آثر بعض ذريته اسم المغيرى على اسم المخزومى . وكان هشام بن المغيرة يسمى رب مكة ، ولما مات أرخت قريش بموته ، وكان ابنه ابو جهل زعيما من زعماء قريش . والوليد بن المغيرة أخو هشام كان أكبر رجل فى مكة ، وكان يلقب الوحيد ، وريحانة قريش . ولما كلم زعماء قريش أبا طالب فى أمر النبى عرضوا عليه أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلم اليهم محمدا فقالوا كما روى ابن هشام : « يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك » .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » . ان المشركين عنوا الوليد بن المغيرة فى مكة وعروة بن مسعود الثقفى فى الطائف . وقالوا فى الآيات « ولا تطع كل حلاف مهين » — الى « ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » والآيات : « ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا » ، أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة ومن أجل التنافس بين بنى عبد مناف وبنى مخزوم كانت عداوة هؤلاء للاسلام . روى ابن هشام قول ابى جهل : « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ »

كان للوليد بن المغيرة عشرة بنين أو ثلاثة عشر ، أسلم منهم ثلاثة عمارة وهشام وخالد .

وأم خالد لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية اخت ميمونة

(١) أضطر فى ضيق المجال الى اقتضاب الحوادث فى هذه السيرة الحافلة

أم المؤمنين ، ولبابة الكبرى زوج العباس ، وكانت لبابة الكبرى منجبة أنجبت سبعة من بنى العباس يقول فيهم الراجز :

ما ولدت حليلة من بعل … في جبل نعلمه أو سهل
كستة من بطن أم الفضل … أكرم بها من كهلة وكهل

وحسب أختها انجابا أنها ولدت خالدا .

اتفق الرواة على أن خالدا مات سنة احدى وعشرين ، وقال القسطلانى : وكان له بضع وأربعون سنة . فمولده حول خمس وعشرين قبل الهجرة أو اثنتى عشرة قبل البعثة .

وكان خالد قائد فرسان قريش ، وذاع صيته بما فعل فى أحد إذ فجىء المسلمين من خلفهم حين تركوا مواقفهم فهزم المسلمون بيقظة خالد ومهارته . وهو يومئذ دون الثلاثين . وقد شارك فيما كان بين المسلمين وقريش من حرب الى غزوة الحديبية ، وكان يومئذ قائد الفرسان ، وتقدم بهم من مكة الى كراع الغميم ليرد المسلمين

اسلام خالد

روى ابن اسحاق عن عمرو بن العاص : « خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ فقال والله قد استقام الميسم ، وان الرجل لنبى ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؟ قلت والله ما جئت الا لأسلم . فقدمنا المدينة على رسول الله فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت يا رسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله يا عمرو : بايع ، فان الاسلام يجب ما كان قبله ، وان الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته ثم انصرفت » .

دخل خالد فى جند المسلمين يومئذ وسرعان ما شارك فى الغزوات وأبلى فيها . فلم يمض على اسلامه شهران حتى يشهد غزوة (مؤتة) فى جمادى الأولى من السنة الثامنة . وكانت موقعة نائية نازل فيها المسلمون أضعافهم من العرب والروم . وتهاوت القواد الثلاثة الذين ولاهم الرسول واحدا بعد الآخر : زيد بن ثابت ، فجعفر بن أبى طالب ، فعبد الله بن رواحة ، فاختار الناس خالدا فدافع العدو وانحاز بالمسلمين حتى نجا بهم ، وقفل الى المدينة فلقى الناس القافلين يعيرونهم : يقولون يا فرار ، فقال الرسول صلوات الله عليه ، بل هم الكرار ، وسمى فعل خالد فتحا ، ولقبه سيف الله . فى البخارى أن رسول الله قال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب — وعيناه تذرفان — حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » ولا ريب أن من الفتح أن يخلص خالد هذا الجيش القليل من سورة جيش عرمرم جمع الروم والعرب فلا يقتل منه الا اثنا عشر . ولا ريب أن بعضهم قتل قبل تولى خالد القيادة » وروى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرت فى يدى صفيحة لى يمانية » فانما أنقذ خالد جنده اذ دفع بنفسه فى نحر العدو حتى دقت فى يده تسعة أسياف وانها لبطولة .

وبعد قليل سار المسلمون لفتح مكة ، وكان خالد قائد المجنبة اليمنى وفيها جماعة من أسلم وغفار وسليم ومزينة وجهينة وغيرها من القبائل ، وأمره الرسول أن يدخل مكة من أسفلها ، فكان بينه وبين قريش قتال يسير قتل فيه نفر من الفريقين .

وبعثه رسول الله بعد الفتح الى بنى جذيمة داعيا الى الاسلام ، فقتل جماعة منهم حين لقوه بالسلاح ، فلما نمى الخبر الى الرسول قال : « اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد » ، وودى القتلى . واعتذر خالد بأن عبد الله بن حذافة السهمى قال له : ان رسول الله أمرك بقتالهم لامتناعهم عن الاسلام . ومهما يكن فقد أخذ المسلمون على خالد تعجله فى قتال القوم . ولكن لم تذهب هذه الهفوة بحسن بلائه .

ثم بعثه الرسول فهدم العزى فى بطن نخلة ، وكانت فى سدانة بنى سليم ، ولا نجد ذكر خالد فى موقعة حنين ، الا ما روى ابن اسحاق أن الرسول وجد امرأة مقتولة فأرسل الى خالد أن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا .

ولما كانت غزوة تبوك بعث الرسول خالدا الى أكيدر بن عبد الملك أمير دومة الجندل فأسره وجاء به الى الرسول فصالحه

ولما وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين والعرب وأرسل الرسول دعاته الى أرجاء الجزيرة بعث خالدا الى بنى الحارث بن كعب فى نجران فاستجابوا لدعوته وأقام فيهم يعلمهم الاسلام ، وكتب الى الرسول باسلامهم ، فكتب اليه الرسول أن يقدم مع وفدهم . وفى ابن هشام وصبح الأعشى نص الكتابين .

فى حروب الردة

ولما سير ابو بكر الجيوش لحرب المرتدين رمى بابن الوليد

أقرب الأعداء الى المدينة : طليحة بن خويلد الأسدى ومن شايعه ، ثم مالك ابن نويرة اليربوعي . فسار خالد الى متنبىء بنى أسد فأدار عليه فى (بزاخة) حربا أكذبت دعوته وأذابت غشه . ثم يمم مالك ابن نويرة وكان قيد مالأ سجاح المتنبئة ، فلما جاء البطاح وجد القوم قد تفرقوا حيث سراياه ، فرجعت بأسارى منهم مالك ابن نويرة . ثم قتل الأسارى . ونقم الناس من خالد بعد أن شهد بعض الجند أنهم أجابوا أذان المسلمين بالأذان اعلاما باسلامهم . وروى بعض المؤرخين أن خالدا أمر بادفاء الاسارى فى ليلة باردة ، وادفاء الأسارى قتلهم فى لغة كنانة ، فسارع الجند الى قتلهم ، وما أراد خالد القتل . وزاد ارتياب الناس بخالد حين تزوج أم تميم بنت المنهال امرأة مالك . وجاء الى ابى بكر ابو قتادة الانصارى مفارقا خالدا ، ومتمم أخو مالك مستعديا عليه . ورأى عمر أن يقاد خالد بمن قتل . فقال ابو بكر : هيه يا عمر ، تأول خالد فأخطأ ! فارفع لسانك عن خالد . ثم كتب الى خالد يستقدمه فقدم وأبان عن عذره فقبل منه الخليفة . قال الطبرى : « وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجرا بعمامة له قد غرز فى عمامته أسهما ، فلما أن دخل المسجد قام اليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها . ثم قال أرئاء ؟ قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك . ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن الا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه ، حتى دخل على أبى بكر . فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر اليه فعذره أبو بكر وتجاوز عما كان فى حربه تلك » وان فى عفو أبى بكر عن خالد لبرهانا على أن فعلته لم تكن بحيث ظن عمر .

وكان أبو بكر وجه عكرمة بن أبى جهل ابن عم خالد الى بنى حنيفة قوم مسيلمة المتنبىء فى اليمامة وأتبعه شرحبيل بن حسنة فتعجل عكرمة الحرب قبل أن يؤازره شرحبيل فهزم ، وعنفه أبو بكر وبعثه مددا للمحاربين فى عمان ، فلما فرغ سيف الله من بنى أسد وتميم سيره أبو بكر الى اليمامة ، فرأى أن يؤمن طريق جيشه بابعاد القبائل الموالية لمسيلمة وسجاح ، فكتب الى بنى تميم فطردوهم من الجزيرة ، وتقدم خالد لطيته فاذا شرحبيل قد سبقه الى الحرب وباء بالهزيمة . وكانت بين خالد وبين مسيلمة موقعة عقرباء الطاحنة التى تهافت فيها أمجاد المسلمين . وكادت تقضى بالفلج لبنى حنيفة ، ولكن خالدا أمر الناس أن يمتازوا ليعرف بلاؤهم ، فتميز الناس وأحسنوا البلاء . وحمى الوطيس ، وماطل النصر بلاء الابطال حتى رأى خالد أن الحرب دائرة ما دام مسيلمة قطبا لها ، فبرز ودعا الى المبارزة ، وارتجز ونادى بشعار المسلمين يومئذ : « يا محمداه ! » وصمد الى مسيلمة يحطم الصفوف اليه ، وآزره أبطال جنده فلم ينثن الا ومسيلمة قتيل . فقضى للمسلمين بالنصر وجاء بنو حنيفة مستسلمين فصالحهم خالد ، وجاءه أمر أبى بكر بقتلهم فأعلمه أن عهده قد سبق ، وحفظ للقوم ذمتهم .

فتح العراق

لم يكد يفرغ خالد من مسيلمة حتى وجهه أبو بكر لفتح العراق لحرب الفرس : الأسد الذى كانت القبائل تخشاه وتتحاماه ، وأمره الخليفة أن يبدأ بالأبلة ثم يفتتح الى الشمال صوب الحيرة ، كما أمر عياض بن غنم أن يبدأ بالمضيح فى الشمال ثم يتجه الى الجنوب شطر الحيرة ، كذلك وأى القائدين سبق الى الحيرة فهو الأمير على صاحبه

كتب خالد الى هرمز والى الأبلة يدعوه الى الإسلام وينذره الحرب ، ثم التقى الجمعان قرب كاظمة فى موقعة ذات السلاسل ، فبارز خالد هرمز فقتله فحقت الهزيمة بقتله ، ثم سار خالد يقود جيشين من الجند والرعب ، فكانت وقائع المذار ، والولجة ، وأليس ، ومغيشيا ، وخالد يسير من نصر الى نصر ، ويوالى الكتب والاخماس الى أبى بكر ، فلما جاءته البشرى بفتح مغيشيا قال : « يا معشر قريش . عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله ، عجزت النساء أن ينشئن مثل خالد ! »

خالد فى الحيرة بعد شهرين من دخوله العراق ، وها هو فى الثانى عشر من ربيع الاول سنة اثنتى عشرة يكتب كتاب الصلح لرؤساء الحيرة

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا ابنى عدى ، وعمرو بن عبد المسيح ، وأياس بن قبيصة وحيرى بن أكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ، ورضى بذلك أهل الحيرة وأمروهم به — عاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسهم الا من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا تاركا لها ، وعلى المنعة . وإن لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم . وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة بريئة منهم » .

تتابعت القرى على الصلح بعد الحيرة . ومن الحيرة وجه خالد

كتبه إلى أمراء الفرس ومرازبتهم يدعوهم الى الاسلام ، وينذرهم الحرب . وصار خالد أمير العراق كلها فقتح الحيرة « لعهد أبي بكر فقد فتوجه الى الشمال فى الأرض التى عهد الى عياض فتحها ، طوى الأرض الى الانبار فاعتصم الناس بالحصون وخندقوا . فنحر اضعاف الابل وألقاها فى الخندق وعبر عليها ، فاضطر أهل المدينة الى المصالحة ، ثم سار الى عين التمر وقد اجتمع له بها العرب والفرس . وخرج للقائه عقبة ابن أبي عقبة فى جموع من تغلب وأياد والنمر فانقض خالد على عقبة وهو يسوى صفوفه فاحتضنه وأسره وكفاه عناء الصفوف والزحوف فانهزم جنده . فهل عرفنا قبل خالد قائدا يختطف القواد ليكفى الجند عناء الجلاد ؟

ثم توجه تلقاء عين التمر فنزل من فيها على حكمه .

أين عياض بن غنم ؟ فى دومة الجندل تكالبت عليه الاعداء وأخذت عليه الطريق فاستغاث خالدا فأجابه : « من خالد الى عياض ، إياك أريد » .

لبث قليلا تأتك الحلائب يحملن آسادا عليها القاشب
كتائب يتبعها كتائب

وسار الى دومة الجندل فاجتمعت لحربه كلب وغسان وبهراء وتنوخ ، وعلى الناس رئيسان أكيدر بن عبد الملك الذى أسره خالد فى غزوة تبوك ، والجودى بن ربيعة ، قال الأكيدر :

« أنا أعلم الناس بخالد . لا أحد أيمن طائرا منه ولا احد فى حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبدا قلوا أو كثروا الا انهزموا عنه ، فأطيعونى وصالحوا القوم » فلما أبوا قال : لن أمالئكم على حرب خالد ، وتركهم لينجو بنفسه ، ولكنه طاف يبغى نجوة من هلاك فهلك .

أخذ خالد عليه الطريق وقتله جزاء غدره بما كان بينه وبين المسلمين من عهد ، ثم أتى دومة الجندل ففتحها وتألب أهل الفرس وأهل العراق على المسلمين حين علموا غيبة خالد ، فرجع وهزم أعداءه فى مواقع الحصيد والخنافس والمضيح والثنى والزميل .

ثم توجه الى الفراض وهى بلدة على الفرات عندها حدود العراق والشام والجزيرة ، وملتقى دولتى الفرس والروم . فلم يرهب خالد جموع الفرس والروم والعرب ومزقهم كل ممزق حتى روى الرواة أنه قتل فى المعركة والطلب مائة ألف .

كانت الموقعة منتصف ذى القعدة من السنة الثانية عشرة . فقد طوى خالد وادى الفرات ما بين الأبلة والفراض فى أقل من أحد عشر شهرا وانتصر فى خمس عشرة موقعة لم يهزم فى واحدة ، أبت ذلك شجاعته ، وكياسته ، وتحامه الغمرات ، وقتله القواد وضيته الذى ملأ جنده يقينا وعدوه رعبا .

من الفراض الى مكة فى اثنى عشر يوما

ورحل خالد قافلا الى الحيرة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة . وولى على الجيش عاصم بن عمرو ، وأظهر للناس أنه سيسير فى الساقة وأسر الى خاصته أنه على عزيمة الحج ثم طوى الفيافى ما بين الفراض الى مكة فأدرك الحج ، فلا محالة قد قطع هذه الصحارى المترامية فى اثنى عشر يوما . قال الطبرى :

« وخرج خالد حاجا لخمس بقين من ذى القعدة مكتتما بحجه و معه عدة من اصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا رئبال . فسار طريقا من طرق الجزيرة لم ير طريق أعجب منه ولا أشد على صعوبته منه . فكانت غيبته عن الجند يسيرة فما توافى الى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذى وضعه . فقدما معا وخالد وأصحابه محلقون لم يعلم بحجه الا من أفضى اليه بذلك من الساقة . . .

وكتب أبو بكر الى خالد يأخذ عليه مسيره الى الحج وترك الجند بغير اذن ، ويأمره بالمسير الى الشام مددا لمن بها من الغزاة . وأن يترك نصف الجيش مع المثنى ويسير بنصفه ، فسار فى صفر من السنة الثالثة عشرة .

وكان رحيل خالد من العراق الى الشام معجزة من معجزات المسير ، وأعجوبة من أعاجيب المخاطرة ، فقد قطع بالجيش الجرار صحراء ليس بها ماء يقطعها الراكب المخف فى خمسة أيام قطعها فى خمس ليال ولا ماء الا ما فى أجواف الابل : أعطشها وسقاها وكظم افواهها ، فكان ينحرها فى مراحل الطريق فيرتوى الناس والخيل .

وقد خرج خالد من مفازة على بهراء فصبحهم بالقتال وهم لا يحسبون جيشا من الجن يسلك اليهم هذه المفازة ، وحارب قبائل من العرب فى طريقه حتى بلغ ثنية العقاب على مقربة من دمشق فنشر عليها راية سوداء من رايات الرسول صلوات الله عليه . ثم حارب غسان فى مرج راهط وصار الى بصرى ففتحها ، ثم أدرك المسلمين فى

معسكرهم على اليرموك أو أجنادين (١) . فاظنك بهذا النصر السائر ، والفتح المسافر ، الذى يطوى البلاد والصحارى والقبائل فى عزمات الجند القليل ؟

خالد فى الشام

وافى خالد المسلمين معدين لمنازلة جحافل كثيفة من الروم والعرب ، ووجد الجيوش مقسمة بين القواد الأربعة الذين بعثهم أبو بكر الى الشام ، أبى عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، فأراد أن يلقى الروم بجيش مجتمع ورأى موحد فخطب الناس :

« إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى . أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده . ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية - على تساند وانتشار . فان ذلك لا يحل ولا ينبغى . وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم ومحبته . قالوا فهات ، فما الرأى ؟ فقال فيما قال . وهلموا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم . ودعونى اليكم اليوم » .

تأمر خالد على الجيش كله وفيه قواد أسن منه وأقدم اسلاما ، ولكن اعتداد خالد بنفسه وثقة الناس به ألقت اليه بالمقاليد ذلك اليوم ، فقسم الجيش كراديس ستة وثلاثين ، وجعل على كل كردوس قائداً ، ثم جعل قواداً على القلب والجناحين . ثم أدار المعركة طول النهار وبعض الليل ، وأصبح فى فسطاط قائد الروم قد ملك النصر كله وبلغ من العدو ما تمنى .

كتب كتاب الفتح باسم خالد . وبعد قليل جاء المسلمين نعى أبى بكر وولاية عمر .

هل عزل عمر خالدا

لا ريب أن عمر كان ينقم من خالد هنات فى حروبه ، وانه أشار على أبى بكر بالاقتصاص منه لمالك بن نويرة ، وما كانت تعجبه جرأته واستبداده فى تقسيم الغنائم والأرزاق . وكان خالد معتداً برأيه كتب اليه أبو بكر يأمره ألا يعطى شيئا فأجابه خالد : « إما أن تدعنى وعملى والا فشأنك بعملك ، هذا وأشباهه أسخط عمر على خالد وما كان عمر ليداهن فى دينه وقد كثرت الأقوال فيما فعل عمر بخالد وينبغى أن نذكر أن خالدا لم يول على الشام من قبل أبى بكر ولا عمر ولكنه بعث مددا لغزاة الشام . فعمر ما عزل خالدا عن ولاية الشام أو قيادتها ولكن خالدا أمر نفسه يوم أجنادين وتيمن الناس به ، فكان حريا أن يكون أحد القواد . فلما جاء كتاب عمر بضم خالد الى أبى عبيدة قال الناس ما قالوا فى عزل خالد . وقد خطب عمر مرة فاعتذر عما فعل ، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة « عزلت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضعت لواء رفعه . فقال إنك قريب القرابة حديث السن مغضب لابن عمك . »

ولكن خالدا لا يعزل نفسه العظيمة ، ولا كفايته التى لا تعوض فلما اجتمع القواد على دمشق يحاصرونها نزل خالد على الباب الشرقى فاقتحمه اقتحام الابطال ودخل المدينة عنوة فسارع الرؤساء الى أبى عبيدة يصالحونه فالتقى عنوة فى وسط المدينة خالد الفاتح والقواد الآخرون . فكتب كتاب الفتح باسم خالد . فلما جاءت عمر الانباء قال : أمر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى .

ولم يزل خالد مشاركا فى فتوح الشام كافيا لما يعهد اليه من حرب أو ولاية بقية حياته

هذه سنة أحدى وعشرين من الهجرة وخالد العظيم فى سن الخامسة والاربعين على فراش الموت فى حمص وأمامه مجد عشرين سنة مظفرة لم تنكس له راية ، ولا أعيا عليه فتح ، ولم يختلف عليه اثنان من جنده ، فاستمع البطل العظيم والقائد الباسل يقول :

« لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى . وما من عملى شىء أرجى عندى بعد أن لا إله الا الله من ليلة بتها وأنا متترس . والسماء تهلنى بمطر الى صبح حتى نغير على الكفار — ثم قال : « اذا أنا مت فانظروا فى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله » .

ثم أوصى وصية ، فمن اختار أمينا على انفاذها ؟ عمر بن الخطاب ! ان النفوس العظيمة لتختلف الا فى العظمة التى تؤلف بينها ، والتى تأبى أن تصيخ إلى سفساف الأمور . اختلف الرجلان على أمور ، وجمعتهما همة عاليه ومطالب عظيمة .

لقد بكى خالدا الاسلام والمسلمون حتى عمر : سمع عمر البكاء على خالد فقال :

ما على نساء الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن . . وسمع راجزا يذكر خالدا فقال والاسف ملء فؤاده : « رحم الله خالدا »

عبد الوهاب عزام

---

(١) فى روايات المؤرخين اختلاف فى تاريخ موقعة اليرموك . ولا يتسع المجال هنا لتجلية الحقيقة .

من ذكرياتي

للاستاذ عبد العزيز البشري

تفضلت (الرسالة) فدعتني إلى أن اجرى بحديث في العدد الذي ترصده لرأس السنة الهجرية. ولم يجد طول التعذر بالمرض ولقس النفس وحرج الصدر. لقد أمر أصحاب (الرسالة) وكيف لى بعصيان أصحاب (الرسالة)؟ إذن فلا عص نفسي ولأنشز على وهني في طاعتهم والإستجابة لهم. وحسبي الله ونعم الوكيل فقيم كتب وماذا أكتب إذن؟

أقول في الأدب! سيقول فيه أصدقائي الدكتور طه، والاستاذ أحمد امين، والاستاذ الزيات، وغيرهم من صفوة الأدباء. ولست احب لنفسي أن أكون فسكلا لاأبلغ السبق: إن أنا بلغته، إلا بعد جميع الجياد!

إذن أكتب في السيرة النبوية الكريمة، ونحن على شرف عام هجري جديد، يتجرد لذكراه هذا العدد العتيد! لا والله، ولن أخدع في هذا أيضاً بعد الذى كتب هيكل في (حياة محمد) وطه (على هامش السيرة).

لقد أصبح على، بعد هذا، أن أتقرى السبل فأختار أعبدها لى، وأوعرها عليهم جميعا، وهم ولاشك تاركي أجوز وحدي فأكون المجلى في حلبتي على كل حال.

ساحدث القراء عن بعض ماشهدت بنفسي مما يرجع الى أكثر من خمس وثلاثين سنة. ولست أحسب أن أكثر أدباء العصر شهدوه لقصر اسنانهم. فمن قد علت به السن منهم فلعله ممن لم يكن هبط بعد القاهرة في طلب أواسط العلم وأعاليه. فمن تهيأ له منهم أن يكون في القاهرة، وهؤلاء من القليل أقل، فلعله كان في شغل من تحصيل العلم والإكباب على الدرس عن شهود هذا والاحتفال له. فان كان قد وقع لبعضهم هذا عفواً فهو عنده دون ان يجمع له همه ويطوي عليه قلبه، ويختزنه في نفسه اختزان البعير الطعام في جوفه ليجتر منه وقت حاجته.

لقد قدر لى، والحمد لله، ان اسمع من عظماء المغنين المرحومين عبده الحمولي، والشيخ يوسف المنيلاوي، ومحمد عثمان، والشيخ محمد الشنتوري، والسيد أحمد صابر، وعبد الحي حلمي، وابراهيم القباني، واحمد حسنين. وأحمد فريد، ومحمد سالم. ومن الهواة السيد عبدالسلام الدنف. وان أسمع من المنشدين ومن في حكمهم الشيخ سلامة حجازي، والشيخ احمد المحروقي، والشيخ عبدالله الأودي، ومن صدور القراء السيد الصواف: والمشايخ حنفي برعي، واحمد ندا: وعلى الفلاحة، والليثي، وابا السعود: وعلى يوسف، وعلى الجنيد: والماخلي، والغيسوي. والشيخة أسمهان، كما سمعت هؤلاء المعاصرين الأحياء. وصل الله في أعمارهم يمتع بهم الأبناء والأحفاد، كما متع بسلفهم الآباء والاجداد.

ولست أحاول في كلمات ارتجلها للرسالة ارتجالا، وأرسلها من عفو الحديث إرسالا، أن أتحدث عن هؤلاء جميعاً. وما كان هذا المقام ليحتمل هذا كله ولا بعضا من بعضه. بل ولست أحاول أن أستغرق بالحديث واحداً من هؤلاء، فأدل على منجمه ومنشئه وخلقه وسيرته، ولون صوته، ومأتى فنه، وعمن أخذ، وكيف ذهب، وماذا أجد في الفن بصنعته. فذلك مما يستهلك الكثير من الصحائف ومن الوقت والعزم معا، ولكنني أكتفي بذكر اثنين من أحداث أربعة شهدتها بنفسي. ولو قد حدثني بها محدث لاتهمته بالغلو إذا لم أعدل به الى التزيد. وأحدها، كان من محمد عثمان، وهذا أدخره للمحاضرة التى ألقيها في شأنه، والثاني من الشيخ أحمد ندا. وهو من أشياء أضيفها الى المقال الذى كتبته فيه عقب موته. أما الحادثان اللذان أطالع بهما قراء (الرسالة) اليوم فاحدهما يتصل بعبده افندي الحمولي، والثاني بالشيخ على الجنيد، عليهما رحمة الله

وقبل أن أسترسل بالحديث أرجو أن الفت الشباب الى شيء واقع دائر شديد الدوران بين الناس. ذلكم أن الانسان بطبعه أثر شديد الأثرة، فهو لا يحب بل ولا يكاد يطيق أن يبرعه أحد في سبب من أسباب الحياة. ومن هذه الخلة أصاب الحسد مدخله من نفوس الناس، ولهذه الأثرة، أو لهذا الحسد مظاهر شتى وآثار تختلف وتتفق وتلتقي وتفترق. ومن أغربها في طباع المصريين، بوجه خاص جحود فضل القائمين في الحياة. فان لم يكن إلى هذا سبيل فهنالك الذرائع المختلفة لتهاون أقدارهم، والحط من حظوظهم في اقطار الفضائل والنعم. فاذا أعيا هذا على الناس أيضا راحوا يشيدون

بفضائل من تقدموا ، وينحلونهم من الأسباب ما يبرعون به القائمين في مزاياهم ، ويبهرونهم به في جمال خلق ، أو جمال فن ، أو جمال صوت ،

وكلما علت بالمرء السن تزيد في هذا وأسرف لا نجد المعاصر به من أهل الفضل ومن أصحاب الفنون وخدمهم ، بل مكايدة أيضا لهؤلاء الناشئين الذين يستقبلون الحياة (وتحديا) لهم بما ظفروا به من دونهم ، واليس الى عودتهم من سبيل . فكأنهم يقولون لهم : إننا لن نأسى على ادبارنا ، وانكم لن تفرحوا باقبالكم . لأنكم لن تصيبوا من الطيبات ما أصبنا ، ولن تظفروا من متع الحياة ببعض ما ظفرنا ..

ولقد أدركنا طرفا من حياة ملك المغنين المرحوم عبده الحمولي ، فكان إذا أطرب وأقلق تبادر القعديون وقالوا : وأين هذا مما كان يصنع المقدم أو البيطار ؟ . وكانت الوردانية إذا جلجلت بصوتها الجنان قالوا : إن هذا إلا مزعة من صوت ألماس ! . كذلك أدركنا صدرا كبيرا من عهد حنفي برعي وأحمد ندا ، وسمعنا منهما العجب العاجب ولكن يأبى القعد لنا إلا تكديرا وانطواء على الحسرة لما فاتنا من صوت القيسوني ، وكان صوته يقف الطير في جو السماء ! . وغير هذا من فنون المبالغات تكدر صفو الناشئين ، وتبطرهم على ما أزل الله لهم من ألوان النعم !

وإنني قضاء لحق التاريخ أقرر أن من الأصوات القائمة الآن ما لا يقل في قوته وحلاوته وصفاء جوهره عن خير ما سمعنا من ثلث قرن خلا . على انه إذا كان مما يوهن من تلذذ الناس بسماع الغناء وشدة الطرب عليه تلك الحلة التي أسلفت عليها القول ، فقد جد على ذلك عنصران كان لهما ، في هذا الباب ، خطر عظيم : أحدهما شدة اشتغال الجمهرة بالأحداث السياسية ونحوها ، فلم تعد تجتمع لهذا ببعض ما كان يجتمع له السلف ، إلى ما ورثت هذه الأسباب من كدر في النفوس هيهات أن يأذن لها بالخلوص للطرب على الغناء .

وأما الثاني فهذه الثورة العنيفة المشبوبة في الفن نفسه بحكم التطور والتحول من القديم إلى جديد يراد . وهيهات أن تستريح الأذن إلى ما لم يقر من بعد له قرار . وامل الحال لو استقرت ، والنفوس لو صفت ، لخرج لنا من هم خير ممن تقدمت بهم الأيام .

ومهما يكن من شيء فقد حرم هذا الجيل من نعمة تلك الأثرة والتنغيص على من دونهم من النبت اذا صح أن يدعى ذلك نعمة ! والفضل كله للرجل العظيم (إديسون) مخترع الفونغراف ، فقد دون الأصوات ، وسجلها على وجه الزمان !

والآن وأنا مقبل على ما أنا بسبيله ، أشعر أنني قد تورطت في اختيار هذا الموضوع أشنع التورط . ولعل مهربت منه كان أرفق بنفسي مما استعصمت به ، وخاصة بعد هذا الذي قدمت من الكلام . ولقد قال أصحاب قواعد السلوك إن الرجل المربي خليق به ألا يروي ما يقع له من نوادر الحوادث وغرائبها لئلا يسرع الناس إلى النيل من مروءته ، واحالة أمره الى التزيد والخلق طلبا للمكاثرة بشدة الاغراب . على ان مما يلين لي هذه الرواية ويشد من متني في قصتها ان لا يزال في الاحياء آلاف ممن شهدوا أمثال ما شهدت ، بل وممن شاركوني فيه بالذات . فلنمض لحديثنا والله تعالى المستعان .

عبده الحمولي :

لم يكن يتهيأ لفتى حدث مثلي أن يسمع عبده الحمولي في سهولة ويسر . فلقد كان ، في العادة ، لا يغني إلا في بيوت الطبقة (الأرستقراطية) . ودون أبوابها لزم الحجاب وعصي الأحراس ، فما من سبيل الا في الغفلة من أعينهم ، أو بالرشوة في أيديهم ، أو في أعجاز الليل بعد منصرف السادة المدعوين . وعلى بعض هذا أذن الله أن أسمع ملك المغنين بضع عشرة مرة .

وبعد فعبده ، وتاريخ عبده ، وفن عبده ، وصنعة عبده ، وبدع عبده ، كل اولئك غني عن التعريف والتبيين . ولكنني أبادر فأقرر أن صوت هذا الرجل على جلالته ، وحلاوته ، ووفائه بكل مطالب النغم في جميع الطبقات ، لم يكن بالموضع الذي يتمثل لأوهام من لم يسمعوه من أهل هذا الجيل . بل إن من القائمين من لعله يجهره في هذا المعنى من الجمال . ولكن لا يذهب عنك أن وراء هذا الحس المرهف ، والذوق الدقيق ، والفن الواسع ، والكفاءة الكفيئة والقدرة القادرة على التصرف في فنون النغم في يسر ولباقة وقوة ابتكار ورعاية لوجوه المقامات المختلفة . والتوفيق الى كل ما يغمز على الكبد . ألا لقد جمع الله أحسن هذا كله لعبده الحمولي . فلم يته أحد فيه ممن سمعنا منتهاه اذا استثنيت صاحبه المرحوم محمد عثمان على اختلاف غير قليل بين فني الرجلين .

وانى لأذكر أنني سمعته مرة عند مطالع الفجر ، وكان ذلك في دار المرحوم السبكى بك في شارع الطرقة الشرقى . ولعله كان قد مسه طائف من الشجى ، فكاد يحيل العرس مناحة من كثرما تبادر لنغمه الشجى من دموع الناس .

أما الحادثة التي أوثرها بالرواية فلقد كانت في دار رجل من خؤولتنا أولم لتزويج ابنه ، وداره تقع في حى الناصرية ، وكان صديقا حميا للمرحومين عبده الحمولى والشيخ يوسف المنيلاوى ؛ وكان أثيرا عندهما كريم المحل منها ، وقد دعاهما كليهما ليغنيا معا في عرس ابنه ؛ فلبيا الدعوة خفيفين .

وأنت بعد خبير بأن (أفراح) أولاد البلد لا يحجب عنها الناس ، ولا يدفعهم من دونها شرط ولا أحراس . وكذلك اكتـــظ السرادق بالمئآت إن لم أقل بالآلاف من أصناف خلق الله .

ويستوى عبده الى (التخت) ، ويتدلى في الميدان يحمى ظهره الشيخ يوسف وأحمد حسنين ، ونصر الحصاوى ، عليهم رحمة الله ، وشيخ المغنيين الآن الأستاذ محمد أفندى السبع ، نعمه الله بأطيب الحياة ، ومعهم السيد أحمد الليثى بعوده ، (أو الجركشى ؟ لا أذكر) وأمين أفندى بزرى بنايه ، وابراهيم أفندى سهلون بكمانه ، ومحمد افندى العقاد بقانونه ، فغنوا وعزفوا ماشاء الله أن يغنوا ويعزفوا حتى تموا مايدعى (بالوصلة الأولى ، ولست أذكر ما تغنوا فيه من الاصوات . ثم استراحوا برهة من الزمن عادوا بعدها إلى شأنهم . وما برح عبده ، رحمة الله عليه ، يضطرب بين الليل والعين . ثم ينقلب إلى المواليا فيرجع فواصله ترجيعا . حتى اذا فعل في هذا كله الافاعيل ، وصنع مالا ترتقى إلى صفته الأقاويل ، أقبل يغنى ، والجماعة معه (الدور) المشهور وهو من نغمة العراق :(١)

« لسان الدمع أفصح من بيانى وانت في الفؤاد لابد تعلم
هويتك والهوى لجلك هوانى ولكن كل داماكانش يلزم »

إلى آخر ما يدعى في عرف أصحاب الغناء (بالمذهب) . ثم أمسك القوم لحظة خرج بعدها عبده منفردا ، وقفى العقاد على أثره بقانونه . وقال الجبار : « أدينى صابر على نارى » !!!!

لست بمستطيع يامعشر القراء أن أقول لكم كيف قالها الرجل ولا كيف صنع . لأنى أنا نفسى لا أدرى ، ولا احسب أحداً من

(١) ينسب هذا الدور الى اسماعيل باشا صبري ولكل من عبده ومحمد عثمان فيه لحن

الخلق درى كيف قال الرجل ولا كيف صنع ! . ولكننى أستطيع أن أقول لكم إن طائفا عنيفاجداً من الكهرباء سرى فى هذا الحشد كله لم يسلم عليه أحد : جمد الناس جميعا ، وتعلقت أنفاسهم ، وشل كل مناط للحركة فيهم . فما تحس منهم الا أبصارا شاخصة وأفواها مفغورة . لو اطلعت عليهم لخلتك في متحف يجمع دمى منحوتة لا أما بى يترقرق فيها ماء الحياة . حتى القائمون بالخدمة . لقد مسهم هذا الطائف فجمدوا وثبتوا : وحتى رداف عبده لقد جرى عليهم من هذا ماجرى على سائر الناس !!!

ولقد ظلت هذه الحال زهاء عشرين ثانية ، أعنى قرابة ثلث الدقيقة . وينفجر البركان الاعظم يتطاير عنه الحمم ، وترى الخلق يموج بعضهم فى بعض ؛ لا يدرى والله أحد أين مذهبه . ولا تسل كيف قدت الحناجر من الشهيق ، ولا كيف بريت الأكف بالتصفيق . وخرج الأمر ساعة عن عرس مقام إلى مستشفى مجانين . رفعت فيه الحوائل وفتحت الابواب ، ونحى عنه احراسه من الشرط والحجب

**

والى ها أرانى قد أطلت بما لم يدخل فى صدر حسابى . ولعلى بهذا أمل وأضجر . وعلى كل حال فقد تعبت وجهدنى فلأقف إذن عند عبده الحمولى . أما حديث الجنيد فأرجئه الى كرة أخرى . وأرجو ألا أوفق الى مثل هذا أبداً ؟

عبد العزيز البشرى

شرقاً وغرباً

للدكتور محمد عوض محمد

في يوم قديم من أيام هذا الزمن السرمدي ، جلس يافث وسام ابنا نوح ، في ظل شجرات من الأثل ، ليستريحا ساعة من النهار . وإلى جانبهما جدول يجري ، له خرير هادىء وديع ، وانسياب معتدل ، ليس بالسريع ولا البطيء . ولأغصان الأثل حفيف دائم ، فيه رنة حزن بادية ، كأنما انتحاب الثاكل أو أنين السقيم .

كان العالم حديث عهد بالطوفان الهائل الذي غمره ؛ ورحضه رحضاً عنيفاً قاسياً لكي يطهر مما به من رجس ؛ ويصفو مما به من كدر ، ويعود نقياً بريئاً نظيفاً . . .

يا للعجب ! أكلما تدنس وجه الأرض ، وغشيته الأقذار ، انتابته هذه الكارثة وأرسل إليه طوفان ليغمره ويطهره ، ؟ لقد عادت الأرض بعد هذا الطوفان طهراً ، كأنما خلقت خلقاً جديداً ، وعاد ثغرها باسماً ، وجبينها ناصعاً ، ووجهها زاهراً . لكن تباركت اللهم ، ألم يكن الثمن غالياً ، والقربان جسيماً ؟ أما من سبيل غير هذه لكي تطهر الأرض مما تمتلىء به من الأدران وما قد يغشاها من الرجس ؟ وإلا فهل من سبيل لأن يسود هذا العالم الصفاء والطهر ، فلا ينغمس في الأقذار ذلك الانغماس المروع ، الذي لا مفر معه من كارثة ماحقة ، تعيد إليه الصفاء والنقاء ؟

لا بد أن يكون هنالك سبيل غير هذه السبيل ، وطريق لإصلاح العالم غير تلك الطريق . . . فهل لهذه العيون الحائرة من قبس من النور القدسي يهديها تلك السبيل ؟

* * *

كانت هذه الخواطر تتردد في فكر سام ويافث ، وهما جالسان ينظران إلى تدفق الجدول ، أو يحدقان في السحاب المنتشر في السماء ، أو يصغيان لحفيف الأثل ، أو يرسلان الطرف بعيداً إلى قمم عالية يغشاها الثلج الأبدي . وهما في الحقيقة لا يريان ولا يسمعان من هذا كله شيئاً ، إذ شغلهما ما أهمهما من هذه الأفكار المتدافعة تدافع الموج . فكان كل منهما يقطب جبينه حيناً ، ثم يقلب في الفضاء نظرات حائرة ، لا تكاد تعرف لها قراراً . .

وأخيراً تكلم يافث :

أي سام ! لقد حم الفراق ، ولم يبق بد من أن يتخذ كل منا في هذا العالم سبيله ، . فعلام ءولت ؟ . . . إن هذا الطوفان الذي غمر الأرض ، وعم الغور والنجد ، قد طهر كل ركن من أركان البسيطة ، وأزال ما قد علق بها من رجس ، لكنه قد اكتسح أناساً ، وأهلك خلقاً كثيراً . . ولقد أتى أمر الإله بأن تنتشر في الأرض ، وأن نضرب فيها طولاً وعرضاً ، وأن نتناسل ونتكاثر وأن نملأ الأرض بذرياتنا : وقد حم الفراق ، وستذهب في ناحية وأذهب في أخرى ، فعلام عولت ؟

قال سام :

إن الفراق أليم ، والضرب في البيداء أليم ، وقطع السهول والحزون أليم ، ولكن أشد من هذا ألماً ذلك الظلام الحالك الرهيب الذي يكتنف الأيام المقبلة والسنين ، ويتجاوزها إلى الأجيال والقرون ، وأني كلما أرسلت بصري باحثاً مستطلعاً ، ارتد إلى البصر خاسئاً حسيراً ، قد أجهده الضلال ، وسط ظلام دامس ، متراكم بعضه فوق بعض ، لا يعرف له آخر ولا يدرك له حد .

سوف نتكاثر ونتناسل ، ونملأ بذرارينا الأرض ؛ حتى يعمر الخراب ، وتمتلىء الأقطار ؛ ثم — من بعد هذا كله — تنهمر السيول من السماء ، وتتفجر الأنهار من جوف الثرى ، ويعم العالم طوفان مخرب مدمر ، يفتك بالناس ، ويهلك الحرث والنسل . . . أمن أجل هذا نلد ونتكاثر ، لكي نسلم ذرارينا إلى هذا المصير الحزين ، كلما دارت الأيام دورتها ؟

قال يافث . . .

لقد استفحل خطب العالم ، وتكدست فوق البسيطة أدران أفسدت الثرى والهواء ، واستحالت معها الحياة . فلم يكن بد من أن يجتاح الأرض هذا الطوفان ، فيملأ كل مكان ، ويغسل كل بقعة من البقاع مما علق بها من الدنس . . . فلماذا يحزنك الجزاء الحق ، والقضاء الذي لا مفر منه ؟ ونفسي تحدثني أن هذا الجزاء الصارم لا يكون إلا مرة . وأكبر ظني أن العالم بعد أن رحض هذا الرحض العنيف ، لن ينغمس في الحمأ ، ولن يغرق في الموبقات بمثل تلك الصورة البشعة التي استوجبت ذلك الجزاء ، سيكون في الناس أبداً من تدفعه نفسه الأمارة بالسوء إلى مجاهل الشرور . لكن العالم في أمان ما غلب خيره على شره ، وحقه على باطله . وإن

على وعليك واجبا ألا نلدلعمارة هذا العالم غير الأنفس النقية والذرية الصالحة ، التى ترهب الآله وتلزم سنته ؛ ولئن صلح نسلى ونسلك ، فما أجدر العالم أن يغلب طهره على رجسه ، وصالحه على فساده. الأمر إذن راجع اليك والى فعلام عولت ؟

قال سام :

من هـذا العبء الباهظ أفرق ، ومن تأمل ذلك الواجب المضنى تملكنى رعدة الحائر ، وجزع العاجز .. لست أدرى يا يافث كيف يولد الشر ، ومن أين ينبع الرجس ! لقد يكون العالم وما به الا كل بر كريم ، ثم ينقلب فى عشية أو ضحاها : فاذا الشر قد طغى وساد ، والبر أوشك أن يمحى من الارض !

أن الدم الذى يجرى فى عروقى — علم الله — لطهور . وأخلق بنسلى ألا يرث منى سوى الخير والهدى . ولكن من لى بان أضمن له ألا يحيد عما ورثه ، وألا تجمح به النفس الهوجاء . فينزل به السخط ويحل البلاء ويجتاحه طوفان كالذي شهدناه ؟

قال يافث :

لقد مالت الشمس نحو الأفق ، وتوشك أن تتوارى خلف تلك الجبال ، تاركة خلفها سحبا عسجدية صفراء . إن مغرب الشمس قد استهوانى ياسام ! وكأنما فيه قوة قوية تجذبنى أبدا إلى الغرب ! ولقد طالما جلست فى هذه الأثلات أتأمل الغروب ، وأفكر فى هذا الكون البديع الذى يميل نحو ذكاء ، وفى كل مرة كنت أحس دافعا شديداً يدفعنى إلى الغرب !

إلى الغرب اذن سأمضى ، وفى الغرب سأحيا ، وتحيا ذريتى ونسلى . وهنالك فلنحاول أن ننشر اليمن والعمران ..

أنا أيضا لست أدرى . كيف تولد الشرور ، والاصل فى العالم البر ، ولا أدرى كيف ينمو الرجس ، وأساس الكون الطهر . على أنى — وأن أجهدت فى هذا خاطرى — ليس بضائرى أن أعيابه ، وأن يقصر عن ادراكه فكرى . فسواء لدى أكان الشر مما يخرج من الأرض أم يهبط من السماء ، فان على وعلى ذريتى أن نعد العدة لسحقه ، وأن نهيء الأسباب لحربه . فلا تكاد شجرته أن تنبت حتى تجتث من أصولها ، ولا يكاد رأسه أن يرتفع حتى يلقى ضربة فاقرة . وأنى أحس أن فى وفى نسلى قوة كامنة ستسير بالناس حتما إلى الخير ، وتردهم — ولو بعدلأى — عن كل منكر . وما هذه القوة سوى قوة الفكر البشرى : الفكر الباحث الذى يتناول الأشياء بالنظر وبالتامل ، ولا يزال مسترسلا فى البحث وفى التحقيق حتى يسلمه الامعان فى التفكير إلى سبيل الرشاد . ويريه ما انطوى عليه العالم من أسرار ، وما خفى فيه من الحقائق . . . وسيخطو العالم خطوات بعيدة يوم يعلم الناس القوى التى تمسك الأجرام لترتبط الأكوان ، وما كمن فى الارض من كنوز ، وما جرت به الأنهار من خيرات . هنالك تعم السعادة ؛ ويقضى على الشرور

إلى الغرب اذن سأمضى ، وهنالك سأغرس شجرة العلم ، لكى تؤتى زهرها يانعا ، وثمرها شهيا رائعا . وأنت ياسام ، علام عولت ؟

قال سام :

الآن يشرق القمر بدرا كاملا : وهو أحسن ما يكون حين يطلع فى المشرق ، اذ لا يرتفع فوق الافق إلا أذرعا . . لست أدرى هل تخدعنى عيناى . لكنى أراه وقت الشروق أكبر حجما ؛ وأملح وجها ؛ وألطف نورا . وما زلت منذ درجت يستهوينى الشروق ؛ وتعجبنى الشمس والنجوم ساعة تطلع على العـــالم . ولقد طالما جلست أرقبها الى جانب هذا الجدول الجارى . فتوحى إلى بما يطمئن له القلب الثائر ، والطرف الحائر . الشرق هو المبتدأ . والغرب هو المنتهى ، فهنيئا لك الغرب يايافث ! أما أنا ، فان هوى نفسى فى الشرق . لا أبغى به بديلا .

فى الشرق إذن سأحيا ، وتحيا ذريتى ونسلى ، وهنالك فلنأخذ فى نشر أسباب العمران .

ولست أدرى هل أقدر أن أسلك وذريتى السبيل التى رسمت ؛ والنهج الذى تريد أن تنهج . ولئن قدرت أن أسلك سبيلك تلك ، فما أدرى أمنجيتى وذريتى من الويل ، وهاديتى ونسلى الى الرشاد ، إن عهدى بالفكر البشرى أنه كثير الضلال ، كثير الخبط فى بيداء لاتفضى الى خير . وقلما يصيب الحق إلا بعد أن يتيه فى الباطل دهرا طويلا . وما أشد خوفى يوم يطلع أبنائى على ما ثوى فى الطبيعة من قوة ، وما كمن فيها من كنوز . عند ذلك قد يلهيهم التكاثر أو يتملكهم الجشع ، ويتناحرون من أجل مادة قد لاتغنى عنهم شيئا . . . كلا ، ليس العلم أو الفكر بالذى ينقذ الناس ، فان طريقه طويلة وعرة . . .

الآن تكشف الغشاوة عن عينى وأرى السبيل واضحة جلية . إن أبنائى سيولون وجوههم شطر الدين ، وبالدين سيبلغون بالعالم أقصى مراتب السعادة والطهر .

وسيبلغون حقائق الدين بالإلهام ، وبالوحي ينزل من السماء ، لا بالبحث والحفر والتنقيب فى الأرض . فذلك هو الهدى الذى ليس بعده هدى ، والنجاة التى لا تعدلها نجاة . ولقد يتناحر الناس من أجل الدين ، ويكيد بعضهم لبعض ، ويصيبهم من هذا أذى كثير ، غير أنه دم طاهر يسفك من أجل مأرب طاهر ، لم تدنسه المادة ، ولم يلوثه الطمع . . .

أجل وإنى لأرى الساعة كيف ينبغ من ابنائى رسل مبشرون ومنذرون وكيف ينتشر أبنائى فى العالم ، فيرفعوا علم الدين ، وينشروا الهدى ، ويحطموا الأصنام ، ولقد أسمع الساعة صوتا ينبعث من أرض كنعان ، فيملأ الأرض حبا ورحمة ، ثم أسمع بعد فترة صوتا قويا رزينا ينبعث من الصحراء فيملأ الأرض عدلا وأمنا ، فيتردد صداه من المشرق الى المغرب فاذا الأوثان تتكسر ، والشرك يمحى ، والأغلال المذلة تحطم ، وصروح الباطل تندك .

لا خوف اذن على العالم من طوفان يمزقه ، أو لهيب يحرقه ، مادام فيه رسل تهدى ، ودين ينير الظلام .

الى الشرق اذن سأمضى ، وهنالك فلتغرس شجرة الدين . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . وارفة الظلال ، طيبة الثمرة

ه ه ه

ثم سكت الاخوان ، وأطرقا زمنا ، ولبثا جالسين يحدثان فى الكون ، دون أن ينطقا بكلمة ، حتى دجى الليل ، ولمعت فى السماء النجوم ، وبرد الهواء ، فنهضا وجعلا يمشيان الهوينى صامتين . حتى اذا اقتربا من منازلهما مد الأخ الأكبر يده مصافحا :

— فليهنئك الشرق ياسام !

— وليهنئك الغرب يايافث !

محمد عوض محمد

النجاشى العادل

للآنسة سهير القلماوى

(كلا لا تطعهم واسجد واقترب) هكذا كان ينبعث الصوت خافتا واضحا عذبا حنونا ، وهكذا كان يتردد الصوت فى صدر الرسول وهو وسط الكفار والمشركين والمنافقين والمستهزئين من أهل مكة . فاذا ماتغامزوا عليه ، واذا ماتآمروا على قتله ، واذا مااستهزأوا بوحيه ، واذا ماسبوه ولعنوه وتهجموا عليه ، كان هذا الصوت الخافت الحنون يكرر ويعيد : (كلا لا تطعهم واسجد واقترب)

ولكن آل الرسول وآل عبد المطلب ، كانوا أعزاء فى قريش ، وكان الرسول محميا بعزتهم مطمئنا للوحى الذى ينزل على قلبه . أما المسلمون المستضعفون ، أما العبيد وأما الاماء ، فلم تكن لهم عزة ولم يكن لديهم وحى ، وإنما إيمان هو كل ما يملكون . ومتى درأ الايمان عن صاحبه العذاب ؟ بل متى لم يجلب الايمان لصاحبه عذابا ؟ ورأى الرسول عذاب هؤلاء المؤمنين المستضعفين فأمرهم بالهجرة من مكة ، ولم تكن هجرة فى الاسلام بعد . فقالوا له حائرين ؟ والى أين نهاجر يارسول الله ؟ قال إلى الحبشة ، فان بها ملكا عادلا لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا .

وفر قلة من المسلمين بدينهم لأول مرة ملتجئين الى النجاشى العادل ملك الحبشة ، فآواهم ونصرهم وأقاموا عنده فى خير جوار لم يؤذوا ولم يسمعوا شيئا يكرهونه ، ولكن قومهم بمكة عز عليهم هذا الفرار ، أو قل عز عليهم أن يتلقاهم النجاشى هذا اللقاء . فأرسلوا وراءهم عظيمين من عظمائهم مزودين بالهدايا الثمينة ليأتيا بهم من أرض النجاشى العادل .

وفد العظيمان على أرض الحبشة فوزعا هداياهم على أساقفة النجاشى العادل ، وفى الغد قدما عليه وهو جالس على عرشه فى أبهة الملك وعزته وسطوته وقدما له هداياهما وقالا له « أيها الملك أنه قد أوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، بل جاءوا بدين جديد ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنتم . وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم لتردهم عليهم ، فهم اعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم »

انصت النجاشى العادل الى قولهما واذا أساقفته تصيح معهما « صدقا أيها الملك . قومهم اعلى بهم عينا . فاسلمهم اليهما ، وهاج النجاشى قولهما وثار لموافقه اساقفة لهما فقال غاضبا « لا اسلم اليهما قوما بادرونى ونزلوا بلادى واختاروا جوارى دون سواى حتى ادعوهم فاسألهم عما يقول هذان فى امرهم »

وارسل النجاشى خلف المسلمين فآتوه وهو على عرشه واساقفته ناشرون مصاحفهم حوله ، وتكلم عن المسلمين جعفر بن أبى طالب قال « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش . . . حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا . . . وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكشف عن المحارم .. ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . . . . فصدقناه وآمنا به واتبعناه . . . . فعدا علينا قومنا فعـــذبرنا وفتنونا عن ديننا . . . . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا . خرجنا الى بلادك . . . ورجونا الا نظلم عندك ايها الملك » قال النجاشى العادل وقد أثر فيه قول جعفر : هل معك مما جاء به من الله من شىء ؟ قال جعفر نعم ، قال له فاقرأه ، فقرأ جعفر (كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا : اذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) .

أنصت النجاشى لآيات الله يتلوها جعفر فلم يشعر الا والدموع تنهمر من عينيه وتبلل لحيته . النجاشى ملك الحبشة العظيم ، النجاشى الذى ذاق هول الدهر ، فقد غدر به قومه وقتـــلوا أباه وباعوه ليتخلصوا منه ثم لجأوا اليه أخيرا حين احتاجوا اليه ، هذا النجاشى الذى بلا الدهر واستمرأ غلظته وجفاءه ، نعم هذا النجاشى يبكى لمجرد تلاوة آى الذكر الحكيم وكأنه صعب عليه أن يبكى لمجرد تلاوة آيات فالتفت الى أساقفته وفيهم الغليظ القلب ، وفيهم الجافى الطبع ، وفيهم البارد العاطفة ، فاذا بهم كلهم باكون وقد اخضلت لحاهم من الدمع . ولكن عظيمى مكة وقفا جامدين اذ قد القا هذه التلاوة ولم تؤثر فى أكبادهما الغليظة شيئا . (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) .

خرج العظيمان المكيان مخذولين ، ولكنهما لم ييأسا ، فجاءا النجاشى العادل فى الغد يريدان الوقيعة بينه وبين من آووا اليه فقالا له أيها الملك : انهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما . فناداهم النجاشى وقال لهم وما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فرد عنهم جعفر ابن أبى طالب « نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » وآمن النجاشى العادل بقولهم وإن لم يؤمن به أساقفته ، ورجع العظيمان إلى مكة خائبين وظل المسلمون فى جوار النجاشى العادل آمنين مطمئنين

وجاء النجاشى منازع له على العرش يحاربه فلم ينس المسلمين فى محنته . وإنما أعد لهم سفنا وقال لهم إذا هزمت فهـــذه سفنكم توصلكم الى أهلكم بمكة ، واذا انتصرت فانتم كما كنتم آمنون فى جوارى . وصلى المسلمون من أجل النجاشى فانتصر على عدوه ، وظلوا فى جواره آمنين الى ان تهيأت لهم مكة فرجعوا اليها

وانشغل المسلمون بجهادهم عن الحبشـــة وملكها النجاشى العادل ، وبينما هم ملتفون حول رسولهم يجاهدون من أجله وفى سبيل تعاليمه ودينه ، اذا بهم ينعى اليهم النجاشى العادل . ولم ينس الرسول يده على المسلمين يوم كانوا مستضعفين فارين من وطنهم فاستغفر له وصلى من اجله .

كان المار قديما بارض الحبشة يرى على ضفاف النيل بقعة ينبعث منها النور فيظنها لاول الامر وهج الشمس ، فاذا ما اقترب منها عرف انه نور ينبعث من الارض لا من السماء ، فاذا ما سأل أهل البقعة عن مبعثه قالوا هذا قبر النجاشى العادل ، هذا قبر أول من آوى المسلمين المهاجرين يوم كانوا مستضعفين فى الارض !

سهير القلماوى

من طرائف الشعر

الى الشواطئ المصرية

للشاعر الوجداني علي محمود طه

حيّاك أرضاً وازدهاك سماء   بحرٌ شدا صخراً وصفّق ماء

يحبو شعابك في الضحى قبلاته   ويرف أنفاساً بهن مساء

متجدد الصبوات أودع حبه   شتى الأشعة فيك والأنداء

ولغٌ بتخطيط الرمال كأنه   عرافة تستطلع الأنباء

ومصوّر لبق الخيال يصوغ من   فن الجمال السحر والإغراء

نسق الشواطئ زينة وأدقها   صوراً بريشته صفحتيه تراءى

يجلو بريشته السماء وإنما   زادت بريشته السماء جلاء

لا الصبح أوضح من مطالعه به   شمساً ولا أزهى سناً وضياء

كلا ولا الليل المكوكب أفقه   بأغر بدراً أو أرق سماء

ولرب زاهية الأصيل أخذتها   سيلاً أجمّ ولجة حمراء

وكأنما طوت النهار ونشرت   لهباً وجرت الصخور دماء

ولرب عاطرة النسيم عليلة   طالعت فيها الليلة القمراء

رقصت بها الأمواج تحت شعاعها   وسرت تجاذب للنسيم رداء

حتى إذا ران الكرى بجفونها   ألقت إليك بسمعها إصغاء

تسمع النوتي تحت شراعه   يشدو فيبدع في النشيد غناء

هزت ليالي الصيف ساحر صوته   فشجا الشواطئ واستخف الماء

وأثار أجنحة الطيور فحومت   في الليل حيرى تتبع الأصداء

بُرَدٌ فواتن ياشواطئ صاغها   لك ذلك البحر الصناع رواء

فتنظريه على شعابك مثلما   رجع الغريب إلى حماه وفاء

كم ظل يضرب في صخورك موجه   بما أجن محبة وولاء

عذراً إذا عيت بمنطقه اللغى   فهو العبي المفحم الفصحاء

نخذي الحديث عليه واستمعي له   كم من جماد حدث الأحياء

وسليه كيف طوى الليالي شاهداً   وبلا الأحبة فيك والاعداء

كم ليلة لك ياشواطئ خاضها   والرعب يملأ حولك الأرجاء

والسفن مرهفة القلاع كأنها   تطأ السحاب وتهبط الدأماء

حملت لمصر الفاتحين وطوحت   للنيل منهم جحفلاً ولواء

ولو استطاع لرد عنك بلاءهم   وأطار كل سفينة أشلاء

أو كان يبلغ للغيوب شفاعة   هز الوجود ضراعة وبكاء

أو كان يملك قدرة حشد الدجى   ونضا الرجوم وجند الأنواء

ودعا غواربه الثقال فأقبلت   فرمى بها قدراً ورد قضاء

فاستعرضي سير الزمان ورددي   ما سر من أنبائهن وساء

وخذي ليومك من قديمك سلوة   ومن الجديد تعلة ورجاء

إيه شواطئ مصر والدنيا منى   تهفو إليك بنا صباح مساء

ناجيت أحلام الربيع فأقبلت   وأشرت للصيف الوسيم فجاء

يحبوك من صفو الزمان وأنسه   ماشئت من بهج الحياة وشاء

وغداً تضيء على جنبيك لجة   طبع الخلود سماتها الغراء

وترف منه على ثغورك بسمة   خفت العباب لها وغض حياء

فاستقبلي الصيف الجميل وهيئي   للفن فيك خميلة غناء

واستعرضي حور الجنان وأطلقي   الغنة السماء وألهمي الشعراء

اسلام عمر

أسلم سعيد بن زيد بن نفيل « ابن عم عمر » وزوجته فاطمة « أخت عمر » وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة يقرئها القرآن

خباب — (يستحث فاطمة) :

رتلى ما شئت فيـــه رتلى ... واقرئيه كل صبح ومساء
إنه خـــير كتاب منزل ... فيه للمؤمن أمن وشفاء

فاطمة :

يا بياناً جلّ عن كل شبيه ... وتعالى عن أساليب العرب
وكتاباً كلما رتلت فيـــه ... خشع القلب لديه واقترب
هو إن رق نسيم نافح ... بشذا الخلد وأنفاس النعيم
وإذا ثار فجمر لافح ... يستمد الوقد من نار الجحيم
أعرضوا عنه ولو أصغوا اليه ... لهداهم وضح الحق المبين
ولخروا سجداً بين يديه ... وغدوا لله خـــير المخلصين

يعود عمر غاضباً إلى أخته وقد علم باسلامها مع زوجها

خباب — إن بالباب طارقا

فاطمة — من لدى بابنا ؟

عمر — عمر

فاطمة إلى خباب —

إختبئ منـــه إنه ... ملك الموت قـــد حضر

خباب وهو مسرع :

نجنى رب واكفنى ... شر ما يخبئ القـــدر

تفتح فاطمة فيدخل عمر ويظهر سعيد

عمر الى فاطمة : لم أبطأت فى لقائى ؟

فاطمة عذراً

عمر — (مائجا) أى عذر يصدكم عن لقائى ؟

وعلام اتبعت رأى سعيد ... وهو غر مسفه الآراء
فعصيتم مناة واللات والعز ... ى ودين الأبوة القدماء
واتبعتم محمداً فى هـــواه ... وغدوتم من صحبه الاوفياء

سعيد — (فزعا) يا ابن عمى

عمر — (ثائرا)

لست ابن عمك حتى ... تتعرى من لبس هذا الرداء

سعيد — (مستكراً)

أو أعصى محمدا سيد الخلـ ... ـق جميعا وصفوة الأنبياء
والرسول الذى هدانا إلى الحق ... بتلك الشريعـــة الغراء

عمر — (يهم بضربه)

فيم هذا العناد يا أيها الوغـ ... ـد وذاك العقوق للآباء ؟

فاطمة فى وجه عمر —

أنت أسرفت فى إساءة زوجى ... وهو ثبت الجنان جم الحياء
فامض لا ترتفع يداك عليه ... وكفى ما أتيت من أيذاء

فيشج رأسها قائلا :

اتركينى لأجاد ربعك غيث ... ودعينى أجزيه شر الجزاء

تشعر فاطمة بدمها يسيل فتبكى

أماه قد شـــج رأسى ... أخى وأجرى دمـــائى
ولم يلن لأنينى ... ولم يرع لبـــكائى
كم كنت أرجوه عـــونى ... فى النكبة الهوجاء
فكان مبعث همى ... وكان كل شقـــائى
ياويح ما أنا فيـــه ... من محنة وبلاء
أكل من أصطفيه ... يخيب فيـــه رجـــائى ؟

فيثوب عمر الى رشده وهو يضمد جرح اخته

ثورة ثبت بعدها لرشادى ... فاصفحا عن قساوتى واضطهادى
وتناسى يا أخت ما كان منى ... من أذى صبه عليك عنادى
لا تظنى بى الظنون فأنى ... لك عند الخطوب أكرم فاد
أنا مهما قسوت عونك فى الكر ... ب وحصن يحميك من كل عاد
فاطمئنى الى سريرة نفسى ... واستريحى الى حنان فؤادى

فيهدأ الجميع ثم يسألها :

وأرينى صحائف الدين أقرأ ... بعض ما هاج ثائر الحساد

فاطمة بل لتمحو سطورها

عمر — لا وربى ولو انى لها من الاضداد

فيقول بعد ما ملكت عليه قلبه

صحف كلها جلال رهيب   وبيان يسمو عن الانداد
و كتاب يعنو لروعة مافيه   قساة القلوب والأكباد
وضياء يشع فى حالك الشك   فيجلوه بالشعاع الهادى

فيقبل خباب متهللا :

هيه يا ابن الخطاب

عمر — (مشدوها)   من ذاك ؟

ثم يراه فيقول   خباب ؟ ومن أى موضع أنت غادى

خباب :—

كنت فى صحبة ابن عمك أتلو   صحف الوحى والهدى والرشاد
ثم أقبلت فاختفيت مروعا   من حسام لديك غرثان صادى
وها قد أتيتك لما هدأ   ت وثبت إلى نفسك الراضيه
عساك تصيخ إلى ما أقو   ل وتمنحنى أذنك الصاغيه
تحدث عنك النبى الكر   يم وأعينه ثرة هاميه
ونادى إله الورى أن يعز   بك الدين فى مكة العاصيه
فهلا تمزق ثوب الضلا   ل وهلا تفيق من الغاشيه
فتتبع دين الرسول القو   يم وتنبو عن الفئة الباغيه

عمر إلى من حوله :

بلى سوف أهجر هذا الضلا   ل وأنزع أسماله الباليه
وألبس يا قوم ثوب الهدى   وحلة دينكم الزاهيه

فيتهلل الجميع ويقول سعيد :

أجاب الاله دعاء الرسو   ل وحقق دعوته الغاليه
فقم فاعتنق دينه المرتضى   لتكبت أعداءه ثانيه

(فى نفسه)

لسوف يذوقون منك العذا   ب ويلقون فى نارك الحاميه

يخرج عمر ميمما مجلس الرسول مع صحبه فيطرق الباب . . .

صحابى — طارق جاء

آخر — (وهو يسعى الى الباب)   من يدق علينا ؟

عمر —   عمر

فيعود مذعورا —   ما على لقائك أقدم

ثم يهيب بصحبه :

إيذعروا فقد أتى مارد القو   م وفى سيفه المنية تجثم

فيهربون ويخاطبهم حمزة غاضبا

أدخلوه فان أراد اهتداء   بعد ما لج فى الضلالة أكرم
واذا جاء بيننا يشهر السيف   ويسعى فى النكاية حطم

فيمنعهم النبى

بل دعونى ألاقه أنا وحدى   فهو أحنى مما ترون وأرحم

يفتح له وينتحى به —

فيم يا ابن الخطاب جئت الينا

عمر — (خاشعا)   جئت أسعى الى الرسول لأسلم

فيكبر النبى ويهتف أحد الصحابة —

الله أكبر عز الدين وانتصرت
جماعة صمدوا للذل واصطبروا

فيعلم الصحابة باسلام عمر ويقبلون فرحين مهنئين

أحدهم —

يامرحبا بحسام الله يمنعنا
من بعد مافت فينا الخسف والضرر

آخر —

يرجو بك الدين أن تسعى لنصرته
فحقق اليوم ما يرجوه يا عمر
وانصر رجالا أباح الاهل حرمتهم
فلم يصبهمو فى دينهم خور

عمر —

سيروا بمكة أنى شاء رائدكم
وانتشروا فى بقاع الارض وانتشروا
وأطلعوا راية الاسلام خافقة
فبورك من رامها الصمصامة الذكر
من صدكم بالأذى مزقت أضلعه
ولو يكون له فى أهله خطر
فليزدجر بخطابى كل ذى رشد
وليمتثل للردى من ليس يزدجر

فريد عين شوكه

الحركة الادبية فى المانيا بعد الحرب

للاستاذ راَن

مدرس اللغة الالمانية بالجامعة المصرية

— ١ —

فى سنة ١٩١٨ انهارت دعائم المانيا على اثر حرب اضطلعت بضرامها ضد عصبة متحالفة تفوقها قوة ومنعة . ومنذ سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٤ جازت المانيا غمار أعوام تفيض بالإزمات الداخلية والخارجية ، فمن حروب اهلية ، الى صنوف من الذلة فى السياسة الخارجية ، الى تدهور العملة ، الى جوع وقحط ؛ وفعلت هذه كل شئ لتدفع الشعب المنكود الى وهاد اليأس . وفى سنة ١٩٢٤ استحالت شئون السياسة الخارجية الى شئ من التحسن ، وثبتت العملة ، واندفعت المانيا فى دهشة الصديق والعدو ، الى تقدم اقتصادى سريع ، ولبثت حالتها المادية والمعنوية حتى وقوع الأزمة الاقتصادية الكبرى ظاهرة الثبات والاستقرار .

يقابل هذين العهدين من تاريخ المانيا السياسي ، عهدان أدبيان مما بعد الحرب . فالى سنة ١٩٢٣ ، كانت تسود الثورة الأدبية والفوضى . وفى سنة ١٩٢٤ بدأ عهد من الاستجمام والدعة والرجعة. واذا كنا نلخص احوال هذين العهدين — مما يلى الحرب — فانا سنقتصر طبعا على ذكر الاسماء والحركات التى ظهرت فى هذه الحقبة ذاتها ؛ وسنغضى عن ذكر كثير من الشعراء والكتاب الأحياء المعروفين ، اذ قد ظهر معظمهم قبل الحرب ؛ وما صنع عهد ما بعد الحرب سوى أن ثبتهم فى مراكزهم ، ومن هؤلاء ريكاردا هوخ ، وجرهارد هاوبتمان ، وتوماس وهينرخ مان ، وغيرهم .

— ٢ —

تعرف الحركة الادبية الثورية فى العهد الاول مما يلى الحرب عادة بانها حركة « التعبير » Excpressionismins . وكان « التعبير » فى الاصل اساسا لبرنامج جماعة من الرسامين ثاروا على فكرة « التأثير » فى الرسم Impressionismus . فاستعار الأدب من الرسم هذه الكلمة علما له . وهى فى الأدب كما فى الرسم علم للثورة . وقد كانت بادئ بدء برنامج عصبة صغيرة من الشعراء والأدباء الذين حاولوا — شأن كل جيل — ان يمكنوا لطابعهم الخاص وآرائهم الخاصة ، وان ينحرفوا فى عنف أو هوادة عما للجيل المنصرم من مظاهر الطموح الى الجمال . ومن هؤلاء بعض الشعراء الشبان الغنائيين الموهوبين (مثل الزه لاسكارشيلر ، وارنست شتاتلر ، وجود فريد بن ، وفرانتس فرفل ، وبخر وغيرهم) والى جانبهم بعض النقدة المتجنين الاقوياء مثل كارل اينيشتين ولودفج روبينر ، وفردناند هارديكوبف . وظهر الى جانب هؤلاء خلال هذه الحقبة ايضا جماعة من القصصيين وكتاب المسرح مثل جستاف ماي رنك مؤلف قصة « جولم » ، وماكس برود مؤلف « طريق تيشو براه الى الله » وكارل شترنهايم ، وليونهارد فرنك ، وجورج كايزر ، وارنست تولر ، وفالتر هازنكلفر . بيد أن أهم ظاهرة فى الحركة هو انها كانت وما زالت غنائية فى اتجاهها . بل إن « التعبير » كان يعنى شهر النضال فى سبيل الهام حر وطابع مطلق من كل قيد ، أو بعبارة اخرى كان يعنى ثورة العواطف والغرائز على أغلال عالم آلى مسير ، وعلى الاتجاهات الفنية التى تصفدها قواعد العقل : تلك هى المبادىء التى دفعت بالحركة الادبية سريعا الى الفوضى فى الشكل والموضوع

كان الكاتب « المعبر » كأنه « فرتر » (١) مبعوث ، ولكن هؤلاء الثوار الجدد كانوا بالأخص يخالفون « فرتر » القديم فى ميولهم الفنية كل المخالفة ، على ان الميول الثورية ايام « فرتر » كما هى فى ظل « التعبير » لم تكن تقف عند الفن . فقد كان البحث يتجه الى طابع فنى جديد ، وكان يطمح الى حق التدخل فى أعمق ظروف الحياة الخاصة ، ولكن الحركة كانت تتجه بعواملها الثورية بالأخص الى تحطيم النظم الحكومية والاجتماعية والاخلاقية القائمة ؛ كان هذا هو الجيل الذى ازدهر فى معركة الطوائف قبل الحرب ، وفى جحيم الحرب ؛ وفى أحياء العمال ، وفى ميدان الحرب ؛ وما يكاد يعرف عالما غير عالم البطش والروعة ؛ عالما يهوى الضعيف فيه الى حضيض البؤس ؛ ويبدو القوى عنيفا مطلق الهوى . وعلى هذا المنوال نشأت العواطف الاساسية لهذا الجيل ، وهى عواطف رأفة ورثاء لضحايا هذا العالم ، وعواطف طفولة ، وعدم مسئولية نحو نظام اقتصادى عنيف ونظام سياسى قاهر أكثر عنفا ، وبالاختصار عواطف ثورة واستهتار . كذلك كان هذا الجيل يؤمن بالعاطفة الانسانية التى شوهتها التقاليد والعرف . وبالخير المحض الذى غاض فى غمر من الكسل والخبث . وكانوا ككل الثوار الخياليين لا يرون فى الحاضر ولا فى التاريخ شيئا غير بطش الدولة الجهنمية ، وظلم الضعفاء ، واضطهاد العقل والروح من طبقات سيدة لا ضمير لها ولا وازع .

وقد بدا لهم كما بدا لفرتر ، ان الدين والعلم والفن قد زيفت لصالح الطبقات الغالبة . بيد أن هنالك فرقا بين تكييف آلام الحياة فى الماضى وبين تكييفه الجديد ، وهى آلام تهم حركة « التعبير »

(١) فرتر بطل رواية جيته : (آلام الفتى فرتر)

فقد كان فرتر القرن الثامن عشر أيضا يقطع علائقه مع مجتمع العصر وثقافته ، ولكن بقيت له اللغة القومية ، وكان يقيس حول المجتمع بمقدار مايضطرم فى صدره من فيض البيان وعفه ، ذلك البيان الذى تلقاه من جيل الى جيل . وكان يتاقى صلات الماضى البعيد المجيد ، كما يتاقى من حاضره مالم يغشه الفساد . وكان فرتر يرى نفسه فى مرآة اللغة القومية النقية المخصبة ، فاذا أخرسه الالم ، أمدته بما يقول فيما يعانى . وقد بدت هذه اللغة القومية للشاعر الفتى الذى ظهر فى نهاية الحرب مهيضة منهوبة ، والفاها طعمة للسادة الخاملين والطبقات الوسطى الراضية المسترقة ، قد استحالت على يدهم الى اداة خاملة خالية من المعانى

ولسنا نجد ما نقوله عن الطابع الشعرى ، فقد بدا شكله لهذا الجيل الفتى عليه العفاء مثلما بدت ظروف الدولة والمجتمع ، وبدا له الجد والوقار كأنهما وضع مجر متافق والجمال كأنه امتياز وضيع لرفاهة التجار الاغنياء ، وان رنين العواطف قد غدا رنين لفظ مجرد ، أو غدا بلسما مخدرا

وقد اندفع الشعراء الغنائيون الجدد ، بعوامل ترجع الى الاحقاد الاجتماعية والى بعض مثل الجمال ، سراعا الى معترك من الفوضى اللفظية والفنية ، ونشأ فى ذلك المعترك رغم تناقضه مذهب لعبادة القبيح

وبدأ أولئك الغنائيون والمعبرون ، بالخروج على كل قواعد النظم والروى وتنسيق العبارات ، بل على قواعد اللفظ ذاته ، وانتحلوا لانفسهم لغة خاصة لم تكن اكثر من سلسلة طويلة من الزفرات المتقطعة والغمغمة والصياح ، قد ضحى فيها اختيارا بكل منطق خارجى ، وكل جمال ونبل فى اللفظ ، ويستحيل علينا أن نقدم هنا أمثلة ، مثلما يستحيل علينا ان نترجم كتابات الفرنسيين انصار الحقيقة المغرقة ، او شعراء إكسفورد المحدثين . ونضطر ان نحيل القارىء الى الشعراء والكتاب الذين سبق ذكرهم . فى هذا الضرب من الشعر كله فى هذه اللغات ، ينعدم كل تنسيق منطقى أو موضوعى للجمال . بيد أن لهذا الاسلوب مزاياه فى التأثير بما يقوم عليه من العناصر اللفظية الخاصة بكل لغة ؛ وهى مؤثرات يفهمها كل انسان يعرف هذه اللغة ، دون ان يعنى بشرحها او ترجمتها

وقد ذهبت الثورة على المبادىء والقواعد المرعية الى حد القصد الى معالجة القبيح الشاذ . نعم استعمل اولئك الشعراء الروى والقافية ولكن دون شكل ولا قاعدة ، بل حولوا الوزن والتناسق الى خلل وتنافر . ولم يكن شعر هذا العصر يمتاز فقط بالتخلل والغموض ، ولكن يمتاز أيضا بنوع من الضيق والقبح والشناعة . وليس هذا فقط فيما يتعلق بحرية التعبير ، بل هو كذلك يتعلق بالميل الى ذلك التبسط العنيف القبيح ، والى ذلك اللفظ الضعيف المغصوب ، فقد كان هذا الميل هو طابع الانشاء

ويرد انصار « التعبير » على ذلك بأسباب يرجع بعضها الى الطموح الى الجمال ، فيقولون إن الامر يتعلق بتجارب لفظية وصور فنية للأشياء أهملت ولم تطرق من قبل ، ويرجع البعض الآخر الى العاطفة وفلسفة التاريخ حيث يقولون ان البيان الذى اتى به عصر محطم ممزق يجب ان يقوم على شىء من الخلل والقبح والهوس ، وان ميلاد عصر جديد ، أو انسان جديد كامل يقع دائما فى غمار الألم والقبح . ثم يقولون ان عين العصر الحاضر كعين سايكن جهنم فى اسطورة افلاطون لابد أن ترى اليوم قبيحا ، ما يراه عصر جديد ، آنق الانطباع والجمال

— ٣ —

وما كان ذلك كله ليرضى غير طائفة قليلة من المفكرين الخبثاء أو الذين لاخلاق لهم .. ولولم تكن الحرب ومابعد الحرب لبقيت الحركة محصورة فى هؤلاء . ولكن هذه المحاولات التى كانت تقصد الى عدم المساس بالأذواق والمظاهر الشعبية فى الفن والادب بل تقصد إلى اثارتها ، استطاعت بسبب انحلال العصر واضطرابه ان تغزو اوساطا عظيمة .

ذلك ان الرجل العادى الذى فقد صوته فى جحيم الخنادق وذعر الهزيمة ، الفى فى هذه الموسيقى الثورية المضطربة بيانه الطبيعى وبدا الإسلوب الجديد الذى صيغ سراعا فى صوت الملاك ، أو صوت الحيوان ، ولكن لم يصغ قط فى صوت الانسان الامثل ، فى نظر الجموع ، أنشودة أولئك المساكين الذين كانوا يرقدون نصف عراة فى الخنادق لايفكرون فى غير حياتهم ، أو أنشودة اولئك المشردين المنبوذين الذين كانوا ايام الجوع يبتهجون باقتراش الغبراء وأكل الأعشاب . وقد كانت الجماهير الزاخرة ، ولاسيما جمهرة المتعلمين تعتقد أن الزمن سيدور دورته . وكان الاعتقاد عميقا سائدا بأن البراءة(١) ستأتى أو سيأتى عصر تنهض فيه الاحوال الاخلاقية والاقتصادية . وهكذا حظيت هذه العوامل التى بعثت الخيال الجديد بظلامه وخفائه وحماقته بتأييد الجمهور . ولعل الرسالة كانت أقوى من فهم الشعراء أنفسهم وأقوى من ثروتهم اللفظية ؛ وكان ثمة اعتقاد بانها رسالة رسل أو انبياء . ألم يكن ثمة دليل على عمق الرسالة حين

(١) لعله يقصد هنا « البراءة » من مسئولية الحرب

تحطم الأناء تحت ثقل ما فيه ؟

— ٤ —

ولقد كان ذلك الخيال الذى أقامه حركة « التعبير » ضد « التأثير » والذى كان يعمل من الوجهة النظرية لصوغ الحالة النفسية من جديد، وينكر كل استقلال خارجى ، بل كل شرعية خارجية وكل شكل وضعى ، يلتقى مع ذلك بحاجة للوسط الذي يعنى بالفلسفة ، هذا الى تلك الحساسية الدقيقة التى أذاعتها فى الطبقة الوسطى فلسفة « فرويد »(١) النفسية والتى اتجهت نحو تصوير الغرائز المضطربة والميل النفسية

وكانت الفلسفة الالمانية الرسمية ، منذ فاتحة هذا القرن تتجه بلا ريب الى معارضة الفكرة الواقعية ، اولا على يد الاشكال المعتدلة للفلسفة الكانتية (٢) ومنذ سنة ١٩١٠ ظهرت حركة واضحة تميل نحو فلسفة واقعية روحية (وقوامها فلاسفة مثل : ميثونج وهوسرل ، وبعض تلاميذ مدرسة ديكرت ، وحركة الأحياء الهجلية ، وهنز دريش وغيرهم) بيد انه قلما كان يفرق أحد بين الواقعية والآلية ، فكانت كل هذه الميول تتجه الى انكار الشكل والمقدار سواء فى الطبيعة أو البيولوجيا أو الاجتماع .

وكانت الحركة الوطنية قبل الحرب بل واثناء الحرب أيضا ، تعضد هذا الاتجاه ، وكانت ترى فى تراث أجست كونت وجون ستوارت ميل ، ثقافة خصيمة تجب محاربتها . ولكن بتقدم الميول الروحية ارتد المفكرون الى الفلاسفة الالمان القدماء : ايكهارت ، بيمى ، وفختى ، وشلنج ، وهجل

ومن اليسير أن نبرهن على أن دعاة نظرية « التعبير » قد استقوا من هذه الميول ، سواء من الوجهة الشخصية ، أو الوجهة المادية . بيد أن الحركتين كانتا تسيران جنبا إلى جنب فى محاربة الآراء الغربية كما وضعت غالبا ، وكانتا تطاردان نفس العدو فى مواطن كثيرة . فمثلا نعرف جميعا أن حركة « التأثير » التى تقاومها حركة « التعبير » كانت تتصل أوثق صلة « بالواقعية » الفرنسية وكانت الرواية والقطع المسرحية الالمانية التى أثار عليها « التعبير » أيضاً حربه العوان ، فى العشرة أعوام الاولى من القرن الحالى ، تستقى الى حد كبير من التعاليم الطبيعية الجبرية والاجتماعية

بيد أن الفلسفة والفن الجديد كانا يلتقيان فى تمثيل « الواقعية » أما حركة « التعبير » فكانت تجعل من « الوضعية » وصوغ العبارة محور فنها ، وكان الفلاسفة الجدد من جانبهم يميلون الميل إلى تصوير العالم فى صورة تفيض فيها الجوانب المادية ، وتتأثل فيها العناصر المعنوية : أعنى الفكرة والروح والحياة ، أو تكون لها قواما

— ٥ —

ثم إن هذه الرجعية الروحية فى الفلسفة قد اتخذت صورا ومناحى شتى . فبدت أحيانا فى الاشكال الصارمة لنظرية المعرفة والمنطق . وأحيانا فى ميدان الاجتماع ، وطورا فى ميدان النظريات الفنية ، وأحيانا فى مباحث الخفاء . وهكذا استطاعت أن تمد الفن الجديد لا بنظرياته العلمية فقط ، بل استطاعت أيضا أن تمده بالصورة العالمية التى ينشدها

ولقد ظهرت هذه الآثار واضحة فى الرواية والقطعة المسرحية اللتين أخرجتهما حركة « التعبير » فكلتاهما انحدرت الى غمار الخيال المغرق . وفى عوالم محطمة أو ممزقة مهلهلة يبدوا فيها الشغف بما وراء الطبيعة ، وما وراء النفس والعناصر الشيطانية الخبيثة . فأما الرواية ، فقد عالجت الحوادث الخارقة ، وقصص الاشباح ، وأشخاص الهائمين فى العالم . والعلم بالاتصال بالله ؛ وكذا تشبهت الرواية بالإدب الروسى فى معالجة قصص المجرمين الذين يتصفون بالصلابة الخارقة أو يزعمون الالهام من الله ، والقضاة ذوى الكبر والقلوب الغليظة ، والمذنبين التائبين الذين هم أصفى قلوبا ونفوسا . وأما الرواية المسرحية فقد رسمت صور الشقاء للمعدمين الاطهار ، ورسمت على العموم صورة الكفاح المتناقض بين الفكرة المستنيرة والمادة المظلمة ، وشرحت الاسباب القديمة المعادة لعقوق الابناء ، ومعركة الضمير التى تضطرم فى صدور الشبيبة الديموقراطية السلمية التى تتنبأ للعالم بمستقبل عظيم زاهر فى ظل النظام الجديد ، وصورت المناظر المغرقة لمدنية عظيمة ذات معترك من الحقيقة والظاهر ، والغنى ، والفقر والتسول ، والمال ، والرذيلة ، والعالم الخفى ، والعالم الانيق ؛ كذلك عادت الرواية المسرحية الى معالجة موضوع القصص الدينية القديمة . ومن الصعب أن نقول الى أى حد ترجع هذه الصور والمسائل الى أثر الفلسفة والتيوسوفية ، والى أى حد تمثل فقط الحقيقة المروعة لأيام الحرب وما بعد الحرب ، وعلى أى حال فقد كانت الحقيقة هى أعظم غذاء لهذه الآثار كلها . فلما تغيرت هذه الحقيقة فى سنة ١٩٢٤ غاضت هذه الآثار كما يغيض الطيف . أما فى دوائر الأدب الرفيع فقد اضمحلت الحركة منذ سنة ١٩٢٢ ، وكانت

(١) فيلسوف وعالم اجتماعى نمسوى معاصر

(٢) نسبة إلى كانت

فى الواقع ظاهرة الفراغ . ذلك أن الدأب على تصوير ضعف الأخيار وبؤسهم ، وكونهم يكالحون فى عالم قاس ، أضحى نغمة قديمة مضحكة بغيضة ، وغدا الاشتقاق من العالم الخفى ومجتمع الفقر والرذيلة فنا سهلا ، وغدا يشف فى ثمرات كل عام عن ضعف ذهنى سىء . أما الرجال الذين عنوا بمعالجة مشاكل هذا العصر فقد توفروا على دراسة الاقتصاد والتاريخ والفلسفة . ومن ثم فقد انهارت دعائم هذه الحركة التى قامت فطيرة مغرقة . وكان أسلوبها الذى غفل عن الصقل والغاية أحب الأساليب الى العاجزين . وهكذا سرعان ماغدت حركة « التعبير » لاتعنى شيئا سوى « الفقر الأدبى » .

— ٦ —

بيد أن العصر الجديد (منذ سنة ١٨٢٤) عاد فأخذ يتلمس طريقه إلى التقاليد القديمة فى حذر بل فى روعة . ولما توطدت دعائم الظروف الاقتصادية عاد العمل والحياة فاستقاما ببطء ، وعادت الارزاق الدنيوية تسترد مكانتها وقوتها بعد أن غدا الحصول عليها ممكنا . وغاض الشعور بأن كل شىء يضطرب ويهتز ؛ وأخذ الانسان ينظم شأنه فى العالم ، وكان لذلك أثره فى تقدم الآداب ما بين سنتى ١٩٢٤ و ١٩٣٠ .

عاف الانسان الاحلام ، وأخذ يقدر الحقائق ويقدر أساتذة الكتاب . وسئم الانسان الاتهامات الخطيرة وكذلك الوعود التى ليست أقل منها خطورة ، وعاد يروض نفسه على تذوق العواطف الطبيعية وعلى تقديم الجهود المحدودة ولكن السليمة . أجل ، سئم الانسان إغراق العصر الذاهب وقبحه ، وأخذ يقدر احتشام العاطفة وقيمة البيان ، وقضى على ذوى العى والقصور ، وعاد الانسان يطلب الصقل والتهذيب .

وإن الانسان ليشعر فى هذه الاعوام الاخيرة الى أى حد كان أولئك الناس يغرقون فى استعمال العبارات الجريئة ؛ ولقد غاضت الرغبة كما غاضت الجرأة فى تحرى الصور الجديدة أو العنيفة أجل ، كان عصر الرجعة ، وعصر استرداد التقاليد الادبية التى خلفتها القرون ولم يكن عصراً ضعيفا ولكنه أيضا لم يكن مضطربا ولم يكن يتلمس طريقه فى الظلام .

ولم يكن هذا الجيل أيضا من الوجهة الخارجية جيلا جديدا أحل مكان الجيل القديم ، ولكنه كان طائفة من عمر الجيل المنصرم نضجت فى سكينة أو كانت أقدم وأطول عمراً . ونحن نمثل لتلك الطائفة بقصصيين مثل هانز كاروسا ، والبرخت سيفر ، ويوسف بونتن ، ويوسف روت وأرنولد تسفايج . . فهؤلاء قياضرون بالرجولة ، بل انهم يبدون أحيانا شخصيات هائمة : وهم قديرون على أن ينسجوا من حوادث الحياة اليومية صوراً ينفذون إلى أعماقها ويصوغون منها اللآلىء التى توجد فى كل حقيقة وفى أصغر حقيقة . وهم كتاب حقيقة ؛ ولكن جردوا من كل النظريات الفلسفية والاجتماعية . هم كتاب قصص ، وكتاب قصص فقط . لا يتجنبون المدهش الخارق ولكن ليس لديهم ما يحول دون قصده وتحريه . فاذا قصدوه تناولوه بحذر ، بل بحجام كثير . تأثر له حقا ، ولكنه ليس مما يجب أن يكون لنا . فثلا كتب كاروسا مذكرات عن الحرب ، ولكن كل ما يورده فيها من خطوب الحرب لا يكاد يبدو بين ثنايا القصص ووصف الحوادث اليومية

كذلك كان حال الشعر فى هذه الفترة : ونستطيع أن نمثل لها برتشارد بلنجر أو بفيلكس براون . وقد عيب على هؤلاء أنهم يغرقون فى التعلق بالطبيعة ، بيد أنهم لجأوا فى التعبير الى ذلك البيان الفنى الذى ازدهر جيلا بعد جيل ؛ وفيهم يشعر الانسان بأثر شعراء المدرسة القديمة مثل جورج ، وهوفمانشتال ، وريلكه . ولقد كان لأولئك الشعراء القدماء شىء من لون النبوة ، ولكن الشعراء الجدد تنقصهم الصياغة الفنية وكذلك كل مايدخل فى عالم التصوف أو الدين . وشعرهم صور قصيرة ؛ ولكنهم يجانبون ذلك العى الواضح ، ويبدو فى شعرهم هوى الفن والعناية بصقل العاطفة ، والحرص على صوغ البيان .

وإن هؤلاء لأنبل من يمثل هذه الفترة . ولكن يوجد الى جانبهم من يمثل الحقيقة ، الخشنة ، فمثلا توجد طائفة من القصصيين مثل برنو فرنك والفريد نويمان ؛ ترعى قصص المخاطرات والعجائب ، وهؤلاء يهتمون بالوقائع قبل الشكل . بيد أنهم رغم التعلق بالخوارق والمدهشات ، كتاب حقيقة ، لأنهم ليسوا ككتاب القصص « المغامرين » يبحثون عن المدهش فى عالم من الخفاء ؛ بل يلتزمون جانب الواقع ، ويستمدون المدهش من شغف خالص بالواقع ، ويستخرجون من الواقع قصصهم وغالبا أشخاصهم العنيفة المدهشة

ونستطيع أن نضع بين هؤلاء اميل لدفيج ، فهو يميل الى الخوارق والمدهشات ، ولكنه يصوغها فى أسلوب عادى ؛ بل أحيانا فى أسلوب ركيك مبتذل .

وينتمى الى هذه الحقيقة الخشنة ، أيضا كتاب قصص الحرب المتأخرين ، الذين نالوا حوالى سنة ١٩٣٠ شهرة عالمية ، ونذكر من هؤلاء رين ، وجليزر ، وريمارك . فان كتبهم انما هى وثائق ، ولكنها ليست رفيعة من ناحية الفن الأدبى

ويجدر بنا أن نشير أيضا الى كاتب مستقل اللون ولكن يتصل بحركة التعبير ، وهو الفرد ديبلن ، وهو طبيب اجتماعي في برلين ، ففي كتابه المسمى « برلين ميدان اسكندر » يصور وقائع حياة عامل نشأ في بيئة المدينة على نمط سينمائي ، متأثراً في ذلك بأسلوب جيمس جويس

— ٧ —

وانا لنصارح القاريء بأن ما اوردناه عن الحياة الادبية الالمانية بعد الحرب لا يكفي الا لشرحها بصوره موجزة جدا . فاذا كانت حركة التعبير قد اضمحلت وعفت بسرعة ، واذا كانت النزعة الجديدة الى الحقيقة برغم ما انتجت من مواهب قليلة لم ترتفع الى اكثر من مستوى متوسط ، فليس علينا أن نعتقد ان الحياة الادبية في هذه الفترة كانت ضئيلة . ولقد تحدثنا فيما قبل عما وجه من الاهتمام ولا سيما من جانب الطبقات الوسطى الى مسائل هذا العصر الفلسفية والسياسية ، وقلنا ان حركة التعبير لم تصمد لان مناهجها لم ترق في عين المفكرين الحقيقيين ، وأنها اتخذت للتعبير عن الازمة الفكرية التي هزت اركان بلاد العالم كلها بلا استثناء ، وهزت الرأي العام الالماني حتى بعد سنة ١٩٢٤ بما اقترن بها من الضغط السياسي والاقتصادي

ولقد كانت المصائب المادية التي ترتبت على الهزيمة سببا في أن هذه الازمة العقلية وقعت في المانيا قبل ان تقع في غيرها من امم اواسط اوربا وغربها وفي انها ربما كانت أعم واعمق اثرا . اجل لقد حولت هذه الهزيمة المانيا في بضعة أشهر من أقوى دولة في اوربا واحسنها نظاما الى بلد يمزقه الجوع والحرب الاهلية ، وقد بينا ان حركة التعبير انما كانت ثمرة لما وقع بالمانيا من تحطيم جميع الملكيات والضمانات وانهيار الطبقات ، وتحطم جميع مثلها الوطيدة ، وهي ريح لم يقف عصفها بالجندي المحارب ، ولكنها شملت جميع السكان قاطبة . كذلك كانت هذه المصائب سببا في حمل جميع الطبقات خلال هذه الاعوام ، على الاهتمام بالدين والفلسفة والسياسة . ولما ان ثقلت هموم الحياة ، لم يبق للفن سوى القليل ، وهذا هو السر في كون هذه الصورة التي قدمناها من قبل تبدو ضئيلة عجفاء ، كذلك الحركة العلمية عانت من هذه الظروف ، فقد كانت من قبل تجد في المانيا تحت تصرفها احسن القوى ، ولكن أولئك الرجال الفوا أنفسهم عندئذ يواجهون تلك المسائل الفكرية والسياسية التي لا تدع بعد مجالا للعمل الهادىء المنظم ، وغدا من الضروري قبل ان يستأنفوا عمل الجيل القديم ويسيروا به أن ينظموا آراءهم العلمية وأن يجربوها من جديد . كذلك تطور كثير مما يتلقاه الطالب في الجامعة من العلم الوضعي ولم يبق ذا اهمية علمية فقط ، بل غدا أيضا ضروريا لمعالجة المسائل الماسة التي أتى بها الحاضر . صحيح أن الالماني الفتي كان يهضم العلم كما كان يهضمه من قبل ، ولكن لا ليسير في البناء بادىء بدء ، بل ليجد لنفسه مكانه الخاص في ذلك المعترك الفكري

كانت تقوم في كل مكان جماعات عاملة تضطرم جميعا بهذه المسائل التي لا نهاية لها ؛ واقترنت بقيامها حركة أدبية معينة ؛ كذلك لا يكاد يوجد اليوم في فرنسا أو انكلترا كاتب كبير لم يشترك بكتاب وضع أو أكثر في معالجة المسائل التي شغلت ذلك العصر . كذلك اشترك جميع الكتاب الالمان الذين ظهروا قبل الحرب بهذه الوسيلة في معالجة مسائل ما بعد الحرب ؛ وكان ذلك نذير التجدد والفتوة . كذلك تحول كثير من هؤلاء الكتاب من روائيين متشككين الى نوع من العطف والاشتراك في الشعور مع معاصريهم ونذكر بعض هؤلاء ؛ فقد عني «هرمان هيسه» مثلا بمشكلة الشباب وعني «يعقوب فاسرمان» بجموح الطبقات الوسطى الجديدة وغطرستها وعني «اوتوفلاكه» بأزمة الزواج ، وعنيت «ريكاردا هوخ» بشرح صور الاخلاص والتصوف الالماني بطريقة جديدة . واخرج توماس مان ، القصصي الشهير ما قبل الحرب ، عددا من القصص الصغيرة التي لا موضع للكلام عنها هنا ، وهي في مستوى إنتاجه قبل الحرب . بيد انه الى جانب ذلك تحدث الى امته حديث المربي ، وقد عرفته من قبل وصافا للأسر الذاهبة والشخصيات الضعيفة . وتحدث بشجاعة ولكن بتحيز دائما عن «ضرورات العصر» مشيرا بذلك الى المسائل الشائكة الخاصة بنظام الدولة والمسائل الخارجية وكذلك معنى النفسية الجديدة ؛ وتحدث بالاخص عن تقاليد الفن والحياة ؛ عن تراث القرن التاسع عشر كله من جيته الى فاجنر ونيتشه ثم الى الروس . وفي سنة ١٩٢٤ ظهرت روايته التهذيبية الكبيرة «جبل الساحر» وهي رواية في الظاهر فقط ، ولكنها في الاصل صورة لاوربا في احوال صحتها ومرضها ونقاهتها ، وضعت في شكل مناقشة بين جماعة من الشخصيات الاوربية ذهبت بسبب المرض اوغيره الى آكام دافوس (في سويسرا)

— ٨ —

كذلك اشترك في هذا الجدل علماء مثل ماكس فيبر ومكس ترلتش ، بيد أنه قد اضطلع باعظم قسط من هذا الجدل طائفة من الشخصيات ليست من رجال العلم ولا من رجال الفن ، ولكنهم كفلاسفة مستقلين استخلصوا جميع التقاليد ، وتحدثوا عن طوالع العصر على نحو ما فعل تاين في فرنسا عقب كارثة سنة ١٨٧٠ . ومن الخيف

أن نصف هؤلاء الرجال بانهم فنانون أو علماء ، فقد فسروا العلوم الطبيعية والتاريخية في عصرهم بطريقة فلسفية سياسية . ومثل هذه الجهود لا يمكن أن تخلو من العيب ، فهى تتطلب كثيرا من المعارف الشخصية وقوة التناسق ، والنظر الى الحقائق ومقدرة كبيرة على التنبؤ : بيد أنه اذا كان الشخص المستقل يبالغ في تقدير كفايته في هذا الميدان ، فكذلك يجب الا ننسى أن مرحلة التطور لا يمكن أن تحل دون ان تبذل هذه الجهود للتطلع الى كل شيء

ونستطيع أن نذكر ماكس شيلر ، ولدفيج كلاجى ، بين الذين أسسوا فلسفة جديدة في علم طبائع الانسان

وقد كان كتاب أزوالد شبنجلر «انحلال الغرب» أشد ما يمثل هذه الطائفة . وهو كتاب أسوأ ما فيه عنوانه . وقد اعتبر مع ما فيه من العيوب أعظم حادث أدبي في الحركة الأدبية الالمانية بعد الحرب

وفي هذا الكتاب يدرس شبنجلر قوانين النمو والانحلال في التاريخ ، ويشرح بصفة عامة الاشكال التاريخية باسلوب الدرس المقارن في العلوم الطبيعية في أصول الاصطلاحات الخاصة بالنبات والحيوان ، ويتناول في بحثه كل ما يتصل بمصير الإنسان وطالعه ، سواء من ناحية الدولة أو من ناحية المجتمع ، وكذا من ناحية الفنون والعلوم الرياضية بنوع خاص . ويعتقد شبنجلر أنه قد استطاع بهذا العرض أن يطلع مواطنيه على المكان الذى يستأنف من التاريخ سيره ، وعلى واجبات العصر الذى سيلى ، ومصاير القرن الآتى . بيد أن شبنجلر لم يكن بالطبع استاذاً في جميع العلوم التى تناولها بحثه ، ويستطيع الانسان دون جهد أن يحصى عليه الخطأ في كل خطوة . وقد أنكر العلم والفلسفة كتابه ، ولكنه يعتبر مع ذلك انجيلا لعصره وفيه مزايا لا تنكر . واذا كانت روحه ثقيلة الوطأة ، فانه في ذاته مبتهل الآراء ، منبسط العلم ، ذو بيان سلس قوى . كذلك يعتبر الكتاب من الناحية المعنوية قوى الحجة ينم عن ابدع الخواص الالمانية . وقلما أنكر على الالمان انهم يعرفون كيف يواجهون القدر المحتوم مواجهة الابطال ، فكتاب شبنجلر ينفس من اوله الى آخره هذا الرضوخ الرفيع الرائع للقدر .

والى جانب شبنجلر نجد الكونت كايزرلنج مؤسس اكاديمية الحكمة في «دارمشتات» وهو محلل قدير لحضارات العالم واديانه وفي مذكرات سياحاته : وفي دراساته عن امريكا وعن الشعوب الاوربية نجد نوعاً من دائرة معارف تتناول كل المسائل التى تهم الالمان بنوع خاص والاوربيين بنوع عام ، منذ أن قربت السياسة الحديثة والاقتصاد الحديث بين تقاليد القارات العظيمة ورسالاتها وهذه الدراسات صورة قوية لكفاح الشباب الالمانى ضد مؤثرات العالم الخارجى . ففى مئات الكتب وفى آلاف الجماعات ، يتجه البحث الى بيان أصل الانسان ، وما له من ماضيه الخاص ، وما كسبه من الامم الاخرى . وقد ظهر أثر هذه البحوث في المسائل السياسية وكان يشتد كلما تقادم العهد على الحرب . وذلك في نفس الوقت الذى تطورت فيه الحركة الادبية من التعبير الى الحقيقة ، وأخذ الاهتمام يتجه من التحليل والمباحث الدينية والمثل الخيالية الى ناحية الماضى القومى والى ناحية الشئون السياسية والعملية

ولا يسمح المقام بأن نصف هذه الحركة في دقائقها ولا أن نتتبعها الى يومنا ، ذلك انا لا نستطيع ان نغضى عن العنصر السياسى تمام الاغضاء . فمن الواجب ان نبين مثلا أى قوى غنمتها المثل الخصيمة للديموقراطية ، وكيف ان التقاليد الأدبية ، والتصوف الأدبى الجديد ، مالت الى جانب الاحزاب غير الديموقراطية .

وقد كان مما له أهمية سياسية ان الطوائف الحرة ذاتها كانت تلقى المؤثرات الأدبية الرفيعة القوية التى تهيئها لانشاء مجتمع جديد غير ديموقراطى متدرج في الطبقات . والى نظم جديدة للدولة .

ولا يسعنا قبل كل شيء أن نغضى عن الاثر الذى خلفه شتيفان جورج ، وهو شاعر كبير ذو مكانة هامة نبغ قبل الحرب ، ولكنه لم يرتفع إلى ذروة التأثير في الطبقة الرفيعة إلا منذ الحرب ، ولو شئنا أن نصف آثاره المنظورة وغير المنظورة لاقتضى ذلك فصلا بأسره ، وآثاره فنية وأخلاقية وسياسية ، فلنتصور شاعراً مضطرم الشاعرية ذا أسلوب صارم في نفس الوقت ، كأنه في دائرة فنه نوع من القسس يعمل بروح القس . أجل لنتصور قسا كأولئك القسس الذين عاشوا منذ أربعة آلاف عام في مصر ؛ وكان لهم إلى جانب التأثير الكهنوتى ، أثر سياسى . ولقد لبث أثر شتيفان جورج السياسى خفيا غير منظور . أما أثره الفنى والاخلاقى فيبدو بالعكس منذ عشرة أعوام في كتب تلاميذه . ونذكر على سبيل التمثيل كتاب جوندولف عن جيته وكتاب برترام عن نيتشة

— ٨ —

ولا يدرك سوى أولئك الذين عاشوا خلال هذه الحركات المتباينة وعملوا معها ، كيف أن العصر لم يكن خاملا ولا مندثراً ، وليس من الحق أن نصر على أن العصر كان خلوا من الآثار الأدبية الرفيعة . واذا كان هذا العصر ينقصه التناسق وتنقصه العبقريات الادبية الممتازة ؛ فذلك يرجع الى أنه عصر جدل شاق بين المثل القديمة والمثل الجديدة . وفي غمار هذا الجدل الذى اشترك فيه كل انسان سر طرافته ، بل وسر عظمته ، وسنرى في المرحلة المقبلة . اذا كان عصر تعليم وغرس لجنى جديد .

كتبت للرسالة خاصة «ترجمها» «ع»

الموسيقى عند العرب

للاستاذ قدري حافظ طوقان

مقدمة :

قد يعجب البعض وقد يؤدى هذا العجب الى القول : ما علاقة صاحب هذا المقال بالموسيقى ؟ وهل هذا الفن يقع فى دائرة اختصاصه حتى يتمكن من الكتابة فيه ؟ وما هي الفائدة التى ستعود على القراء اذا عرفوا أن للعرب أو للمسلمين فضلا فيه ؟ ولماذا كل هذا الاهتمام بتراث السلف الذين مضوا بخيرهم وشرهم ؟ أما آن الأوان للاهتمام والانعكاف على شيء جديد حاضرا لنفع ممتع ؟ أجوبتى على هذه الأسئلة ستكون بالجملة ! فاجابة على السؤالين الأولين أقول إن الموسيقى هى من بحوث الصوت ، والصوت فرع من فروع علم الطبيعة ، وعلم الطبيعة هذا من العلوم التى تشتغل بها وتهتم بماضيها وحاضرها ، بتطورها ونموها . واما الجواب على الاسئلة الباقية فيمكن أن يتلخص فى أن الأمة التى تريد أن تصل الى ما تصبو اليه من تقدم وسؤدد يجب ان تهتم بماضيها ، وأن تربطه بحاضرها ، وان تأخذ من الحضارة الحالية ما فيها من عناصر صالحة وبالقدر الذى يتلاءم ونفسيتها وتقاليدها بحيث لا يضيع شيء من مميزاتها ، وان تضيف هذا الى ما فى حضارتها من عناصر خالدة ، بذلك تستطيع أن تخرج حضارة جديدة تمد سلسلة التاريخ الفكرى للعالم ، وبذلك تكون قد قامت بواجبها نحو تاريخها وتراثها ونحو المدنية والبشرية

نبذة فى أطوار الموسيقى

الموسيقى من الفنون الجميلة ومن أهم العوامل التى تترجم عن نفسية الامة وطبائعها ، وهذا الفن طبيعى فى البشر ، فالانسان يرغب فى الموسيقى يطرب منها وترتاح نفسه لها ، وهي لغة العواطف ، وقد تكون هي الوحيدة من بين الفنون التى يطرب لها الحيوان . هذا الميل الغريزى فى الانسان دفعه الى الاعتناء بها فاهتم لها المصريون من قديم الزمن وبلغوا فيها شأوا بعيداً ، وابدع فيها اليونانيون وأحلوها محلها من الاعتناء والاهتمام ، وكذلك الرومان فانهم اعتنوا بها فاخذوها عن اليونان وزادوا عليها : وفى الشرق اهتم لها الصينيون واليابانيون وبرعوا فيها واخترعوا آلات كثيرة من ذوات الاوتار ، وظهر منهم من انتقد الموسيقى الاوروبية ، هذا فى الشرق الأقصى ، اما الفرس فاحتقروها فى بادىء الامر وترفع اعيانهم عن تعاطيها ، ولكن لم يلبث هذا الاحتقار وهذا الترفع ان حل محلهما العناية والاعتبار ، فالفوا انغاما بديعة التوقيع واخذ عنهم العرب كثيراً ، يدلنا على ذلك تسمية الالحان العربية باسماء فارسية كما أخذوا ايضاً عن البيزنطيين ، وهؤلاء (البيزنطيون) واهل فارس بدورهم أخذوا عن الموسيقى العربية . ولم يكتف العرب بذلك بل ترجموا كتب الموسيقى لليونان والهند ودرسوها ، وبعد أن نقحوها هى وغيرها زادوا عليها ، فالفوا فى ذلك المؤلفات القيمة ، وجمعوا بين الحانهم والحان اليونان والفرس والهنود ، واستنبطوا الحانا جديدة لم تكن معروفة فضلا عما اخترعوه من الآلات . ولا يظنن القارىء أن فى وسعى أن اسرد تفصيلا تاريخ الموسيقى العربية والادوار التى مرت عليها فهذا ما لا طاقة لى به ، وساعمل جهدى فى هذا المقال ان أعطى فكرة بسيطة عن الموسيقى العربية من حيث قواعد انغامها وترتيب الحانها ومن حيث وزنها الموسيقى وآلاتها القديمة والكتب المؤلفة فيها . . . .

الانغام والالحان والوزن الموسيقى :

إن كلمة موسيقى ماخوذة عن اليونانية ، ومعناها تأليف الالحان ، والموسيقى ، علم يعلم به النغم والايقاع واحوالها وكيفية تأليف اللحون وايجاد الآلات الموسيقية [1]

إن الاصوات الموسيقية درجات او ابراج متتابعة ، الواحدة فوق الاخرى الى عدد غير متناه ، والابراج الاصلية عند العرب تبتدىء باليكاه ، فعشيران ، فعراق ، فرست ، فدوكاه ، فسيكار ، فجهاركاه ، ويقال لها ديوان ، وفوق هذا الديوان ديوان آخر له ابراج النوى : فالحسينى ، فالاوج ، فالماهور ، فالمحير ، فالبزرق ، فالماهوران ، وما ارتفع عن ذلك فهو جواب لما يقابله فى الديوان الذى تحته وهكذا . وبين هذه الابراج فسحات تختلف بعضها عن بعض فى الكبر ؛ وقد قسمها العرب الى كبيرة ، وتتالف من أربعة ارباع ، وصغيرة مؤلفة من ثلاثة ارباع ، ويحتوى الديوان على اربعة وعشرين ربعاً ، وتختلف الالحان العربية واختلافها يرجع لأسباب ، منها طبقة النغم واختلاف الأيقاع وتعويض الأبراج وتضعيف الألحان ، وبعض هذه يحتاج الى قليل من الشرح ، فطبقة النغم هى الانتقال فى سلم برج من الابراج صعوداً

(١) الانصاري - ارشاد القاصد - ص ١٢٧

ونزولاً مع حفظ المسافات التي تتغير النغم بتغيرها ، وتعويض الابراج هي تعويض بالابراج بأرباع ، وتضعيف الالحان هو الايقاع على برج يكون جواباً لما تحته ، والصعود والنزول على سلمه بحيث يبقى الجواب طبقة للنغم ، ولهذا يتضاعف الصوت . وكان للعرب عشرة انغام يبتدئ كل منها على برج من أبراج الديوان فتفرع منه أنغام فرعية ، هـذا من جهة الانغام والالحان ، وأما من جهة الوزن الموسيقى فاكتفي بالقطعة الآتية ، وقد اخذتها من المجلد التاسع عشر من مجلة المقتطف . « الوزن الموسيقى هو مجموع ضربات منفصلات بعضها عن بعض بأوقات محدودة في القياس ، وطبقاً للنسبة والمكان فيمكن الانسان أن يوقع مقطعين بسيطين بضربتين فقط ، لكن الوقت يختلف بين أجزائها فرادفة المقاطع تكون اما متساوية أو غير متساوية ، فالمتساوية هي مراجعة الضربات بطريقة لا نشعر بها مراجعة الأوتار بشرط أن يطول الوقت عند نهاية كل مجموع من الضربات أكثر من غيره ، فلو حدث اختلاف بين المجموعات ولو بضربة واحدة شذ القياس وفسدت المساواة ، ومجموع الضربات المتساوية الاوقات يسمى الوزن المجموع ، وغير المتساوية المقسوم . واذا قصر الوقت بين الضربات المتساوية حتى لا يمكن قسمتها بعد ذلك يسميها الفارابي (الهزج السريع) ، واذا تضاعف الوقت بين الضربات يسميه (الهزج الخفيف) ، او كان ثلاثة أضعاف (فالهزج الثقيل الخفيف) وهو يقابل الوتد المجموع ، أو أربعة أضعاف ، (فالهزج الثقيل) وما زاد على ذلك من الاوقات فنضع له الاسماء التي نختارها بشرط ان تختص بالوزن المجموع . وهذا كله يقابل تقسيم الاوقات في الموسيقى الافرنجية ... »

العرب عمليون

وقد طبق العرب مبادئ علم الطبيعة على الموسيقى ، وكانوا دائماً في نظرياتهم الموسيقية عمليين ، فلا يقبلون نظرية الا بعد التثبت منها عملياً ، ويعترف فارمر (Farmer) أن علماء العرب لم يأخذوا بآراء الذين سبقوهم (حتى ولو كان نجم السابقين مضيئاً وعالياً) الا بعد أن يثبتوا منها عملياً ، والمعترف به عند علماء الفرنجة أن ابن سينا والفارابي وغيرهما من علماء المسلمين زادوا على الموسيقى اليونانية وادخلوا عليها تحسينات جمة ، وان كتاب الفارابي لا يقل عن (ان لم يفق) ، الكتب اليونانية الموسيقية . وثبت أن العرب أجادوا في بحوث التموجات الكرية للصوت .

وفوق ذلك فقد زاد زرياب وتراً خامساً بالاندلس وكان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربع فزاد عليها وتراً خامساً أحمر متوسطاً ، ولون الاوتار وطبقها على الطبائع(١) وهو الذي اخترع مضراب العود من قوادم النسر فكانوا قبله يضربون بالخشب .

الآلات الموسيقية :

لانستطيع أن نسرد كل الآلات الموسيقية التي كانت معروفة عند العرب ، ولهذا نذكر أهمها ، ولكن قبل ذلك نود أن نلفت النظر الى أن العرب اعتنوا بصناعة آلات الموسيقى ، وكانوا ينظرون لهذه الصناعة نظرهم الى الفن الجميل ، وقد كتبت عدة رسائل في ذلك واشتهرت مدينة أشبيلية بها . وقد جمع المسلمون آلات غناء كثير من الامم كالفرس والانباط والروم والهند واستخرجوا من ذلك آلات تلائم أذواقهم وميولهم ، اضف الى ذلك ما أضافوه واخترعوه من شتى الآلات ، فمن الآلات التي كانت معروفة عندهم : الارغانون ، والبزق ، والطبلة ، والدف ، والشلياق ، والقيثارة ، والطنبور والعنق والرباب والمعزفة والشهرود (وقد اخترع الأخيرة حكيم بن أحوص السغدى ببغداد) والعود ، وله خمسة أوتار أعلاها البم والثاني المثلث والثالث المثنى والرابع الزير والخامس الحد ، وتترتب هذه الاوتار بصورة مخصوصة بحيث يعادل كل وتر ثلاثة أرباع ما فوقه ، والمسافة التي بينهما تعدل ربعاً ، ويقال إن الفارابي اخترع الآلة المعروفة بالقانون ، فهو اول من ركبها هـذا التركيب ، ولا تزال عليه الى الآن ، وهو الذي اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ، يحكى انه كان مرة في مجلس سيف الدولة فسأله هل تحسن صنعة الغناء ؟ فقال نعم ، ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها واخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ، ثم فكها وغير تركيبها وضرب عليها ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج ... »(٢) . واصطنع الزلام آلة

(١) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ـ ج ٢ ص ٧٧

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ـ ج ٢ ص ٧٧

موسيقيه من الخشب تعرف بالناي او المزمار الزلامى ، وادخل زلزل عود الشبوط كما ادخل الحكم الثاني تحسيناً على تركيب العود

كتب العرب في الموسيقى

للعرب مؤلفات قيمة في الموسيقى بلغ بعضها الذروة ، وكانت (ولا تزال) من المصادر المعتبرة جداً فى تاريخ الموسيقى وتطورها ، وقد يكون كتاب مروج الذهب للمسعودي وكتاب الأغاني للاصفهانى من أكثر الكتب بحثا وكتابة فى اشتغال المسلمين والعرب في الموسيقى ، وفى أشهر موسيقيهم وما يتصل بهؤلاء من طريف الحوادث ولذيذ الاخبار . ويرجح أن الكندى أول من كتب فى نظرية الموسيقى ، وكتبه فيها هى : الرسالة الكبرى فى التأليف ، كتاب ترتيب الأنغام ، كتاب المدخل الى الموسيقى ، رسالة فى الايقاع ، رسالة فى الاخبار عن صناعة الموسيقى . وكتب فى ذلك أيضا منصور ابن طلحة بن ظاهر والرازى وقسطا بن لوقا البعلبكى والسرخسى ، وللاخير كتاب الموسيقى الكبير ، وكتاب الموسيقى الصغير ، وكتاب المدخل الى علم الموسيقى ، وللفارابى كتاب الايقاعات ، وكتاب آخر اسمه كتاب الموسيقى ، وهو من أشهر الكتب ، ويقول عنه سارطون « إنه أهم كتاب ظهر فى الشرق يبحث فى نظرية الموسيقى » ولثابت بن قرة رسالة فى فن النغم ، ولأبى الوفاء مختصر فى فن الايقاع ، وابدع ابن سينا فى الكتابة عن الموسيقى وله فيها مؤلفات منها : الفن الثامن من كتاب الشفا ، وهو الموسيقى ، وفيه ست مقالات ولكل منها فصول ، والفن الثالث من الجملة الثالثة من كتاب الشفاء وكتاب الموسيقى . وهذا الكتاب يدور على مواضيع الاصوات والابعاد والاجناس والجموع والايقاع والانتقال والصنج والشاهرورد والطنبور والمزمار ودساتين البربط وتأليف الالحان . وللشيخ شمس الدين الصيداوي كتاب فى الموسيقى تستخرج منه الانغام ، اكثره شعر ، وفيه كلام على بحور الشعر والاوزان ودوائر البحور ، ولصفي الدين عبد المؤمن البغدادى كتاب الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية ، وهو مقسوم الى مقالات وفصول . ولصفى الدين الاموى كتاب الادوار فى الموسيقى وينقسم الى خمسة عشر فصلا ، وفيه صورة عود وصورة آلة قائمة الزوايا تسمى نزهة ، واشتهر هذا الكتاب كثيراً وبقى قروناً كثيرة المعين الذى استقى منه المؤلفون فى الموسيقى . ولمحمد بن محمد بن احمد الذهبي الحزيرى ابن الصباح شرح على كتاب فى علم الموسيقى ومعرفة الانغام ، وكذلك لابن زيلا وابن الهيثم وابى الصلت أمية ، والنقاش والباهلى وابى المجد وعلم الدين قيصر ونصير الدين الطوسي مؤلفات قيمة ، بعضها عديم المثال . وظهر في الاندلس عدد لا يستهان به ممن كتبوا في الموسيقى وأجادوا فى ذلك إجادة أوصلت هذا الفن إلى درجة عالية ، فمن الذين اشتغلوا وكتبوا فيها : ابن فرناس والمجريطى والكرمانى وابو الفضل ومحمد بن الحداد وابن رشد وابن السبعين والرقواطي وغيرهم ، وأنشأ صفى الدين عبد المؤمن الأموى مدرسة لتعليم الموسيقى وتخرج منها عدد غير قليل من العلماء الذين استطاعوا ان يتقدموا خطوات بعلم الموسيقى ، اشتهر منهم شمس الدين بن مرحوم ومحمد بن عيسى ابن كرا ، وهناك كتب عديدة لم يذكر فيها اسم مؤلفيها ككتاب الميزان وعلم الادوار والاوزان وهو مبنى على كتاب الادوار المار ذكره ومقسوم الى ستة ابواب فى ماهية الموسيقى وماهية النغم المطلق والاوتار والمواجب ومعرفة الشدود والاوزان واسماء الدساتين والايقاع . وفى كتاب رسائل اخوان الصفا بحث فى الموسيقى موجود فى الرسالة الخامسة من القسم الرياضي ، وهذه الرسالة مقسمة الى أربعة عشر باباً وهى تبدأ بصفحة ١٣٢ وتنتهى بصفحة ١٨٠ ، ومن يرغب فى الاطلاع على ما كتب فى كل باب فليرجع الى الكتاب المذكور ففيه تفصيل وكفاية ، واذا اردنا أن نعدد الذين نبغوا فى فن الموسيقى وكتبوا فيه حتى القرن الرابع عشر الميلادى يطول بنا المطال وقد يخرج مقالنا هذا عن القصد .

نابلس — قدرى حافظ طوقان

العلوم

ويسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكى

الأهلة مواقيت:

كذلك ارتآها العرب، وكذلك ارتآها الأقوام من قبل ومن بعد. دارت الأرض فاختلف الليل والنهار، وانتظم دورانها فثبت يومها فكان وحدة الزمن الطبيعية الأولى. ودار القمر حول الأرض فصغر فى ظلمات الليالى مرآه حتى انعدم، وكبر حتى استكمل فاستدار، وعرف الناس ثباته على ذلك، وثبات ما يمضى بين انعدامة وانعدامة، أو استدارة واستدارة، فاتخذوا من ذلك وحدة زمنهم الطبيعية الثانية فأسموها شهرا. ثم طلعت الشمس عليهم من المشرق، وأخذ يشمل مطلعها حتى بلغ الغاية فى الاشمال، ثم أخذ يجنب حتى بلغ الغاية فى الاجناب، واختلفت بذلك الفصول فاحترت حتى بلغت غاية الحر، ثم ابردت حتى بلغت غاية البرد، ودام هذا الاختلاف وثبت وانتظم، فوجد الناس فيه وحدة زمنهم الطبيعية الثالثة الكبرى فأسموها العام

وكان لابد لوحدات القياس ان تتناسب، وكان لا بد أن تقسم بعضها بعضا، وان تنقسم بعضها ببعض، فلما تلبسوا ذلك عند اليوم والشهر والعام، وجدوها لا تنقسم انقساما صحيحا، وحاولوا التأليف بينها فاستطاعوه بين اليوم والعام بالبسط والكبس، فكانت السنة البسيطة، وكانت السنة الكبيسة، واستعصى عليهم تاليف ما بين الشهر والعام، ما بين القمر والشمس، فانفردا كل بتقويم، فكان التقويم القمرى، وكان التقويم الشمسى، وتنافس التقويمان، وكانت الشمس أصل الحياة فاتفق تقويمها وحوائج العيش فشاع وذاع، واستقر التقويم القمرى حيث كان لا بد أن يستقر، فكان لتوقيت الصوم والحج وصنوف العبادات

صورة الهلال مأخوذة من مرصد باريس

وبالرغم من أن التقويم الشمسى يعتمد على اليوم والعام فحسب، فانه لم يستطع ان يغفل الوحدة الثانية المتوسطة التى خلقها القمر، أعنى الشهر، أرغمه عليها ألفة الناس لها وحاجتهم الى وحدة تقع من حيث طولها بين اليوم القصير والعام الطويل.

كذلك خلف القمر فى لغات الأمم أثرا من معنى ما استخدم فيه من قياس الزمن . فقد اسماه الانجليز (مون Moon) واسماه الارلنديون (ماى Mi) والألمان (مند Mund) والغوطيون (مينا Mena) والاغريق (مينى Mene) والهنود القدماء (ماس Mas) . واسم الشهر فى الانجليزية (منث Month) وفى الالمانية (مونات Monat) وفى الفرنسية (موا Mois) وفى الغوطية (مينوبس Menops) وفى اللاتينية (منسيس Mensis) وفى الاغريقية (مين Men) وفى الهندية القديمة (ماس .Mas) فبين اسم القمر واسم الشهر فى اللغات تطابق تام أو تشابه كبير . ويظهر ان هذه الاسماء جميعها مشتقة من اللغة الهندية « ما » ومعناها « يقيس » وذلك ان القمر به يقاس الزمن ، من هذه اللفظة نفسها لا شك يرجع اشتقاق الكلمات الافرنجية التى معناها « مقاس » وهى بالانجليزية Measure وبالفرنسية Mesure وبالالمانية Mass وباللاتينية Mensura وبالاغريقية Metron . ومن اللفظة الأخيرة « المتر » المعروف

دوران القمر :

ومن المشهور المعروف ان القمر يدور حول الأرض ، فاذا هو وقع بينها وبين الشمس ، أضاءت الشمس منه النصف الذى يليها ، فأظلم بذلك النصف الذى يلى الأرض فلا يرى الانسان من القمر شيئا ، وهذا هو المحاق أو أول الشهر . ثم يسير القمر سيرته ، فاذا بلغ الموضع المقابل للموضع الأول توسطت الأرض بينه وبين الشمس أو كادت ، وعندئذ تضىء الشمس منه النصف الذى تراه الارض ، فيظهر لنا كأن القمر كله يضىء وما هو بذلك ، وهذا بدر التمام . وبين المحاق والتمام ينزل القمر منازل بين هذين ، فيها تضىء الشمس منه أنصافا لا ترى الارض منها الا أبعاضا هى الأهلة ، فاذا زاد هذا البعض على نصف دائرة قارب البدر التمام فارتأته العين منقوصا قليلا . ويسير البدر من التمام الى المحاق فتتكرر الظواهر السالفة معكوسة ، وبذا يتم الشهر

وفى الأهلة يرى الانسان الجزء المعتم من القمر كأن نورا ضعيفا ينيره ، وذلك ان الأرض تعكس ضوء الشمس الى القمر كما يعكس القمر ضوءها الى الأرض . فلو أن للقمر أهلا يسكنونه لأسموا أرضنا هذه قمراء الا أنه أقمر وأسطع كثيرا من قمرهم ، فقد يبلغ المعكوس منا اليهم خمسين ضعفا

والارض تدور حول الشمس فى مستو ، والقمر يدور حول الأرض فى مستو غيره ، اذ لو دار الثلاثة فى مستو واحد لانكسفت الشمس فى كل محاق ، وانخسف القمر لكل تمام ، ويميل المستوى الذى يدور فيه القمر عن المستوى الذى تدور فيه الأرض بنحو خمس درجات

ومن يرقب الأهلة يعلم ان قرنى الهلال لا يستويان على الأغلب . قال ابن المعتز

انظر اليه كزورق من فضة   قد أثقلته حمولة من عنبر

فالهلال على الأكثر زورق مائل ، تارة يميل بصدره الى الشمال ، وتارة يميل بعجزه الى الجنوب ، وهو فى هذا كله يتبع الشمس ويداورها ، فنوره من نورها ، وهما قل أن يغربا من الأفق فى مكان واحد ، فاذا هما فعلا أو قاربا ذلك ، وقعت الشمس عند غروبها فى أسفل الهلال تماما فاستقام الزورق . ثم يجرى الدوران باختلاف المغربين فيعود الزورق فيمتلىء عنبرا ثقيلا

والقمر يتم دورته حول الأرض فى ٣٢, ٢٧ يوما ، وهذا شهره الحقيقى ، ولكن أهل الارض لا يرضون منه ذلك ، فالشهر عندهم هو ما بين المحاق والمحاق ، والقمر بعد جريانه ٣٢, ٢٧ يوما واستتمام دورته يجد أن الارض خدعته عن بلوغ المحاق ، لأنها أيضا تسير فيختلف موضعها من الشمس ، فلكى يتوسط القمر بينهما لابد للمتعب المجهود أن يسير ٢,٢١ يوما فيبلغ المحاق ، وبذلك يكون الشهر ٥٣, ٢٩

والقمر يدور حول نفسه ، فكان المرجو من ذلك أن نرى كل جوانبه ، ولكن الواقع غير هذا ، فانا لا نرى منه غير جانب واحد ، نرى وجهه ولا نرى قفاه ، وذلك أن

القصور الذاتي

للدكتور علي مصطفى مشرفة

من صفات المادة الملازمة لها والتي تكاد تكون دليلا عليها ما يسمى « القصور الذاتي » وهو نوع من الجمود أو الخمول ، به تقصر المادة بذاتها وبدون مؤثر خارجي عن أن تأتي حراكا ، ونحن نحس بوجود هذا الجمود إذا حاولنا تحريك جرم من الاجرام — ككتلة من الحجر مثلا — فأننا نشعر بمقاومة كأنما المادة تأبى علينا مجهودنا وتريد أن تترك وشأنها.

وربما بدا لأول وهلة أن المادة إنما تميل بطبعها إلى السكون وتجنح إليه وتؤثره على الحركة ، ولكن قليلا من الخبرة يدلنا على أن المادة المتحركة تقاوم كل محاولة لايقافها كما تقاوم المادة الساكنة كل محاولة لتحريكها . فاذا شك أحد القراء الكرام في كلامي هذا فما عليه إلا أن يتحقق من صحته بنفسه ، بأن يتعرض لجسم متحرك — كحجر منطلق في الهواء مثلا — محاولا إيقافه أو تغيير اتجاه سيره ، ونصيحتي في هذه الحال ان يختار جسما صغيرا ذا سرعة ضئيلة وإلا عظمت التضحية في سبيل العلم .

فالقصور الذاتي هو قصور عن السكون إذا كان الجسم متحركا ، كما أنه قصور عن الحركة اذا كان الجسم ساكنا ، وفي الواقع هو قصور عن التغير وميل إلى بقاء الحال على ما هو عليه ، فهو إذن نوع من المحافظة . ولنا أن نعكس هذا التشبيه فنقول إن المحافظة هي نوع من القصور الذاتي أو الجمود . فالخطيب المصقع الذي ينادي أن حافظوا على عاداتكم الموروثة وتمسكوا بتقاليدكم وتقاليد آبائكم ربما كان لا يعبر عن أكثر من القصور الذاتي لمجموعته العصبية !

وعلى قدر عظم كمية المادة يكون قصورها . فالكتلة الكبيرة من الحديد مثلا أعظم قصورا من الكتلة الصغيرة منه ، وبالعكس ، ولذلك اتخذ القصور الذاتي دليلا على مقدار الكتلة ومقياسا له .

وقد كان يظن حتى أواسط القرن الماضي ان القصور الذاتي خاصية من خواص المادة وحدها تتميز بها عن سواها ، إلا أنه وجد أن الضوء يشاركها هذه الخاصية . فالضوء إذا اعترضه حائل في طريقه دفعه وضغط عليه كما تفعل المادة المتحركة ، ويبلغ ضغط الضوء العادي للشمس نهارا على سطح الأرض نحو ثقل نصف كيلو جرام عن كل كيلومتر مربع ، أو نحو ثقل نصف ملليجرام عن كل متر مربع . وشأن الضوء في ذلك شأن سائر الاشعة الأخرى كالاشعة الحرارية والاشعة التي تلي البنفسجية وما إليها ، وكلما زادت شدة الضوء وكذلك كلما قصرت موجته زاد قصوره الذاتي ، وبالتالي زاد ضغطه على السطوح التي تعترضه في سبيله .

وكما أن للمادة قصوراً ذاتيا به تحاول المحافظة على حالتها من حركة أو سكون ، كذلك لها قصور ذاتي به تحاول المحافظة على حالتها الكهربائية وتقاوم كل تغير في هذه الحالة . فالجهاز الكهربائي الذي نستخدمه في التقاط أمواج الراديو مثلا له هذا القصور الكهربائي ، وهو خاصية أساسية فيه عليها تتوقف قابليته للاهتزاز الكهربائي تحت تأثير الهزات الاثيرية ، كما تهتز الأرجوحة تحت تأثير هزات الصبي لها .

بل إن الفضاء العاري عن المادة له صفة القصور الذاتي ، بها يقاوم كل تغير في حالته الكهربائية ، وعلى وجود هذه الصفة يتوقف إمكان انتقال الامواج الكهربائية فيه .

فليس بغريب إذن أن يظهر القصور الذاتي في الانسان ؛ في حركاته الجسدية وفي صفاته الذهنية . فالقصور هو نوع من الصابورة به تكتسب سفينة الوجود الاستقرار وحسن الاتزان ، وهو في الوقت ذاته عبء على كاهل الطبيعة يعوقها عن الحركة المطلقة ويجنح بها إلى الجمود .

علي مصطفى مشرفة

القمر يدور حولنا ويدور كذلك حول نفسه ، حول محوره ، ويستغرق في الدورتين زمنا واحدا ، فهو يدور حول الأرض مرة واحدة في الشهر ، ويدور حول نفسه مرة واحدة في الشهر كذلك ، فنحن دائما نرى منه وجها واحدا . نعم قد يتذبذب القمر في دورانه فيرينا أذنه اليمنى ، ثم يرينا أذنه اليسرى ، وقد يطرق فيرينا شيئا من أم رأسه ، وقد يرفع رأسه فيبين عن أدنى لحيته ، وهو في كل هذا لا يظهر غير ستة أعشار سطحه ، أما اربعة الاعشار الباقية فقد شاء القدر أن لا تراها عين انسان . وسترى في العدد القادم ماذا في القمر نفسه من أشياء ؟

احمد زكي

التجارب العلمية عند المسلمين

نكاد أن نصور لانفسنا صورة كاملة لمعظم النواحي الفكرية من المدنية الاسلامية ، ولكن الناحية العلمية المحضة مجهولة بالنسبة لسائر تلك النواحي ، فقل من أقدم على إثارة ابحاثها والغوص الى أعماقها ، وذلك لقلة ما بين أيدينا من الآثار فى هذه الناحية بل لفقدانها ؛ فلم يصل الينا من هذه الآثار الا أسماؤها وما تغنى الاسماء عنا شيئا ! نعم يمكننا أن نستدل بهذه الأسماء — التى كثيرا ما نجدها فى أمثال كتاب طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة وتاريخ الحكماء للقفطى وغيرهما — على ما عالجوه فى تلك العصور من المواضيع العلمية فى الطبيعيات والرياضيات وما يلحق بهما .

على انه اذا كان لدينا شيء من هذه الآثار فأنى نجد من يستطيع ان يقدم على معالجة هذه المواضيع والناس على شطرين ، فأما مثقفون ثقافة غربية حديثة يملون وينفرون من النظر فى أشباه تلك الكتب « الصفراء » كما يسمونها لقلة عنايتهم بها واستبعادهم حصول الفائدة من مثلها لانها « قديمة » ولانها « شرقية » ، وإما مثقفون ثقافة شرقية قديمة وهم بعيد وعهد عن النظر فى المواضيع العلمية الخالصة ، ولا تكاد تجد منهم من يقدر على فهمها واعطائها حقها من العناية . فما أحوجنا الى أولئك الذين سماهم الأستاذ احمد امين الحلقة المفقودة ، أعنى الذين يجمعون بين الثقافتين الشرقية والغربية ويؤلفون مزيجا من الحضارتين القديمة والحديثة

قد كان الناس الى عهد غير بعيد ، ولا يزال بعضهم على ذلك ، يعتقدون ان العلم بمعناه الحديث واساليبه الحاضرة من حيث استناده على الحس والمشاهدة والتجربة والاستنباط هو من مولدات هذه العصور ومن مميزات المدنية الحديثة ، ولكننا اذا تتبعنا الحركة العلمية فى المدنية الاسلامية وجدنا فيها ما يملأ النفس إعجاباً واكباراً بأولئك العلماء الذين كانوا مثلا أعلى للنشاط العلمى بجميع معانيه . فلقد كانت الفكرة العلمية نامية لديهم وبالغة من التجريد والتعميم درجة غير قليلة ، فكانوا يقولون كما يظهر من آثارهم بالقوانين الطبيعية وبشمولها واطرادها ويسلكون فى استنباطها واستخراجها الطرق المعروفة اليوم والتى تستند الى المشاهدة والتجربة ، وليس استعمال التجارب أداة للتحقيق العلمى مقصورا على العصور الحديثة ، فالمدنية الاسلامية كانت مجلية فى هذا الميدان ، فلم يقصر علماؤها كبنى شاكر محمد واحمد والحسن ، وابى الريحان البيرونى وغيرهم فى القيام بالتجارب العلمية الكثيرة وتقليبها على وجوهها ، ولم تعوز تجاربهم تلك دقة الملاحظة لشروط الحادث الطبيعى وظروفه والعوامل المؤثرة فى تغييره ولم يفتهم إحكام القياس وجودة الاستنباط .

وهانذا ناقل تجربة لأبى الريحان البيرونى (١) فى رسوب الاجسام وطفوها على وجه الماء ، تلك التجربة المؤدية الى فكرة كثافة الأجسام وهى تطبيق للقانون المشهور الآن باسم قانون أرخميدس ، والتجربة بعينها يجرونها اليوم فى مخابر التعليم من غير تغيير يذكر .

ولعل القارىء يعجب اذا قلت له أن هذه التجربة نجدها مذكورة فى أحد كتب التوحيد وهو شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى ؛ ولكن سرعان ما يزول بعض تعجبه اذا عرف أن كتب التوحيد كانت مبنية على الفلسفة ، والفلسفة بمفهومها القديم تشمل جميع أنواع العلوم ، فكانوا يقسمونها الى ثلاثة اقسام : الفلسفة الدنيا وهى الطبيعيات ، والفلسفة الوسطى وهى الرياضيات ، والفلسفة العليا وهى الالهيات ، فمباحث التوحيد مؤسسة على هذه الاقسام الثلاثة للفلسفة ، ولهذا فان كثيراً من الابحاث الطبيعية منبثة فى كتب التوحيد ، وموضوع هذه التجربة من جملة تلك المباحث المشردة فى تضاعيف تلك الكتب

قال التفتازانى فى آخر الجزء الاول من كتابه المذكور : « .. وبحسب تفاوتها — يعنى الاجسام — فى الخفة والثقل .. (٢) تتفاوت فيما يتبع ذلك من الحجم والحيز والطفو على الماء والرسوب فيه ، ومن اختلاف أوزانها فى الماء بعد التساوى فى الهواء ، مثلا : حجم الاخف (أى الاقل كثافة) يكون أعظم من حجم الاثقل (أى الاكثف) مع التساوى فى الوزن كمئة مثقال من الفضة ومئة مثقال من الذهب ، (والفضة كما نعلم أقل كثافة من الذهب ، فحجم مئة مثقال منها أعظم من حجم مئة مثقال من الذهب) . « واذا كان فى احدى كفتى الميزان مئة مثقال من الحجر وفى الاخرى مئة مثقال من الذهب أو الفضة أو غيرهما من الاجسام التى جوهرها أثقل من جوهر الحجر (أى أكثف منه) فلا محالة يقوم الميزان مستويا فى الهواء ، واذا أرسلنا الكفتين فى الماء لم يبق الاستواء ، بل يميل العمود

(١) راجع ترجمته فى العدد الرابع من الرسالة

(٢) يريد بذلك الكثافة dencité

الى جانب الجوهر الأثقل ، وكلما كان من جوهر أثقل (أى أكثف) كان الميل أكثر ، ويفتقر الاستواء الى زيادة فى الحجر حسب زيادة الثقل مع أن وزن الجوهر ليس الا مئة مثقال مثلا . . . وقد حاول أبو ريحان تعيين مقدار تفاوت ما بين الفلزات وبعض الاحجار فى الحجم وفى الخفة والثقل بان عمل اناء على شكل الطبرزد(١) مركبا على عنقه شبه ميزاب منحن كما يكون حال الاباريق وملأه ماء وأرسل فيه مئة مثقال من الذهب مثلا وجعل تحت رأس الميزاب كفة الميزان الذى يريد به معرفة مقدار الماء الذى يخرج من الاناء ، وهكذا كل من الفلزات والاحجار بعدما بالغ فى تنقية الفلزات من الغش وفى تصفية الماء ، وكان ذلك من ماء جيحون فى خوارزم فى فصل الخريف ، ولا شك أن الحكم يختلف باختلاف المياه واختلاف أحوالها بحسب البلدان والفصول ، فحصل معرفة مقدار الماء الذى يخرج من الاناء بمئة مثقال من كل من الفلزات والاحجار (أى بوضع مئة مثقال من كل منها فى الماء) وعرف بذلك مقدار تفاوتها فى الحجم (أى حينما تتساوى فى الوزن ، وذلك بمعرفة تفاوت ما يخرج من الماء بوضع كل مئة مثقال منها فى الماء) ، والثقل (يعنى به الكثافة) . فان ما يكون ماؤه أكثر (أى الماء الذى يخرج بوضع الجسم فى الماء) يكون حجمه أكبر وثقله أخف بنسبة تفاوت الماءين واذا اسقط ماء كل من وزنه فى الهواء كان الباقى وزنه فى الماء ، مثلا لما كان ماء مئة مثقال من الذهب خمسة مثاقيل وربع مثقال كان وزنه فى الماء اربعا وتسعين مثقالا وثلاثة ارباع المثقال ، والماء الذى يخرج من الاناء بالقاء الجسم فيه إن كان أقل من وزن الجسم فالجسم يرسب فيه ، وان كان أكثر منه فيطفو ، وإن كان مساويا له فالجسم ينزل فى الماء بحيث يماس أعلاه سطح الماء . وقد وضع أبو ريحان ومن تبعه جدولا جامعا لمقدار الماء الذى يخرج من الاناء بمئة مثقال من الذهب والفضة وغيرهما ومقدار اوزانهما عند كون الفلزات السبعة فى حجم مئة مثقال من الذهب ، والجواهر فى حجم مئة مثقال من الياقوت الاسمانجونى ، ولمقدار اوزانها فى الماء بعدما يكون مئة مثقال فى الهواء ، وهو هذا الجدول (فهذا الجدول يحتوى على ثلاثة جداول احدها لاوزان الماء الذى يخرج بارسال مئة مثقال من كل من هذه الاجسام فى الماء ، وثانيها لاوزان هذه الاجسام عند ما تكون حجومها متساوية ، ومساوية لحجم مئة مثقال من الذهب ان كانت من الفلزات ، ولحجم مئة مثقال من الياقوت الاسمانجونى ان كانت من الجواهر ، وثالثها لأوزان هذه الأجسام فى المياه عند ما يكون وزن كل منها فى الهواء مئة مثقال) .

(١) الطبرزد (بالذال وبالدال) السكر فارسى معرب ولعل السكر كان يصنع آنئذ على الشكل المخروطى الذى يصنع به اليوم

(١) جدول فى أوزان ما يخرج من الماء بوضع مئة مثقال من الاجسام المذكورة

	المثاقيل	الدوانق(١)	الطسوجات (٢)	
ذهب	٥	١	٢	الفلزات
فضة	٩	٤	١	
زئبق	٧	٢	١	
الأسرب	٨	٥	٠	
الصفر	١٠	٢	٠	
النحاس الاحمر	١٠	٢	١	
النحاس الاصفر	١١	٤	٠	
الحديد	١٢	٥	٢	
الرصاص	١٣	٤	٠	
الياقوت الاسمانجونى	٢٥	١	٢	الجواهر
اللعل	٢٧	٥	٢	
الزمرد	٣٦	٢	٠	
اللاجورد	٣٧	١	٠	
اللؤلؤ	٣٨	٣	٠	
العقيق	٣٩	٠	٠	
الشبه	٣٩	٣	٠	
البلور	٤٠	٠	٠	
الياقوت الاحمر	٢٦	٠	٠	

(٢) جدول فى أوزان الفلزات والجواهر اذا كانت الفلزات فى حجم (١٠٠) مثقال من الذهب والجواهر فى حجم (١٠٠) مثقال من الياقوت الاسمانجونى

	مثقال	دانق	طسوج	
ذهب	١٠٠	٠	٠	الفلزات
فضة	٥٤	١	٢	
زئبق	٧١	٢	١	
الأسرب	٥٥	٢	٢	
الصفر	٤٦	٢	٠	
النحاس الاحمر	٤٥	٣	٠	
النحاس الاصفر	٤٥	٠	٠	
الحديد	٤٠	٣	٣	
الرصاص	٣٨	٢	٢	

(١) الدانق سدس المثقال (٢) الطسوج ربع الدانق

	مثقال	دانق	طسوج	
الياقوت الاسمانجونى	١٠٠	٠	٠	
الياقوت الاحمر	٩٧	٠	٣	
اللعل	٩٠	٢	٣	
الزمرد	٦٩	٣	٠	
اللازورد	٦٩	٥	٢	الجواهر
اللؤلؤ	٦٥	٣	٢	
العقيق	٦٤	٤	٢	
الشبه	٦٤	٢	١	
البلور	٦٣	٠	٣	

واما الجدول الثالث وهو الذى يبين وزن كل جسم فى الماء فيحصل بطرح وزن ما يخرج من الماء بغمس كل جسم فى الماء ، من الوزن الأصلى في الهواء اعنى مئة مثقال ، ولما كان وزن ما يخرج من الماء بغمس كل جسم من الاجسام المذكورة مبينا فى الجدول الاول فيطرح هذا الوزن من (١٠٠) مثقال فيخرج وزن ذلك الجسم فى الماء ، مثلا : وزن الذهب فى الماء (٩٤) مثقالا و(٤) دوانق و (٢) طسوجان

ooo

ومما يلاحظ أن المؤلف قد استعمل لفظى الثقل والوزن بمعنيين مختلفين لجعل الثقل بمعنى المكثافة Densité كما هو ظاهر من سياق كلامه ، وهذا مما يدل على ما فى اللغة العلمية من دقة فى التعبير .

هذا وإن من الجدير بالعناية والنظر فى أمر هذه التجربة أنه اشتهرت نسبتها — أو على الأقل نسبة النظرية التى تستند اليها هذه التجربة — الى ارخميدس ، وقصته فى اكتشافها مشهورة تكاد تكون مضرب المثل فى الالهام أو الحدس الملى ، ومع ذلك فلم يشر الى هذا الأمر المتقدمون من علماء المسلمين ممن بحثوا هذا المبحث او ممن ترجموا لارخميدس . واذا رجعنا الى ترجمته فى كتاب تاريخ الحكماء للقفطى (١) والفهرست (٢) لابن النديم مثلا وجدنا ما ترجم من كتبه الى العربية ليس شىء منه من باب الطبيعيات وانما هى فى الرياضيات ، فكل هذا يدعونا الى التساؤل كيف انتقل هذا القانون أو هذه النظرية الى المسلمين ؛ أهو عن طريق ارخميدس ولم يذكر بين كتبه المعربة ما يشبه هذه المباحث ! ام عن طريق غيره من الفلاسفة ممن نقلوا عنه ذلك ؟ واذا كان كذلك فلم لم يكن لارخميدس ذكر فى هذا النقل ! أم أن المسلمين أنفسهم توصلوا اليها ؟ ولم ينقل الينا مثل هذا الاكتشاف ! وعلى كل نترك التحقيق والبت فى هذا الامر الى من هم اوسع تحقيقا واغزر علما . ومهما كان الامر فان مما يسترعى النظر فى هذه ما فيها من الدقة فى تعيين المكان (خوارزم) ، والزمان (فصل الخريف) ، والماء المستعمل فى التجربة (ماء جيحون) ، تلك العوامل التى تؤثر فى نتيجة التجربة كما أشار القتازانى نفسه الى ذلك حيث قال : « ولا شك ان الحكم يختلف باختلاف المياه واختلاف احوالها بحسب البلدان والفصول » ولا شك فى الحقيقة ان كثافة الماء تختلف تبعا لهذه العوامل التى ذكرها . ومن جهة اخرى فان ابا ريحان « بالغ فى تنقية الفلزات من الغش وفى تصفية الماء » لتكون النتائج ادق واضبط ، ولم يكن فى الكميات أقل ضبطا منه فى الكيفيات وهو لتعيين الاوزان يستعمل المثقال والدانق (سدس المثقال) والطسوج (ربع الدانق) ومن ذلك نعلم ان فكرة ارجاع الكيفيات فى الحوادث الطبيعية الى الكميات كانت معروفة شائعة لديهم وهى الفكرة التى يرتكز عليها علم الطبيعة اليوم والتى كانت وسيلة لرقيه السريع وبلوغه تلك المنزلة الرفيعة التى ارتقى اليها فى هذا العصر ، فحرى بمن يؤلف بالعربية فى علوم الطبيعة ان يشير الى أمثال هؤلاء العلماء ممن نستطيع ان نفاخر بهم فى الميادين العلمية ، والذين كثيرا ما ينسب الى غيرهم من متأخرى علماء الفرنجة ما هو أحق أن ينسب اليهم لما لهم من السبق فى تحريه واكتشافه او فى التحقيق عن صحته واثباته ، فقد اصبحنا ومالنا من ماضينا سوى الافتخار باسمه والاشادة بذكره ، فاذا توخينا تلمس ما فى هذا الماضى من مآثر حقيقية فى كل منحى من مناحى التفكير أحجمنا وكلت ابصارنا عن النظر فى مثل تلك الآفاق الواسعة التى تثبت بحق ما كانت تقوم عليه الحضارة الاسلامية من سعة فى التفكير لم يكن « الدين » على ازدهاره اذ ذاك « ليضيق بها ذرعا » بل ان هذه الحركة فيما أرى كانت تغذيها وتدفع الناس اليها روح الاسلام نفسه ، ذلك الدين الذى يجب أن نتصوره بأوسع مما هو مصور فى الحقيقة فى مخيلتنا و والذى قد تضيق كلمة دين — اذا نحن اطلقناها عليه — مفهومة فى نفوسنا لما نتصوره من لوازم عديدة لهذه الكلمة حينما نذكرها بسبب ما مرت عليه من أدوار مختلفة فى خلال التاريخ البشرى . فهو فى الحقيقة أوسع من أن يسمى دينا بالمفهوم الحالى لهذه الكلمة ، وانما هو الطريقة المثلى فى الحياة فى جميع نواحيها وشعبها ، وناهيك بما أنتجته الحضارة الاسلامية من إبداع فى الادب والعلم والتشريع دليلا على سمو هذا المنهاج الحيوى الاقوم .

دمشق

محمد مبارك

بكالوريوس فى العلوم

(١) مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى طبع ليبسك . ص : ٦٦

(٢) الفهرست طبع مصر : ٣٢٢

القصص

من أقاصيص العرب

وضاح الشاعر

بقلم احمد حسن الزيات

— ١ —

فى اليمن الخضراء ، وفى صنعاء ذات الظل والماء ، نشأ وضاح أزهر اللون ، أصهب الشعر ، مليح القسمات ، رقيق الأديم ، ثم ترعرع بين خمائل الأودية ومروج السهول وأزاهير الربى فازداد رواء ونجارة .

وإذا كان الجمل يكتسب لون الصحراء ، والسمك يستفيد مرونة الماء ، والطاووس يستعير أفواف الروض ، فان اليمانين لم تصلهم بطبيعتهم ولا بينهم صلة ، فهم سمر الوجوه ضئال الجسوم قصار القدود ، وأرضهم مشرقة الأجواء مونقة المناظر خصبة التربة . لذلك رابهم وضاح بقدر ما راعهم ، فقالوا إنه من أبناء الفرس الطارئين على اليمن فى عهد ابن ذى يزن ، ولكن الحكم سفه هذا الرأى وقضى بعربيته

لا يعنيك ولا يعنيني أن نكشف عن دخيلة هذا الشاب فنصف تاريخ أسرته وحقيقة ثروته وطبيعة عمله ، إنما يعنينا من وضاح ذلك الفتى الطرير الذى أشقاه شعره وأبأسه شعوره وقتله جماله .

نريد أن ننقل عن لوح القدر هذه الصفحة الدامية التى كتبت لهذا البائس وجرت عليه فى غير رفق ولا هوادة .

* * *

كان وضاح الجميل الشاعر كالبلبل يعرف فى نفسه جمال الريش وجمال الصوت ، فهو لا ينفك فى حذر من الصائد وخوف من القفص ، فكان يغشى المواسم والأسواق وهو مقنع منتقب خيفة الحاسد وحذر المرأة ! !

ولكن المرأة كانت تعترضه بكل سبيل ، وترقبه فى كل مرصد ، وتتراءى له فى كل مكان : تحت النخيل ، وفى الأسواق ، وعلى الماء ، وهو لا يزداد إلا تمنعا وترفعا ووحشة ، لأنه محبوب ومن طباع المحبوب الادلال ؛ ولأنه مطلوب ومن غرائز المطلوب الحرب ، ولم يجد مع ذلك فيمن رأى من النساء روحا جذابة ولا قوة غلابة ولا جمالا أبرع من جماله ، على أن وضاحا خلق للحب وكتبت عليه فيه الشهادة ! فعيناه على غير علمه ترتادان الحبيب ، وقلبه من قلقه وانتظاره يضطرب فى حنايا صدره ، وعواطفه من اضطرامها وانبساطها تكاد تسيل ، وكان يفر من ضوضاء صنعاء ومتاجرها وقوافلها ، الى سكون الصحراء الرهيب ، وهدوء الطبيعة الموحش ، فيقضى سحابة نهاره جالسا فى روضة ، أو مستلقيا على غدير ، أو نائما فى مغارة ؛ كأنه نبى من أنبياء بنى اسرائيل ينتظر الرسالة .

— ٢ —

فى صباح يوم من أيام الربيع مشرق الأديم عنبرى النسيم منضور الخمائل استهوته الطبيعة فأخذ يضرب فى الأرض حتى متع النهار ، وإذا هو على ماء من أمواه (الخصيب) من قرى اليمن ، وفى الخصيب شد الجمال أطنابه وشاد الحب معبده . والعرب يقولون لك : اذا بلغت أرض الخصيب فهرول !

فجلس وضاح ينضح ظمأه ويرفه عن نفسه الى ان طاف به الكرى فنام .

تنبه وضاح ساعة الأصيل على صوت رخيم الحواشى ، متسق النبرات فى رنين الفضة . فنظر فرأى حورية من حوارى الحقول قد حسرت عن ساقها وغمست رجلا فى الغدير ووضعت رجلا على الحافة وهى منحنية على الماء ، تجمع ثوبها بيد وتملأ سقاءها بيد . فرجف قلبه وبرق بصره وخيل اليه ان عينه لم تقع من قبل على فتاة ، فنهض يملأ من هذا المنظر الرائع عينيه فلفتها حركته . فرفعت بصرها اليه فى سكون طرف وفتور لحظ . وكأنها همت بالنكوص لولا ان رأت منه ما رأى منها . فوقفت جامدة لا تتحرك ، وشاخصة لا تطرف ، بل أحست من نفسها الهفوان اليه حين تقابل النظران وتجاذب القلبان

وتمشى إليها مشية الحباب فى حياء وونا ورقة . حياها فردت التحية ، واستنبيها فانتسبت كندية ، واستسماها فقالت (روضة)

ثم جرى بين المحبين حديث الشباب الحيى المضطرب الحائر .. ويكاد نصه يكون واحداً على اختلاف الألسنة والازمنة والامكنة فلا نثبته ، وكيف نثبت كلام الناظر للناظر ، وتدفق الخاطر فى الخاطر ، وعناق القلب للقلب ، وامتزاج النفس بالنفس ، ولحن اللسان للسان ؟؟

كانت روضة كما تشتهى كل فتاة ان تكون ، فهى كما صورها وضاح فى شعره ، كاعب وضيئة الطالعة لطيفة التكوين مصقولة الجبين يزينه شعر أثيث أشقر كذنب الكميت ، زجاء الحاجبين كأنهما شقا بقلم ، تقوساً على مثل عين الظبية ، ساجية الطرف ، ذلفاء الانف ، عبلة الذراعين لاترى فيهما عظما يحس ولا عرقا يجس ، طفلة الكفين تعقد ان شئت منهما الانامل ، ممشوقة القد قد أفرغت فى قالب الحسن .

وجد كل منهما فى الآخر مشابه فى زهرة الوجه وصهبة الشعر وهجنة النسب بالدم الفارسى . فتعارفا بلحظة ، وتفاهما بلفظة ، وتآلفا تآلف الاخدان كأنما كانا على موعد !

طوت شمس الطفل الغاربة مطارفها العسجدية عن السهول والحقول فلم يبق منها الاهلاهل على رءوس التلال وشعاف الجبال وأعراض النخيل ، وأخذ الرعاة يروحون بالقطعان الى الحظائر ، وآن للراعية الحسناء كذلك ان تؤوب ! فقامت روضة متثاقلة ، وودعته متخاذلة : وسارت وراء قطيعها تتهادى فى مرطها الملفوف ونطاقها المحبوك وخمارها الاسود كأنها آلهة الرعاة أو تمثال الحسن .

تلاقيا مرة أخرى فى سرة الوادى المعشب وقد عملت فيه يد الطبيعة فأزرته بعميم النبت ، وطرزته بألوان الزهر ، وضمخته بعبير الخزامى وريا البشام وأرج الرند . فجلسا ساعة تحت دوحه يتساقطان عذب الحديث ، ويتناشدان حلو الغزل ، ويتساقيان كؤوس الهوى ، ثم نهضا يسيران صاعدين تارة فى مدارج السيل ، وهابطين تارة الى قرارة السهل ، يجنيان الكمأة ويقطفان البهار ويلتقطان الجزع المفصل . فلما نفضت الشمس على الافق الغربى تبر الاصيل توادعا ثم تواعدا على اللقاء وتعاهدا على الوفاء بعد أن شق عليها رداءه وشقت عليه هى برقعها استدامة للحب وبقيا على الهوى !

— ٣ —

ظل العاشقان فى غفلة الزمان والانسان يتلاقيان كل يوم على خلاء ، حتى نم على هواهما شعر وضاح ، فتنبه الغافل وتحرش العاذل وتحنز الأهل ؛ فحالوا بينها وبين لقائه وتوعدوه

فكان وضاح يأتى كل يوم على عادته فيجلس فى الاماكن التى أعتادها ، ويرتاد الغياض التى ارتادها ؛ ويستروح النعامى والخزامى فلا يجد قراراً فى مكان ، ولا جمالا فى طبيعة ، ولا روحا فى أرج ، فيدنو من الخصيب يترصد غفلة القوم ويتنسم ريح روضة ويقول :

يهددونى كيما أخافهم ... هيهات أنى يهدد الاسد ؟

حتى اتى ذات مساء عبدها الذى كان يرعى عليها رائحا بالقطيع الى مراحه ، يحمله رسالة اليها يطلب فيها أن توافيه على الكثيب متى غفت العين وهدأت القدم ، فوافته فى احدى أترابها ، فجلسا على الحصباء يتشاكيان حرقة الجوى وتحكم الهوى وتعقب الرقيب ، وأخذت روضة تحكى لوضاح كيف استفاض الخبر وخاض فيه الناس ، وكيف حجبها أخوتها وراقبوها بعين لاتغفل ، وذكرت له والدمع يتقاطر من عينيها أنهم صمموا على رفض خطبته ومنع تزويجه ، وقرروا تزويجها من موسر كثيف الظل جافى الخلقة ، وحذرته أن يدنو من الحى فان قومها يأتمرون به .

غلى جوف وضاح وعصفت فى رأسه الحمية ، ونزت بقلبه الصبابة ، وعقد نيته على معالجة الامر بالحزم ، ومواجهة الخطر بالصراحة ، وقرر زيارتها فى دارها بعد هذا الحوار البديع الذى خلده وضاح فى هذه القصيدة :

قالت : الا لا تلجن دارنا ... إن أبانا رجل غائر

قلت . فانى طالب غرة ... منه وسيفى صارم باتر

قالت : فان القصر من دوننا ... قلت : فانى فوقه ظاهر

قالت : فان البحر من دوننا ... قلت : فانى سابح ماهر

قالت : فحولى اخوة سبعة ... قلت فانى غالب قاهر

قالت فليث رابض دوننا ... قلت فانى أسد عاقر

قالت : فان الله من فوقنا ... قلت فربى راحم غافر

قالت : لقد أعييتنا حجة ... فأت اذا ماهجع السامر

واسقط علينا كسقوط الندى ... ليلة لاناه ولا زاجر

وفى الليلة التالية كان وضاح فى طريقه الى الخصيب ، وكان أخوة روضة وعمومتها يرصدون سبيله ويطلبون لقاءه ، بعد أن علموا من الرقيب اجتماع الكثيب ، وكانت الحبيبة على علم بخروج القوم وقدوم المحب المخاطر فطرقت مضجعها الهموم ، وتخالجت قلبها الوساوس ، وأخذها عليه المقيم المقعد .

لم يطل انتظار الجماعة للفرد فتلاقوا وراء الوادى ؛ ثم كان عتاب على الاشعار الجارحة ، وسباب على الشهرة الفاضحة ؛ وقتال انتهى بطعنة تلقاها المحب فى موضع حبه . ثم خلا المكان الا من جريح

يثن ، وفرس يحمحم ؛ وتحامل على نفسه وضاح فضمد جرحه وركب جواده وقفل راجعا الى أهله .

قضى المسكين شهرين على فراش الالم يتضور من ضربان الجرح وهذيان الحمى وثوران الحب . ولكن الجرح كان قريب الغور فاندمل ، والحمى كانت عارضة فأقلعت ، والحب ؟ هذا هو المرض المخامر والداء العياء ، فليس له غير الله من آس ولا طبيب ، لذلك نصحوا لوضاح أن يحج البيت فشد اليه رواحله . وسنلقاه هناك بعد قليل .

— ٤ —

اذن مؤذن الحج للمرة الثمانين بعد الهجرة ، فسالت فجاج الجزيرة بالقباب والهوادج ، وشرقت دروب الحجاز ومسالكه بالناس رجالا وعلى كل ضامر ، واكتظت بطاح مكة ورباعها بالحجيج من الشام والعراق واليمن ، ودوى الفضاء المشرق باصوات التهليل والتلبية ، وروى الثرى المكروب من دماء البدن والضحايا ، وتعطر الجو القائظ بانفاس الحسان الغيد ، وفاضت اندية مكة النبيلة بالقصف والعزف والغزل ، وخرج الشعراء من بني الانصار والمهاجرين في مطارف الخز وبرود الوشي على النجائب المخضوبة ، يتعرضون للغواني المحرمات ، ويقطفون من فوق شفاهها اللعس الفاظ الدعاء ، قبل أن ترفع الى السماء ، وهناك على الربوة العالية ضرب القسطاط الرفيع العماد ، وفرشت الطنافس ، ونصبت الارائك ، وصفت النمارق ، ونضدت الوسائد ، وقامت الجوارى والولائد ، وعلقت السدول والستائر ، وبرزت من خلالها زوج الخليفة في زينتها وفتنتها ترسل النظر تارة الى الأفق البعيد ، وتارة تصفح به الوجوه المختلفة والازياء المتعددة ، والناس يتحامون جانبها ويتهيبون ظلالها لهيبة الملك وشراسة الجند وجلال الخلافة . حتى الشعراء من شباب الهاشميين وخلفاء ابن ابى ربيعة لم يجرؤا أن يمدوا الى جمالها الفاتن عينا ولا لسانا ، لأن الخليفة كتب (يتوعد الشعراء جميعا أن ذكرها احد منهم أو ذكر أحدا ممن تبعها) ولكن الملكة تريد على رغم الملك أن تكون من عرائس الشعر ، وأن تظهر في ديوان الشاعر ، كما ظهرت في ديوان الملك . والشعر في الحجاز كان حينئذ للمرأة ، يصف حالها ويعرض جمالها فتصل من طريقه اما الى الزواج وإما الى الشهرة . فتراءت الملكة للناس وسهلت للغزلين الحجاب .

وكان وضاح يومئذ مشغولا عن الشعر والشعراء بنفسه ، فهو يطوف بالبيت ويتعلق بستور الكعبة ، ويسأل الله ان يشعب قلبه بالسلوة . حتى اذا خرج الحجيج الى عرفات وتطاولت الرقاب ، وتطالعت العيون ، وأومأت الاصابع الى موكب الملكة الحاشد ، جذبه جلال الحاجة النبيلة وجمال وصائفها فدنا من فلكها ، فوجد كهنة الحب وشياطين الشعر يسايرون ركابها ويراقبون سناها . فمشى بجانب الشاعر كثير ، ووقعت عين الملكة عليه فراقها جماله ، وعلقتها حباله . فاشارت بطرف العين الى جاريتها غاضرة فأثبتت معرفته .

فلما افاض الناس من عرفات ، وانحدروا الى مرمى الجمرات ، وقفت بجانبه فتاة فتانة ناهد ، وأسرت اليه وهو يرجم الشيطان ان الملكة تريد لقاءه في مخيمها على (منى)

اضطرب وضاح لهذه الارادة وخشى عاقبة هذه الدعوة ، وتردد طويلا في الذهاب الى هذا الموعد ، لان هذا الحب الملكي اكبر من عواطفه ، ولان قلبه الجريح لا يزال يقطر في لفائفه ، ولان خيال (روضة) يعتاده في جميع مواقفه ، ولكنه عربي !! والعربي طماع طماح مخاطر . فلماذا لا يبذ الشعراء ويكبت الاعداء بالسبق الى جمال الملكة ومال الخليفة ؟ ؟

امسى المساء ، وكان هلال ذي الحجة قد توارى بضوئه الشاحب خلف الجبل ، واخذت الاضواء المنبعثة من بواقى المشاعل والمصابيح والكوانين تكافح ظلمة الغسق ، والقى الناس ارواقهم على الرمال مجهودين بعد نهار قائظ احمرت حواشيه من دماء القرابين ، وضرب الكرى على آذان العامة فلم يبق يقظان الا ذوو الحس الرقيق من جرهم جمال الليل الى جمال السمر ، والانسان شاعرتان بسط الحب عليهما جناحه ، وازال ما بينهما من فروق ، ورفع ما يفصلهما من حواجز ، حتى التقى ابن آدم ببنت حواء وجها لوجه ، واقبلت الملكة على وضاح اليمن تناقله الحديث ، وتساجله الشعر ، وتنصب له شرك الفتنة في مطاوى اللفظ ، وتسدد الى قلبه سهم الغواية في مرامى اللحظ ، وحسبنا أن نروى من هذا الحديث المشفق العذب هذا الحوار :

— وكيف حال روضة بعدك يا وضاح ؟

— على شر حال وا أسفاه ! زوجوها من موسر مجذوم فاعداها بالجذام !!

— وما حالك انت من بعدها ؟

— اما قبل هذه الليلة فكنت لا انتفع بنفسي ولا اشعر بوجودي

— ومنذ الليلة ؟

— منذ الليلة عرفت نعيم السماء بعد ما عرفت في الخصيب نعيم الأرض .

— اذن ستحبنى ؟ ؟

— نعم ولو خيرت مااخترت

— وستنسب بي في شعرك ؟

— نعم ولو كره الخليفة

— اذن اصحبني الى دمشق فامدح الخليفة . وسأرفدك لديه وأقوى أمرك عنده

— ٥ —

وعلى نهر بردى وفي القصر المشيد زكت شجرة الحب حتى عرشت على كل حائط ؛ وسطعت فوحتها في كل انف ، وتهدلت أغصانها المزهرة على سرير الخليفة ، ودنت قطوفها المجرمة من فم المجنون وليلاه ؛ فما كلت منها حواء وجرت الى الخطيئة آدم ! وآدم دائما هو الذي يكفر عن الخطيئة !!

ظل وضاح ابن الطبيعة الطليقة سجينا في الخليفة قصر لا يبصر سماء ولا أرضا ، ولا يرى غديرا ولا روضا ، ولا يسمع حركة ولا صوتا .. ولا يشعر بمجرى الحياة الا حينما تخرجه الملكة من مخبئة ساعة يغفل الرقيب وتغفو العين المريبة . فتطارحه احاديث الغزل . وتسقيه من سلاف الهوى علا بعد نهل . ثم ترده عند الخوف الى مأمنه .

ومضت على تلك الحال حقبة من الدهر ورفت عليهما ظلال الأمن فيها . ولكن وجه الجريمة وقاح لا بد من سفوره . وريح اذفرمهما كتمته فلا مناص من ظهوره . والخطيئة لا يطهرها الا عقوبة أو ضحية !

فأهدى إلى الخليفة ذات يوم جوهر نفيس فراقه حسنه . وأحب أن يطرف به الملكة . فبعث به اليها مع خادم له ومعه كلمة رقيقة . فمضى الغلام بالتحفة الى مجلس الملكة فلم يجدها ، وعلم انها في بعض الغرف فدخلها عليها مفاجأة ، و كانت قد احست بخطاه دون الباب فبادرت الى اخفاء وضاح فأدخلته في صندوق وأغلقته . وحينئذ دخل الغلام فرأى أواخر جسمه تغيب تحت الغطاء . فأدى الى الملكة الرسالة ودفع اليها الجوهر ، ثم قال لها بلهجة الخبيث الماكر : الا تهبين لعبدك يامولاتي حجرا من هذا الجوهر ؟ فأجابته الملكة بلهجة العزيز المتعض : (كلا يا ابن اللخناء ولا كرامة)

ولعلها لو كانت تحسن قراءة الوجوه لخشت فمه بهذا الجوهر حتى لا ينطق . أو لعلها فهمت لحن قوله ، ولكن نفسها الملكية الابية انفت الخشوع لهذا العبد فآثرت نقمة زوجها على نعمة خادمه وهي مع ذلك قوية الثقة في شفاعة الجمال ووساطة الحب ! ومهما تكن الدوافع الى هذا الجواب فأن الخادم قد ارتد الى سيده بجلية الأمر . ولكن الأمر نزل من خليفة معاوية في بال واسع . فأمر بالغلام فوجئت عنقه . ثم لبس نعليه ودخل على زوجه وهي جالسة تمتشط في تلك الغرفة . فجلس على الصندوق وقد علم وصفه من الغلام ، ثم قال بلهجته الهادئة الرزينة :

ـ ما أحب اليك هذا البيت من بين بيوتك . فلم تختارينه ؟

ـ اختاره واجلس فيه لأنه يجمع حوائجي كلها فأتناولها منه كما أريد من قرب

ألا تهبين لي صندوقا من هذه الصناديق ؟

ـ كلها لك يا أمير المؤمنين !

ـ ما أريدها كلها .. وإنما اريد واحداً منها

ـ خذ أيها شئت

ـ أريد هذا الذي جلست عليه

ـ خذ غيره فأن لي فيه أشياء احتاج اليها

ـ ما أريد غيره !

ـ اذن خذ يا أمير المؤمنين

فاشار الى الخدم فحملوه الى مجلسه . ثم أمر العبيد فحفروا تحت بساطه بئرا بلغوا بها الماء . ثم دعا بالصندوق أو الناووس وقال له :

(انه بلغنا شيء . ان كان حقا فقد كفناك ودفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك الى آخر الدهر . وان كان باطلا فقد دفنا الخشب ، وما أهون ذلك !!)

ثم قذف به في البئر ! وهيل التراب ، وسويت الأرض ، ورد البساط ، وأخذ الخليفة مجلسه . واستمر الفلك يدور دورانه الابدى المنتظم

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر !!

الزيات

مسيلمة

بات مسيلمة والكرى لم يطرق جفنه، يفكر في محمد اليتيم كيف انتصر، وصارت له عصبة وقوة، وكيف سر اعداءه وقد بدا لاعدة ولاعدد، وهاهوذا يريد ان يكتسح جنوب الجزيرة بعد شمالها، فتنفرد مضر بالرياسة. لاوزب الشعري ماتذل ربيعة، ولا ينبغي لها ذلك، وان كان قد دعا لنفسه، فلم ينفرد بالرسالة؟ أولست مثله؟ ولى لسان كلسانه وقوم كقومه بل أشد شوكة. انهم اعراب غلاظ شداد لايعصونني ماأمرتهم، تدفعهم النعرة الى نصرتي ظالما أو مظلوما — والله لأوقدنها نارا ولأكونن صاحبها.

***

دخل عليه صديقه « نجاعة عند انبثاق النور، ولشد ما أدهشه أن رآه جالسا القرفصاء قد دفن وجهه بين ركبتيه، فنادى مسيلمة فرفع اليه رأسه في صمت وسكون وقد بدت من وجهه عينان أدماهما الأرق فسأله نجاعة:

— مابك ياأخي؟ أسوء أعتراك؟

— بل الخير كل الخير

— وكيف صممت عن دعائي وقد ناديت مرارا؟

— ما كنت واعيا

— وما شغلك؟

— كنت في فكر أقض مضجعي، وأطار نومي، وماأحسب أحدا غيري يقوى على احتماله

— وأخوك الذي أذهب ميعة شبابه بجانبك، وأخلق ديباجته مقتحما الأهوال بين يديك؟ ألما تجده لسرك أهلا؟

— كلا ما ذهبت الى ذلك، وما أردت ان أثقلك بما ينقض ظهرك، واشركك في كأس مرة

— مادمت تشرب منها، فكيف تبخل على بها؟ وهبها كأس المنية

— بارك الله فيك من عشير، اذن فأصغ الى — أنت تعلم العداوة التى بين أهلنا ربيعة وبين مضر، وكم أوقدنا الحروب نعدها بأفلاذ أكبادنا ونرميها بزهرات أولادنا، ولم نرض في حال بالذل وسوم الخسف

— وماذا فعلت مضرينا؟ هل أغارت على حينا؟ هل أرسلت شياطينها على عيرنا؟ هل حمت البيت دوننا؟ هل وترتنا في أهلنا أين. ماذا فعلت؟

— مافعلت من ذلك شيئا. ولكنها أوقدت نارا وإخال أن ألسنتها ستمتد ألينا، فيهبط العرش على الفرش ويذهب الولد والوالد

— وما هذه الداهية؟

— ألم تعلم أن محمدا ظهر أمره، وزهر نجمه، وكنا حسبناه شرارة ماتضيء الا لتخمد، وخطبا ماينزل الا ليهون. ولكن خاب فألنا، فالركبان يتناقلون أنه استحوذ على مابين مكة والمدينة، والناس يدخلون في دينه أفواجا، وأخشى على اليمامة. منزلنا العتيد ومهد الجدود، أن يأخذها منا على غرة فنذل بعد عزة، ونبوء بالخسران المبين.

— ومابدالك أن تفعل؟

— إن الحديد بالحديد يفلح، والدعوة بمثلها تقابل، له الشمال ولنا الجنوب. ليت شعري لم يكون النبي من مضر ولا يكون لربيعة نبي؟ قرب سمعك مني. لابد من الحيلة لقومك حتى يستقتلوا ويطيعوا، ولابد من السيطرة على قلوبهم حتى ينصاعوا، ولا يكون ذلك الا بغزو عقولهم وخدعة عيونهم فلايرون الاماترى ولايسمعون الا مانسمع.

— أذن فاعمل كيدك حتى تأتينا بآيتك التي تبهر وتسحر.

— ماتظنني عن هذا غافلا — بل إن فكري ليحلق في آفاق أبعد، وكيف أنصب قدرا قبل تهيئة الاثافي، ومثلي الذي جاب الآفاق وجال في الاسواق، ونفذ إلى ماوراء الحيرة والانبار، واقتحم سواد فارس واجتمع بأوشابها، فوقف على ألاعيب فتيانها وكيد دهاتها واختلط بتجار الهند وعرف حكمتهم واستجلى شعوذتهم — لايخلو من كيد وحيلة، فكم خدعة عندي يحسبها الاعراب معجزة، وكذبة يظنونها حقا!

— يالك من داهية ياأبا ثمامة! وما وراءك بعد؟

— سأزعم النبوة كمحمد، وأدعى المعجزة، ولابد من رده يصدقني ويشد أزري. وأظن فيك — بعد مابلوتك — ذلك الرجل

— قد أجبت سؤلك. ماذام في ذلك مرضاة لحي الجدود، وبر لرفاتهم، فماذا تريد أن أفعل؟

— تذيع في الناس أمري، وظهور رسالتي، وتحشدهم الى دارك بعد غد. ليشهدوا آياتي أليس الموعد بقريب؟

— بلى ، سيتم ذلك على أحسن حال . الى الغد .

ooo

هب الناس على دار « مجاعة بن مرارة » ، وكانت رحبة الفناء ضمت الوفا من الاعراب وكلهم يشيع فى وجهه السرور ، ويهنىء صاحبه ، لأن الله حباهم نبيا من أنفسهم ، عزيز عليهم ، به رجحت كفتهم ، وأنقذوا من نير مضر وسورة سلطانهم ، وهاهم أولاء يجتمعون ليشاهدوا آياته ، فتمتلىء قلوبهم إيمانا

وفى الأصيل وقف مسيلمة على دكان بصدر المجلس وقد اختفت قسمات وجهه تحت لثامه الغليظ فلم تبد منه الا عينان خبيثتان تدوران فى الجمع الحافل ، وتلحظان فيض العاطفة على الوجوه ، وتقرءان فى العيون الايمان والسخرية . وكان ممتقع اللون ، يرفض جبينه عرقا ، يهوله مايقدم عليه من خطب ويخشى العاقبة . ثم ثبت يده على عكازه التى اعتمد عليها واستفتح كلامه حامداً الله الذى حمى اليمامة وأعزها بنبيها ، وأفاض فى الثناء على أهلها وثباتهم ، وناشدهم أن يعينوه بقوة على محمد شريكه فى الرسالة ، ليستخلصوا نصيبهم من بين يديه . ثم أعلن أنه سيعرض عليهم معجزاته الناطقة برسالته ، لتطمئن قلوبهم . تنفس الجمع الحاشد ، ونظر بعضهم الى بعض متلهفين الى مايأتى به من خوارق ومعجزات ، وكان مسيلمة قد اختفى وراء ستر نصبه بينه وبين الحائط ، فرجع وفى يده قارورة داخلها بيضة ، كان قد أطال انقاعها فى الخل حتى لان قشرها الأعلى ، فمدها فامتدت كالعلك فأدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت ويبست ، وكلما انضمت استدارت حتى عادت سيرتها الاولى

قال : هاكم آية من آياتى نزل بها على الرحمن ، ترتفع عن قدرة البشر . بيضة كبيرة ، غير مقشورة ، فى قارورة . أجيبونى بآبائكم ، من أدخلها فيها غير ربكم . أم هل فيكم من يفعل من ذلكم شيئا ؟ وتناول القارورة أحد الجلوس ، فتقاذفتها الأيدى ، متأملين المعجزة العجيبة ، والبدعة الغريبة :

ثم دار بعينيه فى دار (مجاعة) فرأى زوجا من الحمام مقصوص الريش ، واقفا على عود فى حائط كانت الأعوان قد هيأته لتلك الفرصة ، فالتفت الى مجاعة وقال له :

— إلى كم تعذب خلق الله بالقص ؟ ولو أراد الله للطير خلاف الطيران ما خلق لها أجنحة ، وقد حرمت عليكم قص أجنحة الحمام

فقال مجاعة كالمتعنت — : فسل الذى أعطاك فى البيض هذه الآية أن ينبت لك جناح هذا الطائر الساعة .

— فانى أنا سألت الله ذلك ، فطار وأنتم ترونه ، اتعلمون إنى رسول الله اليكم ؟

— أجل : أجل

— أريد أن أناجى ربى ، وللمناجاة خلوة فانهضوا عنى ، وإن شئتم اختليت به وراء الستر ودعوت الله ثم خرجت به اليكم وافى الجناحين

ولما خلا بالطائر أخرج ريشا كان قد هيأه ، فأدخل كل ريشة مما كان معه فى جوف ريش الحمام المقصوص من عند المقطع — ولما أتم جناحيه خرج به وأرسله على رءوس السامر فرفرف عليهم — فصاحوا معجبين ، ونهض منهم خلق كثير ، يبايعه ويشهد الله على ما فى قلبه ، وانفض السامر وقلوبهم شتى ، ولكنهم جميعا أخذوا يفيضون فيما رأوا وما سمعوا .

وفى غداة اليوم التالى دخل مجاعة على مسيلمة ، فرآه مشرق الوجه ، فما لمحه مسيلمة حتى اندفع اليه قائلا :

— ماذا كان من أمر القوم بعد ما رأوا الاعاجيب أمس ؟

— منهم المصدق ومنهم المكذب ومنهم دون ذلك . ولا يخفى عنك أن فيهم من رأى اعجب من آياتك فى سياحاته وتجاراته على أيدى الكهان والسحرة وغير هؤلاء .

— وماذا ترى ؟ — محمد جاء بقرآن ليعقل به ألسنة العرب ما بقيت فى افواههم ، وليسلبهم بسحره ألبابهم ، ولا أرى الا أن تصنع كلاما ككلامه .

— ما أبعد روق الشامخ على الطرف ! كلما صعدته اليه ارتد البصر حسيرا ، هذا يا صاح يعقد لسانى . ولا أستمك شيئا . انه جل عن ان يبدعه قلب من لحم ، ولسان من عضل ، وإنما هو آية كخلق الله تعجبنا وتطربنا ، كما تشهدنا على عجزنا .

— ولكن قومك يطلبون منك آية كقرآن محمد ، وهم لد الخصام . وما دمت زعمت مشاركته فى رسالته — فهات كتابك مثله بيمينك ، وإلا عبثت بك العيون .

— حق ما تقول ، إذن نحاول ، ولكن أين الظهير ؟

— ربما تكون العناية قد لحظتنا ، فقد قدم علينا صباح اليوم رجل من المدينة على دين محمد حسن السمت ، سليم الطوية ، قدم فتيان من العشيرة أن يقتلوه ، ولكني استبقيته لعلنا نستفيد منه فى أمرنا . فيزعم أنه صاحب الرجل ، وقد حفظ كلامه ، وقرأ بعينه صفحة جهاده .

— وكيف تملك قلبه ؟

— بالمال .

— وما يدريك الوصول اليه ؟

— بلوته فوجـــدته رطب العود قريب الغور

— وما ذا نأخذ منـــه ؟

— يسمعنا قرآنه فنقيس على الآيات مثلها ، ونصب في القوالب ما يملؤها ،

— كيف والعرب صيارف كلام ، يقلبون الكلمة ويحكونها كالدينار لا يخدعهم وشيها ، أو يخطف بصرهم وسمها

— اجتهد أن تكون مزيفا ماهراً ، فهذا ما لا بد منه مادمت تصر على رأيك

— نعم لا بد من صنعاء ، ولكن ألا ينفعنا في سبيل آخر ، فنلقى اليه أن يزعم أن محمداً أخبره بأنى شريكه في رسالته ، وقد بعثه الى بذلك النبأ .

— نعم ما رأيت ، وأظن أن الابل والشاء كفيلة بأن تركبه الصعبة وهو الذلول كما أعلمتك .

***

اجتمع نفر من بنى حنيفة فى ساحة من القرية تحت شجرة ليستروحوا بفيئها ساعة الهجير ، وهم أخلاط فى أسنانهم ونزعاتهم ، ابتدأ أحدهم يقول :

— بالامس قدم رسول محمد فأعلن على رؤوس الاشهاد أن مسيلمة شريكه في رسالته - فهنيئا لليمامة بصاحبها .

آخر - الآن لزمته الحجة ، فأما أن يعطينا نصيبنا فنسالمه ، وأما خضنا معه حرباً ضروسا ، فتثاءب شيخ من الجلوس وقال :

وما يدريكم أن الرجل رسول محمد ، وأنه أرسله لذلك الشأن ، وكيف جاء اليوم وقد ظهر أمر محمد من سنين ، أبعدما جاهد وكابد ، وصار له النقض والابرام ، يعلن شركة مسيلمة ؟ فهلا كان الأمر والخطوب به مكتنفة ، والاعداء له متربصة ، فيستعين بشريكه ، ويحمله نصيبه في جهاده . ما أحسب ذلك الا خدعة .

فدارت عيون القوم وقد انبسط فريق منهم لهذا الكلام الذى أجلى المبهم فكان كالبرق فى الظلمات وانقبض آخرون . ولكن الشيخ أخذ يقول :

وما ذلكم الكلام الذى ينحله الله ؟ أأعـــجبكم قوله فى الضفدع : « ياضفدع بنت ضفدعين . نقى ما تنقين ، نصفك فى الماء ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين » . أى عجيبة ابانها فى الضـــفدع ، وأى حكمة اظهرها ؟ أمرها بالنقيق فهل رآها امسكت عنه ؟ ولعـــله أعجب بنغماتها فأثارت أشجانه ، وحركت بيانه ، فصار يشوجيها ، ويطلب المزيد من هديرها .

— إن انكرت بيانه ياعم فكيف تنكر آياته الشاهدة التى لمستها أعيننا . أتراها قد خانتنا فأرسل منها الكذب الى نفوسنا وخيل الينا .

قد كنت فى ذلك السامر يا ابن أخى ، فهاج سخريتى بكذبه الفاضح ، أرأيت البيضة والقارورة يزعم أن الله أدخلها ! فلم أدخلها وراء ظهرنا ولم لم يخرجها أمامنا ؟ ورأيت الحمام المقصوص كيف زعم أن الله ينبت له ريشا فى ساعة . ما باله لم يسأله ذلك أمام أعيننا ؟ وهل لا يجيب الله داعيه الا بخلوة ؟ فتحوا أعينكم ياقوم فلا تضلوا انه لعمرى ليس بمتنبىء صادق ولا بكذاب حاذق .

— أصوات : مه مه !

أيها الشيخ لقد كبرت . ولئن كان كما تزعم لنتبعنه ، فكذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر

- قد محضت لكم نصيحتى وأنا شيخ كبير قد تقلب وجرب . وأخشى أن تسندوا باطلا فيقع عليكم ، أو تشعلوا نارا فتكونوا وقودها ،

- فنظرة إلى محمد وقرآنه تجدون اللبن الصريح . ولعمرى إن نفسى لتنزع إلى دينه كما ينزع الفطيم إلى ثدى أمه . ولكنى أخشى . . .

- فتيان ينهضون - لقد خرف الشيخ

آخرون باقون معه - لا ضير عليك من هؤلاء فأنهم سفهاء يتبعون أول ناعب .

فتى يتحدث اليه - قديما ظننت فى مسيلمة البركة فاحضرت له وليدى ليباركه غداة يوم فدعا له بطول العمر فما جاء الأصيل ألا وقد كفنته بثوبه الاصفر

آخر — وجارنا أمسى له بغلامه فمسح له رأسه ، فما مضت أيام ثلاثة حتى لف فيه القرع

— وأمتنا المريضة ذهبت اليه لتستشفى فكأنها ذهبت الى حتفها

— وأنا أعتقد ضلاله . ولكنه يكبر على نفوسنا أن نمد أيدينا لمحمد ، كما يكبر علينا أن نحاربه أو نؤذى قومه . ونخاف الفتنة اذا ماغزانا فلا ندرى أنحارب معه اخوتنا ، ونقضى على بنى عمومتنا ، أم نحاربه وهو أقرب الى قلبنا ، أم نمسك ونعتزل فيظن بنا الجبن والعار ، ونصير مضغة الالسنة فى حينا ؟

الشيخ — حقا أنها لحيرة يابنى . فلننتظر ما تأتى به المقـادير ، ويفعل الله ما يريد .

٭٭٭

سمع مسيلمة بقدوم خالد اليه فاستنجد ببنى حنيفة ، فتبعه أربعون ألفا لعزته وعصبته ، وفر قوم من وجهه، وكرهوا أن يشهدوا مقارعة الباطل للحق ، وقبعوا فى واد ظاهر القرية وأخذوا يتجسسون الأخبار فرأوا قادما عليهم

— مم قدمت يافتى ؟

— من القرية .

— أشهدت خالدا وصحبه ؟

— كنت بين ظهرانيهم .

— ما عندك فيه ؟

— انه ليعسوب قريش وفتاها ، ولئن طاولته الكواكب لأحسب أنه ينزلها من منازلها ، ما تقولون فى عقل سديد ، وقلب شجاع ، وأمر مطاع .

— وكيف رأيت صحبه ؟

— شباب مكتهلون ، اشداء على أعدائهم ، رحماء بينهم ، ابصرتهم موهنا مثنية أصلابهم على كتابهم ، فسمعت منهم دوى النحل ، وأزيز المرجل ، وشهدتهم فى المعمعة ينظرون الشزر ويقذفون الجمر . فرأيت النار المحرقة ، ليستعجلوا حتفهم مرضاة لربهم طامعين ، فى الجنة والحرير ، والملك الكبير .

— وما فعل مسيلمة بهم ؟

— قارعهم فلما أثخنوه جراحا ولى ظهره واستقبل (عقرباء) وتحصن بحديقته

— تلك حديقة الموت ؛ وهل حسب القصر يضم جيشا ـ انه لغمر .

هو ما تقول ـ فتقدم خالد اليهم بجيشه ، ووضع السيف فى رقابهم . فهلك مسيلمة ومشيخة قومه ونادي مناد : الله أكبر

— وما فعل قومك بعد؟

— دخلوا في دين محمد أفواجا وسموا مسلمين . وقد تركت أكابرهم يتحملون الى أبى بكر ليبايعوه ويشهدوه على اسلامهم .

— الآن نكون معهم .

أبو بكر — ويحكم . ماهذا الذى استنزل منكم ما استنزل ؟

— ياخليفة رسول الله لقد كان الذى بلغك مما أصابنا ، كان أمر لم يبارك الله عز وجل له ولا لعشيرته فيه

— هل فيكم من يحفظ من اسجاعه ؟

— أجل — ياضفدع بنت ضفدعين . . .

— ويحكم . ان هذا لكلام ماخرج من إل ولا بر ، فأين يذهب بكم ؟

— بربك حسبنا عذلا . كان ما كان ، واليوم تبنا وأنبنا واشهد بأنا مسلمون ؟

احمد احمد التاجى

٥ - شهر بالغردقة

للأستاذ الدمرداش محمد

مدير إدارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

والتنظيم الادارى فى منطقة الآبار بلغ درجة عظيمة من الاتقان ، والدخول فيها لغير موظفى الشركة غير مسموح ، والتدخين فيها ممنوع والقائمون بالعمل فيها ثلاث فئات ، طبقة الموظفين الكبار ورجالهم انجليز ومنهم المهندسون ورؤساء الاقسام ، ثم طبقة كبار الصناع ، وهم خليط من الانجليز والفرنسيين والارمن ، ثم طبقة الصناع والعمال وغالبيتهم من المصريين من أهالى قنا وقفط ، ويقيمون فى قرية منازلها نظيفة منسقة فى طرفها الشمالى مسجد كبير شيده العمال على نفقتهم الخاصة ، ويقوم بالامامة فيه عالم من الازهر سمعته يوم الجمعة يلقى الخطبة بعبارة مهذبة جلية ، وبالقرب من المسجد كنيسة للاقباط ، وفى الجهة الغربية من القرية مدرسة أولية يتعلم فيها أولاد العمال وصغار الموظفين ، وبالقرية حانوتان كبيران تباع فيهما انواع الحاجات المنزلية بأثمان معتدلة ، وسكان القرية نحو ٦٥٠ نسمة منهم ٤٥٠ من الصناع والعمال

وبالغردقة طبيب ومأمور تابع لمصلحة الحدود لفض المنازعات ، ويقيم بها أيضا مفتش سواحل البحر الأحمر ، وهو موظف مصرى كبير تمتد سلطته من جنوبى القصير حتى السويس ومركزه دقيق فهو يقوم بالحكم فى أربع مناطق نفوذ لشركات اجنبية قوية ، ففى القصير وسفاجة شركتان للفوسفات الاولى طليانية والثانية انجليزية ، وفى الغردقة ودمشة شركتان للبترول وهما انجليزيتان ، ومن أهم واجباته صون النظام العام داخل هذه الشركات والمحافظة على الأرواح والاملاك

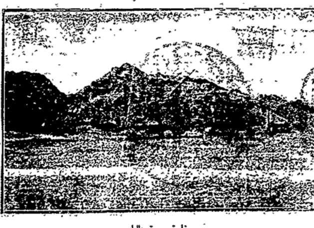
فى سفاجة

فى طريق معبدة تارة تحاذى البحر فى انبساط وطورا تحيد عنه الى سفوح الجبال فتعلو وتهبط وتنحنى وتلتوى — فى هذا الطريق درجت بنا السيارة فى الصباح جهة الجنوب قاصدة سفاجة إحدى موانى الفوسفات على البحر الأحمر فوصلناها ضحى ، بعد أن قطعنا سبعين كيلومترا فى ثلاث ساعات ، وسفاجة كالغردقة - كل منهما مركز لشركة أجنبية ، فهناك البترول وهنا الفوسفات ، وهناك (فيللات) مشيدة ومساكن منسقة وهنا أيضا (فيللات) ومساكن ، وهناك الرأس أجنبية واليد مصرية ، وهنا الحال كذلك

وتقع سفاجة فوق البحر على سفح جبل عال من الجرانيت وأمامها جهة الشرق جزيرة طويلة مرتفعة ، وهى كالغردقة طلقة الهواء خفيفة الروح

ولسفاجة مرفأ حسن نصبت فوقه الروافع القوية ومدت عليه سكة حديدية ، وعلى مقربة منه تقوم مخازن الشركة ومصانعها ومكاتبها ومقطرات الماء (الكوندسة)

نزلنا نقطة بوليس مصلحة الحدود وبعد راحة قصيرة ذهبنا الى المرفأ حيث كان فى انتظارنا سفينة شراعية من مراكب الصيد فسارت بنا صوب الجزيرة فى بحر مضطرب ، وبعد ساعة أرست أمام شاطىء مرجانى ، فانصرف بعضنا الى الجزيرة للرياضة وصيد الطيور ، ومكث البعض الآخر فى القارب يلهو بصيد السمك بالشص ، وانتحيت ناحية فى المركب قرب مقدمها ، وجلست أسرح البصر فى البر والبحر - كان المنظر بهيجا حقا يملأ النفس انشراحا وحبورا ، فجهة الغرب سفاجة بمنازلها ناصعة البياض ، ومن خلفها الجبل قائم كالستار الاسود فبدت البلدة أشد ما تكون وضوحا وتحديدا ومن تحتها البحر يمتد فى زرقة نضرة الى الافق جهتى الشمال والجنوب ، وفى محازاة البحر الشاطىء متجعدا متعرجا فى نتوء وانحناء ، ومن وراء الشاطىء سلسلة جبال العرب تسمو فى عظمة تتضاءل مع مد النظر حتى تصير هى والبحر خطين



سفاجة : موقع البلدة

متوازيين يلتقيان والسماء، وجهة الشرق جزيرة سفاجة فى صفرة شديدة تنعكس صورتها فى الماء فيبدو أخضر قاتما، والقارب فوق الماء كالارجوحة يعلو ويهبط فى رفق وهوادة، والموج يلطم جانبيه فى توقيع كالنقر على الدف ونسيم بليل عليل يخدر الاعصاب ويثقل الجفون ويجعل النوم اشهى مايكون — فاتكأت بظهرى على (برميل) كان بجانبي والنوم يغالبنى، فكنت اغفو تارة وأصحو أخرى، وقدمرت على ساعة هكذا وانا فى سعادة مابعدها سعادة

كان شريكى فى (البرميل) احد نوتية القارب جمعت سحنته كل مميزات عرب الحجاز من سكان السواحل، فوجه طويل نحيف تحيط به لحية شعثاء خفيفة وعينان صغيرتان براقتان فى حاجر بارز فوقه حاجب غزير الشعر، وبشرة نحاسية صقيلة وجسم ناحل دقيق، وصاحبي رقيق الحال لايستر جسمه سوى أسمال من بقايا ثوب عتيق عقد أطرافها وخاط فتوقها على غير انتظام بغرز طويلة، فكانت معرضا لانواع الخيوط وألوانها، كان جالسا القرفصاء وقد بسط فى حجره جلدة سمك مقددة امسكها باحدى يديه واستعان باليد الاخرى على تمزيقها قطعا كان يحشى بها فمه ويلوكها ثم يبلعها من غير ادم، وبعد أن أكل الجلدة حتى ذيلها ورأسها وزعانفها مد يده الى ناحية من المركب فاخرج منها علبة دخان قبض منها بين أصبعيه قبضة صغيرة من دخان أغبر، دس فيها قطعة صغيرة من مادة حجرية بيضاء، ثم ضغطها والقاها فى فمه، وبعد أن مضغها القاها فى حلقه كذلك

فقلت ماذا تفعل يا أخى؟

فاجاب غير مكترث:

— هذه سمكة آكلها وهذا تبغ أمضغه

— وهل أشبعتك هذه الجلدة؟

— الحمد لله تكفى

فقلت فى نفسي مكررا عبارته الحمد لله الذي لايحمد على النعمة والحرمان سواه، وقبيل الظهر أقلعت بنا السفينة عائدة الى سفاجة فى بحر هائج وريح قوية، فكانت نزهة بحرية لم تخل من مجازفة

وبعد الظهر توجهنا إلى مكتب مدير الشركة فاستقبلنا بحفاوة وأخذ يصف لنا أعمال الشركة فقال: هنا المرفأ والمطاحن والادارة، وفى وادى الحويطات على بعد ٢٢ كيلو متراً من هنا مناجم الفوسفات، والفوسفات كما تعلمون صخر تكون منذ عصور جيلوجية بعيدة من تراكم عظام حيوانات فقرية برية وبحرية من أسماك وزواحف، ومع مرور الزمن الطويل تحولت هذه العظام الى مادة متماسكة مندمجة يقال لها فى علم الكيمياء فوسفات الكلسيوم، ويوجد الفوسفات ضمن طبقات العصر الطباشيرى فى بعض جهات القطر المصرى، كسفاجة والقصير، واسنا، وفى بعض الواحات، والفوسفات لا توجد نقية بل مختلطة بصخور أخرى، وتختلف نسبتها فى الصخر الخام من ٣٠ فى المائة إلى ٧٥ فى المائة، على أن النوع الذي يطلب عادة فى التجارة هو الذى يحتوى على ٦٠ فى المائة — ونستعين بالطرق الميكانيكية على استنباط الفوسفات من المناجم ونستخدم كذلك عددا كبيرا من العمال فى عمليات الحفر، وفرز أحجار الفوسفات وفصلها عن المواد الأخرى، وفى شحنها من المناجم إلى المطاحن. وبين سفاجة ووادى الحويطات سكة حديدية تنقل فى الذهاب الماء العذب والزاد للعمال والموظفين، وتنقل فى العودة الفوسفات

ثم انه دعانا لمصاحبته الى المطاحن، وهى بناء كبير من طبقات قد ركبت فيها ماكينات على هيئة اسطوانات كبيرة، داخلها كرات ملساء من الصلب يلقى فيها حجر الفوسفات بعد تجفيفه بنشره فى الهواء تحت أشعة الشمس، فيتبخر ما به من الرطوبة فاذا دارت الاسطوانات طحنت الكرات الفوسفات وجعلته كالدقيق الناعم (البودرة) وبعد تعيين نسبة الفوسفات الخالص فى عينات الدقيق المختلفة ثم مزجها بالقدر اللازم توضع فى أكياس ذات سعة محدودة وترسل للمخازن حيث (تشون) للتصدير.

ثم بعد ذلك جلنا حول المطاحن وشاهدنا الفوسفات وهو منشور قبل نقله اليها وهو على هيئة صخر أبيض اللون يميل الى الصفرة، ولاتزال ترى فيه بقية من أسنان الأسماك التى كونته وبعضها صغير شديد الاندماج كبير لايختلف كثيرا عن أسنان الحيوانات البحرية التى تعيش الآن، وقال المدير إنهم احيانا يعثرون على بعض أجزاء من عظام الحيوانات القديمة حافظة شكلها

ثم انتقلنا إلى مقطرات الماء العذب من ماء البحر، ثم زرنا مكان توليد القوة التى تدير المطاحن والدوافع، وتنير المدينة بالكهرباء

والفوسفات سماد لبعض المزروعات، وهو شائع الاستعمال فى كثير من الجهات، على أنه فى حالته الطبيعية لا يصلح سمادا لقلة ذوبانه فى الماء ولذلك يصدر للخارج لتحويله الى مادة تذوب يقال لها (سوبر فوسفات) ومعظم الناتج من مناجم سفاجة يصدر لليابان لهذا الغرض.

وسكان سفاجة نحو خمسمائة منهم أربعمائة من العمال والصناع وكلهم تقريبا من المصريين

وفى الأصيل عدنا الى الغردقة فبلغناها قبيل العشاء.

الدمرداش محمد

النهضة

شــــهر زاد

للدكتور محمد حسين هيكل بك

وأقصد بشهرزاد التي أتحدث الآن لقراء الرسالة عنها ، مسرحية توفيق الحكيم الأخيرة

تلوتها للمرة الأولى فاغتبطت ، وتلوتها للمرة الثانية فأعجبت ، ثم جعلتها بعد ذلك سمير أوقات السأم ، أتلو فيها بعض صحف من منظرها الثالث أو من منظرها الأخير ، فأستريح للتلاوة وأبرأ من سأمي

ترى أيرجع الفضل في ذلك الى فن الأستاذ توفيق الحكيم ، هذا الفن الذي يقصد به لوجه الفن وحده ، أم يرجع لما ينطوى عليه اسم شهرزاد من سحر قديم ، سحر رد الملك شهريار عن قتل العذارى ألف ليلة وليلة ، وأوحى بموسيقى شهرزاد الرائعة ، وأصبح علامة على ما يجرى في الظلام وتحت ستر الليل ، وجعل المتحدثين يسكتون عن الكلام المباح كلما جل الأمر ودهى الخطب.

أريد أن أقتنع بأن الفضل في اغتباطي ثم في إعجابي يرجع الى فن الأستاذ توفيق الحكيم ، هذا الفن الحديث الذي يجارى أحدث أطوار الفن في أوربا ، تتبعنا نحن ولم نتمثل . وأقصد بنا نحن الذين تمثلوا الفن القصصي أو الفن المسرحي أو ما سواهما من صور الفن الغربي قبل الحرب . أما ما بعد الحرب فقد تتبعنا الى حد أطوار الفن ، ولكن ما دهمنا من مشاغل طغى على تمثلنا إياها ، وقد تنقل الفن بعد الحرب في أطوار شتى كان الأستاذ توفيق الحكيم مأخوذاً في تيارها أثناء مقامه بباريس ، فلا عجب أن يتمثلها بل أن تتمثله . ولا عجب وله في الأدب المسرحي ما له من مواهب أن تدفعه ليخرج للناس مسرحيتيه أهل الكهف وشهرزاد .

وأنت تقرأ شهرزاد وتعيد قراءتها وتغتبط وتعجب ثم تسائل نفسك : ماذا فيها وما هي الفكرة التي تنطوى عليها ؟ وقفت أمام سؤالك نفسك ولا تكاد تحير جوابا . بل لعلك تجد الجواب اذ تطرب بعد ذلك لسماعك لحنا من الموسيقى تهتز له جوانب فؤادك ، وتشيع له الغبطة في أنحاء نفسك ، ثم تسأل : ماذا في هذا اللحن وما هي الفكرة التي ينطوى عليها ؟ وتستطيع أن تجيب بعد ذلك لا شيء ولا فكرة ، وإنما هو الفن يغذى النفس بالغذاء الروحي الذي تصبو اليه في الساعة التي تنال فيها هذا الغذاء . وتستطيع أن تجيب بأن في هذا اللحن كل شيء وأسمى فكرة ، وأنه يتناول أجل ما في الحياة من معان وصور

وذلك شأن مسرحية شهرزاد ، فلا شيء ولا فكرة فيها وفيها كل شيء وكل فكرة . فالملك شهريار الذي قتل زوجه الأولى وقتل معها العبد الذي وجده في أحضانها قد أقام يقتل عذراء في كل ليلة انتقاما لنفسه من غدر النساء ، حتى تزوج شهر زاد ، لكنه لم يقتلها لأنها بدأت تقص عليه أحسن القصص ولا تتم قصتها إذا كان الصباح . وتعود اليها اذا جن الليل ، حتى انقضت ألف ليلة وليلة ، وشهرزاد لم تكن الى يومئذ تبلغ العشرين . كيف لها إذن أن تعرف كل هذا الذي تقصه ؟ وكيف تراها وهي تعرف ذلك كله لا تريد أن تبوح لشهريار بسرها وسر الطبيعة وسر الكون كله . هذه مسرحية توفيق الحكيم من أولها الى آخرها ، هي كما ترى لا شيء ولا فكرة فيها . ولكن لا ، ففيها كل شيء وكل فكرة ، استمع اليه حين يصور هذه الفكرة الاساسية التي تنتظم المسرحية كلها على لسان شهريار حين يثور بشهرزاد لانها تلح عليه في أن الحياة ليس بها ما يستحق العلم ، وانها لا سر فيها ، وأنها هي – شهر زاد – ليست الا امرأة ككل النساء ذات أم وأب وماض معروف ، يثور شهريار ويتحدث كمن به مس ، وكمن يتحدث إلى نفسه فيقول : قد لا تكون امرأة ، من تكون ؟ إني أسألك من تكون ؟ هي السجينة في خـــدرها طول حياتها تعلم بكل ما في الأرض كأنها

الأرض ! هي ألتي ماغادرت خميلتها قط ، تعرف مصر والهند والصين! هي البكر تعرف الرجال كامرأة عاشت ألف عام بين الرجال ، وتدرك طبائع الانسان من ساميه وسافله ، هي الصغيرة لم يكفها علم الأرض فصعدت إلى السماء تحدث عن تدبيرها وغيبها كأنها ربيبة الملائكة ، وهبطت إلى أعماق الأرض تحكى عن مردتها وشياطينها ومسا كنهم السفلي العجيبة كأنها بنت الجن ! من تكون تلك التي لم تبلغ العشرين قضتها كاترابها في حجرة مسدلة السجف ! إما سرها ؟ أعمرها عشرون عاما ، أم ليس لها عمر ؟ أكانت محبوسة في مكان ، أم وجدت في كل مكان ؟ إن عقلي ليغلي في وعائه يريد أن يعرف . . . أهي امرأة تلك التي تعلم ما في الطبيعة كأنها الطبيعة ؟ »

أسمعت ؟ إن بنا ظمأ لأن نعرف . ولكننا لا نستطيع أن نعرف ، وما نزعم أننا عرفناه اليوم سيقول أبناؤنا غداً إنه حديث خرافة ، كما نقول نحن عما عرف أجدادنا أنه حديث خرافة ، هذا كلام لا شيء ولا فكرة فيه كما ترى . وهو مع ذلك كل شيء . وهو مع ذلك طريف وأن تكرر كل يوم ما دام يتكرر في اسلوب من له روعة أسلوب توفيق الحكيم المسرحي . وهو طريف وإن تكرر لأنه يدعونا للمحاولة كي نعرف أي الحياة جديد

فالى أي شيء نسعى في الحياة ؟ وما غرضنا منها ؟ هذا ما يريد شهريار أن يعرف . وتقول له شهر زاد إن الحياة هي السعادة . والسعادة يجب أن يلتمسها الرجل في جسم امرأته . ويأبى شهريار ويتكدر ويكاد يقتل شهر زاد . ولكن شهر زاد تتبدى له في روعة جمالها كاملة فيتمنى لو تحبه ليكون سعيداً . وفي أحلام الحب ينام !

وشهرزاد في مسرحية توفيق الحكيم هي المرأة ، وهي الطبيعة ، بها يفتن شهريار ، وبها يفتن وزيره قمر ، وبها يفتن العبد . وبها يفتن الناس جميعا ، ومنها يخاف الناس جميعا . يلتمسون منها المعرفة ، ويلتمسون منها الحقيقة ، ويلتمسون منها السماح ، ويلتمسون منها السعادة . وينالون من ذلك كله فتاتا لا يغنيهم ، ولكنه يقتلهم . الوحيد الذي ينجبر هو العبد الذي استمتع بجسد شهر زاد ، والذي احبت شهر زاد رغم سواده وغلظته ، لان الزهرة البيضاء الرقيقة تنبت من الطين الاسود والغليظ ، ورغم قبحه وضعة أصله ، لأن سواد اللون وضعة الاصل وقبح الصورة هي الصفات الخالدة التي تحبها شهر زاد ، والتي تعشق الطبيعة وإن كانت الطبيعة وكانت شهر زاد مثلها لا يعشقان أحداً .

لعلي استطعت بالقليل الذي تقدم ان أصف الأثر الذي تركت في نفسي مسرحية توفيق الحكيم الأخيرة وهو كما ترى أثر يتعدى الغبطة الى الاعجاب . لكني لاحظت عليها كأثر من آثار توفيق الحكيم ، ما لا يتفق وما كان بارزا واضحا في أهل الكهف وفي قصة عودة الروح ، وفي آثاره الوجيزة الأخرى التي تنشر في المجلات ، فقد كان بروز الشخصيات ووضوحها بعض ما امتازت به هذه الآثار كلها . أما في شهر زاد فالكل فلاسفة في قوة واحدة . . الملك والوزير قمر ، وشهر زاد والعبد ، والجلاد ، والساحر ، يتحدثون جميعا ومنطق كل واحد منطق الآخر وقوته قوته ، وأنوثة شهرزاد أنوثة فلسفية هي الأخرى . وحب قمر اياها أقرب لأن يكون حبا فلسفيا لا يخضع لضعف الحب الا بالكلام . وهذا في رأينا مأخذ وإن سترته قوته المسرحية . وهو مأخذ بالنسبة لتوفيق الحكيم بنوع خاص ، لكنه لا يغض من قيمة أثر له من الجلال ما قدمنا ، وله الى جانب جلاله أنه أثر خالص للفن وهذا ما لا تجده في الادب العربي الحديث ألا نادراً وأندر من النادر

محمد حسين هيكل

ديوان الينبوع

للدكتور احمد زكي ابو شادي

راقني ما دبجته يراعة الأديب الخلي الفاضل (المرتيني) نقدا لديوان (الينبوع) فقد استهله بمقدمة بديعة عن ماهية الفن ، هي من صفوة ما كتب في هذا الموضوع ، وهي وحدها كافية لاحترام بيانه وللصفح عن زلات نقده .

وكان أول ما أخذه عليّ اشارتي الى أن الشاعر الألماني العظيم هنريش هيني (Heinrich Heine) جمع في شعره بين نفحات القديم وبين النزعة الرومانطيقية التي كان آخر شعرائها في قومه ، وبين نزعة التحرر العصري التي ساعد على تكوينها ، وقد أصبحت الصورة الغالبة على الشعر العصري في الغرب صورة الرومانطيقية الواقعة (romantic realism) .

أتعرف بماذا علق الأديب المرتيني على ملاحظاتي هذه ؟ إنه لم يتعرض لها ولو بكلمة نقدية واحدة وإنما اتخذها تكأة ليقول هذا القول الغريب الذي لا أصلة له بموضوعها إذ يعلن : « اننا لا نجاريه في قوله ولا نجاريه في استشهاده بالشاعر الالماني العظيم ، فبينما يشرح ذلك الألماني النبيل عواطفه المتدفقة في نفسه أو يشرح نفسه الواسعة الفياضة بانواع من النظم نرى الدكتور لا يرتفع في شعره عن أن ينظم في بعض مناسبات خاصة . وفرق كبير جدا بين هذا الشعر الذي يكاد يكون شعرا صحفيا وبين شعر هيني المختلف المتناسق الذي نرى اختلافه في أغراضه وسعتها ، والذي نراه يتناسق في الصفات الأولى التي تتصف بها نفس ذلك الشاعر العبقري ، وكل هذا لا شأن له بتعرضي لشعر هيني ولا محل له من النقد المتزن

إن ناقدي الفاضل يشير في مقدمته الى أن الفن يرسم الشعور الانساني في ظروفه العاطفية المختلفة ، وهذه سطور مقدمته بين أيدي القراء ناطقة بذلك ، فكيف يأتي بعد هذا مصغرا فينعت شعري بشعر المناسبات وبالشعر الصحفي ؟ ! إن جميع الشعر يا مولانا في أصله شعر مناسبات وبواعث لأنه لا يفتعل افتعالا ، وانما سمينا الشعر السطحي الذي لا ينتظر له الخلود بشعر المناسبات من باب التجوز إشارة الى أنه يعيش في حيز مناسبته الوقتية ، ولأنه ليس بالشعر الانساني العميق ، وشتان بين التعبيرين . . . . .

فهل صحيح أن شعري من هذا الضرب الأخير ، لا لسبب إلا لأنه مناسبات بعضه عامة ؟ وهل هذا عذر ينهض للاصغار من روائع الشعر العربي والاوروبي التي خلقت في مناسبات عامة لا تمس الشاعر وحده ؟ ! أن مثل هذا النقد لن يقبله أي أديب مستقل ، خصوصا وهو نقد مبهم لا تعززه الشواهد ، ولا أعرف شيئا يسيء الى النقد أكثر من هذه البراعة في الابهام ، ومن هذه الاحكام التي لا « حيثيات » لها . . . .

إني لم أقطع على ناقدي الطريق حين أشرت الى ضرورة التجاوب بين الناقد والشاعر حتى يجيء النقد تفسيراً أدبياً صادقا للشعر ، لاني لا أفهم من النقد أن يكون لوناً من ألوان النفور أو التحامل . وقد آخذني على أشارتي الى أنه ليس محتوماً على غير مريدي أن يطلعوا على شعري حتى أكون معرضا لمؤاخذتهم اياي ، متوهما أني بذلك أصد الناقدين عن شعري أو أتعالى عليهم والواقع انه لا يوجد أديب معاصر شجع النقد الأدبي واحترمه أكثر مما شجعته ، ولدى صديقي الألمعي صاحب مجلة (الرسالة) آخر مثل يعرفه عن ذلك ، فليطمئن بال الاديب المرتيني ، وليثق بأن كلمتي هذه ليست موجهة الى أمثاله من أفاضل النقاد ، وانما وجهتها الى جيش من المتطفلين على الأدب الذين ينالون ما ينالون من تشجيع في الصحف العامة ولا يتورعون عن أن يقولوا مثل هذا القول : « ان شعر فلان يخصب وجوهنا » فليت القدر يخرسه مادمنا عاجزين عن ذلك ، وهذا بلا نزاع اسفاف في النقد ، ولكن له سوقه النافقة ، فكلمتي المنطقية الهادئة الموجهة الى هؤلاء الكرام لا غبار عليها .

وتحدث ناقدي الفاضل عن ميولي المتباينة ، ولست أرى تباينا بينها ، مادامت نفسي تؤلف منها وحدة فنية ، ولكل نفس طبيعتها واستعدادها ، كما أني لست فذا في هذا : فهناك شواهد كثيرة على تنوع الميول عند أعلام الفكر والأدب في الشرق والغرب ، ولم يكن هذا التنوع مؤديا الى العجز أو التقصير الفني ، بل كان شاحذا للمواهب الفنية ، دافعا الى الانتاج الناضج الوفير .

وادعى سامحه الله أني مجدد ملتوي التجديد ، وأني قد وقفت نفسي على أدب الغرب ، وأني أحاول في عصري أن أضع لنفسي مزاجا خاصا ، وأني أتمثل لقارئي فيكاد ينفر مني لضعفي في التعبير وتقصيري في التصوير وفقري في التفكير . . .

ومثل هذا الانتقاص الذى يقال جزافا أمره سهل لدى كل من يطاوعه قلبه على تحبيره ، ولكن الناقد المنصف المدقق يقر بشغفى العظيم بالأدب العربى وخدمتى إياه ، وأن عنايتى بالأدب الأوربى هى عناية الراغب فى إعزاز أدبنا العربى وتبديل فقره غنى، وسد ما فى مناحيه من فجوات يشعر بها كل مطلع على الآداب العالمية . وليس لمثلى أن يزكى أدبه وإن دافع عنه ، ولكنى أزكى مدرسة أدبية أنا أحد أفرادها ، وقد كتبت من قبل ما يغنى عن الافاضة فى « الرسالة » ، كما يغنينى ما ظهر حديثا فى مجلة « الامام » للشاعر الياس قنصل ، وفى صحيفة « الأهرام » للشاعر سيد قطب ، عن الرد على ذلك الانتقاص المبهم الذى لن تطاوعه الشواهد مهما تلمسها ناقدى الفاضل .

ولكنه قد جاء بما يحسبه شاهدا مفحما فى تعليقه العجيب على صورة « الينبوع » (ص ١٧ من الديوان) .... ان ذلك التعليق وتلك الخطرات هى نظراتك أنت يا ناقدى العزيز ، وأما أنا فلا أعرفها بل اشمئز من تعابيرك كل الاشمئزاز . أما نظراتى أنا فنظرات الفطرة السليمة المتسامية التى تأبى التصنع والشذوذ والتدلى ، وتقول فى صراحة :

يا جمال النور فى الظل الحبيب ... يا جمال الروح فى الجسم الرطيب
هذه الدنيا لأحلام الأديب ... هذه غايات آمال الاريب
أيها الينبوع كم ساع اليك ... يدعى بغضا لما أهوى لديك
كل ما يرجوه موقوف عليك ... فاذا الانعام منك واليك !

***

أنت سحر غامض للعالم ... أنت ينبوع الرجاء الدائم
أنت موسيقى الخلود الباسم ... أنت ومض للشريد الهائم !

***

أيها الينبوع يا رمز الابد ... يا شعاع الله فى طيف الجسد
كم معان فيك كادت لا تحد ... وعزاء عن حياة تفتقد !

***

إنما أرنو اليك فى خشوعى ... ما ابتسامى غير لون من دموعى
أنا لحن بين أطياف الربيع ... من طيور وغدير وزروع

***

أنا أحيا حينما أجنى رضاك ... حينما جسمى وروحى عانقاك
حينما لبيت مسحورا نداك ... فاذا بى لا أرى العيش سواك

***

بكل همى فى حياتى يستحيل ... حينما أخشع للفن الأصيل
حينما أروى من النبع النبيل ... ذاك نبع الحب فى الجسم النبيل !

فاذا كان الأديب المرتينى لا يرى فى هذا الشعر الطبيعة الصافية المتسامية فالذنب ليس ذنبى . وما أراه منصفا فى مهاجمة الذوق الفنى لمصور (سكس ايل) وهو من أعلام فنه ، إنى مصدق صاحبى فى تأكيده أنه قرأ الديوان من الجلد الى الجلد ، ومع ذلك أومن بأنه لم يقرأه ، وأومن كذلك بأنه فى ذهنيته ونفسيته الحاضرة لا يحمل ذرة من التجارب مع شعريتى ، وانما يؤدى به مزاجه الخاص الى النفور منها ومن كل ما يمت اليها بصلة ، نظراً من وراء منظار أسود شاقه أن يلبسه ، والا فبماذا يفسر تصويره لاحترامى النقد الأدبى وتشجيعى رجاله ، ذلك التصوير الغريب الذى ابتدعه فى قوله : « وما عرفته (يعنى كاتب هذه السطور) وغيره من اخواننا المصريين إلا أباة على النقد يثيرون من أجله المعارك ويسارعون بسببه الى الخصام والنزاع .... ؟ ! لقد ظهرت فى الاعداد الثلاثة الأخيرة من مجلة (أبولو) تعليقاتى على نقد ديوان (الينبوع) فهل يستطيع حضرة الناقد الفاضل اذا التزم الانصاف أن يجد فيها دليلا واحداً يعزز دعواه هذه التى أنكرها كل الانكار ؟ أما عن لغتى فلا أحسب صاحبنا فى المكانة التى تسمح له بذلك النقد ، وقد نقد (الينبوع) فعلا رجال ذوو بصر فى اللغة ، ومنهم من تخصص فيها كالسيد مصطفى جواد ، فما قالوا الا عكس ما ذهب اليه صاحبنا .

وقد تصدى لنقد بيتين من قصيدة (دانيال فى جب أسود) — ص ٥٠ من الديوان — وهى من الاسرائيليات المشهورة التى راقنى تسجيلها شعراً ، فجاء نقده معلنا جهله أو تجاهله لهذه القصة الدينية ، وراح يلوم على ما يستحق الثناء من ايجاز أو تركيز فى محله أو بساطة يدعو اليها سياق القصة ، وكأنه أراد بالاقصوصة الشعرية الوجيزة أن تكون تفصيلا خبريا عن الحوادث لا لمحة شعرية من روح الموضوع ... واذا كان شعرى فى حكم العدم كما يريد الأديب المرتينى أن يقول ، فلماذا يشغل نفسه وقراء (الرسالة) بأكثر من ثلاث صفحات نقدية وهو يعلم أن هذا الضرب من الشعر لا تعنى به الا أقلية من الادباء . فهل صحيح أنه فى حكم العدم ؟ !

أن الشواهد التى يسوقها النقاد هى دائما كافية لتعزيزهم أو لخذلانهم ، ولذلك يتهارب النقاد العاثرون من الاتيان بالشواهد ، والأديب المرتينى كان بعيداً جداً عن التوفيق فيما ذكره من شواهد

من غير تفتيش أو تنقيب على مايقول . . . وحسب القارىء أن ينظر فى هذه الأبيات من قصيدة «العودة» (ص ٣٠ من ديوان الينبوع) وقد وجهها الى الدكتور زكى مبارك الذي كان يصحبنى فى قطار البحر عائدين من الاسكندرية :

وداعاً للرمال وللمغانى وداعاً للملاحة ياصديقى
أتذكر كيف كان الموج يجرى كما يجرى الشقيق الى الشقيق ؟
وقفنا فى جوار اليم سكرى كسكر الناظرين الى الرحيق
نرى فى البر ألوان التناجى وفى البحر المشارف والعميق
كأن الحسن ذاب بكل لون نراه ، وفى المياه وفى الطريق !
سكرنا سكرة الحرمان حتى كلانا كالأسير وكالطليق
وهذا الجو يملؤه حنان ولو أن الغروب من الحريق
وأبنا أوبة المهزوم ، لكن بنا طرب من الأدب الحقيق !

فهذه القصيدة التى أعجب بها استاذنا مطران اعجاباً عظيما لم تستحق من ناقدنا الفاضل غير السخرية المبهمة التى إن لم تكن سخرية المغرض فهى سخرية المتبرع الذى يهرع الى قلمه قبل أن يتمثل الموضوع الشعرى ويستوعبه الإستيعاب الواجب .

بيد أنى مستعد للايمان بحسن طوية الكاتب الفاضل ، وأؤكد له أن نصائحه هى فى صميم نفسى ؛ ومع ذلك فرحباً بنصائحه وبغيرته على اللغة ! فهل له بعد هذا أن يأخذ نصيحة متواضعة منى مشفوعة برجاء : تلك أن يدرس الطاقة الشعرية عند الشعراء المختلفين فسوف يجدها متباينة ؛ وأن طبيعة الاجادة الفنية لاشأن لها بالنتاج ، بل ربما رهقتها كثرته ، وأن الشاعر الملتوى الاسلوب الضعيف البيان السقيم الذوق لايجديه إكثار ولا إقلال . . . وهو وغيره أحرار بعد ذلك فى وضعى فى المكان الذى يرضى نفوسهم ، وأما رجائى فمحصور فى مبدأ أدبى عام يؤمن معه العثار النقدى ويمثله هذا البيت :

كن أنت نفسى واقترن بعواطفى تجـــد المعيب لدى غير معيب

احمد زكى أبوشادى

من حديث الشهداء

بقية المنشور على صفحة « د »

يقول ذلك ثم يجود بنفسه بين ذراعيها . هنالك نذرت سلافة لئن قدرت على قاتل ابنها لتشربن في قحف رأسه الخمر ، وهنالك اذاعت في أهل البادية وأعراب الحجاز ان من جاءها برأس ابن الأفلح هذا فله مائة من الابل . هذا أصل الشر وهذا مصدر البلاء .

قال قائل وأى شيء لا يفعله الاعراب في سبيل جزور فضلا عن عشرة من الابل ، فضلا عن مائة من الابل ؟ قال نسطاس : والغدر أيسر ما يفعله الاعراب ليبلغوا أيسر من هذا المال .

أقبل جماعة من هذيل على صاحب يثرب فزعموا له انهم قد آمنوا به وأسلموا له ، وان دينه قد فشا فيهم ، وسألوه أن يرسل معهم من يفقههم في الدين ويعلمهم شرائعه . يظهرون الاخلاص ويضمرون الغدر ، لا يبتغون الا أن يظفروا بنفر من أهل يثرب يبيعونهم من قريش لتصيب بهم ثأرا وليصيبوا بهم مالا . ويريد الله لأمر قضاه أن يختار نبي يثرب ستة من أصحابه وأن يؤمر عليهم عاصم بن ثابت بن الأفلح الذي كانت تبتغيه سلافة ، وان يرسل هؤلاء النفر من أصحابه مع أولئك الغادرين . فما هي الا أن يقربوا من مكة حتى يظهر الخفي ويصرح الشر ويتبين الغدر . واذا الذين كانوا يعلنون ايمانهم يستصرخون فيأتيهم الصريخ من هذيل . واذا اصحاب محمد يرون الغدر فينحازون الى الجبل ويعاهدهم أعداؤهم على ألا يقتلوهم ولا يمسوهم بأذى أن هم القوا بأيديهم . فاما عاصم واثنان من أصحابه فيقسمون لا ينزلون على عهد كافر أبدا . ويقاتلون حتى يقتلوا . وأما الآخرون فيحبون الحياة ويلينون لها ، فيستأسرون ولا يكادون يفعلون حتى يروا الغدر ، فيأبى أحدهم أن يتبع الغادرين واذا هو مقتول ، ويبقى الآخران أسيرين يحملان الى مكة ويباعان فيها . فيشترى أحدهما صفوان ويامرني به فأتم له ما قدر له من نعيم ، ويتم لي ما قدر لي من شقاء .

ثم يجهش نسطاس بالبكاء ويغرق فيه حينا . ثم يعود الى حديثه في صوته ذلك الهادىء البعيد ، فيقول لقد عرفت ورأيت من أنباء هؤلاء الناس ما لم أكن أقدر أن أعرف أو أرى . ولولا أن الشقاء مقضى على ومقدور لى ، لكان فيما عرفت قبل أن أقترف الاثم صارف لى عن اقترافه ، وماذا كنت أخاف لو عصيت صفوان ولم أسفك هذا الدم الحرام ؟ وأيهما أهون علي ؟ وأيهما كان خليقاً أن أوثره ؟ ألموت بيد صفوان أم الشقاء الأبدى الذى دفعت اليه ؟

لقد فرحت هذيل بمقتل عاصم بن ثابت ، وقالت مائة من الابل تدفعها الينا القرشية حين نأتيها بهذا الرأس ، ثم أقبلوا اليه يريدون أن يحتزوا رأسه ؟ ولكن ماذا سمعت وماذا تسمعون ، هذه ظلة من الدبر (١) تقوم دونه فتحميه وتمنعهم أن يصلوا اليه ، فيقول بعضهم لبعض : دعوه حتى يأتي الليل فينصرف عنه هذه الدبر ، وسيخلص لنا رأسه . حتى إذا كان الليل هموا أن يسعوا اليه ليحتزوا رأسه ؛ ولكن ماذا سمعت وماذا تسمعون ؟ لم يبلغوه ولم يمسوه ، وإنما أقبل السيل فاحتمله ، ومضى به إلى حيث لا تبلغه يد . ولقد حدثت أن هذا الرجل كان قد نذر ألا يمس كافرا ولا يمسه كافر ، ولقد حدثت أنه لما امتنع على القوم فقاتلهم وقاتلوه ، رفع صوته ضارعاً الى ربه وهو يقول : اللهم إنى قد حميت دينك أول النهار فاحم لحمى آخر النهار . ولما بكى نسطاس عند هذا الحديث فلم يبك وحده ، وإنما بكى معه أصحابه جميعا بكاء طويلا ، حتى إذا كفكفت عبرته وهدأ عنهم البكاء مضى في صمته ، ولكنهم ألحوا عليه أن يتم ما بدأ من الحديث ، فقال وبم تريدون أن أتحدث اليكم ؟ لقد كنت أقرأ أخبار شهدائنا وأسمع أحاديثهم فأرهبها وأكبرها وأخافها وأرغب فيها وأود لو أني حييت في تلك الأيام التي كانت ترخص فيها الحياة ، ويغلو فيها الايمان ، وأود لو أنى كنت واحداً من هؤلاء الناس الذين باعوا نفوسهم من الله ، فقد أتيح لى اليوم أن أعيش في بيئة الشهداء وأن أراهم وأتحدث اليهم وأسمع منهم ، ولكنى لم أبع نفسى من الله ، وإنما بعتها من الشيطان ، ولم أسفك دمى في سبيل الله ، وإنما سفكت دم شهيد كريم .

ولقد سمعت اباسفيان زعيم قريش يسأله أيما احب اليه ؟ أن يقوم محمد مقامه هذا وأن يكون هو آمنا بين اهله ؟ فيجيبه والله ما احب ان تصيب محمدا شوكة تؤذيه وانا آمن بين أهلى ، فيقول ابو سفيان لمن حضر من اشراف قريش : ما رأيت احدا يحب احدا كما يحب هؤلاء الناس صاحبهم . ثم تمد يدى الآثمة الى هذه الحياة الطاهرة فتطفىء سراجها ، والى هذا الدم الزكى فتسفكه على الارض مخافة من غضب صفوان ، ياللهول ! لقد كنت احسب ان صفوان لم يملك

(١) الدبر جماعة النحل

الا جسمي وان نفسي مازالت حرة . فقد علمت الآن انى رقيق حقا ، وقد علمت الآن ان سلطان السادة على الارقاء قد يتجاوز الاجسام الى النفوس ، وقد علمت الآن ان الرجل الذى يرضى بالرق ولا يموت دون الحرية انما يقتل نفسه قتلا . لقد قتلت نفسي يوم آثرت الحياة وقبلت ان اكون سلعة فى يد أولئك التجار

قال رجل من اصحابه إن كان صريعك هذا شهيدا كريما ، وما اراه الا كذلك ، فان رفيقه الذى قتله بنو الحارث بن عامر لم يكن أقل منه كرامة ، ولعل مصرعه أن يكون أشد من مصرع صاحبه ترويعا للنفس وتمزيقا للقلب ، لم يبسطوا عليه بالشر يد مولى من مواليهم أو عبد من عبيدهم ، وانما كانوا ظماء الى دمه ، حراصا على أن يخمدوا جذوته بايديهم . خرج به جمعهم الى التنعيم فلما ارادوا قتله استأذنهم فى أن يتقرب الى ربه بالصلاة قبل ان يخطو آخر خطواته فى الحياة ، فاذنوا له فصلى ركعتين ، ثم قال لهم لولا انى أخاف ان تظنوا بى الجزع لزدت ، ثم ينهض اليه أحدهم فيقتله ويعودون عنه وانهم ليتحدثون من اخلاقه وخصاله بما كان خليقا ان يصرفهم عن قتله لولا أن قلوبهم قست فهى كالحجارة او اشد قسوة . لقد كانوا يقولون انهم جعلوا سجنه عند امرأة منهم ، وان هذه المرأة كانت تحدث اليهم من أمره بالاعاجيب ، كانت تراه مغلولا يأكل من الفاكهة والثمر ماليس لاهل مكة عهد به فى مثل هذا الوقت . لا تدرى كيف سيق اليه . ولقد انبأتهم انه حين اظله اليوم الذى كان يراد قتله فيه طلب اليها موسى يتهيأ بها للموت . فارسلتها اليه مع طفل صغير يدرج ، ثم لم تلبث أن راعها ما فعلت ، وان امتلأ قلبها رعبا ، وان قالت لنفسها ما يمنع هذا الاسير ان يقتل هذا الصبى فيثأر بنفسه قبل أن يدركه الموت ؟ واقبلت عليه مسرعة فاذا هو قد اجلس الطفل على فخذه وهو يداعبه ويلاعبه ، وأكبر الظن أنه انما كان يودع فيه طفلا له بعيدا . فلما رأى المرأة مقبلة وقد اخذها الروع ابتسم لها ابتسامة الحزن ، ونظر الى الطفل نظرة الحب ، وقال للمرأة : أشفقت على هذا الصبى من الغدر ؟ ليس الغدر من أخلاقنا

أفمثل هذا الرجل كان خليقا أن تقدمه قريش فتقتله لو أن قريشا تعرف الحق ، أو تقدر الخير ، أو ترجو لله وقارا ، أو تحس فى قلوبها أثرا من آثار الرحمة والبر ؟ قال قائل منهم ما أرى الا أن لهؤلاء الناس من أهل يثرب شأنا . فلو أنهم يقيمون أمرهم على شيء من باطل هذه الحياة الدنيا لما استقبلوه بهذا الحزم ، ولما احتملوا فى سبيله هذه الأهوال ، ولما رخصت عليهم نفوسهم ودماؤهم وأموالهم واهلهم الى هذا الحد . والله انى لاسمع مايقال وأرى مايحدث فلا أشك فى أن اهل هذه الارض يستقبلون عصرا كذلك العصر الذي استقبله اهل بلادنا حين انبعث فيهم رسل المسيح . هذا الايمان الذى زين فى بعض القلوب حتى زهدها فى كل شيء ، هذا اليقين الذى سيطر على بعض النفوس حتى هون عليها كل شيء ، هذه المعجزات التى تساق الى الناس فى يسر وسذاجة وما كانوا ينتظرونها ولا يرجونها فلا تغرهم ولا تطغيهم ولا تدفعهم الى أشر ولا بطر

كل هذا دليل واضح على أن السماء لم تقرب من الأرض قربها فى هذه الايام ، وعلى أن أخبار السماء لم تتصل بالارض اتصالها فى هذه الايام ، وعلى أن الله يريد بالناس شيئا لم نكن نقدر انه كائن ولكن او أنه قد آن . اما انى لاحق بهؤلاء الناس ان استطعت الى ذلك سبيلا . قال الآخرون : ما ايسر ذلك وما أعسره ! وانى لمثلنا ان يفلت من سادة قريش ، وإن من حول مكة من أهل البادية لارصادا على من أقبل من يثرب أو قصد اليها من الاحرار فكيف بالرقيق ؟ قال نسطاس وهو ينتحب فكروا فى ذلك ودبروا : وتهيأوا لذلك واستعدوا ، فأنتم أهل لهذه الكرامة ان كان الله قد قضاها لكم ! أما أنا فقد كتب على الشقاء ، وما أرى أن بحار الأرض لو سلطت على التنعيم تستطيع أن تغسل عنه آثار هذا الدم الزكى الذى سفكته هذه اليد الآثمة ، ثم قام عنهم يعدو مشتدا فى العدو ، فلم يروا له بعد ذلك اثرا ، ولم يسمعوا عنه بعد ذلك خبرا .

طه حسين

Lundi-30-4-1934

2 me Année, No 43.

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠



الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

	صـ
في مصر والسودان	٦٠
في الأقطار العربية	٨٠
في سائر الممالك الأخرى	١٠٠
في العراق بالبريد السريع	١٢٠
ثمن العدد الواحد	١

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٤٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٣٥٣ — ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

أحاديث الاسبوع ...

للدكتور طه حسين

كان جو القاهرة قلقا مضطربا اثناء الاسبوع . يذكر الشتاء المدبر فيستحضر بعض ارواح البرد ، ويلمح الصيف المقبل فيسرع الى بعض بشائر القيظ . وكان النهار ضعيف الذاكرة جدا ، محى الشتاء من نفسه محوا على قرب عهد الشتاء . وكان الليل وفيا بعض الشيء ، قوى الذاكرة الى حد ما ، رفيقا بالناس بعض الرفق ، كأنما كان يشفق عليهم من قسوة النهار ونسيانه للعهد ، وزهده في الامس وتهالكه على غد . فكان يثير لهم بعض هذه النسمات الهادئة الحلوة التي تغرق احيانا في الهدوء والخفة حتى توشك ان تكون لاذعة ، وحتى تلفت الناس الى أن من الخطر ان يخونوا عهد الشتاء كما خانه النهار ، وان يتهالكوا على عهد الصيف كما تهالك عليه النهار ، وان يتخففوا من ثيابهم ، ويتهاونوا في الاحتياط والحذر من هذه الارواح القليلة الخفية المغرقة التي تتعلق بشعاع من أشعة القمر ، او بنفس من انفاس النسيم ، والتي لا تكره احيانا ان تمس المهملين مسا خفيفا ، فتعرضهم للاذى ، وتحملهم من الآلام جهدا ثقيلا .

وكان الناس ، أو بعبارة ادق ، كان الادباء يسايرون الزمان كدأبهم في كل حين وفي كل بيئة . كانوا يفترون للنهار ، وينشطون لليل ، كانوا يثقلون للظهر ، ويخفون لمغرب الشمس ، كانوا يؤدون

أعمالهم خامدين هامدين في الضحى ، أو يتخذون شكل الذين يؤدون أعمالهم وهم لا يريدون منها شيئا . فاذا ألقت الشمس يدا في كافر كما كان يقول لبيد ، خفت الاجسام ، ونشطت النفوس ، وانبعثت الرئات للهواء ، وتفتحت العقول والاذهان للخواطر ، وانطلقت الألسنة بالحديث ، ولم تكن أحاديث الادباء في هذا الأسبوع قليلة الخطر ، ولا ضئيلة الشأن ، ولا هينة الامر على المتحدثين بها من الأدباء ، والمتناقلين لها من غير الأدباء ، لهم قد بدأوا أحاديث الاسبوع بهذا الاجتماع الذي ختم به الاسبوع الماضي ، والذي كان عند جماعة « الاسيست » وقصد به لا أقول الى إحياء ذكر مختار ، بل أقول الى ذكر مختار ليس غير . وكان حديث الأدباء عن هذا الاجتماع طريفا ، لأنه لم يزد على أن ذكره وألم به دون أن يفسره أو يعلق عليه . وهل أحاديث غير الأدباء في مصر الآن خير من أحاديث الأدباء ؟ فانت تستطيع أن تلتمس النشاط عند رجال السياسة ، أو عند أصحاب المال ، أو عند غير أولئك وهؤلاء من طبقات الناس ، فان استطعت أن تجده أو تجد صورة من صوره فانت منصف حين تلوم الأدباء على القصور ، وتعيبهم بالفتور . على أن شيئين لم يهملهما الأدباء حين تحدثوا عن هذا الاجتماع ، إن كانوا قد تحدثوا عنه بالفعل أو خاضوا فيه حتما ، ولم يكن هذا الحديث الذى أنقله عنهم خيالا قائما فتور حياة الأدباء كلها في هذه الايام . فاما أول هذين الشيئين : فهو أن هذا الاجتماع انما كان أثرا من آثار الشباب ، ومن آثار الشباب وحدهم . هم الذين فكروا فيه ، وهم الذين دعوا اليه ، وهم الذين ألحوا في الدعوة ، فوفقوا الى إكراه جماعة من الكهول والشيوخ على الاستجابة لدعوتهم ، وظفروا من جماعة أخرى بالوعود والاماني التي لم يقدر لها الوفاء ولا التحقيق ، ولم يظفروا من جماعة آخرين بوعد ولا أمنية ، فضلا عن الوفاء أو التحقيق .

وأما الشيء الثاني فهو أن هذا الاجتماع لم يحدث في الأدب حدثا ، ولم ينتج له جديدا ، الا كلمة طريفة قيمة مؤثرة ، قالها صديقنا مصطفى عبد الرازق . فأما ما دون هذه الكلمة فلم يكن شيئا ، حتى أن صديقنا مطران لم يستطع الا أن يعيد على السامعين قصيدة رائعة بارعة من غير شك ، ولكنها قديمة ، انشئت وأنشدت لاستقبال مختار حين عاد ظافرا يستقبل المجد . ثم استخرجت وأنشدت لوداع مختار حين استأثر به الموت ، فولى يودع المجد ويودع الحياة . والغريب أن هذا الاجتماع كان لتكريم الفن ، ولتأبين المثال الأول في تاريخ مصر الحديثة ، المثال الذى ابتكر من الآثار ما يقال إنه جميل رائع ينطق البكم ويثير حس الذين لا يثور لهم حس ، ويفيض شعور الذين لا يفيض لهم شعور ، ومع ذلك فهو لم ينطق أدباءنا ـ وما أكثر ما كانوا ينطقون ـ ولم يثر حسهم ـ وما أكثر ما كان يثور ـ ولم يفض شعورهم ـ وما أكثر ما كان يفيض . تساءل الأدباء عن مصدر هذا في السر أو في الجهر ، في النوم أو في اليقظة ، في الحقيقة أو في الخيال . فكان الجواب أن مصر الآن نائمة تستريح

ثم مضى يوم ويوم من الاسبوع ، واذا الأدباء ينسون حديث مختار ان كانوا قد ذكروه ، لأن حديثا آخر قد فتحت لهم أبوابه ، ومدت لهم أسبابه ، وهو حديث صحيفة اضطرها حكم القضاء الى الصمت . فتفرق كتابها ، وانتشر أصحابها في الارض يبتغون من فضل الله عليهم وعلى الناس ، وسكت هذا الصوت ، او هذه الاصوات التي كانت تسمع مع الصباح في كل يوم ، والتي كانت تفتح للساسة والادباء وأصحاب الاقتصاد والذين يلتمسون الأنباء فنونا من القول وألوانا من الحديث . تحدث الادباء عن هذا الحدث الادبي السياسي ، في السر أو في الجهر ، في النوم أو في اليقظة ، في الحقيقة أو في الخيال . وتساءلوا ما باله لم ينطق الادباء بشيء ، فكان الجواب ان مصر الآن نائمة تستريح .

ثم مضى من الاسبوع يوم ويوم ويوم . واذا حفل يقام واجتماع يحتشد له الناس في ملعب من ملاعب التمثيل ، واذا خطب تلقى مختلفة ألوانها ، متباينة اشكالها ، واذا شاعر يكرم بهذا الاجتماع الضخم ، وبهذا الاحتفال الرائع ، وبهذه الخطب الطوال . واذا الادباء ـ استغفر الله ـ بل الشعراء منهم خاصة ، يتحدثون بهذا الحدث الادبي ، ويتناقلون انباءه ، ويفسرونها ويؤولونها ، في السر أو في الجهر ، في النوم أو في اليقظة ، في الحقيقة أو في الخيال . ثم يتساءلون ما بال الشعر لم يأخذ بحظه من تكريم الشعر ، وما بال الشعراء لم يشاركوا في تكريم الشاعر ، فكان الجواب ان مصر الآن نائمة تستريح

وانا أعترف بأني لم أكره هذا الجواب ، ولم أضق به ، فحب النوم والاغراق في الراحة شر ، ولكن بعض الشر أهون من بعض

وانا أعترف بانى أوثر هـذا الجواب على جـواب آخر بغيض، لاأحب ان اسمعه ولا أن يسمعه غيرى، ولا أن يكون هو المصور لحقيقة الأمر . وقد كان يهمس به بعض الناس الذين يفترون الكذب على الله وعلى النـــاس، فكانوا يقولون وليتهم لم يقولوا : انما تثاقل الأدباء والمثقفون من ذكر بختار لأن ذكر بختار شيء يخاف ، وكانوا يقولون وليتهم لم يقولوا : انما سكتت أصوات الأدباء عن صمت أولئك الكتاب ، لأن التعرض لصمت أولئك الكتاب أو نطقهم شيء يخاف . وكانوا يقولون وليتهم لم يقولوا : إنما ثقل الشعر على تكريم العقاد ، لأن تكريم العقاد شيء يخاف من جهة ، وشيء يشق على الشعراء من جهة أخرى . وقد استقر الخوف على أحد جناحى الشعر ، واستقرت المنافسة على جناحه الآخر ، فظل المسكين جاثما على الأرض ، لا يستطيع أن يرقى فى الجو ، ولا أن يسبح فى الهواء..

أما أنا فلم يعجبنى الجواب الأول ، لأنى رجل لا أحب النوم ، ولا أستريح إلى الراحة ، ولم يعجبنى الجواب الثانى ، لأنه كذب كله ، أملاه سوء الظن وحب الكيد . ولهـذا أعرضت عن أحاديث الأدباء فى هذا الأسبوع ، وتحدثت إلى نفسى ، وإلى نفسى وحدها ، بحديث لا صلة بينه وبين الأدب ، ولا صلة بينه وبين السياسة ، ولا صلة بينه وبين شيء مما يعنى به الناس الممتازون فى هذه البلاد الآن ، وهو حديث المنجمين . لا تعجب ويأخـــذك الدهش ، فقد فكرت فى المنجمين وأطلت التفكير . ألم تزعم لنا الصحف أن السلطان يطارد التنجيم والمنجمين فى مصر ؟ فما يمنعنى أن أفكر فى التنجيم والمنجمين وأنا أقرأ فى الصحف الأوربية أن التنجيم ينهض فى أوروبا بعد كبوته ويستيقظ بعد نومه الطويل ، ويسترد مكانته العليا فى قصور الملوك ودواوين الوزراء ، أستغفر الله ، بل فى ميادين القتـــال ، بل فى الجامعات أيضا . فهذه صحيفة فرنسية - النوفيل ليترير - تحدثنا بأن صاحب الجلالة جورج الملك الامبراطور ، قد عنى بالتنجيم وحديث المنجمين ، فأبى أن يسافر ابنه الى استراليا يوم كان المنجمون يخافون منه الشر ، واحترقت فيه طيارة فرنسية كانت تحمل حاكم الهند الصينية العام .

والصحيفة نفسها تحدثنا بأن الزعيم الايطالى العظيم يحفل بالتنجيم والمنجمين ، كما يحفل بالسياسة والساسة . وهى تحدثنا بأن الالمانيين كانوا قد اتخذوا بقيادتهم العليا أثناء الحرب منجمين ، وكانت كلمة هؤلاء المنجمين مسموعة ، وكانت وعود المنجمين لقواد الالمان أصدق من وعيد المنجمين للمعتصم بن الرشيد . والصحيفة نفسها تحدثنا بأن الالمانيين انشأوا كرسيا للتنجيم فى جامعة برلين سنة ١٩١٨ . ثم الصحيفة نفسها تلوم فرنسا لأنها لا تعنى بالتنجيم والمنجمين عناية الانجليز والايطاليين والألمان ، فكيف لو علمت هذه الصحيفة أن المصريين يعدون التنجيم اثما ، ويرون المنجمين جماعة من المتشردين ؟ الا يؤذن لنا فى أن نلفت السلطان إلى أنه ليس من الضرورى أن يكون بيننا وبين الاوروبيين هذا الأمد البعيد فنحارب التنجيم ونعرض عنه حين يؤيده الأوروبيون ويقبلون عليه . أليس من الخير أن يكون لكل وزارة منجمها ؟ بل مالنا وللوزارات ومنجميها ؟ ألسنا نرى أن التحدث الى النفس فى التنجيم والمنجمين خير من التحدث اليها فى الادب والادباء ؟

طه حسين

أخطاء مطبعية فى العدد الممتاز

جاء فى ص ٦٤١ ع — ٢ س ٩ : قد أفلح المشرفون والصواب قد أفلح المشرعون

« « « ٦٥١ ع — ٢ س ٩ : والله عزيز ذو انتقام ، والصواب عزيز حكيم

« « « ٧٠٠ ع — ٢ س ١٥ : الخصيب بالخاء ، والصواب بالحاء وهو على وزن الثلاثى المصغر

« « « ٧٠٢ ع — ١ س ١٧ : من فوق شفاهها ، والصواب من فوق الشفاه

« « « ٧٠٣ ع — ١ س ٧ : قطوفها الجزمة ، والصواب المحرمة

« « « « « س ١٠ : الخليفة قصر ، والصواب قصر الخليفة

حكمة غاندى

وضع أحد كتاب اليونان الشباب ترجمة للمهاتما غاندى أسماها «الحياة المقدسة»، ونحن نقتبس منها هنا حديثاً لغاندى يقارن فيه بين عصر الآلة وبين الحياة فى عصر الصناعة اليدوية التى يحدثنا عنها فى تأثر وحنين :

كانت حياتنا فى الازمنة الخالية ، قبل أن يحل بيننا هذا الوحش وأعنى به الآلة ، حياة انسانية جميلة ، فقد كان عندنا متسع من الوقت للتفكير والخلوة الى النفس فى المعابد صباحاً ، وتحت ظلال الاشجار فى هجيرة الظهر ، وفى أفنية المنازل مساء ، حتى فى أوقات العمل ونحن جلوس الى المناسج أو قائمون فى المزارع نفلح الارض ، نجد الوقت للانشاد وللتوجه بأرواحنا الى ملكوت الجمال والحق .

أما اخواتنا فانهن قبل الشروع فى اعمالهن فى الحقول ، يضفرن اكاليل الزهر ويعلقنها على قرون البقر ، فلم يكن للزمن عندنا فى يوم من الايام من المعنى ماله اليوم عند الاوروبيين . ولم يعلمنا واحد من حكمائنا هذا المبدأ المنكر «الوقت من ذهب» فلم نكن من الهيام بالذهب بحيث نضحى كل وقتنا من أجله . لان العمل فى اعتقادنا هو خلق الجمال والتوجه بأرواحنا الى الله .

وإنى لأذكر أن أبوى فى صغرى أخذانى معهما لأشهد كيف يكون بدء اشتغال الفتى بصناعة أبيه . فقد كان الفتى أول الامر يمضى للاغتسال فى النهر ليكون لجسمه طهارة نفسه . ثم تأخذه أمه الى المعبد . ويكون أبوه وشيوخ القرية فى انتظاره حول النار المقدسة وعند ذاك يسأله أبوه :

— أتريد استئناف صناعتى ؟ أتريد أنت أيضاً أن تصبح حداداً ؟
— نعم يا أبت .

ثم يقسم اليمين المفروضة :

«أقسم بالنار ، وبالله الحى القيوم ، وبأجدادى ، أنى راغب فى أن أكون حداداً ، وأنى راغب فى خلق الجمال والمنفعة للناس ،

واذ ذاك يقدم له أبوه وأخوته الصغار ، ويعنى بها الادوات ، لأنها له بمثابة الخلان الأوفياء فى حياته العاملة الكادحة .

ويتناول الفتى مجرفة الجمر والمطرقة والكير والمبرد من أدم وهو يتناولها بحنان كأنها أحياء ، ويقول مجدداً يمينه :

«أقسم أنى لأادنس هذه الادوات . وانما استخدمها فى خلق الجمال والمنفعة للناس» .

ثم يستطرد غاندى فى ذكرياته :

لقد عرفت العهد السعيد الذى كان فيه ناسجو الشيلان مثلا فى عداد الفنانين ، أى صنو المثالين والرسامين سواء بسواء .

وكانوا يجلسون صبيانهم حول المنسج يمسك هذا كبة الصوف الازرق ، والآخر الاحمر ، وذاك الصوف المعصفر ، وذلك الاخضر . . .

وفى صباح كل يوم قبل البدء فى العمل ، يرفع المعلم الشيخ عصاه ، فيسود السكون مطلقاً شاملا . هذه آونة التأمل ، ثم تعقبها الصلاة ، فيبتهلون الى الله ان يعينهم على صنع ماهو جميل ونافع للناس . فاذا فرغوا من الصلاة ، أخذوا فى الانشاد على فريقين سائل ومجيب :

— ماذا تنسجون ؟ ننسج السماء ونجومها
— ماذا تنسجون ؟ ننسج الارض وزهرها
— ماذا تنسجون ؟ ننسج البحر وحيتانه وسفائنه

والصبيان يداولون خيوط الصوف ، كل فى دوره ، فى حركة موزونة موقعة ، والمعلم جالس فى وسطهم يضبط الايقاع ، وينظم بعصاه الصغيرة حركة الذهاب والاياب للخيوط المتداولة زرقاً وحمراً وخضراً . . فتتولد شيئاً فشيئاً قطعة موسيقية من النسج عجيبة التأليف من الشيات والالوان .

ويتجدد هذا العمل كل يوم بين الصلاة والانشاد

وبعد أسابيع ثلاثة يتم الشال . واذ ذاك يستعرضه كل صبى ويقلبه بين يديه معجباً بجماله ، هذا صنيعهم اجمعين . وهم يحبونه كأنه مخلوق حى لا تقوم نفاسته بثمن ، فيرمقونه طويلا بأنظارهم ، ويمسحون عليه بأيديهم ، ولا تكاد تطاوعهم أنفسهم على التخلى عنه ويقول المعلم الشيخ : — هيا اطلقوا عليه اسماً

فيقول الشيخ : بل نسميه «البهيج» أليس هو وليد البهجة وصنع الفرحة والحبور ؟

فيهتف الجميع استحساناً ، ويمضى الشال فى طريقه الى الدنيا الواسعة ، ويأخذ المعلم وصبيانه من جديد فى عملهم . وهكذا فى كل ثلاثة أسابيع يطلعون للدنيا آية جديدة

عبد الرحمن صدقى

الموت والحياة

للاستاذ احمد امين

أبت علىّ نفسى أن تكتب اليوم إلا فى الموت ، وهل نتاج الكاتب إلا قطعة من نفسه؟ يفرح فيرقص قلمه ، وينقبض فيسبل قلمه بالدمع ، وقد كرهت للقراء هذا العنوان فأضفت الى الموت الحياة ، ولست أدرى لمَ يلطف ذكر الحياة الموت ، ولا يلطف ذكر الموت الحياة !

دعا الى هذا أنى فجعت هذه الأيام بموت أصدقاء كأنهم كانوا على ميعاد ، وكأن لموت الأصدقاء أيضاً موسماً كسائر المواسم وإن لم يحدد زمنه ويعرف مداه .

تنفسك تسمع ما حييـ ـتَ بهالك حتى تكونه

والمرء قد يرجو الحيا ة مؤملا والموت دونه

وكان آخرهم صديق استعجل الموت فأنشب فى المنية أظفاره قبل أن تنشب فيه أظفارها ، وقطع حظه من الدنيا قبل أن تستوفى حظها منه ، لم يصبه سهم القضاء فأخذ السهم منه ورماه بنفسه فى نفسه فمضى سابقاً أجله — غربت شمسه ضحى ، واستكملت ساعته دقاتها قبل ميعادها

كان سرىّ النفس ، نبيل الخلق ، طيب العنصر ، يغبطه كل من عرفه على ما وهب من خلال ، وما تهيأ له من وسائل الرفاهة وأسباب النعيم ، وما دروا أن الأمر فى السعادة والشقاء الى ما فى داخل النفس لا ما فى خارجها ، وأن نفوساً قد تشقى فى النعيم ، ونفوساً قد تسعد فى الشقاء .

جزعت لموته واستكنت للعبرة ، وفقدت بفقده السلطان على دمعى وقلبى ، فرحمه الله ورحمنى .

ooo

ولكن ما الجزع من الموت وقد طال عهدنا به ، وعرفه بنو آدم منذ عرفوا الحياة ، ولمَ لم يألفوه كما ألفوا كثيراً من المرح حتى اعتادوه ، وليس الموت فى ذاته مراً ولا أليما ، وكما قال أحد الرواقيين «ان الموت هو وحده المصيبة التى لا تمسنا ، ففى حياتنا لا موت ، واذا جاء الموت فلا حياة » وقد نظم المتنبى هذا المعنى فقال :

والأسى قبل فرقة الروح عجز

والأسى لا يكون بعد الفراق

ولكن أعظمَ الناسُ شأن الموت لما أحاط به من ظروف ، وما اتصل به من خيالات ، وأثير حوله من رعب ـ بالغ بعض من رجال الدين فى تفظيع الموت ، وهولوا من شأنه تهويلا تنخلع له القلوب ، وتقشعر منه الجلود ، لانهم رأوا فى ذلك درساً قاسياً يردع المجرم عن اجرامه ، ويزع الآثم عن اثمه ، ولكن أخشى أن يكونوا قد أفرطوا افراطا شل النفس وأشاع فيها اليأس . وانهم ـ وقد عهد اليهم أن يعادلوا بين الترغيب والترهيب ـ قد أرهقوا كفة الترهيب حتى ثقلت وهوت ، وخففوا كفة الترغيب حتى شالت وعلت — ولعل هذا كان من الاسباب التى جعلتنا نتسخط الحياة ونتبرم بها . ثم ما هذه الاخلاق التى هى أشبه ما تكون بأخلاق العبيد ! لا ندعى للخير الا بالعصا ، ولا تطلب منا الفضيلة الا بالسياط ؟

أليس خيراً من ذلك أن يحدونا الى الخير الحب . لا أن يسوقنا اليه الرعب ؟

ثم زاد الموت سوءا ما أحاطه به الاحياء من مظاهر الفزع والالم ، فصراخ تنفطر له المرائر ، وبكاء يذيب لفائف القلوب ، والناس حول الميت بين ساهم البصر ، ومطرق الطرف ، ومكروب النفس ، وناكس الرأس ، يتأوه الآهة تنقصف منها ضلوعه ، ويزفر الزفرة تتصدع منها نفسه ـ لست أظن ان هذا وأمثاله من طبيعة الانسان ، قد يكون من طبيعته الحزن على فقد القريب والصديق ، ولكن ليس من طبيعته الجزع ، فلو اعتاد قوم ان يقابلوا الموت كما يقابلون أية ظاهرة طبيعية فى الحياة لزال الجزع وخف الالم ، كما حدث عند بعض الامم ، استطاعوا أن يضبطوا عواطفهم وينفقوا من الحزن بقدر ، وأن يرددوا

قول القائل «مات الميت فليحى الحى» ، وتفاخروا بالجلد كما نتفاخر بالجزع ، وتواسوا بالثبات كما نتواسى بالهلع

ثم كان من الادباء ما كان من رجال الدين : حزنوا للشيب اذ فقدوا الشباب ، أكثر مما فرحوا بالشباب يوم أن كان ، ووقفوا فى مراثيهم موقف النادبات فى المآتم ، يعجبون كيف كان الموت وكيف نزل ، ويلهبون عواطف الناس ، ويثيرون أشجانهم ، ويعدون أقدرهم على القول وأقربهم الى الاجادة من عرف كيف يستخرج الدمع ويستنزف الشؤون ، فكان من هذا وذاك اقياد عواطف الناس نحو الموت ودفعهم الى التغالى فى المشاعر

ثم أخطأ الناس فى القياس ، فظنوا أن النفس تألم فى الحياة الاخرى بما تألم به فى الحياة الدنيا . ظنوا أن القبر يوحش بعزلته كما يستوحش الحى من عزلته ، وان القبر يرهب بضيقه وظلمته ، كما يتبرم الحى بضيق المكان وظلمته ، وأن الميت يألم من البرد القارس كما نألم ، ويضجر من الحر القاسى كما نضجر ، وغاب عنهم ادراك الفرق بين الحياتين ، والاختلاف الواسع بين الطبيعتين

إذا افترقت أجزاء جسمى لم أبل
حلول الرزايا فى مصيف ولا مشتى

***

ان تفظيع الموت يدعو الى نوع من الحياة لا هو حياة ولا هو موت ، ولعل كثيراً من رذائل الشرق سببه ما اعتاده قادتهم من تهويل الموت وتفظيع شأنه ، والا فما الذى يجعلنا نرضى بالعيش الذليل بين أحضان آبائنا وأمهاتنا ولا نتطلب العيش السعيد بالهجرة والارتحال ؟ وما الذى يدعونا الى الفرار من المغامرة فى شؤون الحياة ، والركون الى عيش الدعة والاطمئنان ، الى كثير من امثال ذلك ؟ لا شىء الا التغالى فى الخوف من الموت ، للتغالى فى تهويل الموت

لقد جل خطب الحياة ان كان كلما مات قريب أو صديق ذابت النفس حسرات ، وأظلمت فى وجهنا الدنيا ، وتطرق الينا اليأس .

لا . لا . اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وتباً لهؤلاء الذين يخلعون قلوبنا بالموت فنكون طعمة لمن يحبون الحياة

ولنبدأ دعوة جديدة قوامها العمل للحياة و «لا بأس بالموت اذا الموت نزل» .

أحمد أمين

الانقلاب الجمهورى فى اسبانيا

٢ — حرب الريف الى قيام الجمهورية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت حوادث مراكش كابوس السياسة الاسبانية منذ نهاية الحرب . وكان لها أكبر أثر فى تطور الحوادث التى انتهت بظفر الديموقراطية وقيام الجمهورية . وما زلنا نذكر تلك الحرب التحريرية العجيبة التى شهرها عبد الكريم زعيم الريف على اسبانيا مدى أعوام ، ودحر خلالها الجيوش الاسبانية مراراً ، وكاد يظفر بسحق سيادة اسبانيا فى شمال مراكش لولا أن تألبت عليه قوى الاستعمار أخيراً واتحدت فرنسا مع اسبانيا على محاربته وسحقه ؛ فكان ما أراد الاستعمار .

وكانت اسبانيا تعانى فى بلاد الريف (شمال مراكش) منذ احتلالها متاعب جمة من جراء ثورة القبائل وتضطر دائما إلى الاحتفاظ بجيش ضخم ، ولكن أول نكبة حقيقية نزلت بالجيش الاسبانى فى بلاد الريف ، وقعت فى أنوال سنة ١٩٢١ ، ففيها هاجم عبد الكريم زعيم الريف مراكز القوات الاسبانية فى تلك المنطقة ، وكانت تبلغ زهاء تسع عشرة ألفا ، فمزقها واستولى على مراكزها وذخائرها ، وقتل منها نحو ستة عشر ألفا ، وفر الباقون فى مختلف الانحاء ، وانتحر قائدها الجنرال سلفستر . وكان محمد بن عبد الكريم الخطابى من أبناء بنى أراغيل ، رباه أبوه تربية حسنة ، ودرس اللغة الاسبانية ، والتحق بوظيفة فى الادارة الاسبانية بمليلة ؛ وفى سنة ١٩١٩ وقعت بينه وبين الجنرال سلفستر مشادة حادة وأهانه القائد ، ففر من مليلة وهو يعتزم الانتقام ولحق به أخوه (محمد أيضا) وهو

مهندس دربس في اسبانيا وكانت القبائل يومئذ تتحفز للانتقاض ، وكانت قد تلقت أيام الحرب كثيراً من الأسلحة والذخائر التي هربت بواسطة الألمان ، فكان ذلك أكبر عون لها على مقاومة القوات الإسبانية وازعاجها من وقت لآخر . فلما فر عبد الكريم من مليلة داعيا الى الثورة التف حوله عدة مئات من الرجال الأشداء ، واستطاع بهذه القوة الضئيلة أن يدبر ذلك الهجوم الجرئ على المراكز الاسبانية في أنوال وأن ينزل بها تلك الكارثة الفادحة (يوليه سنة ١٩٢١) ، واستولى عبد الكريم على كميات هائلة من الاسلحة والذخائر مكنته من المثابرة في الحرب أعواما . وكان للنكبة وقع عميق في اسبانيا ، فاضطرم الرأي العام سخطاً واضطرت وزارة سالازار الى الاستقالة ، وألفت وزارة محافظة برياسة السنيور مورا . ولكن الرأي العام ظل على اضطرامه ، وارتفعت الصيحة بطلب التحقيق في الكارثة ، وحملت الدوائر العسكرية على البرلمان باعتباره مسئولا عما وقع من الاضطراب والخلل في الخطط والتدابير العسكرية ، وأرسل الى مراكش جيش ضخم يبلغ مائة واربعين الفا لتدارك الموقف وانقاذ القوات المحرجة ، وانتدبت الوزارة لجنة للتحقيق ، ولكنها اضطرت الى الاستقالة قبل ان تقوم اللجنة بمهمتها ، فقامت وزارة محافظة أخرى برآسة السينور سانكيز جويرا ؛ ثم تلتها وزارة حرة برآسة جراسيا بريتو ؛ وفيها تولى وزارة الحربية موظف مدني هو الكالا زامورا الذي يتولى اليوم رآسة الجمهورية الاسبانية ، ولكنه استقال غير بعيد وخلفه جندي هو الجنرال ايزبورو ، وكان من أنصار العسكرية الرجعية وحلفائها ، ومن خصوم النظام الدستوري ، فأخذ يعمل بكل ما وسع لتوطيد النفوذ العسكري في شئون الحكم ، وكان هذا النفوذ يشتد يوما فيوما ، تغذيه حوادث مراكش ، وما أثارته من الاضطراب .

وفي خريف سنة ١٩٢٣ تمخض النضال بين العسكرية والديموقراطية عن نتيجة حاسمة . وذلك أن الدون بحويل بريمو دي رفيرا حاكم قطلونية العسكري اعلن الثورة ضد الحكومة وهدد اعضاءها ، وايدته السلطات العسكرية في مدريد وسرقسطة ، وأذاع في البلاد منشوراً نادى فيه بتحرير البلاد من الساسة المحترفين الذين يحملون تبعة ما أصاب البلاد من محن ، وأعلن قيام ادارة عسكرية في مدريد ، تعمل لاقالة البلاد من عثراتها وحل المسألة المراكشية (اوائل سبتمبر سنة ١٩٢٣) . وكان الفونسو الثالث عشر يعتقد أنه يستطيع انتهاز هذه الفرصة لاقامة الحكم المطلق واستئثار القصر بجميع السلطات ومن ورائه الجيش ، ولكن زعماء الجيش اضطروا على ان يتولى زعيم الثورة الجنرال دى رفيرا الحكم . وفي ١٥ سبتمبر دخل دى رفيرا مدريد ، واحتل دور الحكومة ، وسيطرت العسكرية في الحال على كل شيء ، وانشئت الادارة العسكرية وعلى رأسها دي رفيرا ، وأعلن ان البلاد في حالة حرب ، واتخذت اجراءات شديدة لسحق كل معارضة ، وعطلت البرلمان ، وفرضت الرقابة على الصحف ، وذهب وفد من زعماء الساسة الاحرار والمحافظين الى الملك يناشده صون الحياة النيابية فرد بخشونة . وقد وصف هذا الطغيان العسكري الجديد يومئذ بأنه « نظام يقوم على القوة باكثر مما يقوم على السلطة ، ذو نزعة مركزية قوية ، يعتمد على مؤازرة الجيش ، ويميل الى عناصر الاحبار والكنيسة ، ويصادق كبار الملاك ، ويعطف على الاشتراكية في خصومتها للحركة النقابية » وتولى الجنرال دى رفيرا جميع السلطات والوزارات على مثل السنيور موسوليني وقضى على جميع الحريات الدستورية التي تمتعت بها اسبانيا اكثر من قرن ، واستقبلت اسبانيا عهدا جديدا من الحكم الحديدي .

وكانت مسألة مراكش أهم وأخطر المسائل التي عنيت بها الادارة العسكرية ؛ وكان مركز اسبانيا يزداد حرجا في الريف ، وتستنزف مواردها تباعا ، ويتساقط جندها امام هجمات عبد الكريم فرأى دى رفيرا أن يلجأ الى الصراحة والجرأة في حل المسألة المراكشية ، وقرر أن تنسحب القوات الاسبانية من المناطق الداخلية وأن تمتنع فيما يلي الشاطئ ؛ وهكذا استطاع عبد الكريم أن يسيطر على اقليم الريف كله ماعدا تطوان ومليلة ، واجتمعت حوله القبائل ، واضحى قوة يخشى بأسها في شمال مراكش ؛ ولم يبق استقلال الريف أمنية مستحيلة ، ولم تبق على تحقيقها سوى مرحلة يسيرة ؛ ولكن الحوادث تطورت بشكل لم يكن يتوقعه عبد الكريم ولم تكن تتوقعه اسبانيا ذاتها . ذلك أن الفرنسيين تقدموا من حدود الريف الجنوبية ، وخشى عبد الكريم عواقب هذا التقدم ، فرأى أن يحول شطراً من اهتمامه الى هذه الناحية . وفي سنة ١٩٢٥ نظم عبد الكريم هجوما شديدا على مراكز تازة ووجدة داخل الحماية الفرنسية ، وأثخن في بعض القبائل الموالية للفرنسيين وهدد مدينة فاس ، فارتاعت فرنسا لتلك المفاجأة ، وكانت لاتزال تأتي في

مراكش متاعب جمة ؛ واعتزم الجنرال ليوتي حاكم مراكش العام أن يسحق تلك القوة الخطرة ؛ وفاوضت فرنسا أسبانيا فى تنظيم العمل المشترك فى مراكش ورحب دى رفيرا بهذه الفكرة ، ونظمت الدولتان خطة مشتركة لتطويق عبد الكريم وسحق قواته وبعثت فرنسا اثنين من أعظم قوادها وهما بتان ونولان الى مراكش على رأس جيش قوامه نحو مائتى الف مقاتل مجهز بأحدث الوسائل والعدد ، وأنزلت أسبانيا جيشا كبيرا فى الحسيمة ، ونظم الجيشان بادىء بدء خطة الاتصال . وهكذا طوق الزعيم الريفى فى مراكزه ولم يك ثمة شك فى مصير تلك الحرب التى تثيرها دولتان أوربيتان على زعيم محلى يعتمد على آلاف قليلة من البدو ويستمد موارده وذخائره من أيدى عدوه ؛ وأدرك عبد الكريم من شدة المعارك الاولى أن المضى فى القتال عبث ، وأن الدائرة دائرة عليه بلا ريب ، ففاوض الفرنسيين فى التسليم بلا قيد ولا شرط ، وفى ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦ سلم نفسه الى الجنرال بوشيت ، ودارت بشأنه مفاوضة بين الحكومتين الفرنسية والاسبانية انتهت بتقرير نفيه مع اسرته الى جزيرة ريتيون من أعمال مدغشقر ؛ وانهارت تلك الحركة التحريرية البديعة التى نظمها هذا الزعيم البربرى الباسل ، وعاد الاستعمار الاسبانى فوطد سيادته فى الريف ؛ ووطد الاستعمار الفرنسى سيادته فى شمالى مراكش ؛ وخسرت الدولتان فى تلك الحرب آلاف الرجال وملايين الاموال ، ولكن الاستعمار لم يكن ليحجم عن بذل مثل هذه التضحيات الهائلة فى سبيل القضاء على ثورة تحريرية تهدد مستقبله فى تلك الانحاء .

***

وهكذا حلت المسألة المراكشية . وكان حلها عاملا قويا فى تأييد نفوذ الدكتاتورية العسكرية وهيبتها . وفى عهد الدكتاتورية أيضاً تحسنت الأحوال الاقتصادية . ولكن وطأة هذا النظام المطلق لبثت تثقل كاهل الشعب الأسبانى ؛ وكان ظمأه الى الحريات الدستورية التى تمتع بها مدى قرن ، يشتد كلما اشتد ضغط الطغيان العسكرى ؛ وكان هذا السخط ينفجر من آن لآخر فى قطلونية وبعض الأنحاء الأخرى عن ثورات محلية كان دى رفيرا (أو المركيز دى استيلا كما لقب بعد) يقمعها بمنتهى الشدة والقسوة ؛ وكانت الدكتاتورية مع ذلك تقوم دائما على بركان مضطرم ، حتى أن دى رفيرا اضطر أن يضع أسبانيا تحت الأحكام العسكرية (سنة ١٩٢٦) . وفى أوائل سنة ١٩٢٧ حاول زعيم قطلونية المنفى الكولونيل ماشا أن يعبر الحدود الفرنسية مع جماعة كبيرة مسلحة من أنصاره ليسير إلى قطلونية : ولكن قبض عليه وعلى كثير من أصحابه عند الحدود . ورأى دى رفيرا أن يهدىء السخط العام بتخفيف وطأة النظام ، وأن يعود الى ظاهر من الحكم الدستورى ، فاصدر فى سبتمبر سنة ١٩٢٧ قانوناً بانشاء جمعية للشورى . ولكن هذه الجمعية لم تكن لها أية سلطة حقيقية ، ولم تكن إلا ستاراً فقط تستتر من ورائه الادارة العسكرية . وعلى ذلك فقد فشلت هذه المحاولة ، ولبثت المعارضة على شدتها واضطرامها . وكان الجيش أيضاً قد بدأ يقلب على دى رفيرا ، أولا لأنه لم يوافق على مسلكه فى المسألة المراكشية حيث قرر الانسحاب أولا عن المناطق التى كان يحتلها الجيش ، ثم تساهل بعد ذلك فى الاتفاق مع فرنسا ، وثانياً لأنه كان يبالغ فى الاستئثار بالأمر ولا يرى فى الجيش سوى أداة لتحقيق سياسته ؛ وكان الفونسو الثالث عشر من جهة أخرى يشعر بوطأة هذا النظام الذى نزع العرش كل سلطاته . ومنذ سنة ١٩٢٨ أخذت بوادر السخط والانتقاض تبدو فى الجيش ؛ وفى سنة ١٩٢٩ ، ثارت فرق المدفعية بزعامة السنيور سانشيز جويرا الزعيم المحافظ الذى تولى رياسة الوزارة فيما قبل ؛ وانتهز الفونسو الثالث عشر هذه الفرصة فأصدر أمراً بعزل بريمو دى رفيرا وحل الادارة العسكرية ؛ ولم يجد دى رفيرا سبيلا للمقاومة فأذعن وغادر منصة الحكم بعد أن لبث ستة أعوام يثقل كاهل الشعب الأسبانى بطغيانه وعسفه . وفى مستهل سنة ١٩٣٠ ، ألفت حكومة جديدة برياسة الجنرال برنجير ، لتعمل على إعادة الحكم الدستورى ؛ وهنا تنفس الشعب الصعداء ، وتقدم زعماء الأحزاب المعارضة (المحافظون والأحرار والجمهوريون) بطلب اجراء الانتخابات العامة ، فعارضت الحكومة فى اجرائها . واشتد السخط حينما رأى الشعب أن الحكومة الجديدة لم تأت إلا لتستمر فى تأييد نظام الطغيان والحكم المطلق . وفى ديسمبر سنة ١٩٣٠ ، شبت ثورة جديدة ؛ ولكن الجنرال برنجير استطاع أن يسحقها فى الحال . بيد أنه لم يلبث أن استقال ؛ وخلفه الجنرال آزنار على رأس حكومة شبه عسكرية أيضا ؛ وهنا تقدم الكونت رومانونيس زعيم الأحرار

الذى تولى رياسة الوزارة مرارا من قبل ، الى الوزارة الجديدة ، بنصيحة رآها كفيلة بحل الأزمة وتهدئة الخواطر ، وهى أن تجرى الانتخابات البلدية على الأقل مادام انها لا ترغب فى إجراء الانتخابات العامة ؛ فنزلت الوزارة عند هذا النصح ، وأجريت الانتخابات البلدية فى جميع أسبانيا فى العاشر من ابريل سنة ١٩٣١ . وكان يوماً حاسما فى تاريخ أسبانيا الحديث ؛ ففيه خرج الجمهوريون فى جميع الدوائر باغلبية ساحقة ، وغمر التيار الجمهورى كل شىء فى البلاد ؛ فاستقالت الوزارة فى الحال . ورأى الفونسو الثالث عشر أنه لم يبق سبيل للمقاومة ، ولم تبق للعرش قوة يستند اليها ، فبادر بمغادرة مدريد مع أسرته وخاصته ، وعبر الحدود إلى فرنسا قبل أن تمتد اليه يد خصومه ؛ ولكنه لم ينزل عن شىء من حقوقه . وفى الحال نودى فى أسبانيا بسقوط الملكية وقيام الجمهورية ؛ وأقيمت حكومة جمهورية احتياطية برياسة الكالا زامورا وزير الحربية السابق ورئيس الشعبة المحافظة فى الحزب الجمهورى ؛ وأعلن فى الوقت نفسه قيام جمهورية فى قطلونية على رأسها الكولونيل ماشا ؛ وفى ٢٨ يونيه أجريت الانتخابات البرلمانية العامة ، فأسفرت كذلك عن أغلبية جمهورية ساحقة ، وتوطدت دعائم الجمهورية الجديدة بتأييد البلاد كلها .

* * *

وهكذا انهارت دعائم الملوكية الاسبانية العتيدة ؛ التى هى اقدم الملوكيات الاوربية ، والتى سطعت خلال قرون مديدة ، واخرجت ثبتا حافلا من الملوك العظام - ملوكية فرديناند الخامس وشارلكان وفيليب الثانى ؛ تلك الملوكية التى لبثت تغالب العرب فى اسبانيا ثمانية قرون ، والتى انتهت بالقضاء على دولة الاسلام فى الاندلس واسترجاع الوطن القديم كله . وهكذا ظفرت الديموقراطية الاسبانية ممثلة الشعب الاسبانى باسترداد الحريات الدستورية كاملة شاملة بعد أن كاد يقضى عليها القضاء الاخير . وكان أول ماعنيت به الحكومة الجمهورية هو أن تضع لاسبانيا دستورا جديدا لحماية المبادىء الجمهورية والحريات الشعبية ؛ واضطلع الكورتيز (البرلمان الاسبانى) بهذه المهمة منذ ١٤ يولية واتمها فى ديسمبر ؛ وكان من اهم المشاكل التى عالجها مسألة النظام الاتحادى الذى نشأ عن مطالبة قطلونية بالاستقلال الداخلى ؛ وقد اقر الدستور هذا المبدأ ، واعتبر اسبانيا جمهورية اتحادية واعترف باستقلال قطلونية الداخلى . وثمة مسألة خطيرة أخرى هى مسألة الكنيسة والدولة ، وقد انتهى البرلمان بالموافقة على فصل الكنيسة عن الدولة (١ اكتوبر سنة ١٩٣١) ولكن هذا القرار أحدث ازمة وزارية ؛ فاستقال السينور الكالا زامورا ، وقامت وزارة جديدة برياسة الدون مانويل أزانا .

وعانت اسبانيا خلال هذه الفترة كثيرا من المتاعب من جراء الثورات والمظاهرات المختلفة التى دبرتها احزاب اليسار المتطرفة - الشيوعيون والاشتراكيون - ومن الاعتصابات العامة التى نظمت فى كثير من انحاء البلاد ؛ وعانت الجمهورية الجديدة من جراء معارضة الكنيسة ودسائس الاحبار وفلول الملوكية ؛ ولكن الحكومة الجمهورية ابدت حزما وصرامة فى قمع الفتن الشيوعية ، وسحق دسائس الاحبار ؛ وثار بين اسبانيا والفاتيكان خلاف كبير من جراء نزع املاك الكنيسة ومطاردة الاحبار . واصدرت الحكومة قانونا خاصا لحماية الجمهورية (٢٠ اكتوبر) - وفى نوفمبر صدر قانون خاص باعتبار الفونسو الثالث عشر خارجا على القانون وبوجوب مثوله ومحاكمته : وفى العشر من ديسمبر أجريت الانتخابات لرآسة الجمهورية ، فانتخب السينور الكالا زامورا أول رئيس للجمهورية الاسبانية الثانية . وقد اضطربت اسبانيا فى الفترة الاخيرة بعدة ثورات وفتن محلية ودبرت عدة مؤامرات ملكية ، ولكنها أخفقت جميعا : وفى العهد الاخير رأت حكومة الجمهورية أن تستعين على قمع الفتن بالتشريع الصارم فاصدرت قانونا باعادة عقوبة الاعدام ، وكان من جراء ذلك جدال حاد فى البرلمان بين الحكومة والمعارضة بزعامة السينور مورا وكادت تحدث ، أزمة وزارية جديدة ، ولكن السينور ليرو رئيس الوزارة الحالية استطاع ان يتلافى الازمة ، وصدر التشريع الجديد ؛ وما زالت الجمهورية الفتية سائرة فى طريقها تغالب كيد خصومها من فلول الملوكية والاحبار الذين قضت على سلطانهم وامتيازاتهم . ولا ريب أن فى ظفر الديموقراطيـة باسبانيا إبان تلك الازمة العصيبة التى تعانيها فى بلاد أخرى مثل ألمانيا والنمسا ، دليلا على أن الديموقراطية ما زالت تتمتع بحيوية كبيرة وانها انما تجوز أزمة وقتية لا تلبث أن تعود بعدها الى سابق توطدها وازدهارها

محمد عبد الله عنان

المحامى

هل لمصر طراز ؟

للأديب حسين شوقي

يجب أن تكون أبنيتنا الخاصة والعامة على طراز وطني . إما على الطراز العربي وإما على الطراز الفرعوني ، ولو أني أفضل الطراز العربي بنقشه الدقيق الأشبه بالدانتلا ، وزجاج نوافذه الملون الجميل ؛ لأن القاهرة الآن حاضرة العالم العربي أجمع . . كما أن الطراز الفرعوني لا يظهر بهاؤه إلا في البنايات الكبيرة الشاهقة ؛ أما في المساكن الصغيرة فقد يضيع فيها حسنه .. والطراز العربي قابل جداً للتطور مع مقتضيات العصر من مراعاة الاضاءة والتهوية دون أن يفقد شيئاً من رونقه ، فقد شاهدت في أسبانيا منازل خاصة بنيت على الطراز العربي المستحدث آية في الذوق . .

أما الآن فنحن في فوضى — في تشييد الدور — تجد هنا بناء على الطراز الفرنسي ، كما تشاهد بجانبه بناء على الطراز الانجليزي ، وترى الى جانب هذا وذاك بناء على الطراز الحديث . . قد تكون هذه الطرز كلها جميلة في ذاتها ؛ ولكنها لا تناسب طبيعة البلاد ولا تقاليدها .

إن تعدد أشكال البناء في القاهرة يقضي على جمالها وعلى طابعها الشرقي الرائع . .

يجب ألا يكون تقليدنا للغرب تقليداً أعمى . . لماذا لا نحذو حذو اليابان التي تأخذ عن الغرب مخترعاته ومستحدثاته ؛ دون أن تتنزل عن تقاليدها ؟ كم صدق الكاتب الفرنسي الشهير بيير لوتي الذي كان صديقاً حميماً للمرحوم مصطفى كامل باشا حين قال يحذرنا تقليدنا للغرب : . .

« تجنبوا الحثالة الغربية التي يغمرونكم بها حين تذهب جدتها عندنا . . . حافظوا على آثاركم وعاداتكم ولغتكم الجميلة . . . »

هناك مشكلة أخرى . . . مشكلة البنايات الأثرية القائمة في وسط القاهرة التي تعوق حركة العمران . . رأيي أن يحتفظ منها الشيء النفيس ويحاط بمتنزه صغير أو ميدان . أما الباقي فيهدم بعد أن يؤخذ له شريط سينمائي دقيق يكون وثيقة تاريخية عن هذه الأحياء للأجيال القادمة . .

أما الفن الحديث وله أنصار كثيرون ، فلم يستقر على حال بعد ، ولا يزال فنانوه يتخبطون ، ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس . وأوربا نفسها تشكو من المبالغات التي حدثت في الفن الحديث التي لا يقبلها ذوق ولا منطق . . وإليك هذه الفكاهة التي قرأتها في إحدى الصحف الفرنسية نقداً لهذا الفن الحديث :

عرض أحد المصورين منظراً يمثل عبور بني اسرائيل البحر الأحمر ، فسأله صديق له شاهد الصورة فلم يجد غير منظر البحر : ولكن أين بنو إسرائيل ؟ قال لقد انتهوا من العبور ، قال : وجند فرعون الذين يطاردونهم ؟ قال لم يأتوا بعد !

حسين شوقي

الفلسفة في مهدها

للاستاذ زكي نجيب محمود

لم تكد تقذف الحياة بهذا الانسان فوق ظهر الأرض ضعيفاً حائراً ، حتى دأب المسكين يسعى ويلح في السعي كلما ألحت عليه ضرورة البقاء ، ولم تكن الحياة حين ألقت به رحيمة كريمة فلم تبسط يدها في العطاء بحيث تمنحه من قوى الفكر والغريزة ما يرد به غائلة الضرورة واعتداء الطبيعة في سهولة ويسر ، بل كانت مقترة مغلولة اليد ، واكتفت من ذلك بالحد الأدنى الذي يحتمه مجرد البقاء ، فجاء الانسان وكل بضاعته من التفكير شعاع خافت ضئيل ، يعينه على جمع القوت واقامة أسباب الحياة .

ولكن الزمان الذي يغير كل شيء قد أخذ بيد الانسان فأخرجه قليلا قليلا من تلك الحياة التي كانت تقنع من الغنيمة بدفع الخطر ، وما زال به حتى شحذ مواهبه ووسع من نطاق ادراكه ، فمرن على القيام بأعباء الحياة بحيث لم يعد يصدر ذلك عن شعور ووعي يستنفدان كل ما يملك من قوة ومجهود ، ثم لا يبقى له من دهره شيء . بل أصبحت شئون العيش عادة آلية يديرها اللاشعور . وبذلك استطاع أن يظفر بشيء من الفراغ في الحين بعد الحين ، ينعم به بعد جهد العيش الجهيد ، فأخذ يلهو بهذا الكون الذي يحيط به ، والذي يبعث في النفس اللذة والخوف في آن ؛ ولكن ماذا عساه أن يقول عن ظواهر الكون لكي يرضي خياله

الساذج الغرير، سوى أقاصيص ينسجها له الوهم فيرويها لتكون له دينا وأدبا وعلما وما شئت من فنون الانتاج ، وهكذا كانت الميثولوجيا أول الامر ، ثم يمضى الزمن ويمعن فى مضيه ، فيدفع معه فى تياره الجارف هذا الانسان ، فاذا الخيال تضيق دائرته وتضيق . واذا العقل يتسع ويتسع ، ثم اذا بالانسان قد هانت عليه أعباء الحياة ، وخفت أثقال البقاء ، وبرد الهوب السوط الذى كانت تسلطه عليه ضرورة الحياة ليدأب فى جمع القوت ورد الخطر ، واستقبل الانسان عهدا جديدا رأى فيه اللذة والفراغ جنبا الى جنب مع عناء العمل ، وانتقل من حياة تملؤها الضرورات القاسية ، الى حياة يمازجها شىء من ترف الفكر وابداع الفن ، وعندئذ تغير موقف الانسان ، فلم يعد عبدا يذله قانون الحياة وكنى عليه أن يستمع لاملائه فيطيع ، بل أخذ يفكر فى خلق السموات والأرض ويسأل نفسه لماذا يكون هذا هكذا ؟ وكيف يجىء ذلك كذلك ؟ فبدأت بذلك الفلسفة

وكان مهدها الذى تدرجت فى كنفه طفلة عابثة ، مستعمرة يونانية فى آسيا الصغرى على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، حاضرتها مدينة تدعى مليتس ، وفى ذلك البلد أضاءت شعلة الفكر خافتة أول الامر ، ثم شاء لها الله أن يمتد نورها ويتوهج حتى يكون فى أرض اليونان فلسفة عميقة كانت أساس البناء ، وجذرا للدوحة التى امتدت فيما بعد قوية مثمرة

فى مليتس — فى القرن السابع قبل ميلاد المسيح — نهض الانسان يحطم أغلال الضرورة التى كبلته حينا طويلا من الدهر ، وخص شطرا من حياته للتفكير المجرد ، الذى يقصد الى جمع القوت وتوفير أسباب العيش ، ولكن فيم عسى أن يفكر ذلك العقل الناشىء ؟ بدهى أن يتجه الى هذه الطبيعة التى يزخر عبابها بالكائنات ، والتى تحتويه فى غمارها وتملأ عليه شعاب نفسه وحسه ، ولم تكن الطبيعة موضوع فلسفته فحسب ، بل كان شعره وقصيدا ينشد فى جمالها الخلاب ، وكان دينه تسبيحا لقوتها وجبروتها ، وأية غرابة فى هذا ؟ أليست سنة الحياة أن يبدأ الطفل حياته الفكرية بما يقع تحت الحس ثم يتدرج صاعدا الى الفكر المجرد ؟

— وأول ما استرعى نظره واستدعى إعمال الفكر هو هذا التغير الدائب والتحول المستمر الذى يطرأ على الاشياء ، فها هو ذا كل شىء ، كائنة ما كانت مرتبته فى الحياة ، يجىء الى الوجود ليبقى حينا ثم يمضى ويترك الوجود ، ولكن يستحيل على الفكر الناضج أن يظن أن هذه الأشياء تأتى من العدم وتنحدر الى العدم ، فليست تدل الظواهر على أن هذا الشىء المعين حينما جاء الى الوجود ، قد بدأ حياة لا يربطها بالماضى سبب من الاسباب ، أو حينما يذهب وينقضى قد زال أثره وتلاشت مادته ، انما تدل الدلائل جميعا على أنها مادة موجودة يطرأ عليها التغير فتكون اليوم حجرا ، وتصبح غدا نباتا حيا ، وقد تكون انسانا يفكر ويسعى بعد غد ، فليت شعرى ، أو ليت شعر الفلاسفة الأولين ، ماذا عساها أن تكون تلك المادة التى تملأ الكون وتبدو فى صور مختلفة متباينة ؟ تلك هى المشكلة التى حاول فلاسفة أيونيا أن يلتمسوا لها جوابا يقنع ويرضى

واذا التمس الفكر الانسانى مادة تكون أصلا لكل ما يشمل الوجود من ظواهر ، فانه لن يصادف الا عددا قليلا من ألوان المادة التى يجوز لها أن تكون كذلك ، اذ لابد لهذه المادة الأولية المنشودة ألا تكون محدودة الصفات والخواص ، وأن تكون مرنة شديدة المرونة فى قابليتها للتشكل فى صور مختلفة ، وماذا تكون تلك المادة الأولية عند قوم يتاخمون البحر ، فترسخ فى نفوسهم صورته ويدوى فى أسماعهم هديره كلما أمسى مساء أو أصبح صباح ، غير الماء ؟ فهو أدناها عند العقل الأيونى مأخذا ، وأقواها حجة . فليس عجيبا اذن أن ينهض طاليس ، أول فيلسوف عرفته الدنيا وأجمع على فلسفته المؤرخون ، وهو فى طليعة الباحثين عن تلك المادة التى نشدها العقل ، والتى تتركب منها الأشياء جميعا ، وتنحل اليها الأشياء جميعا ، ويعلن ان الماء هو قوام الموجودات بأسرها ، فلا فرق بين هذا الانسان وتلك الشجرة وذلك الحجر ، اللهم الا اختلافا فى كمية الماء التى يتركب منها هذا الشىء أو ذاك ، أليس الماء يستحيل الى صور متنوعة فيصعد فى الفضاء بخارا ، ثم يعود فيهبط فوق الارض مطرا ، ثم يصيبه برد الشتاء فيكون ثلجا ؟ واذن فهو غاز حينا ، وسائل حينا ، وصلب حينا ثالثا ، وكل ما يقع فى الوجود لا يخرج عن احدى هذه الصور الثلاث .

رضى العقل بادىء ذى بدء بالماء جوهرا للكون ، ولكنه ما لبث أن أدرك انه مهما يكن للماء من مرونة وحيوية ، فان صفاته محدودة ، ضيقة ، لا يمكن ان تسع كل ظواهر الوجود ، واذن فلابد للعقل أن يبحث ويجد فى البحث عن مادته الأولية التى ينشدها

لجأ انكسمندر ، وقرر حقا أن كل مادة يكون لها صفات بعينها لا تصلح مطلقا ان تكون أصلا للكون ، لأن مجرد الاعتراف بصفة ما هو دليل قاطع على وجود نقيضها ، فلا يمكن عقلا ان تفهم معنى الحرارة إلا إذا اقترنت فى ذهنك بالبرودة ، ولو تلاشت هذه لذهبت فى أثرها تلك ، واذن فيستحيل ان تصف مادة بخاصة معينة الا اذا كان ثمت مادة أخرى لها صفة مناقضة ؛ وينتج من هذا أنه لا يمكن ان يكون الوجود مركبا من مادة تميزها صفات ، واذن فلم يتردد انكسمندر فى القول بان الاشياء جميعا ، انما تفرعت عن مادة لا تحدها حدود ، وليس لها صفات ، اللهم الا صفة واحدة هى الثبات وعدم التحول : أى الخلود . ولعلها فى عنصرها وسط بين الهواء والماء . هكذا يغريك انكسمندر بتصديق منطقه ، ولكن ما لبث الانسان أن وجد فى هذا المنطق الخلاب مغمزا وثغرة . اذ كيف تنشأ هذه الفروق الشاسعة بين صفات الاشياء ، اذا كانت كلها مشتقة من مادة واحدة لا صفة لها ، فبدهى إن تجيء أجزاء هذه المادة الأولى على نسقها وغرارها ؛ فلا تكون للأشياء الجزئية صفات كذلك ، واذن فليستأنف العقل بحثه عن ضالته .

هنا نهض انكسمنس فخطا بالعقل خطوة ثالثة : اذا كانت مادة طاليس لم تصادف من العقل اطمئنانا ، لأنها ليست من الشمول بحيث تسع الكون بأسره ، واذا كانت مادة انكسمندر قد أصابها الرفض لأنها تخلو من الصفات التى تدرك فى أجزائها ، فما يمنع انكسمنس أن يقع اختياره على مادة ثالثة ، فيها الشمول الذى ينقص الماء وفيها الصفات التى تعوز مادة انكسمندر : الا وهو الهواء ، فهو ذو صفات معروفة لا تنكر ، وهو فى نفس الوقت يشيع فى كل أنحاء الوجود ، يغلف الارض ويملأ جوانب السماء ، بل ويتغلغل فى الاشياء والأحياء مهما دقت الأبدان والاجسام . أليست الحياة أنفاسا من الهواء تتردد فى الصدر شهيقا وزفيرا ؟ أليس الهواء يملأ الفضاء ويغمر الكائنات ويستحيل الى صور متنوعة ، وهو فوق ذلك أسبق من الماء الى الوجود ، فالهواء إذن هو الجوهر الأول الذى صدرت عنه جميع الكائنات ، يتكاثف حينا فيكون هذا الشيء ، ويتخلخل حينا فيكون شيئا آخر .

فأنت ترى من هذا أن الفلسفة فى أول صورها كانت لا تعدو فى بحثها ظواهر الأشياء وأجسامها المادية ، وكيف تريدها على أن تجاوز الظواهر المادية وهى لم تعترف بما وراء المادة من حياة وفكر ؟ فالحياة عندها أنفاس مادية لا أكثر ولا أقل .

وكان طبيعيا ألا يجمد العقل عند هذه المرحلة من التفكير والنظر ، لجاوزها فى البحث عن جوهر الوجود وكنهه ، لا يأبه كثيرا بالصور المادية التى يتخذها ذلك الجوهر لبوسا مختلفة يظهر فيها للحواس وبعبارة أخرى فقد خلفت الفلسفة وراءها مرحلة طبيعية ، لم تكن تنشد فيها الا مادة ولم تعترف لغير المادة بوجود . واستقبلت مرحلة ميتافيزيقية ، تعترف فيها بوجود شيء وراء المادة يدرك بالفكر المجرد دون الحواس . وإن كانت الشقة بعيدة بين هذين النقيضين — بين تلك الفلسفة الطبيعية وهذه الفلسفة الميتافيزيقية — الا أن هذه قد اعتمدت على أساس تلك ، لأنه اذا كان الخلاف بين الاشياء ، هو فرق ما بين التكاثف والتخلخل ، اذن فلا يفضل مخلوق مخلوقا آخر الا من حيث الكمية المادية فحسب ، وبعبارة ثانية ، فالذى يفرق بين الكائنات اختلاف الحجم ، أى فى العدد ، وإذن فكنه الوجود وحقيقته هو الاعداد ، فالكون سلسلة من أعداد تجتمع حينا وتتفرق حينا . ومن هنا نشأت المدرسة الرياضية الجديدة التى كان زعيمها فيثاغورس ، فقد ذهبت طائفة الفيثاغوريين الى اعتبار الأعداد جوهر الكون وأساسه . ومن الواحد خرجت جميع الاعداد ، وان تكن مختلفة متباينة ، الا أنها لاشك تنطوى جميعا تحت ذلك الفرد . وقد يستوقفك هذا التباين بين الاشياء ، فتسأل كيف يمكن ان تجتمع هذه النقائض كلها تحت أصل واحد ، وأن يكون هذا الاصل هو الواحد الرياضى . كيف يكون هنا الحيوان وذلك الماء ، وهذه الشمس وما الى ذلك أشباها تلتقى عند جوهر واحد ؟ ولكن هذا الشتيت المتضارب فى الظاهر انما هو اجزاء هذه الوحدة التى احدثك عنها ، أو يحدثك عنها الفيثاغوريون ، كما يكون أصبعك وعينك وشعر رأسك وسائر أجزاء بدنك — وهى متنافرة الصورة لا يشبه بعضها بعضا — وحدة لاشك فى تماسكها واتحاد أجزائها ، وتكون فى النهاية واحدا ...

وأحب أن أضع أصبعك على هذا الضرب الجديد من التفكير الفلسفى ، لتدرك تطور الفكر مرحلة بعد مرحلة . فالفيثاغوريون لم يعودوا يفكرون فى أجسام مادية ، هم لا ينشدون مادة الاشياء الاولية ، كما فعل طاليس وانكسمندر وانكسمنيس ، ولكنهم كما ترى يضربون فى الاعماق ويجاوزون هذا الغشاء المادى ليصلوا بتفكيرهم الى جوهر الكون .

ولكن مذهب الفيثاغوريين بدوره لم يسلم من النقد ، فهو يبالغ في الاكبار من شأن الواحد ، ويصر على ان تكون الاعداد جميعا — أي الأشياء — أجزاء من ذلك الواحد يحتويها ويشملها كما يحتوى الكل أجزاءه ، ولكن إذا كان الفرق بين الاصل وما يتفرع عنه فرقا عدديا فقط ، فبدهى أن يكون الاصل وفرعه في منزلة كيفية واحدة ، ولا يكون أمامنا مبرر لتفضيل هذا على ذاك الا بالفرق في الحكم ، أعنى أنه يجب أن يكون التعدد أصلا وجوهرا تفرع عنه الواحد . إذن لابد للعقل أن يتناول هذا المذهب بالتهذيب والتعديل حتى يتخلص مما يشوبه من تناقض .

نهض اكزنوفنس بشيء من هذا التهذيب المنشود ، فليس واحد الفيثاغوريين عنده واحدا حسابيا ، بل هو الكون بأسره ، هو الله الذى لا يعتريه تغير ولا تبديل ولا فناء ، هذا الكون بل هذا الاله لا يتعدد ، وهو لا يصلك عن طريق الحواس ، فلا تراه عيناك ، ولا تسمعه أذناك ، انما هو حقيقة مجردة تصل اليك عن طريق الفكر المحض .

ثم تبعه بار منيــــدس فسار في طريق سلفه اكزنوفنس ، وجاوز حده ، فلم يكتف بأن يكون هذا الواحد المجرد – أى الله – مصدراً لجميع الكائنات ، بل لم يعترف لهذه الكائنات نفسها بوجود الموجود ، في الوجود شيء واحد : هو الله ، فليس ثمت مصدر وصادر ، ليس ثمت خالق ومخلوق ، انما الجميع شيء واحد ، هو الله هذا الكائن المطلق ، هو وحده الحقيقة ولا حقيقة سواه ، فكل ما ليس إلهاً لا حقيقة له في الوجود . وبدهى أنه لا يتعدد ولا تحده حدود من مكان ، ولا يمكن أن يكون خارج نطاقه عقل مفكر بحيث يتخذ من هذا الكائن موضوعا للتفكير . ومعنى هذا أنه ينكر على الانسان أن يظن نفسه حقيقــــة موجودة مفكرة ، كلا ، بل هناك شيء واحد يفكر ويكون موضوعا للتفكير في وقت معا . فهو لانهائى ، ولهذا لا يجوز عقلا أن يكون هناك من الفراغ ما يشغله شيء آخر أو إله آخر . وهكذا كانت فلسفة بارمنيدس هذه ضربة قاتلة قضت على الآلهة المتعددة التى كان يعبدها معاصروه

لا حقيقة اذن لهذه الاشياء المتباينة التى يخيل الينا أنها تملأ الكون ، ليس ثمت انسان ولا حيوان ولا نبات ولا أرض ولا سماء ، كل هذه أوهام خلقتها الحواس خلقا من عدم ، وأنشأتها انشاء باطلا لا يرتكز على صورة خارجية ، وهو لا يعلل لنا هذا الخداع الحسى الذى يصيب أفراد البشر جميعا ، ولكنه يأسف لهذا النقص الذى يصور لنا الباطل حقا

وقد أيد هذا المذهب بعد بارمنيدس فيلسوفان ، لم ينتجا جديدا ، ولكنهما اكتفيا بالدفاع والتأييد ، وهما مليسس ، وزينو ، ولكن العقل الذى لايقنع بقليل ولا كثير ، أبى هذه المرة أيضا أن يستكين لهذا الرأى زمنا طويلا ، اذ بدا له في منطقة الضعف والتناقض

لقد علمت الآن أن الفلسفة قد اعترفت بوجود واحد ، وكل ما عداه وهم باطل اختلقته الحواس اختلاقا . وليت الدفعة قد وقفت عند هذا الحد ، بل جاء هرقليطس ، فسار في هذا الاتجاه شوطا بعيدا ، فأنكر وجود حتى هذا الموجود الواحد ! وله في هذا الانكار منطق ، الا يكن مقنعا ، فهو لا يخلو من طرف كثير قال إن هذا الكون وما يشتمل عليه من كائنات ، في حركة متصلة دائمة ، لا تنقطع ولا يصيبها الجمود لحظة واحدة ، هو كسيل يهوى من قمة الجبل الى هاوية السفح ، كله تغير وحركة وانتقال ، فكلما فتحت ناظريك على هذا المجرى رأيت صورة لم ترها من قبل ولن تراها بعد ، لان الماء لا ينتظرك حتى ترسل اليه البصر مرة ثانية ، واذن ففى كل لحظة ينشأ مجرى جديد . ولعلك تدرك خطورة هذا الرأى ، فلو صح لذهب علمى وعلمك هباء منثورا . ان كل ما نعلم خيال منحول ووهم ملفق ، لأنه اذا كان العالم الخارجى لا يستقر على حال ثابتة ، فكيف تستطيع أن تصدر على شيء منه حكما من الأحكام ، انك ان علمت شيئا عن الكون فما ذاك الا في لحظة بعينها ، ولا يجوز أن يكون ذلك العلم صحيحا على الكون في كل آن . فان الكون سينقلب كونا آخر قبل أن ينطلق لسانك بالحكم ، كلا ، بل قبل أن تدور في رأسك الخلجة الفكرية . انك ترى ملايين الاكوان المتعاقبة ، كون يجيء في أثر كون ، وإذن فمن الشطط أن تقرر حكما عن شيء من الاشياء لأنه لا يستقر على صفة ولا ولا يبقى على حال . الامر في ذلك كفلم سينمائى تمر صوره مرا سريعا متداركا ، فلا تلبث أن تقول إنى أرى الآن صورة كذا حتى تفر مسرعة لتخلى المكان لما بعدها ، وإذن فليس في الوجود موجود ثابت كما زعم الفلاسفة من قبل

هنا نشأت طائفة جديدة — أعني جماعة الذريين — وجاهروا برأى جديد يلائم هذا المرتب الذى خلقه هرقليطس ، هم يقررون معه أن ليس هناك موجود ثابت اذا نظرنا الى الكون من وجهة الشكل والصورة ، ولكن الثبات والخلود فى كمية المادة التى ينض بها الكون ، فثمت عدد لا يحده الحصر من العوالم ، تتكون جميعها من ذرات متشابهة ، ولكنها تكون بعد تركيبها كائنات متباينة ، كما تتألف الكتب المختلفة من حروف هجائية بعينها ، ومع ذلك فليست هى بالمتشابهة . هذه الذرات لا تفتأ تجتمع فتكون هذا الجسم أو ذاك ، ثم تنحل وتأتلف فى أسلوب جديد فتحدث كائنا جديدا على هذا الاساس يمكنك أن تدرك معنى التغير والحدوث فى الصورة والثبات والخلود فى المادة . وبناء على هذا يكون كل شىء فى الوجود مؤلفا من ذرات مادية ، حتى الروح الذى يدب فى الأحياء . فهو عندهم مكون من ذرات دقيقة غاية الدقة ، مستديرة أو قريبة من المستديرة . وليست عمليـــة التنفس الا اكتسابا لذرات جديدة من نوعها تسبح فى الفضاء . ولما كانت هذه الذرات مبثة فى أنحاء الكون ، فليس من شك فى أن الحياة تدب فى الكائنات جميعا

بدأت الفلسفة إذن بالبحث عن المادة الأولى التى تتألف منها الأشياء جميعا ، ثم أدركت أن للوجود جوهراً وراء المادة ، فالتمسه الفيثاغوريون فى الواحد الحسابى ، ثم التمسه من جاء بعد الفيثاغوريين من فلاسفة أيونيا (جنوبى ايطاليا) فى الإله الذى خلق الكائنات ، ثم انكرت الكائنات وبقى الله وحده موجوداً لا وجود لسواه ، ثم حام الشك حول ثبات الكون على صورة واحدة ، وأخيرا قرر الذريون أن الكون متغير فى صورته ، خالد فى مادته . . .

تطور سريع فى الفكر كما ترى ، أسلم العقل الى حال من الارتياب والشك ، أرجو أن أحدثك عنها فى فصل تال .

زكى نجيب محمود

معهد الطفيليات

للدكتور محمد عوض محمد

. . . سار بى (الأستاذ) سيرا حثيثا ، ليطلعنى على ما اشتملت عليه تلك الجامعة الهائلة من دور ومن فصول ، ومن مدارس ومعاهد ، فلم نزل نتنقل من بناء شامخ إلى قصر مشيد ، إلى أفنية فسيحة ، إلى مغان ذات طباق بعضها فوق بعض . . .

ثم وقف بى أمام دار فخمة ضخمة ذات صروح وأبراج ، ولها باب عظيم ذو عمد من الرخام وسلالم من المرمر الأملس . وقد انفتح المصراعان ، وبدا لنا من ورائهما دهليز كبير تحف به عمد رفيعة موشاة بالذهب والأحجار الكريمة ؛ ومن فوقها سقف مزين بأبدع النقوش وأبهى الألوان

فقال صاحبى : « الآن أريك أجل شىء فى هذه الجامعة الجليلة ، إن هذا البناء العظيم الذى تراه أمامك هو « معهد الطفيليات » . قد عنيت الجامعة بتشييده وإعداده ، ولم تأل جهداً ولا مالا فى زخرفه وتأثيثه ، ليكون منه مرتع خصيب للطفيليات : تمرح فيه ماشاء لها المرح ، وتنعم فيه بكل ما تشتهيه نفوسها التى لا يرضيها القليل ، ولا تقنع إلا بالغالى النفيس .

« وسأمضى بك الآن إلى المتحف العظيم ، الذى حشدنا فيه ما استطعنا حشده من طفيليات هذه الأرض ؛ وما أحسب أن لجامعة من الجامعات متحفاً كهذا المتحف ، شاملا لما اشتمل عليه من طفيليات عزيزة نادرة به ، حقيقة أننا لم نستطع أن نجمع هنا كل ما فى الارض من هذه الكائنات ! ان هذا مرام بعيد . ومن ذا الذى يستطيع للطفيليات عدا . فضلا عن جمعها . وإيوائها ، وتربيتها ، وتغذيتها ، وتأديبها ؟ لكننا نستطيع أن نفتخر — بحمد الله — أن ليس فى القارات كلها جامعة بها من الطفيليات ما بجامعتنا هذه

« فلنمش الآن بين هذه الصناديق الزجاجية . ولكن سيرنا غاية فى الهدوء والتؤدة . فإن هذه الطفيليات رقيقة المزاج جدا . فلا تكاد خطرات النسيم تجرح خديها فحسب ؛ بل تقتلها قتلا . وهى علينا جد عزيزة . ويجب أن نحرص عليها غاية الحرص ، إمش إذن برفق لكيلا يسمع لنعليك صوت ، ولكيلا ترتج لوقع أقدامنا هذه

المنازل البديعة التي آوت اليها الطفيليات .

« والآن فلأشرح ما أغلق عليك من أمر هذه الكائنات ! إنك ياصديقي من الأدباء . ولديكم في الأدب طائفة أظنك تعلم من أمرها ما أعلم — من كل كويتب أو شويعر . عاجز كل العجز عن أن يخرج من صدره أو قلبه أو رأسه رأياً أو خاطرة أو فكرة . يفتش في نفسه فيلقيها خلاء بلقعاً قفراً . فيعمد الى دواوين القدماء وكتبهم ، يستخرج منها القصيدة أو الرسالة ، ولا يزال بها يمحو كلها ويقلدها ، ويحذف لفظاً ويضيف لفظاً ، حتى يتم له مسخها وتشويهها ثم يلصق في آخرها اسمه الكريم فاذا به قد أصبح ذا شأن وخطر ، واذا النوادي تتحدث بأمره ، والصحف تنوه باسمه ، والمحافل تتلقاه بالاكرام والترحيب ، واذا صورته الفخمة تطالعك من صدر كل صحيفة سيارة وغير سيارة لتنبئك ، وتنبىء الجاهلين أن قد نبغ في هذا الزمان الأخير أديب خطير ، وشاعر كبير !

« ونحن يا صديقي في عصر قد علا فيه كعب هؤلاء وعظمت دولتهم ، وقويت شوكتهم . ولا تحسب أنهم وقف عليكم أهل مصر بل ان لدينا منهم في مملكتنا هذه خلقاً كثيراً . وفي وسعك أن تقسمهم الى قسمين عظيمين : الأول طائفة الطفيليات القومية أو الوطنية وهم الذين يعيشون متطفلين على قومهم العرب مثلا وأمتهم العربية . غذاؤهم وحياتهم مما يمتصونه أو يبلعونه أو يمسخونه من شعر القدماء ورسائلهم . ناهيك أن في أدبكم العربي أسفارا لا تزال مودعة في خزائن مظلمة في دور الكتب ؛ مخطوطة لا يصل اليها الا الباحث الجليد . . . وما أولع الطفيليين بالبحث والتنقيب ، وما أشد صبرهم وجلدهم ! فهم يجدون في هذه الأسفار المنسية ضالتهم ، ويصيبون منها الغذاء الذي يكسبهم الشهرة والعظمة . ومنهم من لا يكلف نفسه عناء البحث في خزائن الكتب ، بل يعمد الى الشائع المتداول من كتب القدماء والمحدثين ، فلا يزال بها يحولها ويحورها ، ويربعها ويدورها ، حتى يرى فيها الطغام شيئاً مخترعاً ، وأدباً مبتدعاً . . . ولعل هذا الطراز أبرع من الأول وأقدر ، لانه يعتمد على مقدرته الهائلة في المسخ والتشويه ، بينما الأول يعتمد — قبل كل شيء — على بحثه وتنقيبه عن المجهول من الكتب ، والخفي المستور من كنوز الادب .

« تلك إذن طائفة الطفيليات القومية تعتمد كما ترى على تراث قومها . أما الطائفة الثانية فهي جماعة الطفيليات الغربية ؛ نعتها بهذا الاسم لا لأنها جاءت من الغرب . بل لأنها تتغذى من الثمار الغربية ، وتعيش على أجساد الكتاب من أهل الغرب والكاتبات ، الأحياء منهم والأموات .

« وهذه الطائفة قد استفحل أمرها ، واشتد مراسها ، منذ انتشر في بلادكم تعليم اللغات الغربية ، فوجدت أمامها أودية خصبة ومروجاً ممرعة ، لا يكاد الطرف أن يدرك مداها . فأقبلت عليها في شره لا يعرف شبعاً ، ونهم لا يعرف حداً . إذ رأت أن المجد الأدبي قد دنت قطوفه ، وسهل تناوله . . . فجعلت تجني من ثمار الغرب ما شاءت وشاء لها الجشع ؛ ثم مسخته قليلا أو كثيرا ، ثم جلته للعيون الشرقية ، على انه من ثمارها ومن نتاج روحها . فأكبر الناس تلك الثمار ، وسبحوا بحمد تلك الطائفة . ورفعوها على الاعناق ، وبوءوها مقاعد السيادة في الآداب أو في العلوم . . . »

عند ذلك قاطعت الأستاذ ، وقد تملكني الضجر ، وقلت :

« أعن هؤلاء تريد أن تحدثني ؟ وهل هؤلاء هم الذين أودعتموهم في معهدكم هذا ؟ اللهم إني لفي غنى عن رؤية أمثال هؤلاء ، وما جئت سائحاً في بلادكم العظيمة ، لكي تطلعني على تلك المناظر التي طالما أقذت عيني وأحرجت صدري ! »

قال : « لا تخف ! فهيهات أن نجد مكانا في معهدنا هذا — على ضخامته وسعته لكل تلك الطوائف ! كلا ياصديقي ! وما ذكرت لك أمر هؤلاء الا لانك ممن يعنون بالأدب . ولأني أريد أن تفهم عني أمر الطفيليات التي حشدناها هنا ! فأردت تقريب الأمر الى ذهنك متنقلا بك مما تعرف إلى ما لا تعرف !

« وخلاصة الحديث ياصديقي ، ان الطفيليات هذه هي كائنات — أجل وإني لمضطر لأن أدعوها كائنات — لا تستطيع أن تحيا وان تعيش من نفسها ومن جهودها ، بل لابد لها من كائن آخر ، تستمد حياتها من حياته ، وكثيرا ما تكون حياتها سببا في فنائه . وهي على كل حال لابد لها من أن تضعف الجسم الذي يمدها بالحياة حتى توردها موارد الدمار . . . »

« هذه الكائنات لا تكد ولا تكدح في طلب الرزق ، بل تدع السعي والطلب إلى غيرها ، وليس لها أسنان تمضغ ، أو معدة تهضم ، أو أجهزة تحيل الطعام الخشن والشراب الى غذاء وحياة ، بل تبقى كامنة في الاجسام الحية ، ثم تنتظر حتى تكد هذه وتعمل ، وتجمع الرزق من نواح شتى ، وحتى تتناول طعامه وتهضمه

وتمثله ، وتحيل الى تلك العناصر التى تورث فيها القوة والحياة ، عندئذ تبادر الطفيليات ، فتمتص منها الحياة والغذاء ، من غير جهد ولاعناء .. هذه الطفيليات لا تحسن عملا ، ولا تجيد صنع شيء ؛ اللهم الا شيئا واحداً ، هو : الالتهام »

« تأمل قليلا في هذا الكائن البديع ، القرمزي اللون ! إنه لايعيش إلا فى الشرايين ، لايحلو له أن يتناول إلا الدم الطاهر الزكى يستقيه سائغا شهيا حين يقذفه القلب الى كل شريان .. وهذه صورة رجل قد حلت بجسده هذه الكائنات ! ان وجهه الشاحب قد علته صفرة الموت . وعينيه الغائرتين لاتجدان بغايتهما من الدم المغذي . وعلى عظامه النائتة جلد رقيق ، يوشك أن يكون شفافا .. إن حياة مثل هذا لن تطول . فان هذا الضرب من الطفيليات من أقتلها وأفتكها بمن يعيش فى جسده

* * *

« انتقل بنا الآن إلى هذا الكائن الأبيض المنتفخ ! إن خطبه أيسر من خطب الاول . ودأبه أن يعيش وسط الدسم والشحم . فهو لايسكن من الجسم الا حيث الدهن متراكم متكدس . فاذا رأيت من بني آدم من أضخمته النعمة ، وأشحمه الغنى ، فأن هذا الشقى لن يلبث طويلا حتى تتألب عليه هذه الكائنات الشرهة ، ترتع فى نعمته ، وتمرح فى شحمه ودهنه ، وما تزال مكبة عليه تمتص منه وتلتهم ، حتى تذره نحيلا هزيلا . قد وهى عظمه ، ورق جسمه حتى لم تبق منه الا بقية ضئيلة ، لاتلبث أن تذهب ، فيهلك الجسم وتهلك معه تلك الطفيليات .

وأظنك تشاطرني الرأي إن ليس بمستغرب ان تتجمع الطفيليات على مثل هذا المخلوق السمين ، حيث المرعى الخصيب ، والخير الوفير ، والنعمة السابغة ...

ولكن مابال هذه الطائفة — التى تراها عن يمينك — قد تألبت على غير ذي دسم ، وتجمعت على غير ذى نعمة ، ولايحلو لها ان تمتص الحياة والرخاء الا من كل بائس شقى ، قد عضه الفقر من جانب . والجوع من جانب ، ممن يقضى حياته فى كد وكدح ، من أجل اليسير من الزاد ، والزهيد من القوت ، لا يكاد يصل اليه إلا باهراق عرق الجبين ، وبذل الجهد الجهيد ، وايراد الروح موارد العذاب : ثم يغدو المسكين وإذا قوته ودمه يذهبان غذاء سائغا شهيا لهذه الطوائف النهمة من الديدان الملتوية !

« ومن عجب أن ليس فى الطفيليات كلها ما هو أشد نهما وأكثر شراهة من هذه الكائنات ؛ التى تعيش وسط الفقر المدقع ، فتراها غنية وسط الفاقة ، سعيدة وسط الشقاء . مدلة بنفسها عزا وكبرا برغم مايحيط بها من الذل والضعة ، وهى الى هذا كله قصيرة النظر ، لاتكاد ان ترى شيئا ، لأنها لو استطاعت ان تبصر لعلمت ان ليس فى عيشها ذاك مايبعث الكبر والغرور ، ولأدركت حقارة شأنها بين الكائنات .

* * *

والآن أنتقل بك الى هذه المجموعة الغريبة : إنها ستبدو لك لأول نظرة كأنها ديدان لما بها من الالتواء والانحناء ؛ لكنها فى الحق ليست بديدان ، بل حشرات طفيلية جميلة الصورة ، حسنة الهندام ؛ أما هذا الالتواء والانحناء ، فراجع الى طبع غريب مغروس فى نفوسها ، ذلك أنها مولعة أبدا بالركوع حينا والسجود حينا : مغرمة بتمريغ الجبين فى مواطىء النعال . فهى تبدى للجسم الذي تمتص خيره وبره عبودية وخضوعا . وتتملقه تملقا بديعا . وما تنفك تهتف باسمه . وتسبح بحمده : ولا يحلو لها الزاد الذى تمتصه وتتغذى منه ، ما لم يصحبه كل هذا الركوع والسجود ، والملق والخنوع .. وهذه الحشرات لا تعيش إلا فى الجسم القوى ذى البأس الشديد ، والعزة والجبروت . ولقد يحلو لهذا الجسم أن يؤدى هذه الحشرات ، وأن تمتص من خيره ومن رحيقه ، لأنه يعجبه منها هذا الخضوع الظريف ، وهذا الملق الساحر . وهذا الركوع الدائم والسجود . ولا يرى على نفسه بعد ذلك بأسا فى أن تأكل هذه الحشرات من مخه ومن دمه ، ومن لحمه ومن عظمه . لأنه قوي مدل بقوته ، بئيس مفاخر بأسه ، يظن أن كنوز قوته لن تنفد مهما كبر ذلك الجيش الجرار من الحشرات . فتراه يستكثر منها ويستزيد ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

« ومن عجب أن هذه الحشرات قد تحل بها حشرات أخرى أحقر منها ، لكي تعبدها وتتزلف اليها ، وتمتص خيرها ؛ وهذه أيضا على حقارتها تنمو حولها طائفة أخرى أحقر منها ؛ وهلم جرا ، ولن تستطيع أن ترى هذا كله بالعين العادية ، بل لا بد لك من التحديق فى المجهر : أنظر ها هنا ! وأمعن فى التحديق حتى تعتاد عينك رؤية هذا العالم الطفيلي المدهش ! أرأيت كيف تتابعت هذه الكائنات تتابعا مطردا : من الكائن الاكبر إلى الأصغر فالأصغر

حتى تبلغ إلى الحقير التافه الذى لا نكاد نراه حتى بالمجهر!

« وبرغم ما تراه فى هـذا الجيش العرمرم من مظاهر القوة والنشاط ، والحركة الدائمة ، فان هذا مظهر خداع . ولا بد أن يدركه الفناء فى لمحة الطرف . ولا بد للمسكين من يوم تدول فيه دولته وتذهب ريحه ، وينظر فاذا قوته قد فنيت وبأسه قد زال واذا هو صريع وسط تلك الجيوش الجرارة من الطفيليات التى أفنته وأفناها ، وأهلكته وأهلكها . »

٭٭٭

والتفت (الاستاذ) إلى ، فرأى الدم يتصاعد الى وجهى ، فقال : « أحسبك قد نال منك التعب ، ولا جرم فأن عالم الطفيليات عالم عظيم جسيم . ولكن لن تبرح حتى ترى هذه الحشرات السوداء التى لا تعيش الا على جثث الموتى . وتخشى الأحياء وترهبهم . ألا تراها تذكرك بأصحابك الذين يغيرون على شعر القدماء ، وأدب القدماء . ولا حياة لامثال هؤلاء الا بما يدره أولئك الموتى !

والآن تأمل هـذه الكائنات الدميمة التى تراها عن يسارك ! وقل لي هل رأيت فى حياتك أشد منها دمامة ، وأقبح منها منظرا ؟ وهي مع ذلك لا تعيش إلا حيث يوجد الحسن والبهاء ! ولا تحيا إلا على كل من رزق الوسامة والقسامة ، وضرب فى الجمال بسهم ، وحيثما رأيت الشباب الغض والحسن الباهر ترى هـذه الكائنات الدنسة . قد تراكمت من حوله وتألبت عليه . . . لكن أراك قد تصاعد الدم الى وجهك ، واحمرت عيناك ، وانتفخت أوداجك ، فهل تحس ألما أو دوارا ، أو ترانى قد أتعبتك بكل هذا الشرح الطويل ؟ »

قلت : « ليس ما أحسه الآن تعبا أو ألما ، ولكنه الغيظ قد استولى على وأخذ يحرق صدرى ، ويوقد النار فى دمى ، ويودى لو تناولت عالمك هذا كله بالتحطيم والتدمير ، فلا أدع فيه دودة ولا حشرة ، قائمة أو قاعدة ، راكعة أو ساجدة ! »

قال : « من حسن الحظ أنا تركنا عصينا بالباب ، فهلم بنا لنخرج من هنا ، قبل أن يذهب بك الجهل مذاهب الطيش والنزق فان هذه الطفيليات أعز على الدهر من أن نعرضها لسخط الحمقى ، الذين لا يعرفون مالها من المنزلة الفريدة والمكانة العزيزة فى نظام هذا الكون الأبدى . »

ثم انطلقنا ، وصاحبي يبتسم ، وأنا أكاد أتميز من الغيظ .

محمد عوض محمد

التعاون فى التأمين على الحياة

يعمل الرجل وهو فى مقتبل الشباب ممتلئاً صحة وقوة ، ويخيل اليه ان الدهر سيظل له على الدوام مسالما ، فيسرف فى انفاق كسبه غافلا عما يكنه المستقبل فى طياته من المفاجآت . فاذا لم يعترضه مرض او حادث يعجزه عن العمل والكسب ، فأنه قلما يسلم من الخضوع لسلطان الطبيعة البشرية وسحرها ، تجتذب حواسه وتأسر لبه حتى تسوقه طوعاً الى شريكة فى الحياة ؛ يرزقه الله منها الأبناء ، فيشعر فى اعماق قلبه بذلك الشعور الذى لا يدرك كنهه سوى الزوج المخلص والوالد الرحيم ، وهذا الشعور ينطوى على رغبة صادقة فى ان يهيء لهم اسباب السعادة فى ظل حياته ؛ ويعد الوسائل التى تسهل لهم سبل العيش بعد مماته .

ولا تقف مسئولية الرجل العائلية عند حد الزوج والابناء ، بل قد تتناول ابويه والقاصرين من أخوته المحتاجين لمساعدته . فأن حق عليه ان يكفل زوجه وابناءه بعين رعايته ، فان من واجبه الشرعى والاجتماعى ان يشمل أبويه بعطفه وحنانه . فان فعل فانما يسدد دينا عليه . فقد ضحيا من أجله راحتيهما ومالهما فى سبيل تربيته وتعليمه حتى بلغا به طريق الرزق — وقد يكونان ذهبا فى التضحية الى حد نفاد مواردهما — فحق لهما ان يجنيا ثمار تضحيتهما بمساعدته لهما فى شيخوختهما .

وخلاصة القول ان الرجل فى هذه الحياة مسئول عن سعادة أبويه وأخوته ، كما انه مسئول عن هناء زوجه وابنائه . فأن كانت عائلته تعيش من كده وجهاده ، فهو بمثابة رأس مال لها . يقف رأس المال العائلى هذا عن الانتاج اذا انتاب الرجل العامل المرض او اعترضه العطل ، ويفقد مقدرته الانتاجية اذا أقعده العجز أو الشيخوخة عن العمل ، ويفنى اذا وافاه الاجل ؛ فالرجل المتزن العاقل هو الذى يتبصر فى عواقب الامور ، ويتسلح للطوارىء ، فيعمل عـلى تهيئة أسباب السعادة لعائلته فى مختلف أطوار الحياة ، بأن يستجمع فى شبابه من المال ما ينعم به فى شيخوخته ، وما يتركه لذويه يستعينون به على صروف الدهر بعـد وفاته . وقد يبتدىء فعلا بتدبير المال عن طريق الادخار . فأن عاجلته المنية قبل أن يكون لعائلته المال الذى يعيشون منه فانه يتركهم عرضة للتسول

وقد يدفعهم الاملاق الى اقتراف الرذائل وارتكاب الجرائم .

تلك هي النتائج الاجتماعية التي يجب أن يتوقعها الرجل الذى يعيش من كسبه ، ولا يدخر لشيخوخته ولأهله من بعده ما يقيهم شر الحاجة وذل السؤال . ومما يؤسف عليه أن أولئك الذين تلهيهم سعة الحاضر عن مفاجآت المستقبل كثيرون فى بلادنا ، وضحاياهم عديدون ، نصادفهم كل يوم فلا يثيرون فى نفوسنا غير الاشفاق والرثاء .

قال المرحوم احمد بك لطفى أحد أبطال التعاون ، هل فى مقدور الجمعيات الخيرية مساعدة كل هؤلاء ، والعناية بتربية أولادهم والصرف على بيوتهم ؟ وهل يمكن أن يعيشوا من مد يدهم للناس واراقة ماء وجوههم للغير ؟ ليست هذه الاحوال خاصة بمصر ، فانها وجدت خلال القرون الاخيرة فى غيرها من البلاد الغربية ، ولم ينجح فيها استعمال الاحسان والصدقة ، ذلك لأن الاحسان وإن كان من الفروض الدينية ، الا أنه بحسب القوانين الوضعية ليس الزاميا ، بل هو متروك لمروءة الانسان ، فلا عطاء بغير مقابل ، ولا وسيلة لارغام الناس على القيام به . لذلك لجأ الناس هناك لنوع من الاحسان يتحقق فيه الالزام باجلى معانيه ، وهو تبادل الاحسان بين الفرد والجماعة بنظام مخصوص يجعله محققا ، ويسهل تنفيذه بغير اثقال على النفس ولا تضحية كبيرة . وهذا العلاج هو ما يسمى بالتعاون .

يقوم التعاون على مبدأ تبادل المنفعة بين الفرد والجماعة . فاذا ما اتحد عدد كبير من أرباب الاسر الذين يعيشون من كسبهم على تأليف جمعية تعاونية على أساس أن يؤدى كل واحد من كسبه اشتراكا دوريا لصندوق الجمعية ، وأن يستثمر جزء كبير من الاموال المتجمعة فى أوراق مالية أو عقار على أن يصرف للعضو عند مرضه أو عطله ما يعالج به نفسه ويقوم أوده مدة عطلته من العمل ، ويصرف لورثة من يتوفاه الله منهم مال أو معاش يستعينون به على الحياة ، واذا أقعدته الشيخوخة يصرف له مبلغ معلوم من المال أو يخصص له مدى الحياة معاش ، أمكن تبادل المساعدة والمنفعة بغير اضرار بالفرد ولا بالجماعة .

*
* *

ولتثبيت نظرية التعاون فى الاذهان نضرب المثل الآتى :

اتفق جماعة من الافراد عددهم خمسمائة من أعمار مختلفة تتراوح بين الثلاثين والخمسين سنة على تشكيل جمعية تعاونية ، على أساس أن تدفع الجمعية خمسمائة جنيه لورثة العضو منهم اذا توفى قبل بلوغه سن الستين أو عند بلوغه هذه السن اذا ظل حيا ، مقابل أن يؤدى العضو للجمعية اشتراكا شهريا يختلف باختلاف سنه عند التعاقد ، وينقطع دفع الاشتراك بالوفاة أو عند بلوغ سن الستين . ولكى يتيسر للجمعية القيام بتعهداتها يجب أن تكون الاشتراكات التى يدفعها الاعضاء مبنية على أساس علمى يراعى فيه احتمال الوفاة واحتمال بلوغ السن المعينة ، وعلى هذا الاساس يصح أن تكون الاشتراكات على النحو الآتى :

السن عند التعاقد	الاشتراك الشهرى الذى يدفعه العضو بالقروش
٣٠	١١٢
٣١	١١٦
٣٢	١٢١
٣٣	١٢٧
٣٤	١٣٣
٣٥	١٣٩
٣٦	١٤٦
٣٧	١٥٣
٣٨	١٦٢
٣٩	١٧٠
٤٠	١٨٠
٤١	١٩١
٤٢	٢٠٣
٤٣	٢١٧
٤٤	٢٣٢
٤٥	٢٥٠
٤٦	٢٦٩
٤٧	٢٩٢
٤٨	٣١٩
٤٩	٢٥٠
٥٠	٢٨٧

ويجب ان يكشف طبيا على كل من يريد الالتحاق بالجمعية على الا يقبل غير الاصحاء لكى لا تتعرض الجمعية لخطر عاجل قبل تكوين اموال كافية لمواجهة الطوارئ ، فان متوسط معدل الوفيات بين فئات السن من ٣٠ الى ٥٠ هو ٦٠ فى المائة ، او بمعنى

آخر ان عدد الوفيات التى يحتمل حصولها خلال السنة الاولى بين افراد الجماعة المذكورة المكونة من خمسمائة عضو هو ثلاثة . فعلى اساس هذا الحساب يمكننا ان نقدر التعويضات التى يحتمل دفعها فى السنة الأولى بمبلغ ١٥٠٠ جنيه ، على اعتبار أن المبلغ الذى يدفع لورثة العضو المتوفى هو خمسمائة جنيه

ويجب ان الجمعية لا تحتفظ فى صندوقها او فى البنك الذى تعامله مما تحصله من الاقساط فى اول كل شهر الا بقدر ما يلزم لتغطية المصروفات ومواجهة التعويضات المحتمل دفعها خلال الشهر ، بل تقتنى به أوراقا مالية سهلة التداول ، فأن المبلغ الذى يحتمل تحصيله فى السنة الاولى من الاقساط وفوائد استثمارها ، يقرب من ٨٥٠٠ جنيه . وقد خرجنا بهذه النتيجة على اساس حساب الاحتمال ، بعد ان استبعدنا طبعا الاقساط التى حرمت منها الجمعية من المتوفين اثناء المدة التى تجرى بين الوفاة وآخر السنة ، وكذلك فائدة الاستثمار التى كانت تعود على الجمعية لولا دفع التعويضات والمصاريف الادارية اثناء السنة ..

اما النفقات الإدارية ، فأن جمعية تعاونية مكونة من خمسمائة عضو كالتى ذكرت ، لا تحتاج لمسك دفاترها (بطريقة القيش) والقيام بالاعمال الكتابية الى أكثر من كاتب واحد يمكن ان يتقاضى مرتبا سنويا ١٢٠ جنيها ، اضف الى ذلك قيمة مطبوعات ونفقات نثرية ٨٠ جنيها ، فيكون المجموع ٢٠٠ جنيه بالقياس الى نفقات جمعية تعاون موظفى البريد التى تضم نحو ٤٣٠٠ عضو مع خفظ الفارق .

اردنا مما تقدم ان نثبت فى ايجاز ان دخل الجمعية من اقساط وفوائد استثمار لا يفى بدفع تعويضات الوفيات وتغطية المصروفات فحسب ، بل يترك فائضا . ولا غرو فأن مبلغ الدخل فى السنة الأولى هو ٨٥٠٠ جنيه ، فى حين أن التعويضات هى ١٥٠٠ جنيه ، والمصروفات الادارية ٢٠٠ جنيه ، فيكون الفائض ٦٨٠٠ جنيه ، يحول جزء منها الى الاحتياطيات التى يجب تكوينها لاستخدامها فيما بعد فى سداد التعويضات التى تستحق الدفع عند حلول أجل النقود للباقين أحياء ، وما بقى من الفائض فى نهاية كل سنة بعد تغذية الاحتياطيات يصح توزيعه على الاعضاء ويقال له «العائد» ، الا أن أكثر الجمعيات لا توزعه على الاعضاء الا مرة كل خمس سنوات مضافة اليه فوائد استثماره ؛

أما فى حالة الوفاة فانها تصرف لورثة المتوفى زيادة على المبلغ المؤمن به ، حصته فى العائد المتكون لحسابه حتى نهاية السنة السالفة للوفاة .

وكلما تيسر للجمعية استثمار أموالها بفائدة كبيرة ، كبرت حصة العضو فى العائد . وإن السوق المصرية لهى من أخصب الميادين لتوظيف الاموال ، ولا جرم فأنه يوجد ٥٢ قرطاسا ، أى ما يزيد على ثلث عدد القراطيس المتداولة فى بورصتى القاهرة والاسكندرية ، تربى غلتها على ٤ ½ ٪ على أساس الفوائد والارباح الموزعة خلال ثلاث السنوات الاخيرة ، وسعر البورصة فى نهاية كل سنة ، بعد أن أجرينا عمليات التصحيح التى تلزم فى هذا المقام .

* * *

أن ما عليه حال العمال وطبقة صغار موظفى الحكومة والبنوك والمصالح الاهلية من قلة المرتب ، يجعلهم يقاسون آلاما مبرحة اذا ما نزلت بهم نازلة من المرض ، أو الاصابة بحادث ، أو البطالة ، أو الشيخوخة ، أو الوفاة . وقد يصل بهم العسر الى عدم توافر نفقات العلاج أو ثمن الدواء أو تكاليف الدفن . فهم يستهدفون لاستشراء الأمراض لقصر ذات اليد . وقد يبلغ الاملاق بأسرهم من بعدهم حد التسول واراقة ماء الوجه . فلدرء تلك العواقب انتشرت جمعيات التعاون للتأمين على الحياة فى الامم الراقية لتخفف عن أعضائها وأسرهم ما يخبىء لهم الدهر من الويلات

فما أحوجنا الى نشر مثل هذه الجمعيات بين طبقات الموظفين والعمال وصغار التجار والزراع . ومن الميسور أن يضحى كل منا بعشرة قروش شهريا فى سبيل أن يضمن لنفسه ولعائلته الدواء ووسائل العلاج بتأسيس جمعيات تعمل على ابرام الاتفاقات ، مع طائفة من ذوى القلوب الرحيمة من الاطباء والصيادلة ومديرى المستشفيات لمعالجة الاعضاء بأتعاب معقولة ، وتقديم الدواء بأثمان معتدلة ، وقبول المرضى بالمستشفيات بأجور مخفضة ، وتقوم بدفعها الجمعيات من الاشتراكات التى تحصلها من الاعضاء .

كما انه من الميسور ان يضحى الرجل منا من مرتبه الشهرى بقيمة الاشتراك الذى سبق ان اوضحناه بالجدول على سبيل المثال ، ليضمن لاولاده وذويه مالا أو معاشا ، يقتاتون به اذا ما عاجلته المنية ، حتى ولو حصلت بعد أداء القسط الأول ، وليضمن لنفسه

معاشا ينعم به فى شيخوخته لكى لا يصبح جملة على غيره ، بعد ما كان فى شبابه عاملا مفيدا للمجتمع .

وواجب على الشباب المتعلم أن يبث الدعوة بين طبقات الموظفين والعمال وفقراء التجار والزراع لتشكيل الجمعيات التعاونية

وانى على استعداد لابداء النصح والارشاد عن طيب خاطر لكل هيئة تتألف لتأسيس جمعية للتعاون فى التأمين على الحياة ، لأنى ممن يدينون بمبدأ التعاون ، ويعتقدون صلاحية المنشآت التعاونية لانقاذ الطبقات العاملة الفقيرة من شتى المخاطر التى يستهدفون لها .

وليس بكاف أن يوجد فى مصر اربع جمعيات تعاونية للتأمين على الحياة ، تعمل كل واحدة منها فى دائرة ضيقة ، فلا تحتضن إلا عددا قليلا من الاعضاء . واقدمها جمعية تعاون موظفى البريد التى اسسها المرحوم يوسف سابا باشا فى سنة ١٨٩٣ ، ثم تبعتها جمعيتا تعاون الصيارفة والمساحين . وجمعية تعاون موظفى الصحة التى أسسها حديثا الدكتور شاهين باشا فى فبراير سنة ١٩٣٤ . ولقد أخذت الجمعيات الثلاث الاخيرة نظامها عن نظام جمعية البريد .

وليس هذا مجال نقد أنظمة تلك الجمعيات ، وإنما نكتفى بالاشارة الى انها لا تقوم على أساس علمى صحيح فى تحديد الاقساط وتوزيع المكافآت ، بل على طريقة نظرية لا تتمثل فيها العدالة بين جميع الاعضاء ، وتعرضها لخطر الافلاس ، برغم أن موازينها تبدو لغير الفنيين فى مظاهر اليسر . فإن خطر الافلاس لا يمكن أن يدرك مداه فى جمعيات التعاون فى التأمين غير الفنيين ، خصوصا وأن موازين تلك الجمعيات لا تبين القيمة الحالية لتعهداتها ازاء اعضائها .

ونأمل أن تسرع هذه الجمعيات الى اصلاح نظامها على أساس القواعد العلمية الحديثة قبل فوات الاوان .

ولا يزال المجال متسعا لمن يريد أن يسجل التاريخ اسمه بين ابطال التعاون فى مصر ، فأن من يقوم بتأسيس جمعية تعاونية فى التأمين على الحياة ، على أساس التعاليم الحديثة ، يقدم للانسانية خدمة جليلة ، ويسدى لأمته خيرا كثيرا .

طه عفيفى

عضو بعثة التأمين سابقا

٢ - بين المعرى ودانتي

بقلم الشيخ محمود النشوى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

تحدثنا فيما سبق عن رسالة ابن القارح ، وأن أسلوبها أثار فى نفس المعرى رغبة فى الضرب على غرارها ، والاتجاه مع تيارها . بيد أن المعرى أرانا أفانين من الخيال مما يحدونا أن نقول : إن رسالة ابن القارح وإن تكن أثارت لديه فكرة نقد الشعراء ، ومحاورة الرواة والأدباء . . فلا يدور بخلدنا أنها كونت فيه روحا ليست عنده ، أو ألهمته فكرة لم يكن هضمها من قبل . على أنها وإن ذكرته الحوار والنقد فان ثوب الخيال الذى ألقاه أبو العلاء على رسالة غفرانه يتسامى عن طوق ابن القارح وآلاف مثله . وما كان ابن القارح ليستطيع أن يتخيل تلك الرحلة العجيبة فى طبقات الجنان ، وبين دركات الجحيم .

ولدينا برهان قوى على أن المعرى لم يسلك سبيلا عبدها له ابن القارح ، وأن رسالته ما كانت غير سبب مباشر ، نبه من المعرى فكرة راسخة . ذلك البرهان هو رسالة الملائكة التى نرى فيها خيال المعرى يطوف بالجنة وبالنار يقرع أبوابهما ، ويمزح مع الخزنة والحراس والملائكة فى محاورة تستهوى اللب ، وتضحك أشد الناس عبوسا . إذ يحاور عزرائيل حين يزوره زورة الموت ، فيقول له : أمهلنى ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل . ولكن ملك الموت اذا جاء لا يؤخر عمله ، فيستل روحه من بين جنبيه ، ثم يقذف به الى القبر فيلقى منكرا ونكيرا . وبدلا من أن يجيب سؤالهما . يبتدرهما هو بالسؤال فيقول : كيف جاء اسماكما عربيين منصرفين وأسماء الملائكة كلها أعجمية مثل اسرافيل وجبرائيل وميكائيل ؟

فيقولان هات حجتك . وكانى بأحدهما يهوى اليه (بالارزبة) فيتملقهما قائلا . قد كان ينبغى لكما أن تعرفا وزن ميكائيل وجبرائيل على اختلاف اللغات إذ كانا أخويكما فى الله عز وجل . فلا يزيدهما ذلك إلا غيظا . . ثم يتخيل أنه تلاقى مع (مالك) خازن النيران فيحاوره لا فى العذاب ولا فى الزبانية . ولكن فى أوزان الاسماء وجموعها فيقول له : أخبرنى - رحمك الله - ما وأحد الزبانية ؟

فيعبس مالك لما يسمع ويكفهر . ثم يسائله عن (غسلين) قائلا أهو مصدر أم واحد أم جمع ؟ . ويحاوره فى (جهنم) سائلا : هل النون فى جهنم زائدة ؟ فيجيبه مالك بقوله : ما أجهلك وأقل تمييزك ؟ ما جلست هنا للتصريف ولكن جلست لعقاب الكفرة والمشركين والقانطين . ثم يذهب فى جماعة من الادباء الى رضوان خازن الجنان فيناديه بعضهم قائلا . (يارضو) بالترخيم . فيقول لهم : ما حاجتكم ؟ فيقول بعضهم : نسألك أن تكون واسطتنا لدخول الجنة فانهم لا يستغنون عن مثلنا : فقبيح بالعبد أن ينال هذه النعم وهو اذا سبح الله لحن ... ولعل فى الفردوس قوما لا يدركون أحرف (الكمثرى) أكلها أصلية أم بعضها زوائد ؟ فيبتسم رضوان ويقول : ان أهل الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون :

فانصرفوا – رحمكم الله – فقد أكثرتم الكلام فيما لامنفعة فيه ، فيطلبون لقاء (الخليل بن أحمد) فيطل عليهم قائلا : ماذا تريدون ؟ فيعرضون عليه مثل ماعرضوا على رضوان فيقول لهم : إن الله جلت قدرته جعل من يسكن الجنة ممن يتكلم بكلام العرب ناطقا بأفصح اللغات كما نطق بها (يعرب بن قحطان أو معد بن عدنان) فاذهبوا راشدين – ان شاء الله – فينصرف الأدباء وتنتهى رسالة الملائكة تلك التى تلمس من أسلوبها وخيالها أن رسالة الغفران أينعت فى نفس أبى العلاء فأرسلها تحمل صنعته على الرواة الذين صحفوا أحاديث الشعراء ، وعلى الشعراء الذين نجوا من عذاب الله دون عمل يسلك بهم سبيل النجاة (فى رأيه)

وأما دانتى فقد علمنا أنه عذب وشرد فى الآفاق .. وحكم عليه بالأعدام حرقا ثم كان محبا من قبل ذلك لبياتريشى Beatrice وتفتحت أزهار حياته الأولى على أيدى القديسين والرهبان يغرسون فى نفسه بذور التفكير فى الجنان والنيران . وعذاب العصاة ونعيم الطائعين . فلما أوشك أن ينطفىء سراج حياته ، وأذنت شمسه بالمغيب قبيل وفاته بأسابيع قلائل نظر وراءه فرأى قوما اضطهدوه وشردوه ورأى حبا مضاعا لم يستمتع به ثار فى نفسه ما يثور فى كل نفس عجزت عن نيل الامانى فعمدت للخيال تحقق به ما أضلته فى الحقيقة . وتخيل رحلته فى الجحيم وفى النعيم يلقى فى جهنم من شردوه وعذبوه ويلقى فيها البابا بونيفاشيو Bonifazio الذى كان السبب فى تشريده وتشتيت شمله ، يراه فى الدرك الثامن من جهنم فى ثلة من المعذبين أمثاله غرست رؤوسهم واكتافهم الى الأسفل فى حفر عميقة . وأما بقية أجسامهم فقد ظلت معرضة لوابل النيران التى كانت تنصب عليها جزاء على اتجارهم بالدين . واتخاذهم من اسم الله ذريعة لجلب المنفعة لأشخاصهم ، ويرى فيها الكونت جويدو منفيلترو monfeltro di Guido الذى خدعه البابا بونيفاشيو .. ويرى بياتريشى حبيبته فى طبقات الجنان مستمتعا عن طريق الخيال بما لم يستطعه لدى الحقيقة . ووصف استقبالها عند باب الجنان وصفا هو أعجب ناحية فى أدبه . وسنذكر ذلك الوصف كاملا غير منقوص حين الحديث عن الموازنة بين الخيالين عند الشاعرين . أفرأيت اذن كيف كانت الحوافز النفسية الخاصة تدفع كلا من الشاعرين أن يتخيل تلك الرحلة العجيبة ؟ نعم كل منهما كان فى نفسه نزوع لما كتب

هل سرق دانتى رسالة المعرى ؟

مسألة طال حولها الحوار والجدل ، ولم نر دليلا ماديا على السرقة أو على البراءة منها . ولكن قوما يردونها .. فقد قال الاستاذ محمد كرد على : ان أعمى المعرة كان معلما لنابغة إيطاليا فى الشعر والخيال . وبعض الباحثين من المستشرقين فى أوروبا على أن دانتى فى روايته الآلهية قد اقتبسها – ولا سيما الجحيم – من رسالة الغفران للمعرى

وقال جورجى زيدان : إن المعرى توفى سنة ٤٤٩ هـ ودانتى توفى سنة ٧٢٠ هـ ، وملتن الانجليزى توفى سنة ١٠٨٤ هـ . فلا بدع إذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . وأقدمهما (دانتى) لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين والأيطاليان أسبق الافرنج إلى ذلك

ذلك هو رأى جورجى زيدان توسع فيه حتى أدخل ملتن أيضا فى الاقتباس من المعرى وحجته تأخر الزمن بدانتى وملتن واحتكاك الافرنج بالمسلمين ، فهل ذلك كله ينهض دليلا على اقتباس الفكرة أو يكفى برهانا على الأخذ ؟ المسألة لاتعدو الحدس والظن . وانا لنرى البراهين تنحاز ناحية دانتى فتبعده عن الآخذ وعن الاقتباس .

فقد بدأ حياته يتعلم الدين ، يكفل ثقافته القديس فرانشسكو Francesca

ولقد كان عصره عهد قوة سلطان البابوات والكهنة . ولن يقوم لهؤلاء سلطان إلا بقوة النزعة الدينية . وإبان ذلك تتكاثر صور الجنة والنار واردة فى أخيلة الناس وأذهانهم . أليس فى نشأته الدينية ، وفى عهده الملىء بالتعصب الدينى مايكفى فى ان ترد الجنة

والنار فى خياله ؟ على ان فكرة الجنة والنار والنعيم والجحيم تدور برؤوس الناس منبلج الصباح وأفول الشمس فى كل يوم . فهى حق شائع لجميعهم لايعده الأدباء أخذا . ولو أنهم عدوه لكان كل شعرائنا وأدبائنا سراقا . ولكان امرؤ القيس سارقا لانه بكى الديار كما بكاها ابن حذام من قبله ، اذ يقول امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وانما الذى يعده الأدباء سرقة هو أخذ الفكرة النادرة التى ينفرد واحد بها . أو الترتيب الذى لايستطيعه الا الشواذ والأفذاذ فهل سرق دانتى الترتيب من رسالة الغفران ؟ اللهم لا

لحراس الجحيم فى خيال المعرى ملائكة ، وفى خيال دانتى شياطين ، وأشخاص الرواية عند المعرى شعراء ورواة . وعند دانتى رجال دين وعصاة ومذنبين ، والجنة عند دانتى تسعة أقسام لكل قسم طائفة عملوا الخيرات كل على حسب عمله . وعند المعرى ثلاثة أقسام «جنة الجن» وجنة (الرجاز) والجنة الاصلية .

وقد بلغ المعرى أسمى خياله لدى وصفه الفردوس . كما كان أخصب النواحى خيالا عند دانتى هو وصف الجحيم

وسنعرض لذلك بالموازنة التامة (ان شاء الله)

على أنه إن كان لابد من أن نتهم الشاعر الطليانى بالاقتباس . فأولى ان نعتقد أخذه من فرجيليو Virgilio الذى كان دليله فى رحلته وهاديه فى ظلمات الجحيم . ولفرجيليو هو الآخر رحلة فى أعماق الجحيم هى أقرب لخيال دانتى من رسالة الغفران .

ولقد كانت لدانتى أحلام فيها ملائكة وفيها موتى ، هى إرهاص ومقدمة لرسالته العتيدة .

فقد رأى فى حلم من الأحلام أنه ضل فى غابة موحشة فأطلت عليه محبوبته بياتريشى فى سحابة من الملائكة وعليها لهب قرمزى كأنه اللهب المتأجج . وخيل اليه أنه يتغلغل فى عالم الأموات كما تحدث فى بعض أشعاره قائلا : هاأنذا جالس فى مكانى أذكرها وأذكر أيامها السعيدة فيلوح لى كأن ملائكة من السماء تهبط من عل وتأخذ أماكنها على المقاعد الموجودة حولى

فاذا ضممنا الى ذلك كله أن حبه ألهمه خيال الجنة ليستمتع بمن أحب ، وان بغضه لمن حاربوه ونفوه وشردوه يوحى اليه أن يتخيلهم فى دركات الجحيم ، وان تلك طبيعة النفس تشره لنيل آمالها ولو عن طريق الخيال . عرفنا براءته من السرقة

يتبع   محمود احمد النشوى

٤ ـ بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

عاش أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمدانى أربعين عاما أمضى شطرها نائيا عن بلده وعشيرته فى طلب المجد والغنى ، فبلغ ما أراد . نبه ذكره واتصل بمعظم الأمراء والوزراء فى الشرق : شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وخلف بن أحمد ، وبنى فريغون ، وبنى ميكال والسلطان محمود ، والصاحب بن عباد ، والفضل بن أحمد ، وأبى نصر من وزراء الدولة الغزنوية . وعرف كثيرا من رؤساء نيسابور ، وطوس ، وسرخس ، ونسا ، وبلخ ، وهراة . وصار مطمح أصحاب الحاجات يتوسلون به الى أولى السلطان والجاه ، يتبين ذلك فى كثير من رسائله . وقد قال فى رسالة الى الشيخ أبى النصر فى أمر بعض الفقهاء : «وهؤلاء الصدور ، يرون الشمس من قبلى تدور .» (١) يعنى أن الناس يرونه قادرا على تيسير حاجاتهم . وكان له عناية بالأمور العامة يبذل فيها من عقله وجاهه . كتب الى الوزير الفضل ابن أحمد مع وفد من هراة ذهبوا اليه يلتمسون تخفيف الخراج عن أهل مدينتهم ، وكتب الى رئيس هراة فى أموال رأى جبايتها حراما ، وكتب الى وزير السلطان محمود فى قتل رجل اسمه أبو عثمان : «والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل ، وتسامح الشيخ الجليل وتساهل ، ان الله بالانتصاف لملى ، وان الله على الانتقام لقوى ، والمحنة ادام الله عز الشيخ الجليل فى ذهاب ذلك العالم المسلم ، دون المحنة فى بقاء هذا الظالم المظلم ، ولئن ساغ لهذا الفاسق ما أمل ليرخص نجم المسلم ، وليراق دم العالم ، وليصيرن كل سكين منشور ولاية ، ثم ليتسعن الخرق على الراقع ؛ وليس دم المسلم بيسير عند ربه ، ولزوال الدنيا على الله أهون من صبه ، أليس الله تعالى يقول : من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا . وانا أعيذ بالله هذه الدولة من أن توصم بتعطيل الحدود ، او توسم باهدار الدماء ؛ وعسى الله ان يوفق الشيخ الجليل لتدارك هذا الأمر ، ان ذلك على الله يسير

ويقول فى الرسالة نفسها : «ورد على خادم الشيخ الجليل

(١) الرسائل ص ١٠٩

كتاب من أقصى خراسان والعراق بحديث تسيار فلان وصاحبه فلان وذكروا معرفتهما باحوال الثغور، وممارستهما لما يعرض بها من الخطوب، وان اعين المرابطين والغزاة طامحة الى نصره، من السلطان العظيم أعز الله نصره وقد بعثوا بهما وفدا وقدرا انهما يجدانني بالحضرة فأكون لهما لسانا، وتنجزا الى كتابا ليعلماني، ولو امكنني النهوض لاحتسبته لهما واذا لم ينهض قدمي، فقد أستتاب قلبي، والشيخ الجليل يرى عالى رأيه في تقريبهما لنصرة الله والاصغاء المثوبة ان شاء الله تعالى (١)

وفي هذا ما يبين عن مكانته بين الناس واهتمامه هو بأمورهم. ونجده أحيانا يكتب للاصلاح بين فريقين متحاربين (٢). وقد مكنته هذه الهمة العظيمة من دفع المفسدين عن نيسابور، وكان اذ ذاك في مستهل صيته ومبدأ نباهته، يقول في رسالته الى ابيه بعد ان وصف ما كان بخراسان من هرج ومرج: لا ولا شيء الا السلاح والصياح، وكل شيء الا السكون والصلاح، وأنا اذ ذاك حاضر نيسابور وداري بين القبة الرافضة وكل يوم تهديد، ورعب جديد، فقلت:

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا
به الخطب الا وهو للقصد مبصر

فلقيت صدور نيسابور وقلت حتام هذا البلاء والعلاج قريب المأخذ، وهلا نفر من طائفة الغزاة الى هؤلاء الغواة، وآزرهم اهل الصلاح وانا اول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وانفق عليه، ففعلوا وما كان سواد ليلة حتى علت كلمة الحق وباد أهل الفساد، إن جرح الجور، قريب الغور، وان نار الحلفاء سريعة الانطفاء، وان كيد الشيطان ضعيف، ثم اسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب، وبأموالها من ذهاب وانتهاب، وبأسواقها من فساد وكساد، وبأسعارها من غلاء، وبأهلها من جلاء، أفليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة اهل الصلاح؟ عجبا من تعاون المفسدين على اخذ ماليس لهم، وتخاذل المسلمين عن منع مالهم (٣)

أخلاق الهمذاني

أظهر أخلاق ابي الفضل بديع الزمان، الانفة والعظمة، ومن أجل ذلك يكثر في رسائله عتاب الامراء والرؤساء على التفريط في جنبه أو انزاله دون منزلته. كتب الى أبي جعفر بن ميكال حين آنس منه التقصير في الحفاوة به: « وأعرفه إني ما أطوي مسافة مزار إلا متجشما، ولا أطأ عتبة دار إلا متبرما، ولست كمن يبسط يده مستجديا، أو ينقل قدمه مستغذيا فان كان الامير الرئيس أطال الله بقاءه يسرح طرفه في طامح أو طامع، فليبعد للفراسة نظرا

فما الفقر من أرض العشيرة ساقنا   اليك ولكنا بقرباك نبجح (١)

وكتب إلى الأمير خلف بن احمد وهو الذي اصطفاه بأحسن مدائحه: « كتابي أطال الله بقاءك وقد كنت نذرت ألا أخاطب حضرته ثم روى لي القاضي حديثا طرق الى نقض ما نذرت طريقا وسمعت منشدا ينشد:

لحى الله صعلوكا مناه وهمه   من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

فقلت أنا معنى هذا البيت، لأني قاعد في البيت، آكل طيب الطعام وألبس لين الثياب، ويفاض على نزل، ولا يفوض إلى شغل، ويتلأ لي وطب، ولا يدفع بي خطب. وهذا والله عيش العجائز والزمن العاجز .... ولعل جرما تصور، أو رأيا تغير، أو اعتقادا أخلف، أو ظنا اختلف. فأن لم يكن شيء مما سردت وأوردت فالغلط في صدر القصة كان، وفي عجزها بان. وان كان كذا فبالله ما أرضى، ولو صارت السماء أرضا، ولا أريد، ولو انقطع الوريد. واني لأستحي من الله أن أرى لي المثل الأدنى، وفي القوس منزع أما، وإن لم أكن بالعراق أمير البصرة، وببخارى زعيم الحضرة، فما أزعجني عن همذان فقر الى جوع وعري، ولا ساقني الى سجستان طمع في شبع وري، وانما نحوم حول المراد،

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة   كفاني ولم أطلب قليل من المال

لا يكثر الأمير علي من خلعة وصلاته. فوالله لو علمت أن قصاري أمدي سجستان ألنها، وضياعها أقتنيها، وغلاتها أشتريها، وأموالها اتسع فيها، ولا مطمع في زيادة بعد لآثرت الزهد على الطلب.» (٢)

وكتب الى عامل البريد: ولكنك طفقت لا تهاب سلطان العلم، فأعلمناك أن سلطان العلم لا يهابك. ولو اتصلت بالسماء أسبابك» (٣)
وكتب الى الوزير ابي نصر بن بريدة وقد قدم رجلا عليه: قدم اليوم على فلانا ولست أنكر سنه وفضله، ولا أجحد بيته وأصله، ولكن لم تجر العادة بتقدمه لا في الأيام الخالية، ولا في هذه الأيام

(١) الرسائل ص ١٢٩ (٢) ص ١٥٧ (٣) ص ١٧٤

(١) رسائل ص ٤٧ (٢) ص ١١٦ (٣) ص ٢٢٣

الغالية ، وشديد على الإلباس ما لم يعود ، الى أن يقول : « أنا لا ألبس الشيخ الجليل على هذه الخصلة ، ولا أحمله على هذه الفعلة .

فأما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثى من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني

لا أعدم كريما ، ولا يعدم نديما . ولى مع هذا الماء حالات لا واسطة بينهما ، إن صفوا أشربه ، أو كدرا فلا أقربه ، والسلام

وكان البديع ذا همة عالية ، ومروءة عظيمة ، يعطف على الناس ويرثى لهم ، ويصغى لأصحاب الحاجات ، ويشفع فيهم ، وقد مر بعض ذلك . ومما يدل على نبالة نفسه وسمو همته ما كتبه حين هاه بعض الناس بمرض الخوارزمى ، وما يظهر فى رثائه الخوارزمي من حزن صادق

ويؤخذ من رسائله أنه كان جوادا : كتب إليه صديق يؤذنه بقدومه اليه ويسأله أن يستأجر له داراً فأبى الا أن ينزله معه فى داره ، وكتب الى صديق له مات أبوه يحذره من أن يقتر على نفسه ويحرم نفسه اسعة بماله كما حذره أن ينفقه فى اللهو واللعب (١) . ومن رسائله الى الامير أبى الحارث محمد مولى أمير المؤمنين : « وأما الدرهم والدينار فدفعهما ونزعهما من يدى سواء . لا أشكر واهبهما ولا أشكو سالبهما . إن لى فى القناعة وقتا وفى الصناعة بختا » (٣) يشهد لهذا ما أرسله الى أبيه من المال وما أرسله الى أقاربه وأصدقائه من الهدايا .

والبديع الزمان على حسن معاشرته ، وحلاوة حديثه ، وما ينزع اليه من الفكاهة فى كتابته ، كان فى طبعه الانقباض ، والنفرة من الناس والتشاؤم ، يظهر هذا حين يصف الزمان أو يرثى الموتى أو يهجو رجال عصره من القضاة والكتاب ، وأصحاب الأعمال . وحسبك من رسالته التى أجاب بها شيخه ابن فارس حين كتب اليه يذم الزمان : « نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام ، أنه الحما المسنون ، وإن ظنت الظنون . وأن الناس ينسبون لآدم . وإن كان العهد قد تقادم ، وارتبكت الأضداد ، واختلط الميلاد ، والشيخ الامام يقول : فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا؟ ، الى أن يقول : وما فسد الناس ، وإنما أطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام ، وإنما امتد الظلام . وهل يفسد الشيء الا عن صلاح ؟ ويمسى المرء الا عن صباح ؟ »

(١) الرسائل ص ١٤٩ (٢) ص ١٠٠ (٣) ص ١٠٥

ويقول فى الديوان :

كذاك الناس خداع الى جانب خداع
يعيثون مع الذئب ويبكون مع الراعى

ولعل من هذا المزاج المنقبض كانت شدته فى الهجاء ، وإفحاشه فى الذم أحيانا ، وميله الى العزلة ، ولذلك كان أحسن شعره ونثره ما كتب فى الرثاء أو التعزية أو الوعظ .

ويؤخذ من رسائله أنه كان عزوفا عن اللهو ، يعاف الخمر ، ويتجنب المحرمات . وفى رسالته التى كتبها لأبى الطيب سهل بن محمد يقول عن نفسه والخوارزمى : « ونحن فى كل حال على طرفى محال ؛ هو خوارزمى ولست من خوارزم . وهو شاعر ولعن الله النظم ؛ وخمري ولا أشرب الخمر ، وناى ولا أسمع الزمر ، وعودى ولا أحسن النقر ، ونردى ولا ألعب القمر .

ويؤخذ من رسائله كذلك أنه كان متألها يلتزم السنن جهده . وقد بلغ من الورع أنه كتب وصية يأمر فيها باتباع السنة فى تجهيزه ودفنه ، وينهى عن البكاء عليه ، وهى مثبتة مع رسائله .

ونجد فى رسائله مع هذا أنه يجيز الكذب ان كان فى الكذب خير يقول . فى رسالة الى بعض وزراء الغزنوية . « زعم أدام الله تمكينه انى أخلف المواعيد ، وأرد العذر البعيد . ومتى ادعيت أن قولى يكتب فى المصاحف أو يتلى فى المحاريب ؟ ومتى تبرأت من الأحاديث . والله انى لأكذب الكذبة أظنها لحسنها صدقا » (١)

وفى رسالة أخرى : « وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعنى الله به فى الدارين ؛ وغدا أعرفه الحديث » (٢)

يتبع عبد الوهاب عزام

(١) الرسائل ص ١٣٤ (٢) ص ١٧١

من طرائف الشعر

البهال (١)

للشاعر الحاج محمد الهراوى

همُ الناس قد ألقوا علىّ حمولهم
على علمهم أنى أضجّ بأحمالى

ويبلغُ ظنُّ المرء منهم جهالة
بأنى أنا وحدى له وحدَه خالى

فعمّى وعماتى ، وخالى وخالتى
وأبناء أعمامى ، وأبناءُ اخوالى

وآلى ، وأصحابى ، وآل صحابتى
ومن ليس من صحبى ومن ليس من آلى

يكلفنى قومى ثمانين حاجة
ولم يحملوا منهنّ ذرّةَ مثقالِ

كأنى فيهم ، والحوائج جمّة
وقد أثقلوا ظهرى ، مطية أثقالِ

لئن سرّهم منى خلائق عائلٍ
لقدساءنى منهم خلائق بُهّالِ (١)

(١) البهال . ـ جمع باهل وهو المتردد بلا عمل

الهوى والشباب

تعالَىْ نعش فى ربيع الشباب
خليّيْنِ من حزَنٍ والتياحْ

ونُسبغْ على الكون ظلَّ الرجاء
فيغــدُو طلقاً كثير السماحْ

ونُصغِ إلى هاتف فى الغصون
طروبِ الغناء ، شجىّ النواحْ

ونجنى ملذّاتِ فجرِ الحياة
فان الشبابَ سريعُ الرّواحْ

تولى زمانُ الاسى والرّنين
وأشرقَ عهــدُ الهوى والمراحْ

وزخرفتِ الأرض كفُّ الربيع
ولفّتْ ببُرْدِ الجمالِ البطاحْ

ورف على الزهر قطرُ النــدى
رفيفَ الضحى فوق ماء قراحْ

فهيّا امرحى وابسمى للحيــاة
وحيّى الربيعَ ، نجىّ الملاحْ

له اللهُ من عبقرىّ الفتون
صناع البنان ، ظليل الجناحْ

ترامى عليه رداء النعـيم
فيــا حُسنه مُجتلى ، حيث لاحْ

أطــلَّ فأسفرَ بِشْرُ الوجوه
وآبت بشاشةُ ثغرِ الصباحْ

ومسّت يداهُ يبيسَ الحقول
فعاد غزيرَ الجنىّ والنفاحْ

وآوى إلى ظله اللاغبون
وألقوا هنالكَ عبءَ الكفاحْ

***

تعالَىْ إلى روضــةٍ برّةٍ
وظــلٍّ ندٍ ، وصفاءٍ مُتاحْ

تعالَىْ أبثّك نجوى الفؤاد
وأسمعْك شــبهَ أنين الرّياحْ

تغلغلَ حبك بين الضلوع
وخالطَها مِثْلَ ماءٍ وراحْ

فأحيا خيالي حتى استفاض
وأضحى بعيد مجالِ السراح
جمالك أوحى إلى القصيد
وما كنتُ قبلكِ جمّ الصُداح
نعشتِ فؤادي بالذكريات
وهدهدته بالمنى فاستراح
وعلمته من نشيد الحياة
لحوناً تفيضُ بروح الطماح
جراحُ الهوى . كانى . ندة
فيا حبُّ أيقظ دفين الجراح

دمشق جلنى اللحام

الجدول الحالم .

تدفق كشعرى بالحنان ، ولا تكن
شحيحاً . فهذا الزهر نشوان من ضمك
ووقّع أناشيد الحياة على الحصى
ودع صادحات الطير تثمل من لثمك
وسر حالماً ما بين عشبٍ منمق
وبين شجيرات تضاحكن من حلمك
تدفق ، لأنت النائى يلهب خاطرى
وانت شبيهى فى صداك وفى وسمك

تدفق ، وثر ، وابعث أغانيك حرة
ولا تخش مأفوناً يلوم ولا يدرى
ألا إنما الالحان تملك منطقى
ولحنك أولى أن يغنى على شعرى
ولحنك آلامى ، ثوت ملء خافق
سنين إلى أن رعتها أنت من فكرى
ووثبك بين الرمل ، وثبى لدى الصبى
وعهد الصبى أحلى الذى فات من عمرى

ألا حبذا كوخ لديك ومرتع
بشطك أقضى فيه أسعد أيامى
لقد ضقت ذرعا بالحياة وأهلها
وشردت فى بحبوحة العمر احلامى
ونفسى تخاف الناس ، حتى كأننى
أعاشر مجاوات تسعى لاعدامى
منعت يمينى عن تحية فاجر
مخافة أن تدمى بمخابه الدامى ..!

تدفق : وأنشد . إننى وحدى الذى
يعى كلّ ماتلقيه من وحى قيثارك
وغيرى من الأحياء المتهم الدنى
فصموا جميعاً عن قريضى وأشعارك
لئن كنت مغموراً ، فلحنك خالد
وكم ذائع الآثار يعنو لآثارك
شدونا كلانا ياغدير ، فلم أصب
مصيخاً ، ولم تلف المذيع لأسرارك!

عبرتُ إليك اليوم، والضوء ضاحك

بصفحتك الجذلى، وقد فاض بشره

وقد هبط النسمُ الجريء لِلثمها

حذوباً، عظيم الشوق، يسكرُ نشره

وغرّدَ عصفورٌ على غصن دوحة

أغاريد عرّيد تزايدَ سكرُهُ

وصفّق قلبي في الضلوع محاولا

غناءك، كي يهمي بمائك شعرُهُ

ألا قل عن الذكرى، وحدّث عن الهوى

ولو أنّ في ذاك الحديث شجي قلبي

وقُصّ الذي تدريه عن ملعب الصبى

وعن حيرة النجوى، وعن لوعة الحب

وقُل عن عهود العيد ما قد وعيته

لعل بما ترويه تنفي جوى الصبّ

وحدّث عن الأولى حديثاً مفصّلا

فأنّى منها فزتُ بالأمل العذب

تدفق، وقل يا جدولي، ها هو الضحى

قد انساب منه النورُ فوقك كالتبر

تبسم، فهذا النسمُ هبّ مداعباً

مياهك، فياضَ الطلاقة والبشر

وإن كنت لا ترضى عن الحسن والهوى

لأنك تلقى فيهما غاية الشرّ

فكن ثائراً، وارفع بألحانك النهى

إلى عالم سام من الطهر والبرّ . . .

أيا جدولي المجهول، ردّد خواطري

ففيها شفاء النفس من بعض أسقامي

ويا رُبَّ لحن عاثر متكاسل

يثيرُ نبوغي، أو يحفزُ إلهامي . . !

لكم نحت والأعصار يعوي مُدمِّراً

بشطيكَ، والأمواه تلثم أقدامي .

وقد لاح في جوف الزعازع وامض

تألق نوراً من ذُرى الكوكب السامي

ألا فلنُغَنِّ الآن للنجم، علّهُ

يُضيء لنا ليلاً فتمضي المخاوفُ

لقد غشتْ مجهولاً بشطك مُهملاً

أقاسي جحيمي، دون ذنب أقارفُ

نزفتُ دمائي في مياهك كلها

بربك قل لي ما عسى أنا نازف ؟

عسى أن يشق النجمُ أسداف ليلنا

فتنقذنا الدنيا، ويُحيي التعارفُ !

مختار الوكيل

من الأدب الفرنسي

والحب . . . ؟

لأناتول فرانس

قرأت فيما قرأت كتيبا المانيا عنوانه « على هامش سفر الحياة » للاستاذ جرهارد دامنتور ، فيه عرض قوي صادق لمعيشة النساء اليومية المضنية ، وقد بدى معي أن الحزن باد على هذا الجانب المظلم من الجنس اللطيف : « في سبيل مطالب الاسرة وحاجات الزوج والأولاد تفقد ربة البيت سناء جمالها ، وتذهب غضارة وجهها ، وتستهلك قوة بدنها ، وتتخرخ عظامها . فهذا السؤال الخالد المعاد (ماذا عسى أن نطبخ اليوم من طعام ، ونهيء من إدام) وذلك الاضطرار الملح الى مسح البلاط ، وتنظيف الغرف ، ونفض الثياب ، وغسل الأواني إنما : هما قطرة من ماء تتساقط دائمة دائبة ، لا تفتأ تعمل في بطء على إنحلال جسد المرأة وعقلها حتى لا تبقى منها شيئاً ، ولا تذر لها أثرا ، وامام الموقد المشبوب ، في المطبخ المشؤوم يستحيل هذا المخلوق الصغير ، الناصع الوردي ، ذو الضحكة الساخرة البلورية الى مومياء هزيلة سوداء تبعث في الرائي الكآبة والألم !! وبين يدي ذلك الوجاق الأدخن الأسحم ، يطبخ عليه اللحم ، في القدر تناثرت ضحايا كريمة : الشباب ، الحرية ، الجمال ، اللذة

هذه عبارات جرهار دامنتور ، وهذا حظ الكثرة الغامرة في الدنيا من بنات حواء . فان الحياة عسيرة ملتوية عليهن كما هي عسيرة ملتوية على الرجال ، كل يئن من وعوثة الطريق ويرفع عقيرته بالشكوى والصراخ ! ولو راح باحث يستعلم وجه العلة في ذلك لايقن أن ليس في الامكان أن يكون غير ما كان ، وأن الحياة لابد أن تكون مضنية لأن جميع مقوماتها ضئيلة تندر فوق كوكب صعب إنتاجه واستثماره ؛ ولن يرجى تخفيف عبء الشقاء لأن أسبابا عميقة متغلغلة مصدرها شكل الأرض ، وطبيعة تركيبها ، ونوع نباتها وحيوانها تحتم وا أسفاه دوام هذه الحال ، وتقتضي عسر المعاش الى يوم القيامة . ومهما يكن من أمر توزيع العمل في الناس فان جمهرة الرجال وعامة النساء لتنوء كواهلهم بحمل أعبائه ، ولن ترى غير امرأتين أو ثلاث قد خلصن من متاعب البيت ثم تسللن الى مواطن اللهو وخرجن الى باحة الحياة ينشرن الظرف والجمال ، على مواطن العطر الندي واللذة المتجددة ، ويدخلن الى النفوس الأماني والأحلام !! وانما اللوم كله لاشك عائد على الطبيعة وحدها

والحب ، ماعسى أن يكون مصيره ؟

لانريد أن نعرف مصيره المنحدر اليه مادام الجوع عدوه اللدود وخصمه العنيد . ومن الواقع الذي لا يتطاول اليه الريب أن النساء جائعات أبدا ، قد وكل اليهن أمر الطبخ في القرن العشرين كما وكل اليهن أمره في القرن التاسع عشر ، اللهم اذا لم يرجع عهد هاتيك العصور النائية حين كان الصيادون يلتهمون فرائسهم ساخنة نيئة ، وحين كانت فينوس — آلهة الحب والجمال — تجمع العشاق جميعا وسط الأحراج ثم تفيض عليهم من وحيها ماشاءت لها العاطفة المشبوبة أن تفيض يومئذ ، ويومئذ فقط ، كانت المرأة حرة طليقة قد تنصلت من تكاليف الحياة وخرجت على حدود الأسر والانكماش

وهأنذا أعترف اليكم بما يدور في خلدي ، فاستمعوا لما أقول :

لو كنت أنا خالق الجنسين من ذكر وأنثى لأبدعتهما على نحو يباين ما نعهده الآن فيهما من فقاريات لبون . كنت لا أخلق الرجل والمرأة على غرار القردة ؛ وإنما أنشئهما على صورة الحشرات التي تكبد وتعمل إذ تكون ديدانا ، صغيرة ثم تنقلب الى فراش جميل طائر يحيا حياة التشرد والهيام ، لا شاغل له غير أن يحب وأن يحب ! وكنت أضع طور الطفولة والشباب في آخر مراحل الوجود البشري . والواقع أن نوعا معلوما من الحشرات أثناء نموه وتطوره تبيد منه المعدة وتقوى الأجنحة ، فهو إنما جاء الى الدنيا بهذا الشكل المهذب ليتمتع منها ساعة أو ساعتين ثم يموت !

أجل لو كنت إلها (أو أليها (بالتصغير) لأن فلسفة الاسكندرية تعزو صنع هذا الكون الى آله صغير أو شيطان مبدع) لو كنت اليها لما اتخذت غير هذه الحشرات نمطا أنسج على منواله الانسان ، وكنت أجعل المرء يتم جميع أموره المعيشية الغذائية وهو جنين ، وفي هذا التطور الابتدائي لا أثر للغريزة الجنسية البتة ، ولا جوع يغشى الحب أو يلتهم معالمه ، ثم ادفع الحياة الى حيث يطير الرجل والمرأة على أجنحة رفافة ، يتنقلان فوق الزهور ، ويتذوقان ما يشتهيان ثم يموتان في معانقة وتقبيل . . . وهكذا أكون قد أكسبت الحياة الفانية جزاء وفاقا ، ووضعت الحب تاجا على رؤوس الاحياء من بني آدم . ولعلك توافقني على أن ذلك خير وأبقى !!

بيد أنني واحسرتاه لم أخلق الكون ، والاله المبدع لم يشاورني في الأمر ، وأنا أشك فيما بيني وبين نفسي أن يكون قد استشار أحدا من الفلاسفة ، ورجالات العلم والمعرفة ؟

حمص — محمد روحي فيصل

تذكار الشاعرة الكونتس دى نواى

١٨٧٦ — ١٩٣٣

للاستاذ خليل هنداوى

خلاصة مقال نشرته مجلة La Mus Francaise
فى تموز الغابر للاديب (موريس را)

دى نواى والطبيعة

يقول «جابريول» إن الشاعرة الفتاة ـ صديقة الحدائق ـ قد تأثرت كثيرا بالشاعر الكبير (جامس) وقد وضح هذا التأثر فى ديوانها «القلب الذى لا يمكن تحديده» فهناك تشابه قريب بين الروحين وبين الفنين . فمقطوعات الشاعر (جامس) (الآس البرى الأزرق) و (شجرات الجوز ذات الازهار البيضاء) و (طيب الغصون المبتورة قبل الشتاء ، وهى ينتشر كالمحزون فى أجواء الغابة) قد ألهمت (دى نواى) كثيراً . وغذت مخيلتها الشعرية كثيراً . وهب أن (جامس) لم يكن مترنما بهذه المقاطيع ، فهل كان باستطاعة (دى نواى) أن تستنزل ذلك الالهام ، وان تخترق بروحها ما اخترقت من تلك الآفاق الواسعة .

قد يكون الجواب لا ، ولا ريب ! ولكن مالنا تنكر على (دى نواى) براعتها وخصائصها ، فهبها أنها كانت حيلة على (جامس) فى كل ما انتجت وأخصبت ، فان للشاعرة وراء هذا كله مجداً خالصا وبراعة خاصة . لقد أغارت على طائفة من معانى (جامس) اغارة روحية لا أدبية ، ونظمت ما تلجلج فيه (جامس) نظما رقيق الحواشى ، لطيف التعبير ، زاخرا بالعاطفة ، جرت فيه على الاسلوب العاطفى ، أسلوب (هوجو ولامرتين).

أما هوجو فقد كان كثير الرؤى والاحلام . و (بودلير) كان يعبث بالطيوب عبثا ، أما (الكونتس) فقد فتحت قلبها للصباح وودت أن تلمسه وتتذوقه بحاستى اللمس والذوق ، كما تقول :
« أفتح فمى للهواء الذى ترطبه الأنداء »

وفى موطن آخر تراها لا تشبعها الطيوب ولا الألوان ولا الألحان ، تتذوقها وتظل جائعة نهمة ، فتعلن أنها تود أن تلمس العالم والطبيعة يدها ، فتقول بلهجة صادقة :

(أريد ان المس عذوبة هذا الفضاء ، هذه العذوبة الندية الزرقاء
حيث العصافير السكارى تثب وتنفذ فى مساربه كما تشاء).

فهى تريد أن تتذوق وان تتروح وان تلتمس وأن تلتهم جمال الصبح ، هى تستطيع أن تقول مع (١) سانت انطوان) بتأليه الكون . (أريد أن يكون لى أجنحة ، وان أدخل فى كل شىء ، وان أكون فى كل شىء . أنتشر كالطيوب ، وأنمو كالنبات ، وأجرى كالماء ، وأرن كالألحان ، وأسطع كالنور ، وأوتى جميع الأشكال ، وأنفذ فى كل شكل وهيئة ، وأغور فى أعماق المادة ، وأكون بعد هذا كله ـ المادة . . .).

ودت الشاعرة أن تكون المادة بذاتها ، فدنت منها وامتزجت مع الأشياء وقالت (سيكون جميلا وحقاً إيمانى . . . . بأن قلبى المتوقد هو كهذه الكمثرى التى ينضج جلدها رويداً تحت أشعة الشمس) . وتمنت ان تكون أحد الكائنات فى الغاب ، فقالت والجشع غلب عليها :

(من أين جئت ؟ إن الوجود لم يحل العقدة التى تجمعنى بهذا المرأى .
أنا بنفسى ، أفق ، وجدول ، وكوكب ، وغابة)

على أن رغبتها قد تثور فتأبى أن تماثل جسدها الهالك بكل أشياء هـذا الوجود ، ويهيج نهمها الذى لا يشبع فتخاطب الزمن قائلة :

(وأنا مثل الزمن . أنا قبل مصر العتيقة . وقبل اليونان . كنت فى عهد الماء)

على أن مثل هذا الهذيان الخيالى قد يدعو إلى الابتسام ، واذا كانت الشاعرة ـ فى واديها الذى هامت فيه ـ لم تخلص نفسها من تأثير أترابها الشعراء فيها ، ولم تجد لمسرانها التى تفننت بها الحانا جديدة قوية ، فانها قد جارتهم وبزتهم فى كثير من مقاطيعها ، وابتدعت لنفسها أفقا جديدا ، واذا أدرك الشعراء الطبيعة وفهموا معانيها ورأوا الوانها ، وتنشقوا أريجها ، فهى قد تروحت هذا الأرج وأصغت الى ألحان الطبيعة التمتامة ، ولمست أشياءها واكلتها وشربتها .

ألبس هذا نهمها الشعرى يبدو فى ثنايا سطورها ؟
وهكذا أجدنى أستطيع أن أطرح يدى للا نهاية

(١) الرواية (للوبير)

فاذا كل شيء دانٍ مني ، لايمتنع عنه شيء)

واذا ماهبت النسائم العاطرة تروحت شذا بخور «آسيا»)

(وهذه الريح المهيمنة . . .

المزودة بالسماء والفضاء ، والمناظر الواسعة

هي شبيهة بهذه البخور القادم شذاها من « آسيا »

واذا ما جنحت الشمس للغروب وكان الأفق هادئاً جميلا ،

خيل لها أن الطبيعة نفسها قد استحالت كلبة جميلة أمينة مستوية على حضنها

(وكنت أحس أن هذا المساء الأنيس

يهرع الي من كل صوب ومن كل طريق

لينام بين يدي)

فيالها من ساحرة نهمة لاتشبع ، ويالها من غادة مجوسية كما دعاها مارسيل بروست ـ هذه الغادة النهمة التي لاتقنع بارسال طرفها في الكون ، ولا بالاصغاء الى أصواته ، ولابتروح شذاه ، فهي تعمل على أن تلبس وأن تلتهم الوجود التهامة الشره . ولهذه الرغبة الملتهبة والصور القوية المكتنزة يعود سر استعمالها للالفاظ (اللحمية) في شعرها ، ودي نواي الشاعرة هي التي كتبت (لأندريه جيد) عن الأطعمة الترابية ـ بكل مافي معنى الكلمة حتى أنزلت الطبيعة والحياة عندها منزلة (راحة الحلقوم)

(إن الهواء الحار يحمل الى أريكة تتهافت عليها روحي .

وفجاجة هذا المزيج الاخضر هي في عيني مائدة فاخرة)

لكن اغراقها كثيرا في التشابيه والمجازات قد يضل القارىء عن اغراض المقطوعة وعن قصد الشاعرة .

قد تكون وجهتها في شعرها وجهة (جامس) في شعره ، فان (جامس) قد تغنى بجبال (البيرية) التي حنت على طفولته وشدا بجمالها الساحر بألحان صادقة سامية رائعة ، و (دي نواي) قد تغنت بحدائق (فالوا) الفينانة ، وبدت شرقيتها في كل مانظمت هذه الشرقية المغمضة ، فكانت تتروح عطور المشرق وتجد الوان جزائر (الارخبيل) وتذكر الارض وقد حالت عند المغيب شعلة ملتهبة ، هذه المناظر وهذه الاكوان قد آثرتها على كل شيء ووصفتها وحبتها بالألوان والشذا وبكل تلك الخاطرات السامية التي تموج في قلبها .

قال أحد نقادها بعد وفاتها « ان دي نواي قد أحبت التراب القدسي الذي يولد منه كل شيء ، واليه كل شيء يعود ، هذا المعبد الذي تتعاقب عليه الفصول الاربعـــة تعقب منشابها . أحبت في الأرض تلك المرضع التي يفيض قلبها رأفة وحنانا ، والتي تسمو عن الانسان القاسي على الضعفاء »

واذا تأمل قارىء (دي نواي) في شعره يدرك أن هذا رأي خاطىء ، لأن الشاعرة لم تقدس الأعمال ولا الايام . لكنها كانت كاحدى كاهنات (أدونيس) أو (باخوس) تحمل في صدرها ملذات حساسة متيقظة . وهي لاتتخذ الطبيعة موضوعا لها ، بل تتخذ موضوعها نفسها ، واذا ما خرجت عن نفسها لتتحد مع النجوم الساهرة ، أو لتمتزج مع الأطياف التي تخلقها بخيالها ، فانما تريد من وراء هـذا كلـه أن تنمي وجـودها ، وتستخلص من الوجود مسراتها النادرة

وهي القائلة عن نفسها : « قد أكون غير مجدية ، ولكن فراغي لايملؤه أحد »

« يتبع » خليل هنداوي



ويسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكي

— ٢ —

ملامح القمر

نظر الانسان من قديم الى القمر ، فوجد بعض سطحه نيرًا كثير النور ، وبعضه قاتما قليل القتومة ، فتخيل عنه الأخيلة

وجاء التلسكوب فنظر اليه منه فزاد تفصيلا ما كان يراه اجمالا ، فرأى مناطق الانوار قد انبعثت ، ومناطق الظلال قد امتدت ، وتداخل النور في الظل ، وتداخل الظل في النور ، وتمثلت في ذهنه صورة الكرة الأرضية ببحارها الواسعة وقاراتها المديدة ، وعرف البحر يدخل في الأرض ، وعرف الارض تدخل في البحر ، وعلم أن الارض تكون بها الجبال العالية الرواسي فتظهر في الشمس للرائي البعيد واضحة وضاءة ، وتكون بها الوديان المنخفضة المستورة فتظهر في الشمس للرائي البعيد قاتمة معتمة ، فطبق الانسان علمه الارضي على ما ارتآه في القمر من ظلال وأنوار ، ورسم الرسامون خرائط لوجه القمر كثيرة دقيقة ، فأما المناطق التي برزت بنصاعتها فأعطوها اسماء فلاسفة معروفين ، او فلكيين مشهورين ، لأنهم خالوها جبالا شواهق خالدة فتخلد أسماءهم ، وأما المناطق التي امتازت بحلوكتها فحسبوها بحارا او محيطات فأسموها البحر الجبيس Mare imbrium والمحيط العاصف

وغير ذلك من اسماء تسلس في السمع وتجوز في الافهام

وزاد الاتقان في صناعة التلسكوبات فاجتد بها بصر الانسان ودقت ملاحظاته ، واستخدم التصوير الشمسي في التقاط ما يرى من صور ، فعلم من أمر القمر مالم يكن يعلم ، ومع ذلك احتفظ علم الفلك بالاسماء الرنانة التي وضعت قديما أعلاما على مناطق القمر

ويظهر ان الانسان عز عليه فقدان هذا الحلم العزيز ، فلما قام صوت يجدده ويحييه منذ مائة عام وجد له آذانا تصغي وقلوبا تؤمن . ذلك ان العالم الفلكي المعروف الدكتور جون هرشل John Herschel ذهب في بعثة الى جنوب افريقيا لدراسة النجوم في نصف السماء الجنوبي كادرسها في نصفها الشمالي ، ولما وصلها انطلق قلم بعض الكتاب يصف ما وجدت البعثة من العجائب وما كشفته في القمر من غرائب ، وذلك على صفحات جريدة بالولايات المتحدة ذات مكانة رفيعة وحرمة معروفة اسمها «شمس نيويورك» New York sun ذكر الكاتب كيف اهتدى الدكتور «هرشل» بعد مناقشة علمية طويلة بينه وبين العالم الفيزيائي السير دافيد بروستر Sir David Brewster الى صنع تلسكوب جديد يستخدم فيه الضوء الصناعي في توضيح الصورة البؤرية للمرئيات ، وأفاض في تفصيل تلك المناقشة وذكر فيها كثيرا من نظريات الضوء وقواعده ومعقداته ، وقدر العالمان نفقة هذا المخترع الجديد فكانت سبعين ألفا من الجنيهات ، فبعثا الى صاحب الجلالة الملك وليم الرابع بجملة الأمر ، وكان جلالته يهتم بالبحار أكثر من اهتمامه بالاقمار ، فسأل هل يفيد هذا المنظار الجديد الملاحة ؟ فكان الجواب نعم ، فامضى لهما حوالة بيضاء يرقمان فيها المال الذي يريدان . وصنع المنظار وجاء دور الرؤية فكانت رؤيا . نظر «هرشل» الى

القمر لأول مرة فماذا رأى ؟ « أخذ أول الامر يتفقد أراضي القمر وآفاقه احمالا فرأى من ذلك عجبا : رأى بلورات لامعة تشع منها ألوان مختلفة جميلة كالتي تشع من الجواهر والاحجار الكريمة ، إلا أنها ذات جرم هائل ، فهي أشبه شيء باعمدة (الاستالاكتيت) البديعة التي تتدلى من سقوف الغيران . ورأى رواسب الذهب تغمر السفوح والقيعان ، ثم دار بمنظاره فوقع على غابة قريبة « بها اشجار عظيمة اختلفت أجناسها ولمعت أوراقها وتلونت أزهارها ، وطالت بعض فروعها العالية وتدلت حتى نالت الارض . وتمت هذه الغابة الى جانب بحر ذي ضياء سحري كأنما سكنته الحور . . . » وأخيرا وقع على حيوانات القمر فرأى « قطيعا من ذوات الاربع سمراء اللون أشبه شيء بثيران البيسون ، يتميز بغشاء من اللحم كالمظلة على العينين وامتد حتى اتصل بالاذنين ، هو لا شك وقاية من صنع الطبيعة أرادت بها حفظ أبصارها من ضوء يشتد على هذا الجانب من القمر حتى يبهر العين ويؤذيها . واتضح بعد نظرات عديدة أخرى أن حيوانات القمر كلها تشترك في حمل هذا الحجاب الساتر » ثم دار « هرشل » بمنظاره هنا وهنا ، وبعد لأي « رأى جماعة من الطير تهبط الى جانب غابة صغيرة ، ولما مست أرجلها الأرض اختفت اجنحتها واستقام عودها ومشت مشية الانسان » وذات يوم استيقظت البعثة على صوت هاتف يهتف : النار النار . فهرعوا الى ناحية الصوت فوجدوا أنهم كانوا في الليل غفلوا عن أن يوجهوا المنظار غير وجهة المشرق ، فلما طلعت الشمس أصابت عدساته فتركزت على ما وراءها فأحرقته وأحرقت المرصد بما فيه ، وأدهي من ذلك وأنكى أنها أساحت زجاج المنظار نفسه وأتلفت مرآياه فخيم على المعسكر ياس شديد »

هذه كلها بالطبع قصة من خلق كاتبها ، أطالها ومد فيها واستعار لها لغة العلم ، وقواعد العلم ، ونقش العلم ، فسبكها وحبكها وأطلعها على الناس من فوق منبر معروف ، فجرت الشائعة فيهم بالتصديق . ولم تلبث أن جرت فيهم بعد حين شائعة أخرى بالتكذيب . وأسماها التاريخ « ملعوب القمر Moon Hoax »

وكان لهذا الملعوب معان كثيرة ، وكان له عبر كثيرة ، وكانت له مغاز كثيرة ، أقلها أن الناس أسرع ما يكونون الى تصديق الخيال الكاذب الملون منهم الى الايمان بالحقيقة العاطلة القاسية

أما الحقيقة ، ولست أدري أهي عاطلة أم قاسية ، فهي ان القمر بلقع أجرد ، لا ماء فيه ولا نبات ولا حياة .

يتبع   احمد زكي

القصص

السهم الاعظم !

للأديب الانجليزي المعروف

أوسكار وايلد Oscar Wilde

ترجمة الأستاذ بشير الشريقي

كانت الحفلات قائمة في كل مكان لان ابن الملك على أهبة الزواج ، لقد انتظر عروسه ، وهي أميرة روسية ، عاماً كاملا ! وأخيراً جاءته مجتازة اليه المسافة الطويلة من « فنلاند » على زحافة يجرها ستة دببة ، تشبه في شكلها أوزة كبيرة من الذهب ، وبين أجنحة هذه الأوزة اضطجعت الأميرة الصغيرة ملتفعة ببرنس من الفرو يصل الى قدميها ، وعلى رأسها قبعة من الدمقس الفضي ، وكانت في صفرة وجنتيها تشبه قصر الثلج الذي عاشت فيه ، حتى ان الشعب كان كلما رآها تجتاز في عربتها شوارع المدينة يهتف معجباً : « انها كالوردة البيضاء » ويرمي عليها الأزهار من الشرفات .

وعند باب القصر وقف الأمير ينتظر عروسه ، تزين وجهه عينان عسليتان حالمتان ؛ وشعر كالذهب المصقول ، حتى اذا رآها جثا على ركبتيه وقبل يدها متمتماً « كم كانت صورتك جميلة ، ولكنك أجمل بكثير من صورتك » فاحمرت وجنتا الأميرة الصغيرة حياء .

قال وصيف الى رفيقه — كانت من قبل كالوردة البيضاء ، ولكنها الآن « كالوردة الحمراء » وعم القصر السرور

مضت ثلاثة أيام على مجيء الاميرة ، وكل شخص في المملكة كان يردد خلالها « الوردة البيضاء ، الوردة الحمراء ، الوردة الحمراء ، الوردة البيضاء » . كما ان الملك قد أمر بمضاعفة رواتب الوصفاء والوصيفات . ولما كان الوصيف لا يأخذ راتباً لم يثر ذلك اهتمامه الا من ناحية ان أمر الملك الذي نشر في جريدة القصر ، كان بذاته شرفاً عظيماً له .

وكان اجتماعا حافلا هذا الذي سار فيه العروسان ويد كل منهما في يد الآخر ، تحت مظلة من القطيفة الارجوانية الموشاة باللآلئ .

ثم كانت وليمة الدولة التي دامت خمس ساعات ، وقد جلس فيها الأمير والأميرة في صدر القاعة الكبيرة ، وشربا في كأس من البلور الصافي لا يشرب فيها الا المحبون المخلصون ، لأن شفاه الغدر لا تمسه حتى يأخذها القتام والتلبد .

قال الوصيف الصغير : — من الواضح انهما متحابان ، ذلك واضح وضوح البلور ، فضاعف له الملك راتبه للمرة الثانية .

صاح رجال البلاط — ياله من شرف عظيم !

وبعد الوليمة كان الرقص ، وكان على الأمير والأميرة أن يرقصا معا (رقصة الوردة) ووعد الملك أن يعزف بالناي ، ولكنه لم يحسن العزف أبدا ، ولم يجرؤ أحد أن يخبره بذلك ، لانه الملك لم يكن عارفا الا بنغمتين اثنتين ، وقد ظل حائرا ايهما يختار ، مع أن الأمر أهون من ذلك إذ ما من شخص الا كان على استعداد لأن يصيح مهما كان عزف الملك — هذا هو السحر . هذا هو السحر !

وكان آخر ما في البرنامج استعراض الأسهم النارية عند منتصف الليل ، ولم تكن الأميرة الصغيرة قد شاهدت انطلاق هذه الأسهم من قبل . لذلك أمر الملك صاحب الاسهم النارية الملكي أن يكون على استعداد ليلة الزفاف .

سألت العروس الأمير — ماذا تشبه الأسهم النارية ؟

قال الملك وكان يجيب دائما على الأسئلة الموجهة الى غيره — انها تشبه شفق الصباح ، ولكنها أكثر بساطة ؛ انا شخصيا أفضلها على النجوم ، انها مبهجة بقدر ما يبهج عزفي على الناي ؛ من المؤكد انك سوف ترينها .

وهكذا نصبت منصة كبيرة عند نهاية حديقة الملك ، وحالما وضع صاحب الاسهم النارية الملكي كل شيء في مكانه الخاص أخذت الاسهم النارية تكلم بعضها بعضا .

صاح صاروخ صغير — حقا ان العالم جميل ، واني لمغتبط لاني قد تنقلت . ان الترحال يروح القلب ، ويريض العقل ، ويمحو

ما كمن فى النفس من تعصب .

قالت شمعة رومانية كبيرة — ان حديقة الملك ليست العالم ايها الصاروخ الغبى . . العالم مكان واسع جدا ، ولتشاهده تماما تحتاج الى ثلاثة أيام بطولها .

هتف دولاب كثير التفكير قد ثبت الى صندوق قديم — أي مكان تحبه فهو العالم عندك — ولكن الحب لم يعد رائجا فى هذه الايام ، لقد قتله الشعراء الذين تكلموا عنه كثيرا حتى لم يعد يصدقهم أحد . . المحب المخلص يتألم فى صمت . . وانى لأذكر أيام الـ . . ولكن ليس من الضرورى الآن . . الحب شىء جميل عرفه القدماء . . .

قالت الشمعة الرومانية — كلام هراء ! الحب لا يموت أبدا ، إنه كالقمر ، وسيعيش الى الأبد . أضرب لك مثلا : العروسان ، انهما متحابان كل الحب ، لقد علمت هذا الصباح كل شىء عنهما من ورقة سمراء حدث ان كانت فى نفس الدرج الذى كنت فيه : وهى تعرف آخر أخبار البلاط .

ولكن الدولاب القديم هز رأسه وتمتم — مات الحب ، مات الحب ، مات الحب ! ! . . لقد كان من هؤلاء الذين يظنون أنك اذا أعدت الشىء الواحد مراراً عديدة يصبح فى النتيجة حقيقة .

وفجأة سمع سعال خشن رنان ، فالتفت الجميع ليعرفوا مصدره فاذا به آت من سهم طويل له منظر المتشامخ قد ربط الى نهاية عصا طويلة ، وكان من عادته أن يسعل قبل أن يبدى أية ملحوظة ، وذلك ليسترعى الاسماع .

قال — أهيم Ahem ، أهيم Ahem ! وأصغى الجميع الى الدولاب المسكين الذى ظل يهز رأسه — متمتما ، مات الحب ، . صاحت مفرقعة — النظام . . النظام . ، لقد كانت سياسية من بعض النواحى وكان لها دائما عمل معلوم فى الانتخابات المحلية ، لذلك عرفت كيف تستعمل التعابير البرلمانية الخاصة .

قال الدولاب فى خفوت — مات الحب ثم أخذه النوم .

ولما عم الصمت ، وانتشرت السكينة ، سعل السهم للمرة الثالثة وأنشأ يتكلم ، لقد تكلم بصوت هادىء جداً وواضح جداً كما لو كان يملى أفكاره املاء . وكان ينظر دائما الى أعلى أكتاف الشخص الذى يخاطبه : وفى الواقع كان أسلوبه رائعا . .

قال — من حسن حظ ابن الملك أنه سيتزوج فى نفس اليوم الذى سأنطلق فيه ! حقيقة رب صدفة خير من ميعاد ؛ ولكن الأمراء موفقون دائما .

قال الصاروخ الصغير — يا عزيزى أظن الامر على العكس تماماً ، فاننا سوف ننطلق على شرف الأمير .

أجاب — قد يكون ذلك صحيحا بالنسبة اليك . بل انى لاأشك فيه ، ولكن الامر معى يختلف جداً . . اننى سهم عريق فى المجد . . وقد تحدرت من أبوين نبيلين ، كانت أمى أعظم عجلة ، فى عصرها ، وكانت مشهورة برقصها البديع ، وقد عاشت معلقة بأحسن البارود ، وكان والدى شبيهاً بى ، ومن أصل فرنسى ، اذا أنطلق ارتفع جداً حتى كان الناس يخشون ان لا يعود اليهم . . ولكنه كان يعود ، وكثيراً ما كتبت الصحف عن أعماله بعبارات الاطراء والاعجاب . وفى الحق ان جريدة البلاط قد لقبته ببطل ، الأسلم النارية ! ،

قال الضوء البنغالى — تريد ان تقول ، الاسهم النارية . . الاسهم النارية . . ! ،

أجاب السهم بلهجة خشنة — حسن ، لقد قلت الأسهم النارية ، ثم استمر فى حديثه . . لقد كنت أقول . . لقد كنت اقول . . ماذا كنت أقول ! ؟

أجابت الشمعة الرومانية — كنت تتحدث عن نفسك

— طبعاً ! أنا أعلم بانى كنت ابحث فى موضوعات طلية حينما قوطعت بكل وقاحة . . أنا أمقت الوقاحة والردىء من الصفات ، لاننى حساس باوسع معانى هذه الكلمة . . . ما أظن أن فى العالم من هو أقوى شعوراً منى . . اننى متأكد تماماً من ذلك .

قالت المفرقعة للشمعة الرومانية — من هو الشخص الحساس ؟

اجابت الشمعة الرومانية فى همس لايكاد يسمع — هو الذى يطأ دائما أصابع أقدام الآخرين .

فانفجرت المفرقعة عن هدير من الضحك .

السهم محنقاً — أرجوك ، علام تضحكين ! أنا لست اضحك

أجابت المفرقعة — انى اضحك لاننى مسرورة .

قال السهم غضبان — انه لعذر أقبح من ذنب . يدل على انانيتك المفرطة ، قولى ما الذى يجيز لك أن تكونى مسرورة . . يجب أن تفكرى فى الغير ، بمعنى انك يجب ان تفكرى فى : اننى افكر دائماً فى نفسى ، وانى لأتوقع من كل شخص أن يفعل فعلى ، ذلك مايسمونه ، الأثرة ، وانها لنعم الفضيلة ، لنفترض على سبيل المثال ، انه

قد حدث لى مكروه الليلة فكيف يكون حال كل واحد ؟

الأمير والاميرة لن يسرا بعدذلك ، وستنقلب حياتهما الزوجية رأساً على عقب ، وكذلك الملك فان اضطرابه سيكون عظيما أيضاً . حقيقة انى لا أكاد ابداً فى تصوير خطر مركزى حتى تغلبنى الدموع

فصاحت الشمعة الرومانية — أرى الأفضل لك اذا كنت تحب الخير للغير ان تبقى جافاً

وهتف الضوء البنغالى — بالتأكيد ، هذا ما يقضى به الشعور العادى . .

قال السهم فى استهزاء — الشعور العادى !.. حقاً لقد نسيتم بانى غير عادى ، وانى عظيم جداً .. لماذا . كل شخص يمكن ان يكون ذا شعور عادى ولكن يكون محروم الخيال ، أما أنا فخيالى لانى لا أنظر الى الاشياء كما هى ابداً .. انى افكر فيها من ناحية بعيدة عن الحقيقة . حقاً لا يوجد بينكم من يحمل قلباً . . انكم تضحكون وتلهون كأن الامير والاميرة لم يقترنا الساعة .

هتف منطاد نارى صغير — حسن حقاً .. ولماذا لا نضحك ولا نلهو .. انها خير فرصة نغتنمها للسرور ، لقد صممت ان أخبر النجوم عن ليلتنا ، حين احلق فى الهواء .. وسوف تراها تتلألأ حين أحدثها عن العروس الجميلة . .

قال السهم — آه ياله من رأى سخيف !.. ولكن هذا ما كنت انتظره .. لاشىء فيك ، انك منتفخ فارغ .. لماذا .. قد يذهب الأمير والاميرة ليعيشا فى بلاد يجرى فيها نهر كبير .. وقد ينجبان ولداً وحيداً ذا شعر جميل وعينين عسليتين كعينى الأمير ، وقد يخرج فى أحد الايام ليسير مع وصيفته ، وقد تذهب الوصيفة لتنام تحت الشجرة الكبيرة الضخمة ، وقد يسقط الولد الصغير فى النهر العميق ويغرق ، ان من المصائب الهائلة ، أيها الناس المساكين أن يفقد الأمير والاميرة ولدهما الوحيد .

قالت الشمعة الرومانية — ولكنهما لم يفقدا ولدهما الوحيد ولم يحدث لهما مكروه .

أجاب السهم — أنا لم أقل انه قد حدث ذلك لهما ، بل قلت انه قد يحدث لو انهما فقدا ولدهما حقيقة لما كان من ضرورة للبحث فى الموضوع ، انى اكره الذين يكونون على الحليب المراق ، ولكن حين أفكر أنهما قد يفقدان ولدهما الوحيد أشعر بألم عظيم

صاح الضوء البنغالى — حقيقة تشعر بألم عظيم . بمعنى أنك ارق شخص عرفته فى حياتى .

قال السهم — إنك أغلظ شخص عرفته فى حياتى وإنك لاتستطيع أن تفهم صداقتى للأمير .

فزمجرت الشمعة الرومانية قائلة — ماذا ؟ أنت لا تعرفه معرفة مجردة

أجاب السهم — أنا لم أقل أبداً بأنى أعرفه . . وانى أعلن بكل جرأة بأنى اذا عرفته سوف لا أكون صديقاً ؛ إنه لأمر جد خطير أن يعرف المرء صديقه ؛

قال المنطاد النارى — حقاً انى من الأفضل لك أن تظل جافاً . هذا هو الأمر المهم

أجاب السهم — مهم جداً بالنسبة اليك — أنا لا أشك فى ذلك ؛ أما أنا فسأبكى حين أشاء ؛ وبالفعل تفجرت منه دموع حقيقية ؛ جرت على عصاه كقطر المطر . فأغرقت خنفستين صغيرتين فى اللحظة التى كانتا فيها تفكران فى بناء بيت لهما وتفتشان عن بقعة جيدة جافة تعيشان فيها . قال الدولاب — يجب أن يكون ذا طبيعة خيالية حقيقية لأنه يبكى من دون أن يكون هنالك موجب للبكاء أصلا . . ثم صعد زفرة عميقة :

عندئذ طلع القمر أشبه شىء بدرع فضى عجيب ؛ وأخذت النجوم تتلألأ ؛ وأصوات الموسيقى تتعالى من القصر .

كان الأمير والأميرة يرأسان الرقص ؛ ولقد بلغ من جمال رقصهما أن السوسن الأبيض الطويل أطل من النافذة يتفرج ، والخشخاش الأحمر العظيم مد رأسه يمتع ناظريه ويتسلى .

ثم دقت الساعة العاشرة فالحادية عشرة ، فالثانية عشرة ، وعند منتصف الليل خرج كل شخص الى الشرفة الواسعة ثم أرسل الملك فى طلب صاحب الاسهم النارية الملكى .

قال الملك له — أطلق أسهمك النارية .

فانحنى الرجل الى الارض وسار الى نهاية الحديقة وبرفقته ستة معاونين قد حمل كل منهم مشعلا مضيئا معلقا فى رأس عمود طويل

لقد كان استعراضا ، بديعا موفقا فقد نجحت كل الاسهم الا السهم الأعظم ! فقد كان مبتلا بالبكاء لدرجة أنه لم يتمكن من الانطلاق ابداً ؛ كان خير ما فيه البارود ، وهذا تشبع بالدموع حتى أصبح بلا فائدة .

قال السهم — يغلب على ظنى أنهم احتفظوا بى لأمر خطير ، وبدا أكثر تعجرفا من قبل

جاء العمال فى اليوم الثانى ليعيدوا كل شىء إلى مكانه

قال السهم — هؤلاء على مايظهر — هم الوفد ، وانى سأقابلهم بما يجب من العنجهية ، وهكذا وضع انفه فى الهواء وقطب حاجبيه كأنما يفكر فى امور خطيرة ؛ ولكنهم لم ينتبهوا اليه الا فى اللحظة التى هموا فيها بمغادرة المكان ؛ عندئذ رآه أحدهم فصاح ياله من سهم ردىء !! (Bad) ورمى به الى الخندق من أعلى الحائط .

قال وهو يتقلب فى الهواء — سهم ردىء Bad ! سهم ردىء ! مستحيل ! سهم عظيم Grand .. هذا ما قاله الرجل .. ردىء وعظيم لهما وقع واحد فى الاذن ، وحقيقة انهما — فى الغالب — شىء واحد ! وسقط فى الوحل ! . فابدى هذه الملحوظة :

إنه ليس بالمكان المريح ... ولكن مما لاشك فيه انه مكان على « الموضة » ، وانهم قد أرسلونى الى هنا لا ستعيد قواى : حقيقة ان أعصابى محطمة ، وأننى فى حاجة الى الراحة .

حينئذ سبحت اليه ضفدعة صغيرة ذات عينين لامعتين وظهر أخضر ارقش ..

قالت الضفدعة — أرى قادما جديداً .. حسناً ، بعد كل شىء لا يوجد مثل الوحل ... أعطنى جواً ممطراً وخندقاً فأكون جد سعيدة ؛ هل تظن أن السماء ستمطر بعد الظهر ؟ إنى آمل ذلك ، ولكن السماء زرقاء صافية .

قال السهم — أهيم Ahem أهيم Ahem ! وأخذ يسعل ، فصاحت الضفدعة — إن لك صوتاً جميلا .. انه أشبه شىء بالنقنقة ؛ والنقيق طبعا أرق موسيقى فى العالم ، سوف تسمع أغانى نادينا هذا المساء ، اننا نقيم فى بركة البط القديمة بالقرب من بيت الفلاح ، ولا يكاد يطلع القمر حتى نبدأ غناءنا ، انه يؤثر فى النفس لدرجة أن كل شخص يتمدد فى الفراش يقظا ليصغى الينا ؛ بالامس فقط سمعت زوجة الفلاح تقول لامها : انه لم يغمض لها جفن طوال الليل بسببنا . انه لمما يبهج النفس أن يجد المرء نفسه مشهوراً بهذا المقدار .

قال السهم مغضبا : — إهيم ! إهيم ! ولم يزد . لقد بلغ به السخط مبلغا عقد لسانه .

الضفدعة مستمرة — حقاً انه لصوت جميل .. آمل انك ستأتى الى بركة البط .. أنا ذاهبة أفتش عن أخواتى .. ان لى ست اخوات جميلات ، وانى لأخشى أن يصادفهن « الكركى » ؛ انه وحش كاسر وسوف لا يتردد فى أن يتغذى بهن .. وداعا .. انى جد مسرورة من محادثتنا ، وأظنك كذلك .

قال السهم — محادثة ... حقا ... لقد احتكرت الحديث كل الوقت ، ان ذلك ليس بمحادثة .

أجابت الضفدعة — واحد يجب أن يصغى .. وأنا أحب أن أستقل بالحديث ... ان فى ذلك اقتصاداً فى الوقت وحيلولة دون الجـــدل .

قال السهم — ولكننى أحب الجدل .

قالت الضفدعة بأدب — ما أظن ذلك .. الجدل دليـــل الوحشية ، لان كل أعضاء الهيئة الاجتماعية الراقية يحملون أفكاراً واحدة . وداعا للمرة الثانية .... انى أرى أخواتى من بعيـــد ، وسبحت الضفدعة الصغيرة مبتعدة .

قال السهم — أنت جد مزعجة : وجد جاهلة ؛ انى أمقت الذين يتحدثون عن أنفسهم — كما تفعلين — حين يود أحدهم أن يتحدث عن أحد الأشخاص — كما أفعل أنا — وهذا ما أسميه أنانية ؛ والأنانية أمر لا يطاق : خصوصا على من كان فى مزاجى ، لانى معروف بحسن العطف على الغير ؛ . كان عليك أن تعتبرى بى ؛ انك لن تجدى انموذجا أفضل منى ؛ والآن وقد حصل لك شرف التعرف إلى ، يجدر بك أن تغتنمى الفرصة لانى عائد الى البلاط حالا ؛ انى محبوب جدا فى البلاط ؛ وقد اقترن الأمير والأميرة على شرفى ؛ أنت طبعاً لا تفقهين شيئا من هذه الأمور لانك قروية .

قال يعسوب كان جالسا على ورقة كبيرة سمراء من ورق البردى : لا فائدة من مخاطبتها ؛ لافائدة أبداً . لانها قد ذهبت ..

أجاب السهم — حسنا ، إن فى ذهابها خسارة لها لا لى ؛ أنا لا أقف عن محادثتها لمجرد أنها غير مصغية الى .. انى أحب أن أسمع نفسى أتكلم دائما . وهذا من أبهج المسرات عندى ، كثيرا ما ترانى أحدث نفسى أحاديث طويلة دون أن أفقه كلمة واحدة مما أقوله . وهذا دليل الذكاء المفرط ..!

قال اليعسوب — اذن تكون محاضرا فى الفلسفة فى مثل هذه الحال ، ونشر جناحيه الجميلين الرقيقين وحلق فى السماء .

قال السهم — انها لسخافة منه الا يمكث هنا ؛ انا اعتقد أنها فرصة ثمينة له قل أن يقع على مثلها ؛ تفيده اضاءة فى عقله ؛ وعلى

كل فهذا لايهمني ، من المؤكد أنه لا بد وان يعرف الناس يوما ما قدر العبقري الذي يكون مثلي » .. وغاص قليلا في الوحل .. .

وبعد قليل جاءت تتهادى اليه بطة كبيرة بيضاء ، ذات سيقان صفراء ، وأقدام غشائية ..

قالت — كواك . كواك . كواك ! ازلك شكلا غريبا .. هل لي أن أسألك هل ولدت على هذا الشكل أو هو شكل طارىء ؟

وأجاب السهم — من الواضح انك انفقت عمرك في الريف ، والا لعرفت من أنا ، وعلى كل فانا أغفر لك جهلك ، من الظلم أن تتطلب من الغير أن يكون مثلك عظيما .

أنا لا اشك في انك ستدهشين حين تعلمين باني استطيع أن أطير إلى السماء وأن اهبط الأرض في مظهر الغيث الذهبي

قالت البطة — انا لا اهتم كثيرا بهذا ؛ لانني لا اجد فيه ادنى فائدة لأحد الآن ؛ اذا كنت تستطيع ان تحرث الحقل كالثور ؛ او تجر عربة كالجواد ؛ او تحرس الأغنام كالكلب الاسكتلندي : هذا يمكن ان يكون شيئا !

فصاح السهم في غطرسة وتعجرف — أرى انك تنتمين الى طبقة وضيعة ، شخص في مركزي لايفيد أبداً : لنا أعمال معلومة ، وهذا فوق الكناية ، انا شخصياً لا أميل الى نوع من الصناعات ، خصوصاً هذه التي نوهت لي بها ، ساعة من ساعات تفكيري هي بالصناعات كلها

قالت البطة — وهي بطبيعتها مسالمة ، ولم تتورط في مجادلة أحد — حسناً . حسناً . لكل رأيه . أكبر ظني انك ستقيم هنا ، في هذا الخندق .

صاح السهم — اوه ، كلا ياعزيزتي . لست أكثر من زائر ، زائر ممتاز . حقاً لقد أضجرني هذا المكان حيث لا جمعية راقية ولا وحدة آمنة ، على الأرجح اني سأعود الى البلاط ..

قالت البطة — إني افكر في دخول الحياة العامة يوماً ما . . وعلى الآن ان أذهب الى البيت واعتني بعائلتي .

قال السهم — لقد خلقت للحياة العامة ، وكذلك جميع اقربائي ، نثير الاهتمام حيثما وجدنا ! وعلى ذكر الحياة العائلية أقول انها تهرم الانسان بسرعة وقبل الاوان ، وتصرف العقل من الافكار السامية

قالت البطة — آه .. الافكار السامية : ما أنفسها ! إنها تذكرني بما أشعر به من جوع ، وسبحت الى أسفل الغدير وهي تقول : كواك . . . كواك . . كواك

زعق السهم — ارجعي . ارجعي . عندي أشياء كثيرة أريد ان اقولها لك ، ولكن البطة لم تصغ اليه : قال لنفسه : أنا مسرور لانها ذهبت ، لاريب انها صغيرة العقل جداً . ثم غاص في الوحل قليلا ايضاً ، وفي الوقت الذي ابتدأ يفكر فيه بوحدة العبقري ظهر فجأة ولدان صغيران يركضان نحو الشاطىء في قمصان بيض يحملان قدراً وأعواداً ..

قال السهم — هؤلاء يجب أن يكونوا الوفد . وعمل على ان يظهر بمظهر العظيم

صاح أحد الولدين — تعال . انظر الى هذا العود العتيق (Old) اني لاستغرب ما الذي جاء به الى هنا . وأخرج السهم من الخندق

قال السهم — عود عتيق ، مستحيل ؟! عود من ذهب Goed Stick. عود من ذهب ، هذا أحسن أنواع المديح . .

قال الولد الآخر — دعنا نضعه في النار ، انه سيساعد على غليان القدر .

وهكذا كدسا الأعواد بعضها على بعض ، ووضعا السهم في الذروة ، واشعلا النار

صاح السهم — هذا بديع ! إنهم يودون اطلاقي في وضح النهار لكي يراني كل إنسان .

قال الولدان — انا نذهب لننام الآن ، وحين نستيقظ تكون القدر قد غلت ؛ واضطجعا على الحشيش وأغمضا عيونهما .

كان السهم مشبعا بالماء ، لذلك احتاج احتراقه الى وقت طويل ؛ وعلى كل حال فقد بلغته النار أخيراً

صاح — الآن سأنطلق . . يقينا اني ساعلو على النجوم ، سأعلو على القمر ، سأعلو على الشمس ، بمعنى أني سأعلو . . .

— ويز ، ويز ، ويز ، وحلق في الهواء . . .

صاح : هذا مبهج ! سأظل في هذا الصعود الى الأبد ؛ ياله من نجاح عظيم ! ولكن لم يره أحد

ثم أخذ يحس بشعور غريب يستولى عليه فصاح : الآن سأنفجر ، وسأحرق الأخضر واليابس ، وسأترك دويا يظل حديث الناس أعواما طوالا » وفعلا انفجر ! بم ! بم ! بم ! لقد خرج البارود ، ولا شك في ذلك ؛ ولكن لم يسمعه أحد ، حتى ولا الولدان الصغيران ، لانهما كانا يغطان في نومهما .

وهكذا لم يبق منه الا العصا ، وهذه سقطت على ظهر أوزة خرجت تتنزه الى جانب الخندق

عندئذ صاحت الأوزة — يا إلهي ان السماء تمطر عصيا ؛ واندفعت نحو الماء .

لهث السهم — لقد علمت من قبل انى خالق شعوراً عظيماً !

شرق الاردن — بشير الشريقي
المحامي



حاضر العالم الاسلامى

تأليف لوثروب ستودارد الامريكى

ترجمة الاستاذ حجاج نويهض وتعليق الأمير شكيب أرسلان

لنا فى كل يوم مثل جديد ينهض دليلا قاطعا على أن النهضة الفكرية الحديثة جادة لا هازلة، قوية لا تعرف الخور، ثابتة الأصول لا يخشى على بنائها من الزلل والسقوط، فهى نهضة تستمد الوحى من ماضيها الناصع المجيد، ثم لا تقف عند ذلك رائية باكية، إنما هى تتخذ من ذلك الماضى عدة، وعماد المستقبل تنظر اليه بعين يملأها الأمل، وقلب يحدوه الرجاء. وأن نهضة لا تقيم صرحها فوق هام ذلك العماد الركين، لهى هباء يسبح فى الهواء، لا يتصل بالأرض ولا يرتفع إلى السماء. لأنها عندئذ تكون هائمة فى عزلة زمنية، لا تعرف لشوطها مبدأ ولا نهاية، كما يخبط ذو السبيل الجائر فى بيداء موحشة مقفرة، يرى الموت جاثما فى أحضان كثبانها أنى سار

وإنا نضرب لك مثلا أوروبا حين قامت تنفض عن نفسها غبار القرون الوسطى ونهضت تشيد حياة جديدة زاهرة، فلم تنشىء جديداً من عدم، ولا هى أولت القديم ظهرها مزدرية له ناقمة عليه، بل نظرت إلى الوراء قبل أن تبدأ السير إلى الإمام، واستلهمت التاريخ - تاريخ الاغريق والرومان - لتستقى من معينه الدافق ماء الحياة التى تريد.

من أجل هذا، يحق لنا أن ننظر إلى نهضتنا نظرة فيها ثقة ورجاء، لأننا نلاحظ فيها نلاحظ اتجاها الى تاريخ العرب والإسلام، يزداد سعة وشمولا فى اطراد لا ينقطع، وأقل ما يقال فى هذا الاتجاه، انه يشحذ الهمم الخامدة، ويهدى نهضتنا سبيلا سواء.

فبين يدى الآن مجلدات أربعة، كتبت فى حاضر العالم الاسلامى، ألفها الكاتب الأمريكى لوثروب ستودارد ثم نقلها الى العربية الأستاذ عجاج نويهض وفيها فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الاسلامية وتطورها الحديث بقلم الأستاذ الكبير والمجاهد العظيم الأمير شكيب أرسلان، وقد يظن القارىء — وله عذره فى هذا الظن — أن الكتاب المترجم هو الأصل، وان ما كتبه الأمير شكيب حواش متناثرة هنا وهناك، ولكن الواقع نقيض ذلك، فالفصول المترجمة لا تتجاوز خمس المقدار، وأربعة الأخماس الباقية هى حواش للامير، وانه ليخيل الى أن كتاب لوثروب اتخذ تكأة لنشر هذه الفصول الكثيرة القيمة التى دبجتها يراعة الأمير شكيب أرسلان فى شئون المسلمين والاسلام

فأما الفصول المنقولة الى العربية التى استأثرت بعنوان الكتاب فهى تسع كلها بحث دقيق فى حالة الشعوب الاسلامية فى العصور الحديثة، فهو يحدثك فى تحليل ممتع عن اليقظة الاسلامية، والجامعة الاسلامية وسيطرة الغرب على الشرق، والتطور السياسى، والعصبية الجنسية والتطورين، الاقتصادى والاجتماعى، ثم يختم فصوله ببحث فيما يسود تلك الشعوب من قلق يدفعها الى الثورة والانقلاب

أما حواشى الأمير فليس الى حصرها من سبيل، وكلها شيق ممتع ولكنها - عندى - قد خرجت بالكتاب عن وحدته وتجانسه، بل خرجت بالكتاب عما يجب أن تكون عليه الكتب من تركز فى موضوع بعينه، وأدنته من دوائر المعارف التى من شأنها أن تجمع بين دفاتها شتيتا من ضروب العلم والمعرفة، وهو يعترف بذلك فى المقدمة اذ يقول عن هذا الكتاب انه لم يصل بعد الى الدرجة المنشودة من السعة والشمول، وانه يرجو ان تتسع يوما ما حتى «يصح أن يقال ان فى اللغة العربية انسيكلوبيديا اسلامية أشبه بموسوعات العلوم التى عند كل أمة من الأمم الراقية التى يقتدى بها»، ثم يستطرد فيحفز همة الحكومات لوضع تلك «الانسيكلوبيديا» فيقول «وهذا الأمر وهو وضع معلمة أسلامية وافية ضافية لا يجوز ان يغيب عن نظر الحكومات الاسلامية التى تبغى الفلاح، وتنشد الرقى والطيران الى النجاح بجناح ...»

ومهما يكن من أمر هذه الفوضى فى التأليف التى لا نطمئن اليها

ولا نرضاها ، فهو كتاب جليل القيمة كبير النفع ، ويجدر بنا أن نقتبس لتقديمه الى القراء عبارة الأمير التى صدر بها الكتاب . أما كتابنا هذا فى اجزائه الأربعة فانه يجوز أن يقال إنه معلمة اسلامية صغيرة ، بل هو فى المباحث الجغرافية والتاريخية والاحصائية عن أقطار الاسلام النائية وبقاعه المجهولة فذ فى بابه ، وكذلك يمتاز هذا الكتاب بالمباحث السياسية التى قيض لمحررها ان يعلمها من عين صافية ، وأن يقف على الرواية الوثقى منها بطول خبرته ، وقرب سنده ، واستمرار مزاولته لهذه الأمور ٤٧ سنة ، وفيه بعد تراجم وأخبار ، لم يسجلها كتاب ولا جرى بها قلم ، فلا يجدها الناشد فى غيره اذ هى نتيجة مشاهدات الكاتب وما رآه بالعين وما سمعه بالأذن ، وما كان له فيه أخذ ورد . وعلى كل حال ففى هذا الكتاب من الطريف ما لا يسع انكاره الجاحد ، ولا يضيره مراء الحاسد . ولا شك فى ان الأمة الاسلامية الناهضة الى تجديد تاريخها ، النازعة الى النماء بجميع فروعها وشماريخها ، ستتفطن الى كل ما يعوزها من هذه المقاصد الجليلة ، ومن جملتها تأليف المعلمة الكبرى التى هى من ضرورات رقيها وأشراط نموها ؟

زكى نجيب محمود

قلب جزيرة العرب

تأليف الأستاذ فؤاد حمزه

لسنا نشك فى أن الشرق العربى يجتاز اليوم عصراً ذهبياً زاهراً لا يكاد يدنو من غباره كل ما سلف من عصور ، وكأنى بالحياة قد دبت فى أعضائه المتزايلة ، فأخذت تنهض وتسعى الى النشاط والحركة ، بعد رقدة طال أمدها ، حتى حسبناها ضجعة الموت والفناء ، وها هو ذا ينهض ويستقيم على قدمين راسختين ، يشاطر اوربا فى الحركة الفكرية ويبادلها الى حد ما انتاجا بانتاج . وما زالت تزداد حركة التأليف فى كل يوم قوة وسعة وانتشارا بعد إن كنا الى عهد قريب لا نصادف فى المكتبة العربية ما يشبع للباحث حاجة أو يسد له رمقا — كائنا ما كان موضوع البحث — وكنا نقابل ذلك العقم والإجداب بالأسى والأسف ، فليس يسيرا على النفس الفتية الأبية أن تظل متكئة على عكازة الغرب فى كل ما تطرق من بحوث ، حتى ما يمس منها حياتنا فى اللب والصميم

وانا نسوق اليوم لهذه النهضة التأليفية مثلا جديدا هذا الكتاب الجديد : قلب جزيرة العرب الذى دبجته يراعة قديرة ونسقه فكر قدير .

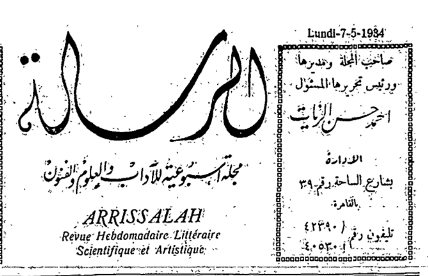
ولقد كان أول ما اختلج فى نفسى من خواطر ، حينما تناولت يدى هذا الكتاب ، دهشة عميقة ، فيها كثير من السخرية بالماضى ، وفيها كثير من الأمل فى المستقبل ، فقد تساءلت : أفهذا أول كتاب حديث يكتب عن جزيرة العرب وهى تلك الديار التى تنزل منزلا ساميا من العقول والقلوب جميعا ، والتى تضطرب لها كل نفس بأدق المشاعر وأجمل الذكريات ؟ ! عجيب لعمرى أن يظل هذا النقص دون أن ينهض من الكتاب من يسد ثغرته ، واذن فقد ملأ هذا الكتاب الذى نحن بصدده فراغا شاسعا وأكمل نقصا معيبا شعر به المؤلف الفاضل الأستاذ فؤاد حمزة ، وشعرنا به جميعا ، فقد حمله على وضع كتابه هذا شعوره ، بنقص خزانتنا العربية وافتقارها الى مؤلف جامع لأحدث المعلومات الجغرافية والطبيعية والاجتماعية عن البلاد العربية ، وحاجة الجمهور الى مرجع حديث ، سهل التناول ، يجمع ما تفرق من المعلومات العامة فى الكتب العربية القديمة ، وكتب المستشرقين والرواد الاوروبيين مما لا وجود له فى اللغة العربية . والحقيقة ان جميع الذين يعنون بالشؤون العربية ويتتبعون

2 me Année, No 44

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi 7-5-1934

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠

العـــدد ٤٤ — « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ محرم سنة ١٣٥٣ — ٧ مايو سنة ١٩٣٤ » — السنة الثانية

فهرس العـــدد

يوم الجمعـــة . . . .

كان أمس الأحد ، ومن قبله كان السبت ، ومن قبلهما كان يوم الجمعة ! ثلاثة أيام تتعاقب فى مدار الأسبوع تعاقب الجياد فى مضمار السبق ! يحمل كل منها فى رأسه علم دولته ، وعلى صدره عنوان ملته ، ويشرق على قومه فى المسجد أو فى الكنيس أو فى الكنيسة اشراق الحب فى الفؤاد الغرير ، أو الإيمان فى النفس الرضية ، فيؤلف ما نفر من القلوب بالمودة ، ويعود بما شرد من النفوس الى الجماعة ؛ ثم يكون فى البيت مصدر أنس وبهجة ، وفى المدينة مظهر استقلال وعزة . ولقد كان فيما سلف من مؤاتاة الدهر شأن يومنا فى الأيام ، كشأن قومنا فى الاقوام : صدارة يكنفها جلال ملك ، وامارة يسندها سلطان دين ، وعيد يأتلق جماله فى كل مكان وفى كل نفس ، وفترة تحدد للناس مواقيت العيش ومراحل الزمن ، وكان له فى أدب الدين قواعد مقررة ، كالاغتسال ، والطيب ، واتخاذ الزينة ، وشهود الجماعة ، ومودة القربى ، وصلة المساكين ، وترفيه البدن بالراحة ، وتطهير النفس بالعبادة ، واعلان مجد الله باعزاز دينه ، وسلطان الشعب

باعلاء امره؛ ولم يكن السبت والاحد يومئذ الا شعاعاً لضوئه، واتساعاً لمداه!

ثم غيرنا فغيّر الله، فاذا بالتابع يأخذ المهلة على المتبوع، واذا يوم الجمعة يصبح طرفاً في ذيل الأسبوع، فلا تخشع له أسواق العالم كيوم السبت، ولا تسكن له حركة الدنيا كيوم الأحد، ولا يبقى له من الرعاية عند أهله، الا اغلاق دور الحكومة في وجهه!

* * *

استعرض هذه الأيام الثلاثة بالاعتبار والموازنة، تجد كلاً منها صادق الدلالة على حال أهله! فيومنا يجيء كما ترى خافض الجناح، خافت الصوت، حائل اللون، مخضود الشوكة، مغموط الحق، لا يدخل في حساب الناس، ولا يقدم ولا يؤخر في حياة المجتمع!

فمظهره الديني تضاءل حتى صار صلاة عادية لا يقيمها الا القرويون الطارئون على المدينة، والحضريون الفارغون من العمل!

ومظهره المدني انحصر كما قلنا في عطلة الحكومة. ومن المؤونة المعجزة أن تطلب العطلة وما يتبعها عند غير الحكومة، فان جمهور الشعب اما تاجر يتبع في نظامه البنوك الأوربية، وأما عامل يخضع في عمله لرءوس الأموال الأجنبية، فلم يبق الا الموظفون الرسميون، وهم وحدهم الذين يستطيعون بما تهيأ لهم من اليسر والفراغ اجلال هذا المظهر، وإعلان هذه الشعيرة، فتعال ننظر كيف يقضي هذا العيد في بيت الموظف

في البيت الذي ألهمني هذا المقال أسرة مسلمة عميدها موظف كبير، وأسرة يهودية كاسبها تاجر صغير، وأسرة مسيحية عائلها مستخدم متوسط.

ففي يوم السبت ينبعث في المسكن اليهودي تاريخ اسرائيل بأساطيره وتقاليده وعقائده، فالتوراة تتلى، والصلوات تُقضى، والذكريات تستيقظ، والمجاري الروحية تنحدر من الاجداد الى الاحفاد فتوثق الروابط، وتجدد القوى، وتُهوّن العظائم، ثم تخرج الأسرة بأسرها، في زينتها وبِشرها، فتتناول عشاءها في مطعم سامر، وتقضي أمسيتها في ملهى ساهر

وفي يوم الأحد يحول المسكن المسيحي الى عرس أنيق مترف: فالأسرة تعود من القداس في ألوان الزهر وأفواف الوشي، والغُرف تضحك من طلاقة النفوس واتساق الأثاث، والمائدة المزهرة تحفل بأفانين الشراب السائغ والطعام الهنيء، والبيانُ الفخم تحت الأنامل الطفلة يقطر بالنغم العذب واللحن البهيج، والفنغراف يدور بأناشيد الرقص فيمسي البهو بالزائرين والزائرات أشبه بأعشاش الربيع كلها مناغاة وهديل وهزج!

وفي يوم الجمعة يصبح المسكن المسلم عابساً كالكهف، ساكتاً كالمقبرة!

فالبك قضى ليلة سهران، فهو نائم نومة الضحى! فلا تسمع حساً ولا حركة، الا صوتاً شديد الخفوت يستعين بالاشارة على ان يهمس الحين بعد الحين:

— هس س س! خفّض من صوتك! خفف من مشيك! لا تلعب بهذا! لا تعبث بذاك! أبوك نائم!

والبك يأخذ حمامه الاسبوعي الحار فيشغل الحمام ساعتين! فتمضي الظهرة والفتاة لا تستحم، والعجوز لا تتوضأ!

والبك مدعو الى العشاء، عند بعض الاصدقاء، فالمطبخ بارد هادىء، وطعام اليوم بقية طعام الأمس!

والبك يتهيأ للخروج، فالأسرة كلها في خدمته: هذه تنظف البدلة، وتلك تمسح الطربوش، وهذا يذهب برباط الرقبة الى الكواء، وذلك يستعجل الخادم بالحذاء، وأخيراً يخرج البك!! فيتنفس البيت الصعداء، ويستروح المكروب نسيم الرخاء!

وهكذا يمر عيد الاسبوع على هؤلاء القوم، وهم يقولون يالله ما أثقل روح هذا اليوم!!

احمد حسن الزيات

الضمير الهارب

للدكتور طه حسين

لم يكن صاحبي ساذجا ولا غليظ القلب طاهره كهذا الضابط الفرنسي الذي أظنك رأيته في دار من دور السينما ، يأتمر مع أصحابه ليغير النظام في فرنسا ويرد الى العرش ابن نابليون . فبينا هو ذات يوم يمشي على رصيف من أرصفة باريس لقي رفيقا من رفاقه في جيش الامبراطور . وكان العهد قد بعد بينهما فوقع اللقاء من نفس الرجلين موقعاً حسناً ، وتحدثا عن الجيش وعن الامبراطور ، وتحدثا عن أمس وعن غد ، ولم يكرها أن يذما يومهما ويسرفا في ذمه . ثم ذهب الصديقان إلى حيث كان الضابط يقيم ليتحدثا في حرية وأمن ودعة . وأخذ الضابط يحدث صاحبه عن أصدقائهما وما يأتمرون به ، ثم ما زال الحديث ينتقل بهما من موضوع إلى موضوع حتى عرف الضابط أن صديقه لم يقم على عهد الامبراطور ، وانما آثر لين الحياة فعمل في جيش الملك . هنالك لم يستطع الضابط أن يلوم صاحبه ولا أن يعاتبه ؛ ولا أن يناقشه في شيء ، ولم يزد على أن اطفأ المصباح حتى لا يرى وجه هذا الصديق الخائن وفهم الرجل عن صديقه فانصرف عنه خزيان أسفا .

لم يكن صاحبي ساذجا غليظ القلب طاهره كهذا الضابط الفرنسي ، وانما كان رجلا مترفا لا في حياته المادية ، بل في حياته المعنوية خاصة . كان مترف العقل جدا لا يكتفي بظواهر الأشياء ولا يقنع بحقائقها ، وانما يبتغي شيئا أرقى من الظواهر وأعمق من الحقائق كأنه اللب والخلاصة لكل شيء . وهو اذا وصل الى هذه الخلاصة وذلك اللب لم يقنع بهما وانما تخير منهما أنقاهما وأرقاهما وأشدهما ملاءمة للعقل الممتاز ، والذوق الرفيع ، والشعور الراقي ، والنفس الأبية العالية . وكان صاحبي هذا قوي الحس جدا ، ولكنه كان شديد الازدراء للحس ، يضعه في موضعه الطبيعي فلا يكبره ولا يغلو في العناية به ، ولا ينتظر منه الا ما ينتظر من الاداة التي لا يراد منها الا ان تؤدي العمل الذي هيئت له ، فهو لا يريد من حسه الا ان ينقل اليه صور الحياة الخارجية ، فاذا نقلها اليه شغل بها فحقق ودقق ، ومحص وصفى ، وآثر نفسه بخلاصة ما ينتهي اليه التحقيق والتدقيق والتمحيص والتصفية ، فغذى به عقله وقلبه وشعوره ؛ وفكر فيه فأطال التفكير ، واستخرج منه أقصى ما يستطيع استخراجه من اللذة والألم ؛ ومن العبرة والعظة ، ومن الغبطة والحزن ..

وكان صاحبي هذا بحكم هذا المزاج الخاص معقدا شديد التعقيد متعبا لنفسه ولأحبابه وأصدقائه جميعا ، وكان كثيرا ما يسأل نفسه عما يريد فلا يجد لهذا السؤال جوابا . وكان اصدقاؤه يسألونه عما يريد فلا يجدون لهذا السؤال جوابا . فلما ابتأسوا منه اخذوا يسألون انفسهم عما يريد فلم يجدوا لهذا السؤال جوابا . فقبلوه على علاته ، واحبوه على ما في صحبته من مشقة وتعقيد . وكانت حياته وحياة أصحابه هينة لينة مستقيمة تمضي في طريق لا عوج فيها ولا التواء ، كما كانت حياة الناس كلهم في بعض اوقات الامن والدعة والهدوء ، فكان راضيا عن أصحابه ، وكان اصحابه راضين عنه . وكان ما يعرض له ولهم من مصاعب الحياة ومشكلاتها لا يزيد على ان يكشفه لهم فيحيه اليهم ، ويكشفهم له فيحببهم اليه . ولكن هدوء الحياة ودعتها واضطراد الأمن فيها واستقامة الطرق لسالكيها ليست امورا محتومة مقضية للناس او مقضية عليهم ، قد أخذوا بها عهدا على الظروف والايام . وانما هي أمور ممكنة تتاح حينا وتمتنع أحيانا ، تتاح فيسعد الناس ، وتمتنع فيشقى الناس . تتاح فيجهل بعض الناس بعضا ، ويحب بعض الناس بعضا ، ويطمئن بعض الناس الى بعض ، لأن ظروف الحياة لا تكرههم على ان يدقق بعضهم في امتحان بعض ، ويحقق بعضهم في ابتلاء بعض . ثم تمتنع فاذا الناس يتعارفون ، ولا يلبثون ان يتعارفوا حتى يتناكروا ويتدابروا . ويقوم الشك منهم مقام اليقين ، ويقوم الحذر منهم مقام الاطمئنان ، ويقوم التحرق منهم مقام الصراحة ، ويقوم البغض منهم مقام الحب ، واذا هم يندمون على حطام القديم . واذا هم يحزنون على اطمئنانهم الماضي ، واذا هم يتمنون لو رد الله عليهم تلك الأيام الحلوة التي كانوا يستمتعون فيها بلذة الجهل وحلاوة الغفلة ونعيم الثقة ، وأعفاهم من هذه الأيام التي يشقون فيها بألم المعرفة ومرارة الفطنة وبؤس الشك .

وكان صاحبي قد فتح لنفسه الأبواب كلها على مصاريعها كلها ليتلقى كل شيء من كل شيء ومن كل انسان . ثم ليسعد بهذه التصفية والتنقية ، وبهذا التمحيص والتحقيق ، وبتخير الثمرات من كل ما كان يجتمع له من الجد والردى فلما تنكرت الأيام لم يغلق من أبواب نفسه بابا ، وإنما نظر فاذا النفوس تغلق من دونه نفسا

فنفسنا ، وإذا أبوابها تغلق من دونه بابا فبابا . وإذا ما كان يجتمع له من الملاحظات يقل شيئا فشيئا ، ويندر حتى كاد لا يصبح شيئا . وإذا ما بقى له من هذه النفوس القليلة التي ثبتت للمحن ، وامتنعت على الخطوب ، وأبت أن تلين قناتها للأحداث ، قد أخذ يغشاها من حين الى حين لون رقيق جدا من الحياء ، ثم من الغلو في الحياء ، ثم من الأشفاق ، ثم من الاسراف في الأشفاق ، ثم يتكاثف اللون ويتكاثف ، وتضاف طبقات منه الى طبقات حتى يصبح احتياطا وحذرا ، وحتى يستحيل الى حجاب كثيف صفيق لا تنفذ من دونه نفس الى نفس ، ولا ينتهي من دونه قلب إلى قلب ، ولا يتحدث من دونه ضمير الى ضمير ، وإذا صاحبي يلقى أصحابه فلا يلقى منهم الا وجوها ، ويصافح أصحابه فلا يصافح منهم الا ايديا ، ويحدث أصحابه فلا يكون بينه وبينهم الا حركات الألسنة في الأفواه ، وخروج الألفاظ من الشفاه ، وانتهاء الأصوات الى الآذان ، ثم وقوفها دون هذه الأبواب التي قد غلقت تغليقا ، وهذه الأستار التي قد اسدلت إسدالا ، على انه هو أيضا لم يكن أقل من أصحابه واحبائه تغليقا لأبواب نفسه ، والقاء للحجب والأستار بينه وبينهم ، فقد آذاه ما رأى منهم كما آذاهم ما رأوا منه ، فكان منه هذا الحياء الذي كان منهم ، ثم أخذ هذا الحياء يتعقد في نفسه كما كان يتعقد في نفوسهم حتى أصبح اشفاقا ثم شكا ثم احتياطا وحذرا . ولكن حياء صاحبي لم يكن كحياء أصدقائه ، كانوا يستحون منه وكان يستحي لهم ، كانوا يشفقون منه وكان يشفق عليهم . كان يحذرون منه وكان يحذر عليهم ، ولكنه الحياء والاشفاق والحذر على كل حال . ولكنه تغليق الأبواب والقاء الأستار والحجب على كل حال . ولكنه انقطاع الأسباب وفساد الصلات على كل حال . ولكنها العزلة بين قوم لم يكونوا يستطيعون أن يعتزل بعضهم بعضا ، والفرقة بين قوم لم يكونوا يستطيعون ان ينعموا بالفراق ، ولكنه الرياء بين قوم لم يكونوا يحتملون الرياء ، ولكنه هذا الالم الممض الذي ينشأ عن الفراق والناس مجتمعون ، وعن البعد والناس متقاربون ، وعن القطيعة والناس متواصلون . ولكنه العذاب الذي يجده الناس حين يتحدثون بالسنتهم لا بقلوبهم ، وحين يسمعون بآذانهم لا بنفوسهم ، وحين تتصافح ايديهم وتتباعد بين ضمائرهم ونياتهم الآماد ، الا من الف منهم هذه الحياة واطمأن اليها ووجد فيها مثل ما كان يجد في تلك الحياة من اللذة والراحة والنعيم لأنه فارق اصدقاء فوجد مكانهم اصدقاء آخرين ، ونأى عن احباء فاستقر في احباء آخرين .

هنالك نظر صاحبي الى نفسه ، فاذا هو قد اصبح اداة من الادوات تسعى مع النهار وتعود مع الليل ، تلقى الناس فتحدث اليهم وتسمع منهم دون أن تعقل ما يصدر عنها أو تذوق ما يصدر اليها من حديث . اداة تذهب وتجيء . تلقى آثارا من ادوات مثلها ، وتحدث آثارا في ادوات مثلها ، ولكنها آثار ظاهرة آلية لا قوام لها ولا لذة فيها ولا اثر للحياة القوية العاقلة المفكرة في مظاهرها ، انما هي اداة ممثلة لا اكثر ولا أقل . تعمل مع ادوات ممثلة لا أكثر ولا أقل . وكانت لصاحبي بقية من قوة في النفس ، وفضل من حياة في الضمير ، وأثر من حزم في الارادة ، وقليل من ذلك الترف العقلي الذي كان يستمتع به ايام كان الناس ناسا ، وحين كانت الحياة حياة . فاكبر ما انتهت اليه اموره وامور اصحابه من هذه الصفة التي يجحد فيها الرجل نفسه ولا يؤمن فيها الا بغيره . أكبر ذلك وضاق به وأزمع أن يعتزل هذه البيئة التي لا يستطيع أن يكون فيها الا اداة مسخرة . ولكنه اعتزلها ولم يعتزلها ، قر في داره وعاش بين أهله ، لم يسع الى أحد ولم يفكر في لقاء أحد ، وكان يظن أن هذه العزلة ستغنيه وتحميه وترد اليه نفسه بريئة من النفاق معصومة من الفساد . ولكنه لم يلبث أن استيقن انه لم يصنع شيئا . فهو يعتزل الناس ولكن الناس لا يعتزلونه ، يعرض عنهم فيقبلون عليه ، يقعد عنهم فيسعون اليه ، يكف عنهم حياءه لهم واشفاقه عليهم فيحملون اليه حياءهم منه ، واشفاقهم منه ، ويغلون في ذلك يحسبون أنهم يخدعونه عن أنفسهم ، أو يحسبون أنهم يخدعون أنفسهم عن انفسهم . فلما استيأس صاحبي من نفع هذه العزلة ، واستيقن أنه لا أمل له في أن يظفر بنفسه صافية وقلبه طاهرا ، وضميره حيا ، الا إن ترك البيئة كلها وهاجر من أرض الى أرض ، وارتحل عن وطن الى وطن ، أسر ذلك في نفسه وأظهر لنا معشر أصدقائه المخادعين له ولانفسنا مثل ما كان يظهر من حسن اللقاء ولطف المؤانسة حين كنا نزوره ونجلس اليه . ثم سعيت اليه ذات يوم لاقضي معه ساعة من ساعات الفراغ ، وما أكثر ساعات الفراغ في حياتنا نحن المصريين . فلم أجده ، وسألت اين يمكن أن يكون فلم أدل عليه . وسألت متى يمكن أن يعود فلم أنبأ بشيء . فعدت محزونا لا لأني لم ألقه ، بل لأني لم ألق عليه ثقل ما كنت أحتمل من الضجر والضيق والفراغ ، ولأني لم الق في نفسه أني أوثره بالحب ، واعتقد أنه يؤثرني به . لأني لم أهد اليه شيئا من هذا الرياء الذي يهديه بعضنا الى بعض في كل يوم ، ولم أتلق منه شيئا من هذا الرياء الذي

(البقية على صفحة ٨٠٠)

اليابان والجامعة الاسيوية

مبدأ مونرو اسيوى

للاستاذ محمد عبد الله عنان

منذ أسبوعين طلعت اليابان على العالم بتصريح فى منتهى الأهمية والخطورة . خلاصته : «ارفعوا أيديكم عن الصين» ، وهو بعبارة أخرى إنذار من اليابان الى اوربا وامريكا بانها اصبحت تعتبر من واجبها أن تحمى الصين من كل محاولة جديدة اوربية او امريكية فى سبيل الفتح أو الاستعمار الاقتصادى ، ومن حقها أن تستأثر بالتوسع السياسى او الاقتصادى فى أنحاء الصين الشاسعة . ولا تخفى اليابان أنها جادة فى انذارها ، وانها على أهبة لتأييده وتنفيذه بالقوة المادية ، وفى نفس الوقت الذى تلقى فيه اليابان بهذا الانذار ، نراها تقرر اعتمادات حربية ضخمة لتقوية اسطولها الجوى ، وتقوم بعدة مظاهرات عسكرية أخرى .

وقد أثار هذا التصريح الجرىء فى جميع دوائر السياسة العليا دهشة عظيمة ، ولاسيما فى الدول ذات النفوذ والمصالح فى الصين مثل بريطانيا العظمى وامريكا وروسيا وفرنسا وايطاليا . ولم يتضح حتى الآن موقف هذه الدول ازاء تلك الخطوة الجديدة التى تتخذها اليابان للحد من النفوذ الغربى فى الصين . ولكن اولئك الذين يتتبعون تصرفات السياسة اليابانية فى الصين فى الاعوام الثلاثة الأخيرة يدركون ان هذه الخطوة انما هى نتيجة طبيعية لهذه السياسة التى فازت منذ عامين بالاستيلاء على منشوريا ووضعها تحت الحماية اليابانية ، والتى مازالت تتقدم فى سبيل التوسع فى الثغور والاراضى الصينية الشمالية والوسطى . واليابان تتخذ خطوتها وشئون السياسة الدولية فى منتهى الاضطراب والتعقيد ، والدول العظمى كلها مشغولة بمشاكلها الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية ، ومن الصعب عليها ان تتفاهم او تتفق بسرعة على اتخاذ خطة او سياسة مشتركة ضد هذه السياسة اليابانية الجديدة التى تهدد نفوذها ومصالحها فى الصين .

والنظرية اليابانية فى مقاومة التوسع الغربى فى الصين ترجع الى فكرة أهم وأبعد اثرا هى فكرة الجامعة الاسيوية ، وشعارها «آسيا للاسيويين» . وقد قويت هذه الفكرة بعد الحرب ، حينما اشتد تنافس الدول الغربية على التوسع فى الصين واستطاعت روسيا السوفيتية وبريطانيا العظمى وأمريكا أن تتدخل فى شئون الصين تدخلا قويا مباشراً ، وأن تبسط كل نفوذها على مناطق واسعة فى الصين ، وحينما عمدت الدول فى كل مناسبة وفرصة إلى ارسال أساطيلها إلى المياه الصينية بحجة حماية مصالحها ؛ ولما كان موقع اليابان الجغرافى فى شرق الصين ، مشرفة على تلك المياه الصينية التى تغزوها الدول كلما شاءت ، وكانت تبسط حمايتها ونفوذها على مساحات واسعة فى الصين ، فى كوريا ، ومنشوريا وشانصى ، فقد كانت السياسة اليابانية تنظر دائماً إلى حركات الدول فى الصين بمنتهى التوجس والريب ، وكانت تتلمس السبل دائما لمقاومة الاستعمار الاوربى والأمريكى . وكانت حركة «الجامعة الاسيوية» تزداد نشاطا وقوة ، وخصوصا كلما اشتدت الصيحة فى أوربا وأمريكا بالتحذير من «الخطر الاصفر» أو بعبارة أخرى من نهوض الأمم الأسيوية . وقد عقد أول مؤتمر رسمى للجامعة الاسيوية فى ثغر ناجازاكى فى صيف سنة ١٩٢٦ وشهده مندوبون من اليابان والصين والهند وسيام وكوريا والفلبين ، واستمرت السياسة اليابانية ترعى هذه الحركة وتغذيها مدى الاعوام الاخيرة ، وقد عقد فى فبراير الماضى فى دايرن تحت رعاية الحكومة اليابانية مؤتمر «للشعوب الاسيوية» شهده مندوبون من الصين واليابان والهند وأفغانستان وسيام وبلاد الملايو وغيرها من البلاد الاسيوية . وأصدرت فيه قرارات بوجوب اتحاد الشعوب الاسيوية على العمل فى سبيل مصالحها المشتركة الجنسية والسياسية وتحريرها من كل تدخل أجنبى ، وسيدعى مؤتمر دورى للجامعة الاسيوية . وربما كانت اليابان ترمى من وراء هذه الحركة إلى إنشاء عصبة أمم اسيوية لتأييد غايات الجامعة الاسيوية .

مبدأ مونرو اسيوى

ولهذا الانذار الذى تتقدم به اليابان الى الدول الغربية صبغة مزدوجة ؛ فهو يعنى اولا ان اليابان ستقاوم منذ الآن فصاعدا كل محاولة

تقوم بها الدول الغربية فى سبيل التوسع فى الصين ، وثانيا أن اليابان ستكون مطلقة اليد فى الصين تحقق فيها ما شاءت من خطط التوسع والنفوذ . وللناحية الاولى سابقة تاريخية خطيرة فى السياسة الدولية هى مبدأ الرئيس مونرو (رئيس جمهورية الولايات المتحدة) ، الذى وضع منذ سنة ١٨٢٣ ليكون شعارا لسياسة امريكا الخارجية ؛ واليك نص هذا التصريح الشهير الذى تطبقه السياسة الامريكية منذ اكثر من قرن وذلك بعد الديباجة :

« إن القارتين الامريكيتين بحكم حالة التحرير التى احرزتاها والتى تحتفظان بها يجب الا تعتبرا منذ الآن فصاعدا قابلتين للاستعمار من جانب اية دولة أوربية ، وعلى ذلك فانا نعتبر فى المستقبل أى محاولة من جانب الدول الاوربية لبسط سلطانها السياسى على اية ناحية من نواحى هاتين القارتين خطرا على سلامتنا وسلامنا . نحن لم نتعرض لاى مستعمرة أو ملك قائم فيهما للدول الاوربية ولن نتعرض له ، ولكنا بالنسبة للحكومات التى اعلنت استقلالها وحافظت عليه واعترفنا نحن به بحق ذى اساس عادل ، لانستطيع أن نعتبر أى تغيير يرمى الى ارهاقها أو التحكم فى مصايرها الا بانه ميل عدائى نحو الولايات المتحدة . ذلك انه يستحيل ان تبسط الدول المتحالفة نظامها السياسى فى أى بقعة من هذه القارة دون تهديد سلامنا وسعادتنا . كذلك لايستطيع انسان أن يعتقد أن اخواننا فى الجنوب اذا تركوا وشأنهم قد يقبلون هذه السياسة مختارين ، ومن ثم كان من المستحيل ان ننظر الى هذا التدخل فى ذرة من التهاون والاغضاء »

ويمكن أن نلخص مبدأ مونرو فى كلمتين : « امريكا للامريكيين » أو « اتركوا امريكا » كما نستطيع ان نلخص الانذار اليابانى فى كلمتين « آسيا للاسيويين » او « اتركوا آسيا » ، مع هذا الفارق ، وهو أن اليابان تحدد بتصريحها منطقة معينة من آسيا هى الصين ، أو الشرق الاقصى بصفة عامة ، وقد فهم مبدأ مونرو فى امريكا وطبق خلال قرن من الناحية السلبية فقط . أعنى من ناحية مقاومة التدخل الأوربى ؛ ولكن السياسة الامريكية وضعت فى الاعوام الاخيرة تفسيرا جديداً لمبدأ مونرو ، وهو أنه الى جانب حق امريكا فى قمع أى تدخل أوربى ، يحق لامريكا ، ولامريكا وحدها أن تحتل أية بقعة من القارة الامريكية متى رأت ذلك ضروريا لصون سلامها ومصالحها ، وطبقت السياسة الامريكية ذلك التفسير الايجابى الجديد لمبدأ مونرو فى عدة حوادث معاصرة مثل تدخلها فى حوادث نيكاراجوا ، واحتلال بعض أراضيها ، وارغامها بناما على عقد معاهدة تعتبر شبه حماية ، ثم تدخلها أخيراً فى حوادث كوبا . وهذا هو نفس مايعنيه التصريح اليابانى من ناحيته الايجابية فاليابان ترى من حقها دون غيرها من الدول أن تستأثر بالتوسع فى الفتح والنفوذ فى الصين

وقد بدأت اليابان فعلا بتطبيق هذه السياسة منذ ثلاثة أعوام فوضعت خطتها للاستيلاء على منشوريا وتذرعت لذلك الفتح باعتداء العصابات الصينية على المنطقة اليابانية والسكة الحديدية الشرقية التى تضع يدها عليها واضطرارها الى حماية المصالح اليابانية والرعايا اليابانيين من ذلك الاعتداء الذى عجزت عن قمعه السلطات الصينية . وحوادث فتح اليابان لمنشوريا مازالت ماثلة فى الاذهان فلسنا بحاجة الى تفصيلها . غير أنا نذكر فى هذا المقام فقط أن اليابان أبدت منذ البداية عزمها على احتلال منشوريا وامتلاكها فعلا ، ولم تحفل بتدخل عصبة الامم تلبية لنداء الصين ، ولم تقف لحظة عند أى القرارات التى أصدرتها العصبة لحسم النزاع كانتداب لجنة للتحقيق ، والتوصية بوقف القتال ، واعادة الحالة الى ما كانت عليه ؛ بل لبثت أثناء اشتغال العصبة بهذه الازمة الخطيرة ماضية فى غزو منشوريا وافتتاحها حتى اتمت خطتها العسكرية ، واستخلصت اقليم منشوريا كله ، ثم انتهت بأن ضاقت ذرعا من تدخل عصبة الامم ، فانسحبت منها لتكون حرة مطلقة اليد والتصرف . ولم تقف اليابان عند افتتاح منشوريا بل هاجمت أثناء ذلك شنغهاى أعظم الثغور الصينية بحجة الاعتداء على بعض رعاياها واحتلته وكادت تنفذ إلى الداخل لولا ما أبدته الحكومة الوطنية الصينية من مقاومة شديدة وما أنذرت به الدول من التدخل ؛ ثم عادت فغزت اقليم جهول شمال بكين ، واحتلت عدة من قواعده واجتازت السور الكبير . كل ذلك لترغم الصين على الاعتراف بمركزها فى منشوريا . وانتهت اليابان بأن جعلت منشوريا دولة جديدة باسم دولة « منشوكيو » ، وأقامت عليها هنرى بوبى امبراطور الصين المخلوع ، أولا رئيسا لجمهورية منشوكيو ثم امبراطوراً لها ، وتم بذلك استيلاء اليابان على أعظم الاقاليم الصينية الشمالية وأغناها ، فاذا ذكرنا أن اليابان تملك من أراضى الصين شبه جزيرة كوريا وثغر تيانتسين وما اليه ، وبورت أرثر وتسنج تاو ، وتحتل مناطق

كبيرة فى إقليم شانصى ، استطعنا أن نقدر الى أى حد بلغت اليابان فى توسيعها فى الصين .

موقف الدول

وقد قلنا إن موقف الدول إزاء السياسة اليابانية الجديدة لم يتضح بعد ، ولم يتخذ بعد صبغة رسمية . ولكن الذى لا ريب فيه هو أن الدول التى لها فى مياه الشرق الاقصى وفى الصين مصالح عظيمة مثل أمريكا وبريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا ، ستقاوم هذه السياسة أشد مقاومة ، وليس بعيداً أن تلجأ الى الوسائل العنيفة اذا هددت أملاكها أو مصالحها ، وكما أن اليابان تقرن انذارها بالمظاهرات العسكرية وتقرير الاعتمادات الحربية الجديدة ، فكذلك نرى انكلترا تقوم بمظاهرة بحرية فى ثغر سنغافورة ، ويعقد أمراء البحر الانكليز هنالك اجتماعا خطيرا للنظر فى تعجيل الاعمال والاجراءات الخاصة باتمام قاعدة سنغافورة البحرية التى ستكون أعظم وأقوى قاعدة بحرية فى الشرق الاقصى ، ونرى أمريكا تقرر اعتمادات مالية ضخمة لبناء سفن جديدة ، وينتقل الاسطول الامريكى من مياه الاطلانطيق ويجوز قناة بناما إلى المحيط الهادئ فى أقل من يومين قياما بمظاهرة بحرية كبرى . وتحتج الدول ذات الشأن على لسان صحفها من الوجهة الدولية بالمعاهدات المعقودة بين اليابان والدول بشأن الصين ، وأخصها وأحدثها معاهدة الدول التسع التى عقدت على يد مؤتمر واشنطون سنة ١٩٢٢ بين الولايات المتحدة (أمريكا) وبريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا واليابان والصين وبلجيكا وهولندة والبرتغال ، وتنص هذه المعاهدة على احترام سيادة الصين واستقلالها ووحدتها الادارية والاقليمية ، وعلى معاونتها على النهوض والتقدم بكل الوسائل ، واستعمال الدول الموقعة لنفوذها فى تأييد مبدأ الفرص المتساوية فى النشاط التجارى والصناعى فى الصين لجميع الامم ، وعلى عدم انتهاز ظروف الصين للحصول على امتيازات خاصة ، ومعنى ذلك أن اليابان ليست حرة فى أن تحتل فى الصين مناطق جديدة ، أو تبسط نفوذها على مناطق جديدة ، وليست حرة بالاخص فى أن تستأثر وحدها بتنفيذ سياسة التوسع والاستعمار فى الصين ؛ هذا الا اذا كانت تعتبر المعاهدات الدولية قصاصات لا قيمة لها .

وهناك غير هذه الدول الموقعة لمعاهدة واشنطون ، روسيا السوفيتية ؛ وهى من أعظم الدول مصالح فى شمال الصين ، وأشدها اهتماما بسير السياسة اليابانية ، وروسيا تجاور اليابان فى منشوريا ، وتشترك معها فى امتلاك السكة الحديدية الصينية الشرقية ، وفى امتلاك جزيرة سغالين ، وتصطدم معها فى شئون ومصالح كثيرة وقد ساءت علائق اليابان وروسيا فى العهد الاخير بسبب استيلاء اليابان على منشوريا وانتزاعها القسم الروسى من السكة الحديدية الشرقية ، وتهديدها بذلك نفوذ روسيا فى منغوليا ، وقد كان لروسيا فوق ذلك فى الصين الوسطى والجنوبية نفوذ عظيم منذ أعوام ، وكانت اليابان من أنشط الدول لمحاربته والقضاء عليه ، والخصومة الروسية اليابانية قديمة فى الشرق الاقصى ، وترجع بالاخص الى حرب سنة ١٩٠٤ التى هزمت فيها روسيا امام اليابان وفقدت بورت أرثر ثغرها الممتاز فى الصين ؛ وهى اليوم أشد ماتكون اضطراما . ولا تخفى حكومة موسكو انزعاجها من السياسة اليابانية الجديدة ، واستعدادها لمقاومتها وحماية النفوذ والمصالح الروسية فى الشرق الاقصى بكل ماوسعت .

موقف الصين

ثم هنالك الصين ، وهى المقصودة بتطبيق السياسة اليابانية الجديدة . وقد لبثت الصين مسرحا للفتن والحرب الاهلية زهاء ربع قرن ، والدول الغربية اثناء ذلك تعمل على انتهاز الفرص لتوسيع نفوذها ومصالحها ، واليابان تجاريها فى انتهاز الفرص . فلما اشتد التنافس بين الدول على استغلال الحوادث الصينية ، عقدت فيما بينها معاهدة واشنطون سنة ١٩٢٢ (معاهدة الدول التسع) لكى تضع حداً لهذا التنافس أو بعبارة أخرى لكى تنظمه ، وقطعت الصين بعد ذلك ستة اعوام أخرى فى غمار من الحروب الاهلية الطاحنة حتى قامت الحكومة الوطنية أخيرا (حكومة نانكين) لتوحد كلمة الصين الى حد ما ، ولتعمل على صون استقلال الصين والحد من التوسع الأجنبى . وقد بذلت الحكومة الوطنية فى هذا السبيل جهودا لا بأس بها ، ولكن اختلاف الزعماء والقادة كان دائما يشل من هذه الجهود ، ويفتح الباب لدسائس الدول الأجنبية وعدوانها المستتر بصور وأساليب شتى ، ولو كان الانذار اليابانى متعلقا بوقوف اليابان فقط فى وجه المطامع الاجنبية فى الصين ، لما كان للصين كبير اعتراض عليه ؛ ولكن اليابان لا تقف كما قدمنا عند هذه الناحية السلبية من سياستها الجديدة ، وانما تقرنها بادعاء حق الاستئثار بالتوسع فى الصين ، وتقوم بتنفيذ هذه السياسة بطريقة فعلية منظمة منذ ثلاثة اعوام ، اعنى منذ غزوها لمنشوريا ، ومعنى ذلك

وادي حلفــــا

بقلم عبد الرحمن فهمي
ليسانسيه في الآداب

وادي حلفا عاصمة احدى مديريات السودان الكبرى ، وهي مديرية حلفا ، وهو ميناء نيلي تسير السفن البخارية الصغيرة بينه وبين الشلال تنقل المسافرين والبريد من مصر الى السودان ومنه اليها ، ويشعر الزائر المصري للسودان عند ما تطأ قدمه ارض حلفا كأنه في احدى مستعمرات التاج البريطاني ، ولا عجب فمنذ جلاء الجيش المصري عام ١٩٢٤ تعمل السياسة البريطانية على أن تجعل من السودان منطقة انجليزية بحتة . وقد تلاشت المصرية أو كادت تتلاشى بعد أن كانت ظاهرة قوية فيه .

ووادي حلفا له مكانة خاصة لأنه كما قلت ميناء نيلي كبير ومركز للتجارة لا بأس به ، وهو فوق ذلك مدخل جمركي يفتش المسافرون وأمتعتهم فيه حتى لا تهرب بضائع معينة من السودان الى مصر . ثم هو الحد الذي يشعر عنده المصري بشعور مؤلم هو شعور الفصل اللاطبيعي بين القطرين التوأمين .

وينقسم هذا البلد قسمين رئيسيين أحدهما « حلفا توفيق » نسبة الى مسجد كبير شيده الخديوي توفيق في ميدان فسيح بتوسطه . والثاني « حلفا معسكر » نسبة الى معسكر الجيش المصري الذي كان يعسكر فيه حتى سنة ١٩٢٤ .

وحلفا توفيق هو روح البلد ، ففيه الميناء المشغول بالحركة الدائمة ، ولا سيما عند وصول البريد اليه من الشلال وعند قيامه منه اليه ويحصل ذلك أربع مرات في كل أسبوع ، وفيه محطة السكة الحديدية ومكتب البريد والبرق وبناء المديرية والمستشفى ودار الشرطة والمحكمة ومكتب الجمرك والري المصري ، وفيه المحال التجارية والمقاهي والفنادق وتوكيل لبعض الشركات كشركة كوك وسنجر .

والدور فيه ذوات طابق واحد وفناءات فسيحة الا بعض الدور القلائل ذات الطابقين على ضفة النيل يؤجرها ملاكها الوطنيون الى بعض الموظفين المصريين والسوريين .

وحلفا معسكر قسم صاخب بالنهار في ناحية من نواحيه حيث توجد (الورشة) ففيه تسمع صوت المطرقة وآلات التصليح والنجارة والحدادة وغيرها . أما منذ الأصيل فهو هادىء ، وهو بخلاف القسم الاول ملآن بالدور الفخمة ، وأفخم هذه الدور هي التي يسكنها البريطانيون ، فهي مزدانة بالشجر والزهر والثمر ، تطل نوافذها على النيل ، ومنها تستطيع أن تمتع الطرف بمياهه الجارية كأنها السلسبيل ، وبالشجيرات على ضفتيه نضراء . وقد تجمعت في مكان وتفرقت في آخر ، فكأنها الزبرجد مسكوبا ، وكأنك تستمد الحياة من منبع الحياة .

ويتوسط القسمين متنزه جميل فرشت أرضه بالبرسيم المزوق قامت عليه الشجيرات النضراء المختلفة كأنها الحراس الا أنها تغفل دائما عن المنجل بحصده غالبا . وزين بالزهور المختلفة الألوان والأنواع تحملها جذور وسيقان ، ويدار الحاكي فيه مرة في مساء كل جمعة . ولعل (الراديو) حل محله اليوم .

ويؤلف البريطانيون فيه كتلة متحدة غير مختلطة بغيرها من الأجناس الأخرى ، اللهم الا الاختلاط الذي يوجبه العمل ، وهو مخالطة الرؤساء لمرؤوسيهم ، يلمحون بالطلب قليلا ، ويعطون الاشارة فتنفذ ، ويلقون الأمر فيطاع . أما في أوقات فراغهم فهم يروضون أجسادهم بركوب الخيل ولعب « التنس » و « الجولف »

أن اليابان تريد أن تستأثر بفريستها « الصين » دون باقي الدول وأن تترك هذه الفريسة أمامها وجها لوجه ، وليس بعيدا أن تكون اليابان قد وضعت خطتها لافتتاح الصين كلها والاستيلاء عليها قليلا قليلا ، وخوض معركة الحياة والمـوت مع الغرب والاستعمار الغربي .

ولا ريب أن الصين تنكر هذه السياسة أيما انكار ، وسوف تقاومها بكل ما وسعت حسبما صرح به مندوبها لدى عصبة الامم وسفيرها في لندن ، ولا ريب انها ستعتبر بهذا الخطر الجديد الذي يهدد كيانها واستقلالها فتعمل لتوحيد كلمتها وتنظيم قواها ، كذلك لا ريب في ان اليابان رغم قوتها ومنعتها وفيض مواردها تقدم على مغامرة كبيرة محفوفة بالصعاب والمخاطر ، ومن المشكوك فيه ان تستطيع اليابان ان تتحدى دول الغرب العظمى اذا اجتمعت كلمتها على مقاومة هذه السياسة ، هذا الى ما لا بد أن تبذله الصين من الجهود الزاخرة للدفاع عن استقلالها وكيانها ؟

محمد عبد الله عنان
المحامي

وغير ذلك ، والنساء يقضرنه فى المسامرة والمنادمة بين الكأس الرحيق والرقص الرشيق .

والمصريون فى وادى حلفا الآن كما هم فى غيره من بلدان السودان : أقلية ينظر اليها أولو الأمر فيه نظرة حذر ، ويكادون يكونون تحت مراقبة دقيقة لأنهم متهمون ببث روح التمرد وماهم كذلك ، وما الحركة التى قامت فى سنة ١٩٢٤ فى السودان إلا فورة وطنية قام بها الوطنيون قبل غيرهم كما تقوم أية جماعة فى أى بلد بحركة يرجون بها غرضاً معينا ، وما أظن الاتهام الذى يوجهه أولو الأمر فى السودان الى المصريين فى هذا الشأن إلا ستاراً لسياسة موضوعة لقصد معين .

ولكن الروح التى تربط المصرى والسودانى لا تزال قائمة ولن تزول — وهى روح وطنية — ، لأنهما يريان فى النيل أباً مشتركا بينهما ، وهى روح جنسية ، لأن المصرى والسودانى هما مزيج من جنس البحر الأبيض والجنس الحامى ، ثم هى روح لغوية لأنهما يتكلمان العربية ، وهى روح دينية لأنهما إما مسلم وإما قبطى ، وهى أخيراً روح لا يمكن نزعها من جسم أحدهما دون أن يموت الآخر .

والوطنيون هم البربريون الحلفاويون ، لهم رطانة يتكلمون بها فيما بينهم ، إلا أنهم جميعاً يعرفون العربية ، وكثير منهم ملمون باللغة الانجليزية ، ويمتازون من السودانيين بالذكاء والنشاط ، أعرف منهم قاضيا فى إحدى محاكم مصر الأهلية ، وعالما دينيا ، وموظفين أكفاء ، وتجاراً قديرين .

والمولدون وهم مزيج من المصرى أو التركى ومن السودانى ، ثم السودانيون والعبيد .

ويشتغل الوطنيون بالزراعة فوق اشتغالهم بالتجارة ، زراعة مساحات ضئيلة ، بالخضر والنخيل ، والبلح أهم الحاصلات .

أما العبيد فنهم عمال يحملون طرود البريد وأمتعة المسافرين ، ومنهم مكاريون ينقلون الأثقال على حميرهم ، ومنهم السقاءون يحملون المياه الى الدور بصفائحهم وقربهم .

* * *

تتألف الحكومة فى مديرية حلفا كما هو الحال فى أى مديرية أخرى من مديريات السودان : من المدير وينوب عن الحاكم العام للسودان فى مديريته ، وهو بريطانى له سلطة شبه مطلقة ، ويعاونه المفتش وهو أيضاً انجليزى يحل محله فى غيابه ، وتنظر دار المديرية فى أحوال الناس القضائية : الأهلية منها والشرعية ، وفى جباية الأموال والمحافظة على الصحة

ويسهر على الامن رجال الشرطة ومقرهم (الضابطية) أو دار الشرطة ، وهم رجال أشداء يلبسون عمامة كاكية أو بيضاء كبيرة وقميصا من الصوف الأصفر وسروالا ونعالا ، يشبهون فى ذلك رجال الهجانة فى مصر ويعاونهم حراس نظاميون فى الليل .

وعلى رأس دار الشرطة المأمور وله نائب ، وكلاهما سودانى ، ولكل قرية عمدتها وشيوخها ، تؤلف منهم محكمة قروية تعدل بين الناس .

وقد حل الوطنيون محل معظم الموظفين المصريين فى كافة أقسام المصالح ، وهم خريجو كلية غوردون بالخرطوم يلتحق بها التلميذ بعد أن يتم العلوم الابتدائية ويقضى بها ثلاثة أعوام يتخصص خلالها فى أحد أقسامها ، أذكر منها قسم المعلمين والترجمة والهندسة ، ويشترط فى طالب الكلية أن يكون سودانيا .

ويفضل أولو الأمر أن يلبس الموظفون الزى الوطنى أثناء العمل ، وهو رداء من نسيج أبيض وعمامة بيضاء ومركوب أحمر ، ويحثونهم على أن يفضلوه على اللباس المصرى .

وتقام حفلات رسمية فى كل عام : أهمها عيد الميلاد السنوى ، والعيد النبوى الكريم ، وعيد ملك الانجليز ، وعيدا الفطر والاضحى ، وتدعو الحكومة كبار الموظفين والتجار والوطنيين الى عيد رأس السنة ، وعيد ميلاد ملك الانجليز فى حفل رسمى ، وتتولى لجنة من الوطنيين دعوة الموظفين البريطانيين وعقيلاتهم الى الاحتفال بالاعياد الأخرى ، وابهجها الاحتفال بالمولد النبوى ، اذ تقام سرادقات مختلفة عديدة على ميدان فسيح يضاء بمصابيح الكهرباء القوية الملونة ، ويحيى ليالى هذا المولد شيوخ يستأجرون من احدى مديريات الوجه القبلى وتدار على المدعوين المرطبات ولفائف الطباق

وبعد أن يستمع المدير ورفاقه قليلا من المديح النبوى ينهضون الى انحاء السرادقات متنقلين بين أقسامها متفرجين على حلقات الذكر والرقص الوطنى ، وفى كل حلقة توزع الدراهم على بعض الذاكرين والراقصين . والنقود المتداولة فى السودان هى النقود المصرية باقسامها والاسترلينى والشلن والشلنين من النقود الانجليزية .

أثر الادب فى الحياة

بقلم محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

تؤلف فى الأدب كتب ، وتنشأ له صحف ، وتقام له جماعات ، وتشيد من اجله جامعات ، وتعرف به رجال ، فأى اثر لهذا الأدب فى الحياة ، وأى وظيفة يؤديها لهذا المجتمع الذى غلبت عليه المادة ولم تلق فيه المعنويات ما يجب لها من عناية وتقدير ؟

ان للأدب عناصر يتركب منها ، اساسها تلك العواطف التى تستولى على المرء فتحرك نفسه وتهتز لها براعته فتدون على صفحة القرطاس تلك الحركات النفسية ، وتصورها على قدر شدتها او خفتها ، فاذا عرضت على الناس حركت فيهم نفس الشعور واحيت منهم نفس العاطفة

وكم فى هذه الحياة من نفوس دقيقة الحس صادقة الشعور تحركها شؤون الحياة وتهزها صروف الدهر ، هى نفوس أدبية تحس فى صمت ، وتشعر فى سكون . ولكن اصحابها فقدوا اداة الأدب وأعوزتهم المقدرة على التعبير عما يحسون فى أسلوب جميل اخاذ ، وبهذه المقدرة الفنية يتميز الأدباء من غيرهم من ذوى الحس الدقيق والشعور الصادق . فالحياة تذيقنا جميعا حلوها ومرها ، وتلقى منها جميعا ما نحزن له أحيانا ونطرب له حينا ، وهى تعرض علينا من ألوانها الزاهى البهيج والقاتم الحزين . والأديب منا من شرح حسه فأجاد الشرح ، وصور لنا عواطفه فأحسن التصوير ، واذن فليتعز المحزون الباجز عن بث حزنه بنفثات الأديب المحزون ، وليجث اليائس الذى لم يسعفه بيانه عما يسليه ، ويذهب ببعض آلامه فى سطور الأديب اليائس ، وليقرأ المحب الذى أحب فأخلص ، واخلص فتفانى فى أخلاصه ، ولكنه كان اعجز من ان يسمعنا حديث قلبه وينقل الينا اسرار نفسه وخفى حسه ، أقول ليقرأ ذلك المحب العاجز ما كتب المحب الأديب ، فسيجد بين السطور نفسه مرسومة ، وسيلمح فى ثنايا العبارات عواطفه مصورة ، فلست اعرف بين العواطف الانسانية عاطفة تشترك فيها القلوب جميعا ، وينطبق ما يقال عنها على الناس جميعا كعاطفة الحب الخالص المتين . ألست ترى الانشودة يغنيها المحب شاكيا او باكيا ، فيعدها غيره صدى نفسه وترجمان حسه ؟

واذن فالأدب ضرورة من ضرورات الحياة وعنصر هام من عناصر العيش ، فيه فرح الحزين ، وسلوى المحب ، وعزاء المحزون . وليست مع العزاء مصيبة . . ان الأدب هو نتاج العواطف الشريفة وثمار الأحاسيس الجميل ، ولن تجد كثمرة العاطفة فى حديقة الحياة . ——

نظرة الى هذا العالم تنبئك عن قدر الأدب بين الأحياء ، فكل من فيه مآله آخر يومه الى الراحة والسكون ، والمرء مهما كد وجد فلابد له من سويعات تقر فيها نفسه ، ويخلد فيها الى السكون جسمه ، وعندئذ فلن يجد أشهى من ثمرات القرائح والنفوس يقطفها من صفحات كتاب ، ولن يجد أحلى من زهر العواطف تفوح رائحته من ثنايا النثر او الشعر . ولن اقول أى نثر او أى شعر ، فلكل ذوقه ولكل ما يؤثر ، وهى بضاعة من نتاج القرائح معروضة ، فليأخذ منها كل ما يلائم حسه ، ويصادف هوى نفسه . . . .

وتريد ان تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين أثره فى الناس . اذن فانظر الى رجل ليس يقرأ الا قصيدة قد حوت رائع اللفظ وساحر المعنى ، وليس يطالع الا فى كتاب قد تضمن من الحديث اعذبه واحلاه ، ومن القصص أحسنه واشهاه ، فيه شجون وفيه احزان ، وفيه شكوى وفيه غرام ، وفيه عاطفة حارة وحس جميل ، وفيه وصف رائع وشعور صادق نبيل ، ثم استمع اليه يحدثك ، فستجد عقلا مصقولا ونفسا مهذبة ، اثرت فيها هذه الآداب فرققت حواشيها ، وعملت فيها تلك القراءات فارهفت حسها وهذبت نواحيها . وهل اجل فى الحياة من نفس مهذبة وعقل صقيل ؟ وهل ادعى الى حياة الامم ورقيها من نفوس ابنائها وقد طبعت على كل حسن جميل ؟ وهل مثل الأدب مقوم للطبع ومهذب للنفس ؟ . . . . . .

وتريد أن تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين اثره فى الناس ؟

وكان وادى حلفا منفى للزعماء السودانيين المرغوب عنهم من الحكومة أمثال عثمان دقنه وقد مات بها . وما زال منفيا بها زعيم آخر هو ولد عبد الكريم ينتمى الى المهدى بصلة القرابة وقد زرته منذ خمس سنوات فوجدته هرما ولكنه قوى

وبالوادى مكان معد لنزول الطيارات التى تطير بين أوروبا وأفريقية عن طريق مصر والسودان .

عبد الرحمن فهمى

إذن فتصور شعباً ينصت الى نشيده الوطني وقد دبجته براعة اديب قدير فحوى من معاني الوطنية ارفعها واسماها ، وحرك من نفوس الناس اشرف العواطف وارقى درجات الشعور ، فتحفزت نفوسهم واستعذبوا الموت في سبيل الوطن .

وللأدب بعد ذلك ناحية عامة لا تقل شأناً عن تهذيب النفوس وصقل العقول واحياء العواطف السامية في القلوب ، فأدب الأمة صفحة صادقة من تاريخها كتبتها طائفة من ابنائها فلم تتحيز ولم تظلم ، وانما دونت فيها شعورها الخالص وحسها الصادق . ولذا عنيت ارقى الأمم بالآداب واحلتها المحل اللائق بها ، وانزلت أهلها المنزلة التي تتفق وما لآثارهم الادبية من قيمة في الحياة . فلولا الأدب لكانت حياتنا جافة لا تحتمل ، وعبثاً ثقيلا لا يطاق .

الاسكندرية محمد قدري لطفي

جبل الأبد في الأدب

بقلم امين نخله

في كفة الغروب أمس ، بعد أن مال ميزان النهار ، وغشى السواد الشفق ، كنت أسألهم ألا يوقدوا المصباح في وجه الليل ، بل ندع العتمة تتساقط على مهل وتتلبد ، حتى إذا غمر السواد الجهات ، غرق عبث الحياة في الليل ، وسلم الأمر . . . وهل مطلبي من الحياة غير هذا ؟ !

ثم أشرف من النافذة ، فإذا المدينة قطعة واحدة في جوف الليل ، خفي الشتات ، وتألفت الدقائق ، ومسح على الفضول . فلست أرى ما يتعالى في المشهد الأسود المنطرح إلا ذؤابات الأبنية تشمخ ، وكأن بعضها في رأي العين يمشي الى البعض ، فتتلاقى وتتساند بعد البياض الفاني ، والعبث المولى !

وهذا قمر الليل ، يقهقه بلا صوت . . . ولقد جنح إلى المنحدر الآخر ، كأنما يزلق من هنالك ، فتدفق الفضة دفقاً ، غير العهد بها في مقاطر الصحو الأزرق ، حين تنقط ولا تبل الأرض !

والليل فهرس البياض المنطوي ، ترى فيه العناوين ، وعفاء على الحروف الضئال ، والتنقيط المنمنم في كتاب النهار . فالعمود البعيد القائم الساعة ناحية الجنوب ، ولا أتبين ما حواليه ، عنوان طويل لبناية المسجد ، ولقد خفيت المقالة وسلم العنوان . . .

°°°

وإننا في الأدب على أعقاب جيل مال ميزانه ، وطفقت العتمة تتساقط عليه ، فعما قليل تغمر نوافله ، وتبتلع توافهه . ولا يسلم منه في الغرق الأعظم إلا العناوين الجديرة بالسلامة ! ويسلم القمر ذو القرص الباقي ، والشعاع المجدد

كنا في (الباروك) (١) - في مطلع الصبى - نجول بالضاحية ، حيث كان (لامرتين) يهبط الخضرة والنوء على الينابيع . أو نصعد في الهضبات حيث مر جواد (أبي الطيب) . . . (وعقاب لبنان وكيف بقطعها) . فيقول واحدنا للرفقة :

- ترى أي شيء من هذا الريف لفت صاحبنا ؟ !!

وكنا بعد لم نتعلم التريث في الجواب ، فتطاق الاجوبة في الرفقة كما يهاج العش ! فالطاحون الذي يهدر حتى آخر الابد عند الشجر ، كأنما يهوم للجمال الاخضر فينعس وينام ، قد افتتن به (لامرتين) ولا ريب ! وافتتن بالبحيرات الصغيرة التي يبسطها النهر بين مرجين حين يتمهل ، وهي لا تبرح الى اليوم تنتظر (صاحب البحيرة !) وبدرب النهر ساعة تحدر الفلاحات بالجرار الحمراء في العشايا ، ويسلن فوجاً غب فوج ، فيغدو الدرب نهراً للاحاديث والغبطة يدفق من الضيعة إلى الوادي . . .

أما (أبو الطيب) وهو لم يعرج على الباروك في (وعقاب لبنان وكيف بقطعها) فقد كان حسبنا منه : أن يلتفت في رأس الجبل إلى خيمة الناطور التي تتلاقى عليها عيون القرويين من كل حقل . فيثني رأس جواده ، ويطل من شاهق . . . وهو الشاء (٢) على البساط الابيض الذي تقيم عليه أيام الثلج في (الباروك) ! كذلك كنا في الصبى الأول ، نحسب الدنيا تبتدىء . ويخيل الينا أن (لامرتين) كان عندنا أول أمس ، وكان (أبو الطيب) أول من أمس . وأن خيمة الناطور تلك ، وطاحون الوادي ، ودرب النهر ، معالم ثابتة على الزمن ، بذهابها ذهاب الباروك والينابيع

---

(١) قرية في لبنان ولد بها الكاتب .

(٢) بيت أبي الطيب :

وعقاب لبنان وكيف بقطعها — وهو الشتاء وصيفهن شتاء

والربوات والشجر وهاتيك الدنيا الصغيرة !! فلما كبرنا عن الصبي وكبرت الدنيا وصغرت (الباروك) — وكانت خيمة الناطور قد سقطت وانهد الطاحون ، وعفت الدروب على النهر — لم يذهب من القرية شيء ! بل ظلت لنا (الباروك) قرية بنهر وجبـــل وضاحية ، كما كان عهدنا بها أول العمر . ذهب النافل من ذلك الجمال الباروكي في غرق الأيام وعتمة السواد ، وسلم ما ينبغي له . فلو مر جواد (أبي الطيب) في رأس الجبل لثناه راكبه ، ووقف يتلفت ! ولو نزل (لامرتين) بين البحيرات والدروب لآنس نعيما وظلا واخضراراً !!!

* * *

هكذا نقول لأصحابنا في مشادة العبث بين (القديم والجديد) ، فالزمن يمسح النافل ، ويبقي على المتحتم النافع . وليس في الادب قديم ولا جديد ، بل الأدب كد على الحق ، ووله بالجمال . تسقط عتمة الآباد الف مرة على الصنيع الفني الذي غمس بألوان الوله والكد وهو السالم الباقي لا يأخذ الليل منه حرفا !

فالحسن حسن على كل جيل . والتافه تافه أبداً . ما أخر القدم قيد شبر ، ولا قدمت الجدة قلامة ظفر

ولقد سبقنا الى الدنيا ، وجاءها اناس كلفوا بالجمال والحق . وداروا على اللباب في الدروب . فآنسوا ناراً ثم القوها ونزلوا رماداً . فكيف يسوغ لنا ، ونحن في الدرب من ورائهم ، أن نقطع ما بيننا وبينهم ، ويقال أدب قديم وأدب جديد ؟ ؟ !

إن الكدح القاسي في صعيد الفكر ، والتضحية السمحة على مذبح (فينيس) ، والتنقيب في بياض الصحيفة عن الدنيا المحجبة ، كل هذه عرفها الرصيف القديم (بين الدخول فحومل . . . .) . .

فطلب البلاغ الحر ، وقلب النسيق في الصنيع الفني ، وابدال الوانه وصبه على شكيلة الحياة القائمة كانت في وكد الاساتذة السالفين جيلا تلو جيل . وهكذا يقال في شيوع الخاطر من المستهل الى المقطع ، وفي تماسك الحسن الذي لا يبذل للنور نفسه ، وفي الميسم المطبوع والنفس الخاص ، وفي المعنى الذي يسكن المبنى ولا يمد ساقيه على بحبوحة اللفظ — ذلك كله كان من اغراض الاساطين فيهم ، يوفقون اليه حينا وينكصون عنه حينا . فليس الادب ابن يومه ، ما خطرت مطالب الحياة منه على بال احد في الزمن لتقوم الضجة علينا ، ويتنادوا بالويل بعد ان أردنا الأدب حياة وقوة وخفق جناح . . وأطفأنا الشمس بأكفنا ! ! !

وعندي أن الاساتذة الموتى الذين سلكوا السبيل قبلنا — وكأنهم مضوا ليفسحوا لنا المواضع — من حقهم أن يطرقوا خواطرنا ، وأن يرشفوا قليلا من الحياة في الفاظنا . فهم ، رحمهم الله ، لم يبق لهم من سبيل الى الضياء الا هذه الحروف التي تشع فيها خواطرنا

هذا حبل الابد هيهات أن ينقطع . والأدب بشرى قبل كل شيء ، فليس في استطاعة أحد أن يقطع الحبل ! والأدب أخو الحياة لا قديم فيـــه ولا جديد ، بل هو وله بالجمال وكد على الحق ، وما عداهما فهراء ! ؟

لبنان — أمين نخله

تطور الفلســـفة

بقلم علي محمد راضي

ليسانسيه في التربية والآداب

الإنسان المدرك رأس هذه الخليقة التي تدرجت نحو استكمال نموها حتى تمخضت عنه . ومتى ادرك ما حوله اعمل فكره في تعليل ما يرى ورجع الى نفسه يبحث انفعالاتها وآثار ارادتها ، فهو اذن فيلسوف بطبيعته ، ومدفوع للتفكير بحكم وجوده وعمل حواسه وعقله

واذا عنى الباحثون بدراسة الحفريات لنوع واحد من الكائنات ليصلوا الى مقدار تطور حياته فما أولى طلاب العلم أن يصلوا بين حلقات تفكير الانسان منذ سكناه الكهف وصيده الوحش لاستخدامه الكهرباء واكتشافه مغناطيسية الحياة

الطبيعة والانسان متلازمان ، وبينهما أوثق الروابط . . هي معلمته التي تلقى عنها أول دروسه ، وهي موضع بحثه منذ اللحظة الأولى لوجوده ، يكافحها فتتسع دائرة مجهوده وتفكيره ، ويستخدمها مرة فيبني صرح تقدمه وعظمته . ولكنها ضنينة باسرارها ، وهذا ما يبعثه على اعمال الفكر في تعليل مظاهرها وتكليف نفسه مشقة البحث عن أصل وجودها وعلة استمرارها

أبصر من مظاهر الطبيعة ما لم يساعده عقله « الطفل » على فهمها ، وعجز عن التعرف على أسبابها ، فأحال صدورها الى قوى لا يدركها تماما ، وما دامت لا تخضع لارادته فهي أقوى منه وأشد

بطشا ، ولذا اعتقد بالارواح الساكنة فى الغابات ، وقدم للآلهة المتعددة القرابين ليبعد بها عن نفسه غضبها ، بل واعتقد بتجسد هذه الأرواح فى بعض الكائنات الحية . وكان اليونانى يعتقد باله الحب والقوة والجمال والماء والأرض ، ولا يزال الهندوس يقدسون البقر ، وبعض أهالى فارس يوقدون النار ليطردوا إله الظلام ويساعدوا إله النور . وعليه فالعقيدة هى محور الفلسفة الأولى الذى دارت حوله ، وطبيعى ان يلجأ الانسان وهو منزعج الحواس بما يكتنفه من هزيم الرعد ووميض البرق وانبثاق الحمم المستعرة إلى الاعتقاد بوجوب التقرب والخضوع للقوة التى تصدر عنها . . أنه بذلك يدرأ عن نفسه غضبها ، وتهدأ وساوس نفسه وشكوكه

ولكن لم يقف تفكير الانسان عند هذا الحد الذى تسلط فيه عليه الوهم ، بل جعل يفكر فى منشأ هذا الكون . . . والعالم فى نظره الأرض التى يعيش على سطحها ، والشمس التى تمده بنورها ، والقمر والكواكب التى تلتمع كلما جن الليل ، فقال بوجود العناصر الاربعة « التراب . والماء . والهواء . والنار » ثم تدرج إلى القول بوجود عنصر واحد هو الماء ، ثم عدل عنه الى الهواء لأنه أبسطها واسرعها انتشارا . ولعل هذا هو اساس الاعتقاد بالسديم الذى لايخرج عن كونه غازا ملتهبا متحركا حول مركز جذبه . . واليوم يؤمن الانسان بوجود الأثير ، ولم يصل بعد الى تعرف طبيعته ويضطر لافتراض وجوده ليعلل حدوث الاهتزازات والتموجات التى تنشأ عنها القوى المحركة والمرتبة للجزئيات الترتيب الذى يجعلنا نرى المادة فى أوضاع واشكال مختلفة

واخيرا قام مذهب المعتقدين بوجود وحـــدات كهربائية (الكترونات) تتحرك بواسطة التجاذب الذرى ، وأن الكهربائية نفسها مؤلفة من ذرات . وقد قاد الانسان إلى بحث سر الطبيعة ما اودع فى نفسه من كلف بكشف كل ما يغمض عليه فهمه أو تعليله . . وقد اداه هذا الشغف الى التفكير فى أمر نفسه لا من حيث الاحتفاظ بوجوده وسد حاجاته الضرورية ، ولكن من ناحية فلسفية أدق ووجهة اكثر تعقيدا . .

يشعر الانسان بوجوده بطريق يقينى ، وهذا اصل معرفته ، ولكنه لم يدرك كيف تقوم معرفته لما يحيط به ، وكيف يفكر ؟ وماهى القوة الباطنة التى تؤثر فيه وتوجهه الى حيث تريد ؟ . .

الى هنا طويت صحيفة الفلسفة الطبعية التى أضاع وقته فى خلق فروضها طاليس وانكسمندر وانكسمينس . . وبدأ طور جديد تدور أبحاثه على الانسان نفسه ، ويعتبر الواضع للأساس الجديد سقراط زعيم فلاسفة اليونان وتلميذه افلاطون . . ولكنهما لم يتعرضا لتحليل العقل الانسانى باعتباره القوة المدركة ، ولم يذكرا لنا شيئا عن ماهية النفس الانسانية وقصرا بحثهما على أعمال الانسان ووجوب مطابقتها لما هو حق وعدل وخير . . صحيح أن افلاطون كان يقول بقدم المادة ، ولكنه كان يعلل عملية الادراك بوجود صورة سابقة فى النفس للكائنات الموجودة ، فهو القائل بوجود عالم العقل وعالم الحس .

والحقيقة أن دراسة الفلسفة الانسانية من الناحية التى عنى بها المعلمون الثلاثة « سقراط وأفلاطون وأرسطو » تنطبق على مباحث علم الأخلاق أكثر من مباحث الفلسفة نفسها ، ولهذا كان غرض أقطاب الفلسفة الحديثة إتمام النقص الذى ظل موجوداً بعد الفلسفة اليونانية .

ومباحث الفلسفة الحديثة تتم الفلسفة الانسانية من حيث تحليل الحركة الفكرية ، وعلاقة الجسم بالعقل ، وقدرة العقل على فهم الحقائق ، وحركة الفكر الذاتية « التأمل » ، ثم بحث النفس الانسانية وهل لها وجود مستقل أو هى نتيجة لاتحاد القوى المدركة بالقوى المفكرة فى الانسان ؟

ولما كانت هذه المباحث من المعضلات العويصة الحل اتخذ كل فريق من الفلاسفة لحلها طريقاً خاصا ، ففريق اعتمد على العقل وحده فانهدم صرح العقائد الموروثة ، وعاد العقل يزنها بمقياس الاستقلال الفكرى مستعينا بقوانين المنطق ، ولكن التوى على جماعة العقليين قصدهم لان العقل بدأ يبحث نفسه ، وتطرق الشك الى كيفية حدوث الادراك ، واذ ذاك لم يجد الباحثون بدا من الالتجاء الى الحواس والاعتراف بأنها طريق الادراك ، وهـــذا أساس المذهب « التجريبى » ، ومع ذلك قام من يثبت أن الحواس تقوم بعمل ميكانيكى ، وان المخ فى دائرة عمله فى الحكم على ما تحمله اليه الحواس قاصر ، وان هناك بجانبه وجدانا له انفعالات خاصة لا دخل للحواس ولا للعمل الفكرى فى احداثها . ولذا قسموا العقل فقالوا بالعقل المدرك والعقل الملهم أو الخالص

ويطول البحث اذا أتينا على حجج كل فريق ، ولكن مما لا شك فيه أن للنفس البشرية وجودا مستقلا وارادة خاصة غير ما

تبعه فيها البواعث الخارجية ويصل اليها من طريق الحواس .

والذى يهمنا أن الفلسفة تحولت من أعمال الانسان الى أفكاره ومن تفكيره الى ماهية نفسه . وهذا آخر مدى وصلت اليه الفلسفة الانسانية .

واليوم تقوم فلسفة أخرى تبحث النوعين الرئيسين « الفلسفة الطبيعية والانسانية » لا على إنهما منفصلان ، ولكن على أساس ايجاد الروابط التى تربط الانسان بالطبيعة ، ونتيجة هذا البحث الوصول الى الغرض الأسمى الذى لم يستطع الانسان منذ وجوده أن يظفر به لقصر تفكيره ونقص استعداده . إن اليقين بوجود الله من طريق العقل قد حل مشكلات الفلسفة قديما وحديثا . .

لقد أدرك الانسان أن ما يراه من مظاهر الطبيعة لم يسخر له اعتباطا ، وأن القوانين الطبيعية التى لم يتطرق اليها الخلل لم توجد اتفاقا ، وأن صلة الانسان بالطبيعة ضرورية ، وأن عظمة الخالق كما تظهر فى سر الكهرباء والجذب تظهر فى سر النفس وخلود الروح ، وكما عجزنا عن تعرف ماهية القوة المسببة للحركة العامة للمادة فما أجدرنا أن نكتفى من بحث الروح باليقين بوجودها . . .

إن نوعا من الفلسفة لا يزال غير مطروق مع عظيم فائدته . . على الفلاسفة اليوم أن يتركوا بحث الانسان فردا فقد قام الانسان بنصيبه من التفكير فى أمر نفسه . ولكن عليهم أن يصنعوا لنا فلسفة أجدى ، وأن يصرفوا جهودهم لبحث القوانين العامة التى يجب أن تربط المجتمع الانسانى . . إن فلسفة المجتمع هى الغاية التى يجب أن ننشدها لتتم سنة الارتقاء وهى الناموس الذى يحكم الطبيعة والانسان معا . . .

علي محمد راضي

قصة من الواقع

الأمل الضائع

أو كذبة ابريل

لاتظن أيها القارىء الكريم أنى سأحدثك عن سبب هذه الكذبة ، ولا متى وأين وجدت ؟ فذلك بالمؤرخ أجدر ، ولا عن مدى أثرها فى نفوس من وقعوا فى حبائلها : أخير هو أم شر ؟ أجميل أم قبيح ؟ أنافع أم ضار ؟ فذلك بعالم الاخلاق أو النفس أليق . إنما أحدثك بلسان أديب ، رأى رأى العين قنيصة من قنائص هذه الكذبة ، على غير علم منه أنها قنيصة ، وإنما أردت أن أطرف بها القراء ؛ لأنها كما سيرون طريفة حقا ، محكمة فى نسجها إحكاما ، حتى لقد بدت — وهى الباطل المزخرف — كأروع ما يكون الحق ، ومثلت مع أديب شاعر لم يتسرب إلى قلبه الشك فى صدقها ؛ ولعل ذلك إلى أن الأديب خلق أطهر الناس فطرة ، وأنقاهم سريرة . . . ضحك الأديب المكذوب عليه مع من ضحكوا على هذه الاكذوبة ، وربما كان أكثرهم اغراقا فى الضحك ، ذلك أنه وقف من أصحابها موقف جاد من هازلين ، متفرج على ممثلين : صادق مع كاذبين . . .

طرحت إحدى المجلات الشهرية المصرية على الشعراء مسابقة أدبية ، ذات جوائز مادية ، وانتهى موعد التقديم ، وترقب كل شاعر وأديب نتيجته ، كما يترقب المتشائم فى بعض الأنصبة نصيبه . .

وفى ذات ليلة من ليالى ابريل ، فكر ثلاثة من الاصدقاء فى أن يكذبوا « كذبة ابريل » ولم يطل التفكير ؛ فقد كانوا مساهمين فى هذه المسابقة الادبية ، فلماذا لاتكون المسابقة هى مادة الكذبة ؟ ولماذا لايكون أحد المتسابقين غيرهم موضوعها ؟ ولماذا لا يكون ذلك الأحد صديقا لهم ، اشتهر فيهم بالحلم ، ويأمنوا عاقبة ما تحدثه الكذبة فى صدره ؟ واختاروا لماذا لا يتلهون بهذه الاكذوبة ويقطعون بها وبالحديث عنها فترة الانتظار ، انتظار النتيجة المملة

اختمرت الفكرة ، ولكن بقى أن تصقل بصيقل الدهاء ، وترتب حوادثها تباعا ، ويشذب ما عساه يتأ فيها من شبه وظنون ،

ويبعد عنها ما عساه ينبه قوة الملاحظة التي ستغرق في حلم من الأكذوبة لذيذ . .

تولى أحد المتآمرين سرد حوادث الكذبة كما ستقع ، وتولى الآخر الاعتراض ، وتولى الثالث الرد ، وهكذا تبادلوا الأسئلة والأجوبة والنقد والتمحيص ، حتى أقر الجميع متانة صقلها ، وقوة سبكها ، ثم تعاهدوا على أن يتكاتموا سرها حتى على انفسهم ليضمنوا لها النجاح والتوفيق .

ابتدأت الخطوة الأولى من التنفيذ بكتابة خطاب إلى هذا الصديق المتسابق بخط صاحب المجلة الرائعة ، ولكن مع كثير من التقليد ، وبخاصة الامضاء . وهذه صورة الخطاب :

« فلان ... تحية ... وبعد فيسر صاحب الإمضاء أن يبشركم بالفوز في مضمار المسابقة .. والمجلة تهنئكم به ، وتطلب اليكم أن ترسلوا صورتكم الشمسية لتصدر بها قصيدتكم المجلية في ميعاد لا يتجاوز ٢٨ الجاري .. والسلام »

ألصق الخطاب ، وكتب عليه عنوان صاحبه ، وسلم إلى بريد القطار الذي يؤم القاهرة أو بعبارة أدق وضع في صندوق بريد المجلة طمعاً في أن يصل إلى القاهرة خطأ فتعيده تلك إلى مكتب البريد الذي يوصله الى صاحبنا ، حتى إذا نظر إلى الخطاب لا يشك في أنه صادر من موطن المجلة — كلف أحد المتآمرين أن يرقب عن كثب مصير الخطاب حين يصل القطار — تنبه البريد إلى هذا الخطأ فأرسل الخطاب إلى مكتب بريد البلد قبل ان يصفر القطار ، وذلك ما لم يكن في حساب المتآمرين ؛ وسرعان ما تلافوا ذلك بأن تطوع أحدهم بحمل الخطاب من مكتب البريد إلى حيث توضع خطابات صاحبنا على مكتبه ، وتولى حراسته ، حتى لا ينظر فيه غير صاحبه خشية ان يدرك بواسطة خاتم البريد أنه مصدر من البلد نفسه ، لأنه سينظر إليه بعين فاحصة فتنكشف العصا كما يقولون ؛ لا كما سينظر اليه صاحب الخطاب بعين اللهف على ما فيه .. فهل لصاحبنا في وقت تعود فيه أن يتسلم بريده ، فأبرقت أسارير جبهته ، حين وقعت عينه على ذلك الخطاب ، وأنت أدرى كم يكون سرورك حين تقع عينك على خطاب ، ولو كان ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . .

تناول صاحبنا الخطاب بيد مرتعشة ، رعشة الفرح أو الاشفاق لا أدري ! ومزق الغلاف ونظر في سطور الخطاب نظرة سريعة وإذا بالبشرى ، بشرى الفوز في مضمار المسابقة يفوح عبيرها ؛

فيملأ أنفه ويسري منه الى أعصاب المخ والقلب سريان البرق ، فيبدر في غير وعي ، إشارات الفرح ، وأمارات الانتفاض ، غير ناظر إلى خاتم البريد ، ولا ممعن في النظر إلى السطور الزائفة . . .

« أعطني عقلك ! » لا نظر ولا انتظار ، ولا هدوء ولا قرار ، على مثل ذلك النبأ السار . . .

اغتنم حارس الخطاب هذه النشوة من صاحبنا فاختلس الغلاف وأخفاه حتى لا يعيد النظر الى الخاتم بعد زوال السكرة ، ورجوع الفكرة ، ثم أظهر الحارس الفرح بفرح أخيه ، وتناول الخطاب من يده ، وأخذ يطوف به على بقية الاخوان ، مبشراً من لم يتآمر منهم بنجاح صاحبهم ، ومن تآمر بنجاح مؤامرتهم : . أرأيت كيف تدبر المؤامرات وتحكم التلفيقات ؟ ألم يصدق المثل القائل « كذب مرصوف ، ولا صدق منتوف » وهنا اقترح المتآمرون على صاحبهم أن يدفع ثمن هذه البشرى « حفلة سمر أخوية مسائية تقام في بيته » وأيد هذا الاقتراح سائر الاخوان فلم يسعه إزاء هذا الاجماع إلا أن يوافق بعد تردد لم يطل مداه إذ بخسوا له هذا الثمن (بمبلغ زهيد يشتري به فاكهة ، وتقام حول مائدته حفلة تكريم للشاعر العظيم) ، دفع صاحب الثمن لاحد المتآمرين الذي تطوع بأن يقوم عنه بمهمة شراء الفاكهة ، وأنه سيتبرع هو الآخر بنصف هذا الثمن ، حياً وكرامة — التفت ذهن الشاعر إذن إلى الصورة الشمسية ، ورأى أن ما عنده من الصور لا يصلح لمثل هذا التفوق فقرر أن يحضر صوراً جديدة تكون أنق وأجمل . وتواردت في ذهنه هذه الاسئلة : من ذلك المصور الماهر الذي سيحظى بشرف تصوير حامل قصب السبق في مضمار أدبي ؟ من أي المدن القريبة يستحضرها ؟ أي القطر يستقله الى المدينة ؟ متى يسافر ؟ كيف يحصل على اجازة من عمله ؟ . . .

بعد لأي قرر السفر غداً — ولكن اخوانه المتآمرين كانوا قد قرروا أن تكون هذه الاكذوبة مداعبة ظريفة اليس إلا ، كثيره فرسموا خطتهم على ألا يكون سفر ، وألا يكون ما وراء السفر من مشاق ونفقات ، ولا ما وراء ارسال الصورة الشمسية إلى صاحب المجلة مما تعلم ، وما لا تعلم . . . كان ذلك وأكثر منه سيحدث لو لم يقرر للمداعبة أن تكون ظريفة غير قاسية ؛ لذلك قرروا أن تكون حفلة السمر في مساء ذلك اليوم ، وأن يفاجأ صاحبنا بأكذوبة ابريل بعد ما غشاه أن يقال ، من خطيب

ومقطوعات وأزجال ، في حفلة كلها أدباء أبطال

قضى الشاعر يومه غير محسوب من عمره كما يقولون : أحلام شهية ، وآمال طلية ، وشرف ومجد ، وصيت لا يحد ، ذهل حتى عن نفسه ، واختلط عليه يومه بأمسه ، يخاطبه مخاطبه فيجيب « نعم » حيث الجواب « لا » ، يجيب « لا » حيث الجواب نعم ، وقد يكتفي بإيماءة من رأسه تصلح للنفي والاثبات ، وتؤدي معنى لا ونعم ، وما إن فرغ من عمله حتى رأى نفسه في حجرة الاستقبال في بيته ، ينظم وينسق ، ويرتب وينمق ، ثم في حجرة المائدة يكللها بالازهار لأنها ستحظى بتكريم فائز المضمار ... دقت الساعة تسعا ، فدقت دساعة ، الباب وإذا الطارق إخوانه المحتفلون ، أخذ يحييهم ، فيهشون ، ثم دعاهم إلى المائدة ، فطفقوا يأكلون

جلس الشاعر على مقعد التكريم ، ولأول مرة يفوز بهذا المقعد ، فاحس الخيلاء تتمشى في نفسه ، وخواطر العظمة تجيش في صدره ، انبرى الخطباء أمام المنصة ، يقولون ما سمعته مرارا حول موائد التكريم ، حديث معاد ، لا ينحرف ولا يزداد ، وكان الخطباء بين اثنين : جاد منسجم في جده ، وهازل غارق في هزله . والشاعر ترتسم على وجهه ألوان متعاقبة متأثرة بما يقال ، فهو خجل حين يفيض المدح ، متواضع حين يغلو الاعجاب ، مبتسم حين تشرق الدعابة ، ضاحك حين تدوي النكتة ، مزهو حين يذكر السبق في المضمار ، ثمل حين تدار كأس الانتصار ؛ انتهى الخطباء من كلماتهم ، ولم يبق غير واحد من المتآمرين اعتذر بأن كلمته قصيرة فاترة ، قد يفوح شذاها إن جعلت مسك الختام ...

وهنا قام الشاعر المكرم ، يؤم المنصة ، متئد الخطى في دلال ، مصعر الخد من جلال ، ولم لا ؟ ألم يكن المجلي في حلبة الفرسان ؟ ألم يفز بالقدح المعلى في الرهان ؟ ألم يشر أو سيشار اليه بالبنان ؟ ألم يصرع - وهو الشاعر الناشيء ، والأديب الحديث - فحول الشعراء ، وقدامى الأدباء في الميدان ؟ أخذ أمام المنصة يجول ويصول ويهز جوانبها تارة بالشعر المصقول ، وأخرى بالنثر المعسول ، يخلع على الخطباء أبهج الحلل ، ويقلدهم أنصع الدرر ، حتى ملأ السمع ، وأثلج الصدر ، وأفعم القلب ؛ وأخيرا جلس كما قام بين عاصفة من الهتاف والتصفيق ...

قام صاحب مسك الختام ، وألقى في أول كلمته ما يناسب المقام ، ثم ... ثم ماذا ؟ ثم استجمع قواه ، وشد من أعصابه كما يتجمع من يهم بالقاء قنبلة داوية ، وأراد أن يلقيها كلمة صريحة فلم تطوع له نفسه أن يقذف بها صديقا أعز عليه من نفسه ، ولكنه أرسلها مبهمة تأخذ النفس في استجلائها رويدا رويدا فتأنس لها ولا تنفر منها نفورا كبيرا .. إذن ماذا قال ؟ قال : « أهلا بك في ابريل ، ذلك الشهر الطويل ، شهر الكذب والتضليل ، وسكت ...

هنا ذهبت نفوس المحتفلين غير المتآمرين وأولهم الشاعر في تأويل ذلك الذي قيل كل مذهب ، وأخذ الشك يدب إلى يقينهم رويدا رويدا ، كما يدب غسق الليل الى وضح النهار حين الغروب ، .. ولكن ما زال في الافق بصيص من نور ، وفي النفس ذبالة من أمل ، لقد أطفأه ظرف الخطاب « أنسيت الخطاب المزيف ؟ » الذي عرض على الجميع بين الدهشة والاستغراب ، فوجدوا أن خاتم البريد هو لمكتب البلد الذي به صاحبنا ، غير أنه ختم به مرتين ذلك الخطاب الذي لم يحظ بركوب القطار ... وإذن كان ظرف الخطاب ، هو فصل الخطاب ، قطعت به (جهيزة قول كل خطيب) وصاح الجميع في نفس واحد ، ابريل ... ابريل ، كذبة ابريل ! لقد مثلت أجود تمثيل ، فكانت كذبة رائعة محكمة ، وكانت مفاجأة لذيذة ممتعة . فهل كانت كذلك في نفس شاعرنا الكريم ؟ الجواب والمعنى في بطن الشاعر كما يقولون .. فوجيء صاحبنا بكذبة ابريل ، وأنت أدري ما يحوم حول المفاجآت من تكبير وتهليل .

أفاق الشاعر من حلم لذيذ ، دام من الثامنة صباحا إلى العاشرة مساء ، على صوت قذيفة هذه المفاجأة الصارخة ، وانهار في لحظة واحدة من الواقع ما بناه الخيال والوهم من صروح في ساعات وغار البشر في ظلام العبوس ، ودفنت النشوة في وجوم الدهشة ، وأرسل صاحبنا قهقهة عالية عصبية ؛ أمن الغيظ أو الكذب أو الغفلة ؟ لا أدري ! ملأ السامرون حجرة السمر بصوت مزيج من تصفيق الانتصار ، وضجيج الدهشة ، وصياح الانكار ، وضوضاء الفرح ، ونشيج الأمل

فكيف كان موقف شاعرنا ؟ تكلف وسط هـذا الموج الصاخب أن يظهر بمظهر الرجل الثابت الذي يقابل الخطوب بابتسام . والاكاذيب بابتسام ، وهتف من أعماق نفسه « ألا لعنة الله على الماجنين ، وأخذ يسلي نفسه بما حضره من حكم الشعراء ، بمثل قول أبي العلاء ..

٣ – بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

أثر الروايتين فى الامتين العربية والايطالية

حدثنا الدكتور جوفانى كابو فيلا عن أثر دانتى فى اللغة الايطالية إبان تقدمته لروايته فقال (اليه يرجع الفضل فى تثبيت دعائم اللغة الايطالية التى ملأها وهى لا تزال فى مهدها بأقاصيص الحب والعدالة والحرية والجمال)

تلك كلمة نسطرها مقتنعين بها . فللغة ايطالية وكل لغات أوروبا الحديثة إنما تزداد على مر الايام جمالا وحسنا وثراء من أخيلة ومن ألفاظ . انها تطرد فى الحسن اطراد الاوربيين فى الرقى . وهكذا اللغة تقوى بقوة الامة ، وتضعف بضعفها . وانا لنتقرى مصداق تلك النظرية فى الاوربيين المعاصرين فترى نسبتهم فى اللغة كنسبتهم فى القوة . وقد كان الإيطاليون ضعافا فى عهد دانتى فكانت لغتهم وليدة ، كما قال الدكتور جوفنى .

ونحن ما دهانا فى لغتنا ؟ . لقد كان عهدها الذهبى عصر المعرى إبان القرن الخامس الهجرى . ومن ذلك الحين أخذت تفقد شعاعها على يد التتار فى الشرق ، والاسبانيين فى الغرب ؛ والمماليك فى مصر ، ولا زالت تضعف تراكيبها ، ويتهلهل نسيجها ، حتى بلغت درجة (الصفر) ضعفا وهزالا اواخر القرن الثالث عشر الهجرى .

بيد أن نهضتنا المباركة أعادت للعروبة طراءة الشباب وجمال الفتوة . وأرتنا كتابا من المعاصرين لا أسميهم ، ولا أبالغ ان قلت انهم فى الطليعة يسايرون الجاحظ ، وابن المقفع وعبد الحميد ، وعمرو بن مسعدة . فى الفكرة وفى الاسلوب

فذلك الضعف المطرد فى الامة العربية منذ القرن الخامس الهجرى . وتوالى الكوارث والمحن عليها أضعف من لغتها . وجعل أثر (رسالة الغفران) محدودا . وهل تستطيع رسالة الغفران أن تقاوم الضعف التى تفتحت أبوابه علينا من كل اتجاه ؟ ان ذلك غير مستطاع . ولو أنها رقت ألفاظها ، وعذبت مفرداتها ، وسلمت من غرابة اتشحت بها ، لرجونا أن تلوكها الألسن فتعذب ، وتجول فى جنباتها الأخيلة فتسمو . ولكنها أبت أن تخرج للناس سافرة غير ذات نقاب . فوضعت من دونها حجبا وأستارا من اغراب ووحشية ومعاظلة لا تزول إلا بعد استشارة القاموس ولسان العرب ومعاجم اللغة . وقد تجد طلابتك وقد لا تجد . نعم قد لا تجد شرح بعض مفردات (رسالة الغفران) فى معاجم اللغة كلها . فحالت الغرابة دون تناولها ، وبقيت صدفاتها مغلقة على لآلئها ، فلم ينتفع بها أحد .

نزعة فى أبى العلاء إغرابه والعصر عصر حضارة ، وتوعره والزمان زمان رقة نمت فى نفسه بنمو مزاجه السوداوى ، وقوت دعائمها بما كان يكاثر به العلماء بعضهم بعضا فى عهده من المباهاة بالغريب . ثم صوغه فى قالب جذاب ترغيبا فى حفظه .

تلك المدرسة التى كان يرفع لواءها الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ والتى وضع أساسها ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . وابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ . والخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ ، والبديع الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ ، وابن نباتة السعدى المتوفى سنة ٤٠٥ . والتى كانت تكلف بالغريب تلبس أو هى الأسباب لذكره والإكثار منه ، كان لها أثر فى نفس المعرى . فحببت اليه الأغراب والأغماض . وأخرى لعلها حدت به أن يغرب . تلك هى السخرية والدعابة التى يشم منها رائحة التطاول على الدين . فعمد المعرى للغريب يتوارى خلفه . ويتخذه مجنا دون من كان يتقى ، فأرانا أفانين من الاغراب تعرب عن علمه باللغة بما تقصر دونه الاعناق ولا تكاد تحيط به العقول . ولقد كان يأتى ببعض الغريب ثم يفسره مما نستنبط منه أن

فظن بسائر الاخوان شرا ... ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى ... لما طلعت مخافة أن تكادا

هنا أحس زعيم المؤتمرين أن تلك المفاجأة – مهما يكن من شىء – قاسية شديدة ، فأخذ يلطف حرارتها ، ويخفض من شدتها بما قال مخاطبا الشاعر : لا يكن فى نفسك يا أستاذ أثر من كذبة ابريل ، فوالله ما تدرى لعل ذلك فأل جليل ، فتطلع علينا فى غرة مايو الجميل المجلة النزيهة . وفيها لك تاج واكليل

حسن ! وما رأيك فى أن ذلك الشاعر الموتور . هو صاحب تلك السطور ؟

فرحات عبد الخالق

شرح المفردات اللغوية كان أحد أغراضه من تدبيج رسالته.

وحسبي أن أضع أمامك بعض نصوصها لتحدثك عن غرابتها، فأول ما ينطق به في رسالته قوله: قد علم الحبر الذي تسب اليه حبريل (بالحاء). وبينا ابن القارح يطوف في روضات الجنة اذا به ينظر خمسة نفر فيقول لهم: مارأيت أحسن من عيونكم! من أنتم؟ فيقولون: نحن عوران قيس تميم بن مقبل العجلاني، وعمرو ابن أحمر الباهلي، والشماخ بن ضرار أحد بني ثعلبة، وعبيد بن الحصين النميري، وحميد بن ثور الهلالي. فيحاور الشماخ في شعره، فيقول له الشماخ: إنما كنت أستق هذه الامور وأنا آمل أن أقرى بها ناقة. أو أعطى كيل عيالي سنة. وأنا الآن إن احببت وردا من رسل الأواري، قرب نهر كأنه دجلة أو الفرات. ولقد أرانى في دار الشقوة أجهد أخلاف شياه لجبات لا يمتلىء منهن القعب!.

وكذلك قوله: ومما عمل من أجناس المسكرات. مفوقات الشياذر، وموكرات كالجعة والبتع والمزر. والسكركة ذات الوزر. الى غير ذلك مما امتلأت به رسالة أبي العلاء. فكان حصونا منيعة دون المعنى تحول بينه وبين الأفهام. ودونك مثلا من غريب ماذكره وفسره حين يقول. فان خرج الى الجاء فقال: من أم شح جاز أن يقول: وجواري عح، وبيح، وبرح، وبحح وبنح، فالمح مح البيضة، وعج جمع أعج من قولهم: كبر أعج أي كثير الدسم. ويجوز أن يعنى بالمح القداح كما قال السلى

قروا أضيافهم ربحا ببح يعيش بفضلهن الحي سمر

ودرح جمع أدرح، وهو من صفات بقر الوحش. وقد يقال لاظلاف البقرة رح. قال الشاعر الأعشى

ودرح بالزماع مردفات بها تنضو الوغى وبها ترود

والبخ تمر صغير يابس، والجح صغار البطيخ قبل أن ينضج. وسواء لدينا أكان إغرابه معاياة لعلماء اللغة أم خدمة في سبيل إحيائها. أم تلك الاسباب كلها مجتمعة، فقد كان ذلك النسيج دروعا حول المعنى زغبت الناس عنه. فلم تؤثر الرواية في الجماهير. ولعل اكثارها من نقاش النحو واللغة والصرف، صرف قلوب الناس عنها على حين كان دانتي يتخذ من روايته عظة خلقية خلابة فتهافت الناس عليها منذ تراءت في سماء أيطاليا.

ولعل مما يكبر المعرى في أعين النقاد أن نقاش رسالته وهو في غريب اللغة، وعميق النحو والصرف والعروض، وثلة من تلك الابحاث الجافة لم يكن جافا، فقد أضفى عليه عذوبة من روحه جعلته عذبا شائقا. وتلك هي القدرة الفذة التي تجعل المعرى في الخالدين

نفسية الشاعرين:

كان المعرى هنا مرحا طروبا، فابتدأ بالفردوس، وختم بالفردوس، وأطلق لخياله العنان، في السخر وفي الدعابة، يسمر مع الشعراء والأدباء والنحاة. بل مع إبليس، ومع الخزنة، خزنة النيران: يرى المعذب تندلق أقتابه، ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت، فيحاوره في النحو والصرف، وفي الرواية والتصحيف، دون أن تجدى لديه ضراعة المعذبين واعتذارهم عن الاجابة بما هم فيه. ولم يصحب المعرى دليلا في رحلته إيناسا لابن القارح، وتعبيدا لسبيلها

ولكن دانتي كان مروع القلب، هلوع الفؤاد. يبدأ الرحلة بالجحيم فلم يطق السير في ظلماتها وحيدا. فصحب الشاعر العظيم فرجيل، يؤنسه ويهديه سواء السبيل. بيد ان اصطحابه لم يمنعه أن يشتد به تأثره، حين يرى الجثث تتطاير مع اللهب من اللهب. وحين يستمع العصاة وهم يصطرخون فيها داعين بالويل والثبور الواحد، وبالويل وبالثبور الكثير.

ولقد أغمى عليه مرات عدة. ففقد وعيه حينما كان يطوف في الطبقة الثانية من جهنم، فرأى العاشقين باولو Paolo وفرنشيسكا Francesca وهما يتطايران متعانقين في لهب السعير. رأى دانتي تلك المخلوقة الضعيفة تلفح وجهها النيران فأغمى عليه. ولما أفاق قصت عليه قصصها، وأنها كانت هيفاء القوام، مشرقة الطلعة، خطبها (جانشوتو مالاتستا) القصير القامة الدميم الخلقة. فأطمع أهلها ثراؤه. فتغاضوا عن دمامته، وإبان الخطبة أروها أخاه (باولو) الوسيم القسيم. فأحبته وظلت ترقب ليلة الزفاف التي تجلت لها سوداء قاتمة حين رأت زوجها دميما خدعت فيه بأخيه الذي ظلت عرى المحبة بينها وبينه متواصلة. حتى أتاحت لهما الفرصة سفرا من زوجها قريبا فالتمساها وجلسا يقرآن معاقصة فيها قبلة، بلغاها ففعلاها فتوشجت بينهما أواصر المحبة، حتى تكشف أمرهما لأحد الخدم، فسعى بهما لزوجها فحضر على حين غفلة فرآهما معا مختلين في منأى عن أعين الرقباء، فاستبقا الباب فاتبعهما بسيفه فقضى عليهما عقابا في الدنيا، يتلوه خلودهما في الجحيم

التصوير فى الشعر الغربي

للأستاذ فخرى ابو السعود

الوصف من أهم أغراض الشعر وأخص فنونه . وكلما كثر فى شعر لغة أو آثار شاعر ، دلّ على رقيهما الفني ، إذ أن مناظر الطبيعة خاصة ، وروائع المشاهدات عامة ، من أشد العوامل تأثيراً فى النفس الشاعرة وتحريكا لعاطفتها وبعثاً لها الى القول . والوصف فى الشعر العربي غزير يتناول شتى الموضوعات ، ويبلغ فى يد كبار شعراء العربية غاية الاجادة . فكثيراً ما تخلص شعراؤنا من قيود المدح والرثاء والنسيب الاستهلالي - مهما كان تقيدهم بهذه الأغلال الثقيلة التى كبلت الشعر العربى - وعرجوا على وصف أثر من آثار الطبيعة أو المدنية ، فأبدعوا وأرضوا الفن أضعاف ما أرضوه بمبالغات المديح والرثاء والنسيب المدعى .

ولكن الذى أريد الإشارة اليه فى هذه الكلمة ، ان اعتماد الوصف فى الشعر العربي كان دائما على المعنى دون اللفظ ، على التشبيه والاستعارة والمجاز دون جرس الالفاظ وتتابع التراكيب ووقع الاوزان والقوافى . بينما الشعر الوصفى الغربى اعتمد على هذه الاشياء الاخيرة اعتمادا كبيراً . فبلغ الغاية فى المطابقة بين المعنى واللفظ مطابقة تملأ الوصف حياة وجلاء . وتوفر بعض الشعراء على هذا الضرب من التصوير ، ومنهم ملتون وتنيسون ، ولا سيما الثانى الذى يلغ فى القدرة على تذليل اللفظ للمعنى واستخدامه فى تصوير ما يشاء حداً منقطع النظير . وأضحت آثار أولئك الشعراء مهبط وحى لكبار المصورين يستلهمونها ما حوت من روائع الاوصاف ومحكمات الصور ويسجلون ذلك على لوحاتهم .

اذا كان فى المنظر المراد تصويره حركة كجريان نهر أو عدو جواد استخدم الشاعر الغربى بحرا من بحور الشعر يلائم تلك الحركة ويحكيها . واذا كان به صوت أو أصوات مختلطة كهدير أمواج البحر أو قصف المدافع فى الحرب اختار من الالفاظ تلك التى تحتوى على حروف خشنة قوية ، واذا كان يصف منظرا ساكنا وادعا لم يذكر ذلك فى القصيدة ذكرا ، وانما استعمل الالفاظ ذات الحروف اللينة كالسين مثلا ، وهناك عدا هذا وذاك ضروب شتى من الملاءمة بين الصيغة والمعنى يفتن فيها الشاعر الوصاف ما شاء له اقتداره : ككثرة العطف وتكرار الحروف والكلمات والتراكيب والابيات الكاملة .

ولقد وقع شىء من ذلك فى بعض أشعار الوصف العربى ، ولكنه كان الهاما محضا او اتفاقا عارضا ساقت الشاعر اليه المصادفة السعيدة أو السليقة الجيدة ، دون أن يعمده أو يتكلف فى صوغه عناء ، ويقرأه القارىء العربى فيستطيبه ويعزو موقعه من نفسه الى مجرد جودة معانيه وحسن تشبيهاته . ويجمل ذكر شىء من هذا للتمثيل والبيان :

فى معلقته يصف امرؤ القيس الليل فى بيته المشهور

فقلت له لما تمطى بصلبه ... واردف اعجازا وناء بكلكل

وفضلا عن جودة المعنى وحسن التشبيه فى هذا البيت يزيد الوزن والتركيب الوصف المراد ظهورا : فالبحر الطويل ذو الحركة الوئيدة وتكرار العطف بالواو يمثلان بطء مسير الليل ولجاجه فى الاقامة وتماديه فى الطول خير تمثيل ، وفى بيته الآخر حيث يصف جواده بقوله :

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

نرى تتابع الصفات بلا فاصل فى الشطر الاول ، واستعمال الالفاظ الضخمة الخشنة فى الشطر الثانى يمثلان توثب الجواد وسرعة انطلاقه وارتداده ومفاجآت حركاته تمثيلا جيداً يصرف النظر عن تشبيهه بانحطاط الصخر من شاهق . وفى قول المتنبى :

أتوك يجرون الحديد كأنما ... سروا بجياد مالهن قوائم

خميس بشرق الارض والغرب زحفه

وفى أذن الجوزاء منه زمازم

نرى وصفا رائعا لجيش كثيف وئيد الزحف لكثافته ،

ولقد كان دانتى يطوف فى الطبقة الاولى من الجحيم . فزلزلت الأرض زلزالها ، وانتشر فى الجو نور أحمر تكاثف حتى ملأ الآفاق ففقد كل المشاعر والحواس . لولا رعد قاصف دوى فى أذنيه فأفاقه وهكذا كان دانتى مضطرب القلب مروعا من رحلته ، على حين ان ابن القارح كان طروبا كما حدثتك حتى فى أشد المواقف إذابة للصخور الجلامد .

وذلك فرق ما بين الشاعرين : دانتى العابس ، والمعرى الباسم فى رسالة الغفران لا فى اللزوميات .

يتبع ... محمود احمد النشوى

وليس فى البيتين معنى كبير ، وليس فيهما سوى مبالغة غير معقولة ، ولكنه البحر الطويل يمثل هذه الحركة البطيئة أتم تمثيل ، هذا فضلا عن فخامة الالفاظ التى تخيرها الشاعر . وترى البحر الطويل يؤدى مثل هذا الغرض ويرسم صورة أخرى رائعة فى قول جميل

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الاباطح

فهنا حركة الابل البطيئة واضحة ماثلة ، وقد كان جميل ملهما حيث ذكر كلمة أعناق فى البيت الثانى فانها وحدها ترسم الصورة التى اراد . فان ذكر الجزء الاهم من الصورة ، كثيرا ما يبعث الى المخيلة باقى الاجزاء ويبرز الصورة جلية كاملة ، ويترك البحر الطويل مثل هذا الاثر أيضا فى قول البارودى الذى اشار اليه الدكتور صبرى فى كتابه عن الشاعر :

ـــ وتبهنا وقع الندى فى خميلة ـــ

فاذا قرىء هذا الشطر بأن وجدنا الوزن يمثل تساقط قطرات الندى متتابعة ، أما الحركة السريعة فيمثلها البحر الكامل ، ومن ذلك قول المتنبى :

اقبلت تبسم والجياد عوابس يخببن بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغى عنقا عليه لامكنا

ففى البيت الثانى نرى مبالغة أخرى من مبالغات المتنبى ، وهى وحدها لاتكاد تؤدى معنى ، ولكن البحر الذى صيغت فيه القصيدة يؤدى خبب الجياد خير أداء ، حتى ليكاد يريك توثب الفرسان فوق ظهورها ، ولو حاول الشاعر وصف الخبب فى البحر الطويل لما استقامت صورته

ولتكرار الالفاظ أو التعبيرات احيانا اثر بليغ فى ابراز الصور وبعث الاخيلة . ففى قول ابن هانى الاندلسى :

وفوارس لا الهضب يوم مغارها هضب ولا الوعر الحزون حزون

يوحى تكرار كلمتى هضب وحزون الى المخيلة تتابع الهضاب والربى أثناء عدو الفرس ، فكأنه يعرض أمام العين شريطا سينمائيا متحركا ، أضف الى ذلك صوغ البيت فى البحر الكامل واختيار الكلمات الفخمة ، وفى قول الاستاذ المازنى :

لمعط اليم اذا اليم طما والتقت فيه هضاب بهضاب

ترى صورة رائعة لجيشان اليم ، ولا يرجع هذا الى معنى البيت وحده ، ولكن الى وزنه والفاظه كذلك : فبحر الرمل يمثل الحركة المتضاربة أدق تمثيل . وتكرار كلمتى اليم وهضاب يوحى الى المخيلة تتابع اللجج ، وتكرار حرف الهاء ثلاث مرار فى الشطر الثانى يزيد الحركة تصويرا وبروزا

كان ذلك فى الغالب كما ذكرت محض اتفاق أو الهام ، ولم يقم فى العربية فرد أو مدرسة تتوفر على هذا الضرب من النظم والتصوير وانما حين اتجه نظر الشعراء الى اللفظ صادف ذلك عصر انحلال الادب فلم يسخروا اللفظ لابراز المعنى ، بل صرفوا كل همهم الى اللفظ دون المعنى ، وولعوا بالالاعيب اللفظية التى سموها محسنات ، وأوغلوا هذه الغثاثات على أجل فنون الشعر خطرا كالرثاء والنسيب فأسفت وانعدم فيها الحس والشعور ؛ فرأينا شاعرا ينسب فيقول

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعانى أمت بما أودعانى

وآخر يتوجع فيقول :

لى مهجة فى النازعات وعبرة فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وثالثا يمدح فيقول :

وان أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الانام له

وليس فى كل هذا تعبير عن شعور أو أداء غرض ، وماهو إلا عبث بالالفاظ واقتناص للجناس والطباق والسجع والتورية ، وإنما أكثرت من هذه الامثلة الغثة لاوضح كم كان الشعر العربى يربح لو أن المجهودات التى صرفت فى مثل هذا التحايل العقيم وجهت الى تسخير اللفظ للمعنى والاستعانة بهما معا على ابراز الوصف المقصود كما يصنع شعراء الغرب

وليس فى طبيعة اللغة العربية قصور يحول بينها وبين مجاراة اللغات الاخرى فى هذا الباب ، بل لها من المميزات ما يقدمها على غيرها : فهى كثيرة البحور التى يؤدى كل منها غرضا مختلفا ، غزيرة الالفاظ الوعرة الضخمة والرقيقة اللطيفة التى توحى بخشونتها أو رقتها مختلف الصفات ، غنية بالحروف السلسة اللينة والحروف الخشنة الجافية التى تطاوع الناظم القدير . ليس يعوز العربية شىء من ذلك وانما يعوزها الجرأة من الناظمين بها والعزم والجلد .

فخرى أبو السعود

الانتصار ؟! ..

٥ ـ بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

عقيدته

وكان سني الاعتقاد يكره المعتزلة ويلعنهم (١) قال فى الديوان متغزلا :

ذات جفون ضعفت   كمذهب المعتزلة

وله قصيدة يرد فيها على الخوارزمى قوله فى الصحابة . ومن أجل ذلك اتهم فى نيسابور بميله عن العلويين ، فبرأ نفسه وروى لهم من شعره فى رثاء الحسين ، فهو على حبه آل البيت لايذهب مذهب الشيعة فى الخلافة ومايتصل بها . يقول فى الديوان :

يقولون لى لاتحب الوصى   فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبي وأهل النبي   وأختص آل أبى طالب
وأعطي الصحابة حق الولاء   وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع   فانى كما زعموا ناصبي
وان كان رفضا ولاء الوصى   فلا يبرح الرفض من جانبي . الخ

وفى رسائله واحدة كتبها الى بعض الوزراء يشكو من ظهور التشيع فى هراة ويحذر ان يصيبها ما أصاب نيسابور وقم والكوفة:(٢)

« ورجع صاحبي آنفا من هراة فذكر انه سمع فى السوق صبيا ينشد أن محمدا وعليا ، لعناتيما وعديا . فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدى ، لكفتنى شغل الشكاية ، وولى النعمة شغل الكفاية ، ويل أم هراة ، أنصب الشيطان بها هذه الحبالة ، وصرنا نشكو هذه الحالة . والله مادخلت هذه الكلمة بلدة الاصبت عليها الذلة ، ونسخت عنها الملة ، ولارضى بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم ، وألقى بينهم باسهم . هذه نيسابور منذ فشت فيها هـذه المقلة فى خراب واضطراب الخ »

أدبه

قدمت فى المقالات الماضية طرفا من سيرة الهمذانى وأخبار أسرته وأحوال عصره ، وأبين الآن عن أدبه : نثره وشعره

كان أحمد بن الحسين الهمذانى أعجوبة فى ذكائه وحفظه ، فتيسر له علم واسع باللغة والأدب . وهو يقول فى حديثه عما شجر بينه وبين أبى بكر الخوارزمى : « فقلت يا أبا بكر هذه اللغة التى هددتنا بها وحدثتنا عنها ، وهذه كتبها وتلك مؤلفاتها ، فخذ غريب المصنف ان شئت ، واصلاح المنطق ان أردت ، وألفاظ ابن السكيت ان نشطت ، ومجمل اللغة ان اخترت ، فهو ألف ورقة ، وادب الكاتب ان أردت ، واقترح على اى باب شئت من هذه الكتب حتى اجعله لك نقدا ، واسرده عليك سردا ، فقال اقرأ من غريب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال وما أمساه فاندفعت فى الباب حتى قرأته فلم اتردد فيه ، واتيت على الباب الذى يليه ، ثم قلت اقترح غيره ، فقالوا كفى ذلك ، فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من أخبار فصيح الكلام ولا اطالبك بسواه ، ولا اسألك عما عداه ، فوقف حماره ، وخمدت ناره ، وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهاتوا غيره ، فقلت يا أبا بكر هات العروض ، فهو أحد أبواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وابياتها ، وعللها وزحافها ، فقلت هات الآن فاسرده كما سردته .... »

وقد أعجب الناس بذكائه وبديهته ، وتحدى هو الناس بهما فجاء كثير من منشآته عفو البديهة ، ولو روى فيه لجاء خيراً من ذلك .

قال الثعالبى فى اليتيمة : « ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتا ، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها ، لا يخرم حرفا ولا يخل معنى ، وينظر فى الاربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذ بها من ظهر قلبه هذاً ، ويسردها سرداً . وهذه حاله فى الكتب الواردة عليه وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو انشاء رسالة فى معنى بديع ، وباب غريب ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عنها فيها . وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم هلم جرا الى الأول ، ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من انشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروى من النثر والنظم ، ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة . ويقترح عليه

(١) الرسائل ص ١٦١   (٢) ــ ص ١٨٣

كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله فى أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه، ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة . . . . وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع، إلى عجائب لا تحصى، ولطائف تطول أن تستقصى . »

لدينا من آثار الهمذانى ديوانه ورسائله ومقاماته . فأما الديوان فيتضمن زهاء ثلاثمائة وألف بيت ، منها ست وثلاثون قصيدة وقطعة فى المدح ، مدح بها من الملوك والأمراء شمس المعالى قابوس بن وشمكير، والسلطان محمودا الغزنوى، وبنى فريغون وخلف بن أحمد، وبنى ميكال . ومن الوزراء الصاحب بن عباد وأبا نصر بن زيد . ومدح جماعة من رؤساء جرجان ونيسابور ونسا وهراة . وهو يجرى فى المدح على السنن المعروف ، ولكنه لا يلتزم الغزل فى أول المدائح ، ولا يطيل فى معظمها .

ومن جيد شعره فى المدح القصيدة التى أولها :

على الأرابح العيش والقبا والبس البيد والظلما والبليا الخ (١)

وقوله فى بنى فريغون :

ألم تر أنى فى نهضتى لقيت الغنى والمنى والأميرا
ولما التقينا شممت التراب وكنت امرأً لا أشم العبيرا
لقيت امرأ عين الزمان يعلو سجايا ويرسو نثيرا
لآل فريغون فى المكرمات يد أولا واعتذار أخيرا
إذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيما وملكا كبيرا

وأما الغزل فله فيه غير ما فى قصائد المدح ست قطع تحوى واحدا وعشرين بيتا . والبديع ليس غزلا ، ولكنه حاكى الشعراء فى ضرب القوه وافتنوا فيه وعدوه من فروض الشعر .

وله قطع فى وصف الأسد والليل والخمر . وقطعته فى وصف الليل نموذج من شعره المرتجل ، ارتجلها حين اقترح عليه الموضوع والقافية :

ألعت ليلا ذا سواد كالسبج محذر الصبح خدارى الدعج
أدرج العالم فيه لا اندرج أو نسج الحرمان منه لا نسج
ليلا حرون النجم قارى الهج العمر فيه نقطة لو انفرج
والدهر من أجزائه ولا حرج أيسر ما فيه الشهور والحجج الخ

ويجود شعر الهمذانى فى الرثاء والمواعظ . وفى ديوانه ست

(١) الديوان ص ٤

مراث إحداها فى واقعة كربلاء ، وله اثنتان وعشرون قطعة صغيرة فى المواعظ تنبىء بما فى نفسه من الانقباض والحزن والتشاؤم كما قدمت فى الكلام عن أخلاقه . ومن مرثية الحسين بن على :

يالمة ضرب الزمان على معرسها خيامه
لله درك من خزامى روضة صارت ثغامه
فوربه قامت به للدين أشراط القيامه
لمضرج بدم النبوة ضارب بيد الإمامه
متقسم يطأ السيوف مجرعا منها حمامه
منع الورود وماؤه منه على طرف الثمامه الخ

وقد قدمت آنفا مرثية الخوارزمى التى أولها :

حنانيك من نفس خافت ولبيك من كمد ثابت (١)

ويقول فى المواعظ ، وهو فى هذا يشبه أبا العتاهية :

ياحريصا على الغنى قاعدا بالمراصد
لست فى سعيك الذى خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه لست فيها بخالد
بعض هذا فإنما أنت ساع لقاعد

ويقول :

ياقلب ما أغفلك عن حركات الفلك
ويحك هذا الردى إليك يسعى ولك
أنت على سفرة يشيب منها الحلك
من انتحى نهجه بغير زاد هلك

ويقول :

أجدك ما تنبه للمنايا كأنك واجد عنها ملاذا
لذاك على الغنى تزداد حرصا وفى حالات سكرتها نفاذا
هب الدنيا تحقق ما ترجى من الآمال ويحك ثم ماذا ؟

ونراه يتكلم بلسان الصوفية فى القطعة التى أولها :

إن لله عبيدا فى زوايا الأرض غبرا الخ (٢)

ويقول فى صديق له حبس :

مالى أرى الحر ذاهبا دمه ولا أرى النذل ذاهبا ذهبه
أفلح من لؤمه وسيلته وليس ينجو من جرمه حسبه
من شام إلا بناله زمن فليكن العرض جل ما يهبه
أراحنا الله منك يا زمنا أرعن يصطاد صقره خربه

(١) الديوان ص ١٢ (٢) ص ٣٠٤

يا ساغبا جائع الجوارح لا   يسكن الا بفاضل سغبه
ياضرما فى الأنام متقدا   والجود والمجد والندى حطبه
ياصائدا والعلى فريسته   وناهبا والجمال منتهبه
ياسادتى لا تلن عظامكم   لعضة الدهر ان يهج كلبه

بل هو حين يحض على التمتع بالدنيا ، واهتبال فرص العيش
نيم عن حزن وتشاؤم يذكرنا بعمر الخيام فى تما يلهولينى تباريح الحياة

انما الدهر الذى يص   دقنى حر المصاع
كالنى مبدا وأجزا   ء من الحلم بصاع
فاغنم الايام ما أل   فيتها خضر المراعي
انما نحن من الده   ر بواد ذى سباع
لاتدع من لذة العي   ش عيانا لسماع (١).

ويقول فى قصيدة يمدح فيها ابا جعفر الميكالى :

نستبيح الدهر والأيا   م منا تستبيح
ضاع مانحميه من أن   فسنا وهو يبيح
نحن لاهون وآجال   المنى لاتستريح
ياغلام الكاس فاليا   س من الناس مريح
أنا يا دهر بأنيا   بك شق وسطيح الخ (٢)

وللهمذانى قطع كثيرة فى الالغاز والمعميات ، وكان الرجل نادرة فى الذكاء والبديهة فكان يختبر الناس ويختبرونه بهذا الضرب . وفى الديوان منه اثنان وعشرون ، ويكثر فى شعره الترجمة عن الفارسية . وفى الديوان ثلاث عشرة قطعة مترجمة عن هذه اللغة . وكانت الترجمة بين العربية والفارسية سنة شائعة بين متأدبى المسلمين فى ايران وما يجاورها ، اذ كان الشعر الفارسى قد بلغ أشده ، وكانت العربية لا تزال لغة العلم والأدب . وكثير من شعراء هذا العصر وما بعده نظم باللغتين ؛ ولقب لذلك بذى اللسانين ، وفى يتيمة الثعالبى أمثلة من هذا . وهذه الترجمة تهم دارس الأدبين العربى والفارسى . ولكن يقلل خطرها أننا نجد الترجمة ولا نجد أصلها ، ولم أعرف من الشعر الفارسى الذى ترجمه البديع الا قطعة أثبتها محمد عوفى فى كتاب لباب الألباب فى ترجمة المسطق الشاعر الفارسى ، ويقول عوفى ان الصاحب بن عباد أمر البديع بترجمتها ، فقال على أية قافية ؟ فقال الطاء . قال ومن أى بحر ؟ قال أسرع يابديع ، فى البحر السريع ، فترجمها ارتجالا والأبيات :

بك بوى بد زويدم أزدو زلفت   جون زلف زرى اى صنم بشانه
جونانش بسختى همى كشيدم   جون مورکه گندم کشد بخانه
باموى بخانه شدم پدر گفت :   منصور کدامست ازين دو کانه

والترجمة :

سرقت من طرته شعرة   حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلحت بها مثقلا   تدلح النمل بحب الحناط
قال أبى من ولدى منكما   كلا كما يدخل سم الخياط

ويرى أنه تصرف فى ترجمة البيت الثالث . وأصله : « ذهبت الى الدار بالشعرة . فقال ابى : منصور أى الاثنين ؟ » . وفى الديوان بيتان قبل هذه الثلاثة . (١)

ومن الترجمة التى يتجلى فيها اسلوب الفارسية هذان البيتان

فؤادك أين ؟ سباه . بماذا   بمقلته . من ؟ غزال ربيب
سلابا. نعم. أين؟ وسط الطريق   متى ؟ اليوم : هذا سلاب غريب

وهى تذكر دارس الأدب الفارسى بمطلع قصيدة محتشم من شعراء الدولة الصفوية فى رثاء آل البيت

وفى الديوان قطعة فيها كلمات وشطرات فارسية ، والشعر المنظوم بلغتين أو أكثر يسمى الملمع فى عرف أدباء الفرس أو الترك وهو كثير عندهم (٢) ويكثر فى شعره المجزوء ، ولا سيما الهزج والكامل . وسأعود الى هذا حين الكلام فى سجعه .

وأحسب بديع الزمان نظم معظم شعره فى أوائل حياته . فى الديوان أبيات نظمها وهو فى الثانية عشرة ، وهو يذكر سن العشرين فى بعض شعره :

إنى بعشرين تصاريف ما   بعد الثمانين تعرفتها

ويذكر الخامسة والعشرين وهو يمدح خلف بن احمد :

ألم يك فى خمس وعشرين حجة   تسنمتها هاد لمثلى الطرائق

ثم هو يلعن النظم فى كلامه عن الخوارزمى فى بعض رسائله وذلك دليل على أنه مال عن الشعر : « هو خوارزمى ، ولست من خوارزم ، وهو شاعر ولعن الله النظم » وأوضح من هذا قوله فى رسالة الى ابن ظهير رئيس بلخ

« كنت نويت أ لا أقول الشعر فأبت النملة الا الدبيب . وأجدنى قد اكتهلت والكهل قبيح به الجهل . » (٣)

يتبع   عبد الوهاب عزام

(١) الديوان ص ٥٢ (٢) ص ٢٠

(١) لباب الألباب ص ١٦ والديوان ص ٤٨ (٢) الديوان ص ٦٤
(٣) ٤٤١ من الرسائل — ط الجوائب

من طرائف الشعر

الى البحر

للشاعر الوجدانى على محمود طه

قف من الليل مصغياً للعباب   وتأمل فى المزبدات الغضاب
صاعدات تلوك فى شدقها الصخر   وترمى به صدور الشعاب
هابطات تئن فى قبضة الر   يح وترغى على الصخور الصلاب
ذلك البحر : هل تشاهد فيه   غير ليل من وحشتها كتاب ؟
ظلمات من فوقها ظلمات   تترامى بالسانح الصخاب
لا ترى تحتهن غير وجود   من عباب وعالم من ضباب
أيها البحر كيف تنجو من اللي   ل ؟ وأين المنجى بتلك الرحاب
هو بحر أطم لجاً وأطغى   منك موجاً فى جيئة وذهاب
أوما تبصر الكواكب غرقى   فى دياجيه كاسفات خوابى ؟
وترى الارض فى نواحيه حيرى   تسأل السحب عن وميض شهاب
ويك يابحر ما أنينك فى اللي   ل أنين المروع الهياب
امض حتى ترى المدائن غرقى   وترى الكون زخرة من عباب
إمض عبر السما واطغ على الاف   لاك واغمر فى الجو مسرى العقاب
ذاك أو يهتك الظلام دياجي   ه ويمضو ذاك السواد الكابى
وترى الشمس فى مياهك تلقى   خالص التبر واللجين المذاب
أقبل الفجر فى شفوف رقاق   يتهادى فى منظر خلاب
حلل من وشائع النور زهر   يتماوجن فى حواشى السحاب
واذا الشاطىء الضحوك تغنى   حوله الطير بالأغانى العذاب
ونسيم الصباح يعبث بالغا   ب ويثنى ذوائب الاعشاب
ومن الشمس جمرة فى ثنايا الـ   موج يذكو ضرامها غير خابى
ومن البحر جانب مطمئن   قزحى الأديم غض الأهاب
نزلت فيه تستحم عذارى الـ   ضوء من كل بضة وكعاب
عاريات يسبحن فى اليم لكن   لفها الرغو فى رقيق الثياب
فاذا البحر يرقص الموج فيه   واذا الطير صدح فى الروابى
راقصات الامواج علمن قلبى   راقصات المغرد المطراب
وأفيضى عليه من سلسل الوح   ى نميراً كالجدول المنساب
واستثيرى عواطفى ودعينى   أسمع البحر أغنيات الشباب

لى وراء الامواج يابحر قلب   نازح الدار ماله من مآب
نزعته منى الليالى فأمسى   وهو ماق فى وحشة واغتراب
ذكريات تدنى القصى ولكن   أين منى منازل الاحباب
أنا وحدى هيمان فى لجك الطا   مى غريق فى حيرتى وارتيابى
أرمق الشاطىء البعيد بعين   عكفت فى الدجى على التسكاب
فسواء فى مسمعى من ذراه   صدحة الطير أو نعيق الغراب
وسواء فى العين شارقة الفجـ   ر أو الليل أسود الجلباب
بيد أنى أحس فيك شفاء   من سقامى ورحمة من عذابى
أنت مهد الميلاد والموت يابحـ   ر ومثوى الهموم والاوصاب
فأنا فيك أطرح الآن آلا   مى وعبء الحياة والاحقاب



النبيـــائلة . . .

كاعبٌ زادها الشحوبُ جمالا   وكساها اليتمُ الرهيبُ جلالا

أمعنَ الهمُّ فى مدامعها نز   حاً وفى قدّها النضير هزالا

لبست بالىَ الثياب وجرت   إثرَها من جلالها أذيالا

وتمعنُ الخلّةُ الملحّةُ والعز   ة فى قلبها الكليم نضالا

كم تمنّتْ على الصبا نعمةَ المو   ت إباءً فما تطيقُ السؤالا

لو أن الحمامَ طوعَ بنان النـ   ـاس كان الانسان أسعدَ حالا

حثها الجوعُ للسؤال كما تحـ   ـثُّ للموت مجرماً قتالا

فأتت سيداً وقد جرّرَ الأذ   يال تيهاً على الورى واختيالا

سألته قرشاً ومدّت له الكفـ   ـفَ ترجّى من الكبير النوالا

ناهدٌ لو رجت نوال صخور   لجرى الصخرُ بالدموع وسالا

ردها عنه صاخباً ، بكلام   كان فى قلبها الكسير نبالا

فانثنت عنهُ والفؤادُ جريحٌ   وانثنى دمعُها أسى هطّالا

ويلها شرعةً أعزّتْ لئيماً   فتمادى على الكريم وصالا

بعض هزل الزمان أن يوسع الأحـ   ـرارَ ظلماً ويكرمَ الأنذالا

زمنٌ ينزلُ المراتبَ قطعا   نُ الخنازير والصحارى الشبالا

عجبى للغنىّ يغفو قريرَ الـ   ـعين فى ليله وينعمُ بالا

بينما النسوة الضوامرُ يبكـ   ـين ويكثرن فى الدجى إعوالا

من يعولُ الفتاةَ أرمضها الجو   عُ وآضت بها الهمومُ خيالا؟

لا أبٌ يمسكُ الانينَ إذا لجّ   ولا الدمعَ إن ألحّ وسالا

أتراها تقضى من الجوع يبنا   غيرُها يمرحُ السنين الطوالا

عزّت اللقمةُ الطهورُ عليها   مثلما عزّتِ السّها أن تنالا

فغداً تأخذُ الطريق إلى المنـ   ـكر كرهاً وتخلعُ الأسمالا

وتجلى كالبدر فى أفق الشر   بهـــاء وروعة ودلالا

وترى سادة النضار عبيداً   يتمنّونَ عطفها بذّالا

.. ويقول الانسانُ تلك فتاة   لوّمتْ نفسُها وساءت فعالا

باعت العرض باللذائذ طوعاً   فستلقى من الاله نكالا

كذبوا ! فالاله أعدلُ من أن   يجزىَ الساغبَ البرىء وبالا

نخلق المجرمين نحن بأيديـ   ـنا ونسقيهم الردى أشكالا !

دمشق   أمجد الطرابلسى

أحي الربيع . .

أتى من يبشرنى بالربيع   ويعجب لى كيف لا أفرحُ

وكيف تكون الربى فى حبور   وتزهو الحقول ولا أمرح

وكيف الطيور على غصنها   بأشجى أناشيدها تصـــدحُ

وما للبنفسج من زرقة   ومن عبق روحه تنفح

فقلتُ وقد ضقت باللوم ذرعاً   رفى وجنتى عـــبرة تسبح

أحي الربيع وفى مهجتى   شتاء من الغم لا يبرح

حسين شوقى

ليت قلبى . . !

إيه يا دهر ما بخالبك العضـ   ـل بأقسى علىّ من مقاتيّا

نظراتى للناس تترك فى القلـ   ـب ضراماً يكوى ضلوعى كيّا

لا أرى فى الحياة غير حزين   يذرف الدمع بكرةً وعشيّا

وكئيب اذا تنفس خلت النـ   ـار تذرو لظى الجحيم عليّا

ليت قلبى من الحجارة صلد   ليس يدرى من الحقيقة شيّا

أنا يا قوم شاعر ملأ الشعـ   ـر جنانى وفاض من جانبيا

قلبى النظم لمـــةً وضياءً   غير انى أرى الظلام قويّا

من رملة فلسطين   عبد الرحمن رباح

القلب الطريد

إن بين الضلوع قلباً طريداً … عاثر الجد لم يُقل من عثاره
قام دهراً إلى اليسار ربيئاً … مشرقاً قابضاً على منظاره
آملا أن يلوح قلب نقىّ … يبذل الود ساذج فى نفاره
يعرف الحب والحياة فيُلقى … عن فؤاد المحب ثوب صغاره
عالم بالجمال فى كل لون … وخبـير بخافيات منارِه
يستطير الذكاء منه شعاعاً … ساكباً ضوءه على اقطاره
يشرق القول من سناه ويمشى … شرطى العفاف فى أنواره
ويفيض الحنان نهراً دفوقاً … يجرف العازلين فى تياره

آملا أن يراه منه قريباً … قبل موت الهوى وقبل اندثاره
إن شدا بالغرام هب مجيباً … ذلك القلب شادياً بجواره
يرسل اللحن فى الفضاء قوياً … ويسر الأنين فى أوتاره
جامد الطرف ذائباً من حنين … مسنداً رأسه الى قيثاره

ويحه لم يجد مبادل حب … أو صديقاً يصون من أسراره
هام شرقاً وهام غرباً كئيباً … يستميح الحنان فى أطماره
طارقاً للفؤاد من كل ظبى … حف أو لم يحف لى بمكاره
ويوالى الهجوم حتى أراه … مشرئباً يشب فى أسواره
كلما دق باب قلب ترامى … فيه شخص يجيل فى انظاره
خافتُ ردة يقول تأخر … ت كثيراً ياصاح عن ابحاره
طال تسياره وآب ولم يحـ … ـظ بغير الكلال فى تسياره
فأبى بعدها القلوب مقيلا … واستعاض البيوت من اشعاره
يشتكى دهره ويدلع فيها … من سعير الغرام ألسن ناره
كاحلا بالدماء من مهجة القلـ … ـب عيون القصيد فى أشطاره

هدنة ما أقمت شهراً عليها … ثم عاد الفؤاد ماضى سُعاره
فهو يغلى به ويطغو عليه … وجده المستثار من أغواره
هابطاً بالهموم أو مستطاراً … داوياً بالانين فوق مطاره
زاخراً بالدماء فالحب فيه … متعب يرتمى على احجاره
قابضاً كفه على ذكريات … كن بالامس فى رمال قراره
باسمات وهن حول غرامى … مغضبات مضين فى آثاره
ذكريات أثارها من جديد … ستثير الغرام من أوكاره
عابث بالنهى كثير التأبى … حرس غصنه وطيب ثماره
باسم عند مايرانى وحيدا … وخجول اذا مررت بداره
سارح الطرف إذ رآنى وصحبى … ذاهل كالغريق فى افكاره

اسمحى ياحبيبتى ففؤادى … قلبُ كالحياة فى أطواره
قد ملكت القياد منه وصارت … بسمات من فيك إكليل غاره
فاحذرى أن يثور بعد سكون … فيطير الغرام فى إعصاره

«المنصور»
نزيل القاهرة

في الادب الفرنسي

الدوق دي لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

كتب أديب فاضل في عدد الرسالة الغراء رقم (٤٠) يقول إن السبب الأول في سقوط روايات كورنى الاخيرة يرجع إلى غلو هذا الشاعر « في مبدئه الذى يعنى بتصوير الاشخاص كما يجب أن يكونوا ، فجاءت شخصيات قصصه الأخيرة خارجة عن حدود المعقول » ، لا إلى اضمحلال قواه الذهنية من أثر الهرم كما ذكرت في مقالي عن هذا الشاعر العظيم . وأعتقد أني محق فيما ذهبت اليه لأن كورنى قال عن نفسه بعد فشل قصصه الأخيرة « شعري ذهب مع اسناني » ، ولأن شخصيات قصصه الأولى الخالدة كالسيد وهوراس وسنا تعلو على الضعف الانساني وعلى الرغم من ذلك أبلغت الشاعر قمة المجد وأكسبته لقب : كورنى العظيم

ثم قال الأديب الفاضل ان كلمات فولتير : « الشرح الوحيد لكتب كورنى يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات في أسفل كل صحيفة : جميل . جليل . إلا هي ! » ، على ما جاء في كتب الآداب الفرنسية ، قيلت في راسين لا في كورنى . وأصر على أن فولتير الذى عرف بالبخل الشديد دفعه إعجابه بكورنى الى أن يتبنى ابنة اخته ويزودها بمهر ثم يزوجها . ولم يكفه هذا بل نشر كتبه وشرحها إمعانا في اظهار إعجابه بالشاعر الأكبر ، وكتب في مقدمة شرحه تلك الكلمات . وأرجو من الاديب الفاضل أن يتفضل بإرشادي الى كتب الأدب التي ذكرت أن فولتير قال تلك الكلمات في راسين لا في كورنى وله مني وافر الشكر

والآن نتحدث عن الدوق دي لاروشفوكو الذى شغل أذهان الناس في عصره وأقلام الكتاب والنقاد في العصور التالية . ولم يخرج هذا الرجل للناس من الآثار الادبية غير مذكراته بشأن أمثاله النبلاء الاغنياء ، وكتاب صغير الحجم عنوانه : « مواعظ أو تأملات وأحكام أخلاقية » جمع فيه كل آرائه في العواطف الانسانية ، بعد أن خيبت الحياة آماله ودكت احداث الزمن صروح أحلامه ، وذهبت الحقيقة المريرة بأوهام طموحه ، فجاءت هذه الآراء معتمة حزينة تلقى على عواطف الانسان رداء من الشك الأليم وتظهرها في صورة بشعة مخوفة ، وهي تتلخص في كلمتين : فلسفة الاثرة . وهذه الفلسفة هي التي حركت الاقلام وأثارت المناقشة ، وألقت باسم صاحبها إلى الاجيال في إطار الخلود

ولا يستطيع الانسان أن يفهم « مواعظ » هذا الكاتب إلا إذا درس حياته وعرف الحوادث التي اشترك فيها ، وتركت في نفسه أثرا عميقا ، وهذا السبب سيدعونا الى الإطالة والتفصيل . وسنقسم حياته إلى أدوار ثلاثة : دور الشاب الخيالي ، ودور الرجل الطموح ، ودور الشيخ الفيلسوف

الشاب الخيالي

ولد فرنسوا السادس دوق دي لاروشفوكو بباريس (شارع بتي شان) في ١٥ سبتمبر عام ١٦١٣ . وهو من أسرة عريقة لها تاريخ حربي مجيد ، وتملك ثروة طائلة في (بواتو وانجوموا) ، ومقام آل روشفوكو يلي مباشرة مقام أمراء البيت الملكي . وقد كتب في عام ١٦٤٨ إلى الوزير مازاران يقول : « أستطيع أن أقول وأثبت أن ملوك فرنسا منذ ثلاثمائة سنة يعاملوننا معاملة ذوي الرحم ، ولا يجدون في ذلك عيبا ولا بأسا » وهذا يدل على مبلغ اعتزازه بأسرته واعتداده بأرومته

ولما حان وقت تعلمه ، أخذ منه في الريف قسطا ضئيلا ، إذ اتجهت عناية أهله إلى التمرينات الجسدية ليجعلوه من حملة السيف شأن أبناء النبلاء في ذلك العصر . ثم زوجوه وهو في الخامسة عشرة من عمره من فتاة ولدت في حجر صالح ونشأت في خير جزيل ، هي (أندريه دي فيفون) . وقد قال في كبره : « يوجد زواج طيب ، ولكن لا يوجد زواج عذب شهي » . وما لبث بعد زواجه أن اتبع هذا الرأي قبل أن يقوله ، وبحث خارج بيته عن ضروب اللذة التي لا تهيئها العيشة الزوجية . وتناهت أخباره إلى امرأته ، ولكنها صانت عفتها ، ولم يتألفها العبث من نفرتها . وأنجبت له أولادا ثمانية

ثم خاض أول معركة حربية في إيطاليا وهو في السادسة عشرة من عمره . ولما عاد منها دخل البلاط الملكي . وكان الفن السائد

فيه كما قال فولتير : « هو تدبير الدسائس لقهر الوزير الكبير الكاردينال ريشليو . فاستدرج هذا الفن فرنسوا ودفعه إلى أحضان النبلاء الذين كانوا يئنون من سلطان الوزير ويأتمرون به في كل حين . ورأى بعينه سطوة الوزير وأنواع العذاب الذي ينزله بهؤلاء النبلاء ليخضعهم للقانون العام ، ولكنه لم يجبن ولم يرجع عن سبيله

وكان في ذلك الوقت كبير الكبرياء ، طموحا بلا غرض معين ، حي الذهن ، دقيق الملاحظة ، خجولا كلفا بالخيال ، شديد الميل إلى مجالس النساء . وقد لازمه هذا الميل طيلة عمره . وعقب دخوله البلاط اتصل بأحب فتيات الملكة (آن دوتريش) إليها ، وهي الآنسة دي هوتفور التي يحبها الملك لويس الثالث عشر حبا أفلاطونيا . وهذه الصلة عبدت له الطريق إلى اكتساب ثقة الملكة البائسة المضطهدة من جراء الريبة في نيتها وأغراضها . وقد سببت له هذه الثقة ضررا كبيرا ، كما ذكر في مذكراته : « أسباب أتفه من هذه كانت كافية لأن تبهر نظر رجل لم يسبر غور الحياة ، وتدفعه في سبيل ضارة بمصلحته ، وقد جلب علي هذا السلوك غضب الملك والكاردينال ريشليه ، وسلسلة طويلة من المحن أدخلت الاضطراب على حياتي »

وفي عام ١٦٣٣ سافر مختارا مع بعض شبان الطبقة العالية إلى محاربة الأسبان في الفلاندر ، وأظهر في ساحة القتال من ضروب البسالة والاقدام ما أثار الاعجاب . ولما عاد من الحرب ، أمر بمغادرة باريس والاقامة في أملاك أبيه ، لأنه اتهم ظلما بأنه أفشى جميع ما دار في الموقعة . ولكنه أدرك ان الملك أصدر هذا الأمر انتقاما منه لصلته بالملكة والقهرمانة دي هوتفور

حرم عليه دخول الحاضرة أربعة أعوام . وهيأت له المصادفة التعسة أثناء ذلك مقابلة الدوقة دي شيفريز ، شيطانة الدسيسة كما سماها سانت بيف ، وعقد أواصر الصداقة معها . وقد وصفها الكاردينال دي رتز (١) بأنها « كانت تحوك الدسائس ، لأنها جاءت في عصر الخداع والحيل . ثم اتصلت بالدوق بوكنجهام والكونت دي هولاند فدفعاها في هذه السبيل ، فاستقادت لأنها كانت تفعل كل مايسر حبيبها . وكانت دائمة الوفاء للغرام ، كثيرة التغيير لموضوعه . وإني لم أر إنسانا أقل اكتراثا للاخطار ، ولا امرأة أكثر احتقارا للواجب منها . ما عرفت في حياتها غير واجب واحد : هو أن تحصل على إعجاب صاحبها بها »

وكان ريشليو قد أبعدها الى (دامبير) حتى يقطع الصلة التي بينها وبين الملكة ، ولكنها كانت تأتي لزيارتها خفية ، وتمهد لها طريق الاجتماع بالدوق بوكنجهام الانجليزي في حديقة اللوفر . وعرف ريشليو هذه الأخبار فأبعد الدوقة إلى التورين ، وهناك قابلت لاروشفوكو ، واستطاعت بدهائها أن تستخدمه رسولا بينها وبين الملكة . ولم تقف عند هذا الحد ، بل نظمت مراسلة سرية خطرة بين ملكة فرنسا وملك أسبانيا . وعرف ذلك الوزير الساهر على مصلحة بلاده ، فأوعز إلى الملك ان يطلق زوجه ويخرجها من الأرض الفرنسية

ولما شعرت الملكة بعزم الكردينال ، استدعت لاروشفوكو وتقدمت إليه ان يسهل لها طريق الهرب إلى بروكسل . وهو يقول في مذكراته عن هذه الحادثة : « لما وقعت في هذا المأزق لم تجد وفيا لها غيري وقهرمانتها الآنسة دي هوتفور ، فعرضت علي أن أختطفهما وأذهب بهما إلى بروكسل . وقد بعثت أخطار هذا العمل والصعاب التي تقوم في وجه انفاذه سرورا كبيرا في دخيلتي . كنت في سن تحبب إلى الانسان أن يأتي أعمالا خارقة ذات دوي عظيم . ولم أجد عملا يرضي هذه السن أكثر من إختطاف ملكة من زوجها ، وفتاة من ملك يهواها »

ولكن ريشليو أحبط هذه الخطة ، وآلم الملكة جد الالم . وخافت الدوقة دي شفريز بطش الوزير فاعتزمت الهرب . وكانت تجيد ركوب الخيل ، فغادرت مدينة (تور) في زي رجل ، ومعها خادمان وكان ذلك في السادس من شهر سبتمبر عام ١٦٣٧ . ولما صارت على مسيرة فرسخ من (فرتي) التي التجأ اليها لاروشفوكو ، أرسلت اليه تقول إنها رجل من النبلاء اضطر إلى الهرب عقب مبارزة ، وتسأله أن يرسل اليها عربة مقفلة وبعض خدم . وما أن ألقى على الرسالة نظره حتى عرف خطها ، ولكنه لم يستطع الذهاب إليها لأن ضيوفه أرادوا أن يصحبوه . وأرسل اليها في الحال ما طلبت ، فسارت آمنة حتى بلغت حدود أسبانيا . ثم أرسلت اليه جميع حليها

(١) ١٦١٤ – ١٦٧٩ . قسيس فرنسي مستهتر اشترك في دسائس البلاط أيام الملك لويس الثالث عشر ، واتبع ثنيات الطرق حتى حصل على رتبة كاردينال ومنصب أسقف باريس . وسجنه عدوه مازاران في الباستيل ، فهرب منه وهام على وجهه في أنحاء أوربا وقتا طويلا . ولما استطاع العودة الى باريس عاش فيها عيشة الهدوء والعزلة . وخلود ذكره يرجع الى مذكراته المشهورة التي نشرت في عام ١٧١٧ والتي دلت على علو كعبه في الكتابة ودقة الملاحظة وسحر التصوير

وقيمتها ٢٠٠٫٠٠٠ دينار راجية منه أن يقبلها منها هدية إذا قضت نحبها ، أو يردها إليها فى أحد الأيام اذا قدر لها أن تعود إلى بلادها

وقد ذكر مسألة الحلى فى مذكراته للدلالة على الثقة التى يلهمها وفاؤه ، مع انه ينكر فى كتاب « مواعظه » الثقة النقية الخالصة ويقول : « ليس لنا أن نفخر باكتساب ثقة هى دائما مشوبة بالغرض » وذكر أمامه أحد أصدقائه جاك إسبريه (١) هذه الحادثة وقال يداعب صديقه فى شيخوخته : « مما يثير العجب أن يفخر انسان بأن أميرة لجأت اليه ووضعت بين يديه حياتها وحريتها ، مع أنها لم تفعل ذلك الا خشية الوقوع فى يد العدالة ، وأن يفخر بأن هذه الأميرة ائتمنته على حليها الثمينة وهى خارجة من وطنها ، مع أنها لم تفعل ذلك الا فى سبيل مصلحتها الذاتية ، أى حرصا على مالها وخوفا عليه من السرقة فى الطريق ! » وهذا رد ساخر على كتاب لاروشفوكو الذى يرجع كل العواطف الانسانية الى مصدر واحد هو : المصلحة الذاتية أو الأثرة

ثم عرف ريشليو أن لاروشفوكو ساعد الدوقة على الهرب فاستقدمه اليه وأنبه . ولما رأى منه غلظة فى الاجابة على أسئلته ، أرسله الى سجن الباستيل ، ولكنه أمر مدير السجن بأن يتلطف فى معاملته ويسمح له بالاستراضة على الشرف كل يوم . وبعد مرور ثمانية أيام على سجنه ، أطلق سراحه فحمد الله على خروجه بعد هذه المدة الوجيزة فى عهد يحرص الباستيل فيه على حرفائه ، وأنساه شعوره برضى الملكة وقهرمانتها والدوقة عن عمله ، مرارة السجن وقسوته .

وعقب استرداد حريته أمر بمغادرة باريس والاقامة فى (فرتى) وهناك جاءه رسول من الدوقة وتسلم منه حليها ، وعاش فى ذلك الريف عامين هادئاً مطمئنا ، وأصبح بيته ملتقى النبلاء والعظماء . وقد ذكر هذا العهد فى مذكراته فقال « كنت شابا فى ذلك الوقت ، وكان الملك ووزيره يدنوان رويداً من القبر ، فرجوت أن أحصل على خير كثير بعد موتهما وتغير الحال . وكنت سعيداً فى أسرتى ، أحظى بكل مسرات الريف وأجد حولى كثيراً من النبلاء الأغنياء المغضوب عليهم من الوزير ، لهم مثل أمانى وآمالى » . وهنا يظهر الرجل الطموح فى ثوب الشفيق على ملكة تعسة .

ولما دارت رحى الحرب فى (البلاد الواطئة) ، سمح له بالانضمام إلى الجيش بعد طول إلحاحه ، وأبلى بلاء حسنا فى موقعتى سان نيقولا وسان فينان . وعرض عليه ريشليو رتبة سامية مكافأة له على بسالته فرفض إذعانا لأمر الملكة ، إذ كان فى نيتها أن تجنبه قيد الوزير حتى يستطيع أن يسل سيفه فى وجهه لما تمكنها الظروف من إشهار عداوتها له .

يتبع — حسن صادق

(١) ١٦١١ — ١٦٧٨ . كاتب فرنسى مجيد كان معاصرا لدى لاروشوفوكو وصديقا له وانتخب عضوا فى مجمع العلماء فى عام ١٦٣٩ . وأشهر مؤلفاته كتاب عنوانه « شوائب الفضائل الانسانية » الذى يعتبر شرحا وتفسيرا لمواعظ لاروشفوكو

٣ — بين الموسيقى الشرقية والغربية

بقلم مدحت عاصم

الانغام

يضم جمعا من الخلان حفل يستمعون فيه الى مغنى عذب أو موسيقى شجية ، وقد ملكت البابهم النغمة ، واستأثرت بمشاعرهم المثاني والمثالث ، ولا تعدى معرفتهم باللحن أو المعزوفة عن أن اسمها كذا ، وأن مؤلفها هو فلان ، ولكن احدهم قد يهتف فى نشوة من الطرب . « ما أحلى هذه الترجيعة « البياتى » أوما أجمل تلك الحركة « السيكاه » ! : فينظر اليه رفقاؤه نظرة تقدير واعجاب ، ويعتدل هو فى جلسته مزهواً مستزيداً من اشاراته وايماءاته ، كيف لا وقد وفق لسر من أسرار الانغام وسيرها ، وأطلع رفاقه على قدر علمه ومعرفته ! ولو عرف الرفاق أن القدرة على تعين النغمة لمجرد سماعها ، إن أعوزها شىء من الخبرة بالمران ، فهى ليست من الخطر بالقدر الذى يتصورونه ، لاقتصدوا فى تقديرهم واعجابهم .

أما أنا ، فاذكر أنى وقفت فى صغرى الى جلسة ضمت جمعا من الوافدين فى ليلة من ليالى رمضان المكرم ، وقد اجتمعوا حول شيخ مقرئ يسمعهم طرفا من المولد ، وقد استولى عليهم الطرب الممزوج بالخشوع ، ولم يكد ينتهى حتى أسرعوا يكبرون ويمدحون الشيخ المقرئ وبراعته وصوته الحنون القوى . ثم تكلم أحدهم ، وكانت له عند الشيخ مكانة وله عليه دالة ، فطلب قصيدة « يانسيم الصبا » ، وأردف طلبه قائلا « والله ياسيدنا ، انى أحب نغمة الصبا هذه ، ولا أكاد أحبس الدمع عند سماعها . » فهمهم الشيخ ودمدم وأراد أن يرد الحق الى نصابه ويمنع الخطأ أن يروج فقال « يابنى هذه القصيدة من نغمة الحجاز » . وكأنه شعر بقدر الخيبة التى لحقت الطالب فاسرع بانشادها تعويضا له ، فكان هذا أول درس وعيته فى علم النغم ، وكنت بعدها كلما سمعت نغمة طبقتها على « يانسيم الصبا » فان وافقتها فهى حجاز ، وإن خالفتها فعلمها عند الله والراسخين فى العلم . ومن بعد « نسيم الصبا » عرفت أن « مارش » « عباس » من نغمة « النهاوند » وأن « ياطالع السعد » « رصد » ، وهكذا أصبحت أقيس كل ما أسمعه على ما عرفته ، وبذا أستطيع تعين نوع النغمة .

غير أن علماء الانغام يرون أن ميزان الاذن قد لا يعدل ، وأن هذه الطريقة الساذجة لا تصح أن تكون حجة علمية دقيقة يعتمدون عليها فى قوانينهم وأبحاثهم ، فهم لذلك يعمدون الى تحليل النغمات تحليلا صوتيا حسابيا ، ويفرقون بين درجات السلم الموسيقى بنسب مضبوطة ثابتة لا يعتورها خلل ، ولا تعرض للاحداث والغير

وأرى هنا قبل أن أتحدث عن تقسيم النغم الشرقى والغربى أن أثبت التقاسيم العامة فى السلمين ليظهر جليا تركيب التقسيم فى السلم الشرقى وبساطته فى السلم الغربى .

١ — السلم الغربى (من اليمين الى اليسار تنازليا)

دو — سى — لاديز — لا — صول دييز — صول — فادـ فا — مى — رى د — رى — دو د — دو

والمسافة بين كل هذه الاقسام متساوية فى السلم المقرب Tempéré وهو المستعمل فى العالم الغربى الآن وتساوى نصف مسافة كاملة ١٥/١٦

٢ — السلم الشرقى

٨/٩ — ٢٠٤٨/٢١٨٧ — ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ — ٨/٩

نوا — تيك حجاز — حجاز — نيم حجاز — جهاركاه — تيك — بوسلك — سيكاه — تيك — كردى — دوكاه — تيك — زنكلاه — نيم — رصد

٢٠٤٨/٢١٨٧ — ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ — ٨/٩

— رصد — تيك — كوشت — عراق — تيك — عجم عشيران — حسينى عشيران — تيك — قباحصار — قباحصار — نيم قباحصار — يكاه

٨/٩ — ٢٠٤٨/٢١٨٧ — ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ — ٨/٩

نوا — تيك — حجاز — حجاز — نيم — جهاركاه — تيك — بوسلك سيكاه — تيك — كردى — دوكاه — تيك — زنكلاه — نيم — رصد — تيك — كوشت — عراق — تيك — عجم عشير[illegible] — [illegible] ان — تيك قباحصار — قباحصار — نيم — قباحصار — يكاه

٢٠٤٨/٢١٨٧ — ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ — ٨/٩

ويراعى فى تقسيم هذه المسافات ، النسب التى ذكرناها تحت باب السلم الموسيقى الشرقى فى عدد أسبق من الرسالة .

وقد رأى موسيقيو الغرب ان كل ما يستعملونه من الانغام ينحصر فى نوعين رئيسين ، اطلقوا على احدهما اسم النغمة الكبرى Mode majeur والثانى اسم النغمة الصغرى Mode mineur وجعلوا الدرجة الاساسية للسلم الكبير Gamme majeur هى

دو وللسلم الصغير لا . وينسبون اسم النغمة الاساسية فيقال نغمة دو الكبيرة Do Majeur ونغمة لا الصغرى La Mineur ولا باس من أن نوضح هنا نسب المسافات بين الدرجات فى سلمى النغمتين

النغمة الكبرى دو ١٥/١٦ سى ٨/٩ لا ٨/٩ صول ٨/٩ فا ١٥/١٦ مى ٨/٩ رى ٨/٩ دو

النغمة الصغرى لا ٨/٩ صول ٨/٩ فا ١٥/١٦ مى ٨/٩ رى ٨/٩ دو ١٥/١٦ سى ٨/٩ لا

وقد جعلوا شرطا فى كل لحن أن ينتهى بالدرجة الاساسية Tonique . فنى نغمة دو يجب أن تكون آخر درجة فى ختام اللحن هى دو وكذلك فى لا . كما أنهم أباحوا للملحن أن يختار أى درجة من درجات السلم الموسيقى لتكون درجة اساسية للحن مع مراعاة النسب المفروضة للنغمة المستعملة سواء أكانت الكبرى أم الصغرى ، وجوب انتهاء اللحن بالدرجة الاساسية .

وقد رؤى بعد ذلك أن هناك نوعين من النغمة الصغرى احداهما تشابه النغمة فى ص[illegible] [illegible] هبوطها ، والأخرى يختلف السلم هبوطا عنه صعودا اذ ير[illegible]ون موقع الدرجة السادسة نصف مسافة فى الصعود ، وعند الهبوط تكون النسب بين الدرجات هى نفس نسب النغمة الكبرى وسميت النغمة الاولى بالصغرى المطربه Mineur Mélodique والثانية بالصغرى المتوافقة أو المتجانسة Min. Harmonique . كما فرضوا أن من الشروط اللازمة فى علم الأنغام ان المسافة التى بين الدرجة السابعة والثامنة يجب ان يكون مقدارها نصف مسافة ، كاملة وسميت الدرجة السابعة فى السلم بالدرجة الحساسة Note Sensible - وان كنت لا ادرى مصدر هـــذه التسمية - واحسب ان علماء النغم انفسهم لا يستطيعون لذلك تفسيرا دقيقا .

- هذا فى الموسيقى الغربية ، اما فى الموسيقى الشرقية فشد الله ازر المشتغلين بالانغام فيها ، ويسر لهم من امرها ماعسر ، فلا قاعدة عامة ، ولا نغمات معدودة محصورة يسهل على الفكر ادراكها وتحديدها . وانما هى نغمات تعد بالمئات ، ولكل نغمة قاعدتها الخاصة أو قل قواعدها فى ترتيب النسب لمسافاتها ودرجاتها . ولذا يستحيل علينا ان نجد عالما شرقيا ، مهما بلغ به العلم ، قد الم بكل هذه النغمات واحاط بها . وليس هذا يعنى ان كل النغمات فى الموسيقى الشرقية عسيرة المطلب شاقة المنال ، بل ان فيها من الانغام مايستطيع الموسيقى العادى ان يلم بها بدون حاجة الى جهد او كبير عناء . بل إن من هذه النغمات ما يجعل الموسيقى الغربية فى ياس قاتل لعدم بلوغها تلك المرتبة من دقة التقسيم وعذوبة التوقيع وحساسة الاذن

وفى الموسيقى الشرقية اختلاف عن بساطة التسمية للنغمات الغربية فقـــد قلنا فى النغمات ان النغمة الكبرى او الصغرى يصح ان تنتقلا على كل درجات السلم محتفظتين باسميهما مع نسبة اسم الدرجة التى تعتبر أساسية الى النغمة . اما فى الموسيقى الشرقية فلا يمكن حصر النغمات . ولنأخذ مثلا النغمات التى درجتها الاساسية الرصد ، وأولها نغمة الرصد ، ثم السوزناك والحجاز كار والنهاوند والنوا أثر والنكريز وطرزنوين والساز كار ، وهكذا الى حوالى الثلاثين نغمة . ، ولا يقتصر الامر على هذا . وينهج النهج الغربى عند اعتبار درجة اساسية اخرى غير الرصد للنغمة بل يزداد التعقيد ، فمثلا نغمة الحجاز كار ودرجتها الاساسية الرصد وسلمها الموسيقى كما يلى :

كردان ٢٠٤٨/٢١٨٧ أوج حصار ٢٠٤٨/٢١٨٧ نوا ٨/٩ جهاركاه ٢٠٤٨/٢١٨٧ سيكاه ٢٠٤٨/٢١٨٧ زيركوله ٢٠٤٨/٢١٨٧ رصد ٢٤٣/٢٥٦ × ٨/٩

فلو اتخذنا درجة الدوكاه اساسا لهذه النغمة فان اسمها يتغير ويصبح مشهناز ، ولو اتخذنا نفس هذه النسب ايضا لدرجة اساسية هى الحسينى عشيران لتغير اسم النغمة وأصبح سوزول وباتخاذ درجة اساسية هى العراق يصبح اسم النغمة اوج آرا ، ويقول الراسخون فى علم الانغام الشرقية - ولسنا نعرض لقولهم الآن - ان هذا التركيب والتعقيد فى اختلاف اسماء الانغام وتنوعها مع تشابهها لهو عقدة فنية محبوكة ، والفخر كل الفخر لمن استطاع ان يلم من هذه الانغام باكثرها تعقيدا واكثرها غرابة فى الاسم والتصوير ، ثم يعللون هذا أيضا بأن تلك الانغام وان تشابهت حقا فى ترتيب سلمها فان هناك اختلافا بسيطا فى سير النغم عند الصعود او الهبوط .

هذا أبسط مثل لنغمة واحدة فى انتقالها على ثلاث درجات مختلفة ، ولو اردنا ان نحصر عدد الانغام التى يمكن تكوينها على درجات السلم الشرقى وعددها اربع وعشرون - من النغمات التى درجتها الاساسية هى الرصد فقط لاحتجنا الى خبير حسابى ليستعين بعمليات التباديل على اجابتنا الى مانرغب . ولما كان الغرض من هذا البحث هو التعرض بوجه عام الى الفروق الظاهرة بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، فانا نرجىء التكلم عن محاسن ومساوىء الموسيقى الشرقية الى أجل قريب .

مدحت عاصم

العلوم

ويسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكى

— ٣ —

سطح القمر

اذا اعتمدنا فى حكمنا على الأمم القديمة من مصرية وكلدانية وهندية وفارسية على المرقوم مما خلف التاريخ، واعتمدنا عليه وحده، خرجنا على أن هؤلاء القدماء وفقوا الى دراسة مدار القمر دراسة دقيقة كشفت عن أهم الصفات الخاصة بهذا المدار، أما رأيهم فى القمر نفسه، ما جوهره وماذا عليه؟ فلم يصلنا مما قد كانوا علموه من ذلك شىء.

ومن أقدم ما نعرف فى هذا الصدد ما ارتآه العالم الاغريقى طاليس Thales (٦٤٠ - ٥٥٠ ق م) فقد ارتأى ان القمر ان كان أكثره من الشمس، فان بعضه يخرج بالاشعاع من القمر نفسه. ودلل على ذلك بأن الأجزاء المعتمة من الأقمار الجديدة والأهلة لا تعتم كل الاعتام، بل يبقى فيها برغم حتجابها عن الشمس بقية قليلة من ضياء تتبينها العين.

ومن القدماء الفلاسفة الفيثاغوريون علموا أن القمر كرة بلورية ملساء ينعكس منها الضياء كما ينعكس على المرايا، وتتراءى فيها صور الأشياء كما تتراءى فى المرايا، فالمناطق التى تظهر على سطح القمر بيضاء ناصعة، أو سمراء داكنة، ليست الا صورة الكرة الارضية انعكست فيه ببحارها وخلجانها، وجبالها ووديانها، وتابعهم فى ذلك أرسطو، فأظهر جهلا كجهلهم تاما بأبسط قواعد الضوء وانعكاساته، وبما لا شك كان معلوما فى هذا العصر من الحال التى عليها دار القمر. فهذه القواعد الضوئية والمعلوم من المدارات القمرية لا يمكن أن يؤلف بينها العقل العادى - بله عقل أرسطو - وبين أن القمر يرينا دائما وجها واحدا وصورة واحدة لا تتغير. فلو أنها كانت صورتنا تنعكس الينا لتغيرت حتما باختلاف أوضاعنا وأوضاعه.

وسبق هذه الآراء وتخللها وتبعها آراء أخرى للاقدمين كثيرة، كان من الطبيعى أن تحظى من الخيالى بحظ أكبر من الحقيقة لعجز العين الانسانية عن استيضاح ما هنالك.

ثم جاء جاليليو، وفى مايو عام ١٦٠٦ م وجه الى القمر أول منظار صنعه، فعلم من تلك النظرات الأولى أن لا ملاسة فى سطح القمر، وأنه سطح خشن فيه خروج وفيه دخول، وفيه تكسر وفيه انحناء والتواء. ثم تهيأ له منظاره الأكبر فحرره اليه، فرأى لأول مرة جبال القمر تمتد فى سلاسل كسلاسل الأرض، تدور على الأغلب فى حلق يضيق ويتسع. ورأى على حافة الاهلة الداخلة نقطا لامعة فى بقع سوداء، عرف أنها قمم الجبال، نالتها وحدها الشمس فأضاءت، بينما الوديان المحدقة بها فى ظلام بهيم، وتتبع ظلال تلك الجبال القمرية فوجدها تطول وتقصر، كما تطول وتقصر الجبال الارضية بشروق الشمس عليها وغروبها عنها. انما الذى حيره ان جبال القمر ووديانه كانت تنير بغتة، وتظلم بغتة. كانت تعرف البياض الخالص والسواد الخالص، وتجهل ما بين هذين الطرفين من درجات،

بينما جبال الأرض لا تكاد تنالها الشمس حتى يصيب الوديان



من نورها نصيب ولو ضئيلا . حيرة احتارها جاليليو من تلك الحيرات الغوالى التى كثيرا ما تكشف عن حقيقة غالية ، حيرة نعرف الآن انها كانت أول دليل على أن القمر لا جو له ولا هواء يلفه كهوائنا ، فإن هذا الجو الارضي ، وهواء دنيانا هذا الذى نعيش فيه ، يكسر أشعة الشمس إذ تمر فيه فينشرها وينال بها فيما ينال مواقع تلك الظلال التى لولاه لكانت سوداء كالليل ، وظلماء كالظلال على القمر

واستخدم جاليليو أطوال تلك الظلال فى تقدير أطوال الجبال وخرج من ذلك على نتائج وارتأى أول من رأى فوهات القمر ، وهى جبال كالبراكين الارضية تتقور قممها كالجفان ، شبهها كما تراءت له بالعيون على ذيل الطاووس .

ورسم جاليليو خريطة للقمر تحكم له بالحذق وتقضى له بالمقدرة ، اذا ذكرنا ان منظاره لم يكبّر أكثر من ثلاثين ضعفا ، ولكن فاق خريطته فى الاتقان وسبقها فى التفصيل ما تلاها من خرائط الباحثين ، فاصبحت هى ولا قيمة لها الا المتعة بالقديم .

تبع جاليليو رجال نذكر منهم هيفيليوس Hevelius وريكسيولى Riccioni وكسينى Cassini وشروطر Schröter ولوهرمان Lohrman وبير Beer ومدلر Mödler ووب Webb وشمت Schmidt ، بحثوا القمر ، فزادوا فى قوة المنظار ، وأكثروا من رؤية التفاصيل ، ودونوها على الورق تارة وعلى المعدن تارة أخرى ، وبذلوا فى ذلك مجهودات كبيرة ، وصبروا وصابروا على المشقات الكثيرة ، لاسيما مشقة العين وجهد البصر وألم التحديق .

وانتصف القرن الثامن ففكر القوم فى استخدام الفوتوغرافيا فى تصوير الاقمار والنجوم فكانت فتحا جديدا .

يتبع — أحمد زكى

ملاحظة : وقع فى المقال السابق من العدد الماضى الأخطاء المطبعية الآتية :—

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٧٥١	١٧ (النهر الاول)	والمحيط العاصف :	والمحيط العاصف Oceanus procellarum
٧٥١	١٩ (النهر الثانى)	العالما	العالمان
٧٥٢	٦ (النهر الاول)	دار بمنطاده	دار بمنظاره
٧٥٢	٦ (النهر الثانى)	Hoar	Hoax

٦ - في البحوث الروحية

للأستاذ عبد المغني علي حسين

خريج جامعة برمنجهام

ما هو النوم ؟ ثقل يداعب الرأس ، ثم تطبق الاجفان ، وينعدم الحس ، وتهدأ حركة القلب ، ويبطيء التنفس ويكون عميقا ، وتهبط حرارة الجسم شيئا قليلا . أما المخ فيتوقف جزء منه عن العمل ، فيغيب ما يسمى بالعقل الواعي ، وينفرد بالامر العقل الباطن . والاحلام أكثرها أحاسيس ، تغزو جسم النائم من خارجه ، أو تتولد في داخله ، فتبرق بها الإعصاب الى العقل الباطن ، فيقرؤها بلغة قصصية رمزية ، ويأخذ من سالف الذكريات ، وكامن المخاوف والرغبات ، فيكمل الاقاصيص ، ويحوك أطرافها . في الاحلام شواذ ، ولكن أكثرها من هذا النوع

هذا هو النوم الطبيعي ، هدنة يتخذها العقل الواعي . وهناك نوم اصطناعي ، هو المعروف بالنوم المغنطيسي ، ظاهرة اكتشفها في القرن الثامن عشر طبيب ألماني يسمى مزمر Mesmer ، وبا كتشافها انفتحت للاحتيال سوق جديدة ، أتاها الدجاجلة يهرعون ، من كل موفور الذكاء منقوص الخلق ، فأساءوا إلى العلم ، وفوتوا على الانسانية النفع ، وفجع الرجل في اكتشافه ، وساءت سمعته ، وقضي على أساليبه . ولكن لما كان الشيء الحقيق لا ينعدم ، عاد العلم في أواخر القرن التاسع عشر فتناول الظاهرة المزمرية بالدرس من جديد .

في النوم المغنطيسي لا يغيب العقل الواعي من تلقاء نفسه ، بل بتأثير ضغط يقع عليه من عقل آخر . فاذا نظر المنوم في عيني القابل للنوم ، أحس هذا بعد حين بثقل في الجفون ، ثم يغمض ، ويفقد الحس ، وتسترخي عضلاته ، ويقع في سبات يختلف عن النوم الطبيعي فيما يأتي :—

١ — لا يكون العقل الباطن حرا مستقلا كما في النوم الطبيعي بل يكون عبدا طائعا للشخص المؤثر ، يأتمر بجميع أوامره ، ويتلقى منه كل فكرة كأنها تنزيل . ويمكن تشبيه الجسم في النوم الطبيعي بمملكة غاب مليكها باختياره ، وترك آلة الحكومة تدير نفسها ، على أن يعود اذا استدعت الحال ، أما في النوم المزمري فقد قهر الملك ، وكبل عنوة بالاصفاد ، فطبيعي أن تقع حكومته لعبة في يد القاهر . هذا تشبيه فقط ، والذي يحدث على أي حال هو أن المتأثر يصبح للمؤثر أطوع من بنانه .

٢ — لا يستيقظ المتأثر من سباته إلا بأمر من المؤثر ، ولا يستيقظ من تلقاء نفسه ولو قطع اربا .

كيف يحدث هذا التأثير المزمري ؟ لا نعرف الآن علة حدوثه على التحقيق ، وخير ما يقال في ذلك هو أن الفكرة القوية تثير أمواجا كهرطيسية حادة تنتقل في الأثير ، وان المؤثر عندما يحدق في المتأثر يصليه من هذه الموجات شواظا ينصب على مراكز الوعي في مخه فيتخدر . وقد استجدت بحوث تجريبية تشهد لهذا الفرض إلى حد ما ، من ذلك ما أذاعه منذ شهور البروفسور فرديناند كازيمالي أستاذ الامراض العصبية بجامعة ميلانو ، من أن موجا كهرطيسيا يتشعع من الجسم البشري عند اضطراب النفس ، وأنه استقبل هذا الموج بآلة سينمية ، فوجده مما يؤثر في الاشرطة الحساسة .

مهما تكن العلة فالنوم المغنطيسي حقيقة واقعة ، وهو أداة خطرة اذا أريد منه الشر والعبث ، كما أنه نافع في علاج العادات الذميمة ، وشفاء أمراض عصبية ليس سببها تلفا ماديا في الاعصاب .

هذان ظرفان يغيب فيهما العقل الواعي — ظرف النوم الطبيعي ، وظرف النوم المزمري — ونود أن نتحدث عن ظرف ثالث . من الناس من تطرأ عليه حال عصبية ، فتعتريه تشنجات ، ثم يفقد الحس ، ويبدو كأن عقليته تغيرت ، فيأتي من الاقوال والأفعال ما ليس من عادته ، كأن يدلي برغبات لم يكن يبوح بها ، أو يوجه عنيف الكلام الى أهله ومن هم موضع احترامه ، ويحتج على إهانات تافهة لحقته ولا يكاد يذكرها أحد ، ثم ينتفض فيعود إلى نفسه ، ويدور بعينيه فيما حوله ومن حوله ، لا يدري ما حدث ، ولا يذكر حرفا مما قيل .

تشاهد هذه الظاهرة ، وتفسيرها سهل ، لأن كل ما يلفظ المريض من قول لا يتعدى سابق اختباراته ، والطبيعي من رغباته ، فالمسألة إذن ثورة داخلية ، يتغلب فيها العقل الباطن على العقل الواعي ، ويحكم برهة حكم طيش واضطراب ، ثم يهبط ثانية الى مستقره ، ويعود العقل الواعي من غيبته . هذه الظاهرة مرض عصبي ، يضمه الطب الى أنواع الهستريا ، وسببه رعب أصاب

الشخص فى طفولته أو نحو ذلك ، فاختل التوازن بين قوى أعصابه ، وغدا عقله الواعى مزعزع السلطان.

تلك حالات ثلاث يغيب فيها العقل الواعى . ولكن الحال الثالثة (الهستريا) ليست من البساطة كما ذكرنا . فمن هذا النوع أمثلة نادرة وعجيبة . أمثلة لا تدخل فى الحقيقة فى اختصاص الطب ، لأن صاحبها لا يشكو مرضا ، تاتيه النوبات من غير ألم ، ويتحدث اليك فى ذهوله حديثا هادئا متزنا من غير انفعال ، زاعما انه شخص آخر غير نفسه ، قد يكون امرأة فتنتحل فى ذهولها شخصية رجل ، أو العكس ، وقد يكون صغيرا فيحدثك حديث حديث الكبير أو العكس ، فاذا عاد الى نفسه لم يتذكر شيئا مما كان ، واذا عاودته النوبة برزت شخصيته الثانية بذاكرتها الخاصة ، وخبرتها الخاصة ، وحكمها الخاص على الأمور ، وأذواقها وميولها الخاصة ، وتبدأ حديثها معك من حيث انتهيا فى المقابلة السابقة ، وبالاختصار تشعر انك تعاشر شخصين مستقلين أحدهما أساسى والآخر ياتى فى الفينة بعد الفينة .

هذه الحال يعرفها علماء النفس ، ويسمونها الشخصية المزدوجة Dual Personality . ويصح ان يتكلفها البعض لغاية فى النفس ولاسيما اذا كان من ورائها كسب ، ولكن اذا شوهدت فى أسرة لا تتجر بها ، كما هو حال اللادى كونان دويل ارملة سير ارثر كونان دويل المؤلف الانجليزى المعروف والباحث الروحى الكبير ، فالدجل غالبا لا محل له ، وقد ظهرت هذه الحال فى فتاة كانت فى سن لا تعرف التكلف الى هذا الحد ، وما كان لها فيه مارب . أما الشخص الذى يرزق هذه الخاصة فسوء الظن به واجب ، وامتحانه يتحتم . ومن وسائل امتحانه ان تأتيه من الخلف على حين غرة وتغرز فى جسمه إبرة ، فان كان متكلفا فسيفزع من غير شك مهما كان جلدا . وقد وجد الباحثون أن من هؤلاء الناس من تضربه الأبرة من الخلف مفاجأة (بمعرفة طبيب) وهو ماض كأن شيئا لم يحدث ، فهو فى ذهول حقيقى . ولما كان جمهور الناس يعجز عن التفريق بين الحقيقة والدجل ، فالارتزاق بهذه الخاصة ومثلها يؤدى إلى فوضى ومآس خلقية ، وتحريمه واجب من غير شك .

ما تعليل هذه الظاهرة العجيبة ، ظاهرة الشخصية المزدوجة ؟ ليس لدى علماء النفس تعليل لها ، ومن يتصدى لتعليلها منهم يستعر لها علة الهستريا ، ويعتبرها تبادلا للسلطة بين العقلين الواعى والباطن ، ولكن فى سلم وهدوء . أما اتزان الشخص فى ذهوله ، واكتمال شخصيته الثانية ، وما قد تنم عنه أحيانا من سمو وسعة علم وتهذيب يفوق بكثير مستوى الشخص الأصلى ، فيعزونه الى أن العقل الباطن بحر لم يعرف بعد مداه ، ولا ما قد يحوى من علم وخلق كامنين ، اياه من طريق الوراثة ، أو تجمعا فيه بطريق التلباثى ولكن عددًا من الباحثين الذين انقطعوا لدراسة مثل هذه الظاهرة يذهبون إلى تفسير آخر ، وهو أن الشخصية الثانية روح مستقلة عن الشخص الأصلى ، تستطيع بكيفية تشبه التأثير المزمرى أن تنيمه ، وتتسلط على عقله الباطن ، فيكون أداة اتصال بينها وبيننا



سر اليفر لدج

ويزعمون أنه بهذه الوسيلة يمكن وأمكن التخاطب مع أرواح الموتى . فما يسميه علماء النفس بالشخصية المزدوجة يعتبره هؤلاء الباحثون نوعا من الوساطة الروحية ، ويسمونه وساطة الذهول Trance Mediumship.

يتضح مما سبق أن الخلاف على تعليل هذه الظاهرة العجيبة كبير ، وأن الباحثين حيالها شيع ثلاث .

فهناك المطمئنون إلى تركها شاغرة من غير تعليل ، لفرط غموضها ولكن ليست هذه بالروح العلمية ، إذ الواقع أن تعليلا خاطئا خير من لا تعليل ، فهو يفتح باب البحث على الاقل ، ويقود يوما ما الى التعليل الصحيح .

وهناك الذين يعزونها إلى العقل الباطن ، وهو رأى يستمد قوته من المحافظة على المذهب المادى ، وتلافى كل افتراض روحى وفيما عدا ذلك لا يوجد ما يؤيده .

وهناك القائلون بالفرض الروحى ، وهؤلاء يبنون أقوالهم على درس وتجريب طوال نصف قرن أو يزيد ، وفيهم رجال يزنون القول ويقدرون المسئولية ، مثل سر أليفر لدج ، فنفى أقوالهم ليس باليسير ، سيما إذا كان النفى من غير اختبار ؟

عبد المغنى على حسين

القصص

٦ – شهر بالغردقة

تتمة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة الرحلات والامتحانات بوزارة المعارف

عند جبل الشايب

كان من عادتي في أثناء الاقامة بالغردقة أن أقف ساعة في الصباح ومثلها في الأصيل امام نافذة الأستراحة أشاهد منها جبل الشايب لامتع النظر بجمال لا يراه عادة في جبال وادي النيل ، وكان منظر القمة وهي جاثمة فوق هامات الجبال في جلال وروعة ومن حولها قمم جبال أم عنبه ، وعلي وكحيلة وغيرها ، كأنها الصغار حول الأب الجبار يوحي الى النفس بشعور الكبرياء والعظمة . وجبل الشايب لا يبعد عن



جبل الشايب كما يبدو من محطة الاحياء المائية

محطة الاحياء المائية كثيراً ، فالمسافة بينهما ٤٥ كيلومتراً تقطعها السيارة في نحو الساعتين في طريق ممهدة ، وقد ذهبنا اليه يوم الجمعة ٢١ يوليه في ثلاث سيارات تحمل احداها الخيام والزاد — كان اليوم راكد الهواء شديد الحرارة ، فنصبنا الخيام فوق ربوة على سطح أم دلفة أحد مساند جبل الشايب بالقرب من بئر أم دلفة ، والبئر عبارة عن حوض في جدار الجبل تظلله الصخور ، وينضح اليه الماء من شقوق وعيون في الصخر ، فاذا فاض حوض تدفق ماؤه الى فجوة أسفله ، ومن الحوض يستقي الاعراب ، ومن الفجوة تشرب الابل والمواشي . والوادي حول البئر كثير العشب وافر الكلأ ، تظلله الأشجار وتسبح في جوه الطيور والعصافير .

وبعد راحة قصيرة حاولت وبعض الرفاق التسلق الى قمة أم دلفة ، ولكن صعوبة المرتقى وحرارة الشمس جعلتا الصعود شاقا منهكا فاكتفينا بمرحلة متوسطة ، وعدنا أدراجنا ، وفي العودة التقيت عند البئر بشاب من سكان المنطقة وهو من عرب معاذة ، أسود البشرة ناحل الجسم ، دقيق العظم ، وكان معه جمل يحمله بقرب الماء : فقلت له يا أخا العرب : هل من وسيلة الى قمة الشايب فقال : ان الطريق اليها طويلة شاقة ، كثيرة الالتواء والعقبات لا يعرفها الا نفر قليل منا فلا تطمع في الوصول اليها وحدك ، ثم ان الصعود اليها يستغرق يوما كاملا ومثله للنزول . فقلت كيف ذلك؟ فقال هكذا يقول من صعدوا اليها . ثم سألته عن حال البادية فأجاب : كرب وشدة ، فانحباس المطر إحدى عشرة سنة متعاقبات أجدب الوديان حتى كادت تتعرى من الأخضر واليابس ، وغاض ماء الآبار وجف كثير من العيون ، وتفرقت البيوت فقوم منا لحقوا بوادي النيل ، وآخرون أوغلوا صوب الشمال ، وبقية بدا لها أن تتشبث بوطنها مثوى الآباء والأجداد ، برغم ما تعانيه من شظف العيش وما تلقاه من حرمان . يعملون هكذا فرارا من معرة الهجرة وهوان الارتحال . فقلت : وما بعد ذلك فقال ، سنبقى هنا بالتوكيد حتى يقضي الله أمره فينا . ثم أطرق برأسه وهو يقول فرج الله لا بد قريب ، فقلت صدقت يا أخي ، اصبر فان الله لا ينسى عباده ، فعلت وجهه ابتسامة اطمئنان ويقين . وبعد حديث طويل عن الجبال وأسمائها ومسالكها والعيون وأماكنها سألته عن حيوانات المنطقة ونباتاتها فقال ، يعيش هنا

الغزال والتيتل والثعلب والارنب والخروف الوحشى ، والاخير كان كثيرا ، ولكنه رحل عنا منذ أجدبت الوديان . وعندنا من الطيور العصافير والغراب والصقر وغيرها ، ومن الحشرات الثعابين والعقارب والزنابير والخنافس والذباب والنحل وغيرها ، ومن النباتات الشيح والسيال (السنط) واللصف واليسر والقطة (ذات رائحة شديدة كريهة) والحرجل (يستعمل دواء للمغص) والجنيات والمرغادة والأراك وغيرها

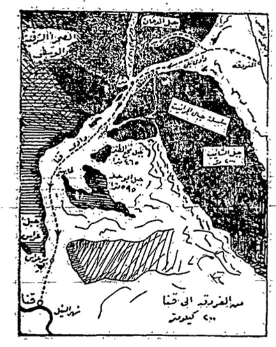
قلت ، وهل تستفيدون من هذه النباتات ، فقال نعم ؟ فلكل نبات فائدة نعرفها . ثم اننا نجمع الشيح ونبات المسواك وحب اليسر ، ونبيعها فى قنا ، ومن خشب الطرفا ، وهى شجرة الاثل نصنع الفحم وقد كانت له سوق رائجة ، ولكن الطلب عليه الآن قليل . ثم قال أننا قوم ذوو همة تاجر فى الاغنام والابل ، وننقل التجارة على الجمال من قنا الى الغردقة ، ونستخرج بعض المعادن من الجبال ونبيعها فى السويس ، وهكذا ، فاذا كانت المراعى قد أجدبت فان نشاطنا لم يضعف وعزيمتنا لم تفتر

وجبال الشايب وما حولها تبدو من الغردقة متلاصقة وقممها متجاورة الا أنها فى الحقيقة متباعدة تخترقها الوديان والسهول وتشقها مجارى السيول فى كل صوب . وعند الأصيل انطلق الهواء واعتدل الجو فتفرقنا بين الجبال وأخذ بعضنا يتبارى فى الرماية بالبنادق واصابة الهدف ، وقبيل الغروب عدنا بسلام

من الغردقة الى قنا

قضينا الاسبوع الأخير من اقامتنا فى الغردقة فى إعـداد الصناديق وحقائب السفر استعداداً للعودة . وكانت الأيام تمر سراعا و ويوم الرحيل يدنو مسرعا ، وقد أشفقت أن نعود من غير أن أتمكن من الذهاب الى قنا عن طريق الجبل ، ولكن تهيأت الفرصة قبل الرحيل بأيام قلائل فحمدت الله على توفيقه .

وطريق الجبل الى قنا طويل شاق تقطعه السيارات عادة فى ثلاث مراحل : الأولى من البحر الى مدخل الجبال وطولها نحو ٤٠ كيلومتراً ، وهى عبارة عن ساحل كثير الحزون والتلال ، والمرحلة الثانية منطقة الجبال نفسها وطولها ٧٠ كيلو متراً . والمرحلة الثالثة من باب مخنق الى قنا فى وادى قنا العظيم وطولها مائة كيلو متر وتشتد الحرارة صيفاً فى الطريق أثناء النهار لدرجة لا تطاق



فكان لابد لنا من القيام من الغردقة ليلا : ففى الساعة الثالثة صباحا كانت تسير بنا السيارات نحو الجبال فى طريق صاعدة كثيرة العقبات . وكان الظلام حالكا ، والسكون رهيبا شاملا ، وهواء الليل باردا منعشا ونحن جلوس فى صمت عميق ، شاخصة أبصارنا نحو مقدم السيارة نتابع ضوءها الكشاف وهو يجلو أمامها الطريق ، والسيارة تجاهد مندفعة بسرعة أربعين ، والسواق رزين قد استجمع كل حواسه فى عينيه ، وكل قوته فى يديه وقدميه ، يقودها باهتمام وحذر ، يتلمس الطريق فى جوف الليل بمهارة وحذق نادرين — مرت علينا هكذا ساعتان ثم لاحت تباشير الفجر وقد دخلنا منطقة السدود ، فكان الطريق بينها خطرا يتلوى فى ضيق وانفراج ، ثم بزغت الشمس على القمم والروابى فكان منظرا بديعا حقا : فجبال شاهقة قائمات فى استقامة كالجدار ، تعلوها هامات كالسهام تناطح السحاب ، وقد بدت أطرافها فى بوادر الشفق حمراء قانية كأنها تتوقد فى أتون من نار ، والجبال من تحتها والثنايا والخنايا من حولها فى لون ازرق داكن كأنها الدخان الكثيف — ثم علت الشمس . واصفرت الاشعة فبدت القمم كأنها اهرام من ذهب فوق قواعد من رصاص ، واخيرا انقشع

الظلام واشرق النور فتوارى جمال السحر ليتجلى جمال الطبيعة فى حلة الصباح، فكان أشد فتنة وابلغ اثراً — كنا حينئذ نسير فى وادى (بلى) وعن يميننا جبل الدخان (١٨٠٠ متر) وعن يسارنا جبل القطار والوادى بينهما ضيق عميق يخترق الجبال من الشرق الى الغرب، وهو كثير العشب والأشجار، وقد أقام الرومان على مدخله من جهة البحر قلعة للحراسة، وهى الآن أنقاض لم يبق من معالمها الا الجدران — ويتفرع من وادى بلى عند وسطه وادى البديع، وهو يخترق جبل الدخان وينتهى عند بئر البديع حيث توجد مناجم الحجر السماقى الامبراطورى، وهو حجر جرانيتى دقيق الحبيبات لونه احمر قاتم قد صنعت منه طائفة كبيرة من أجمل التماثيل فى العصر القديم، ولا يزال بوادى البديع آثار رومانية قديمة من مبان واستحكامات وطرق — ويتطرق وادى بلى الى وادى القطار وهو كسابقه فيه العشب وفيه الشجر، وعند الكيلو متر ٦٥ تقوم استراحة بوليس مصلحة الحدود على رابية بجانب الطريق، وبالقرب منها بئر الأمير فاروق وماؤها عذب غزير، ويخرج من وادى القطار عند الاستراحة طريق يؤدى الى سطح جبل القطار حيث مناجم المولبدنات، وهى لشركة طليانية بقيت تستغلها سنوات طويلة، ولكنها منذ سنتين توقفت عن العمل وصرفت العمال، ولم يبق بمركزها سوى المهندس وهو شيخ طليانى طابت له الاقامة ففضل البقاء وحده وسط هذه الجبال — فيأمان — وبلى والقطار من أجمل الوديان والطريق فيهما مرسوم يحاذى الجبال فى تعاريج كثيرة بين صعود وهبوط، والجبال هنا موحشة جداً تحمل فى طياتها وعلى جدرانها طوابع العصور الطويلة التى تعاقبت، والكوارث التى نزلت من تفتت وتهشيم وتصدع وانكسار وانثناء وتعرية

وصلنا محنق قبيل الساعة السابعة، ثم انحدرنا منه الى وادى قنا، وهنا تغيرت معالم الطريق وطبيعة الجبال، فاصبح الوادى أكثر اتساعاً والجبال أقل ارتفاعاً، واختفت الجبال القديمة وظهرت هضاب الجبال الكلسية التى تمتد الى وادى النيل — وبعد أن مررنا بجبل (نجم الطير) ثم بجبل (ابى حد) وطاية الحيط، وصلنا بئر (عراس) وهنا زاد الوادى انفراجاً وانبساطاً، وفى منتصف الساعة التاسعة وصلنا قنا ونزلنا ضيوفاً على نقطة بوليس مصلحة الحدود

وللوادى قنا شهرة قديمة، فقد كان طريق المصريين والرومان والعرب الى محاجر الجرانيت ومناجم المعادن وشواطئ البحر الاحمر، ولوقوعه فى سفوح الجبال العالية فانه يترع بالماء وقت الامطار الغزيرة، وتفيض منه سيول جارفة تصب فى النيل عند قنا وتجلب معها كميات عظيمة من طمى ناعم يعرف (بالحيب) يصنع منه الفخار القناوى المشهور — واختراق وادى قنا امنية قديمة تعلقت بها منذ كنت ناظراً المدرسة قنا فى سنة ١٩٢٣ وقد حاولت وقتها فى مرة ان امشى فيه يوماً كاملاً، ولكن ضللت الطريق السوى لتشابه المسالك وجهل الدليل، وبعد ان اقمنا بقنا ليلتين ويوماً برحناها بعد نصف الليل بساعتين عائدين فى نفس الطريق فوصلنا الغردقة بعد شروق الشمس بقليل. وبعد يومين ودعنا الغردقة ومن فيها وابحرنا عائدين الى السويس ثم الى القاهرة

وأختم هذه الرحلة بتقديم خالص الشكر لحضرات — الدكتور كرسلاند مدير المحطة، ومحمد بك حبيب مفتش منطقة البحر الاحمر، وسيد افندى الحلاوى مساعده، والدكتور محمود ابو زيد مفتش المناجم، لما بذلوه عن طيبة خاطر من مجهود عظيم فى سبيل راحتنا ومساعدتنا، ويلهج كذلك لسانى بالشكر الوافى لصديقى العالم الكبير الدكتور محمد عبد الخالق بك لما خصنى به من جميل العناية والرعاية ؟

الدمرداش محمد

جولة فى ربوع الشرق الأدنى

اذا تمثلت الأستاذ ثابت ، فلست أتمثل واحدا من الرجال وكنى ، وإنما أتخيل طريقة بأسرها من طرائق العيش ، وأسلوباً شاملا فى فلسفة الحياة ، أخذ يتبلور ويتركز ، حتى تجسد فى أستاذنا ثابت ، فمن الناس من يقضى حياته التى كتب له أن يحياها على ظهر الأرض ، فى بلد واحد ، بل فى دار واحدة ، بل فى مكان بعينه من الدار . وأجرأ ما يطرأ على حياتهم الضئيلة الآسنة من ارتحال ، إنتقال من غرفة فى الدار الى غرفة أخرى كما يقول جولدسمث

وهذا رحالتنا ثابت أراد ان يحيا ! هوذا قد وازن بين حركة الحياة وجمود الموت ، وازن بين الأيام تدور ، وتدور حول صورة بعينها آسنة راكدة ؛ وبينها تزخر باسباب الحياة ، فلم يتردد فى الإختيار .: وأخذ يضرب فى مناكب الأرض ، يجوس انحاء اوربا ويخرج للناس وصفا لجولته فى ربوعها ؛ ثم يجوس فى أنحاء آسيا ويذيع فى الناس وصفا لجولته فى ربوعها ، ثم يجوس فى أنحاء أفريقيا وينشر بين الناس وصفا لجولته فى ربوعها ، وهاهوذا فى الصيف الماضى ، قد جال فى أرجاء الشرق الأدنى وأخرج للناس هذه الجولة الجديدة ، التى نحن بصددها

وان كان القراء قد أمتعهم ما طالعوه من مشاهدات رحالتهم فى اوربا وآسيا وافريقيا ، فكم تمتعهم قراءة هذه الرحلة الاخيرة التى لم تكن بين أقوام من غرب بعيد ، تربطنا وإياهم صلات مهما تكن — فهى على شىء من الضعف والوهن ، ولم تكن بين أقوام من شرق أقصى لا نكاد تصلنا بهم الا روابط الانسانية الواحدة والعصر الواحد ، وانما هى رحلة بين شعوب توشجت بيننا وبينها أواصر من الرحم والقربى هيهات أن تقوى على فصمها الأيام ، وهى كما يقول الأستاذ المؤلف حقا فى المقدمة « أقطار تربطنا بها روابط وثقتها أواصر التاريخ والاجتماع والدين . وزادتها رسوخا صلة رحم قديمة وإخلاص عميق وعطف متبادل تذكى ناره رغبة مشتركة فى النهوض ، وطموح متأجج للخلاص بأوطان مهددة ظلت ولا تزال تئن تحت أخطاء أبنائها ونهم الطامعين فيها »

قرأت كتاب الاستاذ ثابت ، فكنت أتابعه فى رحلته بلدا بعد بلد ، وقطرا فى أثر قطر ، جبت معه — على حسابه — فلسطين وسوريا وتركيا والعراق وفارس وافغانستان ؛ وكنت أقف معه هذه الوقفات التى تطول حينا وتقصر حينا ؛ أمام روائع الآثار القديمة المنتثرة هنا وهناك فى ربوع الشرق الأدنى ، والتى تثير فى النفس شتى العواطف والذكر . فى المسجد الاقصى ، عند مبكى اليهود ، فى كنيسة القيامة ؛ على جبل الزيتون ، فى ايوان كسرى ، فى الحدائق المعلقة ، فى ضريح الامام الرضى ، وغيرها ... كما خالطت وإياه هذه الطوائف المختلفة ، فعرفتها معرفة حية بعد أن كانت مجرد اسماء تتردد : السامريون ، الدروز ، الشيعة ، الصائبة ، اليزيديون عبدة الشيطان وغير هؤلاء

وللاستاذ ثابت مقدرة ممتازة فى الوصف الدقيق لما يشاهده باسلوب سلس فتشعر كأنما هو يتحدث اليك عن رحلته حديثا حلوا شيقا ، بحيث يترك فى ذهنك صورة قوية ، كثيرا ما تميل بك الى العقيدة بانك قد رأيتها رأى العين ، ولا تكاد تقتنع بانها صورة قلمية فقط قرأتها عند الاستاذ ثابت !

كنت أشعر بحلاوة الحديث ، واندفع مشوقا الى القراءة متنقلا من بلد الى بلد . . . . ولكن لم يستطرد معى هذا الشعور فى كل انحاء الكتاب ، فكأنما عز على الاستاذ ثابت أن يمتعنا متعة محضة خالصة ، دون أن يصدمنا فى الحين بعد الحين صدمة عنيفة ، يضيق بها الصدر ، ويود عندها القارىء أن لم يكن ذلك الكلف على تلك الشمس المشرقة الضاحية ! وإنما أعنى بتلك الصدمات ، هذه الحقائق العلمية التى ركزها فى صفحات قليلة ، نثرها فى أركان الكتاب كأنما يريد بها أن يبلو صبر القارىء على القراءة وجلده على احتمال العلم الصارم . وكم كنت أحب — وليس الاستاذ ثابت بالطبع مكلفا بأداء ما أحب — أن يكون الكتاب كله من ذلك النوع الذى لا أستطيع أن أقرأه الا فى كتاب الرحالة الذى شاهد ورأى ،

وقد يكون من الأثرة أن أغتصب الحكم لنفسى دون القراء جميعا ، فهاهو الكتاب بين أيدى القراء فلا حاجة للاقتباس أو ايراد الشواهد .

ومع أن الاستاذ قد أخذ علينا طريق هذا الاعتراض انه إنما أراد بمزج هذه بتلك ، أن يكون الكتاب أداة ثقافية بجانب اللذة والمتاع ، فعلى هذا الاساس من وجهة النظر نوافقه فى شىء من القلق .

وبعد ، فقد اشرك الاستاذ الرحالة قراءه معه فى حياته الزاخرة ، وكان عليه وحده الغرم ، غرم الارتحال وعناء التسطير ، ولقرائه الغنم ، غنم الفائدة والمتاع السائغ .

زكى نجيب محمود

التربية بالقصص

لمطالعات المدرسة والمنزل

الطفل أب الرجل كما يقول الإنجليز ، وهو قول صحيح من كل الوجوه ، لأن الرجولة مهما اختلف لونها ، ليست الا ثمرة لهذه البذور التي نبذرها في تربة الطفولة الغفل ، إن خيرا فخير وان شرا فشر ، وفي هذا قال الفيلسوف ليبنتز قوله المشهور : « سلمني قياد التربية وأنا كفيل بتغيير وجه أوروبا في قرن واحد من الزمان » يريد بذلك أنه يستطيع أن (يصنع) ما يشاء من الرجال ما دامت تربية الأطفال موكولا أمرها اليه يتوجه بها الى حيث شاء .

فان كان هذا حقا لا يحتمل الشك والجدل ، فما أحوجنا اذن الى وضع الخطط المحكمة وتمهيد الطرق التي تؤدي باطفالنا — وهم رجال الغد — الى رجولة قوية صلبة لا تميل ولا تلين .

وليس من شك في أن امثل الطرق التي تحقق لنا هذا الغرض المنشود ، هي ما تسايرت مع طبيعة الطفل وغريزته ، أعني يجب ان نقدم له من وسائل التربية ما يتفق مع غرائزه التي تختلف باختلاف السنين حتى نفلح الحديد وهو ملتهب . ولما كان أبرز ما تتميز به طبيعة الطفل في سنيه الأولى هو الخيال القوى الشارد ، وجب أن نعد له ما يلائمه من غذاء وهو القصة الخيالية ، التي نحوكها بحيث نبث في ثناياها مثلا عليا في الاخلاق ، بطريقة غير مباشرة . فينطبع الطفل بطابعها وهو لا يشعر

ولينبغي تقتصر القصة التي نقدمها للطفل على هذه الناحية التربوية ، بل إن لها لجانبا آخر لا يقل عن ذلك أهمية وخطرا ، وهو أن يكون للطفل أدب خاص به ، يجد فيه صورة نفسه ، ويصادف عنده متعة تحبب اليه الحياة وتروضه على لذة الدرس والمطالعة ، فيستمتع بها في أوقات فراغه طفلا وشابا ورجلا .

هذا النوع من القصص التي تهذب الطفل وتمده بما يحتاج اليه من أدب هو ما يقدمه الينا اليوم الاستاذ حامد القصبي في كتابيه « التربية بالقصص » اللذين أعدهما لمطالعات المدرسة والمنزل ، فنجح نجاحا نهنأ عليه تهنئة خالصة صادقة ، ولم يفته أن يكتبهما بالخط الكبير وأن يزينهما بالصور التوضيحية التي تلائم مزاج الأطفال وتبعث الى نفوسهم اللذة والسرور ، فجاء مثلا للتأليف الظريف الممتع .

ز . ن . م .

(الضمير الهارب — بقية المنشور على صفحة ٧٦٤)

يتلقاه بعضنا من بعض في كل يوم ، رجعت محزونا لأن الأداة لم تؤد بعض ما كان يجب أن تؤدي من التمثيل . وعـــدت الى صاحبي ألتمسه فلم أجده ، وأخذ أصحابنا يلتمسونه فلا يجدونه وكلهم شعر بمثل ما شعرت به ، وكلهم يتحدث الى نفسه بمثل ما تحدثت به الى نفسي من الحزن وخيبة الامل ، وقليل منهم يتحدث الى الناس بمثل ما أتحدث به اليك الآن أيها القارىء العزيز . ثم انقضت الاسابيع والأشهر ، واذا أنا ألقى صباح اليوم منه هذه الأسطر التي دفعتني الى كتابة هذا الفصل . وأحسب أني لن أجيبه الا بارسال هذا العدد من الرسالة اليه . فقد عرفت عنوانه الآن . كتب الي يقول : كتابي اليك أيها الصديق من بلد ناء فررت اليه بنفسي وضميري من بلد تفسد فيه الضمائر والنفوس ، وآثرت أن أحيا فيه فردا مع نفسي على أن أحيا عنـــدكم حياة الادوات لا حياة الناس ، ولقد كنت أظن أني فارقتكم الى غير رجعة ، ورحلت عنكم الى غـــير عودة . وسئمت حياتكم سأما لا حد له ، وكرهتها كرها لا أعرف له قرارا ، وعجزت عن احتمال أيسر اثقالها . واعترف بأني سعدت بهذه الهجرة سعادة خصبة حقا ، واستكشفت فيها نفسي ، ونعمت بهذا الاستكشاف ، وأنست فيها الى ضميري ، واستمتعت بهذا الانس ، ولكني لم البث في هذا البلد شهرا أو شهرين ، حتى احسست ان نفسي لا تكفيني ، وحتى ضقت باطالة النظر في المرآة ، وحتى ذكرت الاصدقاء فنفرت من ذكر الاصدقاء ، وفزعت منهم الى الكتب حينا ، والى مناظر هذه الطبيعة الرائعة حينا آخر ، ومازلت أيها الصديق مطمئنا الى هذا المعقل الذي آويت اليه ، واعتصمت به ولكن انظر ! ها أنذا أكتب اليك وما كتبت اليك الا لأني فكرت فيك ، وما فكرت فيك الا لأن نفسي نازعتني الى حديثك ، واذن فقد ابت حياتي تلك الا ان تتبعني في هجرتي وتقتحم على هذا المعقل الذي لجأت اليه ، وكل ما أتمناه الا تغلبني على نفسي ، ولا تخرجني من معقلي ، وأن تكتفي بزيارتي والالمام بي من حين الى حين . فاكتب الي وأطل فقد يظهر أن الحياة التي ترتفع ارتفاعا خالصا عن كل ما نكره من النقائص شيء لا سبيل اليه ، أما أنا فقد جربت الضيق بالحياة في مصر والفرار منها ، وأنا زعيم لكم أيها الاصدقاء بأن صاحبكم سيعود اليكم متى انقضى الصيف ومن يدري ، لعل الحياة أن تكون قد عادت الى شيء من الامن والدعة والهدوء ، فتفتح الأبواب ، وترفع الحجب والاستار ، ولا نحتاج فيما بيننا الى اصطناع الرياء ، أو الى اصطناع المجاملة . ثم لا يستحي بعضنا من بعض ، ولا يستحي بعضنا لبعض .

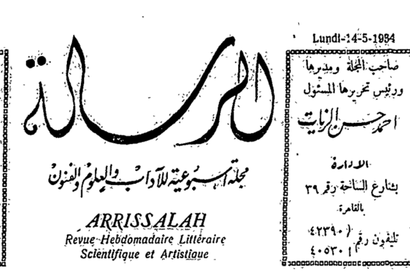
طه حسين

2 me Année, No 45.

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الاقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 14-5-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠

السنة الثانية — « القاهرة في يوم الاثنين أول صفر سنة ١٣٥٣ — ١٤ مايو سنة ١٩٣٤ » — العـــدد ٤٥

فهرس العــــدد

قطع العقدة أسهل من حلها

كان الموروث غفر الله له مهلوس العصب، أرعن اليد، ألكن اللسان، أخرق السياسة، فابتلاه الله بالحرب حتى قلّ، وبالدّين حتى ذلّ، وبالرشوة حتى فشل. ثم عصفت به ريح المنون فحطمت جذعه وأذرت هشيمه، وتبدد في مهب العوادي تراثه المشتهى، واستقرت على أعناق أبنائه وأوليائه أثقاله وأغلاله وديونه.

فاما الترك الخلّص البواسل فبتروا من خلفهم ذلك الذيل الطويل، ثم انطلقوا خفافاً الى المجد وراء كمال، وأما العرب الاقحاح اليمانيون فألقوا من فوقهم ذلك الحمل الثقيل، ثم مضوا سراعاً الى الملك وراء فيصل، وأما نحن - وقرابتنا الى المرحوم وما ترك قرابة كلالة - فقد نالنا من عهوده الجزية، ومن قيوده الامتيازات، ورأينا في نصوص القوانين ما يثبت القلوب المنخوبة على الحق، وفي سوابق الدول ما يشجع النفوس الحيوية على الاقدام، وفي سوانح الفرص ما يذكر الرقاب المغلولة بالعتق، ولكن الشعب الذي قسا عليه القدر

فمحا من ذهنه الفروق بين التواضع والضعة، وبين الوداعة والذل، وبين المجاملة والملق، وبين الكرامة والتساهل، وبين الضيافة والاحتلال، لا يستطيع أن يفهم من القانون الا نص الواجب، ولا من (السابقة) الا معنى الجرأة، ولا من الفرصة الا خلاف الحزم.

٭٭٭

حررت الأمم رقاب العبيد، واحترم السادة ارادة الخدم، ومنحت الدول طغام الشعوب كرامة الوطن، وبرىء الأسود والأبيض من معرة التفريق ووصمة التميز، اللهم إلا نحن في مصر، وإلا الزنوج في امريكا!

وما الفرق بالله بين الزنجي والمصري اذا كان كلاهما قد حرم الاخاء في المجتمع، والمساواة في القانون، والحرية في الموطن؟ وهل الامتيازات الاحكم قائم بانحطاطنا عن الأمم التي ميزناها في الجنسية والعقلية والمدنية والتربية؟ فالأوربي اذا اعتقد انك دونه في القدر والحق والخلق فتمزى عليك والتي منك، كان واضح العذر ما دمت تعترف بهذا النظام الذي يجعل قضاءه أعلى من قضائك، ولغته أفضل من لغتك، وشأنه ارفع من شأنك

أنه يعرف أن لك على الأقل أن تلغي المحاكم المختلطة من ذات نفسك، فلا ترى بعدها من يظلم قضاتك على منصة العدل، ويحتقر لغتك تحت راية الدولة، ويهين رجالك في دست الحكومة، ولكنه يراك تهمل حقك حتى يموت، وتغفل واجبك حتى يفوت، وتنفق من كرامتك على المجاملة واللطف حتى تنفد، فجعل نزولك عن مقامه تقليدا لا ينهض في وجهه أدب، وعرفا لا يقوم بسبيله قانون

٭٭٭

أن الامتيازات الاجنبية شر ما منيت به هذه الأمة من علل الفساد وأسباب الوهن. فان وجودها يوهم الأوربي انه فاضل بالحق، ويشعر المصري انه مفضول بالطبيعة، فيمعن هذا في هضم نفسه وبذل مقادته، بمقدار ما يمعن ذلك في تصعير خده وتجاوز حده، ويجري الأمر بين الرجلين مجرى الطبع والعادة، فلا يندم الأول على اساءة، ولا يألم الثاني من غضاضة!

وما يجره على الأمة هذه الآفة من قتل الرجولة في النفوس، وكسر النخوة في الرؤوس، لا يدفعه إلهاب العواطف بعظمة الآباء وحماسة الشعراء وطموح المدرسة، فما ظنك اذا خلا التاريخ من روح الوطنية، والشعر من ادب القومية، والمدرسة من رفع الخلق.

ان اخبث الأدواء ما خامر الجسم فسلبه القدرة على الفكر فيه بله الخلاص منه.

ولقد جنت الامتيازات على أخلاقنا جناية العبودية على أخلاق العبيد! فنحن نجبن امام الاهانة، ونكذب أمام الخوف، ونخنع أمام القوة، ويقعد بنا اتهام الكفاية عن المنافسة، حتى خلت ميادين العمل للاجانب فتحكموا تحكم الارباب، وتصرفوا تصرف السادة، وعاشوا بالشر على خير هذا البلد، وأنضجوا شواءهم في حريق اهله!

كل أولئك ونحن نضرع للسفيه ان يحلم، وللخصم أن يحكم، وللقوي أن يستكين، ثم نحاول أن نتحاكم الى المعاهدات، ونتفاهم بالمفاوضات، كأنما انقلبت حملة الغرب على الشرق دعوة الى سبيل المدنية وتقدم الانسانية على هدى السلام والعدل!

كلا يا سادة! ان علاج المسموم بالعزائم مزاح مع الداء لا تؤمن عاقبته، وان قتل الحية اهون من ترويضها، وان قطع العقدة أسهل من حلها، وان المتنبي ما كان يجهل الناس حين قال:

انما أنفس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا

من أطاق التماس شيء غلابا ... واقتسارا لم يلتمسه سؤالا

احمد حسن الزيات

الخيـــال الطارق

الدكتور طه حسين

أقبل صاحبي وجه النهار مرتاعا حائل اللون ، شاحب الوجه ، حائر الطرف ، طائر اللب ، كأنما ألم به طائف من الجن فروعه ترويعا ، وأخرجه عن ذلك الطور الهادىء الرزين الذى كنت اعرفه منه اذا لقيته فتحدثت اليه ، واستمعت لاحاديثه المفلفلة العذبة الخصبة .

أقبل مرتاعا لايكاد يبين اذا تحدث او هم بالحديث ، بل لايكاد يستقر فى مجلسه ، بل لا يكاد يمسك جسمه من رعدة كانت تلم به من حين الى حين فتهزه هزا عنيفا ، وتذكر بقول ذلك الشاعر القديم

وانى لتعرونى لذكراك هزة　　كما انتفض العصفور بلله القطر

وأشهد لقد انفقت كثيرا من الجهد ، واصطنعت فنونا من الحيلة ، لارده الى ما الفت فيه من دعة وأمن وهدوء ، ولقد افتقدت فى تلك الساعة بعض هؤلاء الشيوخ الذين يتلون العزائم والرقى ، بعد ان أخفقت أو كدت اخفق فيما كنت احاول من رده الى الوقار والصواب . ولكنى ظفرت آخر الامر بما كنت احاول ، واستطعت أن أتحدث الى صاحبي ، وأن اسأله عن مصدر هذا الاضطراب العنيف الذى اصابه وما عرفته عرضة لاضطراب يصيب العقل أو يصيب الجسم . قال وهو ذاهل أو كالذاهل : إثم هذا على ابى العلاء ايها الصديق ، فلولا انى نظرت فى كتاب من كتبه آخر الليل ، لأذود به هذا الارق الذى الح على الحاحا لما أصابنى ما ترى ، بل لما أصابنى مالم تر من تلك الأهوال التي ألمت بي ، واصطلحت على حتى نفرتنى من دارى وأزعجتنى عن أهلى ، ودفعتنى اليك فى هذه الساعة التى لم أتعود أن اسعى فيها اليك . وثق بانى قد خرجت من دارى معتزما ألا أعود اليها ، وقد أمرت أهلى أن يلتمسوا لنا دارا أخرى ، وأزمعت الرحلة عن القاهرة اياما ، حتى اذا تم لهم ما اريد من التحول عن هذه الدار الموبوءة ، عدت اليهم فى دارنا الجديدة ، لعلى أن أجد فيها ما انا فى حاجة اليه من الدعة وراحة البال . قلت ما أراك الا مريضا تحمل مرضك على أبى العلاء وتكلفه من ذلك ما لم يقترف ، وتكلف أهلك من آثار هذا المرض شططا . ومع انى لم أعرف بعد هذه الأهوال التى ألمت بك فازعجتك عن دارك ودفعتك الى ما تحاول من فراق القاهرة . فلست أرى بأساً بهذا الرحيل فقد طال مقامك فى مدينتنا ، وقد احتملت من الجهد والعناء فى عملك ما يضنى الأصحاء الأقوياء ، فكيف برجل عليل ضئيل مثلك ، فارحل مصاحباً ولكن حدثنى عما ألم بك من الهول ؟ قال مصدره رسالة الغفران ياسيدى ، فليت أبا العلاء لم يكتب رسالة الغفران ، قلت لا تقل هذا ولا تكن أثراً ، فان لغيرك فى رسالة الغفران لذة ومتاعا ، واذا كانت قد سلطت عليك الهول الذى لم أعرفه بعد ، فانها قد أتاحت لقوم آخرين فى الشرق والغرب من الشهرة وبعد الصوت ما لم يسلط عليهم هولا من الأهوال ، ولم يغربهم خطبا من الخطوب . ولكن هات حديثك . قال : ما أشك فى ان أبا العلاء كان مجنونا حين كتب هـــذه الرسالة . قلت رب جنون خير من العقل ، ولكن هات حديثك . قال : أتذكر هذا السخف الذى أغرق فيه إغراقا حين ذكر هذين البيتين القديمين من شعر النمر بن تولب :

ألم بصحبتى وهم هجوع　　خيال طارق من أم حصن

لها ما تشتهى عسلا مصفى　　اذا شاءت وحوارى بسمن

قلت هذا من خير ما فى الرسالة ، وأى بأس عليه من أن يفترض أن الشاعر قـــد وضع مكان حصن فى البيت الأول اسما آخر كجزء أو حفص أو عمرو ، ثم يلائم بين هذا الاسم وبين القافية فى البيت الثانى ، فهذا نوع من العبث المباح الذى لا يسوء أحداً ، وهو مع ذلك يدرب الذاكرة ويظهر شيئا من المقدرة اللغوية التى يحرص العلماء والأدباء على اظهارها . قال أنت الذى يزعم أن هذا العبث لا يسوء أحداً ، وما رأيك فى أنه قد ساءنى وجشمنى ما رأيت وما لم تر من الاهوال والخطوب . فقد أراد سوء الحظ أن انظر فى هذا الكتاب ، وان أقف عند هذا العبث ، فأفكر فى هذه الخيالات التى كانت تطرق المحبـــين والشعراء منهم بنوع خاص ، والتى كانت اذا طرقت هؤلاء الشعراء انطقتهم بما تعرف وما لا تعرف من رائع الشعر وبارع الكلام . وأغرقت فى هذا التفكير وجعلت استعين بالذاكرة على استحضار شىء من الشعر القديم الذى قاله الشعراء فى الخيال الطارق والطيف الملم . ثم جعلت اسخر من ابى العلاء ومن جفاء طبعه وخشونة مزاجه ، وجعلت ارثى لام حصن هذه التى عبث الشاعر بها هذا العبث

فلم يترك اسمها حيث وضعه النمر بن تولب، وانما حذفه واخذ يضع مكانه اسماء اخرى بعدد حروف المعجم، ولو أنه كان رقيق القلب دقيق الحس ممتاز الشعور رفيقا بالغانيات لما ازعج ام جضن عن مكانها، ولما اقلقها عن موضعها، ولكنه رجل غليظ لا علم له بالحب، ولا حـــظ له من الرقة، ولا معرفة له بحسن معاشرة النساء.

واني لفي ذلك وإذا أنا احس كأن الأرض تدور تحت قدمي، وكأن كل شيء يضطرب من حولي، ولا أكاد التفت الى ذلك وافكر فيه حتى يهدأ من حولي كل شيء، وإذا شخص جميل قد قام مني غير بعيد، وهو ينظر الي نظرة عطف، وعلى وجهه غشاء من كآبة حلوة، وعلى ثغره ابتسامة كأنها ابتسامة الرضي؛ ولكني لا أعرف شيئاً أصدق منها تصويراً للحزن والاسى، وتمثيلا للوعة والحسرة، ولست أدري كيف لم يرعني مقام هذا الشخص الجميل، فلم أظهر فزعا ولا اضطرابا، وأنما انست اليه وحققت النظر فيه فتبينت فتاة غضة الشباب، رائعة الجمال، لولا أن شبابها يوشك أن يكون وهما، ولولا ان جمالها يوشك ان يكون خيالا، تبينت شخصا حيا متحركا نضيرا، ولكنه على ذلك لا يخلو من شيء يشبه الموت، ومن شيء يشبه السكون، ومن شيء يشبه الذبول. وهو على هذا كله يذكرني بشخص كنت آلفه ويألفني، وكنت أكبره ويكبرني، وقد فقدته منذ حين، فجزعت عليه جزعا شديداً، وكثيرا ما سألت نفسي أتراها قد ذكرتني قبل أن تلج باب الموت.

وأني لأنظر الى هذا الشخص الماثل، وان هذه الخواطر لتمر امام نفسي وادعة كأنها السحاب الرقيق، واذا انا اسمع صوتا رقيقا خافتا حلوا يسعى الي سعيا خفيا من ناحية هذا الشخص الماثل غير بعيد. واذا هذا الصوت يحمل الي تحية عذبة هي التي كنت أسمعها من صديقتي حين كنت القاها وجه النهار، وما اكثر ما كنت القاها وجه النهار. اصبح بخير ياسيدي.

فأجيب اصبحي بخير ياسيـــدتي. انك تعرفني أو تكاد تعرفني، انك تذكرني وتسال نفســك الآن كما كنت تسألها من قبل، اذ ذكرتك حين فارقت الحياة وودعت الاحياء، نعم ياسيدي قد ذكرتك والححت في ذكرك، وكلفت من يقرأ تحيتي عليك، ولولا الحياء لكلفت من يدعوك لزيارتي قبل ان اموت ولكني لم افعل، ولم يعرض علي ذلك احد من الذين كانوا يحيطون بسرير الموت، على اني لست آسفة فاني لم اخسر شيئا، لأني لم افارق احدا ممن كنت احب لقاءهم في تلك الحياة، انما انا اراهم وأسعى بينهم واتحدث الى نفوسهم وأسمع منها، وكل ما فقدته انما هي هذه الاصوات التي كنت اسمعها، وهذه الايدي التي كنت اصافحها. وثق بأنها لا تعدل شيئا حين اقيسها الى ما اسمع الآن من احاديث الضمائر ونجوى النفوس. وما كنت لأتراءى لك الآن لولا انك اغرقت في ذكر الخيال واستحضار الخيالات.

ولست اخفي عليك اني كنت اريد حين تراءيت لك ان اداعبك بعض الشيء، فلا تظن ان الدعابة مقصورة على الاحياء، فقد يأخذ الموتى من الدعابة بنصيب ايضا. كنت اريد ان اتراءى لك على أني ام حضن صاحبة النمر بن تولب، وان اشكر لك عطفك على ورفقك بي ولومك لابي العلاء. ولكني لم استطع ان اخدعك لأني لم اتعود خداعك اثناء الحياة. ثم لأني انما اقبلت الى هذا المكان لألقي في روعك رسالة كنت اريد ان تبلغها عني، وكنت اريد ان القيها اليك كما تلقى الرسائل الى الناس في الاحلام، ولكني رأيتك يقظان تنظر في هذا الكتاب فانتظرت لعل النوم ان يسعى اليك، ثم رأيتك تذكر الخيال وتستحضر الاطياف فتراءيت لك، وهل انا الا خيال او طيف؟ لا تطل النظر إلي ولا تقل شيئا فان نظر الاحياء يؤذيني، وان اصوات الاحياء تثقل علي، ولكن اسمع مني. ولتحـــدث نفسك الي اذا لم يكن لك بد من حديث، واني لأعلم انك تريد ان تسألني كيف اتحدث اليك بصوت يشبه صوت الاحياء، واشفق مع ذلك من سماع صوتك فانا لا اتحدث اليك بصوت يستطيع غيرك ان يسمعه، انما انت الذي يمنح هذا الصوت قوته وتشخيصه، ولو ان في هذه الغرفة قوما غيرك لما رأوا من شخصي ما ترى، ولما سمعوا من صوتي ما تسمع، ولكن اصغ الي فاني أحس مقدم النهار، واني أكره هذا الضوء الذي يغمر الكون حين تشرق الشمس، والذي كنت أحبه أشـــد الحب اثناء الحياة، والذي لم اجزن على شيء حزني على فراقه قبل أن أموت، والذي لم اتسل عن شيء كما تسليت عنه الآن.

اصغ الي فاني أريد أن القي اليك رسالتي، وان أنصرف عنك

(البقية على صفحة ٨٤٠)

سبيل الخلاص
من الامتيازات الأجنبية

للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري
الأستاذ بكلية الحقوق

— ١ —

قد لا يكون هذا الموضوع الذى أعالجه وثيق الاتصال بالموضوعات الأدبية والعلمية التى اعتاد كتاب الرسالة أن يطالعوا بها قراءها . ولكني مع ذلك لا أتردد في أن أرسل بمقالي هذا إلى الرسالة . فان مسألة الامتيازات الأجنبية أصبحت فى هذه الأيام من أكبر المسائل خطرا وأشدها تعقداً . والرسالة تتسع جوانبها لكل مسألة تشغل الرأى العام .

وما بى أن أعالج الامتيازات الاجنبية من نواحيها المألوفة : الامتيازات جائرة ، لا يتفق أصلها التاريخي مع حقيقتها الواقعة ، لا يصح أن تستبيحها امة لها حظ من الكرامة ، لا يجوز التوانى عن المطالبة بالغائها ، بل هى قد سقطت بتغير الظروف طبقا لمبادىء القانون الدولى المعروفة . كل هذا أصبح معروفا مستقراً فى الأذهان . وإنما يعنيني أن ألتمس سبيلا عمليا إلى التخلص من هذه الامتيازات .

وإنه ليبدو لى ضروريا أن تكون للحكومة المصرية خطة مرسومة للتخلص من الامتيازات الأجنبية . أما ترك الأمر للظروف فليس بمنتج شيئا ولا يتفق مع ما لمسألة الامتيازات من الخطر فى حياة الأمة . وعندى أن هذه المسألة لا تقل فى الاهمية عن مسألة الاحتلال الانجليزى للبلاد . فالتخلص من الاحتلال مع بقاء الامتيازات لا يفيد كثيراً ، إذ نبقى مقيدين فى أهم مقدمات السيادة الداخلية للدولة : التشريع والقضاء والادارة . فلا يصح إذن فى مسألة لها هذه الاهمية أن نترك أنفسنا تسوقنا المصادفات وتسيطر علينا الحوادث . ولقد شاءت المصادفة أن يتنحى رئيس إحدى الدوائر فى محكمة مصر المختلطة عن نظر إحدى القضايا ، فترتب على هذا التنحي هذه الازمة الحالية التى لا نزال نخوض غمارها وإني لأخشى ، ونحن نعتمد على المصادفات ، أن ننصرف عن هذه المسألة الحيوية بمجرد انتهاء المناسبات التى دعت إلى الاشتغال بها . فكم سبق هذه الازمة أزمات شغلت الرأى العام قليلا أو كثيرا ، ثم مالبث أن انصرف عنها ، ولم يعد يذكرها ، حتى تقوده المصادفة المحضة للعودة اليها . ثم إنى لأخشى أن تقتصر الحكومة المصرية فى معالجة هذه المسألة الخطيرة ، على ناحية أو ناحيتين منها ، مكتفية بما ساقته المصادفات أمامها من المشاكل ، فتفاوض فى رياسة الدوائر أو فى مسألة اللغة العربية ، أو فى غير ذلك من المسائل التفصيلية . وماهذه وغيرها إلا أعراض لمرض مستحكم ، لا تجدى فيه معالجة الأعراض دون استئصال موطن الداء . يجب أن يكون للحكومة المصرية خطة شاملة عامة لمعالجة مسألة الامتيازات فى مجموعها . وهذا ما جعلنى أدلى برأيى فى هذا الموضوع الخطير ، وأدعو رجال القانون إلى الادلاء بآرائهم ، حتى تتمحص الآراء ، فترتسم أمامنا الخطة العملية لتخليص البلاد من هذه النكبة .

لا يجوز أن ننسى أن مسألة الامتيازات لها جانب سياسى غير جانبها القانونى . وقد يكون هذا الجانب السياسى هو أشد الجانبين استعصاء على الحل . وكل محاولة ترمي إلى إيجاد حل عادل للمسألة ، ولا تبدأ بمعالجتها من جانبها السياسى ، مقضى عليها بالفشل . انجلترا تزعم لنفسها حق حماية المصالح الأجنبية فى مصر . وقد تقدمت بهذه الدعوى فى مشروع ملنر ، وفى تصريح ٢٨ فبراير ، وفى مشروع كيرزون ، وفى كل المشروعات التى تلته . وقد كانت تفرع على هذه الدعوى دعوى أخرى لا تقل عنها انتقاصاً لسيادة البلاد : كانت تطلب أن تاخذ من مصر تفويضا تتولى بمقتضاه مفاوضة الدول ذوات الامتيازات . ثم نزلت عن هذه الدعوى منذ المفاوضات التى دارت مع المرحوم ثروت باشا . ويظهر أنها أخذت تفكر أخيرا فى الرجوع ثانية الى هذه الدعوى .

فهناك أمران يجب الاحتراز منهما فى أية محاولة تتقدم عليها لحل مشكلة الامتيازات : (أولا) ألا نعطى لانجلترا سبيلا لمفاوضة الدول ذوات الامتيازات . فان المعاهدات التى تقوم عليها الامتيازات الأجنبية قد ورثنا بعضها عن تركيا وعقدنا البعض الآخر مع الدول . فقيام انجلترا بالمفاوضة ليس معناه الا تسليما ما بدعواها حماية المصالح الأجنبية . وإلا فان الوضع الطبيعى للمسألة يقتضى الا يكون تعديل هذه المعاهدات أو إلغاؤها إلا

بمفاوضات تكون مصر طرفا فيها . ولا يمنع هذا من تلبس معونة انجلترا ووساطتها الودية فى المفاوضات التى تقوم بها الحكومة المصرية مع الدول ، والفرق كبير بين أن تبذل انجلترا وساطتها لتأييد جهودنا وبين أن تكون هى الطرف المفاوض . (ثانيا) أن تلتقى بنا رغبتنا الملحة فى التخلص من الامتيازات فيما هو أشد خطرا منها . فادامت انجلترا على دعواها من حماية المصالح الأجنبية ، فان أى حل توافق عليه يكون من شأنه تأييد هذه الدعوى وتدعيمها . فالواجب إذن أن تنظر فى المسألة من أساسها ، وأن تقدم معالجة دعوى انجلترا فى حماية المصالح الأجنبية على معالجة الامتيازات ، ولا نحاول الثانية قبل أن ننتهى من الأولى . وإلا فان التسليم لانجلترا بحماية الاجانب فى مصر انتقاص خطير من سيادة البلاد ، وفتح الباب لتدخل الانجليز فى شؤوننا الداخلية .

نرى مما تقدم أن المساعى التى تبذلها مصر فى إلغاء الامتيازات الأجنبية يجب أن تكون مسبوقة بتفاهم تام مع انجلترا ، على أن تعديل هذه الامتيازات أو إلغاءها لا يكون الا على أساس أن تسترد مصر حقوق سيادتها التى انتقصت منها هذه الامتيازات ؛ لا أن تنتقل هذه الحقوق الى انجلترا . فاذا تم هذا التفاهم ، سواء أكان ذلك فى مفاوضات عامة شاملة لحل المسألة المصرية فى مجموعها ، أم فى مفاوضات خاصة بهذه المسألة إذا لم يتهيأ السبيل لمفاوضات عامة . يمكن بعد ذلك تلمس السبيل العملى للوصول الى إلغاء الامتيازات .

ونحن نقترح سبيلا عمليا يكون سيرنا فيه مقرونا بالحكمة ، فلا نتخذ تدبيرا إلا اذا دعت اليه الضرورة . نحاول اولا التفاهم مع الدول ذوات الامتيازات أنفسها على تعديل النظام الحالى للامتيازات ، فقد أصبح هذا النظام يصطدم مع الكرامة والعدالة والمصلحة . فان لم نفلح عرضنا على انجلترا ان تؤيدنا فى الغاء الامتيازات باعلان يصدر من جانبنا ، بشرط ألا تجعل من هذا التأييد وسيلة لتثبيت دعواها فى حماية المصالح الأجنبية ؛ فان لم نفلح أخذنا على أنفسنا مسئولية إلغاء المحاكم المختلطة والغاء الامتيازات معاً ، أو الاقتصار على إلغاء النظام الأول دون الثانى . ونفترض فى كل هذا أن الشعب المصرى يؤيد الحكومة التى تتولى اتخاذ هذه التدابير ، إذ لا يجوز لأية حكومة مصرية لا تحوز ثقة الشعب أن تقدم على الغاء الامتيازات ، فان الاقدام على هذا الأمر الخطير يقتضى ان يكون للحكومة سند من الشعب ، والحكومة التى تفقد هذا السند ليس أمامها الا أن ترتمى فى أحضان انجلترا ، فتجر على البلاد نكبة أشد وبالا من نكبة الامتيازات .

وهانحن أولاء نفصل ما أجملناه ، ونقسم السير فى الطريق الذى نقترحه الى خطوات :

الخطوة الاولى

تستصدر الحكومة المصرية مرسوما بالغاء المحاكم المختلطة طبقا لقانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢١ . وتنشر هذا المرسوم فى الجريدة الرسمية ، حتى يكون الالغاء نافذا بعد سنة من نشره

الخطوة الثانية

بعد نشر هذا المرسوم تدعو الحكومة المصرية الدول ذوات الامتيازات الى الدخول معها فى مفاوضات بشأن تنظيم الحالة التى ستجد عقب إلغاء المحاكم المختلطة

ونحن نشدد فى استصدار المرسوم بالغاء المحاكم المختلطة ونشره قبل الدخول فى مفاوضات مع الدول ، لأن هذا هو السبيل لاقناع هذه الدول بأن الحكومة المصرية ومن ورائها الامة تؤيدها ، قد عقدت العزم على السير فى طريقها ، ولو لم تؤد المفاوضات الى اتفاق ، وان مصير المحاكم المختلطة قد أصبح محتوما ، فلا مناص من إلغاء هذه المحاكم مهما كانت نتيجة المفاوضة . وفى هذا معنى خطير لا يفوت الدول ، ولا يمكن إلا أن يكون مؤثرا فى سير المفاوضات .

وتكون الدعوة الى المفاوضة مصحوبة بمذكرة تبين فيها الحكومة المصرية الاسس التى تقترحها لاقامة النظام الجديد الذى يعقب إلغاء المحاكم المختلطة :

وفى رأينا أن تكون هذه الأسس مبنية على دعائم ثلاث : (أولا) ايجاد محاكم جديدة تحل محل المحاكم المختلطة ، ولكنها تختلف عنها اختلافا كبيرا من حيث تقوية العنصر المصرى فيها ، فهى ستكون محاكم مصرية قانونا وعملا ؛ (ثانيا) استرداد ما فقدته الدولة المصرية من حقوقها التى لا تأباها عليها نفس الامتيازات حسب وضعها الأصلى ، كحقها فى سن تشريعات عقارية ولوائح بوليس تسرى على الاجانب دون موافقة الدول . واسترداد الحقوق التى أنكرتها عليها المحاكم المختلطة الحالية من طريق التوسع فى تفسير

اختصاصها توسعا لايسيغه المنطق القانونى الصحيح . ثم استرداد الحقوق التى انكرتها المحاكم المختلطة ، لا من طريق التوسيع فى التفسير ، بل من طريق خرق التقاليد القضائية أو النصوص القانونية الصريحة . فان المحاكم المختلطة ، وهى معقل الامتيازات الاجنبية فى مصر ، قد عملت على تقوية الامتيازات من هذه الطرق المختلفة . توسعت فى تفسير النصوص فحملتها مالا تحتمله ، كما فعلت فى نظرية الصالح المختلط وفى تفسير معنى الاجنبى . ثم خرقت التقاليد القضائية بانكارها على القاضى المصرى أن يتولى رياسة دائرة هو أقدم أعضائها ، دون أن يكون هنالك فى القانون ما يمنعه من ذلك . ولجأت أخيرا الى انكار النصوص الصريحة ، كما فعلت عندما أنكرت على اللغة العربية أن تكون لغة رسمية تنطق بها الاحكام ويجرى بها التقاضى .

(ثالثا) توقيت النظام الجديد الذى يحل محل النظام القديم ، حتى يتهيأ لمصر فى الوقت المناسب أن تتخلص من هذا النظام الجديد أيضا كما تخلصت من النظام الذى سبقه ، ولا يكون فى البلاد الا نظام واحد فى التشريع والقضاء يسرى على جميع سكان مصر .

وتطبيقا لذلك نرى أن تدعو الحكومة المصرية الدول لعقد معاهدة يكون من حق الحكومة المصرية إنهاؤها بأعلان يصدر من جانبها بعد سنة من تاريخ نشر هذا الاعلان . وفى حالة إنهاء المعاهدة لايعود النظام الحالى للمحاكم المختلطة بل يعتبر هذا النظام قد الغى بصفة نهائية . وتتناول المعاهدة جوانب ثلاثة : التشريع والقضاء والادارة

١ — التشريع

ينص فى المعاهدة على أن التشريع المصرى يكون نافذا على الاجانب ، بما فيه التشريع المالى ، اذا مضى ثلاثون يوما من عرض هذا التشريع على الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة الجديدة (وسنبين تشكيلها فيما بعد) دون أن تقدم هذه الجمعية اعتراضا على التشريع المذكور . ولا يجوز الاعتراض على أى تشريع مصرى الا اذا كان هذا التشريع يتضمن مبادىء تتنافى مع المبادىء العامة التى يقرها العالم المتمدين فى التشريع تنافيا يخل بالعدالة . وتبين الجمعية العمومية المسائل التى لاحظت فيها هذا التنافى . فاذا اقتنعت الحكومة المصرية بوجهة نظر الجمعية العمومية لا يكون التشريع نافذا على الاجانب ذوى الامتياز ، وإن لم تقتنع كان لها أن ترفع الأمر الى محكمة لاهاى . أما فيما يتعلق بالتشريع المالى فلا يجوز للجمعية العمومية أن تعترض على ضريبة تفرض إلا اذا أخلت بالمساواة فيما بين الاجانب ، أو فيما بينهم وبين المصريين ، عدا الضرائب الخاصة بالأجانب التى يكون لها نظير فى البلاد المتمدينة . ولا يعتبر إخلالا بالمساواة أن تفرض ضريبة على جميع السكان ، حتى لو تبين أن عبء هذه الضريبة يقع على عاتق الأجانب أكثر مما يثقل كاهل المصريين ، بسبب أنها تتناول أعمالا يغلب فيها العنصر الأجنبى كالشركات . واذا اعترضت الجمعية العمومية على تشريع مالى لانه لا يحقق المساواة المطلوبة ، كان للحكومة المصرية أن ترفع الأمر الى محكمة لاهاى . ويستثنى من الاحكام المتقدمة ما يأتى :

(١) أى تشريع يعدل أو يلغى حكما من أحكام هذه المعاهدة ، فهذا لا يكون نافذا على الاجانب ذوى الامتياز الا بعد الاتفاق مع دولهم على ذلك

(٢) التشريع الخاص بعقار ، بما فيه الضرائب العقارية ، فهذا يكون نافذا على الأجانب دون حاجة الى عرضه على الجمعية العمومية لمحكمة الإستئناف المختلطة

(٣) لوائح البوليس التى تفرض عقوبة لاتزيد على عقوبة المخالفة ، وهذه أيضا تكون نافذة دون حاجة الى عرضها على الجمعية العمومية . وغنى عن البيان أن التشريعات التى تطبقها المحاكم المختلطة الحالية (كالتقنينات الستة المعروفة) تعتبر تشريعات نافذة دون حاجة الى عرضها على الجمعية العمومية ، إلا إذا رأت الحكومة المصرية تعديل هذه التشريعات (وستظهر ضرورة ذلك بنوع خاص فى القانون الجنائى وقانون الاجراءات الجنائية وعند تنقيح القانون المدنى) ، ففى هذه الحالة تعرض التعديلات التى يراد ادخالها على الجمعية العمومية على النحو الذى بيناه فيما تقدم .

هذه هى المقترحات الخاصة بالتشريع ، ونتولى الآن تبريرها . فهى قسمان : قسم أقرته انجلترا فى المقترحات التى عرضتها على مصر عند ما دارت المفاوضات المختلفة بين الدولتين .(١) وقد ورد ذكر

---

(١) بحثنا هذه المقترحات بحثا مستفيضا فى المقدمة التى وضعناها لكتاب « الامتيازات الاجنبية » لمؤلفه الاستاذ محمد عبد البارى (لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٠)

ذلك في المذكرة البريطانية المتعلقة بالامتيازات في المفاوضات التي دارت بين المستر هندرسون ومحمد محمود باشا إذ جاء فيها ما يأتي : « وسأكون مستعداً للاتفاق على أن تقوم الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة في المستقبل بابداء كل موافقة لازمة لتطبيق التشريع المصري ، ومن ضمنه التشريع المالي ، على الأجانب ، الا في حالة التشريع الخاص بتشكيل المحاكم المختلطة وتحديد اختصاصاتها ، فانه لا ينفذ الا بموافقة الدول عليه . ويكون على الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة أن تتثبت من أن التشريع المشار اليه لا يناقض المبادىء التي يجري العمل بموجبها عادة في التشريع الحديث الذي يسري على الأجانب . وأنه فيما يتعلق بوجه خاص بأي تشريع ذي صفة مالية لا يوجد تمييز غير عادل ضد الأجانب بما فيهم الشركات الاجنبية » (انظر الكتاب الأخضر الخاص بهذه المفاوضات ص ١٠) . ومن هذا يتبين أننا لم نأت بجديد الا في شيء واحد . فالمذكرة البريطانية تشترط موافقة الجمعية العمومية على كل تشريع مصري يراد سريانه على الاجانب ، أما نحن فنكتفي بعدم اعتراض هذه الجمعية على التشريع المقدم اليها . والفرق ما بين الأمرين ظاهر ، ففي الحالة الأولى يجب ان تكون هناك أغلبية توافق على التشريع حتى يسري على الاجانب ، أما في الحالة الثانية فيجب ان تكون هناك أغلبية تعترض على التشريع حتى لا يسري على الأجانب ، فاذا انقسمت الجمعية في أمر تشريع الى فريقين متساويين في العدد ، لم يسر التشريع على الأجانب في الحالة الأولى وسرى في الحالة الثانية . ولا يخفى ما لهذا الأمر من الأهمية إذا لوحظ أن نصف أعضاء الجمعية العمومية يجب ان يكون من المصريين كما سنبين ذلك فيما يلي . أما فيما يتعلق برفع الأمر الى محكمة لاهاي ، فهذا هو المبدأ الذي تقرر في المفاوضات التي دارت بين انجلترا ومصر .

والقسم الثاني من هذه المقترحات جديد ، وهو خاص بالتشريع العقاري وبلوائح البوليس . هذه تشريعات نريد ان نسترد فيها حقوق مصر الضائعة . فان للمشرع المصري حتى بمقتضى الامتيازات الأجنبية ، الحق في أن يسن قوانين تسري على الاجانب ، دون حاجة لموافقة الدول أو لموافقة الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة ، إذا كانت هذه القوانين خاصة بالعقارات في مصر ، سواء أكانت هذه القوانين مالية (أي تفرض ضريبة عقارية) أم غير مالية . وذلك أن الاجانب لم يسمح لهم قانونا بتملك عقار في مصر إلا على أساس الفرمان العثماني الصادر في سنة ١٨٦٧ ، وقد اشترط هذا الفرمان في تملك الاجنبي للعقار ان يخضع للقوانين واللوائح التي يخضع لها الرعايا العثمانيون ، وان يدفع جميع التكاليف والضرائب التي تجبى أو يمكن أن تجبى في المستقبل على العقارات في المدن أو في القرى ، تحت اى شكل كانت ، وبأى اسم سميت . فمن حق مصر ان تسترد هذا الحق الضائع ، فان اغتصابه منا خرق للامتيازات الأجنبية نفسها التي يحتج بها الأجانب علينا (١) وكذلك الأمر في لوائح البوليس ، فقد كان لمصر سن هذه اللوائح ، وكانت تسري على الأجانب قبل وجود المحاكم المختلطة نفسها . وتأيد هذا الحق بنص المادة العاشرة من القانون المدني المختلط ، وبنص المادتين ٣٣١ و ٣٤٠ من القانون الجنائي المختلط (٢)

(تتمة البحث في العدد القادم) — عبد الرزاق السنهوري

(١) وقد كان من الممكن أن تتمسك مصر بحقها في فرض أية ضريبة عقارية على الاجانب ، دون الرجوع الى الجمعية العمومية مادامت الضريبة غير مجحفة . فان الامتيازات الاجنبية لا تأبى علينا هذا الحق ، لأن الاجانب لم يعفوا بموجب هذه الامتيازات من الضرائب التي يتساوون فيها مع الأهالي ، بل من الضرائب التي ينفردون بها وحدهم ، كالجزية التي تجبى من غير المسلمين (أنظر مقدمة كتاب « الأمتيازات الاجنبية » المشار اليها ص ٤٣)

(٢) أنظر كتاب الاستاذ لامبا (Lamba) في الحالة القانونية للاجانب في مصر . باريس سنة ١٨٩٠ ص ٢١٢ — ص ٢٢٨ .

مقيـــاس الرقي

للأستاذ أحمد امين

سألني أديب سوري ، بمناسبة مقال كتبته عنوانه «المسلمون أمس واليوم» :

بم نعـــد أمة أرقى من أمة ، وما العوامل التي نحسبها ونقيس بها الرقي ؟ وفي الامة الواحدة ـ اذا سئلنا أكانت بالامس خيراً منها اليوم ، أم هي اليوم خير منها أمس . فأي النواحي نرعاها عند النظر ؟

والحق أنها أسئلة في منتهى الصعوبة ، يحار المجيب عنها أي العوامل يحسب وأيها يترك ، وأيها لها قيمـــة كبيرة الأثر وأيها ضعيف الاثر ؟

قد يجيب مجيب اجابة سهلة من طرف اللســـان فيقول « مقياس الرقي في الامم الاخلاق » فأرقى الامم أحسنها خلقا ولكن هذه الاجابة لا تقنع ، فالاخلاق متغيرة ، وكل عصر له أخلاق يتطلبها وواجبات ينشدها ، وما علينا الآن من واجبات أضعاف ما كان على أجدادنا منها ، أصبح واجباً علينا أن نعلم أولادنا في المدارس ، وما كان ذلك واجبا من قبل انما كان تبرعا من الاب ، وأصبح واجبا علينا ترقية الوطن من جهات متعددة وما كان ذلك واجبا من قبل ، وان كان واجبا فواجب غامض ليس محدود المعنى ولا معين الاتجاه ، وكان آباؤنا يعدون من أرقى الاخلاق في الامة حجاب نسائها وبناء سور متين بين الرجل والمرأة ، فأصبحنا نرى الواجب أن تتعلم المرأة كما يتعلم الرجل ، ومن حقها أن تسمع المحاضرات مع الرجل ، وأن تتمتع بالحياة البريئة كما يتمتع الرجل ، فاذا قلنا مقياس الرقي الأخلاق كانت كلمة عامة تدل على كل شيء ولا تدل على شيء .

وقوم يقيسون الرقي بالدين ، وهي كذلك كلمة عامة يختلف مدلولها باختلاف أنظار الناس فيضيق عنـــد بعض الناس حتى لا يسع الا الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويتسع عند بعض الناس حتى يشمل كل شيء .

وفي الحق أن هناك مناحي للحياة مختلفة متعددة يجب أن ينظر اليها كلها لتقويم الرقي ـ ففي كل أمة مجموعة من المرافق ، يعد كل مرفق منها كالخلية في الجسم الحي : من حكومة وتعليم ولغة ودين وأسرة ونظام اقتصادي ونحو ذلك ، كلها تتغير وكلها ترقى أو تنحط ، وكلها في حركة مستمرة دائما إما الى الامام وإما الى الخلف . وكلها تتفاعل تفاعلا قويا ، يؤثر قويها في ضعيفها ، وضعيفها في قويها ـ وهذا التغير الدائم في كل هذه المرافق هو مقياس الرقي والانحطاط ، فان كان تغـــيراً الى سمو فرقي ، وان كان تغيراً الى تدهور فانحطاط

وحسبان هذا ليس بالأمر اليسير ، فقد تتدهور بعض المرافق لاسباب خاصة ، وتسمو بعض المرافق لأسباب كذلك ، ثم تتفاعل عوامل الضعف والقوة فينشأ من ذلك عملية حسابية من أصعب المسائل حلا . والمثل الأعلى للأمة أن يكون كل مرفق من مرافقها الاجتماعية يؤدي عمله خير اداء ، ويتنقل في سمو أبداً ، وأن يكون سيره ورقيه في حالة ملاءمة ومناسبة لسائر المرافق الاجتماعية ، لا يطفر عنها ولا يقعد بها ـ فالامة التي تختار أحسن النظم في التربية والتعليم ولا تساعدها اللغة على المصطلحات الحديثة لأترقى في التربية والتعليم حتى تحل مشكلتها اللغوية ، والأمة التي تختار أحسن النظريات الفقهية وخير النظم القضائية ، ثم لا يعينها على ذلك حالة الاسر الاخلاقية وحالة المعاملات بين الأفراد لا يمكن أن ترقى بنظرياتها الفقهية من الناحية القضائية ، والأمة التي تسن أرقى أنواع الاصلاحات الاجتماعية ثم لا تعينها الناحية الاقتصادية تصبح واصلاحاتها تسر القارىء ولا تسر الناظر وهكذا .

***

وهناك دلائل قوية تدل الباحث على رقي الامة وتدهورها وسيرها الى الامام أو الى الخلف ، إما بمقارنتها بغيرها من الامم في نواح معينة أو بمقارنتها بنفسها في عصرها الحاضر

وعصرها السابق ، والمقارنة الأولى تدلنا على الدرجة التى تقف عليها الأمة فى سلم الرقى العام ، والمقارنة الثانية تدلنا على اتجاه سيرها : الى فوق أو الى تحت

من أهم هذه الدلائل تعرف موقف الامة ازاء ما يحيط بها من ظروف طبيعية واجتماعية : هل هذا الجيل أحسن استخداما لبيئته وما يحيط به ؟ هل استطاع أن يوجد منابع لثروته وسعادته أكثر مما استطاع أسلافه ؟ هل استخدم المنابع القديمة خيرا مما استخدمها آباؤه ؟ هل كان فى حله لما يعرض له من المشاكل الاجتماعية والطبيعية أكثر توفيقا مما عرضت هذه المصاعب أو أمثالها لنا ولآبائنا كيف حلوها وكيف حللناها ، وما منهجهم فى الحل وما منهجنا ؟ ما مقدار تضامن الأفراد ومداه فى التغلب عليها ، وما مقدار تضامننا اليوم ؟ لكل أمة مقدار من الثروة ، فهل زادت ؟ وهل استطاعت اليوم أن تسعد بثروتها أكثر مما كانت تسعد بها من قبل ؟ هل استخدمت العلم أحسن مما استخدمه آباؤها فقللت الوفيات وتحسنت صحتها ، وجمل منظرها ، ونظفت عيشتها ، وأصبح نيل القوت أسهل وأيسر حتى تفرغ كثير من أبنائها وبناتها للعلم والفن والأدب ؟ أظن ان هذه الاسئلة متى حددت بهذا الشكل لم تكن الاجابة عليها عسيرة ، وبذلك نستعين على تعيين الاتجاه ومقدار الرقى ان كان .

***

ومن ناحية أخرى ، ربما عد من أكبر دلائل الرقى فى الأمة « تذليل العقبات امام الكفايات » فخير الأمم من أفسحت السبيل أمام أفرادها ليرقوا كما يشاؤون حسب استعدادهم وجدهم ، فى التعلم ، فى الوظائف ، فى النواحى السياسية والاجتماعية ـ وقد قطعت الأمم المتمدنة فى ذلك خطوات واسعة ، فأزالت احتكار الارستقراطية للمناصب العليا ، وسهلت وسائل التعلم لمن شاء ، واعتمدت فى تقدير الاشخاص على مزاياهم لا على بيتهم ـ الى درجة كبيرة ـ وحاربت المحسوبية والنزعات الارستقراطية ، وقضت على النظام الاقطاعى الذى يميز بين الطبقات ، ويضع حدا فاصلا بينها لا يمكن تخطيه ووضعت النظم الاقتصادية الحديثة ، وفيها يمكن كل فرد بكفاءته ومواهبه ان يصل إلى ما يستطيع من رقى ـ وان كانوا هم أنفسهم يصرحون بأنهم لم يبلغوا الغاية فى ذلك ، وأن أمامهم عقبات شاقة ومسافات طويلة يجب ان يقطعوها حتى يسهل على كل فرد تحقيق غايته وبلوغ شأوه

***

وربما كان كذلك من أهم دلائل الرقى النظر الى ثروة الأمة ومقدار ما يصرف منها على « الصالح العام » من مدارس ومصانع ومساجد ومتنزهات وحدائق وماء وانارة ونحو ذلك ولست أعنى النظر الى كمية ما يصرف فحسب ، ولكن أعنى أيضا كيفية الصرف ، وهل انفق هذا القدر فى أحسن السبل وهل هناك وجه آخر خير منه ؟ . كذلك لست أعنى ما ينفق فى ذلك من ميزانية الحكومة فقط ، ولكن اعنى أيضا مقدار شعور الأفراد فى هذا الباب ومقدار ما يتبرعون به من أموالهم لهذا الصالح العام ، فليست ثروة الأمة مقصورة على ميزانية الحكومة ولكنها تشمل ثروة الأفراد « وفى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » فالأمة التى لا يشعر أغنياؤها بواجب فى أموالهم لفقرائها ، أو يشعرون شعورا ضعيفا لا يقوى على استخراج المال من جيوبهم ، أمة منحطة اذا قيست بغيرها من الأمم التى كثرت فيها المدارس والاندية والمستشفيات والجمعيات الخيرية من مال أغنيائها

ومما يتصل بهذا الأمر ، النظر فى ميزانية الأسر فى الأمة وكيف تنفق ، فامة خير من أمة اذا عرفت أسرها كيف توازن بين دخلها وخرجها ، وكيف تفرق بين الضرورى والكمالى وما ليس بضرورى ولا كمالى ، ولم تسمح لنفسها أن تصرف فى الكمالى حتى تستوفى الضرورى ، ولا فى غير الضرورى والكمالى ـ حتى تدور فى الكمالى ؛ فذلك ـ من غير شك ـ يجعل الأسر أسعد

حالا ، وأهدأ بالا ، وأكثر استعدادا للرقى ، وهل الأمة الا مجموعة من الاسر ؟ وهل رقى الامة الا حاصل جمع رقى الاسر ، وكما أن أسرة قد تكون أسعد من أسرة مع أن دخلها أقل وثروتها أضعف ، ولكن عقلها أكبر ، وتصريفها لمالها أدق ، فكذلك الأمم ليس خيرها أغناها ، ولكن خيرها من عرفت كيف تستخدم مالها وأحاطت ما تملك بوسائل اجتماعية ، وكمية كبيرة من الإصلاح تجعل مالها يتضاعف في القيمة وان لم يتضاعف في العدد . فكم من الأمم لها ثروة كبيرة طبيعية ولكن لم تعرف كيف تستخدمها ولا جزءا منها ، ولو حلت محلها أمة أخرى لصيرت صحراءها بستانا وجبالها جنانا ، ولجعلت ترابها ذهبا وأرضها عجبا

ومن أجل هذا لم يخطىء كثيراً من حصر مقياس رقى الامة فى مقدار تغلبها على طبيعة بلادها وتعديل نفسها حسب ما يحيط بها — لانها لا تصل الى ذلك الا بمقدار كبير من العلوم الطبيعية يمكنها من الانتفاع بارضها وجوها وبقدر وافر من العلوم الاقتصادية يبين لها كيف تستغل منابعها ، وبمقدار صالح من النظم السياسية والاجتماعية والاخلاقية يهيء للافراد سبل الانتفاع بما حولهم ويعدهم خير اعداد للنظر فى مصالحهم .

فليتساءل الشرقى فى ضوء هذا : أين هو فى نفسه ، وأين هو فى أمته ، وأين أمته فى العالم ؟

أحمد أمين

الحرب فى بلاد العرب

تطور الحوادث فى الجزيرة

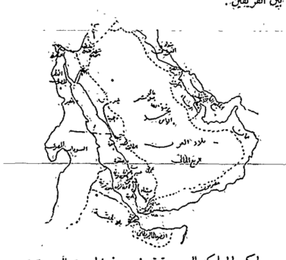
وصداه فى الأفق الدولى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

أسفرت المعارك التى نشبت فى الأسبوعين الأخيرين فى هضاب عسير وتهامة بين القوات السعودية والقوات اليمانية عن نتائج خطيرة حاسمة فيما يظهر ؛ فقد استطاعت القوات السعودية أن تتوغل فى نجران وفى عسير بسرعة مدهشة ، وأن تستولى على منطقة واسعة فى شمال اليمن تشمل عسيراً ونجران وجميع الجهات والمواقع التى كانت موضع النزاع بين البلدين ، وأن تتقدم بعد ذلك فى أراضى اليمن ذاتها بحذاء البحر الأحمر حتى ثغر الحديدة ، وهو أهم الثغور اليمانية ، وأن تستولى عليه بعد أن فرت منه قوات الامام التى كان يقودها ولده وولى عهده سيف الاسلام . وقد كنا نؤمل حين كتبنا مقالنا الأول عن هذه الحرب التى تضطرم بها الجزيرة العربية ، أن يكون لصوت العالم العربى والاسلامى أثره فى تدارك هذا الخلاف الخطر ، وفى وقف المعارك قبل استفحالها . وقد رفع العالم الاسلامى صوته قوياً بمناشدة الزعيمين أن يتذرعا بالروية والحسنى فى حسم النزاع القائم بينهما ، وسافر الى مكة وفد عربى إسلامى يمثل عدة من الأمم العربية لتحقيق هذا المسعى . ولكن الظاهر أن سير الحوادث لم يفسح مجالا للتفاهم الحسن بين الملكين ؛ وقد كان جلالة ابن السعود يشترط لوقف القتال شروطاً يراها لازمة لسلامة حدوده وسلام مملكته ، وهى جلاء القوات اليمانية عن نجران ومواقعها الجبلية ، وإطلاق الرهائن ، وتسليم الادارسة ؛ ولكن سيادة الامام يحيى لبث حيناً يتردد بين القبول والاعتراض ؛ وحدث فى تلك الفترة أيضاً أن تقدمت القوات اليمانية فى نجران وعسير واحتلت مواقع جديدة ؛ وأيقن ابن السعود بعد طول المكاتبة والمفاوضة أن الامام لا يريد اتفاقا ولا يسلم بشىء من مطالبه . ويبدو من مراجعة الكتاب الرسمى الأخضر الذى أذاعته

الحكومة السعودية عن سير المفاوضات والمكاتبات بين الملكين أن ابن السعود تذرع بكثير من الروية والأناة في محاولة إقناع الامام باحترام المعاهدات المعقودة والحالة الواقعة . وتدل وثائق الكتاب الأخضر أيضاً على أن عوامل التحريض كانت تعمل عملها في عسير ونجران لدفع قبائلهما الى الثورة على عمال الحكومة السعودية وأصدقائها . إزاء هذه العوامل والظروف لم ير ابن السعود بداً من الالتجاء إلى القوة المبادية؛ فزحفت القوات السعودية في نجران وتهامة صوب الجنوب ، واستولت على جميع مواقعهما وانتهت كما تقدم بالاستيلاء على ثغر الحديدة ، وانهارت في الحال كل التدابير التي اتخذها الامام للحرب والدفاع ، وأضحت اليمن تحت رحمة القوات السعودية التي تطوقها من الشمال والغرب .

وتطور الحرب بين ابن السعود والامام على هذا النحو يثير احتمالات ومسائل في منتهى الخطورة ، سواء في داخل الجزيرة العربية او خارجها ، ولاسيما اذا استمرت القوات السعودية في زحفها على اليمن وانتهت بالاستيلاء عليها . ذلك أن ابن السعود الذي يسيطر على قلب الجزيرة العربية من الاحساء وعمان شرقا الى ساحل البحر الاحمر غربا ، ومن بادية العراق وشرق الأردن شمالا حتى الربع الخالي جنوبا ، يغدو باستيلائه على اليمن سيد الجزيرة المطلق ، والمسيطر على الساحل الشرقي للبحر الاحمر كله من العقبة حتى مضيق باب المندب . وقيام امبراطورية عربية قوية على هذا النحو تشمل نجدا والحجاز واليمن مما يثير اهتمام السياسة البريطانية ومخاوفها . وقد كان تقدم المملكة السعودية في الاعوام الأخيرة موضع اهتمامها دائما . ذلك أن المملكة السعودية تجاور مناطق النفوذ البريطاني والأملاك البريطانية في جميع انحاء الجزيرة العربية ؛ فهي تجاور عمان والكويت من الشرق ، والعراق وفلسطين وشرق الاردن من الشمال ، واذا تم ضم اليمن اليها ، فانها تجاور عدن وحضرموت من الجنوب . وعلائق ابن السعود مع بريطانيا العظمى ودية حسنة . وقد نظمت منذ سنة ١٩٢٢ بمعاهدة المحمرة ثم بروتوكول العقير . بل إن علائق الصداقة بين ابن السعود وبريطانيا ترجع الى ما قبل عشرين عاما ، اعني الى ما قبيل الحرب الكبرى . وكان ابن السعود يومئذ اميرا محليا ، فرأى في اتصاله بالسياسة البريطانية وسيلة لتحقيق مشروعاته ؛ وحالف بريطانيا العظمى على الترك ، ولزم الحياد أثناء الحرب وفاء بعهده لها . وافتتح في ذلك الحين منطقة شمر في شمال نجد وانتزعها من يد خصمه ومنافسه ابن الرشيد ، وبدأت امارة نجد تتخذ مكانها واهميتها في شئون الجزيرة العربية . وفي سنة ١٩٢٤ غزا ابن السعود الحجاز واستولى عليها من يد الحسين بن علي ملكها يومئذ ، وامتدت حدود نجد حتى ساحل البحر الاحمر ، وقامت من ذلك الحين مملكة نجد والحجاز القوية ، واعترفت بقيامها الدول وفي مقدمتها بريطانيا العظمى . وكانت السياسة البريطانية خلال هذه المراحل كلها ترى في ابن السعود صديقا لها ؛ ولم يشب هذه العلائق الودية شيء من الكدر الا في سنة ١٩٢٨ إذ أغارت بعض القبائل النجدية على حدود العراق ، ونشب الخلاف بين الفريقين على مسألة مخافر الحدود ؛ ثم سوي الخلاف وعاد التفاهم بين الفريقين .



ولكن المملكة السعودية قد غدت في الجزيرة العربية قوة يخشى بأسها ، وهي تدلل اليوم على قوتها مرة أخرى بذلك الغزو السريع لنجران وتهامة ، ثم شمال اليمن واستيلائها على ثغور جديدة على البحر الأحمر ، وقد لا تقف القوات السعودية في زحفها حتى يتم استيلاؤها على بلاد اليمن كلها ، وتغدو اليمن كالحجاز ولاية جديدة في المملكة السعودية الكبرى : واجتماع الأمم العربية داخل الجزيرة تحت هذا اللواء القوي يثير روحاً جديداً في القضية العربية ويقوي فكرة الجامعة العربية ، ويحيي الآمال في تحقيقها . والسياسة البريطانية لا تنظر إلى هذه التطورات بعين الارتياح لانها تزيد في متاعبها حيثما تبسط سلطانها على أطراف الجزيرة العربية ، والسياسة الفرنسية التي تسهر على مصاير سوريا

تخشى أن يثير هذا الروح المعنوي الجديد في الوطنية السورية قوة جديدة، ويزيد في متاعبها في سوريا. هذا ومن جهة أخرى فان السياسة الايطالية ترقب تطور الحوادث في اليمن بمنتهى الاهتمام والجزع أيضا. وللسياسة الايطالية في اليمن مركز خاص، ولايطاليا في اليمن مطامع لا تخفى. وقد نظمت العلائق من سنة ١٩٢٨ بين الامام يحيى وايطاليا وعقدت بينهما معاهدة تجارية اقتصادية، وأخذت ايطاليا من ذلك الحين تعمل بكل الوسائل على تقوية نفوذها في اليمن؛ والسياسة الايطالية لم تكن بعيدة عن موقف الامام في الحوادث الأخيرة ولم تكن بعيدة عن شد أزره بالمال والرجال والذخائر في الحرب التي ستنشب بينه وبين ابن السعود. ثم يجب ألا ننسى أن مستعمرة أريترية الايطالية تقع تجاه اليمن على الضفة الغربية من البحر الأحمر، فاستيلاء ابن السعود على اليمن يقضي على مشاريع السياسة الايطالية في اليمن، ويجعل ساحل المستعمرة الايطالية عرضة لأخطار جديدة، ويضع حدا للتوسع الايطالي في تلك المنطقة.

والسياسة البريطانية تقف اليوم موقف التريث والانتظار؛ ولكن في اجتماع السفير الانكليزي في جده بابن السعود، حسبما نقلت الينا الانباء الاخيرة، ومحادثته إياه في الاحتمالات التي نشأت عن انتصار الجيوش السعودية، وعما اذا كانت تنوى التقدم بعد في قلب اليمن — في ذلك ما ينم عن اهتمام السياسة البريطانية بتطور الحوادث على هذا النحو؛ وربما عن قلقها أيضا. ذلك لأن اليمن تجاور منطقة عدن البريطانية وتشرف عليها من الشمال والغرب؛ ولعدن أهمية حربية خاصة فهي مفتاح باب البحر الاحمر من الجنوب، ومفترق الطريق الامبراطوري البحري الى الهند والشرق الاقصى؛ فوقوع اليمن في يد زعيم قوي كابن السعود قد يهدد مركز بريطانيا في عدن، أو في بعض ولاياتها المحمية المجاورة لليمن، وهي التي كانت منذ بعيد موضع خلاف بين الامام والانكليز، ثم سوى منذ أشهر بمعاهدة الصداقة البريطانية اليمنية. ومسألة المواصلات الامبراطورية من أدق مهام السياسة البريطانية.

ooo

بيد أنه إذا كانت السياسة البريطانية تقف موقف الانتظار والتحوط ازاء تطور الحوادث في الجزيرة العربية. فليس هنالك على ما نعتقد، ما يدعوها للتدخل المباشر في سير هذه الحوادث. فعلائق ابن السعود وبريطانيا مازالت حسنة. والانكليز يثقون بابن السعود وصراحته وعهوده التي برهن في فرص عديدة أنه يحترمها ويعمل على تنفيذها، ولا نعتقد أن ابن السعود يفكر في الوقت الحاضر على الاقل في الاقدام على مناوأة سياسة بريطانيا أو مصالحها في أية منطقة من المناطق التي تسيطر عليها في أطراف الجزيرة، لأن ابن السعود يحرص دائما على صداقة بريطانيا. وربما كان الانكليز يؤثرون دخول اليمن في طاعة ابن السعود، ويؤثرون سياسته القائمة على الحزم والصراحة وحسن التقدير، على سياسة رجل كالامام يلقون من صلابته وتردده وعدم اعتباره بالحقائق الواقعة كثيرا من المتاعب في عدن وولاياتها المشمولة بالحماية البريطانية. هذا الى أن ابن السعود قد صرح على لسان ممثله في لندن أن يحترم الحقوق القائمة والمعاهدات المعقودة ويبذل وسعه لحماية أرواح الاجانب ومصالحهم في البلاد التي تفتحها جيوشه، ولا ريب أنه في حالة استيلائه على اليمن سيحترم نصوص المعاهدة اليمنية البريطانية الأخيرة، وسيحترم الحالة القائمة في ولايات عدن المحمية؛ ومن جهة أخرى فانه لن يفوت الانكليز أن ينتهزوا فرصة انشغال الامام بغزو أراضيه فيعملوا على توسيع احتلالهم لتلك الولايات بما يطابق خططهم التي لبث الامام طويلا يقف في سبيلها.

ليس هنالك اذا ما يخشى وقوعه من جانب السياسة البريطانية للتأثير في مجرى الحوادث الحاضرة في جزيرة العرب. وهذا ما تؤيده التصريحات الرسمية التي ادلى بها السير جون سيمون وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم في شأن حوادث الجزيرة العربية، فهو يؤكد فيها أن بريطانيا العظمى ستقف ازاء هذه الحوادث موقف الحياد الدقيق وأن اجتماع السفير البريطاني بابن السعود لم يكن يقصد به الا التأكد من حماية المصالح البريطانية والرعايا البريطانيين في الجهات التي تفتتحها القوات السعودية. وهذا ما تؤيده أيضا الصحف الانكليزية وأقوال الكتاب السياسيين وتنويههم بحزم ابن السعود ومقدرته وصداقته لبريطانيا العظمى

أما السياسة الايطالية فهي على العكس تخشى تطورات الحوادث الحاضرة وترى فيها خطرا على مشاريعها ومصالحها حسبما بينا. وقد كان الامام صديق السياسة الايطالية، وكانت ايطاليا تتمتع في اليمن بمركز خاص تعلق عليه اهمية كبيرة لتنفيذ مشاريعها في بلاد العرب، فسقوط اليمن في يد ابن السعود يقضي على هذه الآمال والمشاريع، وقد ارسلت ايطاليا كما ارسلت انكلترا بعض

بوارجها الى مياه اليمن لحماية مصالحها . ولكن هل تذهب ايطاليا الى أبعد من ذلك فتحاول التدخل المباشر فى سير الحوادث فى اليمن ؟ من المعروف ان ايطاليا كانت تمد الامام بالاسلحة والذخائر والضباط الفنيين ، ولكن استيلاء القوات السعودية على الحديدة وساحل اليمن كله تقريبا يقفل هذا الباب فى وجه ايطاليا ويقطع هذا العون عن الإمام . ولسنا نعتقد ان إيطاليا تستطيع الاقدام على مثل هذه المغامرة فى الظرف الحاضر ، فتحاول الدفاع عن اليمن والاشتباك مع القوات السعودية الغازية فى حرب لا تؤمن عواقبها ، اولا لأن بريطانيا العظمى لا تستطيع السكوت على مثل هذا التدخل ولا بد ان تقاومه بكل قواها ، وليس من اليسير ان تقدم ايطاليا على تحدى بريطانيا العظمى فى مثل هذه الظروف التى يفيض فيها الأفق الدولى بالمشاكل الخطيرة ، وثانيا لأن ايطاليا تعلم من تجاربها القاسية فى طرابلس ، ان الاعمال الحربية فى الصحارى والهضاب ليست يسيرة على الجنود الاوربية ، وقد كانت هضاب اليمن مدى أجيال حصونا مغلقة فى وجه الجيوش العثمانية المدربة على ارتياد الهضاب الوعرة ، ومن المرجح ان تلقى الجيوش السعودية ذاتها ، وهى جيوش الصحراء ، صعابا كبيرة قبل ان تستطيع الوصول الى صنعاء والاستيلاء على اليمن . واذا فكل ما يمكن للسياسة الايطالية ان تقوم به فى الوقت الحاضر ، هو أن تحاول المضى فى خطتها من معاونة الامام بالاسلحة والذخائر والاموال

على أنه يبقى بعد ذلك كله ان نتساءل عما إذا كان ابن السعود يعتزم حقا ان يستولى على صنعاء وان يتم غزو اليمن . ان الجيوش السعودية تقف الآن عند الحديدة من جهة البحر ، وتطوق شمال اليمن ، وليس فى الانباء الأخيرة ما يدل على انها ستتابع زحفها فى الحال ، بل يرجح ان تنتظر حينا حتى تتم اهباتها وتقوى مؤخرتها وقد يرى ابن السعود فى تلك الاثناء ما يقنعه بالوقوف عند هـــذا الحد من الظفر وارغام الامام على قبول شروطه ومطالبه ؛ وقد ينزل عند صوت العالم العربى والاسلامى فيقبل وقف الحرب والاتفاق مع الإمام ، اذا رأى انه يستطيع بذلك اجتناء جميع الثمرات التى يخوله الظفر اجتناءها .

وسنرى فى الاسابيع المقبلة ما تسفر عنه هذه التطورات الخطيرة فى مصاير الجزيرة العربية .

محمد عبد الله عنان
المحامى

مختار . . !

للدكتور سامى كمال

كان بالأمس ماردا ، فثوى اليوم راقدا . . . كان فلم يكن ولن يكون ، بعد ان أضاء على الانسانية جميعها بذلك النور الفني الخالد .

لقد وصل ماضينا بحاضرنا وبمستقبلنا ايضا ، فكان الحلقة المتينة ، وملأ ذلك الفراغ الهائل المظلم القاتم الذى نام اثناءه ابو الهول ونام المصريون بجواره ، الى ان عادت اليهم الروح وثارت ثورتهم فهبط عليهم من السماء ، وكان قائداً لخيال ذلك الشعب ، وحقق أمله فى النبوغ . وأنهض ابا الهول بعدطول رقاده بجانب الفراعين الذين حققوا لربوضه الهدوء والنوم ، رمزوا به لقوة بأسهم وشدة بطشهم ، ولم يحتاجوا بعد اليه وقدخضع الكل لسلطانهم فنام وملأ جفونه نوما ، الى أن شعر القوم باحتياجهم اليه فأنهضه مختار وجعله ينظر محدقا عازما شاعرا ما سوف يطلب منه اليوم وغدا

إن من لم يسمع لفظ فرعون من فيك يامختار لم يفقه من هو فرعون . . هو لفظ كنت تسوقه من شعورك العميق ينبىء بالقوة وبالجبروت

ومن لم يسمع منك لفظ الثورة التى قامت بهذا البلد الذى شعرت انك من ترابه او من التراب الذهبى لهؤلاء الفراعين ... من لم يسمعك تحدث عن الثورة بلفظها الذى كنت تنطق به فيصير تمثالا من صنع بصيرتك وحسك وقلبك الكبير ... ان من لم يسمعك لم يضطرب قلبه من هولها .

لم ارك يامختار الا وتلك الروح مخيمة عليك وظلت غذاءك . . .

وانت يامصر ، يا من تقفين بجانب القوة الناهضة ، انت الروح وابو الهول الجسد ، علام تنظرين ؟ ألى الشمس ام الى ابنائك ؟ ألى سلام ام الى حرب ؟

تخيلك على ضفاف السين وقلبه ينبض بحبك ـ تمثل أجمل امرأة امام عينيه فلا يرى غيرك ، يطير بخياله اليك لانك الغاية . عاش ينشد حبك طول طريقه . هذا تقابك تحاولين فيه يسراك حجب بعض الضوء ، لتحققى النظر وتعرفى أسرار ماسياتى لك به القدر . .

هذه الحركة المصرية الصميمة الشودة ستصدح مع الزمان . . .

تراك جميع المصريات فيتعرفنك ويعجبن ويفخرن ، لانك ترفعين الرأس الى السماء ، وتسفرين عن وجه لايدل على غير القوة واطمئنان الوصول الى الغاية التى تتطلبين الى ابنائك ، وعودك القوى هو هو ، صلب حار فيه اللب . . . أفنا أم كبرا أم مثالا يحتذى ؟ أم هو تراث من فخر مضى ؟ ...

كل من رآك يعرف أن قلبك قد من الثورة ، وأن عينيك انفتحتا لهذا النور الذى كنت تتوقين اليه

هذه روحك يامختار نقرأها وسنقرأ كل يوم فيها جديدا ، وبعد آلاف السنين سيقرأون فيها جديدا .... ويطلب المصريون لك الرحمة حينما لايذكر من احياء اليوم الا القليل . .

نم هادئا فقد أديت الرسالة

فن مختار ورموه

أوجد مختار فنا خاصا وطبعه بطابع تكاد تتعرفه عندما تلقى بنظرك الى أية قطعة من قطعه البديعة التى خلفها ، ولتدرك ذلك الطابع تماما تصور ذلك الفنان القوى ، وقد نشأ فى قرية مصرية ، أفعم قلبه بحب الفلاحين ، وملأ عينيه من تلك التماثيل المصرية القديمة ، ثم من ذلك الفن المصرى فى جميع صوره ، وقد امتاز بالبساطة وجمال التنسيق وعدم الاكتراث بما يقع تحت الحس تماما ، غير ناظر الا الى الموضوع المطلوب تصويره فينتظم التصوير فى أسلوب واحد ، كان الجمال فيه لتلك الخطوط والمسطحات المنتظمة

أخذ الغربيون بذلك الفن عندما قاموا بتمثيل رموزهم العسكرية بعد الحرب العظمى ، فلا ترى الا مستويات لاتستوقف النظر ، إنما يحرض التمثال فكرك لتبحث فيه عن معنى ينبىء به

تلك كانت آية الفن عند قدماء المصريين ، فلما انتقل منهم الى اليونان فالرومان فالغرب أخيرا ، عمدوا الى تصوير الجمال كما يجب أن يكون فى الواقع لا فى الخيال ، فجمال المرأة أو الرجل صار تمثيلا لبعض النساء أو الرجال فعلا

وعند ما انتهت الحرب العظمى لم يرد الفنانون فى جميع العالم أن يتقيدوا بما كان نظاما وأسلوبا للفن فيما قبل الحرب ، وأخذوا يبحثون عن فن عصرى لم يستقر الى اليوم نظامه ، فانك ترى لهم فى كل يوم اتجاها وميلا .

اثناء تجاربهم هذه تطاير بعض الشرر الفنى من مقبرة

توت عنخ آمون ، فدققوا النظر من جديد فى ذلك الفن المصرى القديم ونحوا نحوه ، وصاروا لايقفون فى التمثيل على مايرون بعيونهم ، انما عمدوا الى الرمز فى النحت والتصوير لترسل تخيلك فى البحث عما يرمزون ، فلايقف نظرك على تفاصيل الجسم أو الرداء بل يلجئك الفنان الى البحث عما يريد من معنى ، وليس من السهل الوصول الى مايريد والوقوف عليه . ويمتاز الفنان الماهر بأن يقدم لك ماتقرأ فيه كل يوم جديدا . ألم يحدثنا الصديق الدكتور طه حسين بأن هذا مانحا نحوه بعض شعراء الفرنسيين ؟ عاش مختار فى هــذا الجو وأدرك سر الاقدمين المصريين ، فعمد بالمعاول الى رسم الطريق للمجددين ؛ وبعث من جديد فنا كان يشعر أنه يفيض من حبه لمصر ، فغنى على قيثارته (القاهرية) و (الفلاحة) و (بنت الشلال .)

أنظر الى تلك القاهرية تختال فى ردائها تجدها الملاك الطاهر فى حلم النائم لاتفتر تنظر اليها ، ولا يرتد نظرك عنها ، ثم تعاودك طيفا تحتار فى فهم روحها ولا تجسر أن تبادرها بالسؤال .

أما بائعة الجبن فانك تراها فى صور الاقدمين ، لكنها لاتحمل شيئا بل ترمز الى الروح ، وهى رافعة ذراعيها على هـذا النمط .. فقدها مختار من قطع بائعات الجبن جميعا ، فهى رقيقة حقا لكنه اعطاها الصلابة البرنزية وتركها للخلود ...

رأى مختار مثالا لشيخ البلد فى دار الآثار المصرية ، فكان جديرا بان يصنع مثالا لامرأته ، انظر اليها تجد جمالا ووقارا يجلبان الاحترام وقوة معنوية تسحر اللب ....

وبنت الشلال هى تخليد بديع ملىء بروح ذلك العنصر من سكان الشلال ، اهتدى اليها مختار عند وادى الجرانيت فأنطقها تترنم بنشيد النيل والصحراء والشمس المحرقة والحياة الحزينة ....

وتلك المرأة فى القيلولة تجد فى دار الآثار شبيها لها امرأة كانت تخبز ، غلب عليها النعاس امام الفرن فنامت . هى صورة لبعث القديم واحياء الجديد من الفن

عاش مختار سنين فى باريس ، وما كان يأمل فى الحياة بقدر ما كان يأمل أن يكون له بيت فى قرية مصرية بين تلك المصريات ويعبر عنهن بالملكات اللاتى أحب حركاتهن وسكناتهن ، يحملن الماء وغير الماء ، يأكل مما يحلو لهن أكله ، مرتديا ذلك السروال الواسع الاكمام

وما كان يلذ له التمتع بأى شىء وحيدا ، فان دعاه داع الى الغداء مثلا اشترط لذلك دعوة اخوانه جميعا وان لم يعرفهم جميعهم الداعى

لقد كان يحب ان يعيش بين القلوب لابين الاجساد . ما عاش مختار لنفسه ، بل عاش للفن ـ ان كل مانراه اليوم بمصر من مجهود فنى ، هو فى الحقيقة اثر من آثاره ـ فقد كان المحرك لارسال البعثات الفنية ، وفى فتح مدرسة الفنون الجميلة ، وفى اقامة المعارض والاشادة بذكر الفنانين ، كان يحلم بايجاد ادارة للفنون تحت رياسة وكيل ثان للمعارف على نسق النظام المتبع فى فرنسا

وبالاختصار كان مختار روح الفن فى مصر نفثه فى جميع المصريين حتى نطقوا باسمه جميعا ، وصارت « نهضة مصر » عنوانا لكل صاحب مهنة وفن فى القاهرة ، وفى جميع القرى المصرية ، فكفاه تمجيدا تمجيده ليوم من ايام مصر .

سامى كمال

السفسطائيون

للاستاذ زكى نجيب محمود

..... اذن فقد كانت آسيا الصغرى مهداً تقلب فيه الوليد الجديد وظل حينا يتعثر ، حتى استقام يعد لأى على قدمين لم ترسخا الا فى عسر شديد ، فقد حدثتك فى فصل سابق أن العقل الناشىء لم يكد يستيقن من وجوده ، حتى أرسل البصر يستطلع أصل الوجود ، وجاهد ما استطاع لكى يصل فى تعليله الى مبدإ معقول ، فالتمسه فى الماء والهواء ، ولكنه أفلس ، ثم عدل عن مادة الكون الى جوهره ومعناه ، فأفلس كذلك ، وهكذا لبث اليافع فى عثاره ، يستقيم ليكبو ، ويكبو ليستقيم ، حتى كانت غارة الفرس الداهمة ، التى اجتاحت المستعمرة اليونانية فى آسيا الصغرى ، ففزع الفلاسفة رعبا ، وهاموا فى فجاج الارض فرادى يحملون قبس الفكر ، حتى انتهى طرف منهم الى بلاد اليونان . . .

أنظر ! فهذى بلاد اليونان قد صاغها الله يدا مبسوطة ، كأنما تريد أن تلقف بأصابعها الناتئة فى مياه البحر حضارة القدماء من الجنوب والشرق ، بسطت كفها فتناولت من مصر مدنية كانت حينئذ قد بلغت شأوا بعيداً ، واستعارت من بابل وأشور وآسيا الصغرى شذرات منثورة من العلم والمعرفة .. وقد أراد الله لتلك

البلاد اليونانية أن تكون وعرة المسالك ملتوية الأديم ، تنهض على صدرها الحزون وترتفع الجبال ، فانحصرت بين شعابها طائفة من الأودية ، كانت في عزلتها كالأوكار ، نشأت في أكنافها مدن متفرقة ، ليس الى اتصالها سبيل هين ميسور ، فسلكت كل واحدة منها طريقا بعينها في الدين والثقافة ونظام الحكم . ولبثت تلك المدائن متنافرة متناكرة ، لا تلتقي في وحدة قومية ، اللهم الا اذا أغار عليها مغير يطمع منها في غزو وسلطان . وذلك ما حدث عند ما جاءت من الشرق جيوش الفرس يقودها عظيمهم دارا ، عندئذ انعقدت الخناصر على التحالف بين اثنتين من تلك المدن اليونانية ، كانتا أشدها بأسا ، وأوفرها قوة وأبلغها رقيا وتقدما ، تحالفتا على أن تعد إحداهما الجيش ، والاخرى تهيء الاسطول ، ومن ذا تظن أن ينهض بتهيئة أسطول ضخم قوي غير الأثينيين ، الذين لهم من موقعهم صلة وثيقة بالملاحة وركوب الموج ، وأما الأخرى - اسبرطة - التي عرف رجالها بالبأس والقوة ، فقد جهزت جيش الدفاع .

وقعت الحرب وانتصر اليونان ، فعاد الأثينيون بأسطولهم وقد اتخذوه بعدئذ أداة للتجارة ، ظلت تجوب جواريه المنشآت في جوف البحر الأبيض ، تحمل منها واليها التجارة من كل صوب ، وما هي الا أن تزخر أثينا بتلك التجارة الصادرة الواردة ، ويعلو ذكرها في الاسواق ، وتصبح مركزا تلتقي عنده الأقوام والاجناس ، لكل قوم دينه ، ولكل جنس ثقافته . واذا بهذه الألوان المختلفة يضطرب بعضها في بعض ، ويخالط بعضها بعضا ، فتمتزج الثقافات جميعا والديانات جميعا في صعيد واحد ، ويكون لذلك كله نتيجة محتمة ، هي المقارنة والتحليل ، وبالتالي نشأة الفكر الصحيح . وهذا بديهي معقول ، فالمذاهب المتضاربة ينسخ بعضها بعضا ، وتدنو بالناس الى الارتياب والشك فيها جميعا

واذن فقد كانت أثينا ، عند ما طوح القدر بذلك القبس الخافت من آسيا الصغرى بيئة صالحة وتربة خصبة ، يستطيع أن يستقر في أرضها ذلك الشعاع الضئيل ، حتى اذا ما امتد به الزمان قليلا ، سطع لامعا وهاجا في عهد الاساطين الثلاث : سقراط وافلاطون وأرسطو

حمل انكسجوراس الى أثينا تلك البذرة الأولى للتفكير الفلسفي وقد كانت وليدة الافكار السابقة التي نشأت في آسيا الصغرى وجنوب ايطاليا . فلعلك تذكر أني وقفت بك في تتبع السلسلة الفكرية عند المذهب الذري ، الذي رد الكون الى ذرات دقيقة تجتمع وتأتلف فتكون هذا الشيء أو ذاك ، ولكنك تستطيع أن تسأل أشياع ذلك المذهب ، ما الذي يبرر عقلا أن تجتمع طائفة معينة من الذرات في صورة ما دون صورة أخرى ؟ خذ الانسان مثلا ، فهو عندهم مجموعة ذرية لا أكثر ولا أقل ، فهل تظن أن من اليسير على عقل منطقي أن يقتنع بأن تلك الذرات الجامدة تأتلف بطريق المصادفة العمياء ، فتنتج ملايين الأفراد على غرار واحد وفي هذه الدقة من التنسيق ؟! كلا ! يستحيل ألا يكون وراء هذه الذرات الماديه عقل مدبر حكيم ، يملك تصرفها فيجمع بينها ثم يفرق جمعها تبعا لما يقتضيه قصد معين وهدف منشود . . . في الكون اذن عنصران متميزان : مادة ترى بالبصر وتحس بالأيدي ، وعقل خفي يكمن وراء أستار المادة ، يسلك بها ما شاء من سبل ، وهو حكيم رشيد ، يعرف أين يسير بمادته في سبيل سواء . . . هذا ما حمله انكسجوراس الى أثينا ؛ فبدأت الفلسفة اذن طورا جديدا . . . لم يعد العقل يلتمس أصل الكون وعلته في ماء ولا هواء ، ولم يعد يلتمسه في قاعدة رياضية ، أو في ذرات تفترق وتلتقي على غير هدى ، بل جاوز العقل في جولته حدود الطبيعة المحسة ، وضرب فيما وراءها ، واذن فما أجدرنا أن نضع انكسجوراس في مرتبة من تاريخ الفلسفة عالية رفيعة ، اذا كنا نفرق بين مراتب رجالها . فهو بين الفلاسفة أول من رأى في الكون رأيا ناضجا ، يصدر عن رشد ووعي ، بالقياس الى اسلافه الذين لم تزد أقوالهم على سذاجة الطفولة الحالمة

ترى من هذا كله أن العقل قد لبث طويلا يبحث في حقيقة الكون فانتهى الى نتائج متنافرة متباعدة ، وتشعبت عليه السبل وكثرت الحلول ، فكان طبعيا أن يقف منها جميعا موقف الشك والريبة فكلها حق ان شئت ، وكلها باطل ان شئت ، فلنطوح بها هشيما تذروه الرياح ، ولنترك الكون وما يحوي لا نطرقه بالبحث الآن ، وليكن موضوع بحثنا منذ اليوم هو الانسان ، فهو سيد الأشياء ، وهو وحده الفيصل الحكم ازاء هذه المذاهب الفكرية ، يعتنق منها ما يشاء ؛ ويطرح ما يشاء في زوايا الاهمال . وليس لأحد سلطان على أحد في أن يوحي اليه بفكرة أو رأي ، فما تراه انت حقا فهو حق ، وما تراه

أنت باطلا فهو باطل .. ما تلمح فيه النفع لشخصك فهو الفضيلة العليا وكل ما يناقض هواك فهو رذيلة وشر ، لا تأبه بتقاليد ، ولا تصدق الناس فيما يذهبون اليه من خير وشر ، فأنت دولة وأنت مالكها ، لك أن تحكم فيها بما تشاء وتهوى ... انظر ! هذان رجلان يشخصان ببصريهما الى الشمس تنحدر الى خدرها ساعة الغروب فخلعت على الأفق غلالة حمراء ، فيفتن جمالها واحدا منهما حتى ليكاد يطفر راقصا مفتونا بما يرى . وأما الآخر فينظر اليها شزرا واستخفافا ؛ بل انه ليسخر من صاحبه ، فليس ثمت فى الشمس جمال ولا شىء يشبه الجمال !! فمن ذا يستطيع أن يقنع أحد هذين بخطأ رأيه أو بصوابه ؟ ولم لا يكون كلاهما على حق ؟ واذا كانت الأهواء والميول والمشاعر متضاربة متناقضة ، لا تجتمع فى نزعة واحدة ، ولا يمكن ان تدور رحاها حول قطب واحد ، أفلا يكون شططا منك واعتسافا أن تقسر تلك المجموعة المتنافرة على أن تلتقى كلها عند حقيقة واحدة ؟! ومن ترى يكون خليقا بمنصب الحكم بينى وبينك فيما نحن فيه مختلفان ؟ كلا ! ليس ثمت حقيقة واحدة ، بل الحقائق فى الدنيا بقدر ما يضطرب فيها من أفراد البشر ؛ فليذهب كل فرد مذهبه فى الكون وفى ظواهر الكون ، ولا يخشين بأسا من نقد أو تجريح لما يذهب اليه ، فهو لا يقل حقا وصوابا فيما يرى عن أى رجل آخر ، بالغا ما بلغ من العبقرية والنبوغ .... تلك هى العقيدة التى حملتها طائفة من الناس فى أرض اليونان ، وأخذت تجوب بها الانحاء والأرجاء ، تذيعها فى الناس فى ذلاقة وطلاقة وحسن بيان ، حتى اجتمع حولهم طوائف الشباب جميعا ، يتلقون عليهم ذلك الشك ، ويتعلمون عنهم طرائق التشكيك واساليب المحاورة والمداورة فى الخطابة والحوار لقاء أجر يعظم ويضؤل تبعا لما يتلقى الشاب من عدد الدروس ... وانما أعنى بتلك الطائفة جماعة السفسطائيين ، ولم يكن ذلك الاسم عندئذ يحمل ما يحمله اليوم من تحقير ، بل هم جماعة أحبوا الحكمة كما يحبها كل فيلسوف ، لولا هذه الزلة التى سقطوا فيها فأسقطت من قدرهم ، وهى تقويم الحكمة بالأجر .

وأبرز أولئك السفسطائيين رجال ثلاثة : بروتاغوراس وجورجياس وهبياس ، ولقد أنكر ثانيهما وجود الأشياء جميعا وحتى لو فرضنا جدلا أن ثمت فى الكون أشياء لها حقائق ثابتة ، فلا يمكن أن نوقن بأن الصورة الذهنية التى نعرفها لتلك الاشياء مطابقة لها تماما ، فمن الجائز ، بل من المرجح ، بل من المؤكد أن حقيقة هذا القلم الذى بيدى تخالف فى وجوه كثيرة صورته الذهنية التى أحملها له . . . وهب أنك تستطيع أن تصل الى معرفة مطابقة للواقع فانه يستحيل عليك أن تنقل هذه المعرفة للآخرين ، لأنك مضطر الى التعبير عنها فى كلمات ، ولا أحسب فى الدنيا أحدا يشك فى أن اللفظ شىء والمعرفة نفسها شىء آخر . وإذن فمهما قلبت الأمر على وجوهه فلن تصل الا الى نتيجة واحدة ، وهى أنه لا يمكن أن يكون فى الوجود حقيقة موضوعية مجردة يجمع عليها ؛ بل الحقائق ذاتية تختلف باختلاف الاشخاص ، واذن فمن العبث أن يستمع فرد الى رأى فرد آخر ، ولا يجوز لك أن تصغى لغير ما تراه وتشعر به ، ولا تختار من كل ذلك الا ما تصيب عنده نفعا

أجمع السفسطائيون على ذلك ، ولكنهم ذهبوا فى السياسة مذهبين : ففريق يدعو الى العودة الى أحضان الطبيعة واستيحائها فيما يجب أن يرسم للجماعة من نظام وقانون — كما فعل روسو فيما بعد — ولما كانت الطبيعة عندهم تسوى بين الافراد ، لا ترفع أحدا ولا تخفض أحدا ، اذن فسحقا لهذه المدنية التى تجعل من الناس طبقات بعضها فوق بعض ؛ فذلك نظام مفتعل دخيل على طبيعة الانسان جدير بنا أن ننبذه فى جرأة حازمة ؛ ولا ينبغى لنا أن نأبه لهذا القانون الذى تواضعت عليه الجماعة ، لأنه من وضع القوى ، فرضه على الضعيف فرضا لا يبرره حق ولا تجيزه عدالة ، انما القانون العادل هو الذى ينزل الأفراد منزلة سواء ، ومعنى ذلك أن تكون الديمقراطية مثلا أعلى للحكم .

وأما الفريق الآخر ، فقد دعا الى النقيض — كما فعل نيتشه فيما بعد — ألست ترى من الناس فيلسوفا عبقريا بجانب الغبى الأبله ، أليس منهم الضعيف الخائر الى جانب القوى ذى العود الصلب ؟ اذن لم تسو الطبيعة بين الأفراد ، كلا ولا الاخلاق ابتكرها القوى انما هى على النقيض من ذلك ، خدعة أوحى بها الضعيف ليحد من قوة القوى وسلطانه .. ولا يتردد هـــذا الفريق فى الدعوة الى الارستقراطية فى الحكم ، وهذا الهجوم العنيف على الديمقراطية وحكمها يصور لنا نهوض جماعة من الأغنياء الأذكياء ، أرادوا أن يغتصبوا من الشعب النفوذ والسلطان ، بحجة افلاسه فى ادارة البلاد

فأنت تستطيع أن تسخر من مذهب السفسطائيين ، ومن حقك أن تهمله اهمالا وأن تنبذه نبذ النواة ، لانه خطر على الاجتماع ، خطر على الأخلاق ، خطر على العقائد ، خطر على كل نواحى الحياة الانسانية ، لأن قوام هذه اليقين والايمان فى مجموعة من الحقائق التى تفرض على الناس فرضا ، سواء صادفت هوى من

نفوسهم أم لم تصادف ، أما ان يكون الافراد احرارا فى اختيار الفضائل التى تتفق واهواءهم فانحلال وفوضى ، يقوضان أركان المجتمع فى يوم وليلة .

تستطيع ان تقول هذا فيما ذهب اليه السفسطائيون، ولكنك لن تستطيع ان تنكر عليهم أنهم كانوا مرآة مجلوة انعكست عليها صورة الحياة فى عصرهم ، فقد تعددت العقائد الدينية فشك الناس فى صحة الأديان ، وقد تعددت الآراء الفلسفية فشك الناس فى ثبوت المعرفة . وقد برهنت الديمقراطية فى أثينا على أنها عاجزة بعض العجز عن تصريف شئون الدولة فتزعزع الايمان فى أسلوب الحكم شك فى الدين ، وشك فى المعرفة ، وشك فى نظام الحكومة ، لا يمكن أن يلد الا طائفة كهؤلاء السفسطائيين ، ينكرون الحقائق جملة ، ولا يؤمنون الا بالمنفعة الشخصية والحقيقة الذاتية .

ولكن أراد ربك ألا يطول الامد لهذا الانحلال الفكرى ، فسلط عليه ذهنا عاتيا جبارا ، مازال به نقدا واصلاحا ، حتى امحى وخلص من شره الانسان ، ومن يكون هذا غير سقراط ! ؟

زكى نجيب محمود

٤ - بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

الجحيم فى الروايتين

اذا تحدث الادباء فيما بينهم عن جحيم دانتى . فانما يريدون تلك الكوميدية التى لم تقصر نفسها على الجحيم تذكر طبقاته وحراسه ومعذبيه ، بل ضمت جوانحها ثلاث نواح : الجحيم l'inferno ، المطهر أو الاعراف Ilhpurgatorio ، والفردوس Il paradiso ودانتى فى كل ذلك يبلغ نهاية الاجادة . بيد أنه فى وصف الجحيم كان أكثر إسهابا وأشد قوة ، فطغى اسم الجحيم على الرواية كلها واستأثر بالاسم وحده بين كثير من المتأدبين .

ولكن المعرى لم يعن بجهنم كما عني بالفردوس . ولم يسهب فى وصفها كما أسهب فى وصف الجنة . ولعله ما كان يريد أن يعرض للجحيم لولا رغبته أن يتم لابن القارح نعيمه . وأن يعظم شكره . فقد قال المعرى بعد أن استكمل لابن القارح كل لذائذه فى فراديس الجنان : ويبدو له أن يطلع على أهل النار فينظر إلى ما هم فيه ليعظم شكره على النعم بدليل قوله تعالى « قال قائل منهم إنى كان لى قرين . يقول ائنك لمن المصدقين . أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون . قال هل أنتم مطلعون . فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله إن كدت لتردين . ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين » فيركب ابن القارح بعض دواب الجنة ، ويسير بهاصوب الجحيم معرجا فى طريقه على (جنة العفاريت) يلتمس من أشعار أهلها متحدثا مع (الخيتعور أحد بنى الشيصبان ، ومع أبى هدرش) مارا على الحطيئة عند شجرة قمئة ، وليس عليه نور سكان أهل الجنة فيسائله عن سبب دخوله الجنة ، فيقول له الحطيئة : بالصدق فى قولى :

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما بهجر فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

ثم يغذ فى سيره حتى يشرف على جهنم فيرى امرأة تطلع على من فيها . فيقول لها من أنت ؟ . فتقول : أنا الخنساء السلمية . أحببت أن أنظر الى صخر . فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ . والنار تضطرم فى رأسه ، فقال لى : صح زعمك فى ، يعنى قولى :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

ثم يتركها متغلغلا فى طبقات الجحيم .

طبقات الجحيم فى الروايتين

لم يعن المعرى بتقسيم الجحيم الى طبقات ، لكل طبقة من العصاة والمذنبين جزء مقسوم . ولم يسهب فى وصف أهوالها وآلامها إسهاب دانتى . بل كان همه لقاء الشعراء وحوارهم فيما نسب إليهم من شعر . وفى تصحيح الرواية ، وبيان الوجوه النحوية واللغوية والصرفية . فلم تكد تقع عينه على امرىء القيس حتى يسائله عن إعراب (يوم) وعن تخفيف الياء من (سى) وتشديدها فى قوله

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

ثم يقول : ليت شعرى ما فعل عمرو بن كلثوم ؟ فيقال ها هو ذا من تحتك ان شئت أن تحاوره فحاوره ، فيحاوره فى (سخينا) من قوله .

متشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا

أمن السخاء . أم من الماء السخين ؟ . الى كثير من حوار وجدل ، ذلك سبيله ، سنفرده بالحديث حين الكلام عن الحوار في الروايتين .

ولقد بذل دانتى مجهودا عظيما في تقسيم جهنم ، فقسمها إلى تسع طبقات اختص كل طبقة منها بطائفة من المعذبين ، ووصف ما هم فيه من عذاب وآلام وصفا مؤثرا بليغا . ففي الطبقة الأولى رأى الملائكة الذين لم يطيعوا الله ولم يطيعوا ابليس Lucifero حينما تمرد على ربه . انتظارا للنتيجة حتى يتبعوا الغالب في زعمهم ؛ ثم رأى خلقا كثيرا عريت أجسامهم ، وانتابتها أفواج من الذباب والزنابير تدمى جلودهم ، وتنهل من دمائهم .

وفي الطبقة الثانية رأى المحبين الذين أسرفوا فألقوا أنفسهم في حمأة الخطيئة . ومن بينهم باولو وعشيقته فرنشسكا التي قصصت خبرها في العدد الماضي .

وفي الطبقة الثالثة رأى البخلاء والمسرفين يلعن بعضهم بعضا . ويقول الأولون للآخرين : لماذا أسرفتم ؟ . فيقول الآخرون : للأولين لماذا قترتم ؟ . ولن يغنى تخاصم أهل النار عنهم من العذاب من شيء .

وفي الطبقة الخامسة يرى الحمق الذين كان يستفزهم الغضب وهم يضرب بعضهم بعضا . ثم يرى المتكبرين والمتغطرسين في بركة سوداء مترعة بالأوحال والأقذار ، وهم يتقلبون فيها خاشعين . ينظرون من الذل من طرف خفي .

فأما الطبقة السادسة فهي مقابر متراصة . تزخر بالأنين وباللهب ، وأعدت لمن أنكروا الله ووجوده .

وفي الطبقة السابعة نظر نهرا من دم يغلي يغوص فيه السفاكون ، وقاطعوا الطريق .

وفي الطبقة الثامنة رأى رجال الدين المتجرين به . والذين كانوا يدعون أنهم خلفاء المسيح الذي أحب الفقر وآثره على الغنى . بيناهم يتساقطون على الحطام تساقط الذباب على العسل ، والكلاب على الجيف . ورأى المنجمين والمخادعين والمرائين . وهم يلبسون أثوابا باطنها رصاص يشوى الوجوه ، وظاهرها ذهب لامع براق جزاء وفاقا على ريائهم . ودهائهم .

أما الطبقة التاسعة فهي زمهرير تجمد ماؤه ، وضم في أحشائه إبليس ، (ويهوذا الأسخريوطي) الذي نم على مكان السيد المسيح فدل اليهود عليه . ثم الذين خانوا أوطانهم مسهبا في وصف هؤلاء الخائنين . مفتنا في ذكر ما أعد لهم من جحيم ذي غصة ، ومن عذاب أليم .

حراس الجحيم

تحدث المعرى عن حراس الجحيم في قلة وفي دعابة . ثم ذكر شيئا قليلا من أعمالهم ووظائفهم ، على حين أن دانتى ذكر لكل طبقة من طبقات جهنم حارسا أو جملة احراس ، وأسهب في وصف أعمالهم وما يصبونه فوق رؤوس المعذبين من ويلات وآلام . وما أوجز المعرى فيما أحدثك عنه الا لأن المعرى رجل دعابة وظرف ، يريد أن يجتذب القارىء نحوه . وأن يعلمه كثيرا من قواعد اللغة ومفرداتها دون أن يحس جفاف تلك الابحاث ، كما عهدناه يحاول ذلك في (رسالة الملائكة) .

وما أسهب دانتى الا لأنه رجل موتور ممن شردوه ونفوه فهو يريد أن يرى واتريه يصب من فوق رؤوسهم الحميم . ثم هو غريس (الكنيسة) يهوى أن ينفر الناس عن الخطيئة ما استطاع لذلك سبيلا . فالمعرى يقص علينا عمل الزبانية بما حدثنا به عن بشار بن برد . وقد أعطاه الله عينين بعد الكمه لنظر ما نزل به من النكال . ولكن بشارا يأبى الا أن يغمضهما حتى تتوارى عنه الوان العذاب ، فتفتحها الزبانية بكلاليب من نار ... كما حدثنا عن الزبانية مرة أخرى اذ يغضب ابليس من حوار بين الأخطل وبين ابن القارح فيصيح فيهم قائلا : ما رأيت أعجز منكم إخوان مالك ! فيقولون : كيف زعمت ذلك يا أبا مرة ؟ فيقول : ألا تسمعون هذا المتكلم فيما لا يعنيه ؟ فقد شغلكم وشغل غيركم عما هم فيه ، فلو ان فيكم صاحب نحيزة قوية لوثب وثبة حتى يلحق به الى سقر . فيقولون : لم تصنع شيئا يا أبا زوبعة ليس لنا على أهل الجنة سبيل . فيشمت ابن القارح في ابليس فيقول ابليس عليه اللعنة : الم تنهوا عن الشمات يا بني آدم ؟ ولكنكم بحمد الله ما زجرتم عن شيء الا وركبتموه . .

وكم كان المعرى طريفا حقا إذ يحدثنا عن نداء ابن القارح لمهلهل أخي كليب حينما يقف في جنبات السعير وينادى : اين عدى ابن ربيعة ؟ فتجيبه الخزنة قائلين : زد في البيان : فيقول : الذي يستشهد النحويون بقوله

فى القــاهرة . . .

للآنسة فلك طرزى

— ١ —

مصر . . ! اى شفاه تلفظ هذه الكلمة ولا تجرى عليها ابتسامة وسرور ؟ . . أى نفس لا تغتبط لرؤية هذه الدرة الثمينة ، ولا تنعم بجوها المعتدل و نسيمها العليل ؟ . . .

اى قلب لا تسحره هذه النسمات يرسلها الربيع فى انحائها فتنتعش الازهار والرياحين، وتكتسى الأشجار حلتها السندسية البديعة ، يداعبها النسيم فترقص اغصانها ، وينبعث من حفيفها هذا الأريج العطرى ، وذلك العبير الذكى ، فيشيع فى جو القاهرة روح الحياة ، ويسرى فى عروق هادم الشباب ونشاطه . وأى إنسان لم تملك عليه القاهرة حسه بسحرها ، وتفتنه بطيب هوائها وعذوبة نيلها ، وأى قلب لم تستلبه هذه الغادة الحسناء بفتنتها عند اشراق شمسها فى الصباح الضاحى الجميل ، وعند غروبها غارقة فى لجة من دماء الشفق ، يقتتل فى حمأتها الملائكة والشياطين .

مصر التى حملتنى اليها اجنحة الخيال قبل ان تقلنى عربة القطار ، مصر التى سحرتنى الأحاديث عنها قبل ان تأنس العين بمرآها

أجل ! رأيتها ! وتمتعت بها اياما ، وقضيت فيها اسبوعا ، وتحققت لى برؤياها امنية من أحب الأمانى التى خفق بها قلبى .

مصر العظيمة الجبارة ، مصر الساحرة الفاتنة ، تبتسم لى وانا اطل عليها من نافذة القطار بعين الشغف والوله ، هى تبتسم بانوارها الساطعة ، وتضحك باشراقها المهيب فى الصحراء القاحلة ، وطلعتها الفتية الجميلة بين باسقات النخيل ، والسهول المترامية الاطراف ، يسقيها النيل الهادىء الوديع رحيقا سائغا شهيا ، فترتشف منه حياة قوية فياضة ، ويتضاعف من مائه نموها وازدهارها

أى عين لا تطيل النظر فى ذلك النهر العظيم تستطلعه انباء الماضى الحافل ، وما تحمله هذه الانباء من الذكريات المفرحة المؤلمة ، وما تخفيه موجاته الهادئة من عبارات التقديس والتبجيل وهو يسير رويدا ، حاملا اثقالا مرهقة من الاسرار الغامضة ؟

هو يسير كما كان منذ آلاف السنين لا تعوق مجراه تقلبات الاجيال ولا نزعات النفوس . لكنه الآن ينظر بعينيه الحزينتين المغرورقتين بالدموع الى الانقلاب العظيم الذى وقع لبنيه ، ويشعر بهذا الألم القتال يحز فى قلوبهم ويدمى افئدتهم .

لقد شاهد النيل العظيم مجد مصر القديم وأبهة الفراعنة ، والآن يشاهد ذل بنيه وخضوعهم ، يشاهد زمام أمورهم بين أيدى العدو ، ويرى مفتاح ملكها الخالد فى قبضته ، بعد ان كانت تتقلب موجاته فى مدارج العز ، وتصطفق بين معالم الفرح والرخاء والابهة التى احرزها بنوه الاولون . اما الآن فهو يتقلب متهدما بين الأسى والألم ، كالشيخ ثكل أبناءه الواحد إثر الآخر ، فهو صامت خاشع ، يميد من ألم الحزن على ما أصاب الدهر فى بنيه ، ... يكتم لواعجه فى غوره العميق ، ويخفى دموعه الغزيرة بين طيات المياه فتزيدها اندفاعا وانحدارا ، فتبكى مصر نيلها الجبار ، ويبكى النيل وطنه العزيز ، وتئن مصر فى موسيقى موجه الخافت ، وتتوسل الى الله أن يرفع عنها نير العبودية فى أناشيده الناطقة الصامتة . . !

أى مصر ! . . لقد طبعت فى نفسى صورتك الخالدة ، ونقش اسمك المقدس على صفحة قلبى بحروف بارزة لا تنال منها الأيام . اى مصر الحبيبة ! أى مصر : يا درة الشرق الغالية ، ومعبودة الجميع ، لقد ملكتنى وجعلت من نفسى أسيرة الابد لحبك وهواك . . !

دمشق فلك طرزى

ضربت صــــدرها الى وقالت يا عديا لقد وقتك الأواقى

فيقول له خزنتها . انك لتعرف صاحبك بأمر لا معرفة عندنا به . ما النحويون؟ وما الاستشهاد؟ وما هذا الهذيان؟ نحن خزنة النار . . فبين غرضك تجب اليه ، فيقول : أريد المعروف بمهلهل التغلبى أخى كليب بن وائل الذى كان يضرب به المثل : فيقولون له : ها هو ذا يسمع حوارك فقل ما تشاء :

ذلك جل ما ذكره المعرى عن حراس جهنم لم يسهب فيه ولم يطل

فأما ذاتى واسهابه ووصفه الغريب لكل شيطان من شياطين الشعر فموعدنا بالحديث عنه العدد القادم .

يتبع محمود احمد النشوى

٦ - بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

ويلحق بالديوان شعره فى الرسائل والمقامات وذلك فى معظمه قطع قصيرة جيدة.

ثم شعر البديع عامة سهل جيد المعانى منقح الالفاظ يتجلى فيه تهذيب الكتاب ، اذا استثنينا الشعر المرتجل وشعر الألغاز ونحوه مما لا يقام له فى الأدب وزن ؛ ولكنه لا يبلغ الدرجة العليا الا قليلا .

وبديع الزمان عند نفسه وعند الناس كاتب يقول الشعر ، ولكنه يرى أن البليغ من أجاد الصناعتين : يقول فى المقامة الجاحظية : « ان الجاحظ فى أحد شقى البلاغة يقطف . وفى الآخر يقف . والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ، ولم يزر كلامه بشعره ، فهل ترون للجاحظ شعراً رائعاً ؟

نثر الهمذانى

فى القرن الرابع الهجرى بلغت الكتابة العربية درجة من الصناعة والتأنق لم تخل بسلاستها ولم تذهب بمعانيها . تولاها كتاب قادرون صرفوها فى أغراض شتى ، واختاروا من الالفاظ والاساليب الجميل الجلى ، دون إغراب ولا اخلال بالمعانى . وتناولت الكتابة كثيرا من فنون الشعر ، كالمدح والهجاء والغزل والوصف : الى ما كان لها قبلا من الموضوعات . فاتسع المجال لذوى الفكر الثاقب والقلب الشاعر ، لم يقيدهم فى النثر ما قيد الشعراء من الأوزان والقوافى والاصطلاحات . وكان كثير من الكتاب يلتزم السجع ، ومنهم من يكتفى بالازدواج ، وقليل منهم يرسل الكلام ارسالا . وفى هذا العصر نبغ أئمة الكتابة كابن العميد والصاحب والصابى والمهلبى وقابوس ، والخوارزمى ، وبديع الزمان . ولم يكن بديع الزمان كمعظم هؤلاء وزيراً أو ذا منصب ، فلم تستغرق كتابته أمور الدولة وكثرت فى رسائله الموضوعات الخاصة والعامة . واستبانت نواح من عصره فى السياسة والأخلاق ، والآداب وغيرها

وله فى الكتاب أصحاب المناصب رسالة الى أبى نصر المرزبان يقول فيها : كنت أطال الله بقاء سيدى ومولاى فى قديم الزمان أتمنى للكتاب الخير ، وأسأل الله أن يدر عليهم أخلاف الرزق ، ويمد لهم أكناف العيش ، ويوطئهم أعراف المجد ، ويؤتيهم أصناف الفضل ، ويركبهم أكتاف العز ، وقصاراى أن أرغب الى الله تعالى فى ألا ينيلهم فوق الكفاية ، ولا يمد لهم فى حبل الرعاية ، فشد ما يطغون للنعمة ينالونها ، والدرجة يعلونها ، وسرع ما ينظرون من عال ، بما ينظمون من حال ، ويجمعون من مال ، وتنسيهم أيام اللدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العذوبة ، ساعات الصعوبة ، وللكتاب مزية فى هذا الباب ، فبيناهم فى العطلة اخوان ، كما انتظم السمط ، وفى العزلة أعوان ، كما انفرج المشط ، حتى لحظتهم الجد لحظة حمقاء ، بمنشور عمالة ، أو صك جعالة ، فيعود عامر ودهم خرابا ، وينقلب شراب عهدهم سرابا ، فما علت أمورهم ، حتى أسبلت ستورهم ، ولا غلت قدورهم ، الا خلت بدورهم الخ (١)

ويجمع نثر بديع الزمان الرسائل والمقامات :

١ - الرسائل

لبديع الزمان ثلاث وثلاثون ومائتا رسالة تناول فيها أغراضا كثيرة :

والرجل دراك حساس ، اذا سلط فكره الى موضوع اضاءت له جوانبه كلها ، ثم وضحت أمامه طرائق البيان ، فهو مبين عن كل معنى بطرق مختلفة من التصوير والتمثيل ، يسايره القارئ فيها . وهو معجب متعجب . انظر قوله فى بعض السلاطين (٢) : « قد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه ، وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه ، وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه ، فليس بين رضاه والسخط عرجة ، كما ليس بين غضبه والسيف فرجة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز ، فهو سيد يغضبه الجرم الخفى ، ولا يرضيه العذر الجلى ، وتكفيه الجناية وهى ارجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهى اجحاف ، حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ، ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح ، وهو ذو اذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب بهذه العذر وهو برهان ، وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح ، ويقبض الاخرى عن العفو والصفح ، وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ، ويغمض الاخرى عن الحلم ، فمزحه بين القد والقطع ، وجده بين

(١) ص ٦٦ من الرسائل

(٢) ص ٦٩ من الرسائل

السيف والطبع ، وبراده بين الظهور والكمون ، وامره بين الكاف والنون ، ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدى من التأنيب ، الا لازالة النعم ، ولا يعلم من التأديب ، غير اراقة الدم ، ولا يحتمل المنة على حجم الذرة ، ودقة الشعرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يغضى عن السقطة ، كجرم النقطة ، ثم ان النعم بين لفظه وقلمه ، والارض تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولى الا بفيه ، ولا العدو الا بدمه ، والارواح بين حبسه واطلاقه ، كما الاجسام بين حله ووثاقه ، ونظرت فاذا انا بين جودين : إما أن اجود بأسى ، وإما أجود برأسى ، وبين ركوبين : إما المفازة ، وإما الجنازة ، وبين طريقين : إما الغربة ، وإما التربة ، وبين فراقين : إما أن أفارق أرضى ، أو أفارق عرضى ، وبين راحلتين : إما ظهور الجمال ، أو أعناق الرجال ، فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ، وأنشدت :

إذا لم يكن الا الاسنة مركبا فلا رأى للمضطر الا ركوبها

ويقول فى رسالة كتبها الى القاضى ابى القاسم يذم احد القضاة (١)

« فولى المظالم وهو لا يعلم اسرارها ، وحمل الامانة وهو لا يعرف مقدارها ، والامانة عند الفاسق ، خفيفة المحمل على العاتق ، تشفق منها الجبال ، وتحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتاب الله يتلى ، وحديث رسوله يروى ، وبين البينة والدعوى ، فقبحه الله من حاكم لا شاهد أعدل عنده من السلة والجام ، يدلى بهما الى الحكام ، ولا مزكى أصدق لديه من الصفر ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحب اليه من غمزات الخصوم ، على الكيس المختوم ، ولا وكيل أوقع بوفاقه من خبيئة الذيل ، وحمال الليل ، ولا كفيل أعز عليه من المنديل والطبق ، فى وقتى الغسق والفلق ، ولا حكومة ابغض اليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ، ثم الويل للفقير اذا ظلم ، فما يغنيه موقف الحكم . الا بالقتل من الظلم ، ولا يجيره مجلس القضاء ، الا بالنار من الرمضاء ، وأقسم لو أن اليتيم وقع فى انياب الاسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضى وأقاربه ، وما ظن القاضى بقوم يحملون الامانة على متونهم ، ويأكلون النار فى بطونهم ، حتى تغلظ قصراتهم من مال اليتامى ، وتسمن أكفالهم من مال الايامى ، وما ظنك بدار عمارتها خراب الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ، وما قولك فى رجل يعادى الله فى الفلس ، ويبيع الدين بالثمن البخس ، وفى حاكم يبرز فى ظاهر أهل السمت ، وباطن أصحاب السبت ، فعله الظلم البحت ، وأكله الحرام السحت ، وما رأيك فى سوس لا يقع الا فى صوف الايتام ، وجراد لا يسقط الا على الزرع الحرام ، ولص لا ينقب الا خزانة الاوقاف ، وكردى لا يغير الا على الضعاف ، وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ، ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود ؟ وما زلت ابغض حال القضاة طبعا وجبلة ، حتى أبغضتهم دينا وملة »

وكتب فى كتاب لم يعجبه انشاؤه وخطه : « الكتاب وصل ، حجم هائل ، ليس وراءه طائل ، وخط مجنون ، لا يدرى الف فيه من نون ، وسطور ، فيها شطور ، دبيب السرطان ، على الحيطان ، ولفظ اخلاط ، لا يدركه استنباط ، ولا يفسره بقراط ، هذيان المحموم ، وهوس الملوم ، وسوداء المهموم ، وقرأت شطر كتاب لم أدر والله عماذا يعبر ، عن أمور سقيمة ، أو عن أحوال مستقيمة ، لاجرم انى ظننت خيره ، ولم أبعد غيره ، وجوزت السلامة ، ولم آمن ضدها ، وذهبت مع الظن الجميل اتفاقا ، ثم رجعت القهقرى إشفاقا ، فسألت الله لك المزيد إن كانت سلامة والسلام »(٢)

وكتب الى أحد اصدقائه يطلب بقرة :

« وقد احتيج فى الدار الى بقرة يحلب درها ، فلتكن صغوفا تجمع بين قعبين فى حلبه ، كما تنظم بين دلوين فى شربه ، وليملأ العين وصفها ، كما يملأ اليد خلفها ، وليزن مشيها سعة الذرع ، كما يزين درها سعة الضرع ، ولتكن عوان السن ، بين البكر والمسن ، ولتكن طروح الفحل ، رموح الرحل ، وليصف لونها صفاء لبنها ، وليكن ثمنها كفاء سمنها ، ولتكن رخصة اللحم ، جمة الشحم ، كثيرة الطعم ، سريعة الهضم ، صافية كالجون ، فاقعة اللون ، واسعة البطن ، وطية الظهر ، ممتلئة الصهوة ، فسيحة اللهوة ، لا تضيق بطنها عن العلف ، فيؤديها الى التلف ، ترد الحول ولا تخافه ، وتشرب الرنق ولا تعافه ، واجهد أن تكون كبيرة الخلق ، لتكون فى العين اهيب ، ضيقة الحلق ، ليكون صوتها فى الاذن اطيب ، واحذر أن تكون نطوحا أو سلوحا ، وإياك أن تبعثها ملوحا أو رشوحا ، ولتكن مطاوعة عند الحلب لا تمنع نفسها ، ولا تكثر لحسها ، وداهية فى الرعى ، لاقرب سعى ، حمقاء على الحوض كالنعجة ، لا تأمن من البعجة ، ألوفة للراعى الذى يرعاها ، مجيبة لصوته اذا دعاها ، مهتدية الى المنزل

(١) ص ٧٣

(٢) الرسائل ص ١٦٦

بغير هاد ، ذاهبة الى المرعى بغير قياد ، ولا اظنك تجدها اللهم الا أن يمسخ القاضي بقرة ، وهو على رأي التناسخ جائز ؛ فاجهد جهدك ، وابذل ما عندك . »

وهو أكتب مايكون حين يعظ أو يهجو أو يسخر . وللفكاهة في بيانه مجال واسع (١) به يقول في رسالة شفاعة : « مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب ، تقدم الى القصاب ، يسأله فلذة كبد ، فسد باليسرى فاه ، وأوجع بالاخرى قفاه . فلما رجع الى مسكنه كتب اليه توقيعا ، يطلب حملا رضيعا ، كذلك أنا وردت فلا اكرام بالمام ، ولا صلة بسلام ، ولا تعهد بغلام ، فلما وجدته لايبالى ، بسبالى ، كاتبه اشفع لسواى ، وهو موصل رقعتى هذه ، وله خصم بينهما قصة لا أسأله في البين ، الا إصلاح الجانبين ، والسلام »

وله من رسالة الى فقيه نيسابور في رجل اغتاب البديع ، فرد عليه الفقيه : « فان كان لابد من انتقام واستيفاء ، فاعيذك بالله ان تجعل أن آذان الأنذال ، في القذال ، وهي آذان لاتسمع الا من ألسنة النعال الأدم ، أو ترجمة أكف الخدم ، وعلامة فهمها جحوظ العينين ، وخدر اليدين ، فان تاب ، والا كررت هذا العتاب . » (٢)

وله الى قيس بن زهير : (٣) « اعوز الصوف فبعثت اليك بفرو فطفقت تلوم ، وظلت تقعد في العتاب وتقوم ، واراني ما بعدت في القياس ، ولا خرجت عن متعارف الناس ، فالصوف نفس الفرو ، الا أنه نسيج ، والفرو نفس الصوف الا انه حديج ، فكل فرو صوف ، وليس كل صوف فروا ، فان أنصفت وجدت الفرو فطرة ، والصوف بدعة ، وإن نظرت رأيت الفرو صوفا وزيادة ، فكان نعمى وسعادة ، والفرو وبر في الشتاء ونطع في الصيف ، فان قرسك البرد فالبسه وأنت قيس ، وان غشيك المطر فاقلبه وأنت تيس » .

وبديع الزمان ليس متكلفا في بيانه ، لايحس القارىء جهده في اختيار الالفاظ أو سياق الأساليب ، ولكنه يلتزم السجع في معظم كتابته سنة كتاب عصره .

وقد عاب الجاحظ في المقامة الجاحظية بقلة الصنعة في كلامه بعد أن عابه بأنه لايحسن الشعر قال : « فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا ؟ قلنا لا . قال : فهلموا الى كلامه فهو بعيد الاشارات ، قليل الاستعارات ، قريب العبارات ، منقاد العريان الكلام يستعمله ، نفور من معتاصه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة ، أو كلمة غير مسموعة ؟ »

ب . — المقامات

يقول الهمذاني في رسالة يعيب فيها شعر الخوارزمي : « وما كنت لأكشف تلك الاسرار ، وأهتك تلك الاستار ، وأظهر منه العار والعوار ، (٤) لولا ما بلغنا عنه من اعتراض علينا فيما أملينا ، وتهجين قدح علينا فيما روينا ، من مقامات الاسكندرى من قوله انا لا نحسن سواها ، وانا نقف عند منتهاها ، ولو أنصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات ، أو عشر مفتريات ، ثم عرضها على الاسماع والضمائر ، وأهداها الى الأبصار والبصائر ، فان كانت تقبلها ولا ترجها ، أو تاخذها ولا تمجها ، كان يعترض علينا بالقدح ، وعلى املائنا بالجرح ، أو يقصر سعيه ، ويتداركه وهنه فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية اربعمائة مقامة لا مناسبة بين المقامتين ، لا لفظا ولا معنى ، وهو لايقدر منها على عشر حقيق بكشف عيوبه والسلام »

ومثل ذلك في رسالة الى أبي المظفر بن أبي الحسن البغوى (٥)

ويقول الثعالبي « فوافاها (يعني نيسابور) في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ونشر بها بزه ، وأظهر طرزه ، وأملى أربعمائة مقامه نحلها أبا الفتح الإسكندرى في الكدية وغيرها »

وكذلك يقول الحصرى في زهر الآداب انها أربعمائة مقامة .

والذى بايدينا من هـــذه المقامات اثنتان وخمسون . فهل ضاعت المقامات الا هذا المقدار ؟ أرجح أنه أملى في الكدية أربعين وحرفت الكلمة الى اربعمائة ، وتتابع عليها النساخ . وذلك أنه يبعد أن يضيع هذا العدد من المقامات على كلف الناس بها ، ولأنه في رواية الحصرى عارض بالمقامات الأحاديث الاربعين لابن دريد . ثم هو يقول إنه أملى هذه المقامات في الكدية . ونحن اذا عددنا المقامات التى فيها كدية صريحة وجدناها خمسا وثلاثين . وجائز أن يكون البديع قد اعتبر خمسا أخرى من مقامات الكدية ، فان صح هذا فقد أملى أربعين في نيسابور . ثم أملى الاخريات بعد كالمقامات الست التى فيها مدح خلف بن احمد .

يتبع   عبد الوهاب عزام

(١) ص ١٠٤ (٢) ص ١٧٧ (٣) ص ٢٢٠

(٤) الرسائل ص ١٦٩ (٥) الرسائل ص ٢٢٧

من طرائف الشعر

الأوبة

للاستاذ خليل هنداوي

فرجّي الخير وانتظري ايابي
اذا ما القارظ العنزي آبا !

— شاعر عربي —

لا ترتقبي إيابه ايتها الحسناء !
فقد انتزعته من ذراعيك عرائس البحر
أغوته بفتنتها وأغرته بروعتها .
لله ما أقسى هذه العرائس الزرق العيون !

— خرافة الاقدمين —

لا تنتظري ايابه ايتها الحسناء
فقد سلبته من ذراعيك عرائس الصحراء
فتنته ببسمتها، وأغوته برقتها .
لله ما أقسى هذه العرائس الشقر الشعور !

— الناظم —

لا تسُحّي الدموعَ حزناً عليه   فشهيد الصحراء سوف يعود
انما مثلنا تود غــــذاءً   تشتهي القوتَ وهو عنها بعيدُ

مرَّ والشمس للغروب تهادي   وتمشّى في جوفها كخيال
أفقٌ : إسعُ تلوح عليه   صور العابرين مثل الظلال !

أيها الواصلُ السُّرى في فلاة   يملأ الصمت جوّها والسكون
لا تسر في الفلاة سيراً وئيداً   تتيقظ عليك منها العيون
لا تسطر على الرمال رسوماً   لا تعكر فيها صفاء الليالي
صفحاتُ الصحراء ـ لو رحتَ تدري
صفحاتٌ مقرونةٌ بالجـــلال

ها هنا ليس للحياة مقام   ها هنا ليس للحياة ربوع
كل شيء مستسلمٌ لفناء   فتأمل كيف الحياة تجوع ؟

حيثما سرت لا ترى من صديق   مؤنسٍ ، غير ظلّك المشؤوم
لم ترتابُ في الرسوم وهذا   كله وطء رسمكَ المرقوم
لا خريف الصحراء ـ إن جاء يوماً
بخريف ، ولا الربيعُ ربيعُ

قد تساوت فيها الفصول ، وجاعت
فتأمل كيف الربيـــعُ يجوع
سكنتْ في تلولها غانياتٌ   باسماتُ الثغور، شُقْرُ الشعور
نشرها عبَق الجواءَ عبيراً   فتروّحْ في الجو نشر العبير

وكأن الواحات فيها حسان   يترقبن أوبة الاحبـــاب
كلما أقعدَ المسافرَ يأس   لوحت غادة له بالشراب
لا تروّعن يا حسان الصحارى   انه ضارب لكن لقاء
ذرنه يبتغي الطريق قليلا   أين يرجو في داركن اهتداء
كم شباب في القفر قد عصرته ؟   وأناس طوتهمُ الصحراءُ
رأت الارضُ والسماءُ ولكن
ما استجابت أرض لهمُ او سماءُ

انما مثل غادة سعرتها   شهوات الأرواح والابدان
لا تحاول من الوصال فراراً   هي مشتاقة الى انسان . . .

ان أحبتك يا مسافر فانزل   في حماها واهجع وخلِّ الايابا
انها تعصر الضجيعَ ولا تز   دادُ بعد الوصـــال الا التهابا

نام لا يرتجي اليك ايابا   وغفا ، لا يعي من الاعياء
أنبئيها ياريح ان فتاها   عشقتهُ عرائس الصحراء

لا تسحي الدموع حزناً عليه   فشهيد الصحراء سوف يعود
انهـــا مثلنا تود غذاء   تشتهي القوت وهو عنها بعيد

دير الزور   خليل هنداوي

على مذهب ابنه ابي ربيعة

ما هو الكون ؟ !

خلق الله للجمال قلوباً ... اجتباها من صفوة الشعراء
سكب النور فى قلوبهم السو ... د فعادت تموج بالاضواء
واستحالت مرائيا يعكس الكو ... ن عليها ما عنده من مراء
واقفاً ناظراً محياه فيها ... فى غرور كوقفة الحسناء !

ما هو الكون غير ذاك الضعيف الـ ... ـمحول يسطو به على الاقوياء ؟
ما هو الكون غير ذاك الذي يشـ ... ـفى به الداء ، وهو عين الداء ؟
غير ذاك الذي عليه تلاقى ... ضربات السراء والضراء
غير ذاك الذى به تعثر الدنـ ... ـيا على مرطها من الخيلاء
غير ذاك الذى به الحب والبغـ ... ـضاء بين الأحباب والأعداء
غير ذاك الذى به امتحن الله ... ه قلوب العصاة والاتقياء
غير ذاك الذى يأود به النسـ ... ـل ويغرى الآباء بالابناء
غير ذاك الذى يصير به الكو ... ن نعيما على بساط اللقاء
وهو ذاك الذى يصير به الكو ... ن جحيما اذا طواه التنائى

غير ذاك الذى تجمع فيه ... ما وعى حسنه من الاسماء
غير ذاك الذى إليه ومنه ... كل ما فى الوجود من أشياء
ما هو الكون غير فتنة حوا ... ء وما فى حواء من اغراء ؟
ليت شعرى أكان للكون معنى ... لو أتى آدم بلا حواء ؟ !

يا نهوداً كأنهن حقاق ... من بقايا صناعة القدماء !
تعبت جاذبية الارض فيها ! ... وأنيطت بها نجوم السماء !
وخلال العيون ليس بأشهى ... من حرام النهود تحت الكساء
وهما خير ما تكشف عنه الـ ... ـحسن من فتنة ومن اغواء
غير أن العيون أمضى قسيا ... فى شغاف القلوب والاحشاء
غير أن العيون أذكى حريقا ... فى الشراسيف والصدور الدواء
غير أن العيون أعصف بالقلـ ... ـب وأهدى فى مظلم الاهواء
غير أن العيون ألعب بالسحـ ... ـر وأقوى فى البعث والايحاء
غير أن النهود ابهج فى العيـ ... ـن وأندى على القلوب الظماء !

متعة الطرف ما يمثله النهـ ... ـد من الجس أو من الايماء !
رافع الرأس دأبه يتحدى الشـ ... ـمس فى عزة وفى كبرياء !
شيمة الحر لا يطيق احتمال الضيـ ... ـم من ظالم من الرؤساء
يكرع الطرف جهده منه فى ما ... ء شهى لكن بلا إرواء
سرق الروض من نداه فاخفى ... بعض تفاحه من استحياء
هو سر الاسرار يستره الكو ... ن ويبديه فى تقى وحياء !
حلم فى عيون من أسعد الله ... ه ونار فى أنفس الاشقياء !
فى فم العاشق المدله شهد ... حضرمى ، او بابلى طلاء
وحياة تمصها شفة الطفـ ... ـل غذاء يفوق كل غذاء
نغم كله وسحر وشعـ ... ـر ومزيج من الندى والضياء !

عظمت دولة الجمال وعزت ... وتعالى ما فيه من اسماء
بعض اسمائه يضيع به الدهـ ... ـر فناء وماله من فناء
نفذت من اعماقه حكمة البا ... رى وضاعت وساوس الحكماء !
والسعيد السعيد من شم منه ... أرجا من حديقة غناء
والسعيد السعيد من شهد الله ... على لوح نوره الوضاء
رب غاو يلومنى فى نشيدى ... وهو لا ينتهى عن الفحشاء

....

خاشع الطرف مطرق الرأس يمشى ... بين خلين سمعة ورياء
يظهر الفكر وهو فى السر يغشى ... ما تندى له جبين الحياء
وأنا الطاهر السراويل والبر ... د نقى القميص عف الرداء
ليس منى الفسوق ، تأباه فى جسـ ... ـمى دماء الجدود والآباء !
ينهل الحسن من غرامى ولكن ... هو صديان يلتظى من إبائى !
كل حبى طهر وقدس وتسبيـ ... ـح لربى وصيغة من دعاء
أنا عبد الجمال حررت فى معـ ... ـبده مهجتى بلا استثناء
مهرقا فى محرابه ذوب قلبى ... ما تراه مضرجاً بدمائى ؟ !
أعبد الله فيه : اقرأ فيه ... آية الاقتدار والانشاء
ان يكن فى الحدود جسمى فروحى
تتهادى فى العالم اللانهائى !

نزيل القاهرة ... على احمد باكثير

(الرسالة) أثبتنا هذه القصيدة على علاتها تسجيلا للون من ألوان الادب الحضرمى

بين شاعر ومصور

مشروع زواج

بقلم محمد روحى فيصل

جلس الصديقان يتسامران بعد العشاء ، وقد انبسطت أعضاؤهما فوق الأرائك الناعمة الوثيرة ، يرسلانها على هواهما ، ثم يعبثان بما ينشأ عن دخان التبغ فى الفضاء من منعرجات وأشكال . . .

وتلك ساعة حلوة عذبة ، تنشرح لها الصدور ، وتشرق فيها الوجوه ، وتنطلق فيها الألسن بالكلام ، وتجيش فيها القلوب بنوازى الحياة وشتى العواطف والأهواء ، وكلها تنزع الى الظهور والافصاح ، وتطلب السفور والاعلان من غير التواء ولا تحجب . وكان ضوء المصباح نحيلا شاحباً ، يضطرب كالمحتضر على جدران الغرفة الرحبة ، ثم لا يكاد يبين ما يزينها : من طنافس مزركشة وأسلحة مفضضة . إنما يبرز الى النصف بين الظلال الفاجمة رسم امرأة فتية قد اتخذت وضعاً مائلا نحو الأمام كأنما هى تتسمع صاغية ، وضاحة المحيا ، صبوحة الوجه فى عينين زاهيتين ، وفم مطبق مرهوب تطفو عليه ابتسامة حيرى ذات معان !! وكان الكرسى الصغير والنعال الدقيقة المبعثرة ههنا وههنا توحى للخاطر بوجود طفل وليد فى الدار ، ومن الغرفة المجاورة كانت تنبعث الحين بعد الحين أنغام شجية ، وموسيقى متسقة منسجمة ، إذ تهدهد الأم الرؤوم فتاها كى ينام . فيمتلىء الجو بالنشيد روعة وجمالا ، ويشيع فيه عبير اللذة والهناء ، فيصيح الشاعر مهتاجاً : « لك الحق يا أخى أن تتزوج وأن تنعم بالزواج ، فليست سبل السعادة كثيرة متشعبة . إنها هنا على مقربة منا . . . بربك التمس لى فتاة أتزوجها ! »

المصور — أنا ألتمس لك فتاة ؟ ! تالله لن أخوض غمار ذلك أبداً

الشاعر — ولماذا ؟

المصور — تسألنى لماذا ؟ فاعلم أن أصحاب الفن ما ينبغى أن يتزوجوا ، وما ينبغى أن يكون لهم فى الحياة شركاء

الشاعر — يالعجب ! تقول ذلك ولا تخشى أن يغور نور المصباح وتنقض على رأسك الجدران . إن حياتك الزوجية نصب ماثل للسعادة المنشودة والنعيم المقيم ! ومثلك فيما تزعم كمثل أولئك الأغنياء المترفين يكنزون المال ويضاعفون الثروة من آلام الآخرين وشقاء العاملين ، ويستطيبون نار الشتاء حين يذكرون البؤساء الذين لا مأوى لهم ولا نار عندهم !!

المصور — قل ما تشاء ، شبهنى بما تهوى ، فلن أكون لك الا الصديق الوفى النصوح الذى يرى الخطر فلا يقف مكتوف اليدين متبلد الحس ، جامد الشعور

الشاعر — أراك تسرف فى كره الزواج اسرافا كبيراً مع أنى استروح أريج السعادة هنا كما أتنفس الهواء الطلق فى الحقول !

المصور — نعم إنى سعيد كما تقول ، أحب زوجتى حبا جما وأرى فيها وفى ولدى كل جمال الوجود والحياة . لقد كان زواجى مرفأ هادئا آمنا تحفه المياه الوادعـــة ، أقلنى وما زال يقلنى الى ما أصبو اليه من مواطن الراحة والسلام . وإنتاجى أخصب وسماً ، ولعل خير رسومى قد أبدعتها فى عهد الزواج . . .

الشاعر — وما بالك تنأى بى اذن عن عالم السعادة ؟

المصور — ها . . . إن السعادة التى أنعم فى أحضانها انما هى أعجوبة من أعاجيب القدر ، لا يسمح بها الزمان ، ولا تجود بها الطبيعة على الناس جميعا . وأنا كلما أدركت ماهية الزواج فرحت لهذا الحظ الضاحك الذى حبانى به الاله الكريم . فحالى تشبه حال من فطن للهوة السحيقة المخيفة بعد أن اجتازها فاعجب بشجاعته ومضاء همته ، وشكر الله على سلامته !

الشاعر — وما هى مساوىء الزواج يا أخى ؟

المصور — أولى المساوىء ، وأعظمها أن الاسرة تستهلك المواهب وتميت الابداع ، وهنا أمرله وجاهته بلا ريب فى حياة الفن الجميل . يكون الزواج استجابة طبيعية للغريزة الكامنة الحمراء ، وقد يعلى شأن بعض الرجال ويوسع إطار خبرتهم ، ويدنيهم من الأرض والمدنية ، ثم لقد يكون ضرورة من ضرورات المهنة والمعاش . أما الفنانون من شعراء ومصورين ونحاتين وموسيقيين لا يمتزجون بالناس ولا يدخلون المجتمع ، وانما يعيشون على حافة الحياة يرقبونها عن كثب ويتأملون خطوطها وألوانها ثم يسجلون مشاهداتهم ويبدعون آثارهم . فالمتزوجون فيهم على هذا ينبغى ان يكونوا قلائل نادرين

هذا «ديلاكروا» العظيم الذى تعجب به وتهيم برسومه قضى عمره الطويل اعزب يدب وحيداً بين جدران بيته . لقد خطرت البارحة على «شاتوروزاي» ، ومتعت النفس بحديقتها النضرة المتزهرة . إنه ظل عشرين عاماً يبدو بها درويش لامؤنس له غير هديل الحمام وتغريد العنادل . ترى ماقيمة إنتاجه لو كان أباً يهتم للكسب والأولاد ، يربيهم ويعنى بتعليمهم ، وقد يمرضون فيسهر على مداواتهم ولاينام ؟ !

الشاعر — ذكرت لى ديلاكروا مثلا ، فهلا ذكرت فكتور هوجو ... أتعتقد ان شؤون الاسرة قتلت ملكاته وأخذت عليه سبيل الانتاج الأدبي الخالد ؟

المصور — انا لاأرى ذلك ابداً ، ولكن الفنانين المتزوجين ليسوا كلهم عباقرة تهضم الفن والعائلة قواهم النفسية . . .

الشاعر — ما عجبت لشيء عجبى لحكاية متزوج سعيد لا يحب لغيره الا العزوبة والوحدة !

المصور — ان الحكم الذى أضعه بين يديك ليس مصدره حياتى الخاصة ! إنما كونته عندى تلك الشرور القائمة فى كثير من الأسر التى عرفتها واتصلت بها . والباعث على الشرور التباين العقلى والنفسى بين الفنان وزوجه . أتذكر ذلك النحات الماهر الذى ترك الأهل والوطن وهاجر الى حيث لا يدرى مصيره أحد من الخلق ؟ لقد كان يعبد مهنته ويفنى فيها وقته وحواسه ، ولكن زوجه الذكية الحسناء كانت تريده على أن يحيط جسنها بهالة من الثروة والجاه ، فطفق النحات يكد ويعمل طوال عشر سنين ، وربما تدفع به وبنفسها فى بعض الأماسى الى الابهاء الرفيعة الارستقراطية تدخلهن واحدة بعد أخرى وتذيع فيهن مالها وبهاءها ، ولقد تقطع عليه عمله فى النهار لتزور ويزور صويحباتها ، ثم يرتادان معاً أماكن اللهو ومجالس الأنس . ستقول إنه يستطيع لو شاء ألا يحقق مناها ، ولكن الزواج فى طبيعته يضطرنا إلى أن نؤثر جانب الرفق واللين على جانب الشدة والعنف . لاأنكر أن هواء البيت انما نتنفسه على الرغم منا ، ولو لم يكن فيه ذرة من القوة والمثل الأعلى لثقل علينا ضغطه وكثافته . ان الفنان ليودع فى آثاره كل مايملك من جهد وفكر ، ويجرد لهذا الغرض العزم والارادة ، ولكنه يقف من توافه الحياة موقف العاجز الضعيف ، يلين لزوجته حتى المهانة ، ويخنس لسلطانها حتى العبودية ، تأمره فيمضى فى صمت وتقول فيفعل فى هدوء . على انه قد يثور اذا اطرد الاستبداد واشتدت العبودية ، فهذه العصائب المانعة للنور ان هى عاقته عن الانتاج الفنى لايلبث أن يطرحها فى ثفور كما فعل المثال المهاجر ، وقد حزنت الزوجة لهذه الهجرة الفجائية فتساءلت ، أأكون انا الجانية عليه ؟ هل من إساءة وخزته بها ؟ ، بلى ! انها لم تعمد الى الاساءة عمداً ، وانما جرت مع طبيعتها الطائشة الغريرة دون ان تفقه زوجها الحساس . فليس يكفى ان تكون المرأة ذكية حصيفة لتصلح شريكة الفنان فى الحياة ، بل ينبغى لها فى النزعات نكران الذات والتضحية بالنفس ، وهذا ما لا تجده عند امرأة جاهلة بهرتها لذاذات الدنيا وغشيتها الأنانية ! ! إنما يرغب النساء أن يكن رشيقات ساحرات ، وأن يتزوجن وجيه القوم كى يظهرن الى جنبه متأبطات ذراعه . فأما الفنان الصناع فلا يجد متسعا من الوقت حتى يتبرج مختالا كما يتبرجن مختالات فخورات ، أرأيت كيف تشقى الأسر ويتنابها الألم ؟ أعرفت كيف يسقط الزوج ضحية الجلاد الأعمى .....

وبالأمس زرت «دار حنتى» الموسيقار وكان يسمر مع خواته الكثر ، فطلبوا اليه فيما طلبوا أن يعزف على البيان ، فقام يرجع لحنا شائقا طرب له الحاضرون وصفقوا أيما تصفيق ، ولكن زوجته مالبثت أن شرعت تتحدث فى خفوت ، فما زال صوتها يعلو حتى ملأ الغرفة وشغل الناس ، فقطع الموسيقار لحنه ثم التفت إلى وهمس فى أذنى «هكذا تصنع معى على الدوام . انها لاتطرب للموسيقى ..!»

الشاعر — سهوت عن أمر جليل . إن الزواج يجلب الأنس ويطرد الوحشة والفراغ . وفى الحياة لحظات خطرة هى لحظات الخور والملال ، يتشاءم فيها الفنان ويشك فى نفسه وفى قيمة فنه ، فالمتزوج انما يرى بقربه قلبا حبيبا يبثه أشجانه وشكوكه . والطفل ؟ هذه الابتسامة البريئة التى تتألق على وجهه الغض ، أليست تعزى الشيخ وتجدد شبابه ، وكل ما يخسره الفنانون يربحه ابناؤهم من بعدهم . فهذه الشعرات البيضاء التى تتساقط فى المشيب يرونها تنبت سوداء متجعدة على رأس مستدير بديع.

المصور — وكيف يستطيع الشيخ الواهن إطعام الطفل الصغير ؟

الشاعر — ..... وعلى كل حال فالفنان انما خلقه الله للزواج قبل ان يخلقه للفن ، فاذا لم يتزوج كان فى الدنيا كالمسافر الجواب قد أتعبه التشرد فسكن الى غرفة من غرف الفندق كتبت عليها هذه العبارة المبتذلة «للايجار ليلة أو شهر»

في الأدب الفرنسي

٢ - الدوق دى لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

أطاع الملكة مكرها ، ثم عاد إلى (فرتى) ينتظر تغير الحال لتحقق آماله الكثيرة . ومات ريشليو فى عام ١٦٤٢ ، فتحفز لاروشفوكو للمطالبة بثمن عطفه على الملكة ومساعدته إياها . وزعم أنه كان يكره هذا الوزير الذى كسر شوكة النبلاء ، فإنه أنصفه فى مذكراته فقال : « فجعت الدولة فى هذا السياسى الكبير : كان عظيما فى مقاصده ، ماهراً فى إنفاذ خططه ، وقد ضمن بأعماله المجيدة الخلود لذكره » .

هذا الشاب الخيالى الذى عرف ريشليو كيف يكبح جماحه دون أن يقسو عليه ، أصبح أيام الوصاية على العرش يسعى وراء مصلحته الذاتية ليس غير .

الرجل الطموح

لما مات لويس الثالث عشر وأقيمت زوجه آن دوتريش وصية على ابنها لويس الرابع عشر ، فرح الملتفون حولها وتطلعت نفوسهم إلى تحقيق مطامعهم على يديها . ورأت هى منهم ذلك فجادت عليهم بالوعود وتركتهم فى آمالهم ينعمون ، ثم وضعت أزمة الدولة فى يد الكاردنيال ما زاران صنيعة ريشليو عدو النبلاء والمطامعين ولم تأبه لرغبات لاروشفوكو الذى أظهر الوفاء لها فى ظروف كثيرة ، وهو يقول فى مذكراته عن ذلك : « قضيت عشرة أعوام فى خدمتها ، وخاطرت بثروتى وحريتى فى سبيل راحتها وحريتها حتى قيل عنى إنى شهيدها . وكثيراً ما قالت لى إنها لا تجد فى البلاد ماتكافئنى به على ماقدمت من معروف » . ولكنها لما ملكت زمام الحكم نسيت قولها تمام النسيان

ولما يئس النبلاء من وعودها ، كونوا فيما بينهم جمعية سرية ترمى الى القضاء على سلطان الوزير مازاران واختاروا الدوق دى بوفور رئيسا لهم . وانضم اليهم لاروشفوكو اسما دون أن يوافق على سلوكهم وخططهم ، وأصبح البلاط حزبين : حزب الوزير وحزب الدوق دى بوفور . ولأجل اكتساب عضد الملكة الوصية على العرش ، تقدمت الجمعية الى لاروشفوكو أن يرجو من الملكة إصدار العفو عن صديقتها الدوقة دى شفريز حتى تعود الى البلاد ، فأطاع لاروشفوكو وما زال بالملكة حتى أجابت سؤله وأمرته بالذهاب إليها حاملا هذا الخبر السار ، ففرح وقال فى نفسه « أجابت هذا الطلب ، وستجيب دون شك مطالبى الأخرى »

أسرع الى مقر الدوقة وأدلى اليها بما حدث فى البلاط أثناء غيبتها ، ورجا منها أن تصبر على مازاران ، فإن أرضى رغباتهما وحقق آمالهما تركته وشأنه ، وإن أبى عليهما ما يطلبان شاكسته

ولكنها لم تكد تطأ أرض باريس حتى نسيت قول لاروشفوكو وحاولت عزل الوزير وإحلال أحد رجالها المسمى شاتونيف محله ، وجهرت برغبتها فى رد القوة إلى الأسر العظيمة التى تحبذ آراءها وترضى عن خططها . وقبل أن تقدم على عمل جدى ، افتضح أمر الجمعية وألقى القبض على رئيسها فى ٢ سبتمبر عام ١٦٤٣ وحبس فى فنسين ، وأمرت الدوقة بالاقامة فى تور . أما لاروشفوكو فلم يمس بسوء ، وكل ما أصابه فى هذه الحادثة أن الملكة أمرت بأن يعرض عن الدوقة ويخلص للوزير . ولكنه لم يذعن لأمرها ولم يجن من وراء ذلك نفعا

واستمر فى البلاط إلى عام ١٦٤٦ كئيب النفس وسط مسرات البطانة ومرحها ، وسعى سعى الجد إلى الحصول على إحدى الرتب العسكرية التى رفض قبولها من ريشليو ، ولكن سعيه لم يصب غير الفشل . فدفعه اليأس من بلوغ مقاصده إلى الاتصال بالدوقة دى لونجفيل التى تضمر العداوة للملكة . وهذه

المصور — ولكن هذا المسافر المتنقل لن يتذوق طعوم اللذات .

الشاعر — كفى ! لقد اعترفت بأن فى الدنيا لذات . . .

وبدا للمصور فنهض من مكانه الى درج رسومه يلتمس منه كتابا مخطوطا باليا ثم عاد وقال « أما المناقشة على هذا النحو فلن تفيد أبداً . لقد بسطت لك رأيى ولكنك تأبى الا الزواج ، فهذا كتاب خطته يد متزوج سعيد لابس أسر الفنانين ودرس مايكابدون من أسقام ، ثم صور ذلك تصويرا طريفاً دقيقاً ، ولم يطبعه بعد ، فاقرأه بإمعان فهو رادك بلا ريب الى جادة الصواب . . . »

عن (أزواج الفنانين) بتصرف — محمد روحى فيصل

الدوقة كانت شديدة الكبرياء مولعة بالمجون والاستهتار ، وقيل إنها أحبت أخاها الدوق رانجان حبا فيه إثم كبير ، وإنها كانت ترى في هذا الحب البغيض طريقة تميزها من « القطيع الانسانى » . ولم يحبها لاروشفوكو ، بل تعلق بها وأظهر كلفه بها ليستخدمها في سبيل إغراضه . وهو لم يعرف الهوى المحرق كما تقول مدام دي سفنيه (١) وقد سمعه سجريه (٢) يقول : « لم أعثر بالحب إلا فى القصص الخيالية » .

وفى أغسطس عام ١٦٤٨ ، قامت ثورة فى باريس تعرف فى تاريخ فرنسا باسم La Fronde (ومعناها لغة : النبلة التى يستعملها الصغار عندنا فى صيد العصفور ، وكانت شائعة فى فرنسا وقت قيام هذه الثورة فسميت باسم هذه اللعبة) ، ثم امتد الاضطراب إلى الريف ، وأشعل الفلاحون في (بواتو) نار الشغب . وكان لاروشفوكو قد حصل على حكمها بفضل مكانة أبيه ، فقمع هذا الشغب قبل أن يستفحل ، ونال بعمله هذا إعجاب الوزير مازاران .

ولكنه كان يسعى الى شيء آخر غير الاعجاب بعمله ، كان يرغب فى الحصول على لقب دوقة لزوجه وعلى الاذن له بدخول فناء قصر اللوفر فى عربة كآل روهان (وهم من سلالة ملوك بريتانيا) فلما خيب الوزير أمله ، انضم فى الحال إلى الثائرين على الرغم من رأى والده واسرته ، وأسرع إلى باريس لمقابلة الدوقة دى لونجفيل التى أعدت خطة لاضرام نار حرب أهلية . وقد حاولت أن تضم إليها أخاها الدوق رانجان الذى أصبح أمير كونديه بعد موت ابيه فى عام ١٦٤٦ ، ولكنها أخفقت لأن الملكة غمرته بالنعم الجزيلة ثمنا لمساعدته إياها .

أخذ كونديه بعضد الملكة وأنقذ البلاط من الثائرين وأصبح صاحب الكلمة النافذة فيه ، فألحف فى طلب المال لنفسه والمزايا لأصدقائه ومن بينهم لاروشفوكو . وأجابه مازاران إلى ما طلب

(١) ١٦٢٦ — ١٦٩٦ أديبة فرنسية فسحة المزاج عفيفة الازار واشتهرت فى عالم الأدب برسائلها الممتعة واسلوبها الشائق التي . وكانت تعجب بلاروشفوكو وتخلص له الود

(٢) ١٧٩٢ - ١٨٦٧ فيلسوف فرنسى نابه الذكر . كان أستاذا للفلسفة فى مدرسة المعلمين ثم فى كلية الأدب بجامعة باريس . ووجه عناية خاصة لدرس الفلسفة الالمانية وقامت بينه وبين هجل وشلنج صلات المودة . ونشر كتب ديكارت (١٠ مجلد فى ١٨٢٦) ونقل الى الفرنسية كتب افلاطون وشرحها (١٣ مجلد ١٨٣٣) وهو زعيم مذهب فلسفى يسمى المذهب النقاد الذي يقصد به إلى مزج آراء ديكارت بآراء كانت والمدرسة الأيقوسية واستخلاص مذهب جديد من هذا المزيج . ولكن هذا المذهب مات مع صاحبه . وقد ترك مؤلفات قيمة فى الفلسفة وتاريخها

ولكن النبلاء تقدموا إلى الملكة أن تلغى هذه المزايا فألغتها فى ١٠ اكتوبر عام ١٦٤٩ . وفى ذلك اليوم كتب لاروشفوكو فى كراسة يذم الوزير ويسخط عليه لأنه « قاوم طموحه مقاومة عنيفة » . وجملته الأخيرة تدل على روح النبلاء فى ذلك العصر ، وبقيت هذه الكراسة مجهولة من الناس حتى عثر بها فكتور كوزان (١) فى أوراق كونرار (٢) ونشرها

ولما ضاق الوزير ذرعا بكونديه استعمل الخديعة حتى ألقى عليه القبض هو والدوق دى لونجفيل وقيد حريتهما فى الهافر ، وخافت الدوقة دى لونجفيل أن تصير إلى ما صار إليه زوجها فهربت إلى هولانده بمساعدة لاروشفوكو .

وفى ٥ فبراير ١٦٥٠ مات والد لاروشفوكو ، فاتخذ من إقامة المأتم ذريعة إلى جمع كثير من النبلاء والفلاحين والجياد (٧٠٠ نبيل ، ٨٠٠ فلاح ، ٢٠٠٠ جواد) خطبهم واستوقد حماستهم لمحاربة جنود الملك . ولكن هؤلاء قهروا رجاله وأهلكوا زرعه ودمروا قصره فى (فرتى) . ويقول أحد أصدقائه أن لاروشفوكو لما بلغه خبر الدمار الذى أصاب القصر الناطق بعظمة أجداده ، اعتقد أن الدوقة دى لونجفيل ستقدر له هذه التضحية فى سبيلها حق قدرها ، وبعث هذا الاعتقاد فى نفسه سرورا كبيرا . وقبل انقضاء شهر فبراير هدأت الحال وأطلق سراح كونديه ومن معه ، وغادر مازاران البلاد حتى تسكن العاصفة

استرد كونديه حريته ولكنه أضمر الشر للوزير والملكة . ولما بلغ لويس الرابع عشر رشده فى ٦ سبتمبر عام ١٦٥١ ، وأقيمت لهذه المناسبة حفلة فخمة : فى قصر اللوفر لم يحضرها كونديه وأعوانه خشية أن تنال الملكة منهم منالا . وعرفت أخته الدوقة دي لونجفيل ميله الى اشعال نار الحرب الاهلية مرة ثانية ، فشجعته حتى سل سيفه فى وجه الملك

يتبع — حسن صادق

(١) ١٦٠٣ — ١٦٧٥ . أديب فرنسى بروتستانتى المذهب كان يجيد الايطالية والاسبانية . ومن صالونه الادبي ولدت فكرة الأكاديمى فرانسيز ولما أنشئت عين كاتم سر دائما لها . قضى حياته فى القراءة وكتابة مسودات . وعند موته ترك منها ما يملأ أربعين مجلدا حفظت كلها فى مكتبة الأرسينال

(٢) ١٦٢٥ — ١٧٠١ شاعر فرنسي رقيق العاطفة دقيق الحس ومؤلف مسرحي كثير التوفيق . وقد ظهرت له أول قصة تمثيلية (هيبوليت) وهو فى التاسعة عشرة من عمره . وفى عام ١٦٦٢ انتخب عضوا فى مجمع العلماء ، ونقل إلياذة فرجيليوس الشاعر الروماني الاكبر الى اللغة الفرنسية شعرا . وكان من اصدقاء لاروشفوكو الذين لازموه فى شيخوخته

العلوم

٤ – يسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكي

(تتمة)

سطح القمر

ثم جاءت الفوتوغرافيا فمكنت الانسان فى ساعة قصيرة مما كان يتطلب منه أياما طويلة ، وقدرته بمجهود فني مركز قليل ، على مالم يكن يقدر عليه الا بمجهود قاس منهك كبير ، وكانت الفوتوغرافيا فى منتصف القرن الفائت فى أول نشأتها ، فكانت الخدمات الاولى التى أدتها الى علماء الافلاك منقوصة مقصورة . ولكن مالبثت أن تقدمت هـــذه بتقدم تلك ، ورقب بحاث السماء بحاث التصوير فاستفادوا من كل جديد ، وغيروا وحوروا من الطرق المستحدثة حتى تتفق مع حوائجهم ، وزادت تلك الحوائج وتضخمت حتى انفردت ببحث خاص أسموه الفوتوغرافيـــة السماوية Celestial photography هى اليوم من أهم الوسائل وأقرب الوسائط فى دراسة كل مايحدث فى العوالم الدوارة والشهب السيارة ، وللتصوير الشمسى فى دراسة النجوم والأقمار ميزات غير الميزة الظاهرة ترجع الى طبيعة العدسات واحساس الأفلام . فعين الانسان مثلا اذا حدقت فى شيء مباشرة أو بواسطة منظار فهى لاترى من هذا الشيء الا بعضا صغيرا من كل كبير ، لذلك كان الرسامون القدماء يرسمون القمر باقلامهم من خلال المنظار قطعة قطعة ، وخريطة خريطة ، ثم يصلون بين هذه الخرائط لتتم الوحدة ، وذلك لأن عيونهم لا تستطيع أن تبوّر Focus من المنظور الا منطقة قليلة ، أما عين الكمرة فأوسع من عين الآدمى وأشمل ، فنظرة واحدة منها تعدل نظرات المئات من الناس . وعين الكمرة يتراكم فيها أثر المنظور بتطاول الزمن ، وليس هذا لعين الانسان ، فأنت تنظر الشيء القليل الضياء فلا تراه ابدا أو تراه مبهما ، ولا تفيدك إطالة النظر اليه الا تعب العين فزيادة الابهام ، اما الأثر فى الكمرة فكيميائى فللزمن عامل فيه ، فكلما زاد التعريض زاد الأثر فبان الخفى واتضح المبهم . وقدرأت الكمرة وترى فى السماء أجراما عميت عنها النواظر . وعين الكرة تحس أضواء من أنواع لا تراها العين ، فالعين لاترى الا المرئى من الطيف ، أما فوق البنفسجى وما دون الأحمر فلا ترى منهما شيئا ، وهى أضواء فى دراسة السماء لها خطر كبير تضطلع به الكمرة بكفاية محمودة

والقمر أول اجسام السماء التى اتجه اليها البحاث فى التصوير الفوتوغرافى ، اقترح ذلك أراجو Arago عام ١٨٤٠ ولكن انفذه الدكتور درابر Draper فى نفس العام ، وكانت طريقة التصوير المعروفة عندئذ هى طريقة داجير Daguerre يستخدمون فيها لوحا من نحاس مفضض يحسسونه ببخار اليود والبروم ، ونجح بها تصوير القمر لأول مرة نجاحا خطيرا ، ولم يكن خطره فى حسن الصورة الناتجة وشدة وضوحها وكثرة تفصيلها ، فهى لم يكن لها ذلك ، وإنما كان خطره فى ان القمر أمكن تصويره من ضوئه ، فقد كان الناس فى شك من احتواء هذا الضوء على أشعة الشمس التى تؤثر فى أملاح الفضة

وجاءت طريقة التصوير بالكلوديون Collodion ، وهو النتروسليولوز مذابا في كحول وأثير ، يضاف اليه يودور الصديوم أو البوتاسيوم مع قليل من البرومور ، ثم يفرش على الواح من زجاج تغمس في الظلام في حمام من أزوتات الفضة فيتكون عليها بذلك يودور الفضة وبرومور وهما الملحان الحساسان . وكان لابد من تجهيز اللوح قبيل التصوير مباشرة . استخدم هذه الطريقة كروكس Crookes ودي لارو De la Rue فجاءوا بصور أقصر زمنا وأوضح تفصيلا .

ثم خطت الفوتوغرافيا خطوتها الثالثة في التقدم فصنعت الالواح من الجيلاتين بدل الكلوديون فخرجت الى الاسواق ألواح جافة ، ثم حلت الافلام محل الزجاج . ولادراك الفرق بين طرق التصوير الثلاث الفائتة نذكر أن متوسط المدة اللازمة لتعريض اللوح في طريقة داجير هي نصف ساعة ، وفي طريقة الكلوديون عشر ثوان الى خمس عشرة ثانية ، وفي طريقة الجلاتين ثانية الى جزء من مائتين من الثانية . والزمن له قيمته في تصوير المتحركات ومنها الأجرام السماوية .

وتتخلص نتيجة الفحص البصري والفوتوغرافي في تمييز أشياء ثلاثة على سطح القمر هي أظهر ما فيه

أما الشيء الأول فسلاسل من الجبال متباينة الاشكال ، بعضها بالغ العلو طويل السلسلة ، وبعضها مفرطح متصل يكون نجادا واسعة ، وبعضها متقارب الجبال متجمعها ، وبعضها كبير الميل عميق السفح رفيع القمة . وقد توجد في الوديان تلال كالاهرام منثورة مبعثرة ، وقد تعلو وتميل بغتة حتى لتشبه أكثر مناطق الارض وعورة ، ومن أغرب ما في تلك السلاسل جسور قليلة العلو الا أنها مسرفة في الطول تمتد بين الجبال فتربط الكبير بالصغير والمجموع بالمنثور

أما الشيء الثاني فجبال ذات فوهات كالبراكين هي في الواقع أخص مظاهر السطح ، وهي فوهات أوسع كثيرا من فوهات البراكين الارضية ، فجبل كوبرنكس Copernicus يبلغ قطر فوهته فوق الخمسين ميلا ، وتختلف تلك الجبال الفوهية في مظهرها ، فبعضها فوهته كالحائط المستدير ، وبعضها تكسرت فوهته فظهر ما بقي منها كالجبال تجمعت في استدارة حول حفرة الفوهة ، وبعضها عمقت حفرته أو ضحلت أو تقورت أو تقعرت ، وبعضها انخفض قاع حفرته عن مستوى الارض بظاهر الجبل ، وبعضها قاربه أو علا عنه كانه فنجان امتلأ ، وتعزى أصول هذه الجبال الفوهية القمرية الى مثل أصول البراكين الارضية ، ومنها ما يركب بعضه بعضا كما تعلو الحلقة الحلقة ولا تطابقها ، فيقال ان الأوطأ كانت بسبب انفعال باطني أقدم .



منطقة القمر التي اسميت قديما بالبحر الحبيس

ويميز الانسان على سطح القمر عدا ما فات اخاديد مستقيمة تستظل في الوديان في اتجاه واحد فاذا انحرفت عنه فعلت ذلك بغتة وسارت في استقامة جديدة ، فاذا اعترضها جبل فوهي قطعته ، فهي أجد منه ولادة ، واذا اعترضها

جبل عضى. فقطع اطرادها ظهرت وراءه دون أن تختلف مسارها. أما طول الأخدود الواحد فقد يبلغ المائة ميل، وأما عرضه فقد يزيد على الميلين، وتعزى هذه الأخاديد فيما تعزى الى انشقاقات حصلت فى السطح وهو يبرد وينكمش

وتتميز على سطح القمر أيضا شعاعات تخرج من فوهات الجبال فتمتد مئات من الأميال لم يهتد الفلكيون بعد كل الاهتداء الى تفسيرها.

وكلما تقدم البحث فى القمر وزادت معرفة الانسان بأحواله خاب الرجاء القديم فى العثور على أثر من آثار أناسى مثلنا تسكن القمر. فبالطبع لم يكن مرجوا أن نرى شخص انسان على القمر لقصور أجهزتنا الضوئية عن ادراك ذلك، ولكن تلك الاجهزة تتبين على سطح القمر أشياء تقل أطوالها عن نصف ميـــل، وإذن فلو كان على القمر ناس يسكنونه وفاتتنا رؤيتهم فلا أقل من أن نرى آثارهم، فالمدن لابد أن تكبر عن نصف ميل، وهى لا شك تتغير خططها فتضيق وتتسع على الزمن، وتمتد إن شرقا وإن غربا وإن شمالا وإن جنوبا وقد تطول وقد تستعرض، وقد فاتنا ادراك شىء من ذلك بأقوى المنظارات. هذا على افتراض أن الانسان الذى يسكن القمر مخلوق على مثال انسان الارض فى حجمه وجرمه، وهو افتراض لا تعززه طبائع الامور. فانا نعرف ان الجاذبية على سطح القمر أقل منها على سطح الأرض، فهى تبلغ نحو الثمن، فالرجل منا اذا نط على سطح القمر ارتفع الى نحو ثمانية أمثال ارتفاعه على سطح الأرض فمن اجل اتزانه يرجح أن يكون جرمه ثمانية أمثال جرمه على الأرض، وحكم مساكن الانسان على القمر كحكمه، فهى إن كانت فلابد أن تكون كبيرة ضخمة لتتوافق مع ساكن ضخم كبير ولتثقل فتتزن على سطح القمر فلا تنفك من اهتزاز قليل. والمنازل الواسعة تؤلف لاشك مدنا كبيرة مديدة أكبر من مدن الأرض وهذا يسهل علينا مرآها، ولكننا لم نر شيئا. على أن كل الادلة تقضى بخلو القمر من الماء ومن الهواء، وكلاهما لازم للحياة علت أو سفلت. والحياة كما نعرفها لاتكون الا فى درجات من الحرارة محدودة، فهى لا تزيد كثيرا على الخمسين، ولا تنزل كثيرا عن الصفر، والمعروف عن القمر أن نهاره بخمسة عشر يوما من أيامنا، يظل فيه فى مواجهة الشمس يأخذ من حرارتها فتعدو درجته المائة، يتلوه ليل بخمسة عشر يوما من ايامنا يبرد فيه برودة دون ماتحتمله الحياة بكثير. فالحياة - كما نعرفها - لم يثبت وجودها على القمر، لاعيانا ولا استنتاجا، بل ثبت النقيض؟

احمد زكى



البلبل والزهرة

لأسكار وايلد

ترجمة الاستاذ محمود الخفيف

صاح الطالب الشاب قائلا « وعدت أنها سوف تراقصني إن أنا أحضرت لها وردا أحمر ؛ ولكن ليس فى حديقتي كلها وردة حمراء »

فسمعه البلبل وهو فى عشه على شجرة السنديان وتطلع اليه فى دهشة من خلال الأوراق وأردف الفتى قائلا وقد اغرورقت بالدمع عيناه الجميلتان « لن توجد وردة حمراء فى حديقتي كلها ! آه . كم تكون السعادة رهينة بأتفه الأمور ! لقد قرأت كل ما كتبه العقلاء ووقفت على أسرار الفلسفة ومع ذلك أرى حياتي يكتنفها الشقاء من أجل وردة حمراء » !

وعندئذ قال البلبل « ها قد لقيتا في النهاية محبا صادقا . لقد طالما تغنيت بذكره الليلة تلو الليلة ولو لم اكن أعرفه . ولقد طالما تحدثت عنه الى النجوم . وهأنذا أراه الآن ! إن شعره فاحم كزهرة الخزامى وان شفتيه لتمتلئان فى حمرتهما الوردة التى يطلب ، ولكن تواجده قد أحال لون وجهه الى لون العاج المصفار ، كما أن الأسى قد ترك طابعه فوق جبينه » .

وتمم الطالب قائلا « سوف يقيم الامير حفلا مساء غد وستكون عشيقتي هناك ، فان أنا أحضرت لها وردة حمراء فانها ستراقصني حتى مطلع الفجر ، وسوف تسند رأسها الى كتفي ، وتضع يدها فى قبضة يدي . ولكن ليس فى حديقتي وردة حمراء ، وأنا فسوف أنزوي وحيدا ، وستمر بي عشيقتي فلا تأبه لي ، واذ ذاك يتحطم قلبي ! »

وعاد البلبل الى حديثه قائلا « ها هو ذا محب وفى حقا ! انه يشقى بما أترنم أنا به ، وان هذا الذي يعد مبعث الجذل عندي أراه عنده مبعث الهم والألم . حقا ان الحب لشيء عجيب ! انه أغلى ثمنا من الزمرد ، وأندر من تلك الجواهر المعروفة بعين الهر ، ولا يمكن أن يقوم باللآلىء ، كما انه لن يعرض فى الاسواق ، ولن يوجد عند تاجر أو يوزن فى ميزان الذهب »

وقال الفتى « سوف تجلس جوقة الموسيقى فى البهو ، وسوف يعزف أفرادها على آلاتهم ، وعندئذ سوف ترقص عشيقتي على نغمات العود والقيثار ، وسترقص فى خفة حتى لن تمس قدماها الارض ، وسيجتمع حولها رجال الحاشية فى ثيابهم الزاهية . أما أنا فانها لن تراقصني ، فليس لدي وردة حمراء أقدمها اليها » ، وعندئذ ألقى الفتى بنفسه على العشب وغطى وجهه براحتيه واستسلم للبكاء فتساءلت حرباء خضراء ، كانت تجرى الى جواره رافعة ذيلها فى الهواء « ما الذي يبكي هذا الشاب » ؟ وشاركها فى تساؤلها فراش كان يرف فى شعاع الشمس « حقا ماذا يبكيه ؟ » وأعقبهما أقحوانة ، فهمست الى جارتها فى صوت خافت ناعم قائلة « فيم هذا البكاء » ؟

وأجاب البلبل قائلا « انه يبكي من أجل وردة حمراء »

فصاح الجميع فى دهشة « من أجل وردة حمراء ؟ ! . ياله من أمر مضحك ، وصاحت الحرباء الصغيرة ضاحكة منه وفي عينيها معاني التهكم .

ولكن البلبل كان يفهم سر هذا الحزن فجلس صامتا على شجرة السنديان مفكرا فى الحب وما يكتنفه من أسرار .

وبينما كان غارقا فى تفكيره ، اذ بدا له فنشر أجنحته ذات اللون البني ، وارتفع فى الهواء ، وعبر الحديقة كما يعبر الطيف حتى وقع بصره على شجرة ورد جميلة ، فحط على غصن من غصونها ، وصاح بها قائلا

« أعطني وردة حمراء فأغنيك أحسن أغاني »

ولكن الشجرة هزت رأسها قائلة « إن وردي كله أبيض ، كزبد الموج فى بياضه أو هو أشـــد بياضا من الثلج الذى يكلل

قنن الجبال . اذهب الى أختي هنالك حول المزولة وستعطيك ما تطلب ،

وطار البلبل حتى أتى تلك الشجرة فصاح بها

« أعطني وردة حمراء فاغنيك أحسن أغاني »

ولكن الشجرة هزت رأسها قائلة « ان ورودى كلها صفراء ، تحكي فى صفرتها شعر الجنية التى تجلس على عرشها الكهرماني ، أو هي أشد صفرة من زهرة النرجس التي يسطع لونها فى المرعى قبل أن يأخذها المنجل . ولكن اذهب الى اختي هنالك تحت نافذة الطالب ، وربما منحتك طلبتك ، فانطلق البلبل الى تلك الشجرة فخاطبها بقوله :

أعطني وردة حمراء فاغنيك أحسن أغاني .

فهزت الشجرة رأسها قائلة « إن ورودى حمراء ، كقدم الحمامة فى حمرتها ، أو هى أشد حمرة من مراوح المرجان الهائلة التى تتماوج فى جوف الخضم ؛ ولكن الشتاء جمد عروقى ، والصقيع نثر براعمي ، والعاصفة قصفت غصونى ، ولذلك فسوف لا ألد وردة هذا العام »

فقال البلبل « ان كل ما أطلبه وردة حمراء واحدة ، وردة واحدة فقط . أو ليس من سبيل الى تلك الوردة ، ؟

واجابته الشجرة قائلة « هناك وسيلة الى مبتغاك ، ولكنها جد مخيفة حتى انى لاأقوى على ذكرها » .

ولكن البلبل رد بقوله « هات ماعندك فلن أخاف شيئا »

وحينئذ قالت الشجرة « اذا كنت تريد وردة حمراء فعليك أن تبنيها بألحانك فى ضوء القمر ثم تفرغ عليها دم قلبك . عليك أن تغنيني ، وصدرك مسند الى شوكة من أشواكى ، وعليك أن تقطع الليل كله صادحا على أن تدع الشوكة تنفذ الى قلبك حتى يتدفق دم حياتك فى عروقى ويصبح لى »

وصاح البلبل قائلا « كثير أن أقدم حياتى ثمنا لوردة حمراء ، وحياة كل مخلوق غالية عنده . لشد ما يبهجني أن أجلس فى الغابة الخضراء وأرقب الشمس تجرى فى مركبها الذهبي ، والقمر فى مخدعه اللؤلؤى . ما أجمل منظر الزهور فى عدوتى الوادى وعلى سفوح التلال ، وما ألذ النسيم ينشر فى الجو عطره الفياح . على أن الحب أحسن من الحياة ، وما قيمة قلب طائر اذا قورن بقلب رجل ، ؟

ونشر البلبل أجنحته البنية وارتفع فى الجو وعبر الحديقة كما يعبر الطيف ، حتى أتى الطالب فوجده حيث تركه لما يزل مستلقيا على العشب ، ولم تجف الدموع فى عينيه الجميلتين ، فوجه اليه الخطاب قائلا : « ابشر ايها الفتى ولا تحزن فسآتيك بالوردة الحمراء . سوف أبنيها بأغانى ضوء القمر . وسوف أصبغها بدماء قلبى ، وكل ما أطلبه منك فى نظير ذلك أن تظل وفيا فى حبك ، فان الحب اكبر عقلا من الفلسفة ، وان اشتهرت بالحكمة ، وأشد سلطانا من القوة وإن اشتهرت بالبأس . ان أجنحته حمراء كاللهب ، وان جسده مشبع الصبغة من ذلك اللون المتوهج ؛ أما شفتاه فحلوتان كالشهد ، وأما أنفاسه فعطرات كالعنبر المتضوع .

ورفع الطالب رأسه مصغيا ولكنه لم يفهم ما قاله البلبل لأنه لا يفهم الا ما يقرأ على صفحات الكتب .

ولكن شجرة السنديان فهمت ما أعيا الطالب فهمه ، فاشتد حزنها لأنها كانت تحب هذا البلبل الصغير الذى بنى عشه فى أحضانها ، ثم توسلت اليه أن يغنيها أغنيته الأخيرة قائلة إنها سوف تعانى آلام الوحشة والعزلة لفقده .

فغناها البلبل أشجى ألحانه ، وكان صوته العذب كصوت الماء ينصب من إبريق فضى ، ولما فرغ البلبل من غنائه نهض الطالب وقد أخرج من جيبه ورقا وقلما وحدث نفسه وهو يسير فى ممرات الحديقة قائلا

« أما أن لهذا البلبل طريقة فى لحنه فهذا ما لا سبيل الى انكاره ، ولكن ليت شعرى هل يصحب هذا اللحن شعور ؟ أخشى أن يكون هذا الشعور معدوماً ، واذا رجعت الى الحقيقة فهو كمعظم الفنانين . إن له أسلوبا ولكنه ينقصه الاخلاص لفنه . وانه لن يضحى بنفسه من أجل الغير . ولن يفكر الا فى الموسيقى ، وكل إنسان يعلم أن الفن والأنانية صنوان ، وعلى أى حال فلن أستطيع أن أنكر عليه الحانا جميلة فى صوته ، ولكنها مع الأسف لا روح فيها وليس ثمة أية فائدة من ورائها » .

ودخل الفتى حجرته واضطجع على سريره مفكراً فى حبه وبعد هنيهة ظلله الكرى بجناحيه .

ولما أضاء البدر فى السماء طار البلبل الى شجرة الورد ، وأسند صدره الى الشوكة وجعل يغنى طول ليله والشوكة تنفذ فى صدره رويداً رويداً . حتى تدفق الدم من عروقه والبدر ينصت اليه فى هدوء .

غنى البلبل أولا عن الحب وكيف يولد فى قلب كل صبى وصبية ، وعند ذلك أسفرت وردة بديعة فى أعلى أغصان الشجرة ، وكانت تزداد ورقة فى إثر ورقة كما كان يرسل البلبل الحانه لحنا فى اثر لحن . وكان لونها أول الأمر شاحبا كلون الضباب الذى يطفو على صفحة النهر ، أو كقدم الصبح اذا تقدم يسعى ، أو كجناحى الفجر عند طلوعه ، كأن كلامه خيال الزهرة فى مرآة فضية ، أو فى صفحة بركة ساكنة . ولكن الشجرة أهابت بالبلبل أن يضغط بصدره على رأس الشوكة قائلة : « أقبل بصدرك على الشوكة أكثر مما تفعل أيها البلبل الصغير والا أسفر الصبح ولما تتم الوردة » .

وأطاع البلبل فاشتد ضغطه على الشوكة ، وكانت ألحانه تعلو شيئا فشيئا اذ أخذ يغنى عن العاطفة ، وكيف تنشأ فى نفوس الفتيان والأوانس . وهنا تمشت حمرة خفيفة فى الوردة ، حمرة أشبه بتلك التى تصبغ وجنة العروس عندما يطبع أول قبلة على شفتى عروسه ! ولكن الشوكة لم تكن حينذاك قد وصلت الى قلبه ، فبقى قلب الوردة أبيض ، فلن يصبغه بالحمرة الا الدم المنبعث من صميم قلب البلبل ولذلك صاحت الشجرة بالبلبل قائلة : أقبل بصدرك على الشوكة أيها البلبل الصغير والا طلع النهار ولما تتم وردتك » .

وزاد البلبل الشوكة ضغطا حتى مست قلبه فاشتد ألمه ، وكان غناؤه يزداد ارتفاعا كلما اشتدت حدة الألم ، كانت ألحانه تتجه اتجاها غير متزن ، اذ كان حينذاك يغنى عن الحب كيف يصل به الموت الى الكمال وكيف يضمه القبر ، فلا سبيل الى تغيره فى هذا المثوى الاخير .

وهكذا اكتست الوردة لونا قرمزيا ، سرى فى جميع اجزائها ، وكان صوت البلبل المسكين يتضاءل ، وكانت أجنحته ترف وقد مرت غشاوة امام بصره حتى وصل لحنه الى صوت خافت وأحس بحشرجة فى حنجرته .

وأطلق البلبل آخر نغماته فسمعها القمر الوضىء ، فنسى مطلع الفجر وتلكأ فى صفحة السماء ، وسمعته الوردة الحمراء فاهتزت اهتزاز الغبطة ، وفتحت أوراقها لنسيم الصباح ، وحمل الصدى هذا اللحن الى الكهف القائم على سفح التل فبدد أحلام الرعاة وأيقظهم من سباتهم ، ثم سبح هذا اللحن خلال اليراع المتمايل على صفة النهر ومن ثم اتخذ سبيله الى البحر .

وخاطبت الشجرة البلبل قائلة : هاهى ذى الزهرة قد تمت ، انظر بعينك اليها ما أجملها ، ولكن البلبل لم يجب فقد لفظ انفاسه وسقط جثة هامدة بين الحشائش ، والزهرة مغموسة فى صدره .

وعند الظهيرة فتح الطالب نافذته والقى ببصره الى الحديقة فصاح قائلا « ياله من حظ سعيد هاهى ذى وردة حمراء . لعمرى مارأيت وردة كهذه فى حياتى . ان جمالها ليميل بى الى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون لتلك الوردة اسم لاتينى طويل » ثم ذهب اليها فقطفها .

ولبس الفتى قبعته ، وجرى الى بيت الاستاذ والوردة فى يده وكانت ابنة الإستاذ جالسة لدى الباب تلف خيوطا من الحرير الأزرق وكلبها الصغير نائم عند قدميها فخاطبها الفتى قائلا :

« لقد وعدت أنك سوف تراقصيني اذا أحضرت لك وردة حمراء ، انظرى الى هذه الوردة انها أشد الورود فى العالم حمرة سوف تضعينها هذه الليلة على صدرك فى موضع قلبك ، وعندما ندور معا فى رقصتنا تحدثك هذه الوردة عن مبلغ حبى لك »

ولكن الفتاة عبست قليلا ثم قالت

« أخشى ألا يلائم لونها لون ملابسى ، وزيادة على ذلك فقد أرسل الى ابن أخى رئيس الحجاب بعض الحلى الثمينة وأظنك تعرف أن الحلى أغلى من الزهور » .

وصاح الفتى مغضبا :

« لعمرى انك ناكرة للجميل » . ثم رمى بالزهرة فى الشارع فمرت فوقها عجلة فتلاشت وأجابت الفتاة

« ناكرة للجميل » ؟ يالك من فظ ! ولكن قبل كل شىء خبرنى من أنت ؟ ان أنت الا طالب فحسب ، وما أظنك قد اتخذت يوما رباط حذائك من فضة كما فعل ابن اخى رئيس الحجاب ، ثم نهضت واقفة ودخلت المنزل .

وقال الطالب وهو يبتعد عن دارها ، ما أسخف الحب ، اين هو من المنطق وفوائده ؟ إنه لن يحقق شيئا ما ، ولن يحدثنا الا عما لا يمكن حدوثه ، وزيادة على ذلك فهو يجعل المرء يعتقد فى أشياء لا ظل لها من الحقيقة ، إنه فى الواقع أمر غير عملى ، وما دامت النزعة العملية هى كل شىء فى هذا العصر ، فانى سوف اتجه ثانية الى الفلسفة وأدرس العلوم العقلية .

وعلى ذلك اتجه الى حجرته وتناول كتابا كبيرا قد علاه التراب ، ففتحه وانكب عليه قارئا .

محمود الخفيف



حول الينبوع أيضا

الى الدكتور احمد زكي ابي شادي

أما أنا ، فاني أرى اللجاجة ليست تفيد ، وما كان مثلي يبغي التغرض ، وماكان مثلي يهوي التسرع ، وانما صح ما توقعت ووقعت الواقعة ، واذا أنا أعود فأردد مرة أخرى ، ما عرفت الدكتور واضرابه من إخواننا المصريين ، الا أباة على النقد ، يثيرون من أجله المعارك ، ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع ،

فأنا أغتفر للشاعر حدته في الرد ، لان الشاعر أناني بطبعه يأبى أن يسخف له الناس أثره ، ويكره من يبخس شيئا من قدره ، وأشكر له حسن ظنه بي ، ولا أبغي تسجيل هذه الكلمة عليه ، ثم أضرب صفحا عن الماضي بأجمعه ، وأعيد النظر في ينبوعه من جديد ، وأؤكد له أني قرأته مرة ثانية ، وأؤكد له انني حاولت أن أفهم ، وأعوذ بالله أن أزعم ان نفسه قد حلت في جسمي ، فلست أعتقد بالحلول . ولا أزعم أن عواطفي قد اصطبغت بلون عواطفه فهذا أمر يعرف استحالته من الوجهة البسيكولوجية ، وأسأله العفو والمغفرة ان كفرت بقوله

كن انت نفسي واقترن بعواطفي   تجد المعيب لدي غير معيب

الافراط في أنانية الشاعر ، إذ كيف يعقل أن يتشابه الناس تماما في المادة وفي الروح . وما تشابهوا ، لكن الشيء الممكن الذي أستطيع القيام به ، هو أني حاولت أن أوجد التجاوب الروحي بين نفسه وبين نفسي ، مع أني لم أحاول أن أخلق مثل هـذا التجاوب من قبل ، فابن الرومي مثلا ، لا يوجد أقل تجاوب روحي بين نفسه وبين نفسي ، ولكنني معجب به لا لأنه يضرب على الوتر الحساس من قلبي ، ولا لأنه يهيج دفين آلامي وأشجاني ، بل لاني أجد في شعره فنا رائعا لا أستطيع انكاره وبخسه . ولأضرب للدكتور مثلا آخر هو فيكتور هوجو Hugo فانا أرى في شعره رأيا يخالف رأيي في ابن الرومي وربما كانت نفسه أقرب الى نفسي من نفس بودلير CR Baudelaire ، الذي أعجب به إعجابا شديدا .

فليس من الحتم على قارىء الشعر ألا يستسيغ الا الشعر الذي تشابهت فيه نفسه مع نفس الشاعر ، فقد يحب وقد يكره ، ولكن هناك الفن الشعري ، وهو الجامعة التي تؤالف بين القلوب ، وتوحد بين الأفئدة ، وما أظن في الناس الا الحمقى يهزون أكتافهم اذا قرىء لهم شيء من الشعر الخالد الذي يتسم بصفات الفن الرائع ، ولو كان يخالف نظرتهم وفطرتهم .

إن من عادتي يا سيدي الدكتور أن أعمد الى الافكار التي تكون طراز تفكيري ، والمبادىء التي أستند اليها في تقديري ، فأتناولها بين آونة وأخرى بالبحث والمراقبة والتشريح أبتر ضعيفها ، وأنعش هزيلها . وأنشط قويها . قلت . . . ربما كان رأيي في شعر أبي شادي من القبيل الضعيف . فلأعد النظر وأؤكد للدكتور انني كنت قاسيا على نفسي حتى يرضى .

فاللهم جنبني الشبهات ، وسدد سبيلي ، وحبب الى الحق لأتبعه ، ووجه روحي الى النور لأدرك كنه صفحات الحياة التي تلوح لعيني كروح في ثوب صفيق من المادة . فاذا ابصرت بها واستهوتني اندفعت بكل ما في نفسي من جموح ، لإدراك سر تلك الروح .

الشعر مادة وروح ، وشعر أبي شادي كذلك . فما هي المادة التي تتمثل في شعره ؟ لاشك أنها اللغة ، واللغة كما أعلم وتعلم هي الأداة المادية التي تشرح دخيلة الروح . ومع أن الدكتور قد جزم بأني لست ممن يصلحون لنقد لغة شعره وقد استحسنها من قبل أستاذ كمصطفى جواد وغيره . ! ! فأنا اسير من حيث بدأت ، فليست القضية قضية نحو وصرف وبيان وبديع ، بل قضية ذوق شعري ولغة شعرية . واذا شئت فقل قضية فنية بحتة ، ويحسن بأولئك المدرسيين Classiqwe أن يتركوا الساحة قليلا ، ويريحوا الناس من الاعراب والبناء التقدير ، فهذا أمر تافه يدركه صبية المدارس ، وقد أفنى الاقدمون فيه كثيرا من الوقت والجهد ، وقد جاء هؤلاء في آخر القافلة

أقبع بنظري على قصيدته التى أراد أن يتحفنى بها ، والتى أراد أن يبهر بها الناس فاقرأ :

نرى فى البر الوان التناجى   وفى البحر المشارف والعميق

أو قوله :

كأن الحسن ذاب بكل لون   نراه وفى المياه وفى الطريق

اللهم انى كافر بالشعر ان كان هذا من الشعر ، وكافر بأقوال مطران ان كان قد استحسن هذا القول مطران ، وكافر بالأدب ان كان فى رجال الأدب من يستسيغ هذا ويعجب به

أو كذا الدكتور أبى غير موفق فى انتقاء ماينتقد . لكننى استعرض هذا وأمثاله . وقد يرى فيه مصطفى جواد أو غير مصطفى جواد منتهى الاجادة والبلاغة . أما أنا ، أنا الشباك الذى لم يتكامل التجاوب الروحى بين نفسه وبين نفس أبى شادى ، انا الذى اسجل خطرات تتمرمنها نفس أبى شادى ، ما أزال أرى يا للأسف فى هذا الشعر وأضرابه ضعفاً شديداً . أرى فيه لغة صحفية ليست لغة فن ولا شعر ، أرى الاعياء الذى ما بعده اعياء فى التصوير والتعبير ! وتبدو لعينى فكرتى التى بسطتها عن لغة الشعر التى اقول فيها . انا افهم ان الشعر هو التعبير الراقى عن احساسات النفس ، (وما كل احساس يصلح ان يكون شعراً بل الاحساس العلوى أقصد) .

وعلى هذا الشكل فهم العرب الشعر . فقالوا عن القرآن اذ سمعوه انه شعر .

ان فى اللغة الشعرية سحراً وروعة وفنوناً وموسيقى ونغمات صوتية Consonance تراها فى شعر أمرىء القيس كقوله :

مكر مفر مقبل مدبر معاً   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وتراها فى شعر عنترة ، او عمرو بن كلثوم ، وفى الشعر الغربى ما اكثرها فى شعر (ادكار پو Edgar Poe) او فى شعر (بودلير Ch. Baudelaire) او فى شعر (فاليرى Valery) . وما كل كلام مفهوم بشعر ، ولا يكفى الشاعر ان يميز بين المنصوب والمرفوع ، وليس يكفى ان يعرف الشاعر البحر البسيط او الطويل او الرجز . كل هذه قشور لابد منها ولا اهمية كبرى لها لبساطتها ، انما بيت القصيد فى تلك الروعة وذلك السحر او فى توقيع الموسيقى ، وفى تلاؤم تلك النغمات الصوتية ، وما فى شعر ابى شادى شىء من هذا .

. . . لغة الجرائد يا دكتور تعبر عن كثير من الآراء الصائبة والاخيلة الرائعة ، ولكنها تفعل فعلها فى وقتها ثم تنطوى تحت ذيل الزمن وتموت ، وما كان للشعر أن يكون مثلها ، إنك لاتستطيع أن ترى فى لغة الصحف روعة وسحراً الا نادراً أو إنك لاتزعم أن فيها فناً أخاذاً . أما شعرك يا دكتور فهو شعر عربى فى كلماته صحفى فى فنه وتعبيره ، كأنى بك تذكر حكاية ذلك الاعرابى الذى دخل إحدى الحواضر فسمع أهلها يتكلمون فما فهم شيئاً . انهم يقولون كلاما عربيا ما فى ذلك شك . لكن أسلوب التعبير غير عربى ، وكلامك يا دكتور فى شعرك لا يصطدم مع الفاعل ونائبه والصفة والتشبيه الا نادراً ، وجل من لا يسهو ، عربى فى الفاظه مفهوم فى عسر أو فى يسر ، لكن أين الفن الراقى فى التعبير فى مثل قولك ؟

هذه الدنيا لاحلام الاديب   هذه غايات آمال الأريب ؟

أظن أن صاحب الملل والنحل لو امتد به الأجل ما قال قولته المشهورة (هذا شىء لا يعجز عنه انسان) الا فى شعر يشابه شعرك . لا عجب ياصاحبى هذا شان البحر ، فالبحر لا يقذف بالدر دائما ، ولكنه يقذف بالزبد فى كل حركة ، والانتاج الفنى الذى هو التعبير الراقى عن احساسات النفس لا يأتى عفو الخاطر ، فاذا تحدثت الى سيدى الشاعر عن اللغة افلا يجدر بى أن أحدثه عن روح الشعر وعن المناسبة الشعرية . وعن الظروف التى تستدعى قرض الشعر .

لا أكتمك يا دكتور انى ممن يلقون بنفسهم بينكم معشر الشعراء ، فى المتن أو فى الهامش ، لا أدرى ، لكننى من جماعتكم على كل حال شئتم أو أبيتم ، وما أكثر أمثالى بين الشعراء ، يكاد أحدهم يبعد عن محراق الفلك الشعرى زهاء مائة كيلو متر ، ويزعم بعد ذلك أنه من كبار الشعراء . أعذرنى فانا أنانى مثلك ، وانا عند ما احدثك عن أنانيتى يجدر بى أن أشرح لك شيئا من ذات نفسى كشاعر لا كنا قد . . . الموضوعات التى تستدعينى الى النظم كثيرة يا دكتور ، ونفسى دائمة الاضطراب والجموح . دائمة الحركة والثورة ، هى متمردة متقلبة ، ترى فى كل ساعة موضوعاً للكتابة ، لكننى أكبح جماحها . أحول هذا الشعور الحاد الى اللاشعور ليتم نضجه ، فاذا فرغت منه انصرفت الى غيره ، ففعلت به ما فعلت بالأول ، وانا بين هذا وذاك أمزج بين الشعور الهادىء المتزن وبين الشعور الحاد الجامح ثم اكتب . وبعد ان أنهى عملى ادفعه واهمله ، واشعر ان عبئا قد ازيح عن كاهلى ، أقبره لأنه لم ينضج ،

تمر عليه ايام كثيرة أتناوله فيها بالتبديل والتغيير والمسخ ، اوبالتهذيب والترتيب والتنسيق ؛ ولعلى ما اتممت شيئا حتى الآن ، فترضى عنه نفسى ، وكيف أشرح نفسى للناس ، وهم اجهل من ان يفهموها على وجهها ، وكيف أبرز للناس وما انا ممن يستطيعون التعبير عن مصائبهم وآلامهم وثورتهم ، حسبى أننى لم أعرض شعورى فكيف اعبر عن مشاعر الناس ، انهم يطلبون رعداً وبرقا ، وهم على حق فيما يطلبون ، فهناك وطن يقتسم ، وهناك بلاد يحتلها العدو والغريب ، وهناك شرف صار الى الرغام ، وهناك مجد قد أفل ، وهناك مجد الأمس وبؤس اليوم ، وتاج الاجداد ، وقبر الاحفاد ، وحق للشاعر أن يرعد ويبرق ، وان يدفع الغمام الساجى المدلهم ليمطر ، أما أنا فانى سائر فى طريق ، وأرجو أن أصل الى ما اصبو اليه ، سأرعد وسأبرق ، وسأنفخ فى الرمم وسأصيح بالموتى ولكن ... ليس الآن ، عندما تهدأ نفسى من جنون الشباب ، عند ما يأخذ قلبى فى النظر العام الشامل ، ففى ذلك الوقت استطيع أن ارضى نفسى وأرضى غيرى ، أما الآن فلا . وإن الجمهور ليطلب الى الشاعر بكاء ونواحا ، وبحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه ما أكثر شعراء البكاء فى بلادنا ، أما أنا فلم يبق فى عينى دمع انضح به شهوات الناس . انى غدوت كشبح متحرك يراه الناس فيحسبون فيه القوة والجبروت ، وأبصره أنا على وجه لا يرونه به . ماذا تبتغى ياصاحبى ، اننى أرى الناس ، بل كثرة الشعراء فى واد ، وانا فى واد ، إنهم يتكلمون عن السماء وانا اتكلم عن الارض ، انهم يتكلمون عن العالم بأسره ، وانا لا اتكلم الا عن (حديقتى) . فاذا شعرت بهذا انصرفت الى ألغازى التى حبرتها ، وأوها مى التى نسجتها وصبغتها بألوان الجمال والقوة والحكمة ، فتعيننى فى بلواى ، بل كيف اقذف بها الى الناس . وهيهات أن تلذ الناس ، ما انا طامع فى رضاهم ، ولا انا خائف من شرهم ، خير لى أن أعيش فى حديقتى ، أبذر وأقبر وأنتج وأقتل ، حتى لا تستطيع اليد قتلا ، وحتى تضعف اليد عن حفر القبور .

أرأيت يادكتور كيف أبعد عن الغرض الذى اسعى اليه ، بل أرأيت كيف أسرف فى الشطط . فقد ازهقتك وأرهقت القراء بهذر من القول لا طائل تحته ، وانما هى اقوال تلوح لذهنى فاعلق بها على الرؤى التى تلوح لعينى ، ما كان اجدرنى يادكتور الا اكتب والا اثير حفيظتك والا اضطر نفسى الى الجواب ، ربما كنت بعيداً كل البعد عن مذهبى فى الشعر ، فأنت تنجو فى شعرك ناحية تسميها انسانية عالمية ، وانا أرى أن الحياة قبل التفلسف ، وعلينا أن نعمل للسير قبل الكمال ، وأن نعمل للحياة قبل الجمال ، وان نعمل للحركة قبل الفن — ان صح أن هناك فنا — وأن على الشعراء واجبا نحو وطنهم وأمتهم ، بل إن عليهم واجبا نحو انفسهم ، ماذا تستطيع النفس المقيدة الملجمة أن تنتج ، ربما فهمت قولى يادكتور واولته على انى معك على مذهبك . كلا : فانا لا ارى الشعر كتاريخ لنفس الانسان : إننى ارى ان الشعر لا يرسم الا الخطوط الأساسية من نفس الانسانية جمعاء ، وبقية الفنون والعلوم تلبس هذه الخطوط أثوابا فضفاضة من المادة والروح ...

إنى استغفر الله يادكتور ، فما أردت سوءاً ، وما كنت مغرضا ولا ناقما ، لكننى من خدام الحقيقة . اريد أن اقبس من نورها ولو نالنى من الناس ما اكره ، أنا لا أريد أن أبنى لنفسى ذكراً على أشلاء الناس ، ولكنى أبحث عن ضالتى المنشودة

على اننى شاكر لك أن اتحت لى الانطلاق من جمود ميت ، ومن حيرة قتالة كنت أعيش فى ظلامهما .

انى اتسلى لا اكثر ولا اقل ، انى أثير الغبار وسنرى ما ينجلى تحت الغبار .

حلب «المرتينى»

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر القسم الاول من كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » لتقى الدين المقريزى . وقد قام على تصحيحه ووضع حواشيه الدكتور محمد مصطفى زياده المدرس بقسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية .

ويقع هذا القسم فى نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير . ولا حاجة للتعريف بأهمية هذا المؤلف الكبير فان المقريزى ضمنه معلومات وحقائق عن دولتى الأيوبيين والمماليك بمصر قل أن توجد فى غيره من الكتب المخطوطة والمطبوعة

وقد طبع أجود طبع فى مطبعة دار الكتب على أجود ورق وثمنه ١٥ قرشا عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسى رقم ٩ بجوار سراى شريف باشا ومن المكاتب الشهيرة

الخيال الطارق

بقية المنشور على صفحة ٨٠٤

بقية المنشور على صفحة ٨٠٤

قبل أن يهجم ضوء النهار فيدد ظلمة الليل ، وانى لحريصة على أن القاك ، فان كان لقائى يرضيك الآن كما كان يرضيك من قبل ، فانتهز فرصة كهذه الفرصة ، فى ساعة كهذه الساعة ، وانظر فى هذا الكتاب وأطل التفكير فيه ، فقد أستجيب لدعائك حينئذ . ثم سكت هذا الصوت قليلا ، واستأنف حديثه الحلو المر فقال : ليس السل وحده هو الذى قتلنى ، وانما قتلنى معه الحب ايضا ، فقد تذكر أن زوجى فارقنى قبل ان أموت بأشهر ، لان مرضى المتصل قد ثقل عليه ، وقد تذكر انى كنت أظهر تجلدا وعزاء ، وقد تعلم أنى كنت اخفى من ذلك غير ما اضمر ، وانك كنت تشفق على مما كنت أخفيه . وكنت تود لو استطعت ان تسلينى عن بعض ما اجد ، فاعلم الآن انى حين ثقلت على العلة ، وتورمت اطرافى ، ورأى الطبيب ان ينزع ذلك الخاتم الذي كان آخر ما بقى لى من زوجى ، لم اشك فى انه سينزع معه الحياة من هذا الجسم المريض ، ولم اكره ذلك ، وأى بأس من مفارقة العلة واليأس . فأبلغ زوجى أنى فارقت الحياة وانا أحبه ، وان مقامى فى هذه الارض بعد الموت لن يطول ، وأنه خليق ان يعلم انى أراه وارافقه ، وأنه خليق أن يرعى ذلك وان يذكرنى فى شىء من الخير والرفق والوفاء ، حتى اذا آن لهذا الخيال ان يصعد فى طبقات الجو وان يمضى الى ذلك العالم الذى تعيش فيه خيالات الموتى ، وان تنقطع الصلة بينه وبين هذه الارض ، فلزوجى أن ينسى ، ولزوجى أن يقطع ما بين نفسه وبينى من الاسباب . قالت ذلك ثم نظرت الى نظرة قوية حادة ، لم استطع ان أثبت لها ، وإنما أطرقت برأسى الى الارض خائفا وجلا . ثم رفعت رأسى بعد ذلك ونظرت فلم أر شيئا ، وتسمعت فلم بتنبه الى صوت وانما هى رسالة الغفران مبسوطة أمامى أرى فيها عبث ابى العلاء حول شعر النمر بن تولب . هنالك أخذنى هلع ما أعرف انى احسست مثله من قبل ، وملكنى روع كاد يدفعنى الى الصياح لولا بقية من عقل ، وفضل من حياء ، ففارقت غرفتى وهبطت الى الحديقة أهيم فيها انتظر مطلع النهار ، حتى اذا ارتفعت الشمس قليلا أوصيت أهلى بما أوصيت واسرعت اليك . أترى بعد ذلك ان سخف أبى العلاء لم يسوء أحدا ؟ قال ذلك ثم أخذته رعدة غريبة اشفقت أن ترده الى مثل ما كان عليه من الوجل والاضطراب ، فما زلت به حتى رددت اليه الامن والهدوء ، وقلت مداعبا : ويحك ! ألم تقرأ كتاب أناطول فرانس ذلك الذى سماه جريمة سلفستر بونار ؟ إن فيه قصة ان لم تكن تشبه قصتك هذه من كل وجه ، فانها قريبة منها الى حد ما ، وما أدري الا أنك قد ذكرت صاحبتك هذه فى ضوء النهار أو فى ظلمة الليل ، حتى اذا أخذت تنظر فى كتابك اخذك هذا النوم الخفيف الذى تتراءى فيه الأشباح والخيالات . قال مغضبا : اقسم لك ما كنت نائما ولا قريبا من النائم ، وإنما كنت يقظان أشد ما يكون الناس يقظة وانتباها ، ولكن ما نفع الحديث معك فى هذا وأنت لا تؤمن بعالم الخيال . قلت : فانى أشفق عليك من ايمانك هذا فقد تستطيع أن تتحول عن دارك ، وان تفارق القاهرة ، وأن تنزل من الارض أى منزل شئت ، فسيتراءى لك هذا الخيال كلما خطر له أن يتحدث اليك ، أو أن يحملك رسالة الى الاحياء . وماذا تريد الآن أن تصنع برسالته هذه ؟ أتحملها الى من أنت مكلف أن تحملها اليه أم تكتمها ؟ فان تكن الاولى فماذا تصنع إن لقيك باللوم لانك تعرض لما لا ينبغى لك أن تدخل فيه ، وان تكن الثانية فماذا تصنع إن ألم بك الخيال وسألك عن تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة والوفاء بالعهد ؟ هنالك نهض صاحبى مغضبا وهو يقول : ما أشد بغضى للذين يمزحون فى غير أوقات المزاح . ثم انصرف عنى وانا شديد الاشفاق عليه وعلى كثير من امثاله الذين تطرقهم هذه الخيالات فتملأ قلوب بعضهم أمنا ورضى ، وتملأ قلوب بعضهم الآخر خوفا وروعا .

طه حسين

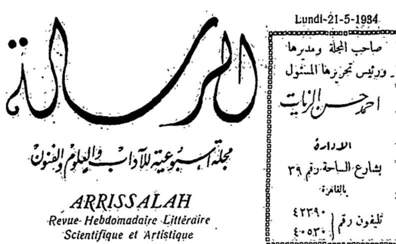
2me Année, No 46.

Lundi-21-5-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

السنة الثانية — القاهرة في يوم الاثنين ٨ صفر سنة ١٣٥٣ — ٢١ مايو سنة ١٩٣٤ — العـــدد ٤٦

فهرس العـــدد

صفحة

مدينـــة سبـــأ

للدكتور طه حسين

كان الأديب الفرنسي ملرو نائماً كاليقظان ، أو يقظان كالنائم ، ولا عجب في ذلك شيئاً من الغرابة ، فنوم الأدباء البارعين يقظة ، لأنه مملوء بالأحلام التي قد تكون من الصدق والدقة ، ومن الخصب والانتاج بمنزلة لا يبلغها الحق نفسه في كثير من الأحيان . ويقظة الأدباء نوم ، لأنهم يشغلون فيها عمـــا يحيط بهم من هذه الحقائق الممكنة الواقعة بمـــا يملأ رؤوسهم من هذه الخيالات والأوهام التي تدنو من نفوسهم حتى تصبح كأنها جزء منها ، وتبعد عن متناولهم حتى تصبح كأنها النجوم . وهم يعجبون بقربها منهم فيطمعون فيها ويطمحون اليها ، وهم يشفقون من بعدها عنهم فيلحون في طلبها ويجدون في ادراكها ، ويتكلفون في بلوغها أعنف الجهد وأشق العناء .

كان الأديب الفرنسي ملرو إذن نائماً كاليقظان ، أو يقظان كالنائم . كان في ساعة من هذه الساعات الحلوة التي يقضيها الأدباء مستمتعين بلونين من الحياة ، أحدهما مختلط مضطرب شاحب ، وهو لون الحياة الواقعة . والآخر واضح جلي ناصع ، وهو لون هـذه الحياة التي يحيونها بين الخيالات والأوهام . وانه لفي ذلك واذا غايـة حسناء رائعة الحسن ، جميلة بارعة الجمال ، غريبة الزي ، لم ير مثلها قط فيمن رأى من غانيات باريس ، وفاتنات غير باريس من المدن الأوربية التي زارها ، بل لم ير مثلها فيما رأى من الصور

والرسوم التي تنقل للناس ما حفظته ذاكرة التاريخ القديم والمتوسط والحديث من ملامح الغانيات واشكالهن وأزيائهن ، وكانت تتراءى له من بعيد لا يكاد يراها حتى يفقدها ، ولا يكاد يفكر فيها بعد فقدها حتى تتراءى له من جديد ، فلا يكاد ينظر اليها حتى تستخفي ، ولا يكاد يستأنف التفكير فيها حتى تبدو . وكانت اذا تراءت له ملأت الجو من حوله عبيراً وعرفا لم يحس مثلهما قط فيما أحس من الاعطار المصنوعة ومن الاعطار الطبيعية ، ومن شذى الرياض وعرف الغابات ، وكانت اذا استخفت ذهب معها هذا العبير ، الا بقية ضئيلة تضطرب في الجو ، كأنها البقية الضئيلة من شعاع الأمل . فكانت نفس الاديب الفرنسي ملرو تتعلق بهذه البقية الضئيلة من العبير ، كما تهيم بهذا الشخص الجميل الرائع الذي كان يبدو ويستخفي في سرعة كوميض البرق . ولو أن هذا الخيال عرض لرجل مثلك أو مثلي على هذا النحو وهو نائم لأيقظه ، أو عرض له وهو يقظان لذاد عنه كل وهم أو خيال ، ولدفعه الى حياة عنيفة متنبهة تشبه الجنون . ولكنه لم يعرض لك ولم يعرض لي ، وانما عرض للأديب الفرنسي ملرو . ولهذا الأديب قوة ساحرة فيما يظهر ، تمكنه من مقاومة الحق الذي يوقظ النائمين ، ومن مقاومة الوهم الذي ينيم الايقاظ ، وتمسكه في حال بين الحالين ، ومنزلة بين المنزلتين ، فاذا هو نائم كاليقظان ويقظان كالنائم ، وقد دعا اليه سحره هذا ، فأعانه السحر على أن يظل على الحدود بين المملكتين : مملكة اليقظة ، ومملكة النوم . مملكة الحقيقة الباطلة التي يضطرب فيها مثلك ومثلي من الناس ، ومملكة الخيال الصادق التي يضطرب فيها الأدباء والشعراء ، وظل في مكانه يرى هذه الجنية ، ويتنسم عبيرها اذا ظهرت له ، ثم يتعلق بما بقي من نشرها ويهيم بخيالها اذا غابت عنه ، وكأن هذه الجنية كانت تريد أن تعبث بالكاتب الاديب ساعة من نهار أو ساعة من ليل ، وما أكثر ما تعبث الجن بأبناء الانسان . ولكن الاديب الفرنسي ملرو ، كان من البراعة والمهارة ، ومن السحر واللباقة ، بحيث استطاع أن يعبث بهذه الجنية الماكرة الماهرة ، وأن يكرهها على أن تبيح له سرها ، وتلقي عنه ما بينها وبينه من الأستار . وأكبر الظن ان الاديب الفرنسي ملرو ، انما تعلم هذا الفن الذي يستغوي به الجن من رياضة بسيطة ، ما أجدر أدباءنا وشعراءنا ان يتكلفوها ويأخذوا انفسهم بها ، وهي رياضة الصيد في الانهار والغدران . فهذه الرياضة تحتاج الى صبر طويل ، طويل جداً ، والى لباقة ودقة قلما تحتاج اليهما الرياضات الاخرى ، وقد يمكث الصائد على شاطيء الغدير ساعات طوالا جداً ، ينتظر الصيد فيصيبه أولا يصيبه ، ولكنه لا ييأس على اي حال .

ظل الكاتب الاديب ملرو ، في حاله هذه بين الحالين ، وفي مقامه هذا بين المملكتين ، وظلت الجنية تبدو له فيستقبلها ، وتغيب عنه فيتبعها ، حتى سئمت منه هذا الصبر ، وضاقت منه بهذا الثبات ، واستيأست من ترويعه والعبث به ، فوقفت منه غير بعيد وحدقت فيه تحديقا طويلا ، لو حدقته في رجل مثلك او مثلي لملأت قلبه رعبا ، ولدفعته الى الجنون دفعاً ، ولكن الاديب الفرنسي ملرو ثبت لمنظرها الجميل ، وتحديقها الطويل ، مبتسماً في هدوء ، ينظر اليها ولا يقول لها شيئا . واخذت هي تدنو منه وتطيل النظر فيه ، وهو ثابت لا يضطرب ، ومستقر لا يريم ، حتى اذا كانت منه بمكان النجي ، سألته في لغة غريبة لم يسمع لفظها قط ، ولكنه فهم معناها كما يفهم معاني اللغة الفرنسية حين تلقى اليه . سألته في هذه اللغة الغريبة ، وفي ابتسام ليس أقل منها غرابة قائلة من تكون ؟ لقد عرضت لكثير مثلك من الناس منذ عشرات القرون ، فروعتهم ترويعا على اختلاف أجيالهم وبيئاتهم ، وتفاوت درجاتهم في العلم والجهل ، وفي الغفلة والذكاء ، حتى اتخذت ترويع الناس لذة من أهون اللذات ، اذا فرغت مما أنا فيه من أعمال الجد التي تحملني كثيرا من الألم والعناء . حدثني من تكون ؟ ولا بأس عليك من أن تجيبني باللغة الفرنسية فسأفهمها عنك ، كما تفهم أنت عني الآن هذه اللغة الحميرية ، التي لا يتكلمها أحد من الناس في هذه الايام ، والتي يجد علماؤكم في قراءتها وتفسيرها ، واستنباط قواعدها وأصولها . حدثني من تكون أيها الفتى الذي عجزت عن ترويعه والعبث به ؟ قال الاديب الفرنسي ملرو ، وهو ينظر هادئا مبتسما الى هذه الجنية : بل حدثيني انت من تكونين . ؟ فاني لم أعرض لك ، وانما عرضت لي ، واني لم أحفل بك ، وانما حفلت بي ، واني لم أدن منك ، وانما دنوت مني ، واني لم أحاول سحرك بلحظ ولا لفظ ، ولا حركة ولا عبير ، فما ينبغي لك أن تسأليني ، وانما ينبغي لي أن أسألك . ومع ذلك فاني لم أسالك حتى بدأتني بالسؤال ، ومع ذلك فاني قادر على أن أعفيك من الجواب ، وعلى أن أدعك تمضين في طريقك ، فما أكثر من يعرض لي من أمثالك ، وما أكثر ما أتحدث اليهن وما يتحدثن الي ، ولئن فاتني أن أعرفك وأسمع من انبائك فقد عرفت من قبلك خيالات أخرى ، أستطيع أن أستأنف لقاءها متى شئت ، وأن أقص عليها من انباء الاحياء ، وتقص علي من أنباء الاموات . قالت الجنية أو قال الخيال : ما أشد طغيانكم أيها الناس ، انكم لضعاف أشنع الضعف ، ولكن المكر يجعل ضعفكم قوة ، وذلكم عزة ، وجهلكم علما . حدثني يافتى من تكون ؟ والا فاني قادرة على أن أسوءك ، قال بل حدثيني

انت من تكونين ، واستيقني انك لا تقدرين من الاساءة الى على شيء ، بل انا قادر إن شئت على أن أغلق بيني وبينك الباب ، وأقطع بيني وبينك الاسباب . وأى شيء أيسر من أن أمضى إلى هذه الناحية ، فاذا انا فى مملكة اليقظة التى لا وهم فيها ولا خيال ، والى هذه الناحية فاذا انا فى مملكة النوم العميق التى لا تستطيع الأحلام ان تدنو منها أو تجد اليها سبيلا . قالت فانى أراك على قوتك ذكيا ماهرا ، تحسن الحوار وتعرف كيف تقطع الطـــريق على خصومك ومحاوريك . وما أرى الا انك جنى قد اتخذت شكل الانسان ، وما ارى إلا اننا نستطيع أن نتفق فنعبث بالناس جميعا ، ونكيد لهم جميعا ، ونخدعهم جميعا ساعة من نهار ، او يوما من اسبوع . قال بل أشهرا كاملة من عام كامل ، بل عاما كاملا من اعوام طوال ، فحدثينى من تكونين احدثك من اكون . واعلمى منذ الآن انى لا اكره ترويع الناس والعبث بعقولهم ، فان الرجل الممتاز حقا هو الذى يحسن العبث بعقول معاصريه ، فان استطاع مع ذلك أن يعبث بخيالهم وآمالهم وأيديهم وجيوبهم ، فهو الرجل العبقرى حقا . حدثينى من تكونين أحدثك من اكون . فقد يخيل الى ان سيكون لهذه الساعة فى حياة الناس شأن . قالت وهى تبتسم ابتساما عريضا ، وانا ايضا ارى هذا . فهل سمعت شيئا من حديث تلك الملكة التى امتلأت بذكرها كتب القصص والتاريخ ؟ قال اى ملكة تريدين؟ فما اكثر الملكات اللاتى ملأ ذكرهن كتب القصص والادب والتاريخ . قالت فى شيء من الدل ، وهذا العرف الذى يملأ الجو من حولك ، والذى يكاد يذهلك ، لولا انك رجل ممتاز لا يعرف الذهول اليه سبيلا ، الا يدلك على شيء ؟ قال بلى ! انه يدلنى على انك قد سريت من الشرق ، فهذا العرف لا عهـــد لى بمثله الا فى كتب القصص والتاريخ . ألا تكونين قد اقبلت من بلاد اليمن ، تلك التى تحدث عنها القدماء والمحدثون ؟ . قالت قد عرفتنى ، فانا جنية من أرض اليمن ، أقبلت أعبث ببعض أهل الغرب ، وأبحث للجن اليمانيين عن بعض الفرائس ، فظفرت بك . قال بل وقعت فى يدى . فمن أى بلاد اليمن أقبلت ؟ قالت من تلك المدينة العظيمة التى كانت تملكها تلك الملكة القديمة العظيمة . قال ملكة سبا ؟ قالت هى هى ! : قال وعلام نستطيع أن نتفق ؟ . قالت على أن نعبث بالناس شيئا . ثم نهدى اليهم بعد ذلك ما يعوضهم من هذا العبث أحسن تعويض . ثم اتصل الحديث بينهما وانقطع ، ثم اتصل مرة أخرى وانقطع ، ثم أصبح الناس واذا الأديب الفرنسى ملرو ، يمر بالقاهرة فى طيارة قد أنشئت له ، فيقيم فى القاهرة يوما وبعض يوم ، ثم يفارقها ، ثم تمضى أيام ، ثم يخفق البرق بانه قد استكشف مدينة سبا فى أقل من تسع ساعات ! . طار من جيبوتى فعبر البحر ، ثم مضى حتى انتهى الى الربع الخالى ، وكانت صاحبته الجنية قد سبقته وضربت له موعدا فى تلك العاصمة الجميلة ، ورسمت له الطريق التى يجب عليه أن يسلكها رسما دقيقا صادقا ، فلما انتهى الى موعده صور من المدينة ما صور ، لم يهبط الى الأرض ، ولكن جنيته صعدت اليه ، ودلته على أجمل المناظر وأجدرها أن يخلب الناس ويسحر ألبابهم . ثم عاد الى باريس وقد سبقته اليها الانباء . والناس من أمره بين الشك واليقين ، فكتبت المقالات ، والقيت الاحاديث ، ونشر بعض الصور ، فاما العلماء فانكروا ، واى شيء أيسر على العلماء من الانكار ؟ وأما غير العلماء فصدقوا ، وأى شيء أيسر على غير العلماء من التصديق ؟

ثم تنتقل الانباء من أوروبا الى أمريكا عابرة اليها المحيط ، فيضطرب العالم الجديد اضطرابا ، واذا البرنامج كله قد تحقق ، دهش الناس ، ثم اضطربوا ، ثم صدقوا ، ثم اندفعوا ، فكان العبث بالعقول ، ثم بالخيال ، ثم بالايدى ، ثم بالجيوب . فاذا كان شهر نوفمبر ، فان البعثة ستعبر المحيط ، ثم تعبر البحر ، ثم تعبر البحر أيضا ، ثم تمضى فى الصحراء ، وما أكثر ما فى الصحراء العربية الجنوبية من بقايا المدن القديمة التى عرفها الناس والتى لم يعرفوها ، ومن يدرى ! ، العل هذه الجنية التى تراءت للأديب الفرنسى ملرو ، أن تبر بالوعد ، وتفى بالعهد ، وتهدى الى العلماء المنكرين وغير العلماء المصدقين ، مدينة قديمة فيها من الآثار ما يعوضهم من هذا العبث الذى يخضعون له فى هذه الايام تعويضا حسنا .

لا ينبغى أن تنكر على الادباء حياتهم هذه التى يمضون فيها مع الخيال والوهم ، ويسمعون فيها لأحاديث الجن والشياطين ، ويتبعون فيها آمالهم وأمانيهم ، فان هذه الحياة لذيذة فى نفسها بالقياس الى الأدباء أنفسهم ، وبالقياس الى الناس حين يسمعون انباءها . ثم هى فى كثير من الاحيان خصبة منتجة ، تبدأ بالحلم والوهم والامل ، وتنتهى الى اليقظة والحق واليقين . لا ينبغى أن تنكر على الادباء حياتهم هذه وانما ينبغى أن نتمنى لادبائنا وشعرائنا حياة مثلها يملؤها الوهم والخيال والأمل ، ويملؤها النشاط والجد والعمل والصبر على احتمال الجهد ، وعلى احتمال السخرية والاستهزاء بنوع خاص .

طه حسين

الزلة الأولى

للكاتب الفرنسي لامنيه

بقلم احمد حسن الزيات

قطعة رائعة التمثيل جليلة المغزى للامنيه ، وهو علم من أعلام الادب الفرنسى ، وفيلسوف من فلاسفة المذهب الكاثوليكى ، وخطيب بليل اللسان من خطباء الدين والسياسة ، ولد سنة ١٧٨٢ فى بلد زعيم البيان الفرنسى (شاتوبريان) ، ثم طار فى جوه ، فنشأ مثله لطيف الوجدان ، خصب المخيلة ، وثاب الفكر ، صحيح الرأى ، لا يخضع لنظام ، ولا يستكين لحادث . دخل الكنيسة راهبا ، ثم الجمعية العمومية نائبا ، فنصر الله فى الاولى والحرية فى الثانية . ثم صبا فى سياسته الى الاشتراكية ، وفى عقيدته الى الارثوذكسية ، وحاول ان يقيم المسيحية على دعائم جديدة من الوضوح والبساطة : فلقى فى سبيل هذه الآراء الحرة سخط البابا وغضب الكهنوت وعنت الساسة .

أما أسلوبه فخطابى شعرى يعتمد على الصور الحية والتشابيه القوية ، ويسلك فيه مسلك (بوسويه) فى احتـذاء الانجيل ، واقتباسه منه أسلوب الرمز والتمثيل .

وهذه القطعة التى ننشرها اليوم تمثل شبق الانسان الى الشهوة البهيمية وحاله بعدها ، فمثل الشهوان كمثل الظمآن يتحرق الى اللذة الآثمة ، كما يتحرق هذا الى الكرمة اليانعة ، ودون هذه اللذة آثام وأجرام ورجس ، كالمستنقع الذى يحول بين الظمآن وبين عصير العنب . وهنا يتصارع العقل والهوى ، وتوازن النفس بين نتانة الوحل وبين برودة العنب ، فيستخف الشهوان بالخطيئة اعتمادا على التوبة ، كما يستخف الظمآن بالوحل اعتماداً على الغسل ، ولكن هيهات ! لا بد للجرح من أثر . وللنتن الخبيث من ذفر

قال لامنيه :

برّح به أوار القيظ ، وبلغ منه سُعار العطش ، فأرسل طرفه فى الفضاء ، فرأى فى حضيض الأكمة كرما تهدلت أغصانه وتدلت عناقيده ، فهفا قلبه من الفرح ، وتاقت نفسه الى بلوغ الكرم لينقع بثمره أوامه ، وينضح بشرابه كبده ، ولكن بينه وبين الاكمة مستنقعا لا مناص من خوضه ، وقف موقف الحائر لا يدرى أيقدم أم يحجم ؟ فتارة تدفعه حرارة الظمأ ، وتغريه برودة العنب وطراءة الكرم ، وتارة تقعد به وخامة الطين ونتانة الوحل . .

فلما لاحه العطش سولت نفسه اليه أن المستنقع قد يكون قريب الغور سهل المعبر ، فما الذى يمنعه أن يجرب مايفعله كثير من الناس ؟ على أنه لا يلوث غير قدميه ، وذلك أذى فى جانب ما يبغيه قليل

أطاع هواه واستجر لشيطانه ، فوضع قدميه فى النقع حتى غاص فيه الى ركبتيه . فوقف مترددا مرتابا يداور الامر فى نفسه ويقول : لعل الرجوع أخف مئونة وأحمد مغبة ، ولكن الكرمة وعناقيدها أمامه ، والريق قد عصب من الظمأ فاه . . . فقال فى نفسه : أما وقد بلغت مابلغت فليس من الرأى أن أرجع فيذهب ذلك العناء باطلا ، لا ينبغى بعد هذا أن أكترث لما ألقى من الوحل قل أو كثر ، فسأعود نقى الجسم طاهر الثوب اذا ما اغتسلت فى أول نهر أجده

أمضى على هذه الفكرة عزمه وتقدم ، فبلغ الطين صدره ، ثم عنقه ، ثم شفتيه ، وما لبث أن طم فوق رأسه ، فضاق صدره وحشرجت أنفاسه ، وكاد يصرعه الخُناق لولا أن استجمع قواه ونهض نهضة بلغت به جانب الاكمة

خرج والحمأ المسنون يسيل من أعضائه ، فأكل من الشجرة التى اشتهاها حتى اكتظ ، ثم نظر الى نفسه فأخجله ما رأى من بشاعة منظره وقبح زيه ، فخلع ثيابه وطفق يبحث عن ماء رائق يطهر به نفسه ، ويذهب عنه رجسه ، ولكن هيهات أن يتم له مايريد ! انه مهما فعل فان الرائحة الخبيثة باقية تسطع فى الأنوف وتدفع فى الحلوق .

لقد نفذت أبخرة المستنقع فى لحمه وعظمه ، ثم أخذت تفوح وتنتشر ، فكونت من حوله جواً فاسداً عفناً لا يطيق الصبر عليه انسان ، ولا يستطيع الدنو منه أحد

لقد أراد أن يكون مع الزواحف فليكن كما أراد !

سبيل الخلاص

من الامتيازات الأجنبية

للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري
أستاذ القانون المدني بكلية الحقوق

— ٢ —

ذكرنا فى العدد السابق المقترحات الخاصة بالتشريع فى المعاهدة التى تعرض الحكومة المصرية على الدول ذوات الامتيازات إبرامها. فننتقل بعد ذلك الى القضاء ثم الى الادارة.

٢ — القضاء

نقترح أن تنص المعاهدة على انشاء محاكم مصرية جديدة تحل محل المحاكم المختلطة، ويتناول اختصاصها ما يأتى :

(١) القضايا المدنية والتجارية فيما بين الاجانب المتمتعين بالامتيازات الاجنبية دون غيرهم، بما فيها قضايا الاحوال الشخصية، وكذلك القضايا المدنية والتجارية ما بين مصرى وأجنبى متمتع بالامتيازات الاجنبية. ويستثنى من ذلك القضايا العقارية فتكون من اختصاص المحاكم الاهلية مطلقا، حتى لو كان الخصوم جميعا من الاجانب. وتكون العبرة فى الاختصاص بشخصية الخصوم الحقيقية، فلا ينظر الى الصالح المختلط، ولا يعتد بتحويل الحق الى اجنبى تحويلا صوريا. وينص على جواز الاتفاق مقدما فيما بين الافراد على التنازل عن اختصاص هذه المحاكم الجديدة، كما ينص على جواز التنازل عن هذا الاختصاص باتفاق الخصوم فى أية حالة كانت عليها الدعوى، ويكون الاختصاص فى هذين الفرضين للمحاكم الاهلية.

(٢) القضايا الجنائية التى يكون المتهم فيها أجنبيا متمتعا بالامتيازات، واذا تعدد المتهمون وكان فيهم مصرى كانت القضية من اختصاص المحاكم الاهلية حتى بالنسبة للمتهمين الاجانب، منعا لتضارب الاحكام.

أما تشكيل المحاكم الجديدة فيكون على الوجه الآتى :

(١) محكمة استئناف يكون نصف عدد المستشارين بها مصريين والنصف الآخر من الاجانب. وتشكل فى هذه المحكمة دوائر مدنية وجنائية يكون عدد أعضاء كل دائرة منها ثلاثة (بدلا من خمسة)، ولا يكون تشكيل الدائرة صحيحا الا اذا كان أحد أعضائها على الأقل مصريا.

(٢) ثلاث محاكم ابتدائية فى القاهرة والاسكندرية والمنصورة، ويكون نصف القضاة فى كل محكمة من المصريين والنصف الآخر من الاجانب، وتشكل الدوائر فى هذه المحاكم على الوجه المبين فى تشكيل دوائر محكمة الاستئناف. وتكون رياسة محكمة الاستئناف والمحاكم الابتدائية جائزة للمصريين وللاجانب على السواء، فاذا انتخب أجنبى للرياسة وجب انتخاب مصرى للوكالة. واذا جلس فى الدائرة أكثر من عضو مصرى تكون رياسة الدائرة حتما لمصرى. ويكون أعضاء النيابة العمومية كلهم مصريين، عدا النائب العام. أما لغة هذه المحاكم الجديدة فتكون اللغة العربية للدوائر التى يرأسها مصرى، واحدى اللغتين العربية أو الفرنسية للدوائر التى يرأسها أجنبى على أن تقرر الدائرة أى اللغتين تستعمل فى القضايا المختلفة.

وقد لاحظنا فى هذه المقترحات أن بعضها قد أقرته انجلترا فى فى مفاوضاتها مع مصر، كما جاء فى المذكرة البريطانية التى سبقت الاشارة اليها (انظر الكتاب الأخضر ص ٩ — ص ١٠) وكما جاء فى مشروعات هرست المعروفة. والبعض الآخر تحتمه العدالة، ويستوجبه تقدم مصر فى مدى ستين عاما انقضت منذ إنشاء المحاكم المختلطة الحالية، مما يقتضى تمصير المحاكم الجديدة مع الاحتفاظ بالعنصر الاجنبى فيها. والفكرة الاساسية فى هذه المقترحات أن ينقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم الجديدة، فلا يعود يوجد من المحاكم فى مصر إلا ما كان مصريا. وفى الوقت الذى يتسع فيه اختصاص المحاكم الجديدة على حساب المحاكم القنصلية يضيق فيه هذا الاختصاص لحساب المحاكم الأهلية. فنسترد لاختصاص محاكمنا الأهلية القضايا العقارية، وقد قدمنا أن الامتيازات الاجنبية لا تمنع من ذلك، وأن الاجانب لم يسمح لهم بتملك عقارات فى البلاد العثمانية الا بشرط أن يخضعوا لقوانين البلاد ومحاكمها فيما يتعلق بهذه العقارات. ونسترد أيضا ما انتزعته المحاكم المختلطة من اختصاص المحاكم الاهلية من طريق التوسع فى التفسير توسعا يصطدم مع المنطق القانونى

الصحيح . فنقصر كلمة « الاجنبي » على من كان تابعا لدولة متمتعة بالامتيازات ، حتى يدخل فى اختصاص المحاكم الأهلية قضايا الأجانب غير المتمتعين بالامتيازات وقد أصبحوا الآن كثيرين. وهذا حقنا ، لايجوز انكاره علينا ، ومع ذلك فقد أنكرته المحاكم المختلطة الحالية ، ولم يجد فى اقناعها تعديل المادة ١٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية بما يتفق مع هذا الحق . (١) ثم نقضى على نظرية الصالح المختلط التى استطاعت المحاكم المختلطة الحالية من ورائها أن تمد اختصاصها الى قضايا فيها كل المتقاضين مصريين ، بدعوى أن هناك مصلحة لأجنبي فى الدعوى ، ولو كانت هذه المصلحة ليست هى بالذات موضوع النزاع . وطبقت هذا المبدأ على الشركات ولو كانت مصرية ، فادخلتها فى اختصاصها مادام فيها مساهم أجنبي . وطبقته كذلك على حجز ما للمدين لدى الغير ، فقضت باختصاصها ولو كان كل من الدائن الحاجز والمدين المحجوز عليه مصريا ما دام المحجوز لديه أجنبيا . وليس للمحاكم المختلطة فى كل هذا سند قانونى الا نص المادة ١٣ من لائحة ترتيبها ، وهذه لاتعرض الا لحالة استثنائية لايجوز التوسع فى تفسيرها ، ومن باب أولى لايجوز القياس عليها . ثم نضع حدا للاحتيال على جعل قضية من اختصاص المحاكم المختلطة من طريق تحويل الحق المتنازع فيه الى أجنبي تحويلا صوريا . ونفسح المجال لاتفاق الخصوم على اختصاص المحاكم الاهلية حتى لو كان بينهم أجنبي ، سواء أوجد هذا الاتفاق وقت رفع النزاع أم كان قد تم قبل ذلك ، وبهذا نمهد السبيل لمد اختصاص المحاكم الاهلية الى الأجانب الذين يرتضون هذا الاختصاص .

ورأينا بعد ذلك أن تكون المحاكم الجديدة ، وهى مصرية ، غير مقصورة فى مصريتها على الشكل دون الجوهر ، كما هو شأن المحاكم المختلطة الحالية . فطلبنا أن يكون نصف قضاة المحاكم الجديدة مصريين حتى نضمن بذلك أن تكون هناك دوائر ، غالبية القضاة فيها مصريون ورئيسها مصرى ولغتها العربية ، وأن يكون نصف أعضاء الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف ـ ولها اختصاص تشريعى كما قدمنا ـ من القضاة المصريين . وأجزنا رياسة المحاكم للمصريين وحتمنا أن تكون الوكالة لهم اذا كان الرئيس أجنبيا . وبذلك يكون العنصر المصرى فى المحاكم الجديدة معادلا للعنصر الاجنبي وهذا هو العدل ، فان المصالح المصرية التى تقضى فيها هذه المحاكم لا تقل فى الأهمية والخطر عن المصالح الأجنبية إن لم تزد عليها . هذا الى أن المحاكم مصرية ، تجلس فى أرض مصرية ، وتحكم باسم مليك البلاد ، وتتقاضى نفقاتها من خزينة مصر ، وتنفذ السلطات المصرية أحكامها ، فاذا طلبنا بعد كل هذا أن يكون نصف القضاة مصريين فلا نكون قد ارتكبنا شططا بل نحن معتدلون ، فما زلنا نفسح المجال واسعا للعناصر الاجنبية : نصف القضاة منهم ، ولهم أن يرأسوا المحاكم والدوائر ، وللدائرة التى تتشكل من غالبية أجنبية أن تتخذ الفرنسية لغة للتقاضى ، وهذه الغالبية الاجنبية مكفول توافرها فى نصف الدوائر . أليس فى كل هذا ضمان كاف نقدمه للاجانب حتى يطمئنوا الى قضاء المحاكم الجديدة ؟

٣ ـ الادارة

نرى أن تنص المعاهدة على الغاء كل القيود التى تضعها الامتيازات الاجنبية على سلطة الادارة المصرية . فيصبح لرجال الادارة السلطة فى القبض على المجرمين الاجانب وتفتيشهم وتفتيش منازلهم ومحال أعمالهم دون تدخل القناصل . ويكفى ضمانا للاجانب أن يجعل هذا من اختصاص رجال ضبطية خاصة تلحق بالمحاكم الجديدة ، وتوضع تحت اشراف النائب العام أمام هذه المحاكم ، ولا بأس من اختيار هذا النائب من بين الاجانب مادمنا قد نقلنا الاختصاص الجنائى للمحاكم القنصلية الى المحاكم الجديدة ، على أن يكون النائب العام وحده هو الأجنبي دون سائر أعضاء النيابة ، هؤلاء يجب أن يكونوا مصريين كما قدمنا . واذا كان لابد من تقديم ضمانات أخرى . فلا بأس من ادخال عنصر أجنبي لا يزيد على النصف بين رجال الضبطية القضائية الخاصة التى أشرنا اليها .

ومادمنا قد جعلنا اختصاصات الضبطية القضائية بالنسبة للاجانب فى يد هيئة خاصة فيها عنصر أجنبي وهى تحت اشراف النائب العام الأجنبي ، فانه لم تعد هناك حاجة للضمانات التى تطلبها انجلترا مما جرت على تسميته (بالبعثة الانجليزية) فى البوليس المصرى ، وهى البعثة التى ورد ذكرها فى المفاوضات التى دارت بين البلدين .

---

(١) وقد يحسن أيضا النص فى المعاهدة على أن جميع الرعايا السابقين للدولة العلية ، كالفلسطينيين والسوريين واللبنانيين يخضعون للقضاء الاهلى ، حتى لو كانت بلادهم قد وضعت بعد الحرب تحت انتداب دولة متمتعة بالامتيازات

كذلك لا حاجة الى وجود مستشار قضائى ومستشار مالى ، فاذا كان لابد من وجودهما وجب تجديد اختصاصهما والمدة التى يبقيان فيها تحديدا ضيقا ، بحيث لا يتنافى وجودهما مع سيادة الدولة ، ولا يؤيد دعوى الانجليز فى حماية المصالح الأجنبية ، ولا يتعارض مع المسئولية الوزارية .

وغنى عن البيان أن الادارة المصرية تستبقى حقها مطلقا فى إبعاد الأجانب غير المرغوب فيهم عن مصر ، فان هذا هو حقها فى الوقت الحاضر لم يؤثر فيه وجود الامتيازات الأجنبية ولا قيام المحاكم المختلطة . كذلك يكون للادارة المصرية وللهيئة التشريعية اتخاذ التدابير اللازمة لمنع المهاجرة الى مصر أو تقييدها إذا استلزمت مصلحة البلاد ذلك . وللحكومة المصرية الحرية الكاملة فى عقد معاهدات مع الدول بشأن تسليم المجرمين الفارين . كل هذا نذكره لا لأن هناك شكا فى ان الحكومة المصرية تملكه ، فانه لا يوجد أحد ينكر عليها هذه الحقوق التى لم تتأثر بالامتيازات الأجنبية ، وإنما نقرره هنا لانه ورد ذكره فى مشروعات هرست المعروفة ، وكان يراد تضييق سلطة الحكومة المصرية فيه فترجع الى الوراء بدلا من أن تتقدم الى الامام .

***

هذه هى أسس المعاهدة التى نقترح أن تعرضها الحكومة المصرية على الدول ذوات الامتيازات . وقد راعينا فى وضعها الا تتضمن من المبادئ والأحكام إلا ما أقرته انجلترا نفسها فى المفاوضات التى دارت بينها وبين الوزارات المصرية المختلفة ، وإلا ما كان متفقا مع العدالة وما تستدعيه حالة البلاد من تعديل النظم القائمة . وهذه الأسس هى الحد الأدنى لما تطلبه البلاد فى الوقت الحاضر ، على ان تسترد الدولة المصرية سيادتها كاملة متى حانت الظروف المناسبة . وإذا كنا فى حاجة الى اقناع أحد بصلاحية هذه الأسس فليست هى الدول ذوات الامتيازات التى تحتاج الى ذلك ، وهى تعرف حق المعرفة أن هذه المطالب ، عادلة معتدلة ، وانما حاجتنا هى اقناع الجانب المصرى نفسه بالاقتصار على هذه المطالب ، بعد أن دوت صرخة الرأى العام تنادى بالغاء الامتيازات الاجنبية دون الابقاء على أى أثر منها . على أننا اذا كنا استبقينا بعض هذه الآثار فى المعاهدة المقترحة ، فانها لا تبقى الا فى فترة الانتقال من حالتنا الحاضرة الى حالة أخرى تعود فيها الى مصر سيادتها الكاملة . ولذلك جعلنا المعاهدة مؤقتة ، وأعطينا لمصر حق الغائها باعلان يصدر من جانبها . وقد تكون فترة الانتقال هذه ضرورية فى الوقت الحاضر ، حتى لا تباغت البلاد بتغيير فجائى طفرة واحدة .

فاذا عرضت هذه الأسس على الدول ذوات الامتيازات ، فقد تقبلها هذه الدول جميعها ، أو يقبلها عدد كبير منها (والعبرة بعدد الرعايا لا بعدد الدول) ، وفى هذه الحالة تعقد المعاهدة مع الدول التى قبلت ، ولا نعتد بالأقلية التى لم تقبل ، فهذه لا تلبث أن تنضم الى المعاهدة ، كما فعلت فرنسا فى سنة ١٨٧٦ . وينتهى الأمر عند هذه الخطوة الثانية . أما إذا لم تقبل الدول هذه الأسس ، فعلى الحكومة المصرية أن تخطو فى التدابير التى تتخذها الخطوة الثالثة وموعدنا بتفصيلها العدد المقبل .

عبد الرزاق السنهورى

لا غالب الا الله . . ! (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

ذهبت البارحة الى مسرح الحمراء . وقد سمى الاوربيون كثيراً من ملاهيهم باسم الحمراء بعد أن حرفوه الى الهمبرا . سألت نفسى فى الطريق كيف حرِّف الاسم هذا التحريف ؟ فقالت : ان الزمان ليطمس الأعيان ثم يذهب بالآثار ، فما ابقاؤه على الاسماء ؟ أشفقت من هذا الحديث أن أتغلغل فيما وراءه من آلام وأحزان ، فقلت : فيم الفرار من الكيد والعناء إلى هذا الملهى إن بدأت حديثه بالمراثى والمصائب ؟

أخذت مكانى بين الجالسين فسرحت طرفى فى طراز عربى من البناء والنقش ، واذا منظر يفتح لى من التاريخ فجاجا ملأى بالاهوال والعبر . لبثت أتأمل البناء متحرزاً أن أجتازه الى ما وراءه من خطوب التاريخ . وما زلت أصوب النظر وأصعده فى المسرح حتى جد البصر على دارة فى ذروته لاحت فيها أحرف عربية ،

(١) كتبت فى لندن سنة ١٩٢٥

فبكيت، وإياها غريبين فى هذا الجمع « وكل غريب للغريب نسيب » بل كنت وإياها نجيين فى هذا الحفل لا يفهمها غيرى ، ولا تأنس من الوجوه الحاشدة بغير وجهى . أجهدت البصر الكليل فى قراءة الأحرف فإذا هى « لا غالب الا الله » . يا ويلتاه !

شعار بني الأحمر الذى حلوا به قصورهم ومساجـــدهم . ؟ انها لسخرية أن توضع هذه الكلمة الجليلة فى هذا الملهى ، وأى جليل من ماضينا المجيد لم يتخذه القوم سخرية ؟ قرأت هذه الكلمة فاذا هى عنوان لكتاب من العبر ، قلبته صفحة صفحة ذاهلا عما حولى فلم أنتفع بنفسى فى مشهد اللهو واللعب ، ولم تحس أذنى الموسيقى والغناء . أغمضت عينى عن الحاضر لأفتحها على الماضى . وصمت الأذن عن ضوضاء المكان ، لتصيخ الى حديث الزمان .

وناهيك بجولان الفكر طاويا الأعصار ، منتظما البوادى والأمصار ، واثبا من غيب التاريخ الى الحاضر ، ومن الحاضر الى غيب التاريخ .

شهدت فى ساعة جيوش طارق غازية من الزقاق الى البرنات ، وشهدت مصرع عبد الرحمن الغافقى فى بلاط الشهداء ، وشهدت جلاد الاجيال من المسلمين والاسبان ، ورأيت الناصر فى حربه وسلمه ملء العيـــن جلالا ورهبة ، وملء القلب عدلا ورحمة . ورأيت البطل ابن ابى عامر يحالف الظفر فى خمسين غزوة ، ويبعد المغار حيث نكصت الهمم والعزائم من قبله . ورأيت دولة الامويين تزلزل فتصدع فتنهار ، وأبصرت ملوك الطوائف يتنازعون البوار والعار ، ويؤدون الجزية الى الفونس السادس صاغرين . ثم سمعت جلبة جيوش المرابطين يقدمها يوسف بن تاشفين ، وشهدت موقعة الزلاقة القاهرة ، ثم رأيت راية المرابطين تلقف رايات ملوك الطوائف . وهذه دولة الموحدين ، وهذا المنصور يعقوب بن يوسف فى موقعة الأرك يحطم جيوش الاسبان بعد الزلاقة بمائة عام . ورأيت موقعة العقاب وقد دارت على المسلمين دوائرها . والناصر ابن يعقوب يفر بنفسه بعد أن اقتحمت عليه المنايا دائرة الحراس ورأيت غرناطة وحيدة فى الجزيرة يتيمة ، قـــد ذهبت أترابها ، وصارت كما قال طارق يوم الفتح : أضيع من الايتام فى مأدبة اللئام ، ولكنها على العلات ، ورثت مجد المسلمين وكبرياءهم فجالدت الدهر عن نفسها مائتين وخمسين عاما ، وحمت حضارة المسلمين على رغم النوائب وكلب الأعداء . ثم رأيت أشراط الساعة — رأيت أبا الحسن وأخاه محمدا يتنازعان السلطان على مرأى من العدو ومسمع ، ورأيت أبا عبدالله ينازع أباه أبا الحسن .. ذلك الملك المائل ، والظل الزائل ، ورأيت العراك المديد بين أبى عبدالله وعمه الزغل كما تتناطح الخراف فى حظيرة القصاب ، وتلك جيوش فرديناند وايزابلا تنيخ على مدينة بعد أخرى ، وتدك معقلا بعد آخر ، ومالقة تجاهد الكوارث جهاد المستميت ، والزغل يشق الاهوال اليها لينقذها ، فيقطع أبو عبدالله طريقه ويرد جنده . ومالقة فى قبضة العدو ، وأهلها أسارى يباعون فى الأسواق ويتهاداهم الملوك والكبراء ... وهاهو الزغل يسلم واديآش الى العدو على منحة من الأرض والمال . ثم يعيا بأعباء المذلة والهوان فيهاجر الى المغرب . ثم شهدت يوم القيامة ، الجيوش محيطة بغرناطة وأهلها يغيرون على العدو جهد البطولة والاستبسال والصبر ، ثم يغلق عليهم الضعف أبواب المدينة . وهذا من ربيع سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وأبو عبد الله يسير الى فرديناند فى كوكبة من الفرسان لا محاربا ولا معاهدا ، ولكن ليسلم اليه مفاتيح الحمراء . نظرت الصليب الفضى الكبير يتلألأ على أبراج القلعة ، وبكيت مع أبى عبد الله وهو يودع معاهد المجد وملاعب الصبا من الحمراء وجنة العريف . وسمعت أمه عائشة تصرخ فى وجهه : « ابك اليوم كالنساء على ملك لم تحتفظ به احتفاظ الرجال » فينهل دمعه ، وتتصاعد زفراته على الأكمة التى يسميها الاسبان اليوم « آخر زفرات العربى » . وهذا أبو عبد الله وهو الذى باء بأوقار من العار والذل تأبى فيه بقية من الشمم العربى أن يقيم على الضيم فيهاجر الى المغرب ، ويرسل الى سلطان فاس من بنى وطاس رسالته الذليلة المسهبة يدفع عن نفسه ما قرف به فى عرضه ودينه . ويشكو الى السلطان حزنه وبثه ويقول :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم   رعيا لما مثله يرعى من الذمم

بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن   جار الزمان عليه جور منتقم

عى رأسى وقلبى بهذه الاحداث الكاربة ، والخطوب المتلاحقة ، وهالتنى هذه المشاهد المفظعة ، فخرجت من هذه الغمرة مرتاعا كما يستيقظ النائم عن حلم هائل .

نظرت أمامى فاذا المسرح ، وصعدت بصرى فاذا الدائرة : « لا غالب الا الله » !

عبد الوهاب عزام

الفاشستية

ومبادئها القومية والاقتصادية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مبادىء الثورة الفرنسية روح الحركات الدستورية والديموقراطية التي جاشت بها معظم الامم الاوروبية خلال القرن التاسع عشر ، وكانت الحريات الدستورية والديموقراطية الى ما قبل الحرب هي المثل القومية والشعبية العليا . ولكن الحرب صدعت من صرح المبادىء الحرة والانسانية ، وبثت الى الامم والجماعات الاوروبية كثيراً من النزعات الرجعية : فاستردت القومية المتعصبة سابق قوتها وعادت الاحقاد القومية الى سابق اضطرامها ، وشغلت الديموقراطية بخلافاتها ومعاركها الداخلية عن مواجهة الخطر الذي يهددها . ولم تلبث الحركة الرجعية حتى احرزت فوزها الاول بقيام الفاشستية الايطالية ، ثم بقيام حكومات طغيان أخرى في اسبانيا وبولونيا ويوجوسلافيا تحتقر الحقوق والحريات الدستورية وتعمل لسحقها ، وان كانت مع ذلك لاترى بأساً من أن تستتر وراءها وتعمل باسمها في أحيان كثيرة . ولم تكن الفاشستية الإيطالية حين قيامها واستئثارها بمقاليد الحكم والسلطان في ايطاليا ، سوى حركة محلية قامت في ظروف خاصة ، ولم يكن يقدر لها يومئذ انها ستغدو ذات يوم فكرة قومية تهب ريحها على كثير من الامم الاوروبية الأخرى ، وانها ستغدو نظاماً عاماً للدولة يطبق اليوم في دولة عظيمة أخرى هي المانيا مع خلاف يسير في الوسائل والغايات ، وتقتبس منه اليوم دول أوروبية أخرى كالنمسا التي اصدرت دستورها الجديد على أساس المبادىء الفاشستية ، بل ذاع اليوم دعوته في بلاد ديموقراطية عريقة كانكلترا يقوم بها حزب يدعو الى النظام الفاشستي .

وظفر الفاشستية على هذا النحو يدعو الى استعراض المبادىء الجوهرية التي تقوم عليها ، والظواهر الخاصة التي تتميز بها . ويجب أولا ألا ننسى ان الفاشستية تشترك مع البلشفية في الاستئثار بجميع السلطات والسيطرة على جميع موارد الدولة ، وأن الفاشستية من حيث هي نظام طغيان مطلق تشبه البلشفية كل الشبه . بيد أن هنالك فروقاً جوهرية بينهما في الوسائل والغايات سنأتي عليها فيما بعد . ودعامة الفاشستية الاولى هي الفكرة القومية ؛ وعليها تقوم جميع مبادىء هذا النظام ، واليها ترجع جميع غاياته : فالفاشستية ترى أن « الأمة » هي حقيقة طبيعية تاريخية ، مثلها الاعلى هو أن ابناء البلد الواحد اخوة تجمعهم رابطة القومية العامة ، ولا تحقق سعادة الامة بقيام فريق منها ضد فريق آخر ولا طبقة منها ضد طبقة أخرى ، بل يجب أن تنظم جميع الطوائف والطبقات والقوى لصالح الامة المشترك ، وباسم الوطن الواحد . وترى الفاشستية انها جديدة طريفة في جوهرها فهي لا تريد أن تصلح او تحيي نظماً قائمة ، ولكنها تدعي انها تقيم حضارة مكان حضارة ، وتنشيء نظماً جديدة لبناء الدولة والمجتمع مكان نظم ذاهبة ؛ وعندها ان جميع المبادىء والنظم القديمة تدعت ولا تصلح بعد للعمل على احياء الحضارة أو المجتمع ؛ ولا بد أن تقلب من أساسها ، وأن تبدأ الحضارة والمجتمع حياة فتية جديدة على ضوء المبادىء والنظم الجديدة . والدولة الفاشستية لا تقوم على النظام الرأسمالي ، ثم هي لا تقوم أيضاً على النظام الاشتراكي ؛ فالانسان لم يخلق في نظرها لكسب المال فقط ، ولم يخلق أيضاً ليقاتل المحظوظين والمنعمين من بني وطنه ، ولكنه خلق ليؤدي واجباً اعظم من ذلك واسمى هو الواجب القومي .

واذا كانت الجامعة القومية هي دعامة النظام الفاشستي ، فان الفكرة التعاونية هي روح هذا الاتجاه القومي ؛ وهي اهم ظاهرة في تكوين الدولة الفاشستية : فالدولة الفاشستية لا تقوم كما تقوم الدولة الديمقراطية على فكرة التنافس الحزبي والطائفي في سبيل السلطة ، ولكنها تقوم على تعاون جميع الطبقات والقوى القومية . وقد عرف السنيور موسوليني في إحدى خطبه الأخيرة هذه الفكرة التعاونية في ما يأتي : « إنها هي الأداة التي تسترشد بها الدولة في وضع النظام الاساسي الشامل الموحد لجميع القوى المنتجة بالامة للعمل على تنمية موارد الشعب الايطالي وقوته السياسية ورفاهته » وفي قوله « لقد اعطى النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي كل ما يمكن أن يعطياه ، ونحن نرث من كل منهما كل ما فيه من العناصر الحيوية » . ويلاحظ ان الفاشستية لبثت بعد قيامها مدى اعوام قبل أن تضع الفكرة التعاونية موضع

التطبيق وتتخذها أساساً لتنظيم الدولة الاجتماعي والسياسي، ففي ابريل سنة ١٩٢٧ اصدرت حكومة رومة «لائحة العمل»، وهي القانون الاجتماعي الاساسي للدولة الفاشستية؛ وفيه تعرف الدولة التعاونية وتشرح نظمها ويشرح قانون العمل المشترك وضمانانه والاعمال التعاونية وتربية العمال. وترى الدولة الفاشستية أن العمل ليس مجهوداً يبذله العامل لكسب قوته، وينتفع به صاحب المال، وليس هو الذكاء أو الجرأة او الاثرة التي تحرك النظام الرأسمالي، ولكن العمل طبق النظرية الجديدة هو مجموعة صنوف النشاط التي ترمي الى تنمية موارد الأمة المعنوية والمادية؛ والنظرية الفاشستية تبعد هنا كل البعد عن مبدإ الحرية الاقتصادية وقانون العرض والطلب؛ وتقدم الفكرة المعنوية على كل هذه الاعتبارات، فكل عضو في جماعة عاملة عقلية أو فنية او مادية إنما هو قبل كل شيء من ابناء الدولة؛ وهو يدخل بذلك الاعتبار في دائرة القانون الخاص، والقانون العام؛ بل يدخل في دائرة القانون الدستوري. ولم تقف الفاشستية في تطبيق الفكرة التعاونية عند الناحية الاجتماعية ولكنها خطت في سنة ١٩٢٩ خطوة اساسية أخرى، فطبقتها من الوجهة الدستورية، وقررت تحويل التمثيل السياسي الى تمثيل تعاوني؛ وأجريت الانتخابات البرلمانية لمجلس يتألف اعضاؤه من ممثلي النقابات والجماعات التعاونية. وأخيراً منذ ايام قلائل فقط اصدرت الفاشستية كلمتها الفاصلة في النظام البرلماني فقررت الغاءه وبذلك قضت الدولة الفاشستية على آخر المبادئ والآثار الراسخة التي تقوم عليها الديموقراطية، وأضحت تقوم على مبادئها الخالصة الاجتماعية والسياسية.

وتشترك البلشفية مع الفاشستية كما قدمنا من حيث هي نظام طغيان مطلق، ولكن البلشفية تقف في الطرف الآخر معارضة للفاشستية كل المعارضة في الفكرة القومية. فالبلشفية تقوم قبل كل شيء على مبدإ نضال الطوائف والطبقات الاجتماعية، وعلى مبدإ سيادة الكتلة العاملة؛ وترى البلشفية أن التاريخ لم يكن في جميع عصوره سوى نضال بين الطوائف، وأن قوى الامة الحقيقيـــة ومواردها تتكون قبل كل شيء من العمل أو جهود الكتلة العاملة؛ وشعارها هو سيادة الكتلة العاملة، ولا تتحقق هذه السيادة الا بسحق الطبقة الرأسمالية؛ وهذا هو الفارق الجوهري بين البلشفية والفاشستية. فالاولى تقوم مهمتها الاجتماعية والاقتصادية على نضال الطوائف، وتقوم مهمة الثانيـة على الفكرة التعاونيـة، ولكن البلاشفة يسخرون من هذه الفكرة ويقولون ان تعاون الطبقات ذات المصالح المختلفة مستحيل بطبيعته، وإن الطغيان الفاشستي يتخذ من التعاون حيلة لاخضاع الطبقات العاملة، وان هذا التعاون انما هو تعاون الذئاب مع الاغنام. هذا وثمة فارق جوهري آخر بين النظامين هو أن البلشفية تذهب في برنامجها الهدام الى حدود بعيدة، فترى أن تحقيق مثلها لا يكون الا بهدم كل المبادئ والنظم القائمة، واستبدالها بمبادئ ونظم أخرى من تفكيرها وصنعها. ولكن الفاشستية لا تذهب في قصد الهدم الى هذا الحد، فهي ترى أن تأخذ من النظم القائمة ما يلائم غاياتها، ولا ترى بأساً من أن تقتبس من الاشتراكية كما تقتبس من الرأسمالية.

وتستطيع الفاشستية أن تدعي اليوم أنها قد أصبحت حركة عالمية بعد أن لبثت الى ما قبل عامين حركة ايطالية محلية، فمبادئها ومثلها السياسية والاجتماعية تسيطر اليوم على أمة عظيمة أخرى هي المانيا. وطغيان «الوطنية الإشتراكية» الذي يفرضه الهتلريون اليوم على الشعب الالماني يقوم على نفس الوسائل التي شقت بها الفاشستية طريقها الى السلطان والحكم منذ اثنتي عشرة عاماً. بيد أن الفاشستية الالمانية تنقصها الطرافة، ويغلب فيها التقليد على الابتكار، وتنقصها بالاخص الزعامة الممتازة، وتقدمها بهذه السرعة يرجع الى وسائل العنف والارهاب أكثر مما يرجع الى وسائل الاقناع والتأثير. وهي في جوهرها كالفاشستية الايطالية تقوم على الفكرة القومية، وحشد أبناء الوطن الواحد تحت لواء واحد؛ ولكنها تذهب في فهم الفكرة القومية الى حد التعصب الجنسي والديني الواضح، وهو حد لم تبلغه الفاشستية الايطالية قط، فزعماء الوطنية الاشتراكية الالمانية: أعني هرهتلر وزملاءه يمزجون الفكرة القومية بفكرة الجنس والسلالة ويفرقون بين الجنس الآرى والاجناس الاخرى، ويقولون إن الشعب الالماني هو شعب آرى أشقر يتفوق بالدم والمزايا الجنسية والفكرية على جميع شعوب الارض، ويشهرون العداء على غير الآريين؛ ومن ثم كانت ثورة الخصومة السامية ومطاردة اليهود الالمانيين بحجة أنهم غير آريين وأن وجودهم خطر جنسي واجتماعي على الشعب الالماني، وهي حركة تعصب شائن لم تضم الفاشستية الايطالية في أي طور من أطوارها

وكانت ذريعة سياسية فى الواقع رأى الهتلريون فى اتخاذها تحقيقا لبعض خططهم السياسية والاقتصادية ؛ وتذهب الفاشستية الالمانية الى أبعد من ذلك فتعتبر جميع الاجناس السامية والشرقية أجناسا منحطة ، هدامة للحضارة ، يجب أن يسودها الجنس الآرى

واما من الوجهة الاقتصادية ، فان الفاشستية الالمانية غامضة فى وسائلها وغاياتها . فهى تزعم انها اشتراكية على حين انها ابعد الاشياء عن الاشتراكية . وهى تعتمد فى خططها الاقتصادية على التقليد والاقتباس من الفاشستية الايطالية ؛ فقد أصدرت مثلا قانونا « لتنظيم العمل القومى » على مثل لائحة العمل الايطالية ؛ وجمعت نواحى الانتاج المادى والفكرى فى دوائر معينة مقتبسة نظام النقابات الايطالى . ويعرف الدكتور فدر احد علماء الوطنية الاشتراكية الاقتصاديين مهمة الحكومة النازية فى الميدان الاقتصادى بما يأتى : « ان الوطنية الاشتراكية تعارض فكرة جعل الاقتصاد القومى قوميا . والواقع انه اذا كان من واجب الدولة ان تدير شئون البلاد الاقتصادية فيجب ان يكون شعارها عدم التدخل فى الانتاج ، ومهمة الحكومة الجوهرية هى « التنظيم » ، فعلى الدولة أن تدير شئون البلاد دون أن تشترك فيها . وهذا هو الباعث الذى يوجه الاقتصاد الوطنى الاشتراكى » .

وقد حققت الفاشستية فى ايطاليا دولة قوية ومجتمعا جديدا قويا ، وبذلت جهودا خليقة بالاعجاب لتنمية الموارد القومية وتنظيم الانتاج القومى ، وبثت الى الشعب الايطالى قوى معنوية جديدة ، ورفعت هيبة ايطاليا الخارجية . ولكنا لانستطيع حتى ازاء هذه النتائج البديعة أن ننسى الوسائل العنيفة التى حققت بها الفاشستية سيادتها وسلطانها ، ولانستطيع أن ننسى أنها مازالت تحقق ظفرها على حساب الحريات الدستورية والشعبية . واذا كانت الفاشستية قد استطاعت أن تسير حتى اليوم فى طريق التقدم والظفر ، فلسنا نستطيع مع ذلك أن نؤمن بما يقوله زعماؤها ودعاتها من انها أصبحت تتبوأ مكانتها المستقرة الراسخة بين الانظمة السياسية والاجتماعية العريقة ، وانها أصبحت نظام المستقبل ، ذلك أنها تقوم على كثير من العنف وتغليب الارادة الفردية والوسائل المصطنعة ، ولا تتفق فى كثير من مبادئها وغاياتها مع المبادىء والغايات الانسانية المثلى ، وليست من جهة أخرى تتفق مع النزعات الحرة الراسخة التى يمتاز بها التطور السياسى والاجتماعى فى عصرنا ؛ ومن المحقق أنه يوم تبرأ أوربا القديمة من الجراح التى أصابتها من جراء الحرب الكبرى ، ومن الفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى هزت أسس المجتمع الاوربى القديم ، فان صرح الفاشستية سيأخذ عندئذ فى الانهيار والتطور ، وستعود المثل الحرة والدستورية القديمة الى تبوىء زعامتها وسيادتها فى الدولة والمجتمع ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

حل العقد بقطعها

بعض مواقف الفصل — فقر العالم الى العباقرة

الناس مفتقرون فى كل حين من الدهر الى رجال يحلون العقد لا بالنفث فيها كما يصنع أهل السحر والشعبذة ، بل بقطعها توفيراً للوقت وكفاية لمؤونة التعب وبرهانا على العبقرية – كما صنع ذو القرنين منذ اثنين وعشرين قرنا . وكما صنع المتنبى منذ عشرة قرون . . . وكما صنع لورد كرومر فى أواخر القرن الماضى . وكما صنع مصطفى كمال فى رواية الامريكى التائه .

ذلك بان جمهرة الخلق قوالون وباعو كلام أكثر منهم فعالين ، سواء فى ذلك منهم خاصتهم وعامتهم . فاذا عرضت لهم عقدة مهما يكن موضوعها اشتغلوا بالحرف وفقهه ، وعدوا عن الروح وجدته . والغالب أن يشكل عليهم فهم الحرف فيروحون يتخبطون فيه وفى تأويله حتى يقوم فيهم من يضرب بالحرف عرض الحائط وينبذ اللفظ ويشرب فى قلبه حب الروح ويفقه المعنى فيحل العقدة باسرع مما عقدت .

ذو القرنين

أما ما صنع اسكندر المقدونى الكبير تلميذ أرسطوطاليس الفيلسوف العظيم فى أوائل القرن الثالث قبل المسيح فهو أنه زار أحد هياكل آلهة اليونان فرأى عقدة معقودة ومحبوكة ، فسأل عنها ، فقال له الكهنة والمتنبئون والسحرة والنفاثات فى العقد : أن من يحل هذه العقدة يفتح آسيا ، فجرب فلم يفلح ، ولكن أومض فى صدره قبس العبقرية التى استمدها من معلمه فلم يلبث أن استل سيفه وحل العقدة بقطعها وترك الذين حوله مصعوقين ، وفتح أمامه السبيل الى فتح آسيا

المتنبي

وأما المتنبي فحكاية ماصنع مبنية على بيت قاله من قصيدة هي من عيون قصائده . فقد أكثر في زمانه من التبرم بالناظمين الذين سماهم متشاعرين وقال انهم غروا بذمه ، ويحذرهم على ذلك الذم لأنه داء عضال لهم : « ومن ذا يحمل الداء العضالا » . وانهم كثيرو الادعاء ، اذا برزوا له في نزال عجزوا عن أن يأتوا بشيء ، وجاء هو بكل شيء ، ولذلك قال « فكم منهم الدعوى ومني القصائد ».

ولما اشتدت منافستهم له وأبو فراس في جانبهم جمعهم ذات يوم مجلس سيف الدولة ، فقالوا فيه ماقال مالك في الخمر ، وهو ينشد البيت في اثر البيت ، وهم يقولون سرقت هذا من هذا القائل ، وذاك من ذاك القائل ، حتى مل سيف الدولة وضجر وحتى قيل إنه رماه بدواة فأدماه ، فارتفعت من سويدائه شرارة العبقرية التي ماخانت العبقرى مرة ، فمد يده إلى حيث استعار سيف الاسكندر ، وفك به رؤوس هاته الزعانف ببيته المشهور الباقي على الزمان بقاء قصائده

ان كان سركم ما قال حاسدنا   فما لجرح اذا ارضاكم ألم

ويكفي ثوابا له أن يقوم سيف الدولة عن سريره ويقبله في جبينه ، اذ كان هذا البيت امضى من سيف الاسكندر ، وكان في حده الجد بين لعب خصومه وجده ، والفارق بين باطلهم وصحيحه ، وأغنى عن التمادي في خصومتهم ومماحكاتهم ، ورد عداوتهم في نحورهم « وعداوة الشعراء بئس المقتنى » كما قال في احد ابياته

وقد أشار الى هذه الحادثة ببيته الآخر الذي جرى مجرى المثل ككثير من شعره وهو :

انام ملء جفوني عن شواردها   ويسهر الخلق جراها ويختصم

قال إن شوارد الشعر وقوافيه لاتقلق لي بالا ولا تورق لي نوما وانما يقلقني الحزن على حبيب راحل وتؤرقني الصبابة ، فانشد القصيدة ناعما خلي البال وانام ملء جفوني على حين ان هؤلاء الأدعياء يسهرون لياليهم يختصمين ولا يفتح عليهم بشيء .

لورد كرومر

قد تعرض في القانون حالات تحسب فيها المحافظة على القانون سخافة وكسره حكمة وعقلا . وقد يقف الجندي في الميدان مواقف يحيد بها عن أوامر رئيسه ويعصاها فيدفع بذلك كارثة كبيرة . وبمقتضي الاحكام العسكرية يجب أن يقتل ، ولكنه لايقتل لأنه عاذ بعقله في موقف ، طاعة الامر العسكري فيه خطأ ، وعصيانه صواب . والذين عرفوا تاريخ نلسن الشهير عرفوا أنه خالف أوامر رؤسائه غير مرة ، وان ذلك حال دون ترقيته الترقية العسكرية المعتادة ، ولكنه لم يحل دون صعوده الى اعلى مراقي الشهرة البحرية العالمية على يد عبقريته

كان في القاهرة في أواخر القرن الماضي مطبعة اسمها المطبعة العثمانيــــة فنقل الى مختار باشا الغازى القوميسير العثماني العالي حينئذ ، ان فيها قائمة باسماء اعضاء حزب تركيا الفتاة في جميع انحاء السلطنة العثمانية ، وكان السلطان عبد الحميد يخشى بأس تلك الجمعية واعضائها الاحرار ، ولو عرفهم باسمائهم لأهلكهم في جملة من أهلك منهم ، ولشرد اهلهم واسرهم كل مشرد ، فرأى مختار باشا ان الفرصة سانحة للزلفى من مولاه (وتحسين مركزه) فاستعان بالخديو ، ورأي الخديو أن الفرصة فريدة (لتبييض وجهه) في الاستانة فامر فقوجئت المطبعة واقفل صندوقها الحديدى وختم بالشمع الاحمر انتظارا لحكم المحكمة

وألهم الله من أطلع لورد كرومر على المسألة وأخبره بعاقبة وقوع تلك القائمة في يد الآستانة ، فارسل مندوبا من قبله ومعه سيف الاسكندر ففض ختم الصندوق الحديدي وفتحه وأخذ جميع ما كان فيه من الاوراق . وبذلك انتهت المسألة وقطعت العقدة . ولو تركت للمفاوضات الدبلوماسية ما انتهت بانجح من المفاوضات الدبلوماسية في مسألة نزع السلاح الآن!

ولم يسمع بعدها حس ولا ركز في موضوعها ، ولا همس هامس كبيرا كان ام صغيرا ، سوى احتجاج الصحف على انتهاك حرمة القانون وتدنيس قدس القضاء .

مصطفى كمال

رواية الامريكى التائه معروفة ؛ فر من العدالة الامريكية الى فرنسا ومن فرنسا الى اليونان ، لانه رأى فرنسا خطرا عليه واليونان بردا وسلاما على قلبه . فانزل في هذه على الرحب والسعة . فطلبته أمريكا فحكمت محكمة اثينا العليا بان تسليمه لا يجوز في نظر القانون الدولى ، اذ ليس بين أمريكا واليونان معاهدة لتسليم المجرمين

فردت أمريكا بأن في أرضها نصف مليون يوناني ففهمت اليونان هذا الوعيد ، ورأت ان تنذر الأمريكى التائه ففر ، ومازال تائها بباخرته حتى مر بالاستانة ووقفت باخرته في مياهها . فطلبت أمريكا من تركيا أن تسلمه اليها ، وبلغ الطلب مصطفى كمال طبعا

وقيل له القانون الدولى ، ثم القانون الدولى

فسكت هنيهة ريثما راجع فى مخيلته حكاية الاسكندر ، وحكاية كرومر ، وتصور رجال القانون يسهرون ويختصمون على حرف القانون وتفسير القانون ، فضحك من منظرهم هذا وقال مع المتنبى

انام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ثم جىء اليه بخاتم المارد فسمع هاتفا يقول : لبيك ! عبدك بين يديك ، فقال مصطفى كمال : ايتنى بسيف الاسكندر . فاذا السيف امامه ، فتناوله وضرب به عقدة القانون الدولى فقطعها . ولو تركها ما حلتها محكمة لاهاى ولا هاواى ولا شنغاى !

ثم أمر قنصل الاميركى الثائه الى دولته وترك اهل القانون يتشاتمون ويتضاربون ثم ينصرفون .

العالم احوج ما يكون الى رجال امثال هؤلاء يحلون عقد العالم بأعمال توحيها العبقرية ، وهو أعظم ما يكون غنى عن الذين يقولون مالا يفعلون ، ويقشرون النعنع والكمون ، ويهملون اثقل الناموس الحق والرحمة والايمان ، وينبذون روح القانون ويتعلقون بحرفه ونصه .

(ن . ش .)

مختار دائما . . . !

للاستاذ محمود خيرت

ولماذا لا نذكره دائما ، وهو الذى بعث الفن القديم من مرقده ورفع عنه غبار الماضى الطويل ، ونشره بيننا فى زى جديد تحسده عليه آثار العصر الحاضر ؟ إن هذا الشاب الراحل كان النواة الاولى لفنه . وما أنا بمبالغ اذا قلت إن فن النحت والتصوير كان معدوما من قبله هو وإخوانه (محمد حسن ، ويوسف كامل ، وعلى الأهوانى ، وراغب عياد ، وعلى حسن ، وغيرهم من زينة مصر الآن)

انهم جميعا كانوا من عمد النهضة الحديثة التى أنشأ معبدها المرحوم پاولو فورشيللا استاذهم واستاذى أيضا . . . وقد كنت أذهب الى مصنعه وأنا محام فعرفتهم وعرفونى ، وكنا جميعا تلاميذه وان كانوا بالمدرسة وأنا فى أوقات فراغى بهذا المصنع نجتمع عنده ونذهب منه الى حيث المرج أو غزبة النخل أو شاطىء النيل أو بعض أحياء القاهرة القديمة نصور وأستاذنا يطوف بنا كالقائد يدلنا على مواضع أخطائنا . وكالأب يتلطف معنا ويغرس حب الفن فى نفوسنا . حتى نبغوا وكان على رأسهم تلك الشعلة المتقدة الراحلة .

لازلت أذكره وهو بمدرسة الفنون الجميلة بدرب الجماميز فتى وسيما غزير الدم ، مرسل الشعر ، حلو الحديث ، جم الحياء ، عاشقا . . . ولكن فنه يتلذذ بذكره فى كل لحظاته . . . ولا زلت أذكر يوم زارنى عند الغروب يطلب الى فى لهفة بعض صور لتماثيل غربية عن الحب ، فعرضت عليه ما عندى منها . فلما كان اليوم التالى دق التليفون عند الساعة الخامسة صباحا . . . وكان المتكلم هو يذكر أنه لم ينم تلك الليلة كلها ، وقد غمر شغفه بوضع تمثال للحب على النحو الذى فكر هو فيه . بل إنه كان يكلمنى من المدرسة . . . لأنه لم يستطع صبرا فما كادت الشمس تشرق عن الافق حتى قصد اليها ووضع فكرته فعلا . وطلب الى الا اتأخر عنه لأرى ماوضعه . وكان تمثاله الطينى يمثل فتاة عارية متناسبة الاعضاء جميلة الوجه لها نظرات زائغة ، كأنها ترى فى الفضاء شبح الحب مقبلا عليها وكأنها تخافه فتدفعه بساعديها الممتدين ، وقد ستر موضع عفتها بحمامتين تتناغيان على مافى الصورة المرصودة هنا وقد عنيت بالتقاطها وقتئذ .



مختار وهو فى المدرسة

كان مختار لا يعرف للنوم معنى ولا لملاذ الحياة طعما ، الا ما كان منها متصلا بفنه الذى يعشقه عشقا ويهيم به هياما ، وهى مواهب من تهيئهم الاقدار للنبوغ حتى أننى لما أرسلت بنسخة من تلك الصورة الى المسيو لابلانى ناظره واستاذه ، وكان وقتئذ بفرنسا بسبب العطلة المدرسية — أرسل يطلب الى أن افتح عينى مختار الى الشهرة التى تنتظره وأنه سيكون فى يوم قريب فخر مصر ، بل فخر العالم كله (هكذا) . وعند ذلك اقبلت عليه أزف اليه هذه البشرى ، وسلمته ذلك الخطاب الذى يعد أول وثيقة تنبأ فيها استاذه النافذ البصيرة بما سيكون له من الشأن .

وهكذا أصبح مختار حديث المجالس الفنية فى فرنسا حتى اختارته (وهو مصرى) مديراً لمتحف جريفين الشهير ، وحتى ابتاعت بعض آثاره تزين به متاحفها ، وحتى صور لنا آلام مصر وآمالها ونهضتها فى تمثاله الخالد .

لم يكن مختار من أولئك القاعدين المقلدين فيسير على أسلوب فالكونيه وكافوفا وكلوريون ، أو جيروم وكاربو وبارتولوميه ورودين ، فتخرج آثاره موسومة بطوابعهم وتفنى روحه الفنية فى أرواحهم ، وانما كان نفسا يعز عليها ألا يكون لها شخصية مستقلة متقدة بالأمل ، ظمأى الى النهوض ، وثابة الى أبعد مراتب المجد حتى انه قبل قيامه الى فرنسا لاستكمال علمه أشار الى ذلك فى شعر قاله ثم بعث به إلى ، اثبت منه هذه الابيات لأن أكثره غير موزون ولا مصقول ، وان دل على سمو هذه الروح :

وقائلة ما بال شعرك مسدلا   فقلت لها إن الفنون جنون
أعلل نفسى بالمعالى تخيلا   فياليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوما للفنون لواءها   ويبقى لذكراها بمصر رنين

من ذا الذى يصهر نفسه مثل هذا الهيام الفنى ويغمرها مثل هذا الأمل الحبيس فى خدر الطفولة والاعتراف من العلم ولا يكون له من هالات الظفر والمجد والشخصية نصيب ؟

واذا كان وهو لا يزال بمصر طالبا لم يرض لتمثاله (الحب) الا أن يطبعه بصورة خاصة من وحى نفسه وعصارة خياله الذى كان وليد سهره تلك الليلة الطويلة التى مر بنا ذكرها ، فكيف لا نلمس هذه الشخصية الناضجة فى تمثاله الذى رمز به للنهضة .

ولقد تعاقبت القرون وأبو الهول (ذلك التمثال الصخرى القديم) غائر فى رمل الصحراء ، يحدق بنظره فى الفضاء ، صامت صمت الحجر الصلد الذى نحت منه ، حتى هيأت الأقدار لمصر ولدا من أولادها البررة الشجعان يخرجه من صمته ويحركه من سكونه . فمثل لنا مختار إلى جانبه مصرية نبيلة شامخة بأنفها تنظر إلى المستقبل فى عزم وإيمان كما أنهضه من رمل الاحقاب الخالية كانه يتطلع مطمئنا الى هذا المستقبل .

وبعد ، فعد معى ايها القارىء الكريم الى ما ذكرت من ذلك الشعر وهو قوله :

وقائلة ما بال شعرك مسدلا   فقلت لها ان الفنون جنون
اعلل نفسى بالمعالى تخيلا   فياليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوما للفنون لواءها   ويبقى لذكراها بمصر رنين

ألا ترى انه خط هذا الشعر السهل بمداد من سائل شعوره الفياض بحب الفن وحب مصر والوعد برفع لوائها خفاقا بين الوية النهضة الحديثة . وفى مكان آخر من هذه القصيدة اشارة الى ما كان يعانيه من عثيرته فى سبيل هذا الحب وهو صابر ثابت سائر فى طريقه الذى رسمته له آماله ، حتى حققها بعد ان كانت خيالا ، وحتى بر بوعده فكان صادقا ، وحتى خلدته آثاره بعد موته كما اشتهى . . .

ان مختارا كان وحده كوكبا مضيئا سيارا ، ولكن شاء الحظ الساخر الا يتم الا دورة واحدة من مداره . فهل يكتب لمصر ان يخلفه كوكب آخر يعيد سيرة هذا المدار ؟

محمود خيرت

بقلم قضايا المالية

استيلاء المغول على بغداد

لنصير الدين الطوسي

صفحة تاريخيـــة لم تنشر

ذكر المؤرخون على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم حادثة سقوط بغداد ، على يد المغول وأفردوا لها المجلدات الضخام ، ولكن الامر الذي يستحق الاعتبار أكثر من كل شيء هو أن نقرأ تفاصيل هذه الحادثة بقلم البحاثة (الخواجه نصير الدين الطوسي) الذي رافق الحملة التترية الى بغداد وحضر الواقعة بنفسه وكتب مارآه وماسمعه بدون تحزب كما سيتضح لك من هذه الوجيزة التي أخرجها حديثا من بين رسائل العلامة الطوسي الخطية « رسول النخشي » أحد كتاب ايران ، رأينا أن نرسل بترجمتها للرسالة لاهميتها أولا ولمناسبة ما أورده الاديب فرحان شيلات في عددي الرسالة ٣٣ — ٣٤ ثانيا

« لما عزم السلطان (هولاكو خان) على أن يلج بلاد الملاحدة (الباطنية) سير من قبله مندوبا الى الخليفة ليطلب منه النجدة حتى يستاصل بذلك شأفتهم ويمحو سطوتهم ، فبلغ الرسول الخليفة فحوى الرسالة بقوله يقول السلطان : « أننا بعاداتنا البدوية وأسبابنا القومية نستنجد بك على أعدائنا ، وبالنظر الى الحب والولاء القائم بيني وبينك أرجو معونتنا بخيلك وامدادنا برجالك ، حتى ندرأ شر هذه الفئة الباغية التي أريقت بكيدها الدماء وازهقت بغدرها أرواح الابرياء » فاختلى الخليفة بحاشيته وائتمر مع أصحابه ، فأجابه الجمع من الجنود والامراء ، بان « هلاكو » يريد بهذه الحيلة إخلاء بغداد من العدد والعدة لتصبح في وجهه مفتحة الابواب ، خالية من الخيل والركاب ، فيستولي آنئذ على المدينة بلا توجس خوف وارتياب ، ونمسي على مافعلنا نادمين . فانصاع الخليفة لرأي الجلساء وتوانى في امداد السلطان ورجع الرسول الى سيده بخفي حنين

ولما أن فرغ السلطان من فتح بلاد الملاحدة عاتب الخليفة عتابا مرا وأنذره انذارا أليما ، فارتأى الخليفة أن يستشير وزيره — العلقمي — فاشار عليه هذا أن يحمل ما في دار الخلافة من فاخر الاثاث وزخرف الرياش على البغال المسرجة والخيل الملجمة ويقدمها هدية للسلطان ، وينجو بهذه الواسطة بما يوشك أن يحدث في ملكه من التدمير والهوان ، فقبل الخليفة ماأشار الوزير اليـــه وأمر بتسجيل ما يلزم انتقاؤه من الاشياء ، وعين لإيصالها نفرا من أركان دولته لعرض المعذرة عند تقديم الهدية ، فاجتمع أحد الامراء المدعو « الدوات دار الصغير » مع عدة من صحبه وقال لهم انهذه مكيدة أراد بها الوزير قتل أعواننا ونهب أموالنا ، فاذا جيء بالاموال الى ظاهر البلد ننقض عليها برمتنا ونستنقذها لتكون ذخرا ليوم شدتنا ، فنمى الخبر الى الخليفة واضطر الى ابدال الكثير بالقليل ، والوافر بالنزر ، فاغتاظ السلطان وأرسل اليه أن يحضر بنفسه أو أن يبعث اليه أحد الذوات الثلاثة : الوزير أو الكاتب أو سليمان شاه ، فتوانى الخليفة في انجاز ماأراده السلطان أيضا ، فاشتد من أجله غضب السلطان وعقد النية على فتح بغداد ، فارسل الخليفة الازبكي مرة وابن الجوزي بن محي الدين مرة فارتدا خائبين . لأن السيل قد بلغ الزبى ، وحان الوقت الذي لا ينفع فيه الندم .

ففي شهر شوال سنة ٦٥٥ هـ نهض السلطان — هلاكو — من همدان موليا وجهه شطر قاعدة الخلافة العباسية . على أن الامير « صو غنجاق » والسردار « تايجونوئين » كانا قد ذهبا مع مقدمة الجيش الايمن على الميمنة بما يلي اربل عن طريق جبال « شهرزور » كما أن القائد « دقوق » وزميله « كيد بوقائين » و « انكتانوئين » كانوا على الجناح الايسر من الميسرة التي زحفت إلى (تكريت) و (بيات) وكان فيلق القلب من الجند السلطاني تحت إمرته الشخصية يسير من كرمنشاه وحلوان إلى بغداد . هذا وقد سار « الدوات دار » من بغداد بجيش الخليفة وأتى الى يعقوبه فخيم بجوارها . أما السلطان فكان قد أوعز إلى أحد قواده المدعو « تايجورا » أن يعبر دجلة ويدخل بغداد من جانبها الغربي — وقد تخلى هو عن رحله وسرادقه عند ما وصل حلوان وخرج منها بسرية من جيشه ، وأول حادث حدث هو أن طلائع الجيش الملكي أسرت طليعة من جند الخلافة ، ولما مثلوا بين يدي السلطان أقسموا الايمان المغلظة على أن يخلصوا الخدمة من يومهم للملك ويؤدوا له ما يجب عليهم من الصدق والامانة ، وكان في جملتهم أمير من بقايا الملوك الخوارز شاهية فأرسل هذا كتابا من قبله الى العسكر العباسي مخاطبا به « قرانسقور » أحد أمراء جيش الخلافة بالعبارة التالية : —

« اني وإياكم من جنسية واحدة ، أديت الطاعة واتصلت بالخدمة فصرت من المكرمين ، فاذا أردتم أن تبرئوا أنفسكم وتشفقوا على

أرواحكم فاعتصموا بحبل الطاعة وتمسكوا بذيل العبودية لأني لكم من الناصحين . »

وبعدما قرأ « قرانسقور » الكتاب أجاب الأمير المذكور بما يلي : « متى صارت لهلاكو تلك المكانة التي يتمكن بواسطتها بلوغ هذه الغايات ، ولعمري أن هذه الدولة « العباسية » قد شاهدت كثيرا من أمثاله وأقرانه ، هذا وان بجيئه بهذه الصورة الى بلاد الخليفة وتدميرها بهذه الصفة لدليل على انه يريد في الارض علوا وفسادا ، وان أراد غفران ذنوبه وقبول اعذاره فليرجع الى همدان حتى أتشفع له بواسطة « الدوات دار » لدى الخليفة ليعفو عما سلف منه »

وبعد ما وقف السلطان على فحوى الرسالة ضحك ضحكة المتهكم وقال « نعم إن الأمر بيد الله وأنه فعال لما يشاء » . وبعد ما عبر القائدان دجلة ظن البغداديون أن هذه الجيوش والعساكر ما قطعت النهر الا تحت قيادة هولاكوخان الخاصة ، ونمى الخبر الى « الدوات دار » فقفل راجعاً من بعقوبة الى بغداد ، وعبر دجلة فالتقى « بصوغنجاق » الذي كان في مقدمة الجيش المغولي ، ووقعت بينهما معركة انكسرت فيها عساكر « صوغنجاق »

والتجأ الاخير الى الفرار ، ولكن الذي حصل لعسكر « الدوات دار » عند اشتباكه بالحرب مع « تايجونوئين » القائد الثاني دعا لضياع النتيجة ، ضاقت عليه الأحوال فآب « الدوات دار » راجعا بجمعه المتفرق الى بغداد .

أما السلطان فامتطى جواده وعبر « ديالى » مع جمع من عسكره إلى أن بلغ ظاهر بغداد في منتصف شهر محرم سنة ستمائة وست وخمسين ، وارسل « بوقاتيمور » مع جيش ليحيط ببغداد من جانبها الغربي ، وأمر أن يقيم الجند حائطا يحصن المدينة من كل الجهات ، ثم نصبت عليه المجانيق وهيئت المؤن والمعدات اللازمة للحرب والقتال

ولما أحس الخليفة بذلك اجتمع باصحابه ليتشاوروا في الخطب ، فقال بعضهم اذا أردنا أن نقدم لهم الهدايا الفاخرة ونفتدى المدينة بالدرهم والدينار فعسى أن يحملوا هذا دليلا على الخوف والهوان ، والاصلح إيفاد الوزير « صاحب الديوان » مع « ابن الدربوس » بقليل من التحف والرياش ، فاستحسن الجميع قوله ، فلما احضر صاحب الديوان وزميلاه الى السلطان قال : لماذا لم يحضر عندنا « سليمان شاه » و « الدوات دار » ؟ فاجيب بان السلطان كان قد كتب للخليفة أن يبعث واحداً من هؤلاء الثلاثة ، فارسل الخليفة الوزير الذي هو أكبرهم ، فقال السلطان نعم . ولكن أردت ذلك في همدان ، وها أنذا في بغداد ، هذا وبعد أخذ ورد ظهرت بوادر القتال ظهوراً تدريجيا ، وابتدأت العساكر المغولية الحرب في ٢٢ محرم وحمل السلطان بنفسه على بغداد من جانبها الشرقي تجاه برج العجم ، وحاربت عساكر « كبه بوق » بالسهم والنشاب ، وكان القائدان « بلغاى » و « سناى » يتقاتلان في الجانب الايمن للمدينة . وأما « بوقاتيمور » فانه انهال بجيشه على بغداد من الجانب الغربي في أرض كانت تعرف حينذاك : « روضة النقل » ، أما تايجونوئين » و « صوغنجاق » فقد احتوشا المدينة وزحفا عليها مما يلي المارستان العضدي ، ودام القتال الشديد لمدة ستة أيام بلياليها ، وأمر السلطان أن ترسل ست رسائل بواسطة النشاب لجماعة السادة والعلماء والاركان والمشايخ وغيرهم ليفهموهم بان الجيوش المغولية لا تتحرش بهم ان القوا سلاحهم وكانوا في حياد . وما بزغت شمس يوم الثامن والعشرين من شهر المحرم الا وتمكن العسكر المغولي من الاستيلاء على برج العجم ، وقبل صلاة ظهر ذلك اليوم تم النصر للمغول بانهزام البغداديين انهزاماً عظيما ووقوع المدينة في قبضة التتر ، وكان قد ارسل السلطان وحدات من جيشه للحراسة على دجلة من أعلاها الى أدناها وللقبض على الذين يريدون الفرار ، واتفق ان صادفوا ثلاث سفن تحمل اثاث « الدوات دار » وشيئا كثيرا من أمواله وسلاحه وغير واحد من رجاله وصحبه من جملتهم نقيب العلويين ، فاوقفوها عن السير برشاشات النفط النارية ، ولما تمكنوا منهم قتلوهم جميعا حتى النقيب العلوي وصادروا جميع ما فيها من المحمولات ، هذا وقد أمر السلطان أهل بغداد أن يشتركوا جميعهم بهدم الدور التي تحيط بالبلد ، وبعد ما اعلن السلطان العفو العام استأذن الخليفة السلطان للخروج من بغداد لانه تحقق من نفسه وجيشه الضعف الكامل ، وانه باء بالفشل المبين . والخلاصة ان الخليفة قابل السلطان في « باب كلواز » بجمع حاشد من السادة والأئمة والمشايخ والاركان ، وهذه هي المقابلة التي كانت تعد آخر يوم من ايام الخلافة العباسية .

ثم صدرت أوامر السلطان في ان يبادر الجند بنهب المدينة وغزو ما فيها من الاموال . وفي يوم الأحد الموافق لرابع شهر صفر سنة ٦٥٦ ه دخل السلطان المدينة وولج القصر العباسي ثم دخل الغرفة التي كانت معدة لجلوس الخليفة عند ما يريد القراءة والكتابة

وكان الخليفة حاضرا هناك مع نفر غير قليل من العلماء والاشراف ، فتقابل السلطان معهم وتكلم بعد ذلك مع الخليفة وقال له اين الهدايا ؟ فاحضرت له فقسمها السلطان بين رؤساء الجند وقادة الجيش ، ووضع السلطان طبقا ملؤه الذهب الابريز أمام الخليفة وقال له تقدم وكله لسد جوعك ، فقال الخليفة ليس هذا مما يأكل الانسان ! فقال السلطان إذن ما ضرك لو كنت قسمته على اعوانك وجيشك ليكون وسيلة لقوة أمرك وداعيا لنصرتك ؟ ولم لم تخلع هذه الحدائد التى غلقت بها هذه الابواب ليصنعوا منها سهاما تمنع عبور أعدائك من الجيحون « دجلة » ؟ فاجاب الخليفة كل ذلك كائن بتقدير الله ، فقال السلطان نعم وإن الذى سيجرى عليك يكون بتقديره أيضا . ثم أمر السلطان أن تدخل النساء اللواتى باشرهن الخليفة أو ولده بقصر دار الخلافة ، وأذن بدخول الوصائف والخدم أيضا ، وأحصيت فكانت « ٧٠٠ » امرأة و « ١٣٠٠ » وصيف وخادمة . وبعد أسبوع أعلن الأمن العام وجمعت الغنائم والاسلاب

وفى اليوم الرابع عشر من صفر خرج السلطان من المدينة وأمر باحضار الخليفة بظاهرها فأحضر مع ابنه الاوسط وخمس أو ست من خدمه المخصوصيين فوقعت الواقعة وصار ما صار وانتهت آخر أيام الخليفة العباسى فى ذلك اليوم ، وفى اليوم التالى قتل نجل الخليفة الاكبر وشتت بعد ذلك شمل الحرم والنساء فتفرقوا ايدى سبأ . ثم أمر السلطان بعد ذلك بتعمير بغداد ودفن أجساد البشر والحيوانات التى كانت مطروحة فى الطرقات بعدما نصب الوزير — ابن العلقمى — للوزارة وصاحب الديوان لديوانه ، وأعطى امارة الجيش لابن الدربوس ، وسلم ادارة الشرطة فى بغداد لرجل يدعى — استوتها — وبعد ذلك رحل من بغداد الى حيث يريد محفوفاً بهالة من النصر

وكان السلطان قبل رحلته من بغداد سير « بوقا تيمور » بحملة أخرى لاخضاع الحلة وواسط فخضعتا وتوجه « بوقا تيمور » بعد ذلك نحو مدينة « تستر الاهواز » بقصد الاستيلاء عليها ورافقه شرف الدين بن الجوزى الى هناك .

وأما الكوفة والبصرة فانهما أظهرتا الخضوع والطاعة بلا أدنى حرب أو مقاومة .

كربلاء — عباس علوان الصالح

٥ - بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

لقد وعدنا فى العدد الماضى أن نذكر أحراس الجحيم من الشياطين فى خيال دانتى . وفى الحق انه افتن فى وصفهم . وجعل منهم أولى أذناب يطوقون بها المعذبين مثنى وثلاث ورباع . وآخرين فى صورة كلاب تعددت رءوسها وأفواهها . وجعل منهم من يصرخ ويصيح بصوت تنبو عن جرسه الاسماع . .

جمهرة من المردة استغل الشاعر مواهبه الى أقصى حدودها فى وصفهم محتفلا بذلك الوصف حتى جعل لهم مدينة تخصهم لا يلجها سواهم

فى بعض طبقات الجحيم ، وعلى ضفاف نهر اكرونتى Achronte يقف الشيطان كارونتى Caronte بزورقه ينقل فيه المعذبين من مكان الى مكان ضاربا بمجدافه كل من أبطأ به ضعفه أو تمرده . وفى بعض جنباتها يرى الشيطان شربيرو Cerbero فى زى كلب ضخمت جثته ، وتعددت رءوسه وأفواهه ترسل الصراخ والنباح عاليا تنكره الآذان . . وفى بعض نواحيها يرى الشيطان بلوطو Pluto ملحا فى هذيانه بصوته الذى لا تبين نبراته . ويبعث رنينه فى القلوب الفرق والرعب والهلع .

ثم يحدثنا مرة أخرى عن شيطان له زورق يعبر عليه أهل النار بركة سوداء قاتمة يتقلب فى أوحالها وأقذارها المتكبرون والحاسدون . ذلك الشيطان هو فليجياس Flegias . كما حدثنا عن الشيطان مينوتاورو Minotauro الذى تراءى فى ظلمات الجحيم متخذاً هيئة ملفقة من الانسانية والحيوانية ، نصفه ثور ونصفه آدمى الى كثير من زبانية ومن شياطين افتن شاعر الطليان فى وصفها افتنانا جعله يختصها بمدينة (ديتى Dite) . تلك التى أشرف دانتى منها على أبراج وقباب يلفحها لهب الجحيم . وينعكس عليها ضوء النيران . ولم يكد يخطو نحوها يريد اختراقها حتى اعترضه ألف من الزبانية يحتجون على دخوله مدينتهم واختراقه حرمتهم . ولقد كانت الشياطين كلما اعترضته فى طريقه أو ارادت إلحاق الاذى به هرع إلى فرجيل فاستنصر به ، فاقنعها فرجيل بالارادة السماوية التى تأمره بالمسير فخلت له السبيل . بيد ان المردة من (ديتى) أبوا إلا إعراضا وعصيانا فأغلقوا من دونه أبوابهم ، فوقف الشاعر مشدوها يعجب لمنات الشياطين من حوله . ولثلاث من إناث الجن وقفن فوق أكبر البروج مولولات صائحات . وليس خضابهن الحناء بل يصطبغن بالدماء . وتدور على أوساطهن الثعابين ، وتتسدل على أعناقهن ورؤوسهن الأفاعى مكان الشعر متكاثفة يركم بعضها بعضا . ولا زال دانتى تحيط به المرعبات من كل الجوانب حتى جاءه ملك كريم أهوى نحو الشياطين بعصاه ففتحت له أبوابها . واخترقها دانتى ذاهبا لطيته ، واستكمالا لرحلته ، بين حراس الجحيم وعذاب العاصين مسهبا فى الحديث عنهم . بينا المعرى لم يسهب فى وصفهم فلم يكن له غرض فى ذلك بله الافتتان فيه ، فهو لم يرد ذكر العصاة والمجرمين يصف للناس عذابهم عظة وذكرى حتى يفتن فى وصف ذلك العذاب . وفى وصف الزبانية والاحراس الموكلين بالعذاب ، وإنما هو رجل لغة وأدب وشعر . يتلمس الطرق الشائقة ليبرزها طريفة محببة للنفوس . فلم يعرض لخزنة النيران الا قليلا . على حين انك ترى دانتى همه وصف المجرمين والخائنين : خائنى أوطانهم واخوانهم وأهليهم ، معملا خياله فى وصف المعذبين ، وفى وصف الموكلين بعذابهم حتى ينفر الناس من الخطيئة ، ويتجافوا عن المعصية .

ابليس فى الروايتين

ذكر الجحيم يتبع ذكر إبليس . وابليس رمز الشر حتى عند عبدة الشيطان ، فهم يعبدونه اتقاء لشره . فتحدث عنه المعرى ولم يغفل دانتى ذكره . وكلاهما صوره فى آلامه واوصابه . وفى عذابه وما يلاقيه . بيد أنك إذ تقرأ وصف المعرى له تغرق فى الضحك وتعلم أى سخرية بلغها أبو العلاء . وأى دعابة أغرق فيها رهين المحبسين . وتعلم من بعد ذلك أن صاحب رسالة الغفران هو أشد كتاب العربية جرأة على ما لم يجرؤ عليه أحد غيره .

وسأنقل اليك ماذكره عن ابليس متدرعا بالشجاعة أنا الآخر حتى فى النقل ، ولولا أن واجب الموازنة يضطرنى للنقل . ولولا أن حاكى الخبر ليس بمسئول عنه ، لضربت صفحا عما سطره المعرى عن ابليس . فقد ذكره وهو يحاور ابن القارح يسائله عن صناعته

ويذم له حرفة الأدب . ويسائله عن أعمى البصرة بشار بن برد ذى اليد عليه كما يقول حين فضله على آدم . ثم يستفتيه فى تحريم وتحليل . . وفى احكام فقه ودين . . .

. . فدونك ذلك القصص أكتبه ، وأترك للقارىء تفهم ماتحــدث به المعرى فى خلاله . قال المعرى محدثا عن ابن القارح (ثم يطلع على أهــل النار فيرى ابليس لعنه الله وهو يضطرب فى الاغلال والسلاسل ، ومقامع الحديد تأخذه من أيدى الزبانية ، فيقول الحمد لله الذى أمكن منك ياعدو الله وعدو أوليائه ، لقد أهلكت من بنى آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله ، فيقول : من الرجل ؟ فيقول : أنا فلان ابن فلان من أهل حلب . كانت صناعتى الأدب أتقرب به الى الملوك ، فيقول بئست الصناعة انها تهب غفة (١) من العيش لايتسع بها العيال ، وانها لمزلة القدم وكم أهلكت مثلك ، فهنيئالك إذ نجوت ، فأولى لك ثم أولى ، وان لى اليك لحاجة فان قضيتها شكرتك يد المنون ، فيقول : انى لا أقدر لك على نفع ، فان الآية سبقت فى أهل النار ، أعنى قوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) فيقول : انى لا أسألك فى شىء من ذلك ، ولكن أسألك عن خبر تخبرنيه ، ان الخمر حرمت عليكم فى الدنيا وأحلت لكم فى الآخرة ، فهل يفعل أهــل الجنة بالولدان المخلدين فعل أهــل القريات ؟ فيقول : عليك البهلة ، أما شغلك ما أنت فيه ؟ ! أما سمعت قوله تعالى (لهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) . . ؟

فيقول : وان فى الجنة لأشربة كثيرة غير الخمر فما فعل بشار ابن برد ؟ فان له عندى يداً ليست لغيره من ولد آدم ، كان يفضلنى دون الشعراء ، وهو القائل

ابليس أفضل من أبيكم آدم	فتبينــوا يامعشر الاشرار
النار عنصره وآدم طينــة	والطين لايسمو سمو النار

لقد قال الحق : ولم يزل قائله من الممقوتين) .

فى تلك الصورة الهازئة الساخرة يرسم لنا المعرى ابليس تضربه المقامع . ويضطرب فى الاغلال . وهو لاينى يسأل ابن القارح تلك الاسئلة السفسطية من ناحية ، البذيئة من ناحية أخرى .

ولكن المعرى جمح به خياله فى تلك النوبة فتكشف عما ترى ودانتى بماذا وصف ابليس ؟ وماذا تخيرله من طبقات الجحيم ؟ وعماذا سأله ؟

لقد تخيله تعصف به الثلوج فى ظلمات السعير ، وبهلكه الزمهرير فى الهاوية . وهو فيما بين الثلوج والعواصف كطاحونة الهواء تقلبه الرياح كيفما أرادت

ثم اختار له الدرك التاسع من جهنم وهو اسفل طبقاتها وأشدها هولا وبلاء

ولم يسأله فى الادب ، ولا عن أحد الشعراء ، ولا عن أحكام تحليل وتحريم . ولم يكن له سعة اطلاع المعرى حتى يدخل فى نحو ذلك النقاش . بل انساق يعلل ما أحاط به من عذاب اليم بأنه كان ملكا صوره ربه فأحسن صورته ، وأعطاه جمالا يفرع فيه كل مخلوق ، بيد أن نفسه المليئة شرا وخبثا جعلته يسرف فى الغرور حتى تمرد على ربه فطرده من جنته ، وبقى طيلة عمره مذءوما مدحورا ، وله فى الآخرة عذاب شديد .

يتبع محمود احمد النشوى



---

(١) بلغة يسيرة

أيهـــا الشرق . . !

أيها الشرق ! يا وطني الكبير ،

أهتف بك فتستبق إلى عيني صور باكية دامية ذليلة ، وتتدفق على ذهني ذكريات بعضها شجي يزجي الألم حادا عنيفا ، ويذكي الدم حارا مستعرا ، وبعضها حلو يملأ النفوس بالفخر ، ويهز الأعطاف بالاعجاب . .

ولكنك الآن ذليل أيها الشرق ! آه لو استطاع هذا القلم الضعيف أن ينفث في نواحيك الايمان ، ويبعث في جوانبك الأمل ، لكان سعيدا ، أنت يا وطني مهبط الحضارة ومسقط النور ، ما في ذلك شك . أنت مجال الأبطال والقوة ، ومراد الحكمة والنبوة ، ومخرج الدعاة والقادة ، هذا حق لا تخلص إليه شبهة ، ولا تنصرف إليه ريبة .

ليقل - كبلنج - إن الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان - فلسنا نتوقع من دعاة الاستعمار أقل من هذا . . ولكن الحقيقة تلطم كبلنج وتلزم المكابرين من أمثاله حدود الاقتناع

فان كانت اوربا تفخر بنابليون لأنه عبر الالب وتخطى البرانس ، ونلسن لأنه كسب موقعة أو موقعتين ، وولنجتن لأنه ذبح مليونا أو يزيد ، فان الشرق ليتيه بزغلول لأنه قهر انجلترا بغير السيف والرمح ، وغاندي لأنه هز انجلترا بغير الحديد والنار ، ومصطفى كمال لأنه دوخ في ساح الحرب أصحاب الغازات الخانقة والطائرات المحلقة والمدافع الرشاشة . . . ! وابراهيم لأنه طرق أبواب اليونان مرات وعيث بجبل أولمب مهبط الوحي وملعب الأبطال ومستقر الآلهة ! ! !

وإن كان للغرب أن يفخر بروسو وفولتير وشكسبير وجوت وبيرون ؛ فان الشرق والعالم يفخر بالافغاني ومحمد عبده وابن خلدون والمتنبي وفيلسوف المعرة . الشرق غني برجاله قوي بأبطاله ، خصب بحضاراته . . . ولكني بعد هذا ومع هذا لا أستطيع إلا الاعتراف بالحق - وليس ينكر الحق الا الضعاف - والحق أن الشرق كان فتيا فأصابه الكبر ، وكان قويا فأخذه اليأس والخور ، وكان عاملا فجنح إلى الراحة واستراح إلى المسالمة . . . هذا هو المنطق الذي يرضى الله والعقل والناس ، والحق إننا نغالي في تقدير ماضينا ونشغل به عن حاضرنا . وهل أتاك حديث المرأة الصلعاء التي أخطأها الزواج لصلعها فكانت إذا جاءها الخاطب ثم هم بأن ينصرف استوقفته قائلة ، ألم تر إلى خالتي إن لها شعرا جميلا ! ! ، هل لمحت وجه الشبه ؟

الشرق محتل كله أو يكاد : تضرب في نواحيه الخيام الدخيلة ، وترفرف على سواريه الأعلام الغريبة ، وتحلق في سمائه الطائرات الأجنبية . . . وأهل الشرق نيام ضربت عليهم الغفلة وملكهم اليأس واستبد بهم الخور وانشقت بهم العصا .

يا أبناء الشرق ! إني أخاف عليكم اليأس أن يدرككم فيشل عقولكم ، ويغل أيديكم ويضل هداكم .

أنا أعرف وأعترف أن الغاية بعيدة ، وأن السبيل قفر وعر ، وأن الشرق ضعيف الحول والحيلة ، وهذا بعينه ما يلقي في نفسي الجزع ويردني الى حيرة تشبه أن تكون جنونا لأني أخاف عليك أيها الشرق أن تلقي عصا الأمل وتغمد سيف العزيمة وترفع الراية البيضاء . . . !

وأخاف عليك ظاهرة أخرى : في الشرق تنشق العصا وتفرق الكلمة وتشتت الوحدة ، وتتبدد القوافل في شعاب الجبال فلا تزال كل قافلة تتهادى وحيدة فريدة في الوهاد والنجاد حتى ينال منها الجهد ، وتشتبه عليها السبل وتنبت بها الأسباب في صميم الصحراء . . ! والعدو على المستشرف يرقب ويغري ويبتسم ، حتى اذا ضمن تصدع الشمل وتقطع الاسباب انثنى فهاجم كل قافلة في مواضع الضعف منها ، فأطمع الاولى بالرغبة ، وقمع الثانية بالرهبة ، وأغرى الثالثة بالرابعة . . . حتى يستقيم له الامر ويخلو له الطريق ويصفو له الجو . أفليس أجمع للكلمة وأضمن للنصر وأحزم للرأي ، لو تلاقت هذه القوافل كلها في السهل فضمت شتاتها ولمت شعثها ونظمت نفسها في سرب طويل قوي ثم سارت على حداء الامل وهداية الايمان . . ؟ ؟

مؤلم هذا الانقسام الذي يشيع في صفوف المجاهدين في بلاد العرب وفي مصر وفي الهند ، في الجزيرة ملكان مسلمان يتحاربان وفي مصر أحزاب تتطاحن . وفي الهند طوائف تجور عن السبيل والغاية . والشرقي المخلص الصادق لا يستطيع أن يشهد هذا دون أن يضيق به ويأسف له ، ويتمنى على الله أن يكشف عن الشرق هذا البلاء . . .

٧ ـ بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تتمـــة)

يقول الحصرى : ان البديع حاكى ابن دريد . وهى رواية جديرة بالاهتمام . ولست أعرف ان أحاديث ابن دريد إلا أن تكون بعض روايات القالى عن ابن دريد فى الامالى تتضمن هذه الاحاديث أو أشباهها . ومن ذلك ما رواه القالى عن ابن دريد من سؤال اعرابى فى المسجد : « قال أبو على وحدثنا أبو بكر رحمه الله ، قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن يونس ، قال وقف اعرابى في المسجد الجامع فى البصرة فقال : قل النيل ، ونقص الكيل ، وعجفت الخيل ، والله ما أصبحنا ننفخ فى وضح ، ومالنا فى الديوان من وشمة . وانا لعيال جربة . فهل من معين ـ أعانه الله ـ يمين ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفل سنة ؟ فلا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . » (١)

وأقرب من هذا الى المقامات حديث المرأة التى سكنت البادية قريبا من قبور أهلها (٢) ، وهو مروى عن ابن دريد أيضا ، ووصية رجل أعمى من الأزد لشاب يقوده (٣) ويؤيد هذا ما رواه بن خلكان عن المرزبانى عن ابن دريد (٤)

« وقال المرزبانى : وقال لى ابن دريد سقطت من منزلى بفارس

(١) الامالى ج ٢ ص ١٥٧ (٢) الرسائل ص ٧ (٣) ص ٣١٦
(٤) ابن خلكان : ترجمة ابن دريد

فانكسرت ترقوتى فسهرت ليلتى . فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى الباب ، وقال أنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر . قلت ما ترك ابو نواس لاحد شيئا فقال أنا أشعر منه . فقلت ومن أنت ؟ فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وأنشدنى :

وحمراء قبـــل المزج ، صفراء بعده
أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت أسأت ، فقال ولم ؟ قلت لانك قلت وحمراء ، فقدمت الحمرة ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فقدمت الصفرة ، فهلا قدمتها على الأخرى ؟ فقال ماهذا الاستقصار فى هذا الوقت يابغيض ؟

وجاء فى رواية أخرى أن الشيخ أبا على الفارسى النحوى قال أنشدنى ابن دريد هذين البيتين لنفسه ، وقال جاءنى ابليس فى المنام وقال أغرت على ابى نواس ، فقلت نعم ، فقال أجدت الا أنك أسأت فى شىء ثم ذكر بقية الكلام ا هـ

فهذه الرواية عن ابن دريد تذكرنا بالمقامة الابليسية والمقامة الناجية من مقامات البديع .

وكذلك وصف الفرس فى المقامة الحمدانية يشبه وصف الفرس فى الأمالى (١) . ويمكن اذا أريد ، ذكر كل ما يخطر بالبال ، أن يقال ان ابن دريد أزدى وعيسى بن هشام كأنه ينتسب الى الازد فى المقامة الفزارية .

وفى كتب الأدب كثير من القصص الصغيرة المصوغة فى أسجاع مختارة وكلمات منتقاة . ولكن مهما يقل فبديع الزمان فيما نعرف ، مخترع هذه القصص الخيالية التى عرفت فى الأدب العربى باسم المقامات ، وأما روايات اللغويين فقد رويت على أنها حقائق ، وأريد بها رواية اللغة قبل أى شىء آخر ، وحـــديث الراوى فيها مرسل لا صناعة فيه ، ولا يقصد فى الرواية على حين يستوى فى المقامة أو يتقارب من حيث البلاغة والفصاحة حديث عيسى بن هشام وكلام أبى الفتح الاسكندرى .

وأما تسمية هذه القصص بالمقامات فلأن أبا الفتح يقوم فيها واعظا أو مستجديا أو محتالا وهلم جرا . وفى القرآن الكريم :

(١) ج ٢ ص ٢٤٢

أيها الشرق . . . أحب أن أعتقد أن سكونك تحفز الاسد قبل أن يقفز ، وأحب أن أسمع أن صمتك استقرار العاصفة قبل أن تزأر وتثور وتدوى ، وأحب أن لو كان سيرك تسلسل النهر قبل أن يفيض ويطغى فيجترف السدود ويكتسح الحدود ويجتاح العالم . وأحب ألا يأكل بعضك بعضا ، وألا يقضى قويك على ضعيفك ، وأحب أخيرا ألا تضيق بالألم وألا يأخذك اليأس ، فلا بأس بالمحن لهيب يصفى الروح وينقى الجوهر وينفى العرض ، ويذكى الحفيظة ويغلى الدم ويفجر الثورات ؟

محمود البكرى القلوصناوى

«عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ». وفى شعر لبيد :

ومقام ضيق فرجته ... بلسان وبيان وجدل

وقد استعملت كلمة « مقامة » فى معنى مقام . وفى رسائل الخوارزمى « ولكل مقامة مقالة » (١) . وفى شرح الشريشي لمقامات الحريرى « والمقامات المجالس واحدتها مقامة . والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسا ، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى قال الأعلم : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير . »

والهمذانى نفسه يبين ذلك بقوله فى المقامة الوعظية « قال عيسى ابن هشام فقلت لبعض الحاضرين من هذا ؟ قال شخص قد طرأ لا أعرفه . فاصبر عليه الى آخر مقامته . لعله ينبئ عن علامته »

يقول الثعالبى إن بديع الزمان أملى المقامات فى نيسابور ، ويظهر أنه أملى معظمها هنالك ، وأنه أملى بعد مقامات أخرى كالمقامات الست التى مدح بها خلف بن أحمد أمير سجستان . والحصرى يدلنا على تاريخ المقامة الحمدانية يقول إن البديع أملاها فى شهور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة : وأظنه أملى معظم المقامات قبل هذا .

هل ارتجل المقامات ؟

يروى الشريشى عن بعض أشياخه أن البديع ارتجل المقامات . وأنه كان يقول لأصحابه اقترحوا غرضا نبنى عليه مقامة فيقترحون ما شاءوا فيملى عليهم المقامة ارتجالا . ولا أحسب هذا حقا . فبديع الزمان نفسه لم يدع هذا ، وقد فخر بالمقامات على الخوارزمى وتحداه أن يأتى بمثلها ، ولم يتحدث بذكر الارتجال ، بل قال إنه أملاها والإملاء لا يقتضى ارتجالا .

موضوع المقامات

أراد البديع بمقاماته أن يدل على تمكنه فى اللغة ومكانته من البلاغة ، وقدرته على تصريف القول فى فنون شتى . هذا غرضه الأول . وقد سلك الى هذا الغرض موضوعات كثيرة

وليست الكدية موضوع المقامات كلها ، بل كثير منها لا كدية فيه ، وفى كثير منها لا يقف أبو الفتح موقف المستجدى الا فى آخر المقامة وبعضها ليس فيه الا الإستجداء كالمقامة الساسانية والمجاعية والبخارية والمكفوفية .

ومن أغراض المقامات الوعظ كالمقامة الوعظية والأهوازية ، وفى بعضها الألغاز كالمغزلية والابليسية . وبعضها أنشئ للمدح وهى المقامات الست التى مدح فيها خلف بن احمد : الناجية والخلفية والنيسابورية ، والملوكية ، والسارية ، والتميمية . وبعضها يتضمن الحجاج فى المذاهب كالمقامة المارستانية ، وبعضها للكلام عن الشعراء ونقد الشعر ، كالمقامة القريضية والشعرية والعراقية والابليسية ، وبعضها يتضمن حوادث زمانه وأخلاق معاصريه وأحوالهم ، كالمقامة الاسدية والخمرية التى نرى فيها أبا الفتح اماما فى مسجد يشم رائحة الخمر من عيسى بن هشام وأصحابه فيزجرهم ويشتمهم ، ثم نراه بعد فى حانة يلقاه فيها هؤلاء ، وكالمقامة الرصافية التى ذكر فيها أصناف اللصوص وحيلهم . وهى تشبه القصيدة الساسانية لأبى دلف الخزرجى ، معاصر بديع الزمان .

وهو فى هذا الضرب من المقامات كالمقامة المغيرية ، والحلوانية ، يبين عن علم واسع بأحوال زمانه ، ويذكرنا بالجاحظ ، والمقامات البشرية والصيمرية أقرب الى روايات الأدباء . وهو حسن الفكاهة جدا فى المقامة المغيرية التى وصف فيها أبو الفتح ضيفه الثرثار ، والحلوانية التى يصف فيها اختلاف رجلين فى الحمام على أجرة عيسى ابن هشام والحلاق المجنون ، والاصفهانية التى وصف فيها الامام الذى يطيل الصلاة .

وانظر قول عيسى بن هشام فيما أصابه فى الحمام : « فأخذنا الى الحمام السمت ، وأتيناه فلم ير قوامه ، ولكنى دخلته ، الخ المقامة الحلوانية

والقصص فى المقامات لا تفصيل فيه ولا اتقان ، وانما هو وسيلة الى مواقف الاسكندرى أو عيسى بن هشام ، ويحس القارئ بعيب فى بعض هذه القصص على قصرها : فى المقامة الاصفهانية يحدثنا عيسى ابن هشام أنه كان على أهبة السفر فسمع النداء للصلاة ، وخاف أن تفوته القافلة ، ولكنه آثر أن يصلى فابتلى بامام مطيل ممل ، ثم قام رجل فقال من كان منكم يحب الصحابة والجماعة ، فليعرنى سمعه ساعة ، فلم يستطع عيسى الخروج ، ثم قال الرجل قد جئتكم ببشارة من نبيكم لكنى لا أؤديها حتى يطهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته ، قال عيسى فربطنى بالقيود ، وشدنى بالحبال السود . ويدعى الرجل أن معه دعاء علمه اياه النبى فى المنام ، وأنه كتبه فى رقاع فتسابق

(١) ص ٨٠ ط القاهرة

الناس الى الرقاع ، واثنالت على الرجل الدراهم . وعرف عيسى بعد خروجه أنه أبو الفتح ، ولا يخبرنا ما الذى فعل فى أمر السفر الذى بدأ المقامة بحديثه . وفى المقامة الفزارية يقول انه لقى الاسكندرى فى ليلة يضل فيها الغطاط ، ولا يبصر فيها الوطواط . ثم يقول آخر المقامة ، فحدر لثامه عن وجهه ، فاذا هو والله شيخنا أبو الفتح الاسكندرى ، فكيف عرفه فى الظلام ؟ وفى المقامة الغيلانية يحدث عيسى بن هشام عن عصمة بن بدر الفزارى أنه لقى ذا الرمة والفرزدق ، ولا يقول إنه لقيهما فى منام أو لقى شيطانيهما ، فكيف رأى هذين الشاعرين رجل معاصر لعيسى بن هشام الذى يحدث بديع الزمان .

وأما عيسى بن هشام وأبو الفتح الاسكندرى فيقول عنهما الحريرى فى مقدمة مقاماته : « وكلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف . » وكأنه يريد أن يقول انهما ليسا كأبى زيد السروجى ، عيسى بن هشام لا ينتسب الى بلد ، وفى بعض المقامات كلام يمكن أن يؤخذ منه أنه ينتسب الى الازد ، وابو الفتح انتسب فى المقامة العراقية الى عيسى ، وهو منسوب الى الأسكندرية من الثغور الأموية وهى نسبة غريبة . ماذا يريد بالثغور الاموية ؟ . يرى شارحو المقامات أنها ثغور الاندلس ، وكانت بها اذ ذاك دولة بنى أمية . وهذا غريب كذلك فما عرف فى كتب التاريخ أو تقويم البلدان اسم الثغور الأموية ، ولا الظن بالبديع أنه ينسب صاحبه الى الاندلس ويسميها الثغور الأموية ، وهو رجل يكره الأمويين كما يؤخذ من شعره . أرى فى المسألة وجها آخر لا أجزم به ، ولكنى أرجحه . ذلك أن تقرأ (الثغور الآموية) . نسبة الى مدينة آمو أو أمويه وهى مدينة آمل الشط على نهر جيحون أو نسبة الى جيحون وهو يسمى آمودريا أى نهر آمو . ويقول ياقوت فى معجم البلدان . وهو يعد المدن التى سميت الاسكندرية : « ومنها الاسكندرية التى على شاطىء النهر الاعظم . » هذا الا أن يكون البديع نسب صاحبه الذى لا يستقر فى مكان نسبة لا يعرفها أحد .

وبعض المقامات لا يسمى فيها أبو الفتح ، وان عرف بصفاته كالأهوازية والبصرية ، وبعضها يخلو من أبى الفتح اسما وفعلا كالمقامة البغدادية والهدية . وأحيانا يأتى ابو الفتح فى آخر المقامة بعد مضى معظم حوادثها كالمقامة الأسدية التى تصف لقاء عيسى بن هشام وأصحابه الأسد ، ثم قاطع طريق ، ثم لقاء ابى الفتح بعد ورودهم حمص .

اسلوب البديع فى نثره

البديع يلتزم السجع الا قليلا . وهو فى الرسائل اسجع منه فى المقامات ، وجمله قصيرة وسجعه متقارب . وذلك أحسبه نتاج الطبع الذكى الحساس ، الذى يود أن يسمع الانغام متتابعة رنانة . وذلك ما جعله يؤثر فى كثير من شعره الاوزان المجزوءة . وهو فى الرسائل يترك السجع أحيانا الى المزاوجة أو الارسال كقوله فى رسالته الى ابى الطيب عن الأمير خلف بن احمد : « فلما ايفع وارتفع ، طالبته الهمة العلياء برفض الدنيا حتى يؤدى فرض الله فى الحج ، فقام عن سرير الملك ، الى سبيل النسك ، فحج البيت ، ودرس العلم حتى علم ناسخ الكتاب ومنسوخه ، ومباحه ومحظوره الخ » . وكذلك فى المقامات يترك السجع أحيانا ولا سيما فى رواية عيسى بن هشام

وقد يأتى بثلاث سجعات متواليات أو أربع ، بل يتابع فى الرسائل عشر سجعات أحيانا كقوله : « ونادمته والمنادمة رضاع ثان ، وطاعمته والمواكلة نسب دان ، سافرت معه والسفر والأخوة رضيعا لبان ، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان ، وأثنيت عليه ، والثناء من الله تعالى بكل لسان ، واخلصت له والاخلاص محمود من كل إنسان . ثم أربع سجعات أخرى على هذا الروى (١)

وقد يجعل السجع مركبا على رويين فى أربع فواصل أو ست كقوله فى رسالة خلف بن أحمد : (وكأن هذا العالم قد أحسن عملا فجعل هذا الملك ثوابه . وكأن هذا الملك قد أساء مثلا ، فجعل هذا العالم عقابه

وقوله : فكان ما أضعناه ، كأنا زرعناه فأنبت سبع سنابل ، وكان ما فقدناه ، كأنا أقرضناه هذا الملك العادل

وقد يسجع فى أثناء الجملة قبل تمام المعنى كقوله « حقا أقول أن التمرة ، بالبصرة ، أقل خطرا من البدرة ، بهذه الحضرة ، وانى أيد الله القاضى على قرب العهد ، بالمهد ، قطعت عرض الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، (٢)

ومما يكثر فى نثر البديع تحليته بالشعر ، وقد قال الثعالبى فى ذلك : « ويوشح القصيدة الفريدة من قوله ، بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروى من النثر والنظم . وهو لا يكتفى

(١) الرسائل ص ١٣٠

(٢) « « ١٦٣ و ١٦٤

بتفصيل نثره بابيات من الشعر ، بل يصل النثر بالشعر حتى يتوقف معنى كل منهما على الثانى كرسالته الى الخوارزمى التى ذكرناها فيما تقدم ، وكقوله فى مدح ابى جعفر الميكالى :

ولو نظمت الثريا والشعر بين قريضا
وكامل الارض ضربا وشعب رضوى عروضا
وصغت للدر ضدا أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه سود الذوائب بيضا
أو ادعيت الثريا لاخمصيه حضيضا
والبحر عبد لهاه عند العطاء مغيضا

لما كنت الا فى ذمة القصور ، وجانب التقصير . » (١)

ومن أحسن افتنانه فى ذلك المقامة الوعظية التى لاءم فيها بين المنثور والمنظوم أحسن ملاءمة .

ويجد قارىء الرسائل والمقامات قطعاً من احداها فى الاخرى فمقامة الوصية التى يوصى فيها تاجر ابنه معظمها فى احدى رسائله (٢) وبعض المقامة النيسابورية ومعظم العلمية ، فى رسالة الى أبى القاسم الكرجى التى وصف فيها بعض القضاة . وبعض المقامة الملوكية التى مدح بها خلف بن احمد فى رسالة يمدح فيها الملك نفسه .

وكذلك نجد فى الديوان والرسائل والمقامات وصف وقائع واحدة ، كلقاء الاسد فى الديوان والمقامة الاسدية ، وقطع الاعراب طريقه فى هذه المقامة والرسائل . وذلك يثبت أن المقامات تمثل كثيرا من حوادث زمانه .

نشأ البديع فى عصر بلغ فيه الأدب العربى أوجه ، وازدهر فيه الأدب الفارسى ، وقد عرفنا أنه ترجم كثيرا من الابيات الفارسية فى ديوانه . فهل ظهر أثر الفارسية فى معانيه وألفاظه ؟ أثر قليل .

فمن المعانى الشائعة فى الأدب الفارسى قوله « أو لم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح » وقوله « أنا العبد قرطك فى أذنه مطيعا وطوقك فى عنقه » فهى عبارة فارسية شاعت حتى كنى عن العبودية بالحلقة فى الأذن . وقوله : « هيفاء لاتسع العيون جمالا » فتسع هنا تشبه كنجد بالفارسية .

ومن الالفاظ الفارسية أو العربية المستعملة على الأسلوب الفارسى قوله فى مدح السلطان محمود :

اذا ما ركب الفيل لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطانا على كاهل شيطان

فى هذا إشارة إلى قصة طهمورث والشيطان .

وقوله :

عندى فديتك جدى شبوته بعشيره
فان أتيت فخير وان أبيت فخيره

فالخيرة فارسية معناها الحيرة أو اللغو . ولذلك قال الصديق الذى أرسل اليه هذان البيتان ؛ لانبيع الخير بالخيرة وأجاب الدعوة . وقوله :

ياابن النبى كفانى من الثناء وبسى

بسى بمعنى حسبى ، وهى كلمة بس المستعملة فى العامية المصرية .

وقوله فى الديوان :

فان مددت يدى يوما فلا رجعت حتى يعود على شسته النوق

والشست سية القوس ، والنوق تعريب نوك اى السهم .

وقوله : والدهر لونان فى تصرفه يضرب بالبيدق الفرازينا

وفى الرسائل الباغ بمعنى البستان ، وكتخداى الخان ، وزرق بمعنى نفاق ، وقلب بمعنى زائف ، والسياسة فى معنى العقوبة ، وقوله « فان كان قد عرض فى البين عارض العين . » فاستعمال البين هذا هذا الاستعمال ترجمة كلمة « درميان » . وحصار بمعنى قلعة وغير ذلك .

هذا ما وسعه المقام فى الابانة عن سيرة الهمذانى وأدبه . ولا بد من ترتيب الرسائل ترتيبا تاريخيا لتفصيل سيرته ومعرفة تطور أسلوبه . وحسبنا الآن ماقدمنا عن هذا الأديب العظيم الذى اخترمته المنية فى سن الاربعين ، ولو عمر لكان عسى أن يكون له فى الأدب العربى آثار أبعد شأوا ، وأعظم خطرا وأسير ذكرا من آثاره التى أوحت الى معاصريه أن يلقبوه « بديع الزمان » ؟

عبد الوهاب عزام

(١) الرسائل ص ٤٣ (٢) الرسائل ص ١٧١

هانيبال يرثى أخاه

للأستاذ فخرى ابو السعود

بينما كان هانيبال فى جنوب ايطاليا غازيا سار اليه أخوه بمدد فقابله الرومان فى الشمال فقتلوه ، وبعثوا برأسه الى أخيه

٭٭٭

رويد الليالى قد خضدن قناتى
ويا طالما استعصت على الغمزات

سلام على عهد العظائم والعلا
وتلك الفتوح الغر والغزوات

وأيام أحبو بالميدان زاحفا
وأهزأ بالأوعار والفلوات

ليهنئ بنى روما صعود نجومهم
فتنجمى ها و حالك الظلمات

أتانى منهم جحفل بعد جحفل
فمزقتهم فى خالد الوقعات

وشردتهم عن معقل إثر معقل
ورويت من قوادهم أسلاتى

وبات حماهم مستراد فوارسى
ومعهد لذاتى ومرتبعاتى

فثلوا أكاليلى وحلوا عزائمى
بمصرع ندب خائض الغمرات

طلوب عظيات زعيم كتائب
ركوب مشقات قريع كماة

رضى السجايا ثابت الجأش باسم
كريم المحيا ناضر القسمات

فهل علموا لادر در أبيهم
بأى صفات أوقعوا وسمات ؟

أذلوا أجل الهام غدر أو عفروا
بسافى تراب أشرف الجبهات

فأصبح من بعد الأمارة جسمه
أنيس ذئاب أو سمير بزاة

وأدلوا بهذا الرأس فهو مخبرى
بتصويح مجدى وانطواء حياتى

أخى جنى ظلما عليك تجبرى
وغلواء أطماعى ولؤم عداتى

فداؤك أعضائى ، لقد كنت ساعدى
فبان ، فقلبى دائم الحسرات

وكنت أليفى مذ شئينا وصاحبى
وكنت خدين اللهو والصبوات

وكانت تهاب الأسد بأسك قانصا
وترمى مصيبا أبعد الفلوات (١)

وكنت ميانى إن ألمت ملمة
ومرجع أسرارى وكهف شكاتى

وكنت ظهيرى فى مغار وملحم
ويوم طراد هائج الهبوات (٢)

وكنت ملاذ الروح واللب والنهى
وكنت سراج الرأى فى الشبهات

أخى وهل مثل الأخوة نعمة ؟
وهل بعدها من لحمة وسداة ؟

فديتك منهوب الترائب مثخنا
بكف الاعادى دامى الطعنات

تنوشك منهم عصبة بعد عصبة
خضيب العوالى ثائر الفتكات

سيبكى فؤادى يوم رزئك موجعا
وأسقى قديم العهد بالعبرات

مصابك أوهى منتى وأغصنى
وزهدنى فى العيش والمتعات

وأبدى لعينى آخر المجد والعلا
فمقت طلاب المجد والعظمات

فلا طال عيش آض بعدك موحشا
كبيت خلاء مقفر العرصات

سوى ريثما أشفى من الروم غلتى
وأنهل من تلك الجموع ظباتى

ويبكى حسامى مصرع الفضل فيهم
ويأخذ من أبطالهم بترات

فخرى أبو السعود

(١) الفلوة : رمية السهم . (٢) الهبوات : بقية الغبار .

تذكار الشاعرة الكونتس دى نواى *

للاستاذ خليل هنداوى

— ٢ —

الحب والموت فى شعرها

لم تذهلها هذه الطبيعة التى فنيت فى حبها وجنحت اليها كل ميولها وأهوائها عن كل شىء ، كما كانت تقول « إن نظرات الغابات والغدران والحقول أشد تأثيرا فى نفسى من نظرات الانسان » ولكنها سرحت فى عوالم غير هذه العوالم : فى عالم الحب ، وعالم الموت والفناء..

يقول « جابر يول » (لم أجهل الا يوما واحدا ان هذه الهائمة بالإزهار والاعشاب قد جحدت العالم كله لتقود نفسها الى حب شهوانى)

(ما ذا يهمنى اذا تلاشى اليوم عالم من الوجود ؟
(فالزمن يستطيع أن يلد — ما ظلت حيا — صيفا جديدا)

وهى فى هذه الخطرة غادة فاسقة متوهجة ، تتبع ملذاتها الفانية برغبة عارية ، وفى عينها رواقان يظهران ويختفيان . يقولان « تعال ، تعال ، تعال ! » وهادنت الساعة التى كانت ترتقبها لتنعم فيها بالرجل الذى توهجت للقائه . وهذه هى نفس الروح الأولى بما يغشاها من ذهول ووثوب ، لا تهيم — فى هذه المرة — فى وجه الطبيعة ، ولكن فى وجه الانسان ، وعناق الانسان..

ولكن ما عسى يكون هذا الحب ؟ اذا كانت الشاعرة تتخيل أن الحب بعد أعوام طافحة بالخداع والافتتان والزهو يغدو الوسيلة الوحيدة لتوليد الجشع النفسى الباعث على امتلاك الوجود !

(إن الوجود الناقم الذى لا يأنس أبدا . . . .
أستميله إلى ، وأطوى نفسى فى حناياه . . .
حين يلتف ذراعاى على جسد نقى لامع كالصيف)

وهل يكون هذا الجسد إلا جسد من تحنو عليه ويبهجها البلوغ اليه ؟

* أنظر العدد ٤٠٣ من الرسالة

الا أيها الوجود ! انما يدرك الناس باللذة الملتهبة نفسك التى لا نهاية لها .)

أحب منها هذا الارتباك بعد العناق مثلا فى قولها :

(ان نفسى خارجة عنى . واللانهاية تملأ روحى روعة ، فهل أرانى متحدة معك . أم ممتزجة معها ؟
اننى أحس قلبى ، فى جنح الليل الثائر . . . مؤتلفا مع النجوم .)

وهذا الاعتراف من والهة تؤمن بأن (اللذة لا تكمل الرغبة) أو وهى مخدوعة بعمر السرور القصير ، تاوى الى جنات أحلامها الزاهية وتقول

(هذه كلها ستبقى عندما الحلم يفر ،
هذه التى سنقدم لها فى أعماق الليالى شفاهنا مغشاة بالظل ، ونفتح لها أذرعنا مغمورة بالحلم .)

الا تتجلى فى هذه المقاطع ذات الروح التى تجلت فى مقطوعات الحدائق !

(عندما يطغى على الألم من وجهك الساطع
عندما لا يقدر قلبى المستعبد على مغادرتك
أحلم بأن ورائى — مغانى بعيدة وسفنا ومواني ، ومدنا أنيسة مازالت تهر لى
ورغبتى الضالة تؤمن بأنها لا تقدر أن تحيا بعيدة عن هذه الشواطىء
أنا فى غنى عن كل شىء حين أترنم بها)

وقد يتجهم فى وجهها كل وجوه الحب فتضمر الانتقام من الرجل ، أو تغنى عنه . وتهيم فى الحياة معتزلة بنفسها ،

(أنا أعلم أن الهواء جميل ، وأن هذا الفضاء هو الذى يسطع
وأن لمعات النهار لاتهب على منك
وأسمع كبريائى يقول لى
أيتها الغادة العزيزة ، أنا حماك الغيور الى الأبد)

ولننظر الى هذا الكائن المحبوب ! كيف أرضى نفسه وأحب نفسه ، وكيف طغى عليه القلق ؟

(أيها الكائن العزيز الذى بكيته . . . .
هل أستطيع أن أغتفر لنفسى القاسية قعودها عنك هادئة يوم انتابك الألم)

يقول (جابر يول) : وفى ديوان (دى نواى) شعر مجونى شهوانى لم تصنفه قبلها امرأة ، تبرز فيه الحواس متيقظة ، تتروح

وتلمس وتتذوق ، شعر امرأة تنشق اللذة وترشفها ، وتتروح الطيوب العابقة من بلاد المشرق .

(عبير المسك ، والارز والورد يضمحل مع الرياح
والحب يعيده وينشره بأنامله الالهية في جوف أريكة ملتهبة)

شعر امرأة وصفت العناق بكلمات رقيقة ، لها وسوسة القبل وحلاوة العناق .

(وأنا لا ازال أرتقبك لأتذوق هذا السكر الفاسق .

... ...

أحلم بنظرتك الطامحة حبا ، وبذراعيك العاريتين ، وبعطفك الجميل الذي يطير عذبا . . . .

* * *

ومن مقاطيعها الخالدة ما أوحاه اليها الموت ، والموت عندها هو البلد المجدب ، حيث لواء الحب فيه غير خفاق ، وهذه الفكرة قد تختلجها كثيرا وتحملها على استحضار الاشباح حين يغيض ماء الشباب ، كأنها وثنية يروعها القبر الذي يمثل لها ساحة العدم ، وطالما ذكرت الموت فثارت ، وهاج قلبها واحتد عقلها وأعلنت حواسها العصيان على (عالم النسيان)

(أيها الموت ! أيها السر الجديد ! أيها الدرس الذي لا يتبدل .)

ولكن امرأة حية مثلها (ما خلقت لتموت) فكم مرة أعلنت بصفاء نفسها ـ في اشعارها ـ انها لا تريد ان تموت . . . فهي طورا تجرب أن تستأنس بالعدم بواسطة الملاصقة .

(أيها الوجود الذي همت فيه كثيرا
سيأتي يوم تغتمض فيه عيناي . . .
فأحلم ، وأنا ملتهبة معتزلة . بآخر شيء على الارض تهافت عليه ناظري عند الرحيل)

وتارة تعلل نفسها بامكان التقمص والاستحالة .

(أيها الوهم المشتت ! الا تسمع صوت الأرض التي تشق ؟) مثلها كمثل الوثنيين الذين يكتبون ويعلنون (ألا شيء سيحيا بحرارة عروقه) . ووراء ذلك كله تعتمد على خلودها الادبي الذي يقدر على استنقاذها من الردى .

(أكتب لليوم الذي أحول فيه رفاتا .
ليعرف الجيل القادم مبلغ ارتياحي للهواء والهناء . أكتب لأكون محبوبة بعد الموت .

اذا ما تلا أحد الفتيان ما كتبته ، يحس قلبه يخفق ، ويرتعش ويضطرب .

واذا به يحملني في صدره ، ويؤثرني على غاداته . . . .)

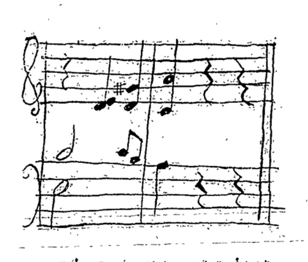
دير الزور : خليل هنداوي

حول السلم الموسيقى

طالعت فى مقال لحضرة الاستاذ مدحت عاصم نشر بالعدد ٤٤ من مجلة الرسالة أن المسافة بين درجتين متتاليتين فى السلم الغربى المقرب (Equitempered) تساوى ١٥/١٦ . ولما كانت القيمة الحقيقية لهذه المسافة ليست ١٥/١٦ وانما هى $\sqrt[12]{\frac{1}{2}}$ أى الجذر الثانى عشر للنصف ويساوى ٩٤٣٨ و ٠ (مقربا الى اربعة أرقام عشرية) على حين أن ١٥/١٦ تساوى ٩٣٧٥ و ٠ ولما كانت فكرة الجذر الثانى عشر للنصف فكرة أساسية فى السلم المقرب الذى يشير اليه حضرته ، بل هى اساس التقريب فى بناء السلم بواسطتها أمكن توحيد المسافة بين الدرجات المتتالية وجعلها جميعا متساوية ، على حين أن النسبة ١٥/١٦ انما تنطبق على السلم الدياتونى (Diatonic) قبل تعديله الى السلم المقرب فى أواخر القرن الثامن عشر ؛ فلذا رأيت أن أكتب منبها على ذلك .

وقد أشار الاستاذ عاصم فى نفس المقال الى تسمية الدرجة السابعة فى السلم بالدرجة الحساسة (Note Sensible) قال « وان كنت لاأدرى مصدر هذه التسمية — وأحسب علماء النغم أنفسهم لايستطيعون لذلك تفسيراً دقيقا . »

والدرجة الحساسة التى يشير اليها حضرته وهى التى تعرف أيضا بالدرجة المؤدية أو الموصلة (Leading note) انما سميت بالحساسة أو الموصلة باعتبار الوظيفة التى تؤديها فى التأليف الموسيقى ، أو بعبارة أخرى مركزها النسبى فى السلم وعلاقتها بالدرجة الاساسية أو الـ (Tonic) ومن المعلوم فى التأليف الموسيقى أن الدرجة السابعة تجىء سابقة مباشرة ومؤدية أو موصلة الى الدرجة الاساسية كما يحدث عند نهاية كل قطعة موسيقية تقريبا ، فمثلا الفالس بريانت Valse Brillante لشوبان (نمرة ٢ من المؤلف نمرة ٣٤) ينتهى بالطريقة الآتية :



فاذا علم أن القطعة درجتها الاساسية هى الـ A أو الـ La فان الدرجة السابعة وهى G أو الصول الحادة كما يظهر بوضوح تؤدى أو توصل الى الدرجة الاساسية فى الختام أو الـ Cadence النهائية . اما فكرة الحساسية فناشئة عن اننا اذا وقعنا مجموعة النوتات أو الـ Chord المشتمل على الدرجة السابعة ، فاننا نشعر بحساسية خاصة للصوت الحادث أو شعور بتوقع حدوث صوت آخر هو الـ Chord النهائى المشتمل على الدرجة الأساسية .

هذا وقد لاحظت بعض ملاحظات اخرى فى المقالين السالفين لحضرته فى هذا الموضوع منها وصف حضرته فى المقال الثانى (المنشور فى ٢٩ يناير) لسلم فيثاغورس بأنه أقدم سلم عرف فى التاريخ ، مع أننا اذا ضربنا صفحا عن موسيقى الامم القديمة كالصين والهند ، فان اقدم سلم عند الأغريق هو السلم الدورى Doric ويليه فى القدم السلم الفيثاغورسى . ولعل منشأ الخطأ فى ذلك يرجع الى ماحدث فى القرون الوسطى من خطأ فى هذه الاسماء يرجع الى امبروز اسقف ميلانو الذى صار بعد ذلك بابا لروما ، وسمى باسم جريجورى فانه أصدر امرا بتجديد السلالم الموسيقية ورد فيه خطأ وخلط كثير فى اسمائها .

محمد مصطفى شريف

٣ - الدوق دى لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

ورأى لاروشفوكو أن يرضى الدوقة فانضم الى اخيها ودارت رحي القتال . وفى ٧ ابريل عام ١٦٥٢ انتصر جيش الملك فى (بلنو) . وأثناء ذلك جاء مازاران الى فرنسا وبدأ يستخدم الحيلة والدهاء فى إخماد الثورة ، وعرف لاروشفوكو أن الدوقة أعرضت عن حبه وكلفت بالدوق دى نيمور فآلمه ذلك جد الألم . وقد ذكرت حفيدة الدوقة فى مذكراتها أن لاروشفوكو كان شديد الرغبة فى قطع هذه الصلة والخلاص من هذا القيد . واستدلت على صحة قولها باحدى مواعظه : « لما نمل الحب ، نغتبط اذا خان الحبيب عهد وفائه ، لأنه بعمله هذا يحلنا من عهد وفائنا له » . ولكن الغيرة بقيت تخز قلبه زمنا طويلا لأنها كما قال فى موعظة أخرى : « تولد مع الحب ولا تموت فى كل حالة معه »

نال أعراض الدوقة منالا كبيرا من كبريائه ، ولكنه استمر فى القتال يشد أزر اخيها . ثم حدثت موقعة حى سان انطوان ، وقتل فيها كثير من النبلاء ، وأصيب لاروشفوكو برصاصة فى وجهه كادت تقضي على بصره ، فنقل الى مستشفى ليانكور وكان هذا آخر عهده بالحرب الأهلية ، وجنبته هذه الاصابة عار الاشتراك مع كونديه فى قيادة جيش من الإسبان ضد بلاده

ونذكر بهذه المناسبة أن عهد الحرب الأهلية من أسوإ العهود التى مرت بها فرنسا ، فقد أظهر النبلاء أثناءه نزقا كثيرا ، ونبغوا فى فن الدسيسة ، وكشفوا عن الأثرة المتأصلة فى نفوسهم ، وجمعوا كل وطنيتهم فى مصالحهم الذاتية ، وتكالبوا على متع الحياة فى جشع وضيع ، وكاد بعضهم لبعض فى سبيل الألقاب والرتب ، وأسالوا الدماء ، وأسلموا البلاد للفوضى تفتك بها دون أن يروعهم وازع نفسانى . كان كونديه ولاروشفوكو ومن إليهما فى ذلك العهد قطاع طرق ورؤساء مناسر ، تنهب وتحرق وتهتك الأعراض فى مرح وحشي . واهتبل النبلاء فرصة الاضطراب فعاشوا فى البلاد ذئابا إقطاعيين ، وساءت حال الفلاح حتى عزت عليه اللقمة التى تحفظ ذماءه ، وامتلأت السجون بالبائسين الذين عجزوا عن دفع الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ، ورأت باريس فى عام ١٦٥٢ مائة ألف جائع يهيمون فى طرقاتها ويستجدون أهلها وهم فى أسمال بالية . ولهذه الاسباب فرح الشعب لما استتب الأمر للملك ، ونظروا الى استبداده نظرهم الى نعمة هبطت عليهم من السماء .

وأثر هذه الحرب الأهلية المادي ليس بأقل سوءا من أثرها المعنوى ، فقد دفعت الناس فى طريق النفاق والخيانة والأثرة الجامحة ، وكان من نتائجها أن يتهافت النبلاء المتكبرون على قدمى الوزير مازاران يرجون ويستعطفون فى ذلة وخنوع

ولم تنتج هذه الحرب أثرا طيبا إلا فى الادب والفنون ، وتعتبر نهايتها فاتحة العهد الأدبى الحافل الكبير الذى صقلت فيه العبقرية الفرنسية ، وأصبح الأسلوب فيه عذبا نقيا ، والتعبير لاذعا دقيقا . وكثير من الذين حملوا السيف وخاضوا غمار هذه الحرب شادوا صروحا أدبية خالدة ، بعد أن لاحظوا أهواء الناس ورأوهم فى ثوبهم الحقيقى . ومن هؤلاء هذا الكاتب الذى نتحدث عنه

وفى ٢١ أكتوبر عام ١٦٥٢ أصدر الملك لويس الرابع عشر العفو عن لاروشفوكو ، وسمح له بالعودة الى باريس ، ولكنه لم يعد اليها الا بعد وقت طويل قضاه فى الريف هادئا يفكر فى آماله الضائعة ، وأحلامه المتداعية .

الشيخ الفيلسوف

لما فشلت ثورة الامراء واستتب الامر للملك لويس الرابع عشر ، عرف ضروب الاهواء التى تتلاعب بنفوسهم ، واستغلها استغلال رجل قدير ، وجاد على هؤلاء السادة العظماء بأنواع الاحسان الوفير حتى أحالهم الى ندماء متواضعين ، استكانت الاهواء الجامحة بعد انتصار الملكية ، فأخلد الناس إلى السكينة ، وعادت الحياة إلى مجراها النمطى ، وبدأت النساء ينشدن فى الصالونات ، أو بين جدران الاديرة ضروب الانفعال التى كن يجدنها فى نكبات الحرب الأهلية . ولم تعد تفكر الطبقة العالية الا فى قهر « الضجر » مرض الاغنياء الذين لا يعملون ، الذى

استجوذ عليها . يدلنا على ذلك قول مدام دى منتنون (١) : « إنى عاجزة عن أن أبين مبلغ الضجر الذي يعذب العظماء الاغنياء . والمشقة التي يلاقونها فى قضاء يومهم »

وفى ذلك الوقت عاد بيت رامبوييه (٢) إلى فتح أبوابه ، ولكنه لم يلق الإقبال الذى اعتاده قبل الحرب الاهلية ، لأن ربة البيت المركيزة دى رامبوييه كانت فى الثانية والسبعين من عمرها ، واضمحلت قواها الذهنية ، وتفرق اثناء الاضطراب الذين كانوا يترددون عليه ، ثم ظهرت فى باريس « صالونات » أخرى أهمها صالون الآنسة دى مونبانسييه ، والآنسة دي سكودرى ، والكونتس دى لافاييت ، وصالون الدوق دي لاروشفوكو ، الذى بدأ بعد الشغب يبحث عن السعادة فى الادب والتفكير ، ثم صالون المركيزة دي سابليه .

وكان كل صالون يميل الي نوع خاص من الادب . فصالون الآنسة دى سكودرى يميل إلى وضع المعانى الغزلية الرائعة فى شعر قصير ، وصالون الآنسة دى مونبانسييه يحب الصور الشخصية ، وصالون المركيزة دى سابليه يتعشق عمل المواعظ ، أما بيت رامبوييه فكان مولعا بالادب وفروعه جميعها

وفى أحد الأيام ، وكان ذلك فى عام ١٦٥٨ ، طلبت الآنسة دى مونبانسييه من الحاضرين فى مجلسها أن يرسموا صورهم كتابة فى مقالات موجزة . ثم تناولت القلم ووصفت على القرطاس أجزاء وجهها ، ثم قوة ذهنها ، ثم أهواء نفسها وميولها وأخلاقها . وقلدها جميع الحاضرين ومن بينهم لاروشفوكو . ثم جمعت هذه الصور ونشرت فى عام ١٦٥٩ . وكانت صورة لاروشفوكو المهورة بالحروف الأولى من اسمه أول عهد الجمهور الفرنسى بكتابته . وسنذكر نبذا من هذه الصورة عند الكلام على أخلاقه وميوله

وكانت جماعة المركيزة دي سابليه يعالجون فى صالونها

(١) ١٦٣٥ — ١٧١٩ سيدة فرنسية من علية القوم تزوج منها الشاعر المشهور سكارون (وكان شيخا) دميم الخلقة ، ولكنها أخلصت له حتى مات . ثم أحبها لويس الرابع عشر ، وسحره منها حسن الخلق ، ورجاحة الفكر ، وعذب الحديث ، وطهارة الذيل . ولما ماتت زوجه فى عام ١٦٨٣ تزوج من مدام دي منتنون سرا فى السنة التالية . وبعد موته لجأت الي أحد الادرة ، وظلت بين جدرانه حتى ماتت ودفنت فيه ولها رسائل قيمة مشهورة فى الادب الفرنسى

(٢) هذا البيت مشهور بصالونه الادبى ، وكان يغشاه الكتاب والشعراء والعظماء الذين عرفوا بالخلق القويم والسيرة الحسنة . وكان له أثر كبير فى الأخلاق والأدب الفرنسي فى النصف الأول من القرن السابع عشر

الموضوعات الجدية ، ويتحدثون عن ديكارت والمنطق والاهواء الانسانية ، وقبل أن يتفرقوا يحاول كل منهم أن يضع خلاصة المناقشة في جمل قصيرة فصيحة ، أي يضعها فى حكم أو مواعظ . وانتشر هذا الميل إلى الحكم حتى بلغ الريف . وفى عام ١٦٦٠ كتب لاروشفوكو من (فرتى) إلى المركيزة يقول « هل لاحظت أن الميل إلى كتابة حكم ومواعظ يعدى كالزكام ؟ هنا فى الريف كثير من الناس انتقلت إليهم العدوى وشغفهم هذا الميل حبا » . وصالون هذه المركيزة هو الذى ملك على لاروشفوكو عقله ولبه ، واستأثر به دون الصالونات الأخرى .

وفى عام ١٦٦٢ أصيب بمرض النقرس ، فلازم بيته فى شارع السين بباريس ، وجعله « صالونا » يجتمع فيه عظماء الفرنسيين وأدباؤهم . وفى هذه السنة اعتزلت الدوقة دى لونجفيل الاجتماع واتجهت الى العبادة والتكفير عن سيئاتها ، بعد أن هجرها صاحبها الدوق دي نيمور ، ومات قتيلا فى مبارزة وقعت بينه وبين الدوق دى بوفور

وكان لاروشفوكو قد بدأ يكتب مذكراته بعد أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها فى لهجة المؤرخ الرزينة ، ويذكر فيها الأسباب التى حملته على الاشتراك فى هذه الحرب ويردها كلها الى نكران الجميل الذى بدا له من المليكة آن دوتريش والدوقة دى شفرير والدوقة دى لونجفيل . وأطلع عليها أحد أصدقائه فى عام ١٦٦٢ فنصح له بعدم نشرها حتى لا يغضب الملك والأشخاص الذين ورد ذكرهم فيها ، فقبل نصحه ، ولكن صديقا آخر نقلها مشوهة دون أن يعلم المؤلف ونشرها فى هولانده في عام ١٦٦٤ ، فأثارت لغطا كثيرا . ويقول الدوق سان سيمون (١) : « لما اطلع أبى على هذه المذكرات ملكته سورة الغضب ، وتوجه فى الحال إلى المكتبة التى تبيعها ، وكتب على كل عدد منها عنوة واقتدارا « كذب المؤلف » وكاد الملك يتدخل فى الامر ، ويسيء الى لاروشفوكو لولا حظوة ابنه البكر فرنسوا السابع لدى مولاه .

يتبع — حسن صادق

(١) ١٦٧٥ — ١٧٥٥ عظيم من عظماء الفرنسيين فى عصره ذو دراية واسعة بفنون السياسة والحرب والمال . وكان دقيق الملاحظة رشيق الاسلوب قضى فى كتابة مذكراته ستين عاما ، فجاءت تاريخا شائقا لعصره تصور للقارىء أبلغ تصوير ، وتملأ هذه المذكرات عشرين مجلدا

العُلوم

العقل البشرى

للدكتور عبد الفتاح سلامه

العقل ثلاثة أقسام :

١ — العقل المميز Le conscient

٢ — العقل الواعي أو الشعوري أو العقل الظاهر Le subconscient

٣ — العقل غير الواعي أو اللاشعوري أو العقل الباطن ، L'inconscient والعقل غير الواعي يحتوي على قوى عقلية وأفكار مستترة ليست ظاهرة للجزء المجاور له المسمى بالعقل الظاهر . والفكرة المستترة فيه والتي تتضح بالنسبة اليه ، يرسلها إلى العقل الظاهر لتحويلها من مجرد فكرة إلى حركة أو عمل ، هذا إذا وافق عليها ذلك العقل الظاهر .

والعقل الظاهر هو ذلك الجزء من العقل الذي نعي به كل ما حولنا من ظروف وأحوال ، فيختار منها ما قد يبدو له مهما ويبت فيه إن أمكنه ، وهو يتلقى أفكار العقل الباطن لينفذها أو يناقشها ويبت فيها كذلك إن أمكنه ، وإلا فانه يعرض ما عسر عليه على العقل المميز .

وسواء أكان العقل الظاهر أو التمييز هو الذي بت في أمر ما فان ذلك يعتبر تجربة يصح القياس عليها ، فترسل هذه التجربة إلى العقل الباطن فتسجل وتبقى فيه إلى الوقت المناسب اذ يطلبها أحد العقلين في أي ظرف يحتاج فيه اليها .

على أن تسجيل التجارب والأفكار ليس هو العمل الوحيد للعقل الباطن ، بل إن هناك عملا آخر يقوم به ، وهو إنه قد يكون له رأياً مستقلا من الأفكار المسجلة عنده ، أو قد يوازن بين هذه الافكار المسجلة ويستخلص منها رأيا يود إثباته أو تنفيذه فيعرضه على العقل الظاهر كما سبق أن بينا ذلك .

ولأجل أن يكون الفكر الذاتي ناضجاً تماما يجب ان يعرض على العقل الظاهر ثم على العقل المميز حتى تتم له صفة الصحة ، فيعتقد الانسان به تمام الاعتقاد ، وهذا هو الطريق الطبيعي للافكار الذاتية التي لا تسبب أي مشقة للانسان .

وهناك أفكار ذاتية أخرى لا يمكن بأي حال عرضها على الجهات الرئيسية من العقل فتبقى في العقل الباطن ، ذلك لأن هناك ما يمنع ذلك العرض على العقل الظاهر ، وقد يكون هناك ايضا ما يمنع العرض على العقل المميز .. واما المانع في الحالتين فهو الضمير الذي يقوم بالمحافظة على تقاليد المجتمع وواجباته من جهة ، وبالمحافظة على الدين وتعاليمه من جهة أخرى

والفكرة الذاتية التي لم تتمكن من الوصول الى العقل الظاهر تبقى في العقل الباطن كوحدة قائمة بذاتها . ذلك لأن الضمير طردها من الجهات الرئيسية من العقل ، فلا هي نفذت كما يريد العقل الباطن ولا هي نوقشت حتى يتضح له فسادها فيتركها ، وهذا هو السر في تشبث العقل الباطن بالأفكار التي لا يوافق عليها الضمير الديني او الاجتماعي او الاخلاقي وفي عمله على تنفيذها بأي شكل كان ، ولما كان ذلك التنفيذ محالا بفعل الضمير فان العقل الباطن يتخيل تحقيق هذه الفكرة المحرمة عليه ، وهذا التخيل يسبب في كثير من الاحوال حركات جسمانية أو الفاظا تم عليه . والحركات والالفاظ ليست الا نتيجة تخيل تحقيق فكرة مكبوتة في العقل الباطن ، وعلاقة هذه الحركات والالفاظ بالفكرة هي علاقة الصورة أو الخيال الذي يستمد وجوده من وجود جسم آخر قد لا يكون ظاهرا للعيان . وهكذا نرى أن الفكرة الذاتية نفسها وهي التي سببت الحركات والالفاظ لم تتمكن من الوصول الى الشعور أو التمييز ، أي إن الانسان لا يدري عنها شيئاً مطلقا

ولتسهيل فهم علاقة أقسام العقل الثلاثة بعضها ببعض نشبهها بثلاث غرف متصلة مع بعضها ببابين ، وامام كل باب حاجب يصرح أو لا يصرح بالدخول ، واذا عرفنا أن الحاجب قد يتجاوز مهمته بان يمنع من الدخول من يجب أن يدخل ، فاننا نجد أن الضمير قد يغالي في منع مرور الافكار الذاتية من قسم عقلي الى القسم الأعلى المجاور له فتبقى الفكرة الذاتية كما قدمنا مصدراً لحركات والفاظ

وعواطف قد تأخذ صفة أعراض الأمراض العصبية ، على حين أنه لو سمح لها بالمرور لعرفها العقل الظاهر ولناقشها العقل المميز وبت فيها على أساس سليم فتصبح غير قادرة على ايجاد ما كانت تسببه

على أن هذه الحركات والألفاظ لا يمكن لها الحدوث الا في غياب التمييز ، لأن هذا الأخير كثيراً ما يترك القيادة الفعلية في الانسان الى العقل الظاهر ، وهذا بدوره كثيراً ما يتأثر في تصرفاته برغبات العقل الباطن وأفكاره ، ويكون العقل الباطن اذن هو القائد الأعلى في غياب التمييز أو في حالة ضعفه لسبب ما ، ولما كانت الافكار الذاتية هي من عمل العقل الباطن ، ولما كان هذا الأخير محدود التمييز فهو عرضة للخطأ في تقديره لحقيقة الامور ، وينتج من ذلك أنه كثيراً ما تكون الافكار الذاتية مخطئة ، ولما كانت هذه الافكار هي التي تقود الانسان غالبا — في غياب التمييز — فانه من الجلي أن يكون الانسان العادي عرضة للخطأ في كثير من تصرفاته ، وأن يكون الانسان العصبي عرضة لأن يسبب لنفسه ولمن حوله شتى المتاعب

واذا كان العقل الباطن محدود التمييز لانه لا يأبه بالحقائق فانه غزير الخيال واسع الحيلة في هذا الباب . وكل خيال عنده حقيقة وإن خالف الواقع ، وهذا ما حدا بفرويد أن يقول بان هناك حقيقتين : الحقيقة الواقعية والحقيقة النفسية ، واذا كان الانسان العادى يعيش في الحقيقة الواقعية فان الانسان العصبي يعيش في الحقيقة النفسية أي فيما يصوره له الخيال ؛ وهناك أمر آخر يقوم به العقل الباطن ، وهو تسجيل الأفكار والتجارب والمعلومات على قواعد الاصطحاب والقرينة Association أي أن الاشياء المماثلة أو المخالفة لبعضها مسجلة مع بعضها أو بالقرب من بعضها

وتبدأ الافكار الذاتية والاصطحاب في الظهور عند الانسان من يوم ولادته ، فالجوع يسبب الرغبة في الاكل ، والوالدة تطعم طفلها ، وهكذا تنشأ فكرة عند الطفل بأنه في حاجة الى شخص آخر يمده بما يشبع جوعه ، ويتعود الطفل سماع صوت معين ورؤية شخص معين يطعمه ويسهر عليه ويسبب له الشعور بالراحة والسرور والاكتفاء ، فيصحب ذلك الصوت المعين وهذا الشخص المعين بالسرور والاكتفاء ، وهكذا ينشأ الاصطحاب عند الطفل ، وهذا يفسر خوف الطفل وبكاءه عند شعوره بانفراده ، واطمئنانه وسروره عند رؤيته لوالدته أو عند سماعه صوتها

واذا عرفنا ان حواس الجسم خلقت لتحمي وجوده ، وعرفنا ان العقل هو القائد المدبر لهذه الحماية ، وانه من اجل ذلك يسجل عنده الحوادث الماضية كتجارب يستنير بها في اى موقف من مواقفه ، وان هذه التجارب وان لم يذكرها الانسان مسجلة في الجزء اللاشعوري من عقله ، مهما طال عليها القدم . انا اذا عرفنا ذلك امكن لنا أن نفهم ما قد يبدو لنا غريبا ؛ فقد يسيء الينا في طفولتنا بعض اشخاص ذوى خلقة معينة ، وقد ننسى هؤلاء الاشخاص بالذات ولكننا لا ننسى ان نقابل اى شخص يماثلهم في الخلقة بالكراهية ، ذلك لاصطحاب الخوف والخطر لهذا الشكل المعين ، وهذا يفسر ايضا قول البعض انه يمقت فلانا من اول ما يراه ، ولكنه لا يعرف سبب ذلك

على ان هذه الفكرة الذاتية كثيرا ما تتعدى الحاضر الى المستقبل ، فقد تجلس في المقهى على ان تغادره في ساعة معينة فيشغلك الحديث مع جارك ، وتنسى كل شيء ، ولكنك لا تلبث ان تذكر ميعادك في الوقت المناسب فتستأذن لتلبيته ، او قد تنام على ان تستيقظ في ساعة معينة فيكون لك ما تريد . ذلك لانه في اللاشعور قد تكونت عقيدة بانه من مصلحة الانسان او من مصلحة وجوده ان يذهب الى الميعاد في ساعة معينة ؛ ولهذا ترى اللاشعور يذكر الشعور باستمرار بالموعد ، فهو بين آونة واخرى يقذف بفكرة الموعد امام الشعور ، وقد لا يأبه الشعور الى هذا التذكير ، لأن الوقت لا يزال مبكرا ، ولكن اللاشعور يستمر في التذكير بين آونة وأخرى حتى يحل الموعد فيتذكره الانسان اذا كان متيقظا ، او ينتبه من نومه اذا كان نائما

وكما ان الافكار الذاتية قد تكون مخطئة فكذلك الاصطحاب قد لا يكون على اساس سليم . ومحاولة تصحيح خطأ الاصطحاب او توجيه اللاشعور الى الأفكار والعقائد الصحيحة هو في الواقع واجب على كل انسان يود ان يحيا حياة عقلية سليمة

واذا كنا قد أثبتنا أن العقل الباطن هو الذى يقوم بمهمة التخيل فان الجزء الشعورى من العقل هو الذى يقوم بتنفيذ كل ما يوحى به العقل الباطن في غياب التمييز ، لأنه يعتقد أن كل ما يوحي به العقل الباطن مهم لاستكمال النقص الموجود في الجسم . وهو في تنفيذه لرغبات العقل الباطن قادر كل القدرة على عمل ما قد يبدو مستحيلا لأول وهلة ، لأن الشعور لا يسيطر فقط على حركة الانسان الظاهرة ، بل يسيطر أيضا على كل الاعضاء الداخلية للجسم . ويكفي أن يتخيل العقل الباطن السفر لأجل أن ينفذ الشعور ذلك السفر . ويكفي أن يتخيل العقل الباطن الشفاء لأجل أن ينفذ الشعور الشفاء أيضا . وهذا هو الاساس في الايحاء بانواعه

هذا الى أن الشعور تتمثل فيه غريزة التغذية ، وهي التي تهيء

للجسم أسباب المأكل والمشرب والدفء ... الخ . وهكذا يتبين أنه اذا كانت كل الجهود التي ترمي الى اشباع الغريزة الجنسية ممثلة في العقل الباطن ، فان كل الجهود التي ترمي الى حفظ النفس وجعل الجسم كاملا سليما ممثلة في العقل الظاهر . ولما كان الانسان قليل الاطمئنان من ناحية المستقبل فانه لا يقتنع بما يكفيه حقيقة ويتعاون العقلان في هذا السبيل فيكون الطمع والحسد والغيرة والمغالاة في جمع المال . ولما كانت كل من هذه الجهود ترمي الى تفكك المجتمع وانحطاط الأخلاق فاننا نجد أن المجتمع قد حاربهما بشيئين :

أولا : من الطفولة الى اكمال الدراسة نجد أن الأب والمدرس والدين يتعاونون على كبح هذه الرغبات بما يوحونه من تعاليم ، ثم ينسى الانسان الأب والمدرس وتبقى التعاليم في العقل بصفة ضمير أو وازع نفساني يحض على الخير وترك الشر

ثانيا — إن ما يلاحظه الانسان في الحياة من احتقار الهيئة الاجتماعية لكل من يحاول اشباع رغبة محرمة يجعل الشعور ، وهو الذي يهمه حفظ الجسم وسلامته من الامتهان ، يقف في وجه العقل الباطن أو يقلل من مغالاته هي الاخرى في تنفيذ رغباتها . وهي تقف هنا ايضا في وجه العقل الباطن باسم الضمير الانساني النبيل في الظاهر . والواقع أن خوفها مما حدث لغيرها هو الذي يجعلها تقف هذا الموقف .

وهكذا يبدو أن الضمير مفيد للهيئة الاجتماعية ، وهذا هو الواقع ولكن الى درجة محدودة . لأن ذلك الضمير اذا كان قويا أكثر من اللازم فانه يمنع الرغبات من المثول امام التمييز أو الشعور فتبقى في العقل الباطن دون أن تنفذ ، ولما يقتنع العقل الباطن بضرورة تنفيذها بعد .. وهنا كثيرا ما تنشأ الأمراض العصبية . والطريق الوحيد لاقناع ذلك العقل والتغلب عليه هو عرض رغباته على الشعور أو العقل المميز لمناقشتها والبت فيها

والعقل المميز هو القوة الاختيارية ، أي التي توازن بين كل شيء وتختار التصرف الذي يتراءى لها ، وهي موضع الذكاء في الانسان

ويجب أن نذكر أن الضمير لا يمنع كل رغبات العقل الباطن من الوصول الى الشعور ثم الى التمييز ، بل بالعكس فانه يسمح للكثير منها بالوصول إلى التمييز نفسه ، ولكنه يقف أمام رغبات معينة فيمنعها من طريقها الى الشعور . وهذه الرغبات المعينة الممنوعة هي التي تسبب الامراض العصبية المسماة Maldies des trnsfert واما هذه الرغبات المعينة فاننا سنذكرها بشيء من الاسهاب بعد أن نتكلم عن قصة أوديب الملك ، وعما يسميه فرويد Oedipe - Complexe

والعقل باقسامه الثلاثة ما هو إلا شيء معنوي أو بمعنى آخر هو وظيفة يقوم بها المخ الذي يتكون من جزأين ـ الأول وهو القشرة السنجابية الرمادية ، يتكون من مجموعة خلايا عصبية متصلة ببعضها تمام الاتصال ، والثاني وهو الجزء الأبيض المكون من خيوط دقيقة تقوم بمهمة أسلاك التليفون ، وتوصل الخلايا مع بعضها كما توصل بين الخلايا وأجزاء الجسم المختلفة

والخلية العصبية هي وحدة المخ التي تساهم في تكوين العقل بأقسامه الثلاثة ، ففي كل خلية جزء من المعلومات والاحساس والتمييز الخ . والعقل التام أو قيام المخ بوظيفته كما يجب لا يمكن أن يكون الا عن طريق الاتصال الكلي بين جميع الخلايا ، وبهذا يمكن تبادل المعلومات والاحساس والتمييز بين الخلايا فيؤدي المخ وظيفته على أحسن حال . وكلما كان هناك ما يمنع اتصال الخلايا كان هناك أيضا فكر غير ناضج ورأي غير معقول . وليست فائدة الاتصال بين الخلايا مقتصرة على تبادل المعلومات . إذ أن تسجيل التجارب والافكار يحدث بواسطة هذا الاتصال على قواعد الاصطحاب والقرينة Assaciation فالمعلومات المتشابهة أو المتضادة تسجل في خلايا متجاورة أو متباعدة ، ولكنها متصلة ببعضها

ولما كان المخ البشري من الوجهة التشريحية الميكروسكوبية متماثل من جميع الوجوه ـ سواء في ذلك مخ الزنجي ومخ الرجل الابيض ، وسواء في ذلك أذكى وأغبى رجل ـ فان اتصال الخلايا لا يتوقف على كثرة أو قلة الخيوط الدقيقة ، أو على مقدار تفرع هذه الخيوط كما يتوقف على العوامل النفسية والعقلية الأخرى

فالعوامل النفسية اذن هي التي تمنع الاتصال بين الخلايا . وأكثر هذه العوامل هو ما يكون بفعل المشادة بين اللاشعور والشعور ، او بمعنى ادق بين اللاشعور والضمير ـ أو بين ما يسميه فرويد Interet libido وهو يقصد بكلمة لبدو كل الجهود التي ترمي الى اشباع شهوة النفس وبكلمة Intéret كل الجهود التي ترمي الى حفظ النفس وجعلها ملائمة لمقتضيات الوسط الذي تعيش فيه

هذه المشادة بين اللاشعور والضمير هي التي خلقت العواطف في الانسان وخلقت فيه التردد وعدم البت في الأمور ، وهي التي كثيرا ما تحول دون تمام الاتصال بين الخلايا ، فيكون الفكر والرأي والتصرف غير ناضجة من الوجهة العقلية السليمة ، وهي ايضا التي تمهد السبيل الى الأمراض العصبية المختلفة

وليس هذا الاتصال المباشر بالخيوط الدقيقة — هو الاتصال الوحيد بين الخلايا . فان هناك اتصالا آخر غير مباشر وهو اتصال يمكن تشبيهه بالاتصال اللاسلكي بين المحطات المختلفة

هذا الاتصال الاثيرى قد يكون موجودا ؛ ولكنه نادر وقليل الحدوث بين خلايا المخ الواحد ؛ وهو مع ذلك شائع وكثير الحدوث بين الخلايا التي لا تنتمي الى مخ واحد . وهذا هو سبب ما نسميه توارد الخواطر وسبب الرؤيا الصادقة . ومن منا لايذكر انه اراد مرة أن يقول كلمة فسبقه مخاطبه بقولها ؟ ومن منا لا يذكر انه كان يتكلم مع صديقه عن شخص ثالث ، فاذا بهذا الشخص الثالث يحضر على الأثر ؟ ومن منا لايذكر انه رأى شيئا فى الرؤيا فاذا به يراه فى اليقظة فى اليوم التالى ؟

وهكذا نرى أنه قد يكون لكل رؤيا تفسيران — التفسير الأول وهو الثابت فى جميع الرؤى هو التفسير التحليلى الذى سبق أن تكلمنا عنه . وأما التفسير الثانى الذى يتعلق بحوادث اليوم الأول أو الأيام القليلة التى تلى ليلة الرؤيا فانه ، فضلا عن كونه قليل الأهمية فى الغالب لا يمكن معرفته قبل حدوثه بالفعل ، فهو نادر الحدوث ، أي أن الرؤيا التى لها تفسير من هذا القبيل قليلة ونادرة . فالتفسير التحليلى اذن هو الأهم وبواسطته يمكن معرفة رغبات الانسان الكامنة فيستدل على موطن المرض العصبي ويستأصل من جذوره

هذا وقد حاول الكثيرون التخلص من الافكار الذاتية المخطئة بطرق شتى

١ — الايحاء Suggestion

٢ — الايحاء الذاتى Autosuggestion

٣ — الجمع بين الطريقتين السابقتين وهى طريقة Emile Coué وهى التى يسميها La guerison par L'autosuggestion Consciente

٤ — التنويم المغناطيسى . وعيبه أنه يؤثر تأثيرا ايثا فى شخصية النائم . على أن هذه الطرق الأربعة مع امكان نجاحها فى الحالات البسيطة ، فهى كثيرا ما تفشل ، ذلك لأنها لا تؤثر إلا فى الحركات والالفاظ أو الاعراض العصبية الأخرى التى سببتها الافكار الذاتية الكامنة ، ولكنها لا تؤثر فى هذه الافكار نفسها . ولذا فان هذه الأعراض قد تختفى لتحل محلها اعراض أخرى أخف أو أشد منها على حسب الظروف . ولو تسنى معرفة هذه الافكار أو الرغبات الكافية لعرضت على العقل المميز وبت فيها ولخرجت اذن من العقل الباطن وأصبحت غير قادرة على ما كانت تسببه قبل ذلك

وقيما بعد سنتكلم عن الايحاء والتنويم والاتصال الاثيرى والتحليل النفسى مع شيء من الاسهاب . ولا بأس الآن بعد أن وصلنا الى هذا القدر من البحث من أن نشير الى الروح وماهى ، فقد تعرض لها الكثيرون فى العصور المختلفة . فمن قائل إنها فى الدم ، ومن قائل إنها فى القلب . وربما يظن الانسان أنه قد توصل الى معرفتها ، وأنها هى التى تتجلى فى الاتصال الاثيرى السالف الذكر ، والواقع أنها بعيدة عن متناول يده الضعيفة ، فهو لم يعرف بعد جميع أسرار المادة التى يراها حوله فى كل مكان . وأولى له أن يعرف هذه الاسرار قبل التطلع الى معرفة الروح . والروح من أمر الله .

عبد الفتاح سلامه .



مغامرات آخر بني سراج

لشاتوبريان

Les Aventures des Dernier D'Abencerage
par Chateaubriand

تلخيص وتحليل ونقد

بقلم الآنسة سهير القلماوي

ليسانسييه فى الآداب

بنو سراج فى التاريخ

اذا كان تاريخ سقوط غرناطة يحفه الكثير من الغموض والكثير من النقص واللبس ، فلا غرو اذا كان تاريخ بنى سراج كله غموض وابهام ، وكله لبس ونقص . لانجد كتابا يذكر عن بنى سراج شيئا كافيا ، ولانجد كتابا ينتهى فى أمرهم الى ماينتهى اليه غيره ، هذا اذا ذكروهم وما أقل ما ذكروا .

فاذا بدأت بقولهم إن بنى سراج اسرة ، تجد خلافا فى هل عرفوا فى التاريخ كاسرة حقا ، أو أن التاريخ لم يعرف منهم الا فرداً واحداً ؟ وهم بعد يختلفون فى حقيقة اسمه . واذا ثنيت بقولهم نشأوا فى غرناطة وجدت من يقول إنهم نشأوا فى قرطبة ، ثم رحلوا عنها الى غرناطة . وهكذا يستمر الخلاف فى كل خطوة من خطى الكلام على بنى سراج

ولكن برغم هذا كله يمكن ان نستخلص من كلام المؤرخين فى شأنهم مايلى : إنهم اسرة عرفت فى غرناطة فى أواخر ايام بنى الاحمر وكان هلاكها على يد أحدهم : اما ابو الحسن علي ، واما ابو عبد الله . وكان لهم يد فى الخلافات الاخيرة التى وقعت بين افراد الاسرة الحاكمة . وهم مشهورون بعد بخلافاتهم مع بنى الزغرى او الزغى ، ونجد تأييدا لذلك كتابا اسبانيا الف حوالى سنة ١٥٩٥ عنوانه « تاريخ عصابات الزغرى وبنى سراج والحروب الاهلية فى غرناطة ، كذلك شهر بنو سراج بقصد الفتك بهم ، فقيل ان بنى الزغرى كادوا لهم عند ابى عبد الله ففتك بهم . اما المكيدة نفسها فبعضهم يكتفى بالاشارة اليها ، والبعض الآخر يتخذ الاسطورة المشهورة فى الفتك بهم كحقيقة تاريخية فيرويها . وفيما بعد تفصيل لتلك الاسطورة

اما شاتوبريان مؤلف القصة المشهورة باسمهم ، فالظاهر انه كان يرى فيهم اسرة من اشراف غرناطة حاربهم الاسبان فقتلوهم وشردوهم ، والدليل على قولى هذا ان بطل القصة آخر سلالة بنى سراج جاء اسبانيا للانتقام من سلالة السيد الاسبان لانهم شردوا اجداده وقتلوهم : ولو صحت لديه الاسطورة المشهورة لجاء ابن حامد منتقما من سلالة بنى الاحمر لا من سلالة الاسبان .

ننتهى من كل هذا الى ان بنى سراج اسم يذكر مقرونا بذكر سقوط غرناطة وبنى الاحمر . اما مآلهم واما حقيقتهم فشىء يحفه الكثير من الغموض وتحيط به سياج من الاساطير يخفى الكثير من الحقيقة .

بنو سراج فى الاساطير

اذا كان التاريخ لم ينصف بنى سراج فان الاساطير أنصفتهم كما أنصفهم الفن فى الادب والغناء .

تتعلق ببنى سراج اسطورتان مهمتان ، وكلتا الاسطورتين كانتا منبعاً للادب او للقصص بنوع خاص .

اما الاولى فهى الاسطورة التى تروى فى سبب الفتك ببنى سراج وهى أن ابا عبد الله بلغه حب احد بنى سراج لاخته زريده ، فثار ثائره ، وجمع الاسرة كلها فى مكان من الحمراء واحرقهم أو قطع رؤوسهم جميعاً ، ومازال صدى اصواتهم يرن فى جنبات الحمراء شاكيا من ظلم مالاقوه . ويلمح كاتب مقال بنى سراج فى دائرة المعارف الايطالية شبها عظيما بين هذه القصة والقصة التى تروى فى الشرق عن سبب الفتك بالبرامكة ، مما يجعله يرجح ان قصة بنى سراج هذه ما هى إلا اسطورة غربية صيغت على نسق الاسطورة الشرقية ، فبنو سراج وزراء بنى الاحمر ، والبرامكة وزراء بنى العباس ، وفتك بالبرامكة

الرشيد ، لان جعفرا البرمكى أحب اخته العباسة ، وكذلك فتك أبو عبد الله بالسراجين لأن احدهم احب اخته زريدة . ثم يقول كاتب المقال ، واسم زريدة وهو اسم غريب فى الأسماء العربية ما هو الا تحريف يحكى لاسم زبيدة زوج الرشيد .

ومما يبعد هذه الاسطورة عن التاريخ أن مؤرخا عربيا واحدا لم يذكرها وان كان الاسبان اكثروا من ذكرها فى مؤلفاتهم .

واما الاسطورة الثانية التى تتعلق ببنى سراج فهى الاسطورة المذكورة فى كتاب لانطيونو فالجانس اسمه تاريخ بنى سراج وظريفة ، الفه سنة ١٥٥١ وقد استقاه من كتاب لا يعرف مؤلفه اسمه Chronica d'Infanto dou Ferdinanto . ويروى فيه قصة ابن درين الرامى الذى تزوج سرا من ظريفة ابنة قائد قرطبة والذى اسره قائد الانتقيرة . ولما صاحبته زوجه عن طيبة خاطر الى السجن اخذت القائد شفقة على حالهما المحزنة ، وعلى حبهما واخلاصهما ، وطلب الى ابيه ان يعفو عنهما ، وحصل منه على امر باطلاق سراحهما . وقد رويت هذه القصة برقة زائدة حتى ان Gallards يقول ، يظهر انها كتبت بريشة من جناح احد الملائكة واشتهرت هذه القصة شهرة عظيمة واعجب بها Cervantes وذكرها فى دون كيشوت . وكررها Monto Mayer فى كتابه ديانا . واستخلص من موضوعها Lope de Viga روايته ..... Il Remedis . وكانت القصة باختصار موضوعا لعدة قصص من اشهرها واجملها ما رواه Augustions D'osar فى روايته Romencers

هاتان هما الاسطورتان ، وما تفرع عنهما ، ولكن موضوع بنى سراج انفسهم غير متأثر باسطورة معينة من الاسطورتين كان وحيا للموسيقى المشهور شروبينى Cherubiny فقد وضع فيهم اوبرا مثلت فى باريس سنة ١٣٨١ ووضع كلامها Gony ولا تزال بعض ألحانها مشهورة الى اليوم .

كذلك نجد ذكرهم عند شعراء العرب ، فهم يذكرون كثيرا . مثلا فيما الف حول سقوط قلعة الحامة من شعر وغناء .

كذلك أنصفت الاساطير بنى سراج كما أنصفهم الادب والغناء .

قصة شاتو بريان

هؤلاء هم بنو سراج كما يعرفهم التاريخ وكما تعرفهم الاساطير ولكن الذى رفع ذكرهم ليس التاريخ أو الاساطير ، وانما هى قصة الفها الكاتب الفرنسى المشهور شاتوبريان ، وهى قصة « مغامرات آخر بنى سراج » . وليست القصة عن بنى سراج انفسهم كما يدل عنوانها ، ولكن المؤلف اتخذ لقصته بطلا ادعى انه آخر سلالة هذه الاسرة ، ولا يغير من القصة شيئا لو كان هذا البطل آخر سلالة أى اسرة عربية اخرى شهدت سقوط غرناطة واصابها ما أصاب العرب جميعا اذ ذاك .

كيف استقى المؤلف قصته

عاش شاتوبريان فى شمال فرنسا ، ولكنه عرف بكثرة الرحلات واتساع نطاقها ، كما عرفت اسرته كلها بولعها بالرحلات والمغامرات ، وقام شاتوبريان نفسه بعدة رحلات ، فقد سافر الى امريكا ، وكانت تلك الرحلة من أهم ما انتفع به فى كتابه الذى رفع ذكره وهو أتالا Atala . كذلك عاش زمنا فى لندره ، حيث كتب الكثير من مؤلفاته ، ورحلاته هذه لم تمل عليه ادبا فحسب ، وإنما وصفها فى كتب عدة غير مشهورة .

ولكن هناك رحلة خاصة هى التى أوحت اليه بتلك القصة التى نحن بصدد الكلام عنها ، فقد تواعد واحدى صديقاته على زيارة الحمراء وما حولها فى غرناطة . وفعلا تقابلا هناك وزارا معا الحمراء وما جاورها . وكان من أثر هذه الزيارة ان كتب القصة فى نفس تلك الامكنة التى يصفها . فى الحمراء وما جاورها .

هذا ما أوحى اليه بالقصة . واما مادة القصة فقد استقاها من كتاب اشرنا اليه آنفا وهو كتاب Ginés Perey de Hita فى « تاريخ عصابات الزغرى وبنى سراج والحروب الاهلية لغرناطة » الف هذا الكتاب حوالى سنة ١٥٩٥ ولكنه ترجم الى الفرنسية وطبع فى باريس ثلاث طبعات ، الاولى سنة ١٦٠٦ ، والثانية سنة ١٦٩٨ ، والثالثة سنة ١٨٠٩ ، واذا عرفنا ان شاتوبريان مات سنة ١٨٤٨ عرفنا انه كان يمكنه الاطلاع على كل هذه الطبعات الثلاث للترجمة الفرنسية فوق ان احداها طبعت فى شبابه ، فلا غرو أن لفتت نظره . وهذا الكتاب الذى ألفه De Hita مشتق من Pulgars Chrouiéles ومن قصص العامة مسيحية واسلامية حتى أن بعضها منقول نقلا . أضف الى كل هذا أن اوبرا Cheruoiny فى بنى سراج مثلت سنة ١٨١٣ فكانت حافزا للمؤلف ولا شك على تأليف قصته .

ملخص القصة

اما القصة نفسها فتتلخص فى ان ابن حامد هاجر من قرطاجنة الى غرناطة شوقا الى رؤية آثار اجداده واخذا للثأر من فتكوا بهم . واثناء

زيارته لتلك الآثار التي كانت تثير اشجانه، بلح إسبانية فتعرفها ثم احبها واحبته. وزارا معا قصر الحمراء، ولكن كل واحد منهما اصر على دينه، وأصر على الا يتزوج صاحبه الا اذا بقي على دينه. وكان ابن حامد يعرف أن صاحبته من أسرة اسبانية عريقة، ولكن لا يعرف عن هذه الاسرة شيئا، وكانت أدماء Blanca تعرف أن صاحبها من أشراف العرب الذين هاجروا الى المغرب، ولكنها لم تعرف لاسرته اسما.

ويضطر ابن حامد الى ترك غرناطة ليودع والدته قبل فراقها الحياة، فيودع أدماء ويقسمان على الاخلاص والوفاء. ثم يعود اليها بعد أن فارقت أمه الحياة فيجدها كما أمل: وفية مخلصة ثابتة على دينها

ولكن يظهر لابن حامد منافس في حب أدماء هو صديق أخيها الفارس الفرنسي لوترك Lautrec ويعرض عليها أخوها الزواج من لوترك فترفض وتعترف له بحبها لابن حامد، فيثور أخوها ويطلب ابن حامد للمبارزة فيتبارزان ويجرح ابن حامد. وتأتي أدماء الى ميدان المبارزة في صحبة لوترك، وتحاول اصلاح الحال بين أخيها ولوترك من جهة، وبين ابن حامد من جهة أخرى، ولكنها لا تفلح، ويصر ابن حامد على أن يحترم دون كارلوس أخاها ويحتقر لوترك حبيبها ويكرههما الاثنين.

وعند الغروب بينما كان ابن حامد سائرا سابحا في أفكاره، اذ تنبه على صوت الناقوس يدعو النصارى الى صلاتهم، فيدخل الكنيسة عل إله النصارى وهو إلهه أيضا أن يحل ما تعقد في رأسه من أفكار. فيرى في الكنيسة (لوترك) راكعا يصلي، فيهم بالخروج واذا به يفاجىء أدماء داخلة تصلي أيضا، فيظن هو انها آتية للقاء لوترك، ولكنها تنفي عنه الظنة قائلة «انا اعلى من أن أغشك» ثم تشكي له ما تلاقيه وتفهمه أنه بتنصره يبرئها من سقامها وآلامها، فيخرج ابن حامد من الكنيسة وهو مصمم على أن يتنصر في الصباح.

وفي المساء سار الى دون كارلوس فوجده قد سبقه الى بيت لوترك، فسار اليه هناك فوجد أن لوترك يقيم حفلا في هذا المساء، وبدأ القوم يغنون بمفاخر قومهم كعادتهم في حفلاتهم، وغنى دون كارلوس فعرف ابن حامد من غنائه أنه أحد سلالة السيد الاسباني الذي جاء ينتقم من سلالته لاجداده بني سراج. وهنا كشف ابن حامد لهم عن حقيقته، فخيره دون كارلوس بين المبارزة وبين التنصر والتزوج بادماء. وكان الخيار عليه صعبا، فحكم ادماء، فكان حكمها أن «عد الى صحرائك»

ظلت أدماء بلا زواج طول حياتها تندب السراجي، وضم السراجي قبر لازال معروفا الى الآن في المغرب بقبر آخر بني سراج

هذه خلاصة القصة ونلاحظ عليها ما يلي:

١ ـ إن القصة كلها لا أصل لها في التاريخ. ويقول صاحب مقال بني سراج في دائرة المعارف الايطالية أن ليس لها من الحقيقة سوى الاسم: بني سراج.

٢ ـ إن الفكرة الدينية كانت عنصرا هاما في الموضوع، وهي دائما عنصر هام في روايات شاتو بريان حتى قصته التي رفعته الى أوج الشهرة وهي Atala مبنية على الفكرة الدينية.

٣ ـ تعد القصة من مؤلفات شاتو بريان الثانوية، قلما يقرؤها الا من كان معنيا بشؤون الشرق والشرقيين. ولكنها برغم هذا من القصص التي تترك في نفس القاريء أثرا بينا، لا من حوادثها فقط ولا من شهامة ابطالها فحسب، ولكن من هذا كله ومن الوصف الدقيق الذي تمتاز به.

٤ ـ أبطال القصة مرتفعون بشهامتهم وشرفهم ارتفاعا لا يقربهم الى نفس القاريء، ومما ساعد على بعدهم عن قلب القاريء قلة التحليل النفساني الذي يصل بالقاريء الى معرفة هؤلاء الابطال معرفة تقربهم منه، وهو وان كان قد عمد اليه في بعض الاحيان الا انه لم يوفق فيه. فشخصية ابن حامد وهي أهم شخصية في القصة لا تجد لها تحليلا كافيا ولا تتبينها الا اذا أسبغت عليها الكثير من خيالك الخاص.

٥ ـ والمحادثات التي تجري في القصة متكلفة بشكل غريب، وكان أبطالها كلهم ينشئون رسائل أو ينمقون مقالات، وكان لكل هذا اثره البين في الباس هذه الشخصيات لباسا غامضا لا يتنوع بتنوع الاشخاص.

٦ ـ كان المؤلف في قصته وصافا اكثر منه مؤلفا قصصيا، والظاهر ان موضوع القصة وأشخاصها لم يهم المؤلف قدر ما اهمه وصف الحمراء وما جاورها.

الترجمة لشكيب ارسلان

ترجم القصة الفرنسية الكاتب المعروف شكيب ارسلان، ولكن الترجمة حرفية، وقد اخلت حرفيتها بكثير من معانيها، وجعلت لها صبغة غريبة لغرابة تراكيبها وتعابيرها. ولو عمدت الى نقل المواضع التي افسدتها الترجمة الحرفية لاكثرت وامللت



الكتب

ديوان الأعشاب

لمحمود ابو الوفا

حديث عن الشعر وعن الديوان

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

في احدى زياراتي للاستاذ مصطفى صادق الرافعي رأيت على مكتبه « ديوان الاعشاب » الذي أخرجه الشاعر المعروف الاستاذ محمود أبو الوفا ، فاكبرت أن أجد هـذا الديوان حيث وجدته ، ولكن الاستاذ أثنى عليه وعلى صاحبه ؛ ثم قال : هلم نقرؤه معا ، وبعد أن استوفيناه ، نقلت عنه هذا الحديث لرسالة الغراء ؛ قال :

« أبو الوفاء شاعر مل‌ء نفسه ، ما في ذلك شك . مذهبه الجمال في المعنى ، يبدعه كما يزهر به ، والجمال في الصورة يخرجها من بيانه ، كما تخرج الغصون والأوراق من شجرتها . وله طبع وفيه رقة ، وهو يجرى من البيان على عرق ؛ وسليقته تجعله ألزم لعمود الشعر وأقرب الى حقيقته ، حتى إنه ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربي بهم ، وهم قليل في زمننا ؛ فان الشعر منحدر في هـذا العصر الى العامية في نسقه ومعانيه ، كما انحدر التمثيل ، وكما انحدرت أساليب الكتابة في بعض الصحف والمجلات .

وللعامية وجوه كثيرة تتقلب فيها الحياة ، ومرجعها الى روح الإباحة الذي فشا بيننا ، ونشأ عليه النشء في هذه المدنية التي تعمل في الشرق غير عملها في الغرب ، فهى هناك رخص وعزائم ، وهى هنا تسمح وترخص ، في ظل ضعيف من العزيمة . واهمال البلاغة العربية الجليلة كما هي في قوانينها ، ليس الا مظهراً لتلك الروح تقابله المظاهر الأخرى ، من اهمال الخلق ، وسقوط الفضيلة ، وتخنث الرجولة ، وزيغ الأنوثة ، وفساد العقيدة ، واضطراب السياسة ، الى ما يجري هـذا المجرى مما هو في بلاغة الحياة المبينة كالمرذول والمطرح والسفساف في بلاغة الكلام الفصيح . كل ذلك في مواضعه تحلل من القيود واباحة وتسمح وترخص ، وكل ذلك عامية بعضها من بعض ، وكل ذلك لحن في البلاغة والخلق والفضيلة والرجولة والانوثة والعقيدة والسياسة .

والشعر اليوم أكثره (شعر النشر) في الجرائد ، على طبيعة الجرائد لا على طبيعة الشعر . وهذه اباحة صحافية غمرت الصحف ، وأخضعت أذواق كتابها لقوانين التجارة ، فانهم لينشرون بعض القصائد ، كما تنشر (الاعلانات) لا يكون الحكم في هذه ولا هذه لبيان أو تمييز أو منفعة ، بل على قدر الثمن أو ما فيه معنى الثمن !

ومن مادية هذا العصر وطغيان العامية عليه ، إننا نرى في صدر بعض الجرائد أحيانا شعرا لا يكون في صناعة الشعر ولا في طبقات النظم أضعف ولا أبرد منه ، ولا أدل على فساد الذوق الشعري ، ولكنه على ذلك الأصل الذي أومأنا اليه يعد كلاما صالحا للنشر ، وان لم يكن صالحا للشعر .

وهكذا أصبحت العامية في تمكنها تجعل من الغفلة حذقا تجاريا ، ومن السقوط علوا فلسفيا ، ومن الركاكة بلاغة صحفية ، ومتى تغير معنى الحذق ، وداخلته الاباحة ، ووقع فيه التأويل ،

وقد خلى المترجم ترجمته بأبيات شعر كثيرة مقتبسة غير التي اضطر الى نظمها ترجمة للاصل الفرنسي الشعرى ، وكانت هذه الأبيات المقتبسة مما ساعد كثيرا على عدم الانسجام في القصة ، فهى وان كانت في نفس المعنى المساقة فيه ، إلا ان بعدها عن روح القصة وجوها جعلها كالانغام الناشزة في الموسيقى .

واخيرا لم يكن للمترجم فضل في تلك الترجمة الا نقل صورة مهما تكن حالها لقصة يجب ان يطلع عليها كل قارىء لتاريخ الاندلس ، وانما فضله حقا فهو في الذيل الذي أتبعه قصته ، وهو ما لا نتعرض له .

سهير القلماوي

وأحيط بالتمويه والشبه ـ فالريبة حينئذ أخت الثقة ، والعجز باب من الاستطاعة ، والضعف معنى من التمكين ، وكل مالا يقوم فيه عذر صحيح ، كان هو بطبيعة التلفيق عذر نفسه ..

وأكثر ما تنشره الصحف من الشعر هو فى رأيى صناعة احتطاب من الكلام ... وقد بطل التعب ، إلا تعب التقشش والحمل ، فلم تعد هناك صناعة نفسية فى وشي الكلام ، ولا طبع موسيقى فى نظم اللغة ، ولا طريقة فكرية فى سبك المعانى ؛ وبهذه العامية الثقيلة أخذ الشعر يزول عن نهجه ، ويضل عن سبيله ، ووقع فيه التوعر السهل ..... والاستكراه المحبوب ... وصرنا إلى ضرب حديث من الوحشية . هو الطرف المقابل للشعر الوحشى فى أيام الجاهلية . فما دام الكلام غريبا ، والنظم قلقا ، والمأتى بعيدا ، والمعنى مستهلكاً ، والنسج لا يستوى ، والطريقة لا تتشابه ـ فذلك كله مسخ وتشويه فى الجملة ، وإن اختلفت الاسباب فى التفصيل . وإذا كان المسخ جاهليا بالغريب من الالفاظ ، والنافر من اللغات ، والوحشى من المعانى ، وكان عصريا بالركيك من الالفاظ ، والنازل من التعبير ، والهجين من الاساليب ، والسخيف من المعانى ؛ ثم بالسقط والخلط والاضطراب والتعقيد ، فهل بعض ذلك إلا من بعضه ؟ وهل هو فى الشعر الجميل إلا كسلخ الانسان الذى مسخه الله فسلخه من معان كان بها إنسانا ، ليضعه فى معان يصير بها قردا أو خنزيرا ليس عليه إلا ظاهر الشبه ، وليس معه إلا بقية الاصل ؟

فالقردية الشعرية ، والخنزيرية الشعرية ، متحققتان فى كثير من الشعر الذى ينشر بيننا ، ولكن أصحاب هذا الشعر لا يرونهما إلا كمالا فى تطور الفن والعلم والفلسفة . وأنت متى ذهبت تحتج لزيغ الشعر من قبل الفلسفة ، وتدفع عن ضعفه بحجة العلم ، وتعتل لتصحيح فساده بالفن ـ فذلك عينه هو دليلنا نحن على أن هـــذا الشعر قردى خنزيرى ، لم يستو فى تركيبه ، ولم يأت على طبعه ، ولم يخرج فى صورته ؛ وما يكون الدليل على الشعر من رأى ناظمه وافتتانه به ودفاعه عنه ، ولكن من احساس قارئه واهتزازه له وتأثره به .

***

والشاعر أبو الوفا جيد الطريقة ، حسن السبك ، يقول على فكر وقريحة ، ويرجع الى طبع وسليقة ، ولكن نفسه قلقة فى موضعه الشعرى من الحياة ؛ وفى رأيى أن الشاعر لا يتم بأدبه ومواهبه حتى يكون تمامه بموضع نفسه الشعرى الذى تضعه الحياة فيه . والكلام يطول فى صفة هذا الموضع ، ولكنه فى الجملة كمنبت الزهرة لاتزكو زكاءها ، ولا تبلغ مبلغها الا فى المكان الذى يصل عناصرها بعناصر الحياة وافية تامة ، فلا يقطعها عن شيء ولا يرد شيئا عنها ؛ اذ هى بمعانى تركيبها وتهيئتها إنما تتم بموضعها ذاك لتهيئته وتركيبه . فان كانت الزهرة على ما وصفنا ، وإلا فما بد من مرض اللون ، وهرم العطر ، وهزال النضرة ، وسقم الجمال .

ولولا أن الحكمة وفت الاستاذ ابا الوفا قسطه من الألم ، ووهبته نفسا متألمة حصرتها فى اسباب ألمها حصرا لا مفرّ منه ـــ لفقدت زهرته عنصر تلوينها ، ولخرج شعره نظما حائلا مضطربا منقطع الاسباب من الوحى ؛ غير أن جهة الألم فيه هى جهة السماء اليه ؛ ولو هو تكافأت جهاته المعنوية الأخرى ، وأعطيت كل جهة حقها ، وتخلصت مما يلابسها ـــ لارتفع من مرتبة الألم الى مرتبة الشعور بالغامض والمبهم ، ولكان عقلا من العقول الكبيرة المولدة التى يحيا فيها كل شيء حياة شعرية ذات حس ..

ولكن مادامت الحياة قد وزنت له بمقدار ، وطففت مع ذلك وبخست ، فقد كان يحسن به أن يقصر شعره على أبواب الزفرة والدمعة واللهفة ، لا يعدوها ، ولا يزاول من المعانى الأخرى ماضعفت أداته معه أن تتصرف ، أو انقطعت وسيلته اليه أن تبلغ . ويظهر لى أن أبا الوفا يحذو على حذو اسماعيل باشا صبرى ، وهو شبيه به فى أنه لم تفتح له على الكون الا نافذة واحدة ؛ غير أن صبرى أقبل على نافذته ونظر ماوسعه النظر ، اما ابو الوفا فيحاول أن ينقب فى الحائط ليجعلهما نافذتين .....

اما انه ليس من الشعر أن تنزل الحيرة الفلسفية عن منزلتها بين اليقين والعقل ، أو المشهود والمحجب ، أو الواقع والسبب ، أو الرسم والمعنى ـــ فتنقلب حيرة معاشية تسم الاشكال والمعانى بسمتها المادية الترابية ، وتقع فى الشعر فتقحم بين شعر القلب العاشق ، وشعر الفكر المتأمل ـــ شعر المعدة الجائعة ، وتضع بين أشواق الكون شوقها هى الى الطعام والثياب والمال ....

على أنه كان الأمثل فى التدبير ، والأقرب إلى طريقة النفس

الشاعرة أن يصرف أبو الوفا هذا الشعور المادى الذى يتلذع به فيحوله فيجعله بابا من حكمة السحر الشعرى بالدنيا وأهلها وحوادثها ، كما صرفه ابن الرومى من قبل فأخطأ فى تحويله ، فجعله مرة بابا من المديح والنفاق ، ومرة بابا من الهجاء والإقذاع .

ولو بذل الشاعر أبو الوفا مجهوده فى ذلك ، واتهم الدنيا ثم حاكمها ، ونصب لها القانون ، وأجلس القاضى ، وافتتح المجلس ، ورفعها قضية قضية ، ثم أخذها حكما حكما ، تارة فى نادرة بعد نادرة ، ومرة فى حكمة إلى حكمة ، وآونة فى سخرية مع سخرية — إذن لاهتدى هذا المتألم الرقيق إلى الجانب الآخر من سر الموهبة التى فى نفسه ، فأخرج مكنون هذه الناحية القوية منها ، فكان ولا ريب شاعر وقته فى هذا الباب ، وإمام عصره فى هذه الطريقة .

على أن فى صفحات ديوانه أشياء قليلة تومىء إلى هذه الملكة ، ولكنها مبثوثة فى تضاعيف شعره ، والوجه أن يكون وجهه فى تضاعيفها . وإنه ليأتى بأسمى الكلام وأبدعه ، حين يعمد إلى ذلك الأصل الذى نبهنا إليه ، فينصرف لهفة نفسه إلى بعض وجوهها الشعرية ، كقوله فى « حلم العذارى » وهى من بدائعه ومحاسن شعره :

ما هما عيناك تغريـ ـنى على شتى الظنون
فيهما بحر وموج وسهول وحزون
ووضوح وغموض واضطراب وسكون
ومعان بينات ومعان لا تبين
وتهاويل فنون من رشاد وجنون
وأشعات حيارى من منى أو من حنين
ليت شعرى أى سر خلف هاتيك الجفون
آه إن السر أنبا عنه ذان الطائران
حينما مالا على غصـ ـنيهما يعتنقان . . .

فهذه أبيات فى شعر الجمال كالمحراب ملؤه عابده . . . اهـ »

محمد سعيد العريان

خريج دار العلوم

يتيمة الدهر

للإمام أبى منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى

أجمع كتب الثعالبى يطبع لأول مرة طبعة مصححة على ورق جيد ويقابل على عدة نسخ خطية

والكتاب من أوسع المراجع الأدبية التى ألفت فى القرن الخامس الهجرى . فيه تراجم واسعة لنحو خمسمائة أديب من عصر الثعالبى ومن سبقهم قليلا من شعراء وأدباء الشام والبصرة والعراق وما وراء النهر وفارس والجبل والاهواز وجرجان وطبرستان ومصر والمغرب والأندلس وهو على عنايته بالمشهورين من الشعراء يعنى بالمغمورين منهم ، وفيه أيضا كثير من النوادر المضحكة والملح المستعذبة والمقطوعات الغنائية الرقيقة ، والى ذلك تجد فيه الثعالبى يتعقب الشعراء ويميز خبيث شعرهم من الطيب ، بذلك جدير بأن يشبع رغبات الناس جميعا والكتاب يقع فى أربعة أجزاء ، وقد ظهر الجزء الأول والثانى وثمنهما عشرون قرشا صاغا ، والثالث والرابع بثمانية قروش للجزء مادام تحت الطبع . بادروا بالاشتراك قبل نفاد النسخ أو ارتفاع السعر ، ويباع فى المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر .

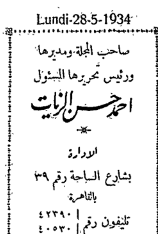
ديوان ابن حنظل

أصدر الزجال الرقيق محمد كامل أمين ابن حظل الجزء الثانى من ديوانه ، وهو يشتمل على أروع الأزجال وابلغها أثرا فى تقويم الخلق ، يطلب من مؤلفه بسنورس — فيوم ، ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ مليما

جريدة الوفاق

دخلت جريدة الوفاق التى تصدر أسبوعيا عن بلقاس سنتها السابعة مزهوة بما ابلت فى ماضيها الطاهر من تقويم الخلق ونشر الثقافة بقلم صادق اللهجة وخطة نبيلة الغاية . فنرجو للزميلة الكريمة اطراد النجاح ودوام التوفيق .

2me Année, No. 47. — Lundi 28-5-1934



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٤٧ «القاهرة في يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ١٣٥٣ — ٢٨ مايو سنة ١٩٣٤» السنة الثانية

فهرس العـــــدد

الامتيازات والأدب !

الأدب عبير الروح ، وشعاع النفس ، ونضح العواطف . يتأثر حتما بما ينال أولئك من تطور الحياة ، وتغير الناس ، وتقلب الزمن ؛ فهو يطيب أو يخبث ، ويضطرم أو يخبو ، ويمر أو يحلو ، تبعاً لما يعرض للروح والنفس والعاطفة من أحوال الضعف أو القوة ، والفساد أو الصلاح ، والانحطاط أو السمو .

فالأدب العربي كان صادقاً حين فاض بالبطولة ، وزخر بالحماسة ، وجاش بالعزة ، في عهوده الأولى أيام كان يمده العرب من قوتهم بالروح ، ومن سلطانهم بالنبل ، ومن حريتهم بالكرامة .

والأدب العربي كان صادقاً حين لج في الضراعة ، وضج بالشكوى ، وأن من الألم ، وتحدث عن فسوق الخلق المتحلل ، وإيمان القلب المستذل ، وضلال النفس المريضة في مذاهب القحة ، في عهوده الأخيرة أيام وهنت عزائم الملوك ، ووهت دعائم الملك ، وتخلت يد العرب عن زمام الدنيا ، فوقعت الفوضى ، وحدث الخلل ، ولجأ الناس بعضهم الى الله وراء شيوخ الطرق ، وبعضهم الى الشيطان وراء قطاع الطريق !

والأديب العربي صادق اليوم في الابانة عن هذا الشك الخائر في قدرتنا على التفكير الأصيل ، واضطلاعنا بالأمر الجليل ، واستقلالنا بتبعات الرأي وتكاليف الحياة . فإن اعتقادنا الايحائي الزمن بتفوق الأوربي وامتيازه سلب من نفوسنا الثقة ، ومن قلوبنا الايمان ، ومن عقولنا الاصالة ، ومن شعورنا السمو ، وتركنا كالعبد المملوك لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه ، ينقل فيما يقول عن لسانه ، ويصدر فيما يعتقد عن قلبه .

فأديبنا يجهل اللغة العربية كل الجهل ، ويعلم اللغة الأوربية كل العلم ، لأنه إذا تكلم بها أو كتب فيها شعر بذلك الامتياز الذي يلازم أهلها في بلاد الشرق . وأديبنا يقرأ الأدب الأجنبي ويغفل الأدب العربي ، لأن هذا أدب قوم كانوا يلبسون العمائم ، ويأكلون بالأيدي ، ويجلسون على الوسائد ، ويقولون له نحن أجدادك ! وذلك أدب قوم يلبسون البرانيط ، ويأكلون بالشوك ، ويجلسون على الكراسي ، ويقولون له نحن أسيادك .

وأديبنا يعمى عن مناظر بلده ، ومحاسن طبيعته ، ومفاخر قومه ، ومآثر شرقه ، ثم يفتح عينيه بكلتا يديه ليستشف من خلال السطور السود قناطر (السين) وشعاف (الالب) وخمائل (التيرول) لأن هذه ذكرها جوته ولامرتين وبيرون ، وتلك إنما ذكرها البحتري والرضي وشوقي !

زارني ذات يوم شاعر من شعراء الشباب ، وفي يده قصيدة يريد نشرها بالرسالة ، وكان موضوع القصيدة كما يقول : تصوير منظر قروي في ريف مصر : مشرق الشمس في القرية أو مغربها لا أذكر . فلما نظرت إلى الصورة — وأنا قروي — أنكرت ما رسم فيها من الخطوط ، ووضع بها من الألوان ، وحشد اليها من الطبيعة . فقلت له : يغلب على شعوري أنك ترجمت . فقال وهو يعقد من التيه عنقه : ثق انها من وحي خاطري وفيض لساني . فقلت له : إذن ما هذه النواقيس التي ترن في الأبراج ؟ أفي قريتكم كنيسة ؟ فقال كلا ، وانما آثرت رنين الناقوس على أذان المؤذن ، لأني أجد للأجراس والأبراج من الروعة والشاعرية ما لا أجده للمأذنة والمسجد . فألطفت للفتى في الاعتراض والاعتذار مخافة أن يرميني في سره بالجمود والتأخر !

كذلك قدم إليَّ كاتب من ناشئة الكتاب قصة مصرية ، سمى أشخاصها : جان ، وألبير ، ولورا ، وهيلين . لأنه يجد هذه الأسماء في الحوار والحديث أرق وأعذب من علي ، واسماعيل ، وسعاد ، وفاطمة !

فالأدب المصري الحديث ، كالمجتمع المصري الحديث ، يقوم على موت الشخصية ، وفناء الذات ، ونسيان التاريخ ، ونكران الأصل ؛ فهو يستلهم الطابع الأوربية ، ويخضع قريحته للقرائح الأوربية ، ويعقد لسانه بالألسن الموهوبة منها ، فيحكي ما تقول في لثغة تتكراء من أثر العقدة ، وهو لو وضع عن كاهله نير الامتياز ، وفهم هذه الكلمة المخزية على المجاز ، فأخذ عن طبعه ، وترجم عن طبيعته ، لفجأ الغرب بأدب قدسي الالهام ، سحري الأنغام ، شرقي الروح ، مصري الطابع ، يحل أهله من أدب العالم ما أحل أدبُ الهند اقبالا وطاغور !

إن الطبيعة المصرية أولى أن تلهم الشاعر تأمل الصحراء ، وأحلام النخيل ، وابتسام الصحو ، لا أن تلهمه ما تلهم الطبيعة الانجليزية من أمثال (الملاح التائه) ، و (الزورق الحالم) ، و (وراء الغمام) ! فإن الفن لا يخضع خضوع العلم للعقل المشترك والوطن العام ، وانما يخضع قبل كل شيء لطبائع الاقليم ، وخصائص البيئة ، ومنازع الشخص ، فاذا استنزل شعراؤنا الشبابُ على خواطرهم هذا الوحي الغريب ، فذلك أثر ما نشكوه من هذه العبودية العقلية التي ضربت على الآذان ، وغلبت على الأذهان ، وجعلتنا للأجانب في كل شيء تبعا .

فمتى يعلم المصري أن له مجداً يجب أن يعود ، ووطناً ينبغي أن يسود ، وصوتاً يحق أن يسمع ، وأدباً يصح أن يحتذى ، وتاريخاً يليق أن ينشر ، وحقا على أرضه تؤيده الطبيعة ويقره القانون ولا ينكره عليه إلا جبنه وذله ؟ !

احمد حسن الزيات

انصاف المترجم

للدكتور محمد عوض محمد

أتى على المترجم حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . وقد طال هذا الحين وامتد ، حتى كدنا نظن أن ليس لليله المدلهم من آخر . وإن من الناس لمن يظن أن المترجم ذو مكان تافه يسير ، وأن سيبقى مكانه مدى الدهر تافهاً يسيراً .

ولقد طالما أصغى المترجم الى هذه الاشارات والعبارات ، التي تنزله من عالم الأدب والكتابة أصغر المنازل . فيلقاها حيناً بالامتعاض ، وحيناً بالاستسلام ؛ وقد بات في حيرة من أمر نفسه ، فجعل يدعو نفسه أحياناً المترجم ، وأحياناً المعرب ، لعل في هذا ما يحسن من شأنه ومن حاله ؛ ثم يتواضع أحياناً فيكتفي بأن يقول : نقله عن الفرنسية . . . فلان ، ويوصي الطابعين بأن يكتبوا اسمه بحروف صغيرة ضئيلة . . . وليس هذا كله بمغن عنه شيئاً ، فليس الزهو بنافعه ، ولا التواضع عانعه .

وبالرغم من أن حاله باعثة حقاً على الرثاء ، مثيرة حقاً للدموع والبكاء ، فانا قلما نجد له بين الورى منصفاً . كأنما أجمع الناس على ظلمه واضطهاده . وما كفاه السهر الطويل المضني ، والانكباب على البحث والتنقيب عن الألفاظ والعبارات ، واجهاده الفكر في فهم مالا يفهم ، وانقاذ مالا يمكن انقاذه ؛ حتى اذا ما أتيح له بعد لأي وعناء ، أن يخرج مترجمه الى عالم الكتب ، جعل يتقدم به الى القراء ، في حياء وتردد ؛ كأنما ارتكب وزراً يريد أن يعتذر منه ؛ ويسبق الناقدين الى النقد فيقول لكل من يراه — بل ولكثير ممن لا يراه — إن الترجمة تشويه على كل حال ! . . وهو يريد بهذا أن يستل سخيمة الناقدين ، وأن ينتزع حمة العقرب أو على الأقل يهدئ من ثورتها . وشأنه في ذلك كشأن الطبيب الذي يطعمنا للتجدري ، فيعطينا المرض في شكل صغير لكي يدرأ عنا الخطر الكبير . .

لكن هذه الحيلة لا تجديه نفعاً ؛ وهذا الاعتراف ليس بمنجيه من العذاب . فلا يلبث الناقدون أن يتناولوا المترجم بالتأنيب والتجريح ، وترجمته بالتنكيل والتعذيب ؛ ويمطرونه النقد المرير أينما ذهب ، وحيثما نزل ؛ في مجالس الأدب وفي غير مجالس الأدب ؛ وفي الصحف السيارة وغير السيارة ؛ ومن النقد ما يلقى اليه مشافهة ، ومنه ما يلقى اليه كتابة .

هذا يتهمه بعدم الأمانة لأنه تصرف في اللفظ من أجل الحرص على المعنى : فالويل له كيف يتصرف في اللفظ وهو أثمن شيء في الوجود ! والآخر ينعته بالجمود وبالتمسك بالحرف وبالحرص على اللفظ ، حتى جاءت ترجمته في حاجة الى ترجمة : لا هي عربية فتفهم ، ولا أعجمية فتتفهم . ويقول الثالث : أجل وإن المترجم لذو شخصية ضعيفة ضئيلة ، حتى لقد غمرته شخصية المؤلف وطغت عليه ومحته محواً تاماً . فقارئ الترجمة لا يجد فيها سوى روح المؤلف ، أما المترجم فلا روح له ! ويقول رابعهم مداعباً : إن هذه الترجمة والأصل كالزنجية الشوهاء وخيالها في الزفت ! ويقول الخامس : ما كان أغنى قراء العربية عن ترجمة مثل هذا الكتاب ، فياله من مجهود ضائع ! ويقول السادس وهو يتكلف الظرف : إن هذه الترجمة لكتاب (هملت) من الابداع بحيث يجب أن تترجم مرة أخرى الى الانكليزية ! ليرى شكسبير كيف يجب أن يكتب (هملت) !

ثم من بعد هذا كله فما هو في نظر الجميع سوى مترجم ! رجل أعوزته القدرة على الابتكار ، فانصرف الى النقل ! فهل يكون لمثل هذا في عالم الأدب أو العلم مكان ؟ وأين هو من زيد وعمرو وبكر الذين ألفوا وصنفوا مجلدات فتحت في العلم أبواباً وطرقاً وشوارع ؟ حتى إن منهم لمن يبيع لتلاميذه الملزمة الواحدة بعدة دراهم !

* * *

ينصت المترجم المسكين لكل هذا وهو مطرق الرأس مغمض الطرف ، وقد أخذ الندم يأكل قلبه وكبده ورئتيه . وهو على هذا يعلم أنه ليس شراً من أولئك المؤلفين ، وأنه لو شاء أن يسلك السبيل التي سار فيها زيد أو بكر لما كان من الصعب عليه أن يجمع الفصول من بعض الأسفار ؛ ثم يسيء وضعها وترتيبها ، ويعرضها على أنها من مؤلفاته القيمة ؛ ومن بنات أفكاره ودلائل

إنجازه . ولكنه آثر أن يسلك سبيلاً غير ذي عوج ، وأن يعمل في وضح النهار ، في زمان ساد فيه الالتواء والظلماء .

لا شك أن المترجم المسكين مهيض الجناح ، مهضوم الحق ، وقد بلغ من هوان أمره على بعض الناشرين أنهم ربما نشروا الكتاب ، ولم يعنوا حتى بذكر اسم المترجم !

ومع ذلك فلقد يلقى المترجم من حين الى حين منصفاً يكون بمثابة جزيرة من الأمل وسط هذا البحر الفسيح من القنوط !

ومن أحسن ما يذكر في إنصاف المترجم ما قاله الأستاذ طه حسين في مقدمة الترجمة العربية لكتاب هرمن ودروتيه . وقد جاء في كلامه العبارة الآتية :

« إن الذين يترجمون آيات الأدب والفن والفلسفة ينسون أنفسهم ، ويمحون شخصياتهم ، ويفنون بمكان المترجم ، الذى ليس هو بالقارىء المستريح ، ولا المنتج النابغة ، لكنه صلة بين الرجلين : لاحظ له من راحة الأول ، ولا حظ له من مجد الثاني ، وإنما هو خادم مخلص أمين ، يرفع القارىء الى حيث يذوق جمال الفن وجلاله ، وحيث يشق لآثار النابهين من الأدباء والفلاسفة طرقاً جديدة . . . هذه منزلة المترجم يراها الناس يسيرة ، وأراها عظيمة جليلة الخطر . وحسبك أنها هي التي تحقق الصلة القوية بين الأجيال والشعوب ، فتزيل ما بينهم من الفروق وتدني بعضهم الى بعض » .

هكذا أنصف الأستاذ طه حسين المترجم ؛ ورد اليه شيئاً من حقه المضيع . ويحق للمترجمين أن يغتبطوا بأن قد صدر لصالحهم في هذا الأسبوع حكم آخر من ناحية لم يكونوا يتوقعون منها كل هذا العطف . وألذ النعماء ما جاءك من حيث لا تحتسب .

ذلك أن القضاء المصري قد قضى في هذا الأسبوع — ولا راد لما قضى — بحكم لعله أكبر غنم يستطيع المترجم أن يظفر به .

وها نحن أولاء نثبت هذا الحكم هاهنا بنصه وفصه :

« ان ما يلاقيه المترجم من صعوبة وعناء النقل من لغة الى لغة ، واصلاح في عباراتها يستلزم كداً وعلماً معاً ؛ حتى لقد يفضل المترجم أن يكون صاحب تأليف ، أو أن يصرف وقته في التأليف بدلاً أن يصرفه في الترجمة والنقل ، لأنه في التأليف مطلق ، يحذف ما يريد من المعاني ، ويضيف ما يريد من الألفاظ ، ويقدم ويؤخر ، ويحذف ويثبت على حسب ما يرى . أما في الترجمة فنجده مقيداً بما ينقل من نظام وترتيب ، وإثبات وتقييد .

ولا بد له من أن يدرك المعنى إدراكاً واضحاً ، يلبسه زيه من الألفاظ والجمل في اللغة التي ينقل اليها ، كما يكون أميناً في نقله ، صادقاً في ترجمته . ولا يكون أهلاً لذلك إلا إذا ملك ناصية اللغتين ، وعرف فيهما الشارد والوارد ، وأدرك دقائق كل منهما : من معان خفية ، وأسرار في التراكيب . وأن تكون نفسه قد مرنت على هذه الصناعة ، ووقف على أسرارها ، واتخذ له طريقة واضحة فيها .

وإن كثيراً ما تزل أقلام المترجم الأمين ، الذي يريد أن ينقل من قلب الشاعر ، كما يقولون ، فناهيك بما يلاقي من تعب وكد في معرفة غرض الكاتب ، فيلتجيء الى معاجم اللغة ؛ يقلب صفحاتها ويرجع الى عبارات كبار الكتاب وأساليبهم ، لعله يصل الى معرفة مثل هذا التعبير ، أو ما يقرب منه ، أو يعثر على شرح له في كتب الأدب . ولقد يقطع المترجم أياماً في البحث عن كلمة واحدة ! . . . وإن هناك في الترجمة عقبات منشؤها خفاء المعنى ، أو غرابة اللفظ ، تظهر في بلاغة الكاتب ، وتمكنه من امتلاك نواصي الأساليب ، بعبارة يسهل إدراك معناها ، ولكن يصعب على المترجم نقلها ووضعها في قالب آخر . . . » (1)

ذلك هو الحكم القاطع الذي صدر في إحدى القضايا منذ بضعة أيام ، وإن صدوره هو الذي حملنا على كتابة هذا المقال !

ولعل مثل هذا الحكم هو أعظم حادث في عالم الأدب — على الأقل في عالمنا هذا — فليغتبط المترجمون ، فإن لهم من هذا الحكم سيفاً بتاراً يقطعون به رأس الجحود والنكران . وليحذر الذين يضعون من مرتبة المترجم بعد اليوم — فليس حكم القضاء بالشيء الذي يجوز معه العبث أو المراوغة ؛ فليبادروا بالتوبة وبالتكفير عن سيئاتهم الأولى ، ويعترفوا صاغرين بما للمترجم من المنزلة العالية والمقام الرفيع .

وأنتم معشر المترجمين ، هلموا اليوم فشمروا عن ساعد الترجمة وأقبلوا عليها إقبال من يعرف ما لها من جليل الخطر ، وما عليكم من رسالة تؤدونها في أمانة وإخلاص جديرين بذلكم الحكم الباهر . .

محمد عوض محمد

(1) راجع الأهرام في ٢٤ مايو سنة ١٩٣٤

سبيل الخلاص
من الامتيازات الأجنبية

للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري
أستاذ القانون المدني بكلية الحقوق

تتمة البحث

الخطوة الثالثة

تتصل الحكومة المصرية في هذه الخطوة بالحكومة الإنجليزية لتتفاهم معها على الأسس الآتية :

(أولاً) تصفية إلغاء المحاكم المختلطة بعد انقضاء السنة من نشر المرسوم

(ثانياً) إعلان من جانب الحكومة المصرية وحدها بإلغاء الامتيازات

(ثالثاً) إحلال نظم جديدة تحل محل النظم التي تلغى ، وتصدر هذه النظم بتشريعات مصرية داخلية لا بمعاهدات دولية

(رابعاً) إعلان من جانب الحكومة الإنجليزية ، باعتبارها دولة من الدول ذوات الامتيازات ، وباعتبارها حليفة مصر إذا كانت المحالفة قد عقدت بين البلدين ، بتأييد الحكومة المصرية فيما اتخذته من التدابير .

ولا شك في أن الدول ذوات الامتيازات ، إذا حسبت حساباً لاحتمال تفاهم مصر مع انجلترا على هذه الأسس ، تكون أسلس قياداً في مفاوضاتها مع الحكومة المصرية أثناء الخطوة الثانية ، وقد يؤدي ذلك الى نجاح المفاوضات .

أما إذا لم تنجح ، وكان لا بد من اتخاذ الخطوة الثالثة ، فان النظم الجديدة التي تحل محل النظم الحالية تكون بوجه عام هي النظم التي اقترحت مصر على الدول إدخالها بموجب معاهدة في الخطوة الثانية مع الفروق الآتية :

(أولاً) تقام هذه النظم الجديدة بمقتضى تشريعات مصرية داخلية ، وبعد تبادل مذكرات مع الحكومة الانجليزية في مسائل معينة .

(ثانياً) فيما يتعلق بالتشريع : تعلن مصر الدول أن كل تشريع مصري ، مالي أو غير مالي ، يسري على الأجانب سريانه على المصريين ، وأن السلطات المصرية من هيئات قضائية وإدارية ، ستقوم كل في دائرة اختصاصها بتطبيق وتنفيذ التشريعات المصرية على الأجانب كما تطبقها وتنفذها على المصريين . وتعلن الحكومة المصرية في الوقت ذاته أنها لا تنوي سن تشريعات تتنافى مع المبادئ العامة التي يقرها العالم المتمدين في التشريع ، وأنها تقبل رفع الأمر الى محكمة لاهاي في كل تشريع تنفذه على أجنبي كان متمتعاً بالامتيازات إذا أنكرت دولته أن هذا التشريع لا يتنافى مع المبادئ المذكورة وطلبت رفع الأمر الى هذه المحكمة .

(ثالثاً) فيما يتعلق بالقضاء : تستصدر الحكومة المصرية تشريعات داخليـة لاقامة محاكم يكون اختصاصها هو نفس الاختصاص الذي جعلناه للمحاكم الجديدة فيما تقدم . أما تشكيلها فيراعى فيه أن يكون ثلثا القضاة من المصريين ، والثلث الباقي من الانجليز ، وأن يكون رئيس كل محكمة مصرياً والوكيل انجليزياً ، وأن يكون رئيس كل دائرة مصرياً ، ولغة التقاضي هي العربية ، عدا الدائرة التي يجلس فيها الوكيل فانه يرأسها وتكون لغتها هي الفرنسية ، وتحال اليها القضايا التي يكون فيها الخصوم جميعهم من الأجانب . وتتبادل الحكومتان المصرية والانجليزية مذكرات بهذا المعنى ، لا يكون من شأنها أن تغل يد الحكومة المصرية عن تعديل أو إلغاء التشريعات الصادرة بانشاء هذه المحاكم متى رأت ضرورة لذلك .

ونحن نؤثر هذا الحل على حل آخر يقضي بجعل المحاكم الأهلية هي المختصة بقضايا الأجانب ، لأن ذلك يقتضي أن يدخل قضاة من الانجليز في المحاكم الأهلية ، ونحن لم نصل الى تمصير هذه المحاكم تمصيراً تاماً ، وجعلها مقصورة على القضاة المصريين إلا بعد جهد وعناء ، فالأولى إذن ابقاء العنصر الأجنبي بعيداً عن المحاكم الأهلية حتى تسلم لها مصريتها الكاملة . ونقيم لقضايا الأجانب محاكم أخرى يدخل فيها العنصر الأجنبي . ولا يغيب عن البال أن هذه المحاكم الأخرى رهن بمشيئة مصر ، فهي قد أنشئت بتشريع مصري يمكن تعديله أو الغاؤه في الظرف المناسب .

(رابعاً) فيما يتعلق بالإدارة : تستصدر الحكومة المصرية تشريعاً داخلياً كذلك بما كانت تنوي الاتفاق عليه مع الدول بمعاهدة ، ويكون العنصر الأجنبي في رجال الضبطية القضائية من الانجليز والنائب العام انجليزياً ، وتتبادل الحكومة المصرية مع الحكومة

الانجليزية مذكرات بهذا المعنى ، مع احتفاظ الحكومة المصرية بحقها في تعديل هذا التشريع أو إلغائه إذا دعت الحال لذلك .

هذه هي الخطوة الثالثة . وبديهي أنه لا يقدر لها نجاح إلا إذا وصلت مصر الى الاتفاق مع انجلترا على الأسس المتقدمة . فاذا ماوصلت الى هذا الاتفاق استطاعت أن تواجه الدول ذوات الامتيازات بالأمر الواقع ، وإنجلترا من ورائها تؤيدها في ذلك ولا تستطيع هذه الدول أن تقوم بأكثر من احتجاج ليست له قيمة عملية ، ولا تملك إلا أن تأسف على الفرصة التي ضاعت منها برفضها الاتفاق مع مصر عندما فاوضتها الحكومة المصرية .

وقد يقال : ولكن ما لنا لا نجعل هذه الخطوة الثالثة هي الثانية ، فلا نحاول الاتفاق مع الدول ، ونتفاهم مع انجلترا رأساً على الأسس المتقدمة فنكسب بذلك أن تكون النظم الجديدة قد أقيمت على تشريع مصري داخلي بدلا من معاهدة دولية ، ويكون القضاة المصريون أوفر عدداً وأقوى نفوذاً ؟ قد يكون هذا صحيحاً من الناحية النظرية ، أما من الناحية العملية فيظهر لنا أن موقف الحكومة المصرية في اتخاذ الخطوة الثالثة يكون أشد قوة أمام الرأي العام الدولي إذا لم تخط هذه الخطوة إلا بعد إخفاقها في الخطوة الثانية وفشلها في الوصول الى اتفاق عادل مع الدول . ثم إن انجلترا تكون أقوى حجة في تأييد مصر ، بعد أن تكون هذه قد أعذرت الى الدول وأقامت الدليل على تعنتها . هذا الى أنه قد يكون خيراً لمصر أن تعقد معاهدة مع الدول لتعديل نظام الامتيازات من أن تلجأ الى التفاهم مع انجلترا ولها مركز خاص في مصر كما لا يخفى . على أنه إذا أظهرت انجلترا استعداداً للتفاهم معنا على الأسس المتقدمة دون أن يسبق ذلك مفاوضات مع الدول ، فلا بأس علينا من السير في هذا الطريق ، بشرط ألا يكون هذا التفاهم من شأنه أن يثبت لانجلترا حقاً في حماية المصالح الأجنبية في مصر والتدخل في شؤوننا الداخلية تحت هذا الستار .

أما إذا لم نوفق في هذه الخطوة الى التفاهم مع انجلترا على ما قدمناه من الأسس ، ووقفت هذه الدولة الى جانب الدول ذوات الامتيازات فلا يبقى إلا أن نخطو الخطوة الرابعة ، وهي الخطوة الأخيرة .

الخطوة الرابعة

في هذه الخطوة يجب أن نعتمد على أنفسنا : على قوة الرأي العام وعلى الحيوية الكامنة في الأمة . فانه لا يوجد شعب يريد الحياة عزيزة ويذل . ونحن قد تلطفنا في المسالك وتدرجنا في السير ولم نخط خطوة إلا بعد أن ألجأتنا اليها الضرورة الملحة . فليس أمامنا بعد ذلك إلا إحدى سبيلين :

إما أن نعلن إلغاء الامتيازات الأجنبية بعد إلغاء المحاكم المختلطة ، دون حاجة الى التفاهم مع انجلترا على ذلك . والقانون والعدالة في جانبنا ، فان هذه الامتيازات في أساسها التاريخي وفي تطبيقاتها الحالية جائرة لا تتفق مع أبسط مبادىء العدالة ، وهي تصطدم مع مستلزمات السيادة الداخلية للدولة . وهي فوق ذلك يجب أن تسقط بانفصال مصر عن تركيا . وقد تخلصت منها بالفعل البلاد التي انفصلت عن الترك . ثم إنها مبنية على معاهدات بالية يجب أن تلغى طبقاً لمبدأ تغير الظروف ، وهو مبدأ معروف في القانون الدولي أيدته المادة التاسعة عشرة من عهد عصبة الأمم . هذا الى أنه لا توجد دولة بليت بامتيازات كالتي بلينا بها إلا عمدت الى إلغائها ، رضيت الدول الممتازة أو لم ترض . وقد فعلت ذلك اليابان وتركيا وفارس والصين . فنحن الدولة الوحيدة المتمدينة التي ظلت فيها الامتيازات الأجنبية مترعرعة حتى الآن ، ولسنا دون هذه الدول مرتبة في المدنية ، ولا عذر لنا في الأحجام عن إلغائها إلا إذا كنا مقتنعين بأننا أضعف من هذه الدول عزيمة وأقل استحقاقاً للحياة . أما إذا صحت عزيمتنا على إلغاء الامتيازات أمكننا أن ندخل النظم التي أشرنا اليها بتشريعات داخلية دون اتفاق مع انجلترا على ذلك ، على أن يكون كل هذا موقتاً حتى يحين الوقت المناسب لالغاء هذه التشريعات ، وإرجاع الأمور الى نصابها ، وتوحيد المحاكم في البلاد .

وإذا ضعفنا عن هذا الموقف الحازم ، فأمامنا سبيل أخرى : ننفذ إلغاء المحاكم المختلطة ، وليس للدول علينا من سبيل في هذه الحالة إلا أن تطالب بارجاع الامتيازات الأجنبية كما كانت قبل قيام هذه المحاكم[1] أما في التشريع فنتمسك بحقنا في سريان

(١) أثار بعض الكتاب في هذه الأيام الأخيرة اعتراضين لا نرى الوقوف عندهما طويلا : الاعتراض الأول يتلخص في أن مصر لا تملك إلغاء المحاكم المختلطة إلا بالاتفاق مع الدول ، ونحن لا نشك في أن مصر تملك إلغاء هذه المحاكم باعلان يصدر من جانبها . وإذا كانت المادة الأربعون من الباب الثاني من لائحة ترتيب المحاكم المختلطة ليست صريحة في ذلك ، فان الاتفاق الذي تم أخيراً مع الدول وصدر به قانون ٢٨ لسنة ١٩٢١ لا يدع مجالا للشك

التشريع المصرى فى المواد العقارية على الأجانب دون حاجة الى موافقة الدول ، بما فى ذلك الضرائب العقارية . وأما فى القضاء فتسترد المحاكم الأهلية لاختصاصها القضايا التى يكون المدعى عليه فيها مصرياً ، وقضايا الأجانب غير المتمتعين بالامتيازات سواء أكانوا مدعين أم مدعى عليهم . ونحن ، حتى اذا لم نضف الى هذه القائمة جميع القضايا العقارية ولو كان الخصوم فيها أجانب متمتعين بالامتيازات ، لا نكون قد استرددنا أقل من ثلاثة أرباع القضايا التى هى الآن من اختصاص المحاكم المختلطة . أما الربع الباقى فلا يهمنا منه إلا عدد قليل من القضايا يكون المدعى فيها مصرياً ، فعليه أن يتحمل عناء مقاضاة الأجنبى فى قنصليته . على أن عناء المصرى لا يزيد على عناء الأجنبى اذا دخل هذا فى خصومة مع أجنبى من جنسية أخرى فان المدعى فى هذه الحالة يقاضى المدعى عليه فى قنصليته ، وهذا يستتبع كثيراً من الفوضى يكون الأجنبى ضحية لها قبل المصرى

قد يعترض على هذا الحل وعلى الحل الذى قبله بأن الأجانب سيبقون فى مراكزهم متعنتين لا يقبلون أى اتفاق على تعديل النظم القائمة ، واذا اقتضى الأمر أن يسحبوا أموالهم من مصر فعلوا ذلك ، فتصبح البلاد فى فقر مدقع ، وتقع فى أزمة أشد خطراً من أزمة الامتيازات الأجنبية . نحن نعتقد أن فى هذا القول مبالغة كبيرة ، فليس من اليسير على الأجانب أن يسحبوا أموالهم من بلد يستغلونها فيه على خير وجوه الاستغلال وأكثرها كسباً . ثم هم اذا فعلوا فلا يكون ذلك إلا تدرجاً ، لأن من الأموال الأجنبية فى مصر مالا تمكن تصفيته إلا بعد مدة طويلة . أفلا يكون من الخير لمصر فى هذه الحالة أن تنتهز هذه الفرصة التى سنحت فيحل أبناؤها شيئاً فشيئاً محل الأجانب فى الميادين المختلفة التى أخلاها هؤلاء ، وتستبدل بالأموال الأجنبية أموالاً مصرية ؟

على أن هذه المسألة يجب أن تنتقل من رجال القانون الى رجال الاقتصاد ، فيبحثونها بحثاً دقيقاً على أساس اقتصادى صحيح . أما نحن فنعتقد أن خطر سحب الأموال الأجنبية من مصر خطر موهوم ولا نقيم له وزنا .

ومن ذلك نرى أنه إذا عدمنا الوسائل وأعوزتنا الحيل ، لجأنا الى هذا الحل الأخير ، فألغينا المحاكم المختلطة ، ورجعنا الى نظام الامتيازات القديم ، وهذا خير من بقاء المحاكم المختلطة معقلاً للامتيازات الأجنبية ، تنتقص من سيادة البلاد ، وتمتهن من كرامتها ، ونحن عاجزون عن دفع هذا البلاء عنا كما أثبتت ذلك الحوادث الأخيرة . ولقد كانت الامتيازات الأجنبية فى عصر اسماعيل بيتاً متهدماً يتداعى للسقوط ، فأراد اسماعيل ونوبار أن يهدما البيت بانشاء « محاكم الاصلاح » ، فاذا بهما يرممانه بجدر سميكة من هذه المحاكم ، حتى بقى متماسكا صلباً زهاء الستين عاما . وقد آن لأبناء هذا الجيل أن يدخلوا البيت حتى يثبتوا فيه القدم المصرية ، وإلا وجب عليهم أن يتركوه يتهدم ؟

عبد الرزاق السنهورى

فى أن مصر تملك هذا الحق . والاعتراض الثانى هو أن إلغاء المحاكم المختلطة من جانب مصر وحدها دون موافقة انجلترا على ذلك من شأنه أن يدعو انجلترا الى التدخل بحجة حماية المصالح الأجنبية ، ونحن لا نرى محلاً لتدخل انجلترا بهذه الحجة ، فان حماية المصالح الأجنبية فضلا عن أنها مجرد زعم من جانب انجلترا لم نعترف لها به ، لا تستدعى التدخل إلا اذا جاوزت مصر حقها واعتدت على حقوق الأجانب ، ومصر إنما تستعمل حقاً ثابتاً لها اذا أعلنت إلغاء المحاكم المختلطة . قد يكون هناك محل للقول بتدخل انجلترا اذا ألغت مصر الامتيازات الأجنبية مع المحاكم المختلطة دون أن تتفق الدولتان على ذلك . أما اذا اقتصرت مصر على إلغاء المحاكم المختلطة فان تدخل انجلترا لا يكون مفهوماً فى هذه الحالة

مملكة في الصخر
أو
بلاجيوس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ ثلاثة أعوام ، في منتصف إبريل سنة ١٩٣١ ، انهار صرح الملوكية الأسبانية ، واختتم أقدم العروش الأوربية حياته الطويلة الحافلة ، وطويت من التاريخ صفحة يشغل تاريخ العرب والاسلام منها حيزاً كبيراً . ذلك أن الملوكية الأسبانية التي شهدنا سقوطها بالأمس ، هي نفس تلك الملوكية التي سحقها العرب يوم فتحوا الأندلس (٩٢ هـ — ٧١١ م) ، والتي استأنفت بعد ذلك حياتها ضئيلة متواضعة في قاصية أسبانيا الشمالية وفيما وراء الصخر ، ثم لبثت تنمو بطيئة ولكن ثابتة حتى رسخت دعائمها في هاتيك الهضاب ؛ وبدأت بعدئذ معركة الحياة والموت مع تلك المملكة الاسلامية التي قامت في أسبانيا على أنقاض مملكة القوط النصرانية ، ولبثت مدى قرون طويلة تطاولها وتجاهدها ، حتى آذنت دولة الاسلام في الأندلس بالاضمحلال ؛ وما زالت المملكة النصرانية في نمو مستمر ، والمملكة الاسلامية في ضعف مستمر ، حتى غدا الاسلام محصوراً في مملكة غرناطة الصغيرة ، ثم حلت المعركة النهائية ؛ وظفرت الملوكية الأسبانية بتحقيق برنامجها القديم وغايتها الخالدة ، فانتزعت غرناطة معقل الاسلام الأخير ، وقضت على دولة الاسلام بالأندلس (٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م) .

وقد نشأت الملوكية الأسبانية الذاهبة في ظروف كالأساطير ، ونشأت في نفس الوقت الذي افتتح فيه العرب أسبانيا ، وسحقوا دولة القوط القديمة . ففي موقعة شريش التي مزق فيها جيش القوط ، وقتل آخر ملوكهم رودريك « لذريق » (٩٢ هـ) ، فرت شراذم قليلة من الجيش المهزوم الى الشمال ، واختفت فيما وراء تلك الجبال الشمالية التي وقف عندها تيار الفتح الاسلامي ، واجتمعت بالأخص في هضاب كانتابريا (نافار وبسكونية) في الشرق ، وفي هضاب استوريس في الغرب ؛ واجتمع فل النصارى في الهضاب الشرقية تحت لواء زعيم يدعى الدوق بتروس ، واجتمع في الهضاب الغربية ، في جليقية تحت لواء زعيم يدعى بلاجيوس أو بلايو . وكان بتروس ينتمي إلى أحد الأصول الملكية ، وكان من قادة الجيش في عهد وتيزا ملك القوط ، ثم في عهد خلفه ومغتصب ملكه رودريك .

أما بلاجيوس أو بلايو فيحيط الغموض بأصله ونشأته ، ولكن يبدو مما تنسبه اليه الرواية من الخلال الوطنية والبسالة والبطولة أنه كان رفيع المنبت والنشأة ؛ وتقول بعض الروايات أنه ولد الزعيم فافيلا الذي قتل الملك وتيزا في هضاب جليقية ، وأنه كان لذلك من خاصة الملك رودريك وقادته[1] . وتعرف الرواية الاسلامية بلاجيوس وتحدثنا عنه وتسميه « بلاي » ، وتصفه أحياناً بأنه أمير أو ملك ، وتنعته غالباً بأنه « علج من علوج النصارى »[2] ، وتتبع أخباره مع المسلمين ولكنها لا تلقي ضياء كثيراً على أصله ، أو أحوال مملكته الصغيرة . ذلك لأن المسلمين لم ينفذوا قط الى ما وراء الهضاب الوعرة التي امتنع بها هـذا الزعيم وفله ، والتي نشأت فيها جذور المملكة النصرانية الشمالية التي غدت غير بعيد خطراً على دولة الاسلام في أسبانيا . ومن الغريب أن راوية نصرانيا كبيراً معاصراً هو « ايزيدور الباجي »[3] وهو حبر عاصر الفتح الاسلامي وكتب روايته في منتصف القرن السابع ووصل في كتابتها حتى سنة ٧٥٤ م ، لم يذكر لنا في روايته شيئاً عن قيام تلك المملكة النصرانية الصغيرة في الشمال ، ولا عن زعيمها أو ملكها بلاجيوس ، ولا عن غزوات المسلمين لها ، مع أن ايزيدور يتتبع أخبار الغزوات الاسلامية كلها منذ الفتح حتى منتصف القرن الثامن ، سواء في أسبانيا أو في مملكة الفرنج ، ويقدم الينا عنها كثيراً من التفاصيل والملاحظات الهامة . وقد يرجع ذلك الى أن ايزيدور ، وهو يقيم في الجنوب في مدينة باجة ، كان يجهل قصة هذه المملكة النصرانية الشمالية الناشئة ، ولكن ما نراه من عنايته بتدوين أخبار الغزوات الاسلامية في فرنسا ، وأخبار مملكة أكويتين ،

---

(١) يقول المؤرخ المستشرق كاردون ان بلاجيوس ينتمي الى أصل ملكي ، وانه الأمير الوحيد الذي نجا من فتك العرب (راجع Hist de l'Afrique et de l'Espagne : I - 105) بيد ان كاردون لا يقول لنا من أين استقى هذه الرواية

(٢) راجع أخبار مجموعة في فتح الأندلس ص ٢٨ — ونفح الطيب المقري ج ١ ص ١١٠

(٣) Isidori Pacensis Chronicon

يحملنا على الاعتقاد بأنه لم يكن يجهل أخبار مملكة جليقية النصرانية ، وهى أقرب اليه من فرنسا ، وأن أسباباً أخرى لعلها ترجع الى انتماء أميرها بلاجيوس الى حزب رودريك الذى كان يبغضه المؤرخ هي التى حملته على إغفال أخبارها (١) .

وعلى أى حال فان الرواية الاسلامية تذكر لنا كيف نشأت المملكة النصرانية الاسبانية فى الهضاب الشمالية بعد أن سحقت فى موقعة شريش ، فقد لجأت شراذم قليلة من القوط عقب الفتح الى الجبال الشمالية ، وامتنعت فى مفاوز جبال استوريس كما قدمنا ؛ وقامت امارتان نصرانيتان صغيرتان فى كانتاريا وجليقية . وكانت امارة كانتاريا التى أسسها الدوق بتروس ، لوقوعها فى الطرف الغربى من جبال البرنيه (البرت) فى سهول نافار وبسكونية عرضة لاقتحام الفاتحين حين سيرهم الى فرنسا وحين عودهم منها . ولكن امارة جليقية كانت تقع فى أعماق جبال استوريس الوعرة ؛ بعيداً عن غزوات الفاتحين ، وسميت جليقية لأنها قامت على حدود الولاية الرومانية القديمة التى كانت تسمى بهذا الاسم . فى هذه الهضاب النائية المنيعة اجتمع بلاجيوس وصحبه ، وعددهم لا يتجاوز بضع مئات حسبما تقول الرواية ، ولجأوا الى مغار عظيم يقع فى آكام كافادونيا ، ويحيط به وديان سحيقة خطرة ، ويعرف فى الرواية الاسلامية باسم « الصخرة »(٢) . ويقول لنا ابن خلدون فى الفصل الذى يخصصه « للملوك الجلالقة » إن هذه الامارة الصغيرة التى كانت مهد المملكة النصرانية لا تمت بصلة الى القوط ، وان ملوك الجلالقة ليسوا من القوط ، لأن أمة القوط كانت قد بادت ودثرت لعهد الفتح الاسلامى(٣) ، بيد انه يصعب علينا أن نقبل هذا الرأى على اطلاقه ، فمن المحقق أن فلول النصارى التى لجأت الى الشمال كانت مزيجاً من القوط والأسبان المحليين ، ولكن الظاهر مما انتهى الينا من أقوال الروايتين المسلمة والنصرانية أن الزعماء ، ولا سيما بلاجيوس كانوا من القوط ، وان ملوك الجلالقة يمتون الى القوط بأكبر الصلات .

ولم يعن المسلمون بادئ بدء بهذه الشراذم الممزقة ، وكان اغفال أمرها من أعظم أخطاء الفاتحين ، بيد أنه لما كثرت ثورات النصارى فى الشمال ، وبالأخص فى بسكونية ، (أو بلاد البشكنس) اهتم ولاة الأندلس بقمعها وتأمين الولايات الشمالية ؛ وسير الحر ابن عبد الرحمن الثقفى والى الأندلس سنة ٧١٨ م (٩٨ هـ) جيشاً الى الشمال لاخضاع النصارى . فاجتاح المسلمون بلاد البشكنس وهضاب استوريس ، وأوفدوا حليفهم الاسقف اوباس ، وهو أخو الملك وتيزا ، الى بلاجيوس ليقنعه بالتسليم وعبث المقاومة ، فأبى بلاجيوس ، ونفذ المسلمون الى أعماق الجبال ، وحاولوا عبثاً أن يستولوا على مراكز العدو ، وحالت بينهم وبينه الوديان السحيقة والآكام الرفيعة ؛ وحصر بلاجيوس وأصحابه مدى حين ، وقطعت عنهم المؤن ، وتساقطوا تباعاً من الجوع حتى لم يبق منهم على قول الرواية سوى ثلاثين رجلا وعشر نساء(١) . وتزعم بعض الروايات النصرانية أن بلاجيوس كر على المسلمين ، وانهم هزموا هزيمة شنيعة وفقدوا ألوفاً كثيرة ، ووقع أوباس أسيراً فى أيدى مواطنيه فعاقبوه على خيانته بالموت(٢) .

ولما رأى المسلمون وعورة الهضاب وقسوة الطبيعة ارتدوا عن جليقية محتقرين شأن هذه الشرذمة الممزقة الجائعة ؛ فقويت لذلك نفس بلاجيوس وأصحابه ، وانضم اليه كثير من النصارى فى كانتاريا وسهول جليقية ، واختاروه ملكا عليهم لما رأوا من بسالته وبراعته وقوة عزمه ؛ وألفى بلاجيوس الفرصة سانحة لتوطيد سلطانه وتوسيع أملاكه ، فأخذ يغير على الأراضى الاسلامية الشمالية ، وبدا لحكومة الأندلس خطر هذه العصابات الجبلية التى أخذت تنتظم الى قوة يخشى بأسها ؛ ولكن اضطراب الشئون الداخلية حال مدى حين دون مطاردتها وغزوها .

وفى سنة ١١٢ هـ (٧٣٠ م) ، فى عهد أمير الأندلس الهيثم ابن عبيد ، بعث حاكم ولاية البرنيه ، عثمان بن أبى نسعة الذى تعرفه الرواية النصرانية باسم منوزا أو مونز ، جيشاً الى جبال استوريس لغزو جليقية وسحق أميرها بلاجيوس ؛ ولكن بلاجيوس استطاع أن يصمد للمسلمين كرة أخرى وأن يهزمهم هزيمة شنيعة . ولما رأى بلاجيوس منعة معقله وقوة عصبته ،

---

(١) راجع :
Aschbach : Geschichte der Omajaden in Spanien I. s. 142
(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ٥٠٧
(٣) ابن خلدون — ج ٤ ص ١٧٩

---

(١) أخبار مجموعة ص ٢٨ —
Dozy : Musulmans de l'Espagne—V. II. 128
(٢) Cardonne; ilid; I - 109 — Aschbach; ilid; I - 145

اخترق بسكونية ، وهاجم قوات ابن أبي نسعة في الوقت الذي كان يتأهب فيه للسير اليه ، ومزق بعض وحداتها ، ثم ارتد الى هضابه فاستعصم بها . ولما اضطربت شئون الأندلس بعد مقتل أميرها عبد الرحمن الغافقي وارتداد جيشه في بلاط الشهداء (١١٤هـ — ٧٣٢م) ، وشغل الولاة برد جيوش الفرنج عن الأراضي الاسلامية في سبتمانيا ، كثرت غارات العصابات الجليقية على الأراضي الأسلامية في شمال نهر دورو (دويره) وفي منطقة استرقة ، وعانى المسلمون في تلك الأنحاء كثيراً من عيث النصارى ؛ ولم تسعفهم حكومة قرطبة بالمدد والعون ، لاضطرام الأندلس بالفتن ونشوب الحرب الأهلية بين مختلف الزعماء والقبائل . وكانت سلطة الحكومة المركزية ضعيفة في تلك الأنحاء النائية ، وكان سكانها ومعظمهم من البربر يكثرون من الخروج والثورة سخطاً على العرب واستئثارهم بالحكم والسيادة . وكان النصارى من رعايا حكومة قرطبة يدسون الدسائس ويرتكبون شتى الخيانات ، ويشجعون بذلك بلاجيوس وعصاباته على الاغارة والعيث في أراضي المسلمين ؛ وكانت الامارة النصرانية الناشئة تنمو خلال ذلك ويشتد ساعدها ، ويهرع النصارى الى لواء بلاجيوس من مختلف الأنحاء .

واستمر بلاجيوس في حكم إمارة جليقية زهاء تسعة عشر عاما ، وتوفي سنة ٧٣٧ م . ولكن بعض الروايات النصرانية تضع تاريخ وفاته بعد ذلك ، فتقول إنه لبث حتى ولاية عبد الرحمن بن يوسف الفهري للأندلس (١٢٧ — ١٣٨ هـ) (٧٤٥ — ٧٥٥ م) ، وأن الموقعة التي نشبت بين عثمان بن أبي نسعة وبلاجيوس كانت بين سنتي ٧٤٦ و ٧٥١[1] ، وهي رواية ظاهرة الضعف . لأن عثمان ابن أبي نسعة قتل سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) ، والرواية الاسلامية واضحة دقيقة في ترتيب الوقائع والتواريخ في هذا الموطن . وخلف بلاجيوس ولده فافيلا ، ولكنه توفي بعد حكم لم يطل أمده سوى عامين (سنة ٧٣٩ م) . وكان الدوق بتروس أمير كانتابريا قد توفي في ذلك الحين أيضا ، وخلفه ولده الفونسو دوق كانتابريا ، ونمت هذه الإمارة النصرانية الصغيرة أيضا واشتد ساعدها ، وقويت أواصر التحالف بينها وبين جليقية بتزوج أميرها الفونسو من ابنة

(١) Aschbach; ibid I, 148 - 149

(٢) Dozy; ibid; II - 130; Aschbach; ibid I - 152

بلاجيوس واسمها اورموزنده أو هرمزنده ؛ فلما توفي فافيلا ولد بلاجيوس ، اختار الجلالقة الفونسو دوق كانتابريا ملكا عليهم ، واتحدت الأمارتان ، وقامت منهما مملكة نصرانية واحدة ، هي مملكة ليون النصرانية أو مملكة جليقية في الرواية الاسلامية ، تمتد من بلاد البشكنس شرقاً الى شاطئ المحيط غربا ، ومن خليج بسكونية شمالا الى نهر دويرة جنوبا ، وتشمل مناطق شاسعة من القفر والهضاب الوعرة ، وتحتجب وراء الجبال بعيدة عن سلطان المسلمين وغزواتهم .

ويعتبر الفونسو دوق كانتابريا ، أو الفونسو الأول «الكاثوليكي» مؤسس المملكة النصرانية الشمالية ، واصل ذلك الثبت الحافل من ملوك قشتالة[1] الذين لبثوا قروناً يدفعون حدودهم الى الجنوب في قلب المملكة الاسلامية ، ثم انتهوا بافتتاحها والاستيلاء على غرناطة آخر معاقلها (١٤٩٢ م) ؛ وحكم الفونسو في ظروف حسنة ، فقد كانت الحرب الأهلية تمزق الأندلس ، وكان أمر الولايات الشمالية فوضى ، والضعف يسود المسلمين في تلك الأنحاء . وكان ثمة منطقة عظيمة من القفر والخراب تفصل بين جليقية وبين الأراضي الاسلامية ، فاجتاحها الفونسو بجموعه وقتل من بها من المسلمين القلائل ، ودفع النصارى الى الشمال . ولما حل القحط بالأندلس (سنة ١٣٣ هـ — ٧٥٠ م) ، واشتد عصفه بالولايات الشمالية الغربية ، جلا كثير من المسلمين عن تلك الأنحاء ، واشتد ساعد النصارى فيها ، ورفعوا لواء الثورة ، وفتكوا بالمسلمين ، ونادوا بالفونسو ملكا عليهم[2] ؛ وانتهز الفونسو هذه الفرصة فغزا استرقة واستولى عليها من يد المسلمين واستولى على كثير من البلاد والضياع المجاورة وضمها لأملاكه (١٣٦ هـ — ٧٥٣ م) . وهكذا نمت تلك المملكة النصرانية التي نشأت في ظروف كالأساطير ، واتسعت حدودها ، واشتد بأسها بسرعة مدهشة ، ولم يأت منتصف القرن الثامن حتى بدأت تناهض الاسلام في الأندلس وتغالبه ؛ ولم يأت عهد الناصر لدين الله حتى كان وجودها خطراً على الدولة الاسلامية ذاتها ؛ وحتى بدأت بين الاسلام والنصرانية في الأندلس معركة الحياة والموت . وسطع الاسلام

(١) ابن خلدون — ج ٤ ص ١٧٩

(٢) أخبار مجموعة — ص ٦١ و ٦٢ — Dozy; ibid, II - 130

الحياة بعد الموت

ماهو الموت ؟

رأى السير اوليفر لودج

حديث الحياة بعد الموت ألذ الأحاديث، ولا سيما إذا أنبأك به خبير يبنى ما يقول على أساس علمى. ومن هؤلاء الخبيرين السر أوليفر لودج العالم الطبيعى الانجليزى . وليس المراد بالطبيعى هنا مايفهم عادة من هذه اللفظة ، أى العالم الدهرى المادى الذى ينسب الى الطبيعة الجامدة ما ليس لها ويحلها محلاً أرفع من العقل ، والذى شعاره وشعار طغمته « نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » بل المراد بالطبيعى فى هذا المقال العالم الذى تفرغ لدرس نواميس الطبيعة وكشف النقاب عن أسرارها وحل ألغازها بانياً ذلك كله على البرهان العلمى

السير أوليفر لودج

فى الأندلس واستعاد منعته وبهاءه مدى حين ، أيام الناصر لدين الله ، ثم فى أيام الحاجب المنصور ؛ واضطرمت فورة الاسلام أيام المرابطين ، ثم الموحدين ؛ ولكنها كانت جميعاً فورات مؤقتة ، وكانت أسباب الانحلال التى سرت الى الدولة الاسلامية تعمل عملها ببطء ؛ ثم سطعت دولة الاسلام فى مملكة غرناطة الصغيرة مدى حين ، ولكن المعركة لم تكن متكافئة بعد ، وكانت مملكة قشتالة النصرانية تسير ثابتة مطمئنة الى تحقيق بغيتها الخالدة : استعادة الوطن القديم كله من يد الفاتحين . محمد عبد الله عنان

المحامى

رأيت للسر أوليفر لودج مقالاً فى مجلة انجليزية عنوانه « ما هو الموت » وسأحاول تلخيصه بهذا المقال تاركاً للقراء الحكم فيه وما يستفيدون منه

مهد لموضوعه بمقدمة وجيزة عن كون الموت موضوعاً يدخل الغم على النفوس لأنه سفر مجهول وفرقة لا لقاء بعدها على هذه الأرض . ثم قال ما خلاصته .

إذا شئنا أن نفهم ماهية الموت وجب أولاً أن نعرف ما هى الحياة . وتعريف الحياة ليس بالأمر الهين . فاننا نعرف شيئاً عنها — نعرف أنها ليست صورة من صور الطاقة (energy) بل انها مبدأ للهداية والارشاد . وتستخدم لذلك الطاقة والمادة ولا يلوح أنها شىء طبيعى البتة

نحن نعيش فى فرن من الطاقة المنبثقة من نور الشمس ، ولنا قدرة على توجيهها وادارتها . والدليل على أن الحياة ليست طاقة هو أن فى وسع البذرة مثلاً أن تخرج أجيالاً لا يحصى عددها والحياة تحدث أشياء لا يمكن أن تحدث بغيرها من الصدفة البحرية الى الكنيسة الكاتدرائية ، وذلك بتداخلها هى والمادة ، وهذا التداخل أوجب تجهيزها بجسم مادى

وماذا نعنى بالجسم ؟ نعنى به طريقة للظهور أو أداة . فقد يكون الموسيقار موسيقياً فى روحه ، ولكنه يحتاج الى آلة لاظهارها . فالجسم للنفس كالقيثارة للموسيقار

نحن بنينا الجسم طبقاً لأعمال طبيعية وبلا علم منا ، وصففنا دقائق الطعام على شكل خاص . ولا ريب أن للشكل معنى والعنصر الطبيعى والعنصر العقلى متفاعلان . فهل يحتمل أن العنصر العقلى الذى يدبر ويريد ويرجو ويرسم الخطط ويحب ، محصور فى طريقة ظهوره وعمله وحركته ، ومقصور على مركب كيميائى معين ، وخصوصاً المركب المعروف باسم البيومن (المادة الزلالية التى توجد فيها نطفة الحياة أو البروتو بلازم) . فكرة على غاية من السخافة

إننا نعرف العنصر العقلى على هذه الصورة المعينة ، ولكن قد تكون له صور وأشكال لا عداد لها ونجهلها الآن

ونحن مجهزون بآلة نسميها الجسم ، وهذا الجسم مصنوع الآن من المادة . ومن السهل تصور صنعه من أشياء أخرى

ولكن هذه العلاقة علاقة المادة بالعنصر العقلي أو النفسي الذي يتسلط عليها ويستخدمها ، كالسفن وربانها ، والعمال وآلاتهم ، والفضاء والأجواء هو الموت ، فالموت إذاً هو افتراق النفس عن الجسد ؛ ولكنه ليس فناء وإضمحلالاً ، بل فرقة وخروجاً عن « علمنا الحاضر »

ويقول البيولوجيون الذين درسوا هذه المسألة إن الموت ليس أمراً لازماً للجسم كله ، بل إن الخلايا الأخيرة خلايا التناسل لا تموت ، والحيوانات الدنيا ذات الخلية الواحدة خالدة ، فقد تقتل ولكنها لا تموت بل تنقسم قسمين وأكثر ، وتبقى تنقسم وتبتعد حية

أما الأحياء العليا مثلنا ففيها خلايا أخرى غير الخلايا الخالدة ، وهذه الخلايا هي التي تموت ، وإن كانت تزيد كثيراً على الخلايا الخالدة ، فإنها تزول بالتفاعل الكيميائي الحادث في الجسم بعد انفصال الروح عنه ، وبذلك يزول الجسم أي أنه يتحول على طول المدى . وقد عرف الشعراء ذلك فقال شكسبير :

« أضجعت هنا في الأرض ، ولتنبت أزهار البنفسج الربيعية من لحيها الجميل غير الفاسد »

وقال تنيسن : وليصنع من رماده بنفسج بلاده »

لكن الميت ليس هنالك ، بل هو ذلك الذي مر في الجسم ورحل . فلا نخش لفظة الموت . ولا فائدة من القول أن لا موت ، بل الموت موجود والمسألة مسألة تفسير وتأويل ، فإذا قلت أن لا موت عنيت أن لا فناء . إذ الموتى لم يموتوا ، بل لا يزالون أحياء عند ربهم يرزقون كما قال تنيسن ، وليست حياتهم الثانية كالحياة الأولى ولكنها حقيقية مثلها

يخبرنا الذين رحلوا عنا (يشير إلى ابنه رايموند الذي قتل في الحرب وقال إنه ناجاه وكتب مجلداً كبيراً عنه وعن مناجاة الأرواح) بأن لهم أجساماً غير عادية ، لكنها محسوسة وجامدة مثل الأجسام الأولى بل أحسن منها .

ويقولون إنهم مسرورون ، وإنهم لا يحبون العودة إلى الأرض مهما أعطيتهم . وإنهم حولنا وأكثر دخولاً وخروجاً معنا مما يخيل إلينا . وكل ما هنالك أنهم لا يقعون تحت حواسنا

الحياة متصلة غير منقطعة ، والموت لا يغير أحوال هذا الكون لأنه شيء داخلي يتعلق بالفرد ، وليس الموت سوى تغير في نظره إلى الكون وفي إدراكه له فيه . فقد كان يدرك نظاماً معيناً فإذا مات أدرك نظاماً آخر . ونحن نسمي ما وراء القبر العالم الثاني أو الحالة المستقبلة ، وأما الكون فواحد ولكن هناك حاجزاً . ونحن نعرف الآن ونعرف على جانب من هذا الحاجز ، فإذا متنا عرفنا الجانب الآخر وعرفنا فيه . وربما عرفنا ما هناك وعرفنا بجلاء لا يقل عما نعرف ونعرف هنا

إن في الكون عالماً آخر بل قد تكون هناك عوالم كثيرة غير التي قدرت لنا معرفتها ، وليس عالم حواسنا سوى جزء صغير من ذلك الفلك المدار

وقد تسألني : وكيف عرفت أن أولئك الراحلين لا يزالون باقين . فأجيبك بأني لا أرتاب في ذلك لأني أتصل بهم كثيراً . وأنت لا تستطيع أن تشك في وجود الذين تخاطبهم بالتليفون أو اللاسلكي . وليست الحياة شيئاً يفنى ولكنها تظهر بمظاهر شتى ، وهذه الحياة الدنيا هي أحد تلك المظاهر

وسيلبس في العالم الآخر أجساداً وتتخذ أشكالاً يمكننا التعارف بها . وإذا نظرنا إلى المسألة من العلم البارد (أي الخالية من العواطف) وجدنا أن هناك حقائق كثيرة تؤيد البقاء بعد الموت ، وأنا مقتنع بها بالبرهان التدريجي . ولست أنتظر أن يؤمن كل أحد على قولي هذا ، ولكنني أؤكد تأكيداً علمياً أن الحياة شيء دائم ، وإنها والمادة تتداخلان زمناً وتتفاعلان ثم تطلق المادة إلى محيط آخر وبيئة أخرى

وتسألني هل الحياة القادمة أكثر سعادة من الحياة الحاضرة ؟ فأجيبك بأن ذلك يتوقف على ما نصنع هنا ، وعلى انتهازنا للفرص التي تعرض لنا في هذه الحياة .

ولقد تعودنا المظهر المادي هنا حتى بات يصعب علينا تصور مظهر آخر ، بل إن بعضنا لا يستطيعون أن يتصوروه . أما أنا فأستسهل هذا التصور ، لأننا في علم الطبيعة نبحث في أشياء كثيرة لا تقع تحت الحس ، ولكنها مع ذلك حقيقية كالتي نشعر بها بحواسنا ، بل ربما كانت أقرب إلى الحقيقة منها . فإننا جعلنا نحلل المادة وندرس طبيعتها حتى ليصح القول أننا مع كثرة تحليلنا لها نكاد لا نعرف شيئاً عنها

صورة من الثورة الفرنسية

مدام رولان

١٧٥٤ – ١٧٩٣

بقلم عبد الرحمن فهمي
ليسانسيه في الآداب

مدام رولان، أنقى شخصيات الثورة الفرنسية، لا تزال تدوى كلماتها الأخيرة وهى تصعد درجات المقصلة فى كافة الأرجاء.

وهى مانون ابنة مثال باريسى يدعى فيلبون، وكانت غرفتها ملاصقة (لاستيديو) النحت، تقضى فيها وقتها منهمكة فى قراءة تراجم أبطال التاريخ. أبكاها يوماً أنها لم تكن رومانية أو اسبرطية، وقد جهلت أنها سوف تواجه أزمة لم يواجه مثلها أحد ممن كانت تحلم أن تكون مثلهم من أبطال التاريخ.

وكان يسرها كثيراً فوق قراءة الكتب اصطحاب أمها لها الى حديقة النبات أو اللكسمبورج فى باريس، عشقت القرية، ويدل على ذلك قولها: (إننى أحب هذا السكون الذى لا يعكر صفوه غير صياح الديكة، وأشعر بالراحة التى تشعر بها شجرة ينقلونها من صندوق ضيق محدود الى حقل واسع فسيح) وأحبت الرسم الذى يأخذك منه سحره وقوته. غير أنها لم تواصل عمل أبيها فى النحت طويلا، لأنها مالت الى العلوم، فكانت تنمى بما تقرأه وتلحظه من تجارب الحياة عقلا ناضجاً خدمت به الصالح العام.

أدخلت وهى فى الحادية عشرة من عمرها ديراً تعرفت فيه بصديقتين حميمتين توثقت بينهن عرى الصداقة وهما: هنريت وصوفى كانيت. وبعد أن خرجن من الدير ورجعن الى دورهن بقى الاتصال بينهن وثيقاً، وذلك ما حدا بجدة مانون الى أن تقول لها (ستنسين صديقتيك حالما تتزوجين) وسنرى مقدار صحة هذه الملاحظة من جانب الجدة العجوز.

ورسائل مانون أحسن وسيلة نرى منها صورة واضحة لشباب هذه الفتاة، فقد تحول اهتمامها بالدين الى تعشق الفلسفة، ساعدها على ذلك عقل جبار يغلى كالمرجل ولا يستريح. وقد انتقت من بين خطابها العديدين رجلاً توهمت أنها تميل اليه، وهو مؤلف فيلسوف يدعى لابلانشير، ولكن سرعان ما ألقت عن نفسها هذا الميل واطرحته جانباً، غير واجدة فيه مثلها الأعلى. وكانت جد كلفة بكتابات روسو، وقدر لها أن تراه، وقد وصفت درجات سلم داره (... كما لو كانت درجات سلم معبد).

من هذه الرسائل نرى فى مانون فتاة متحمسة ذكية، حية نشطة، محبة للاطلاع، قوية الذاكرة، وقد أثرت وفاة أمها فى حياتها فخبا نورها قليلا بتأثير الصدمة والحاجة الى المال بعد ذلك.

إلا أن القدر خط صفحة جديدة فى حياتها، فان شخصاً يكبرها بعشرين سنة تمكن من أن يكسب عطفها الدائم نحوه ومحبتها الثابتة له، وهذا الشخص هو السيد رولان المفتش العام للصناعات، وزفت إليه وهى فى سن السادسة والعشرين، وانتقلت معه الى ليون.

وكان لأسرة رولان نخبة طيبة من الأصدقاء المثقفين الوطنيين الذين غالباً ما كانت تراسلهم مدام رولان راغبة بذلك تحسس الطريق نحو المجتمع الباريسى الساطع، فان أسعد أوقاتها هى تلك التى كانت تقضيها فى غرفة الموقد بين ابنتها الصغيرة تعلمها حياكة

ولو أمكننا أن نرى المادة المحيطة بنا، يعنى العلم، لم تظهر لنا كما تظهر عادة — أى جامدة ومحسوسة بل تظهر مثل المجرة كثيرة الثقوب والمسافات الشاسعة بين أجزائها. ففى داخل الذرة أماكن خالية. والدقائق قليلة متباعدة كالسيارات فى النظام الشمسى

انما الحياة فى هذه الدنيا تجربة كبيرة، ونحن موجودون هنا لنجرب ونمتحن. ومصائر الوجود فى الابد وفى عين الخالق مفتوحة أمامنا، وهى أبعد مما نستطيع تصوره. وليس الوجود الحاضر على هذا السيار، سوى قصة قصيرة، ومخاطرة وقتية، وسفر زائل، يتبعها ذلك السفر السامى الطويل

فلا تخف لأن الخوف قطعة من العذاب «والمحبة الكاملة تزيل خوفنا» وهذا الكون تحكمه المحبة الكاملة. وهذه هى رسالتى. فلنغن مع المرنم صاحب الزبور «سبحى الرب أيتها السموات واسجدى له»

(م. س)

قطعة من قماش وبين زوجها يدرس أوراقه على مكتبه ، على حين تطرق أذنها فرقعة النار في الموقد وصوت الصقيع يصدم النافذة .

وصفت في رسائلها حبها الشديد لتغير فصول السنة واختلاف مواسم الزراعة في الحقول ، ولم يعل على حبها لفترة تقضيها وسط الطبيعة الهادئة أي حب آخر

غير أن هذا السلام لم يدم طويلا ، فان الحكومة في فرنسا كانت سيئة في هذا الحين ، والارستقراطية الترفة فوق القانون ، والفوضى ضاربة بجرانها على ربوع المملكة ، أما الشعب الجائع فالويل له إن نبس أحد أفراده ببنت شفة ضد النظام القائم ، وكانت تكفي اشارة بسيطة أو تلميحة سريعة لطرح المحتج في أعماق السجون .

ورمت أسرة رولان وأصدقاؤها بأنفسهم في احضان الحركة التي قصد بها اسقاط النظام الاقطاعي ومساوئه ، وأصبحت مدام رولان : هذه المرأة الجميلة الملتهبة ، روح حزب الجيروند الذي عمل على تشييد عهد الحرية على أساس معتدل .

وبدأت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وعهد الى رجال حزب الجيروند عام ١٧٩٢ بالحكم ، ولكن اعتدالهم واظهار استيائهم من مذبحة سبتمبر ورفضهم التصويت ضد إعدام الملك أتاح الفرصة لنجاح المتطرفين فقضوا على المعتدلين — منشأ الثورة ومنبعها — وصعدوا على أنقاضهم الى منصة الحكم . وفي عام ١٧٩٣ أعدم الملك ومعظم الجيرونديين وبدأ عهد الأرهاب برعاية اليعاقبة أكثر متطرفي الثورة شدة وعنفا .

عندما كانت السلطة في يد الجيرونديين عهد الى السيد رولان بوزارة الداخلية ، فكانت زوجته هي التي تحضر أوراقه الرسمية ، وأصبحت بعد أن كانت تحرر الى أصدقائها أمثال صوفي وهنريت تراسل البابا والملك برسائل يستعين بها المؤرخ الذي يكتب عن هذا الفصل من تاريخ فرنسا ، ولو كانت مدام رولان رجلا أو لو سمح للمرأة في ذلك الوقت بلعب دور صريح على مسرح الحياة العامة لاختلف تاريخ الثورة الفرنسية عما هو عليه الآن .

وقد انتقلت مدام رولان من مسكنها المتواضع الى الدار الفخمة التي كان يقطنها الوزير الخطير نكر ، ووافقتها حياتها الجديدة كل الموافقة ، الا انها لم تؤثر في خلقها السامي وطبيعتها البسيطة . وكانت تمد السماط للوزراء جميعاً مرة كل يوم جمعة ، فاذا انصرفوا خلعت عنها ملابسها الرسمية ، وانكبت على مكتبها تعمل بجد ونشاط فائقين .

وتمتاز من الجميع بهدوئها الظاهر ، يكفي من جانبها كلمة هادئة تلقيها لتقضي بها على الاختلاف الحاد في الآراء ، وغالباً ما أرسلت شـــعاعاً منيراً يستضيء به القوم في نقاشهم فتحل العقد وتفك الطلاسم .

وكثيرا ما دعاها المجلس الوطني ليمطرها أعضاؤه وابلا من الاسئلة كانت تجيب عليها جميعاً في اعتدال ووضوح وصراحة غير هيابة ولا وجلة ، ولم تخف قط على حياتها ، أنما كان اشفاقها دائماً على وطنهـــا ، وقد رأت بنظرها الثاقب وعقلها الفطن الناضج أنه ليس بين الجيرونديين رجل واحد يمكن أن يعهد اليه بأمر البلاد ، وأنه لا يوجد بين اليعاقبـة المتطرفين اثنان يمكن أن يثق أحدهما بزميله .

وسرعان ما تحقق تشاؤمها عند ما تمكن اليعاقبة بقيادة مارا ودانتون وروبسبير من إسقاط الجيرونديين ، وأدانوا أسرة رولان فيمن أدين من المعتدلين ، فهرب رولان وقبض على زوجه ، ثم أخلى سبيلها ليقبض عليها مرة أخرى بعد ساعة من اخلاء سبيلها ألقيت في أعماق السجون متهمة بأشنع التهم وأسفلها ، ولكنها في السجن كما هو الحال في أي مكان آخر استطاعت أن تغزو القلوب ، وصار حراسها طوع ارادتها ورهن اشارتها . ويشير صديق لها اعتاد زيارتها في سجنها (بأنها كانت تحدثه في شجاعة الرجل العظيم بصوت عذب كالموسيقى) الا انها كانت تخلو بنفسها تستند الى النافذة وتمضي الساعات الطوال . وبعد أن كانت ترى في فرنسا مهداً للاخاء والحرية والمساواة ، أصبحت تجد فيها كابوساً ثقيلا ومجزرة يذبح فيها أبناؤها بتهمة حانق أو شكوى حاسد ، ولم تسد شهوة الدم وجشع السفاكين ما كان قائماً ليل نهار من قتل النفوس بالمقصلة والرصاص والاغراق .

وقد ذكرت في آخر رسائلها انها (تحب ضوء الشمس ودارها وزوجها وابنتها المحبوبة وخادمتها الوفية) وتركت لابنتها صحفاً جمة من رسائل الحنان الأموي ملأى بالنصائح الغالية والكتاب الآتي أحد هذه الرسائل التي كتبتها في سجنها اليها :

(لست أدري يا عزيزتي ان كان يسمح لي بمقابلتك أو الكتابة

اليك مرة أخرى أو لا . تذكرى أمك دائماً . وهذا أحسن ما يمكن أن أقوله لك . ولقد عهدتنى سعيدة لشعورى بتأدية الواجبات الملقاة على عاتقى ، ولاستطاعتى خدمة الذين يعانون آلام الحياة ومساعدتهم ؛ وهل الحياة إلا هذا ؟ لقد وجدتنى أذعن للقدر إذ يسوقنى الى الأسر ، ولست مجرمة أستحق هذا ، إلا أن الذكرى الطيبة والماضى الحسن والأعمال الجليلة هى كل عزائى ، وبمثلها يستطيع المرء أن يحتمل مساوئ الحياة وتقلبات القدر . ان ما أتمناه هو ألا يقدر لك مثل ما قدر لى من المشاق والمتاعب وهناك ما لو استطعت اتباعه تفاديت به قسوة الحياة وحميت نفسك من مساوئها ، ألا وهو العيش المنتظم الذى لا فراغ فيه ؛ فهو حارس من كل خطر ؛ وهو حاجة تبحث عنها النفس وحكمة يسعى اليها العقل ، ليكون صاحبهما جاداً محترماً فى حياته . فكونى عند حسن ظن أبويك بك ، فقد تركا لك مثلا جميلا ، ولو استطعت أن تستغلى هذا المثل للوصول الى ناحية الكمال أمكنك أن تحيى حياة نافعة) .

زارتها فى سجنها يوماً هنريت كانيت ، وطلبت اليها أن تبدل لباسها وتسرع الى الهرب ، وتبقى هى فى مكانها ، إلا أن مانون رفضت طلب صديقتها فى إباء وشمم ، قائلة لها (ولكنهم يقتلونك ان فعلت ذلك) وبعد خمسة أشهر من سجنها استدعيت للمحاكمة ، وكيلت لها التهم الشنعاء ، فوقفت تدفعها عن نفسها باكية ساخطة . وفى اليوم التالى فى ٨ نوفمبر سنة ١٧٩٣ سيقت الى المقصلة ، ولما رأت الشجاعة تخون جلادها حثته على أن يؤدى واجبه ، وقد ظهرت وهى على شفا حفرة الموت نبيلة فى لباس أبيض ناصع يدل على طهرها . وشعرها الأسود الفاحم مرسل حتى وسطها ، ينبعث من عينيها البراقتين شعاع الشجاعة والنبل .

وبينا هى على درجات المقصلة اذ عنت لها أفكار فطلبت قرطاساً وقلماً لاثباتها ، إلا أن طلبها رفض . ولن نعرف بطبيعة الحال ماهية هذه الأفكار التى نادتها ساعة الموت فلم تتمكن من تلبيتها .

بعد أسبوع من اعدام مانون عثر رجل على جثة قائمة الى بعض الأشجار وقد امسكها بالشجيرة سيف قد نفذ اليها من قلبه وعند قدمه ورقة خط عليها ما يأتى : (أنا رولان ، لم أترك فرصة تمر دون اقتناصها فى سبيل اسعاد وطنى . أقدمت على ازهاق روحى لا من خوف ولا وجل ، ولكن احتجاجاً على اعدام زوجى . فرغبت عن الحياة التى دنستها الجريمة) .

حقاً ان هذه الصورة تمثل نهاية قاسية لفصل مزعج من فصول التاريخ الانسانى .

عبد الرحمن فهمى
ليسانسيه فى الآداب

فن التصوير عند العرب

للأستاذ محمود خيرت

ضرب العرب بسهم وافر فى الأدب والاجتماع والفلسفة والسياسة والفلك والكيمياء والطب وتخطيط البلدان وغير ذلك ، فكانت مدنيتهم رائعة لم ينكرها المنصفون من علماء الغرب الذى نقلها وبنى عليها

والى جانب هذه الفنون فن الزخرفة والعربيات « arabesques » التى يقوم أساسها على نبات عرف العرب كيف يبرعون فى تعديد أوضاعه الهندسية براعة أثارت إعجاب هؤلاء العلماء الذين شهدوا لهم أيضاً بعلو كعبهم فى فن الانشاء والعمارة كما تنطق به جوامع القاهرة وقصر الحمراء بالأندلس وغيرها مما يعد من أعاجيب الآثار .

نعم ، إن الطراز العربى غير مبتكر ابتكاراً لأنهم حين هبطوا الى مصر والأندلس ووقعت عيونهم على آثار الفن البيزنطى فيهما استخلصوا منه عنصراً لطرازهم ، وحسبهم أنه مع تصويره للروح العربية جمع بين المقدرة والحسن والرشاقة .

وهكذا برهن العرب على مقدرتهم الفنية وعلى تسامحهم واحترامهم تلك الآثار فلم يعبثوا بها كما فعل « الانسكوكلاست » أولئك النساك المتطرفون بآثار بيزنطة لما سيطروا على الحكم بها فى القرن التاسع وصدر القرن العاشر ، إذ قضوا على الفن المسيحى فهشموا تماثيله وشردوا فنانيه حتى قصد بعضهم الى اكس لاشابيل للخدمة فى بلاط الملك شرلمان .

تلك هي شهادة أولئك العلماء في العرب بالنسبة لفني الزخرفة والانشاء والعمارة ، ولكن الذي نعرض له اليوم هو ، هل زاول العرب أيضاً فن التصوير ، وهل برعوا فيه كما برعوا في غيره ؟ وهل كان من بينهم أساتذة مهرة كالذين ظهروا في أوروبا من عصر النهضة الى الآن ؟

أكثر الباحثين يذهبون الى أن التصوير كان محرماً على المسلمين ، وأن هناك أحاديث نبوية بهذا المعنى منها حديث : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ..

وقبل أن نطرق هذا البحث نلفت النظر الى مبلغ تبجح الغربيين بأنهم هم المنفردون بفن التصوير والأساتذة المبرزون فيه ، لأن فن قدماء المصريين ما كان ليتجاوز مجرد التخطيط ، على حين أنهم هم الذين اهتدوا الى فكرة الظلال بأنواعها مما جعلهم يخرجون الصور ناطقة بأصولها المأخوذة عنها . ولكنها دعوى تستوقف نظر الباحث هنيهة ، لأن الفرس لم يفتهم أيضاً وضع هذه الظلال [1] وكتبهم المصورة بمختلف دور الكتب شاهدة بذلك . بل إن مما لا يصح أن يفوتنا ما جاء بكتاب كليلة ودمنة بالصفحة ٦٤ طبعة سنة ١٩٢٤ الأميرية ، وهو : « ... كالمصور الماهر الذي يصور على الحيطان صوراً كأنها خارجة وليست بخارجة ، وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة » مع أن هذا الكتاب ترجمه ابن المقفع عن نسخة فارسية ترجمت بدورها عن أصل هندي قديم كما يفهم مما جاء بصدر هذا الكتاب . واذن فالفضل الأول لابتكار الظلال التي هي الوسيلة كلها الى استنطاق الطبيعة ، إنما يرجع الى الشرق وحده ، لأن الوصف الذي نقلناه عن كليلة ودمنة لا يخرج عنه أحدث تعريف للرسم عند الغربيين ، وهو إيجاد أنجاد وأغوار على سطح أملس بحيث اذا مررت بيدك من فوقه لا ترى لذلك أثراً.

ولقد كان انفراد الشيعيين على ما يظهر دون السنيين بهذا الفن مما ساعد على الاعتقاد بتأثير تلك الأحاديث الشريفة وفهمها على غير حقيقتها .

وأغلب الظن أن هذه الأحاديث لم تقصد إلا التماثيل مما كان شائعاً في الجاهلية بشيوع الوثنية وقضى الاسلام عليها لتنافرها مع أصول التوحيد . ومما يجعل هذا الفهم أقرب الى الحقيقة ما رواه المسيو ال . جاييت في كتابه عن الفن الفارسي في باب التصوير من أنه كان بدمشق والقاهرة وبغداد مدارس راقية خاصة بالتصوير كان يقصدها الطلاب من كل صقع ، وأنه كان هناك أساتذة بارعون يلقنونهم بها أصول هذا الفن كانوا محل إعجاب الخلفاء والسلاطين والوزراء ، وكثيراً ما زينوا لهم قصورهم بصور حائطية (Fresques) .

ويؤيد هذا ما جاء بخطط المقريزي بالصحيفة ٣١٨ من الجزء الثاني طبعة بولاق فقد قال عن جامع القرافة (جامع الأولياء في عهده) إن : « موقعه كان يعرف في القديم عند فتح مصر بخطة المغافر ، بنته السيدة المعزية سنة ٣٦٦ ، وهي أم المعز بالله نزار ولد المعز لدين الله على نحو بناء الجامع الأزهر ، وأن بابه الذي يدخل منه ، ذا المصاطب الكبير الاوسط ، تحت المنار العالي الذي عليه ، مصفح بالحديد الى خط المقصورة والمحراب من عدة أبواب عدتها أربعة عشر بابا مربعة مطوية الابواب قدام كل باب قنطرة قوس على عمودي رخام ثلاثة صفوف ، وهو مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ ، وفيه مواضع مدهونة ، والسقوف مزوقة ملونة كلها ، والحنايا والعقود التي على العمد مزوقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين وبني المعلم المزوقين شيوخ الكتامي والنازوك . »

ثم قال :

« وكان قبالة الباب السابع من هذه الأبواب قنطرة قوس مزوقة في منحنى حافتيها شاذوران مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر ، وخضر وزرق وصفر ، اذا تطلع اليها من وقف في سهم قوسها شائلاً رأسه اليها ظن أن المدرج المزوق كأنه من خشب كالقرنص . واذا أتى الى أحد قطري القوس نصف الدائرة ووقف

---

(١) وهذا وصف لايوان كسرى وصف فيه البحتري واقعة مصورة :

وكأن الجرماز من عدم الأنس وأخلاله بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
فاذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على أصفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس
(والجرماز العلم الكبير)

عند أول القوس منهما ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحاً لانتوء فيـه وهذا من أنخر الصنائع عند المزوقين . وكانت هذه القنطرة من صنعة بنى المعلم ، وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون . وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز فى أيام البازورى سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن ، وكان كثيرا ما يحرض بينهما ويغرى بعضهما على بعض لأنه كان أحب ما اليه كتاب مصور ، أو النظر الى صورة أو تزويق . ولما استدعى ابن عزيز من العراق أفسده ، وكان قد أتى به فى محاربة القصير ، لان القصير قد يشتط فى أجرته ويلحقه عجب فى صنعته وهو حقيق بذلك لأنه فى عمل الصورة كابن مقلة فى الخط . وابن عزيز كابن البواب وقد أمعن ذلك فى الكتاب المؤلف فيه ، وهو طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس

وكان البازورى قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز ، فقال عزيز أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط ، فقال القصير ، ولكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط ، فقال هذا عجب ، وأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة فى صورة الحنية ، وتلك ترى كأنها خارجة من صورة الحنية . . . فاستحسن البازورى ذلك ، وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب .

وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامى صورة يوسف عليـه السـلام فى الجب وهو عريان ، والجب كله أسود اذا نظره الانسـان ظن أن جسمه باب قد دهن بلون الجب . وكان هذا الجامع من محاسن البناء . وكان بنو الجوهرى يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتمر لهم مجالس بهجة تروق وتشوق . »

وقد أشار أيضاً الى اللوح الحائطية التى من تصوير أبى بكر المحتسب سنة ٣٦٥ فى أول عهد الدولة الفاطمية ، وكذلك الى صور احمد بن يوسف المشهور بالأوسطى (أى الفنان) وكذلك صور محمد بن محمود . وانه كان فى عهد السلطان بيبرس رجل اسمه ابن دايا كان يشتغل بالسياسة والتصوير ، حتى أنه لما عين بأمر السلطان سفيراً لدى بركه الأمير المغولى حمل اليه ثلاث لوحات من عمـله تمثل مواسم الحج بمكة

نخرج من رواية المقريزى هذه بأن فن التصوير لم يكن متداولاً عند الفرس وحدهم ، بل عند العرب أيضاً ، وأن أساتذته كانوا مهرة تدل آثارهم كالشازوران الذى بأخذ طرفى القنطرة والراقصتين ، على المامهم بفن المنظور والتأليف « Composition » كما فى صورة يوسف عليه السلام وهو فى الجب . وان هؤلاء المصورين وان كانت أكثر آثارهم حائطية ، الا أنهم فكروا أيضاً فى التصوير فوق لوحات مستقلة كما رأينا عند الكلام على ابن دايا ، وان هؤلاء الفنانين كانت لهم مكانة فى نفوس السلاطين والوزراء ، كما أن العناية بآثارهم بلغت حداً بعيداً ، حتى أنها كانت تزين بها الجوامع مما يدل على أنهم كانوا لا يأخذون بحرفية الاحاديث ، ولكن بالغرض منها

أما كتاب ضوء النبراس الذى بحث فى سيرة أولئك المصورين فلا ندرى اذا كان من وضع المقريزى أو وضع غيره ، لأن ذلك غير واضح فى عبارته ، وعلى كل حال فان فقدان هذا الكتاب مما يدعو الى الأسف الشديد . (١)

محمود ضيرت
بقسم قضايا المالية

(١) لقد تفضل حضرة صاحب السعادة شيخ العروبة احمد زكى باشا بمساعدتى فى هذا البحث اذ لولاه لما اهتديت الى موضع هذا الموضوع من خطط المقريزى

الموسيقى الشرقية

بقلم منير الجم الطرابلسي

— ١ —

اطلعت بالأمس على مقالين ممتعين في « الرسالة » الغراء حول فن الموسيقى : أحدهما للأستاذ قدري حافظ طوقان ، والآخر للأستاذ عبد العزيز البشري ، فسرني منهما أن يطريا فن الموسيقى العربية ، ويتغنيا بعبقرية من اشتغلوا بهذا الفن الجميل من قدامى ومحدثين ؛ أقول وأؤكد القول : بأنني جد مغتبط بمقاليهما كنزاء للفن المغبون . . .

ولقد رغبت أن أشاركهما فيما أبدياه من العواطف السامية نحو موسيقانا ، فكتبت في مجالي هذه نبذة عامة عن تطور الموسيقى الشرقية في العهد الأخير ، وما طرأ عليها من الاصلاح والتجديد ، كموسيقى يغار على الفن ، ويؤدي نحوه الواجب المحتوم

— ٢ —

كانت الموسيقى في جميع العصور مقياساً لروحية الأمم ، ورمزاً لأخلاقها ورقة طباعها ، واذا كان للشعر والأدب والنحت والتصوير وغيرها من الفنون منزلة سامية في النفوس ، فللموسيقى رتبة أسمى وأعلى ، واذا كان لهذه الفنون أياد بيضاء على تهذيب الطباع الانسانية ، وصقل عواطفها ، فأحر بالموسيقى أن تنال السبق في هذا المضمار ، اذ تتعدى ذلك الى شفاء بعض الأمراض ، وطرد الهموم من النفوس ، ومعالجة الحيوان والتلطيف من شراسته ووحشيته ، فاسمها مقرون على الدوام بالروعة والاعتبار . . .

نشأت الموسيقى في دورها الأول مع الانسان الساذج المقلد لظاهر الطبيعة الفاتنة ، فاندفع بميله الغريزي ، وعواطفه الكامنة لاتقان هذا التقليد المستحب اللذيذ ، حتى انقلب على مر العصور الى فن جميل له مكانته بين الفنون

عنيت الأمم الغابرة من مصريين ويونان ورومان ، وصينيين وهنود ويابان وفرس وعرب بالموسيقى عناية قصوى جعلتها تتطور في أحضانها بخفة ولباقة ، حتى وصلت الينا بحلة قشيبة ؛ ولما أن افترق الشرق عن الغرب حتى كانت موسيقى الشرق غير موسيقى الغرب ؛ طارت الاولى في سماء الروح والعواطف ، ثم ما لبثت أن هبطت قليلا ، فلا هي بالهابطة ولا هي بالصاعدة ، متقلقلة بين الصعود والهبوط ؛ وأما الثانية فلا تزال جادة في طريق المجد ، تقطع مراحل وأشواطاً من التقدم ، وغدت لدى الذوق الغربي أسمى وأشهى ما يلذ للسمع ويستطاب

— ٣ —

بعد أن انتقلت الموسيقى الى الغرب رعوا فيها ، وجددوا ما بلي منها ، وبقيت في عهدهم زاهية ببغداد ومصر والأندلس وغيرها من البلاد العربية حتى دالت دولة العرب ، فقبعت في زاوية الاهمال حقبة من الزمن ، تترقب من ينتشلها من وهدتها ، ويقيلها من عثارها بعد ذاك العز والمجد ، حتى قيض لها منذ قرن تقريباً من يذود عن حقها المهضوم ويرفع من شأنها ولو قليلا أمثال الأساتذة المرحومين : عبده الحمولي ، والشيخ يوسف المنيلاوي ، ومحمد عثمان ، وعبد الحي حلمي ، والشيخ سلامه حجازي الذي نبغ في الغناء المسرحي وانفرد به ، وكذلك احمد الليثي ، وأمين بناية ، وابراهيم سهلون ، وغيرهم من عظماء الفن ، ومشاهير الملحنين والعازفين الذين نهضوا بالموسيقى العربية نهضة مباركة لا بأس بها ، وبخاصة في قسم الغناء والانشاد ؛ ثم كان منهم النابغة المرحوم الشيخ سيد درويش الذي يعد من المجددين ، واليه يرجع الفضل في تعديل فن الغناء العربي تعديلا لطيفاً ، وهو الذي عنى بنغمة « الحجاز كار كردي » التركية ، واستعملها في كثير من أغانيه وأدواره الخالدة ، فزاد الفن بذلك عذوبة ورقة ، وكان يحق آية في العبقرية والنبوغ . . . وأخيراً جاء نابغتنا الشاب الأستاذ محمد عبد الوهاب وأمثاله ، وهو مجدد بكل ما في الجدة من معنى ، وقد أضاف الى الفن ما أضاف من عبقرية فذة تتجدد ، ونبوغ مضطرم يزكو ، ولنا كبير أمل بجهوده الفنية التي ستسمو إن شاء الله بالموسيقى الى أقصى مراتب النجاح .

مازال الأستاذ محمد عبد الوهاب يخدم الفن خدمة يشكر عليها ويثاب ، فجدد منه أصولاً ، وأصلح فيه أنواعا ، ثم أضاف اليه أقساماً طريفة من الأنغام الأفرنجية . الى غير ذلك من التجديد

الموافق للذوق الشرقي والعربي ، وغدت اسطوانات أغانيه تسمع حتى في بلاد أوربا بكل إعجاب ، يشاركه في هذا التجديد نخبة صالحة من غواة الفن ، وجمعيات ونواد فنية أسست في مصر وسوريا وغيرها ، يجاهدون جميعاً في تعزيز الموسيقي الشرقية لتستعيد مكانتها الأولى ، ويكون لها الصدر في الموسيقى العالمية

— ٤ —

هذا في مصر وسوريا وبعض البلاد العربية الأخرى ، وأما في البلاد التركية ، فقد وجدت الموسيقى الشرقية منتجعاً خصبا ، فتطورت في سنين قلائل ، حتى لتضاهي كل موسيقى عالية ، والحق يقال : أن للأتراك فضلا كبيراً على هذا الفن ، فقد اخترعوا أنغاماً لم تكن تعرف من قبل ، وحسنوها وهذبوا كثيراً من الألحان ، وجعلوا في موسيقاهم أنواعا منوعة من القطع الفنية الخالدة ، ونبغ لديهم عظماء أفذاذ ، أمثال الأساتذة المرحومين : حافظ ، ومونلا عثمان ، وقره قاض القديم ، ووسيلاكي المغني المشهور ، وعثمان بك ، وعاصم بك ، والطنبوري جميل بك ، و « الكمنجاتي » طاتيوس ، ووأسلاكي ، وغيرهم ممن أكسبوا الفن كنوزاً ثمينة لا تقدر ، وقد جاء من بعدهم مجددون معاصرون فأدخلوا تحسينات جمة عليه ، ولقحوا بعض أقسامه وأجزائه بشيء من الأنغام الافرنجية اللطيفة ، كما أنهم أضافوا فن تأليف الأصوات (Harmonie) على فرع من موسيقاهم ، ولاسيما دار الفنون والموسيقى في الأستانة ، التي تعد في طليعة المجاهدين في سبيل ترقية الموسيقى الشرقية وتعزيزها .

وأما في بلاد فارس والهند والصين وغيرها ، فالموسيقى مازالت مهملة أو كالمهملة ، الا في بلاد اليابان وشرقي الصين فآخذة في التقدم السريع ، غير أن الموسيقى الغربية طغت عليها ، وتكاد تكون معها في صراع عنيف ، حيث لكل منهما أحزاب ومشايعون ، والغريب في الموسيقى الشرقية هناك أنها تكاد تضارع الأنغام العربية والتركية في اللهجة والأصول ، فقد ذكر صديق لي أنه كان منذ بضع سنوات في بلدة شنغاي من أعمال الصين الشرقية ، وبينما كان ماراً في حي صيني سمع انغاماً غربية من مقام « الحجاز » فظن لأول وهلة أن العازف على الآلة ربما كان عربياً ، وفرح لهذه المصادفة ، ورغب أن يجتمع به ، ولشد ما كانت دهشته حينما وجده صينياً عريقاً في الصينية ، لايدري من أمر العرب شيئاً ، مما يدل على أن لإيحاء الشرق على سكانه في كل صقع أثره الشديد حتى بموسيقاه العذبة .

— ٥ —

يعيب الغربيون موسيقانا بالجمود والتشابه والتكرار ، ويتهموننا بقلة الأنواع الموسيقية ، وعدم تأليف الاصوات ، وادماجها في القطعة الموسيقية جملة واحدة (Harmonie) ؛ ولئن كان هذا النقص معيباً في موسيقانا ، فان قليلاً من الجهد والعناية يذهب به ، وانني لأرى أن هذا النقص الذي نعنيه لم يحصل من التهاون والاهمال ، بل هي طبيعة الشرق الهادىء توحي لموسيقاه ألطف الانغام الفردية العذبة .

انني لا أنكر على الغرب محسناته في موسيقاه ، كلا ، ولا أنكر عليه التجديد الفني الذي أضافه عليها ، فجعلها في مراتب سامية تفوق حد الابداع ، كلا ، ولا أنكر عليه أيضاً استفادة الموسيقى الشرقية والعربية من هذا الرقي والتجديد ، ولكن ذلك لا يمنعني من الجهر بجمال الموسيقى الشرقية اللطيفة اذا ما بذلنا في سبيلها جهداً ومثابرة واخلاصاً ، ولاسيما وهي العذبة بانغامها ، الزاخرة بألحانها ، الطافحة بأسمى العواطف والشعور ... !

— ٦ —

إننا اذا دققنا في الأنواع الموسيقية لدينا وجدناها ضئيلة جداً بالنسبة الى غزارتها في الموسيقى الغربية ، يؤيد ما يعيبنا به الغربيون وهي على التقريب كما يلي : الموشحة ، الليالي ، الدور ، القصيدة ، الغناء المسرحي ، الطقطوقة ، المواليا .

فالموشحة : — قطعة غنائية من أرق أنواع الغناء ، اذا ما كانت متينة اللغة والمعنى ، وليس كما يمسخها بعض المغنين بلغة ركيكة ، وألفاظ سمجة ، وتطويل جاف ممل ...

الليالي : — « ياليل يا عين » فهذه لا حدود لها ، تابعة لشعور المغني أو العازف ، وسمو إحساسه في الأنغام ، وقدرته على الانتقال بينها بلباقة وأصول ، حتى ينتهي الى ما بدأ منه ، واذا كانت لموسيقانا مزية تنفرد بها ، فتكون من هذه الناحية ، إذ يعجز غيرها عن ترديد « الليالي » الالهامية ، وعزف « التقاسيم » الروحية ارتجالاً ، ما لم تكن مسجلة ومخطوطة ، أو محفوظة من سابق عهد .

الدور : — قطعة غنائية مركبة من جزئين : الأول يسمى «مذهب» ، والثاني (دور) وفي الأخير تتعدد الأنغام اللذيذة المثيرة للطرب والسرور ، وما زالت الأدوار لها مكانتها في الموسيقى العربية ، وهي آخذة في التقدم والرقي ، من متانة في اللفظ ، وطرافة في النغم ، مما يجعلها في الصف الأول .

القصيدة : — قطعة شعرية تنشد بألحان مغنية ، وتكون عذبة مطربة إذا كانت محتوية على معان سامية ، وأنغام مؤتلفة ، وقد أصبحت في الآونة الأخيرة من الأنواع الراقية نظماً ونغماً ، يعالجها الشعراء والموسيقيون بكل همة ونشاط .

الغناء المسرحي : — قطعة غنائية تمثيلية ، لها أصول خاصة في الغناء ، بحيث تتناسب الأنغام مع معاني كل جزء منها ، وتوافق الغرض المقصود ؛ فالعتاب — مثلاً — في بيت شعري له نغم يناسبه ، وكذا الاستعطاف له لحن يوافقه ، وتزيد بذلك وضوحاً وتأثيراً في النفوس ؛ وقد عني الشعراء والموسيقيون بهذا الضرب من الغناء ، فنظموا ولحنوا قطعاً يناسب المقام أمثال المرحوم أمير الشعراء شوقي بك ، والأستاذ محمد عبد الوهاب ، وغيرهما من غواة الفن ، وهواته ومجدديه .

الطقطوقة : — قطعة غنائية حاوية على مذهب ودور بسيط ، فالمذهب هو القطعة الأولى منها اللازمة للدور في نهاية كل جزء من أجزائه ، ولغتها على الغالب عامية ، وهذا هو موضع العيب الفاضح فيها .

المواليا : — وهو في نظري أشد جموداً من غيره ، حيث الركاكة في الألفاظ ، والترادف في المعنى الواحد للعشق والهيام المبتذل ، ولا يخرج عن كونه أنيناً متواصلاً ، ونواحاً مؤلماً ، لا أثر للحياة فيه ، وموحياً للحزن والأسف الشديد ؛ ولدينا اليوم أيضاً نوع اسمه «المنولوج» أو «الغناء الوجداني» الذي اقتبس أخيراً من موسيقى الغرب ، وقد برع فيه الأستاذ محمد عبد الوهاب وأبدع فيه أيما إبداع .

— ٧ —

إن الأصوات تختلف في سيرها أثناء العزف أو الغناء ، فتكون أنواعاً متنوعة يسمى كل منها نغماً ، فالأنواع الموسيقية الآنفة الذكر يتركب مجموعها اليوم من أنغام كثيرة اختصر على أهمها :

(١) نغمات السيكاه (٢) نغمات المشيران (٣) نغمات العجم عشيران : — أوج — عراق (٤) نغمات الراست : راست ، نهاوند ، حجاز كار ، حجاز كار كردي . (٥) نغمات الديكاه : البيات ، حجاز ، صبا ، عشاق ، بيات شوري (٦) سيكاه (٧) جهاركاه (٨) حسيني ، الى غير ذلك من الأنغام الكثيرة المستعملة في الموسيقى العربية .

وأما الأنواع الموسيقية لدى الأتراك فقريبة الشبه من العربية غير أن الأنغام لديهم أكثر وأغزر ، زادت في مادة الموسيقى الشرقية زيادة تذكر ، وخاصة عنايتهم الفائقة بتأليف القطع الفنية التي تعزف على الآلات ، فهي بحق قطع خالدة جديرة بالأكبار والأعظام ؛ ولقد استفادت الموسيقى العربية من هذه القطع الفنية الطريفة والأنغام الاضافية العذبة ، ما جعلها مدينة الى الموسيقى التركية مادة ومعنى ، والأنواع المعروفة لدينا من هذه المعزوفات الفنية هي : البشرف ، والسماعي ، والدولاب فالبشرف : قطعة فنية غزيرة بالأنغام المنسجمة ، مركبة من جزئين أو ثلاثة أجزاء أو أربعة ، والجزء الواحد يسمى (خانه) ، تعزف على الآلات الشرقية بواسطة (النوتة) الرموز الاصطلاحية ضمن قوانين وأوزان محكمة كأوزان الشعر لا يمكن للعازف أن يشذ أو يخرج عنها ، ويكون عزفها عادة أبطأ من (السماعي) ، وهي على أنواع من الوزن والقياس والعزف ، لا مجال لذكرها الآن .

وأما «السماعي» فهو كالبشرف في أنغامه وتركيبه ، غير أنه أصغر منه في مجموعه وأسرع في العزف ، وله أوزان ومقاييس تختلف عنه ، وأما «الدولاب» فهو قطعة فنية صغيرة بأوزان معلومة ، تعزف عادة قبل الشروع في الغناء تمهيداً للنغم المنوي التغني به ؛ وتوجد غير ذلك ضروب مختلفة ، مقتبسة أصولها من الغرب : في الرقص والتمثيل والوصف . . . الخ كالفالس — مثلاً — ، والبولكة ، والمارش من القطع الفنية المصورة لنوازع النفس ، ومظاهر الطبيعة الفاتنة ، ووحي جمالها السامي تصويراً دقيقاً موافقاً بعد تعديلها للذوق الشرقي ؛ ومن جملة ما اقتبس من الموسيقى الغربية : الرموز أو العلامات الموسيقية (نوته) التي

٦ - بين المعري ودانتي

في رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

الوطنية لدى الشاعرين

كأني بالمعري يختص رسالة غفرانه بخيال النعيم والجحيم. ومساجلة الشعراء والأدباء ، والنحاة والرواة . ثم بالرد على ابن القارح والحديث عن بشار والمتنبي وصالح بن عبد القدوس والحلاج والصناديق وغيرهم من المتألهين والمتزندقين مما بدأه ابن القارح بالحديث عنهم في رسالته . فلم يكن في كل مواقف (رسالة الغفران) ما يثير في نفسه الحنين الى الوطن ، ولو أن موقفاً من مواقف رسالته ذكره بالوطنية أو تعمد هو أن يخلق المواقف في تضاعيف كلامه للحديث عن الوطن وآلامه كما كان يفعل دانتي لأرانا ضروباً من الحماس للوطن والتفاني في سبيله ...

المعري رجل يريد أن يداعب وأن يسخر . يريد أن يذكر للناس غريب اللغة ونحوها وعروضها . ثم هو يخاطب صديقاً له فلم يكن ثمت مجال لذكر الوطن أو الحديث عن الوطنية . ولكن دانتي كان أهم أغراضه في رسالته بكاء الوطن . وإثارة الحمية في النفوس للأخذ بناصر الشعب الذي تمزقت أوصاله ، ولعبت به الحروب الأهلية شنيع الألاعيب . فكنا نتلمس الوطنية في كل خطوة من خطوات دانتي .. ونفقد ذلك في رسالة الغفران. فهل ضعفت نزعة الوطنية عند المعري ؟ ألم يطرب للمعرة والشآم ولتلك الربا والبطاح ؟ لقد كان أبو العلاء يطرب لدياره وبلاده . وكان مغرماً أشد الغرام بوطنه ومنبته . فنحن نراه يكره الخلود ويشيح عنه بوجهه ان كان مع الخلود انفراده عن أهله ووطنه . ثم هو يسخط على السحائب ان اختصته بغيثها ولم تهطل على كل بلاده تبل ثراها وتحيي مواتها فيقول :

ولو أني حبيت الخلد فردا   لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا نزلت على ولا بأرضي   سحائب ليس تنتظم البلادا

ثم يتمنى النعيم لوطنه وان فاته نعيمه . وتنزع نفسه أن يعود لبلاده وان كان في يوم الحشر ، ويوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت فيقول :

فيا وطني ان فاتني بك سابق
من الدهر فلينعم لساكنك البال
فان أستطع في الحشر آتك زائراً
وهيهات — لي يوم القيامة أشغال

ثم نراه يقيم في بغداد والكرخ ، وبين الرصافة والجسر ، تلك التي شفه الحنين اليها منذ نعومة أظفاره . وكان يتكلف بها في شرخ الشباب ، فحققت له الكهولة أمنيته . قال :

كلفنا بالعراق ونحن شرخ   فلم نلمم به إلا كهولا

بيد أنه لم تكد تمر عليه بضع ليال حتى حن لوطنه وتمنى قطرة من ماء المعرة يطفئ بها ظمأه فقال :

فيا برق ليس الكرخ داري وانما
رماني اليه الدهر منذ ليال

تكتب بها المعزوفات الفنية ، فخدمت الموسيقى الشرقية خدمة جلى ، وكان لها الأثر الظاهر في تقدمها وحفظ كنوزها من الفناء ...

— ٨ —

وأما الآلات المستعملة لدينا في الموسيقى الشرقية عامة فهي : العود ، والقانون ، والطنبور ، و «الكمان» والناي ، والمزمار ، والدف ؛ والطبلة ، ويوجد آلات شرقية وعربية غير هذه كثيرة ولكنها مهملة ، أو غير صالحة لعزف القطع الفنية ؛ ثم أضيفت آلات حديثة من الموسيقى الغربية خاصة لعزف قطع «الهارموني» زيادة في التحلية عند اللزوم ، أو لعزف القطع الحماسية .... في المعسكرات الحربية كالبيانو (Piano) والكمان الاكبر (Contrebasse) والساكسوفون (Saxophone) والفيفرا (Fifre) الى غير ذلك من الآلات الوترية ، والنفخية والهوائية ، التي ليس لها — ويا للأسف اسماء عربية حتى اليوم ! !

وعلى هذا فالموسيقى الشرقية على العموم لا تزال بحاجة الى جهود جبارة ، وعزائم صادقة ، وهي في دور نهضة مباركة تبشرنا بمستقبل قريب باهر ؟

حماة : منير الجم الطرابلسي

فهل فيك من ماء المعرة قطرة
تغيث بها ظمآن ليس بسال؟

لقد كان أبو العلاء يذكر وطنه كلما لمع السراب إبان الظهيرة وكلما جن عليه الليل واحتوته الظلمات، ويستعذب ماء بلاده وإن كان آسناً، عن ماء الكرخ وإن كان كالصهباء. فيقول:

إذا جن ليلى جن لبى وزائد
خفوق فؤادى كلما خفق الآل(1)
وماء بلادى كان أنجع مشرباً
ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال(2)

ولم يكتف المعرى أن يضج بذكر بلاده وحده، بل أشرك معه نياقه تلك التى تمنت قويقاً(3) والصراة(4) حيالها. والتى كانت تطرب لضوء بارق الشام، وإن تعالى عن مستوى نظرها حتى ليسرها أن تقطع رؤوسها وترفع فوق أسنة الرماح لتشيم بارق الوطن؛ والتى كانت تتلو زبوراً فى الحنين اليه، مترنمة بقصائد أودعتها كل أشواقها لديارها. فقال:

تلون زبوراً فى الحنين منزلاً   عليهن فيه الصبر غير حلال
وأنشدن من شعر المطايا قصيدة   وأودعنها فى الشوق كل مقال

... ولقد كان المعرى يستطيب الحديث عن بغداد وعما يحف بها من المشاهد. فيقول:

هات الحديث عن الزوراء(5) أو هيتا(6)
وموقد النار لا تكرى(7) بتكريتا(8)

ويجعل حفظ عهود أهلها من صلواته فيقول:

أعد من صلواتى حفظ عهدكم   ان الصلاة كتاب كان موقوتا

ويتمنى أن تكون العراق تربته، وبها منيته. فيقول:

وكان اختيارى أن أموت لديكم   حميداً فما ألفيت ذلك فى الوسع
فليت حمامى حم لى فى بلادكم   وحالت رماى فى رياحكم السفع(9)

ويجعل الاماء الوكع من بغداد أفصح من فصحاء البادية طبعوا على البيان واللسن. فقال:

وما الفصحاء الصيد والبدو دارها
بأفصح قولاً من إمائكم الوكع(1)

ويتمنى أن يأتى على ما فى دجلة من ماء شرباً وجرعاً ليطفئ غلة حنينه نحو العراق فقال:

ألا زودونى شربة ولو اننى   قدرت إذا أفنيت دجلة بالجرع

ويرجو أن يعود الى بغداد والكرخ، والرصافة والجسر، وألا يكون سيره عن ديارهم كرأى الملحد لا يرجو معاداً ولا ينتظر إياباً للحياة، بل رأى المؤمن يثق بالرجعى فيقول:

فلا كان سيرى عنكم رأى ملحد
يقول بيأس من معاد ومرجع

ثم يألم من الليالى التى تضن عليه بالرجوع الى بغداد، فيقول:

أظن الليالى وهى خون غوادر   بردى الى بغداد ضيقة الذرع

ثم يدعو بالسلامة والنجاة لعارض تحدوه بوارقه يؤم الكرخ فيقول:

يا عارضاً راح تحدوه بوارقه   للكرخ سلمت من غيث ونجيتا

ثم يستسقى الدجلة ويفى بعهده فيحرم على نفسه شرب مياه الأنهار من بعدها كما حرم طالوت على قومه الشرب من النهر الذى ابتلاهم به ربهم فقال: إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى. وذلك حين يقول أبو العلاء

سقيا لدجلة والدنيا مفرقة   حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا
وبعدها لا أريد الشرب من نهر   كأنما أنا من أصحاب طالوتا

ذلك هو طرب المعرى للعراق وتعلقه بدجلة، فهل أنساه حب المعرة نعيم بغداد؟ وهل أنساه حب الشام حب العراق؟ كلا! لقد كانت لدى المعرى وطنية يراها فى كل شىء من حوله حتى فى النياق تتلو زبور الوطنية وتحيل الشوق اليها، وإن لم يذكر ذلك فى رسالة غفرانه، ولم يتخيل عذاباً أليما لخائنى أوطانهم كما تخيل دانتى الذى افتن فى وصف هذا الصنف من الناس وتخير لهم أسفل دركات الجحيم وأشدها هولاً وإيلاما.

وموعدنا بالحديث عن وطنية دانتى العدد القادم

يتبع   **محمود احمد النشوى**

(1) السراب (2) صبغ أحمر أى صهباء محمرة اللون
(3) قويق نهر على باب حلب (4) نهر ببغداد
(5) بغداد (6 — 8) ناحيتان من نواحى بغداد
(7) لا تضعف نارها ضعف من أخذ الكرى بمعاقد جفنيه
(9) ريح الشمال

(1) جمع وكعاء، وهى الحمقاء.

أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

مقدمة بقلم الأستاذ احمد أمين

أهبت في مقال سابق بالرسالة ، الى الشيوخ والشبان أن يجدوا في تقييد ما عرف من العصر السابق لمصرنا من ترجمة لرجاله ، وتدوين لأحداثه ، وأشرت الى أن كثيرين من عظماء شيوخنا أمثال أستاذنا أحمد لطفي السيد بك ، والأستاذ ابراهيم الهلباوي بك ، والسيد محمد البيلاوي ، وسعادة احمد زكي باشا ، وفضيلة الشيخ محمد بخيت ، والأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ، والصحفي العجوز وأمثالهم ، قد شاهدوا من عظماء الناس في مصر ، ووقعت لهم من الحوادث ، ومر أمامهم من المناظر ما لو دون لكان ثروة لا تقدر ، ولكان حلقة اتصال بين ما دونه المؤرخون قبلنا كالجبرتي ، وما راه جيلنا . وقلت إن في نفوسهم كثيراً من المعلومات تضيء السبيل للجيل الناشيء ، وان من الخسارة العظمى أن نسكت عن تدوينها ، وألا نسرع في تقييدها ، فعلى هؤلاء السادة أن يدونوا في ذلك مذكراتهم ، وعلى الشبان أن يلحوا في رجائهم ، وأن يستملوهم ما في ذكرياتهم ، ضنا بتاريخ أمتهم ، وحرصاً على فائدة الجيل المقبل

وقد سرنا أن يقوم صاحب السعادة احمد شفيق باشا بنشر مذكراته ، وفيها كثير من المعلومات القيمة التي تلقي نوراً على تاريخ الجيل الماضي ؛ وحبذا لو نحا نحوه بقية رجالاتنا ، فيكملوا النواحي الأخرى الاجتماعية التي لم يتصل بها شفيق باشا ، فكل عظيم من هؤلاء العظماء كانت له نواح اجتماعية خاصة هو بها أكثر علماً وأوسع معرفة .

ويظهر أن هذه الفكرة نفسها كانت عند المرحوم احمد تيمور باشا ، فقد بدأ بترجمة رجال القرن الرابع عشر ، ولكن مع الأسف الشديد لم يتمه ، وقد طلبت من صديقي الاستاذ محمود تيمور أن يتفضل فيسمح لي بالإطلاع على مادونه في ذلك المرحوم والده ، فقبل رجائي وأعارني الجزء الخاص بذلك — فاذا هو مجلد قد دون فيه بخط المؤلف اثنتان وسبعون صفحة ، وقد ترجم فيها لأربعة وعشرين رجلاً من أعيان القرن الرابع عشر الهجري باعتبار الوفاة ، وان كان أكثر حياتهم في القرن الثالث عشر

وأكثر من ترجم لهم المؤلف من الأدباء كعبد الله نديم والشيخ شهاب ، والشيخ علي الليثي ، أو من العلماء كالشيخ الأشموني والشيخ المهدي العباسي ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ أبي خطوة ، والشيخ حسونة ، لأن المؤلف رحمه الله كانت حياته حياة علم وأدب ، فمن بمن تتصل بهم حياته ، وقد ترجم أحيانا لرجال السياسة كسلطان باشا ، والغازي احمد مختار باشا

وقد أفاض المؤلف في بعض التراجم فخرجت كاملة مستوفاة كترجمة عبد الله نديم وسلطان باشا ، وبعضها قاصرة كترجمة الغازي مختار باشا ، وكل التراجم — مع ذلك — ذخيرة أدبية وتاريخية هامة ، وفيها من المعلومات مالا نجده في سواها ، ومن من المؤلف أعلم برجال هذا العصر وشيوخه ؟

من أجل هذا اقترحت على صديقي الاستاذ الزيات أن تنشر هذه التراجم تباعاً في الرسالة حتى ينتفع بها جمهور القراء — ولا يفوتني أن أنبه أن أربعا من هذه التراجم الاربع والعشرين قد نشرت في مجلة الهلال الغراء ، ولكني لا أرى بأساً من اعادة نشرها حتى تكون المجموعة عند قراء الرسالة كاملة .

احمد أمين

* * *

عبد الله نديم افندي

هو عبد الله بن مصباح بن ابراهيم ، الأديب الألمعي ، والخطيب المفوه ، نادرة عصره ، وأعجوبة دهره . ولد أبوه ببلدة الطيبة بمديرية الشرقية في شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٤ هـ ثم انتقل الى ثغر الاسكندرية ، فكان في مبتدأ أمره نجاراً للسفن بدار الصناعة ، ثم اتخذ له مخبزاً لصنع الخبز ، ومات بالقاهرة في ٤ رجب سنة ١٣١٠ .

وولد المترجم بالثغر المذكور في عاشر ذي الحجة سنة ١٢٦١ ونشأ في قلة من العيش ، ومالت نفسه الى الأدب ، فاشتغل به واسترشد من أهله وطالع كتبه ، وحضر دروس الشيوخ بمسجد الشيخ ابراهيم باشا . وكان قليل الاعتناء بالطلب ، غير مواظب على الدرس ،

إلا أن الله وهبه ملكة عجيبة وذكاء مفرطاً ، فبرع في الفنون الأدبية ، في كتب وترسل ، ونظم الشعر والزجل ، وطارح الاخوان وناظر الأقران . ثم بدا له أن يتعلم صناعة للتكسب ، فتعلم فن الاشارات البرقية ، واستخدم في مكتب البرق بينها العسل ، ثم نقل الى مكتب القصر العالي ، سكن والدة الخديو أيام ولاية ابنها اسماعيل باشا ، وبقي به مدة عرف فيها كثيراً من أدباء القاهرة وشعرائها ، مثل الأمير محمود سامي باشا البارودي ، ومحمود أفندي صفوت الساعاتي ، والشيخ احمد وهبي . ثم غضب عليه خليل أغا ، أغا القصر ، وكان في سطوة لم يبلغها كافور الاخشيدي ، فأمر بضربه وفصله . فضاقت به الحيل ورقت حاله ، حتى توصل الى الشيخ أبي سعدة عمدة بداوي بمديرية الدقهلية ، وأقام عنده يقرئ أولاده ، ثم تشاحنا وافترقا على بغضاء . واتصل بالسيد محمود الغرقاوي ، أحد أعيان التجار بالمنصورة ، فأحسن منزله ، وفتح له حانوتاً لبيع المناديل وما أشبهها . فكانت نهاية أمره أن بدد المكسب ورأس المال ، وجعل يجوب البلاد وافداً على أكابرها ، فيكرمون وفادته ويهشون لمقدمه ، لما رزقه من طلاقة اللسان ، وخفة الروح ، وسرعة الخاطر في النظم والنثر ، فيطوف ما يطوف ثم يأوي الى دار الغرقاوي بالمنصورة ، الى أن ورد طندتا سنة ١٢٩٣ ، واتصل بشاهين باشا كنج مفتش الوجه البحري إذ ذاك ، ولاتصاله به سبب لا بأس من ذكره : وهو ان الباشا المذكور كان بينه وبين الشيخ محمد الجندي أحد العلماء بالمسجد الأحمدي صحبة وتزاور ، وكان الشيخ يحب الغناء ويطرب له ، ولذلك كان يستحضر فتى حلاقاً حسن الصوت ليغني له في داره . فأمره مرة أن يغني بحضرة الباشا ، فغنى بقول المترجم :

سلوه عن الأرواح فهي ملاعبه	وكفوا اذا سل المهند حاجبه
وعودوا اذا نامت أراقم شعره	وولوا اذا دبت اليكم عقاربه
ولا تذكروا الأشباح بالله عنده	فلو أتلف الأرواح من ذا يطالبه
أراه بعيني والدموع تكاتبه	ويحجب عني والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدني الحبيب لصبه	سوى زفرة تثني الحشا وتجاذبه
فلا أنا ممن يتقيه حبيبه	ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه
ولو أن طرفي أرسل الدمع مرة	سفيراً لقلبي ما توالت كتائبه

وكان كثيراً ما يتغنى بها ، فطرب الباشا طرباً شديداً ، واستظرف قائل الأبيات وتمنى رؤيته ، فأرسلوا له بالحضور . فلما حضر الى طندتا ، وواجهه استقبح صورته ، إلا أنه أعجبه ظرفه وأدبه ومال اليه ، فاتخذه نديماً لا يمل ، ورفيقاً حيث حل . فلما استقرت به النوى وملأ يده من الباشا ، استعداه على أبي سعدة الذي كان يقرئ أطفاله ، وادعى انه أخر له ثلاثين ديناراً من أجرة التعليم ، فأمر الباشا باشخاصه الى طندتا ، وألزمه أن يدفع للمترجم مائة جنيه ، فدفعها عن يد وهو صاغر . وكان مجلس شاهين باشا محط رحال الأدباء ومنتجع الشعراء والندماء ، لا يخلو من مطارحات أدبية ومساجلات شعرية ، والمترجم بينهم المقام الأعلى والقدح المعلى . وحسبك ما وقع له مع طائفة (الأدباتية) وهم مشهورون بالقطر المصري يستجدون الناس في الطرق بانشاد الأزجال والضرب على الطبل ، وأغلب أزجالهم مرتجلة في مقتضى الحال . فكان للمترجم معهم يوم مشهود ذكره في مجلة الأستاذ

ثم اتصل المترجم بالبيك البتونجي فجعله وكيلا على ضياعه ، وما زال حتى لحق بالاسكندرية مسقط رأسه ومنبت غرسه ، وكان منه ما سنقصه عليك

تلك خلاصة ترجمته في أول أمره ومبتدا خبره ، وكان القطر المصري في تلك الأثناء في اضطراب وهرج ومرج من اختلال الأحوال وفساد الحكام واعتلاء الافرنج على الأهلين ، وقد سئم الناس حكم اسماعيل باشا وتمنوا زوال دولته ، فلما وفد المترجم على الثغر رأى لفيفاً من الشبان ألفوا جمعية سموها « بمصر الفتاة » يتآمرون فيها سراً خوفاً من بطش الخديو ، فعرف منهم البعض ، واشتغل بالكتابة في صحف الأخبار ، فأعجب الكتاب بمقالاته ، واقتدوا به في تحسين الانشاء ، وكان سقيما منحطاً في ذلك العهد . ثم سعى مع جمع من الأدباء فألفوا جمعية سموها « بالجمعية الخيرية الاسلامية » سنة ١٢٩٦ آخر سني اسماعيل باشا في الحكم وجعلوه مدير مدرستها . ثم عزل الخديو وتولى ابنه توفيق باشا ، ففرح الناس وظنوا انفراج الأزمة . وجد المترجم واجتهد في انجاح مسعاه في الجمعية حتى حمل الخديو على زيارة مدرستها ، فزارها يوم امتحان تلامذتها ، وجعلها في حماية ولي عهده عباس بيك ، وأنعم لهم بالمدرسة البحرية يدرسون بها ، وأجروا عليها من الحكومة مائتين وخمسين ديناراً في السنة مساعدة . وطفق المترجم يؤلف القلوب ويحض الأهلين على الالتئام بالمقالات والخطب ينفثها قلمه ولسانه ، وألف قصة تمثيلية سماها « الوطن

وطالع التوفيق » وأخرى سماها « العرب » شرح فيهما ما كانت عليه حالة القطر وما طرأ عليه ، ثم مثلها هو وتلاميذه بأحد ملاعب الثغر بحضور الخديو ، فكان لهما تأثير كبير في النفوس ، واشتهر المترجم وعلا كعبه ، ولهج الناس بذكره ، ثم طرأ فساد على الجمعية نسبوه اليه فانفصل منها ، وكان شرع في إنشاء صحيفة سماها « التنكيت والتبكيت » مزج فيها الهزل بالجد ، ظهر أول عدد منها في ٨ رجب سنة ١٢٩٨ ، وظهر في أثناء ذلك وميض الثورة العرابية من خلل الرماد ، فوافقت هوى في نفس المترجم لميله الى الشهرة وبعد الصيت ، فضموه اليهم وشدوا أزرهم به ، فملأ صحيفته بمحامدهم ، ودعا الى القيام بناصرهم ، وخطب الخطب المهيجة ونظم القصائد الحماسية ، وندب الوطن ورثاه ، وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ أضاليل الافرنج ، فأثرت مقالته في النفوس وأشربتها القلوب ، وادعى الشرف وانتسب الى الامام الحسين السبط رضى الله عنه ، والله أعلم بتلك النسبة ، فقد رأيت كثيرين ممن عرفوه ينكرونها ، ثم أوقف صحيفته بعد أن ظهر منها ثمانية عشر عدداً آخرها تاريخه ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ وكانت أسبوعية تظهر يوم الأحد . وانتقل الى القاهرة وهى جذوة من نار ، وغير اسم صحيفته بأمر عرابى باشا كبير الثوار فسماها « الطائف » تيمناً باسم بلدة بالحجاز مشهورة ، وتفاؤلاً بأنها تطوف المسكونة كما جابتها جوائب احمد فارس . واسترسل المترجم مع رجال الثورة حتى صار جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، ولقبوه بخطيب الحزب الوطني . وقام سراة القطر وأعيانه يعقدون المجتمعات ويولمون الولائم للعرابيين ويدعون المترجم للخطابة ، فكانت له بها المواقف المشهودة ، والأيام المعدودة ، حتى استفحل الأمر وقامت الحرب بالاسكندرية بين الانكليز والمصريين يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩ . فسافر المترجم اليها مع جماعة من رؤساء الجند وبات بها ليلة ، ثم لحق بعرابى باشا وقد انهزم الى كفر الدوار ، ثم انتقل معه الى التل الكبير وهو ينشئ صحيفة الطائف بالمعسكر فيضمنها أخبار الانتصار ويحشوها بالأكاذيب تهدئة للأفكار . حتى وقعت الهزيمة الكبرى على المصريين بالتل الكبير ، ففر عرابى باشا وعلى باشا الروبى ومعهما المترجم الى القاهرة يوم الأربعاء ٢٩ شوال من السنة المذكورة ، واتفقوا على ارساله الى الاسكندرية بكتاب يطلبون به العفو من الخديو فسافر به يوم الخميس ، ولما وصل الى كفر الدوار بلغه القبض على زعماء الثورة ودخول الانكليز القاهرة . فعاد اليها ليلا وبقى في داره بجهة العشماوى الى الصباح ، وخرج مع والده وخادمه فركبوا عجلة وقصدوا بولاق ، ورآه شاهين افندى فؤاد المفتش بالمصرف العقارى ، وهو من مماليك عباس باشا والى مصر فظنه غير مطلوب ، قال ولولا ذلك لقبضت عليه . فلما وصلوا الى بولاق ودعه أبوه واختفى هو وخادمه ولم يظهر لهما أثر ، فأقام مختفياً نحو تسعة أعوام لا يهتدى الى مكانه ، وقد أعيى الحكومة المصرية أمره حتى جعلوا ألف دينار لمن يرشد اليه ، وبثوا عليه العيون فلم يظفروا منه بطائل ، فلما أعيتهم الحيل حكموا عليه بالنفى مدة حياته من القطر المصرى ، ويئس أصحابه من وجوده ، وأشيع القبض عليه وخنقه سراً ، ومنهم من أشاع موته حتف أنفه ، ومنهم من أشاع هربه الى بلاد الافرنج ، فعد اختفاؤه من الأمور الغريبة ، ولا غرو فأمره غريب من أوله .

القبض عليه

وكان يتردد على بلدة الجيزة (مركز السنطة) رجل يقال له حسن الفرارجى كان منتظماً في العسكر ، ثم استخدم جاسوساً سرياً ، فأبصر رجلاً أنكر حاله لما رآه عليه من سيما الاختفاء ، ورجح انه عبد الله نديم ، فكتب الى الديوان الخديوى ينبئهم بوجود رجل من العرابيين مختف بالجيزة ، وأسرع الى ديوان الداخلية فأوضح لهم أمره فأعطوه ورقة بحليته ، فلما تحقق منه أخبرهم به ، فأمروا بالقبض عليه ، وحضر من المديرية محمد افندى فريد وكيل (الحكمدار) ومعه نفر من الشرطة ستروا ملابسهم بثياب أخرى ، فأحاط بعضهم بالبلدة متفرقين ، وصعد وكيل الحكمدار مع الآخرين على تل مشرف على أفنية الدور ، وأحس المترجم بتلك الحركة ، فأوجس في نفسه خيفة ، وأراد الانتقال الى دار أخرى فأخذ عيبته على كتفه وصعد على سطح المكان فأبصره الذين على التل ، فصاحوا وصوبوا بنادقهم عليه ، وأمروه بالنزول فنزل ، ثم أحاطوا بالدار ، وطرقوا الباب طرقاً عنيفاً وأيقن المترجم انه مأخوذ لا محالة ، ففتحه لهم ، وواجههم متجلداً ، فسأله محمد افندى فريد عن اسمه فقال له : سبحان الله أتجهل اسمى وأنت مأمور بالقبض على ، أنا عبد الله نديم ذو الذنب العظيم ، وعفو مولاى الخديو أعظم ، سلمت أمرى لله ، فقبضوه هو وخادمه وأعماهم الله عن كتبه وأوراقه ، ولولا ذلك لأصابه شر عظيم بسبب أهاجيه

القبيحة فى الخديو وأسرته ، وكان القبض عليه فى ٢٩ صفر سنة ١٣٠٩ ، ولم ينل الواشى به شيئاً من الجعل لفوات الأجل المضروب للمكافأة ، ثم استاقوهما الى المركز ، وسألوه عمن اختفى عندهم ، فلم يقر بأحد ، وسألوا خادمه وضربوه ، فأقر بالبعض ونقلوهما الى المديرية بطندتا ، فسجنا بعض أيام ، ووكيل النيابة بالمحاكم يوالى سؤالهما ، وانتهى الأمر بعفو الخديو عنه وعمن آواه ونفيه خارج القطر .

نفيه

فاختار يافا ثغر القدس الشريف ووصلها فى غروب يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول ، ونزل عند السيد على افندى أبى المواهب مفتيها ، ولما دخل داره وعرفه بنفسه قام واعتنقه وضحك وبكى . فأقام عنده شهراً ، ثم اتخذ له داراً وعرفه أعيانها وفضلاؤها ، وأكرموه وواسوه جزاهم الله خيراً . ثم رحل رحلته الى نابلس وسبطية وقلقيلا وغيرها من البلاد الفلسطينية . واجتمع بطائفة السامرة واطلع على كتبهم ومعتقداتهم كما رأيته بخطه فى كتاب أرسله لأحد أصدقائه فى مستهل رمضان . ولم يزل مقيما بيافا حتى مات الخديو وتولى ولده عباس باشا فى جمادى الثانية ، فعفا عنه وأباح له العود الى مصر . قال فى آخر ذلك الكتاب « عزمنا على الحضور بعد العيد ان شاء الله تعالى ، فان موسم سيدنا موسى الكليم يعمل فى نصف شوال ، ولا أحضر حتى أزوره مرة ثانية فانه صاحب الأمر بالعفو عنى ، وان كان الظاهر خلافه ؛ وذلك انى عند دخولى حضرته الشريفة أنشدته فى الحال :

رجوتك يا كليم الله حاجا أرجيها وقد حققت فضلك
فقل لى مثلما لك قبل أوحى اله الخلق قد أوتيت سؤلك

فرأيته ليلا يقول لى (قم روح) ثلاثاً ، وكانت ليلة ٣ رجب وهو تاريخ صدور الأمر » . انتهى ما نقلته من خطه .

عودته الى القاهرة

ولما عاد الى مصر استوطن القاهرة ، وأنشأ مجلة الأستاذ فى شهر صفر سنة ١٣١٠ ، فبرزت موشحة ببديع مقالاته ، وغرر أزجاله وموشحاته . وبدت الوحشة فى أثناء ذلك بين الخديو والانكليز ، وكان ما كان من عزلة صنيعتهم مصطفى فهمى باشا كبير الوزراء ومعاكستهم فيما يريدون . فقام المترجم يستنهض الهمم ويحض على موازرة الخديو ونبذ طاعة سواه ، وكتب فى ذلك المقالات الطويلة بالأستاذ حتى أحفظ الانكليز وخشوا من اتساع الخرق لمكانته السابقة من النفوس ، وسعى حساده بما سعوا ولفقوا ما لفقوا ، فأوقفوا مجلته فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وأعادوه الى يافا منفياً بعد أن أعطوه أربعمائة دينار ، وأجروا عليه خمسة وعشرين كل شهر ؛ واشترطوا أن لا يكتب بشأن مصر كلمة ، ولم ينفعه الخديو لقصر يده .

نفيه الى يافا

فلما استقر المترجم بيافا لم يسلم من السعاية به لدى السلطان ، فأمر بابعاده فعاد الى الاسكندرية متحيراً . ولقد لفظته البلاد لفظ النواة ، فسعى له الغازى احمد مختار باشا وساعده حتى قبله السلطان المعظم عبد الحميد بدار السلطنة ، واستخدمه فى ديوان المعارف ووظف له خمسة وأربعين ديناراً مجيدياً فى الشهر ، فأمضى بها بقية أيامه شريداً عن وطنه بعيداً عن أهله وخلانه حتى اشتدت عليه علة السل ، فلقى حمامه فى الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤

وفاته

ودفن بمقبرة يحيى افندى فى بشكطاش ، وضاعت مؤلفاته ودواوينه ولم يظهر منها إلا جزء من « كان ويكون » كان يطبعه ذيلاً للأستاذ ، وكتاب آخر نسبوه اليه اسمه « المسامير » محشو بالهجو القبيح فى الشيخ أبى الهدى الصيادى نزيل دار السلطنة ، فمضى وكأنه لم يكن رحمه الله رحمة واسعة . ومن تأمل بعين الاتعاظ فى تقلب الأحوال بالمترجم ، وما ذاقه من حلو الزمان ومره ، وقاساه مدة الاختفاء ثم النفى حتى مات غريباً طريداً ، حق له العجب وعرف كيف يعبث الزمان بأهل الفضل من بنيه .

ونشأ المترجم فقيراً كما قدمنا ، وعاش فى قلة فان أصاب شيئاً بدده بالاسراف ، وكان فى أول أمره يرتدى الثياب الافرنجية المعلومة ، فلما ظهر بعد الاختفاء لبس الجبة والقفطان واعتم بعمامة خضراء اشارة الى الشرف ، وكان شهى الحديث حلو الفكاهة ، اذا أوجز ود المحدث انه لم يوجز ، لقيته مرة فى آخر اقاماته بمصر ، فرأيت رجلاً فى ذكاء إياس ، وفصاحة سحبان ، وقبح الجاحظ . أما شعره فأقل من نثره ، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى فى عصرنا هذا ، وقد انتخب أخوه عبد الفتاح افندى جملة صالحة من مقالاته جمعها فى كتاب سماه « سلافة النديم » فارجع اليه ان شئت .

ونحن ذاكرون من شعره ما يحتمله المقام ، فمن ذلك مرثيته في الخديو محمد توفيق باشا وقد أشار اليها فى كتاب أرسل به من يافا فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ يقول فيــه « غمنى وكدرنى موت الحضرة الخديوية لأمور : (أولاً) فلمفوه عنى واحسانه إلى ، (ثانياً) لسابقة معروفه معى وتوجهاته السابقة ، (ثالثاً) لصغر سنه ، (رابعاً) لصغر سن أنجاله ، (خامساً) لصغر سن حرمه وما تقاسيه من حزنها عليه لما كان بينهما من شدة الألفة والمحبة (سادساً) لأنه كان برزخاً بين مصر وبين نكبات انكلترة وغيرها والله تعالى يجرى الأمور على السداد ، وسأبعث بمرثية رنانة لحضرة ولدى مصطفى بك ماهر رئيس ترجمة ديوان الحربية ليطبعها وينشرها على حدتها » انتهى ما نقلته من خطه ، ولم أقف إلا على ثلاثة أبيات منها ذكرها المترجم بالأستاذ وهى :

ما للكواكب لا ترى فى المرصد ... والكون أصبح فى لباس أسود

عم الكسوف الكل أم فقد الضيا ... أم كلنا يرنو بمقلة أرمد

وتاريخها

فلأنك الجنات قالت أرخوا ... توفيق فى عز النعيم السرمدى

١٣٠٩

ومن مختار شعره قوله من قصيدة لم نعثر منها إلا على هذا القدر

سيوف الثنا تصدا ومقولى الغمد ... ومن سار فى نصرى تكفله الحمد

ومنها

ومن عجب الأيام شهم أخو حجا ... يعارضه غر ويفحمه وغد

ومن غرر الأخلاق أن تهدر الدما ... لتحفظ أعراض تكفلها المجد

ويقال انه نظمها بحضرة شاهين باشا تبكيتاً لمن زعم قصور الشعراء عن معارضة أبى الطيب المتنبى فى قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقتــه بد

قلت : بين القولين فرق ظاهر للمتأمل ، وأين الثريا من يد المتناول ؟ ومن شعره قوله أيام اختفائه ، وكتب بهـا الى صديق له يسليه على نازلة نزلت به :

يا صاحبى دع عنك قول المازل ... واسمع نصيحة عارف بالحاصل

اجهل تجد صفو الزمان فانه ... من قسمة الفدم الغبى الجاهل

ودع التعقل بالتغفل يستقم ... أمر المعاش فحظه للغافل

وارض البلادة تغتنم من بابها ... مالاً وجاهاً بعــد ذكر خامل

واذا أبيت سوى العلوم فلا تضق ... بحروب دهر لا يميل لفاضل

قلب تواريخ الأولى سبقوا تجد ... دنياك ما قيــدت بغير الباطل

تجد الأفاضل فى الزوايا كلهم ... حال الحياة وبعدها بمحافل

العلم ستر كالسحاب به ترى ... شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل

هل أبصرت عيناك ديواناً به ... مدح البليغ جميل سعد حافل

ان قلت أى، فاذكر لنا من ناله ... أو لا، فعش كالناس فى ذا الساحل

ضدان لا تلقاهما فى واحـد ... مال الغبى وحكمة للكامل

ثم ذيلها بنثر أضربنا عن ذكره . ومنه قوله وضمنها كتاباً كتبه مدة اختفائه لأحد أصدقائه :

وبعـد فهذا شرح حالة غائب ... عليه من اللطف الخفى ستور

تدور به الأهوال حول مدارها ... فيصبر والقلب الرضى صبور

غنى فرج يأتى به الله انه ... على فرجى دون الأنام قدير

كيف تهدى العروس الى زوجها

فى حضرموت ؟

مشهد من رواية شعرية تحت الطبع باسم « همام أو فى عاصمة الأحقاف »

للشاعر الحضرمى على أحمد با كثير

ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » . فيما بعـد منتصف الليل يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها الى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع والمصابيح . تتقدمهن القينـات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه فى سير بطىء الى جهة بيت « همام » :

القينات : نحن نزفُّ الشَّمسا ... والشمسُ فى ضُحاها

فما أجلَّ عُرْسا ... يغمره سـناها !

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... .

. . . .

القينات : نحن نزف الحيا ... نحن نزف المُنى !

نحن نزُفُّ الضِّيا ... نحن نزف السَّـنا

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... .

. . . .

القينات : يا عُصبةِ الغوانى ... هلمَّ للتطريبِ !

اشدُونَ بالأغانى ... واهتِفنَ بالنسيبِ

وأصدِّقن بالأماني دواميَ القلوب !

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : حيين بالسلام هذا الشعاع المسكوب

وافتأن بالأنغام كل حزين منكوب

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : روائح الجنات تعبق من هذي الدور

كأنما المغاني أمست مراقص الحور !

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : نحن نزف الملك في صورة الإنسان !

يجلو ظلام الحلك ويقشع الأحزان

فهل لديكم فلك بنوره يزدان ؟!

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : يا قمر السماء غض الجفون أغض !

بالذكر والأسماء عوذت بدر الأرض

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

(على مقربة من بيت « همام »)

القينات : سقن الى همام جمال هذا النادي

وأجدن للضرغام لباة هذا الوادي !

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

(في الطابق العلوي من دار الزوج « همام » حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتي زففن العروس . تنحاز نسوة الدار الى جهة ، ونسوة الزفاف الى جهة ، والقينات في الوسط يضربن بالدفوف .)

القينات : اليمن والإقبال والسعد والسعاده

للعرسين فال والفضل والزياده

شاعرة نسوة الزفاف ثم سائرهن :

نحن نزف الحسنا نحن نزف بلقيس

نحن نزف لبنى فهل لديكم من قيس

شاعرة نسوة الدار مجيبة ، ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات :

هامنا كالمأمو ن إن زففتم بوران

وإن تكن بلقيسا فإنه سليمان !

نسوة الزفاف : النصر للعروسه

. . . .

نسوة الدار : بل هو للعروس

نسوة الزفاف : للدرة النفيسه

نسوة الدار : للجوهر النفيس

نسوة الزفاف : للحرة المصونه وربة الجمال

للدرة المكنونه واسطة اللآلي !

نسوة الدار : لمفخر المدينه لسيد الرجال

الناس يعرفونه بكرم الخلال !

نسوة الزفاف : النور والشعاع ووهج الشموس

والجوهر اللماع وحبب الكؤوس

جميعها أشياع لهذه العروس !

نسوة الدار : المجد والكمال وكرم الأخلاق

والقول والفعال وحسب الأعراق

جميعهن آل عروسنا الغيداق

القينات : كلا العروسين زين للمجد والعلاء

فلا تفاضلن بين سراجي السماء !

أين المجرة ؟ أين كواكب الجوزاء ؟

أصوغهن لذين تاجين بالسواء

***

القينات ثم الجميع بصوت واحد :

يا رب باركهما في ذا الزواج السعيد

واجعل زمانهما كأنه يوم عيد

***

وانفحهما بالولد مثل دراري النجوم !

في ظل عيش رغد وفي صفاء يدوم

علي أحمد باكثير

في الأدب الفرنسي

٤ – الدوق دي لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

ومن يوم أن غشي صالون المركيزة دي سابليه ، شعر بميل شديد الى كتابة الحكم والمواعظ ، وبذ في هذا النوع من الأدب ربة البيت وجاك إسبريه . وهذا أول نجاح صادفه في حياته وبعث السرور في دخيلته . وكان من القواعد المألوفة في هذه المجالس أن الانسان إذا أراد أن يكتب للجمهور ، وجب عليه أن يستثير رأي زملائه . وقد ذكر ذلك سجريه فقال : « كان من الواجب على الذين يكتبون للجمهور أن يطلعوا أصدقاءهم على ما يكتبون لاصلاحه وتهذيبه . وقد اتبع الدوق دي لاروشفوكو هذه القاعدة في مذكراته وفي مواعظه . فكان يرسل الى ما يكتبه ويسألني أن أحتفظ بالكراسات خمسة أو ستة أسابيع حتى يتسنى لي إنعام النظر فيها . ومن هذه المواعظ ما تغير أكثر من ثلاثين مرة »

وكثيراً ما كان يستشير المركيزة ويسألها أن تبدي رأيها فيما يكتب ، ومما يثبت ذلك أنه كتب إليها في أحد الأيام يقول : « لا يصح أن تسمى هذه المواعظ بهذا الاسم إلا إذا وافقت عليها . إنك لا تستطيعين إنكارها ، لأن الكثير منها يرجع إليك » . وقد بلغ من اهتمام المركيزة بهذه المواعظ أنها نقلتها وأطلعت عليها كثيراً من أصدقائها في غيبة المؤلف وجمعت آراءهم في أسلوبها ومعانيها .

وقضى عام ١٦٦٤ في مراجعة كل مواعظه وتهذيب أسلوبها وعاونه على ذلك جاك إسبريه والمركيزة دي سابليه . وفي عام ١٦٦٥ ظهر الكتاب ، أي في السنة التي ظهرت فيها قصص لافونتين المشهورة . وهذا الشاعر سيكون موضوع حديثنا في المقال الآتي

وعقب نشر هذه المواعظ ، اتجهت المركيزة الى العبادة وتوددت الى الدوقة دي لونجفيل ، فأعرض عنها لاروشفوكو بعد هذه الصلة الوثيقة التي استمرت خمسة أعوام . ثم شاء القدر أن يقضي أعوامه الأخيرة في هدوء وسعادة ، فساق إليه الكونتس دي لا فاييت [١] تخلص له الود والوفاء وتهدهد نفسه الحزينة في شيخوخته

وفي عام ١٦٦٧ خاض غمار الحرب لآخر مرة في حصار ليل على الرغم من مرضه . ثم اشتدت عليه وطأة الداء فكف عن زيارة البلاط وراض نفسه على أن يقضي بقية أيامه في الراحة العذبة بجانب صديقته التي شهد لها بوالو [٢] بالتفوق في الأدب والنبوغ في الكتابة

وكان يجتمع في بيته الكتاب والشعراء . فكورني قرأ في صالونه قصة (بولشيري) ، وراسين [٣] قصة (إسكندر) ، وبوالو كتابه (الفن الشعري) ، وموليير [٤] (النساء العالمات) هذه الكوميديا المشهورة التي قيل في ذلك الحين إنها سخرية من مدام دي سفنييه ومدام دي لا فاييت .

وشغل أعوامه الأخيرة في تنقيح كتابه الصغير «مواعظ» . فالطبعة الأولى في عام ١٦٦٥ وبها ٣٠٧ مواعظ ، والطبعة الثانية في ١٦٦٦ وبها ٣٠٢ موعظة ، والثالثة في عام ١٦٧١ وبها ٣٤١ موعظة ، والرابعة ١٦٧٥ وبها ٤١٣ موعظة ، والخامسة في عام ١٦٧٨ وبها ٥٠٤ مواعظ ، وفي هذه السنة الأخيرة نشرت حكم المركيزة دي سابليه وكتاب جاك إسبريه « شوائب الفضائل الانسانية »

وماتت زوجه في عام ١٦٧٠ فعاشت معه مدام دي لافاييت لا تفارقه إلا لماماً ، وبفضلها خفت لهجة المواعظ القاسية في طبعتي عام ١٦٧١ وعام ١٦٧٨ . ويصح أن نطبق عليها جملة الشاعر الألماني الأكبر (جوت) التي قالها عن (مدام دي ستيل) « إنها تحيل المرارة الى عذوبة » . ساعدته على تنقيح مواعظه ،

---

(١) ١٦٣٣ — ١٦٩٣ أديبة فرنسية خصبة الخيال رائعة الأسلوب ، ولها آثار أدبية كثيرة قيمة أهمها قصة « الأميرة دي كليف »

(٢) ١٦٣٦ — ١٧١١ شاعر فرنسي عظيم وناقد سديد الرأي نزيه الحكم . وكان الشعراء والكتاب في عصره يخشون نقده . وأشهر مؤلفاته (الفن الشعري)

(٣) ١٦٣٩ — ١٦٩٩ . شاعر فرنسي عبقري بلغ قمة المجد الأدبي بتراجيدياته الشعرية الخالدة

(٤) ١٦٢٢ — ١٦٧٣ . أحد شعراء فرنسا الخالدين . وكوميدياته الشعرية في غنى عن التعريف

وساعدها على كتابة قصصها وعلى الأخص قصتها المشهورة التى خلدت ذكرها وهى « الأميرة دى كليف » . وقد اعترفت بذلك وقالت « استفدت من عقله ، ولكنى أصلحت قلبه » . أصلحت قلبه لأنها أخلصت له الحب وهيأت له أسباب السعادة

وفى شهر يونيو عام ١٦٧٢ جرح ابنه الأكبر فى موقعة الرين جرحاً بليغاً وقتل فيها ولده الرابع والكونت دى سان بول ابنه غير الشرعى من الدوقة دى لونجفيل ، فانتابه حزن أليم . وذكرت مدام دى سفنييه هذه الحادثة لابنتها فى إحدى رسائلها « كنا عند مدام دى لافاييت لما بلغه ما أصاب أولاده ، فسالت دموعه من أعماق قلبه على حدبه ، ورأيت قلبه عارياً فى هذا الظرف القاسى فعرفت فيه قلب رجل شجاع ثابت الجنان راجح العقل وافر الحنان »

ولما ماتت أمه فى عام ١٦٧٨ ، وكان يحبها حباً شديداً ، كتبت مدام دى سفنييه الى ابنتها تقول : « رأيته يبكى فى حنان خيلنى أعبده »

وبكاؤه أولاده وأمه شيء عادى لا يستحق الذكر . وإنما ذكرته مدام دى سفنييه لأن الناس اعتقدوا أن هذا الرجل الذى أنكر العواطف الانسانية فى كتابه ، غليظ القلب عار من العواطف ، فأرادت أن تمحو ما وقر فى أذهانهم وتبرهن لهم على خطأ اعتقادهم

وذات مرة فاجأته مدام دى سفنييه « متلبساً بالحنان » إذ سمع قصة تدل على الشجاعة ونبل العاطفة فى أشد المواقف هولاً فبكى . وفى هذا تقول : « إنه يبكى نفسه باعجابه بنبل هذه العاطفة » وأوحيت إليه هذه القصة إحدى مواعظه : « يشعر الانسان بأن له نصيباً فى الأعمال الجميلة إذا مدحها بقلب خالص »

وقبل موته بقليل عرض عليه (هويه) أحد معلمى ولى العهد الدخول فى مجمع العلماء ، فاعتذر من القبول بالمرض . ولكن (هويه) يقول فى مذكراته ان سبب رفضه يرجع الى خجله الشديد فى حضرة الجمهور .

وفى أوائل شهر مارس عام ١٦٨٠ استبد به الداء ، فعاده جميع الأطباء النابهين ، ثم دعى (تالبوت) الطبيب الانجليزى المشهور لعلاجه ، ولكن الطب عجز عن قهر المرض . وفى ١٥ مارس كتبت مدام دى سفنييه الى ابنتها تنبئها بحالة الدوق وتظهر لها اعجابها بهدوء نفسه واطمئنانه الى لقاء الموت

وفى يوم ١٦ مارس استوفى أنفاسه ليلا بين ذراعى بوسويه [1] ، وهو فى السابعة والستين من عمره ، أى بعد موت الدوقة دى لونجفيل بعام ، وبعد نشر قصة مدام دى لافاييت « الأميرة دى كليف » بعامين . وقد خلف لأولاده ديناً كبيراً على الرغم من ثروته الهائلة . ولكن ابنه الأكبر فرنسوا السابع نال بحكمته عطف الملك وحبه ، وأصلح بمونته ما أفسده أبوه

صفاته

ذكرنا فى تاريخ حياته أنه وصف نفسه كتابة فى صالون الآنسة دى مونبانسييه ، ونشر هذا المقال عام ١٦٥٩ ، فكان أول عهد الجمهور بآثار هذا الكاتب الأدبية . وقد استهله بوصف دقيق لقامته وشعره ورأسه وأسنانه ، ثم قال . « يحمل وجهى سمة الحزن وطابع العزة ، وهذا ما يحمل الناس يعتقدون خطأ أنى من طبعى ازدرائهم . ومزاجى تستقر فيه الكآبة وتألفه ، ولم يرنى أحد من الناس أضحك أثناء ثلاثة أعوام أو أربعة إلا ثلاث مرات أو أربع ، ويخيل الى أنى كنت أحتمل اكتئاب مزاجى وأجد فيه بعض الراحة والهدوء لولم يستطب صحبتى اكتئاب آخر يملأ مخيلتى ويستبد بفكرى ، ويجعلنى أقضى جل وقتى إما صامتاً حالما وإما متكلما دون أن ألقى بالى الى ما أقول »

وليس من العسير أن نجد سبب هذا الاكتئاب الآخر ، فان ذكريات الحرب الأهلية تركت فى نفسه أثراً أليما ، وولدت فى دخيلته الاكتئاب الباطنى الذى غمر « مواعظه » فبدت للناس قاتمة حزينة .

يتبع — حسنى صادق

(١) ١٦٢٧ – ١٧٠٤ قسيس فرنسى نال إجازة الدكتوراه فى اللاهوت فى عام ١٦٤٨ وأهدى رسالته الى الأمير دى كونديه واشتهر بالخطابة الدينية التى تملك على السامع وجدانه وتغمره بالنور . وله مؤلفات ذات قيمة فيها جمال التعبير ودقة البحث واستقامة الفكر



النظريات الحديثة في تعيين الجنس ذكراً أم أنثى

بقلم منير غندور
ليسانسيه في العلوم

عندما يولد الطفل يكون قد حدد مصيره ، ذكراً كان أم أنثى ، من تسعة أشهر ، منذ تألفت أول خلية من خلايا الجنين بالتحام خلية كبيرة تقدمها الأم وتسمى بويضة ، مع خلية أخرى من الخلايا الكثيرة العدد التي يقدمها الأب ، وتسمى خلية منوية (سبارماتوزيد Spermatozaids) ثم تتضاعف الخلايا وتنمو سائرة في أحد اتجاهين .

ولكن تحت أي تأثير تأخذ الخلية الأولى الاتجاه الأول أو الثاني ؟ ترون هنا أهمية معرفة مايدخل من عوامل لتعيين جنس الجنين من الناحية العلمية البحتة ومن الناحية التطبيقية أيضاً ، اذ لايخفى أنه لو توصلنا الى معرفة العوامل التي تجعل الذكر ذكراً والأنثى أنثى وطرق استعمالها حسب مشيئتنا « فنوصى » على ذكر أو على أنثى حسب الحاجة لقلبنا النظام البشرى الحالي .

ان علم « البيولوجيا » توصل اليوم الى معرفة هذه العوامل وأزاح كل غطاء عنها ، ولكن رجاله لايزالون يكررون التجارب ليتمكنوا من استخدام هذه العوامل حسب مشيئتهم . وهذه التجارب التي أجريت أخيراً في هذا الصدد ، وقد خصها مسيو جان روستان بكلمة أجملها فيها ، هي التي بعثتني على الكتابة في هذا الموضوع لأبين العوامل التي تدخل في تعيين الجنين والاتجاه الذي يأخذه علماء البيولوجيا الحديثين في تجاربهم هذه .

لنأخذ الخلية الأولى المكونة للجنين : لقد أصبح أكيداً اليوم أن هذه ستكون ذكراً أو أنثى تحت تأثير « الكروموزومات » Chromosomat وهذه عبارة عن ذرات متناهية الصغر توجد في نواة كل خلية . وفي الجنس البشري يوجد ثمان وأربعون « كروموزوم » عند المرأة ، ٤٦ متشابهة ثم اثنان متشابهان ، ولنسمهما X. X. وعند الرجل ٤٦ متشابهة ثم اثنان يختلف كل واحد منهما عن الآخر ، ولندعهما X. Y.

أما البويضة و « السبارماتوزيد » فهما لا يحتويان الا على نصف عدد الكروموزومات الذى تحتويه الخلايا العادية فكل بويضة تحتوى على X + ٢٣ أما السبارماتوزيد فـ ٥٠٪ من مجموع عدده تحتوى على X + ٢٣ و ٥٠ ٪ على Y + ٢٣ .

اذاً بين السبارماتوزيدات التى يقدمها الأب نوعان مختلفان ، نوع يحتوى على X + ٢٣ ونوع يحتوى على Y + ٢٣ . وعلى حسب ما تلتقى البويضة بالنوع الأول أو الثاني يكون الكائن الناتج انثى (بويضة مع سبارماتوزيد) X + ٢٣ أو ذكراً (بويضه مع Y + ٢٣) وفى مجموع الكروموزومات التى يقدمها الأب ٥٠ ٪ من X + ٢٣ و ٥٠ ٪ من Y + ٢٣ فالكروموزوم الأول اذا نفس الامكانية التى للثانى للالتحام مع البويضة وهما يخضعان فى التحامهما مع البويضة ، تارة هذا وتارة ذاك للمصادفة فى الاعداد القليلة . وفى الاعداد الكبيرة لقانون probabilité — الاحتمال — ونحن نرى أن نسبة عدد الذكور للأناث فى العالم يخضع تقريباً لنسبة ½ (أعنى فى المواليد) . أما وجود المذكار (المرأة التى عادتها ولادة الذكور) والمئناث (المرأة التى عادتها ولادة الأناث) فهذا لايعنى أكثر مايعنيه الحصول فى لعبة « الروليت » مثلاً على نفس اللون مرات عديدة متتابعة . اذ نسبة مجىء اللون الأول واللون الثانى تبقى خاضعة فى الأعداد الكبيرة ، ٥٠٠ الف مرة مثلا ، الى نسبة ½ .

اذاً لقد قال العلم كلمته فى هذا الموضوع .

* * *

القسم الثانى من هذا البحث هو أن تستطيع ادخال النوع الذى بالتحامه مع البويضة يعطى ذكوراً وحده ، والنوع الذى يعطى إناثاً وحده .

أما ادخال الخلايا المنوية الاصطناعى فهذا مما يستطيع أن يقوم به المتمرنون عند الحيوان كما عند الانسان مع قليل من الاحتياط . ولكن فصل النوعين عن بعضهما لم يتم الى الآن برغم كل ما أجرى من محاولات .

وأول ما يتبادر الى الذهن امكان وجود فرق فى الحجم بينهما فنستطيع حينها أن نفصل الاول عن الثانى بسهولة .. ولكن شيئا من هذا لم يلاحظ . وهناك فكرة نبها وقال بتحقيقها عالمان روسيان هما : Kaltzaff و Schroder وهى افتراض أن الكروموزومات تحمل كهربائية على سطحها ، كأكثر الذرات الحية المعلقة فى وسطها الطبيعى ، وان هذه الحمولة الكهربائية (charge) هى سلبية عند نوع وايجابية عند النوع الثانى . وفى هذه الحالة يكون من السهل فصل هذين النوعين عن بعضهما بمجرد تأثير مجرى كهربائى .

طبق هذا الافتراض على كروموزومات الأرنب ، وكانت النتيجة أن الكروموزومات التى وجدت على القطب الايجابى أى المكهربة سلبياً أدخلت لعشر ارنبات والعشرة أعطت ذكوراً ، والكروموزومات التى وجدت على القطب السلبى أى المكهربة ايجابياً لعشر أخريات أعطت ثمانية منها أناثاً واثنان ذكوراً . والكروموزومات التى وجدت بين السلبى والايجابى أعطت ذكرين واثنين :

وقد ذكر « جان روستان » الإبحاث الاخيرة التى قام بها طبيب المانى يدعى Alnterlerger فى هذا المعنى . ونتيجة هذه الابحاث هو أن الوسط القلوى milieu alcalin يناسب النوع من الكروموزوم الذى يسبب ذكوراً ، والوسط القليل الحمض يناسب مسببى الأناث . وهكذا يكفى لكى تحمل الأم ذكراً أن تحقن موضعياً بكربونات الصودا مثلاً قبل الجماع . ويؤكد «اتنار بارجار» نجاح هذه الطريقة عند الست والأربعين من النساء اللاتى تقدمن اليه خلال سنة ١٩٣٢ .

ولكن العلم لايستطيع الجزم بعد فى هذا الموضوع . ولايمكننا أن نقبل نظرية لها من الأهمية ما لهذه معتمدين على بضع نتائج لم يقم بها الا فئة قليلة من علماء البيولوجيا . غير أنه لايبعد أن يصل العلم بعد قليل الى حقيقة نهائية فى هذا الموضوع .

ولنفرض أن العلم وصل الى هذه الحقيقة فهل ينتج عن امكان اعطاء ذكر لأى كان ؟ لا . فنحن لا نستطيع أن نعطى ذكوراً أو أناثاً الا لمن نقصتهم الذكور أو الأناث لتصرف الصدفة الوحيد ولكن هناك خلايا منوية ؛ من منتجات الذكور مثلا ، تكون ضعيفة التركيب ينقصها شىء أساسى كامن فلا يمكنها الوصول الى البويضة أو اذا أمكنها ذلك والتحمت معها يقف عند حد ما نمو الجنين ، أو يتم ولكنه يولد ذا علة ما جسمية أو عقلية . والدليل على هذا ما نراه عند المرأة المئناث . فالمرأة التى عادتها ولادة الأناث نراها (فى كثير من الأحيان) بغتة ، بعد أن تكون وضعت أربع بنات أو خمسا تلد ذكراً ميتاً أو يعيش قليلا ثم لايلبث أن يموت دون أن تظهر علة ما خارجية . ثم تسقط ذكرا لم يتم نموه ثم ذكرا ميتاً أو ابله .

وهنا أستطيع أن أقول ، دون أن أبحث المسألة من وجهتها الفلسفية إن قانون المصادفات الذى تكلمت عنه فى البدء والذى يجرى على حسبه تلقيح البويضة إما بخلية منوية X + ٢٣ أو بخلية منوية Y + ٢٣ يكون فوقه فى تأثيرات وصفات بيولوجية عميقة لا يحيط بها بعد علمنا .

وعلى كل حال فأنتم ترون ماقد يثيره تحقيق هذه الفكرة من مشاكل فلسفية واجتماعية . ورأيى أنها لن تتعدى النظريات ، وفى هذا ، أى تحقيقها النظرى عظيم رضى العالم وغايته الوحيدة ، واذا تعدتها للحيوان فهى لن تطبق على الانسان لأنها لن تزيد فى أكثر الأحيان الا فى اشقائه واكثار المسؤولية التى تقع على كاهله .

منير غندور

حول السلم الموسيقى

نشرنا فى العدد الماضي كلمة بهذا العنوان بامضاء (محمد مصطفى شريف) ، ثم علمنا بعد أنها للدكتور على مصطفى مشرفه الاستاذ بكلية العلوم ، وعذر المصححين أن خط الامضاء كان من الصعوبة والابهام بحيث يؤدى حتما الى هذا الخطأ

اللانهاية

هي شيء كله مساو جزءه

للأستاذ قدري حافظ طوقان

مقدمة

يوجد في بعض فروع المعرفة اصطلاحات وتعبيرات من الصعب جداً تعريفها أو تفسيرها تفسيراً موجزاً في بضع كلمات. وقد لا يستطيع الباحث أو العالم المتضلع أن يعطي إيضاحاً بكلمات قليلة تبين المعنى المقصود بصورة دقيقة جلية واضحة، ولهذا يضطر للتقرب من تعريفها أو لإعطاء فكرة عنها الى ذكر وشرح بعض خواصها. وقد تبدو التعاريف لبعض الاصطلاحات العلمية لأول وهلة غريبة أو غير معقولة. وإذا جاز للقارئ أن يدهش من الوضع الموجود به تعريف اللانهاية، وإذا جاز له أن يضحك عند قراءته، أقول إذا جاز له كل ذلك يجوز لنا أن نطلب منه التمهل وقراءة المقال بتمعن عسانا — نحن وهو — نلتقي، وعساه بذلك يوافق العلم ويقره، ويعذره حين يضطر الى وضع تعاريف لبعض الاصطلاحات بصورة قد تبدو غريبة يمجها المنطق في البدء، وقد لا يستسيغها عقل غير المطلعين على الموضوعات التي تحتوي أمثال هذه الاصطلاحات.

إن تعريف اللانهاية يختلف بحسب الميدان الذي تكون فيه، فهي في ميدان الفلسفة والمعنى المقصود منها فيه غيرها في ميدان الرياضيات، غيرها في الدين، غيرها في ميادين الفروع المختلفة المتنوعة

معكوس الصفر

خذ أية كمية محدودة كالواحد مثلاً، ولنقسمه على $\frac{1}{2}$ فخارج القسمة ٢، وإذا قسم على $\frac{1}{4}$ فخارج القسمة ٤، وإذا قسم على $\frac{1}{100}$ فالخارج ١٠٠، وإذا قسم على $\frac{1}{1000}$ فالخارج ١٠٠٠، وهكذا كلما صغر المقسوم عليه زاد خارج القسمة وكبر، حتى اذا ما كان أصغر من أية كمية موجبة (صفر) كان الجواب أكبر من أية كمية موجبة (كمية لانهائية)، أي ان الواحد اذا قسم على الصفر فالجواب كمية لانهائية، أي $\frac{1}{0}$ = كمية لانهائية ويرمز لها بهذه العلامة ∞، ويمكن وضع المعنى السابق بهذه الكيفية:

$\frac{\text{كمية محدودة}}{\text{الصفر}} = \infty$ وكذلك اذا قسمنا الكمية المحدودة على كمية لانهائية فالجواب أصغر من أية كمية موجبة أي الصفر. من هنا يتبين أن العلاقة متينة بين الصفر واللانهاية، فالصفر هو في الحقيقة معكوس اللانهاية ومعكوس اللانهاية هو الصفر.

هذا إيضاح يفسر خاصة من خواص اللانهاية، ويمكن وضع هذه الخاصة بالتعبير الآتي:

إذا قسمت أية كمية محدودة على الصفر فالخارج يساوي كمية لانهائية.

تعريف غريب

لندع هذه الخاصة ولنأخذ غيرها علنا منها نستطيع أن نضع تعريفاً لـ (اللانهاية) وعلنا بذلك نوفر على الراغب في البحث عنها، وفي الوقوف على معناها قراءة صفحات عديدة من كتب الرياضيات وفلسفتها.

خذ المتوالية العددية الآتية: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ . . . . . . الى عدد لانهائي من الحدود فمجموعها كما هو ظاهر كمية لانهائية.

خذ أيضاً المتوالية الهندسية الآتية وهي غير المجموعة الأولى:

٢، ٤، ٨، ١٦ . . . . . . الى عدد لانهائي من الحدود، فمجموعها أيضاً يساوي كمية لانهائية، ومن مراجعة المتواليتين يظهر ان كل حد من المتوالية الثانية موجود في المتوالية الأولى، أي ان المتوالية الثانية هي جزء من الأولى، ومع ذلك فمجموع كل من المتواليتين يساوي كمية لانهائية، ومن هنا ظهر تعريف اللانهاية بالشكل الآتي: «هي شيء كله مساو جزءه» ومن هنا يظهر أيضاً للقارئ السبب الذي اضطر بعض العلماء الى وضع مثل هذا التعريف الذي قد يبدو غريباً ومثيراً للدهشة وغير معقول

اللانهائي في المحدود

ومن غرائب خاصيات «اللانهاية» التي نجدها في البحوث الرياضية انه قد يتفق (في بعض الأحوال) أن يكون مجموع كميات عددها غير محدود لانهائي يساوي كمية محدودة. أليس

(البقية على صفحة ٩١٦)

القصص

صاحب الملايين الأعوذج

للأديب الانجليزى أوسكار وايلد

ترجمة الأستاذ بشير الشريقى

لا ينتفع المرء بجمال الشباب إلا مع الغنى ؛ البطالة عمل الغنى وليست شغل الفقير ؛ على الفقراء أن يكدوا فى طلب الرزق ؛ دخل ثابت خير لك من شبابك الفاتن ؛ تلك هى الحقيقة الواحدة فى هذا الجيل الحديث ، الحقيقة التى لم يدركها « هيوارسكين » .

مسكين هيو ! إنه ليس بالفتى صاحب الشأن أو الذى يضر وينفع ؛ ولكنه كان يبدو مثال الملاحة بشعره الأسمر المجعد . وعينيه الرماديتين ؛ ووجهه الجميل ، وكان مشهوراً بالحسن بين الرجال والنساء على السواء ، وبأنه يجمع كل الفضائل إلا فضيلة كسب المال ؛ خلف له والده وكان فارساً مقداماً حسامه وتاريخ حرب الجزيرة فى خمسة عشر مجلداً ، فعلق (هيو) الحسام على مرآته ، ووضع كتاب التاريخ على الرف . لقد طرق كل أبواب الرزق ، فاحترف الصرافة ستة أشهر ، ولكن ما الذى تفعله الفراشة بين الثيران والدببة ؟ واشتغل بتجارة الشاى لمدة أطول بقليل ، ولكن سرعان ما تعب : حينئذ جرب بيع الخمر الاسبانى فلم ينجح ؛ وأخيراً أصبح لا شىء ، اللهم إلا شاباً طروباً قد أعطى البطالة مقوده .

وعلى نية العمل المثمر أحب ؛ وكانت الفتاة التى أحبها تدعى « لورا ميرتون » وهى إبنة كولونيل متقاعد أضاع مزاجه ونظامه فى بلاد الهند . لقد عبدته « لورا » وكان هو على استعداد لأن يقبل شريط حذائها ؛ كانا أظرف عاشقين فى لندن ولا يملكان فلساً واحداً .

أحب الكولونيل (هيو) كثيراً ، ولكنه لم يكن يرغب أن يسمعه يتحدث عن أية خطبة ، وكان يقول له من حين الى حين : « تعال إلى يا ولدى ؛ حين تصبح مالكاً لعشرة آلاف جنيه عندها نفكر فى أمر خطوبتكما » فيتألم (هيو) ويذهب الى (لورا) ليجد بقربها العزاء .

فى صباح أحد الأيام خطر له — وهو فى طريقه الى متنزه « هولاندة » — أن يرى أحد أصدقائه العظام « ألن تريفور » وكان « ألن تريفور » رجلاً غريباً فظاً ؛ نمش الوجه أحمر الخدين خشن اللحية ؛ ولكنه كان رساماً ماهراً ، وفناناً اذا تناول قلم الرسم فهو الأستاذ الحقيق والرسام العبقرى .

وكان هذا الفنان عظيم الميل « لهيو » فى الزمان الذى مضى ، عظيم التقدير لجماله ، وكثيراً ما كان يقول « على الفنان أن لا يصاحب إلا الظرفاء اللطفاء ؛ والذين يشجيك مسمعهم ومنظرهم » .

حين دخل « هيو » المحترف « الستوديو » وجد « تريفور » يضع الأجزاء الأخيرة لصورة شحاذ كبيرة ، ورأى الشحاذ نفسه واقفاً على منصة مرتفعة فى زاوية المحترف ، لقد كان شيخاً متهدماً ذا وجه كالجلد المجعد ، قد ألقى على كتفه عباءة خشنة كلها رقع وخرق ، ولبس حذاء رثاً بالياً ، واتكأ باحدى يديه على عصا غليظة ، ومد بالأخرى قبعته الممزقة يلتمس المعروف !..

همس « هيو » وهو يصافح صديقه — ياله من أنموذج غريب! فصاح « تريفور » بأعلى صوته — أنموذج غريب .. أظنه كذلك .. إنك لا تلتقى بأمثال هذا الشحاذ كل يوم .. إنه لقية يا عزيزى .

هيو — مسكين هذا الشيخ إنه يبدو مثال البؤس والشقاء وانى لأظن أن ثروته بالنسبة إليكم أيها الفنانون إنما هى فى وجهه

أجاب تريفور — طبعاً .. أنت لا تريد أن يبدو الشحاذ مسروراً ؟

هيو — كم يأخذ الأنموذج عن كل جلسة .

— شلناً فى الساعة .

— وكم تأخذ أنت على صورتك يا « ألن »

— أوه . . آخذ على هذه ألفى جنيه .

هيو ضاحكاً — حسن ، ولكنى أرى أن يأخذ الأنموذج نسبة من الأرباح ، أنهم يتعبون بقدر ما تتعبون .

— كلام هراء . . يجب ألا تضيع وقتى بمثل هذا السخف ، إننى مشغول جداً ، دخن سيجارة واجلس صامتاً .

وبعد حين دخل الخادم وأخبر « تريفور » أن صانع الأطر يريد أن يكلمه .

(تريفور) وهو خارج — لا تذهب يا « هيو » سأعود حالاً .

إغتنم الشحاذ الشيخ فرصة غياب « تريفور » فجلس يستريح على مقعد خشبى كان موضوعاً خلفه ، حقيراً بائساً ؛ حتى أن (هيو) لم يملك نفسه من الحزن عليه ، فمد يده الى جيبه ليرى مقدار ما معه من الدراهم ، فكان كل الذى وجده ديناراً وبضعة دوانق ، فقال لنفسه « مسكين الشيخ إنه أحوج منى الى هذه الدراهم » وسار وسط « الستوديو » ورمى الدينار فى يد الشحاذ .

فزع الشيخ وارتسمت على شفتيه الذابلتين ابتسامة ضئيلة وقال : أشكرك يا سيدى . . أشكرك . .

ثم حضر « تريفور » فاستأذنه « هيو » بالانصراف الى « لورا » حيث أمضى النهار وتمتع بتعنيف لذيذ على اسرافه .

وفى تلك الليلة ؛ حوالى الساعة الثانية عشرة ، ذهب الى نادى « باليت » فوجد « تريفور » جالساً وحيداً فى غرفة التدخين يعاقر بنت الحان ، فقال له وهو يشعل سيجارته .

— خيراً « ألن » . . هل أنهيت الصورة !

فأجاب تريفور — لقد انتهت ياولدى ، وأحيطت بالأطار ؛ وعلى ذكر الصورة أخبرك أنك حزت ظفراً عظيماً نهار الأمس ، إن ذلك الأنموذج الشيخ الذى رأيته معجب بك كل الأعجاب ولقد أخبرته عن كل ما يتعلق بك . . من أنت ؟ وأين تعيش ؟ وكم دخلك ؛ وما هى مطالبك من الدنيا ؟ . . .

صاح « هيو » — يا عزيزى ألن ، أخاف أن أجده فى انتظارى كلما ذهبت الى البيت ؛ ولكنك تهزل . . . مسكين هذا الشيخ الفقير .

آه ! لو أقدر على نفعه . . إنه لشديد أن يعيش إنسان فى مثل بؤسه ؛ عندى فى البيت تلال من الثياب القديمة ، فهل تظن أنه يهتم بثوب منها ؟ ولم لا ؟ ان خرقه أخذ منها البلى مأخذه . .

تريفور — ولكنه يبدو فى أطماره زاهياً ، إن ما تسميه أنت أطماراً أسميه أنا حللاً ، وما يظهر لك أنه الشقاء هو مثال البهاء عندى . . وعلى كل حال فسأخبره عن هديتك .

هيو جاداً — إنكم بلا قلب أيها الرسامون .

أجاب تريفور — قلب الفنان رأسه ، ليس الاصلاح صنعتنا وإنما تصوير العالم كما نراه ولكل صنعته . . والآن حدثنى عن « لورا » كيف هى ؟ لقد أغرم بها الأنموذج كثيراً .

هيو — أنت لا تريد أن تقول إنك حدثته عنها .

— أؤكد لك أننى حدثته ، لقد عرف كل شىء عن الكولونيل الذى لا يرق له قلب ، وعن « لورا » المحبوبة ؛ وعن العشرة آلاف جنيه .

فصاح هيو وقد بدا عظيم الغضب كثير الاحمرار — إذن لقد أطلعت ذلك الشيخ الشحاذ على كل شؤونى الخاصة .

تريفور مبتسماً — يا ولدى العزيز إن الذى تدعوه بالشيخ الشحاذ هو من أغنى الرجال فى أوربا ، إنه يقدر أن يبتاع لندن كلها غداً من غير أن يؤثر ذلك فى ثروته ؛ إن له قصراً فى كل عاصمة ؛ ويأكل فى أطباق من الذهب والفضة ؛ وهو قادر — حين يشاء — أن يمنع روسيا من الحرب .

هيو متعجباً — من هذا الذى تعنيه ؟ ! . .

تريفور — أقول إن الرجل الشيخ الذى رأيته فى « الستوديو » هو « البارون هوسبيرج » إنه من أعظم أصدقائى ، ويبتاع كل صورى ، وقد كلفنى منذ شهر أن أرسمه كشحاذ فما قولك بهوى هذا المليونير .

صاح هيو — البارون هوسبيرج يا إله السموات . لقد تصدقت عليه بجنيه . . . وارتمى على المقعد مذعوراً . .

تريفور صائحاً — تصدقت عليه بجنيه ! ! وانفجر عن هدير من الضحك !

هيو بحزن — كان يجب أن تخبرنى يا ألن . . .

ألن — لا بأس يا هيو . إنه لم يخطر لي على بال انك يمكن أن تذهب هذا المذهب في توزيع الصدقات ؛ إنني أفهم تقبيلك لأنموذج جميل ، اما أن تعطي ديناراً لقبيح فلست أفهمه !

هيو — وأي غبي ظني ؟! .

— أبداً لقد كان في غاية السرور بعد أن غادرتنا ، وظل يضحك في سره ويصفق بيديه المتغضنتين مدة ؛ لم أستطع إدراك سر سروره حينذاك ؛ ورغبته في معرفة كل شيء عنك ؛ أما الآن فقد فهمت كل شيء ؛ سوف يشغل لك دينارك يا هيو ويدفع لك الفائدة كل ستة أشهر .

زمجر هيو — يالي من شقي . الأحسن لي أن أذهب الى الفراش ، أرجوك يا عزيزي ألن ألا تخبر أحداً ؛ إنني لم أعد أجرؤ على لقاء الناس

كلام هراء .. إن عملك يا هيو يدل على ما في نفسك من الخير العظيم ، لا تذهب ، خذ سيجارة أخرى ؛ وتكلم عن لورا بقدر ما تشاء ..

لكن « هيو » لم يقف بل سار الى البيت حزيناً ، تاركاً « ألن تريفور » غارقاً في الضحك

في صباح اليوم الثاني وقد جلس « هيو » يتناول فطوره ، أحضر له الخادم بطاقة كتب عليها « السيد كوستاف نودن ، رسول البارون هاسيبورج »

فقال هيو لنفسه — يغلب على ظني أنه آت يطلب إلي أن أعتذر ، ثم أمر الخادم أن يصعده ردهة الاستقبال . .

دخل الغرفة شيخ جليل ذو منظار ذهبي وشعر أشيب وقال بلهجة فرنسية : هل لي شرف الكلام مع السيد (أورسكين) .

— فانحنى له هيو .

الشيخ مستمراً — لقد أتيت من عند البارون هاسيبرج ، ان البارون . . . .

هيو مقاطعاً — أرجوك يا سيدي أن تبلغه أصدق إعتذاري .

فابتسم الشيخ الجليل وقال — لقد أرسلني البارون أسلمك هذا الكتاب . ومد يده بغلف مغلق قد كتب عليه « هدية عرس الى هيو أورسكين ولورا ميرتون من شحاذ عجوز » وفي داخله حوالة بعشرة آلاف جنيه

وحين اقترنا صار لهما ألن تريفور مجاهنا[*] ، وألقى البارون خطاباً على مائدة العرس ؛

وأبدى « ألن » هذه الملحوظة « إن نماذج صاحب الملايين نادرة ، ولكن أنموذج أصحاب الملايين أندر »

بشير الشريقي
المحامي

شرق الأردن

[*] تمجهن الرجل : لزم العروس حتى يبنى عليها و ـ لفلان صار له مجاهنا

اللانهاية

(بقية المنشور على صفحة ٩١٣)

في هذا غرابة ؟ أليس في هذا عجب ؟ قد لا يصدق القارئ ما نقول ولذا سنوضح معنى ما مر :

خذ العدد الكسري $\frac{١}{٣}$ وهو كمية محدودة ، ولنحوله الى كسر عشري فينتج لدينا كسر دائري ٠٫٣ أي ٠٫٣٣٣٣٣٣٠٠٠٠٠

وهذه تساوي $\frac{٣}{١٠} + \frac{٣}{١٠٠} + \frac{٣}{١٠٠٠} + \frac{٣}{١٠٠٠٠} + \ldots$

وهذه الأخيرة تساوي $\frac{٣}{١٠} (١ + \frac{١}{١٠} + \frac{١}{١٠٠} + \frac{١}{١٠٠٠} + \ldots$ الى حدود عددها لانهائي) ومن هنا يتبين ان مجموع كميات عددها لانهائي يساوي كمية محدودة

اللانهاية والعلم

والآن قد يتبادر الى ذهن القارئ أن يسأل ما علاقة العالم باللانهاية ؟ وهل اللانهاية حقيقة موجودة ؟ وهل يستطيع العقل البشري تصور شيء لانهائي ؟ وجواباً على هذه الأسئلة نقول : ان العلم يقرر (أو يجب أن يقرر) وجود شيء لانهائي ، فالخط يتكون من نقط عددها غير محدود ولانهائي ، والوقت يتكون من عدد غير محدود من اللحظات ، ويمكنك أن تقسم المستقيم الى أقسام لا عديد لها ، وأن تستمر في ذلك الى ما شاء الله ..

وقد ظهر للقارئ بجلاء كيف ان مجموع كميات عددها لانهائي يساوي كمية محدودة ، وقد لا يكون غريباً اذا قلت ان كثيراً من البحوث الرياضية العالية لا يمكن أن يحاط بها ، ولا أن تكون كاملة إلا بـ (اللانهاية) ، وكم من الأعمال والمسائل الرياضية يحتاج الى استعمال اللانهاية إذ لا يمكن حلها إلا بها .

على كل أرجو أن أكون قد وفقت الى اعطاء فكرة عن اللانهاية ، فإن كان ذلك فهذا ما قصدت .

نابلس

قدري حافظ طوقان



حول ديوان الينبوع

للدكتور احمد زكي أبي شادي

إنني آسف أشد الأسف اذا كان ردي السابق على الأديب المرتيني يصح أن يوصف بالحدة كما وصفه حضرته ، وما كنت أحسبه الا مثالا للهدوء المقترن بالصراحة . وقد كرر ناقدي الاديب قوله عن الأدباء المصريين : « واذا أنا أعود فأردد مرة أخرى ، ما عرفت الدكتور وأضرابه من اخواننا المصريين الا أباة على النقد ، يثيرون من أجله المعارك ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع » . وقد أغناني الشاعر الناقد طلبة محمد عبده برده في عدد مايو من مجلة (أبولو) عن الرد المسهب على الأديب المرتيني ، وحسبي هنا أن ألاحظ في ايجاز نقطتين : الأولى أن كل حجة صاحبنا في مؤاخذتي تقدمي الى الرد عليه في أدب واعتدال ، كأنما بالواجب علي وعلى أمثالي الخضوع لديكتاتوريته النقدية ، فاذا ما ناقشناها في هدوء مناقشة أدبية وصمنا بها وصمنا به ، والثانية شهادة مجلة (الضياء) الهندية ، وقد وافتني يوم صدور عدد (الرسالة) المنشورة به مقالة ناقدي ، ، فقد ذكرت (الضياء) — وهي من أرقى المجلات الأدبية في العالم العربي — في كلامها على «الينبوع» وصاحبه وتشجيعه للنقد الأدبي أن تشجيعي هذا هو « جرأة نادرة » في هذا الزمن .

إذن ليس هنالك يا صاحبي أي حدة ولا تأب على النقد ، فأعداد (الرسالة) بين أيدي القراء ، كما أن (الينبوع) وغيره من دواويني ومؤلفاتي بين أيديهم ، ويمكنهم أن يدرسوا ويقارنوا لأنفسهم بين كتابتي وكتابتك . وفي الحق لم يعرف عني الا العداء للديكتاتورية الأدبية ، سواء أجاءت من ناحية المؤلفين أم من ناحية النقاد ، وقد شجعت وسأشجع دائماً النقاش الأدبي البريء لأنه خادم وأي خادم للأدب ، ومتى تحقق الاحترام المتبادل بين المؤلفين والنقاد ، فلن يؤدي النقاش الأدبي بينهم إلا الى الخير الأدبي المحض ، ولولا هذا الايمان في نفسي بالنقد وفوائده لصدفت عن التعليق على ما يكتب عني ، فجل شعري لنفسي أولا لا للجمهور الذي تتحدث أنت عنه وتود أن تراعيه ، وأنا لا أتطلع الى مدح أو تصفيق لقاء جهودي ، وقد أصبحت لا أتطلع حتى الى محض الانصاف من معظم معاصري

ومن كان لا يعنيه مدح ولا قلى يعف عن المدح العريض ويستغني

وقد تأملت الملاحظات الفنية الجديدة التي جاء بها ناقدي الفاضل في مقاله الثاني فأسفت لأنه لم يذكرها في مقاله الاول ، ولو كان قد فعل ذلك لما كنت رددت عليه : فقد كان في مقاله الأول يلقي الأحكام كأنه القاضي الأعلى الذي لا مرد لحكمه ، وأما في مقاله الثاني فهو ينزع الى التفسير النفساني ويتحدث عن الذوق الفني وما الى ذلك . وهو في موقفه الجديد أمنع من أن يساءل أو يناقش ، اللهم الا في تذكيري إياه بأن قولي :

كن أنت نفسي واقترن بمواطني تجد المعيب لدي غير معيب

لا يعني شيئاً مما ذكره ، وإنما يعني أن الناقد الذي لا يستطيع أن يتمثل نفسية الشاعر وظروفه والعوامل المؤثرة عليه وقت نظمه هو أبعد الناس عن الانصاف ، لأنه سيعيب ما لا يعاب لو أنه تمثل شخصية الشاعر في المناسبة التي نظم فيها ذلك الشعر المنقود . وليس من الحكمة ولا من الانصاف في شيء أن يتقدم الناقد الى أثر شعري وهو نافر من صاحبه كيفما كانت أسباب ذلك النفور .

إن التحدث عن اللغة الفنية لا أول له ولا نهاية ، وقد نقد لغتي من نقدها ممن عرفوا بالتضلع في اللغة والتمكن من الشعر ، وفي مقدمتهم السيد مصطفى جواد ، ولهؤلاء السادة ما لهم من الذوق الشعري الناضج . أليس هؤلاء إذن أولى من الأديب المرتيني

بالحكم في هذا المجال ؟ وما معنى انتقاص معارفهم ومناحيهم ؟ أليسوا أجدر منه ومني بتحديد ما يسميه باللغة الصحفية ؟ ليس لي ياصاحبي أن أزكي نفسي ، وإن كان لي أن أدافع عن مذهبي أحياناً ، وقد كتبت في تقدير روحي الفنية وتعابيري الشعرية غير واحد من الأدباء المشهورين ، ومنهم من ناقشك ، فلك أن تناقشهم إذا شئت ، وأما أنا فلا أجد فيما كتبت من جديد سوى إبهام جديد ، إلا في موضع أو موضعين ، وليس لي من رد على مثل هذا الانتقاص المبهم غير انتاجي الجديد . . .

لقد أعجبك قول امرئ القيس

مكر ، مفر ، مقبل ، مدبر ، معاً

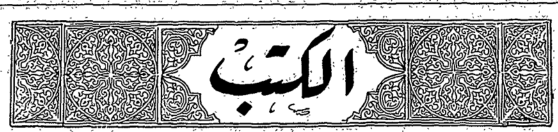
كجلمود صخر حطه السيل من عل !

نظراً لما فيه من موسيقى وحركة وخيال ، ولا أعرف أن كل شعر امرئ القيس من هذا القبيل ، أو أن شعري تجرد من مثل ذلك ، كما أني لا أعرف أن مثل هذه الصفات التي شاقتك مرغوب فيها في جميع ضروب الشعر ، ومنه ما قد تؤثر فيه موسيقى المعاني والهدوء والتأمل العميق قبل رنين الألفاظ والحركة والخيال الوثاب .

ولك أن تنتزع بيتاً أو بيتين من قصيدة ، وأن تقف حائراً مستنكراً ، ولكني (وأنا المؤمن بوحدة القصيد والحريص على ذلك) لا أطلب شططاً اذا سألت قرائي أن يقرأوا تلك القصائد كاملة ليتبينوا مواقع الأبيات بعضها من بعض وما تحمله من المعاني الظاهرة والضمنية اذا ما انتظمتها وحدة القصيد ، وهل لها حينئذ قيمة مادية وروحية أم ليست لنا تلك القيمة .

وقد تفضل الأديب المرتيني ببيان طويل عن نظراته الأدبية العامة وأسلوبه في النظم ونحو ذلك ، أشكره عليه لما حواه من الطرافة ودواعي التسلية التي يتحدث عنها . ولا أود أن أشغل فراغ (الرسالة) بالتعليق عليه فذلك أربعيته ، وأود بهذه السطور أن أختم تعليقاتي على كتابته شاكراً (للرسالة) منبرها الحر وغيرتها ، وشاكراً لناقدي الفاضل تحمسه للفن وللغة العربية السامية .

احمد زكي ابو شادي



مذكراتي في نصف قرن

بقلم الأستاذ أحمد شفيق باشا

(في ٥٢٧ صفحة كبيرة — طبع مطبعة مصر)

لم يجتمع لكثير من رجال الدولة المصرية مثلما اجتمع لصاحب السعادة الأستاذ أحمد شفيق باشا من ظروف المشاهدة وفرص الدرس والاطلاع والتحقيق؛ فقد عاصر هذا الشيخ النابه النشيط عدة عصور ومراحل من تاريخ مصر الحديث؛ وشهد الحياة المصرية منذ أواخر عصر اسماعيل، واتصل بالقصر وبشئون الدولة العليا منذ حداثته؛ وشهد حوادث الثورة العرابية وتتبعها بدقة، وكان مرجع النفوذ والحول طوال أيام عباس. ولم يكن شفيق باشا يطوى هذه المراحل والعصور مشاهداً فقط، ولكنه كان يقرن المشاهدة بالدرس والتدوين؛ فكان يدون مذكراته تباعاً عن الحوادث والشئون الخطيرة التي كانت تترى في هذه الحقبة من تاريخ مصر، ويدون إلى جانبها كثيراً من الملحوظات عن تطور الحياة المصرية الاجتماعية، ثم عن حياته الخاصة التي كانت صدى ومثالاً صادقاً لهذه الحياة.

وقد أخرج لنا الأستاذ شفيق باشا الجزء الأول من هذه المذكرات في مجلد ضخم؛ يتناول وصف الحوادث والحياة المصرية منذ أواخر عهد إسماعيل حتى عزله، ثم عهد توفيق والثورة العرابية وأسبابها ونتائجها حتى استقرار الاحتلال الانكليزي. وهذا هو القسم التاريخي العام. ويتناول القسم الثاني منه حياة المؤلف الخاصة أثناء دراسته في باريس، ومشاهداته العامة في فرنسا ومختلف البلاد الأوربية التي زارها.

ولذا لم يصدر عن الحياة المصرية في أواخر القرن وصف أصدق ولا أمتع من ذلك الذي يتحفنا به شفيق باشا في مذكراته. فقد تقلب شفيق باشا منذ حداثته في مختلف البيئات والمجتمعات المصرية لهذا العهد، واتصل بالطبقات الاجتماعية الرفيعة اتصالاً وثيقاً؛ وشهد بعينه من صورها وألوانها الشيء الكثير؛ ووصف لنا جدها وهزلها ولهوها وسمرها وصفاً صادقاً شائقاً؛ ويجد مؤرخ الحضارة المصرية في هذا العصر في مذكرات شفيق باشا مادة نفيسة تؤيدها المشاهدة الصادقة. وهذه ناحية من الكتاب لها أهميتها وسحرها.

بيد أن لهذه المذكرات من الوجهة التاريخية ناحية أهم. ذلك أن المؤلف يقص علينا سيرة الحوادث السياسية الخطيرة التي وقعت في عهد توفيق، أعني الثورة العرابية وما انتهت إليه من النتائج المشئومة. وقد كتب تاريخ الثورة العرابية وما إليها في العصر الأخير غير مرة، وصدرت عنها مذكرات كثيرة مصرية وأجنبية، ولكن شفيق باشا ينفرد بمعالجة ناحية لم تعالج من قبل بمثل ما عالجها به من الافاضة والدقة، ولم يكن ليستطيع معالجتها غير شفيق باشا نفسه. ذلك هو موقف القصر ووجهة نظره وحقيقة تصرفاته إزاء تلك الحوادث العصيبة. وقد كان شفيق باشا يومئذ من موظفي القصر، ومن الرجال الذين يضع فيهم الخديو ثقته؛ وكان بذلك في مركز يستطيع أن ينفذ منه إلى بواطن الأمور وحقائقها، وأن يعرف حق المعرفة ما يقع في القصر وما يدبر فيه وما يقال نحو الحوادث وتطوراتها، وأن يقف على وثائق لا يقف عليها غير رجال القصر الأخصاء؛ وهذه الناحية تبدو واضحة قوية في رواية شفيق باشا عن الثورة العرابية، وتلقي الضياء على مسائل وشئون كثيرة في تاريخ الثورة لم نقف عليها من قبل بمثل ذلك الوضوح. وهذه الميزة وحدها تجعل لمذكرات شفيق باشا قيمة كبيرة؛ هذا إلى ما يتخلل ذلك كله من النبذ الاجتماعية والأدبية التي تمثل روح العصر وأحواله أصدق تمثيل.

فنهنئ الباشا بمجهوده القيم، ونرجو الله أن يتمه بالصحة والعافية، حتى يخرج لنا ما تبقى في جعبته من ذلك التراث القومي النفيس؟

«ع»

2me Année, No. 48.

Lundi 4-6-1934

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العــدد ٤٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٥٣ — ٤ يونيو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العــدد

لذة الشراء وآفة الملكية

للأستاذ احمد امين

بالأمس ضحك مني بائع الكتب القديمة ، إذ رآني أقلب في الكتب ، وأذهب ذات اليمين وذات الشمال ، وأقف على الكرسي وأنزل من عليه ، والكتب بعضها بال عتيق قد غلف بالتراب وأكلته الأرضة ، وكلها وضعت حيثما اتفق ، لم يعن فيها بترتيب حسب الموضوع ولا حسب الحجم ولا حسب أي شيء ، ولم يبذل أي جهد في تنظيفها وعرضها ، فكتب في الأرض ، وكتب في السماء ، وكتب في الرف ، وكتب على المقاعد ، وكتب في الممشى ، البائع رجل تقدمت به السن . زهد البيع وزهد الشراء ، وإنما يبيع ويشتري لأنه اعتاد أن يبيع ويشتري ، كل ما في أمره أنه فضل أن يجلس في الدكان على أن يجلس في البيت إذ يرى الرائحين والغادين ، ويستقبل الزائرين ، ومن حين الى حين يبيع كتاباً أو كتابين .

وسط هذه المكتبة المغمورة بالكتب ، والمغمورة بالتراب ،

والمغمورة بالفوضى . انبتست بذلتي البيضاء القريبة العهد بالكواء ، أبحث عن كتب نادرة أشتريها ، وأتصفح كتباً أتعرف قيمتها ، فضحك إذ رأى غراماً بالكتب يشبه الجنون ، ورغبة في البحث والشراء تشبه الخبل .

لا تضحك — ياسيدي — فانما هي لذة الشراء أصيب الناس بها جميعاً ، وإن اختلفوا في مقدار الاصابة ، فقد تهور فيها قوم ، واعتدل فيها آخرون ، وهي ظاهرة في منتهى القوة والغرابة ، تتجلى بأجلى مظاهرها في الهواة ، فهذا هاوي سجاجيد يجن جنونه إذ يرى سجادة قديمة ، صنعت في أصفهان في القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، يحتقرها الرائي العادي ، ولا يرضى أن يأخذها ولا بالمجان ، ويشمئز أن يراها في بيته ؛ فاذا الهاوي يجري ريقه ويتحلب فمه ، كأنه جائع سغب أمام أكلة لذيذة ، وقد لا يجد ثمنها فيستدينه ، وقد ينقصه الضروري من وسائل العيش ومرافق الحياة فيغنى عنه ، ولا يرى أمامه إلا السجادة وشراءها ، ولتكن النتيجة بعد ما تكون ، وسيتكفل الزمن بسداد الدين ، وليحمل الزمن وحده عبء ما يحتاج اليه من ضروريات العيش ، بل سواء حلها أم لم يحلها ، فليس في الوجود ما يعدل هذه السجادة ، فلأشترينها ثم لتنطبق السماء بعد على الأرض .

وكذلك الشأن في هاوي طوابع البريد ، وهاوي الكتب ، وكل الهواة ، نمت عندهم على مر الزمان لذة الشراء لما يهوون ، وغذاها كثرة الشراء وأحاديث الهواة الذين يحيطون به واظهارهم الأعجاب الشديد بما اقتنى ، فاذا نظروا الى سجادة عجبوا من لونها الباهت ، وخيطانها التي هلهلها الزمن ، وصورها غير المنسجمة ، ونحو ذلك مما يدل على امعانها في القدم ، وكلما كان خيطها أبلى ، ونسيجها أبسط ، وتصويرها أتفه ، كانت أشد استخراجاً للعجب ، وكانوا أكثر لها تقويما ، وأشد لها إعظاما ، وكانت لذة الشراء عند الهواة أشد طغياناً ، وهم أمامها أشد ضعفاً .

هذه اللذة — لذة الشراء — يستغلها أرباب « المزاد » فهم يثيرونها الى أقصى حدودها ، ويبلغون بها مبلغاً جنونياً ، فتحتدم اللذات ، ويخضع الشارون لتأثير الاستهواء ، ويتغالون في أثمان ما يعرض حتى قد تفوق أثمان الشيء الجديد ، ولكن الشيء الجديد يشترى والعقل الواعي في سلطانه ، وأما أشياء « المزاد » فتشترى والعقل الواعي قد أسدل عليه ستار من الاستغواء والاستهواء ، ومن أغرب ما في هذا النوع أنك ترى الكثيرين يندمون اذا اشتروا ، ويندمون اذا لم يشتروا .

ولذة الشراء هي السبب في أنك تشترى لزوجتك وبناتك الثوب الجميل ، أو الحذاء الظريف ، فتعرضه عليهن فلا يعجبهن ، ثم يخرجن ويشترين ما هو أقل منه جمالاً وظرفاً ثم يبدين راضيات ، قد يكون السبب أن ما اشتريته ليس على ذوقهن ، وأن هناك فرقاً كبيراً بين ذوق الرجال وذوق النساء ، وأنك إذ تشترى لهن تحكم ذوقك في ذوقهن ، ولكن يظهر لي أن ذلك في كثير من الأحيان ليس السبب الصحيح ، وإنما السبب الصحيح أنك إذ تشترى لهن تحرمهن لذة الشراء ، وهي في نفسها قد تفوق الشيء المشترى نفسه ، ويفسر هذا أن السيدة قد تخرج وليس في نفسها شيء معين تشتريه ، ولا تحس حاجة الى شيء يشترى ، وانما هي — في أعماق نفسها — تريد أن تغذي لذة الشراء عندها ، فما هي إلا أن تمر في دكان سمعان أو شملا أو شيكوريل حتى تشترى ، وتشترى كثيراً ، وتشترى ما لم يخطر لها على بال ، ثم ترجع راضية لأنها أشبعت لذة الشراء عندها .

ولو أن الناس — وخاصة السيدات — اقتصروا على شراء ما هم في حاجة إليه لأغلقت دكاكين كثيرة ، ولقل العرض وقل الطلب — ولكن لذة الشراء عندهم دفعتهم أن يشتروا ما لم يحتاجوا ، وأوهمتهم في كثير من الأحيان بالحاجة الى ما ليس لهم به حاجة — وإلا فما حاجتي الى شراء كل هذه الكتب والمكتبات العامة مفتحة الأبواب ؟ وما الحاجة الى شراء نسختين من كتاب واحد والتعلل في ذلك بأتفه الأسباب ؟ وما الحاجة الى ملء البيت بهذا الأثاث وأقل منه يكفي ويزيده حسناً ؟ وما الحاجة الى شراء المرأة هذه الثياب المختلفة الألوان والأنواع ، وقد لا تحتاج

إليها مرة فى الحياة ؟ — لا شىء إلا لذة الشراء .

ويحدث فى هذا الباب غرائب . فما وقوفك على الدكاكين واستعراضك ما فيها إلا نوع مما تدعو إليه هذه اللذة ، فان اشتريت فيها ، وإلا فهو نوع من ظل اللذة كالسكير يتلذذ قليلاً من رؤية الشاربين ولو لم يشرب معهم ، والمحب يسر بعض الشىء من رؤية المحبين يتواصلون ولو هجره هو حبيبه .

***

قد كان من المعقول والطبيعى أن الناس — وهم يتلذذون هذه اللذة الشديدة القوية بالشراء — يتلذذون كذلك لذة شديدة قوية بالملكية ثم يستمرون على التنعم بها ، والتمتع الدائم بملكها ، ولكن جرى الأمر فى هذا العالم على غير ما يتوقع ، فهم راغبون أشد الرغبة فى ملك الأشياء ، والملكية تذهب بلذتها . فالناس مولعون أشد الولع بالملكية حتى لو استطاعوا أن يملكوا القمر فى السماء لملكوه ، ولو ملكوه لحرموا جماله ، وهم مولعون أن يملكوا كل شىء الى درجة الجنون ، حتى لو استطاعوا أن يسلبوا السماء زرقتها ، والمزارع بهجتها ، والبحار جمالها ليجعلوها فى حوزتهم لفعلوا — وقد ادرك مهرة الباعة هذا الجنون فى الانسان فتفننوا فى عرض ما يبيعون بحسن الوضع وترويق المعروض وإيهام الترخيص وكثرة الاعلان فى شكل جذاب يوقع فى الوهم أن الشراء فرصة لن تعود ، وأن ملكية الشىء تملأ الحياة سعادة وغبطة — ولو أنك دخلت بيوت الأغنياء والطبقة الوسطى لرأيت كثيراً مما فيها لا حاجة للبيت إليه ، بل قد حمل أكثر مما يطيق حتى ذهبت بساطته ، وزاد تعقده ، واحتاج الى زيادة الخدم والاتباع للعناية بنظافته وترتيبه ، وجعل الحياة أكثر تعقداً وأشد ارتباكاً ، وما دعا الى هذا كله إلا لذة الشراء وجنون الملكية ، وما قصر الفقراء فى هذا إلا أنهم لا يجدون ثمن ما يطلبون ، ولو أتيح لهم ذلك لأفرطوا فى الشراء افراط الأغنياء ، ولولا جنون الملكية لكانت الحياة أبسط ، ووسائل العيش أيسر ، والتنعم بها أتم .

وكأن الطبيعة العادلة أرادت أن تعاقب على هذا النوع من الجنون ، فسلبت المالك أكثر ما يتصور من لذة ، فالشىء جميل لذيذ ممتع ، فيه كل ما يتمنى المرء من سعادة ما لم يملك ، فاذا ملك لم يجد فيه المالك كل ما يتصور ويتخيل ، وأصبح أقل قيمة مما يأمل ، ولا تزال قيمته فى نقصان حتى يصبح عادياً تافهاً كأنه والحرمان سواء .

فالقصر الجميل هو أجمل ما يكون فى عين من يمر به ويقل جماله شيئاً فشيئاً فى عين من له به علاقة ما ، حتى اذا بلغت المالك وجدت القصر لا قيمة له فى نظره ، ووجدت شعوره به كشعور الفلاح نحو كوخه ، والفقير نحو عشه ، وكلما طال الزمن بالغنى تفه القصر فى نظره ، وحرم حرماناً تاماً من لذة الملكية ، وصارت لذته خيالاً لمن يمر به ويتصور نعيم سكانه أو ملاكه .

وهذه قاعدة الحياة ، فأجمل أيام الزوجية قبيل الزواج أيام يتخيل المرء أو المرأة ما ينتظر من نعيم مقيم ، وأيام يسبح خياله أو خيالها فى الآمال والأمانى التى لا حد لها ، ثم تصدمه أو تصدمها الملكية أو شبه الملكية ، فاذا كل شىء عادى مألوف .

وأجن بالكتاب قبيل شرائه وعند شرائه ، وأبيت ليلة وأنا أحلم به ولا أسمح لنفسى بالنوم ليلة الشراء قبل تصفحه ومعرفة مافيه أو على الأقل عناوينه ، ثم يوضع فى المكتبة وينسى وكأنه لم يملك .

والأملاك الواسعة والغنى الوافر أمل الناس جميعاً ، ولو درسوا فى دقة — أربابها وحالهم وشعورهم لوجدوا الفرق الواسع بين ما يتخيلون وما يدرسون ، ولوجدوا أن أكثر الأغنياء يعانون من غناهم ما لو عقلوا وخف عنهم جنون الملكية نزلوا للمجتمع عن شىء مما يملكون ويعانون ، فسعدوا وأسعدوا .

أليس عجيباً فى هذه الحياة أن ألذ شىء فى الملكية خيالها ؟

أحمد أمين

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشاً غير أجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشاً فى البلدان الأخرى .

من ذكريات العراق

تأمل ســـــاعة*

بقلم احمد حسن الزيات

فى الشرفة الوسيعة من فندق (كارلتون) جلست أطالع فى صفحة دجلة ما خطته يد القرون . وكانت شمس الأصيل تنفض تبرها على أمواج النهر وسطوح الكرخ وحواشى الأفق ، والطبيعة الأنيقة تنم بالصفاء والبهاء والدفء ، بعد ما أجهدها رعد الأمس وبرقه ، وأعصها وابل الغمام وودقه ، فالسماء مصرية الأديم ، والجو عبهرى النسيم ، والأفق الغربى مزدان بقزعات من السحاب الأبيض الرقيق ، والماء قد استحال لجينه نضارا من طول ما حمل اليه السيل من كنوز الجبل .

أخذت أصوب النظر وأصعده فى النهر والجسر والشاطئ ، فأرى أنماطاً من الناس ، وأخلاطاً من الأجناس ، وصوراً من الأشياء ، تنكرها العين ويعرفها القلب ، لأنها شرقية ، ولأنها عربية ، ولأنها مظلومة ! . . .

ذكرتنى هذه المناظر مناظر غابت فى سويداء القلب ولفائفه : ذكرنى تقابل الرصافة والكرخ على دجلة ، تقابل القاهرة والجيزة على النيل الأعلى ، والمنصورة وطلخا على النيل الأسفل ! !

وفى هذه الأماكن الحبيبة مدرج طفولتى وشبابى ، وملتقى أحبتى وصحابى ، فهاجت شجونى وسالت شئونى . فوضعت جبهتى المضطرمة على سياج الشرفة البارد ، وعدت بالذاكرة وشيكاً إلى بغداد ، ثم انطويت على نفسى ، وأخذت أتفكر وأتذكر وأعمه فى غيابة الماضى ، حتى انقطع ما بينى وبين الحاضر ، وامحى من حوالىّ العالم بأسره

وحينئذ انبعث من جانب الكرخ صوت شاد يرجع بالنغم العربى الشجى . فخيل لىّ أننى أرى دجلة (الأمين) ، وجسر (ابن الجهم) . . وكرخ المجان والخلعاء من أهل بغداد المترفة ؛ ووقع فى سمعى أن هذا الشادى يقول :

سقى الله باب الكرخ من متنزه إلى قصر وضاح فبركة زلزل
مساحب أذيال القيان ومسرح الـ حسان ومثوى كل خرق معذل

وصور لى أننى أسمع غناء الملاحين فى الزلازل ، وأبصر (الدلفين) و (العقاب)[1] يمخران العباب بالأمين وحسانه وقيانه ونداماه ! . . . وتراءت لى على الشاطئ الشرقى قصور البرامكة الحزينة ، يقابلها على الشاطئ الغربى قصور الخلفاء والأمراء تعج بالجوارى والغلمان ، وتضج بالشعراء والندمان ، وتموج بالسادة والقادة والجند ، وتفيض بالنعيم والجلال والعظمة ، وتمثلت فى خاطرى بغداد الأمس كباريس اليوم فى عدد سكانها ، وفخامة بنيانها ، واتساع رقعتها ، وازدهار مدنيتها ، وانبعاث الحضارة من مجامعها ومنابرها ، وانبثاق المدانية من جوامعها[2] ومنائرها . إلا أن باريس تشع فى أجواء مشرقة تسطع فيها شموس أخرى تضارعها وتصارعها ، أما بغداد التى عنت لها وجوه القياصرة ، وكان من جندها أبناء الدهاقين والأكاسرة ، فكانت شمساً واحدة ترسل الضوء والحرارة والحياة فى القارات الثلاث فتبدد ما غشيها من ظلام وجمود ونوم

لا أدرى متى كنت أصحو من نشوة هذه الذكريات الحلوة المرة ، لو لم يعدنى الى وجودى صوت منكر من أصوات الحضارة الحديثة ، قد انطلق من جوف مركب بخارى عظيم ، كان يشق بحيزومه صدر دجلة ، فسرحت طرفى فى الأفق فاذا شمس الشرق تجاهد ظلام الغرب ، واذا القزعات قد ارتد بياضها سواداً ضربت فى حواشيه حمرة الشفق ، فصارت كأجنحة الغربان الدامية ، أو كقطع من الفحم علقت بأطرافها نار حامية . ثم نظرت شمالا فاذا المكان الذى سجدت فيه رسل (شارلمان) امام الرشيد يخفق فوقه علم غريب[3] ، لا هو أسود ولا أبيض ولا أخضر[4] واذا قطع من السحائب السود قد انعقدت فوقه ملبدة هنا مبددة هنالك . . . فقلت فى نفسى ليت شعرى أهذه بقايا أعلام الرشيد والمأمون ، أم هذه أثواب الحداد لبستها سماء العراق على السعدون[5] ؟ !

الزيات

(١) الدلفين والعقاب مركبان من مراكب الأمين (٢) جوامع جمع جامعة

(٣) ذلك العلم الانجليزى على دار المعتمد البريطانى فى الكرخ

(٤) هى ألوان أعلام العرب الثلاثة فى القارات الثلاث

(٥) كانت العراق يومئذ لا تزال مروعة بانتحار زعيمها الكبير عبد المحسن السعدون

* كتبت فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٩ على أثر قدومى الى بغداد

حمار بوريدان

بقلم السيد محمد روحي فيصل

لعل أشد الأدواء فتكاً في النفوس، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، وأعمقها أثراً وتغلغلاً، هذا الضعف في الإرادة أو التردد في العمل. يقعد بالمرء عن تحقيق رغائبه وآماله، ويعسكه عن تنفيذ مشاريعه وخططه، ويحول بينه وبين الانتاج المتصـــل الذي يفيد الأمة ويفيد الانسانية ثم يدفعها نحو المثل العليا الثلاثة: الخير والجمال والحقيقة

ومن العجب أن التردد على شدة فتكه وكثرة ذيوعه وعمق تغلغله لا يحسب حسابه ولا يلتفت إليه كأنما هو عرض من هذه الأعراض الهينة اليسيرة التي لا قيمة ولا وزن، أو كأنما هو شذوذ خفيف ضئيل في اتجاه مجرى الارادة الصحيحة القوية!! ولعمر الحق ما شيء أنكس للرقي والمدنيـة وأدعى الى الجمود والموت مثل التردد والاحجام « يصـيب المرء في حياته العملية فيغل يده، ويشل عقله، ويتركه فريسة للألم من ضعفه، والخجل من صحبه. تظهر أعراضــه في صغار الأمور وكبارها، فيكون في انتقاء الثوب واختيار الحالة، وفي الاقدام على الزيارة القصـيرة والرحلة الطويلة، ويدخل في لذاذات الرجل وأعماله، كما يدخل في إدباره وإقباله » (١)

أجل! يكون التردد في زورة الصديق، وافتتاح الحانوت، وارتياد المقهى كما يكون في طلب العـلم والقوت والمال. وسواء أدخل في حقير الأمور أم جليلها فانما هو يقف النهضة، ويبطئ الحركة، ويعوق عن التجدد والابداع

لقد كشف السيكولوجيون عن نفسـية التردد، وأوضحوا المظاهر المتباينة العنيفة التي تطغى عليه وتأخذه بالحـيرة والقلق فقالوا إن كل فعل إرادي لا بد أن يجتاز على التوالي أربعة أطوار:

(١) تصور غاية الفعل، وإدراك المقصود من تحقيقه

(٢) طور الموازنة والمفاضلة. ذلك بأن كل فعل إرادي له بواعث قلبية وجدانية تخلقها الأهواء والميول، وتغذيها العواطف والنزعات، وتنميها المشـاعر والأحاسيس. وعوامل عقلية ذهنية مصدرها المنطق والمحاكمة والمعرفة. فالمرء في هذا الطور يوازن بين البواعث القلبية والعوامل العقليـة ويفاضل بينهما، ويقوم بعملية حسابية يزن بها قيمهما

(٣) طور التقرير، وذلك أن المفاضلة بين البواعث والعوامل لا بد أن تسفر عن نتيجة هي حل الفعل وتقريره

(٤) طور التنفيذ — والتنفيـذ تاج يزين هام الفعـل الارادي، ويتمم محاسنه

شاء بعضهم أن يحذف من هذا التقسيم طور التنفيذ لأن الفعل الارادي في نظره غير مرتبط من الوجهة النفسية بالتنفيذ أو عدمه. على أنه ينبغي أن يكون ثمة بدأ في تحقيق الفعل واتجاه نحو العمل. لذلك قلنا إن التنفيذ « تاج يتمم محاسن الفعـل الارادي ويزين هامته »

فالتردد إنما يكون في الطور الثاني، طور الموازنة والمفاضلة. والتردد إنما تتجاذبه البواعث والعوامل، يوازن بينهما ويفاضل بين قيمهما ثم لا ينتهي من موازنته ومفاضلته، ولا يضع حداً لهذا الاضطراب والفوضى. تناجيه بواعث القلب فيتفيأ ظلاله ويطمئن الى أفنانه، ثم لاتلبث عوامل العقل أن تخرجه من طمأنينته وتنزو نفسه كلها. فهو ساحة حرب ما تكاد البواعث القلبية تنتصر فيها حيناً إلا لتنخذل وتتراجع أمام قوة العوامل العقلية وشدة منعتها، وعظمة سلطانها

هكذا كتب الله على المتردد أن يقف بين بين. لا يقرر ولا ينفذ وإنما يخضع لطائفة من الاعتبارات النفسية المتماسكة. وهذه الاعتبارات قد تنشـأ عن خصب في الخيال، وسـعة في المعرفة، وقوة في التفكير. وقد تنشـأ عن تيقظ في الحيوية الانفعالية، واشتداد في الميل والهوى، وتدفق في الرغبة والعاطفة

ومهما يكن منشأ هذه الاعتبارات القوية فان المتردد عضو أشـل « يعيش على هامش المجتمع البشري » كما يقول الدكتور بلوندل

***

قد تسأل بعد هذا: إذا كان الأمر ما تقول فما شأن الحيوان هنا؟ ومن يكون بوريدان هذا؟ وما هي العلاقة التي تصـل عالم النفس الانسانية بعالم « الخير »؟!

(١) راجع « التردد » في العدد الخامس من الرسالة

الحق إنه سؤال وجيه ممن لا يعرف وجه الاتصال والتقارب.

فأما بوريدان فهو فيلسوف من فلاسفة اللاهوت والدين المسيحي في العصور الوسطى ، ولد في مدينة بيتون من أعمال فرنسا الشمالية وتوفي عام ١٣٦٠ ميلادية . ينتسب الى مدرسة «السكولاستيك» المشهورة بالجدل الديني والتفكير النيبي ، والتي من رجالها «روجر باكون» و «القديس بونا فاتير» و «دونزسكوت» . وأما الحمار فقد شاء بوريدان أن يوضح «حرية الاختيار» في الحياة والنفس بتشبيه طريف ومثل قريب فافترض وجود حمار جائع ظمآن على مسافة ممينة واحدة من إناء فيه ماء عذب ، ومعلف فيه تبن وشعير . . . وطفق الحمار يفكر على جوعه وظمئه بأي الأمرين يبدأ : أيملأ بطنه أولاً أم يروي ظمأه ؟ فما يكاد يتجه نحو الماء مثلاً حتى ينكفي راجعاً نحو التبن والشعير !! وقد كان في وسعه أن يختار الذي يريد ويلتهم مايهوى ، ولكن الحمار المسكين بقي يفكر على ذلك النحو من المنطق العقيم حتى سقط جثة هامدة ، ومات جوعاً وظمأ !!

هذه القصة الوجيزة الخيالية تصور ، غير حرية الاختيار ، طبيعة التردد وعاقبة المتردد . فأما طبيعة التردد فقد شرحناها من الناحية النفسية ، وأما عاقبة المتردد فهي كما رأيت : الفناء والموت ، ذلك بأن الحياة تتطلب السرعة والحركة والعمل لا الجمود والاحجام . وكل من لابس الحياة وخاض غمارها فانما ينبغي له أن يعمل ويعمل ، لا يأبه بالموانع والصعوبات التي قد يصادفها في طريقه وتتعثر بها رجلاه ، وإلا فان مصيره المحتوم التخلف عن الحياة ، والانحدار نحو التفكك والانحلال . يذهب غويو Guyau الى أن العمل المبتكر أو الفاعلية الشديدة إنما يجب أن تكون المثل الأعلى في الأخلاق ، لأن الحياة ليست تردداً ومحاسبة وإنما هي عمل وإنتاج Vivre, ce n' est pas calculer, c' est agir

ولسنا نحب هنا أن نقيد الفاعلية الشديدة بالخيرية والشرية ، وإن شئت فقل إننا لن نتعرض للخيرية والشرية في صدد الحث على الفاعلية الشديدة والجهد الدائم .

وعلم الأخلاق الحديث المبني على التجربة والمشاهدة يأبى ذلك وينفر منه كل النفور . فما يدرينا أن الأمر الذي نحكم بخيريته وشرف غايته يصبح شراً كله اذا نحن طبقناه ومارسناه في الحياة العملية . فالخيرية التي نخلعها على طائفة من الأمور دون أخرى هي خيرية سابقة للتجربة ومتقدمة على المشاهدة apriari . فلنزاول إذن كل الأمور ، ولنتصل بكل شيء ، ولتكن حياتنا ملأى مستفيضة الجوانب ، متصلة الحركة ، قوية الارادة

والارادة العاملة المحركة هي كنه الوجود وأس الكون كما يقرر شوبنهور [1] إذ يعتقد أن الأحياء جميعاً محكومون بإرادة باطنية لا شعورية عمياء ، دائبة الهمة والنشاط ، متجددة الشهوة والرغبة ، تسيطر على الفكر والعقل سيطرة عظمى .

إن صاحب الارادة القوية سيد عواطفه وآرائه ، فرغائبه تنقلب آناً الى إرادة فاعلة ، ليس يعرف المستحيل ولا يقر بوجوده في قاموس الأعمال !!

***

وبعد ، ما دواء التردد ؟ وكيف السبيل الى الشفاء من هذا الداء ؟ ذكر أطباء النفس طائفة من العلاجات الناجعة ، منها ماهو لمداواة الجسم ومنها ماهو لمداواة الروح : ينبغي قبل كل شيء ترويض الأعضاء وتقوية الحواس وامتلاك الصحة لأن للارادة أساساً عضوياً ، ولسنا نبالغ اذا قلنا إن قوة العضلات هي الصورة الأولية الابتدائية لقوة الارادة . فالمريض لا يستطيع تحقيق أمانيه لأن جسده فاتر العزم خائر القوى ، وينبغي الطاعة وحب النظام ، فالطفل اذا أطاع غيره فانما يتعلم كيف تكون السيادة على الذات وقهر النفس ، وهنا قد يكون للأسرة والمدرسة الأثر البليغ في ذلك

كذلك ينبغي تثقيف العقل وتهذيب الشعور . أما تثقيف العقل فيكون بالتفكير الصحيح ، والانتباه الثابت ، وتصور غاية الفعل بصورة محسوسة مسهبة ، وإدراك مختلف المذاهب والنحل ، وقد قال ديكارت « إن الارادة القوية في العمل تقتضي وضوحاً شديداً في العقل » . وأما تهذيب الشعور فيكون بالميل الى المثل العليا الانسانية ، والاعتدال في الحب والهوى بحيث لا تطغى البواعث القلبية على العوامل العقلية فتجري الموازنة في جو هادىء ثم تسفر عن التقرير والتنفيذ ويسلم المرء مما وقع فيه حمار بوريدان !

حمص

محمد روحي فيصل

---

(١) راجع الصفحات الأولى من كتابه « العالم إرادة »

الانقلابات السياسية المعاصرة

وأثرها في تطور التفكير والآداب

للأستاذ محمد عبد الله عنان

من المبادئ الخالدة أن الفكر تراث الإنسانية، وأن ثمار التفكير البشرى ملك حق لجميع الأمم والناس، وأن العلوم والآداب والفنون لا وطن لها ولا تعرف فوارق الجنس والقومية. وقد كانت هذه المبادئ وما زالت هي الغالبة في توجيه الفكر الانساني؛ وإذا كان التفكير يتأثر في أحيان كثيرة بالعوامل والاعتبارات القومية، فالمفروض دائماً أن هذه المؤثرات لا تجنى على المبادئ والحقائق الخالدة. فقد مجدت الحرية مثلا في كل العصور، واعتبرت أعز أمنية للشعوب والأفراد وأجدرها بالتضحية، وقدست حرية الفكر واعتبرت دائماً عنوان الكرامة البشرية؛ واعتبر الاخاء والمساواة منذ الثورة الفرنسية من أقدس المثل الانسانية. ولكنا نرى اليوم هذه الحقائق تهدر في أمم عظيمة، فالحريات بأنواعها تسحق وتذم، وتعتبر العبودية نظاما، والخضوع الأعمى وطنية، والقومية المتعصبة تطغى على كل المبادئ والمثل الانسانية؛ ونرى التفكير والآداب في هذه الأمم تنزل على وحى السياسة وإرادتها، وتغدو ألسنة مصفدة لتأييد المبادئ والدعوات الجديدة.

وهذه ظاهرة خطيرة في عصرنا تستحق الدرس العميق. فمنذ الثورة الفرنسية لم يشهد العالم المتمدن انقلاباً في النظم الاجتماعية والفكرية كالذى نشهده اليوم كأثر للانقلابات السياسية التي وقعت منذ نهاية الحرب في كثير من الأمم الأوربية. وقد كانت الحرب الكبرى ذاتها وما ترتب عليها من النتائج السياسية والعسكرية أكبر عامل في التمهيد لهذه الانقلابات، فقد هزت الحرب دعائم المجتمع كله، وقوضت كثيراً من نظمه وآرائه ومعتقداته القديمة، وعصفت ويلاتها وأزماتها المتوالية بالنفوس والبزائم، وبعثت اليأس والاستكانة إلى كثير من المجتمعات؛ وظهر أثر ذلك كله واضحاً في آداب ما بعد الحرب. ونلاحظ في هذه الفترة أن النزعات الحرة والثورية تغلب على معظم ألوان التفكير والأدب، وانها تتجه غالباً الى الثورة على المبادئ والآراء القديمة، سواء في فهم النظم السياسية أو الاجتماعية، أو تقدير الفضائل والأخلاق. على أن هذه الآثار العامة ليست كل شيء في هذا الانقلاب الفكرى العميق الذى نريد أن نتحدث عنه. وانما يمتاز الانقلاب بآثاره المحلية والخاصة، فهذه الآثار تذهب اليوم في بعض الأمم الى إنكار الماضى كله والمثل الفكرية والأدبية والانسانية كلها.

وهذه الثورات الفكرية والاجتماعية العميقة ترجع كما قدمنا الى الحركات السياسية والقومية العنيفة التي جاش بها كثير من الأمم عقب الحرب، فقد كان لهذه الحركات أكبر أثر في توجيه التفكير والآداب والثقافة. والحقيقة أننا لا نستطيع أن نلاحظ مثل هذا الانقلاب العميق في مناحى التفكير والآداب إلا حيثما وقع انقلاب سياسى عميق يقوم على إنكار الماضى ومبادئه وآرائه القديمة. ففي روسيا السوفيتية حيث سحقت الثورة دولة القياصرة والمجتمع الروسى القديم بكل ما فيه من نظم ومبادئ وتقاليد، وقامت نظم سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة هى البلشفية، نرى التفكير الروسى يتميز بلون ثورى عميق، ونرى نظريات الثورة العالمية، وسيادة الطبقات العاملة، والأخاء الدولى، ونضال الطوائف، وسحق الرأسمالية وغيرها تغمر الأدب الروسى المعاصر، ونرى الثقافة الروسية كلها تتجه الى غرس هذه النظريات واعتبارها قوام الحياة الروسية العامة، وغذاء التفكير والآداب والفنون. ولم يبق من الأدب الروسى القديم ما يستحق التقدير في نظر روسيا البلشفية سوى آثار المفكرين والكتاب الأحرار والثوريين، مثل ترجنيف ودوستويفسكى وتولستوى والبرنس كروباتكن، تلك الآثار التي تصف شقاء المجتمع الروسى في عصر القياصرة، والتى كانت غذاء للحركة الثورية. وفى تركيا الكمالية نرى نواحى التفكير والثقافة تصطبغ بصبغة غربية جديدة هى أثر مباشر لاتجاه ثورة التجديد التركى ودفعها لتركيا نحو الغرب، بعد أن لبثت قروناً شرقية أسيوية، ونرى زعماء تركيا الجديدة يحاولون أن يخلقوا للشعب التركى عقلية جديدة تقوم على نسيان الماضى وبغض دول السلاطين، وتحقير العصبية الشرقية أو الاسلامية، وتمجيد الاصلاحات الجديدة، والاندفاع وراء التيار الغربي. ويذهب زعماء تركيا الجديدة في غرس النزعة القومية في التفكير والآداب

الى حدود الاغراق ، فتراهم يغيرون قواعد اللغة التركية وألفاظها ويستبعدون منها الألفاظ المشتقة من لغة أخرى ، ويضعون لتركيا تاريخاً جديداً تغفل فيه الحقائق العلمية والتاريخية الراسخة ، ويقال لنا فيه إن الحضارة التركية هي أساس الحضارة البشرية ، وأن اللغة التركية القديمة هي مصدر اللغات البشرية ، وغير ذلك من المزاعم المغرقة التي تنقضها أبسط الحقائق التاريخية ؛ وهذه المزاعم والنزعات كلها تمثل اليوم بقوة في الأدب التركي الجديد ، ولا يسمح للمفكرين والكتاب الترك أن يعالجوا غيرها أو أن يعالجوها بما يخالف النظريات الرسمية ؛ فالأدب التركي اليوم كالأدب الروسي ، أدب حكومي تشرف عليه الحكومة وتوجهه الى ما ترى فيه تحقيق برنامجها السياسي والاجتماعي

وقد كانت الفاشستية بلا ريب أعظم حركة سياسية اجتماعية حدثت بعد الحرب ؛ وكان لها في توجيه التفكير والآداب أعظم أثر . ونلاحظ أولاً أن أثر الانقلاب الروسي في هذا التوجيه أبعد مدى من حيث كونه ينكر أسس المجتمع القديم كلها ، سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية ، ولكن الفاشستية لا تذهب في الهدم الى هذا الحد ؛ وبينا تذهب البلشفية الى تقوية النزعات الثورية والحرة في حدود الطغيان البلشفي ، إذا بالفاشستية تقمع كل نزعة ثورية أو حرة تتجه الى محاسبتها . وقد كانت الفاشستية الى ما قبل عامين حركة محلية ايطالية ، ولكنها تغدو اليوم حركة أوربية عامة تحدث آثارها السياسية والاجتماعية والفكرية في ألمانيا وبولونيا والنمسا وغيرها . ولما كانت الفاشستية حركة طغيان شامل ، فانها تبسط سلطانها على الحركة الفكرية كما تبسطه على كل قوة معنوية أخرى ، وتحاول أن تصفدها في حدود برنامجها ، وأن تسيرها طبقاً لوحيها وارشادها . وهنا فرق جوهري بين موقف الديموقراطية وموقف الفاشستية من الحركة الفكرية ؛ ذلك ان الثورة الديموقراطية تقع دائماً في المحيط العقلي ، ثم تحدث آثارها المادية بعد ذلك في الأنظمة السياسية والاجتماعية ؛ ولكن الفاشستية تقوم بالعكس في المحيط المادي وبوسائل العنف المادية ، ثم تحاول بعد ذلك أن تغزو الميدان العقلي وأن تجعل من الحركة الفكرية أداة لتوطيد سلطانها كما تجعل من الجيش والأسطول ؛ ومن أهم ظواهر الفاشستية انها تعمل على مطاردة القوى العقلية الممتازة التي لا تخضع لوحيها ، ولا ترعى سوى الأذهان الضئيلة المتواضعة التي تهرع لخدمة كل سلطة جديدة وكل نظام جديد

ويبدو أثر الثورة الفاشستية في الحركة الفكرية الإيطالية وفي الحركة الفكرية الألمانية بشكل قوي واضح . ففي ايطاليا تسود المبادئ الفاشستية الرسمية في توجيه التفكير والآداب والفنون والحياة العقلية كلها كما تسود الحياة السياسية والاجتماعية ، وتغمر الثقافة الايطالية في جميع نواحيها ، وتحاول أن تحدث أثرها في توجيه الثقافة العالمية . ولما كانت الفاشستية تنكر الحريات العامة ، فهي لا تعترف بحرية الفكر بل تبغضها وتسحقها بكل قواها ، لأنها ترى في وجودها خطراً على كيانها ؛ وحرية الفكر أسمى مزايا الانتاج العقلي والفني ؛ واذاً ففي ظل هذا الطغيان الذي يسلب الفكر أقدس حقوقه ، لا يمكن أن يزدهر التفكير الرفيع ، ولا أن تصل الآداب والفنون الى ذرى القوة والصقل ؛ وتغدو الحياة العقلية مطبوعة بطابع التماثل الممل ، لأنها تسير وتسخر طبقاً للوحي القاهر . هذا الى أن التفكير والآداب في هذا الأفق المصطنع قد جردت من أقدس المثل التي استرشدت بها في كل العصور ، فأصبحت تمجد العبودية لأنها أسيرة الطغيان ، وتمجد الحرب لأنها صنيعة القوة الباغية ، وتسرف في إذكاء التعصب القومي لأنها جردت من المثل الانسانية الخالصة . وهذه الظواهر التي هي وليدة الطغيان قبل كل شيء تتجلى اليوم بأوضح ألوانها في ألمانيا على حداثة عهدها بالفاشستية ؛ فان الحركة الوطنية الاشتراكية الألمانية ما كادت تظفر بقلب نظم الحكم في ألمانيا ، واقامة الطغيان على انقاض الديموقراطية ، حتى أخذت تفرض مبادئها ونظرياتها على التفكير والآداب والثقافة الألمانية ؛ وهي اليوم تمثل في الحياة الألمانية بقوة ، ونظرياتها القومية والجنسية المغرقة تطبع التفكير الألماني في جميع نواحيه العلمية والأدبية والفنية ، بل هي تذهب في الجرأة الى حد محاولة التأثير في العقيدة النصرانية وصبغها بصبغتها . والعلم والتفكير والآداب والفنون في ألمانيا تسخر كلها لخدمة الدعوة الوطنية الاشتراكية وتمجيد مبادئ هتلر ، واثبات نظرياته المغرقة في تفوق الجنس الآري على الأجناس الأخرى ، وتفوق السلالة الألمانيـة على سائر المخلوقات ؛ واثبات صلاحيـة الحكم المطلق وفشل الحكم الديموقراطي ؛ وتمجيد

الخضوع المطلق للزعامة ، والانتقاص من قيمة الحريات العامة ، وغير ذلك مما تضمنه برنامج الوطنية الاشتراكية «وانجيل» هتلر .

وقد ذهب الوطنيون الاشتراكيون بعيداً في السيطرة على زمام الحركة العقلية في ألمانيا ، فبسطوا اشرافهم على الجامعات ، وأصدروا تشريعاً يصفد الصحافة ويجعلها مهنة شبه حكومية ، ويجعل الكتاب دعاة للوطنية الاشتراكية وطغيانها . وكما أن الفاشستية الايطالية بعثت الى الأدب الايطالي بصور رومة القديمة وذكريات الإمبراطورية الرومانية ومجد القياصرة ، وبالطموح الى احياء هذه الذكريات والصور في حياة ايطاليا وآمالها ؛ فكذلك بثت الوطنية الاشتراكية في الأدب الألماني مثل الامبراطورية المقدسة الذاهبة ، وصور ألمانيا العسكرية الظافرة الزاهرة تحمل زعامة الجنس الآرى كله ، وتملي على أوربا القديمة ارادتها ومثلها .

وقد كان للانقلابات السياسية والقومية دائماً أثرها في توجيه التفكير والآداب في جميع الأمم والعصور ؛ ولكن لعل التاريخ لم يشهد عصراً غمرت فيه القومية المتطرفة والنزعات الرجعية التفكير والآداب كعصرنا ؛ ذلك أن التوجيه القومي المعاصر يذهب الى حد الأغراق ويتخذ صوراً من العنف لم يسمع بها ، ويحاول أن يسيطر على جميع نواحي الحياة العامة ، وأن يتدخل في صوغ العقلية الفردية فضلا عن صوغ العقلية العامة . ولا ريب ان الحركات القومية تكسب من وراء ذلك قوة ، وربما كسبت الأمم في بعض نواحي الحياة المادية حيوية جديدة ، ولكن الحركة العقلية تعرض بالعكس لأخطار كثيرة ، ذلك لأن الثورات القومية العميقة تقوم على العوامل السياسية قبل كل شيء ؛ وتستخدم في سبيل مآربها سلاح الدعوات المغرضة والنظريات الموضوعة التي لا تقرها المثل الانسانية دائماً ، ولا يقرها العلم الخالص والحقائق المنزهة . والثقافات التي تطبعها أهواء السياسة والنظريات المغرضة ، والآداب التي ترغم على تصوير ألوان مصطنعة من الحياة العامة والحياة الفردية ، وتحمل على تمجيد البطولة الزائفة ، وتمجيد العبودية في عصر النور والحريات ، وامتهان المبادئ والمثل القدسية ، وتزييف حقائق العلم والتاريخ الراسخة ، هذه الثقافات والآداب ليست جديرة بأن تقود الأمم العظيمة ، وليست جديرة بالأخص بأن تتخذ مكانها بين تراث الانسانية الرفيع .

إن تطور التفكير والآداب على هذا النحو في أمم عظيمة كايطاليا وألمانيا ، هو بلا ريب ظفر جديد للمبادئ والاعتبارات المادية ، ولكن ظفر المبادئ والاعتبارات المادية على حساب الحياة العقلية والروحية من ظواهر انحلال الحضارات والأمم ؛ وإن حضارة تمجد فيها العبودية ، وتطارد فيها العلوم والآداب ، لأجدر بالعصور الوسطى منها بعصرنا ؟

محمد عبد الله عنان
المحامي

من ذكرياتي في مصر :

ساعة عند أمير الشعراء

لا أزال أذكر تلك الساعة السعيدة التي هبطت فيها مصر لأول مرة في حياتي عام ١٩٢٩ . فقد كانت مليئة بالخواطر ، فياضة بالآمال ، محفوفة بالاحلام . وكانت الفصل بين ماض راحل ، ومستقبل ماثل ؛ لقد تذكرت وأنا أجتاز ميدان (باب الحديد) وطرفي شاخص الى تمثال (نهضة مصر) القائم وسط ذلك الميدان الفسيح ، انني قد بلغت ما كنت أتشوف له وأصبو اليه ، فها أنا في تلك المدينة الجميلة التي طالما تاقت الى مرآها نفسي ، ونزع اليها هواي ، وها أنا في ذلك البلد الأمين الذي كان ملاك خاطري وقيد ناظري ، ومعقد أملي ، ومحط رغابي ، كم كنت أتمنى في تلك الساعة لو يتاح لي شهود مصر كلها فاجتلي مافيها ، لقد تمثلت أمامي بحضارتها المزيجة من روح الشرق الخالدة ، أو نفسية الغرب الجديدة ، فعملت فيها كل منهما عملها ، فظهرت من الاثنتين ثالثة كانت رباط الشرق بالغرب ، وجماع شخصيتيهما المتباعدتين من أقدم العصور حتى اليوم .

وتمثلت أمامي بأعلامها الميامين ، وأبنائها المقاويل ، وأساتيذها الأماثيل . وشعرائها الفلقين ، أولئك الذين تسمع دوي اسمهم في انحاء الشرق يملك عليك سمعك ، ويأخذ بمجامع قلبك ، فرفعوا اسم مصر وبنوالها في الادب والفن مجداً أصبحت به محط الرجال وقبلة الآمال . .

رحم الله (شوقي وحافظ) فقد كنت إذا ذكرت مصر أو مرت على خاطري الحياة على جنبات النيل ذكرت قبل كل شيء (شوقي وحافظ) وأنهما يقيمان في هذه المدينـــة القائمة في هذا السهل الوسيع، يحرسها (أبو الهول) الرابض في كنفها، هازئاً بالزمن، ساخراً من هذه الحياة الخاطفة ... والحق أن (شوقي وحافظ) أقاما لهما من المجد ما أخرس كل لسان، فلكا على الناس أسماعهم، وإنك لتسمع لهما صوتاً يرن في الآذان، حيثما وليت وجهك في هذه البلاد العربية المترامية الأطراف، فكان مما أزدته وأنا في مدينة شوقي وحافظ أن أراهما حق الرؤية، وأن أعرفهما حق المعرفة، وهكذا كان ...

لقد أشربت النفوس حب شوقي تخالط اللحم والدم، لأنها كانت تجد فيه فيضاً من العبقرية لا ينضب معينه، وكنزاً من الإبريز يزيد في قدره تعاقب الأيام والسنين، هذا إلى ما كان عليه من عظيم الخلق، ونبل القصد، وسجاحة النفس، وعفة اللسان، وحب الخير، وصلابة الإيمان، والملاحاة عن بيضة الدين والعربية بما حباه الله من صارم ذرب، ولسان عضب، وقول فصل، يدعمه غزارة العلم، وصلاعة في التأثير، وشدة في الخصوم.

رأيت (شوقي) لأول مرة في دمشق بـ (كازينو الخديوية) وكان بالقرب من الطاولة التي كنت عندها فعرفته من غير دليل، وعرفت أنه الشاعر العظيم بلا لبس ولا مراء، وإن لم يكن رشدني إليه أحد. فما أعظم الشبه بين هذه الأسرة والقسمات وبين تلك التي كنت أتوسمها في صوره في الكتب والمجلات..

لقد كنت جد شيق إلى التعرف به في تلك الفترة من الزمن، ولكن كم كنت أراني فضولياً إذا قمت بذلك في غير الفرصة السانحة التي تقضي بهذا التعارف، فحملت نفسي على إرجاء ذلك إلى الظروف والمناسبات..

وفي عام ١٩٣٠ بعد تجوال أربعة أشهر في سورية وفلسطين، عدت إلى القاهرة للمرة الثانية غب عطلة الصيف. فوجدت الكثير من شباب العرب في معاهد مصر يزمعون إنشاء جمعية باسم (جمعية الوحدة العربية) تلك التي طالما كنا نتغنى بذكرها، ونؤكد وجوب تأسيسها في السنة المنصرمة لضم شمل أبناء الضاد وعقد تعارف وثيق بينهم على ضفاف النيل السعيد، وسرعان ما انضجت تلك الفكرة، فآتت أكلها عن قريب، ولقد وجدت من (شوقي) رحمه الله خير نصير لها، حريص عليها، مبشر بها، فاوفدت الجمعية ممثلين لمختلف أقطار العرب كنت أحدهم لتقديم الشكر إليه باسمها، وتهنئته بإبلاله من علته، فما كان أعظم ابتهاجه بنا، لقد كان يحثنا على مواصلة ما نحن فيه، ويضرب لنا الأمثال في ذلك بصوته الضعيف المتقطع يخرجه بتكلف وعناء، مدعماً إياه بإشارات مختلفة من يديه يستعين بها على إظهار ما يريد، لقد كان أساي في تلك الساعة عظيماً كلما نظرت إلى الشاعر وما يقاسيه، التياعاً مما سيصيب دولة الشعر في المستقبل، وإشفاقاً على شوقي مما هو فيه من داء كامن بالغ، وإعياء شامل وشحوب باد ...

لقد كان ذلك الاجتماع أول اجتماع عقد صلة المعرفة بيني وبينه، وكنت كلما زدت تعرفاً به، ازددت إعجاباً بعبقريته الفياضة، وزدت شوقاً إلى مجلسه الجامع لأفانين الأدب، وروائع الحكمة، وطرائف الأخبار وأوابد الملح والفكاهات، ولا غرو في ذلك فشوقي يمثل عصراً بكامله، عصراً كان فيه مالك سمعه، وشاغل لبه، ومثير مشاعره، وهو خير مرآة له، بل خير من سيصوره للأجيال الآتية حق التصوير.

وفي عام ١٩٣٢ عدت إلى مصر بعد أن فارقتها ما يناهز سبعة أشهر، وكنت إذ ذاك في ضيق من دروس متراكمة، أتدارك ما فات، فشغلتني مشاغل المراجعة والحياة بين الكتب، والحرص على الوقت القصير من زيارة شوقي وتجديد عهد الاجتماع به..

وأقبلت طلائع الصيف لهذا العام، وانتهت أعوام الدراسة اللذيذة، أو قل الحياة في مصر، ودنا أوان العودة إلى الوطن العزيز، والتزود من النيل بذكريات على جنباته لا تنسى، وصور باقية لا تمحى، فقد أوشكت أن تكون تلك الحياة المغمورة بمختلف الخواطر، المحفوفة بشتى الألوان، ذكراً ماضياً، أو خيالاً سارياً ألم بنائم، وأطاف بحالم.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أي والله: لقد أوشكت أن تكون تلك العهود إذ ذاك ذكريات دفينة يضيفها الزمن إلى خزانته، تتجدد في نفوسنا كلما

جد عهد، وهاج بعد، وحالت حال، ولاح خيال، وها هي اليوم قد أصبحت كذلك، مطمورة في الصدر، رهينة في الفكر، تبتعثها لواعج الهم، وتثبت جذوتها كوامن الألم.

قلت لقد دنا الفراق، فبعد أيام معدودات امتطى القطار الزفوف، وبعده السيارة الربيدة، الى حيث ملاعب الصبا، ومجامع الألفة والهوى، والتام الشمل، ولقيا الاهل، فكان من الواجب بعد هذا وأنا أودع مصر عن قريب أن ألتي «شوقي»، وأن أودعه، وما كنت أحسب أن ذلك الوداع سيكون الاخير، وإن ذلك الاجتماع ليس بعده اجتماع، فكنت قد عقدت النية على الذهاب اليه. والتزود من حديثه العذب، وبينا أنا كذلك اذ جاءني صديق عراقي يخبرني بدعوة (شوقي) لى معه في داره (كرمة ابن هانئ) ضمن نخبة امجاد من غطارفة مصر، وأهلة هذا العصر، فما منهم الا من استفاض ذكره، وعلا في الفضل كعبه، ونما في المجد حظه..

ذهبت أنا ورفيقي في الموعد المنتظر الى (كرمة ابن هانئ) ظهراً، وكنت قد زرتها قبل هذه المرة، جنة أنيقة زاهية، نسقت فيها مغارس الزهر، وخمائل النبت واصص الورد تنسيقاً يبعث البهجة في النفس، يقوم وسطها قصر جميل يطل على النيل، ويقابل المقطم مدلاً عليه بما أوتيه من جمال وجلال، وروعة اخاذة بالالباب، مستفزة للمشاعر، ذلك لانه مقام الشاعر ومبيت جسمه، ومهبط وحيه وخياله، ومرتع شاعريته وتأمله، ومجتمع أمانيه وآماله، فله ذلك مادام كذلك..

دخلنا القصر فاستقبلنا سكرتير الشاعر، فجلسنا في الشرفة الامامية منه ننتظر قدوم شوقي، ونتأمل محاسن الطبيعة أمامنا، هذه مدينة القاهرة تجاه أبصارنا، كم من خواطر تاريخية تمر على البال في تلك الساعة، ان الانسان بهذا ليستعرض تاريخ مصر وما توالى عليها من حوادث وفتن وانقلابات وأحوال، تتزاحم كلها في ذاكرة الناظر ما أمعن في نظره، ورجع الى الماضي البعيد، أجل! تستثير كل تلك الذكريات مبان عالية مختلفة، ومنائر ضاربة في الفضاء، وقبب منتثرة هنا وهناك مختلفة في الاعمار، تنطق بالعبر، وتشهد على أن الزمان دول. وكان على جانبي السلم الرخامي تمثالان فأتمان يحمل كل منهما شبه مصباح في يديه. فسألني صاحبي عن تعليل لطيف لذلك، فقلت ان هذا أصدق تمثيل يطابق (ديوجيني) وقد حمل سراجاً يدور به في شوارع (اثينا) ليفتش عن الرجل في الليل والنهار، وفي الاخير بعد تجوال طويل عثر على امرأة خبرها فوجد فيها المثل الأعلى للانسان الذي يبتغيه فقال (لقد بحثت عن الرجل بكل مكان فلم أجده، ولكني وجدت المرأة) وما أشبه هذا التمثال الصامت الناطق القائم في مدخل الدار حاملاً بيده مصباح الحكمة والهداية بديوجيني، وكأنه هنا وقف للغادين والرائحين يقول (ها قد وجدت ضالتي المنشودة بعد عصور طويلة، لقد وجدت الرجل، لقد عرفت الرجل، هيا ادخل تر الرجل).

وأقبل الينا شوقي بعد فترة عاجلة من الزمن متهللا، فتقدمنا اليه مسلمين، فرحب بمقدمنا غاية الترحيب. وانتبذنا جانباً من شرفة القصر ريثما يتم اجتماع الآخرين، وكان الشاعر في هذه المرة التي لقيته فيها خيراً منه في النشاط ودلائل القوة في كل مرة رأيته قبلها، فقد هادنته العلل في ذلك الحين، وناهض المرض وصاوله حتى تغلب عليه اذ ذاك، ولكن من كان يدري أن «شوقي» سيخر صريعاً في الميدان بعد أشهر قليلة من ذلك الانتصار. وان تلك العلل انما كنت لتتجمع للوثوب، واختفت متراجعة لتظهر على حين غفلة، وهادنت خداعاً، والحرب خدعة، من كان يدري ذلك ومن المصدق بهذا المنقلب العاجل؟.. لقد كان شوقي في تلك الساعة قرير النفس، رخي البال، طافح البشر، وكان صورة من الطبيعة الباسمة في ذلك اليوم، وهكذا يكون الشاعر هو والطبيعة صنوان لا يفترقان.. تنظر اليه فتقرأ في جبينه المتغضن خطرات السنين المتعاقبة، واصداء الزمن الماضي بما فيه من حوادث وشئون، كان لسانها الناطق وحافظها للأجيال المقبلة من الاندثار، فاذا أمعنت في سطور ذلك المحيا داخلت نفسك هزة وانتفاضة هي هزة الاجلال والمهابة، حيث ترى ذلك العقل الجبار من وراء ذلك المحيا، وذلك الذهن المتقد يشع نوراً وحكمة، وذلك الخيال المطلق أعني به خيال الشاعر أو روح الطبيعة الثاني، ذلك الذي يهيم في كل واد، ويسبح في كل لجة، فيحلق مع الطيور في سمائها ليساجلها أنغامها، ويعانق الطبيعة في خمائلها ويتغنى بجمالها، وقد تراه فتبصر فيه خفة السرور وتقرأ عليه نضرة

النعيم ، وقد تراه فتجده بائساً لبؤس غيره . أنيس المحزون ، وعزاء الضعيف ، يشفق على المنكوبين وتذهب نفسه حسرات عليهم

وتقرأ في عينيه الذابلتين اللتين أتعب أجفانهما السهد وتعاقب الزمن ، صفاء السريرة ، وعفة القلب ، وحدة الذكاء ، وهى خير مترجم عن قلب الشاعر ، ذلك القلب العامر بالفضيلة والخير . وإذا استمعت الى حديثه العذب أسرتك طلاوته ، واجتذبتك حلاوته ، يبلغ الى فؤادك قبل سمعك فلا تمل منه لغة ، ولا تسأم فيه لهجة ، وشوق اذا حدث تخير ما راق لسامعه ، ورقت حواشيه ، وأتى بكل طريف قشيب ، تستهله طرافة فى التعبير ، وتختمه دعابة أو عبرة فى الحديث تقتضيها الحال ويستدعيها المقال ، وكان الحديث جامعاً وكان اقبالنا عليه بالغاً ، تناولنا شئوناً مختلفة فى أحوال (العراق) والأدب العربى فى هذا العصر وبعض مشهورى الشعراء والكتاب ، وقضينا فى هذا حيناً حتى قدم علينا الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وكان حديث القدوم من العراق ثم اكتمل العقد ، وانتظم الجمع فنهضنا الى داخل الدار حيث مائدة الطعام .

ولا تسل عما كان يدور حينذاك من مفاكهات عفة ، وملح آبدة ، ونوادر طريفة ، ساقها فرسان مشهورون فى مصر فى هذا المضمار ، مصلون به ، والفكاهة والظرف والتندر من الغرائز التى طبع عليها المصرى ، وهى من خصائص دمه لا تفارقه ، والذى يزيد فيها قوة وحسن وقع فى النفس أنها تمرق من اللسان عفواً وتنطلق من غير تكلف وتعمل . . تزجيها الطبيعة ، ويقذف بها الظرف اللائم ، ولسرعة البديهة وحدة الخاطر أثر لا ينكر فى سوقها . .

انتهى محفل الغداء فجلسنا بعده برهة قصيرة حتى اقترب موعد سفرنا من مصر فى ذلك اليوم ، فتنازعنا عاملان : عامل البقاء والاستمتاع بهذه الاحاديث الطلية ، وعامل الجلاء الى حيث ينتظرنا القطار الذاهب الى فلسطين ، وفراق مصر على مضض ، فتغلب العامل الثانى واذا نحن فى قطار المساء يزفر زفرة الوداع ، واذا بنا نودع من عز علينا وداعهم . واذا بنا نستعرض صفحات وذكريات ماضية واذا بنا نفارق أرض مصر وندخل فى أرض الميعاد . . .

بغداد

كمال ابراهيم

اختلاف المزاج

وأثره في الأفراد والأمم

وفي السياسة العامة

اذا راجعت معظم أسباب حوادث الطلاق التي تنشرها الصحف الانكليزية، وجدت أن في مقدمتها اختلاف المزاج، وهو ما يعبرون عنه بقولهم (incopatibility of temperament) ، ولا نفهم تماماً كيف يؤدي اختلاف مزاج الزوجين الى تنغيص عيشتهما حتى يطلبا الخلاص منه بالافتراق .

نريد أن نقول : هل اذا كان الزوجان من أهل المزاج العصبي يكونان أقرب الى الاختصام مما لو كان الواحد عصبياً حامياً والآخر بلغمياً بارداً ؟

قد يخيل إليك لأول وهلة أن الأمر كذلك ، أي أن العصبي سريع الانفعال اذا لقي عصبياً مثله تطاحنا وتقاتلا حتى يغلب أحدهما الآخر . ويبقى ذلك دأبهما حتى يفرق بينهما تفريقاً لا اجتماع بعده .

ولكن العكس صحيح أيضاً . أي أن العصبي — وحدته ونزقه معروفان — لا يطيق أن يرى أمامه بلغمياً بارد الطبع ، لأن الأول شعاره السرعة والثاني البطء ، فيؤدي اختلافهما هذا الى تخاصمهما بشدة لا تقل عن شدة تخاصم الأولين .

وصحيح كذلك أن العصبي حاد المزاج يطلب تنفيذ إرادته بلا تهاون ، فاذا لقي أمامه صفراوياً أو بلغمياً بطيء الانفعال والتأثر فالغالب أنهما لا يعارضانه فيتم له ما يريد بلا خلاف ولا احتكاك ولا قتال

ويظهر أن هذا الحكم الأخير هو الرائج في السياسة ، فقد تبدلت محالفات الأمم المختلفة المزاج وتغيرت ، وبقيت محالفات الأمم المتشابهة الأمزجة . فمن القبيل الأول محالفات أوربا في القرن الماضي كالمحالفة الثلاثية بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، والمحالفة الثنائية بين فرنسا وروسيا . فقد زالت هاتان المحالفتان ولم يبق لها أثر .

ومن القبيل الثاني تحالف بلدان ألمانيا وتحالف ولايات أميركا. وهما تحالفان يبقيان على الدهر لأن « الدم أكثف من الماء » كما يقول المثل الانكليزي . وعلى هذه النظرية يقدرون تحالف الأمتين الانجلوسكسونيتين في مستقبل الزمان — أريد بهما أميركا وبريطانيا .

وقد وجد الانكليز والفرنسويون بالاختبار الطويل أن كل سعي في التقريب بين الأمتين نجح حتى حين ، ثم لم يلبث ان فشل لأن مزاج الأولين الصفراوي مضاد لمزاج الأخيرين العصبي ، ومن ذلك كانت سلسلة حروبهما الطويلة التي بلغت أقصاها في عهد نابليون ، ثم انتهت بانتهاء حروب نابليون ولم ينته عداؤهما ، وقد تمكن الملك ادورد السابع بكياسته وحسن سياسته من عقد الاتفاق الودادي بينهما ، وظهر أن هذا الوداد ازداد توثقاً بتحالف الأمتين في الحرب العالمية وانضمام أميركا إليها بعد ما تلكأت نحو ثلاث سنوات عنها . ثم لما انتهت الحرب اذا هما حيث كانتا في تاريخهما الطويل — أمتان دأبهما النفار اذا اصطلحتا اليوم فلتختصما غداً .

وهذا شأن الفرنسويين مع أميركا ، ولكن بعد الشقة بينهما وقلة تصادم المصالح حالا دون بروز وجوه الخلاف . وحالت « مديونية » فرنسا لأميركا دون إبداء مزاجها العصبي ، وكانت خير شكيمة لتمادي جماحها على رجاء ان حسن سلوكها وكظم مزاجها العصبي واحلال المحاسنة محل المخاشنة — تؤدي كلها الى تجاوز أميركا عن ما لها من الدين على فرنسا .

ولكن الأميركيين متصلبون في عزمهم على ما يظهر تصلب شيلوك في اقتضاء رطل اللحم من غريمه مما حمل فرنسا على التظاهر بشيء من الخلق العصبي الذي طالما أخفته المحاسنة والملاينة والمجاملة . فلما احتفلوا بعيد لافاييت في الأسبوع الماضي أوعزوا الى وزير حربيتهم المارشال بتان العسكري العبقري أن يخطب خطب عاتباً ، والعتاب أول درجات الخناق .

ذكر في خطبته مقاتلة الجنود الفرنسوية تحت لواء وشنطن دفاعاً عن استقلال أميركا وما كان من الود القديم بينهما ثم نعاه فقال ان الأمتين ليستا من الود الآن على ما كانتا في قديم الزمان

ولكن هذا الغضب المقنع بقناع العتاب اللطيف والغمز الظريف ، لابد أن يكون صاحبه قد ندم عليه بعد ما وردت أنباء أميركا بأن الأميركيين لم ينسوا جميل لافاييت، بل قاموا قومة رجل واحد يعقدون الاحتفالات في جميع أرجاء فرنسا ، ويدعو مجلس

في المحكمة الصلحية

بكفيا – لبنان

للأستاذ حسن عبد الجواد

بكفيا بلد من بلاد لبنان يعلو ٩٥٠ متراً عن سطح البحر ويبعد ٢١ كيلو متراً عن بيروت . وعلى مقربة من هذا البلد تقع ضهور الشوير التي احتفلت بلديتها في الصيف الماضي بافتتاح شارع الأمير فاروق فيها بحضور كبار المصطافين المصريين .

وفي بكفيا محكمة صلحية « جزئية » يرأسها قاض على جانب كبير من الثقافة اسمه الأستاذ ناصر رعد .

والمحكمة الصلحية هي هي الجزئية . وهناك محاكم ابتدائية واستئنافية . ولديهم محكمة التمييز « النقض والابرام » .

وسراي محكمة بكفيا الصلحية بها غرفة للقاضي وقاعة للجلسة وغرفة لكتاب المحكمة « قلم كتاب » وغرفة لمأمور الأجراء « المحضر القائم بالتنفيذ » . — ومأمور الأجراء في تلك البلاد يتقاضى فوق مرتبه نسبة معينة على المبالغ التي يحصلها لأصحاب القضايا .

وكاتب التصديقات هناك يعمل لحسابه الخاص ويسمى « كاتب عدل » وله محل خاص أسفل سراي المحكمة يدفع هو أجرته الشهرية .

انعقدت الجلسة في الساعة التاسعة صباحاً ورأسها القاضي مرتديا الروب ، وجلس على اليمين كاتب الجلسة مرتديا الروب ؛ وجلس المحامون بمقعدهم الأمامي يرتدي كل منهم الروب .

ووضعت القضايا على المنصة ، أمام القاضي ، وكل قضية في مظروف مختوم .

نادى حضرة القاضي « فتحت الجلسة علنا » وفتح مظروف القضية الأولى بين سكون شامل — فاذا ما نظر القضية فتح مظروف الثانية وقال نفس العبارة « فتحت الجلسة علنا » وهكذا في كل قضية .

ولقد أعجبنا كثيراً كثرة التجاء المحكمة الى تعيين محكمين ، بعد اتفاق الخصوم والتوقيع على محضر الجلسة بقبول التحكيم . وكثيراً ما انتهت القضايا صلحاً أمام المحكمة ، وقد رأيناها تعرض الصلح على طرفي النزاع في كل قضية . وهذا طبيعي لأن المحكمة صلحية . وأول ما يجب على القاضي الجزئي عرض الصلح على المتخاصمين .

وقد لاحظنا أن القاضي قد درس القضايا جيداً قبل افتتاح الجلسة اذ أخذ يناقش الخصوم في كل صغيرة وكبيرة — وقد تأكدنا أن القائم بتبليغ القضايا « بالاعلان » قد استجوب المدعى عليه كتابة على عريضة الدعوى . وفي ذلك تسهيل كبير لمهمة القاضي ، وحصر للمرافعة في نقطة الخلاف فقط . وفي ذلك توفير كبير للوقت .

وقد رأينا القاضي يملي على الكاتب أقوال طرفي النزاع بلغة عربية فصحى ، ثم يطلب اليه قراءة ما كتب للتأكد من صحته

وكان يسأل القاضي الشاهد عن اسمه وصناعته وعمره ، وعما اذا كان متزوجاً أو أعزب — وان كان متزوجاً سأله عما اذا كان له أولاد . وقد سألنا عن السر في هذه الأسئلة الخاصة بزواجه وبأولاده فقيل « لمراعاة ذلك عند تقدير العقوبة على شاهد الزور »

وقد كان القاضي ظريفاً حقا ، وعلى جانب كبير من الأدب ، فوق دقته وذكائه .. وسمعناه يقول للشاهد عند الانصراف : « مع السلامة » .

وقد حكمت المحكمة في القضايا الكيدية بمبلغ من النقود « نظير العطل والضرر » كذا ، وفي ذلك القضاء حقاً على القضايا الكيدية :

وفي القضايا التي تعين المحكمة فيها خبيراً ، تستدعيه وتحدد له مهمته ، والساعة واليوم الواجب تقديم التقرير فيهما.

أمتهم سفير فرنسا الى احتفال عظيم في وشنطن يكون السفير ضيف الحكومة فيه ، ورئيس الجمهورية خطيب الحفلة يخطب فيها خطبة مؤثرة ، ويذكر مآثر فرنسا في شخص لافاييت .

ولكن ذلك لا ينقع غلة ولا يشفي علة ، ما دامت أميركا تطالب برطل اللحم غير منقوص ، هذا كله يجيء مصدقاً للقول ان اختلاف الأمزجة هو بيت الداء بين الأمتين كما هو بيت الداء بين الزوجين .

والتوكيلات يطلع عليها القاضى ويُملى رقمها للكاتب ويردها لأصحابها .

ونظام الاكراه البدنى متبع فى تلك البلاد لتحصيل الديون المدنية المحكوم بها بعد الاستشهاد بشاهدين على أن المدين قادر على الدفع . ويشترط ألا يكون للمدين عقار حتى يُكرَه على الدفع بالطريقة المذكورة ؛ لأنه فى حالة تملكه عقاراً يمكن اتخاذ اجراءات نزع الملكية بدلاً من الاكراه البدنى . والمحكمة تقضى بحبس المدين ٩١ يوماً مع استمرار حق الدائن فى التنفيذ مدنياً . ومن أجل هذا قلت دعاوى الاسترداد ، وقلت الدعاوى الكيدية المقصود منها عرقلة التنفيذ ، وتأجيل إيصال الحقوق الى أربابها .

والمحكمة تنعقد مراراً فى الأسبوع لنظر قضايا الحقوق المدنية أو لنظر الجنح والمخالفات «محكمة جزاء» .

والمحكمة تشدد العقوبة على سائق السيارات المقدمين بتهمة الاسراع فتقضى بالحبس لغاية ٦ شهور — والاسراع بمصر مخالفة لا يزيد الحبس فيها على أسبوع حبساً بسيطا — ولعل السبب فى ذلك سوء العاقبة عند الاسراع نظراً لارتفاع الجبال وعمق الوديان .

وعند انعقاد الجلسة — جلسة الجزاء — يقف بعض رجال البوليس «الجندرمة» للمحافظة على النظام . وعسكرى البوليس هناك مثقف ، ويتقاضى مرتباً حسنا ، « حوالى تسعة جنيهات مصرية » . وقد شاهدنا رجال الجندرمة يعاينون أدوات السيارة للتأكد من سلامتها قبل صعود الجبل ، فاذا ماوجدوا تلفاً فى أى جزء من أجزاء السيارة قدموا السائقين للمحاكمة . وكل هذا محافظة على أرواح الناس الذين تقلهم السيارات فى طول البلاد وعرضها .

ولقد صادفنا عسكرياً برحلة يحمل شهادة التجارة المتوسطة المصرية ؛ وفى هذا الدليل على ما عليه رجال البوليس هناك من ثقافة ومعرفة .

تلك نظرة سطحية فى نظام التقاضى بتلك البلاد الشقيقة ؛ وهو فى مجموعه نظام طيب . وفقنا الله جميعاً لخدمة العدالة ونصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم ؟

حسن عبد الجواد
المحامى

٧ - بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود أحمد النشوى

الوطنية لدى الشاعرين

ذكرنا فى العدد الماضى حديث الوطنية لدى أبى العلاء ، ورأينا حنينه للمعرة وللشآم ، وحبه لوطنه الذى ألقى رداءه على كل ما حوله حتى على نياقه التى تمنت قويقاً والصراة حيالها ؛ والتى تلت زبور الوطنية المنزل عليها فيه أن الصبر عن الوطن غير حلال ، ونريد الآن أن نتعرف الوطنية لدى شاعر الطليان ، تلك التى نكاد نلمسها فى كل ناحية من نواحى كوميديته . وكأنى به يخلق المناسبات، ويتعمد الاستطراد ليتحدث عن إيطاليا وآلامها وأوصابها فى عهده ، وليتحدث عن خائنى أوطانهم وبلادهم كذلك .

ولعلك على ذكر مما حدثتك به إبان استعراض طبقات الجحيم لديه عن الدرك التاسع الذى جعله مقراً لخائنى أوطانهم ، يشاركهم فى تلك الطبقة إبليس ويهوذا الأسخريوطى . . أوليس فى تسويته (وهو غرس الكنيسة) بين خائنى الوطن وخائن المسيح وإبليس اللعين مايجعلنا نكبر فيه وطنيته ، ونعلم أى حد بلغه فى حب بلاده ؟

وسأستعرض شيئاً من نواحى الوطنية فى كوميديته ، تلك التى نتلمس الوطنية الملتهبة فى كل ناحية من نواحيها ، حتى لنظن أن الوطنية كانت أكبر الأسباب التى دعته أن يدبج رسالته . فكم تلمس دانتى الأسباب والمناسبات ليبكى مجد إيطاليا وحروبها الأهلية التى كانت تمزق أوصالها ، وتفرق بين أبنائها . . فها نحن أولاء نراه يسير فى الطبقة الثالثة من السعير ، فلا تكاد تقع عينه على أحد مواطنيه (تشاكو) حتى يميل نحوه ويحدثه عن الوطن وعما أحاط به من ويلات ومصائب . وتشاكو بدوره ينبئ الجحيم والعذاب ، وينساق مع دانتى فى حديثه ، فيذكر له النزاع والفشل بين أحزاب فلورنسا .

وبينا هو يجوس خلال الطبقة السادسة من السعير ، وبعد أن خلص من مدينة (ديتى) وشياطينها اذا هو أمام مواطن آخر

اسمه (فاريناتا Farinata)، فيكرر على سمعه الحديث عن فلورنسا وأحزابها وحروبها حديثاً يخفق له قلبه، ويضطرب له جنانه.

وفى (المطهر) بين النار والجنة يذكر أوجو كابيتو ونعيه على كارلو دى قالو الذى دخل فلورنسا وشرد أبناءها وأهلها .. ثم يرى فى فراديس الجنان أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية (جوستنيان Justiniano)، فيوازن الامبراطور بين قديم روما وحاضرها، وبين وفاقها فى عهدها الأول وانحلال عراها، وتنازع أهلها وفشلهم فى عصرها الحديث، ناعياً على معاصرى دانتى تفكيرهم فى مصالح أشخاصهم، وتركهم الوطن تعصف به رياح القلاقل والاضطرابات. وكذلك يرى جده كاتشاجويدا ينعم فى الطبقة الخامسة من طبقات الفردوس، فيحدثه هو الآخر عن الأحزاب والخصومات، والحروب والويلات، موازناً أيضاً بين عهده الملىء بالمحبة والسلام، وعصر دانتى المترع بالنزاع والخصام..

ذلك شيء من حواره الوطنى الذى كان يهتبل الفرص فيذكره فى ثنايا رسالته، وفى تضاعيف خياله.

فأما العذاب الذى تخيله ينصب من فوق رءوس هؤلاء الخائنين، فحسبك أن تعيره سمعك إذ يحدثك عنهم وهم فى الدرك التاسع من السعير زرق الوجوه، مائلى الرءوس، غارقين فى بركة من الثلج فسيحة الأرجاء، سار على صفحتها فارتطمت قدمه بأحد الوجوه المشوهة، فتبين صاحبه فاذا هو (بوكا Bocca) خائن الوطن، وقاتل من كان يحمل العلم الفلورنسى غيلة، نتفرق جندها، وحقت على جيشها الهزيمة، كما حقت على خائنى الوطن كلمة العذاب.

وحسبك أن ترهف أذنيك لحديثه عن الكونت أوجولينو ugolino الذى ألقت اليه مدينة بيزا مقاليدها، وخضعت لسلطانه، فأسلمها وأسلم قلاعها وحصونها لأعداء البلاد. بيد أن قومه ظفروا به فاستفتوا فى أمره المطران روجيرو Roggero فاشتط المطران فى فتواه، وأسرف فى حكمه، وما كان جوابه إلا أن قال: ألقوه مع أطفاله وأبناء أخيه الصغار فى غيابة برج من الأبراج حتى يموتوا أصبراً جوعاً وعطشاً. فحبسوه وذريته الأبرياء الضعفاء فى برج ألقوا بمفتاحه فى النهر حتى ماتوا جميعاً؛ فكان عاقبتهما: الكونت والمطران، أنهما فى النار خالدين فيها، ينهش كل منهما رأس صاحبه

ثم اختتم دانتى جحيمه بالحديث عن بروتس Brutos وعن كاسيوس Cassios قاتلى يوليوس قيصر خيانة وغدراً، ولم يرعيا عطفه عليهما، ولا إحسانه العظيم لبلاده. وهنا أطلق لخياله العنان وافتن فى وصف العذاب لهذا الثالوث غير المقدس بروتس وكاسيوس ويهوذا، فتخيل وحشاً ذا ثلاثة وجوه متعددة الألوان، تبرز تحت تلك الوجوه أجنحة تفرع أشرعة السفائن طولاً وعرضاً، وهى تهتز فترسل ريحاً باردة على الجحيم وعلى من فيها.. ريحاً هى السبب فيما يلقونه من الزمهرير. لذلك الوحش ست عيون وثلاثة أفواه، يسحق أحدها بروتس، والآخر كاسيوس، وثالثها يهوذا، وهى دائبة على تمزيق أجسامهم؛ وكلما تقطعت أشلاؤهم عادت سيرتها الأولى، وعاد لها تمزيق أوصالها وسحقها...

وكم كان طريفاً حقاً إذ تكلم فى المطهر عن امرأة تدعى سابيا Sapia، وهى تتطهر من ذنوبها وآثامها؛ وما ذنبها إلا أنها فرحت واستبشرت إذ رأت قومها منهزمين، ولولا أن القدر أسعفها فأدركها المتاب قبل أن توارى فى التراب، لكانت حصب جهنم وطعاماً للسعير.

يتبع — محمود احمد النشوى

٢ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

سلطان باشا

هو محمد باشا بن سلطان بن احمد ، من قرية بالصعيد تسمى زاوية الأموات ، بالجانب الشرقي من النيل ، تجاه منية ابن الخصيب ، ولد بها سنة ١٢٤٠ أو إحدى وأربعين . ورباه أبوه فسلمه لمعلم للقرآن بالقرية علمه القراءة والكتابة ، وحفظه ما تيسر من القرآن الشريف . ولما بلغ أشده تركه أبوه ينظر في أمور القرية المذكورة ، الى أن نقل حسن باشا الشريعي من نظارة قسم قلوصنا ، في ولاية محمد سعيد باشا على مصر ، فسأله الوالي عمن يقيمه بدله على القسم المذكور فذكر له المترجم ، وأثنى عليه ، وضمن كفايته ، فأقيم ناظراً لهذا القسم مدة ثلاث سنوات . ثم جعله سعيد باشا وكيلاً لمديرية بني سويف ، وبعد سنتين جعله مديراً لها ، فبقى فيها الى أن توفى سعيد باشا ، وتولى ابن أخيه اسماعيل باشا ، فنقل المترجم مديراً للغربية فمكث بها نحو سنة ، ثم أمر بنقله مديراً لأسيوط فأقام بها نحو سنتين ، ثم جعله وكيلا لادارة تفتيش الوجه القبلي ثم أحال عليه النظر في ضياعه التي بالصعيد المسماة بالجفالك ، ثم جعله مفتشاً على مديريات الوجه القبلي ، وانحرف عنه في أثناء ذلك عكوش باشا ، وشاهين باشا ، وعظمت الوحشة بينه وبينهما فوجد حاسدوه فرصة للايقاع به ، نظراً لمكانة الرجلين عند الخديو فسعوا به عنده ، ووشوا له بأمور عنه كان يكرهها .

منافقته لتوفيق باشا

فغضب عليه وأمر بسفره الى السودان رئيساً لمجلس الخرطوم وهو في الحقيقة نفى على جاري عادة ولاة مصر ، اذا غضبوا على أحد نفوه الى السودان في صورة تنصيبه بأحد المناصب . فصدع المترجم بالأمر وسافر ، ولكنه لما وصل بني سويف وصله أمر الخديو بالرجوع بسبب تداخل ولى العهد محمد توفيق باشا وسعيه بالشفاعة له لدى والده لأنه كان يحبه . فرجع من الطريق وقصد قريته زاوية الأموات فمكث بها عدة شهور ، ثم أذن له بالاقامة في القاهرة فأقام بها في داره المعروفة بجهة الاسماعيلية مدة الى أن جعله الخديو اسماعيل باشا مديراً للفيوم ، ولكنه عاد فألغى هذا الأمر قبل سفره . وبعد نحو سنة رجع بأمر الخديو المذكور الى بعض المناصب التي كان بها بالوجه القبلي . وخُلع الخديو وتولى بعده ولده محمد توفيق باشا ، وقامت الثورة العرابيـــة وطالب العرابيون الخديو باعادة مجلس النواب ، وكان أهمل شأنه بعد توليته فأجابهم لذلك وألف مجلس النواب ، فجعل المترجم رئيساً له لما يعلمه من إخلاصه ومحبته له ؛ ثم وقعت بينه وبين العرابيين وأمراء الجند منازعات وخلاف في بعض الأمور ظهر لهم منها ميله للخديو فأبغضوه ونووا له السوء .

عرابي يهدده بالقتل

وقام عليه مرة عرابي وبعض الضباط في داره ، فهددوه بالقتل ، وجردوا سيوفهم في وجهه ، وكاد يقع في أيديهم ، لولا أنهم تراجعوا عنه من تلقاء أنفسهم ، واشتد قلقه بعد هذه الحادثة ورأى حياته معهم على خطر ، فاحتاط لنفسه ، وصار اذا جلس بداره وضع بجانبه مسدساً محشواً ليدافع به عن نفسه اذا فوجئ ؛ ولم يغن تهديدهم له شيئاً ، ولم يجد في تحويله عن الخديو ، بل استمر على اخلاصه ، والقيام بمساعدته ، والأخذ بناصره . ثم اشتدت الفتنة ، وسافر الخديو الى الاسكندرية ، فصحبه المترجم ملازماً خدمته ، واستدعاه هناك درويش باشا مندوب السلطان في شعبان سنة ١٢٩٩ ، وأنبأه بانعام السلطان عليه برتبة روملى بيكلربكى ، وأعطاه تقليدها بيده .

مع الانجليز

ثم قامت الحرب على ساق ، بين الانكليز والعرابيين ، فندبه الخديو لمساعدة الانكليز ، وارشادهم الى الطرق ، فبذل ما في وسعه وكاتب بعض مشايخ العرب والعمد ، ومن لهم شأن ، يمنيهم بالخلع والرتب والأوسمة ، على أن يبذلوا الطاعة للخديو والانكليز وينبذوا طاعة العرابيين ، فنجح في مسعاه ووافقه الكثيرون ، فانضموا للخديو وشيعته سراً ، ووقع الفشل في زمرة العرابيين ،

وانهزمت جموعهم ، واستولى الانكليز على مصر ودخلوا القاهرة يوم الخميس مستهل ذي القعدة سنة ١٢٩٩ ، فأرسله الخديو اليها نائباً عنه ، وأطلق يده في التصرف في الأعمال ، فوصلها في ٣ ذي القعدة ليلاً من طريق بور سعيد ، واستبد بالأمور أربعة أيام حتى حضر النظار اليها ، وباشروا أعمالهم . وقد تاه المترجم وتجبر في هذه الأيام الأربعة ، وأمر بالقبض على كثيرين ممن كان له بغية في القبض عليهم وإذلالهم ، ومنهم حسين باشا الشريعي ، فإنه أوغر صدر الخديو عليه ، وأشار بسجنه ، ونسي له سابق فضله عليه ، وذلك لخلف وقع بينهما إبان قيام الفتنة .

بعد الثورة العرابية

ولما حضر الخديو من الاسكندرية عقب إطفاء الثورة وذهب الناس لتهنئته بقصر الجزيرة يوم الثلاثاء ١٣ ذي القعدة المذكور أثنى أمامهم على المترجم ثناء كثيراً وقال هذا هو الرجل الذي أخلص لنا في السر والعلانية ، وأنعم عليه بالوسام المجيدي الأول ، وأمر بإحضاره فوضعه على صدره بيده أمامهم ، ثم سعى له عند النظار للإنعام عليه بعشرة آلاف دينار مصري مكافأة على خدمته ومسعاه ، فأعطيت له من ديوان المالية . وكافأه الإنجليز بوسام (سان جورج ، وسان ميشيل) من الدرجة الأولى لمساعدته لجندهم إبان الحرب ، وذهب به السير مالت قنصلهم الكبير الى داره وسلمه له يوم الثلاثاء ١٧ محرم سنة ١٣٠٠ هـ ، وقال له إن من شروط هذا الوسام أن تضعه مولاتنا الملكة بيدها على صدر من تنعم عليه به ، وقد أتيت اليكم نائباً عنها في وضعه على صدركم جزاء إخلاصكم وولائكم لجلالتها وللحضرة الخديو . ثم في جمادى الأولى من هذه السنة أنعموا عليه أيضاً بالمدالية الإنجليزية المصرية بخصوص الحرب العرابية .

وبقي المترجم بعد ذلك في داره بالقاهرة بلا عمل ، ملقباً بلقب رئيس مجلس النواب ، ثم انتدب للاشراف على شواطئ النيل وجروفه بالوجه القبلي لما زاد في الفيضان ، فصدع بالأمر على كره منه ، ورأى ذلك حطاً من مقامه ، واستقل العشرة الآلاف والوسامين على ما قام به للخديو والانكليز ، وانعكست آماله التي كانت ترمي الى تنصيبه في منصب كبير ، وفترت نفسه ، وكثرت همومه ، وانحرف عن الانكليز ، وطفق يذمهم بعد أن كان لهجاً بمدحهم والثناء عليهم في كل مجلس يجلسه ، واعتزل الناس بجمل اقامته بالصعيد ، ولما ذهب اللورد دوفرين الى تلك الجهة زاره المترجم فلم يلق منه ما كان يؤمله من حسن المقابلة ، وسأله في عرض حديثه عن حضور أخوي الخديو حسين باشا وحسن باشا من أوربة ، فقال له نعم حضرا ، فقال ولم حضرا ، فأعرض عنه اللورد ولم يجبه ، ونقل حديثه مع غيره ، فقام المترجم من المجلس كاظماً غيظه ، وزاد في ذمه في الانكليز ، وأثرت هذه الأحوال فيه فاعتلت صحته .

رئاسة مجلس الشورى

ثم صدر الأمر العالي يوم الأربعاء ٢١ محرم سنة ١٣٠١ بجعله رئيساً لمجلس شورى القوانين الذي ألف حينذاك ، بدلاً من مجلس النواب ، حسب اشارة اللورد دوفرين في تقريره عن مصر ، فتولى هذا المنصب وهو عليل ، ثم ازدادت علته ، فأشار عليه الأطباء بالسفر الى أوربة للمعالجة ، حيث لم تفده معالجة أطباء مصر ، فسافر الى بلاد النمسة ، ونزل بنزل في مدينة غراتس ، فوافاه أجله هناك صباح يوم الاثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٠١ .

وفاته

ونعي الى الخديو في ذلك اليوم بالبرق ، نعاه له قليني باشا فهمي فأسف عليه أسفاً شديداً وجزع ، وأمر بنقل جثته الى القطر المصري لتدفن فيه ، وأقام له مأتماً من الخاصة الخديوية ، وناط بمحافظ القاهرة القيام به بالنيابة عنه . ووصلت جثة المترجم الى الاسكندرية يوم الأربعاء ٦ ذي القعدة من السنة المذكورة فأمر الخديو بتشييعها تشييعاً كبيراً بالاسكندرية ، فسارت في طليعة الجنازة كتيبة من فرسان الشرطة ، ثم كتيبة من الجند الرجالة منكسي الأسلحة ، يتلوهم قراء الأحزاب والبردة ، ثم جميع كبار الموظفين بالاسكندرية ، فتلاميذ المدارس ، فجم غفير من الأعيان حتى أوصلوا النعش الى السكة الحديد ، فجعلوه في قطار مخصوص سافر به من هناك الى منية ابن الخصيب ، ونقل منها الى الشاطئ الشرقي حيث دفن بمقبرة بلده . وخلف المترجم ثروة واسعة ، وولداً واحداً عمره نحو سنتين ، وثلاث بنات . وقد رثاه الشيخ علي الليثي بقصيدة .

يقظة الشرق

للآنسة فلك طرزي

. . . في ليلة من الليالي الشديدة القر ، الغائبة النجم ، القاتمة السواد ، الشديدة الحلوكة ، قام طيف يخترق وحشة الليل ، يسير بخطوات هادئة يتجسس طريقه على الأرض الحزون ، يضرب فيها أخماساً لأسداس ، ممسكاً بيده قيثارة قد أوتارها من نياط قلبه ، وأنامله تلاعب هذه الأوتار بعزف يكشف رويداً غشاوة ما كان راكداً في أعماق النفس ، وراسباً في قرارة القلب ، من ذكرى الماضي الحافل التي طواها الزمن ، وكان يشدو معها بالغناء بصوت رقيق حنون ، تسبح موجاته مع تموجات الأثير تهدهدها طياته ، وينقلها الهواء من شاطئ الى شاطئ ، ومن ضفة الى ضفة ، حتى ملأ أجواء الشرق بنغماته ، وعبقت منه رائحة الأبدية وعبير الأزل . .

أخذ الصوت يقول : تعالى أي قيثارتي نرتل لحناً نعيد به المجد البالي ! تعالى نغرد أناشيد الصباح لعل الفجر يبدد الدجى ! تعالى نتغنى بألحان السحر فتتحول الأرض القاحلة الى حقول معشبة ، والسهل الأجرد الى سهول مخصبة ! تعالى يا قيثارتي نوقظ النهار من غفلته والنفوس من نومها العميق ! تعالى نرسل أنغامنا في سمع الدجى فتتحول السماء السوداء الى قبة تسطع فيها النجوم وتتلألأ فيها الكواكب .

ظل هذا الصوت يشدو ، وهذه القيثارة تجيب ، حتى تمزقت حواشي الليل ، وآذنت ساعاته بالفناء ، واذا بالفجر يبدو مشرقاً وضاحاً ، واذا بواكير الصباح تكشف عن نهار مشرق ضاح جميل ، وما لبثت السماء حتى تقشعت عنها الغيوم وتبدد عنها السحاب ، فبدت بلونها اللازوردي الجميل ، وتربعت الشمس على عرشها ، وأشرقت من أفقها ساطعة بنورها الوهاج على الجبال والأودية ، وهي مشتعلة متأججة ، وأخذت أشعتها تتفرق في السهول وعادت الى الأرض حياتها ، والى الزهر رونقه وبهاؤه ، والى الزرع اخضراره وجماله .

فقالت الأزهار يخاطب بعضها بعضاً : انظري يا أختاه الى هذا النور المنبثق من السماء ! انظري ! ما هذا الضياء المشع ؟ أليس هو نور « اليقظة » يسطع من سماء شرقنا المحبوب ؟ وقالت الأشجار لبعضها : ألا تعلمين يا صديقتي ان أغصاننا كادت تتحول الى أعواد يابسة يعصف بها الشتاء ، لولا تلك النغمة المقدسة التي أرسلتها اليقظة من سماء مصر فأعادت لنا أنفاسنا وحياتنا ! وقال الفجر يخاطب الليل : أنت أيها الحسود كنت أن تمحي خطوطي الزاهية الى الأبد ، لولا « هذه الفتاة الحسناء » التي عادت فرسمتها برغم أنفك ! فيا لك من عدو ماكر وحسود خداع !

وقالت الأطيار بعد أن عادت تغرد في الدوح : تعالوا نحلق في الفضاء ونرفرف بأجنحتنا فالجو صاف ، والنسيم عليل ، والعبير يبق في جو الأفلاك ! وقالت الأنهار : تعالوا نرو الأرض من مائنا السلسبيل ونطفئ ظمأها من ينابيعنا العذبة ، تعالوا ! تعالوا ! ان غديرنا يبعث من خريره أناشيد ملؤها الغبطة والسرور !

عندئذ نظرت النفوس الى « يقظة الكون » وتأملت طلوع شمسها البهية ، واشراق محيا الصباح الجميل فتنفست الصعداء وارتسمت على الوجوه ابتسامة سرور وانشراح وقالت : لك الحمد يارب ! أنت الذي نظرت الينا بعين الرحمة ، فما أطلت علينا ليلك ، وما طالت علينا حلوكة الظلام الدامس ! فها نحن أولاء نستيقظ من سباتنا العميق ،

أدب

وكان المترجم إلمام بالأدب وقرض الشعر ، اشتهر عنه نظم النوع المسمى بالصعيد بالزاو ، وأخبرني من أثق بقوله انه اطلع على قصيدة له في مدح حسن باشا الشريعي رحمهما الله .

***

وحدثني صديقنا على رفاعة باشا ، ابن رفاعة بك الشهير قال : كانت بيني وبين المترجم وحشة ازدادت لما جعلت وكيلا للمعارف إبان الثورة العرابيــة ، ثم عزلت من هذا المنصب بعيد الثورة ، وقصدت السفر الى بلدتي طهطا ، فلقيته بالقطار ، فلما وقعت عينه على عيني نظر إلى نظر الشامت ثم قال : إيه يا على بك ، لقد أجاد الشاعر في قوله :

برغم شبيب فارق السيف كفه   وكانا على العلات يصطحبان

فقلت نعم أجاد ، وأجود منه قول الآخر :

انى لأرفع عيني حين أرفعها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

ودم الحياة يتدفق فينا قوياً حاراً ، وثغورنا تبتسم لابتسام ثغر الأدب من بين شفتي هذه النهضة المباركة التي أنشأتها أقلام الأدباء ، ونظمت لحنها عقول الشعراء ، وخلدت مجدها عبقرية الفنانين ، فقامت عصبة الشباب تطالب بالحرية والمساواة ، ورفع راية الشرق ، تستنكر الذل والخضوع ، وتأبى الضيم وعار الاستسلام .

ها هما حافظ وشوقي قد طواهما الخلود بعد أن غردا أناشيد الحياة المتنوعة ، وخلفا ذكراهما تتناقلها الأجيال زكية الأرج ، ضواعة العبير ، وسجلا صحيفتهما في عالم الخلود !

ها هي ذي «مصر» كما تخيلها مختار تقف بجانب أبي الهول توقظه من نومة الأبدي وغفلته العميقة ، لينقذها من هذه الأهوال التي جعلتها تئن تحت نيرها !! ها هي ذي «الرسالة» الغراء لما تبلغ سن الفطام شبت وترعرعت ، وغدت لسان النهضة الأدبية في العالم العربي قاطبة يقوم بها أسطع الكتاب اسماً ، وأوسعهم شهرة ، وأجلهم قدراً .

فاللهم اجعل هذه النهضة مباركة ميمونة الطالع على الشرق فيتحد أبناؤه ، وتتوحد كلمتهم ، وتأتلف قلوبهم ، وتتحقق بأمنية واحدة هي «الحرية» ! وقرب لنا الساعة التي تتهلل وجوهنا فيها بالسعادة والغبطة ، وترسل أعيننا دموع الفرح والسرور ، فيمتلئ الجو من هتافاتنا ، ويرتفع علمنا المحبوب يشق أجواز الفضاء ، وتصيح من أعماق قلوبنا بصوت واحد «ليحيى الشرق»

دمشق — فائق المرزى

أبو علي عامل أرتست

مجموعة قصص مصرية

تأليف

الأستاذ محمود تيمور

يطلب من مكاتب القطر الشهيرة وثمنه خمسة قروش خلاف أجرة البريد

حقائق

لميشيل انجلو

ترجمة عامر عبد الوهاب عامر

١ — يقول بنسن في كتابه (كلمات عن كورسيكا) .
لقد غرس حب الحرب في قلب نابليون منذ طفولته إذ أهدى إليه أحد أصدقائه الأحداث مدفعاً صغيراً من النحاس

٢ — بينما كانت جوزفين ذاهبة ذات يوم مع نابليون الى الأوبرا استوقفها الجنرال (راب) لحظة ليضع لها الشال على طريقة السيدات المصريات . وبهذه الحادثة التافهة نجا نابليون بحياته إذ انفجر اللغم الذي أرصد لاغتياله في تلك اللحظة وهكذا توقف مصير أوربا على تعديل وضع الشال .

٣ — إن المؤامرة التي دبرت في عهد الملك شارل الثاني والمعروفة باسم Rye-house Plot فشلت بسبب صغير . وذلك أن النزل الذي أقام به الملك اشتعلت فيه النار فاضطر أن يرحل عن (نيوماركت) قبل الميعاد المعين بعدة ساعات وكان ذلك سبيلاً الى إفساد التدبيرات التي أعدها المتآمرون على جلالته .

٤ — إن الحريق الكبير الذي شب في لندن عام ١٧٩٩ أحدثه خادم كان قد ألقى سهواً شرارة على تخشيبة كوخ . كذلك الحريق المروع الذي اندلع لهيبه في المدينة في عهد شارل الثاني يرجع الى حادثة من هذا القبيل في مخبز قريب من جسر لندن

٥ — إن طموح القائد الروماني ماريس وكل ما استتبعه من الشرور والآثام يرجع الى تلك النبوءة الخرقاء بأنه (سيصير قنصلاً سبع مرات)

٦ — هاجم الغاليون بزعامة برنوس روما عام ٣٩٠ ق . م ولكن برنوس امتنع عن اقتحام القلعة الرومانية على أثر سماعه نقنقة بعض الأوز المقدس الذي أهاجه سير المحاصرين الغاليين

٧ — إن اختراع الزجاج ينسب على العموم الى بعض التجار الفينيقيين الذين أوقدوا ناراً على ساحل البحر . ثم لاحظوا بعد انطفائها تحول الرمل الى زجاج

تاريخ الأدب

بقلم الأستاذ محمود محمود محمد

سلكت دراسة التاريخ فى العصر الحديث مسالك شتى ، وتشعبت فى فروع كثيرة ؛ فأصبحنا نرى الى جانب تاريخ السياسة تاريخاً للفلسفة ، وتاريخاً للعلوم ، وتاريخاً للاقتصاد ، وتاريخاً للأدب . وسنحاول فى هذه الكلمة أن نبين مدى ما يمسه تاريخ الأدب من مباحث .

١ — شخصية الأديب

يعنى تاريخ الآداب بدراسة الآثار الأدبية من نثر ونظم . ولما كنا لا نستطيع أن نفهم الكتاب فهماً صادقاً دون أن نعرف مؤلفه ، أو نحلل القصيدة تحليلاً دقيقاً من غير أن نعرف ناظمها ، فقــد أصبح لزاماً علينا أن نجعل الكتّاب والشعراء أنفسهم موضوعاً للدرس عند دراسة تاريخ الأدب ، ذلك لأنه يستحيل علينا أن نفصل الأثر عن المؤثر أو نفهم النتيجة دون السبب . وإننا حين نقرأ كتاباً من الكتب تبرز لنا شخصية المؤلف الذى صب أفكاره ومشاعره فى هذا الكتاب قوية واضحة ، بحيث لا نستطيع إنكارها .

وتشمل دراســة الأشخاص نشأتهم وتجاربهم وأخلاقهم الموروثة والمكتسبة ، ونزعاتهم وتاريخ حياتهم ، وغير ذلك من مكونات الشخصية . ولكن هنالك ناحية أخرى يجب أن تنال من عنايتنا أكبر نصيب عنــد دراسة الأديب ، تلك هى السمة الظاهرة ، والطابع الخاص الذى يميز البعض عن البعض، ويرفع كاتباً فوق الآخر . ذلك لأن العبقرية معنى واسع تشمل أطرافاً متباعدة ، ولكنها فى صميمها عبارة عن قوة الشخصية ، أو قوة الابتكار والابتداع . ويقول أحد الكتاب الانجليز : « إن كل كاتب كبير يأتى الى هــذا العالم بشىء جديد كل الجدة : ذلك هو نفسه » . والكاتب المخلص لفنه يسكب نفسه ويبث روحه فى كل ما يكتب ، ومن ثم اختلفت آثار الكتاب وانطبعت بصور شتى من شخصياتهم . وواجبنا عند دراسة الأديب أن نبرز طابعه الشخصى للعيان ، ونفصله كل التفصيل ؛ فهو أهم ما يجب أن نعرف عنه ، وللأديب من الأهمية والعظمة بقدر ما لهذا الطابع من قيمة وجاذبية .

٢ — المذاهب والمدارس فى الأدب

ليست شخصية الكاتب إلا ناحية واحدة من نواح كثيرة ، يختص بدراستها تاريخ الأدب . فلو أنا دونا مصنفاً يجمع بين دفتيه تاريخ حياة الأدباء وذكر آثارهم ومخلفاتهم متنافرة لا تؤلف بين ابعاضها فكرة ، ولا تربط أجزاءها صلة ، كان تأريخنا لأدب اللغــة ناقصاً قليل الفائدة ، لأن الأدب برمته يرتقى وينحط من عصر الى عصر . وعلى مؤرخ الآداب أن يدرس أسباب الرقى والانحطاط ، وتأثر الأدباء بها أو تأثيرهم فيها ، وأن يدرس صلاتهم بأسلافهم وأخلافهم ، فان من الكتاب من يرتفع الى درجة السمو والكمال ، فيطبع عصره بطابع خاص ، ويظهر من بعده أتباع له يتأثرون آراءه وأساليبه ، معترفين بفضله حيناً ومنكرين أحيانا . والكتّاب الذى يلقى رواجاً عند جمهور الناس لا يلبث أن يظهر له أشباه ، وأن يتكرر ما فيه مرات ومرات : وهكذا تنشأ المدارس فى الأدب ، وتظهر الحركات التجديدية التى تحيا حيناً من الدهر ،

---

٨ — إن اختراع الطباعة — ذلك الاختراع الخطير — استلهمه جون جينســفليش فى ساعة نشوة وطرب حيث نقش الحروف الأولى من اسمه على شجرة ، ثم ساقه الخيال الحالم الى أن يضع عليها ورقة فانطبعت عليها هذه الحروف

٩ — إن جاك لافاييت أحد رجالات المال والسياســـة الفرنسيين ، والذى لعب دوراً خطيراً فى ثورة عام ١٨٣٠ كان فى الأصل بائساً معدماً . وقد نسب العمل الذى فتح أمامه طريق اليسار والفخار الى التقاطه دبوساً ضائعاً فى شوارع باريس

١٠ — خطرت نظرية الجاذبية لسير اسحق نيوتن عند ما رأى تفاحة تسقط مصادفة من شجرة كان يرقد تحتها فى لحظة تفكير وتأمل .

١١ — قال قيصر « للمصادفة أثر كبير فى الحرب » ولكن أثرها أكبر فى الاكتشافات العلمية والاحداث السياسية (جريدة التيمس)

١٢ — قد تؤدى حادثة صغيرة جداً الى نتائج عظيمة الشأن . وأحياناً تسبب أروع النكبات (تشيبرز) .

ثم تموت لتخلي السبيل الى ظهور مدرسة أخرى أو حركة جديدة حينما تتغير الأذواق وتتبدل المذاهب . فاذا قلنا – مثلا – مدرسة «بوب» في الأدب الانجليزي ، انصب قولنا على جميع الشعراء الذين تبعوه في الأسلوب الذي أذاعه بين الناس ورفعه الى مرتبة الكمال . واذا ذكرت «الحركة الكلاسيكية» في الشعر ، حملت الى أذهاننا عصر بوب الذي تميز بالرجوع الى تراث الأقدمين وورود مناهجهم الأدبية . واذا قلنا الحركة الرومانتيكية في النثر الخيالي ، قصدنا ذلك المنوال الذي أنشأه «سكت» في كتابة القصص التاريخية ، ونسج عليه أتباعه ومقلدوه . وقد ظهرت المدارس والمذاهب كذلك في الأدب العربي ، فكان في العصر العباسي مدرسة وعلى رأسها الأصمعي ، لا تحب إلا الشعر الجاهلي ، ولا تحب من المحدثين إلا من قلد القدماء . وقد أدخل المتنبي والمعري الفلسفة في الشعر ، فأصبحت مذهباً من المذاهب له أشياعه وأنصاره .

هذه المدارس والحركات تلعب دوراً هاماً في تطور الأدب ، ولها من الأهمية في دراسة تاريخ الآداب ما لا يقل شأناً عن دراسة شخصيات الكتاب أنفسهم . فإن الأديب مهما كان مجدداً مبتكراً فهو ما زال الى حد كبير وليداً لبعض الكتاب السابقين ، يستلهمهم الرأي ويستوحيهم الأسلوب . وقد ذكرنا مثلا أن «بوب» مجدد في الشعر الانجليزي ، له أسلوب خاص ومدرسة خاصة ، ولكنا اذا أمعنا في البحث عرفنا أن هذا الأسلوب لم يكن من خلقه وإنشائه ، وإنما بلغ الذروة من الكمال على يديه بعد ما سار شوطاً بعيداً في التقدم والترقي ، ووصل الى درجة تكاد تدانيه دقة وروعة في كتابات الشاعر دريدن . وقد تعلم سكت في مدرسة رومانتيكية قبل أن يصبح زعيماً لهذه الحركة ، وظهرت الفلسفة في الشعر العربي قبل المتنبي والمعري . وكثيراً ما ينعت شكسبير بأنه يتفرد في عصره بالسمو والكمال الأدبي ، وأنه ابتكر الدرام لم يتبع في ذلك أحداً ولم يتأثر أحداً ، ولكنه في الواقع لم يكن إلا متمماً لمجهودات السابقين من الكتاب أمثال نكولاس يودال ، وتوماس نورتن ، وغيرهما ممن لا يرد ذكرهم في تاريخ الأدب إلا لماما .

وتاريخ الأدب يوضح لنا هذه الصلات ويربط كاتباً بآخر ، وجماعة بجماعة ، ومدرسة بمدرسة ، كما يدرس أسباب التطورات المختلفة في عصور الأدب ، وتأثير خمول الكتاب في الجمود بالأدب والسير به في مناهجه القديمة أو النهوض به وتوجيهه وجهات جديدة . وقد عرفنا أن روح الأدب تتغير من عصر الى عصر ، وكثيراً ما يتحكم الذوق العام عند جمهور الشعب في هذا التغير ، فيخرج الأدب على غراره وينطبع بطابعه . وكما أن لكل جيل أسلوبه في الشعور ، فكذلك لكل جيل ذوقه الخاص . هذا الذوق سريع التقلب والتغير ، فان عصر فكتوريا في الادب الانجليزي (١٨٣٢ – ١٨٨٧) على قرب عهده وشدة صلته بالعصر الحديث يختلف في أدبه عن الادب الحديث ، كما يختلف في زيه عن الأزياء الحديثة . والفرق واضح بين لغة الادباء في مصر الآن ، وبين لغتهم منذ عشرين عاما فقط ، ذلك لأن القراء قد تبدلت أذواقهم وتغيرت طرائق معيشتهم .

وتاريخ الأدب يبحث قبل كل شيء عن أسباب هذا التطور في الاساليب والاذواق ، وقد عرفنا أن شخصية الكاتب عامل عظيم الاثر في هذه الانقلابات ، لان الكاتب الفذ يخلق ذوقاً جديداً وينشىء عصراً جديداً ومرحلة جديدة في الادب ، ولكنا يجب ألا نغالي في تقدير شخصية الكاتب حتى نجعلها تبتلع العوامل الأخرى وتستغرقها جميعا ، فقد ذكرنا أن النابغة يصاغ في قالب من الثقافة والمثل العليا والاتجاهات العقلية والخلقية التي يولد فيها ، مما يكون له أكبر الأثر فيما يكتب ويخرج لهذا العالم . وكما يؤثر الأديب الفحل في عصره فهو كذلك يتأثر به ، ويتوقف نجاحه الى حد كبير على خضوعه لأذواق الجماهير ومجاراته لأهوائهم ، وعلى ذلك فالكاتب ابن عصره ، ولا بد لنا عند دراسته من معرفة العوامل التي كيفت آراءه وحددت ذوقه الأدبي ، وجعلت له طابعاً خاصاً في أدبه – وقد تكون هذه العوامل أدبية ترجع الى الكتب والمدارس كما يتميز عصر اليزابث – مثلا – في الأدب الانجليزي باندفاعه وراء الآداب اللاتينية والاغريقية التي بعثتها النهضة الأوربية ، فتأثر الكتاب في ذلك العصر بسحر الأدب الايطالي ، وكما انبعثت آداب العصور الوسطى وفنونها منذ سنة ١٧٥٠ ، وتمثلت في كولروج وسكت . فالواقع الذي لا مراء فيه أن المؤثرات الأدبية تأتي بأذواق جديدة تجرف أمامها أشد الكتاب استقلالاً في الرأي .

ولكن الأدب يتأثر بعدة عوامل أخرى غير العامل الأدبي ، عوامل لا تمت الى الكتب والمدارس بصلة ، ولكنها تتصل

بالحياة العامة والسياسة والاجتماع بسبب ، فكل ما ينمث اتجاهاً جديداً في الرأى أو في منحى الحياة أو في مجرى السياسة والشعور العام يؤثر في تكوين الآداب الى حد كبير . ويجب علينا عند دراسة أى أثر من الآثار الأدبية ألا ننسى ظروف الزمان والمكان التى أحاطت بالكاتب عند تحرير كتابه .

٣ — صلة التاريخ بالأدب

لكل جنس من الأجناس البشرية ولكل عصر من عصور التاريخ مميزات خاصة ، ومهما تكن شخصية الأديب بالغة من القوة ، فان روح جنسه وعصره لا بد ظاهرة فيه ، وعلى ذلك فتاريخ الأدب يتأثر بمؤثرات وطنية كما يتأثر بمؤثرات شخصية . ويكفي أن نذكر الاصلاح الديني والثورة الفرنسية وظهور الاسلام وتقدم العلوم في القرن التاسع عشر ، وغير ذلك من الحوادث العظمى في التاريخ لنتبين العلاقة المتينة بين تاريخ الأدب والتاريخ العام .

ولا يقتصر تاريخ الأدب على دراسة المخلفات الأدبية لمختلف الكتاب ، كل كاتب على حدة ، وإنما هو يشمل كذلك دراسة أدب الأمة جملة واحدة ، وإظهار مميزاته العامة باعتباره انتاجاً لعقلية هذه الأمة ككتلة واحدة لها تفكير خاص وشعور خاص ، فللأدب العربي — مثلاً — مميزاته العامة ، وللأدب الانجليزي مميزاته العامة كذلك ، وتختلف هذه عن تلك بمقدار ما يختلف الشعبان في الجنس والسلالة .

كل ما له أثر في تكوين الأمة له أثر في نسج أدبها ، فان أدب الأمة هو تاريخها الذى دونته بقلمها يصور لنا أخبار رقيها العقلي والخلقي . واذا تتبعنا تاريخ الأدب في كل ما طرأ عليه من تقلبات ، فنحن على اتصال مباشر بالأسباب الحقيقية ، والحركات الدافعة لحياة الأمة في العصور المختلفة ، ونحن مستطيعون أن نفهم نظر أهل تلك العصور الى الحياة وألوان مسراتها وأنواع ملاهيها وفلسفتهم في الوجود ومختلف العواطف والأحاسيس التي كانت تجول بنفوسهم ، ومثلهم العليا في الأخلاق والذوق ، وأى صفات لبطولة كان لها سلطان قوى على النفوس ، وكان لها نصيب كبير من الاعجاب ، فالأدب كما يقولون مرآة تنعكس عليها روح الشعب وحياته .

٤ — عصور الأدب

وقد اعتاد مؤرخو الآداب أن يقسموا الأدب الى عصور مختلفة ، ولم يلجأوا الى ذلك لسهولة الدرس فحسب ، ومن قبيل تقسيم الموضوع المتشعب الى أبواب وفصول ، ولكن هناك مايبرر هذا التقسيم ، فالعصر التاريخي عبارة عن فترة زمنية يسود فيها نوع من الذوق العام ، وعلى ذلك فان أدب ذلك العصر يتسم بصفات خاصة من حيث المادة والفكرة والأسلوب . وقد تختلف آثار الكتاب البارزين بقدر ما تختلف شخصياتهم ، ولكن تلك الصفات العامة تظهر فيهم أجمعين ، ولا ينتهى عصر ويخلفه آخر ، إلا بعد تغيير حاسم في الذوق العام .

ولكنا يجب أن لا نضع الحواجز المتينة بين عصر وعصر ، فليس تاريخ الانسان أبواباً وفصولاً ، ولكنه تيار واحد متدفق يتعرج حيناً ذات اليمين وحيناً ذات اليسار ، ليس له بداية معينة ولا نهاية محدودة ، والعصور التاريخية في الواقع آخذ بعضها بتلابيب بعض ، وقد يبدأ الرجل عمله في عصر من العصور ولا ينتهي منه الا في عصر آخر ، كالمخضرمين بين الجاهلية والاسلام ، وكبشار وابن المقفع بين العصر الاموى والعصر العباسى . وقد عاش دريدن وملتون في زمن واحد ، ولم يعمر أولهما بعد الآخر الا سنوات قلائل ، ومع ذلك فقد اعتاد مؤرخو الأدب الانجليزي أن يضعوهما على رأس عصرين متتابعين يعرفان بعصر « دريدن » و عصر « ملتون » . ومع ذلك فان لتقسيم الأدب الى عصور أهميته الدراسية لأنه يوجه أنظارنا الى المراحل التى اجتازها الأدب وتميز في كل مرحلة منها بميزة خاصة ، وهو أهم مايعني به مؤرخ الآداب .

وللمؤرخ أن يطلق على هذه العصور أسماء يشتقها من التاريخ ورجاله كعصر اليزابث ، وعصر فكتوريا ، وعصر المأمون . ولكن الأجدر بنا أن نسمى تلك العصور بأسماء مشتقة من الأدب نفسه ونطلق عليها أسماء مشاهير الكتاب الذين يمثلونها فنقول عصر شكسبير وعصر ملتون وعصر المتنبى . وعصر الجاحظ . . الخ ليسهل على الطالب أن يدرك بنظرة سريعة الصفات التى يتميز جيل عن جيل ؟

محمود محمود محسن

من طرائف الشعر

الوادى

لصوت الطبيعة الصارخ ألفونس دى لامارتين

للشاعر الدمشقى أنور العطار

« إلى التى علمتنى الحب وعلمتنى الألم ، وجعلت من حياتى مثابة لحياة هذا الشاعر، فى خيبة الحب ، وحرقة القلب ، ومشجى النغم ، ومذيب الألم ! »

إيه وادي الضياء والأحلام ... إيه مهوى الإيحاء والإلهام

هب لضعفى ملاذ يوم قصير ... أترقب فيه دنو حمامى

لم يعد قلبى السئوم المعنى ... يرتجى من عماية الأيام

أن تعيد المنى إليه عذاباً ... مغريات بثغرها البسام

***

هو ذا المسلك الذى ضاق ذرعاً ... فى ثنايا الوادى المضب النواحى

تتدلى الغابات حول حفافيـه وتبدو ملتفة الأدواح

باعثات إلى جبينى فيئاً ... من غصون تميد بالأفراح

غامرات ساح الفؤاد سلاماً ... مقصيات عنى شجا الأتراح

***

ها هما جدولان فى قاتم البعـد استسرا فى مسرب الأعشاب

رسما فى المسير منعطف الهضـب ومسرى الربا ومنحى الشعاب

مزجا فى هنيهة ناغم الما ... ء بموج كالهادر الصخاب

ثم غابا عن العيون وضاعا ... فى قصى المدى وخافى الرحاب

***

ولكالجدولين فى التهذار ... فاض نبعى ولج فى التيار

ثم ولى وليس صوت ولا اسم ... أو معاد إلى حمى التذكار

فيهما الماء قد ترامى نقياً ... مشرق السكب مثل شمس النهار

غير أنى والهف نفسى، كئيب ... ومياهى مزبدة الأنوار

***

فى ضفاف من الجداول غرقى ... فى دموع الندى وسجو الظلال

كنت أقضى سحابة اليوم مغلو ... لاً بقيد من الطبيعة غال

وعلى هادر المياه تغط النـ ... فس فى حلمها البعيد المجال

مثل طفل أغفى على نغم حلـ ... و غميس فى زاهر الآمال

***

آه ! هل لى إلى هناك معاد ... حيث أفنى فى زاخر الأمواج

إن عينى تهفو إلى ذلك الأفـ ... ق وتهوى تزاحم الأحراج

ليتنى فى حمى الطبيعة أبقى ... سادراً فى بقاعها والفجاج

ثم أدنو إلى السموات مفرا ... حاً أصلى فى ذهلتى وأناجى

***

كم تعشقت فى حياتى وكم زو ... دت عينى مرأى، وقلبى شعورا

غير أنى رجعت أدراج ذاك الـ ... عيش أبغى إلى الهدوء مصيرا

يا مطاف الجمال بالله كن لى ... شاطئاً للسلو يوماً قصيرا

ليس غير النسيان يملأ نفسى ... أملاً واسعاً وصبراً غزيرا

***

إن نفسى فى هدأة وفؤادى ... فى ارتياح يفوق كل ارتياح

لم يعكر صفاءه الألم المر (م) ... وما فى حماه من أتراح

والضجيج القصى للكون يفنى ... كفناء الأشباح فى الأشباح

مثلما يضعف المدى الصوت فى الأذ ... ن تمشت به متون الرياح

***

قد رأيت الحياة بين الغيوم ... تتوارى فى الغابر الموهوم

ويضيع البريق منها ويخفى ... خلف ستر من الزمان القديم

غير باق منها سوى الحب يبدو ... فى إطار من الخيال عظيم

وحده ثابت لدن قد أفاق الـ ... قلب من حلمه العميق الهموم

***

إيه نفسى رقى على الملجأ البا ... قى ولوذى به لكى تستريحى

مثلما يجلس المسافر والقا ... ب ملىء من المرام المريح

هادئ البال قد تهنأ لما ... بلغ القصد بعد سير طليح

راح يستنشق الهواء نقياً ... فى مساء بالنافحات طفوح

***

مثله فلننثر غبار خطانا ... مالنا رجعة إلى ذى الطريق

مثله فلنشم فى غاية العمـ ... ـر أريجاً من الصفاء العميق

حلم عيشنا يمر ويمضى ... غير حلو الرؤى وغير أنيق

مابه جدة يرف سناها ... وهو غمر بكل رث عتيق

***

إن أيامك القصار العبوسا ... ت كمثل الخريف فى الإجهام

تنطوى مثلما يغيب ظل ... فى ثنايا الهضاب والآكام

ثم تزوى عنك الصداقة والعطـ ... ـف يولى موشحاً بظلام

فى طريق القبور تهوين حسرى ... وتضيعين فى سجون القتام

***

بيد أن الطبيعة الرحبة القلـ ... ـب تناديك فى حنان عظيم

فاغمسى روحك اللهيفة فيها ... فهى أحنى من كل قلب رؤوم

فإذا ما ضجرت من عالم البغـ ... ـض وما فى مطافه من هموم

فارجعى القهقرى إليها ترى عا ... لم حب قد ضم كل مروم

***

فهى توليك ظلها وسناها ... وتصفى من الأثام هواك

أنصتى للصدى العميق «فبيتا ... غور» قد تامه صدى الأملاك

فاعبديه وقدسيه طويلاً ... إن فيه ما تشتهيه مناك

أرهفى أذنك اللطيفة تسمع ... فى سماها نشائد الأفلاك

***

ابتغى النور فى السماء وماشى الـ ... ـظل فى الأرض وامرحى فى الوهاد

واصعدى فى ربا النسيم مع الريـ ... ـح التى لا تعى من الإنشاد

واملئى الغاب فرحة والسواقى ... وابرحى طلقة من الأصفاد

خاصرى ذلك الشعاع السماوى (م) وهيا ارقصى بظل الوادى

***

نفح الله بالذكاء بنى الأر ... ض لكى يهتدوا إلى موجيه

ويناجوه ضارعين إليه ... لم يخب قط فى الدنا راجيه

إن صوتاً يخاطب الروح خلواً ... وهى غرقى فى ضنكها والتيه

آه من لم يسمع نداء خفياً ... هو فى قلبه صدى ملقيه

دمشق — أنور العطار

من المجمع الأدبى

حنين الى نخلة

يا نخلة فى أعالى النهر باسقة ... قلبى إليك يذوب اليوم تحنانا

هلا تزالين مثل الأمس وارفة ... ولم يزل سعفك الخضر ريانا ؟

تشدو القمارى فيه بكرة وضحى ... ويسجع البلبل الغريد سكرانا

والنهر تحتك يجرى باسماً طلقاً ... والموج يغدو يجر الذيل خجلانا

والفلك دونك تسرى وهى حاملة ... من أهل جنتنا حوراً وولدانا

يا نخلة أهلها يرجون غلتها ... وترتجى ظلها الزاهى ليرعانا

قولى بربك هل مازلت قائمة ... ولم يزل ظلك الفينان فينانا

يا نخلة قد سقيناها بأنفسنا ... إذ نستقى فى حماها اللهو ألوانا

هل صنت سرى وعهدى بعد أن فضحت ... سرى الليالى وخان العهد من خانا

من مس جذعك بعدى جذ ساعده ... أو نال سعفك يوماً نال أحزانا

لاطاب تمرك بعد اليوم من ثمر ... ولا أفاءت بظل منك انسانا

حتى ترد لنا الأيام غربتنا ... وترجع العيش صفواً مثل ما كانا!

بغداد — فتى شط العرب

من طرائف الشعر

الوادى

لصوت الطبيعة الصارخ ألفونس دى لامارتين

للشاعر الدمشقى أنور العطار

«إلى التى علمتنى الحب وعلمتنى الألم،
وجعلت من حياتى مشابه لحياة هذا
الشاعر، فى خيبة الحب، وحرقة القلب،
ومشجى النغم، ومذيب الألم!»

إيه وادى الصباء والأحلام ... إيه مهوى الإيحاء والإلهام
هب لضعفى ملاذ يوم قصير ... أترقب فيه دنو حمامى
لم يعد قلبى السئوم المعنى ... يرتجى من عماية الأيام
أن تعيد المنى إليه عذاباً ... مغريات بثغرها البسام

***

هو ذا المسلك الذى ضاق ذرعاً ... فى ثنايا الوادى الخصب النواحى
تتدلى الغابات حول حفافيـــه وتبدو ملتفة الأدواح
باعثات إلى جبينى فيئاً ... من غصون تميد بالأفراح
غامرات ساح الفؤاد سلاماً ... مقصيات عنى شجا الأتراح

***

ها هما جدولان فى قاتم البعـــد استسرا فى مسرب الأعشاب
رسما فى المسير منعطف الهضـــب ومسرى الربا ومنحى الشعاب
مزجا فى هنيهة ناغم الما ... ء بموج كالهادر الصخاب
ثم غابا عن العيون وضاعا ... فى قصى المدى وخافى الرحاب

***

ولكالجدولين فى التهدار ... فاض نبعى وبج فى التيار
ثم ولى وليس صوت ولا اسـ ... م أو معاد إلى حمى التذكار
فيهما الماء قد ترامى نقياً ... مشرق السكب مثل شمس النهار
غير أنى، والهف نفسى، كئيب ... ومياهى مربدة الأنوار

***

فى ضفاف من الجداول غرقى ... فى دموع الندى وسجو الظلال
كنت أقضى سحابة اليوم مغلو ... لا بقيد من الطبيعة غال
وعلى هادر المياه تغط النـ ... فس فى حلمها البعيد المجال
مثل طفل أغفى على نغم حلـ ... و غميس فى زاهر الآمال

***

آه! هل لى إلى هناك معاد ... حيث أفنى فى زاخر الأمواج
إن عينى تهفو إلى ذلك الأفـ ... ق وتهوى تزاحم الأحراج
ليتنى فى حمى الطبيعة أبقى ... سادراً فى بقاعها والفجاج
ثم أرنو إلى السموات مفرا ... حاً أصلى فى ذهلتى وأناجى

***

كم تعشقت فى حياتى وكم زو ... دت عينى مرأى، وقلبى شعورا
غير أنى رجعت أدراج ذاك الـ ... عيش أبغى إلى الهدوء مصيرا
يا مطاف الجمال بالله كن لى ... شاطئاً للسلو يوماً قصيرا
ليس غير النسيان يملأ نفسى ... أملاً واسعاً وصبراً غزيرا

***

إن نفسى فى هدأة وفؤادى ... فى ارتياح يفوق كل ارتياح
لم يعكر صفاءه الألم المر(م) وما فى حماه من أتراح
والضجيج القصى للكون يفنى ... كفناء الأشباح فى الأشباح
مثلما يضعف المدى الصوت فى الأذ ... ن تمشت به متون الرياح

***

قد رأيت الحياة بين الغيوم ... تتوارى فى الغابر الموهوم
ويضيع البريق منها ويخفى ... خلف ستر من الزمان القديم
غير باق منها سوى الحب يبدو ... فى إطار من الخيال عظيم
وحده ثابت لدن قد أفاق الـــقلب من حلمه العميق الهموم

***

إيه نفسى رقى على الملجأ البا ... قى ولوذى به لكى تستريحى

مثلما يجلسُ المسافرُ والقلـ   ـبُ مليءٌ منَ المرامِ المُريحِ
هادئُ البالِ قد تهنّأ لمّا   بلغَ القصدَ بعدَ سيرٍ طليحِ
راحَ يستنشقُ الهواءَ نقيًّا   فى مساءٍ بالنافحاتِ طفوحِ

***

مثلَهُ فلننثرْ غبارَ خطانا   مالنا رجعةٌ إلى ذى الطريقِ
مثلَهُ فلننشمْ فى غايةِ العمْـ   ـرِ أريجاً منَ الصفاءِ العميقِ
حلمٌ عيشُنا يمرُّ ويمضى   غيرَ حلوِ الرؤى وغيرَ أنيقِ
مابهِ جِدّةٌ يرفُّ سناها   وهو غمرٌ بكلِّ رثٍّ عتيقِ

***

إنَّ أيّامكِ القصارَ العبوسا   تِ كمثلِ الخريفِ فى الإجهامِ
تنطوى مثلما يُغيّبُ ظلٌّ   فى ثنايا الهضابِ والآكامِ
ثمَّ تزوى عنكِ الصداقةُ والعطـ   ـفُ يولّى موشّحاً بظلامِ
فى طريقِ القبورِ تهوينَ حسرى   وتضيعينَ فى سجونِ القتامِ

***

بيدَ أنَّ الطبيعةَ الرحبةَ القلـ   ـبِ تناديكِ فى حنانٍ عظيمِ
فاغمسى روحكِ اللهيفةَ فيها   فهىَ أحنى منْ كلِّ قلبٍ رؤومِ
فإذا ما ضجرتِ منْ عالمِ البغـ   ـضِ وما فى مطافهِ منْ همومِ
فارجعى القهقرى إليها ترى عا   لمَ حبٍّ قد ضمَّ كلَّ مرومِ

***

فهىَ توليكِ ظلّها وسناها   وتصفّى منَ الآثامِ هواكِ
أنصتى للصدى العميقِ «فيتا   غور» قد تامهُ صدى الأملاكِ
فاعبديهِ وقدّسيهِ طويلاً   إن فيهِ ما تشتهيهِ منَاكِ
أرهفى أذنكِ اللطيفةَ تسمعْ   فى سماها نشائدَ الأفلاكِ

***

اتبعى النورَ فى السماءِ وماشى الـ   ـظلَّ فى الأرضِ وامرحى فى الوهادِ
واصعدى فى ربا النسيمِ مع الريـ   ـحِ التى لا تعى منَ الإنشادِ
واملئى الغابَ فرحةً والسواقى   واسرحى طلقةً منَ الأصفادِ
خاصرى ذلكَ الشعاعَ السماوىّ (م) وهيّا ارقصى بظلِّ الوادى

***

نفحَ اللهُ بالذكاءِ بنى الأرْ   ضِ لكى يهتدوا إلى موحيهِ
ويناجوهُ ضارعينَ إليهِ   لم يخبْ قطُّ فى الدنا راجيهِ
إنَّ صوتاً يخاطبُ الروحَ حلواً   وهىَ غرقى فى صمتها والتيهِ
آهِ منْ لم يسمعْ نداءً خفيًّا   هوَ فى قلبهِ صدى ملقيهِ

دمشق   أنور العطار

من المجمع الأدبى

حنين الى نخلة

يا نخلةً فى أعالى النهر باسقةً   قلبى إليك يذوب اليوم تحنانا
هلا تزالين مثل الأمس وارفة   ولم يزل سعفك المخضر ريانا ؟
تشدو القمارى فيه بكرةً وضحى   ويسجع البلبل الغريد سكرانا
والنهر تحتك يجرى باسماً طلقاً   والموج يغدو يجر الذيل خجلانا
والفلك دونك تسرى وهى حاملة   من أهل جنتنا حوراً وولدانا
يا نخلةً أهلها يرجون غلّتها   وترتجى ظلها الزاهى ليرعانا
قولى بربك هل مازلت قائمةً   ولم يزل ظلك الفينان فينانا
يا نخلةً قد سقيناها بأنفسنا   إذ نستقى فى حماها اللهو ألوانا
هل صنت سرى وعهدى بعد أن فضحت
سرى الليالى وخان العهد من خانا
من مسّ جذعك بعدى جذّ ساعده
أو نال سعفك يوماً نال أحزانا
لاطاب تمرك بعد اليوم من ثمر   ولا أفأت بظل منك انسانا
حتى ترد لنا الأيام غربتنا   وترجع العيش صفواً مثل ما كانا!

بغداد   فتى شط العرب

خولة بنت الأزور الكندي

بقلم . م . أسعد طلس

في السنة الثالثة عشرة للهجرة يعزم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتح الشام فيجمع الصحابة ويخطبهم قائلاً « . . . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه ، ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين الى الشام بأهليهم وما لهم ؛ فماذا ترون ؟ » فلا يرى من المسلمين إلا ارتياحاً ، فيعمد الى بقية الأمصار الاسلامية من أطراف الجزيرة فيكتب إليهم بالأمر ، ويستنفرهم خفافاً وثقالاً ليجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وما هي إلا أسابيع حتى تقدم عليه الوفود في العدد العديد ، والذرارى والأموال ؛ فيخرج إليهم المسلمون مستقبلين بوجوه باسمة ، وقلوب جذلانة ، ويعم المدينة روح مبارك ، وكيف لا والمسلمون يجتمعون كلهم في صعيد واحد لنصرة دين الله ، ورفعة شأو التوحيد .

ها هي ذي حمير بدروعها الدوادية ، وسيوفها الهندية ، تزحف بآلافها المؤلفة وعلى رأسها زعيمها ذو الكلاع الحميري ، يكبر ويهلل والقوم من ورائه يكبرون ويهللون . وها هي ذي كتائب مذحج وطيء والأزد وكنانة بخيولها العتيقة ، ورماحها الدقيقة ، تؤم عاصمة الاسلام ، فما أن رآهم أبو بكر حتى يخر لله شاكراً أن ألف من هذه القبائل المتنافرة أمة واحدة، نزع الله ما في قلوبها من غل ، وجعلهم بنعمته اخواناً ينصرون دينه وينشرون رسالة نبيه . في أطراف المعمورة .

اجتمعت هذه الآلاف العديدة فعسكرت خارج المدينة تنتظر إشارة أبي بكر خليفة رسول الله ، وما أن تكاملت الوفود حتى خرج إليهم رضوان الله عليه في جمهرة من كبار الصحابة ، فلما أن أشرف عليهم من عل ورآهم قد ملأوا السهول والجبال حتى حمد الله وقال « اللهم أنزل عليهم النصر وأيدهم ، ولا تسلمهم الى عدوك إنك على كل شيء قدير » .

ثم أمر الأمراء وعقد الألوية ، وأوصاهم وصيته الخالدة وفيها يقول « . . . شاورهم في الأمر، واستعمل العدل، فانه لا أفلح قوم ظلموا، وإذا لقيتم العدو فلا تولوهم الأدبار، وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً، ولا تغدروا إذا عاهدتم. وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون أنهم ترهبوا في الله فلا تهدموا صوامعهم ودعوهم . . . » فأمن القوم وهللوا فدوت بأصواتهم الجبال ، ثم ساروا على يمن الله ، وسار الخليفة وكبار الصحابة يودعونهم حتى ثنية الوداع .

سار القوم وكلهم إيمان وصبر ، وعزيمة وحزم ، وطاعة لأمرائهم ، وجلد على السير ، وتواد وتعاطف .

كان في هذا القوم شاب كندي ما جاوز العقد الثالث، جميل المحيا ، عالم بفنون الحرب ، فاتك في النزال ، قوي الايمان بنصرة الله عباده المخلصين ، لا يعرف إلا الاقدام ، يتقدم الجيوش والمنية مشهرة بسهامها . ذلك هو الأمير « ضرار بن الأزور الكندي » الشاب الحدث الذي ما أغنا غناءه بطل في فتوح الشام إلا سيد القواد سيف الله خالداً .

وكان في الغازيات اللائي كن يتبعن هذا الجيش ، كاعب عروب، ذات جمال باهر، وطرف فاتر، خرجت فيمن خرجن من عقائل حمير تأسوا الجرحى، وتعين على نصرة الحق . ولقد أبلت بلاء مغاوير الأبطال ، فكان هذا الغزال الغرير ينقلب الى أسد كاسر يصلى العدا ناراً حامية ، يروع القلوب ، وتجف من هوله الأفئدة ، ولم لا وهي إبنة « الأزور » ذلك البطل الذي قضى بين يدى المصطفى دفاعاً عنه ، وأخت ضرار صاحب فتوح الشام ؟ . . .

المسلمون يحاصرون دمشق وأهلها في أشد الضيق ، وبينا المسلمون يكادون يظفرون بالقوم ، إذا هم برسول من قائد جند أجنادين ، يخبر خالداً أن الروم تجمعوا عليهم في أجنادين في عدد عديد ، فيشاور خالد أبا عبيدة في ترك دمشق، فلا يرى ذلك أبو عبيدة فيقول خالد « فأرى أن ترسل إليهم كتيبة عليها قائد درب، وأرى أن ترسل إليهم يا أمين الأمة رجلاً لا يخاف الموت أبداً، خبيراً بلقاء الرجال، قد مات أبوه في القتال، فقال أبو عبيدة ومن ذلك يا أبا سليمان ؟ قال هو ضرار بن الأزور بن طارق ، فقال أبو عبيدة لقد صدقت ووصفت رجلاً باذلاً معروفاً » [1] .

استدعى خالد ضراراً فقال له « يا ابن الأزور أريد أن أقدمك على خمسة آلاف ، قد باعوا أنفسهم من الله عز وجل

---

(١) فتوح الشام للواقدي

واختاروا دار البقاء والآخرة على الأولى، فقال ضرار: «وافرحتاه يا ابن الوليد، ما دخل قلبي مسرة أعظم من هذه». ثم يسير ضرار على يمين الرحمن، فلما بلغ أجنادين رأى جيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر، وهم غائصون في الدروع وقد أشرقت الشمس عليهم، فلمعت دروعهم وخوذهم، فقال أصحاب رسول الله لضرار: ما لنا والله بهم حول، فإن هؤلاء جيش عرمرم، وخير لنا أن نقفل». فيكره ضرار ذلك القول ويقول: «والله لا يراني الله منهزماً، ولن أزال أضرب بسيفي في سبيله وأتبع سبيل من أناب إليه، ولا أوليهم الدبر، والله يقول (ولا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله)...» ثم تكلم رافع بن عميرة فقال: «يا قوم إنما نصركم الله في مواطن كثيرة وأنتم قليلو العدد؟ ألا إن النصر مقرون مع الصبر. ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة، فاتبعوا سبيل المؤمنين، وتضرعوا إلى رب العالمين، وقولوا كما قال قوم طالوت (ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)..» فيستبرد القوم قولهم ويهللون ويكبرون (الله أكبر، الله أكبر، سيهزم الجمع ويولون الدبر).

أو فار. وكثر قلق المسلمين عليه وهم لا يدرون من هو — وقد ظنه بعضهم خالد فما هي إلا جولات خالد — ولما رأوا خالداً بينهم سألوه عنه فقال: أنا والله لأشد إنكاراً وتعجباً.

وما أن غابت الشمس ووقفت الحرب، حتى أحدق القوم بهذا الفارس وفيهم خالد يسألونه عن اسمه فلا يجيب، ثم يتنحى بخالد زاوية فيقول له: «ما سكت يا سيف الله حين سألتموني عن اسمي إلا حياء منك لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الحجال، وإنما حملني على ذلك أني محرقة الكبد، زائدة الكمد. فقال: من أنت؟ قالت: خولة بنت الأزور أخت ضرار أسير الروم، أتاني آت يخبر أخي فركبت وفعلت ما فعلت..».

أشرقت الشمس فجدد المسلمون عزائمهم وكروا على القوم وحملوا حملة عظم أمرها على الروم، وكانت خولة تجول في كل مكان تطلب أخاها وهي لا ترى له أثراً ولا يراه أحد من المسلمين فيعم القوم حزن شديد وتبكيه بقولها: «يا ابن أمي! ليت شعري في أي البيداء طرحوك، أم بأي سنان طعنوك، يا أخي أختك لك الفداء... ليت شعري، أتراني أراك بعدها أبداً؟ فقد تركت في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ، فعليك مني السلام إلى

التقى الجمعان وضرار يتقدم القوم وهو يرتجز:

الموت حق أين لي منه المفر — وجنة الفردوس خير المستقر

هذا قتالي فاشهدوا يا من حضر — وكل هذا في رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم حملة نكراء فأحدقوا به، فأخذ يستصرخ قومه ويقول: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» فيهجم المسلمون ويصيب ضراراً سهم في عضده فيطمع الروم فيه ويحملون عليه فيأسرونه. ويجيء خالداً الصريخ فيولي على جند دمشق ميسرة بن مسروق سيد بني عبس، ويتوجه بطليعة إلى أجنادين، وكان بين جنده فارس على جواد فاره وبيده رمح طويلة، قد تجلبب بجلابيب سود، وتلثم حتى لا يرى منه إلا الحدق، وكان يسبق القوم وخالد يعجب من أمره، فلما أن أدرك خالد المسلمين في أجنادين وجد هذا الفارس الملثم يهبط على الروم كأنه النار المحرقة، فزعزع الكتائب وحطم الأجناد، وكان يخترق قلب خميس الروم، فما هي إلا جولة جائل حتى يخرج وسنانه ملطخ بالدماء، وقد جندل رجالاً وصرع أبطالاً. ثم يعود فيخترق القوم ثانية معرضاً نفسه للهلاك والناس أمامه إما مصروع

يوم اللقاء». فبكى القوم وبكى خالد لحالها. وبينا المسلمون في شدة واضطراب إذا هم بمن يخبرهم بأن الروم أخذوا ضراراً إلى صاحب حمص لينفذه إلى الملك، ففرح خالد وتهلل وجهه، وشكرت خولة الله، فبعث خالد رافع بن عميرة الطائي لينقذه إلى حمص، فسار خالد في مئة منهم خولة. فما وصل القوم قرب حمص حتى كمنوا، فبينما هم كذلك إذا بنفر أقبلوا، فنبه رافع قومه، فلما قاربوهم كر عليهم رافع فإذا فيهم ضراراً؛ فتجالد الفريقان حتى أنقذ ضرار، فخرت خولة لله شكراً وشكر خالد لرافع بلاءه.

هذا موقف من مواقف بسالتها الخالدات، وما موقفها يوم أسر النساء في يوم صحورا والناس يغزون الشام بالأمر الذي ينسى فقد ذكر الطبري أنها أسرت في فريق من نسوة حمير، فجمعتهن وخطبتهن تستحثهن على الثورة على هؤلاء الأعلاج، وقالت «يا بنات حمير، وبقية تبع، أترضين لأنفسكن علوج الروم، وأن يكون أولادكن عبيداً لأهل الشرك، فأين شجاعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب، ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك، وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب. وما تزل بكن من

في الأدب الفرنسي

٥ - الدوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

ثم انتقل الى وصف عواطفه فقال « إنه رحيب الاناة ، ناصح السريرة ، لا يتملكه الغضب ، ولا يضمر لاحد من الناس العداوة والبغضاء » . وعقب هذا الوصف قال : « لست مع ذلك عاجزاً عن الانتقام لنفسي اذا اعتدي أحد علي أو أساء الى شرفي . وفي هذه الحال أومن بأن الواجب يقوم في نفسي مقام الحقد ، ويأمرني بأن أتم انتقامي في صلابة وعزم »

وليس في هذا القول شذوذ أو غرابة ، ولكن ما يقوله عن الشفقة يثير الدهشة والعجب : « إني قليل الشعور بالشفقة ، وأستريح الى ذلك جد الراحة . ولكني اذا رأيت انسانا جعجعت به المصائب ، بذلت غاية جهدي في مواساته . وأعتقد حقاً أن من الواجب على الانسان أن يسلك كل السبل التي تؤدي الى اظهار الشفقة على من تصيبه الارزاء والمحن ، لان البائسين أغبياء الى درجة تجعلهم يجدون في اظهار الشفقة عليهم والرثاء لحالهم راحة وعزاء . وأجد من الحزم إظهار هذه العاطفة دون الشعور بها صدقاً ، لانها لا تصلح لشيء في دخيلة الانسان ولا عمل لها إلا إضعاف القلب وتحطيمه ، ويجب النزول عنها للدهماء لانهم لا يفعلون شيئاً بايحاء العقل فهم في حاجة الى عاطفة تحفزهم الى العمل » .

وقوله هذا يعبر أبلغ تعبير عن روح القرن السابع عشر الذي عرف الناس فيه بصلابة القلب وضعف الحساسية . كانوا أثناء الحرب الاهلية يدمرون نهارا ويقتلون ، ثم يرقصون ليلا ويعجنون ، وكانوا يتحدثون عن التعذيب والقتل في بساطة الحديث عن الدعابة الفرجة ، والفكاهة الشهية .

ويجمل بنا في هذا المقام أن نذكر رأي ثلاثة من قادة الفكر في هذه العاطفة ، لنرى الفرق الشاسع بينهم وبين لاروشفوكو .

فمونتني [1] يقول : « اني شديد الميل الى الرحمة والوداعة » . وديكارت [2] يرى أن ميزة النفس الكبيرة « أن يكون شعورها

---

(١) ١٥٣٣ - ١٥٩٢ فيلسوف فرنسي وكاتب أخلاقي خالد الذكر . تعلم اللاتينية طفلاً ، ولما بلغ السادسة من عمره كانت هذه اللغة هي الاداة التي يخاطب بها الناس . وفي عام ١٥٥٦ أتم دراسة القانون واشتغل بالقضاء عام ١٥٧٠ . ثم اعتزل منصبه ووقف أوقات فراغه على البحث والدرس والسياحة . ويدين بشهرته الى كتاب واحد وضعه وسماه « تجارب » لأنه كما قال أراد يجرب ملكاته الطبيعية . وقد جمع في هذا الكتاب موضوعات في التاريخ والفلسفة والسياسة والأدب وصور فيه نفسه والانسانية وكون آراءه في الانسان من الاختلاط بأهل عصره وملاحظتهم ، ومن كتب القدامى كبلوكارخوس وسينكا . وهو يعتقد أن العقل عاجز عن ادراك الحقائق الميتافيزيكية بدون وحي أو إلهام الاهي . وكان يحرص على دين أبويه ، ولكن روح المسيحية لم ينفذ الى قلبه . وهو واثق في اعتقاد بعض الناس ومتشكك في ملة البعض الآخر . وكان من الناحية الاخلاقية أبيقوريا ، ولكنه كان يؤمن ببعض فضائل ، مصدرها الرضاء بالقدر والصبر على المكاره ، وبقوة الارادة ، وأسلوبه طريف فرح حي نضير

(٢) ١٥٩٦ - ١٦٥٠ فيلسوف فرنسي عظيم ، صاحب مذهب خاص يقتضي التجرد من كل المعلومات السابقة والبناء من جديد على نور العقل ، أي اتخاذ الشك سبيلاً الى اليقين . وقد بدأ بالشك في الوجود ثم ثبت له أن آلة الشك هي الفكر ، فآمن بوجود الفكر والمفكر

خدمة الروم الكلاب » فقالت عفراء بنت غفار الحميرية « صدقت والله يا بنت الأزور ، نحن والله في الشجاعة كما ذكرت ، وفي البراعة كما وصفت ، لنا المشاهد العظام ، والمواقف الجسام . ولقد اعتدنا ركوب الخيل ، وهجوم الليل . غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت ، ولقد دهمنا العدو على حين غرة ، وما نحن الا كالغنم بدون سلاح » فقالت خولة « يا بنات التبابعة ، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ، نحمل بها على هؤلاء ، فلعل الله ينصرنا فنستريح من المعرة » فقالت عفراء « والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا » ثم تناولن الأعمدة وتقدمتهن خولة وهي تقول لهن لا ينفك بعضكن عن بعض ، وكن كالحلقة الدائرة ، وأوسعن أرجل أفراس القوم ضرباً ، ولا تتفرقن فيقع بكن التشتيت ، ثم هجمت وهي تقول :

نحن بنات تبع وحمير   وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تسعر   اليوم تسقون العذاب الأكبر

وما هي إلا جولات حتى خلصن الى المسلمين .

هذان موقفان من مواقف البطولة في هذه المرأة العربية المسلمة ولقد كان لها رضوان الله عليها مواطن أخر غر صالحات . جعل الله منها اسوة حسنة لمرأة اليوم ، هداها الله أقوم طريق .

م . أسعد طلس

بآلامها أضعف بكثير من شعورها بآلام غيرها » . ويتطلب لابرويير[1] من النفس العالية « أن تكون قوية الشكيمة فلا تلين صعدتها إلا أمام عاطفة واحدة هي الشفقة »

ومما يدعو الى العجب أن لاروشفوكو الذي ينكر هذه العاطفة في مقاله ومواعظه ، يقرها في مذكراته ورسائله . فقد كتب عن ثورة الفلاحين في (بواتو) التي سبق ذكرها في تاريخ حياته يقول : « لا أنكر أن بؤسهم جعلني أنظر بعين الشفقة الى تمردهم » . ثم طلب من الوزير ما زاران في ذلك الوقت أن يمنحه حق العفو . ولما أجيب الى ما طلب أحسن استعمال هذا الحق ، فلم يخدش شرفاً ولم يسفح دماً . وقبل موته بقليل أي في عام ١٦٧٤ كتب الى الآنسة دى سكودرى يقول : « بودى لو تنفق سوق الرحمة وتصبح بدعة يولع الناس بها ، فلا يقع بصرنا بعد ذلك على بائسين » . وكثيراً ما رأته مدام دى سفنييه « متلبساً بالحنان » ، فأدركت أنه يظهر من عواطفه وقلبه غير ما يبطن . ويغلب على ظننا أن هذا الرجل لم يميز طبيعة نفسه من الأثر الذى أنشأته فيها البيئة والبلاط . فقد اشترك في الدسائس ورأى الأمراء والعظماء يتكالبون على متاع الحياة ، ويجدون في البحث عن مصلحتهم الذاتية في جشع وخسة ، فكرههم واحتقرهم وقسا في الحكم عليهم ، مع أنه بطبعه كريم رحيم . وأثر البيئة هو الذى جعله يخلص الود لعدد قليل من الناس اختارهم قلبه ، وهذا شأن المتشائمين أمثاله ، يضمون كل افتقارهم الى الحب في بعض أفراد أعزاء عليهم . وهذا الافتقار الى الحب هو جوهر نفورهم من الناس

وكان لاروشفوكو الى جانب الصفات التى سبقت ، طموحاً ولو أنه ينكر ذلك . لم يستحوذ عليه طموح ريشليو ، أو على الأقل عجز عن بلوغ شأو هذا السياسى العظيم ، فتمنع بالسنى وراء الحصول على لقب لزوجه ، والسماح له بدخول قصر اللوفر في عربة . فلما أخفق في سعيه ، اقتصر طموحه على كتابة « المواعظ »

وقد حال خجله دون دخوله مجمع العلماء لأنه كان يعجز عن الكلام أمام جمع كبير من الناس ، وتقليدات المجمع تفرض عليه أن يرد على خطبة الاستقبال بخطبة أخرى وما كان يجيد الحديث إلا في الصالونات الأدبية التى يؤمها عدد قليل من الأصدقاء الأخصاء . وكان من عادته أن يتكلم قليلا ، وينفر من الثرثارين الذين يدخلون الخطابة في الحديث ، ويفرضون الصمت والاصغاء على غيرهم . ويعتقد أن « المصلحة الذاتية هى روح عزة النفس أو الأثرة » حتى في السمر والمناقشة ، فاذا لم يفكر كل إنسان إلا في نفسه وفي قوله ، شل الآخرين وبعث في نفوسهم الضيق والضجر ، ويرى أن أمثل الطرق لانعاشهم وإنقاذهم من الملل هو الاصغاء إليهم وإظهار الابتهاج بقولهم . ومن وصاياه المأثورة : « يجب الاصغاء الى المتكلم مهما كان حديثه واهى الرباط طائش الغرض عاريا من المعنى . ولا أوصى بتجنب معارضته ومقاطعته فحسب ، بل أوصى أيضاً برياضة النفس على احتمال روحه وذوقه والاطمئنان إليهما والتشبع بهما ، وإطراء قوله بقدر ما يستحق ، ووضع هذا الاطراء في قالب أميل الى الحقيقة منه الى اللباقة والمجاملة » . وعرف بالتجربة والملاحظة أن لا شيء أبغض الى النفس وآلم للأذن من أن يجعل الانسان نفسه محور الحديث في كل موطن ، فتجنب ذلك جهد المستطاع

وكان يكره من المتكلم لهجة الثقة المستبدة والتعبير الذى يدل على البحث الطويل واعنات القريحة ، ويكلف بتوزيع القسط بين المعانى والمبانى . ويميل الى الايجاز الممتع ويفخر بذلك « من شأن العقول الكبيرة أن تدل بقولها الموجز على كثير من المعانى . ومن صفات العقول الهزيلة أن تتكلم كثيراً ولا تقول شيئاً » . وقد أجاد الايجاز في مواعظه الى درجة كادت تبلغ حد الكمال . ولنضرب مثلا هذه الموعظة : « يملك الانسان دائماً ما يكفى من الجلد لاحتمال آلام الغير » ، فليس من المستطاع « تكثيف » التهكم في كلمات أقل من هذه . وهذا الايجاز يجعل « للمواعظ » قيمة تاريخية هامة ، لأنها تعين طوراً جديداً للنثر الفرنسى . وقد قدرها فولتير حق قدرها فقال : « يرجع أكثر الفضل في تكوين ذوق الأمة وجعلها تتعشق الاصالة والدقة الى مواعظ لاروشفوكو »

(البقية على صفحة ٩٥٩)

(١) ١٦٤٥ — ١٦٩٦ أحد حكماء فرنسا وفلاسفتها الأخلاقيين . كان معلماً لحفيد الأمير دى كونديه . وفي عام ١٦٨٨ نشر كتابه الخالد « خصال » مع ترجمة كتاب ثيوفراست الفيلسوف اليونانى المشهور وعنوانه « خصال » أيضاً ومن يقرأ كتابه يلمح فيه أثر لاروشفوكو وبسكال . وقد حمل فيه على مظالم عصره في أسلوب لاذع أخاذ ، وعلى التفاوت الأليم في المعيشة بين الأغنياء والفقراء . وفي عام ١٦٩٣ أصبح عضواً في مجمع العلماء



جاليليو

١٥٦٤ — ١٦٤٢

بقلم عبد الرحمن فهمي
بكالوريوس في الآداب

يمكننا أن نقول ان الكواكب في مسارها حفظت للجنس البشري عبقرية جاليليو . وجاليليو هو الابن البكر لأب فقير ، بدأ تعلمه في دير بالقرب من فلورنسا ، وبينما هو على وشك أن يكون راهباً رأى أبوه أن يرسله الى جامعة بيزه ليتعلم فيها علوم الطب ، مستعيناً على ذلك بموارد الأسرة الضيقة المحدودة .

وبينما كان الطالب الصغير يقضي بعض أوقات فراغه في العبادة بكتدرائية بيزه ، لاحظ أن المصباح المائل المعلق في سقفها يتأرجح كما لو كان به مس من تيار شارد من الهواء ، ولحظ أيضاً ان قوس التذبذب سواء أكبر هذا القوس أم صغر يكمل دورته في وقت بذاته ، فاستخلص من ذلك قانون اضطراد (البندول) .

وسنحت له الفرصة عن طريق المصادفة ، فاستمع الى محاضرة في العلوم الرياضية في بلاط الدوقية الكبير في بيزه ، ومنذ هذه الساعة تعلقت نفسه بالأبحاث الرياضية فترك الجامعة ولم يستطع أبوه إرغامه على البقاء بها ، وقضى سنوات مجدية في درس العلم الجديد الذي اختاره لنفسه في حماسة فائقة ، ولكنه استطاع فيما بعد أن ينال من الجامعة أجراً ضئيلاً على محاضرات في الرياضة يلقيها على طلابها .

وكان أجره من الجامعة قليلاً ، ولكن تهيأت له فيها صفحة جديدة لمستقبل مجيد من أعلى برجها المائل ، وتفصيل ذلك أن أحداً لم يكن ليفكر حينئذ في زعزعة عقيدة راسخة في الأذهان هي أن سرعة الأجسام الثقيلة ترجع في هبوطها الى أوزانها ، فقذيفة المدفع مثلا تهبط أسرع مما لو هبطت ريشة . ولكن جاليليو نسب سرعة الهبوط الى مقاومة الهواء ، ودلل على صحة ذلك بأن ألقى عدة أجسام معدنية وخشبية من حجم واحد من أعلى قمة برج بيزه ، وأرى العلماء أن هذه الأجسام تصل الى الأرض في أوقات متقاربة جداً ، وبرهن بذلك على أنه لم يكن لأوزانها تأثير مذكور في سرعة هبوطها ، فقضى على اعتقادات قديمة وخلق لنفسه أعداء كثيرين . ثم بدأ يتفهم طبيعة الجاذبية التي بقيت راسخة في عقله ولكنها لم تخرج من حيز هذا العقل .

وترك بيزه الى فلورنسا لما طردته الجامعة ، وفي هذا الوقت مات أبوه ، واضطره الدهر الى أن يعول باقي أفراد أسرته . ولكنه فيما بعد استطاع أن يوجد له كرسياً في جامعة بادوه ، ومن هذا الكرسي واصل بحوثه ونظرياته العلمية ثمانية عشر عاماً بين استحسان ايطاليا وإعجاب أوروبا كلها ، فأضحى بذلك أحد المفكرين الخالدين .

ولم يكن جاليليو ليستفيد من بعد نظره وقوة إدراكه فقط ، بل استفاد أيضاً من أبحاث غيره واكتشافاته ، ويعد اختراع (التليسكوب) وهو المثل الأعلى بين كافة أبحاثه واختراعاته ، ففي حوالى هذا الوقت اخترع جوان ليبرشي من هولاندة بعض العدسات ، وما أن سمع بهذا الاختراع حتى استولى عليه ، وأوجد من هذه العدسات أول مجهر فلكي ، وبه حول أبحاثه وخوضه الى الفضاء حيث كشف جديداً غير معروف ، وقضى على معتقدات قديمة : كشف سطح القمر الجبلي ، وأثبت طبيعة إضاءته بالانعكاس الضوئي ، ومحا خرافة المجرة ودلل على أنها مجموعات من الكواكب ، كذلك كشف أقمار زحل وأوجه الزهرة ، واستعان بكل هذه الاكتشافات على تخليد الحق في تاريخ الفلك ، وهو كل ما كان يعني به من أبحاثه الطويلة ، فأخذ عالم الخرافات المظلم في هذا الحين يستنير بضوء هذا الحق .

وكان جاليليو خلفاً لكوبرنيق الذي أثبت أن الأرض

والكواكب تدور حول الشمس ، وليست الشمس والكواكب هي التي تدور حول الأرض كما اعتقد ارسططاليس ، بل ان كپلر وهو من معاصري جاليليو أوغل في هذا البحث ، فدرس طبيعة مدار الكواكب . وبينما كان جاليليو يدرى هذه الحقائق الفلكية كان باقي العالم ولا سيما الكنيسة ينكرها بتاتاً .

ولم تحرك الكنيسة ساكناً في بادئ الأمر ، زعماً منها ان العاصفة التي نفخها جاليليو لا تلبث أن تهدأ ، ولكن بحوث الفلكي وطريقة عرضها نبهت الأذهان الى مناقضتها ، لما جاء في الكتاب المقدس ، وقويت الشبهة ضده بتأثير جيوردانو برونو ، وهو زنديق ثائر على المسيحية ، مفكر حر ، بالرغم من ان جاليليو أعلن أنه ينكر على جيوردانو أن يقول عن بحوثه العلمية انها تبرهن على تخبط الدين المسيحى ، وحاول أن يظهر للعالم ان اكتشافاته العلمية لم تعارض يوماً ما التعاليم الدينية المقدسة ، إلا أن ذلك لم يفده ، بل استدعته روما اليها ليدافع عن نفسه ويبرر هرطقته . ولكن كان له في البلاط البابوي أصدقاء ومريدون من علماء غير متعصبين ، فسمعوا لنقاشه ، ثم سمحوا له بالعودة الى فلورنسا . وعاد اليها وهو يعتقد أن من حقه أن يتابع بحوثه دون إذاعتها . وكانت مهادنة بين الجانبين بعد عودته الى فلورنسا ظل فيها سبعة أعوام ساكناً راكناً الى قريحته العلمية الوقادة .

إلا أنه لم يكن من طبعه وجبلته أن يبقى ساكناً الى الأبد ، فطبع مطبوعات مختلفة مطولة ضمنها محاوراته ومناظراته في نظام الأرض ، وعندئذ استدعى الى روما مرة أخرى ، ولكن ليقابل في هذه المرة بابا عابساً حانقاً على رجل متمرد ناكر للجميل ، ولم تقبل منه شفاعة ، بل اضطر تحت تأثير آلات التعذيب الى أن ينقض أفكاره ، ثم حكمت المحكمة عليه بالسجن ، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ ، وانما استبدلوا به يكفر عن خطيئته بتلاوة أدعية التوبة ، وهى من سبعة أبواب في الزبور مرة في كل أسبوع . وتتصل بهذا العبث الرسمى من جانب الكنيسة فكاهة طريفة وهى أن جاليليو في كل مرة عند ما كان ينهض من ركوعه بعد تلاوته الأدعية وقسمه اليمين بنقض معتقداته في الفلك ، كان يقول بصوت خافت (ولكن الأرض ما زالت تدور) .

كانت هذه الكلمات تقال بصوت يكاد لا يكون مسموعاً ولكن فكر العالم بدأ يلتهب بهذه الشرارة ، وكان جاليليو رمزاً لتوسيع حدود العالم برغم محاولات الصلف والتحكم لتضييق محيطه ولا يزال الكون دائراً على رغم عرقلة المعرقلين من رجال الدين والتعصبين ضد دورانه .

فهل يعد خضوع جاليليو للكنيسة جبناً منه ؟ إن لكل بطل ساعة جبن في حياته ، وقد تقلب الزمن من عهد هذا الفلكي العظيم حتى اليوم ، فرأينا الآن الجمعية الايطالية الملكية تطبع على النفقة العامة كل مؤلفاته في واحد وعشرين مجلداً ، شاملة وثائق محاكمته ومضابطها ، وكان جد راغب في تجنب التصادم مع تعاليم الكنيسة ، فأذعن لحقها في تعليم كافة الناس الايمان بالدين ، وبلغ من ذلك أنه كان يؤمن في الظاهر بكل ما كانت تطلب اليه أن يؤمن به ، وباعد بقدر استطاعته بين العلم والدين علماً منه بما يجب أن يكون بينهما من مسافة سحيقة ، وجعل آراء كل منهما منفصلة تمام الانفصال عن الأخرى .

ولكن لم كل هذا ، وغيره من الناس لم يكن ليفعل ذلك لو كان مكانه ؟ ولا سيما ان الكنيسة طلبت اليه أن يقارعها بالحجة وقد كان من الطبيعي أن ينتصر عليها لو أنه قبل ذلك ، لأنه على حق فيما يقول ، ولأن تعاليمها متناقضة لا يصح أن يقبل عالم مثله أن تذاع على الناس فيقبلوها كأنها حقائق ثابتة غير قابلة للبحث والتمحيص .

ولكنه لم يبغ قتالاً مع الكنيسة ، بل سار معها موافقاً على كل ما طلبت اليه ، مكتفياً بالبقاء على عقيدته في نفسه واجداً فيها فضولياً متحرشاً واصفاً إياها (بأن واجبها هو تعليم الناس كيف يسيرون الى عالم السموات ، لا كيف يسير العالم السماوى) .

وبذلك استطاع أن يجد في بعض الأحيان تعضيداً من سلطة الكنيسة ، ولولا المتعصبون الذين كانوا يضغطون عليه ويضطهدونه بين آونة وأخرى ، لما وقفت الكنيسة قط في وجهه ، بل كثيراً ما حماه البابوات والكرادلة ودرأوا عنه السوء ، بل كان يعلم بعضهم أنه على حق في بحوثه العلمية ، وكثيراً ما لجوا اليه بالهروب من أعدائه في الوقت المناسب .

وقد بعثت الكنيسة اليه يوماً بالكردينال بللارمين ليوبخه ويحذره ، ولكنه بدلاً من أن يفعل ذلك أرشده الى طريق التعبير عن نظرياته ، فكتب اليه (لا تقل إن الأرض تدور حول الشمس

(البقية على صفحة ٩٥٦)

القصص

الأمير السـعيد

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد Oscar Wilde

مترجمة بقلم اليوزباشى أحمد الطاهر

يقوم تمثال الأمير السعيد على عمود باسق يشرف على المدينة ، وقد كست التمثال لفائف من صفائح الذهب الخالص ، وجُعل له من الياقوت الأزرق عينان ، وأمسك بسيف فى قبضته ياقوتة حمراء . وكان هذا التمثال موضع الاعجاب والفخار من الناس أجمعين ، ينظر إليه عضو من أعضاء المجلس البلدى فيتحدث عنه ويتكلف الوصف والتشبيه حتى يقول « إنه لجميل ، وله من الجمال ما لديك الرياح ، وإن لم تكن له ما لذلك الديك من المنفعة » وكان هذا العضو يحاول ما استطاع فى تشدقه بالحديث أن يمتاز بما للفنانين من بديع الذوق ، وما للعمليين من صدق النظر ، .

وتمر بالتمثال إحدى العاملات وبيدها طفلها يبكى لأنها لم تستطع أن تجتذب إليه القمر ، وتقول له مفتخرة بالأمير السعيد « لم لا تكون يا بنى كهذا الأمير ، وما أحسبه بكى فى حياته من حاجته لشىء ؟ » .

وينظر الى التمثال رجل قد شاع فى نفسه اليأس ويقول « كم يسرنى أن أرى على الأرض رجلاً قد حاز السعادة كاملة » .

ويطوف بالتمثال أطفال المبرة وهم منصرفون من الكنيسة فى أرديتهم القرمزية ، وعباءاتهم البيضاء الناصعة فيقولون « أليس هذا التمثال شبيها بالملائكة ! ! » فينهرهم أستاذ الرياضة فى حدة وجفاء مستنكراً هذا التشبيه « وانى لكم هذا وأنتم لم تروا واحداً من الملائكة ؟ » فيجيبه الأطفال « نحن لم نر الملائكة جهرة ولكنهم طافوا بنا فى أحلامنا » فيعبس أستاذهم ويتولى .

***

فى إحدى الليالى كان يطير فوق المدينة سنونو صغير ، وكان رفاقه قد رحلوا الى مصر وتقدموه بستة أسابيع وتخلف هو عنهم وقد فتن بحب مفردة تقطن شجر الغاب الذى يكتنف النهر ، وكانت أجمل بنات جنسها ، لقيها فى الربيع وهو يطارد يراعة كبيرة صفراء ، فأعجبه خصرها الناحل ، فكاشفها بحبه وابتدرها فى صراحة وبيان « أتأذنين لى فى حبك ؟ » فأومأت إليه إيماءة خفيفة ، فطار من فرط الفرح ، وكانت آية حبه أن يحلق فى الجو طائراً حولها يرتفع أحياناً ويسف بجناحيه أحياناً حتى يضرب بهما صفحة النهر ، فيخط عليه سطوراً من فضة كانت هى تقرأ فيها التحية والاجلال ، وكانت هذه تحيته طوال أشهر الصيف ،

ولقد شاع حديث حبه بين أبناء جنسه ، فتغامزوا عليه يتساءلون عن هذه الصلة التى توثقت بينه وبين المفردة ، وهى ليست بذات مال ، ولها من أقربائها عدد وفير ، وكان النهر غاصاً باسراب المفردات .

ثم رحل رفاق السنونو رحلة الخريف وشعر صاحبنا بعدهم بسأم الوحدة ، وشاع السأم فى نفسه حتى غشى حبه لصاحبته المفردة ، فبدا له ما يعيبها من صمتها ، وحدثته نفسه بأنها فتاة مبتذلة ، ولا سيما وقد رآها تداعب الهواء فى خفة ودلال ! ! وهو ان وثق بما لها من طبيعة الاستقرار ، فلا يتفق طبعها مع ما جبل عليه من حب الاسفار ، ولن تكون له إذاً الزوجة الصالحة . وصارحها يوماً برأيه فسألها « أتظعنين معى ؟ » فهزت رأسها مستنكرة أن تهجر وطنها . ولقد ساءه منها إباؤها ، وصاح فى وجهها « أنت إذاً كنت عابثة فى حبى ؟ سأرحل عن ديارك الى الأهرام ! ! وداعاً ! ! وداعاً ! ! » وطار

طوى نهاره طائراً وأدركه الليل عند المدينة ، فتحسس فيها مهبطاً سوياً ، وساءه أن المدينة لم تعد له العدة لهبوطه ، ثم تراءى له التمثال فطاب له النزول عليه ، واستهواه من المكان هواؤه العليل واتخذله بين قدمى الأمير مقعداً . ثم دار ببصره فى المكان يتبينه ، وقال معجباً « ما أجمله فراشاً من ذهب » ثم طوى رأسه تحت جناحه ، وما لبث أن أحس بقطرة من الماء تسقط عليه فعجب للسماء تمطر بغير سحاب ، والنجوم سافرة بغير حجاب ، وما له يعجب لهذا الجو وهو فى شمال أوربا أشد نكاية بالخلق وأبلغ إيذاء ، ثم خطرت له المغردة وحبها لوطنها المطير وقال « إنها لمؤثرة » ثم قطرة ثانية تسقط عليه فينحى باللائمة على هذا التمثال القائم « أنما فيه على طول قامته عاصم من الأمطار ؟ ؟ . » « سآوى الى رأس مدخنة لعل فيها من المطر تقية » وهم بأن يطير فشخص ببصره الى السماء ورأى . . . . وما أعجب ما رأى . . . . غشيت الدموع عينى الأمير السعيد ، وهطل الدمع على خديه الذهبيين مدراراً ، وبدا وجهه تحت سنا البدر فى حلة من الجمال ،

أشفق السنونو من بكاء الأمير السعيد وقال له « من أنت ؟ » قال « أنا الأمير السعيد » قال « وما بكاؤك فى هذه الساعة وقد بللتنى دموعك ؟ » قال « كنت حياً وكان لى قلب كقلوب الناس ، وما عرف الدمع الى عينى سبيلاً ، كنت أسكن قصر (البال الخالى) وكان الحزن لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، وكنت أمضى سحابة اليوم ألهو وألعب مع رفاقى بين الزهر والشجر ، وأقضى هزيعاً من الليل أطرب وأرقص فى بهوه الفسيح ، وكان يحيط بالقصر حائط لم أحفل بما وراءه ، وكان كل ما حولى جميلاً ، طربت لهذه الحياة حتى دعتنى حاشيتى بالأمير السعيد يحسبون السعادة فى الطرب . الى أن أدركنى الفناء فأقامونى على هذا الشرف ، أرى منه كل ما فى المدينة فلا يقع بصرى إلا على ما تكره الأبصار ، ولا يمتد إلا ليرتد حسيراً ، ولى قلب قد من الرصاص ولكن لا محيد لى عن البكاء ، . »

عجب السنونو فى نفسه من هذه القصة ، وزاد عجبه ان القلب قد قدّ من الرصاص ، والجسم من الذهب

قال الأمير فى صوت هادىء ونغم موسيقى ، : « فى أقصى المدينة دار فيها البؤس ، وفيها الشقاء ، وفيها أم قد ألح عليها الفقر العنيف . حتى شحب وجهها ، وغابت نضارتها ، واحمرت يداها من فرط ما تعانيان من وخز الابر ، وهى جالسة الى منضدة وبين يديها ثوب من الحرير توشيه (بزهر العواطف) وتعده لأجمل وصيفات الملكة ، تريد أن تزدهى به فى مرقص يقام فى القصر غداً . وانى لأرى الأم من نافذة الدار وأرى ولدها الصغير طريح الفراش ، تضطرم فى أحشائه نار الحمى ، ولا عاصم له من شرها إلا شربة من عصير البرتقال ، وأنى لهذه الوالدة بعصير البرتقال ؟ — انها تسكب فى فمه ماء النهر ، وهو لا يروى صداه ، ولا يدفع جواه ، هذه رسالتى أيها السنونو الصغير ، اخلع عن قبضة سيفى هذه الياقوتة ، وألق بها بين يدى الأم البائسة ، فأنا فى موقفى هذا لا أستطيع حراكاً بما شدت به قدماى الى هذا العامود » ؛

برم السنونو بهذا الأمر واستعفى منه الأمير قائلاً « إن لى فى مصر من يترقب عودتى . أولئك هم رفاق ترفرف أجنحتهم فوق نهر النيل يناجون أزهار اللوتس العظيمة ، وما أحسبهم الآن إلا آوين الى مضاجعهم فى مقبرة الملك العظيم ، المضطجع فى تابوته الوشى ، وقد ضمت لفائف التيل الأصفر جسده المحنط بالتوابل والأفاويه ، ويحيط بعنقه قلادة من الكديش الأخضر الشاحب ، وتمتد يداه كأوراق الشجر الذابلة ، »

توسل الأمير السعيد للسنونو أن يقيم معه الليلة ، وأن يبلغ رسالته الى ذلك الطفل الصادى ، وتلك الأم الحزينة ، قال السنونو أنا لا أعطف على الأطفال ، فقد كنت فى الصيف الماضى مقيماً على النهر ، وكان هناك صبيان يحصبانني بالحصى وهما ولدا الطحان ، ولم يكن الحصى يصيبنى لما اشتهرت به طائفتنا من خفة الحركة ، وسرعة الطيران ، ولكن الذى يحزننى هو ما ينطوى عليه عملهما من المهانة لنا والتحقير لشأننا »

طافت بوجه الأمير سحابة حزن أشفق منها السنونو ولان قلبه وقال : « الآن طبت نفساً بالبقاء معك هذه الليلة ، وسأحمل رسالتك » وشكره الأمير ، واقتلع السنونو الياقوتة من قبضة السيف وضم عليها منقاره وطار ، . . . طار فوق برج الكنيسة ورأى تماثيل الملائكة قد قدت من الرخام الأبيض اذا رأيتها

حسبتها لؤلؤاً منثوراً، وطاف بالقصر الملكى فرأى مرقصاً ونعيماً ونوراً، وخرجت الى شرفة القصر غادة جميلة مستندة الى ذراع صاحبها فأنصت إليهما فاذا الرجل يقول « ما أغرب الحب وما أشده » قالت الفتاة لاهية عن حديث الحب بحديث الثياب « ما أشد لهفتى على ثوبى الذى أعده لليلة المرقص ! لقد كلفت الحائكة وشيه بأزهار العواطف، ولكن الحائكة كسول ، » وطار فوق النهر وأبصر المصابيح تتدلى على ساريات المراكب ، وطاف بحى اليهود ، فرأى شيوخهم يتنازعون فى البيع والشراء ، ويزنون الدراهم بموازين من نحاس ، وحط على الدار الحزينة ونظر من خلال النافذة فاذا الصبى يصطلى بنار الحمى فلا يهدأ مضجعه ، واذا الأم قد احتواها التعب فقامت الى فراشها . ونفذ السنونو الى الغرفة وألقى بالياقوتة على المنضدة ، ثم طاف يرفرف بجناحيه على الصبى . تحرك الصبى فى مضجعه وقال « ما أعذب هذا النسيم العليل ، لعلى واجد من المرض خلاصاً » ثم أخذته سنة مريحة .

عاد السنونو إلى الأمير السعيد ، وقص عليه ما رأى وما فعل وقال « عجباً ! اننى لأشعر بالدفء فى هذا الجو البارد ! » قال الأمير « ذلك بما وفقت اليه من فعل الخير » .

وساد صمت عميق ، كان السنونو فيه مطرقاً مفكراً وهو اذا فكر نام ! ! ولما انبثق الفجر طار الى النهر واغتسل بمائه فأبصره استاذ علم الطير ، وراعه أن يرى السنونو فى فصل الشتاء ، وعد هذا من خوارق الطبيعة ، فحرر مقالا طويلا نشره فى الصحيفة المحلية وقرأه الناس جميعاً ولم يفهموا منه شيئاً لأنه حشاه بألفاظ لا يفقهون لها معنى . قال السنونو وقد هزه الطرب « الليلة سأطير الى مصر » وقام يزور آثار المدينة وأعلامها ، فحط على منارة الكنيسة ، وطابت نفسه بالاستراحة عليها ثم طار ، وكان حيثما طار سمع تغريد العصافير يقول بعضها لبعض : « ما أعجب هذا الطائر وما أغربه ! » فلما استمتع من رحلته وطلع البدر خف الى الأمير السعيد وقال له « هل لديك رسالة أحملها الى مصر ، فأنا ميممها الساعة »

قال الأمير السعيد « أيها السنونو الصغير هل لك أن تبقى معى الليلة ؟ » قال السنونو « إن لى بمصر رفاقا يترقبون عودتى . وما أحسبهم فى غداة إلا طائرين الى الشلال الثانى ينعمون بطلعة فرس النهر مضطجعاً بين أوراق البردى ويسعدون بلقيا الاله ممنون جالساً على عرش من الجرانيت يناجى النجم طيلة الليل ، حتى اذا أقبلت نجمة الصباح حياها بصيحة عالية ثم لزم الصمت ، ويرقبون الأسود الصفراء ذات العيون الخضراء تنساب الى الشاطئ وتستقى ثم تزأر زأرة تذوب فى صداها زأرة الشلال ، » قال الأمير « أيها السنونو الصغير ! فى أقصى المدينة رجل يقيم فى غرفة وقد أكب على أوراق بين يديه، وأمامه باقة من زهر البنفسج الذابل، وله شعر مجعد ، وشفتاه كحب الرمان ، وعيناه ناعستان ، أراه جاداً فى نسج قصة تمثيلية يعدها لمدير المرسح وقد ألح عليه البرد والفقر فما يستطيع منهما خلاصاً ، وما يستطيع معهما التحرير ، »

قال السنونو وقد رق قلبه « انى مقيم معك الليلة ، فهل أنت مرسلى اليه بياقوتة أخرى ؟ » قال الأمير « لقد نفد الياقوت الأحمر ، وما أملك الا عينى ، وهما من الجوهر الأزرق النادر ، جلبت جنباتهما من الف سنة من بلاد الهند ، فاقتلع واحدة منهما وخذها الى الرجل يبيعها للجوهرى ويشترى طعاماً وناراً فيقوى على اتمام قصته » قال السنونو « أيها الأمير السعيد ، لا قبل لى بما كلفتنى ، وما أستطيع على بعض هذا صبراً » وذرفت عيناه . قال الأمير « افعل ما أمرتك به » وفعل ، وطار الى القصصى فنفذ الى غرفته من ثغرة فى سقفها ، وكان الرجل قد أسند رأسه الى يديه فصمت أذناه ، ولم يسمع حفيف أجنحة السنونو ، ثم رفع رأسه وبهره بريق الجوهرة الزرقاء وسط باقة البنفسج الذابل ، فافتر ثغره عن ابتسامة فيها الزهو وفيها الاعجاب وقال : « لقد آن للناس أن يحسنوا تقديرى ، ما أحسب هذه العطية الا من عظيم قد أعجب بقصصى وما أحسبنى الآن الا قادراً على اتمام القصة » ثم أشرقت فى نفسه السعادة ، .

وفى الغداة طار السنونو الى مرفأ المدينة وجلس الى سارية سفينة فأشرف على الحمالين وهم يجتذبون الصناديق الثقيلة وقد شدوها الى الحبال ، وألقى اليهم السمع وهم يصيحون جماعات كلما اجتذبوا صندوقاً فصاح بهم السنونو وقال « أنا طائر الى مصر » فلم يحفل به أحد ، ثم طار فى ضوء القمر الى الأمير السعيد وقال « جئت الآن لأستودعك الله » قال الأمير « هل لك أن تبقى معى الليلة ؟ » قال « نحن فى زمان الشتاء وسيشتد البرد بهذه المدينة

ومالى بها بعد اليوم مقام . سأطير الى مصر فأنعم بشمسها الحارة تنصب على رءوس النخل الأخضر ، وأسعد برؤية تماسيحها ، وقد اطمأنت الى أرض رخوة واستمرأت الكسل ، ودارت عيونها تبصر ما حولها ، وما أحسب رفاقى إلا جادين فى اتخاذ أعشاشهم فى معبد بعلبك ، ترقبهم أعين الحمامات الرقطاوات تتناجى بأعذب الأنغام ، أيها الأمير العزيز لست بعد اليوم مقيما ، وما أنسى فضلك وجودك ، وسأعود اليك فى الربيع وفى فمى جوهرتان جميلتان أعوضك بهما عن الجوهرتين اللتين جدت بهما ، ستكون احداهما أشد حمرة من الورد ، والأخرى أشد زرقة من البحر . » .

قال الأمير « هنا فى الميدان فتاة تبيع أعواد الكبريت ، ولقد سقطت الأعواد من يدها وأصابها البلل فما تصلح للبيع ؛ وستلقى الفتاة من أبيها نصباً ، وانى لأراها باكية ، وأراها حافية القدمين حاسرة الرأس ، . اقتلع عيني الأخرى وجد بها عليها عل أباها يعفيها من سوط عذابه » قال السنونو « أما البقاء معك هذه الليلة فنعم ، وأما ماتأمرنى به فلا ! اتحسبني لا أعصيك فى هذه فاقتلع عينك فتصبح مكفوفاً ! ! » قال الأمير « بل لا تعص لى أمراً » . . . فما عصاه . . . !

وطاف فوق رأس الفتاة وأسقط الجوهرة فى يدها . قالت « ما أجمل هذه الزجاجة ! وسارعت الى بيتها ضاحكة مستبشرة ، » وعاد السنونو الى الأمير وقال له « أما الآن فحق على البقاء معك ؛ فقد أصبحت كفيفاً ولا غنى لك عنى ! » قال الأمير المسكين « بل ارحل الى مصر » قال السنونو « مابى الى الرحلة حاجة ، ولن أبرح مقامك » وطوى رأسه تحت جناحيه واستكن بين قدمى الأمير »

وفى الغداة جلس على كتف الأمير وأخذ يقص عليه من أنباء الدنيا عجباً ، قص عليه أنباء طير مصر المعبود ، وكيف وقوفه على ضفتى النيل يمسك بين منقاريه سمكاً ذهبياً ، وقص عليه أنباء أبي الهول وقد عمر عمر الدنيا واتخذ الصحراء مسكناً ، وأوتى علم كل شيء ، وقص عليه أنباء التجار يسيرون الهوينى بجانب إبلهم وفى أيديهم مسابح من الكهرمان يذكرون عليها اسم الله ويسبحون بحمده ، وقص عليه أنباء الأرقط الذى يأوى الى سعف النخل ، وله من الكهنة سدنة عشرون يطعمونه فطيراً معسولا . وقص عليه أنباء الأقزام وماشب بينهم وبين الفراش من حرب فى البحر ، .

وألقى اليه الأمير السمع ثم قال « أيها السنونو الصغير ، فى حديثك العجب ، ولكنى أرى فى شقاء الرجال وفى شقاء النساء ما هو أعجب . ليس فى العالم مأساة أمعن فى الأسى من الشقاء . » طر أيها السنونو فوق مدينتي ، وانبئني بأنباء ما ترى ، وما لا أرى .

طاف بالمدينة فرأى دوراً منجدة ، وقصوراً مشيدة . وأغنياء ينعمون وعلى أبوابهم سابلة محرومون ، !

وطار الى أزقة يغشاها الظلام فرأى أطفالاً يتضورون جوعاً ، ترنو أبصارهم الملتهفة الى الشوارع المظلمة ، ورأى تحت جسر صبيين قد استلقيا على الأرض متعانقين يتقيان شر البرد ، ويهمس أحدهما فى أذن الآخر « ما أشد الجوع » فينهرهما حارس الليل ويقول « ما ينبغى لكما أن تقيا فى هذا المكان » فيفران وقد صب عليهما عذاب عنيف من الجوع والبرد والمطر . !

وعاد السنونو الى الأمير وحدثه بما رأى ، قال الأمير « هذه لفائف الذهب فوق جسدى فانزعها عنى ورقة ورقة وهبها الى الفقراء ، فقد جبل الناس على حب الذهب ، كأنهم يرون فيه السعادة . »

وقام السنونو ينزع الذهب عن الأمير ورقة بعد ورقة ، حتى بدا جسمه كالح اللون شاحبا ، وطاف بها على الفقراء يغدقها عليهم أرزاقاً ، فتهللت وجوه الأطفال واستخفهم الطرب ، فملأوا شوارع المدينة بشراً وسروراً وقالوا « لقد أوتينا طعاماً » .

ثم قسا الشتاء على المدينة وصب عليها صقيعه وجليده ، وتدلى الثلج من النوافذ ، وخرج الناس يبتغون أرزاقهم ، وقد اكتسوا الفراء ، وخرج الأطفال يلعبون ويتسابقون زحفاً على الثلوج ، كل هذا والسنونو تضنيه تباريح البرد ، ولكنه لا يبتغى عن الأمير حولا . يبتغى فى الأرض رزقه من فتات يسترقه من حانوت الخباز ، ويبتغى دفئه من تحريك جناحيه الضعيفين ؛ ولكنه أحس أخيراً بدبيب الموت يسرى فى جسمه المقرور ، وأحس بقواه تضعف وتخور ، حتى لم يقو على أن يطير الا مرة واحدة يصعد بها الى كتف الأمير ، وقال « وداعاً أيها الأمير العزيز ، أتسمح لى أن أقبل يدك » قال الأمير « انى لسعيد بما عزمت عليه من الرحلة الى مصر — أيها السنونو الصغير — لقد طال مكثك

مني ، خذها قبلة من فمي فإني أحبك » قال « ما رحلتي إلى مصر ولكن إلى دار البقاء ، وما يفزعني الموت فهو صنو النعاس ، أليس هو كذلك ؟ » ثم طبع على فم الأمير قبلة . . . ثم رفرف بجناحيه . . . وسقط بين قدميه . . . ميتاً ،

في هذه اللحظة سمعت في جوف التمثال فرقعة داوية ، وكان قلبه وقد قد من الرصاص قد انشطر شطرين .

وفي الصباح مر عمدة المدينة بالميدان وحوله أعضاء المجلس البلدي فشهدوا التمثال وقد أصبح عاطلاً من حلاه ، وقال العمدة « ما أقبح منظر الأمير السعيد ! » قال أعضاء المجلس « حقاً ما أقبحه ! » وكانوا دائماً يرددون ما يقوله العمدة — ثم صعدوا إلى التمثال ليتبينوا شأنه وقال العمدة « لقد ضاعت حلاه ، وسقطت عن قبضة سيفه ياقوتتها الحمراء ، وسقطت عن عينيه جوهرتاها الزرقاوان ، وتعطل جسده عن لفائف الذهب ، وهو بهذا لا يفضل الشحاذ إلا قليلا » قال أعضاء المجلس « وهو لا يفضل الشحاذ إلا قليلا » قال العمدة وها كم طائراً قد مات بين قدميه ، أرسلوا في المدينة إلى الطير نذيراً ألا يموت أحد في هذا المكان ، وحرر كاتب المدينة اعلاناً كتب فيه « ممنوع موت الطيور هنا » .

دكوا تمثال الأمير السعيد ، وما بهم إليه من حاجة بعد أن زال عنه جماله ، ثم صهروا معدنه ، وعقد العمدة مجلساً يتشاورون فيما يستخدم فيه معدنه المصهور ، .

قال العمدة : « ما أرى إلا أن تعملوا منه تمثالاً ، ويكون التمثال لي » وقال كل عضو من أعضاء المجلس : « ويكون التمثال لي » فدبت بينهم الشحناء ، وماج بعضهم في بعض وما زالوا مختلفين ، .

قال أحد العمال الذين يصهرون معدن التمثال « هذه قطعة من الرصاص لا تذوب في النار ولا تلين » والقى بها على كومة القمامة ، وكان على الكومة جثمان السنونو »

فلو قال الله لملائكته ائتوني باثنين من أعز ما لقيتم في المدينة ، وأتاه الملائكة بقلب الأمير وجسم الطائر — لقال لهم « صدقتم فيما اخترتم — وسمت جنتي هذا الطائر الصغير يغرد فيها ، وهذا الأمير السعيد يسبح بحمدي » .

أحمد الطاهر

جاليليو

(بقية المنشور على صفحة ٩٥١)

بل قل لنفرض أنها تدور حول الشمس ، لأن من الخطر عليك أن تقول بأنها تدور ، ولكنه من المأمون قولك بفرض دورانها)

وبذلك ظل جاليليو يفرض في الظاهر وهو مؤمن بالحقيقة في الباطن مؤكداً أن للحق الغلبة في النهاية .

وقد ولد اسحق نيوتن في ٨ يناير سنة ١٦٤٢ ، وهو اليوم الذي توفي فيه جاليليو ، وبذلك بدأ فصل جديد من حيث انتهى آخر . ولم تؤيد نظرية الأرض وموقعها من المجموعة الشمسية ودورتها فقط ، بل أصبحت العقول تدرك جيداً حركات الكواكب وقانونها أيضاً .

وقد أصيب بالعمي في أواخر حياته ، إلا أنه وهو أعمى كشف عن أقمار زحل ، وبحث ودرس البقع الشمسية مستعيناً على ذلك بتلاميذه بدل عينيه . وهو بشير لنيوتن وطليعة له ، وإذا كان نيوتن هو الذي وضع قوانين الحركة وأثبت بالدقة الرياضية قانون الجاذبية بين الكون المرئي والقاعدة المضبوطة لحركاته ، فإن جاليليو هو الذي مهد إلى ذلك وقاد نيوتن إلى الحقيقة الخالدة .

ولم يستطع أي بلاط بابوي في هذا الوقت تقييد أفكاره الطامحة ، وأبحاثه العلمية ، بل اكتفى بارساله أخيراً من روما إلى دير سينا ، وهو دير تطل جدرانه على سهول توسكاني ، اعتكف فيه أشهراً قلائل ، ثم سمح له بالعودة إلى فلورنسا حيث قضى الأعوام الثمانية الأخيرة من حياته في عزلة تامة امتثالاً لأمر روما ، إلا أنها عزلة لم تعرف قط السكون بل كان جاليليو فيها يملي بأبحاثه كالمرجل .

وقد لحقه الأسى وحلت به عاهته في كبره ، وكان أعمى عند ما زاره جون ملتون في إركتري عام ١٦٣٨ ، وقد واصل رسالته العلمية وهو بعاهته فاخترع وأملى اختراعاته . وانتابته حمى بسيطة وهو يملي ملحوظاته على تلميذين من حوارييه ، فأسدلت على حياته الطويلة ستاراً كثيفاً أبدياً ، ولكن برغم ذلك بقي للعالم من هذه الحياة بحث خالد في الأرض وعقل إنساني جبار .

عبد الرحمن فهمي



بحث في نقد الأدب العربي

بقلم محمد بديع شريف

مؤلف هذا الكتاب الموجز شاب عراقي، يتلقى علومه في مدرسة دار العلوم، تكلم فيه عن النقد في الأدب العربي من فجر تاريخه حتى يومنا هذا، فأرانا كيف كان أهل الجاهلية يتحاكمون في أشعارهم الى النابهين منهم كالنابغة وأضرابه، ثم قص علينا حديثاً طريفاً عن النقد في صدر الاسلام وفي عهد بني أمية مشيراً الى ما كان عليه أهل هذين العصرين من سلامة الذوق وحسن الفهم والنزاهة كما يتضح فيما أورده من حديث عقيلة بنت عقيل ابن أبي طالب مع جميل وكثير والأحوص، وانتقل الى العصر العباسي فأرانا كيف كان الخلفاء يهتمون بالنقد ويفطنون الى موازينه وأوضاعه، وأخيراً تكلم عن النقد في أيامنا ويعجبني منه قوله في ذلك « والنقد في أيامنا يجري في البيث والبيتين، وهو عند الصديقين الى تقارض المدح أقرب منه الى النقد، وعند المغيظ المحنق أبعد عن النقد وأقرب الى السباب، والمنصف بينهما قليل بل من القليل أقل » .

وختم المؤلف كتابه بكلمة عن النقد وموازينه وطرقه مورداً في ذلك كثيراً من الأمثلة التي تدل على صدق نظره وحسن فهمه وسلامة ذوقه، وهي باكورة تبشر بمستقبل أدبي باهر لهذا الطالب النجيب.

أما اسم الكتاب فقد يبدو لي غريباً أو منحرفاً عن موضوعه فكان أولى به أن يسميه بحث في طرق النقد في الأدب العربي، فهو لا ينقد الأدب العربي كما يشعر بذلك عنوانه، ولكنه يبحث في أساليب النقد في هذا الأدب قديمه وحديثه . م . الخفيف

مســـــــعود

تأليف محمود ابو النجاة

يتوق كثير من شبابنا اليوم الى التأليف، فأول ما يستهوي الشاب في مستهل حياته الأدبية، فترة المطالعة والتأمل والاستعداد، أن يكون له كتاب يقرؤه الناس. لا جناح على الشاب أن يعمل على رفع نفسه، بيد أن لكل غاية وسائلها ولكل أمر عدته، ولا بد لمن يضطلع بالتأليف أن يكون له من الخبرة والنضوج ما يكفل له النجاح في هذه المهمة الشاقة، أما أن يعمد الشاب الى التأليف وهو لم يدر بعد ما القراءة، فهذا الى العبث أقرب منه الى الجد، بل هو الهزل بعينه، وهذا الكتيب الذي أحدثك عنه مثل من أمثلة التسرع والشطط، فهو رواية شعرية في موضوع تافه لا يليق حتى لأسلوب « الحواديت » وحسبك أن تقرأ حواراً كهذا ولو على سبيل التندر والفكاهة

مسعود — ما العشاء الليـــلة ؟

سعيد — إنه جـــبن وعدس

مسعود (متأثراً) — كنت أرجو الفرخة

زينب — ماتت الفرخة أمس

ثم اقرأ احدى أغانيه وهي من أجود مقطوعاته

بسم الصبح ابتساما ... فيه آيات الجمال

فانحنى الزرع احتراما ... في سكون وجلال

وشعاع الشمس ضاءا ... يملأ الآفاق نورا

وسرى الزهر هواءا ... يملأ الدنيا عبيرا

ودونك حواراً لذيذاً بين المحضر والعمدة

المحضر : كم يملكون من العقار ؟

العمدة : عشرون فداناً ودار

الحد من جهة الشمال : أرض مسطحة بوار

ومن الجنوب المصرف : والغرب احمد ذو الفقار

والرواية كلها على هذا النحو وكم وددت لو اتسع المجال لأذكر لك طرفاً من ذلك الحوار البديع بين النائب والمحامي في الجلسة ... !

وحى النسيب فى شعر شوقى

تأليف احمد محمد الحوفى بدار العلوم

حاول المؤلف الشاب أن يبرهن على صدق عاطفة الحب عند شوقى ، أو بعبارة أخرى أراد أن يقيم الدليل على أن الغزل فى شعر شوقى نتيجة غرام حقيقى ملك قلب الشاعر الكبير ليبطل بذلك حجة الذين يقولون انه غزل لم تمله عاطفة ولم يبعثه حب . ابتدأ المؤلف الفاضل كتابه بكلمة فى الغزل وأنواعه ، ثم تكلم عن العلاقة بين الحب والشعر ، وذكر طرفاً من غزل شوقى فى الصبا والكبر ، ثم شرح بتصرف بنفسية المحبين : وتعرض لشرح بيئته وصور نزعته الى الوصف وصلتها بالحب .

ولكنه لم يخرج فى براهينه كثيراً عن ذكر أبيات شوقى فى الغزل مستدلاً بها على صدق حبه مع أن تلك الأبيات هى التى يذكرها من ينكرون عليه هذا الحب مستشهدين بوجودها فى مطالع بعض قصائده دون مناسبة أو داع ، وكان أولى به أن يسلك فى البرهان طريقاً غير هذا ، فان اثبات مواقف معينة أو اقامة الدليل على صفة خاصة فى حياة شاعر لا تتأتى إلا بذكر حوادث معينة واضحة ، أو الاتيان بقرائن قوية توضح الغرض من شعره .

على أننا نحمد لهذا الشاب وأقرانه من طلاب دار العلوم نشاطهم واقبالهم على الأدب العربى بحثاً وتنقيباً ، ويسرنا بنوع خاص أن ينهض الشباب لدراسة شعر شوقى من جميع نواحيه ، ولنا أن نعتبر هذا الكتاب باكورة طيبة لهذا الشاب الأديب .

م . الخفيف

المدنية الأسلامية وأثرها فى أوروبا

تأليف محمد سعيد بخت ولى

دعا المؤلف الى نشر هذا الكتاب كما يتضح من مقدمته ما يراه من اقبال الشبان على دراسة مدنية الغرب مع اغفالهم مدنية العرب والأسلام ، ولقد تكلم فى هذا الكتاب الصغير عن عظمة الاسلام فى أول نشأته ، ثم عن تقدم المسلمين فى العلوم والمعارف والآداب ، ثم عن قوى الاسلام البرية والبحرية فى شتى عصوره . ثم عقد فصلا عن مبلغ ما أفاده أهل الغرب من الأسلام مستشهداً بعبارات من كلام مؤرخيهم

وانك لتلمس غيرة المؤلف وحماسته للأسلام فى كتابه هذا على صغره ، فلا يسعك إلا أن تشكره على هذه الأريحية ، بيد أن الموضوع أوسع من أن يلم به كتيب كهذا لا تزيد صفحاته على السبعين .

م . الخفيف

العامى النبيل

تأليف موليير وتعريب فؤاد نور الدين

عرب هذه الرواية الظريفة التي تعد احدى طرف الأدب الفرنسى شاب من شباب سوريا ، ولا ريب أن حاجة العالم العربى فى هذه الأيام الى تعريب الآثار العربية القيمة ، حاجة شديدة ملحة ، بيد أن الترجمة ليست كما يتوهم البعض من السهولة ، وفضلاً عن ذلك فليس كل كتاب بصالح للنقل الى العربية ، وأكبر ظنى أن معرب هذه الرواية لم يتوخ الدقة فى الاختيار ، فالرواية يغلب عليها عنصر الفكاهة ، وأسلوب الفكاهة فى لغة غيره فى لغة أخرى ، هذا الى اختلاف الذوق العام فى أمة عنه فى أخرى وخصوصاً فى الأدب الفكاهى ، وهذه القصة بنوع خاص ينحصر جزء كبير من فكاهتها حول نطق الكلمات واخراج الحروف فكيف ينقل ذلك الى العربية ؟ نقل المعرب الحروف الفرنسية كما هى ، فكان موقفه أشبه بموقف ذلك الذي يتصدى لاضحاكك فلا تفهم ما يريد فتقابله بالوجوم فينقلب مرحه الى فتور .

غير أنى لا أنكر على المعرب ما بذل من جهد وما توخى من كمال كما يتضح فى كثير من عباراته .

ســعادة الأسرة

للحكيم الروسى الأكبر ليو تولوستوى

نقله الى العربية « مختار الوكيل »

لا تكاد تمضى فى قراءة هذه الترجمة العربية للقصة الروسية البديعة حتى تشعر بدقة المعرب وسلامة أسلوبه من الضعف والابتذال ، فألفاظه منتقاه وتراكيبه عربية وجمله متزنة ، ثم انك لتشعر أيضاً بأن المعرب الفاضل يفهم الأصل فهماً صحيحاً فلا التواء فى الحوادث ولا اضطراب فى مجرى القصة كلها : هذا الى ما يشع من هذه الترجمة من روح الاتزان والحصافة والشغف بفن القصص مما كان له أكبر الأثر فى انجاز هذا العمل على خير ما يرجى من طالب فى كلية الحقوق لا يزال بين أعماله الدراسية المرهقة ، وحسبك

أن تقرأ هذه الفقرة من مقدمة المعرب لتعرف الروح التي سيطرت عليه أثناء التعريب فهو يقول «أما بعد، فغاية ما أطمع فيه من نقل هذه القصة الى لغتنا هو تغذية الفن القصصي الناشئ عندنا ببعض عناصر قوية خالدة من الفن العالمي اليه، فهل يا ترى ستحقق هذه الأمنية؟ علم الله أنها غاية ما أتوق اليه ...!»

ولا شك عندي أن تعريبه جاء مصداقاً لمقدمته المهذبة ؟

ديوان الفراتي

نظم محمد الفراتي

مطبعة بابيل اخوان — دمشق

يقع هذا الديوان في أربعين ومائتي صفحة من القطع الكبير، جيد الورق متقن الطبع قسم ناظمه ما جاء فيه من قصائد الى مصريات وسوريات وحجازيات وعراقيات وبحرينيات! ولست أذكر ديواناً في هذا الحجم تنوعت قصائده على نحو ما تنوعت القصائد في هذا الديوان، فلقد نظم الشاعر في الاجتماعيات وفي شكوى الزمان وفي الرثاء والمديح والعتاب، وتغنى بحنينه الى البادية، وتفاخر بمجد الأوائل، ونظم يستنهض أهل عصره، ثم نظم في الوصف فوصف الكهرباء وصاغ شعراً في الأكسيجين والتروجين! وناجى الكواكب، ولم تكفه الأرض بما رحبت فطار على أجنحة الشعر الى المريخ ونظم قصائد في وصفه وشطط به خياله فاخترع ألفاظاً أشار في الحواشي الى أنها من لغة المريخ!!

وهكذا أطلق الشاعر العنان لخياله في غير تحفظ ولا احتراس وسجل كل ما جادت به قريحته من غير حذف ولا إصلاح

من أجل ذلك أرجح أن الفراتي الفاضل يعني حقاً ما أثبته في مقدمة ديوانه اذ يقول «لم أنظمه للناس وانما نظمته لنفسي، وحسبي أن نفسي عنه راضية، ولم أقدم على نشره ليذيع اسمي ويشتهر، وانما نشرته حرصاً عليه من الضياع» أقول انى أرجح أنه يعني ما كتب، وقد كنت أحسب ذلك منه تواضعاً أول الأمر، على أنني لست أقصد بذلك أن الديوان لا يستحق النشر، كلا ففيه عدد من القصائد يستحق الشاعر من أجلها التهنئة الصادقة، ثم أن شعره في الجملة مشرق الديباجة جيد الصياغة بله تنوعه الدهش، ومن قصائده البارعة قصيدته المسماة «درة في جبين الدهر» وأختها «نفثة مصدور» وقصيدته تحت عنوان «يا ابنة عمي» ومرثيته لسعد وغيرها.

وانما أقصد بما ذكرت أنه كان ينبغي أن يحذف الشاعر من ديوانه بعض القصائد التي لا تسمو الى مستوى شعره، ولئن فعل فما كان ذلك بضائره فبضاعته موفورة، ولا سيما وأن هذا هو الجزء الأول، وخير له أن ينتقي من الجزءين ديواناً جيداً. ثم ليسمح لي أن أنبهه في احترام الى ألفاظ استعملها بكثرة وهي في زعمي مما يمجه الذوق الشعري «كالقطقط والعجنفل والصنبر وتفنف اللوح وغيرها مما يجب أن يخلص منها شعر الفراتي ؟

صحيفة مدارس الأقباط الخيرية الكبرى بطنطا

هذه الصحيفة التي تفضل حضرة المربي الفاضل ناظر مدارس الأقباط بطنطا بأهدائها الى الرسالة، هي باكورة أعمال الطلبة وأول ثمرة لجهودهم الأدبية الفنية، فاذا قلبتها أعجبك وسرك أن تكون تلك الباكورة على خير ما تكون عليه المجلات المدرسية من دقة وجمال وحسن نظام، واذا قرأتها حمدت لأصحابها روحهم الطيبة التي تتجلى في اخلاصهم لمدرستهم وبلادهم، فالصحيفة مليئة بدروس الوطنية، حافلة بالأبحاث المتنوعة في الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والعلوم والآداب، والذي نغتبط له بنوع خاص أن هذه الأبحاث التي كتبها الطلاب من عملهم هم لم يعمدوا فيها الى نقل أو تلفيق، بل هي أصدق صورة لعواطفهم وآمالهم، واذا أنت قارنت بين هذه الصحيفة وأمثالها مما يظهر في مدارسنا اليوم، وبين الصحف التي كانت تصدرها المدارس منذ بضع سنوات أحسست بتقدم الطلاب في فهم العالم الذي يحيط بهم، واستبشرت بالخير لبلادنا على أيدي هؤلاء الشبان الذين نعتبرهم عدة الحاضر ورسل المستقبل.

صحيفة مدارس الأهرام

تفضل حضرة المربي الفاضل ناظر مدارس الأهرام فأهدى صحيفة مدارسه الى الرسالة أيضاً، وتلك الصحيفة في مرحلتها الثالثة، متقنة الطبع، أنيقة الشكل، كبيرة الحجم؛ وهي كأختها السالفة دقة

وحسن نظام ، تشرق صفحاتها الغر بقيم البحث فى شتى المواضيع ، كما أنها ثمرة خالصة لجهود الطلاب ، ومرآة صادقة لعواطفهم وميولهم ، التى تنهض دليلاً على وصول التعليم الأهلى فى بلادنا الى درجة يغبط عليها ، فالصحيفتان ناطقتان بما يرفع رأس رجال التعليم الحر ، وما جاء فيهما على ألسنة أبنائهم شاهد بما يبثونه فى قلوبهم من الفضائل وما يغذون به عقولهم من المعارف ..

هذا ونجد فى الصحيفتين طائفة من الصور البديعة للجمعيات المدرسية المختلفة ، والفرق الرياضية المتنوعة تتوج كلا منهما صورة صاحب السمو الكشاف الأعظم أمير الصعيد كما تتصدر الصحيفتين صورة جلالة الملك مما يكسبهما جلالا وعزة .

الدوق دى لاروشفوكو

(بقية المنشور على صفحة ٩٤٩)

وذكر معاصروه أنه كان دقيقاً فى الحكم على الكتب التى تعرض عليه ، وأنه كان يحب قراءة الكتب القيمة التى تتطلب الحوار والمناقشة ، وترغم العقل على التفكير العميق . وكان من أحب الأشياء الى نفسه أن يستمع الى حديث ذوى العقول الراجحة اذا تكلموا فى الموضوعات الجدية وجعلوا للأخلاق النصيب الأكبر من حديثهم . وهذا يدلنا على ولعه الطبيعى بكتابة المواعظ

ومن تاريخ حياته يتبين لنا أنه كان مشغوفا بالنساء فى كل أدوار حياته . ولا يذكر اسمه فى كل دور الا مقروناً باسم امرأة تحمل لقباً كبيراً ، أولها فى تاريخ الأدب ذكراً جميلا . واللهجة التى استعملها فى كلامه عن عفة النساء ، هى لهجة الرجل الغنى العظيم الحب الذى لم يصادف فى حياته امرأة تدمى قلبه بالصد والدلال

وكان يفضل مجلس النساء على مجلس الرجال . يدلنا على ذلك قوله : « إنى أحترم النساء وأعاملهن فى أدب جم ورفق كثير ، وأعتقد أنى لم أقل قط أمامهن كلمة تؤذى شعورهن . (ولكنه آلم الدوقة دى لونجفيل فى مذكراته ، وآلم النساء جميعاً فى مواعظه) وأفضل حديثهن ، إذا كن حصيفات العقل ، على حديث الرجال ، لأنى أجد فيه عذوبة وسحرا . ويخيل الى أنهن يعبرن عن أفكارهن فى وضوح وجلاء أكثر منا ، ويضعن أقوالهن فى أسلوب بهيج يسر النفس والخاطر »

ومن حسن حظه أن ساق اليه القدر الكونتس دى لافاييت فى شيخوخته ، تؤنسه وتنسيه مرارة الحياة وتهيىء له أسباب الهدوء والسعادة الروحية

يتبع

حسن صادق

2me Année, No. 49.

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

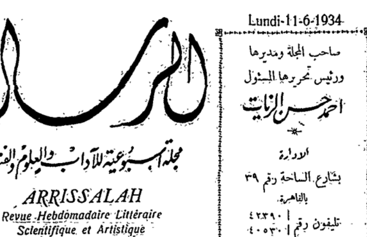
٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة



Lundi-11-6-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

السنة الثانية «القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٥٣ — ١١ يونيو سنة ١٩٣٤» العـــدد ٤٩

الامتيازات والدين

. . . حتى على حرم الدين ، وموئل علومه ، ومعقل آدابه ، تعتدى الإمتيازات الأجنبية المشئومة !! فقد حدثني من لا يجهل ولا يكذب ، أن طالباً من جنوب افريقية ، يطلب العلم في أحد المعاهد الدينية ، دهمه الامتحان وهو في سكرة النعيم المصرى الخالص من الأذى والمن ، فلم يجد في رأسه غير وساوس الشباب وغماغم الهوى ، ففزع الى الكتاب ينقل منه نص الجواب ، فأخذته عين المراقب ! ثم كان ما يقتضيه القانون والخلق والنظام في مثل هذه الحال من طرد التلميذ وإلغاء امتحانه .

ولكن جنوب افريقية — وأرجو أن تتذكر — له على شمالها امتيازات بالواسطة ، يُدل بها على مصر إدلال الخادم بسطوة سيده ، ويصول بسيفها صولة العبد بسيف مولاه ! حملها أبو الغلام على ظهره عشية الحادث ، وراح يهدج بها في فناء الدار المشرفة على النيل وعلى أمة النيل ، فاهتزت الدار لشكواه حفاظاً وأنفة ، وأقبلت حجرات الحراس على حجرات الخدم يتساءلن : أين اذن الامتياز اذا تساوى الأجنبي والوطنى في قانون عام ؟ وأين إذن الامتياز اذا جرى المحمى والمصرى في الأمر على منهاج واحد ؟ !

فهرس العـــدد

وفي الصباح الباكر كان مدير المعهد جالساً الى مكتبه يذكر الله على ايقاع المسبحة ، وذكر الله تطمئن به القلوب وتشجع به الأنفس ، ولكن جرس التليفون كان اليوم على ما خيل الى المدير أحد رنيناً ، وأشد صلصلة ، فزعزع القلب المطمئن ، وضعضع النفس القوية !

— ألو ! ألو ! من ؟

— الادارة العليا ! أعد الى الامتحان الطالب الذي أخرجته منه أمس

— كيف وقد غش فى الأجابة ، وضبطت معه أداة الغش ، وضاع من أيام امتحانه يوم ، وذهب من هذا النهار حصة ، وأعلن الى الملأ أمر رفضه ؟؟

— أعد هذا الطالب من غير مناقشة ! !

وكانت اللهجة حاسمة ، والاجابة مفحمة ، فخرس التليفون ، وخشع المدير ، وتقاصر المكتب ، وخزى القانون ، وبهت الخلق ، وعجب المدرسون والطلاب اذ رأوا التلميذ الذى طرد بالأمس ، يعود الى مكانه اليوم وهو أضخم مما كان جثة وانضر طلعة وأطول رقبة ! !

تخالست العيون نظرات العجب ، وبادلت الشفاه بسمات السؤال ، ولكن المكاتب الرسمية ظلت واجمة ، والأسباب السحرية الرهيبة بقيت محجوبة ، حتى أذن الله لها أن تظهر ، فسكنت طبيعة المعهد ، وركدت ريح الفناء ، وثقلت حرارة الجو ، وأخذ الدار ما يأخذ الأرض قبيل هبوب العاصفة !

وهنا لك اقتحم الدار ذلك الافريقى الذى رأيناه بالأمس يقرع الباب الأحمر ، والامتيازات تجأر بالشكوى على ظهره ، ثم أثار من خلقه عاصفة هوجاء ترمى بالسباب والسفه ، فلم تدع كرامة على منصة ، ولا مهابة على مكتب ، ولا جلالة فى ادارة ، حتى تناولتها بالعيب والزراية

من الذى جرؤ على أن يطرد ابني يا . . . . . . أين ذهبت أوامركم بالأمس ؟ ما حال قوانينكم اليوم ؟ كيف ترفعون رءوسكم غداً ؟ ثم تربد وجه الرجل وتزبد فوه فأرسل على القوم من فحش البذاء ما نحمد الله على الجهل برسمه حتى نكتبه !

***

ريح الخفاء واستعلن السر ، فسكن القوم سكون الطير فى ثورة الطبيعة ! فلما هدأت زمجرة الأسود الممتاز ، وانصرف عنهم انصراف الليل المرعد عن الصباح الوديع ، أفاقت الطير من دوار الزوبعة ، وفزعت الى الادارة العليا تستصرخها للكرامة ، وتستعديها على الرجل ، وتسألها أن تعارض شكاية بشكاية ؛ وتقول فى حرارة الموتور ومرارة النادم : لقد قال الرجل فأسرف . وسكتنا فأسرفنا !

وتشاء المصادفات العجيبة أن يكون بين يدى الادارة آنئذ دلو من الماء النمير البارد فتلقيه على ثورة الغضاب فتقر ، ثم قالت لهم بتلك اللهجة الجاسمة والاشارة الحازمة :

تحلموا فعلم ! الحلم سيد الأخلاق

***

كان رجال الدين فى العهود العزيزة مفزع الفضيلة المروعة ، وملجأ الفضل المضطهد . يثنى الحاكم ، ويجحف السلطان ، ويطغى المستبد ، حتى اذا بلغوهم شدوا الشكيمة ، وردوا الجماح ، واستقاموا على الطريقة . ثم كانوا فى حضرتهم يستكينون لسلطان الدين ، وسيطرة الضمير ، وعزة القناعة ، وصراحة الخلق ، وشجاعة القلب ، وإعلان الحق فى وجه الباطل وإن ذهبت عليه الدنيا ، وأريقت فى سبيله النفس

وكان من ورع رجال الدين فى الأزمان الصالحة سياج على حمى الشريعة ، يرد عنها خبائث الطمع ، ونقائص المادة ، فلا تسخر للظلم ، ولا تستخدم للحكم ، ولا تستغل للهوى ، وكانت كلمة العالم هى كلمة الله ، يقولها فتعنو لها الجباه ، وتجمد لها الشفاه ، ويستقيم بها ميزان العدل .

فلما ابتلى المؤمنون بنفاق الحياة ، وفتن المتقون بزهرة الدنيا ، وذل العلماء لشهوة الترف ، فرغبوا فى وجاهة المظهر ، وفراهة المركب ، ورفاهة العيش ، سلبهم الله ميراث النبوة ، وحرمهم جلالة الدين ، فأصبحوا كسائر الناس ، يجرى عليهم ما يجرى على غيرهم من ذل الامتيازات ، وغل الحزازات ، وعنت السياسة

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما

احمد حسن الزيات

«النيل»

تعيد مجدنا البحرى

لكاتب كبير

بعد أيام قلائل — فى يوم الجمعة ١٥ يونيه — تسير الباخرة المصرية «النيل» من ثغر الاسكندرية الى نابل (نابولى) ثم الى مرسيليا. وهذه الرحلة الأولى لباخرة مصرية كبيرة فى عباب البحر الأبيض المتوسط، يجب أن تثير فى نفوسنا كثيراً من الذكريات المجيدة. ذلك أن «النيل» تصل بهذا الفتح البحرى اليمون ما انقطع من عصور السيادة البحرية المصرية فى لجة هذا البحر الخالد؛ فمنذ قرون بعيدة كانت مصر تتبوأ فى التجارة البحرية، كما تتبوأ فى القوى البحرية مركزاً ممتازا، وكانت السفن المصرية تتردد بين الاسكندرية ودمياط وبين ثغور الشرق حتى قاصية البحر الأسود، والثغور الايطالية، ثم ثغور المغرب والأندلس فى الطرف الأخير من البحر الأبيض المتوسط، وكانت تساهم بأعظم قسط فى النقل البحرى ما بين أوربا والشرق، وتمر بثغورها معظم تجارة الشرق الأقصى. وكانت بين الاسكندرية وقسطنطينية، وبينها وبين البندقية وجنوة خطوط بحرية منظمة، والسفن المصرية تقطع لجة هذه المياه ذهاباً وإيابا، وعلم مصر الاسلامية دائم الخفوق فى هذا العباب

ولقد تبوأت مصر الاسلامية مركزاً ممتازاً فى السيادة البحرية منذ القرن الأول للهجرة؛ وكانت السفن المصرية والبحارة المصريون عماد الفتوحات الاسلامية البحرية الأولى فى شرق البحر الأبيض: فى رودس وقبرس واقريطش؛ وكان العرب قبل فتح مصر يخشون البحر وأهواله، فلما فتحوا مصر، وأدركوا أهمية مركزها البحرى، اتخذوا من الاسكندرية قاعدة لحشد الأساطيل والفتوحات البحرية؛ وكان لبحارة الاسكندرية شهرة خاصة؛ وكانت تدرب بينهم خيرة الضباط والجنود البحريين. ولما سار العرب لحصار قسطنطينية للمرة الرابعة سنة ٩٩ هـ (٧١٧ م)، وحل بهم الضيق تحت أسوار المدينة المحصورة، حشدت سفن المدد فى الاسكندرية، وسيرها البحارة المصريون الى مياه المرمرة. وكان للسفن المصرية والبحارة المصريين دائماً أكبر نصيب فى الفتوحات البحرية التى كانت تسير الى ثغور الدولة البيزنطية وجزائر بحر إيجه. وظهرت براعة المصريين البحرية فى عشرات المعارك أثناء الحروب والحملات الصليبية التى كانت تهبط دائماً على الشواطئ المصرية، فى الاسكندرية ودمياط، ثم فى يافا وعسقلان وعكا، وقد كانت يومئذ ثغوراً مصرية. وتاريخ مصر الاسلامية حافل بهذه الصفحات المجيدة من تاريخنا البحرى.

أما عن الملاحة التجارية فقد كانت مصر الى جانب البندقية تتبوأ مركز الزعامة والسيادة فى البحر الأبيض المتوسط؛ وكانت البندقية تسيطر على الطرق الشمالية والشرقية الى ثغور المرمرة والبحر الاسود، بينما كانت مصر تسيطر على الطرق الجنوبية، والجنوبية الشرقية؛ وكانت العلائق بين الثغور المصرية، والثغور الايطالية ولاسيما البندقية وبارى ونابل وجنوه فى منتهى الانتظام، وكانت المعاهدات التجارية والبحرية تعقد بين مصر والدول الايطالية فى كل العصور والدول. ولم تفقد مصر أهميتها البحرية والتجارية إلا بعد اكتشاف طريق الهند فى أواخر القرن الخامس عشر، ثم الفتح العثمانى الذى انتهى بالقضاء على جميع قواها ومواردها وحضارتها الزاهرة.

وفى عصر محمد على استعادت مصر شيئاً من نشاطها البحرى؛ فأنشئ الأسطول المصرى، واستأنف البحارة المصريون جهادهم المجيد فى المياه اليونانية. ولكن أوربا النصرانية لم تشأ أن تعود مصر الاسلامية فتساهم بقسط فى السيادة البحرية فى شرق البحر الأبيض، فائتمرت بالأسطول المصرى فحطموه فى «نافارين»؛ وكان محمد على أكثر عناية بانشاء السفن الحربية، فلم تتقدم الملاحة التجارية يومئذ تقدماً يذكر. وكان القضاء على الأسطول المصرى فى نافارين خاتمة عصر قصير من الاحياء البحرى.

وهاهى ذى مصر تستأنف اليوم بعد مائة عام أخرى، نشاطها البحرى؛ وتعود البواخر المصرية، فتشق لجة البحر الأبيض جيئة وذهاباً. والفضل فى ذلك يرجع الى نشاط ذلك الصرح القوى العزيز — بنك مصر —؛ وها هى «النيل» تعود فتحمل علم مصر

في مدينة بروسة (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه بروسة الجميلة تشرف العين على سهلها المشجر ، تلوح سقوفها المسنّمة من خلال أشجارها منثورة في سفح الجبل وحضيضه . وهذا « يشيل جامع » الذي شاده السلطان العظيم « مجدد الدولة » محمد بن بايزيد ، وهو الذي اختاره القدر ، بعد أن تقسمت أخوته الخطوب ، ليجمع شتات الدولة بعد أن انفرط عقدها في موقعة إنقرة ، وموت الصاعقة رهن المحبس والقيد (٢) وبعد أن تنازع أشبال بايزيد ميراث أبيهم ، وتمادى بهم الخلاف بضعة عشر عاماً . لقد قدر لمحمد أن يستأنف السير في سبيل المجد الذي سلكه آباؤه . أين محمد ومجد محمد ؟ تجيبك هذه القبة الخضراء وراء المسجد . فهناك رفات السلطان وبعض أبنائه .

وانظر الى اليمين فهذا المسجد المشرف بين الأشجار على السفح ، والذي يحاول السرو الباسق حوله أن يطاول منارتيه ، هو مسجد الأمير محمد البخاري وهذه قبة ضريحه . وكم تحت هذه الأشجار من قبور عاذت بقبر هذا الرجل الصالح . ولله هذا الرجل العظيم ، فما ينسى له التاريخ صرامته في الحق ، ومجابهة السلطان بالنصح واللوم .

كان السلطان بايزيد يتهم بالخمر ، فلما بنى مسجده الكبير دعا الأمير البخاري ليراه ، وبينما يقلبان النظر في بناء المسجد قال السلطان للشيخ : ما ترى في هذا المسجد العظيم ؟ قال : حسن ، ولكن لابد أن تقام في كل زاوية من زواياه حانة ليأتي السلطان اليه !

وأرى ذات اليمين جامع بايزيد تلوح قبابه ومنارته ، وبجانبه قبة تحنو على قبر السلطان العظيم . سطور من الخطوب والعبر لا تجد العين منها مهرباً .

ألا ترى الى اليسار (أولو جامع) ذا العشرين قبة ؟ هذه قبته الكبيرة التي تنفذ الأضواء منها الى الحوض الكبير ، فيسيل عليه النور في ماء النافورة المنبجس ليل نهار ؛ وكأن خريرها دعوة الى الصلاة لا تفتر ، وتسبيح مع المسبحين لا يصمت . وماذا على جدران هذا المسجد من بدائع الخط وسطور الجمال ؟ لقد افتن الكتاب على مر العصور في تزيينها بكل آية من الخط الجميل ، وانها لحجة قائمة على الذين يريدون هجر الخط العربي الى الكتابة اللاتينية . وكلما أدرت عيني في هذا المسرح الرائع عادت الى هاتين المنارتين البيضاويتين المشرفتين على الجامع كأنهما شمعتان . وكل مآذن بروسة تشبه الشمعات ، وما أشبه المآذن بالمصابيح ؛ تهدي في ظلمات الضلال ، ويحق سميت منارات .

وانظر هذا البرج البعيد على سفح الجبل في مكان من القلعة القديمة حيث قبرا الرجلين العظيمين عثمان وأورخان .

لست أرى جامع مراد الثاني وضريحه والقبور التي أطافت به وبينها قبر جم الأمير التعيس ، ولا أبصر جامع مراد خداوندكار شهيد قوصوه ، ولا قبره مشرفا على السهل منطوياً على سره وجلاله ، ولا ينابيع المياه الحارة والباردة منبجسة بفنائه . وما أجمل ينابيع الماء في بروسة مساجدها وطرقها تلقى السائر حيثما توجه متدفقة بالحياة ليلا ونهارا .

وأين مسجد أورخان أقدم مساجد بروسة ؟ غيبه عن عيني الجبل والشجر ، ولكنه لم يغب عن القلب وجهه المتواضع .

وليت شعري ما خطب هذه المآذن الصغيـرة ، والقباب الخاملة المنثورة في المدينة ؟ بناها قوم لم يبلغوا من حظ الدنيا ونباهة الذكر ما بلغ هؤلاء . ولعلهم كانوا أسعد حياة ، وأعظم عند الله شأنا . وإن الجاه والمجد والسلطان وما يحيط بها من ضوضاء هذه الحياة لأسوأ ما يكافأ به الرجل الطيب ذو النفس الزكية في هذا العالم . فلا تأس على ما فات الصالحين من جلبة هذه السوق .

(البقية على صفحة ١٠٠٠)

(١) كتبت في بروسة ضحى يوم الجمعة ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٩
(٢) الصاعقة (يلدريم) لقب السلطان بايزيد الأول

الاسلامية خفاقا في ذلك العباب الذي بقيت السفن المصرية قرونا تمتطي صهوته ، وتجوس خلاله في عزة وفخار .

إن مصر تستأنف نشاطها البحري في ميدان السلم ، لا في ميدان الحرب ؛ وليس غريبا أن يكون لها بواخر تشق العباب ، ولكن الغريب أن لا يكون لها بواخر ، وثغورها محط البواخر الأجنبية من أقاصي العالم . . . .

قصاصات الورق

خمسة عشر عاماً بعد فرساي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

مازالت الحرب الكبرى توصف بأنها أشنع وأروع مآسي التاريخ ، ومازالت مصائبها وعبرها وآثارها المخربة ماثلة في أمم وشعوب كثيرة ؛ وكنا الى أعوام قلائل فقط نسمع أقطاب السياسة الدولية يؤكدون أن الدرس الأليم الذي ألقته الحرب على الدول والأمم العظمى لا يمكن أن يمر دون أن يحدث أثره ؛ وأن الشعوب أشد ما يكون اليوم زهداً في خوض الحرب والتعرض لويلاتها المروعة ؛ وكنا نشهد ابتهاج الساسة والحكومات كلما عقد ميثاق جديد بعدم الاعتداء بين دولتين أو أكثر ، أو حلت مشكلة دولية صغيرة على يد عصبة الأمم بطريق التحكيم والحسنى ، أو ظهرت بوادر تفاهم ووئام بين خصوم الأمس ؛ كنا نشهد ذلك وأمثاله خلال الأعوام التي تلت الحرب ، فيخيل الينا أن نزعة الحرب والاعتداء قد ضعفت ، وأن عقلية الشعوب قد تبدلت ، وأن العالم مقبل على عصر جديد ، تتبوأ فيه قضية السلام مكانها اللائق ، وتنغيض فيه الخصومات والأحقاد القومية القديمة ، ويسود الوئام والحسنى بين الشعوب .

ولكنا نشهد اليوم منظراً آخر ؛ فان الأفق الدولي يفيض بالتشاؤم ، وعلائق الدول المختلفة في اضطراب دائم ، وعبارات الوعيد والحرب والانتقام تتردد في بعض الدوائر ، وأحياناً يلوح بها بعض الساسة المسئولين ؛ وهنالك بعض المسائل الخطيرة التي خلفتها الحرب الكبرى مثل مشكلة نزع السلاح ، ومسألة السار ، ومسائل الحدود والاقليات ، ومسألة المستعمرات الألمانية وغيرها تزداد اليوم خطورة وتعقيداً ، بل إنا لنشهد اليوم انتحار مؤتمر نزع السلاح في جنيف ، وهو ذلك المؤتمر الذي علقت عليه قبل بضعة أعوام آمال كبيرة في تخفيض التسليح والتقريب بين الأمم ، ونشهد عصبة الأمم تفقد هيبتها الدولية وتنحدر بسرعة الى زاوية النسيان ، وهي الصرح الذي هللت له الأمم يوم إنشائه ، وقيل إنه سيكون منارة السلام العالمي والعدالة الدولية ، وملاذ الأمم الضعيفة والمظلومة . والخلاصة أن تلك الآمال العريضة التي ساورت العالم حيناً عقب دروس الحرب الأليمة في أن تعتبر الأمم بتلك العبر القاسية وبتلك الضحايا الهائلة ، وتغلب الروية والتفاهم في حسم مشاكلها ، قد أخذت في الأعوام الأخيرة تنهار تباعاً ، ولا نكاد نلمس اليوم من آثارها شيئاً .

لقد اختتمت الحرب الكبرى بعدة معاهدات للصلح بين الأمم المتحاربة ، أعظمها وأهمها معاهدة فرساي ، التي أريد أن تكون دستوراً جامعاً لتنظيم أوربا الجديدة سواء من الوجهة الجغرافية ، أو العسكرية أو الاقتصادية . ولكن معاهدات الصلح ، كأية معاهدة يعقدها الغالب مع المغلوب ، أو بعبارة أخرى يمليها الغالب على المغلوب ، لم تخل من المبالغة والاغراق ، ولم تحرص على مراعاة الحقائق التاريخية الخالدة ، ولم تراع العواطف القومية لأمم عظيمة ، وإنما روعي فيها قبل كل شيء أن تحقق شهوات الظافرين ومطامعهم وخططهم في تمزيق الأمم المغلوبة وتحطيم قواها ومواردها . ففي معاهدة فرساي أرغمت ألمانيا على الاقرار بأنها مسئولة عن إثارة الحرب الكبرى ، وألزمت بناء على ذلك بدفع تعويضات الحرب الهائلة ، ونص على تجريدها من السلاح ، وتدمير أسطولها ، وانتزعت منها الألزاس واللورين لترد الى فرنسا ، كما انتزعت سليزيا العليا ، ودانتزج ، ووادي السار ، وفرضت عليها غير ذلك فروض مرهقة كثيرة ؛ وفي معاهدة سان جرمان حلت امبراطورية النمسا والمجر القديمة لتقوم على أنقاضها عدة دول جديدة ، وانتزعت منها أراض كثيرة لتعطى لايطاليا ويوجوسلافيا ورومانيا ؛ وهكذا غيرت معاهدات الصلح حدود أوربا القديمة ، وأثارت في كل مكان مشاكل الاقليات القومية ، ودفعت بالشعوب المغلوبة الى غمار البؤس والفاقة ، وأثارت بذلك مشاكل اجتماعية خطيرة . ولم يكن يدور بخلد الساسة الذين أملوا هذه المعاهدات المرهقة على الأمم المغلوبة ، أنها ستغدو منذ يوم وضعها مثاراً لمشاكل لا نهاية لها ، وأنها ستنقض غير بعيد في كثير من نصوصها ، وأنها ستعتبر في النهاية أصل كل متاعب أوربا الجديدة ، وأنها اذا استمرت على حالها فقد تثير ضرام الحرب مرة أخرى ؛ ولكن هذا ما وقع بالفعل ؛ وهذا ما نشهد اليوم ،

فقد عدل كثير من نصوص معاهدة الصلح في الأعوام الأخيرة ، وهي اليوم مثار حملات شديدة ، لا من ألمانيا وباقي الدول التي أرهقت بنصوصها فقط ، ولكن من إيطاليا احدى دول الحلفاء التي اشتركت في اجتناء مغانم النصر ، بل أنا نرى مستر لويد جورج أحد الأقطاب الذين وضعوا المعاهدة وأشدهم وقت وضعها وطأة على ألمانيا ينادي اليوم بفداحة الشروط التي وضعت ويقترح مثل إيطاليا تعديل المعاهدة وانصاف ألمانيا ؛ ونرى فرنسا التي فازت بأعظم مغانم الصلح واستغلت المعاهدة الى الذروة ، تأبى أن تنفذ مشروع نزع السلاح الذي نصت عليه المعاهدة وأدمجه الحلفاء فيها كنتيجة لنزع سلاح ألمانيا ؛ وفي أواسط أوربا وشرقها تيار عشرات المشاكل التي ترتبت على اجحاف معاهدات الصلح بالحقوق الجغرافية والقومية لمختلف الدول . والخلاصة ان معاهدات الصلح تغدو اليوم كالثوب المهلهل ، ويغدو الأفق الدولي مثقلاً بالسحب ومختلف الاحتمالات .

قبل الحرب كانت السياسة القومية المغرقة ، والسلام المدجج بالسلاح ، وانشاء المحالفات العسكرية الدفاعية والهجومية ، وعقد المعاهدات السرية ، هي قواعد السياسة الدولية ، وهي التي توجه علائق الدول بعضها ببعض ، ولم تكن الفكرة في تنظيم علائق الأمم قد تقدمت يومئذ كثيراً عما كانت عليه قبل ذلك بقرون ؛ فقد كانت هذه القواعد هي الغالبة في العلاقات الدولية في جميع عصور التاريخ الحديث منذ قامت أوربا الحديثة على انقاض العصور الوسطى ، بل كانت هي الغالبة في العصور الوسطى والقديمة مع فروق يسيرة في علائق السلام والحرب ؛ وكانت الأطماع القومية في بسط النفوذ واجتناء مغانم الاستعمار والتجارة هي التي تحرك الأمم بعضها ضد بعض ، وكانت الحرب وسيلة فريدة لتحقيق هذه المثل ؛ وقد كشفت لنا الحرب الكبرى عن المدى الذي وصلت اليه الدول العظمى ما قبل الحرب في الاعتماد على التسليح والمعاهدات السرية ، وفي التنافس على اجتناء المغانم الاستعمارية واستعباد الأمم الضعيفة ؛ ثم جاءت معاهدات الصلح بعد محنة الحرب دليلاً قوياً على أن هذه النزعات الخطرة لم تخمد بل أذكاها الظفر في نفوس الأمم الغالبة ، على أن نزعة أخرى برزت من خلال هذا الغمار ترمى الى العمل على التقريب بين الأمم ، وتخفيف حدة الأحقاد القومية التي أثارت الحرب ؛ وقد أريد أن تكون عصبة الأمم رمزاً لهذا الاتجاه الجديد ؛ ولكن العصبة ولدت ميتة من هذه الناحية ، واستطاعت العوامل السياسية الخفية أن تسيطر عليها منذ الساعة الأولى ، وأن توجهها حيث شاءت ، وأن تستغل نفوذها الدولي ؛ ولما أن بدت بوادر التفاهم بين ألمانيا وخصومها بالأمس ، وفازت سياسة التقرب والحسنى بعقد ميثاق لوكارنو سنة ١٩٢٥ ، هلل العالم مرة أخرى ، واستقبل هذا الميثاق الذي يجمع بين أعداء الأمس ويقضي بتأمين منطقة الرين بين فرنسا وألمانيا ، بوابل من الآمال الكبيرة ، واعتقد أن الميثاق سيكون فاتحة لظفر السلام وقضيته ؛ وساد في الأفق الدولي مدى حين نوع من التفاؤل ؛ وحلت أثناء ذلك عدة مشاكل دولية خطيرة بالتفاهم والحسنى ؛ ثم كانت الخطوة التالية بعقد ميثاق تحريم الحرب ، أو ميثاق كيلوج سنة ١٩٢٩ ، وهو الميثاق الشهير الذي يقضي بتحريم الحرب كأساس للسياسة القومية ووسيلة لمعالجة المشاكل الدولية ، ويقضي باستعمال التحكيم كوسيلة لحسم المنازعات بين الأمم ، وقد جمع هذا الميثاق بين جميع الدول العظمى وبين أعداء الأمس ، وانضم اليه عشرات من الدول في أوربا وأمريكا وآسيا ، ووقعته مصر أيضاً ، واعتبر يوم وضعه كأنه انجيل جديد للسلام ، واستقبل بأناشيد المديح والاعجاب في كل مكان ؛ وكان عقد ميثاق تحريم الحرب في الواقع ذروة لظفر النزعة السلمية التي حملت الساسة والأمم في ذلك الحين ؛ ولكنه كان ظفراً نظرياً فقط ؛ ولم يمض سوى عام واحد حتى ظهر أن تطبيق الميثاق مستحيل من الوجهة العملية ، وأنه ولد ميتاً كمشروع عصبة الأمم .

وهكذا ظهر عبث العهود والمواثيق الدولية مرة أخرى ، وانهارت جميع الجهود التي بذلها أنصار السلام من الوجهة العملية ؛ ولم يبق أمامنا من تراث هذا الماضي القريب سوى عصبة الأمم . ومأساة العصبة معروفة ، فقد ظهر فشلها وعقمها في كل مسألة دولية خطيرة ، وكل مسألة تقتضي العدالة والانصاف ، وظهر أنها أداة مسيرة في يد الدول الاستعمارية تتجاذب في داخلها النفوذ والوحي ؛ وهذا مؤتمر نزع السلاح الذي أنشأته العصبة لتحقق على يده برنامجها السلمي يحتضر ويسير الى موت محقق . ولم يشهد العالم منذ نهاية الحرب ظرفاً أظلم فيه الأفق الدولي مثل الظرف الذي

نشهد اليوم ؛ فاليابان قد انسحبت من العصبة لتطلق العنان لمشاريعها الاستعمارية فى الصين ، وهى اليوم بتوغلها فى الصين وتحديها جميع الدول الأخرى تثير خطر الحرب فى الشرق الأقصى ؛ وقد انسحبت ألمانيا الهتلرية أيضاً من العصبة ، وهى اليوم تعود الى تسليح نفسها متحدية خصومها بالأمس ولا سيما فرنسا ، وتعمل بكل ما وسعت لاثارة الاحقاد القومية فى الداخل والخارج . وفرنسا من جانبها تعود بمنتهى الشدة الى سياستها القومية القديمة وتبذل جهوداً فادحة لتقوية جيشها وتسليحاتها ؛ وانكلترا وأمريكا تسيران فى نفس الطريق وتعملان لتقوية التسليحات البحرية والجوية ؛ وايطاليا تقوى جيشها وتسليحاتها منذ أعوام وتلوح من آن لآخر بالحرب ، ولا تخفى مطامعها الاستعمارية فى آسيا وأفريقية ، وروسيا السوفيتية تقف لليابان بالمرصاد فى الشرق الأقصى ، وتركيا تطالب بالعود الى تحصين الدردنيل بعد أن قضت معاهدة لوزان بنزع سلاحه ؛ وتجرى فى القارة من أقصاها الى أقصاها حركة انزعاج وتوجس ، وتجرى مختلف المفاوضات بين دول البلقان وأوربا الوسطى ودول البلطيق ، وتعقد المواثيق هنا وهناك لتنظيم الحياة السياسية والعسكرية وأحكام المحالفات ، وتتنافس دول القارة العظمى أعنى فرنسا وألمانيا وايطاليا فى تنظيم هذه الحركات وتسييرها .

والواقع أن التاريخ القريب يتكرر ويتصل ؛ وما يجرى اليوم فى العالم من الاحداث السياسية والمنازعات الدولية يشبه من وجوه كثيرة ما كان يجرى قبل الحرب بأعوام قلائل فقط ، من تسابق الدول العظمى فى التسليح والاستعداد الحربى ، ومن تنافسها وتنازعها فى اجتناء المغانم الاستعمارية والتجارية ، ومن توتر اعصاب الحكومات والساسة ، ومن العمل على اذكاء الاحقاد القومية ؛ وقد ثارت فى الأعوام القلائل التى سبقت الحرب بعض مشاكل دولية خطيرة كانت مقدمة لانقضاض العاصفة ؛ والأفق الدولى مثقل اليوم بكثير من هذه المشاكل ؛ ويكفى أن مسألة كمسألة السار قد تضرم الشرارة الأولى ، كما أن مسألة أغادير كادت قبل الحرب بعامين تضرم هذه الشرارة ؛ ونستطيع أن نشبه رحلة مسيو هريو رئيس وزارة فرنسا الأسبق الى روسيا منذ عام ، أو رحلة مسيو بارتو وزير خارجيتها الى بولونيا ودول الاتفاق الصغير ، برحلة مسيو بوانكاريه الى روسيا قبيل الحرب الكبرى بأسابيع قلائل . ولقد وصفت المعاهدات الدولية فى فاتحة الحرب على لسان بعض الساسة الألمان بأنها قصاصات ورق والتاريخ يؤيد هذا القول فى كثير من المواطن ؛ ولكن هذا القول اعتبر أثناء الحرب من الكبائر وسجل على ألمانيا ضمن الأخطاء الفادحة التى بنيت عليها مسئوليتها فى إثارة الحرب . أما اليوم ، ونحن نشهد عقم المواثيق والعهود الدولية الكثيرة التى وضعت لتسوية المشاكل والبلائق الدولية ؛ ونشهد انهيار عصبة الأمم ومؤتمر نزع السلاح ، وميثاق تحريم الحرب ، ومعاهدة واشنطون التى تعهدت الدول العظمى فيها بتحديد التسليح البحرى ، ونقض معاهدات الصلح سواء من جانب الغالب أو المغلوب ، فانه يسمح لنا أن نكرر القول القديم بأن العهود والمواثيق الدولية تغدو دائماً قصاصات من الورق كلما شاءت السياسة والاعتبارات القومية ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى



الأثر اليونانى فى الأدب العربى

للأستاذ فخرى أبو السعود

كانت الثقافة اليونانية خلاصة ثقافات البحر الأبيض القديمة: لأنها إلى جانب ما استوعبته من الحضارات الشرقية تمثل نتاج العقل اليونانى الذى كان أخصب عقل ظهر فى العصر القديم. فلما مضى ذلك العصر ودالت دولة اليونان وكان العصر الوسيط كان العرب هم السابقين الى التعرف بالثقافة اليونانية فأخذوا من علوم اليونان وفلسفتهم، ثم تعرف الأوربيون بعدهم بتلك الثقافة فى عهد النهضة، وأوسعوا علوم اليونان وفنونهم دراسة ونقلا ومحاكاة. فأغنوا بذلك علومهم وفنونهم الناشئة وشادوا على ثقافة اليونان صرح حضارتهم الحديثة.

بيد أن الذى يسترعى النظر أن العرب حين اتصلوا بثقافة اليونان اقتصروا على اقتباس بعض علومهم وفلسفتهم دون الآداب والفنون، فدرسوا أرسطو وافلاطون، وعرفوا أبقراط وفيثاغورس، ولكنهم أهملوا هوميروس وسوفوكليس وأوربيدس، على حين لم يفرق الأوربيون بين ناحية من نواحى الحضارة اليونانية وناحية أخرى، بل أكبوا على دراسة الجميع، وبينما تقدمت علومهم على مر العصور عن علوم اليونان أشواطاً بعيدة واستغنت عن معينها ظلت الآداب والفنون اليونانية مرجعاً دائماً للآداب والفنون الأوربية ومهبط وحى لا يفنى، ولم ينفك كتاب الغرب وشعراؤه الى اليوم عن تمجيد الثقافة اليونانية والحث على الرجوع اليها دائماً، فما السر فى اختلاف موقف العرب عن موقف الأوربيين حيال تراث اليونان؟

السر راجع الى سليقة العرب المطبوعة على البيان، المفطورة على فصاحة اللسان، فان العرب نظراً لبيئتهم البدوية وحياتهم المتنقلة لم يكن لهم سوى اللسان أداة للتعبير عن شعورهم الفياض، فلم يكن التصوير ولا النحت ولا غيرهما من الفنون ليزكو فى بيئتهم تلك؛ ومن ثم تأصلت فى العرب سجية البلاغة وارتقت بينهم مرتبة البلغاء وتوطدت لغتهم ونضج أدبهم وهم على بداوتهم وقلة حظهم من الحضارة، وكان لهم بعصبيتهم ولغتهم اعتداد شديد، فلما نهضت دولتهم بظهور الاسلام ودخلت الأمم فى طاعتهم ودينهم أفواجاً ازدادوا اعتداداً بعربيتهم ولغتهم وشعرهم وقرآنهم المبين، فلم يكن فى نفوسهم حافز الى الاطلاع على آداب غيرهم ولا لديهم رغبة فى التلمذ لسواهم، بل كانوا يرون أنفسهم هم الأجدر أن يحتذوا ويؤخذ عنهم، ولقد أخذ كثير من الأمم المفتوحة لغتهم واصطنعوا أدبهم بالفعل، وأصبح الناشئون فى الأدب من أبناء الأجيال التالية لا يرون أن شيئاً يوصل الى نيل الفصاحة والحكمة وحذق الأدب وراء دراسة القرآن واستيعاب شعر فحول المتقدمين، وانما كان العرب أميل الى الاعتراف بالقصور واظهار الرغبة فى الأمور التى لم يكن لهم فيها إلى ذلك الوقت باع ولا يد كالعلوم والفلسفة، فلم يروا ضيراً فى أخذها على أساتذة اليونان.

ولم يقتصر أثر اعتداد العرب بأدبهم وشعرهم على ذود الأدب اليونانى عنهم، بل ذاد عنهم غير الأدب من الفنون: فلقد اطلعوا فى أطراف دولتهم وبلاد جيرانهم على ما كان لدى اليونان والرومان والفرس والمصريين من تصوير ونحت، فما خطر لهم أن يحاكوا شيئاً من ذلك، وكان كل ما يساور شاعرهم حين يشاهد أثراً من هاتيك الآثار أن يتمثل بطش الدهر وحلول الفناء وسقوط الجبابرة فيقول:

أين الذى الهرمان من بنيانه ؟ ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع ؟
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وما ذلك إلا لانصراف كل قوى العرب الفنية الى ضرب واحد من الفنون هو الأدب واستغراقها فيه. فهى لا تحاول وسيلة أخرى سواه للتعبير عن نفسها، ومن ثم ظل العرب طوال عصورهم لا يعرفون من الفنون سوى الأدب والموسيقى المعتمدة عليه المرتبطة به ارتباطاً وثيقاً، فلا تصوير ولا نحت ولا تمثيل، اللهم الا ذلك الضرب الوحيد من الزخرفة ذات الأغراض العملية المحضة، ومن الخطأ نسبة انعدام تلك الفنون بين العرب الى الدين: ففضلا عن أن الدين لا ينافى شيئاً منها فانه لم يحل دون استمتاع العرب بالموسيقى وغيرها حين أرادوا.

فالعرب إذن اتصلوا بالثقافة اليونانية فى غير الوقت الملائم: فى وقت متأخر، كان أدبهم فيه قد نضج وقوى. وصار له من الاعتداد بنفسه ما يثنيه عن التلمذ لغيره، أما الآداب الغربية فعرفت تلك

الثقافة فى عهد طفولتها ونشأتها، وهى لما تزل عاجزة تعترف بعجزها وتتلهف الى المعرفة حيث وجدتها ، فلم تتردد فى الانتفاع بتراث اليونان الى أبعد حد ، فأثرت أيما إثراء بما أخذت عن اليونان من المواضيع والأشكال الأدبية ، ومد الأدب اليونانى أمامها آفاق التفكير الواسعة وآماد المثل العليا وصور الجمال المختلفة ، ووجدت فى تاريخ اليونان وأدبهم وأساطيرهم ومنتجات فنونهم من صور وتماثيل وآثار منادح للكتابة والدرس والنظم ، ومنابع للوحى لا تنضب .

فلا غرو أن طفرت تلك الآداب الغربية التى لم تكد فى عهد النهضة تكون شيئاً مذكوراً ، والتى كانت لغاتها ذاتها ما تزال فى طور التكوين ، فاذا هى بعد قرون ثلاثة أو أربعة تسبق الأدب العربى وهو أعرق منها محتداً وتفوقه اتساع آفاق وتعدد مواضيع ، لأن الأدب العربى الذى لم يكد يستفيد بأدب أمة أخرى ظل فى مكانه جامداً يكرر نفسه ويعيد على نفسه الأبواب عينها التى جال فيها المتقدمون من فخر ورثاء ومدح وهجاء ، حتى اذا كان العصر الحديث اذا هو يقف من الآداب الغربية موقف التلمذ والتلقن .

ان تمكن ملكة البيان من العرب — مما جعلهم لا يدينون الا لنبى يأتيهم بكتاب معجز ، وجعل خلفاءهم يتخذون وزراءهم من أئمة البيان — واعتدادهم بأدبهم واستغراق مجهودهم الفنى فيه وحده ؛ هذا كله فى مجموعه كان عاملا شامل الأثر بعيده فى تاريخهم وأدبهم ، ولقد كان أثره فيما يتعلق بالتراث اليونانى بليغ الضرر ، فخسر العرب خسارة كبيرة باغفال الأدب اليونانى الحى على توالى العصور ، الشديد الايحاء القوى التأثير ، الذى كان بلا ريب أغنى من أدبهم . ولو لقح به الأدب العربى لاتسعت جوانبه وانصرف عن تلك الأغراض العلمية التى احتبس فيها إلى عوالم الفن الخالص وتغير مجرى تاريخه وأفاد العرب بذلك أضعاف ما أفادتهم دراسة الفلسفة اليونانية .

ونحن اليوم بدراسة الآداب الغربية والأخذ عنها بطريق غير مباشرة عن تلك الثقافة اليونانية ، وندخل فى أدبنا ذلك العنصر اليونانى الذى لابد منه لكل أدب يريد له مكاناً بين الآداب العالية ، واذا وقف شاعرنا المصرى أمام الأهرام فلم ينصرف ذهنه الى بطش الدهر بالجبارين الذين أعلوها ولم يتنبأ لها باللحاق بهم ، بل حيا فيها الفن وعظم قدرة الانسان وقال :

أهرامهم تلك حى الفن متخذاً ... من الصخور بروجاً فوق كيوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ... ما يأخذ النمل من أركان ثهلان

فما ذاك إلا لأننا قد تأثرنا بتلك الروح اليونانية التى تعظم الفن الخالص فى مختلف صوره وتمجد قدرة الانسان فى مصارعتها للفناء ، تلك الروح التى كان أغفلها أجدادنا العرب .

فخرى أبو السعود

انما يرثها المؤمنون

اخلاف الأمل

للأستاذ أديب عباسى

الحياة كالسفينة : قلعها الأمل ، ودفتها الفكر ، والرابط لأجزائها واللأم لشعثها هو الأيمان . والعقل يرسم الخطة ، ويبين الاتجاه ، ويدل على الطريق . والأمل شراع الحياة الذى يدفعها فى أوقيانوس هذا العالم المضطرب وفوق لجه المصطخب ، والذى يتلقى القوى من أين جاءته وأنى واجهته ليحيلها فى النهاية قوى للدفع والانتظام فى السير . أما الايمان فهو هذا الذى يشد أضلاعها ويوثق أجزاءها ، فلا يوهنها العاصف الشديد ولا يمزقها ، أبديد . وهو الذى يعدل انحناءها ويقوم استواءها ؛ فلا توهيها الصدمة ولا تزعزعها الزحمة . وبالقدر الذى تظفر به الحياة من توازن وائتلاف بين هذه القوى الثلاث يكون الخير والنجاح . وبالقدر الذى تتنافر وتضطرب يكون الفشل والخيبة . انظر الى المتشائمين الصارخين فى وجه الحياة الدافعين لها فى الصدر، تر هم من أولئك النفر الذين كبرت عقولهم ونضبت آمالهم وتزعزع ايمانهم ، فأمسوا كالقارب قد تخرق قلعه ، وحطمت دفته . يقابلهم المتهورون الذين لا ينزلون للعقل على حكم ، ولا للمنطق على قاعدة ، فتراهم يسيرون فى هذه الحياة على غير توجيه يوجهونه ، أو هدى يتوخونه ، فلا يلبثون أن يرتطموا بصخورها الناشرة ، فتتحطم آمالهم وتبخر الحقيقة أمانيهم كما تبخر الشمس أحلام النائم .

هذه هي صلة الأمل والإيمان بالفكر . وإذا فإذا نحن ذكرنا أحدهما بعدئذ فإنما نذكره ونحن نضمر وتقدر الفكر . ذلك أن الأمل دون الفكر يضحي تهوراً ورعونة ، والإيمان بلا عقل ملهم يمسي عناداً واشتطاطاً .

وماذا نقول بعد هذا الاجمال في دعامتي الحياة هاتين ؟

نقول إن الأمل هو القوة الدافعة الكامنة في صدور الشباب ، وهو النور الذي يبدد ظلام النفوس ويزيل حلكها عند ما تتوالى النكبات وتتعاقب المصائب . هو ذلك المعبود الذي نصب له الرومان تمثالاً يجثون حواليه ويخشعون . وهو الآله الذي هجر رومة عند ما عكفت على المادة تعبدها فسقطت سقوط تمثشون في يد الشهوة . وهو الذي وقف في مضيق ترموبيلي يهزأ بالقوى المادية ويفخر بالتضحية الخالدة . هو ذلك الفيض العلوي الذي كان يخوض صفوف المسلمين مردداً «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين» فكان ملء الصدور في بدر ، وكان ملء الصدور في اليرموك ، وكان ملء الصدور في القادسية . هو الذي يحيل الشيخ الهرم شاباً إذا حل في صدره ، والشاب شيخاً إذا زايله . وإن شيخاً كبرت عدته من الأمل لا تنصفه إذ تحشره في زمرة الشيوخ وإن بلغ عتياً . وإن شاباً هزل أمله وفتر عمله هو والشيخ الفاني سواء . فالفتوة والشباب ليسا في السنين ، انما هما في القوى الروحية السليمة . والمهزومون في معركة الحياة الهاربون من وجهها هم الدليل . هذا شيخ مرفوع الرأس مسنود الظهر ، قوى الأمل كبير الثقة بالنفس ، يسير بقية الطريق في غير التواء ، فيصل آخر مرحلة من مراحل الجهاد لا هو بالخائر العزمة ولا بالخالي من الزاد . وذلك شاب (بحسب السنين فقط) خاوى الأمل فاتر الهمة ، يدب كما تدب السلحفاة . . . أعياه نيل الشمس واصطياد النجوم ، فلم يعد يداً الى ما هو في متناول اليد ، وتملكه اليأس ، وبث له من ترقب الخيبة نطاق ، فلم يحفل كثيراً بالجنى القريب ، ففاته كثير من الجواهر واللآلئ التي يمر بها مر الجانب

اذاً فمعركة الحياة الصارمة تتطلب منك يا صاح الأمل القوى تسنده العزيمة المسددة ، وتفرض عليك الاندفاع والسعي ، ينير سبيلها الاستبشار والثقة . وفي الوقت الذي يكف المرء فيه عن الحركة والدؤوب يدخل في ثبت الأموات الفانين . إن خير ما تشبه به الحياة هو الدوامة التي ما تزال تدافع فعل الجاذبية وتقاومه بقوة الاندفاع وسرعة الحركة ، ولكنها إذ تبطئ وتكف عن الحركة تسقط بعد إذ كانت مستوية على قدم قائمة على ساق .

وتفرض عليك معركة الحياة أيضاً أن يكون لك هدف تبتغي اليه ، لا هو بالوضيع الذي لا يستثير كل ما في النفس من استعداد ولا يستنفر كل ما فيها من قوة ، ولا هو بالبعيد النيت الذي تتقطع دونه جميع الأسباب وتفشل جميع الجهود .

ثم ليكن هدفك كالأفق العريض يتجدد على السير ويتسع مع الحياة ويغرى على البذل . ولا يهمنك بعدها أنجحت أم فشلت : فالفشل ليس جرماً ، إنما الجرم هي الآمال المحدودة والأهداف الوضيعة . ولا تغبطن من هو أحظ منك هدفاً وأسعد حالا . فقد تكون أنت بحرمانك وسمو هدفك أعظم منه في نجاحه وخطة هدفه الذي اذا وصل اليه لا يلاقي وراءه إلا ظلام القبر وقيد الفناء وأنت فوق هذا وذاك مكتسب من فشلك الآني منعة ضد مكروب اليأس الذي يقتل النفوس ويعصف بالرجولة .

وأخيراً — الايمان — ماذا تقول فيه ؟

نقول موجزين : إنه صفة العظماء الغالبة ، ومن شيمهم التي يمتازون بها عن الأوساط ، ومن هم دون الأوساط . فيوليوس قيصر كان كبير الايمان حينما قطع نهر الروبيكون واستولى على رومة بشرذم جنوده . وقد كان ضعيف الايمان في الوصول الى تاج الملك فذبح . وكولمب كان عظيم الايمان ، لذلك لم يفت في عضده كل ما قام في سبيله من صعاب ، ولم يثنه أن يجد نصف العالم الذي كان مفقوداً . ونابليون كان له نجم يراه في النهار ويسير بهديه . والمسيح كان كبير الايمان ، فكان يشفي المفلوجين ويقيم المقعدين . والنبي العربي كان وطيد الايمان ، فعمل لقومه في حقبة قصيرة من الزمن ما يعجز أجيالاً ويفني آجالا .

ومن صفاته أن المؤمن يكون سريع العودة الى ما اختطه لنفسه من طريق ، ورسمه لها من مسير ، بعد أن تحرفه عن ذلك رجات الحياة العنيفة وحوادثها الزاخرة . شأنه شأن الابرة المغنطيسية — مهما بالغت الحياة في هزه ، لا يلبث أن يعود سيرته الأولى ويتجه اتجاهه الأول . ذلك أن ثمة قوة حية مشبوبة فيه تتجاذب وقطب

ابن الهائم المصري المقدسي

للأستاذ قدري حافظ طوقان

كنت في القدس مع بعض الاخوان في زيارة المرض العربي الثاني ، وبينما نحن على مقربة من مقبرة مأمن الله سمعت أحدهم يقول : ان هذه المقبرة تضم عدداً كبيراً من فحول العلماء ، وكبار الفقهاء ورجال الدين ، ممن ظهروا في أيام الحروب الصليبية وقبلها . وقد سرد بعضهم أسماء بعض هؤلاء العلماء فلم يلفت نظري إلا اسم ابن الهائم ، إذ تذكرت ان هذا الاسم مر بي أثناء مطالعتي لبعض الكتب الانكليزية التي تبحث في تاريخ الرياضيات ، وأصبح لدى رغبة شديدة في الكتابة عنه . رجعت الى مكتبتي لأبحث عنه فوجدت ان ابن الهائم من الذين لم يعطوا حقهم من البحث والاستقصاء ، وحياته لا تزال غامضة في تاريخ المدنية الاسلامية ، وهي في أشد الحاجة الى من يتعهد جلاءها ، ويقضي على غموضها . بحثت في الكتب الصفراء وغير الصفراء ، قديمها وحديثها ، من عربية وتركية وانكليزية فلم أجد إلا جملاً هنا وهناك متناثرة لا يفهم منها إلا تاريخ الولادة والوفاة ، وأشياء أخرى من الصعب جمعها وتكوين جملة تفي بالغرض وتشفي غلة الباحث المنقب . على كل ، وبعد بحث في كتب متنوعة أمكننا أن نحصل على ترجمة

الحياة العام ، قطب التقدم والرقي الذي تسير نحوه جميع الأحياء عابدة ، لا تلفت ولا تدور إلا مرغمة .

ومن صفات الإيمان أيضاً أنه لا يحتقر الأحلام ، لأنها عنده أساس الحقائق وعدة الحياة . لهذا فهو رفيق جد الرفق بالصغار وبما يحلمون ، مؤمن جد الايمان بما يكمن فيهم من قوى غير محدودة ، واستعداد غير مستغل ، واندفاع غير مكبوت ، ونقاء غير مرتق . وهو يقيم الدليل بعد الدليل على صدق متجهه بما أثبت التاريخ والحوادث من أن أحلام الطفولة وعبث الصبي كانت في غالبية العظماء حقائق الرجولة وعدتها الى الحياة . ؟

شرق الأردن أديب عباسي

متواضعة لهذا العالم من ناحية مآثره في العلوم الرياضية آملين أن نوفق في المستقبل للكتابة عنه بصورة أوسع وأوفى للمرام .

ولنرجع الى صاحب الترجمة فنقول ان اسمه هو : شرف الدين ابو العباس (احمد بن محمد عماد) ابن الهائم المصري المقدسي ، وقد اكتسب نسبته الى مصر من ولادته فيها ، وكان ذلك في المنتصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد حوالى سنة ١٣٥٢م — ٧٥٣ ﻫ أو ٧٥٦ ﻫ ، وعرف بالمقدسي لاشتغاله في القدس ووفاته فيها . وكانت الوفاة في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد حوالى سنة ١٤١٢م — ٨١٥ﻫ . وقد وجدت ثلاثة تواريخ وفاة لصاحب الترجمة في كتاب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ، ففي ص ٤١٨ من الجزء الأول يقول ان ابن الهائم توفى في سنة ٩٨٧ ﻫ ، وفي الجزء الثاني في ص ٣٦٢ نجد ان الوفاة كانت في سنة ٣٨٧ ﻫ ، وفي ص ٤١٧ من الجزء نفسه نجد ان تاريخ الوفاة كان في ٨١٥ ﻫ . بينما المصادر الافرنجية ككتاب تاريخ الرياضيات لسمث ، والتركية ككتاب آثار باقية ، وبعض العربية ككتاب الأنس الجليل كل هذه تقول وتتفق على ان الوفاة حصلت سنة ٨١٥ ﻫ — وهذا التاريخ (على ما أرجح) هو الصحيح . وقد يكون الاختلاف في الوفاة الموجود في كشف الظنون ناتجاً إما عن خلط في الأسماء أو عن أغلاط مطبعية . والله أعلم .

وابن الهائم كما قلنا من الذين لم يعطهم التاريخ بعد حقهم من البحث والتنقيب ، وقد يكون في كتاب الأنس الجليل عن حياته مالا نجده في غيره من الكتب . ومن الكتاب المذكور يفهم ان ابن الهائم اشتغل في القاهرة ، وانه لما ولى القمني تدريس الصلاحية أحضره الى القدس ، واستنابه في التدريس ، وأصبح من شيوخ المقادسة ، واستمر في وظيفته التدريسية الى أن جاء الشيخ شمس الدين الهروي من هراة وكان حنفياً فرأى هذه الوظيفة فسعى اليها ، واستطاع أن يأخذها من ابن الهائم . ولكن هذا لم يرق للأخير فسعى جهده لاستردادها ، واستطاع أن يجعل ولاة الأمور يقسمون هذه الوظيفة بينهما . ونشأ لابن الهائم ولد نجيب اسمه محب الدين ، كان نادرة دهره ، ونابغة زمانه ، ولكن المنية عاجلته فلم يعش طويلاً ومات صغيراً سنة ٨٠٠ ﻫ . ومحاسن ابن الهائم كثيرة أهمها تمسكه الشديد بالدين ، وكان دائماً

لايترك فرصة دون وعظ أو ارشاد ، فتراه فى أكثر الأوقات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وصار له مقام عند العامة وكان لكلامه وقع فى القلوب ، وتأثير على النفوس .

« وتوفى ابن الهائم فى القدس الشريف فى شهر رجب سنة ٨١٥ هـ ودفن فى مقبرة مأمن الله وقبره مشهور »[١] وقد ذهبت بنفسى الى القدس لأرى القبر فلم أتمكن من العثور عليه بسبب أعمال الحفر التى قامت مؤخراً فى المقبرة ، واتصلت بالعارفين فقالوا ان قبر ابن الهائم كان يقع فى الجهة الغربية على بعد بضعة أمتار من البركة وكان القبر مبنياً على شكل غطاء التابوت .

وابن الهائم من الذين درسوا على أبى الحسن على بن عبد الصمد الجلايرى المالكى ومن الذين ألفوا فى الفرائض والحساب والجبر وله فى ذلك كتب ورسائل قيمة منها :

كتاب شرح الأرجوزة لابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ، ألفه فى مكة سنة ٧٨٩ هـ[٢] . وهذه الأرجوزة لدينا وقد أتتنا من الوطنى العامل الأديب السيد عبدالله بن كنون من أعيان طنجة بالمغرب ، وسيأتى الكلام عنها عند البحث فى ابن الياسمين . وله أيضاً رسالة اللمع فى الحساب ، ولدينا نسخة منها وقد نسخناها عن مخطوطة قديمة موجودة فى المكتبة الخالدية بالقدس . ويقول المؤلف (ابن الهائم) فى أولها : « . . وبعد فهذه لمع يسيرة من علم الحساب نافعة ان شاء الله تعالى . . » وهذه الرسالة تتكون من مقدمة وثلاثة أبواب يبحث الباب الأول فى ضرب الصحيح فى الصحيح ويتكون من أربعة فصول ، الفصل الرابع منه طريف جداً ويحتوى على كثير من الملح الرياضية فى الاختصار وفى ضرب أعداد خاصة فى أعداد أخرى بدون اجراء عملية الضرب ، ولا بأس من اعطاء مثال (من النسخة) على ذلك ، فى الفصل المذكور يقول المؤلف « . . وللضرب وجوه كثيرة وملح اختصارية فمنها : . . الى أن يقول . . ومنها أن كل عدد يضرب فى خمسة عشر أو مائة وخمسين أو فى ألف وخمسمائة فيزاد عليه مثل نصفه

(١) مجير الدين الحنبلى — كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢) كتاب كشف الظنون ج ١ ص ٨٢ .

ويبسط المجتمع (أى يضرب حاصل الجمع) فى الاول عشرات وفى الثانى مئات وفى الثالث ألوفاً ، فلو قيل اضرب أربعة وعشرين فى خمسة عشر فزد على الأربعة والعشرين مثل نصفها وابسط المجتمع وهو ستة وثلاثون عشرات فالجواب ثلاثمائة وستون ، ولو قيل اضربها فى مائة وخمسين فابسط الستة والثلاثين مئات ، فالجواب ثلاثة آلاف وستمائة ... » ويبحث الباب الثانى فى القسمة ويتكون من مقدمة وفصل ، والمقدمة تبحث فى قسمة الكثير على القليل والفصل فى قسمة القليل على الكثير ، وأما الباب الثالث فيبحث فى الكسور ويتكون من مقدمة وأربعة فصول . ولهذه الرسالة شرح لمحمد بن محمد بن احمد سبط المارديني[١] وله أيضاً كتاب « حاوى » فى الحساب وكتاب المعونة فى الحساب الهوائى[٢] ، ويتكون من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة ، وله مختصر اسمه الوسيلة وقد رأيته أيضاً على مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة . وقد قال المارديني فى آخر شرح اللمع « ومن أراد الزيادة فعليه بالوسيلة لأنها من أحسن المصنفات فى هذا الفن . . » وعليها أيضاً حاشية لمحمد بن أبى بكر الأزهرى ، ولها (أى الوسيلة) شرح للمارديني يسمى ارشاد الطلاب الى وسيلة الحساب[٣] . ولابن الهائم كتاب مرشد الطالب الى أسنى المطالب ويبحث فى الحساب ، ويتكون من مقدمة وخاتمة[٤] . وقد عمل له مختصراً سماه كتاب النزهة . ومن مؤلفاته كتاب غاية السؤال فى الاقرار فى الدين المجهول ، ويحتوى على أمثلة لحلول مسائل مختلفة فى الحساب ، والجبر ، وكتاب المقنع وهو قصيدة تتكون من ٥٢ بيتاً من الشعر فى الجبر ، وقد شرحها فى رسالة خاصة ، وله رسالة التحفة القدسية ، وهى منظومة أيضاً فى حساب الفرائض[٥] . وكتاب المعونة فى الحساب . وقد شرحه المارديني واختصره ابن الهائم برسالة سماها اسنان المفتاح[٦] .

نابلس — قدرى حافظ طوقان

(١) كشف الظنون — ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٢) « « — ج ٢ ص ٤٦٨ .

(٣) « « — ج ٢ ص ٤٣٤ — ٤٦٨

(٤) « « — ج ٢ ص ٤١٧ .

(٥) صالح زكى — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٦) « « — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .

مشـــــروع القرى

وجوب العناية بالقرية المصرية

للدكتور محمد حسين هيكل بك

لا أظن شيئاً مهملاً في مصر اهمال القرية المصرية واهمال أهلها، فبينما تندفق الوزارات المتتابعة على تجميل المدائن الأموال الطائلة، وبينما تقوم في سبيل شق الشوارع واقامة العمائر الضخمة فيها، اذا بها تضن على القرى بكل اصلاح أو تنظيم، ولقد لاحظ أهل الريف هذا منذ زمان بعيد، فقامت ضجة كبيرة في البرلمان المصري سنة ١٩٢٦ حين أريد توسيع شارع الهرم، ونال نواب الريف أغلبية في مجلس النواب لم يتيسر التغلب عليها إلا باجتماع مجلسي البرلمان في هيئة مؤتمر، ومع أن حاجات الريف الى الاصلاح كثيرة جداً سواء من الجهة الصحية، أو من الجهة التعليمية، فان ما يبذل في سبيله من أموال وجهود يسير على سنة التطور البطيء جداً كأنما يجهل الذين يتبعون هذه السياسة أن ريف مصر يحتوي عوامل النشاط والقوى الحقيقية الحيوية في البلاد، وأنه اذا حوربت الأمراض التي تفتك بأهل الريف، واذا نشر التعليم الأولى والابتدائي في ربوعه زاد الانتاج الاقتصادى، والانتاج الفكرى، بما قدره بعض الأطباء بثلاثين في المائة من مجموع الانتاج الحالي !!!

لذلك كان العمل الذي تقوم به جمعية مشروع القرى جديراً بأكبر التشجيع من كل انسان، وكان ما يبذل الشباب من جهود في هذا الشأن حرياً بأن يلقى التشجيع والمعونة من جانب رجال هذه الأمة الرسميين وغير الرسميين، ويحسب الذين زاروا أوربا جميعاً ولم يكتفوا بالجلوس على مقاهى المدن الكبرى كباريس ولندن وكلفوا أنفسهم مؤونة التغلغل في أرياف فرنسا وانجلترا والمانيا وغيرها من الدول الأوربية، وقارنوا بين حياة ريف أوربا وحياة ريف مصر أشد شعوراً باستحقاق جمعية مشروع القرى لكل تشجيع، ويحسون في قرارة نفوسهم بشيء كثير من الأسف بل الألم لهذه المقارنة. فالمنزل القروى في أوربا يحتوى من معاني الحياة الانسانية ما لا نجد له قط نظيراً في أحسن منازل القرى المصرية، والأماكن العامة كالكنائس والمدارس والمستشفيات في قرى أوربا تشهد بأن أهل تلك البلاد يحرصون على هذا المعنى الإنساني وعلى ترقية الذوق الفني في نفوس أهل الريف حرصاً كبيراً، ثم ان الشباب في أوربا يشعر هو الآخر بالواجب عليه ازاء أهل الريف فينظم نفسه جماعات تجول في مختلف أنحاء الدولة التي ينتمي اليها أثناء العطلة الدراسية لتستفيد هذه الجماعات معرفة بلادها معرفة دقيقة، وليستفيد أهل الريف من اختلاط الشباب بهم فتياناً وفتيات اتصالاً بالروح العلمية، والحياة الثقافية، وربط ما بين الريف والعواصم بخير الروابط.

وليس من ذلك شيء في مصر على الاطلاق، بل ان المشروعات الحيوية الأولية، كتعميم المياه الصالحة للشرب، وكجعل الأسمدة بعيدة عن القرى، وكتعميم التعليم الأولي الاجباري، وما الى ذلك من مثله من أمور تعتبر في الدرجة الأولى بالنسبة للحياة الانسانية ما تزال مهملاً في مصر، بل ما تزال منظوراً اليه على انه أدنى الى الكماليات، وتلك نظرة خاطئة جد الخطأ، فاذا أريد بمصر أن تصل إلى نشاط صحيح في حيويتها، فالخطوة الأولى يجب ألا تكون شق الشوارع واقامة المباني الفخمة في المدن، بل يجب أن تكون العناية بأحوال الريف عناية صحيحة، والعناية في المدن بالتعليم الجامعي الصحيح قبل كل شيء.

فلتعمل جمعية مشروع القرى في حدود البرنامج الذي رسمت لنفسها تلق من غير ريب تشجيعاً صادقاً من كل من يعنيهم الأمر ومن كل من يدركون مصالح بلادهم الحقيقية.

مشــــــروع القرى

الاصلاح الاجتماعى فى مصر

ونصيب طلبة الجامعة والمدارس العالية منه

للأستاذ عبد الله أمين

عضو مجلس إدارة المشروع

قد يخيل إلى المتعجل فى الحكم على الأمور أن الشعب المصرى قد خطا خطوات واسعات فى سبيل التقدم والاصلاح الاجتماعى ، وذلك حين يرى ما فى أمهات المدن المصرية لا سيما القاهرة الأم الكبرى ، عروس الشرق ، من مبان شاهقة فخمة ، قد بنيت على أحدث مثال ، وأثثت بأفخر الأثاث ، ومن أزياء حديثة يختال فى حللها القشيبة شبانها وشوابها ، رجالها ونساؤها ؛ ومن متاجر ودور للملاهى يعرض فيها من البدائع والمناظر ما يعرض فى متاجر أوربا وملاهيها ؛ ومن مصارف وبيوت مالية ومدارس ومستشفيات وأندية وأنزال ، وغير ذلك من مظاهر المدنية الغربية الحديثة .

أما المتأمل البصير فلا يرى فى شىء من هذه المظاهر دليلا على شىء ذى خطر من التقدم والاصلاح الاجتماعى فى مصر ، لأنها كلها مظاهر مستعارة من الغرب لا ترتكز فى هذه البلاد على شىء من عناصر المدنية التى ترتكز عليها فى الغرب ، وهى العلوم والفنون والصناعات والذوق المصرى والعادات والتقاليد والنظم الموروثة ، ولذلك تعد فى مصر مظاهر كاذبة . وقد تعاون على استعمارها ثلاث جماعات ، هى : (١) النزلاء الأجانب (٢) الوطنيون المفتونون بهم ، الناسجون على منوالهم ، وما أكثر هؤلاء وهؤلاء فى أمهات المدن المصرية ، لاسيما مصر والاسكندرية (٣) والحكومات المصرية المتتابعة . وليس هؤلاء جميعاً هم الشعب المصرى .

إنما الشعب المصرى هو ملايين الفلاحين الكثيرة المقيمة فى القرى المصرية . وإذا جردت أمهات المدن المصرية من مظاهر المدنية الكاذبة أصبحت كالقرى المصرية شبراً بشبر وذراعاً بذراع . وأى شىء فى القرى المصرية لا يحتاج الى إصلاح ؟ أمظاهر المدنية أم العماد الذى لا تقوم إلا عليه وهو عناصر المدنية ؟ أم أساس هذه العناصر ؟

إن كل شىء فى القرى المصرية بل فى مصر كلها أم المدنية القديمة والحديثة ومطمح أنظار الغرب ، ومعقد آمال الشرق ، فقير كل الفقر الى الاصلاح ، فالأخلاق والعقائد وهى الأساس الذى تقوم عليه عناصر المدنية ، والمنوال الذى تنسج عليه برودها قد أصيبت بالخلل والفساد ، فهى فقيرة الى الاصلاح . والعلوم والفنون والصناعات والآداب والعادات والتقاليد والذوق واللغة والنظم المنزلية والمدرسية والاجتماعية والحكومية وغيرها من عناصر الحضارة لم يبق من محاسنها شىء ، فهى أشد فقرا الى الاصلاح . والأزياء والمساكن والأثاث والمتاجر والمصانع والمزارع والطرق والمتنزهات والأندية والمدارس وغيرها من مظاهر المدنية أصبحت ممقوتة بغيضة الى النفوس لبقاء أكثرها على ما كان عليه منذ آلاف السنين ، ولانشاء أقلها على مثال غربى لا يلائم أخلاقنا وعقائدنا ، فلا بد من إصلاحها وإصلاح كل شىء إصلاحاً نحتذى فيه مثال الأمور الصالحة فى الغرب ، ثم نصبغها بصبغتنا ونجعلها ملائمة لأخلاقنا وعقائدنا ومزاجنا النفسى والعقلى .

وإذ كانت الأخلاق والعقائد هى الأساس الذى تبنى كل أمة عليه حضارتها ، وكانت أخلاقنا وعقائدنا محتاجة الى الاصلاح كل الاحتياج ، فقد وجب أن نبدأ باصلاحها ، فاذا صلحت صلح كل شىء ، وان لم تصلح فلا رجاء فى اصلاح . ألا نذكر قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ولا ينبغى لنا أن يعوقنا عن التصدر لاصلاح ما فى نفوسنا من مفاسد ، وما فى عقائدنا من ضلال علمنا أن الأخلاق وهى الصفات النفسية ثابتة فى الأمم ثبوت صبغاتها الجسدية ، وأنها لذلك لا تتغير إلا بمضى آلاف السنين ، وأن العقائد لا تقل عنها ثبوتاً ، لأننا اذا أمسكنا عن التصدر للاصلاح لهذا العلم فلن نتقدم له أبداً ولن نبلغ ما نريد أبداً . ولا ينبغى لنا أن ننسى بجانب هذا أن للتغيير عوامل فعالة تجعله سهلاً سريعاً وهى الحروب والنهضات القومية ، والثورات الفكرية ، وأن النهضة المصرية الحديثة من عوامل التعجيل للاصلاح ، وان قيام المتعلمين آباء وأبناء باثارة الأفكار وتوجيهها فى القرى الى الاصلاح مما يكفل لنا بلوغ المراد منه ، فيجب أن نتعاون على هذه الاثارة لنبلغ الأمر الذى نبتغيه .

فاذا نحن أيقظنا بصيحاتنا ودعوتنا النفوس النائمة ، وأصلحنا العقائد والأخلاق وهذبناها بما لا بد منه من العلم والمعرفة فلنعمد

بعد ذلك الى اصلاح كل شيء اصلاحاً يلائم أخلاقنا وعقائدنا ، أو مزاجنا النفسي والعقلي ، وإلا وضعنا بجانب كل حجر من أحجار الصرح الذي نبنيه معولاً لهدمه ، لأن الأمة التي تستعير مدنية لا تلائم مزاجها النفسي والعقلي لا تلبث أن تهدم ما بنت بثورة منها ، وحسبك دليلا على ذلك الثورة البلشفية التي قوضت أركان المدنية الغربية في روسيا ، فقد كانت روسيا شرقية في كل شيء ، فلما ولي أمرها بطرس الأكبر حملها على تقليد الغرب بالقوة فجاءت هذه المدنية الغربية غير ملائمة لأخلاق الروسيا وعقائدها لذلك هدمتها أخيراً . وبمثل هذا يتنبأ إمام علم الاجتماع في العصر الحاضر « جوستاف لوبون » للمدنية اليابانية التي نقلت عن الغرب في خمسين سنة . وبمثل هذا يمكنك أن تتنبأ للمدنية التركية الحديثة لأنها من عمل الحكومة لا من عمل الشعب نفسه ، وقد نقلتها كما هي بلا تهذيب ، ولأنها نقلت طفرة لا بالتدريج .

***

وليس المسئول عن هذا الاصلاح الحكومة وحدها ، فان الحكومات لا تقوى على كل شيء . وإن من الناس من يقصر عمل الحكومات على حماية الوطن من اعتداء بعض أبنائه على بعض ، ومن اعتداء الأجانب عليه . أما ما عدا ذلك فهو عنقه من عمل الأمة وحدها ، ولئن استطاعت الحكومات أن تعمل كل شيء وحدها فانها لا تستطيع أن تقوم البتة بالمرافق الكبرى كالزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والتهذيب ، فان هذا بلا شك من أعمال الشعوب ، ولا بأس بمعونة الحكومة فيه .

والمسئول من الأمة المصرية عن تحرير ملايين الفلاحين المصريين من مفاسد الأخلاق ومن البدع والخرافات والأوهام والضلالات وتزويدهم بشيء من مكارم الأخلاق ومن العقائد والمعارف الصحيحة التي لابد لهم منها في دينهم ودنياهم ليصبحوا كأمثالهم في البلاد الراقية وليستطيعوا أن يقوموا باصلاح عناصر المدنية ومظاهرها إنما هم أهل المعرفة من البالغين الراشدين المصريين .

لا شك أن العالم مسئول عن أخيه الجاهل ، فلو أن رجلين اجتازا طريقاً خطيرة ، وكان أحدهما على علم بما فيها من خطر ولم يكن الآخر على شيء من العلم بما فيها من خطر ، ثم أصابهما فيها صائب من الأذى كان العالم حينئذ هو المسئول عن الجاهل

وإذا كان أكثر طلبة الجامعة والمدارس العالية من الراشدين المكلفين شرعاً وعرفاً ، كانوا من المسئولين عن الاصلاح الاجتماعي ولا يرفع عنهم هذا التكليف أننا معاشر الآباء العارفين نحمل هذه التبعة لأن الأمر أكبر من أن يقوم به فريق دون فريق ، فليس هو من فروض الكفاية التي إذا قام بها بعض الناس سقط عن الباقين . وانما هو في الوقت الحاضر من الفروض الوطنية العينية التي يجب على كل ذي معرفة القيام بنصيب منها ، وقد تكون من الفروض الدينية . وأبناؤنا الطلبة مع ذلك أطهر قلوباً وأخلص نية وأشد غيرة وحمية وأقوى أبداناً ونفوساً ؛ فاذا خلا منهم ميدان الاصلاح فقد خلا من كل شيء

وإنا لا نبغي من أبنائنا النجباء طلاب الجامعة والمدارس العليا أن ينصرفوا عن التزود من العلم وتكميل أنفسهم الى معالجة الإصلاح في القرى ، لأننا إن طلبنا ذلك منهم كنا خاسرين مسرفين نشتري إصلاح الفلاح بإفساد الطبقة الممتازة التي نعلق عليها كل الآمال ، وإنما نريد من أبنائنا الطلبة النجباء عدة الوطن وأعظم كنوز ثروته أن يقسموا أوقاتهم وجهودهم على ثلاثة أمور لا رابع لها وهي : (١) طلب العلم . (٢) الرياضة البدنية واللهو المباح اللذين لابد منهما لحفظ الصحة وتجديد القوى والنشاط (٣) خدمة الوطن من أحسن الوجوه وهو نشر العلم والفضيلة بين سواده الأعظم في القرى

أما البطالة والكسل والخمول فقد آن أن يكون بين أبنائنا وبينها ما بين المشرقين من بعد في هذا الزمن العصيب الذي يستهدف فيه للفناء كل انسان وكل جماعة لا يكون شعاره وشعارها الجد ، الاجتهاد ، اليقظة ، الاستقامة ، العمل ، التقدم . وانه ليعز علينا أن ينصرف فريق من شبابنا في أيام الدراسة وفي أيام العطل الى اللهو غير المباح والى الكسل والخمول ناسين أنفسهم ووطنهم . وان أخسر الناس صفقة وأعظمهم غبناً في رأيي شاب آتاه الله قوة الشباب وسلامة الأعضاء والصحة وفراغ البال ورزقه من يموله ويكفل أموره ومهدت له سبل الاستفادة والافادة ، ثم هو مع ذلك يضيع هذه الهبات الثمينة والمواهب العقلية التي من بها الله عليه في اللهو والبطالة فلا هو ينفع نفسه ولا ينفع غيره . لا بل قد يكون بلاء على نفسه وعلى غيره

***

وما أشبه المصريين الآن بركاب بسفينة تسير بالمجاديف مع

طائفة من سفن أخرى لا أقول تسير بالبخار، وإنما أقول إنها تسير بالمجاديف مثلها، تلك السفن هي دول الغرب. وتسعة أعشار من في السفينة المصرية نيام نوم أهل الكهف، والعشر المستيقظ هو الذي يسير السفينة وحده، على حين أن ركاب كل سفينة أخرى يتناوبون العمل بينهم، فلابد لسواعد المصريين من الكلال ولابد لعزائمهم في النهاية من الخور، ولابد لسفينتهم من الانقطاع عن السفن الأخرى. وأنت عليم بما يصيب هذه السفينة المنقطعة من البلاء

ولو أن هذا العشر أيقظ تسعة الأعشار لاستغل جهودهم ولوصل بالسفينة وهي مصر الى حيث تصل السفن الأخرى وأصبحت بنجوة من المهالك ونجا هو ونجوا هم معه. وليس ما يبذل من جهد ومال في تهذيب العامة وإصلاح شأنهم بكثير وإن عظم؛ ولو علم الناس ما في تركهم أبناء وطنهم فريسة للجهل والضلال وللفقر وللأمراض الجسدية والنفسية من الأخطار المحققة التي لا يمكن أن يسلم منها مجموع الأمة لافتدوا سلامتهم بأموالهم وأنفسهم، فما أشبه أبناء الوطن الواحد بأبناء أب واحد، عنى بتربية فريق من هؤلاء الأبناء فنشأوا مهذبين قادرين على كسب قوتهم من أحسن الوجوه، ثم أدركته الوفاة قبل أن تشتد سواعد الفريق الآخر وتربيتهم، ثم أهمل أخوتهم تربيتهم فنشأوا جهلة مرضى النفوس عجزة عن كسب أقواتهم. فلا شك أن الفريق الآخر يصبح عالة على الأول مسئولا منه شرعا وعرفا، فهو إما أن ينهض بأعبائهم، وإما أن يستهدف لخطرهم ويكون هو أول فريسة لهم يسلبونه ماله وراحته وربما سلبوا روحه، وما أكثر ما يمثل أمامنا من آن لآخر من هذه الحوادث

فيأيها الشبان المتعلمون النجباء، يا رجال المستقبل القريب، اعملوا من الآن على ايقاظ تسعة أعشار المصريين اخوانكم لئلا يكونوا عالة عليكم غداً، بل ليكونوا عوناً لكم على احياء الحضارة واصلاح كل فاسد، واحذروا أن تشتروا العاجل بالآجل بأن تؤثروا ساعات تقضونها في اللهو والكسل والتحول الآن على راحة المستقبل وسعادة المستقبل، وتعالوا الى الميدان الذين فتحه لكم اخوانكم الامجاد أعضاء اللجنة التنفيذية لمشروع القرى وجال فيه جولات صادقات في هذه العطلة الصيفية أبطال من ذوي العزائم هم اخوانكم المتطوعون لمشروع القرى فكان هؤلاء وهؤلاء من المجاهدين السابقين الأولين الموفقين. تعالوا واعملوا لوطنكم منذ الآن تحت العلم الخفاق الذي يحمله علم مصر ونجرها في القرن العشرين أبو الطب غير منازع ولا مدافع، الدكتور علي باشا ابراهيم واذكروا قول الشاعر

املأ الدنيا بما تسطيع من ... عمل يبقى اذا العمر ذهب

انما الأعمال تاريخ الفتى ... تقرأ الأجيال فيه ما كتب

تعالوا واعملوا للخير، وفقكم الله لاسعاد أنفسكم ولاسعاد وطنكم وأبقاكم ذخراً له؟

عبد الله أمين



٨ـ بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

الوطنية لدى الشاعرين

رأينا فيما عرضنا له من وطنية شاعر الطليان أنه كان يخلق المناسبات ليصدع بشعوره نحو بلاده ووطنه ، فيحاور شخصيات وايته فى جرائمهم الوطنية ، ويتخيل لهم من صنوف العذاب ما تقشعر لهوله الأبدان ، وفى الحق أن وطنية دانتى ملكت عليه كل نفسه ، وسأقص عليك حديثاً طرز به كوميديته ، فكان حليتها وزينتها ، وسأعرض عليك تلك الأنشودة لتعلم أى حد بلغت به وطنيته ، وأى مقدار بلغه النزاع والفشل بين الطليان فى عهده ، وكم برح بهم الظلم ، وهدت من أركانهم الفوضى ، ثم تقرن حالهم بالأمس بحالهم اليوم لتعلم أن الأمم تسقم وتبرأ ، وتضعف وتقوى ، فلا يخالج اليأس نفسك ، ويمتد بك الأمل فتوقن باليوم الذى تتبوأ فيه بلادك مركزها تحت الشمس مستعيدة عصر صلاح الدين ، وأيام رمسيس .

فبينا دانتى يجوب (الأعراف) مع فرجيل اذا بروح نبيل يرمقهما ملياً ، ثم يسألهما قائلا : من أنتما أيها القادمان ؟ فيكون تعارف يعقبه عناق ، واذا بهذا الروح روح الشاعر سوردلو Sordello مواطن فرجيل ، ولم يكد يعرفه حتى انتحى به قليلا يحدثه . وبقى دانتى منفرداً يفكر فى لقاء المواطن للمواطن ، ومحبة ابن الشعب لابن الشعب . فثارت شاعريته ، وصدح بما خلدته الأجيال ، فقال :

(لك الله يا إيطاليا ، أيتها الأمة الذليلة المستعبدة ، ياموطن الآلام وميدان المظالم ، لقد أصبحت وكأنك سفينة بغير ربان ينقذك وسط هذه الزوبعة ، ويقودك الى شاطئ السلامة وبر الأمان ، إن هذه الروح الكريمة قد وقفت تحتفل بمواطنها بمجرد أن سمعت باسم وطنها ، بينما أنت لا يستطيع أبناؤك الأحياء أن يعيشوا دون أن يتقاتلوا ويحارب بعضهم بعضا ، وحتى أبناء المدينة الواحدة قد أخذوا يتخاصمون ويتنازعون !

أنظرى أيتها البلدة التعسة الذليلة ، وابحثى فى كل بحارك وجبالك ووديانك وفى كل ناحية من نواحيك ، فهل ترين جزءاً واحداً يتمتع بالسكينة والراحة والسلام ؟ آه . إنك لو قيض الله لك حاكماً أو رئيساً حازماً لحسنت حالك ، وهدأ بالك ، ولكن القياصرة يعيشون بعيدين عن أرضك التى سيئول أمرها لا محالة الى الخراب والدمار . إن روما تبكى وتستغيث بالأمبراطور ، وكل بلاد إيطاليا قد امتلأت بالظلمة قساة القلوب ، وفى فلورنسا أصبحت الأحوال أسوأ منها فى أى مكان آخر ؛ فقد تسن فيها القوانين ولا تلبث أن تلغى بين عشية أو ضحاها ، وأصبحت كالمريض الذى ألح عليه الداء ، وأعوزه الدواء ، وأخذ يتقلب من جنب الى جنب لكى يخفف من آلامه وعذابه دون أن يشعر بالراحة أو يذوق لها طعما .)

أفرأيت إذاً كيف كان دانتى حدباً على وطنه يندبه ويبكى انقسامه واضطرابه ، وضعف قوانينه وتذبذبها بين الالغاء والوضع كل عشية وضحاها ؟

فلو أنه بعث الآن من مرقده ورأى بلاده اليوم وهى تنعم بالقوة وبالمنعة لقرت عيناه ، ولرقأ مدمع كان هتاناً على وطن ملكت فكرته عليه كل شعاب نفسه .

الانتحار فى الروايتين

كلا الشاعرين ذم هذا المرض الفتاك ، وثار على ذلك الداء الوبيل ؛ وما كان شاعر المعرة بالذى لا يعرض للانتحار : يهجنه ويزرى به ؛ فقد افتن فى الزراية به بعبارة احتفل بها . وأسرف فى احتفاله ، فكانت جد غامضة ومبهمة . وما نحسب أن كثيراً من الأدباء يستشف غرض أبى العلاء دون أن يلحق به كبير من عناء ومن جهد . على أن فى تهذيب الأستاذ كامل كيلانى لرسالة الغفران ، وفيما حلى به جيدها من شرح وعنوانات ، ما يجعل الطريق أمام روادها معبداً شائقاً الى حد كبير .

ورغماً من اغراب أبى العلاء هنا فانك تراه جانف الخيال ، وسلك سبيل الفلاسفة والحكماء ؛ فجعل يبرهن ويعلل متخذاً من جهالة الانسان بمصيره بعد الموت ، ومن تقلبات الأيام وابتسامها

بعد العبوس أدلة يهجن بها الانتحار ، ويقبحه . وإني ذاكر لك شيئاً من قوله في ذلك ، فاستمع اليه حين يقول : « قد كدت ألحق برهط العدم ، من غير الأسف ولا الندم ؛ ولكنما أرهب قدومى على الجبار ، ولم أصلح بخلتى بأبار . وقيل لبعض الحكماء : إن فلاناً تلطف حتى قتل نفسه ، وكره أن يمارس بدائع الشرور ، وأحب النقلة الى دار السرور . فقال الحكيم قولا منباه : أخطأ ذلك الشاب المقتبل ، له ولأمه يحق الهبل ؛ هلا صبر على صروف الزمان ، فانه لا يشعر علام يقدم ، ولولا حكمة الله جلت قدرته ، وأنه حجز الرجل عن الموت[1] بالخوف من العلز[2] والفوت ، لرغب كل من احتدم غضبه ، وكل عن ضريبة مقضبه أن ترع له من الموت كؤوس »

أفرأيت في حديث أبي العلاء كيف سلك سبيل الحكماء ، وكرر معنى ذكره في لزومياته ، ذلك المعني هو رهبة ما بعد الموت ، وصدها عن ورود حوضه حين يقول :

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة
مخشية لاعتراها القوم أفواجا
وكان من ألقت الدنيا اليه أذى
يؤمها تاركاً للعيش أمواجا

فما هو سر ذلك وما سببه ؟ أكبر الظن أن سر ذلك هو وقوع ذكر الانتحار في الرد على رسالة ابن القارح بعد أن انتهى حديث الفردوس والجحيم . ولقد نرى أبا العلاء يتطاحن خياله ، بل يودعه خياله حين يودع الجنان والنيران ، وحين يأخذ في الرد على ما جاء في رسالة ابن القارح وما فيها من أشخاص يسباجله الحديث عنهم ، ويزيد عليه بسطاً في القول ، والمساجلة في الشخصيات وفي تواريخها ، وفي المذاهب والعقائد أبعد شيء عن الخيال ، وأحوج شيء للعبارة البينة في دلالتها ، السافرة عن غرضها

ولكن دانتي يحدثنا عن الانتحار وهو في دوره الثاني من الطبقة السابعة في جهنم فأعمل خياله في تهجينه ، ووصف عذاب المنتحرين وصفاً يبعث في الجلود قشعريرتها ، وفي القلوب هلعها .

وموعدنا بالحديث عن ذلك العدد القادم .

محمود أحمد النشوى

(١) الألم . (٢) الضياع .

٣ - أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

مصطفى باشا الخزينة دار

جركسي الأصل ، اشتراه عزت باشا ، أحد الصدور في زمن السلطان محمود الثاني ، ورباه صغيراً في القسطنطينية ، ثم أتى به الى مصر سنة ١٢٥٢ ، فاشتراه كتخداها عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا ، وحظي عنده حظوة عظيمة ، وقدمه على سائر مملوكيه ، ولما تولي ابراهيم باشا بن محمد علي على مصر سنة ١٢٦٤ استأذن منه عباس باشا في السفر الى الحج فسافر الى الحجاز وأقسم بأنه لا يعود لمصر ما دام عمه والياً عليها ، لوحشة وقعت بينهما ، وأخذ المترجم معه ، فلما وصل الى مكة وأدى فريضة الحج وصل اليه البشير بموت عمه ابراهيم باشا ، وتوليته مكانه ، وصادف ذلك موت خزينة داره راغب أغا البوره لى فأقام المترجم بدله وأعتقه ، ولزمه من ذلك الحين لقب الخزينة دار ، ثم جعله رئيساً لمملوكيه ، وأنعم عليه برتبة أميرالاى ، ووظف له ألف دينار مصري في السنة ، وعاد معه الى مصر ، فكبر شأنه ، وعظمت منزلته بين الأمراء ، وأمر ونهى في الولاية ، وحل عند سيده بمنزلة كبيرة ، حتى أمر أن يكون أمر المترجم كأمره نافذاً لا يرد في كافة الدواوين ، وكان يقول له انت يا مصطفى مثل أولادى ، والمترجم لا يقابل ذلك إلا بالصدق والاخلاص في الخدمة ، والوالى يوالى بره ، ويزيد في اعزازه ، حتى أمر أن يركب بمثل ركوبه في موكب بجند وحاشية ، فاستعفى من ذلك وقال : عبدكم يكفيه ركوب جنديين يستخدمهما في خدمة أفندينا فقبل منه وأعفاه ، وتسامع الناس بذلك فلامه بعض أخصائه على إبائه هذا الشرف العظيم ، فقال له أنتم جهلاء لا تقرأون العواقب ، أما تعلمون انه اذا مات أو غضب على أسلب هذا الشرف وينحط قدرى بين الناس ، أفليس الأولى لى أن أبقى على حالة واحدة لا أغيرها ؟

وكان المترجم ميالاً لفعل الخير يسعى فيه جهده ، يروى انه أنقذ نحو ثلاثمائة شخص من القتل والنفي لنفاذ كلمته عند الوالى ،

ويروى أن عباساً باشا غضب مرة على احمد باشا المنكلى ، وكان من جلة القواد ، بجفاه الناس ، وخصوصاً الأمراء على عادتهم مع من يغضب عليهم الولاة ، حتى يبلغ بالواحد انه لا يستطيع المرور أمام دورهم ، واتفق ان المنكلى ذهب يوم العيد الى العباسية لمقابلة الوالى وطلب العفو ، فلقى اعراضاً من الحاشية ونفوراً ، ورآه المترجم على هذا الحال فصعب عليه مكانه لما كان يعلمه عنه من علو المنزلة عند الولاة السابقين ، فأسرع اليه وأكرمه وأمر له بالقهوة والدخان ، وجلس بين يديه متأدباً ، ونمى الخبر لعباس باشا فغضب واستدعى المترجم ووبخه على اكرامه رجلاً مغضوبا عليه منه ، فتلطف معه وقال له : حلم أفندينا أكبر من كل ذنب ، وهذا الرجل تعلمون حسن بلائه فى الخدمة ، وقد جرأنى هذا الحلم بأن سكنت روعه وأخبرته برضاكم عنه ، وانكم دائماً تذكرونه بالخير وتقولون هذا رفيقنا بالشام يوم كنا مع عمنا فى المحاربة ، وأفندينا أكرم من ألا يقبل شفاعة عبده فيه ، فضحك عباس باشا وقال لا بأس عليه قد عفوت عنه ، ثم استدعاه فدخل وقبل الأرض من شدة فرحه ، ودنا منه حتى قبل قدمه ، فأجلسه وبش فى وجهه وقال له انت (ارقداش) ثم صرفه شاكراً مسروراً .

ثم لما مات عباس باشا بقى المترجم خزينة داراً لدائرته زمناً قليلا ، وتولى محمد سعيد باشا على مصر وكان بالاسكندرية فتأخر بها خمسة أيام خوفاً من أن تغتاله شيعة عباس باشا اذا حضر الى القاهرة ، لما بلغه من أن الألفى يريد تولية الأمير الهامى باشا بن عباس باشا ، فتأخر حتى كتب له الأعيان والأمراء بالطاعة وأرسلوا كتابهم اليه ، وفيه توقيع المترجم ، فاطمأن وحضر الى القاهرة ونزل فى قصر شبرا عند أخيه حليم باشا ، فبات عنده ليلة لم يهنأ فيها بنوم ، وأخبر أخاه انه بلغه عن المترجم ان عنده فى العباسية خمسمائة فارس بسلاحهم ، وانه يخشى من هجومه بهم على القصر قصد اغتياله ، فصرف عنه أخوه هذا الوسواس ، ثم طلب المترجم بعيد ذلك الى القلعة وخرج اليه حسن باشا المناسترلى ، وقال له أفندينا يعلم انك رجل عاقل فما هذه الخمسمائة الفارس التى عندك بالعباسية ؟ أتحاول أن تحدث بهم أمراً ، أو تجدد لك ملكا ؟ فقال معاذ الله من ذلك ، إنما أنا عبد من عبيد أفندينا ، وكل ما سمعه عنى زور وبهتان من سعى المفسدين ، وبعد ، فهل هذه الفرسان فى بطن الأرض أو فوق ظهرها ، وكيف خفى عليكم أمرها ، نحن ليس عندنا غير عشرين فارساً لحفظ قصور الحرم ، فتبين لهم صدقه ، ثم لما أراد سعيد باشا السفر الى دار السلطنة لشكر السلطان على توليته على عادة ولاة مصر من بني محمد على مع سلاطين آل عثمان وجد خزانة مصر خالية من المال ، فطلب من المترجم اقراضه خمسين ألف دينار من أموال عباس باشا التى بيده فأبى وتوقف وقال : إنما أنا أمين عليها ، وصاحبها الهامى باشا باستنبول ، ولا يجوز لى التصرف فى ماله بغير اذنه ، فتداخل بعض الأمراء فى الأمر ، حتى رضى باقراضه القدر المذكور بشرط أن يكتب صكا به ويوقع عليه ، ففعل وأخذ المال ، ولما حضر الهامى باشا من دار السلطنة أعطاه المترجم الصك وقال له : هذا المال أخذه عم أبيك ، فان شئت طالبته به ، وان شئت تجاوزت له عنه ، فعدت هذه الحادثة من مواقف المترجم المحمودة .

وبقى المترجم خزينة داراً لالهامى باشا حتى رآه ينفق أمواله فى غير وجهها ، فنصحه بأنه اذا دام على هذا الحال لا يبقى ولا يذر شيئاً مما تركه والده ، وأوصاه بالحزم ، وقال له فى عرض كلامه يا سيدى أنا لا أنهاك عن الكرم والاحسان الى الفقراء ، ولكني أنهاك عن الاسراف والتبذير والانعام على صغار الخدم بهذه الجواهر والنفائس الثمينة التى نراها فى أيديهم كل يوم ، ولما رأى اعراض الأمير عنه وتماديه فيما هو فيه استعفى من منصبه ولزم داره التى بالتبليطة . ثم بدا له السفر الى دار السلطنة فسافر اليها وعلم السلطان عبد المجيد بن محمود بمقدمه فطلبه الى القصر ، ولكنه لم يقابله بل أمر أولاده الأمراء مراداً وعبد الحميد ورشاداً باكرامه فقابلوه ولاطفوه ، ثم قيل له ان فى نية السلطان الانعام عليه برتبة باشا وأشير عليه بعدم السفر فلم يوفق للاقامة بل سافر بغير اذن الى الحجاز ، فحج وعاد لمصر ، وكان الوالى سعيد باشا أرسل الى كامل باشا زوج أخته الأميرة زينب هانم أن يراقب المترجم مدة وجوده بدار السلطنة لأنه يوجس من سفره خيفة ، فأعلمه أنه تحقق من أن الرجل ليس له مقصد سوى التنزه والسياحة فقط . وأراد سعيد باشا مرة استخدامه فشكر ولم يقبل ، ولما تولى اسماعيل باشا على مصر أنعم عليه برتبة ميرميران وأمر باستخدامه عضواً فى مجلس الأحكام فاعتذر عن الاستخدام وقال للرسول ان كنتم تجبرونى على الخدمة لأجل رتبتكم فهاك (فرمانها) أرده لأفندينا فأقره اسماعيل باشا على الرتبة وأعفاه من الخدمة .

وبقي بعد ذلك في داره وينتقل تارة الى ضياعه يراقبها وينفق من غلتها حتى وافاه أجله فمات محمود السيرة عف السريرة قليل الشاكين كثير الشاكرين لا يقطع فرضاً ولا يقصر عن نافلة مع احسان للفقراء وسعة في النفقة من غير تقتير ولا اسراف ، وخلف ثروة واسعة وأموالاً طائلة من غير عقب لأنه لم يتزوج في عمره إلا بنت راغب أغا سلفه في الخزينة دارية ، وكان إلهامي باشا أراد أن يزوجها لشكيب باشا مدير ديوان الأراضي الأميرية فلم تقبله واختارت المترجم فتزوجها وانتقل الى دارها فأقام معها نحو ثلاثة أعوام ثم فارقها بكراً لم يبن بها رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد أكرم الأفغاني

هو الشيخ الأجل، والعالم العامل، القدوة الورع ، نزيل القاهرة أصله من القبيلة الافريدية النازلة في مضيق جبل حيدر المشهور الآن بجبل خيبر الفاصل بين الهند وبلاد الافغان، ولد ونشأ به ، ثم رحل إلى الهند لطلب العلم وهو في الحادية والعشرين، فورد لكهنوه وهي حافلة بالعلماء ، فقرأ العربيـــة والمنطق والحكمة والعقائد والتصوف والفقه الحنفي والطب والرياضيات على الطريقة القديمة حتى صار من الفحول المشار اليهم مع العفة والتقوى والتشدد في الدين . ثم ساح في أغلب بلاد الهند وجعل أكثر اقامته في لكنهوه ، ثم بدا له السفر الى الحجاز لقضاء فريضة الحج فسافر اليه حوالى سنة ١٢٧٢ وبعد قضاء المناسك ورد على مصر ونزل بالأزهر برواق الافغانية المشهور برواق السليمانية ، فاجتمع به هناك جلة العلماء مثل الشيخ حسين المرصفي وغيره ، وبلغ خبره محمداً افندي الافغاني المشهور بالكشميرجي تاجر المطارف الكشميرية بجوار خان الخليلي فاجتمع به وصوب له الانتقال الى مكان فوق حانوته فاكترى به محلا وانتقل اليه وأقام به نحو تسعة أشهر ، وتسامع به الأكابر مثل حسن باشا المنسترلي كتخدا مصر واسماعيل باشا عاصم، فسعوا اليه وزاروه، وبلغ خبره الأمير احمد باشا رفعت ابن ابراهيم باشا والى مصر من محمد افندي الافغاني فاشتاق لرؤيته ، الا أنه كان على قدم السفر الى ضيعة له فأرسل له خمسة وعشرين ديناراً حباه بها .

ثم سافر المترجم الى دار السلطنة واجتمع هناك بعارف حكمت بك الذي كان شيخاً للاسلام وبغيره من العلماء ، فظن عارف بك أن مجيئه لطلب منصب علمي أو فتح (تكية) أو نوال صلة ، وسأله عن ذلك ووعده بالمساعدة فعرفه المترجم حقيقة أمره ، وانه ماورد الا للسياحة . وأقام بدار السلطنة نحو عشرة أشهر ، ثم سافر منها الى الشام ، ومر بأزمير وتسامع به علماؤها فحضر له كبيرهم الى السفينة ، وسأله النزول وألح عليه فقبل ، وأقام عندهم عشرة أشهر أخرى قرأ لهم فيها ديباجة الفتوحات المكية . ثم سافر على غير رغبتهم الى الشام، فلقي من علمائها اكراماً زائداً واحتفالا كبيراً لا سيما من كبيرهم الشيخ سليم العطار ، وتلقوا عنه بعض رسائل منها تشريح الافلاك في الهيئة، وفصوص الحكم لابن العربي ، ثم أراد الشخوص الى بغداد ، ولكنه استصعب السفر اليها براً لكبر سنه وبدانة جسمه ، فعول على السفر اليها بحراً ، وأتى مصر بنية السفر منها في البحر الأحمر وخليج فارس الى البصرة ومنها الى بغداد ، فلما وردها أنزله السيد احمد الحسيني شيخ طائفة النحاسين بداره وقام بشؤونه أتم قيام ، وتراخت عزيمة المترجم عن السفر ، وبدا له أن يتخذ القاهرة دار اقامة ماشاء الله تعالى فانتقل الى مكان اكتراه بخان الخليلي وأقام به بضع سنوات منكمشاً عن العالم مقبلا على شأنه ، مواظباً على الاقراء والتدريس ، ولم يكن معه غير أخذ تلاميذه ، وعلى هذا التلميذ قرأ شيخنا العلامة الشيخ حسن الطويل خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي .

ثم لما كانت ولاية اسماعيل باشا على مصر أجري على المترجم عشرة دنانير في الشهر تصرف له من الحكومة ، واستصوب أبو بكر راتب باشا ناظر الأوقاف اذ ذاك انتقال الشيخ الى مدرسة محمد بك أبي الذهب التي بجوار الأزهر فانتقل اليها وسكن بها في قاعة الشيخ الصبان الذي كان موقتاً لهذه المدرسة ، وأقام المترجم بها نحو أربع سنوات ، ثم وافاه أجله المحتوم في ربيع الثاني سنة ١٢٨٧ ، وقد جاوز التسعين ودفن ببستان العلماء في مقبرة المجاورين ومات من غير عقب لأنه لم يتزوج في حياته .

وكان ربعة أبيض اللون واللحية كثها، كبير الهامة، بديناً مهيباً اذا سار في الطريق قام له الناس من يعرفه ومن لا يعرفه ، حليما متواضعاً عفيف النفس زاهداً ، مع كمال عقل وحسن فراسة . وكانت له اليد الطولى في كافة العلوم، وكان الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر يعرف له قدره ، ويزوره بمدرسة محمد بك . ولما مات الشيخ الباجوري وبقي الأزهر بلا شيخ اكتفاء بالوكلاء ، ولهج الناس بضرورة اقامة شيخ قال الشيخ الأشموني لو استشرت في ذلك مارضيت بسوى الشيخ محمد أكرم ، فانه رجل له جانب مع الله ، وبلغ المترجم قوله فتبسم وقال مالي وازهركم ، لو عرضوا على ولاية مصر ماقبلتها ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

من طرائف الشعر

طيـــور الأمانى

للشاعر الوجدانى الرقيق احمد رامى

الأزهار

الى محراب أفكارى   ومهبط وحى أشعارى
الى القلب الذى حرّ   كـ بالأشجان أوتارى
الى جنة أحلامى   الى نزهة أبصارى
الى الروح التى أحيت   مُني نفسى وأوطارى
الى الفجر الذى رصع   بالانـــداء نوّارى
الى الطير الذى آنس   بالتغريد أسحارى
أقدم كأس أشعارى   وأهدى غضّ أزهارى

احمد رامى

***

طيور الأمانى

هتفت فى الدجى طيور الأمانى   باكيات على النعيم الفانى
حائرات العيون رفّافة الأ   جنح مطرودة عن الأفنان
كلما أوشكت تقارب غصناً   ذادها حاصب عن الأغصان
أو أسفّت تريد نقع ظماها   حلأتها الأيدى عن الغدران
فهى الدهر حائمات ترى الأ   ثمار والماء نائيات دوانى
ولو ان الرياض خلو لعزّت   نفسها بالقنوط والسلوان
غير أن الغصون ناضجة الأ   ثمار والنهر طافح الفيضان

***

هكذا نحن فى الحياة نريد الـ   ـصفو فيها والصفو نائى المجانى
ونريد النعيم فيها ومن دو   ن منانا سدّ من الحرمان
ونشيد البنى من الأمل السا   مى وفأس الزمان فى الجدران
ونبثّ البذور فى الأرض والـ   ـدهر ضنين بالعارض الهتان
ومن الزرع باسق جفت الأ   ثمار فيه وماجنتها يدان
ومن الماء دافق جف فوق الـ   ـأرض ما مس قطره شفتان

***

لهف نفسى على شباب ذوى قبـ   ـل كمال واجتثّ قبل الأوان
وضياء خبا ولم يك هدياً   للذى ضلّ فى سبيل الزمان
لو نظرنا الى الحياة بعين الـ   ـحق زاحت بالكره والشنآن
غير أنا نعيش فيها بآما   ل تسرّى لواعج الأشجان
وإذا أخطأت ظنون فيارُ   بّ ظنون تريح قلب العانى

***

فلنعش بالمنى فكم صدع الـ   ـبدر حجاب السحابة المدجان
ولنعش بالمنى فكم سقت الـ   ـأنواء ذاوى الثمار والأغصان
ولنعش بالمنى فكم جرت الـ   ـأقدار بالعزّ بعد طول الهوان
فارفعى الصوت بالغناء قليلاً   بدل النوح ياطيور الأمانى

احمد رامى

هنـــد (1)

للاستاذ محمود خيرت

ومخلخلات (2) يستبينك كلما   يخطرن فى روض الملاحة عينا
وقدودهن من الرماح وإن تكن   فى مثل عود الخيزرانة لينا
كم خلفت ألحاظهن نصبنها   شرك الهوى فى الآمنين طعينا

(1) تلتقى هذه القطعة مع قطعة شوقى « من صور السحر المبين عيونا » فى موضوعها تقريباً . ولكننى ماطمعت عند معارضته فى أكثر من أن أتأدب بأدبه وفى أن تكون قطعته الفريدة نموذجا أنسج عليه ورقيباً يوجهنى فى سبيل الكمال . على أن من يوازن بين هذا البيت :

« وقد انتثرن على الخميلة أنجما   وشردن منى يسرة ويمينا »

وبين قوله فى قطعته :

« فنظرن لايدرين أذهب يسرة   فيجيدن عن أم أميل يمينا »

(شوقيات جزء ٢ ص ١٧٢).

يدرك مبلغ قفرى وعجزى ومبلغ مقدرته فى تصوير تلك الحركة الواسعة فى مثل أسلوبه الذى امتاز به رحمه الله .

(2) ربات خلاخيل

يَمَّمْنَ نحو النهر ذات عشيَّة ... بجرازهنَّ ورُحن يستقينا
والأرض ترقص تحتهن صبابةً ... والنهر مرتقبٌ يحنُّ حنينا
والبدر يُرسِلُ من سماء جلاله ... نوراً كذرَّات اللجين خفينا
ويمُدُّ ظلاًّ خلفهنَّ كأنه ... ذيلٌ فيمشى كلما يمشينا
قد كُنَّ يقطعْنَ الطريق وقد نأى ... بالسير حيناً والتوقُّفِ حينا
والأُنس يكسو حسنهن بشاشةً ... كان الشبابُ بها لهُنَّ مدينا
حتى اقتربْنَ فعند ما أبصرْنني ... أجفلْنَ حتى كدْنَ يستلقينا
وقد انتثرْنَ على الخميلة أنجماً ... وشرَدْنَ منى يسرةً ويمينا
إلا فتاةً كالنعيم نضارة ... والظبى جيداً والصباح جبينا
قالت عجيبٌ أن أراك على مدى ... ما بيننا وقد احتجبتَ سنينا
فأجبتُها ياهند بُعْدُكِ شفَّنى ... ولقد ظللتُ على هواكِ أمينا
أين الكناس نبثُّ فى أركانه ... وجداً بشُبوبِ الضلوع دفينا
ونُعيد سيرةَ ذلك العهد الذى ... غرستْ لياليه الصبابةَ فينا
فتراجعتْ جزعاً تُكفكِفُ دمعها ... كالدرِّ فوق الوجنتين سخينا
وقرأتُ فى إطراقها وخفُوقها ... أن الكناس غدا يضمُّ عرينا
وكأنما خشيتْ على قطوفتى ... عنقى مُسارعةً تئنُّ أنينا
وجرتْ على شفتىَّ منها قُبلةٌ ... حرَّاء كان بها السعُودُ ضنينا
إنى لأذكرُها الزمانَ ، فعندها ... نسىَ الزمانُ وجوده ، ونسينا

محمود خيرت

من الأدب الإنجليزي

الشعر عند ما كولي

للأستاذ محمود الخفيف

للكاتب الإنجليزي العظيم اللورد ما كولي طريقة انفرد بها في عرض آرائه والدفاع عنها، فقد أوتي بسطة في العلم، وامتاز الى جانب عبقريته بقريحة وقادة، وذاكرة عجيبة، هذا الى روعة في الأسلوب، وسلامة في المنطق، ولباقة في سوق المقدمات وضرب الأمثلة واستخلاص النتائج.

كتب رسالة عن الشاعر ملتن، وضح فيها آراءه في الشعر وتناول الموضوع من جميع نواحيه، ولقد أشار في رسالته الى بعض المسائل التي يختلف فيها شعراؤنا وأدباؤنا اليوم.

كان ما كولي شديد الاعجاب بالشاعر الكبير، ولذلك أحفظه ما كتبه النقاد عنه وانبرى للرد عليهم في حماسة استثارت عبقريته وأيقظت قريحته. رأى هؤلاء النقاد يسلكون السبل الملتوية للحط من قيمة الشاعر، فبينما هم يسلمون في غير تحفظ بأن آثاره جديرة بأن تأخذ مكانها بين أعظم الآثار التي أنتجتها العقول البشرية، اذا بهم يأبون على الشاعر أن يتبوأ مكاناً بين فحول الشعراء كهومير وذانتي وفرجيل وأضرابهم، وحجتهم في ذلك أن هؤلاء نشأوا في عهد طفولة المدنية، فلم يكن لهم من المعارف مثل ما كان لملتن الذي نشأ في عهد مستنير وتلقى علماً منظماً، واطلع على كثير من آثار المتقدمين، ولكنهم على الرغم من ذلك قد تركوا للعالم آثاراً تجل عن المحاكاة، فكانت شاعريتهم طبيعية تتجلى فيها الاصالة، وتشيع منها العبقرية، ولا يمكننا على ذلك أن نضع ملتن في صفهم، بل إنه لينبغي علينا اذا أردنا الانصاف أن نحسب على ملتن، عند قياس شاعريته، كل ما أتيح له من ظروف طيبة.

يسرد ما كولي آراء خصوم الشاعر ثم يعلن في حماس ويقين أنه على الرغم مما يقولون يقرر أنه ما من شاعر قد اضطر أن يغالب من الظروف أسوأ مما اضطر ملتن الى مغالبته، حتى لقد كان يخيل الى الشاعر أنه خلق متأخراً عما كان ينبغي له بأجيال، ذلك لأنه كان يحس أن شاعريته لم تستفد شيئاً من الثقافة التي تثقفها، بل إنه كان يتطلع بعين ملؤها الاسف الى تلك العصور التي فاتته، عصور الكلمات البسيطة والتأثير العميق!

يأخذ ما كولي في الدفاع عن رأيه هذا فيجره الدفاع أولا الى العلاقة بين العلم والمدنية. ما حال الشعر في عصور التقدم؟ وكيف كان حاله في العصور السالفة؟ وهل لتقدم المدنيـة تأثير مطرد فيه؟

يقرر ما كولي أنه كلما تقدمت الحضارة، انحط الشعر تبعاً لذلك التقدم، ولهذا فانه اذا أعجب بتلك الآثار الشعرية التي جادت بها الأخيلة في العصور المظلمة، فليس اعجابه بها قائماً على أنها وليدة تلك العصور، كلا. فانه يعتقد أن البرهان القاطع على العبقرية انما هو قصيدة عظيمة تظهر في عصر من عصور المدنية والتقدم، في عصر من عصور الفلسفة والتفكير.

وان الذين ينكرون هذا المبدأ ليخدعون أنفسهم في رأيه، ذلك أنهم ينظرون الى الفنون نظرتهم الى العلوم التجريبية والعقلية، فيقيسون الجميع بقياس واحد متخذين تقدم العلم والفلسفة دليلا على تقديم الشعر والتصوير مثلا، وفات هؤلاء أن الفرق شاسع بين الفن والعلم، بين الخيال والتفكير، بين الحلم والحقيقة.

نسى هؤلاء أن العلوم تتقدم بتقدم العصور لأن أهل كل عصر يبتدئون دراستهم من النقطة التي وقف عندها أسلافهم، ومن ثم كان التقدم العلمي تدريجياً، وكلما تقدمت العصور، كان من أيسر الأمور على من رزق حظاً من الذكاء تحصيل العلم، فان أي شخص عادي الآن ليستطيع أن يحصل من قوانين الرياضة في بضع سنين أضعاف ما استطاع نيوتن العظيم تحصيله في نصف قرن قضاه في الكد والتأمل.

ولكن الأمر على خلاف ذلك في الفنون كالموسيقى أو التصوير أو النحت، وعلى الأخص في الشعر، فان تقدم الانسان في الاختراع، قد يساعد على تحسين الأدوات التي يستعملها كل من الموسيقار والنحات والمصور، ولكن اللغة وهي أداة الشاعر تكون أكثر ملاءمة لفنه وهي في حالها الفطرية الساذجة.

هذه الآراء التي يعرضها ما كولي في تحديده العلاقة بين الشعر والمدنية، تسوقه الى نقطة أخرى قريبـة من هذه، أعني بها

العلاقة بين الشعر والفلسفة ، فالفلسفة من عمل العقل والتحليل والتمحيص والموازنة والاستقراء والاستنباط ، وتلك كلها أشياء تتقدم بتقدم العصور ، اذاً فما موقف الشعر من الفلسفة ؟ يتساءل بيا كولى هل هما شيء واحد ، وبعبارة أخرى هل يمكن أن يكون الشاعر فيلسوفاً والفيلسوف شاعراً ؟ وهي كما ترى نقطة ثار فيها الجدل بين كثير من الأدباء في الشرق والغرب ، فبعضهم لا يجد غضاضة في الجمع بين الشعر والفلسفة في شخص واحد ، بل وفي موضوع واحد تناوله النظم ، ومن أجل ذلك تراهم يطلقون لقب الشاعر الفيلسوف على بعض الأشخاص .

ولكن بيا كولى يرى أن الشعر والفلسفة شيئان ، بل نقيضان ، والجهل بهذه الحقيقة في زعمه جهل بمعنى الشعر وجهل بأغراضه فهو لا يعني بالشعر كل كلام منظوم ، لا ، ولا كل جيد من النظم ، بل انه اذا أراد الشعر بمعناه الحقيقي ، ليستبعد كثيراً من الكلام المنظوم ، الذي ربما نال حظاً من الأعجاب في مجال آخر ، وانما يقصد بيا كولى بالشعر ، تلك القدرة على الوصول بواسطة الكلمات الى ما يصل اليه المصور بواسطة الألوان ، ثم ذلك الجو أو ذلك السحر الذي ينتزع الأنسان مما يحيط به ويطير به على أجنحة الخيال الى وديان فسيحة مليئة بالرؤى والأطياف ، ثم ذلك التأثير القوي ، وتلك الحرارة أو ذلك الحماس المشبوب ، الذي يجعل المرء طوع قلبه ، وان هو خالف في ذلك منطقه وقواعد فكره .

ذلك هو الشعر في جوهره وطبيعته ، وعلى ذلك فان كثيراً من النثر الذي تتحقق فيه هذه الصفات ليعد من روائع الشعر ، فاذا ما أردنا الشعر في الاصطلاح التزمنا النظم ، وبواسطة الوزن والقافية والمهارة في التوقيع ، نستطيع أن نجمع بين الشاعر والموسيقار ، كما جمعنا بين الشاعر والمصور .

وشتان بين هذا وبين الفلسفة . نعم شتان بين عمل العقل في التفكير والتحليل ، وبين اختلاج النفس بالأحاسيس وامتلاء المخيلة بالصور ، وجيشان القلب بالعاطفة ، وامتلاء المحاجر بالدموع ، أو إشراق الوجوه بالفرح ، واهتزاز الهيكل كله بالموسيقى .

واذا كان الأمر كذلك فما أعجب الخلط بين الشاعر والفيلسوف في موضوع لا يمكن إلا أن يكون واحداً من اثنين : فاما الى العقل واما الى القلب !!

يستخلص بيا كولى من ذلك أن الرجل اذا مال الى التفكير والتحليل كان أقرب الى الفلسفة منه الى الشعر ، واذا أسلس العنان لخياله وأحلامه ، كان الى الشعر أقرب منه الى الفلسفة ، وقل في الأمم مثلما تقول في الأفراد .

فالأمم كالأفراد ، تبدأ أولاً بالأدراك الحسي ، ثم بعد ذلك ترقى الى الأدراك العقلي أو المعنوي ، وبعبارة أخرى ، تبدأ أولاً بفهم الصور الجزئية ، ثم تتدرج منها الى الحدود أو النصوص العامة ، وعلى ذلك كانت لغة المجتمع الراقي لغة فلسفية ، ولغة المجتمع نصف المتمدين لغة شعرية ، وان التطور الذي يطرأ على اللغة من تذليلها وتوضيبها واعدادها لقابلة التقدم الفكري ليعد شديد الخطر على الشعر عظيم الفائدة للفلسفة .

وعلى ذلك فانه بقدر ما تتزايد معارف الناس وبقدر ما يتزايد تفكيرهم ، بقدر ما ينصرفون عن الجزئيات ويقبلون على الأنواع ، وحينئذ يصلون الى نظريات راقيـة ، بيد أنهم في الشعر لا ينتجون إلا آثاراً سقيمة قوامها العبارات الغامضة ، بدل الصور الناطقة ، والحجج الجافة بدل الأخيلة الرائعة ، أو بعبارة أخرى يكون قوام عملهم في الشعر الصفات المجردة بدل الأشخاص والأرواح الحية .

نعم ان هؤلاء المفكرين قد يكونون أكثر ممن سبقوهم مقدرة على تحليل وفهم الطبيعة البشرية ، ولكن التحليل ليس من عمل الشاعر ، فعمل الشاعر أن يصور وليس من عمله أن يحلل أو يشرح ، والتحليل في الفنون يذهب روعتها ، ويبطل سحرها ، وموقف الشاعر من الفيلسوف موقف المصور في صالته من الطبيب أمام مشرحته ، كلاهما يعرف أجزاء الجسم ولكنهما لا يقصدان غرضاً واحداً ، بل ولا يركبان في زورق واحد ، ولقد يفهم الشاعر الفضائل العامة والطبيعة البشرية كما يفهمها الفيلسوف ، ولكنه في تلك الحالة لا تؤثر عقيدته في شعره إلا كما يؤثر علم المصور بنظام الدورة الدموية في فنه اذا هو حاول أن يرسم تساقط دموع « نيوبا » أو توقد خد « أورورا »

ولو أن شكسبير مثلا قد وضع كتاباً في الدوافع التي تسيطر على سلوك الانسان لما كان من المحتمل بأي حال أن يجيء كتابه جيداً ، ولما كان من المحتمل أن يحوي من التحليل ومتانة الحجج مثل ما يحويه كتاب يخرجه عالم من العلماء المعاصرين ، ولكن أي عالم لعمري يستطيع أن يخلق « اياجو » نعم ! أي عالم يستطيع

مع قدرته على تحليل الشخصيات الى عناصرها أن يضم من هذه العناصر ما يريد ليخرج لنا فى النهاية رجلا مثل « اياجو » له خلق خاص وطبيعة خاصة وسلوك خاص ؟

ولا يكتفى ما كولى بهذه البراهين التى ساقها للتفرقة بين الشعر والفلسفة ، بل انه ليخطر الى أبعد من ذلك فيقول انه ربما كان من المستحيل على أى امرئ أن يكون شاعراً ، لا ولا أن يفهم الشعر ما لم يتجرد بعض الشيء من حدة عقله ، أو بعبارة أخرى ما لم يكن له نصيب من خمود الذهن ، اذا صح هذا التعبير وجاز لنا أن نسمى تلك القوة العجيبة التي تملأ قلوبنا بهجة خموداً ذهنياً .

نعم ان الصدق فى الشعر أمر جوهرى ولكنه « صدق الجنون » ذلك لأننا فى الشعر نقيم الجدل الصحيح على المقدمات الزائفة ، فبعد أن نضع الفروض الأولى ، يسير كل ما بعدها فى توافق واتزان ، ولكن قبول تلك الفروض يحتاج الى نوع من التصديق قد لا يتسنى لنا إلا اذا ألغينا عقولنا مؤقتاً ، ومن ثم كان الأطفال أكثر الناس خيالاً ، فانهم يستسلمون الى الوهم ، فاذا ما عرضت أية صورة خيالية أمام أذهانهم عرضاً قوياً فانها تفعل بنفوسهم ما تفعله الحقيقة . وليس ثمة من رجل مهما بلغت قوة احساسه يتأثر بقراءة « هملت » أو « لير » كما تتأثر فتاة صغيرة بقصة الذئب والجدة العجوز ، ان تلك الفتاة تعلم حق العلم أنه ما من ذئب فى انجلترا ، وأن الذئاب لا تتكلم ، ولكنها على الرغم من يقينها هذا تصدق فتبكى فترتعد ، وذلك هو سلطان الخيال على العقول التى لم يصقلها العلم أو على الأمم فى عهد طفولتها .

ولن يترك ما كولى أدلته دون أن يتوجها بتشبيه بديع ، فهو يشبه الشعر بالفانوس السحرى ؛ فالشعر يرسم أطيافه فى مخيلة المرء ، أو كما يسميها ما كولى « عين العقل » كما يرسم الفانوس السحرى صوره فتمتلئ بها العين الحقيقية « عين الجسم » وكما أن الفانوس السحرى لا يؤدى عمله على الوجه الأكمل إلا فى الحجرات المظلمة ، فكذلك الشعر لا يؤثر تأثيره القوى إلا فى العصور المظلمة ، عصور العقول الساذجة الفطرية التى لم تغيرها الفلسفة والعلوم . وكلما انتشر نور العلم وتمكنت العقول من استنباط الأصول وتقرير القواعد وكشف النقاب عن حقائق الحياة ، تضاءل تبعاً لذلك عمل الخيال وتزايل تأثير الشعر ، وحالت ألوانه ، وتلاشت أطيافه ، وهكذا نرى الفلسفة والشعر على طرفى نقيض .

تلك هى خلاصة آراء ما كولى فى العلاقة بين الشعر والمدنية وبين الشعر والفلسفة . ولعلى أعرض على القارئ فى القريب رأيه فى شاعرية ملتن ، فقد تعرض فى ذلك إلى كثير من الأفكار التى تدور حول الشعر ولغته ومحسناته ومراميه ؟

محمود الخفيف

في الأدب الفرنسي

٦ – الدوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

فلسفته :

لما عجز لاروشفوكو عن تحقيق آماله ويئس من إرضاء طموحه ، صدف عن حياة الاجتماع الصاخبة ، وانطوى على نفسه وحاله ، واستعرض فى ذهنه حوادث الماضى وأخلاق الناس الذين عاشرهم ولاحظهم ، ثم طلع عليهم بمواعظه القاسية الألمية التى تظهر عواطفهم فى صورة دميمة ، وتجعل لجميع أعمالهم مصدراً واحداً هو الأثرة . وليس عجيباً أن يقسو هذا الرجل فى الحكم على نفسه وعلى الناس ، وأن يقوده التفكير الى فلسفته اللاذعة ، لأن التحليل لا ينتج التسامح ، والغلو فى الشك يؤدى الى حب النفس . وأعتقد أن آراءه فى معاصريه وبيئته ، تنطبق على الانسان فى كل زمان ، مع أن المصور الذى يرسم البحر أثناء العاصفة فقط ، لا يعطينا عنه إلا فكرة ناقصة الى حد بعيد . ولكى يكون الحكم على الجماعة صحيحاً ، يجب ملاحظتها ودرسها فى حالتى الهدوء والشغب ، ولكن لاروشفوكو رأى الناس فى عصره يعملون مدفوعين بمصلحتهم الذاتية ، كما هو الحال دائماً أثناء الاضطراب الداخلى والحروب الأهلية ، فاستخلص من ذلك أن المصلحة الذاتية التى يسميها عزة النفس أو الأثرة هى الباعث على جميع الأعمال الانسانية ، وينبوع العواطف البشرية . ولا شك فى أن الانسان

يعمل دائماً طوعاً لمبدأ في دخيلته يدفعه الى البحث عن مصلحته الذاتية وسعادته. ولكن يعاب على هذا الفيلسوف أنه يضع لجميع الأعمال والعواطف على اختلاف أنواعها تفسيراً واحداً ، على حين أن الطبيعة قد منحت الناس مواهب خاصة وغرائز متعددة وأذواقاً متباينة وملكات مختلفة تسبق الفكر في كثير من الأوقات والحالات الى الحركة والعمل ، وجعلت لكل فرد طريقة يتبعها في الوصول الى هدفه من الدنيا . وفي الحياة كثير من الناس يرثون عن أصولهم السذاجة الكريمة وصفاء القلب الجميل ، فليس لهم مبتغى ولا متمنى غير إسداء المعروف الى اخوانهم في العاجلة مخلصين . وهم يلاقون في سبيل ذلك عناء كبيراً ويصادفون أخطارا جمة ويقدمون على تضحية كثيرة يستعذبونها . وطريقتهم في الحياة هذه عزيزة عليهم ، يجدون فيها مثلهم الأعلى في الشرف والسعادة . وليس من الحق والانصاف أن يسمى الباعث على أعمالهم أثرة بالمعنى الذي يقصد اليه لاروشفوكو ويفهم عادة من هذه الكلمة . وهذا الفيلسوف أيقوري كمعاصره (هوبز) (1) الانجليزي الذي يرد بعض العواطف الهامة مثل الشفقة وحب البر والاحسان الى مصدر واحد هو المصلحة الذاتية . ولكن الحكيم الفرنسي توغل أكثر منه في النفس الانسانية . وقليل من علماء النفس ماثلوه في دقة التحليل ، ولم يصل أحد منهم بمثل مهارته الى هذا الجزء الخفي من النفس الذي تكمن فيه بعض الأفكار الأنانية العميقة . هذه الأفكار المبهمة ينفذ اليها لاروشفوكو بعقله ويخرجها الى النور دون أن تستطيع الافلات منه

ويرى هوبز أن في الحياة لذتين رئيستين : لذة البدن وهي الاستمتاع ، ولذة النفس وهي الغرور ، ويفضل الأولى على الثانية . أما لاروشفوكو فيعتقد أن اللذة النفسية هي الجديرة بالتفضيل على غيرها . ويقول ، « أكبر مسرات النفس في اعتقادي هي المجد الصحيح والمعارف الجميلة . وأومن بأن الذين يجعلون للذة الجسدية قيمة كبرى لا يملكون من هذه المعارف إلا قليلا . وأرى أن اللذة الحسية خشنة مبتذلة تلهم الاشمئزاز ، ولا تستحق البحث عنها والسعي وراءها إلا اذا كان للذة النفسية نصيب كبير فيها

ولم يقل ذلك الا بعد أن مل العبث وكلف بالقراءة والتفكير العميق . وهو وهوبز يتفقان على أبيقور على أن الأعمال الانسانية ليست نقية من الغرض . وقد اتبعا طريقتين مختلفتين في الوصول الى آرائهما ، ولكنهما التقيا في نقطة واحدة . أما هوبز فقد استعمل طريقة الاستنباط (أي استخراج قضية من قضية أعم منها) والتعقل . وأما لاروشفوكو فقد اتبع طريقة الاستقراء (أي الانتقال من الخاص الى العام) والملاحظة . وكلاهما اتبع سبيلا واحدة في اتجاهين متضادين ، ونجحا في قطعها الى آخرها كل في اتجاهه

لما كف لاروشفوكو عن حياة الخيال والدسيسة والشغب ، بدأ حياة الفكر وتسلل بعقله الى أبعد أغوار نفسه ، ولاحظ في دقة نادرة نفوس أهل عصره . ثم وجد أنه أينما ولى بصره لا يرى

---

(1) توماس هوبز ١٥٨٨ — ١٦٧٩ فيلسوف انجليزي نابه الذكر بعيد الصوت . تعلم في أكسفورد ثم قام بتدريس الفلسفة لأحد أفراد أسرة كافنديش العريقة النسب . وزار فرنسا فقامت بينه وبين ديكارت وجاساندي أواصر المودة . ثم زار ايطاليا وتعرف فيها الى جاليليو . واشترك في حركة بلاده السياسية ، وكان شديد التعصب للحكم المطلق . وقضى أعوامه الأخيرة في الريف مشتغلاً بالأدب والفلسفة ، وكتب تاريخ حياته شعراً . وفي شبابه كان مولعاً بفلسفة أرسطو ، ثم صدف عنها ، ومال بارشاد (باكون) الفيلسوف الانجليزي المشهور الى الفلسفة التجريبية ، ثم الى الفلسفة المادية التي كانت السبب في رميه بالالحاد . وله كتب كثيرة فلسفية ذهب له بها صيت وذكر . وقد تأثر بفلسفة ديكارت الرياضية وقال إن كل جوهر جسم وان كل ظاهرة مصدرها الحركة . وفلسفته هي المادية في النظريات والمنفعة في الأخلاق ، والاستبداد المطلق في السياسة . وهو حسي كباكون يعتقد أن الحواس هي مصدر جميع المعارف البشرية . ويرى أن أسباب العمل اثنان ليس غير : البحث عن اللذة والهرب من الألم . ويعتقد أن الفلسفة بأكملها تتجمع في دراسة الأجسام ، إذ ليس في الطبيعة إلا حركة وامتداد . فالفلسفة هي دراسة الأجسام الطبعية ، والأجسام الصناعية . ودراسة الجسم الانساني تتطلب المنطق ، وعلم الكائنات ، وعلم الأخلاق ، وقوامه المصلحة الذاتية : ويشبه الأجسام الصناعية وهي الجماعات السياسية بالجسم الانساني . ومذهبه النفعي الأثر جعله يقر بوجود « حالة بداوة » سابقة على حالة الاجتماع . وكل فرد في تلك الحالة كان له الحق في كل شيء . وينتج من ذلك أن الناس كانوا في حرب دائماً لتعدد مصالحهم الذاتية وتباينها . ثم أدركوا أن السلام أعظم خير لأنه يمكنهم من الاستمتاع بما يشتهون في دعة وهدوء ، فمنحوا بعقد جميع الحقوق رجلاً واحداً ، أي أنشأوا سلطة اشترطوا فيها القدرة على إقامة النظام والمحافظة عليه ، وإخضاع الأفراد للقانون أو على الأرجح لارادة فرد واحد ، وعلى هذه الارادة يتوقف الخير والشر . ولا يجد هوبز أي فرق بين القانون والارادة الاستبدادية ، أي لا يجد فرقاً بين القوة والحق . وكل سلطة في اعتقاده مشروعية مادامت كائنة . وفي استطاعتها المحافظة على كيانها . أما رأيه في الكنيسة فهو وجوب خضوعها للدولة خضوعاً تاماً .

غير النفاق ، يظل عليه الغرور ، ويكمن خلفهما الأثرة . ودلته التجربة على أن هذه الأثرة كلما دقت واستخفت على الملاحظة ، كانت قوية حادة ، لأنه يجعل مقياسها مبلغ المشقة التي يعانيها الانسان في استكشافها .

ومن ملاحظاته التفصيلية الخاصة ، استخلص فكرته العامة عن الانسان ، وهى تتلخص في أن المصلحة الذاتية تقوده في كل موطن ، وحب النفس يدفعه الى كل عمل . وصاغ هذه الفكرة العامة في تعبير دقيق : « تتلاشى الفضائل في المصلحة الذاتية كما تتلاشى الأنهار في البحر » (موعظة رقم ١٧١) . ولكي يكسبها الوضوح والجلاء رجع الى ملاحظاته التفصيلية واختبرها ليثبت أن كل واحدة منها تدخل في حكمه العام . وهذا يدل على أن لاروشفوكو له أسلوب (مجموع المقدمات الصحيحة الموجزة الموصلة للحقائق) أو طريقة منظمة متناسقة متصلة الحلقات ، ومن يلق على مواعظه نظرة سطحية يرها مفككة الأجزاء مبعثرة ، ويعتقد أنها ملاحظات بسيطة دونها صاحبها مصادفة تبعاً للظروف دون أن يكترث لما سيكون لها من القيمة أو لما ستنتجه من الأثر . ولكن القارئ الذي يمعن في التفكير يجدها متصلة بأقوى إيمان بالأثرة العامة الشاملة ، وأشده ثباتاً وعناداً .

وهذه الطريقة تتلخص فيما يلي : الأهواء مصـــدر أعمالنا وأحكامنا وعواطفنا ، وكل فضيلة تفنى في الأهواء التي تجاورها ، كل فضيلة تقترب غاية القرب من رذيلة وتمتزج بها في ميدان العمل ، وإننا نطلق عليها اسم فضيلة بدلاً من الرذيلة المجاورة خطأ أو إرضاء لكرامة غرورنا أو كبريائنا : « إن ما نعده فضائل ، ليس في أغلب الأحيان الا مجموعة من أعمال متعددة ، ومصالح متنوعة رتبها الحظ أو صناعتنا » (موعظة رقم ١) . فالرحمة — مثلاً — التي نؤمن بوجودها يقول عنها : « الرحمة التي يحسبها الانسان فضيلة ، تستعمل أحياناً بدافع الغرور وأحياناً بدافع الكسل ، وفي أغلب الأحيان بدافع الخوف ، ودائماً بدافع هذه الصفات الثلاث مجتمعة » (موعظة رقم ١٦) . ونرى من قوله أن كل عمل من أعمال الرحمة يتلاشى في إحدى الرذائل المجاورة أو يتلاشى فيها مجتمعة ، كما يتلاشى النهر في البحر . وهذه الجملة « التي يحسبها الانسان فضيلة » تدل على أن الرحمة ليست في ذاتها فضيلة ، أو على الأقل على أن مصدرها الغرور والكسل والخوف ليس غير ، مع أنها قد تصدر عن الشفقة وهى عاطفة عالية ، أو عن الطيبة الكريمة التي تشعر بها النفوس العالية الكبيرة . ولنضرب مثلا : يوليوس قيصر الذي انتصر على بومبيوس في موقعة فارسال (من أعمال اليونان الآن) في عام ٤٨ قبل الميلاد ، وأسر كثيراً من عظماء عدوه ، فإنه عفا عنهم وكان في استطاعته قتلهم جميعا . فهل يقول العقل إن هذا العفو مصدره الغرور ، والغرور هو الكبرياء الذي تنشئه في النفس الأعمال التافهة الهزيلة ، وانتصار قيصر على عدوه ليس من الأعمال التافهة ، أو يقول إنه صدر عن كسل وهو في مقدوره أن يأمر بالقتل فيطاع ، أو يقول إنه صدر عن خوف وهو منتصر قوي ؟ ولكن لاروشفوكو لا يجد في الانسان طيبة نقية ، ويحرم علينا أن نؤمن بوجودها ، وهو يبهر النظر بالضوء الذي يلقيه على رذائل الانسانية ، ويلقي بالفضيلة في ظلمة تحجبها عن الأبصار .

ولا شك في أن الرذيلة هي التي تسبب شقاء الناس ، وأن الفضيلة تهيئ لهم أسباب السعادة . فكل فكرة ترمى إلى هدم الفضيلة لتقيم على أنقاضها رذيلة ، هي فكرة قاضية على سعادة البشر . والفكرة التي تقضي على سعادة البشر لا يمكن أن تشتمل على حقيقة ، لأن صفة الحقيقة وعملها أن تسمو بالنفس لا أن تفسدها ، وأن تشع الحياة في الجماعات الانسانية لا أن تدمرها ، وأن ترهب الطغاة لا أن تشجعهم . وقد سبق القول إن هذا الفيلسوف صور نفسه وعصره ومواعظه . ورأيه في الرحمة يدلنا على ذلك أفصح دلالة ، لأنه ينطبق على سياسة الملكة آن دوتريش . فان هذه الملكة بعد أن ضحى لاروشفوكو في سبيلها كثيراً وشاكس ريشليو ورفض ماعرضه عليه من الرتب إرضاء لها ، لم تحسن اليه بعد أن أقيمت وصية على العرش ، بل أحسنت إلى الذين كانت تحقد عليهم . وهؤلاء كانوا أتباع ريشليو ؛ فلما مات هذا الوزير وخلفه في الحكم صنيعته مازاران ، بسط عليهم جناح حمايتـــه كسلفه ، فلم تجد الملكة بداً من مداراتهم بالرحمة التي ألهمت لاروشفوكو موعظته .

يتبع

حسن صادق

العلوم

الفكرة الذاتية والفكرة الموحاة

للدكتور عبد الفتاح سلامه

قد يلعب الانسان النرد مع صديقه للتسلية ولتمضية الوقت، ولكنه قد يغافل صديقه هذا فيغالطه في أثناء اللعب لأجل أن يكسبه. وقد يجلس الانسان في المقهى فيرى غادة حسناء فيوسوس له الشيطان أن يتبعها، فيحول الضمير دون ذلك وينسى كل شيء عنها، ولكنه بعد قليل قد يجد نفسه سائراً في نفس الطريق وقد يلحق بها.

وقد يدخل الانسان في بيت ما فيجد سلعة جميلة صغيرة فيود لو تكون له ثم ينسى أيضاً كل شيء عنها. ولكنه بعد خروجه من البيت يضع يده في جيبه ولدهشته ودهشة العالم معه قد يجد هذه السلعة فيه.

فالفكرة الذاتية اللاشعورية عن وجوب الكسب هي التي جعلته يغافل صديقه رغم وجود فكرة شعورية عنده عن وجوب اللعب لمجرد التسلية وبدون اهتمام للنتيجة. والفكرة اللاشعورية الخاصة باتباع الفتاة هي التي قادته للسير في هذا الطريق رغم احتجاج الضمير واستنكاره. والفكرة اللاشعورية الخاصة بامتلاك تلك السلعة هي التي دفعته إلى أخذها. وهكذا يبدو أنه اذا كان اللاشعور ليس عليه إلا أن يرغب فان الشعور عليه أن ينفذ هذه الرغبة.. وهذه هي القاعدة في الانسان. ولكن كيف يتسنى لهذا الشيطان أن يملي رغبته على الشعور وكيف يتسنى للشعور أن ينفذ هذه الرغبة مع وجود الضمير القوي والعقل المميز الموزون؟

انه يلجأ في هذا السبيل الى الحزن والتنغيص على الشعور فيضطره الى تنفيذ ما يريد. والحزن سببه عدم التمكن من تنفيذ الرغبة أو تخيل عدم إمكان تنفيذها. والحزن يختلف من مجرد شعور بعدم السرور الى انقباض مستمر، وفي نهايته العظمى يكون الحزن المرضي المسمى بالسوداء melaudholia . ففي مثلنا الأول يجلس الانسان للعب وعنده رغبتان كما قدمنا ويبتدىء في تنفيذ الرغبة الشعورية أي اللعب لمجرد التسلية وعدم الاهتمام للنتيجة حتى اذا ما خانه الحظ وعرف أنه سيخسر الدور فان الرغبة اللاشعورية — حب الكسب — تجد نفسها على وشك عدم التنفيذ فيبتدىء مرح اللاعب يقل شيئاً فشيئاً، ثم يبتدىء أن يكون لعبه آلياً أي بدون تفكير منتظم فيشعر الانسان بالضيق فيضطر بعد ذلك أن يجد له مخرجاً يقضي به الرغبة اللاشعورية التي سببت له هذا الضيق. وقد يكون هذا المخرج عن طريق النكتة والفكاهة وهذا من شأنه أن يقلب وضع الأمور فيخيل للمغلوب أنه غالب، وقد لا يكتفي المغلوب بهذا التخيل فيغالط إذن في اللعب عن قصد وغير قصد. وهو إذ يغالط قد يعمل ذلك أيضاً على سبيل النكتة والفكاهة. والشعور في عمله لازالة ما قد يشعر به الانسان من ضيق يرضي الرغبة اللاشعورية فيشعر الانسان بالسرور والفرح.. ويرضى كذلك الضمير لأنه إنما يغالط لأجل الضحك والسرور ولا حرج عليه في ذلك. فبالحزن إذن يسيطر اللاشعور على الشعور ويضطره الى تنفيذ ما يريد.. وهذه هي طريقة اللاشعور السحرية في إملائه لرغباته. أو هذا هو عمل الشيطان في وسوسته لما يبديه. ولعمري لو كان الشيطان جسماً مستقلاً عن جسم الانسان ولم يكن ممثلاً في العقل الباطن فان هذا العقل هو صلة الاتصال بينه وبين الانسان.

وفي مثلنا الثاني نجد أن صاحبه بعد أن أمره ضميره بالجلوس عاقلاً مؤدباً ما لبث أن شعر بالقلق في جلسته وسرعان ما فكر في مغادرة المكان، ولكنه لا يعلم سبب قلقه هذا، لأن الضمير قد طرد الفكرة اللاشعورية من الشعور، أو بمعنى آخر فان الضمير كان سبباً لنسيانه كل شيء عن هذه الفتاة. ولا يكون هناك بعد هذا النسيان ما يبرر منع السير في هذا الطريق لو تذكر الانسان

لزوم قضاء حاجة معينة فيه . وهكذا تلجأ النفس الى فكرة شراء شيء معين أو مقابلة شخص معين فى هذا الطريق بالذات . فيقوم الانسان من مكانه سائراً فى الطريق الذى أراده اللا شعور ويزول القلق الذى سببه إذن هذا الأخير عند ما منع عن تحقيق رغبته التى أبداها .

ومع أن اللا شعور يسبب للنفس المتاعب من جراء عدم تلبيتها لطلباته فيضطرها الى إجابتها . فانه كالطفل الذى قد يقنع من تحقيق رغبته بالأوهام دون الحقيقة الواقعة . وهكذا نرى فى مثلنا الأول أن اللا شعور قد اكتفى بالنكتة والفكاهة دون تحقيق الكسب نفسه . وفى مثلنا الثانى ولو أن صاحبه سار فى نفس الطريق الذى أراده اللا شعور إلا أن الغرض من السير قد التوى عليه .

ذلك هو اللا شعور ، وقد رأيت أنه الطفل الذى يعيش فى الأوهام أو هو الشيطان الذى يحاول أن يخرج الانسان من الحقائق الى عالم الخيال . وقد نجح فعلاً فى هذا الأمر أى نجاح سواء مع المرضى أو مع الأصحاء . وهل نرى فى العالم شيئاً غير الخيال فى كل مكان ؟ فالمريض العصبى مريض لأنه تخيل المرض . ويقوم الانسان من نومه معللاً الآمال على ما وجد فى رؤياه من تحقيق أمل يرقبه أو النجاة من مكروه يرهبه . ويستمد الشعراء منه الخيال فتكون الاستعارة والتشبيه والتورية . ويستمد الروائيون منه والفنانون كل دقائق الفن ومعجزاته ، فالمثال لم يعمل إلا أنه رغب فتخيل فجسم خياله . وحقق رغبته تحقيقاً رمزياً . وهذا مما يدل فى ذاته على أن ذلك الطفل الذى يتذرع بالحزن للحصول على تنفيذ رغباته مع انه قد يقنع بالتحقق الجزئى أو الرمزى لهذه الرغبات ، قادر كل القدرة على السيطرة على النفس لأنها تريد أن تتحاشى غضبه فتنفذ له ما يشاء . فهل يمكن بعد ما تقدم أن نستخدم هذه القوة لعلاج بعض الأمراض ؟

فى الامكان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب ، وذلك بواسطة طرق الايحاء المختلفة . وسنرى فيما يلى كيف يمكن التغلب على هذا الشيطان واستخدامه فى أغراض علاجية كثيرة . وإننا نود أن نشير أولاً الى أن قوة الايحاء تتوقف على عوامل شتى . وأهم هذه العوامل ما كان بفعل المودة والمحبة والتقدير لأنه بسببها ينتقد اللاشعور ما يوحي اليه تمام الاعتقاد . ويرسله الى الشعور ليتولى تنفيذه .

ولما كان الايحاء لا يمكن أن يثمر إلا فى وجود الاعتقاد ، وكان الاعتقاد أيضاً متوقفاً على العوامل المختلفة السالفة الذكر فانه من الواجب أن تكون شخصية الموحى بعيدة كل البعد عما يسبب الريبة أو الشك ، وأن يكون هو نزيهاً يزن كل كلمة يقولها ، وأن يكون صالح المريض أول ما يرمى اليه ، ونحن اذا أردنا سهولة التعبير وتوخينا إظهار ما نقصده على وجه عام فانه يمكن القول بأن الايحاء هو وضع أفكار أمام العقل على أمل قبولها والاعتقاد فى صحتها . وهى لذلك تأخذ مجرى عكسياً لمجرى الأفكار الذاتية لأنها تبدأ فى الشعور أو التمييز ثم تذهب بعد ذلك الى اللا شعور اذا لم تجد ما يمنع دون الوصول اليه .

وقد يكون الايحاء من أشق الأمور اذا وجدت أفكار ذاتية تخالفه أو تشك فيه ، ويكون من أسهل الأمور اذا وجد من الأفكار الذاتية ما يعززه أو ما لا ينقضه . والايحاء موجود فى الحياة العملية ، وقد يكون الموحى أى إنسان مهما يكن مركزه أو عمره . فقد يجتمع اثنان ويبدى أحدهما إعجابه بشىء معين وقد يكون على حق ، ولكن سرعان ما يتغير وجهة نظره بعد ملاحظة صغيرة من رفيقه فيبدو له قبح ما كان يعجب به ، وقد ينقم انسان على نفسه لتصرف يعتبره خاطئاً ، ولكن سرعان ما يعد ذلك التصرف عاديا بعد مواساة صديقه . وقد يكون من الأصوب تسمية ذلك النوع من الايحاء إيهاماً ، لأن الأفكار الموحى بها كثيراً ما تكون مخطئة . وترك كلمة إيحاء للأفكار الصحيحة التى لا تحتمل الشك . وعلى كل حال فان الأفكار الموحى بها سواء أكانت صحيحة أم خاطئة فانها تتبع نفس الطريق . أى أنها تسير من الشعور الى اللاشعور حيث يحتويها ذلك الأخير فتصبح كالأفكار الذاتية ويعتقد بها الانسان تمام الاعتقاد

والفكرة سواء أكانت ذاتيــة أم موحاة ، تتحول فى اللاشعور من مجرد تخيل الى حقيقة متخيلة ، وترسل على هذا الاعتبار الى الشعور فيتولى تحويلها من حقيقة متخيلة الى حقيقة عملية ، أو بمعنى آخر من فكرة الى فعل (من idea الى action) وهكذا يكون التخيل من عمل اللا شعور ، وتنفيذ التخيل من عمل

الشعور . والشعور مع هذا ليس آلة ميكانيكية تنفيذ تخيلات ورغبات اللاشعور ، بل انه قد يرد بعض هذه التخيلات الى اللاشعور لعدم ملاءمة تنفيذها وهنا تحدث المشادة بينهما .

فاذا أمكن اقناع مريض عصبي بأن يده المشلولة قد شفيت تماماً فان فكرة الشفاء هذه تتحول فى اللاشعور الى حقيقة متخيلة أو بتعبير أدق الى حقيقة نفسية . وترسل على هذا الاعتبار الى الشعور حيث يتولى اثبات هذه الحقيقة باخراجها من حيز التخيل الى حيز الفعل فيأمر العضلات أن تنقبض ، وهكذا تتحرك اليد ويتحقق الشفاء الموحى به .. والمريض العصبي لايمرض الا اذا تخيل المرض ولا يشفى الا اذا تخيل الشفاء

وهنالك قانون آخر كشف عنه كوويه (Caué) وهو أنه اذا حدثت مشـــادة بين الارادة والتخيل أو بين التميز من جهة واللاشعور والشعور من جهة أخرى ، فان الغلبة تكون دائماً للتخيل على الارادة . فشارب الخمر أو الدخان عنده ارادة قوية تحاول منعه من تعاطيهما ، ولكن تخيله احتياجه الى الشرب أو التدخين يقهر الارادة عنده ويستمر فى التعاطى . وهكذا نرى كوويه يتحدث عن المشادة وهى تقرب من المشادة التى يتكلم عنها فرويد بين اللاشعور والشعور ، ولو أن مشادة كوويه شعورية ومشادة فرويد لاشعورية أو تكاد . ولهذا أشار هذا الأخير بتحليلها ومعرفة أسبابها وعرض نتيجة ذلك على التميز ليبت فيها بصورة معقولة ، أما كوويه فانه لما كانت المشادة التى يتحدث عنها شعورية فهو لا يحتاج الى تحليل ، بل يقول انه مادامت الارادة ضعيفة بالنسبة الى التخيل فيجب وضع تخيل جديد أمام العقل يكون من شأنه أن يقلل من قيمة التخيل الأول الذى يتعارض مع الارادة . وهكذا تبطل المشادة ويشفى المريض ، وهو يضع التخيل الثانى بواسطة ايحاء لايكون فيه ذكر للارادة ، فيطلب الى مريضه أن يقول (لقد تحسنت صحتى وأنا فى طريق الشفاء) لا أن يقول (أريد أن تتحسن صحتى وأريد أن أشفى)

واذا قال أتباع نظرية فرويد بأن المرض يختفى بالايحاء ليحل محله مرض أخف أو أشد منه . أجاب أتباع كوويه بأن من الممكن عمل ايحاء تام يشمل جميع الأمراض ، والواقع أن هذا اذا نجح فى كثير من الأمراض فانه يعجز عن شفاء الكثير منها أيضاً ؛ لأن المشادة الشعورية ليست الا أثراً أو دليلا على وجود مشادة لاشعورية .

والايحاء اذا عمل قبل الكشف عن هذه المشادة الأخيرة قد يخفف من وطأة المرض العصبى مؤقتاً ولكنه يزيد من فعل الضمير فى كبح الرغبات والأفكار الذاتية وضغطها ، وذلك يؤدى الى نتائج غير مرغوب فيها . فمعرفة المشادة اللاشعورية فى هذه الأحوال وتحليلها هو من أهم الأمور أولاً ، ثم يأتى الايحاء بعد ذلك بأفكار جديدة سامية وتخيلات ممكنة معقولة . ولهذا نرى فرويد فى كتبه يقول إنه لايميل الى ايحاء أى فكرة الى المريض بل يجب تركه ليكون لنفسه من الأفكار والتقدير مايراه مناسباً لها، فهو بعد الكشف عن المشادة يكون قد شفى من مرضه . واذا كان المريض لايزال فى حاجة الى الارشاد فقد يوحى اليه فى بعض الأفكار والمثل العليا .

ولما كان كوويه يعتقد أن وجود الارادة من شأنه أن يزيد فى عناد التخيل وتشبثه بتنفيذ رغباته فاننا نجده يعمل لازالة التميز وهو محل الارادة من مريضه قبل ايحاء أى فكرة اليه ، وذلك بواسطة أربع تجارب تثبت للمريض مقدار تأثير التخيل على الانسان فى غياب التميز . وهو بعد أن يقتنع بقوة التخيل هذه يطلب اليه أن يستخدمها فى شفاء نفسه ، وذلك بأن يتخيل الشفاء ، ولكنه بالطبع لايطلب اليه أن يقول إنه يتخيل الشفاء ، بل انه شفى من مرضه وأن مرضه لن يعود .

وهناك طريقة أخرى للايحاء وهى أن يكرر المريض جملة معينة فى أوقات مختلفة من النهار ولمدة طويلة ، وهذه هى الطريقة التى يتبعها فى أمريكا Herbert A. Parhyn وهى كثيرا ماتفيد فى بعض الأحوال ، لأن التميز إذا عارض الفكرة الموحى بها فى أول الأمر لا يلبث أن يتعرض لها بنقض أو شك فيما بعد فتصل فى النهاية الى اللاشعور وهو مركز التخيل كما قدمنا حيث تخرج منه حقيقة واجبة التنفيذ .

أما الايحاء بالتنويم فلاشك أن الفكرة الموحى بها تصل الى اللاشعور دون أن يقف فى طريقها أى حائل . ذلك لأن النائم يعتقد فى المنوم القدرة الفائقة والارادة القوية ، وهو لذلك يأخذ منه الأفكار دون أى مناقشة أو شك فينفذها الشعور بعد قيامه من النوم فى الوقت المناسب . وهذه الطريقة ينطبق عليها ماسبق

أن تكلمنا عنه بصدد الايحاء بطريقة كوويه . أى أن الاعراض تختفى لأجل أن يظهر غيرها ، وأن الضمير يشتد فى الضغط على غبات الانسان اللاشعورية بدل أن يسمح لها بالمثول أمام الشعور والتمييز لمناقشتها . هذا الى أن شخصية النائم تصبح ضعيفة تتأثر بأى فكرة يوحيها أى انسان ، لأن اللاشعور عنده قد كبر على حساب عقله المميز .

أما قيمة الايحاء العلاجية فانها تظهر من استعراض بعض حالات تمكن كوويه من شفائها شفاء تاماً . ومن الغريب أن بعض هذه الأمراض لايمت الى الأمراض العصبية بصلة ما . مثال ذلك أنه تمكن من شفاء صبي عنده التهاب فى عضلات القلب وهبوط قلبي يئس أطباء مشهورون من شفائه . وقد تمكن أيضاً من شفاء النزلة الرحمية والنزيف بالايحاء ، ولنذكر القصة الآتية التى تكلم عنها البروفسور بودوان . فقد حدث أن مريضاً يشكو من نوبات ضيق التنفس (asthma) بات ليلة فى فندق وانتابته النوبة ليلا فقام فزعاً يريد فتح النافذة يلتمس منها هواء نقياً ولكنه بسبب الظلام والحالة النفسية التى كان بها اذ ذاك لم يتمكن من العثور الا على لوح زجاجي تخيله جزءاً من النافذة فضربه بيده وكسره ، وعند ذلك ذهبت عنه النوبة ونام مستريحاً . وعندما تيقظ فى الصباح وجد أن خادم الفندق كتب له ورقة بأن عليه أن يدفع ثمن زجاجة ساعة الحائط التى كسرها . إذن فالذى أنقذه من نوبته ليس دخول الهواء النقى بل هو مجرد تخيل دخول هذا الهواء ، لأنه كسر زجاج الساعة بدلا من أن يكسر زجاج النافذة . وقد ذكر الأستاذ بودوان أيضاً أن زوجة رأت وهى حامل اصبعاً قبيحة الشكل فاستاءت منها وأصبحت صورتها لاتفارق مخيلتها فوضعت هذه الزوجة طفلا بأصبع مماثلة لتلك الاصبع القبيحة تماماً ، وفوق ذلك فاننا نرى كوويه يقول إن المرأة يمكنها أن تلد ماتشاء من ذكر أو أنثى وماتشاء من محاسن وصفات اذا تخيلت رغبتها طول مدة الحمل

وليس هذا الأمر بغريب علينا نحن الشرقيين فاننا كثيراً ما نسمع عما يسمونه (الوحم) هذا فيما يتعلق بتأثير الايحاء على الجنين ، أما تأثيره على الشفاء من المرض فليس هذا بغريب علينا أيضاً لأننا كثيراً ما نقرأ فى الكتب القديمة عن شفاء بعض الأمراض بالطلاسم والرقى والبخور، وهذه هى الأشياء التى نسميها الآن شعوذة وتدجيلا ، مع أنها مدرسة قائمة بذاتها بتعاليمها وتلامذتها وأساتذتها الخ . . والواقع أنها كانت فى العصر القديم لها من الأهمية بالنسبة اليه ماللايحاء فى العصر الحاضر من أهمية بالنسبة الينا . والفرق بين طريقة اليوم وطريقة الأمس هو أن الشخص الذى يقوم بالايحاء الآن رجل متعلم يعمل بوازع من ضميره الانسانى النبيل ويوحى الى مرضى مثقفين أيضاً يعرفون قيمة ذلك الايحاء ويعرفون أن قوة الشفاء موجودة فى أنفسهم اذا أمكنهم أن يتخيلوا الشفاء أو اذا أمكنهم أن يتحكموا فى مخيلتهم . وهكذا نرى أننا بعد أن وصلنا الى هذه الدرجة من المدنية والعلم قد رجعنا الى الطرق التى كان يعالج بها فى الأزمنة القديمة والتى لا نزال نرى بقاياها . والتاريخ يعيد نفسه ، فالمريض يشفى فى العصر الحاضر اذا أوحى اليه بالشفاء فتخيل الشفاء . وفى العصر الغابر كان يذهب الى شيخه فيوحى اليه بالشفاء باذن الله على شرط أن يحمل حجاباً أو يحرق بخوراً . وهو بعد أن ينفذ هذه الشروط يتخيل الشفاء فيتم له . وقد تكون هذه الطريقة القديمة أجدى وأنفع للانسان لأنها تجعله يضع ثقته فى خالقه تعالى فيستمد من هذه الثقة كل معانى القوة والاطمئنان والراحة والمواساة . بدل أن يضعها فى نفسه وهو كثيراما يشعر بضعفها .

وقد يساعد الايحاء أو الايهام على استفحال الداء ، وذلك اذا كانت الفكرة الموحاة مخطئة كما يحدث فى بعض حالات السل . ذلك لأن لفظة (سل) مخيفة عند الكثيرين الذين يعتقدون أنه لاسبيل الى شفاء المريض به ، وبمجرد معرفة احدهم بأن هناك شكافى تشخيص مرضه من هذه الناحية لايلبث أن يعتقد بأنه مريض بهذا المرض فيتحقق له اعتقاده ويستفحل الداء ويسير به الى الهلاك بخطى سريعة واسعة . ومع ذلك فمن منا سلمت رئتاه من هذا المرض ؟ وكم رئة اذا شرحت وجدت خالية من التدرن أو من آثاره ؟ فالسل مرض قابل للشفاء مالم يعتقد المريض بخلاف ذلك .

عبد الفتاح سلامه

بين الدين والعلم

كتاب عن فساد الداروينية

كان من نتائج الحرب العالمية الماضية طغيان موجة الكفر والالحاد، والمذهب الدهري الذي شعار أنصاره: «نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»، وزوال فكرة الألوهية من بعض الرءوس الصغيرة والأحلام الضعيفة... ذلك بأن الناس تناحروا وتطاحنوا في الحرب، ثم لما رأوا أهوالها جعلوا يضرعون الى الله سبحانه وتعالى أن يحقن دماء الباقين منهم وينجيهم من شر المخبأ لهم في عالم الغيب كما يقول شجاذونا، فلما لم يسمع لهم نادوا بالكفر، وظلقوا البقية الباقيـة في صدورهم من الايمان، فكان هذا الاستهتار وكانت هذه «الكلبية» التي رانت على القلوب وبلغت أقصاها في روسيا البلشفية

لكن يظهر أن رد الفعل هذا سيعقبه رد فعل آخر من الجهة المقابلة، ويعيد الناس الى صوابهم مرة أخرى. ففي كل بلد من بلاد أوربا يقظة دينية، وفي كل قلب ندامة، وفي كل ضمير شيء من الوخز يبشر بانتعاش الايمان من إغماء كان يخشى أن يكون طويل الأمد، وأن ينتهي بموت الأبد، ويقظته من سبات كان يخشى أن يكون دائماً، وأن يليـه مرض خبيث كمرض النوم لا يتخلص صاحبه منه إلا الموت

لكن أغرب من هذا كله أن يقوم من يقول لنا إن أعظم حوادث القرن العشرين فقد الناس إيمانهم بالعلم بعد عودة إيمانهم بالدين، وكما أن العلم هد أركان الدين في بعض البلدان. وفي خلال القرن الماضي، كذلك نرى الأديان الآن تنتقم من العلم بتقويض أركانه، والبناء على أطلاله. فقد أعطانا العلم الحرب العالميـة بفظائعها وأهوالها، فضربت أركان الديانة ضربة شديدة، ولكنها ضربت العلم ضربة أشد منها

قال أحد الكتاب: لما أعلن اينشتين مذهب النسبية الذي قلب به مذهب نيوتن، قلت في نفسي ومن يدرينا متى يقوم مذهب من نوع سوبر اينشتين يقضي على مذهب اينشتين؟

***

ظهر بالأمس كتاب جديد عنوانه «هذا التقـدم — مأساة مذهب النشوء» أي مذهب داروين الذي ينكر الخلق الفجائي، ويقول إن أنواع الحيوان والنبات حتى الانسان متسلسل بعضها من بعض، وإن بيننا وبين القرود لذلك الجهة نسب وصلة قرابة.

ولا يزال مذهب داروين ناقصاً ما يسمونه «الحلقـة المفقودة» التي تثبت قرابة الانسان للقرد، ومادامت مفقودة يبقى مذهباً، ويبقى لذلك خارجاً عن دائرة اليقينيات المثبتة إذ يعوزه البرهان

ومؤلف هذا الكتاب عالم انجليزي اسمه الكبتن ا. كوازت، وهو يقول فيـه: ان الداروينية كذبة كانت السبب الأول في تدهور الحضارة الغربية، بانياً حكمه هذا على اكتشاف اكتشفه وبرهن فيه على أن نشوء الطيور خرافة لا كما يقول المذهب الدارويني

وقد عرض المؤلف فكرته التي بنى عليها مؤلفه على بعض أصحابه النشوئيين فأقروه عليها، ولم يستطع أحد منهم أن يبين وجه الخطأ فيها وهزأ في كتابه ببعض الآراء الشائعة بين علماء الطبيعة عن النور ونهاية الفضاء والأثير والفراغ والسدام

وأبان في كتابه ان النشوئيين لم يهتدوا بعد الى الحلقة المفقودة التي تصل الانسان بالقرد كما يزعمون، مع انهم قلبوا بطن الأرض يبحثون عنها، ولكن الجيولوجيا تضحك من بحثهم عن شيء لا وجود له. وقد اعترف داروين نفسه في زمانه بأن «الجيولوجيا لا تؤيد وجود تلك السلسلة الدقيقة المتدرجة التي يتطلبها ناموس النشوء نفسه» بل بالضد من ذلك تثبت ان الداروينية غير صحيحة، لأن وجود بقايا الحيوانات في الصخور لا يمكن تعليله بأي مذهب من المذاهب، فان عظام الفرس مثلاً كانت موجودة في قلب الصخور قبل ظهور ما زعموا انها أسلافه لا بعد ظهورها.

وقد هدم مندل بناموسه عن الوراثة ناموس الانتخاب الطبيعي الذي هو أساس الداروينية. ويقول المؤلف ان الداروينية زعزعت أسس الدين، فلو أمكننا التخلص منها لمهدنا الطريق الى إحياء الايمان بالخالق. وان من الغرابة بمكان أن يبني الناس تزعزع ايمانهم بالله مدة قرن كامل أو نحو ذلك على مذهب لم يثبت بالبرهان ولا يمكن اثباته..

فالايمان بالله أسهل كثيراً من الايمان بخدع العلم وأوهامه.

نهر ...

القصص

النفس الرقيق . . .

لايفان بونين

ترجمة ع . الحمدى

فى المقبرة فوق أكمة نضرة مخضرة صليب جديد مصنوع من خشب البلوط ، قوى ثقيل ، ثابت راسخ ، ناعم الملمس ، بهيج المنظر . وكان الشهر ابريل ، ولكن الأيام غائمة كالحة . فكنت ترى من مراحل شاسعة خلال الأشجار الجرداء شواهد الأجداث قائمة فى المقبرة — مقبرة رحبة ريفية أو أكبر من الريفية بعض الشىء — والريح الباردة القاصفة تصفر صفيراً نحيفاً كلما مرت من تجاويف الأكاليل المصنوع من الخزف الصينى عند قاعدة الصليب . وفى الصليب نفسه ركب اطار مستدير من النحاس الأصفر . وفى الاطار صورة لفتاة حسناء فاتنة من طالبات المدارس ، مهندمة اللبس ، لها عينان فرحتان براقتان تنمان على الحياة والغضارة

هذه الصورة هى صورة (أولجا مسجرسكى)

لما كانت بنتاً صغيرة لم يكن لها مايميزها فى ذلك الجمع الصاخب من ذوى الأثواب السمراء الذين كان لغطهم المتنافر يدوى فى ابهاء المدرسة وصفوفها . وكل ما كان يستطيع الانسان أن يقوله عنها هو أنها ليست إلا واحدة من هؤلاء الفتيات الكثيرات الجميلات السعيدات ، وانها ذكية ، لكنها لعوب كثيرة الحركة ، لا تصغى لما يلقيه عليها المعلم فى الصف من دروس . ثم صارت الى النمو ، وأخذت تتفتح أكمامها لا بالأيام بل بالساعات . وفى سن الرابعة عشرة ، وقد أصبح لها خصر أهيف ، وساقان جميلتان متسقتان ، برز نهداها ولاحت عليها تلك الرسوم والملامح الدالة على النضوج ، ولم تستطع لغة البشر بعد أن تصف فتنتها وسحرها . وفى سن الخامسة عشرة قيل عنها إنها حسناء . . . وكم كان أترابها ورفيقاتها فى المدرسة شديدات العناية بتنظيم شعورهن ، وكم كن نظيفات محترسات فى حركاتهن ! ولكنها ما كانت لتخشى شيئاً فهى دائماً نظيفة الثياب حسنة الهندام ، متوردة الوجه من غير قصد منها ولا عناء من جانبها ، اجتمع لها فى سنتيها الأخيرتين كل مايميزها من باقى المدرسة ، اجتمع لها الظرف والاناقة وخفة الروح واشراق الطلعة وبريق الذكاء . . . ذلك الى أن أحداً لا يستطيع الرقص مثل (أولجا مسجرسكى) ! ولا يستطيع العدو أو الانزلاق مثلها ! ولسبب ما لم تكن لأحد تلك الألفة التى كانت لها مع صفوف الصغار والاحداث فى المدرسة . ومن غير أن تشعر أصبحت فتاة ، ومن غير أن تشعر ذاعت شهرتها فى المدرسة . ولم يمض قليل حتى أخذت الألسن تلوك عنها الاحاديث بأنها نزقة متقلبة لا تستطيع أن تحيا بغير عشاق ، وأن التلميذ (شنسين) مدله فى حبها مأخوذ بجمالها ، وأنها هى أيضاً لعلها تحبه ولكنها لكثرة تقلبها وسوء معاملتها جعلته يحاول الانتحار غيرة مرة . .

فى خلال شتائها الأخير جن جنونها بذلك الفيض من السعادة الذى غمرها . . . كذلك قالوا عنها فى المدرسة . . . وكان هذا الشتاء مثلجا قارساً تنزل الشمس فيه مبكرة وراء الأيكة الكثيفة من أشجار الشربين الباسقات خلف بستان المدرسة المكسوة بحلل من الثلج الناصع . ولكن الجو كان رائعاً بساماً على الدوام . اليوم ثلج وغداً شمس . نزهة

قطيرة في شوارع المكينة . انزلاقة في متنزه المدينة . غروب وردي ذاق ، موسيقى ... ثم ذلك الجمع الدائم الحركة الذي كانت (أوليا) تلوح من بينه أخفه روحاً وأشده نزقاً وأوفره سعادة .

وفي ذات يوم بينما كانت مندفعة كالأعصار في غرفة الألعاب تبدو في أثرها الفتيات الصغار يصرخن ويهتفن مبتهجات استدعتها رئيسة المدرسة على حين غرة . فوقفت بغتة وتنفست نفساً عميقاً ثم رتبت شعرها وسحبت أطراف مئزرها كي توصله الى كتفيها، وبعينين مضيئتين هرعت الى فوق . كانت الرئيسة صغيرة السن ، لكن شعرها كان أبيض ، وكانت جالسة بهدوء الى الطاولة تحت صورة القيصر وفي يديها تطريز قد انكبت عليه واستغرقت فيه .

قالت الرئيسة بالفرنسية دون أن ترفع عينيها عن التطريز (عمى صباحاً يا « مس. ميتجرسكي » — انني آسفة لأن هذه ليست المرة الأولى التي اضطررت فيها لاستدعائك الى هنا لأكلمك في سلوكك)

فأجابت (اوليا) — لقد أخذت بارشادك أيتها السيدة — قالت ذلك وهي تقترب من المنضدة تنظر اليها باشراق باد وسرور ظاهر ، وفكر شارد ، ولم تؤد اليها من التحية إلا طرفاً ضئيلاً ظريفاً هو كل ما تستطيع تأديته من التحيات .

فقالت الرئيسة «انك لم تسمعي ما أقول — وقد اقتنعت وا أسفاه بهذا» قالت ذلك وسحبت الخيط سحبة تدحرجت لها كرة الخيوط على البلاط الصقيل اللامع ، وتبعتها اوليا بنظرة مستطلعة. ثم رفعت الرئيسة عينيها اليها وقالت « سوف لا أكرر ما أقول . سوف لا أكثر من القول » .

راق (اوليا) غرفة المطالعة هذه ، وراقتها نظافتها الغريبة واتساعها غير المألوف . وأعجبتها زنابق الورد الجنية الزاهية التي كانت موضوعة في زهرية فوق المكتب . جلبت بنظرها الى القيصر الشاب وقد صور بكامل جسمه في بهو فاخر ، ولبثت ساكتة لا تبتس بنت شفة .

قالت الرئيسة في لهجة تدل على معنى مقصود منها . وقد شعرت في نفسها بسورة من الغضب : (انك لم تعودي الآن بنتاً صغيرة)

فأجابت اوليا في سذاجة يغلب عليها الحبور . (نعم . سيدتي !)

قالت الرئيسة ولا تزال في لهجتها معنى تقصده ، وتتعمد الالماع اليه (لكنك لم تصبحي امرأة بعد) واحمر وجهها الشاحب بعض الحمرة . وقالت (خبريني أولاً : لمذا تصففين شعرك بهذا الشكل ؟ انك لتصففينه كالمرأة) .

فأجابت اوليا (ليس من ذنبي ياسيدتي أن يكون شعري جميلاً) وأمسكت شعرها المنظم الجميل بكلتا يديها وبشكل لا يخلو من دلال .

فقالت الرئيسة (أحقاً ما تقولين ؟ أصحيح أنه لا لوم عليك؟ — ألا تلامين على الطريقة التي تنظمين بها شعرك ؟ ألا تلامين على هذه الأمشاط الغالية ؟ ألا تلامين اذا أفقرت أبويك باقتناء حذاء بعشرين روبلا ؟ ولكني أكرر القول بأنه قد غاب عن بالك انك لا تزالين طالبة ليس إلا) . وهنا قطعتها أوليا فجأة بأدب ومن غير أن تفقد شيئاً من بساطتها وهدوئها قائلة (عفواً ياسيدتي انك خاطئة ، انني في الواقع امرأة ، وهل تعلمين من يلام على ذلك ؟ انه صديق أبي وجاره أخوك (الكسي ميكالوفتش) ... وقد وقع ذلك في الريف في الصيف الماضي) .

***

بعد هذا الحوار بشهر أطلق ضابط من أخلاف القوزاق سمج أخرق ، في هيئة السفلة من الرعاع والأفاقين ، على أوليا عياراً نارياً أرداها قتيلة وهي في جمع من الناس على رصيف المحطة وقد وصلوا تواً بالقطار . وهكذا تحقق بهذا الحادث اعتراف (اوليا) الذي صعق الرئيسة . فقد قال الضابط للمحقق ان (مستجرسكي) قد أخرجته عن وعيه ، وانها فيما مضى كانت لها به صلة من صلات العشق الخفي ، وانها وعدته بالزواج منه ؛ وفي محطة القطار في يوم مقتلها عند ما رأته يغادر المدينة الى (نوفوجركاسك) أخبرته بغتة بأنها لن تفكر

فى الزواج منه ، وان كل ما قالته له من أمر الزواج لا يتعدى السخرية منه والهزء به ، وإنما ناولته مذكرتها ليقرأ فيها تلك الصفحات التى كانت قد كتبتها عنه .

قال الضابط (ألقيت نظرة عجلى على تلك الصفحات — وذهبت الى الرصيف حيث كانت تخطر جيئة وذهاباً تنتظرنى ريثما أفرغ من قراءتها وسددت اليها مسدسى فقتلتها . وتلك هى المذكرة فى جيب معطفى ، انظر تحت تاريخ ١٠ يوليو من السنة الماضية . . .) . وهذا ما قرأه المحقق :

« الساعة الآن الثانية صباحاً ، استغرقت فى نوم عميق . لكننى ما لبثت أن استيقظت مرة أخرى . . . أصبحت اليوم امرأة . ابى وأمى و(توليا) كلهم سافروا الى المدينة وبقيت وحدى . ما أسعد الانسان أن يكون وحده . آه لو أستطيع أن أصف مبلغ سعادتى بوحدتى هذا اليوم . فى الصباح أخذت أتمشى فى البستان بالمزرعة . دخلت فى الأيكة الوارفة الظل . خيل إلى أننى وحدى فى هذا العالم كله . ليس فيه غيرى . لم تلم بى قبل اليوم أمثال هذه الخواطر والأفكار اللذيذة . . . ما أحلاها . . . تناولت طعام الغداء وحدى ، ثم لعبت ساعة من الزمن . . . وألقت الموسيقى فى روعى بأننى يجب أن أعيش أبداً وأن أكون أسعد مخلوق على وجه الأرض ! ثم أخذتنى سنة من الكرى فى غرفة الاستقبال الخاصة بأبى . وفى الساعة الرابعة أيقظتنى (كيت) وقالت لى إن (الكسى ميكالوفتش) قد حضر الى هنا . كم سررت بلقائه . كم كان جميلاً أن استقبله وأكرم مثواه . جاء ومعه جوادان مطهمان . ما أجملهما ؟ ظلا طيلة لبثه واقفين عند الباب الأمامى . لكنه لبث هنا لأن المطر كان ينهمر كأفواه القرب وأنه يرجو انقطاعه وجفاف الطريق عند المساء . أسف أشد الأسف لعدم لقائه ابى فى البيت ، كان مبتهجاً خفيف الروح مترعاً بالحياة ، عاملنى بكل لطف وأدب . وصار يتنادر معى ويذكر فى دعابة وفكاهة أنه وقع فى شراك حبى من زمن بعيد . وقبيل تناول الشاى أخذنا نخطر فى البستان بين الرياحين والأغصان المتمايلة وكان الجو رائعاً فاتناً ، ولكن البرد طفق يشتد ، وظللنا نمشى معاً ذراعاً بذراع ، وقال كأنه مع فاوست مع مرجريت !.. هو فى السادسة والثلاثين ، الا أنه لم يزل وسيماً جذاباً . حسن الهندام دائماً — والشئ الذى أنكرته عليه هو أنه جاء اليوم متلفعاً بملفعة تفوح منها رائحة عطر انكليزى ولا تزال عيناه عينى شاب يافع .. لحيته طويلة مسترسلة .. مفروقة فى وسطها فرقاً جميلا — هى فضية لامعة . — تناولنا الشاى فى الشرفة الزجاجية ، وشعرت بغتة أن وعكا خفيفاً عرانى فاستلقيت على السرير وظل هو يدخن . ثم جلس بقربى وشرع يقول أقوالاً لذيذة ، فيها متعة ، وفيها ما يستثير كامن الوجد ومكنون الهيام . ثم تناول يدى فطبع عليها قبلة حارة . . . فجعلت من منديلى الحريرى الكبير ستراً أسدلته على وجهى ، وجعل ينهال بالقبلات إثر القبلات من فوق المنديل على شفتى . . . لا أدرى كيف وقعت الواقعة !. لا أستطيع أن أقول كيف حدثت ، قد جن جنونى ! . . ما كنت لأحلم يوماً أننى أكون كتلك اللحظة . . والآن لا أشعر نحوه بغير شئ واحد : الاشمئزاز الذى لا قبل لى بحمله . أواه ! ما أشد ما ثار فى نفسى بعد ذلك من المقت له !!

***

المدينة فى هذه الأيام من ابريل نظيفة نقية ، قد ذهبت بأدرانها وأقذارها أمطار الشتاء ، وبدت حجارتها بيضاء ناصعة ، وأصبح السير فوقها محبباً شهياً . . . فى كل يوم أحد بعد القداس ترى فى شارع الكنيسة المؤدى الى خارج المدينة امرأة قميئة ضئيلة الجسم تلبس الحداد ، فى يديها قفازان من جلد الماعز الاسود ، تحمل مظلة مقبضها من الأبنوس ، تراها تسير فى الشارع وما تنتهى منـه حتى تجوز ساحته ، ثم تعبر السوق المتهدمة حيث الحدادون الكثيرون ، وحيث النسيم يهب رقيقاً عليلاً من الحقول القريبة . وهناك على بعد كبير بين الدير والسجن ترى العين المنحدر الأبيض من القبة السماوية ، والحقول المترامية تنتسل فى تلك القتمة الرمادية . . . وبعد ذلك ، بعـد أن تجوز البركة الكدرة خلف الدير ترى ما يبدو لك كأنه حديقة فسيحة واطئة محاطة بسور أبيض كتب على بابه : (صعود سيدتنا الى السماء The Assumption of Our lady) ، هناك تقف المرأة وقفة قصيرة

ترنيم مسرعة بيديها صليبًا على صدرها وتسير سالكة الطريق الأصلي . ومتى وصلت القعد إزاء الصليب الجديد المصنوع من خشب البلوط ، جلست في تلك الريح الشديدة وذلك الهواء القارس ولبثت كذلك ساعتين .. حتى تؤلمها قدماها من شدة البرد ، وهما في ذلك الحذاء الخفيف ، وحتى تكاد تجمد يداها من قسوته ولذعته . وبينا هي تستمع لأطيار الربيع تصدح بالغناء العذب ، والصوت الرخيم الرقيق حتى في ذلك البرد القارس . وبينا هي تصغي الى صفير الريح تمر من تجاويف الاكليل الخزف وتضاغيفه تبرق في رأسها فكرة أنهـا تقدم نصف حياتها لو أن ذلك الاكليل البارد الميت لا يكون أمام عينها . ثم إن (أولجا مسجرسكي هي التي دفنت في ذلك القبر) ، هذه الفكرة وحدها تغمرها في لجة من الدهش البالغ والحيرة المتناهية ، فيبدو عليها وجوم عميق وذهول غريب وجزع مروع : كيف يستطيع الانسان أن يجمع بين طالبة غضة بضة لا تتجاوز سنها السادسة عشرة ، كانت قبل شهرين أو ثلاثة تتفجر حياة ، وتسطع فتنة ، وترفل بأزهى حلل السعادة والهناء . كيف يستطيع الانسان أن يوفق بينها وبين تلك الأكمة من التراب وذلك الصليب الخشبي ؟ أيمكن أن تكون هذه هي نفس هذه الفتاة التي تشع عيناها بالخلود الأزلي من هذا الإطار النحاسي ؟ وكيف يستطيع الانسان أن يجمع بين هذه الطلعة المشرقة الوضاءة وتلك الحادثة الفظيعة التي ترافق الآن اسم (اولجا مسجرسكي) ؟ رحماك يارب ! إن هذا ليعجز الأفهام ... ولكن هذه المرأة القميئة الضئيلة الجسم سعيدة في قرارة نفسها ، سعيدة كأولئك العاشقين الذين وقفوا حياتهم على حلم عاطفي جميل . . .

هذه المرأة هي معلمة (اولجا) في المدرسة . فتاة أربت على الثلاثين ، ظلت منذ زمن بعيد عائشة على هوس في قرارة روحها كان هذا الهوس أول الأمر يتناب أخاها — وهو ملازم في الجيش ليس فيه ما هو جدير بالاهتمام أو قمين بالالتفات — كل روحها كانت معلقة به ، متصلة بمستقبله بأمتن الصلات ، اتصالا تتصور أنه لا بد يومًا مؤديها الى أرض من أراضي عبقر . وبعد ذلك لما قتل أخوها في (موقدن) أقنعت نفسها بأنها — ويا للسعادة ولحسن الحظ — ليست كالأخريات ، وانها بدلاً من الجمال ، وبدلاً من أن تكون امرأة حقيقية تتمتع بما للمرأة من أنوثة ، بدلاً من ذلك لها عقل راجح ، وفكر ثاقب ، هو أسمى من هذه الدنيويات السافلة ، هي عائلة من عمال المثل الأعلى .

واولجا الآن محور أفكارها وخيالها ومبعث كل ابتهاجها وسرورها ، في كل عيد أو عطلة أن تهرع الى قبرها — وقد ألفت الذهاب الى القبرة بعد موت أخيها — تظل ساعات طوالا شاخصة الى الصليب الخشبي . تذكر وجه (أولجا مسجرسكي) الشاحب المصفر وسط الأزاهير في النعش وتذكر أيضًا ما سمعته ذات مرة : ذات مرة في فرصة الغداء بينما كانت (اولجا مسجرسكي) تتمشى في بستان المدرسة تقول بسرعة عجلى لصديقتها الحميمة (سبوتين) الطويلة البادنة : (كنت أقرأ في كتاب من كتب أبي — وان لأبي لكتبًا قديمة لا تحصى ، أكثرها غريب نادر فيه الوفير من المتعة وفيه الجزيل من اللذة — قرأت عن الجمال الذي يجب أن تمتلكه المرأة ، وما أكثر ما هو مسطور هناك ، لست أذكره كله ، لكنني أحفظ منه بعض الشيء ، اسمعي : عينان سوداوان قاتمتان كالقار يغلي في جفنة ، صدقيني ، هكذا كان مكتوبا هناك ... كالقار يغلي في جفنة ! حاجبان سوداوان كالليل البهيم ، حمرة غضة تخضب الاهاب ، قد أهيف ، يدان أطول من المعتاد ، قدمان صغيرتان ، نهدان بارزان ، ساقان مستديرتان متسقتان ، ركبتان يحكي لونهما لون رضاف داخل الأصداف . كتفان عاليان لكنهما منحدران — لقد كدت أحفظ أكثره غيبًا ، كله صحيح ، ما أشده انطباقًا على الواقع ، ولكن أتدرين ما هو أهم من كل هذا ، هو النفس الرقيق الناعم اللين ، وليس هو إلا هذا الذي أتنفسه أنا . . . . من الأعماق ، اصغ إلي ، ألا تجدينه عندي ! ! . . . أليس هو رقيقًا) .

والآن قد تلاشى النفس الرقيق مرة أخرى في العالم ، في ذلك اليوم الأشهب الغائم في ريح الربيع الباردة القارسة ...

بغداد ع . الحمدي

المارد الأناني

لأوسكار وايلد Oscar Wilde

ترجمة عبد القادر صالح

أوسكار وايلد من أبرز رجالات الأدب الانجليزي في القرن التاسع عشر، نعم في حياته بما لم ينعم به الكثيرون من مشاهير الأدب: شهرة واسعة وحسن تقدير مصحوب بالحب والاعجاب. ولكن الدهر الذي لا يستقر على حال قلب له ظهر المجن في الشطر الأخير من حياته، فقاسى من الهوان والفاقة ماحطم جناحيه، وطمس عبقريته، فمات شريداً طريداً في باريس.

ولد أوسكار وايلد من أبوين إرلنديين في سنة ١٨٥٤ في دبلن حيث قضى سني دراسته الأولى، فورث عن أبيه الدكتور «وليام وايلد» إفراطه في الميل الجنسي، وعن أمه ميلها للفن، فقد كانت شاعرة ناثرة، لها مكانتها.

أتم دراسته في أوكسفورد؛ وهنالك أعجب بالآداب اليونانية والحياة اليونانية القديمة التي أوحت اليه مذهبه في الأدب، وهو: الفن للفن. وفي اكسفورد نما فيه ميله الجنسي الشاذ، الذي كان الصخرة التي تحطم عليها مجده

اشتهر «أوسكار» منذ أيام دراسته الأولى بطلاوة الحديث ورقة الداعبة، يعبد الجمال ويمقت القبح؛ لم يتحدث الى انسان إلا وود المحدث اليه أن لو يعيد أوسكار الأحدوثة من أولها. فشهرته في الدرجة الأولى ترتكز على طلاوة حديثه وظرفه، ثم على أدبه، ولاسيما رواياته التمثيلية وقصصه البديعة.

ترجمت في «الرسالة» قطع من كتابات هذه الشخصية العجيبة التي كانت تفتخر البيوتات الأرستقراطية في انجلترا بزيارته لها. وهأنذا أترجم لقراء الرسالة قطعة أخرى من غرر ما كتب، تتجلى فيها روح الكاتب بأجلى بيان. على أنني تصرفت في ترجمة بعضها تصرفاً قليلا:

***

حديقة غناء، مترامية الأطراف، يكسوها العشب الأخضر الغض، ويزيد في جمالها ما يبدو فوق الحشائش هنا وهنالك من الزهور الشبيهة بالنجوم. فيها اثنتا عشرة شجرة من الخوخ، تزهر في الربيع أزهارها البهية، وفي الخريف تنوء بحمل ثمرها اليانع.

تلك الحديقة هي جنينة المارد التي اعتاد الصبية أن يلعبوا فيها بعد ظهر كل يوم إثر انتهاء وقت المدرسة. وكثر ما كان أولئك الصبية يقفون ألعابهم ليصغوا الى أغاريد الطيور العذبة التي كانت تنبعث من بين الأغصان. ولكم كان يخاطب بعضهم بعضاً: «ما أسعدنا هنا!»

عاد المارد من زيارته لصديقه عفريت «كورنول» التي استغرقت سبع سنوات تحدث فيها اليه بما طاب له من الحديث. فلما قدم الى قصره ورأى الأطفال يلعبون في الحديقة انتهرهم قائلا: «حديقتي! حديقتي! كل فرد يستطيع أن يفهم ذلك، ولن أسمح لأحد أن يلعب فيها». فلاذ الأطفال بأذيال الفرار.

وعلى أثر ذلك أحاط الحديقة بسور عال علق عليه لوحة أعلن فيها أن كل من ينتهك حرمة حديقته بدخوله اليها يحاكم. فكان بذلك مثال المارد الأناني.

لم يكن للصبية مكان يلعبون فيه. حاولوا أن يلعبوا في الطريق، ولكنها كانت مملوءة بالحجارة القاسية والتراب، فلم ترق لهم؛ فصاروا يطوفون بجدران الحديقة آسفين على تلك الأيام السعيدة التي قضوها فيها.

ورد الربيع وأخذت الأزهار تنبثق عن أكمامها، والطيور تغرد على الأفنان في طول البلاد وعرضها. ولكن الشتاء مازال ضاربا بجرانه فوق جنينة المارد الأناني. فقد أنفت الطيور أن تغرد على أشجارها والأطفال بعيدون عنها، ونسيت الأشجار أن تزهر.

نجمت زهرة من بين الأعشاب اتفاقاً، فلما رأت الاعلان أسفت لما حل بالصبية فعادت أدراجها الى بطن الأرض. ولم ينعم بتلك الجنينة في غياب الأطفال سوى الثلج والصقيع اللذين استبشرا قائلين: «هجر الربيع هذه الجنينة وسنتمتع بها طيلة السنة.»

غطى الثلج أعشابها ببساطه الأبيض، وصبغ الصقيع الاشجار بصبغه الفضي. وما لبثا أن دعوا «الريح الشمالية» لتشاطرهما الاقامة في تلك الحديقة فلبت الريح الدعوة مزملة بالفراء، وأخذت

تزأر طيلة النهار فتقتلع المداخن وتطوح بها .

«هذه بقعة جميلة . فلندع البرد الى زيارتنا.» وسرعان ما لبى «البرد» الدعوة فصار يقارع سطح القصر ثلاث ساعات متتاليات يومياً ثم يجري بعد تحطيم كثير من البلاط حول الجنينة مزبداً .

«لا أدري لماذا تأخر قدوم الربيع : على أنى وطيد الأمل بأن الجو سيتغير .» بمثل هذا كان يتحدث المارد الى نفسه لما طال انتظاره الربيع ' ولكن الربيع ظل على هجرانه وتمادى الصيف فى صده .

قدم الخريف وأينع ثمر الأشجار فى كل الجنائن المجاورة . لكن جنينة المارد ظلت خلواً من الثمر لأنانيته . ترقص خلال أشجارها الثلوج والأمطار ، وتعبث بها الريح الشمالية والصقيع .

استيقظ المارد صباح يوم على موسيقى عذبة ، خيل اليه من حسن وقعها فى نفسه ، أنها فرقة الملك تصدح مارة بقصره . ولم تكن فى الواقع سوى ألحان طائر صغير يغرد خارج نافذته ، حمله طول عهده بأغاريد الطيور فى جنينته على الاعتقاد بأنها أعذب موسيقى فى العالم .

وقفت الأمطار وسكنت الرياح الشمالية وأخذت النسائم تحمل اليه ريا عطرا خلال نافذته المفتوحة ، فتمتم قائلاً : «ها هو الربيع قد قدم .» نهض من فراشه وأطل من النافذة . فماذا رأى ؟ منظراً عجباً .

رأى الأطفال الذين قد تسللوا من ثغرة فى الجدران جلوساً على أغصان الأشجار . كل شجرة تضم بين أغصانها طفلا . فكأنها اغتبطت بمرآهم فتفتحت أزهارها ومادت أغصانها فوق رؤوسهم ، وكانت العصافير تحوم حولهم تشقشق شقشقة الفرح . وصارت الزهور تتسابق للظهور من بين الأعشاب ضاحكة . لكن الشتاء مازال ماثلاً فى أبعد نقطة من الجنينة حيث وقف طفل صغير لم يساعده قصره على تسلق أغصان الشجرة القريبة منه . فأخذ يدور حولها وهو يبكى أمر بكاء . عز على الشجرة أن تظل مغطاة بالثلج ، وأن تظل الريح تصفر فوقها فأخذت أغصانها تدنو من الطفل وأفنانها تتدلى ، ولكنه لم يستطع تسلقها لفرط قصره .

ملئ قلب المارد حناناً وهو ينظر اليه فثاب اليه رشده وأخذ يقول : «ما كان أشد أنانيتى !» الآن أدركت سبب تأخر الربيع . سأضع ذلك الصبى الصغير على قمة الشجرة وسأهدم السور «وستصبح حديقتى ملعباً دائماً للأطفال .»

هبط الدرج ودخل الحديقة بلطف ، فلما رآه الصبية ذعروا وفروا . فعاد الشتاء الى الجنينة . غير أن الطفل الصغير لم يفر . لان عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع فلم ير المارد عند قدومه .

أتاه المارد من خلفه وأمسك به برفق ثم وضعه فوق الشجرة فاستحالت الى أزاهير جميلة ، وتهافتت العصافير لتغرد عليها ، فتح الطفل ذراعيه من شدة الفرح وطوق بهما عنق المارد ثم قبله ، فلما رأى الأطفال الآخرون ان المارد فقد فظاظته عادوا الى الحديقة سراعاً وعاد معهم الربيع ، فهش المارد اليهم ، وخاطبهم بقوله : «هذه جنتكم أيها الأطفال الصغار» ثم أخذ بمعوله الكبير يقوض الجدار .

ظل الأطفال يلعبون مع المارد فى حديقته البديعة حتى المساء فأتوا يودعونه «ولكن أين رفيقكم الصغير الذى وضعته فوق الشجرة ؟» . فأجابه الأطفال : «لا نعرف . لقد ذهب» «احرصوا على مجيئه غداً» . فأخبروه بأنهم لا يعرفون مسكنه وانهم لم يروه قبل ذلك اليوم ، فحزن المارد حزناً شديداً لأنه أحب ذلك الطفل الذى قبله حباً جماً .

صار الأطفال يأتون كل يوم بعد الظهر ويلعبون مع المارد ، لكن الطفل المحبوب لم ير ثانية ، كان المارد لطيفاً معهم جميعاً ولكنه مازال يحن الى صديقه الطفل الصغير ، وكثيراً ما كان يذكره قائلاً : «ما أشد شوقى لرؤيته !»

تعاقبت السنون وشاخ المارد وضعف ، فلم يقو على اللعب ، ولذا كان يجلس فى كرسيه يرقب الأطفال وهم يلعبون معجباً بهم وبجنينته :

«لدى زهور جميلة ، ولكن لا ريب فى أن هؤلاء الأطفال أجمل أنواع الزهور» أطل صباح يوم ماطر من نافذته وهو يرتدى ثيابه ، فأخذ يفرك عينيه وينظر فيطيل النظر كأنما وقعت عيناه على شىء عجيب ، ولقد كان عجيباً حقاً . رأى فى طرف من أطراف الحديقة النائية شجرة مكتظة بالزهور ، يتدلى من أغصانها الذهبية ثمرها الفضى ، ورأى تحتها الطفل الذى أحبه .



مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان

[الطبعة الثانية] نقحت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة

لئن كان لهذا القلم الضعيف أن يطمح الى ما هو أبعد من غايته ، فان مما يبهج نفسي أن أتحدث عن هذا الكتاب القيم ، وقصاراي أن أتم هذا الحديث على خير ما أرجو من دقة ، وعلى أحسن ما أحب من انصاف .

الكتاب كما يتضح من عنوانه ، يصور لك أدوار ذلك الصراع العظيم الذي قام بين الاسلام والنصرانية منذ أن وثب العرب من صحرائهم ، وأثخنوا في أراضي الدولتين الفارسية والرومانية ، والذي تجلى في عدة مواقف مشهودة كحصار العرب للقسطنطينية ولقائهم أعداءهم في الغرب في موقعة بلاط الشهداء ، ثم ما كان من بسط العرب سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط واحتلالهم أقريطش ، وصقلية ، وروما ، وجنوب ايطاليا ، الى أن تطور هذا النزاع الى دور الحروب الصليبية وما تخللها من لقاءات هائلة بين قوى الاسلام والنصرانية ، وأخيراً ما كان من أمر العرب في الأندلس ، وتقوض دعائم ملكهم العريض هناك .

وتلك المواقف الحاسمة التي يتخذ منها المؤلف الفاضل عنواناً لكتابه هي في الواقع موضوع واحد ، فهو وإن اختلفت مظاهره وتعددت ميادينه ، وتسلسلت عصوره ، لا يخرج في جوهره عن الصراع بين الاسلام والنصرانية ، ولقد أعجبني من المؤلف تنبيهه الأذهان الى ذلك في مواطن كثيرة .

ولقد صور الأستاذ المؤلف كل هاتيك المواقف تصويراً دقيقاً رائعاً ، مبيناً أثرها في مصاير كل من الطرفين في وضوح يؤيد ما اشتهر به من بسطة في فنه ، وسعة في اطلاعه ، والمام عجيب بالمواضيع التي يطرقها ؛ ولقد أضاف الى تلك المواقف طائفة من الفصول سماها « بحوثاً مفردة » والواقع أنها ليست مفردة ، وأن اتصالها بالموضوع وثيق ، بل انها لتعد ضرورية له ، ومن أمثلة تلك البحوث الهامة « الدبلوماسية في الاسلام » و« الفروسية » و« الرق في العصور الوسطى » وغيرها مما يلقي ضوءاً على الموضوع الأصلي ؛ ولا يفوتنا أن نذكر مع مزيد الأعجاب أن المؤلف مهد لكتابه بفصلين في غاية الأهمية هما « وثبة العرب » و« سياسة العرب الدينية » ؛ فأرانا في الفصل الأول ، في تعمق ودقة وقوة بيان ، تلك الروح التي سيطرت على العرب في جزيرتهم ، وأرانا في الفصل الثاني ، روح الاسلام في معاملة الأمم التي كانت تدخل في حوزته مورداً في ذلك كثيراً من الأمثلة والاقتباسات ، شارحاً الأحوال الاجتماعية والسياسية التي كانت تسود ذلك العصر .

فأنت ترى من هذا الوصف الموجز أن الكتاب يجمع بين الفائدة واللذة ، أو بعبارة أخرى فهو الثقافة والاستمتاع .

أما طريقة الأستاذ في كتابة التاريخ فجديرة بالاعجاب حقاً ، فهو لن يسرد عليك الحوادث سرداً مملا ، بل ترى له طريقة انقادت له وسهلت في يديه وأصبحت وقفاً عليه ، طريقة طالما

هرول الى الجنينة مسرعاً ، فلما دنا من الطفل صعد الدم الى وجهه ، واحمرت عيناه غضباً ، إذ رأى راحة الطفل دامية « من تجاسر أن يجرحك ؟ اخبرني لكي أذبحه بسيفي الكبير . »

فأجابه الطفل « لا . هذه جراح الحب ! » فاستولى على المارد خوف غريب ، ثم جثا أمام الطفل قائلاً : « من أنت ؟ » فأجابه الطفل مبتسما :

« سمحت لي أن ألعب مرة في جنينتك ، والآن ستذهب بي الى جنينتي التي هي الفردوس » تراكض الأطفال بعد الظهر كعادتهم فوجدوا المارد الميت تحت الشجرة مكفناً بالزهور البيضاء .

نابلس عبد القادر صالح

تطلعنا إلى وجودها فى كتابة التاريخ باللغة العربيـة ، فهو يحلل ويدقق ، ويمحص الحوادث فى نظام علمى دقيق ؛ دون أن علك أو يطوح بك فى مجاهل مطموسة الصوى ، جائرة السبيل ، وإنك لتحس شخصيته فى كل عبارة من عباراته ، لأنه يفرغ على القرطاس صور ذهنه ، وحماس قلبه ، كما أنك تلمس آثار جهوده فى كل فقرة من فقراته ؛ فتراه يعرض عليك الروايات المختلفة ، والآراء المتنوعة ، ثم يقف منها موقف الناقد الذى تمكنه من الحكم والفصل ، ذاكرة قوية ، وقراءة واسعة ، وصبر شديد ؛ ولن تراه يتهرب من نقطة أو يتحرز الى رأى ؛ كل ذلك فى فطنة ونفاذ بصيرة ، فاذا أضفت الى هذا أن الأستاذ عنانا مشغوف بموضوعات التاريخ الاسلامى ، وأنه لن يكتب إلا ما جاشت به نفسه ونبض به قلبه ، أمكنك أن تفهم الروح التى يكتب بها الأستاذ التاريخ ، والواقع أننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا إن طريقة الأستاذ عنان فى كتابة التاريخ قد ثبتت عندنا ناحية من نواحى الحركة الفكرية ، كما أن الأستاذ نفسه قد صار ركناً وعلماً نفاخر به أهل الغرب ، فطريقته العلميـة الدقيقة فى كتابة التاريخ تضع آثاره فى صف مثيلاتها فى لغة الغرب ، مما يعد مفخرة للعربية وأهلها.

وهناك ناحية أخرى فى كتابة الأستاذ عنان جديرة بالتنويه ، تلك هى أسلوبه ، فللأستاذ أسلوب خاص ، تجار إن أردت شرحه ؛ فعباراته قوية وسط بين المقبوضـة والمبسوطة ، لا ترى فيها حشواً ولا تجد كلة تستعمل فى غير موضعها ؛ أو تجد لفظاً يقصر عن أداء معنى ، أو يتسع حتى يطغى على ذلك المعنى فيضيعه ، كذلك لن تجد عبارة فاترة فى موقف حماسى ، أو جملة حماسية من غير داع ، هذا الى جمال ورونق فى غير تكلف أو إسفاف.

أما عن مظهر الكتاب وطبعه وترتيبه ، فحسبك منه أنه مطبوع فى مطبعة دار الكتب ، على ورق جيد من القطع الكبير ، ولقد ختمه المؤلف الفاضل بثبت للمراجع العربيـة والأفرنجية ، ثم بفهرس للأعلام التاريخية والجغرافية ومقابلها الأفرنجى ، ثم بفهرس عام للكتاب.

ونحن لا يسعنا إلا أن نتقـدم بعظيم الشكر للأستاذ المؤلف على مجهوداته التى ترفع رأس العربية ، وتشرف أهل الضاد جميعا .

محمود الخفيف

فى مدينة بروسة

(بقية المنشور على صفحة ٩٦٤)

لا تقع عينى فى مجلسى هذا إلا على أكداس من العبر ، وأسطار من حظوظ البشر . وما أشقى هذه النفوس التى لا تقلب بصرها فى هذا العالم الا لتقرأ ما وراء صوره من عظات وآلام ، يالها ذكريات تجيش لها النفس ، وينطلق بها الفكر فى مسالك يعيا بها جهد الفكر .

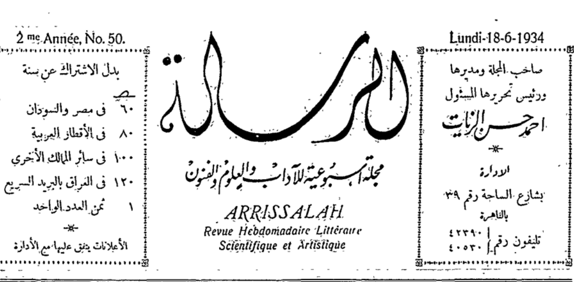
لله بروسة الجميلة سهلها وجبلها ، ودورها وشجرها ، ولله فيها هذا التاريخ العظيم يملأ أرجاءها ، ولله هذه النفس ، كلما خلت وطلبت للفراغ مجلساً انهال عليها من العبر والفكر ما يكدرها ويحزنها ، وينفر بها عن الناس ، ويسمو بها فى معارج من الحقائق والخيال تلتبس فيها السعادة والشقاء .

أيها القلم حسبك ، فما يتركنى الناس أبلغ من خلوتى غايتى . فهاهم قد أقبلوا يتحدثون ، وهاهى أصوات النرد تطير عنى أسراب الأفكار . وقديماً قال أبو العلاء :

حوربت فى كل مطلوب هممت به
حتى زهدت فما خليت والزهـدا

إيه يا بروسة والدنيا غير ، والدهر قلب ! ليت شعرى ، وأنا أحبك ، وأود لو انفسح الزمان للأقامة فيك أياماً ، لتبلغ النفس من جمالك وجلالك أمانيها — ليت شعرى أأراك مرة أخرى ، أم تلك جلسة التسليم والتوديع إلى الأبد ؟! . إنما العلم عند الله ، وما نحن إلا ظلال متنقلة ليس لها من الأمر شىء ما ؟

عبد الوهاب عزام



2 me Année, No. 50.

Lundi-18-6-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

صـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٥٠ «القاهرة في يوم الاثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ — ١٨ يونيو سنة ١٩٣٤» السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفاء الأفق

فى الجزيرة العربيـــة

عقد الصلح بين زعيمى الجزيرة ، جلالة عبد العزيز بن السعود ، عاهل المملكة السعودية ، وسيادة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن ، فصفا أفق الجزيرة العربية ، وقرت عيون العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، بعد أن جزعت قلوبهم حيناً لتلك الحرب التى كادت تهدد أمن الجزيرة وسلامها ، وتفسح مجالاً لسعى الطامعين والمتربصين من خصوم القضية العربية . وعقدت معاهدة الطائف بين الفريقين لتنشئ بين المملكتين العربيتين صداقة دائمة ، وتحتم عليهما العمل المشترك فى الشئون الاقتصادية المشتركة ، وفى تنظيم العلاقات الخارجية ، فلا يعقد أحدهما معاهدة مع دولة أجنبية تؤثر فى مصالح الطرف الآخر إلا باذنه وبعد مشاورته ؛ ويجب على الطرفين أن يتعاونا فى العمل لحماية المصالح المشتركة والدفاع عن استقلال الجزيرة العربية ضد أى خطر خارجى .

ولقد قلنا منذ البداية إن هذا الخلاف الخطير لا يعنى المملكة السعودية أو اليمن فقط ، وإنما يعنى مستقبل الجزيرة العربية بأسرها ، وناشدنا الزعيمين أن يتذرعا بالروية والحكمة ، وأن

يقلبها التفاهم والحسنى . ولكن الظروف كانت أقوى من أية إرادة ، فوقعت المعارك الأولى ، وتطورت الحوادث بسرعة ، ووقف العالم العربي والإسلامي مدى حين ذاهلاً يتساءل عما يمكن أن ينتهي الخطب إليه . وكان أشد ما يزعجه أن يرى بعض الدول الأجنبية تتربص وتتحفز لانتهاز الفرص والظروف . ولم يكن يومئذ ثمة مجال لتحديد المسئوليات أو توجيه اللوم ؛ وكل ما كان يشغل العالم الإسلامي ويهمه ، هو أن يعقد السلام بأية وسيلة ؛ وعود السلام إلى الجزيرة هو السبيل الوحيد للقضاء على تلك المطامع والآمال الأجنبية التي لا تزدهر إلا في الكدر والخصام ؛ والتي خشينا عواقبها حينما رست بعض السفن الأجنبية في مياه الحديدة يوم أن استولت الجنود السعودية عليها ، واحتج مرسلوها بذلك العذر الخالد الذي نسمعه في مثل هذه الظروف دائماً ، وهو حماية الرعايا الأجانب والمصالح الأجنبية ؛ وقرأنا في الصحف الاستعمارية غير مرة أن بعض الجهات المعروفة بمطامعها في الشرق تهتم أيما اهتمام بتطور الحوادث في الجزيرة . ولكن تفاقم الحوادث على هذا النحو كان نذيراً بركود العاصفة ثم هدوئها ، فضوعفت الجهود في سبيل السلام والتفاهم ، وأدرك امام اليمن خطورة الموقف ، وخطر التردد ، وعبث الخصومة والمقاومة ؛ فأقر الملك الوهابي على مطالبه التي اشترطها منذ البداية لوقف القتال ، وهي اخلاء الجبال التي احتلتها القوات اليمنية في عسير ونجران ، واطلاق الرهائن ، وتسليم الأدارسة سادة عسير السابقين ؛ وبدأ الامام بتنفيذ الشروط المطلوبة ؛ واستؤنفت المفاوضات بين الفريقين يحدوها الرجاء تارة واليأس أخرى ، حتى أنشاء ربك أن تحقن الدماء وأن يعقد السلام ، وأن تصان الجزيرة من شر الطامعين والمتربصين .

***

وعقد معاهدة الطائف حادث عظيم في تاريخ الجزيرة العربية ؛ ومهما قيل عن نصوص المعاهدة وأثرها في مركز اليمن ، وكونها ترتب للمملكة السعودية عليها نوعاً من الاشراف ، فلا ريب انها خير الجزيرة بصفة عامة ويكفي انها حسمت نزاعا كان يضطرم منذ عشرة أعوام ، ويهدد الجزيرة بشره بين آونة وأخرى ، ويفسح المجال لسعي الكائدين ؛ وانها قررت حدوداً كانت دائماً مثار الأخذ والرد . وهذه الخاتمة السعيدة لحوادث الجزيرة العربية تحمل على كثير من الغبطة والتفاؤل : أولاً لأنها كشفت مرة أخرى عن المعاني السامية التي يحملها التضامن الأسلامي ، وثانياً لأنها ستوحد بين الجهود التي تبذل لصون استقلال الجزيرة . فأما التضامن الاسلامي فقد ظهر في هذه الحوادث بمظهر رائع ، وكان لصوت الرأي العام الأسلامي أكبر أثر في تلطيف حدة الخلاف وفي تحذير الزعيمين من عواقبه ؛ وكان الرأي العام الاسلامي حكما في الواقع يحتكم اليه الزعيمان ، فيذيع عليه جلالة ابن السعود وثائقه ومراسلاته مع سيادة الأمام ليشهده على ما بذل من الأناة والصبر ، ويرجوه سيادة الأمام ألا يقف عند الأشاعات والاراجيف المزعجة ؛ وكان وفد الأمم الأسلامية الذي سافر الى الحجاز يبذل جهده لتقريب مدى الخلاف بالنصح والتوسط والرجاء . وفي ذلك أقطع حجة لدحض مزاعم اولئك الذين ينكرون قوة الرأي العام الاسلامي وقوة أثره في توجيه الامم الأسلامية

وأما عن توحيد الجهود العربية فيكفي أن نتلو نصوص معاهدة الطائف لنقدر ما يترتب على تنفيذها من تنظيم لجهود الأمتين العربيتين المستقلتين في سبيل خيرها وخير الجزيرة العربية ؛ ولنقدر ما تدل به هذه النصوص من فهم الأمتين لما يهدد استقلالها ومصالحهما المشتركة من العوامل والدسائس الخارجية . ولا ريب أن اليوم الذي يدرك فيه العرب والمسلمون قيمة التضامن والاتحاد بصورة عملية ، هو اليوم الذي تتبعثر فيه مشاريع الاستعمار وتتحطم ، ويبزغ فجر النهضة الحقيقية للعالم الاسلامي ، وتستطيع الأمم العربية والاسلامية أن تنظم جهودها لاسترداد استقلالها وحرياتها

فالى الزعيمين العربيين والى العالم الاسلامي كله نرفع خالص التهنئة على تلك الخاتمة السعيدة ؛ ونرجو أن يوفق الزعيمان الى خدمة الاسلام والعرب متصافيين متضامنين ، ومن ورائهما عطف العالم الاسلامي .

الراحة في التغيير

للأستاذ احمد أمين

خلق الانسان ملولا ، عل النعيم اذا طال ، وعل الشقاء اذا طال ، عل الحر اذا دام ، وعل البرد اذا دام ، عل الأكل الشهي اللذيذ اذا استمر عليه ، وعل الأكل الخسيس إذا استمر عليه . وقديماً مل بنو إسرائيل أكل المن والسلوى ، وقالوا : « لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » . ولست أدرى لم لامهم موسى عليه السلام على ذلك والملل طبيعى فى الانسان ، إلا أن تكون صيغة الطلب رذيلة مذمومة : « فادع لنا ربك » ليست الصيغة المؤدبة التى تصدر من المؤمنين .

من أجل هذا استعان الناس على درء الملل بالتنويع والتنقل ولو من حسن الى ردىء ، فاشتهوا أتفه الطعام بجانب أجوده ، واشتهوا عشش رأس البر وأكواخ أبى قير فراراً من القصور الشامخة والبنيان المشيد — وروعى هذا فى برامج الدراسة : نحط بعد لغة ، ورسم بعد حساب ، ولغة انجليزية بعد لغة عربية ، دفعاً للملل من الدرس ومن المدرس ، وروعى كذلك فى برنامج الحياة ، فلعب بعد عمل ، ومزح بعد جد ؛ وراعت الطبيعة هذا فى برنامجها : فليل ونهار ، وحر وبرد ، وسلطان للقمر بعد سلطان للشمس وهكذا — ولولا ذلك لبرى الناس ملل لا يطاق . ولكانت الحياة عبئاً ثقيلاً لا يحتمل ، ولفر الناس منها الى الموت طلباً للتغيير والتنويع .

***

أخطأ الناس فظنوا أن الراحة معناها الانغماس فى الكسل ، والاضراب عن العمل ، والتمدد على سرير مريح ، أو الاتكاء على كرسى مُجنّح أو نحو ذلك ؛ وليس هذا بصحيح دائماً ، ولو كان كذلك لما مل الناس هذه الراحة ، ولما فروا منها الى العمل ، واستروحوا بالجد والتعب ، إنما الراحة التغيير من حال الى حال ، من عمل الى لا عمل ، ومن لا عمل الى عمل ، ولو كان عدم العمل هو الراحة لكان السجن أروح مكان — ألا ترى الراحة تكون فى الأشياء وأضدادها باستمرار ؟ فلو ركبت سيارة من مصر الى الاسكندرية لأحسست التعب من الركوب ، وأحسست الراحة من المشى ، ولو مشيت طويلاً لأحسست التعب من المشى ، والراحة فى الركوب ؛ وما أحلى النوم بعد التعب ، وما أحلى اليقظة بعد النوم — وفى الجلوس راحة اذا طال الوقوف ، وفى الوقوف راحة اذا طال الجلوس ، وفى العمل راحة بعد طول الفراغ ، وفى الفراغ راحة بعد طول العمل ، وفى نظر الصحراء لذة بعد طول النظر الى البحر ، وفى البحر لذة بعد طول النظر الى الصحراء — ومنظر البحر أبعد عن السأم لأنه فى تغير مستمر وحركة دائمة : موجة تعلو ثم تهبط ، وموجة تتكسر على الصخر أو الرمل ، ثم تسير الى الشاطئ وتفنى ، وتتجدد أخرى وهكذا . ومنظر الأرض ليس نصيبه كذلك من التغير ، فالانسان به أسرع مللا وأقرب سأما — وهكذا كل نظام الحياة : الملل من الدوام ، والراحة فى التغيير

***

ما أصعب الحياة الرتيبة وأشقها على النفس ! إنها تميت القلب وتبعث على الجمود ، ولا بد لعلاجها من التجديد ، وليس التجديد إلا نوعاً من التغيير ، يبعث عليه السأم من القديم ، فاذا مل الناس الأدب القديم جدد زعماء الأدب فى الأدب ، وأتوا الناس بفن جديد يستروحون به ، وإذا مل الناس نوعاً من النظام الاجتماعى أتى المجددون بشىء جديد ونظام جديد يذهب بالملل ويجدد النشاط ، وليس تغيير الأزياء — وخاصة عند النساء — إلا ضرباً من هذا ، هن أسرع خلق الله الى الملل ، ودعتهن الى التغيير والتجديد ؛ فهن يطلعن على الناس كل عام بزى جديد فى القبعات والأثواب وكل ما يتصل بهن ، شعر قصير بعد شعر طويل ، وفستان طويل بعد فستان قصير ، وهكذا كثر مللهن فكثر تغييرهن فراراً من السأم وطلباً للراحة لهن ولغيرهن

***

وأقدر الناس فى هذه الحياة من استطاع أن يتغلب على السأم والملل بالتغيير المناسب فى نفسه وفى غيره . وللأديب تقدير من استطاع أن ينوع نفسه وينوع كتابته حتى لا تمل ولا يمل . وخير المجلات من استطاعت أن تجدد نفسها من حين الى حين

تجديداً يتفق ومنفعة الناس ، ويتفق والرقي ؛ فتتغير في أساليبها وتتغير في موضوعاتها ، وتتغير من حين لآخر في كتابها حتى لا يسأم قراؤها ؛ وخير القادة من استطاع أن يجدد في دعوته ، فإذا كان له مبدأ واحد يدعو إليه استطاع أن يبرزه كل يوم في شكل جديد يستلفت النظر ، ويبعث فيه حياة جديدة تدعو إلى النشاط والحركة .

وكثير من شرور هذا العالم سببه الملل ، فكسل التلميذ وانصرافه عن الدرس نوع من الملل ، وخمول الموظف وقعوده عن الجد في العمل نوع من الملل ، والجمود السياسي والفكري والاجتماعي نوع من الملل ، والرغبة في الانتحار نوع من الملل ؛ وكثيراً ما يكون الميل إلى التكييف والإدمان عليها نوعاً من الملل ، وكثيراً ما يكون الشقاق العائلي وشقاء المنزل والمشادة بين الزوجين أحياناً والأبوين وأولادهما أحياناً نوعاً من الملل ، إلى كثير من أمثال ذلك ، وكلها أمراض صعبة التشخيص صعبة العلاج ، تحتاج إلى نوع من الطب النفسي أدق من طب الأجسام ، وتحتاج إلى مهارة في علم النفس لا تقل أهمية عن المهارة في علوم الطب .

من أجل هذا أصبحت الحياة فناً يجب أن يدرس ؛ وأصبحت طريقتنا في الحياة طريقة بالية ؛ وكل شيء إذا ارتقى وتعقد أصبح فناً يحتاج إلى الدراسة ، وأصبحت الطريقة الساذجة فيه لا تغني ؛ فأمهاتنا ربين أولادهن حسبما اتفق ، ثم أصبحت التربية فناً ؛ ومعلمونا كانوا يعلمون حيثما اتفق ، ثم أصبح التعليم فناً ؛ ومغنونا كانوا يغنون حسبما اتفق ، ثم صار الغناء فناً — كذلك الحياة نفسها نحياها الآن حيثما اتفق ، ولكنها تعقدت وأصبح حل عقدها يحتاج إلى دراسة ودراسات — وأصبحت المرأة في حاجة لأن تتجدد في بيتها حتى لا يمل زوجها ، والزوج يتجدد حتى لا تمل زوجته ، والمعلم يتجدد حتى لا يمل طلبته ، ورئيس الحزب يتجدد حتى لا يمل أتباعه ، وأصحاب الملاهي يتجددون حتى لا يملوا . والتغلب على الملل ليس من الأمور الهينة ، فليس كل تغيير يصلح لإزالة السأم ، إنما يصلح التغيير يوم تدرس النفس ويدرس نوع التغيير ، كما يدرس المرض ويدرس نوع العلاج ، ويكون الدواء طبق الداء ؟

أحمد أمين

عن الاسكندرية

مسلمو السودان الغربي

يحاولون كشف أمريكا في أوائل القرن الثامن الهجري

للدكتور عبد الوهاب عزام

عثر كريستوف كلمب على أمريكا على غير قصد إليها ، بل كان يرجو أن يبلغ الهند من الغرب فأتيح له هذا الكشف العظيم .

وقد حاول مسلمو السودان الغربي في أوائل القرن الثامن الهجري أن يبلغوا الشاطئ الغربي من المحيط الاطلنطي (بحر الظلمات) برأي أسد من رأي كلمب ، وفكرة أصح من فكرته ؛ قبل كشف أمريكا بنحو قرنين .

كانت عظمى ممالك المسلمين في السودان في القرنين السابع والثامن بعد الهجرة بلاد مالي ومضافاتها . وكانت تعرف في ذلك الحين باسم بلاد التكرور . والتكرور كانت أحد أقاليم هذه المملكة الواسعة .

وكان ملكهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون منسا موسى ، قال في صبح الأعشى نقلاً عن العبر : « وكان رجلا صالحاً وملكاً عظيما له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد . قال في مسالك الأبصار : حكى ابن أمير حاجب والي مصر عنه أنه فتح بسيفه أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع . »

وقد حج منسا موسى أيام الناصر بن قلاوون سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال في صبح الأعشى نقلا عن مسالك الأبصار . « قال لي المهمندار : خرجت لتلقاه من جهة السلطان فأكرمني إكراماً عظيما وعاملني بأجل الآداب . ولكنه كان لا يحدثني إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربي . قال ولما قدم قدّم للخزانة السلطانية حملاً من التبر ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب . وكنت أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع

(البقية على صفحة ١٠٤٠)

لا تجني الصحافة على الأدب

ولكن على فنيته

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قالوا إن الأصمعي كان ينكر أن يقال في لغة العرب (مالح)، ويقول إنما هو مِلح، وإن (مالح) هذه عامية، فلما أنشدوه في ذلك شعراً لذي الرمة يحتجون به عليه قال: إن ذا الرمة قد بات في حوانيت البقالين بالبصرة زمانا . . . .

يريد شيخنا هذا: أن (المالح) في الأكثر الأعم يكون مما يبيعه البقالون، ولغتهم عامية مُزالة عن سَنَنها الفصيح، مصروفة الى وجهها التجاري. ولكن كيف بات ذو الرمة في حوانيت البقالين زماناً حتى علقت الكلمة بمنطقه وجذبه اليها الطبع العامي، ولم يخالط عربيته غير هذه الكلمة وحدها؟ لم يقل الأصمعي شيئا، ولكن روايته تخبّر أن ذا الرمة انحدر من البادية الى البصرة يلتمس ما يلتمسه الشعراء، فلما كان بها استضاق فلم يصب لجوفه غير الخبز، ولم يجد للخبز غير (المالح) يُسيغه به ليجد المسلك في حلقه، قالوا فيأتي البقالين فيبتاع منهم السمكة (المالحة) والبقلة (المالحة)، ويعرفونه مُضيقاً الى فرج، فيُنسِئون له في الثمن الى أجل، حتى يمتدح وينال الجائزة. قالوا ثم يمطره الممدوح ويلوي به ولا يرى في تلفيق العيش رُخْصاً إلا في (المالح) فيتتابع في الشراء ويمضون في إسلافه إبقاء عليه وحسنَ نظر منهم لمنزلته وشعره، ويرى هو أن لا ضمان للوفاء بما عليه إلا نفسه، فما بُدٌّ أن يتراءى لهم بين الساعة والساعة، فيخالطهم فيحدثهم فيسمع منهم، وهم على طبعهم وهو على سجيته. ثم لا يقتضونه ثمنا، ولا يزالون يمدون له، فلا يزال (المالح) أيسر منالاً عليه، كما هو الى نفسه أشهى، وفي جوفه أمرأ، لمكان أعرابيته، وخشونة عيشه، فيصيب عندهم مرتعة من هذا (المالح). . قالوا ثم يرى البقالون أن لا ضمان لما اجتمع عليه إلا أن يكون الشاعر معهم، فيلزمونه الحوانيت بياض يومه، ويغلقونها عليه سواد ليلته، فهم يمسكونه بالنهار، وتمسكه الحيطان والأبواب بالليل.

فلما عظم الدين وبلغ الجملة التي فاتت حساب الأيام الى حساب الأهلة أحضر الشاعر كربه وهمه، ولم يعد (المالح) ينجع فيه، ولا يجد به غذاء بل حريقاً في الدم، ورأى أنه قد امتحن بهذا (المالح) الخبيث، وأشرط نفسه فيه، وارتهنها به، فلا يزال من (المالح) هم في نفسه، ومغص في جوفه، ولفظ على لسانه، ودين على ذمته؛ ولا يزال مهموماً به، إذ كان على طريق من طريقين: إما الوفاء ولا قدرة عليه من مفلس، وإما الحبس ولا طاقة به لشاعر. وحَبْس ذي الرمة في ثمن (المالح) هو حبس عند الشرطة، ولكنه قتل أو شر من القتل عند صاحبته ميّة إذا ترامى اليها الخبر، والأعرابي الجلف الذي يحبس في ثمن (المالح) عند الوالي بعد أن بات زماناً رهناً به في حوانيت البقالين لا يصلح عاشقاً لميّ، وهي مَن هي! «لها بشر مثل الحرير، ومنطق رخيم الحواشي» فلا (المالح) من غذائها، ولا لفظ (المالح) من الكلام الذي يكون في فمها العذب. وأبعد الله جاريتها الزنجية إن لم تأنف لنفسها ومكانها من عشق هذا الأعرابي الغليظ الخشن الذي ألحقه (المالح) باللصوص والعارمين، وأخزاها الله إن لم يكن عشق هذا الأعرابي لها سواداً على سوادها في الناس، فكيف بي وهي أصفى من المرآة النقية، وأبيض من الزهرة البيضاء؟

قالوا: ويصنع الله لغيلان المسكين، فيمدح وينافق ويحتال، ويعده الممدوح بالجائزة إذا غدا عليه، ويكون ذلك والشمس نازلة الى خدرها، فينكفئ الشاعر الى حوانيت غرمائه من البقالين يبيت فيه أخرى لياليه، ويغلقون عليه وقد سئموه آكلاً وماطلاً، وهان عليهم فلا يعتدونه إلا فأراً من فئران حوانيتهم، غير أنه يأكل فيستوفي، ولم يعد اسمه عندهم ذا الرمة، بل ذا النعمة .... فلم يعطوه لعشائه هذه المرة إلا ما فسد وخبث من عتيق (المالح)، فهو نتن يسمى طعاما، وداء يباع بثمن، وهلاك يحمل عليه الاضطرار كما يحمل على أكل الجيفة، وكانوا قد وضعوه في آنية قذرة مُتلجّنة طال عهدها بالغسل والنظافة، وفيها بقية من عفن قديم، فلصق بها ما لصق، وتراكب عليها ما تراكب، ووقع فيها ما وقع.

ثم يتهيأ الشاعر لصلاة العشاء يرجو أن تناله بركتها فيستجيب الله له ويفرّج عنه، وقد كان لديه قدح من الماء لوضوئه، ولكن (المالح) الذي تغدى به كان قد أحرق جوفه وأضرم على

أحشائه وهو فى صيف قائظ ، فما زال يطفئه بالشربة بعد الشربة ، والمصة بعد المصة ، حتى استف القدح وأتى عليه ، فيكسل عن الصلاة ويلعن (المالح) وما جر عليه . ثم يغضبه الجوع فيكسر خبزه ويسمى ويغمس اللقمة ثم يرفعها فيجد لها رائحة منكرة ، فينظر فى الآنية وقد نفذ اليه الضوء من قنديل الحارس فاذا فى (المالح) خنفساء قد انفجرت شبعاً ، ويدقق النظرة فاذا دويبة أخرى قد تفسخت وهرأها (المالح) وفعل بها وفعل . فلوا وتثب نفسه الى حلقه ولا يرى الطاعون والبلاء الأصفر والأحمر إلا هذا (المالح) فيتحول الى كوة الحانوت يتنسم الهواء منها ويتطعم الروح وهى مضببة بالحديد ، ولا يزال يراعى منبا الليل ويقدره منزلة منزلة بحساب البادية ، وهو بين ذلك يلعن (المالح) عدد ما يسبح العابد القائم فى جوف الليل . ويطول ذلك عليه حتى إذا كاد ينشق لمع الفجر لعينه فلا يراه الشاعر إلا كالغدير يتفجر بالماء العتاق ويود لو انصب هذا الضوء فى جوفه ليغسله من (المالح) وأوضار (المالح). ثم يأتى الله بالفرج ويصاحب الحانوت فيفتح له ، ويغدو ذو الرمة على الممدوح فيقبض الجائزة وينقلب الى حوانيت البقالين فيوفى أصحابها ما عليه ولا يبقى معه إلا دراهم معدودة ، فيخرج من البصرة على حمار اكتراه وقد فتحت له آفاق الدنيا ، وكأنما فر من موت غير الموت ، ليس اسمه البوار ولا الهلاك ولا القتل ، ولكن اسمه (المالح).

قالوا : ويحركه الحمار للشعر كما كانت يحركه الناقة فيقول : أخزاك الله من حمار بصرى ، إن أنت فى المراكب إلا (كالمالح) فى الأطعمة . ثم يغلبه الطبع ، ويثرو به الطرب ، وتهزه الحياة فيهتاج للشعر ويذكر شوقه وحبه ودار مى ، وفى (عقله الباطن) حوانيت وحوانيت من (المالح) ، فيأتى هذا (المالح) فى شعره ويدخل فى لغته فيقول الشعر الذى أهمل الأصمعى روايته لأن فيه (المالح) ، وما أدرى أيا ما هو ، ولكن لعله مثل قول الآخر :

ولو تفلت فى البحر والبحر (مالح) … لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا

أو مثل قول القائل :

بصرية تزوجت بصريا … يطعمها (المالح) والطريا

هذه هى الرواية التمثيلية التى تفسر كلام الأصمعى ولا مذهب عنها فى التعليل اذا صار (المالح) كلمة نفسية فى لغة ذى الرمة على رغم أنف الأحمر والأسود ، والأصمعى وأبى عبيدة ، فالرجل من الحجج فى العربية إلا فى كلمة (المالح) فانه هنا عامى يقال حوانيتى نزل بطبعه على حكم العيش ، وغلبه ما لا بد أن يغلب من تسلط (واعيته الباطنة)[1]

والحكمة التى تخرج من هذه الرواية أن أبلغ الناس ينحرف بعمله كيف شاءت الحرفة ، ولا بد أن تقع المشابهة بين نفسه وعمله ، فربما أراد بكلامه وجهاً وجاء به الهاجس على وجه آخر. واذا كان فى النفس موضع من مواضعها أفسده العمل — ظهر فساده فى الذوق والادراك فطمس على مواضع أخرى ، فلا تنتظر من صحافى قد ارتهن نفسه بحرفة الكلام ألا يكون له فى الأدب والبلاغة (مالح) كمالح ذى الرمة وان كان أبلغ الناس لا أبلغ كتاب الصحف وحدهم.

و (المالح) الذى رأيناه لكاتب بليغ من أصحابنا أنه كتب فى إحدى الصحف عن ديوان هو فى شعر هذه الأيام كالبعث بعد موت شوقى وحافظ رحمهما الله ، فيأتى بالمجاز بعد الاستعارة بعد الكناية مما قاله الشاعر ثم يقول : هذا عجيب تصوره ، لا أعرف ماذا يريد ، الخيلى للشعاع غير مقبول . ولا يزال ينسحب على هذه الطريقة من النقد ثم يعقب على ذلك بقوله : «والأصل فى الكتابة أنها للافهام ، أى نقل الخاطر أو الاحساس من ذهن الى ذهن ومن نفس الى نفس ، ولا سبيل الى ذلك اذا كانت العبارة يتعاورها الضعف والابهام والركاكة وقلة العناية بدقة الأداء ، واذا كنت تستعمل اللفظ فى غير موضعه ولغير ما أريد به ، فكيف تتوقع منى أن أفهم منك .»

لا ، لا ، هذا (مالح) من مالح الأدب ، فاذا كان الضعف والابهام والركاكة وسوء الافهام وضعف الأداء — آتية فى رأى الكاتب من استعمال اللفظ فى غير موضعه ولغير ما أريد له — فان محاسن البيان من التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ليس لها

(١) وضعنا هذه الكلمة لما يسمى (العقل الباطن) وهى أدق فى التعبير تستوفى كل معانى الكلمة ، ولا معنى لأن يكون هناك عقل ، ثم يكون باطناً غافلاً فإن هذا بعيد لا يسوغه الاشتقاق.

***

مأتى كذلك الا استعمال اللفظ في غير موضعه ولغير ما أريد له .

وعلى طريقة الكاتب كيف يصنع في قوله تعالى : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » .

أتراه يقول : كيف قدم الله ، وهل كان غائباً أو مسافراً ، وكيف قدم الى عمل ، وهل العمل بيت أو مدينة ؟

ثم كيف يصنع في هذه الآية : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك » أيسأل : وهل للأرض حلق تحركه عضلاته للبلع ، واذا كان لها حلق أفلا يجوز أن ترى فيه فتحتاج الى غرغرة وعلاج وطب ؟

وماذا يقول في حديث البخاري : إني لأسمع صوتاً كأنه صوت الدم ، أو صوتاً يقطر منه الدم (كما في الأغاني) » أتوجه الاعتراض على الصوت وجرحه وذمه ، ويسأل : بماذا جرح . وما لون هذا الدم ، وهل للصوت عروق فيجري الدم فيها ؟

إن الافهام ونقل الخاطر والاحساس ليست هي البلاغة وإن كانت منها ؛ وإلا فكتابة الصحف كلها آيات بينات في الأدب ، إذ هي من هذه الناحية لا يقدح فيها ولا يغض منها ، وما قصرت قط في نقل خاطر ولا استغلقت دون افهام .

ههنا خوان في مطعم كمطعم (الحاتي) مثلاً عليه الشواء والملح والفلفل والكواميخ أصنافاً مصنفة ، وآخر في وليمة عرس في قصر وعليه ألوانه وأزهاره ومن فوقه الأشعة ومن حوله الأشعة الأخرى من كل مضيئة في القلب بنور وجهها الجميل . أفترى السهولة كل السهولة إلا في الأول ؟ وهل التعقيد كل التعقيد إلا في الثاني ؟ ولكن أي تعقيد هو ؟ إنه تعقيد فني ليس إلا ، به ينضاف الجمال الى المنفعة فتجتمع الفائدة والاستمتاع وتزين المائدة والنفس معاً ، وهو كذلك تعقيد فني لاءم بين إبداع الطبيعة وإبداع الفكر وجاء بروح الموسيقى التي يقوم عليها السكون الجميل فيها في هذه الأشياء التي تقوم بها المائدة الجميلة ، واستنزل سر الجاذبية فجعل للمائدة بما عليها شعوراً متصلاً بالقلوب من حيث جعل للقلوب شعوراً متصلاً بالمائدة .

وهذا التعقيد الذي صور في الجماد دقة فن العاطفة هو بعينه فنية السهولة وروحيتها . وتلك السذاجة التي في المائدة الأخرى هي السهولة المادية بغير فن ولا روح ، وفرق بينهما أن احداها تحمل قصيدة رائعة من الطعام وما يتصل به ، والأخرى تحمل من الطعام وما يتصل به مقالة كمقالات الصحف .

والوجه في الشوهاء وفي الجميلة واحد لا يختلف بأعضائه ولا منافعه ، ولا في تأديته معاني الحياة على أتمها وأكملها ، بيد أن انسجام الجميل يأتي من إعجاز تركيبه وتقدير قسماته وتدقيق تناسبه ، وجعله بكل ذلك يُظهر فنه النفسي بسهولة منسجمة هي فنيته وروحيته ؛ أما الآخر فلا يقبل هذا الفن ولا يُظهر منه شيئاً إذ كان قد فقد التدقيق الهندسي الذي هو تعقيد فن التناسب ، وجاء على المقاييس السهلة من طويل الى قصير ، الى ما يستدير وما يعرض ، الى ما ينتأ من هنا وينخسف من هناك ، كالوجنة البارزة ، والشدق الغائر ، فهذه السهولة المطلقة في الوضع كما يتفق هي بعينها التعقيد المطلق عند الفن الذي لا محل فيه للفظة (كما يتفق) .

والطريقة التي يكون بها الجمال جميلاً هي بعينها الطريقة التي يكون بها البيان بليغاً ، فالمرجع في اثنيهما الى تأثيرهما في النفس . وأنت فقل : إن هذا مفهوم وهذا غير مفهوم ، وذاك سهل والآخر معقد ، وواضح ومغلق ، ومستقيم على طريقته ومحول عن طريقته . انك في ذلك لا تدل على شيء تعيبه أو تمدحه في الجمال أو البلاغة أكثر مما تدل على ما يُمدح أو يُعاب في نفسك وذوقها وإدراكها .

ومعاني الاختلاف لا تكون في الشيء المختلف فيه . بل في الأنفس المختلفة عليه ، فان محالاً أن تكون الجميلة ممدوحة مذمومة لجمالها في وقت معاً ، وإلا كانت قبيحة بما هي به حسناء ، وهذا أشد بعداً في الاستحالة ، وحكمك على شيء هو عقلك أنت في هذا الشيء .

ومتى اتفق الناس على معنى يستحسنونه وجدت دواعي الاستحسان في أنفسهم مختلفة ، وكذلك هم في دواعي الذم اذا عابوا . ولكن متى تعينت الوجوه التي بها يكون الحكم ، ورجع اليها المختلفون ، والتزموا الأصول التي رسمتها وتقررت بها الطريقة عندهم في الذوق والفهم فذلك ينفي أسباب الاختلاف لما يكون من معاني التكافؤ وخاصة المناسبة . ولهذا كان الشرط في نقد البيان أن يكون من كاتب مبدع في بيانه لم تفسده نزعة أخرى ، وفي نقد الشعر أن يكون من شاعر علت مرتبته وطالت ممارسته لهذا الفن فليس له نزعة أخرى تفسده .

وما المجازات والاستعارات والكنايات ونحوها من أساليب

البلاغة إلا أسلوب طبيعي لامذهب عنه للنفس الفنية ، إذ هي بطبيعتها تريد دائماً ما هو أعظم ، وما هو أجمل ، وما هو أدق . وربما ظهر ذلك لغير هذه النفس تكلفاً وتعسفاً ووضعاً للأشياء في غير مواضعها ؛ ويخرج من هذا أنه عمل فارغ ، وإساءة في التأدية ، وتمحل لاعبرة به . ولكن فنية النفس الشاعرة تأبى إلا زيادة معانيها فتصنع ألفاظها صناعة تولها من القوة ما ينفذ إلى النفس ويضاعف إحساسها ؛ فمن ثم لا تكون الزيادة في صور الكلام وتقليب ألفاظه وإدارة معانيه إلا تهيئة لهذه الزيادة في شعور النفس . ومن ذلك يأتي الشعر دائماً زائداً بالصناعة البيانية لتخرجه هذه الصناعة من أن يكون طبيعياً في الطبيعة إلى أن يكون روحانياً في الإنسانية . والشعور المهتاج المتفزز غير الساكن المتبلد ، والبيان في صناعة اللغة يقابل هذا النحو ؛ فتجد من التعبير ما هو حي متحرك ، وما هو جامد مستلق كالنائم أو كالميت ، وبهذا لا تكون حقيقة المحسنات البيانية شيئاً أكثر من أنها صناعة فنية لابد منها لإحداث الاهتياج في ألفاظ اللغة الحساسة كي تعطي الكلمات ما ليس في طاقة الكلمات أن تعطيه .

لقد تكلموا أخيراً في جناية الصحافة على الأدب . والصحافة عندي لاتجني على الأدب ولكن على فنيته ؛ فلها من الأثر على سليقة البليغ وطبعه قريب مما كان لحوانيت البقالين في البصرة على طبع ذي الرمة وسليقته . وكما قرب الصحافي من الصنعة وخفها على الجمهور بعد عن الفن وجماله وحقه على النفس ، وهذا واضح بلا كبير تأمل ، بل هو واضح بغير تأمل . . .

مصطفى صادق الرافعي

أبو علي عامل أرتست

مجموعة قصص مصرية

تأليف

الأستاذ محمود تيمور

نزع السلاح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

سمعنا خلال الأعوام الأخيرة كثيراً عن مسألة نزع السلاح ، وعن اللجان والمؤتمرات العديدة التي عقدت في جنيف وغير جنيف لبحثها ؛ ومنذ أسابيع يدور حديث نزع السلاح في جنيف مرة أخرى ، وتعرض مختلف الاقتراحات والتصريحات . ولكن مؤتمر نزع السلاح يعقد هذه المرة في جو قاتم يفيض بالتشاؤم ، وسير العلائق الدولية أشد ما يكون اضطراباً ، والدول الكبرى أشد ما يكون رغبة في التسليح ؛ وليس في مناقشات جنيف ما يؤذن بتفاهم الدول على أية قاعدة أو مبدأ ، بل كل ما هنالك يدل بالعكس على أن مفاوضات نزع السلاح غدت مناقشات فقهية عقيمة ، تستتر وراءها الدول لتؤكد من الوجهة النظرية نياتها السلمية ، بينما هي تتسابق جميعاً في فتح الاعتمادات الحربية والاستزادة من التسليح سواء في البر أو البحر أو الهواء .

وقد كان رأينا دائماً ، منذ بدأت أعمال مؤتمر نزع السلاح ، أن هذه المناقشات الفقهية لا يمكن أن تؤدي إلى أية نتيجة عملية ، وأن الدول المتفوقة في سلاحها وأهباتها الدفاعية لا يمكن أن تفرط في هذا التفوق مختارة ، وأن أساليب السياسة القومية لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل الحرب ، وما زالت القوة المادية عمادها . ولقد انتهى مؤتمر نزع السلاح أحياناً إلى بعض نتائج عملية خيل للعالم معها أنه سائر إلى تحقيق الغاية المنشودة من عقده ، ولكن هذه النتائج لم تعد الاتفاق على بعض المسائل التمهيدية كأنواع الأسلحة ومعيارها ، وتعريف بعض الهيئات العسكرية ؛ وأسفرت المفاوضات بين الدول العظمى عن عقد معاهدة تحدد نسب التسليح البحري بينها ، ولكن هذه المعاهدة لم تحترم ولم تنفذ ، ولا تعتبر اليوم سوى قصاصة ورق لا قيمة لها . وقدمت إلى مؤتمر نزع السلاح اقتراحات رسمية عديدة لتخفيض التسليح ، فكانت تقابل دائماً حين عرضها ومناقشتها بكثير من التأييد والحماسة ، ولكنها لم تسفر عن أي اتفاق عملي .

كانت فكرة نزع السلاح من أجل الفكر التي ظهرت عقب

الحرب فى أفق السياسة الدولية ، وكانت المنافسة فى التسليح قد بلغت أثناء الحرب مدى هائلاً استنفد موارد الأمم ، وحطم انتاجها الزراعى والصناعى ، وأرهقت من جرائه بصنوف المغارم والاعباء ، واضطربت أحوالها المالية والاقتصادية ؛ فكان طبيعياً أن تفكر الدول الكبرى فى وسيلة لتخفيف هذه المنافسة وتدارك آثارها المخربة ؛ ولم تك ثمة سوى وسيلة واحدة لتحقيق هذه الغاية ، هى اتفاق الدول فيما بينها على تحديد التسليح بطريقة تراعى فيها ظروف كل دولة وحاجاتها الى السلامة والدفاع القوى ؛ وظهرت هذه الفكرة فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه فكرة عصبة الأمم ، واتصلت بها حتى صارت بعد جزءاً منها ، ثم أدمجت فى ميثاق العصبة ذاته . وكان قيام عصبة الأمم رمزاً لانتصار الدعوة الى السلام والوئام بين الأمم ، والى تغليب التحكيم والحسنى فى فض المنازعات الدولية ؛ وكان تحقيق فكرة نزع السلاح من أهم الوسائل العملية لتحقيق المثل والأمانى السلمية التى علقت على قيام عصبة الأمم . ويجب أن نعلم أن ميثاق العصبة هو قطعة من معاهدة صلح فرساى ذاتها ، بل هو الفصل الأول من معاهدة الصلح ؛ وفى هذا الميثاق ذاته يذكر مشروع نزع السلاح أكثر من مرة ، باعتباره من وسائل تحقيق السلام بين الأمم . واليك النصوص التى وردت بشأنه فى الميثاق :

نصت المادة الثامنة من ميثاق عصبة الأمم على « أن أعضاء العصبة يعترفون بأن استتباب السلام يقتضى تخفيض التسليحات القومية الى أدنى حد يتفق مع السلامة القومية ، ومع تنفيذ التعهدات الدولية التى يفرضها العمل المشترك

« ومجلس العصبة مع تقديره للمركز الجغرافى والظروف الخاصة لكل دولة ، يعد برامج هذا التخفيض لتبحثه وتبت فى شأنه الحكومات المختلفة

« ويجب أن تبحث هذه البرامج من جديد ، وأن تنقح اذا اقتضى الأمر فى كل عشرة أعوام

« ومتى وافقت عليها الحكومات المختلفة فان نسب التسليح التى تقررت على هذا النحو لا يمكن تخطيها دون موافقة مجلس العصبة

« ولما كان صنع الذخائر وأدوات الحرب بصفة خاصة يثير اعتراضات خطيرة ، فان أعضاء العصبة يعهدون الى المجلس بأن يتخذ الاجراءات اللازمة لتلافى نتائجه السيئة ، مع مراعاة حاجات أعضاء العصبة الذين لا يستطيعون صنع ما يجب لسلامتهم من الذخائر وأدوات الحرب

« ويتعهد أعضاء العصبة بأن يتبادلوا بمنتهى الصراحة والدقة ، كل البيانات المتعلقة بنسب تسليحاتهم ، وبرامجهم الحربية والبحرية والجوية ، والظروف التى يمكن بها استخدام صناعاتهم لأغراض الحرب »

تلك هى القواعد الأساسية التى أدمجت فى ميثاق العصبة بشأن نزع السلاح أو تخفيضه . وقد نصت المادة التاسعة من الميثاق على انشاء لجنة دائمة تمد العصبة بآرائها عن تنفيذ هذه القواعد وعن المسائل العسكرية والبحرية والجوية بصفة عامة . وهذه هى اللجنة الدائمة لمؤتمر نزع السلاح .

ونصت المادة الحادية عشرة على ان كل حرب أو خطر حرب يهم العصبة كلها ، وعلى انه يجب عليها فى هذه الحالة أن تتخذ ما يجب لتأييد سلام الأمم ؛ ونصت المادة الرابعة عشرة على انشاء محكمة دائمة للعدل الدولى ، ونصت المادة الخامسة عشرة الاجراءات السلمية التى يجب اتباعها لتسوية المنازعات الدولية بين أعضاء العصبة

هذا وقد ذهبت معاهدة الصلح فى التنويه بنزع السلاح الى أبعد من هذه النصوص النظرية ، وأرادت أن تعطيه صبغة عملية ، فقررت فى ديباجة الفصل الخامس منها وهو الخاص بنزع سلاح ألمانيا « انه لكى يمكن أن يعد مشروع بتحديد عام لتسليحات جميع الأمم ، يجب على ألمانيا أن تنفذ بمنتهى الدقة ما تقرر من النصوص العسكرية والبحرية والجوية » أو بعبارة أخرى ، جعلت معاهدة الصلح ، نزع سلاح ألمانيا مقدمة عملية لنزع السلاح العام ، تحذوها بعد ألمانيا جميع الدول الأخرى ، والمفروض أن الدول الظافرة التى أملت شروط معاهدة فرساى ، ونصت على نزع السلاح ، ستكون فى مقدمة الدول التى تقوم بتخفيض سلاحها

* * *

وكان مشروع نزع السلاح فى مقدمة المسائل التى عنيت ببحثها عصبة الأمم ؛ ففى فبراير سنة ١٩٢١ ، انتدب مجلس العصبة « لجنة مختلطة مؤقتة » للنظر فى تخفيض التسليحات ، ولكن هذه اللجنة الأولى لم تستطع أن تتخذ أية خطوة عملية لبحث

المسألة ؛ وكانت الدول الغالبة ما تزال متوترة الأعصاب بعيدة عن التفكير في النزول عن المراكز الممتازة التي دفعها اليها الظفر ؛ وكانت بالعكس قد بدأت تتسابق في وضع البرامج العسكرية والبحرية الضخمة ؛ فلم تر «اللجنة المختلطة المؤقتة» أمامها سبيلاً للعمل ؛ وقدمت تقريرها الى العصبة بأنه لا سبيل لوضع أى مشروع عملي للتخفيض التسليح مالم تراع فيه حاجات السلامة القومية بادىء بدء ، ثم وضعت فعلاً مشروع ضمان وتعاون متبادل وافقت عليه العصبة . ولكنها كانت خطوة نظرية أيضاً ؛ وكان أسطع دليل على عبثها وعقمها إقدام فرنسا في الوقت نفسه على احتلال وادى الروهر لارغام ألمانيا على أداء تعويضات الحرب ؛ وما قامت به يومئذ من المظاهرات العسكرية الضخمة . بيد أن الدول البحرية استطاعت أن تتخذ من جانبها خطوة عملية لتحديد التسليحات البحرية ، إذ عقدت في واشنطون (سنة ١٩٢٢) مؤتمراً بحرياً شهدته بريطانيا العظمى وأمريكا وفرنسا واليابان وإيطاليا ، وعقدت فيما بينها ميثاقاً حددت فيه نسب التسليحات البحرية لكل منها ؛ فكان لهذا الميثاق أثر كبير في تلطيف المنافسة البحرية بينها .

ولما هدأت أعصاب الأمم الغالبة نوعاً وسوى كثير من المشاكل التي خلفتها الحرب ، اتخذت مسألة نزع السلاح أهمية خاصة ، ولكنها قرنت يومئذ بمسألة السلامة القومية والتحكيم باعتبارها مسائل ثلاثة لا يمكن التفريق بينها . وكانت فرنسا دائماً من أشد الدول تمسكاً بالجمع بين المسائل الثلاثة . وأخذت عصبة الأمم بهذه النظرية ، وانتهت الى وضع بروتوكول جنيف الشهير (سنة ١٩٢٤) ، وفيه نص على مشروعية الحرب إلا في بعض الأحوال وعولجت مسألة السلامة ومسألة التحكيم ؛ ولكنه رفض من جانب بريطانيا العظمى لأنه لم يعالج مسألة نزع السلاح ؛ ونص من جهة أخرى على جعل عصبة الأمم هيئة دولية لرقابة التسليح نزولاً على النظرية الفرنسية ؛ وفي سنة ١٩٢٥ عقد ميثاق لوكارنو لتأمين منطقة الرين بين ألمانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى وإيطاليا ؛ وحلت بذلك مسألة السلامة القومية نوعاً ، ولكن الميثاق كان محدود المدى والآثار ، ولم يتعرض بشيء لمسألة نزع السلاح . بيد أن عقده كان عاملاً كبيراً في صفاء الأفق الدولى ، والتقريب بين ألمانيا والحلفاء ، وبث روح من التفاهم بين خصوم الأمس لم تعرف منذ معاهدة الصلح .

وكان هذا التفاهم مشجعاً لعصبة الأمم على التقدم في معالجة مشكلة نزع السلاح ، خصوصاً بعد أن انضمت ألمانيا الى العصبة . ففي سنة ١٩٢٦ انتدبت العصبة لجنة تمهيدية لتنظيم مؤتمر عالمي لنزع السلاح ؛ وأنفقت هذه اللجنة جهوداً كبيرة في بحث المسائل الفنية المتعلقة بأنواع الأسلحة والذخائر وعدد الجيوش والجمعيات العسكرية . وبدىء منذ العام التالي بعقد مؤتمر السلاح الذى استمر يعقد كل عام مرة أو أكثر حتى يومنا . ومن المستحيل أن نتتبع في هذا المقام الضيق أعمال مؤتمر نزع السلاح خلال الأعوام الأخيرة ، فهي في الواقع أعمال ومفاوضات تسير في دور لا ينتهي . ويكفي أن نقول إنه قدم الى المؤتمر عشرات المشاريع من مختلف الدول لتخفيض التسليح أو نزعه ، وبحثت مسألة السلامة وعدم الاعتداء مراراً ، وألقيت وعود وتصريحات لا نهاية لها من مختلف الدول ، وفي كل مرة تنتهي الجهود والمفاوضات المستفيضة بالفشل المطلق ، وفي كل مرة نشعر بحق أن مؤتمر نزع السلاح قد اختتم حياته . وانتهى مؤتمر نزع السلاح الذى عقد في لندن سنة ١٩٣٠ الى نتيجة ضئيلة هي عقد اتفاق جديد بين بريطانيا العظمى وأمريكا واليابان على تخفيض التسليح البحرى في حدود معينة ، وأبت فرنسا وإيطاليا أن تدخلا في هذا الاتفاق لتمسك إيطاليا بالمساواة مع فرنسا ، وتمسك فرنسا بتفوقها في نسب التسليح البحرى .

***

وفي العامين الأخيرين دخلت مسألة نزع السلاح في دور جديد ، وزادت تعقيداً وصعوبة ، أولاً لأن ألمانيا بعد طول التسويف في نزع السلاح رأت من حقها أن تطالب بالمساواة في التسليح بالاعتماد على نصوص معاهدة الصلح ذاتها إذ اعتبرت تجريد ألمانيا من السلاح مقدمة لنزع السلاح العام كما قدمنا ، وما دامت الدول لم تقم بتعهداتها في هذا الشأن فمن حق ألمانيا أن تعود الى تسليح نفسها كباقي الدول ؛ وثانياً لأن فرنسا ازدادت تمسكاً بنظريتها في جعل حل مسألة نزع السلاح متوقفاً على حل مسألتي السلامة القومية والضمان المتبادل بعدم الاعتداء . وقد اشتد الخلاف بين ألمانيا وفرنسا في العام الماضي الى حد رأت معه ألمانيا أن تنسحب

من عصبة الأمم ومن مؤتمر نزع السلاح حتى تجاب الى وجهة نظرها .. وبدأت ألمانيا بالفعل بتسليح نفسها رغم احتجاج فرنسا ؛ ودبت روح جديدة من المنافسة بين الدول في تقرير الاعتمادات العسكرية وزيادة التسليحات ؛ وحاولت إيطاليا وبريطانيا غير مرة أن تقوم كلتاهما بمهمة الوساطة وتذليل الخلاف بين فرنسا وألمانيا ، فذهبت جميع الجهود سدى .. وعقد مؤتمر نزع السلاح في خريف العام الماضي في جو قاتم يفيض بالتشاؤم ، وظهر منذ المناقشات الأولى أنه يستحيل أن يوفق المؤتمر الى شيء جديد ، فأجل ليتفادى الموت النهائي . وعقد هذا العام ، منذ أسابيع قلائل ، وعدنا نسمع الحوار العقيم بين مختلف المندوبين ؛ وما زالت ألمانيا خارج المؤتمر ، ومازالت فرنسا تؤكد إصرارها على تحقيق الضمانات المتعلقة بالسلامة القومية قبل اتخاذ أية خطوة في سبيل نزع السلاح .

لقد استمرت هذه الجهود والمفاوضات العقيمة في سبيل نزع السلاح أكثر من عشرة أعوام ؛ وربما استمرت حيناً آخر . ولكن المحقق أن مؤتمر نزع السلاح صائر الى موت لا ريب فيه ، وانه لم يكن قط أبعد عن غايته مما هو اليوم . ويرجع هذا الفشل قبل كل شيء الى موقف فرنسا وألمانيا ؛ فقد جردت ألمانيا من سلاحها طبقاً لمعاهدة الصلح وانتظرت أعواماً طويلة ، وفرنسا وباقي الدول تجد في تسليح نفسها ، ولم تتقدم أعمال مؤتمر نزع السلاح تقدماً يذكر ؛ وكانت فرنسا باصرارها خلال هذه الأعوام هي الصخرة التي تحطمت عليها كل الجهود التي بذلت في هذا السبيل ؛ ولكن ألمانيا الهتلرية جاءت بسياستها العنيفة فزادت المسألة حرجاً وتعقيداً ، وألفت فرنسا في تلك الروح العسكرية التي يبثها النظام الهتلري في ألمانيا ، وفي تلك المظاهرات العنيفة التي تجري في ظله ، وفي ذلك الوعيد الذي يلقيه زعماء ألمانيا الحاليين هنا وهنالك ، ما يبرر موقفها في التمسك بسياستها العسكرية والمطالبة بتأمين سلامتها ضد الخطر الألماني .

وهكذا بينما يمضي مؤتمر نزع السلاح في جدله العقيم ، اذا بالمنافسة في التسليح بين الدول العظمى تبلغ ذروة الاضطرام ، وإذا بسياسة المعاهدات السرية العسكرية تعود فتغدو سبيل التوازن الأوربي ، واذا بشبح الحرب يلوح بين آونة وأخرى ؟

محمد عبد الله عنان
المحامي

عتـــاب

بقلم محمد قدري لطفي
ليسانسيه في الآداب

كان النبي صلى الله عليه وسلم يود لو أنهم أسلموا ليعتز بهم الاسلام ، ويدعو الله أن يهبه من لدنه حكمة لعله يصرفهم عن الضلالة أو يجعلهم من المهتدين ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إسلامهم ملحاً فيه ، لأن أشخاصهم عند قريش مهيبة ، وأسماءهم عند العرب رفيعة ؛ فلما دخل عليهم وقد اجتمعوا عنده ، حياهم فردوا عليه تحيته ، مخلصين أو غير مخلصين ، ثم أخذ مكانه بينهم ، فكان صمت ، وكان جلال رهيب ، ولم يلبث أن سرى بين الجمع صوت مهيب ، فيه قوة لأنه صوت الحق ، وفيه إيمان لأنه وحي القلب ؛ وكان الصوت متجهاً نحو عتبة بن ربيعة وأخيه ، يقول : أما آن يا عتبة أن تدخل أنت وأخوك شيبة في دين الله ؟ ما دعوتكما لأمري ولا لشيء هو من عندي ، وإنما دعوتكما لأمر الله رب العالمين ؛ وهذا كلامه بين يدي فاستمعاه واصغيا اليه لعله تعالى يهديكما فتكونا من عباده المسلمين . ولكن عتبة وأخاه لم يلبثا أن جادلاه فجادلهما ، وأخذ النبي منهما وأخذا منه ، حتى اذا غلبهما الرسول بمنطقه وقوة حجته ، لم يلبثا أن عقد الصمت لسانهما ، فالتفت النبي الى العباس بن عبد المطلب وكان مصغياً يستمع الى قوله لابني ربيعة ، وقال له إنك يا ابن عبد المطلب لو اهتديت بهدى الاسلام وأنت من صناديد قريش لاهتدى معك جمع كثير ، فلا تكونن بصدك عن دين الله حائلاً بين الناس والجنة ، ولا تضربن لقريش مثلاً من الغي والضلال ، فتضل وتضل ، وأنت حري أن يكون لهم منك هاد معين . فلم يرفع العباس رأسه ولم تتحرك له شفتان ، وإنما ود لو أن النبي تركه الى الوليد بن المغيرة أو الى أمية بن خلف ، فلما شعر النبي أن العباس حائر بين عقله وعاطفته ، ورآه مطرقاً الى الأرض ، لم يلبث أن تحول عنه الى أمية بن خلف ، قال : يا أمية ، ما كان لسادة الناس أن يكفروا بسيد العالمين ، الله الذي فضلهم على عشيرتهم وذوي قرباهم ، وما كان لك أن تكون لقومك قدوة سوء ، لعمر الله

ليس بعد الكفر ذنب ، وما ينبغي لك أن ترغب عن دعوة الله وتصد قومك عن الدين باعراضك عنه . قال يا محمد أمهلني يوماً أو بعض يوم ، فان الأمر أعسر عندي من يسره لديك . واتجه الرسول الى أبي جهل بن هشام وكان يجلس بجوار الوليد بن المغيرة ، فقال لهما وقد دنا منهما : أيحق لكما أن تسبقا الناس في الدنيا حتى إذا كانت الآخرة كنتما آخر الناس عند الله ؟ ، والله مالكما في آلهتكم غناء ، وما كنتما لتجعلا رضى الشيطان في عصيان الله . ولكن أبا جهل لم يكن ليصبر كما صبر العباس : أو يسكت كما سكت ، وإنما جادل النبي في عنف ، فجادله النبي في لين ، وآثر أبو جهل الحدة ، ولم يكن النبي ليحتد . واتجه الرسول الى القوم جاداً في دعوتهم ، ملحاً في إقناعهم ، يعدهم بالوعود يوم الدين ، ويحذرهم عاقبة الكفر يوم القيامة ، وأخذ النبي يفيض عليهم من بيانه ، ويشع على القوم قبساً من إيمانه ، حتى أقبل الكل عليه يستمعون له ويصغون اليه ، وبينما النبي يدعوهم فينصرف الى الدعوة بكل إيمانه ، كان يسعى اليه رجل يتوكأ على عصاه يتحسس بها الطريق اليه حتى اذا بلغ مجلس النبي لم يستمع اليه ولم يلق بالاً الى قوله ، ولم يدر أن النبي يدعو صناديد قريش الى ما دعا الله ، وإنما بادر النبي يسأله أن أقرئني وعلمني مما علمك الله ؛ وكان النبي عنه في شغل ، وكان ضيوف النبي قد تلهوا عنه بما هم فيه ، فلم يلتفت اليه أحد ، ولم يرد عليه مجيب ؛ فقال أقرئني وعلمني مما علمك الله ، فلم يكن حظه في الثانية خيراً منه في الأولى ، والرجل واقف في مكانه لا يريم ، ملح في طلبه لا يسأم ، فأخذ يعيده ، وطفق يكرره ، حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع عليه الحديث ، وأي حديث ، أو يلقى عليه قول ولما ينتبه من قوله ، فعبس في وجه الرجل وأعرض عنه ، ولم يلبث النبي أن انصرف القوم من عنده ، فيهم الذي أوشك أن يقتنع ، وفيهم الذي مازال متبرماً بالدعوة ساخطاً ، وفيهم الذي ينكر على الرسول قوله ، وفيهم الذي يحب أن يتريث في الأمر فلا يقطع فيه برأي ؛ وكان النبي قد ظن أنه بالغ منهم في يومه ما لم يبلغه في أمسه ، وانه لا بد اليوم مقنعهم حتى يسلموا ؛ فلم يدر بعد ذهابهم ماذا أخذ عليه نفسه وقد كانت معه وله ؟ ولا كيف ضاق صدره وقد كان واسعاً لا يضيق بشيء ولا يتبرم بسوء ؟ وشعر النبي بحرج لم يدر ما هو ولا من أين أتاه ، فقد كان عند أمر ربه يؤدي الرسالة في صدق وأمانة ، لم يدع سبيلاً لهداية القوم إلا سلكها ، أو باباً الى قلوبهم الغليظة إلا طرقه ؛ ولم يلبث النبي إذ خلا لنفسه أن أحس بما يحس به حين يريد الله أن يبعث اليه بحديث أو ينزل عليه شيئاً من آيه ، واذا الوحي له لا للمسلمين ، واذا القول له لا للمشركين ، واذا الله عاتب عليه يقول إنه : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ويقول له « وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى » واذا ربه يلومه ويقول في لومه « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة » . عند ذلك ذكر النبي قوم قريش وما كان بينه وبينهم من حديث ، وهتف هاتف كأنه عمرو بن قيس يقول : أقرئني وعلمني مما علمك الله ، وتصور النبي حال الرجل يسأل وليس من مجيب ، ويقف وليس من يأذن له بالجلوس ؛ ولكنه لم يكن يدري أنه أساء الى الرجل أو قصد الى إساءته ، فليس النبي من يسيء الى أحد ، وليس النبي من يصد عن الناس بابه عن السائلين ، وإنما شغله أمر ربه فاشتغل عن عمرو وأقبل على سادة قريش ، فألهاه حرصه على إسلامهم وهم كفرة عمن أسلم ، وإنما يريد أن يقرأ وأن يستزيد من العلم . وبات النبي ليلته مسهد الجفن قلقاً ، يفكر فيما سمع من ربه ، وفيمن عبس بالأمس في وجهه ، وأعرض عنه ، حتى اذا طلع الفجر كان النبي يلتمس ابن أم مكتوم يلقاه هاشاً باشاً ، يسلم عليه ويشد على يده ويقول له : مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ؛ وكان النبي يلقاه بعد ذلك فيكرمه ويسأله حاجته ، وكأنما أراد الله أن يصبح إعراض النبي عنه إقبالاً عليه ، وأن يغدو عبوس النبي في وجهه بشاشة له وارتياحاً للقائه ، واذا عمرو ابن قيس مؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا عمرو بن قيس خليفة رسول الله على المدينة ، لم يستخلفه النبي عليها مرة أو مرتين ، وإنما استخلفه عليها في غزواته ثلاث عشرة مرة ، واذا النبي يخرج الى حجة الوداع فلا يستخلف على المدينة إلا عمرو ابن قيس . وكان حقاً قول المصطفى : أدبني ربي فأحسن تأديبي ؟

محمد قدري لطفي

استدانة اسماعيل باشا

(١٨٦٣ م — ١٨٧٩ م)

بقلم عبد العزيز عبد الكريم

إن ما قام به اسماعيل باشا من جليل الأعمال لا يضارع ، وما تم في عصره من المشروعات والاصلاحات العامة لا يتسنى لأي حاكم آخر في مركزه أن يأتي بمثلها . بيد ان خطأ اسماعيل باشا كله يرجع الى السرعة وتعدد المشروعات ، وفرط الثقة بدهاة أوروبا السياسيين والماليين ، وعدم الاحتياط في الانفاق على الأعمال ، وخلو البلاد من المستشارين المخلصين .

أسباب الاستدانة

كانت زيادة الثروة في البلاد في أوائل حكم اسماعيل بسبب ارتفاع أثمان القطن المصري لنشوب الحرب الدنية في أمريكا في ذلك الوقت أول عامل على تشجيع الوالي في سياسته ، فعقد قرضاً كبيراً لتوهمه ان الحرب ستستمر طويلاً ، ولكن الحرب وقفت فجأة في عام ١٨٦٥ م . ولم يقف اسماعيل باشا عند هذا الحد بل أخذ يعقد القرض بعد القرض ، بشروط فادحة حتى عجز عن سداد الدين ، بل عن فوائده التي بلغت الخمسة أو الستة ملايين من الجنيهات في العام .

وكان اسماعيل يجد من أوروبا التشجيع في سياسة الاقتراض طمعاً في ثروة مصر ، ولأن كبار الماليين كانوا يبحثون عن البلاد الصالحة لاستثمار رؤوس أموالهم فيها ، فوفد الكثيرون منهم الى الاسكندرية في أوائل حكم اسماعيل ، وأسسوا فيها الشركات ، وأخذوا يتصلون بالوالي ، ولجأ كثير من الأجانب في ذلك الوقت الى مصر لطلب الرزق ، وقد أخذت مصالح الأوربيين تنتشر في مصر من ذلك الوقت .

وبعد أن فتحت قناة السويس التي أصبحت أهم طريق للمواصلات بين الشرق والغرب ظهرت مطامع انجلترا وفرنسا الاستعمارية نحو مصر ، فأخذتا تتنافسان في استغلال مصر وامتلاكها

وكان اسماعيل مسرفاً في الواقع ، فكان ينفق الأموال الطائلة في اكرام الضيوف الأوروبيين ، والهدايا ، والقصور ، والحفلات وغير ذلك ؛ ولكنه أنفق معظم الأموال التي حصل عليها في الاصلاحات ، وكان اسماعيل سليم الطوية ، على حين ان دهاة أوروبا كانوا ينصبون له الحبائل بطرق غير شريفة .

ديون اسماعيل باشا

كانت ديون اسماعيل ثابتة وسائرة ؛ فالثابتة هي القروض المحدودة التي عقدها في بنوك انجلترا وفرنسا ، وقد بلغت حتى عام ١٨٦٨ م نحو ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ، وتراكمت عليه الديون السائرة الصغيرة المستحقة الدفع ، فكان يجددها بفوائد باهظة حتى بلغت ثلاثة أو أربعة أضعاف المبلغ المقترض .

وفي عام ١٨٦٨ م ابتدأت الحكومة تتوقف عن دفع مرتبات الموظفين ، فأخذ مركزها المالي يتزعزع ، وكانت الضرائب تجبى مقدماً ، فساءت أحوال البلاد ، فأصدر الباب العالي في تلك السنة فرماناً يحرم تقديم أي قرض الى مصر بدون استئذان الحكومة التركية ، لكن اسماعيل عقد سلفة جديدة برهن ايرادات أملاكه الخاصة ومقدارها ٧ ملايين من الجنيهات بفائدة ١٣ ٪ فاحتج الباب العالي على ذلك لدى الحكومة الانجليزية .

واستمرت الحكومة في عقد القروض الى أن اقترح اسماعيل صديق (المفتش) وزير المالية في عام ١٨٦٨ م فكرة « المقابلة » وكان المقصود منها أداء ديون الحكومة كلها ، وذلك بأن يقوم الأهالي بدفع ضرائب ستة أعوام مقدماً نظير اعفائهم من نصف الضريبة بصفة دائمة . فحصلت الحكومة على ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ولكن الدين الثابت بلغ في ذلك الوقت ٢٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ؛ ولشدة حاجة الحكومة الى المال الوفير لسداد بعض الديون عقدت سلفة جديدة تبلغ ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات .

وسافر اسماعيل باشا الى الآستانة وحصل من الباب العالي في عام ١٨٧٢ م على فرمان خول له حق عقد القروض بدون قيد ولا شرط ، فرجع الوالي الى مصر فوجد الحكومة في ضائقة شديدة فعقد سلفة مع أحد البيوت المالية الانجليزية مقدارها ٣٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات بفائدة ٨ ٪

وقد باعت الحكومة المصرية أسهمها في القناة بثمن بخس لانجلترا ، وكانت هذه الصفقة أكبر غلطة سياسية ومالية ارتكبها اسماعيل باشا في حياته .

بعثات حكومات أوربا

(١) بعثة كيف : وبعد مضى أيام قليلة على شراء الأسهم تألفت لجنة انجليزية برئاسة (كيف) لدرس الحالة المالية فى مصر فى عام ١٨٧٦ م ، وكان هذا العام بدء التدخل الفعلى فى مصر وارسال البعثات المختلفة التى كان الغرض منها اصلاح الادارة بوضعها تحت المراقبة الأوروبية ضماناً للدائنين .

وقد اقترح (كيف) توحيد الديون المصرية كلها على أساس فائدة معتدلة تتناسب وحالة البلاد ، وتأجيل الاستحقاقات الخطورة الحالى ، ووضع الادارة المالية تحت رقابة أحد كبار رجال المالية الانجليز فى ذلك الوقت ، ولكن اسماعيل لم يوافق على هذا الشرط الأخير واتفق مع الماليين الفرنسيين ، وأصدر فى مايو مرسوماً بانشاء (صندوق الدين العمومى) وتحويل جميع الديون السائرة والثابتة الى دين موحد بفائدة ٧ ٪ ، وقد عين فى صندوق الدين مندوبون عن الحكومات الفرنسية والنمساوية والايطالية .

(٢) بعثة جوشن : وقد امتنعت الحكومة الانكليزية عن تعيين مندوب لها ، وعارضت المشروع فى بادئ الأمر ، ثم تم الاتفاق على ارسال بعثة جديدة مؤلفة من (جوشن) ممثلاً للدائنين الانكليز و(جوبير) ممثلاً للدائنين الفرنسيين لاجراء تصفية عامة ، واضطلع تلك البعثة سياسيون من ذوى الخبرة لتمثيل انجلترا وفرنسا فى مصر ، ووضع قواعد المراقبة الثنائية (كوندومنيوم)

وقد كانت أهم نتائج بعثة (جوشن — جوبير) المالية ايجاد دين ممتاز قدره ١٧٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات بفائدة ٥ ٪ وتخفيض الدين الثابت الى ٥٩٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات بفائدة ٧ ٪ فأصبح مجموع ما يدفع من فوائد الدين سنوياً لا يبقى لمصر من الايرادات ما يكفى للانفاق على الادارة وتمهيد الأعمال الهامة مثل الرى وغيرها التى هى عماد الثروة فى البلاد .

أما نتائج البعثة السياسية فتتلخص فى نظام المراقبة الثنائية (الكوندومنيوم) الذى يشرك انجلترا وفرنسا فى ادارة مصر على الوجه الآتى :

(أولاً) بتعيين مراقبين (انجليزى وفرنسى) عامين للمالية المصرية

(ثانياً) بتعيين مندوبين من الأجانب للدين العام تعرض أسماءهم الحكومات الأجنبية على الحكومة المصرية ، وتنحصر مهمتهم فى تسلم ايرادات الجهات المرهونة ضمانة لسداد أقساط الدين السنوى من يد مراقب الايرادات العام ، وتسليمها لبنكى انجلترا وفرنسا ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لاستهلاك ذلك الدين .

(ثالثاً) بتعيين مندوبين آخرين لادارة مصلحتى السكك الحديدية وميناء الاسكندرية ، مصريين وفرنسى وانجليزيين تحت رياسة العضوين الانجليزيين . وتنحصر مهمتهم فى تسليم ايراد هاتين المصلحتين الى مندوبى الدين العام وذلك علاوة على الأشغال الادارية

(٣) بعثة ريفرس ولسن : ظلت ادارة البلاد وأحوالها وماليتها فى ارتباك مستمر ، وعمت الشكوى فطلب اسماعيل باشا ارسال بعثة جديدة فأصدر فى عام ١٨٧٨ م مرسوماً يقضى بتعيين « لجنة للتحقيق » تحت رياسة المسيو دى لسبس لفحص الحالة المالية فحصاً دقيقاً ، وفوض لهذه اللجنة السلطة المطلقة لاجراء ما تراه كفيلاً لتحقيق الغرض الذى أنشئت من أجله .

وقد تألفت هذه اللجنة وكان وكيلاها السير ريفرس ولسن ورياض باشا وأعضاؤها مندوبى الدول الأربعة فى صندوق الدين ، وكان رئيسها الفعلى ريفرس ولسن . وقد رفعت اللجنة تقريرها التمهيدى الى الخديو وطلبت أن تدفع الى الموظفين مرتباتهم ، وختمت تقريرها بقولها (ان الحاكم الأعلى يتمتع بسلطة لا حد لها)

وبناء على ذلك كلف اسماعيل بتكوين وزارة مسئولة ، فأصدر مرسوماً فى ٢٨ أغسطس عام ١٨٧٨ م بتأليف وزارة برياسة نوبار ، وريفرس ولسن فى المالية ، ودى بلينيير المراقب المالى الفرنسى فى الأشغال .

وألغيت المراقبة الثنائية التى قام عليها (الكوندومنيوم) ، وضمنت انجلترا لنفسها النفوذ الأول فى الوزارة الجديدة ، وبذلك انتقل الحكم المطلق من اسماعيل الى الأجانب أو الى السير ريفرس ولسن وزير المالية الانجليزى .

وقد واصل ولسن خطة اسماعيل فعقد قرضاً جديداً مع بيت روتشلد مقداره ٨٥٠٠٠٠٠ من الجنيهات بضمانة أملاك الخديو ، واستخدمت الوسائل القديمة فى جباية الضرائب ، فعم البؤس البلاد . وأخذ السير ريفرس ولسن يفكر فى تسوية الدين بطريقة نهائية بعد أن تحققت أغراض السياسة الانجليزية ، وانتزع السلطة من يد الحاكم الشرعى ، فاقترح على اسماعيل إعلان إفلاسه وتأجيل دفع بعض الديون وتخفيض الفوائد الفادحة الى ٥ ٪ بيد أن هذا الحل جاء بعد ما ساءت أحوال البلاد وتدخل

مشروع القرى

الأمية في مصر والعالم

للأستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

الأمم كالأفراد، تقاس مدنيتها ومبلغ رقيها وتقدمها بمقاييس معقولة، لعل أصدقها حكماً وأصحها نظراً — وإن كان أقساها وأبعدها عن التحيز — مقياس الأمية. ولا إخال فرداً واحداً من أبناء النيل المخلصين لبلادهم، الذين لم تفسد النزعة الوطنية الجامحة حكمهم على الأشياء، وتقديرهم للظروف، يكاد ينكر أن مصر على الرغم مما بلغته من الرقي المطرد في عصرها الحاضر الزاهر، وأخذها بجميع أسباب المدنية في العالم لا تزال ينظر اليها بغير العين التي نرضى أن ينظر لبلادنا بها، مادامت وصمة الأمية عالقة بجبينها، وظل الجهل مخيماً على السواد الأعظم من أهلها.

ولقد أصبحنا الآن في زمن يشعر فيه الرجل الذي لا يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب — مهما كان نابهاً مستنيراً، واسع الخبرة والاطلاع — أنه تحت رحمة المتعلم، بل هو قد يكون في أغلب الأحيان تحت رحمة الطفل الصغير في الكتاب الذي لا يستطيع أن (يفك الخط) إلا في صعوبة وعسر؛ فاذا أراد أن يحرر خطاباً لأحد أقاربه أو معارفه في جهة بعيدة، أو يكاتبهم في مسألة هامة لا قبل له بتأجيلها الى زيارة أو مقابلة فيتحدث عنها شفوياً، أو إذا أراد أن يحسب حسبة بسيطة مستعجلة كبيع القطن أو المحصول، أو تحرير مستند هام يضمن له حقوقه، أو الرد على إشارة من المركز أو العمدة، وجد نفسه مضطراً الى ارتكاب الصعب، وإراقة ماء الوجه في استعطاف من يستطيع أن يقوم له بهذه الخدمة البسيطة من أهل القرية، ويكافئه عليها بما يزيد على قيمتها من أجر أو كلمات الشكر على الأقل. ولذلك يشعر رجال القرية جميعهم بأنهم مدينون بالشكر طول حياتهم لفقيه الكتاب، أو مأذون القرية، أو كاتب المحكمة، أو المجاور الأزهري القديم، أو غيرهم ممن يقضون لهم هذه الحاجات ولو بلغة ركيكة وعبارة سقيمة. فاذا انتقل من هذه الأمور البسيطة الى أمور أشد خطراً وأعظم قيمة، كتحرير عقد بيع وتسجيله، والاطلاع على منشورات الداخلية وأوراق الانتخابات، وتعليمات وزارة الزراعة عن الطيور والحشرات، ونشرات مصلحة الصحة عن الأمراض المتفشية وطرق مكافحتها. كانت المهمة أشق، وإراقة ماء الوجه أشد، والمكافأة المالية أكبر. وكثيراً ما يدفع الفلاحون — بل قل العمد والمشايخ — الجنيهات الكثيرة في هذه الأزمة الطاحنة أجراً للكاتب العمومي، أو مندوب المحضر الذي يقوم بتحرير محضر البيع، أو العقد، أو شروط الوقفية؛ على ما في هذا كله من خطر كبير. فقد يحدث أن يكتب الكاتب شيئاً غير الواقع، أو يزور في العقد شيئاً لمصلحة الخصوم، فيشتري الرجل عقاراً غير موجود، أو حقلاً تقل مساحته عن المساحة الأصلية بكثير. والرجل مسكين يقبل هذا في حينه بالبركة، ثم يضع الختم أو يبصم ولا تنكشف له الحيلة إلا بعد أن يكون العقد قد استوفى سائر الاجراءات القانونية التي تجعل مطالبته بحقه أمام الناس والمحاكم أمراً عسيراً. ناهيك عن العلم بالمخترعات وماجريات الأمور، وتتبع الحوادث وتذوق طعم الفن والأدب، مما يجعل رقي الأمة حقيقة ملموسة

ويكفي أن ندلل على أهمية تثقيف الأمة، وأن الجهود التي تبذل في هذا السبيل مهما كانت جبارة ومضنية ومستنفدة لمالية الدولة، ومهما كانت العقول جامدة، والقرائح مطموسة، والشعب نفوراً بطبيعته من التعلم؛ لا يمكن أن تذهب سدى، ولا بد أن تأتي أكلها بعد حين. إننا نذكر المصريين بأن الأمم لا تقاس

الأجانب في شؤون المصريين، فثارت حمية القومية في نفوس المصريين، واضطر اسماعيل الى المقاومة فعزل الوزارة الأوربية في عام ١٨٧٩ م، وعين وزارة وطنية برياسة شريف باشا.

وقد اشترك اسماعيل باشا مع نواب الأمة في وضع خطة مالية جديدة، وكانوا هم الضامنين لها، ولكن الدول لم تغفل عن هذه الاهانة، فسعت لدى الباب العالي الى أن تمكنت من عزل اسماعيل في عام ١٨٧٩ م.

وكان من الممكن حل الأزمة المالية بوضع الادارة تحت رقابة مالية أو أوربية كما حصل عند إنشاء صندوق الدين؛ ولكن طمع انجلترا وفرنسا أدى الى تحويل المسألة المالية الى مسألة سياسية وحال دون انفراج الأزمة. وختمت الكارثة بقانون التصفية في عام ١٨٨٠ م والاحتلال في عام ١٨٨٢ م.

اسكندرية — عبد العزيز عبد الكريم

ثروتها بمقدار ما يملكه أغنياؤها من مال ، وإنما بمقدار نصيب كل فرد من أفرادها عامة وبخاصة من هذا المال ومن الثروة القومية ، فهي كذلك من الناحية العلمية لا تقاس ثقافتها ومدنيتها ورقيها بعدد من فيها من كبار المتعلمين ، وإنما بمقدار ما ينال كل فرد من أفرادها من مجرد التعليم الأولى . فالأمة التي يحسن كل أبنائها مجرد فك الخط هي أفضل في المستوى الاجتماعي الدولي ، وأرقى حضارة وأسرع تقدما ، وأجدر بالاعتبار من أمة عشرها علماء وتسعة أعشارها أميون .

فلا عجب إذا تسابقت الأمم القوية الناهضة في سبيل تعميمه لكل أبنائها وإجبارهم عليه بالقانون من بدء طفولتهم ، وتسهيل سبيل تحصيله الى آخر مراحله ، وأرقى درجاته للنابهين الممتازين من أبناء العامة والدهماء من غير أن تكلفهم شيئا ، أو تثقلهم بالنفقات ، ولو استنفدت جل مواردها ومخصصاتها . وما على المتشكك إلا أن يلقي نظرة واحدة على جدول الأمية في العالم ، وأن يقابل بين نصيب مصر منها ونصيب الأمم الأخرى التي كنا نحسب أنفسنا أرقى منها تعليما وأسرع منها تقدما . ناهيك بالأمم العظمى كانجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة واليابان وإيطاليا التي محت أو كادت تمحو وصمة الأمية عن جبينها ، فتحكم الأرقام الناطقة الصادقة عليه وعلى بلاده حكما لا يرضاه ، ويكفيه أن يعرف أن مصر ذات المجد الأثيل والتاريخ المجيد النبيل قد دار بها الزمن دورته ، فأصبحت في القرن العشرين أقل شأنا وأبطأ تقدما من شيلي وجبل طارق وأرجنتينا وباراجواي وتركيا وحتى كوبا واليونان وسيام . ويهوله الأمر إذا قارن نسبة التلاميذ في مصر الى من هم في سن التلمذة وهي (١٢٫٤٪) بالسويد وهي (٩٨٪) وتشيكوسلوفاكيا وهي (٦٠٪) وحتى بلغاريا وهي (٣١) واليونان وهي (٣١٪) وكولومبيا وهي (١٧) وألبانيا وهي (٢٥٪) . ولا ضير علينا من اتخاذ نسبة التلاميذ دليلا على الأمية مادامت نسب الأميين ذاتهم في ممالك العالم المختلفة تعوزنا .

احصائيات التعليم في العالم

الدرجة	البلد	نوع التعلم	سن التعلم	عدد السكان	عدد التلاميذ	عدد من في سن التلمذة	النسبة لسن التلمذة	النسبة لعدد السكان
١	الدانمرك	م ج	٦ — ١٤	٣٫٤٤١	٧٥٨			٪٢٣
٢	كندا	م		٩٫٥٠٤	٢٫٠٥٢	٣٫٠٠٠	٦٨	٢١
٣	هولنده	ج	٧ — ١٥	٦٫٨٦٥	١٫٣٤٦	٢٫٣٧٧	٥٨	٢٠
٤	أرلنده	م ج	٦ — ١٤	٣٫٠٠٠	٥٤٧	٩٢٠	٥٨	١٨
٥	تشيكوسلوفاكيا	م ج	٦ — ١٤	١٤٫٠٠٠	٢٫٤٠٠	٤٫٠٠٠	٦٠	١٧
٦	لكسمبورج			٢٦١	٤٣	٧٠	٦١	١٦
٧	النرويج	ج	٧ — ١٤	٢٫٦٥٠	٤١٨	٩٠٤	٤٦	١٦
٨	سويسره	م ج	٦ — ١٥	٣٫٨٩١	٦١٠	١٫٠٨٣	٥٧	١٦
٩	اسبانيا	م ج	٦ — ١٤	٢١٫٠٠٠	٣٫١٥٢			١٥
١٠	شيلي	م ج		٣٫٧٥٤	٥٧٠			١٥
١١	جبل طارق	ج	٥ — ١٤	١٧	٣ ب			١٥
١٢	النمسا	م ج	٦ — ١٤	٦٫٥٣٦	٨٦٦	١٫٥٣٣	٥١	١٤
١٣	أرجنتينا	م	٦ — ١٤	١٠ مليون	١٫٤٠٤ ألف			١٤
١٤	بولنده	م ج	٧ — ١٤	٢٩٫٢٤٩	٣٫٥٨٦	١٢٫٠٠٠	٣٠	١٢
١٥	بلغاريا	م ج	٧ — ١٤	٥٫٤٨٤	٦٦٧	١٫٧٥١	٣١	١٢
١٦	باراجواي	ج	٧ — ١٤	٨٠٠	٨٩			١١
١٧	السويد	ج م	٧ — ١٤	٦٫٠٠٠	٧٠٥	٧٢٥	٩٨	١١

الدرجة	البلد	نوع التعليم	سن التعليم	عدد السكان	عدد التلاميذ	عدد من في سن التلمذة	النسبة لسن التلمذة	النسبة لعدد السكان
١٨	تركيا	م ج	٧ — ١٤	١٣,٠٠٠	١,٣٣١ ب			١١
١٩	مالطة	م		٢٢٥	٢٢			١٠
٢٠	بلجيكا	ج	٦ — ١٤	٧,٨١٢	٨٣٣	١,٩٥٣	٤٣	١٠
٢١	لاتفيا			١,٨٤٥	١٩٩	٥٥٠	٣٦	١٠
٢٢	كوبا	م ج	٦ — ١٤	٣,٤٧٠	٣٢٠ ب			٩
٢٣	كوستاريكا	م ج		٤٩٨	٤٢ ب ت			٨
٢٤	اليونان	ج	٦ — ١٠	٦,٦٠٠	٥٣٢	١,٧١٨	٣١	٨
٢٥	بناما	ج	٧ — ١٥	٤٤٢	٣٥			٨
٢٦	بوراجواى	ج	٥ — ١٤	١,٦٧٨	١٢٩			٨
٢٧	إسلنده	م ج	١٠ — ١٤	٩٥٤	٧			٧,٣
٢٨	المكسيك	م ج	٦ — ١٢	١٤,١٣١	٩٧٥			٧
٢٩	الصرب	م ج		١٢,٠٠٠	٨٥٦ ب ت			٧
٣٠	سيام	م ج		٩,٨٣١	٦١٧			٦
٣١	مصر	م ج		١٤,١٧٨	٨٤٢	٦,٧٧٥	١٢,٤	٥,٧
٣٢	لتوانيا	م ج	٧	٢,٢٣٠	١٢٤	٦٥٠	١٩	٥
٣٣	كولومبيا			٧,٠٠٠	٣٦١ ب	٢,١٦٨	١٧	٥
٣٤	أكوادور	م ج	٦ — ١٢	٢,٠٠٠	١٠٩			٥
٣٥	جواتمالا	م ج	٦ — ١٤	٢,٠٠٠	٩٧	٧٥٨	١٣	٤,٥
٣٦	رومانيا	م ج	٧ — ١٥	١٧,٣٩٣	٧٣٨			٤,٣
٣٧	البرازيل	م		٣١,٠٠٠	١,٢٧٠			٤
٣٨	البوغاز	ج م		٩٦١	٤٠			٤
٣٩	ملقا	ج		١,١٤٧	٦١	٣٤٩	١٨	٣,٧
٤٠	البانيا	م	٦ — ١٤	٨٥٠	٣٢	١٢٥	٢٥	٣,٦
٤١	الكونغو			٨,٠٠٠	٢٦٥	٢,٥٥٠	١٠	٣,٥
٤٢	سلفادور	ج	٧ — ١٤	١,٥٨٢	٤٩			٣,١
٤٣	البرتغال	م	٧ — ١٥	٦,٠٠٠	١٨٣			٣
٤٤	الهند			٣١٩,٠٠٠	٩,٦٠٠	١٢٣,٠٠٠	٧,٨	٣
٤٥	بوليفيا	ج م	ب	٣,٦٦٠	٨٤			٢,٦
٤٦	هايتى	م ج		٢,٥٠٠	٤٨			٢
٤٧	بيرو	م ج	٧ — ١٤	٦,٠٠٠	١٠٧ ب			١,٥
٤٨	الصين			٣٤٣,٠٠٠	٤,٠٠٠			١,٢
٤٩	ليبريا	ج		١,٧٥٠	٩			١/٣

(ج) تعليم اجبارى . (م) مجاناً . (ب) ابتدائى . (ث) ثانوى . (و) متوسط

هذه الحقائق الملموسة هي التي جعلت جماعة مشروع القرى يؤمنون بأن التعليم هو أس التقدم وسبيل الرقي ، وكل ما عداه ثانوي لا يجدي . وأهابت بهم أن يجعلوا نداءهم فوق كل نداء ، وعملهم ألزم لمصر من كل عمل ، فقاموا زرافات ووحدانا منظمين ومتطوعين ، يحاربون الأمية في القرى بكل ما لديهم من حول ، وما يستطيعون من سبل ، وأيدهم الله بروح من عنده ، وثبت أقدامهم في جهادهم ، وقوى إيمانهم ، وانجلت تجربتهم الأولى في صيف العام الماضي عن تعليم أربعين ألفاً من القرويين ، ردهم المتطوعون الى حظيرة النور ، وأخذوا بيدهم في سبيل الحياة .

وها نحن أولاء نوطن النفس على أن نتعاون مع وزارة المعارف في جهادها العظيم لنشر التعليم الالزامي ، والعمل معها جنباً لجنب تاركين لها من هم في سني التعليم مركزين جهودنا فيمن فاتتهم الفرصة من البالغين . ولكن سيل الأمية جارف وتيارها قوي في أمة أكثر فيها من الذكور البالغين الأميين ممن تجاوزوا التاسعة عشرة وفاتوا سن التعليم ٧٩٪ أي حوالي ٢ر٨٥٣ مليون من مجموع الذكور البالغين ٣ر٥٨٥ ناهيك بالبنات والنساء الأميات اللاتي لم ندخلهن في حسابنا هذا . تصور بعد مراجعة جدول الأمية في محافظات القطر المصري ومديرياته مبلغ ما سيجده مشروع القرى من صعوبات جمة وما يحتاج اليه من جهود جبارة في مكافحة الأمية في مديرية كأسوان تبلغ فيها نسبة الأمية بين الذكور ٩١٪ وأسيوط ٩٠٪ وجرجا وقنا وغيرها

ولا يحسبن أحد أن انتشار التعليم الالزامي سينجح وحده في قطع دابر الأمية في عشر سنوات لأن المدارس محدودة وعدد الذكور كثير . أو أن التوسع في سياسة التعليم في مراحله الأخرى يخفف الوطأة . فجملة التلاميذ الآن ٦٥٥ ألفاً من الذكور أي حوالي ٢٧٪ من مجموع الأحداث الذين في سن التلمذة من ٥ — ١٩ ، البالغ عددهم ٢ر٤٨٧ مليون والمدارس الأولية بأنواعها فيها ٤٧٠ ألفاً . وسينضم المتخلفون من الأحداث الذين لا تتسع لهم مدارس التعليم الالزامي عاماً بعد عام الى مجموع البالغين الأميين ما دامت قد فاتتهم فرصة التعليم . ودليلنا على ذلك أنه مع ارتفاع نسبة الأمية في مصر وعلى الرغم من التوسع في انشاء المدارس فقد زاد عدد تلاميذ المدارس من جميع أنواعها ١٨٧٣٣٥ تلميذاً وتلميذة في مدى أربع سنوات من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣١ . خص التعليم الالزامي منهم ٧٣٣٧٠ تلميذاً وتلميذة فقط أي بنسبة ١ر٥٪

(جدول تعداد الذكور الأميين من سن ١٩ فما فوق)

المنطقة	عدد الذكور	عدد الملمين بالقراءة والكتابة	عدد الأميين	نسبة الأمية للذكور
القاهرة	٣٢١٧٨٦	١٥٢١١٠	١٦٩٦٧٦	٥٣٪
الاسكندرية	١٦٨٧٦٦	٨٥١٥٩	٨٣٦٠٧	٥٠٪
القنال	٣٨٣٥٣	١٣٤٢٥	٢٤٩٢٨	٦٦٪
السويس	١٣٣٢٠	٥٦٩٦	٧٦٢٤	٥٧
دمياط	٨٣٧٨	٨٩٦	٧٢٨٢	٨٧
الحدود	٢٩٨٢٦	٣٧١٢	٢٦١١٤	٨٧
مديريات الوجه البحري				
البحيرة	٢٢٠٦٩٦	٤٢١٢٦	١٧٨٥٧٠	٨١
الدقهلية	٢٥٠١١٢	٥٥٦٣٠	١٩٤٤٨٢	٧١
الشرقية	٢٤٢٨٣٦	٥١٦٧٧	١٩١١٥٩	٧٨
الغربية	٤٠٩٤٨٥	٨٠٥٩٢	٣٢٨٨٧٣	٨٠
القليوبية	١٤٣٨٩٣	٢٥٦٩٧	١١٨١٩٦	٨٢
المنوفية	٢٧٨٣٩٧	٥١٢٨٦	٢٢٧١٠١	٧٢
مديريات الوجه القبلي				
أسوان	٦٠٧٥٥	٥١٥٠	٥٥٦٠٥	٩١
أسيوط	٢٨١٢٥١	٢٧٠٨٣	٢٥٤١٨٨	٩٠
بني سويف	١٣١٤٩٨	١٨٣٥٨	١١٣١٤٠	٨٧
جرجا	٢٣٩٨٧١	٢٣٦٥١	٢١٦٢٢٠	٩٠
الجيزة	١٥٢٦٩٢	١٩٧٦٨	١٣٢٩٢٤	٨٥
الفيوم	١٤١٥٤٢	٣٢٨٣٠	١٠٨٨٩٢	٧٧
قنا	٢٣٠٦٣٠	٢٢٣٧١	٢٠٨٢٥٩	٩٠
المنيا	٢٢١٤٨٥	٣٥٤٥٠	١٨٦٠٣٥	٨٤
الجملة العمومية	٣ر٥٨٤ر٩٨٣	٧٣٢٠٦١	٢ر٨٥٢ر٩٢٢	٧٩٪

فاذا أضفنا مجموع الأميين من الذكور البالغين (سن ١٩ فما فوق) وعددهم ٢ر٨٥٣ مليوناً الى المتخلفين عن المدارس من الأحداث (سن ٥ — ١٩) وعددهم الآن ١ر٨٢٣ مليوناً وما يستجد عليهم ممن لا تتسع لهم مدارس التعليم الالزامي من الأحداث الذين

مشروع القرى

روح الاجتماع تدعو اليه فيلبها الشباب

للأستاذ محمد فريد وجدى

ما تمخضت أفكار المصلحين بشىء أكبر أثراً ، وأجل خطراً ، من تمخضها بمشروع تعليم أهل القرى بوساطة النجباء من أهلها من طلبة الجامعة وسائر المدارس فى هذه البلاد ، فان مصر التى تتوثب الآن للحصول على مكانتها بين الأمم الراقية ، وتحاول أن تسترد مجدها التاريخى الأقدم ، لا تستطيع أن تحقق أمانيها القومية هذه وتسعة أعشارها أميون لا يعرفون من أمر الوجود إلا ما تدعوهم اليه الحاجات الجسدية ، فأما النواحى العقلية وما يتجلى فيها من ثمرات البحوث الأدبية ، وما تتكشف فيها من أسرار الوسائل العلمية ، والأصول الاصلاحية ، والمبادئ الاجتماعية والعمرانية ، فهم بمعزل عنها ، واذا كلفوا بشىء منها لم يفقهوا له حكمة فلا يندفعون فيه عن اقتناع وروية . ألم تضطر الحكومة الى الاعتماد على نوع من الاجبار حين نصحت للفلاحين بجمع الديدان من شجيرات القطن وابادتها ، فتلكأوا فيها لاعتبارات خرافية حتى اضطرت لانفاق أموال طائلة لمراقبتهم فى القيام بهذه المهمة ؟ أما تذهب أكثر النصائح الطبية سدى فيما يختص بوجوب تصفية مياه الشرب وفى عدم التبرز فى المياه الجارية اتقاء لمرضى البلهارسيا والانكلستوما اللذين يفتكان بهم فتكا ذريعا ؟ ألم تفشل أكثر المحاولات التى أريد بها تخليصهم من العادات السيئة والتقاليد الضارة ، حتى ولو جاءتهم من ناحية الدين الذى يقدسونه ويتفانون فى المحافظة عليه ؟

وكيف كانت تروج حيل الدجالين ، وأحابيل المتطببين ، اذا كان القرويون يقرأون ما يكتبه عنهم العارفون ، وما تنشره الجرائد عن جرائمهم فى العواصم والأقاليم ؟

إن الجو القاتم الذى يعيش السواد الأعظم من الأميين فيه يجعل منهم كتلة متحجرة لا تستطيع بل ولا تفكر فى أن تتابع خطوات المتعلمين فى التقدم الى الأمام ، فيكون مجموع الأمة فى حالة تخاذل : بعضه يحاول السير ويقدر عليه ، وبعضه جامد حيث هو لا يستطيع انتقالاً من مكانه ، بل يرى الخير كل الخير فى الاقامة على ما وجد أبويه عليه ، فان حاول أن يتشبه بالمتعلمين خيل اليه أن ذلك يكون بتقليدهم فى بعض القشور فيشذ عن الجماعتين ، وينتهى أمره الى حالة من الضياع يضطر معها أن يلتحق بالمجرمين ليعيش .

كل ما فى الوجود يحفزنا لأن نقضى على الأمية فى بلادنا بكل الوسائل الممكنة ، فالحكومة سائرة فى طريقها من ناحية ، ولكن اعباء تفريج الأزمة الاقتصادية قد لا يسمح لها ببذل الوسع فى هذا السبيل ، فلا بد من عامل جديد يتناول ما لا تمتد يدها اليه ، وهذا العامل هو ما فكرت فيه الشبيبة المتعلمة تحت قيادة رجال مثقفين من العمل على تعليم القرويين ، وتقويم أخلاقهم ، وإشراكهم فى ثمرات العرفان الذى نالوه ، ليكون اتصال أجزاء المجتمع بعضه ببعض حاصلاً ومنتجاً للغاية التى نتوخاها جميعاً ، وهى أن تأخذ الأمة المصرية مكاناً بين الأمم يسمح لها أن تشاطرها

ثقل سنهم عن خمس سنوات وأسقطنا من يموتون من هؤلاء يكون لدينا على أقل تقدير خمسة ملايين من الذكور البالغين الذين يحتاجون الى معونة مشروع القرى ، فاذا صحت النية على قطع دابر الأمية فى مصر بين الذكور البالغين فى سن ١٥ سنة ولا أقول عشر أو سبع سنوات يكون لدينا فى كل عام حوالى ٣٠٠ ألف قروى يحتاجون على أقل تقدير الى ١٥ ألف متطوع من تلاميذ المدارس الثانوية والعالية والأزهر وغيرهم ممن يهمهم مستقبل مصر وسمعتها يعلم كل منهم عشرين قروياً

فلا عجب اذا رفعنا صرختنا عالية داوية فى القطر من أقصاه الى أقصاه نطلب المتطوعين .

فيا أيها المصريون المخلصون لبلادهم .. المعترفون بما لها عليهم من جميل . العارفون ما لها فى أعناقهم من دين بادروا بالتطوع . وسارعوا الى سداد الدين . يرده الله لكم أضعافاً مضاعفة

وما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ؟

ملاحظة : احصائيات التعليم فى مصر استقيتها من الارقام التى أمكننى الانتفاع بها من احصاء سنة ١٩٢٧ وهو الأخير . ولذلك حرصت على أن تكون أرقام الأمية فى العالم من احصاء ١٩٢٧ أو ما يقرب منها لبلاد العالم حتى تكون المقارنة صحيحة على قدر الامكان

العمل في خدمة الانسانية ، وإبلاغها أقصى ما نرجوه من الكمال العالي المنشود .

هذه النزعة من الشبيبة المتعلمة ليست بثمرة تفكير عميق خصيب ، ولكنها نفحة من روح الاجتماع تنزلت على أكثر النفوس حسا ، وأدقها شعورا ، فحركتها الى الوجهة التي سلكتها كل أمة نهضت قبلنا نهوضاً ثابتاً مضطردا . فهذه النفحة هي التي تجعل عملنا هذا أشبه بالأمور الطبيعية الاضطرارية ، منه بالأمور التفكيرية الاختيارية ، وهي في الوقت نفسه تدل على أن المجتمع المصري أصبح حاصلاً على جميع المقومات الاجتماعية التي تجعل منه جسماً مترابط الأعضاء ، متكافل القوى ، متماسك الأجزاء ، متأثراً بحياة صحيحة تدفعه الى النهوض دفعاً طبيعيا متزناً لا تقوى العوامل المحللة على صرفه عنه مهما تسلطت عليه .

فاذا كان أكثر محاولاتنا التي أنتجها التفكير المحض قد حبطت فان هذه المحاولة الأخيرة التي بعثت اليها روح الاجتماع لا يجوز عليها الحبوط ، بل هي ستتطور في أدوار التكمل حتى تبلغ ما بلغته أمثالها في الأمم التي سبقتنا الى الكمال المدني .

إن جميع الأمم التي ضربت في المدنية بسهم قد ألهمت هذه الطريقة في إيقاظ عامتها ، وإشراكها في نعمة الحياة الأدبية ، فان الانجليز قد نشطوا لتعليم الشعب نشاطاً كانوا فيه المثل الأعلى ، إذ تطوعت الطبقة المتعلمة كلها لتعليم الطبقة الجاهلة ، فأسسوا الدور الأهلية للتعليم الليلي وإلقاء المحاضرات التي تعين على ترقية مستواهم الأدبي . وكذلك فعل الأمريكانيون والألمان وغيرهم . وفي ألمانيا اليوم حركة أكبر لزيادة رفع المستوى الأدبي لأهل القرى بعد أن نجحوا في رفع الأمية عنهم ، علماً منهم بأن كل عمل يبذل في سبيل إصلاح القرى ، وتحبيب سكناها لأهلها ، وترقية مداركهم ، يعود بأكبر النفع على مجموع الأمة لأنهم الحجر الأساسي في بنائها ، واذا كان الأساس قويا ركيناً كان كل ما يبنى عليه متيناً ثابتاً .

فنحن الآن حيال نهضة أدبية خاصة بالقرى ، مقبلون منها على حالة مليئة بكبار الآمال ، يقوم بها شباب تخفق بين جوانحهم قلوب يعمرها حب الوطن ، وإيمان راسخ في النجاح ، فلتحي فيهم هذه الهمة الوثابة ، والاخلاص الذي تضرب به الأمثال ، كلل الله أعمالهم بالنجاح ، وأمدهم الله بروحه وعونه ، إنه ولي الصادقين ؟!

محمد فريد وجدي

٩ - بين المعري ودانتي

في رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود أحمد النشوي

قد وعدنا أن نحدثك عن خيال دانتي في الانتحار والمنتحرين وعما وصف به ما هم فيه من عذاب . فلعلك على ذكر من أن أبا العلاء لم يتبع سبيل الخيال إبان ذلك ، بل سلك طريق الحكماء ، ولعلك على ذكر أيضاً من تعليله . فأما دانتي فقد انتحى نحو الخيال يستمد منه الزراية بالانتحار والمنتحرين ، فبينا هو في الدرك السابع من جهنم إذ رأى غابة موحشة ، أشجارها متجعدة الأغصان ، متجردة إلا من أشواكها المسممة الأطراف ، وقد ملئت وحوشاً أنصاف جسومها في زي الأناسي ، وأنصافها الأخرى على هيئة طيور ، وهي ترفع صوتاً تنخلع منه القلوب عن أبدانها ، فسار في جنبات تلك الغابة على خيفة من وحوشها ، وهو يسمع أنات وزفرات لا يعلم طريقها ، فسأل عنها فرجيل فأجابه : أن اقطع طرفاً من هذه الغصون لعلك تتعرف تلك الأنات ، فصدع بالأمر ، وامتدت يده الى غصن لم يكد يجتذه حتى نطقت له تلك الشجرة صاحبة الغصن قائلة : لِمَ نزعتني ؟ أليس في حنايا قلبك شيء من الرحمة ؟ لقد كنا رجالا مثلكم ، وقد صرنا نباتا ، فأما شجرات تلك الغابة فهم المنتحرون نبتوا أشجاراً كان مأواها جهنم وبئس القرار . وأما تلك الشجرة التي قطع دانتي غصنها فهي الشاعر (بيير ديللي فيني Pier. dell. vign) ، وقد كان في حياته الدنيا مستشاراً لحكومة الأمبراطور فردريك الثاني ، تخدم مليكه مخلصاً في خدمته ، ولكن ألسنة السوء عبثت به فتقولت عليه الأقاويل ، فأصاخ لها الأمبراطور وفقأ عيني مستشاره ، وألقى به في ظلمات السجن ، فأكبر بيير ماحاق به وهو الشاعر الملتهب العاطفة ، فضرب رأسه في جدران السجن ضربة أودت بحياته ، وختم أيامه بتلك الجريمة الكبرى ، فلم يك ينفعه إخلاصه ، ولم تك تنفعه أمانته ، بل دخل النار مع الداخلين . وكان شجرة في تلك الغابة الموحشة التي تنخلع لهولها القلوب .

فى الطريق الى الفردوس

لقد كان طريق الفردوس فى خيال المعرى مليئاً بالمفاجآت الطريفة ، وبالدعابة الساخرة ، ينبعث من كل عبارة فيها مايضحك الثكلى . وسندع ابن القارح يقص علينا حديث ذلك الطريق ، وما تذرع به لدخول الجنة ، إذ يحاور تميم بن أبى ويسأله عما يريده بكلمة (المزانة) من قوله :

يادار سلمى خلاء لا أكلفها إلا المزانة حتى تسأم الدينا

فيجيبه تميم بأن الحساب العسير أنساه كل شيء ، فلم يدخل الجنة ومعه كلمة من الشعر أو الرجز ، ثم يقول لابن القارح إن حفظك لبقى عليك كأنك لم تشهد أهوال الحساب ، فيقص عليه ابن القارح حديث الموقف ، وحديث دخوله فراديس الجنان ، وأنه يمم شطر رضوان خازن الجنان يمتدحه بشعره ، فلا يزداد رضوان إلا إعراضاً عنه ، وصداً دونه ، ولما لم تجد مع رضوان ضراعة الشعر ، صاح ابن القارح قائلاً : يا رضوان ! استطالت مدة الحساب ، ومعى صك التوبة ، وقد امتدحتك بأشعار كثيرة ، فيستجيب دعاءه ثم يحاوره ، لا فى دخول الجنة بل فى تعريف الشعر وفائدته . وفى جمع كلمة شعر ، ثم ينتهى بينهما الحوار الى منعه من دخول الفردوس دون إذن من رب العزة . فلا تنقطع أطماعه بل يذهب الى خازن آخر اسمه زفر يمتدحه بالشعر فيقول له زفر أحسب هذا الذي تجيئني به قرآن إبليس المارد ، ولا ينفق عند الملائكة . فمن أى الأمم أنت ؟ فيقول له من أمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فيقول له زفر : صدقت ذلك نبي العرب ، ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لأن إبليس اللعين نفثه فى اقليم العرب ، وقد وجب على نصحك ، فعليك بصاحبك لعله يتوصل الى ما ابتغيت . فيتركه ابن القارح غضبان أسفا ، ثم يسير فى طريقه فيرى حمزة بن عبد المطلب فتتجدد آماله ، وترجع له ثقته بالشعر : يأمل أن يجد له نفاقاً لدى ابن عبد المطلب ، فيناديه وينشده ، فيقول له حمزة : ويحك ! أفى مثل هذا الموقف تجيئنى بالمديح ؟ إني لا أقدر لك على ما تطلب . بيد أنه يرسل معه رسولا الى على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، ليخاطب النبى صلى الله عليه وسلم فى أمره ، فلما قص عليه القصص ، قال له : أين صحيفة حسناتك ؟ فيبحث عنها فاذا بها سقطت فى شجار بين أبى على الفارسى وبين شعراء حرف كلامهم ، وأول أعراضهم ، تدخل ابن القارح فى فضه قائلاً : ياقوم ، هذه أمور هينة ، فلا تمقتوا الشيخ فانه ما سفك لكم دماً ، ولا احتجن عنكم مالا . وعاد الى كتاب التوبة يبحث عنه فلم يجده ، فجزع وهلع ؛ ولكن أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال له : لا عليك ، ألك شاهد بالتوبة ؟ فقال له نعم ، يشهد لى عبد المنعم بن عبد الكريم قاضى حلب (حرسها الله) فى أيام شبل الدولة ، فيناديه الهاتف فيجيبه بعد لأى شاهداً بتوبته . ولعل أمير المؤمنين كرم الله وجهه اتهم تلك الشهادة فأعرض عنه . بيد أن اليأس لم يخامر قلبه ، فذهب الى العترة متوسلا بهم ، قائلاً : إنى كنت فى الدار الذاهبة اذا كتبت كتاباً وفرغت منه ، قلت فى آخره : وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى عترته الأخيار الطيبين ؛ وهذه حرمة لى ووسيلة . فقالوا ما نصنع بك ؟ فقال إن مولاتنا فاطمة عليها السلام تخرج من الجنة كل حين مقداره أربع وعشرون ساعة من ساعات الدنيا الفانية ، فتسلم على أبيها وهو قائم لشهادة القضاء ، فاذا هى خرجت كالعادة فاسألوها فى أمرى بأجمعكم ، فلعلها تسأل أباها فى ذلك . فلما جاءت قال لها جماعة الأبرار : هذا ولى من أوليائنا قد صحت توبته ولا ريب أنه من أهل الجنة ، وقد توسل بنا اليك (صلى الله عليك) . فقالت لأخيها ابراهيم دونك الرجل ، فقال له ابراهيم : تعلق بركابى ، وطارت الخيل فى الهواء من الزحام حتى بلغ الركب الرسول صلى الله عليه وسلم . فقالت له فاطمة رضى الله عنها : هذا رجل سأل فيه فلان وفلان . فقال حتى ينظر فى عمله : فسأل عن عملى فوجد فى الديوان الأعظم وقد ختم بالتوبة ، فشفع لى ، فأذن لى فى الدخول ...؟

يتبع

محمود احمد النشوى

مجموعة السنة الاولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى

٤ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ محمد الاشمونى

الشافعى

أصله من أشمون جريس ، قرية من أعمال المنوفية ، وقد أخبر أنه من نسل أبى مدين التلمسانى ، ولد سنة ١٢١٨ ، وحضر الى الأزهر لطلب العلم ، فتلقى عن القويسنى ، والبولاقى ، والفضالى ، والأمير ، والباجورى ، والمرصفى وغيرهم . وكان أكثر حضوره على البولاقى ، والباجورى ، واشتهر بالذكاء ، وجودة التعليق واتقان التحصيل ، الى أن تأهل للتدريس فدرس الكتب المتداولة بالأزهر من صغيرة وكبيرة ، وقرأ المطول ، وجمع الجوامع ، وكتب التفسير ، والحديث ، والعقائد وغيرها مرات بعذوبة منطق وحسن إلقاء ، ولم يؤلف كتباً وإنما كتب عنه بعض الطلبة تقييدات عن قراءته للعقائد النسفية ، وكذلك قيدوا عنه نحو ثلاثين كراسة حال قراءته لمختصر السعد ، وأخذ عنه كثيرون من كبار علماء الأزهر ، وعمر عمراً طويلاً حتى ألحق الأجداد بالأحفاد وصار جميع من بالأزهر إما تلاميذه أو ممن فى طبقتهم ، وروى عنه أن الشيخ محمد الانبابى الذى كان شيخاً على الأزهر كان ممن تلقى عنه ، إلا أن الشيخ الانبابى كان ينكر ذلك .

ولم يعقب المترجم لأنه لم يتزوج قط ، وكان القائم بخدمته فى داره أخت له وجارية سوداء وعبد اسمه محبوب تبناه وزوجه من الجارية ، وفتح له حانوتاً بالتربيعة وصيره من التجار ، ثم وقف على الثلاثة داره التى كان يسكنها بالباطنية بالقرب من الأزهر .

ولم ينقطع عن التدريس والافادة إلا قبل موته ببضع سنوات لضعف أصابه من الكبر ، وأبطل حركته فى آخر أيامه ، وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع ذى القعدة سنة ١٣٢١ عن مائة سنة وثلاث سنوات ، وأمر الخديو بتجهيزه من الأوقاف الخيرية ، وأطلقوا منادين فى الطرق للانباء بوفاته ، فساروا مثنى رافعين أصواتهم بالنعى واجتمع فى صبيحة الوفاة الألوف من صنوف الناس لتشييع جنازته قيل إنهم بلغوا نحو أربعين ألفاً ، وحضر أيضاً الوزير النبهى المراكشى وزير الحرب بالمغرب ، وكان ماراً بمصر للحج وأحب أن تكون نفقة التجهيز والمأتم من عنده فأخبروه بأمر الخديو ، وتقدم شيخ الأزهر السيد على الببلاوى للصلاة عليه بالأزهر ، وتلوا قبيل الصلاة مرثية من نظم الشيخ ابراهيم زاضى مطلعها :

لا قلب للاسلام غير حزين فاليوم فيه انهد ركن الدين

ثم خرجوا بالجنازة الى القرافة ودفنوه فى مقبرة الشيخ الانبابى

وكان رحمه الله أنيس المحضر ، كثير الدعابة والمزاح مع الطلبة شديد الورع متصفاً بالزهد والتقشف وقلة الاحتفال برفاهة العيش اذا سار فى الطريق توكأ على عصاه بيد ووضع الأخرى على كتف من يساره ، لا سيما بعد علو السن وضعف القوة . حضر مرة احتفالاً مما يقام لكسر السد أو المولد النبوى ، ورموا بالسهام النارية كعادتهم ، فتجاوز سهم منها مداه ووقع على الحاضرين ، فأصاب المترجم فى احدى عينيه وذهب بها ، فرق له الخديو إذ ذاك ، ورتب له راتباً شهرياً علاوة على راتب الأزهر ، رحمه الله تعالى .

الغازى احمد مختار باشا

ولد فى بروسة من مدائن آسيا الصغرى شهر (سبتمبر سنة ١٨٣٧) وقدم الآستانة صغيراً ، فدخل المكتب الحربى العالى ، فنبغ من بين أقرانه ، ولم يخرج منه حتى نال رتبة قائمقام وحضر حرب القرم ، ثم انتظم فى عداد أركان حرب السردار الأكرم عمر باشا حين حمل على الجبل الاسود سنة ١٨٦٠ وامتاز بالبسالة خصوصاً فى مضايق اوستروك ، وكوفئ وقتئذ بترقيه رتبة ثم ما لبث أن عاد الى الآستانة عقب ابرام الصلح فجعل أستاذاً فى المكتب الحربى . وفى سنة ١٨٦٦ جعله السلطان عبد العزيز مربياً لنجله البكر يوسف افندى عز الدين ، فرافقه الى ايطاليا وفرنسا ، وانكلترا ، والمانيا ، والنمسا فنال فى أثناء ذلك وسام

(اللجيون دونور) وغيره من فرنسا وسواها ، وعاد الى الآستانة سنة ١٨٦٧ فجعل مأموراً لتحديد التخوم بين بلاد الدولة والجبل الاسود ، فرجحت بسببه كفة الأولى إذ أبقى فى حوزتها عدة مواقع حربية مهمة ، وقوبل عمله هذا بترقيته لرتبة أمير اللواء وجعله عضواً فى المجلس الحربى ، وفى ختام سنة ١٨٧٠ أرسل مع ضباط الجيش المرسل الى اليمن تحت إمرة رديف باشا ، فاستولى على مدينة يدى ، ونال رتبة فريق ، ثم أقيم مقام رديف باشا فى القيادة الكبرى لنقله والياً على الحجاز ، فتمكن من الفوز على أهل اليمن ، فرقى الى رتبة مشير وجعل والياً على اليمن . ثم لما رجع الى الآستانة أقيم وزيراً لوزارة النافعة فاستقال منها ثم جعل والياً لكريد ، ثم مشيراً للفيلق الثانى فى شوملة سنة ١٨٧٣ ، ثم مشيراً للفيلق الرابع فى ارزروم سنة ١٨٧٤ ، ثم قائداً لجيش الهرسك بدلاً من رؤوف باشا سنة ١٨٧٥ فحصن مواقعها ، وقاوم الثورة حتى عقدت الهدنة فى ختام سنة ١٨٧٦ فأعيد الى كريد والياً عليها ، ولكنه لم يبق بها شهراً واحداً حتى أمر بالذهاب الى ارزروم لقيادة الفيلق الرابع وحماية المواقع العثمانية عند حدود القوقاز . واشتهر بالفوز فى الوقائع الحربية مع الروسيا فى جهة قرص ، والكسندر ، وبول وغيرها ، خصوصاً بمعسكر جديكلر فى شهر اغسطس سنة ١٨٧٧ حتى استحق لقب الغازى ، ولما قطع الغرانددوق ميخائيل الصلات بين فرقته وسائر الجيوش العثمانية تمكن هو من النجاة ، ثم استدعى الى الآستانة فجعل ناظراً (للطوبخانة) وكان ذلك فى شهر افريل سنة ١٨٧٨ ، وبعد ذلك عين قائداً لجيش يانيا ، ثم والياً لكريد مرة ثالثة فى ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ فتمكن من توطيد الأمن بها وألف بين أهلها المسلمين والمسيحيين فكتبوا عريضة رفعوها للباب العالى فى شهر اكتوبر سنة ١٨٧٨ بالثناء عليه وبعد ذلك أرسل الى البانيا لتنفيذ العهدة البرلينية المتعلقة بها ، فدوخ الثائرين ، وعاد بعد حين الى الآستانة ولبث يقوم فيها بالمهام الجسيمة فى الجيش حتى أرسل الى مصر معتمداً عالياً .

الشيخ حسونة النواوى

الحنـــفى

هو حسونة بن عبد الله ، أصله من نواى ، قرية تابعة لملوى ، من أعمال أسيوط ، ولد سنة ١٢٥٥ ، ولما ترعرع حضر الى الأزهر ، وتلقى به العلم على شيوخ وقته ، وكان حضوره الفقه الحنفى على الشيخ عبد الرحمن البحراوى ، والمعقول على الشيخ محمد الأنبابى والشيخ علي بن خليل الأسيوطى . ثم درس به ، وأحيل عليه تدريس الفقه بمدرسة دار العلوم ومدرسة الادارة التى سميت بعد ذلك بمدرسة الحقوق ، ودرس آخر بمسجد محمد على بالقلعة فكان له من مجموع وظائف هذه الدروس ما حسن به حاله ، وألف فى أثناء ذلك كتابه « سلم المسترشدين فى الفقه الحنفى » لتلاميذ مدرسة الادارة ، ونال فى شهر شعبان سنة ١٣٠٢ كسوة التشريف من الدرجة الثانية .

ثم لما شرع الخديو عباس باشا الثانى فى أوائل توليته فى تحسين حال الأزهر ، واصلاح نظامه ، وطريقة التدريس فيه ، وابدال بعض الكتب التى تقرأ فيه بغيرها ، وادخال بعض العلوم فيه كالرياضيات ، وتقويم البلدان والتاريخ وغيرها وذلك بسعى الشيخ محمد عبده وغيره رأى الساعون تعذر ذلك مع وجود الشيخ محمد الانبابى شيخاً عليه ، ولم يشأ الخديو عزله دفعاً للقيل والقال ، فألف مجلساً من العلماء ينظر فى شؤونه سمى بمجلس الإدارة ، والتمس رئيساً له يعين على احداث النظام المطلوب فأشير عليه بالمترجم لما عهد فيه من الشهامة والصرامة ، وسعى له بعض كبار رجال الحكومة ممن سبق لهم التلقى عليه بمدرسة الادارة فأقيم رئيساً لهذا المجلس ، وأخذ فى الاستبداد بأمور الأزهر حتى انحصرت فيه كلياتها وجزئياتها ، وصار هو الشيخ فى باطن الأمر حتى ضجر الشيخ محمد الانبابى ثم اعتلت صحته ، فاستقال فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٢ ، وأقيل فى ثانى المحرم سنة ١٣١٣ .

فجاءت استقالة الشيخ على وفق مأمولهم ، وأقيم المترجم شيخاً على الأزهر بدله ، فكانت توليته كالشجا فى حلوق أهله لأسباب

منها انهم يرون فيهم من هم أكبر سناً ، وأكثر علماً ، وأحق بالرئاسة عليهم منه . ومنها انه جاء مؤيداً لادخال بعض العلوم المسماة عندهم بالجديدة كالحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان وما هى إلا علوم قديمة اشتغل بها المسلمون وألفوا فيها ، وكانت تدرس بالأزهر قبل انحطاطه ، وانما نفروا منها لطول عهدهم بها وحسبانها من علوم الافرنج ، وأنها ما أدخلت فيه إلا للقضاء على العلوم الشرعية أو تقليل الرغبة فيها . ومنها انه تولى بعد الشيخ الانبابى المشهود له بالعلم والفضل والتقوى بين الخاصة والعامة بل لأنه كان سبباً فى باطن الأمر على إرغامه على الاستقالة . ومنها اشتهاره بشيء من الشدة والجفاء فى مخاطبة الناس ومعاملتهم مع ما داخله بعد التولية من الزهو والخيلاء ، وما كان يشيعه أعداؤه عنه من ممالأته للانكليز على هدم أركان الدين بادخال العلوم الجديدة بالأزهر حتى كثرت القالة فيه ، ويعلم الله انه برىء مما يأفكون .

وحدثت فى مدته حادثة الوباء التى امتنع فيها المجاورون باغراء بعض متهوريهم من الخضوع لأوامر الحكومة ، واعتصموا بالأزهر ، وقاوموا رجال الشرطة ورموهم بالأحجار حتى أصيب محمد ماهر باشا محافظ القاهرة بحجر أدمى وجهه ، فأحيط بهم ورموا بالرصاص ، فجرح منهم من جرح ، ثم قبض عليهم وحكم على البعض بالسجن وعلى البعض بالنفى ، وأغلق رواق الشوام لأن أصل الحركة كانت منهم ، وهال الناس وقوع هذه الحادثة وانتصروا للمجاورين ، ووجدوا منها باباً للكلام فى الشيخ ورميه بالضعف والتهاون فى الدفاع عن حرمة المسجد والمحاماة عن أهله .

ثم لما توفى الشيخ محمد المهدى العباسى مفتى القطر سنة ١٣١٥ أضيف منصب الافتاء للمترجم فجمع له بينه وبين رئاسة الأزهر كما كان يجمع بينهما للشيخ العباسى أحياناً ، واستمر المترجم جامعاً للمنصبين وأكثر القلوب منصرفة عنه حتى وقع الخلاف الكبير بين جمال الدين افندى قاضى قضاة مصر وبين الحكومة أواخر سنة ١٣١٦ بشأن اصلاح المحاكم الشرعية واقتراح انتداب قاضيين من مستشارى محكمة الاستئناف الأهلية ليشاركا قضاة المحكمة الشرعية العليا فى الحكم ، فلما عرض الاقتراح فى مجلس شورى القوانين أبى قاضى القضاة قبوله ، وقام المترجم بنصرته وشد أزره ، وأراد رئيس النظار مصطفى فهمى باشا مناقشته فبدرت منه كلمات عدها الوزير مهينة له ، ولم يقتصر على ذلك بل أرغى وأزبد وخرج من المجلس مغضباً وهو يتلو قوله تعالى[1] (   )

وشاع بين الناس ما أقدم عليه فأكبروه منه وحمدوا موقفه فيه ، لا سيما وقد سرى الى الأذهان أن الحكومة تريد هدم الشريعة بهذا المشروع ، فانقلب ذمهم له مدحا ، وبغضهم محبة ، ولكنهم لم يغنوا عنه شيئاً لأن النظار أحفظهم ما واجه به رئيسهم وحرك ذلك ما كان فى صدورهم منه يوم أرادوا منع الحج احتجاجاً بالوباء واستفتوه ليجعلوا فتواه عصا يتوكؤون عليها كلما أرادوا منع الحج وظنوا انه يوافقهم فأخلف ظنهم ، وأفتى بعدم جواز المنع فكانت حادثته مع الوزير من أحسن ما يتوصل به الى التخلص منه ، فشكوه الى الخديو وطلبوا منه عزله ، فاستدعاه يوم الثلاثاء ٦ المحرم سنة ١٣١٧ الى مصيفه بالاسكندرية ومعه القاضى وألان لهما القول وناقشهما فى تعديل الاقتراح ، وتغيير ما يخالف الشرع منه ، فأصر القاضى على الامتناع ، وتكلم المترجم منتصراً له ، فقال فى عرض كلامه إن المحكمة الشرعية العليا قائمة مقام المفتى فى أكثر أحكامها ، ومهما يكن من التغيير فى الاقتراح فانه لا يخرجه عن مخالفته للشرع لأن شرط تولية المفتى مفقود فى قضاة الاستئناف ، ثم التفت الى القاضى وسأله هل هو مولى من الخليفة أم من الخديو ؟ فقال من الخليفة ، فقال إذن يجب إذن القاضى لمن يريد مولانا الخديو اشراكه معه ولو كان أهلاً ثم انصرفا . وكان كلام المترجم فيه شىء من الشدة تألم منها الخديو فمال لرأى نظاره فيه ، ولكنه أسرها فى نفسه حتى حسم نازلة القاضى بالحسنى ، ثم أصدر أمره يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ١٣١٧ بفصله من الأزهر والافتاء ، واقامة ابن عمه الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى شيخاً على الأزهر ، والشيخ محمد عبده المستشار بالاستئناف الأهلى مفتياً للقطر ، بعد ما انتقل من مذهب الامام مالك لمذهب الامام الأعظم أبى حنيفة .

ولما أشيع الأمر كثرت وفود العلماء والوجهاء على دار المترجم

(١) نسى الأستاذ أن يثبت الآية فى الأصل

وانطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه وتعلقت به القلوب ، وأقبل الناس عليه أي إقبال . وتحققوا ان ما كانوا يتهمونه به من قبل لم يكن إلا عن محض توهم . والحقيقة ان الرجل وإن لم يبلغ شأو طبقته في العلم لم يعهد عليه ما يشين دينه ولا دنياه ، بل عرف بالعفة ، وعلو الهمة ، ونقاء اليد من الرشى لولا جفاء يبدر بعض الأحيان في منطقه ، وشدة فيه يراها بعض الناس غلظة ويعدها البعض شهامة لحفظ ناموس العلم ، خصوصاً مع الكبراء الذين أفسدهم تملق علماء السوء وحملهم على الاستهانة بهذه الطائفة .

ولم يزل المترجم عاكفاً في داره ، مقبلاً على شأنه ، وحببت اليه العزلة فابتنى داراً بجهة القبة انتقل اليها وسكنها ، ولم يقم ابن عمه في الأزهر طويلاً بل توفي فجأة بعد نحو شهر من ولايته سنة ١٣١٧ ، فولي على الأزهر الشيخ سليم مطر البشرى المالكي ثم استقال فأقيل يوم الأحد ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو اعادة المترجم أو تولية الشيخ محمد بخيت فلم يوافق النظار وتولى الشيخ على بن محمد الببلاوى المالكي نقيب الأشراف على الأزهر ثم استقال يوم الثلاثاء ٩ المحرم سنة ١٣٢٣ فأقيل يوم السبت ١٢ منه ، وصدر الأمر العالى يوم الأحد ١٣ منه باقامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي ثم استقال فأقيل بأمر صدر يوم الاربعاء ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢٤ وصدر أمر آخر في ذلك اليوم باعادة المترجم شيخاً على الأزهر وهي توليته الثانية ، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً بسبب اختلال الأحوال ، ونزوع المجاورين للفتن ، وذهاب هيبة المشايخ ، فاستقال سنة ١٣٢٧ ورتب للشيخ الشربيني ١٥ ديناراً مصرياً في الشهر من الأوقاف الخيرية ليكمل مرتبه ٢٥ ديناراً .

وأعيد الى الأزهر الشيخ سليم البشرى ، ولزم المترجم داره التي بالقبة يزوره محبوه ويزورهم . ونال في توليته الأولى الوسام المجيدى من الدرجة الثانية . وجعل حينذاك عضواً من الأعضاء الدائمين بمجلس شورى القوانين ومن شرط هؤلاء الأعضاء انهم لا يعزلون ، ولهذا بقي المترجم به بعد عزله من الأزهر والافتاء ، حتى ألغي المجلس واستعيض عنه بالجمعية التشريعية سنة ١٣٣٢ فانفصل عنه بحكم الالغاء .

وظل مقيما في داره التي بالقبة في عزلة على الناس الى آخر حياته ، وقد أصيب بأمراض ووهن في القوى وضعف في النظر حتى توفى صباح يوم الأحد ٢٤ شوال سنة ١٣٤٣ ، ودفن في القصر بالمجاورين تغمده الله برحمته .



من طرائف الشعر

الذكرى

للعالم الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

أذكاراً بعد ما ولّى الشباب ... ومن الذكرى نعيم وعذاب

لا تقل تعزية عن فائت ... كم عزاء في ثناياه المصاب

وإذا الدار جفاها أنسها ... فمغانيها مع الترب تراب

وإذا الروض ذوت أوراقه ... فغناء الورق في الروض انتحاب

وإذا ما الزهر ولّى حسنه ... فبقاياه عبوس واكتئاب

واحمرار الشمس في مغربها ... دمعها القاني أو القلب المذاب

إنما الذكرى شجون وجوى ... يسكن القلب لها وهى حراب

رب نفس عشقت مصرعها ... كفراش النور يغريه الشهاب

ولكم أنس وفيه وحشة ... واقتراب هو نأى واغتراب

عللى القلب بذكراك وإن ... كان لا يغني عن الماء السراب

وصلينا في الكرى أو في المنى ... من أباه الصدق أرضاه الكذاب

أو عدينا عدة ممطولة ... قد يشام البرق إن ضن السحاب

كم تمنينا عقيمات المنى ... ودعونا وصدى الصوت جواب

ورضينا بقليل منك لو ... أن مشتاقاً على الشوق يثاب

لا أرى بعدك شيئاً حسناً ... آهل الأرض بعيني يباب

رنة العود بسمعي أنة ... وسلاف الخمر في الأقداح صاب

يا زماناً صفرت منه يدي ... غير ما تبقى الأماني الكذاب

ليت نفسي ذهبت في إثره ... فذهاب الصفو للمرء ذهاب

من لقلب حامل من وجده ... ما يذوب الصخر منه والهضاب

حمّل الأيام ذكرى ومنى ... ضاقت الدنيا بها وهى رحاب

والمنى عذر الليالي إن جنت ... وهى للشاكى على الدهر عتاب

ونعيم يعد القلب به ... نفسه حين المقادير خِجاب

نيتها دامت على خدعتها ... أحسب الخير ويعدوني الحساب

ربما رفه ظن خاطئ ... ولقد يجنى على النفس الصواب

غير أن اليأس قد أبقى بها ... مثلما يبقى من الشمس الضباب

لم يدع لي اليأس ما أحيا به ... غير قد كنا وقد كان الشباب!

أحمد الزين

حلم

للأستاذ محمود خيرت

هذا الجميل هو الذي وصل الهوى ... حظّي به فنكبت من عشاقه

ولقد شقيت بهجره حتى اذا ... بلغ المدى ويئست من إشفاقه

نادى عليّ فلم أصدّق مسمعي ... في ليلة كرمت على مشتاقه

وقد استقل البدر عرش سمائه ... وأطل ضافي الزهر من أوراقه

فطفقت أشرح والدموع هواطل

ما جرّعت شفتيّ كأس فراقه

وأبثه عتبي على إعراضه ... لما وشى بي عاذلي بنفاقه

وأخذت أروي من جنى قبلاته ... ظمئي وأطفئ لوعتي بعناقه

حتى اذا نفخ الصباح ببوقه ... في النائمين وهل من آفاقه

أدركت أني عند حلم طائف ... لم يبق منه غير مرّ مذاقه

إني الملوم عرضت قلبي سلعة ... عند الهوى فخسرت في أسواقه

البليارد

له أيضاً

تمشت الى بليارها ذات ليلة ... تعالج في لطف صوالجه لمسا

ومالت بنهديها عليه فعندها

أرتني كرات العاج من فوقه خمسا(١)

محمود خيرت

---

(١) كرات البليارد العادي عددها ثلاثة وتنتهي هذه الكلمة بحرف (د) في الفرنسية والانجليزية، ولكن هذا الحرف لا ينطق به في الأولى

من الأدب الغربي

سانت بوف وفن النقد

بقلم علي كامل

النقد قبل سانت بوف

كان النقد في القرنين السابع عشر والثامن عشر قائماً على تلخيص أعمال الكتاب وإيراد مقتطفات من كتاباتهم مصحوبة ببعض تعليقات عليها. وكانت هذه التعليقات على تفاهتها وقلة اهتمام النقاد بإيرادها تمثل الفوضى المطلقة. فكان كل ناقد ينظر الى الكتاب المنقود بمنظار فكره الخاص. فاذا اتفق تفكير الكاتب وتفكير الناقد كان الكتاب ناجحاً في نظر الناقد فيهلل له تهليلا. وإذا خالفه كان سقوط الكتاب هو المصير الأكيد! كان النقد إذن نظرياً فلم تكن له قواعد يتبعها الناقد في نقده. ولم تكن هنالك شروط معينة من الفروض توفرها فيمن يتصدرون لنقد أعمال كبار الكتاب والأدباء، لذا كان ينزل الى ميدانه كل من ظن في نفسه القدرة على مسك القلم وتسويد بضعة سطور على القرطاس. واستمر الحال هكذا حتى صاح (جرم) قائلا (إن الأعمال الأدبية العظيمة لا ينبغي أن تدرس بالاطلاع على ملخصاتها بل يجب أن تقرأ جيداً. أما الأعمال الأدبية التافهة فلا تستحق إلا الاهمال المطلق. إن النقد الصادق هو الدراسة والاصلاح. والناقد يجب أن يفهم المؤلف حق الفهم، ويتغلغل الى أعماق تفكيره لا أن يخضع لفكره الخاص)

على هذا الأساس نشأت بذرة فن النقد الحديث في أوائل القرن التاسع عشر. وكانت أول مظاهره نشوء ما سمي بالنقد التاريخي La critique historique والفكرة في ذلك أن العمل الأدبي خاضع بالضرورة للحالة الاجتماعية في العصر الذي كتب فيه. فلكي نحكم على الكتاب حكما عادلاً وجب أن نقيم وزناً للظروف التي عاصرته . . . تلك كانت وجهة النظر الجديدة وكان أول من عمل على تطبيقها الاستاذ فيلمان Villemain [1] فكان النقد في نظره صورة من التاريخ، وقد اتبع طريقته في النقد عند كتابته عن الأدب الفرنسي والآداب الأوروبية كالأدب الانجليزي والأيطالي والاسباني

(1) فيلمان (١٧٩٠ — ١٨٦٧) عين وهو في شرخ الشباب أستاذاً في مدرسة نورمال. وفي عام ١٨٢١ انتخب عضواً في الأكاديمي. وفي عام ١٨٣٢ أصبح سكرتيرها الدائم. وقد عين وزيراً مرتين. وترك بعد وفاته سلسلة من الابحاث النقدية أهمها Cours de la littérature française (١٨٢٨) و Etndes de le littéralure ancienne et étrangère (١٨٤٦)

ومن أوائل المجددين في النقد سان مارك جيراردان Saint-Marc Girardin (١٨٠١ — ١٨٧٣) وقد اشتهر بمحاضراته في السوربون وبكتابه Cours de littérature dramatique الذي قال عنه معاصره الناقد المجدد Nisard (إنه كتاب أدبي ولكنه يسمو الى مصاف الكتب الأخلاقية العظيمة)

اذن كان فيلمان وسان مارك جيراردان صاحبي الفضل الأول في الخروج بالنقد من فوضاه القديمة، وذلك بمزج النقد بالتاريخ واعتبار الأول صورة مصغرة من الثاني. على أن فضلها كان أشبه بمناورات طفيفة اذا قورنا بالفاتح الجديد سانت بوف

سانت بوف وأعماله الادبية

كان سانت بوف [1] Sainte-Beuve في مبدإ حياته طبيباً ثم انضم الى جماعة فكتور هوجو. وفي عام ١٨٢٨ نشر كتابه Tableau de la poèsie française au XVI siècle ثم ارتفع اسمه كشاعر عندما نشر عام ١٨٢٩ مجموعته الشعرية الأولى Poèsie de Joseph Delormie ثم مجموعته الشعرية الثانية Consolations (١٨٣٠) وفي عام ١٨٣٤ نشر قصته Volupté وفي عام ١٨٣٧ نشر مجموعته الشعرية الثالثة Pensées d'Août

وابتداء من عام ١٨٤٠ تفرغ سانت بوف للنقد الأدبي الذي نبغ فيه بسرعة نبوغاً عجيباً فلم يكن ينافسه فيه منافس. وفي عام ١٨٤٥ انتخب عضواً في الأكاديمي. وفي عام ١٨٥٧ عين أستاذاً في مدرسة النورمال فألقى سلسلة من المحاضرات نشرت فيما بعد بعنوان (دراسات عن فرجيل) Etudes sur Virgile. ولقد كتب سانت بوف ما يقرب من ثلاثمائة ترجمة biographie وصورة أدبية portrait littéraire جمعت تحت أسماء مختلفة منها (أحاديث الاثنين) و (صور أدبية) و (صور معاصرة) و (صور من النساء) وغيرها

عبقرية سانت بوف

إذا كان لفيلمان وسان مارك جيراردان فضل النهوض بالنقد كفن له قواعد وأصول، فان لسانت بوف فضل المجدد الطليق الذي

(1) ولد عام ١٨٠٤ ومات ١٨٦٩

لا يلتفت لحظة الى الوراء ولا يزعجه تقاليد الماضي . فهو الرجل الذي قلب بحق فن النقد في القرن التاسع عشر فلم يبلغ أحد ما بلغه في تطبيق طريقة (النقد التاريخي) ولم يكن هنالك من يفوقه فيها لمهمة الناقد الوفي .

كان سانت بوف ناقداً بالسليقة اذ كان يجمع كل الصفات التي يجب أن تتوفر في كل من يجرؤ على خوض غمار فن النقد . ذلك الفن الذي يعتبر — اذا استثنينا بلادنا ! من أصعب فنون الأدب . وهذه الصفات الضرورية التي كانت من أخص سجايا سانت بوف هي :

أولاً : حب الاطلاع . فكان يجد السعادة كلها في دراسة كل أنواع الكتّاب — من يحبهم ومن لا يحبهم — وقراءة الأعمال الأدبية من جميع العصور

ثانياً : الجلد الذي كان يجعله لا يمل قراءة أبسط التفصيلات والاصغاء لكل كلمة قبل أن يقدم على نقد عمل أدبي . وكانت أبعد الصفات عن طبيعته أن يفر من الصفحات المملة أو أن يكتفي بقراءة الفهرس ودراسة المقدمة كما يفعل الكثيرون !

ثالثاً : الذكاء الوافر الذي يهيء له القدرة على فهم نفسه والتخلص من سيطرة رأيه الخاص في المؤلف وفي الموضوع الذي يبحثه المؤلف . وكانت عبقرية سانت بوف من هذه الناحية تنحصر في أمرين . الأمر الأول في مهارته في أن يلبس شخصية المؤلف الذي ينقده فيزول بذلك ما قد يوجد بينهما من اختلاف في وجهات النظر ويصبح المؤلف في نظره رجلاً عادياً لا غرابة في أفكاره فينقده في هدوء وصفاء . والأمر الثاني في أن يخلق حول نفسه نفس الجو الذي كتب فيه الكتاب حتى تكون مواضيعه كأنها حقائق واقعة . وعندئذ يقدم على دراسة الكتاب دراسة عميقة ناظراً اليه من كل النواحي مشدداً عليه الخناق . وكان هذا في نظر سانت بوف هو الوسيلة الوحيدة لفهم الكتاب

رابعاً : الليونة في التفكير . كانت لسانت بوف القدرة العجيبة على نقد كتاب ما ، ثم الانتقال الى نقد كتاب آخر على أتم خلاف في الرأي مع الكتاب الأول

خامساً : عاطفة العدل . وهي سجية طبيعية نادرة الوجود لدى الناس . ويقصد بها أن الشخص اذا عهد اليه القضاء في أمر من الأمور فانه يكون أسير عاطفة تجعله لا يقضي الا بالحق والعدل . وهذا هو السبب في أن جل أحكام سانت بوف على مئات الكتب التي نقدها كانت أحكاماً عادلة سليمة من اللوم رغم تضارب أنواع الكتب واختلاف مذاهب مؤلفيها

استغل سانت بوف هذه المواهب النادرة في عمله كناقد . على أنه كان الى جانب ذلك مبتدعاً لطرق جديدة في النقد لم تكن معروفة من قبل . فأدخل على النقد شيئين :

أولاً : الصورة portrait ثانياً الترجمة biographie

ولنشرح الآن ماذا يقصد سانت بوف بالصورة ثم ماذا يقصد بالترجمة :

كان سانت بوف اذا أراد نقد كتاب من الكتب سأل نفسه : ما هي أخلاق الكاتب ؟ وما هي ميوله ، وما هي طباعه ؟ وكان يلح في الوصول الى حقيقة هذه الأشياء التي قد يظن البعض أن لا علاقة لها بالكتاب المنقود . على أنها كانت في نظر سانت بوف أهم ما يساعد على فهم الكتاب علاوة على فهم المؤلف نفسه . وكانت هذه الفكرة هي الباعثة لسانت بوف على كتابة عشرات الصور لمختلف الكتاب والأدباء . وقد كتب سانت بوف يشرح فكرته في ذلك فقال : (انني أحب دائماً الرسائل والأحاديث والأفكار وكل الدقائق التي تعين على فهم أخلاق الكاتب . وبكلمة واحدة أحب دراسة تراجم كبار الكتاب . ولقد أحبس نفسي خمسة عشر يوماً مخالطاً كتب شاعر أو فيلسوف مشهور توفى فأدرسه وأعيد قراءة ما قرأته وأسائل نفسي في هدوء وروية ، وعندما أنتهي من دراستي أرى أن هذه الدراسة قد أوصلتني في النهاية الى كشف عوالم خفية فأجد أن ذلك الكاتب الغامض الذي كان في البداية لا يختلف في نظري عن نوعه من الكتاب يضم من السجايا الفنية الخاصة به ما لا يمكن تجاهله ونسيانه)

ولقد ظهرت هذه الطريقة الجديدة في النقد التي اتبعها سانت بوف ظهوراً قوياً في مجموعته الشهيرة (صور أدبية) Portraits littéraires

على أن هذا النوع من الدراسة لنفسية الكتاب وأخلاقهم كان يعتبر في نظر سانت بوف سطحياً لا يكفي لكي يكون النقد كاملاً غير منقوص ، لذا كان يرى ضرورة التوسع في دراسة الكاتب واتمام ما كان يعتبره نقصاً باضافة ما سماه (التاريخ الطبيعي

في الأدب الفرنسي

٧ - الذوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

إننا نعجب باحتقار حطام الدنيا والزهد فيها ، ونعيد ذلك فضيلة ، ولكن لاروشفوكو يقول عنها : « احتقار الثروة كان عند الفلاسفة رغبة مستترة في الانتقام لجدارتهم من الحظ ، باحتقار النعم التي حرمهم منها ، يدفعون به عن أنفسهم ذل الفقر ، كان سبيلاً ملتوية يسلكونها لاكتساب الاعتبار الذي حرمتهم منه رقة العيش » (موعظة رقم ٥٤) . ومعنى قوله أن بعض الناس يزهدون في الثروة انتقاماً لجدارتهم من الحظ ، وهذا كبرياء . وبعضهم يتخذون هذا الزهد سلاحاً يدفعون به عن أنفسهم ذل الفقر ، وهذا خداع . وبعضهم يتخذونه مجازاً الى الاعتبار ، وهذا طموح ؛ أي أن لاروشفوكو يجعل مصدر هذه العاطفة الراقية الكبرياء والخداع والطموح .

الاعتدال فضيلة جميلة ، ولكن لاروشفوكو يقول عنها : « الاعتدال هو خوف الوقوع في جحيم الحسد واتقاء الازدراء الذي يستحقه من تشمله السعادة ، إنه تفاخر جديد بقوة العقل ، وعلى الجملة اعتدال الناس في أرقى درجات علوهم هو الرغبة في الظهور أكبر من حقيقة مركزهم وثروتهم » (موعظة رقم ١٨) « الاعتدال لا يستطيع أن يتطلع الى مناجزة الطموح وإخضاعه ، لأنهما لا يجتمعان مطلقاً . هو فتور النفس وكسلها ، كما أن الطموح نشاطها وتوقدها » (موعظة رقم ٢٩٣) . « عُد الاعتدال فضيلة ليخفف من غلواء الطموح الذي يتملك العظماء ، ولتتعزى به صغار الناس عن ضآلة ثروتهم وجدارتهم » (موعظة رقم ٣٠٨) . فالخوف والغرور والكبرياء والكسل هي جوهر فضيلة الاعتدال . وهذه الفكرة برهان آخر على أن لاروشفوكو استخلص مواعظه من عصره ، لأنها تنطبق على خلق مازاران . كان هذا الوزير يتكلف البشر اذا اختلت مصالحه ليظهر للناس أن المحن لا تروعه ، ويتصنع الرزانة اذا كلل النجاح أعماله ، ليظهر أن الرفاهية لا تستخفه طربا . ولكن اعتداله الكاذب لم يخف على أحد من معاصريه . أما (فوكيون) [1] الاغريقي - مثلاً - فقد اشتهر بالاعتدال التقي وشهد له به أهل أثينا وأيدت حياته شهادتهم . ولما حكم عليه بشرب السم قال لابنه والكأس في يده : « آمرك وأرجو منك ألا تحمل للأثينيين في صدرك غلا أو ضغينة من أجل موتي » .

جلد الحكماء يستدر إعجابنا ، ولكنه في اعتقاد لاروشفوكو « ليس إلا فن كتمان اضطرابهم في دخيلتهم » (موعظة رقم ٢٠) ، أي أن الحكمة ليست شيئاً آخر غير النفاق . ولو قيد لاروشفوكو هذه الفكرة قليلاً ولم يضعها في صيغة عامة لكان أصح . إذ يروى التاريخ أخبار حكماء كان الجلد عندهم غراما بالفضيلة لا ينال منه

(١) ٤٠٠ - ٣١٧ ق . م . ولد في أثينا وشب على الفضائل حتى أصبح مثالاً لها ، ونبغ في الخطابة وفي فنون الحرب والسياسة . واكتسب بأعماله وملكاته وفضائله احترام قومه وتقديرهم ، وأدامه العظاميون في أثينا رئيساً عليهم وهو في شرخ صباه . وكان ينصح للشعب في إخلاص تام ويجهر له عما يعتقد في صراحة الواثق بصفاء نيته . وكان ديموستين الخطيب المعروف يرهب جانبه ويسميه (هادم خطبي) . وفي أواخر أعوامه جر عليه الاعتدال في السياسة غضب الشعب ، فحكم عليه بشرب السم . ومات وهو يوصي ولده بأن ينسى ظلم الأثينيين له . ثم عرف الشعب قدره بعد موته فأقام له تمثالا

للأفكار (Histoir naturelle des esprits) . وذلك أن بين الكتاب نواحي من التشابه وأخرى من الاختلاف ، فواجب النقد أن يفتش عن هذه النواحي حتى يعثر عليها ويميزها ويبين من خلالها خصائص كل كاتب وأوجه التشابه والاختلاف في الأفكار بينه وبين غيره من الكتاب الذين يكونون معه أسرة فكرية واحدة . وقد لجأ سانت بوف لتحقيق ذلك الى طريقة الطبيعيين Naturalistes باستخدام ما يسمى Morographie أي ترجمة حياة الكاتب تحت ضوء الملاحظة الصادقة والتحليل الدقيق وذلك للوصول الى أغوار فكره ، واكتشاف (الفروق العظيمة الطبيعية) — كما يقول سانت بوف — بين العقول المختلفة .

ولقد تضمنت مجموعتاه الخالدتان Causeries du lundi و Nouveaux lundis هذه التراجم الفكرية الفائقة التي تعتبر بما احتوته من الأفكار الغزيرة ، والذوق السليم ، خير نموذج لفن النقد الحديث .

علي كامل

خوف أو أمل . ولنضرب مثلاً : سقراط الحكيم الذي جلس في سجنه قبيل إنفاذ حكم الموت فيه يحدث أصحابه عن موضوعات فلسفية هامة ، وهو أشد ما يكون هدوءاً واطمئناناً (راجع فيدون لأفلاطون) . وكيف تعرف أن الهدوء الظاهر يخفي اضطراباً باطنياً ؟ إنه في هذه الحالة ينم عن نفسه مهما حاول المضطرب إخفاءه . ومثل هذا الانسان لا يسمى حكيماً . وإذا لم يبد لنا أثر من آثار الاضطراب ، فليس من حقنا الجزم بوجوده .

وماذا يقول لاروشفوكو عن فضيلة العدل ؟ « حب العدل ليس عند كثرة الناس إلا الخوف من وقوع ظلم عليهم » (موعظة رقم ٧٨) . وهو لم يميز العدل الذي يصدر عن إلهام نفساني وما يسمى صرخة الضمير ، وينتج الأعمال الكريمة ، من العدل الذي يصدر عن التفكير والروية وينتج القانون الذي يمنع أعمال الظلم من الوقوع .

ثم يقول عن الطيبة : « الانسان العاجز عن أن يكون شريراً ، لا تستحق طيبته المديح ، والطيبة في هذه الحالة — أي حالة العجز عن فعل الشر — ليست في الأغلب إلا خمولاً أو ضعف إرادة » (موعظة رقم ٢٣٧) . وهذه الفكرة تقد خلق الملكة آن دوتريش

وذكر عقب الطيبة قوله عن الفضيلة التي تمت إليها بصلة كبيرة ، وهي الشفقة : « الشفقة في الأغلب شعور بآلامنا في آلام الغير . إنها تبصر ما هو في عواقب المحن التي قد تصيبنا . إننا نقدم المعونة للغير ليضمن معونته في ظروف مماثلة لظروفه . وهذه الخدمات التي نسديها إليه هي في الواقع معروف نسديه إلى أنفسنا مقدماً » (موعظة رقم ٢٦٤) . وهذه الفكرة لا تدعو إلى العجب بعد الذي ذكره عن الشفقة في معرض حديثه عن نفسه . وقوله « في الأغلب » يدل على إيمانه بوجود الشفقة النقية التي تتفجر من القلب وتسبق كل تفكير وتأمل ، وتنتج الخير من تلقاء نفسها ، وفي بعض الأحايين على الرغم مما تتطلبه المصلحة الذاتية . وهذه العاطفة ألزم ما يكون للانسانية لأنها بلسم البائسين ، تربط القوي بالضعيف ، والمجدود بالمحدود ، ولن يصيبها الفناء مادام على الأرض بشر .

وتأتي عقب الشفقة فضيلة الشكر على المعروف ، فيقول عنها :

« شكر الكثرة من الناس ليس إلا رغبة خفية في الحصول على معروف أكبر من الذي حصلوا عليه » (موعظة رقم ٢٩٨) .

ومن الطيبة والشفقة المتبادلة والشكر تنتج الصداقة : « إننا لا نستطيع أن نحب شيئاً لا تربطنا به آصرة ، ولا نتبع غير ذوقنا ولذتنا لما نفضل أصدقاءنا على أنفسنا . وهذا التفضيل فقط هو الذي يجعل الصداقة حقة كاملة » (موعظة رقم ٨١) ، أي أننا ننسى مصلحتنا الذاتية في سبيل أصدقائنا ، ونجد في هذا النسيان لذة . وهو يذكر هذه الكلمة للحط من قيمة هذه العاطفة ، ولكنها لذة فيها نبل وبطولة .

ولم يلبث أن أنكر وجود الصداقة التي توهب ولا تباع ، فقال : « الصلح مع أعدائنا ليس إلا رغبة في إصلاح حالنا ، والملل الناشيء من عناء الحرب ، والخوف من وقوع حادث سيء » (موعظة رقم ٨٢) . وهذه الفكرة مأتاها الحرب الأهلية التي سبق الكلام عنها . فلاروشفوكو الذي دفعته مصلحته الذاتية إلى الاشتراك في هذه الحرب ، رغب في الصلح بعد أن جرح رأسه وهلك زرعه ودمر قصره ، خشية أن تصيبه ملمات أخرى . وكانت الملكة آن دوتريش أثناء هذه الحرب لا تثق بمن يلتفون حولها لأنها لم ترض طموحهم ، وتوجس منهم خيفة كما يدل على ذلك قولها : « متمناي أن يبقى الليل في مجثمه أبداً لأني لا أرى في النهار إلا أناساً يدأبون على خيانتي » . فالبلاط والثائرون لم يلجأوا إلى الصلح إلا فراراً من الملل الناشيء من عناء الحرب ، وخوفاً من وقوع حوادث أليمة ، ورغبة في إصلاح حالهم » . ثم قال في موضع آخر : « إن ما يسميه الناس صداقة ليست إلا شركة ، أو إدارة وتدبير مصالح ذاتية متبادلة ، أو تبادل ضروب المعروف . وهي على الجملة ليست إلا تجارة يتطلع حب الذات فيها دائماً إلى شيء يربحه » (موعظة رقم ٨٣) . « إننا نقنع أنفسنا في أكثر الأحايين بأننا نحب من هم أكبر منا قوة وأشد بأساً . وفي الحق إن المنفعة هي فقط التي تنتج صداقتنا ، ونمنحهم هذه الصداقة ابتغاء خير نروم الحصول عليه منهم ، لا في سبيل خير نريد أن نهديه إليهم » (موعظة رقم ٨٥) .

يتبع البحث في العدد القادم

محمد صادق



ما هو الزمن؟

للدكتور عبد الله صبرى

كثرت المناقشات فى الأيام الأخيرة بين العلماء والمفكرين فى موضوع الزمن حتى سرى الاهتمام بهذا الموضوع الى عامة الجمهور مما دعانى الى ذكر بعض الحقائق والملاحظات التى أسردها هنا مقتبسة من المصادر العلمية الصحيحة

لاشك أن كلا منا يعرف الوحدات العادية للزمن . ولا أظننا ناسين أنه يجب علينا أن نستيقظ غداً فى ساعة معينة من الصباح (مع الأسف !) . وبالرغم من كراهيتنا للمنبه فنحن مضطرون لطاعته — ليس منا من يتجاهل سلطة الزمن ، ذلك السيف الجبار الذى اذا لم تقطعه قطعك ، وليس منا من يتجاهل أحقيته ووجوده ودقته وتأثيره فى أعمالنا اليومية . غير أننا بالرغم من اعترافنا به لهذا الحد قد نقع فى الحيرة عند مايطلب الينا تعريفه أو ذكر كنهه

فبالرغم من وجود الأجهزة الدقيقة التى تبين لنا مقادير الزمن ، كثيرا ما نشعر فى أنفسنا باختلاف تقدير هذه الأجهزة فى أحوالنا النفسية المختلفة . فكثيرا ما نشعر بطول الوقت وبطء مروره عندما نكون فى انتظار صديق فى موعد ، وعلى العكس نشعر بسرعة مروره عند ما نكون سعداء أو منهمكين فى عمل هام . فهل خاننا احساسنا الزمنى فى هذا الشعور ؟ أم هل خانتنا الأجهزة التى تبين لنا الزمن ؟ وعلى أى قياس ينبغى لنا أن نعتبر الزمن ؟ أبأنفسنا أم بالساعات ؟

إذا رضينا بالساعات مقاييس حقيقية للزمن ، فكيف يمكننا أن نتلاعب بها الى الحد الذى نقدمها ونؤخرها فيه حسب إرادتنا كما جرت العادة فى أوروبا عند اعتبار الزمن الصيفى الذى تقدم فيه الساعات ساعة زمانية فى أبريل من كل عام ؟ وكيف يمكننا أن نتلاعب بالتقاويم السنوية فنضبطها ونغيرها حسب الارادة من غير أن يؤثر ذلك كله فى العالم

إن حكاية تعديل التقويم السنوى فى أوائل القرن السادس عشر حكاية معروفة . اذ اتضح فى ذلك الوقت أن التقويم الجريجورى قد أخطأ فى مدة أحد عشر يوما ، وقررت الحكومات حينئذ تقديم التاريخ بمقدار هذا الزمن ، وبذلك حدث هياج كبير فى الرأى العام ، واعتقد الناس أن الحكومة قد استقطعت من حياتهم هذه المدة لغير ماسبب ، وتظاهروا صائحين : اعطونا الأيام التى أخذتموها من عمرنا ، ألا يكفيكم أن تسلبوا منا نقودنا فتسلبوا منا أيامنا كذلك ؟

وفى الحقيقة أن تعيين وحدة حقيقية ثابتة للزمن من الأمور العسيرة . فقد ثبت لعلماء الفلك أن المدة اللازمة لدوران الأرض حول الشمس تزداد عاماً بعد عام ، أى أن السنة الزمنية ليست ثابتة اذ كانت أطول فى الزمن الغابر منها فى الزمن الحاضر بمقدار محسوس . فهناك اتجاه حديث لاعتبار سرعة تحلل عنصر الراديوم مبدأ لتقدير الزمن إذ ثبت أن الراديوم فى تحوله الى رصاص يستغرق أزمنة متساوية تماماً

غير أن هذه الوحدة الزمنية سواء اعتبرت من الجهة الفلكية لدوران الأرض حول الشمس أو من الجهة الطبيعية لسرعة تحلل الراديوم فانها فى النهاية متوقفة على ادراك الانسان وتابعة لاحساسه ، وقد تكون هى فى ذاتها خدعة عقلية . وهذا مما جعل كثيراً من المفكرين يتساءلون اذا كان فى أجسامنا جهاز طبيعى لتقدير الزمن ؟

ومن التجارب التى تدل على احتمال وجود ساعات حيوية فى أجسامنا امكاننا الاستيقاظ مثلا فى ساعة معينة من الصباح بمجرد حصر ذهننا فى ذلك قبل النوم . وهنالك كثير من الناس الذين يمكنهم الحصول على هذه النتيجة بغاية الدقة . وهنالك تجربة مشهورة أخرى أجريت مراراً عديدة بحضور الشهود وهى بأن

ينوم شخص تنويماً مغناطيسياً ، ويؤمر أثناء نومه بأن يكتب كلمة « الزمن » بعد استيقاظه بعد تمام مليون ثانية تماماً (أي بعد حوالي عشرة أيام) . وفعلاً يحدث ، فمهما كانت ظروف النوم في حياته العادية بعد هذه المدة فانه في تمام الثانية المليون تماماً يأخذ قلمه ويكتب الكلمة المطلوبة . وبديهي أن النائم لا يتذكر شيئاً بعد استيقاظه مما قيل له أثناء تنويمه .

ويميل كثير من المفكرين على ضوء هذه التجربة ومثيلاتها أن يعتقدوا بوجود هذا الجهاز الحيوي الذي يعد الزمن في أجسامنا . وقد اكتشف أخيراً تيار كهربائي منتظم يجري في الجسم في كل لحظة من لحظات الحياة سواء أكان الانسان نائماً أم مستيقظاً ومهما كانت حالته العصبية أو الصحية مستمراً الى لحظة الموت . فمن الجائز أن يكون هذا التيار هو الذي يعد الثواني والزمن الذي يمر ونحن أحياء . ومن البديهي أنه لا يمكن اعتبار دقات القلب مقياساً للزمن اذ أن هذه الدقات يتغير عددها وانتظامها بين آن وآخر تبعاً لظروف الانسان وحالته العصبية .

غير أن احتمال وجود هذا الجهاز الحيوي الذي يقيس الزمن في أجسامنا لا يفسر لنا كنه كثير من التجارب الشخصية التي تحدث لكل واحد منا بين آن وآخر ، الا وهي معرفة بعض حوادث المستقبل قبل وقوعها . فكلنا يشعر أن كثيراً من أحلامنا تصور لنا صوراً جلية واضحة من المستقبل . وقد أجريت عدة تجارب علمية لاثبات ذلك واتضح منها صحة هذه النظرية ، ويظهر أن الاعتقاد بامكان رؤية المستقبل قد صادف ميلا كبيراً عند كثير من المفكرين والمؤلفين وعند الجمهور في الأيام الأخيرة . فهنالك كثير من الروايات التي تكتب على هذا الاساس ، وهناك كثير من المؤلفات العلمية التي تبحث في هذا الموضوع الغريب . فمن أشهر ما كتب حديثاً عن ذلك كتاب « تجربة عن الزمن » تأليف الكاتب الانجليزي ج . و . دن „Experinent with Time„ by J. W. Duun وهذا الكتاب يفسر تجارب المؤلف الشخصية في امكان رؤية المستقبل ، ويوضح ذلك بنظرية المتواليات الزمنية . وهناك كذلك كتاب المفكر الانجليزي المعروف هـ . ج . ولز عن كنه المستقبل „The Shape OF Things Te Come„ H. G. Woltz

وهو يعطي في هذا الكتاب تاريخ العالم في المستقبل القريب لا كخيال يتوهمه ، بل كحقيقة واقعية رآها صديق له عند قراءته لكتاب حقيقي للتاريخ مكتوب في سنة مقبلة

والعلم الحديث لا ينكر رؤية المستقبل . اذ لو أننا تصورنا امكان وجودنا في طيارة سائرة بسرعة أكبر من سرعة الضوء لنا أمكننا أن نرى أو ندرك شيئاً من العالم الزمني الموجود ، بل أننا نصبح خارج نفوذ الزمن ونصبح أبديين . وهذا مما يقرب الى العقل البشري امكان خروج المادة والانسان عن نفوذ الزمن وتقديره ، ويمكن الانسان من تصور رؤية المستقبل كحقيقة واقعية تحدث عند خروج الفكر وقتيا عن دائرة الزمن

ويميل بعض المفكرين الى تفسير رؤية المستقبل بافتراض طبقتين للعقل الانساني — الطبقة الأولى وهي التي نحس بها بالمقاييس الثلاثة المعروفة والتي نستعملها في حياتنا اليومية ، وهي التي تشعرنا بمرور الزمن . والطبقة الثانية وهي التي نحس بها بالمقياس الرابع (وهي نتيجة نظرية اينشتين المعروفة التي ينسب فيها الزمن للمسافة) والتي تعطينا في بعض الأوقات قوة على ادراك المستقبل اذ تخرجنا وقتيا عن نفوذ الزمن وتجعلنا جزءاً من الابدية اللازمنية

ومهما كان مقدار الصحة في هذه الافتراضات والنظريات ، فليس هناك من شك في ان هذه المعضلة الغريبة المبهمة ، الا وهي الزمن ستكون بيت القصيد في كثير من الأبحاث العلمية والاكتشافات التي قد يتم بها تغيير جوهري في تفكير البشر في المستقبل القريب والتي قد توصلنا الى بداية الطريق الطويل الذي أراد الله ان يصل البشر في نهايته الى الحق المطلق .

عبد الله صبري
دكتور في الهندسة من جامعة كامبردج

اسحاق نيوتن

١٦٤٢ — ١٧٢٧

« من فاق جميع الرجال في النبوغ » ؟ (١)

بقلم مصطفى محمود حافظ

العالم قبل نيوتن

قد يبدو أن في دراسة حالة العالم العلمية كما وجدها نيوتن ، وذكر الحقائق التي كانت معروفة ومتراكمة من قبله ، والتي درسها نيوتن فأخرج منها للعالم تلك القوانين التي رفعته الى الذروة ، قد يبدو أن في ذلك غضا من عبقريته . ولكن ذلك غير حقيقي ، فالرجل الذي تمكن أن ينتزع من الرءوس الأفكار التي كانت تجول فيها حيرى لا تدرى سبيلاً الى الظهور ، يستحق كل ما أعطى من شرف حتى ولو جاء مبالغاً فيه من أبناء جلدته الذين يجعلون منه أكبر مفكر ظهر على الأرض

كانت أوربا قد أخذت تتجرر في أوائل القرن السابع عشر من الجمود العلمي الذي لازمها في العصور الوسطى ، والذي كان سببه الأعظم محاربة رجال الكنيسة لكل فكرة علمية فيها مخالفة لتعاليمهم الدينية ، وكذلك اقتصار المتعلمين على البحث الكلاسيكي ودراسة كتب الأقدمين الفلسفية دون الاستعانة بالملاحظة والتجربة

فكان العالم قد بدأ ينبذ « نظرية بطليموس » في تركيب الكون ، وهي التي كانت تقول بأن الأرض وهي مهبط أرقى المخلوقات (الانسان المفكر) يجب أن تكون مركز الكون ، تدور حولها الشمس والكواكب والنجوم ، ويرحب بنظرية « كوبرنيج » التي تقول بأن الأرض كرة تدور حول نفسها فيحدث الليل والنهار ، وتدور حول الشمس مع الكواكب فيحدث اختلاف الفصول . وكان الخطأ الذي وقع فيه « كوبرنيج » من اعتباره مدارات الكواكب حول الشمس دوائر قد أصلحه « تيخوبراه » و « كبلر » ، الأول بما سجله من مشاهدات والثاني بما استنتجه رياضياً من هذه المشاهدات . فوصلا الى معرفة أن مدار الكوكب حول الشمس قطع ناقص والشمس في احدى بؤرتيه

وجاء جاليليو وتمكن بمنظاره من تأييد فكرة النظام الشمسي الجديد برؤية مثل هذا النظام في الكون في المشترى واقماره . وكذلك عرف معنى القصور الذاتي ، ووضع أساس علم الديناميكا بتوصله الى قوانين الحركة التي تنسب خطأ الى نيوتن . وبذلك يكون نيوتن قد ولد وكيفية تحرك الأجسام على الأرض وتحرك الكواكب حول الشمس قد عرفت ، ولكن السبب في ذلك لم يصل اليه غيره . ولقد حاولوا قديماً معرفة ذلك السبب ولكن كل ما وصلوا اليه هو أنه اذا اختارت الأجرام السماوية أن يتحرك بعضها حول بعض بنظام خاص فهذا من شأنها لا من شأن الانسان ساكن احد هذه الأجرام

تلك كانت حالة علم الفلك بغض النظر عن خزعبلات ما كان يسمى « علم » التنجيم . أما في الرياضة فقد كانت كتب اقليدس في الهندسة وأرشميدس في الرياضيات معروفة من زمن بعيد . والجبر كان يشارك الهندسة في قدمها إلا أنه كان معقداً ليس بالسهولة التي نعرفها عنه الآن . والحساب كان مهمة شاقة ، حتى أن مستر صموئيل بيبس الذي صار فيما بعد رئيساً للجمعية الملكية بلندن يقول في يومياته أنه كان بعد أن نال درجته من جامعة كامبردج يسلي نفسه كل مساء بحفظ جدول الضرب ! أما حساب اللوغريتمات فكان نابيير قد اخترعه في سنة ١٦١٧

وفي الكيمياء كان العلماء لا يزالون في بحثهم وراء حجر الفلاسفة ، وتحويل المعادن الخسيسة الى أخرى ثمينة ، ولو أن بعض العناية كانت قد اتجهت الى استخدام الكيمياء في صنع الأدوية . ولكن حال هذا العلم لم يصلح إلا بعد أن أثبت نيوتن أن العالم مساق بقانون طبيعي عام ، فاتجهت العناية الى ايجاد القوانين التي تحكم العالم المادي والتغيرات التي تطرأ عليه ، حتى أمسك دالتون بطرف الخيط في سنة ١٨٠٨ فوضع مبادىء النظرية الذرية

أما في البصريات فقد كان قانونا الانعكاس معروفين لدى العالم العربي الحسن بن الهيثم في أوائل القرن الحادي عشر وكذلك تركيب العين وكيفية رؤيتها للأجسام . وقد ذكرنا أن جاليليو

(١) Qui genus humanum ingenia Superavit.
الجملة اللاتينية المحفورة على تمثاله في كلية ترنتي بكامبردج

كان قد اخترع التلسكوب ، وفي نفس الوقت تقريباً اخترع صانع نظارات يدعى « زكريا يوانيدس » الميكرسكوب . وقبيل زمن نيوتن توصل « سنل » الى معرفة قانونى الانكسار ، ولو أن الذى وضعهما فى صيغتهما المعروفة الآن هو « ديكارت »

تلك فكرة موجزة عن حالة العلوم التى اشتغل فيها نيوتن وكان موفقاً كل التوفيق

طفولته وأيام المدرسة فى جراتنام :

فى يناير سنة ١٦٤٢ وفى مزرعة صغيرة تدعى « وولثورب » جنوب « جرانتام » أبصر اسحاق نيوتن الدنيا بعد أن كان اسحاق نيوتن الأب قد أغمض عينيــــه الى الأبد . ولا يعرف شىء عن سنواته الثلاث الأولى التى تزوجت بعدها أمه ونزحت مع زوجها الى مقر عمله تاركة نيوتن فى كفالة جدته من أمه ، فأرسلته الى مدرسة القرية الصغيرة لينال من التعليم ما كان يظن أن فيه الكفاية لذلك العقل الصغير الذى خلق ليكون جباراً ، ولكن خاله رأى قبساً من عبقريته فكان سبباً فى ارساله الى مدرسة الملك فى « جرانتام » ، تلك المدرسة التى رأت بزوغ نجم من ألمع النجوم فى العلوم ، والتى لا تزال تحتفظ حتى اليوم على خشب احدى نوافذها باسم « ا . نيوتن » محفوراً فيها . كان فى أول أمره خجولاً غبياً بعض الشىء يناله من زملائه الشىء الكثير من الاستهزاء الذى ازداد حتى وصل الى أن ركله زميل ضخم الجثة فى فناء المدرسة . عند ذلك انفجر ما كان كامناً فيه من عبقرية ، لأنه لم يكتف بأن ثأر لنفسه من هذا الزميل الضخم بأن تغلب عليه جثمانياً وجعله يدلك أنفه فى حائط المدرسة ، بل كان عليه أن يفوقه فى الشئون المدرسية لأنه كان يفوق نيوتن فى ذلك . وقد نال ما ابتغى وأصبح « أول » المدرسة التى كانت تتكون من فصل واحد فيه عدة مجاميع ، واحتفظ بذلك اللقب حتى غادرها

كان نيوتن مغرماً فى طفولته بصنع الألعاب والآلات الصغيرة ليعرضها على صديقاته الصغيرات ، وكانت أحبهن اليه كما يقول سير . ج . ج . تومسن « ميس ستورى » التى ظلت حبيبته الوحيدة ، والتى لم يتزوجها لأنه لم يتزوج . فكان يصنع الطيارات من الورق ويضع فيها شمعاً موقداً فيظنها الفلاحون البسطاء مذنبات . وكان ماهراً فى عمل المزاول والساعات المائيـــة ، وقد أدار طاحونة هوائيـــة بأن حبس بعض الفيران فى صندوق وجعلها فى حركة دائمة ، وكان ينتهز هبوب العاصفة ليقفز فى الهواء مرة مع الريح وأخرى ضده ليقدر سرعته

ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره رجع مكرهاً من مدرسته فى « جرانتام » الى المزرعة الصغيرة فى وولثورب » ليساعد أمه التى رجعت اليها بعد وفاة زوجها مع ولد وابنتين كانا ثمرة هذا الزواج الثانى . ولكنه لم يلبث بمعونة خاله أن رجع الى « جرانتام » فى السادسة عشرة وظل ثلاث سنوات يعمل استعداداً للذهاب الى « كامبردج » مكافحاً الفقر الذى ظل ملازماً له زمناً طويلاً

دراسته فى كامبردج

غادر نيوتن جرانتام فى يونيو سنة ١٦٦١ وهو فى التاسعة عشرة الى كامبردج وهناك التحق بكلية « ترنتى » كطالب خادم يقوم بتقديم الطعام لزملائه فى نظير أكله بدون أجر . ولا يعلم إلا القليل عن سنواته الأولى فى كامبردج ، ومن ذلك أنه أعفى من حضور محاضرات المنطق لأنه كان يعرف منه قدر ما يعلم أستاذه ، وأنه درس بنفسه كتاب البصريات لكبلر قبيل إلقاء محاضرات هذا الموضوع حتى دهش أستاذه من مقدار تمكنه من هذا الموضوع ، وقد لازمه هذا الميل الى البصريات طوال حياته . وقد كان يتتلمــــذ لأستاذ هو أحد أعلام عصره فى الرياضيات يدعى « اسحاق بارو » وقد عرف القدرة الرياضية الكامنة فى تلميذه فشجعه على التقدم فقرأ كل الكتب الرياضية ، إلا أنه كان دائماً ضعيفاً فى الهندسة ، حتى أن ممتحنيه عابوا عليه هذا الضعف فى احد امتحاناته . وقد نال درجته الجامعية فى ١٦٦٤ وغادر كامبردج الى مزرعته قبل أن يصل اليها الطاعون التاريخى المشهور الذى سبب ترحيل كل طالب الى بلدته

وقد قضى نيوتن فى المزرعة مكرها سنتين كاملتين كان فيهما بعيداً عن مكتبة الجامعة وأجهزتها ولكنه استعاض عن ذلك بما كان قد حفظ من معلومات فى ذلك العقل الراجح الذى أخرج للعالم فى هاتين السنتين اربعة اكتشافات كل منها يكفى للتخليد لو أنه صدر من شخص غير نيوتن.

اكتشافاته الرياضية الأولى

النظرية ذات الحدين : ظهرت عبقرية نيوتن عند اول ظهورها فى الرياضيات مع انه لم تبد عليه وهو فى كامبردج علائم هذا النبوغ ، وقد كان اول انتاج رياضى له هو اكتشافه « نظرية ذات الحدين »

وهي النظرية التي تمكن بواسطتها بدون اجراء عملية ضرب من ايجاد حاصل ضرب مقدار على صورة (س + ص) في نفسه اي عدد من المرات ، او بمعنى رياضي آخر ايجاد ناتج رفع هذا المقدار الى اي أس وترتيب حاصل الضرب في شكل منتظم سهل

قد يكون هذا الاكتشاف طبيعيا مع شخص له نباهة نيوتن الرياضية ودقة ملاحظته ، ولكن اكتشافه الرياضي الآخر كان نتيجة حبه للظواهر الطبيعية وميله لفهم دقائقها وحل معضلاتها

حساب التفاضل والتكامل : كان ارشميدس واقليدس قد حاولا ان يقدرا بالضبط مساحات الاشكال المحاطة بخطوط منحنية ولكنهما لم يفلحا ، وجاء بعدهما كبلر وجاليليو واشتدت بهما الحاجة الى ذلك لتطبيق قانون كبلر الثاني في حركة الكواكب وهو القائل « ان المستقيم الواصل بين الكوكب والشمس يمسح في الفضاء مساحات متساوية في ازمنة متساوية » فنالهما من الفشل ما نال ارشميدس واقليدس . فجاء ذلك الشاب الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره وحل ما عجز عنه هؤلاء ، وذلك باكتشافه نوعا آخر من الرياضة هو حساب التفاضل وحساب التكامل

فاذا أعطينا معادلة رياضية تشمل مقدارين احدهما يتغير بالنسبة لتغير الثاني ، وذلك كتغير المسافة التي يقطعها قطار بتغير الزمن فان حساب التفاضل يمكننا من معرفة معدل تغير المسافة المقطوعة بالنسبة الى الزمن في أية لحظة كانت ، اي معرفة سرعة القطار في اي لحظـــة

اما حساب التكامل فهو الذي تمكن به نيوتن من ايجاد مساحات الأشكال المحدودة بمنحن او اكثر وذلك بتقسيمها الى اشكال متناهية في الصغر ، ثم ايجاد مجموع مساحاتها في حدود معينة وهو ما يمكن الفلكيين الآن من معرفة وقت حدوث الخسوف والكسوف بتلك الدقة التي تذهلنا احيانا

قانون الجذب العام : والآن جاء دور ذلك الاكتشاف الهائل الذي تضمحل بجواره دائما اكتشافاته الأخرى على خطورتها . ذلك القانون الذي غير نظر الانسان الى الكون

كان كبلر قد عرف قوانين حركات الكواكب حول الشمس ولكنه لم ير علاقة بين حركات الكواكب وحركة الأجسام التي تسقط على الارض . وجاء جاليليو فدرس قوانين سقوط الاجسام بالتفصيل وعرف ان الاجسام تقصر قصورا ذاتيا عن ان تغير حالتها من السكون أو الحركة المستقيمة . ثم جاء نيوتن فرأى من خلال ذلك أخطر قانون انقلابي وصل اليه الانسان . لقد ربط بين قوانين كبلر الفلكية وقوانين جاليليو الديناميكية فكشف عن النظام الكوني العام في قانون الجذب العام

فانه كما يريدنا فولتير ان نعتقد ، كان جالسا في حديقته بعد عناء صرفه في حل مشكلة رياضية او صقل عدسة زجاجية عند ما رأى تفاحة تسقط من أعلى الشجرة . فسأل نفسه ذلك السؤال القديم الذي لم يكن قد أجاب عنه أحد ، سأل نفسه عن علة سقوط التفاحة . وهنا كان قد قدر لتفسير الحركة الكونية الا أن تظل لغزا فاشتغل بها عقل ذلك الشاب الصغير . لقد ذهب عقله الى ما هو ابعد من التفاحة وسقوطها . هي تسقط لأن الارض تؤثر فيها وهي بعيدة عنها في أعلى الشجرة ، فماذا يحدث ان هي ارتفعت الى ماهو أبعد من ذلك ؟ لقد رآها نيوتن بعيني عقله لاتزال تميل الى السقوط على الأرض ، ولكن بقوة تصور انها تناقص تبعاً لقانون التربيع العكسي . حتى اذا ماوصل بتفاحته الى القمر تركها ليأخذ القمر ، فرآه لابد وان يكون متأثرا هو الآخر بقوة الارض ، اذن لايمكن أن تكون حركة القمر حول الأرض ، وتقيده بهذه الحركة وعدم انطلاقه في خط مستقيم على حسب قانون التصور الذاتي ، الا يمكن ان يكون ذلك راجعاً الى تأثره بنفس القوة التي تؤثر بها الارض على التفاحة ؟

كان في هذا الالهام بدء ظهور القانون العام الذي يحكم حركة الماديات في الكون ، فانطلق نيوتن يستعين بالرياضة على تحقيق ما وصل اليه فكان في حاجة الى معرفة نصف قطر الكرة الأرضية حتى يقارنه ببعد القمر عن مركز الأرض ، وهنا شاء القدر ألا يظهر هذا القانون في سنة ١٦٦١ بل بعدها بستة عشر عاما فخانت نيوتن ذاكرته في تذكر نصف قطر الأرض فاعتبره ٣٤٤٠ ميلا وهو ٣٩٦٠ ميلا ، ولم يتمكن من التحقق من صدق ذاكرته لانزوائه في مزرعته وبعده عن كامبردج ومكتبتها ومراجعها فكان ماوصل اليه رياضيا لايتفق مع المشاهدات العملية . عندئذ شعر بالخيبة في ذلك الأمل البراق الذي كان يراه ، وهو الوصول

(البقية على صفحة ١٠٤٠)

القصص

الخبز الأسود

لأناتول فرانس

ترجمة حبيب المعوشي

كان في مدينة فلورانسا العظيمة بتقادم عهدها ، الخالدة بنفيس متاحفها ، رجل وافر الثراء يقال له نقولا نزلي ، وكان اذا طلعت الشمس يتروّى في مخدعه ، ويلبث سحابة نهاره جالساً الى مكتبه يخط في دفاتره أرقاماً وينقل أخرى . وكان عاهل البلاد وبابا الكثلكة مدينين له بمبالغ باهظة ، ولم يكن يعامل المراوغين والمكرة وخافري الذمم محاذرة منهم ، ومخافة أن يقع في حبائلهم ويعرض أمواله للضياع . وكان من أجل هذا يقظاً حذراً ، وقد جمع أموالاً وافرة ، وجرّد مدينيه الكثيرين من أملاكهم ومتاعهم ومقتنياتهم . وكان أهالي فلورانسا يجلونه ويخصونه بالاحترام من أجل ثرائه ، وكان يقطن قصراً له لا يدخله النور إلا من كوّى ضيقة مستديرة ، لأن الحرص والحرس يحدوان الأغنياء الى تحصين دورهم وإيصاد أبوابها ليصونوا ما حشدوه فيها من أموال وكنوز وحلى ، جمعوها بالافك والمخاتلة والخداع . ومن أجل هذا أيضاً كان قصر نقولا نزلي محاطاً بالأسوار العالية المنيعة والسلاسل الحديدية الصلبة الثقيلة .

وكان قد استقدم أمهر الفنانين وأحذقهم ، فرسموا له على جدران القصر الداخلية صور فتيات فاتنات ، يرمزن الى أسنى الفضائل وأسماها ، وصور أحبار اسرائيل وأنبيائه وملوكه . وكان معلقاً على جدران بعض الغرف كثير من النسائج الموشاة بفتوحات الاسكندر وتربستيان ووقائع حروبهما العظيمة كما هي متناقلة بالتواتر ومدونة في بطون التواريخ .

وكان يطيب لنقولا نزلي هذا أن يظهر سواطع ثروته بما كان يأتيه من أعمال الخير : فأنشأ على نفقته خارج أسوار المدينة مستشفى نقشت على أفاريزه رسوم ترمز الى أمجد أعمال حياته .

وقد علق الفلورانسيون رسمه في محراب المعبد الجديد المشيد على اسم العذراء مريم ، عرفاناً بجميله ، وتخليداً لذكرى مبالغ وافرة تبرع بها لاتمام بناء هذا المعبد . وقد مثل في هذا الرسم مضموم اليدين جاثياً على قدمي العذراء . وكان يدل عليه في صورته هذه وجهه الشاحب الكالح ، وعيناه الحادتان ، وقبعته الحمراء ، ودثار مفري اعتاد الظهور به في المجتمعات . وكان رسم زوجه «مني بسانتونا» معلقاً في المحراب أيضاً في الجهة المقابلة ، قرب صورة العذراء ، وكان الرسم يمثلها في موقف الصلاة وعلى وجهها بادية سمات الكآبة والخفر والخشوع دلالة على احتفاظها بعفافها

وقد كان نزلي فوق هذا في طليعة المواطنين الذين أسسوا الجمهورية ؛ فلم يخالف يوماً شيئاً مما سن في البلاد من شرائع ووضع من نظم ، ورسم من مراسيم ، وفرض من قوانين . ولم يعن قط بشؤون البؤساء والمعوزين ، ولم يتدخل في أمر من قضى عليهم رجال الحل والعقد بالعقاب أو التغريم أو الابعاد ، بحيث لم يفقد في أعين القضاة ورجال السلطة شيئاً مما أحرزه لديهم من مكانة ومقام ، بوافر ثروته وحسن سيره وانقياده .

ففي ذات مساء من أيام الشتاء عاد الى قصره متأخراً على غير عادته ، فوجد نفراً من المتسولين نصف العراة محتشدين امام الحديقة . فلما ابصروه احتاطوا به وبسطوا له ايديهم مستجدين . فزجرهم بعنف وانهال عليهم بالسب والشتم واقصاهم عنه بفظ الكلام وقارسه فتفرقوا حلقات واجمين جزعين — غير ان الجوع وقد أخذ مأخذه منهم حملهم على لم شعثهم واعادة الكرة على نزلي فرجعوا كأنهم مراجل تغلي واحتاطوا به ثانية بشكل نصف دائرة وطفقوا يضجون ويولولون ويلغطون ويصيحون صيحات تماثل عواء الذئاب الضارية واخذوا يسألونه باصوات ملؤها التهدج والتهديد خبزاً يأكلونه فهم بالانحناء على الأرض

ليلتقط حجارة يرشقهم بها ، ولكنه أبصر احد غلمانه آتيا وعلى رأسه طبق عليه ارغفة من الخبز الأسود جاء بها ليفرقها على المشتغلين فى اصطبلات القصر ومطبخه وحديقته فأومأ اليه كي يدنو منه ، ولم يلبث ان شرع زلى يلقى بملء يديه على اولئك الجياع ذلك الخبز الأسود فهاجوا وماجوا وهجموا فى هرج ومرج يدفع بعضهم بعضاً متزاحمين متسابقين على تلقف تلك الأرغفة والتقاطها ، ولما خف صخبهم وسكن لغطهم وهدأت ثورتهم وحنقهم دخل زلى فى داره ونام ، وفيما هو مستغرق فى رقاده أصيب بضربة مخية أودت بحياته وكان موته سريعا جدا بحيث خيل اليه انه لم يزل بعد على قيد الحياة . وبعد هنيهة شعر أنه فى مكان مقفر مظلم ثم ابصر ميكائيل رئيس الملائكة آتيا اليه قدماً وهو يحمل قسطاسا ذا كفتين، فلما ادركه الملك اخذ يضع فى احدى الكفتين ما كان فى حيازة زلى من حلى أرامل واموال أيتام وقطع ذهبية وحجارة كريمة ونقود مختلفة كان أحرزها بالغش والربا الفاحش — ففهم زلى انه قبض وانه انما جيء به الى ذلك المكان ليحاسب

فقال الملاك : أما وقد وضعت فى هذه الكفة ما جمعته بالغش والحرام فمن العدل أن تجعل فى الكفة الأخرى ما عملته من مبرات وصنعته من حسنات فأرجو منك ياسيدى أن تجعل فيها ما شيدته من معاهد للبر والعبادة : ضع المستشفى العظيم الذى أقمته خارج أسوار المدينة ، ضع القبة الضخمة التى أنشأتها لمعبد العذراء مريم ، ضع ... فقاطعه الملك وقال : هدىء روعك يا تقولا واخلد الى السكينة فلن أغفل شيئاً من صالح أعمالك . قال هذا ووضع بيده اللبقة اللطيفة ذينك المستشفى والقبة فى الكفة الأخرى ولكن الأولى ظلت راجحة . فقال زلى : فتش جيداً لعلك تجد لى أعمالاً صالحة أخرى ، ومع هذا أراك أهملت جرن الماء المبارك الذى قدمته لكنيسة القديس يوحنا ، وغاب عنك منبر الخطابة الذى صنع على نفقتى فى معبد القديس اندراوس ، ونسيت بنوع خاص تمثال عماد السيد المسيح فهو عظيم جداً وقد كلفنى نحته الدقيق البديع المتقن مبالغ طائلة . فجعل الملك كل هذا فى الكفة أيضاً ولكن رجحان الأولى مازال عظيما — فامتقع وجه زلى روعة وجزعاً وغشى جبينه عرق بارد فأدرك أنه هالك ، وتدبر أن الجحيم المعد للخطاة والاشرار سيكون مصيره ، ثم التفت الى الملك وقال : أأنت واثق يامولاى من ميزانك وصحته؟ فابتسم الملك وقال :

ان قسطاسى وان خالف بشكله موازين صرافى باريس وصيارفة البندقية إلا أنه فى منتهى الدقة والضبط : فقال زلى أنى يكون هذا ؟ أفلا يزيد فى قسطاسك وزن القبة الضخمة والمنبر الكبير والتمثال العظيم والمستشفى الفسيح العالى بكل ما فيه من أسرة وعدد ومعدات على وزن قلامة الظفر وقشة الحقل وريشة الطائر ؟ فقال الملك : لست أدرى ولكن الأمر كما ترى ، فمساويك وآثامك لا تزال حتى الآن ترجح كثيراً على مبراتك وحسناتك . فقال زلى : وهو يصر بأسنانه وفرائصه ترتعد وركبتاه تصطكان هلعاً ورعباً : يا لشقائى ! وما عسى أن يكون مصيرى ؟ أأنا هالك ؟ وهل الى النار مآلى ؟ فقال الملك : رويدك يا تقولا انى لم انجز بعد عملى إذ بقى وزن هذه ، مشيراً الى أرغفة الخبز الأسود التى ألقاها زلى مكرهاً على الفقراء المعوزين فى مساء اليوم السابق ، ثم جمع الملك تلك الأرغفة ووضعها الى ما فى كفة الأعمال الصالحة فاذا بهذه الكفة قد تحركت وبدأت تثقل وتهوى الى أسفل ، بينا الكفة الأخرى أخذت تخف وتشيل ، ولبثت حركة الكفتين تتراوح هنيهة بين هبوط وصعود حتى سكنت ، فاذا الكفتان متعادلتان وزناً ومستوى . فدهش زلى مما رأى وكأنه لا يصدق عينيه . فقال له الملك : انك والأمر كما ترى لا تستحق الجنة جزاء ولا تستوجب النار عقاباً ، فعد اذن الى فلورانسا ، وواصل الاحسان على الفقراء عن رضى ولو بالخبز الأسود، ولا تدع أحداً يحس بالخير الذى تصنعه ، وثق بأنك إن فعلت هذا وواظبت عليه تخلص ، إذ لا يكفى أن يفتح الله أبواب الجنة للص النادم وللبغى التى تحوبت بغاها وندمت عليه وبكت من أجله وتابت عنه ، بل يجب أن يخلص بواسع رحمته من النار غنياً أيضاً ، فكن أنت هذا الغنى ووال الاحسان ولو بالخبز بعد أن تبينت مبلغ وقعه وثقله فى قسطاس العدل الالهى .

قال الملك هذا واختفى ، وبعد قليل أفاق زلى من رقدة الموت وجلس فى سريره يتأمل فيما حدث ويعجب مما رأى . ثم نهض بعد أن وطد النفس على العمل بنصح الملك وموالاة المعوزين بالصدقات والحسنات لينال الخلاص — وهكذا لبث طيلة ثلاث سنوات قضاها على الأرض بعد موته الأول كثير الاشفاق على الفقراء ، وافر الرحمة على البؤساء والمعوزين ، مواظباً على فعل الخير مواصلاً أعمال البر والصلاح .

حبيب المعوشى



الكتب

المسرح الغنائي

على ذكر «غرام الشعراء»

تأليف الأستاذ أحمد رامي

كتب مرة أديب من الشبان مقالاً في جريدة السياسة الأسبوعية الغراء منذ سنوات عدة حاول فيه أن يلفت أصحاب الغناء المبرزين الى أن المرتبة التي وقفوا عندها ليست جديرة بهم، وأن الغناء على تخت مكون من «أساطين رجال الفن» ليس قصارى ما يصل اليه فن الموسيقى، بل إن الميدان الفسيح للغناء هو المسرح والأوبرا . غير أن تلك النصيحة آلمت كبيراً من كبراء أهل صناعة الغناء وظن أنها تمس كرامته وفنه، وإلا فهل يليق أن يقول أحد إن غناءه يقصر عن غاية؟ أو أن في الامكان أبدع مما كان؟ فذهب الى الرد على الكاتب وأقبل على تجريحه بما لا يتفق ووداعة الفن الجميل . وانني اليوم أجرؤ أن أكرر ما قال ذلك الأديب في مقاله السالف، فان أغاني هذه الأيام تكاد تحمل السامع حملاً ثقيلاً، وتكاد تجعل الاهتزاز اليه نوعاً من الصناعة المتكلفة. ولا شك أنه قد آن لمصر أن يكون لها مسرح ثابت للأوبرا يجول عليه كبار المغنين من الجنسين ويمدهم فيه بالوحي والروح شعراء مصر المبرزون .

والحق أن موت المسرح الغنائي هو الذي أمات الرواية الشعرية، وهاهي آية تدل على استعداد شعرائنا للتأليف والابداع اذا وجد من يغرد بقولهم ويصدح بشعرهم .

وها هو الأستاذ رامي يترك المقطعات حيناً ليظهر للملأ أنه يستطيع اذا وجد من المسرح حاجة اليه أن يخلق قصة شعرية رائعة . فان بين ايدينا اليوم قطعة «غرام الشعراء» تجمع بين ما اعتاده الناس من عذوبة شعر رامي وما يتطلبه المسرح الغنائي من تصوير بديع وتأليف متسق . وقد جعلها الشاعر فصلا واحداً ونظنه قد قصد الى ذلك قصداً . فما نظنه إلا عارضاً على أصحاب الغناء بضاعة جديدة لعله يستطيع أن يرغبهم في ترك البسائط والطموح الى آفاق أعلى وأكثر سمواً .

وإن رامي إذا فعل ذلك فانما يرجى منه أن يلقى الى الأدب بالآية الكاملة : بالقصة الشعرية الطريفة : بما هو جدير به .

م . ف . ا

كتاب القاهرة

للاديب عبد الرحمن زكي

ملازم أول بالأشغال العسكرية

هاهو ذا مؤلف يريد أن يقول شيئاً فيعرب في قوله . ان كثيراً مما نسمع من الأقوال لا يعدو ان يكون صوت انين غير معرب ، أو صوت نشوة لا يتبين السامع منها إلا صيحة تدوى في الفضاء ، ولكن مؤلف «القاهرة» اراد ان يصف القاهرة فرسم خطة ثم انفذها ، وعرض على الناس كتابا يستطيع أن يقول لهم ان يقرأوه .

بدأ بوصف فسطاط عمرو ، ثم عسكر بني العباس ثم قطائع ابن طولون ثم القاهرة المعزية ثم ماطرأ عليها من الزيادة في ايام الدول التركية المتعاقبة ، ثم أردف ذلك بوصف مختصر عن المقريزي لما كان في ايامه من خطط القاهرة ، واوضح ذلك كله بخرائط دقيقة واضحة .

ففكرة الكتاب فكرة علمية بديعة يشكر المؤلف عليها شكراً عظيما

غير أنه لم يوفق في انفاذ الخطة كما نظنه رسمها لنفسه ، فان كتابا يصف القاهرة ينبغي أن يغلب عليه الوصف لما في القاهرة ، وما أكثر مافيها من مخلفات العصور المتعاقبة ! غير انه قنع بأن يغلب على كتابه ذكر تاريخ القاهرة وتطور عمرانها . فالكتاب أجدر أن يعد كتاب تاريخ نمو القاهرة لا كتاب وصف لها . ولسنا بسبيل التماس الاسباب التي دعت المؤلف الى ذلك ، غير اننا نرجو

روائع من قصص الغرب

ترجمة الأستاذ كامل كيلاني

أذكر أنني منذ سنوات خمس ، كنت أتحدث مع صديق حول رسالة الغفران التي هذبها الأستاذ كامل كيلاني ، فقد كنت أقرأ الرسالة مع الصديق قراءة الدرس والتحليل ، فلما أن فرغنا من تلاوتها ، قلت لصاحبي : والله إن الأستاذ كيلاني ليستحق منا الشكر لما صادفنا في هذه الرسالة من لذة وجمال . قال بل إن أبا العلاء لأجدر منه بذلك الثناء ، أما الأستاذ كيلاني فماذا قدم الينا الا أن تناول رسالة أبي العلاء ، فحذف منها شيئا ، وأثبت شيئا ؛ قلت إن رسالة أبي العلاء لبثت مطمورة بين أكداس الكتب لا يجرؤ عليها الا صفوة الخاصة وهم قليلون . أما وقد هذبها الأستاذ كيلاني ، وشذب أطرافها النابية ، وأزال ما يعترض سبيلها من عثرات ، فقد باتت معبدة ميسرة للكثرة الغالبة من القراء ، تتداولها أيدى الطبقة الوسطى من المتأدبين ، بعد أن كانت ارستقراطية مقصورة على طبقة الأشراف ! . واذن فمن الاسراف في الغبن وانكار الجميل ألا نعترف بذلك المجهود — وأشباهه — الذي يهيء للقراء مالم يكن لهم اليه من سبيل

واذا كانت التجارة في عالم الاقتصاد دعامة قوية يرتكز عليها البناء الاقتصادي بأسره ، وهي ليست انتاجا في ذاتها ، انما هي وساطة بين المنتج والمستهلك ، فهيم الكفر بقيمة الوساطة الأدبية بين الكاتب والقاريء ؟ ولولاها لما اتصل القراء بأكثر ما تسيل به الأقلام في أنحاء الأرض الا في دائرة ضيقة وحيز محدود . وإن صح هذا القول بصفة عامة ، فهو أشد صدقا وأثبت يقينا بالنسبة الى مصر ، لأنها اليوم في عصر ترجمة أكثر منه عصر تأليف ، فالمترجم الذي يقدم الى قراء العربية صورا من أدب الغرب ، انما يسدى اليهم يدا بيضاء ، لأنه يقدم اليهم غذاء صالحا ما كانوا ليتناولوه لولا ما بذل من مجهود

نقول ذلك بمناسبة مجموعة القصص التي عربها الأستاذ كامل كيلاني ، فهي من روائع الأدب الغربي حقا ، قد وفق في اختيارها وتعريبها الى حد بعيد . وحسبك أن تعلم أنها طائفة من قصص بوكاتشو ، وفولتير ، وديدرو ، وميرفنتس ، وفلوبير ، وسويفت ، وروسو وغير هؤلاء من أئمة الأدب في الغرب !

ولسنا نشك في أن القصة القوية الرائعة التي تحلل النفس الانسانية في أعماقها ، وتخرج سرها الدقين من مكمنه ، فتضع تحت أبصارنا ما استتر في أحنائها حتى نلمس مواضع النقص بارزة واضحة ، لهي من أفعل الادواء لما ينتاب جيلنا من أمراض خلقية تكاد تهز كياننا من أساسه ، والتي تدعو الى تضافر الأقلام جميعا في درء خطرها الداهم .

فهذه المجموعة القيمة وعاء اجتمعت فيه مجموعة مختلفة من طباع الانسان ، وتلمح في ثناياها مثلا عليا تؤثر في نفس القاريء من حيث يدري ولا يدري . ولا بد أن نذكر — ونحن بصدد هذا الكتاب — جودة الطبع والورق ، وجمال التنسيق وسلامة الذوق ، أن يوفق في مستقبل أيامه — وأغلب الظن أنه لا يزال في شبابه الأول القوي — الى أن يكمل هذا البحث الطريف فيجعلنا نرى مميزات كل عصر ومخلفات كل دور من ادوار نمو القاهرة حتى يصبح ذكر القصة التاريخية ثانويا في ظهر الصورة بدل أن يكون كما هو الآن ابرز شيء فيها .

م . ف . ا

ز . ن . م

مسلمو السودان الغربي

(بقية المنشور على صفحة ١٠٠٤)

بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبى خشية تقبيل الأرض للسلطان ويقول جئت للحج لا لغيره.

فلما صار الى الحضرة السلطانية قيل له قبّل الأرض فتوقف وأبى إباء ظاهراً وقال كيف يجوز هذا ؟ فأسرّ اليه رجل كان في جانبه كلاماً ، فقال أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد . وتقدم الى السلطان فقام له بعض القيام وأجلسه الى جانبه وتحدثا طويلا .

ومقصدنا من هذا الكلام في الرواية الآتية عن صبح الأعشى :

«قال في مسالك الأبصار قال ابن أمير حاجب سألته عن سبب انتقال الملك اليه فقال ان الذي قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مائتي سفينة ، وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفد أزوادهم . فغابوا مدة طويلة ثم عاد منهم سفينة واحدة ، وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال سارت السفن زماناً طويلا حتى عرض لنا في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب ، وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتي . فلم يصدقه فجهز ألفي سفينة : ألفاً للرجال وألفاً للأزواد . واستخلفني وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . فكان آخر العهد به وبمن معه» اه

فما رأي المؤرخين والجغرافيين في هذه الرواية العجيبة ؟

قد قرأنا في الجرائد قبل سنة أو سنتين أن بعض الباحثين صادف في أمريكا الجنوبية قبائل تشبه أن تكون عربية مسلمة . فهل بلغ ملك السودان الغربي وأصحابه أمريكا في القرن الثامن الهجري وانقطعت الطريق بينهم وبين أفريقية فأقاموا هناك ؟ أوماذا ؟

لعل سعادة شيخ العروبة العلامة أحمد زكي باشا يدلي برأيه في هذه المعضلة .

عبد الوهاب عزام

اسحاق نيوتن

(بقية المنشور على صفحة ١٠٣٥)

الى قانون طبيعي عام ، فذهب يبني التسلية في تجاربه العملية الضوئية حيث قدر له أن يصل الى اكتشاف لا يقل في خطورته عن قانون الجذب العام ، ولكنه هذه المرة وإن كان قد أتم اكتشافه فانه اخفاه عن العالم لمخالفته للآراء المأخوذ بها في وقته

كشفه عن طبيعة الضوء الابيض : عند ماوجه جاليليو اول تلسكوب صنعه الى السماء ألهاه ماشاهده من عجائب غير منتظرة عن ان يعني بكون الصورة ممسوخة أو ان ضوءها مشوه ، وهو ما نلاحظه في المناظير غير الدقيقة الصنع من تعدد الألوان . ولكنه حاول بعد قليل ان يعرف سبب هذا التشوه وطريقة تلافيه ، وكان المظنون ان السبب في ذلك راجع كله الى ظاهرة «الزيغ الكري» ، وهي ان الأشعة الآتية من الجسم البعيد عند مرورها في عدسة التلسكوب تنكمش ولكن لا تتجمع كلها في البؤرة . وقد دفع نيوتن حبه للشيء الى محاولة معرفة سبب هذا التشوه اللوني للصور فقاده ذلك الى معرفة ان ضوء الشمس الابيض يتركب في الواقع من عدة الوان تبتديء بالاحمر وتنتهي بالبنفسجي وهي ما تسمى بألوان الطيف ، وذلك بان امر الضوء الابيض في منشور ثلاثي من الزجاج . وبذلك عرف ان عيب التلسكوب ذي العدسة راجع الى تفرق الضوء الابيض الذي يمر في العدسة فيسبب ما يسمى « بالزيغ اللوني » . لذلك حاول ان يصنع تلسكوبا آخر لا يستخدم فيه عدسة لامة للاشعة ، بل يستخدم مرآة مقعرة تلم الاشعة ايضا ، وقد نجح في ذلك ، ولا يزال احد تلسكوباته محفوظا في الجمعية الملكية بلندن . وتستخدم الآن المرآة المقعرة بدلا من العدسات في صنع اكبر تلسكوبات العالم . فتلسكوب مرصد «مونت ويلسون» له مرآة يبلغ قطرها ١٠٠ بوصة ويصنع الآن تلسكوب آخر قطر مرآته ٢٠٠ بوصة

انقضت سنتا العزلة الاجبارية وبلغ نيوتن الخامسة والعشرين وحان له أن يعود ممتلىء الرأس بكل الآراء الخطيرة التي وصل اليها الى كامبردج حيث الكتب المحبوبة والاجهزة المطلوبة لاجراء التجارب ، وسنتركه الآن لنتم تاريخ حياته في مقال قادم

مصطفى محمود حافظ

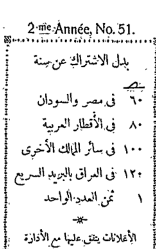
2me Année, No. 51.

Lundi 25-6-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠





العـــدد ٥١ « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ — ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

ذكرى المـــولد ...

كان الناس في ابريل من عام ٥٧١ ، والطبيعة المشفوفة تنتظر انبثاق الروح المبدع ، وانبعاث الربيع الممرع ، وانتعاش الحياة الجديدة في الأرض الهامدة ؛ والخليقة المئوفة ترسل النظر الحائر في الآفاق الغائمة ، ترتقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله ؛ والجزيرة المجهودة تصهرها الشدائد ، وتطهرها الدماء ، وتهيئها الأقدار ليهبط فوقها الوحي ، ويتجلى لها الخالق ، وتتصل عندها السموات بالأرض ؛ والهواتف الطائفة تعلن في رءوس الجبال ، وسفوح الأودية ، ومدارج السبل ، وسوابيط المعابد ، وأواوين القصور ، بشرى الرسالة الأخيرة ، وظهور الرسول المنتظر ؛ والشياطين الآلهة تئن في أجواف الأصنام المنكسة أنين الخيبة والهيبة واليأس ؛ وأجنحة الأملاك تخفق من وراء البصر في جو مكة القائظ المغبر ، فتنفض عليه النور والسرور والصفاء والدعة ؛ وأرواح الأنبياء من حول الكعبة تضوع بالحمد والدعاء احتفالاً بختام النبوة ، وقيام الدعوة مرة أخرى في بيت ابراهيم ؛ وومضات من روح القدس وأشعة الخلد تنعقد هالات

مشرقات على «شعب بني هاشم» وفوق دار آمنة؛ والنبي الوليد الذي خنس لمولده الشيطان، واعتدل بمقدمه الزمان، وخشع لذكره الكاهن والموبذان، وتصدع من خشيته الدست والإيوان، يفتح عينيه للوجود في بيت العدم، ويلقي أرواقه الكريمة على مهاد اليتم، ولا يظفر بمرضع إلا لأنها لم تظفر آخر الأمر بغيره!!

***

تبارك الله ما أبلغ حكمه وأجل شأنه! شاء لنوره وبرهانه أن يشرقا في هذا المنزل المتواضع، ولمجده وسلطانه أن يظهرا في هذا اليتيم الوادع، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمي الحيي، لتكون آيته أبهر للعيون، ودعوته أبرع في العقول، وكلمته أنوط بالأفئدة؛ ولو اتخذ رسله من الملوك العواهل لأتهمت المعجزة، والتبس على الناس فعل القدرة.

كان محمد بن عبد الله مثل الله الأعلى للانسان الكامل. صوره خلقاً سوياً ليرسم الأخلاق بالمثل، ويعلم الدين بالعمل، وينظم الحياة بالقدوة، وإلا فكيف اجتمع فيه ما تفرق في جميع الناس من خصال الرجولة، وخلال البطولة، وخلائق النبل، ويتمه لا تملك من بعض ذلك ما تعطيه؟

رعى على بعض أهله، وسعى لبعض قومه، واتجر بمال زوجه، فكان في جليل الأمر كما كان في ضئيله صادق العزم، كريم العهد، وثيق الذمة، راجح الحلم، شاهد اللب، لين العطف، حلو المعاشرة «يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الحق».

ثم اصطنعه الله لحقه، وحمله الرسالة الى خلقه، فكان في غار حراء، وفي دار الأرقم، وفي جبل ثور، وفي دار أبي أيوب، وفي المسجد الجامع، ثم في الرفيق الأعلى، مظهراً صحيحاً لروح الله، واعلاناً صريحاً لنشر الدين، ومثالاً عالياً لصدق الجهاد، واحتمالاً سامياً لمكاره الدعوة، وأسوة حسنة لجميع الناس!

جهر الرسول بالدعوة بعد أن خافت بها في قريش ثلاث سنين، فضلل الأقوام وسفه الأحلام وهاجم الشرك في معقله، وليس وراء ظهره إلا عمه! فتألبت عليه عناصر الشر جمعاء فما أفنكته عن عزمه، ولا خلجته عن همه. ثم تجلت فيه مواهب الكمال الانساني فحشد للخصومة قوى النفس وقوى الحس، فجاهد بالصدق، وجالد بالصبر، وجادل بالمنطق، وصاول بالرأي، وأثر باللسان، وقهر باليد، وتلك مزيته الظاهرة على النبيين والرسل، فكل نبي وكل رسول اتاه الله شأوه على قومه في بعض المزايا، الا الرسول العربي فقد تم فيه ما نقص في غيره من معجزات الرجولة، فكان رسولاً في الدين، وعلماً في البلاغة، ودستوراً في السياسة، واماما في التشريع، وقائداً في الحرب.

***

إن حياة الرسول قانون إلهي خالد لصاحب الدين وصاحب الدنيا، وان وسائل الجهاد التي جدد بها أسلوب العيش وأقام بها ميزان المجتمع لا تزال عناوين ضخمة في صفحات العلم والسياسة والخلق، وان من أتباع الاسلام أن نطيع الله في كتابه، ونطيع الرسول في سننه وآدابه، فليت شعري أكان في حدود الامكان أن يرتطم العرب والمسلمون في مراغة الخمول، فيرضون بالهون، ويقنعون بالدون، ويتحلون عن مكانهم من صدر الوجود، لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجا، ومن كلام رسولهم علاجا، ومن حياة السابقين الأولين من رجالهم قوة وقدوة؟؟

أليس من خذلان الله لنشئنا الجدد أن يلوكوا جاهدين أسماء فلان وفلان ممن رأى رأيا أو أنشأ قصيدة أو ألف كتابا، ثم يتركوا عامدين اسم محمد الذي جمع العرب من شتات، وأيقظ العالم من سبات، وأقام للسماء دينا في الأرض، وأسس للأرض دنيا في السماء؟

احمد حسن الزيات

الاشـــراق الالهى
وفلسفة الاســلام

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى النهار ، يولد النبي فيوجد فى الانسانية ينبوع النور المسمى بالدين . وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها .

والشمس خلقها الله حاملة طابعه الالهى فى عملها للمادة تحول به وتغيّر ، والنبى يرسله الله حاملاً مثل ذلك الطابع فى عمله للروح ترقى فيه وتسمو .

ورعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون فى كلام من النور ، وأشعة الوحى فى النبى هى قصة الهداية لانسان الكون فى نور من الكلام .

والعامل الالهى العظيم يعمل فى نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين : أجرام النور من الشموس والكواكب ، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء .

فليس النبى انساناً من العظماء يُقرأ تاريخه بالفكر معه المنطق ، ومع المنطق الشك ، ثم يُدرس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة ؛ ولكنه انسانٌ نجمىٌّ يُقرأ بمثل «التلسكوب» فى الدقة ، معه العلم ، ومع العلم الايمان ، ثم يُدرس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها .

والحياة تنشئ علم التاريخ ، ولكن هذه الطريقة فى درس الأنبياء صلوات الله عليهم — تجعل التاريخ هو ينشئ علم الحياة ؛ فانما النبى إشراق إلهى على الانسانية يقومها فى فلكها الأخلاقى ، ويجذبها الى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب .

ويجئ النبى فتجئ الحقيقة الالهية معه فى مثل بلاغة الفن البيانى ، لتكون أقوى أثراً ، وأيسر فهماً ، وأبدع تمثيلاً ؛ وليس عليها خلاف من الحس . وهذا هو الأسلوب الذى يجعل انساناً واحداً فنَّ الناس جميعاً ، كما تكون البلاغة فن لغة بأكملها ؛ هو الشخص المفسِّر اذا تعسَّف الناس الحياة لا يدرون أين يؤمون منها ، ولا كيف يتهدَّون فيها ، فتضطرب الملايين من البشرية اضطرابها فيما تنقبض عنه وتتهالك فيه من أطماع الدنيا ؛ ثم يخلق رجل واحد ليكون هو التفسير لما مضى وما يأتى ، فتظهر به حقائق الآداب العالية فى قلب من الانسان العامل المرئىّ ، أبلغ مما تظهر فى قصة متكلمة مروية .

وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبى أبلغَ نفوس قومه حتى لهو فى طباعه وشمائله طبيعة قائمة وحدها كأنها الوضع النفسانى الدقيق الذى يُنصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية فى عالم المادة وتنازع البقاء . وكأن الحقيقة السامية فى هذا النبى تنادى الناس : أنْ قابلوا على هذا الأصل وصححوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الانسانية .

***

ومن ثم فنبى البشرية كلها من يُبعث بالدين أعمالاً مفصلة على النفس أدق تفصيل وأوفاه بمصلحتها ، فهو يعطى الحياة فى كل عصر عقلها العملى الثابت المستقر تنظِّم به أحوال النفس على ميزة وبصيرة ، ويدع للحياة عقلها العلمىّ المتجدد المتغير تنظم به أحوال الطبيعة على قصد وهدى ، وهذه هى حقيقة الاسلام فى أخص معانيه ، لا يغنى عنه فى ذلك دين آخر ، ولا يؤدى تأديته فى هذه الحاجة أدب ولا علم ولا فلسفة ، كأنما هو نبعٌ فى الأرض لمعانى النور بازاء الشمس نبع النور فى السماء .

وكل ذلك تراه فى نفس محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فهى فى مجموعها أبلغ الأنفس قاطبة ؛ لا يمكن أن تعرف الأرض أكمل منها ؛ ولو اجتمعت فضائل الحكماء والفلاسفة والمتألهين وجعلت فى نصاب واحد — ما بلغت أن يجئ منها مثل نفسه صلى الله عليه وسلم . ولكأنما خرجت هذه النفس من صيغة كصيغة الدرة فى محارتها ، أو تركيب كتركيب الماس فى منجمه ، أو صفة كصفة الذهب فى عرقه . وهى النفس الاجتماعية الكبرى ، من أين تدبرتها رأيتها على الانسانية كالشمس فى الأفق الأعلى تنبسط وتضحى . وتلك هى الشهادة له صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم الانبياء ، وأن دينه هو دين الانسانية الأخير . فهذا الدين فى مجموعه إن هو إلا صورة تلك النفس العظيمة فى مجموعها ، صلابته بمقدار الحق الانسانى الثابت ، لا بمقدار الانسان المتغير الذى يكون عند سبب جبلاً صلداً يشمخ ، وعند سبب آخر ماءً عذباً يجرى .

وهو دين يعلو بالقوة ويدعو اليها ، ويريد اخضاع الدنيا وحكم

العالم ، ويستفرغ همه في ذلك ، لا لاعزاز الأقوى وإذلال الأضعف، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى . وفرق ما بين شريعته وشرائع القوة ، أن هذه انما هي قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها ؛ وتلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة ؛ وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية .

ومن هنا كان طبيعياً في الاسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولا رذيلة إلا وهو يطبع عليها صورة النار الأبدية وقودها الناس والحجارة ؛ فلا تنظر العين المسلمة إلى أسباب الحياة نظرة الفكر المنازع يحرص على ما يكون له ، ويشره إلى ما ليس له ، ويمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك في تعقيد الدنيا — بل نظرة القلب السالم يحلم الدنيا ، ويسخو بكل مضنون فيها فيعف عن كثير ؛ ويعرف الانسانية ، ويطمع في غاياتها العليا فيعفو عن كثير ؛ ويدرك أن الحلال وإن حلا فوراءه حسابه ، وأن الحرام وإن عز لين إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد .

ويخرج من ذلك أن يكون أكبر أغراض الاسلام هو أن يجعل من خشية الله تعالى قانون وجود الانسان على الأرض ؛ فمن أي عطفيه التفت هذا الانسان وجد على يمنته ويسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله بخيرها وشرها ، فهو كالملهم المستراب به في سياسة النفس لا يمشي خطوة إلا بين جاسوسين يحصيان عليه حتى أسباب النية ، ويجمعان منه حتى نزوات الكيد ، ويترجمان عنه حتى معاني النظر . واذا قامت هذه الحكمة الملائكية وتقررت في اعتبار النفس — قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الارادة المميزة ، تزيد الحسنات وتعمل لها ، وتخشى السيئات وتنفر منها ، فاذا معاني الجبر يكسر بعضها بعضاً ، لا لتحقيق الحكومة والسلطة ، ولكن لتحقيق الخير والصاحبة ؛ واذا نواميس الطبيعة المجنونة في هذا الحيوان قد نهضت الى جانبها نواميس الارادة الحكيمة في الانسان ، واذا كل صغيرة وكبيرة في النفس هي بين صاحبها مادة تهمة عند قاضيها في محكمتها ، واذا كل ما في الانسان ، وما حول الانسان — لا يراد منه إلا سلام النفس في عاقبتها ؛ واذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتصرف بالانسانية في دنياها .

وكل أعمال الإسلام وأخلاقه وآدابه ، فتلك هي غايتها ، وهذه هي فلسفتها ؛ لا يقررها للانسانية حسب ، بل يغرسها في الوراثة غرساً بالاعتياد والمران الدائم ، لتكون علماً وعملاً ، فتمكن لسلام النفس بين الأسلحة المسددة اليها من ضرورات الحياة في أيدي الأعداء المتألبة عليها من شهوات الغريزة .

فليس يعم السلام إلا اذا عم هذا الدين بأخلاقه فشمل الأرض أو أكثرها ، فان قانون العالم حينئذ يصبح منتزعاً من طبيعة التراحم ، فاما انتسخ به قانون التنازع الطبيعي ، وإما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ وتولد معه الأخلاق الانسانية .

***

تقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس حتى مثقال الذرة من الخير والشر ، وضبط ذلك برياضة عملية دائمة مفروضة على الناس جميعاً — هذا هو أساس العقيدة الاسلامية . ولا صلاح للانسانية بغيره يردها إلى سبيل قصدها ، فان من ذلك تكون الصيغة العقلية التي تتغلب على المجتمع وتجانس بين أفراده ، فتوجه الانسانية كلها نحو الممكن من كمالها ، ولا تزال توجهها نحو ماهو أعلى ، وتحكم فاسدها بصالحها ، وتأخذ عاصيها بمطيعها ، وتجعل الشرف الانساني غرضها الأول ، لأن الله الحق غرضها الأخير ؛ فيصبح المرء — وهذا دينه — كلما تقدم به العمر كمل فيه اثنان : الانسان ، والشريعة . ولا يعود طالب السعادة النفسية في الدنيا كالمجنون يجري وراء ظله ليمسكه ؛ فلا يدرك في الآخر شيئاً غير معرفته أنه كان في عمل باطل وسعي ضائع .

والاسلام يحرص أشد الحرص وأبلغه على تقرير ذلك المعنى الالهي العظيم ، لا بالمنطق ولكن بالعمل ؛ ثم في النفس وعواطفها لا في العقل وآرائه ؛ ثم على وجه التعميم دون الإستثناء والخصوص ، وذلك هو سر مشقته على النفس بما يفرضه عليها ؛ فان فلسفته أن هذه النفس هي أساس العالم ، وأن النظام الخلقي هو أساس النفس ، وأن العمل الدائم هو أساس النظام ، وأن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة ولا يبلغ العسر والحرج ، كما تكون فيما يسهل بعض السهولة ولا يبلغ الكسل والاهمال . والنفس وجهان : ما تعلن ، وما تسر . ولا صدق لاعلانها حتى يصدق ضميرها ، ولا صلاح لجهرها حتى يصلح السر فيها ، ولا يكون الانسان الاجتماعي فاضلاً بمشهده حتى يكون كذلك بغيبه . وللعالم كذلك وجهان : حاضره الذي يمر فيه ، وآتيه الذي يمتد له . ولا يفلح

حاضر منقطع لا يُوَرِّث مابعده كما وَرِث ماقبله، وما حاضر الانسانية إلا جزء من عمل الناس فى استمرار فضائلهم باقية نامية.

وللنظام أيضاً وجهان: نظام الرّغبة على الطاعة والاطمئنان لها، ونظام الرغبة على الخشية والنَّفْرة منها. ولا يستقيم شأن ليس أساسه الطاعة فى النفس، ولا يستمر نظام عليه خلاف من فكر العامل به. وللعمل الدائم طريقتان: إحداهما طريقة الجادّ يعمل للعاقبة يستيقنها، فلا يجد مما يشق عليه إلا لذة المغالبة للنصر، كل مرارة من قبلها هى حلاوة فيه من بعد، ولا يعرف المحنة يبتلى بها إلا معناها الحقيق وهو إيقاظ نفسه، فيصبح الصبر عنده كصبر المحب على أشياء ممن يحبه؛ صبر فيه من السحر ما يكسو الحرمان فى بعض الأحيان خيال الاستمتاع، ويذيق النفس فى العجز عن بعض أغراضها — لذةً كلذة إدراكه.

تلك هى فلسفة الاسلام؛ لا قوام للأمر فيها ولا مساك له إلا بتقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس، ووضع طابع الجنة على أعمال الجنة، وطابع النار على أعمال النار — وحياطة كل فرد من الناس حياطة رياضية عملية بين الساعة والساعة، بل بين الدقيقة والدقيقة، بما يكلف من أعمال جسمه وحواسه، ثم أعمال قلبه ونيته — وتعظيم الشخصية الروحية دون الشخصية المادية، فلا يحاول كل انسان ان يجعل بطنه فى حجم مملكة أو مدينة أو قرية بما ينتقص من حقوق غيره؛ بل تتسع ذاتية كل فرد بما يجب له على المجتمع من الواجبات الانسانية. وبهذا لا بغيره تتعين مقاييس الأخلاق فى الأرض — بالمصلحة لا باللذة — فلا يقع الخطأ ولا التزوير، وتنحل المشكلة الاجتماعية ما دامت الحياة لا تجد من أهلها كل ساعة عقدا فيها.

والاستيلاء بذلك المعنى على العقل والعاطفة هو وحده الطريقة لانشاء طبيعة الخير فى الناس على نسقها الطبيعى، كما أنه هو وحده الطريقة لتطهير التاريخ الانسانى من أوبائه الاقتصادية التى جعلته كأنما هو تاريخ الأسنان والأضراس.. وتركت الناس يهدم بعضهم بعضاً، كما يهدم الجار حائط جاره ليوسع بيته!

وأساس العمل فى الاسلام إخضاع الحياة للعقيدة، فتجعلها العقيدة أقوى من الحاجة، فيكون الفقير معدماً ويتعفف، ويكون الغنى موسراً ويتصدق، ويكون الشرهُ طامعاً ويمسك، ويكون القوى قادراً ويحجم؛ وكما قال العرب فى تحقيق ناموس الأنفة والحمية وغلبته على الناموس الاقتصادى: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها.

***

تريد الانسانية امتداداً غير امتدادها التجاري فى الأرض، وتحتاج إلى معنى يقود إنسانها غير الحيوان الذى فيه، وإذا قاد الغراب قوماً — كما قال شاعرنا — يمر بهم على جيف الكلاب..

والانسانية اليوم فى مثل ليل حَوْشِيّ مظلم اختلط بعضه فى بعض. وليست معانى الاسلام إلا الاشراق الالهى على هذه الكثافة المادية المتراكمة، وإذا رفع المصباح لم تجد الظلام إلا وراء الحدود التى تنتهى إليها أشعته.

وقد علمنا من طبيعة النفس أن إنسانية الفرد لا تعظم وتسمو وتتخيل وتفرح فرحها الصادق وتحزن حزنها السامى إلا أن تعيش فى محبوب؛ فانسانية العالم لا تكون مثل ذلك إلا إذا عاشت فى نبيها الطبيعى، نبى أخلاقها الصحيحة وآدابها العالية ونظامها الدقيق؛ وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا فى محمد ودين محمد؟

وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبى العظيم خمس مرات فى الأذان كل يوم ينادى باسمه الشريف ملء الجو، ثم حكمة ذكره فى كل صلاة من الفريضة والسنة والنافلة يهمس باسمه الكريم ملء النفس! وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا من نبيهم ولا يوما واحداً من التاريخ، ولا جزءاً واحداً من اليوم، فيمتد الزمن مهما امتد والاسلام كأنه على أوله، وكأنه فى يوم لا فى دهر بعيد. والمسلم كأنه مع نبيه بين يديه تبعثه روح الرسالة، ويسطع فى نفسه إشراق النبوة، فيكون دائماً فى أمره كالمسلم الأول الذى غير وجه الأرض؛ ويظهر هذا المسلم الأول بأخلاقه وفضائله وحميته فى كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة لا كما نرى اليوم؛ فان كل أرض إسلامية يكاد لا يظهر فيها إلا إنسانها التاريخى بجهله وخرافاته وماورث من القدم؛ فهنا المسلم الفرعونى، وفى ناحية المسلم الوثنى، وفى بلد المسلم المجوسى، وفى جهة المسلم المعطل... وما يريد الاسلام إلا نفس المسلم الانسانى.

أيها المسلم!

لا تنقطع من نبيك العظيم، وعش فيه أبداً، واجعله مثلك الاعلى، وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه؛ كن دائماً كالمسلم الأول؛ كن دائماً ابن المعجزة..

مصطفى صادق الرافعي

« محمد »

للأستاذ علي الطنطاوي

منذ أربعة عشر قرناً ونيف ولد محمد ، فلم يكد يفطن الى ولادته إلا قليل ، وبعد أربعة عشر قرناً ونيف — استضاءت فيها الدنيا بنور محمد ، واهتدت الانسانية بهدى محمد — مرت بالدنيا ذكرى مولد محمد ، فلم يكد يفطن اليها إلا قليل !

بل لم يعرف بعد انسان من هو محمد ! ...

***

على ان العظماء في التاريخ كثيرون ، وقد عرفهم التاريخ ، ولكنه لم يعرف محمداً ، لأنه ليس فيهم مثل محمد !

عظمة أولئك انهم سبقوا أوانهم ، فعظموا لسبقهم ، ثم جاء أوانهم فساواهم أبناؤه جميعاً ، ثم جاء أوان بعده ففاقهم أهله جميعاً ، ولم يبق لهم إلا عظمة الذكرى ...

وان التلميذ اليوم يعرف من الطبيعة أكثر مما كان يعرف جاليليو ،

والضابط يعلم من فنون الحرب أكثر مما كان يعلم إنيبال ،

وطالب الفلسفة يدرك من حقائقها أكثر مما كان يدرك أفلاطون

وكذلك سائر العظماء ...

أما محمد فطراز من البشر لا تحتمل الدنيا منه أكثر من واحد ، ولا تمتد عمرها حتى ترى مثل محمد ، فمحمد عظيم كل عصر ، وعظمته لا تبلى جدتها على الدهر ...

***

وإن كثيراً من العظماء قد سنوا سنناً ، وشرعوا شرائع ، ولكنهم سنوها ناقصة فكملت ، وقاصرة على زمان واحد فعدلت ، ومحدودة ضيقة فوسعت ، وما زالت أبداً في حاجة الى التكميل والتوسيع والتعديل .. أما شريعة محمد فجاءت كاملة ، وعاشت كاملة ، وستخلد كاملة ، لأنها من عند الله الكامل ، لا من عند العقل الناقص ...

وستموت الشرائع كلها ، والباقية لشريعة الله

إن روحية الشرق ستطحن مادية الغرب ، ومادية الغرب ستقتل روحية الشرق ، ولا يبقى إلا الأصلح ، والأصلح هو الاسلام

أي دين غير الاسلام يستطيع المرء أن يتمسك بأحكامه كلها ، ثم يكون امرأً صوفياً قوياً غنياً ؟

أي دين غير الاسلام يعرف للبدن حق البدن ، وللروح حق الروح ، ويعرف للدنيا حقها ، وللآخرة حقها ؟

أي دين غير الاسلام فيه الوحدانية في الايمان ، والشورى في الحكم ، والاخوة في الحياة ، والجهاد في المبدأ ، والقوة والاعتدال في كل شيء ؟

أي دين غير الاسلام يحل المشكلة الاجتماعية الكبرى ، التي ولدت الشيوعية والفاشية والنازية ، وستلد الموت الأحمر ، والخراب الأكبر ؟

***

إن العظماء كثيرون ، ولكن العظيم عظيم في ناحية ، صغير في سائر النواحي ، فهو عظيم في العلم ، أو في الحرب ، أو في الأدب ، أو في السياسة . أما محمد فعظيم في كل شيء ..

وآثار العظماء في البشر واضحة جلية ، ولكن لم يعمل أحد أجل ولا أجمل مما عمل محمد .

نفخ في هذه البادية القاحلة ، وهذه الأمة المتفرقة الجاهلة ، فأخرج منها أمة قوية عالمة عاملة .. حملت مشكاة النور ، في وقت عم فيه الظلام ، وبنورها اهتدي ويهتدى كل انسان ، في كل مكان الى آخر الزمان ، ولولا محمد ما كانت أوربة ولا الأميركتان !

***

كانت الدنيا في نظر قريش مكة ، كما أن الدنيا في نظر الفرنسيس باريس ، ولكن دنيا محمد أوسع ، ومحمد لا تسعه مكة ، فأم غار حراء ليشرف على الأفق الواسع ، ثم سما على معراج الى السماء ، فرأى الأرض كبراعة مضيئة ، فاستصغرها ، ولم يحفل بما عليها من ذرات هينة ..

هكذا عاش محمد ، وهكذا انتقل

عاش محمد في الأرض وهو أكبر من الأرض ، وترك في الأرض أثراً أكبر من الأرض ، ولم يعرفه في الأرض أحد من أبناء الأرض — ذلك لأنه كان كما قال لامارتين :

« فوق البشر ، ودون الاله ، فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم »

علي الطنطاوي

احياء المولد النبوى الكريم

بعض رسومه ومناظره في مصر الاسلامية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت ليلة الثانى عشر من ربيع الأول — ليلة المولد النبوى الكريم — دائماً من المواسم والأعياد المشهودة فى جميع الأمم الإسلامية ؛ وما زال مولد النبى العربى من الذكريات الخالدة فى المجتمع الإسلامى ؛ ولكن الاحتفال بذلك الحادث العظيم فى تاريخ الانسانية كان يقترن فى العصور الخالية ، أيام عز الاسلام ومجده ، بضروب من الجلال والبهاء والبذخ ، ذهبت بها حوادث الزمن وتقلباته ، وما انتهت اليه الأمم الاسلامية من الاضمحلال والتأخر . وقد بدأ هذا الاحتفال المقدس فى عصر الاسلام الأول بسيطاً متواضعاً ، كباقى المواسم والاحتفالات الدينية ، فلما بلغت الخلافة ما بلغت من العظمة والبهاء ، ظهرت فخامة الملك وروعته فى الأعياد والحفلات الرسمية ، وجرت الشعوب على سنة ملوكها وأمرائها فى هذه المواسم من الظهور والبذخ . وكان شأن مصر الاسلامية فى ذلك شأن باقى الولايات الاسلامية فى عصر الخلافة الأول من بساطة فى الرسوم والمظاهر ؛ فلما استحالت مصر من ولاية خلافية الى دولة مستقلة فى عهد بنى طولون وبنى الأخشيد وقامت فيها قصور ملوكية باذخة ، ظهر أثر هذا الانقلاب فى رسوم الدولة ومظاهرها العامة ، وغدت المواسم والاحتفالات الدينية حوادث عامة يحييها الشعب ، كما تحييها الحكومة فى كثير من الرونق والبهجة والحبور .

وقد بلغت هذه المظاهر والرسوم الفخمة ذروة البهاء والروعة فى عهد الدولة الفاطمية ، وكانت هذه الدولة القوية الشامخة تتخذ من المواسم والأعياد الدينية والقومية فرصاً للظهور فى أبدع مظاهر القوة والغنى والترف ، وتغمر الشعب فى هذه الأيام المشهودة بوافر بذلها وعطائها ؛ فكان الشعب يستقبل هذه المواسم باهتمام وحماسة ويكثر فيها من الاحتشاد والانفاق والمرح ، تشجعه الدولة على ذلك وتحثه بقدوتها ومثلها . وكان للاحتفال بهذه المواسم رسوم وتقاليد معينة تختلف باختلاف أهميتها الدينية أو القومية . وقد بلغت فى ظل الدولة الفاطمية من الكثرة والانتظام ما لم تبلغه فى أية دولة اسلامية أخرى . ذلك أن الخلافة الفاطمية شرعت لنفسها ، الى جانب الأعياد الدينية المأثورة ، أعياداً خاصة بها وبدعوتها ومذهبها الدينى ، فقررت أن تحتفل الى جانب المولد النبوى ، بموالد خمسة أخرى هى مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد زوجه السيدة فاطمة الزهراء التى ينتسب الفاطميون اليها ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين ابنى على ، ومولد الخليفة الفاطمى القائم فى الملك ؛ هذا الى مواسم وأعياد أخرى كيوم عاشوراء (عاشر المحرم) الذى قتل فيه الحسين ، وليلة أول رجب ونصفه وليلة أول شعبان ونصفه وهى ليالى الوقود الشهيرة ؛ ثم كانت هنالك أعياد قومية أخرى كيوم فتح الخليج ، ويوم الميلاد النصرانى ويوم النوروز ، ويوم الغطاس ؛ ذلك أن الخلافة الفاطمية لم تنس أن تشمل رعاياها النصارى برعايتها وتسامحها فى إحياء هذه الأعياد القومية القديمة بصفة رسمية ، وفى أن تسبغ عليها من البهجة والبهاء ما يسبغ على الأعياد الأخرى .

وكان المولد النبوى الكريم فى مقدمة الأعياد الاسلامية المقدسة ، يحتفل به الدولة طبق رسوم معينة ، ويحتفل به الشعب فى فيض من الضجيج والمرح . وقد وصف لنا مؤرخو الدولة الفاطمية المعاصرين . كابن زولاق ، والمسبحى ، وابن الطوير ، وابن المأمون ، طرفاً من هذه المناظر والرسوم الشائقة ؛ وخلاصة هذه الرسوم ، هو أنه اذا حل المولد النبوى ، يطلق من الخزينة مبلغ كبير برسم الصدقات ، ويطلق من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن سكر ولوز وعسل وزيت برسم خدمة المزارات التى بها — حسب قولهم — بعض أعضاء آل البيت . ويوزع من الحلوى بضع مائة ألف رطل ، وكذا من الخبز كمية كبيرة . وفى يوم المولد النبوى — الثانى عشر من ربيع الأول — يخرج الخليفة فى موكبه ليجلس فى المنظرة الخلافية المجاورة للمشهد الحسينى ، وهى أقرب المناظر الى القصر ؛ وتكون دار الفطرة قد أعدت ثلاثمائة صينية مجهزة بالحلوى اليابسة لتفرق فى كبار الموظفين والقضاة ، وفى مقدمتهم قاضى القضاة وداعى الدعاة ، وقراء الحضرة وخطباء المساجد الجامعة . وعند الظهر يركب قاضى

القضاة في موكبه بين عند القصر، ويخلى ميدان القصر من الجماهير، ويترك للجمهور السلوك من ناحية أو اثنين، ويقوم والى القاهرة بالمحافظة على النظام مع رجاله؛ ويصل موكب قاضي القضاة من ناحية، ويصل موكب الحاجب الكبير من ناحية أخرى إلى ساحة المنظرة الخلافية وقد فرشت بالرمل؛ ويقف الجميع في الساحة متشوفين لرؤية الخليفة. وبعد نحو ساعة يطل الخليفة من إحدى الطاقات وعلى رأسه المنديل الخلافي، ومن ورائه بعض الأستاذين المحنكين[1] ويطل أحد الأساتذة من طاقة أخرى ويقول: «أمير المؤمنين يرد عليكم السلام» ويسلم على الحضور؛ ثم يبدأ قراء الحضرة[2] بالقراءة وقوفاً، ووجوههم إلى الجمهور، وظهرهم إلى المنظرة؛ ثم يلقى خطباء المساجد الجامعة خطبهم، فيبدأ خطيب الجامع الحاكمي، ثم خطيب الجامع الأزهر، ثم خطيب الجامع الأقمر؛ وتدور الخطبة حول المولد النبوي وقدسيته وفضله؛ فإذا انتهت الخطابة، أخرج الأستاذ رأسه من الطاقة ويده في كمه ورد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان. ويحتجب الخليفة والأستاذ، وينتهي الاحتفال، ويتفض الناس[3]

هذا، وإلى جانب الاحتفال الرسمي، يحتفل الشعب في كل مكان بإقامة المآدب الخاصة ليلة المولد النبوي، وفي مساء يوم المولد، وتسطع القاهرة في الليـــل بالأنوار الباهرة، وتغص الساحات والدروب بالجماهير المحتشدة، وتكثر النفقة والزهة، وتقام أنواع الملاهي والمطاعم العامة، وتسير السفن في النيل والخليج محملة بالمتنزهين، ويكثر البر بالفقراء والمساكين.

وكان الاحتفال بالمولد النبوي في دول السلاطين المختلفة دائماً من الأعياد الرسمية، تحييه الحكومة والشعب، ويشهده السلاطين أحياناً؛ ولكنه لم يبلغ في ظل هذه الدول ما كان يبلغه من الفخامة والبهاء في ظل الدولة الفاطمية.

وفي عصر الحكم التركي، ذوي بهاء المواسم والأعياد الدينية كما ذوي كل شيء في الحياة العامة المصرية، وغلبت عليها التقاليد السخيفة، ولم يبق لها شيء من تلك الروعة التي كانت تهز قلوب المسلمين، وتبعث إليها الجلال والخشوع.

***

ويصف لنا الجبرتي طرفاً مما كانت عليه رسوم الاحتفال بالمولد النبوي في أواخر الحكم التركي وأيام الحملة الفرنسية، فيقول مثلاً في وصف احتفال سنة ١٢١٤ هـ ما يأتي:

«وفي يوم الثلاثاء حادي عشره (أي حادي عشر ربيع الأول) عمل المولد النبوي بالأزبكية ودعا الشيخ خليل البكري ساري عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ونادوا في ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلاً وإسراج قناديل واصطناع مهرجان».

ويقول في وصف احتفال سنة ١٢١٦ هـ ما يأتي:

«وفيه (أي ربيع الأول) نودي بتزيين الأسواق من الغد تعظيماً ليوم المولد النبوي الشريف فلما أصبح الأربعاء كررت المناداة والأمر بالكنس والرش فحصل الاعتناء وبذل الناس جهودهم وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخان والتفاصيل الهندية مع تخوفهم من العسكر. وركب المشار اليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة وشاهد الشوارع. وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد وحصل الجمع بتكية الكلشني على العادة، وتردد الناس ليلاً للفرجة وعملوا مغاني ومزامير في عدة جهات، وقراءة القرآن، وضجت الصغار في الأسواق وعم ذلك سائر أخطاط المدينة القاهرة، ومصر وبولاق. وكان من المعتاد القديم ألا يعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية حيث سكن الشيخ البكري لأن عمل المولد من وظائفه وبولاق فقط»

وفي وصف احتفال سنة ١٢١٧ هـ ما يأتي:

«فيه (ربيع الأول) شرعوا في عمل المولد النبوي وعملوا صواري ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكري ونصبوا خياماً في وسط البركة. ونودي في يوم الخميس بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت والسهر بالليل ثلاث ليال، أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف فكان ذلك»[1]

---

(١) الأستاذون المحنكون جماعة من كبار موظفي القصر اختصوا بالدولة الفاطمية، وعددهم تسعة، ومنهم متولي التاج الذي يقوم بوضعه على رأس الخليفة، وصاحب المجلس الذي يتولى تنظيم المجالس الخلافية الرسمية، وصاحب الرسالة، وهو الوسيط بين الخليفة والوزراء والحجاب، ومدير القصور، وحامل الدواة، إلخ... (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص٤٨٤ و ٤٨٥)

(٢) قراء الحضرة هم قراء القصر الخصوصيين، وعددهم عشرة قراء

(٣) راجع في تفاصيل هذه الرسوم — خطط المقريزي (مصر) ج ٢ ص ٣٩٢ — ٣٩٤؛ وصبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠١ و ٥٠٢.

(١) الجبرتي: (طبع بمصر) ج ٣ ص ٨١ و ٢٠١ و ٢٣٥

ونستطيع أن نلمح فى الاحتفال الرسمى الذى يقام فى أيامنا احتفاء بالمولد النبوى الكريم بعض رسوم العصور الخالية ، وبالأخص بعض المناظر التى ينقلها الينا الجبرتى عن هيئة الاحتفال فى أواخر العصر التركى ، ولكننا لا نستطيع أن نلمح فيه كثيراً من تلك الروعة التى كانت تطبعه فى عصور المجد والاستقلال ، ولا نستطيع بالأخص أن نلمس آثار ذلك الصدى العميق الذى كان يتردد بين طوائف الشعب ويجعل من المولد النبوى الكريم عيداً دينيا وقوميا عاما يحتفى به الشعب بأسره .

محمد عبد الله عنان
المحامى

من وراء البحر

للدكتور محمد عوض محمد

عزيزى الزيات

لقد غادرت القاهرة وأنا حانق عليك ، غاضب ثائر . وكان مثلى كمثل هذا البحر — بحر الريفييرا — الذى مابرح هائجاً صاخباً . فاستحال علىّ أن أقضى الوقت فى السباحة والاستحمام ، واضطررت أن أقطع الوقت فى الكتابة اليك كما ترى .

أجل ! لقد تركت السواحل المصرية وأنا غاضب منك ، ولحسن حظك أن بينى وبينك هذا البحر الطويل المديد العريض ، وإلا نالك مني بعض الأذى . فانك حاولت فى العدد السابع والأربعين من « الرسالة » أن تفسد على عيشى ، وتقطع عنى الخبز الذى أتبلغ به فى هذه الحياة الدنيا ،

وتفصيل الحديث — إن كنت لم تدرك بعد ماجريرتك — أنك فى العدد الأخير — الأخير بالنسبة الى — حاولت أن تقطع عنى وسائل عيشي ؛ بأن تناولت أفاضل الشعراء بالنقد الشديد لا لسبب سوى أنهم اتخذوا لأشعارهم عنوانات اقتبسوها من بيئة غير بيئتهم وأرض غير أرضهم ؛ وقد تناولتهم من أجل ذلك باللوم ما شاء لك ذلك القلب القاسى الذى اتخذ جوانحك مستقراً ومقاماً .

وكأنما جهلت — يا أبا رجاء — أو تجاهلت أننى بحمد الله — الذى يحمد على الخير وعلى الشر — ما أكلت الخبز والملح (ومعها — أحياناً — قليل من الجبن الدمياطى والخيار المصرى) إلا بأمر واحد أؤديه فى هذه الحياة ، وهو تعليم الناس تقويم البلدان . ولست أدرى أدفعتنى فى هذا الطريق ملائكة الرحمة أم شياطين العذاب . لكنه على كل حال هو الطريق الذى سلكت ، والذى آكل منه الخبز والملح فكان الأجدر بمثلك لو أنك ترعى للمودة عهداً أن تشجع الشعراء على أن يقبلوا ما استطاعوا على تلك البيئات البعيدة ، والأقطار النائية ، يلتمسون فيها عنواناتهم وموضوعاتهم ، فيضطرون الى دراسة البلدان والأقاليم ، ويبحثون فى أسفار الجغرافيا عن صفة كل قطر وكل ظاهرة طبيعية ، حتى اذا استوعبوا فهمها واستطاعوا الاحاطة بأسرارها سالت خواطرهم فى وصفها قريضاً بديعاً . . . وهكذا يصبح الشعراء والكتاب طلبة يدرسون علم تقويم البلدان ، ورسلاً لنشر الدعوة الجغرافية وبثها بين طبقات الأمة . وهكذا تروج بضاعتنا التى نأكل منها الخبز والملح ، ومن يدرى ، فقد ينتهى بنا هذا لأن نصبح قادرين على التنعم بأشياء غير الخبز والملح — مما نجهله الآن كل الجهل .

ان واجب الجغرافيا — يا أبا رجاء — هو أن تدنى البعيد وأن تقرب أطراف العالم بعضها من بعض ، وأن تعلمك وأمثالك كيف تتخذون الناس كلهم سكناً ، وكيف تجعلون الأرض كلها داراً .

نريد لكم اليسر والسعة ، ولا نريد لكم العسر والضيق ، نريد أن يطلق سراح الكتاب ، وألا يتقيدوا بسلاسل المكان وأغلال الزمان ، فتنطلق أرواحهم فى العالم الفسيح ، وتشرب من كأس الحرية حتى تروى وتشفى .

ان الجغرافيا هى علم الكون ، علم الوجود ، ولهذا كانت أهم ما فى الوجود من علم . ولهذا وجب على من كان مثالك — مهنته نشر الثقافة — ألا يقول كلمة واحدة تثبط همة المشتغلين بهذا العلم العظيم . .

لهذا أريد منك أن ترجع الى الحق ، وان تعترف معى بأن « وراء الغمام » و « الملاح التائه » وما شابه ذلك عنوانات بديعة ، وأنه لا يضير الكاتب الذى يستخدم مثل هذه العنوانات أن ليس فى سماء القاهرة غمام كثير — مع أن فى سماء الأسكندرية من الغمام ما يكفى لألف عنوان ! — كذلك لاضير على الكاتب أن

يتحدث عن البراكين وجبال النار ، والزلازل ، وأمثال تلك الظاهرات التي لانحسها في مصر إلا نادراً . ذلك لأننا معشر الجغرافيين نريد أن نبصر ثمار ما بذرناه من علم ونراها تؤتي أكلها في كل مكان .

هذا ما عنّ لي أن أقوله ثانياً لك على أن حاولت أن تقطع عيشنا في هذا البلد الأمين . . وأريد أن أزيد في التنكيل بك بأن أرسل إليك قصيدة كنت نظمتها في وصف « نهر في جبال الألب » فهي كما ترى لم تكتب عن نهر النيل . فاذا أردت أن تلومني في هذا ، وليس هذا على جرأتك بعزيز – فاذكر أنني كتبت عن نهر النيل كتاباً كاملاً ؛ قد أتعبني في النهار وأسهرني الليل أعواماً طوالاً . أما النهر في جبال الألب فما كان له مني سوى جلسة قصيرة جلستها بجانبه أراقب مجراه ، وأصغي الى خريره وزئيره . لم يسهد له طرف ، ولم يدمع له جفن .

وعنـدي أن الذين يتحدثون عن موضوعاتهم في غير بيئتهم لا يضربون لنا مثلاً لما نسميه (الامتيازات) في الأدب ؛ بل للاستعمار في الأدب . فما دام الأسلوب عربياً ، والصبغة والنزعة عربيتين ؛ فلن يضير الشاعر أن يفتش أرجاء العالم في سبيل البحث عن موضوعه ، أو عن استعاراته أو معانيه . والذي قد يعاب على الكاتب العربي هو هذا الولع باصطلاحات غريبة تبدو للعربي بادية السخف ، مثل قولهم « كوبيد رماني بسهم » أو ما شاكل ذلك من الاصطلاحات التي لا طلعت ولا نزلت . وليست عبادة الغربيين مقصورة على شعرائنا بل هي كذلك شائعة في سائر الكتاب ورجال السياسة . فكل نغمة – مهما كانت سخيفة – مطربة لهم ما دامت خارجة من قيثارة غربية . وكل حكم نافذ ما دام صادراً من محكمة غربية . وأكبر عار على الأديب المصري أن يكون إلمامه بأدب الغرب أكبر من إلمامه بأدب الشرق .

* * *

والآن ما خطب تلك القصيدة التي أريد أن أثأر بها منك : والتي موضوعها « نهر في جبال الألب » ؟ انها ليست من جليل الشعر ولا خطيره ، ولكني ما دمت أرسلها اليك للتنكيل بك فلن أهتم بتنقيحها وتهذيبها . فها كها :

يحار لبي إذ أرى   مسيلَ هذا الجدول

وإذ أرى انحداره   يسبق لمح المقل

لا يستقر في السـير لحظـةً بمنزل

كأنه مُنـدفعٌ   بالخوف أو بالأمل

أو سـائرٌ لغاية   بعزمة لم تُفْلَلِ

ينقض في انسيابه   مثل هُويّ الأجدل

من مَدْفَع لمدفع (١)   وجنـدل لجندل

فاعجب لماء شبمٍ   يجيش مثل المرْجَل !

مصطخب مضطرب   محتـدم منفعل

وهائج في مائج   ومدبر في مقبل

وعابس في ضاحك   ومنجد في مسهل

وأول في آخـر   وآخـر في أول

مستعجلاً وليس يخـشى زلة المستعجل

وليس يُعييه السيرُ   في الضحى والأصُل

عليـه من حبابه   ثوب كأبهى الحلل

رذاذه مثل شرار   ناره لم تشـعل

منتثرٍ منتشرٍ   في السهل أو في الجبل

* * *

شلالهُ يهوي هُـوى   شُهْبٍ ليل أليل

كعمد من فضـة   أو كملاء مُسـدل

أو حائط من مرمر   يلمع كالسجنجل

أو ذوب بلور هوى   من حالق لأسفل

في صخب ولجب   متصـل منفصل

يكاد أن يُسمع من   بالمشترى أو زحـل !

زئيره يطغى على   خريره المتصـل

مثل زئير الأسد يخـفى شدو كل بلبـل

* * *

أصغي اليـه صامتاً   في هيبة ووجـل

أسمع في خريره   ذكرى العصور الأول

كأنه صوت الزمان   من قديم الأزل

ينبئ بالماضي وقد   يهمس بالمستقبل

سفر يخط الدهر فيـه كل سطر منزل

من كل معنى مُذْهِل   وكل سر مُعضل

* * *

ياليت شعري إذ أرا . . في سراه المُعجل

(١) المدفع عند العرب هو حيث يندفع الماء بشدة ومن هذا (مدافع الريان) التي جاءت في معلقة لبيد

بين العلم والأدب

هل يميت العلم الشعور ؟

بقلم محمد روحي فيصل

« العلم يجفف القلب ويميت الشعور »

رأى أملاه على منذ سنوات احد اساتذتي الأدباء ممن لا بأس بلبه وعقله ، ولا يتهم في فطنته وبصيرته ، ثم سمعته من بعض الشباب الناهض المتأدب ، وقرأته لغير واحد من كبار الكتاب في مصر والشام والعراق . فاذا الرأى شائع معروف ، ثابت الأصول منبسط الفروع ، يرد ابداً على طرف اللسان وشق القلم ، واذا الناس يخشون العلم ويخافون على قلوبهم ونفوسهم من بأسه وضرره ، واذا هوة سحيقة المنأى بعيدة المستقر تفصل العلم عن الأدب وتباعد بين اسبابها وادواتها ، اما ان بعض مصطلحات العلم جاف شديد الجفاف فهذا مالا يختلف فيه اثنان ، واما ان قوام العلم المنطق والعقل فهذا حق الى حد ما ، واما ان العلم ذاته يميت الشعور فهذا ما نحب أن نعالجه الآن في جرأة واخلاص ، ونناقشه في روية وهدوء . ونحن نغتبط كل الغبطة حين تعنى الصحف والمجلات بالأدب ، تعقد له الفصول الطوال ، وتدعو الى تفهمه ودراسته ، وتبذل لهذا كله قوتها وجهودها ونرجو ان تكون النهضة الأدبية مقدسة مباركة تحفها أشعة من نور وهالة من بهاء ، فليس أدل على حياة الأمة من الفن والأدب يعرض عليك في وضوح ودقة ، ميولها واهواءها وافكارها وسائر مايتردد بين قلبها وعقلها من الخواطر والأنفعالات . ولكن مفهومه على النحو الصحيح ما يزال مبلبلاً مهلهلاً . ما هو أفقه وغايته ؟ ماهو مقياسه وحدوده ؟ ماصلته بالعلم ؟ ماقيمته في عالم المعرفة ؟ هذه اسئلة يختلف كتابنا في الأجابة عليها تمام الأختلاف ، ويذهبون فيها شتى المذاهب

أما نزال بسطاء سذجاً تخدعنا البهرجة الكاذبة ، والطلاوة العابثة ، وتفتننا الألاعيب اللفظية والأناقة الكلامية ؟ ألسنا على ثقافتنا وجلال نهضتنا نجهل مقاييس الأدب الصحيحة ، وحدود الجودة والرداءة ، ومواطن الجمال والدمامة ؟ ألسنا نستحسن ماتنفر منه النفس ، وماهو حقيق بالنبذ والأهمال ، ثم نستقبح ماقد يكون في الذروة من البلاغة الجليلة الرائعة ؟

ذلك ناشيء عن فساد في الذوق ، وجدب في التربة ، وكره للعلم وابتعاد عن دراسته وتحصيله ، وعندى ان كل إنتاج في الأدب لم يبدأ بأصلاح هذا الرأى فانما هو محاولة فاشلة فائلة ، ومضيعة للجهود المبذولة في غير طائل ولا نفع

في الدنيا جمال ، وفي الدنيا حقيقة ، وفي الدنيا خير . أقانيم ثلاثة تتحد في السبب ، وتتصل في الجوهر والعرض ، او هي مثل عليا متداخلة متشابكة ، ففي الجمال حقيقة ، وفي الحقيقة جمال وهكذا . . . فالأدب انما ينبغي أن يستند الى شيء من العلوم التجريبية والنفسية والأجتماعية ، ويعتمد على ما أثبته العلم في مختلف الميادين والموضوعات ، والأديب والعالم انما يجب ان يتصافحا ويتصاحبا فكلاهما ينظر الى الطبيعة والحياة من ناحية ، هذا يكشف عن حقيقتها وذاك عن جمالها ، وهما بعد يتعاونان على بحثها واجتلائها

فالعلماء مجمعون فيما بينهم على ان غاية العلم انما ينبغى أن تكون البحث عن الحقيقة الخالدة يتحرونها في كل مظهر من مظاهر الوجود ، لا لنتائجها العملية يستخدمونها في حياتهم ومعاشهم ، بل حباً في الأطلاع واشباعاً للنفس . هم يطلبون العلم لذات العلم لا لآراب أخر ، ويلحون في أن يكون خلواً من الأغراض والمنافع ، بريئاً من كل نزعة تطبيقية . يريدون ان يكون العلم نظرياً محضاً يستهدف الحقيقة في كنهها وصفاتها وذلائلها ونسبها . يقول هنرى بوانكاريه

هل هو رمز للخلو د والوجود الأزلي
أم هو رمز للفنا ء يبدو والتحول ؟
وقد أراه قدوة لنا وخير مثل
لو ان فينا بعض ما فيه من الخلق العلي
من شدة وعزمة وقوة وعمل
إذن لكنا دولة بين كرام الدول

والآن أيها الصديق تحية وسلاماً . . . أرجو أن أكون قد تكلمت بك كما أردت واشتهيت ، وان عدتم عدنا . والى اللقاء ؟

أخوك المخلص

جوان لى پان في ٦ حزيران محمد عوض

«ان معرفة الحقيقة يجب أن تكون غاية بحثنا»(١) ويقول شالي: «كلما سما العلم وتجرد عن المقاصد والأغراض في العصر الحاضر كان للأجيال الآتية أكثر خيراً وأعظم نفعاً»(٢).

وليست المادة وحدها التي يتناولها العلم فيدرسها. وانما هو يبحث أيضاً في حياة النفس واحداثها، فهي في نظره موضوع للتفكير كالمادة سواء بسواء .. فالعلوم على اختلافها انما هي دروب ما تتشعب وتنحرف الا لتلتقي في نقطة واحدة هي «الحقيقة». أفتظن ان معرفة هذه الحقيقة التي يبذل العالم لها جهوداً جبارة هي سبيل لتجفيف قلبه، واطفاء معنى الشعر فيه !!

لا ! لعمري ان العالم الذي يصل الى حقيقة من الحقائق انما تمتلئ نفسه في الحال بهذا السرور وهذه النشوة العلوية، فليس أدعى للذة ولا أكثر جلبة للسعادة من عرفان الحقيقة ! !

أذكر عالماً من العلماء — وأظنه الكيميائي دلوي Davy قد أخذ نفسه بدراسة «البوتاسيوم» في تجربة، فلما عرف حقيقة الجسم قام حول الطاولة يرقص بهجاً طروباً !! وكان ارخميدس يوماً في الحمام يجري عملية في سبيكة المعدن ليتعرف مقدار الذهب فيها والفضة، حتى اذا لاحت له الحقيقة خرج في شوارع المدينة عارياً حافياً يصيح: وجدتها، وجدتها eureka .. ففي خروجه على هذه الحال من العري والحفاء، وفي صراخه القوي البهيج، صورة جامعة تامة الخطوط والألوان للذهول الشديد الناشيء عن اللذة الفجائية الظافرة التي بعثت في قلبه المشاعر والعواطف، وأسالت منه أقصى حدود الفرح والبشر، وطبعت على شفتيه المنفرجتين بسمة حلوة مشرقة !!

ولعل الحقيقة النفسية أكثر الحقائق مدعاة للسرور، فهي التي تهمنا قبل كل شيء لأنها تتصل بنا وتؤلف الجانب الأكبر من حياتنا، فالكشف عنها انما هو اجتلاء افق فسيح عجيب، ملؤه الجمال والجلال.

إن العلوم التجريبية تسمو دوماً من الحوادث والواقع الى القانون. هي تعلو وتعلو في جو التجريد حتى تحصر مظاهر الكون في هذا الرمز الصغير المدعو «قانون». فالقانون علاقة بسيطة تريك هذا النظام الدقيق الذي تتقيد به الطبيعة، وتخضع له من غير شذوذ ولا مصادفة. فنحن حين نقرر سقوط الأجسام كلها نحو مركز الأرض نوضح هذا التجاذب القوي العام الذي يحصل بين الكتلات، نوضح ناحية من نواحي الوجود لها قيمتها ولها أثرها. وهذا التجاذب هو في الحق حلقة من سلسلة النظام الطبيعي.

فالقانون هو، على حد تعبير هنري بوانكاريه، أحدث وسيلة لجأ اليها العقل البشري للتعبير عن هذا النظام الطبيعي. أفلا يروقك أن تلحظ أن في هذا العالم الذي نعيش بين جوانبه، والذي أنت عنصر كريم من عناصره العديدة — اتساقاً وانسجاماً بديعين ؟!

لقد كان الناس في العصور الخوالي يتطلبون من الهتهم معجزات خوارق يثبتون بها وجودهم وقدرتهم، وانما الأعجوبة الرائعة حقاً ألا يكون هناك أية معجزة خارقة، وأن يكون كل شيء في الطبيعة يسير على خط منتظم في حركة منتظمة، لا اعوجاج في الخط ولا تردد في الحركة !! فنظام الطبيعة الذي يكشف عن العلم شيئاً فشيئاً هو مصدر كل جمال وكل شعر، يبعث في القلب أسمى الشعور وأدق النزوات ....

لعل الذي يقول بتجفيف العلم للقلب انما ينظر الى هذه المجازر البشرية، والى تلك الشرور والآثام التي كان العلم فيها عاملاً قوياً لهتك الفضيلة وسفك الدماء. هذا صحيح، ولكن العلم في ذاته لا يبغي الا هدفاً شريفاً منزهاً عن كل النزعات البشعة، فهو يصلح للخير ويصلح للشر، ويستخدم لرفع مستوى الانسانية ويستخدم لتدنيسها، فليس الذنب ذنبه وانما هو ذنب من حمله ! فأنت تستطيع أن تنقم عليهم، وتستطيع أن تكيل لهم أشنع النعوت والصفات، ولكنك مضطر الى أن تقف في محراب العلم خاشعاً متصدعاً، تتلو آي الحمد والاجلال، وترتل أناشيد الحب والاعجاب !!

أو لعل الذي يقول بتجفيف العلم للقلب انما يزن الحقائق التي اجتلاها الانسان خلال هذه العصور الطويلة، فوجدها ضئيلة هزيلة لا تعدل ما بذل في سبيلها من جهود .. وهذا صحيح أيضاً، فالحقيقة لا تطفو على ظاهر الأشياء ولا تستبين بارزة عارية. وانما هي خيال ما يكاد يتراءى للعين والبصيرة حتى يختفي، ولقد يضطر العالم الى اللحاق به فيعدو ويعدو، ثم يعود في الأعم من الأحوال خاسراً خائباً. فتحري الحقيقة عمل شاق مضن، ولذا اشترط على العالم الصبر والأناة والجلد .. على أن ما علمناه يزيد في ثراء خزانة

(١) راجع المقدمة من كتاب بوانكاريه «قيمة العلم»
(٢) راجع صفحة ٣٠٣ من كتاب شالي «فلسفة العلم والأخلاق»

المعارف ، فيهيب بنا الى القول أن الانسان الحاضر أرقى من الانسان الأول ، وأكثر منه كمالاً . أقول كمالاً ولا أقول سعادة ، لأن السعادة غير منوطة بالعلم أو ناتجة عنه . ولعلها بالجهل أجدر وأليق ، ولعل العلم يبعث القلق والاضطراب ؛ ويثير أحلام النفس الغافية ووساوسها الكامنة

***

اكتشاف الحقيقة لا يتم الا بالخيال والعاطفة ، وهما أهم مقومات الشعر والأدب ، يتخذهما العلم فى البداءة جناحاً يطير به ، ووسيلة يلجأ اليها ، فهما أداتان لا غنى له عنهما . أفيستطيع العالم تبيان مجاهل الكون الا بالتخيل والتصور ، يرسم حدودها وأشكالها على صحيفة مخيلته قبل أن يعرفها بالواقع والمحسوس ؟ أفلم تكن العاطفة والرغبة حافزاً للمعرفة وداعياً الى الاحاطة بها ؟ . . ومع أن العلماء حددوا مدى الخيال ، وألزموا الحس بالبرهان فلقد راضوها كثيراً واستنهضوها كثيراً .

فالمعهود أن ملكة التخيل والفرض قوية نامية عند العلماء والمفكرين ، والمعهود أن كبار الأدباء كانوا علماء أو مثقفين ثقافة علمية متينة واسعة . فهذا جيتى الأديب العبقرى كان عالماً من علماء القرن الثامن عشر ، له فى النبات نظرية « التحور » وله فى طبقات الأرض والأحجار الكريمة آراء محترمة ، يعتقد ببساطة النور ويقول ان جمجمة الرأس انما هى حلقة من حلقات العمود الفقري تطورت ونمت فصارت الى ماهى عليه الآن من التجسم والضخامة . أما بساطة النور فلا يؤمن بها أحد من العلماء اليوم ، وأما نظرية الجمجمة فلا تتلاءم مع علم الرشيم الحديث فعدل عنها ، وان شئت فقل انها تحورت الى نظرية أخرى . كان جيتى أديباً كبيراً وكان عالماً حقاً ، لم يمنعه علمه من الانتاج فى الفن والأدب ، ولم يمنعه علمه من الاسترسال وراء الخيال الصادق الصحيح ، وهل الخيال الصادق الصحيح الا ظل الحقيقة وصورة الواقع ؟ ؟

انما يكشف العلم عن مصادر خصبة للجمال يجدر بالأديب أن يتأملها ويستوحيها ، يهيج الخيال وينشط العاطفة ثم يسبغ عليهما من روعة الحقيقة ما يلهبهما ويؤججهما ؟

حمص — محمد روحي فيصل

فى الأفق الدولى

جبهة أوربية جديدة

كان اعتراف دول الاتفاق الصغير بروسيا السوفيتية واجتماع السنيور موسولينى والهر هتلر أهم الأحداث الدولية التى وقعت فى الأسبوعين الأخيرين . وتوجد بين الحادثين صلة وثيقة ، وكلاهما يرجع الى نفس البواعث والظروف التى تدفع أوربا اليوم الى منحدر شديد الحلك . وقد بينا فى مقال سابق فى الرسالة أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن أوربا القديمة تعود فتبدو للعالم كما كانت قبل الحرب مسرحاً للتنافس الحربى وعقد المحالفات السرية ، وتنظيم الجباه الخصيمة . وقد بدأت فرنسا مذ رأت تصميم ألمانيا على تسليح نفسها بتنظيم جبهة سياسية عسكرية تستطيع أن تعتمد عليها فى مقاومة ألمانيا اذا ما نشبت بينهما الحرب ؛ ولما كانت العلائق قد فترت بين ألمانيا وروسيا على أثر قيام الطغيان الهتلرى فى ألمانيا وسحقه للحركة الديمقراطية ومجاهرته بخصومة روسيا السوفيتية ، فقد رأت فرنسا أن تعود فتتقرب من روسيا وأن تحاول إحياء التحالف الذى كان معقوداً بينهما قبل الحرب ضد ألمانيا . فبعث مسيو هريو رئيس الوزارة الأسبق الى روسيا لتمهيد السبيل لهذا التحالف ، ورأت روسيا من جانبها أنها فى حاجة لتوطيد مركزها بين الدول الغربية ، وتأمين سلامة حدودها الأوربية لكى تستطيع التفرغ نوعاً لمقاومة الخطر اليابانى فى الشرق الأقصى ، فرحبت بهذه الخطوة . واستمرت فرنسا فى سعيها لتنظيم هذه الجبهة الشرقية ضد ألمانيا ، حتى استطاعت أن تحمل دولتين من دول الاتفاق الصغير هما رومانيا وتشيكوسلوفاكيا على الاعتراف بروسيا السوفيتية تمهيداً لعقد التحالف بينها وبين روسيا . وقد جاء اعتراف الدولتين بروسيا على أثر الزيارة التى قام بها مسيو بارتو وزير الخارجية الفرنسية لكل منهما . ونفوذ فرنسا فى رومانيا وتشيكوسلوفاكيا كما معروف ، وهو الذى يوجه سياستهما الخارجية منذ نهاية الحرب الكبرى . ونستطيع أن نقارن بين رحلة مسيو بارتو التي أسفرت عن التمهيد لهذا التحالف برحلة مسيو بوانكاريه

التى قام بها قبيل الحرب الكبرى فى روسيا وما انتهت اليه من توثيق التحالف بين روسيا وفرنسا .

اجتماع هتلر وموسوليني

وقد كان لهذه الحركة التى قامت بها فرنسا فى تنظيم الجبهة الجديدة وقع عظيم فى ألمانيا لأنها هى المقصودة بها قبل كل شىء . وقد شعرت ألمانيا الآن بخطر العزلة السياسية والاقتصادية التى انتهت اليها ، وكان للسياسة الهتلرية وما أبدته من العنف وقصر النظر أكبر أثر فيها . ففى عام ونصف عام فقط ، منذ قيام الطغيان الهتلرى فى ألمانيا ، فقدت ألمانيا كثيراً من عطف الرأى العالمى ، وفقدت صداقة روسيا السوفيتية وما كانت تتمتع به فيها من مركز اقتصادى ممتاز ، وأثار عنف السياسة الهتلرية عليها كثيراً من الأحقاد فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ودفعها بسرعة الى طريق الخراب الاقتصادى . وقد شعر الهتلريون بخطورة المأزق الذى دفعوا اليه ألمانيا ، ولم يجدوا قبلة يتجهون اليها اليوم فى أوربا غير إيطاليا . والسياسة الايطالية تشعر بعطف خاص نحو ألمانيا الهتلرية أولا لما بين الطغيان الفاشستى والطغيان الايطالى من وجوه الشبه فى الوسائل والغايات ، وثانياً لاتفاق الرأى بينهما فى بعض المسائل الخارجية مثل وجوب تنقيح معاهدة الصلح ، وميثاق عصبة الأمم ، وتسوية مسألة نزع السلاح على قاعدة المساواة بين الدول العظمى . هذا وإيطاليا تشعر نحو السياسة الفرنسية فى القارة بغيرة شديدة وتتوجس من عواقبها ولا سيما فى أوربا الوسطى ، وتحقد على فرنسا لأنها تحول دون توسعها الاستعمارى فى أفريقيـة ؛ والخلاصة أن هنالك أسباباً وبواعث كثيرة تجمع بين ألمانيا وإيطاليا فى الظروف الحالية ، وتقرب بينهما فى الرأى والغايات .

تلك هى العوامل التى حملت هتلر زعيم الوطنية الاشتراكية الألمانية ، وموسوليني زعيم الفاشستية على اللقاء بسرعة للبحث والتفاهم . وقد تم اللقاء بين الزعيمين فى مدينة البندقية (فنيزيا) واستمر يومى ١٤ و١٥ يونيه . ولم تذع تفاصيل شافية عما دار عليه البحث أو تقرر ؛ ولكن المفهوم أنه تناول كل المسائل الخطيرة التى تهم البلدين ، وفى مقدمتها مسألة التوازن الأوربى ، ومقاومة السياسة الفرنسية فى تنظيم الجبهة الخصيمة ، ومسألة نزع السلاح وعصبة الأمم ، ومسألة استقلال النمسا وضمان السلم فى أوربا الوسطى .

وقد أفاضت الصحف الألمانية فى أهمية هذا الاجتماع وخطورة أثره فى مستقبل السياسة الأوربية ؛ وكانت الصحف الايطالية أكثر تحفظا . ولا ريب فى أهمية الاجتماع وخطورته ؛ ولكنه من جهة أخرى دليل على خطورة المأزق الذى صارت اليه ألمانيا فى ظل الوطنية الاشتراكيـــة ، وعلى جزعها من عواقب العزلة السياسية التى انتهت اليها ، وشعورها بالحاجة الى التعاون الخارجى .

« ع »

صور من الحياة البائدة

للآنسة أسماء فهمي

درجة شرف فى الآداب

على ضفاف « بحر يوسف » حيث قام فى العصور السحيقة قصر « التيه » أو « اللابرنتة » وفى وسط الحقول النضرة ظهر فى جلال على ربوة تناثرت فوقها نباتات برية مزدهرة يقوم قصر آل عباد الفخم . ولم يشأ القصر أن ينسجم مع ما يحيط به من بساطة فأغرق فى الزخرف والزينة وأبى الا أن يجمع بين إسراف الفن القوطى من تماثيل رمزية وأبراج ، وروعة الفن العربى من نقوش وعمد ، فبدا وكأنه الحسناء التى طمعت أن تزداد حسنا فأسرفت فى الزينة والتبرج ، فهوى جمالها النضر فى خضم من الأصباغ والمساحيق الجامدة . . ولكن سكان القصر وأغلب زائريه كانوا يقفون مبهوتين امام فخامته ؛ لأن البذخ والأسراف كانا لديهم مقياس الفن والجمال .

ولم يكن داخل القصر بطبيعة الحال اقل زخرفا أو إغراقا فى التجمل من خارجه . وكان المبدأ الذى اتبع فى تأثيث القصر المنيف هو اقتناء أثمن الأشياء من بلاد الشرق وممالك الغرب وتكديسها فى الغرف دون مراعاة لما بين أنواعها من تفاهم أو تنافر ، والواقع أن أثاث المنزل كان دوليا بكل ما فى الكلمة من معنى التباين والتنافر ! وسكان الدار ؟ كانت أيضاً خصالهم وعاداتهم خليطاً من صفات الشعوب فى عصور التاريخ المختلفة ، فلقد جمعوا بين ديمقراطية العرب وسخائهم وتعصب أهل القرون الوسطى فى الدين واحتقارهم للمرأة ، وبين زخرف القرن الثامن عشر وانغماسه فى

التزين ، وأضافوا إلى كل ذلك تفانى أهل القرن العشرين فى عبادة المادة . .

وكان رب هذه الدار عميد آل عباد الشبيرة فى الفيوم شيخا مسنا معروفا بالتقى والكرم فى عناد وصلابة . ولكن على الرغم من تقواه كان لا يتورع من أن يزيد فى ثروته الطائلة بأى وسيلة تصادفه ، وكان إذا أصبح الصباح بادر بالجلوس على حصير متواضع فى أحد أجزائه الفسيحة ، وسرعان ما يجتمع حوله فلاحوه واتباعه يبسطون أمامه خصوماتهم ومشاكلهم فيقضى بينهم فى وقار وحزم كما كان يفعل النبيل فى عهد الأقطاع . . حتى اذا ما حان وقت الغداء ، أمر باعداد الموائد للاتباع والفقراء ، ويأبى السيد الا أن يأكل معهم برغم احتجاج ابنائه الذين أخذوا بقسط من مظاهر المدنية الحديثة ، ودرسوا علم الجراثيم الاجتماعية ووقفوا على أن الفقراء والمعوزين من أفتك أنواعها ! . ولكن الشيخ كان يرد على مثل هذا الاحتجاج باسما قائلا : إن الفقراء أحباب الله . . واذا ما نادى مناد للصلاة هرول الشيخ الى مسجد القرية يتبعه جموع الرجال . وقد أدى ورع السيد الى تورع الأتباع حتى أكثر الأشقياء جبروتا وعتواً . .

أما زوجة السيد فلم تكن على شىء من نشاطه وبساطته ؛ قضت حياتها كلها قعيدة دارها لم تخرج منها الا يوم وفاة امها منذ أكثر من عشرين عاما . وكانت على جانب عظيم من البدانة لا ترتدى من الأثواب غير الحرائر النادرة التى يطول ذيلها امتارا وراءها . . وتحمل حول عنقها واناملها ومعصميها وفى أذنيها أرطالا من اللؤلؤ والماس والذهب ، فضلا عما أكثرت من الأصباغ المختلفة الألوان فى الرأس والوجه واليدين والقدمين فغاصت شخصيتها فى خضم من المساحيق والحرائر والجواهر . . وبدت فى مجلسها كصنم هائل تكدست فوقه قرابين الحلى والجواهر وضعت حيثما اتفق لأرضاء عاطفة الورع . . !

وقد كانت بطبيعة الحال لفرط بدانتها وثقل احجارها الكريمة بطيئة الحركة تشتد ضربات قلبها لأقل مجهود ، وقد ترتمى على مقعدها اعياء لمجرد محاولتها النهوض ، فيأتى رهط من الخدم للأخذ بيدها وانهاضها كما لو كانت عجوزاً شمطاء قد قطعت شوطا بعيدا فى طريق العـــدم .

وعلى مقربة من الأم كانت تجلس ابنتها « سمر » وهى غادة هيفاء لولا ضعفها البادى وشحوبها لما بخل عليها حتى أقسى حسادها بوصف الحسن الرائع ، ولكنها كانت كالزهرة التى اقصيت عن الضوء والهواء فذبلت وتهدلت أوراقها . ولم تحاول الفتاة أن تخفى الشحوب بالأصباغ (وإن كانت قد اجتهدت فى اخفاء النحول بكثرة الكرانيش والذيول) لأن ذلك العهد لم يبح للمرأة أن تتجمل الا اذا كانت ذات بعل . . أما المذهب الذى يدعو إلى الاهتمام بالفن للفن ، فلم يكن مألوفا عند بنات ذلك العصر ، وانما هو من مستحدثات هذا القرن !

***

كرت الأعوام على هذه الأسرة والحياة تسير على وتيرة واحدة لا تنوع فيها الا تغيير انواع الطعام الكثيرة ، وتبـديل الملابس والجواهر التى اكتظت بها الصناديق والخزائن — ولكن لم تلبث الأيام التى تلد العجائب أن تمخضت عن حادث هام أدخل فى حياة الأسرة الراكدة انتعاشا وجدة . . وحول تفكيرها الى مجرى غير مجرى الطعام والشراب والملبس . . فلقد خطب الشاب مراد ابنة عمه « سمر » إلى أبيها ، وقبل الشيخ عباد راضياً مسروراً ، لأن مرادا كان يمتاز بأسمى صفات الرجولة من نبل وشجاعة وقوة فوق جاهه العريض وجـــاله . وقد فرحت الفتاة سمر عند وقوفها على هذا النبأ ، لأن مراداً كان رفيقها فى عهد الطفولة ، وهى وإن كانت لم تره منذ زمن بعيد كانت تسمع الكثير عن خصاله وجماله

وكانت الأم منذ اعلان الخطبة لا تطيق ابتعاد ابنتها عن مجلسها ، وفى ذات يوم فاضت عاطفة الأم عند ما تذكرت انه لم يبق على زفاف ابنتها سوى ايام قلائل ، فجرت نفسها نحوها بمجهود غير يسير ، ووضعت ذراعها الغليظة حول جسم الفتاة النحيل ، وقالت وهى تلهث من التعب : — أواه يا ابنتى ! عما قليل ستزفين إلى ابن عمك مراد ، لا يحزننى أمر فوق ما يحزننى منك هذا النحول . . اتوسل اليك ياسمر أن تأكلى وتشربى كل ما آتيك به . . وليس هناك من دواء للنحول كشرب كوبة من السمن الخالص أو الحلى بالعسل كل صباح وكل مساء . . انظرى إلى أمك ! انها لم تستمتع بهذا الهيكل العظيم من اللحم الذى يحسدها عليه جميع نساء آل عباد الا بفضل هذا الدواء الناجع الذى أشير به عليك الآن . .

فقالت الفتاة وقد توردت وجنتاها حياء لذكر موضوع الزفاف ،

آسف لا يلامك يا أماه . . سأحاول مرة أخرى تعاطى هذا الدواء ، ولكني أوثر البقاء بجانبك طول الحياة ... انى لأرتعد فرقا عند ما أفكر أنى سأغادر هذه الدار المحبوبة قريباً لأذهب إلى دار غريبة لا أعلم من أمرها أو من أمر ساكنيها الا ما أسمعه من أفواه الرواة .. انى لم أر عمي « قاسما » الا مرات معدودة ، كنت فيها لا أجسر على مخاطبته أو النظر في وجهه استحياء . . أهو طيب القلب يا أماه ؟ وزوجه ؟ أحقاً ما نسمعه من أنها شديدة الورع ؟ . .

أجابت الأم وهي تحاول إخفاء تأثرها : عمك يا ابنتى كأبيك نبيل كريم . أما زوج عمك فهي شديدة التقي كثيرة التعبد ، ولكن ذلك قد لا يمنعها من ان تتصف برذائل الحماة . . وما ادراك يا سمر ما الحماة . . انها نار الله الموقدة ، أو احد شياطين الجحيم المردة .. انى يا ابنتى لم أتذوق طعم الحياة الرغيدة الا بعد أن ماتت حماتى !.

ارتعدت فرائص الفتاة عند سماع هذا القول وأبرقت عيناها ببريق الكره والخوف معاً ، وقالت والعبرات تكاد تحبس صوتها : — وماذا أنا فاعلة يا أماه ؟ . .

— إخضعى لحكم القدر ، واستعيني برب الفلق على شر ما خلق ! . . .

إنهمرت عبرات الفتاة على الرغم من اعيائها الشديد . ودخل أبوها مهرولاً في تلك اللحظة فانقطع مجرى الحديث ، لأن الفتاة أسرعت بالاختفاء إذ أصبحت لا تجرؤ على مواجهة أبيها منذ خطبتها مدفوعة بعامل الحياء الشديد . . . ولم يحاول الأب استبقاء فتاته وان كان الموضوع الذى أتى ليعالجه مع امرأته يعنى الفتاة دون سواها ، لأنه أتى طبعاً ليتكلم في موضوع العرس ، هذا الأمر الذى كان محور حديث الأسرة ، ماعدا الفتاة التى قضت عليها التقاليد بكتمان آرائها ورغائبها وعدم الخوض في موضوع الزواج .

قال الأب بعد فترة سكون لم تحاول الأم بدء الحديث في أثنائها رغم تشوقها للوقوف على أحدث تفاصيل موضوع العرس ، لأنها كانت تهاب الزوج وتخشاه .

(سيتم كل شئ بعد أيام باذن الله على رغم تجدد الخلاف بيني وبين أخى قاسم من جراء اقتسام تركة أمنا المتوفاة . إنه يصر على أن يأخذ منها ما وقع عليه اختياره ، وينتهز فرصة العرس ليحملني على التساهل .. كلا . . ومن بيده الملك ، ولو آل الأمر الى دك أعلام الزينة واطفاء أنوار الأفراح . .

قالت الأم بصوت خافت لا يخلو من رعشة الوجل : — ولكنا لا نجـــد عريساً لابنتنا خيرا من مراد ؛ فلا تحجم عن التضحية من أجله .

فأجاب الأب وهو يرتجف من شدة الغضب : انك شديدة الغباوة يا « مني » . . انى قادر على مصاهرة من يدفع لى من المهر أضعاف أضعاف مادفع أخى لابنتي — لقد كانت على عيني غشاوة عندما قبلت هذا المهر من اللئيم أخى . . .

أخذت الأم تحس بالجبن والخوف أمام غضبه ، فقالت باستسلام انك على حق دائماً يا سيدى . . .

نهض الشيخ بخفة الشباب وأسرع للاشراف على معدات العرس ، اذ كان قد وطد العزم على اتمامه في اليوم التالى منتظراً من ورائه اتمام صفقة رابحة ، وهذا نفس ما كان يرجو أخوه . .

***

نصب السرادق وسطعت الأنوار ، وصدحت الموسيقى ، وأطلقت البنادق وزغردت النساء ، وظهر قصر آل عباد في حلة قشيبة من الزينة والبهاء في ليلة الزفاف . وأسرع وجهاء القوم بالحضور إلى الفيوم من الدلتا والصعيد ، ليروا أبرع نموذج في البذخ والاسراف ، اذ كان لآل عباد من الشهرة ومن الثروة ما كان لخمارويه وكافور الأخشيد . . واكتظت حجرة العروس بكرائم العقائل وكرائم الجواهر ، وتعالت أصوات المغنيات البدينات بالغناء ، وأخذن في الرقص والانثناء أمام العروس كالحيات . .

ولكن العروس كانت عن كل ذلك في شغل ، فقد غلب عليها الخوف فتركت العنان لعبراتها ، ولم يستغرب منها أحد هذا الأمر ، لأن بكاء العروس ليلة الزفاف كان من الأشياء المألوفة المرغوبة ، اذ كان يعد رمز الحياء ودليل الوفاء والطهر . . . ومن جفت دموعها في تلك الليلة فقد حكم عليها بالجرأة وغلظة القلب . .

ولم تلبث الحياة أن استعادت مجراها الطبيعى الهادئ وانقشعت سحب الرهبة والخوف التى طالما تجمعت في سماء حياة الفتاة قبل الزواج ، اذ وجدت في قرينها من العطف والود ما أنساها شكوكها وملأها سعادة وحباً واخلاصاً له . وفي ظل زوجها ورعايته نسيت أقوال أمها عن الحماة الشريرة ، بل إنها وجدت في حماتها قديسة طاهرة لا تحمل في نفسها إلا التسامح والعطف . .

وهكذا نعمت الفتاة بعيشها ، وساعدتها وداعتها ورقتها وطيب عنصرها على ادخال السرور على من حولها . .

***

ومضت أشهر قلائل والفتاة لا تفكر في مرور الوقت ولا تكترث لمرفة الأيام ، اذ لم تكن ترقب حدوث تغيير أو وقوع جديد ، لأنها كانت راضية عن حياتها كل الرضا ، لا تعرف ولا تطمع في خير منها . . ولكن هل يغر بطيب العيش انسان ؟

خرج مراد كعادته مبكرا مشرق الجبين للاشراف على شئون مزارعه ، وجلست الفتاة في ردهة فسيحة أنيقة تخيط بعض الثياب لأطفال الفقراء ، اذ كان لا يسعدها أكثر من رؤية ابتهاج الأطفال عند ارتدائهم الثوب الجديد ، واذا بها تسمع جلبة أصوات في فناء الدار ، فأرهفت السمع ، وسرعان ما تبينت صوت أبيها يتهدج بالغضب وعمها يجيبه بحدة ، ثم انقلبت المحاورة الى شجار عنيف وتقاذف بالتهم والعبارات الجارحة ، فاضطرب فؤادها ونزلت مسرعة تبحث عن من يأتي بزوجها ، اذ توقعت حدوث أمر رهيب ، وشعرت بحاجتها لحمايته . ولكنها لم تكد تخطو خطوات حتى سمعت أباها يناديها بصوته الهائل الأجش فوقفت مذعورة لا تبدى حراكا . .

وسرعان ما وقعت على مسامعها كلمات كانت كالحكم عليها بالموت «هيا معي يا سمر . . ليس لك بقاء بعد اليوم في هذا البيت . . الترمل خير لك من العيش في هذا الجو الموبوء بالخداع واللؤم . . عمك يأبى الا الاستيلاء على أطيب جزء من ميراث جدتك . . لقد أنذرته بفسخ زواجك من قبل إن هو أصر . . »

— ولكن يا أبت . . ألا ننتظر عودة مراد ؟ . أليس له في الأمر شيء . . ؟

— له في الأمر شيء ؟ ! ما هذه الجرأة يا بنية ؟ أتجرئين على مجادلة أبيك ابتغاء مرضاة زوجك ؟ — لا تبدى حرفا . انطلقي أمامي الى دار أبيك .

أصابت الفتاة رعشة واعتراها دوار ، فسارت أمامه متثاقلة وضاق أبوها ذرعاً بهذا البطء ، فجذبها مسرعاً الى حيث كانت بانتظاره المركبة . .

انطلقت الخيل تنهب الأرض نهباً ، ولزمت الفتاة الصمت ، بينا كان أبوها يصب حام غضبه على الخونة ويتهمه بالبلادة والبطء ، ويتوعده باستعمال السوط !

تزاحمت الأفكار السوداء في رأس الفتاة الصامتة فداخلها الندم ، لأنها تذوقت طعم السعادة ، وودت لو أنها كانت تعسة في حياتها الزوجية ، حتى كانت تفرح بالفرار منها والعودة الى دار أبيها . . وأحزنها أنها لم تجد في حماتها شيطاناً مريداً ، وأن زوجها لم يكن جباراً عتياً . .

وأخيراً عندما لاحت أبراج القصر خاطب الوالد فتاته بعطف اذ كانت قد بردت ثورة الغضب :

ألا تبتهجين برأى أمك يا سمر ؟

ولما لم تتجج الفتاة في تكلف الانشراح خاطبها قائلا :

لا أشك في أن عمك قاسيا وزوجك مراداً سيحضران الينا خاضعين ذليلين عند ما يشعران بفقدك ، ولا إخالهما الا قادمين قبل انطواء أسبوع واحد . .

ولكن مرت أسابيع وأشهر ، واكتملت دورة الأرض حول الشمس ، ومراد وأبوه لم يقدما ، على أن الفتى كان برغم ارغاماً على الخضوع لأبيه ، اذ كان كالفتاة عبداً للتقاليد الجائرة .

وكانت الفتاة تتظاهر بالشجاعة والابتهاج عندما شعرت بحزن أبيها من أجلها . ولكن مجهود التكلف المضنى والآلام المبرحة التي كانت تأكل قلبها سرعان ما أنهكت قواها وأفسحت الطريق للمرض القتال الذي لا يعرف الرفق بالشباب ولا الجمال ، ولما اشتد بها الألم أشفق عليها ملاك الموت فأسرع لنجدتها وبسط على تلك النفس الطيبة الوفية جناح الرحمة الأبدية . .

أسماء فهمي

العلم يبحث عن الله

ترجمنا هذا المقال لكاتب انجليزى بالعنوان المتقدم، وعنينا كل عناية بالمحافظة على معانيه وبافراغها فى قالب عربى أقرب ما يستطاع من القوالب الأصلية، ولزمنا هذه القوالب أحياناً اذ لم نجدها مختلفة عن العربية، لأننا كثيراً ما نرى الترجمة تخالف الأصل فى المعانى وفى الألفاظ. وليس لذلك من سبب سوى مبالغة المترجم فى تقريبها من العربية فتكون النتيجة شرودها عنها جميعاً

***

جلست ذات ليلة شديدة البرد بجانب الأب رولند العالم اليسوعى عند قاعدة التلسكوب الكبير فى مرصد ستونيهرست فى آ. كام لنكشير

ولم يكن هناك نور سوى وهج سيجارتينا وبعض النجوم المتلألئة التى كنا نرعاها من الشق المعقوف فى قبة المرصد

ولم يسمع حس سوى دوى الجهاز المعد لادارة التلسكوب وجعل حركته مطابقة لدوران الأرض.

وكنت قد رأيت جبال القمر ومجموعة الكواكب الدرية المعروفة باسم الثريا. فجعلت الآن أمتع بصرى بذلك السدام الغريب فى برج الجوزاء، وأنا بين عاملين من الخوف والدهش مما لا تجلبه المناظر الأرضية

فالتفت الى صاحبى وقلت: «تعلم عن هذا الفلك الدار ما لا يعلم معظم الناس، لأنك قضيت ردحاً من عمرك فى رصد النجوم فاصبحت لذلك أكثر ادراكاً منهم لصغر شأن الانسان بالنسبة الى سائر الكون. فان الأرض ليست سوى ذرة من الغبار وهى غائمة فى الفضاء الخضم غير المحدود، والنوع الانسانى كله صغير القدر بالنسبة الى قدر الأرض. فلست أفهم كيف تؤمن أنت من بين سائر الناس بالله واهتمامه بأناس مثلنا».

ولما فرغت من سؤالى هذا بقى القسيس العالم صامتاً هنيهة ثم قال:

«أفهم حقارة شأن الارض لا حقارة النوع الانسانى ولا حقارة أرواح الناس»

فلم أحر جواباً حينئذ، ولا جواب عندى الآن: لأنى أدرك أكثر مما أدركت قبلاً أنه اذا كان العالم متديناً كان أحسن ديناً لأنه عالم. وهو يرى حيثما كان أن البرهان يدعم ايمانه لا لأنه يحتاج الى البرهان، ولكنه يسر اذ يجده هناك

طالعت منذ عهد قريب كتاباً اسمه «القصد الأعظم» وفيه فصول كتب كلا منها عالم معروف، أبان فى الفصل الذى كتبه أن يد الله وعقل الله وراء كل نظام ورقى فى الطبيعة. وقد جاء فى مقدمته «ان غرض الكتاب أن يبين أن العلم ليس بهادم للدين ولا بحال محله، بل إنه يكشف له الحجاب عن عالم للغيب أوسع من عالم الشهادة هذا وأجل شأناً فيضع بذلك أساساً أثبت للإيمان»

ان الكون بالرغم من عظم اتساعه وتعقد تركيبه وتعدد محتوياته الى ما لا حد له هو جسم كلى عضوى متسق التركيب، ومصنوع من عناصر واحدة جوهرية، وخاضع لنواميس واحدة

ومن أدلة النظام والعقل فى الكون أن عقل الانسان استطاع أن يستخرج هذه القواعد العظيمة العامة ويتوسل بها الى بلوغ قوة الانباء بالمستقبل. فهذا الكون كون مصحوب بالفكر وأكثر من الفكر — كون يمثل فكر روح واجب الوجود وغير محدود

كتب البروفسور كروذر من جامعة ردنج فصلاً عن الاشعاع فعرفه بأنه «المادة الأساسية التى صنع الكون منها». فالنور والحرارة وأمواج اللاسلكية وأشعة اكس — هذه كلها صور للاشعاع واقعة تحت حسنا. والمادة نفسها مصنوعة من اشعاع مقيد بقيود كهربائية. قال:

«فى زمان بعيد جداً اهتز ذلك الخلاء الفارغ فظهر فيه البروتون والالكترون فتكون من بعضها تلك النظم الثابتة المعروفة باسم الجواهر الفردة التى صنعت المادة منها. وانحل البعض الآخر على مر الزمان الى اشعاع صرف. وقد قطع العلم منذ ابتدائه أجوازاً كثيرة وكشف بقاعاً كثيرة كانت مجهولة، ودار دورته حتى جابه العلم الحديث سر عمل الخلق فلا يجد لوصفه كلاماً أكثر مطابقة له من قول الشاعر العبرى «وقال الله ليكن نور فكان نور» (يريد بالشاعر العبرى موسى الكليم)

وخذ البروتوبلازم — أى المادة التى تكونت الحياة منها. فقد عرف تركيبها الكيميائى، ولكننا لم نستطع تركيب الحياة: فالاميبا أدنى أنواع الحيوان وأبسطها تركيباً مؤلفة من

٥ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

الشيخ محمد العباسي المهدي

الحنفي

هو ابن الشيخ محمد امين ، ابن الشيخ محمد المهدي الكبير الشافعي ، كان جده المذكور من الأقباط ، فأسلم على يد الشيخ العلامة محمد الحفني ، وقرأ عليه وعلى أخيه الشيخ يوسف الحفني وغيرهما حتى صار من كبار العلماء ، وترشح لرياسة الأزهر بعد الشيخ الشرقاوي ولكنها لم تتم له ، وتولاها الشنواني ، وقد أطال الجبرتي في ترجمته . ثم نشأ ولده الشيخ محمد امين عالماً حنفياً وتولى الفتوى بمصر زمناً ، وتوفي سنة ١٢٤٧ .

وولد المترجم باسكندرية سنة ١٢٤٣ فقرأ بها بعض القرآن ، ثم حضر الى القاهرة سنة ١٢٥٥ فأتم حفظه ، واشتغل بالعلم سنة ١٢٥٦ فقرأ على الشيخ ابراهيم السقاء الشافعي ، والشيخ خليل الرشيدي الحنفي ، والشيخ البلتاني وغيرهم ، ثم صدر أمر ابراهيم باشا بن محمد علي بتوليته افتاء الديار المصرية في منتصف شهر ذي القعدة سنة ١٢٦٤ وهو في نحو الحادية والعشرين من سنيه ، ولم يتأهل بعد لمثل هذا المنصب الكبير ، ويقال إن السبب في ذلك عارف بك الذي تولى القضاء بمصر ، وكانت له صلة بأبي المترجم . فلما ذهب ابراهيم باشا الى القسطنطينية ليتسلم من السلطان مرسوم ولايته على مصر قابله عارف بك ، وكان إذ ذاك شيخاً للاسلام وأوصاه خيراً بذرية الشيخ المهدي ، وأن يولي منهم من يصلح لمنصب أبيه ، فكان همه السؤال عنهم بعد عودته لمصر . وطلب المترجم لحضرته فصادفوه في درس الشيخ السقاء يحضر مقدمة مختصر السعد ، فركب اليه وهو بين الخوف والرجاء ، ولما قابله أثنى عليه لاشتغاله بالعلم ، ثم أنبأه بأنه ولاه منصب الفتوى بمصر ، وعزل عنه الشيخ احمد التميمي الخليلي وخلع عليه خلعة هذا المنصب ، ثم عقد له مجلساً بالقلعة حضره حسن باشا المناسترلي والشيخ مصطفى العروسي وغيرهما ، فأقروا على اقامة أمين للفتوى يقوم بشؤونها حتى يتأهل صاحبها لها ويباشرها بنفسه ، واختاروا له الشيخ خليلاً الرشيدي الحنفي بدل الشيخ على البقلي أمين فتوى التميمي ، ونزل المترجم من القلعة بموكب كبير من العلماء والأمراء ووفد الناس على داره للتهنئة ، ومدحه الشعراء ، فمن ذلك قول الشيخ محمد شهاب :

عز ياعزة الحمى أن تقاسى	بمهاة الصريم فيما تقاسى

ومنها قوله :

تب مفتي الهوى وتبت يداه	ضل شرعي نهجه والسياسى
فدعيه ياعز عن اصطبارى	ان فتواه فتنة للناس
ولئن قلت أي فتوى البرايا	حكمت بالنصوص دون التباس
وارتضاها الزمان قل لي وأرخ	قلت فتوى مهديه العباسي

١٢٦٤

وهي قصيدة طويلة ألحق بها هذه الأبيات الثلاثة مشيراً فيها الى التميمي والى الرشيدي أمين الفتوى الجديد

قلت لما أن تم بدر التميمي	واعتراه نقص الخسوف الشديد
رجع الدر بالفتاوى الى ما	كان فيه من السكان المشيد
فلنعم الرشيد يا ابن أمين	ولنعم الأمين يا ابن الرشيدي

وروى الفاضل محمد افندي التميمي في الترجمة التي جمعها لأبيه الشيخ احمد التميمي إن سبب عزله عن الافتاء أحقاد قديمة كانت

بروتوبلازم صرف ، وهي قطرة صغيرة من المادة الجلاتينية تعيش في الماء . وقد حاول كثيرون أن يصنعوا الأميبا من المواد الكيمائية التي يتألف البروتوبلازم منها فعجزوا عن ذلك ، فالمواد مضبوطة والنسبة بينها صحيحة والأحوال المحيطة بها ملائمة تمام الملاءمة ، ولكن الشرارة الحيوية لا وجود لها ، اذ الله وحده هو الذي يصنع الحياة

قال البروفسور آرثر طمسن : « لا مناص لنا من التسليم بالأولية التي وضعها ارسطو طاليس وهي أنه في كل سلسلة من الأعمال المتصلة لا يمكن أن يظهر في آخرها شيء لم يكن نوعه موجوداً في أولها . ولذلك فإن عقلنا وقصة تحرره يقود اننا راجعين بنا شيئاً فشيئاً الى العقل الأعظم الذي بغيره لم يكن شيء مما كان »

وبعبارة أخرى أنه كيفما فحص العالم تركيب الكون ونواميس الطبيعة ونشوء الحياة حتى عقل الانسان لم ير مفرا من التسليم بأن وراء القصد الأعظم يد الله .

م . س

فى صدر ابراهيم باشا منه بسبب معارضته له فى أمور تخالف الشرع كان يريدها ويعارضه الشيخ فيها ، فلا يجد بداً من الإذعان بسبب اقبال أبيه محمد على على الشيخ ، فلما تخلى عن ولاية مصر وتولاها ابراهيم كان أكبر همه عزله عن الافتاء .. انتهى .

ثم أكب المترجم على الاشتغال بالعلم خصوصاً الفقه حتى نال منه حظاً وافراً ، وجلس للتدريس بالأزهر لاقراء الدر المختار فقرأ منه الى كتاب الطلاق وأكمل قراءته فى داره ، وقرأ الأشباه والنظائر فى داره أيضاً ، وباشر أمور الفتوى بعفة وأمانة وتدقيق وتحقيق ، واشتهر بين الناس بالحزم والعزم وعدم ممالأة الحكام ، وحسبك وقوفه فى وجه عباس باشا الأول وتعريضه نفسه للتهلكة صيانة لما استودع من أمانة العلم ، وسبب ذلك ان هذا الوالى أراد أن يمتلك جميع ما بيد ذرية جده محمد على مدعياً انه ورد مصر لا يمتلك شيئاً ، فكل ما خلفه لذريته إنما هو من مال الأمة يجب رده اليها ، ووضعه بيد أمينها المتولى شؤونها ؛ واستفتى المترجم فلم يوافقه وأصر على الامتناع ، ولم يحفل بوعيده وتهديده حتى طلبه فجأة الى بنها فسافر اليها وهو موقن بالهلاك ، وكان معه عند طلبه الشيخ أبو العلاء الخلفاوى ، فسافر معه لمؤانسته ومواساته ، فلما وصلا قصر بنها روجع المترجم فى الفتوى فأصر على قوله الأول ، فأمر بهما فأنزلا الى سفينة بخارية سافرت بهما ليلاً فى النيل لنفى المترجم الى أبى قير ؛ واعتراه لشدة وجله زحير كاد يودى به وهو مع ذلك مصر على قوله ؛ والشيخ أبو العلاء يهون عليه الأمر ويؤانسه بالكلام الى أن صدر الأمر بارجاع السفينة ، وأنزلا منها وأمرا بالسفر الى القاهرة وسلم الله . فكانت هذه الحادثة سبباً لعلو قدر المترجم فى النفوس واعظام الولاة فمن دونهم لشأنه ؛ وتسبب منها أيضاً إقباله على الشيخ أبى العلاء المذكور وسعيه له فى المناصب التى تولاها وعظم بها أمره بعد ذلك .

ثم لما كانت سنة ١٢٨٧ والمتولى على القطر الخديو اسماعيل باشا ، وكان انحرف عن الشيخ مصطفى العروسى شيخ الأزهر ، فأراد عزله ولكنه يخشى الفتنة ، لأنه شىء لم يقع من قبل لأحد من مشايخ الأزهر ، فأخذ فى جس نبض العلماء وسبر غورهم فى ذلك ، فهون عليه الشيخ حسن العدوى الأمر ، وأوضح له أنه وكيل الخليفة ، وللخليفة أن يعزل من يشاء ، والوكيل له ما للأصيل ، فسر الخديو وبادر الى عزل الشيخ العروسى فى أواخر السنة المذكورة ، وكان العدوى يطمع فيها . وما قال ما قال إلا توطئة لنفسه فأخلف الله ظنه ، وصدر أمر الخديو فى منتصف شوال بتولية المترجم والجمع له بين منصب الافتاء ومنصب الأزهر ، فاستدعاه وخلع عليه وأنزله من عنده بالموكب المعتاد . فباشر شؤون منصبه بحزم وعزم وتؤدة وتعقل ، وكان أول ما صدر منه سعيه لدى الخديو باعادة ما كان لأهل الأزهر من المرتبات التى أبطلت زمن عباس باشا ، فوافقه على ذلك وأعيدت المرتبات الشهرية والسنوية ، ثم استصدر أمراً من الخديو بوضع قانون للتدريس ، فأجابه الى ذلك ووضع قانون الامتحان ؛ وكانوا قبل ذلك لا يمتحنون بل كان من تأهل للتدريس تصدر له ، فيحضر أول درس له شيوخه وغيرهم من كبار العلماء ، ويناقشونه فان وجدوه أهلاً أقروه وإلا أقاموه ..

ولم يزل المترجم سائراً فى طريقه المحمود ، ملحوظاً بعين التبجيل من الحكام ، وبين الخاص والعام ، حتى ثارت الثورة العرابية المشهورة ، ورأى فيه العرابيون أنه ليس بالرجل الذى يوافقهم ويساعدهم فى مطالبهم ، فكان من جملة ما طلبه عرابى باشا من الخديو لما زحف بالجيش على قصر عابدين عزل المترجم من الأزهر ، فعزل عنه فى المحرم سنة ١٢٩٩ ، وتولى عليه بدله الشيخ محمد الانبابى ، وانفرد هو بالافتاء ، ثم تجسمت الفتنة وجاهر العرابيون بطلب عزل الخديو ، وكتبوا قراراً بذلك أجبروا العلماء والوجهاء على التوقيع عليه ، فامتنع المترجم من موافقتهم على ذلك ، وقال لحامل القرار : أنا لا أوقع بيدى ، فاذا كان فى الأمر غصب فان خاتمى معى خذوه ووقعوا أنتم بأيديكم كما تشاءون . فانحرف عنه العرابيون وضايقوه وبثوا عليه العيون حتى احتجب فى داره التى على الخليج بالقرب من مدرسة الفخرى المشهورة بجامع البنات ، وتحامى الناس زيارته ، وصار لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة فى أقرب مسجد اليه ؛ ومرت عليه أيام وليال قضاها فى انتظار حتفه فى كل ساعة تمر به ، حتى كانت الهزيمة الكبرى على العرابيين ، وتشتت شملهم ، وعود الخديو الى مقر ملكه فى ١٢ ذى القعدة من تلك السنة ، فذهب المترجم فيمن ذهب للسلام عليه وتهنئته بالظفر ، ودخل مع العلماء فخصه الخديو بترحيب

ورعاية زيادة عمن معه من العلماء تقديراً لحسن بلائه فى الاخلاص له مدة الفتنة؛ ولحظ الشيخ الانبابي شيخ الأزهر إغماضاً عنه من الخديو، وخشي أن يعزله ليعيد العباسي، فقال بيدي لا بيد عمرو، واستقال بعد أيام؛ فأصدر الخديو أمره يوم الأحد ٢٨ منه باعادة المترجم الى الأزهر، علاوة على منصب الافتاء الذى بيده، ونصه موجهاً لرئيس النظار:

(إنه بناء على استعفاء حضرة الأستاذ الشيخ محمد الانبابي من وظيفة مشيخة الجامع الأزهر، ووثوقنا بفضائل وعالمية حضرة الأستاذ الشيخ محمد العباسي المهدي، قد اقتضت ارادتنا توجيه هذه الوظيفة لعهدته كما كانت قبلاً، علاوة على وظيفة افتاء السادة الحنفية المتحلي بها من السابق، وصدر أمرنا للموى اليه بذلك فى تاريخه، ولزم اصدار هذا لدولتكم إشعاراً بما ذكر فى ٢ أكتوبر سنة ٨٢ الموافق ١٨ ذى القعدة سنة ٩٩).

فتمت للمترجم رياسة الأزهر على رغم أنف كثيرين، فان بعض علماء الأزهر سعوا لتنصيب الشيخ عبد الهادى نجا الابياري، وكتبوا كتابة بذلك وأخذوا يوقعون عليها ويطوفون بها على العلماء، فلم يشعروا إلا وقد فاجأهم الأمر باعادة المترجم، وذهب سعيهم وتعبهم أدراج الرياح.

ثم استمر المترجم جامعاً للمنصبين قائماً بشؤونهما أتم قيام، حتى كانت سنة ١٣٠٤ وفيها بلغ الخديو أن جماعة من الأعيان والتجار مثل محمد باشا السيوفى، وأخيه أحمد باشا يجتمعون للسمر بدار المترجم فى أغلب الليالي، فيتكلمون فى الأمور السياسية ويظهرون أسفهم من وجود الانجليز بمصر، وموافقة الحكومة لهم فيما يحاولون، وغير ذلك من هذه الشؤون، فحنق الخديو وأرسل لمحمد باشا السيوفى بالحضور فلم يجدوه، بل وجدوا أخاه احمد باشا، فحضر الى القصر وقابل الخديو، فوبخه توبيخاً شديداً وقال له: يخيل إلى أنكم تريدون إعادة الثورة العرابية، فتبرأ من ذلك وحلف أن اجتماعهم لم يكن إلا بقصد السمر والائتناس، ثم قابل الخديو المترجم فى إحدى المقابلات الاعتيادية فلم يهش له كعادته، بل قال له وقت الانصراف: ياحضرة الأستاذ، الأجدر بالانسان أن يشتغل بأمور نفسه، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ويجمع الجمعيات بداره. فلم يجبه المترجم إلا بقوله: أطال الله عمر أفندينا وأدام عليه العافية، إنني ضعفت عن حمل أثقال الأزهر، فأسأله أن يعفيني منه. ولم يكن الخديو يتوقع منه هذا الكلام، بل كان يظنه يجيب بجواب يصرف المسألة بسلام، فغضب وقال مستفهماً: ومن الافتاء أيضاً؟ فقال له نعم يا أفندينا ومن الافتاء أيضاً، ثم انصرف.

ولم يكن المترجم ممن يعزب عنهم أن مثل هذا السبب لا يدعو الى الاستقالة، وخصوصاً أن الخديو صرفه بالحسنى مع من اتهم معه. ولكن كان هناك سبب أقوى أغضب رئيس النظار نوبار باشا الأرمنى، وذلك الحادثة رفعت عنها دعوى أمام المحاكم الأهلية، واستدعى الأمر طلب كشف وجه إحدى المخدرات للتحقق منها فامتنعت عن الاسفار محتجة بعدم جوازه فى الشريعة، واستفتى المترجم فى النازلة، فأفتى بعدم الجواز وشدد فى المسألة؛ فشكا رئيس النظار للخديو وأوضح له أن الشيخ أصبح عقبة أمام القضاة معارضاً لأحكام القضاء؛ ويقال إنه طلب منه إما أن يقيله من الوزارة، أو يعزل المترجم. فلما قال الخديو للمترجم ما قال تيقن أن المراد عزله فاستقال. فأمر الخديو يوم الثلاثاء ٣ ربيع الثاني من السنة المذكورة باعادة الشيخ محمد الانبابي للأزهر، وإقامة الشيخ محمد البناء للافتاء.

وبقي المترجم بداره التى على الخليج واشتغل باصلاح قسم منها تشعث فأعاده الى رونقه الأول، وصبغ حيطانه بالأصباغ، وهو القسم المطل على الخليج، وصار يمضي وقته بالنظر فى شؤونه الخاصة والاشتغال بالعلم، الى أن أعيد الى الافتاء فقط فى (١) فبقى به الى وفاته، وأصيب فى آخر أيامه بفالج وهو يتوضأ لصلاة الجمعة أبطل حركته، ثم تعافى قليلاً وصار يخرج فى عجلته للتنزه بدون فرجية بل بعباءة بيضاء من الصوف، وأشير عليه بالاقامة بحلوان لجفافها، فانتقل اليها وأقام بها برهة لم يستفد فيها شيئاً، فعاد لداره بالقاهرة، ووافته منيته فى الساعة الخامسة من ليلة الأربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٥ عن اثنتين وسبعين سنة، بعد أن لازمه المرض نحو أربع سنوات، فأذن له على المآذن، وحزن الناس لموته حزناً شديداً، وتكاثرت الجموع على داره لتشييع جنازته، فقيل إن عدد المشيعين بلغ نحو أربعين ألفا، والمصلين

(١) فات المرحوم أن يثبت التاريخ

عليه نحو خمسة آلاف ، ثم دفن بقرافة المجاورين فى زاوية الأستاذ الحفنى جنب أبيه وجده ، ورثاه كثير من الشعراء جمعت مراثيهم فى رسالة ألفها الشيخ عثمان الموصلى نزيل القاهرة ، وسماها «المراثى الموصلية فى العلماء المصرية » ، لأنه أضاف اليها ما رثى به الشيخ عبد الرحمن الرافعى مفتى الاسكندرية ، والشيخ سليم القلماوى شيخ مسجد القلعة ، والشيخ محمد المغربى المتوفون هذه السنة أيضا .

وكان المترجم رحمه الله ربعة الى الطول ، مليح الوجه ، منور الشيبة ، معتدل القامة ، ذا هيبة ووقار ، مات عن ثروة طائلة وولدين هما الشيخ عبد الخالق المهدى والشيخ أمين ، ماتا بعده الواحد تلو الآخر . ولم يؤلف من التآليف سوى مجموع فتاواه الذى سماه (الفتاوى المهدية فى الوقائع المصرية) ، طبع بمصر سنة ١٣٠١ فى ثمانية أجزاء كبار . وعاش فى عز وتبجيل مدة حياته ، وتولى الافتاء مدة ابراهيم باشا وعباس باشا الأول وسعيد باشا واسماعيل باشا وتوفيق باشا ، أى أربعين سنة من سنة ١٢٦٤ الى سنة ١٣٠٤ لم يعزل فيها ، فلم تحفظ عليه بادرة خطأ أو مخالفة للشرع ، وسبب ذلك أنه تولاه وهو صغير والعيون شاخصة اليه ، فكان لا يفتى فتوى إلا بعد المراجعة والتدقيق والتعب الكثير ، فحصلت له بذلك ملكة فيه حتى صار معدوم النظير ، لا يجاريه مجار فى هذا المضمار ، وأضيف الى ذلك ما كان عليه من التقوى والتشدد فى أمر الدين ، حتى كانت مواقفه أمام الولاة لا تزيده إلا رفعة فى عيونهم لعلمهم أنه لا يريد إلا نصرة الحق ، فأحبوه وأغدقوا عليه بالانعام . ومن مواقفه غير ما ذكرناه أن الخديو اسماعيل باشا أراد مرة أن يستولى على الأوقاف الأهلية ويعوض عنها أهلها ما يقوم بمعاشهم ، فاستفتاه فى ذلك فتوقف ، وأفتاه بعضهم بالجواز ، فتكدر منه وجمع بينه وبين مخالفيه ، فناظرهم وفاز عليهم بعد ما ألفوا رسائل فى الحادثة وأكثروا من الجلبة . ولم يقتصر الولاة على مشاورته فى الأمور الدينية المختصة بمنصبه ، بل كانوا يستشيرونه فى غيرها من معضلات الأمور لما عرفوه فيه من سعة المدارك وجودة الرأى ، حتى أن اسماعيل باشا لما عزل عن مصر قال لولده توفيق باشا فيما أوصاه به : احتفظ يابنى بالشيخ المهدى فانه رجل لا نظير له . وبالجملة فمحاسن المترجم كثيرة ، ولم يكن فيه ما يشينه سوى ما كان يرميه به بعض شانئيه من الامساك والتقتير ، ويضعون عليه النوادر الخارجة عن حد المعقول ، والمعروف عنه المشاهد للقاصى والدانى أن داره كانت مفتوحة للصادر والوارد ، لا تخلو مائدته يوماً منهم . وحسبنا أنه كان يخرج زكاة أمواله كل سنة ويفرقها على المستحقين رحمه الله رحمة واسعة وأكثر فى الأمة من أمثاله .

وكان حائزاً لكسوة التشريف من الدرجة الأولى ، ومنحه الخديو عباس باشا الثانى الوسام العثمانى الأول فى ٢١ صفر سنة ١٣١٠ هو وشيخ الأزهر الشيخ محمد الانبابى ، وقاضى القضاة جمال الدين افندى ، وسبب ذلك أن السيد توفيقاً البكرى نقيب الأشراف سافر فى هذه السنة الى دار السلطنة ، وتوصل بمساعدة الشيخ أبى الهدى الصيادى الى مقابلة السلطان عبد الحميد ، فأنعم عليه بهذا الوسام وبرتبة قضاء عسكر الأناضول ، فلما بلغ مسامع الخديو أحب أن لا يكون ممتازاً عن كبار الشيوخ وهم القاضى والمفتى وشيخ الأزهر ، فأنعم عليهم بهذا الوسام ، وأرسل الى السلطان ملتمساً الانعام على المفتى وشيخ الأزهر برتبة قضاء عسكر الأناضول ، وعلى القاضى برتبة قضاء عسكر الروملى ، لأنه كان حائزاً لرتبة الأناضول ، لكن طلبه لم يصادف قبولاً .

وأحيل على المترجم قديماً أمر انتقاء القضاة الشرعيين والمفتين الذين يقامون فى ولايات القطر ومراكزه ، فكان يختار ذوى الكفايات ويتحرى فيهم النجابة والذكاء والديانة ، ويحامى عنهم لدى الحكام ، ويشد أزرهم ، فحصل له بذلك مقام لدى أهل العلم المرشحين لهذه المناصب ، وقصدوه ووجهوا وجوههم شطر داره ، وهو مع ذلك لا يميل مع الهوى فى تنصيبهم ، ولو كان ممن يمد اليد لجمع من هذا الوجه شيئاً كثيرا ، ثم رأت الحكومة أن يكون أمر تنصيبهم منوطاً بلجنة تؤلف بنظارة الحقانية برياسة وكيلها إذ ذاك بطرس غالى باشا ، وعرضوا على المترجم أن يكون من أعضاء تلك اللجنة فأبى .

وكان له فى المحاماة عن أهل الأزهر ومساعدتهم القدح المعلى ، ويروى عنه مواقف فى ذلك : منها أن الشيخ مصطفى العروسى مدة توليه على الأزهر استصدر من الخديو اسماعيل باشا أمراً بنفى الشيخ حسن العدوى الى إسنا وكاد ينفذ فيه لولا أنه استغاث بالمترجم فقام بناصره وذهب للخديو مستشفعاً ، ولج وألح حتى عفى عن الشيخ .

الأديب الحـــائر

قصة تمثيلية للأستاذ توفيق الحكيم

للدكتور طه حسين

لم يكتبها بعد، ولست أدرى أيريد أن يكتبها أم لا؟ ولكن الشيء الذي لاشك فيه هو أنه قد مثلها ومثلها تمثيلاً رائعاً، أحب أن تشعر بروعته في هذا الحديث الذي أسوقه اليك، ولست آسف الا لشيء واحد، وهو أنك ستشعر بهذه الروعة جملة وفي وقت قصير هو وقت نظرك في هذا الحديث، على حين شعرت أنا بهذه الروعة واستمتعت بلذتها الفنية تفصيلا وفي وقت طويل، يبلغ العام أو يكاد يبلغه.

ولم يمثل الاستاذ توفيق الحكيم قصته هذه التي لم تكتب بعد، في ملعب من ملاعب القاهرة المعروفة، ولو قد فعل لشهدتها أنت وغيرك من الناس من النظارة. فأي الناس يستطيع أن يتخلف عن شهود قصة للأستاذ توفيق الحكيم يمثلها بنفسه، ويشترك معه في هذا التمثيل جماعة من المصريين المعروفين، أنا أحدهم. لم يمثلها اذن في ملعب ضيق محدود، وانما مثلها في ملعب واسع جداً بعيد الاقطار والآماد هو ملعب الحياة. وما دام لم يمثلها في ملعب معروف، وما دام لم يخرجها للناس في كتاب، فانا بالطبع عاجز عن أن أحدثك برأى النقاد فيها. لأن النقاد أولاً لأن كثرة النقاد لم يشهدوها وأنا أريد أن أحتاط فلا أحدثك برأى في هذه القصة، من جميع وجوهها وأنحائها لأن الحر شديد، ولأن للحر الشديد تأثيراً في نفس الأستاذ توفيق الحكيم وقلمه. والناس جميعا يعلمون انى محب للأستاذ معجب بقلمه، وأقل ما يوجبه على الحب والاعجاب أن أكون رفيقا شفيقا، حين يشتد القيظ ويخشى من شره على الرؤوس والنفوس والأقلام. وهذا العنوان الذى وسمت به هذه القصة لا يعدو أن يكون اقتراحا قد يعدل عنه الأستاذ توفيق الحكيم ان خطر له أن يكتب قصته فما ينبغى لمثلك ولا لمثلى، بل ما ينبغى لخير منك ولا خير مني، أن يقترح على الأستاذ أو ينصح له. فالأستاذ أكبر من أن يقترح عليه مقترح، وأن ينصح له ناصح، مهما يكن مخلصا امينا.

وما دامت هذه القصة لم تمثل في ملعب محدود، ولم تخرج للناس في كتاب، فان نظامها وترتيب فصولها وتنسيق مناظرها وما يكون بين أشخاصها من حركات متكلفة، وحوار مصطنع، كل ذلك مشكوك فيه، قابل للتغيير والتبديل، ان أراد الأستاذ توفيق الحكيم. وانما الشيء الوحيد الذي لاشك فيه هو هذا الهيكل الذى تقوم عليه القصة ان صح هذا التعبير، فهذا الهيكل يفرض نفسه على الأستاذ الأديب وعلى أنا الناقد المسكين فرضا، لأنه شيء لا تملك له تغييراً ولا تبديلاً، شيء قد كان وليس لانسان حيلة في تغيير ما كان، حتى ولو كان هذا الانسان أستاذنا وكاتبنا الأديب توفيق الحكيم.

أما الفصل الأول من هذه القصة كما كانت لا كما ستكون يوم يكتبها الأستاذ توفيق ان اراد، فيقع في العام الماضي في أوائل الربيع في حجرة من حجرات البيت الذي كنت اسكنه في هليو بوليس. اذ يقبل على صديقان يحبان الأدب لانهما أديبان، ويعجبان بالأستاذ توفيق الحكيم لانه اديب. وهما يتحدثان الى عن هذا الأستاذ الذي لم أكن أعرفه ولا سمعت من حديثه شيئاً. فيثنيان عليه بما هو أهله، أو بما هو أهل لا كثر منه، ثم يدفعان الى كتابا وضعه الأستاذ توفيق الحكيم، وكان يود أن يهديه الى بنفسه لولا أنه لا يعرفني، ولا يريد أن يلقاني حتى أقرأ كتابه وأكون لنفسي رأيا فيه، ثم يقصان على الكثير من أطواره الغريبة حتى يثيرا في نفسي الشوق الى لقائه، والى النظر في كتابه، فاذا انصرفا أقبل صديق ثالث فلا أكاد أحدثه بما كان من أمر الصديقين حتى يثني على الكاتب ويثني على الكتاب، ويزعم لي أنه قرأ الكتاب مخطوطا قبل أن ينشر، لأن صاحبه لا ينشر شيئاً حتى يستشير فيه اصدقاءه، وينبئني كذلك بأن هذا الكتاب لم ينشر الا نشراً ضيقاً، لأن صاحبه يريد أن يعرف رأى المثقفين قبل أن يعرض نفسه على كثرة القراء.

فاذا كان الفصل الثاني فقد أخذت أقرأ في الكتاب فأرضى عنه، ثم أعجب به، ثم أكتب عنه فصلا في (الرسالة) أسجل فيه هذا الاعجاب، وذلك الرضى، وملاحظات يسيرة لا بأس منها على الكاتب ولا على الكتاب. وما يكاد يلقى الستار على هذا الفصل، ويستريح النظارة في وقت الراحة بين الفصول، حتى أتلقى رسالة برقية ملؤها الشكر وعرفان الجميل ومصدرها الأستاذ توفيق الحكيم.

ثم يكون فصل ثالث والخير فى ألا نقسم القصة الى فصول، بل الى مناظر يتبع بعضها بعضاً، وليعذرنا الأستاذ توفيق الحكيم فنحن لا نحسن الكتابة فى التمثيل. يكون منظر ثالث أو رابع لا أدرى، واذا الأستاذ توفيق الحكيم قد سعى الى من اقليمه الذى كان يعمل فيه، وهو يشكر لى تشجيعى له، ويغلو فى هذا الشكر ثم يلقى أموره الأدبية كلها الى، ويطلب منى أن أكون له مرشداً وحامياً، فأقبل منه هذا كله سعيداً به، مبتهجاً له، وأتحدث الى الأستاذ حديث الصديق المحب المعجب، ويتكرر هذا المنظر مرات كلما أقبل الأستاذ من اقليمه الذى كان يعمل فيه الى القاهرة ليقضى فيها بين أصدقائه يوماً أو يومين؛ والحديث والود يتصلان ويشتد اتصالهما بيننا، وتظهر آثار هذا الاتصال فيما يكون من كتب تنشرها لنا (الرسالة)، ومن لقاء يشهده الأصدقاء. ثم يكون منظر آخر من هذه المناظر الكثيرة التى سيؤلف الأستاذ منها قصته إن أراد. نجتمع فيه مع أصدقاء لنا يعرفهم الأستاذ، ونتشاور فى أمره هو لا فى أمرنا نحن، فهو يريد أن ينتقل من الأقاليم الى القاهرة، لأنه ضيق بحياة الريف التى لا يجد فيها ما يلائمه من البيئة المثقفة المتحضرة وما يحتاج اليه من الكتب، ولأنه يلقى فيها بعض العناء، فحياة وكلاء النيابة فى الأقاليم مضنية شاقة، وفى وزارة المعارف عمل قد يلائمه وهو يميل الى هذا العمل، ولكنى أنا لا أميل اليه، وأنا أوافق على أن بيئة القاهرة وحياتها خير للأستاذ من بيئة الأقاليم وحياتها، ولكنى أشفق عليه من وزارة المعارف لأنى أعلم الناس بوزارة المعارف، ولأنى واثق بأن الهواء الذي يملأ غرفاتها وحجراتها لا يلائم حياة الأديب المنتج، وانما هو هواء خانق لكل أدب ولكل انتاج. والأستاذ وأصدقاؤه يلحون فى العرض وأنا ألح فى الرفض، ثم اقترح مكاناً آخر يستطيع الأستاذ أن يعيش فيه عيشة تلائم الانتاج الأدبى، فيظهر أن تحقيق هذا الاقتراح غير ميسور، ثم يلقى الستار ويتم انتقال الأستاذ من الريف الى القاهرة فى هذه الراحة التى تكون بين الفصول، ثم يكون منظر آخر أو مناظر أخرى نجتمع فيها لنقرأ بعض الكتب التى يريد الأستاذ اخراجها للناس، ومنها شهرزاد.

فالأستاذ شديد الشك فى نفسه، ضئيل الثقة بفنه، لا يظهر آثاره الا اذا أقرها أصدقاؤه الأقربون. وهو لا ينشر فصلاً فى (الرسالة) الا اذا قرأته وأذنت بنشره. وهو لا يرى أنه قادر على أن يحتمل وحده تبعة الاذاعة والنشر. ثم نقرر من هذه الكتب ما نقرر، ونرجى منها ما نرجى، ونتحدث عن أهل الكهف وعن طبعة ثانية تذاع بين الناس. فأقترح أنا أن أقدمها الى الجمهور. ويظهر الأستاذ وأصدقاؤنا الرضى بذلك والابتهاج له، ثم يلقى الستار ويرفع وقد تمت الطبعة الثانية من أهل الكهف، وأبطأت أنا بالمقدمة أسبوعين أو نحو أسبوعين. فينشر الكتاب بغير مقدمة، وبغير أن يتحدث الى أحد فى ذلك، فيسوءنى ذلك بعض الشئ، فيسعى الى الأستاذ فى منظر جديد، ويعتذر الى بمحضر من بعض الأصدقاء؛ فأسمع منه وأبسم له وأتجاوز عن استعجاله، وينصرف راضياً. فاذا أصبحت تلقيت منه هذا الكتاب باللغة الفرنسية وأنا أترجمه فيما يأتى:

أنا محزون حقاً. نقد فكرت، فاذا خطيئتى بديهية: فقد كان يجب على الأقل أن أستشيرك قبل أن أخرج كتبى.

فماذا ترى فى موقفى منك؟ ويزيدنى حزناً لطفك حين تجاوزت فى سهولة وكرم عن كل هذا.

انما أنت فى حقيقة الأمر فنان كبير، فنان حقاً. وانى لأعترف بأنى لم أمنح هذه النفس، ولست أنا خليقاً بالفن ولا بك.

واليك الآن ما تمت عزيمتى عليه اذا احتفظت بغضبك على فسأعرض عن كل حياة أدبية.

وتقبل — ت. الحكيم

وأخشى أن أكون قد أسأت الترجمة. فأنشر معها النص الفرنسى لهذا الكتاب الكريم:

Je suis vraiment peiné. Réflexion faite, ma faute est évidente. Je devais au moins vous consulter avant de faire-paraître mes livres.

Que pensez-vous de mon attitude? Ce qui m'accablé encore, c'est votre gentillesse d'avoir si vite passé l'èponge sur tout cela avec tant de générosité.

Vous étes au fond un grand artiste, un vrai. J'avoue que je n'ai pas cet âme là. Je ne suis pas digne de l'art, ni de vous. Voici maintenant ma décision: si vous restiez fâché de moi, je renoncerais à toute carriére littéraire.

Avous
T. El Hakim

ثم يكون منظر آخر يرانى الله فيه حزيناً أسفاً ومشفقاً جزعاً لأنى صدقت هذا الكلام، وخفت أن يكون صاحبه جاداً فيه، فأنكرت من نفسى ما أظهرت من غضب، وهأنذا أسرع الى التليفون فالتمس صاحبى فى مظانه كلها، حتى يصلني به التليفون. فأداعبه وألاعبه، وأترضاه، وأتلطف له، وأقبل منه، وأهدى اليه حتى يرضى. وتطمئن نفسه الثائرة أو التى كنت أحسبها

ثائرة . ويهدأ قلبه المضطرب أو الذي كنت أظنه مضطربا ، ويستريح ضميره المتعب أو الذي كنت أراه متعبا .

ثم تكون مناظر أخرى تجرى الحياة فيها بيننا كما تجرى بين الأصدقاء الذين تؤلف بين قلوبهم المودة والحب والاعجاب ، الا منظراً واحداً أنكرته . ولكني لم أظهر انكاري له ، كان في مجلس لنا بغرفة من غرفات لجنة التأليف وكنا كثيرين ، وكنا نتحدث عن الكتاب والشعراء المحدثين ، وعن أصحاب القصص خاصة ، وكنت أريد أن أعين آثار هؤلاء الكتاب والشعراء وأن أتبين وأبين للناس ما لهم من المحاسن والعيوب ، أو ما أرى لهم من المحاسن والعيوب . وهنا يثور ثائر الصديق الأديب ويأبى لي العناية بهذا الأدب الحديث لأنه لا يصلح أن يكون أدباً حديثاً أو قديماً ، ولأن الطابع الفني الصحيح ينقصه ، فنختلف في ذلك ونفترق على غير اتفاق ؟

ثم يكون منظر آخر وما أكثر هذه المناظر التي ستتألف منها هذه القصة ، والتي ستقيم لأصدقائي ولخصومي أدلة قاطعة على أني من المكر والدهاء والحذر بحيث يظنون . أراني في حجرة من حجرات البيت الذي أسكنه الآن في الزمالك ، وقد أقبل الصديق الأديب ومعه اثنان من أصدقائنا ، وكنا على موعد لنقرأ فصلا كان الصديق الأديب يريد أن ينشره في الرسالة . ولكن أصدقاء آخرين قد أقبلوا ، وليس يعنيهم أن يقرأوا آثارنا الأدبية أو يسمعوها قبل أن تذاع . فنتحدث اليهم ، ونسمع منهم ، ويطول الحديث حتى اذا تمت الساعة التاسعة انصرف الأصدقاء ، وبقينا نحن فنقرأ الفصل على طوله ، ونحاور فيه ، ثم لا نفترق حتى تنتصف الساعة الحادية عشرة ، وشهد الله لقد كان في بيتى تلك الليلة مريض هو آثر عندي من ألف أدب وأدب ومن ألف أديب وأديب . ومن الحياة والاحياء جميعا . فما ترددت مع ذلك في أن أسمع ، وأحاور . وأقترح التغيير والتبديل ، كما لو كنت مستريحاً فارغ البال :

ثم تكون مناظر أخرى أسمع في بعضها اللوم لأني أحب توفيق الحكيم ، وأقرأ في بعضها الشتم لأني أكبر توفيق الحكيم ، وأنا أبسم للوم اللائمين ، وأضحك لشتم الشاتمين ؛ لأني لم أحب هذا الكاتب الا لأنه ألهمني الحب . ولم اعجب بهذا الكاتب الا لأنه ألهمني الاعجاب :

ثم أكتب الى المصور فصلاً عن الأدب التمثيلي في مصر فلا يكاد ينشر حتى يتحدث الى من يتحدث بأن الكاتب الأديب مغضب من هذا الفصل لأني لم أنصفه فيه ، ولأني زعمت أن قصصه التمثيلية على جمالها وروعتها قد لا تلائم الملعب المصري . فلا احفل بحديث المتحدثين . ولا بقول القائلين ، وأقرأ في المصور بعد ذلك ردا من توفيق فيه عتب كثير ، قوم هذا العوج مداعبا لصاحبه . ملاطفا له . ثم يبلغني أنه قد سعى الى في بيتي مساء الأثنين الماضي ، فلما لم يجدني فيه ترك لى تحيته ومودته وانصرف . ثم أكتب عن شهر زاد . فلا يكاد يظهر حديثي عن شهر زاد حتى أتاني من صديق توفيق هذا الكتاب صباح الخميس . لا يحمله الى البريد ، وانما يحمله ساع خاص ، ولا يكتبه توفيق بخطه وانما يضربه على الآلة الكاتبة ضرباً . ويتفضل الصديق فيمضيه بخطه . وليست أعرف آية في الأدب والمودة والوفاء وصدق الرأي في الأدب والنقد ، والصلة بين الكتاب والناقدين تشبه هذا الكتاب . ولا غرابة في هذا ، فتوفيق قد عاهدنا على الا يكتب الا كان مبدعاً مبتكراً . وأنا أنشر نص هذا الكتاب لأنه سيكون باقياً على الدهر ، ولأنه سيقع من الكتاب والناقدين في هذا العصر موقع تلك الوصية التي زعموا ان عبد الحميد قد اذاعها في الكتاب القدماء آخر أيام بني أمية .

قال الصديق توفيق الحكيم :

عزيزي الدكتور طه حسين

يظهر اني سيء الحظ معك أو انك سيء الحظ معي هذا الأسبوع ، فلقد قرأت مقالك عن شهر زاد وما حسبنا تلاقينا فيه عند رأي ، فأما قولك انى ادخلت في الأدب العربي فنا جديداً وأتيت بحدث لم يسبقني اليه احد . فهذا إسراف سبق لي أن أشرت اليه في خطاب مني اليك عن أدب الجاحظ ذكرت فيه يومئذ أن للجاحظ ملكة في إنشاء الحوار تذكرنا ببعض كتاب المسرح من الغربيين . فما انا إذن مبتدع وانما أنا أحد السائرين في طريق شقه الشرق من قبل . واما نصيب قصصي من البقاء ، فلست أعتقد أن لناقد معاصر حق الجزم به ، وما بلغت من البساطة حد تصديق ناقد يتكلم في هذا . ان الزمن وحده هو الكفيل بالحكم للأعمال بالبقاء . فما كنت ترى لأسمح لنفسي بقبول مثل هذا الثناء . كذلك لست اسمح لأحد أن يخاطبني بلسان التشجيع ، فما انا في حاجة الى ذلك . انني منذ أمد بعيد أعرف ما أصنع . ولقد أنفقت الأعوام أراجع ما أكتب قبل أن أنشر واذيع . كما انى لست في حاجة الى أن يملي علي ناقد قراءة معينة . انني منذ زمن طويل اعرف ماذا اقرأ . وما احدثك عن تخصصي فيما قرأت في الفلسفة القديمة والحديثة وحدها مما لا يقل عما قرأت أنت : وما احسبك كنت تجهل أني اعرف الناس بما عندي من نقص . واعلم الناس بما احتاج اليه من

أدوات، فأرجو منك أن تصحح موقفي امام الناس وألا تضطرني إلى أن أتولى ذلك بنفسي .

توفيق الحكيم

***

وأنا أسرع قبل كل شيء الى تصحيح موقف توفيق لا أمام الناس ، بل امام نفسه وأمام رؤسائه في وزارة المعارف . فقد كنت أشفق عليه من هؤلاء الرؤساء كما كنت اشفق عليه من نفسه إذا اتصل بهؤلاء الرؤساء . فالذين يعملون في وزارة المعارف لا ينبغي ان تظهر الصلة بينهم وبيني ، لأن هذه الصلة خطرة حقاً . وما رأيك في قوم يعملون في هذه الوزارة ثم يتصلون برجل لا يزال من يوم الى يوم ينال هذه الوزارة ورؤساءها بالنقد الشديد . وأؤكد لصديقي توفيق اني لم انشر كتابه هذا الا تصحيحاً لموقفه أمام رؤسائه وامام نفسه ، فسيعلم رؤساؤه منذ اليوم انه قد أساء الى عمداً وفي غير ما يبيح الإساءة ، وانه قد قطع ما بينه وبيني من صلة ، وانه قد سجل هذه القطيعة في كتاب ، وأني قد سجلت هذه القطيعة في صحيفة سيارة ، ليشيع امرها بين الناس . وأظن ان رؤساءه منذ اليوم سيرفقون به ، ويعطفون عليه ، ويحسنون الرأي فيه . واظن انه سيحس منهم ذلك فيطمئن على منصبه ويستريح الى رضى رؤسائه عنه ، ويبتسم له الأمل في المستقبل القريب والبعيد .

والآن وقد صححت موقف توفيق امام نفسه وامام رؤسائه اريد ان اصحح موقفه أمام الناس وأمام الأخلاق وأمام الادب ايضاً . فموقفه امام هؤلاء جميعاً في حاجة الى تصحيح لم يخطر لصديقنا ببال فيما يظهر لأنه كان مشغولاً بنفسه ورؤسائه ، ولعله كان مشغولاً بذلك القيظ الشديد ، الذي أخرج كثيراً من الناس عن أطوارهم منذ أيام

فأما قول توفيق اني قد أسرفت حين زعمت أنه أحدث في الأدب العربي حدثاً لم يسبقه اليه احد ، فاني أحمده له وان كنت أعرف أن هذا الكلام كان يرضيه ، وأنه كان يحب أن يسمعه وأن يقرأه قبل هذا الأسبوع الذي هاجمت فيه وزارة المعارف مهاجمة عنيفة ، ومن الحق أنه تحدث إلي بأن للجاحظ ملكة حوار ولكن من الحق أيضاً أني نبهته إلى أن الحوار شيء والتمثيل شيء آخر ، وإلى أن الكاتب يستطيع أن يكون محاوراً مجيداً دون أن يبلغ من التمثيل شيئاً ، فاذا كان الجاحظ قد أتقن الحوار وبرع فيه فلا ينبغي أن يفهم من هذا بحال ان الجاحظ قد عرف التمثيل أو ألم به أو كان يمكن أن يخطر له التمثيل على بال . وانه لمن المؤلم حقاً أن أحتاج الى أن أسوق مثل هذا الكلام الى كاتب أديب كتوفيق قرأ من آثار القدماء والمحدثين مثل ما قرأت على الأقل

وأما أن توفيقا ينكر علي أن أحكم لقصصه بالبقاء ، فهذا إسراف منه كثير ، فنحن الناقدين أحرار فيما نعرف من ذلك وما ننكر ، وفيما نثبت من ذلك وما نمحو ، وما دام الزمن هو الحكم الأخير في هذا كله فما يضير صاحبنا ان نحكم له أو أن نحكم عليه . وأغرب من هذا كله أن يرفض توفيق ما أهديت اليه من ثناء ، فليعلم اني لم أهد الثناء إلى شخصه ليرفضه أو يقبله ، وأن شخصه لا يعنيني إلا قليلاً منذ الآن ، وانما أهديت الثناء إلى فنه ومازلت أهديه اليه ، ولن يستطيع هو أن يرده . وكنت أحب له أن يفرق بين شخصه الفاني وفنه الباقي .

وأما أنه لا يسمح لأحد أن يحدثه بلغة التشجيع فقد كنت أحب أن يكون أذكى في حياته العملية من أن يشارك رئيس الوزارة في لغته : «فلا أسمح» هذه كلمة يملكها رئيس الوزراء القائم وحده . ولكن الذي يجعل نفسه دولة لا يتردد في أن يستعير لغة الوزراء . وهو بعد حر في أن يسمح أو لا يسمح فسنشجعه على رغم منه ، لأن فنه يستحق التشجيع ، ولأن واجبنا الأدبي يفرض علينا تشجيع المجيدين فرضا . وأما أنه لا يسمح لأحد بأن يدله على ما يقرأ ، وأنه قرأ في الفلسفة القديمة والحديثة مثل ما قرأت على الأقل ، فانني أحب أن يعلم أن ما قرأته لا يرضيني لنفسي ولا لغيري ، واني أبذل ما أملك من الجهد لأقرأ أكثر مما قرأت ومما قرأ غيري . وأسأل الله أن يقيني وأن يقيه شر الغرور ، فهو مهلك النفوس حقا . وأما أنه أعرف الناس بما ينقصه ، وأعلم الناس بما يحتاج اليه من الأدوات وأنه لا يحتاج مع ذلك الى نقد ناقد ، فهذا رأيه في نفسه منذ الآن وهو لا يشرفه ولا يرفع منزلته عند أحد . أما أنا فأرى لنفسي الحق في أن أدل كل كاتب يخرج للناس كتاباً على رأيي فيما ينقصه وفيما يحتاج اليه ، وهو حر في أن يقبل أو يرفض ، ولكني حر كذلك في أن أقول له ما أريد .

أما بعد ، فهل صححت موقف توفيق أمام الناس ، أم هل لا يزال مضطراً الى أن يصححه بنفسه ؟ أحب أن يعلم توفيق أني لن أرد عليه بعد الآن ، ولن أحفل به الا يوم يخرج لنا كتاباً نقرؤه ، ويومئذ سأعلن رأيي في هذا الكتاب سواء رضي توفيق أم سخط ، وأنا أرجو أن يكون رأيي في كتبه المقبلة حسناً كرأيي في أهل الكهف وشهرزاد . وأرجو بعد هذا كله أن يتدبر الكتاب والشعراء هذه القصة التمثيلية فان فيها عبراً وعظات . وإن أمثالها مع الأسف في مصر ليس بالقليل .

طه حسين

من طرائف الشعر

عطيـــــل

للأستاذ فخرى أبو السعود

قليل رقاد الليل نابى المضاجع … يبيت على مضٍّ من الشك لاذع

على حُرَق : لا الظن قاتلُ حبّه … ولا حُبُّه الظنّ عنهُ بدافع

دَجا عيشُهُ جَرّاء مَن كان ذكرُها

ضيـــاء له فى داجيات المطامع

أطاع مقالاً للحسود أهاجه … ولم يك لو قال النصيح بطائع

يقول : إذَنْ قد نازعتْها صبابةٌ … وغيٌّ فألقتْ قيدَها للنوازع

وأصبح عِرضى فى بنى الروم مُثلةً

وهُزأةَ مِهْـذارٍ ومَلْهاةَ صافِع

جزائىَ هذا : إننى كنت غافلا … فأقحمتُ نفسى فى وخيم المراتع

حسبتُ قلوبَ الغيد بالبأس تُستبَى

وتُملك بالبيض الخفـــاف القواطع

جزائىَ عدلاً : ما لمثلى وللهوى؟ … لقد قذفتْ بى فى المرامى مطامعى

ولم يكُ وجهى للحسان بفاتن … ولا لونُ جلدى فى الغرام بشافعى

ألا ليتنى لم ألقَ أشراكَ حُسنها … فقد كنتُ فى أسرٍ كما شرَّ واقع

ألا ليتنى لم أدرِ أنباء بغيها … وكفَّتْ جفونى دونه ومسامعى

لقد أنكرتْ خَلْقى وضاقت بِكَبْرتى

ومنـــظر شَيْباتٍ برأسى طوالع

وما سرَّها أنى بلونى مُعْلَمٌ … لدَى الحرب بطّاشٌ بكل مُقارع

ولا غُدُواتى فى البحار زواخراً … ولا دَلَجاتى فى الفلا والبلاقع

ولا أوبتى بالغار فى كل موكب … ولا خطرتى بين السيوف السواطع

فلم يَثْنِها عهدٌ وجُنَّ جنونها … بغضّ الصبا من قومها الصُّغرِ يافع

سباها بطبعٍ منه هَيْنٍ ومنظرٍ … طَريرٍ وخلّابٍ من القول رائع

تهيم به دونى وإن يكُ خادمى … وتمنحه حقى وإن يكُ تابعى

ولم يبقَ لى فى قلبها اليومَ موضعٌ … وما كان فيه أمس إلا مواضعى

نعم هى تلقانى بنظرة مُغرَمٍ … وبسمة مفتونٍ وعطفة خاشع

نعم وهْىَ تسقينى خدوعَ رُضابها … كما مجّت الأفعى الخؤونُ بناقع

وتوهمنى الطُّهرَ الذى يدّعينه … وليس سوى آلٍ بصحراء لامع

وتوشك ـ لولا الرُّشدُ ـ أن تستخفّنى

ويستلّ حقدى سحرُها من أضالعى

ويوشك ذاك الحسنُ أن يستهزنى … فأنسى لديها كيدَها وهو فاجعى

أتبسُم لى غشًّا ومحضُ ودادها … لدى قاهرى فى حُبّها ومنازعى ؟

لعمرىَ ماذا يدعوانى إذا خلتْ … اليه بمنأى عن رقيب وسامع ؟

أتدعيننى فدْماً ؟ أتغضبين للفتى … بشجوى ولأوائى وجَمّ مواجعى ؟

أيضحك من جهلى ؟ أيزعم أننى … بليدٌ غليظ الحس غيرُ مُدافع ؟

حنانيكُما ـ قد جُرتُما وغلوتما ـ … ورفقاً بهذا المستفَزّ المخادَع

سيأتيكما أمرى فيدرى كلاكما … بأنّ حمى الوحشىّ ليس بضائع

سأنقع ممن خانت العهد غُلّتى … وهيهات ما غيرُ الحِمام بناقع

سأمنحها كأس المنية مُوقناً … بأنى لتلك الكأس أوّلُ جارع

سأُسلمها للموت أوّلَ نادمٍ … لتلك الحُلى تفنى وتلك البدائع

سأقتل مَن لو أستطيع فديتها … ببتّ نياطى أو بقطع الأخادع

فخرى أبو السعود

الأنسان الآلى

للأستاذ محمود غنيم

ماذا أشاهد ؟ لا طيناً ولا ماء … وليس هذا الفتى من نسل حواء

لا يشبه الناس إحساساً وعاطفة … ويشبه الناس تركيباً وأعضاء

فتى عريق بحبل العلم متصل … إن عدد الصيد أجداداً وآباء

هى الحضارة أمٌّ أنجبتـه وما … زالت كمريم ذات الطهر عذراء

خلق جديد إذا شاهدت طلعته … تكاد تومئ بالتسليم إيماء

لا يشتكى مثلما يشكو الورى سقما … ولا يهاب رسول الموت إن جاء

يرى ويسمع لكن لا يحس وإن … هم قطعوه بحد السيف أجزاء

فياله ساعياً يمشى على قدم … لا تشتكى إن شكت أقدام وجناء

وياله حزناً لا تستبيـه ولا … تغريه بالمال إن حاولت إغراء

وياله حارساً لم يشك من أرق … ليلا ولا حاولت عيناه إغفاء

فولتير العظيم حتى بموته

١٦٩٤ — ١٧٧٨ م

بقلم مهدي الجم الطرابلسي

ما أنا أول الذين يتحدثون اليك عن فولتير ولا آخرهم . بل أنا من هؤلاء الذين تلج على عواطفهم اشعاعات من ارواح العظماء فتبعثهم حينا راضين وآخر كارهين لينشروا ماضي هؤلاء العظماء ويتغنون بعبقريتهم ويسجلونهم في سجل الأفذاذ الخالدين .

أطل فولتير على الحياة سنة اربع وتسعين وستمائة والف فشب ورأى من حوله فساد الحكومة والبيئة فعظم عند نفسه ان يرى أفراد الشعب يتضورون جوعاً والملك والحكام ينزلون بهم أنواع العذاب عاتين جائرين . وكان كاتباً رائع الكتابة رائق الاسلوب قوي العارضة سيال القريحة سياسي المبدأ لاذع النقد . وكانت الصحف التي تنشر رسائله رائجة نافقة أكثر من غيرها ، لأن الشعب كان يقبل على كل رسالة له او كتاب فيطالعه ، فتنشيه نغمة العبارات ولحن الاسلوب فيعيد مطالعته ، فيؤثر في نفسه ، فيهيج هياجاً شديداً ، لأنه ضد الحكومة . وقد كان الشعب الباريسي يضمر لفولتير حباً شديداً حتي أضحت كلمته فوق كل كلمة واسمه فوق كل اسم ، وحتي أضحى رسمه زينة تحلى بها الأكاليل والمتاحف ، وحتى اضحى الشعب يمحص كل كلمة من كلماته تمحيصاً ويعربها ويردها الى أصلها مستمتعاً مغتبطاً بذلك .

وهكذا استأثر فولتير بقلوب ابناء وطنه وجعل من نفسه قائداً محبوباً يشير فيطاع . والشعب لم يقبل على فولتير ومؤلفات فولتير ولم يهتف له الا لنقده الملك والملكة والبلاط وما فيه ، النقد اللاذع الذى دعا الملك ان ينفيه من اجله .

كان الكونت لدلنفيليه قد تكهن ان فولتير صديقه سيموت في الثلاثين من عمره ، لكن فولتير الجبار لم يكن ممن يتأثرون بتنبؤات الكهنة والمنجمين ، فاستمر لا يحيد عن سمته في النقد والفلسفة ، ولما جاوز الثلاثين كان يداعب صديقه الكونت قائلاً : «لقد خدعتك ايها الصديق بثلاثين عاماً وخدعت نفسي بالباقي»

وأخيراً لم ير الملك بداً من إخراجه عن فرنسا ، وهكذا قضى فولتير حياته شريداً طريداً يتنقل من بروسيا الى انكلترا الى غيرها وقد قضي أكثر أيامه على ضفاف بحيرة جنيف في (فرني) وغيرها حيث سالت نفسه حنيناً إلى وطنه ، فرق اسلوبه كثيراً وبرعت ديباجته .

ألف فولتير من الكتب والقصص (محمداً ، زاير ، ميروب ، عصر لويس الرابع عشر ، تاريخ شارلى الثانى عشر ، كانديد ، ميكروموكاس ، زاديك ، القاموس الفلسفي ، ملاحظات على نظريات باسكال) وغير ذلك من المؤلفات التى جعل بعضها قصصاً تحيل وقائعها في بلدان شرقية وعصور خالية ، فقصته (زاديك) جعل وقائعها في بلاد فارس في عصور ماقبل الميلاد ، فقارئها يرى من طرف خفي وظاهر ان فولتير ينتقد الملك والبلاط النقد الجارح الأليم .

لأضرب لك مثلاً في كتابه زاديك : « زاديك شاب غني فيلسوف هجر المجتمع الخاطىء واعتزل في قصر له في البرية ، فانه ليتجول يوماً في الغابة اذ مر به خصيان البلاط والحرس الملكي يسألونه متلهفين أرأيت كلب الملكة وحصان الملك ؟ فيقول هي كلبة لا كلب ، ولكن لم أرها ؛ فيكبلونه الى الحاكم فيحكم عليه

لن ترهب العقم بعد اليوم والدة | أو يعدم الشيخ بعد الشيب أبناء
للشيخ مايشتهيه الشيخ من عقب | واليتيم من الآباء ما شاء
لينفخوا الروح فيه مثلما خلقوا | له يدين وشقوا العين حوراء

***

قم سائل العلم إذ سوى جوارحه | هل رام هدماً به أم رام إنشاء ؟
يشكو البطالة غادينا ورائحنا | فهل نضيف الى أدوائنا داء ؟
أما ترى الأرض قد ضاقت بمن حملت
فثارت الحرب حول القوت شعواء ؟
حسب البرية أن الطب يكلؤها | وأن سهم الردى يخشى الأطباء

***

يا أيها الرجل الآلي هل لك في | ود أساقيكه ماء وصهباء
تشابه الناس عندي في المذاق وإن | تعدد الناس ألواناً وأسماء
لأنت أسلم يا ابن الصلب عاقبة | من أنفس ملئت حقداً و بغضاء
أقسمت أنك بين الناس أنزههم | يداً وأطهرهم قلباً وأحشاء
حييت فيك فتى ماقال فاحشة | يوماً ولا عاب إنساناً ولا ساء

محمود غنيم

بالجلد والنفى الى سيبيريا فما يكاد يفعل حتى توجد السكينة والحصان فيعفو عنه ؛ ولكنه يحكم عليه بغرامة قدرها اربعمائة أوقية من الذهب » وهكذا يريد فولتير أن ينقد البلاط وأن يقول إن الداخل فيه خاسر مافى ذلك شك ، مدعياً كان او مدعى عليه .

لقد كان منظر فولتير يدل على غير ما يختلج فى نفسه ؛ فقد كان الناظر اليه يحسبه سعيداً مغتبطاً ، على حين أن فولتير قضى حياته بين عبرة مهراقة ، وزفرة مصعّدة ، بدليل عبارات تقرأ فى رسائله : وكان فولتير هزيلاً ناحلاً ، وكثيراً ما كان يشكو الماً فى جسمه يقول إن الأطباء لم يهتدوا اليه بعد . فكان يئن فى نفسه . فتبدو أنته على ثغره ابتسامة عذبة هادئة تجتذب اليه النفوس ؛ وقد نعته فيكتور هوجو بالرجل الكئيب الباكى . وفولتير وإن كان اكثر الشعب مناصراً له ، فقد كان له أعداء كثيرون يتسخطون عليه ويتبرمون بكتاباته النارية الحماسية التى كانت إحدى الشرارات الرئيسية التى أضرمت نار الثورة الكبرى من بعد . فكان هؤلاء السادة يجادلونه فلا يقف عن مجادلاتهم ، ويغالبونه فلا يفتر عن مغالبتهم ، وهو مع كل ذلك لم يهن . فهم ما كانوا ليزدادوا الا موجدة عليه ، وهو ما كان ليزداد الا استهزاء واستخفافاً بهم .

ولما مات لويس الخامس عشر وتربع على العرش لويس السادس عشر كان فولتير فى منفاه ، فاستأذن الملك الجديد العودة الى وطنه فاذن له ، ولكن بعد ان تهدده الملك وتوعده بالنفى والتشريد إن هو عاد سيرته الأولى . فعاد الى باريس برفقة كاتبه الخاص . وكانت قد سبقته اليها زوجه والدام دنيس حفيدته التى كان يحبها كثيراً وصديقه المركيز دى فيلت ليعدوا المنزل ويهيئوا المستقر .

وفولتير اذا أتى باريس فقد أشرقت باريس وهب الناس كلهم هبة واحدة مهللين فرحين . فلما أن أقبل كانت المحطة مزدحمة بالناس حتى لامسير . وقد أخذ مخبرو الصحف يكتبون عنه الرسائل المسهبة الطويلة ويصفونه جزءاً جزءاً فقالوا إنه أقبل وكان على رأسه قلنسوة أرجوانية صوفية . وانه كان مرتدياً برداء من الفرو المخطط ، وأنه زار صديقه الحميم القديم (دار جنتال) فى شارع (أورسه) ، وأنه خرج بعد ذلك يقصد منزله . وأن الاولاد الصغار اذ رأوا منظره الغريب أخذوا يهتفون بحياته ويصفقون . وأنه لما انتهى الى منزله اخذ الناس يفدون عليه أفواجاً فيستقبلهم بثياب المنزل معتذراً بمرضه .

وحقاً لقد امتلأ المنزل افناؤه وحجراته وأروقته بالناس بين جميع الطبقات . فكان فولتير يبسم لهم ويستقبلهم بأحسن ما يستقبل مزور زائراً ، وقد قيل إنه لم يبق احد فى باريس الا واقبل يهنئه بالعودة السالمة ويدعو له بطول العمر . وذلك مما دعاه ان يسن دستوراً للزيارة . فأمر حفيدته ان تقيم فى القاعة الكبرى فعلت تستقبل الزائرين عوضاً عنه وتعتذر لهم بمرضه الا العظماء منهم فقد كانت تقدمهم اليه فيجالسهم ساعة ثم يعود الى غرفته يتسلى بالقراءة والكتابة . وممن زاره منهم سفير انكلترا وفرانكلين الشهير وغيرهما ، لكن كان يستقبل الكل بثوب المنزل لايخلعه الا للنساء فقد كان يجلهن . فلما زارته الكونتيس دى بارى لم يشأ ان يبدو اليها بهذا الثوب فلم يقابلها اولاً ، فرجت وألحت فى الرجاء ورجاه اصدقاؤه والحوا فى ذلك أيضاً ان يفعل ، فقبل كارهاً متعثراً . فقال له من حوله انك تقول إن ثوب العقل خير من ثوب الجسد فماذا دهاك اليوم ؟

ولقد كان الناس يجتمعون حول منزله كل يوم فلا يزالون يهتفون به حتى يخرج الى النزهة فيركب عجلته فيزدحم الناس من حولها ويقبل بعض المتحمسين يدفعون الناس بمناكبهم يريدون ان يحملوا العجلة فلا يتنعون حتى يرجوهم فولتير الأمتناع شاكراً ، لكن واأسفاه ! ان هذه الأستقبالات والمهرجانات أمرضته ، ولا سيما حين سمع ان صديقه (لكن) قد قضى . ولقد كان مرضه انحباس البول ، وتورم الرجلين ، وقد منع طبيبه عنه كل انسان . وحال بينه وبين اصدقائه ، فعكف فولتير فى سريره يؤلف القصص ويكتب الرسائل ، ويئن بين الحين والحين أنة لايشك سامعها فى أنها أنة عظيم .

— عناية طبيب فولتير بفولتير وعنايته بنفسه بدت نتيجتها ، فأبل ونقه ، وشرع يطبع روايته التى وضعها اثناء المرض ، وسماها ـ أرين ـ وقبل أن تعرض للتمثيل جهد فولتير جهداً عظيماً فى تدريب الممثلين وتعليمهم اتقان ادوارهم ، ولم تكن صحته قد عادت اليه كاملة فرماه الكد والتبذل فى سريره ، فاذا الحمى تدور فى جسمه ، وهذا صداع شديد يهز جمجمته . وهذا ورم شديد فى قدميه ، وانحباس موجع فى كليتيه : ثم هذا دم يخرج من رئتيه . ثم هاهو ذا يهذى ويصرخ الصرخات الداوية : وطبيبه لم يدر أصل الداء ومنبت العلة ، فلجأ

الى الحكمة والدراية . فاستأجر ممرضة صبية جميلة اعجبت فولتير وسر بها كثيراً . أما الصحف فكانت تملأ أعمدتها في التحدث عنه . فاذا أكل فولتير دوى في أفق باريس ان فولتير قد أكل ، واذا شرب فولتير دوى في أفق باريس أن فولتير قد شرب . ولم يزل الداء يلح به ويضعف من جسمه ومن حواسه حتى كاد لا يقدر ان يقرأ كتاباً أو صحيفة ولا أن يستوي جالساً في سريره . لكن ماذا ؟ ها هو ذا فولتير يصح وينشط فلا دم يبصق ولا قدم تتورم ، وها هو ذا الطبيب قد أذن له بأكل بيضة وقطعة من الخبز ، وحسو كأس من الماء ومثلها من الخمر كل يوم . وإذا عادت الى فولتير صحته فقد عادت الى الناس المسرات والأفراح . وأما الأطباء فوقفوا وقفة الحائر أمام هذا المرض العجيب وسرعة شفائه . وكان تمثيل الرواية قد تأجل ليشهده فولتير بنفسه ، فلما أن شفي حكم الأدباء والفلاسفة فيها فأعجبوا بها اعجاباً شديداً فمثلت ، ولكن فولتير لم يشهد التمثيل فقد سقط مرة أخرى وخيف أن تكون السقطة الأخيرة الهائلة . فعاده الأطباء ووصفوا له لبن أتان يتناوله فشفي بعض الشيء ، وخرج الى متنزه الشانزليزيه بعربته ، فالتف الناس من حولها هاتفين : ليعش فولتير ! ليعش فولتير ! وقد كان السعيد منهم من يحظى بشعرة من ردائه .

لكن مما يؤلم أن فولتير امسى بعد ذلك هائج البال فاسد الرأي فقد سأل أن يبدلوا الممرضة بأخرى غيرها قائلاً : اني استحي أن اخلع ثيابي أمام تلك الفتاة ، فأبدلت بأخرى . ولكن ها هو ذا المرض يطل عليه زائراً مرة أخرى ، ولكن ها هو ذا الشفاء يأتيه عائداً ثانية .

اما الرواية (ارين) فقد مثلت ست مرات ، وفي الأخيرة تجلت عظمة فولتير وكبر نفسه واضحين ، وقد شهدها فولتير ، فلما انتهى التمثيل قام الشباب وجعلوا يتمسحون به ويلثمون يديه ويهتفون باسمه ، ووصل الى منزله تلك الليلة وما أحسب أن أحداً وصل في الدنيا ليلاً الى منزله وصوله .

***

أفاق الناس صباح ٢٣ أيار من سنة ثماني وسبعين وسبعمائة وألف ، فاذا هم يتحدثون ان فولتير قد تورمت قدماه وانحبس بوله واصبح يشتكي أفلاذ كبده وانه لا يرجى له شفاء .

وحقاً قد وقع فولتير هذه المرة ويئس طبيبه من نجاته ، وعاده الماريشال ريشيليو ، ووصف له دواء يدفع عنه الأرق فتناوله فولتير دفعة واحدة فتعقد داؤه وعز دواؤه .

أضحى فولتير بعد هذه السقطة فارغ الصبر ضيق الصدر ، هلوع النفس متلكئ الجسم ، يسب من حوله . ويضرب ممرضته ، ويجافي حفيدته ، وينظر إلى الناس بغير العين التي كان ينظر بها اليهم . وكان يصرخ بين الحين والحين صراخاً عظيماً احتار في تعليله الأطباء ، ولم يعرفوا الى شفائه من سبيل . وممرضته كلت وملت وأسلمته الى يد القدر إلا قليلاً . واشار عليه صيدلي ان ينشق الأفيون ، ففعل دون أن يدري طبيبه . والافيون أنامه إنامة طويلة استفاق بعدها فاذا معدته لا تهضم اللبن الرائب . ومرت به جراح شهير يدعى (ترى) وفحص مثانته وكليتيه ، وتوصل بحيلته وجدة ذكائه ان يفتح للبول طريقاً بواسطة أنبوب طبي . وارتفعت درجة حرارته بعد ذلك كثيراً فأرقدوه في الجليد فما افادوا شيئاً !!

واحسرتاه ! لقد فقد فولتير عقله أو كاد ! لقد اضحى يرجع الى احشائه من فيه ما يخرج من أحشائه ، فكانت حفيدته تبكي كثيراً وتقبل عليه تقول : مسيو فولتير ! مسيو فولتير ! لقد كنت مثال النظافة فانظر الى اية حال مؤلمة قد صرت .

ومن الأطباء الذين اعتنوا بفولتير كثيراً ترونشين طبيبه الخاص وبلوري وتياري . وقد بذل هؤلاء الأطباء الحكماء اقصى ما وهبوا من حيلة وذكاء لشفائه ، فخاب سعيهم وما ازدادوا الا جهلاً بالداء . ودخلوا عليه ذات ليلة فاذا هو حائل اللون ، أزرق الشفتين متصلب اليدين والقدمين ، فأخذوا يعالجونه ساعة حتى أفاق وقال : آه ! دعوني أسير الى ربي . ثم أخذ يصيح صياحاً شديداً تهتز له النفس ، وتسيل له الافئدة هولاً وجزعاً . فعلل أطباؤه صراخه بوجع شديد لا يعرفون مصدره ، وخافت الممرضة إذ رأته على هذه الحال ، وخاف الأطباء ايضاً ، ولبثوا حتى منتصف الليل يعالجونه وينضحون جسمه بالماء فما افادوه . وفي تلك الساعة المظلمة فاضت نفس عظيمة بعد أن سجلت آثارها في سجل الخلود

قيل إن فولتير مات مسموماً وأن يداً لم تعرف بعد قد دست له السم ، وقال الاطباء نعم لقد مات مسموماً ، ولكن اليد التي دست له السم هي يد دائه .

حماه — مهدي النجم الطرابلسي

في الأدب الفرنسي

٨ـ الدوق دي لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

ولكي يخفف من حدة الانكار قال في مكان آخر من كتابه « الحسد تقضي عليه الصداقة الحقة » (موعظة رقم ٣٧٦) . « مهما يكن الحب الصحيح نادراً، فانه أقل ندرة من الصداقة الخالصة » (موعظة رقم ٤٧٣) . أي أنه يؤمن بندرة الصداقة النقية ولا ينكرها إنكاراً تاماً

وحكمه على الصدق والوفاء ليس بأقل غرابة من حكمه على الفضائل السابقة : « الصدق هو إخلاص القلب ولا يتصف به إلا عدد قليل من الناس . أما الصدق الذي نرى عادة فهو مداهنة بارعة ترمي الى اكتساب ثقة الغير » (موعظة رقم ٦٢) « بعض الكذب هو في الأغلب طموح دقيق غير محسوس الى جعل أقوالنا تكتسب منزلة رفيعة واحتراماً كالذي يلهمه الدين » (موعظة رقم ٦٣) « الوفاء الذي يبدو من كثرة الناس هو حيلة ابتكرها حب الذات لاجتذاب الثقة » (موعظة رقم ٢٤٧)

ولنذكر الآن ما قاله عن الحب : « لا يوجد إلا نوع واحد من الحب ، ولكن يوجد منه صور زائفة لا حصر لها » (موعظة رقم ٧٤) « الحب كالنار لا يستطيع أن يحتفظ بوجوده إلا بالحركة المستمرة . ويصيبه العفاء في اللحظة التي يكف فيها عن أن يأمل أو يخشى » (موعظة رقم ٧٥) « مثل الحب الصحيح كمثل ظهور الأشباح ، جميع الناس يتكلمون عنها ، ولكن قليلاً منهم من رآها » (موعظة رقم ٧٦) « كثير من الناس لو لم يسمعوا أحاديث الحب ، لما أحبوا » (موعظة رقم ١٣٦) « الغياب يخفف من وطأة الأهواء الضعيفة ويورث نار الأهواء القوية ، كالريح تطفئ الشمعة وتوقد النار » (موعظة رقم ٢٧٦) « إذا اعتقد الانسان أنه يحب صاحبته فهو مخطئ » (موعظة رقم ٣٧٤)

ثم قال عن الغيرة : « الغيرة تستمد غذاءها من الشك ، ويمحوها اليقين » (موعظة رقم ٣٢) « مبلغ ما في الغيرة من حب الذات ، أكثر مما فيها من الحب » (موعظة رقم ٣٢٤) « الغيرة أكبر الشرور ، وأقلها استدراراً لشفقة الذين يسببون أسبابها » (موعظة رقم ٥٠٣)

وهذا الرجل الذي كان يبجل النساء في حضرتهن ، ولا يقول كلمة تؤذي شعورهن ، قسا عليهن في مواعظه : « تمنع النساء نوع من الزينة يضفنه الى جمالهن » (موعظة رقم ٢٠٤) « عفة النساء هي في الأغلب الحرص على سيرتهن وراحتهن » (موعظة رقم ٢٠٥) « الغرور وخشية العار وعلى الأخص المزاج ، تعمل في الأغلب قيمة الرجال وعفة النساء » (موعظة رقم ٢٢٠) « الكثيرة من النساء يبكين عشاقهن الذين يقضون نحبهم ، لا لأنهن أحببن هؤلاء العشاق ، ولكن ليظهرن أنهن جديرات بالحب » (موعظة رقم ٣٦٢) « قليل من النساء الشريفات من لم يسأمن عفتهن » (موعظة رقم ٣٦٧) « كثرة النساء الشريفات كنوز مخبأة ، ليست في مأمن من العبث إلا لأن الرجال لا تبحث عنها » (موعظة رقم ٣٦٨) « الخليلات يفخرن بغيرة عشاقهن ليخفين الحسد الذي يضمرنه لغيرهن من النساء » (موعظة رقم ٤٠٦)

وحكمه على التواضع ليس بأقل قسوة من حكمه على العواطف والفضائل السابقة « لا يمدح الانسان غيره عادة إلا ليمدح » (موعظة رقم ١٩٦) « قليل من الناس من يملك الحكمة التي تجعلهم يفضلون النقد الذي ينفعهم على الثناء الذي يخدعهم » (موعظة رقم ١٩٧) « رفض الانسان المديح معناه الرغبة في أن يمدح مرتين » (موعظة رقم ١٩٩)

ويستمر لاروشفوكو في أحكامه على الأعمال والفضائل الانسانية حتى يصل الى هذا الحكم العام « تدخل الرذائل في تركيب الفضائل ، كما تدخل السموم في تركيب الدواء ، التبصر يجمعها ويخفف من وطأتها ويستخدمها بنفع في مغالبة شرور الحياة وآلامها » (موعظة رقم ١٨٢)

وهو يعتقد أن الانسان في حياته عبد لأهوائه وليست الإرادة

شيئاً مذكوراً « في انقلب جيل من الأهواء لا يفنى ، حتى أن زوال أحدها هو في الواقع طغيان هوى آخر عليه » (موعظة رقم ١٠). فالنضال الذي نعتقد أنه قائم في دخيلتنا بين الهوى والعقل ، بين الرغبة والواجب ، هو سراب محض . « الحظ والشرف يحكمان العالم » (موعظة رقم ٤٣٥) « مهما يفخر الناس بأعمالهم العظيمة ، فإنها في كثير من الأحيان ليست نتيجة تدبير عظيم ، ولكنها نتيجة المصادفة » (موعظة رقم ٥٧) « جميع صفاتنا تقريباً تحت رحمة الظروف » (موعظة رقم ١٧٠) « يخيل إلى أن لأعمالنا نجوما سعيدة وأخرى شقية تدين إليها بكثير من الثناء أو اللوم الذي يوجه إلينا » (موعظة رقم ٥٨)

وإذا كانت المصلحة الذاتية تقود الفرد والجماعة ، فكيف نفسر هذا الشعور المعقد الذي يتبع ارتكاب أعمال مضادة للفضيلة ، وهو الندم ؟ يفسر لاروشفوكو الندم الخارجي ، أي الاعتراف بالزلل بقوله : « إننا نعترف بخطايانا لنصلح الفكرة السيئة التي علقت بأذهان الغير عنا » (موعظة رقم ١٨٤) . ويفسر الندم الباطني بقوله : « ندمنا ليس أسفاً للشر الذي فعلناه بقدر ما هو خوف شر يصيبنا من جراء ما فعلناه » (موعظة رقم ١٨٠)

وبما أن المنفعة هي غرض الانسان الوحيد ، إذن يكون الخير الوحيد هو الخير المحسوس في اعفاله . وبما أن الموت هو نهاية كل شر ، إذن الموت أكبر شر : « الشمس والموت لا يستطيع الانسان أن يحدق فيهما » (موعظة رقم ٢٦)

وقد ظن بعض الناس أن لاروشفوكو يستعمل هذه الكلمات : في الأغلب ، عادة ، تقريباً ، كثرة الناس ، لباقة ومجاملة حتى يعتقد كل قارئ أنه من المستثنين ، ولكنه يستعملها على الأرجح لأنه يؤمن بوجود الفضيلة الخالصة ، ولكنها نادرة . والدليل على ذلك أنه لا يذكرها في بعض مواعظه . ولنضرب مثلاً : « الصدق إخلاص القلب . . . موعظة رقم ٦٢ » فهو لا ينكر وجود الصدق ، ولكنه يؤمن بندرته . وهو يتعدى بطريقته الى كشف اللثام عن الفضائل الكاذبة التي يدعيها أكثر الناس

ومواعظ لاروشفوكو على قسوتها تنفع الانسان لأنها تجعله يتأمل نفسه ويراقب فضائله ويطهرها من الرذائل التي تختلط بها . ولهذه المواعظ أثر كبير في تفكير فلاسفة أوربا النابهين أمثال كانت ، وشوبنهور ، ونيتشه ، وبنتام ، وستيوارت مل ، وبيربايل وهلفسيوس وغيرهم . وسنتحدث عن هذا الأثر في فرصة أخرى ان شاء الله ؟

تم البحث — حسين صادق



استحالة الأجسام

بقلم منير غندور
ليسانسيه في العلوم

لو سألت أحداً ممن لم ينالوا من العلم شيئاً من هو الكيميائي ؟ لأجابك إن الكيميائي رجل يستطيع أن يحول الرصاص ذهباً ، وهذا لا وجود له .

وهكذا علق في ذهن كل منا عندما قرأ القصص القديمة أن الكيميائي هو الذي يستطيع أن يحول معدناً خبيثاً الى معدن ثان نفيس تحت تأثير قوة روحية سحرية .

الانتقال من عنصر الى عنصر كان حلم الكيميائيين القدماء . غلت المراجل أياما وليالي ، واستحضر الكيميائيون الأرواح واستنجدوا بالأسرار ، وأوهم أناس أناساً بأنهم توصلوا الى سر هذه المهنة ، وأتت القصص تستعمل هذه المواضيع ، وقضى بعضهم حياته ساعياً وراء هذا السراب الخلاب لينتظر قوة يجهلها تحول رصاصه ذهباً ، ومضى عصر ثم عصر وعصور ، دون أن يستحيل درهم من رصاص الى عشر درهم من فضة أو ذهب !

واليوم أين نحن من تحقيق هذه الفكرة ؟ أين نحن من تحقيق خيال كيميائيينا القدماء ؟

لسنا بعيدين قط عن تحقيقها ، وان كنا لا نزال نقف أمام رصاصنا وقفة ذلك الكيميائي القديم يستنزل القوة . نعم لقد أصبحت استحالة الأجسام شيأ خاضعاً للقوانين العلمية الثابتة . ولكن القوة التي كانت تنقص الكيميائي القديم ليحقق خياله لا تزال تنقصنا لنحقق يقيننا العلمي . ومن يدري ؟ فلعل ذلك الخيال كان في الحقيقة إلهاماً علمياً !

أثبت « ايفيزيك » أن المادة مركبة من وحدات متناهية الصغر تدعى كهارب ، تدور بسرعة هائلة حول نواة وسطية كما تدور السيارات حول الشمس ، وكل نظام من هذه النظم الصغيرة يشبه ما نسميه ذرة . هذه الكهارب هي نفسها في كل ذرة وفي ذرة أي عنصر . وانما الذي يختلف اذا انتقلنا من عنصر الى آخر ، من النحاس مثلاً الى الذهب ، أو من الأزوت الى « الهيدروجين » هو عددها والترتيب في مركبات النواة . (النواة بدورها مركبة من أجزاء صغيرة جداً تقسم الى كهارب والى بروتون . وهي تحمل ، أي النواة ، كهربائية ايجابية .) فالانتقال اذاً من عنصر الى عنصر شيء ممكن اذا استطعنا تبديل عدد هذه الكهارب أو تبديل الترتيب داخل النواة .

إن تركيب الذرة ودرس خصائصها هو في الحقيقة معقد أكثر من هذا بكثير على الأخص مع ما يكتشف في كل يوم في هذا الميدان . ودرس الذرات أصبح اليوم علماً مستقلا بنفسه يقوم بالتنقيب فيه رجال كثيرون . ولكني أقتصر على هذا الشرح البسيط حرصاً على إظهار الغرض الرئيسي من هذه الكلمة وهو امكان استحالة الأجسام .

هذه النظريات التي تقدم لنا الذرة على الوجه الذي شرحت لم تكن معروفة الى عهد قريب . اذ كان من الثابت أن الذرة هي أصغر شيء يمكن الحصول عليه من عنصر ما فهي وحدة لا تتجزأ . والذي سمح للعلم أن يأخذ طريقه الجديد في شرح الذرات هي النتائج العظيمة التي قدمها درس الأجسام « ذات الاشعاع الفعال » « corps radio-actifs » واكتشاف هذه الخاصة في هذه الأجسام يدين به العلم الى « Becquerel » فهو قد لاحظ قبل أن يكتشف مسيو كوري وامرأته « Mr. et Mme Curie » الراديوم أن ملحاً من أملاح الايرانيوم « Uranium » يستطيع أن يعطي دون أي تأثير خارجي معروف أشعة مؤلفة من ثلاثة أقسام : أشعة ألفا « α » وهي مركبة من أجزاء مكهربة ايجابيا ، من

أشعة بانا « B » مركبة من كهارب ومن أشعة جم « g » وهي كأشعة X

هذه الأجسام ذات الأشعة الفعالة تتفكك عندما تذيع ألفا « α » (وهذه مؤلفة من أجزاء مكهربة ايجابيا والآن أزيد على أنها من الهاليوم) وأشعة بانا B (مؤلفة من كهارب سلبية كما رأينا) وتعطي ذرات جديدة مختلفة . وهكذا فالراديوم يتفكك عندما يذيع أشعة ألفا وينتج ذرة جسم جديد كانوا يسمونه ذرور الراديوم « émanation du radium » ويدعى اليوم رادون « Radon » .

ولكن هذا يتفكك بدوره فيصبح راديوم A ثم راديوم B ثم راديوم C . . . وهكذا إلى أن يصبح رصاصا . وهناك أجسام أخرى من ذوات الاشعاع الفعال كالارانيوم والطوريوم (وقد عرف من هذه الأجسام أربعون تقريباً) تتحول الى أن تصير رصاصا .

ولكن كيميائي هذه الاستحالة هو الطبيعة ، ولا يمكننا أن نؤثر على هذا الكيميائي في شيء . فنحن لا نستطيع أن نجعل سير هذه الاستحالة أكثر أو أقل سرعة ، ولا نستطيع تسببه ولا ايقافه .

يظهر لنا من هذا المثل أن الأجسام ذوات الإشعاع الفعال ، وهي كلها ذوات وزن ذرى مرتفع ، هي في حالة توازن وقتي فتنفجر ذراتها تحت تأثير مجهول وتتحول الى أجسام أضعف وزناً ذريا وتحصل عندها على توازن مطلق .

غير أن الطبيعة تقدم لنا أمثلة في الاستحالة غير هذه تدلنا على أن تحول الأجسام يمكن أن يحصل دون انهيار أو تدن في الثقل الذرى . ولنا في الاجرام السماوية آية على هذه الاستحالة :

فالسدم يتركب كما يظهر من فحص طيفها « spectre » على الأخص من هيدروجين ومن هاليوم : واذا تتبعنا تطورها نرى أنها تتحول تدريجيا لتؤلف كواكب فيها أكثر العناصر التي نعرفها في الكيمياء . فهاليوم السدم وهيدروجينها قد تحولا الى عناصر جديدة أقل بساطة وأرفع ثقلاً ذريا . ودرس الكواكب ونشوئها ومعرفة ما تتركب منه في مختلف حالات تطورها هو الذي جعل لوكيار « Lockyer » يقول بتحول المادة قبل أن تكتشف خصائص الأجسام ذوات الأشعة الفعالة .

ولكن هذه الاستحالة كتلك كيميائيها هو الطبيعة ، والقوى التي يستخدمها لا قدرة لنا على ايجاد مثلها . فالحرارة التي تسود في تلك الطبقات والضغط الهائل هما قوة مستعملة ليتألف من تلك العناصر البسيطة كل باقي العناصر .

الآن وقد ظهر لنا كيف كان من الممكن استحالة ذرة الى ذرة وكيف أن الطبيعة تعطينا أمثلة من هذه الاستحالة أريد أن أقول كلمة في المحاولات التي أجريت لتحقيق فكرة استحالة العناصر عمليا .

ان مايصح لن نعتقد به الآن كتجربة علمية لا شك فيها هو ماقام به العالم الانكليزي ريتفورد « Ruthiord » . لقد سلط ريتفورد مقذوفات جسم ذي اشعاع فعال ، أجزاء ألفا ، على بضعة عناصر : الأزوت ، البور ، الفوسفور ، الصوديوم ، الالمنيوم والفليور . فتفككت هذه العناصر تحت تأثير هذه القذائف التي تسير بسرعة ٢٠ ألف كيلو متر في الثانية وأعطت هيدروجين . غير أن كمية الهيدروجين كانت متناهية القلة .

وما عدا هذه النتيجة فكل ما قام به المجربون ، وهم كثيرون ، لا يزال يشك في صحته ، ولذا لا أرى لذكره فائدة

نشط العلماء في جميع أنحاء العالم يواصلون جهودهم للتوصل الى نتيجة نهائية . وليس من العسير علينا أن نفهم اندفاع هؤلاء العلماء في هذا المضمار ، فالوصول الى استحالة الأجسام بطريقة ما يغير فكرتنا عن المادة وعن الحياة ، نستطيع أن ننتقل من عنصر الى عنصر ، لقد ألغيت الحاجة ! الحاجة كما يصورها مجتمعنا الحالي لأنه سوف تخلق حاجات لا وجود لها الآن .

لا نحتاج لنحمل الى البشرية اختراعاً « لا يقل أهمية عن اكتشاف الرجل القديم للنار » الا قوة أشد مما عرفنا الى الآن ، قوة من أى نوع كانت . ولنا الحق في الأمل بأننا سوف نصل قريبا ، فالكهرباء تعطينا في كل يوم قوة لم نكن نتخيل الوصول اليها . وقد توصل الدكتور « فان دى جراف » الى توليد مجرى كهربائي تحت ضغط عشرة ملايين « ڤولت » وسيزيد عدد « الڤولتات » ويزيد . . أو سنكتشف قوة جديدة لا نشك بوجودها فنمزق الذرة كيفما شئنا ونتصرف فيها كيفما أردنا ونحقق حلم كيميائيينا القدماء .

منير عندور

٢ ـ اسحاق نيوتن

١٦٤٢ — ١٧٢٧

للأستاذ مصطفى محمود حافظ

رجوعه الى كامبردج :

تركنا نيوتن فى مقالنا السابق يغادر مزرعته ذاهباً الى كامبردج للمرة الثانية ، بعد ان احتجزه الطاعون مدة سنتين بعيداً عن مكتبة الجامعة ومعاملها ، مما كان سبباً مباشراً فى عدم ظهور قانون الجذب العام فى هذه الفترة ، وظهوره متأخراً بين عاصفة من المناقشات والأحقاد

نال الأستاذية بعد سنة من رجوعه ، ثم اختارته الكلية زميلاً وقد كان لهذه الزمالة فوق ميزة الشرف ميزة أخرى مادية كان نيوتن فى أشد الحاجة اليها فى ذلك الوقت الذى لم يكن له فيه من مورد سوى ما كانت توفره له أمه من دخلها الصغير

اشتغل نيوتن بإتمام صنع تلسكوبه العاكس الصغير وكان طوله ست بوصات ، وتمكن بواسطته من رؤية المشترى واربعة من اقماره (المشترى له تسعة اقمار) . ولكنه كان يعمل دائماً على تحسين هذا التلسكوب العاكس . وكان عدا اشتغاله باجراء التجارب الكيميائية يقوم بمساعدة استاذه «اسحاق بارو» فى اعداد محاضراته فى الرياضة ، وقد ساعده ايضاً فى تصحيح محاضراته الضوئية ، ولكنه لم يجرؤ على أن يخطىء أستاذه فيما كان يعتقد فى طبيعة الضوء الأبيض على أساس ما وصل اليه هو من تجربة المنشور الثلاثى

وفى سنة ١٦٦٩ غادر الأستاذ «بارو» كامبردج تاركا كرسيه فى الجامعة ومرشحاً خلفاً له فيه اسحاق نيوتن الشاب ، وقد عين فيه ، فكان يحاضر فى البصريات والجاذبية وعلم الجبر ، ولكنه ظل يعنى بأبحاثه العملية وإصلاح تلسكوبه الأول

الجمعية الملكية بلندن وعضويته فيها :

نشأت هذه الجمعية فى سنة ١٦٤٥ من نفر من ذوى الميول الفلسفية ، كانوا يجتمعون فى مواعيد معينة فى لندن فى كلية « جراشام » . وفى سنة ١٦٦٠ بلغ عدد اعضائها ٤١ عضواً واتفقوا على أن يدفع العضو عشرة شلنات رسما للدخول فى الجمعية وشلناً أسبوعياً قيمة الأشتراك فيها .

وقد ساعد الملك « تشارل الثانى » هذه الجماعة ماليا الى العلوم وفى سنة ١٦٦١ اصبح عضواً فى هذه الجمعية الناشئة التى سميت الجمعية الملكية .

ولما اتم نيوتن صنع تلسكوبه الثانى فى سنة ١٦٧١ أثار به اهتماماً كبيراً ، ونصح له أن يقدمه الى الجمعية الملكية ، ففعل ، ولا تزال تحتفظ به الجمعية الى الآن . وقد انتخب عضواً فيها فى يناير سنة ١٦٧٢ فكان أول ما قدمه اليها رسالة عن طبيعة الضوء الأبيض ، فكانت اول حلقة فى سلسلة المتاعب التى لازمته طول حياته

لقد كانت نظرية نيوتن تقول بأن الضوء الأبيض ليس فى الواقع إلا عدة ألوان تؤثر كلها فى شبكية العين فتعطى تأثير اللون الأبيض ، ويمكن تفريق اللون الأبيض إلى هذه الألوان المتعددة بامراره فى منشور ثلاثى من الزجاج مثلاً . ولكنه أخطأ واعتبر ان مقدار الأنكسار لا يتغير لكل من مكونات الضوء الأبيض غير ملاحظ ما يسببه اختلاف نوع الزجاج المستعمل فى تغيير هذا القدار

عارضه فى ذلك من معاصريه العالم « روبرت هوك » الذى ظل منافساً قوياً له فيما بعد ، والفيلسوف الهولندى « كريستيان هيجنز » صاحب النظرية الموجية فى الضوء ، والفلكى المشهور « فلا مستيد » . كما عارض فكرته من غير معاصريه الشاعر الألمانى العظيم « جوت » رغم قصر باعه فى العلوم الطبيعية .

نظرية نيوتن فى ماهية الضوء :

وقد جر الجدال حول هذه النقطة نيوتن إلى أن يضع نظريته فى طبيعة الضوء ، وهى نظرية « الدقائق » التى قضت على النظرية الموجية بالأختفاء قرناً كاملاً .

قال نيوتن فى تفسير الضوء انه عبارة عن « دقائق » صغيرة تنطلق من الجسم المضىء وتسير بسرعة كبيرة فى خطوط مستقيمة ، وقد فسر على هذا الأساس ظاهرتى «الانعكاس» و «الانكسار» وذلك بأن رأى لدقائقه اطواراً تجعلها تنعكس مرة وتنكسر أخرى . وقد شرح على أساس هذه النظرية كل الظواهر الضوئية التى كانت معروفة فى عصره كالحيود والتداخل بشروح تتراوح بين البساطة والتعقيد . وقد دافع نيوتن عن نظريته هذه بكل ما أوتى من ذكاء ، فظلت مأخوذاً بها عند أغلب علماء الطبيعة

حتى أوائل القرن التاسع عشر ، حينما بدأت نتائج عملية تؤيد النظرية الموجية ، فاختفت نظرية نيوتن ولم يعد يؤبه لها مما جعل البعض من المتحيزين الى نيوتن يقولون إنه لم يكن يقصد إلى وضع نظرية كاملة لطبيعة الضوء ، إنما كان يقصد الرد على معترضي فكرته في طبيعة اللون الأبيض فوضع ما يقرب من أن يكون نظرية . ولكن الأبحاث الأخيرة في « نظرية الكم » التي وضعها « بلانك » تكاد تؤيد « دقائق » نيوتن ، وهي إن فعلت فإن نيوتن يكون قد سبق معاصريه بما يقرب من ثلاثمائة عام

وقد أراد نيوتن ان يثبت عملياً دوران الأرض حول نفسها فأرسل الى الدكتور هوك ، وهو سكرتير الجمعية الملكية في ذلك الوقت ، يقترح تجربة لاثبات ذلك ، بالقاء جسم من مكان عال . فاذا كانت الأرض ساكنة فان الجسم يسقط في خط رأسي ، والا فانه يحيد عن ذلك الخط بقليل . وقد وافقه هوك ملاحظاً أن ذلك يتوقف على موضع اجراء التجربة على سطح الأرض

ظهور قانون الجذب العام :

ذكرنا في المقال السابق ان نيوتن أعرض عن قانون الجذب العام حينما وجد أن العمليات الحسابية الخاصة بحركة القمر لا تتفق مع ما ذهب اليه من أن القمر يتحرك حول الأرض بقوة جاذبيتها له ، وكان ذلك الاختلاف راجعاً كما قلنا إلى الخطأ في تقدير نصف الكرة الأرضية ، وانه أشتغل بتجاربه في الكيمياء والبصريات وبالقاء المحاضرات . ولكن لما وصل إلى الجمعية الملكية نبأ قيام العالم الفرنسي « بيكار » بقياس طول محيط الكرة الأرضية وذلك بقياس المسافة بين كل درجتي طول متتاليتين (٦٩ ميلاً) وضرب ذلك في ٣٦٠ (عدد درجات الطول) أدرك نيوتن خطأه في تقدير نصف قطر الكرة الأرضية ، فرجع إلى كامبردج وأكب على دراسة المسألة مرة أخرى ، وفي هذه المرة حققت الرياضة صحة ماذهب اليه في « وولسثورب » ، وهو أن قانون الجاذبية هو قانون كوني عام . فالأرض تجذب كل جسم على سطحها بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين ، وتتناسب عكسياً مع مربع المسافة بينهما . وكذلك الأرض تجذب القمر بنفس هذه القوة . والشمس بدورها تجذب الأرض وبقية الكواكب السيارة ، فيتسبب عن ذلك دوران هذه الكواكب حول الشمس بدلاً من انطلاقها في خطوط مستقيمة كما ينص على ذلك قانون القصور الذاتي

ولن ينقص من قيمة هذا القانون ما يقول به « اينشتين » من أن الجاذبية شيء نسبي ، وأن التفاحة التي لاحظ نيوتن انها تنجذب إلى الأرض يمكن اعتبارها جاذبة الأرض اليها . وأن الشخص الجالس في مصعد يهوى بتأثير ثقله لايشاهد سقوط التفاحة إلى أرض المصعد إن هو تركها من يده ، بل يلاحظ بقاءها معلقة في مكانها . وأن ظواهر الجاذبية يمكن تعليلها كلها بفرض تكور الكون ؛ لا يمكن أن ينقص كل ذلك من قيمة قانون الجذب العام ما دام هذا القانون يفسر لنا جل الظواهر الكونية . ولا صحة مطلقاً للقول الشائع بأن « اينشتين » قد هدم نيوتن ، فكل ما فعله هو أنه نظر إلى قوانين نيوتن من ناحية غير الناحية القديمة

أثبت نيوتن هذا القانون في سنة ١٦٨٢ ؛ ولكنه لم ينشر آراءه خوفاً من حملات النقد التي كان يتحاشاها قدر جهده ، وفضل أن تنشر بعد موته . وفي سنة ١٦٨٣ وصل دكتور « هوك » ودكتور « هالى » وسير « كرستوفررن » إلى جزء من قانون نيوتن ، وهو أن قوة جذب الأرض تتبع قانون التربيع العكسي وأخذوا يبحثون لايجاد مسير كوكب متحرك إذا كان منجذباً إلى نقطة معينة بقوة تتناسب عكسياً مع مربع المسافة بينهما ، وكان الأمل الذي يجول في قرارة أنفسهم هو اثبات ان حركات الكواكب حول الشمس ترجع إلى ما يشبه قانون الجاذبية على سطح الأرض ، ولكنهم لم يفلحوا . فوعد سير « كرستوفررن » باهداء كتاب قيمته جنيهان لمن يعين هذا المسير ، فقال دكتور « هوك » بأن هذا المسير سيكون قطعاً ناقصا ، ولكنه لم يقدم البرهان على ذلك . فقصد « هالى » الى كامبردج وعرض الأمر على نيوتن فوجده قد اشتغل بهذه المشكلة وحلها ، وأخبره أن هذا المسير يكون قطعاً ناقصاً ووعده بالبرهان بعد قليل . وقد بر نيوتن بوعده فأرسل بالبرهان الى « هالى » بعد ثلاثة أشهر . ولكن « هالى » اراد التأكد من بعض نقط فرحل مرة أخرى إلى كامبردج ، ثم طلب من نيوتن أن يقدم بحثه إلى الجمعية الملكية فوافق بعد إلحاح .

« التتمة في العدد القادم »

مصطفى محمود حافظ
• مدرس بمدرسة المعلمين بإمبابه

من القصص الشعري

اسلام حمزة

بقلم فريد عين شوكه

مر أبو الحكم بن هشام (أبو جهل) برسول الله عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه، فلم يرد عليه . ثم انصرف أبو جهل وعاد الرسول الى بيته وعاد حمزة بن عبد المطلب من صيده فمر بالصفا فحدثته مولاة لعبد الله ابن جدعان بما كان من أمر أبي جهل مع الرسول ؛ فغضب حمزة وراح يبحث عن أبي جهل حتى إذا بصر به في ناد من قريش ضربه بقوسه فشج رأسه شجة منكرة ، ثم أعلن إسلامه في هذا الجمع ، وعلمت قريش أن الرسول قد عز وامتنع باسلام عمه حمزة .

الرسول يجلس على الصفا مطرقاً الى الأرض ، تراه المولاة فتقول :

لك الله من ناصب مُتعَبِ   يجاهد في بلد مشغَب
تحمل فيه صنوف العذا   ب فلم يستبد ولم يغضب
وأوذي من أهله الظالمين   وشرّد في حيّه الأقرب
وقاسى بمكة ذل الغريب   وذاق من المهد يُتمَ الأب

(تسعى اليه تستضيفه عندها)

محمد ! (ينظر اليها)

لاتبستريح بيننا   على ذلك الحجر المجدب
ونحن جوارك تحت الظلا   ل بوادٍ وفير الجنى مخصب
يطالعنا بشهي الثما   ر ويجري بمورده الأعذب

الرسول (اليها) :

دعيني هنا أسترح ساعة

هي (مستنكرة) :   على ذلك الجلمد اللهِب ؟

وكيف تطيق لهيب الرما   ل وترتاح في وهج السبسب ؟
هلمَّ الى حيّنا فاسترح   قليلاً بمربعنا الأرحب
يظلك فيه وريف الغِرا   س فتغفو على ظله الطيّب

الرسول (شاكراً) :

رعتكِ العناية ، لن أستطيع   ثواءً بواديكمُ المُعشِبِ

هي (متضرعة) :   أطعني

الرسول (زاهداً) :   دعيني

ترنو له الفتاة ثم تمضي عنه في صمت ، ويطرق ثانية الى الأرض ؛ ثم يمر به أبو جهل فيرفع رأسه بشدة :

أأنت هنا   فريداً عن الصحبة الخُرَّب

تجانب وحدك في الخرو   ج على دين آبائك الأشهب

الرسول (في هدوء) : معي الله

أبو جهل (ساخراً) :

خالك من فرية   يضيق بها صبية الملعب
وأسطورة جئت تسعى بها   وتزعم أنك فينا نبي
وأنك قائدنا في الحيا   ة وهاد لمن ضل في الغيهب
ألا ما أضلك من قائد   وأخسفك اليوم من كوكب
فمن أنت حتى تقود الأنام   وتهدِ بهمو وضح المذهب
ومن أنت حتى نصيخ اليك   ونمشي على نهجك الأنكب
وكيف وأنت مهيض الجنا   ح ومن ذلك النفر المترب
أليس لدى الله من يصطفيه   سواكِ من المرد والشيب
محمدُ أسرفت فيما دعوت   ولكن غرسك لم يعقب
وأشفق منا عليك الرجال   فجاءوك بالمال والمنصب
وأقبلتَ تسخر من عطفهم   وتزري برأيهم الأصوب
فلم نسعَ بعدُ بعُتبي إليك   فما أنت والله بالمعتب
ولكن ستصليك سوط العذا   ب ونفريك بالناب والمخلب

ينصرف عنه الرسول غير مجيب فيهدده أبو جهل صارخاً :

فإما نكصت وإما هلكتَ   وموتك ليس بمستصعب

ثم ينصرف أبوجهل ويمر حمزة عائداً من الصيد يقول :

يوم أغرُّ على الجزيرة مشرقٌ   كالبدر في جنح الدجى يتألق
عالجت فيه الصيد جد مظفر   ورجعت منه مجلياً لا يُلحق
كم صدت من ظبي به وكواسر   عصماءَ كانت في السماء تحلّق

تسمع صوته المولاة فتخرج إليه فتستوقفه لدي ظبيه :

أرنيه حمزةُ   فينعطف عليها فتراه وتقول :

يالهُ من شادن   تهوي رشاقته النفوس وتعشق
دعه لديَّ أبا عمارة منحةً

حمزة (في تيه) :   أمل لعمرك سوف لا يتحقق

إن كنتِ تائقة إليه مشوقة   بجمال بزّته فاني أشوق

هي :   بل خلّه

حمزة (وهو يأخذه منها) :

لن تستطيع فانما   هو كل ما أبغي وما أتعشق

هي (وقد جدت بعد هزل) :

تا لله ما يغنيك ظبي صدته   وحمالك صيد مستباح مطلق

حمزة (غاضباً) :

كذباً زعمت فانما أنا قسور   تعنو لطلعته القلوب وتفرق

وأنا أعز شباب مكة كلها   وحماي أرفع أن ينال وأشهق

هي (ساخرة) :

خفف عليك فقد تصدع شمله   وغدا على عبث الحوادث ينتق

حمزة (هائجا) :

كيف استبيح ؟

هي : أما رأيت محمدا   رمي بما يوهي الجبال ويمحق

ومحمد ابن أخيك كيف يصيبه   هذا العذاب وفيك قلب يخفق

حمزة (غاضباً) :

من ذا استطال عليه أم من ناله   بأذى ؟

هي (متحسرة) :   أبو الحكم الجهول الأحمق

لاقاه قبلك بالسفاهة والأذى   وقسا عليه وهو مغض مطرق

ورنو اليه بمقلتي متضرع   فنفيض في سفه الحديث ويغرق

سفه تضج له السموات العلى   والأرض من غلوائه تنشق

وأذى تخر له الجبال صريعة   وتهى لسمعه النفوس وتصعق

حتى إذا ضاق النبي بكل ما   لاقاه من عنت يؤود ويرهق

ترك الصفا ثبت الجنان وكله   شكوى تفيض وأدمع تترقرق

حمزة (وقد بلغ به الغضب) :

ويل لعمرو من حسام في يدي   قاسي الطعان يشيب منه المفرق

ويل له حتى يصير فريسة   تفري حشاها الضاريات وتعرق

لو كنت حاضره على هذا الصفا   لأصاب مني مارداً لا يرفق

صبراً نبي الله سوف يصيبهم   مما زموك به شواظ محرق

ثم يذهل عما كان معه من ظبي وطيور ويهم بافتقاد أبي جهل ، ويشرف على ناد بقريش فيراه أحدهم من بعد فيحادث جلساءه وهو مرتاع :

انظروا حمزة

فينظرون ثم يقول أكثرهم :

شرر مدلهم   بين عينيه ونار تضطرم

بعضهم :

ويحه أي مصاب هاجه   فأتى يبس كالحطب الملم

يأتي حمزة فيقومون إليه :

إيه يا حمزة

حمزة (ثائراً) : الهوب لظى   بين أحشائي قاس يحتدم

ثم ينظر فيهم :

أين هذا الوغد

هم (اليه) :   من ذا تبتغي

هو (في اضطراب) :   أخبروني أين ياقوم جثم

يقبل أبو جهل من جهة أخرى فيراه حمزة فيضربه بقوسه قائلاً :

أنت أقبلت ؟ فخذها ضربة   يرتوي منك بها قوس نهم

أبو جهل (وقد وقع على الأرض) :

أدركوني   (فيقبل البعض عليه)

حمزة (وقد أحاط به بعض الشجعان يمنعونه) :

بل دعوني أسقه   أكؤس الموت وأكواب العدم

واحد منهم :

اصطبر حمزة لا تهتج فما   سكن المهتاج إلا وندم

ثم يتحايلون عليه حتى يجلس فيتحادثون :

ما الذي نالك من عمرو

حمزة :   لقد نال من قومي كثيراً وظلم

كل يوم يشتفي في ابن أخي   بسباب دونه أقسى الحمم

وإذا ماشامه أغرى به   صبية الحي وأوشاب الخدم

هم (في ترفق) :

سوف نرجوه فلا يقربه   بأذى

حمزة (مستنكراً) :   ترجونه فيما اجترم ؟

هانت الدنيا اذا لم أحمه   أينما حل وأيان قدم

من أناسي كربع دارس   كاد من فرط البلى أن ينهدم

أسد في غير ساحات الوغى   وهم ان جدت الحرب نعم

ثم يسكت قليلا ويهم واقفاً :

بلغي يا ريح عني واحفظي   أيها الصحراء واشهد ياحرم

أنني أسلمت لله فلن   أخفض الهامة مني لصنم

وسأعلي دينه الحق على   مفرق العرب وهامات العجم

(ثم يمضي والقوم في لغط واضطراب)

فريد عين شوكة



تحضير الميزانية المصرية

للدكتور محمد توفيق يونس

نشر الدكتور محمد توفيق يونس رسالته التي نال بها أخير إجازة الدكتوراه في الحقوق من الجامعة المصرية بدرجة «جيد جداً» مع شرف الامتياز بتبادلها مع الجامعات الأجنبية .

وموضوع الرسالة «تحضير الميزانية المصرية» وهو موضوع من أقوى الموضوعات المالية نفعاً ، وأعظمها خطراً ، وأشدها اتصالاً بعمل الحكومة والبرلمان ، وأعمقها أثراً في حياة البلاد وتقدمها .

وعلى الرغم من ذلك كله ظل هذا الموضوع مجهولا حتى جاءت هذه الرسالة القيمة فأزاحت الستار عنه والقت عليه ضوءاً ساطعاً أنار جوانبه جميعا .

ويزيد هذا البحث جلالاً وخطراً أنه بني على أبحاث قيمة عميقة ، ومشاهدات واقعية دقيقة ، ووثائق أصلية ثمينة ، تستفرغ الجهد المضني وتستنفد الوقت الطويل .

وقد رتب المؤلف ابحاثه ترتيباً منطقياً سليماً ، وصور للقارئ الميزانية المصرية تصويراً علمياً سديداً ، فأرجع موضوعاتها الى اصولها العلمية وسماها بأسمائها الصحيحة ، وطبق عليها مبادىء علم المالية العامة ، وأخضعها للبحث العلمي الدقيق ، وجعل منها مجموعة متماسكة الأجزاء ، محكمة الارتباط ، واضحة المعنى .

بيّن للجمهور الحالة الحاضرة للميزانية المصرية من الوجهتين العلمية والعملية بعد أن تكلم عن حالتها في الماضي ومختلف تطوراتها . وقد درسها فوق ذلك دراسة نقدية ، ووقف ازاء ما يعرضه من مسائل موقفا ايجابيا ، وبين ما يراه من الوسائل المؤدية لحلها ؛ فمهد بذلك الطريق لمن يتبعه من الباحثين . وأعطى كل من يهمه أمر الميزانية المصرية من الشيوخ والنواب والموظفين والطلبة مرجعا قيما ثميناً ، شديد الأهمية جزيل الفائدة ، خصوصا ولم يكن أمامهم قبل ذلك اى بحث آخر يعبد السبيل وينير الموضوع

وليس أدل على موضوع هذا البحث مما يقوله المؤلف في ختام مقدمته : « على هذا الأساس الواقعي بنيت رسالتي جاعلا نصب عيني أن أرى القارئ ، في تحضير الميزانية ، كيف تصبح مجموعة من التقديرات الأولية المبعثرة مجلداً ضخما منسقاً ؛ وأن أصور له الميزانية المصرية تصوير الكائن المستقل له أجزاؤه ومميزاته مقدماً اليه بياناً عن جميع الأدوار التي تمر بها في مرحلة التحضير محدداً ومحللاً المبادئ والقواعد التي تتصل بها وتقوم عليها »

و لقد حقق المؤلف غرضه أتم تحقيق ، وبلغ ولا شك غايته على خير ما يكون ؛ فقدرت الجامعة المصرية رسالته أعظم تقدير ومنحته اسمى درجاتها ، وصادف عمله نجاحاً عظيماً واهتماماً شديداً في الأوساط العلمية والدوائر الحكومية . والكتاب أنيق الطبع جيد الورق يباع في جميع المكاتب الشهيرة وثمنه عشرون قرشاً

زعامة الشعر الجاهلي

بين امرئ القيس وعدي بن زيد

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ عبد المتعال الصعيدي أديب مجتهد واسع الاطلاع ، يعجبك منه اذا حادثته دماثة خلقه ، ورقة طبعه ، وسرعة بديهته ، ومن آثاره الأدبية هذا الكتاب الذي أحدثك عنه ، وهو يقع في نحو مائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير .

ابتدأ الأستاذ كتابه بفصل في ميزان الشعر ، وقد تساءل في هذا الفصل « هل يوزن الشعر بموضوعه أو يوزن بألفاظه ومعانيه أو يوزن بهما معاً ؟ واذا كان يوزن بهما معاً فما الذي ينظر اليه

قبل غيره منهما ؟ » ثم تكلم في هذا الفصل عن الشعر وأغراضه ، وعقد فصلاً آخر عن الشعر الحضري والشعر البدوي ثم وصف نجداً وتكلم عن كندة وتغلب ، ثم ترجم لامرئ القيس وشرح عقيدته وتعرض للغته وشعره ، وأورد طرفاً من شعره في لهوه وجده ، وبعد ذلك انتقل الى عدي بن زيد فتكلم عن الحيرة وعن حياة عدي ولغته وشعره ، وأورد أيضاً شيئاً منه ، ثم تكلم عن منزلة الشاعرين اجمالا ووازن بينهما في النهاية فجعل الزعامة لعدي بن زيد .

فالكتاب كما ترى جدير بأن يقرأه الأدباء ، فسيجدون في قراءته متعة ، وسيظفرون منه بكثير من المعلومات الشيقة المفيدة ولهم بعد ذلك أن يوافقوا الأستاذ فيما ذهب اليه أو يخالفوه .

أما أنا فأخالفه وأراه متحيزاً في حكمه ، وأرى هذا التحيز نتيجة لازمة لمقدمته عن ميزان الشعر ، فقد جعل الأساس في وزن الشعر أغراضه ، وقسم هذه الأغراض الى شريفة وغير شريفة ، دون أن يحدد هذا التقسيم ، ثم أظهر ميله الى شعر الحضر ونفوره من شعر البادية فجعله غليظاً خشناً ليس فيه من المحاسن الا وصف جمال الطبيعة ان كان ثمة من جمال في البادية ! وعلى هذا الأساس قدم عديا لشرف أغراضه ودقته التي اكتسبها من الحضر مع أنه يقول في صفحة ١٤ « ولا نريد من هذا أن الأدب الحضري في جملته كان خيراً من الأدب البدوي في جملته ، وقد يوجد من أدباء البدو من كان خيراً من بعض أدباء الحضر ومن أدباء الحضر من كان في أدبه أقل من بعض أدباء البدو » ولكنه أراد أن يقدم عديا فتكلف ، واضطر الى أن يغمط امرأ القيس كثيراً من محاسنه ، هذا الى أني أخالف الأستاذ الفاضل في قوله عن الشعر « إن موضوعاته هي أغراضه وألفاظه هي معانيه ، ومعانيه هي ألفاظه ، ولا يمتاز اللفظ عن المعنى الا في مظهر وجوده في اللسان ووجود المعنى في الذهن » .

لا أستطيع أن أقره على هذا الرأي ، ولا أجده يحتمل المناقشة أو بعبارة أخرى أجد المناقشة فيه لا تنتهي ، فان المناقشة في البديهيات تخرج عن الموضوع اذ أنها تبدأ من قضية مسلمة ومن نقطة نهائية .

أما عن قياس الشعر بأغراضه فاني أرى الأمر على عكس ما يراه الأستاذ ، فلن تتبين الموازنة بين شاعرين ؛ اذا أردنا تفضيل أحدهما على الآخر الا اذا اتفقا في الغرض ، أو على حد تعبير أدبائنا الا اذا اتحدا في المدرسة ؛ أما أن يختلفا في البيئة والغرض فنجعل من ذلك مقياساً للموازنة بينهما فهالا أسلم به الا اذا استطعنا أن نوازن موازنة تنتهي بحكم تفضيلي بين أبي نواس وعمر بن أبي ربيعة مثلا أو بين البحتري والمعري أو بين شوقي والبارودي . . . الخ

ولكني اذا خالفت الأستاذ في بعض آرائه فلا يسعني الا أن أعلن اعجابي بدقته في البحث واستقصائه لتفاصيل الموضوع والمامه به ، هذا الى جمال عبارته ودقة أدائه ، مما يجعل كتابه جديراً بالاقتناء ، خليقاً بالدرس في روية وامعان ؟

محمود الخفيف

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

(أ)

فهرس أبجدي عام

لموضوعات المجلد الأول من السنة الثانية

فهرس ابجدي عام

لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

فهرس ابجدي عام

لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

فهرس ابجدي عام

لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

فهرس ابجدى عام

للكتاب الذين كتبوا فى المجلد الاول من السنة الثانية

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

FIN

DU

DOCUMENT

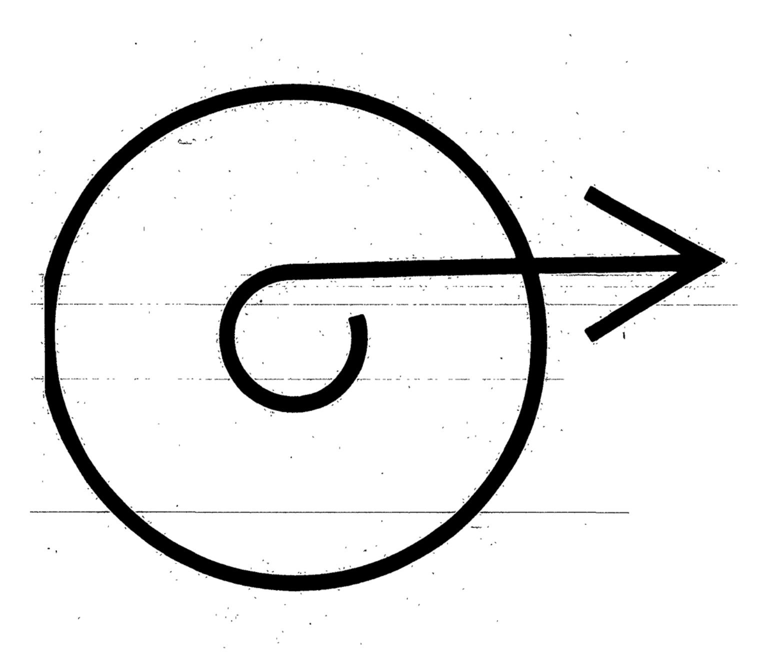
(مطبعة سكر

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الاولى مجلدة ٣٥ ق عدا اجرة البريد

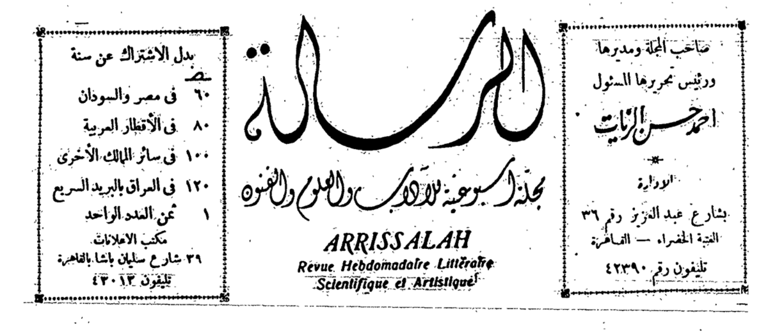
ثمن مجموعه السنة الثانية (المجلد الاول) ٣٥ ق عدا اجرة البريد

وثمن كل منهما خارج القطر ٥٠ ق



Fin de bobine

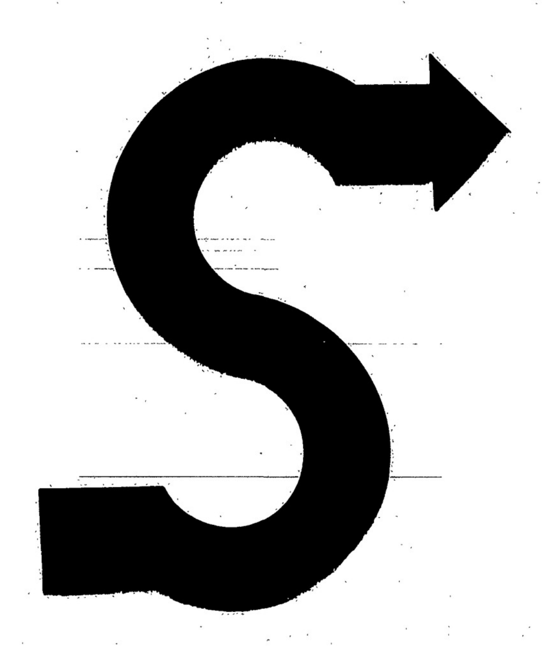
NF Z 43 120 3



1934

Janvier - 25 juin

(n° 26 - 51)



Suite sur une autre bobine

NF Z 43-120-6